إحياء علوم الدين

تأليف
الإمام المجدِّد، حجة الإسلام والمسلمين
زين الدين، أبي حامد
محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزاليّ
الطوسيّ الطابرانيّ الشافعيّ
رضي الله عنه
(٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ) ـ (١٠٥٨ ـ ١١١١ م)

ربع العادات / القسم الأول

كتاب
آداب الأكل ـ آداب النكاح
آداب الكسب والمعاش ـ الحلال والحرام

دار المنهاج

Hüccetü'l-İslâm, Zeynü'd-Dîn

İMAM GAZÂLÎ

-rahmetullahi aleyh-

İHYÂU ULÛMİ'D-DÎN TERCÜMESİ

Tercüme Eden:
Ahmed SERDAROĞLU

كِتَابُ
آدَابِ الأَكْلِ

وهو الكتاب الأوّل من ربع العادات
من كتب إحياء علوم الدّين

Rub‘u’l-Âdât

BİRİNCİ KİTAB

YEMEK YEMENİN ÂDÂBI

(KİTÂBU ÂDÂBİ’L-EKL)

كتاب آداب الأكل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي أحسنَ تدبيرَ الكائناتِ ، فخلقَ الأرضَ والسماواتِ ، وأنزلَ الماءَ الفراتَ مِنَ المعصراتِ ، فأخرجَ بهِ الحبَّ والنباتَ ، وقدَّرَ الأرزاقَ والأقواتَ ، وحفظَ بالمأكولاتِ قُوى الحيواناتِ ، وأعانَ على الطاعاتِ والأعمالِ الصالحاتِ بأكلِ الطيباتِ .

والصلاةُ علىٰ محمدٍ ذي المعجزاتِ الباهراتِ ، وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ صلاةً تتوالىٰ علىٰ ممرِّ الأوقاتِ ، وتتضاعفُ بتعاقبِ الساعاتِ ، وسلَّمَ تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فإنَّ مقصدَ ذوي الألبابِ لقاءُ اللهِ تعالىٰ في دارِ الثوابِ ، ولا طريقَ إلى الوصولِ إلى اللقاءِ إلا بالعلمِ والعملِ ، ولا يمكنُ المواظبةُ عليهما إلا بسلامةِ البدنِ ، ولا تصفو سلامةُ البدنِ إلا بالأطعمةِ والأقواتِ ، والتناولِ منها بقدْرِ الحاجةِ علىٰ تكرُّرِ الأوقاتِ .

فمِنْ هـٰذا الوجهِ قالَ بعضُ السلفِ الصالحينَ : إنَّ الأكلَ مِنَ الدِّينِ ،

وعليهِ نبَّهَ ربُّ العالمينَ بقولِهِ وهوَ أصدقُ القائلينَ : ﴿ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾(١) .

فمَنْ يقدمُ على الأكلِ ليستعينَ بهِ على العلمِ والعملِ ، ويقوىٰ بهِ على التقوىٰ . . فلا ينبغي أنْ يتركَ نفسَهُ مهملاً سدىً ، يسترسلُ في الأكلِ استرسالَ البهائمِ في المرعىٰ ، فإنَّ ما هوَ ذريعةٌ إلى الدينِ ووسيلةٌ إليهِ ينبغي أنْ تظهرَ أنوارُ الدينِ عليهِ ، وإنَّما أنوارُ الدينِ آدابُهُ وسننُهُ التي يُزَمُّ العبدُ بزمامِها ، ويُلجمُ المتقي بلجامِها ؛ حتَّىٰ يتزنَ بميزانِ الشرعِ شهوةَ الطعامِ في إقدامِها وإحجامِها ، فيصيرَ بسببِها مدفعةً للوزرِ ومجلبةً للأجرِ(٢) ، وإنْ كانَ فيها أوفىٰ حظٍّ للنفسِ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ الرجلَ ليؤجرُ حتَّىٰ في اللقمةِ يرفعُها إلىٰ فيهِ وإلىٰ في امرأتِهِ »(٣) ، وإنَّما ذلكَ إذا رفعَها بالدينِ وللدينِ ، مراعياً فيهِ آدابَهُ ووظائفَهُ .

وها نحنُ نرشدُ إلىٰ وظائفِ الدينِ في الأكلِ ؛ فرائضِها وسننِها وآدابِها

---

(١) انظر « قوت القلوب » (٢/ ٢٨٩) .

(٢) أي : يصير محلاً لدفع الوزر وجلب الأجر ، وكان سهل يقول : (من لم يحسن أدب الأكل . . لم يحسن أدب العمل ، والذي يتصنَّع في الأكل هو الذي يتصنع في العمل) . « قوت القلوب » (٢/ ١٧٨) .

(٣) رواه البخاري (١٢٩٦) ، ومسلم (١٦٢٨) ولفظه : « وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله . . إلا أجرت بها ، حتىٰ ما تجعل في في امرأتك » الحديث ، ولفظ المصنف عند صاحب « القوت » (١/ ٧٨) ، وزيادة « يرفعها إلىٰ فيه » رواها أحمد في « المسند » (١/ ٧٧) منفردة .

ومروءاتِها وهيئاتِها ، في أربعةِ أبوابٍ وفصلٍ في آخرِها :

البابُ الأوَّلُ : فيما لا بدَّ للآكلِ مِنْ مراعاتِهِ وإنِ انفردَ بالأكلِ .

البابُ الثاني : فيما يزيدُ مِنَ الآدابِ بسببِ الاجتماعِ على الأكلِ .

البابُ الثالثُ : فيما يخصُّ تقديمَ الطعامِ إلى الإخوانِ الزائرينَ .

البابُ الرابعُ : فيما يخصُّ الدعوةَ والضيافةَ وأشباهَها .

* * *

MUKADDİME

Hamd Allah'a mahsûstur. O Allah ki, yeri ve gökleri yoktan var etti. Bütün canlıların rızıklarını temîn ve kullarının helâl nafaka ile sâlih amellerde bulunmalarını kolaylaştırmak için, bulutlardan indirdiği yağmurla topraktan yiyecek ve bütün bitkileri çıkarmak sûretiyle kâinâtı en güzel bir şekilde idâre etti.

Salât ve selâm, kâinât var olduğu müddetçe, açık mûcizelere sâhip olan Muhammed (s.a.v.) ve O'nun âline ve ashâbına olsun.

Bundan sonra bilmiş ol ki, akıl ve basîret sahiplerinin asıl gâyeleri, mükâfat yeri olan cennette Allah'a ulaşmaktır. Bu da ancak ilim ve amel ile mümkündür. İlim ve amel ise sıhhatli vücûd ile yapılır. Bedenin sıhhat ve selâmeti de muayyen vakitlerde yiyip içmeye bağlıdır. Bunun içindir ki bâzı sâlihler, yiyip içmeyi, dinin icaplarından saymışlardır. Buna işâret olmak üzere Allahu Teâlâ:

كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا

"Helâl ve temiz olandan yiyin ve iyi ameller işleyin." (Mü'minûn sûresi, 23/51) buyurmuştur. İlim öğrenip amel etmek ve takvâya ermek isteyen kimse de alabildiğine yememeli, yemeği bir intizam içinde olmalıdır. Zîra dîn uğrunda yapılan her şeyde dînin nurları parlamalıdır. Bu nûrlar ise insanın dizginlerini toplayacak olan sünnet ve âdâbıdır. Her ne kadar yemek ile nefsin en büyük arzusunu yerine getirmiş oluyorsa da, yemek işini şerîat mîzânına vurduğu için, ayrıca mükâfat da kazanmış olur. Nitekim hadîste:

إِنَّ الرَّجُلَ لَيُؤْجَرُ حَتّٰى فِي اللُّقْمَةِ يَرْفَعُهَا إِلٰى فِيهِ وَإِلٰى فِي امْرَأَتِهِ

"Kişi, birçok şeylerden ecir alır. Hattâ yediği ve âilesine yedirdiği lokmadan bile ecir alır."[1] buyurmuştur. Bu da yemek yemenin âdâb ve vazifelerine riâyetle mümkündür. İşte biz burada yemekteki dîni vazifeleri; farzını, sünnetini, âdâbını, mürüvvet ve hey'etini dört bâb ve bir fasılda anlatacağız.

---

[1] Kaynağı bulunamadı.

البَابُ الأَوَّلُ
فيما لابدّ للمنفرد منه

وهوَ ثلاثةُ أقسامٍ : قسمٌ قبلَ الأكلِ ، وقسمٌ معَ الأكلِ ، وقسمٌ بعدَ الفراغِ منهُ .

القِسمُ الأوّلُ
في الآدابِ التي تتقدّمُ على الأكل
وهي سبعة

الأوَّلُ : أنْ يكونَ الطعامُ بعدَ كونهِ حلالاً في نفسِهِ ، طيِّباً في جهةِ مكسبِهِ . . موافقاً للسنَّةِ والورعِ :

لمْ يُكتسبْ بسببٍ مكروهٍ في الشرعِ ، ولا بحكمِ هوىً ومداهنةٍ في الدينِ ، علىٰ ما سيأتي في معنى الطيِّبِ المطلقِ في كتابِ الحلالِ والحرامِ .

وقدْ أمرَ اللهُ تعالىٰ بأكلِ الطيِّبِ ، وهوَ الحلالُ ، وقدَّمَ النهيَ عنِ الأكلِ بالباطلِ على القتلِ ؛ تفخيماً لأمرِ الحرامِ ، وتعظيماً لبركةِ الحلالِ ، فقالَ تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ . . . ﴾ الآيةَ(١) .

---

(١) وتمامها : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ .

فالأصلُ في الطعامِ كونُهُ طيِّباً ، وهوَ مِنَ الفرائضِ وأصولِ الدينِ .

* * *

الثاني : غسلُ اليدِ :

قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « الوضوءُ قبلَ الطَّعامِ ينفي الفقرَ ، وبعدَهُ ينفي اللَّممَ » ، وفي روايةٍ : « ينفي الفقرَ قبلَ الطَّعامِ وبعدَهُ »(١) .

ولأنَّ اليدَ لا تخلو عنْ لوثٍ في تعاطي الأعمالِ ، فغسلُها أقربُ إلى النظافةِ والنزاهةِ ، ولأنَّ الأكلَ بقصدِ الاستعانةِ على الدينِ عبادةٌ ، فهوَ جديرٌ بأنْ يُقدَّمَ عليهِ ما يجري منهُ مَجرى الطهارةِ مِنَ الصلاةِ .

* * *

الثالثُ : أنْ يوضعَ الطعامُ على السُّفْرَةِ الموضوعةِ على الأرضِ :

فهوَ أقربُ إلىٰ فعلِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ رفعِهِ على

---

(١) رواه متصلاً الشهاب في « مسنده » (٣١٠) بالرواية الأولىٰ مع زيادة : « ويصحُّ البصرَ » ، وأسنده الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص١١٠) إلى الحسن البصري ، والرواية الثانية عند الطبراني في « الأوسط » (٧١٦٢) ، والديلمي بنحوه في « مسند الفردوس » (٧٢٣٩) ، وهو عند أبي داوود (٣٧٦١) ، والترمذي (١٨٤٦) بلفظ : « بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده » ، وروى ابن ماجه (٣٢٦٠) : « من أحب أن يكثر الله خير بيته . . فليتوضأ إذا حضر غداؤه وإذا رفع » . وقال الإمام البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٧/٢٧٦) : (الحديث في غسل اليد بعد الطعام حسن ، وهو قبل الطعام ضعيف) ، **والمراد بالوضوء بهٰذا الأثر** : الوضوء اللغوي ، وهو غسل اليدين .

المائدةِ ، كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا أُتيَ بطعامٍ . . وضعَهُ على الأرضِ(١) ، فهٰذا أقربُ إلى التواضعِ .

فإنْ لمْ يكنْ . . فعلى السُّفْرةِ ، فإنَّها تذكرُ السفرَ ، ويتذكَّرُ مِنَ السفرِ سفرَ الآخرةِ وحاجتَهُ إلىٰ زادِ التقوىٰ .

وقالَ أنسُ بنُ مالكٍ رحمهُ اللهُ : ما أكلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ خِوانٍ ولا في سُكُرُّجَةٍ ، قيلَ : فعلىٰ ماذا كنتُمْ تأكلونَ ؟ قالَ : على السُّفَرِ(٢) .

وقيلَ : (أربعٌ أحدثَتْ بعدَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : الموائدُ ، والمناخلُ ، والأُشنانُ ، والشبعُ)(٣) .

واعلمْ : أنَّا وإنْ قلنا : الأكلُ على السُّفْرةِ أولىٰ . . فلسنا نقولُ : الأكلُ على المائدةِ منهيٌّ عنهُ نهيَ كراهةٍ أوْ تحريمٍ ؛ إذ لمْ يثبتْ فيهِ نهيٌ ، وما يقالُ مِنْ أنَّهُ ابتدِعَ بعدَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . فليسَ كلُّ ما أُبدعَ منهياً ،

---

(١) رواه أحمد في « الزهد » (٢٢) ، وروى الطبراني في « الكبير » (١٢/ ٦٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس على الأرض ويأكل على الأرض) ، ويؤيده كذلك الحديث الآتي .

(٢) رواه البخاري (٥٣٨٦) ، **الخوان** : الذي يؤكل عليه ، والأكل عليه من دأب المترفين والجبارين ؛ لئلا يفتقروا إلى التطأطؤ والانحناء عند الأكل ، **والسكرجة** : صحاف صغار يؤكل فيها ، **والسفرة** : ما يبسط على الأرض ويؤكل عليه ، فهي هنا تكون بين الطعام والأرض .

(٣) قوت القلوب (٢/ ١٨٣) .

بل المنهيُّ عنهُ بدعةٌ تضادُّ سنةً ثابتةً ، وترفعُ أمراً مِنَ الشرعِ معَ بقاءِ علَّتهِ ، بلِ الابتداعُ قدْ يجبُ في بعضِ الأحوالِ إذا تغيَّرتِ الأسبابُ ، وليسَ في المائدةِ إلاَّ رفعُ الطعامِ عنِ الأرضِ لتيسيرِ الأكلِ ، وأمثالُ ذلكَ ممَّا لا كراهةَ فيهِ .

والأربعُ التي أُجمعَ عليها أنها مبتدعةٌ ليستْ متساويةً ؛ لأنَّ **الأُشنانَ** حسنٌ ؛ لما فيهِ مِنَ النظافةِ ، فإنَّ الغسلَ مستحبٌّ للنظافةِ ، والأُشنانُ أتمُّ في التنظيفِ ، وكانوا لا يستعملونَهُ لأنَّهُ ربما كانَ لا يُعتادُ عندَهُمْ أوْ لا يتيسَّرُ ، أوْ كانوا مشغولينَ بأمورٍ أهمَّ مِنَ المبالغةِ في النظافةِ ، فقدْ كانوا لا يغسلونَ اليدَ أيضاً ، وكانَتْ مناديلُهُمْ أخمصَ أقدامِهِمْ ، وذلكَ لا يمنعُ كونَ الغسلِ مستحباً .

وأمَّا المُنْخُلُ : فالمقصودُ منهُ تطييبُ الطعامِ ، وذلكَ مباحٌ ما لمْ ينتهِ إلى التنعُّمِ المفرطِ .

وأمَّا المائدةُ : فتيسيرٌ للأكلِ ، وهوَ أيضاً مباحٌ ما لم ينتَهِ إلى الكبرِ والتعاظمِ .

وأمَّا الشبعُ : فهوَ أشدُّ هـٰذهِ الأربعةِ ؛ فإنَّهُ يدعو إلىٰ تهييجِ الشهواتِ ، وتحريكِ الأدواءِ في البدنِ .

فلتدركِ التفرقةَ بينَ هـٰذهِ المبدعاتِ .

* * *

الرابعُ : أنْ يحسنَ الجِلسةَ على السُّفْرةِ في أوَّلِ جلوسِهِ ويستديمَها كذلكَ :

كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ربما جثا للأكلِ علىٰ ركبتيهِ وجلسَ علىٰ ظهرِ قدميهِ⁽¹⁾ ، وربما نصبَ رجلَهُ اليمنىٰ وجلسَ على اليسرىٰ⁽²⁾ ، وكانَ يقولُ : « لا آكلُ متَّكئاً »⁽³⁾ ، « إنما أنا عبدٌ ، آكلُ كما يأكلُ العبدُ ، وأجلسُ كما يجلسُ العبدُ »⁽⁴⁾ ، والشربُ متَّكئاً مكروهٌ للمعدةِ أيضاً .

ويكرهُ الأكلُ نائماً ومتكئاً ، إلا ما يُتَنقَّلُ بهِ مِنَ الحبوبِ⁽⁵⁾ ، رُوِيَ عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ أكلَ كعْكاً علىٰ تُرْسٍ وهوَ مضطجعٌ ، ويقالُ : منبطحٌ علىٰ بطنِهِ ، والعربُ قدْ تفعلُهُ⁽⁶⁾ .

* * *

---

(١) رواه أبو داوود (٣٧٧٣) .

(٢) قال الحافظ العراقي : (وروىٰ أبو الحسن بن المقرىء في « الشمائل » من حديث أنس : كان إذا جلس على الطعام . . استوفز علىٰ ركبته اليسرىٰ وأقام اليمنىٰ ثم قال : « إنما أنا عبد ، آكل كما يأكل العبد ، وأفعل كما يفعل العبد » ، وإسناده ضعيف) . « إتحاف » (٥/ ٢١٤) ، ومعناه في الحديث الآتي كذلك .

(٣) رواه البخاري (٥٣٩٨) .

(٤) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٥٣) من زيادات نعيم بن حماد ، وعبد الرزاق في « المصنف » (١٠/ ٤١٥) وتقدم قريباً .

(٥) **التنقُّل** : تناول النُّقْل ، اسم للحبوب وما في معناها تتناول . « إتحاف » (٥/ ٢١٥) .

(٦) قوت القلوب (٢/ ١٧٩) ولفظه : (وقد رئي عليٌّ رضي الله عنه . . .) .

الخامسُ : أنْ ينويَ بأكلِهِ أنْ يتقوَّىٰ بهِ علىٰ طاعةِ اللهِ تعالىٰ :

ليكونَ مطيعاً بالأكلِ ، ولا يقصدُ التلذُّذَ والتنعُّمَ بالأكلِ ، قالَ إبراهيمُ بنُ شيبانَ : (منذُ ثمانينَ سنةً ما أكلتُ شيئاً لشهوتي)(١) .

ويعزمُ معَ ذلكَ علىٰ تقليلِ الأكلِ ؛ فإنَّهُ إذا أكلَ لأجلِ قوَّةِ العبادةِ . . لمْ تصدقْ نيتُهُ إلا بأكلِ ما دونَ الشبعِ ، فإنَّ الشبعَ يمنعُ مِنَ العبادةِ ولا يقوِّي عليها ، فمِنْ ضرورةِ هـٰذهِ النيَّةِ كسرُ الشهوةِ ، وإيثارُ القناعةِ على الاتساعِ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ما ملأَ آدميٌّ وعاءً شرّاً مِنْ بطنِهِ ، حسبُ ابنِ آدمَ لقيماتٌ يقمْنَ صلبَهُ ، فإنْ لمْ يفعلْ . . فثلثٌ للطعامِ ، وثلثٌ للشرابِ ، وثلثٌ للنَّفَسِ »(٢) .

ومِنْ ضرورةِ هـٰذهِ النيّةِ ألا يمدَّ اليدَ إلى الطعامِ إلا وهوَ جائعٌ ، فيكونُ الجوعُ أحدَ ما لا بدَّ مِنْ تقديمِهِ على الأكلِ ، ثمَّ ينبغي أنْ يرفعَ اليدَ قبلَ الشبعِ ، ومَنْ فعلَ ذلكَ . . استغنىٰ عنِ الطبيبِ ، وستأتي فائدةُ قلَّةِ الأكلِ وكيفيةُ التدريجِ في التقليلِ منهُ في كتابِ كسرِ شهوةِ الطعامِ مِنْ ربعِ المهلكاتِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

* * *

---

(١) اللمع (ص ٢٤٣) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٩٧) .

(٢) رواه الترمذي (٢٣٨٠) ، وابن ماجه (٣٣٤٩) .

السادسُ : أنْ يرضىٰ بالموجودِ مِنَ الرزقِ ، والحاضرِ مِنَ الطعامِ :

ولا يجتهدُ في التنعُّمِ وطلبِ الزيادةِ وانتظارِ الأُدْمِ ، بلْ مِنْ كرامةِ الخبزِ ألاَّ ينتظرَ بهِ الأُدْمَ ، وقدْ وردَ الأمرُ بإكرامِ الخبزِ(١) ، وكلُّ ما يديمُ الرمقَ ، ويقوِّي على العبادةِ . . فهوَ خيرٌ كثيرٌ ، لا ينبغي أنْ يُستحقرَ ، بلْ لا ينتظرُ بالخبزِ الصلاةَ وإنْ حضرَ وقتُها إذا كانَ في الوقتِ متَّسعٌ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إذا حضرَ العَشاءُ والعِشاءُ . . فابدؤوا بالعَشاءِ »(٢) .

وكانَ ابنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما ربما سمعَ قراءةَ الإمامِ ولا يقومُ مِنْ عَشائِهِ(٣) .

ومهما كانتِ النفسُ لا تتوقُ إلى الطعامِ ، ولمْ يكنْ في تأخيرِ الطعامِ ضررٌ . . فالأولىٰ تقديمُ الصلاةِ ، فأمَّا إذا حضرَ الطعامُ ، وأقيمتِ الصلاةُ ، وكانَ في التأخيرِ ما يبردُ الطعامَ أوْ يشوِّشُ أمرَهُ . . فتقديمُهُ أحبُّ عندَ اتساعِ الوقتِ ، تاقتِ النفسُ أوْ لمْ تتقْ ؛ لعمومِ الخبرِ ، ولأنَّ القلبَ لا يخلو عنِ الالتفاتِ إلى الطعامِ الموضوعِ وإنْ لمْ يكنِ الجوعُ غالباً .

* * *

---

(١) رواه الحاكم في « المستدرك » (٤/١٢٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٤٨١) .

(٢) رواه البخاري (٥٤٦٥) ، ومسلم (٥٥٧) وروايته : « إذا حضر العَشاء وأقيمت الصلاة . . . » .

(٣) قوت القلوب (٢/١٧٨) .

السابعُ : أنْ يجتهدَ في تكثيرِ الأيدي على الطعامِ ولوْ مِنْ أهلِهِ وولدِهِ :

قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « اجتمعوا علىٰ طعامِكُمْ . . يبارِكْ لكمْ فيهِ »(١) .

وقالَ أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ : (كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا يأكلُ وحدَهُ)(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « خيرُ الطعامِ ما كثرتْ عليهِ الأيدي »(٣) .

* * *

---

(١) رواه أبو داوود (٣٧٦٤) ، وابن ماجه (٣٢٨٦) .

(٢) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (ص ٣٤٢) .

(٣) رواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٢٠٤٥) ، والطبراني في « الأوسط » (٧٣١٣) بلفظ : « إن أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي » .

القِسمُ الثَّاني
في آدابِ حالةِ الأكلِ

وهوَ أنْ يبدأَ باسمِ اللهِ تعالىٰ في أوَّلِهِ ، وبالحمدِ للهِ في آخرِهِ ، ولوْ قالَ معَ كلِّ لقمةٍ : باسمِ اللهِ . . فهوَ حسنٌ ؛ حتَّىٰ لا يشغلَهُ الشرهُ عنْ ذكرِ اللهِ تعالىٰ ، ويقولُ معَ اللقمةِ الأولىٰ : باسمِ اللهِ ، ومعَ الثانيةِ : باسمِ اللهِ الرحمـٰنِ ، ومعَ الثالثةِ : بسمِ اللهِ الرحمـٰنِ الرحيمِ ، ويجهرُ بهِ ليذكِّرَ غيرَهُ(١) .

---

(١) وروى ابن الجعد في « مسنده » (٣٥٤٢) عن عبد الكريم بن أبي المخارق قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمِّي علىٰ كل لقمة) ، وقال ابن عبد البر في « التمهيد » (١/ ٣٩٨) بشأن التسمية عند كل لقمة : (وإن فعله أحد . . لم أستحسنه له ولم أذمه عليه) .

ونقل ابن مفلح في « الآداب الشرعية » (٢/ ٢٤٣) عن الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله أنه كان يفعله ، قال : (قال إسحاق بن إبراهيم : تعشيت مرَّة أنا وأبو عبد الله وقرابة له ، فجعلنا لا نتكلم وهو يأكل ويقول : الحمد لله وباسم الله ، ثم قال : أكل وحمد خير من أكل وصمت) .

ولما رجع الإمام الغزالي إلىٰ طوس . . وصف له في بعض القرىٰ عبد صالح ، فقصده زائراً ، فصادفه يبذر الحنطة في الأرض ، فجاء أحدهم ليتولىٰ ذلك عن الشيخ ، فأبىٰ ، فلما سأله الإمام الغزالي عن سبب امتناعه . . قال : لأني أبذر هـٰذا البذر بقلب حاضر ذاكر أرجو البركة فيه لكل من يتناول منه شيئاً ، فلا أحب أن أسلمه إلىٰ هـٰذا فيبذره بلسان غير ذاكر وقلب غير حاضر . « إتحاف » (٥/ ٢١٧) ملخصاً ، والتسمية في أول كل لقمة وبالهيئة المذكورة عند صاحب « القوت » (٢/ ١٨٠) .

ويأكلُ باليمينِ ، ويبدأُ بالملحِ ويختمُ بهِ ، ويصغِّرُ اللقمةَ ، ويجوِّدُ مضغَها ، وما لمْ يبتلعْها . . لمْ يمدَّ اليدَ إلى الأخرىٰ ؛ فإنَّ ذلك عجلةٌ في الأكلِ .

وألاَّ يذمَّ مأكولاً ، كانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا يعيبُ مأكولاً ، كانَ إذا أعجبَهُ . . أكلَهُ ، وإلاَّ . . تركَهُ(١) .

وأنْ يأكلَ ممَّا يليهِ إلا الفاكهةَ ، فإنَّ لهُ أنْ يجيلَ يدَهُ فيها ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كلْ ممَّا يليكَ »(٢) ، ثمَّ كانَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يدورُ على الفاكهةِ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : « ليسَ هوَ نوعاً واحداً »(٣) .

وألاَّ يأكلَ مِنْ ذروةِ القصعةِ ، ولا مِنْ وسَطِ الطعامِ ، بلْ يأكلُ مِنِ استدارةِ الرغيفِ ، إلا إذا قلَّ الخبزُ ، فيكسرُ الخبزَ ولا يقطعُ بالسكينِ ،

---

(١) رواه البخاري (٣٥٦٣) ، ومسلم (٢٠٦٤) .

(٢) رواه البخاري (٥٣٧٦) ، ومسلم (٢٠٢٢) ولفظه عن عمر بن أبي سلمة قال : كنت في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحفة ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا غلام ؛ سمِّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » ، فما زالت تلك طعمتي بعد .

(٣) روى الترمذي (١٨٤٨) ، وابن ماجه (٣٢٧٤) عن عِكْراشِ بن ذؤيب : أُتي النبي صلى الله عليه وسلم بجفنة كثيرة الثريد والودك ، فأقبلنا نأكل منها ، فخبطت يدي في نواحيها ، فقال : « يا عكراش ؛ كل من موضع واحد ؛ فإنه طعام واحد » ، ثم أُتينا بطبق فيه ألوانٌ من الرطب ، فجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق وقال : « يا عكراش ؛ كل من حيث شئت ؛ فإنه غير لون واحد » .

ولا يقطعُ اللحمَ أيضاً(١) ، فقدْ نُهِيَ عنهُ ، وقالَ : « انهشوهُ نهشاً »(٢) .

ولا يُوضعُ على الخبزِ قصعةٌ ولا غيرُها إلاَّ ما يؤكلُ بهِ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ سلَّمَ : « أكرموا الخبزَ ؛ فإنَّ الله تعالىٰ أنزلَهُ مِنْ بركاتِ السماءِ »(٣) .

ولا يمسحُ يدَهُ بالخبزِ ، وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إذا وقعتْ لقمةُ أحدِكُمْ . . فليأخذْها ، فليمطْ ما كانَ بها مِنْ أذىً ، ولا يدعْها للشيطانِ ، ولا يمسحْ يدَهُ بالمنديلِ حتَّىٰ يلعقَ أصابعَهُ ؛ فإنَّهُ لا يدري في أيِّ طعامِهِ البركةُ »(٤) .

ولا ينفخُ في الطَّعامِ الحارِّ ، فهوَ منهيٌّ عنهُ(٥) ، بلْ يصبرُ إلىٰ أنْ يسهلَ أكلُهُ .

---

(١) روى الطبراني في « الكبير » (٢٣/ ٢٨٥) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٦٠٥) مرفوعاً : « لا تقطعوا الخبز بالسكين كما تقطعه الأعاجم » وزاد الطبراني : « وإذا أراد أحدكم أن يأكل اللحم . . فلا يقطعه بالسكين ، ولكن ليأخذه بيده فلينهشه بفيه ؛ فإنه أهنأ وأمرأ » .

(٢) رواه أبو داوود (٣٧٧٨) ، والترمذي (١٨٣٥) ولفظه : « انهسوا اللحم نهساً » ، والنهس والنهش بمعنىً ، وهو أخذ اللحم بمقدم الأسنان .

(٣) رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٨٧٦٦) ، والحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (ص٢٣٦) وتمامه : « وأخرجه من بركات الأرض » ، وأورد الحافظ الزبيدي لهٰذا الحديث شواهد في « إتحافه » (٥/ ٢٢٠) .

(٤) رواه مسلم (٢٠٣٣) .

(٥) روىٰ أحمد في « مسنده » (١/ ٣٠٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما : (نهىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النفخ في الطعام والشراب) ، وعند ابن ماجه (٣٢٨٨) عنه : (لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ في طعام ولا شراب ، ولا يتنفس في الإناء) .

ويأكلُ مِنَ التمرِ وتراً ؛ سبعاً ، أوْ إحدىٰ عشرةَ ، أوْ إحدىٰ وعشرينَ ، أوْ ما اتفقَ[١] ، ولا يجمعُ بينَ التمرِ والنوىٰ في طبقٍ ، ولا يجمعُ في كفِّهِ ، بلْ يضعُ النواةَ مِنْ فيهِ علىٰ ظهرِ كفِّهِ ، ثمَّ يلقيها ، وكذا كلُّ ما لهُ عَجَمٌ وثُفْلٌ[٢] .

وألاَّ يتركَ ما استرذلَهُ مِنَ الطعامِ واطَّرحَهُ في القصعةِ ، بلْ يتركُهُ معَ الثفلِ ؛ حتَّىٰ لا يلتبسَ علىٰ غيرِهِ فيأكلَهُ .

وألاَّ يكثرَ الشربَ في أثناءِ الطعامِ إلاَّ إذا غصَّ بلقمةٍ أوْ صدقَ عطشُهُ ، فقدْ قيلَ : إنَّ ذلكَ مستحبٌّ في الطبِّ ، وإنَّهُ دباغُ المعدةِ .

* * *

وأمَّا الشربُ : فأدبُهُ أنْ يأخذَ الكوزَ بيمينِهِ ، ويقولَ باسمِ اللهِ ، ويشربَهُ مصّاً لا عبّاً ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مصُّوا الماءَ مصّاً ، ولا تعبُّوهُ عبّاً ، فإنَّ الكُبادَ مِنَ العبِّ »[٣] .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١٧٩) .

(٢) كذا في « القوت » (٢/ ١٧٩) ، وروىٰ مسلم (٢٠٤٢) ، وأبو داوود (٣٧٢٩) واللفظ له : (أنه صلى الله عليه وسلم أكل تمراً ، فجعل يلقي النوىٰ علىٰ ظهر إصبعيه السبابة والوسطىٰ) ، وهو في معناه ، **والعجم** : النوىٰ ، واحدته : عَجَمة ؛ كقَصَب وقَصَبة ، **والثفل** : الحَبُّ .

(٣) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (١٠/ ٤٢٨) ، والديلمي في « مسند الفردوس » (١٠٧٠) ، **والكُباد** : وجع الكبد .

ولا يشربُ قائماً ولا مضطجعاً ؛ فإنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ نهىٰ عن الشربِ قائماً(١) .

ورُوِيَ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ شربَ قائماً(٢) ، ولعلَّهُ كانَ لعذرٍ .

ويراعي أسفلَ الكوزِ حتَّىٰ لا يقطرَ عليهِ ، وينظرُ في الكوزِ قبلَ الشربِ ، ولا يتجشَّأُ في الكوزِ ، ولا يتنفَّسُ فيهِ ، بلْ ينحِّيهِ عنْ فمِهِ بالحمدِ ويردُّهُ بالتسميةِ .

وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بعدَ الشربِ : « الحمدُ للهِ الذي جعلَهُ عذْباً فُراتاً برحمتِهِ ، ولمْ يجعلْهُ مِلْحاً أُجاجاً بذنوبِنا »(٣) .

والكوزُ وكلُّ ما يُدارُ علىٰ القومِ . . يُدارُ يمنةً .

وقدْ شربَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لبناً وأبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ عنْ شمالِهِ ، وأعرابيٌّ عنْ يمينِهِ ، وعمرُ رضيَ اللهُ عنهُ ناحيةً ، فقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : أعطِ أبا بكرٍ ، فناولَ الأعرابيَّ وقالَ : « الأيمنَ فالأيمنَ »(٤) .

ويشربُ في ثلاثةِ أنفاسٍ ، يحمدُ اللهَ تعالىٰ في أواخرِها ، ويسمِّي اللهَ تعالىٰ في أوائلِها .

---

(١) رواه مسلم (٢٠٢٤) .
(٢) رواه البخاري (٥٦١٥) من حديث سيدنا علي رضي الله تعالىٰ عنه .
(٣) رواه الطبراني في « الدعاء » (٨٩٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٣٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٤١٦٢) .
(٤) رواه البخاري (٢٣٥٢) ، ومسلم (٢٠٢٩) .

ويقولُ في آخرِ النَّفَسِ الأوَّلِ : الحمدُ للهِ ، وفي الثاني يزيدُ : ربِّ العالمينَ ، وفي الثالثِ يزيدُ : الرحمـٰنِ الرحيمِ(١) .

فهـٰذا قريبٌ مِنْ عشرينَ أدباً في حالةِ الأكلِ والشربِ ، دلَّتْ عليها الآثارُ والأخبارُ .

* * *

---

(١) إظهاراً لتمام المنَّة في الثالث ، وما ذكره المصنف هو في « القوت » (٢/ ١٨٠) ، وتقدم نحوه في البسملة أول الطعام .

القِسمُ الثَّالثُ

ما يُستحبّ بعد الطّعام

وهوَ أنْ يُمسكَ عنِ الأكلِ قبلَ الشبعِ، ويلعقَ أصابعَهُ، ثمَّ يمسحَها بالمنديلِ، ثمَّ يغسلَها، ويلتقطَ فتاتَ الطعامِ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «مَنْ أكلَ ما يسقطُ منَ المائدةِ.. عاشَ في سعةٍ، وعوفيَ في ولدِهِ»(١).

ويتخلَّلُ ولا يبتلعُ كلَّ ما يخرجُ مِنْ بينِ أسنانهِ بالخِلالِ، إلاَّ ما يجتمعُ مِنْ أصولِ أسنانهِ بلسانِهِ، أمَّا المُخْرَجُ بالخلالِ.. فيرميهِ(٢)، وليتمضمضْ بعدَ الخِلالِ، ففيهِ أثرٌ عنْ أهلِ البيتِ عليهِمُ السلامُ(٣).

وأنْ يلعقَ القصعةَ ويشربَ ماءَها، ويُقالُ: مَنْ لعقَ القصعةَ وشربَ ماءَها.. كانَ لهُ عتقُ رقبةٍ، وإنَّ التقاطَ الفُتاتِ مهورُ الحورِ العينِ(٤).

---

(١) قال الحافظ العراقي: (رواه أبو الشيخ في «الثواب» من حديث جابر)، ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥٨٤٠) من حديث أنس، وأورد له الحافظ الزبيدي في «إتحافه» (٥/ ٢٢٤) طرقاً.

(٢) **الخلال**: العود الذي يتخلل به بين أسنانه ليخرج ما علق من الطعام، وما يخرج بالخِلال يقال له: الفغم، وقد ورد: (كلوا الوغم واطرحوا الفغم).

(٣) قوت القلوب (٢/ ١٨٢)، وسبب المضمضة: لما يعقب الخلال بعض الدم، فيتنجس به الفم، فيزيله بالمضمضة. «إتحاف» (٥/ ٢٢٥).

(٤) كذا في «القوت» (٢/ ١٨٠).

وأنْ يشكرَ اللهَ تعالىٰ بقلبهِ علىٰ ما أطعمَهُ ، فيرى الطعامَ نعمةً منهُ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ ﴾ .

ومهما أكلَ حلالاً . . قالَ : (الحمدُ للهِ الذي بنعمتِهِ تتمُّ الصالحاتُ ، وتنزلُ البركاتُ ، اللهمَّ ؛ أطعمْنا طيِّباً ، واستعملْنا صالحاً) .

وإنْ أكلَ شبهةً . . فليقلِ : (الحمدُ للهِ علىٰ كلِّ حالٍ ، اللهمَّ ؛ لا تجعلْهُ قوَّةً لنا علىٰ معصيتِكَ)(١) .

ويقرأُ بعدَ الطعامِ (قلْ هوَ اللهُ أحدٌ) و(لإيلافِ قريشٍ)(٢) .

ولا يقومُ عنِ المائدةِ حتَّىٰ تُرفعَ أوَّلاً(٣) .

فإنْ أكلَ طعامَ الغيرِ . . فليدعُ لهُ وليقلِ : (اللهمَّ ؛ أكثرْ خيرَهُ ، وباركْ لهُ فيما رزقتَهُ ، ويسِّرْ لهُ أنْ يفعلَ فيهِ خيراً ، وقنعْهُ بما أعطيتَهُ ، واجعلْنا وإيَّاهُ مِنَ الشاكرينَ) .

---

(١) الدعاءان في « القوت » (٢/ ١٨٠) .

(٢) أما (قل هو الله أحد) . . فلأجل حصول البركة ؛ فإنها تعدل ثلث القرآن ، وتنفي عن قارئها الفقر ، ولأنها تعرف بـ(سورة الإخلاص) ، فيلاحظ معنى الإخلاص فيما أكله ، وأيضاً فإنها تعرف بالصمدية ؛ لاشتمالها على اسم الصمد ، وهو ما لا جوف له ، ولا يحتاج إلىٰ طعام وشراب ، فيلاحظ هاذه المعاني عند قراءتها بعد الطعام ، وأما (لإيلاف قريش) . . فلمناسبة الألفة والاجتماع ، والأمان من الخوف والجوع . « إتحاف » (٥/ ٢٢٥) .

(٣) رویٰ ذلك ابن ماجه (٣٢٩٥) .

وإنْ أفطرَ عندَ قومٍ.. فليقلْ : (أفطرَ عندَكُمُ الصائمونَ ، وأكلَ طعامَكُمُ الأبرارُ ، وصلَّتْ عليكُمُ الملائكةُ)(١) .

وليكثرِ الاستغفارَ والحزنَ علىٰ ما أكلَ مِنْ شبهةٍ ؛ ليطفىءَ بدموعِهِ وحزنِهِ حرَّ النارِ التي تعرَّضَ لها ، لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كلُّ لحمٍ نبتَ مِنْ حرامٍ فالنَّارُ أولىٰ بهِ »(٢) ، وليسَ مَنْ يأكلُ ويبكي كمَنْ يأكلُ ويلهو .

وليقلْ إذا أكلَ لبناً : (اللهمَّ ؛ باركْ لنا فيما رزقتَنا وزدْنا منهُ)(٣) ، وإنْ أكلَ غيرَهُ.. قالَ : (اللهمَّ ؛ باركْ لنا فيما رزقتَنا ، وارزقْنا خيراً منهُ)(٤) ، فذلكَ الدعاءُ ممَّا خصَّ بهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ اللبنَ لعمومِ نفعِهِ .

ويُستحبُّ عَقِيبَ الطعامِ أنْ يقولَ : (الحمدُ للهِ الذي أطعمَنا وسقانا ، وكفانا وآوانا ، سيدُنا ومولانا ، يا كافي مِنْ كلِّ شيءٍ ولا يكفي منهُ شيءٌ ، أطعمتَ مِنْ جوعٍ ، وآمنتَ مِنْ خوفٍ ، فلكَ الحمدُ ، آويتَ مِنْ يُتْمٍ ،

---

(١) رواه أبو داوود (٣٨٥٤) ، وابن ماجه (١٧٤٧) .

(٢) رواه الترمذي (٦١٤) ولفظه : « إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولىٰ به » ، وعند البيهقي في « الشعب » (٥٣٧٦) بلفظ : « أيما لحم نبت من حرام.. فالنار أولىٰ به » .

(٣) رواه أبو داوود (٣٧٣٠) ، والترمذي (٣٤٥٥) ، وابن ماجه (٣٣٢٢) .

(٤) رواه ابن ماجه (٣٣٢٢) في الحديث المتقدم ، والسبب في ذلك هو في تمام الحديث حيث قال : « فإني لا أعلم ما يجزىء من الطعام والشراب إلا اللبن » .

وهديتَ مِنْ ضلالةٍ ، وأغنيتَ مِنْ عَيْلةٍ ، فلكَ الحمدُ حمداً كثيراً دائماً طيِّباً نافعاً مباركاً فيهِ ، كما أنتَ أهلُهُ ومستحقُّهُ ، اللهمَّ ؛ أطعمتنا طيِّباً فاستعملْنا صالحاً ، واجعلْهُ عوناً لنا علىٰ طاعتِكَ ، ونعوذُ بكَ أنْ نستعينَ بهِ علىٰ معاصيكَ)[١] .

وأمَّا غسلُ اليدينِ بالأُشنانِ : فكيفيتُهُ : أنْ يجعلَ الأشنانَ في كفِّهِ اليسرىٰ ، ويغسلُ الأصابعَ الثلاثَ مِنَ اليدِ اليمنىٰ أوّلاً ، ويضربُ أصابعَهُ على الأشنانِ اليابسِ ، فيمسحُ بهِ شفتيهِ ، ثمَّ ينعمُ غسلَ الفمِ بإصبعِهِ ، ويدلكُ ظاهرَ أسنانِهِ وباطنَها ، والحنكَ واللسانَ ، ثمَّ يغسلُ أصابعَهُ مِنْ ذلكَ بالماءِ ، ثمَّ يدلكُ ببقيةِ الأشنانِ اليابسِ أصابعَهُ ظهراً وبطناً ، ويستغني بذلكَ عَنْ إعادةِ الأشنانِ إلى الفمِ وإعادةِ غسلِهِ[٢] .

* * *

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١٨٢) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ١٨٣) .

Birinci Bab

TEK BAŞINA YİYEN KİMSENİN RİÂYET EDECEĞİ HUSUSLAR

Birinci Kısım

YEMEKTEN EVVELKİ ÂDÂB

Bunlar da yedidir:

1 - Yemek, aslında helâl olmakla beraber **“Helâl ve Haram Kitâbı**”nda açıklayacağımız gibi, kazanç şekli de tamamen şerîata uygun olmalıdır. Şüpheli şeylerden kaçınmak sûretiyle tayyib ve temiz olmalıdır. Allahu Teâlâ, haramdan men edip, helâl ve temiz kazancı yemeyi emretmiştir. Haramın ehemmiyetini ifâde etmek için, haramdan men etmeyi, adam öldürmek üzerine takdim ederek, şöyle buyurmuştur:

يَآأَيُّهَا الَّذٖينَ اٰمَنُوا لَاتَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ،
(إِلٰى قَوْلِهٖ) وَلَاتَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ

“Ey îman edenler! Mallarınızı aranızda bâtıl sebeplerle yemeyin (ve daha sonra da) **kendinizi öldürmeyin.”** (Nisâ sûresi, 4/29)

Yemekte aslolan, her türlü şüpheden âzâde, temiz bir kazancın mahsûlü olmasıdır. Buna riâyet, dînin umde ve esâslarındandır.

2 - Elleri yıkamak. Resül-i Ekrem (s.a.v.):

اَلْوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ يَنْفِي الْفَقْرَ وَبَعْدَهُ يَنْفِي اللَّمَمَ، وَفِي
رِوَايَةٍ، يَنْفِي الْفَقْرَ قَبْلَ الْطَّعَامِ وَبَعْدَهُ

"Yemekten evvel elleri yıkamak yoksulluğu, yemekten sonra yıkamak ise günâhları giderir." Diğer rivâyette: "Yemekten evvel ve sonra elleri yıkamak fakirliği yok eder."[2] buyurmuştur.

El, dâima hâriçte ile temâs hâlinde olduğu için, kirden kurtulamaz. Temizlik ve nezâkete yakışan da onu yıkamaktır. Aynı zamanda dînî vazifeleri yerine getirmek maksadıyla yenen yemek, bir ibâdet olduğuna göre, evvelinde elleri yıkamak, namazda abdest gibi sayılır.

3 - Yemeği, yere serilen yaygı üzerine koymak. Bu Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in sünnetine daha uygundur. Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), yemeği böyle yerdi. Böyle yemek tevâzûa daha yakındır. Bu mümkün olmadığı takdirde, sofra üzerinde yer. Sofra seferi hatırlatır. Seferden de, âhiret seferi ve takvâ azığına olan ihtiyâcı hatırlanır. Enes b. Mâlik (r.a.): "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) sofra üzerinde yemek yememiştir." demiştir. Kendisine "Nerede yemek yerdiniz?" diye sorduklarında, "Yaygı üzerinde yerdik." dedi. Dört şeyin -ki bunlar, sofra, elek, çöğen[3] ve doyuncaya kadar yemektir- Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den sonra îcâd edildiği söylenir.

Bilmiş ol ki, "Yaygı üzerinde yemek daha makbuldür." derken, "Sofra veyâ masada yemek, haram veyâ mekruhtur." demek istemiyoruz. Çünkü bu hususta bir nehiy sâbit değildir. "Bu, Rasûlullah'tan sonra îcad edilmiş bir bid'attir." demekle menhiy

---

[2] Taberânî, **"Evsat"**ında, İbn Abbâs'dan (r.a.) rivâyet etmiştir.

[3] Çöğen: El ve ağız yıkamak için kullanılan bir nebât.

(yasaklanmış) olması gerekmez. Zîra her bid'at menhiy değildir. Yasak olan bid'at, sâbit bir sünnetin zıddı olan ve illeti devâm eden şer'î bir hükmü kaldıran bid'attir. Hattâ sebeplerin değişmesiyle bâzı hâllerde bid'at, vâcib de olabilir. Sofrada ise kolaylık için yemeği yükseğe kaldırmak vardır. Bu gibi şeylerde kerâhet düşünülemez.

Bu gibi bid'atlerin, kerâhetle bir münâsebeti yoktur. Meselâ, şu dört bid'atin bile hepsi bir değildir: Çöğen, güzel bir temizlik vâsıtasıdır. Temizlik için yıkanmak müstehabdır. Çöğen ise daha iyi temizler. Onların çöğen kullanmaması, bilemeyip bulamadıkları veyâ daha mühim işlerle meşgul oldukları için temizliğe daha fazla zaman ayıramamalarındandır. Nitekim, bu gibi hâllerde ellerini de yıkamazlardı. Ellerini silmek için ayak altı boşlukları ve çakıl taşları elbezi vazifesi görürdü. Onların böyle yapması, elleri su ile yıkamanın müstehab olmasına mâni değildir. Elek, yemeği ve ekmeği daha güzel yapmak için kullanılır ki, -ifrâta varmadıkça- mübâhtır. Sofra ve masa üzerinde yemek, yer üzerinde yemekten daha kolay olduğu için -kibre varmadıkça- mübâhtır. Hepsinden daha kötüsü doyuncaya kadar yemektir. Çünkü doyuncaya kadar yemek hem şehveti, hem de bedendeki ârızaları harekete geçirir. Aklı başında olan kimse, bu bid'atler arasındaki farkı kolaylıkla anlar.

4 - Sofraya edepli bir şekilde oturmak ve bu edebi sonuna kadar muhafaza etmektir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), bâzen dizleri üzerine çökerek, bâzen iki ayakları üzerine ve bâzen da sağ ayağını bükerek sol ayağı üzerine otururdu ve şöyle buyururdu:

لَا اٰكُلُ مُتَّكِئًا إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ اٰكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ وَأَجْلِسُ
كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ

"Yaslanarak yemek yemem! Ben ancak, Allah'ın bir kuluyum; köleler nasıl yerse öyle yer, kullar nasıl oturursa öyle otururum."[4]

Yaslanarak su içmek, yalnız dînî bakımdan değil, mideye zararı bakımından da mekruhtur. Uyurken veyâ yaslanarak yemek de mekruhtur. Yediği şey, elde taşınan dânelerden ise zarar etmez. Rivâyet olunduğuna göre Hz. Ali kerremallahu vecheh yaslanarak veyâ yüzükoyun yattığı halde kalkanı üzerinde peksimet yemişti. Arapların böyle yaptığı söylenir.

5 - Yemeği zevk için değil, Allah'a kulluk ve ibâdete güç yetirmek için yemektir. Hattâ İbrâhim b. Şeybân: "Seksen senedir şehvetim için yemedim." demiştir. Bununla beraber az yemeye gayret etmeli. Çünkü ibâdet niyetiyle yediği, ancak böyle anlaşılır. Doyuncaya kadar yemek, insanı ibâdetten alıkor, midesini iyice dolduran, huzûrla ibâdet edemez. İbâdet niyetiyle yemenin icâblarından birisi de, şehveti kırmak ve kanâati isrâf üzerine tercîh etmektir. Hadis-i şerîfde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَا مَلَأَ اٰدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، حَسْبُ ابْنِ اٰدَمَ لُقَيْمَاتٍ
يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَثُلُثٌ طَعَامٌ، وَثُلُثٌ شَرَابٌ،
وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ

"Âdemoğlunun doldurduğu kapların en kötüsü, tıka basa doldurduğu midesidir. Ademoğluna, belini doğrultacak birkaçlokmacık kâfidir. Eğer bu kadarla yetinemezse midesini üçe bölmeli; bir kısmını yemek ile ve bir kısmını su ile doldurmalı, üçte birini de nefes alması için bırakmalıdır."[5] buyurmuştur.

---

[4] **"Ayakta yemem"** kısmını Buhârî. Ebû Cuhayfe'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

[5] Tirmizî rivâyet etti ve "Hasendir" dedi. Ayrıca Neseî, İbn Mâce, Mikdad b. Ma'di, Kerîb'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

İbâdet niyetiyle yemenin îcâblarından biri de, iyice acıkmadan lokmaya el sürmemektir. Mutlaka acıkmalı ve sonra yemelidir. Sonra, doymadan elini yemekten çekmelidir. Böyle hareket eden hekime muhtaç olmaz. **“Rub’u’l-Muhlikât”**ın yemek isteğini azaltma bahsinde, yemeği tedrîcen azaltmanın çâreleri, az yemenin faydaları anlatılacaktır.

6 - Hâzırda bulunan yemeğe kanâat etmek ve çeşitli yemekler istememektir. Ekmeğe yapılacak hürmet, ona katık aramamaktır. Hâlbuki ekmeğe hürmetle emrolunduk. Seni ayakta tutan ve ibâdet etmene imkân veren her yemek, berekettir; onu beğenmemek doğru olmaz. Hâzırda olandan başkasını aramamalı, hemen yemelidir. Hatta yemeği bulduğunda vakit müsâit ise -namaz için dahî- yemeği bekletmemeli, hemen yemeli ve sonra kılmalıdır. Nitekim hadîsde:

إِذَا حَضَرَ الْعِشَاءُ وَالْعَشَاءُ فَابْدَؤُا بِالْعَشَاءِ

“Yemek ile namaz bir araya geldiği zaman önce yiyin, sonra kılın.”[6] buyurulmuştur. Hattâ Abdullah b. Ömer (r.a.), imâmın kırââtini duyduğu hâlde, sofradan kalkmazdı. Fakat bu, açlık zamanındadır. Şâyet yemeği bekletmekte bir mahzûr yoksa, o zaman kılar ve sonra rahatça yemeğini yer. Ancak yemek soğuyacak veyâ bozulacaksa -ister canı çeksin ister çekmesin- müsâit ise yemeği tercih etmelidir. Çünkü hadîs umûmîdir. Aynı zamanda fazla acıkmış olmasa bile namaz kılarken yemeği düşünebilir. (Binâenaleyh, yemek düşüncesi ile kılınan namazdan, namaz düşüncesi ile yenen yemek daha makbuldür, diyenler vardır.)

7 - Çoluk çocuğu toplayıp bir kaptan yemek. Nitekim hadîste:

---

[6] Namaz bahsinde geçmiştir.

اِجْتَمِعُوا عَلٰى طَعَامِكُمْ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ

"Bir arada yiyiniz, sizin için bereketli ve mübârek olur."[7] buyurulmuştur. Enes (r.a.), Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in tek başına yemediğini haber veriyor. Diğer bir hadîsinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

خَيْرُ الطَّعَامِ مَا كَثُرَتْ عَلَيْهِ الْأَيْدِي

"Yemeğin hayırlısı, kalabalıkla yenilen yemektir."[8] buyurmuştur.

İkinci Kısım
SOFRA BAŞINDAKİ ÂDÂB

Besmele ile başlayıp hamdele ile bitirmektir. Hattâ her lokmayı aldıkça "Bismillâh" demek daha güzeldir. Daha güzeli, birinci lokmada "Bismillâh", ikincide "Bismillâhirrahmân", üçüncüde "Bismillâhirrahmânirrahîm" demektir. Herkesin duyup söylemesi için Besmeleyi âşikâre okumalıdır. Sağ el ile yemeli, tuz ile başlayıp, tuz ile bitirmelidir. Lokmayı küçük almalı, iyice çiğnemeli, ağzındaki lokmayı yutmadan diğerini almamalıdır. Çünkü bu, yemekte aceledir. Yemeği yermemelidir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) hiç bir yemeği beğenmezlik etmezdi. Hoşuna giderse yer, gitmezse yemezdi. Önünden yemelidir. Yalnız meyvede öyle değildir. Meyve yerken elini dolaştırabilir. Çünkü bu, ayıplanmaz ve iğrenilmez. Nitekim hadîsde:

كُلْ مِمَّا يَلِيكَ

---

[7] Ebû Dâvûd ve İbn Mâce, Vahşî b. Harb'den (r.a.) hasen isnâd ile rivâyet etmişlerdir.

[8] Harâitî **"Mekârim-i Ahâk"** da, rivâyet etmiştir.

“Önünden ye.”[9] buyurulmuş ve buna rağmen Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) meyveler üzerinde elini dolaştırmıştır. “Bu nasıl olur?” diye sorduklarında:

لَيْسَ هُوَ نَوْعًا وَاحِدًا

“Meyve, yemek gibi bir çeşit değildir.”[10] buyurmuştur. Ekmeğin ortasından, yemeğin tepesinden yememeli. Çöreğin kenarından yemeli. Ekmek az olursa, onu kesmemeli, kırmalı. Pişmiş eti de kesmemeli. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bundan da men etmiştir. Isırıp yemelidir. Ekmek üzerine kap kaşık koymamalıdır.

Hadîste Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurdu:

أَكْرِمُوا الْخُبْزَ فَإِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى أَنْزَلَهُ مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ

“Ekmeğe hürmet edin. Allahu Teâlâ onu göklerin bereketlerinden indirmiştir.” Elini ekmek ile silmemeli. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir hadîsinde:

إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا وَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ وَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ بِالْمِنْدِيلِ حَتّٰى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ

“Sizden birinizin lokması düşerse, alıp üzerindeki toz toprağı gidersin, sonra yesin, onu şeytana bırakmasın ve parmaklarını yalamadan elbezine sürmesin. İnsan, yemeğin hangi cüz’ünde bereket olduğunu bilemez.”[11] buyurmuştur.

---

[9] Buhârî ile Müslim, Ömer b. Ebû Seleme’den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[10] Tirmizî, İbn Mâce, İkraş’den rivâyet ettiler.

[11] Müslim, Enes ve Câbir’den (r.a.) rivâyet etmiştir.

Sıcak yemeği üfleyerek soğutmamalı; bu men edilmiştir. Yenecek kıvama gelinceye kadar beklemelidir. Hurmayı da üç, beş, yedi veyâ daha ziyâde de olsa tek tek yemelidir. Meyvenin kabuk ve çekirdeklerini bir kapta toplamalı, hurma çekirdeklerini ağzından avucunun içine almamalı, elinin üzerine alarak atmalıdır. Posası ve çekirdeği olan her meyvede vaziyet böyledir. Çürük ve bozuk yiyecekleri de tabaktan alıp çekirdeklerin olduğu yere koymalıdır. Yemek esnasında çok su içmemeli, lokma boğazında kaldığı veyâ suya fazla isteği olduğu zaman içmelidir. Susadığı zaman, içmesi, tıbbî cihetten iyidir. Çünkü su, mideyi dibagatlandırır, denilmiştir.

SU İÇMENİN ÂDÂBI

Bardağı sağ eline aldıktan sonra Besmele ile nefes nefes sorumak[12] sûretiyle içmeli; birden döküp yutmamalıdır. Nitekim bir hadiste Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مُصُّوا الْمَاءَ مَصًّا وَلَا تَعَبُّوهُ عَبًّا فَإِنَّ الْكُبَادَ مِنَ الْعَبِّ

"Suyu, yudum yudum ve ağır ağır için, birden içmeyin. Zîra bundan ciğer hastalığı hâsıl olur."[13] buyurmuştur.

Suyu, otururken içmeli, ayakta veyâ yaslanmış vaziyette içmemelidir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), bundan nehyetmiştir. Buna rağmen ayakta içtiği de olmuştur. Bu, belki bir zarûrete mebni idi.

Bardağın üzerine damlamamasına dikkat etmeli ve içeceği suyun içine bakmalıdır. Bardağı ağzından uzaklaştırınca:

---

[12] Dudaklarını uzatıp soluğu ile çekerek içmek.

[13] Ebû Mansûr-ı Deylemî **"Müsned-i Firdevs"** inde rivâyet etmiştir.

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي جَعَلَهُ عَذْبًا فُرَاتًا بِرَحْمَتِهِ وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِلْحًا أُجَاجًا بِذُنُوبِنَا

"Allahu Teâlâ'ya hamd olsun ki, suyu, kendi fazl-ı keremiyle tatlı ve temiz olarak yarattı. Bizim isyanlarımız sebebiyle acı ve tuzlu yaratmadı." demesini Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) tavsiye buyurmuşlardır.[14]

Bir toplulukta su dağıtılırken, bardak sağ elde ve sağ taraftan dolaştırılmalıdır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) süt ve şerbet gibi şeyler içtiği zaman, bir yudum aldıktan sonra yanında bulunanlara da birer yudum içirirdi. Bardak dâima sağdan dolaşırdı. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in sağında her Zaman Hz. Ebû Bekir (r.a.) bulunurdu. Bir gün bir bedevî Hz. Ebû Bekir'in yerini boş bularak oraya oturmuştu. Hz. Ebû Bekir gelince, yerine bedevînin oturduğunu gördü ve başka bir yere oturdu. Bu sırada yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e bir bardak süt takdîm edildi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) mûtâdı veçhile bir yudum aldıktan sonra, bardağı sağdan başlamak üzere orada bulunanlara vereceği sırada, mecliste bulunan Hz. Ömer (r.a.), Ebû Bekir'in (r.a.) üstünlüğünü bildiği için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e bardağı önce Ebû Bekir'e vermesini hatırlattı. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.): *"Hayır, sağdan başlayın, sağdan."* buyurdu ve bardağı, sağında bulunan bedevîye verdi.

Suyu, üç nefeste içmeli. Besmele ile başladıktan sonra, birinci yudumda "Elhamdü lillâh", ikinci yudumda "Elhamdü lillâhi Rabbi'l-âlemîn", üçüncü yudumda da, "Elhamdü lillâhi Rabbi'l-âlemîn er-Rahmâni'r-Rahîm" demelidir.

Yemek ve içmek hususunda bu anlattıklarımız, yirmi kadar âdâbtır ki, bunlara dair haber ve eserler (hadisler ve sahabelerin sözleri ve halleri) vardır.

---

[14] Taberâni. **"Duâ Kitâbı"**nda, Ebû Câfer'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

Üçüncü Kısım
YEMEKTEN SONRAKİ MÜSTEHÂBLAR

Doymadan evvel sofradan çekilmek.

Parmaklarını iyice yaladıktan sonra elbezi ile silmek ve sonra yıkamak.

Ekmek ufaklarını yemek. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir hadîsinde:

مَنْ أَكَلَ مَا يَسْقُطُ مِنَ الْمائِدَةِ عَاشَ فِي سَعَةٍ وَعُوفِيَ فِي وَلَدِهِ

"Düşen ekmek ufaklarını yiyen darlık görmez, çocuğu da ahmak olmaz."[15] buyurmuştur.

Dişlerinin aralarını temizlemeli ve dişlerinden çıkanı yutmamalıdır. Ancak dili ile aldıklarını yutabilir.

Dişlerini temizlerken çıkanları atmalı, sonra ağzını çalkalamalı, tabağını yıkayıp temizlemelidir.

Sofradaki ekmek ufaklarını yemeli. Bunun, cennet hûrilerinin mihri olduğu söylenir.

Yediği yemeğe karşı şükretmeli ve bunu Allah'tan bir nîmet bilmelidir. Allahu Teâlâ:

كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ واشْكُرُوا لِلّٰهِ

"Size rızkettiğimiz helâl ve temiz yemeklerden yiyin ve Allah'a şükredin." (Bakara sûresi, 2/172) buyurmuştur.

---

[15] Ebû Şeyh, **"Kitâbu's-Sevâb"** da Câbir'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

Helâl olan kazancından yedikten sonra şöyle duâ etmelidir:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذٖي بِنِعْمَتِهٖ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ وَتَنْزِلُ الْبَرَكَاتُ
اَللّٰهُمَّ أَطْعِمْنَا طَيِّبًا وَاسْتَعْمِلْنَا صَالِحًا

"Allah'a hamd olsun ki, ancak O'nun verdiği nîmetlerle iyilikler tamâmlanır ve bereketler nâzil olur. Allahım, bize helâl ve temiz yemekler nasîb et ve bizi iyi işler görmeye muvaffak kıl." Yediği yemek, şüpheli ise şöyle duâ eder:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى كُلِّ حَالٍ
اَللّٰهُمَّ لَا تَجْعَلْهُ قُوَّةً لَنَا عَلٰى مَعْصِيَتِكَ

"Her hâl üzere Allah'a hamdederim. Allahım, bu yemeği bize, bizi isyâna sevkedecek bir kuvvet yapma."

Yemekten sonra "Kureyş" ve "İhlâs" sûrelerini okumalı.

Sofra, ortadan kalkmadıkça, kendisi kalkmamalı.

Başkasının yemeğini yemişse, yemek sahibine duâ etmelidir: "Allahım, bu adama verdiğin nîmetlerin hayır ve bereketini arttır ve iyilikte kullanmasını nasîb et. Onu ve bizi verdiğin nîmetlere şükredip, onlarla kanâat edenlerden eyle."

Bir cemâatle bir yerde iftar ettiği zaman: "Yemeğiniz, oruçluların iftarına nasîb olsun, iyiler sofrası olsun, melekler sizin için istiğfâr etsin." demeli ve yediği şüpheli lokmaya istiğfâr etmeli, üzülmeli, göz yaşları ile cehennemin hararetini dindirmeye çalışmalıdır. Çünkü Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ حَرَامٍ فَالنَّارُ أَوْلٰى بِهٖ

“Haram gıdadan hâsıl olan her et, ateşe lâyıktır.”[16] buyurmuştur. Elbette yiyip de üzülen ve ağlayan, yiyip de eğlenen ve oynayan gibi değildir.

Süt içtiği zaman:

اَللّٰهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا وَزِدْنَا مِنْهُ

“Allahım, bize rızkettiğin bu sütü hakkımızda mübârek kıl ve bundan nasîbimizi arttır.”[17] diye duâ etmeli.

Sütten başka bir şey yediği zaman:

اَللّٰهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا وَارْزُقْنَا خَيْرًا مِنْهُ

“Allahım, yediğimiz yemeği bize mübârek kıl ve bundan daha hayırlısını nasîb et.”[18] demelidir. Yediğinin daha iyisi süttür. Sütün birçok hassaları olduğu için, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), süt içtiği zaman tekrârını, başka bir şey yediği vakit, ondan iyisi olan sütü, Allah'tan istemiştir.

Yemeği müteâkip “Bizi yedirip içiren, kandıran ve doyuran Allah'a hamdederiz. Ey başka hiç bir şeye ihtiyaç bırakmayan ve her şey kendisine muhtaç olan Allahım, karnımı doyurdun, beni korkumdan emîn kıldın, sana hamd ederim. Beni darlıktan kurtardın ve sapıklıktan hidâyete ulaştırdın. Hamd, ancak sana mahsûstur ve devâmlı sûrette sana hamd ederim. Hamd edilmeye ve övülmeye lâyık olan ancak sensin. Allahım, bana helâl yemek yedirdiğin gibi, iyi işler yapmayı da nasîb et. Yediğimiz bu yemeği ibâdetine yardımcı kıl. Kötülük yapmamıza yardımcı olmasından sana sığınırız." diye duâ eder.

---

[16] **“Şuabü'l-Îman”** da Kâ'b b. Acere'den (r.a.) biraz farklı ifâde ile rivâyet edilmiştir.

[17] Ebû Dâvûd ve Tirmizî rivâyet etmişlerdir. Tirmizî, hasen olduğunu söylemiştir. İbn Mâce de. İbn: Abbâs'dan (r.a.) rivâyet etmiştir.

[18] Onbeşinci nota bakınız.

Çöğen ile ellerini yıkamaya gelince; çöğeni sol eline alır ve önce sağ elinin üç parmağını yıkar, parmaklarını, kuru olan çöğene değdirir, onunla dudaklarını siler, sonra parmağı ile ağzını yıkar, dişlerinin iç ve dış kısmını, dilini, damağını ovar, sonra parmaklarını tekrâr yıkar ve çöğenin diğer tarafı ile de, parmaklarının iç ve dış kısmını yeniden yıkar.

البابُ الثَّاني
فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الأكل
وهي سبعة

الأوَّلُ : ألاَّ يبتدىءَ بالطعامِ ومعَهُ مَنْ يستحقُّ التقديمَ بكبرِ سنٍّ أوْ زيادةِ فضلٍ إلاَّ أنْ يكونَ هوَ المتبوعَ والمقتدىٰ بهِ ، فحينئذٍ ينبغي ألاَّ يطوِّلَ عليهِمُ الانتظارَ إذا اشرأبُّوا للأكلِ واجتمعوا لهُ .

* * *

الثاني : ألاَّ يسكتوا على الطعامِ ؛ فإنَّ ذلكَ مِنْ سيرةِ العجمِ ، ولكنْ يتكلَّمونَ بالمعروفِ ، ويتحدَّثونَ بحكاياتِ الصالحينَ في الأطعمةِ وغيرِها(١) .

* * *

الثالثُ : أنْ يرفقَ برفيقِهِ في القصعةِ ، فلا يقصدُ أنْ يأكلَ زيادةً علىٰ ما يأكلُهُ ؛ فإنَّ ذلكَ حرامٌ إنْ لمْ يكنْ موافقاً لرضا رفيقِهِ مهما كانَ الطعامُ مشتركاً ، بلْ ينبغي أنْ يقصدَ الإيثارَ ، ولا يأكلْ تمرتينِ في دفعةٍ إلا إذا فعلوا

---

(١) ليعتبروا بذلك ، ولكن لا يتكلم وهو يمضغ اللقمة ، فربما يبدو منها شيء فيقذر الطعام . « إتحاف » (٥/٢٢٨) .

ذلكَ أوِ استأذنَهُمْ ، فإنْ قلَّلَ رفيقُهُ . . نشَّطَهُ ورغَّبَهُ في الأكلِ وقالَ لهُ : (كُلْ) ، ولا يزيدُ في قولِهِ : (كُلْ) علىٰ ثلاثِ مرَّاتٍ ؛ فإنَّ ذلكَ إلحاحٌ وإفراطٌ ؛ كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا خُوطبَ في شيءٍ ثلاثاً . . لمْ يراجَعْ بعدَ الثلاثِ[١] ، وكانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يكرِّرُ الكلامَ ثلاثاً ، فليسَ مِنَ الأدبِ الزيادةُ عليهِ[٢] .

فأمَّا الحلفُ عليهِ بالأكلِ . . فممنوعٌ ، قالَ الحسنُ بنُ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما : (الطعامُ أهونُ مِنْ أنْ يحلفَ عليهِ)[٣] .

* * *

الرابعُ : ألاَّ يحوجَ رفيقَهُ إلىٰ أنْ يقولَ لهُ : (كُلْ) ، قالَ بعضُ الأدباءِ : (أحسنُ الآكلينَ أكلاً مَنْ لا يحوجُ صاحبَهُ إلىٰ تفقدِهِ في الأكلِ ، وحملَ عنْ أخيهِ مؤنةَ القولِ)[٤] .

ولا ينبغي أنْ يدعَ شيئاً ممَّا يشتهيهِ لأجلِ نظرِ الغيرِ إليهِ ، فإنَّ ذلكَ تصنُّعٌ ، بل يجري على المعتادِ ولا ينقصْ مِنْ عادتِهِ في الوحدةِ شيئاً ، ولكنْ ليعوِّدْ نفسَهُ حسنَ الأدبِ في الوحدةِ حتَّىٰ لا يحتاجَ إلى التصنُّعِ عندَ الاجتماعِ .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٩٨) .

(٢) رواه البخاري (٩٤) ولفظه : (وإذا تكلم بالكلمة . . أعادها ثلاثاً) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٨) .

(٤) قوت القلوب (٢/ ١٧٩) والسياق الآتي له .

نعمْ ، لوْ قلَّلَ مِنْ أكلِهِ إيثاراً لإخوانِهِ ونظراً لهُمْ عندَ الحاجةِ إلىٰ ذلكَ . . فهوَ حسنٌ ، وإنْ زادَ في الأكلِ علىٰ نيَّةِ المساعدةِ وتحريكِ نشاطِ القومِ في الأكلِ . . فلا بأسَ بهِ ، بلْ هوَ حسنٌ .

وكانَ ابنُ المباركِ يقدِّمُ فاخرَ الرطبِ إلىٰ إخوانِهِ ويقولُ : (مَنْ أكلَ أكثرَ . . أعطيتُهُ بكلِّ نواةٍ درهماً) وكانَ يعدُّ النوىٰ ، فيعطي كلَّ مَنْ لهُ فضْلُ نوىً بعددِهِ دراهمَ[1] ، وذلكَ لرفعِ الحياءِ ، وزيادةِ النشاطِ في الانبساطِ .

وقالَ جعفرُ بنُ محمدٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (أحبُّ إخواني إليَّ أكثرُهمْ أكلاً ، وأعظمُهُمْ لقمةً ، وأثقلُهُمْ عليَّ مَنْ يحوجني إلىٰ تعاهدِهِ في الأكلِ)[2] ، وكلُّ هـٰذا إشارةٌ إلى الجري على المعتادِ وتركِ التصنُّعِ .

وقالَ جعفرٌ رحمهُ اللهُ أيضاً : (تتبينُ جودةُ محبَّةِ الرجلِ لأخيهِ بجودةِ أكلِهِ في منزلِهِ)[3] .

* * *

الخامسُ : أنَّ غسلَ اليدِ في الطستِ لا بأسَ بهِ ، ولهُ أنْ يتنخَّمَ فيهِ إنْ أكلَ وحدَهُ ، وإنْ أكلَ معَ غيرِهِ . . فلا ينبغي أنْ يفعلَ ذلكَ ، وإذا قدَّم الطستَ إليهِ غيرُهُ إكراماً لهُ . . فليقبلْهُ .

---

[1] قوت القلوب (٢/ ١٨٦) .

[2] قوت القلوب (٢/ ١٨٠) .

[3] قوت القلوب (٢/ ١٨٠) .

اجتمعَ أنسُ بنُ مالكٍ وثابتٌ البنانيُّ رضيَ اللهُ عنهُما علىٰ طعامٍ ، فقدَّم أنسٌ الطستَ إليهِ ، فامتنعَ ثابتٌ ، فقالَ أنسٌ : (إذا أكرمَكَ أخوكَ . . فاقبلْ كرامتَهُ ولا تردَّها ، فإنَّما يكرمُ اللهَ عزَّ وجلَّ)(١) .

ورويَ أنَّ هارونَ الرشيدَ دعا أبا معاويةَ الضريرَ ، فصبَّ الرشيدُ علىٰ يدهِ في الطستِ ، فلمَّا فرغَ . . قالَ : يا أبا معاويةَ ؛ تدري مَنْ صبَّ علىٰ يدِكَ ؟ فقالَ : لا ، قالَ : صبَّهُ أميرُ المؤمنينَ ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّما أكرمتَ العلمَ وأجللْتَهُ ، فأجلَّكَ اللهُ وأكرمَكَ كما أجللْتَ العلمَ وأهلَهُ(٢) .

ولا بأسَ أنْ يجتمعوا علىٰ غسلِ الأيدي في الطستِ في حالةٍ واحدةٍ ، فهوَ أقربُ إلى التواضعِ ، وأبعدُ عَنْ طولِ الانتظارِ ، فإنْ لمْ يفعلوا . . فلا ينبغي أنْ يُصبَّ ماءُ كلِّ واحدٍ(٣) ، بلْ يُجمعُ الماءُ في الطستِ ، قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « اجمعوا وضوءكُمْ جمعَ اللهُ شملَكُمْ »(٤) ، قيلَ : إنَّ المرادَ بهِ هـٰذا .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١٨٢) ، وروى الطبراني في « الأوسط » (٨٦٤٠) مرفوعاً : « من أكرم امرأً مسلماً . . فإنما يكرم الله » .

(٢) قوت القلوب (٢/ ١٨٢) .

(٣) أي : لا ترمىٰ غُسالة كل واحد علىٰ حدة ، هـٰذا إن كان الطست الذي هو مجمع الغسالة واسعاً ، وإلا . . فيصبه ثم يأتي به لمن لم يغسل بعد . « إتحاف » (٥/ ٢٣٠) بتصرف .

(٤) رواه الشهاب في « مسنده » (٧٠٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٤٣٣) وأوله : « لا ترفعوا الطست حتىٰ يطفَّ ، اجمعوا . . . » الحديث .

وكتبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إلى الأمصارِ : (لا يُرفعُ الطستُ منْ بينِ يدي قومٍ إلا مملوءةً ، ولا تشبَّهوا بالعجمِ)⁽¹⁾ .

وقالَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (اجتمِعُوا علىٰ غسلِ اليدِ في طستٍ واحدٍ ، ولا تستنُّوا بسنَّةِ الأعاجمِ)⁽²⁾ .

والخادمُ الذي يصبُّ الماءَ على اليدِ كرِهَ بعضُهُمْ أنْ يكونَ قائماً ، وأحبَّ أنْ يكونَ جالساً ؛ لأنَّهُ أقربُ إلى التواضعِ ، وكرهَ بعضُهُمْ جلوسَهُ ، فرويَ أنَّهُ صبَّ علىٰ يدِ واحدٍ خادمٌ جالساً ، فقامَ المصبوبُ علىٰ يدِهِ ، فقيلَ لهُ : لِمَ قمتَ ؟ فقالَ : أحدُنا لا بدَّ وأنْ يكونَ قائماً .

وهـٰذا أولىٰ ؛ لأنَّهُ أيسرُ للصبِّ والغسلِ ، وأقربُ إلىٰ تواضعِ الذي يصبُّ ، وإذا كانَ لهُ نيَّةٌ فيهِ . . فتمكينُهُ مِنَ الخدمةِ ليسَ فيهِ تكبُّرٌ ؛ فإنَّ العادةَ جاريةٌ بذلكَ .

ففي الطستِ إذاً سبعةُ آدابٍ : ألاَّ يبزقَ فيهِ ، وأنْ يقدِّمَ بهِ المتبوعَ ، وأنْ يقبلَ الإكرامَ بالتقديمِ ، وأنْ يُدارَ يمنةً ، وأنْ يجتمعَ فيهِ جماعةٌ ، وأنْ يجمعَ الماءُ فيهِ ، وأنْ يكونَ الخادمُ قائماً ، وأنْ يمجَّ الماءَ مِنْ فيهِ ويرسلَهُ مِنْ يدِهِ برفْقٍ ؛ حتَّىٰ لا يرشَّ على الفراشِ وعلىٰ أصحابِهِ ، وليصبَّ صاحبُ المنزلِ بنفسِهِ الماءَ علىٰ يدِ ضيفِهِ ، هـٰكذا فعلَ مالكٌ بالشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُما في

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١٨٢) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ١٨٢) .

أوَّلِ نزولِهِ عليهِ وقالَ : (لا يرعْكَ ما رأيتَ منِّي ، فخدمةُ الضيفِ فرضٌ)[1] .

* * *

السادسُ : ألاَّ ينظرَ إلىٰ أصحابِهِ ، ولا يراقبَ أكلَهُمْ فيستحيونَ ، بلْ يغضُّ بصرَهُ عنهُمْ ، ويشتغلُ بنفسِهِ ، ولا يمسكُ قبلَ إخوانِهِ إذا كانوا يحتشمونَ الأكلَ بعدَهُ ، بلْ يمدُّ اليدَ ويقبضُها ، ويتناولُ قليلاً قليلاً إلىٰ أنْ يستوفوا ، فإنْ كانَ قليلَ الأكلِ توقَّفَ في الابتداءِ وقلَّلَ الأكلَ حتَّىٰ إذا توسَّعوا في الطعامِ أكلَ معهُمْ آخراً ، فقدْ فعلَ ذلكَ كثيرٌ مِنَ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم[2] ، وإنِ امتنعَ لسببٍ . . فليعتذرْ إليهِمْ ؛ دفعاً للخجلةِ عنهُمْ .

* * *

السابعُ : ألاَّ يفعلَ ما يستقذرُهُ غيرُهُ ، فلا ينفضْ يدَهُ في القصعةِ ، ولا يقدِّمْ إليها رأسَهُ عندَ وضعِ اللقمةِ في فيهِ ، وإذا أخرجَ شيئاً مِنْ فيهِ . . صرفَ وجهَهُ عنِ الطعامِ وأخذَهُ بيسارِهِ ، ولا يغمسِ اللقمةَ الدسمةَ في الخلِّ ، ولا الخلَّ في الدسومةِ ؛ فقدْ يكرهُهُ غيرُهُ ، واللقمةُ التي قطعَها بسنِّهِ لا يغمسُ بقيَّتَها في المرقةِ والخلِّ ، ولا يتكلَّمْ بما يذكِّرُ المستقذراتِ .

* * *

---

(1) أورد الحكاية مفصلة ابن حجة الحموي في « طيب المذاق » (ص٤١٦) .

(2) قوت القلوب (٢/ ١٨١) .

İkinci Bab

MÜŞTEREK SOFRALARIN ÂDÂBI

Bunlar da yedidir:

1 - Yaş ve fazîlet bakımından, kendisinden üstünü bulunan sofrada, ondan evvel yemeğe başlamamak. Şâyet kendisi bu mevkide ise diğerlerini bekletmemek için hemen başlamak.

2 - Yemekte Acem âdetine uyup susmamak; sâlihlerin yemek ve diğer hususlarla alâkalı hikâyelerini anlatmak.

3 - Müşterek yemekte, arkadaşından fazla yememeğe gayret etmek. Çünkü yemek ortak olduğuna göre, arkadaşının rızâsı olmadan fazlasını yemek haramdır. Hattâ mümkün olduğu kadar arkadaşını tercih etmelidir. İki hurmayı birden almamalıdır. Şâyet herkes öyle yiyor veyâ kendisine müsâade ediliyorsa, zarar vermez. Arkadaşının isteği yoksa, onu yemeğe teşvik etmeli ve "Yiyiniz" demeli. Fakat bunu üçten ziyâde söylememelidir. Çünkü üçten fazlası lüzûmsuz ısrâr ve ifrâttır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), üç defaya kadar ısrâr eder ve daha fazla ısrâr etmezdi. Fazlası edeb dışına çıkmaktır. "Allah aşkına gel ye." diye ısrârda asla bulunmamalıdır. Zîra bu yasaktır. Hz. Ali'nin oğlu Hz. Hasan "Misafire, yemek mevzuunda yemin teklif etmek değmez." buyurmuştur.

4 - Arkadaşını kendisine "Buyur ye." diyecek vaziyete düşürmemeli. Başkası görüyor diye, canının çektiği yemeği terketmemeli. Çünkü bu, yapmacık bir harekettir. Yalnız iken nasıl yiyor ise cemâatte de öyle yemelidir. Yalnız, arkadaşlarına yardım için az

yerse, bu güzeldir. Sofradakilerin müsâadesi ve gönüllerini hoş etmek için âdetinden fazla da yerse beis yok, belki güzeldir. **İbn Mübârek**, meyvelerin iyilerini misâfirlerine takdim eder ve "Kim çok yerse, her çekirdeğe bir dirhem diş kirası vereceğim." derdi. Fazla yiyene, fazla yediği için her çekirdek için bir dirhem verirdi. Bu hareketi, yemekte sıkılganlığı kaldırmak ve neşeyi arttırmak için âdeta müsabaka idi. **Câfer b. Muhammed** (r.a.), "Dostlarım arasında en çok sevdiğim, en çok yiyen, en büyük lokmayı alandır. Bana en çok ağırlık vereni de, kendine "Ye" demeye beni mecbûr edenidir." derdi. Bütün bunlar, yemekte yapmacık hareketlerden kaçınarak, mutadları olan yemeği yemeleri içindir. Câfer de şöyle diyor: "Kişinin dostuna olan sevgisi, onun evinde serbestçe yemesiyle anlaşılır."

5 - Eğer yalnız ise yediği kapta elini yıkamasında beis yoktur. Fakat arkadaşı varsa, yıkamamalıdır. Başkası eline su dökmek istediği zaman, bunu kabul etmeli ve elini yıkamalıdır. Enes b. Mâlik (r.a.) ile Sâbit-i Benânî bir kapta yediler. Sonra Enes, Sâbit'in eline su dökmek istedi. Fakat Sâbit bunu kabul etmek istemeyince Enes, "İkrâm reddedilmez, ikrâm Allah içindir." dedi. Abbâsi halifelerinden Harûn Reşîd, Ebû Muâviye ed-Darîr'i[19] dâvet etti ve eline su döktü. Sonra Ebû Muâviye'ye:

- "Eline su dökenin kim olduğunu biliyor musun?" diye sordu. Ebû Muâviye:

- "Bilmiyorum." deyince Harûn Reşîd:

- "Eline su döken halîfedir." dedi. Ebû Muâviye:

---

[19] Muhammed b. Hâzım et-Teymî'dir. 40 yaşında iken gözleri görmez olmuştur. Kûfeli ve sikadandır. Hâfız ve müttaki bir zât ve fakat murciedendi. Hicri 113 târihinde Hivri'de doğmuş, 194'de ölmüştür.

- “Sen böyle yapmakla ilme saygı gösterdin ve ilmi yücelttin. Allah da seni yüceltsin.” dedi.

Bir leğende bir anda birkaç kişinin el yıkamasında bir beis yoktur. Bu, hem zaman bakımından kârlı ve hem de tevâzua daha uygundur. Şâyet ayrı ayrı ve sıra ile yıkayacaklarsa, herkesin suyunu ayrı ayrı boşaltmamalı, leğen dolduktan sonra boşaltmalıdır. Nitekim hadîste:

اِجْمَعُوا وُضُوءَكُمْ جَمَعَ اللّٰهُ شَمْلَكُمْ

“El suyunu biriktirin ki, Allah da sizi birleştirsin.”[20] buyurulmuştur. Hattâ halîfe Ömer b. Abdülazîz, bu hususta vilâyetlere tamîm göndermiş ve: “Acem âdetlerine uyarak herkes elini yıkadıkça leğeni boşaltmayın. Ne zaman leğen dolarsa, o zaman boşaltırsınız.” demiştir. İbn Mes’ûd da (r.a.) aynı şekilde: “Bir kapta elinizi yıkayın ve Acem âdetlerine uymayın.” demiştir. Ele su döken hizmetkârın bâzıları oturmasını ve bâzıları da ayakta durmasını uygun görmüşlerdir. Oturan bir zâtın eline, yine oturan bir hizmetkâr su dökerken, eli yıkanan zât ayağa kalktı. “Niye kalktın?” diye sorduklarında, “Birimizin ayakta olması hem yıkama, hem de tevâzu bakımından daha uygundur.” dedi. Suyu döken, Allah için hizmet niyetinde ise suyu daha kolay dökebilmesi için, oturmasında beis yoktur.

Buna göre, leğende el yıkamanın âdâbı yedi oluyor: Leğene tükürmemek, evvelâ meclisin büyüğünün el yıkaması, onun bu takdimi kabul etmesi, sıra ile leğenin sağdan dolaştırılması, bir kaç kişinin birden yıkaması, leğen dolmadan boşaltılmaması, hizmetkârın suyu ayakta olduğu hâlde dökmesidir.

---

[20] Kudâî **“Müsned-i Şihâb”**ında Ebû Hüreyre’den (r.a.) rivâyet etmiştir.

Hizmetkâr ayakta iken suyu dökmelidir. Ağzındaki suyu etrafa sıçratmadan leğene dökmek ve misâfirin eline bizzât ev sahibinin su dökmesi de âdâbdandır. İmâm Mâlik, evinde İmâm Şâfiî'nin eline su dökmüştür. Hâlbuki o zaman Şâfiî yirmi yaşında değildi. İmâm Mâlik bu davranışı karşısında mahcûb olan İmâm Şâfii'ye, "Buna şaşma! Misâfire hizmet farzdır." dedi.

6 - Yemek yerken arkadaşlarını utandıracak şekilde onlara bakmamalı ve herkes kendi yemeği ile meşgul olmalıdır. Kendisi çekildikten sonra diğerleri de yemekten çekilecekse, onlardan evvel yemekten ayrılmamalı, onlar doyuncaya kadar azar azar yemelidir. Şâyet az yiyorsa, başlarken ağırdan almalı ve sonuna kadar onlarla devâm etmelidir. Sahâbeden çokları böyle yapmıştır. Şâyet devâm edemeyecekse, onları utandırmayacak şekilde mâzeret beyân etmelidir.

7 - Arkadaşlarının hoşuna gitmeyecek hareketlerde bulunmamalıdır. Elini tabağa daldırmamalı, ağzını yemeğe doğru eğmemeli, ağzından bir şey çıkardığı zaman, yönünü sofradan çevirmeli ve ağzındakini sol eliyle almalıdır. Yağlı lokmayı sirkeli yemeğe, sirkeli yemeği yağlıya batırıp birbirine karıştırmamalı. Dişiyle ısırıp aldığı ekmeğin geri kalanını yemeğe batırmamalı ve tiksinti verecek iğrenç sözler konuşmamalıdır.

البَابُ الثَّالِثُ

في آدابِ تقديمِ الطّعامِ إلى الإخوانِ الزّائرين

تقديمُ الطعامِ إلى الإخوانِ فيهِ فضلٌ كثيرٌ ، قالَ جعفرُ بنُ محمدٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (إذا قعدتُمْ معَ الإخوانِ على المائدةِ .. فأطيلوا الجلوسَ ؛ فإنَّها ساعةٌ لا تحسبُ عليكُمْ مِنْ أعمارِكُمْ)(١) .

وقالَ الحسنُ رحمهُ اللهُ : (كلُّ نفقةٍ ينفقُها الرجلُ علىٰ نفسِهِ وأبويهِ فمَنْ دونَهُمْ يحاسبُ عليها العبدُ ، إلا نفقةَ الرجلِ علىٰ إخوانِهِ في الطعامِ ؛ فإنَّ اللهَ سبحانَهُ يستحيي أنْ يسألَهُ عنْ ذلكَ)(٢) .

هـٰذا معَ ما وردَ مِنَ الأخبارِ في الإطعامِ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تزالُ الملائكةُ تصلِّي علىٰ أحدِكُمْ ما دامَتْ مائدتُهُ موضوعةً بينَ يديهِ حتَّىٰ ترفعَ »(٣) .

ورُويَ عنْ بعضِ علماءِ خراسانَ أنَّهُ كانَ يقدِّمُ إلىٰ إخوانِهِ طعاماً كثيراً لا يقدرونَ علىٰ أكلِ جميعِهِ ، وكانَ يقولُ : بلغَنا عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١٨٢) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ١٨٢) .

(٣) رواه الطبراني في « الأوسط » (١٠٣٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٩١٧٩) .

عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « إنَّ الإخوانَ إذا رفعوا أيديَهُمْ عنِ الطعامِ.. لمْ يحاسبْ مَنْ أكلَ فضلَ ذلكَ الطعامِ » ، فأنا أحبُّ أنْ أستكثرَ ممَّا أقدِّمُ إليكُمْ لنأكلَ فضلَ ذلكَ(١) .

وفي الخبرِ : « لا يُحاسبُ العبدُ علىٰ ما يأكلُهُ معَ إخوانِهِ »(٢) .

وكانَ بعضُهُمْ يكثرُ الأكلَ معَ الجماعةِ لذلكَ ، ويقلِّلُ إذا أكلَ وحدَهُ .

وفي الخبرِ : « ثلاثةٌ لا يُحاسبُ عليها العبدُ : أكلةُ السُّحورِ ، وما أفطرَ عليهِ ، وما أكلَ معَ الإخوانِ »(٣) .

وقالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : (لأنْ أجمعَ إخواني علىٰ صاعٍ مِنْ طعامٍ أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أعتقَ رقبةً)(٤) .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١٨٢) ، والبلاغ قال فيه الحافظ العراقي : (لم أقف له علىٰ أصل) . « إتحاف » (٥/ ٢٣٢) .

(٢) هو في معنى الحديث الآتي .

(٣) كذا في « القوت » (٢/ ١٨٢) ، قال الحافظ العراقي : (رواه الأزدي في « الضعفاء » من حديث جابر : « ثلاثة لا يسألون عن النعيم : الصائم ، والمفطر ، والرجل يأكل مع ضيفه » ، أورده في ترجمة سليمان بن داوود الجزري وقال فيه : منكر الحديث ، وللديلمي في « مسند الفردوس » [٢٥٠١] نحوه من حديث أبي هريرة) ولفظه : « ثلاثة لا يسألون عن نعيم المطعم والمشرب : المفطر ، والمتسحر ، وصاحب الضيف... » . وفي أكلة الصائم وأكلة المتسحر روى البزار في « مسنده » (٤٧٨٢) ، والطبراني في « الكبير » (١١/ ٣٥٩) عن ابن عباس مرفوعاً : « ثلاثة ليس عليهم حساب فيما طعموا إذا كان حلالاً : الصائم ، والمتسحر ، والمرابط في سبيل الله » .

(٤) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٥٦٦) .

وكانَ ابنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما يقولُ : (منْ كرمِ الرجلِ طيبُ زادِهِ في سفرِه ، وبذلُهُ لأصحابِهِ)(١) .

وكانَ الصحابةُ رضيَ اللهُ عنهُم يقولونَ : (الاجتماعُ على الطعامِ مِنْ مكارمِ الأخلاقِ)(٢) .

وكانوا رضيَ اللهُ عنهُم يجتمعونَ علىٰ قراءةِ القرآنِ ولا يتفرقونَ إلا عنْ ذواقٍ(٣) .

وقيلَ : اجتماعُ الإخوانِ معَ الكفايةِ على الأنسِ والألفةِ ليسَ هوَ مِنَ الدنيا(٤) .

وفي الخبرِ : « يقولُ اللهُ تعالىٰ للعبدِ يومَ القيامةِ : يا بنَ آدمَ ؛ جُعْتُ فلمْ تطعمني ، فيقولُ : كيفَ أطعمُكَ وأنتَ ربُّ العالمينَ ، فيقولُ : جاعَ أخوكَ المسلمُ فلمْ تطعمْهُ ، ولوْ أطعمتَهُ . . كنتَ أطعمتَني »(٥) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إذا جاءَكُمُ الزَّائرُ . . فأكرموهُ »(٦) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ في الجنَّةِ غرفاً يُرىٰ ظاهرُها مِنْ

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١٧٨) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ١٨١) .

(٣) كذا في « القوت » (٢/ ١٨١) ، ونحوه رواه الطبراني في « الكبير » (٢٢/ ١٥٦) .

(٤) قوت القلوب (٢/ ١٨٦) .

(٥) رواه مسلم (٢٥٦٩) ولفظه : « يا بن آدم ؛ استطعمتك فلم تطعمني » الحديث .

(٦) رواه الخرائطي كما في « المنتقىٰ من مكارم الأخلاق » (١٣٥) للسلفي ، والشهاب في « مسنده » (٧٦٣) ، والديلمي في « مسند الفردوس » (١٣٥١) .

باطِنِها ، وباطنُها مِنْ ظاهرِها ، هيَ لمَنْ ألانَ الكلامَ ، وأطعمَ الطَّعامَ ، وصلَّىٰ باللَّيلِ والنَّاسُ نيامٌ »(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « خيرُكُمْ مَنْ أطعمَ الطَّعامَ »(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أطعمَ أخاهُ حتَّىٰ يشبعَهُ وسقاهُ حتَّىٰ يرويَهُ . . بعَّدَهُ اللهُ مِنَ النَّارِ سبعَ خنادقَ ، ما بينَ كلِّ خندقينِ مسيرةُ خمسِ مئةِ عامٍ »(٣) .

* * *

وأمَّا آدابُهُ : فبعضُها في الدخولِ ، وبعضُها في تقديمِ الطعامِ .

أمَّا الدخولُ :

فليسَ مِنَ السنَّةِ أنْ يقصدَ قوماً متربِّصاً لوقتِ طعامِهِمْ ، فيدخلَ عليهِمْ وقتَ الأكلِ ؛ فإنَّ ذلكَ منَ المفاجأةِ ، وقدْ نُهيَ عنهُ .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ يعني : منتظرينَ حينَهُ ونضجَهُ(٤) .

---

(١) رواه الترمذي (١٩٨٤) بنحوه ، وأحمد في « المسند » (٢/١٧٣) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٦/١٦) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/٢٧٨) .

(٣) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٣٤٣) ، والطبراني في « الأوسط » (٦٥١٤) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/١٢٩) .

(٤) روي ذلك عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة . انظر « تفسير الطبري » (١٢/٢٢/٤٥).

وفي الخبرِ : (مَنْ مشىٰ إلىٰ طعامٍ لَمْ يدعَ إليهِ . . مشىٰ فاسقاً ، وأكلَ حراماً)⁽¹⁾ .

ولكنْ حقُّ الداخلِ إذا لَمْ يتربَّصْ واتفقَ أنْ صادفَهُمْ علىٰ طعامٍ ألاَّ يأكلَ ما لَمْ يؤذنْ لهُ ، فإذا قيلَ لهُ : كُلْ . . نظرَ ؛ فإنْ علمَ أنَّهُمْ يقولونَهُ عَنْ محبةٍ لمساعدتِهِ . . فليساعدْ ، وإنْ كانوا يقولونَ ذلكَ حياءً منهُ . . فلا ينبغي أنْ يأكلَ ، بلْ ينبغي أنْ يتعلَّلَ .

أمَّا إذا كانَ جائعاً ، فقصدَ بعضَ إخوانِهِ ليطعمَهُ ، ولَمْ يتربَّصْ بهِ وقتَ أكلِهِ . . فلا بأسَ بهِ .

قصدَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأبو بكرٍ وعمرُ رضيَ اللهُ عنهُما منزلَ أبي الهيثمِ بنِ التَّيِّهانِ وأبي أيوبَ الأنصاريِّ لأجلِ طعامٍ يأكلونَهُ وكانوا جياعاً⁽²⁾ .

والدخولُ علىٰ مثلِ هـٰذهِ الحالةِ إعانةٌ لذلكَ المسلمِ علىٰ حيازةِ ثوابِ الإطعامِ ، وهيَ عادةُ السلفِ .

---

(١) رواه الطيالسي في « مسنده » (٢٣٣٢) موقوفاً علىٰ أبي هريرة ، وهو عند أبي داوود (٣٧٤١) مرفوعاً بلفظ : « من دُعي فلم يجب . . فقد عصى الله ورسوله ، ومن دخل علىٰ غير دعوة . . دخل سارقاً ، وخرج مغيراً » .

(٢) حديث خروجهم إلىٰ أبي الهيثم بن التيهان رواه الترمذي (٢٣٦٩) ، وأصله عند مسلم (٢٠٣٨) ، وحديث قصدهم أبا أيوب الأنصاري رواه ابن حبان في « صحيحه » (٥٢١٦) ، والطبراني في « الأوسط » (٢٢٦٨) ، و« الصغير » (١/ ٦٧) .

كانَ عونُ بنُ عبدِ اللهِ المسعوديُّ لهُ ثلاثُ مئةٍ وستونَ صديقاً يدورُ عليهِمْ في السنةِ ، ولآخرَ ثلاثونَ يدورُ عليهِمْ في الشهرِ ، ولآخرَ سبعةٌ يدورُ عليهِمْ في الجمعةِ .

فكانَ إخوانُهُمْ معلومَهُمْ وبدلاً عنْ كسبِهِمْ ، وكانَ قيامُ أولئكَ بهِمْ على قصدِ التبرُّكِ عبادةً لهُمْ(١) .

فإنْ دخلَ ولمْ يجدْ صاحبَ الدارِ ، وكانَ واثقاً بصداقتِهِ ، عالماً بفرحِهِ إذا أكلَ مِنْ طعامِهِ . فلهُ أنْ يأكلَ بغيرِ إذنِهِ ؛ إذِ المرادُ مِنَ الإذنِ الرضا ، لا سيما في الأطعمةِ .

وأمرُها على السعةِ ، فربَّ رجلٍ يصرِّحُ بالإذْنِ ويحلفُ وهوَ غيرُ راضٍ ، فأكْلُ طعامِهِ مكروهٌ ، وربَّ غائبٍ لمْ يأذَنْ وأكلُ طعامِهِ محبوبٌ ، وقدْ قالَ عزَّ وجلَّ : ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ .

ودخلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ دارَ بريرةَ وأكلَ طعامَها وهيَ غائبةٌ ، وكانَ الطعامُ مِنَ الصدقةِ ، فقالَ : « بلغتِ الصدقةُ محلَّها » ، وذلكَ لعلمهِ بسرورِها بذلك(٢) .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١٨٧) .

(٢) كذا في « القوت » (٢/ ١٨٥) ، وحديث بريرة وإصابته صلى الله عليه وسلم من طعامها وهي غائبة وكان صدقة عند البخاري (١٤٩٣) ، ومسلم (١٠٧٤) ، وقوله : « بلغت الصدقة محلها » إنما قاله في حق نسيبة بنت كعب في قصة مشابهة ، هي عند البخاري (١٤٤٦) ، ومسلم (١٠٧٣) .

ولذلكَ يجوزُ أنْ يدخلَ الدارَ بغيرِ استئذانٍ اكتفاءً بعلمِهِ بالإذْنِ ، فإنْ لمْ يعلمْ . . فلا بدَّ مِنَ الاستئذانِ أوَّلاً ثمَّ الدخولُ .

وكانَ محمدُ بنُ واسعٍ وأصحابُهُ يدخلونَ منزلَ الحسنِ ، فيأكلونَ ما يجدونَ بغيرِ إذنٍ ، وكانَ الحسنُ يدخلُ ويرىٰ ذلكَ فيسرُّ بهِ ويقولُ : هٰكذا كنَّا⁽¹⁾ .

ورُويَ عنِ الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ كانَ قائماً يأكلُ مِنْ متاعِ بقَّالٍ في السوقِ ، يأخذُ مِنْ هٰذهِ الجونةِ تينةً ، ومِنْ هٰذهِ قضبةً ، فقالَ لهُ هشامٌ⁽²⁾ : ما بدا لكَ يا أبا سعيدٍ في الورعِ ، تأكلُ متاعَ الرجلِ بغيرِ إذنِهِ ! فقالَ : يا لكعُ ؛ اتلُ عليَّ آيةَ الأكلِ ، فتلا إلىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ ، فقالَ : فمَنِ الصديقُ يا أبا سعيدٍ ؟ فقالَ : مَنِ استروحَتْ إليهِ النفسُ ، واطمأنَّ إليهِ القلبُ⁽³⁾ .

وجاءَ قومٌ إلىٰ منزلِ سفيانَ الثوريِّ فلمْ يجدوهُ ، ففتحوا البابَ وأنزلوا السُّفْرةَ ، وجعلوا يأكلونَ ، فدخلَ الثوريُّ فجعلَ يقولُ : ذكَّرتموني أخلاقَ السلفِ ، هٰكذا كانوا⁽⁴⁾ .

---

(1) قوت القلوب (٢/ ١٨٥) .

(2) هو هشام الأوقص قاضي مكة .

(3) قوت القلوب (٢/ ١٨٥) ، وفيه : (فستقة) بدل (قضبة) ، وفي (ق) : (قسبة) وهي التمرة اليابسة .

(4) قوت القلوب (٢/ ١٨٥) .

وزارَ قومٌ بعضَ التابعينَ ولمْ يكنْ عندَهُ ما يقدِّمُهُ إليهم ، فذهبَ إلىٰ منزلِ بعضِ إخوانِهِ ، فلمْ يصادفْهُ في المنزلِ ، فدخلَ ، فنظرَ إلىٰ قِدْرٍ قدْ طبخَها ، وإلىٰ خبزٍ قدْ خبزَهُ وغيرِ ذلكَ ، فحملَهُ كلَّهُ ، فقدَّمَهُ إلىٰ أصحابهِ وقالَ : كلوا ، فجاءَ ربُّ المنزلِ ، فلمْ يرَ الطعامَ ، فقيلَ لهُ : قدْ أخذَهُ فلانٌ ، فقالَ : قدْ أحسنَ ، فلمَّا لقيَهُ.. قالَ : يا أخي ؛ إنْ عادوا.. فعُدْ(١) .

فهٰذهِ آدابُ الدخولِ .

* * *

وأمَّا آدابُ التقديمِ : فتركُ التكلُّفِ أوَّلاً ، وتقديمُ ما حضرَ :

فإنْ لمْ يحضرْهُ شيءٌ ، ولمْ يملكْ.. فلا يستقرضْ لأجلِ ذلكَ ، فيشقَّ علىٰ نفسِهِ ، وإنْ حضرَهُ ما هوَ محتاجٌ إليهِ لقوتهِ ، ولمْ تسمحْ نفسُهُ بالتقديمِ.. فلا ينبغي أنْ يقدِّمَ .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١٨٥) ، قال الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٥/ ٢٣٥) : ولكن ليس لكل أحد ينظر إلىٰ ظواهر هٰذه القصص ، فيدخل البيوت بغير استئذان ، ويمد يده إلىٰ ما [لا] يحل له النظر إليه فضلاً عن الأخذ ، ولكن بشروط هي الآن أعز من الكبريت الأحمر ، فأين الذي يطمئن إليه القلب أو تستروح النفوس إليه ؟! ولذا قال القائل :

صادُ الصديقِ وكافُ الكيمياءِ معاً   لا يوجدانِ فدعْ عنْ نفسِكَ الطمعا

دخلَ بعضُهُمْ علىٰ زاهدٍ وهوَ يأكلُ ، فقالَ : لولا أنِّي أخذتهُ بدينٍ . . لأطعمتُكُمْ منهُ(١) .

وقالَ بعضُ السلفِ في تفسيرِ التكلُّفِ : (أنْ تطعمَ أخاكَ ما لا تأكلُهُ أنتَ ، بلْ تقصدُ زيادةً عليهِ في الجودةِ والقيمةِ)(٢) .

وكانَ الفضيلُ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إنَّما تقاطعَ الناسُ بالتكلُّفِ ، يدعو أحدُهُمْ أخاهُ ، فيتكلَّفُ لهُ ، فيقطعُهُ عنِ الرجوعِ إليهِ)(٣) .

وقالَ بعضُهُمْ : (ما أبالي بمَنْ أتاني مِنْ إخواني ، فإنِّي لا أتكلَّفُ لهُ ، إنَّما أقرِّبُ ما عندي ، ولوْ تكلَّفْتُ لهُ . . لكرهْتُ مجيئَهُ وملَلتُهُ)(٤) .

وقالَ بعضُهُمْ : كنتُ أدخلُ علىٰ أخٍ لي فيتكلَّفُ لي ، فقلتُ لهُ : إنَّكَ لا تأكلُ وحدَكَ هٰذا ولا أنا ، فما بالُنا إذا اجتمعنا . . أكلْناهُ ؟! فإمَّا أنْ تقطعَ هٰذا التكلُّفَ ، أوْ أقطعَ المجيءَ ، فقطعَ التكلُّفَ ، ودامَ اجتماعُنا بسببِهِ(٥) .

ومِنَ التكلُّفِ : أنْ يقدِّمَ جميعَ ما عندَهُ ، فيجحِفَ بعيالِهِ ويؤذي

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١٨٤) بنحوه .

(٢) قوت القلوب (٢/ ١٨٤) .

(٣) قوت القلوب (٢/ ١٨٤) .

(٤) قوت القلوب (٢/ ١٨٤) .

(٥) قوت القلوب (٢/ ١٨٤) .

قلوبَهُمْ ، رُوِيَ أَنَّ رجلاً دعا عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ ، فقالَ عليٌّ : أجيبُكَ علىٰ ثلاثِ شرائطَ : لا تُدخلْ مِنَ السوقِ شيئاً ، ولا تدخرْ ما في البيتِ ، ولا تجحِفْ بعيالِكَ(١) .

وكانَ بعضُهُمْ يقدِّمُ مِنْ كلِّ ما في بيتِهِ شيئاً ، فلا يتركُ نوعاً إلا ويحضرُ شيئاً منهُ(٢) .

وقالَ بعضُهُمْ : دخلنا علىٰ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ ، فقدَّمَ إلينا خبزاً وخلاًّ وقالَ : (لولا أنَّا نُهينا عنِ التكلُّفِ . . لتكلَّفْتُ لكُمْ)(٣) .

وقالَ بعضُهُمْ : (إذا قُصِدتَ للزيارةِ . . فقدِّمْ ما حضرَ ، وإنِ استزرتَ . . فلا تبقِ ولا تذرْ)(٤) .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١٨١) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ١٨١) .

(٣) حديث جابر رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٧١) ولفظه : دخل علىٰ جابر نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقدم لهم خبزاً وخلاً ، فقال : كلوا ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « نعم الإدام الخل ، إنه هلاك بالرجل أن يدخل عليه النفر من إخوانه ، فيحتقر ما في بيته أن يقدمه إليهم ، وهلاك بالقوم أن يحتقروا ما قدِّم إليهم » .

وقوله : (لولا أنا نهينا . . .) هي في « مسند أبي حنيفة » (ص٢٦٦) ، وهي مشهورة عن سلمان رضي الله عنه ، رواها عنه الطبراني في « الكبير » (٦/ ٢٣٥) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/ ١٢٣) وسيأتي .

(٤) قوت القلوب (٢/ ١٨١) ، واستزرت : طلبت للزيارة ، ولا تبق ولا تذر : لا تقصر .

وقالَ سلمانُ : (أمرَنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ألاَّ نتكلَّفَ للضيفِ ما ليسَ عندَنا ، وأنْ نقدِّمَ إليهِ ما حضرَنا)(١) .

وفي حديثِ يونسَ النبيِّ علىٰ نبيِّنا وعليهِ السلامُ أنَّهُ زارَهُ إخوانُهُ ، فقدَّمَ إليهِمْ كِسَراً ، وجزَّ لهُمْ بقْلاً كانَ يزرعُهُ ، ثمَّ قالَ لهمْ : (كُلُوا ، لولا أنَّ اللهَ لعنَ المتكلِّفينَ . . لتكلَّفْتُ لكُمْ)(٢) .

وعنْ أنسِ بنِ مالكٍ وغيرِهِ مِنَ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم أنَّهُمْ كانوا يقدِّمون ما حضرَ مِنَ الكسَرِ اليابسةِ وحشفِ التمرِ ويقولونَ : (لا ندري أيُّهما أعظمُ وزراً: الذي يحتقرُ ما يقدَّمُ إليهِ، أوِ الذي يحتقرُ ما عندَهُ أنْ يقدِّمَهُ؟!)(٣) .

* * *

الأدبُ الثاني ـ وهوَ للزائرِ ـ : ألاَّ يقترحَ ولا يتحكَّمَ بشيءٍ بعينِهِ :

فربما يشقُّ على المزورِ إحضارُهُ ، فإنْ خيَّرَهُ أخوهُ بينَ طعامينِ . . فليتخيَّرْ أيسرَهما عليهِ ، كذلكَ السنةُ ، وفي الخبرِ : (ما خيِّرَ رسولُ اللهِ

---

(١) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٣٢٩) ، وبنحوه رواه البزار في « مسنده » (٢٥١٤)، والطبراني في « الكبير » (٦/ ٢٧١)، والحاكم في « المستدرك » (٤/ ١٢٣).

(٢) قوت القلوب (٢/ ١٨١) .

(٣) قوت القلوب (٢/ ١٨١) .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بينَ شيئينِ إلا اختارَ أيسرَهُما)[1] .

وروى الأعمشُ عنْ أبي وائلٍ أنَّهُ قالَ : مضيتُ معَ صاحبٍ لي نزورُ سلمانَ ، فقدَّمَ إلينا خبزَ شعيرٍ وملحاً جرِيشاً ، فقالَ صاحبي : لوْ كانَ في هٰذا الملحِ سعترٌ . . كانَ أطيبَ ، فخرجَ سلمانُ ، ورهنَ مطهرتَهُ وأخذَ سعتراً ، فلمَّا أكلْنا . . قالَ صاحبي : الحمدُ للهِ الذي قنَّعَنا بما رزقَنا ، فقالَ سلمانُ : لوْ قنعتَ بما رُزِقتَ . . لمْ تكنْ مطهرتي مرهونةً[2] .

هٰذا إذا توهَّمَ تعذُّرَ ذلكَ علىٰ أخيهِ أوْ كراهتَهُ لهُ ، فإنْ علمَ أنَّهُ يُسَرُّ باقتراحِهِ ويتيسَّرُ عليهِ ذلكَ . . فلا يُكرَهُ لهُ الاقتراحُ ، فعلَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ ذلكَ معَ الزعفرانيِّ ؛ إذْ كانَ نازلاً عليهِ ببغدادَ ، وكانَ الزعفرانيُّ يكتبُ كلَّ يومٍ رقعةً بما يطبخُ مِنَ الألوانِ ويسلِّمُها إلى الجاريةِ ، فأخذَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ الرقعةَ في بعضِ الأيامِ وألحقَ بها لوناً آخرَ بخطِّهِ ، فلمَّا رأى الزعفرانيُّ ذلكَ اللونَ . . أنكرَهُ وقالَ : ما أمرتُ بهٰذا ، فعرضتْ عليهِ الرقعةَ ملحقاً فيها خطُّ الشافعيِّ ، فلمَّا وقعَتْ عينُهُ علىٰ خطِّهِ . . فرحَ بذلكَ ، وأعتقَ الجاريةَ سروراً باقتراحِ الشافعيِّ عليهِ[3] .

وقالَ أبو بكرٍ الكتَّانيُّ : دخلتُ على السريِّ ، فجاءَ بفتيتٍ وأخذَ يجعلُ

---

[1] رواه البخاري (٣٥٦٠) ، ومسلم (٢٣٢٧) .

[2] رواه الطبراني في « الكبير » (٦/ ٢٣٥) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/ ١٢٣) .

[3] قوت القلوب (٢/ ١٨١) .

نصفَهُ في القدحِ ، فقلتُ لهُ : أيَّ شيءٍ تعملُ ؟ أنا أشربُهُ كلَّهُ في مرَّةٍ ، فضحكَ وقالَ : هـٰذا أفضلُ لكَ مِنْ حجةٍ⁽¹⁾ .

وقالَ بعضُهُمْ : (الأكلُ علىٰ ثلاثةِ أنواعٍ : معَ الفقراءِ بالإيثارِ ، ومعَ الإخوانِ بالانبساطِ ، ومعَ أبناءِ الدنيا بالأدبِ)⁽²⁾ .

* * *

الأدبُ الثالثُ : أنْ يشهِّيَ المزورُ أخاهُ الزائرَ :

ويلتمسَ منهُ الاقتراحَ ، مهما كانتْ نفسُهُ طيِّبةً بفعلِ ما يقترحُ ، فذلكَ حسنٌ ، وفيهِ أجرٌ وفضلٌ جزيلٌ .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ صادفَ مِنْ أخيهِ شهوةً . . غُفِرَ لهُ ، ومَنْ سرَّ أخاهُ المؤمنَ . . فقدْ سرَّ اللهَ عزَّ وجلَّ »⁽³⁾ .

---

(١) أي : عمل قليل وثوابه كثير ؛ لما فيه من النية الحسنة بإدخال السرور علىٰ أخيه . « إتحاف » (٥/ ٢٣٧) .

(٢) كذا في « اللمع » (ص ٢٤٣) ، ورواه أبو الحسين الطيوري في « الطيوريات » (١١١٧) عن جعفر الخلدي ، وأورده مبهماً الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٩٨) .

(٣) كذا في « القوت » (٢/ ١٨٢) ، والجملة الأولىٰ منه رواها البزار في « مسنده » (٤١١٠) ، والعقيلي في « الضعفاء » (٤/ ١٤٢١) ، والجملة الثانية رواها البيهقي في « الشعب » (٧٢٤٧) ، قال الحافظ الزبيدي : (وقول ابن الجوزي : إنه موضوع . . فيه نظر) . « إتحاف » (٥/ ٢٣٨) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيما رواهُ جابرٌ : « مَنْ لَذَّذَ أخاهُ بما يشتهي . . كتبَ اللهُ لهُ ألفَ ألفِ حسنةٍ ، ومحا عنهُ ألفَ ألفِ سيئةٍ ، ورفعَ لهُ ألفَ ألفِ درجةٍ ، وأطعمَهُ اللهُ مِنْ ثلاثِ جناتٍ : جنةِ الفردوسِ ، وجنةِ عدْنٍ ، وجنةِ الخلدِ »(١) .

* * *

الأدبُ الرابعُ : ألاَّ يقولَ لهُ : هلْ أقدِّمُ لكَ طعاماً :

بلْ ينبغي أنْ يقدِّمَ إنْ كانَ ، قالَ سفيانُ الثوريُّ : (إذا زارَكَ أخوكَ . . فلا تقلْ لهُ : أتأكلُ ، أوْ أقدِّمُ إليكَ ؟ ولكنْ قدِّمْ ، فإنْ أكلَ ، وإلاَّ . . فارفعْ)(٢) .

وإنْ كانَ لا يريدُ أنْ يطعمَهُمْ طعاماً . . فلا ينبغي أنْ يظهرَهُ عليهِمْ أوْ يصفَهُ

---

(١) كذا في « القوت » (٢/ ١٨٢) ، قال الحافظ العراقي : (ذكره ابن الجوزي في « الموضوعات » [٢/ ٨٨] من رواية محمد بن نعيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، وقال أحمد ابن حنبل : هـٰذا باطل كذب) ، ويروىٰ عن أبي هريرة مرفوعاً : « من أطعم أخاه المسلم شهوته . . حرمه الله على النار » ، رواه البيهقي ـ في « الشعب » (٣١٠٩) ـ وعن معاذ : « من أطعم مؤمناً حتىٰ يشبعه من سغب . . أدخله الله باباً من أبواب الجنة لا يدخله إلا من كان مثله » ، رواه الطبراني ـ في « الكبير » (٢٠/ ٨٥) ـ وعن أبي سعيد : « من أطعم مسلماً جائعاً . . أطعمه الله من ثمار الجنة » ، رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٣٤) . « إتحاف » (٥/ ٢٣٨) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ١٨٥) .

لهُمْ ، قالَ الثوريُّ : (إذا أردتَ ألاَّ تطعمَ عيالَكَ ممَّا تأكلُهُ . . فلا تحدِّثْهُمْ بهِ ، ولا يرونَهُ معَكَ)⁽¹⁾ .

وقالَ بعضُ الصوفيةِ : (إذا دخلَ عليكُمُ الفقراءُ . . فقدِّموا إليهِمْ طعاماً ، وإذا دخلَ الفقهاءُ . . فسلوهُمْ عنْ مسألةٍ ، وإذا دخلَ القرَّاءُ . . فدلُّوهُمْ على المحرابِ)⁽²⁾ .

* * *

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١٨٦) .

(٢) القول لأبي علي النَّوْرِباطي كما في « اللمع » (ص ٢٤٢) ، ولأبي علي الروذباري كما أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٩٧) .

Üçüncü Bab

ZİYARETİNE GELENLERE YEMEK VERMENİN ÂDÂBI

Dost ve ahbâpları yedirmekte büyük fazîletler vardır. **Câfer bin Muhammed** (r.a.): “Dostlarımda sofraya oturduğunuzda oturmayı uzatın. Çünkü bu sofra başı, Allah huzûrunda hesabını vermeyeceğiniz ömrünüzün bir parçasıdır.” diyor. **Hasan-ı Basrî** (r.a.): “Kişi kendisine, aile efrâdına, anne ve babasına yedirdiği yemekten mesûldür. Nereden kazandığının hesâbını verecektir. Yalnız dost ve ahbâplarına yedirdiğinden mesûl değildir. Allahu Teâlâ bunu sormaktan hayâ eder.” demiştir.

Bu husustaki hadisler:

لَا تَزَالُ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلٰى أَحَدِكُمْ مَا دَامَتْ مَائِدَتُهُ
مَوْضُوعَةً بَيْنَ يَدَيْهِ حَتّٰى تُرْفَعَ

“Sizden herhangi birinizin yemek sofrası, misâfirinin önünde bulunduğu müddetçe melekler, onun için istiğfâr ederler.”[21] buyurmuştur. Horasan âlimlerinden bir zât, misâfirlerinin yiyemeyecekleri kadar bol yemek sofraya koyar, sebep olarak da şu hadîsi rivâyet ederdi:

إِنَّ الْإِخْوَانَ إِذَا رَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَنِ الطَّعَامِ لَمْ يُحَاسَبْ مَنْ
أَكَلَ فَضْلَ ذٰلِكَ

---

[21] Taberâni **“Evsat”**ında Hz. Aişe’den (r.a.) rivâyet etmiştir.

"Kardeşlerinin yiyip de arttırdıkları yemeği yiyenden, o yemeğin hesâbı sorulmaz."[22] "Ben de artan yemeği yemekle bu mesûliyetten kurtulmak için misâfire fazla yemek getiririm." derdi. Yine haberde:

لَا يُحَاسَبُ الْعَبْدُ عَلٰى مَا يَأْكُلُهُ مَعَ إِخْوَانِهٖ

"Kul, dostları ile yediğinden hesaba çekilmez."[23] buyrulmuştur. Hattâ bâzıları bu sebepten cemâat ile bol yemek yerlerdi. Yine haberde:

ثَلَاثَةٌ لَا يُحَاسَبُ عَلَيْهَا الْعَبْدُ: أَكْلَةُ السَّحُورِ، وَمَا أَفْطَرَ
عَلَيْهِ، وَمَا أَكَلَ مَعَ الْإِخْوَانِ

"Kul, üç yemekten mesûl değildir: Sahur, iftar ve dostları ile yediği yemeklerdir."[24] diye vârid olmuştur. **Hazret-i Ali** (r.a.): "Bir Sa' (1040 dirhemdir) olsun, bir miktar yemeği dostlar ile birlikte yemek, benim için bir köle âzâd etmekten daha sevimlidir" diyor. **Abdullah bin Ömer** (r.a.): "İyi ve bol azık alarak yolda arkadaşlarına ikrâm etmek, kişinin şeref ve mürüvvetindendir." buyurdu. Sâhabe-i kiram "Bir sofrada toplanmak, ahlâkî fazîletlerdendir." derlerdi. Onlar, Kur'ân okumak için bir araya toplanırlar ve sonunda bir şey tatmadan yâni hafif bir şey yemeden ayrılmazlardı. Denildi ki; bâzı dostların böyle samimiyet havası içinde toplantılar tertîp etmeleri dünyalık değil, âhiret işidir. Yine haberde (hadîste):

يَقُولُ اللّٰهُ تَعَالٰى لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ اٰدَمَ جُعْتُ فَلَمْ

---

[22] Kaynağı bulunamamıştır.

[23] Bundan sonraki hadîse dâhildir.

[24] Ezdî **"Zuafâ"** da Câbir'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

تُطْعِمْنِي، فَيَقُولُ: كَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: جَاعَ أَخُوكَ الْمُسْلِمُ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، وَلَوْ أَطْعَمْتَهُ كُنْتَ أَطْعَمْتَنِي

"Kıyamet günü Allahu Teâlâ kuluna:

-Ey Âdemoğlu! Ben acıktım beni yedirmedin. O şahıs:

-Sen âlemlerin Rabbisin. Ben seni nasıl yedirecektim yâ Rab, der. Allahu Teâlâ:

-Aç olan dîn kardeşin sana geldi de sen onu yedirmedin. Eğer onu yedirseydin beni yedirmiş gibi olurdun, buyurur." diye vârid olmuştur.[25]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِذَا جَاءَكُمُ الزَّائِرُ فَأَكْرِمُوهُ

"Ziyaretçi size geldiği zaman, ona ikrâm edin."[26] buyurmuştur. Yine Rasûl-i Ekrem Efendimiz (s.a.v.):

إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرٰى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا هِيَ لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وَصَلّٰى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ

"Cennette içi dışından, dışı içinden görülen şeffaf köşkler vardır. Bunlar, tatlı ve yumuşak konuşan, yemek yediren ve insanlar uykuda iken namaz kılanlar içindir."[27] buyurmuştur. Diğer bir hadîste:

---

[25] Müslim, Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

[26] Harâitî **"Mekârim-i Ahlâk"**da Enes'den (r.a.) rivâyet etmiştir. İbn Ebî Hâtem **"İlel"**de babasından rivâyet etmiştir.

[27] Tirmizî. Ali (r.a.) hadîsinden rivâyet etmiştir.

خَيْرُكُمْ مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ

"Hayırlınız; yemek yedireninizdir."[28] Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنْ أَطْعَمَ أَخَاهُ حَتّٰى يُشْبِعَهُ وَسَقَاهُ حَتّٰى يَرْوِيَهُ بَعَّدَهُ اللّٰهُ مِنَ النَّارِ بِسَبْعِ خَنَادِقَ، مَا بَيْنَ كُلِّ خَنْدَقَيْنِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ

"Kardeşini doyuncaya kadar yedireni, kandırıncaya kadar içireni Allahu Teâlâ, araları beşyüz senelik olan yedi hendek ile cehennemden uzaklaştırır."[29] buyurdu.

Ziyaretin iki âdabı var: Biri ziyârete gitmekte, diğeri de yemek vermektedir.

MİSAFİRLİK ÂDÂBI

Yemek vaktine denk getirecek şekilde ziyârete gitmek doğru değildir. Bu şekildeki ziyâret men edilmiştir. Nitekim Kur'ân-ı Kerîm'de:

لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلٰى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ

"Ey îman edenler, Peygamberin evlerine yemeğe çağrılmaksızın girip de yemeğin pişmesini beklemeye kalkışmayın." (Ahzâb sûresi, 33/53) Yâni "Tam yemeğe hazırlandıkları sırada evlerine girmeyin." buyurulmuştur. Haberde şöyle vârid oldu:

مَنْ مَشٰى إِلٰى طَعَامٍ لَمْ يُدْعَ إِلَيْهِ مَشٰى فَاسِقًا وَأَكَلَ حَرَامًا

---

[28] Ahmed ve Hâkim. Suheyb'den (r.a.) rivâyet ettiler. Hâkim, isnâdının sahih olduğunu söyledi.

[29] Taberânî. Abdullah b. Ömer'den (r.a.) rivâyet etti.

“Dâvet olunmadığı sofraya giden kimse, gitmekle fâsık olduğu gibi, yediği de haramdır.”[30]

Yemek vaktini gözetmediği hâlde, gittiği yerde sofraya tesâdüf eden kimse buyur edilmedikçe sofraya oturmamalıdır. Yemeğe buyur dendiği zaman, onların vaziyetine bakar; gönülden ve seve seve söylüyorlarsa oturur, utandıklarından ve nezâket kabîlinden buyur ediyorlarsa oturmaz. “Karnım tok.” vesâire gibi sözlerle mâzeret beyân eder. Acıkmış olup sofra vaktini gözetmeden, karnını doyurmak maksadıyla dostlarından birine gitmeşinde beis yoktur. Hattâ Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ile Hazret-i Ebû Bekir ve Hz. Ömer (r.a.) acıkmış olduklarından, yemek maksadıyla Ebü’l-Heysem ve Ebû Eyyüb el-Ensârî’nin evlerine gitmişlerdir. Bu maksatla, bir dîn kardeşinin evine gitmek, yemek yedirme mükâfatını ihrâz etmesi bakımından, ona manevî bir yardımdır. Bu, selefin âdetidir. **Avn bin Abdullah el-Mes’ûdî**’nin üç yüz altmış dostu var idi. Seneyi bunlar ile devreder, her gün birine giderdi. Bir başkasının da otuz dostu vardı. Her birine ayda bir kere giderdi. Yine diğer birisinin de yedi dostu vardı. Haftayı bunların yanında geçirirdi. Dostları onları biliyor ve onlar için hazırlanıyorlardı. Ve bunu bir ibâdet sayarlardı.

Hattâ gittiği evin sahibini bulamazsa, sadâkatine inandığı ve memnun kalacağından emin olduğu için yemeğinden yer, öyle çıkardı. Aç olan kimse, dostunun evinden izin almadan karnını doyurabilir. Zâten izinden gâye rızâdır; izin ise zımnen mevcuttur. Çok kimseler sarâhaten müsâade eder, fakat gönülden râzı değillerdir. Bu gibilerin yemeğini yemek mekruhtur. Fakat müsâadesi alınamayan o gibi gâiblerin yemeğini yemek, mahbûb ve sevimlidir. Nitekim Kur'ân-ı Kerim'de bu şekilde, evlerinden yemek yenebilecekler arasında bir de:

---

[30] Beyhaki, Hz. Aişe’den (r.a.) rivâyet etmiştir.

أَوْ صَدِيقِكُمْ

"Yâhut sâdık dostlarınız."[31] (Nûr sûresi, 24/61) buyrulmuştur. Yâni tevekkel de olsa bunların evlerinden yiyebilirsiniz. Hattâ Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz bir gün Berîre'nin (Hazret-i Âişe'nin âzâdlısı olan bir kadındır) evine girdi. Berîre'de kendisine hediye edilmiş et yemeği vardı. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ondan yedi ve "Hediye yerini buldu." diyerek oradan ayrıldı. Çünkü Berîre'nin buna memnun olacağını biliyordu. Binâenaleyh katî olarak izin vereceğini bildiği kimsenin evine böyle müsâadesiz gitmek câizdir. Aksi hâlde mutlaka müsâade almadan girilemez. **Muhammed bin Vâsî** ve arkadaşları, izinsiz **Hasan-ı Basrî**'nin evine girer ve bulduklarını yerlerdi. Hasan-ı Basrî bu hâli gelip gördüğünde hoşuna gider, memnun kalırdı. "İşte biz böyle isteriz." derdi. Hasan-ı Basrî bizzât kendisi de bâzı bakkal dükkânlarının yiyecek maddelerinden birer tâne alır yerdi. Hişam, kendisine:

- "Yâ Ebâ Sa'îd! Sen ki, takvâ hususunda çok titizsin. Bu yaptığın nedir?" deyince, Hasan-ı Basrî:

- "Kur'ân'daki "Ekl" âyetini oku." dedi. Hişam:

أَوْ صَدِيقِكُمْ

"Yâhut sâdık dostlarınız." âyetini okuyunca, Hasan-ı Basrî:

- "İşte dostun yemeği yenir." dedi. Hişam:

- "Sâdık kimdir?" diye sordu. Hasan-ı Basrî:

---

31. "...Sâdık dostlarınızın evlerinde yemenizde size bir günâh yoktur."

- “Sâdık, canının meylettiği ve gönlünün kendisi ile huzûr bulduğu kimsedir.” dedi.

Bir cemâat **Süfyân-ı Sevrî**’nin evine gitti ve kendisini evde bulamadılar. Kapıyı açıp içeri girdiler; sofrayı kurarak yemeğe başladılar. Tam o esnâda Süfyân-ı Sevrî de içeri girdi: “Yahu ne güzel yaptınız. Siz böyle yapmakla bana selefin ahlâkını hatırlattınız. İşte onlar böyle yaparlardı.” dedi. Yine bir cemâat, tâbiînden bir zâtı ziyârete gitti. Ne yazık ki bu zâtın sofraya koyacak bir şeyi yoktu. Hemen komşusuna koştu, komşusunu evde bulamadı. Tencereye baktı, yemek pişmiş, dolaba baktı ekmek var. Hemen aldığı gibi doğru misâfirlerine getirdi. Hâne sahibi bunu öğrenince: “Çok güzel yaptın. Onlar bir daha böyle uğrarlarsa, yine hiç çekinmeden aynı şeyi tekrarlayabilirsin.” dedi. İşte eve girmenin ve misâfirliğe gitmenin âdâbı budur.

MİSAFİRİ YEDİRMENİN ÂDÂBI

1 - Yemek yedirmenin başlıca âdabı, masraf yapmadan hazır olanı sofraya koymaktır. Şâyet yedirecek yemeği ve elinde de parası yoksa borca girmez. Muhtaç olduğu nafakasını hâzırda da olsa başkasına yedirmek mecburiyetinde değildir. Zâhidlerden bir tanesi borç olarak aldığı yemeği yerken bir misâfir içeri girdi. Zâhid: “Eğer ben bu yemeği borç ile almasam sana da yedirirdim. Fakat veresiye aldığım bir yemeği sana yediremem.” dedi.

Yukarıda “Misafire yemek vermek için külfete girilmez.” demiştik. Külfet, kendisinin yiyemediğinden misâfirine yedirmektir. Hattâ **Fudayl**: “İnsanların birbirinden uzaklaşmaları külfettendir. Bir defa dostuna gider. Dostu bir sürü masraf edip külfete girer. Bunu gören dost, bir daha da gelemez, bu sûretle araları açılmış olur.” dedi. Zâtın biri şöyle diyor:

"Ben dostlarımdan bana gelene aldırış etmem, gelen gelsin. Çünkü külfete girmem, mevcûdum ne ise onu ortaya koyarım. Eğer külfete girersem, onun gelmesinden ağırlanır ve kendisini o zaman usandırmış olurum." dedi. Yine zâtın biri dostuna gittiğinde bir sürü külfete girdiğini görünce kendisine: "Dostum, ne sen ne de ben yalnız iken bu yemekleri yeriz. O hâlde bu külfetin mânâsı nedir? Ya bu külfet ortadan kalkar veyâ ben bir daha gelmem! İyisi mi sen bu külfeti kaldır ve biz de gidip gelelim." dedi.

Külfetin bir çeşidi de varını yoğunu misâfire takdim edip, âile efrâdını sıkıntıya düşürmektir. Rivâyet olundu ki: Adamın biri, **Hazret-i Ali**'yi evine dâvet etti. Hazret-i Ali: "Üç şart ile dâvetini kabul ederim." dedi. Bunlar da: "Çarşıdan bir şey getirmeyeceksin, evine de ben geleceğim diye bir şey yığmayacaksın, varını yoğunu ortaya koyup çoluk çocuğunu rahatsız etmeyeceksin. Bu şartlar tahtında ben de gelirim." dedi. Seleften bâzıları, evinde olanın her çeşidinden sofraya getirirlerdi. (Bu, misâfire ikrâmdır).

Câbir b. Abdullah'a misâfirler geldi. O da ekmek ile sirkeyi sofraya koydu ve: "Eğer külfetten men olunmasaydık, ben de külfete katlanır, size daha başka bir şeyler hazırlardım." dedi. Yine zâtın biri şöyle diyor: "Ziyâretine habersiz gelenlere hazırda olanından yedir, külfete katlanma. Fakat sen dâvet edersen elinden gelen ikrâmı yap." **Selmân** (r.a.): "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), bizde olmayan şeyi misâfir için almak sûretlyle külfete girmememizi ve mevcut ile yetinmemizi bizlere emretmiştir."[32] demiştir. Yûnus aleyhisselâm, dostları kendisini ziyarete geldiklerinde, onlara bir parça arpa ekmeği, bir miktar da kendi mahsûlü olan fasulye yemeğini takdim ederek: “Yiyiniz, eğer Allahu Teâlâ tekellüf edenlere lânet etmeseydi, ben de tekellüf eder size daha çeşitli yemekler hazırlardım.” dedi. Enes bin Mâlik (r.a.) ve diğer bâzı sahâbiler, ekmek kırıntıları ve hurma döküntülerinden ne bulunursa misâfirin önüne koyarak: “Kendisine takdim edileni tahkîr eden ile mevcûdunu hakîr görüp misâfirine takdîm etmek istemeyenlerden, hangisinin daha büyük günâh işlediğini büemeyiz.” derlerdi.

---

[32] Buhârî'nin Hz. Ömer b. Hattâb'dan (r.a.) *"Tekellüfden men olonduk"* diye rivâyeti vardır.

2 - İkinci edeb, ziyâretçiye aittir. Bu da ev sahibinden, “Şunu, bunu getir.” diye muayyen bir yemek istememektir. Olur ki ev sahibi ağırlanır ve güç vaziyete düşer. Hattâ hâne sahibi, iki yemekten birini teklif ederse, misâfir dâima ehvenini tercih etmelidir. Sünnet olan da budur. Haberde:

أَنَّهُ مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ إِلَّا
اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا

“Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), muhayyer bırakıldığı iki şeyden dâima ehvenini tercih ederdi.”[33] diye vârid olmuştur. **A’meş,** Ebû Vâil’den şöyle hikâye ediyor. Ebû Vâil diyor ki: Bir arkadaşım ile Selmân’ın ziyâretine gittim. Bize bir miktar arpa ekmeği ile biraz da tuz getirdi. Arkadaşım “Şu tuzun yanında biraz da sağter (kekik gibi bir ot) olsaydı.” dedi. Bunun üzerine Selmân matarasını rehin vererek o otu aldı geldi. Yemeği bitirince arkadaşı “Bize verdiği nîmete kanâat ettiğimiz Allah’a hamdederiz.” dedi. Selman: “Eğer kanâat etseydin, benim matara rehinde olmazdı.” dedi. Bu dediğimiz, ev sahibinin vazîyetine göre değişir. Ev sahibinde var veyâ

---

[33] Buhârî ile Müslim. Hz. Aişe’den (r.a.) rivâyet etmişlerdir. Müslim’in riayetinde *“Günâh olmadıkça”* kaydı vardır.

almakta zorluk çekmezse, o zamâp teklifte kerâhet yoktur, İmam Şâfiî, Bağdâd'da Zağferânî'ye misâfir gittiği zaman, kendisinden çeşitli yemekler istemiştir. Zagferânî her gün pişecek yemek listesini hizmetkârına verirdi. Bir gün İmâm Şâfiî hizmetkârdan listeyi alır ve kendisi de bâzı ilâveler yapar. Sofrada bu yemekleri gören Zağferânî, "Ben bunları listeye almadım." diye hizmetkâra çıkışınca hizmetkâr; İmâm Şâfiî'nin kendi yazısı ile olan ilâveyi gösterir. Zağferânî de sevincinden, kölesi olan bu hizmetkârı âzâd eder. **Ebû Bekr-i Kettânî** "Seriyyü's-Sakatî'nin yanına gittim. Ufalanmış ekmek getirdi, yarısını bir bardağa döktü. Ben: "Ne yapıyorsun? Onun hepsini bir nefeste yutarım." dedim. Seriy gülerek, "Senin bu samimiyetin, bir hac sevâbından daha makbuldür." dedi.

Bâzıları, yemek üç şekildedir dediler:

a) Yoksullar ile yemek: Bu sofrada îsâr yapmak, yani yoksulların fazla yemesini sağlamaktır.

b) Dostlarla yemek: Bu da çekinmeden samimî hava içinde olur.

c) Ekâbir ile bir sofrada yemek: Bu da edebe riâyetle olur.

3 - Misafiri yemeğe teşvik etmek. Arzu ettiği şeyleri istemesini söylemek, bu sûretle onu memnun etmeye çalışmaktır. Burada büyük fazîlet vardır. Nitekim hadîste:

مَنْ صَادَفَ مِنْ أَخِيهِ شَهْوَةً غُفِرَ لَهُ وَمَنْ سَرَّ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ
فَقَدْ سَرَّ اللّٰهَ تَعَالٰى

"Dîn kardeşinin arzu ettiği yemeği kendisine yediren kimsenin günâhları bağışlanır. Dîn kardeşini sevindiren, Allah'ı sevindirmiş

olur.”[34] buyurulmuştur. Yine Câbir’in (r.a.) rivâyet ettiği bir hadîste Rasûl-i Ekrem Efendimiz:

مَنْ لَذَّذَ أَخَاهُ بِمَا يَشْتَهِي كَتَبَ اللّٰهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَحٰى
عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفُ دَرَجَةٍ وَأَطْعَمَهُ اللّٰهُ
مِنْ ثَلَاثِ جَنَّاتٍ: جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ وَجَنَّةِ عَدْنٍ وَجَنَّةِ الْخُلْدِ

“Dîn kardeşinin canı çektiği bir şey ile ağzını tatlandıran kişiye Allahu Teâlâ bir milyon sevâb yazar, bir milyon günâhlarını mahveder, bir milyon derecesini yükseltir. Firdevs, Adn ve Huld olmak üzere üç cennetten ona yemek yedirir.”[35] buyurmuştur.

4 - Misâfirine “yemek getireyim mi?” dememek. Yemeği varsa hiç sormadan sofrayı kurmaktır. Nitekim **Sevrî**: “Dostun seni ziyârete geldiği vakit “Yemek getireyim mi, yer misin?” demeden sofrasını kurabilirse ne âlâ. Yemezse hemen kaldırırsın. Şayet yemek yedirmek niyetinde değilsen, hiç yemekten bahsetmemeli ve yemek göstermemelidir.” demiştir. Yine **Sevrî** şöyle diyor: “Yediğini çocuklarına yedirmeyecekse onlara göstermemelidir.” Sûfilerden biri şöyle diyor: “Yanınıza yoksul geldiği zaman onu yedirin, âlim geldiği zaman ondan mesele sorun. Kurrâ geldiği zaman ona da mihrâbı gösterin.”

---

[34] Bezzâr ve Taberânî, Ebû’d-Derdâ’dan (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[35] İbnü’l-Cevzî **“Mevzûât”**ında zikretti.

البَابُ الرَّابِعُ
في آدابِ الضِّيافةِ

ومظانُّ الآدابِ فيها ستةٌ : الدعوةُ أوَّلاً ، ثمَّ الإجابةُ ، ثمَّ الحضورُ ، ثمَّ تقديمُ الطعامِ ، ثمَّ الأكلُ ، ثمَّ الانصرافُ .

ولنقدِّمْ علىٰ شرحِها فضيلةَ الضيافةِ :

قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تتكلَّفوا للضيفِ فتبغضوهُ ؛ فإنَّهُ مَنْ أبغضَ الضيفَ . . فقدْ أبغضَ اللهَ تعالىٰ ، ومَنْ أبغضَ اللهَ . . أبغضَهُ اللهُ »(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا خيرَ فيمَنْ لا يضيفُ »(٢) .

ومرَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ برجلٍ لهُ إبلٌ وبقرٌ كثيرةٌ ، فلمْ يضفْهُ ، ومرَّ بامرأةٍ لها شويهاتٌ ، فذبحتْ لهُ ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ :

---

(١) رواه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (١/ ٨٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٩١٥٤) بلفظ : « لا يتكلفن أحد للضيف ما لا يقدر عليه » ، وروى الرافعي في « التدوين في أخبار قزوين » (١/ ٤٢٤) من حديث أبي قرصافة : « يا عائشة ؛ لا تتكلفي للضيف فتمليه ، ولكن أطعميه مما تأكلين » .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ١٥٥) .

« انظروا إليهما ، إنَّما هـٰذهِ الأخلاقُ بيدِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فمَنْ شاءَ أنْ يمنحَهُ خُلُقاً حسناً . . فعلَ »(١) .

وقالَ أبو رافع مولىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : إنَّهُ نزلَ بهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ضيفٌ ، فقالَ : « قلْ لفلانٍ اليهوديِّ : نزلَ بي ضيفٌ ، فأسلفْني شيئاً مِنَ الدقيقِ إلىٰ رجبٍ » ، فقالَ اليهوديُّ : واللهِ ؛ لا أسلفُهُ إلا برهنٍ ، فأخبرتُهُ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « واللهِ ؛ إنِّي لأمينٌ في السماءِ ، أمينٌ في الأرضِ ، ولوْ أسلفَني . . لأديتُهُ ، فاذهبْ بدرعي وارهنْهُ عندَهُ »(٢) .

وكانَ إبراهيمُ الخليلُ صلواتُ اللهِ عليهِ وسلامُهُ إذا أرادَ أنْ يأكلَ . . خرجَ ميلاً أوْ ميلينِ يلتمسُ مَنْ يتغدَّىٰ معهُ(٣) ، وكانَ يكنىٰ أبا الضيفانِ(٤) ، ولصدقِ نيَّتِهِ فيهِ دامتْ ضيافتُهُ في مشهدِهِ إلىٰ يومِنا هـٰذا ، فلا تنقضي ليلةٌ إلا ويأكلُ عندَهُ جماعةٌ مِنْ بينِ ثلاثةٍ إلىٰ عشرةٍ إلىٰ مئةٍ ، وقالَ قوَّامُ الموضعِ : إنَّهُ لمْ يخلُ إلى الآنَ ليلةٌ عنْ ضيفٍ(٥) .

---

(١) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (١١/ ١٤٥) عن عمرو بن دينار ، وابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٣١) عن أبي المنهال مرسلاً .

(٢) رواه الطبراني في « الكبير » (١/ ٣٣١) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (١/ ٢٥٢).

(٣) رواه هناد في « الزهد » (٦٤٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٩١٧٣) .

(٤) رواه الدولابي في « الكنىٰ والأسماء » (١/ ٧٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٣٣٥).

(٥) حكاه مجير الدين الحنبلي في « الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » (١/ ٤٩) وفصل القول في ذلك ، قال الحافظ الزبيدي : (وقد اتفق لي أني لما وردت لزيارته . . =

وسئلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ما الإيمانُ ؟ فقالَ : « إطعامُ الطعامِ ، وبذلُ السلامِ »[1] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في الكفاراتِ والدرجاتِ : « إطعامُ الطعامِ ، والصلاةُ بالليلِ والناسُ نيامٌ »[2] .

وسئلَ عنِ الحجِّ المبرورِ فقالَ : « إطعامُ الطعامِ ، وطيبُ الكلامِ »[3] .

وقالَ أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ : (كلُّ بيتٍ لا يدخلُهُ ضيفٌ لا تدخلُهُ الملائكةُ)[4] .

* * *

= كان معي جماعة نحو الخمسة ، فلما فرغت من الزيارة . . إذا أنا بسماط ممدود وفيه من أنواع الأطعمة ، فتعجبت لكوني ما أعرف هناك أحداً ، فمن أين هٰذا ؟! فقال لي واحد : لا تتعجب ، هٰذه ضيافة الخليل عليه السلام ، وهي لكل قادم إلىٰ زيارته ، ثم إني كنت في ضيافته ثلاثة أيام في أرغد عيش صلى الله عليه وعلىٰ ولده وسلم) . « إتحاف » (٥/ ٢٣٩) .

[1] رواه البخاري (١٢) ، ومسلم (٣٩) بلفظ : أي الإسلام خير ؟ قال : « تطعم الطعام ، وتقرأ السلام علىٰ من عرفت ومن لم تعرف » .

[2] رواه الترمذي (٣٢٣٣) .

[3] رواه الحاكم في « المستدرك » (١/ ٤٨٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٥/ ٢٦٢) .

[4] أورده أبو حيان التوحيدي في « الإمتاع والمؤانسة » (ص٢٨٧) .

والأخبارُ الواردةُ في فضْلِ الضيافةِ والإطعامِ لا تحصىٰ ، فلنذكرْ آدابَها :

أمَّا الدَّعوةُ :

فينبغي للداعي أنْ يقصدَ بدعوتِهِ الأتقياءَ دونَ الفسَّاقِ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أكلَ طعامَكُمُ الأبرارُ » في دعائِهِ لمَنْ دعا لهُ(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تأكلْ إلا طعامَ تقيٍّ ، ولا يأكلْ طعامَكَ إلا تقيٌّ »(٢) .

ويقصدُ الفقراءَ دونَ الأغنياءِ على الخصوصِ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « شرُّ الطعامِ طعامُ الوليمةِ ؛ يُدعىٰ إليها الأغنياءُ دونَ الفقراءِ »(٣) .

وينبغي ألاَّ يهملَ أقاربَهُ في ضيافتِهِ ، فإنَّ إهمالَهُمْ إيحاشٌ وقطعُ رحمٍ ، وكذلكَ يراعي الترتيبَ في أصدقائِهِ ومعارفِهِ ، فإنَّ في تخصيصِ البعضِ إيحاشاً للباقينَ .

وينبغي ألاَّ يقصدَ بدعوتِهِ المباهاةَ والتفاخرَ ، بلِ استمالةَ قلوبِ الإخوانِ ، والتسنُّنَ بسنَّةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في إطعامِ الطعامِ ، وإدخالَ السرورِ علىٰ قلوبِ المؤمنينَ .

---

(١) رواه أبو داوود (٣٨٥٤) ، وابن ماجه (١٧٤٧) .

(٢) رواه أبو داوود (٤٨٣٢) ، والترمذي (٢٣٩٥) بلفظ : « لا تصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقي » .

(٣) رواه البخاري (٥١٧٧) ، ومسلم (١٤٣٢) .

وينبغي ألاَّ يدعوَ مَنْ يعلمُ أنَّهُ يشقُّ عليهِ الإجابةُ ، وإذا حضرَ . . تأذَّىٰ بالحاضرينَ بسببٍ مِنَ الأسبابِ .

وينبغي ألاَّ يدعوَ إلاَّ مَنْ يحبُّ إجابتَهُ ، قالَ سفيانُ الثوريُّ : (مَنْ دعا أحداً إلىٰ طعامٍ وهوَ يكرهُ الإجابةَ . . فعليهِ خطيئةٌ(١) ، فإنْ أجابَهُ المدعوُّ . . فعليهِ خطيئتانِ ؛ لأنَّهُ حملَهُ على الأكلِ معَ كراهةٍ ، ولوْ علمَ ذلكَ . . لما كانَ يأكلُهُ) .

وإطعامُ التقيِّ إعانةٌ لهُ على الطاعةِ ، وإطعامُ الفاسقِ تقويةٌ لهُ على الفسقِ ، قالَ رجلٌ خياطٌ لابنِ المباركِ : أنا أخيطُ ثيابَ السلاطينِ ، فهلْ يُخافُ أنْ أكونَ مِنْ أعوانِ الظلمةِ ؟ قالَ : لا ، إنَّما أعوانُ الظلمةِ مَنْ يبيعُ منكَ الخيطَ والإبرةَ ، أمَّا أنتَ . . فمِنَ الظلمةِ أنفسِهِم(٢) .

* * *

وأمَّا الإجابةُ :

فهيَ سنَّةٌ مؤكدةٌ ، وقدْ قيلَ بوجوبِها في بعضِ المواضعِ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لوْ دُعيتُ إلىٰ كُراعٍ . . لأجبتُ ، ولوْ أُهديَ إليَّ ذراعٌ . . لقبلتُ »(٣) .

---

(١) لأنه أظهر بلسانه خلاف ما في قلبه ، فتصنع بالكلام ، وهـٰذا من السمعة ، وداخل في محبة أن يحمد بما لم يفعل . « إتحاف » (٥/ ٢٤٠) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ١٩١) ، قاله تحذيراً من أن يقترب من الظلمة .

(٣) رواه البخاري (٢٥٦٨) .

وللإجابةِ خمسةُ آدابٍ :

الأوَّلُ : ألاَّ يميزَ الغنيَّ بالإجابةِ عنِ الفقيرِ ، فذلكَ هوَ التكبُّرُ المنهيُّ عنهُ ؛ ولأجلِ ذلكَ امتنعَ بعضُهُمْ عنْ أصلِ الإجابةِ وقالَ : (انتظارُ المرقةِ ذلٌّ) ، وقالَ آخرُ : (إذا وضعتُ يدي في قصعةِ غيري .. فقدْ ذلَّتْ لهُ رقبتي)⁽¹⁾ .

ومِنَ المتكبرينَ مَنْ يجيبُ الأغنياءَ دونَ الفقراءِ ، وهوَ خلافُ السنةِ ، كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يجيبُ دعوةَ العبدِ ودعوةَ المسكينِ⁽²⁾ .

ومرَّ الحسينُ بنُ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما بقومٍ مِنَ المساكينِ الذينَ يسألونَ الناسَ علىٰ قارعةِ الطريقِ وقدْ نشروا كِسَراً على الأرضِ في الرملِ وهمْ يأكلونَ ، وهوَ علىٰ بغلتِهِ ، فسلَّم عليهِمْ ، فقالوا لهُ : هلمَّ إلى الغداءِ يا بنَ بنتِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فقالَ : نعمْ ، إنَّ اللهَ لا يحبُّ المستكبرينَ ، فنزلَ وقعدَ معَهُمْ على الأرضِ وأكلَ ، ثمَّ سلَّمَ عليهِمْ وركبَ ، وقالَ : قدْ أجبتُكُمْ فأجيبوني ، قالوا : نعمْ ، فوعدَهُمْ وقتاً معلوماً ، فحضروا ، فقدَّمَ إليهِمْ فاخرَ الطعامِ ، وجلسَ يأكلُ معَهُمْ⁽³⁾ .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١٨٦) .

(٢) رواه الترمذي (١٠١٧) وليس فيه ذكر المسكين ، وهو مفهوم من عموم ما ورد في ذلك .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (١١٠) ، والطبراني في « مكارم الأخلاق » (١٧٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٤/ ١٨١) جميعهم عن =

وأمَّا قولُ القائلِ : (إنَّ مَنْ وضعتُ يدي في قصعتِهِ فقدْ ذلَّتْ لهُ رقبتي) . . فقدْ قالَ بعضُهُمْ : (هـٰذا خلافُ السنَّة)[1] ، وليسَ كذلكَ ؛ فإنَّهُ ذُلٌّ إذا كانَ الداعي لا يفرحُ بالإجابةِ ، ولا يتقلَّدُ بها مِنَّةً ، وكانَ يرىٰ ذلكَ يداً لهُ على المدعوِّ ، ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يحضرُ لعلمِهِ بأنَّ الداعيَ لهُ يتقلَّدُ منَّةً ، ويرىٰ ذلكَ شرفاً وذخراً لنفسِهِ في الدنيا والآخرةِ .

وهـٰذا يختلفُ باختلافِ الحالِ ، فمَنْ ظنَّ بهِ أنَّهُ يستثقلُ الإطعامَ ، وإنَّما يفعلُ ذلكَ مباهاةً أوْ تكلُّفاً . . فليسَ مِنَ السنَّةِ إجابتُهُ[2] ، بلِ الأولى التعلُّلُ ؛ ولذلكَ قالَ بعضُ الصوفيةِ : (لا تجبْ إلا دعوةَ مَنْ يرىٰ أنَّكَ أكلتَ رزقَكَ ، وأنَّهُ سلَّمَ إليكَ وديعةً كانتْ لكَ عندَهُ ، ويرىٰ لكَ الفضلَ عليهِ في قبولِ تلكَ الوديعةِ منهُ)[3] .

وقال سريٌّ السقطيُّ رحمَهُ اللهُ : (آهِ علىٰ لقمةٍ ليسَ عليَّ للهِ فيها تبعةٌ ، ولا لمخلوقٍ فيها منَّةٌ)[4] .

= سيدنا أبي عبد الله الحسين رضي الله تعالىٰ عنه ، وكذا في « القوت » (١٨٦) ، ووقع في النسخ : (الحسن) بدل (الحسين) .

[1] قوت القلوب (١٨٦/١) .

[2] روىٰ أبو داوود (٣٧٥٤) عن ابن عباس قال : (إن النبي صلى الله عليه وسلم نهىٰ عن طعام المتباريين أن يؤكل) ، وهما المتعارضان بفعلهما للمباهاة والرياء .

[3] قوت القلوب (١٨٦/٢) .

[4] رواه أبو نعيم في « الحلية » (١١٦/١٠) .

فإذا علمَ المدعوُّ أنَّهُ لا منَّةَ في ذلكَ . . فلا ينبغي أنْ يردَّ .

وقالَ أبو ترابٍ النخشبيُّ رحمةُ اللهِ عليهِ : (عُرِضَ عليَّ طعامٌ فامتنعتُ ، فابتليتُ بالجوعِ أربعةَ عشرَ يوماً ، فعلمتُ أنَّهُ عقوبتُهُ)⁽¹⁾ .

وقيلَ لمعروفٍ الكرخيِّ رضيَ اللهُ عنهُ : كُلُّ مَنْ دعاكَ تمرُّ إليهِ ؟ فقالَ : أنا ضيفٌ ، أنزلُ حيثُ أنزلوني⁽²⁾ .

* * *

الثاني : أنَّهُ لا ينبغي أنْ يمتنعَ عنِ الإجابةِ لبعدِ المسافةِ ، كما لا يمتنعُ لفقرِ الداعي وعدمِ جاهِهِ ، بلْ كلُّ مسافةٍ يمكنُ احتمالُها في العادةِ لا ينبغي أنْ يمتنعَ بسببِها .

يقالُ في التوراةِ أوْ بعضِ الكتبِ : (سِرْ ميلاً . . عدْ مريضاً ، سِرْ ميلينِ . . شيِّعْ جِنازةً ، سِرْ ثلاثةَ أميالٍ . . أجبْ دعوةً ، سِرْ أربعةَ أميالٍ . . زُرْ أخاً في اللهِ)⁽³⁾ ، وإنَّما قدَّمَ إجابةَ الدعوةِ والزيارةَ لأنَّ فيهِ قضاءَ حقِّ الحيِّ ، فهوَ أولىٰ مِنَ الميتِ .

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٢٤٤) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٩٨) .

(٢) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢/ ٣٨٠) ، فهٰذا مقام من شاهد الداعي الأول . « إتحاف » (٥/ ٢٤٣) .

(٣) كذا في « القوت » (٢/ ١٨٧) ، ورواه الديلمي في « مسند الفردوس » (٣٥٢٣) عن علي رضي الله عنه ، وروىٰ نحوه ابن عدي في « الكامل » (٥/ ١٧٩) مرفوعاً ، وورد منثوراً علىٰ لسان التابعين كذلك .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لوْ دعيتُ إلىٰ كُراعِ الغَمِيمِ . . لأجبتُ »(١) ، وهوَ موضعٌ علىٰ أميالٍ مِنَ المدينةِ(٢) ، أفطرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في رمضانَ لمَّا بلغَهُ(٣) ، وقصرَ عندَهُ في سفرِهِ(٤) .

* * *

الثالثُ : ألاَّ يمتنعَ لكونِهِ صائماً ، بلْ يحضرُ ، فإنْ كانَ يسرُّ أخاهُ إفطارُهُ . . فليفطرْ ، وليحتسبْ في إفطارِهِ بنيَّةِ إدخالِ السرورِ علىٰ قلبِ أخيهِ ما يحتسبُ في الصومِ وأفضلَ ، وذلكَ في صومِ التطوُّعِ ، وإنْ لمْ يتحقَّقْ سرورَ قلبِهِ . . فليصدقْهُ بالظاهرِ وليفطرْ ، وإنْ تحقَّقَ أنَّهُ متكلِّفٌ . . فليتعلَّلْ .

---

(١) كذا في « القوت » (٢/ ١٨٧) دون زيادة (الغميم) ، ولم نقف علىٰ هـٰذه الزيادة فيما بين أيدينا من المصادر .

قال الحافظ العراقي : ذكر الغميم فيه لا يعرف ، والمعروف : « لو دعيت إلىٰ كراع » كما تقدم قبله بثلاثة أحاديث ، ويرد هـٰذه الزيادة ما رواه الترمذي من حديث أنس : « لو أهدي إليَّ كراع . . لقبلت » .

وقد تبع المصنف صاحب « القوت » في هـٰذا السياق علىٰ عادته في هـٰذا الكتاب . انظر « الإتحاف » (٥/ ٢٤٣) .

(٢) وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال . انظر « معجم البلدان » (٤/ ٤٤٣) ، ونقل الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٥/ ٢٤٣) عن شيخه ابن الطيب الفاسي في « حاشيته على القاموس » : (صوابه : علىٰ ثلاثة أميال من مكة) .

(٣) رواه مسلم (١١١٤) وكان ذلك في عام الفتح .

(٤) كذا في « القوت » (٢/ ١٨٧) ، قال الحافظ العراقي : (لم أقف له علىٰ أصل) . انظر « الإتحاف » (٥/ ٢٤٣) .

وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَنِ امتنعَ بعذرِ الصومِ : « تكلَّفَ لكَ أخوكَ وتقولُ : إنِّي صائمٌ ؟! »(١) .

وقدْ قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (مِنْ أفضلِ الحسناتِ إكرامُ الجلساءِ بالإفطارِ)(٢) .

فالإفطارُ عبادةٌ بهٰذِهِ النيَّةِ وحسنُ خلقٍ ، فثوابُهُ فوقَ ثوابِ الصومِ ، ومهما لمْ يفطرْ . فضيافتُهُ الطيبُ والمِجْمَرةُ والحديثُ الطيِّبُ ، وقدْ قيلَ : الكحلُ والدهنُ أحدُ القَراءَينِ(٣) .

* * *

الرابعُ : أنْ يمتنعَ مِنَ الإجابةِ إنْ كانَ الطعامُ طعامَ شبهةٍ ، أوِ الموضعُ أوِ البساطُ المفروشُ منْ غيرِ حلالٍ ، أوْ كانَ يُقامُ في الموضعِ منكرٌ ؛ مِنْ فرشِ ديباجٍ ، أوْ إناءِ فضةٍ ، أوْ تصويرِ حيوانٍ علىٰ سقفٍ أوْ حائطٍ ، أوْ سماعِ شيءٍ مِنَ المزاميرِ والملاهي ، أوِ التشاغلِ بنوعٍ مِنَ اللهو والعزفِ والهزلِ

---

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » (٣٢٦٤) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٤/ ٢٧٩) ، وكان الداعي أبا سعيد الخدري رضي الله عنه ، ولفظه : « دعاكم أخوكم وتكلف لكم ، ثم قال له : أفطر وصم مكانه يوماً إن شئت » .

(٢) قوت القلوب (٢/ ١٨٦) ، ومن جملة إكرامهم مواساتهم وتأنيسهم بالمؤاكلة . « إتحاف » (٥/ ٢٤٣) .

(٣) **القَراء** : ما يقدم للضيف ، كالقِرىٰ ، وروى الترمذي (٨٠١) مرفوعاً : « تحفة الصائم الدهن والمجمر » ، قال في « القوت » (٢/ ١٨٩) : (يقال : الكحل والدهن أحد القِرَيين ، واللبن أحد اللحمين ، والفاكهة والحديث للضيف أحد الضيافتين) .

واللعبِ واستماعِ الغيبةِ والنميمةِ والزورِ والبهتانِ والكذبِ وشبهِ ذلكَ ؛ فكلُّ ذلكَ ممَّا يمنعُ الإجابةَ واستحبابَها ، ويوجبُ تحريمَها أوْ كراهيتَها ، وكذلكَ إذا كانَ الداعي ظالماً ، أوْ مبتدعاً ، أوْ فاسقاً ، أوْ شريراً ، أوْ متكلِّفاً طلباً للمباهاةِ والفخرِ .

* * *

الخامسُ : ألاَّ يقصدَ بالإجابةِ قضاءَ شهوةِ البطنِ ، فيكونَ عاملاً في أبوابِ الدنيا ، بلْ يحسنُ نيتَهُ ليصيرَ بالإجابةِ عاملاً للآخرةِ ، وذلكَ بأنْ تكونَ نيتُهُ الاقتداءَ بسنَّةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في قولِهِ : « لوْ دُعيتُ إلىٰ كُراعٍ . . لأجبتُ »[١] .

وينوي الحذرَ مِن معصيةِ اللهِ تعالىٰ ؛ لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ لمْ يجبِ الداعيَ . . فقدْ عصى اللهَ ورسولَهُ »[٢] .

وينوي إكرامَ أخيهِ المؤمنِ اتباعاً لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « منْ أكرمَ أخاهُ المؤمنَ . . فإنَّما أكرمَ اللهَ سبحانَهُ »[٣] .

---

(١) رواه البخاري (٥١٧٨) .

(٢) رواه البخاري (٥١٧٧) ، ومسلم (١٤٣٢) وتقدم بعضه قريباً .

(٣) رواه الطبراني في « الأوسط » (٨٦٤٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٥٧) ، والخطيب في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (١/ ٥٤٥) ، وهو قطعة من الحديث الآتي كذلك .

وينوي إدخالَ السرورِ علىٰ قلبِهِ امتثالاً لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « منْ سرَّ مؤمناً . . فقدْ سرَّ اللهَ تعالىٰ »(١) .

وينوي معَ ذلكَ زيارتَهُ ليكونَ مِنَ المتحابِّينَ في اللهِ عزَّ وجلَّ ؛ إذْ شرطَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيهِ التزاورَ والتباذلَ للهِ تعالىٰ ، وقدْ حصلَ البذلُ مِنْ أحدِ الجانبينِ ، فتحصلُ الزيارةُ مِنْ جانبِهِ أيضاً(٢) .

وينوي صيانةَ نفسِهِ عنْ أنْ يُساءَ بِهِ الظنُّ في امتناعِهِ ، ويطلقَ اللسانُ فيهِ ؛ بأنْ يحملَ علىٰ تكبُّرٍ أوْ سوءِ خلقٍ ، أوْ استحقارِ أخٍ مسلمٍ ، أوْ ما يجري مَجراهُ .

فهٰذِهِ ستُّ نيّاتٍ تلحقُ إجابتَهُ بالقرباتِ آحادُها ، فكيفَ مجموعُها ؟

وكانَ بعضُ السلفِ يقولُ : (أنا أحبُّ أنْ يكونَ لي في كلِّ عملٍ نيَّةٌ ، حتَّىٰ في الطعامِ والشرابِ)(٣) .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١٨٢) ، ورواه البيهقي في « الشعب » (٧٢٤٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٥٧) .

(٢) وهو ما رواه مالك في « الموطأ » (٢/ ٩٥٣) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً : « يقول الله تبارك وتعالىٰ : وجبت محبتي للمتحابين فيَّ ، والمتجالسين فيَّ ، والمتزاورين فيَّ ، والمتباذلين فيَّ » ، وهو عند مسلم (٢٥٦٦) من حديث أبي هريرة بلفظ : « إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي ؟ اليوم أظلهم في ظلّي يوم لا ظل إلا ظلي » .

(٣) قوت القلوب (٢/ ١٧٨) بنحوه .

وفي مثلِ هـٰذا قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّما الأعمالُ بالنيَّاتِ ، وإنَّما لكلِّ امرىءٍ ما نوىٰ ، فمَنْ كانتْ هجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ . . فهجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ ، ومَنْ كانتْ هجرتُهُ إلىٰ دنيا يصيبُها ، أوِ امرأةٍ يتزوَّجُها . . فهجرتُهُ إلىٰ ما هاجرَ إليهِ »[1] .

والنيَّةُ إنَّما تؤثِّرُ في المباحاتِ والطاعاتِ ، أمَّا المنهياتُ . . فلا ؛ فإنَّهُ لوْ نوىٰ أنْ يسرَّ إخوانهُ بمساعدتِهِمْ علىٰ شربِ الخمرِ أوْ حرامٍ آخرَ . . لمْ تنفعِ النيَّةُ ، ولمْ يجزْ أنْ يقالَ : الأعمالُ بالنيَّاتِ ، بلْ لوْ قصدَ بالغزوِ الذي هوَ طاعةٌ المباهاةَ وطلبَ المالِ . . انصرفَ عنْ جهةِ الطاعةِ ، وكذلكَ المباحُ المردَّدُ بينَ وجوهِ الخيراتِ وغيرِها ، يلتحقُ بوجوه الخيراتِ بالنيَّةِ ، فتؤثِّرُ النيَّةُ في هـٰذينِ القسمينِ ، لا في القسمِ الثالثِ .

* * *

وأمَّا الحضورُ :

فأدبُهُ أنْ يدخلَ الدارَ ، ولا يتصدَّرَ فيأخذَ أحسنَ الأماكنِ ، بلْ يتواضعُ .

ولا يطوِّلُ الانتظارَ عليهِمْ ، ولا يعجَلُ بحيثُ يفاجئُهُمْ قبلَ تمامِ الاستعدادِ[2] ، ولا يضيِّقَ المكانَ على الحاضرينَ بالزحمةِ ، بلْ إنْ أشارَ إليهِ

---

(١) رواه البخاري (١ ، ٥٤) ، ومسلم (١٩٠٧) .

(٢) إلا إن علم من حال الداعي أنه يفرح بمجيئه قبل تمام الاستعداد ليستأنس به . . فلا =

صاحبُ الدارِ بموضعٍ.. لا يخالفُهُ ألبتةَ ؛ فإنَّهُ قدْ يكونُ رتَّبَ في نفسِهِ موضعَ كلِّ واحدٍ ، فمخالفتُهُ تشوِّشُ عليهِ .

وإنْ أشارَ إليهِ بعضُ الضيفانِ بالارتفاعِ إكراماً.. فليتواضعْ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ مِنَ التواضعِ للهِ تعالى الرضا بالدونِ مِنَ المجلسِ »⁽¹⁾ .

ولا ينبغي أنْ يجلسَ في مقابلةِ بابِ حجرةِ النساءِ وسترِهِمْ ، ولا يكثرُ النظرَ إلى الموضعِ الذي يخرجُ منهُ الطعامُ ؛ فإنَّهُ دليلٌ على الشرهِ ، ويخصُّ بالتحيةِ والسؤالِ مَنْ يقربُ منهُ إذا جلسَ .

وإذا دخلَ ضيفٌ للمبيتِ.. فليعرِّفْهُ صاحبُ الدارِ عندَ الدخولِ القبلةَ وبيتَ الماءِ وموضعَ الوضوءِ ؛ كذلكَ فعلَ مالكٌ بالشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُما ، وغسلَ مالكٌ يدَهُ قبلَ الطعامِ قبلَ القومِ وقالَ : (الغسلُ قبلَ الطعامِ لربِّ البيتِ أولاً)⁽²⁾ ؛ لأنَّهُ يدعو الناسَ إلىٰ كرمِهِ ، فحكمُهُ أنْ يتقدَّمَ

= بأس ، أو كان بالمدعو عذر لو تأخر.. كان سبباً لعدم حضوره . « إتحاف » (٥/ ٢٤٧) .

(١) رواه الطبراني في « الكبير » (١/ ١١٤) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (١/ ١٠٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٨٨٩) ولفظه : « إن من التواضع لله الرضا بالدون من شرف المجالس » .

(٢) الخبر بتفصيله أورده ابن حجة الحموي في « ثمرات الأوراق » (ص ٨٦) .

بالغسلِ ، وفي آخرِ الطعامِ يتأخَّرُ بالغسلِ ؛ لينتظرَ أنْ يدخلَ مَنْ يأكلُ ، فيأكلَ معهُ .

وإذا دخلَ فرأىٰ منكراً . . غيَّرَهُ إنْ قدرَ ، وإلاَّ . . أنكرَ بلسانِهِ وانصرفَ .

والمنكرُ : فرشُ الديباجِ ، واستعمالُ أواني الفضَّةِ والذهبِ ، والتصويرُ على الحيطانِ ، وسماعُ الملاهي والمزاميرِ ، وحضورُ النسوةِ المتكشِّفاتِ الوجوهَ(١) ، وغيرُ ذلكَ مِنَ المحرَّماتِ ، حتَّىٰ قال أحمدُ رحمَهُ اللهُ : (إذا رأىٰ مُكْحُلةً رأسُها مفضَّضٌ . . ينبغي أنْ يخرجَ) ، ولمْ يأذنْ في الجلوسِ إلا في ضبَّةٍ(٢) .

وقالَ : (إذا رأىٰ كِلَّةً . . فينبغي أنْ يخرجَ ، فإنَّ ذلكَ تكلُّفٌ لا فائدةَ فيهِ ، ولا تدفعُ حرّاً ولا برْداً ، ولا تسترُ شيئاً)(٣) .

وكذلكَ قالَ : (يخرجُ إذا رأىٰ حيطانَ البيتِ مستورةً بالديباجِ كما تُسترُ الكعبةُ)(٤) .

---

(١) ويفهم منه أنهن إن حضرن مستترات لغرض من الأغراض الشرعية . . فلا بأس بذلك إذا أمنوا علىٰ أنفسهم من الافتتان . « إتحاف » (٥/ ٢٤٩) .

(٢) كذا في « الورع » (ص١٣٧) كما رواه عنه ولده .

(٣) الورع (ص١٣٧) ، **والكِلَّة** : ستر رقيق يمنع دخول البعوض ونحوه ، وسيفصل القول فيها .

(٤) الورع (ص١٣٨) .

وقالَ : (إذا اكترىٰ بيتاً فيهِ صورةٌ ، أوْ دخلَ الحمَّامَ ورأىٰ صورةً . . فينبغي أنْ يحكَّها ، فإنْ لمْ يقدِرْ . . خرجَ)[1] .

وكلُّ ما ذكرَهُ صحيحٌ ، وإنَّما النظرُ في الكِلَّةِ وتزيينِ الحيطانِ بالديباجِ ، فإنَّ ذلكَ لا ينتهي إلى التحريمِ ، إذِ الحريرُ محرَّمٌ على الرجالِ ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « هـٰذانِ حرامٌ علىٰ ذكورِ أمَّتي ، حِلٌّ لإناثِها »[2] ، وما على الحائطِ ليسَ منسوباً إلى الذكورِ ، ولوْ حرمَ هـٰذا . . لحرمَ تزيينُ الكعبةِ ، بلِ الأولىٰ إباحتُهُ لموجَبِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ﴾ ، لا سيما في وقتِ الزينةِ إذا لمْ يتخذْهُ عادةً للتفاخرِ .

وإنْ تُخيِّلَ أنَّ الرجالَ ينتفعونَ بالنظرِ إليهِ . . فلا يحرمُ على الرجالِ الانتفاعُ بالنظرِ إلى الديباجِ مهما لبسَهُ الجواري والنساءُ ، والحيطانُ في معنى النساءِ ؛ إذْ لسْنَ موصوفاتٍ بالذكورةِ .

* * *

وأمَّا إحضارُ الطعامِ . . فلهُ آدابٌ خمسةٌ :

الأوَّلُ : تعجيلُ الطعامِ : فذلكَ مِنْ إكرامِ الضيفِ ، وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ . . فليكرمْ ضيفَهُ »[3] .

---

(١) الورع (ص١٣٨) ، وكلها عند صاحب « القوت » (٢/ ١٩٠) وبلفظ المصنف هنا .

(٢) رواه أبو داوود (٤٠٥٧) ، والنسائي (٨/ ١٦٠) ، وابن ماجه (٣٥٩٥) .

(٣) رواه البخاري (٦٠١٨) ، ومسلم (٤٧) .

ومهما حضرَ الأكثرونَ وغابَ واحدٌ أوِ اثنانِ وتأخَّروا عنِ الوقتِ الموعودِ . . فحقُّ الحاضرينَ في التعجيلِ أَولىٰ مِنْ حقِّ أولئكَ في التأخيرِ ، إلاَّ أنْ يكونَ المتأخِّرُ فقيراً وينكسرُ قلبُهُ بذلكَ ، فلا بأسَ بالتأخيرِ(١) .

وأحدُ المعنيينِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ أنَّهُمْ أُكرِموا بتعجيلِ الطعامِ إليهِمْ ، دلَّ عليهِ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴾ ، وقولُهُ : ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴾ ، والروغانُ : الذهابُ بسرعةٍ ، وقيلَ : في خفيةٍ ، وقيلَ : جاءَ بفخذٍ مِن لحمٍ ، وإنَّما سُمِّيَ عجلاً لأنَّهُ عجَّلهُ ولمْ يلبثْ(٢) .

قالَ حاتمٌ الأصمُّ رحمهُ اللهُ : (العجلةُ مِنَ الشيطانِ إلا في خمسةٍ ، فإنَّها مِنْ سنَّةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : إطعامُ الضيفِ ، وتجهيزُ الميِّتِ ، وتزويجُ البكرِ ، وقضاءُ الدينِ ، والتوبةُ مِنَ الذنبِ)(٣) .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١٩٠) بنحوه .

(٢) مجموع الأقوال في « القوت » (٢/ ١٨٠) ، **والحنيذ** : المشوي بالحجارة المسخَّنة ، والذي يقطر ماؤه بعد الشيِّ ، وسيأتي بيانه ، **والمعنى الثاني** : هو خدمته عليه السلام مع زوجه سارة لأضيافه بنفسهما . انظر « تفسير الطبري » (١٣/ ٢٦/ ٢٥٤) ، وسيحكي المصنف المعنى الثاني قريباً أنه في تقديم اللحم علىٰ غيره من الطعام .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٧٨) ، وكونها من سنته صلى الله عليه وسلم متوازع في السنة لمن تأمَّله ، وقد جمعها حاتم رحمه الله تعالىٰ بقوله هـٰذا لا علىٰ سبيل الحصر ، ومنها ما رواه الترمذي (١٧١) مرفوعاً : « يا عليُّ ؛ ثلاث لا تؤخرها : الصلاة إذا آنتْ ، والجنازة إذا حضرت ، والأيِّم إذا وجدتَ لها كفئاً » .

ويُستحبُّ التعجيلُ في الوليمةِ ، فقد قيلَ : (الوليمةُ في أوَّلِ يومٍ سنَّةٌ ، وفي الثاني معروفٌ ، وفي الثالثِ رياءٌ)(١) .

* * *

الثاني : ترتيبُ الأطعمةِ : بتقديمِ الفاكهةِ أوّلاً إنْ كانتْ ، فذلكَ أوفقُ في الطبِّ ؛ فإنَّها أسرعُ استحالةً ، فينبغي أنْ تقعَ في أسفلِ المعدةِ ، وفي القرآنِ تنبيهٌ علىٰ تقديمِ الفاكهةِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ ، ثمَّ قالَ : ﴿ وَلَحۡمِ طَيۡرٍ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴾ .

ثمَّ أفضلُ ما يقدَّمُ بعدَ الفاكهةِ اللحمُ والثريدُ ؛ فقدْ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « فضلُ عائشةَ على النساءِ كفضلِ الثريدِ علىٰ سائرِ الطعامِ »(٢) .

فإنْ جمعَ إليهِ حلاوةً بعدَهُ . . فقدْ جمعَ الطيِّباتِ ، ودلَّ علىٰ حصولِ الإكرامِ باللحمِ قولُهُ تعالىٰ في ضيفِ إبراهيمَ عليهِ السلامُ إذْ أحضرَ العجلَ الحنيذَ ؛ أيِ : المحنوذَ ، وهوَ الذي أُجيدَ نضجُهُ ، وهوَ أحدُ معنيي الإكرامِ ؛ أعني : تقديمَ اللحمِ .

---

(١) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (١٠/ ٤٤٧) عن الحسن مرسلاً ، وهو عند ابن ماجه (١٩١٥) عن أبي هريرة مرفوعاً ، **والوليمة** : طعام العرس ، وإن لم يمكنه جمع الكل في يوم أو يومين ، فدعا جماعة في أول يوم ، وآخرين في ثاني يوم ، وآخرين في ثالث يوم . . فلا يكون رياء ، بل أصاب فيما صنع . « إتحاف » (٥/ ٢٥٢) .

(٢) رواه البخاري (٣٤٣٤) ، ومسلم (٢٤٤٦) .

وقالَ تعالىٰ في وصفِ الطيباتِ : ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ المنُّ : العسلُ ، والسلوىٰ : اللحمُ ، سُمِّيَ سلوىٰ لأنَّهُ يُتسلَّىٰ بهِ عنْ جميعِ الإدامِ ، ولا يقومُ غيرُهُ مقامَهُ ؛ ولذلكَ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « سيِّدُ الإدامِ اللحمُ »(١) .

ثمَّ قالَ تعالىٰ بعدَ ذكرِ المنِّ والسلوىٰ : ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ فاللحمُ والحلاوةُ مِنَ الطيِّباتِ ، قالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (أكلُ الطيِّباتِ يورثُ الرضا عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ)(٢) .

وتتمُّ هٰذهِ الطيِّباتُ بشرْبِ الماءِ البارِدِ ، وصبِّ الماءِ الفاترِ على اليدِ عندَ الغسلِ ، قالَ المأمونُ : (شربُ الماءِ بثلْجٍ يخلصُ الشكرَ للهِ تعالىٰ)(٣) .

وقالَ بعضُ الأدباءِ : (إذا دعوتَ إخوانَكَ وأطعْمتَهُمْ حِصْرِمِيَّة

---

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » (٧٤٧٣) ، وتمام في « فوائده » (٩٧١) من حديث بريدة ، ورواه ابن عدي في « الكامل » (٧/ ١٠٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٥٠٨ ، ٥٥١٠) من حديث أنس وبريدة رضي الله عنهما ، وتسمية اللحم بالسلوىٰ حكاه في « القوت » (٢/ ١٨٠) ، وعن الفارسي : **السلوىٰ** : كل ما سلاك ، وهو مؤيد لقوله ، والمشهور أنه طائر كالسُّمَانَىٰ ، يشبه الحمام ، وهو لحم كذلك .

(٢) قوت القلوب (٢/ ١٧٩) ، وهٰذا لمن يملك نفسه قبل أن تملكه ، فلا يخشى انقلاب الطيبات شهوات ، فمثله إذا أكل منها . . أعطاها مقامها من الشكر والرضا . « إتحاف » (٥/ ٢٥٥) .

(٣) قوت القلوب (٢/ ١٧٩) .

وبُورانِيَّةً ، وسقيتَهُمْ ماءً بارداً . . فقدْ أكملتَ الضيافةَ)[١] .

وأنفقَ بعضُهُمْ دراهمَ كثيرةً في ضيافةٍ ، فقالَ بعضُ الحكماءِ : (لمْ تكنْ تحتاجُ إلىٰ هٰذا ، إذا كانَ خبزُكَ جيداً ، وماؤكَ بارداً وخلُّكَ حامِضاً . . فهوَ كفايةٌ)[٢] .

وقالَ بعضُهُمْ : (الحلاوةُ بعدَ الطعامِ خيرٌ مِنْ كثرةِ الألوانِ ، والتمكُّنُ على المائدةِ خيرٌ مِنْ زيادةِ لونينِ)[٣] .

ويُقالُ : إنَّ الملائكةَ تحضرُ المائدةَ إذا كانَ عليها بقْلٌ ، فذلكَ أيضاً مستحبٌّ ، ولما فيهِ مِنَ التزيُّنِ بالخضرةِ ، وفي الخبرِ : إنَّ المائدةَ التي أنزلتْ علىٰ بني إسرائيلَ كانَ عليها كلُّ البقولِ إلا الكرَّاثَ ، وكانَ عليها سمكةٌ عندَ رأسِها خلٌّ ، وعندَ ذنبِها ملْحٌ ، وسبعةُ أرغفةٍ ، علىٰ كلِّ رغيفٍ زيتونٌ وحبُّ رمَّانٍ ، فهٰذا إذا جُمِعَ . . حسنَ للموافقةِ[٤] .

* * *

---

[١] قوت القلوب (٢/ ١٧٩) ، **والحصرمية** : نوع من الطعام يعمل بالحصرم ، وهو أول العنب ، **والبورانية** : طعام ينسب إلىٰ بُوران بنت الحسن بن سهل وزير المأمون . « إتحاف » (٥/ ٢٥٥) .

[٢] قوت القلوب (٢/ ١٧٩) .

[٣] قوت القلوب (٢/ ١٧٩) .

[٤] خبر السمكة رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٧٠٢٩) ، وأبو الشيخ في « العظمة » (٩٩٩) .

الثالثُ : أنْ يقدِّمَ مِنَ الألوانِ ألطفَها : حتَّىٰ يستوفيَ منها منْ يريدُ ، فلا يكثرُ الأكلَ بعدهُ ، وعادةُ المترفِّهينَ تقديمُ الغليظِ ؛ ليستأنفَ حركةَ الشهوةِ بمصادفةِ اللطيفِ بعدَهُ ، وهوَ خلافُ السنَّةِ ؛ فإنه حيلةٌ في استكثارِ الأكلِ⁽¹⁾ .

وكانَ مِنْ سنَّةِ المتقدِّمينَ أنْ يقدِّموا جملةَ الألوانِ دفعةً واحدةً ، ويصفُّوا القِصاعَ مِنَ الطعامِ على المائدةِ ؛ ليأكلَ كلٌّ واحدٍ ممَّا يشتهي ، وإنْ لمْ يكنْ عندَهُ إلاَّ لونٌ واحدٌ . . ذكرَهُ ليستوفوا منهُ ، ولا ينتظروا أطيبَ منهُ .

ويُحكىٰ عنْ بعضِ أصحابِ المروءاتِ أنَّهُ كانَ يكتبُ نسخةً بما يستحضرهُ مِنَ الألوانِ ويعرضُ على الضيفانِ .

وقالَ بعضُ الشيوخُ : قدَّمَ إليَّ بعضُ المشايخِ لوناً بالشامِ ، فقلتُ : عندَنا بالعراقِ إنَّما يقدَّمُ هـٰذا آخراً ! فقالَ : وكذا عندَنا بالشامِ ، ولمْ يكنْ لهُ لونٌ غيرَهُ ، فخجلتُ منه⁽²⁾ .

وقالَ آخرُ : كنَّا جماعةً في ضيافةٍ ، فقُدِّمَ إلينا ألوانٌ مِنَ الرؤوسِ المشويةِ طبيخاً وقديداً ، فكنَّا لا نأكلُ ننتظرُ بعدَها لوناً أوْ حَمَلاً ، فجاءَنا بالطستِ ، ولمْ يقدِّمْ غيرَها ، فنظرَ بعضُنا إلىٰ بعضٍ ، فقالَ بعضُ الشيوخِ وكانَ مزَّاحاً :

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١٧٥) بمعناه .

(٢) قوت القلوب (٢/ ١٨٣) .

إنَّ اللهَ تعالىٰ يقدرُ أنْ يخلقَ رؤوساً بلا أبدانٍ ، قالَ : وبتنا تلكَ الليلةَ جياعاً نطلبُ فتيتاً إلى السحورِ(١) .

فلهـٰذا يُستحبُّ أن يُقدِّمَ الجميعَ ، أوْ يُخبرَ بما عندَهُ .

* * *

الرابعُ : ألاَّ يبادرَ إلىٰ رفعِ الألوانِ : بلْ يمكِّنُهُمْ مِنَ الاستيفاءِ حتَّىٰ يرفعوا الأيديَ عنها ، فلعلَّ فيهِمْ مَنْ يكونُ بقيةُ ذلكَ اللونِ أشهىٰ عندَهُ ممَّا سيحضرُهُ ، أوْ بقيَتْ فيهِ حاجةٌ إلى الأكلِ ، فيتنغَّصُ عليهِ بالمبادرةِ ، وهو مِنَ التمكُّنِ على المائدةِ الذي يُقالُ : إنَّهُ خيرٌ منْ لونينِ ، فيُحتملُ أنْ يكونَ المرادُ بهِ قطعَ الاستعجالِ ، ويُحتملُ أنْ يُرادَ بهِ سعةُ المكانِ .

حُكِيَ عن السُّتوريِّ وكانَ صوفياً مزَّاحاً ، فحضرَ عندَ واحدٍ مِنْ أبناءِ الدنيا علىٰ مائدةٍ ، فقدَّمَ إليهِمْ حَمَلاً ، وكانَ في صاحبِ المائدةِ بخلٌ ، فلمَّا رأى القومَ مزَّقوا الحملَ كلَّ ممزَّقٍ .. ضاقَ صدرُهُ وقالَ : يا غلامُ ؛ ارفعْ إلى الصبيانِ ، فرُفِعَ الحملُ إلىٰ داخلِ الدارِ ، فقامَ السُّتوريُّ يعدو خلْفَ الحَمَلِ ، فقيلَ لهُ : إلىٰ أينَ ؟ فقالَ : آكلُ معَ الصبيانِ ، فاستحيا الرجلُ وأمرَ بردِّ الحمَلِ(٢) .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١٨٣) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ١٨٤) .

ومِنْ هـٰذا الفنِّ : ألاَّ يرفعَ صاحبُ المائدةِ يدَهُ قبلَ القومِ ؛ لأنَّهُمْ يستحيونَ ، بلْ ينبغي أنْ يكونَ آخرَهُمْ أكلاً .

كانَ بعضُ الكرامِ يخبرُ القومَ بجميعِ الألوانِ ، ويتركُهُمْ يستوفونَ ، فإذا قاربوا الفراغَ . . جثا علىٰ ركبتيهِ ، ومدَّ يدَهُ إلى الطعامِ وأكلَ وقالَ : باسمِ اللهِ ، ساعدوني باركَ اللهُ فيكُمْ وعليكُمْ ، وكانَ السلفُ يستحسنونَ ذلكَ منهُ⁽¹⁾ .

* * *

الخامسُ : **أنْ يقدِّمَ مِنَ الطعامِ قدْرَ الكفايةِ** : فإنَّ التقليلَ عنِ الكفايةِ نقصٌ في المروءةِ ، والزيادةَ عليهِ تصنُّعٌ ومراءاةٌ ، لا سيما إذا كانَتْ لا تسمحُ نفسُهُ بأنْ يأكلوا الكلَّ ، إلا أنْ يقدِّمَ الكثيرَ وهوَ طيِّبُ النفسِ لوْ أخذوا الجميعَ ، ونوىٰ أنْ يتبرَّكَ بفضلةِ طعامِهِمْ ؛ إذْ في الحديثِ : أنَّه لا يحاسبُ عليهِ⁽²⁾ .

أحضرَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ طعاماً كثيراً علىٰ مائدتِهِ ، فقالَ لهُ سفيانُ رحمَهُما اللهُ : يا أبا إسحاقَ ؛ أما تخافُ أنْ يكونَ هـٰذا سرفاً ؟ فقالَ إبراهيمُ : ليسَ في الطعامِ سرفٌ⁽³⁾ .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١٨١) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ١٨٢) .

(٣) قوت القلوب (٢/ ١٧٧ ، ١٨٠) .

فإنْ لمْ تكنْ هٰذهِ النيَّةُ ، فالتكثيرُ تكلُّفٌ ، قالَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (نُهينا أنْ نجيبَ دعوةَ مَنْ يباهي بطعامِهِ)(١) .

وكرِهَ جماعةٌ مِنَ الصحابةِ أكلَ طعامِ المباهاةِ ، ولهٰذا كانَ لا يُرفعُ مِنْ بينِ يدي رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فضلةُ طعامٍ قطُّ(٢) ؛ لأنَّهُمْ كانوا لا يقدِّمونَ إلا قدْرَ الحاجةِ ، ولا يأكلونَ تمامَ الشبعِ .

وينبغي أنْ يعزلَ أوَّلاً نصيبَ أهلِ البيتِ حتَّىٰ لا تكونَ أعينُهُمْ طامحةً إلىٰ رجوعِ شيءٍ منهُ ، فلعلَّهُ لا يرجعُ ، فتضيقُ صدورُهُمْ ، وتنطلقُ في الضيفانِ ألسنتُهُمْ ، ويكونُ قدْ أطعمَ الضيفانَ ما يتبعُهُ كراهيةُ قومٍ ، وذلكَ خيانةٌ في حقِّهِمْ .

وما بقيَ مِنَ الأطعمةِ فليسَ للضيفانِ أخذُهُ ، وهوَ الذي تسمِّيهِ الصوفيَّةُ الزَّلَّةَ(٣) ، إلا إذا صرَّحَ صاحبُ الطعامِ بالإذنِ فيهِ عنْ قلبٍ راضٍ ، أوْ عُلِمَ ذلكَ بقرينةِ حالِهِ ، وأنَّهُ يفرحُ بهِ .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١٨٢) .

(٢) رواه ابن سعد في « طبقاته » (١/ ٣٥١) عن أنس رضي الله عنه قال : (ما رُفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء قط ، ولا حملت معه طِنفسة يجلس عليها) ، وعند ابن ماجه (٣٣١٠) عنه قال : (ما رفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضْل شواء قط ، ولا حملت معه طنفسة) ، وعند الترمذي (٢٣٥٩) عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : (ما كان يفضل عن أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم خبز شعير) .

(٣) **الزَّلَّة** : اسم لما تحمل من مائدة صديقك أو قريبك ، لغة عراقية أو عامية .

فإنْ كانَ يُظَنُّ كراهيتُهُ . . فلا ينبغي أنْ يُؤخَذَ ، وإذا عُلِمَ رضاهُ . . فينبغي مراعاةُ العدْلِ والنصفةِ معَ الرفقاءِ ، فلا ينبغي أنْ يأخذَ الواحدُ إلا ما يخصُّهُ ، أوْ ما يرضىٰ بهِ رفيقُهُ عنْ طوعٍ ، لا عنْ حياءٍ .

* * *

وأمّا الانصرافُ . . فلهُ آدابٌ ثلاثةٌ :

الأول : أنْ يخرجَ معَ الضيفِ إلىٰ بابِ الدارِ : فهوَ سنةٌ ، وذلكَ من إكرامِ الضيفِ وقدْ أُمِرَ بإكرامِهِ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ . . فليكرمْ ضيفَهُ »(١) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إنَّ مِنْ سنَّةِ الضيفِ أنْ يُشيَّعَ إلىٰ بابِ الدارِ »(٢) .

قالَ أبو قتادةَ : قدمَ وفدُ النجاشيِّ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقامَ يخدمُهُمْ بنفسِهِ ، فقالَ لهُ أصحابُهُ : نحنُ نكفيكَ يا رسولَ اللهِ ، فقالَ : « إنَّهُمْ كانوا لأصحابي مكرمينَ ، وأنا أحبُّ أنْ أكافئَهُمْ »(٣) .

وتمامُ الإكرامِ طلاقةُ الوجهِ ، وطيبُ الحديثِ عندَ الدخولِ والخروجِ

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٨) ، ومسلم (٤٧) .

(٢) رواه ابن ماجه (٣٣٥٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٢٠٢) .

(٣) رواه البيهقي في « الشعب » (٨٧٠٣) ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » (٩١٥) .

وعلى المائدةِ ، قيلَ للأوزاعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ : ما كرامةُ الضيفِ ؟ قالَ : طلاقةُ الوجهِ ، وطيبُ الحديثِ(١) .

وقالَ يزيدُ بنُ أبي زيادٍ : (ما دخلتُ علىٰ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ أبي ليلىٰ إلاَّ حدَّثنا حديثاً حسناً ، وأطعمَنا طعاماً حسناً)(٢) .

* * *

الثاني : أنْ ينصرفَ الضيفُ طيِّبَ النفسِ وإنْ جرىٰ في حقِّهِ تقصيرٌ : فذلكَ مِن حُسْنِ الخلقِ والتواضعِ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ الرجلَ ليدركُ بحسْنِ خلقِهِ درجةَ الصائمِ القائمِ »(٣) .

ودُعِيَ بعضُ السلفِ برسولٍ ، فلمْ يصادفْهُ الرسولُ ، فلمَّا سمعَ .. حضرَ ، وكانوا قدْ تفرَّقوا وفرغوا ، فخرجَ إليهِ صاحبُ المنزلِ وقالَ : قدْ خرجَ القومُ ، قالَ : هَل بقيَ بقيةٌ ؟ قالَ : لا ، قالَ : فكِسرةٌ إنْ بقيتْ ، قالَ : لمْ تبقَ ، قالَ : فالقدورَ أمسحُها ، قالَ : قدْ غسلناها ، فانصرفَ

---

(١) رواه ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص٢٦١) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٣٠٤) ، وفي رجز للشماخ رضي الله عنه كما في « ديوانه » (ص٤٦٦) :

وربَّ ضيفٍ طرقَ الحيَّ سُرَىٰ صادفَ زاداً وحديثاً ما اشتهىٰ
إنَّ الحديثَ طرفٌ مِنَ القِرَىٰ

(٣) رواه أبو داوود (٤٧٩٨) ، وأحمد في « المسند » (٦/١٣٣) .

يحمدُ اللهَ تعالىٰ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : قدْ أحسنَ الرجلُ ، دعانا بنيَّةٍ وردَّنا بنيَّةٍ(١) .

فهٰذا هوَ معنى التواضعِ وحسنِ الخلقِ .

وحُكِيَ أنَّ أستاذَ أبي القاسمِ الجنيدِ دعاهُ صبيٌّ إلىٰ دعوةِ أبيهِ أربعَ مرَّاتٍ(٢) ، فردَّهُ الأبُ في المرَّاتِ الأربعِ وهوَ يرجعُ في كلِّ مرَّةٍ تطييباً لقلْبِ الصبيِّ في الحضورِ ، ولقلبِ الأبِ في الانصرافِ(٣) .

فهٰذهِ نفوسٌ قدْ ذُلِّلَتْ بالتواضعِ للهِ تعالىٰ ، واطمأنَّتْ بالتوحيدِ ، وصارتْ تشاهدُ في كلِّ ردٍّ وقبولٍ عبرةً فيما بينَها وبينَ ربِّها ، فلا تنكسرُ بما يجري مِنَ العبادِ مِنَ الإذلالِ ، كما لا تستبشرُ بما يجري منهُمْ مِنَ الإكرامِ ، بلْ يرونَ الكلَّ مِنَ الواحدِ القهَّارِ ، ولذلكَ قالَ بعضُهُمْ : (أنا لا أجيبُ الدعوةَ إلاَّ لأنِّي أتذكَّرُ بهَا طعامَ الجنَّةِ) ؛ أيْ : هوَ طعامٌ طيِّبٌ يُحملُ عنَّا كدُّهُ ومؤنتُهُ وحسابُهُ(٤) .

* * *

الثالثُ : ألاَّ يخرجَ إلا برضا صاحبِ المنزلِ وإذْنِهِ : ويراعي قلبَهُ في قدْرِ

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١٨٥) .

(٢) في دعوة واحدة ، لا في دعوات متفرقات .

(٣) قوت القلوب (٢/ ١٨٥) ، وأستاذ الجنيد هو أبو جعفر بن الكرنبي كما في « تاريخ بغداد » (١٤/ ٤١٥) .

(٤) قوت القلوب (٢/ ١٨٦) بنحوه .

الإقامةِ ، وإذا نزلَ ضيفاً . . فلا يزيدُ علىٰ ثلاثةِ أيامٍ ، فربَّما يتبرَّمُ بهِ ويحتاجُ إلىٰ إخراجهِ ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « الضيافةُ ثلاثةُ أيامٍ ، فما زادَ فصدقةٌ »⁽¹⁾ .

نعمْ ، لوْ ألحَّ ربُّ البيتِ عليهِ عنْ خلوصِ قلبٍ . . فلهُ المقامُ إذْ ذاكَ .

ويُستحبُّ أنْ يكونَ عندهُ فراشٌ للضيفِ النازلِ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « فراشٌ للرجلِ ، وفراشٌ للمرأةِ ، وفراشٌ للضيفِ ، والرابعُ للشيطانِ »⁽²⁾ .

* * *

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٩) ، ومسلم في اللقطة ، باب الضيافة ونحوها (٤٨) .

(٢) رواه مسلم (٢٠٨٤) ، والعبرة في وصف الفراش لعرف البلاد .

فَصْلٌ
يجمع آداباً ومناهي طبيّةً وشرعيّةً متفرّقةً

الأوّلُ : حُكِيَ عنْ إبراهيمَ النخعيِّ أنَّهُ قالَ : (الأكلُ في السوقِ دناءةٌ) ، وأسندَ هـٰذا إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وإسنادُهُ غريبٌ[1] ، وقدْ نقلَ علىٰ ضدِّهِ عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما أنَّهُ قالَ : (كنَّا نأكلُ علىٰ عهدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ونحنُ نمشي ، ونشربُ ونحنُ قيامٌ)[2] .

ورُئِيَ بعضُ مشايخِ الصوفيةِ المعروفينَ يأكلُ في السوقِ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : ويحَكَ ، أجوعُ في السوقِ وآكلُ في البيتِ ؟! فقيلَ : تدخلُ المسجدَ ، فقالَ : أستحيي منهُ أنْ أدخلَ بيتَهُ للأكلِ فيهِ[3] .

ووجهُ الجمعِ : أنَّ الأكلَ في السوقِ تواضعٌ وترْكُ تكلُّفٍ مِنْ بعضِ

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » (٨/ ٢٤٩) ، وابن عدي في « الكامل » (٢/ ٨٠) ، وسياق المصنف هنا من « القوت » (٢/ ١٨٨) حيث قال : (هـٰذا غريب مسنداً ، وليس بذاك الصحيح ، إنه من قول التابعين ، إبراهيم النخعي ومن دونه) ، وانظر « الإتحاف » (٥/ ٢٦٣) .

(٢) رواه الترمذي (١٨٨١) ، وابن ماجه (٣٣٠١) ، والأثر ورد لبيان الجواز ؛ بدليل عطفه على الشرب قائماً مع وجود النهي عنه ، وسيسوق المصنف وجه الجمع بينهما .

(٣) قوت القلوب (٢/ ١٨٩) .

الناسِ ؛ فهوَ حسنٌ ، وخرقُ مروءةٍ مِنْ بعضِهِمْ ؛ فهوَ مكروهٌ ، ويختلفُ ذلكَ بعاداتِ البلادِ وأحوالِ الأشخاصِ ، فمَنْ لا يليقُ ذلكَ بسائرِ أعمالِهِ . . حملَ ذلكَ منهُ علىٰ قلَّةِ المروءةِ وفرْطِ الشَّرَهِ ، ويقدحُ ذلكَ في الشهادةِ ، ومَنْ يليقُ ذلكَ بجميعِ أحوالِهِ وأعمالِهِ في تركِ التكلُّفِ . . كانَ ذلكَ منهُ تواضعاً .

* * *

الثاني : قالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : (مَنِ ابتدأَ غداءَهُ بالملحِ . . أذهبَ اللهُ عنهُ سبعينَ نوعاً مِنَ البلاءِ(١) ، ومَنْ أكلَ كلَّ يومٍ سبعَ تمراتٍ عجوةٍ . . قتلَتْ كلَّ دابةٍ في بطنِهِ(٢) ، ومَنْ أكلَ كلَّ يومٍ إحدىٰ وعشرينَ زبيبةً حمراءَ . . لمْ يرَ في جسدِهِ شيئاً يكرهُهُ ، واللحمُ يُنبتُ اللحمَ(٣) ، والثريدُ طعامُ العربِ ، والبِسْقارجاتُ تعظمُ البطنَ وترخي الأليتينِ(٤) ، ولحمُ البقرِ داءٌ ، ولبنُها

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٥٥٥٣) ، وقال : (قد أخرجناه بطوله في « مناقب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ») ، وعند ابن ماجه (٣٣١٥) في فضل الملح : « سيد إدامكم الملح » .

(٢) وقد روى البخاري (٥٤٤٥) ، ومسلم (٢٠٤٧) مرفوعاً : « من تصبَّح بسبع تمرات عجوة . . لم يضره ذلك اليوم سمٌّ ولا سحر » .

(٣) رواه البيهقي في « الشعب » (٥٥٠٩) وزاد : (فمن لم يأكل اللحم أربعين يوماً . . ساء خلقه) .

(٤) **البسقارجات** ـ بكسر الموحدة وسكون السين المهملة ـ : لفظة فارسية معناها : مرقة اللحم والدجاج ، والمراد منها : ما يطبخ في أمراقهما من اللحم . « إتحاف » (٥/٢٦٦) .

شفاءٌ ، وسمنُها دواءٌ[١] ، والشحمُ يُخرِجُ مثلَهُ مِنَ الداءِ ، ولنْ تستشفيَ النفساءُ بشيء أفضلَ مِنَ الرطبِ[٢] ، والسمكُ يذيبُ الجسدَ[٣] ، وقراءةُ القرآنِ والسواكُ يذهبانِ البلغمَ ، ومَنْ أرادَ البقاءَ ـ ولا بقاءَ ـ فليباكرِ بالغداءِ ، وليقلَّ غشيانَ النساءِ ، وليخفِّفِ الرداءَ ؛ وهوَ الدَّيْنُ)[٤] .

* * *

الثالثُ : قالَ الحجَّاجُ لبعضِ الأطباءِ : صفْ لي صفةً آخذُ بها ولا أعْدُوها ، قالَ : (لا تنكحْ مِنَ النساءِ إلا فتاةً ، ولا تأكلْ مِنَ اللحمِ إلا فتيّاً ، ولا تأكلِ المطبوخَ حتَّىٰ ينعمَ نضجُهُ ، ولا تشربنْ دواءً إلاَّ مِنْ علَّةٍ ،

---

[١] روىٰ أبو داوود في « المراسيل » (٤٤٤) ، والطبراني في « الكبير » (٢٥/ ٤٢) في لحم وسمن ولبن البقر مرفوعاً : « ألبانها شفاء ، وسمنها دواء ، ولحومها داء » .

[٢] روى الخطيب في « تاريخ بغداد » (٨/ ٣٦٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧٠/ ٩٣) مرفوعاً : « أطعموا نساءكم في نفاسهن التمر ؛ فإنه من كان طعامها في نفاسها التمر . . خرج ولدها ذلك حليماً . . . » الحديث .

[٣] رواه الحاكم في « تاريخ نيسابور » وحكىٰ سنده الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٥/ ٢٦٧) ، والديلمي في « مسند الفردوس » (١٧٠٥) .

[٤] تقدم في أول الحديث أنه بتمامه هٰكذا قد رواه البيهقي ، وهو في « القوت » (٢/ ١٨٨) ، ووقع في (ب) زيادة ، حيث قال : (ومن أراد البقاء ـ ولا بقاء ـ فليباكر الغداء ، وليلبس الحذاء ، وليكثر من العشاء . . .) وليست في « القوت » ، ومجيء الرداء بمعنى الدَّين نصَّ عليه أهل اللغة ، بمعنىٰ : يخفف عن ظهره ثقل الديون .

ولا تأكلْ منَ الفاكهةِ إلاَّ نضيجَها ، ولا تأكلْ طعاماً إلا أجدتَ مضغَهُ ، وكلُّ ما أحببتَ مِنَ الطعامِ ، ولا تشربْ عليهِ ، فإذا شربتَ . . فلا تأكلْ عليهِ شيئاً ، ولا تحبسِ الغائطَ والبولَ ، وإذا أكلتَ بالنهارِ . . فنمْ ، وإذا أكلتَ بالليلِ . . فامشِ قبلَ أنْ تنامَ ولوْ مئةَ خطوةٍ)(١) .

وفي معناهُ قولُ العربِ : (تعشَّ تمشَّ ، وتغدَّ تمدَّ) يعني : تمدَّدْ(٢) ؛ كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾ أيْ : يتمطَّطُ .

ويُقالُ : إنَّ حبسَ البولِ يفسدُ مِنَ الجسدِ كما يفسدُ النهرُ ما حولَهُ إذا سُدَّ مجراهُ(٣) .

* * *

الرابعُ : في الخبرِ : (قطعُ العروقِ مسقمةٌ ، وتركُ العشاءِ مهرمةٌ)(٤) .

والعربُ تقولُ : (تركُ الغداءِ يذهبُ بشحمِ الكاذَةِ) يعني : الأليةَ(٥) .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١٨٨)، وطبيبه هو تياذوق، والخبر في «عيون الأخبار» (٣/ ٢٧٠).

(٢) فأبدلوا الألف من الدال الثانية كراهية التكرار ، ولازدواج الكلام . « قوت القلوب » (٢/ ١٨٨) .

(٣) قوت القلوب (٢/ ١٨٨) .

(٤) كذا في « القوت » (٢/ ١٨٨) ، والجملة الأولىٰ منه رواها ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٧/ ٢٤٠) ، والثانية رواها الترمذي (١٨٥٦) .

(٥) قوت القلوب (٢/ ١٨٨) .

وقالَ بعضُ الحكماءِ لابنِهِ : (يا بنيَّ ؛ لا تخرجْ منْ منزلِكَ حتَّىٰ تأخذَ حِلمَكَ ؛ أيْ : تتغدَّىٰ)(١) إذْ بهِ يبقى الحلمُ ويزولُ الطيشُ ، وهوَ أيضاً أقلُّ لشهوةِ ما يرىٰ في السوقِ .

وقالَ حكيمٌ لسمينٍ : أرىٰ عليكَ قطيفةً مِنْ نسجِ أضراسِكَ فممَّا هيَ ؟ قالَ : آكلُ لُبابَ البُرِّ وصغارَ المعزِ ، وأدَّهنُ بجامِ بنفسجٍ ، وألبسُ الكتّانَ(٢) .

* * *

الخامسُ : الحِميةُ تضرُّ بالصحيحِ كما يضرُّ تركُها بالمريضِ ، هٰكذا قيلَ .

وقالَ بعضُهُمْ : (مَنِ احتمىٰ . . فهوَ علىٰ يقينٍ مِنَ المكروهِ ، وعلىٰ شكٍّ مِنَ العوافي)(٣) .

وهٰذا حسنٌ في حالِ الصحَّةِ .

ورأىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ صهيباً يأكلُ تمراً وإحدىٰ عينيهِ رمداءُ ، فقالَ : « تأكلُ التمرَ وأنتَ رمدٌ ؟! » فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّما

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١٨٩) .
(٢) قوت القلوب (٢/ ١٨٩) .
(٣) قوت القلوب (٢/ ١٨٩) .

أمضغُ بالشقِّ الآخرِ ـ يعني : جانبَ السليمةِ ـ فضحكَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ(١) .

* * *

السادسُ : أنَّهُ يُستحبُّ أنْ يُحملَ طعامٌ إلىٰ أهلِ الميتِ ، ولمَّا جاءَ نعيُ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ . . قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إنَّ آلَ جعفرٍ شُغلوا بميتِهِمْ عنْ صنعِ طعامِهِمْ ، فاحملوا إليهِمْ ما يأكلونَ »(٢) ، فذلكَ سنةٌ ، وإذا قُدِّمَ ذلكَ إلى الجمعِ . . حلَّ الأكلُ منهُ ، إلا ما يهيَّأُ للنوائحِ والمُعيناتِ عليهِ بالبكاءِ والجزعِ ، فلا ينبغي أنْ يُؤكلَ معهم .

* * *

السابعُ : لا ينبغي أنْ يحضرَ طعامَ ظالمٍ ؛ فإنْ أُكرهَ . . فليقلِّلِ الأكلَ ، ولا يقصدِ الطعامَ الأطيبَ ؛ ردَّ بعضُ المزكِّينَ شهادةَ مَنْ حضرَ طعامَ سلطانٍ ، فقالَ : كنتُ مُكرهاً ، فقالَ : رأيتُكَ تقصدُ الأطيبَ ، وتكبِّرُ اللقمةَ ، وما كنتَ مكرهاً عليهِ .

وأجبرَ السلطانُ هـٰذا المزكِّيَ على الأكلِ ، فقالَ : إمَّا أنْ آكلَ وأخليَ التزكيةَ ، أوْ أزكيَ ولا آكلَ ، فلمْ يجدوا بُدّاً مِنْ تزكيتِهِ ، فتركوهُ(٣) .

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٤٤٣) .

(٢) رواه أبو داوود (٣١٣٢) ، والترمذي (٩٩٨) ، وابن ماجه (١٦١٠) .

(٣) قوت القلوب (٢/ ١٩٢) .

وحُكيَ أنَّ ذا النونِ المصريَّ حُبسَ ، فلمْ يأكلْ أياماً في السجنِ ، فكانتْ لهُ أختٌ في اللهِ ، فبعثَتْ إليهِ مِنْ مغزلِها طعاماً علىٰ يدِ السجَّانِ ، فامتنعَ فلمْ يأكلْ ، فعاتبتْهُ المرأةُ بعدَ ذلكَ ، فقالَ : كانَ حلالاً ، ولكنْ جاءَني علىٰ طبقِ ظالمٍ ، وأشارَ بهِ إلىٰ يدِ السجَّانِ ، وهـٰذا غايةُ الورعِ[1] .

* * *

الثامنُ : حُكِيَ عن فتحٍ الموصليِّ رحمهُ اللهُ أنَّهُ دخلَ علىٰ بشرٍ الحافي زائراً ، فأخرجَ بشرٌ درهماً ودفعَهُ لأحمدَ الجلاءِ خادمِهِ وقالَ : اشترِ بهِ طعاماً جيِّداً ، وإداماً طيِّباً .

قالَ : فاشتريتُ خبزاً نظيفاً[2] ، وقلتُ : لمْ يقلِ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لشيءٍ : « اللهمَّ ؛ باركْ لنا فيهِ ، وزدْنا منهُ »[3] سوى اللبنِ ، فاشتريتُ لبناً ، واشتريتُ تمراً جيِّداً ، فقدمتُهُ إليهِ ، فأكلَ وأخذَ الباقيَ .

فقالَ بشرٌ : أتدرونَ لِمَ قلتُ : اشترِ طعاماً طيباً ؟ لأنَّ الطعامَ الطيِّبَ يستخرجُ خالصَ الشكرِ .

أتدرونَ لِمَ لمْ يقلْ لي : كُلْ ؛ لأنَّهُ ليسَ للضيفِ أنْ يقولَ لصاحبِ الدارِ : كُلْ .

---

[1] قوت القلوب (٢/ ١٩١) ، وكانت مَنْ آخته في الله عجوزاً صالحة كما ذكر .

[2] أي : من لباب البر . « إتحاف » (٥/ ٢٧١) .

[3] رواه أبو داوود (٣٧٣٠) ، والترمذي (٣٤٥٥) ، وابن ماجه (٣٣٢٢) .

أتدرونَ لِمَ حملَ ما بقيَ ؟ لأنَّهُ إذا صحَّ التوكُّلُ . . لمْ يضرَّ الحملُ(١) .

وحَكىٰ أبو عليٍّ الروذباريُّ رحمهُ اللهُ عزَّ وجلَّ عنْ رجلٍ أنَّهُ اتخذَ ضيافةً ، فأوقدَ فيها ألفَ سراجٍ ، فقالَ لهُ رجلٌ : قدْ أسرفتَ ، فقالَ لهُ : ادخلْ ، فكلُّ ما أوقدتُهُ لغيرِ اللهِ فأطفئْهُ ، فدخلَ الرجلُ ، فلمْ يقدرْ علىٰ إطفاءِ واحدٍ منها ، فانقطعَ(٢) .

واشترىٰ أبو عليٍّ الروذباريُّ أحمالاً منَ السكرِ ، وأمرَ الحلاويينَ حتَّىٰ بنَوا جداراً مِنَ السكرِ ، عليهِ شُرَفٌ ومحاريبُ علىٰ أعمدةٍ منقوشةٍ كلُّها مِنْ سكرٍ ، ثمَّ دعا الصوفيةَ حتَّىٰ هدموها وانتهبوها(٣) .

* * *

التاسعُ : قالَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (الأكلُ علىٰ أربعةِ أنحاءٍ :

الأكلُ بإصبعٍ مِنَ المقتِ ، وبإصبعينِ مِنَ الكبرِ ، وبثلاثِ أصابعَ مِنَ السنةِ(٤) ، وبأربعٍ وخمسٍ مِنَ الشرهِ .

وأربعٌ تقوِّي البدنَ : أكلُ اللحمِ ، وشمُّ الطيبِ ، وكثرةُ الغسلِ مِنْ غيرِ جماعٍ ، ولبسُ الكتَّانِ .

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٢٤٤) ، و« تهذيب الأسرار » (ص ٣٩٧) .
(٢) رواه أبو النصر السراج في « اللمع » (ص ٢٤٥) .
(٣) رواه أبو النصر السراج في « اللمع » (ص ٢٤٥) .
(٤) رواه مسلم (٢٠٣٢) .

وأربعٌ تُوهنُ البدنَ : كثرةُ الجماعِ ، وكثرةُ الهمِّ ، وكثرةُ شربِ الماءِ على الريقِ ، وكثرةُ أكلِ الحموضةِ .

وأربعٌ تقوي البصرَ : الجلوسُ حيالَ القبلةِ ، والكحلُ عندَ النومِ ، والنظرُ إلى الخضرةِ ، وتنظيفُ الملبسِ .

وأربعٌ توهنُ البصرَ : النظرُ إلى القذرِ ، والنظرُ إلى المصلوبِ(١) ، والنظرُ إلىٰ فرْجِ المرأةِ ، والقعودُ في استدبارِ القبلةِ .

وأربعٌ تزيدُ في الجماعِ : أكلُ العصافيرِ ، وأكلُ الإِطْرِيفَلِ الأكبرِ(٢) ، وأكلُ الفسْتقِ ، وأكلُ الجرجيرِ .

والنومُ علىٰ أربعةِ أنحاءٍ : فنومٌ على القفا ؛ وهوَ نومُ الأنبياءِ عليهِمُ السلامُ ، يتفكَّرونَ في خلقِ السماواتِ والأرضِ ، ونومٌ على اليمينِ ؛ وهوَ نومُ العلماءِ والعُبَّادِ ، ونومٌ على الشمالِ ؛ وهوَ نومُ الملوكِ لينهضمَ طعامُهُمْ ، ونومٌ على الوجهِ ؛ وهوَ نومُ الشياطينِ .

وأربعٌ تزيدُ في العقلِ : تركُ الفضولِ مِنَ الكلامِ ، والسواكُ ، ومجالسةُ الصالحينَ ، والعلماءِ(٣) .

---

(١) والمراد تكرير النظر إليه ، فأما إذا وقع فجأة عليه وعلى الذي قبله.. فليس داخلاً فيه . « إتحاف » (٥/ ٢٧٤) .

(٢) **الإطريفل** : لفظة عجمية عربت ، يقع على الهليلج والبليلج والإملج ، ثمرٌ ، منه الكبير والصغير ، وقد ورد في خبر رواه الديلمي في « مسند الفردوس » (٦٩٧٩) .

(٣) أي : ومجالسة العلماء ، وهي الرابعة .

وأربعٌ هنَّ مِنَ العبادةِ : ألاَّ تخطوَ خطوةً إلا علىٰ وضوءٍ ، وكثرةُ السجودِ ، ولزومُ المساجدِ ، وكثرةُ قراءةِ القرآنِ) .

وقالَ أيضاً : (عجبتُ لمَنْ يدخلُ الحمَّامَ على الريقِ ، ثمَّ يؤخِّرُ الأكلَ بعدَ أنْ يخرجَ كيفَ لا يموتُ ! وعجبتُ لِمَنِ احتجمَ ، ثمَّ يبادرُ الأكلَ كيفَ لا يموتُ !)(١) .

وقالَ : (لمْ أرَ شيئاً أنفعَ في الوباءِ مِنْ دهْنِ البنفسجِ ، يُدهنُ بهِ ويُشربُ)(٢) ، واللهُ أعلمُ بالصوابِ .

* * *

تمَّ كتابُ آدابِ الأكلِ

وهو الكتابُ الأوّلُ من ربعِ العاداتِ من كتبِ إحياءِ علومِ الدّين

والحمدُ للهِ وحده ، وصلواتُه على محمّدٍ نبيِّه وآله وسلّم تسليماً

يتلوه كتابُ آدابِ النّكاح

---

(١) رواه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/ ١٢٢) .

(٢) رواه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/ ١١٨) .

Dördüncü Bab

ZİYAFETİN ÂDÂBI

Ziyâfette altı âdâb vardır. Bunlar:

1 - Dâvet,

2 - İcâbet,

3 - Mecliste bulunmak,

4 - Yedirmek,

5 - Yemek,

6 - Ayrılmaktır.

Şimdi biz, inşâallah bunları açıklayacağız. Evvelâ ziyâfetin fazîletini anlatalım. Hadis:

لَا تَكَلَّفُوا لِلْضَيْفِ فَتَبْغَضُوهُ فَإِنَّهُ مَنْ أَبْغَضَ الضَّيْفَ فَقَدْ
أَبْغَضَ اللّٰهَ، وَمَنْ أَبْغَضَ اللّٰهَ أَبْغَضَهُ اللّٰهُ

"Misafir için külfete girmeyin; misâfirin buna canı sıkılır. Kim ki misâfiri küstürürse, Allah'ı küstürmüş olur. Allah'ı küstürene de Allah buğz eder."[36] Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَا خَيْرَ فِي مَنْ لَا يُضِيفُ

---

[36] Ebû Bekir b. Lâl **"Mekârim-i Ahlâk"**da Selmân'dan (r.a.) ayrı bir ifâde ile rivâyet etmiştir.

"Misâfir ağırlamayan (istemeyen) *kimsede hayır yoktur."*[37] buyurmuştur. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), ineği ve devesi bol bir kimseye uğradı. Bu adam, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'i yedirmedi. Birkaç koyunu olan bir kadına uğradı. Kadın, misâfirine hemen bir koyun kesiverdi. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أُنْظُرُوا إِلَيْهِمَا إِنَّمَا هٰذِهِ الْأَخْلَاقُ بِيَدِ اللهِ فَمَنْ شَاءَ أَنْ
يَمْنَحَهُ خُلُقًا حَسَنًا فَعَلَ

"Şunlara bakın: Bu ahlâk ancak, Allahu Teâlâ'nın yed-i kudretindedir, onu dilediklerine lütfeder."[38] buyurmuştur. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in âzâdlı kölelerinden **Ebû Râfî** anlatıyor: "Bir gün Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e bir misâfir geldi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bana: *"Falan Yahûdiye git, misâfirim geldiğini söyle. Bana Receb ayına kadar bir miktar un versin."* buyurdu. Yahûdi "Rehin almadan vermem." dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e haber verdiğimde:

وَاللهِ إِنِّي لَأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ فِي الْأَرْضِ وَلَو أَسْلَفَنِي
لَأَدَّيْتُهُ فَاذْهَبْ بِدِرْعِي وَارْهَنْهُ عِنْدَهُ

"Allah'a yemin ederim ki gökte de emînim, yerde de emînim. Eğer bana veresiye verseydi, gününde borcumu öderdim. Al şu zırhımı götür de rehin ver. Un alıp gel."[39] buyurdu. **İbrâhim aleyhisselâm** yemek yiyeceği zaman, bir iki mil mesâfede kendisiyle yiyecek bir misâfir arardı. Bu sebepten kendisine "Misâfir baba-

---

37. Ahmed, Ukbe b. Amir'den (r.a.) rivâyet etti. Râviler arasında İbn Ebî Lubey vardır.
38. Harâitî, **"Mekârim-i Ahlâk"**da mürsel olarak Ebû'l-Minhaî'den (r.a.) rivâyet etmiştir.
39. İshak b. Râhûye **"Müsned"**inde. Harâitî **"Mekârim-i Ahlâk"**da. İbn Mardûye Tefsir'de rivâyet etmişlerdir.

sı" denirdi. Bu misâfirperverlikteki sadâkatinin delîli olarak el'an medfûn bulunduğu Hebron (Halilürrahman)[40] mağarasında her gün üç yolcudan yüz yolcuya kadar yemek yedirilmektedir. Burasını idâre eden zât, bugüne kadar buranın hiç bir akşam misâfirsiz kalmadığını söylemiştir.

"İhsân nedir?" diye sorulduğunda, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz:

إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَبَذْلُ السَّلَامِ

"Yemek yedirmek ve herkese selâm vermektir."[41] buyurmuştur. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e "Keffârât ve derecât nelerdir?" diye sorduklarında:

إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ

"Yemek yedirmek ve insanlar uykuda iken namaz kılmaktır."[42] diye cevâp vermişlerdir. "Hacc-ı mebrûr hangisidir?" diye sorduklarında da:

فَقَالَ إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَطِيبُ الْكَلَامِ

"Yemek yedirmek ve güzel konuşmaktır."[43] buyurmuşlardır. **Enes** (r.a.) "Misâfirin girmediği (gelmediği) eve melek girmez." demiştir. Ziyâfet vermenin ve yemek yedirmenin fazîletini bildiren daha pek çok haberler (hadisler) vardır. Şimdi âdabını anlatalım:

---

[40] Hâlen İsrail işgali altındadır.

[41] Buhârî ile Müslim, Abdullah b. Ömer'den (r.a.) ayrı ifâde ile rivâyet etmişlerdir.

[42] Tirmizî ve Hâkim, Muâz'dan (r.a.) rivâyet etmişlerdir. Tirmizî, "Sahihtir" demiştir.

[43] Hac bahsinde geçmiştir.

DAVET

Dâvet eden zâta yakışan kötü kimseleri değil, iyi kimseleri dâvet etmektir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir kişiye duâsında:

أَكَلَ طَعَامَكَ الْأَبْرَارُ

"Yemeğini iyiler yesin."[44] demiştir. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)

لَا تَأْكُلْ إِلَّا طَعَامَ تَقِيٍّ وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ

"Ancak iyilerin yemeğini ye, yemeğini de ancak iyiler yesin."[45] buyurmuştur. Zenginleri değil, hâssaten fakirleri seçmelidir. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz:

شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعٰى إِلَيْهَا الْأَغْنِيَاءُ دُونَ الْفُقَرَاءِ

"Yemeklerin en fenası, zenginlerin dâvet edilip de fakirlerin çağırılmadığı düğün yemekleridir."[46] buyurmuştur. Dâvetinde akrabalarını ihmâl etmemek ve onları sırasıyla çağırmak lâzımdır. Çünkü bu gibi cemiyetlere onları çağırmazsa aralarının bozulmasına sebep olur. Dâvetinde gösteriş ve âlâyişten kaçınmalıdır. Gâyesi gönül almak ve Peygamber Efendimiz'in (s.a.v.) sünnetini yerine getirmek olmalıdır. İcâbetten hoşlanmayan veyâ kendisinden hoşlanılmayanı çağırmamalı, seve seve geleni çağırmalıdır. **Süfyân-ı Sevrî**: Sevmediği kimseyi dâvet etmek bir hatâdır. Şâyet bu zât, dâvete icâbet ederse hatâ iki olur. Çünkü istemeyerek onu yemeğe zorlamıştır. "Takvâ sâhiplerini dâvet etmeli, fâsıkları dâvet etmemeli." dedik. Çünkü müttakiyi yedirmekte

---

[44] Ebû Dâvûd. sahih sened ile Enes'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

[45] Zekât bahsinde geçmiştir.

[46] Buhârî ile Müslim, Ebû Hüreyre'den (r.a.). rivâyet etmişlerdir.

ibâdetine, fâsıkı yedirmekte ise fıskına yardımcı olmak vardır. Bir terzi, **İbn Mübârek**'e: "Ben sultanların elbiselerini dikerim, acaba onların zulümlerinde onlara yardımcı oluyor muyum?" diye sordu. **İbn Mübârek**: "Hayır, yardımcı olan sen değilsin, sana iğne ile ipliği satandır. Sen ise zalemenin tâ kendilerindensin." dedi.

Dâvete icabet, sünnet-i müekkededir. Hattâ bâzı yerlerde vâcip olduğunu söyleyenler de vardır.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz:

لَوْ دُعِيتُ إِلٰى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ

"Kürâ denilen yere (Tebûk yakınında bir yerdir.) *dâvet edilsem bile icâbet ederim, bir paça yemeği ikram etseler kabul ederim."*[47] buyurmuştur.

YEMEK DÂVETİNE İCABETİN ÂDÂBI

Dâvete icabetin beş âdabı vardır:

Birincisi: Zengin fakir seçmeden herkesin dâvetine gitmek. Bunun aksi, yasak olan kibir alâmetidir. Kibir korkusu ile birçokları hiç bir dâvete icâbet etmemişler ve "Başkasının çorbasına intizâr zillettir." demişlerdir. Bir diğeri: "Elimi başkasının çanağına sunduğumda ona boynumu bükmüş olurum." dedi. Kibirlilerin bâzıları ise zenginlerin dâvetine gider, fakirlerin dâvetine gitmezler. Bu hâl, tamamen sünnete aykırıdır. Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), yoksulların hattâ kölelerin bile dâvetine giderdi.[48] **Hasan b. Ali** (r.a.) bir gün katır üzerinde dilencilerin yanından geçerken, onları kum üzerine açtıkları sofrada ekmek artıklarını yerken gördü.

---

[47] Buhârî, Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

[48] Tirmizî ve İbn Mâce, Enes'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

Onlara selâm verdi. Onlar selâmı aldıktan sonra "Ey Rasûl'ün kızının oğlu! Buyur, bizimle yemek ye." dediler. O da "Olur. Allah kibir edenleri sevmez" dedi. Binitinden inerek onlarla beraber yedi. Sonra yine selâm vererek ayrılırken: "Ben sizin dâvetinize iştirak ettim. Siz de benim dâvetimi teşrîf edin." diyerek onları yemeğe dâvet etti. Onlar da kabul ettiler ve dâvetine icâbet ettiler. Hasan b. Ali (r.a.) onlara iyi bir ziyâfet verdi ve kendileri ile beraber yedi.

"Elimi çanağına uzattığım kimseye boynum büküktür" diyenin sözü, bâzılarına göre sünnete aykırı görülmüşse de öyle değildir. Şâyet dâvet eden, onun icâbetinden memnûn olmaz ve onu minnet altına almak isterse o zaman zillet olur. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), yapılan dâvete icâbet ederdi. Çünkü dâvet edenin memnûn kalacağını ve bunu kendisi için bir şeref sayacağını bilirdi. Demek ki bu, vaziyete göre değişir. Yedirmekten ağırlanan ve dostlar için külfete katlanan kimsenin dâvetine icâbet sünnet değildir. Mümkün olduğu kadar mâzeret beyânı ile onu baştan savmak lâzımdır. Sûfilerden biri: "Misâfirin kendi rızkını yediğine ve onun davetini kabul ile üstünlük gösterdiğine inanan kimselerin dâvetine icâbet et. Başkalarının dâvetine değil." demiştir. **Seriyyü's-Sakatî** "Allah tarafından mesûl tutulmayacak ve mahlûkun minneti altına girmeyecek şekilde helâl lokmanın hasretini çekmiştir. Dâvet olunan kimse minnet altında kalmayacağını ve dâvetin samimî olduğunu bildiği zaman, dâveti kabul etmemesi uygun olmaz. **Ebû Türâb en-Nahşâbî:**[49] "Bana takdîm edilen bir yemekten kaçındığım için on dört gün aç kaldım." dedi. **Mârûf Kerhî**'ye: "Herkesin dâvetine gider misin?" diye sorduklarında: "Ben bir misâfirim, nereye indirirlerse oraya konaklarım." demiştir.

---

[49] Adı, Asker b. Husayn'dır. Hâtem-i Asamm'a arkadaş olmuştur. 245 Hicrî'de Bâdiye'de ölmüştür.

İkincisi: Hatırlı olmayan fakirin davetinden çekinmeyeceği gibi, mesâfe uzaklığından ötürü de dâvetten kaçınmamalıdır. Âdeten gidilmesi mümkün olan her mesafedeki dâveti kabul etmelidir. Bunun için Tevrat veyâ diğer kitâblarda "Bir mil mesafede hasta ziyâretine, iki mil mesâfede cenâze teşyîine, üç mil mesâfede dâvete icâbet et. Dört mil mesâfede kardeşliğini ziyârete git." denilmiştir. Dâvete icâbet ve hastayı ziyâret, dirilerin hakkı olduğundan takdîm edilmiştir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) hadîsinde:

لَوْ دُعِيتُ إِلٰى كُرَاعٍ بِالْغَمِيمِ لَأَجَبْتُ

"Eğer Gamîm köylerine de dâvet edilsem icâbet ederdim."[50] buyurmuştur. Gamîm, Medine'ye bir kaç mil uzakta olan bir yerdir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.). Ramazan-ı Şerif'te oraya gidince hem iftar etmiş, hem de namazı seferî olarak kılmıştır.[51]

Üçüncüsü: Oruçlu (Buradaki oruç nâfile oruçtur.) olduğu için dâvetten geri kalmamalı, iştirak etmelidir. Eğer dâvet eden onun yemesinden mutlaka memnûn oluyorsa, orucunu bozup yemeyi ve dâvet edeni sevindirmelidir. Dostunun gönlünü hoş etmenin sevâbı, oruçtan alacağı sevâptan daha çok olduğunu bilmelidir. Şâyet yemesiyle gönlünden memnûn kalacağını kestiremiyorsa, görünüşteki ısrarını samimî kabul ederek yemelidir. Şâyet dâvet sahibinin ısrârının yapmacık olduğunu anlıyorsa, mâzeret beyân ederek orucunu bozmamalıdır.

---

[50] Tirmizî'nin, Enes'den (r.a.) bu mealde bir rivâyeti vardır. Bakınız Tirmizî Tercemesi C. 2, sf. 446'da 1353 numaralı hadis.

[51] Taberânî'nin **"Sağîr"**indeki rivâyetinde "Akik'de iftar eder ve namazını kısaltırdı." şeklindedir. Akîk ile Medine arasında üç mil veyâ daha fazla mesâfe vardır. Gamîm köyleri Mekke ile Gasfan arasındadır.

Dâvette orucunu bozmak istemeyen bir kişiye Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

تَكَلَّفَ لَكَ أَخُوكَ وَتَقُولُ إِنِّي صَائِمٌ

"Kardeşliğin senin için bu kadar külfete girdiği hâlde, sen "Oruçluyum" demekte hâlâ ısrâr ediyorsun."[52] buyurdu. **İbn Abbâs**: "İyiliklerin en üstünü, kendi nâfile orucunu bozmak sûretiyle arkadaşlarına ikrâmda bulunmaktır." buyurdu. Hâne sahibinin gönlünü hoş etmek maksadıyla tutmakta olduğu nâfile orucunu bozmak, ibâdet ve güzel ahlâktır. Sevâbı, oruca devâmından daha çoktur. Şâyet orucunu bozmazsa, ona yapılacak ikrâm, güzel koku sürmek ve tatlı sohbet etmektir.

Dördüncüsü: Yemeğinin, evinin, mefrûşâtının helâl olduğu şüpheli olan veyâ içki ve benzeri yasak olan şeyler sofrasında bulunan, evi ipek minderler, gümüş kaplar, canlı resimlerle süslü olan ve meclisinde çalgı, oyun, eğlence, dedi-kodu, çekiştirme, kovuculuk, yalan, iftirâ ve benzeri kötülükler bulunan kimsenin dâvetine icâbet edilmez. Bunların bulunması icâbete mânidir. Hattâ bâzılarına gitmek mekruh ve bâzılarına gitmek ise haramdır. Dâvet eden zâlim, bid'at sahibi, fâsık ve kötü bir insan olup dâvetiyle şöhret ve gösteriş peşinde koşuyorsa yine dâvetine icâbet edilmez.

Beşincisi: Dâvete icâbet eden kimsenin ecir kazanabilmesi için gâyesi karnını doyurmak olmamalıdır. Bu niyetle giderse, dünyalık peşinde gezmiş olur. Belki aşağıda sıralanan niyetlere sâhip olmalıdır:

a) Rasûl-i Ekrem'in (s.a.v.):

---

[52] Beyhakî. Ebû Sa'id el-Hudrî'den (r.a.) rivâyet etmiştir. Dârekutnî de aynı meâlde Câbir'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

لَوْ دُعِيتُ إِلٰى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ

“Kura’a (köye) *da dâvet edilsem icâbet ederdim.”* hadîsine uyarak sünneti yerine getirmeyi;

b) Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’in:

مَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ فَقَدْ عَصَى اللّٰهَ وَرَسُولَهُ

“Dâvete icâbet etmeyen, Allah’a ve Rasûlüne isyân etmiştir.”[53] hadîs-i şerifine uyarak isyândan kaçınmayı,

c) Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’in:

مَنْ أَكْرَمَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فَكَأَنَّمَا أَكْرَمَ اللّٰهَ

“Müslüman din kardeşine ikrâm eden, Allah’a ikrâm etmiş olur.”[54] hadîs-i şerifine uyarak, dâvet edene ikrâmı,

d) Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimizin:

مَنْ سَرَّ مُؤْمِناً فَقَدْ سَرَّ اللّٰهَ

“Mü’mini sevindiren, Allah’ı memnûn etmiş olur.”[55] hadîsine uyarak, dâvet edeni sevindirmeyi,

Resûl-i Ekrem, Allah için birbirini sevenlerin, birbirini yedirmelerini ve ziyâret etmelerini şart koştuğundan; Allah için birbirini sevenlerden olabilmek için, sevdiklerine yedirmeye hazırlandığı gibi, ziyâfete giden de bu niyetle gitmelidir.

---

[53] Buhârî ile Müslim, Ebû Hüreyre’den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[54] İsfehânî, **Tergîb ve Terhib’**de Câbir’den (r.a.): Ukaylî. Ebû Bekir’den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[55] Yukarıda geçmiştir.

e) Gitmemekle aleyhinde “Kötü huyludur, kibirlidir.” gibi dedikodulardan kendisini kurtarmaya niyet etmelidir.

Şu saydıklarımız, dâvete icâbette aranacak altı niyettir. Bunlardan yalnız bir tanesinin bile, insanı Allah'a daha çok yaklaştıracağı âşikârdır.

Büyüklerden birisi; “Yemeye, içmeye varıncaya kadar her işimde bir hayır niyetine sahip olmayı severim.” demiştir. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), hadîsinde:

إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ اِمْرِئٍ مَا نَوٰى فَمَنْ كَانَتْ
هِجْرَتُهُ إِلَى اللّٰهِ وَرَسُولِهٖ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللّٰهِ وَرَسُولِهٖ، وَمَنْ
كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلٰى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلٰى
مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ

“Ameller(in kıymeti) *ancak niyetlere göredir. Herkesin niyet ettiği ne ise eline geçecek olan ancak odur. Her kimin hicreti Allah'a ve Rasûlüne müteveccih ise hicreti Allah'a ve Rasûlüne ulaşır. Her kimin de hicreti kendisine isâbet edecek dünyalığa veyâ nikâh edeceği bir kadından dolayı ise artık hicreti* (Allah'ın ve Rasûlü'nün rızâsına değil) *hicret sebebi olan şeye müntehîdir.”*[56] buyurmuştur. Niyet, ancak tâat ve mübah olan şeylere tesir eder. Menhiyyâta tesîri olamaz. Meselâ, dostlarını memnûn etmek için içki veyâ başka bir haram için onlara müsâade ettikten sonra, “Beni niyetim kurtarır. Zîra ameller niyete göredir.” demesi, kendisine bir fayda sağlamaz. Bunun aksine olarak, en büyük ibâdet olan

---

[56] Buharî ile Müslim. Hz. Ömer b. Hattâb'dan (r.a.) rivâyet etmişlerdir. Buhârî'nin birinci hadisidir. Tecrîd-i Sarih Tercemesi c. 1, sahife 1'e bakınız.

gazâ ve harpte dünyalığı, rutbe, servet ve ün almayı niyet etmesi, bu gazâ ve harbi ibâdet olmaktan çıkarır. Demek ki niyet, tâat ile mübahda müessir olur. Mübah olan bir işte iyiliği niyet ederse sevâp, kötülüğü niyet ederse günâh kazanır. Bunun gibi, ibâdetlerde Allah rızâsına niyet ederse mükâfat, riyâ ve gösteriş gibi şeyleri niyet ederse günâh kazanmış olur.

DÂVET OLUNAN MECLİSTE BULUNMANIN ÂDÂBI

Odaya girmenin âdâbı:

Mütevâziyâne bir şekilde odaya girip, müsâit bulduğu yere oturmalıdır. Dâvet olunan yere zamanında gitmeli. Ne vaktinden evvel, ne halkı bekletecek şekilde sonraya kalmalıdır. Odada kimseyi rahatsız etmemeli, ev sahibinin gösterdiği yeri kabul edip oturmalıdır. Çünkü belki ev sahibi yerleri ona göre ayarlamıştır. Ev sahibine muhâlefet göstermek, programını bozar. Meclistekiler, kendisine önde yer gösterirlerse de onlara tevâzu göstermelidir. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz hadisinde:

إِنَّ مِنَ التَّوَاضِعِ لِلّٰهِ الرِّضَا بِالدُّونِ مِنَ الْمَجْلِسِ

“Meclisin aşağı tarafını kabul etmek, Allah için tevâzudandır.”[57] buyurmuştur. Kadınlar tarafına bakan kapıya doğru oturmamalıdır. Yemeklerin geldiği tarafa fazla bakmamalı; bu gibi hareketler hafifliktir. Yanına gelip oturanın hâl ve hatırını sormalı ve ona hürmette bulunmalıdır.

Ev sahibi, yatmak üzere gelen misafire helâyı, abdest alma yerini ve kıble istikametini göstermelidir. **İmâm Mâlik**, İmâm

---

[57] Harâitî **“Mekârim-i Ahlâk”**da; Ebû Nuaym, **“Riyâzü’l-Müteallim”**de Talha b. Ubeyd’den ceyyid sened ile rivâyet etmişlerdir?

Şâfii'ye böyle yapmıştır. İmâm Mâlik, misafirlerinden önce kendi elini yıkamış ve "Hâne sahibi, dâvet ettiği için önce kendi elini yıkamalıdır." demiştir. Sonunda da, en son gelen ile yemesi için, sona kalmalıdır.

Dâvet yerine giden kimse, orada gördüğü kötü şeyi, gücü yettiği takdirde değiştirmelidir. Gücü yetmediği takdirde onu dili ile reddederek oradan ayrılmalıdır. Bu kötü şeyler de ipek minderler, gümüş ve altın kaplar, sûretler, çalgılar, oyunlar, açık saçık kadınlar ve benzeri haram olan şeylerdir. Hattâ **Ahmed b. Hanbel:** "Gittiği yerde yüzü gümüş işlemeli sürme kabı veyâ cibinlik gibi ince perde görse yine oturmaz. Çünkü bunlar, soğuğa ve sıcağa mukavemeti olmayan ve gizleme vazîfesini bile göremeyen lüzûmsuz şeylerdir. Duvarlara ipeklerin asılmış olduğunu görürse, yine çıkar. Hattâ kiraladığı evde veyâ girdiği hamamda sûret (resim) bulursa, onları kazıtmalıdır. Eğer buna gücü yetmezse, oradan da çıkmalıdır." demiştir. İmâm Ahmed, ancak kapı sürgüleri gümüşten olan yerlerde oturmaya cevaz vermiştir.

Ahmed b. Hanbel'in bu sözleri doğrudur. Ancak tül perdeler ile duvarlara asılan ipekler, haram değildir. Haram olan, yalnız erkeklerin ipek giymeleridir. Nitekim hadîste:

هٰذَانِ حَرَامٌ عَلٰى ذُكُورِ أُمَّتِي حِلٌّ لِإِنَاثِهَا

"Bunlar (İpek ve altın) *ümmetimin erkeklerine haram, kadınlarına helâldir."*[58] buyrulmuştur.

Duvarlarda asılı olan ipeklerle erkeklerin bir münâsebeti yoktur. Belki evlâ olan, mübah olmalarıdır. Çünkü âyet-i celîlede:

---

[58] Ebû Dâvûd ve İbn Mâce, Hz. Ali'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّٰهِ

“De ki, Allah’ın kulları için yarattığı zînetleri kim haram eder?” (A’râf sûresi, 7/32) buyrulmuştur. Gösteriş için olmadıkça bir mahzûr yoktur. Şâyet “Erkekler bunlara bakarak zevk aldıkları için haramdır.” demek istiyorsa, bu da yanlıştır. Çünkü erkeklerin kadınların giydikleri ipeklere bakması helâl oluyor da, duvarda asılı ipeklere bakmaları neden haram olsun?

YEMEĞİ HAZIRLAMANIN ÂDÂBI

Bunun da beş âdâbı vardır:

1 - Birinci vâzife; yemeği acele hazırlamaktır. Bu, misafire ikrâmdır. Rasûl-i Ekrem Efendimiz (s.a.v.) bir hadîsinde:

مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ

“Allah’a ve âhiret gününe imân eden, misafirine ikrâm etsin.”[59] buyurmuştur. Ekseriyet toplandığı, vakit geldiği hâlde bir-iki kişinin geç kalması hâlinde mevcûtların hakkı tercîh edilir ve sofra kurulur. Ancak, geç kalanlar fakir veyâ kalbi kırılacak kimseler ise beklemekte beis yoktur. Allahu Teâlâ’nın:

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ

“İbrâhim’in (Allah indinde) **şerefli misafirlerinin haberi sana geldi mi?”** (Zâriyât sûresi, 51/24) âyetindeki “İkrâm olunmuşlar.” ifâdesinin mânâsı da, “Hemen yemekleri verilmiş” demektir. Nitekim.

فَرَاغَ إِلٰى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ

---

[59] Buhârî ile Müslim, Süreyc’den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

"Hemen bir bahâne ile ehline gitti, bir semiz dana getirdi." (Zâriyât sûresi, 51/26) âyetleri, buna delâlet etmektedir. "Revğan"; süratli gitmek demektir. Bâzılarına göre gizlice gitmektir. Bâzılarına göre de, "Bir but et getirdi." Buna "İcl" denmesi, acele getirmesindendir.

Hâtem-i Esamm: "Acele Şeytan'dan, teennî (ağır olmak) Rahmân'dandır. Yalnız beş şeyde acele sünnettir. Bunlar da: misafiri yedirmek, cenâzeyi defnetmek, yetişkin kızı evlendirmek, borcu ödemek, günâha tövbe etmektir." demiştir.[60] Düğünün ilk gününde yemek vermek sünnet, ikinci gününde âdet, üçüncü gününde ise riyâdır.

2 - Yemeği sıraya koymak, (Mîdeyi yumuşak tutmak için) -varsa- önce meyveyi koymak. Tıbbî bakımdan da bu daha doğrudur. Çünkü hazmı daha kolaydır. Kur'ân-ı Kerîm'de de bu tertîbe riâyet edilerek:

وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ

"Tercîh ettikleri meyvelerden ve canları arzu ettiği kuş etlerinden (yerler.)**"** (Vâkıa sûresi, 56/20-21) buyrulmuş, meyve et üzerine takdîm edilmiştir. Meyveden sonra ise et ve tirit takdim edilmelidir. Zira Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلٰى سَائِرِ الطَّعَامِ

"Âişe'nin diğer kadınlara üstünlüğü, tirit yemeğinin diğer yemeklere üstünlüğü gibidir." buyurmuştur. Bunun üzerine bir de tatlı getirirse her çeşit iyi yemekleri toplamış olur. Allahu Teâlâ'nın Kur'ân-ı Kerîm'de İbrahim aleyhisselâm'ın, misafirine bür-

---

[60] Tirmizî, Sehl b. Sa'd'dan (r.a.) rivâyet etmiştir.

yan (bir nevi kuzu kebâbı) takdîm ettiğini ve bunun bir ikrâm olduğunu haber vermesi, et yemeğinin, iyi bir ikrâm olduğuna delîldir. Yine Allahu Teâlâ iyi yemekleri tavsîf ederken şöyle buyuruyor:

وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوٰى

“Size kudret helvası ve bıldırcın gönderdik.” (Bakara sûresi, 2/57)

Burada ete “Selvâ” denmesi, etin diğer yemeklerin de yerini tutup, yiyen kimseyi tesellî ve teskîn etmesi bakımındandır. Etin yerini hiç bir yemek tutamaz. Bunun için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de:

سَيِّدُ الْإِدَامِ اللَّحْمُ

“Yemeklerin en üstünü ettir.” buyurdu. Allahu Teâlâ, bal ve eti tavsîf ettikten sonra:

كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ

“Size rızık ettiklerimizin iyilerinden yiyin.” (Bakara sûresi, 2/57) buyurmuştur. Bu da et ile tatlının, yemeklerin iyisinden olduğunu bildirmektedir. Ebû Süleyman Dârânî: “Yemeklerin iyisini yemek, Allahu Teâlâ’nın rızâsını celbeder.” demiştir.

Bütün bu tayyibât, temiz ve iyi yemekler, bir de soğuk su içmek ve sonunda ılık su ile elleri yıkamakla tamamlanır. **Me’mûn:**[61] “Buzlu su içmek Allah’a şükrü gerektirir.” dedi. Edîblerden biri: “Dostlarını dâvet edip onlara koruk aşı ve boranı[62] yedirip bir de soğuk su içirdin mi, işte ziyâfeti tamamlamış oldun." demiştir. Bir ziyafette fazla masraf eden hâne sahibine, hekimin biri: "İyi pişmiş ekmeğin, keskin sirke ve bir de soğuk suyun bulundu mu kâfi idi, bu masraflara hiç de lüzûm yoktu." dedi. Diğer hakimin biri: "Bir kap yemek üzerine bir tatlı, mütenevvî yemeklerden çok daha iyidir. Bir çeşitten doymak, çok çeşitli yemeklerden hayırlıdır." dedi. Denildi ki; yeşil sebzelerin bulunduğu sofrada melekler de hâzır olur. Bu gibi yeşil sebzelerle sofrayı süslemek de müstehabdır. Haberde "İsrailoğullarına inen sofrada hilyon otu veyâ pırasadan başka her çeşit sebze mevcûttu." diye vârid olmuştur. Yine bu sofrada başucunda sirke, kuyruk tarafında da tuz bulunan bir de balık ve üzerlerinde birer zeytin ve birer de nar bulunan yedi çörek vardı. Sofranın bu şekilde bezenmesi, insanın zevkini ve iştahını arttırır.

---

[61] Abbâsî halîfelerindendir ve Hârûn Reşîd’in oğludur.

[62] Me’mûn’un veziri Sehl’in kızı Boran’ın icad ettiği hazmı kolay bir yemektir. Boran’a nisbet edilerek “Boranî” denilmiştir.

3 - Yemeklerin iyisini önce getirmeli ki, arzu edenler onlardan bolca yiyebilsin de sonradan çok yemeğe lüzûm göstermesinler. Hâlbuki ehl-i keyif, fazla yemek için önce kaba sonra da nefis yemekleri sofraya koymakla lüzûmundan fazla yemek yemiş olurlar. Bu ise sünnete ve sıhhate aykırıdır. Eskiler bütün yemekleri ortaya koyar, herkes canı arzu ettiğinden yemekle karnını doyurmuş olurdu. Aynı zamanda fazla da yemezlerdi. Ev sahibinin başka yemeği bulunmadığı takdirde "İşte yemek budur, karnınızı bundan doyurmaya çalışın." derdi.

Hattâ bâzı mürüvvet sahiplerinin, yemeklerin listesini misâfirlerine arzettiği de hikâye edilir. Irak'tan gelen şeyhin birine Şam'da sofra kurmuşlar ve bir yemeği öne sürmüşler. Şeyh: "Irak'ta bu yemeği en sona alırlar." demesi üzerine, Şamlılar: "Bizde de usûl böyledir. Fakat bu adamın başka yemeği yoktur. İlki de bir, sonu da budur." demeleri üzerine, Şeyh mahcûb olmuştur. Başka birisi: "Birkaç kişi bir evde misafirdik. Bize kurutulmuş ve pişirilmiş kelle getirdiler. Ondan bir şey yedik fakat doymadan bıraktık. Çünkü üzerine başka bir çeşit ve hiç olmazsa meyve bekliyorduk. Ne yazık ki, o yemek kalktıktan sonra leğen ibrik gelince, birbirimize bakakaldık. O sırada meşâyıhtan şakacı bir zat "Allah gövdesiz başlar yaratmağa kadirdir." dedi. Hâdiseyi anlatan adam devamla "Biz o gece sahura kadar ekmek artıklarını arayacak kadar aç bekledik." dedi. Bunun için ya bütün yemekleri ortaya koymalı yâhut başka yemek olmadığını haber vermelidir.

4 - Misâfirler elini çekmeden yemekleri kaldırmamalı. Belki son lokmayı da yemek isteyen olur. O yemeğin son lokmasını yemek, onun için başka yemekten daha hayırlı olabilir.

Sûfilerden ve aynı zamanda çok şakacı bir zât olan **Sutûrî**[63] şöyle anlatıyor: "İleri gelenlerden bir kaç kişi ile zengin bir cimride misâfir bulunuyorduk. Bir kuzu geldi. Misâfirler, kuzuyu parçaladı. Bunu gören cimri dayanamadı, daha yarıyı yememiştik ki hizmetkârına "Kuzuyu kaldır, çocuklar yesin." dedi. Ben de hizmetkârın arkasından koştum. "Nereye gidiyorsun?" diyenlere, "Çocuklarla yemeğe gidiyorum" dedim. Bunun üzerine cimri ev sahibi utanarak, kuzuyu geri getirtti."

Yine bunun gibi, misâfirler çekilmeden, kendisi elini çekmemelidir. Çünkü misâfirlerden, belki utanıp yiyemeyen olur. Hattâ kerem sahibi insanlar, yemek çeşitlerini misafirlerine bildirir ve onları yemekte serbest bırakırlardı. Bitirmeye yakın, kendisi de diz çökerek "Bismillâh" der, elini yemeğe uzatır ve "Haydi benimle beraber yiyin." der ve bu sûretle onların doymalarına yardım ederdi. Bu ise güzel bir harekettir.

---

[63] Sutûrî, pâdişâhların perdedârına ve Kâbe'nin perdesini taşıyana verilen addır. Bu isimle bilinen iki şahıs vardır. Biri Ebû Hasan Ali b. el-Fadl. diğeri Ahdülazîz Muhammed b. Nasr'dır. Bu zât ise bunlardan başka birisidir ve künyesi Ebû Abdullah'tır.

5 - Sofraya yetecek kadar yemek getirmelidir. Yemeği az koymak, mürüvvet değildir. Fazlası da- hele koyduğu yemeği tamamen yemelerini arzu etmiyorsa- isrâf ve riyâ olur. Ancak gönül hoşluğu ile misafirlerinin yemeğin hepsini yemelerini istiyor ve artan ile yümn ü bereket kasdediyorsa, o zaman zarar etmez. Zîra hadîste: "Misafirin önünden artan yemeği yiyen kimseye, o yemekten sorulmaz." buyurulmuştur. **İbrahim b. Edhem** sofraya pek çok yemek koymuştu. **Süfyân-ı Sevrî**: "İsrâf değil mi, ne yapıyorsun?" deyince İbrâhim: "Misâfirin önüne konan yemekte isrâf olmaz." demiştir. Bu maksatla olmadığı takdirde, sofraya fazla yemek koymak, külfet olur.

İbn Mes'ûd (r.a.): "Yemeği ile gösteriş yapanın dâvetine icabetten nehyolunduk." demiştir. Sahâbeden pek çokları, bu gibilerin yemeğini mekruh saymıştır. Bunun için Rasûl-i Ekrem'in (s.a.v.) sofrasında yemek artmamıştır. Zîra onlar, ihtiyaçtan fazla yemeği sofrada bulundurmaz ve hattâ tam doyuncaya kadar da yemezlerdi.

Âdâbdan birisi de, pişirdiği yemeklerden evvelâ kendi ev halkına ayırmalıdır ki, gözleri misâfirin sofrasında kalmasın. Şâyet böyle yapmazsa, onlar misâfirin sofrasından artanı beklerler. Bir şey artmayınca da canları sıkılır, misâfirin aleyhinde dedi-kodu yaparlar. Bu sûretle de çoluk çocuğunun arzu ettiği yemeği misâfirlerine yedirmekle onlara ihânet etmiş olur. Misâfirin, sofrada artan yemeği götürmeye hakkı yoktur. Sûfiler, buna zillet derler. Ancak, ev sahibi sarâhaten izin verir veyâ artan yemeği götürmesinden memnûn kalacağını bilirse, o zaman götürebilir. Hâne sahibinin muvafakatini aldıktan sonra, artan yemeği, arkadaşlar arasında müsâvî şekilde bölmeli ve herkes hissesine düşeni almalı veyâ utandığından değil, gönülden arkadaşına müsâade ettiğini alabilmelidir.

DAVETTEN DÖNMENİN ÂDÂBI

Bunun üç âdâbı vardır:

1 - Ev sahibi, misâfirleri ile beraber kapıya kadar çıkmalıdır. Bu, misâfire ikrâmdır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), böyle emretmiştir. Nitekim hadîste:

«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»

“Allah’a ve âhirete imân eden, misafirine ikrâm etsin.” buyurmuştur. Diğer bir hadîste:

«إِنَّ مِنْ سُنَّةِ الضَّيْفِ أَنْ يُشَيَّعَ إِلٰى بَابِ الدَّارِ»

“Misafiri, kapıya kadar uğurlamak, usûldendir.” buyurmuştur, **Ebû Katâde** şöyle anlatıyor: “Hâbeş Kralı Necâşî’nin bir heyeti Rasûl-i Ekrem Efendimiz (s.a.v.)’i ziyarete gelmişti. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bizzât onlara hizmete başladı. Bunu gören ashâb: “Biz varız; sen otur, yâ Rasûlallah!” demeleri üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz:

«كَلَّا إِنَّهُمْ كَانُوا لِأَصْحَابِي مُكْرِمِينَ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أُكَافِئَهُمْ»

“Hayır, aslâ müsâade edemem. Çünkü onlar benim ashâbıma orada (Habeşistan’da) *ikrâm ettiler, ben de bizzât mukabelede bulunmak isterim.”* demiştir.

Misâfire tam mânasıyla ikrâm etmek için geldiğinde, sofra başında ve giderken kendisine güleryüz göstermek ve hoş sohbette bulunmaktır. Misâfirin asıl arzu ettiği güleryüz, tatlı dil ve hüsn-i kabuldür.

Evzâî'ye[64] "Misâfire ikrâm nedir?" diye sormuşlar, Evzâî "Güler yüz ve tatlı dildir." demiştir.

Yezîd b. Ebî Ziyâd da:[65] "Abdurrahman b. Ebî Leylâ'nın[66] huzûruna her girdiğimde, benimle güzel konuşur ve bana nefis yemekler yedirirdi." demiştir.

2 - Misâfir, -her ne kadar kendisine gereği gibi ikrâm yapılamasa bile- gönül hoşluğu ile ve memnûniyetini ifâde edecek şekilde ayrılmalıdır. Böyle yapmak, iyi ahlâk ve tevâzuun eseridir. Nitekim Rasûl-i Ekrem Efendimiz (s.a.v.):

«إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»

"Muhakkak ki kişi güzel ahlâkı sâyesinde gündüz oruçlu, gece ibadet edici (olanların) *derecesine yükselir."*[67] buyurmuştur.

Eskilerden birinin verdiği bir ziyâfette dâvetlilerden birisi bulunamamıştı. Dâvet edildiğini duyunca sonradan ev sahibine geldi. Ev sahibi:

- "Ne var, ne istiyorsun?" diye sordu. Adam:

- "Dâvet etmiştiniz, geç haber aldım ve şimdi geldim." dedi. Ev sahibi:

---

[64] Evzâî, Dımeşkli (Şamlı) büyük fakîh Abdurrahman b. Ömer'dir.

[65] Benî Hâşim'in azadlılarından, Kûfeli bir zâttır. Hadis rivâyetinde bulunmuştur. 137 Hicride ölmüştür.

[66] Medineli ve ensârdandır. Birçok rivâyetleri vardır. Kabîlesi kendisine bir hükümdar kadar saygı gösterirdi.

[67] Taberânî **"Kebir"** inde Ebû Ümâme'den rivâyet etmiştir. Ayrıca Hâkim, Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmiş ve Buhârî ile Müslim'in şartlarına göre, sahihtir, demiştir.

- “İyi ama dâvet bitti, misâfirler dağıldı gitti.” Adam:

- “Artan bir şey kalmadı mı, isterse bir ekmek ufağı olsun bana yeter.” dedi. Ev sahibi:

- “Maalesef hiç bir şey kalmadı.” dedi. Adam:

- “O halde yemeğin piştiği tencereyi getirin onu sıyırayım.” dedi. Ev sahibi:

- “Maalesef onu da yıkadık.” deyince misâfir: “Elhamdülillah” diyerek oradan ayrıldı. Bunu görenler:

- “Ne idi, nasıl oldu bu iş?” diye sorduklarında, adam:

- “Ev sahibi bizi hayır niyetiyle dâvet etti. (Yetişemedim, sonra gittiğimde de yine iyi niyetle geri çevirdi.) Biz de memnûn olarak ayrıldık.” dedi.

İşte tevâzu, güzel ahlâk budur. Şöyle hikâye olundu: **Cüneyd-i Bağdâdî**’nin hocasını, bir çocuk dört kere babasının ziyâfetine dâvet etti. Fakat her defâsında da babası bu zâtı kovdu. Her defâsında çocuğun gönlünü hoş etmek için dâvete icâbet ettiği gibi, babasının arzusuna uyarak da geri dönerdi.

İşte bu gibiler, belâyı Mevlâ’dan bilen, Allah için tevâzû ile zillete düşen, tevhîd ile huzûr bulup red ve kabulü Allah’ın bir imtihânı kabul eden, insanların ikrâmı ile koltukları kabarmadığı gibi, onların tahkîrine de aldırış etmeyip her şeyi Allah’tan bilen kimselerdir. Bunun için biri: “Ben dâvete hiç de icâbet etmek istemem. Fakat icâbetimin sebebi, cennetin yemeklerini hatırlamak içindir. Cennetin yemekleri nefis, zahmetsiz olduğu ve herhangi bir şekilde hesap sorulmayacağı için, dâvet yemeği de öyledir.” demiştir.

3 - Ev sahibinin müsâadesini almadan çıkmamalı, gönlünü alıncaya kadar oturmalıdır. Misâfir olarak gittiği yerde ev sahibine ağırlık vermemek için, üç günden fazla kalmamalıdır. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz:

«اَلضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا زَادَ فَصَدَقَةٌ»

"Misâfirlik üç gündür. Bundan fazlası sadakadır."[68] buyurmuştur. Ev sahibi samimî olarak ısrâr ederse o zaman daha da fazla kalabilir. Misafire bir yatak temin etmek, müstehaptır. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

«فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ، وَفِرَاشٌ لِلْمَرْأَةِ، وَفِرَاشٌ لِلضَّيْفِ، وَالرَّابِعُ لِلشَّيْطَانِ»

"Bir yatak kendisinin, biri ailesinin, biri de misâfirinindir. Bundan fazlası şeytân içindir."[69] buyurmuştur.

Fasıl:
YEMEK ÂDÂBI

1 - Sokakta yemek:

İbrâhim en-Nahaî:[70] "Sokakta yemek, âdî bir harekettir." dedi ve bunu Rasûl-i Ekrem'e (s.a.v.) isnâd etti.[71] Fakat isnâdı garibdir. **Abdullah b. Ömer** (r.a.): "Biz, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) zamanında (bâzen) yürürken yer ve ayakta iken de su içerdik." demekle bunun aksini nakletmiştir. Meşhûr bir zât da, sokakta yerken görülmüştür. Kendisine: “Sokakta niçin yiyorsun?” diye sorduklarında: “Yazıklar olsun, neden böyle söylüyorsunuz? Acıktık, yemek için eve mi gidelim?” demiştir. Kendisine: “Hiç olmazsa mescide gir” diyenlere de: “Yemek için Allah’ın evine girmekten hayâ ederim!” demiştir. Bu iki zıt görüşü şu şekilde telif edebiliriz: Âdetler, muhît ve şahıslara göre değişir. Variyeti itibariyle sokakta yiyebilecek seviyede olanlar için sokakta yemek bir tevâzûdur. Fakat vaziyeti ile mütenâsip olmayan kimselere, sokakta yemek mekruh olduğu gibi, hattâ şahidliğine dahi tesîr eder ve mürüvvetsizliğine delîl olur.

---

[68] Buhârî ile Müslim. Ebû Şurayh-ı Huzâî'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[69] Müslm. Câbir'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

[70] Tâbiînin ileri gelenlerinden bir zâttır.

[71] Taberânî, Ebû Ümâme'den rivâyet etmiştir. Ayrıca İbn Adiy **"Kâmil"**de hem Ebû Ümâme ve hem de Ebû Hüreyre'den rivâyet etmiştir.

2 - Hz. Ali’nin (r.a.) Öğütleri:

- “Hz. Ali (r.a.): “Yemeğe tuz ile başlayan kimseyi, Allahu Teâlâ yetmiş dertten kurtarır.

- “Her gün yedi adet acve hurması yiyen kimsenin mîdesinde hastalık kalmaz.

- “Her gün yirmi adet kuru üzüm yiyen kimsenin bedeninde ârıza kalmaz.

- “Et, eti bitirir. Tirit Arab yemeğidir. Bıskarıcat (tavuk, ve et suyu)[72] mîdeyi genişletir, baldırları büyütür.

- “İnek eti hastalık, sütü ve yağı şifâdır.

- “Az yemek şartıyla, içyağı da hastalığı izâle eder.

- “Lohusaya en faydalı yemek, olgun hurmadır.

---

[72] Bıskarıcat, iyice pişen et veyâ tavuk. Bir zaman suyu içinde sonra pırasa, havuç ve hilyon ile pişer katılaşır, soğur, yıkanır. Sonra ebâriz denen bir otla tekrar pişirilir. Sonra et suyu ve tortuları atılır. Şeker ile yeniden pişirilir, zağferan ile sıvanır ve bu sûretle mîdeyi genişlendiren bir ilâç olmuş olur.

- "Balık şişmanlığı giderir, insanı zindeleştirir.

- "Misvak kullanıp Kur'an okumak, balgamı izâle eder.

- "Yaşamak isteyenler, erken kahvaltı etmeli, akşamları az yemeli, ayakkabı giymeli, cinsî münâsebeti azaltmalı ve fazla borç yapmamalıdır."

3 - Bir tabibin Haccac'a tavsiyeleri:

Haccac, tabîbin birine: "Bana tavsiyede bulun, bulunacağın tavsiyeye göre hareket edeyim." dedi. Tabîb; "Evlenirsen genç kadın al. Genç olan, körpe hayvanın etini ye. Yemeği iyi pişirmeden yeme. Hasta olmadıkça keyfî olarak ilâç kullanma. Dalında olgunlaşan meyveyi ye. Yemeği iyice çiğne. Canının istediği yemeği ye. Yemek üzerine su içme. Su içer içmez, hemen üzerine yemek yeme. Küçük ve büyük abdestini bekletme. İdrarın hapsi, mecrâsı kapatılan nehrin, etrafını tahrip etmesi gibi, vücudu tahrip eder. Gündüz yemekten sonra biraz uyu. Akşam yemeğinden sonra- yüz adım da olsa- yürümeden uyuma." demiştir. Arapların "Sabah kahvaltısından sonra yat uzan, akşam yemeğinden sonra gezin." sözü bu mânâdadır. Nitekim Kur'ân-ı Kerîm'de:

«ثُمَّ ذَهَبَ إِلٰى أَهْلِهِ يَتَمَطّٰى»

"Sonra salınarak ehline gitti." (Kıyâme sûresi, 75/33) buyurulmuştur. Buradaki "Yetemattâ" kelimesi aslında "Yetemattatu" idi. Bir cinsten üç harfin bir arada bulunması kerih olduğu için, biri hazfedildi. "Temdü" de "Temdüdü" idi. Tahfîflik için, dal harfinin biri hazfedilmiştir

4 - Evden çıkmadan yemek yemenin zarûreti:

Haberde:

«قَطْعُ الْعُرُوقِ مَسْقَمَةٌ، وَتَرْكُ الْعَشَاءِ مَهْرَمَةٌ»

"Damarları kesmek hastalığa, akşam yemeğini kesmek ise ihtiyarlığa sebebtir."[73] diye vârid olmuştur. Araplar: "Akşam yemeğini terk etmek, uylukların yağını eritir." derler. Hakîmlerden biri oğluna şöyle öğüt vermiştir:

"Oğlum, sabah kahvaltını yapmadan dışarı çıkma. Çünkü kahvaltı sâyesinde halîm ve ağırbaşlı olursun. Aynı zamanda çarşıda gördüğün her şeye de canın çekmez." demiştir. Hakîmin biri, tavlı ve şişman bir adama kinâye yolu ile: "Sırtındaki kadifeyi kim dokudu ve bunu nasıl temin ettin?" deyince adam: "Ekmeğin özünü, genç hayvanın etini yemekle; menekşe ile yağlanıp keten elbise giymekle temin ettim." diye cevap vermiştir.

5 - Himye, diyet (rejim):

Bâzıları; "Perhiz hastalara faydalı, sağlamlara zararlıdır." dediler. Diğer bâzıları da: "Diyet edenlerin tehlikeden korunmaları katî, âfiyet bulmaları şüphelidir. Sıhhatli iken de diyete riâyet, güzeldir." demişlerdir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) **Süheyb**'i (r.a.) hurma yerken gördü. Hâlbuki gözünün biri ağrıyordu. Ona:

«أَتَأْكُلُ التَّمْرَ وَأَنْتَ رَمِدٌ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ، إِنَّمَا اٰكُلُ بِالشِّقِّ الْاٰخَرِ»

"Gözün ağrıdığı halde, hurmayı nasıl yiyorsun?" deyince, Suheyb şaka yollu: "Yâ Rasûlallah, ağrımayan tarafından yiyorum."

---

[73] İbn Adiy **"El-Kâmil"**de Abdullah b. Cerad'dan (r.a.) birinci fıkrayı; ikinci fıkrayı da Tirmizî, Enes'den (r.a.) rivâyet etmiştir. İbn Mâce de ikinci fıkrayı Câbir'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

diye cevap verdi.[74] Bu cevap, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in hoşuna gitti ve gülümsedi.

6 - Cenâze sahiplerini yedirmek:

Ölü evine yemek götürmek müstehaptır. **Câfer b. Ebî Tâlib**'in ölüm haberi geldiği vakit, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

«إِنَّ اٰلَ جَعْفَرَ شُغِلُوا بِمَيِّتِهِمْ عَنْ صُنْعِ طَعَامِهِمْ فَاحْمِلُوا
إِلَيْهِمْ مَا يَأْكُلُونَ»

"Muhakkak ki Câfer'in ölümü, çoluk çocuğunu yemek pişirmekten alıkoymuştur; onlara yiyecek götürün."[75] buyurmuştur. Cenâze evine üç gün yemek vermek sünnettir, ölü evine gelen yemekten herkes yiyebilir. Ancak ağıtçılar için hazırlanan yemek yenmez. Ölü sahibinin bunlara yemek vermesi lâzım gelmez.

7 - Zâlimlerin ziyafeti:

Zâlim olan kimsenin ziyâfetine gitmek doğru değildir. Şâyet mecburiyet hâsıl olursa, az yemelidir. Hattâ tezkiyecilerden biri, sultanların ziyâfetine giden kimsenin, şehâdetini kabul etmemiştir. Adam: "Ben mecbûriyet karşısında gittim" dedi. Tezkiyeci: "Ama iyi yemeklere hücum edip, büyük lokmalara sarıldığını gördüm. Buna da mecbûr değildin ya!" dedi.

Bir müddet sonra Sultan, bu tezkiyeciyi yemeğe zorladı; "Yemekten ye." dedi. Tezkiyeci: "Ya yemeğinden yemem veyâhut da tezkiyeciliği bırakırım." deyince, hükümdar başka tezkiyeci bulamadığı için kendisini serbest bıraktı. Hikâye olundu ki; **Zünnûn-ı**

---

[74] İbn Mâce, Suheyb'den (r.a.) "İsnâd-ı ceyyid" ile rivâyet etmiştir.

[75] Ebû Dâvûd, Tirmizî ve İbn Mâce. Abdullah b. Câfer'den (r.a.) hasen sened ile İbn Mâce ayrıca Esmâ binti Amis'den rivâyet etmiştir.

Mısrî[76] hapsedilmişti. Birkaç gün yemek yemedi. Bunu duyan kardeşliği bir kadın, kendi el emeğinden arttırdığı bir yemeği gardiyanla ona gönderdi. Fakat o yine yemeği reddetti. Kadın: "Helâl kazancımdan sana yemek gönderdim. Niye yemedin?" diye kendisine itâb edince, Zünnûn gardiyanın elini işaret ederek: "Evet yemek helâldi. Fakat zâlimin tabağında idi. Onun için yemedim." dedi. İşte bu hareket, takvanın son haddidir.

8 - Hikâye olundu ki; **Feth-i Mûsulî**, Bişr-i Hâfî'yi ziyarete gitti. **Bişr-i Hâfî**, hizmetkârı Ahmed Celâ'ya bir miktar para vererek: "Git iyi ekmek ve nefis katık al gel." dedi.

Ahmed Celâ: "İyi pişmiş ekmek aldı, sonra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in yalnız süt hakkında *"Allahım! Bunu bize mübârek kıl ve rızkımızı bundan arttır."* dediğini hatırladı. Bunun için bir miktar da süt aldı. Nefis katık olarak da hurmayı seçti, aldı ve eve geldi. Fethi Mûsulî oturdu kendi başına yedi ve artanı alıp gitti.

Bunun üzerine **Bişr-i Hâfî**: "Yemeğin nefisini getir dediğimin sebebini biliyor musunuz? Çünkü nefîs yemek, samimî şükrü gerektirir. Beni niçin dâvet etmediğini biliyor musunuz? Çünkü misâfir ev sahibini dâvet etmez. Artanı niçin götürdüğünü biliyor musunuz? Zîra tevekkül sahîh olduğu vakit, azık taşımakta beis yoktur." dedi.

Ebû Ali er-Ruzbârî (Allah rahmet etsin) bir ziyâfette bin kandil yaktı. Birisi kendisine: "İsrâf ettin." dedi- Ebû Ali bu zâta: "İçeri gir bak, Allah rızâsı için olmayıp gösteriş için yanmış hangi ışık bulursan onu söndür." dedi. Adam içeri girdi baktı ve söndürecek bir ışık bulamadı. Ebû Ali el-Rüzbârî bir defâ satın aldığı külliyetli miktardaki şekerden mihrâblı kubbeli bir yapı yaptırdı ve sonra da dervişlere: "Şunu yağma edin." diye emir verdi.

---

[76] İsmi, Ebü'l-Feyyaz veyâ Sevban b. İbrâhim'dir. Sarı sakallı kâmil bir zât idi. Hicri 245 târihinde vefat etmiştir. Büyük evliyaullahtandır. Tabakat kitâplarının hepsinde hayâtı yazılıdır.

9 - İmâm Şâfiî'nin yemek hakkındaki öğütleri:

İmâm Şâfiî: "Yemek dört şekilde yenir" dedi:

1 - Tek parmak ile yemek; bu kibarlıktandır.

2 - Çift parmak ile yemek; bu da kibirdendir.

3 - Üç parmak ile yemek; bu da sünnettendir.

4 - Dört veyâ beş parmak ile yemek; bu da boğazının kulu, (oburdur.)

Dört şey bedeni kuvvetlendirir:

1 - Et yemek,

2 - Güzel koku,

3 - Münâsebet olmadan çok yıkanmak,

4 - Keten elbise giymek.

Dört şey bedeni zayıflatır:

1 - Fazla münâsebet,

2 - Fazla düşünce,

3 - Aç karnına çok su içmek,

4 - Çok ekşi yemek.

Dört şey gözün nûrunu azaltır:

1 - Pisliğe bakmak,

2 - İdâm edilene bakmak,

3 - Kadının edep yerine bakmak,

4 - Kıbleye arka çevirip oturmak.

Dört şey cinsî münâsebeti arttırır:

1 - Serçe, kuş eti,

2 - Itrıfîl-i ekber,

3 - Fıstık,

4 - Maydanoz yemek.

Dört türlü uyuma şekli vardır:

1 - Sırtüstü uyumak: Peygamberler uykusudur. Onlar, göklere bakarak bunların yaradılışı üzerinde düşünürler.

2 - Sağ omuz üzerine yatmak, âlimler ve âbidlerin uykusudur.

3 - Sol omuz üzerine yatmak, pâdişahlar uykusudur. Hazmı kolaylaştırır.

4 - Yüzükoyun yatmak, bu da şeytanlar uykusudur.

Dört şey aklı çoğaltır:

1 - Fazla ve lüzûmsuz konuşmamak,

2 - Misvâk kullanmak,

3 - Sâlihlerle beraber olmak,

4 - Alimler ile düşüp kalkmak.

Dört şey ibâdet sayılır:

1 - Dâima abdestli gezmek,

2 - Çok secde etmek,

3 - Camilere devâm etmek,

4 - Çokça Kur'ân okumak.

Yine **İmâm Şâfiî**: "Aç karnına hamâma girip çıktıktan sonra yemeyen kimsenin nasıl yaşadığına; kan aldırır aldırmaz yemek yiyen kimsenin nasıl ölmediğine, şaşarım" demiştir.

Yine **İmâm Şâfiî**: "Veba hastalığının en faydalı ilâcı menekşedir" dedi. Doğrusunu Allah bilir.

كِتَابُ

آدَابِ النِّكَاحِ

وهو الكتاب الثّاني من ربع العادات
من كتب إحياء علوم الدّين

Rub‘u’l-Âdât

İKİNCİ KİTAB

NİKÂH ÂDÂBI

(KİTÂBU ÂDÂBİ’N-NİKÂH)

كتاب آداب النّكاح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي لا تصادفُ سهامُ الأوهامِ في عجائبِ صنعتِهِ مَجرىٰ ، ولا ترجعُ العقولُ عنْ أوائلِ بدائعِها إلا والهةً حيرىٰ ، ولا تزالُ لطائفُ نعمِهِ على العالمينَ تترىٰ ، فهيَ تتوالىٰ عليهِمُ اختياراً وقهراً ، ومن بدائعِ ألطافِهِ أنْ خلقَ مِنَ الماءِ بشراً ، فجعلَهُ نسباً وصهراً ، وسلَّطَ على الخلقِ شهوةً اضطرَّهُمْ بها إلى الحراثةِ جبراً ، واستبقىٰ بها نسلَهُمُ اقتهاراً وقسراً ، ثمَّ عظَّمَ أمرَ الأنسابِ وجعلَ لها قدراً ، فحرَّم بسببِها السفاحَ وبالغَ في تقبيحِهِ ردعاً وزجراً ، وجعلَ اقتحامَهُ جريمةً فاحشةً وأمراً إمْراً ، وندبَ إلى النكاحِ وحثَّ عليهِ استحباباً وأمراً .

فسبحانَ مَنْ كتبَ الموتَ علىٰ عبادِهِ فأذلَّهُمْ بِهِ هدماً وكسراً ، ثمَّ بثَّ بذورَ النطفِ في أراضي الأرحامِ وأنشأَ منها خلقاً وجعلَهُ لكسْرِ الموتِ جبراً ؛ تنبيهاً علىٰ أنَّ بحارَ المقاديرِ فياضةٌ على العالمينَ نفعاً وضراً ، وخيراً وشرّاً ، وعسراً ويسراً ، وطيّاً ونشراً .

والصلاةُ والسلامُ علىٰ محمدٍ المبعوثِ بالإنذارِ والبشرىٰ ، وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ صلاةً لا يستطيعُ لها الحسابُ عدّاً ولاحصراً ، وسلَّمَ تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فإنَّ النكاحَ معينٌ على الدِّينِ ، ومهينٌ للشياطينِ ، وحصنٌ دونَ عدوِّ اللهِ حصينٌ ، وسببٌ للتكثيرِ الذي بهِ مباهاةُ سيِّدِ المرسلينَ لسائرِ النبيينَ .

فما أحراهُ بأنْ تُتحرىٰ أسبابُهُ ، وتُحفظَ سننُهُ وآدابُهُ ، وتُشرحَ مقاصدُهُ وآرابُهُ ، وتُفصلَ فصولُهُ وأبوابُهُ .

والقدْرُ المهمُّ مِنْ أحكامِهِ ينكشفُ في ثلاثةِ أبوابٍ :

البابُ الأوَّلُ : في الترغيبِ فيهِ وعنهُ .

البابُ الثاني : في الآدابِ المرعيَّةِ في العَقدِ والعاقدَيْنِ .

البابُ الثالثُ : في آدابِ المعاشرةِ بعدَ العَقْدِ إلى الفراقِ .

* * *

MUKADDİME

Hamd, Allah'a mahsûstur. (O'na hamd ederim.) O Allah ki, vehim okları O'nun sun-i bedîinde (güzel eserinde) bir gedik ve bir menfez bulamaz. O'nun sanatının inceliği karşısında akıllar duraklar; şaşkınlık ve hayret içinde ric'ate mecbûr kalırlar. O'nun nîmetleri, lütûf ve ihsânları -isteseler de istemeseler de- ardı arkası kesilmeden bütün âlemleredir.

O Allah ki, insanları nutfeden yaratıp aralarında yakınlık ve hısımlık bağlarını tesîs etmesi, yarattığı şehvet hissi ile onları evlenmeye mecbûr edip nesillerini yaşatması, sonra aralarındaki akrabalığa ehemmiyet vermesi, sonra bu sebeple zinâyı harâm edip son derece takbîh etmesi, zinâya yeltenmeyi açık ve çirkin bir cürüm kabul edip evlenmeyi mübâh ve onu emir ve teşvik etmesi, O'nun en güzel ve en ince vasıflarından birini teşkil etmektedir.

Kâr ve zarar, iyi ve kötü, kolay ve çetin, dürülmüş ve dağılmış olarak, ilâhî mukadderât deryâlarının insanlar üzerine akıtılmış olduğuna tenbîh için, izzetlerini yıkmak ve kuvvetlerini kırmak üzere insanlara ölümü mukadder kılan, sonra rahim tarlasına tohumunu saçtırmakla ölümün getirdiği boşluğu doldurmak üzere yeni mahlûklar yaratan Allah'ı noksan sıfatlardan tenzîh ederim.

Hesâba sığmayacak, ölçülüp sayılamıyacak kadar sonsuz salât ve selâm, korkutucu ve müjdeleyici olarak gönderilen, Hazret-i Muhammed'e ve Onun âline ve ashâbına olsun.

Bundan sonra bilmiş ol ki: Nikâh dîni korumaya yardımcı, şeytanı zillete uğratıcı olduğundan, Allah'ın bu düşmanına karşı en sağlam bir kale ve hisardır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in, diğer peygamberlere karşı iftihâr edeceği nesil çokluğunun yegâne sebebidir. O hâlde bundan daha ziyâde, sebeplerini araştırmaya, sünnet ve âdâbına riâyet edilmeye, fasıl ve kısımlarını tafsil ve îzâha lâyık, ne olabilir?

Evlenmenin ahkâmından bilinmesi lüzûmlu şeyler, üç bâbda açıklanabilir:

البَابُ الأوّلُ

في التّرغيب في النّكاح والتّرغيب عنه

اعلمْ : أنَّ العلماءَ قدِ اختلفوا في فضلِ النكاحِ ، فبالغَ بعضُهُمْ فيهِ حتَّىٰ زعمَ أنَّهُ أفضلُ مِنَ التخلِّي لعبادةِ اللهِ تعالىٰ .

واعترفَ آخرونَ بفضلِهِ ، ولكنْ قدَّموا عليهِ التخلِّيَ لعبادةِ اللهِ ، مهما لمْ تتقِ النفسُ إلى النكاحِ توقاناً يشوِّشُ الحالَ ، ويدعو إلى الوقاعِ .

وقالَ آخرونَ : الأفضلُ تركُهُ في زمانِنا هـٰذا ، وقدْ كانَ لهُ فضيلةٌ مِنْ قبلُ ؛ إذْ لمْ تكنِ الأكسابُ محظورةً ، وأخلاقُ النساءِ مذمومةً .

ولا ينكشفُ الحقُّ فيهِ إلا بأنْ نقدِّمَ أوَّلاً ما وردَ مِنَ الأخبارِ والآثارِ في الترغيبِ فيهِ ، والترغيبِ عنهُ ، ثمَّ نشرحُ فوائدَ النكاح وغوائلَهُ ؛ حتَّىٰ يتضحَ منها فضيلةُ النكاحِ وتركِهِ في حقِّ كلِّ مَنْ سلمَ مِنْ غوائلِهِ أوْ لمْ يسلمْ منها .

* * *

التّرغيب في النّكاح

أمّا مِنَ الآياتِ :

فقدْ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ ﴾ ، وهـٰذا أمرٌ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ ﴾ ، وهـٰذا منعٌ مِنَ العضْلِ ونهيٌ عنهُ(١) .

وقالَ تعالىٰ في وصفِ الرسلِ ومدحِهِمْ : ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلًا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ ، فذكرَ ذلكَ في معرضِ الامتنانِ وإظهارِ الفضلِ .

ومدحَ أولياءَهُ بسؤالِ ذلكَ في الدعاءِ فقالَ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٍ . . . ﴾ الآيةَ .

ويُقالُ : إنَّ اللهَ تعالىٰ لمْ يذكرْ في كتابِهِ مِنَ الأنبياءِ إلا المتأهلينَ ، فقالوا : إنَّ يحيىٰ علىٰ نبيِّنا وعليهِ الصلاةُ والسلامُ قدْ تزوَّجَ ولمْ يجامعْ ، قيلَ : إنَّما فعلَ ذلكَ لنيلِ الفضلِ وإقامةِ السنةِ ، وقيلَ : لغضِّ البصرِ(٢) ، وأمَّا عيسىٰ عليهِ السلامُ . . فإنَّه سينكحُ إذا نزلَ إلى الأرضِ ويولدُ لهُ(٣) .

❊ ❊ ❊

---

(١) **العضل** : منع الرجل موليته من التزوج . « إتحاف » (٥/ ٢٨٥) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٤١) .

(٣) رواه ابن الجوزي في « المنتظم » (١/ ٣٢٨) مرفوعاً ، وهو في « القوت » (٢/ ٢٤٣) .

وأمَّا الأخبارُ :

فقولهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « النكاحُ سُنَّتي ، فمَنْ رغِبَ عنْ سنتي . . فقد رغبَ عنِّي » .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « النكاحُ سُنَّتي ، فمَنْ أحبَّ فطرتي . . فليستنَّ بسنَّتي »(١) .

وقالَ أيضاً عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « تناكحوا تكثُروا ؛ فإنِّي أباهي بكمُ الأممَ يومَ القيامةِ حتَّىٰ بالسِّقطِ »(٢) .

وقالَ أيضاً عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « مَنْ رغبَ عنْ سنَّتِي . . فليسَ منِّي ، وإنَّ مِنْ سُنَّتي النكاحَ ، فمَنْ أحبَّني . . فليستنَّ بسُنَّتي »(٣) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ تركَ التزويجَ مخافةَ العيلةِ . . فليسَ منَّا »(٤) ، وهـٰذا ذمٌّ لعلَّةِ الامتناعِ ، لا لأصلِ التركِ .

---

(١) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٦/ ١٦٩) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٢٧٤٨) عن عبيد بن سعد مرسلاً ، ولفظه : « من أحب فطرتي . . فليستن بسنتي ، ومن سنتي النكاح » .

(٢) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٦/ ١٧٣) عن سعيد بن أبي هلال مرسلاً ، وقال الحافظ العراقي : (رواه ابن مردويه في « تفسيره » من حديث ابن عمر بسند ضعيف) ، وروىٰ أبو داوود (٢٠٥٠) مرفوعاً: « تزوجوا الودود الولود ، فإني مكاثر بكم الأمم » .

(٣) الجملة الأولىٰ منه رواها البخاري (٥٠٦٣) ، ومسلم (١٤٠١) ، وتقدم باقيه قريباً .

(٤) كذا في « القوت » (٢/ ٢٣٨) ، قال : (وروى الحسن عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم . . .) وذكره ، وروىٰ عبد الرزاق في « المصنف » (٦/ ١٦٨) ، =

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ كانَ ذا طولٍ . . فليتزوَّجْ »(١) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « مَنِ استطاعَ منكُمُ الباءةَ . . فليتزوَّجْ ؛ فإنَّهُ أغضُّ للبصرِ ، وأحصنُ للفرجِ ، ومَنْ لا . . فليصمْ ؛ فإنَّ الصومَ لهُ وِجاءٌ »(٢) ، وهـٰذا يدلُّ علىٰ أنَّ سببَ الترغيبِ فيهِ خوفُ الفسادِ في العينِ والفرجِ ، **والوِجاءُ** : هوَ عبارةٌ عن رضِّ الخصيتينِ للفحلِ حتَّىٰ تزولَ فحولتُهُ ، فهوَ مستعارٌ للضعفِ عنِ الوقاعِ في الصومِ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إذا أتاكُمْ مَنْ ترضونَ دينَهُ وأمانتَهُ . . فزوِّجوهُ ، إلاَّ تفعلوا . . تكنْ فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ كبيرٌ »(٣) ، وهـٰذا أيضاً تعليلٌ للترغيبِ بخوفِ الفسادِ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «مَنْ نكحَ للهِ، وأنكحَ للهِ. . استحقَّ ولايةَ اللهِ»(٤).

= وأبو داوود في « المراسيل » (١٩٠) ، والطبراني في « الكبير » (٢٢/ ٣٦٦) عن أبي نجيح قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان موسراً لأن ينكح ثم لم ينكح . . فليس مني » .

(١) رواه النسائي (٤/ ١٧١) .

(٢) رواه البخاري (١٩٠٥) ، ومسلم (١٤٠٠) .

(٣) رواه الترمذي (١٠٨٤) ، وابن ماجه (١٩٦٧) ، وفيهما : « وفساد عريض » .

(٤) كذا في « القوت » (٢/ ٢٣٨) ، وروى الترمذي (٢٥٢١) مرفوعاً : « من أعطىٰ لله ، ومنع لله ، وأحب لله ، وأبغض لله ، وأنكح لله . . فقد استكمل إيمانَهُ » .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ تزوَّجَ . . فقدْ أحرزَ شطْرَ دينِهِ ، فليتَّقِ اللهَ في الشطرِ الثاني »⁽¹⁾ ، وهـٰذا أيضاً إشارةٌ إلىٰ أنَّ فضيلتَهُ لأجلِ التحرُّزِ مِنَ المخالفةِ ؛ تحصُّناً مِنَ الفسادِ ، وكأنَّ المفسِدَ لدينِ المرءِ في الأغلبِ فرجُهُ وبطنُهُ ، وقدْ كُفِيَ بالتزويجِ أحدَهُما .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كلُّ عملِ ابنِ آدمَ ينقطعُ إلا ثلاثاً : ولدٌ صالحٌ يدعو لهُ . . . » الحديثَ⁽²⁾ ، ولا يوصلُ إلىٰ هـٰذا إلا بالنكاحِ .

* * *

وأمَّا الآثارُ :

فقدْ قالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : (لا يمنعُ مِنَ النكاحِ إلاَّ عجْزٌ أوْ فجورٌ)⁽³⁾ ، فبيَّنَ أنَّ الدينَ غيرُ مانعٍ منهُ ، وحصرَ المانعَ في أمرينِ مذمومينِ .

وقالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (لا يتمُّ نسكُ الناسكِ حتَّىٰ يتزوَّجَ)⁽⁴⁾ ، يحتملُ أنَّهُ جعلَهُ مِنَ النسكِ وتتمةً لهُ ، ولكنَّ الظاهرَ أنَّهُ أرادَ بهِ

---

(1) رواه البيهقي في « الشعب » (٥١٠٠) ، وهو عند الطبراني في « الأوسط » (٩٧٦) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/ ١٦١) واللفظ له : « من رزقه الله امرأة صالحة . . فقد أعانه علىٰ شطر دينه ، فليتق الله في الشطر الثاني » .

(2) رواه مسلم (١٦٣١) .

(3) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٦/ ١٧٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٦) .

(4) قوت القلوب (٢/ ٢٤٠) ، وقد رواه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٦) عن طاووس .

أنَّهُ لا يسلَمُ قلبُهُ لغلبةِ الشهوةِ إلا بالتزويجِ ، ولا يتمُّ النسكُ إلا بفراغِ القلبِ ؛ ولذلكَ كانَ يجمعُ غلمانَهُ لمَّا أدركوا عكرمةَ وكُرَيباً وغيرَهما ويقولُ : (إنْ أردتُمُ النكاحَ . . أنكحتُكُمْ ؛ فإن العبد إذا زنىٰ . . نُزِعَ الإيمانُ مِنْ قلبِهِ)(١) .

وكانَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لوْ لمْ يبقَ مِنْ عمري إلاَّ عشرةُ أيامٍ . . لأحببتُ أنْ أتزوَّجَ ؛ لكيلا ألقى اللهَ عزْباً)(٢) .

وماتَتِ امرأتانِ لمعاذِ بنِ جبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ في الطاعونِ ، وكانَ هوَ أيضاً مطعوناً ، فقالَ : (زوِّجوني ؛ فإنِّي أكرَهُ أنْ ألقى اللهَ عزباً)(٣) .

وهـٰذا منهما يدلُّ علىٰ أنَّهما رأيا في النكاحِ فضلاً لا مِنْ حيثُ التحرُّزُ عنْ غائلةِ الشهوةِ .

وكانَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ يكثرُ النكاحَ ويقولُ : (ما أتزوَّجُ إلا لأجلِ الولدِ)(٤) .

وكانَ بعضُ الصحابةِ قدِ انقطعَ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يخدمُهُ

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٠/ ١٢٢) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٦١٦٠) ، ولفظه في « القوت » (٢/ ٢٤١) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٦١٥٧) ، وهو في « القوت » (٢/ ٢٤١) .

(٤) قوت القلوب (٢/ ٢٤٢) ، وقال : (وقد كانت هـٰذه نية جماعة من السلف ، يتزوجون لأجل أن يولد لهم ، فيعيش ، فيوحد الله تعالىٰ ويذكره ، أو يموت فيكون فرطاً صالحاً يثقل في ميزانه) .

ويبيتُ عندَهُ لحاجةٍ إنْ طرقتْهُ ، فقالَ لَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ألا تتزوَّجُ ؟ » فقالَ : يا رَسُولَ اللهِ ؛ إنِّي فقيرٌ لا شيءَ لي ، وأنقطعُ عنْ خدمتِكَ ، فسكتَ ، ثمَّ أعادَ ثانياً ، فأعادَ الجوابَ ، ثمَّ تفكَّرَ الصحابيُّ وقالَ : واللهِ ؛ لَرسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أعلمُ بما يصلحُني في دنيايَ وآخرتي وما يقرِّبُني إلى اللهِ منِّي ، ولئنْ قالَ لي الثالثةَ . . لأفعلنَّ ، فقالَ لهُ ثالثةً : « ألا تتزوَّجُ ؟ » قالَ : فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ زوِّجني ، قالَ : « اذهبْ إلىٰ بني فلانٍ ، فقلْ : إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يأمرُكُمْ أنْ تُزَوِّجوني فتاتَكُمْ » قَالَ : فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ لا شيءَ لي ، فقالَ لأصحابِهِ : « اجمعوا لأخيكُمْ وزنَ نواةٍ مِنْ ذهبٍ » ، فجمعوا لهُ ، فذهبوا بهِ إلى القومِ ، فأنكحوهُ ، فقالَ لهُ : « أولِمْ » ، وجمعَ لهُ مِنَ الأصحابِ شاةً للوليمةِ⁽¹⁾ .

وهـٰذا التكريرُ يدلُّ علىٰ فضلٍ في نفْسِ النكاحِ ، ويُحتملُ أنَّهُ توسَّمَ فيهِ الحاجةَ إلى النكاحِ .

وحُكيَ أنَّ بعضَ العبَّادِ في الأممِ السالفةِ فاقَ أهلَ زمانِهِ في العبادةِ ، فذُكِرَ لنَبيٍّ زمانِهِ حسنُ عبادتِهِ ، فقالَ : نعمَ الرجلُ هوَ لولا أنَّهُ تاركٌ لشيءٍ مِنَ السنَّةِ ، فاغتمَّ العابدُ لمَّا سمعَ ذلكَ ، فسألَ النبيَّ عنْ ذلكَ ، فقالَ : أنتَ

---

(١) رواه أبو داوود الطيالسي في « مسنده » (١١٧٣) ، وأحمد في « المسند » (٤/٥٨) ، والصحابي هو ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه .

تاركٌ للتزويجِ ، فقالَ : لستُ أحرِّمُهُ ولكنِّي فقيرٌ ، وأنا عيالٌ على الناسِ ، قالَ : أنا أزوِّجُكَ ابنتي ، فزوَّجَهُ النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ابنتَهُ(١) .

وقالَ بشرُ بنُ الحارثِ : (فضَلَ عليَّ أحمدُ ابنُ حنبلٍ بثلاثٍ : بطلبِ الحلالِ لنفسِهِ ولغيرِهِ ، وأنا أطلبُهُ لنفسي فقطْ ، ولاتساعِهِ في النكاحِ ، وضيقي عنهُ ، ولأنَّهُ نصبَ إماماً للعامةِ)(٢) .

ويُقالُ : إنَّ أحمدَ رحمَهُ اللهُ تزوَّجَ في اليومِ الثاني مِنْ وفاةِ أمِّ ولدِهِ عبدِ اللهِ ، وقالَ : (أكرهُ أنْ أبيتَ عزباً)(٣) .

وأمَّا بشرٌ . . فإنَّهُ لمَّا قيلَ لهُ : إنَّ الناسَ يتكلَّمونَ فيكَ بتركِكَ النكاحَ ويقولونَ : هوَ تاركٌ للسنَّةِ ، فقالَ : قولُوا لهُمْ : هوَ مشغولٌ بالفرضِ عنِ السنَّةِ .

وعوتبَ مرَّةً أخرىٰ فقالَ : ما يمنعُني مِنَ التزويجِ إلا قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ ، فذُكِرَ ذلكَ لأحمدَ ، فقالَ : وأينَ مثلُ بشرٍ ؟! إنَّهُ قعدَ علىٰ مثلِ حدِّ السِّنانِ(٤) .

ومعَ ذلكَ فقدْ رُوِيَ أنَّهُ رُئيَ في المنامِ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقال : رُفعتْ منازلي في الجنَّةِ ، وأشرفَتْ بي علىٰ مقاماتِ الأنبياءِ ، ولمْ

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٤١) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٤١) وتمامه : (وأنا أطلب الوحدة لنفسي) .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢٤١) .

(٤) قوت القلوب (٢/ ٢٤١) .

أبلغْ منازلَ المتأهِّلينَ ، وفي روايةٍ : قالَ لي : ما كنتُ أحبُّ أنْ تلقاني عزباً ، قالَ : فقلنا لهُ : ما فعلَ أبو نصرٍ التمَّارُ ؟ فقالَ : رُفعَ فوقي بسبعينَ درجةً ، قلنا : بماذا ؟ فقدْ كنَّا نراكَ فوقَهُ ! قالَ : بصبرِهِ علىٰ بنيَّاتِهِ والعيالِ(١) .

وقالَ سفيانُ بنُ عيينةَ : (كثرةُ النساءِ ليستْ مِنَ الدنيا ؛ لأنَّ عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ كانَ أزهدَ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وكانَ لهُ أربعُ نسوةٍ وسبعَ عشرةَ سُرِّيَّةً ، فالنكاحُ سنَّةٌ ماضيةٌ ، وخُلُقٌ مِنْ أخلاقِ الأنبياءِ عليهمُ السلامُ)(٢) .

وقالَ رجلٌ لإبراهيمَ بنِ أدهمَ رحمَهُ اللهُ : طوبىٰ لكَ ، فقدْ تفرغتَ للعبادةِ بالعزوبةِ ، فقالَ : لروعةٌ منكَ بسببِ العيالِ أفضلُ مِنْ جميعِ ما أنا فيهِ ، قالَ : فما الذي يمنعُكَ مِنَ النكاحِ ؟ قالَ : ما لي حاجةٌ في امرأةٍ ، وما أريدُ أنْ أغرَّ امرأةً بنفسي(٣) .

وقدْ قيلَ : (فضلُ المتأهِّلِ على العزبِ كفضْلِ المجاهدِ على القاعدِ ، وركعةٌ مِنْ متأهِّلٍ أفضلُ مِنْ سبعينَ ركعةً مِنْ عزبٍ)(٤) .

* * *

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٤١) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٤١) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢١) .

(٤) قوت القلوب (٢/ ٢٤٣) .

التّرغيب عن النّكاح (١)

وأمّا ما جاءَ في الترغيبِ عنِ النكاحِ :

فقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « خيرُ الناسِ بعدَ المئتينِ الخفيفُ الحاذِ الذي لا أهلَ لهُ ولا ولدَ »(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يأتي على الناسِ زمانٌ يكونُ هلاكُ الرجلِ علىٰ يدِ زوجتِهِ وأبويهِ وولدِهِ ، يعيِّرونَهُ بالفقرِ ، ويكلِّفونَهُ ما لا يطيقُ ، فيدخلُ المداخلَ التي يذهبُ فيها دينُهُ ، فيهلَكُ »(٣) .

وفي الخبرِ : (قلَّةُ العيالِ أحدُ اليسارينِ ، وكثرتُهُمْ أحدُ الفقرينِ)(٤) .

وسُئِلَ أبو سليمانَ الدارانيُّ عنِ النكاحِ فقالَ : (الصبرُ عنهُنَّ خيرٌ مِنَ

---

(١) العنوان زيادة من اللجنة العلمية .

(٢) رواه الخطابي في « العزلة » (ص٤٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٨٦٧) ، والخطيب في « الجامع لأخلاق الراوي » (١/ ١٥٠) ، وانظر « الإتحاف » (٥/ ٢٩١) .

(٣) رواه الخطابي في « العزلة » (ص١٠) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٤٣٩) ، والديلمي في « مسند الفردوس » (٨٦٩٧) .

(٤) كذا في « القوت » (٢/ ٢٣٨) ، لم يجعله حديثاً ، وكذا المصنف هنا ، قال : (وقال بعض السلف) ثم حكاه ، وهو منقول عن سعيد بن المسيب ، رواه عنه ابن سعد في « الطبقات » (٧/ ١٣٦) ، وابن أبي الدنيا في « العيال » (١٠٣) بالجملة الأولىٰ منه ، والثانية مستفادة منها ، وقد روي مرفوعاً كذلك ، رواه الشهاب في « مسنده » (٣٢) ، والديلمي في « مسند الفردوس » (٣٤٢١) .

الصبرِ عليهِنَّ ، والصبرُ عليهِنَّ خيرٌ مِنَ الصبرِ على النارِ)(١) .

وقالَ أيضاً : (الوحيدُ يجدُ مِنْ حلاوةِ العملِ وفراغِ القلبِ ما لا يجدُ المتأهِّلُ)(٢) .

وقالَ مرَّةً : (ما رأيتُ أحداً مِنْ أصحابنا تزوَّجَ فثبتَ علىٰ مرتبتِهِ الأولىٰ)(٣) .

وقالَ أيضاً : (ثلاثٌ مَنْ طلبَهُنَّ فقدْ ركنَ إلى الدنيا : مَنْ طلبَ معاشاً ، أوْ تزوَّجَ امرأةً ، أوْ كتبَ الحديثَ)(٤) .

وقالَ الحسنُ : (إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيراً . . لمْ يشغلْهُ بأهلٍ ولا مالٍ)(٥) ، وقالَ ابنُ أبي الحَواري : (تناظرَ جماعةٌ في هٰذا الحديثِ(٦) ، فاستقرَّ رأيُهُمْ علىٰ أنَّهُ ليسَ معناهُ ألاَّ يكونا لهُ ، بلْ أنْ يكونا لهُ ولا يشغلانِهِ)(٧) ،

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٤٠) ، وحكاه عن أبي محمد سهل بن عبد الله التستري .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٤٧) ، وأوله : (من صبر على الشدة . . فالتزويج له أفضل) .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢٤٧) .

(٤) قوت القلوب (٢/ ٢٤٧) ، **والمراد بكتب الحديث** : طلب الأسانيد العالية ، أو طلب الحديث الذي لا يحتاج إليه في طريق الآخرة .

(٥) قوت القلوب (٢/ ٢٤٩) .

(٦) أي : في حديث الحسن هٰذا ، وعبارة « القوت » (٢/ ٢٤٩) : (فناظرنا جماعة من العلماء . . .) .

(٧) قوت القلوب (٢/ ٢٤٩) .

وهوَ إشارةٌ إلىٰ قولِ أبي سليمانَ الدارانيِّ : (ما شغلَكَ عنِ اللهِ مِنْ أهلٍ ومالٍ وولدٍ . . فهوَ عليكَ مشؤومٌ)(١) .

وبالجملةِ : لمْ يُنقلْ عنْ أحدٍ الترغيبُ عنِ النكاحِ مطلقاً إلاَّ مقروناً بشرطٍ ، وأمَّا الترغيبُ في النكاحِ . . فقدْ وردَ مطلقاً ومقروناً بشرط(٢) ، فلنكشفِ الغطاءَ عنهُ بحصرِ آفاتِ النكاحِ وفوائدِهِ .

* * *

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣/ ٣٦٢) .

(٢) فعبارة المصنف هنا تومىء إلىٰ تفضيل النكاح على العزوبة ؛ إذ العزوبة لا ترجح إلا بشرط .

آفات النّكاح وفوائده

فوائد النّكاح[1]

وفيهِ خمسُ فوائدَ : الولدُ ، وكسرُ الشهوةِ ، وتدبيرُ المنزلِ ، وكثرةُ العشيرةِ ، ومجاهدةُ النفسِ بالقيامِ بهنَّ .

الفائدةُ الأولىٰ : الولدُ :

وهوَ الأصلُ ، ولهُ وُضِعَ النكاحُ ، والمقصودُ بقاءُ النسلِ ، وألا يخلوَ العالمُ عنْ جنسِ الإنسِ ، وإنَّما الشهوةُ خُلقَتْ باعثةً مستحِثَّةً ، كالموكَّلِ بالفحلِ في إخراجِ البَذْرِ ، وبالأنثىٰ في التمكينِ مِنَ الحرثِ ؛ تلطفاً بهما في السياقةِ إلى اقتناصِ الولدِ بسببِ الوقاعِ ؛ كالتلطُّفِ بالطيرِ في بثِّ الحبِّ الذي يشتهيهِ ليساقَ إلى الشبكةِ .

وكانتِ القدرةُ الأزليَّةُ غيرَ قاصرةٍ عنِ اختراعِ الأشخاصِ ابتداءً مِنْ غيرِ حراثةٍ وازدواجٍ ، ولكنَّ الحكمةَ اقتضتْ ترتيبَ المسبَّباتِ على الأسبابِ معَ الاستغناءِ عنها ؛ إظهاراً للقدرةِ ، وإتماماً لعجائبِ الصنعةِ ، وتحقيقاً لما سبقتْ بهِ المشيئةُ وحقَّتْ بهِ الكلمةُ وجرىٰ بهِ القلمُ .

* * *

---

(١) العنوان زيادة من اللجنة العلمية .

وفي التوصُّلِ إلى الولدِ قربةٌ مِنْ أربعةِ أوجهٍ هيَ الأصلُ في الترغيبِ فيهِ عندَ الأمْنِ مِنْ غوائلِ الشهوةِ ، حتَّىٰ لمْ يحبَّ أحدُهُمْ أنْ يلقى اللهَ تعالىٰ عزباً :

الأوَّلُ : موافقةُ محبَّةِ اللهِ تعالىٰ بالسعيِ في تحصيلِ الولدِ لبقاءِ جنسِ الإنسانِ .

والثاني : طلبُ محبَّةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في تكثيرِ مَنْ بهِ مباهاتُهُ .

والثالثُ : طلبُ التبرُّكِ بدعاءِ الولدِ الصالحِ بعدَهُ .

والرابعُ : طلبُ الشفاعةِ بموتِ الولدِ الصغيرِ إذا ماتَ قبلَهُ .

* * *

أمَّا الوجهُ الأوَّلُ : فهوَ أدقُّ الوجوهِ ، وأبعدُها عنْ أفهامِ الجماهيرِ ، وهوَ أحقُّها وأقواها عندَ ذوي البصائرِ النافذةِ في عجائبِ صنْعِ اللهِ عزَّ وجلَّ ومجاري حِكَمِهِ .

وبيانُهُ : أنَّ السيدَ إذا سلَّمَ إلىٰ عبدِهِ البَذْرَ وآلاتِ الحرْثِ وهيَّأ لهُ أرضاً مهيَّأةً للحراثةِ ، وكانَ العبدُ قادراً على الحراثةِ ، ووكلَ بهِ مَنْ يتقاضاهُ عليها ؛ فإنْ تكاسلَ وعطَّلَ آلةَ الحرثِ ، وتركَ البذْرَ ضائعاً حتَّىٰ فسدَ ، ودفعَ الموكَّلَ عنْ نفسِهِ بنوعٍ مِنَ الحيلةِ . . كانَ مستحقّاً للمقتِ والعتابِ مِنْ سيِّدِهِ .

واللهُ تعالىٰ خلقَ الزوجينِ ، وخلقَ الذكرَ والأُنْثَيينِ ، وخلقَ النطفةَ في الفقارِ ، وهيَّأَ لها في الأُنْثَيينِ عروقاً ومجاريَ ، وخلقَ الرحمَ قَراراً ومستودعاً للنطفةِ ، وسلَّطَ متقاضيَ الشهوةِ علىٰ كلِّ واحدٍ مِنَ الذكرِ والأنثىٰ ، فهٰذهِ الأفعالُ والآلاتُ تشهدُ بلسانٍ ذَلْقٍ في الإعرابِ عنْ مرادِ خالقِها ، وتنادي أربابَ الألبابِ بتعريفِ ما أُعدَّتْ لهُ ، هٰذا لوْ لمْ يصرِّحْ به الخالقُ تعالىٰ علىٰ لسانِ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالمرادِ حيثُ قالَ : « تناكحوا تكثروا »⁽¹⁾ ، فكيفَ وقدْ صرَّحَ بالأمرِ وباحَ بالسرِّ ؟!

فكلُّ ممتنعٍ عنِ النكاحِ مُعْرِضٌ عنِ الحراثةِ مضيِّعٌ للبَذْرِ ، ومعطِّلٌ لما خلقَ اللهُ لهُ مِنَ الآلةِ المعدَّةِ ، وجانٍ علىٰ مقصودِ الفطرةِ والحكمةِ المفهومةِ مِنْ شواهدِ الخلقةِ المكتوبةِ علىٰ هٰذهِ الأعضاءِ بخطٍّ إلٰهيٍّ ليسَ برقْمِ حروفٍ وأصواتٍ ، يقرؤُهُ كلُّ مَنْ لهُ بصيرةٌ ربَّانيةٌ نافذةٌ في إدراكِ دقائقِ الحكمةِ الأزليةِ .

ولذلكَ عظَّمَ الشرعُ الأمرَ في القتلِ للأولادِ ، وفي الوأْدِ ؛ لأنَّهُ منعٌ لتمامِ الوجودِ ، وإليهِ أشارَ مَنْ قالَ : (العزْلُ أحدُ الوأدينِ)⁽²⁾ ، فالناكحُ ساعٍ في

---

(1) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٦/ ١٧٣) عن سعيد بن أبي هلال مرسلاً ، وقال الحافظ العراقي : (رواه ابن مردويه في « تفسيره » من حديث ابن عمر بسند ضعيف) ، وروىٰ أبو داوود (٢٠٥٠) مرفوعاً : « تزوجوا الودود الولود ، فإني مكاثر بكم الأمم » .

(2) روىٰ مسلم (١٤٤٢) مرفوعاً وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال : « ذلك الوأد الخفي » .

إتمامِ ما أحبَّ اللهُ تعالىٰ تمامَهُ ، والمعرضُ معطِّلٌ ومضيِّعٌ لما كرهَ اللهُ ضياعَهُ ، ولأجلِ محبَّةِ اللهِ تعالىٰ لبقاءِ النفوسِ أمرَ بالإطعامِ وحثَّ عليهِ ، وعبَّرَ عنهُ بعبارةِ القرضِ فقالَ تعالىٰ : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ .

* * *

فإنْ قلتَ : قولُكَ : (إنَّ بقاءَ النفسِ والنسلِ محبوبٌ) يوهمُ أنَّ فناءَها مكروهٌ عندَ اللهِ تعالىٰ ، وهوَ فرقٌ بينَ الموتِ والحياةِ بالإضافةِ إلىٰ إرادةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، ومعلومٌ أنَّ الكلَّ بمشيئةِ اللهِ سبحانَهُ ، وأنَّ اللهَ غنيٌّ عنِ العالمينَ ، فمِنْ أينَ يتميَّزُ عندَهُ موتُهُمْ عنْ حياتِهِمْ ، وبقاؤُهُمْ عنْ فنائِهِمْ ؟

فاعلمْ : أنَّ هـٰذهِ الكلمةَ حقٌّ أُريدَ بها باطلٌ[1] ؛ فإنَّ ما ذكرناهُ لا ينافي إضافةَ الكائناتِ كلِّها إلىٰ إرادةِ اللهِ سبحانه خيرِها وشرِّها ، نفعِها وضرِّها ، ولكنَّ المحبةَ والكراهةَ يتضادَّانِ ، وكلاهما لا يضادَّانِ الإرادةَ ، فربَّ مرادٍ مكروهٌ ، وربَّ مرادٍ محبوبٌ ، فالمعاصي مكروهةٌ وهيَ معَ الكراهةِ مرادةٌ ، والطاعاتُ مرادةٌ وهيَ معَ كونِها مرادةً محبوبةٌ ومرضيةٌ ، أمَّا الكفرُ والشرُّ . . فلا نقولُ : إنَّهُ مرضيٌّ ومحبوبٌ ، بلْ هوَ مرادٌ ، وقدْ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾ .

---

[1] وأول من فاه بهـٰذه الكلمة سيدنا علي رضي الله عنه ، روىٰ مسلم (١٠٦٦) : أن الحرورية لما خرجت . . قالوا : لا حُكْمَ إلا لله ، قال علي : (كلمة حقٍّ أريد بها باطل) الحديث .

وكيفَ يكونُ الفناءُ بالإضافةِ إلىٰ محبّةِ اللهِ وكراهتِهِ كالبقاءِ ؟! فإنَّهُ تعالىٰ يقولُ : « ما تردَّدْتُ في شيءٍ كتردُّدِي في قبضِ روحِ عبدي المسلمِ ، هوَ يكرهُ الموتَ ، وأنا أكرهُ مساءتَهُ ، ولا بدَّ لهُ مِنَ الموتِ »⁽¹⁾ ، فقولُهُ : « لا بُدَّ لهُ مِنَ الموتِ » إشارةٌ إلىٰ سبْقِ الإرادةِ والتقديرِ المذكورِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ ﴾ ، وفي قولِهِ تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾ ، ولا مناقضةَ بينَ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ ﴾ وبينَ قولِهِ : « وأنا أكرَهُ مساءتَهُ » ، ولكنْ إيضاحُ الحقِّ في هـٰذا يستدعي تحقيقَ معنى الإرادة والمحبَّةِ والكراهةِ وبيانَ حقائقِها ، فإنَّ السابقَ إلى الأفهامِ منها أمورٌ تناسبُ إرادةَ الخلقِ ومحبَّتَهُمْ وكراهتَهُمْ ، وهيهاتَ ! فبينَ صفاتِ اللهِ سبحانَهُ وصفاتِ الخلقِ مِنَ البعدِ ما بينَ ذاتِهِ العزيزِ وذوَاتِهِمْ ، وكما أنَّ ذواتِ الخلقِ جوهرٌ وعرضٌ وذاتُ اللهِ مقدَّسٌ عنهُ ، ولا يناسبُ ما ليسَ بجوهرٍ وعرضٍ الجوهرَ والعرضَ . . فكذا صفاتُهُ لا تناسبُ صفاتِ الخلقِ .

وهـٰذهِ الحقائقُ داخلةٌ في علمِ المكاشفةِ ، ووراءَهُ سرُّ القدرِ الذي منعَ مِنْ إفشائِهِ ، فلنقبضْ عنْ ذكرِهِ ، ولنقتصرْ علىٰ ما نبهْنا عليهِ مِنَ الفرقِ بينَ

---

(1) رواه البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو عند أحمد في « المسند » (٦/ ٢٥٦) من حديث عائشة رضي الله عنها ، وقوله : « ولا بد له من الموت » هـٰذه الزيادة ليست عندهما ، وقد رواها ابن أبي الدنيا في « الأولياء » (٢١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣١٨) ، والقشيري في « رسالته » (ص٥١٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧/ ٩٥) من حديث أنس رضي الله عنه .

الإقدامِ على النكاحِ والإحجامِ عنهُ ، فإنَّ أحدَهُما مضيعٌ نسلاً أدامَ اللهُ وجودَهُ مِنْ آدمَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عقباً بعدَ عقبٍ إلىٰ أنِ انتهىٰ إليهِ ، فالممتنعُ عنِ النكاحِ قدْ حسمَ الوجودَ المستدامَ مِنْ لدنْ وجودِ آدمَ عليهِ السلامُ علىٰ نفسِهِ ، فماتَ أبترَ لا عقبَ لهُ .

ولوْ كانَ الباعثُ على النكاحِ مجرَّدَ دفعِ الشهوةِ . . لما قالَ معاذٌ في الطاعون : (زوِّجوني ، لا ألقى اللهَ عزباً)(١) .

* * *

فإنْ قلتَ : فما كانَ معاذٌ يتوقَّعُ ولداً في ذلكَ الوقتِ ، فما وجهُ رغبتِهِ فيهِ ؟

فأقولُ : الولدُ يحصلُ بالوقاعِ ، ويحصلُ الوقاعُ بباعثِ الشهوةِ ، وذلكَ أمرٌ لا يدخلُ في الاختيارِ ، إنَّما المتعلِّقُ باختيارِ العبدِ إحضارُ المحرِّكِ للشهوةِ ، وذلكَ متوقَّعٌ في كلِّ حالٍ ، فمَنْ عقدَ . . فقدْ أدَّىٰ ما عليهِ ، وفعلَ ما إليهِ ، والباقي خارجٌ عنِ اختيارِهِ .

ولذلكَ يُستحبُّ النكاحُ للعنينِ أيضاً ؛ فإنَّ نهضاتِ الشهوةِ خفيَّةٌ لا يُطَّلَعُ عليها حتَّىٰ إنَّ الممسوحَ الذي لا يُتوقَّعُ لهُ ولدٌ لا ينقطعُ الاستحبابُ أيضاً في حقِّهِ على الوجهِ الذي يُستحبُّ للأصلعِ إمرارُ الموسىٰ علىٰ رأسِهِ اقتداءً

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٦١٥٧) ، وهو في « القوت » (٢/٢٤١) .

بغيرِهِ ، وتشبُّهاً بالسلفِ الصالحينَ ، وكما يُستحبُّ الرملُ والاضطباعُ في الحجِّ الآنَ ، وقدْ كانَ المرادُ منهُ أوَّلاً إظهارَ الجَلَدِ للكفارِ ، فصارَ الاقتداءُ والتشبُّهُ بالذينَ أظهروا الجَلَدَ سنَّةً في حقِّ مَنْ بعدَهُمْ .

ويضعفُ هـٰذا الاستحبابُ بالإضافةِ إلى الاستحبابِ في حقِّ القادرِ على الحرْثِ ، وربما يزدادُ ضعفاً بما يقابلُهُ مِنْ كراهةِ تعطيلِ المرأةِ وتضييعِها فيما يرجعُ إلىٰ قضاءِ الوطرِ ، فإنَّ ذلكَ لا يخلو عنْ نوعٍ مِنَ الخطرِ ، فهـٰذا المعنىٰ هوَ الذي ينبِّهُ علىٰ شدَّةِ إنكارِهِمْ لتركِ النكاحِ معَ فتورِ الشهوةِ .

* * *

الوجهُ الثاني : السعيُ في محبَّةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ورضاهُ : بتكثيرِ ما بهِ مباهاتُهُ ، إذْ قدْ صرَّحَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بذلكَ .

ويدلُّ علىٰ مراعاةِ أمرِ الولدِ جملةً بالوجوهِ كلِّها ما رُوِيَ عنْ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ كانَ ينكحُ كثيراً ويقولُ : (إنَّما أنكحُ للولدِ)(١) .

وما رُوِيَ مِنَ الأخبارِ في مذمَّةِ المرأةِ العقيمِ ؛ إذْ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « لحصيرٌ في ناحيةِ البيتِ خيرٌ مِن امرأةٍ لا تلدُ »(٢) .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٤٢) ، ورواه ابن أبي الدنيا في « العمر والشيب » (٨٥) بلفظ : (لولا الولد . . لم أتزوج) ، وسيأتي تمامه في الحديث بعده .

(٢) كذا في « القوت » (٢/ ٢٤٢) ، وقد رواه ابن أبي الدنيا في « العمر والشيب » (٨٥) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه موقوفاً عليه قال : (حصير في بيت خير من امرأة =

وقالَ : « خيرُ نسائِكُمُ الولودُ الودودُ »(١) ، وقال : « سوداءُ ولودٌ خيرٌ مِنْ حسناءَ لا تلدُ »(٢) .

وهـٰذا يدلُّ علىٰ أنَّ طلبَ الولدِ أدخلُ في اقتضاءِ فضْلِ النكاحِ مِنْ طلبِ دفعِ غائلةِ الشهوةِ ؛ لأنَّ الحسناءَ أصلحُ للتحصينِ وغضِّ البصرِ وقطعِ الشهوةِ .

* * *

الوجهُ الثالثُ : أنْ يبقىٰ بعدَهُ ولدٌ صالحٌ يدعو لهُ : كما وردَ في الخبرِ : أنَّ جميعَ عملِ ابنِ آدمَ ينقطعُ إلا ثلاثةً ، فذكرَ الولدَ الصالحَ(٣) ، وفي الخبرِ : (إنَّ الأدعيةَ تُعرضُ على الموتىٰ علىٰ أطباقٍ مِنْ نورٍ)(٤) .

= لا تلد) ، ورواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٢/ ٣٧٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(١) رواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٧/ ٨٢) .

(٢) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٦/ ١٦١) ، وتمام في « فوائده » (٧٤٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٤/ ٥٠) ، **والمراد بلفظ : « سوداء »** : قبيحة الوجه ، لا مطلق اللون .

(٣) رواه مسلم (١٦٣١) .

(٤) إشارة من المصنف إلىٰ وصول دعاء كل حي للميت ولو لم يكن ولداً له ، وهـٰذا الخبر رؤيا رآها بشار بن غالب ؛ إذ رأىٰ رابعة العدوية في منامه وكان كثير الدعاء لها ، فقالت له : يا بشار ؛ هداياك تأتينا علىٰ أطباق من نور مخمرة بمناديل من حرير . رواه البيهقي في « الشعب » (٨٨٦٠) ، ولم يصرح المصنف برفعه ، وقد ذكره مرفوعاً ابن حبان في « المجروحين » (١/ ١١٣) .

وقولُ القائلِ : (إنَّ الولدَ ربما لمْ يكنْ صالحاً) لا يؤثِّرُ ؛ فإنَّهُ مؤمنٌ ، والصلاحُ هوَ الغالبُ علىٰ أولادِ ذوي الدينِ ، لا سيما إذا عزمَ علىٰ تربيتِهِ وحملِهِ على الصلاحِ .

وبالجملةِ : دعاءُ المؤمنِ لأبويهِ مفيدٌ برّاً كانَ أوْ فاجراً ، فهوَ مثابٌ علىٰ دعواتِهِ وحسناتِهِ ؛ فإنَّهُ مِنْ كسبِهِ ، وغيرُ مؤاخذٍ بسيئاتِهِ ؛ فإنَّهُ لا تزرُ وازرةٌ وزرَ أخرىٰ ، ولذلكَ قالَ تعالىٰ : ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾[1] أيْ : ما نقصْناهُمْ مِنْ أعمالِهِمْ ، وجعلْنا أولادَهُمْ مزيداً في إحسانِهِمْ .

* * *

الوجهُ الرابعُ : أنْ يموتَ الولدُ قبلَهُ ، فيكونَ لهُ شفيعاً : فقدْ رُوِيَ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « إنَّ الطفلَ يجرُّ بأبويهِ إلى الجنَّةِ »[2] .

---

[1] وهي قراءة نافع ، وابن عامر ، وأبي عمرو ، جمعوا كلمة (ذرية) . انظر « الحجة » (٦/ ٢٢٧) .

[2] رواه ابن ماجه (١٦٠٨) ولفظه : « إن السِّقْطَ ليراغم ربه إذا أدخل أبويه النار ، فيقال : أيها السقط المراغم ربه ؛ أدخل أبويك الجنة ، فيجرهما بسَرَرِه ـ ما بقي بعد قطع السرَّة ـ حتىٰ يدخلهما الجنة » ، وروى ابن ماجه (١٦٠٩) ، وأحمد في « المسند » (٥/ ٢٤١) : « والذي نفسي بيده ؛ إن السقط ليجرُّ أمه بسرره إلى الجنة إذا احتسبته » ، ومعناه في الحديث بعده كذلك .

وفي بعضِ الأخبارِ : « يأخذُ بثوبِهِ كما أنا الآنَ آخذُ بثوبِكَ »(١) .

وقالَ أيضاً صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ المولودَ يُقالُ لهُ : ادخلِ الجنةَ ، فيقفُ علىٰ بابِ الجنةِ ، فيظلُّ محبنطئاً ـ أيْ : ممتلئاً غيظاً وغضباً ـ ويقولُ : لا أدخلُ الجنَّةَ إلا وأبوايَ معي ، فيُقالُ : أدخلوا أبويهِ معَهُ الجنَّةَ »(٢) .

وفي خبرٍ آخرَ : (إنَّ الأطفالَ يجتمعونَ في موقفِ القيامةِ عندَ عرْضِ الخلائقِ للحسابِ ، فيقالُ للملائكةِ : اذهبوا بهؤلاءِ إلى الجنَّةِ ، فيقفونَ علىٰ بابِ الجنةِ ، فيُقالُ لهُمْ : مرحباً بذراري المسلمينَ ، ادخلوا لا حسابَ عليكم ، فيقولونَ : فأينَ آباؤُنا وأُمهاتُنا ، فيقولُ الخزنةُ : إنَّ آباءَكُمْ وأمهاتِكُمْ ليسوا مثلَكُمْ ، إنَّهُ كانتْ لهُمْ ذنوبٌ وسيِّئاتٌ ، فهُمْ يحاسبونَ عليها ويطالبونَ ، قالَ : فيتضاغونَ ويضجُّونَ علىٰ بابِ الجنةِ ضجّةً واحدةً ، فيقولُ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ وهوَ أعلمُ بهم : ما هـٰذهِ الضجَّةُ ؟ فيقولونَ :

---

(١) رواه مسلم (٢٦٣٥) من حديث أبي هريرة ، طيَّب بروايته قلب مسلم بن عبد الله البصري وقد مات له ابنان ، ولفظه : « صغاركم دعاميص الجنة ، يتلقىٰ أحدهم أباه ـ أو قال : أبويه ـ فيأخذ بثوبه ـ أو قال بيده ـ كما آخذ أنا بصَنِفَة ـ طرف ـ ثوبك هـٰذا . . . » الحديث .

(٢) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٦/ ١٦١) وقد تقدم طرفه ، والطبراني في « الكبير » (١٩/ ٤١٦) ، و« الأوسط » (٥٧٤٢) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٦/ ٣١١٩) .

يا ربَّنا ؛ أطفالُ المسلمينَ قالوا : لا ندخلُ الجنَّةَ إلا معَ آبائِنا ، فيقولُ اللهُ تعالىٰ : تخلَّلوا الجمعَ ، فخذوا بأيدي آبائِهِمْ فأدخلوهُمُ الجنَّةَ)(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ ماتَ لهُ اثنانِ مِنَ الولدِ . . فقدِ احتظرَ بحظارٍ مِنَ النارِ »(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ ماتَ لهُ ثلاثةٌ لمْ يبلغوا الحنثَ . . أدخلَهُ اللهُ الجنَّةَ بفضْلِ رحمتِهِ إيَّاهُمْ » ، قيلَ : يا رسولَ اللهِ ؛ واثنانِ ؟ قَالَ : « واثنان »(٣) .

وحُكِيَ أنَّ بعضَ الصالحينَ كانَ يُعرَضُ عليهِ التزويجُ فيأبىٰ برهةً مِنْ

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٤٢) حيث قال : (وروينا خبراً غريباً) وحكاه ، ومعناه فيما اكتنفه من أخبار وآثار ، وروى النسائي (٤/ ٢٥) مرفوعاً : « ما من مسلمين يموت بينهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث . . إلا أدخلهما الله بفضل رحمته إياهم الجنة ، قال : يقال لهم : ادخلوا الجنة ، فيقولون : حتىٰ يدخل آباؤنا ، فيقال : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم » .

(٢) كذا في « القوت » (٢/ ٢٤٢) ، ورواه الطبراني في « الكبير » (٥/ ٢٧٣) عن زهير بن علقمة قال : جاءت امرأة من الأنصار إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابن لها مات ، فكأن القوم عنفوها ، فقالت : يا رسول الله ؛ قد مات لي اثنان مذ دخلت الإسلام سوىٰ هـٰذا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « والله لقد احتظرت من النار احتظاراً شديداً » .

(٣) كذا في « القوت » (٢/ ٢٤٢) ، ورواه البخاري (١٣٨١) ولفظه : « ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث . . إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم » ، وروى البخاري (١٢٥٠) ، ومسلم (٢٦٣٤) مرفوعاً : « أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد . . كانوا حجاباً من النار » ، قالت امرأة : واثنان ؟ قال : « واثنان » .

دهرِهِ ، قالَ : فانتبهَ مِنْ نومِهِ ذاتَ يومٍ وقالَ : زوِّجوني زوِّجوني ، فزوَّجوهُ ، فسُئلَ عنْ ذلكَ ، فقالَ : لعلَّ اللهَ تعالىٰ يرزقُني ولداً ويقبضُهُ فيكونَ لي مقدمةً في الآخرةِ ، ثمَّ قالَ : رأيتُ في المنامِ كأنَّ القيامةَ قدْ قامَتْ ، وكأنِّي في جملةِ الخلائقِ في الموقفِ وبي مِنَ العطشِ ما كادَ أنْ يقطعَ عنقي ، وكذا الخلائقُ في شدَّةِ العطشِ والكربِ ، فنحنُ كذلكَ إذا وِلدانٌ يتخلَّلونَ الجمعَ ، عليهِمْ مناديلُ مِنْ نورٍ ، وبأيديهِمْ أباريقُ مِنْ فضَّةٍ ، وأكوابٌ مِنْ ذهبٍ ، وهمْ يَسقونَ الواحدَ بعدَ الواحدِ ، يتخلَّلونَ الجمعَ ، ويجاوزونَ أكثرَ الناسِ ، فمددتُ يدي إلىٰ أحدِهِمْ وقلتُ : اسقني ؛ فقدْ أجهدَني العطشُ ، فقالَ : ليسَ لكَ فينا وَلدٌ ، إنَّما نسقي آباءَنا ، فقلتُ : ومَنْ أنتمْ ؟ فقالوا : نحنُ مَنْ ماتَ منْ أطفالِ المسلمينَ⁽¹⁾ .

وأحدُ المعاني المذكورةِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ تقديمُ الأطفالِ إلى الآخرةِ⁽²⁾ .

فقدْ ظهرَ بهٰذهِ الوجوهِ الأربعةِ أنَّ أكثرَ فضْلِ النكاحِ لأجلِ كونهِ سبباً للولدِ .

* * *

---

(1) قوت القلوب (٢/ ٢٤٢) عن بعض الصالحين ، وهو في « تسلية أهل المصائب » من رواية القفال عن جار له .

(2) وهو وجه من وجوه ثلاثة حكاها صاحب « القوت » (٢/ ٢٤٣) ، والوجهان الآخران : النكاح ، والتسمية عند قضاء الوطر .

الفائدةُ الثانيةُ : التحصُّنُ عنِ الشيطانِ ، وكسرُ التوقانِ ، ودفعُ غوائلِ الشهوةِ ، وغضُّ البصرِ ، وحفظُ الفرجِ :

وإليهِ الإشارةُ بقولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « مَنْ نكحَ . . فقدْ حصَّنَ نصفَ دينِهِ ، فليتقِ اللهَ في الشطرِ الآخرِ »(١) .

وإليهِ الإشارةُ بقولِهِ : « عليكُمْ بالباءةِ ، فمَنْ لمْ يستطعْ . . فعليهِ بالصومِ ؛ فإنَّ الصومَ لهُ وجاءٌ »(٢) .

وأكثرُ ما نقلناهُ مِنَ الآثارِ والأخبارِ إشارةٌ إلىٰ هـٰذا المعنىٰ ، وهـٰذا المعنىٰ دونَ الأوَّلِ ؛ لأنَّ الشهوةَ موكلةٌ بتقاضي تحصيلِ الولدِ ، فالنكاحُ كافٍ لشغلِهِ ، ودافعٌ لجعلِهِ ، وصارفٌ لشرِّ سطوتِهِ ، وليسَ مَنْ يجيبُ مولاهُ رغبةً في تحصيلِ رضاهُ كمَنْ يجيبُ لطلبِ الخلاصِ عنْ غائلةِ التوكيلِ ، فالشهوةُ والولدُ مقدرانِ ، وبينَهُما ارتباطٌ ، وليسَ يجوزُ أنْ يقالَ : المقصودُ اللذَّةُ والولدُ لازمٌ منها ؛ كما يلزمُ مثلاً قضاءُ الحاجةِ مِنَ الأكلِ وليسَ مقصوداً في ذاتِهِ ، بلِ الولدُ هوَ المقصودُ بالفطرةِ والحكمةِ ، والشهوةُ باعثةٌ عليهِ .

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٥١٠٠) ، وهو عند الطبراني في « الأوسط » (٩٧٦) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/ ١٦١) واللفظ له : « من رزقه الله امرأة صالحة . . فقد أعانه علىٰ شطر دينه ، فليتق الله في الشطر الثاني » .

(٢) رواه البخاري (١٩٠٥) ، ومسلم (١٤٠٠) .

ولَعمري ؛ في الشهوةِ حكمةٌ أخرىٰ سوى الإرهاقِ إلى الإيلادِ ، وهوَ ما في قضائِها مِنَ اللذةِ التي لا توازيها لذةٌ لوْ دامَتْ ، فهيَ منبِّهَةٌ على اللذاتِ الموعودةِ في الجنانِ ؛ إذِ الترغيبُ في لذةٍ لمْ يجدْ لها ذَواقاً . . لا ينفعُ ، فلوْ رُغِّبَ العنينُ في لذةِ الجماعِ ، أوْ الصبيُّ في لذَّةِ الملكِ والسلطنةِ . . لمْ ينفعِ الترغيبُ ، فإحدىٰ فوائدِ لذَّاتِ الدنيا الرغبةُ في دوامِها في الجنَّةِ ؛ ليكونَ باعثاً علىٰ عبادةِ اللهِ .

فانظرْ إلى الحكمةِ ، ثمَّ إلى الرحمةِ ، ثمَّ إلى التعبئةِ الإلهيةِ ، كيفَ عُبِّيَتْ تحتَ شهوةٍ واحدةٍ حياتانِ ؛ حياةٌ ظاهرةٌ ، وحياةٌ باطنةٌ :

فالحياةُ الظاهرةُ : حياةُ المرءِ ببقاءِ نسلِهِ ؛ فإنَّهُ نوعٌ مِنْ دوامِ الوجودِ .

والحياةُ الباطنةُ : هيَ الحياةُ الأخرويَّةُ ؛ فإنَّ هـٰذهِ اللذَّةَ الناقصةَ بسرعةِ الانصرامِ تحرِّكُ الرغبةَ في اللذَّةِ الكاملةِ بلذَّةِ الدوامِ ، فيُستحثُّ على العبادةِ الموصلةِ إليها ، فيستفيدُ العبدُ بشدَّةِ الرغبةِ فيها تيسُّرَ المواظبةِ علىٰ ما يوصلُهُ إلىٰ نعيمِ الجِنانِ .

وما مِنْ ذرَّةٍ مِنْ ذرَّاتِ بدنِ الإنسانِ ظاهراً وباطناً بلْ مِنْ ذرَّاتِ ملكوتِ السماواتِ والأرضينَ إلا وتحتَها مِنْ لطائفِ الحِكَمِ وعجائبِها ما تحارُ العقولُ فيها ، ولكنْ إنَّما ينكشفُ للقلوبِ الطاهرةِ بقدْرِ صفائِها وبقدْرِ رغبتِها عنْ زهرةِ الدنيا وغرورِها وإغوائِها .

والنكاحُ بسببِ دفعِ غائلةِ الشهوةِ مهمٌّ في الدينِ لكلِّ مَنْ لا يُؤتىٰ عنْ عجزٍ

وعُنَّةٍ ، وهمْ غالبُ الخلقِ ؛ فإنَّ الشهوةَ إنْ غلبَتْ ولمْ تقاومْها قوَّةُ التقوىٰ . . جرَّتْ إلى اقتحامِ الفواحشِ ، وإليهِ أشارَ بقولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ، عنِ اللهِ تعالىٰ : « إلا تفعلوهُ . . تكنْ فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ كبيرٌ »(١) .

وإنْ كانَ ملجماً بلجامِ التقوىٰ . . فغايتُهُ أنْ يكفَّ الجوارحَ عنْ إجابةِ الشهوةِ ، فيغضَّ البصرَ ، ويحفظَ الفرجَ ، فأمَّا حفظُ القلبِ عنِ الوسواسِ والفكرِ . . فلا يدخلُ تحتَ اختيارِهِ ، بلْ لا تزالُ النفسُ تجاذبُهُ وتحدِّثُهُ بأمورِ الوقاعِ ، ولا يفترُ عنهُ الشيطانُ الموسوِسُ إليهِ في أكثرِ الأوقاتِ ، وقدْ يعرضُ لهُ ذلكَ في أثناءِ الصلاةِ ، حتَّىٰ يجري علىٰ خاطرِهِ مِنْ أُمورِ الوقاعِ ما لوْ صرَّحَ بهِ بينَ يدي أخسِّ الخلقِ . . لاستحيا منهُ ، واللهُ مطَّلعٌ علىٰ قلبِهِ ، والقلبُ في حقِّ اللهِ كاللسانِ في حقِّ الخلقِ ، ورأسُ الأمرِ للمريدِ في سلوكِ طريقِ الآخرةِ قلبُهُ .

والمواظبةُ على الصومِ لا تقطعُ مادةَ الوسوسةِ في حقِّ أكثرِ الخلقِ ، إلا أنْ ينضافَ إليهِ ضعفٌ في البدنِ وفسادٌ في المزاجِ ، ولذلكَ قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (لا يتمُّ نسكُ الناسكِ إلا بالنكاحِ)(٢) .

وهـٰذهِ محنةٌ عامَّةٌ ، قلَّ مَنْ يتخلَّصُ منها .

---

(١) رواه الترمذي (١٠٨٤) ، وابن ماجه (١٩٦٧) ، وفيهما : « وفساد عريض » .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٤٠) ، وقد رواه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٦) عن طاووس .

قالَ قتادةُ في معنىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ هوَ الغلمةُ(١) .

وعنْ عكرمةَ ومجاهدٍ أنَّهُما قالا في معنىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴾ : إنَّهُ لا يصبرُ عنِ النساءِ(٢) .

وقالَ فياضُ بنُ نجيحٍ : (إذا قامَ ذكرُ الرجلِ . . ذهبَ ثلثا عقلِهِ) ، وبعضُهُمْ يقولُ : (ذهبَ ثلثُ دينِهِ)(٣) .

وفي نوادرِ التفسيرِ عنِ ابنِ عباسٍ ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ قالَ : (قيامُ الذَّكَرِ)(٤) .

---

(١) كذا في « القوت » (٢/ ٢٤٠) ، وقد رواه ابن جرير في « تفسيره » (٣/ ٣/ ٢٠٥) عن سالم بن شابور ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٣١٠٥) عن مكحول .

(٢) كذا في « القوت » (٢/ ٢٤٠) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ١٢) عن طاووس .

(٣) كذا في « القوت » (٢/ ٢٤٠) ، وقد رواه ابن المقرىء في « معجمه » (٨٠٥) بالجملة الأولىٰ ، وفيه (تمام بن نجيح) .

(٤) قوت القلوب (٢/ ٢٤٠) ، قال السمعاني في « تفسيره » (٦/ ٣٠٦) : (وذكر النقاش بإسناده عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ : من شر الذكر إذا دخل ، قال النقاش : فذكرت ذلك لمحمد بن إسحاق بن خزيمة وقلت : هل يجوز أن تفسر القرآن بهـٰذا ؟! قال : نعم ، قال النبي : « أعوذ بك من شر مني » ، وهو خبر معروف ، وهو أن النبي قال : « أعوذ بك من شري سمعي ، ومن شر بصري » فعدَّد أشياء ، وقال في آخرها : « ومن شر مني ») ، وهو ما سيحكيه المصنف رحمه الله تعالىٰ .

وهٰذهِ بليّةٌ غالبةٌ ، إذا هاجتْ . . لا يقاومُها عقلٌ ولا دينٌ ، وهيَ معَ أنَّها صالحةٌ لأنْ تكونَ باعثةً على الحياتينِ كما سبقَ ، فهيَ أقوىٰ آلةِ الشيطانِ علىٰ بني آدمَ ، وإليهِ أشارَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بقولِهِ : « ما رأيتُ مِنْ ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أغلبَ لذوي الألبابِ منكنَّ »(١) ، وإنَّما ذلكَ لهيجانِ الشهوةِ(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في دعائِهِ : « اللهمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ شرِّ سمعي وبصري وقلبي وشرِّ منيِّي »(٣) ، وقالَ : « أسألُكَ أنْ تطهِّرَ قلبي ، وتحفظَ فرجي »(٤) ، فما يستعيذُ منهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كيفَ يجوزُ التساهلُ فيهِ لغيرِهِ ؟!(٥) .

وكانَ بعضُ الصالحينَ يكثرُ النكاحَ ، حتَّىٰ كانَ لا يكادُ يخلو مِنِ اثنتينِ وثلاثٍ ، فأنكرَ عليهِ بعضُ الصوفيةِ ، فقالَ : هلْ يعرفُ أحدٌ منكُمْ أنَّهُ جلسَ بينَ يدي اللهِ تعالىٰ جلسةً ، أوْ وقفَ بينَ يديهِ موقفاً في معاملةٍ ، فخطرَ علىٰ قلبِهِ خاطرُ شهوةٍ ؟ فقالوا : يصيبُنا مِنْ ذلكَ كثيرٌ ، فقالَ : لوْ رضيتُ في

---

(١) رواه البخاري (٣٠٤) ، ومسلم (٢٦١٣) .

(٢) أي : فيهن . « إتحاف » (٥/ ٣٠٣) .

(٣) رواه أبو داوود (١٥٥١) ، والترمذي (٣٤٩٢) ، والنسائي (٨/ ٢٥٥) .

(٤) رواه الطبراني في « الأوسط » (٦٢١٤) ، والبيهقي في « الدعوات الكبير » (٢٥٦ ، ٢٥٧) .

(٥) أي : وإن كانت استعاذته منه استعاذة تعليم وتربية ؛ إذ هو صلى الله عليه وسلم منزه من تسلُّط الشهوة الغالبة عليه ، ولكن استعاذته دالة علىٰ خطر المستعاذ منه .

عمري كلِّه بمثلِ حالِكُم في وقتٍ واحدٍ . . لما تزوَّجْتُ ، لكنِّي ما خطرَ علىٰ قلبي خاطرٌ يشغلُني عنْ حالي إلا نفذتهُ ؛ لأستريحَ منهُ ، وأرجعَ إلىٰ شغلي ، ومنذُ أربعينَ سنةً ما خطرَ علىٰ قلبي معصيةٌ⁽¹⁾ .

وأنكرَ بعضُ الناسِ حالَ الصوفيةِ ، فقالَ لهُ بعضُ ذوي الدينِ : ما الذي تنكرُ منهُمْ ؟ قالَ : يأكلونَ كثيراً ، قالَ : وأنتَ أيضاً لوْ جعتَ كما يجوعونَ . . لأكلتَ كما يأكلونَ ، قالَ : ينكحونَ كثيراً ، قالَ : وأنتَ أيضاً لوْ حفظتَ عينيكَ وفرجَكَ كما يحفظونَ . . لنكحتَ كما ينكحونَ⁽²⁾ .

وكانَ الجنيدُ يقولُ : (أحتاجُ إلى الجماعِ كما أحتاجُ إلى القوتِ)⁽³⁾ .

فالزوجةُ على التحقيقِ قوتٌ وسببٌ لطهارةِ القلبِ ، ولذلكَ أمرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كلَّ مَنْ وقعَ بصرُهُ على امرأةٍ فتاقتْ إليها نفسُهُ أنْ يجامعَ أهلَهُ ؛ لأنَّ ذلكَ يدفعُ الوسواسَ عنِ النفسِ⁽⁴⁾ .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٤٠) ، حيث قال في أوله : (وحدثنا بعض علماء خراسان ، عن شيخ له من الصالحين ، كان يصحب عبدان صاحب ابن المبارك . . .) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٤٠) .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢٤١) .

(٤) هٰذا الأمر مستفاد من الحديث الآتي ؛ حيث قال : « فليأت أهله » ، وروىٰ أحمد في « المسند » (٤/ ٢٣١) ، والطبراني في « الكبير » (٢٢/ ٣٣٨) عن أبي كبشة الأنماري قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في أصحابه ، فدخل ثم خرج وقد اغتسل ، فقلنا : يا رسول الله ؛ قد كان شيء ؟ قال : « أجل ، مرت بي فلانة ، فوقع في قلبي شهوة النساء ، فأتيت بعض أزواجي فأصبتها ، فكذلك فافعلوا ، فإنه من أماثل أعمالكم إتيان الحلال » .

وروىٰ جابرٌ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رأى امرأةً ، فدخلَ علىٰ زينبَ فقضىٰ حاجتَهُ وخرجَ ، وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ المرأةَ إذا أقبلتْ . أقبلتْ بصورةِ شيطانٍ ، فإذا رأىٰ أحدُكُمْ امرأةً فأعجبتْهُ . . فليأتِ أهلَهُ ؛ فإنَّ معَها مثلَ الذي معَها »(١) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « لا تدخلوا على المُغِيباتِ ـ أيِ : التي غابَ زوجُها عنها ـ فإنَّ الشيطانَ يجري مِنْ أحدِكُمْ مجرى الدمِ » قلنا : ومنكَ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « ومِنِّي ، ولكنَّ اللهَ أعانَني عليهِ فأسلمُ »(٢) .

قالَ سفيانُ بنُ عيينةَ : (فأسلمُ ؛ يعني : فأسلمُ أنا منهُ ، هـٰذا معناهُ ؛ فإنَّ الشيطان لا يُسْلِمُ)(٣) .

---

(١) رواه مسلم (١٤٠٣) ، والترمذي (١١٥٨) واللفظ له ، ومعنىٰ : « **أقبلت بصورة شيطان** » : في صفته ، شبه المرأة الجميلة به في صفة الوسوسة والإضلال ، يعني أن رؤيتها تثير الشهوة وتقيم الهمة ، فنسبها للشيطان لكون الشهوة من جنده وأسبابه ، والعقل من جند الملائكة . « إتحاف » (٥/ ٣٠٤) .

(٢) رواه الترمذي (١١٧٢) ، وعند مسلم (٢١٧٣) مرفوعاً : « لا يدخلن رجل بعد يومي هـٰذا علىٰ مُغِيبة إلا ومعه رجل أو اثنان » .

(٣) الخبر مع تفسير سفيان له رواه أبو الحسين الطيوري في « الطيوريات » (٩٣٢) ، وهو علىٰ رواية الرفع والهمزة في أوله همزة المتكلم ، وقد روي بالنصب كذلك ، ونقل الروايتين القاضي عياض في « مشارق الأنوار » (٢/ ٢١٨) ، و« إكمال المعلم » (٨/ ٣٥٠) وقال : رويناه بالضبطين من الرفع والفتح ، فمن رفع . . تأولها : فأسلم أنا منه ، وهي التي صحح الخطابي ورجح ، ومن فتح . . جعله صفة للقرين ، من الإسلام ، وهي عندي أظهر ؛ بدليل قوله : « فلا يأمرني إلا بخير ») ، وسيأتي للمصنف قريباً ما يؤيد أن شيطانه صلى الله عليه وسلم دخل في الإسلام حقيقة .

ولذلكَ يُحكىٰ عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما وكانَ مِنْ زُهَّادِ الصحابةِ وعلمائِهِمْ أنَّهُ كانَ يفطرُ مِنَ الصومِ على الجماعِ قبلَ الأكلِ ، وربما جامعَ قبلَ أن يصلِّيَ المغربَ ، ثمَّ يغتسلُ ويصلِّي ؛ وذلكَ لتفريغِ القلبِ لعبادةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وإخراجِ عدَّةِ الشيطانِ منهُ(١) .

ورُوِيَ أنَّهُ جامعَ ثلاثاً مِنْ جواريهِ في شهرِ رمضانَ قبلَ العشاءِ الآخرةِ(٢) .

وقالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (خيرُ هٰذهِ الأمةِ أكثرُها نساءً)(٣) .

ولمَّا كانتِ الشهوةُ أغلبَ علىٰ مزاجِ العربِ . . كانَ استكثارُ الصالحينَ منهُمْ للنكاحِ أشدَّ ، ولأجلِ فراغِ القلبِ أبيحَ نكاحُ الأمةِ عندَ خوفِ العنتِ معَ أنَّ فيهِ إرقاقاً للولدِ ، وهوَ نوعُ إهلاكٍ ، وهوَ محرَّمٌ علىٰ كلِّ مَنْ قدرَ علىٰ

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٤١) ، وفي (ب) : (غرة) بدل (عدة) أي : ما يوسوس بسببه في القلب . « إتحاف » (٥/ ٣٠٥) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٤١) ، وفيه : (أربعاً) بدل (ثلاثاً) .

(٣) رواه البخاري (٥٠٦٩) ، إذ قال ابن عباس رضي الله عنهما لسعيد بن جبير : هل تزوجت ؟ فقال : لا ، قال : فتزوج ؛ فإن خير هٰذه الأمة أكثرها نساءً . قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٩/ ١١٤) : (والذي يظهر أن مراد ابن عباس بالخير النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالأمة أخصاء أصحابه ، وكأنه أشار إلىٰ أن ترك التزويج مرجوح) .

حرَّةٍ ، ولكنَّ إرقاقَ الولدِ أهونُ مِنْ إهلاكِ الدينِ ، وليسَ فيهِ إلا تنغيصُ الحياةِ على الولدِ مدَّةً ، وفي اقتحامِ الفاحشةِ تفويتُ الحياةِ الأخرويَّةِ التي تُستحقرُ الأعمارُ الطويلةُ بالإضافةِ إلىٰ يومٍ مِنْ أيامِها .

ورُوِيَ أنَّهُ انصرفَ الناسُ ذاتَ يومٍ مِنْ مجلسِ ابنِ عباسٍ ، وبقيَ شابٌّ لمْ يبرحْ ، فقالَ لهُ ابنُ عباسٍ : هلْ لكَ مِنْ حاجةٍ ؟ قالَ : نعمْ ، أردتُ أنْ أسألَ مسألةً فاستحييتُ مِنَ الناسِ ، وأنا الآنَ أهابُكَ وأجلُّكَ ، فقالَ ابنُ عباسٍ : إنَّ العالمَ بمنزلةِ الوالدِ ، فما أفضيتَ بهِ إلىٰ أبيكَ . . فأفضِ إليَّ بهِ ، فقالَ : إنِّي شابٌّ لا زوجةَ لي ، وربَّما خشيتُ العنتَ علىٰ نفسي ، فربَّما استمنيتُ بيدي ، فهلْ في ذلكَ معصيةٌ ، فأعرضَ عنهُ ابنُ عباسٍ ثمَّ قال : أُفٍّ وتُفٍّ ! نكاحُ الأمةِ خيرٌ منهُ ، وهوَ خيرٌ مِنَ الزنا(١) .

وهٰذا تنبيهٌ علىٰ أنَّ العزبَ المغتلمَ مردَّدٌ بينَ ثلاثةِ شرورٍ ، أدناها نكاحُ الأمةِ وفيهِ إرقاقُ الولدِ ، وأشدُّ منهُ الاستمناءُ باليدِ ، وأفحشُهُ الزنا ، ولمْ يطلقِ ابنُ عباسٍ الإباحةَ في شيءٍ منهُ ؛ لأنَّهما محذورانِ ، يُفزعُ إليهما حذراً مِنَ الوقوعِ في محذورٍ أشدَّ منهُ ؛ كما يُفزعُ إلىٰ تناولِ الميتةِ حذراً مِنْ هلاكِ النفسِ .

فليسَ ترجيحُ أهونِ الشرَّينِ في معنى الإباحةِ المطلقةِ ، ولا في معنى

---

(١) كذا في « القوت » (٢/ ٢٣٩) ، وقد رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٧/ ٣٩٠) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٧/ ١٩٩) .

الخيرِ المطلقِ ، وليسَ قطعُ اليدِ المتآكلةِ مِنَ الخيراتِ ، وإنْ كانَ يُؤذَنُ فيهِ عندَ إشرافِ النفسِ على الهلاكِ .

فإذاً ؛ في النكاحِ فضلٌ مِنْ هٰذا الوجهِ ، لكنْ هٰذا لا يعمُّ الكلَّ بلِ الأكثرَ ، فربَّ شخصٍ فترَتْ شهوتُهُ لكبرِ سنٍّ أوْ مرضٍ أوْ غيرِهِ ، فينعدمُ هٰذا الباعثُ في حقِّهِ ، ويبقىٰ ما سبقَ مِنْ أمرِ الولدِ ، فإنَّ ذلكَ عامٌّ إلا للممسوحِ ، وهوَ نادرٌ .

ومِنَ الطباعِ ما تغلبُ عليها الشهوةُ ؛ بحيثُ لا يحصِّنُها المرأةُ الواحدةُ ، فيُستحبُّ لصاحبِها الزيادةُ على الواحدةِ إلى الأربعِ ، فإنْ يسَّرَ اللهُ لهُ مودَّةً ورحمةً واطمأنَّ قلبُهُ بهنَّ ، وإلا . . فيُستحبُّ لهُ الاستبدالُ ، فقدْ نكحَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ بعدَ وفاةِ فاطمةَ رضيَ اللهُ عنها بسبعِ ليالٍ .

ويقالُ : إنَّ الحسنَ بنَ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما كانَ منكاحاً ، حتَّىٰ نكحَ زيادةً علىٰ مئتي امرأةٍ ، وكانَ ربَّما عقدَ علىٰ أربعٍ في وقتٍ واحدٍ ، وربَّما طلَّقَ أربعاً في وقتٍ واحدٍ واستبدلَ بهنَّ(١) ، وقدْ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ

---

(١) وروى البلاذري في « أنساب الأشراف » (٣/ ٢٧٧) : (أحصن الحسن بن علي تسعين امرأة ، فقال علي : لقد تزوج الحسن وطلق حتىٰ خفت أن يجني بذلك علينا عداوة أقوام) ، وروى ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٩٥٣٨) عن علي رضي الله عنه قال : (يا أهل العراق ، أو : يا أهل الكوفة ؛ لا تزوجوا حسناً ، فإنه رجل مطلاق) ، وسياق المصنف من « القوت » (٢/ ٢٤٦) حيث قال : (وتزوج الحسن بن علي رضي الله عنهما مئتين وخمسين امرأة ، وقيل : ثلاث مئة . . .) .

للحسنِ : « أشبهتَ خلْقي وخُلُقِي »[١] ، وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « حسنٌ منِّي وحسينٌ مِنْ عليٍّ »[٢] ، فقيلَ : إنَّ كثرةَ نكاحِهِ أحدُ ما أشبَهَ بهِ خُلُقَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

وتزوَّجَ المغيرةُ بنُ شعبةَ بثمانينَ امرأةً[٣] ، وكانَ في الصحابةِ مَنْ لهُ الثلاثُ والأربعُ ، ومَنْ كانَ لهُ اثنتانِ لا يحصىٰ ، ومهما كانَ الباعثُ

---

(١) كذا في « القوت » (٢/ ٢٤٦) ، وهـٰذا قد قاله صلى الله عليه وسلم لابن عمّه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، كما في « البخاري » (٢٧٠٠) ، وروى البخاري (٣٧٥٢) عن أنس رضي الله عنه قال : (لم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي) ، وكان الصديق رضي الله عنه كما روىٰ أحمد في « المسند » (١/ ٨) قد مرَّ بغلمان وفيهم الحسن ، فاحتمله علىٰ رقبته وهو يقول :

وا بأبي شبه النبي ليس شبيهاً بعلي

قال : وعلي يضحك .

(٢) رواه أبو داوود (٤١٣١) ، وأحمد في « المسند » (٤/ ١٣٢) ، وروىٰ كذلك أحمد في « المسند » (٤/ ١٧٢) والبخاري في « الأدب المفرد » (٣٦٤) والترمذي (٣٧٧٥) ، وابن ماجه (١٤٤) مرفوعاً : « حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً ، سبط من الأسباط » .

(٣) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٠/ ٥٥) عن ليث بن أبي سليم قال : قال المغيرة بن شعبة : (أحصنت ثمانين امرأة ، فأنا أعلمكم بالنساء ، كنت أحبس المرأة لجمالها ، وأحبس المرأة لولدها ، وأحبس المرأة لقومها ، وأحبس المرأة لمالها ، فوجدت صاحب الواحدة إن زارت . . زار ، وإن حاضت . . حاض ، وإن نَفِسَت . . نَفِس ، وإن اعتلَّت . . اعتلَّ معها بانتظاره لها ، ووجدت صاحب الثنتين في حرب هما ناران تشتعلان ، ووجدت صاحب الثلاث في نعيم ، وإذا كنَّ أربعاً . . كان في نعيم لا يعدله شيء . . .) الخبر .

معلوماً . . فينبغي أنْ يكونَ العلاجُ بقدْرِ العلةِ ، فالمرادُ تسكينُ النفسِ ، فليُنظرْ إليهِ في الكثرةِ والقلَّةِ .

* * *

الفائدةُ الثالثةُ : ترويحُ النفسِ وإيناسُها بالمجالسةِ والنظرِ والملاعبةِ ؛ إراحةً للقلبِ وتقويةً لهُ على العبادةِ :

فإنَّ النفسَ ملولٌ ، وهيَ عنِ الحقِّ نفورٌ ؛ لأنَّهُ علىٰ خلافِ طبعِها ، فلوْ كُلِّفتِ المداومةَ بالإكراهِ علىٰ ما يخالفُها . . جمحَتْ وتأبَّتْ ، وإذا رُوِّحَتْ باللذَّاتِ في بعضِ الأوقاتِ . . قويَتْ ونشطَتْ ، وفي الاستئناسِ بالنساءِ مِنَ الاستراحةِ ما يزيلُ الكربَ ويروِّحُ القلبَ .

وينبغي أنْ يكونَ لنفوسِ المتقينَ استراحاتٌ إلى المباحاتِ ، ولذلكَ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ .

وقالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : (روِّحوا القلوبَ ساعةً ؛ فإنَّها إذا أُكرهَتْ . . عميَتْ)(١) .

---

(١) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٧١٩) ، والخطيب في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (٢/ ١٨٣) ولفظه عنه : (روحوا القلوب ، وابتغوا لها طُرَف الحكمة ؛ فإنها تمل كما تمل الأبدان) ، وفي حديث حنظلة رضي الله عنه عند مسلم (٢٧٥٠) : « والذي نفسي بيده ؛ إن لو تدومون علىٰ ما تكونون عندي وفي الذكر . . لصافحتكم الملائكة علىٰ فرشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة » ثلاث مرات .

وفي الخبرِ : « على العاقلِ أنْ يكونَ لهُ ثلاثُ ساعاتٍ : ساعةٌ يناجي فيها ربَّهُ ، وساعةٌ يحاسبُ فيها نفسَهُ ، وساعةٌ يخلو فيها بمطعمِهِ ومشربِهِ ؛ فإنَّ في هـٰذهِ الساعةِ عوناً علىٰ تلكَ الساعاتِ »⁽¹⁾ .

ومثلُهُ بلفظٍ آخرَ : « لا يكونُ العاقلُ ظاعناً إلا في ثلاثٍ : تزوُّدٌ لمعادٍ ، أوْ مَرَمَّةٌ لمعاشٍ ، أوْ لذَّةٌ في غيرِ محرَّمٍ »⁽²⁾ .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « لكلِّ عاملٍ شِرَّةٌ ، ولكلِّ شِرَّةٍ فترَةٌ ، فمَنْ كانتْ فترتُهُ إلىٰ سنَّتي . . فقدِ اهتدىٰ »⁽³⁾ ، **والشِّرَّةُ** : الجدُّ والمكابدةُ بحدَّةٍ وقوَّةٍ ، وذلكَ في ابتداءِ الإرادةِ ، **والفترةُ** : الوقوفُ للاستراحةِ .

وكانَ أبو الدرداءِ يقولُ : (إنِّي لأستجمُّ نفسي بشيءٍ مِنَ اللهوِ ؛ لأتقوَّىٰ بذلكَ فيما بعدُ على الحقِّ)⁽⁴⁾ .

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٣١٣) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (١١/ ٢٢) عن وهب بن منبه من حكمة آل داوود ، ورواه مرفوعاً ابن حبان في « صحيحه » (٣٦١) ضمن خبر طويل ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ١٨ ، ١٦٧) ، وعند الجميع عد الساعات أربع ، فزادوا : (وساعة يفضي فيها إلىٰ إخوانه يصدقونه عيوبه وينصحونه في نفسه) عن وهب ، وفي المرفوع : « وساعة يتفكر فيها في صنع الله » .

(٢) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٣٦١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ١٦٧) وهو قطعة من الحديث المتقدم ، ومرمة الشيء : إصلاحه ، وهي كذلك اسم لمتاع البيت .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو المشهور والذي فيه ذكر عبادته وتبتله ، وهو عند الترمذي (٢٤٥٣) من حديث أبي هريرة بنحوه ، والشرة أيضاً : الحرص والرغبة والنشاط .

(٤) قوت القلوب (٢/ ٢٤٧) .

وفي بعضِ الأخبارِ ، عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « شكوتُ إلىٰ جبريلَ عليهِ السلامُ ضعفي عنِ الوقاعِ ، فدلَّني على الهريسةِ »⁽¹⁾ ، فهٰذا إنْ صحَّ . . لا محملَ لهُ إلا الاستعدادُ للاستراحةِ ، ولا يمكنُ تعليلُهُ بدفعِ الشهوةِ ؛ لأنَّهُ استثارةٌ للشهوةِ ، ومَنْ عَدِمَ الشهوةَ . . عَدِمَ الأكثرَ مِنْ هٰذا الأنسِ .

وقال عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « حُبِّبَ إليَّ مِنْ دنياكم ثلاثٌ : الطيبُ ، والنساءُ ، وقرَّةُ عيني في الصلاةِ »⁽²⁾ .

فهٰذهِ أيضاً فائدةٌ لا ينكرُها مَنْ جرَّبَ إتعابَ نفسِهِ في الأفكارِ والأذكارِ وصنوفِ الأعمالِ ، وهيَ خارجةٌ عنِ الفائدتينِ السابقتينِ ، حتَّىٰ إنَّها لتُطرَدُ

---

(١) سيشير المؤلف إلى الاختلاف في ثبوت هٰذا الحديث ، وقد رواه الطبراني في « الأوسط » (٦٥٩٢)، وابن عدي في « الكامل » (٦/ ١٤٤)، وتمام في « فوائده » (٩٨٨) ، وقد قال العجلوني في « كشف الخفاء » (١/ ١٧٥) : (ألف الحافظ ابن ناصر الدين فيه جزءاً سماه : « رفع الدسيسة عن أخبار الهريسة ») ، وانظر « الإتحاف » (٥/ ٣٠٩).

(٢) رواه النسائي (٧/ ٦١) ، وهو عند أحمد في « المسند » (٣/ ١٢٨) كذلك ، دون زيادة كلمة (ثلاث) ، والمصنف تبع في ذكرها صاحب « القوت » (٢/ ٢٤٩) ، وقد نقل الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٥/ ٣١١) نقولاً عن الحفاظ تفيد خطأ زيادتها رواية ومعنىً ؛ إذ الصلاة ليست من الدنيا إلا علىٰ تأول شديد ، وإنما جاء الحديث بلفظ : « حُبِّبَ » مبنياً للمجهول دلالة علىٰ أن ذلك لم يكن من جبلته وطبعه صلى الله عليه وسلم ، وإنما كان علىٰ ذلك الحب رحمةً للعباد ورفقاً بهم ، كما أفاده الشارح نقلاً عن الطيبي .

في حقِّ الممسوحِ ومَنْ لا شهوةَ لهُ ، إلا أنَّ هـٰذهِ الفائدةَ تجعلُ النكاحَ فضيلةً بالإضافةِ إلىٰ هـٰذهِ النيّةِ ، وقلَّ مَنْ يقصدُ بالنكاحِ ذلكَ ، وأمَّا قصدُ الولدِ وقصدُ دفعِ الشهوةِ وأمثالُها . . فممَّا يكثرُ .

ثمَّ ربَّ شخصٍ يستأنسُ بالنظرِ إلى الماءِ الجاري والخضرةِ وأمثالِها ولا يحتاجُ إلىٰ ترويحِ النفسِ بمحادثةِ النساءِ وملاعبتِهنَّ ، فيختلفُ هـٰذا باختلافِ الأحوالِ والأشخاصِ ، فليُتنبَّهْ لهُ .

* * *

الفائدةُ الرابعةُ : تفريغُ القلبِ عنْ تدبيرِ المنزلِ :

والتكفُّلِ بشغلِ الطبخِ والكنْسِ والفرشِ وتنظيفِ الأواني وتهيئةِ أسبابِ المعيشةِ ؛ فإنَّ الإنسانَ لوْ لمْ يكنْ لهُ شهوةُ الوقاعِ . . لتعذَّرَ عليهِ العيشُ في منزلِهِ وحدَهُ ، إذْ لوْ تكفَّلَ بجميعِ أشغالِ المنزلِ . . لضاعَتْ أكثرُ أوقاتِه ، ولمْ يتفرَّغْ للعلمِ والعملِ ، فالمرأةُ الصالحةُ المصلحةُ للمنزلِ عونٌ على الدينِ بهـٰذهِ الطريقِ ، واختلالُ هـٰذهِ الأسبابِ شواغلُ ومشوشاتٌ للقلبِ ومنغِّصاتٌ للعيشِ ، ولذلكَ قالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رحمهُ اللهُ : (الزوجةُ الصالحةُ ليسَتْ مِنَ الدنيا ، فإنَّها تفرِّغُكَ للآخرةِ)(١) ، وإنَّما تفريغُها بتدبيرِ المنزلِ وبقضاءِ الشهوةِ جميعاً .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٤٤) عن عمر رضي الله عنه .

وقالَ محمدُ بنُ كعبٍ القرظيُّ في معنىٰ قولِ اللهِ تعالىٰ : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ قالَ : المرأةُ الصالحةُ[1] .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « ليتخذْ أحدُكُمْ قلباً شاكراً ، ولساناً ذاكراً ، وزوجةً مؤمنةً تعينُهُ علىٰ آخرتِهِ »[2] ، فانظرْ كيفَ جمعَ بينَها وبينَ الذكرِ والشكرِ .

وفي بعضِ التفاسيرِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ قالَ : الزوجةُ الصالحةُ[3] .

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما أُعطيَ عبدٌ بعدَ إيمانٍ باللهِ خيراً مِن امرأةٍ صالحةٍ ، وإنَّ منهنَّ غُنْماً لا يُحذىٰ منهُ ، ومنهنَّ غلاًّ لا يُفدىٰ منهُ)[4] ، وقولُهُ : (لا يُحذىٰ) أيْ : لا يُعتاض عنهُ بعطاءٍ .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « فضلتُ علىٰ آدمَ بخصلتينِ : كانتْ زوجتُهُ عوناً لهُ على المعصيةِ ، وأزواجي أعوانٌ لي على الطاعةِ ، وكانَ شيطانُهُ كافراً ، وشيطاني مسلمٌ لا يأمرُ إلا بخيرٍ »[5] ، فعدَّ معاونتَها على الطاعةِ فضيلةً .

---

[1] رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٨٨٢) .

[2] رواه الترمذي (٣٠٩٤) ، وابن ماجه (١٨٥٦) واللفظ له .

[3] قوت القلوب (٢/ ٢٤٤) .

[4] رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧٤٢٧)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٧/ ٨٢).

[5] رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٤/ ١٠١) ، وهو في « القوت » (٢/ ٢٤٣) ، قال =

فهـٰذهِ أيضاً مِنَ الفوائدِ التي يقصدُها الصالحونَ ، إلا أنَّها تخصُّ بعضَ الأشخاصِ الذينَ لا كافلَ لهُمْ ولا مدبِّرَ .

ولا تدعو إلى امرأتينِ ، بلِ الجمعُ ربَّما ينغِّصُ المعيشةَ ، وتضطربُ بهِ أمورُ المنزلِ .

ويدخلُ في هـٰذهِ الفائدةِ قصدُ الاستكثارِ بعشيرتِها ، وما يحصلُ مِنَ القوَّةِ بسببِ تداخلِ العشائرِ ، فإنَّ ذلكَ ممَّا يُحتاجُ إليهِ في دفعِ الشرورِ وطلبِ السلامةِ ، ولذلكَ قيلَ : (ذلَّ مَنْ لا ناصرَ لهُ) ، ومَنْ وجدَ مَنْ يدفعُ عنهُ الشرورَ . سلمَ حالُهُ ، وفُرِّغَ قلبُهُ للعبادةِ ؛ فإنَّ الذلَّ مشوِّشٌ للقلبِ ، والعزَّ بالكثرةِ دافعٌ للذلِّ .

* * *

الفائدةُ الخامسةُ : مجاهدةُ النفسِ ورياضتُها بالرعايةِ والولايةِ ، والقيامِ بحقوقِ الأهلِ ، والصبرِ علىٰ أخلاقِهِنَّ ، واحتمالِ الأذىٰ منهنَّ ، والسعيِ في إصلاحِهِنَّ وإرشادِهِنَّ إلىٰ طريقِ الدينِ ، والاجتهادِ في كسبِ الحلالِ لأجلِهِنَّ ، والقيامِ بتربيةِ الأولادِ :

فكلُّ هـٰذهِ أعمالٌ عظيمةُ الفضلِ ؛ فإنَّها رعايةٌ وولايةٌ ، والأهلُ والولدُ رَعِيَّةٌ ، وفضلُ الرعايةِ عظيمٌ ، وإنَّما يحترزُ منها مَنْ يحترزُ خيفةً مِنَ القصورِ

= الحافظ الزبيدي في « إتحافه » : (والصحيح أن الحديث ضعيف لضعف محمد بن الوليد ، ولا يدخل في حيز الموضوع) .

عنِ القيامِ بحقِّها ، وإلا . . فقدْ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يومٌ مِنْ والٍ عادلٍ أفضلُ مِنْ عبادةِ سبعينَ سنةً »(١) ، ثمَّ قالَ : « ألا كلُّكُمْ راعٍ وكلُّكُمْ مسؤولٌ عنْ رعيَّتِهِ »(٢) .

وليسَ مَنِ اشتغلَ بإصلاحِ نفسِهِ وغيرِهِ كمَنِ اشتغلَ بإصلاحِ نفسِهِ فقطْ ، ولا مَنْ صبرَ على الأذىٰ كمَنْ رفَّهَ نفسَهُ وأراحَها ، فمقاساةُ الأهلِ والولدِ بمنزلةِ الجهادِ في سبيلِ اللهِ ، ولذلكَ قالَ بشرٌ : (فضلَ عليَّ أحمدُ ابنُ حنبلٍ بثلاثٍ : إحداها : أنَّهُ يطلبُ الحلالَ لنفسِهِ ولغيرِهِ)(٣) .

وقدْ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « ما أنفقَ الرجلُ علىٰ أهلِهِ . . فهوَ صدقةٌ ، وإنَّ الرجلَ ليُؤجرُ في اللقمةِ يرفعُها إلىٰ في امرأتِهِ »(٤) .

وقالَ بعضُهُمْ لبعضِ العلماءِ : مِنْ كلِّ عملٍ قدْ أعطاني اللهُ نصيباً ، حتَّىٰ ذكرَ الحجَّ والجهادَ وغيرَهُما ، فقالَ لهُ : أينَ أنتَ مِنْ عملِ الأبدالِ ؟ قالَ : وما هوَ ؟ قالَ : كسبُ الحلالِ ، والنفقةُ على العيالِ(٥) .

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » (١١/ ٣٣٧) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٨/ ١٦٢) وبلفظ : (ستين سنة) .

(٢) رواه البخاري (٨٩٣) ، ومسلم (١٨٢٩) .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢٤١) .

(٤) رواه البخاري (١٢٩٦) ، ومسلم (١٦٢٨) ولفظه : « وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله . . إلا أجرت بها ، حتىٰ ما تجعل في في امرأتك . . . » الحديث .

(٥) قوت القلوب (٢/ ٢٤٨) .

وقالَ ابنُ المباركِ وهوَ معَ إخوانِهِ في الغزوِ : تعلمونَ عملاً أفضلَ ممَّا نحنُ فيهِ ؟ قالوا : ما نعلمُ ذلكَ ، قالَ : أنَا أعلمُ ، قالوا : فما هوَ ؟ قالَ : رجلٌ متعفِّفٌ ذو عيلةٍ ، قامَ مِنَ الليلِ ، فنظرَ إلىٰ صبيانِهِ نياماً متكشِّفينَ ، فسترَهُمْ وغطَّاهُمْ بثوبِهِ ، فعملُهُ أفضلُ ممَّا نحنُ فيهِ(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ حسنتْ صلاتُهُ ، وكثرَ عيالُهُ ، وقلَّ مالُهُ ، ولمْ يغتبِ المسلمينَ . . كانَ معي في الجنَّةِ كهاتينِ »(٢) .

وفي حديثٍ آخرَ : « إنَّ اللهَ يحبُّ الفقيرَ المتعفِّفَ أبا العيالِ »(٣) .

وفي الحديثِ : « إذا كثرَتْ ذنوبُ العبدِ . . ابتلاهُ اللهُ بِهَمٍّ ليكفِّرَها »(٤) .

وقالَ بعضُ السلفِ : (مِنَ الذنوبِ ذنوبٌ لا يكفِّرُها إلا الغمُّ بالعيالِ)(٥)، وفيهِ أثرٌ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مِنَ الذنوبِ ذنوبٌ لا يكفِّرُها إلا الهمُّ بطلبِ المعيشةِ »(٦) .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٤٨) .

(٢) رواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٩٩٠) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (١١/ ٢٥٧) .

(٣) رواه ابن ماجه (٤١٢١) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ١٥٧) ، وفيه : (بالحزن) بدل (بهمٍّ) ، ولفظ المصنف في « القوت » (٢/ ٢٤٨) .

(٥) قوت القلوب (٢/ ٢٤٨) وسياق المصنف عنده .

(٦) رواه الطبراني في « الأوسط » (١٠٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٣٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٤/ ٢٠٠) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ كانَ لهُ ثلاثُ بناتٍ ، فأنفقَ عليهنَّ ، وأحسنَ إليهنَّ حتَّىٰ يغنيَهُنَّ اللهُ عنهُ . . أوجبَ اللهُ تعالىٰ لهُ الجنَّةَ ألبتةَ ، إلا أنْ يعملَ عملاً لا يُغفرُ لهُ »(١) ، كانَ ابنُ عباسٍ إذا حدَّثَ بهـٰذا . . قالَ : هُوَ وَاللهِ مِنْ غَرائبِ الحديثِ وغررِهِ(٢) .

ورُوِيَ أنَّ بعضَ المتعبدينَ كانَ يحسنُ القيامَ علىٰ زوجتِهِ إلىٰ أنْ ماتَتْ ، فعُرِضَ عليهِ التزويجُ ، فامتنعَ وقالَ : الوحدةُ أروحُ لقلبي ، وأجمعُ لهمِّي ، قالَ : فرأيتُ في المنامِ بعدَ جمعةٍ مِنْ وفاتِها كأنَّ أبوابَ السماءِ فُتحَتْ ، وكأنَّ رجالاً ينزلونَ ويسيرونَ في الهواءِ يتبعُ بعضُهُمْ بعضاً ، فكلَّما نزلَ واحدٌ . . نظرَ إليَّ وقالَ لمَنْ وراءَهُ : هـٰذا هوَ المشؤومُ ، فيقولُ الآخرُ : نعمْ ، ويقولُ الثالثُ كذلكَ ، فيقولُ الرابعُ : نعمْ ، وخفتُ أنْ أسألَهُمْ هيبةً مِنْ ذلكَ ، إلىٰ أنْ مرَّ بي آخرُهُمْ وكانَ غلاماً ، فقلتُ لهُ : يا هـٰذا ؛ مَنْ هـٰذا المشؤومُ الذي تومئونَ إليهِ ؟ قالَ : أنتَ ، فقلتُ : ولِمَ ذلِكَ ؟ قالَ : كنَّا نرفعُ عملَكَ في أعمالِ المجاهدينَ في سبيلِ اللهِ ، فمنذُ جمعةٍ أُمِرْنا أنْ نضعَ عملَكَ معَ الخالفينَ ، فلا ندري ما أحدثتَ ، فقالَ لإخوانِهِ : زوِّجوني زوِّجوني ، فلمْ يكنْ تفارقُهُ زوجتانِ أوْ ثلاثٌ(٣) .

---

(١) رواه عبد بن حميد في « مسنده » (٦١٥) بنحوه ، وقريب منه ما رواه أبو داوود (٥١٤٧) ، والترمذي (١٩١٢) ، وابن ماجه (٣٦٦٩) .

(٢) كذا بزيادة هـٰذا القول لابن عباس رضي الله عنهما رواه الخطيب في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (٢/١٧٨) .

(٣) قوت القلوب (٢/٢٤٩) .

وفي أخبارِ الأنبياءِ عليهمُ السلامُ : أنَّ قوماً دخلوا علىٰ يونسَ النبيِّ عليهِ السلامُ ، فأضافَهُمْ ، فكانَ يدخلُ ويخرجُ إلىٰ منزلِهِ ، فتؤذيهِ امرأتُهُ وتستطيلُ عليهِ وهوَ ساكتٌ ، فتعجَّبوا مِنْ ذلكَ ، فقالَ : لا تعجبوا ، فإنِّي سألتُ اللهَ تعالىٰ وقلتُ : ما أنتَ معاقبٌ لي بهِ في الآخرةِ فعجِّلْهُ لِي في الدنيا ، فقالَ : إنَّ عقوبتَكَ بنتُ فلانٍ تتزوَّجُ بها ، فتزوَّجْتُ بها ، وأنا صابرٌ علىٰ ما ترونَ منها(١) .

وفي الصبرِ علىٰ ذلكَ رياضةُ النفسِ ، وكسرُ الغضبِ ، وتحسينُ الخُلُقِ ؛ فإنَّ المنفردَ بنفسِهِ ، أوِ المشاركَ لمَنْ حَسُنَ خلقُهُ . لا تترشَّحُ منهُ خبائثُ النفسِ الباطنةِ ، ولا تنكشفُ بواطنُ عيوبِهِ ، فحقٌّ علىٰ سالكِ طريقِ الآخرةِ أنْ يجرِّبَ نفسَهُ بالتعرُّضِ لأمثالِ هـٰذهِ المحرِّكاتِ ، واعتيادِ الصبرِ عليها ؛ لتعتدلَ أخلاقُهُ ، وترتاضَ نفسُهُ ، ويصفوَ عنِ الصفاتِ الذميمةِ باطنُهُ .

والصبرُ على العيالِ معَ أنَّهُ رياضةٌ ومجاهدةٌ تكفُّلٌ لهمْ ، وقيامٌ بهمْ ، وعبادةٌ في نفسِها .

فهـٰذهِ أيضاً مِنَ الفوائدِ ، ولكنَّهُ لا ينتفعُ بها إلا أحدُ رجلينِ :

إمَّا رجلٌ قصدَ المجاهدةَ والرياضةَ وتهذيبَ الأخلاقِ لكونِهِ في بدايةِ الطريقِ ، فلا يبعدُ أنْ يرىٰ هـٰذا طريقاً في المجاهدةِ وترتاضُ بهِ نفسُهُ .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٣٩) .

وإمَّا رجلٌ مِنَ العابدينَ ليسَ لهُ سيرٌ بالباطنِ وحركةٌ بالفكرِ والقلبِ ، وإنَّما عملُهُ عملُ الجوارحِ ؛ بصلاةٍ أوْ حجٍّ أوْ غيرِهِ ، فعملُهُ لأهلِهِ وأولادِهِ بكسبِ الحلالِ لهُمْ والقيامِ بتربيتِهِمْ أفضلُ لهُ مِنَ العباداتِ اللازمةِ لبدنِهِ التي لا يتعدَّىٰ خيرُها إلىٰ غيرِهِ .

فأمَّا الرجلُ المهذَّبُ الأخلاقِ إمَّا بكفايةٍ في أصلِ الخلقةِ ، أوْ بمجاهدةٍ سابقةٍ إذا كانَ لهُ سيرٌ في الباطنِ وحركةٌ بفكرِ القلبِ في العلومِ والمكاشفاتِ . . فلا ينبغي أنْ يتزوَّجَ لهـٰذا الغرضِ ؛ فإنَّ الرياضةَ هوَ مكفيٌّ فيها . وأمَّا العبادةُ بالعملِ في الكسبِ لهُمْ . . فالعلمُ أفضلُ مِنْ ذلكَ ؛ لأنَّهُ أيضاً عملٌ ، وفائدتُهُ أعمُّ وأشملُ لسائرِ الخلقِ مِنْ فائدةِ الكسبِ على العيالِ .

فهـٰذِهِ فوائدُ النكاحِ في الدينِ التي بها يُحكمُ له بالفضيلةِ .

* * *

آفات النكاح(١)

أمَّا آفاتُ النكاحِ . . فثلاثٌ :

الأولىٰ ـ وهيَ أقواها ـ : العجزُ عنْ طلبِ الحلالِ :

فإنَّ ذلكَ لا يتيسَّرُ لكلِّ أحدٍ ، لا سيما في هـٰذهِ الأوقاتِ معَ اضطرابِ المعايشِ ، فيكونُ النكاحُ سبباً للتوسعِ في الطلبِ والإطعامِ مِنَ الحرامِ ، وفيهِ هلاكُهُ وهلاكُ أهلِهِ ، والمتعزبُ في أمنٍ مِنْ ذلكَ ، وأمَّا المتزوِّجُ . . ففي الأكثرِ يدخلُ في مداخلِ السوءِ ويتبعُ هوىٰ زوجتِهِ ، ويبيعُ آخرتَهُ بدنياهُ .

وفي الخبرِ : (إنَّ العبدَ ليُوقفُ عندَ الميزانِ ولهُ مِنَ الحسناتِ أمثالُ الجبالِ ، فيُسألُ عنْ رعايةِ عيالِهِ والقيامِ بِهِمْ ، وعنْ مالِهِ مِنْ أينَ اكتسبَهُ وفيمَ أنفقَهُ حتَّىٰ تُستغرقَ بتلكَ المطالباتِ كلُّ أعمالِهِ ، فلا تبقىٰ لهُ حسنةٌ ، فينادي الملائكةُ : هـٰذا الذي أكلَ عيالُهُ حسناتِهِ في الدنيا ، وارتُهنَ اليومَ بأعمالِهِ)(٢) .

ويُقالُ : إنَّ أوَّلَ ما يتعلَّقُ بالرجلِ في القيامةِ أهلُهُ وولدُهُ ، فيوقفونَهُ بينَ يدي اللهِ سبحانَهُ ويقولونَ : يا ربَّنا ؛ خُذْ لنا بحقِّنا منهُ ، فإنَّهُ ما علَّمنا

---

(١) العنوان زيادة من اللجنة العلمية .

(٢) رواه مختصراً ابن أبي الدنيا في « العيال » (٤٥١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٨١) من قول سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ ، وانظر في « القوت » (٢/ ٢٥١) .

ما نجهلُ ، وكانَ يطعمُنا الحرامَ ونحنُ لا نعلمُ ، فيقتصُّ لهُمْ منهُ[١] .

وقالَ بعضُ السلفِ : (إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ شرّاً . . سلَّطَ عليهِ في الدنيا أنياباً تنهشُهُ)[٢] ؛ يعني العيالَ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا يلقى اللهَ سبحانَهُ أحدٌ بذنبٍ أعظمَ مِنْ جهالةِ أهلِهِ »[٣] .

فهـٰذهِ آفةٌ عامَّةٌ ، قلَّ مَنْ يتخلَّصُ منها ، إلا مَنْ لهُ مالٌ موروثٌ أوْ مكتسبٌ مِنْ حلالٍ يفي بهِ وبأهلِهِ ، وكانَ لهُ مِنَ القناعةِ ما يمنعُهُ مِنَ الزيادةِ ،

---

(١) كذا في « القوت » (٢/٢٥١) ، ومعناه في الخبر قبله ، وروى ابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٧١٨٦) عن أبي أمامة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ ما أرسل به ، ثم قال : « إياكم والظلم ؛ فإن الله تبارك وتعالىٰ يقسم يوم القيامة فيقول : وعزتي ؛ لا يجوزني اليوم ظلم ، ثم ينادي مناد فيقول : أين فلان بن فلان ؟ فيأتي تتبعه من الحسنات أمثال الجبال ، فيشخص الناس إليها أبصارهم حتىٰ يقوم بين يدي الله الرحمـٰن عز وجل ، ثم يأمر المنادي فينادي : من كانت له تباعة أو ظلامة عند فلان بن فلان . . فهلمَّ ، فيُقْبِلون ، حتىٰ يجتمعوا قياماً بين يدي الرحمـٰن ، فيقول الرحمـٰن : اقضوا عن عبدي ، فيقولون : كيف نقضي عنه ؟ فيقول لهم : خذوا لهم من حسناته ، فلا يزالون يأخذون منها حتىٰ لا يبقىٰ له حسنة . . . ، ثم نزع النبي صلى الله عليه وسلم بهـٰذه الآية الكريمة : ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ . . . ﴾ » الحديث ، وسيأتي بمعناه حديث المفلس ، والعيال أصحاب حق إن قصر الراعي فيما استرعي .

(٢) قوت القلوب (٢/٢٥١) .

(٣) كذا في « القوت » (٢/٢٥١) ، وقال الحافظ العراقي : (ذكره صاحب « الفردوس » من حديث أبي سعيد ، ولم يجده ولده أبو منصور في « مسنده ») . « إتحاف » (٥/٣١٧) .

فإنَّ ذلكَ يتخلَّصُ مِنْ هـٰذهِ الآفةِ ، أوْ مَنْ هوَ محترفٌ ومقتدرٌ علىٰ كسبٍ حلالٍ مِنَ المباحاتِ ، باحتطابٍ أوِ اصطيادٍ ، أوْ كانَ في صناعةٍ لا تتعلَّقُ بالسلاطينِ ، ويقدرُ علىٰ أنْ يعاملَ بها أهلَ الخيرِ ، ومَنْ ظاهرُهُ السلامةُ ، وغالبُ مالِهِ الحلالُ .

وقالَ ابنُ سالمٍ رحمهُ اللهُ وقدْ سُئِلَ عنِ التزويجِ ، فقالَ : (هُوَ أفضلُ في زمانِنا هـٰذا لمَنْ أدركَهُ شبقٌ غالبٌ ، مثلُ الحمارِ يرى الأتانَ ، فلا ينثني عنها بالضربِ ، ولا يملكُ نفسَهُ ، فإنْ ملكَ نفسَهُ . . فتركُهُ أولىٰ)(١) .

* * *

الآفةُ الثانيةُ : القصورُ عنِ القيامِ بحقوقِهِنَّ ، والصبرِ علىٰ أخلاقِهِنَّ ، واحتمالِ الأذىٰ منهُنَّ :

وهـٰذهِ دونَ الأولىٰ في العمومِ ، فإنَّ القدرةَ علىٰ هـٰذهِ أيسرُ مِنَ القدرةِ على الأولىٰ ، وتحسينُ الخلقِ معَ النساءِ والقيامُ بحظوظِهِنَّ أهونُ مِنْ طلبِ الحلالِ .

وفي هـٰذا أيضاً خطرٌ ؛ لأنَّهُ راعٍ ومسؤولٌ عنْ رعيَّتِهِ ، وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « كفىٰ بالمرءِ إثماً أنْ يضيِّعَ مَنْ يعولُ »(٢) .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٤٠) والقول لأبي الحسن علي بن سالم البصري . « إتحاف » (٥/ ٣١٨) .

(٢) رواه مسلم (٩٩٦) بلفظ : « كفىٰ بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته » ، وهو عند أبي داوود (١٦٩٢) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٩١٣١) واللفظ له .

ورُوي أنَّ الهاربَ مِنْ عيالِهِ بمنزلةِ العبدِ الهاربِ الآبقِ ، لا تُقبلُ لهُ صلاةٌ ولا صيامٌ حتَّىٰ يرجعَ إليهِمْ[1] ، ومَنْ يُقصِّرُ عنِ القيامِ بحقِّهِنَّ وإنْ كانَ حاضراً . . فهوَ بمنزلةِ هاربٍ ؛ فقدْ قالَ تعالىٰ : ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ ، أمرَنا أنْ نقيَهُمُ النَّارَ كما نقي أنفسَنا ، والإنسانُ قدْ يعجزُ عنِ القيامِ بحقِّ نفسِهِ ، وإذا تزوَّجَ . . تضاعفَ عليهِ الحقُّ ، وانضافَتْ إلىٰ نفسِهِ نفسٌ أخرىٰ ، والنفسُ أمَّارةٌ بالسوءِ ، إنْ كثرَتْ . . كثرَ الأمرُ بالسوءِ غالباً ، ولذلكَ اعتذرَ بعضُهُمْ مِنَ التزويجِ وقالَ : أنا مبتلىً بنفسي ، فكيفَ أضيفُ إليها نفساً أخرىٰ ؟ كما قيلَ : [من السريع]

لَـنْ يَسَـعَ ٱلْفَـأْرَةَ فِـي جُحْـرِهـا عَلَّقَـتِ ٱلْمِكْنَـسَ فِـي دُبْـرِهَـا[2]

وكذلكَ اعتذرَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رحمهُ اللهُ وقالَ : (لا أغرُّ امرأةً بنفسي ، ولا حاجةَ لي فيهِنَّ)[3] أيْ : مِنَ القيامِ بحقِّهِنَّ وتحصينِهِنَّ وإمتاعِهِنَّ ، وأنا عاجزٌ عنهُ .

وكذلكَ اعتذرَ بشرٌ وقالَ : (يمنعُني مِنَ النكاحِ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ ﴾)[4] ، وكانَ يقولُ : (لوْ كنتُ أعولُ دجاجةً . .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٥١) .

(٢) مثل يضرب لمن لا يقدر علىٰ تحمل شيء فيزيد عليه ما يثقله بالزيادة ، كما قالوا في قولهم : إنها لضغث علىٰ إبالة ؛ أي : حزمة حطب كبيرة وعليها جرزة صغيرة منه ، وفي « التمثيل والمحاضرة » (ص٣٦٠) : (لم يسع الفأرة جحرها ، فاستصحبت مكنسة) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢١) بنحوه .

(٤) قوت القلوب (٢/ ٢٤١) .

لخفتُ أَنْ أَصيرَ جلاداً على الجسرِ)(١) .

ورُئِيَ سفيانُ بنُ عيينةَ رحمهُ اللهُ علىٰ بابِ السلطانِ ، فقيلَ لهُ : ما هـٰذا موقفَكَ ! فقالَ : وهلْ رأيتَ ذا عيالٍ أفلحَ ؟!(٢) .

وكانَ سفيانُ يقولُ(٣) : [من الرجز]

يا حَبَّذا ٱلْعُزْبَةُ وَٱلْمِفْتاحُ(٤) وَمَسْكَنٌ تَخْرِقُهُ ٱلرِّياحُ
لا صَخَبٌ فِيهِ وَلا صِياحُ

فهـٰذِهِ آفةٌ عامةٌ أيضاً ، وإنْ كانَتْ دونَ عمومِ الأولىٰ ، ولا يسلمُ منها إلا حكيمٌ عاقلٌ ، حسنُ الأخلاقِ ، بصيرٌ بعاداتِ النساءِ ، صبورٌ علىٰ لسانِهِنَّ ، وقّافٌ عنِ اتباعِ شهواتِهِنَّ ، حريصٌ على الوفاءِ بحقِّهِنَّ ، يتغافلُ عنْ زللِهِنَّ ، ويداري بعقلِهِ أخلاقَهُنَّ .

والأغلبُ على الناسِ السفهُ ، والفظاظةُ والحدَّةُ ، والطيشُ ، وسوءُ الخلقِ ، وعدمُ الإنصافِ معَ طلبِ تمامِ الإنصافِ ، ومثلُ هـٰذا يزدادُ بالنكاحِ فساداً مِنْ هـٰذا الوجهِ لا محالةَ ، فالوحدةُ أسلمُ لهُ .

* * *

---

(١) رواه الخطيب في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (١٥١/١) .

(٢) رواه ابن عدي في « الكامل » (١٨٩/١) .

(٣) قوت القلوب (٢٥٩/٢) .

(٤) **والمفتاح** : يكون عنده لا يفتح به غيره . « إتحاف » (٣١٩/٥) .

الآفةُ الثالثةُ ـ وهيَ دونَ الأولىٰ والثانيةِ ـ : أنْ يكونَ الأهلُ والولدُ شاغلاً لهُ عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ وجاذباً إلىٰ طلبِ الدنيا وتدبيرِ حسنِ المعيشةِ للأولادِ بكثرةِ جمعِ المالِ وادِّخارِهِ لهُمْ ، وطلبِ التفاخرِ والتكاثرِ بهمْ :

وكلُّ ما شغلَ عنِ اللهِ مِنْ أهلٍ ومالٍ وولدٍ . . فهوَ مشؤومٌ علىٰ صاحبِهِ ، ولستُ أعني بهـٰذا أنْ يدعوَهُ إلىٰ محظورٍ ، فإنَّ ذلكَ ممَّا اندرجَ تحتَ الآفةِ الأولىٰ والثانيةِ ، بلْ أنْ يدعوَهُ إلى التنعُّمِ بالمباحِ ، بلْ إلى الإغراقِ في ملاعبةِ النساءِ ومؤانستِهِنَّ والإمعانِ في التمتعِ بهنَّ ، ويثورُ مِنَ النكاحِ أنواعٌ مِنَ الشواغلِ مِنْ هـٰذا الجنسِ تستغرقُ القلبَ ، فينقضي الليلُ والنهارُ ولا يتفرَّغُ المرءُ فيهما للتفكُّرِ في الآخرةِ والاستعدادِ لها ؛ ولذلكَ قالَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رحمهُ اللهُ : (مَنْ تعوَّدَ أفخاذَ النساءِ . . لمْ يجئْ منهُ شيءٌ)⁽¹⁾ .

وقالَ أبو سليمانَ رحمهُ اللهُ : (مَنْ تزوَّجَ . . فقدْ ركنَ إلى الدنيا)⁽²⁾ أيْ : يدعوهُ ذلكَ إلى الركونِ إلى الدنيا .

فهـٰذهِ مجامعُ الآفاتِ والفوائدِ .

⁂

---

(١) رواه الخرائطي في « اعتلال القلوب » (٢٢٠) ، والخطيب في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (١/ ١٥١) .

(٢) قوت القلوب (١/ ١٣٥) .

فالحكمُ علىٰ شخصٍ واحدٍ بأنَّ الأفضلَ لهُ النكاحُ أوِ العزوبةُ مطلقاً قصورٌ عنِ الإحاطةِ بمجامعِ هـٰذهِ الأمورِ ، بلْ تُتخذُ هـٰذهِ الفوائدُ والآفاتُ معتبراً ومحكّاً ، ويعرضُ المريدُ عليها حالَهُ :

فإنِ انتفتْ في حقِّهِ الآفاتُ واجتمعتِ الفوائدُ ؛ بأنْ كانَ لهُ مالٌ حلالٌ ، وخُلُقٌ حسنٌ ، وجدٌّ في الدينِ تامٌّ ، لا يشغلُهُ النكاحُ عنِ اللهِ تعالىٰ ، وهوَ معَ ذلكَ شابٌّ يحتاجُ إلىٰ تسكينِ الشهوةِ ، ومنفردٌ يحتاجُ إلىٰ تدبيرِ المنزلِ والتحصُّنِ بالعشيرةِ . . فلا يُتمارىٰ في أنَّ النكاحَ أفضلُ لهُ معَ ما فيهِ مِنَ السعي في تحصيلِ الولدِ .

وإنِ انتفتِ الفوائدُ واجتمعتِ الآفاتُ . . فالعزوبةُ أفضلُ لهُ .

وإنْ تقابلَ الأمرانِ وهوَ الغالبُ . . فينبغي أنْ يُوزنَ بالميزانِ القسطِ حظُّ تلكَ الفائدةِ في الزيادةِ مِنْ دينِهِ وحظُّ تلكَ الآفاتِ في النقصانِ منهُ ؛ فإذا غلبَ على الظنِّ رجحانُ أحدِهما . . حكمَ بهِ .

وأظهرُ الفوائدِ : الولدُ ، وتسكينُ الشهوةِ ، وأظهرُ الآفاتِ : الحاجةُ إلىٰ كسبِ الحرامِ ، والاشتغالُ عنِ اللهِ سبحانَهُ ، فلنفرضْ تقابلَ هـٰذهِ الأمورِ ، فنقولُ :

مَنْ لمْ يكنْ في أذيَّةٍ مِنَ الشهوةِ ، وكانتْ فائدةُ نكاحِهِ في السعي لتحصيلِ الولدِ ، وكانتِ الآفةُ الحاجةَ إلىٰ كسبِ الحرامِ ، والاشتغالَ عنِ اللهِ . .

فالعزوبةُ لهُ أولىٰ ، فلا خيرَ فيما يشغلُ عنِ اللهِ ، ولا خيرَ في كسبِ الحرامِ ، ولا يفي بنقصانِ هـٰذينِ الأمرينِ أمرُ الولدِ ؛ لأنَّ النكاحَ للولدِ سعيٌ في طلبِ حياةٍ للولدِ موهومةٍ ، وهـٰذا نقصانٌ في الدينِ ناجزٌ ، فحفظُهُ لحياةِ نفسِهِ وصونُها عنِ الهلاكِ أهمُّ مِنَ السعيِ في الولدِ ، وذلكَ ربحٌ ، والدينُ رأسُ مالٍ ، وفي فسادِ الدينِ بطلانُ الحياةِ الأخرويَّةِ ، وذهابُ رأسِ المالِ ، ولا تقاومُ هـٰذهِ الفائدةُ إحدىٰ هاتينِ الآفتينِ .

وأمَّا إذا انضافَ إلىٰ أمرِ الولدِ حاجةُ كسرِ الشهوةِ لتوقانِ النفسِ إلى النكاحِ . . نُظِرَ :

فإنْ لمْ يقوَ لجامُ التقوىٰ في رأسِهِ ، وخافَ علىٰ نفسِهِ الزنا . . فالنكاحُ لهُ أولىٰ ؛ لأنَّهُ متردِّدٌ بينَ أنْ يقتحمَ الزنا أوْ يأكلَ الحرامَ ، والكسبُ الحرامُ أهونُ الشرَّينِ .

وإنْ كانَ يثقُ بنفسِهِ أنَّهُ لا يزني ، ولكنْ لا يقدرُ معَ ذلكَ علىٰ غضِّ البصرِ عنِ الحرامِ . . فتركُ النكاحِ أولىٰ ؛ لأنَّ النظرَ حرامٌ ، والكسبُ مِنْ غيرِ وجهِهِ حرامٌ ، والكسبُ يقعُ دائماً ، وفيهِ عصيانُهُ وعصيانُ أهلِهِ ، والنظرُ يقعُ أحياناً ، وهوَ يخصُّهُ ، وينصرمُ علىٰ قرْبٍ ، والنظرُ زنا العينِ⁽¹⁾ ، ولكنْ إذا لمْ يصدِّقْهُ الفرجُ . . فهوَ إلى العفوِ أقربُ مِنْ أكلِ الحرامِ ، إلاَّ أنْ يخافَ

---

(١) روىٰ أحمد في « المسند » (٢/ ٣٧٢) مرفوعاً : « العينان تزنيان ، واللسان يزني ، واليدان تزنيان ، والرجلان تزنيان ، يحقق ذلك الفرج أو يكذبه » .

إفضاءَ النظرِ إلىٰ معصيةِ الفرجِ ، فيرجعُ ذلكَ إلىٰ خوفِ العنتِ .

وإذا ثبتَ هـٰذا . . فالحالةُ الثالثةُ ـ وهوَ أنْ يقوىٰ علىٰ غضِّ البصرِ ولكنْ لا يقوىٰ علىٰ دفعِ الأفكارِ الشاغلةِ للقلبِ ـ أولىٰ بتركِ النكاحِ ؛ لأنَّ عملَ القلبِ إلى العفوِ أقربُ ، وإنَّما يُرادُ فراغُ القلبِ للعبادةِ ، ولا تتمُّ عبادةٌ معَ الكسبِ الحرامِ وأكلِهِ وإطعامِهِ .

فهكذا ينبغي أنْ تُوزنَ هـٰذهِ الآفاتُ بالفوائدِ ، ويُحكمَ بحسبِها ، ومَنْ أحاطَ بهـٰذا . . لمْ يشكلْ عليه شيءٌ ممَّا نُقلَ عنِ السلفِ مِنْ ترغيبٍ في النكاحِ مرَّةً ، ورغبةٍ عنهُ أخرىٰ ؛ إذْ ذلكَ بحسبِ الأحوالِ صحيحٌ .

* * *

فإنْ قلتَ : فَمَـنْ أَمِنَ الآفاتِ . . فالأفضلُ لهُ التخلِّي لعبادةِ اللهِ أَوِ النكاحُ؟

فأقولُ : يجمعُ بينَهُما ؛ لأنَّ النكاحَ ليسَ مانعاً مِنَ التخلِّي لعبادةِ اللهِ مِنْ حيثُ إنَّهُ عقدٌ ، ولكنْ مِنْ حيثُ الحاجةُ إلى الكسبِ ، فإنْ قدرَ على الكسبِ الحلالِ . . فالنكاحُ أيضاً أفضلُ ؛ لأنَّ الليلَ وسائرَ أوقاتِ النهارِ يبقىٰ للتخلِّي فيهِ للعبادةِ ، والمواظبةُ على العبادةِ مِنْ غيرِ استراحةٍ غيرُ ممكنٍ .

فإنْ فُرِضَ كونُهُ مستغرقَ الأوقاتِ بالكسبِ ، حتَّىٰ لا يبقىٰ لهُ وقتٌ سوىٰ أوقاتِ المكتوبةِ والنومِ والأكلِ وقضاءِ الحاجةِ ؛ فإنْ كانَ الرجلُ ممَّنْ لا يسلكُ سبيلَ الآخرةِ إلا بالصلاةِ النافلةِ أوِ الحجِّ وما يجري مَجراهُ مِنَ

الأعمالِ البدنيَّةِ . . فالنكاحُ لهُ أفضلُ ؛ لأنَّ في كسبِ الحلالِ والقيامِ بالأهلِ والسعيِ في تحصيلِ الولدِ والصبرِ علىٰ أخلاقِ النساءِ أنواعاً مِنَ العباداتِ ، لا يقصرُ فضلُها عنْ نوافلِ العباداتِ .

وإنْ كانَ عبادتُهُ بالعلمِ والفكرِ وسيرِ الباطنِ والكسبُ يشوِّشُ عليهِ ذلكَ . . فتركُ النكاحِ أفضلُ .

* * *

فإنْ قلتَ : فلمَ تركَ عيسىٰ علىٰ نبيِّنا وعليهِ السلامُ النكاحَ معَ فضلِهِ ؟ وإنْ كانَ الأفضلُ التخلِّيَ لعبادةِ اللهِ تعالىٰ . . فلمَ استكثرَ رسولُنا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنَ الأزواجِ ؟

فاعلمْ : أنَّ الأفضلَ الجمعُ بينَهُما في حقِّ مَنْ قدرَ عليهِ ، ومَنْ قويَتْ مُنَّتُهُ وعلَتْ همَّتُهُ . . فلا يشغلُهُ عنِ اللهِ شاغلٌ ، فرسولُنا عليهِ الصلاةُ والسلامُ أخذَ بالقوَّةِ ، وجمعَ بينَ فضْلِ العبادةِ والنكاحِ ، فلقدْ كانَ معَ تسعٍ مِنَ النسوةِ متخلِّياً لعبادةِ اللهِ، وكانَ قضاءُ الوطرِ بالنكاحِ في حقِّهِ غيرَ مانعٍ ؛ كما لا يكونُ قضاءُ الحاجةِ في حقِّ المشغولينَ بتدبيراتِ الدنيا مانعاً لهُمْ عنِ التدبيرِ ، حتَّىٰ إنَّهُمْ يشتغلونَ في الظاهرِ بقضاءِ الحاجةِ وقلوبُهُمْ مستغرقةٌ بهِمَمِهِمْ غيرُ غافلةٍ عنْ مهمَّاتِهِمْ ، فكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لعلوِّ درجتِهِ لا يمنعُهُ أمرُ هـٰذا العالـمِ عنْ حضورِ القلبِ معَ اللهِ تعالىٰ ، فكانَ ينزلُ عليهِ الوحيُ وهوَ في

فراشِ امرأتِه(١) ، ومتىٰ يسلمُ مثلُ هـٰذا المنصبِ لغيرِه؟! فلا يبعدُ أنْ يغيِّرَ السواقيَ ما لا يغيِّرُ البحرَ الخضمَّ ، فلا ينبغي أنْ يُقاسَ عليهِ غيرُهُ .

وأمَّا عيسىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . فإنَّهُ أخذَ بالحزمِ لا بالقوَّةِ ، واحتاطَ لنفسِهِ ، ولعلَّ حالتَهُ كانتْ حالةً يؤثِّرُ فيها الاشتغالُ بالأهلِ ، أوْ يتعذَّرُ معها طلبُ الحلالِ ، أوْ لا يتيسَّرُ فيها الجمعُ بينَ النكاحِ والتخلِّي للعبادةِ ، فآثرَ التخلِّيَ للعبادةِ .

وهمْ أعلمُ بأسرارِ أحوالِهِمْ ، وأحكامِ أعصارِهِمْ في طيبِ المكاسبِ وأخلاقِ النساءِ ، وما على الناكحِ مِنْ غوائلِ النكاحِ ، وما لهُ فيهِ .

ومهما كانتِ الأحوالُ منقسمةً ، حتَّىٰ يكونُ النكاحُ في بعضِها أفضلَ ، وتركُهُ في بعضِها أفضلَ . . فحقُّنا أنْ ننزِّلَ أفعالَ الأنبياءِ على الأفضلِ في كلِّ حالٍ(٢) ، واللهُ أعلمُ .

* * *

---

(١) كما روى البخاري (٣٧٧٥) : « يا أمَّ سلمة ؛ لا تؤذيني في عائشة ، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكنَّ غيرها » .

(٢) فنقول : حال عيسىٰ عليه السلام أفضل في شريعته ، وقد نسخت الرهبانية في ملتنا ، وكلٌّ من الحالين له فضيلة ، وإذا تعارضا . . قدِّم التمسك بحال نبينا صلى الله عليه وسلم . « إتحاف » (٥/ ٣٢٤) .

Birinci Bab

EVLENMEYİ TEŞVİK VE İÇTİNÂB HAKKINDA

Bilmiş ol ki, âlimler evlenmenin fazîletinde ihtilâf etmişlerdir. Bir kısmı evlenmeyi ibâdet ile iştigâlden üstün ve efdal zannedecek kadar ileri gitmişlerdir. Diğer bir kısmı, nikâhın fazîletini kabul etmekle beraber, şehvet galebe etmeyip cinsî münâsebete zorlamadığı hâllerde, ibâdeti evlenmek üzerine tercîh etmişlerdir. Diğer bir kısmı da: “İlk kadınların ahlâkı dürüst ve kazançlar da meşrû olduğu için, her ne kadar o zaman evlenmek daha makbul idiyse de, bu zamanda evlenmemek daha makbuldür” dediler. Hakîkatin tecellîsi için evvelâ evlenmeyi teşvik veyâ men eden âyet ve hadîsleri; sonra evlenmenin temin ettiği kâr ve zararları anlatmamız lâzım ki, ancak bu sâyede bu gailelerden kurtulanlara evlenmenin efdal, kurtulamayanlara da evlenmeyi terk etmenin fazîleti anlatılmış olsun.

Evlenmeye teşvik:

Bu husustaki âyetler:

1 - «وَأَنْكِحُوا الْأَيَامٰى مِنْكُمْ»

“İçinizden bekârları (erkek ve kadınları) **evlendirin.”** (Nûr sûresi, 24/32)

2 - «فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ»

“Kocalarına ric’atle evlenmelerine mâni olmayın.” (Bakara sûresi, 2/232) Bu da, evlenmeyi engellemekten bir nehiydir.

3 - «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً»

"Biz senden evvel rasûller gönderdik ve onlara da zevceler ve evlâtlar verdik." (Ra'd sûresi, 13/38) âyetinde Hak Teâlâ peygamberleri överken, onların evliliklerini de anlatmıştır.

4 - «وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ»

"Onlar; "Rabbimiz! Eşlerimiz ve çocuklarımız hususundaki gözümüzü aydın kıl. Bize iyi bir eş ve hayırlı evlâtlar ver." derler." (Furkan sûresi, 25/74) Allahu Teâlâ, evlenmeyi istedikleri için, dostlarını övüyor:

Denildi ki: Allahu Teâlâ Kur'ân-ı Kerîm'de, evlenmiş olan peygamberlerden bahsetmiştir. Hattâ Yahyâ aleyhisselâm da evlendi ve fakat münâsebette bulunmadı. Böyle yapması, evlenme sünnetini yerine getirmek ve gözünü nâmahremden korumak için idi. İsâ aleyhisselâm ise âhir zamanda yere indikten sonra evlenecek ve çocuğu olacaktır.

Hadisler:

1 - «اَلنِّكَاحُ سُنَّتِي فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَقَدْ رَغِبَ عَنِّي»

"Nikâh, benim sünnetimdir. Sünnetimden i'râz eden, benden yüz çevirmiş sayılır."

2 - «اَلنِّكَاحُ سُنَّتِي فَمَنْ أَحَبَّ فِطْرَتِي فَلْيَسْتَنَّ بِسُنَّتِي»

"Evlenmek, benim sünnetimdir. Fıtratımı sevenler, sünnetimi yerine getirsinler."[1]

---

[1] Ebû Ya'lâ **"Müsned"**inde, takdim ve tehir ile ve hasen sened ile İbn Abbâs'dan (r.a.) rivâyet etmiştir.

3 - تَنَاكَحُوا، تَكْثُرُوا، فَإِنِّي أُبَاهِي بِكُمُ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
حَتَّى بِالسَّقْطِ

“Evlenin, çoğalın. Zîra doğan çocuk düşük de olsa, kıyamet günü ben sizin çokluğunuzla iftihâr ederim.”[2]

4 - مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي وَإِنَّ مِنْ سُنَّتِي النِّكَاحَ،
فَمَنْ أَحَبَّنِي فَلْيَسْتَنَّ بِسُنَّتِي

“Sünnetimden i’râz eden benden değildir; sünnetlerimden birisi de evlenmektir. Beni sevenler sünnetimi yerine getirsinler.”[3]

5 - مَنْ تَرَكَ التَّزْوِيجَ مَخَافَةَ الْعَيْلَةِ فَلَيْسَ مِنَّا

“Geçim korkusu sebebiyle evlenmeyen bizden değildir.”[4] Bu hadîs, evlenmemeyi değil, evlenmemek için gösterilen sebebi yeriyor.

6 - مَنْ كَانَ ذَا طَوْلٍ فَلْيَتَزَوَّجْ

“Kudret sahibi olan evlensin.”

7 - مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ،
وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَا، فَلْيَصُمْ فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وِجَاءٌ

“İçinizden evlenmeye gücü yeten evlensin. Zîra evlenmek göz-

---

2. Ebû Bekir b. Merdûye, Tefsir’inde “Düşük de olsa” hâriç, İbn Ömer’den (r.a.); Beyhakî **“Marifet”**inde bu ziyâde ile rivâyet etmişlerdir.
3. Birinci şıkkını Buhârî ile Müslim. Enes’den (r.a.) rivâyet ettiler. Diğer şıkları yukarıda geçti.
4. İbn Mâce, Hz. Aişe’den (r.a.) rivâyet etmiştir.

leri (haramdan) *daha çok korur, zinâdan daha çok muhâfaza eder. Gücü yetmeyen kimse ise oruç tutsun. Çünkü orucun şehveti kıran bir hassası vardır."*[5] Bu hadîs-i şerif, gözü haramdan ve izzeti hayâsızlıktan korumak için, evlenmeye teşvîk ediyor. "Vicâ" hayvanları burmak demektir. Burada şehveti kırmaktan kinâyedir.

8 - إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَأَمَانَتَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ

"Dîn ve emniyetine inandığınız kimseler, size geldiği vakit onları everin. Eğer böyle yapmazsanız yeryüzünde büyük bir fitne ve fesâd olur."[6] Evlenmeyi teşvik eden bu hadîs-i şerifte, illet olarak fesâd korkusu gösterilmektedir.

9 - مَنْ نَكَحَ لِلّٰهِ وَأَنْكَحَ لِلّٰهِ اسْتَحَقَّ وَلَايَةَ اللّٰهِ

"Allah için evlenip, Allah için evlendiren, Allah'ın dostluğunu kazanır."[7]

10 - مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ أَحْرَزَ شَطْرَ دِينِهِ فَلْيَتَّقِ اللّٰهَ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي

"Evlenen kimse dîninin yarısını korumuş olur. Artık, diğer yarısında da Allah'a karşı gelmekten sakınsın."[8] Bu hadîs, fesâddan korunmak için evlenmenin efdaliyetini ifâde etmektedir. Çünkü ekseriyetle insanın dînini ifsâd eden mîdesi ve edep yeridir. Evlenmekle bir tarafını korumuş olur.

---

5. Buhârî ile Müslim. İbn Mes'ûd'dan (r.a.) rivâyet etmişlerdir.
6. Tirmizî, Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmiştir. Başka rivâyet yolları da vardır.
7. Ahmed, Mu'âz b. Enes'den (r.a.) rivâyet etmiştir.
8. İbn Cevzî **"El-İlel"**de Enes'den (r.a.); Taberânî **"Evsat"**ında başka ifâde ile; **"Müstedrek"**de başka ve sahih isnâd ile rivâyet etmişlerdir.

كُلُّ عَمَلِ ابْنِ اٰدَمَ يَنْقَطِعُ إِلَّا ثَلَاثٌ... وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ - 11

"Ademoğlunun (ölümü ile) *her ameli kesilir. Ancak üç şeyden* (kesilmez)*: Kendisi için duâ eden sâlih evlattan..."*[9] Hayırlı evlâda ise ancak evlenmekle erişilir.

Bu hususta İslâm büyüklerinin sözleri:

Hazret-i Ömer (r.a.): "İnsanı nikâhtan ancak, âcizlik ve fâcirlik men eder." buyurdu. Hz. Ömer, bu sözü ile dînin evlenmeye mâni olmadığını, ancak bu iki kötü hasletin mâni olduğunu bildirmiştir. **Abdullah bin Abbâs** (r.a.): "Kişinin, ibâdeti, ancak evlenmek ile kemâl bulur." demiştir. İbn Abbâs (r.a.), bu sözü ile evlenmeyi ibâdetten ve ibâdetin tamâmından kabul etmiş gibi oluyorsa da, esâs maksadı, ibâdetin kalb hüzûru ile makbul olacağını, şehvetin galeyanı esnâsında kalbin huzûrunun da ancak evlenmekle mümkün olabileceğini ifâde etmektir. Bunun için bizzat kendisi erginlik çağına gelen İkrime, Gerîba ve diğer kölelerini çağırarak: "Arzu ediyorsanız sizi evereyim. Zîra kişi zinâ ettiği vakit îman kalbinden çıkar." dedi. İbn Mes'ûd (r.a.): "Allah huzûruna bekâr olarak varmamak için, ömrümden on gün kaldığını da bilsem, evlenmeyi tercih ederim." demiştir. **Muâz bin Cebel**'in (r.a.), kendisinin de yakalandığı bir tâun hastalığından iki âilesi birden öldü. Hasta hasta: "Beni everin. Zîra ben bekâr olarak ölmeyi istemem." demiştir.

Mezkûr misâller, bu iki zâtın evlenmekte fazîlet olduğuna inanmış olduklarını göstermektedir.

Hazret-i Ömer (r.a.) çok evlenir ve "Çocuk yetiştirmek için evleniyorum." derdi. Sahâbeden biri, kendisini Rasûl-i Ekrem

---

[9] Bu hadîsin benzerini Müslim, Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

(s.a.v.)'in hizmetine tahsîs etmişti. Dâima onun yanında bulunurdu. Bir gün Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَلَا تَتَزَوَّجُ

- *"Niçin evlenmiyorsun?"* diye sordu. Sahâbe:

- "Hem hizmetinizden ayrılmak istemem, hem de fakirim, hiç bir şeyim yok, nasıl evleneyim?" deyince Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) sükût etti. Bir müddet sonra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) aynı suâli tekrârladı. O zât da aynı şekilde mukabelede bulundu. Fakat sonra kendi kendine şöyle düşündü: "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in bunu tekrâr etmesinde bir hikmet var. O, dünya ve âhiretime yarayışlı, beni Allah'a yaklaştıracak ve hakkımda hayırlı olanı bilir. Şayet üçüncü defâ bana böyle bir teklifte bulunursa, artık ben de evlenmeye gayret edeceğim" dedi. Yine üçüncü defâ olarak Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Niçin evlenmiyorsun? Evlensene!"* deyince adam:

- "Evet. Beni evlendir yâ Rasûlallah." dedim. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Falan kişilere git ve onlara Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), sizin kızlarınızdan birisiyle beni evermenizi size emrediyor de."* buyurdu. Bunun üzerine ben Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e:

- "Bende bir şey yok. Nasıl evlenebilirim yâ Rasûlallah?" dedim. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ashâb-ı kirâma:

اِجْمَعُوا لِأَخِيكُمْ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ

- *"Bu kardeşinize bir kaç çekirdek ağırlığında altın toplayın."* dedi. Sahabe-i kirâm bir miktar altın topladı ve o âileye götürerek onu everdiler. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَوْلِمْ

- *"Haydi, bir ziyafet ver bakalım."* buyurdular. Yine ashâb aralarında bir koyun tedârik edip kendisine verdiler. Adam da bir ziyafet verdi.[10]

Rasûl-i Ekrem'in (s.a.v.) bu ısrârı, nikâhın efdaliyyetine delîl olacağı gibi, bu adamın evlenme ihtiyâcını hissetmesi bakımından da olabilir.

Hikâye olunduğuna göre; geçmiş milletlerden bir zât ibâdetiyle, zamanının âbidlerini geçmişti. Onun bu güzel ibâdetini, zamanındaki peygambere anlattılar. O peygamber:

- "Çok iyi adam; fakat keşke, diğer sünneti de terk etmeseydi." dedi. Âbid bu sözü duyunca üzüldü ve peygambere giderek:

- "Hangi sünneti terk ediyorum." diye sordu. Peygamber:

- "Evlenme sünnetini." dedi. Âbid:

- "Ben fakir bir kimseyim, halkın yardımıyla geçiniyorum. Bu sebepten evlenemiyorum." deyince, o peygamber:

- "Ben, kızımı sana vereceğim." dedi ve kızını ona verdi.

Bişr b. Hars: "Âhmed b. Hanbel, üç cihetten beni geçmiştir." demiştir.

1 - O, hem kendisinin ve hem de çoluk çocuğunun nafakasını helâlinden temîne çalışır. Ben ancak kendi nafakamı temin ederim.

2 - O, evlendi. Ben bekâr kaldım.

---

[10] Ahmed, Rebîu'l-Eslemî'den (r.a.), "hasen" isnâd ile rivâyet etti. Kıssa sahibi de kendisidir.

3- O, âmmeye imam oldu. Ben olamadım." dedi.

Denildi ki; **Ahmed b. Hanbel** oğlu Abdullah'ın annesinin ölümünün ikinci günü evlenmiş ve "Bekâr yatmaktan hoşlanmam." demiştir. **Bişr**'e gelince ona: "Evlenmediğin ve bu sünneti terk ettiğin için hakkında dedi-kodu yapıyorlar." dedikleri zaman onlara: "O, farz ile meşgul olduğu için, sünneti yerine getirememiştir, deyin." dedi. Yine bir defasında kendisine: "Neden evlenmiyorsun?" dediklerinde şu cevâbı verdi: "Beni evlenmekten alıkoyan, Allahu Teâlâ'nın:

وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ

"Kocalarının, kadınlarda olan hakları gibi, kadınların da onlarda aynı hakları vardır." (Bakara sûresi, 2/228) âyet-i kerîmesidir." dedi. Bunu **Ahmed b. Hanbel**'e anlattıklarında: "Bişr gibi adam nerede?" dedi. Bununla beraber ölümünden sonra rüyâda görülmüş ve kendisine:

- "Allah sana ne muamele yaptı?" diye sorduklarında Bişr:

- "Evet. Cennette yüksek mertebeler aldım. Fakat evlilerin derecesine yükselemedim." dedi. Diğer bir rivâyette de: "Rabbim bana itâb etti ve "Bekâr olarak bana gelmeni arzu etmezdim." buyurdu" dedi. Kendisine:

- "**Ebû Nasru't-Timâr**'a ne muâmele yapıldı?" diye sorulduğunda Bişr:

- "Benden yetmiş derece üstün mevki aldı." dedi. Kendisine:

- "Biz seni ondan üstün biliyorduk, bu iş nasıl oldu?" dediklerinde:

- "Ailesinin sıkıntısına tahammül ettiği için bu mevkie yükseldi." dedi.

Süfyân b. Uyeyne: “Bir adamın âilesinin çokluğu mutlaka dünyalık için olmaz. Çünkü Rasûl-i Ekrem’in (s.a.v.) ashâbı arasında en zâhidlerinden olan Hz. Ali’nin (r.a.) dört âilesi ve on yedi câriyesi vardı.” demiştir.

Nikâh, kadîm bir sünnet ve peygamberler ahlâkıdır. Adamın biri **İbrâhim b. Edhem**’e:

- “Ne mutlu sana, bekârlığı tercih etmekle, tamamen ibâdete bağlanmış oldun?” deyince İbrâhim b. Edhem:

- “Çoluk çocuğun için çektiğin bir sıkıntı benim bütün yaptıklarımdan daha üstündür.” dedi. Adam:

- “O hâlde niçin bekârlığı tercih ettin?” deyince İbrâhim b. Edhem ;

- “Benim âileye ihtiyâcım yok. Keyfî olarak da bir kadını sefil etmek istemedim.” dedi. Denildi ki; evlilerin bekârlar üzerine üstünlüğü, savaşanların, savaşmayanlar üzerine olan üstünlüğü gibidir. Aynı zamanda evli olanın kıldığı bir rekât namaz, bekârın kılmış olduğu yetmiş rekât namazdan daha efdaldir.

EVLİLİKTEN VAZ GEÇİRMEK HAKKINDA

Hadisler:

خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ الْخَفِيفُ الْحَاذُّ الَّذِي لَا أَهْلَ لَهُ وَلَا وَلَدٌ

“İkinci (Hicrî) *asırdan sonra insanların en hayırlısı, gailesi az ve çoluk çocuğu olmayan kimsedir.”*[11]

---

[11] Ebû Ya’lâ, Huzeyfe’den (r.a.); Hattâbî “El-Uzle”de Huzeyfe ve Ebû Umâme’den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ هَلَاكُ الرَّجُلِ عَلٰى يَدِ زَوْجَتِهِ
وَأَبَوَيْهِ وَوَلَدِهِ يُعَيِّرُونَهُ بِالْفَقْرِ وَيُكَلِّفُونَهُ مَا لَا يُطِيقُ، فَيَدْخُلَ
الْمَدَاخِلَ الَّتِي يَذْهَبُ فِيهَا دِينُهُ فَيَهْلَكْ

"Bir zaman gelecek, kişinin helâki karısının, anne - babasının ve çocuklarının elinde olacaktır. Bunlar onu, fakirlikle ayıplarlar ve gücünün yetmediği şeyleri kendisinden isterler. Adam bu sebeple tehlikeli işlere girerek dîni gider ve kendisi de helâk olur."[12]

Yine haberde: "Çoluk çocuk azlığı, iki kolaylığın; çokluğu ise iki fakirliğin biridir." denilmiştir. **Ebû Süleyman-ı Dârânî**'ye evlenmekten sorduklarında: "Bekârlığa dayanmak, âilenin çilesine dayanmaktan daha hayırlıdır. Onların eziyetine katlanmak, cehennem ateşine yanmaktan daha hayırlıdır." dedi. Yine **Ebû Süleyman-ı Dârânî** "Bekârlıktaki huzûr ve ibâdetten alınan zevk, evlilikten alınamaz." demiştir. Yine bu zât: "Dostlarımızdan, evlendikten sonra eski mertebelerini koruyabilen bir kimseyi görmedim." demiştir. Yine bu zât: "Üç şey var ki, bunları isteyen kimse dünyaya meyletmiş sayılır: Geçim peşinde koşmak, evlenmek, hadîs yazmaktır." dedi.

Hasan-ı Basrî: "Allahu Teâlâ bir kuluna hayır dilediği vakit, onu mal ve âile ile oyalamaz." dedi. **İbn Ebî'l-Havârî**: "Hasan-ı Basrî'nin bu sözü üzerine bir cemâat münâzara etti ve şu neticeye vardılar: Bu sözün mânâsı, insanda mal ve aile bulunmayacak demek değildir. Belki bunlar, ibâdetine mâni olmayacak, demektir." Bu, Ebû Süleyman-ı Dârânî'nin: "Seni Allah'tan alıkoyan mal ve evlat, senin için meş'ûmdur." sözüne işârettir.

---

[12] Hattâbî **"El-Uzle"**de benzerini İbn Mes'ûd'den (r.a.); Beyhâkî **"Ez-Zühd"**de, benzerini Ebû Hûreyre'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

Hulâsa: Mutlak sûrette evlenmekten kimse men etmiş değil, ancak bâzı şartlar altında evlenmemeyi tercih etmişlerdir. Evlenmek ise mutlak olarak teşvik edildiği gibi, bâzen de şartlara bağlı olarak teşvik edilmiştir. Şimdi biz nikâhın fayda ve âfetlerini saymakla yüzünden perdeyi kaldırmaya çalışalım:

EVLENMENİN (NİKAHIN) **FAYDALARI**

Nikâhta beş fayda vardır:

1 - Evlâd yetiştirmek.

2 - Şehveti teskîn etmek.

3 - Ev idâre etmek.

4 - Yakınları çoğaltmak.

5 - Nefis mücâhedesi yapmak.

1 - EVLÂD YETİŞTİRMEK:

Birinci fayda, evlât yetiştirmektir. Asıl fayda da budur. Evlenmek bunun içindir. Çünkü gâye, nesli yaşatmak ve âlemi, insanoğlundan boş bırakmamaktır. Şehvet, bunu temîn için yaratılmıştır.

Bu şehvet, döl sağlamak maksadıyla tohumunu çıkarmakta aygıra ve tohumu korumakta da kısrağa iyi bakan seyis gibidir. Yâhut yakalanması için, kuşun sevdiği dâneleri tuzağın etrâfına serpmekte kuşa, lütufta bulunan avcı gibidir. Gerçi ezelî kudret, evlenmeden ve sebepsiz insanları yaratmaktan âciz değildir. Fakat ilâhî hikmet kudretini açıklamak, bediî sanatını göstermek ve geçim sâikasını tahakkuk ettirmek için -kendisi müstağnî olduğu hâlde- her şeyi bir sebebe bağlamıştır.

Evlât yetiştirmekte dört vecihten Allah'a yakınlık vardır. Zâten şehvetten emîn olunduğu zaman, yine evlenmeyi teşvîk eden ve bekâr olarak ölmekten sakındıran da bu sebeplerdir.

a) İnsan neslinin bekası için evlat yetiştirmekle Allahu Teâlâ'nın sevgisine (yüce rızâsına) uygun hareket etmek.

b) Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in, çokluğu ile iftihâr edeceği ümmetini çoğaltmak yoluna gitmekle, Rasûlullah'ın sevgisini kazanmak.

c) Öldükten sonra kendisine hayır duâ edecek bir kimsenin bulunmasını sağlamak.

d) Kendisinden evvel ölen küçük çocuğundan şefâat talep etmek.

Birinci vecih: Çoklarının hatırlarına bile gelmeyen en ince bir cihettir. Allahu Teâlâ'nın hikmetlerini ve sanatının inceliklerini düşünebilen akıl sâhipleri için, en mühim fayda da budur. Bunun izâhı şöyledir: Efendi hizmetçisine tohum, ziraat âleti ve ziraate elverişli tarlayı teslim eder. Hizmetçinin tohum ekmeye gücü yeter ve bu hususu tahrîk eden bir yardımcıyı da efendisi kendisine verir. Sonra bu kuvveti kaybederse elbette efendisini kızdırır ve itâba (azarlanmaya) müstehak olur. Bunun gibi Allahu Teâlâ erkek ve dişi olarak karı ve kocayı yarattı. Erkeğin beline nutfeyi yerleştirdi. Bu meninin husyelere inip oradan dışarı çıkması için de yol yarattı. Kadında da meninin yerleşeceği rahmi yarattı. Her birerlerine de bir icraât için şehvet ve hevesi verdi.

İşte bu âlet ve işler, lisân-ı hâlleri ile bunları yaratan mâliklerinin murâdını açıkça ifâde etmekte ve akıl sâhiplerine bunların hikmet ve sebebini haykırmaktadırlar. Allahu Teâlâ, Rasûlü'nün (s.a.v.) lisâniyle:

تَنَاكَحُوا تَنَاسَلُوا

“Evlenip çoğalınız.” diye buyurmasaydı, maksadı izâh için yalnız bu kararı da kâfiydi. Hâlbuki bu hâli Rasûl-i Ekrem’e vahyetti ve Resûl-i Ekrem de bunu açıkça emretti. (Mâzeretsiz) evlenmeyenler; zirâat etmeyip tohumu çürütenler gibidir. Allahu Teâlâ’nın bu maksatla yarattığı âletleri iptâl ise harf ve ses olmaksızın kudret kalemi ile bu âzalar üzerinde yazılı olan, ezelî hikmetin inceliklerini anlayabilecek ilâhî basîrete sâhip olan herkesin okuyabileceği hilkat delîllerinden anlaşılan hikmete ve yaratılışın gâyelerine karşı bir cinâyet işlemiş olurlar. Bunun için İslâm dîni evlâdı öldürmekten (kız ço cuklarını diri diri mezara gömmek gibi) şiddetle men etmiş ve bunu en büyük bir cinayet kabul etmiştir. Çünkü kızı öldürmek vücûdun tanımlanmasına mânidir. Kadın olmadan, nesil çoğalmaz. “Azl, yâni menîyi kadının rahmine değil de dışarıya akıtmak, çocuk öldürmenin bir çeşididir.” diyenler, bunu kasdetmişlerdir. Evlenenler Allahu Teâlâ’nın isteğini yerine getirenlerdir. Bekârlığı tercih edenler de atâleti tercîh edip Allahu Teâlâ’nın hoşlanmadığı harekette bulunanlardır. Allahu Teâlâ istediği için, yemek yedirmekle emretti ve buna teşvîk ederek:

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا

“Allah’a karz-ı hasen veren kimdir?” (Bakara sûresi, 2/245) buyurdu. Ve bu hususu karz ile ifâde etti.

Şâyet: “Allahu Teâlâ’nın insan neslinin bekasını istemesi, yok olmalarını sevmemesini iktizâ eder. Bu ise Allahu Teâlâ’ya nispetle, ölüm ile hayât arasında fark olmasını gösterir. Hâlbuki her ikisi de Allahu Teâlâ’nın dilemesiyledir. Allahu Teâlâ âlemlerden müstağnîdir. Yâni her iki taraf Allah için müsâvîdir. Daha, "Allah katında yaşamak ile ölmek, varlık ile yokluk arasında ne fark olur?" dersen bilmiş ol ki: Bu, kendisiyle bâtıl murâd olunan hak bir kelimedir. Çünkü bizim anlattıklarımız iyi-kötü, kâr ve zarar, kâinâtta olan her şeyi Allahu Teâlâ'nın irâdesine nisbet etmeye aykırı değildir. Ancak birbirine zıt olan, muhabbet ile kerâhettir. Bunların ikisi de (irâdeye münâfi değildir. İrâde başka; rızâsı ise başkadır).

Nice irâde edilen şeyler vardır ki, sevilmezler ve nice irâde edilenler vardır ki sevilirler. Günâh sevilmemekle beraber Allahu Teâlâ'nın irâdesiyledir. (Ancak, Allahu Teâlâ'nın irâdesi, kulun irâdesine tâbîdir. Yâni kulun dilemesi üzerine Allah takdîr eder). Bu da bu anda değil, Allahu Teâlâ insanları yaratmadan evvel nasıl bilmekteyse, yarattıktan sonra da öyle bilir. İlminde değişiklik yoktur. İlim, malûma tâbidir. Esâsına göre ezeldeki ilm-i ilâhîsi gereğince kulun arzusu ve isteğine göre takdir etmiştir. Vakti geldikçe kuvveden fiile çıkarılır. Binâenaleyh irâde ile rızâ birbirinden ayrı şeylerdir. Tâat ve ibâdet, Allahu Teâlâ'nın irâde, muhabbet ve rızâsıyladır. Küfür ve isyân, Allahu Teâlâ'nın irâdesiyledir. Fakat buna rızâsı yoktur. Nitekim âyet-i celîlede:

وَلَا يَرْضٰى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ

"Kulunun küfrüne rızâsı yoktur." (Zümer sûresi, 39/7) buyrulmuştur. (Tafsîli, "Kavâidü'l-Akaid" de geçmiştir.) Allahü Teâlâ'nın sevmesine ve sevmemesine nispetle yok olmak, bâki kalmak gibi nasıl olsun? Zîra Allahu Teâlâ kudsî hadîste:

مَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ كَتَرَدُّدِي فِي قَبْضِ رُوحِ عَبْدِي الْمُسْلِمِ، هُوَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَائَتَهُ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْمَوْتِ

“Müslüman kulumun ruhunu kabz etmekteki tereddüdüm gibi hiç bir şeyde tereddüt etmedim. O, ölümden hoşlanmaz! Ben de geri kalmasından hoşlanmam. Hâlbuki mutlaka ölmelidir.”[13] buyurmuştur. (Buradaki tereddüt kelimesinin mânâsı ve keyfiyeti mâlumumuz değildir.) Allahu Teâlâ, “Onun ölmesi lâzımdır” buyurmasıyla, yine Kur’ân-ı Kerîm’deki:

نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ

“Biz, aranızda ölümü mukadder kıldık.” (Vâkıa sûresi, 56/60) buyurduğu takdirde ve irâdenin bu yolda sebkat ettiğine ve yine:

اَلَّذٖي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ

“O Allah ki, ölümü de hayâtı da yarattı.” (Mülk sûresi, 67/2) buyurduğuna işârettir. Allahu Teâlâ’nın “Aranızda ölümü mukadder kıldık.” buyurmasıyla, *“Ben onun sonraya kalmasını istemem.”* buyurması arasında tenâkuz yoktur. Bunlar birbirini nakz etmezler. Fakat bu hakikati olduğu gibi anlayabilmek için irâde, muhabbet ve kerâhetin mânâlarını ve hakikatlerini anlamak lâzımdır. Çünkü ilk bakışta bunlardan anlaşılan, insanların irâdelerine, insanların hoşlanıp hoşlanmadıkları şeylere benzeyen bir takım mânâlar ise de, hiç de öyle değildir. Allahu Teâlâ’nın zâtı ile kullarının zâtı anısında ne kadar fark var ise Allahu Teâlâ’nın sıfatları ile kullarının sıfatları arasında da o kadar fark vardır. Ne cevher ve ne de âraz olan şeyin, cevher ve ârazla bir münâsebeti olmayacağı gibi, sıfatları arasında da bir münâsebet yoktur. Bütün bu hakikatler mükâşefe ilminin şümûlüne girer. Bunun arkasında da, ifşâsı memnû olan sırr-ı kader vardır. Biz de bunu burada bırakalım da işâret ettiğimiz, evlenmeye hazırlanmakla evlenmekten çekinmek arasındaki farkı açıklamak ile yetinelim. Evlenmemek, Allahu Teâlâ'nın tâ Âdem'den dünyanın sonuna kadar ardı ardına vücûda gelmesini murâd ettiği nesli yok etmek demektir. Evlenmeyenler, Hz. Âdem'den sonuna kadar devâm edecek olan nesli, kendilerinden kesmekle "ebter" yani geriye bir şey bırakmadan ölmüş olurlar. Eğer evlenmek yalnız behîmî şehveti teskîn için olsaydı, ölüm döşeğinde yatan Hazret-i Muâz, "Beni everin; ben bekâr olarak huzûr-ı ilâhîye çıkmak istemem." demezdi.

---

[13] 13. Buhârî, Ebû Hüreyre’den (r.a.) rivâyet etmiştir.

Şâyet: "O vaziyeti ile Muâz'ın, çocuk yapmak imkânı yoktur. O hâlde evlenmeye neden heves etti." dersen derim ki: Çocuk, münâsebet ile hâsıl olur. Münâsebet şehvetten doğar. Şehvet insanın ihtiyârında değildir. İnsanın elinde olan, şehveti celb eden sebepleri hazırlamaktır. Bu ise her zaman mümkündür. Kim ki, bu sebebi hazırlarsa borcunu ödemiş ve isteğine göre hareket etmiş olur. Diğer kısımları ise kendi ihtiyârı dışındadır. Bu sebepten, erkekliği olmayanlar için de evlenmek müstehapdır. Zîra şehveti hazırlayan sebepler gizlidir, bilinemezler. Hattâ başında tüy bulunmayan kelin, hacda usûlen başına usturayı dolaştırması ve zamanında düşmana karşı celâdetli görünmek için tavaf ve sa'yde yapılan remel ve iztıba'ın[14] bugün sebebi kalmadığı hâlde yine sünnet olması gibi, memsûh (burulmuş) kimselerin de evlenmeleri müstehaptır. Şüphesiz, tam olan erkeklere nispetle bunlardaki istihbâb zayıftır. Hattâ kadını atâlete uğratmamak ve ihtiyâcını temîn etmemek bakımından daha çok zayıflar. Çünkü bu hâl tehlikeli netîceler doğurabilir. İşte nikâhı terk etmenin, şiddetle aleyhinde bulunan bir sebep budur. Yâni nesli kesmeye sebebiyet vermektir.

---

[14] Bu tabirler hac bahsinde geçmiçtir. Bakınız: C. 1. sf. 715 ve 718.

İkinci vecih: Evlenmek Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in sevdiği yolda yürümektir Bu da Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in açıkça ifâde buyurdukları, ümmetinin çokluğu ile iftihâr etmesi keyfiyetidir. Evlenmekten gâyenin çocuk yetiştirmek ve çocuk hakkına riâyet etmek olduğuna, çok evlenen **Hazret-i Ömer**'in: "Ben çocuk için evleniyorum." sözü ve döl getirmeyen kadınları zemmeden haberler, açıkça delâlet etmektedir. Nitekim bir hadîste:

لَحَصِيرٌ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، خَيْرٌ مِنَ امْرَأَةٍ لَا تَلِدُ

"Evin köşesindeki bir hasır, döl getirmeyen kısır kadından daha hayırlıdır."[15] Diğer hadîste:

خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْوَلُودُ الْوَدُودُ

"Kadınlarınızın hayırlısı, çocuk getiren sevimli kadınlardır."[16] Başka bir hadîste:

سَوْدَاءُ وَلُودٌ خَيْرٌ مِنْ حَسْنَاءَ لَا تَلِدُ

"Döl getiren siyah kadın, doğurmayan (beyaz) *ve güzel kadından hayırlıdır."*[17] buyrulmuştur. Bu hadîs-i şerîf, çocuk için evlenmenin, yalnız şehveti teskîn için olan nikâhtan daha efdal olduğunu açıkça ifâde etmektedir. Çünkü şehveti kesmek, gözü sakındırmak ve insanı korumak bakımından, güzel kadın daha câzîp olduğu hâlde, doğurgan siyah kadın methedilmiştir.

---

[15] Ebû Ömer, et-Tevkânî, Ömer b. Hattâb'dan (r.a.) rivâyet etti.

[16] Beyhakî, İbn Ebî Edyetü's-Sadefî'den rivâyet etmiştir.

[17] İbn Hibbân "Zuafâ" da Bebz b. Hakîm'den. O da babasından. O da dedesinden rivâyet etmiştir.

Üçüncü vecih:

Ölümünden sonra kendisi için duâ edecek hayırlı bir evlâd bırakmaktır. Nitekim hadîste: *"Ademoğlu öldüğü zaman amel defteri dürülür. Ancak birkaç şeyden defterine sevap yazılır. Onlardan birisi de sâlih evlâddır."* buyurulmuştur. Yine haberde:

إِنَّ الْأَدْعِيَةَ تُعْرَضُ عَلَى الْمَوْتٰى عَلٰى أَطْبَاقٍ مِنْ نُورٍ

"Dualar, nûrdan tabaklar üzerinde ölülere arz olunur."[18] diye vârid olmuştur. "Bâzı çocuklar hayırlı olmaz." itirazı mühim değildir. Çünkü o, mü'mindir. Ne kadar kötü de olsa, mü'minde galip olan, yine iyilik tarafıdır. Bâhusus terbiyesine ehemmiyet verilir ve ıslâhına çalışılırsa, düzelir. Uzun sözün kısası iyi olsun, kötü olsun, Müslüman bir çocuğun, mü'min olan anne ve babasına duâsı makbuldür. Anne baba, evlâdının duâsından ve diğer iyiliklerinden faydalanır. Çünkü evlâd, kendi kazancıdır. Ama isyânından muâheze, edilmez. Çünkü Kur'ân-ı Kerîm'de: **"Kimse kimsenin günâhını yüklenemez"** buyrulmuştur. Bunun için Allahu Teâlâ:

أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ

"Zürriyetlerini onlara ilhâk ettik, babalarının amelinden bir şeyi eksiltmedik." (Tür sûresi, 52/21) buyurmuştur.

Dördüncü vecih: Kıyâmette çocukların şefâati. Çocuğun, evvel ölüp kendisine şefâatçi olmasıdır. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz hadîs-i şerifinde:

إِنَّ الطِّفْلَ يَجُرُّ بِأَبَوَيْهِ إِلَى الْجَنَّةِ

---

[18] Bu da "Meşhûr Erba'in"de Ebû Hedebe'den, o da Enes'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

“Küçük çocuk anne ve babasını cennete çeker.”[19] buyurmuştur. Yine bâzı haberlerde:

يَأْخُذُ بِثَوْبِهِ كَمَا أَنَا الْاٰنَ اٰخِذٌ بِثَوْبِكَ

“Şimdi ben nasıl senin elbisenden tutuyorsam, çocuk da babasının elbisesinden tutar.” diye vârid olmuştur. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz:

إِنَّ الْمَوْلُودَ يُقَالُ لَهُ: اُدْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقِفُ عَلٰى بَابِ الْجَنَّةِ فَيَظِلُّ مُحْبَنْطِئاً أَيْ مُمْتَلِئًا غَيْظًا وَغَضَبًا، وَيَقُولُ: لَا أَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا وَأَبَوَايَ مَعِيَّ، فَيُقَالُ اَدْخِلُوا أَبَوَيْهِ مَعَهُ الْجَنَّةِ

“Kıyâmet günü (küçük) *çocuğa, “Cennete gir.” denir. Çocuk pür-gazab cennet kapısı önünde durur ve “Ancak anne ve babamla cennete girerim.” diyerek direnir. O zaman, “Anne ve babasını da beraber cennete koyun.” denir.”*[20] buyurmuştur. Diğer bir haberde;

إِنَّ الْأَطْفَالَ يَجْتَمِعُونَ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ عِنْدَ عَرْضِ الْخَلَائِقِ لِلْحِسَابِ، فَيُقَالُ لِلْمَلَائِكَةِ اِذْهَبُوا بِهٰؤُلَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقِفُونَ عَلٰى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَرْحَبًا بِذَرَارِي الْمُسْلِمِينَ، اُدْخُلُوا لَا حِسَابَ عَلَيْكُمْ، فَيَقُولُونَ: فَأَيْنَ اٰبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا؟ فَيَقُولُ الْخَزَنَةُ: إِنَّ اٰبَاءَكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ لَيْسُوا مِثْلَكُمْ، إِنَّهُ كَانَتْ لَهُمْ ذُنُوبٌ وَسَيِّئَاتٌ فَهُمْ يُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا

---

[19] İbn Mâce, Hz. Ali’den (r.a.) ve başka ifâde ile Mu’âz’dan (r.a.) rivâyet etmiştir.

[20] İbn Hibbân “Zuafâ”da Behz b. Hakîm’den rivâyet etmiştir. Neseî, Ebû Hüreyre’den (r.a.) isnâd-ı ceyyid ile rivâyet etmiştir.

وَيُطَالَبُونَ، قَالَ فَيَتَضَاغَوْنَ وَيَضِجُّونَ عَلٰى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ضَجَّةً وَاحِدَةً، فَيَقُولُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مَا هٰذِهِ الضَّجَّةُ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَطْفَالُ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا لَا نَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَعَ اٰبَائِنَا، فَيَقُولُ اللّٰهُ تَعَالٰى: تَخَلُّوا الْجَمْعَ فَخُذُوا بِأَيْدِي اٰبَائِهِمْ فَأَدْخِلُوهُمُ الْجَنَّةَ

"İnsanlar hesaba arz olunduğu kıyâmet günü, küçük çocuklar bir araya toplanırlar. Meleklere: "Bunları cennete götürün." denir. Cennet kapısı önüne geldiklerinde dururlar. Kendilerine: "Ey Müslümanların incileri, cennete girin. Sizin için hesap yok." derler. Çocuklar:

- "Babalarımız ve analarımız nerede? diye sorarlar. Cennet hazînedarları:

- "Onlar, sizin gibi değillerdir. Onların günâhları ve kötülükleri vardır. Bunların hesabını vereceklerdir." derler. Bunun üzerine çocuklar cennet kapısında hep bir ağızdan feryâd u figân ederler. Her şeyi en iyi bilen Allahu Teâlâ meleklere:

- "Bu feryâd nedir?" diye sorar. Melekler:

- "Ey Rabbimiz, Müslüman çocukları "Ana ve babalarımız gelmeden cennete girmeyiz." diye bağırışıyorlar." derler. Allahu Teâlâ:

- "Ana babalarını da bulun. Yarın şu kalabalığa götürün ve onlarla cennete koyun." buyurur."[21] diye vârid olmuştur. Başka bir hadîste:

---

[21] Me'hazı bulunamamıştır.

مَنْ مَاتَ لَهُ اثْنَانِ مِنَ الْوَلَدِ فَقَدْ اِحْتَظَرَ بِحِظَارٍ مِنَ النَّارِ

“İki çocuğu ölen kimse, cehennem ateşinden bir duvar perde ile siperlenmiş olur.”[22] buyurulmuştur.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ
رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَاثْنَانِ؟ قَالَ: وَاثْنَانِ

“Bâliğ olmadan üç çocuğu ölen kimseyi, Allahu Teâlâ -çocuklara rahmetinden dolayı- cennete koyar.” buyurmuştur. “İki çocuğu ölürse?” diye sorana, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.): *“İki çocuğu ölürse de* (aynıdır).*”*[23] buyurmuştur.

Hikâye olunduğuna göre; sâlihlerden bir zât, uzun zaman evlenme tekliflerini reddetmişti. Günün birinde, uyumakta olduğu uykudan uyandı ve “Beni everin, beni everin” diye bağırdı. Kendisinden sebebini sorduklarında; “Umulur ki Allahu Teâlâ, bana bir evlâd verir. Bu çocuk ölür de kıyâmette bana şefâatçi olur.” dedikten sonra, gördüğü rüyâyı şöyle anlattı: “Rüyâmda, kıyâmet koptu. Bütün insanlar gibi benim de susuzluktan dilim damağıma yapıştı. Biz, bu sıkıntı içerisinde kıvranırken, bir de baktım ki, minicik yavrular başlarında nûrdan mendiller, ellerinde kulplu ve kulpsuz altın ve gümüşten mâmûl sürahiler, insanları yararak bâzı kimselere su dağıtıyorlar. Yanımdan geçerlerken: “Ben de çok susadım, bana da su verin!” dedimse de, onlar: “Aramızda senin çocuğun yok, biz ancak kendi ana ve babalarımıza su verebiliriz." dediler. Bunun üzerine, kendilerine kim olduklarını sordum, onlar "Müslüman çocuklarıyız." dediler. Allahu Teâlâ'nın:

---

[22] Bezzâr, Taberânî, Züheyr b. Ebî Alkame den; Müslim, Ebû Hüreyre’den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[23] Buhârî ile Müslim, Ebû Sa’id’den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

فَأْتُوا حَرْثَكُمْ اَنّٰى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِاَنْفُسِكُمْ

"Tarlanıza istediğiniz şekilde yaklaşın ve kendiniz için takdîm edin" (Bakara sûresi, 2/223) âyet-i celîlesindeki "Nefsiniz için takdîm edin"den murad olunan bir mânâ, âhiret azığı olarak çocuklarınızı takdîm edersiniz demektir.

İşte bu dört vecihten, evlenmenin fazîletinin, çocuk yetiştirmeye sebep olması bakımından olduğu anlaşıldı.

2 - ŞEHVETİ TESKÎN ETMEK

İkinci fayda, şehveti kırarak şeytandan korunmak, gözünü ve kendini nâmahremden muhâfazadır.

Resûl-i Ekrem (s.a.v.)'in:

"Evlenen dîninin yarısını muhâfaza altına almıştır. Diğer yarısında Allah'tan korksun."

عَلَيْكُمْ بِالْبَاءَةِ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِاصَّوْمِ فَاِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وِجَاءٌ

"Evlenin! Evlenmeyenler oruç tutsun. Çünkü oruçta şehveti kıran bir hassa vardır." hadîsleri buna işârettir.

Buraya kadar naklettiğimiz eser ve haberler, bu manaya işarettir. Fakat bu gaye birinciden düşüktür. Çünkü şehvet bizâtihi vâsıta değil, evlâd yetiştirmeye sebeptir. Evlenmek, şehveti kırar. Kendisine müvekkel olan şehvetin gâilesinden kurtarmak için Allah'ın emrine icâbet eden kimse, Allah'ın rızâsını kazanmak için emrini yerine getiren kimse gibi olmaz. Şehvet ile evlâd mukadderdir. Bunların arasında mânevî bağlantı vardır. Eğer nesli devâm ettirme gâyesi olmasa şehvet verilmezdi. Bunun aksine olarak yemekte olduğu gibi -meselâ maksat yemektir kazâ-i hâcet lâzımdır- evlenmekten de maksat zevktir; çocuk ise bu zevke tâbidir, denemez. Çünkü fıtrat ve hikmetin iktizası evlad yetiştirmektir, şehvet değildir. Şehvet, insanı bu işe tahrîk eden bir vâsıtadır.

Dünya zevkinin, âhiret zevkine delâleti:

Ömrüme yemin ederim ki, şehvette çocuk yetiştirmekten başka hikmet de vardır. O hikmet, cennetin zevkini hatırlatmaktır. Çünkü bilinmeyen ve zevkine varılmayan bir lezzeti teşvîkte bir fayda yoktur. Meselâ hünsâyı (hadımı) cinsî münâsebet zevkine, çocuğu hükümdarlık ve saltanat zevkine teşvîk etsen, bundan bir fayda çıkmaz. Ne hünsâ münâsebetten bir şey anlar, ne de çocuk hükümdarlığın zevkine varabilir. Dünya zevklerinin faydalarından birisi de bu zevklerin daha üstününün cennette devamlı şekilde verileceğini bildirmekle, insanı cennete girebilmesi için gerekli taat ve ibadete teşviktir.

Evvela bu ince hikmetleri, sonra bu hikmetlerin altında kullarına olan ilahî rahmeti, daha sora da; ilahî terbiyeyi düşün de bir şehvet altında iki hayatı nasıl birleştirdiğini gör. Hayatın biri zâhirî, diğeri ise bâtınî hayattır. Zâhirî hayat neslin devamıdır ki, bir bakıma insanın kendi vücudunu yaşatmasıdır. Bâtınî hayat ise uhrevî hayattır. Çünkü şu süratle geçen noksan bir zevk, devam eden esaslı bir zevke teşvîk eder ve o zevke ulaştıracak ibadetlere sevk eder. Kişi ona olan şiddetli arzusu sâyesinde, kendisini o zevklere ulaştıracak ibadetleri kolaylıkla yapar. Gerek insan bedeninde, gerek yer ve göklerde olan her zerrenin tahtında akılları hayrete düşürecek hikmet ve acayiplikler vardır. Fakat bu hikmetler ancak dünya muzahrafâtından ve aldatıcı maddelerinden arınmak nispetinde temizlenmiş olan kalplere keşfedilir.

Hülasa: Âciz olmayan erkeklerin şehvet gâilelerini defetmesi bakımından evlenmenin dîndeki mevkii mühimdir. Çünkü takva kuvvetiyle, engellenemeyen, galeyana gelmiş bir şehvet, insanı fuhşiyâta sürükler.

Allah'ın Resûlü Cenab-ı Hak'tan vahiy yoluyla:

اِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِى الْاَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ

"Eğer onu yapmazsanız, yeryüzünde büyük fitne ve fesâd uyanır." (Enfâl sûresi, 8/73) âyetini tebliğ ederek buna işâret etmiştir.

Kendisini tamamen takvâya bağlayan kimseler ise bunlar takvâ sâyesinde gözünü nâmahremden çekip, edep yerini muhâfaza etmesi gibi ancak âzalarını şehvetten koruyabilirler. Kalbini, vesvese ve bu husustaki düşüncelerden korumak ise kendi irâdesinde değildir. Cinsî münâsebet hakkında kalbine öyle şeyler gelir ki, bunları en bayağı insanların yanında bile açıklamaktan hayâ eder. Hâlbuki Allahu Teâlâ, kişinin kalbini bilir. İnsanlar arasında dil ne ise Allah katında da kalp aynıdır. Ahiret yoluna giren mürîdin en mühim işi kalbidir. Oruca devam etmek de çokları hakkında bu vesveseyi kesemez. Ne ola ki, çok zayıflayıp mizacı bozulmuş ola. Bunun için **Abdullah bin Abbas** (r.a.): "Âbidin ibâdeti ancak evlenmekle tamamlanır. Bu, umûmî bir ibtilâ ve imtihândır. Bundan bazı kimseler kurtulabilir." demiştir. **Katâde**: Allahu Teâlâ'nın:

وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ

“Gücümüzün yetmediği yükü bize yükleme.” (Bakara sûresi, 2/286) âyet-i celîlesindeki güç yetiremeyeceğimiz şeyden murâd, aşırı şehvettir.” demiştir. **İkrime** ve Mücâhid:

وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا

“İnsan tahammülsüz ve zayıf olarak yaratıldı.” (Nisâ sûresi, 4/28) âyetindeki zâfiyetten murâd, “Kadınlara düşkünlük ve onlara karşı sabırsızlık demektir.” dediler. **Feyyaz b. Necih**: “Kişinin, âleti intişar ettiğinde aklının üçte ikisi gider.” demiştir. Hattâ bâzıları; “Dînin üçte biri gider.” demişlerdir. ***Nevâdirü’t-Tefsîr***’de İbn Abbâs’dan:

وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ

“İyice bastırdığı vakit, karanlığın şerrinden Allah’a sığınırım.” (Felâk sûresi, 113/3) âyetindeki “gâsık” ile “vâkab” dan murâd, âletin intişar etmesidir, demiştir. Bu, büyük ibtilâdır. Bir defâ heyecanlandı mı, ne akıl ve ne de dîn bunu kolaylıkla zapteder. Bununla beraber, yukarıda anlattığımız gibi, iki hayâta da salâhiyeti vardır. Şeytânın, insanlar üzerindeki en kuvvetli silâhlarından birisidir. Buna işâret olarak Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذَوِي الْأَلْبَابِ مِنْكُنَّ

“Akıl sâhipleri içinde akıl ve dînde, sizden (yani kadınlardan) *noksanını görmedim.”*[24] buyurmuştur. Bu, kadınlarda şehvetin çokluğu bakımındandır. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) duâsında:

اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَقَلْبِي،

وَشَرِّ مَنِيِّ

---

[24] Müslim, İbn Ömer’den (r.a.); Buhârî ile Müslim, Ebû Said’den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

"Allahım! Kulağımın, gözümün ve kalbimin kötülüğü ile şehvetimin heyecânından sana sığınırım."[25] buyurmuştur. Diğer bir duâsında:

أَسْأَلُكَ أَنْ تُطَهِّرَ قَلْبِي وَتَحْفَظَ فَرْجِي

"Allahım! Kalbimi temizlemeni ve edep yerimi korumanı senden dilerim."[26] buyurmuştur. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in Allah'a sığındığı bir şeyden başkalarının kayıtsız kalması nasıl doğru olabilir?

Sâlihlerden bir zât, iki üç hanımı nikâhında bulundurduğu için aleyhinde dedi-kodu yapanlar oldu. Bu zât onlara:

- "Siz, Allah huzûrunda bulunurken hatırınıza hiç şehvet hissi geldi mi?" diye sorar. Onlar;

- "Çok defâlar böyle şeyler hâtırımıza gelir." dediler. Bu zât:

- "Ömrümde bir defâ olsun, sizin bu hâlinize râzı olsaydım hiç evlenmezdim. Fakat beni meşgul edecek herhangi bir şey hatırımdan geçerse ben hemen onu önler ve huzûr içinde ibâdetime dönerim, tam kırk senedir kalbime kötülük nâmına bir şey gelmemiştir." dedi.

Adamın biri sûfilerin bâzı hareketlerini hoş karşılamadı. Dindar zâtın biri bu adama:

- "Sûfilerin neleri hoşuna gitmiyor?" diye sordu. Adam:

- "Çok yemek yiyorlar." dedi. Dindar adam:

- "Sen de onlar gibi acıksan çok yerdin." dedi. Bu defa adam:

- "Çok evleniyorlar." dedi. Dindar olan zât:

---

25. **"Duâ Kitâbı"**nda geçmiştir.
26. Beyhaki Da'vât'da Ümmü Seleme'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

- “Sen hele onlar gibi gözünü ve edep yerini muhâfaza etsen, çok evlenirdin.” dedi.

Cüneyd-i Bağdâdî: “Yemeğe duyduğum ihtiyaç gibi, cinsî münâsebete de ihtiyaç duyarım. Hakikatte kadınlar hem nafaka ve hem de kalp temizliğine vesîledirler.” dedi. Bunun için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.): *“Kadını görmekle şehveti uyanan kimse, hemen âilesiyle münâsebette bulunsun.”*[27] buyurdu. Zîra böyle yapmak, gönülden vesveseyi kaldırır. Câbir’in Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’den rivâyetine göre; Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), bir kadın gördü ve hemen hanımı Zeyneb’in (r.a.) odasına giderek onunla halvet oldu. Çıktıktan sonra:

إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا رَأٰى
أَحَدُكُمْ اِمْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ، فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ، فَإِنَّ مَعَهَا مِثْلَ الَّذِي مَعَهَا

“Kadınlar insanın karşısına şeytan gibi çıkarlar. Bir kadını görüp heves ettiğiniz vakit, hemen kendi âilenize mürâcaat edin. Çünkü onda olanın aynısı onda da vardır.”[28] buyurdu. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَا تَدْخُلُوا عَلَى الْمُغِيبَاتِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ أَحَدِكُمْ
مَجْرَى الدَّمِ

“Kocaları hâriçte bulunan kadınların yanına girmeyin. Zîra kan damarda işlediği gibi, şeytân, insanın vücûduna işler.” buyurmuştur. Bunun üzerine biz (ashâb), Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e “Senin de mi yâ Rasûlallah!” diye sormamız üzerine, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

[27] Ahmed, Ebû Kebşe el-Enmârî’den “İsnâd-ı ceyyid” ile rivâyet etmiştir.
[28] Müslim ve Tirmizî rivâyet etmişlerdir. İfâde Tirmizî’nindir.

وَمِنّي وَلٰكِنَّ اللهُ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ

"Evet, benim de. Fakat Allah bana yardım etti ve şeytanım Müslüman oldu."[29] buyurdu. **Süfyân b. Uyeyne**: hadîsteki "Müslüman oldu." kelimesinin mânâsı, ben ondan selâmet bulurum, demektir. Yoksa şeytân Müslüman olmaz, buyurmuştur. Sahâbenin en zâhidlerinden olan, **Abdullah b. Ömer**'den de böyle rivâyet edilmiş ve oruçlu iken akşam vakti yemekten ve hattâ namazdan önce cinsî münâsebet ile iftar ettiği ve ondan sonra yıkanıp namaz kıldığı söylenmiştir. Böyle yapması, huzûr ile ibâdet edebilmesi içindir. Aynı zâtın, Ramazanda yatsıdan önce üç câriyesiyle münâsebette bulunduğu da rivâyet edilmiştir. **Abdullah bin Abbâs**: "Bu ümmetin hayırlısı hanımları çok olanıdır." demiştir.

Arab kavminde, şehvet galip olduğu için, sâlih olanları da daha çok evlenme ihtiyâcı duyarlar. (Acem ve mağrib sûfilerinde durum bunun aksinedir.) Kalbin huzûrunu sağlamak ve zinâyı önlemek için câriye ile evlenmek mübâh olmuştur. Hâlbuki doğan çocuk, annesine tâbi olduğu için, köle oluyor. Bu, bir nevi çocuğu helâk etmektir. Hür kadın ile evlenebilenler için bu haramdır. Çocuğun köle olması, dînin mahvolmasından ehvendir. Çünkü burada ancak bir müddet çocuğun yaşayışını tedirgin etmek var. Fakat zinâ etmekte uzun müddet âhiret saâdetini kaybetmek vardır.

Rivâyet olundu ki; Bir gün **İbn Abbâs**'ın sohbetinde bulunanlar dağıldı. İçeride tek bir genç kaldı. İbn Abbâs:

- "Oğlum! Bir ihtiyâcın mı var, ne bekliyorsun?" diye sorunca genç:

---

29. Tirmizî. Câbir'den (r.a.) rivâyet etti. Müslim'in de Abdullah b. Ömer'den (r.a.) bu meâlde bir rivâyeti vardır.

- “Evet, soracağım bir mesele var. Fakat insanlardan utandığım için onların yanında soramadım. Mamafih zât-ı âlinizden de sıkılıyor ve hayâ ediyorum.” dedi. İbn Abbâs:

- “Âlim, baba menzilesindedir. İnsan babasına söyleyebileceği her sözü âlime söyleyebilir, söyle bakalım derdin nedir?” Genç:

- “Ben bekâr bir gencim, zinâdan korunmak için elimle istimnâ ediyorum. Bunda da günâh var mı?” dedi. İbn Abbâs yüzünü yana çevirerek:

- “Yazıklar olsun sana. Çirkin bir hareket, gerçi zinâdan ehvendir. Fakat câriye ile evlenmek bundan daha iyidir.” dedi. Bu rivâyet bize şunu ifâde ediyor. Şehveti galip olan bekârlar, üç kötülük arasında tereddüt ederler. Bunların en ehveni, câriye nikâhlamaktır ki, burada doğan çocuğun köle olması vardır. Bundan ağırı el ile istimnâ, en ağırı da zinâ etmektir. **İbn Abbâs** bunların hiç birine mutlak olarak mübâh dememiştir. Çünkü gerek câriye nikâh etmek ve gerek istimnâ mahzûrlu ve kaçınılacak hareketlerdir. Ancak, zinâ tehlikesinde bu mahzûrlar sırasıyle irtikâb edilebilir. Nitekim ölümden kurtulmak için ölü hayvan etinin yenebilmesi gibi. Bu şerlerin ehvenini tercîh etmek, mutlak mübâh olmaları mânâsına gelmez. Bütün bedene sirayet edip insanı öldürmemek için el ve ayağın kesilmesine müsâade edilmesi, mutlak bir hayır olmayıp ehven-i şerreynin (iki kötüden, hafifinin) tercih edilmesi gibi burada da hüküm aynıdır.

İşte bu cihetlerden evlenmenin efdaliyeti anlaşılmıştır. Fakat bu umûmî değil, ekseriyet itibâriyledir. Niceleri vardır ki ihtiyârlık, hastalık veyâ herhangi bir sebeple şehvet hissini kaybetmişlerdir. Onlarda aşırı şehvet yoktur. Ancak evlâd yetiştirmek gâyesi var ki bu, hadımlardan başka hepsinin hakkında câridir. Şehveti galip olan bâzı tabiatlar vardır ki, onlar bir kadın ile teskîn olmazlar. Bunlar aralarında meveddet, muhabbet ve kalp huzûrunu sağlamak mümkün olursa, dörde kadar evlenebilirler. Eğer bunlar ile sevgi ve düzeni sağlayamazsa fazla alamaz, değiştirebilirler. Hazret-i Fâtıma'nın ölümünden yedi gün sonra Hazret-i Ali evlenmiştir. Hazret-i Ali'nin oğlu Hazret-i Hasan'ın bir anda dört kadından fazla bulundurmamak şartıyla ikiyüzü mütecâviz kadınla evlendiği söylenir. Bir anda dört kadını boşayıp yerine hemen dört kadın aldığı da rivâyet edilmiştir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), Hazret-i Hasan hakkında:

أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي

"Sûret ve sîret bakımından bana benziyorsun."[30] buyurmuştur. Diğer bir hadîsde de:

حَسَنٌ مِنِّي وَحُسَيْنٌ مِنْ عَلِيٍّ

"Hasan benden, Hüseyin ise Ali'dendir."[31] buyurdu. Denildi ki; çok evlenmesi Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e benzeyen huylarından biridir. Mugîre b. Şu'be seksen kadın ile evlendi. Sahâbe-i kiram arasında üç dört kadını olanlar az; iki âilesi olanlar ise pek çoktur. İllet belli olunca tedâvisi de ihtiyaç nisbetinde olmalıdır. Gâye, nefsi teskîn olduğundan, ona göre davranmalı, azaltmalı veyâ çoğaltmalıdır.

3 - EV İDÂRE ETMEK

Üçüncü fayda: Bakmak, oturmak, oynamak ve şakalaşmakla gönül eğlendirmek, kalp huzûrunu sağlamak ve ibâdetini onunla takviye etmektir. İnsanın pek çok sıkıntıları olduğu için, daima huzûr ve neşat içinde ibâdete devâm edemez. Yaratılış itibâriyle böyledir. Eğer arzularının hilâfına olarak ibâdete devama zorlansa da yapmamakta ısrar eder. Ancak arasıra zevkini okşayan şeylerle dinlendiği vakit, yeniden kuvvetlenir ve hevesle ibâdete yönelir. İşte âile ile düşüp kalkmak, bu ciheti sağlar. Müttakilerin de bâzı mübâh olan şeylerle eğlenmeleri münâsiptir. Bunun için Allahu Teâlâ:

---

[30] Buhârî ile Müslim. Berâ'dan (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[31] Ahmed, Mikdâd b. Ma'di Kerib'den (r.a.) "Sened-i ceyyid" ile rivâyet etmiştir.

لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا

“Onunla (Havvâ ile) **ülfet eylemesi için.”** (A’râf sûresi, 7/189) buyurmuştur.

Hazret-i Ali (r.a.) “Zaman zaman gönlünüzü dinlendirin. Çünkü gönül, yorulduğu zaman körleşir.” buyurmuştur. Haberde:

عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ: سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ، وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا بِمَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ

“Aklı başında olan kimse zamanını üçe bölmeli: Bir kısmını ibâdet, diğer kısmını nefis muhasebesi, diğer kısmını da şahsî işleri ile geçirmelidir.”[32] diye vârid oldu. Bu, şahsî işleri ile meşgul olduğu saati, diğer vakitlerine yardımcı olur. Aynı meâlde başka bir ifâde ile Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyuruyor:

لَا يَكُونُ العَاقِلُ ظَاعِنًا إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: تَزَوُّدٍ لِمَعَادٍ، أَوْ مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ، أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ

---

[32] İbn Hibbân, Ebû Zer’in (r.a.) uzun bir hadisinden almıştır.

"Akıllı insan, ancak üç şey için harekete geçer: Âhiret azığı, dünya maişeti ve haram olmamak şartıyla zevk almak için."[33]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.).

لِكُلِّ عَامِلٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلٰى
سُنَّتِي فَقَدِ اهْتَدٰى

"Amel eden her zâtın bir sa'y u gayret etme hâli vardır. Her çalışanın da bir yorgunluğu ve istirâhate ihtiyâcı vardır. O yorgunluğunu benim sünnetim üzerine geçirenler hidâyete ermişlerdir."[34] buyurdu. Ebû'd-Derdâ (r.a.): "Hak ve hakikate güç yetirebilmem için, nefsimi bâzı eğlenceler ile oyalarım." demiştir.

Rasûl-i Ekrem'in (s.a.v.) şöyle buyurduğu rivâyet edilmiştir:

أَنَّهُ قَالَ: شَكَوْتُ إِلٰى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ضَعْفِي عَنِ
الْوِقَاعِ فَدَلَّنِي عَلَى الْهَرِيسَةِ

"Cebrâil'e cinsî münâsebetteki zâfiyetimden şikâyet ettim. Cebrail bana keşkek (herîse) *yemeyi tavsiye etti."*[35] Bu rivâyet sahîh ise bundan gâyenin istirâhate hazırlık olduğu anlaşılır. Yâni burâda şehvetin arttırılması isteniyor. Çünkü şehvet azlığı ünsiyetin azalmasına sebep olur. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz:

---

[33] İbn Hibbân. Ebû Zer'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

[34] Ahmed ve Taberâni, Abdullah b. Ömer'den (r.a.); Tirmizî de Ebâ Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[35] İbn Adiy, Huzeyfe (r.a.) ve İbn Abbâs'dan (r.a.); Ukaylî. Câbir b. Semure'den (r.a.); İbn Hibbân "Zuefâ"da Huzeyfe den, Ezdi "Zuefâda Ebû Hüreyre' den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ: اَلطِّيبُ وَالنِّسَاءُ وَقُرَّةُ عَيْنِي
فِي الصَّلَاةِ

"Dünyanızdan üç şey sevdim: Güzel koku, kadınlar ve gözümün nûru namaz."[36] buyurdu. Bu üçüncü kısım dâ gönül dinlendirmek için bir faydadır.

Zikir, fikir ve diğer ibâdetlerle yorulan kimse birinci ve ikinci şıkkın dışında bu üçüncü şıkkın da fayda sağladığını anlar. Hattâ bundan, oturup sohbet etmek ve oynaşmaktan burulmuş hünsâlar da zevk alır ve kendilerini dinlendirmiş olurlar. Aynı zamanda evlenirken bu ciheti de nazar-ı îtibara almak evlenmeye ayrı bir fazîlet bahşeder. Fakat çokları bu niyetten habersizdirler. Ekseriyetle evlenmekte nazar-ı îtibara alınan, evlâd yetiştirmek ve şehveti teskîndir. Bununla beraber çokları gönüllerini dinlendirmek için kadınlarla eğlenmekten ziyâde, akarsulara ve yeşilliklere bakmaktan zevk alırlar. Bu, şahsiyet ve vaziyet itibariyle değişir. Herkes kendi arzusuna göre kendisini dinlendirir.

4 - YAKINLARI ÇOĞALTMAK

Dördüncü fayda: Evlenmekteki dördüncü fayda evi süpürmek, kapları temizlemek, yatak sermek, yemek pişirmek gibi ev işlerinden kurtulmaktır. İnsanoğlunun şehvet hissi olmasa da ev işleri ile uğraşması çok zordur. Çünkü bu gibi zarûrî işler, zamanının çoğunu alır. İlim, amel ve benzeri işlerine mâni olur. İyi bir kadın bu bakımdan ev işlerinde dîne yardımcıdır. Bu işlerin bozulup gayr-i muntazam bir şekilde yürümesi, insanın huzûrunu kaçırır ve geçimi zorlaştırır. Bunun için **Ebû Süleymân Dârânî**:

---

[36] Neseî ve Hâkim "İsnâd-ı ceyyid" ile Enes'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

"İyi bir kadın, dünya metâı değil, âhiret saâdetidir. Çünkü erkeğin, şehevî hissini tatmîn ve ev işlerini tedvîr etmekle, onun huzûr içinde hem diğer işlerini ve hem de Allah'a karşı kulluk ve ibâdetini yapabilmesini temîn eder." demiştir.

Muhammed bin Ka'b el-Kurzî: Allahu Teâlâ'nın:

رَبَّنَآ اٰتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً

"Rabbimiz bize dünyada hasene ver." (Bakara sûresi, 2/201) âyetindeki "Hasene" den murâd, "sâliha (iyi) kadındır." dedi. Rasûl-i Ekrem de (s.a.v.) bir hadîs-i şerifinde:

لِيَتَّخِذْ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً
صَالِحَةً تُعِينُهُ عَلٰى اٰخِرَتِهِ

"Sizler şükreden kalbe, zikreden lisâna ve âhiret hususunda sizlere yardımcı olacak sâliha mü'min bir kadına sâhip olmaya çalısın."[37] buyurmuştur. Görüldüğü gibi zikri, şükrü ve iyi kadını bir arada zikretmiştir. Allahu Teâlâ'nın:

فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ

"Onu temiz bir hayât ile ihyâ eder ve yaşatırız." (Nahl sûresi, 16/97) buyurduğu temiz yaşayıştan gâye; iyi, Müslüman ve sâliha kadındır. Yâni ona öyle bir zevce nasib ederiz, demektir. Hz. **Ömer bin Hattâb** (r.a.): "Kişiye imândan sonra verilen şeylerin en hayırlısı sâliha kadındır. Onlar içerisinde baha biçilmeyecek kıymetler olduğu gibi, efendisini esâret altına alıp, kendisinden fidye ile kurtuluş imkânı olmayan kötüleri de vardır." dedi. Rasûl-i Ekrem:

---

[37] Tirmizî rivâyet etti ve "Hasendir" dedi. İbn Mâce de bir rivâyetten aldı.

فَضَلْتُ عَلٰى اٰدَمَ بَخَصْلَتَيْنِ كَانَتْ زَوْجَتُهُ عَوْنًا لَهُ عَلَى
الْمَعْصِيَةِ، وَأَزْوَاجِي أَعْوَانٌ لِي عَلَى الطَّاعَةِ، وَكَانَتْ شَيْطَانُهُ
كَافِرًا وَشَيْطَانِي مُسْلِمٌ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِخَيْرٍ

“Âdem aleyhisselâm’a iki hasletle üstünlüğüm var: Birincisi onun karısı, ona günâhta (hatâda) *yardımcı oldu; benim zevcelerim ise bana ibâdette yardımcıdırlar. İkincisi, onun şeytânı kâfir idi. Benim şeytânım Müslüman’dır, bana ancak iyliik emreder.”*[38] buyurmuş ve kadının tâatta yardımcı olmasını bir fazîlet saymıştır.

Ev işlerini çekip çevirmek, sâlihlerin aradığı faydalardandır. Bu da evinde bu işleri görecek bir kimsenin bulunmadığı şahıslara mahsûstur. Aynı zamanda iki kadın da almamalıdır. Çünkü çok kere iki kadın geçimi bozar, evin huzûrunu kaçırır ve bütün işleri alt-üst eder. Hısım ve akrabayı çoğaltmak ve böylece kuvvet bulmak da bu faydaya girer. Çünkü insanın, düşmandan korunmak ve huzûr içinde ibâdetini tamamlayıp yaşayabilmek için kalabalık âileye ihtiyâcı vardır. Zillet, insanın huzûrunu kaçırır, hısım ve akraba çokluğu zilleti kaldırır.

5- NEFİS MÜCÂHEDESİ YAPMAK

Beşinci fayda: Büyüklük vazifesini yerine getirmek, âile hakkına riâyet etmek, onların huy ve tabiatlarına tahammül etmek, sıkıntılarını gidermek, kusurlarını düzeltmek, dînî bilgilerini kuvvetlendirmek, helâlinden maîşetlerini temîn için çalışmak ve evlâd terbiyesine ehemmiyet vermek sûretiyle nefis mücâhedesi ve riyâzetidir. Bütün bunlar büyük kıymeti hâiz fazîletli işlerdir. Zîra bunlarda riâyet, korumak, velâyet, yakınlık, sevk ve idâre vardır. Aile ve evlâd, kişinin, koruyacağı ve onlara adâletle muamele ederek haklarına riâyet edeceği kimselerdir. Hakka riâyetin fazîleti büyüktür. Bundan ancak uhdesinden gelemeyenler kaçınır. Yoksa Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

[38] Hatîb **“Târih-i Bağdâd”** adlı eserinde İbn Ömer’den (r.a.) rivâyet etmiştir. Müslim, İbn Mes’ûd dan (r.a.) başka ifade ile rivâyet etmiştir. Fakat Adem’den bahis yoktur.

يَوْمٌ مِنْ وَالٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ سَنَةً

"Bir gün adâletle vâlilik yapmak, yetmiş senelik (nafile) *ibâdetten hayırlıdır."*[39] buyurmuştur. Sonra da Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ

"Dikkat edin, hepiniz çobansınız ve hepiniz güttüğünüzden mesulsünüz."[40] buyurmuştur. Hem kendisini ve hem de başkasını ıslah ile meşgul olan kimse, yalnız kendisini düzeltmekle uğraşandan daha hayırlıdır. Bunun gibi, başkasının eziyetine katlanan, huzûr içinde yaşayıp kimse için sıkıntı çekmeyen gibi değildir. Âile ve çocukları uğrunda zahmet çeken, Allah rızâsı uğrunda mücâhede eden gibidir. Bunun için **Bişr**: "Ahmed bin Hanbel beni üç yönden geçmiştir: Bunlardan birisi, kendisinin ve başkalarının nafakalarını helâlden temîndir." dedi. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَا أَنْفَقَهُ الرَّجُلُ عَلٰى أَهْلِهِ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُؤْجَرُ
فِي اللُّقْمَةِ يَرْفَعُهَا إِلٰى فِي امْرَأَتِهِ

---

[39] Taberânî ve Beyhakî, İbn Abbâs'dan (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[40] Buhârî ile Müslim, İbn Ömer'den (r.a.) rivayet eimişlerdir.

“Kişinin efrâd-ı âilesine infak ettiği, sadakadır. Kişi ailesinin ağzına koyduğu lokmadan muhakkak ecir alır.”[41] buyurmuştur. Adamın biri, âlimin birisine:

- “Namaz, oruç, hac, zekât gibi yaptığımız her amelden sevap alacak mıyız?” dedi. Âlim:

- “Sen, Ebdâl’ın işlerinden haber versene.” dedi. Adam:

- “Onlar nelerdir?” Âlim:

- “Helâlden nafaka kazanıp âile efrâdını beslemektir.” dedi. İbn Mübarek bir muhârebede arkadaşlarına:

- “Bundan makbul bir amel bilir misiniz?” diye sordu. Arkadaşları:

- “Bilmeyiz.” dediler. İbn Mübârek:

- “Ben bilirim.” dedi. Onlar:

- “Nelerdir?” dediler. İbn Mübârek:

- “Ailesi kalabalık olan fakir bir kimsedir ki, gece uyanır ve açılmış olan çocuklarını örter. Onun bu hareketi, bizim bu gazâmızdan daha makbuldür, dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir hadîsinde:

مَنْ حَسُنَتْ صَلَاتُهُ وَكَثُرَ عِيَالُهُ وَقَلَّ مَالُهُ وَلَمْ يَغْتَبِ
الْمُسْلِمِينَ كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ

“Namazını güzel kılan, malı az, çoluk çocuğu kalabalık ve Müslümanları çekiştirmeyen kimse, cennette benimle şöylece beraber

---

[41] Buhârî ve Müslim, İbn Mes’ûd’dan (r.a.); ayrıca Sad b. Ebî Vakkâs’dan (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

(diyerek şehâdet parmağı ile orta büyük parmağını göstermiştir).”[42] buyurmuştur. Diğer bir hadîste:

إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْفَقِيرَ الْمُتَعَفِّفَ أَبَا الْعِيَالِ

“Çoluk çocuğu kalabalık olan iffet sahibi fakirleri, Allah sever.”[43] buyurulmuştur. Başka bir hadîsde:

إِذَا كَثُرَتْ ذُنُوبُ الْعَبْدِ اِبْتَلَاهُ اللّٰهُ بِهَمِّ الْعِيَالِ لِيُكَفِّرَهَا عَنْهُ

“Kişinin günâhları çoğaldığı vakit (günâhlarına kefâret olmak için) *Allahu Teâlâ onu geçim sıkıntısı ile ibtilâ eder.”*[44] buyurulmuştur. Seleften birisi: “Birçok günâhlar vardır ki, onları âilenin mâişetini temîn uğrunda çekilen zahmetleri mahveder.” demiştir. Bu hususta Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den de şöyle bir rivâyet vardır:

مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبٌ لَا يُكَفِّرُهَا إِلَّا الْهَمُّ بِطَلَبِ الْمَعِيشَةِ

“Günâhlardan öyleleri vardır ki, onları ancak maîşet uğranda çekilen zahmetler mahveder.”[45] buyurmuştur. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz:

مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَأَنْفَقَ عَلَيْهِنَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ حَتّٰى
يُغْنِيَهُنَّ اللّٰهُ عَنْهُ، أَوْجَبَ اللّٰهُ لَهُ الْجَنَّةَ أَلْبَتَّةَ أَلْبَتَّةَ إِلَّا أَنْ يَعْمَلَ
عَمَلًا لَا يُغْفَرُ لَهُ

---

[42] Ebû Yâ'lâ, Ebû Said el-Hudrî'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

[43] İbn Mâce, İmran b. Hüsayn'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

[44] Ahmed, Hz. Aişe'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

[45] Taberânî **“Evsat”**ında: Ebû Naim. **“Hilye”**de: Hatib **“Telhîs”**de Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

“Üç tâne kızı olup, ihtiyaçtan kurtarıncaya kadar onlara iyi bakan, yedirip giydiren kimse elbette cenneti kazanır. Ancak, affedilmeyecek bir günâh işlemiş olursa o, müstesnâdır.”[46] buyurdu. İbn Abbâs bu hadîsi anlatırken: “Vallahi bu, garîb (düşündürücü) hadîslerdendir.” dedi.

Rivâyet olunduğuna göre; âilesine çok iyi bakan bir âbidin âilesi öldü. Kendisini evlendirmek isteyenlere: “Hayır, yalnızlık benim için daha iyidir. Daha ziyâde aklımı başıma alır ve huzûrumu sağlarım.” diyerek tekliflerini reddetti. Sonra bu zât şöyle anlatıyor: “Ailemin ölümünden bir hafta sonra idi rüyâmda gördüm ki: Gök kapıları açıldı ve oradan uçarak yeryüzüne inen insanlar benim yanımdan geçtikçe “İşte, o meş’ûm adam budur.” diyerek geçerlerdi. Korkumdan ancak en son gelen bir gence: “Bunlar kimi kastediyorlar?” diye sorduğumda genç; “Seni kastediyorlar. Çünkü bir hafta öncesine kadar senin ismini mücâhidler arasında yükseltiyorduk. Bir haftadan beri amellerini, mücâhededen kalanlar arasına koymakla emrolunduk, bunun sebebini bilemiyoruz.” dedi.” Adam uyanır uyanmaz “Beni everin.” dedi ve ondan sonra dâima iki ve üçe kadar âileyi, nikâhında bulundurdu.

Peygamberler haberlerinde: “Yûnus aleyhisselâma bir cemâat misâfir geldi. Yûnus aleyhisselâm onları yedirmek için mutfağa girip çıkarken, karısı ona zahmet veriyor ve o da buna katlanıyordu. Buna karşı şaşıran misâfırlere; “Şaşmayın, bunda şaşılacak bir şey yok. Çünkü ben Allahu Teâlâ’ya şöyle duâ ettim: “Yâ Rab, bana çektireceğini dünyada çektir.” Allahu Teâlâ da: “Senin cezân falancanın kızı ile evlenmektir, onu al.” buyurdu. Ben de işte onun bu hâline sabrediyorum, dedi.” Kadının boşboğazlığına sabretmekte, nefsi terbiye, gazabı teskîn ve ahlâkı güzelleştirme vardır. Tek başına kalan veyâ sâlihlerle arkadaşlık eden kimsenin, içyüzü belli olmaz. Çünkü onun kalbî hastalıkları ve bâtınî kusurları meydana çıkmaz; kapalı kalır. Ahiret yolcusuna düşen vazife, insanı harekete geçiren, hiddetlendiren bu gibi vâsıtalar ile kendisini denemektir. Güzel hûylu olmak için bu gibi cân sıkıcı müşkillere sabretmeye alışmaktır; bâtınını kötü vasıflardan arıtmaktır. Esâsen âile gâilesine sabretmek, riyâzet ve mücâhede olmakla beraber, onların mâişetini deruhte etmek başlıbaşına bir ibâdettir. Bu da evlenmek ile alâkalı faydalardandır. Fakat bundan ancak iki kimse istifâde edebilir:

---

[46] Harâitî **“Mekârim-i Ahlâk”**da İbn Abbâs’dan (r.a.): Ebû Dâvûd ve Tirmizî, Ebû Saîd’den (r.a.) başka ifâde ile rivâyet etmişlerdir.

Birincisi, henüz âhiret yolculuğuna yeni girmiş olduğu için mücâhede, riyâzet ve ahlâkını güzelleştirmeyi kasteden kimsedir. Mücâhede için bu yolu seçmesi yanlış değildir.

İkincisi de, zâhirî ibâdetlerle uğraştığı hâlde bâtınen hâlden hâle terakki edemeyen, murâkabe ve murâbatadan mahrûm, fikrî ve kalbî hareketleri olmayan; yalnız namaz, oruç ve hac gibi zâhirî amellerle uğraşan kimsedir. Bu gibilerin, helâlden âile efrâdının nafakalarını temîne ve onların terbiyelerine çalışması, nâfile ibâdetlerden daha makbuldür. Çünkü nâfile ibâdetler lâzım, yâni şahsına münhasırdır. Helâlinden çalışması ise müteaddi, yâni faydası başkasına da dokunur. Bu bakımdan o daha hayırlıdır. Ama yaratılışında ahlâkı güzel veyâ yukarıda anlattığımız mücâhede yolları ile ahlâkını güzelleştiren, mânevî seyrine devâm eden, mükâşefe ilminde kalbi ve fikri hareket hâlinde olan kimselerin, bu maksatla evlenmelerine lüzûm yoktur. Çünkü riyâzet, buna lüzûm bırakmamıştır. Onların nafakalarını temîne çalışmasına gelince, bu gibi mükâşefe erbâbının amellerindeki istifâde ondan daha büyüktür. Faydası daha umûmî ve şümûllüdür.

İşte dîn bakımından nikâhın faydaları bunlardır ve bu sebebten evlenmenin efdaliyetine hükmedilmiştir.

EVLENMENİN ÂFETLERİ

Evlenmenin üç âfeti vardır:

1 - Birinci Afet: En kuvvetlisi, âilenin, helâlinden nafakasını temîn etmekte acze düşmektir. Bu helâl nafakayı temîn, bilhassa bu zamanda (Hicrî 495 = Milâdî 1101) herkes için kolay olmayan bir şeydir. Ailenin de nafakasını temîn için fazla kazanca zarûret hâsıl olduğundan, mecbûrî hîle yoluna sapar. Haram kazanç elde eder, çoluk çocuğuna haram yedirir. Böylece, hem kendini hem de âilesini helâke sürükler. Ama bekâr kalan, bundan emindir. Çünkü bir boğazına nasıl olsa bakar. Fakat evlenenler ekseriya kötü yollara sapar, karısının isteklerini yerine getirme sevdâsına kapılarak, âhiretini dünyası uğrunda fedâ eder. Haberde:

إِنَّ الْعَبْدَ لَيُوقَفُ عِنْدَ الْمِيزَانِ وَلَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ أَمْثَالُ الْجِبَالِ، فَيُسْأَلُ عَنْ رِعَايَةِ عَائِلَتِهِ وَالْقِيَامِ بِهِمْ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، حَتّٰى يَسْتَغْرِقَ بِتِلْكَ الْمُطَالِبَاتِ كُلَّ أَعْمَالِهِ، فَلَا تَبْقٰى لَهُ حَسَنَةٌ، فَتُنَادِي الْمَلَائِكَةُ هٰذَا الَّذِي أَكَلَ عِيَالُهُ حَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَارْتُهِنَ الْيَوْمَ بِأَعْمَالِهِ

"Adamın, dağlar gibi hasenâtı olduğu hâlde, kıyamet günü mîzan başında durdurulur; âile hukukundan ve onların bakımından, malını nereden kazanıp nereye sarfettiğinden sorulur. Böylece bütün hasenâtı borçlularına ödenir. Kendisinde bir şey kalmaz. Sonra bir melek: "İşte şu, çoluk çocuğu dünyada bütün sevâplarını

yeyip bitiren ve bugün rehin olarak kalan kimsedir." diye nidâ eder."[47] diye vârid olmuştur.

Denildi ki; kıyâmet gününde insanın ilk hasmı âile efrâdıdır. Onu Allah huzûruna getirir ve "Yâ Rab! Bundan hakkımızı bize alıver. Biz bilmiyorduk o, bize haram yedirdi." derler. Bu sûretle onların hakları ondan alınıp verilir. Seleften biri şöyle anlatıyor: "Allahu Teâlâ bir kişiye kötülük dilediği vakit, ona dünyada kendisini ısıracak azılar musallat eder, yâni böyle âile efrâdı verir." Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَا يَلْقَى اللهَ أَحَدٌ بِذَنْبٍ أَعْظَمَ مِنْ جَهَالَةِ أَهْلِهِ

"Kişi ehlinin cehâletinden daha büyük günâhla Allah'a kavuşmaz."[48] buyurmuştur.

Bu, umûmî bir hastalıktır, bundan kurtulanlar pek az kimselerdir. Ya mirasa konmuş olacak yâhut da kendine ve çoluk çocuğuna yetecek helâl kazancı bulunacak ve fazlaya tamahı olmayacaktır. İşte ancak bu gibiler bu hastalıktan korunur. Yâhut sanat sahibi olur, avlanmak vesâire işlerle bol para kazanır yâhut hükümet ile alâkası olmayan bir işte çalışır. Hayırlı yollardan kazanır ve zâhirî vaziyetine göre kazancı helâl olursa, böyleleri de kurtulmuş olurlar.

Basra'lı **Ebû'l-Hasan bin Sâlim**'e evlenmekten suâl edilince: "Bu zamanda kendisine hâkim olamayan kimseler için evlenmek daha efdal, nefsine hâkim olanlar için evlenmemek daha evlâdır." dedi.

2 - İkinci Afet: Âilenin, haklarını yerine getirememek, kötü huylarına tahammül edememek, eziyetlerine dayanamamak gibi vaziyetlerdir. Bu, birinciye nisbetle ehvendir. Çünkü bunlara katlanmak daha kolaydır. Onlar ile hoş geçinmek, ve arzularına uymak nafaka temîninden daha kolay olduğu meydandadır. Ancak burada da tehlike vardır. Çünkü erkek çobandır, aynı zamanda maiyetinden mesuldür. Nitekim hadîste Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

[47] Mehazı bulunamamıştır.

[48] "Firdevs" sahibi. Ebû Sa'id'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

كَفٰى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ

"Kişiye, tekeffül ettiği kimseyi bakmaması günâh olarak kâfîdir."[49] buyurmuştur. Rivâyet olundu ki, çoluk çocuğunu bırakıp kaçan, efendisinden kaçan köle gibidir. Dönüp gelinceye kadar kıldığı namazı ve orucu kabul olunmaz. Onların yanında iken âile efrâdını ihmâl eden, yine kaçmış gibidir. Allahu Teâlâ:

قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا

"Kendinizi ve âile efrâdınızı (cehennem) **ateşinden koruyun."** (Tahrîm sûresi, 66/6) buyurmuş ve kendimizi koruduğumuz gibi, çoluk çocuğumuzu da ateşten korumamızı emretmiştir. Hâlbuki insan bâzen kendini korumaktan âcizdir. Evlendiği zaman bu haklar kat kat çoğalıyor. Kendine bir de başkaları katılıyor. Aynı zamanda nefis, dâima kötülüğü emreder. Nefisler çoğaldıkça kötülüğü emredenler de çoğalıyor. Evlenmemekte ısrâr eden bâzı kimseler, bu yönden kendilerini mâzur göstermek istemişler ve "Nefsin belâsı bize yetiyor; buna bir de başka bir nefis belâsını nasıl katalım?" demişlerdir. Nitekim Şâir:

لَنْ يَسَعَ الفَأْرَةُ جُحْرَهَا عَلَّقَتِ الْمِكْنَسَ فِي دُبُرِهَا

---

[49] Ebû Dâvûd ve Neseî, Abdullah bin Amr'dan rivâyet etmişlerdir, Müslim'in de başka ifâde ile bir rivâyeti vardır.

"Fâre, deliğinden içeri sığmazken; bir de kuyruğuna süpürge bağladı." demiştir.

İbrâhim bin Edhem de evlenmeyişinin sebebini açıklarken: "Kendi keyfim için bir kadını aç bırakamam. Çünkü benim kadına ihtiyâcım yok. Kadının hakkından gelemem ve onu nâmahremden koruyamam." demiştir. **Bişr** de bu hususta özür dilerken: "Beni evlenmekten alıkoyan, Allahu Teâlâ'nın:

وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ

"Erkeklerin onlarda olan hakları kadar onların (kadınların) **da erkeklerde hakkı vardır."** (Bakara sûresi, 2/228) âyet-i celîlesidir." dedi. Ve yine **Bişr**: "Eğer bir tavuğun nafakasını üzerime alsam köprü üzerinde cellât olmaktan korkarım." demiştir. **Süfyân bin Uyeyne**, bir gün hükümdarın kapısında görüldü. Kendisine: "Burası senin, yerin değil idi. Nasıl oldu da buraya düştün?" diyenlere: "Felâh bulmuş âile sahibi hiç gördünüz mü?" diye cevap verdi. Süfyan şöyle söylerdi:

"Bekârlık ve içinde rüzgârın estiği gürültüsüz bir evin anahtarı ne güzel şeylerdir." Bu, birincisi kadar değilse de yine umûmi âfetlerdendir. Bundan ancak hikmet sahibi, akıllı, idâreci, güzel ahlâklı kadınların âdetlerini anlayan, boşboğazlığına dayanan, şehvetleri peşinde olup, isteklerinin düşkünü olduklarını bilen, kusurlarını görmezden gelen ve onlar ile idâre etmesini bilen kimseler selâmet bulur. Hâlbuki ekseriyetle insanlar ahmak, sert, hafif, kötü hûylu, insâfsız olup başkalarında bu vasıfları arayan kimselerdir. Bu gibi adamlar evlenmekle fesâdı çoğaltmış olurlar. Onun için bu gibilerin bekâr kalması en sâlim ve en çıkar yoldur.

3 - Üçüncü Afet: Birinci ve ikinciden de ehvendir. Bu da âile efrâdına mal toplamak, topladığı malı onlar için yığmak ve evlâd çokluğu ile övünmek gibi şeylerle kendisini dünyaya meylettirerek Allah'a ibâdetten alıkoymalarıdır. İnsanı Allah'a ibâdetten alıkoyan mal karı ve evlâd, sahibi için meş'ûmdur. Bu sözümle, onların kendisini kötü şeylere doğrudan dâvet etmelerini kasdetmiyorum. Çünkü bu birinci ve ikinci âfete dâhildir. Belki onlar, mübâh olan şeylerle zevklenmeyi, kendileri ile eğlenip meşgul olmayı isterler ve kendisini ibâdetten alıkoyarlar. İşte kasdettiğim budur. Evlenmelerden, kalbi meşgul edecek bu gibi pek çok meseleler doğar. Gece ve gündüzler gelip geçtiği hâlde fırsat bulup âhiretini düşünemez ve onun için hâzırlanamaz. Bunun için **İbrâhim bin Edhem**: "Kadınların uylukları ile fazla meşgul olandan hayır gelmez." demiştir. **Ebû Süleyman** da "Evlenen, dünyaya meyletmiştir. Yâni evlilik hayâtı onu dünyaya çeker." demiştir.

İşte evlenmenin fayda ve âfetleri bunlardan ibarettir.

NETÎCE

Herhangi bir adam-için mutlak olarak evlenmek veyâ evlenmemek hayırlıdır demek, saydıklarımızı etraflıca bilmemekten doğar. İşin doğrusu, bu fayda ve âfetleri bir mihenk olarak ele almalı ve âhiret yolcusu kendini bunlara vurmalıdır. Âfetlerden kurtarmış, helâl nafaka ye güzel ahlâka sâhip, evlenmesi ibâdetine mâni olmayacak, yalnız olup dâhili işlerde yardımcıya muhtaç genç kimsenin şehvetini teskîn etmek ve çocuk yetiştirmek için evlenmesi, kendi hakkında hayırlı olacağında şüphe etmesin. Yok eğer, bu faydaları kaybetmiş ve saydığımız âfetler mevcut ise o zaman da bekâr kalmasının daha efdal olacağında tereddüt etmesin. Şâyet iki taraf müsâvî olursa -ki ekseriyetle insanlar böyledir- bu takdirde kendine yakışan, bu faydaların dîninde neler arttırdığını ve o âfetlerin dîninde neler eksilteceğini, adâlet mîzânı ile tartmaktır. Bu karşılaştırmada hangi tarafı tercih ederse onunla hükmetmelidir. Faydaların en açığı, evlâd yetiştirmek ve şehveti teskîndir. Âfetlerin en aşikâre olanı da, haram kazanca sürüklenmek ve ibâdetten geri kalmaktır. Şimdi biz bunların iki tarafını karşılaştıralım.

Meselâ: Şehvetten sıkıntısı olmayıp, yalnız evlâd yetiştirmek gâyesiyle evlenmek isteyenler, haram kazanca mecbûr kalacak ve Allah'a kulluktan uzaklaşmak tehlikesiyle karşılaşacaklara, bekâr kalmaları daha evlâdır. Çünkü Allah'ı zikirden geri kalmakta ve haram kazançta hayır yoktur. Yalnız evlâd yetiştirmek gâyesi, bu iki noksânı telâfi etmez. Çünkü çocuk için evlenmek, mevhûm olan bir çocuğun hayatını istemektir. Lâkin haramı irtikâb ve ibâdette kusur, açıkça görülen ve şu anda mevcût olan bir noksânlıktır. Mevhûm olan evlâdı yetiştirmek için uğraşmaktansa, ortada bulunan kendi hayâtını korumak ve helâkten muhâfaza etmek elbette daha mühimdir.

Zîra evlâd, ticarette kazanç ve kârdır. Dîn ise sermâye ve ana sermayedir. Dînin bozulmasında sermâyenin elden gitmesi ve uhrevî hayâtın bozulması tehlikesi vardır. Yalnız evlâd yetiştirme gâyesi, şu iki âfetten birisi ile de karşılaşamaz. Fakat evlâd yetiştirmeye bir de şehvet galebesi eklenirse, o zaman bakılır; şâyet takvâsı dizginlerini toplamaya kâfi gelmezse ve zinâya düşmek tehlikesi varsa, o zaman evlenmeyi tercih eder. Çünkü bu adam zinâ ile veyâ şüpheli ve haram kazanç ile karşı karşıyadır. Bunun için ehven-i şeri tercih eder. O da şüpheli kazançtır. Zinâ etmeyeceğinden emîn ve fakat hissi ile bakmaktan emîn olamayacağına kani ise o zaman evlenmez.

Çünkü her ne kadar şehvetle bakmak haram ise de bu, dâimi değil ve aynı zamanda zararı yalnız kendinedir. Fakat haram kazanç dâimîdir. Aynı zamanda, hem başkasının hakkına tecavüz ettiği, hem de âile efrâdına yedirdiği için, zararı başkalarını da şâmildir. Filhakika şehvetle bakış göz zinâsıdır. Fakat kalp bunu inkâr eder ve kabul etmezse haram yemekten, affedilmeye daha yakındır. Ancak şehvetle bakmasının kendisini zinâya götürmesinden korkarsa, o da zinâ hükmüne girer ve evlenmeyi tercih eder. Bu, böyle anlaşıldıktan sonra gelelim, üçüncü şekle: o da, gözünü nâmahremden koruyup kalbini meşgul edecek düşüncelerden alıkoyamama hâlidir. Bunun evlenmemesi daha uygundur. Çünkü bu husustaki kalbin hatâsının affı, haram irtikâbının affından daha kolaydır. Kalbin huzûru, ibâdet için lâzımdır. Hâlbuki haram kazanç ve haramı yemek ve yedirmekle yapılan ibâdet, tam bir ibâdet değildir.

İşte, bu âfetler bu şekilde muvâzene edilmeli ve mûcibince hüküm verilmelidir. Bu anlattıklarımızı kavrayabilen, artık nikâhı teşvik eden ve nikâhtan men eden bütün bu rivâyetlerde tereddüde düşmez. Çünkü bütün bu rivâyetler, şahısların hâllerine göredir.

Şâyet: "Bu âfetlerden emin olan kimsenin evlenmesi mi yoksa ibâdetle meşgul olması mı daha efdaldir?" dersen, derim ki; iki tarafını toplamalıdır. Çünkü nikâh, nikâh olmak bakımından, ibâdete mâni değildir. İbâdete mâni olacak olan, nafakayı temîn etmek zarûretidir. Eğer bunu helâlinden temîn edebiliyorsa yine evlenmek daha fazîletlidir. Zîra gecelerde ve gündüzün diğer vakitlerinde ibâdetini yapabilir. Zâten hiç ara vermeden devâmlı ibâdet mümkün değildir. Şâyet evlilik sebebiyle farz olan ibâdetleri yapmaktan, yemek, uyku ve diğer hâcetinden başka müsâit zamanı kalmıyor, bütün vakitlerini çalışmakla geçirmek zarûreti hasıl oluyor dersen, o zaman bakarız; eğer bu adamın ibâdetleri nâfile namaz ve hac gibi zâhirî ve bedenî ameller ise yine evlenmesi daha makbuldür. Çünkü helâl nafaka kazanmakta, âile hukûkuna riâyette, evlâd yetiştirmekte, kadınların mızmızlığına tahammül etmekte o kadar çeşitli ibâdetler vardır ki bunlann fazîleti, o nâfile ibâdetlerden daha az değildir. Eğer ibâdeti ilim, tefekkür ve seyr-i bâtınî ise o zaman helâl kazanç buna mâni olacağı için, evlenmemek daha makbuldür.

Şâyet "Mâdem evlenmenin bu kadar fazîleti vardır, Îsa aleyhisselâm niçin evlenmedi? Mâdem ki, ibâdete bağlanmak daha efdal idi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) niçin o kadar çok evlendi?" dersen bilmiş ol ki: En fazîletlisi gücü yetenlerin, himmeti âli olanların ve kendisini Allahu Teâlâ'dan hiç bir şey meşgul edemeyenlerin, ikisini yapmasıdır. Yâni hem evlenmek, hem de ibâdet etmektir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) buna muktedir olduğu için, nikâh ile ibâdeti bir arada toplamıştır. Dokuz ailesi olduğu hâlde yine Allahu Teâlâ ile başbaşa kaldı ve ibâdetine devâm etti. Aile hukûku, buna mâni olamadı. Nitekim dünyanın sevk u idâresi ile uğraşanlara def-i tabiî mâni olamadığı gibi. Onlar, bedenleri ile kazâ-i hâcetle meşgul olurken, kafaları ile dünya işlerini düşünürler. Rasûl-i Ekrem'in (s.a.v.) derecesi âli olduğu için, bu âlemin işleri, kalbinin Allah ile olmasına mâni olamamıştır. Hattâ zevcesinin yatağında iken bile kendisine ilâhî vahiy gelmiştir. Başkalarını Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e kıyas etmek doğru olmaz.

İsâ aleyhisselâm'a gelince: O, tevazu gösterip ihtiyâtlı olan tarafı tercih etmiştir. Evlenseydi belki ailesi kendisini meşgul edebilirdi veyâhut da helâl nafaka temîninde güçlük çekerdi. Bunun için ibâdeti tercih etmiştir. Onlar, kendi hâllerini ve helâl kazançta zamanlarının îcaplarını, kadınların ahlâkını, nikâhın zarar ve faydalarını daha iyi bilirler. Madem ki, evlenmenin bâzıları için makbul, bâzıları için de mahzurlu olduğunu bildik, peygamberlerin her hareketlerini efdal olarak bilmemiz, en doğrusudur. Her şeyi olduğu gibi Allah bilir.

البَابُ الثَّاني

فيما يراعى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد

أمَّا العقدُ : فأركانُهُ وشروطُهُ لينعقدَ ويفيدَ الحِلَّ أربعةٌ :

الأوَّلُ : إذنُ الوليِّ ، فإنْ لمْ يكنْ . . فالسلطانُ .

الثاني : رضا المرأةِ إنْ كانتْ ثيِّباً بالغةً ، أوْ كانتْ بكراً بالغةً ولكنْ يزوِّجُها غيرُ الأبِ والجدِّ .

الثالثُ : حضورُ شاهدينِ ظاهريِ العدالةِ ، فإنْ كانا مستورينِ . . حكمْنا بالانعقادِ للحاجةِ .

الرابعُ : إيجابٌ وقبولٌ متَّصلٌ بهِ بلفظِ الإنكاحِ أوِ التزويجِ أوْ معناهما الخاصِّ بكلِّ لسانٍ ، مِنْ شخصينِ مكلَّفينِ ليسَ فيهما امرأةٌ ، سواءً كانَ هوَ الزوجَ أوِ الوليَّ أوْ وكيلَهُما .

* * *

وأمَّا آدابُهُ : فتقديمُ الخِطبةِ معَ الوليِّ لا في حالِ عدَّةِ المرأةِ ، بلْ بعدَ انقضائِها إنْ كانتْ معتدةً ، ولا في حالِ سبقِ غيرِهِ بالخِطبةِ ؛

إذْ نُهِيَ عنِ الخِطبةِ على الخِطبةِ⁽¹⁾ .

ومِنْ آدابِهِ : الخُطبةُ قبلَ النكاحِ ، ومزْجُ التحميدِ بالإيجابِ والقبولِ :

فيقولُ المزوِّجُ : الحمدُ للهِ ، والصلاةُ علىٰ رسولِ اللهِ ، زوَّجتُكَ ابنتي فلانةَ .

ويقولُ الزوجُ : الحمدُ للهِ ، والصلاةُ علىٰ رسولِ اللهِ ، قبلتُ نكاحَها علىٰ هـٰذا الصداقِ .

وليكنِ الصَّداقُ معلوماً وخفيفاً ، والتحميدُ قبلَ الخطبةِ أيضاً مستحبٌّ⁽²⁾ .

ومِنْ آدابِهِ : أنْ يلقيَ أمرَ الزوجِ إلىٰ سمْعِ الزوجةِ⁽³⁾ وإنْ كانتْ بكراً ، فذلكَ أولىٰ وأحرىٰ بالألفةِ .

ولذلكَ يُستحبُّ النظرُ إليها قبلَ النكاحِ ، فإنَّهُ أحرىٰ أنْ يُؤدَمَ بينَهُما .

---

(١) روى البخاري (٢١٤٠) ، ومسلم (١٤٠٨) مرفوعاً : « لا يخطب الرجل علىٰ خطبة أخيه » الحديث .

(٢) فيحمد الله ، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقول : جئتكم خاطباً لكريمتكم ، ويقول الولي بعد الحمد والصلاة ، ولست بمرغوب عنه ، وما يشبه ذلك . « إتحاف » (٥/ ٣٣٠) .

(٣) ويشرح شأنه ؛ لتكون علىٰ بصيرة من أمره ، ويقين من حاله ، ويدخل على اختيار منها . « إتحاف » (٥/ ٣٣٠) .

ومِنَ الآدابِ : إحضارُ جمعٍ مِنْ أهلِ الصلاحِ زيادةً على الشاهدينِ اللذينِ هما ركنانِ للصحَّةِ .

ومنها : أنْ ينويَ بالنكاحِ إقامةَ السنَّةِ ، وغضَّ البصرِ ، وطلبَ الولدِ ، وسائرَ الفوائدِ التي ذكرناها .

ولا يكونُ قصدُهُ مجرَّدَ الهوىٰ والتمتُّعِ ، فيصيرَ عملُهُ مِنْ أعمالِ الدنيا ، ولا يمنعُ ذلكَ هٰذهِ النيَّاتِ ، فربَّ حقٍّ يوافقُ الهوىٰ ، قالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رحمَهُ اللهُ : (إذا وافقَ الحقُّ الهوىٰ . . فهوَ الزبدُ بالنِّرْسِيانِ)(١) ، ولا يستحيلُ أنْ يكونَ كلُّ واحدٍ مِنْ حظِّ النفسِ وحقِّ الدينِ باعثاً معاً .

ويُستحبُّ أنْ يعقدَ في المسجدِ ، وفي شهرِ شوَّالٍ ؛ قالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (تزوَّجَني رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في شوالٍ ، وبنىٰ بي في شوالٍ)(٢) .

* * *

وأمَّا المنكوحةُ : فيُعتبرُ فيها نوعانِ : **أحدُهما** : للحلِّ ، **والثاني** : لطيبِ المعيشةِ وحصولِ المقاصدِ .

---

(١) كذا في « القوت » (٢/٢٤٨) ، وهو مثل قديم يضرب لما يستطاب ويستعذب ، **والنرسيان** : ضرب من التمر نجيب .

(٢) رواه مسلم (١٤٢٣) .

النوعُ الأوَّلُ : ما يُعتبرُ فيها للحلِّ : وهوَ أنْ تكونَ خليَّةً عنْ موانعِ النكاحِ ، **والموانعُ تسعةَ عشرَ** :

الأوَّلُ : أنْ تكونَ منكوحةً للغيرِ .

الثاني : أنْ تكونَ معتدةً للغيرِ ، سواءً كانتْ عِدَّةَ وفاةٍ ، أوْ طلاقٍ ، أوْ وطءِ شبهةٍ ، أوْ كانتْ في استبراءِ وطءٍ عنْ ملْكِ يمينٍ .

الثالثُ : أنْ تكونَ مرتدَّةً عنِ الدينِ بجريانِ كلمةٍ علىٰ لسانِها مِنْ كلماتِ الكفرِ .

الرابعُ : أنْ تكونَ مجوسيَّةً .

الخامسُ : أنْ تكونَ وثنيةً ، أوْ زِنديقةً(١) ، لا تُنسبُ إلىٰ نبيٍّ وكتابٍ ، ومنهُنَّ المعتقداتُ لمذهبِ الإباحةِ ، فلا يحلُّ نكاحُهُنَّ ، وكذلكَ كلُّ معتقدةٍ مذهباً فاسداً يُحكمُ بكفرِ معتقدِهِ .

السادسُ : أنْ تكونَ كتابيةً قدْ دانتْ بدينِهِمْ بعدَ التبديلِ ، أوْ بَعد مبعثِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ومعَ ذلكَ فليستْ مِنْ نسبِ بني إسرائيلَ ، فإذا عدمَتْ كلتا الفضيلتينِ . . لمْ يحلَّ نكاحُها ، وإنْ عدمَتِ النسبَ فقطْ . . ففيهِ خلافٌ .

---

(١) الزنديق : من لا يتمسك بشريعة ويقول بدوام الدهر ، وهو المعبر عنه بالملحد الذي يطعن في الأديان .

السابعُ : أنْ تكونَ رقيقةً والناكحُ حرّاً قادراً علىٰ طَوْلِ الحرَّةِ ، أوْ غيرَ خائفٍ مِنَ العنتِ .

الثامنُ : أنْ تكونَ كلُّها أوْ بعضُها مملوكاً للناكحِ ملكَ يمينٍ .

التاسعُ : أنْ تكونَ قريبةً للزوجِ ، بأنْ تكونَ مِنْ أصولِهِ ، أوْ فصولِهِ ، أوْ فصولِ أوَّلِ أصولِهِ ، أوْ مِنْ أوَّلِ فصْلٍ مِنْ كلِّ أصلٍ بعدَهُ أصلٌ ، وأعني بأصولِهِ : الأمهاتِ والجدَّاتِ ، وبفصولِهِ : الأولادَ والأحفادَ ، وبفصولِ أوَّلِ أصولِهِ : الإخوةَ وأولادَهُمْ ، وبأوَّلِ فصلٍ مِنْ كلِّ أصلٍ بعدَهُ أصلٌ : العماتِ والخالاتِ دونَ أولادِهنَّ .

العاشرُ : أنْ تكونَ محرَّمَةً بالرضاعِ ، ويحرمُ مِنَ الرضاعِ ما يحرمُ مِنَ النسبِ مِنَ الأصولِ والفصولِ كما سبقَ ، ولكنَّ المحرِّمَ خمسُ رضعاتٍ ، وما دونَ ذلكَ لا يحرِّمُ .

الحاديَ عشرَ : المحرَّمُ بالمصاهرةِ ، وهوَ أنْ يكونَ الناكحُ قدْ نكحَ ابنتَها أوْ حفيدتَها مِنْ قبلُ أوْ وطئَهنَّ بالشبهةِ في عقدٍ ، أوْ وطىءَ أمَّها أوْ إحدىٰ جدَّاتِها بعقدٍ أوْ شبهةِ عقدٍ ، فمجرَّدُ العقدِ على المرأةِ يحرِّمُ أمَّهاتِها ، ولا يحرِّمُ فروعَها إلا بالوطءِ ، أوْ يكونَ أبوهُ أوِ ابنُهُ نكحَها قبلُ .

الثانيَ عشرَ : أنْ تكونَ المنكوحةُ خامسةً ؛ أيْ : يكونَ تحتَ الناكحِ أربعٌ سواها ، إمَّا في نفسِ النكاحِ ، أوْ في عِدَّةِ الرجعةِ ، فإنْ كانتْ في عِدَّةِ بينونةٍ . . لمْ تمنعِ الخامسةَ .

الثالثَ عشرَ : أنْ يكونَ تحتَ الناكحِ أختُها أوْ عمَّتُها أوْ خالتُها ، فيكونَ بالنكاحِ جامعاً بينَهُما ، وكلُّ شخصينِ بينَهُما قرابةٌ لوْ كانَ أحدُهما ذكراً والآخرُ أنثىٰ . . لمْ يجزْ بينَهُما النكاحُ ؛ فلا يجوزُ أنْ يجمعَ بينَهُما .

الرابعَ عشرَ : أنْ يكونَ هـٰذا الناكحُ قدْ طلَّقَها مِنْ قبلُ ثلاثاً ، فهيَ لا تحلُّ لهُ ما لمْ يطأْها زوجٌ غيرُهُ في نكاحٍ صحيحٍ .

الخامسَ عشرَ : أنْ يكونَ الناكحُ قدْ لاعنَ عنها[1] ؛ فإنَّها تحرمُ عليهِ أبداً بعدَ اللعانِ .

السادسَ عشرَ : أنْ تكونَ مُحْرِمةً بحجٍّ أوْ عمرةٍ ، أوْ كانَ الزوجُ كذلكَ ، فلا ينعقدُ النكاحُ إلا بعدَ تمامِ التحلُّلِ .

السابعَ عشرَ : أنْ تكونَ ثيِّباً صغيرةً ، فلا يصحُّ نكاحُها إلا بعدَ البلوغِ .

الثامنَ عشرَ : أنْ تكونَ يتيمةً ، فلا يصحُّ نكاحُها إلا بعدَ البلوغِ .

التاسعَ عشرَ : أنْ تكونَ مِنْ أزواجِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ممَّنْ تُوفِّيَ عنْهَا أوْ دخلَ بها ؛ فإنَّهُنَّ أمهاتُ المؤمنينِ ، وذلكَ لا يُوجدُ في زمانِنا .

فهـٰذهِ هيَ الموانعُ المحرِّمةُ .

* * *

---

[1] انظر « نهاية المطلب » (١٥/ ٦٠) ، و« الوسيط » (٥/ ٥١) .

أمَّا الخصالُ المطيِّبةُ للعيشِ التي لا بدَّ مِنْ مراعاتِها في المرأةِ ليدومَ العقدُ وتتوفَّرَ مقاصدُهُ. ثمانيةٌ : الدينُ ، والخُلُقُ ، والحُسْنُ ، وخفَّةُ المهرِ ، والولادةُ ، والبكارةُ ، والنسبُ ، وألا تكونَ قرابةً قريبةً .

الأولىٰ : أنْ تكونَ صالحةً ذاتَ دينٍ : فهٰذا هوَ الأصلُ ، وبهِ ينبغي أنْ يقعَ الاعتناءُ ، فإنَّها إنْ كانتْ ضعيفةَ الدينِ في صيانةِ نفسِها وفرْجِها . . أزرَتْ بزوجِها ، وسوَّدَتْ بينَ الناسِ وجهَهُ ، وشوَّشَتْ بالغيرةِ قلبَهُ ، وتنغَّصَ بذلكَ عيشُهُ ، فإنْ سلكَ سبيلَ الحميَّةِ والغيرةِ . . لمْ يزلْ في بلاءٍ ومحنةٍ ، وإنْ سلكَ سبيلَ التساهلِ . . كانَ متهاوناً بدينهِ وعرضِهِ ، ومنسوباً إلىٰ قلَّةِ الأنفةِ والحميةِ .

وإذا كانتْ معَ الفسادِ جميلةً . . كانَ بلاؤُها أشدَّ ؛ إذْ يشقُّ على الزوجِ مفارقتُها ، فلا يصبرُ عنها ولا يصبرُ عليها ، ويكونُ كالذي جاءَ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّ لي امرأةً لا تردُّ يدَ لامسٍ ، قالَ : « طلِّقْها » ، فقالَ : إنِّي أحبُّها ، قالَ : « أمسكْها »(١) ،

---

(١) رواه أبو داوود (٢٠٤٩) ، والنسائي (٦/ ٦٧) واللفظ له ، وجاء التصريح بأنها حسناء في رواية الرامهرمزي في « المحدث الفاصل » (ص٢٤٠) ، واختلفوا في معنىٰ : (لا ترد يد لامس) ، وغالبهم أنه دال علىٰ فجورها ، وبعضهم قال : هو كناية عن بذل الطعام ، ونقل العلامة السهارنفوري في « بذل المجهود » (١٠/ ١٢ـ ١٣) عن الحافظ ابن كثير : حمل اللمس على الزنا بعيد جداً ، والأقرب حمله أن الزوج فهم منها أنها لا ترد من أراد منها السوء ، لا أنه تحقق وقوع ذلك منها ، بل ظهر له ذلك بقرائن ، فأرشده الشارع إلىٰ مفارقتها احتياطاً ، فلما أعلمه أنه لا يقدر علىٰ فراقها لمحبته لها ، =

وإنَّما أمرَهُ بإمساكِها خوفاً عليهِ بأنَّهُ إنْ طلَّقَها . . أتبعَها نفسَهُ وفسدَ هوَ أيضاً معَها ، فرأىٰ ما في دوامِ نكاحِهِ مِن دفعِ الفسادِ عنهُ معَ ضيقِ قلبِهِ أولىٰ .

وإنْ كانتْ فاسدةَ الدينِ باستهلاكِ مالِهِ[1] أوْ بوجهٍ آخرَ . . لمْ يزلِ العيشُ مشوَّشاً معَهُ ؛ فإنْ سكتَ ولمْ ينكرْ . . كانَ شريكاً في المعصيةِ ، مخالفاً لقولِهِ تعالىٰ : ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ ، وإنْ أنكرَ وخاصمَ . . تنغَّصَ العمرُ ، ولهـٰذا بالغَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في التحريضِ علىٰ نكاحِ ذاتِ الدينِ فقالَ : « تُنكحُ المرأةُ لمالِها وجمالِها وحسبِها ودينِها ، فعليكَ بذاتِ الدينِ تربتْ يداكَ »[2] .

وفي حديثٍ آخرَ : « مَنْ نكحَ المرأةَ لمالِها وجمالِها . . حُرِمَ مالَها وجمالَها ، ومَنْ نكحَها لدينِها . . رزقَهُ اللهُ مالَها وجمالَها »[3] .

وقالَ أيضاً صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تنكحِ المرأةَ لجمالِها ؛ فلعلَّ

= وأنه لا يصبر علىٰ ذلك . . رخص له في إبقائها ؛ لأن محبته لها متحققة ووقوع الفاحشة منها متوهم .

[1] بأن تضعه في غير مواضعه ، سواء أذن لها فيه أو لم يأذن . « إتحاف » (٥/ ٣٤٠) .

[2] رواه البخاري (٥٠٩٠) ، ومسلم (١٤٦٦) .

[3] كذا في « القوت » (٢/ ٢٤٩) ، وروى الطبراني في « الأوسط » (٢٣٦٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٤٥) مرفوعاً : « من تزوج امرأة لعزها . . لم يزده الله إلا ذلاً ، ومن تزوجها لمالها . . لم يزده الله إلا فقراً ، ومن تزوجها لحسبها . . لم يزده الله إلا دناءة ، ومن تزوجها لم يتزوجها إلا ليغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه . . إلا بارك الله له فيها ، وبارك لها فيه » .

جمالَها يُرْديها ، ولا لمالِها ؛ فلعلَّ مالَها يُطْغيها ، وانكحِ المرأةَ لدينِها »(١) .

وإنَّما بالغَ في الحثِّ على الدينِ لأنَّ مثلَ هـٰذهِ المرأةِ تكونُ عوناً على الدينِ ، فأمَّا إذا لمْ تكنْ متديِّنةً . . كانتْ شاغلةً عنِ الدينِ ومشوِّشةً لهُ .

* * *

الثانيةُ : حُسْنُ الخُلُقِ : وذلكَ أصلٌ مهمٌّ في طلبِ الفراغةِ والاستعانةِ على الدينِ ، فإنَّها إذا كانتْ سليطةً ، بذيئةَ اللسانِ ، سيئةَ الخلقِ ، كافرةً للنعمِ . . كانَ الضررُ منها أكثرَ مِنَ النفعِ .

والصبرُ علىٰ لسانِ النساءِ ممَّا يُمتحنُ بهِ الأولياءُ .

قالَ بعضُ العربِ : (لا تنكحوا مِنَ النساءِ ستّاً : لا أنَّانَةً ، ولا منَّانةً ، ولا حنَّانةً ، ولا تنكحوا حدَّاقةً ، ولا برَّاقةً ، ولا شدَّاقةً)(٢) .

أمَّا الأنَّانةُ : فهيَ التي تكثرُ الأنينَ والتشكِّيَ ، وتعصبُ رأسَها كلَّ ساعةٍ ، فنكاحُ المِمْراضَةِ أوْ نكاحُ المتمارضةِ لا خيرَ فيهِ(٣) .

والمنَّانةُ : التي تمنُّ علىٰ زوجِها فتقولُ : فعلتُ لأجلكَ كذا وكذا .

---

(١) كذا في « القوت » (٢/ ٢٤٩) ، ورواه ابن ماجه (١٨٥٩) بلفظ : « لا تزوجوا النساء لحسنهن ؛ فعسىٰ حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لأموالهن ؛ فعسىٰ أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل » .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٥٥) ، وسياق المصنف في شرحه للخبر عنده كذلك .

(٣) **والممراضة** : من يصيبها المرض كثيراً ، **والمتمارضة** : من تظهره وليس بها علة .

والحنَّانةُ : التي تحنُّ إلىٰ زوجٍ آخرَ أوْ ولدٍ لها مِنْ زوجٍ آخرَ ، وهـٰذا أيضاً ممَّا يجبُ اجتنابُهُ .

والحدَّاقَةُ : التي ترمي إلىٰ كلِّ شيءٍ بحدقتِها فتشتهيهِ ، وتكلِّفُ الزوجَ شراءَهُ .

والبرَّاقةُ : تحتملُ معنيينِ : أحدُهما : أنْ تكونَ طولَ النهارِ في تصقيلِ وجهِها وتزيينِهِ ؛ ليكونَ لوجهِها بريقٌ محصَّلٌ بالتصنُّعِ ، والثاني : أنْ تغضبَ على الطعامِ فلا تأكلَ إلا وحدَها ، وتستقلَّ نصيبَها مِنْ كلِّ شيءٍ ، وهـٰذهِ لغةٌ يمانيةٌ ، يقولونَ : برقتِ المرأةُ وبرقَ الصبيُّ الطعامَ ؛ إذا غضبَ عندَهُ[١] .

والشدَّاقةُ : المتشدِّقةُ الكثيرةُ الكلامِ ، ومنهُ قولُهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إنَّ اللهَ يُبغضُ الثرثارينَ المتشدِّقينَ »[٢] .

ويُحكىٰ أنَّ السائحَ الأزديَّ لقيَ إلياسَ عليهِ السلامُ في سياحتِهِ ، فأمرَهُ بالتزويجِ ونهاهُ عنِ التبتُّلِ ، ثمَّ قالَ : (لا تنكحْ أربعاً : المختلعة ، والمباريةُ ، والعاهرُ ، والناشزُ)[٣] .

---

[١] ويحتمل أن تكون من برقتْ إذا تهددت وتوعدت . « إتحاف » (٥/ ٣٤١) .

[٢] كذا في « القوت » (٢/ ٢٥٥) ، ورواه الترمذي (٢٠١٨) ولفظه : « وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون » الحديث .

[٣] قوت القلوب (٢/ ٢٥٦) ، والخبر عن إلياس عليه السلام في « تفسير الثعلبي » (٨/ ١٦٧ـ ١٦٨) مروياً عن رجل من أهل عسقلان ، وعند الحافظ الزبيدي : (الأردني) بدل (الأزدي) وقال : (منسوب إلىٰ أردن كأفلس جمع فلس ، واد بالشام) . « إتحاف » (٥/ ٣٤١) .

فأمَّا المختلعةُ : فهيَ التي تطلبُ الخلْعَ كلَّ ساعةٍ مِنْ غيرِ سببٍ .

والمباريةُ : المباهيةُ لغيرِها ، المفاخرةُ بأسبابِ الدنيا .

والعاهرُ : الفاسقةُ التي تُعرفُ بخليلٍ وخدْنٍ ، وهيَ التي قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ﴾ .

والناشزُ : التي تعلو علىٰ زوجِها في الفعالِ والمقالِ ، والنشزُ : العالي مِنَ الأرضِ .

وكانَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (شرُّ خصالِ الرجالِ خيرُ خصالِ النساءِ : البخلُ ، والزهوُ ، والجبنُ ؛ فإنَّ المرأةَ إذا كانتْ بخيلةً . . حفظتْ مالَها ومالَ زوجِها ، فإذا كانتْ مزهوةً . . استنكفَتْ أنْ تكلِّمَ كلَّ أحدٍ بكلامٍ لينٍ مريبٍ ، وإذا كانتْ جبانةً . . فَرِقَتْ مِنْ كلِّ شيءٍ ، فلمْ تخرجْ مِنْ بيتِها ، واتقَتْ مواضعَ التُّهَمِ خيفةً مِنْ زوجِها)(١) .

فهٰذهِ الحكاياتُ ترشدُ إلىٰ مجامعِ الأخلاقِ المطلوبةِ في النكاحِ .

* * *

الثالثةُ : حسْنُ الوجهِ : فذلكَ أيضاً مطلوبٌ ؛ إذْ بهِ يحصلُ التحصُّنُ ، والطبعُ لا يكتفي بالدميمةِ غالباً ، كيفَ والغالبُ أنَّ حسْنَ الخُلُقِ والخَلْقِ لا يفترقانِ ؟!

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٥٦) .

وما نقلناهُ مِنَ الحثِّ على الدينِ ، وأنَّ المرأةَ لا تُنكحُ لجمالِها . . ليسَ زجراً عنْ رعايةِ الجمالِ ، بلْ هوَ زجرٌ عنِ النكاحِ لأجلِ الجمالِ المحضِ معَ الفسادِ في الدينِ ، فإنَّ الجمالَ وحدَهُ في غالبِ الأمرِ يُرغِّبُ في النكاحِ ، ويُهوِّنُ أمرَ الدينِ ، ويدلُّ على الالتفاتِ إلىٰ معنى الجمالِ أنَّ الأُلفةَ والمودَّةَ تحصلُ بهِ غالباً ، وقدْ ندبَ الشرعُ إلىٰ مراعاةِ أسبابِ الأُلفةِ ، ولذلكَ استحبَّ النظرَ فقالَ : « إذا أوقعَ اللهُ في نفسِ أحدِكُمْ مِنِ امرأةٍ شيئاً . . فلينظرْ إليها ؛ فإنَّهُ أحرىٰ أنْ يُؤدَمَ بينهُما »(١) ؛ أيْ : يؤلَّفَ بينَهُما ؛ مِنْ وقوعِ الأدمَةِ على الأدمَةِ ، وهيَ الجلدةُ الباطنةُ ، والبشرةُ : الجلدةُ الظاهرةُ ، وإنما ذكرَ ذلكَ للمبالغةِ في الائتلافِ .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إنَّ في أعينِ الأنصارِ شيئاً ، فإذا أرادَ أحدُكُمْ أنْ يتزوَّجَ منهنَّ . . فلينظرْ إليهِنَّ »(٢) ، قيلَ : كانَ في أعينِهِنَّ عَمَشٌ ، وقيلَ : صغرٌ .

---

(١) كذا في « القوت » (٢/ ٢٥٠) في رواية له ، وقد رواه الطبراني في « الأوسط » (٣٤٦٩) ، و« مسند الشاميين » (٩٠٥) عن المطعم بن المقدام قال : رأيت محمد بن مسلمة واقفاً علىٰ ظهر إجّارٍ ـ وهو السطح ـ ينظر إلىٰ أخت الضحاك بن قيس ، فقلت : تفعل هـٰذا وأنت صاحب رسول الله ؟! فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا أوقع الله في قلب امرىءٍ خطبة امرأة . . فلا بأس أن يتأمل خَلْقها » .

وروى الترمذي (١٠٨٧) ، والنسائي (٦/ ٦٩) ، وابن ماجه (١٨٦٥) في حديث المغيرة بن شعبة : « فانظر إليها ؛ فإنه أحرىٰ أن يؤدم بينكما » .

(٢) رواه مسلم (١٤٢٤) .

وكانَ بعضُ الورعينَ لا يُنكحونَ كرائمَهُمْ إلا بعدَ النظرِ ؛ احترازاً مِنَ الغرورِ .

وقالَ الأعمشُ : (كلُّ تزويجٍ يقعُ علىٰ غيرِ نظرٍ . . فآخرُهُ همٌّ وغمٌّ)(١) .

ومعلومٌ أنَّ النظرَ لا يعرفُ الخُلُقَ والدينَ والمالَ ، وإنَّما يعرفُ الجمالَ والقبحَ .

ورُوِيَ أنَّ رجلاً تزوَّجَ علىٰ عهدِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ وكانَ قدْ خضبَ ، فنصلَ خضابُهُ ، فاستعدىٰ عليهِ أهلُ المرأةِ إلىٰ عمرَ وقالوا : حسبناهُ شابّاً ، فأوجعَهُ عمرُ ضرباً وقالَ : غررتَ القومَ(٢) .

ورُوِيَ أنَّ بلالاً وصهيباً أتيا أهلَ بيتٍ مِنَ العربِ ، فخطبا إليهِمْ ، فقيلَ لهما : مَنْ أنتُما ؟ فقالَ بلالٌ : أنا بلالٌ ، وهـٰذا أخي صهيبٌ ، كنَّا ضالينِ فهدانا اللهُ ، وكنَّا مملوكينِ فأعتقَنا اللهُ ، وكنَّا عائلينِ فأغنانا اللهُ ، فإنْ تزوِّجونا . . فالحمدُ للهِ ، وإنْ تردُّونا . . فسبحانَ اللهِ ، فقالوا : بل تُزوَّجانِ والحمدُ للهِ ، فقالَ صهيبٌ لبلالٍ : لوْ ذكرتَ مشاهدَنا وسوابقَنا معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ! فقالَ : اسكتْ ، فقدْ صدقتُ فأنكحَكَ الصدقُ(٣) .

والغرورُ يقعُ في الجمالِ والخُلُقِ جميعاً ، فيُستحبُّ إزالةُ الغرورِ في

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٥٠) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٤٨) .

(٣) بنحوه رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢/ ٤٥٨) .

الجمالِ بالنظرِ ، وفي الخُلُقِ بالوصفِ والاستيصافِ ، فينبغي أنْ يقدِّمَ ذلكَ على النكاحِ ، ولا يستوصفُ في أخلاقِها وجمالِها إلا مَنْ هوَ بصيرٌ صادقٌ ، خبيرٌ بالظاهرِ والباطنِ ، ولا يميلُ إليها فيفرطَ في الثناءِ ، ولا يحسدُها فيقصِّرَ ؛ فالطباعُ مائلةٌ في مبادي النكاحِ ووصف المنكوحاتِ إلى الإفراطِ والتفريطِ ، وقَلَّ مَنْ يصدقُ فيهِ ويقتصدُ ، بلِ الخداعُ والإغراءُ أغلبُ ، والاحتياطُ فيهِ مهمٌّ لمَنْ يخشىٰ علىٰ نفسِهِ التشوُّفَ إلىٰ غيرِ زوجتِهِ .

فأمَّا مَنْ أرادَ مِنَ الزوجيَّةِ مجرَّدَ السنَّةِ ، أوِ الولدِ ، أوْ تدبيرِ المنزلِ . . فلو رغبَ عنِ الجمالِ فهوَ إلى الزهدِ أقربُ ؛ لأنَّهُ على الجملةِ بابٌ مِنَ الدنيا وإنْ كانَ قدْ يعينُ على الدينِ في حقِّ بعضِ الأشخاصِ .

قالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ : (الزهدُ في كلِّ شيءٍ حتَّىٰ في المرأةِ ، يتزوَّجُ الرجلُ العجوزَ ؛ إيثاراً للزهدِ في الدنيا)⁽¹⁾ .

وقدْ كانَ مالكُ بنُ دينارٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (يتركُ أحدُكُمْ أنْ يتزوَّجَ يتيمةً فقيرةً فيؤجرَ فيها ؛ إنْ أطعمَها وكساها . . تكونُ خفيفةَ المؤنةِ ، ترضىٰ باليسيرِ ، ويتزوَّجُ بنتَ فلانٍ وفلانٍ ـ يعني : أبناءَ الدنيا ـ فتشتهي عليهِ الشهواتِ ، وتقولُ : اكسُني كذا وكذا !!)⁽²⁾ .

واختارَ أحمدُ ابنُ حنبلٍ عوراءَ علىٰ أختِها ، وكانتْ أختُها جميلةً ،

---

(1) قوت القلوب (٢/ ٢٤٩) .

(2) قوت القلوب (٢/ ٢٥٠) ، وبنحوه رواه أحمد في « الزهد » (١٨٧٥) .

فسألَ : مَنْ أعقلُهُما ؟ فقيلَ : العوراءُ ، فقالَ : زوِّجوني إيَّاها[١] . فهٰذا دأبُ مَنْ لـمْ يقصدِ التمتُّعَ .

فأمَّا مَنْ لا يأمنُ علىٰ دينِهِ ما لـمْ يكنْ لهُ مستمتعٌ . . فليطلبِ الجمالَ ، فالتلذُّذُ بالمباحِ حصنٌ للدينِ ، وقدْ قيلَ : إذا كانتِ المرأةُ حسناءَ ، خيرةَ الأخلاقِ ، سوداءَ الحدقةِ والشعرِ ، كبيرةَ العينِ ، بيضاءَ اللونِ ، محبَّةً لزوجِها ، قاصرةَ الطرفِ عليهِ . . فهيَ علىٰ صورةِ الحورِ العينِ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ وصفَ نساءَ أهلِ الجنةِ بهٰذهِ الصفةِ في قولِهِ : ﴿ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾ أرادَ بالخيراتِ : حسناتِ الأخلاقِ ، وفي قولِهِ : ﴿ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ ، وفي قولِهِ : ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ فالعروبُ : هيَ العاشقةُ لزوجِها المشتهيةُ للوقاعِ ، وبهِ تتمُّ اللذةُ ، والحورُ : البيضُ ، والحوراءُ : شديدةُ بياضِ العينِ شديدةُ سوادِها في سوادِ الشعرِ ، والعيناءُ : الواسعةُ العينِ[٢] .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « خيرُ نسائِكُمُ التي إذا نظرَ إليها زوجُها . . سرَّتْهُ ، وإذا أمرَها . . أطاعتْهُ ، وإذا غابَ عنها . . حفظتْهُ في نفسِها ومالِهِ »[٣] ، وإنَّما يسرُّ بالنظرِ إليها إذا كانتْ محبَّةً للزوجِ .

* * *

---

(١) كذا في « القوت » (٢/ ٢٥٠) ، وقد روى الخبر ابن الجوزي في « مناقب أحمد » (ص٣٧٤) ، وكانت هٰذه المرأة التي تزوجها ـ وهي ريحانة أم عبد الله ـ بعين واحدة ، وروىٰ بعده خبراً فيه : (مكثنا عشرين سنة ما اختلفنا في كلمة) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٤٤) .

(٣) رواه أبو داوود (١٦٦٤) ، والنسائي (٦/ ٦٨) ، وابن ماجه (١٨٥٧) بنحوه .

الرابعةُ : أنْ تكونَ خفيفةَ المهرِ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « خيرُ النساءِ أحسنُهُنَّ وجوهاً وأرخصُهُنَّ مهوراً »[1] .

وقد نُهِيَ عنِ المغالاةِ في المهرِ[2] ، تزوَّجَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بعضَ نسائِهِ علىٰ عشرةِ دراهمَ وأثاثِ بيتٍ ، وكانَ رحىٰ يدٍ وجرَّةً ووسادةً مِنْ أدَمٍ حشوُها ليفٌ[3] ، وأولمَ علىٰ بعضِ نسائِهِ بمُدَّينِ مِنْ شعيرٍ[4] ،

---

(١) رواه ابن عدي في « الكامل » (٢/ ٣٦٤) ، والشهاب في « مسنده » (١١٤٦) بلفظ : « خير نساء أمتي أصبحهن وجوهًا وأقلهن مهوراً » ، وروى النسائي في « الكبرىٰ » (٩٢٢٩) من حديث عائشة رضي الله عنها : « أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة » ، ولأحمد في « المسند » (٦/ ٧٧) : « من يُمْن المرأة تيسير خطبتها ، وتيسير صداقها ، وتيسير رحمها » أي : الولادة .

(٢) روىٰ أبو داوود (٢١٠٦) ، والترمذي (١١١٤) ، وابن ماجه (١٨٨٧) عن عمر رضي الله عنه قال : (لا تغالوا صدقة النساء ؛ فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوىٰ عند الله . . لكان أولاكم بها نبي الله صلى الله عليه وسلم ، ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيئاً من نسائه ، ولا أنكح شيئاً من بناته علىٰ أكثر من ثنتي عشرة أوقية) .

(٣) كذا في « القوت » (٢/ ٢٥٠) ، وروى الطيالسي في « مسنده » (٢٠٢٢) ، والطبراني في « الأوسط » (٤٦٧) واللفظ له ، عن أبي سعيد الخدري : (أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج أم سلمة علىٰ متاع بيت قيمته عشرة دراهم) ، وروىٰ أحمد في « المسند » (٦/ ٣١٣) قوله صلى الله عليه وسلم لأم سلمة : « أما إني لا أنقصك شيئاً مما أعطيت أختك فلانة ؛ رحيين ، وجرتين ، ووسادة من أدم حشوها ليف » ، وفيه أنه صلى الله عليه وسلم تزوج أم سلمة وإحدىٰ نسائه علىٰ ذلك .

(٤) رواه البخاري (٥١٧٢) ، قال الحافظ ابن حجر : (أقرب ما يفسر به أم سلمة) . « فتح الباري » (٩/ ٢٣٩) .

وعلىٰ أخرىٰ بمُدَّينِ مِنْ تمرٍ ومُدَّينِ مِنْ سويقٍ⁽¹⁾ .

وكانَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ ينهىٰ عنِ المغالاةِ ويقولُ : (ما تزوَّجَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ولا زوَّجَ بناتِهِ بأكثرَ مِنْ أربعِ مئةِ درهمٍ ، ولوْ كانتِ المغالاةُ بمهورِ النساءِ مكرمةً .. لسبقَ إليها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)⁽²⁾ .

وقدْ تزوَّجَ بعضُ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ نواةٍ مِنْ ذهبٍ ، يُقالُ : قيمتُها خمسةُ دراهمَ⁽³⁾ .

وزوَّجَ سعيدُ بنُ المسيَّبِ ابنتَهُ مِنْ أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُما علىٰ درهمينِ ، ثمَّ حملَها هوَ إليهِ ليلاً ، فأدخلَها هوَ مِنَ البابِ ، ثمَّ انصرفَ ، ثمَّ جاءَها بعدَ سبعةِ أيامٍ يسلِّمُ عليها⁽⁴⁾ .

---

(١) رواه أبو داوود (٣٧٤٤) ، والترمذي (١٠٩٥) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٦٥٦٦) ، وابن ماجه (١٩٠٩) ، وهي السيدة صفية رضي الله عنها ، وليس في الحديث التقييد بالمدين فيهما .

(٢) تقدم قريباً في النهي عن المغالاة في المهور .

(٣) وهو عبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنه ، رواه البخاري (٢٠٤٨) ، ومسلم (١٤٢٧) ، وقال له صلى الله عليه وسلم : « أولم ولو بشاة » كما سيأتي قريباً .

(٤) حلية الأولياء (٢/١٦٧) ، والخبر فيه هو تزويج سعيد ابنته لابن أبي وداعة ، وسعيد كان صهراً لأبي هريرة رضي الله عنه ، وكان قد خطب ابنةَ سعيد عبدُ الملك لولده الوليد ، فأبىٰ وزوجها ابن أبي وداعة .

ولوْ تزوَّجَ علىٰ عشرةِ دراهمَ للخروجِ عنْ خلافِ العلماءِ . . فلا بأسَ بهِ[1] .

وفي الخبرِ : « مِنْ بركةِ المرأةِ سرعةُ تزويجِها ، وسرعةُ رحمِها ـ أي : الولادةِ ـ ويسْرُ مهرِها »[2] .

وقالَ أيضاً عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « أبركُهُنَّ أقلُّهُنَّ مهراً » .

وكما تُكرهُ المغالاةُ في المهرِ مِنْ جهةِ المرأةِ فيُكرَهُ السؤالُ عنْ مالِها مِنْ جهةِ الرجلِ ، فلا ينبغي أنْ ينكحَ طمعاً في المالِ ، قالَ الثوريُّ : (إذا تزوَّجَ وقالَ : أيُّ شيءٍ للمرأةِ . . فاعلمْ أنَّهُ لصٌّ)[3] .

وإذا أهدىٰ إليهِمْ شيئاً . . فلا ينبغي أنْ يهديَ ليضطرَّهُمْ إلى المقابلةِ بأكثرَ منهُ ، وكذلكَ إذا أهدَوا إليهِ ، فنيَّةُ طلبِ الزيادةِ نيَّةٌ فاسدةٌ ، فأمَّا التهادي . . فمستحبٌّ ، وهوَ سببُ المودَّةِ ، قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « تهادوا تحابُّوا »[4] ، وأمَّا طلبُ الزيادةِ . . فداخلٌ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ أيْ : تعطي لتطلبَ أكثرَ ، وتحتَ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ، فإنَّ الربا هوَ الزيادةُ ، وهـٰذا طلبُ

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٥٠) .

(٢) كذا في « القوت » (٢/ ٢٥٠) ، ورواه أحمد في « المسند » (٦/ ٧٧) .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢٥٠) .

(٤) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٥٩٤) .

زيادةٍ على الجملةِ وإنْ لمْ يكنْ في الأموالِ الربويَّةِ ، فكلُّ ذلكَ مكروهٌ وبدعةٌ في النكاحِ ، يشبهُ التجارةَ والقمارَ ، ويفسدُ مقاصدَ النكاحِ .

* * *

الخامسةُ : أنْ تكونَ المرأةُ ولوداً : فإنْ عُرفتْ بالعُقْرِ .. فليمتنعْ مِنْ تزوُّجها ، قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « عليكُمْ بالولودِ الودودِ »(١) ، وإنْ لمْ يكنْ لها زوجٌ ولمْ يعرفْ حالُها .. فيراعي صحَّتَها وشبابَها ؛ فإنَّها تكونُ ولوداً في الغالبِ معَ هـٰذينِ الوصفينِ .

* * *

السادسةُ : أنْ تكونَ بكراً : قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لجابرٍ وقدْ نكحَ ثيباً : « هلاَّ بكراً تلاعبُها وتلاعبُكَ »(٢) .

وفي البكارةِ ثلاثُ فوائدَ :

أحدُها : أنْ تحبَّ الزوجَ وتألفَهُ ، فيؤثِّرَ في معنى الوُدِّ ، وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « عليكُمْ بالودودِ » ، والطباعُ مجبولةٌ على الأنسِ بأوَّلِ مألوفٍ ، وأمَّا التي اختبرتِ الرجالَ ومارستِ الأحوالَ .. فربَّما لا ترضىٰ بعضَ الأوصافِ التي تخالفُ ما ألفَتْهُ ، فتَقْلِي الزوجَ .

---

(١) رواه أبو داوود (٢٠٥٠) ، والنسائي (٦/ ٦٥) ، قال الحافظ العراقي في « طرح التثريب » (٧/ ١١) : (ليس المراد بالولود كثرة الأولاد ، وإنما المراد مَن هي في مظنَّة الولادة ، وهي الشابة دون العجوز التي انقطع حبلها) .

(٢) رواه البخاري (٢٠٩٧) ، ومسلم (٧١٥) .

الثانيةُ : أنَّ ذلكَ أكملُ في مودَّتِهِ لها ؛ فإنَّ الطبعَ ينفرُ عنِ التي مسَّها غيرُ الزوجِ نفرةً ما ، وذلكَ يثقلُ على الطبعِ مهما تذكَّرَهُ ، وبعضُ الطباعِ في هـٰذا أشدُّ نفوراً .

الثالثةُ : أنَّها لا تحنُّ إلى الزوجِ الأوَّلِ ، وآكدُ الحبِّ ما يقعُ معَ الحبيبِ الأوَّلِ غالباً .

* * *

السابعةُ : أنْ تكونَ نسيبةً : أعني : أنْ تكونَ مِنْ أهلِ بيتِ الدينِ والصلاحِ ؛ فإنَّها ستربِّي بناتِها وبنيها ، فإذا لمْ تكنْ مؤدبةً . . لمْ تحسنِ التأديبَ والتربيةَ ؛ ولذلكَ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إيَّاكُمْ وخضراءَ الدِّمَنِ » ، فقيلَ : ما خضراءُ الدمنِ ؟ قالَ : « المرأةُ الحسناءُ في المنبتِ السوءِ »(١) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « تخيَّروا لنطفِكُمْ ؛ فإنَّ العرْقَ نزَّاعٌ »(٢) .

* * *

---

(١) رواه الرامهرمزي في « أمثال الحديث » (٨٤) ، والشهاب في « مسنده » (٩٥٧) ، والديلمي في « مسند الفردوس » (١٥٣٧) .

(٢) رواه ابن ماجه (١٩٦٨) بلفظ : « تخيروا لنطفكم ، وأنكحوا الأكفاء ، وأنكحوا إليهم » ، والجملة الثانية من لفظ المصنف رواها الشهاب في « مسنده » (٦٣٨) ، والديلمي في « مسند الفردوس » (١٧٧٤) ولفظه : « وانظر في أي نصاب تضع ولدك ؛ فإن العرق دساس » ، ومعناه في « البخاري » (٥٣٠٥) ، ومسلم (١٥٠٠) : « لعل ابنك هـٰذا نزعَهُ عرق » ، في الرجل الذي ولدت له امرأته ولداً أسود .

الثامنةُ : ألاَّ تكونَ مِنَ القرابةِ القريبةِ : فإنَّ ذلكَ يقلِّلُ الشهوةَ ، قالَ رسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تنكحوا القرابةَ القريبةَ ؛ فإنَّ الولدَ يُخلقُ ضاوياً »(١) أيْ : نحيفاً ، وذلكَ لتأثيرِهِ في تضعيفِ الشهوةِ ، فإنَّ الشهوةَ إنَّما تنبعثُ بقوَّةِ الإحساسِ بالنظرِ واللمسِ ، وإنَّما يقوى الإحساسُ بالأمرِ الغريبِ الجديدِ ، فأمَّا المعهودُ الذي دامَ النظرُ إليهِ مدَّةً . . فإنَّهُ يضعفُ الحسَّ عنْ تمامِ إدراكِهِ والتأثُّرِ بهِ ، فلا تنبعثُ بهِ الشهوةُ .

فهٰذهِ هيَ الخصالُ المرغِّبةُ في النساءِ .

* * *

ويجبُ على الوليِّ أيضاً أنْ يراعيَ خصالَ الزوجِ ، وينظرَ لكريمتِهِ ، فلا يزوِّجُها ممَّنْ ساءَ خُلُقُهُ أوْ خَلْقُهُ ، أوْ ضعفَ دينُهُ ، أوْ قصَّرَ عنِ القيامِ بحقِّها ، أوْ كانَ لا يكافئُها في نسبِها ، قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « النكاحُ رقٌّ ، فلينظرْ أحدُكُمْ أينَ يضعُ كريمتَهُ »(٢) .

والاحتياطُ في حقِّها أهمُّ ؛ لأنَّها رقيقةٌ بالنكاحِ لا مخلصَ لها ، والزوجُ

---

(١) روى الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٢٤٩) عن عمر رضي الله عنه قال : (يا بني السائب ؛ قد أضويتم ، فانكحوا في النزائع) ، **والنزائع** : الغرائب ، وانظر « البدر المنير » (٧/ ٤٩٩) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « العيال » (١١٨) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٧/ ٨٢) موقوفاً علىٰ أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، وقال البيهقي عقبه : (وروي ذلك مرفوعاً ، والموقوف أصح) .

قادرٌ على الطلاقِ بكلِّ حالٍ ، ومهما زوَّجَ ابنتَهُ ظالماً ، أوْ فاسقاً ، أوْ مبتدعاً ، أوْ شاربَ خمرٍ . . فقدْ جنىٰ علىٰ دينِهِ ، وتعرَّضَ لسخطِ اللهِ ؛ لما قطعَ مِنْ حقِّ الرحمِ وسوءِ الاختيارِ .

وقالَ رجلٌ للحسنِ : قدْ خطبَ ابنتي جماعةٌ ، فممَّنْ أزوِّجُها ؟ قالَ : ممَّنْ يتقي اللهَ ، فإنْ أحبَّها . . أكرمَها ، وإنْ أبغضَها . . لمْ يظلمْها(١) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « مَنْ زوَّجَ كريمتَهُ مِنْ فاسقٍ . . فقدْ قطعَ رحمَها »(٢) .

* * *

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « العيال » (١٢٥) .

(٢) رواه ابن عدي في « الكامل » (٢/ ٣٢٢) ، وقد رواه ابن حبان في « الثقات » (٥/ ١٥٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٣١٤) عن الشعبي رحمه الله تعالىٰ .

İkinci Bab

EVLENİRKEN RİÂYET EDİLECEK HUSUSLAR

NİKÂH:

Nikâhın sıhhati ve kadının kocasına helâl olması için, dört rükün ve şart vardır.

Bunlar:

1 - Velînin bulunmadığı takdirde devlet reisinin izin vermesi.[50]

2 - Kızı veren, babası ve dedesinden başkası ise bâliğa olan kadının muvâfakatinin alınması. Kız ve dul olması arasında fark yoktur.

3 - Âdil iki şâhidin bulunması.

4 - İcab ve kabul (yâni erkeğin "aldım", kadının da "vardım" demesidir.)[51] Bu icab ve kabulün muttasıl olması lâzımdır. (Yâni araya başka bir iş ve söz girmemelidir.) Herhangi bir lisan ile olabilir. İki tarafın vekilleri yâhut birinin vekili kadın olamaz. (Bu şart Şâfiî mezhebine göredir. Hanefîlerde kadın doğrudan doğruya, arada erkek bir vekil olmaksızın, nikâh akdi yapabilir.)

---

[50] Hanefi mezhebinde," bâliğa olan bir kadın- ister kız ve ister dul olsun vekile, velîye muhtâç olmadan, dilediği kimse ile evlenebilir.

[51] Hanefi mezhebine göre, şâhidlerin hepsi de kadın olabilir. Ancak iki kadın, bir erkek makamına kaimdir. Böylece mükellef olan kadın ile erkek, iki şahit huzûrunda evlenebilirler.

Nikâhın Âdâbı:

1 - Hıtba, yâni iddet beklemeyen ve başkası, tarafından da istenmeyen bir kadını, velî vâsıtası ile istemektir. Başkası tarafından istenip de sözü katîleşmeyen bir kadını istemekten, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) men etmiştir. Çünkü bu, vicdanî bir hareket değildir.

2 - Nikâhtan evvel, Allah'a hamd ile başlayan, bir hutbe îrad etmek, nikâhı kıyan kız velîsi şöyle der: "Şu adlı kızımı sana zevce olarak verdim, nikâh ettim." Koca veyâ vekîli: "Ben de şu kadar nikâh parası karşılığında evlenmeyi kabul ettim." Tarafların şâhidler huzûrunda böyle demeleri ile nikâh sahîh olur.

Mihir (nikâh parası) az ve miktarı belli olmalıdır.[52]

3 - Nikâh kıymaya başlamadan önce de küçük bir hutbe îrad etmek. Meselâ, erkek tarafı, Allah'a hamd ve Rasûlü'ne salâttan sonra: "Sizlere, kerîmeniz falanı, falana istemek üzere geldim."'der. Kız tarafı da aynı şekilde Allah'a hamd ve Rasûlü'ne salât ve selâmdan sonra: "Hoş geldiniz, memnûniyetle." gibi sözlerle mukabele eder.

4 - Bakire de olsa erkeğin vaziyetini, bâzı hususiyetlerini kadına bildirmek; ileride aralarındaki geçimi kolaylaştırır. Hattâ evlilik hayâtının muntazam gitmesi için erkeğin, alacağı kadına bakması müstehaptır.

5 - Şâhitlerden başka, sâlihlerden bir cemâat bulundurmak.

6 - Evlenmekle, sünneti yerine getirmeye, gözünü nâmahremden korumaya, evlâd yetiştirmeye ve anlattığımız diğer fay-

---

[52] Hanefilere göre, mehir (nikâh parası) anılmasa da nikâh sahihtir. Ancak mihir alınmadığı takdirde, emsâlinin mihri lâzım gelir.

dalara niyet etmek. Bu sâyede ecir de kazanmış olur. Yalnız şehevî hissini tatmîn maksâdıyla evlenirse, o zaman, dünya ile alâkalı bir iş olur ki, bundan mânevî mükâfat beklenemez. Onun için, bunlara niyeti ihmâl etmemelidir. Nice şer'î hükümler var ki, insanın şehevî arzularına da uygun gelir. Bu gibi niyetlerle, hem kendi arzularını tatmîn eder, hem de evlenmesi ibâdet yerine geçer. **Ömer b. Abdülazîz**[53]: "Hak ve hakikat arzuya uygun geldiği vakit, (bizim bal yağ dediğimiz) zubd-ı nirsiyâm (yâni kaymak ve hurma) olur." demiştir. Binâenaleyh, hem dînî, hem de insanî arzuların bir araya gelmesi muhâl değildir.

7 - Şevval ayında evlenmek ve nikâhı mescidde kıymak. Nitekim Hz. Âişe (r.a.): "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ile nikâhım şevval ayında kıyıldı ve yine beni bu ayda evine aldı." [54] demişti.)

---

[53] Emevî halifelerinden âdil ve takvâsı ile meşhur bir zâttı. Hicri 61 târihinde doğmuş, 101 târihinde ölmüştür. Allah rahmet etsin.

[54] Bu hadis Müslim'dedir. Araplar bu ayda evlenmeyi makbul saymazlardı. Bu gibi husûslarda aylar ve günler arasında bir fark olmadığını bildirmek için, bizzât Rasûl-i Ekrem, Hz. Aişe ile bu ayda evlenmiştir ki, bundan daha mesud bir nikâh düşünülemez. Türklerde de bu gibi yanlış görüşe sâhip olanlar vardır. Bâzıları şubat ayında, bâzıları da iki bayram arasında evlenmeyi uygun bulmazlar. Bunlar tamâmen bâtıl inançlardır. Örnek Rasûl-i Ekrem'dir. İş kıvamına gelince ne ayına bakılır ne de gününe. Her yeni ay ve yeni gün bizim için saâdet dolu bir vakittir: faydalanmasını bilmeliyiz. İki bayram arasında nikâh kıyılmaz diye bir şey yoktur. Varsa, bayramın Cuma gününe tesadüf ettiği güne mahsûstur. Hem bayram, hem de Cuma namazı kılınacağı bir günde. Bayramla Cuma arasında zaman dar olduğu için, nikâh merasimi serbestçe yapılamaz. Aslında orada da bir mahzûr yoktur. Sadece Bayram ve Cuma namazlarını terk etmek tehlikesi vardır (Mütercim).

KADIN HAKKINDA RİÂYET EDİLMESİ GEREKEN HUSUSLAR

Bunlar, iki nevidir:

A - Evlenmedeki gâyenin, kadının kendisine helâl olmasıdır.

B - Güzel geçinmekle, saydığımız gâyelerin husûlünü niyet etmektir.

Birinci Nevî

Birinci nevî, kadının erkeğe helâl olması için, nikâha mâni olan hâllerin bulunmamasıdır. Bu mâniler de on dokuzdur:

1 - Başkası ile evli olmak.

2 - İddet içinde olmak. İddet, ister boşanmadan, ister ölümden, ister yanlışlıkla münâsebette bulunmadan ve isterse câriyenin azâd olması bakımından olsun.

3 - Müslüman iken kâfire olmak. (Maazallah irtidat etmek).

4 - Her hangi semavî bir dîne mensup olmayıp, ateşperest olmak. Bunlara mecûsî denir.

5 - Veseniyye[55] veyâ zındıka olan; hiç bir Peygamber ve kitâba inanmayan. İbâha mezhebine inananlar da bunlardandır ki, bunları nikâh etmek câiz değildir. İtikad edicinin küfrüne hükmolunan fâsid bir mezhebe itikad eden kadınları da nikâh etmek câiz değildir.

---

[55] Kendilerinin önceden bir kitâba bağlı olup olmadıkları bilinememektedir. Rasûl-i Ekrem: *"Bunlara, ehl-i kitap muâmelesi yapın, fakat onlardan evlenmeyin."* buyurmuştur. Çünkü şu anda onların ehl-i kitâb olduklarına dâir bir delîl yoktur.

6 - Ehl-i kitâbın, yâni Yahûdî ve Hristiyanların, asıl dinleri bozulup tahrif edildikten veyâ Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) peygamber olarak gönderildikten sonra -bununla beraber, İsrâiloğullarından olmayan- o dînlere intisâb edenler. Bunların da nikâhı haramdır.

7 - Kadının câriye olması ve erkeğin hür kadına gücü yetmesi veyâ evlenmemekle zinâ tehlikesinin bulunmasıdır. Yâni erkek, hür olan bir kadını alabilecek vaziyette ise veyâ evlenmekle zinâya düşmeyecekse, câriye ile evlenemez.

8 - Kendi câriyesi olmak. Mâlik olduğu câriyesini nikâh edemez.

9 - Akrabası olmak. Yâni, ana baba ve onların çocukları, kendi çocukları ve çocuklarının çocukları olmak. Anneler, büyük anneler, çocuklar, çocukların çocukları, kardeşler, kardeşlerin çocukları, hala ve teyzeleri nikâh etmek câiz değildir. Amca, dayı, hala ve teyze çocukları ile evlenmek câizdir.

10 - Süt mahremiyeti bulunmak. Neseb ile haram olan, süt ile de haramdır. Fakat sütkardeşliğinin yerleşmesi için, ilk iki sene içerisinde en az beş kerre kadının memesini sormalıdır.[56]

11 - **Hürmet-i müsâhara** bulunmak. Yâni daha önce alacağı kadının kızını veyâ büyük annesini nikâh etmiş yâhut bunlara mâlik olmuş veyâ bunlara şüphe üzerine (yâni âilesi zannıyla) münâsebette bulunmuş olmak. Nikâhtan sonra bir araya gelmeden akabinde ayrılmak, anneyi haram eder. Fakat kızını haram etmez. Yâni annesini nikâh eder etmez, münâsebette bu-

---

[56] Hanefi mezhebinde, süt emme müddeti, İmâm-ı Ebû Yûsuf ile İmâm-ı Muhammed'e göre iki sene, İmâm-ı Azam'a göre ise 2.5 senedir. Bu müddet zarfında, boğazından aşağı süt geçmek şartıyla, çocuğun bir kere emmesi kâfidir. Bu müddet geçtikten sonra ne kadar emerse emsin, bir şey lâzım gelmez.

lunmadan boşarsa, kızını alabilir. Fakat kızını nikâh etmekle -münâsebette de bulunmasa- boşayacak olursa, annesini alamaz. Alacağı kadını, daha önce baba veyâ oğlunun nikâh etmiş olması da, nikâha mâni hallerdendir.

12 - Nikâhında dört kadın mevcut iken beşinciyi almak. Hattâ boşadığı kadın, talâk-ı ric'î ile iddet beklemekte olsa da yine beşinciyi alamaz. Çünkü o kadın, hükmen nikâhındadır. Ama talâk-ı bâin ile iddet bekliyorsa, o zaman beşinciyi alabilir.[57]

13 - Alacağı kadının kız kardeşi, hâlen nikâhı altında olmak. Teyzesi ve halası da böyledir. Buradaki kaide şöyledir: Biri kadın, diğeri de erkek farz edilse, bunların nikâhı birbirine düşmüyorsa, her ikisini bir nikâh altında toplamak câiz olmaz. Ama birini boşayıp diğerini alabilir.

14 - Daha önce üç talâk ile boşadığı âilesi olmak. Bir kimse üç talâk ile boşadığı âilesini alabilmek için, o kadının sahih bir nikâh ile başka kocaya varıp ondan boşanması lâzımdır.[58]

---

[57] 'Talâk-ı ric'î ile boşanan kadına erkeğin mürâcaat etme hakkı bakidir. Talâk-ı bâin ile boşanan kadına erkeğin mürâcaat etme hakkı yoktur. Ancak kadının muvafakati şarttır.

[58] Burada hüllecilik diye bir şey yoktur. Yâni her nasılsa ailesini üç talâk ile boşayan erkek, kadını başka bir erkeğe nikâh edip, sonra da ondan boşattırıp hemen alması demektir. Rasûl-i Ekrem, bu gibilere -yapana ve yaptırana- lânet etmiştir. Esâsında bu hüküm, böyle bir tertip için vaz edilmiş değildir. Bir adam âilesini usûlüne göre üç talâk ile boşadı mı, artık onunla bir alâkası kalmaz. Şâyet bu kadın, ondan sonra başka bir erkekle evlenir ve ondan da ayrılırsa, o zamân ilk kocasına varabilir. Burada da Şâfiîlere göre yalnız bir nikâh kâfidir. Hanefilere göre ise dühul şarttır. Hattâ Rasûl-i Ekrem, yeni kocasının münâsebetten âciz olduğunu ifâde ile eski kocasına dönmek istediğini söyleyen bir kadına: *"Sen onun, o da senin balcağızından tatmadıkça, ondan boşanıp eski kocana varamazsın."* buyurmuştur. Her iki

15 - Aralarında lanetleşme olmak.[59]

16 - Kadın veyâ erkek hac veyâ ömre için ihrâmda olmak. Nikâh, ihrâmdan çıktıktan sonra sahih olur.[60]

17 - Bâliğa olmadan bikri zâil olmak. Bâliğa olmadan nikâhı sahih değildir.[61]

18 - Yetîme olmak. Babası olmadığı için, bâliğa olmadan evlenemez.

19 - Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in zevcelerinden olmak. Çünkü bunlar, Kur'ân'ın sarahatiyle mü'minlerin anneleridir. Fakat bu zamanda böyle bir şey zâten düşünülemez.

İkinci Nevî
KADINLARDA ARANAN VASIFLAR

Geçimi sağlamak için, kadında aranacak vasıflar sekizdir:

---

taraftan da boşandıkta iddet bekleyecektir. İddet içinde kıyılan nikâh sahih değildir ve böyle bir hülle yaptıranlar da mel'ûndur. (Mütercim)

[59] Bu şöyledir: Erkek kadının zina ettiğini iddiâ eder. Fakat şahid bulamaz; kadın da bunu inkâr ederse, bu vaziyet karsısında hâkim huzûruna çıkarlar. Erkek dört kere "Bu kadın zinâ etti" der ve yemin eder. Beşincide: "Yalan söylüyorsam, Allah'ın lâneti üzerime olsun." der. Buna karşılık kadın da -inkâr ettiğine göre- bunu reddederek, aynı şekilde mukabelede bulunur. Bunun üzerine hâkim, bunları ayırır. Şâfiîlere göre, bunlar bir daha evlenemezler. Hanefîlere göre hâkim, bunları ayırmadıkça, yalnız lânetleşme, evliliklerine mâni değildir. İmâm-ı Azam ve Muhammed'e göre bu ayrılık, talâk-ı bâindir. Erkek: "Ben yalan söylemiştim, tövbekâr oldum." dese yeniden evlenebilirler. İmâm-ı Ebû Yûsuf'a göre de, evlenemezler.

[60] Hanefilere göre, ihrâmda iken nikâh sahihtir. Ancak ihrâmdan çıkıncaya kadar münâsebette bulunamazlar.

[61] Hanefîlerde, dul ile bâkire arasında fark yoktur. Baba, küçük kızını evlendirebilir.

Dîn, ahlâk, güzellik, nikâh parasının azlığı, döl getirmek, bakirelik, asâlet ve yakın akraba olmamak.

1 - Dindâr ve sâliha olmak: Bu, esastır. Buna son derece ehemmiyet vermek lâzımdır. Dînî hisleri nâmus ve iffet bakımından zayıf olursa, kocasına ihânet eder, yüzü karartır, kıskançlığını doğurur, huzûru bozar. Eğer koca nâmus ve effetini korumaya çalışırsa başı derde girer; aldırış etmezse dînine, nâmus ve haysiyetine karşı ihânet etmiş olur. Dînî hislerinin zayıflığı yanında bir de güzel olursa, belâ iki katlı olur. Çünkü güzelliğine bakarak ayrılmak istemez; iffetsizliğine bakarak sağlamak istemez. Böylece felâketten felâkete sürüklenir. Aynen Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e mürâcaat eden şu adam gibi olur. Adam:

يَا رَسُولَ اللّٰهِ، إِنَّ لِيَ امْرَأَةٌ لَا تُرَدُّ يَدَ لَامِسٍ، قَالَ:
طَلِّقْهَا، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا، قَالَ: أَمْسِكْهَا

- "Ya Rasûlallah, âilem gelene yok demez, kimseyi geri çevirmez, ne yapayım? Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Onu boşa!"* buyurur. Adam:

- "Ya Rasûlallah, onu çok seviyorum." der. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"O hâlde sakla."* buyurur.[62]

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in: *"O hâlde sakla."* buyurması, kadının ileride islâh-ı nefs etmesi ve şâyet boşarsa, adamın da tekrar peşine düşerek gayr-ı meşrû münâsebette bulunması korkusuna binâendir.

Dînî hislerinin zayıflığı, isrâf ve başka cihetten ise yine evde huzûr yoktur. Çünkü kadının meşrû olmayan hareketlerine sükût ederse, günâhta ona ortak olur ve Allahu Teâlâ'nın:

---

[62] Ebû Dâvûd, Neseî ve Tirmizî İbn Abbâs'dan (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا

"Kendinizi ve âilenizi ateşten koruyun." (Tahrîm sûresi, 66/6) emrine muhâlefet etmiş olur. Eğer kabul etmez ve düzeltmeye kalkarsa, mücâdele ile ömrü heder olup gider. İşte bunun için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), dindâr olan kadın üzerinde ısrârla durmuş ve şöyle buyurmuştur:

تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِمَالِهَا وَجَمَالِهَا وَحَسَبِهَا وَدِينِهَا فَعَلَيْكَ بِذَاتِ
الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ

"Kadın malı, güzelliği, asaleti ve dindârlığı yüzünden nikâh edilir. Sen dindâr olanı seç ki, elin toprak tutsun."[63]

مَنْ نَكَحَ الْمَرْأَةَ لِمَالِهَا وَجَمَالِهَا، حُرِمَ جَمَالُهَا وَمَالُهَا،
وَمَنْ نَكَحَهَا لِدِينِهَا رَزَقَهُ اللّٰهُ مَالَهَا وَجَمَالَهَا

"Kadını sırf malı ve güzelliği dolayısıyla alan kimse, malından da güzelliğinden de mahrûm olur (hayrını görmez.) *Fakat dindarlığı için kadın ile evlenen kimseye, Allahü Teâlâ malı da güzelliği de nasip eder."*[64] buyurmuştur. Başka bir hadîste de şöyle buyurmuştur:

لَا تَنْكَحِ الْمَرْأَةَ لِجَمَالِهَا فَلَعَلَّ جَمَالَهَا يُرْدِيهَا، وَلَا لِمَالِهَا
فَلَعَلَّ مَالَهَا يُطْغِيهَا، وَانْكَحِ الْمَرْأَةَ لِدِينِهَا

---

[63] Buhârî ile Müslim ve Sünen sahipleri Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[64] Taberânî "Evsât"ında Enes'den (r.a.) rivâyet etmiştir. İbn Hibbân, hadîsi "Zuafâ"da zikretmiştir.

"Kadını güzelliği dolayısıyla alma. Güzelliğin kendisini helâke sürüklemesinden korkulur. (Kadını) *malı yüzünden de alma. Çünkü servetinin kendini azdırmasından korkulur. Ancak dindar olan kadını al."*[65]

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in, dindar kadın ile evlenmeyi teşvik etmesi, efendisine dînî cihetten yardımcı olması bakımındandır. Kadın dindâr olmazsa, efendisini meşgul eder, huzûrunu bozar.

2 - Güzel huy: İkinci derecede kadında aranacak vasıf, güzel ahlâktır. Huzûrun temînî ve dînî vecîbelerin muntazaman ifası için bu da mühimdir. Zîra kadın bed-lisân, kötü huy ve küfrân-ı nîmet sahibi olursa, kârından çok zararı vardır. Velîler, kadınların boş boğazlıklarına sabretmekle denenirler. Araplar, şu kadınlarla evlenmeyi tavsiye etmezler:

a - **Ennâne:** İh ih deyip, mütemâdiyen inleyen, durmadan şikâyet edip, âsâb bozukluğundan başı ağrıyıp duran. Bu gibi, ikide bir hasta olan veyâ hasta görünmek isteyenlerden hayır gelmez.

b - **Mennâne:** Şöyle yaptım, böyle yaptım, demek sûretiyle yaptıklarını sayıp dökerek kocasının başına kakan. Bu da karı koca arasındaki sevgiyi kaldırır.

c - **Hennâne:** Eski kocasında gözü olan veyâ eski kocasından olan çocuklara meyleden. Bu gibi kadın ile de geçim olmaz.

d - **Hadaka:** Her gördüğünü canı çeken ve alınması için kocasını zorlayan kadın.

e - **Beraka:** Bunun iki mânâsı vardır: Birisi, güzel görünmek için bütün gün süslenmekle meşgul olan; diğeri de yemekteyken kavga çıkararak, sofrada yemeyip, yalnız yiyen kadın.

---

[65] İbn Mâce ve Beyhakî Abdullah b. Ömer'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

f - **Şeddâka:** Çok gevezelik eden ve kibar konuşmak için, ağzını eğip büken kadın.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in:

إِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى يُبْغِضُ الثَّرْثَارِينَ الْمُتَشَدِّقِينَ

"Allahu Teâlâ, tekellüfle ağzını eğip bükerek konuşanlara buğzeder."[66] buyurduğu da bundandır.

Hikâye edildiğine göre **Sâihu'l-Ezdî**, bir seyahatinde İlyas aleyhisselâm ile karşılaştı. İlyas aleyhisselâm, ona evlenmeyi tavsiye etti ve "Evlilik, bekârlıktan daha hayırlıdır." dedi. Sonra da: "Şu dört kadınla evlenme: **Muhtelia, Mubâriye, Âhire, Nâşize.**" dedi.

Muhtelia: Her saatbaşı sebepsiz yere boşanmak isteyen kadın.

Mubâriye: Kendisini beğenip, başkalarına karşı üstünlük taslayan kadın.

Âhire: Fâhişe ve hâriçte dost edinen kadın. Bu gibiler hakkında Allahu Teâlâ:

وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ

"Gizli dost edinenlerden de olmasın." (Nisâ sûresi, 4/25) buyurmuştur.

Nâşize: Sözü ve işi ile efendisini üzen, emirlerine itâat etmeyen kadın. Bu kadınları alma.

Hz. Ali (r.a.): "Üç haslet vardır ki, erkekler için kötü, kadınlar için iyidir. Bunlar: Cimrilik, kendisini beğenmek ve korkaklıktır. Kadın, tutumlu olursa kocasının ve kendisinin malını muhâfaza eder. Kendini beğenir ve böbürlenirse artık erkeklerle -şüphe uyandıracak şekilde- ezile büzüle konuşmaz; sert ve katî konuşur. Korkak olursa; tehlikeden korunur ve lüzûmsuz yerlere gitmez." demiştir.

---

[66] Tirmizî Câbir den (r.a.) rivâyet etmiştir.

Böylece, evlenmekte aranılacak vasıfları zikretmiş olduk.

3 - Yüz güzelliği: Bu da ehemmiyetle aranan bir haslettir. Ailesi güzel olanın gözü dışarıda olmaz, ekseriyetle insan tabiatı, çirkini sevmez. Nasıl sevsin? Ekseriyetle yüzü güzel olanın ahlâkı da güzel olur. Biz "Dindâr kadın al, güzele bakma." derken, güzeli alma demiyoruz. Hem dindar hem de güzel olursa çok iyi. Biz "Dîni bozuk olduğu halde güzel olan kadın ile -sırf güzelliği yüzünden- evlenme." demek istedik. Yalnız güzellik, evlenmeyi teşvik eder; fakat dîni ihmâl eder. Güzeli seçmenin ehemmiyetine delâlet eden delîllerden birisi de anlaşmak ve ünsiyette güzelliğin dahlinin büyük olmasıdır. Şerîat, ünsiyet sebeplerine riâyeti güzel kabul etmiş, bu sebepten kişinin alacağı kadını görmesini uygun bulmuştur. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِذَا أَوْقَعَ اللّٰهُ فِي نَفْسِ أَحَدِكُمْ مِنِ امْرَأَةٍ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ
أَحْرٰى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَهُمَا

"Allahu Teâlâ, sizden her hangi birinizin kalbine bir kadın ile evlenmeyi düşürdüğü vakit o kadına baksın. Zira bu sâyede aralarında daha iyi ülfet olur."[67] Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَتَزَوَّجَ
مِنْهُنَّ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهِنَّ

---

[67] İbn Mâce, Muhammed b. Mesleme'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

“Ensâr kadınlarından bâzılarının gözlerinde kusur vardır. Onlardan evleneceğiniz vakit, alacağınız kadına bizzat kendiniz bakın.”[68] Diğer rivâyette: *“Gözlerinde görme azlığı vardır.”* Bir diğer rivâyette de: *“İnce ve küçük gözlü olabilirler. Bunun için alacağınız kadınlara bakın.”* buyurmuştur.

Hattâ verâ sahibi bâzı kimseler aldatmamak için, kızlarını göstermeden vermezlerdi. **A’meş**: “Görmeden evlenmenin sonu elem ve kederdir.” dedi. Muhakkak olan bir şey varsa kadına bakmak; onun ne dindârlığını, ne ahlâkını, ne de servetini bildirir. Ancak güzelliğini bildirir. Demek ki evlenmekte güzellik de aranır.

Rivâyete göre, **Hz. Ömer** (r.a.) zamanında adamın biri saçını sakalını boyadı ve kendisini genç göstermek sûretiyle karşısındakileri aldatarak evlendi. Sonra iş açığa çıkınca kız tarafı, bu adam bizi aldattı diye Hz. Ömer’e şikâyette bulundular. Hz. Ömer, adamı tekdîr etmiş ve dövmüştür. Yine hikâye olunduğuna göre, **Bilâl** ile **Suheyb** (r. anhüma) bir kabîleye giderek evlenmek istemişler. Kabîle, kim olduklarını sormuş, Hz. Bilâl: “Benim adım Bilâl, bu da kardeşliğim Suheyb’tir. Sapık yolda idik. Allahu Teâlâ bizi hidâyete ulaştırdı. Köle idik; âzâd olduk. Yoksul idik; Allah bize servet verdi. Eğer bizi everirseniz “Elhamdülillâh” der, Allah’a hamdederiz; evermezseniz “Sübhanellah” der Allah’ı tesbih eder, çeker gideriz.” dedi. Onlar: “Biz sizi severiz.” deyince, Bilâl ve Suheyb (r.a.) “Elhamdülillâh” dediler. Suheyb, Bilâl’e: “İlk Müslümanlardan olduğumuzu, şöyle şöyle eziyetlere katlandığımızı, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ile savaşlarda bulunduğumuzu da söyleseydik.” deyince Bilâl: “Ses çıkarma (fazlasına lüzûm yoktur), doğru söyledim ve doğruluk sâyesinde evlendik.” dedi.

---

68. Müslim, Ebû Hüreyre’den (r.a.) rivâyet etmiştir.

Aldanmak güzellikte olduğu gibi, ahlâkta da olur. Güzelliği görmekle anlayacağımız gibi, ahlâkı da soruşturmak ve tahkik etmekle öğrenebiliriz. Bütün bunları evlenmeden evvel incelemek müstehabtır. Bunları da emîn ve doğru söyleyen, kadının iç ve dış ahvâlini bilen kimseden soruşturmalıdır. Bu işin olmasını arzu edip, ifrâta varan veyâ kıskançlık hissiyle hakikati söylemeyen kimselerden sormamalıdır. Bu kabîl işlerde tabiatlar, ifrât ve tefrîte kaçar. Doğruyu söyleyenler az bulunur. Hîle ve aldatmalar olur. Bilhassa gözünün dışarıda olmasından korkanlar, bu hususa ehemmiyet vermelidirler. Fakat yalnız sünneti yerine getirmek veyâ ev işlerini gördürmek için evlenenler, güzellik aramazlarsa, bu zâhidliğe daha uygundur. Çünkü her ne kadar güzellik, bâzı kimselere kendilerini, nâmahremden muhafaza gibi dînî bakımdan yardımcı ise de esâsında dünyalıktır.

Ebû Süleymân Dârânî: "Her şeyde hattâ evlenmekte bile zühd aranır. Meselâ, dünyadan yüz çevirdiğine delîl olarak yaşlı kadın ile evlenmek böyledir." demiştir.

Mâlik b. Dînar: "Aza kanâat edip, verdiğinize memnûn olan ve size elinden geldiği kadar hizmet eden öksüz kızlara bakmaz da, şunu bunu isteyen, aza kanâat etmeyen ve falan zâdenin kızı ile evlenmeyi tercih edersiniz." dedi.

Ahmed b. Hanbel, iki kız kardeşten bir gözü bozuk olanı, güzeli üzerine tercih etmiştir. Hangisinin daha akıllı olduğunu sordu. Gözü bozuk olanın daha akıllı olduğunu söylediklerinde, Ahmed: "Öyle ise onu alırım." dedi. İşte bu, yalnız şehevî zevkini düşünmeyenlerin âdetidir. Ama diyâneti üzerinde korkan kimse, kendisini nâmahremden korumak için, güzelliği arasın ve güzeli tercih etsin. Çünkü mubah olanla zevklenmek, onun için bir kal'adır. Denildi ki; kadının huyu güzel, kirpik, kaş ve saçları siyah, gözleri iri, rengi kırmızı ile karışık beyâz, kocasına bağlı olup, gözü de dışarda değilse işte o, cennet hûrisi gibidir. Çünkü Allahu Teâlâ hûrileri böyle tavsîf etmiştir:

خَيْرَاتٌ حِسَانٌ

“Ahlâkları güzel.” (Rahmân sûresi, 55/70)

قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ

“Yalnız kocalarına bakarlar.” (Rahmân sûresi, 55/56)

عُرُبًا أَتْرَابًا

“Kocalarına âşık, dâima bakiredirler.” (Vâkıa sûresi, 56/36) buyurulmuştur. Hûr, gözünün akı son derece ak; karası da son derece siyah ve geniş gözlü demektir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz:

خَيْرُ نِسَائِكُمْ مَنْ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا زَوْجُهَا سَرَّتْهُ، وَإِذَا أَمَرَهَا
أَطَاعَتْهُ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ

“Kadınlarınızın hayırlısı, kocası yüzüne baktığı zaman onu sevindiren, emrettiği vakit itâat eden, ayrıldığı vakit malını ve iffetini koruyandır.”[69] buyurmuştur. Kadına bakmakla, kocasının sevinmesi, kadının kocasını sevmesine bağlıdır.

4 - Nikâh parasının az olması: Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

خَيْرُ النِّسَاءِ أَحْسَنُهُنَّ وُجُوهًا وَأَرْخَصُهُنَّ مُهُورًا

“Kadınların hayırlısı, yüzü güzel ve nikâh parası (mehri) *az ola-*

---

[69] Neseî, Ebû Hüreyre’den, (r.a.) Ebû Dâvûd, İbn Abbâs’dan (r.a.) sahîh senedlerle rivâyet etmişlerdir.

nıdır."[70] buyurmuştur. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), nikâh parasını çok fazla istemekten men etmiştir. Bizzât kendisi, zevcelerinden bazılarını 10 dirhem mehir ve lüzûmlu ev eşyaları ile almıştır. Bunlar, el değirmeni, ibrik, içi lif dolu deri döşek gibi şeylerdir. **Hz. Ali** (r.a.) âilelerinden birine nikâh parası olarak iki mudd arpa, diğerine iki mudd hurma, bir diğerine de iki mudd kavut vermiştir.

Hz. Ömer (r.a.) de nikâh parası vermediği gibi, kızlarını dörtyüz dirhem nikâh parasından fazlaya vermediğini söylemiştir.

Eğer kadınlar için fazla mehir bir şeref olsaydı, Rasûl-i Ekrem, bu hususta ön safta gelirdi. Ashâbından bâzıları, bir çekirdek karşılığında ve beş dirhem değerinde altın ile evlenmişlerdir. Saîd ibn Müseyyeb, kızını Ebû Hüreyre (r.a.)'a iki dirhem nikâh parası ile vermişti. Bizzât kendisi gece vakti kızını Ebû Hüreyre'nin evine götürmüş ve kapıdan içeri bırakarak geri dönmüştür. Yedi gün sonra da yanlarına giderek onları selâmlamıştır. Ulemânın bu husustaki ihtilâfından kurtulmak için on dirhem mehir alsa da beis yoktur. Haberde:

مِنْ بَرَكَةِ الْمَرْأَةِ سُرْعَةُ تَزْوِيجِهَا، وَسُرْعَةُ رَحِمِهَا، أَيِ الْوَلَادَةُ

"Tez evlenmek, tez doğurmak ve nikâh parası az olmak, kadının bereketindendir."[71] diye vârid olmuştur. Kadının, nikâh parasını fazla istemesi mekruh olduğu gibi, erkeğin de kadından mal istemesi mekruhtur. Kadının malına tamâ ederek evlenmek de mekruhtur.

Süfyan-ı Sevrî: "Bir erkek, alacağı kadının servetinden neyi olup olmadığını sorarsa, o bir eşkiyâ ve bir canavardır." demiştir.

---

[70] İbn Hibban, İbn Abbâs'dan (r.a.) rivâyet etmiştir.

[71] İmâm Ahmed ve Beyhakî, Hz. Aişe'den isnâd-ı ceyyid ile rivâyet etmişlerdir.

Onlara hediye yapıldığı vakit, fazlasıyla mukabelede bulunmaya onu mecbûr etmek doğru değildir. Karşılıklı hediyelerde verdiğinden fazlasını beklemek, fâsid bir niyettir. Böyle fâsid niyet olmadan karşılıklı hediye müstehaptır. Çünkü samîmiyetin artmasına vesiledir. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

تَهَادُوا تَحَابُّوا

"Karşılıklı hediyeleşin, sevişirsiniz."[72] buyurmuştur. Fakat bir verip iki beklemek yasaktır. Böyle yapanlar Kur'ân-ı Kerîm'deki:

وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ

"Fazlasını umarak verme." (Müddessir sûresi, 74/6)**,**

وَمَا اٰتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ

"Artırmak maksadı ile insanlara verdiğiniz malın bereketi olmaz." (Rûm sûresi, 30/39) âyetlerinin vaîdine girmiş olurlar. Bütün bunlar, evlenmede mekruh olan şeylerdir. Bunlar, evlenmeyi gâyesinden uzaklaştırarak ticaret ve kumara benzetirler.

5 - Kadın, döl getiren cinsten olmalıdır: Kısırlığı bilinen kadına yanaşmamalıdır. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

عَلَيْكُمْ بِالْوَلُودِ الْوَدُودِ

"Sevimli ve döl getiren kadınlarla evlenin." buyurmuştur. Şâyet bu husustaki vaziyeti malûm değilse, gençliğine ve sıhhatine bakmalıdır. Bu iki vasfa sâhip olanların çoğu çocuk doğurur.

---

[72] Buhârî "Kitâbü'l-Edeb"de, Beyhakî Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir. Senedi ceyyiddir.

6 - Bakireyi tercih etmek: Nitekim dul kadın ile evlenen Câbir (r.a.) e, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz:

هَلَّا بِكْرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ

"Bâkire alsaydın o yalnız seni bilir, sen de onu bilirdin, beraber oynaşırdınız."[73] buyurmuştur.

Bâkire almanın faydaları:

Bakire ile evlenmekte üç fayda vardır:

Birincisi; Bâkire kadın yalnız bir kocayı bilir ve onunla ülfet eder, karşılıklı sevgi sağlar. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

عَلَيْكُمْ بِالْوَدُودِ

"Sevimli kadın al." buyurmuştur. İnsan tabiatı, ilk karşılaştığını bilir ve onunla ülfet eder. Daha evvel başka erkekle münâsebet kuran kadın, yeni kocasının bâzı hûylarını ve hâllerini beğenmeyebilir ve bu sûretle ona gereği gibi ısınamaz.

İkincisi; Erkek de bâkireyi daha çok sever. Çünkü erkek tabîâti, daha evvel el sürülmüş olan kadına karşı nefret duyar. Bu nefret bâzı erkeklerde daha da fazladır.

Üçüncüsü; Dul kadın, dâima eski kocasını hatırlar. Çünkü sevgi, ilk sevgidir. Bu ise huzûrsuzluğa vesîle olur.

7 - Soylu olmak: Nikâh edilecek kadın dindar, iffetli ve şeref sahibi bir âilenin kızı olmalı ve böyle bir terbiye almış bulunmalıdır. Yarın doğacak çocukları terbiye edecek olan odur. Edeb ve terbiyeden nasibini almayan, çocuklarını güzelce terbiye edemez. Bunun için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

[73] Buhârî ile Müslim, Câbir'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ

“Çöplükte biten gülden kaçının.” buyurdu. Bunun ne olduğunu soranlara, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اَلْمَرْأَةُ الحَسْنَاءُ فِي الْمَنْبَتِ السُّوءِ

“Kötü bir aileden doğan güzel kız.”[74] diye cevap verdiler. Diğer bir hadîste:

تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ فَإِنَّ الْعِرْقَ نَزَّاعٌ

“Nutfenizi temiz kaba koyun. Çünkü kan (anaya da) *çeker.”*[75] buyurmuştur.

8 - Çok yakın akrabadan olmamak: Kadın, çok yakın akrabadan olarsa şehveti azaltır. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَا تَنْكِحُوا الْقَرَابَةَ الْقَرِيبَةَ فَإِنَّ الْوَلَدَ يُخْلَقُ صَاوِيًا

- *“Yakın akrabadan evlenmeyin. Zîra çocuk cılız olur.”*[76] buyurmuştur. Yakınlık, şehvete tesîr eder. Şehvet bakma ve elleme hissiyle çoğalır. Bu da hoşa giden ve yeni karşılaşılan şeylerde daha kuvvetlidir. ötedenberi görüp geldiği bir kadına karşı bu hissi zayıflar ve şehvet uyanmaz hâle gelir.

İşte alacağı kadında arayacağı güzel vasıf ve hasletler bunlardır.

---

[74] Dârekutnî **“El-İfrâd”**da, Ebû Saîd el-Hudrî’den (r.a.) rivâyet etmiştir.

[75] İbn Mâce Aişe’den (r.a.) rivâyet etti. Fakat orada “kan” ifâdesi yoktur. Mansûr ed-Deylemî **“Müsned-i Firdevs”**inde Enes’den (r.a.) rivâyet etmiştir.

[76] İbrahim el-Harbî.

Kadında böyle olduğu gibi, erkekte de aranacak vasıf ve hasletler vardır. Bunun için velîye düşen vazife, kızını vereceği adamın ahlâkını araştırmaktır. Kılık ve kıyâfeti, ahlâkı, dîni bozuk olup, âile hukûkuna riâyet edemeyen veyâ emsâli olmayan bir erkeğe kızını vermemelidir. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اَلنِّكَاحُ رِقٌّ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ أَيْنَ يَضَعُ كَرِيمَتَهُ

"Nikâh, bir nevi câriyeliktir. Kişi, kızını kime teslîm ettiğine bakmalıdır."[77] buyurmuştur. Kız hakkında uyanık olmak ve tedbîrli hareket etmek daha mühimdir. Çünkü tamamen erkeğin emrine teslim ediliyor. Erkek ise dilediği anda kadını boşayabilir. Zâlim, fâsık, bid'ât sahibi, içkici ve kumarcı bir kimseye kızını veren, kızına hıyânet ve dînine ihânet ettiği ve mahremlik hakkını yerine getirmediği için, Allah'ın gazabına uğrar.

Adamın biri **Hasan-ı Basrî**'ye: "Kızımı isteyenler çok, hangisine vereceğimi bilemiyorum." deyince Hasan-ı Basrî: "Allah'tan korkana ver; severse iyi, sevmezse, Allah'tan korktuğu için ona zulmetmez." demiştir.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz:

مَنْ زَوَّجَ كَرِيمَتَهُ مِنْ فَاسِقٍ فَقَدْ قَطَعَ رَحِمَهَا

"Kızını fâsık kimseye veren, onunla ilgisini kesmiş (ve onu ateşe atmış)*tır."*[78] buyurmuştur.

---

[77] Ebû Ömer et-Tevkanî **"Muâşeretü'l-Ehleyn"** adlı kitâbında mevkûf olarak Hz. Aişe ve Enes'den rivâyet etmiştir. Beyhâki, merfû olarak rivâyet edildiğini de söyledi. Fakat mevkuf olması daha doğrudur.

[78] İbn Hibbân **"Züafâ"**da Enes'den; (r.a.) **"Sikât"**ta da sahih sened ile Şa'bî'den rivâyet etmiştir.

البَابُ الثَّالِثُ

في آداب المعاشرة وما يجري في دوام النّكاح والنّظر فيما على الزّوج وفيما على الزّوجة

القسم الأوّل : بيان ما على الزّوج[1]

أمَّا الزوجُ . . فعليهِ مراعاةُ الاعتدالِ والأدبِ في اثني عشرَ أمراً : في الوليمةِ، والمعاشرةِ، والدعابةِ، والسياسةِ ، والغيرةِ ، والنفقةِ ، والتعليمِ ، والقسمِ ، والتأديبِ بالنشوزِ ، والوقاعِ ، والولادةِ ، والمفارقةِ بالطلاقِ .

* * *

الأدبُ الأوَّلُ : الوليمةُ :

وهيَ مستحبَّةٌ ، قالَ أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ : رأىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ عوفٍ رضيَ اللهُ عنهُ أثرَ صفرةٍ فقالَ : « ما هـٰذا ؟ » فقالَ : تزوجتُ امرأةً علىٰ وزنِ نواةٍ منْ ذهبٍ ، فقالَ : « باركَ اللهُ لكَ ، أولمْ ولوْ بشاةٍ »[2] .

---

[1] العنوان زيادة من اللجنة العلمية .

[2] رواه البخاري (٢٠٤٨) ، ومسلم (١٤٢٧) .

وأولمَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ صفيَّةَ بسويقٍ وتمرٍ(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « طعامُ أوَّلِ يومٍ حقٌّ ، وطعامُ الثاني سنَّةٌ ، وطعامُ الثالثِ سمعةٌ ، ومَنْ سَمَّعَ . . سَمَّعَ اللهُ بهِ » ، ولمْ يرفعْهُ إلا زيادُ بنُ عبدِ اللهِ ، وهوَ غريبٌ(٢) .

وتُستحبُّ التهنئةُ ، فيقولُ مَنْ دخلَ على الزوجِ : (باركَ اللهُ لكَ ، وباركَ عليكَ ، وجمعَ بينَكُما في خيرٍ) ، وروىٰ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ أمرَ بذلكَ(٣) .

ويُستحبُّ إظهارُ النكاحِ ، قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « فصْلُ ما بينَ الحلالِ والحرامِ الدفُّ والصوتُ »(٤) .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أعلنوا هـٰذا النكاحَ ، واجعلوهُ في المساجدِ ، واضربوا عليهِ بالدفوفِ »(٥) .

وعنِ الرُّبيِّعِ بنتِ معوِّذٍ قالتْ : جاءَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ،

---

(١) روى الخبر أبو داوود (٣٧٤٤) ، والترمذي (١٠٩٥) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٦٥٦٦) ، وابن ماجه (١٩٠٩) .

(٢) رواه الترمذي (١٠٩٧) ، وهـٰذا القول له عقبه .

(٣) رواه أبو داوود (٢١٣٠) ، والترمذي (١٠٩١) ، وابن ماجه (١٩٠٥) .

(٤) رواه الترمذي (١٠٨٨) ، والنسائي (٦/ ١٢٧) ، وابن ماجه (١٨٩٦) .

(٥) رواه الترمذي (١٠٨٩) .

فدخلَ عليَّ غداةَ بُنِيَ بي ، فجلسَ علىٰ فراشي وجويرياتٌ لنا يضربنَ بدُفِّهِنَّ ويندُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبائي ، إلىٰ أنْ قالَت إحداهُنَّ : وَفِينا نَبِيٌّ يَعْلَمُ ما فِي غَدٍ ، فقالَ لها : « اسكتي عنْ هـٰذهِ ، وقولِي ما كنتِ تقولينَ قبلَها »(١) .

* * *

الأدبُ الثاني : حسْنُ الخُلُقِ معَهنَّ ، واحتمالُ الأذىٰ منهُنَّ :

ترحُّماً عليهنَّ لقصورِ عقلِهنَّ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ .

وقالَ تعالىٰ في تعظيمِ حقِّهِنَّ : ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ .

وقالَ : ﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾ قيلَ : هيَ المرأةُ(٢) .

وآخرُ ما أوصىٰ بهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ثلاثٌ ، كانَ يتكلَّمُ بهنَّ حتَّىٰ تلجلجَ لسانُهُ ، وخفيَ كلامُهُ ، جعلَ يقولُ : « الصلاةَ الصلاةَ وما ملكتْ أيمانُكُمْ ، لا تكلفوهُمْ ما لا يطيقونَ ، اللهَ اللهَ في النساءِ ، فإنَّهُنَّ عوانٍ في أيديكُمْ ـ يعني : أسراءَ ـ أخذتموهُنَّ بعهدِ اللهِ ، واستحللتُمْ فروجَهُنَّ بكلمةِ اللهِ »(٣) .

---

(١) رواه البخاري (٤٠٠١) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (٤/ ٥/ ١١١) عن علي وعبد الله رضي الله عنهما ، والقول الأول : رفيق السفر .

(٣) كذا في « القوت » (٢/ ٢٥٤) ، أما وصيته صلى الله عليه وسلم بالصلاة والأرقاء عند =

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « مَنْ صبرَ علىٰ سوءِ خلقِ امرأتِهِ . . أعطاهُ اللهُ مِنَ الأجرِ مثلَ ما أعطىٰ أيُّوبَ علىٰ بلائِهِ ، ومَنْ صبرَتْ علىٰ سوءِ خُلُقِ زوجِها . . أعطاها اللهُ عزَّ وجلَّ مثلَ ثوابِ آسِيَةَ امرأةِ فرعونَ »(١) .

واعلمْ : أنَّهُ ليسَ حُسْنُ الخلقِ معها كفَّ الأذىٰ عنها ، بلِ احتمالُ الأذىٰ منها ، والحلمُ عندَ طيشِها وغضبِها ؛ اقتداءً برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقدْ كانَ أزواجُهُ يراجعْنَهُ الكلامَ ، وتهجرُهُ الواحدةُ منهُنَّ يوماً إلى الليلِ(٢) .

وراجعتِ امرأةُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ عمرَ في الكلامِ ، فقالَ : أوَتراجعيني يا لكعاءُ ؟! فقالتْ : إنَّ أزواجَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يراجعْنَهُ وهوَ خيرٌ منكَ ، فقالَ عُمرُ : خابَتْ حفصةُ وخسرَتْ إنْ راجعَتْهُ ، ثمَّ قالَ لحفصةَ : لا تغتري بابنةِ ابنِ أبي قحافةَ ، فإنَّها حِبُّ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وخوَّفَها مِنَ المراجعةِ(٣) .

= موته . . فقد رواها النسائي في « الكبرىٰ » (٧٠٦٠) ، وابن ماجه (١٦٢٥) ، وقد جمع بين هٰذه الوصية مع الوصية بالنساء الديلمي في « مسند الفردوس » (٣٧٩٤) مختصراً ، وأما الوصية بهن . . فرواها مسلم (١٢١٨) وكان ذلك في حجة الوداع .

(١) رواه الحارث كما في « زوائده » (٣١٦/١) ضمن خطبة طويلة . انظر « اللآلىء المصنوعة » (٢/ ٣٦١ـ٣٧٣) .

(٢) رواه البخاري (٢٤٦٨) ، ومسلم (١٤٧٩) .

(٣) هو في الحديث المتفق عليه السابق ، وليس فيه : (يا لكعاء) ولا (هو خير منك) ، وفيه قول عمر رضي الله عنه : (وكنا معشر قريش نغلبُ النساء ، فلما قدمنا على =

ورُوِيَ أنَّهُ دفعَتْ إحداهُنَّ في صدرِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فزبرَتْها أمُّها ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « دعيها ، فإنَّهُنَّ يصنعْنَ أكثرَ مِنْ ذلكَ »⁽¹⁾ .

وجرىٰ بينَهُ وبينَ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها كلامٌ ، حتَّىٰ أدخلاَ بينَهُما أبَا بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ حكماً واستشهدَهُ ، فقالَ لها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « تكلَّمينَ أوْ أتكلَّمُ ؟ » فقالَتْ : بلْ تكلَّمْ أنتَ ولا تقلْ إلا حقّاً ، فلطمَها أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ حتَّىٰ دميَ فوها وقالَ : يا عُديَّةَ نفسِها ؛ أَوَيقولُ غيرَ الحقِّ ؟! فاستجارتْ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقعدَتْ خلفَ ظهرِهِ ، فقالَ لهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لمْ ندعُكَ لهـٰذا ، ولمْ نردْ هـٰذا منكَ »⁽²⁾ .

وقالتْ لهُ مرَّةً في كلامٍ غضبَتْ عندَهُ : أنتَ الذي تزعُمُ أنَّكَ نبيُّ اللهِ ؟! فتبسَّمَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ واحتملَ ذلكَ حلماً وكرماً⁽³⁾ .

= الأنصار . . إذا هم قوم يغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار . . .) الخبر .

(1) رواه البخاري في « التاريخ الكبير » (٨/ ١٦٦) ، والآجري في « الشريعة » (١٨٩٠) ، وهي السيدة عائشة رضي الله تعالىٰ عنها ، والزاجرة لها فيهما هي أمُّ مبشر الأنصارية ، واللفظ لصاحب « القوت » (٢/ ٢٥٣) .

(2) رواه ابن أبي الدنيا في « العيال » (٥٦٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٢١٥) ، واللفظ لصاحب « القوت » (٢/ ٢٥٣) .

(3) رواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٤٦٧٠) ، وأبو الشيخ في « الأمثال » (٥٦) .

وكانَ يقولُ لها : « إنِّي لأعرفُ غضبَكِ مِنْ رضاكِ ؟ » قالتْ : وكيفَ تعرفُهُ ؟ قالَ : « إذا رضيتِ. . قلتِ : لا وإلـٰهِ محمدٍ ، وإذا غضبتِ. . قلتِ : لا وإلـٰهِ إبراهيمَ » ، قالتْ : صدقتَ ، إنَّما أهجرُ اسمَكَ⁽١⁾ .

ويُقالُ : (أوَّلُ حُبٍّ وقعَ في الإسلامِ حُبُّ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها)⁽٢⁾ .

وكانَ يقولُ لها : « كنتُ لكِ كأبي زرعٍ لأمِّ زرعٍ غيرَ أنِّي لا أطلِّقُكِ »⁽٣⁾ .

وكانَ يقولُ لنسائِهِ : « لا تؤذينني في عائشةَ ؛ فإنَّهُ ـ واللهِ ـ ما نزلَ عليَّ الوحيُ وأنا في لحافِ امرأةٍ منكنَّ غيرَها »⁽٤⁾ .

---

(١) رواه البخاري (٥٢٢٨) ، ومسلم (٢٤٣٩) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٤٤) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٥/ ٢٥٤) من كلام الزهري ، وروى البخاري (٣٦٦٢) ، ومسلم (٢٣٨٤) أن عمرو بن العاص سأل النبي صلى الله عليه وسلم : أي الناس أحب إليك ؟ قال : « عائشة » ، قلت : من الرجال ؟ قال : « أبوها » الحديث ، وأما محبته صلى الله عليه وسلم للسيدة خديجة رضي الله عنها والتي قال فيها : « ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها ». . فقد وقع حبها ابتداءً قبل الإسلام ، أو يحمل الأمر علىٰ ما بعد الهجرة الشريفة .

(٣) رواه البخاري (٥١٨٩) ، ومسلم (٢٤٤٨) ، وروى الاستثناء الطبراني في « الكبير » (٢٣/ ١٧٣) .

(٤) رواه البخاري (٣٧٧٥) وقد تقدم تعليقاً .

وقالَ أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أرحمَ الناسِ بالنساءِ والصبيانِ)(١) .

* * *

الأدبُ الثالثُ : أنْ يزيدَ على احتمالِ الأذىٰ بالمداعبةِ والمزاحِ والملاعبةِ :

فهيَ التي تطيِّبُ قلوبَ النساءِ ، وقدْ كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يمزحُ معهنَّ ، وينزلُ إلىٰ درجاتِ عقولِهنَّ في الأعمالِ والأخلاقِ ، حتىٰ رُوِيَ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يسابقُ عائشةَ في العَدْوِ ، فسبقَتْهُ يوماً ، وسبقَها في بعضِ الأيامِ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « هـٰذهِ بتلكِ »(٢) .

وفي الخبرِ : أنَّهُ كانَ مِنْ أفْكَهِ الناسِ معَ نسائِهِ(٣) .

وقالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (سمعتُ أصواتَ أناسٍ مِنَ الحبشةِ وغيرِهِمْ وهمْ يلعبونَ في يومِ عاشوراءَ ، فقالَ لي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أتحبينَ أنْ ترَي لعبَهُمْ ؟ » قالتْ : قلتُ : نعمْ ، فأرسلَ إليهم ، فجاؤوا ، وقامَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بينَ البابينِ ، فوضعَ كفَّهُ على

---

(١) رواه مسلم (٢٣١٦) ولفظه : (ما رأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

(٢) رواه أبو داوود (٢٥٧٨) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٨٨٩٣) ، وابن ماجه (١٩٧٩) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « مداراة الناس » (٦٠) دون قيد ، ورواه الطبراني في « الأوسط » (٦٣٥٧) وزاد : (من أفكه الناس مع صبي) .

البابِ ، ومدَّ يدَهُ ، ووضعتُ ذَقَنِي علىٰ يدِهِ ، وجعلوا يلعبونَ وأنا أنظرُ ، وجعلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « حسبُكِ » وأقولُ : اسكتْ ، مرتينِ أوْ ثلاثاً ، ثمَّ قالَ : « يا عائشةُ ؛ حسبُكِ » ، فقلتُ : نعمْ ، فأشارَ إليهِمْ ، فانصرفوا(١) .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أكملُ المؤمنينَ إيماناً أحسنُهُمْ خُلُقاً وألطفُهُمْ بأهلِهِ »(٢) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « خيارُكُمْ خيرُكُمْ لنسائِهِ ، وأنا خيرُكُمْ لنسائي »(٣) .

وقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنه معَ خشونتِهِ : (ينبغي للرجلِ أنْ يكونَ في أهلِهِ مثلَ الصبيِّ ، فإذا التمسوا ما عندَهُ . . وُجِدَ رجلاً)(٤) .

وقالَ لقمانُ عليهِ السلامُ : (ينبغي للعاقلِ أنْ يكونَ في أهلِهِ كالصبيِّ ، فإذا كانَ في القومِ . . وُجِدَ رجلاً)(٥) .

---

(١) رواه البخاري (٩٥٠) ، ومسلم (٨٩٢) بألفاظ متقاربة ، وليس فيه قولها : (اسكت) ، ولا تقييده بيوم عاشوراء .

(٢) رواه الترمذي (٢٦١٢) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٩١٠٩) .

(٣) رواه الترمذي (١١٦٢) بلفظ : « وخياركم خياركم لنسائهم خلقاً » ، وعنده (٣٨٩٥) مرفوعاً كذلك بلفظ : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي » .

(٤) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص١٨٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٩/ ٣٣١) .

(٥) قوت القلوب (٢/ ٢٥٣) .

وفي تفسيرِ الخبرِ المرويِّ : « إنَّ اللهَ يبغضُ الجَعْظَرِيَّ الجَوَّاظَ »(١) ، قيلَ : هوَ الشديدُ علىٰ أهلِهِ ، المتكبِّرُ في نفسِهِ ، وهوَ أحدُ ما قيلَ في معنىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ عُتُلٍّ ﴾ ، قيلَ : العتلُّ : هوَ الفظُّ اللسانِ ، الغليظُ القلبِ علىٰ أهلِهِ(٢) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لجابرٍ : « هلاَّ بكراً تلاعبُها وتلاعبُكَ »(٣) .

ووصفتْ أعرابيَّةٌ زوجَها وقدْ ماتَ فقالَت : واللهِ ؛ لقدْ كانَ ضحوكاً إذا ولجَ ، سكوتاً إذا خرجَ ، آكلاً ما وجدَ ، غيرَ سائلٍ عمَّا فقَدَ .

* * *

الأدبُ الرابعُ : ألاَّ ينبسطَ في الدعابةِ وحسْنِ الخلقِ والموافقةِ باتباعِ هواها إلىٰ حدٍّ يفسدُ خُلُقَها ، ويسقطُ بالكليَّةِ هيبتَهُ عندَها :

بلْ يراعي الاعتدالَ فيهِ ، فلا يدعُ الهيبةَ والانقباضَ مهما رأىٰ منكراً ، ولا يفتحُ بابَ المساعدةِ على المنكراتِ ألبتةَ ، بلْ مهما رأىٰ ما يخالفُ الشرعَ والمروءةَ . . تنمَّرَ وامتعضَ .

---

(١) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٧٢) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ١٩٤) ، وهو عند أبي داوود (٤٨٠١) بلفظ : « لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري » .

(٢) التفسيران من « القوت » (٢/ ٢٥٣) .

(٣) رواه البخاري (٢٠٩٧) ، ومسلم (٧١٥) .

قالَ الحسنُ : (واللهِ ؛ ما أصبحَ رجلٌ يطيعُ امرأتَهُ فيما تهوىٰ إلا أكبَّهُ اللهُ في النارِ)(١) .

وقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : (خالفوا النساءَ ؛ فإنَّ في خلافِهِنَّ البركةَ)(٢) .

وقدْ قيلَ : (شاوروهُنَّ وخالفوهُنَّ)(٣) .

وقدْ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « تَعِسَ عبدُ الزوجةِ »(٤) ، وإنَّما قالَ ذلكَ لأنَّهُ إذا أطاعَها في هواها .. فهوَ عبدُها ، وقدْ تعِسَ ، فإنَّ اللهَ ملَّكهُ المرأةَ فملَّكَها نفسَهُ ، فقدْ عكسَ الأمرَ ، وقلبَ القضيَّةَ ، وأطاعَ الشيطانَ لمَّا قالَ : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ ، إذْ حقُّ الرجلِ أنْ يكونَ متبوعاً لا تابعاً ، وقد سمَّى الله عزَّ وجلَّ الرجالَ قوَّامينَ على النساءِ ، وسمَّى الزوجَ سيِّداً فقالَ تعالىٰ : ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ﴾ ،

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ١٩٨) .

(٢) رواه ابن الجعد في « مسنده » (٣٠٨١) .

(٣) هو في معنىٰ قول عمر رضي الله عنه السابق ، وروى ابن عدي في « الكامل » (٣/ ٢٦٢) ، والشهاب في « مسنده » (٢٢٦) مرفوعاً : « طاعة النساء ندامة » ، وهـٰذه الأخبار حكم علىٰ طبع النساء عام ، لا تمنع وجود الخصوصية ، وسيسوق المصنف أخباراً عن خيارهن مع قصور في تصرفهن لبيان هـٰذا المعنىٰ .

(٤) كذا في « القوت » (٢/ ٢٥٥) ، والمشهور : « تعس عبد الدينار » ، ومعنى الأثر في قول الحسن المتقدم قريباً .

فإذا انقلبَ السيِّدُ مسخَّراً . . فقدْ بدَّلَ نعمةَ اللهِ كفراً(١) .

ونفسُ المرأةِ علىٰ مثالِ نفسِكَ ، إنْ أرسلتَ عِنانَها قليلاً . . جمحَتْ بكَ طويلاً ، وإنْ أرخيتَ عذارَها فِتْراً . . جذبَتْكَ ذراعاً ، وإنْ كبحتَها وشددتَ يدَكَ عليها في محلِّ الشدَّةِ . . ملكتَها .

قال الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (ثلاثةٌ إنْ أكرمتَهُمْ . . أهانوكَ ، وإنْ أهنتَهُمْ . . أكرموكَ : المرأةُ ، والخادمُ ، والنَّبَطِيُّ)(٢) ؛ أرادَ بهِ : إنْ محضتَ الإكرامَ ولمْ تمزجْ غلظَكَ بلينِكَ ، وفظاظتَكَ برفقِكَ .

وكانَتْ نساءُ العربِ يعلمنَ بناتِهِنَّ اختبارَ الأزواجِ ، وكانتِ المرأةُ تقولُ لابنتِها : اختبري زوجَكِ قبلَ الإقدامِ والجراءةِ عليهِ ؛ انزعي زُجَّ رمحِهِ ، فإنْ سكتَ . . فقطِّعي اللحمَ علىٰ ترسِهِ ، فإنْ سكتَ . . فكسِّري العظامَ بسيفِهِ ، فإن سكتَ . . فاجعلي الإكافَ علىٰ ظهرِهِ وامتطيه ، فإنَّما هوَ حمارُكِ(٣) .

وعلى الجملةِ : فبالعدلِ قامتِ السماواتُ والأرضُ ، وكلُّ ما جاوزَ حدَّهُ انعكسَ علىٰ ضدِّهِ ، فينبغي أنْ تسلكَ سبيلَ الاقتصادِ في المخالفةِ والموافقةِ ، وتتبعَ الحقَّ في جميعِ ذلكَ ؛ لتسلمَ مِنْ شرِّهِنَّ ، فإنَّ كيدَهُنَّ

---

(١) السياق في « القوت » (٢/ ٢٥٥) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٥٥) .

(٣) عيون الأخبار (٤/ ٧٧) ، ولفظه عند صاحب « القوت » (٢/ ٢٥٥) .

عظيمٌ ، وشرُّهُنَّ فاشٍ ، والغالبُ عليهِنَّ سوءُ الخلقِ وركاكةُ العقلِ ، ولا يعتدلُ ذلكَ منهُنَّ إلاَّ بنوعِ لطفٍ ممزوجٍ بسياسةٍ .

قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « مثلُ المرأةِ الصالحةِ في النساءِ كمثلِ الغرابِ الأعصمِ بينَ مئةِ غرابٍ »[1] ؛ يعني : الأبيضَ البطنِ .

وفي وصيَّةٍ لقمانَ لابنِهِ : (يا بنيَّ ؛ اتقِ المرأةَ السوءَ ؛ فإنَّها تشيبُكَ قبلَ الشيبِ ، واتقِ شرارَ النساءِ ؛ فإنَّهُنَّ لا يدعونَ إلىٰ خيرٍ ، وكنْ مِنْ خيارِهِنَّ علىٰ حذرٍ)[2] .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « استعيذوا مِنَ الفواقرِ الثلاثِ » وعدَّ منهنَّ : « المرأةَ السوءَ ؛ فإنَّها المشيِّبَةُ قبلَ الشيبِ » ، وفي لفظٍ آخرَ : « إنْ دخلتَ عليها . . لسبَتْكَ ، وإنْ غبتَ عنها . . خانَتْكَ »[3] .

وقدْ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ في خَيْراتِ النساءِ : « إنَّكُنَّ صواحبُ

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » (٨/٢٠١) ، وبنحوه الديلمي في « مسند الفردوس » (٦٤٥٢) ، وروىٰ أحمد في « المسند » (٤/١٩٧) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٩٢٢٣) : أنه صلى الله عليه وسلم مرَّ بمرِّ الظهران ، فرأىٰ غرباناً كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار والرجلين ، فقال : « لا يدخل الجنة من النساء إلا كقدر هـٰذا الغراب مع هـٰذه الغربان » ، والسياق في « القوت » (٢/٢٣٨) .

(٢) قوت القلوب (٢/٢٣٨) .

(٣) رواه الطبراني في « الكبير » (١٨/٣١٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٩١٠٧) ، وبالرواية الأولىٰ قال الحافظ العراقي : (رواه الديلمي في « مسند الفردوس » من حديث أبي هريرة بسند ضعيف) . « إتحاف » (٥/٣٥٨) ، **والفواقر** : جمع فاقرة ، وهي الداهية ، سميت بذلك لأنها تفقر الظهر ، **واللسب** : شدة اللسع واللدغ .

يوسفَ »(١) يعني : إنَّ صرفَكُنَّ أبا بكرٍ عنِ التقدُّمِ في الصلاةِ ميلُ منكُنَّ عنِ الحقِّ إلى الهوىٰ .

وقالَ اللهُ تعالىٰ حينَ أفشينَ سِرَّ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ أيْ : مالتْ ، وقالَ ذلكَ في خيرِ أزواجِهِ(٢) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « لا يفلحُ قومٌ تملِكُهُمُ امرأةٌ »(٣) .

وقد زبرَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ امرأتَهُ لمَّا راجعَتْهُ وقالَ : (ما أنتِ إلا لُعبةٌ في جانبِ البيتِ ، إنْ كانَتْ لنا إليكِ حاجةٌ ، وإلاَّ . . جلستِ كما أنتِ)(٤) .

فإذاً ؛ فيهنَّ شرٌّ ، وفيهنَّ ضعفٌ ، فالسياسةُ والخشونةُ علاجُ الشرِّ ، والمطايبةُ والرحمةُ علاجُ الضعفِ ، والطبيبُ الحاذقُ هوَ الذي يقدِّرُ العلاجَ بقدْرِ الداءِ ، فلينظرِ الرجلُ أوَّلاً إلىٰ أخلاقِها بالتجربةِ ، ثمَّ ليعاملْها بما يصلحُها كما يقتضيهِ حالُها .

* * *

---

(١) رواه البخاري (٦٦٤) ، ومسلم (٤١٨) .

(٢) رواه البخاري (٢٤٦٨) ، ومسلم (١٤٧٩) ، وهما عائشة وحفصة رضي الله عنهما .

(٣) رواه بنحوه البخاري (٤٤٢٥) ، وبلفظه رواه أحمد في « المسند » (٥/٤٣) .

(٤) قوت القلوب (٢/٢٥٣) .

الأدبُ الخامسُ : الاعتدالُ في الغيرةِ :

وهوَ ألاَّ يتغافلَ عنْ مبادىءِ الأمورِ التي تُخشىٰ غوائلُها ، ولا يبالغَ في إساءةِ الظنِّ والتعنُّتِ وتجسُّسِ البواطنِ ، فقدْ نهىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنْ تُتبعَ عوراتُ النساءِ ، وفي لفظٍ آخرَ : أنْ تُبغتَ النساءُ(١) .

ولمَّا قدمَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ سفرٍ . . قالَ قبلَ دخولِ المدينةِ : « لا تطرُقوا النساءَ ليلاً » ، فخالفَهُ رجلانِ ، فسبقا ، فرأىٰ كلُّ واحدٍ في منزلِهِ ما يكرَهُ(٢) .

وفي الخبرِ المشهورِ : « المرأةُ كالضِّلَعِ ؛ إنْ قوَّمْتَهُ . . كسرتَهُ ، فدعْهُ تستمتعْ بهِ علىٰ عوجٍ »(٣) ، وهـٰذا في تهذيبِ أخلاقِها .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إنَّ مِنَ الغيرةِ غيرةً يبغضُها اللهُ عزَّ وجلَّ ، وهيَ غيرةُ الرجلِ علىٰ أهلِهِ مِنْ غيرِ ريبةٍ »(٤) ؛ لأنَّ ذلكَ مِنْ سوءِ الظنِّ الذي نُهينا عنهُ ، فإنَّ بعضَ الظنِّ إثمٌ .

---

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » (١٨٥٤) ، وعند مسلم (٧١٥) عن جابر قال : (نهىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطرق الرجل أهله ليلاً يتخوَّنهم أو يلتمس عثراتهم) .

(٢) رواه الدارمي في « سننه » (٤٥٨) ، والطبراني في « الكبير » (١١/ ٢٤٥) .

(٣) رواه البخاري (٣٣٣١) ، ومسلم (١٤٦٨) .

(٤) رواه أبو داوود (٢٦٥٩) ، والنسائي (٥/ ٧٨) ، وابن ماجه (١٩٩٦) .

وقالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : (لا تكثرِ الغيرةَ علىٰ أهلِكَ فتُرمىٰ بالسوءِ مِنْ أجلِكَ)(١) .

وأمَّا الغيرةُ في محلِّها . . فلا بدَّ منها ، وهيَ محمودةٌ ، وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ اللهَ تعالىٰ يغارُ ، والمؤمنُ يغارُ ، وغيرةُ اللهِ تعالىٰ أنْ يأتيَ المؤمنُ ما حرَّمَ عليهِ »(٢) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « أتعجبونَ مِنْ غيرةِ سعدٍ ؟ واللهِ ؛ لأنا أغيرُ منهُ ، واللهُ أغيرُ منِّي ، ولأجلِ غيرةِ اللهِ تعالىٰ حرَّمَ الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطنَ ، ولا أحدَ أحبُّ إليهِ العذرُ مِنَ اللهِ ؛ ومن أجلِ ذلكَ بعثَ المنذرينَ والمبشرينَ ، ولا أحدَ أحبُّ إليهِ المدحةُ مِنَ اللهِ ، ولأجلِ ذلكَ وعدَ الجنَّةَ »(٣) .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رأيتُ في الجنَّةِ قصراً وفيهِ جاريةٌ ، فقلتُ : لمَنْ هـٰذا ؟ فقيلَ : لعمرَ ، فأردتُ أنْ أنظرَ إليها ، فذكرتُ غيرَتَكَ يا عمرُ » ، فبكىٰ عمرُ وقالَ : أعليكَ أغارُ يا رسولَ اللهِ(٤) .

---

(١) كذا في « القوت » (٢/ ٢٥٣) ، وقد رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٧١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢/ ٢٨٥) عن يحيى بن أبي كثير أنه من كلام سليمان بن داوود لابنه عليهما السلام .

(٢) رواه البخاري (٥٢٢٣) ، ومسلم (٢٧٦١) واللفظ له .

(٣) رواه البخاري (٧٤١٦) ، ومسلم (١٤٩٩) .

(٤) رواه البخاري (٥٢٢٧) ، ومسلم (٢٣٩٥) .

وكانَ الحسنُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أتدعونَ نساءَكُمْ يزاحمْنَ العلوجَ في الأسواقِ ؟! قبَّحَ اللهُ مَنْ لا يغارُ)⁽¹⁾ .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إنَّ مِنَ الغيرةِ ما يحبُّهُ اللهُ ، ومنها ما يبغضُهُ اللهُ ، ومِنَ الخيلاءِ ما يحبُّ اللهُ ، ومنها ما يبغضُ اللهُ ، فأمَّا الغيرةُ التي يحبُّها اللهُ . . فالغيرةُ في الريبةِ ، والغيرةُ التي يبغضُها اللهُ . . فالغيرةُ في غيرِ ريبةٍ ، والاختيالُ الذي يحبُّهُ اللهُ اختيالُ الرجلِ بنفسِهِ عندَ القتالِ وعندَ الصدقةِ ، والاختيالُ الذي يبغضُهُ اللهُ الاختيالُ في الباطلِ »⁽²⁾ .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إنِّي لغيورٌ ، وما مِن امرئٍ لا يغارُ إلا منكوسُ القلبِ »⁽³⁾ .

والطريقُ المغني عنِ الغيرةِ : ألاَّ يدخلَ عليها الرجالُ ، وهيَ لا تخرجُ إلى الأسواقِ .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لابنتِهِ فاطمةَ رضيَ اللهُ عنها : « أيُّ شيءٍ خيرٌ للمرأةِ ؟ » قالتْ : ألاَّ ترىٰ رجلاً ، ولا يراها رجلٌ ، فضمَّها

---

(1) كذا في « القوت » (٢/ ٢٥٣) ، ورواه أحمد في « المسند » (١/ ١٣٣) من قول علي رضي الله عنه . **والعلوج** : جمع العِلج ، وهو الرجل الضخم من كفار العجم ، وبعضهم يطلقه علىٰ مطلق الكفار .

(2) رواه أبو داوود (٢٦٥٩) ، والنسائي (٥/ ٧٨) ، وابن ماجه (١٩٩٦) .

(3) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٨٠٠٩) مرسلاً ، **ومنكوس القلب** : الديوث أو المخنث . « إتحاف » (٥/ ٣٦٢) .

إليهِ وقالَ : « ﴿ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٍ ﴾ » واستحسنَ قولَها(١) .

وكانَ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يسدُّون الثقبَ والكُوَىٰ في الحيطانِ ؛ لئلا تطلعَ النسوانُ إلى الرجالِ(٢) .

ورأىٰ معاذٌ امرأتَهُ تطلعُ في الكوَّةِ فضربَها ، ورأى امرأتَهُ دفعَتْ إلىٰ غلامٍ لهُ تفاحةً قدْ أكلَتْ بعضَها فضربَها(٣) .

وقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : (أعْرُوا النساءَ يلزمنَ الحجالَ)(٤) ، وإنَّما قالَ ذلكَ لأنَّهُنَّ لا يرغبنَ في الخروجِ في الهيئةِ الرثَّةِ .

وقالَ أيضاً : (عوِّدُوا نساءكمُ « لا »)(٥) .

---

(١) رواه البزار في « مسنده » (٥٢٦) مرفوعاً ، وابن أبي الدنيا في « العيال » (٤١٢) عن العوام بن حوشب بلاغاً : أن علياً كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أي شيء خير للمرأة ؟ » فسكتوا ، فلما رجع.. قال لزوجه فاطمة : أي شيء خير للنساء ؟ فقالت : ألا يراهن الرجال ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : « إنما فاطمة بضعة مني » رضي الله عنها .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٥٣) .

(٣) رواه الخرائطي في « اعتلال القلوب » (٧٤٣) .

(٤) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٨٠٠٧) ولفظه : (استعينوا على النساء بالعري ، إن إحداهن إذا كثرت ثيابها ، وحسنت زينتها.. أعجبها الخروج) ، وبلفظ المصنف أرسله مسلمة بن مخلد من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، رواه الطبراني في « الكبير » (١٩/ ٤٣٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٥/ ٢١٤) .

(٥) كذا في « القوت » (٢/ ٢٥٣) ، ورواه ابن الجعد في « مسنده » (١١١٧) عن معاوية بن قرة .

وكانَ قدْ أذنَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ للنساءِ في حضورِ المساجدِ(١) ، والصوابُ الآنَ المنعُ إلا للعجائزِ ، بلِ استُصْوِبَ ذلكَ في زمانِ الصحابةِ ، حتَّىٰ قالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (لوْ علمَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما أحدثَتِ النساءُ بعدَهُ . . لمنعَهُنَّ منَ الخروجِ)(٢) .

ولمَّا قالَ ابنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تمنعوا إماءَ اللهِ مساجدَ اللهِ »(٣) . . فقالَ بعضُ ولدِهِ : بلىٰ واللهِ ؛ لنمنعُهُنَّ ، فضربَهُ وغضبَ عليهِ وقالَ : تسمعُني أقولُ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تمنعوا » فتقولُ : بلى ؟!(٤) وإنَّما استجرأَ ولدُهُ على المخالفةِ لعلمِهِ بتغيُّرِ الزمانِ ، وإنَّما غضبَ عليهِ لإطلاقِهِ اللفظَ بالمخالفةِ ظاهراً مِنْ غيرِ إظهارِ العذرِ .

وكذلكَ كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قدْ أذنَ لهنَّ في الأعيادِ خاصَّةً أنْ يخرجْنَ(٥) ، ولكنْ لا يخرجْنَ إلا برضا أزواجِهِنَّ ، والخروجُ الآنَ أيضاً مباحٌ للمرأةِ العفيفةِ برضا زوجِها ، ولكنَّ القعودَ أسلمُ(٦) .

---

(١) فقد روى البخاري (٨٦٥) ، ومسلم (٤٤٢) مرفوعاً : « إذا استأذنكم نساؤكم بالليل إلى المسجد . . فأذنوا لهن » .

(٢) رواه البخاري (٨٦٩) ، ومسلم (٤٤٥) .

(٣) رواه البخاري (٩٠٠) ، ومسلم (٤٤٢) .

(٤) رواه الطيالسي في « مسنده » (١٩٠٣) ، وأحمد في « مسنده » (٢/ ٣٦) .

(٥) رواه البخاري (٣٢٤) ، ومسلم (٨٩٠) .

(٦) رویٰ أبو داوود (٥٦٧) مرفوعاً : « لا تمنعوا نساءكم المساجد ، وبيوتهن خير لهن » .

وينبغي ألاَّ تخرجَ إلاَّ لمهمٍّ ، فإنَّ الخروجَ للنظاراتِ[1] والأمورِ التي ليسَتْ مهمَّةً تقدحُ في المروءةِ ، وربما تفضي إلى الفسادِ ، فإذا خرجَتْ. . فينبغي أنْ تغضَّ بصرَها عنِ الرجالِ ، ولسنا نقولُ : إنَّ وجهَ الرجلِ في حقِّها عورةٌ كوجهِ المرأةِ في حقِّهِ ، بلْ هوَ كوجهِ الصبيِّ الأمردِ في حقِّ الرجلِ ، فيحرمُ النظرُ عندَ خوفِ الفتنةِ فقطْ ، فإنْ لمْ تكنْ فتنةٌ . . فلا ؛ إذْ لمْ يزلِ الرجالُ علىٰ ممرِّ الزمانِ مكشوفي الوجوهِ والنساءُ يخرجنَ متنقباتٍ ، ولوْ كانَ وجوهُ الرجالِ عورةً في حقِّ النساءِ . . لأمروا بالتنقُّبِ ، أوْ مُنعوا مِنَ الخروجِ إلا لضرورةٍ .

* * *

السادسُ : الاعتدالُ في النفقةِ :

فلا ينبغي أنْ يقتِّرَ عليهنَّ في الإنفاقِ ، ولا ينبغي أنْ يسرفَ ، بلْ يقتصدُ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُواْ ﴾ ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ .

وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « خيرُكُمْ خيرُكُمْ لأهلِهِ »[2] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « دينارٌ أنفقتَهُ في سبيلِ اللهِ ، ودينارٌ أنفقتَهُ

---

[1] أي : للفُرَجِ والنزهات . « إتحاف » (٥/ ٣٦٣) .

[2] رواه الترمذي (٣٨٩٥) .

في رقبةٍ ، ودينارٌ تصدقتَ بهِ علىٰ مسكينٍ ، ودينارٌ أنفقتَهُ علىٰ أهلِكَ ، أعظمُها أجراً الذي أنفقتَهُ علىٰ أهلِكَ »(١) .

وقيلَ : كانَ لعليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ أربعُ نسوةٍ ، فكانَ يشتري لكلِّ واحدةٍ منهنَّ في كلِّ أربعةِ أيامٍ لحماً بدرهمٍ(٢) .

وقالَ الحسنُ رضيَ اللهُ عنهُ : (كانوا في الرحالِ مخاصيبَ ، وفي الأثاثِ والثيابِ تقاربٌ)(٣) .

وقالَ ابنُ سيرينَ : (يُستحبُّ للرجلِ أنْ يعملَ لأهلِهِ في كلِّ جمعةٍ فالوذجةً)(٤) ، وكأنَّ الحلاوةَ وإنْ لمْ تكنْ منَ المهماتِ ، ولكنَّ تركَها بالكليَّةِ تقتيرٌ في العادةِ .

وينبغي أنْ يأمرَها بالتصدُّقِ ببقايا الطعامِ وما يفسدُ لوْ تُرِكَ ، فهـٰذا أقلُّ درجاتِ الخيرِ ، وللمرأةِ أنْ تفعلَ ذلكَ بحكمِ الحالِ مِنْ غيرِ صريحِ إذنٍ مِنَ الزوجِ .

---

(١) رواه مسلم (٩٩٥) .

(٢) كذا في « القوت » (٢/ ٢٥٢) ، وروى ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٥٠١٧) عن علي بن ربيعة قال : (كان لعلي امرأتان ، كان يشتري كل يوم لهـٰذه بنصف درهم لحماً ، ولهـٰذه بنصف درهم لحماً) .

(٣) كذا في « القوت » (٢/ ٢٥٢) ، **والمعنىٰ** : ما كانوا يعتنون بالتوسعة في أثاث البيت من فرش ووسائد وغيرها وفي ثياب اللبس وما يجري مجراها كما يتوسعون في الإنفاق على الأهل . « إتحاف » (٥/ ٣٦٤) ، وعبارة (ق) : (.. والثياب مجاديب) .

(٤) قوت القلوب (٢/ ٢٥٢) .

ولا ينبغي أنْ يستأثرَ عنْ أهلِهِ بمأكولٍ طيِّبٍ فلا يطعمَهُمْ منهُ ؛ فإنَّ ذلكَ ممَّا يوغرُ الصدورَ ، ويبعدُ عنِ المعاشرةِ بالمعروفِ ، فإنْ كانَ مزمعاً علىٰ ذلكَ . . فليأكلْهُ في خفيةٍ ، بحيثُ لا يعرفُهُ أهلُهُ .

ولا ينبغي أنْ يصفَ عندَهُمْ طعاماً ليسَ يريدُ إطعامَهُمْ إيَّاهُ .

وإذا أكلَ . . فيقعدُ العيالَ كلَّهُم علىٰ مائدتِهِ ، فقدْ قالَ سفيانُ رضيَ اللهُ عنهُ : (بلغَنا أنَّ اللهَ تعالىٰ وملائكتَهُ يصلُّونَ علىٰ أهلِ بيتٍ يأكلونَ في جماعةٍ) .

وأهمُّ ما يجبُ عليهِ مراعاتُهُ في الإنفاقِ : أنْ يطعمَها مِنَ الحلالِ ، ولا يدخلَ مداخلَ السوءِ لأجلِها ؛ فإنَّ ذلكَ جنايةٌ عليها لا مراعاةٌ لها ، وقدْ أوردنا الأخبارَ الواردةَ في ذلكَ عندَ ذكرِ آفاتِ النكاحِ .

* * *

السابعُ : أنْ يتعلَّمَ المتزوِّجُ مِنْ علْمِ الحيضِ وأحكامِهِ ما يحترزُ بِهِ الاحترازَ الواجبَ ، ويعلِّمَ زوجتَهُ أحكامَ الصلاةِ ، وما يُقضَىٰ منها في الحيضِ وما لا يقضَىٰ :

فإنَّه أُمِرَ بأنْ يقيَها النارَ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ ، فعليهِ أنْ يلقِّنَها اعتقادَ أهلِ السنَّةِ ، ويزيلَ عنْ قلبِها كلَّ بدعةٍ إنْ سمعَتْها ، ويخوفَها اللهَ إذا تساهلَتْ في أمرِ الدِّينِ ، ويعلمَها مِنْ أحكامِ الحيضِ والاستحاضةِ ما تحتاجُ إليهِ .

وعلْمُ الاستحاضةِ يطولُ ، فأمَّا الذي لا بدَّ مِنْ إرشادِ النساءِ إليهِ في أمرِ الحيضِ بيانُ الصلواتِ التي تقضيها ، فإنَّها مهما انقطعَ دمُها قبيلَ المغربِ بمقدارِ ركعةٍ . . فعليها قضاءُ الظهرِ والعصرِ ، وإذا انقطعَ قبلَ الصبحِ بمقدارِ ركعةٍ . . فعليها قضاءُ المغربِ والعشاءِ ، وهٰذا أقلُّ ما يراعيهِ النساءُ .

فإنْ كانَ الرجلُ قائماً بتعليمِها . . فليسَ لها الخروجُ لسؤالِ العلماءِ ، وإنْ قصرَ علمُ الرجلِ ولكنْ نابَ عنها في السؤالِ وأخبرَها بجوابِ المفتي . . فليسَ لها الخروجُ ، فإنْ لمْ يكنْ ذلكَ . . فلها الخروجُ للسؤالِ ، بلْ عليها ذلكَ ، ويعصي الرجلُ بمنعِها(١) .

ومهما تعلمَتْ ما هوَ مِنَ الفرائضِ عليها . . فليسَ لها أنْ تخرجَ إلىٰ مجلسِ ذكرٍ ، ولا إلىٰ تعلُّمِ فضلٍ إلا برضاهُ .

ومهما أهملَتِ المرأةُ حكماً مِنْ أحكامِ الحيضِ والاستحاضةِ ولمْ يعلِّمْها الرجلُ . . حرجَ الرجلُ معها وشاركَها في الإثمِ .

* * *

الثامنُ : إذا كانَ لهُ نسوةٌ . . فينبغي أنْ يعدلَ بينهُنَّ ولا يميلَ إلىٰ بعضِهِنَّ :

فإنْ خرجَ إلىٰ سفرٍ وأرادَ استصحابَ واحدةٍ . . أقرعَ بينهُنَّ ؛ كذلكَ

---

(١) وينظر فيما إذا ترتبت في خروجها مفسدة ظاهرة ، هل يرجح الخروج أيضاً أم لزوم البيت ؟ والذي يظهر الثاني ، خصوصاً في هٰذه الأزمنة . « إتحاف » (٥/ ٣٦٧) .

كانَ يفعلُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ(١) .

فإنْ ظلمَ امرأةً بليلتِها . . قضىٰ لها ، فإنَّ القضاءَ واجبٌ عليهِ ، وعندَ ذلكَ يحتاجُ إلىٰ معرفةِ أحكامِ القسمِ ، وذلكَ يطولُ ذكرُهُ ، وقدْ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ كانَ لهُ امرأتانِ فمالَ إلىٰ إحداهُما دونَ الأخرىٰ ـ وفي لفظٍ : ولمْ يعدلْ بينَهُما ـ جاءَ يومَ القيامةِ وأحدُ شقَّيْهِ مائلٌ »(٢) .

وإنَّما عليهِ العدلُ في العطاءِ والمبيتِ ، وأمَّا في الحبِّ والوقاعِ . . فذلكَ لا يدخلُ تحتَ الاختيارِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡ ﴾ أيْ : لا تعدلونَ في شهوةِ القلبِ وميلِ النفسِ ، ويتبعُ ذلكَ التفاوتُ في الوقاعِ(٣) .

وكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يعدلُ بينَهُنَّ في العطاءِ والبيتوتةِ في الليالي ويقولُ : « اللهمَّ ؛ هـٰذا جهدي فيما أملكُ ، ولا طاقةَ لي فيما تملكُ ولا أملكُ »(٤) يعني : الحبَّ .

---

(١) رواه البخاري (٢٥٩٤) ، ومسلم (٢٤٤٥) .

(٢) رواه أبو داوود (٢١٣٣) ، والترمذي (١١٤١) ، والنسائي (٧/ ٦٣) ، وابن ماجه (١٩٦٩) .

(٣) روىٰ ذلك الطبري في « تفسيره » (٤/٥/٤٠٣) عن عمر وابن عباس وجمع من التابعين .

(٤) رواه أبو داوود (٢١٣٤) ، والترمذي (١١٤٠) ، والنسائي (٧/ ٦٣) ، وابن ماجه (١٩٧١) .

وقدْ كانتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها أحبَّ نسائهِ إليهِ وسائرُ نسائِهِ يعرفْنَ ذلكَ ، وكانَ يطافُ بهِ محمولاً في مرضِهِ في كلِّ يومٍ وكلِّ ليلةٍ ، فيبيتُ عندَ كلِّ واحدةٍ منهُنَّ ويقولُ : « أينَ أنا غداً » ، ففطنَتْ لذلكَ امرأةٌ منهُنَّ ، فقالتْ : إنَّما يسألُ عنْ يومِ عائشةَ ، فقلنا : يا رسولَ اللهِ ؛ قدْ أذنَّا لكَ أنْ تكونَ في بيتِ عائشةَ ؛ فإنَّهُ يشقُّ عليكَ أنْ تُحملَ في كلِّ ليلةٍ ، فقالَ : « وقد رضيتُنَّ بذلكَ ؟ » فقلنَ : نعمْ ، قالَ : « فحوِّلوني إلىٰ بيتِ عائشةَ »(١) .

ومهما وهبتْ واحدةٌ ليلتَها لصاحبتِها ورضيَ الزوجُ بذلكَ . . ثبتَ الحقُّ لها ، كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقسمُ بينَ نسائِهِ ، فقصدَ أنْ يطلِّقَ سودةَ بنتَ زمعةَ لمَّا كبرَتْ ، فوهبَتْ ليلتَها لعائشةَ ، وسألَتْهُ أنْ يقرَّها على الزوجيَّةِ ؛ حتَّىٰ تحشرَ في زمرةِ نسائِهِ ، فتركَها ، وكانَ لا يقسمُ لها ويقسمُ لعائشةَ ليلتينِ ولسائرِ أزواجهِ ليلةً ليلةً(٢) .

ولكنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لحسْنِ عدلِهِ وقوَّتِهِ كانَ إذا تاقتْ نفسُهُ إلىٰ واحدةٍ مِنَ النساءِ في غيرِ نوبتِها فجامعَها . . طافَ في يومِهِ أوْ ليلتِهِ علىٰ سائرِ نسائِهِ ؛ فمِنْ ذلكَ ما رُوي عنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ

---

(١) رواه ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٢٠٤) أنه صلى الله عليه وسلم كان يحمل في ثوب يطوف به علىٰ نسائه وهو مريض يقسم بينهن ، وفيه خبر أن يمرَّض في بيت عائشة رضي الله عنها ، وهو عند البخاري (١٣٨٩) ، ومسلم (٢٤٤٣) .

(٢) رواه أبو داوود (٢١٣٥) ، والترمذي (٣٠٤٠) .

عليهِ وسلَّمَ طافَ علىٰ نسائِهِ في ليلةٍ واحدةٍ(١) ، وعنْ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ طافَ علىٰ تسعِ نسوةٍ في ضحوةِ نهارٍ(٢) .

* * *

التاسعُ : في النشوزِ :

ومهما وقعَ بينَهُما خصامٌ ولمْ يلتئمْ أمرُهُما ؛ فإنْ كانَ مِنْ جانبِهِما جميعاً ، أوْ مِنَ الرجلِ ، فلا تتسلَّطُ الزوجةُ علىٰ زوجِها ولا يقدرُ علىٰ إصلاحِها . فلا بدَّ مِنْ حكمينِ ؛ أحدُهُما مِنْ أهلِهِ والآخرُ مِنْ أهلِها ؛ لينظرا بينَهُما ويصلحا أمرَهما ، إنْ يريدا إصلاحاً . . يوفِّقِ اللهُ بينَهُما .

وقدْ بعثَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ حكماً إلىٰ زوجينِ ، فعادَ ولمْ يصلحْ أمرَهُما ، فعلاهُ بالدِّرةِ وقالَ : إنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ : ﴿ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ ﴾(٣) ، فعادَ الرجلُ وأحسنَ النيَّةَ وتلطَّفَ بهما ، فأصلحَ ما بينَهُما .

وأمَّا إذا كانَ النشوزُ مِنَ المرأةِ خاصةً . . فالرجالُ قوَّامونَ على النساءِ ، فلهُ أنْ يؤدِّبَها ويحملَها على الطاعةِ قهراً ، وكذا إذا كانتْ تاركةً للصلاةِ . .

---

(١) رواه البخاري (٢٦٧) ، ومسلم (١١٩٢) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٣٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٧٦) .

(٣) قال القاضي البيضاوي في « تفسيره » (١/ ٢١٨) : (وفيه تنبيه علىٰ أن من أصلح نيته فيما يتحرّاه . . أصلح الله مبتغاه) .

فلهُ أنْ يحملَها على الصلاةِ قهراً، ولكنْ ينبغي أنْ يتدرَّجَ في تأديبِها[1]، وهوَ أنْ يقدِّمَ أولاً الوعظَ والتحذيرَ والتخويفَ، فإنْ لمْ ينجعْ.. ولاَّها ظهرَهُ في المضجعِ، أوِ انفردَ عنها بالفراشِ وهجرَها وهوَ في البيتِ معَها مِنْ ليلةٍ إلىٰ ثلاثِ ليالٍ ، فإنْ لمْ ينجعْ ذلكَ.. ضربَها ضرباً غيرَ مبرِّحٍ ؛ بحيثُ يؤلمُها ولا يكسرُ لها عظماً ، ولا يدمي لها جسماً ، ولا يضربُ وجهَها ، فذلكَ منهيٌّ عنهُ[2] .

وقدْ قيلَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ما حقُّ المرأةِ على الرجلِ ؟ فقالَ : « يطعمُها إذا طعمَ ، ويكسوها إذا اكتسىٰ ، ولا يقبِّحُ الوجهَ ، ولا يضربُ إلا ضرباً غيرَ مبرِّحٍ ، ولا يهجرُها إلا في المبيتِ »[3] .

ولهُ أنْ يغضبَ عليها ويهجرَها في أمرٍ مِنْ أمورِ الدِّينِ إلىٰ عشرٍ وإلىٰ عشرينَ وإلىٰ شهرٍ ، فعلَ ذلكَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ إذْ أرسلَ بهديةٍ إلىٰ زينبَ فردَّتْها عليهِ ، فقالَتْ لهُ التي هوَ في بيتِها : لقدْ أقمأَتْكَ إذْ ردَّتْ عليكَ هديَّتَكَ - أيْ : أذلَّتْكَ واستصغرَتْكَ - فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أنتُنَّ أهونُ على اللهِ أنْ تقمئنَنِي » ، ثمَّ غضبَ عليهِنَّ كلِّهِنَّ شهراً إلىٰ أنْ عادَ إليهِنَّ[4] .

* * *

---

(١) كما قال عز وجل : ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ . . . ﴾ .

(٢) روىٰ أبو داوود (٤٤٩٣) مرفوعاً : « إذا ضرب أحدكم.. فليتق الوجه » .

(٣) رواه أبو داوود (٢١٤٢)، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٩١١٥)، وابن ماجه (١٨٥٠).

(٤) رواه ابن سعد في « الطبقات » (١٠/ ١٧٩) ، وبعضه عند ابن ماجه (٢٠٦٠) ، وأنه صلى الله عليه وسلم اعتزلهن شهراً عند البخاري (٢٤٦٨) ، ومسلم (١٤٧٩) .

العاشرُ : في آدابِ الجماعِ :

ويُستحبُّ أنْ يبدأَ باسمِ اللهِ تعالىٰ ، ويقرأَ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ أوَّلاً ، ويكبِّرَ ويهلِّلَ ، ويقولَ باسمِ اللهِ العليِّ العظيمِ ، اللهمَّ ؛ اجعلْها ذريَّةً طيبةً إنْ كنتَ قدَّرتَ أنْ تخرجَ ذلكَ مِنْ صلبي .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لوْ أنَّ أحدَكُمْ إذا أتىٰ أهلَهُ قالَ : اللهمَّ ؛ جنِّبْنا الشيطانَ وجنِّبِ الشيطانَ ما رزقتَنا ؛ فإنْ كانَ بينَهُما ولدٌ . . لمْ يضرُّهُ الشيطانُ »(١) .

وإذا قربتَ مِنَ الإنزالِ . . فقلْ في نفسِكَ ولا تحرِّكْ شفتيكَ : الحمد لله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا . . .﴾ الآيةَ .

وكانَ بعضُ أهلِ الحديثِ يكبِّرُ حتَّىٰ يسمعَ أهلُ الدارِ صوتَهُ(٢) .

ثمَّ لينحرفْ عنِ القبلةِ ، ولا يستقبلِ القبلةَ بالوقاعِ ؛ إكراماً للقبلةِ ، وليغطِّ نفسَهُ وأهلَهُ بثوبٍ ، كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يغطِّي رأسَهُ ويغضُّ صوتَهُ ويقولُ للمرأةِ : « عليكِ بالسكينةِ »(٣) .

وفي الخبرِ : « إذا جامعَ أحدُكُمْ أهلَهُ . . فلا يتجرَّدانِ تجرُّدَ العَيْرينِ »(٤) أيِ : الحمارينِ .

---

(١) رواه البخاري (٣٢٧١) ، ومسلم (١٤٣٤) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٤٣) .

(٣) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٣٧٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٥/ ٢٩٤).

(٤) رواه ابن ماجه (١٩٢١) .

وليقدِّمِ التلطُّفَ بالكلامِ والتقبيلِ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا يقعَنَّ أحدُكُمْ على امرأتِهِ كما تقعُ البهيمةُ ، وليكنْ بينَهُما رسولٌ » ، فقيلَ : وما الرسولُ يا رسولَ اللهِ ؟ قال : « القبلةُ والكلامُ »(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ثلاثٌ مِنَ العجزِ في الرجلِ : أنْ يلقىٰ مَنْ يحبُّ معرفتَهُ فيفارقَهُ قبلَ أنْ يعلمَ اسمَهُ ونسبَهُ ، والثاني : أنْ يكرمَهُ أخوهُ فيردَّ عليهِ كرامتَهُ ، والثالثُ : أنْ يقاربَ الرجلُ جاريتَهُ أو زوجتَهُ فيصيبَها قبلَ أن يحادثَها ويؤانسَها ، ويضاجعَها فيقضيَ حاجتَهُ منها قبلَ أنْ تقضيَ حاجتَها منهُ »(٢) .

ويُكرَهُ لهُ الجماعُ في ثلاثِ ليالٍ مِنَ الشهرِ : الأوَّلُ ، والآخرُ ، والنصفُ ، ويُقالُ : إنَّ الشيطانَ يحضرُ الجماعَ في هٰذهِ الليالي ، ويُقالُ : إنَّ الشياطينَ يجامعونَ فيها ، ورُوِيَ كراهةُ ذلكَ عنْ عليٍّ ومعاويةَ وأبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُمْ(٣) .

ومِنَ العلماءِ مَنِ استحبَّ الجماعَ يومَ الجمعةِ وليلتَهُ ؛ تحقيقاً لأحدِ التأويلينِ

---

(١) قال الحافظ العراقي : (رواه الديلمي في « مسند الفردوس » من حديث أنس وهو منكر) . « إتحاف » (٥/ ٣٧٢) .

(٢) قال الحافظ العراقي : (رواه الديلمي من حديث أنس أخصر منه ، وهو بعض الحديث الذي قبله) . « إتحاف » (٥/ ٣٧٢) ، وللحديث شواهد ستأتي ، وروى ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٨/ ٣٦٥) عن جابر رضي الله عنه قال : (نهىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المواقعة قبل الملاعبة) .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢٥٧) ، وسياق المصنف عنده .

مِنْ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: « رحمَ اللهُ مَنْ غسَّل واغتسلَ . . . » الحديثَ(١) .

ثمَّ إذا قضىٰ وطرَهُ . . فليتمهلْ علىٰ أهلِهِ حتَّىٰ تقضيَ هيَ أيضاً نهمتَها ، فإنَّ إنزالَها ربَّما يتأخَّرُ فتهيجُ شهوتُها ، ثمَّ القعودُ عنها إيذاءٌ لها .

والاختلافُ في طبعِ الإنزالِ يوجبُ التنافرَ مهما كان الزوجُ سابقاً إلى الإنزالِ ، والتوافقُ في وقتِ الإنزالِ ألذُّ عندَها ، ليشتغلَ الرجلُ بنفسِهِ عنها ، فإنَّها ربَّما تستحيي .

وينبغي أنْ يأتيَها في كلِّ أربعِ ليالٍ مرَّةً ، فهوَ أعدلُ ، إذْ عددُ النساءِ أربعةٌ ، فقدْ جازَ التأخيرُ إلىٰ هـٰذا الحدِّ(٢) .

نعمْ ؛ ينبغي أن يزيدَ أوْ ينقصَ بحسَبِ حاجتِها في التحصينِ ، فإنَّ تحصينَها واجبٌ عليهِ وإنْ كانَ لا يثبتُ المطالبةُ بالوطءِ ؛ فذلكَ لعسرِ المطالبةِ والوفاءِ بها .

ولا يأتيها في الحيضِ ، ولا بعدَ انقطاعِهِ وقبلَ الغسلِ ، فهوَ مُحرَّمٌ بنصِّ الكتابِ ، وقيلَ : إنَّ ذلكَ يورثُ الجُذامَ في الولدِ .

ولهُ أنْ يستمتعَ بجميعِ بدنِ الحائضِ ، ولا يأتيها في غيرِ المأتىٰ ؛ إذْ حرمَ غشيانُ الحائضِ لأجلِ الأذىٰ ، والأذىٰ في غيرِ المأتىٰ دائمٌ ، فهوَ أشدُّ

---

(١) رواه أبو داوود (٣٤٥) ، والترمذي (٤٩٦) ، والنسائي (٣/ ٩٥) ، وابن ماجه (١٠٨٧) بنحوه .

(٢) روىٰ ذلك عبد الرزاق في « المصنف » (٧/ ١٤٩ـ١٥٠) عن عمر رضي الله عنه أنه قضىٰ به .

تحريماً مِنْ إتيانِ الحائضِ ، وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ أيْ : أيَّ وقتٍ شئتُمْ .

ولهُ أنْ يستمنيَ بيدِها ، وأنْ يستمتعَ بما تحتَ الإزارِ بما يشتهي سوى الوقاعِ ، وينبغي أنْ تتزرَ المرأةُ بإزارٍ مِنْ حقوِها إلىٰ فوقِ الركبةِ في حالةِ الحيضِ ، فهـٰذا مِنَ الأدبِ .

ولهُ أنْ يؤاكلَ الحائضَ ، ويخالطَها في المضاجعةِ وغيرِها ، وليسَ عليهِ اجتنابُها .

فإنْ أرادَ أنْ يجامعَ ثانياً بعدَ أخرىٰ . . فليغسلْ فرجَهُ أوّلاً ، وإنِ احتلمَ . . فلا يجامعْ حتّىٰ يغسلَ فرجَهُ أوْ يبولَ⁽¹⁾ .

ويُكرهُ الجماعُ في أوّلِ الليلِ ؛ حتّىٰ لا ينامَ علىٰ غيرِ طهارةٍ ، فإنْ أرادَ النومَ أوِ الأكلَ . . فليتوضّأْ أوّلاً وضوءَهُ للصلاةِ ، فهوَ سنّةٌ ، قالَ عمرُ : قلتُ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أينامُ أحدُنا وهوَ جنبٌ ؟ قالَ : « نعمْ ، إذا توضّأَ »⁽²⁾ .

ولكنْ قدْ وردتْ فيهِ رخصةٌ ؛ قالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (كانَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ينامُ جنباً لمْ يمسَّ ماءً)⁽³⁾ .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٥٧) وسياق المصنف عنده .

(٢) رواه البخاري (٢٨٧) ، ومسلم (٣٠٦) ، وفي غير (ب) الرواية عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وهو راوٍ عن أبيه .

(٣) رواه أبو داوود (٢٢٨) ، والترمذي (١١٨) ، وابن ماجه (٥٨١) .

ومهما عادَ إلىٰ فراشِهِ . . فليمسحْ وجهَ فراشِهِ أوْ لينفضْهُ ؛ فإنَّهُ لا يدري ما حدثَ عليهِ بعدَهُ .

ولا ينبغي أنْ يحلقَ أوْ يقلمَ أوْ يستحدَّ أوْ يخرجَ الدمَ أوْ يبينَ مِنْ نفسِهِ جزْءاً وهوَ جنبٌ ؛ إذْ تردُ إليهِ سائرُ أجزائِهِ في الآخرةِ فيعودُ جنباً ، ويُقالُ : إنَّ كلَّ شعرةٍ تطالبُهُ بجنابتِها(١) .

ومِنَ الآدابِ : ألاَّ يعزلَ ، بلْ يسرحُ الماءَ إلىٰ محلِّ الحرثِ ، وهوَ الرحمُ ، فما مِنْ نسمةٍ قدَّرَ اللهُ كونَها إلا وهيَ كائنةٌ ، هٰكذا قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ(٢) .

فإنْ عزلَ . . فقدِ اختلفَ العلماءُ في إباحتِهِ وكراهتِهِ علىٰ أربعةِ مذاهبَ : فمِنْ مبيحٍ مطلقاً بكلِّ حالٍ ، ومِنْ محرِّمٍ بكلِّ حالٍ ، ومِنْ قائلٍ : يحلُّ برضاها ولا يحلُّ دونَ رضاها ، وكأنَّ هٰذا القائلَ يحرِّمُ الإيذاءَ دونَ العزلِ ، ومِنْ قائلٍ : يُباحُ في المملوكةِ دونَ الحرَّةِ .

والصحيحُ عندَنا : أنَّ ذلكَ مباحٌ ، وأمَّا الكراهيةُ . . فإنَّها تطلقُ لنهيِ التحريمِ ، ولنهيِ التنزيهِ ، ولتركِ الفضيلةِ ، فهوَ مكروهٌ بالمعنى الثالثِ ؛ أيْ : فيهِ تركُ فضيلةٍ ، كما يُقالُ : يُكرهُ للقاعدِ في المسجدِ أنْ يقعدَ فارغاً لا يشتغلُ بذكرٍ أوْ صلاةٍ ، ويُكرهُ للحاضرِ في مكَّةَ مقيماً بها ألاَّ يحجَّ كلَّ

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٥٧) .

(٢) رواه البخاري (٢٥٤٢) ، ومسلم (١٤٣٨) .

سنةٍ ، والمرادُ بهـٰذهِ الكراهيةِ : تركُ الأَولىٰ والفضيلةِ فقطْ ، وهـٰذا ثابتٌ لما بيَّنَّاهُ مِنَ الفضيلةِ بالولدِ ، ولما رُوِيَ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ الرجلَ ليجامعُ أهلَهُ فيُكتبُ لهُ بجماعِهِ أجرُ ولدٍ ذكرٍ قاتلَ في سبيلِ اللهِ فقتلَ »(١) ، وإنَّما قالَ ذلكَ لأنَّهُ لوْ وُلِدَ لهُ مثلُ هـٰذا الولدِ . . لكانَ لهُ أجرُ التسبُّبِ إليهِ معَ أنَّ اللهَ تعالىٰ خالقُهُ ومحييهِ ومقوِّيهِ على الجهادِ ، والذي إليهِ مِنَ التسبُّبِ فقدْ فعلَهُ ، وهوَ الوقاعُ ، وذلكَ عندَ الإمناءِ في الرحمِ(٢) .

وإنَّما قلنا : لا كراهةَ بمعنى التحريمِ والتنزيهِ . . لأنَّ إثباتَ النهيِ إنَّما يمكنُ بنصٍّ أوْ قياسٍ علىٰ منصوصٍ ، ولا نصَّ ، ولا أصلَ يُقاسُ عليهِ ، بلْ هـٰهنا أصلٌ يُقاسُ عليهِ ، وهوَ تركُ النكاحِ أصلاً ، أوْ تركُ الجماعِ بعدَ النكاحِ ، أوْ تركُ الإنزالِ بعدَ الإيلاجِ ، فكلُّ ذلكَ تركٌ للأفضلِ وليسَ بارتكابِ نهيٍ ، ولا فرقَ ؛ إذِ الولدُ يتكوَّنُ بوقوعِ النطفةِ في الرحمِ ، ولها أربعةُ أسبابٍ : النكاحُ ، ثمَّ الوقاعُ ، ثمَّ الصبرُ إلى الإنزالِ بعدَ الجماعِ ، ثمَّ الوقوفُ لينصبَّ المنيُّ في الرحمِ ، وبعضُ هـٰذهِ الأسبابِ أقربُ مِنْ بعضٍ ،

---

(١) كذا لفظه في « القوت » (٢/٢٥٦) ، ورواه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (٨٩٧٨) ، وهو كذلك عند أحمد في « المسند » (٥/١٦٨) عن أبي ذر قال : كيف يكون لي الأجر في شهوتي ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرأيت لو كان لك ولد ، فأدرك ورجوت خيره ، ثم مات ، أكنت تحتسبه ؟ » قال : نعم ، قال : « فأنت خلقته ؟ » قال : بل الله خلقه ، قال : « فأنت هديته ؟ » قال : بل الله هداه ، قال : « فأنت كنت ترزقه ؟ » قال : بل الله رزقه ، قال : « كذلك فضعه في حلاله وجنبه حرامَه ، فإن شاء الله . . أحياه ، وإن شاء . . أماته ، ولك أجر » ، وسيبين ذلك المصنف .

(٢) ومعناه في قوله سبحانه : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ .

فالامتناعُ عنِ الرابعِ كالامتناعِ عنِ الثالثِ ، وكذا الثالثُ كالثاني ، والثاني كالأوّلِ ، وليسَ هـٰذا كالإجهاضِ والوَأدِ ؛ لأنَّ ذلكَ جنايةٌ علىٰ موجودٍ حاصلٍ ، ولهُ أيضاً مراتبُ ، وأوَّلُ مراتبِ الوجودِ أنْ تقعَ النطفةُ في الرحمِ ، وتختلطَ بماءِ المرأةِ وتستعدَّ لقبولِ الحياةِ ، وإفسادُ ذلكَ جنايةٌ ، فإنْ صارَتْ مضغةً وعلقةً . . كانتِ الجنايةُ أفحشَ ، وإنْ نفخَ فيهِ الروحُ واستوتِ الخلقةُ . . ازدادتِ الجنايةُ تفاحشاً ، ومنتهى التفاحشِ في الجنايةِ بعدَ الانفصالِ حيّاً .

وإنَّما قلنا : مبدأُ سببِ الوجودِ مِنْ حيثُ وقوعُ المنيِّ في الرحمِ ، لا منْ حيثُ الخروجُ مِنَ الإحليلِ ؛ لأنَّ الولدَ لا يُخلقُ مِنْ منيِّ الرجلِ وحدَهُ ، بلْ مِنَ الزوجينِ جميعاً ، إمَّا مِنْ مائِهِ ومائِها ، أوْ مِنْ مائِهِ ودمِ الحيضِ .

وقالَ بعضُ أهلِ التشريحِ : إنَّ المضغةَ تُخلقُ بتقديرِ اللهِ تعالىٰ مِنْ دمِ الحيضِ ، وإنَّ الدمَ منها كاللبنِ مِنَ الرائبِ ، والنطفةُ منَ الرجلِ شرطٌ في خثورةِ دمِ الحيضِ وانعقادِهِ كالإنفحةِ للبنِ ؛ إذْ بها ينعقدُ الرائبُ ، وكيفما كانَ . . فماءُ المرأةِ ركنٌ في الانعقادِ ، فيجري الماءانِ مجرى الإيجابِ والقبولِ في الوجودِ الحكميِّ في العقودِ ، فمَنْ أوجبَ ثمَّ رجعَ قبلَ القبولِ . . لا يكونُ جانياً على العقدِ بالنقضِ والفسخِ ، ومهما اجتمعَ الإيجابُ والقبولُ . . كانَ الرجوعُ بعدَهُ رفعاً وفسخاً وقطعاً ، وكما أنَّ النطفةَ في الفقارِ لا يتخلَّقُ منها الولدُ ؛ فكذا بعدَ الخروجِ مِنَ الإحليلِ ما لمْ يمتزجْ بماءِ المرأةِ أوْ دمِها ، فهـٰذا هوَ القياسُ الجليُّ .

* * *

فإنْ قلتَ : فإنْ لمْ يكنِ العزلُ مكروهاً مِنْ حيثُ إنَّهُ دفعٌ لوجودِ الولدِ . . فلا يبعدُ أنْ يكرهَ لأجلِ النيّةِ الباعثةِ عليهِ ، إذْ لا يبعثُ عليهِ إلا نيّةٌ فاسدةٌ فيها شيءٌ مِنْ شوائبِ الشرْكِ الخفيِّ .

فأقولُ : النيّاتُ الباعثةُ على العزلِ خمسٌ :

ـ **الأولىٰ** : في السراري(١) : وهوَ حفظُ الملكِ عنِ الهلاكِ باستحقاقِ العتاقِ ، وقصدُ استبقاءِ الملكِ بتركِ الإعتاقِ ودفعِ أسبابِهِ ليسَ بمنهيٍّ عنهُ .

ـ **الثانيةُ** : استبقاءُ جمالِ المرأةِ وسمنِها لدوامِ التمتُّعِ ، واستبقاءُ حياتِها خوفاً مِنْ خطرِ الطلْقِ ، وهٰذا أيضاً ليسَ منهيّاً عنهُ .

ـ **الثالثةُ** : الخوفُ مِنْ كثرةِ الخرجِ بسببِ كثرةِ الأولادِ ، والاحترازُ مِنَ الحاجةِ إلى التعبِ في الكسبِ ودخولِ مداخلِ السوءِ ، وهٰذا أيضاً غيرُ منهيٍّ عنهُ ؛ فإنَّ قلَّةَ الحرْجِ معينٌ على الدينِ .

نعمْ ؛ الكمالُ والفضلُ في التوكُّلِ والثقةِ بضمانِ اللهِ تعالىٰ حيثُ قالَ : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ ، فلا جرمَ فيهِ سقوطٌ عنْ ذروةِ الكمالِ وتركُ الأفضلِ ، ولكنَّ النظرَ في العواقبِ وحفظِ المالِ وادخارِهِ معَ كونِهِ مناقضاً للتوكُّلِ لا نقولُ : إنَّهُ منهيٌّ عنهُ .

ـ **الرابعةُ** : الخوفُ مِنَ الأولادِ الإناثِ ، لما يعتقدُ في تزويجِهِنَّ مِنَ

---

(١) في النسخ : (السرايا) ، وفي (ب) : (التسري) ، والمثبت من (ق) .

المعرَّةِ كما كانَتْ مِنْ عادةِ العربِ في قتلِهِمُ الإناثَ ، فهٰذهِ نيَّةٌ فاسدةٌ لوْ تركَ بسببِها أصلَ النكاحِ أوْ أصلَ الوقاعِ . . أثمَ بها لا بتركِ النكاحِ والوطءِ ، فكذا في العزلِ ، والفسادُ في اعتقادِ المعرَّةِ في سنَّةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أشدُّ ، وينزلُ منزلةَ امرأةٍ تركتِ النكاحَ استنكافاً مِنْ أنْ يعلوَها رجلٌ فكانتْ تتشبَّهُ بالرجالِ ، فلا ترجعُ الكراهةُ إلىٰ عينِ تركِ النكاحِ ، إنما ترجعُ إلى النيَّةِ .

ـ **الخامسةُ** : أنْ تمتنعَ المرأةُ لتعزُّزِها ومبالغتِها في النظافةِ ، فتحترزَ مِنَ الطلْقِ والنفاسِ والرضاعِ ، وكانَ ذلكَ عادةُ نساءِ الخوارجِ ؛ لمبالغتِهِنَّ في استعمالِ المياهِ ، حتَّىٰ كُنَّ يقضينَ صلواتِ أيامِ الحيضِ ، ولا يدخلنَ الخلاءَ إلا عراةً ، فهٰذهِ بدعةٌ تخالفُ السنَّةَ ، فهيَ نيةٌ فاسدةٌ ، واستأذَنتْ واحدةٌ منهُنَّ علىٰ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها لمَّا قدمتِ البصرةَ ، فلمْ تأذنْ لهَا(١) ، فيكونُ القصدُ هوَ الفاسدَ دونَ منعِ الولادةِ .

* * *

فإنْ قلتَ : فقدْ قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ تركَ النكاحَ مخافةَ العيالِ . . فليسَ منَّا »(٢) .

---

(١) قوت القلوب (٢/٢٥٧) .

(٢) قوت القلوب (٢/٢٤٢) ، وروىٰ عبد الرزاق في « المصنف » (٦/١٦٨) ، وأبو داوود في « المراسيل » (١٩٠) ، والطبراني في « الكبير » (٢٢/٣٦٦) عن =

قلنا : فالعزلُ كتركِ النكاحِ ، وقولُهُ : ليسَ منَّا ؛ أيْ : ليسَ موافقاً لنا علىٰ سنَّتِنا وطريقتِنا ، وسنتُنا فعلُ الأفضلِ (١) .

* * *

فإنْ قلتَ : فقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في العزلِ : « ذلكَ الوأدُ الخفيُّ » ، وقرأَ : ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴾ ، وهوَ في الصحيحِ ؟ (٢) .

قلنا : وفي الصحيحِ أيضاً أخبارٌ صريحةٌ في الإباحةِ (٣) ، وقولُهُ : « الوأْدُ الخفيُّ » كقولِهِ : « الشرْكُ الخفيُّ » (٤) ، وذلكَ يوجبُ كراهةً لا تحريماً .

* * *

فإنْ قلتَ : فقدْ قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (العزلُ هوَ الوأْدُ الأصغرُ) وإنَّ الممنوعَ وجودُهُ بهِ هوَ الموءودةُ الصغرىٰ .

قلنا : هـٰذا قياسٌ منهُ لدفعِ الوجودِ علىٰ قطعِهِ ، وهوَ قياسٌ ضعيفٌ ، ولذلكَ أنكرَهُ عليهِ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ لمَّا سمعَهُ وقالَ : لا تكونُ موءودةً إلا بعدَ

= أبي نجيح قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان موسراً لأن ينكح ثم لم ينكح . . فليس مني » .

(١) أو يحمل هـٰذا على النية الثالثة من النيات المتقدمة ، فهو يخشى العيلة .

(٢) رواه مسلم (١٤٤٢) .

(٣) سيسوق المصنف رحمه الله تعالىٰ بعضها قريباً .

(٤) رواه ابن ماجه (٤٢٠٤) .

سبعٍ ـ أيْ : بعدَ سبعةِ أطوارٍ ـ وتلا الآيةَ الواردةَ في أطوارِ الخلقةِ ، وهيَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ إلىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ أيْ : نفخنا فيهِ الروحَ ، ثمَّ تلا قولَهُ تعالىٰ في الآيةِ : ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴾[1] .

وإذا نظرتَ إلىٰ ما قدمناهُ في طريقِ القياسِ والاعتبارِ . . ظهرَ لكَ تفاوتُ منصبِ عليٍّ وابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما في الغوصِ على المعاني ودرْكِ العلومِ .

كيفَ وفي المتفقِ عليهِ في « الصحيحينِ » عنْ جابرٍ أنَّهُ قالَ : (كنَّا نعزلُ علىٰ عهْدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ والقرآنُ ينزلُ) ، وفي لفظٍ آخرَ : (كنَّا نعزلُ ، فبلغَ ذلكَ نبيَّ اللهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ، فلمْ ينهَنا)[2] .

وفيهِ أيضاً عنْ جابرٍ أنَّهُ قالَ : (إنَّ رجلاً أتىٰ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : إنَّ لي جاريةً هيَ خادمتُنا وساقيتُنا في النخلِ ، وأنا أطوفُ عليها ، وأكرهُ أنْ تحملَ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : اعزلْ عنها إنْ شئتَ ، فإنَّهُ سيأتيها ما قُدِّرَ لها » ، فلبثَ الرجلُ ما شاءَ اللهُ ثمَّ أتاهُ فقالَ : إنَّ

---

[1] كذا في « القوت » (٢/ ٢٥٧) ، ونحوه من قول علي رضي الله عنه لابن عبد البر في « التمهيد » (٣/ ١٤٨) ، وقد رُوِيَ التعليل بالآية عن ابن عباس رضي الله عنهما كذلك ، رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٧/ ١٤٥) .

[2] رواه البخاري (٥٢٠٩) ، ومسلم (١٤٤٠) واللفظان عنده .

الجاريةَ قدْ حملَتْ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « قدْ أخبرتُكُمْ أنَّهُ سيأتيها ما قُدِّرَ لها »(١) ، كلُّ ذلكَ في « الصحيحينِ » .

* * *

الحاديَ عشرَ : في آدابِ الولادةِ : وهيَ خمسةٌ :

الأوَّلُ : ألاَّ يكثرَ فرحَهُ بالذكرِ وحزنَهُ بالأنثىٰ ؛ فإنَّهُ لا يدري أنَّ الخيرةَ لهُ في أيِّهما ، فكَمْ مِنْ صاحبِ ابنٍ يتمنَّىٰ ألاَّ يكونَ لهُ أوْ يكونَ بنتاً ، بلِ السلامةُ منهُنَّ أكثرُ ، والثوابُ فيهِنَّ أجزلُ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ كانَ لهُ ابنةٌ ، فأدَّبَها ، وأحسنَ تأديبَها ، وغذَّاها فأحسنَ غذاءَها ، وأسبغَ عليها مِنَ النعمةِ التي أسبغَ اللهُ عليهِ . . كانتْ لهُ ميمنةً وميسرةً مِنَ النارِ إلى الجنَّةِ »(٢) .

وقالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ما مِنْ أحدٍ يدركُ ابنتينِ ، فيحسنُ إليهما ما صحبتاهُ . . إلا أدخلتاهُ الجنَّةَ »(٣) .

وقالَ أنسٌ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ كانتْ لهُ ابنتانِ أوْ أختانِ ، فأحسنَ إليهما ما صحبتاهُ . . كنتُ أنا وهوَ في الجنَّةِ كهاتينِ »(٤) .

---

(١) رواه مسلم (١٤٣٩) .

(٢) رواه الطبراني في « الكبير » (١٠/ ١٩٧) ، وابن عدي في « الكامل » (٤/ ١١١) .

(٣) رواه ابن ماجه (٣٦٧٠) ، وهو عند البخاري في « الأدب المفرد » (٧٧) .

(٤) رواه هناد في « الزهد » (١٠٢١) ، وهو عند مسلم (٢٦٣١) بلفظ : « من عال جاريتين حتىٰ تبلغا . . جاء يوم القيامة أنا وهو » وضمَّ أصابعه .

وقالَ أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ خرجَ إلىٰ سوقٍ مِنْ أسواقِ المسلمينَ ، فاشترىٰ شيئاً ، فحملَهُ إلىٰ بيتِهِ ، فخصَّ بهِ الإناثَ دونَ الذكورِ . . نظرَ اللهُ إليهِ ، ومَنْ نظرَ اللهُ إليهِ . . لمْ يعذبْهُ »(١) .

وقالَ أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ حملَ طرفةً مِنَ السوقِ إلىٰ عيالِهِ . . فكأنَّما حملَ إليهِمْ صدقةً حتَّىٰ يضعَها فيهِمْ ، وليبدأْ بالإناثِ قبلَ الذكورِ ؛ فإنَّهُ مَنْ فرَّحَ أنثىٰ . . فكأنَّما بكىٰ مِنْ خشيةِ اللهِ تعالىٰ ، ومَنْ بكىٰ مِنْ خشيتِهِ . . حرَّمَ اللهُ تعالىٰ بدنَهُ على النارِ »(٢) .

وقالَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ كانَتْ لهُ ثلاثُ بناتٍ أوْ أخواتٍ ، فصبرَ علىٰ لأْوائِهِنَّ وضرَّائِهِنَّ وسرَّائِهِنَّ . . أدخلَهُ اللهُ الجنَّةَ بفضْلِ رحمتِهِ إيَّاهُنَّ » ، فقالَ رجلٌ : وثنتانِ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « وثنتانِ » فقالَ رجلٌ : أوْ واحدةٌ ؟ فقالَ : « أوْ واحدةٌ »(٣) .

* * *

---

(١) قال الحافظ العراقي : (رواه الخرائطي بسند ضعيف) . « إتحاف » (٥/ ٣٨٦) .

(٢) رواه ابن عدي في « الكامل » (٤/ ٢٤٠) ، وقال الحافظ العراقي : (رواه الخرائطي بسند ضعيف جداً ، وابن عدي في « الكامل » ، وقال ابن الجوزي : حديث موضوع) . « إتحاف » (٥/ ٣٨٦) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٣٣٥) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/ ١٧٦) .

الأدبُ الثاني : أنْ يؤذِّنَ في أذنِ المولودِ : روىٰ رافعٌ عنْ أبيهِ قالَ : رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أذَّنَ في أذنِ الحسنِ حينَ ولدَتْهُ فاطمةُ رضيَ اللهُ عنها(١) .

ورُوِيَ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مَنْ وُلِدَ لهُ مولودٌ ، فأذَّنَ في أذنِهِ اليمنىٰ ، وأقامَ في أذنِهِ اليسرىٰ . . دُفعَتْ عنهُ أمُّ الصبيانِ »(٢) .

ويُستحبُّ أنْ يلقِّنوهُ أوَّلَ انطلاقِ لسانِهِ (لا إلـٰهَ إلا اللهُ) ؛ ليكونَ ذلكَ أوَّلَ حديثِهِ .

والختانُ في اليومِ السابعِ وردَ بهِ خبرٌ(٣) .

* * *

الأدبُ الثالثُ : أنْ يسمِّيَهُ باسمٍ حسنٍ ، فذلكَ مِنْ حقِّ الولدِ ، وقدْ قالَ

---

(١) رواه أبو داوود (٥١٠٥) ، والترمذي (١٥١٤) ولكن عن أبي رافع رضي الله عنه مرفوعاً ، قال الحافظ الزبيدي : (هكذا في نسخ الكتاب : رافع عن أبيه ، وهو غلط ، ولم أجد لرافع ذكراً في الكتب الستة ، وإنما هو من رواية عبد الله بن أبي رافع عن أبيه ، وعبد الله له صحبة أيضاً) . « إتحاف » (٥/ ٣٨٦) .

(٢) رواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٦٧٨٠) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٦٢٣) . انظر « الإتحاف » (٥/ ٣٨٦) . **وأم الصبيان** : هي التابعة من الجن ، أو الريح التي تعرض لهم وتكون حادة عليهم .

(٣) وهو ما رواه الطبراني في « الأوسط » (٦٧٠٤) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٨/ ٣٢٤) عن جابر : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقَّ عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام) .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إذا سمَّيتُمْ . . فعبِّدوا »(١) ، وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « أحبُّ الأسماءِ إلى اللهِ تعالىٰ : عبدُ اللهِ وعبدُ الرحمـٰنِ »(٢) ، وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « سمُّوا باسمي ولا تُكَنُّوا بكنيتي »(٣) ، قالَ العلماءُ : كانَ ذلكَ في عصرِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ إذْ كانَ يُنادىٰ : يا أبا القاسمِ ، وأمَّا الآنَ . . فلا بأسَ .

نعمْ ، لاَ يجمعُ بينَ اسمهِ وكنيتهِ ؛ فقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تجمعوا بينَ اسمي وكنيتي »(٤) ، وقيلَ : إن هـٰذا أيضاً كانَ في حياتِهِ .

وتسمَّىٰ رجلٌ أبا عيسىٰ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إنَّ عيسىٰ لا أبَ لهُ »(٥) ، فكرهَ ذلكَ .

والسِّقْطُ ينبغي أنْ يُسمَّىٰ ، قالَ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ يزيدَ بنِ معاويةَ : بلغني

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » (٢٠/١٧٩) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٣/ ١٢٢٩) ، ومعناه في الحديث الآتي .

(٢) رواه مسلم (٢١٣٢) .

(٣) رواه البخاري (٢١٢٠) ، ومسلم (٢١٣١) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٣٦٣) ، وابن حبان في « صحيحه » (٥٨١٤) .

(٥) قال الحافظ العراقي : (رواه أبو عمر النوقاتي في كتاب « معاشرة الأهلين » من حديث ابن عمر بسند ضعيف ، ولأبي داوود [٤٩٦٣] : أن عمر ضرب ابناً له تكنَّىٰ أبا عيسىٰ ، وأنكر على المغيرة بن شعبة تكنيته بأبي عيسىٰ ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كنَّاني ، وإسناده صحيح) « إتحاف » (٥/ ٣٨٨) .

أنَّ السِّقْطَ يصرخُ يومَ القيامةِ وراءَ أبيهِ ، فيقولُ : أنتَ ضيَّعتَني وتركتَني لا اسمَ لي ، فقالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : كيفَ وقدْ لا يدري أنَّهُ غلامٌ أوْ جاريةٌ ؟! فقالَ عبدُ الرحمـٰنِ : منَ الأسماءِ ما يجمعُهُما ؛ كحمزةَ ، وعمارةَ ، وطلحةَ ، وعتبةَ(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّكُمْ تُدعونَ يومَ القيامةِ بأسمائِكُمْ وأسماءِ آبائِكُمْ ، فأحسنوا أسماءَكُمْ »(٢) .

ومَنْ لهُ اسمٌ يُكرهُ . . يُستحبُّ تبديلُهُ ، بدَّلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ اسمَ العاصِ بعبدِ اللهِ(٣) .

وقالَ أبو هريرةَ : كانَ اسمُ زينبَ برَّةَ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « تزكِّي نفسَها » فسمَّاها زينبَ(٤) .

وكذلكَ وردَ نهيٌ في اسمِ أفلحَ ويسارٍ ونافعٍ وبركةَ ؛ لأنَّهُ يُقالُ : أثمَّ بركةُ ؟ فيقولُ : لا(٥) .

* * *

---

(١) وقد روى الديلمي في « مسند الفردوس » (٣٣٩٢) : « سموا السقط . . يثقل الله به ميزانكم ، فإنه يأتي يوم القيامة فيقول : يا رب ؛ أضاعوني فلم يسموني » .

(٢) رواه أبو داوود (٤٩٤٨) .

(٣) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣١/٢٤٨) ، وكانوا ثلاثة ، فبدَّل صلى الله عليه وسلم اسمهم إلىٰ عبد الله .

(٤) رواه البخاري (٦١٩٢) ، ومسلم (٢١٤١) .

(٥) كما رویٰ مسلم (٢١٣٦) مرفوعاً : « لا تسمِّ غلامك رباحاً ولا يساراً ولا أفلح =

الأدبُ الرابعُ : العقيقةُ عنِ الذكرِ بشاتينِ ، وعنِ الأنثىٰ بشاةٍ ، ولا بأسَ بالشاةِ ذكراً كانَ أوْ أنثىٰ .

روتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أمرَ في الغلامِ بشاتينِ مكافئتينِ ، وفي الجاريةِ بشاةٍ[1] .

ورُوِي أنَّهُ عقَّ عنِ الحسنِ بشاةٍ، وهـٰذا رخصةٌ في الاقتصارِ علىٰ واحدةٍ[2] .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « معَ الغلامِ عقيقةٌ ، فأهريقوا عنهُ دماً ، وأميطوا عنهُ الأذىٰ »[3] .

ومِنَ السنَّةِ : أنْ يتصدَّقَ بوزنِ شعرِهِ ذهباً أوْ فضةً ؛ فقدْ وردَ فيهِ خبرٌ ؛ رُوِيَ أنَّهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ أمرَ فاطمةَ رضيَ اللهُ عنها يومَ سابعِ حسينٍ أنْ تحلقَ شعرَهُ ، وتتصدَّقَ بزنةِ شعرِهِ فضةً[4] .

= ولا نافعاً » ، وعنده كذلك (٢١٣٧) وفيه : « ولا نجيحاً ، فإنك تقول : أثمَّ هو ؟ فيقول : لا . . . » الحديث ، وعنده أيضاً (٢١٣٨) أنه صلى الله عليه وسلم أراد أن ينهىٰ عن أن يسمىٰ بيعلىٰ وببركة وبأفلح وبيسار وبنافع وبنحو ذلك . . . الحديث .

[1] رواه الترمذي (١٥١٣) ، **والمكافئتان** : المتساويتان سناً وحسْناً .

[2] رواه أبو داوود (٢٨٤١) بلفظ : (عقَّ عن الحسن والحسين كبشاً كبشاً) ، وأورده الترمذي في ذيل (١٥١٤) وقال : (وقد ذهب بعض أهل العلم إلىٰ هـٰذا الحديث) ذاكراً الرخصة .

[3] رواه البخاري (٥٤٧١) .

[4] رواه الحاكم في « المستدرك » (٤/ ٢٣٧) ، وهو عند الترمذي (١٥١٩) عن الحسن بدل الحسين رضي الله عنهما .

قالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (لا يُكسرُ للعقيقةِ عظمٌ)⁽¹⁾ .

* * *

الأدبُ الخامسُ : أنْ يحنِّكَهُ بتمرةٍ أوْ حلاوةٍ ، رُوِيَ عنْ أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُما أنَّها قالتْ : (ولدتُ عبدَ اللهِ بنَ الزبيرِ بقُباءَ ، ثمَّ أتيتُ بهِ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فوضعتُهُ في حجرِهِ ، ثمَّ دعا بتمرةٍ ، فمضغَها ، ثمَّ تفلَ في فيهِ ، فكانَ أوَّلَ شيءٍ دخلَ جوفَهُ ريقُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ثمَّ حنَّكَهُ بتمرةٍ ، ثمَّ دعا لهُ وبرَّكَ عليهِ ، وكانَ أوَّلَ مولودٍ ولدَ في الإسلامِ ، ففرحوا بهِ فرحاً شديداً ؛ لأنَّهُمْ قيلَ لَهُمْ : إنَّ اليهودَ قدْ سحَرتْكُمْ فلا يولدُ لكُمْ)⁽²⁾ .

* * *

الثانيَ عشرَ⁽³⁾ : في الطلاقِ :

وليعلمْ أنَّهُ مباحٌ ، ولكنَّهُ أبغضُ المباحاتِ إلى اللهِ تعالىٰ⁽⁴⁾ ، وإنَّما يكونُ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٤٧٤٦) .

(٢) رواه البخاري (٥٤٦٩) ، ومسلم (٢١٤٦) ، ومعنىٰ كونه **أول مولود في الإسلام** : أي بالمدينة من قريش .

(٣) من الآداب التي على الزوج مراعاتها مع زوجته .

(٤) وهـٰذا مبني علىٰ قول : إن المباح يشمل المكروه والمندوب ؛ إذ يفسر بما يجوز الإقدام عليه ، قال الإمام القرافي في « شرح تنقيح الفصول » (ص٧١) : (وتفسيرها ـ أي : الإباحة ـ باستواء الطرفين هو اصطلاح المتأخرين ، فإذا اندرج فيها المكروه ويكون الطلاق من أشد المكروهات.. فيفهم الحديث حينئذ ، وإلا.. يتعذر فهمه) . =

مباحاً إذا لمْ يكنْ فيهِ إيذاءٌ بالباطلِ ، ومهما طلَّقها . . فقدْ آذاها ، ولا يُباحُ إيذاءُ الغيرِ إلا بجنايةٍ مِنْ جانبِها ، أوْ بضرورةٍ مِنْ جانبِهِ ، قال تعالىٰ : ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾ أيْ : لا تطلبوا حيلةً للفراقِ .

وإنْ كرهَها أبوهُ . . فليطلقْها ، قالَ ابنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما : كانَ تحتي امرأةٌ أحبُّها ، وكانَ أبي يكرهُها ويأمرُني بطلاقِها ، فراجعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : « يا بنَ عمرَ ؛ طلِّقِ امرأتَكَ »[1] ، فهٰذا يدلُّ علىٰ أنَّ حقَّ الوالدِ مقدَّمٌ ، ولكنْ والدٌ يكرهُها لا لغرضٍ فاسدٍ مثلُ عمرَ .

ومهما آذتْ زوجَها ، وبَذَتْ علىٰ أهلِهِ . . فهيَ جانيةٌ ، وكذلكَ مهما كانتْ سيئةَ الخلقِ ، أوْ فاسدةَ الدينِ ، قالَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ : (مهما بَذَتْ علىٰ أهلِهِ وآذتْ زوجَها . . فهوَ فاحشةٌ)[2] ، وهٰذا أريدَ

= والحديث هو ما رواه أبو داوود (٢١٧٨) ، وابن ماجه (٢٠١٨) مرفوعاً : « أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق » ، وقال الحافظ الزبيدي : (وإنما كان كذلك من حيث أداؤه إلىٰ قطع الوصلة وحل قيد العصمة المؤدي إلى التناسل الذي به تكثير هٰذه الأمة ، لا من حقيقته في نفسه ؛ فإنه ليس بحرام ولا مكروه أصالة ، بل تجري فيه الأحكام الخمسة) . « إتحاف » (٥/ ٣٩١) .

[1] رواه أبو داوود (٥١٣٨) ، والترمذي (١١٨٩) ، وابن ماجه (٢٠٨٨) .

[2] كذا في « القوت » (٢/ ٢٥٤) ، وقد رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٦/ ٣٢٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٧/ ٤٣١) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ونقل ابن عبد البر في « التمهيد » (١٩/ ١٤٩) القول عنهما ، و**بذت** : تكلمت بالبذاء ، وهو الفحش من القول .

بهِ فِي العِدَّةِ ، ولكنَّهُ تنبيهٌ على المقصودِ .

وإنْ كانَ الأذىٰ مِنَ الزوجِ . . فلها أنْ تفتديَ ببذْلِ مالٍ ، ويُكرهُ للرجلِ أنْ يأخذَ منها أكثرَ ممَّا أعطىٰ ؛ فإنَّ ذلكَ إجحافٌ بها وتحاملٌ عليها ، وتجارةٌ على البضْعِ ، قالَ تعالىٰ : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ﴾ ، فردُّ ما أخذتْهُ فما دونَهُ لائقٌ بالفداءِ .

فإنْ سألتِ الطلاقَ بغيرِ ما بأسٍ . . فهيَ آثمةٌ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أيُّما امرأةٍ سألتْ زوجَها طلاقَها مِنْ غيرِ ما بأسٍ . . لمْ تَرِحْ رائحةَ الجنَّةِ » ، وفي لفظٍ : « فالجنَّةُ عليها حرامٌ »(١) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « المختلعاتُ هُنَّ المنافقاتُ »(٢) .

* * *

ثمَّ ليراعِ الزوجُ في الطلاقِ أربعةَ أمورٍ :

الأوَّلُ : أنْ يطلِّقَها في طهرٍ لمْ يجامعْها فيهِ : فإنَّ الطلاقَ في الحيضِ أوِ الطهرِ الذي جامعَ فيهِ بدعيٌّ حرامٌ وإنْ كانَ واقعاً ؛ لما فيهِ مِنْ تطويلِ العِدَّةِ عليها .

فإنْ فعلَ ذلكَ . . فليراجعْها ، طلَّقَ ابنُ عمرَ امرأتَهُ في الحيضِ ، فقالَ

---

(١) رواه أبو داوود (٢٢٢٦) ، والترمذي (١١٨٧) ، وابن ماجه (٢٠٥٥) .

(٢) رواه الترمذي (١١٨٦) ، والنسائي (٦/١٦٨) .

رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لعمرَ : « مرْهُ فليراجعْها حتَّىٰ تطهرَ ، ثمَّ تحيضَ ، ثمَّ تطهرَ ، ثمَّ إنْ شاءَ . . طلقَها ، وإنْ شاءَ . . أمسكَها ، فتلكَ العِدَّةُ التي أمرَ اللهُ تعالىٰ أنْ يطلَّقَ لها النساءُ »[1] ، وإنَّما أمرَهُ بالصبرِ بعدَ الرجعةِ طهرينِ لئلا يكونَ مقصودُ الرجعةِ الطلاقَ فقطْ .

* * *

الثاني : أنْ يقتصرَ علىٰ طلقةٍ واحدةٍ : فلا يجمعَ بينَ الثلاثِ ؛ لأنَّ الطلقةَ الواحدةَ بعدَ العِدَّةِ تفيدُ المقصودَ ، ويستفيدُ بها الرجعةَ إنْ ندمَ في العِدَّةِ ، وتجديدَ النكاحِ إنْ أرادَ بعدَ العِدَّةِ[2] .

وإذا طلَّقَ ثلاثاً . . ربَّما ندمَ ، فيحتاجُ إلىٰ أنْ يُزوِّجَها محلِّلاً وإلى الصبرِ مدةً ، وعقدُ المحلِّلِ منهيٌّ عنهُ[3] ، ويكونُ هوَ الساعيَ فيهِ ، ثمَّ يكونُ قلبُهُ معلَّقاً بزوجةِ الغيرِ وتطليقِهِ ؛ أعني : زوجةَ المحلِّلِ بعدَ أنْ زوَّجَ منهُ ، ثمَّ يورثُ ذلكَ تنفيراً مِنَ الزوجةِ ، وكلُّ ذلكَ ثمرةُ الجمعِ ، وفي الواحدةِ كفايةٌ في المقصودِ مِنْ غيرِ محذورٍ ، ولستُ أقولُ : الجمعُ حرامٌ ، ولكنَّهُ مكروهٌ بهـٰذهِ المعاني ، وأعني بالكراهةِ : تركَهُ النظرَ لنفسِهِ .

* * *

---

[1] رواه البخاري (٥٢٥٢) ، ومسلم (١٤٧١) .

[2] قال تعالىٰ : ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ ، وهو الندم الذي يحمل على الرجعة .

[3] كما روىٰ ذلك أبو داوود (٢٠٧٦) ، والترمذي (١١١٩) ، والنسائي (٦/ ١٤٩) ، وابن ماجه (١٩٣٤) من لعن المحلِّلِ والمحلَّلِ له .

الثالثُ : أنْ يتلطَّفَ في التعلُّلِ بتطليقِها مِنْ غيرِ تعنيفٍ واستخفافٍ : ويطيِّبَ قلبَها بهديةٍ علىٰ سبيلِ الإمتاعِ والجبرِ لما فجعَها بهِ مِنْ أذى الفراقِ ، قالَ تعالىٰ : ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ ﴾ ، وذلكَ واجبٌ مهما لمْ يُسمَّ لها مهرٌ في أصلِ النكاحِ(١) .

كانَ الحسنُ بنُ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما مطلاقاً منكاحاً ، ووجَّهَ ذاتَ يومٍ بعضَ أصحابِهِ بطلاقِ امرأتينِ منْ نسائِهِ وقالَ : قلْ لهما : اعتدَّا ، وأمرَهُ أنْ يدفعَ إلىٰ كلِّ واحدةٍ عشرةَ آلافِ درهمٍ ، ففعلَ ، فلمَّا رجعَ إليهِ . . قالَ : ماذا فعلتا ؟ فقالَ : أمَّا إحداهما . . فنكسَتْ رأسَها وسكتَتْ ، وأمَّا الأخرىٰ . . فبكتْ وانتحبتْ ، فسمعتُها تقولُ : متاعٌ قليلٌ مِنْ حبيبٍ مفارقٍ ، فأطرقَ الحسنُ ، ورحمَ لها وقال : لوْ كنتُ مراجعاً امرأةً بعدَما أفارقُها . . لراجعتُها(٢) .

ودخلَ الحسنُ ذاتَ يومٍ علىٰ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ فقيهِ المدينةِ ورئيسِها ، ولمْ يكنْ لهُ بالمدينةِ نظيرٌ ، وبهِ ضربتِ المثلَ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها حيثُ قالتْ : (لوْ لمْ أسرْ مسيري ذلكَ . . لكانَ أحبَّ إليَّ مِنْ أنْ يكونَ لي ستةَ عشرَ ذكراً مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مثلُ عبدِ

---

(١) في النسخ : (لم يسلِّم) ، والمثبت من (ق) ، ولعله الصواب ، والله أعلم .

(٢) تقدم الحديث عن ذلك ، والخبر رواه السراج القاري في « مصارع العشاق » (٢/١٩٨) ، وهو في « القوت » (٢/٢٤٦) .

الرحمـٰنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ)(١) ، فدخلَ عليهِ في بيتِهِ ، فعظَّمَهُ عبدُ الرحمـٰنِ وأجلسَهُ في مجلسِهِ وقالَ : ألا أرسلتَ إليَّ فكنتُ أجيئُكَ ؟! فقالَ : الحاجةُ لنا ، فقالَ : وما هيَ ؟ قالَ : جئتُكَ خاطباً ابنتَكَ ، فأطرقَ عبدُ الرحمـٰنِ ثمَّ رفعَ رأسَهُ وقالَ : واللهِ ؛ ما علىٰ وجهِ الأرضِ أحدٌ يمشي عليها أعزَّ عليَّ منكَ ، ولكنَّكَ تعلمُ أنَّ ابنتي بضعةٌ منِّي ، يسوءُني ما ساءَها ، ويسرُّني ما سرَّها ، وأنتَ مطلاقٌ ، فأخافُ أنْ تطلِّقَها ، وإنْ فعلتَ . . خشيتُ أنْ يتغيَّرَ قلبي في محبَّتِكَ ، وأكرهُ أنْ يتغيَّرَ قلبي عليكَ ؛ فإنَّكَ بضعةٌ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فإنْ شرطتَ ألاَّ تطلِّقَها . . زوجتُكَ ، فسكتَ الحسنُ وقامَ وخرجَ ، وقالَ بعضُ أهلِ بيتِهِ : سمعتُهُ وهوَ يمشي يقولُ : ما أرادَ عبدُ الرحمـٰنِ إلا أنْ يجعلَ ابنتَهُ طوقاً في عنقي(٢) .

وكانَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ يضجرُ منْ كثرةِ تطليقِهِ ، فكانَ يعتذرُ منهُ على المنبرِ ويقولُ في خطبتِهِ : إنَّ حسناً مطلاقٌ ، فلا تُنكحوهُ ، حتَّىٰ قامَ رجلٌ منْ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « المتمنين » (٦٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٢/ ٤٣٥) ، وتقصد ترك سيرها يوم الجمل رضي الله عنها .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٤٦) ، وهـٰذا الرجل مع جلالة قدره ونبله لم يوفق إلىٰ أن يغلّب حبه الاختياري علىٰ حبه الاضطراري ، مع كثرة بناته ، فصرف ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير إجابة ، وتعلل بما لا يفيده ، هلا فعل مثل بني همدان كما سيذكره المصنف . « إتحاف » (٥/ ٤٠٠) .

همدانَ فقالَ : واللهِ ، يا أميرَ المؤمنينَ ؛ لَنُنْكِحَنَّهُ ما شاءَ ، فإنْ أحبَّ . . أمسكَ ، وإنْ أحبَّ . . تركَ ، فسَرَّ ذلكَ عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ فقالَ(١) : [من الطويل]

وَلَوْ كُنْتُ بَوَّاباً عَلَىٰ بابِ جَنَّةٍ لَقُلْتُ لِهَمْدانَ ٱدْخُلُوا بِسَلامِ

وهٰذا تنبيهٌ علىٰ أنَّ مَنْ طعنَ في حبيبِهِ مِنْ أهلٍ وولدٍ لنوعِ حياءٍ فلا ينبغي أنْ يُوافقَ عليهِ ، فهٰذهِ الموافقةُ قبيحةٌ ، بلِ الأدبُ المخالفةُ ما أمكنَ ، فإنَّ ذلكَ أسرُّ لقلبِهِ ، وأوفقُ لباطنِ رأيِهِ(٢) .

والقصدُ مِنْ هٰذا : بيانُ أنَّ الطلاقَ مباحٌ ، وقدْ وعدَ اللهُ تعالى الغنىٰ في الفراقِ والنكاحِ جميعاً ، فقالَ تعالىٰ : ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ .

* * *

الرابعُ : ألاَّ يفشيَ سرَّها لا في الطلاقِ ولا عندَ النكاحِ : فقدْ وردَ في إفشاءِ سرِّ النساءِ في الخبرِ الصحيحِ وعيدٌ عظيمٌ(٣) .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٤٦) ، وصبح الأعشىٰ (١٣/ ٢٣٤) ، والعقد الفريد (٣/ ٣٩٠) ، وانظر « ديوان سيدنا علي » الموسوم بـ« أنوار العقول لوصي الرسول » (ص ٣٥٥) .

(٢) يريد بذلك تأديبه وتوبيخه ، وهٰذا هو الحق ، وقد غلط فيه كثيرون . « إتحاف » (٥/ ٤٠٠) .

(٣) كما روىٰ مسلم (١٤٣٧) مرفوعاً : « إن من أشرِّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجلَ يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ، ثم ينشر سرَّها » .

ويُروىٰ عنْ بعضِ الصالحينَ أنَّهُ أرادَ طلاقَ امرأةٍ ، فقيلَ لهُ : ما الذي يريبُكَ فيها ؟ فقالَ : العاقلُ لا يهتكُ سترَ امرأتِهِ ، فلمَّا طلَّقَها . . قيلَ لهُ : لمَ طلقْتَها ؟ فقالَ : ما لي ولامرأةِ غيري ؟!

فهٰذا بيانُ ما على الزوجِ .

* * *

القسم الثّاني من هذا الباب
النّظر في حقوق الزّوج عليها

والقولُ الشافي فيهِ : أنَّ النكاحَ نوعُ رقٍّ ، وهيَ رقيقةٌ لهُ ، فعليها طاعةُ الزوجِ مطلقاً في كلِّ ما طلبَ منها في نفسِها ، ممَّا لا معصيةَ فيهِ .

وقدْ وردَ في تعظيمِ حقِّ الزوجِ عليها أخبارٌ كثيرةٌ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أيُّما امرأةٍ ماتَتْ وزوجُها عنها راضٍ . . دخلَتِ الجنَّةَ »⁽¹⁾ .

وكانَ رجلٌ قدْ خرجَ إلىٰ سفرٍ ، وعهدَ إلى امرأتِهِ ألاَّ تنزلَ مِنَ العلوِ إلى السفلِ ، وكانَ أبوها في السفلِ ، فمرضَ ، فأرسلتِ المرأةُ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ تستأذنُ في النزولِ إلىٰ أبيها ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أطيعي زوجَكِ » ، فماتَ ، فاستأمرتْهُ ، فقالَ : « أطيعي زوجَكِ » ، فدُفنَ أبوها ، فأرسلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إليها يخبرُها أنَّ اللهَ تعالىٰ قدْ غفرَ لأبيها بطاعتِها لزوجِها⁽²⁾ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إذا صلَّتِ المرأةُ خمسَها ، وصامَتْ شهرَها ، وحفظَتْ فرجَها ، وأطاعَتْ زوجَها . . دخلَتْ جنَّةَ ربِّها »⁽³⁾ .

---

(1) رواه الترمذي (١١٦١) ، وابن ماجه (١٨٥٤) .

(2) رواه عبد بن حميد في « مسنده » (١٣٧٠) ، والطبراني في « الأوسط » (٧٦٤٤) .

(3) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١٩١) ، وابن حبان في صحيحه (٤١٦٣) .

وأضافَ طاعةَ الزوجِ إلىٰ مباني الإسلامِ .

وذكرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ النساءَ فقالَ : « حاملاتٌ ، والداتٌ ، مرضعاتٌ ، رحيماتٌ بأولادِهِنَّ ، لولا ما يأتينَ إلىٰ أزواجِهِنَّ . . دخلَ مُصلِّياتُهُنَّ الجنَّةَ »(١) .

وقالَ ﷺ : « اطلعتُ في النارِ ، فإذا أكثرُ أهلِها النساءُ » ، فقلنَ : لِمَ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « يكثِرْنَ اللعنَ ، ويكفرْنَ العشيرَ »(٢) يعني : الزوجَ المعاشرَ .

وفي خبرٍ آخرَ : « اطلعتُ في الجنَّةِ ، فإذا أقلُّ أهلِها النساءُ ، فقلتُ : أينَ النساءُ ؟ فقيلَ : شغلَهُنَّ الأحمرانِ ؛ الذهبُ والزعفرانُ »(٣) يعني : الحليَ ومصبغاتِ الثيابِ .

وقالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : أتَتْ فتاةٌ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَتْ : يا نبيَّ اللهِ ؛ إنِّي فتاةٌ أُخطبُ ، وإنِّي أكرهُ التزويجَ ، فما حقُّ الزوجِ على المرأةِ ؟ قالَ : « لوْ كانَ مِنْ قرنِهِ إلىٰ قدمِهِ صديدٌ فلحستْهُ . . ما أدَّتْ

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٠١٣) دون قوله : (مرضعات) ، وهي عند الطبراني في « الصغير » (٢/ ٤٧) ، وقوله : (لولا ما يأتين إلىٰ أزواجهن) ؛ أي : من كفران العشير ونحوه .

(٢) رواه البخاري (٣٠٤) ، ومسلم (٨٠) .

(٣) كذا في « القوت » (٢/ ٢٥٢) ، وبنحوه رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٢٥٩) وفيه : (الحرير) بدل (الزعفران) ، وعند مسلم (٢٧٣٨) مرفوعاً : « إن أقلَّ ساكني الجنة النساء » ، وذكْر الزعفران جاء عند أبي نعيم في « معرفة الصحابة » (٦/ ٣٤٠٢) .

شكرَهُ » ، قالتْ : فلا أتزوَّجُ ؟ قالَ : « بلىٰ تزوَّجي ، فإنَّهُ خيرٌ »(١) .

وقالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : أتتِ امرأةٌ مِنْ خثعمٍ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقالتْ : إنِّي امرأةٌ أيِّمٌ ، وأريدُ أنْ أتزوَّجَ ، فما حقُّ الزوجِ ؟ قالَ : « إنَّ مِنْ حقِّ الزوجِ على الزوجةِ إذا أرادَها علىٰ نفسِها وهيَ علىٰ ظهْرِ بعيرٍ ألاَّ تمنعَهُ ، ومِنْ حقِّهِ ألا تُعطيَ شيئاً منْ بيتِهِ إلا بإذنِهِ ، فإنْ فعلَتْ ذلكَ . . كانَ الوزْرُ عليها والأجرُ لهُ ، ومِنْ حقِّهِ ألاَّ تصومَ تطوُّعاً إلا بإذنِهِ ، فإنْ فعلَتْ . . فقدْ جاعَتْ وعطشَتْ ولمْ يُقبلْ منها ، ومِنْ حقِّه ألا تخرجَ مِنْ بيتِها إلا بإذنهِ ، فإنْ فعلَتْ . . لعنتْها الملائكةُ حتَّىٰ ترجعَ إلىٰ بيتِها أوْ تتوبَ »(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لوْ أمرتُ أحداً أنْ يسجدَ لأحدٍ . . لأمرتُ المرأةَ أنْ تسجدَ لزوجِها مِنْ عظَمِ حقِّهِ عليها »(٣) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أقربُ ما تكونُ المرأةُ مِنْ وجهِ ربِّها إذا كانتْ في قعرِ بيتِها ، وإنَّ صلاتَها في صحنِ دارِها أفضلُ مِنْ صلاتِها في

---

(١) كذا في « القوت » (٢٥٢/٢) حيث قال : (روينا عن أم عبد المغنية عن عائشة رضي الله عنها . . .) ، وقد رواه أحمد في « المسند » (١٥٨/٣) ، والحاكم في « المستدرك » (١٧٢/٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه الطيالسي في « مسنده » (١٩٥١) وزاد : قيل : وإن كان ظالماً ؟ قال : « وإن كان ظالماً » ، ورواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٢٤٥٥) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٢٩٢/٧) ، وبعضه في « الصحيحين » .

(٣) رواه الترمذي (١١٥٩) .

المسجدِ ، وصلاتَها في بيتِها أفضلُ مِنْ صلاتِها في صحْنِ دارِها ، وصلاتَها في مُخْدَعِها أفضلُ مِنْ صلاتِها في بيتِها »(١) ، والمخدعُ : بيتٌ في بيتٍ ، وذلكَ للسترِ ، ولذلكَ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « المرأةُ عورةٌ ، فإذا خرجَتْ . . استشرفَها الشيطانُ »(٢) .

وقالَ أيضاً : « للمرأةِ عشرُ عوراتٍ ، فإذا تزوَّجتْ . . سترَ الزوجُ عورةً واحدةً ، فإذا ماتتْ سترَ القبرُ العشرَ عوراتٍ »(٣) .

* * *

فحقوقُ الزوجِ على الزوجةِ كثيرةٌ ، وأهمُّها أمرانِ :

أحدُهما : الصيانةُ والسترُ .

والآخرُ: تركُ المطالبةِ ممَّا وراءَ الحاجةِ، والتعفُّفُ عنْ كسبِهِ إذا كانَ حراماً.

وهكذا كانتْ عادةُ النساءِ في السلفِ ، كانَ الرجلُ إذا خرجَ مِنْ منزلِهِ . . تقولُ امرأتُهُ أوِ ابنتُهُ : إيَّاكَ وكسبَ الحرامِ ؛ فإنَّا نصبرُ على الجوعِ والضرِّ ، ولا نصبرُ على النارِ(٤) .

---

(١) كذا في « القوت » (٢/ ٢٥٢) وقد روى ابن حبان في « صحيحه » (٥٥٩٨) الشطر الأول منه ، وآخره عند أبي داوود (٥٧٠) .

(٢) رواه الترمذي (١١٧٣) .

(٣) رواه الديلمي في « مسند الفردوس » (٤٩٧٨) ، وروى الطبراني في « الكبير » (١٢/ ٩٦) مرفوعاً : « هما ستران ، الزوج والقبر » .

(٤) كذا في «القوت» (٢/ ٢٤٧)، وبنحوه روى ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٢/ ٤/ ٣١١).

وهَمَّ رجلٌ مِنَ السلفِ بالسفرِ ، فكرهَ جيرانُهُ سفرَهُ ، فقالوا لزوجتِهِ : لِمَ ترضينَ بسفرِهِ ولمْ يدعْ لكِ نفقةً ؟ فقالَتْ : زوجي منذُ عرفتُهُ عرفتُهُ أكَّالاً ، وما عرفتُهُ رزَّاقاً ، ولي ربٌّ رزَّاقٌ ، يذهبُ الأكَّالُ ويبقى الرزَّاقُ⁽¹⁾ .

وخطبتْ رابعةُ بنتُ إسماعيلَ أحمدَ بنَ أبي الحَواري ، فكرهَ ذلكَ ؛ لما كانَ فيهِ مِنَ العبادةِ وقالَ لها : واللهِ ، ما لي همةٌ في النساءِ لشغلي بحالي ، فقالَتْ : إنِّي لأشغلُ بحالي منكَ ، وما لي شهوةٌ ، ولكنِّي ورثتُ مالاً جزيلاً مِنْ زوجي ، فأردتُ أنْ أنفقَهُ علىٰ إخوانِكَ ، وأعرفَ بكَ الصالحينَ ، فيكونَ لي طريقاً إلى اللهِ تعالىٰ ، فقالَ : حتَّىٰ أستأذنَ أستاذي ، فرجعَ إلىٰ أبي سليمانَ الدارانيِّ ، قالَ : وكانَ ينهاني عنِ التزويجِ ويقولُ : ما تزوَّجَ أحدٌ مِنْ أصحابِنا إلاَّ تغيَّرَ ، فلما سمعَ كلامَها . قالَ : تزوَّجْ بها ؛ فإنَّها وليَّةٌ للهِ ، هـٰذا كلامُ الصدِّيقينَ ، قالَ : فتزوَّجْتُها ، فكانَ في منزلِنا كرٌّ مِنْ جصٍّ ، ففنيَ مِنْ غسْلِ أيدي المستعجلينَ للخروجِ بعدَ الأكلِ فضلاً عمَّنْ غسلَ بالأشنانِ ، قالَ : وتزوجتُ عليها ثلاثَ نسوةٍ ، فكانتْ تطعمُني الطيباتِ وتطيِّبُني وتقولُ : اذهبْ بنشاطِكَ وقوَّتِكَ إلىٰ أزواجِكَ ، وكانتْ رابعةُ هـٰذهِ تُشبَّهُ في أهلِ الشامِ برابعةَ العدويَّةِ في البصرةِ⁽²⁾ .

---

(1) قوت القلوب (٢/ ٢٤٧) .

(2) قوت القلوب (٢/ ٢٤٧) .

ومِنَ الواجباتِ عليها : ألاَّ تفرِّطَ في مالِهِ ، بلْ تحفظُهُ عليهِ ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا يحلُّ لها أنْ تطعمَ مِنْ بيتِهِ إلا بإذنِهِ إلا الرَّطْبَ الذي يُخافُ فسادُهُ ، فإنْ أطعمَتْ عنْ رضاهُ . . كانَ لها مثلُ أجرِهِ ، وإنْ أطعمَتْ بغيرِ إذنِهِ . . كانَ لهُ الأجرُ وعليها الوزرُ »[1] .

ومِنْ حقِّها على الوالدينِ : تعليمُها حسنَ المعيشةِ ، وآدابَ العِشرةِ معَ الزوجِ ؛ كما رُوِيَ أنَّ أسماءَ بنَ خارجةَ الفزاريَّ قالَ لابنتِهِ عندَ التزوجِ : إنَّكِ خرجتِ مِنَ العشِّ الذي فيهِ درجتِ ، فصرتِ إلىٰ فراشٍ لمْ تعرفيهِ ، وقرينٍ لمْ تألفيهِ ، فكوني لهُ أرضاً . . يكنْ لكِ سماءً ، وكوني لهُ مهاداً . . يكنْ لكِ عماداً ، وكوني لهُ أمةً . . يكنْ لكِ عبداً ، لا تلحفي بهِ فيقلاكِ ، ولا تباعدي عنهُ فينساكِ ، إنْ دنا . . فاقربي منهُ ، وإنْ نأىٰ . . فابعدي عنهُ ، واحفظي أنفَهُ وسمعَهُ وعينَهُ ، لا يشمُّ منكِ إلا طِيباً ، ولا يسمعُ إلاَّ حَسناً ، ولا ينظرُ إلا جميلاً[2] .

---

[1] كذا في « القوت » (٢/ ٢٥١) ، رواه الطيالسي في « مسنده » (١٩٥١) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٧/ ٢٩٢) بنحوه ، وليس فيه ذكر الرطب ، وعند أبي داوود (١٦٨٦) في مبايعة النساء وقد قالت إحداهن : يا نبي الله ؛ إنا كلٌّ علىٰ آبائنا وأبنائنا وأزواجنا ، فما يحل لنا من أموالهم ؟ فقال : « الرطب تأكلنه وتهدينه » قال أبو داوود : الرَّطْب : الخُبز والبقل والرُّطَب .

[2] كذا في « القوت » (٢/ ٢٥٥) ، وقد رواها عن أسماء بن خارجة كذلك ابن أبي الدنيا في « العيال » (١٣٦) مختصراً ، وبنحوه عند ابن عبد ربه في « العقد الفريد » (٦/ ٨٣) لامرأة عوف بن محلِّم توصي ابنتها أم إياس ، مع زيادة حسنة .

وقالَ رجلٌ لزوجتِهِ[1] : [من الطويل]

خُذِي ٱلْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي　　وَلا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ
وَلا تَنْقُرِينِي نَقْرَكِ ٱلدُّفَّ مَرَّةً　　فَإِنَّكِ لاَ تَدْرِينَ كَيْفَ ٱلْمُغَيَّبُ
وَلاَ تُكْثِرِي ٱلشَّكْوَىٰ فتَذْهَبَ بِٱلْهَوَىٰ　　وَيَأْبَاكِ قَلْبِي وَٱلْقُلُوبُ تَقَلَّبُ
فَإِنِّي رَأَيْتُ ٱلْحُبَّ فِي ٱلْقَلْبِ وَٱلأَذَى　　إِذا ٱجْتَمَعا لَمْ يَلْبَثِ ٱلْحُبُّ يَذْهَبُ

والقولُ الجامعُ في آدابِ المرأةِ مِنْ غيرِ تطويلٍ : أنْ تكونَ قاعدةً في قعرِ بيتها ، لازمةً لمغزلِها ، لا تُكثرُ صعودَها واطلاعَها ، قليلةَ الكلامِ لجيرانِها ، لا تدخلُ عليهِمْ إلا في حالٍ يوجبُ الدخولَ ، تحفظُ بعلَها في غيبتِهِ وحضرتِهِ ، وتطلبُ مسرَّتَهُ في جميعِ أمورِها ، ولا تخونُهُ في نفسِهَا ومالِهِ ، ولا تخرجُ مِن بيتِها إلا بإذنِهِ ، وإنْ خرجَتْ بإذنِهِ . . فمختفيةً في هيئةٍ رثَّةٍ ، تطلبُ المواضعَ الخاليةَ دونَ الشوارعِ والأسواقِ ، محترزةً مِنْ أنْ يسمعَ غريبٌ صوتَها ، أوْ يعرفَها بشخصِها ، لا تتعرَّفُ إلىٰ صديقِ بعلِها في حاجاتِها ، بلْ تتنكَّرُ علىٰ مَنْ تظنُّ أنَّهُ يعرفُها أو تعرفُهُ ، همُّها صلاحُ شأنِها ، وتدبيرُ بيتِها ، مقبلةً علىٰ صلاتِها وصيامِها ، وإذا استأذنَ صديقٌ

---

[1] والذي في « القوت » (٢/ ٢٥٥) ، و« العيال » (١٣٦) متابعة كلام أسماء بن خارجة حيث قالا : (وكوني كما قلتُ لأمك) وذكرا الأبيات ، وليس في « العيال » البيت الثاني . والأبيات لأسماء بن خارجة ، انظر « الأغاني » (٢٣/ ٨٠٦٩) ، وقيل : لأبي الأسود الدؤلي في « ديوانه » (ص ٣٨١) ، وانظر « المعمرون والوصايا » (ص ١٤٨) .

لبعلِها على البابِ وليسَ البعلُ حاضراً . . لمْ تستفهِمْهُ ، ولمْ تعاودْهُ في الكلامِ(١) ؛ غيرةً علىٰ نفسِها وبعلِها ، وتكونُ قانعةً مِنْ زوجِها بما رزقَ اللهُ عزَّ وجلَّ ، ومقدمةً حقَّهُ علىٰ حقِّ نفسِها وحقِّ سائرِ أقاربِها ، متنظفةً في نفسِها ، مستعدَّةً في الأحوالِ كلِّها؛ ليستمتعَ بها إنْ شاءَ ، مشفقةً علىٰ أولادِها ، حافظةً للسترِ عليهِمْ ، قصيرةَ اللسانِ عنْ سبِّ الأولادِ ومراجعةِ الزوجِ .

وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أنا وامرأةٌ سفعاءُ الخدينِ كهاتينِ في الجنَّةِ ؛ امرأةٌ آمَتْ مِنْ زوجِها وحبسَتْ نفسَها علىٰ بناتِها حتَّىٰ بانوا أوْ ماتوا »(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « حرَّم اللهُ علىٰ كلِّ آدميٍّ دخولَ الجنَّةِ قبلي ، غيرَ أنِّي أنظرُ عنْ يميني فإذا امرأةٌ تبادرُني إلىٰ بابِ الجنَّةِ ، فأقولُ : ما لهٰذهِ تبادرُني ؟ فيقالُ لي : يا محمدُ ؛ هٰذهِ امرأةٌ كانتْ حسناءَ جميلةً ، وكانَ عندَها يتامىٰ لها ، فصبرَتْ عليهِنَّ حتَّىٰ بلغَ أمرُهُنَّ الذي بلغَ ، فشكرَ اللهُ لها ذلكَ »(٣) .

ومِنْ آدابِها : ألاَّ تتفاخرَ على الزوجِ بجمالِها ، ولا تزدريَ زوجَها

---

(١) وإن لزم الأمر لضرورة الخطاب . . فلتجعل أصابعها علىٰ فمها وتغير صوتها بحيث يظن أنه صوت عجوز لا شابة . « إتحاف » (٥/ ٤٠٧) .

(٢) رواه أبو داوود (٥١٤٩) ، وآمت : مات عنها زوجها ، **وسفعاء الخدين** : متغيرة لون الخدين لما يكابدها من المشقة والضنك .

(٣) رواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٦٦٥١) ، والديلمي في « مسند الفردوس » (٥٨) .

لقبحِهِ ؛ فقدْ رُوِيَ أنَّ الأصمعيَّ قالَ : دخلتُ الباديةَ ، فإذا أنا بامرأةٍ مِنْ أحسنِ الناسِ وجهاً تحتَ رجلٍ مِنْ أقبحِ الناسِ وجهاً ، فقلتُ لها : يا هٰذهِ ؛ أترضينَ لنفسِكِ أنْ تكوني تحتَ مثلِهِ ؟! فقالتْ : يا هٰذا ؛ اسكتْ ، فقدْ أسأتَ في قولِكَ ، لعلَّهُ أحسنَ فيما بينَهُ وبينَ خالقِهِ فجعلَني ثوابَهُ ، ولعلِّي أسأتُ فيما بيني وبينَ خالقي فجعلَهُ عقوبتي ، أفلا أرضىٰ بما رضيَ اللهُ لي ؟! فأسكتتني(١) .

وقالَ الأصمعيُّ : رأيتُ في الباديةِ امرأةً عليها قميصٌ أحمرُ ، وهيَ مختضبةٌ ، وبيدِها سبحةٌ ، فقلتُ : ما أبعدَ هٰذا مِن هٰذا ! فقالتْ : [من الطويل]

وللهِ مِنِّي جانِبٌ لا أُضِيعُهُ ... وَلِلَّهْوِ مِنِّي وَٱلْبَطالَةِ جانِبُ

فعلمتُ أنَّها امرأةٌ صالحةٌ لها زوجٌ تتزيَّنُ لهُ(٢) .

ومِنْ آدابِ المرأةِ : ملازمةُ الصلاحِ والانقباضِ في غيبةِ زوجِها ، والرجوعُ إلى اللعبِ والانبساطِ وأسبابِ اللذَّةِ في حضورِ زوجِها .

ولا ينبغي أنْ تؤذيَ زوجَها بحالٍ ، رُوِيَ عنْ معاذِ بنِ جبلٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تؤذي امرأةٌ زوجَها في الدنيا إلا قالَتْ زوجتُهُ مِنَ الحورِ العينِ : لا تؤذيهِ قاتلكِ اللهُ ، فإنَّما هوَ

---

(١) رواه ابن الطيوري في « الطيوريات » (١٩٥) .

(٢) أورد الخبر ابن حمدون في « تذكرته » (٧/ ١٩٩) والبيت من غير نسبة ، وانظر « محاضرات الأدباء » (٣/ ٤٥١) .

عندَكِ دخيلٌ ، يوشكُ أنْ يفارقَكِ إلينا »⁽¹⁾ .

وممَّا يجبُ عليها مِنْ حقوقِ النكاحِ إذا ماتَ عنها زوجُها : ألاَّ تحدَّ عليهِ أكثرَ مِنْ أربعةِ أشهرٍ وعشرٍ ، وتتجنَّبُ الطيبَ والزينةَ في هـٰذهِ المدَّةِ ، قالتْ زينبُ بنتُ أبي سلمةَ : دخلتُ علىٰ أمِّ حبيبةَ زوجِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حينَ توفِّيَ أبوها أبو سفيانَ بنُ حربٍ ، فدعَتْ بطيبٍ فيهِ صفرةُ خلوقٍ أوْ غيرِهِ ، فدهنَتْ بهِ جاريةً ثمَّ مسَّتْ بعارضيها ، ثمَّ قالتْ : واللهِ ؛ ما لي بالطيبِ مِنْ حاجةٍ ، غيرَ أنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أنْ تُحدَّ علىٰ ميتٍ أكثرَ مِنْ ثلاثةِ أيامٍ إلا علىٰ زوجٍ أربعةَ أشهرٍ وعشراً »⁽²⁾ .

ويلزمُها لزومُ مسكنِ النكاحِ إلىٰ آخرِ العدَّةِ ، وليسَ لها الانتقالُ إلىٰ أهلِها ، ولا الخروجُ إلاَّ لضرورةٍ .

ومِنْ آدابِها : أنْ تقومَ بكلِّ خدمةٍ في الدارِ تقدرُ عليها ، فقد رُوِيَ عنْ أسماءَ بنتِ الصدِّيقِ رضيَ اللهُ عنهُما أنَّها قالَتْ : تزوَّجَني الزبيرُ وما لهُ في الأرضِ مِنْ مالٍ ولا مملوكٍ ولا شيءٍ غيرَ فرسِهِ وناضحِهِ ، فكنتُ أعلفُ فرسَهُ ، وأكفيهِ مؤنتَهُ وأسوسُهُ ، وأدقُّ النوىٰ لناضحِهِ وأعلفُهُ ، وأستقي الماءَ ، وأخرزُ غَرْبَهُ ، وأعجنُ ، وكنتُ أنقلُ النوىٰ علىٰ رأسي مِنْ ثلثي

---

(1) رواه الترمذي (١١٧٤) ، وابن ماجه (٢٠١٤) .

(2) رواه البخاري (١٢٨٢ ، ٥٣٣٤) ، ومسلم (١٤٨٦) .

فرسخٍ ، حتَّىٰ أرسلَ إليَّ أبو بكرٍ بجاريةٍ ، فكفتني سياسةَ الفرسِ ، فكأنَّما أعتقَني ، ولقيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يوماً ومعَهُ أصحابُهُ والنوىٰ علىٰ رأسي ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إخْ إخْ » ؛ لينيخَ ناقتَهُ ويحملَني خلفَهُ ، فاستحييتُ أنْ أسيرَ معَ الرجالِ وذكرتُ الزبيرَ وغيرتَهُ ، وكانَ أغيرَ الناسِ ، فعرفَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنِّي قدِ استحييتُ ، فجئتُ الزبيرَ ، فحكيتُ لهُ ما جرىٰ ، فقالَ : واللهِ ؛ لحمُلكِ النوىٰ علىٰ رأسِكِ أشدُّ عليَّ مِنْ ركوبِكِ معَهُ(١) .

* * *

تمّ كتاب آداب النّكاح

وهو الكتاب الثّاني من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدّين

بحمد الله وعونه ، وصلاته على نبيّنا محمّدٍ وآله وسلّم تسليماً

يتلوه كتاب آداب الكسب والمعاش

---

(١) إذ لا عار فيه ، بخلاف حمل النوىٰ ؛ فإنه ربما يتوهم منه خسة نفسه ودناءة همته . « إتحاف » (٥/٤١١) ، والخبر رواه البخاري (٥٢٢٤) ، ومسلم (٢١٨٢) .

Üçüncü Bab

EVLİLİKTE ÂDÂB-I MUÂŞERET

Birinci Kısım
KOCAYA DÜŞEN VAZÎFELER VE EDEBLER

Erkeğin riâyete mecbûr olduğu hususlar on ikidir:

1 - Velîme; evlenirken düğün ziyâfeti vermekte,

2 - Muâşeret; iyi geçinmekte,

3 - Düâbe; arasıra kadın ile oynaşıp şakalaşmakta,

4 - Siyâset; kadını sevk u idâre etmekte,

5 - Gayret; iffet ve nâmusunu korumakta,

6 - Nafaka; geçimini sağlamakta,

7 - Tâlim; öğrenmekte,

8 - Kasem; kadınlar arasında adâlete riâyet etmekte,

9 - Nâşize; usûlüne uygun terbiye etmekte,

10 - Vika; münâsebette,

11 - Vilâdet; çocuk doğurmakta,

12 - Talâk; boşanmakta, adâlet ve edebe riâyet etmektir.

VELÎME

Birinci edeb: Evlenirken düğün yapıp ziyâfet vermek müstehaptır. **Enes** (r.a.) şöyle anlatıyor: “Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), Abdurrahmân b. Avf (r.a.)’ın benzinin sarardığını görünce:

- *"Bu nedir, benzin neden sarardı?"* diye sordu. Abdurrahmân:

- "Ya Rasûlallah! Evlendim, nikâh parası olarak da bir hurma çekirdeği ağırlığında altın verdim." dedi. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem:

- *"Allah mübârek etsin, bir koyun ile de olsa, ziyâfet ver."*[79] buyurdu. Rasûl-i Ekrem de Hz. Safiyye ile evlenirken, kavrulmuş undan helva gibi yapılan bir yemek ve hurma ziyafeti vermiştir.[80] Yine bir hadîsinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

طَعَامُ أَوَّلِ يَوْمٍ حَقٌّ، وَطَعَامُ الثَّانِي سُنَّةٌ، وَطَعَامُ الثَّالِثِ
سُمْعَةٌ، وَمَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللّٰهُ بِهِ

"Nikâhın birinci günü yedirmek bir vazife, ikinci günü sünnet, üçüncü gün ise sum'a (gösteriş ve riyâ)*dır. Gösteriş yapanlara, Allah gösteriş cezâsını verir."*[81] buyurmuştur. Hadîsi, yalnız Zeyyâd b Abdullah rivâyet ettiği için, garîbdir.

Evlenen zâtı, "Allah mübârek etsin, hayırlı olsun, ayrılık olmasın iyi geçimler nasîb olsun." gibi sözlerle tebrik etmek, müstehâbdır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in böyle emrettiğini Ebû Hüreyre (r.a.) rivâyet etmiştir. Ayrıca nikâhı ilân etmek, duyurmak da müstehâbtır. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz:

فَصْلُ مَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ الدُّفُّ وَالصَّوْتُ

"Helâl ile haramı (evlenmeyi ve gayr-ı meşrû münâsebeti) *birbirinden ayıran, def ve savttır."*[82] buyurmuştur. Diğer bir hadîste:

---

[79] Buhârî ve Müslim rivâyet etmişlerdir.

[80] Sıhâh-ı Erba'a, Enes'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[81] Tirmizî, İbn Mes'ûd'dan (r.a.) rivâyet etti.

[82] Tirmizî, İbn Mâce, Muhammed b. Hatıb'dan rivâyet etmişlerdir.

أَعْلِنُوا هٰذَا النِّكَاحَ، وَاجْعَلُوهُ فِي الْمَسَاجِدِ، وَاضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالدُّفُوفِ

"Nikâhı ilân edin ve onu câmilerde kıyın ve def çalmak sûretiyle de etrafa duyurun."[83] buyurmuştur.

Rebî' binti Muavviz anlatıyor: "Evlendiğimiz gecenin sabâhında, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) evimizi teşrif etti. Minderde oturdu. Küçük kızlar def çalıyor ve şehîd ecdâdımızı övüyorlardı. Bir ara birisi: "Aramızda yarın ne olacağını bilen bir Peygamber var." deyince, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اُسْكُتِي عَنْ هٰذِهِ وَقُولِي الَّذِي كُنْتِ تَقُولِينَ قَبْلَهَا

"Bunu bırak da önce söylediğin gibi söyle."[84] buyurdu.

MUÂŞERET

İkinci edeb: Kadınlarla iyi geçinmek ve akıllarının noksan olduğunu düşünüp onlara acıyarak eziyetlerine katlanmaktır. Nitekim Allahu Teâlâ:

وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ

"Onlarla güzel geçinin, iyi muâşerette bulunun." (Nisa sûresi, 4/19) buyurmuştur. Diğer âyet-i kerîmede:

وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا

"Onlar, sizden kuvvetli söz aldılar." (Nisa sûresi, 4/21);

---

[83] Tirmizî, Aişe'den (r.a.) rivâyet etti ve "Hasendir" dedi.

[84] Hadîsi Buhârî rivâyet etmiştir.

وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ

"Yakın arkadaşına iyilik et" (Nisa sûresi, 4/36) buyurulmuştur ki, bu yakın arkadaştan murâdın kadın olduğu söylenmiştir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in, dili peltteklediği ve sesi kısıldığı hâlde yaptığı son tavsiyesi şu üç şeydir:

اَلصَّلٰواةَ، الصَّلٰواةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، لَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا لَا يُطِيقُونَ، اَللّٰهَ، اَللّٰهَ، فَإِنَّ هُنَّ عَوَانٍ فِي أَيْدِيكُمْ (يَعْنِي أُسَرَاءَ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللّٰهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللّٰهِ)

"Namaz, namaz (namaza devâm edin). *Eliniz altında bulunanlara güçlerinden fazla iş teklif etmeyin. Kadınlarınız hakkında Allah'tan korkun; onlar sizin elinizde* (bir nevî) *hürriyetlerini kaybetmişlerdir. Onları, Allah ile muâhede ederek aldınız ve Allah adı ile onları kendinize helâl ettiniz.* (Allah'tan korkun, onlara iyi muâmelede bulunun.)*"*[85] buyurmuştur. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنْ صَبَرَ عَلٰى سُوءِ خُلُقِ امْرَأَتِهِ أَعْطَاهُ اللّٰهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مَا أَعْطٰى أَيُّوبَ عَلٰى بَلَائِهِ، وَمَنْ صَبَرَتْ عَلٰى سُوءِ خُلُقِ زَوْجِهَا أَعْطَاهَا اللّٰهُ مِثْلَ ثَوَابِ اٰسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ

"Karısının kötü huyuna tahammül eden erkeğe, Allahu Teâlâ, ibtilâya sabreden Eyüp aleyhisselâma verdiği mükâfat gibi ecir verir. Kocasının kötü huyuna tahammül eden kadına da, Firavun'un nikâhında bulunan Âsiye'ye verdiği mükâfatı verir."[86] buyurmuştur.

---

[85] Neseî **"Sünen-i Kübrâ"**da, İbn Mâce, Ümmü Seleme'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[86] Mehazı bulunamamıştır.

Âile arasında güzel ahlâk, yalnız kötülük etmemek değil, karşı tarafın yaptığı kötülüğe tahammül etmek, biri kızdığı zaman, diğeri sabretmektir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) böyle yapardı. Ona uyarak, öyle yapmak lâzımdır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in muhterem zevceleri kendisine çıkışıp, sabahtan akşama kadar yanına uğramadıkları olurdu. Bir gün **Hz. Ömer** (r.a.)'in zevcesi kendisine çıkıştı. Hz. Ömer: "Sen kim oluyorsun da bana çıkışıyorsun?" deyince zevcesi; "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) senden hayırlı olduğu hâlde, onun zevceleri de ona çıkışıyor." dedi. Hz. Ömer kızı için: "Hafsa da böyle yapıyorsa, helâk oldu." dedi.[87] Sonra kızı Hafsa'ya: "Sen Ebû Kuhâfe'nin (Hz. Ebû Bekir) kızı Âişe'ye bakma. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) onu sever. Sakın Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e boş boğazlık etme." dedi.

Rivâyete göre; pâk zevcelerinden biri Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in mübârek göğsünü yumrukladı. Bunu gören annesi, kızını azarlayınca, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz:

دَعِيهَا فَإِنَّهُنَّ يَصْنَعْنَ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ

"Bırak onu, onlar (bana) *bundan daha fazlasını da yaparlar."*[88] buyurdu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ile Hz. Âişe arasında münâkaşa oldu da, Ebû Bekir (r.a.)'i aralarında hakem tâyin ettiler. Ebû Bekir gelince, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Hz. Âişe (r.a.)'a hitâben:

تَكَلَّمِينَ أَوْ أَتَكَلَّمُ؟

"Konuşur musun, yoksa ben mi konuşayım?" buyurdu. Hz. Ai-

---

[87] Bu, Medine-i Münevvere'de oldu. Mekke'de erkekler kadınlara hâkimdi. Medine'de kadınlar daha serbestti. Mekke'den gelen kadınlar, Medine kadınlarını görünce, onlar da aynı yolu tâkip etmeye başladılar.

[88] Kaynağı bulunamamıştır.

şe: "Sen konuş, ama doğru söyle." dedi. Bu söze çok canı sıkılan Hz. Ebû Bekir, kızı Hz. Aişe'ye attığı bir tokat ile ağzını kana boyadı ve "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), hak ve hakikatten başka ne söyler?" dedi. Dayağı yiyen Âişe, hemen Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in arkasına kaçtı. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Ebû Bekir'e:

لَمْ نَدْعُكَ لِهٰذَا وَلَا أَرَدْنَا مِنْكَ هٰذَا

"Biz seni dayak atman için çağırmadık ve senden bunu istemedik (Ancak seni hakemlik için çağırdık.)*"*[89] buyurdu. Yine bir gün, öfkeli bir anında, Hz. Aişe (r.a.), Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e:

- "Sen de kendini Peygamber mi zannediyorsun?" dedi. Buna karşı Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), hilm û kereminden gülümsedi[90] ve

إِنِّي لَأَعْرِفُ غَضَبَكِ مِنْ رِضَاكِ

- *"Ben senin hiddetli olup olmadığını anlarım."* buyurdu. Hz. Âişe:

- *"Bunu nasıl anlarsın?"* deyince Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

قَالَ إِذَا رَضِيتِ قُلْتِ: لَا وَإِلٰهُ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا غَضِبْتِ قُلْتِ:
لَا وَإِلٰهُ إِبْرَاهِيمَ

- *"Hiddetli olmadığın zaman "Muhammed'in Rabb'ı hakkı için", hiddetli olduğun zaman da "İbrahim'in Rabb'ı hakkı için" dersin."* buyurdu. Hz. Âişe de:

---

[89] Taberânî "Evsât" da, Hatib'de "Tarih"inde. Hz. Aişe'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[90] Bu hâdiseyi Ebû Leys **"Müsned"**inde, Ebû Şeyh **"Kitâbu'l-Emsâl"** de Hz. Aişe'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

- "Doğru söylüyorsun, adını dilimden anmasam da, kalbimden anarım." dedi.[91]

Denildi ki; "Müslümanlar arasında ilk sevgi, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in Hz. Âişe'yi sevmesiyle başlar".[92] Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Hz. Aişe'ye:

كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ غَيْرَ أَنِّي لَا أُطَلِّقُكِ

"Ebû Zer Ümmü Zer'e nasıl idiyse ben de sana öyleyim. Şu var ki ben seni boşamam."[93] buyurmuştur.[94] Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), diğer zevcelerine:

لَا تُؤْذُونِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّهُ وَاللّٰهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي
لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا

"Âişe hakkında bana eziyet etmeyin. Zîra vallahi, Âişe'den başka hiçbirinizin yorganına bürünmüşken bana vahiy gelmemiştir."[95] buyurmuştur. Enes (r.a.): "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), kadınlara ve çocuklara karşı, insanların en merhametlisi idi." demiştir.[96]

---

[91] Buhârî ile Müslim. Hz. Aişe'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[92] Buhârî ile Müslim, Ömer b. As'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir. Rasûl-i Ekrem: "En çok Âişe'yi severim." buyurdu. Fakat İslâm'da ilk sevgi olmasını, İbnü'l-Cevzî **"Mevzûât"**ta zikretmiştir.

[93] Buhârî ile Müslim, Hz. Âişe'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir. Yalnız "Ancak, ben seni boşamam." ziyâdesini Zübeyr b. Bekkâr ve Hatîb rivâyet etmişlerdir.

[94] Bir kaç kadın bir araya toplanmışlardı. Herkes olduğu gibi kocasının ahvâlini anlatmıştı. Bunlar arasında bütün vasıfları ile takdîre şayan koca, Ümmü Zer'in kocası Ebû Zer idi. Tek kusûru ailesini boşamasıdır. Rasûl-i Ekrem, bunu ifade buyurmuştur. Hz. Aişe de: "Yok. Ya Rasûlallah, Sen bana daha iyisin." diye mukabelede bulundu.

[95] Buhârî, Hz. Âişe'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

[96] Biraz farklı ifâde ile Müslim rivâyet etmiştir. Beğavî'de "Sübyan" kaydı vardır.

DÜÂBE

Üçüncü edeb: Şakalaşmak ve oynaşmakla, onların sıkıntılarını teskîne çalışmak. Bu kabîl hareketler, kadınların gönlünü hoş eder. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), iş ve ahlâkla onların seviyesine iner ve onlarla şakalaşırdı. Hattâ Hz. Âişe (r.a.) ile yarış yaptığı rivâyet edilmiştir. Bir defasında Hz. Âişe yarışmayı kazandı. İkincide Hz. Âişe şişmanladığı için yarışmayı kazanamadı. Yarışmayı kazanan Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

هٰذِهِ بِتِلْكَ

"İşte bu şişmanlık sebebiyle kesildin kaldın; bir sen geçtin, bir de ben." buyurdu.[97] Yine haberde, aileleri ile en çok şakalaşanlardan birinin Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) olduğu vârid olmuştur.[98] Hz. Âişe (r.a.) şöyle anlatıyor: Aşûre gününde bâzı Habeşîlerin mescidde mızrak ve kalkan oynarken seslerini duyuyordum. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَتُحِبِّينَ أَنْ تَرِي لَعِبَهُمْ

"Oyunlarını görmek ister misin?" buyurdu. Ben de "Evet" dedim. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), onları çağırttı. Kendisi iki kapı arasında durdu ve omzunu kapıya dayadı. Ben de çenemi kolu üzerine koydum ve seyrettim. Bir iki defa:

حَسْبُكِ

- *"Yeter mi?"* diye sordu. Ben de:

"Biraz dur." dedim. Üçüncüde:

---

[97] Ebû Dâvûd, Neseî ve İbn Mâce, sahih sened ile Hz. Âişe'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[98] Hasan b. Sufyân **"Müsned"**inde Enes'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

يَا عَائِشَةُ حَسْبُكِ

- *“Ya Âişe! Sana bu kadar yeter.”* buyurdu. Ben de:

- “Evet.” deyince onları gönderdi.[99] Yine bir hadîsinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ

“Mü’minlerin imân yönünden en kâmili, ahlâkı en güzel ve âilesine karşı en çok lütufkâr davrananıdır.”[100] buyurmuştur. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِنِسَائِي

“Hayırlınız, ailesine iyi davranandır. Ben ise âileme karşı en iyi davrananınızım.”[101] buyurmuştur. **Hz. Ömer** (r.a.), çok titiz ve sert mizaçlı olduğu hâlde şöyle diyor: “İnsan, âilesine karşı çocuk gibi, hârice karşı da erkek gibi olmalıdır.” Lokman da aynı sözü söylemiş ve tavsiyede bulunmuştur. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’in:

إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْجَعْظَرِيَّ الْجَوَّاظَ

“Allah, ağır tabiatlı, sitemkâr, kibirli ve hiç kimseye ikramda bulunmayanlara buğz edicidir.”[102] Hadîs-i şerifteki “Ca’zarî, Cevvâz”

---

[99] Buhârî ile Müslim rivâyet etmişlerdir. Fakat “Aşûre günü” kaydı yoktur. “Bir bayram” diye zikredilmiştir. Sahih sened ile Neseî “Kübra”sında rivâyet etmiş ve orada “Acele etme” şeklinde vârid olmuştur.

[100] Tirmizî, Neseî ve Hâkim rivâyet etmişlerdir. Hâkim, Buhârî ve Müslim’in şartlarına göre râvilerinin sikadan olduğunu söylemiştir.

[101] Tirmizî, Ebû Hüreyre’den (r.a.) rivâyet etmiş ve sahih olduğunu söylemiştir. Fakat *“Ben ise âileme karşı en iyi davrananızım.”* kaydı yoktur. Bunu, Neseî, Hz. Aişe’den (r.a.) sahih sened ile rivâyet etmiştir.

[102] Ebû Bekir b. Lâl. **“Mekârim-i Ahlâk”** da Ebû Hüreyre’den (r.a.) rivâyet

kelimelerinden murâd, çoluk çocuğuna haşin davranıp, onlara karşı kibirlenen ve onlara iyi bakmayan kimsedir, denilmiştir. Allahü Teâlâ'nın "Utull" kavlinden murâd olan bir mânânın, çoluk çocuğa karşı kötü dilli, katı kalpli olan kimse olduğu söylenmiştir. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), Câbir (r.a.) e:

هَلَّا بِكْرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ

"Bâkire alsaydın o yalnız seni bilir, sen de onu bilirdin, beraber oynaşırdınız." buyurmuştur. Arap kadınlarından biri ölmüş olan kocası için şöyle diyor: "Eve geldiği zaman güler yüzlü, çıktığı vakit diline sâhip, bulduğunu yer ve kaybolanı aramazdı." İşte bu, erkeğin iyi vasıflarındandır.

SİYÂSET

Dördüncü edeb: Kadın ile yaptığı şaka ve eğlencede, kadını azdıracak ve ifrâta varacak şekilde, büsbütün onun arzularına uymamalı ve erkeklik vakarını kaybetmemeli, itidâle riâyet etmelidir. Kadının yanlış ve meşrû olmayan davranışlarına müsâade ve müsâmaha etmemelidir.

Hasan-ı Basrî: "Kadının meşrû olmayan arzularına uyan erkekler, yüzüstü cehenneme atılırlar." demiştir.

Hz. Ömer (r.a.): "Kadınlara muhâlefet edin; onlara muhalefette bereket vardır." demiştir. Nitekim: "Onlarla istişâre edin ve dediklerini yapmayın." denilmiştir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

تَعِسَ عَبْدُ الزَّوْجَةِ

---

etmiştir. Ayrıca Buhârî ile Müslim. Câriye b. Vehbu'l-Huzâî'den; (r.a.) Ebû Dâvûd da rivâyet etmişlerdir.

“Kadına kulluk eden (kılıbık)*lar helâk oldu.”*[103] buyurmuştur. Çünkü Allahü Teâlâ, erkekleri kadınlardan üstün yarattı ve kadını, erkeğin emrine verdi. Adam, kadının emrine girmekle hükmü değiştirip, şeytana itâat etmiş oldu. Nitekim âyet-i celîlede, şeytanın şöyle dediği haber verilmektedir:

وَلَاٰمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّٰهِ

“Allah’ın yarattığı şekli bozmalarını, onlara emredeceğim.” (Nisâ sûresi, 4/119). Çünkü erkek tâbi değil, metbû’dur. Âmir mevkiinde kadın değil, erkektir. Allahü Teâlâ erkeklere:

اَلرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ

“Onlar kadınlar üzerine kaimdirler.” buyurmuş ve erkeğe “Seyyid = Efendi” adını vermiştir. Nitekim âyet-i celîlede:

وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ

“Efendisi ile kapıda karşılaştılar.” (Yusuf sûresi, 12/25) buyurmuştur. Efendi, köle yerine geçerse, Allah’ın yarattığı değiştirilmiş olur.

Kadınlar, insanın nefsi gibidir. Yularını azıcık salıverirsen, süratle senden uzaklaşır; yularını azıcık gevşetirsen, o seni bir metre kendisine doğru çeker. Eğer onu kendine çeker ve kuvvetli tutarsan, ancak o zaman ona mâlik olursun.

İmâm Şafiî: “Üç kimse vardır ki, onlara yumuşak davranırsan, onlar sana ihânet eder; sert davranırsan, iyilik ederler. Onlar da kadın, hizmetkâr ve işçidir.” demiştir.

---

[103] Bu ifâde ile mehazı bulunamamıştır. Ancak: *“Altın ve gümüşe kul olanlarhelâk olurlar.”* rivâyeti vardır.

Arap kadınları kızlarını ere verirken şöyle tavsiye ederlerdi: "Kocanın karşısına çıkmadan önce onu dene. Süngüsünü kınından çıkar. Bir şey söylemezse, kalkanı üzerinde et kes. Buna da ses çıkarmazsa, kılıcıyla bir kemik kır. Buna da aldırmazsa, mesele kalmadı, o zaman sırtına çulu vur ve binip gezdir. Çünkü o, artık senin merkebindir."

Hülâsa: Yer ve gökler, adaletle kaimdir. Adalet sınırlarını aşan her şey, alt-üst olur. Şerlerinden emin olmak için, kadına muvafakat ve muhâlefette adalete riâyet etmeli ve hakka uymalıdır. Çünkü onların hîlesi büyük, kötülükleri açık, ekseriyetle ahlâkları bozuk ve akılları zayıftır. Bunlara karşı adâlet, şaka ile ciddiyeti birbirine karıştırarak, siyâset kullanmaktır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir hadîsinde:

مَثَلُ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ فِي النِّسَاءِ كَمَثَلِ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ بَيْنَ مِائَةِ غُرَابٍ

"Kadınlar arasında sâliha kadın, yüz tâne siyah karga arasında alaca bir karga gibidir."[104] buyurmuştur.

Lokman aleyhisselâmın oğluna yaptığı nasihatte: "Oğlum, kötü kadından sakın. Çünkü o, vaktinden önce seni kocaltır. Kadınların şerrinden kork. Çünkü onlar iyiliğe çağırmaz. İyi olanlarından bile kendini korumaya çalış." demiştir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de hadisinde:

اِسْتَعِيذُوا مِنَ الْفَوَاقِرِ الثَّلَاثِ

---

[104] Taberânî, Ebû Umâme'den (r.a.); Ahmed. Ömer b. el-As'dan (r.a.) sahih sened ile rivâyet etmişlerdir. Neseî'nin **"Sünen-i Kübrâ"**sında da vardır.

"Omur kemiğini kıran üç şeyden Allah'a sığının."[105] buyurarak kötü kadınları da bu üç sınıf arasında saydı. Çünkü onlar erkeği, yaşlanmadan kocaltırlar. Diğer ifâde ile

إِنْ دَخَلْتَ عَلَيْهَا سَبَّتْكَ وَإِنْ غِبْتَ عَنْهَا خَانَتْكَ

"Yanına girdiğinde pis pis konuşur, yanından ayrılırsan sana ihanet eder." buyrulmuştur. İyi kadınlar hakkında da:

إِنَّكُنَّ صَوَاحِبَاتُ يُوسُفَ

"Siz, Yûsuf aleyhisselâm'ın kadınları gibisiniz."[106] buyurmuştur.[107]

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in sırrını ifşâ ettiklerinde de:

إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللّٰهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا

"Allah'a tövbe ederseniz, kalpleriniz meyleder." (Tahrîm sûresi, 66/4) buyurdu. Bu hükmü, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in hayırlı zevceleri Âişe ve Hafsa hakkında verdi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) diğer hadîsinde:

لَا يُفْلِحُ قَوْمٌ تَمْلِكُهُمُ امْرَأَةٌ

"Kadın tarafından idâre edilen millet felâh bulmaz."[108] buyur-

---

[105] Ebû Mansûr Deylemî **"Müsned"**inde Ebû Hüreyre'den; (r.a.) diğer bir ifâde ile Taberânî Fudâle b. Ubeyd'den (r.a.) sened ile rivâyet etmişlerdir.

[106] Buhârî ile Müslim. Aişe'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[107] Buhârî, Ebû Bekir'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

[108] Rasûl-i Ekrem hastalığında Hz. Aişe'ye (r.a.) *"Ebû Bekir'e söyle namazı kıldırsın."* buyurdu. Hz. Aişe: "Onun sesi çıkmaz başkası kıldırsın." dedi. Bir iki defa tekerrür edince Rasûl-i Ekrem: *"Sen, Zûleyha gibi yapıyorsun."* buyurdu. Züleyhâ Mısır kadınlarını davet etti. Ziyâfet verdi. Maksadı ziyâfet

muştur. Kendisine karşı çıkışan zevcesine, **Hz. Ömer** (r.a.): "Sen, evin köşesinde bir oyuncak gibisin. İhtiyâcımız olduğu zaman seninle oynarız, ihtiyâcımız olmadı mı, orada durursun." dedi.

Anlaşılıyor ki, kadınların hem zaafı, hem de kötülük tarafları vardır. Kötülük taraflarını idâre etmek için siyâset ve sertlik, zaaf taraflarını idâre etmek için de merhamet ve yumuşaklık lâzımdır. Hâzık tabîb, derde göre dermanı verendir. Erkek, önce kadının ahlâkını denemeli, ona göre muâmele etmelidir.

GAYRET

Beşinci edeb: Kıskançlıkta îtidâldir. Bu, şöyle olur: Sonu kötülüğe varacak hareketlere göz yummamak, kötü kanâat sahibi olacak şekilde lüzûmsuz vesveseye kapılmamak, iğneden ipliğe inceleyip durmamaktır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), kadınların gizli hâllerini araştırmaktan men etmiştir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), Tebük gazâsından dönüşünde, Medine'ye girmeden önce şöyle buyurmuştur:

لَا تَطْرُقُوا النِّسَاءَ لَيْلًا

"Geceleyin habersiz olarak kadınlarınızın yanına gitmeyin."[109] Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'i dinlemeyip, geceleyin evine koşan iki kişi, hoşlanmadıkları vaziyetler ile karşılaştılar. Meşhûr bir haberde:

اَلْمَرْأَةُ كَالضِّلْعِ إِنْ قَوَّمْتَهُ كَسَرْتَهُ فَدَعْهُ تَسْتَمْتِعْ بِهِ عَلٰى عِوَجٍ

---

degil, Yusuf aleyhisselâmı onlara gösterip kendisini mazur göstermekti. Hz. Aişe de: "Ebû Bekir'in sesi çıkmaz. Bunun için kıldırmasın." dedi ki, maksadı bu değildi. İnsanlar, "Resul-i Ekrem'in mihrabına ilk geçen meş'ûm adam." demesinler idi. İşte bu bakımdan Züleyha gibi hareket etmiş oldu.

[109] Ahmed. İbn Ömer'den (r.a.) ceyyid sened ile rivâyet etmiştir.

“Kadın eğe kemiği gibidir. Onu doğrultmak istersen kırarsın. Onu kendi hâline bırak ve eğriliği ile ondan faydalanmaya çalış.”[110] diye vârid olmuştur. Yâni, kadının ahlâkını istediğin gibi düzeltemezsin. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ مِنَ الْغِيرَةِ غِيرَةً يَبْغَضُهَا اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهِيَ غِيرَةُ الرَّجُلِ
عَلٰى أَهْلِهِ مِنْ غَيْرِ رِيْبَةٍ

“Kıskançlıklardan öyleleri var ki, Allahü Teâlâ onlara buğz eder. O da, ortada şüpheyi gerektirecek bir şey yokken, kadına fuzûlî zahmet vermektir.”[111] buyurmuştur. Çünkü bu, kötü zandan başka bir şey değildir. Allahu Teâlâ ise bizi bundan men etmiştir. Hz. Ali (r.a.): “Fazla kıskançlık yapma. Zira bu yüzden kadını fenâlığa sevkedersin.” dedi.

Yerinde olan kıskançlık, makbul ve lâzımdır. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz:

إِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى يَغَارُ وَالْمُؤْمِنُ يَغَارُ وَغِيرَةُ اللّٰهِ تَعَالٰى أَنْ يَأْتِيَ
الرَّجُلُ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِ

“Allahu Teâlâ kıskanır; mü’min de kıskanır. Allahu Teâlâ’nın kıskançlığı, kişinin, kendisine haram olan şeyi yapmasıdır.” buyurmuştur.[112] Bir gün **Sa’d b. Ubâde**: “Aileme bir erkeğin tecâvüz ettiğini görseydim, onu kılıcımla öldürürdüm.” dedi. Ashâb, Sa’d’ın böyle söylediğini Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e arz ettiklerinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

[110] Buhârî ve Müslim, Ebû Hüreyre’den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[111] Ebû Dâvûd, Neseî ve İbn Hibbân Câbir b. Atîk’den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[112] Buhârî ile Müslim, Ebû Hüreyre’den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

أَتَعْجَبُونَ مِنْ غِيرَةِ سَعْدٍ أَنَا وَاللّٰهِ أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللّٰهُ أَغْيَرُ مِنِّي

"Sa'd'ın bu sözüne şaşıyor musunuz? Vallâhi ben ondan daha gayretliyim. Allahu Teâlâ ise benden de (bu hususta) *daha gayurdur."*[113] buyurdu. Allahu Teâlâ'nın gayreti sebebiyledir ki, zinânın gizli ve âşikâresi haram kılınmıştır. Allahu Teâlâ gibi, özür kabul eden kimse olmadığı için korkutucu ve müjdeleyici peygamberler göndermiştir. Allahu Teâlâ kadar affı seven kimse olmadığı için, cennet va'd etmiştir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فِي الْجَنَّةِ قَصْرًا وَبِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ لِمَنْ هٰذَا الْقَصْرُ فَقِيلَ لِعُمَرَ فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا فَذَكَرْتُ غِيرَتَكَ يَا عُمَرُ

"İsrâ ettirildiğim gece, cennette bir köşk gördüm. Etrafında bir câriye vardı. "Burası kimindir?" diye sorduğumda, "Ömer'indir." dediler. İçine bakmak istedim. Fakat ya Ömer, kıskançlığını hatırlayarak vazgeçtim."[114] buyurdu. Hz. Ömer (r.a.) ağlayarak:

"Size karşı da kıskançlık mı duyacaktım, ya Rasûlallah!" dedi.

Hasan-ı Basrî: "Nasıl olur da âilelerinizi sokaklara gönderirsiniz, müşrikler arasında gezerler. Kıskançlığı olmayanı Allahu Teâlâ takbîh etmiştir." dedi. Rasûl-İ Ekrem:

إِنَّ مِنَ الْغِيرَةِ مَا يُحِبُّهُ اللّٰهُ، وَمِنْهَا مَا يَبْغَضُهُ اللّٰهُ، وَمِنَ الْخُيَلَاءِ مَا يُحِبُّهُ اللّٰهُ، وَمِنْهَا مَا يَبْغَضُهُ اللّٰهُ، فَأَمَّا الْغِيرَةُ الَّتِي يُحِبُّهَا اللّٰهُ فَالْغِيرَةُ

---

113. Buhârî ile Müslim, Muğire b. Şu'be'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.
114. Buhârî ile Müslim Câbir'den rivâyet etmişlerdir.

فِي الرِّيْبَةِ، وَالْغِيرَةُ الَّتِي يُبْغِضُهَا اللّٰهُ فَالْغِيرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ، وَالْاِخْتِيَالُ الَّذِي يُحِبُّهُ اللّٰهُ اخْتِيَالُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْقِتَالِ وَعِنْدَ الصَّدْمَةِ، وَالْاِخْتِيَالُ الَّذِي يَبْغَضُهُ اللّٰهُ الْاِخْتِيَالُ فِي الْبَاطِلِ

“Bâzı kıskançlıkları Allahu Teâlâ sever; bâzılarını da sevmez. Kendini beğenip kibirlenmek de aynıdır. Bundan da Allahu Teâlâ’nın sevdiği var, sevmediği vardır. Sevdiği kıskançlık, bir şüphe neticesinde olan kıskançlıktır. Sevmediği kıskançlık ise ortada şüphelenecek bir şey yokken, yapılan kıskançlıktır. Kibirden sevdiği düşman karşısında kendini beğenme, ilk sadmedeki sabır ve direnme kibridir. Sevmediği kibir ise başkasına karşı yapılan kibirdir.”[115] buyurmuştur. Diğer bir hadîste:

إِنِّي لَغَيُورٌ وَمَا مِنِ امْرِئٍ لَا يَغَارُ إِلَّا مَنْكُوسِ الْقَلْبِ

“Muhakkak ki ben kıskancım, kıskanç olmayan kimsenin kalbi terstir.”[116] buyurmuştur.

Kıskançlığı önleyici tedbirler:

Kıskanç olmamak için, kadının yabancı erkeklerle ihtilâtına ve sokaklarda gezmesine izin vermemelidir.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), kızı Fâtıma (r.a.)’a:

- “Kadınlar hakkında en hayırlı olanı hangisidir.? diye sordu. Hz. Fâtıma:

---

[115] Ebû Dâvûd, Neseî ve İbn Hibbân. Câbir b. Atik’den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[116] İlk kısmı yukarıda geçti. Son kısmını Ebû Ömer et-Tevkânî “Kitab-ı Muâşeretü’l-Ehleyn” adlı kitâbında Abdullah b. Muhammed’den mürsel olarak rivâyet etti.

- "Kadının yabancı erkeği veyâ yabancı erkeğin kadını görmemesidir." dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) sevgisini izhâr ederek:

ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ

"**Peygamberler birbirinden meydana gelmiş güzîde zürriyetlerdir."** (Âl-i İmrân sûresi, 3/34) âyet-i kerîmesini okudu ve bu cevâbını beğendi.[117]

Ashâb-ı kirâm kadınların, aralıklardan yabancı erkeklere bakmamaları için, pencere ve delikleri kapatırlardı. Hattâ **Mu'az b. Cebel** (r.a.), bir defa delikten dışarı baktığı ve bir defa da ısırdığı elmayı kölesine verdiği için, âilesini dövmüştür.

Hz. Ömer (r.a.): "Kadınlarınızın sokaklarda gezmemelerini isterseniz, onlara sevimli elbise giydirmeyin." demiştir. Çünkü onlar, âdî elbise ile görünmek istemezler.

Yine Hz. Ömer (r.a.): "Kadınlarınıza her zaman yok demeye alışın. Onların her istediğine evet derseniz, işiniz var." demiştir.

Kadınların sokağa çıkma meselesi:

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), kadınların câmie gitmelerine izin vermiştir. Fakat bu zamanda en doğrusu, onları bundan men etmektir. Ancak yaşlı kadınlara müsâade etmelidir. Ashâb da bunu uygun görmüşlerdir. Hattâ **Hz. Aişe** (r.a.): "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), kendisinden sonra gelen kadınların vaziyetini görseydi, onların çıkmasına müsâade etmezdi." dedi. **Abdullah b. Ömer** (r.a.) oğullarından birine, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَاتَمْنَعُوا إِمَاءَ اللّٰهِ مَسَاجِدَ اللّٰهِ

---

[117] Bezzâr, Dârekutnî "El-İfrâd"da Hz. Ali'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

"Kadınları, Allah'ın mescidlerinden men etmeyiniz."[118] buyurdu deyince, oğlu: "Evet. Men ederiz" dedi. Bunun üzerine Abdullah: "Ben, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) böyle yapmayın." diye buyurdu derken, sen nasıl oluyor da "Evet. Men ederiz." dersin, diyerek oğlunu tokatladı. Oğlunun muhâlefet cür'eti, zamanın bozulduğunu bildiği içindi. Babasının oğlunu dövmesi, sebebini söylemeden muhâlefet etmesindendir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) kadınların, kocalarının muvâfakatıyla bayrama çıkmalarına da müsâade etti.[119]

Namuslu kadınların, kocalarının muvâfakatıyla câmilere gitmeleri, hâlen de mübâhtır. Fakat evlerinde kılmaları daha uygundur. Kadınlar ihtiyaçları için sokağa çıkmalı, keyfî olarak çıkmamalıdır. Çünkü böyle lüzûmsuz yerde sokaklarda dolaşmak kadının mürüvvetini yok eder. Hattâ bir fesâdın uyanmasına da sebep olabilir. Kadına yakışan, sokağa çıkacağı zaman, kimseye bakmadan vakâr ve edeple yoluna devâm etmesidir. Bundan, erkeğe kadının yüzünün, kadına da erkeğin yüzünün avret olduğu mânâsı anlaşılmamalıdır. Belki erkeğe, genç bir çocuğun yüzü ne ise kadına da yabancı erkeğin yüzü aynıdır. Fitneden korkulursa bakması yasaktır. Fitne tehlikesi olmazsa bakmasında beis yoktur. Çünkü dâima erkeklerin yüzü açıktır. Nikaplı olarak çıkan, kadınlardır. Eğer erkeklerin yüzü, kadının yüzü gibi olsaydı, onlar da yüzlerini kadınlar gibi kapatırlardı ve zarûretsiz sokağa çıkmalarına müsâade edilmezdi.

---

[118] Buhârî ile Müslim, İbn Ömer'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[119] Buhârî ile Müslim, Ümmü Atıyye'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

NAFAKA

Altıncı edeb: Nafakada itidâl. Ne isrâf etmeli, ne de kısmalıdır. Herkes kendi varlığına göre âilesine mûtedil bir bolluk göstermelidir. Nitekim Allahü Teâlâ:

وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا

"Yiyin, için. Fakat isrâf etmeyin." (A'râf sûresi, 7/31)

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلٰى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ

"Elini boynuna bağlama ve tamamen de açma. Yâni ne elini kısıp cimrilik et, ne de elindeki avucundakini tüketecek şekilde isrâf et." (İsrâ sûresi, 17/29) buyurmuştur. Rasûl-I Ekrem (s.a.v.):

خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ

"Sizin hayırlınız, âile efrâdına hayırlı olanınızdır." buyurmuştur. Diğer bir hadîste:

دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلٰى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلٰى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلٰى أَهْلِكَ

"Allah yolunda harcadığın para, bir köle azâd için verilen para ve ehl ü iyâline sarf ettiğin paralar yok mu? İşte bunların ecir bakımından en büyüğü âilene sarfettiğin paradır."[120] buyurmuştur.

Denildi ki; **Hz. Âli**'nin (r.a.) dört âilesi vardı. Her dört günde bir herbiri için ayrı ayrı birer dirhem para mukabili et alırdı.

---

[120] Müslim, Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmistir.

Hasan-ı Basrî: "Eskiler, yemeğe cömert davranır; fakat elbise ve ev eşyâsına ehemmiyet vermezlerdi." demiştir.

İbn Sirîn: "Her Cuma günü çocuklara fâlûze-pâlûze (bir çeşit tatlıdır) yedirmek uygundur. Tatlılar, her ne kadar zarurî ve mübrem ihtiyaç değilse de onları tamamen terk etmek cimrilik sayılır." demiştir.

Erkek, artan yemeklerden bozulacak olanlarını fakirlere vermesini, ailesine emretmelidir. Yapılan hayırların en ehveni budur. Hattâ kocası sarâhaten izin vermese de kâdın, vaziyete göre bunu kendiliğinden de yapmalıdır. İyi yemekleri kendisine ayırıp, diğerlerini çocuklarına yedirmesi doğru değildir. Bu, hem insanın ağırına gider, hem de hüsn-ü muaşereti bozar. Şayet böyle bir mecbûriyet karşısında kalırsa, çoluk çocuğuna duyurmayacak şekilde, yemelidir. Yedirmeyeceği yemeği, çocuklarına hatırlatmamalıdır. Çünkü onu hatırlatmakla, onların canı çeker. Yemek zamanı bütün âile efrâdı ile sofraya oturmalı ve beraberce yemelidirler.

Süfyân (r.a.): "Toplu olarak bir sofrada oturup yiyen ev halkına, Allah'ın rahmet ve meleklerin duâ ettiğini duydum." demiştir.

Yemek hususunda üzerinde ehemmiyetle durulacak esâs; âile efrâdına helâl nafaka temîn etmektir. Onları yedireceğim diye, harama sapmamalıdır. Onlara haram yedirmek, onlara bir iyilik değil, cinâyettir. **"Nikâhın Âfetleri"** bahsinde bunu anlatmıştık.

TÂLİM

Yedinci edeb: Kadına hayız, istihâza ve namaz v.s. gibi ilmihâl meselelerini öğretmek.

Yedinci vazifesi hayzın yâni aybaşı âdetinin dînî hükümlerini ve namaz meselelerini öğrenip, âilesine öğretmektir. Çünkü:

قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ

“Kendinizi ve âilenizi ateşten koruyun.” (Tahrîm sûresi, 66/6) âyet-i celîlesiyle bu husus emrolunmuştur. Bütün bid'atleri söküp atarak, ehl-i sünnetin itikadını âilesine öğretmek ve Allah korkusunu kalbine yerleştirmek; hayız ve istihâza gibi muhtaç olduğu amelî meseleleri belletmek, kendisinin boynuna borçtur.

Hayız hakkında bâzı mühim meseleler şunlardır: Akşam ezânına bir rekât kılacak kadar zaman kalmışken hayız kesilmiş ise öğle ile ikindiyi; sabâh ezânına bir rekât kılacak kadar zaman kalmışken hayız kesilmiş ise akşam ile yatsıyı kazâ edecektir. Bunu bilmelidir.[121] İşte, kadının bunlara riâyet etmesi lâzımdır.

Şâyet kocası bu meseleleri biliyor veyâ müftüden öğrenip kendisine öğretiyorsa, kadının bunları öğrenmek için başkasına gitmesi doğru olmaz. Fakat kocası bunu başaramıyorsa, kadın bunları öğrenmek için başkasına gidebilir. Hattâ gidip öğrenmesi boynuna borçtur. Kocası mâni olursa, günâhkâr olur. Kocası zarûrî ihtiyaçlarını öğrettiği takdirde, fazla bilgi edinmek veyâ zikir meclislerine gitmek için mutlaka kocasının müsâadesi lâzımdır. Kocanın, bu gibi meseleyi ihmâl etmesi sebebiyle, kadının hârice çıkmasından doğacak mesûliyette, cürüm müşterektir.

---

[121] Hanefilere göre vaktin son cüz'ünde temizlenirse yâni kan kesilir ve yıkandıktan sonra tekbîr alacak kadar bir zamân bulursa, yalnız o vakti kazâ eder. Bu meseleler ilmihallerde tafsilatıyla izâh edilmiştir. İlmihallerin o bahisleri okunmak suretiyle daha fazla malûmat edinilebilir. Hanımlar için yazılmış müstâkil ilmihaller de mevcuttur. O kitaplara bakılabilir.

KASEM

Sekizinci edeb: Kişinin birden fazla âilesi varsa, aralarında adalete riâyet edip, hiçbirine fazla meyletmemesi lâzımdır. Seyâhatinde, âilelerinden birini yanında götürmek îcâb ediyorsa, aralarında kura çekmelidir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), böyle yapardı. Bir gece, bir kadının yatağına gitmemişse, onu kazâ etmelidir. Bu, kendisine borçtur. Onun için bu husustaki meseleleri bilmesi vâciptir. Bunlar da uzun meselelerdir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir hadîsinde:

مَنْ كَانَ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلٰى إِحْدَاهُمَا دُونَ الْأُخْرٰى، وَفِي
لَفْظٍ وَلَمْ يَعْدِلْ بَيْنَهُمَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَدُ شِقَّيْهِ مَائِلٌ

"İki âilesi olup, birine meyledip, diğerine etmeyen..." diğer rivâyette: *"Aralarında adalete riâyet etmeyen kimse, kıyamet günü bir tarafı sarkmış olduğu hâlde mahşer yerine gelir."*[122] buyurmuştur. Hediyelerini müsâvi şekilde vermek ve geceleri aralarında müsâvi şekilde taksim etmek, adâlete riâyetle mükellef olduğu şeylerdendir. Yoksa sevgi ve münâsebette adalet olmaz. Çünkü bunlar, irâdenin hâricinde olan hâllerdir. Nitekim Allahü Teâlâ:

وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ

"Ne kadar harîs olsanız da kadınlar arasında adâlete riâyete güç yetiremezsiniz." (Nisâ sûresi, 4/129) buyurmuştur. Yâni sevgi ve münâsebette adâlete riâyete gücünüz yetmez, demektir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) hediye ve gece nöbetlerinde adâlete riâyet eder ve şöyle buyururdu:

اَللّٰهُمَّ هٰذَا جُهْدِي فِيمَا أَمْلِكُ وَلَا طَاقَةَ لِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ

---

[122] Ashâb-ı sünen ve İbn Hibbân. Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

"Allahım, bu elimden gelen şeylerdeki gayretimdir. Senin kudretinde olup, benim elimde olmayana gücüm yetmez."[123]

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), zevcelerinden en çok Hz. Âişe'yi (r.a.) severdi. Bunu diğer zevceleri de bilirdi. Hastalığı sırasında, nöbetleşe onu zevcelerinin evlerine taşırlardı. Gittiği evde: "Yarın neredeyim?" diye sorardı. Zevcelerinden biri, işi anladı ve "Âişe'nin nöbetini soruyor." dedi. Bunun üzerine bütün zevceleri: "Yâ Rasûlallah, her gece bir eve gitmekten yoruluyorsun ve orada da rahat edemiyorsun. Âişe'nin evinde rahat ediyorsun. Biz sana izin verdik, hakkımızı bağışladık. Madem ki, orada daha iyi rahat ediyorsun, oraya buyur." dediler. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Hepiniz buna râzı mısınız?"* diye sordu. Onlar da:

- "Evet." dediler. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"O hâlde beni Âişe'nin evine götürün."* buyurdu.[124]

Kadınlardan biri, nöbetini diğer kadına verir ve koca da buna muvâfakat ederse, hak o kadına intikal eder. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), ailelerini sıraya koymuş ve yanlarına nöbetleşe giderdi. **Sevde binti Zem'a**'yı boşamak istemişti. Fakat yaşlı olan Hz. Sevde: "Ben, senin nikâhında ölmek isterim. Nöbetimi Âişe'ye terk ediyorum. Ben de nikâhında böylece kalayım." deyince Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) kabul etti. Bu sûretle iki gece Âişe'ye, birer gece de diğerlerine giderdi.[125] Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in güzel adâleti ve kuvveti sâyesinde, nöbetinin dışında zevcelerinden biriyle münâsebette bulunduğu zaman, o gün veyâ gecede, bütün zevcelerini ziyâret ederdi. Nitekim Hz. Âişe (r.a.) Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in bir gecede,[126] Enes de (r.a.) bir kuşluk vakti bütün zevcelerini ziyâret ettiğini haber vermişlerdir.[127]

---

[123] Ashâb-ı sünen ve İbn Hibbân, Aişe'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[124] İbn Sa'd "Tabakât"ında, Buhârî ve Müslim de Muhammed b. Ali b. Hüseyin'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[125] Ebû Dâvûd, Aişe'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

NAŞİZE

Dokuzuncu edeb: Karı koca arasında anlaşmazlıklar:

Dokuzuncu vazîfe; karı koca arasındaki ihtilâflarda adâlete riâyettir. Aralarında anlaşmazlık çıkıp, bu ihtilâfı kendiliklerinden halledemedikleri zaman, anlaşmazlık iki tarafta veyâ yalnız erkek tarafında ise -kadının erkeğe gücü yetmediği için- biri kadının diğeri de erkeğin tarafından olmak üzere, iki hakem seçilir. Bunlar, aralarını bulmaya çalışır. Eğer bunlar, karı kocanın iyiliğini arzu eder ve aralarını düzeltmek isterlerse, Allahü Teâlâ, onların aralarını buldurur ve düzelttirir. Hz. Ömer (r.a.), bir karı koca ihtilâfında, bir adamı hakem tâyin etti. Adam gitti, aralarını bulamadan geri döndü. Bunun üzerine Hz. Ömer, adamı tura (kamçı) ile dövdü ve "Allahü Teâlâ Kur'ân-ı Kerîm'de:

إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللّٰهُ بَيْنَهُمَا

"Eğer hakemler, düzeltmeyi kastederse, Allah aralarını tevfik eder." (Nisâ sûresi, 4/35) buyurduğu hâlde, aralarını bulamadım demek, ne demektir? Çabuk git, aralarını bul da gel." dedi. Bu sefer adam, samîmî olarak gitti ve aralarını düzelterek geri döndü.

Anlaşmazlık ve geçimsizlik yalnız kadın tarafından ise erkekler kadınlarını terbiye ederek itaatlerine almaya çalışırlar. Çünkü erkekler, âile reisi oldukları için zulüm yapmayacak şekilde, kadınlara hâkimdirler. Namaz kılmadıkları takdirde, onları bu dînî vecîbeye zorlamak da haklarıdır.

---

[126] Buhârî ile Müslim, Aişe'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[127] İbn Adiy "El-Kâmil"de rivâyet etmiştir. Ayrıca Buhârî'nin de buna benzer rivâyeti vardır.

Fakat her şeyde olduğu gibi, kadını terbiyede de sıra gözetmelidir. Evvelâ güzel nasihat ve tavsiyelerde bulunmalı, her türlü kötü hâllerden çekindirmeli ve korkutmalıdır. Şâyet yapılan bu gibi tavsiyelere aldırış etmiyor ve ıslah-ı nefse yönelmiyorsa, yatakta sırtını dönmeli ve nihâyet aynı odada bir geceden üç geceye kadar yatağını ayırmalıdır. Şâyet bütün bu ikazlardan ve tekdîrlerden mütenebbih olmuyor, kötü huy ve itiyâdlarından vaz geçmiyorsa, o zaman yaralamamak, kırmamak ve yüzüne olmamak şartıyla, hafifçe dövmelidir. Yuvanın bozulmaması ve hatâların düzeltilmesi için bu da bir çâredir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.): "Kadının kocası üzerindeki hakkı nedir?" diye soruldukta, şöyle buyurmuştur:

يُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمَ، وَيَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسٰى، وَلَا يُقَبِّحُ الْوَجْهَ
وَلَا يَضْرِبُ إِلَّا ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلَا يَهْجُرُهَا إِلَّا فِي الْمَبِيتِ

"Yediği zaman onu yedirir, giydiği zaman onu giydirir. Yüzüne vurmaz, ancak yaralamayacak şekilde döver, küstüğünde ancak evin içinde yatağını ayırır."[128] buyurmuştur.

Bu gibi dînî hatâlarından dolayı âilesine küsüp on, yirmi ve hattâ otuz gün yanına yaklaşmamak selâhiyeti de vardır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), zevcelerinden Zeyneb binti Cahş'a bir hediye göndermişti. Zeyneb hediyeleri reddetti. Yanında bulunan diğer bir

---

128. Ebû Dâvûd ve Neseî **"Kübrâ"**da; İbn Mâce Muâviye'den (r.a.); İbn Hibbân sened-i ceyyid ile rivâyet etmişlerdir. Ebû Dâvûd'un böyle bir rivâyeti vardır.

zevcesi Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e: “Gördün mü? Sana hakaret etti.” deyince, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَنْتُنَّ أَهْوَنُ عَلَى اللّٰهِ أَنْ تُقْمِئْنَنِي

“Sizin beni tahkir etmeniz, Allah’ın tahkir ve tezlîlinden ehvendir.”[129] buyurdu ve sonra da hepsine darılarak bir ay yanlarına uğramadı.

VİKA

Onuncu edeb: Münâsebet âdâbına riâyet. Kadınla münâsebetten evvel Besmele ve İhlâs sûresini okumalı, tekbir ve tehlil getirmeli ve:

بِسْمِ اللّٰهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، اَللّٰهُمَّ اجْعَلْهَا ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنْ كُنْتَ
قَدَّرْتَ أَنْ تُخْرِجَ ذٰلِكَ مِنْ صُلْبِي

“Azîm olan Allah’ın adıyla. Allahım, eğer sulbümden bir çocuğun meydana gelmesini takdîr etmişsen, onu hayırlı bir zürriyet kıl.” diye duâ etmelidir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir hadîsinde:

لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتٰى أَهْلَهُ قَالَ: اَللّٰهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ
الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنِي، فَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ

“Eğer sizden biriniz ehline yaklaşacağı zaman “Allahım, beni şeytandan ve şeytanı da bize takdir ettiğin çocuktan uzaklaştır.” diye duâ eder de bu münâsebetten bir çocuk doğarsa, o çocuk şeytanın şerrinden emîn olur.”[130] buyurmuştur. İnzâl zamânı yaklaşınca:

---

[129] İbn Cevzî **“Vefâ”** da; Buhârî ile Müslim de Hz. Ömer’den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[130] Buhârî ile Müslim, İbn Abbâs’dan (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا

"Sudan (menîden) **bir insan yaratıp onu nesep ve sıhriyet** (kan ve evlilik bağından doğan) **yakınlığa dönüştüren O'dur."** (Furkan suresi, 25/54) âyet-i celîlesini hatırlamalıdır. Bâzı hadîs âlimleri sesleri duyulacak şekilde tekbîr getirirlerdi.

Münâsebet esnâsında, hürmeten kıbleye dönmemeli. Hem kendisi ve hem de âilesi kapanmalı, açık olmamalıdır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) münâsebet esnâsında kapanır, sesini kısar ve âilesine "Ağır ol" derdi. Haberde:

إِذَا جَامَعَ أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلَا يَتَجَرَّدَانِ تَجَرُّدَ الْعِيرَيْنِ

"Sizden biriniz âilesi ile münâsebette bulunduğu zaman, hayvanlar gibi çırılçıplak olmasınlar."[131] buyurmuştur.

Münâsebetten önce, dil şakaları yapmalıdır. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir hadîsinde:

لَا يَقَعَنَّ أَحَدُكُمْ عَلَى امْرَأَتِهِ كَمَا تَقَعُ الْبَهِيمَةُ، وَلْيَكُنْ بَيْنَهُمَا رَسُولٌ، قِيلَ وَمَا الرَّسُولُ يَا رَسُولَ اللّٰهِ؟ قَالَ: الْقُبْلَةُ وَالْكَلَامُ

"Sizden biriniz (münâsebette bulunacağı zaman) *ailesine, hayvan gibi çullanmasın. Aralarında* (teşvîk ve tahrîk edici) *vâsıta olsun."* buyurdu. "Bu vâsıta nedir, Yâ Rasûlallah?" diye sorulunca Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

"Öpmek ve şehveti tahrîk edecek sözlerdir."[132] buyurmuştur. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

131. İbn Mâce,Utbe İbn Abd'den (r.a.) rivâyet etmiştir.
132. Ebû Mansur ed-Deylemî **"El-Müsnedü'l-Firdevs"**de Enes'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

ثَلَاثٌ مِنَ الْعَجْزِ فِي الرَّجُلِ: أَنْ يَلْقٰى مَنْ يُحِبُّ مَعْرِفَتَهُ فَيُفَارِقَهُ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ اسْمَهُ وَنَسَبَهُ، وَالثَّانِي أَنْ يُكْرِمَهُ أَحَدٌ فَيَرُدَّ عَلَيْهِ كَرَامَتَهُ، وَالثَّالِثُ أَنْ يُقَارِبَ الرَّجُلُ جَارِيَتَهُ أَوْ زَوْجَتَهُ فَيُصِيبَهَا قَبْلَ أَنْ يُحَدِّثَهَا وَيُؤَانِسَهَا وَيُضَاجِعَهَا فَيَقْضِي حَاجَتَهُ مِنْهَا قَبْلَ أَنْ تَقْضِي حَاجَتَهَا مِنْهُ

"Üç şey kişinin acziyetindendir: (Birincisi) *sevdiği bir kimse ile buluştuğu halde, adını ve nesebini öğrenemeden ayrılmak.* (İkincisi) *kendisine yapılan ikramı reddetmek.* (Üçüncüsü) *Konuşup şakalaşmadan, öpüşüp-elleşmeden, hemen ailesiyle münâsebette bulunup, kadının zevkini tamamlamadan, yalnız kendi işini bitirip kalkmaktır."*[133] buyurmuştur.

Her (kamerî) ayın ilk, orta ve son günleri olmak üzere, her ayda bu üç gün münâsebette bulunmak mekruhtur. Denildi ki; bu gecelerde şeytanlar münâsebette hazır bulunurlar. Hz. Ali, Muâviye ve Ebû Hüreyre'den bu hususa dâir kerahat rivâyeti vardır.

Âlimlerden bâzıları, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in:

رَحِمَ اللّٰهُ مَنْ غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ

"Cuma günü yıkanan ve ailesini yıkatana Allah rahmet etsin." hadîsinin bir mânâsına göre, Cuma günü münâsebette bulunmayı müstehab saymışlardır.[134]

Kendi şehveti sona erince hemen ayrılmamalı, kadının şehvetini tamâmlaması için ona mühlet vermelidir. Bâzen kadının şehveti daha geç gelir. Kadının şehvetini tahrîk ettikten sonra, onu sona erdirmeden kendi işini bitirip ayrılan, kadına eziyet etmiş olur. Önce erkek inzâl olursa, nefreti mûcib olur. Ama iki şehvet birleşirse, o zaman kadına göre daha zevkli olur. Çünkü erkek kendi zevki ile meşgul iken, kadın da sıkılmadan kendi zevki ile meşgul olur. En uygunu kadınla dört gecede bir münâsebette bulunmaktır. Zâten dört âilesi olana göre, âdilâne olan da budur. Bununla beraber her iki tarafın ihtiyâcına göre bu miktar azaltılıp, çoğaltılabilir.

---

[133] Ebû Mansûr ed-Deylemî, yukarıdaki hadisin tamâmını rivayet etmiştir.

[134] Hadîs "Namaz Kitabı"nın beşinci bâbında geçmişti. Bakınız C. 1. Sahife 491.

Hayız hâlinde ve hayız kesildiği hâlde, yıkanmadan evvel kadın ile münâsebette bulunamaz. Çünkü bu, nass-ı Kur'ân ile haramdır.[135] Hattâ bâzıları, hayız hâlinde kadın ile münâsebetten doğan çocukta cüzzam hastalığı olacağını söylerler. Hayız hâlinde, kadın ile tabiî yoldan münâsebette bulunamaz. Fakat bedeninin diğer taraflarından faydalanabilir.[136] Ancak tabiî yolu hiç bir sûretle değiştiremez. Yâni arkadan sûret-i katiyede münâsebette bulunamaz. Hayız hâlinde münâsebetin yasak olması, pislik ve eziyet olması bakımındandır. Arkada ise dâima pislik mevcud olduğundan, oradan münâsebette bulunmak daha şiddetli haramdır. Allahü Teâlâ'nın:

---

[135] Hanefilere göre, hayzın en uzun müddeti on gündür. On günde hayızı kesilen bir kadın ile yıkanmadan da yatmak câizdir. Yine bunun gibi, âdeti sonunda meselâ yedi günde temizlenmek âdeti olan bir kadın, yedi günde temizlenmiş ise yıkanacak kadar bir zaman geçtikten sonra -yıkanmadan da- kendisiyle münâsebette bulunulabilir. Fakat âdetinden evvel -meselâ yedi gün âdeti olan bir kadın, besinci gün- temizlenmişse, âdeti geçinceye kadar -yâni âdeti olan yedi gün tamamlanıncaya kadar- kendisiyle münâsebette bulunulamaz. Adeti değişirse, vaziyet de ona göre değişir. Yâni ikinci defâ yine beş gün geçtikten sonra temizlenirse, bu defa âdeti beş güne inmiş olur. Üç günden az veyâ on günden fazla görülen kan, münâsebette bulunmaya mâni değildir. Çünkü o, bir hastalık kanıdır.

[136] Hanefîlere göre, hayız hâlinde kadının göbekten aşağısından çıplak olarak faydanılamaz. Diğer taraflarından faydalanılır. Perde arkasından faydalanılır.

فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنّٰى شِئْتُمْ

"Tarlanıza istediğiniz şekilde gidin tohumu atın." (Bakara sûresi, 2/233) âyet-i celîlesinden murad, istediğiniz zaman münâsebette bulunun, demektir. (Esâsen tohum ekmek ifâdesi de sarihtir. Tohum, mahsul veren yere ekilir.) Kadının, hayız hâlinde -bu yollar dışında- elinden ve gömlek altından da olsa, bedeninin her tarafından faydalanabilir. Fakat kadına lâyık olan, hayız hâlinde göbeğinden diz kapağına kadar izar (futa) kullanmaktır. Bu, terbiye icabıdır. Hayız hâlinde olan kadınla yiyip içmekte, oturmakta, yatıp kalkmakta ve öpüşmekte bir beis yoktur. Ancak cima yasaktır, haramdır.

Ailesi ile ikinci defâ münâsebette bulunmak iktizâ ediyorsa veyâ düş azmasından sonra münâsebette bulunacaksa, tenâsül uzvunu yıkamalıdır.

Yatsıyı müteâkib yatağa girer girmez münâsebette bulunmak -abdestsiz uyumaya sebeb olacağı için- mekruhtur. Münâsebetten sonra yemek veyâ uyumak isteyenler abdest almalıdırlar. Bu, sünnettir. Abdullah b. Ömer (r.a.), Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e: "Herhangi birimiz cünüp iken uyuyabilir mi?" diye sorduğunda, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

نَعَمْ إِذَا تَوَضَّأَ

"Evet. Abdest aldığı vakit uyur."[137] buyurmuştur. Bununla be-

---

[137] Buhârî ve Miislîm, rivâyet etmiştir.

raber, abdest almadan da cünüp olarak uyumaya ruhsat vardır. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in, abdest almadan da cünüp iken uyuduğunu Hz. Aişe (r.a.) haber vermiştir.[138] Cünüp olarak yatmak isteyen ya yatağın üzerini eliyle süpürmeli veyâ yatağı silkmelidir. Çünkü yattıktan sonra ne olacağını bilemez.

Cünüb iken traş olmak, tırnak kesmek, kan aldırmak veyâ bedeninden bir parçayı koparıp atmak uygun değildir. Yıkanmalı, ondan sonra bu gibi işleri yapmalıdır. Böyle yapmakla vücûdundan ayrılan parçaların da temizlenmiş olarak atılmasını temîn etmiş olur. Âhirette bu âzalar, temiz olarak bedenine dönerler. Aksi hâlde cünüp kaldıkları için, bedeninden dâvacı olurlar.

Nutfe (meni)sini kadının rahminden başka yere akıtmamalıdır. Çünkü Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

"Mukadder olan nesil, muhakkak gelecektir."[139] buyurmuştur. Nutfesini hârice boşaltmanın ibâhet ve kerâhatinde âlimler dört şekilde ihtilâf etmişlerdir.

1 - Her ne şekilde olursa olsun mübâhtır.

2 - Her ne şekilde olursa olsun, haramdır.

3 - Kadının muvafakatıyla helâl, aksi hâlde haramdır. Bu üçüncü mezhebin gayesi, kadına eziyet vermemektir.

4 - Câriyelerde mübâh, âilelerde mübâh değildir.

Bize göre en doğrusu, azlin (dışarı akıtmanın) mübâh olmasıdır. Kerâhet sözü tahrîmiyye ve tenzîhiyye olarak kullanıldığı gibi terk-i fazîlet, mânâsında da kullanılır. İşte azlin mekruh olması terk-i fazîlet mânâsınadır. Yâni hârice akıtmakla efdal olanı terk etmiş olur. Meselâ, “Hiç bir ibâdetle meşgul olmayan kimsenin câmide durması mekruhtur.” denildiği gibi, câmide durmak mekruh değil, boş durmak fazîleti terk etmek demektir. Yine bunun gibi, Mekke’de

---

[138] Ebû Dâvûd, Tirmizî ve İbn Mâce rivâyet etmişlerdir.

[139] Buhârî ile Müslim, Ebû Sa îd'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

إِنَّ الرَّجُلَ لَيُجَامِعُ أَهْلَهُ فَيُكْتَبُ لَهُ بِجِمَاعِهِ أَجْرُ وَلَدٍ ذَكَرٍ
قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَقُتِلَ

“Ailesi ile temâsta bulunan kimse, Allah uğrunda mücâhede edip öldüren ve nihayet şehîd olan bir erkek evlat sevabını kazanır.”[140] buyurmuştur. Çünkü esasında böyle bir evlâdı olsaydı, kendisinin o evlâdın vücûduna sebep olması bakımından, bu mükâfata nail olacaktı. Hakikatte evlâdı takdîr eden, doğurtan, yetiştiren, Allah’tır. Adama terettüb eden vazîfe, kadın ile münâsebette bulunmakla, çocuğun doğmasına sebep olmaktır. Adam ise bunu yapmıştır. Fakat bu da ancak menîyi kadının rahmine ilkâ etmekle olur. Bununla beraber, hârice akıtmasında da tenzîhi ve ne de tahrîmî kerâhet vardır, dedik. Çünkü bir şeyi yasak etmek, Kur’ân’ın veyâ hadîsin sarahati veyâ o sarâhate dayanan kıyâs ile olur. Hâlbuki bu hususta ne bir sarahat, ne de üzerine kıyas edilecek bir asıl mevcuttur. Bu asıl, hiç evlenmemek veyâ evlendikten sonra münâsebette bulunmamak veyâ idhâlden sema inzâl etmemek gibi şeylerdir. Bunların hiçbiri haram veyâ yasak değil: belki fazîleti terk etmek kabîlinden olan şeylerdir. Burada da fark yoktur. Çünkü çocuk, menînin rahime, döl yatağına dökülmesinden sonra olur. Bunun da dört sebebi

---

[140] Zebîdî’ye göre, İbn Hayyan “Sohbet”inde bu mealde bir hadîs rivâyet etmiştir.

vardır: Evlenmek, münâsebette bulunmak, inzâl etmek ve menî, kadının rahmine yerleşinceye kadar beklemektir. Bunlar, birbirine yakın ve birbirini tamamlayıcı şeylerdir. Dördüncüden kaçınan üçüncüden; üçüncüden kaçınan ikinciden; ikinciden kaçınan da birinciden kaçınmış gibidir; çocuğu diri diri gömmek veyâ düşürmek gibi değildir. Zîra bunlar, ortada mevcut olan bir varlığa karşı cinâyettir. Hattâ bunun da dereceleri vardır. Mevcûdiyetin ilk kademesi, menînin ana rahminde kadın suyu ile birleşip hayatı kabul edecek bir vaziyete gelmesidir. Henüz bu vaziyette iken yuvayı bozmak, bir cinâyettir. Donmuş kan ve et parçasına intikal ettikten sonra onu düşürmek, biraz daha büyük; hilkati tamamlandıktan sonra düşürmedeki cinâyet ise daha büyük ve en büyük cinayet de canlı olarak dünyaya geldikten sonra onu öldürmektir.

Varlık sebebinin başlangıcı, menînin yerinden çıkması ile değil, rahime girmesiyledir, dedik. Çünkü yalnız erkek menîsinden çocuk olmaz. Ancak kadının menîsi veyâ hayız suyu ile döl yatağında yerleştikten sonra, çocuk meydana gelir. Bâzı hekimlere göre, döl yatağında et parçası, Allahü Teâlâ'nın kudretiyle hayız kanından meydana gelir. Kan, yoğurt için süt gibidir. Hayız kanının katılaşmasındaki rolü; mayanın, sütün yoğurt olmasındaki rolü gibidir. Çünkü süt, o maya sayesinde yoğurt olur. Her ne sûretle olursa olsun, çocuğun vücûd bulmasında kadının suyu da asıldır. Erkek ile kadının suları, her hangi bir hükmün akdinde, tarafların îcab ve kabulü gibidir. Bir kimse söz verdikten sonra, karşı taraf henüz kabul etmeden sözünden dönerse, muâhedeyi bozmak suçu ile ithâm edilmez. Ama her iki taraf, îcab ve kabul ile anlaştıktan sonra dönmek, hükmü bozmak ve kesmektir. Erkeğin belinde bulunan sudan çocuk olmayacağı gibi, menînin yalnız hârice çıkması ile de çocuk olmaz. Meğer ki, döl yatağında kadının suyu veyâ kanı ile birleşmiş olsun. İşte buna “Kıyâs-ı celî” derler.

Şâyet “Çocuk olmaması için hârice inzâl mekruh değilse de çocuğun olmamasına niyet etmek, kendisine bir nevi gizli şirk karışan çürük bir niyet olması bakımından kerâhetten hâlî değildir.” dersen, derim ki:

İnsan beş sebepten biri ile hârice inzâl eder:

1 - Câriyelerin, câriye olarak kalmasını niyet eder ve bu sebepten hârice inzâl eder. Çünkü câriyeler çocuk yaparsa “ümmü veled” olur ve âzâd olup, adamın mülkiyetinden çıkmış sayılır. Bu niyetle, hârice inzâl yasak değildir.

2 - Çocuk doğurmakla kadın kocar. Kadının gençlik ve güzelliğini muhâfaza için hârice boşaltır. Bu da câizdir.

3 - Aile efrâdı çoğalır, geçim güçleşir ve nihâyet gayr-ı meşrû kazanç zarûreti hâsıl olur korkusu ile olursa, yine yasak değildir. Çünkü âileyi azaltmak, dîne yardım eder. Gerçi asıl kemâl, Allah’a tevekkül etmektedir. Çünkü Allahü Teâlâ:

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللّٰهِ رِزْقُهَا

“Yeryüzünde hareket eden bütün canlıların rızkı Allah üzerinedir.” (Hûd sûresi, 11/6) buyurmuştur. Şüphesiz, bu gibi tedbirlere başvuran, efdal olanı terk ettiği için kemâl derecesinden düşer. Fakat görünüşte tevekküle aykırı olan, malı korumak ve gelecek için servet hazırlamak da yasak değildir.

4 - Onu evermenin âr olacağı düşüncesiyle, çocuğun kız olacağından korkarak, dışarıya akıtmaktır. Nitekim bu düşüncenin

tesîriyle, Araplar kız çocuklarını diri diri gömerlerdi. İşte bu niyet, fâsid bir niyettir. Bu maksatla nikâh veyâ cinsî münâsebeti terk etmek günâhtır. Yoksa evlenmeyi red veyâ münâsebeti terk etmesi veyâ hârice boşaltması mahzurlu değildir. Asıl mahzurlu olan, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in sünnetinde âr ve ayıbın bulunduğunu itikat etmektir. Bu, kendisini erkeklere benzetmek istediği için -üstüne erkek çıkacak diye- evlenmekten kaçınan kadının vaziyeti gibidir. Kadının evlenmemesi günâh değil, bu fikri taşıması hatadır. Bunun gibi, bunların da hârice boşaltmaları hatâ değildir. Hatâ, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in sünneti olan evlenmekten meydana gelen kız evlâdını evermekte âr ve ayıbın bulunmasına inanmaktır.

5 - Temizliğe aşırı derecede düşkün olan bazı kadınlarda olduğu gibi, çocuk doğurmaktan, hayız ve nifastan kaçındıkları için, çocuk istememeleridir. Bâzı havâric kadınları böyledir. Bunlar, temizliğe son derece ehemmiyet verirler, hayız hâlinde oruç tutar, kılmadıkları namazları sonradan kazâ ederler. Hayız hâlinde giydikleri elbiseyi yıkamadan onunla namaz kılmazlar. Elbiseleri pis olur inancı ile tuvâlete çıplak girerler. Hz. Âişe Basra'ya geldiği zaman, bu kadınlardan birisi yanına gitmek istedi ise de, Hz. Âişe kabul etmedi. Bunların da çocuk doğurmaları değil, bu niyet ve tutumları fâsittir. Bütün bu ifâdelere göre azilde, yâni hârice boşaltmakta beis olmadığı görülür.

Şâyet Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) in, üç kere tekrarlamak sûretiyle:

مَنْ تَرَكَ النِّكَاحَ مَخَافَةَ الْعِيَالِ فَلَيْسَ مِنَّا

"Çocuk olur korkusuyla evlenmeyi terk eden bizden değildir."[141]

---

[141] Nikâh bahsinde geçmiştir.

buyurduğuna göre, bu gibiler mesûl olmaz mı dersen, derim ki: Evet. Azil, evlenmemek gibidir. Fakat Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in: *"Bizden değil"* buyurması, bizim sünnetimiz üzere hareket etmiyor demektir. Rasûlullâh'ın sünneti, fazîleti işlemektir. Demek ki bu gibiler, fazîletten mahrûm olurlar demektir.

Şâyet azil hakkında Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in:

ذَاكَ الوَأْدُ الخَفِيُّ

"O, gizli bir çocuk öldürmedir." buyurduğu ve sonra da:

وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ

"O, diri diri mezara gömülen kız çocuğunun, niçin öldürüldüğü sorulacak" (Tekvîr sûresi, 81/8-9) âyet-i celîlesini okuduğu, sahih hadîslerde mevcûttur.[142] "Buna ne buyurulur?" dersen deriz ki: Azlin mübâh olduğu, yine sahîh rivâyetlerde mevcûttur,[143] Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in: *"O* (azil) *gizli bir katildir."* buyurması, diğer bâzı şeylerde: *"Gizli şirktir."* buyurması gibidir. Bu ise haram olmasını değil, mekruh olmasını îcab ettirir.

Şâyet **İbn Abbas** (r.a.): "Azilden gâye, çocuk getirmemektir, bu ise küçük bir katildir." demiştir. "Buna ne dersin?" diyecek olursan, derim ki: İbn Abbâs def'i, kat'a kıyâs etmiştir. Yâni olmadan bir şeyi önlemeyi, olduktan sonra bir şeyi yok etmeye kıyas etmiştir ki, bu zayıf bir kıyastır. Bunun için Hz. Ali (r.a.) bu sözü duyduğu zaman reddetmiş ve çocuğun mev'ûde olabilmesi için yedi tavırdan geçmesi lâzım geldiğini söyleyerek, Allahü Teâlâ'nın:

---

[142] Müslim, Cüzâme binti Vehb'den rivâyet etmiştir.

[143] Müslîm, Ebû Sa'îd'den (r.a.) rivâyet etmiştir. Başka rivâyet yolları da vardır.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً
فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، إِلٰى قَوْلِهِ تَعَالٰى، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ

"İnsanı çamurun hülâsasından yarattık. Sonra onu nutfe kılıp bir karargâhta, ana rahminde yerleştirdik. Sonra nutfeyi uyuşmuş kan, katı et parçası, et parçasını da kemikler edip üzerlerine et giydirdik. Sonra onu rahimde halk-ı âhar edip rûh verdik." (Mü'minûn sûresi, 23/12-14) âyetlerini okudu ve sonra da:

وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ

"Mev'ûdeden sorulacaklar." (Tekvîr sûresi, 81/8) âyet-i celîlesini okuyarak aralarındaki farkı belirtmiş oldu. Bu âyetleri okuduğun zaman, Hz. Ali ile İbn Abbas'ın görüşleri arasındaki farkı kolaylıkla anlarsın.

Nasıl haram olsun ki, Buhârî ile Müslim'de Câbir (r.a.)'den şöyle rivâyet edilmiştir. **Câbir** diyor ki: Biz Rasûlullah zamanında azleder yâni hârice boşaltırdık. Hâlbuki Kur'ân âyetleri nâzil oluyordu (yasak olsaydı âyetle men edilirdi.)[144] Diğer rivâyette: "Biz azlediyorduk. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bunu duydu ve mâni olmadı." dedi. Yine Câbir (r.a.)'den gelen bir rivâyette, adamın biri Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e gelerek:

- "Ya Rasûlallah, benim bir câriyem var, onunla münâsebette bulunuyorum. Fakat hurma sulamakta ve diğer işlerimizde çalıştığı için, hâmile kalmasını istemiyorum, dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

[144] Müslim.

اِعْزِلْ عَنْهَا إِنْ شِئْتَ فَإِنَّهُ سَيَأْتِيهَا مَا قُدِّرَ لَهَا

- *“İstersen azil yap. Fakat ondan gelmesi mukadder olan nesil gelecektir.”* buyurdu. Bir müddet sonra adam geldi ve:

- “Ya Rasûlallah, câriye hâmile kaldı.” dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

قَدْ قُلْتُ سَيَأْتِيهَا مَا قُدِّرَ لَهَا

- *“Eğer mukadderse doğacağını sana söylemiştim.”*[145] buyurdu.

VİLÂDET

On birinci edeb: Çocuk hakkında erkeğin riâyet edeceği beş âdâb vardır:

Birincisi; erkek oldu diye fazla sevinmemeli. Kız oldu diye de üzülmemelidir. Çünkü hangisinin hayırlı olacağı bilinmez. Nice erkek çocuğu olanlar: “Keşke kız olsaydı.” derler. Belki kız çocuklarındaki selâmet, erkeklerden çoktur ve onlardaki ecir, erkeklerden fazladır. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنْ كَانَ لَهُ ابْنَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا وَغَذَّاهَا فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا وَأَسْبَغَ عَلَيْهَا مِنَ النِّعْمَةِ الَّتِي أَسْبَغَ اللّٰهُ عَلَيْهِ، كَانَتْ لَهُ مَيْمَنَةً وَمَيْسَرَةً مِنَ النَّارِ إِلَى الْجَنَّةِ

“Her kimin kız çocuğu olur da onu terbiye eder ve terbiyesini güzel eder; gıda verir ve gıdasını güzel verir ve Allahu Teâlâ’nın kendisine verdiği nîmetlerden ona da bolluk gösterirse, o kız çocuğu

---

[145] Taberânî **“Kebîr”**inde, Harâitî **“Mekârim-i Ahâk”**da İbn Mes’ûd’dan (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

onun için bereket ve cehennemden kurtarıp cennete girmesi için bir kolaylık vesîlesi olur."[146] buyurmuştur. İbn Abbâs (r.a.) da Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in şöyle buyurduğunu rivâyet etmiştir:

مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْرِكُ ابْنَتَيْنِ فَيُحْسِنُ إِلَيْهِمَا مَا صَحِبَتَاهُ إِلَّا
أَدْخَلَتَاهُ الْجَنَّةَ

"Her kimin iki kız çocuğu olur ve yanında bulundukları müddetçe onlara hüsn-ü muâmelede bulunursa, mutlaka onlar, o adamı cennete götürür."[147] Enes (r.a.)'in de rivâyetinde, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

مَنْ كَانَتْ لَهُ ابْنَتَانِ أَوْ أُخْتَانِ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا مَا صَحِبَتَاهُ
كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ

"Kimin iki kız çocuğu veyâ iki kızkardeşi olur da maîşetlerini güzelce sağlarsa, onunla ben, cennette şöylece beraberiz."[148] Yine Enes (r.a.) den, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in şöyle buyurduğu rivâyet edilmiştir:

مَنْ خَرَجَ إِلٰى سُوقٍ مِنْ أَسْوَاقِ الْمُسْلِمِينَ، فَاشْتَرٰى شَيْئًا،
فَحَمَلَهُ إِلٰى بَيْتِهٖ، فَخَصَّ بِهِ الْإِنَاثَ دُونَ الذُّكُورِ، نَظَرَ اللّٰهُ
إِلَيْهِ، وَمَنْ نَظَرَ اللّٰهُ إِلَيْهِ لَمْ يُعَذِّبْهُ

"Kim ki Müslümanların çarşısına gider, oradan bir şey alır eve

---

[146] İbn Mâce ve Hâkim rivâyet etmişlerdir. Hâkim, isnâdının sahîh olduğunu söyledi.

[147] Harâitî **"Mekârim-i Ahlâk"**da; Tirmizî başka ifâde ile rivâyet etmişlerdir.

[148] Harâitî rivâyet etmiştir.

gelir ve bunu çocuklarına verirken erkekleri değil de, kızları tercih ederse Allah o kimseye rahmetle bakar. Allahü Teâlâ, kime rahmetle bakarsa, ona azâb etmez."[149] Yine Enes (r.a.) in rivâyetinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz:

مَنْ حَمَلَ طُرْفَةً مِنَ السُّوقِ إِلٰى عِيَالِهِ فَكَأَنَّمَا حَمَلَ إِلَيْهِمْ
صَدَقَةً، حَتّٰى يَضَعَهَا فِيهِمْ، وَلْيَبْدَأْ بِالْإِنَاثِ قَبْلَ الذُّكُورِ، فَإِنَّهُ
مَنْ فَرَّحَ أُنْثٰى فَكَأَنَّمَا بَكٰى مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ، وَمَنْ بَكٰى مِنْ
خَشْيَةِ اللّٰهِ، حَرَّمَ اللّٰهُ بَدَنَهُ عَلَى النَّارِ

"Çarşıdan turfanda bir şey alıp evine getiren kimse, -onu çocuklarına yedirinceye kadar- onlara sadaka taşımış gibidir. Eve geldiğinde, erkeklerden evvel kızlara versin. Kadın kısmını sevindiren, Allah korkusundan dolayı ağlamış gibidir. Allah korkusundan ağlayan kimsenin bedenini Allah, cehenneme haram eder."[150] buyurmuştur. Ebû Hüreyre (r.a.) Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in şöyle buyurduğunu rivâyet etmiştir:

مَنْ كَانَتْ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ أَخَوَاتٍ فَصَبَرَ عَلٰى لَأْوَائِهِنَّ،
وَضَرَّائِهِنَّ، أَدْخَلَهُ اللّٰهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُنَّ

"Üç kızı veyâ üç kızkardeşi olup da onların geçim sıkıntılarına ve zararlarına katlanan kimseyi, -onlara merhametinden dolayı- Allahu Teâlâ cennete koyar." Adamın biri: "İki tâne olursa?" diye sordu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.): *"İki olursa da aynıdır."* buyurdu. Bir

---

[149] Harâitî, İbn Adiy de **"El-Kâmîl"**de rivâyet etmişlerdir.

[150] Harâitî ve Hâkim rivâyet etmişlerdir. Ancak Hâkim'in rivâyetinde *"Veyâ kızkardeşleri"* kaydı yoktur. Hâkim, isnâdının sahih olduğunu söyledi.

başkası: “Bir tâne olursa?” dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.): *“Bir tâne olursa yine aynıdır.”* buyurdu.[151]

İkincisi; çocuk doğduğunda kulağına ezân okumaktır. **Rafi'** babasından şöyle rivâyet ediyor: “Hz. Fatıma (r.a.) Hz. Hasân (r.a.)'ı doğurduğu zaman, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) kulağına ezân okumuştur.”[152] Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنٰى، وَأَقَامَ فِي أُذُنِهِ
الْيُسْرٰى دُفِعَتْ عَنْهُ أُمُّ الصِّبْيَانِ

“Her kim yeni doğan çocuğunun sağ kulağına ezân ve sol kulağına da ikâmet okursa, ümmü sıbyan denilen havâle hastalığından korunmuş olur.”[153] buyurmuştur. Konuşmaya başladığında, “Lâ ilâhe illallâh” kelime-i tevhîdini kendisine öğretmek, hattâ ilk söz olarak bunu konuşturmak, yedinci günde sünnet etmek müstehaptır. Bu hususta da rivâyet vardır.

Üçüncüsü; güzel bir isim vermektir. Bu, çocuğun babada olan hakkıdır. Nitekim Rasûl'i Ekrem:

إِذَا سَمَّيْتُمْ فَعَبِّدُوا

“İsim verdiğiniz zaman, “Abd” kelimesini ona ilâve edin (Abdullah ve Abdurrahman gibi...)*”*[154] buyurmuştur. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

151. Ahmed, Ebû Dâvûd ve Tirmizî rivâyet ettiler. Tirmizî, sahih olduğunu söyledi. Yalnız Ebû Dâvûd ile Tirmizî'nin rivâyetinde “Hüseyin” yerine Hasan vardır.
152. Ebû Ya'lâ el-Mûsilî ve İbnü's-Sünnî “El-yevm Ve'l-Leyle”de: Beyhakî “Şuabü'l-Îman”dâ, Hüseyin b. Ali'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.
153. Taberânî, Abdülmelik b. Züheyr'den sahih sened ile ayrıca Beyhakî de Hz. Aişe'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.
154. Müslim, İbn Ömer'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ

"Allah katında en sevimli isimler, Abdullah ve Abdurrahman gibi isimlerdir."[155] buyurmuştur. Diğer bir hadîste:

سَمُّوا بِاسْمِي وَلَا تُكَنُّوا بِكُنْيَتِي

"İsmimi alın, fakat künyemi almayın."[156] buyurulmuştur. Âlimler diyor ki: Bu, onun hayâtında idi. Şimdi birisine "Ya Ebe'l-Kasım"[157] demekde beis yoktur. Yalnız, hem ismini, hem de künyesini bir arada toplamamalıdır. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), diğer bir hadîste:

لَا تَجْمَعُوا بَيْنَ اِسْمِي وَكُنْيَتِي

"İsmimle künyemi bir arada toplamayın."[158] buyurmuştur. Bâzıları, bunun da, hayâtı ile alâkalı olduğunu söylemişlerdir. Bir adamın adı Ebû Îsâ idi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ عِيسٰى لَا أَبَ لَهُ

"Îsâ'nın babası yoktur."[159] buyurdu ve bu ismi hoş karşılamadı.

---

155. Buhârî ve Müslim, Câbir'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.
156. Bu lakap Peygamber Efendimiz'in künyesidir. Kasım isimli oğluna nisbetledir.
157. Ahmed ve İbn Hibbân, Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir. Ebû Dâvûd ve Tirmizî'nin de bu husûsta rivâyetleri vardır. İbn Hibbân. Câbir'den olan rivâyetinde, hasen olduğunu söyledi.
158. Ebû Ömer Tevkâni "Muâşeretü'l-Ehleyn" adlı kitâbında, İbn Ömer'den (r.a.) rivâyet etmiştir.
159. Ebû Dâvûd, Ebû'd-Derdâ'dan (r.a.) rivâyet etmiştir. Nevevî isnadının ceyyid olduğunu, Beyhakî ise mürsel olduğunu söyledi.

Çocuk düşük olsa da, yine isim verilmelidir. **Abdurrahman b. Yezîd b. Muâviye** diyor ki: "Kıyâmet gününde düşük çocuğun da babasının peşinden koşarak ağlayacağını ve "Beni isimsiz bıraktın" diyeceğini işittim." **Ömer b. Abdülazîz**: "Kız veyâ erkek olduğu bilinemeyen bir düşüğe nasıl isim verilir?" deyince Abdurrahman: "Müşterek isimlerden biri verilir." demiştir. Hamza, Ammar, Talha ve Utbe gibi.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir hadîsinde:

إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ اٰبَائِكُمْ
فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ

"Sizler kıyamet günü kendinizin ve babalarınızın adları ile çağırılacaksınız. Öyle ise (çocuklarınıza) *güzel isimler veriniz."*[160] buyurmuştur. İnsan, hoşlanmadığı çirkin ismini değiştirebilir. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), As'ın ismini Abdullah olarak değiştirdi.[161] Zeyneb'in ismi Berre idi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

تُزَكِّي نَفْسَهَا

"Kendi kendini tezkiye ediyor."[162] buyurdu. Çünkü "Berre" iyi mânâsınadır. Bunun üzerine, kendisine Zeyneb ismini vermiştir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), Eflâh, Yesar, Nâfi' ve Bereket isimlerinden nehyetmiştir.[163] Çünkü "Bereket orada mı?" denir ve "Hayır." denir.

Dördüncüsü; Akîka, doğum kurbanıdır. Erkek çocuk için iki,

---

160. Beyhakî, Abdullah b. el Hars'dan sahih sened ile rivâyet etmiştir.
161. Buhârî ile Müslim, Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.
162. Müslim, Semûre b. Cündüb'den (r.a.) rivâyet etmiştir. Ancak Müslim'in rivâyetnide "Bereke" yerine "Ribah" vardır.
163. Tirmizî, Hz. Âişe'den (r.a.) rivâyet etti ve "sahihtir" dedi.

kız çocuk için bir koyun kurban etmektir. Koyunun erkek veyâ dişi olması arasında fark yoktur.

Hz. Aişe (r.a.)'ın rivâyetine göre Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) erkek çocukta birbirine denk iki koyun, kız çocukta da bir koyun kurban edilmesini emretmiştir.[164] Ayrıca Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) in Hz. Hasan (r.a.) için yalnız bir koyun kurban ettiği rivâyet edilmiştir ki, bu da bir ruhsattır.[165] Diğer bir hadîsinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَعَ الْغُلَامِ عَقِيقَتُهُ فَأَهْرِيقُوا عَنْهُ دَمًا وَأَمِيطُوا عَنْهُ الْأَذٰى

"Her doğan çocuk ile akîkası (eziyet veren şeyi) *bulunur.* (Yedinci gün) *onun için kan akıtın* (kurban kesin) *ve o eziyeti izâleye çalışın."*[166] buyurmuştur.

Yine yedinci gün çocuğun saçını kesip, ağırlığınca altın veyâ gümüş tasadduk etmek de sünnettir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Hz. Fatıma (r.a.)'a, yedinci gün Hz. Hüseyin'in saçını traş ettirip ağırlığınca gümüş vermesini emretmiştir.[167] Hz. Âişe (r.a.): "Akîka kurbanının kemikleri kırılmaz." dedi ve teâmül de hâlen böyledir.

Beşincisi; hurma ve benzerî tatlı şeyi çiğneyip çocuğun ağzına koymaktır. Hz. Ebû Bekir (r.a.)'in kızı Esmâ (r.a.): "Abdullah b. Zübeyr'i Kubâ'da doğurmuştum. Medine'ye geldim. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), bir hurma çiğneyerek çocuğa yedirdi. Çocuğun ağzına ilk giren, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in tükürüğü ile karışık olan bu lokmadır. Sonra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), bu çocuğa duâ buyur-

---

164. Tirmizî, mürsel olarak Ali'den (r.a.): Hâkim. Hüseyin'den (r.a.) ve Ebü Dâvûd, İbn Abbâs'dan (r.a.) rivâyet etmişlerdir.
165. Buhârî, Selmân b. Âmir ed-Dâbî'den rivâyet etmiştir.
166. Hâkim, Ali'den (r.a.) rivâyet etti ve "sahihtir" dedi. Başka râvileri de vardır.
167. Ashâb-ı sünen rivâyet etti. Tirmizî, hasen ve sahih olduğunu söyledi.

du." demiştir. Medine'de ilk doğan Müslüman çocuğu budur. Müslümanlar, bunun doğumu ile son derece sevindiler. Çünkü Yâhûdiler: "Size sihir yaptık, artık çocuk doğuramazsınız." diye şayia çıkarmışlardı.

TALÂK

On ikinci edeb: Boşamakta edebe riâyet etmektir. Gerçi boşamak mübahtır. Fakat Allah katında mübahların en kötüsüdür. Mübah olması, başkasına haksız yere eziyet olmadığı zamandır. Hâlbuki kadını boşamakta ona eziyet olduğu meydandadır. Kadına eziyet etmek, ancak onun tarafından doğacak bir cinâyet veyâ zaruret ile helâl olur. Nitekim Allahu Teâlâ Kur'ân-ı Kerîm'de:

فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا

"Eğer düzelir ve size itâat ederlerse, artık onlara kusur arayıp durmayın (ayrılmak için hîle ve çâreler peşinde koşmayın)**."** (Nisâ sûresi, 4/34) buyurmuştur. Babası gelininden hoşlanmıyorsa, onu boşamalıdır. Çünkü babanın rızâsı, âile hukukundan evveldir. Abdullah b. Ömer (r.a.): "Ailemi seviyordum, fakat babam âilemden hoşlanmıyor ve onu boşamamı bana emrediyordu. Vaziyeti Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e arzettiğimde, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

يَا ابْنَ عُمَرَ طَلِّقِ امْرَأَتَكَ

"Ey Ömer'in oğlu, aileni boşa."[168] buyurdu. Bu vaka baba hakkının önde geldiğini göstermektedir. Fakat baba da Hazret-i Ömer (r.a.) gibi olmalı, gelini istememesi lüzûmsuz ve asılsız

---

[168] Ebû Dâvûd ve Tirmizî rivâyet etti. Tirmizî, hasen olduğunu söyledi. Ayrıca İbn Mâce ve İbn Hibbân, Sevbân'dan (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

şeyler yüzünden olmamalıdır. Kocasına eziyet edip, kocasının yakınlarını tahkîr eden kadın, cinâyet işlemiş sayılır. Ahlâkı bozuk ve dîni zayıf olan kadın da böyledir. İbn Mes'ûd (r.a.), Allahü Teâlâ'nın:

وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ

"Onların apaçık bir hayâsızlık yapmaları hâli bir yana (evlerinden) **çıkmasınlar."** (Talâk sûresi, 65/1) âyeti celîlesindeki fuhuştan murâd: "Kocasına zahmet verip, akrabasına hakaret etmesidir." demiştir. Gerçi bu, iddet ile alâkalıdır, fakat gayeye tenbîhtir.

Eziyet koca tarafından ise kadın, para mukabili boşanmak isteyebilir. Fakat erkeğin, kadına verdiği paradan fazlasını alması mekruhtur. Çünkü o, kadına zahmet ve fazla yüktür. Aynı zamanda ırz üzerinde bir ticarettir. Allahü Teâlâ:

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ

"Boşanmak için kadının verdiği fidyede, iki tarafa da günâh yoktur." (Bakara sûresi, 2/229) buyurmuştur. Kadın, aldığını verir. Diğeri de fidye olur ki, boşanmada buna "Hul" denir, mal karşılığı boşanmaktır. Zarûretsiz boşanmak isteyen kadın, günâhkârdır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقَهَا مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ لَمْ تَرُحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ

"(Meşrû) *mazeret olmaksızın, kocasından kendisini boşamasını isteyen kadın cennet râyihasını alamaz.*" Diğer bir ifâde ile:

فَالْجَنَّةُ عَلَيْهَا حَرَامٌ

"Cennet ona haramdır."[169] buyurmuştur. Başka bir hadîs-i şerîfte de şöyle buyrulmuştur:

اَلْمُخْتَلِعَاتُ هُنَّ الْمُنَافِقَاتُ

"Hul yolu ile boşanmak isteyen kadınlar münafıkların tâ kendileridir."[170]

Bundan sonra erkek, boşamakta dört şeye riâyet etmelidir:

a - Kadını kendisiyle temâsta bulunmadığı temizlik günlerinde boşamalıdır. Hayız hâlinde veyâ münâsebette bulunduğu temizlikte boşamamalıdır. Kadını, hayız hâlinde veyâ kendisiyle münâsebette bulunduğu temizlik günlerinde boşamak her ne kadar vâki yâni mûteber ise de, kadının uzun müddet iddet beklemek zarureti olacağından, bid'at ve haramdır. Hattâ bu hâllerde kadını bir talak ile boşarsa, hemen müracaat etmelidir. Nitekim **İbn Ömer** (r.a.) âilesini hayız içersinde boşamıştı. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Hz. Ömer (r.a.)'e:

مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا حَتّٰى تَطْهُرَ ثُمَّ تَحِيضَ ثُمَّ تَطْهُرَ ثُمَّ إِنْ شَاءَ
طَلَّقَهَا وَإِنْ شَاءَ أَمْسَكَهَا

"Oğluna söyle. Karısına müracaat etsin; temizleninceye ve sonra hayız görüp tekrâr temizleninceye kadar saklasın. Ondan sonra isterse yeniden hoşasın ve isterse saklasın."[171] buyurdu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in, İbn Ömer (r.a.)'in ikinci temizliğe kadar beklemesini emretmesi, bu mürâcaatının talak niyetiyle olmamasını temîn için idi.

---

[169] Neseî, Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmiştir. Ayrıca Taberânî, Ukbe b. Âmir'den rivâyet etmiştir.

[170] Buhârî ile Müslim, İbn Ömer'den rivâyet etmişlerdir.

[171] Yemen'de kalabalık bir sülaledir.

b - Birinci temizlikte bir talak boşamalı ve daha fazlaya gitmemelidir. Birden üç talak boşamamalıdır. Zâten iddet dolduktan sonra, bir talak da üç talakın göreceği işi görür. Üstelik nâdim olursa iddet içinde müracaat hakkı da olur. İddet dolduktan sonra da almak isterse, nikâhı yenileyerek alabilir. Fakat üç talâk ile boşarsa, artık pişmânlık fayda vermez. Ancak, varacağı başka kocadan boşandıktan ve iddet bekledikten sonra alabilir. Hâlbuki eski kocasına dönebilmesi için başka birisiyle evlenmesinin yasak olduğunu Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bildirmiştir ki, buna da kendisi sebebiyet vermiş, olur.

Sonra bu kadını başka birisi nikâh ettiği için gözü başkasının karısında olur, bir an evvel boşanmasını bekler. Sonra bilerek başka birisine nikâh olduğu için vicdânında bir nefret hissi uyanır. İşte bütün bunlara sebebiyet veren şey, kadını üç talak ile boşamaktır. Hâlbuki bir talak ile boşarsa, bu mahzurların hepsi ortadan kalkar. Çünkü kadını almayacaksa, zâten bir talak ile boşadıktan sonra iddeti içinde mürâcaat etmez ve verdiği talâktan dönmezse, iddet sonunda, kadın dilediği kimse ile evlenebilir. Şâyet pişman olursa, kadın ile yeniden evlenebilir. Üç talâk ile boşamanın haram olduğunu söylemiyoruz. Fakat bütün bu vaziyetler karşısında mekruhtur.

c - Ailesini boşarken tahkîr ve kendisine eziyet etmeyip “Ne yapalım, mukadderat böyle imiş.” gibi bâzı sebep ve bahâneler ortaya atarak, tatlı konuşmalı ve yumuşak davranmalıdır. Hattâ mümkün olduğu kadar bâzı hediyelerle gönlünü almaya çalışmalıdır. Nitekim Kur’ân-ı Kerim’de:

وَمَتِّعُوهُنَّ

“Onları faydalandırın.” (Bakara sûresi, 2/236) buyrulmuştur.

Eğer nikâh esnâsında mihr-i müeccel konmamışsa, bu yardımı yapması vâcibtir. Hz. Ali (r.a.) nin oğlu **Hz. Hasan** (r.a.) çok karı almış ve boşamıştır. Bir defa adamlarından birisine, iki âilesi için iddet beklemelerini onlara söylemesini ve her birerlerine onbiner dirhem verilmesini emretmişti. Adamı geldiğinde, kendisine ne yaptıklarını sordu. Adam: "Birisi boynunu büküp sükût etti. Diğeri yüksek sesle ağlayarak "Bir dosttan ayrılmak için bu çok az şey." dediğini söyledi. Bunun üzerine Hz. Hasan da başını eğdi ve sonra: "Boşadığım kadınlara mürâcaat itiyâdım olsaydı, ona mürâcaat ederdim." dedi.

Hz. Hasan (r.a.) bir gün, Hişâm'ın oğlu Hâris'in oğlu Abdurrahman'ın yanına gitti. Abdurrahman, emsâli bulunmayan Medine fakîhlerinin reisi idi. Hattâ **Hz. Aişe** (r.a.) onu darb-ı mesel ederek şöyle demiştir: "Basra yolculuğunu yapmadan, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den, Abdurrahman gibi on altı oğlumun olması benim için daha sevimli idi." İşte Hz. Hasan, bu zâtın evine gitti. Hz. Hasan'a gerekli misâfirperverliğini gösterdikten sonra:

- "Haber gönderseydin, ben gelirdim; niye zahmet ettin?" dedi. Hz. Hasan:

- "Şahsî bir işim için geldim." dedi. Abdurrahman:

- "Söyle. Emrin nedir?" deyince Hz. Hasan:

- "Kızını istiyorum." dedi. Abdurrahman kısa bir müddet düşündükten sonra başını kaldırdı ve

- "Vallahi kızıma senden daha iyi tâlip olamaz. Fakat bilirsin ki kızım, benden bir parçadır. Onu sevindiren beni sevindirmiş, ona kötülük eden bana kötülük etmiş olur. Hâlbuki sen, çok alıp boşayan bir zâtsın. Şâyet benim kızımı da boşayacak olursan, sana karşı olan sevgimin kaybolmasından korkarım. Çünkü sen de Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den bir parçasın. Kızımı boşamayacağına söz verirsen, fedâ olsun, vereyim." dedi. Hz. Hasan sükût etti ve çıkıp gitti. Giderken "Kızını boynuma halka yapacaktı." dedi.

Hz. Ali (r.a.), Hz. Hasan'ın çok karı alıp boşamasından üzülür ve canı sıkılırdı. Minberde hutbe esnâsında halktan özür dileyerek: "Oğlum Hasan, aldığı karıyı saklamıyor. Artık buna kız vermeyin. Çünkü aldığını boşuyor." deyince, Hemedân kabilesinden[172] birisi kalktı ve "Ey Mü'minlerin Emîri! Yeter ki, o bizden kız istesin. Biz, ona istediği kadar kız veririz. O isterse saklar, isterse boşar." dedi. Buna memnûn kalan Hz. Ali:

لَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلٰى بَابِ جَنَّةٍ لَقُلْتُ لِهَمَدَانَ اُدْخُلِي بِسَلَامٍ

"Eğer cennetin kapıcısı olsaydım. Hemedân sülâlesine "Selâmetle içeri girin." derdim." demiştir.

Bundan şu dersi alıyoruz: Bir kimse sıkılıp utandığından, çoluk çocuğunun aleyhinde söz konuştuğu zaman, ona iştirak etmemeli, imkân nisbetinde muhâlefete çalışarak, "Yok, senin dediğin gibi kötü değil, iyidir." demeli ki, onun gönlü bundan hoşnud olsun.

Bu anlattıklarımızdan maksat, talâkın (boşamanın) mübâh olduğunu göstermektir. Allahü Teâlâ, evlenmekte ve ayrılmakta da zenginliği va'detmiştir. Nitekim Kur'ân-ı Kerîm'de:

وَاَنْكِحُوا الْاَيَامٰى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَاِمَآئِكُمْ
اِنْ يَكُونُوا فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

---

[172] Tirmizî rivâyet etti, hasen ve garib olduğunu söyledi. Ayrıca İbn Mâce de Ümmü Seleme'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

"İçinizden bekârları ve kölelerinizle câriyelerinizden sâlih olanları nikâh edin. Eğer fakir olurlarsa, Allah, onları fazl u kereminden zenginletir." (Nûr sûresi, 24/32);

وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللّٰهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ

"Şayet ayrılırlarsa, Allahu Teâlâ her birini fazl u kereminden zengin eder." (Nisâ sûresi, 4/130) buyurulmuştur.

d - Evlilik hayatında olduğu gibi, boşandıktan sonra da, karısının sırrını katiyen ifşâ etmemelidir. Çünkü sahîh haberde, karısının sırrını ifşâ edenlere büyük vaîdler vârid olmuştur. Sâlihlerden bir zât, âilesini boşamak istediğinde, kendisine:

- "Aileni niçin boşuyorsun?" diye soranlara:

- "Aile sırrı ifşâ edilmez." dedi. Boşadıktan sonra, kendisine:

- "Niçin boşadın?" diye soranlara da:

- "Artık kendisiyle hiç bir alâkam kalmamış bir kadından bahsetmeye hakkım yoktur." diye cevap vermiştir. İşte bunlar, karının kocadaki haklarıdır.

İkinci Kısım
KOCANIN ZEVCESİ ÜZERİNDEKİ HAKLARI

Bu hususta sadra şifâ verecek söz şudur: Nikâh, bir nevî kölelik ve esârettir. Kadın, tamamen efendisinin emrindedir. Günâh olmayan bütün emirlerine mutlak sûrette itâat etmelidir. Hanımların, efendisine itâat ve saygısına dâir pek çok haberler vardır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ

“Kendisinden kocası râzı olduğu hâlde ölen her (Müslüman) *kadın cennete girer.”*[173] buyurmuştur.

Adamın biri hârice giderken hanımına evinin üst katından aşağı inmemesini tenbih etti. Alt katta olan babası hastalandı. Kadın babasına hizmet için aşağı inmek istedi. Bunun için vaziyeti Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e -haber göndererek- arzetti. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

“Kocana itâat eyle.” buyurdu. Babası öldü. Kadın, babasının cenazesine katılmak için, tekrar Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’den müsâade istedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) yine:

واَطِيعِى زَوْجَكَ

“Kocana itâat eyle.” buyurdu. Bilâhare kadına şöyle haber gönderdi:

“Efendine olan itaatinin mükâfatı olarak, Allahü Teâlâ babanı affetmiştir.”[174] buyurmuştur.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ
فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا دَخَلَتْ جَنَّةَ رَبِّهَا

“Kadın beş vakit namazını kılar, Ramazan orucunu tutar, kendisini yabancıdan korur ve kocasına itâat ederse, Rabb’ının cennetine girer.”[175] buyurmuştur. Görülüyor ki, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), kadı-

---

[173] Taberânî **“Evsat”**ında Enes’den (r.a.) rivâyet etmiştir.

[174] İbn Hibbân, Ebû Hüreyre’den (r.a.) rivâyet etmiştir.

[175] İbn Mâce ve Hâkim, Ebû Umâme’den (r.a.) rivâyet ettiler. Hâkim, sahih olduğunu söyledi. Yalnız *“Emzirirler”* ilâvesi, Taberâni’nin **“Evsat”**ındadır.

nın kocasına itâat etmesini İslâm'ın şartları arasına almıştır. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

حَامِلَاتٌ وَالِدَاتٌ مُرْضِعَاتٌ رَحِيمَاتٌ بِأَوْلَادِهِنَّ، لَوْلَا مَا يَأْتِينَ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ دَخَلَتْ مُصَلِّيَاتُهُنَّ الْجَنَّةَ

"Onlar hâmile olur, çocuk doğurur, emzirir, yavrularına karşı son derece şefkatli ve merhametlidirler. Eğer kocalarına karşı küfrân-ı nîmette bulunmasalar; namaz kılanları hemen cennete giderdi."[176] buyurmuştur. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اِطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ

"Cehennemi gördüm. Bir de baktım ki, halkının ekseriyetini kadınlar teşkil ediyor." buyurdu. Neden böyle olduğunu soranlara da, Rasûl-i Ekrem şu cevabı verdi:

"Onlar, çok lânet ederler ve kocalarına karşı küfrân-ı nîmet ederler de ondan."[177] Diğer bir haberde:

اِطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَإِذَا أَقَلُّ أَهْلِهَا النِّسَاءُ فَقُلْتُ: أَيْنَ النِّسَاءُ؟

"Cennete muttali oldum. Bir de baktım ki, ekalliyetini kadınlar teşkîl ediyor. Bunun üzerine "Kadınlar nerede?" diye sordum. Bana: "Onları altın ve zâferân gibi zînet eşyâsı meşgûl etti." dediler."[178] diye vârid olmuştur.

Hz. Âişe (r.a.) anlatıyor: "Genç bir kadın Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e gelerek:

---

[176] Buhârî ile Müslim, İbn Abbâs'dan (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[177] Ahmed, Ebû Umâme'den rivâyet etmiştir.

[178] Hâkim, Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmiş ve isnadının sahih olduğunu söylemiştir.

- “Ya Rasûlallah, ben genç bir kızım. Tâliplerim geliyor. Fakat evlenmek istemiyorum. Bir kocanın karısındaki hakları nelerdir, anlatır mısınız?” dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَوْ كَانَ مِنْ فَرْقِهٖ إِلٰى قَدَمِهٖ صَدِيدٌ فَلَحَسَتْهُ مَا أَدَّتْ شُكْرَهُ،
قَالَتْ: أَفَلَا أَتَزَوَّجُ؟ قَالَ: بَلٰى تَزَوَّجِي فَإِنَّهُ خَيْرٌ

- *“Eğer erkek tepeden tırnağa cerahat olsa, kadın da dili ile yalasa, yine de erkeğin hakkını ödeyemez.”* buyurdu. Kadın:

- “O hâlde ben evlenmeyeyim mi, ya Rasûlallah?” dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *“Evlen. Zîra evlenmek, hakkında daha hayırlıdır.”*[179] buyurdu. İbn Abbâs (r.a.) anlatıyor: Has’am kabîlesinden bir kadın, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e gelerek: “Ben evlenmek istiyorum, kocanın karısındaki hakkı nedir?” diye sordu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ مِنْ حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى الزَّوْجَةِ إِذَا أَرَادَهَا فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا وَهِيَ عَلٰى ظَهْرِ بَعِيرٍ لَا تَمْنَعُهُ، وَمِنْ حَقِّهٖ أَنْ لَا تُعْطِيَ شَيْئًا مِنْ بَيْتِهٖ إِلَّا بِإِذْنِهٖ، فَإِنْ فَعَلَتْ ذٰلِكَ كَانَ الْوِزْرُ عَلَيْهَا وَالْأَجْرُ لَهُ، وَمِنْ حَقِّهٖ أَنْ لَا تَصُومَ تَطَوُّعًا إِلَّا بِإِذْنِهٖ فَإِنْ فَعَلَتْ جَاءَتْ وَعَطِشَتْ وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْهَا، وَإِنْ خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهٖ بِغَيْرِ إِذْنِهٖ لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتّٰى تَرْجِعَ إِلٰى بَيْتِهٖ أَوْ تَتُوبَ

---

[179] Hadîsin bir kısmını, Beyhaki. İbn Abbas’dan (r.a.), tamamını İbn Ömer’den (r.a.) rivâyet etmiştir.

"Kocanın karıdaki haklarından bâzıları şunlardır: Koca, hanımını cinsî münâsebete çağırdığı zamân, deve üzerinde de olsa dâvete icâbet etmek. Müsâdesi olmadan, evinden bir şey vermemek. Şâyet izinsiz bir şey verecek olursa, sevabı kocasına, günâhı kendisine olur. Müsâadesi olmadan nâfile oruç tutmamak. Şâyet kocası müsâade etmeden nâfile oruç tutacak olursa, açlığı ve susuzluğu yanına kalır; orucu kabul olmaz. Kocasının müsâdesini almadan evden çıkacak olursa, eve dönünceye veyâ tövbe edinceye kadar melekler ona lânet ederler."[180] buyurmuştur. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ
لِزَوْجِهَا مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا

"Eğer bir ferdin başkasına secde etmesini emretseydim, kocanın karısının üzerindeki hakkının büyüklüğünden dolayı, kadının kocasına secde etmesini emrederdim."[181] Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَقْرَبُ مَا تَكُونُ الْمَرْأَةُ مِنْ وَجْهِ رَبِّهَا إِذَا كَانَتْ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا، وَإِنَّ صَلَاتَهَا فِي صَحْنِ دَارِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي الْمَسْجِدِ، وَصَلَاتُهَا فِي بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي صَحْنِ دَارِهَا، وَصَلَاتُهَا فِي مَخْدَعِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي بَيْتِهَا

"Kadının, Allah rızâsına en yakın olması, evinin en kapalı yerinde olduğu zamandır. Evinin sahanlığında namaz kılması, mes-

---

[180] Tirmizî ve İbn Hibbân. Ebû Hüreyre'den (r.a.): Ebû Dâvûd, Kays b. Sa'd (r.a.): İbn Mâce, Hz. Âişe'den (r.a.) ve İbn Hibbân.

[181] Ebi'l Evfâ'dan (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

cidde kılmasından: evin içinde kılması, evin sahanlığında kılmasından; harem odasında kılması da evin içerisinde kılmasından daha efdaldir."[182] buyurmuştur. Çünkü evin harem odası, diğer yerlerinden daha çok kapalıdır. Bunun için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اَلْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ

"Kadın nâmahremdir. (Dışarı) *Çıktığı zaman, şeytan onu tâkip eder."*[183] buyurmuştur. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لِلْمَرْأَةِ عَشْرُ عَوْرَاتٍ فَإِذَا تَزَوَّجَتْ سَتَرَ الزَّوْجُ عَوْرَةً وَاحِدَةً، فَإِذَا مَاتَتْ سَتَرَ الْقَبْرُ الْعَشْرَ عَوْرَاتِ

"Kadın için on avret vardır. Birini, evlendiği zaman erkek, onunu, öldüğü zaman mezar örter."[184] buyurmuştur.

Kocanın karısı üzerinde pek çok hakları vardır. Bunların en mühimi iki tânedir:

Birincisi; kadının kendisini koruyup örtünmesi, yabancılardan muhâfaza etmesidir.

İkincisi; ihtiyâcından fazla bir şey istememek, şâyet kocasının kazancı haram ise haram olan kazancından imkân nisbetinde yememektir. Atik İslâm kadınları böyle yaparlardı. Erkek, evinden çıkarken, ailesi ve kız çocukları: "Aman efendi, bize ha-

---

182. Evveliyâtını İbn Hibbân, İbn Mes'ûd'dan (r.a.); sonundan bir kısmını Ebû Dâvûd, muhtasar olarak, rivâyet etmişlerdir. Beyhakî, Hz. Âişe'den (r.a.) başka ifâd ile rivâyet etti. İsnadı hasendir. Ayrıca İbn Hibbân da Ümmü Hümeyd'den rivâyette bulunmuştur.
183. Tirmizî rivâyet etti, hasen ve sahîh olduğunu söyledi. Ayrıca İbn Hibbân da İbn Mes'ûd'dan (r.a.) rivâyet etmiştir.
184. Hâfız Ebû Bekir Muhammed b. Ömer el-Ca'abî "Tarihu't-Tâlibîn"de Hz. Ali'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

ram nafaka getirme; bu dünyada açlık ve sıkıntıya katlanırız. Fakat cehennem ateşine dayanamayız." derlerdi. Eskiden adamın biri seyâhate çıkmak istedi. Komşuları bunu duyunca muvâfakat etmediler ve ailesine: "Yiyecek nâmına sana bir şey bırakmadığı hâlde, hârice çıkmasına nasıl müsâade ediyorsun?" dediler. Kadın: "Ben bu zât ile evlendim evleneli, rızkımızı temîn ettiğini görmedim, ancak hâzırdan yemesini bilir. Bırakın, bu yiyici gitsin, razzâk olan Allah, bize yeter." dedi.

Şam'da İsmâil'in kızı Râbia adında âbide bir kadın, **Ahmed b Ebû'l-Havârî**'ye evlenme teklif etti. Ebû'l-Havârî:

- "Ben ibâdetle meşgulüm, karıya ihtiyâcım yok, evlenemem." dedi. Kadın:

- "Ben senden daha çok ibâdetle meşgulüm. Benim de kocaya ihtiyâcım yok, ancak seni sâlihlerden gördüm. Bana da kocamdan birçok miras kaldı. Bu mirası, sâlih olan dostlarınla birlikte yemeni istedim ve bunun için size evlenme teklif ettim." dedi. Ebû'l-Havârî:

- "O hâlde ben, şeyhim **Ebû Süleyman Dârânî**'ye sorayım. Çünkü beni evlenmekten o men etti ve "Dostlarımızdan evlenenlerin hâlleri bozuldu." dedi. Sonra vaziyeti şeyhi Süleyman Dârânî'ye anlatınca, Ebû Süleyman: "Onunla evlen. O Allah'ın velîlerinden birisidir." dedi. Ben de Râbia ile evlendim. Evimizde bir yük Ces vardı. Acele ile sofradan kalkıp ellerini yıkayanlar, o maddeyi ellerinin suyu ile bitirdiler. Ebû'l-Havârî devâmla diyor ki: "Bu kadının üzerine üç kadın daha aldım, o bana iyi yemekler yedirir, güzel kokular sürer ve: "Haydi güle güle hanımlarının yanına git." derdi." İşte Şam'daki Râbia, Basra'daki Râbia-i Adviye'ye benzerdi. (Allah her ikisinden de râzı olsun.)

Kadının kocasına olan vecîbelerinden birisi de, erkeğin malını isrâf etmemesi ve onu korumasıdır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تُطْعِمَ مِنْ بَيْتِهٖ إِلَّا بِإِذْنِهٖ إِلَّا الرَّطْبَ مِنَ الطَّعَامِ الَّذٖي يُخَافُ فَسَادُهُ، فَإِنْ أَطْعَمَتْ عَنْ رِضَاهُ كَانَ لَهَا مِثْلُ أَجْرِهٖ وَإِنْ أَطْعَمَتْ بِغَيْرِ إِذْنِهٖ كَانَ لَهُ الْأَجْرُ وَعَلَيْهَا الْوِزْرُ

“Kocasının müsâadesi olmadan evinden yedirmek, kadına helâl değildir. Ancak bozulup çürüyecek yaş yemekler müstesnâdır. Şâyet kocanın müsâadesi ile yedirir ise kocasının sevâbı kadar da kendisi sevâb alır. Müsâadesi olmadan yedirecek olursa, günâhı kendisine, sevâbı ise kocasına âit olur.”[185] buyurmuştur.

Koca ile güzel geçim yollarını öğretmek, kadının anne ve babasında olan haklarındandır.

Rivâyete göre **Esmâ binti Hâricetü’l-Fezârî** evlendireceği kızına: “Kızım, alıştığın hayattan bilmediğin bir hayata gidiyorsun. Hiçbir sûretle tanımadığın bir kimse ile arkadaş oluyorsun. Sen ona yer ol ki, o da sana gök olsun. Sen onun dilediğini yap ki, o da sana istediğini versin. Sen ona döşek ol ki, o da sana yaslanacağın direk olsun. Sen ona câriye ol ki, o da sana köle olsun. Herhangi bir şeyde ısrar etme ki, sana kızmasın. Ondan çok uzaklaşma ki, seni unutmasın. Sana yaklaştıkça sen de ona yaklaş. Kızdığı zaman, kendini koru. Yüzünü, gözünü ve kulağını muhâfaza et ki, güzel kokunu koklasın, güzel sözünü duysun ve güzelliklerini görsün.” demiştir.

---

[185] Ebû Dâvûd, Tayâlisî ve Beyhakî, İbn Ömer’den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

Adamın biri karısına: "Benden af dile ki sevgimiz devâm etsin. Hiddetli zamanımda bana bir şey söyleme ki, kalbini kıracak bir sözle mukabelede bulunmayayım. Bir şey söylersen bangır bangır bağırarak söyleme. Çünkü dâima benim ne hâlde olduğumu bilemezsin. Fazla şikâyet etme! Fazla şikâyet sevgiyi azaltır, gönlümü senden soğutur. Gönüller döner, kanâatlerini değiştirir. Sevgi ile eziyet bir gönülde toplanmaz. Bunlar bir araya gelirse, sevgi gönülden göç edip gider." demiştir.

Kadının riâyet etmesi gereken edebler şunlardır:

Kadın evinde oturup yününü eğirmeli, ev ve el işleri ile meşgul olmalıdır. Yüksek yerlere çıkıp etrâfı uzun boylu gözetmemeli, komşulara gelen ve geçenlere bakmamalıdır. Komşuları ile fazla konuşmamalı, ancak lüzûmu kadar konuşmalı ve temâs etmelidir. Kocasının, huzûrunda ve gıyâbında şerefini korumalı. Her işte onun rızâsını kazanıp gönlünü hoş etmeye çalışmalıdır. Kocasına, şeref ve nâmusunda ihânet etmemeli, müsâadesi olmadan sokağa çıkmamalı. İzin verdiğinde de tesettürlü bir şekilde çıkmalı ve süs ve ziynetini teşhir etmeyip, efendisine saklamalıdır. Sokağa çıkarken nazar-ı dikkati çekmeyecek bir kılıkla çıkmalıdır. Sokağa çıktığında, kalabalığa karışmamalı, mümkün olduğu kadar tenhâ ve kenardan yürümelidir. Yabancıların kendisini bilmesinden sakınmalıdır. Hattâ tanıdıklarından da sakınmalı ve işine devâm etmelidir. Gayesi, kendisini düzeltmek, evini sevk ve idâre etmek olmalıdır. Beş vakit namazı kılıp, orucunu tutmalıdır. Kocası evde bulunmadığı zaman -kocasının kıskançlığını düşünerek- kapıyı çalanlara iltifât etmemelidir. Kocasının servetine kanâat etmeli, kendisinden evvel kocasını düşünmelidir. Kocasının akrabalarını kendi akrabaları üzerine tercih etmelidir. Kocasına karşı dâima saygılı ve emrine âmâde olmalıdır.

Çocuklarına şefkatli olmalı, onları korumalı ve onlara kötü söylememelidir. Kocasına boşboğazlık yapmamalıdır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir hadîsinde:

أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ، اِمْرَأَةٌ اٰمَتْ مِنْ
زَوْجِهَا وَحَبَسَتْ نَفْسَهَا عَلٰى بَنَاتِهَا حَتّٰى ثَابُوا أَوْ مَاتُوا

"Ben ve kırmızı yanaklı bir kadın kıyâmet gününde böylece yan yanayız. Bu, kocasından dul kalmış, büyüyünceye veyâ ölünceye kadar kız çocuklarının başlarını bekleyerek, ere varmayan (genç) *bir kadındır."*[186] buyurmuştur. Diğer bir hadîste:

حَرَّمَ اللّٰهُ عَلٰى كُلِّ اٰدَمِيٍّنِ الْجَنَّةَ يَدْخُلُهَا قَبْلِي، غَيْرَ أَنِّي أَنْظُرُ
عَنْ يَمِينِي، فَإِذَا امْرَأَةٌ تُبَادِرُنِي إِلٰى بَابِ الْجَنَّةِ، فَأَقُولُ: مَا
لِهٰذِهِ تُبَادِرُنِي؟ فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، هٰذِهِ امْرَأَةٌ كَانَتْ حَسْنَاءَ
جَمْلَاءَ، وَكَانَ عَلَيْهَا يَتَامٰى لَهَا، فَصَبَرْتَ عَلَيْهِنَّ حَتّٰى بَلَغَ
أَمَرُهُنَّ الَّذِي بَلَغَ؛ فَشَكَرَ اللّٰهُ لَهَا ذٰلِكَ

"Allahü Teâlâ benden önce cennete girmeyi bütün insanlara haram etmiştir. Fakat sağımda beni geçmeye çalışan bir kadın görürüm ve "Beni geçmek isteyen bu kadın kimdir?" derim. Denilir ki: Yâ Muhammed, bu genç yaşında kocası ölen güzel bir kadındır ki, yanındaki yetim çocukları (bütün sıkıntılara katlanarak nâmus ve iffetiyle) *onların başını bekledi ve onları büyüttü. İşte mükâfat olarak Allahü Teâlâ ona bu mertebeyi verdi."*[187] buyrulmuştur.

---

[186] Ebû Dâvûd. Ebû Mâlik el-Eşcaî rivâyet etmişlerdir.

[187] Harâitî **"Mekârim-i Ahlâk"**da Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

Kadının riâyet edeceği edeblerden birisi de, güzelliği ile kocasına övünmemek, kocasını da çirkinliğinden dolayı hor görmemektir. **Esmaî** şöyle anlatıyor: Çölde çok çirkin bir adamın nikâhında çok güzel bir kadın gördüm. Kadına: "Bu çirkin adamda nasıl durabiliyorsun?" dediğimde, kadın: "Sus, belki Allah katında en güzel bir adamdır. Allah ona lütfetti, beni verdi. Yâhut belki benim büyük bir kusurum vardı da Allahü Teâlâ cezâ olarak beni buna verdi, günâhıma kefaret olur. Allah'ın taksimatına nasıl râzı olmayayım?" dedi ve beni susturdu.

Yine **Esmaî** anlatıyor: Çölde bir kadına rastladım. Kırmızı elbise giymiş ve elini kınalamış tesbih çekiyordu. "Bu elbise, bu kına ve bu tesbih birbirleriyle bağdaşamaz." dedim. Kadın: "Benim bir Allah'a bir de kocama karşı vazifelerim var. İkisini de ihmâl etmem." dedi. Yâni "Güzel elbise ve kına gibi süsleri kocama karşı yapıyorum. Tesbihi ise Allah için çekiyorum." demek istemiştir.

Kocası bulunmadığı zaman sükût edip bir kenara çekilerek, kocası geldiği zaman neşelenmek, oynamak ve kocasının gönlünü okşayacak hareketlerde bulunmak da yine hanımlara düşen vazifelerdendir. Hiç bir sûretle kocasına eziyet etmesi muvâfık değildir. Muâz b. Cebel (r.a.) Rasûl-i Ekrem'den (s.a.v.) şöyle rivâyet ediyor:

لَا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا، إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لَا تُؤْذِيهِ، قَاتَلَكِ اللهُ، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا

"Dünyada bir kadın kocasına eziyet ederse, o erkeğin hûrilerden olan zevecsi o kadına hitâp ederek "Allah canını alsın bu adama

eziyet etme. O, dünyada senin yanında bir misâfirdir. Yakında senden ayrılıp bize kavuşacak" diyerek muâheze eder."[188]

Kadına borç olan nikâh haklarından birisi de, kocası öldüğü zaman, dört ay on günden fazla mâtem tutmamak ve bu müddet içinde süslenip, koku sürünüp ziynetlenmemektir. **Zeyneb binti Ebû Selma** (r.a.) şöyle anlatıyor: Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in diğer zevcesi Ümmü Habibe'nin (r.a.) babası Süfyân b. Harb öldüğü zaman, onun ziyâretine gittim. Câriyesi hazırladığı kokudan kendisi de biraz sürdükten sonra: Benim kokuya ihtiyâcım yok, koku sürmek de istemem, ancak Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in:

لَايَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ اَنْ تَحِدَّ عَلٰى مَيِّتٍ
اَكْثَرَ مِنْ ثَلَا ثَةِ اَيَّامٍ اِلَّا عَلٰى زَوْجٍ اَرْبَعَةَ اَشْهُرٍ وَعَشْرًا

"Allah'a ve âhiret gününe îman etmiş olan bir kadına, kocasından başka hiç bir ölü için üç günden fazla mâtem tutması helâl olmaz. Kocası için dört ay on gün mâtem tutar."[189] buyurduğunu duydum, onun için koku sürünüyorum." dedi. Zarûret olmadıkça kocasının evinden çıkıp başka bir yere gidemez. Dört ay on günü orada dolduracaktır.

Kendisini alâkadar eden bütün işleri yapması da, riâyet edeceği âdâblardandır. Hz. Ebû Bekir'in (r.a.) kızı Esmâ'nın (r.a.) şöyle anlattığı rivâyet ediliyor: Zübeyr beni aldığı zaman, bindiği at ve su çeken devesinden başka hiç bir şeyi yoktu. Ben atının yemini verir hizmetini yapardım. Hurma çekirdeği döver devesine yedirirdim. Suyu onunla çekerdim. Kovasını dikerdim. Hamurunu

---

188. Tirmizî rivâyet etti; hasen ve garib olduğunu söyledi. Ayrıca İbn Mâce de rivâyet etmiştir.
189. Buhârî ile Müslim rivâyet etmişlerdir.

yoğururdum. Çekirdeği başımın üzerinde üç fersah mesâfeye taşırdım. Hattâ (babam) Ebû Bekir, bana bir câriye gönderdi. Atın hizmetine o baktı ve sanki beni âzâd etti. Bir gün başımın üzerinde çekirdek taşırken, ashâb ile gelmekte olan Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ile karşılaştım. Resûl-i Ekrem, devesini çökertip beni terkisine almak istedi. Fakat, ben erkekler arasına girmekten utandım ve kocam Zübeyr'in kıskançlığını düşünerek binmek istemedim. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de benim utandığımı anladı. Zübeyr'e meseleyi anlattığımda, Zübeyr: "Başının üzerinde çekirdek taşıman, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in terkisine binmenden benim için daha ağırdır." dedi. Yâni binseydin demek istedi. (Çünkü binmek ayıp değil, ayıp olan yük taşımaktır.)[190]

Allah'ın lûtfu keremiyle **"Nikâhın Âdâbı Kitâbı"** burada sona erdi. Allah'a hamd eder, Rasûlüne de salât u selâm ederim.

---

[190] Buhârî ile Müslim rivâyet etmişlerdir.

كتاب
آداب الكسب والمعاش

وهو الكتاب الثالث من ربع العادات
من كتب إحياء علوم الدين

Rub‘u’l-Âdât

ÜÇÜNCÜ KİTAB

KAZANÇ VE GEÇİM ÂDÂBI
(KİTÂBU ÂDÂBİ’L-KESB VE’L-MEAŞ)

كتاب آداب الكسب والمعاش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نحمدُ اللهَ حمدَ موحِّدٍ امَّحقَ في توحيدِهِ ما سوى الواحدِ الحقِّ وتلاشىٰ ، ونمجِّدُهُ تمجيدَ مَنْ يصرِّحُ بأنَّ كلَّ شيءٍ ما سوى اللهِ باطلٌ ولا يتحاشىٰ ، وأنَّ كلَّ مَنْ في السماواتِ والأرضِ لنْ يخلقوا ذباباً ولوِ اجتمعوا لهُ ولا فَراشاً ، ونشكرُهُ إذْ رفعَ السماءَ لعبادِهِ سقفاً مبنياً ومهدَ الأرضَ بساطاً لهمْ وفِراشاً ، وكوَّرَ الليلَ على النهارِ فجعلَ الليلَ لباساً وجعلَ النهارَ معاشاً ؛ لينتشروا في ابتغاءِ فضلِهِ وينتعشوا بهِ عنْ ضرعةِ الحاجاتِ(١) انتعاشاً .

ونصلِّي علىٰ رسولِهِ الذي يصدرُ المؤمنونَ عَنْ حوضِهِ رِواءً بعدَ ورودِهِمْ عليهِ عطاشاً ، وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ الذينَ لمْ يدعوا في نصرةِ دينِهِ تشمُّراً وانكماشاً(٢) ، وسلَّمَ تسليماً كثيراً .

أما بعـد :

فإنَّ ربَّ الأربابِ ومسببَّ الأسبابِ جعلَ الآخرةَ دارَ الثوابِ والعقابِ ،

---

(١) أي : إلجاؤها بذلٍّ ، وفي نسخة الحافظ الزبيدي : (ضراعة) بدل (ضرعة) . « إتحاف » (٥/ ٤١٢) .

(٢) **الانكماش** : الإسراع ، فهو تأكيد لمعنى التشمُّر .

والدنيا دارَ التمحُّلِ والاضطرابِ ، والتشمُّرِ والاكتسابِ ، وليسَ التشمُّرُ في الدنيا مقصوراً على المعادِ دونَ المعاشِ ، بلِ المعاشُ ذريعةٌ إلى المعادِ ومعينٌ عليهِ ؛ فالدنيا مزرعةُ الآخرةِ ومدرجةٌ إليها . **والناسُ ثلاثةٌ** :

رجلٌ شغلَهُ معاشُهُ عنْ معادِهِ فهوَ مِنَ الهالكينَ .

ورجلٌ شغلَهُ معادُهُ عنْ معاشِهِ فهوَ مِنَ الفائزينَ .

والأقربُ إلى الاعتدالِ هوَ الثالثُ الذي شغلَهُ معاشُهُ لمعادِهِ فهوَ مِنَ المقتصدينَ .

ولنْ ينالَ رتبةَ الاقتصادِ مَنْ لمْ يلازمْ في طلبِ المعيشةِ منهجَ السدادِ ، ولنْ ينتهضَ مَنْ طلبَ الدنيا وسيلةً إلى الآخرةِ وذريعةً ما لمْ يتأدَّبْ في طلبِها بآدابِ الشريعةِ .

وها نحنُ نوردُ آدابَ التجاراتِ والصناعاتِ وضروبَ الاكتساباتِ وسننَها ، ونشرحُها في خمسةِ أبوابٍ :

البابُ الأوَّلُ : في فضلِ الكسبِ والحثِّ عليهِ .

البابُ الثاني : في علمِ صحيحِ البيعِ والشراءِ والمعاملاتِ .

البابُ الثالثُ : في بيانِ العدْلِ في المعاملةِ .

البابُ الرابعُ : في بيانِ الإحسانِ فيها .

البابُ الخامسُ : في شفقةِ التاجرِ علىٰ نفسِهِ ودينِهِ .

* * *

MUKADDİME

Tevhidinde, Vâhid-i hakikî'den başka her şeyin mahvolup yok olacağına inanan bir muvahhid gibi Allah'a hamd ederiz. Göklerde ve yerde olanların hepsi bir araya gelse, bir sivrisinek ve hattâ bir zerre yaratamayacak derecede âcizdirler. "Allah'tan başka her şey bâtıldır." diyenlerin Allah'a olan tâzîmi gibi O'na tâzîm ederiz. Gökyüzünü ışıklı bir kubbe, yeryüzünü hayata elverişli bir döşek ve yekdiğerini tâkip eden gece ile gündüzün birbirini insanlar için perde ve istirahat, diğerini de yeryüzüne dağılıp Allah'ın fazl u kereminden ihtiyaçlarını tedârik ile geçimlerini sağlamaya elverişli bir şekilde yarattığı için O'na şükrederiz.

Mü'minlerin, susamış olarak uğrayıp, suya kanmış hâlde geri dönecekleri Havz'ın sahibi olan Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e ve bütün imkânları ile dînine yardımcı olmaktan geri durmayan âline ve ashâbına salât u selâm ederiz.

Bundan sonra bilmiş ol ki; ulular ulusu ve sebeplerin yaratıcısı olan Allahü Teâlâ, âhireti mükâfat ve mücâzât; dünyayı ise sâ'y u gayret ve geçim uğrunda sıkıntı, mihnet, meşakkat, imtihan ve ibtilâ yeri olarak yaratmıştır. Dünyada yalnız âhiret için değil, dünya için de çalışmak lâzımdır. Belki dünya geçimi, âhireti kazanmaya bir yol ve yardımcıdır. Çünkü dünya, âhiretin zirâatgâhı ve ona ulaştırıcı bir vâsıtadır.

İnsanlar (kazanç hususunda) üç kısımdır:

1 - Dünya geçimi kendisini meşgul etmiş ve âhiretini unutturmuştur. Böyle olanlar, helâktedir.

2 - Âhiret telâşı, dünyalığını unutturmuştur. Bunlar "fâizîn"dendir yâni zafere ulaşmışlardır.

3 - Âhiretini kazanmak için dünya ile meşgul olanlardır. İtidâle en yakın olan bu üçüncü derecedir. Bunlara "**muktesid**" denir. Ehl-i salâh rütbesi budur. Bu, orta derecedir. Geçimini temîn için doğru yoldan gitmeyen ve itidâle riâyet etmeyenler, muktesid olamazlar. Şerîat âdâbına uygun olmayan dünyalık, âhiret yolculuğuna vesîle olamaz. İşte biz burada ticaret, sanat ve çeşitli kazançların meşrû yollarını anlatmaya çalışacak ve bunları beş bâbda îzâh edeceğiz.

البَابُ الأوّلُ

في فضل الكسب والحثّ عليه

أما مِنَ الكتابِ :

فقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ ، فذكرَهُ في معرضِ الامتنانِ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ ، فجعلَها ربُّكَ نعمةً ، وطلبَ الشكرَ عليها .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ .

* * *

وأمّا الأخبارُ :

فقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مِنَ الذنوبِ ذنوبٌ لا يكفِّرُها إلا الهمُّ في طلبِ المعيشةِ »(١) .

---

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » (١٠٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٣٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٤/ ٢٠٠) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « التاجرُ الصَّدوقُ يُحشرُ يومَ القيامةِ معَ الصديقينَ والشهداءِ »⁽١⁾ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ طلبَ الدنيا حلالاً ؛ تعففاً عنِ المسألةِ ، وسعياً علىٰ عيالِهِ ، وتعطفاً علىٰ جارِهِ . . لقيَ اللهَ عزَّ وجلَّ ووجهُهُ كالقمرِ ليلةَ البدرِ »⁽٢⁾ .

وكانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ جالساً معَ أصحابِهِ ذاتَ يومٍ ، فنظروا إلىٰ شابٍّ ذي جلدٍ وقوَّةٍ وقدْ بكَّرَ يسعىٰ ، فقالوا : ويحَ هـٰذا ! لوْ كانَ شبابُهُ وجلدُهُ في سبيلِ اللهِ ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تقولوا هـٰذا ؛ فإنَّهُ إنْ كانَ يسعىٰ علىٰ نفسِهِ ليكفَّها عنِ المسألةِ ويغنيَها عنِ الناسِ . . فهوَ في سبيلِ اللهِ ، وإنْ كانَ يسعىٰ علىٰ أبوينِ ضعيفينِ أوْ ذريةٍ ضعافٍ ليغنيَهُمْ ويكفيَهُمْ . . فهوَ في سبيلِ اللهِ ، وإنْ كانَ يسعىٰ تفاخراً وتكاثراً . . فهوَ في سبيلِ الشيطانِ »⁽٣⁾ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ اللهَ تعالىٰ يحبُّ العبدَ يتخذُ المهنةَ

---

(١) رواه الترمذي (١٢٠٩) ، وابن ماجه (٢١٣٩) بنحوه .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٢٦٢٥) ، وابن أبي الدنيا في « العيال » (٣٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٠٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٨٩٠) .

(٣) كذا في « القوت » (٢/ ٢٦٢) ، وقد رواه ابن أبي الدنيا في « العيال » (١٩) ، والطبراني في « الكبير » (١٩/ ١٢٩) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٧/ ٤٧٩) .

يستغني بها عنِ الناسِ ، ويبغضُ العبدَ يتعلَّمُ العلمَ يتخذُهُ مهنةً »(١) .

وفي الخبرِ : « إنَّ اللهَ تعالىٰ يحبُّ المؤمنَ المحترفَ »(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أحلُّ ما أكلَ الرجلُ مِنْ كسبِهِ ، وكلِّ بيعٍ مبرورٍ »(٣) .

وفي خبرٍ آخرَ : « أحلُّ ما أكلَ العبدُ كسبُ يدِ الصانعِ إذا نصحَ »(٤) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « عليكُمْ بالتجارةِ ؛ فإنَّ فيها تسعةَ أعشارِ الرزقِ »(٥) .

ورُوِيَ أنَّ عيسىٰ عليهِ السلامُ رأىٰ رجلاً فقالَ : ما تصنعُ ؟ فقالَ : أتعبَّدُ ، قالَ : مَنْ يعولُكَ ؟ قالَ : أخي ، قالَ : أخوكَ أعبدُ منكَ(٦) .

وقالَ نبيُّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنِّي لا أعلمُ شيئاً يقرِّبُكُمْ مِنَ الجنَّةِ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (٣١٦) من قول عيسى ابن مريم عليهما السلام .

(٢) رواه الطبراني في « الأوسط » (٨٩٢٩) ، وابن عدي في « الكامل » (١/ ٣٧٨) .

(٣) كذا في « القوت » (٢/ ١٥) ، ورواه أحمد في « المسند » (٤/ ١٤١) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/ ١٠) ، **والبيع المبرور** : الذي لا غشَّ فيه ولا خيانة .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٣٣٤) ، **والنصح هنا** : بأن يعمل عمل إتقان وإحسان ، متجنباً للغش ، وافياً بحق الصنعة ، غير ملتفت إلىٰ مقدار الأجر ، وبذلك يحصل الخير والبركة . « إتحاف » (٥/ ٤١٥) .

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (٢١٣) .

(٦) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٧٥٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٧/ ٤٦٨) عن إبراهيم التيمي يرسله .

ويبعدُكُمْ مِنَ النارِ إلا أمرتُكُمْ بهِ ، ولا أعلمُ شيئاً يبعدُكُمْ مِنَ الجنَّةِ ويقرِّبُكُمْ مِنَ النارِ إلا نهيتُكُمْ عنهُ ، وإنَّ الروحَ الأمينَ نفثَ في روعي أنَّ نفساً لنْ تموتَ حتَّىٰ تستوفيَ رزقَها ، وإنْ أبطأَ عنها ، فاتقوا اللهَ وأجملوا في الطلبِ » ، أمرَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بالإجمالِ في الطلبِ ، ولمْ يقلِ : اتركوا الطلبَ ، ثمَّ قالَ في آخرِهِ : « ولا يحملنَّكُمُ استبطاءُ شيءٍ مِنَ الرزقِ علىٰ أنْ تطلبوهُ بمعصيةِ اللهِ تعالىٰ ؛ فإنَّ اللهَ لا يُنالُ ما عندَهُ بمعصيتِهِ »(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « الأسواقُ موائدُ اللهِ تعالىٰ ، فمَنْ أتاها . . أصابَ منها »(٢) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «لأنْ يأخذَ أحدُكُمْ حبلَهُ فيحتطبَ علىٰ ظهرِهِ خيرٌ لهُ مِنْ أنْ يأتيَ رجلاً أعطاهُ اللهُ مِنْ فضلِهِ فيسألَهُ، أعطاهُ أوْ منعَهُ»(٣).

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « مَنْ فتحَ علىٰ نفسِهِ بابَ المسألةِ . . فتحَ اللهُ عليهِ سبعينَ باباً مِنَ الفقرِ »(٤) .

* * *

---

(١) رواه الحاكم في « المستدرك » (٤/٢) ، وهو عند ابن ماجه (٢١٤٤) مختصراً .

(٢) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٤٣١) ، وابن الطيوري في « الطيوريات » (٨٢٥) عن الحسن البصري ، قال الحافظ العراقي : (لم أجده مرفوعاً) . « إتحاف » (٤١٧/٥) .

(٣) رواه البخاري (١٤٧٠) ، ومسلم (١٠٤٢) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٤١٨/٢) ، والترمذي (٢٣٢٥) ولفظه : « ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر » أو كلمة نحوها .

وأمَّا الآثارُ :

فقدْ قالَ لقمانُ الحكيمُ لابنِهِ : (يا بنيَّ ؛ استغنِ بالكسبِ الحلالِ عنِ الفقرِ ؛ فإنَّهُ ما افتقرَ أحدٌ قطُّ إلا أصابَهُ ثلاثُ خصالٍ : رقَّةٌ في دينِهِ ، وضعفٌ في عقلِهِ ، وذهابُ مروءتِهِ ، وأعظمُ مِنْ هـٰذهِ الثلاثِ استخفافُ الناسِ بهِ)⁽¹⁾ .

وقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : (لا يقعدُ أحدُكُمْ عنْ طلبِ الرزقِ ويقولُ : اللهمَّ ؛ ارزقْني ، فقدْ علمتُمْ أنَّ السماءَ لا تمطرُ ذهباً ولا فضةً)⁽²⁾ .

وكانَ زيدُ بنُ مسلمةَ يغرسُ في أرضِهِ ، فقالَ لهُ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : أصبتَ ، استغنِ عنِ الناسِ . . يكنْ أصونَ لدينِكَ ، وأكرمَ لكَ عليهِمْ ، كما قالَ صاحبُكُمْ أحيحةُ⁽³⁾ : [من البسيط]

فَلَنْ أَزالَ عَلَى ٱلزَّوْراءِ أَعْمُرُها   إِنَّ ٱلْكَرِيْمَ عَلَى ٱلإِخْوَانِ ذُو ٱلْمالِ

وقالَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (إنِّي لأكرهُ أنْ أرى الرجلَ فارغاً ، لا في أمرِ دينِهِ ، ولا في أمرِ دنياهُ)⁽⁴⁾ .

وسئلَ إبراهيمُ عنِ التاجرِ الصدوقِ : أهوَ أحبُّ إليكَ أمِ المتفرِّغُ للعبادةِ ؟

---

(١) نقله صاحب « القوت » كما في « الإتحاف » (٥/ ٤١٧) .

(٢) نقله صاحب « القوت » كما في « الإتحاف » (٥/ ٤١٧) .

(٣) ديوانه (ص ٧٩) .

(٤) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٧٤١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ١٣٠) .

قالَ : التاجرُ الصدوقُ أحبُّ إليَّ ؛ لأنَّهُ في جهادٍ ، يأتيهِ الشيطانُ مِنْ طريقِ المكيالِ والميزانِ ، ومنْ قِبَلِ الأخذِ والعطاءِ فيجاهدُهُ . وخالفَهُ الحسنُ البصريُّ في هـٰذا(١) .

وقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : (ما مِنْ موضعٍ يأتيني الموتُ فيهِ أحبَّ إليَّ مِنْ موطنٍ أتسوَّقُ فيهِ لأهلي أبيعُ وأشتري)(٢) .

وقالَ الهيثمُ : (ربما يبلغُني عنِ الرجلِ يقعُ فيَّ ، فأذكرُ استغنائي عنهُ ، فيهونُ ذلكَ عليَّ)(٣) .

وقالَ أيوبُ : (كسبٌ فيهِ شيءٌ أحبُّ إليَّ مِنْ سؤالِ الناسِ)(٤) .

وجاءتْ ريحٌ عاصفةٌ في البحرِ ، فقالَ أهلُ السفينةِ لإبراهيمَ بنِ أدهمَ رحمهُ اللهُ وكانَ معَهُمْ فيها : أما ترىٰ هـٰذهِ الشدَّةَ ؟ فقالَ : ليسَ هـٰذهِ شدَّةً ، إنَّما الشدَّةُ الحاجةُ إلى الناسِ(٥) .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٦٢) ، وإبراهيم هو النخعي ، وتفضيل الحسن للمتفرغ للعبادة لأنه أيضاً في جهاد أبداً ، يأتيه الشيطان بوساوسه في سائر نواحيه فيجاهده ، وكان يقول : فلا يسلم الدين في أعمال التجارات . انظر « الإتحاف » (٥/ ٤١٨) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٦٢) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (٥٠٣) ، والبيهقي في « الشعب » (٨١٣٤) ، والهيثم هو ابن جميل البغدادي .

(٤) قوت القلوب (٢/ ٢٧٤) ، وأيوب هو السختياني .

(٥) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/ ٣٢٣) .

وقالَ أيوبُ : قالَ لي أبو قلابةَ : الزمِ السوقَ ؛ فإنَّ الغنىٰ مِنَ العافيةِ[1] يعني : الغنىٰ عنِ الناسِ .

وقيلَ لأحمدَ : ما تقولُ فيمَنْ جلسَ في بيتِهِ أوْ مسجدِهِ وقالَ : لا أعملُ شيئاً حتَّىٰ يأتيَني رزقي ؟ فقالَ أحمدُ : هـٰذا رجلٌ جهلَ العلمَ ، أما سمعَ قولَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ اللهَ جعلَ رزقي تحتَ ظلِّ رمحي »[2] ، وقولَهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ حينَ ذكرَ الطيرَ فقالَ : « تغدو خِماصاً وتروحُ بِطاناً »[3] ، فذكرَ أنَّها تغدو في طلبِ الرزقِ ؟! وكانَ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يتَّجرونَ في البرِّ والبحرِ ، ويعملونَ في نخيلِهِمْ ، والقدوةُ بِهِمْ[4] .

وقالَ أبو قلابةَ لرجلٍ : (لأنْ أراكَ تطلبُ معاشَكَ أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أراكَ في زاويةِ المسجدِ) .

ورُوِيَ أنَّ الأوزاعيَّ لقيَ إبراهيمَ بنَ أدهمَ رحمهُما اللهُ وعلىٰ عنقِهِ حزمةُ حطبٍ ، فقالَ لهُ : يا أبا إسحاقَ ؛ إلىٰ متىٰ هـٰذا ؟! إخوانُكَ يكفونَكَ ،

---

(١) رواه ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص٢٢٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٠) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٥٠) .

(٣) رواه الترمذي (٢٣٤٤) ، وابن ماجه (٤١٦٤) .

(٤) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص١٣٠) .

فقالَ : دعْني عنْ هـٰذا يا أبا عمرٍو ؛ فإنَّهُ بلغَني أنَّهُ مَنْ وقفَ موقفَ مذلَّةٍ في طلبِ الحلالِ . . وجبَتْ لهُ الجنَّةُ[1] .

وقالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ : (ليسَ العبادةُ عندَنا أنْ تصفَّ قدميكَ وغيرُكَ يقوتُ لكَ ، ولكنِ ابدأْ برغيفيكَ فأحرزْهُما ثمَّ تعبَّدْ)[2] .

وقالَ معاذُ بنُ جبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (يُنادي منادٍ يومَ القيامةِ : أينَ بُغَضاءُ اللهِ في أرضِهِ ؟ فيقومُ سُؤَّالُ المساجدِ)[3] .

فهـٰذهِ مذمَّةُ الشرعِ للسؤالِ والاتكالِ علىٰ كفايةِ الأغيارِ ، ومَنْ ليسَ لهُ مالٌ موروثٌ . . فلا ينجيهِ عنْ ذلكَ إلا الكسبُ والتجارةُ .

* * *

فإنْ قلتَ : فقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ما أوحيَ إليَّ أنِ اجمعِ المالَ وكنْ مِنَ التاجرينَ ، ولكنْ أُوحيَ إليَّ أنْ سبِّحْ بحمدِ ربِّكَ وكنْ مِنَ الساجدينَ ، واعبدْ ربَّكَ حتَّىٰ يأتيَكَ اليقينُ »[4] ، وقيلَ لسلمانَ الفارسيِّ

---

(١) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٢٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/٣١٦) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٦٤) .

(٣) هـٰذا عن ابن عمر مرفوعاً وهو تالف ، انظر « المجروحين » (١/ ٢٥٦) ، وروىٰ أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٣) عن إبراهيم بن أدهم قال : (المسألة مسألتان : مسألة علىٰ أبواب الناس ، ومسألة يقول الرجل : ألزم المسجد وأصلي وأصوم وأعبد الله ، فمن جاءني بشيء . . قبلته ، فهـٰذه شر المسألتين ، وهـٰذا قد ألحف في المسألة) .

(٤) رواه أبو الشيخ في « أخلاق النبي » (٨٠٧) .

رضيَ اللهُ عنهُ : أوصِنا ؛ فقالَ : (مَنِ استطاعَ منكُمْ أنْ يموتَ حاجّاً ، أوْ غازياً ، أوْ عامراً لمسجدِ ربِّهِ . . فليفعلْ، ولا يموتنَّ تاجراً ولا جابياً) ؟⁽١⁾ .

فالجوابُ : أنَّ وجهَ الجمعِ بينَ هـٰذهِ الأخبارِ تفصيلُ الأحوالِ ، فنقولُ : لسنا نقولُ : التجارةُ أفضلُ مطلقاً مِنْ كلِّ وجْهٍ ، ولكنَّ التجارةَ إمَّا أنْ تُطلبَ بها الكفايةُ ، أوِ الثروةُ والزيادةُ على الكفايةِ ، فإنْ طُلبَ منها الزيادةُ على الكفايةِ لاستكثارِ المالِ وادخارِهِ لا للصرفِ إلى الخيراتِ والصدقاتِ . . فهيَ مذمومةٌ ؛ لأنَّهُ إقبالٌ على الدنيا التي حبُّها رأسُ كلِّ خطيئةٍ ، فإنْ كانَ معَ ذلكَ خائناً . . فهوَ ظلمٌ وفسقٌ ، وهـٰذا ما أرادَهُ سلمانُ بقولِهِ : (لا يموتَنَّ تاجراً ولا جابياً) ، وأرادَ بالتاجرِ طالبَ الزيادةِ .

فأمَّا إذا طلبَ بها الكفايةَ لنفسِهِ وأولادِهِ ، وكانَ يقدرُ علىٰ كفايتِهِمْ بالسؤالِ . . فالتجارةُ تعففاً عنِ السؤالِ أفضلُ ، وإنْ كانَ لا يحتاجُ إلى السؤالِ ، وكان يُعطىٰ مِنْ غيرِ سؤالٍ . . فالكسبُ أفضلُ ؛ لأنَّهُ إنَّما يُعطىٰ لأنَّهُ سائلٌ بلسانِ حالِهِ ، ومنادٍ بينَ الناسِ بفقرِهِ⁽٢⁾ ، فالتعفُّفُ والتستُّرُ أولىٰ مِنَ البطالةِ ، بلْ مِنَ الاشتغالِ بالعباداتِ البدنيةِ .

* * *

---

(١) رواه ابن المبارك في « الجهاد » (٢١٥) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٤/ ٨٥) وفي (ب ، هـ ، و) : (خائناً) بدل (جابياً) .

(٢) وهو شر المسألتين كما تقدم في التعليق المنصرم قريباً .

وتركُ الكسبِ أفضلُ لأربعةٍ :

عابدٌ بالعباداتِ البدنيةِ .

أوْ رجلٌ لهُ سيرٌ بالباطنِ وعملٌ بالقلبِ في علومِ الأحوالِ والمكاشفاتِ .

أوْ عالمٌ يشتغلُ بتربيةِ علمِ الظاهرِ ممَّا ينتفعُ الناسُ بهِ في دينِهِمْ ؛ كالمفتي والمفسِّرِ والمحدِّثِ وأمثالِهِمْ .

أوْ رجلٌ مشتغلٌ بمصالحِ المسلمينَ وقد تكفَّلَ بأمورِهِمْ ؛ كالسلطانِ والقاضي والشاهدِ .

فهؤلاءِ إذا كانوا يُكفَوْنَ مِنَ الأموالِ المرصدةِ للمصالحِ أوِ الأوقافِ المسبَّلَةِ على العلماءِ والفقراءِ . . فإقبالُهُمْ على ما هُمْ فيهِ أفضلُ مِنَ الاشتغالِ بالكسبِ ، ولهٰذا أُوحيَ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَنْ سبِّحْ بحمدِ ربِّكَ وكنْ مِنَ الساجدينَ ، ولمْ يُوحَ إليهِ أنِ اجمعِ المالَ وكنْ مِنَ التاجرينَ ؛ لأنَّهُ كانَ جامعاً لهٰذهِ المعاني الأربعةِ إلىٰ زياداتٍ لا يحيطُ بها الوصفُ ، ولهٰذا أشارَ الصحابةُ علىٰ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ بتركِ التجارةِ لمَّا وليَ الخلافةَ ؛ إذْ كانَ ذلكَ يشغلُهُ عنِ المصالحِ ، وكانَ يأخذُ كفايتَهُ مِنْ مالِ المصالحِ ، ورأىٰ ذلكَ أولىٰ .

نعمْ ، لمَّا توفِّيَ . . أوصىٰ بردِّهِ إلىٰ بيتِ المالِ ، ولكنَّهُ رآهُ في الابتداءِ أولىٰ .

* * *

ولهؤلاءِ الأربعةِ حالتانِ أخريانِ :

إحداهُما : أنْ تكونَ كفايتُهُمْ عندَ تركِ الكسبِ مِنْ أيدي الناسِ وما يُتصدَّقُ بهِ عليهِمْ مِنْ زكاةٍ أوْ صدقةٍ مِنْ غيرِ حاجةٍ إلىٰ سؤالٍ ، فتركُ الكسبِ والاشتغالُ بما هُمْ فيهِ أولىٰ ؛ إذْ فيهِ إعانةٌ للناسِ على الخيراتِ ، وقبولٌ منهُمْ لما هُوَ حقٌّ عليهِمْ أوْ فضلٌ لهمْ .

الحالةُ الثانيةُ : الحاجةُ إلى السؤالِ ، وهـٰذا في محلِّ النظرِ ، والتشديداتُ التي رويناها في السؤالِ وذمِّهِ تدلُّ ظاهراً علىٰ أنَّ التعفُّفَ عنِ السؤالِ أولىٰ ، وإطلاقُ القولِ فيهِ مِنْ غيرِ ملاحظةِ الأحوالِ والأشخاصِ عسيرٌ ، بلْ هوَ موكولٌ إلى اجتهادِ العبدِ ونظرِهِ لنفسِهِ ؛ بأنْ يقابلَ ما يلقىٰ في السؤالِ مِنَ المذمَّةِ وهتكِ المروءةِ والحاجةِ إلى التثقيلِ والإلحاحِ بما يحصلُ مِنِ اشتغالِهِ بالعلمِ والعملِ مِنَ الفائدةِ لهُ ولغيرِهِ ، فربَّ شخصٍ تكثرُ فائدةُ الخلقِ وفائدتُهُ في اشتغالِهِ بالعلمِ والعملِ ويهونُ عليهِ بأدنىٰ تعريضٍ في السؤالِ تحصيلُ الكفايةِ ، وربما يكونُ بالعكسِ ، وربما يتقابلُ المطلوبُ والمحذورُ ، فينبغي أنْ يستفتيَ المريدُ فيهِ قلبَهُ وإنْ أفتاهُ المفتونَ ؛ فإنَّ الفتاوىٰ لا تحيطُ بتفاصيلِ الصورِ ودقائقِ الأحوالِ .

ولقدْ كانَ في السلفِ مَنْ لهُ ثلاثُ مئةٍ وستونَ صديقاً ، ينزلُ علىٰ كلِّ واحدٍ منهُمْ ليلةً ، ومَنْ لهُ ثلاثونَ ، وكانوا يشتغلونَ بالعبادةِ ؛ لعلمِهِمْ بأنَّ المتكفِّلينَ بهِمْ يتقلَّدونَ منَّةً مِنْ قبولِهِمْ لمبرَّاتِهِمْ ، فكانَ قبولُهُمْ

لمبرَّاتِهِمْ خيراً مضافاً لهُمْ إلىٰ عبادتِهِمْ .

فينبغي أنْ يُدقَّقَ النظرُ في هـٰذهِ الأمورِ ؛ فإنَّ أجرَ الآخذِ كأجرِ المعطي مهما كانَ الآخذُ يستعينُ بهِ على الدينِ ، والمعطي يعطيهِ عنْ طيبةِ قلبٍ ، ومَنِ اطلعَ علىٰ هـٰذهِ المعاني . . أمكنَهُ أنْ يتعرَّفَ حالَ نفسِهِ ويستوضحَ منْ قلبِهِ ما هوَ الأفضلُ لهُ بالإضافةِ إلىٰ حالِهِ ووقتِهِ ، واللهُ أعلمُ .

فهـٰذهِ فضيلةُ الكسبِ ، وليكنِ العقدُ الذي بهِ الاكتسابُ جامعاً لأربعةِ أمورٍ : الصحَّةُ ، والعدلُ ، والإحسانُ ، والشفقةُ على الدينِ ، ونحنُ نعقدُ في كلِّ واحدٍ باباً ، ونبتدىءُ بذكرِ أسبابِ الصحَّةِ في البابِ الثاني .

* * *

Birinci Bab

KAZANCIN FAZÎLETİ VE KAZANCA TEŞVÎK

Bu husustaki âyetler:

وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا

“Ve gündüzleri, geçiminize elverişli kıldık.” (Nebe sûresi, 78/11).

وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ

“Orada hem sizin için hem de rızıkları size ait olmayanlar için (gerekli) **geçim vâsıtaları yarattık.”** (Hicr sûresi, 15/20).

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ

“(Hac mevsiminde ve Hicaz yolunda) **ticaretle Rabbinizin fazlından rızkınızı aramanızda, sizin için günâh yoktur.”** (Bakara sûresi, 2/198).

وَاٰخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ

“Ve diğerleri, Allah’ın fazlından aramak üzere ticaret veyâ ilim tahsîli için yolculuk ederler.” (Müzzemmil sûresi, 73/20).

فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ

“Yeryüzüne dağılın ve Allah’ın fazlından rızıklarınızı arayın.” (Cuma sûresi, 63/10).

Hadisler:

مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبٌ لَا يُكَفِّرُهَا إِلَّا الْهَمُّ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ

"Günâhların öyleleri var ki, onları ancak maîşet uğrunda çekilen mihnetler mahveder."[1]

اَلتَّاجِرُ الصَّدُوقُ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ

"Doğru ve dürüst olan tâcir, kıyamet gününde sıddîklar ve şehîdlerle beraber haşredilecektir."[2]

مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالًا وَتَعَفُّفًا عَنِ الْمَسْأَلَةِ وَسَعْيًا عَلٰى عِيَالِهِ وَتَعَطُّفًا عَلٰى جَارِهِ لَقِيَ اللّٰهَ وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ

"Dilencilikten korunmak, âile efradına bolluk göstermek ve etrafındakilere yardımda bulunabilmek maksadıyla, helâlinden ve meşrû şekilde dünyalık talep eden kimse, yüzü ayın ondördü gibi parlak olduğu hâlde Allah'a kavuşur."[3]

Bir gün Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), ashâbı ile otururlarken, gücü kuvveti yerinde bir delikanlının, sabahın erken saatinde oradan geçtiğini gördüler. Ashâb: "Keşke şu delikanlı gençliğini Allah yolunda harcasaydı." dediler. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz:

---

1. Nikâh bahsinde geçmiştir.
2. Tirmizî, Hâkim, Ebû Saîd'den (r.a.) rivâyet etmişler. Tirmizî, hasen olduğunu, Hâkim bunun Hasan'ın **"Merâsil"**inde bulunduğunu söylemiştir. İbn Mâce ve Hakim'in, İbn Ömer'den (r.a.) buna benzer rivâyetleri vardır.
3. Ebû -Şeyh **"Kitâbü's-Sevâb"**da; Ebû Nâim **"Hilye"**: Beyhaki "**Şuabü'l Îman"**da Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

لَا تَقُولُوا هٰذَا، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ يَسْعٰى عَلٰى نَفْسِهٖ لِيَكُفَّهَا عَنِ
الْمَسْأَلَةِ وَيُغْنِيهَا عَنِ النَّاسِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ، وَإِنْ كَانَ
يَسْعٰى عَلٰى أَبَوَيْنِ ضَعِيفَيْنِ أَوْ ذُرِّيَّةٍ ضِعَافٍ لِيُغْنِيَهُمْ
وَيَكْفِيَهُمْ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَإِنْ كَانَ يَسْعٰى تَفَاخُرًا وَتَكَاثُرًا
فَهُوَ فِى سَبِيلِ الشَّيْطَانِ

“Böyle demeyin. Şâyet o, dilencilikten ve insanların elinde ve avucunda olana göz dikmekten kurtulmak için çıkmışsa Allah yolundadır. İhtiyar anne ve babasının geçimini sağlamak veyâ küçük yavrularını beslemek için çıkmışsa yine Allah yolundadır. Ancak boy göstermek ve fiyaka yapmak için çalışıyorsa işte o zaman şeytan yolundadır.”[4] buyurdu.

إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ يَتَّخِذُ الْمِهْنَةَ لِيَسْتَغْنِيَ بِهَا عَنِ النَّاسِ،
وَيَبْغُضُ الْعَبْدَ يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ يَتَّخِذُهُ مِهْنَةً

“İnsanlardan müstağnî olmak için mihnete katlanan kimseyi Allahü Teâlâ sever. Dünyalık için ilim peşinde olanlara ise buğz eder.”[5]

إِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى يُحِبُّ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرِفَ

“Allahü Teâlâ, sanatkâr olan mü’min kulunu sever.”[6]

---

4. Taberânî, Ka’b b. Acere’den rivâyet etmiştir.
5. Mehazı bulunamamıştır. Ancak Ebû Mansûr ed-Deylemî **“Müsnedi’l-Firdevs”**de Ali’den (r.a.): *“Allahu Teâlâ kulunu helâl kazanç talebinde yorulmuş olarak görmeyi sever.”* meâlinde bir hadis rivâyet etmiştir.
6. Taberânî ve İbn Adiy, İbn Ömer’den (r.a.) rivâyet etmiştir.

أَحَلُّ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٌ

"Kişinin yediğinin en helâli, el emeği ve meşru alış-verişinden temîn ettiği kazancıdır."[7]

أَحَلُّ مَا أَكَلَ الْعَبْدُ كَسْبُ يَدِ الصَّانِعِ إِذَا نَصَحَ

"Kulun yediğinin en helâli, sanatkârın -hakka riâyet etmek şartıyla- el emeğinden olan kazancıdır."[8]

عَلَيْكُمْ بِالتِّجَارَةِ فَإِنَّ فِيهَا تِسْعَةَ أَعْشَارِ الرِّزْقِ

"Ticarete devâm edin. Çünkü rızkın onda dokuzu ticarettedir."[9]

Rivâyete göre, İsâ aleyhisselâm gördüğü bir adama:

- *"Ne yaparsın?"* diye sordu. Adam:

- "İbâdetle meşgul olurum." dedi. İsâ aleyhisselâm:

- *"Geçimini kim temin eder?"* diye sordu. Adam:

- "Kardeşim temin eder." dedi. İsâ aleyhisselâm:

- *"Asıl âbid kardeşindir desene."* buyurdu.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنِّي لَا أَعْلَمُ شَيْئًا يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ شَيْئًا يُبْعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُقَرِّبُكُمْ

---

[7] Ahmed Râfi b. Hüdeyc'den: Bezzâr ve Hâkim, Sa'id b. Umeyr'den sahih isnâd ile: Beyhaki, Sa'id b. Umeyr'den mürsel olarak rivâyet etmişlerdir.

[8] Ahmed. Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etti. İsnadı sahihdir.

[9] İbrahim el Harbî **"Garibü'l-Hadis"**de Nuaym b. Abdurrahman'dan rivâyet etmiştir.

مِنَ النَّارِ إِلَّا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِيَ
أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتّٰى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا
فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ

“Ben, sizi cehennemden uzaklaştırıp cennete yaklaştıracak her neyi biliyorsam, onu size emrettim. Cennetten uzaklaştırıp cehenneme yaklaştıracak neyi biliyorsam ondan da men ettim. Rûhü’l-Emîn (Cebrâil (a.s.) *benim kalbime şöyle üfledi. Biraz geç olsa da, rızkını tamamen almadan kimse ölmeyecektir. Allah’tan korkun ve rızkınızı helâlden arayın.* (Rivâyetin sonunda) *Rızkınızın gecikmesi sizi harama sevketmesin. Allah katında bulunan rızık ve herhangi bir şeye mâsiyet ile erişilemez.”*[10] buyurdu.

اَلْأَسْوَاقُ مَوَائِدُ اللّٰهِ تَعَالٰى فَمَنْ أَتَاهَا أَصَابَ مِنْهَا

“Çarşı ve pazarlar Allah’ın sofralarıdır. Oralara giden, bu sofralardan faydalanır.”[11]

لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَحْتَطِبَ عَلٰى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ
أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا أَعْطَاهُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ، فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ

“Sizden birinizin ipini alıp sırtı ile odun taşıması, Allah’ın kendisine fazlından verdiği bir kimseye gelerek dilenmesinden hayırlıdır. O kimse ister versin, ister vermesin.”[12]

---

10. İbn Ebi’d-Dünyâ **“El-Kana’a”**de ve Hâkim, İbn Mes’ûd’dan (r.a.) rivâyet etmişlerdir. Ayrıca Beyhakî **“Şaâbü’l-Îman”**da rivâyet etti.
11. Mehazı bulunamamıştır.
12. Buhârî ile Müslim, Ebû Hüreyre’den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

مَنْ فَتَحَ عَلٰى نَفْسِهٖ بَابًا مِنَ السُّؤَالِ، فَتَحَ اللّٰهُ عَلَيْهِ سَبْعٖينَ
بَابًا مِنَ الْفَقْرِ

"Kendisine dilencilikten bir kapı açan kimseye, Allahü Teâlâ fakirlikten yetmiş kapı açar."[13]

Bu husustaki büyüklerin sözleri:

Lokman Hakîm oğluna nasîhatında: "Oğlum, helâl kazanç ile yoksulluktan korun. Yoksul düşen kimse üç musîbetle karşılaşır:

1 - Dîn zayıflığı; çünkü fakirlik, insanı kötülüğe sürükler.

2 - Akıl zayıflığı; çünkü ihtiyaç düşüncesi, insanı şaşırtır.

3 - Mürüvvet ve insanlığı kaybolur. Bunlardan daha büyüğü de, insanların maskarası olur."

Hz. Ömer (r.a.): "Sakın oturduğunuz yerde, "Allahım, rızkımı ver." deyip durmayın. Biliyorsunuz ki, gök ne altın yağdırır ne de gümüş." dedi.

Zeyd b. Mesleme arazisini ağaçlandırıyordu. Bunu gören Hz. Ömer (r.a.): "Çok güzel yapıyorsun, insanlara muhtaç olmamaya gayret et. Hem dînini korursun, hem de insanların en kerîmi olursun. Nitekim dostunuz Uhayha b. Culah da: "Ben Zevrâ'yi (Medine'de bir semttir.) sulamaktan geri kalmam, oranın imârına çalışırım. Çünkü dostlarına karşı ancak varlıklı olanlar keremli olabilirler." demiştir.

İbn Mes'ûd (r.a.): "Dünyasına ve âhiretine yarayacak bir işle meşgul olmayıp boş duran bir insanı görmekten hoşlanmam." demiştir.

---

[13] Tirmizî, Ebû Kebşetü'l-Enmârî'den rivâyet etmiş, **"Hasen ve sahih"** olduğunu söylemiştir.

İbrâhim b. Yezid en-Nehaî'ye: "Sizce dürüst bir tüccar mı yalnız ibâdetle meşgul olan mı daha makbuldür?" diye sordular. İbrâhim: "Dürüst tüccar bence daha makbuldür. Çünkü o ölçmek, tartmak, almak ve vermek gibi hususlarda şeytan ile dâimî mücâhede hâlindedir." dedi. Fakat Hasan-ı Basrî, bu görüşünde ona muhâlefet etmiştir.

Hz. Ömer (r.a.): "Çoluk-çocuğum için alış-veriş ettiğim yerde ölmeyi başka bir yerde ölmeye tercih ederim." demiştir.

Haysem b. Cemil: "Aleyhimde birinin konuştuğunu duyduğum zaman, ona bir ihtiyacım olmadığını hatırlar ve aleyhimde konuşmasına aldırış etmem." dedi.

Eyyüb-ı Sahtiyânî: "Benim için helâlinden az kazanç, dilenip çok kazanmaktan daha sevimlidir." demiştir.

İbrâhim b. Edhem, bir deniz yolculuğunda iken şiddetli fırtına olmuştu. Gemidekiler: "Bu ne büyük felâkettir." dediklerinde İbrahim: "Bu bir şey değil, asıl felâket, insanlara arz-ı ihtiyaçtır." dedi.

Eyyüb-ı Sahtiyânî: Ebû Kulâbe bana: "Çarşıya git iş ara. Zîra en büyük huzûr, insanlara muhtaç olmamaktır." dedi.

Ahmed b. Hanbel'e, evinde veyâ mescidde oturup: "Ben çalışmadan rızkım ayağıma gelir." diyen kimse hakkındaki fikri sorulduğunda, Ahmed b. Hanbel: "Bu adam câhil ve zavallıdır" dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in:

إِنَّ اللهَ جَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي

"Allahü Teâlâ rızkımı, mızrağımın gölgesinde yarattı."[14] ve yine kuşlar hakkında:

تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا

"Açlıktan karınları çekilmiş olduğu halde sabahleyin çıkarlar, karınları doymuş olduğu halde akşamleyin dönerler."[15] buyurduğunu duymadı mı?" demiştir.

Sahâbe-i kirâm, kara ve deniz ticareti yaparlar ve hurma işlerinde çalışırlardı. İşte onlar, bizim önderlerimizdir.

Ebû Kılâbe bir zâta: "Seni geçimini temîn ederken görmek, cami köşesinde görmemden daha sevimlidir." dedi.

Evzâî bir gün İbrâhim b. Edhem ile karşılaştı. İbrahim'in omuzunda bir miktar odun vardı. Evzâî, İbrâhim b. Edhem'e: "Yâ Ebâ İshak, bu yaptığın nedir? Dostların senin ihtiyâcını temîn ederler." deyince İbrahim b. Edhem: "Yâ Ebâ Amr! Böyle söyleme. Zîra helâl kazanç uğrunda zillete katlanan kimseye cennet vâcip olur." diye duyduğum için kendi nafakamı kendim temîne çalışırım." dedi.

Ebû Süleyman Dârânî: "Bize göre ibâdet, senin dâima namazla meşgul olup da, nafakanı başkasının temîn etmesi değildir. Belki, önce sabah ve akşam yiyeceğini temîn et. Sonra ibâdet eyle." demiştir.

Muâz b. Cebel (r.a.): "Kıyâmet günü bir münâdî "Allah'ın yeryüzünde buğzettiği insanlar nerede?" diye bağırır. Câmi kapılarında dilenenler kalkar. İşte bunlar nafakalarını başkalarının sırtına yükleyen, Allah'ın sevmediği ve şerîatin kabul etmediği kimselerdir. Şâyet bir kimsenin mîras kalmış malı yoksa, sıkıntıdan kendisini kurtaracak olan ancak çalışıp kazandığı helâl kazancıdır."

---

[14] İmâm Ahmed. İbn Ömer'den (r.a.) rivâyet etmiştir. İsnâdı sahihtir.

[15] Tirmizî, İbn Mâce, Ömer'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir. Tirmizî, hasen ve sahih olduğunu söylemiştir.

Eğer birisi Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz'e:

مَا أُوحِيَ إِلَيَّ أَنِ اجْمَعِ الْمَالَ وَكُنْ مِنَ التَّاجِرِينَ، وَلٰكِنْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتّٰى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ

"Bana "Mal topla ve tüccar ol." diye vahyolunmadı. Fakat bana, Rabbini tesbih et, secde edenlerden ol ve **"ölüm gelinceye kadar Rabbine ibâdet eyle."** *diye vahyolundu."*[16] buyuruldu. Bunun gibi **Selman-ı Farisî**'ye "Bize öğüt ver." dediklerinde Selman: "Hac yolunda, gazâda veyâ câmide ibâdet ederken ölmeye gücü yeten, böyle yapsın. Sakın tâcir ve hâin olarak ölmesin." dedi. "Bunlara ne dersiniz?" diye sorarsa:

Deriz ki: "Yekdiğerini nakzeder gibi görünen bu haberleri telif için, ahvâlin tafsîli lâzımdır. Buna göre deriz ki: Biz "Mutlaka ticaret, her şeyden üstündür." demedik. Ticaret, ya geçim için veyâ zenginlik için olur. Şâyet hayır ve hasenât düşünmeden sırf zenginlik için ticaret yapıyorsa, bu makbul değildir. Zîra böyle sırf maddiyât peşinde koşmak, *"Hataların başı dünyayı sevmektir."* Bununla beraber, bu işlerde zulüm ve hıyânete saparsa, zâlim ve fâsık olur. İşte Selman'ın "Hâin tâcir olarak ölme." dediğinden murâdı budur. Tâcirden murâdı da hayır ve hasenât düşünmeden, yalnız dünyalık için çalışan tüccardır. Fakat ticaretten başka geçim yolu olmayıp, ancak ticaretle âile efrâdını geçindirecekse, bu takdirde ticaretle iştigâli daha efdaldir. Tenbel tenbel oturup insanlara arz-ı ihtiyaç etmektense, ticaretle meşgul olmalıdır. Hattâ bu gibi hallerde ticaret, bedenî ibâdetlerle meşgul olmaktan daha efdaldir.

---

[16] İbn Merdûye, Tefsir'de İbn Mes'ûd'dan (r.a.) rivâyet etmiştir.

Dört sınıf insan için, ticareti terk etmek daha makbuldür. Bunlar:

1 - Bedenî ibâdetle meşgul olan âbidler.

2 - Kendilerinde seyr-i bâtınî olup da mükâşefe hallerini bilmekte kalp ile amel edenler.

3 - İnsanlara dînlerinde faydalı olmak için, ilm-i zâhir ile uğraşan âlim, müftü, müfessir, muhaddis ve benzeri âlimler.

4 - Sultan, kadı ve benzeri gibi âmme işleri ile uğraşanlar. Bunlar âmme maslahatına ayrılan vâridattan veyâ evkaftan geçimlerini sağlıyorlarsa bu hizmetleri yapmaları, ticaretle meşgul olmalarından daha efdaldir. İşte bunun için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e: **"Rabbini tesbih et ve secde edenlerden ol."** diye vahyedilmiş; "Tâcirlerden ol." diye vahyolunmamıştır. Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), şu saydığımız dört vasfı ve daha sayılamayacak kadar nîce vasıfları câmi idi. Yine bu sebepten, ashâb-ı kirâm, Hz. Ebû Bekir'e (r.a.) -Halîfe olduğu için- ticaretten vaz geçmesini söylemişlerdir. Çünkü ticaretle uğraşmak, âmme işlerini aksatır. Hz. Ebû Bekir de ticaretten vazgeçti ve âmme mesâlihine ayrılan paradan yetecek miktâr aldı. Bunu daha uygun buldu. Fakat her ne kadar önce bunu uygun buldu ise de, ölümü sırasında aldığı aylıkların beytülmâle iadesini vasiyet etti.

Şu anlattığımız dört sınıf insanın, ayrıca iki hâlleri daha vardır.

1 - Ya hiç istemeden kendilerine verilen sadaka ve zekâtlarla geçinir ve bu sûretle maîşetlerini halk temîn etmiş olur. Bu gibilerin yine ticareti terk edip vazîfeleri ile uğraşmaları daha uygundur. Çünkü insanların hayır yapmalarına yardımcı olduklarından, insanlar ve kendileri için efdal olanı kabul etmiş oluyorlar.

2 - Veyâ bu vazîfeleri ile uğraşırken maîşetlerini temîn için dilenmek mecbûriyetinde kalırlar. İşte bu düşündürür. Dilenciliğin aleyhinde anlattıklarımız bunların, dilenciliği ve diğer vazîfelerini terk edip geçim yolları aramalarının daha uygun olacağına delâlet eder. Hâl ve şahısları düşünmeden, mutlak bir hüküm vermek güçtür. Burada hüküm, kişinin kendi görüş ve içtihâdına bırakılır. Meşgul olduğu ilim ve amelden, kendisine ve başkalarına dokunacak fayda ile dilenciliğin şahsındaki zilletini ve başkalarına yükleyeceği yükü mukayese eder. Bir kısmı, faydalı tarafı ilim ve amelde bulur ve biraz dilenmekle, nafakasını temîn eder. Bâzıları da bunun aksini düşünür; dilenmeyi daha çok zararlı bulur. Bir kısmına göre de iki tarafı müsâvi olur. Demek oluyor ki, bu hususta en doğrusu, müftülerin fetvâsına bakmadan, kendi kalbine danışarak, alacağı fetvâya göre hareket etmesidir. Çünkü müftü, kişinin ince hâllerini ve her şeyi tafsilâtıyla bilemez.

Eskilerden, üçyüz altmış dosta sâhip olanlar vardı. Yılda bir defa dostlarını dolaşır ve her gün birinde kalırdı. Bunun gibi ayda bir defa dolaşmak üzere, otuz dostu olanlar da vardı. İşte bunlar, yalnız ibâdetle uğraşırlar ve dostları kendilerine bakmaktan ağırlanmayacaklarını bildikleri için, geçimlerini bu sûretle temîn ederlerdi. Bu âbidlerin, dostlarının ikrâmlarını kabul etmeleri, ibâdetlerine katılan bir ecir ve mükâfat sayılırdı. İşte bunları incelemesi lâzımdır. Çünkü verenler, gönül rızâsı ile verir; alanlar da dînlerini takviye uğrunda kabul ederlerse, alan da veren gibi mükâfat kazanır. Bu söylediklerimizi anlayanlar, kendi hallerine göre hangi tarafın kendi haklarında hayırlı olacağına kanâat getirirse, onu tercih ederler. İşte şu anlattıklarımız, kazancın fazîletidir.

Kazanç muâhedesi ise dört esâsı ihtivâ etmelidir. Onlar:

1 - Sıhhat,

2 - Adâlet,

3 - İhsân,

4 - Borçluya şefkat göstermektir.

İkinci bâbta bunların her biri için ayrı bahis ayıracağız ve ilk önce alış-verişin sahih olmasının sebeplerini anlatacağız.

البَابُ الثَّاني

في علم الكسب بطريق البيع والرّبا والسَّلَم والإجارة والقراض والشّركة وبيان شروط الشّرع في صحّة هذه التّصرّفات التي هي مدار المكاسب في الشّرع

اعلمْ : أنَّ تحصيلَ علمِ هـٰذا البابِ واجبٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ مكتسبٍ ؛ لأنَّ طلبَ العلمِ فريضةٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ ، وإنَّما هوَ طلبُ العلمِ المحتاجِ إليهِ ، والمكتسِبُ يحتاجُ إلىٰ علمِ الكسبِ .

ومهما حصَّلَ علمَ هـٰذا البابِ . . وقفَ علىٰ مفسداتِ المعاملةِ ، فيتقيها ، وما شذَّ عنهُ مِنَ الفروعِ المشكلةِ فيقعُ علىٰ سببِ إشكالِها ، فيتوقفُ فيها إلىٰ أنْ يسألَ ؛ فإنَّهُ إذا لمْ يعلمْ أسبابَ الفسادِ بعلمٍ جُمليٍّ . . فلا يدري متىٰ يجبُ عليهِ التوقُّفُ والسؤالُ .

ولوْ قالَ : لا أقدِّمُ العلمَ ، ولكنِّي أصبرُ إلىٰ أنْ تقعَ ليَ الواقعةُ ، فعندَها أتعلَّمُ وأستفتي . . فيقالُ لهُ : وبمَ تعلمُ وقوعَ الواقعةِ مهما لمْ تعلَمْ جملَ مفسداتِ العقودِ ؟ فإنَّهُ يستمرُّ في التصرُّفاتِ ويظنُّها صحيحةً مباحةً ، فلا بدَّ لهُ مِنْ هـٰذا القدْرِ مِنْ علمِ التجارةِ ؛ ليتميَّزَ لهُ المباحُ عنِ المحظورِ ، وموضعُ الإشكالِ عنْ موضعِ الوضوحِ .

ولذلكَ رُوِيَ عنْ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ كانَ يطوفُ في السوقِ

ويضربُ بعضَ التجارِ بالدِّرةِ ويقولُ : (لا يبعْ في سوقِنا إلا مَنْ تفقَّهَ ، وإلا . . أكلَ الربا شاءَ أمْ أبىٰ)⁽¹⁾ .

وعلمُ العقودِ كثيرٌ ، ولكنَّ هـٰذهِ العقودَ الستَّةَ لا تنفكُّ المكاسبُ عنها ، وهيَ : البيعُ ، والربا ، والسَّلَمُ ، والإجارةُ ، والشِّرْكَةُ ، والقراضُ . فلنشرحْ شروطَها .

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٤٨٧) دون زيادة : (وإلا . . أكل الربا . . .) ، وهي في « القوت » (٢٦٢/٢) .

العقد الأوّل : البيع

وقدْ أحلَّهُ اللهُ تعالىٰ ، ولهُ ثلاثةُ أركانٍ : العاقدُ ، والمعقودُ عليهِ ، واللفظُ .

* * *

الركنُ الأوَّلُ : العاقدُ :

ينبغي للتاجرِ ألاَّ يعاملَ بالبيعِ أربعةً : الصبيُّ ، والمجنونُ ، والعبدُ ، والأعمىٰ ؛ لأنَّ الصبيَّ غيرُ مكلَّفٍ ، وكذا المجنونُ ، وبيعُهُما باطلٌ ، فلا يصحُّ بيع الصبيِّ وإنْ أذنَ لهُ فيهِ الوليُّ عندَ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وما أُخِذَ منهما مضمونٌ عليهِ لهما ، وما سلَّمَهُ في المعاملةِ إليهما ، فضاعَ في أيديهما . . فهوَ المضيِّعُ لهُ .

وأمَّا العبدُ العاقلُ . . فلا يصحُّ بيعُهُ وشراؤُهُ إلا بإذْنِ سيِّدِهِ ، فعلى البقَّالِ والخبَّازِ والقصَّابِ وغيرِهِمْ ألاَّ يعاملوا العبيدَ ما لمْ يأذنْ لهمُ السادةُ في معاملتِهِمْ ، وذلكَ بأنْ يسمعَهُ صريحاً ، أوْ ينتشرَ في البلدِ أنَّهُ مأذونٌ لهُ في الشراءِ لسيِّدِهِ والبيعِ لهُ ، فيعوِّلُ على الاستفاضةِ ، أوْ علىٰ قولِ عدلٍ يخبرُهُ بذلكَ ، فإنْ عاملَهُ بغيرِ إذْنِ السيِّدِ . . فعقدُهُ باطلٌ ، وما أخذَهُ منهُ مضمونٌ عليهِ لسيِّدِهِ ، وما سلَّمَهُ إنْ ضاعَ في يدِ العبدِ . . لا يتعلَّقُ برقبتِهِ ولا يضمنُهُ سيِّدُهُ ، بلْ ليسَ لهُ إلا المطالبةُ بِهِ إذا عتقَ .

وأمَّا الأعمىٰ . . فإنَّهُ يبيعُ ويشتري ما لا يرىٰ ، فلا يصحُّ ذلكَ ، فليأمرْهُ بأنْ يوكِّلَ وكيلاً بصيراً ليشتريَ لهُ أوْ يبيعَ ، فيصحُّ توكيلُهُ ، ويصحُّ بيعُ وكيلِهِ ، فإنْ عاملَهُ بنفسِهِ . . فالمعاملةُ فاسدةٌ ، وما أخذَهُ منهُ مضمونٌ عليهِ بقيمتِهِ ، وما سلَّمَهُ إليهِ أيضاً مضمونٌ لهُ بقيمتِهِ .

وأمَّا الكافرُ . . فتجوزُ معاملتُهُ ، لكنْ لا يُباعُ منهُ المصحفُ ولا العبدُ المسلمُ ، ولا يُباعُ منهُ السلاحُ إنْ كانَ مِنْ أهلِ الحربِ ، فإنْ فعلَ . . فهيَ معاملاتٌ مردودةٌ ، وهوَ عاصٍ بها ربَّهُ .

وأمَّا الجنديةُ مِنَ الأتراكِ ، والتُّرْكمانيَّةُ ، والعربُ ، والأكرادُ⁽¹⁾ ، والسُّرَّاقُ ، والخونةُ ، وأكلةُ الربا ، والظلمةُ ، وكلُّ مَنْ أكثرُ مالِهِ حرامٌ . . فلا ينبغي أنْ يتملَّكَ ممَّا في أيديهِمْ شيئاً ؛ لأجلِ أنَّها حرامٌ ، إلا إذا عُرِفَ شيءٌ بعينِهِ أنَّهُ حلالٌ ، وسيأتي تفصيلُ ذلكَ في كتابِ الحلالِ والحرامِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

* * *

الركنُ الثاني : في المعقودِ عليهِ :

وهوَ المالُ المقصودُ نقلُهُ مِنْ أحدِ العاقدينِ إلى الآخرِ ، ثمناً كانَ أوْ مثمناً ، فيُعتبرُ فيهِ ستَّةُ شروطٍ :

الأوَّلُ : ألاَّ يكون نجساً في عينِهِ : فلا يصحُّ بيعُ كلبٍ وخنزيرٍ ، ولا بيعُ

---

(١) **والمراد** : الشذاذ وأهل الجهالة من هـٰذه الأجيال .

زِبْلٍ وعَذِرَةٍ ، ولا بيعُ العاجِ والأواني المتخذةِ منهُ ؛ فإنَّ العظْمَ ينجسُ بالموتِ ، ولا يطهرُ الفيلُ بالذبحِ ، ولا يطهرُ عظمُهُ بالتنقيةِ ، ولا يجوزُ بيعُ الخمرِ ، ولا بيعُ الوَدَكِ النجسِ المستخرجِ منَ الحيواناتِ التي لا تؤكلُ وإنْ كانَ يصلحُ للاستصباحِ أوْ طلاءِ السفنِ .

ولا بأسَ ببيعِ الدهنِ الطاهرِ في عينِهِ الذي نجسَ بوقوعِ نجاسةٍ أوْ موتِ فأرةٍ فيهِ ؛ فإنَّهُ يجوزُ الانتفاعُ بهِ في غيرِ الأكلِ وهو في عينِهِ ليسَ بنجسٍ .

وكذلكَ لا أرىٰ بأساً ببيعِ بزرِ القزِّ ؛ فإنَّهُ أصلُ حيوانٍ يُنتفعُ بهِ ، وتشبيهُهُ بالبيضِ ـ وهوَ أصلُ حيوانٍ ـ أولىٰ مِنْ تشبيهِهِ بالروثِ .

ويجوزُ بيعُ فارةِ المسْكِ ، ويُقضىٰ بطهارتِها إذا انفصلَتْ مِنَ الظبيةِ في حالةِ الحياةِ .

الثاني : أنْ يكونَ منتفعاً بهِ : فلا يجوزُ بيعُ الحشراتِ ، ولا الفأرةِ ، ولا الحيَّةِ ، ولا التفاتَ إلى انتفاعِ المشعوذِ بالحيَّةِ ، وكذلكَ لا التفاتَ إلى انتفاعِ أربابِ الحلقِ بإخراجِها مِنَ السلَّةِ وعرضِها على الناسِ .

ويجوزُ بيعُ الهرَّةِ والنحْلِ ، وبيعُ الفهدِ والأسدِ ، وما يصلحُ لصيدٍ ، أوْ ينتفعُ بجلدِهِ ، ويجوزُ بيعُ الفيلِ لأجلِ الحملِ ، ويجوزُ بيعُ الطوطيِّ(١) وهيَ البَبَّغاءُ ، والطاووسِ ، والطيورِ المليحةِ الصورِ وإنْ كانتْ لا تؤكلُ ؛ فإنَّ التفرُّجَ بأصواتِها والنظرَ إليها غرضٌ مقصودٌ مباحٌ ، وإنَّما الكلبُ هوَ الذي

---

(١) وهي لفظة فارسية في الأصل ، معناها ما ذكره المصنف .

لا يجوزُ أنْ يقتنىٰ إعجاباً بصورتِهِ ؛ لنهيِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنهُ[1] .

ولا يجوزُ بيعُ العُودِ والصَّنْجِ[2] والمزاميرِ والملاهي ؛ فإنَّهُ لا منفعةَ لها شرعاً ، وكذا بيعُ الصورِ المصنوعةِ مِنَ الطينِ كالحيواناتِ التي تُباعُ في الأعيادِ للعبِ الصبيانِ ، فإنَّ كسرَها واجبٌ شرعاً .

وصورُ الأشجارِ يُتسامحُ بها .

وأمَّا الثيابُ والأطباقُ وعليها صورُ الحيواناتِ . . فيصحُّ بيعُها ، وكذا الستورُ ، وقدْ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لعائشةَ رضيَ اللهُ عنها : « اتخذي منها نمارقَ »[3] ، ولا يجوزُ استعمالُها منصوبةً ، ويجوزُ موضوعةً ، وإذا جازَ الانتفاعُ مِنْ وجهٍ . . صحَّ البيعُ لذلكَ الوجهِ .

الثالثُ : أنْ يكونَ المتصرَّفُ فيهِ مملوكاً للعاقدِ أوْ مأذوناً مِنْ جهةِ المالكِ : فلا يجوزُ أنْ يشتريَ مِنْ غيرِ المالكِ انتظاراً لإذنِ المالكِ ، بلْ لوْ رضيَ بعدَ ذلكَ . . وجبَ استئنافُ العقدِ .

---

[1] روى البخاري (٥٤٨٠) ، ومسلم (١٥٧٤) مرفوعاً : « من اقتنىٰ كلباً ليس بكلب ماشية أو ضارية . . نقص كل يوم من عمله قيراطان » .

[2] **الصَّنْج عند العرب** : ما يتخذ مدوراً من نحاس ونحوه يضرب أحدهما بالآخر ، ويجعل كذلك في أطراف الدفوف ، **ولكنه في الفارسية** : آلة وترية ، وهي آلة الرباب ، وسيأتي كلام لسماع الآلات في كتاب السماع .

[3] رواه البخاري (٥٩٥٤) ، ومسلم (٢١٠٧) ، حيث قالت : (فأخَّرته فجعلته وسائد) ، **والنُّمْرُقة** : الوسادة .

ولا ينبغي أنْ يشتريَ مِنَ الزوجةِ مالَ الزوجِ ، ولا مِنَ الزوجِ مالَ الزوجةِ ، ولاَ منَ الوالدِ مالَ الولدِ ، ولا مِنَ الولدِ مالَ الوالدِ اعتماداً علىٰ أنَّهُ لوْ عرفَ . . لرضيَ بهِ ؛ فإنَّهُ إذا لمْ يكنِ الرضا متقدماً . . لمْ يصحَّ البيعُ ، وأمثالُ ذلكَ ممَّا يكثرُ في الأسواقِ ، فواجبٌ على العبدِ المتديِّنِ أنْ يحترزَ منهُ .

الرابعُ : **أنْ يكونَ المعقودُ عليهِ مقدوراً علىٰ تسليمِهِ شرعاً وحسّاً** : فما لا يقدرُ علىٰ تسليمِهِ حسّاً . . لا يصحُّ بيعُهُ ؛ كالآبقِ ، والسمكِ في الماءِ ، والجنينِ في البطنِ ، وعسْبِ الفحلِ ، وكذلكَ بيعُ الصوفِ علىٰ ظهرِ الحيوانِ واللبنِ في الضرعِ لا يجوزُ ؛ فإنَّهُ يتعذَّرُ تسليمُهُ ؛ لاختلاطِ غيرِ المبيعِ بالمبيعِ .

والمعجوزُ عنْ تسليمِهِ شرعاً كالمرهونِ والموقوفِ والمستولدةِ . . فلا يصحُّ بيعُها أيضاً ، وكذا بيعُ الأمِّ دونَ الولدِ إذا كان الولدُ صغيراً ، وكذا بيعُ الولدِ دونَ الأمِّ ؛ لأنَّ تسليمَهُ تفريقٌ بينَهُما ، وهوَ حرامٌ ، فلا يصحُّ التفريقُ بينَهُما بالبيعِ .

الخامسُ : **أنْ يكونَ المبيعُ معلومَ العينِ والقدْرِ والوصفِ** : أمَّا العلمُ بالعينِ : فبأنْ يشيرَ إليهِ بعينِهِ ، فلو قالَ : بعتُكَ شاةً مِنْ هٰذا القطيعِ أيَّ شاةٍ أردتَ ، أوْ ثوباً مِنْ هٰذهِ الثيابِ التي بينَ يديكَ ، أوْ ذراعاً مِنْ هٰذا الكرباسِ وخذْهُ مِنْ أيِّ جانبٍ شئتَ ، أوْ عشرةَ أذرعٍ مِنْ هٰذهِ الأرضِ وخذْهُ مِنْ أيِّ

طرفٍ شئتَ . . فالبيعُ باطلٌ ، وكلُّ ذلكَ ممَّا يعتادُهُ المتساهلونَ في الدينِ إلا أنْ يبيعَ شائعاً ؛ مثلَ أنْ يبيعَ نصفَ الشيءِ أوْ عشرَهُ ، فإنَّ ذلكَ جائزٌ .

وأمَّا العلمُ بالقدرِ : فإنَّما يحصلُ بالكيلِ أوِ الوزنِ أوِ النظرِ إليهِ ، فلوْ قالَ : بعتُكَ هـٰذا الثوبَ بما باعَ بهِ فلانٌ ثوبَهُ وهما لا يدريانِ ذلكَ . . فهوَ باطلٌ ، ولوْ قالَ : بعتُك بزنةِ هـٰذهِ الصنجةِ . . فهوَ باطلٌ إذا لمْ تكنِ الصنجةُ معلومةً ، ولوْ قالَ : بعتُكَ هـٰذه الصُّبْرةَ مِنَ الحنطةِ . . فهو باطلٌ ، أوْ قالَ : بعتُكَ بهـٰذهِ الصُّبْرةِ مِنَ الدراهمِ أوْ بهـٰذِهِ القطعةِ مِنَ الذهبِ وهوَ يراها . . صحَّ البيعُ وكانَ تخمينُهُ بالنظرِ كافياً في معرفةِ المقدارِ .

وأمَّا العلمُ بالوصفِ : فيحصلُ بالرؤيةِ في الأعيانِ ، فلا يصحُّ بيعُ الغائبِ إلا إذا سبقَتْ رؤيتُهُ منذُ مدَّةٍ لا يغلبُ التغيرُ فيها ، والوصفُ لا يقومُ مقامَ العيانِ ، هـٰذا أسدُّ المذهبينِ .

ولا يجوزُ بيعُ التَّوَّزِيِّ في المُسُوحِ⁽¹⁾ اعتماداً على الرقومِ ، ولا بيعُ الحنطةِ في سنبلِها ، ويجوزُ بيعُ الأرزِّ في قشرتِهِ التي يُدَّخرُ فيها ، وكذا بيعُ الجوزِ واللوزِ في القشرةِ السفلىٰ ولا يجوزُ في القشرتينِ ، ويجوزُ بيعُ الباقلاءِ الرطبِ في قشرِهِ للحاجةِ ، ويُتسامحُ ببيعِ الفُقَّاعِ⁽²⁾ ؛ لجريانِ عادةِ الأوَّلينَ

---

(١) **المسوح** : جمع مِسح ، كساء أسود من صوف ، **والتَّوَّزية منها** : ما نسب إلىٰ توَّز ، بلدة بفارس اشتهرت بصناعة الثياب الجيدة .

(٢) **الفقَّاع** : شراب يتخذ من الشعير ، سمي بذلك للزبد الذي يعلوه ، ونعته الزبيدي في « إتحافه » : بشراب الزبيب .

به(١) ، ولكنْ نجعلُهُ إباحةً بعوضٍ ، فلوِ اشتراهُ ليبيعَهُ . . فالقياسُ بطلانُهُ ؛ لأنَّهُ ليسَ مستتراً خلقةً ، ولا يبعدُ أنْ يُتسامحَ بهِ ؛ إذْ في إخراجِهِ إفسادُهُ ، كالرمانِ وما يستترُ خلقةً .

السادسُ : أنْ يكونَ المبيعُ مقبوضاً إنْ كانَ قدِ استفادَ ملكَهُ بمعاوضةٍ : وهـٰذا شرطٌ خاصٌّ ، فقدْ نهىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن بيعِ ما لمْ يُقبضْ(٢) ، ويستوي فيهِ العقارُ والمنقولُ ، فكلُّ ما اشتراهُ أوْ باعَهُ قبلَ القبضِ . . فبيعُهُ باطلٌ ، وقبضُ المنقولِ بالنقلِ ، وقبضُ العقارِ بالتخليةِ ، وقبضُ ما ابتاعَهُ بشرطِ الكيلِ لا يتمُّ إلا بأنْ يكتالَهُ .

وأمَّا بيعُ الميراثِ والوصيةِ والوديعةِ وما لمْ يكنِ الملكُ حاصلاً فيهِ بمعاوضةٍ . . فهوَ جائزٌ قبلَ القبضِ .

* * *

الركنُ الثالثُ : لفظُ العقدِ :

فلا بدَّ مِن جريانِ إيجابٍ وقبولٍ متَّصلٍ بهِ ، بلفظٍ دالٍّ على المقصودِ مفهمٍ ، إمَّا صريحٍ أوْ كنايةٍ ، فلوْ قالَ : (أعطيتُكَ هـٰذا بذاكَ) بدلَ قولِهِ : (بعتُكَ) فقالَ : (قبلْتُ) . . جازَ مهما قصدَ بهِ البيعَ ؛ فإنَّهُ قدْ يحتملُ الإعارةَ إذا كانَ في ثوبينِ أوْ دابّتينِ ، والنيةُ تدفعُ الاحتمالَ ، والصريحُ أقطعُ

---

(١) أي : ببيعه من غير رؤية جميعه . « إتحاف » (٥/٤٣٨) .

(٢) رواه البخاري (٢١٣٢) ، ومسلم (١٥٢٥) .

للخصومةِ ، ولكنَّ الكنايةَ تفيدُ الملكَ والحلَّ أيضاً فيما يختارُهُ .

ولا ينبغي أنْ يقرنَ بالبيعِ شرطاً علىٰ خلافِ مقتضى العقدِ ، فلوْ شرطَ أنْ يزيدَهُ شيئاً آخرَ ، أوْ أنْ يحملَ المبيعَ إلىٰ دارِهِ ، أوِ اشترى الحطبَ بشرطِ النقلِ إلىٰ بيتِهِ . . فكلُّ ذلكَ فاسدٌ ، إلا إذا أفردَ استئجارَهُ على النقلِ بأجرةٍ معلومةٍ منفردةٍ عنِ الشراءِ للمنقولِ .

ومهما لمْ يجرِ بينَهُما إلا المعاطاةُ بالفعلِ دونَ التلفظِ باللسانِ . . لمْ ينعقدْ بيعٌ عندَ الشافعيِّ أصلاً ، وانعقدَ عندَ أبي حنيفةَ إنْ كانَ في المحقَّراتِ ، ثمَّ ضبطُ المحقَّراتِ عسيرٌ ، فإنْ ردَّ الأمرَ إلى العاداتِ . . فقدْ جاوزَ الناسُ المحقَّراتِ في المعاطاةِ ، إذْ يتقدَّمُ الدلاَّلُ إلى البزَّازِ يأخذُ منهُ ثوبَ ديباجٍ قيمتُهُ عشرةُ دنانيرَ مثلاً ، ويحملُهُ إلى المشتري ، ويعودُ إليهِ بأنَّهُ ارتضاهُ ، فيقولُ لهُ : خذْ عشرةً ، فيأخذُ مِنْ صاحبِهِ العشرةَ ويحملُها ويسلِّمُها إلى البزَّازِ ، فيأخذُها ويتصرَّفُ فيها ، ومشتري الثوبِ يقطعُهُ ولمْ يجرِ بينَهُما إيجابٌ وقبولٌ أصلاً !

وكذلكَ يجتمعُ المجهِّزونَ علىٰ حانوتِ البيَّاعِ ، فيعرضُ متاعاً قيمتُهُ مثلاً مئةُ دينارٍ فيمَنْ يزيدُ ، فيقولُ هٰذا : عليَّ بتسعينَ ، ويقولُ الآخرُ : عليَّ بخمسةٍ وتسعينَ ، ويقولُ الآخرُ : بمئةٍ ، فيقالُ لهُ : زِنْ ، فيزنُ ويسلِّمُ ويأخذُ المتاعَ مِنْ غيرِ إيجابٍ وقبولٍ ، وقدِ استمرَّتْ بهِ العاداتُ !

وهٰذهِ مِنَ المعضلاتِ التي ليستْ تقبلُ العلاجَ ؛ إذِ الاحتمالاتُ ثلاثةٌ :

ـ إما فتحُ بابِ المعاطاةِ مطلقاً في الحقيرِ والنفيسِ وهوَ محالٌ ؛ إذْ فيهِ نقلُ الملكِ مِنْ غيرِ لفظٍ دالٍّ عليهِ ، وقدْ أحلَّ اللهُ البيعَ ، والبيعُ اسمٌ للإيجابِ والقبولِ ، ولمْ يجرِ ، ولا ينطلقُ اسمُ البيعِ علىٰ مجرَّدِ فعلٍ بتسليمٍ وتسلُّمٍ ، فبماذا يحكمُ بانتقالِ الملكِ مِنَ الجانبينِ ؟ لا سيما في الجواري والعبيدِ والعقاراتِ والدوابِّ النفيسةِ ، وما يكثرُ التنازعُ فيهِ ؛ إذْ للمسلِّمِ أنْ يرجعَ ويقولَ : قدْ ندمتُ وما بعتُهُ ، إذْ لمْ يصدرْ منِّي إلا مجرَّدُ تسليمٍ ، وذلكَ ليسَ ببيعٍ !

ـ الاحتمالُ الثاني : أنْ نسدَّ البابَ بالكليةِ كما قالهُ الشافعيُّ رحمَهُ اللهُ مِنْ بطلانِ العقدِ ، وفيهِ إشكالٌ مِنْ وجهينِ :

أحدُهما : أنَّهُ يشبهُ أنْ يكونَ ذلكَ في المحقَّراتِ معتاداً في زمانِ الصحابةِ ، ولوْ كانوا يتكلَّفونَ الإيجابَ والقبولَ معَ البقالِ والخبَّازِ والقصَّابِ . لثقلَ عليهمْ فعلُهُ ، ولنقلَ ذلكَ نقلاً منتشراً ، ولكانَ يُشتهرُ وقتُ الإعراضِ بالكلِّيَّةِ عنْ تلكَ العادةِ ؛ فإنَّ الأعصارَ في مثلِ هـٰذا تتفاوتُ .

والثاني : أنَّ الناسَ الآنَ قدِ انهمكوا فيهِ ، فلا يشتري الإنسانُ شيئاً مِنَ الأطعمةِ وغيرِها إلا ويعلمُ أنَّ البائعَ قدْ تملَّكَهُ بالمعاطاةِ ، فأيُّ فائدةٍ في تلفُّظِهِ بالعقدِ إذا كانَ الأمرُ كذلكَ ؟

ـ الاحتمالُ الثالثُ : أنْ يفصلَ بينَ المحقَّراتِ وغيرِها كما قالَهُ أبو حنيفة

رحمَهُ اللهُ ، وعندَ ذلكَ يعسرُ الضبطُ في المحقَّراتِ ، ويشكلُ وجهُ نقلِ الملكِ مِنْ غيرِ لفظٍ يدلُّ عليهِ ، وقدْ ذهبَ ابنُ سريجٍ إلىٰ تخريجِ قولٍ للشافعيِّ رحمَهُ اللهُ علىٰ وَفْقهِ⁽¹⁾ ، وهوَ أقربُ الاحتمالاتِ إلى الاعتدالِ ، فلا بأسَ لوْ ملنا إليهِ ؛ لمسيسِ الحاجاتِ ، ولعمومِ ذلكَ بينَ الخلقِ ، ولما يغلبُ على الظنِّ بأنَّ ذلكَ كانَ معتاداً في الأعصار الأُوَلِ .

فأمَّا الجوابُ عنِ الإشكالينِ⁽²⁾ . . فهوَ أنْ نقولَ :

ـ أمَّا الضبطُ في الفصلِ بينَ المحقَّراتِ وغيرِها : فليسَ علينا تكلُّفُهُ بالتقديرِ ، فإنَّ ذلكَ غيرُ ممكنٍ ، بلْ لهُ طرفانِ واضحانِ ، إذْ لا يخفىٰ أنَّ شراءَ البقلِ وقليلٍ مِنَ الفواكهِ والخبزِ واللحمِ مِنَ المعدودِ في المحقَّراتِ التي لا يُعتادُ فيها إلا المعاطاةُ ، وطالبُ الإيجابِ والقبولِ فيهِ يُعدُّ مستقصياً ، ويُستبردُ تكليفُهُ لذلكَ ويُستثقلُ ، ويُنسبُ إلىٰ أنَّهُ يقيمُ الوزنَ لأمرٍ حقيرٍ لا وزنَ لهُ ، فهـٰذا طرفُ الحقارةِ .

والطرفُ الثاني : الدوابُّ والعبيدُ والعقاراتُ والثيابُ النفيسةُ ، فذلكَ ممَّا لا يُستبعدُ تكلُّفُ الإيجابِ والقبولِ فيها ، وبينَهُما أوساطٌ متشابهةٌ يُشكُّ فيها هيَ في محلِّ الشبهةِ ، فحقُّ ذي الدينِ أنْ يميلَ فيها إلى الاحتياطِ ، وجميعُ ضوابطِ الشرعِ فيما يُعلمُ بالعادةِ كذلكَ ينقسمُ إلىٰ أطرافٍ واضحةٍ وأوساطٍ مشكلةٍ .

---

(1) العزيز شرح الوجيز (٤/ ١٠) .

(2) وهما الإشكالان الواردان في الاحتمال الثاني .

ـ وأمَّا الثاني ـ وهوَ طلبُ سببٍ لنقلِ الملكِ ـ : فهوَ أنْ يجعلَ الفعلَ باليدِ أخذاً وتسليماً سبباً ؛ إذِ اللفظُ لمْ يكنْ سبباً لعينِهِ ، بلْ لدلالتِهِ ، وهـٰذا الفعلُ قدْ دلَّ علىٰ مقصودِ البيعِ دلالةً مستمرَّةً في العادةِ ، وانضمَّ إليهِ مسيسُ الحاجةِ ، وعادةُ الأوَّلينَ واطرادُ جميعِ العاداتِ بقبولِ الهدايا مِنْ غيرِ إيجابٍ وقبولٍ مع التصرُّفِ فيها ، وأيُّ فرقٍ بينَ أنْ يكونَ فيهِ عوضٌ أو لا يكونَ ؟ إذِ الملكُ لا بدَّ مِنْ نقلِهِ في الهبةِ أيضاً ، إلا أنَّ العادةَ السالفةَ لمْ تفرِّقْ في الهدايا بينَ الحقيرِ والنفيسِ ، بلْ كانَ طلبُ الإيجابِ والقبولِ يُستقبحُ فيهِ كيفَ كانَ ، وفي البيعِ لمْ يُستقبحْ في غيرِ المحقَّراتِ . هـٰذا ما نراهُ أعدلَ الاحتمالاتِ .

وحقُّ الورِعِ المتديِّنِ ألاَّ يدعَ الإيجابَ والقبولَ ؛ للخروجِ عنْ شبهةِ الخلافِ ، ولا ينبغي أنْ يمتنعَ منهُ لأجلِ أنَّ البائع قدْ تملَّكَهُ بغيرِ إيجابٍ وقبولٍ ؛ فإنَّ ذلكَ لا يعرفُهُ تحقيقاً ، فربما اشتراهُ بإيجابٍ وقبولٍ ، فإنْ كانَ حاضراً عندَ شرائِهِ ، أوْ أقرَّ البائعُ بهِ . . فليمتنعْ منهُ ، وليشترِ مِنْ غيرِهِ ، فإنْ كانَ الشيءُ محقَّراً وهوَ إليهِ محتاجٌ . . فليتلفَّظْ بالإيجابِ والقبولِ ؛ فإنَّهُ يستفيدُ بهِ قطعَ الخصومةِ في المستقبلِ معَهُ ؛ إذِ الرجوعُ عنِ اللفظِ الصريحِ غيرُ ممكنٍ ، ومِنَ الفعلِ ممكنٌ .

* * *

فإنْ قلتَ : فإنْ أمكنَ هـٰذا فيما يشتريهِ . . فكيفَ يفعلُ إذا حضرَ في

ضيافةٍ أوْ علىٰ مائدةٍ وهوَ يعلمُ أنَّ أصحابَها يقنعونَ بالمعاطاةِ في البيعِ أوِ الشراءِ ، أوْ سمعَ منهُمْ ذلكَ ، أوْ رآهُ ، أيجبُ عليهِ الامتناعُ مِنَ الأكلِ ؟

فأقولُ : يجبُ عليهِ الامتناعُ مِنَ الشراءِ إذا كانَ ذلكَ الشيءُ الذي اشتروهُ مقداراً نفيساً ولمْ يكنْ مِنَ المحقَّراتِ ، وأمَّا الأكلُ . . فلا يجبُ الامتناعُ منهُ ، فإنِّي أقولُ : إنْ تردَّدْنا في جعلِ الفعلِ دلالةً علىٰ نقلِ الملكِ . . فلا ينبغي ألاَّ نجعلَهُ دلالةً على الإباحةِ ؛ فإنَّ أمرَ الإباحةِ أوسعُ ، وأمرَ نقلِ الملكِ أضيقُ ، فكلُّ مطعومٍ جرىٰ فيهِ بيعُ معاطاةٍ فتسليمُ البائعِ إذنٌ في الأكلِ ، يُعلمُ ذلكَ بقرينةِ الحالِ ؛ كإذنِ الحمَّاميِّ في دخولِ الحمامِ ، وإذنٌ في الإطعامِ لمَنْ يريدُهُ المشتري ، فينزَّلُ منزلةَ ما لوْ قالَ : (أبحتُ لكَ أنْ تأكلَ هـٰذا الطعامَ أوْ تطعمَ مَنْ أردتَ) فإنَّهُ يحلُّ لهُ ، ولوْ صرَّحَ وقالَ : كلْ هـٰذا الطعامَ ثمَّ اغرمْ لي عوضَهُ . . يحلُّ الأكلُ ويلزمُهُ الضمانُ بعدَ الأكلِ ، هـٰذا قياسُ الفقهِ عندي ، ولكنَّهُ بعدَ المعاطاةِ آكلٌ ملكَهُ ومتلفٌ لهُ ، فعليهِ الضمانُ ، وذلكَ في ذمَّتِهِ ، والثمنُ الذي سلَّمَهُ إنْ كانَ مثلَ قيمتِهِ . . فقدْ ظفرَ المستحِقُّ بمثلِ حقِّهِ ، فلهُ أنْ يتملَّكَهُ مهما عجزَ عنْ مطالبةِ مَنْ عليهِ ، وإنْ كانَ قادراً علىٰ مطالبتِهِ . . فإنَّهُ لا يتملَّكُ ما ظفرَ بهِ مِنْ ملكِهِ ؛ لأنَّهُ ربَّما لا يرضىٰ بتلكَ العينِ أنْ يصرفَها إلىٰ دينِهِ ، فعليهِ المراجعةُ .

وأمَّا هـٰهنا . . فقدْ عرفَ رضاهُ بقرينةِ الحالِ عندَ التسليمِ ، فلا يبعدُ أنْ يُجعلَ الفعلُ دلالةً على الرضا ؛ بأنْ يستوفيَ دينَهُ ممَّا يُسلَّمُ إليهِ ، فيأخذَهُ بحقِّهِ ، لكنْ علىٰ كلِّ الأحوالِ جانبُ البائعِ أغمضُ ؛ لأنَّ ما أخذَهُ قدْ يريدُ

المالكُ أنْ يتصرَّفَ فيهِ ، ولا يمكنُهُ التملُّكُ إلا إذا أُتلفَ عينُ طعامِهِ في يدِ المشتري ، ثمَّ ربَّما يفتقرُ إلى استئنافِ قصدِ التملُّكِ ، ثمَّ يكونُ قدْ تملَّكَ بمجرَّدِ رضاً استفادَهُ مِنَ الفعلِ دونَ القولِ .

فأمَّا جانبُ المشتري للطعامِ وهوَ لا يريدُ إلا الأكلَ . . فهيِّنٌ ؛ فإنَّ ذلكَ يُباحُ بالإباحةِ المفهومةِ مِنْ قرينةِ الحالِ ، ولكنْ ربَّما يلزمُ مِنْ مساقِ هٰذا أنَّ الضيفَ يضمنُ ما أتلفَهُ ، وإنَّما يسقطُ الضمانُ عنهُ إذا تملَّكَ البائعُ ما أخذَهُ مِنَ المشتري ، فيسقطُ فيكونُ كالقاضي دينَهُ والمتحمِّلِ عنهُ .

فهٰذا ما نراهُ في قاعدةِ المعاطاةِ علىٰ غموضِها ، والعلمُ عندَ اللهِ سبحانَهُ ، وهٰذهِ احتمالاتٌ وظنونٌ رددناها ، ولا يمكنُ بناءُ الفتوىٰ إلا علىٰ هٰذهِ الظنونِ ، وأمَّا الورعُ . . فإنَّهُ ينبغي أنْ يستفتيَ قلبَهُ ، ويتقيَ مواضعَ الشبهِ .

* * *

العقد الثاني : عقد الربا

وقدْ حرَّمَهُ اللهُ تعالىٰ وشدَّدَ الأمرَ فيهِ ، ويجبُ الاحترازُ منهُ على الصيارفةِ المتعاملينَ على النقدينِ ، وعلى المتعاملينَ على الأطعمةِ ؛ إذْ لا ربا إلا في نقدٍ أوْ طعامٍ .

وعلى الصيرفيِّ أنْ يحترزَ مِنَ النسيئةِ والفضْلِ .

* * *

أمَّا النسيئةُ : فألا يبيعَ شيئاً مِنْ جواهرِ النقدينِ بشيءٍ مِنْ جواهرِ النقدينِ إلا يداً بيدٍ، وهوَ أنْ يجريَ التقابضُ في المجلسِ ، وهٰذا احترازٌ مِنَ النسيئةِ .

وتسليمُ الصيارفةِ الذهبَ إلىٰ دارِ الضرْبِ وشراءُ الدنانيرِ المضروبةِ حرامٌ مِنْ حيثُ النَّساءُ ومِنْ حيثُ إنَّ الغالبَ أنَّه يجري فيهِ تفاضلٌ ، إذْ لا يردُّ المضروبُ بمثلِ وزنِهِ .

* * *

وأمَّا الفضلُ : فليحترزْ منهُ في ثلاثةِ أمورٍ :

ـ في بيعِ المكسَّرِ بالصحيحِ ، فلا تجوزُ المعاملةُ فيهما إلا معَ المماثلةِ .

ـ وفي بيعِ الجيِّدِ بالرديءِ ، فلا ينبغي أنْ يشتريَ رديئاً بجيِّدٍ دونَهُ في الوزنِ أوْ يبيعَ رديئاً بجيِّدٍ فوقَهُ في الوزنِ ؛ أعني : إذا باعَ الذهبَ بالذهبِ والفضةَ بالفضةِ ، فإنِ اختلفَ الجنسانِ . . فلا حرجَ في الفضْلِ .

ـ والثالثُ في المركَّباتِ مِنَ الذهبِ والفضةِ ، فالدنانيرُ المخلوطةُ مِنَ الذهبِ والفضَّةِ إنْ كانَ مقدارُ الذهبِ أوِ الفضةِ مجهولاً . . لم تصحَّ المعاملةُ عليها أصلاً ، إلا إذا كانَ ذلكَ نقداً جارياً في البلدِ ، فإنَّا نرخِّصُ في المعاملةِ عليهِ إذا لمْ يُقابلْ بالنقدِ ، وكذا الدراهمُ المغشوشةُ بالنحاسِ إنْ لمْ تكنْ رائجةً في البلدِ . . لمْ تصحَّ المعاملةُ عليها ؛ لأنَّ المقصودَ منها النُّقْرَةُ ، وهيَ مجهولةٌ ، وإنْ كانَ نقداً رائجاً في البلدِ . . رخَّصْنا في المعاملةِ ؛ لأجلِ الحاجةِ ، وخروجِ النقرةِ عنْ أنْ يُقصدَ استخراجُها ، ولكنْ لا يُقابلُ بالنقرةِ أصلاً ، وكذلكَ كلُّ حليٍّ مركَّبٍ مِنْ ذهبٍ وفضةٍ ، فلا يجوزُ شراؤُهُ لا بالذهبِ ولا بالفضةِ ، بلْ ينبغي أنْ يُشترىٰ بمتاعٍ آخرَ إنْ كانَ قدْرُ الذهبِ منهُ معلوماً ، إلا إذا كانَ مموَّهاً بالذهبِ تمويهاً لا يحصلُ منهُ ذهبٌ مقصودٌ عندَ العرضِ على النارِ ، فيجوزُ بيعُها بمثلِها مِنَ النُّقرةِ وبما أريدَ مِنْ غيرِ النقرةِ .

وكذلكَ لا يجوزُ للصيرفيِّ أنْ يشتريَ قلادةً فيها خرزٌ وذهبٌ بذهبٍ ، ولا أنْ يبيعَهُ ، بلْ بالفضةِ يداً بيدٍ إنْ لمْ يكنْ فيها فضةٌ .

ولا يجوزُ شراءُ ثوبٍ منسوجٍ بذهبٍ يحصلُ منهُ ذهبٌ مقصودٌ عندَ العرضِ على النارِ بذهبٍ ، ويجوزُ بالفضةِ وغيرِها .

* * *

وأمَّا المتعاملونَ على الأطعمةِ : فعليهِمُ التقابضُ في المجلسِ ، اختلفَ

جنسُ الطعامِ المبيعِ والمشترىٰ أوْ لمْ يختلفْ ، فإنِ اتحدَ الجنسُ . . فعليهِمُ التقابضُ ومراعاةُ المماثلةِ ، والمعتادُ في هـٰذا معاملةُ القصَّابِ بأنْ يسلِّمَ إليهِ الغنمَ ويشتريَ بها اللحمَ نقداً أوْ نسيئةً ، فهوَ حرامٌ ، ومعاملةُ الخبَّازِ بأنْ يسلِّمَ إليهِ الحنطةَ ويشتريَ بها الخبزَ نسيئةً أوْ نقداً ، فهوَ حرامٌ ، ومعاملةُ العصَّارِ بأنْ يسلِّمَ إليهِ الجوزَ والسمسمَ والزيتونَ ليأخذَ منهُ الأدهانَ ، فهوَ حرامٌ ، وكذا اللبَّانُ يُعطى اللبنَ ليُؤخذَ منهُ الجبنُ والسمنُ والزبدُ وسائرُ أجزاءِ اللبنِ ، فهوَ أيضاً حرامٌ .

ولا يُباعُ الطعامُ بغيرِ جنسِهِ مِنَ الطعامِ إلاَّ نقداً[1] ، وبجنسِهِ إلا نقداً ومتماثلاً[2] ، وكلُّ ما يتخذُ مِنَ الشيءِ المطعومِ فلا يجوزُ أنْ يباعَ بهِ متماثلاً ولا متفاضلاً ؛ فلا يباعُ بالحنطةِ دقيقٌ وخبزٌ وسويقٌ ، ولا بالعنبِ والتمرِ دبسٌ وخلٌّ وعصيرٌ ، ولا باللبنِ سمنٌ وزبْدٌ ومَخِيضٌ ومَصْلٌ وجبْنٌ ، والمماثلةُ لا تفيدُ إذا لمْ يكنِ الطعامُ في حالِ كمالِ الادخارِ ، فلا يباعُ الرطبُ بالرطبِ والعنبُ بالعنبِ متماثلاً ولا متفاضلاً .

* * *

---

[1] كما لو باع شعيراً ببرٍّ أو بالعكس ؛ فإنه تجب فيه رعاية الحلول والتقابض . « إتحاف » (٥/٤٤٩) .

[2] كما لو باع البرَّ بالبرِّ أو الشعير بالشعير ؛ فإنه يجب فيه رعاية التماثل والحلول والتقابض . « إتحاف » (٥/٤٤٩) .

فهـٰذهِ جملٌ مقنعةٌ في تعريفِ البيعِ ، والتنبيهِ علىٰ ما يشعرُ التاجرَ بمثاراتِ الفسادِ ، حتَّىٰ يستفتيَ فيها إذا تشكَّكَ والتبسَ عليهِ شيءٌ منها ، وإذا لمْ يعرفْ هـٰذا . . لمْ يتفطَّنْ لمواضعِ السؤالِ ، واقتحمَ الربا والحرامَ وهوَ لا يدري .

* * *

العقد الثالث : السلم

وليراعِ التاجرُ فيهِ عشرةَ شروطٍ :

الأوّلُ : أنْ يكونَ رأسُ المالِ معلوماً علْمَ مثلِهِ : حتَّىٰ لو تعذَّرَ تسليمُ المسلَمِ فيهِ . . أمكنَ الرجوعُ إلىٰ قيمةِ رأسِ المالِ ، فإنْ أسلمَ كفّاً مِنَ الدراهمِ جُزافاً في كُرِّ حنطةٍ . . لمْ يصحَّ في أحدِ القولينِ .

* * *

الثاني : أنْ يسلِّمَ رأسَ المالِ في مجلسِ العقدِ قبلَ التفرُّقِ : فلوْ تفرَّقا قبلَ القبضِ . . انفسخَ السَّلَمُ .

* * *

الثالثُ : أنْ يكونَ المسلَمُ فيهِ ممَّا يمكنُ تعريفُ أوصافِهِ : كالحبوبِ والحيواناتِ والمعادنِ والقطنِ والصوفِ والإبريسمِ والألبانِ واللحومِ ومتاعِ العطَّارينَ وأشباهِها .

ولا يجوزُ في المعجوناتِ والمركَّباتِ وما تختلفُ أجزاؤُهُ ؛ كالقسيِّ المصنوعةِ(١) ، والنَّبْلِ المعمولِ ، والخِفافِ والنعالِ المختلفةِ أجزاؤُها وصنعتُها ، وجلودِ الحيواناتِ .

ويجوزُ السَّلَمُ في الخبزِ ، وما يتطرَّقُ إليهِ مِنِ اختلافِ قدْرِ الملْحِ

---

(١) تقييده بالمصنوعة احتراز عن القسيِّ العربية ، فإنها لا تركيب فيها . «إتحاف» (٥/ ٤٥٣) .

والماءِ بكثرةِ الطبخِ وقلَّتِهِ . . يُعفىٰ عنهُ ويُتسامحُ فيهِ .

* * *

الرابعُ : أنْ يستقصيَ وصفَ هٰذهِ الأمورِ القابلةِ للوصفِ ، حتَّىٰ لا يبقىٰ وصفٌ تتفاوتُ بهِ القيمةُ تفاوتاً لا يتغابنُ بمثلهِ الناسُ إلاَّ ذكرَهُ ؛ فإنَّ ذلكَ الوصفَ هوَ القائمُ مقامَ الرؤيةِ في البيعِ .

* * *

الخامسُ : أنْ يجعلَ الأجلَ معلوماً إنْ كانَ مؤجَّلاً ، فلا يؤجِّلُ إلى الحصادِ ، ولا إلىٰ إدراكِ الثمارِ ، بل إلى الأشهرِ والأيامِ ؛ فإنَّ الإدراكَ قدْ يتقدَّمُ أوْ يتأخَّرُ .

* * *

السادسُ : أنْ يكونَ المسلَمُ فيهِ ممَّا يقدرُ علىٰ تسليمِهِ وقتَ المحلِّ ، ويؤمنُ فيهِ وجودُهُ غالباً ، فلا ينبغي أنْ يسلِمَ في العنبِ إلىٰ أجلٍ لا يدركُ فيهِ ، وكذا سائرُ الفواكهِ ، فإنْ كانَ الغالبُ وجودَهُ وجاءَ المحِلُّ ، وعجزَ عن التسليمِ بسببِ آفةٍ . . فلَهُ أنْ يمهلَهُ إنْ شاءَ ، أوْ يفسخَ ويرجعَ في رأسِ المالِ إنْ شاءَ .

* * *

السابعُ : أنْ يذكرَ مكانَ التسليمِ فيما يختلفُ الغرضُ بهِ ، كيْ لا يثيرَ ذلكَ نزاعاً .

* * *

الثامنُ : ألاَّ يعلِّقَهُ بمعيَّنٍ فيقولَ : مِنْ حنطةِ هـٰذا الزرعِ أوْ ثمرةِ هـٰذا البستانِ ؛ فإنَّ ذلكَ يبطلُ كونَهُ ديناً .

نعمْ ، لوْ أضافَ إلىٰ ثمرةِ بلدٍ أوْ قريةٍ كبيرةٍ . . لمْ يضرَّ ذلكَ .

* * *

التاسعُ : ألاَّ يسلِمَ في شيءٍ نفيسٍ عزيزِ الوجودِ ، مثلِ دُرَّةٍ موصوفةٍ يعزُّ وجودُ مثلِها ، أوْ جاريةٍ حسناءَ معها ولدُها ، أوْ غيرِ ذلكَ ممَّا لا يُقدرُ عليهِ غالباً .

* * *

العاشرُ : ألاَّ يسلِمَ في طعامٍ مهما كانَ رأسُ المالِ طعاماً ، سواءٌ كانَ مِنْ جنسهِ أوْ لمْ يكنْ ، ولا يسلِمَ في نقدٍ إذا كانَ رأسُ المالِ نقداً ، وقدْ ذكرنا هـٰذا في الربا .

* * *

العقد الرّابع : الإجارة

ولهُ ركنانِ : الأجرةُ والمنفعةُ ، فأمَّا العاقدُ واللفظُ . . فيُعتبرُ فيهِ ما ذكرناهُ في البيعِ .

* * *

والأجرةُ كالثمنِ ، فينبغي أنْ يكونَ معلوماً وموصوفاً بكلِّ ما شرطناهُ في المبيعِ إنْ كانَ عيناً ، فإنْ كانَ ديناً . . فينبغي أنْ يكونَ معلومَ الصفةِ والقدْرِ .

وليحترزْ فيهِ عنْ أمورٍ جرتِ العادةُ بها ، وذلكَ مثلُ كراءِ الدارِ بعِمارتِها ، فذلكَ باطلٌ ؛ إذْ قدْرُ العمارةِ مجهولٌ ، ولو قدَّرَ دراهمَ وشرطَ على المكتري أنْ يصرفَها إلى العمارةِ . . لمْ يجزْ ؛ لأنَّ عملَهُ في الصرفِ إلى العمارةِ مجهولٌ .

ومنها استئجارُ السلاَّخِ علىٰ أنْ يأخذَ الجلدَ بعدَ السلخِ ، واستئجارُ حمَّالِ الجيفِ بجلدِ الجيفةِ ، واستئجارُ الطحَّانِ بالنخالةِ أوْ ببعضِ الدقيقِ ؛ فهوَ باطلٌ ، وكذلكَ كلُّ ما يتوقَّفُ حصولُهُ وانفصالُهُ علىٰ عملِ الأجيرِ ، فلا يجوزُ أنْ يُجعلَ أجرةً .

ومنها أنْ يقدرَ في إجارةِ الدورِ والحوانيتِ مبلغَ الأجرةِ ، فلوْ قالَ : لكلِّ شهرٍ دينارٌ ولمْ يقدِّرْ أشهرَ الإجارةِ . . كانتِ المدَّةُ مجهولةً ، ولمْ تنعقدِ الإجارةُ .

* * *

الركنُ الثاني : المنفعةُ المقصودةُ بالإجارةِ[1] : وهيَ العملُ ، وحدُّهُ : أنَّ كلَّ عملٍ مباحٍ معلومٍ يلحقُ العاملَ فيهِ كلفةٌ ، ويتطوَّعُ بهِ الغيرُ عنِ الغيرِ . . فيجوزُ الاستئجارُ عليهِ ، وجملةُ فروعِ البابِ تندرجُ تحتَ هـٰذهِ الرابطةِ ، ولكنَّا لا نطوِّلُ بشرحِها ، فقدْ طوَّلْنا القولَ فيها في الفقهيَّاتِ ، وإنَّما نشيرُ إلىٰ ما تعمُّ بهِ البلوىٰ .

* * *

فليُراعَ في العملِ المستأجرِ عليهِ أمورٌ خمسةٌ :

الأوَّلُ : أنْ يكونَ متقوِّماً : بأنْ يكونَ فيهِ كلفةٌ وتعبٌ ، فلوِ استأجرَ طعاماً ليزيِّنَ بهِ الدكَّانَ ، أوْ أشجاراً ليجفِّفَ عليها الثيابَ ، أوْ دراهمَ ليزيِّنَ بها الدكَّانَ . . لمْ يجزْ ؛ فإنَّ هـٰذهِ المنافعَ تجري مَجرىٰ حبَّةِ سمسمٍ أوْ حبَّةِ برٍّ مِنَ الأعيانِ ، وذلكَ لا يجوزُ بيعُهُ ، وهيَ كالنظرِ في مرآةِ الغيرِ ، والشربِ منْ بئرِهِ ، والاستظلالِ بجدارِهِ ، والاقتباسِ من نارِهِ .

ولهـٰذا ؛ لوِ استأجرَ بيَّاعاً علىٰ أنْ يتكلَّمَ بكلمةٍ يروِّجُ بها سلعتَهُ . . لمْ يجزْ ، وما يأخذُهُ البيَّاعونَ عوضاً عنْ جاهِهِمْ وحشمتِهِمْ وقبولِ قولِهِمْ في ترويجِ السلعِ . . فهوَ حرامٌ ؛ إذْ ليسَ يصدرُ منهُمْ إلا كلمةٌ لا تعبَ فيها ، ولا قيمةَ لها ، وإنَّما تحلُّ لهُمْ إذا تعبوا ؛ إمَّا بكثرةِ التردُّدِ ، وإمَّا بكثرةِ

---

(١) والركن الأول هو الأجرة كما تقدم .

الكلامِ في تأليفِ أمرِ المعاملةِ ، ثمَّ لا يستحقونَ إلا أجرةَ المثلِ ، فأمَّا ما تواطأَ عليهِ الباعةُ . . فهوَ ظلمٌ ، وليسَ مأخوذاً بالحقِّ .

* * *

الثاني : ألاَّ تتضمَّنَ الإجارةُ استيفاءَ عينٍ مقصودةٍ : فلا يجوزُ إجارةُ الكرْمِ لارتفاعِهِ ، ولا إجارةُ البساتينِ لثمارِها ، ولا إجارةُ المواشي للبنِها ، ويجوزُ استئجارُ المرضعةِ ويكونُ اللبنُ تابعاً ؛ لأنَّ إفرادَهُ غيرُ ممكنٍ ، وكذا يُتسامحُ بحبرِ الورَّاقِ وخيطِ الخيَّاطِ ؛ لأنَّهُما لا يقصدانِ علىٰ حيالِهما .

* * *

الثالثُ : أنْ يكونَ العملُ مقدوراً علىٰ تسليمِهِ حسّاً وشرعاً : فلا يصحُّ استئجارُ الضعيفِ علىٰ عملٍ لا يقدرُ عليهِ ، ولا استئجارُ الأخرسِ على التعليمِ ونحوِهِ(١) .

وما يحرمُ فعلُهُ فالشرعُ يمنعُ مِنْ تسليمِهِ ؛ كالاستئجارِ علىٰ قلعِ سنٍّ سليمةٍ ، أوْ قطعِ عضوٍ لا يرخِّصُ الشرعُ في قطعِهِ ، أوِ استئجارِ الحائضِ علىٰ كنسِ المسجدِ ، أوِ المعلِّمِ علىٰ تعليمِ السحرِ(٢) ، أوِ الفحشِ ، أوِ استئجارِ زوجةِ الغيرِ على الإرضاعِ دونَ إذْنِ زوجِها ، أوِ استئجارِ المصوِّرِ

---

(١) هـٰذا مثال المعجوز عن تسليمه حسّاً ، وسيسوق بعده المعجوز عن تسليمه شرعاً ، ومن مسائل هـٰذا الضابط أنه لا يجوز استئجار من لا يحسن قراءة القرآن لقراءته . انظر « الإتحاف » (٥/ ٤٦١) .

(٢) والطلسمات ، وفي معناها الأوفاق والجداول . « إتحاف » (٥/ ٤٦٢) .

علىٰ تصويرِ الحيواناتِ ، أوِ استئجارِ الصائغِ علىٰ صيغةِ الأواني مِنَ الذهبِ أوِ الفضةِ ، فكلُّ ذلكَ باطلٌ .

* * *

الرابعُ : ألاَّ يكونَ العملُ واجباً على الأجيرِ ، أو لا يكونَ بحيثُ لا تجري النيابةُ فيهِ عنِ المستأجرِ : فلا يجوزُ أخذُ الأجرةِ على الجهادِ ، ولا علىٰ سائرِ العباداتِ التي لا نيابةَ فيها ؛ إذْ لا يقعُ ذلكَ عنِ المستأجرِ .

ويجوزُ عنِ الحجِّ ، وغسلِ الميتِ ، وحفرِ القبورِ ، ودفنِ الموتىٰ ، وحملِ الجنائزِ .

وفي أخذِ الأجرةِ علىٰ إمامةِ صلاةِ التراويحِ ، وعلى الأذانِ ، وعلى التصدِّي للتدريسِ ، أوْ إقراءِ القرآنِ . . خلافٌ[1] ، أمَّا الاستئجارُ علىٰ تعليمِ مسألةٍ بعينِها ، أوْ تعليمِ سورةٍ بعينِها لشخصٍ معيَّنٍ . . فصحيحٌ .

* * *

الخامسُ : أنْ يكونَ العملُ والمنفعةُ معلوماً : فالخيَّاطُ يعرفُ عملَهُ

---

[1] وعبارة المصنف في « الوجيز » : (والاستئجار على الأذان جائز للإمام ، وقيل : إنه ممنوع كالجهاد ، وقيل : إنه يجوز لآحاد الناس ؛ ليحصل للمستأجر فائدة معرفة الوقت ، ولا يجوز الاستئجار علىٰ إمامة الصلوات الفرائض ، وفي إمامة التراويح خلاف ، والأصح منعه) . انظر « العزيز » (٦/١٠٢) .

بالثوبِ ، والمعلِّمُ يعرفُ عملَهُ بتعيينِ السورةِ ومقدارِها ، وحملُ الدوابِّ يُعرفُ بمقدارِ المحمولِ وبمقدارِ المسافةِ ، وكلُّ ما يثيرُ خصومةً في العادةِ فلا يجوزُ إهمالُهُ .

وتفصيلُ ذلكَ يطولُ ، وإنَّما ذكرْنا هـٰذا القدْرَ ليعرفَ بهِ جلياتِ الأحكام ويتفطَّنَ بهِ لمواقعِ الإشكالِ ، فيسألَ ؛ فإنَّ الاستقصاءَ شأنُ المفتي لا شأنُ العوامِّ .

* * *

العقد الخامس : القراض[1]

وليُراعَ فيهِ ثلاثةُ أركانٍ :

الركنُ الأوّلُ : رأسُ المالِ :

وشرطُهُ : أنْ يكونَ نقداً معلوماً مسلَّماً إلى العاملِ .

فلا يجوزُ القِراضُ على الفلوسِ ولا على العروضِ ؛ فإنَّ التجارةَ تضيقُ فيها .

ولا يجوزُ علىٰ صرَّةٍ مِنَ الدراهمِ ؛ لأنَّ قدْرَ الربحِ لا يتبيَّنُ فيها .

ولوْ شرطَ المالكُ اليدَ لنفسِهِ . . لمْ يجزْ ؛ لأنه يُضيِّقُ طريقَ التجارةِ .

* * *

الركنُ الثاني : الربحُ :

وليكنْ معلوماً بالجزئيةِ ؛ بأنْ يشرطَ لهُ الثلثَ ، أوِ النصفَ ، أوْ ما شاءَ ، فلو قالَ : (علىٰ أنَّ لكَ مِنَ الربحِ مئةً والباقي لي) . . لمْ يجزْ ؛ إذْ ربَّما لا يكونُ الربحُ أكثرَ مِنْ مئةٍ ، فلا يجوزُ تقديرُهُ بمقدارٍ معينٍ ، بلْ بمقدارٍ شائعٍ .

---

[1] **القراض والمضاربة** : لفظان يستعملان في عرف الفقهاء في عقد ، وهو أن يدفع إنسان مالاً إلىٰ غيره ليتجر فيه علىٰ أن يكون الربح بينهما علىٰ حسب ما يشترط ، والمشهور أن القراض لغة أهل الحجاز . « إتحاف » (٥/ ٤٦٥) .

الركنُ الثالثُ : العملُ الذي على العاملِ :

وشرطُهُ : أنْ يكونَ تجارةً غيرَ مضيقةٍ عليهِ بتعيينٍ وتأقيتٍ ، فلوْ شرطَ أنْ يشتريَ بالمالِ ماشيةً ليطلبَ نسلَها فيتقاسمانِ النسلَ ، أوْ حنطةً فيخبزَها ويتقاسمانِ الربحَ . . لمْ يصحَّ ؛ لأنَّ القِراضَ مأذونٌ فيهِ في التجارةِ ، وهوَ البيعُ والشراءُ وما يقعُ مِنْ ضرورتِهما فقطْ[1] ، وهٰذهِ حِرَفٌ ؛ أعني : الخبْزَ ورعايةَ المواشي .

ولو ضيَّقَ عليهِ وشرطَ ألاَّ يشتريَ إلا مِنْ فلانٍ ، أوْ لا يتجرَ إلا في الخزِّ الأحمرِ ، أوْ شرطَ ما يضيِّقُ بابَ التجارةِ . . فسدَ العقدُ .

ثمَّ مهما انعقدَ . . فالعاملُ وكيلٌ ، فيتصرَّفُ بالغبطةِ تصرُّفَ الوكلاءِ .

ومهما أرادَ المالكُ الفسخَ . . فلهُ ذلكَ ، فإذا فسخَ في حالةٍ والمالُ كلُّهُ نقدٌ . . لمْ يخفَ وجهُ القسمةِ ، وإنْ كانَ عرضاً ولا ربحَ فيهِ . . ردَّ عليهِ ، ولمْ يكنْ للمالكِ تكليفُهُ أنْ يردَّهُ إلى النقدِ ؛ لأنَّ العقدَ قدِ انفسخَ ، وهوَ لمْ يلتزمْ شيئاً ، وإنْ قالَ العاملُ : (أبيعُهُ) وأبى المالكُ . . فالمتبوعُ رأيُ المالكِ ، إلا إذا وجدَ العاملُ زبوناً يظهرُ بسببِهِ ربحٌ علىٰ رأسِ المالِ .

ومهما كانَ ربحٌ . . فعلى العاملِ بيعُ مقدارِ رأسِ المالِ بجنسِ رأسِ المالِ لا بنقدٍ آخرَ ؛ حتَّىٰ يتميَّزَ الفاضلُ ربحاً ، فيشتركانِ فيهِ ، وليس عليهِ بيعُ الفاضلِ علىٰ رأسِ المالِ .

---

(١) وهي لواحق التجارة ؛ كالنقل والكيل والوزن . « إتحاف » (٥/ ٤٦٩) .

ومهما كانَ رأسُ السنةِ . . فعليهِمْ تعرُّفُ قيمةِ المالِ لأجلِ الزكاةِ ، فإذا كانَ قدْ ظهرَ مِنَ الربحِ شيءٌ . . فالأقيسُ أنَّ زكاةَ نصيبِ العاملِ على العاملِ ، وأنَّهُ يملكُ الربحَ بالظهورِ .

وليسَ للعاملِ أنْ يسافرَ بمالِ القِراضِ دونَ إذْنِ المالكِ ، فإنْ فعلَ . . صحتْ تصرُّفاتُهُ ، ولكنَّهُ يضمنُ الأعيانَ والأثمانَ جميعاً ؛ لأنَّ عدوانَهُ بالنقلِ يتعدَّىٰ إلىٰ ثمنِ المنقولِ .

وإنْ سافرَ بالإذنِ . . جازَ ، ونفقةُ النقلِ وحفظُ المالِ علىٰ مالِ القِراضِ ؛ كما أنَّ نفقةَ الوزنِ والكيلِ والحملِ الذي لا يعتادُ التاجرُ مثلَهُ علىٰ رأسِ المالِ ، فأمَّا نشرُ الثوبِ وطيُّهُ ، والعملُ اليسيرُ المعتادُ . . فليسَ لهُ أنْ يبذلَ عليهِ أجرةً .

وعلى العاملِ نفقتُهُ وسكناهُ في البلدِ ، وليسَ عليهِ أجرةُ الحانوتِ ، ومهما تجرَّدَ في السفرِ لمالِ القراضِ . . فنفقتُهُ في السفرِ علىٰ مالِ القراضِ ، فإذا رجعَ . . فعليهِ أنْ يردَّ بقايا آلاتِ السفرِ مِنَ المطهرةِ والسفرةِ وغيرِهما .

* * *

العقد السادس : الشركة

وهيَ أربعةُ أنواعٍ ، ثلاثةٌ منها باطلةٌ .

الأوَّلُ : شركةُ المفاوضةِ :

وهوَ أنْ يقولا : (تفاوضْنا لنشتركَ في كلِّ ما لنا وما علينا) ومالاهما ممتازانِ(١) ، وهيَ باطلةٌ .

* * *

الثاني : شركةُ الأبدانِ :

وهوَ أنْ يتشارطا الاشتراكَ في أجرةِ العملِ ، وهيَ باطلةٌ .

* * *

الثالثُ : شركةُ الوجوهِ :

وهوَ أنْ يكونَ لأحدِهما حشمةٌ وقولٌ مقبولٌ ، فيكونَ مِنْ جهتِهِ التنفيذُ ، ومِنْ جهةِ غيرِهِ العملُ ، فهيَ أيضاً باطلةٌ .

* * *

وإنَّما الصحيحُ الشركةُ الرابعةُ المسماةُ شركةَ العِنانِ :

وهوَ أنْ يختلطَ مالاهما بحيثُ يتعذَّرُ التمييز إلا بقسمةٍ ، ويأذنَ كلُّ

---

(١) أي : غير مختلطين ، وفي هـٰذه الشركة قال الإمام الشافعي في « الأم » (٤/ ٤٨٧) : (شركة المفاوضة باطل ، ولا أعرف شيئاً من الدنيا يكون باطلاً إن لم تكن شركة المفاوضة باطلاً) .

واحدٍ منهما لصاحبِهِ في التصرُّفِ .

ثمَّ حكمُهُما توزيعُ الربحِ والخسرانِ علىٰ قدْرِ المالينِ ، ولا يجوزُ أنْ يُغيَّرَ ذلكَ بالشرطِ ، ثمَّ بالعزلِ يمتنعُ التصرُّفُ على المعزولِ ، وبالقسمةِ ينفصلُ الملكُ عنِ الملكِ(١) .

والصحيحُ : أنَّهُ يجوزُ عقدُ الشركةِ على العروضِ المشتركةِ(٢) ، ولا يُشترطُ النقدُ ، بخلافِ القِراضِ .

فهٰذا القدْرُ مِنْ علمِ الفقهِ يجبُ تعلُّمُهُ علىٰ كلِّ مكتسبٍ ، وإلاَّ . . اقتحمَ الحرامَ مِنْ حيثُ لا يدري .

وأمَّا معاملةُ القصَّابِ والخبَّازِ والبقَّالِ . . فلا يستغني عنها المكتسبُ وغيرُ المكتسبِ ، والخللُ فيها مِنْ ثلاثةِ وجوهٍ : مِنْ إهمالِ شروطِ البيعِ ، أوْ إهمالِ شروطِ السَّلَمِ ، أوِ الاقتصارِ على المعاطاةِ ؛ إذِ العاداتُ جاريةٌ بكِتْبَةِ الخطوطِ علىٰ هؤلاءِ بحاجاتِ كلِّ يومٍ(٣) ، ثمَّ المحاسبةِ في كلِّ مدَّةٍ ، ثمَّ التقويمِ بحسَبِ ما يقعُ عليهِ التراضي .

---

(١) أي : ينفصل مِلك الشريك عن ملك شريكه .

(٢) وفي « الإتحاف » للحافظ الزبيدي : (المشتراة) وزاد : أو الموروثة ؛ لشيوع الملك فيها ، وذلك أبلغ من الخلط ، بل الخلط إنما اكتفي به لإفادة الشيوع ، فإذا انضمَّ إليه الإذن في التصرف . . تمَّ العقد . « إتحاف » (٥/ ٤٧٥) .

(٣) بنحو إعداد ما يسمَّىٰ بدفتر الحسابات ، فيشتري الناس من عندهم دون عقد صحيح ، بل يحال هٰذا إلى التسجيل علىٰ هٰذا الدفتر ، ومال المصنف إلى التسامح في هٰذا ، والكتبة والكتابة بمعنىً .

وذلكَ ممَّا نرى القضاءَ بإباحتِهِ للحاجةِ ، ويُحملُ تسليمُهُمْ علىٰ إباحةِ التناولِ معَ انتظارِ العوضِ ، فيحلُّ أكلُهُ ، ولكنْ يجبُ الضمانُ بأكلِهِ ، وتلزمُ قيمتُهُ يومَ الإتلافِ ، فتجتمعُ في الذمَّةِ تلكَ القيمُ ، فإذا وقعَ التراضي علىٰ مقدارٍ ما . . فينبغي أنْ يُلتمسَ منهُمُ الإبراءُ المطلقُ ؛ حتَّىٰ لا تبقىٰ عليهِ عهدةٌ إنْ تطرَّقَ إليهِ تفاوتٌ في التقويمِ .

فهـٰذا ما تجبُ القناعةُ بهِ ؛ فإنَّ تكليفَ وزْنِ الثمنِ لكلِّ واحدةٍ مِنَ الحوائجِ في كلِّ يومٍ وكلِّ ساعةٍ . . تكليفٌ شططٌ ، وكذا تكليفُ الإيجابِ والقبولِ ، وتقديرُ ثمنِ كلِّ قدْرٍ يسيرٍ منهُ فيهِ عسرٌ ، وإذا كثرَ كلُّ نوعٍ . . سهلَ تقويمُهُ ، واللهُ الموفِّقُ .

* * *

İkinci Bab

TİCÂRÎ MUAMELELERİN SIHHATİ

Alış-veriş ile uğraşan her Müslüman'ın bu ilmi öğrenmesi farzdır. Zîra ilim aramak, Müslüman'a farzdır. (Şüphesiz, ilmin içerisinde herkesin muhtaç olduğu ilimler bulunduğu gibi, hususî olarak) herkesin muhtaç olduğu ilmi öğrenmesi de ayrıca farzdır. Alış-veriş ile uğraşan, elbette ticaret ilmine muhtaçtır. Ticaretle alâkalı meseleleri öğrendiği zaman, müfsid olan muameleleri bilir ve onlardan kaçınır. Teferruât kabîlinden bilmediği bâzı ender meseleler de olabilir. Onları da sorup öğrenir. Fakat ana hatları hususunda umûmî bir bilgiye sâhip değilse, bu gibi incelikleri sormak, hatırından bile geçmez. Çünkü bilmez ki, sorsun. Şâyet "Şimdiden öğrenmeye ne lüzûm var? Herhangi bir müşkil ile karşılaştığı zaman sorar ve bu sûretle muhtaç olduğu meseleleri öğrenir." dersen bu yanlıştır. Çünkü muhtasar olarak ticârî meseleleri bilmezse, sorulması gereken bir müşkil ile karşılaştığını nereden anlasın? O, muâmelelerin meşrû olduğunu sanarak, alış-verişine devâm eder gider.

Bu bakımdan, kısa da olsa ticaretle alâkalı mühim bâzı meseleleri bilmesi lâzımdır ki, mübâh olanla hatâlı olanı birbirinden ayırt edebilsin. Bu, sebeple rivâyet olundu ki; **Hz. Ömer** (r.a.), çarşıya çıkar ve ticârî ilimlere vâkıf olmayan bâzı esnâfı kamçılayarak: "Ticaret ilmini bilmeyenler, pazarlarımızda alış-veriş etmesinler. Çünkü bu gibiler, istese de istemese de ribâ yerler." derdi. Gerçi, ticârî ilimler pek çoktur. Fakat şu altı esâstan hiç bir tüccar kendini kurtaramaz. Bunlar:

1 - Bey',

2 - Ribâ,

3 - Selem,

4 - İcâre,

5 - Kırâd,

6 - Şirket.

Şimdi bunların şartlarını açıklayalım:

Birinci Akit
BEY (ALIŞ VERİŞ)

Allahü Teâlâ bey'i[17] (alış-veriş) helâl, ribâyı haram kılmıştır. Alış-verişin sıhhati için üç rüknü vardır:

Birinci Rükün: Akdi yapan (satıcı veyâ alıcı),

İkinci Rükün: Akdi yapılan (satılan veyâ alınan mal),

Üçüncü Rükün: Lafız (karşılıklı söz kesme).

Birinci Rükün

Akdi (ticârî muâhedeyi) **yapanlar:** Tüccara lâzım olan dört kimse ile alış-veriş etmemektir. Bunlar: **Sabi** (çocuk), **mecnûn** (deli), **köle** ve **âmâ**dır.

Sabî yâni çocuk ile ticârî muâhede yapılmaz. Çünkü çocuk mükellef değildir. Mecnûn (deli) da çocuk gibidir. Her ikisinin de ticârî muâhedeleri bâtıldır.[18] Tüccar, çocuklardan aldığını tazmîne mecbûrdur. Fakat çocuklara ve mecnuna verip de onların elinde kaybolanı tazmîn ettirmeye selâhiyettâr değildir. Onun zararını da kendisi çeker. Aklı başında olan kölenin de alışverişi, ancak efendisinin müsâadesiyle sahihtir. Aksi takdirde sahih değildir. Bakkal, kasap, ekmekçi ve benzeri esnâf, efendisinin müsâadesini almadan, köle ile alışveriş etmemelidir.

---

[17] Bey'in Lügat mânâsı: Satma, satış, satılma, satın almadır. Cem'i "büyû'"dur. Bey (alış-veriş), bir malı başka bir mal ile değiştirmektir. Kendi elinde olanı verip, başkalarında olanı almaya rağbettir. Hanefîlere göre, şer'an bey' tarafların rızâsıyla malı mal ile değiştirmekten ibârettir.

Bu müsâade ya sarâhaten olur. Meselâ efendisi: "Bu köle, benim nâmıma alış-veriş etmeye selâhiyetlidir." der. Veyâhut da bulunduğu muhitte bu kölenin, efendisi adına alış-veriş ettiğini herkes bilir. Esnâf da buna itimâd ederek köle ile alış-veriş eder. Yâhut âdil bir kimse esnafa, kölenin efendisi adına alışveriş ettiğini haber verir. Şâyet böyle bir müsâade olmadan, köle ile alışveriş ederse, alış-verişi bâtıldır. Köleden aldığını efendisine ödemekle mükelleftir. Köleye verdiği zayi olmuşsa ne efendisinden, ne de köleden tazmîni cihetine gider. Bekler, köle ne zaman âzâd olursa, o zaman bu hakkını ondan ister. Âmâya gelince bu, görmediği şeyi alıp satabilir. Fakat alış-verişi sahih değildir. Kendi namına alış-veriş etmesi için, gören bir kimseyi vekil tâyin etmesi kendisine emrolunur. Vekil göstermesi ve vekîlin kendi nâmına alış-veriş etmesi sahihtir. Tüccarın, vekil tâyin ettirmeden, âmâ ile yaptığı alış-veriş bâtıldır. Aldığını da verdiğini de kıymeti ile öder.[19]

---

[18] Hanefîlere göre çocuk, kâr ve zararı ayırt edebilecek hâlde iken alış-veriş ettiyse bu alış-verişin sıhhati, babasının müsâadesine mevkuftur. Babası kabul ederse alış-veriş sahih olur. Şâyet önceden babası kendisine izin vermişse, mümeyyiz olan -sahibinin bu alış- verişi sahih ve makbuldür.

[19] İmâm-ı Âzam Ebû Hanife'ye, İmâm Mâlik'e ve İmâm Abmed'e göre, âmâya malın vasfı olduğu gibi anlatılırsa, alış-veriş sahihtir. İmâm Şâfiî'den böyle bir rivâyet varsa da meşhur olan yukarıdaki sözüdür.

Kâfir ile ticârî muâmelenin akdi sahihtir. Şu kadar ki, harbî olan (yâni Müslümanlar arasında ikamet etmeyen) kâfire mushaf, Müslüman köle ve silâh satamaz. Bu gibi ticârî muâmele merdûd ve sahibi günâhkârdır.

Türk, Türkmen, Arap ve Kürtlerin eşkıyalıkla geçinenleri ile yol kesenler, hâinler, ribâ yiyenler ve kazancının çoğu haram olanlardan bir şey almak, doğru değildir. Çünkü onların kazancı haramdır. Ancak katî olarak helâl olduğunu bildiği bir madde varsa, onu alabilir. **"Helâl ve Haram"** kitâbında tafsilâtı gelecektir.

İkinci Rükün

Mâkûdun aleyh (alım satımı yapılan mal): İster o mal semen (nakit yerine kaim olan mal) olsun, ister müsemmen (satılan mal) olsun. Bunda da altı şart aranır:

1 - Maddesi pis olmayacak. Bunun için köpek ve domuzun alım satımı sahih değildir.[20] Hayvan tersi ve insan pisliğinin alım satımı da sahih değildir.[21] Fildişi ve fil kemiğinden yapılan kapların alım satımı da sahih değildir. Çünkü fil, boğazlanmakla dahî temiz olmayacağı gibi, ölmesiyle beraber pislik kemiklerine de sirayet eder; yıkamakla pisliği zâil olmaz.[22] Şarabın alım ve satımı da câiz değildir. Her ne kadar ışık yakmakta ve gemi sıvamakta kullanılırsa da, eti yenmeyen hayvanın içyağını satmak da câiz değildir.

---

[20] İmâm-ı Âzam, köpeğin alım satımını tecvîz eder. Saldırgan köpeklerin alım satımı ihtilaflıdır.

[21] İmâm-ı Âzam'a göre mahsûl almakta bundan faydalanıldığı için, alım satımı câizdir. Domuz kılının, dikiciler için alım satımı da câizdir.

[22] Hanefilere göre, diş ve kemikleri temizdir. Filin dibagatla derisi de temizlenir.

Aslında temiz iken, içinde fârenin boğulup ölmesi veyâ pislik düşmesi sebebiyle murdar olan yağların alım satımı caizdir. Çünkü bunlar, her ne kadar yenmezse de, başka sûretle kendilerinden istifâde edilir. Zîra aslında pis değildir. (Sabun vesâir şeylerde kullanılır.) Bunun gibi, içerisinde koza böceği ölmüş olan kozaların alım satımında beis yoktur. Çünkü o, hayvanın aslıdır. Tavuk karnındaki yumurtaya benzetmek daha uygundur. Misk fâresini satmak câizdir. Hattâ canlı olarak geyikten ayrıldığı zaman, temizliği ile hükmolunur.

2 - Kendisiyle intifa edilen maddelerden olmalıdır. Haşerâtın fâre ve yılanların alım satımı câiz değildir. Yılanları oynatmak gibi gözbağcılığa ve onları çıkarıp teşhir etmeye itibar edilmez. Kedi, arı, pars, aslan gibi av hayvanları veyâ fil gibi yük işlerinde kullanılan hayvanların -her ne kadar eti yenmezse de- alım satımı câizdir. Güzel sesinden sebep tûtî, güzelliğinden sebep tâvus ve "benzeri güzel kuşların alım ve satımı câizdir. Çünkü onların vücut ve ses güzellikleri ile eğlenmek mübahtır. Köpeğin, güzelliğinden dolayı, alınıp satılmaması, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in, bundan men etmesine binâendir.

Ud, zenc, düdük ve diğer oyun ve çalgı âletlerinin alım satımı câiz değildir. Çünkü şer'î bakımdan bunların bir faydası yoktur. Çamurdan yapılmış insan ve hayvan oyuncak heykellerinin alım ve satımı câiz değildir; bunların kırılması lâzımdır. Kâğıtlardaki ağaç ve çiçek resimleri müsamaha ile karşılanır. İçerisinde hayvan sûreti bulunan tabak, elbise ve perdelerin alım satımı câizdir. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Hz. Âişe'ye hitaben:

اِتَّخِذِي مِنْهَا نَمَارِقَ

"Bunlardan (resimli bezlerden) *yastık ve minder gibi şeyler*

yap."[23] buyurmuştur. Bunların duvarlara asılması câiz değildir. Fakat yere serilmelerinde beis yoktur. Bu cihetten kendileri ile intifa olunduğu için, alım ve satımları câizdir.

3 - Alım satımı yapılan mal, satıcının malı olmalı veyâ mal sahibi tarafından alım satımına mezûn bulunmalıdır. Mal sahibinin müsadesi olmadan- müsadesine intizâren- yapılan satış, câiz değildir. Hattâ mal sahibi sonradan râzı olsa yeniden satış yapmak lâzımdır. Muvâfakat edeceklerine güvenerek, kocanın malını karıdan, karının malını kocadan, babanın malını evlattan ve evladın malını babadan almak, doğru değildir. Çünkü alış-verişin sıhhati için, rızânın önceden bulunması lâzımdır. Maalesef çarşı ve pazarlarda bu kabîl pek çok alış-verişler yapılmaktadır. Dindar olanların bunlardan sakınması lâzımdır.[24]

4 - Şer'an veyâ hissen sattığı malı teslîme muktedir olmak. Meselâ, kaçak olan bir köle, -şer'an malı ise de- hissen malı değildir. Onu, kaçak olduğu müddetçe teslîme muktedir olamadığı için, alım-satımı sahih değildir. Sudaki balığın, havadaki kuşun, rahimdeki yavrunun, erkek tohumunun, hayvan sırtındaki yünün, memedeki sütün de alım-satımı câiz değildir. Çünkü bunları teslim, mümkün değildir. Tesliminden şer'ân âciz olduğu şeyler; rehin, vakfedilen ve kendisinden hâmile olan câriyesidir. Bu câriyenin de alım satımı câiz değildir. Çünkü âzâd olacaktır. Yavrusu küçük olan anneyi veyâ yalnız yavruyu satmak da câiz değildir; bunları birbirinden ayırmak haramdır.

5 - Satılan şeyin maddesi, miktar ve vasfı bilinmiş olmaktır. Aynını bilmek yâni işte şu koyunu sana satıyorum deyip koyunu

---

[23] Buhârî ile Müslim, Hz. Âişe'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[24] İmâm-ı Âzam'a göre, sonradan yapılan muvafakat sahihtir. Şâfiî'nin kavl-i atiki de budur.

göstermek veyâ şu elbiseyi deyip elbiseyi göstermektir. Şayet, şu sürüden istediğin koyunu veyâ şu elbiselerden bir takımını veyâ bu bezden bir metreyi veyâ şu tarladan on metrekareyi sana verdim, neresinden istersen beğen al derse, bu alış-veriş bâtıldır. Çünkü tâyin şarttır.[25] Bütün bunlar, dinî meseleleri bilmeyenler arasında görülen şeylerdir. Ancak miktarı bilinen şeyin, bu şekilde bir cüz'ünü satmak câizdir. Meselâ bunun onda birini veyâ yarısını sattım derse, bu miktarı bilmek lâzımdır. Satılan şeyin miktarı; ölçmek, tartmak veyâ bakmakla da bilinebilir.

Alıcı ile satıcının, başkasının kaça sattığını ikisinin bilmediği hâlde, falanca kaça satıyorsa, ben de o fiyattan bu malı sana verdim derse, satış bâtıldır. Terazi taşının kaç gram olduğunu bilmediği zaman, bu taşın ağırlığı kadar sana mal veyâ altın sattım demek, şu buğday çeçini (yığınını) sana sattım demek bâtıldır. Buradaki para yığını karşılığında sana sattım yâhut şu gördüğün altın karşılığında sattım der ve alan da onları görüyorsa, satış sahihtir. Onları görmekle yaptığı tahmin kâfidir. Vasfını bilmek; bu da maddelerde aynını görmekle mümkündür. Ortada mevcut olmayan bir şeyi satmak câiz değildir. Ancak alıcı, önceden görmüş olduğu malın görünüşünde bir değişiklik olmamışsa, onu alabilir. Vasfını bilmek, aynını görmek gibi değildir. Bu husustaki iki sözün en doğrusu budur.

Üzerindeki damgaya istinâden tezgahta bulunan kumaşı, başaktaki buğdayı da satmak câiz değildir.[26] Çeltik hâlinde yâni henüz dövülmeden pirinç satışı câizdir. Ceviz ve bademleri, dış kabukları ile değil, iç kabukları ile satmak câizdir. Kabuğu ile yaş baklayı, üzüm suyunu şişesinde satmak câizdir. Çünkü şişe açıldığı zaman, üzüm suyunun bozulma tehlikesi vardır. Bu, nar satışına benzer; kapalı olarak satılır, yarılmaz. Şâyet bu üzüm suyunu satmak için alırsa, kıyâsa göre bâtıldır. Fakat bunda da müsâmaha vardır.

---

[25] İmâm-ı Âzam'a göre, bu gibi satışlar câizdir.

[26] İmâm-ı Âzam'a göre sarardığı ve buğday olduğu zaman satılması câizdir Kavl-i cedîdinde İmâm Şâfiî'nin de görüşü budur.

6 - Sattığını teslim etmektir. Bu, hususî bir şarttır. Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), teslim edilmeyen malın satışından men etmiştir.[27] Gayr-i menkûl olması ile menkûl olması arasında fark yoktur. Teslim edilmeden yapılan alım satım bâtıldır. Menkûlü teslim almak, oradan nakletmekledir. Gayr-i menkûlün (akarın) kabzı, onu boşaltıp teslim etmekledir. Ölçülüp tartılan ve sayılan maddeleri de ölçmek, saymak ve tartmakla teslim eder. Mîras, vasiyet ve başkasının yanında emânet olan şeyi, kabzetmeden evvel muvâzaa yolu ile satması câizdir.

Üçüncü Rükün

Akd lafzı: Yâni bağlantıyı temîn eden sözdür. Hemen bir arada, sattım ve aldım demeleri lâzımdır. Böylece ya sarâhaten veyâ delâleten icâb ve kabul lâzımdır. "Sattım." yerine, "Bunu sana verdim." deyip, öteki taraf da "Kabul ettim." dese yine câizdir. Ancak bu sözlerle alış-verişi kasdetmek lâzımdır. Çünkü bu ifâdenin âriyeten vermeye de ihtimâli vardır. Bu ihtimâli kaldıran, niyettir. Sarih ve açık ifâde, aradaki ihtilâfı daha katî bir şekilde kaldırır. Fakat kinâye de mülkiyet ve helâlliği ifâde eder. Bağlantının hâricinde fazla şartlar ileri sürmesi de doğru değildir. Meselâ, başka bir şey daha vermesini veyâ eve götürmesini şart koşarsa, bunların hepsi fâsiddir.[28] Ancak nakil parasını, ayrıca pazarlık ederse, o zaman câizdir. Satan ile alan arasında lisânla bir şey konuşulmadan yalnız malı alıp vermekle, Şâfiî'ye göre hiç bir sûretle bey' münakid olmaz. Hanefi'ye göre âdî şeylerde alım satım sahih ise de[29] bu âdî şeyleri tâyin etmek cidden güçtür. Eğer âdeten hakir olanlar dersek, insanlar bu hususta haddini aşarlar.

---

[27] 27. Hadisi, Buhârî ile Müslim, İbn Abbâs'dan (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[28] 28. İmâm-ı Âzam'a göre câizdir.

Meselâ, dellal on dirhem kıymetindeki bir malı müşteriye gösterir. Müşteri de bu malı beğenir ve kabul eder. Dellal malı sahibine teslim eder. Sonra müşteri on dirhemi verir malı alır ve esnaf parayı, müşteri de malı kullanır. Hâlbuki müşteri ile esnaf arasında bu hususta bir şey konuşulmamıştır. Gelin-güveyi eşyası alacak kimseler, müzayede salonuna girerler. Meselâ, birisi, yüz dirhem değerindeki mala 90 dirhem verir, diğeri de yüz dirhem verir, öteki "Ver parayı" der, beriki de parayı sayar ve malı alır. Hâlbuki mal sahibi ile aralarında bir icâb ve kabul yapılmamıştır. Öteden beri ticârî işler böyle yapılmaktadır. Bunlar, ilâç kabul etmeyen müzmin hastalıklardandır. Bu hususta üç ihtimâl vardır:

1 - Birinci ihtimal: Âdî olsun, kıymetli olsun, hepsinde muâtât, lâfsız karşılıklı alıp verme kapısını açmak ki, buna imkân yoktur. Çünkü bu, hiç bir şey konuşmadan adamın mülkünü naklettirmeyi neticelendirir. Allahü Teâlâ, bey'i helâl kıldı. Fakat bey" icâb ve kabulden ibârettir. Böyle bir şey konuşulmamış, yalnız alış-verişe bey' ismi verilmemiştir. Buna bey' denemez. Nasıl olur da hiç söz konuşulmadan bir adamın mülkü, cariyesi, kölesi, evi, atı vesâire kıymetli eşyaları başkasına intikal eder. Hiç bir şey söylemeden malı teslim edenin geri dönme hakkı vardır. "Ben pişman oldum. Zâten satış yapmadım, hiç bir şey söylemeden malı verdim, şimdi alıyorum, bu bir satış değildir." diyebilir.

---

[29] Hanefilere göre alış-veriş söz ile olduğu gibi iş ile de olur. Söz ile olan icâb ve kabuldür. İş ile olan alış-veriş alıp vermek suretiyledir. Buna "Bey-i muata" ve "Bey-i muâveze" denir. Malın değerli veyâ değersiz olup olmaması şart değildir.

2 - İkinci ihtimal: İmâm Şâfiî'nin de buyurduğu gibi âdî olsun, kıymetli olsun, hepsinde muâtât kapısını kapamaktır. Burada da iki cihetten müşkilât vardır:

Birincisi; bu muâtât sahâbe zamanında da mûtad olması muhtemeldir. Şâyet onlar bakkal, kasap ve ekmekçi gibi günlük ihtiyaçların temîn edildiği kimselerle akid muâmelesi ve îcâb kabul yapsalar, elbette bu onları fazla yorardı. Böyle yaptıkları haberi bizlere kadar gelir ve bu âdetlerden vazgeçildiği zamanı da bilinirdi. Çünkü bu gibi haller zamanla değişir.

İkincisi; insanlar tamamen buna meyletmiş vaziyettedirler. Yiyecek ve benzeri maddeleri satın alan herkes, satıcının da buna muâtât yolu ile sâhip olduğunu bilir, böyle olduğuna göre de konuşmakta ne fayda vardır?

3 - Üçüncü ihtimal: İmâm-ı Azam'ın dediği gibi, âdî şeylerle kıymetli şeyleri birbirinden ayırmaktır. O zaman da kıymetli ile kıymetsizi birbirinden ayırmak güçleşir ve hiç konuşmadan adamın malını getirmek zor bir iş olur. **İbn Süreyc**, Şâfiî'nin sözünü olduğu gibi kabul etmiştir. Esâsen adâlete en yakın olanı, bu olduğu için, bizim de buna meyletmemizde beis yoktur. Zâten halk arasında şâyi olan da budur. Hattâ geçmişlerin de böyle yaptığı sanılmaktadır.

Yukarıda anlattığımız ikinci ihtimaldeki iki müşkilâtın cevâbına gelince:

1 - Âdî şeylerle kıymetli şeyleri birbirinden ayırmak için, bunları takdir ve tâyin ile mükellef değiliz. Ancak bunların açık olarak iki tarafı vardır. **Birinci Tarafı:** Bir miktar sebze, meyve, et ve ben-

zeri şeylerde îcâb ve kabul soğuk ve çirkin karşılanır, üstelik zahmet verir. Bu adam, kıymetsiz şeyler üzerinde duran bir adamdır, diye tenkîd edilir. İşte bu, hakir tarafıdır. **İkinci Tarafı:** Binit, akar, köle, câriye ve nefis kumaş gibi şeylerdir. Bunlarda îcâb ve kabul çirkin karşılanmaz, Herkes bunları îcâb ve kabul ile alır ki, bu da meydandadır.

Bu iki tarafın ortasında birinci veyâ ikinci şıkka girmesi bakımından belli olmayan şüpheli kısımlar da vardır. Mütedeyyin insanların bunlarda ihtiyata riâyet etmeleri en doğrusudur. Âdeten bilinen şer'î kaidelerin hepsi böyledir. Belli başlı iki tarafları bulunduğu gibi, şüpheli olan orta kısımları da vardır.

2 - İkinci müşkil de icâb ve kabul, başkasının malını, diğerinin naklinde sebep olarak göstermektir. Biz bunun yerine, fiilen alıp vermeyi sebep kabul edebiliriz. Zâten dil ile konuşulan söz, bizatihî sebep değil, delâleti itibâriyle sebep oluyor. Teslim ve tesellüm ise maksadı devamlı şekilde ifâde eden daha kuvvetli bir sebeptir. Üstelik ihtiyaç zarureti eskilerin hediyeyi icâb ve kabulsüz alıp onda diledikleri gibi tasarruf etmeleri, bunun açık bir delîlidir. Para ile ve parasız almakta ne fark vardır? Çünkü hîbede de mülkü nakletmek lâzımdır. Ancak eskiler, hediyenin âdîsi ile iyisini ayırmadı ve mutlak sûrette hediyede icâb ve kabulü çirkin gördüler. Fakat alım satım işlerinde âdî olanlardan başkasında icâb ve kabulü çirkin görmediler. İşte anlattığımız şu üç ihtimâlden, en âdilâne olanı bu oluyor.

Haramdan kaçınan mütedeyyin kimselere yakışan, bu ihtilâf şüphelerinden kurtulmak için îcâb ve kabulü ihmâl etmemektir. Satıcı "Ben bu malı îcâb ve kabulsüz aldım." diyerek, icâb ve kabulsüz vermek istese de, îcâb ve kabulü tüketmemelidir. Çünkü satıcının bu malı îcâb ve kabulsüz aldığı katî olarak bilinemez.

Belki kendisi îcâb ve kabul ile aldığı halde böyle söyleyebilir. Şâyet satıcı mal aldığı zaman, kendisi orada idi veyâ satıcıya malı satan, "Ben buna, îcâb ve kabulsüz sattım." derse o zaman müşteri, böyle adamı terk edip başkasına gitmelidir. Şâyet alacağı şey âdî olup kendisinin de ona ihtiyacı varsa, yine icâb ve kabul ile alsın. Yâni "Bu malı şu kadar kuruşa aldım kabul ettim." desin. Böyle açıkça "Aldım kabul ettim." şeklinde konuşarak mal almak, ilerdeki husûmetleri azaltır. Çünkü hiç konuşmadan götürdüğü bir malı, ilk sahibi geri isteyebilir. Fakat açıkça konuştuktan sonra verdiği malı, hiç bir sûretle geri isteyecek hakkı kalmaz.

Şâyet "Verdim, aldım." demeden, satın alınan şeylerde mal sahibinin malını geri alma hakkı olduğuna göre, "Muâtât" yolu ile alınan yemeklerden verilen bir ziyâfete davet edildiği zaman, ne yapmalı, bu yemekten kaçınmalı mı? dersen;

Deriz ki; âdî şeylerden olmayıp, kıymetli maddelerden ise onu satın almaktan kaçınır. Fakat yemesinden çekinmez. Bir adamın mülkünü nakletmek için sözlü anlaşma yapılmadan yalnız işi delîl olarak kabul etmekte tereddüt edip dururken, ibâhede yâni o şeyin mübah olmasında, işi delîl olarak kabul etmemiz uygun olmaz. "Muâtât" yolu ile alınan maddelerini, satıcının teslim etmesi, onu yemeğe izin vermesi demektir ki, bu izin hal karînesi ile meydandadır. Bu, tıpkı hamamcının, hamama girmeye müsadesi ve kendisinin açıkça, "Serbestsin, ister kendin ye, ister başkasına yedir." demesi gibidir ki, helâldir. Şâyet açıkça "Bunu yeyiver, sonra ödersin." derse, yine yemesi helâldir. Yedikten sonra öder. Bana göre fıkhî kıyâs budur. Fakat "Muâtât"tan sonra mülkünü yemiş ve telef etmiş olduğundan, tazmîn etmesi lâzımdır. O, zimmetinde bir borçtur. Teslim ettiği para, eğer malın değerinde ise hak yerini bulmuş olur. Karşısındaki adam onu geri alacak vaziyette değilse, kendiliğinden buna mâlik olabilir.

Fakat geri alabilecek hâlde ise kendiliğinden o mala sâhip olamaz. Belki o parayı o borca karşılık kabul etmez; parayı verir, malını ister. Bu, hakkıdır. Burada, teslim sırasındaki icâbın delâleti ile rızâsı anlaşılmıştır. Aldığı mal karşılığı, gerekli parayı ödemekle yapılan alış-veriş, bunun delîlidir. Fakat bütün bunlar karşısında satıcının hâli mübhemdir. Çünkü belki yemeği karşılığında aldığı şeye mâlik olmasını değil, onu kullanmasını düşünmüştür. Ona mâlik olması için müşterinin onu yemesi veyâ yedirmesi lâzımdır.

Sonra belki aldığını yeniden temellük etmesi lâzım; sonra temellükü, sözlü anlaşma yapmadan, yalnız işten anlaşılan bir muvâfakat üzerine olur. İşte bütün bunlar, satıcının mübhem ahvalidir. Fakat yemeği alanın yemekten başka bir düşüncesi yoktur, fikri meydandadır. Bu, hâl karînesi ile mübâhtır. Ancak bu vaziyet karşısında misâfirin yediğini de ödemesi hatıra gelebilir. Tazmîn, ancak müşteriden aldığına mâlik olduğu zaman düşer; o zaman borcunu ödemiş gibi olur. İşte “Muâtât” kaidesinin kapalılığına binâen görebildiklerimiz bunlardır. En doğrusunu ancak Allah bilir. Bunlar, şüphe ve ihtimallerdir. Onun için biz de bunları tereddüt ile ifâde ettik. Fetvâlarımız kâfi değil, bu şüpheler üzerinedir. Harama yaklaşmak istemeyenler, fetvâyı kalbinden almalı ve şüpheli’ şeylerden uzak kalmalıdır.

İkinci Akit
RİBÂ (FÂİZ) ALIŞ-VERİŞİ

Allahü Teâlâ, ribâyı (faizi) şiddetle haram kılmıştır. Altın ve gümüş ticareti yapan sarrafların ve gıda maddelerini alıp satanların bundan kaçınmaları lâzımdır. Zîra ribâ, para ve gıda maddelerinde olur. Sarrafın nesîe (veresiye) ve fadl (fazla) almaktan sakınması kendisine farzdır. Nesîeden kaçınmak demek, alıp verdiği altın ve gümüşü veresiye vermemek demektir. Sarrafların, darphâneye külçe altın teslim edip, onunla basılmış altın para almaları câiz değildir. Bunun iki sebebi vardır: Birisi, veresiyecilik, diğeri de ağırlık farkıdır. Ağırlıkta, mutlaka fark olur.

Fazla almamaya da üç yerde riâyet edecektir:

1 - Sağlamını verip kırılmışını almakta. Altını altın, gümüşü gümüş ile verip alırken ağırlıkları bir olunca, sağlam ile kırılmışı arasında fark gözetemez. Bunlar ancak, misli ile alınıp verilirler.

2 - İyisini (Ayarı yüksek olanı) kötüsü ile alıp vermekte. Bunlarda da ağırlık farkı gözetemez. Gramı gramına alıp verilir. Fakat altını gümüş veyâ gümüşü altın ile değiştirdiği zaman, burada ribâ olmaz.

3 - Altın ile gümüş karışımından olan maddelerde -altın ve gümüş madenlerinden yapılan paralar gibi -altının miktarı malum değilse- bununla muamele aslâ câiz değildir. Ancak memlekette geçer akçe o ise onunla ticarî muamele câizdir. Yalnız para karşılığında olmamalıdır. Bakır ile karışık paralar da bu hükümdedir. Muhitte geçer akçe değilse onunla muamele câiz değildir. Çünkü aranan, külçenin miktarıdır. O da mâlum değildir. Şâyet geçer akçe ise -altınını ayırmak maksûd olmadığı için- ihtiyaç dolayısıyla onunla muameleye ruhsat verilmiştir. Fakat karşılıklı alıp verilmez. Bunun gibi altın ve gümüş karışımından yapılan ziynet takımlarını, altın ve gümüş ile alıp vermek câiz değildir.

Eğer altın miktarı mâlum ise başka bir mal karşılığında alıp satmalıdır. Ancak altın, yaldızlı olur ve eritmekle altının alınması mümkün değilse, burada altın yok hükmünde olduğundan, kendi ağırlığı ile alınıp verilebilir. Başka bir madde ile de satışı câizdir. Kıymetli taşlarla işlenmiş altın gerdanlığı, altın ile alıp satmak câiz değildir. İçinde gümüş yoksa gümüş ile alıp satması câizdir. Eritildiği zaman, işlemeleri altın hâline gelen altın sırmalı elbiseyi de altın ile almak câiz değildir. Fakat bu altın işlemeli elbiseyi gümüş ile almak câizdir.

Gıda maddeleri alıp satanların, mecliste karşılıklı olarak alıp vermeleri lâzımdır. Madde ve müşterilerin değişip değişmemesinde fark yoktur. Eğer gıda maddeleri bir cinsten ise -misli misline riâyet edilerek- alıp verirler; fazla yapamazlar.[30] Meselâ, kasaba koyun verip, karşılığında peşin veyâ veresiye olarak et almak; ekmekçi muâmelesi, buğdayı verip karşılığında peşin veyâ veresiye ekmek almak; yağcılara, haşhaş, susam ve zeytin daneleri verip karşılığında peşin veyâ veresiye yağ almak; sütçüye süt verip, karşılığında peşin veyâ veresiye kaymak, yağ, yoğurt ve peynir gibi sütten mâmûl maddeleri al mak, bütün bunlar haramdır.

Bir yemek, cinsinin gayrı olan yemek ile ancak nakden satılır. Cinsiyle hem nakden, hem de misliyle alınıp verilir. Bunun gibi her hangi yenecek bir maddeden yapılan veyâ çıkarılan kısımlar, o madde ile ne fazlasıyla ne de misliyle alınıp verilir. Meselâ buğday ile buğdaydan yapılan un, ekmek ve kavut; üzüm ile üzümden yapılan pekmez ve sirke; hurma ile hurmadan yapılan pekmez ve sirke; süt ile yağ, kaymak, ayran, süzme yoğurt ve peynir gibi şeyler almak câiz değildir. Yenecek madde tam ambar edilecek hâle gelmedikçe, misliyet değer taşımaz. Meselâ, yaş hurma yaş hurma ile yaş üzüm yaş üzüm ile -misli misline de olsa, fazla eksik de olsa- alınıp verilemezler.

---

[30] Bunlar: arpa, buğday, tuz ve hurma gibi şeylerdir. Cinsi cinsine olursa, mislini geçemez, fakat değişik olursa arpayı buğdaya, buğdayı hurmaya değiştirmek gibi, burada mümâselet aranmaz. Şafiî'ye göre ribâda illet, yenecek madde olmalarıdır. Buna göre bütün yiyeceklerde ribâ vardır. Diğer bir sözünde, yenecek madde olmaları ile ölçülen veyâ tartılan cinsten olmalarıdır. Buna göre sayı ile verilen yumurta ve benzeri maddelerde ribâ yoktur. Mâlikî'ye göre, gıda olan veyâ tuz gibi gıdayı ıslah eden her maddede ribâ vardır. Hanefi'ye göre ribâ, ölçülmek sûretiyle verilendedir. Buna göre gıda olmayan birçok maddelerde ribâ vardır. Fazla mâlûmat için Elmalılı Hamdi Yazır'ın Tefsiri C. 1. sf: 952-974'e bakılabilir.

Bu anlattıklarımız, alış-verişi târifte faydalı kısa bilgiler olmakla beraber, şüphelendiği zaman tüccarın fetvâya başvurması için tehlikeli noktaları tenbîh ve işâretten ibârettir. Çünkü bu kadarını olsun bilmeyen tüccar, farkında olmayarak hem ribâyı (faizi), hem de haramı irtikâb etmiş olur.

Üçüncü Akit
SELEM

Selem hususunda tüccar, on şarta riâyet etmelidir.

1 - "Re'sü'l-mâl"ın (Sermaye) misliyle bilinmiş olmasıdır ki, malın teslimi mümkün olmazsa "re'sü'l-mâl"ın kıymetine baş vurabilsin. Hattâ sayılmadan bir avuç parayı bir ölçek buğdaya karşılık verirse, - iki sözün birine göre- sahih değildir.

2 - Akdin yapıldığı meclisten ayrılmadan, sermayenin ödenmiş olmasıdır. Şâyet sonraya kalırsa selem bozulmuş olur.

3 - Alınacak olan maddenin vasıflarının tarifi mümkün olmalıdır. Bunlar da tahıl, hayvanat,[31] madenler, pamuk, zeytin, ipek, süt, et, koku yağları ve benzerleri gibi şeylerdir. Macunlarda,

---

[31] Hanefilere göre, hayvanlarda selem olmaz. Çünkü hayvanların vasfını tâyin etmek güçtür.

yoğrulmuş ve birbirine karıştırılmış şeylerde bileşiklerde ve cüzleri muhtelif olan maddelerde selem câiz değildir. Bunlar, sunî kumaş, imal edilmiş ok, ecza ve sanatları muhtelif olan çorap, mest, nalin, ayakkabı ve hayvan derileri gibi şeylerdir. Ekmekte selem câizdir. Suyunun, tuzunun ve pişmesinin azlığı çokluğu mühim değildir.

4 - İhtilâfa düşmemek ve aldanmamak için, bütün bu vasıfları zamanında son haddine kadar açıklamaktır. Çünkü bu vasıfları tamamen açıklamakla âdetâ mal, görülmüş gibi olur.

5 - Tecilli ise ödeyeceği zamanın tâyinidir. Bunu, harman, üzüm, hurma ve elma zamanında, demek sûretiyle değil, ay ve gün göstermekle tâyin etmek lâzımdır. Çünkü bu mahsûllerin yetişme zamanı değişebilir.

6 - Teslim edilecek maddenin, zamanında teslimi mümkün olmak ve ekseriyetle vâde sonunda o muhitte, o mahsûlün elde edilmiş olmasıdır. Meselâ, üzüm satarak ödenecek parayı, üzümün henüz yetişmediği bir mevsime tâlik etmek doğru olmaz. Diğer meyvelerde de hüküm böyledir. Buğday alacak olan, ona güz aylarına kadar vâde vermelidir. Alacağı madde, ekseriyetle o muhitte yetişir ve müddet tamam olduğu halde her hangi bir âfet sebebiyle borcunu ödeyemezse; alacaklı dilerse mühlet verir, dilerse verdiği parasına müracaat eder.

7 - İleride münâzaaya düşmemek için, teslim edeceği yeri tâyin etmelidir.

8 - Muâyyen bir şeye tâlik etmemektir. Meselâ, şu bahçenin hurmasından, şu ağacın meyvesinden veyâ şu tarlanın buğdayından alırım, deyip tâyin doğru olmaz. Çünkü tâyin, bunu borç olmaktan çıkarır. Yarın o bahçe veyâ tarlaya bir âfet gelirse, iş

tehlikeye girer ve aynı zamanda bu tahakküm gibi bir vaziyet alır ve borçluya eziyet olur. Ancak kasaba veyâ büyük bir köy olursa, ben şu kasabanın veyâ şu köyün mahsûlünden alırım, diyebilir.

9 - Ender bulunan kıymetli şeylerde selem yapmamaktır. Meselâ, çok ender bulunan şu evsâfta bir inciyi veyâhut da kolaylıkla bulunmayan şeyleri isterim, demek, doğru değildir.

10 - Yemek karşılığında yemek, para karşılığında para selemi yapmamak. Bunları ribâ bahsinde anlattık.

Dördüncü Akit

İCÂR MUÂMELESİ

Bunun iki rüknü vardır. Onlar da ücret ve menfaattir. Taraflara ve yapılacak muâhedeye gelince, alış-verişte anlattıklarımız, burada da muteberdir. Ücret, alış-verişteki para gibidir. Şâyet ayn (peşin) olursa alış-verişte anlattığımız gibi, tamamen taraflar için tâyin edilmiş ve bilinmiş olması lâzımdır. Deyn (veresiye) olursa sıfat miktarı mâlûm olmalıdır.

Birinci rükün; icârede insanlar arasında âdet hâlini alan bâzı hususlardan kaçınmaktır. Bunlar:

-Evden alacağı kirayı tâmirine bırakmak. Yâni tamiri mukabilinde evde oturmak; bu bâtıldır. Çünkü tamire ne kadar para gideceği belli değildir. Hattâ parayı tâyin edip, bu parayı tâmirine vermeyi şart koşmak da câiz değildir. Çünkü bu defa, bu parayı tâmirine verip vermediği bilinemez:

-Deri yüzücüsünü, deriyi yüzdükten sonra, derilerini satın almak üzere şimdiden kiralamak; çünkü derilerin vasıfları aynı değildir, onu şimdiden tâyin mümkün olmaz.

Ölü hayvanların derileri karşılığında onları hârice taşımak için kiracı tutmak. Kepek veyâ un karşılığında değirmenci kiralamak. Bütün bunlar işçinin çalışmasından hâsıl olan neticelerdir. Bunlar ile işçiler kiralanmaz. Ücreti, önceden belli olan şeyden tâyin edilmelidir.

-Ev, dükkân, han, hamam gibi binâların kiraya verileceği müddeti vs aylık kirasını tâyin etmek lâzımdır. Şâyet “Aylığı bir altın.” dese ve fakat ne kadar müddet kalacağını tâyin etmezse, müddet belli olmadığı için, bağlantı olmaz.[32]

İkinci rükün; icâreden maksut olan menfaattir. Yâni para vereceğin adama bir iş yaptırmak ve ondan bir kâr sağlamaktır. O da çalışmaktır. Tabiî çalışacak olan, bu işte yorulacaktır. Böyle yorucu ve meşrû bir iş olup başkasının da kendisine vekâlet edebilmesi mümkün ise bu gibi işlerde ücret vermek câizdir. Bu bâb ile alâkalı bütün meseleler, bu esasta toplanır. Burada uzun boylu teferruâta girmeyeceğiz. Çünkü fıkıh kitaplarımızda buna dâir yeteri kadar tafsilât vardır. Burada ancak bâzı mühim ve günlük hayatta ihtiyaç duyulan hususlardan bahsedeceğiz. İşçi tutmakta lüzûmlu olan beş cihet vardır; bunlara riâyet lâzımdır.

1 - Yapılan iş bir değer taşımalı. Yâni işçi bu işte biraz yorulmalıdır. Dükkânı süslemek için vitrinlere koymak üzere icârla yiyecek maddeleri almak, elbise asmak için ağaç kiralamak, dükkânı süslemek için paraları kiralamak câiz değildir. Zîra bu işlerin hiç bir değeri yoktur. Âdetâ bir susam veyâ buğday dânesi satmaya benzer ki, caiz değildir. Yine bunun gibi, başkasının aynasına bakmaya, kuyusundan içmeye, gölgesinde oturmaya ve

---

[32] Hanefilere göre, bu muahede bir ay için sahihtir. İkinci ay taraflar bir arada iken muahede bozulur.

ateşinden, ışığını yakmaya benzer ki, bunların hiçbiri para karşılığı olmaz. Bunun için, malını sattırmak maksadı ile tuttuğu dellala para veremez. Çünkü nihâyet konuştuğu bir iki sözdür. Bu gibi dellalların, malı tervîc için söyledikleri sözler karşılığında aldıkları para haramdır. Çünkü konuşmalarında bir yorulma yoktur. Eğer bu dellallar, ara bulmakta fazla koşuyor, konuşuyorsa, o zaman aldıkları para helâldir. Fakat ancak emekleri nispetinde para alabilirler, fazla alamazlar. Yoksa tarafların muvâfık kalacakları şeylerden keyfî olarak para almaları helâl olmaz.

2 - Aranan menfaat, icar edilen şeyin kendisi olmamaktır. Meselâ, üzüm için bağı, yünü için koyunu, sütü için ineği, meyvesi için bostanı kiralamak caiz değildir. Çünkü bunlar, henüz belli olmayan bir maddeyi kiraya vermektir ki, caiz değildir. Süt anne kiralamak câizdir; zira sütünü kendisinden ayırmak mümkün değildir. Kâtibin mürekkebinde ve terzinin ipliğinde de hüküm böyledir. Bunlarda da müsâmaha vardır.

3 - İşçi, ücretle verilen işi şer'an veyâ hissen yapabilecek kudrette olmak. Meselâ, gücünün yetmeyeceği işte bir adamı kiralamak; dilsizi hoca tutmak câiz değildir. Şerîatın yapılmasını haram kıldığı ve tesliminden men ettiği şeylerden de olmamaktır. Sağlam dişi çıkarmak veyâ şerîatın müsâadesi olmadan sağlam bir uzvu kesmek, hayız gören kadını câmi temizliğinde vazifelendirmek, sihir ve kötü şeyleri öğretmek için adam tutmak, kocasının müsadesi olmadan karısını süt anne olarak îcar etmek, hayvan sûretleri yapmak ve kaplara altın gümüş yaldız yapmak için adam tutmak gibi. Bütün bunlar bâtıldır.

4- Verilen iş, aslında işçinin borcu veyâhut başkasına vekâlet etmek mümkün olmayan işlerden olmamaktır. Cihâd için ve niyâbet kabul etmeyen diğer ibâdetler için ücret almak câiz değildir. Çünkü cihâd, kendisine farzdır. Kendisinin yaptığı bedenî ibâdetler de cihâd gibi, başkasının nâmına yapılmaz. Hac, ölü yıkamak, mezar kazmak, ölü defnetmek, cenâze taşımak gibi işlerde niyâbet câiz ve ücret de helâldir.[33] Terâvih namazını kıldırmak, ezân okumak, Kur'ân ve ders okutmak için ücret almakta ihtilâf vardır. Fakat muayyen bir meseleyi veyâ muayyen bir sûreyi, muayyen bir şahsa okutmak için ücret almak caizdir.

5 - Yapılan bu işin karşılığında temîn edilecek iş ve menfaat belli olmalıdır. Terzinin işi, dikeceği elbise miktarı ile okutanın işi okutacağı sûre ile kira işi taşıyacağı yük ve mesâfe ile bilinir. Âdet bakımından ihtilâf mevzûu olan her şeyi açıkça konuşmak ve ihmâl etmemek lâzımdır. Bunların hepsini anlatmak sözü çok uzatır. Âşikâr olan kısımlarını bilmesi ve şüpheli yerleri anlayıp sorması için, bu kadarını anlatmış olduk. Çünkü bütün teferruatı bilmek, avâmın değil, müftünün vazifesidir.

Beşinci Akit
KIRÂD

Kırâd; sermaye birinden, iş diğerinden olmak üzere ortak ticaret yapmaktır. Bu hususta riâyet edilmesi gereken üç rükün vardır.

Birinci rükün; re'sü'l-mâl (sermâye) dir. Bunun şartı, işçiye teslim edilmiş muayyen para olmalı, pul ve eşya olmamalıdır. Çünkü bunlarda ticaret zor olur. Miktarı mâlum olmayan bir kese dolusu para demekle de olmaz. Re'sü'l-mâl (sermâye) bilinmediği takdirde, kârı da bilinmez. "Para bende kalacak, mal alınacağı zaman vereceğim." diye şart koşmak câiz değildir. Çünkü bu hâl, ticaret yolunu güçleştirir.

---

[33] Hanefilerde hac için ücret değil, masraf alınır.

İkinci rükün; kârdır. Bunun da muayyen olması şarttır. Meselâ, yapılan ticaretin yarısı, üçte biri, daha az veyâ çoğu gibi, belli olmalıdır. Şâyet "Kazandığımız paranın yüz dirhemi senin, geri kalanı benim veyâ bu kadarı benim, diğeri senin." dese, bu olmaz. Çünkü belki yüz dirhem kâr yapılamayacaktır. Bunun için muayyen bir miktar tâyin edilemez. Ancak yarısı, üçte biri veyâ dörtte biri diye tesbît edilir.

Üçüncü rükün; ortakçının yapacağı iştedir. Sermâyedâr onu daraltmayacak, vakitlerle tahdîd edip sıkıştırmayacaktır. Döllerinden faydalanmak için merada yayılan hayvanları almayı veyâ buğday alıp onu ekmek yapıp satarak kârından faydalanmayı şart koşarsa, bu sahih olmaz. Zîra ortaklaştığı kimse ancak ticaret ve ticaretle alâkalı ölçmek, tartmak ve nakletmek gibi ticâri işlere mezundur. Mal gütmek ve ekmek pişirmek ise ayrı birer sanattır. Yalnız falan adamdan mal alacaksın ve yalnız şu malı alıp satacaksın ve benzeri ticaret yollarını daraltacak şekilde şartlar koşarsa, muâhede fâsid olur.[34]

Aralarında muâhede katiyet kesbettikten sonra işçi, vekil olmuş olur ve bir vekil gibi, bu malda tasarruf eder. Sonra mal sahibi istediği zaman, muahedeyi bozabilir. Muâhede bozulduğu zaman, mal paraya çevirilmiş hâlde ise mesele yok. Re'sü'l-mâl da kâr da hepsi meydanda olur. Sermâyeyi aldıktan sonra kârını kolaylıkla bölüşürler. Şâyet para değil de mal ise ve ortada kâr yoksa; mal, sahibine intikal eder ve yine mesele kalmaz. Artık ortağına, "Bunu paraya çevir." diyecek hakkı yoktur.

Çünkü muâhede bozulmuştur. Şâyet işçi, "Satayım, paraya çevireyim." der, mal sahibi kabul etmezse, söz mal sahibinindiır.

---

[34] Hanefilere göre şahıs tâyininde muâhede fâsid olmaz.

Ancak işçi, kâr verecek hazır bir müşteri bulmuşsa, o zaman söz işçinin olur. Çünkü malda artış vardır. Malda kâr varsa, o vakit işçi sermâyeyi sermâye cinsinden olan başka bir mal ile satar. Bu sûretle kâr meydana çıkar ve bölüşürler. İşçi sermâyeyi satıp paraya çevirdiği zaman, geride kalan kısmı ortaktır, onu satamaz. Sene başında zekât miktarını tesbît için mallarının hesâbını yapar ve değerlendirirler. Kâr varsa, herkes kârdan zekât borcunu öder ve işçi çıkan kâra sâhip olur.

Mal sahibinin müsadesi olmadan, işçi bu parayı yanına alıp bir yere gidemez.[35] Şâyet giderse, alış-verişi sahih, fakat masrafları kendisine âit olur. Ancak mal sahibinin müsâadesi ile giderse, o zaman nakil ve muhâfaza masrafları sermâye sahibinedir. Nitekim hafif olmayıp ağır olan ölçü nakil ve tartılar da mal sahibine aittir. Sergiyi açıp toplamak ve benzerî hafif işler, işçiye aittir.

Şehirde dururken, işçinin yâni tezgâhtarın iâşesi (yemesi) ve meskeni kendisine âittir. Dükkân kirasını vermez. Bu iş için hârice çıkarsa, bütün masrafları sermâye sahibinedir. Dönüşünde, yolculuk için beraberinde götürdüğü matara vesâireyi, mal sahibine iâde eder.

Altıncı Akit
ŞİRKET (ORTAKLIK)

Şirket akdi dört nevidir. Bunlardan üçü bâtıldır.

1 - **Şirket-i Mûfâvaza:** Bu, ortakların mevcut mallarını, alacak verecek, borç-harç, mîras, leh ve aleyhlerinde olan her şeylerini ortaya koyarak, kurdukları ortaklıktır ki, bâtıldır.[36]

---

[35] İmâm-ı Âzam'a göre emniyetli zamanda gidebilir.

[36] Hanefilere göre bu ortaklık âkil, bâlig ve hür olan iki kişi arasında sahihtir.

2 - **Şirket-i Ebdân**: Bu, hamallık, tellâllık ve benzeri çalışmalardan elde edecekleri kazanca ortak olmayı şart koşarak kurulan şirkettir. Bu da bâtıldır.[37]

3 - **Şirket-i Vücûh:** Bu, para hatırlı ve itibârlı olan kimseden, çalışma da diğerinden olmak üzere kurulan şirkettir. Bu da yukarıdaki iki ortaklık gibi bâtıldır.[38]

4 - **Şirket-i İnan:** Bu, ortakların, mevcut sermâyelerini birleştirerek ve her biri diğerine tasarruf selâhiyeti vererek, sonra da kâr ve zararı sermâyeleri nisbetinde bölüşmek sûretiyle kurdukları şirkettir. Sahih olan, ancak bu nevi ortaklıktır. Bu hükmü, bâzı şartlarla değiştirmek câiz değildir. Sonra biri diğerini azlederse, herkesin mülkü ayrılmış olur.

Sahih olan kırâd ve müdaraba yolu ile olan ortaklıkta mal müşterekliği câiz değil. Fakat şirkette, satın alınan malda ortaklık câizdir, nakit şart değildir.

Ticaretle uğraşan herkesin, fıkıhtan bu kadarını bilmesi lâzımdır. Aksi takdirde farkında olmayarak harama düşebilir.

Kasap, ekmekçi ve bakkaliye işlerinden kimse müstağnî olamaz. Bunlarda karışıklık üç yönden olur: Satış şartlarını veyâ selem şartlarını ihmâl etmekten, veyâ yalnız muâtât yolu ile satış yapmaktan. Çünkü âdet olarak günlük ihtiyaçlar yazılır, aybaşında hesaplanır, sonra anlaşmak sûretiyle değerlendirilir. Zarûret dolayısıyla kadı ve müftüler, bunu mübâh görmektedir. Malı müşteriye teslim etmeleri -karşılığını beklemekle beraber- onu harcamasının mübâh olduğuna hamlediliyor ve bu sûretle yenmesi helâl görülüyor. Fakat yemesiyle tazmîn etmesi ve telef etmesiyle de kıymetini ödemesi vâcibtir. Bu borçlar, zimmetinde toplanıyor. Aralarında muayyen bir miktar üzerinde anlaşma olduğu zaman, karşılıklı haklarından tamamen vazgeçmeli ve helalleşmelidirler ki, zimmetlerinde âhirette ödenecek bir borç kalmasın. Ara yerde her ne kadar bâzı farklar olursa da, bu sûretle ibrâ-i zimmet etmiş olurlar. İşte, mütedeyyin kimselerin bu hususlarda, hiç olmazsa bu kadarını bilmeleri vâciptir. Çünkü bu gibi günlük ihtiyaçlarda tarttırmak, sözle muâhede yapmak, her birinin ayrı ayrı fiyatı üzerinde durmak cidden çok zordur. Her çeşidinden bir araya toplanıp çoğaldıkları zaman onları değerlendirmek kolaylaşır.

---

[37] İmâm-ı Âzam'a göre, ister ayrı ister bir arada olsun, bu ortaklık sahihtir.
[38] İmâm-ı Âzam'a göre, bu ortaklık sahihtir.

Tevfik, yalnız Allah'tandır.

البَابُ الثَّالِثُ

في بيان العدل واجتناب الظلم في المعاملة

اعلمْ : أنَّ المعاملةَ قدْ تجري علىٰ وجهٍ يحكمُ المفتي بصحَّتِها وانعقادِها ، ولكنَّها تشتملُ علىٰ ظلْمٍ يتعرَّضُ بهِ المعاملُ لسخطِ اللهِ تعالىٰ ؛ إذْ ليسَ كلُّ نهيٍ مقتضياً فسادَ العقدِ ، وهـٰذا الظلْمُ نعني به ما يستضرُّ بهِ الغيرُ ، وهوَ منقسمٌ إلىٰ ما يعمُّ ضررُهُ ، وإلىٰ ما يخصُّ المعاملَ .

القسم الأول : فيما يعمّ ضرره

وهو أنواع

النوعُ الأوَّلُ : الاحتكارُ :

فبائعُ الطعامِ يدَّخرُ الطعامَ ينتظرُ بهِ غلاءَ الأسعارِ ، وهوَ ظلمٌ عامٌّ ، وصاحبُهُ مذمومٌ في الشرعِ ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنِ احتكرَ الطعامَ أربعينَ يوماً ثمَّ تصدَّقَ بهِ .. لمْ تكنْ صدقتُهُ كفارةً لاحتكارِهِ »(١) .

---

(١) رواه ابن عدي في « الكامل » (٣/ ١٠٩) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٨/ ٣٧٨)، وقد رواه موقوفاً علىٰ عمر رضي الله عنه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٠٧٦٤) .

وروى ابنُ عمرَ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مَنِ احتكرَ الطعامَ أربعينَ يوماً . . فقدْ برِئَ منَ اللهِ وبرِئَ اللهُ منهُ »(١) ، وقيلَ : « فكأنَّما قتلَ نفساً »(٢) .

وعنْ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : (مَنِ احتكرَ الطعامَ أربعينَ يوماً . . قسا قلبُهُ)(٣) .

وعنهُ أيضاً : (أنَّهُ أحرقَ طعامَ محتكرٍ بالنارِ)(٤) .

ورُوِيَ في فضْلِ تركِ الاحتكارِ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ جلبَ طعاماً فباعَهُ بسعرِ يومِهِ . . فكأنَّما تصدَّقَ بهِ » ، وفي لفظٍ آخرَ : « فكأنَّما أعتقَ رقبةً »(٥) .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٣٣) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/ ١٢) .

(٢) كذا في « القوت » (٢/ ٢٦٦) ، وقد روىٰ مسلم (١٦٠٥) في ذم الاحتكار مرفوعاً : « من احتكر . . فهو خاطئ » .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢٦٦) .

(٤) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٠٧٦٥ ، ٢٠٧٦٦) ، وإنما فعل ذلك لينزجر بذلك غيره .

(٥) كذا في « القوت » (٢/ ٢٦٦) ، وقد روىٰ نحوه الحاكم في « المستدرك » (٢/ ١٢) عن اليسع بن المغيرة قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل بالسوق يبيع طعاماً بسعر هو أرخص من سعر السوق ، فقال : « تبيع في سوقنا بسعر هو أرخص من سعرنا ؟ » قال : نعم ، قال : « صبراً واحتساباً ؟ » قال : نعم ، قال : « أبشِرْ ؛ فإن الجالب إلىٰ سوقنا كالمجاهد في سبيل الله ، والمحتكر في سوقنا كالملحد في كتاب الله » .

وقيلَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ : إنَّ الاحتكارَ مِنَ الظلمِ وداخلٌ تحتَهُ في الوعيدِ(١) .

وعنْ بعضِ السلفِ أنَّهُ كانَ بواسطٍ ، فجهَّزَ سفينةَ حنطةٍ إلى البصرةِ ، وكتبَ إلىٰ وكيلِهِ : بعْ هـٰذا الطعامَ يومَ يدخلُ البصرةَ ولا تؤخِّرْهُ إلىٰ غدٍ ، فوافقَ سعةً في السعرِ ، فقالَ لهُ التجّارُ : إنْ أخَّرتَهُ جمعةً .. ربحتَ فيهِ أضعافَهُ ، فأخَّرَهُ جمعةً ، فربحَ فيهِ أمثالَهُ ، وكتبَ إلىٰ صاحبِهِ بذلكَ ، فكتبَ إليهِ صاحبُ الطعامِ : يا هـٰذا ؛ إنَّا كنَّا قنعْنا بربحٍ يسيرٍ معَ سلامةِ دينِنا ، وإنَّكَ قدْ خالفتَ ، وما نحبُّ أنْ نربحَ أضعافَهُ بذهابِ شيءٍ مِنَ الدينِ ، فقدْ جنيتَ علينا جنايةً ، فإذا أتاكَ كتابي هـٰذا .. فخذِ المالَ كلَّهُ فتصدَّقْ بهِ علىٰ فقراءِ البصرةِ ، وليتني أنجو مِنْ إثمِ الاحتكارِ كفافاً ، لا عليَّ ولا لي(٢) .

واعلمْ : أنَّ النهيَ مطلقٌ ، ويتعلَّقُ النظرُ بهِ في الوقتِ والجنسِ .

أمَّا الجنسُ : فيطردُ النهيُ في أجناسِ الأقواتِ ، أمَّا ما ليسَ بقوتٍ ولا هوَ معينٌ على القوتِ ؛ كالأدويةِ والعقاقيرِ والزعفرانِ وأمثالِهِ .. فلا يتعدَّى النهيُ إليهِ وإنْ كانَ مطعوماً ، وأمَّا ما يعينُ على القوتِ ؛ كاللحمِ والفواكهِ وما يسدُّ مسداً يغني عنِ القوتِ في بعضِ الأحوالِ وإنْ كانَ لا يمكنُ

---

(١) قوت القلوب (٢/٢٦٦) ، وقد رواه الطبري في « تفسيره » (١٠/١٧/١٧٩) عن حبيب بن أبي ثابت .

(٢) كذا في « القوت » (٢/٢٦٦) ، وقد رواه ابن أبي الدنيا في « الورع » (١٦٦) .

المداومةُ عليهِ . . فهٰذا في محلِّ النظرِ ، فمِنَ العلماءِ مَنْ طردَ التحريمَ في السمْنِ والعسلِ والشَّيْرَجِ والجبنِ والزيتِ وما يجري مَجراهُ .

وأمَّا الوقتُ : فيُحتملُ أيضاً طردُ النهيِ في جميعِ الأوقاتِ ، وعليهِ تدلُّ الحكايةُ التي ذكرناها في الطعامِ الذي صادفَ بالبصرةِ سعةً في السعرِ ، ويحتملُ أنْ يُخصَّصَ بوقتِ قلَّةِ الأطعمةِ وحاجةِ الناسِ إليهِ ، حتَّىٰ يكونَ في تأخيرِ بيعِهِ ضررٌ ما ، فأمَّا إذا اتسعتِ الأطعمةُ وكثرَتْ ، واستغنى الناسُ عنها ، ولم يرغبوا فيها إلا بقيمةٍ قليلةٍ ، فانتظرَ صاحبُ الطعامِ ذلكَ ، ولمْ ينتظرْ قحْطاً . . فليسَ في هٰذا إضرارٌ .

وإذا كانَ الزمانُ زمانَ قحْطٍ . . كانَ في ادخارِ العسلِ والسمنِ والشَّيْرَجِ وأمثالِها إضرارٌ ، فينبغي أنْ يُقضىٰ بتحريمِهِ ، ويعوَّلُ في نفيِ التحريمِ وإثباتِهِ على الضرارِ ؛ فإنَّهُ مفهومٌ قطعاً مِنْ تخصيصِ الطعامِ .

وإذا لَمْ يكنْ ضرارٌ . . فلا يخلو احتكارُ الأقواتِ عنْ كراهيةٍ ؛ لأنَّهُ ينتظرُ مبادئَ الضرارِ ، وهوَ ارتفاعُ الأسعارِ ، وانتظارُ مبادئِ الضرارِ محذورٌ ؛ كانتظارِ عينِ الضرارِ ، ولكنَّهُ دونَهُ ، وانتظارُ عينِ الضرارِ أيضاً هوَ دونَ الإضرارِ ، فبقدْرِ درجاتِ الإضرارِ تتفاوتُ درجاتُ الكراهيةِ والتحريمِ .

وبالجملةِ : التجارةُ في الأقواتِ ممَّا لا يُستحبُ ؛ لأنَّهُ طلبُ ربحٍ ، والأقواتُ أصولٌ خلقَتْ قِواماً ، والربحُ مِنَ المزايا ، فينبغي أنْ يُطلبَ الربحُ فيما خُلِقَ مِنْ جملةِ المزايا التي لا ضرورةَ للخلقِ إليها ، ولذلكَ أوصىٰ

بعضُ التابعين رجلاً وقالَ : لا تسلمْ ولدَكَ في بيعتينِ ، ولا في صنعتينِ : بيعُ الطعامِ وبيعُ الأكفانِ ؛ فإنَّهُ يتمنى الغلاءَ وموتَ الناسِ ، والصنعتانِ : أنْ يكونَ جزَّاراً ، فإنَّها صنعةٌ تقسي القلبَ ، أوْ صوَّاغاً ؛ فإنَّهُ يزخرفُ الدنيا بالذهبِ والفضةِ[1] .

* * *

النوعُ الثاني : ترويجُ الزيفِ مِنَ الدراهمِ في أثناءِ النقدِ[2] :

فهوَ ظلمٌ ؛ إذْ يستضرُّ بهِ المعاملُ إنْ لمْ يعرفْ ، وإنْ عرفَ . . فسيروِّجُهُ علىٰ غيرِهِ ، وكذلكَ الثالثُ والرابعُ ، ولا يزالُ يتردَّدُ في الأيدي ، ويعمُّ الضررُ ، ويشيعُ الفسادُ ، ويكونُ وزْرُ الكلِّ ووبالُهُ راجعاً إليهِ ؛ فإنَّهُ هوَ الذي فتحَ ذلكَ البابَ ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ سنَّ سنَّةً سيئةً فعمِلَ بها مَنْ بعدَهُ . . كانَ عليهِ وزرُها ومثلُ وزرِ مَنْ عملَ بها ، لا ينقصُ مِنْ أوزارِهِمْ شيئاً »[3] .

وقالَ بعضُهُمْ : (إنفاقُ درهمٍ زيفٍ أشدُّ مِنْ سرقةِ مئةِ درهمٍ ؛ لأنَّ السرقةَ معصيةٌ واحدةٌ وقدْ تمَّتْ وانقطعَتْ ، وإنفاقُ الزيفِ بدعةٌ أظهرَها في الدينِ ، وسنةٌ سيئةٌ يعملُ بها مَنْ بَعدَهُ ، فيكونُ عليهِ وزرُها بعدَ موتِهِ إلىٰ مئةِ سنةٍ ، أو مئتي سنةٍ إلىٰ أنْ يفنىٰ ذلكَ الدرهمُ ، ويكونُ عليهِ ما فسدَ ونقصَ

---

[1] قوت القلوب (٢/ ٢٦٦) .

[2] ما يسمى اليوم بالعملة المزورة ، والنقد المغشوش .

[3] رواه مسلم (١٠١٧) .

مِنْ أموالِ الناسِ بسببِهِ ، فطوبىٰ لِمَنْ إذا ماتَ . . ماتَتْ معهُ ذنوبُهُ ، والويلُ الطويلُ لِمَنْ يموتُ وتبقىٰ ذنوبُهُ مئةَ سنةٍ ومئتي سنةٍ أوْ أكثرَ يعذَّبُ بها في قبرِهِ ، ويُسألُ عنها إلىٰ آخرِ انقراضِها)(١) ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ أي : نكتبُ أيضاً ما أخَّروهُ مِنْ آثارِ أعمالِهِمْ كما نكتبُ ما قدَّموه ، وفي مثلِهِ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ ، وإنَّما أخَّرَ آثارَ أعمالِهِ مِنْ سنَّةٍ سيئةٍ عملَ بها غيرُهُ .

* * *

وليُعلمْ أنَّ في الزيفِ خمسةَ أمورٍ :

الأوَّلُ : أنَّهُ إذا رُدَّ عليهِ شيءٌ منهُ . . فينبغي أنْ يطرحَهُ في بئرٍ ، بحيثُ لا تمتدُّ إليه اليدُ ، وإيَّاهُ أنْ يروِّجَهُ في بيعٍ آخرَ ، وإنْ أفسدَهُ بحيثُ لا يمكنُ التعاملُ بهِ . . جازَ(٢) .

الثاني : أنَّهُ يجبُ على التاجرِ تعلُّمُ النقدِ ، لا ليستقصيَ لنفسِهِ ، ولكنْ لئلاَّ يسلِّمَ إلىٰ مسلمٍ زيفاً وهوَ لا يدري ، فيكونَ آثماً بتقصيرِهِ في تعلمِ ذلكَ العلمِ ، فلكلِّ عملٍ علمٌ بهِ يتمُّ نصحُ المسلمينَ فيجبُ تحصيلُهُ ، ولمثلِ هـٰذا كانَ السلفُ يتعلَّمونَ علاماتِ النقدِ ؛ نظراً لدينِهِمْ لا لدنياهُمْ .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٦٩) .

(٢) كحرق العملات المزورة اليوم أو إتلافها بأي وجه كان ، قال الحافظ الزبيدي : (فينبغي أن يقبله ـ أي : عند ردّه عليه ـ علىٰ بصيرة وعن سماحة ، ويحتسب بذلك الثواب من الله تعالىٰ) . « إتحاف » (٥/ ٤٨١) .

الثالثُ : أنَّهُ إنْ سلَّمَ وعرفَ المعاملُ أنَّهُ زيفٌ . . لمْ يخرجْ عنِ الإثمِ ؛ لأنَّهُ ليسَ يأخذُهُ إلاَّ ليروِّجَهُ علىٰ غيرِهِ ولا يخبرَهُ ، ولوْ لمْ يعزمْ علىٰ ذلكَ . . لكانَ لا يرغبُ في أخذِهِ أصلاً ، فإنَّما يتخلَّصُ مِنْ إثمِ الضررِ الذي يخصُّ معاملَهُ فقطْ .

الرابعُ : أنَّهُ إنْ أخذَ الزيفَ ليعملَ بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رحمَ اللهُ امرأً سهلَ البيعِ ، سهلَ الشراءِ ، سهلَ القضاءِ ، سهلَ الاقتضاءِ »[1] . . فهوَ داخلٌ في بركةِ هٰذا الدعاءِ إنْ عزمَ علىٰ طرحِهِ في بئرٍ ، وإنْ كانَ عازماً علىٰ أنْ يروِّجَهُ في معاملةٍ . . فهٰذا شرٌّ روَّجَهُ الشيطانُ عليهِ في معرضِ الخيرِ ، فلا يدخلُ تحتَ مَنْ تساهلَ في الاقتضاءِ .

الخامسُ : أنَّ الزيفَ نعني بهِ ما لا نقرةَ فيهِ أصلاً ، بلْ هوَ مموَّهٌ ، أوْ ما لا ذهبَ فيهِ ؛ أعني في الدنانيرِ ، أمَّا ما فيهِ نُقرةٌ . . فإنْ كانَ مخلوطاً بالنحاسِ وهوَ نقدُ البلدِ . . فقدِ اختلفَ العلماءُ في المعاملةِ عليهِ ، وقدْ رأينا الرخصةَ فيهِ إذا كانَ ذلكَ نقدَ البلدِ ، سواءٌ علمَ مقدارَ النُّقرةِ أوْ لمْ يعلمْ ، وإنْ لمْ يكنْ هوَ نقدَ البلدِ . . لمْ يجزْ إلا إذا علمَ قدْرَ النُّقرةِ ، فإنْ كانَ في مالِهِ قطعةٌ نُقرتُها ناقصةٌ عنْ نقدِ البلدِ . . فعليهِ أنْ يخبرَ بهِ معاملَهُ ، وألاَّ يعاملَ بهِ إلا مَنْ لا يستحلُّ الترويجَ في جملةِ النقدِ بطريقِ التلبيسِ ، فأمَّا مَنْ يستحلُّ

---

[1] رواه البخاري (٢٠٧٦) بلفظ : « سمحاً إذا باع . . . » ، وهو عند الترمذي (١٣٢٠) بلفظ : « غفر الله لرجل كان قبلكم كان سهلاً إذا باع ، سهلاً إذا اشترىٰ ، سهلاً إذا اقتضىٰ » .

ذلكَ . . فتسليمُهُ إليهِ تسليطٌ لهُ على الفسادِ ، فهوَ كبيعِ العنبِ ممَّنْ يعلمُ أنَّهُ يتخذُ منهُ الخمرَ ، وذلكَ محظورٌ ، وإعانةٌ على الشرِّ ومشاركةٌ فيهِ .

وسلوكُ طريقِ الحقِّ بأمثالِ هـٰذا في التجارةِ أشدُّ مِنَ المواظبةِ علىٰ نوافلِ العباداتِ والتخلِّي لها ، ولذلكَ قالَ بعضُهُم : (التاجرُ الصدوقُ أفضلُ عندَ اللهِ مِنَ المتعبِّدِ)(١) .

وقدْ كانَ السلفُ يحتاطونَ في مثلِ ذلكَ ، حتىٰ رُوِيَ عنْ بعضِ الغزاةِ في سبيلِ اللهِ أنَّهُ قالَ : حملتُ علىٰ فرسي لأقتلَ عِلجاً فقصَّرَ بي فرسي ، فرجعتُ ، ثمَّ دنا مني العلجُ ، فحملتُ ثانيةً ، فقصَّر فرسي فرجعتُ ، ثمَّ حملتُ الثالثةَ ، فنفرَ منِّي فرسي ، وكنتُ لا أعتادُ ذلكَ منهُ ، فرجعتُ حزيناً ، وجلستُ منكَّسَ الرَّأسِ منكسرَ القلبِ ؛ لما فاتَني مِنَ العلجِ ، وما ظهرَ لي مِنْ خُلُقِ الفرسِ ، فوضعتُ رأسي علىٰ عمودِ الفسطاطِ وفرسي قائمٌ ونمتُ ، فرأيتُ في النومِ كأنَّ الفرسَ يخاطبُني ويقولُ لي : باللهِ عليكَ ؛ أردتَ أنْ تأخذَ عليَّ العلجَ ثلاثَ مرَّاتٍ وأنتَ بالأمسِ اشتريتَ لي علفاً ودفعتَ في ثمنِهِ درهماً زائفاً ؟! لا يكونُ هـٰذا أبداً ، قالَ : فانتبهتُ فزعاً ، فذهبتُ إلى العلاَّفِ وأبدلتُ ذلكَ الدرهمَ(٢) .

فهـٰذا مثالُ ما يعمُّ ضررُهُ ، وليُقَسْ عليهِ أمثالُهُ .

* * *

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٦٢) عن إبراهيم النخعي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٦٨) .

القسم الثاني : ما يخص ضرره المعامل

فكلُّ ما يستضرُّ بهِ المعاملُ فهوَ ظلمٌ، وإنَّما العدْلُ ألاَّ يضرَّ بأخيهِ المسلمِ.

والضابطُ الكلِّيُّ فيهِ : ألاَّ يحبَّ لأخيهِ إلا ما يحبُّ لنفسِهِ ، فكلُّ ما لوْ عوملَ بهِ لشَقَّ عليهِ وثقلَ علىٰ قلبِهِ . . فينبغي ألاَّ يعاملَ غيرَهُ بهِ ، بلْ ينبغي أنْ يستويَ عندَهُ درهمُهُ ودرهمُ غيرِهِ ، قالَ بعضُهُمْ : (مَنْ باعَ أخاه شيئاً بدرهمٍ وليسَ يصلحُ لهُ لوِ اشتراهُ لنفسِهِ إلا بخمسةِ دوانيقَ(١) . . فإنَّهُ قدْ تركَ النصحَ المأمورَ بهِ في المعاملةِ ، ولمْ يحبَّ لأخيهِ ما يحبُّ لنفسِهِ)(٢) ، هٰذهِ **جملتُهُ** .

فأمَّا تفصيلُهُ ففي أربعةِ أمورٍ : ألاَّ يثنيَ على السلعةِ بما ليسَ فيها ، وألاَّ يكتمَ مِنْ عيوبِها وخفايا صفاتِها شيئاً أصلاً ، وألاَّ يكتمَ في وزنِها ومقدارِها شيئاً ، وألاَّ يكتمَ مِنْ سعرِها ما لوْ عرفَهُ المعاملُ . . لامتنعَ عنهُ .

* * *

أمَّا الأوَّلُ . . فهوَ تركُ الثناءِ :

فإنَّ وصفَهُ للسلعةِ إنْ كانَ بما ليسَ فيها . . فهوَ كذبٌ ، فإنْ قبلَ المشتري ذلكَ . . فهوَ تلبيسٌ وظلْمٌ معَ كونِهِ كذباً ، وإنْ لمْ يقبلْ . . فهوَ كذبٌ وإسقاطُ

---

(١) والدانق سدس الدرهم .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٦٣) .

مروءةٍ ؛ إذِ الكذبُ الذي يروِّجُ قدْ يقدحُ في ظاهرِ المروءةِ[1] ، وإنْ أثنىٰ على السلعةِ بما فيها . . فهوَ هذيانٌ وتكلُّمٌ بكلامٍ لا يعنيهِ ، وهوَ محاسبٌ علىٰ كلِّ كلمةٍ تصدرُ منهُ أنَّهُ لِمَ تكلَّمَ بها ؟ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ، إلا أنْ يثنيَ على السلعةِ بما فيها ، ممَّا لا يعرفُهُ المشتري ما لمْ يذكرهُ ؛ كما يصفُهُ مِنْ خفيِّ أخلاقِ العبيدِ والجواري والدوابِّ ، فلا بأسَ بذكْرِ القدْرِ الموجودِ منهُ مِنْ غيرِ مبالغةٍ وإطنابٍ ، وليكنْ قصدُهُ منهُ أنْ يعرفَهُ أخوهُ المسلمُ فيرغبَ فيهِ وتنقضيَ بسببِهِ حاجتُهُ .

ولا ينبغي أنْ يحلفَ عليهِ ألبتةَ ؛ فإنَّهُ إنْ كانَ كاذباً . . فقدْ جاءَ باليمينِ الغموسِ ، وهيَ مِنَ الكبائرِ التي تذرُ الديارَ بلاقعَ[2] ، وإنْ كانَ صادقاً . . فقدْ جعلَ اللهَ تعالىٰ عرضةً لأيمانِهِ ، وقدْ أساءَ فيهِ ؛ إذِ الدنيا أخسُّ مِنْ أنْ يُقصدَ ترويجُها بذكرِ اسمِ اللهِ عزَّ وجلَّ مِنْ غيرِ ضرورةٍ .

وفي الخبرِ : (ويلٌ للتاجرِ مِنْ بلىٰ واللهِ ، ولا واللهِ ، وويلٌ للصانعِ مِنْ غدٍ وبعدِ غدٍ)[3] .

وفي الخبرِ : « اليمينُ الكاذبةُ منفقةٌ للسلعةِ ، ممحقةٌ للبركةِ »[4] .

---

(١) كذا في (ب ، هـ ، ط) ، وفي غيرها : (قد لا يقدح) .

(٢) كما روىٰ ذلك البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ٣٥) عن مكحول مرسلاً ، **والبلاقع** : التي لا شيء فيها .

(٣) كذا في « القوت » (٢/ ٢٧٢) دون أن يذكر الرفع ، وانظر « ميزان الاعتدال » (١/ ٣١٦) .

(٤) رواه البخاري (٢٠٨٧) ، ومسلم (١٦٠٦) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٥/ ٢٦٥) .

وروىٰ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « ثلاثةٌ لا ينظرُ اللهُ إليهِمْ يومَ القيامةِ : عائلٌ مستكبرٌ[1] ، ومنَّانٌ بعطيتِهِ ، ومنفقُ سلعتِهِ بيمينِهِ »[2] .

فإذا كانَ الثناءُ على السلعةِ معَ الصدقِ مكروهاً مِنْ حيثُ إنَّهُ فضولٌ لا يزيدُ في الرزقِ . . فلا يخفى التغليظُ في أمرِ اليمينِ .

وقدْ رُوِيَ عنْ يونسَ بنِ عبيدٍ وكانَ خزَّازاً أنَّهُ طُلِبَ منهُ خزٌّ للشراءِ ، فأخرجَ غلامُهُ سَفَطَ الخزِّ ونشرَهُ ونظرَ إليهِ وقالَ : اللهمَّ ؛ ارزقْنا الجنَّةَ ، فقالَ لغلامِهِ : ردَّهُ إلىٰ موضعِهِ ، ولمْ يبعْهُ ، وخافَ أنْ يكونَ ذلكَ تعريضاً بالثناءِ على السلعةِ[3] .

فمثلُ هؤلاءِ هُمُ الذينَ اتجروا في الدنيا ، ولمْ يضيِّعوا دينَهُمْ في تجارتِهِمْ ، بلْ علموا أنَّ ربحَ الآخرةِ أولىٰ بالطلبِ مِنْ ربحِ الدنيا .

* * *

---

(١) في غير (ب) : (عتلّ) بدل (عائل) ، وقد نبَّه في « الإتحاف » (٥/ ٤٨٤) على أنها ربما تكون مصحَّفة من (عيِّل) .

(٢) كذا في « القوت » (٢/ ٢٧٢) ، وقد رواه بلفظ المصنف الديلمي في « مسند الفردوس » (٢٥٢٣) ، وروىٰ مسلم (١٠٦) بنحوه مرفوعاً ، وعدَّهم : « المسبل ، والمنَّان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » ، وعنده كذلك (١٠٧) وعدَّهم : « شيخ زانٍ ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر » .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢٦٧) ، وبنحوه رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٨) .

الثاني : أنْ يُظهرَ جميعَ عيوبِ المبيعِ ، خفيَّها وجليَّها ، ولا يكتمَ منها شيئاً :

فذلكَ واجبٌ ، فإنْ أخفاهُ . . كانَ ظالماً غاشّاً ، والغشُّ حرامٌ ، وكانَ تاركاً للنصحِ في المعاملةِ ، والنصحُ واجبٌ .

ومهما أظهرَ أحسنَ وجهي الثوبِ وأخفى الثانيَ . . كانَ غاشّاً ، وكذلكَ إذا عرضَ الثيابَ في المواضعِ المظلمةِ ، وكذلكَ إذا عرضَ أحسنَ فردي الخفِّ والنعلِ وأمثالِهِ .

ويدلُّ علىٰ تحريمِ الغشِّ ما رُوِيَ أنَّهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ مرَّ برجلٍ يبيعُ طعاماً ، فأعجبَهُ ، فأدخلَ يدَهُ فيهِ ، فرأىٰ بللاً ، فقالَ : « ما هـٰذا ؟ » فقالَ : أصابتْهُ السماءُ ، فقالَ : « فهلاَّ جعلتَهُ فوقَ الطعامِ حتَّىٰ يراهُ الناسُ ؟! مَنْ غشَّنا . . فليسَ منَّا »(١) .

ويدلُّ علىٰ وجوبِ النصحِ بإظهارِ العيوبِ ما رُوِيَ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا بايعَ جَريراً على الإسلامِ . . ذهبَ لينصرفَ ، فجذبَ ثوبَهُ ، واشترطَ عليهِ النصحَ لكلِّ مسلمٍ ، فكانَ جريرٌ إذا قامَ إلى السلعةِ يبيعُها بصَّرَ عيوبَها ، ثمَّ خيَّرَ وقالَ : إنْ شئتَ . . فخذْ ، وإنْ شئتَ . . فاتركْ ، فقيلَ لهُ : إنَّكَ إذا فعلتَ مثلَ هـٰذا . . لمْ ينفذْ لكَ بيعٌ ، فقالَ : إنَّا بايعْنا رسولَ اللهِ

---

(١) رواه مسلم (١٠٢) ، وفيه : « من غشَّ . . فليس مني » .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ على النصحِ لكلِّ مسلمٍ[١] .

وكانَ واثلةُ بنُ الأسقعِ واقفاً ، فباعَ رجلٌ ناقةً لهُ بثلاثِ مئةِ درهمٍ ، فغفلَ واثلةُ وقدْ ذهبَ الرجلُ بالناقةِ ، فسعىٰ وراءَهُ وجعلَ يصيحُ بهِ : يا هـٰذا ؛ اشتريتَها للحمِ أوْ للظهْرِ ؟ فقالَ : بلْ للظهرِ ، فقالَ : إنَّ بخفِّها نقْباً قدْ رأيتُهُ ، وإنَّها لا تتابعُ السيرَ ، فعادَ فردَّها ، فنقصَهُ البائعُ مئةَ درهمٍ ، وقالَ لواثلةَ : رحمَكَ اللهُ ، أفسدتَ عليَّ بيعي ! فقالَ : إنَّا بايعنا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ على النصحِ لكلِّ مسلمٍ ، وقالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « لا يحلُّ لأحدٍ يبيعُ بيعاً ألاَّ يبيِّنَ ما فيهِ ، ولا يحلُّ لمَنْ يعلَمُ ذلكَ ألاَّ يبيِّنَهُ »[٢] .

فقدْ فهموا منَ النصحِ ألاَّ يرضىٰ لأخيهِ إلا ما يرضاهُ لنفسِهِ ، ولمْ يعتقدوا أنَّ ذلكَ مِنَ الفضائلِ وزيادةِ المقاماتِ ، بلِ اعتقدوا أنها مِنْ شروطِ الإسلامِ الداخلةِ تحتَ بيعتِهِمْ ، وهـٰذا أمرٌ يشقُّ علىٰ أكثرِ الخلقِ ، فلذلكَ يختارونَ التخلِّيَ للعبادةِ والاعتزالَ عنِ الناسِ ؛ لأنَّ القيامَ بحقوقِ اللهِ تعالىٰ معَ المخالطةِ والمعاملةِ مجاهدةٌ لا يقومُ بها إلا الصدِّيقونَ .

ولنْ يتيسَّرَ ذلكَ على العبدِ إلا بأنْ يعتقدَ أمرينِ :

أحدُهما : أنَّ تلبيسَهُ العيوبَ وترويجَهُ السلعَ لا يزيدُ في رزقِهِ ، بلْ

---

[١] رواه البخاري (٢٧١٤) ، ومسلم (٥٦) .

[٢] روى القصة مع الحديث أحمد في « المسند » (٣/ ٤٩١) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٥/ ٣٢٠) .

يمحقُهُ ويذهبُ ببركتِهِ ، وما يجمعُهُ مِنْ مفرَّقاتِ التلبيساتِ يهلكُهُ اللهُ دفعةً واحدةً ، فقدْ حُكِيَ أنَّ واحداً كانَ لهُ بقرةٌ يحلبُها ويخلطُ الماءَ بلبنِها ويبيعُهُ ، فجاءَ سيلٌ فغرَّقَ البقرةَ ، فقالَ بعضُ أولادِهِ : إنَّ تلكَ المياهَ المتفرقةَ التي صببناها في اللبنِ اجتمعتْ دفعةً واحدةً وأخذتِ البقرةَ .

كيفَ وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « البيِّعانِ إذا صدَقا ونصحا . . بُورِكَ لهما في بيعِهِما ، وإذا كذبا وكتما . . نُزِعَتْ بركةُ بيعِهِما » ؟ !⁽¹⁾ .

وفي الحديثِ : « يدُ اللهِ على الشريكينِ ما لمْ يتخاونا ، فإذا تخاونا . . رفعَ يدَهُ عنهما »⁽²⁾ .

فإذاً ؛ لا يزيدُ مالٌ مِنْ خيانةٍ ؛ كما لا ينقصُ مِنْ صدقةٍ ، ومَنْ لا يعرفُ الزيادةَ والنقصانَ إلا بالميزانِ . . لمْ يصدِّقْ بهـٰذا الحديثِ ، ومَنْ عرفَ أنَّ الدرهمَ الواحدَ قدْ يُبارِكُ فيهِ حتَّىٰ يكونَ سبباً لسعادةِ الإنسانِ في الدين والدنيا ، والآلافُ المؤلفةُ قدْ ينزعُ اللهُ البركةَ منها حتَّىٰ تكونَ سبباً لهلاكِ مالكِها ، بحيثُ يتمنَّى الإفلاسَ منها ، ويراهُ أصلحَ لهُ في بعضِ أحوالِهِ . . فيعرفُ معنىٰ قولِنا : إنَّ الخيانةَ لا تزيدُ في المالِ ، والصدقةَ لا تنقصُ منهُ .

والمعنى الثاني الذي لا بدَّ مِنِ اعتقادِهِ ليتمَّ لهُ النصحُ ويتيسَّرَ عليهِ : أنْ

---

(1) رواه البخاري (٢٠٧٩) ، ومسلم (١٥٣٢) .

(2) كذا في « القوت » (٢/ ٢٧١) ، ورواه الدارقطني في « السنن » (٣/ ٣٥) ، وهو عند أبي داوود (٣٣٨٣) بلفظ : « إن الله يقول : أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه ، فإذا خانه . . خرجت من بينهما » .

يعلمَ أنَّ ربحَ الآخرةِ وغناها خيرٌ مِنْ ربحِ الدنيا ؛ وأنَّ فوائدَ أموالِ الدنيا تنقضي بانقضاءِ العمرِ ، وتبقىٰ مظالمُها وأوزارُها ، فكيفَ يستجيزُ العاقلُ أنْ يستبدلَ الذي هوَ أدنىٰ بالذي هوَ خيرٌ ، والخيرُ كلُّهُ في سلامةِ الدينِ .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تزالُ لا إلـٰهَ إلا اللهُ تدفعُ عنِ الخلْقِ سخطَ اللهِ ما لمْ يُؤثِروا صفقةَ دنياهُمْ علىٰ آخرتِهِمْ » ، وفي لفظٍ آخرَ : « ما لمْ يبالوا ما نقصَ مِنْ دنياهم بسلامةِ دينِهِمْ ، فإذا فعلوا ذلكَ وقالوا : لا إلـٰهَ إلا اللهُ . قالَ اللهُ تعالىٰ : كذبتُمْ ، لستُمْ بها صادقينَ »(١) .

وفي حديثٍ آخرَ : « مَنْ قالَ : لا إلـٰهَ إلا اللهُ مخلصاً . . دخلَ الجنَّةَ » ، قيلَ : وما إخلاصُها ؟ قالَ : « أَنْ تَحرزَهُ عمَّا حرَّمَ اللهُ تعالىٰ »(٢) .

وقالَ أيضاً : « ما آمنَ بالقرآنِ مَنِ استحلَّ محارمَهُ »(٣) .

ومَنْ علمَ أنَّ هـٰذهِ الأمورَ قادحةٌ في إيمانِهِ ، وأنَّ إيمانَهُ رأسُ مالِه في تجارةِ الآخرةِ . . لمْ يضيِّعْ رأسَ مالِهِ المعدَّ لعمرٍ لا آخرَ لهُ بسببِ ربحٍ ينتفعُ بهِ أياماً معدودةً .

وعنْ بعضِ التابعينَ أنَّهُ قالَ : (لوْ دخلتُ الجامعَ وهوَ غاصٌّ بأهلِهِ وقيلَ لي : مَنْ خيرُ هؤلاءِ ؟ . . لقلتُ : مَنْ أنصحُهُمْ لهُمْ ؟ فإذا قالوا : هـٰذا . .

---

(١) كذا في « القوت » (٢/ ٢٧١) ، ورواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٤٠٣٤) ، وابن عدي في « الكامل » (٢/ ٢١٤) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠٠١٥) .

(٢) رواه الطبراني في « الأوسط » (١٢٥٧) .

(٣) رواه الترمذي (٢٩١٨) .

قلتُ : هوَ خيرُهُمْ ، ولوْ قالوا : مَنْ شرُّهُمْ ؟.. قلتُ : مَنْ أغشُّهُمْ لهُمْ ؟ فإذا قيلَ : هـٰذا.. قلتُ : هوَ شرُّهُمْ)[1] .

والغِشُّ حرامٌ في البيوعِ والصنائعِ جميعاً ، فلا ينبغي أنْ يتهاونَ الصانعُ بعملِهِ علىٰ وجهٍ لوْ عاملَهُ بهِ غيرُهُ.. لما ارتضاهُ لنفسِهِ ، بلْ ينبغي أنْ يحسنَ الصنعةَ ويحكمَها ، ثمَّ يبينَ عيبَها إنْ كانَ فيها عيبٌ ، فبذلكَ يتخلَّصُ .

وسألَ رجلٌ حذَّاءٌ ابنَ سالمٍ فقالَ : كيفَ لي أنْ أسلمَ في بيعِ النعالِ ؟ فقالَ : اجعلِ الوجهينِ سواءً ، ولا تفضِّلِ اليمنىٰ على اليسرىٰ ، وجوِّدِ الحشوَ ، وليكنْ شيئاً واحداً تامّاً ، وقاربْ بينَ الخرزِ ، ولا تطبِّقْ إحدى النعلينِ على الأخرىٰ[2] .

ومِن هـٰذا الفنِّ ما سئلَ عنهُ أحمدُ ابنُ حنبلٍ رحمهُ اللهُ مِنَ الرفْوِ بحيثُ لا يبينُ ، قالَ : لا يجوزُ لمَنْ يبيعُهُ أنْ يخفيَهُ ، وإنَّما يحلُّ للرفَّاءِ إذا علمَ أنَّهُ يظهرُهُ أوْ أنَّهُ لا يريدُهُ للبيعِ[3] .

* * *

---

[1] رواه الدينوري مختصراً في « المجالسة وجواهر العلم » (ص١٨٣) ، والطبراني بتمامه في « مكارم الأخلاق » (ص ٦٨) عن بكر بن عبد الله المزني .

[2] قوت القلوب (٢/ ٢٧١) ، وابن سالم هو أبو الحسن علي بن سالم شيخ أبي طالب المكي .

[3] **والرفو** : لأم خرق الثوب ونحوه ، والرفاء صاحب صنعته .

فإنْ قلتَ : فلا تتمُّ المعاملةُ مهما وجبَ على الإنسانِ أنْ يذكرَ عيوبَ المبيعِ !

فأقولُ : ليسَ كذلكَ إذْ شرطُ التاجرِ ألاَّ يشتريَ للبيعِ إلا الجيِّدَ الذي يرتضيهِ لنفسهِ لوْ أمسكَهُ ، ثمَّ يقنعُ في بيعِهِ بربحٍ يسيرٍ ، فيباركُ اللهُ لهُ فيهِ ، ولا يحتاجُ إلىٰ تلبيسٍ ، وإنَّما تعذَّرَ هـٰذا لأنَّهُمْ لا يقنعونَ بالربحِ اليسيرِ ، وليسَ يسلمُ الكثيرُ إلا بتلبيسٍ ، فمَنْ تعوَّدَ هـٰذا . . لمْ يشترِ المعيبَ ، فإنْ وقعَ في يدِهِ معيبٌ نادراً . . فليذكرْهُ ، وليقنعْ بقيمتِهِ .

باعَ ابنُ سيرينَ شاةً ، فقالَ للمشتري : أبرأُ إليكَ مِنْ عيبٍ فيها أنَّها تقلبُ العلفَ برجلِها⁽¹⁾ .

وباعَ الحسنُ بنُ صالحٍ جاريةً ، فقالَ للمشتري : إنَّها تنخَّمَتْ مرَّةً عندَنا دماً⁽²⁾ .

فهكذا كانتْ سيرةُ أهلِ الدينِ ، فمَنْ لا يقدرُ عليهِ . . فليتركِ المعاملةَ ، أوْ ليوطنْ نفسَهُ علىٰ عذابِ الآخرةِ .

* * *

---

(١) كذا في « القوت » (٢/ ٢٧١) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٨) عن يونس بن عبيد .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٧١) .

الثالثُ : ألاَّ يكتمَ في المقدارِ شيئاً :

وذلكَ بتعديلِ الميزانِ والاحتياطِ فيهِ ، وفي الكيلِ فينبغي أنْ يكيلَ كما يكتالُ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ .

ولا يخلصُ مِنْ هـٰذا إلا بأنْ يرجحَ إذا أعطىٰ ، وينقصَ إذا أخذَ ؛ إذِ العدلُ الحقيقيُّ قلَّما يُتصوَّرُ ، فليستظهرْ بظهورِ الزيادةِ والنقصانِ ؛ فإنَّ مَنِ استقصىٰ حقَّهُ بكمالِهِ يوشكُ أنْ يتعدَّاهُ .

وكانَ بعضُهمْ يقولُ : لا أشتري الويلَ مِنَ اللهِ بحبَّةٍ ، فكانَ إذا أخذَ . . نقصَ حبَّةً ، وإذا أعطىٰ . . زادَ حبَّةً ، وكانَ يقولُ : ويلٌ لمَنْ باعَ بحبةٍ جنةً عرضُها السماواتُ والأرضُ ، وما أخسرَ مَنْ باعَ طوبىٰ بويلٍ⁽¹⁾ .

وإنَّما بالغوا في الاحترازِ منْ هـٰذا وشبهِهِ لأنَّها مظالمُ لا يمكنُ التوبةُ منها ؛ إذْ لا يعرفُ أصحابَ الحبَّاتِ حتَّىٰ يجتمعوا ويؤدِّيَ حقوقَهُمْ ، ولذلكَ لمَّا اشترىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ شيئاً . . قالَ للوزَّانِ لمَّا كانَ يزنُ ثمنَهُ : « زنْ وأرجحْ »⁽²⁾ .

ونظرَ فضيلٌ إلى ابنِهِ وهوَ يغسلُ ديناراً يريدُ أنْ يصرفَهُ ، ويزيلُ تكحيلَهُ

---

(١) قوت القلوب (٢/٢٦٨) .

(٢) رواه أبو داوود (٣٣٣٦) ، والترمذي (١٣٠٥) ، والنسائي (٧/ ٢٨٤) ، وابن ماجه (٢٢٢٠) .

وينقِّيهِ حتَّىٰ لا يزيدَ وزنُهُ بسببِ ذلكَ ، فقالَ : يا بنيَّ ؛ فعلُكَ هـٰذا أفضلُ مِنْ حجَّتينِ وعشرينَ عمرةً(١) .

وقالَ بعضُ السلفِ : (عجبتُ للتاجرِ والبائعِ كيفَ ينجو ، يزنُ ويحلفُ بالنهارِ وينامُ بالليلِ !)(٢) .

وقالَ سليمانُ علىٰ نبيِّنا وعليهِ السلامُ لابنِهِ : (يا بنيَّ ؛ كما تدخلُ الحيَّةُ بينَ الحجرينِ . كذلكَ تدخلُ الخطيئةُ بينَ المتبايعينِ)(٣) .

وصلَّىٰ بعضُ الصالحينَ علىٰ مخنَّثٍ ، فقيلَ لهُ : إنَّهُ كانَ فاسقاً ، فسكتَ ، فأُعيدَ عليهِ ، فقالَ : كأنَّكَ قلتَ لي : كانَ صاحبَ ميزانينِ ، يعطي بأحدِهما ويأخذُ بالآخرِ(٤) . أشارَ بهِ إلىٰ أنَّ فسقَهُ مظلمةٌ بينَهُ وبينَ اللهِ تعالىٰ وهـٰذا مِنْ مظالمِ العبادِ ، والمسامحةُ والعفوُ فيهِ أبعدُ .

والتشديدُ في أمرِ الميزانِ عظيمٌ ، والخلاصُ منهُ يحصلُ بحبَّةٍ ونصفِ حبَّةٍ .

وفي قراءةِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : ﴿ولا تطغَوا في المِيزانِ وأقيمُوا الوَزنَ باللسانِ ولا تُخسِرُوا المِيزانَ﴾ أيْ : لسانِ الميزانِ ؛

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٦٨) وعبارته : (أفضل من عشرين حجة) .

(٢) رواه أحمد في « الزهد » (٢١٨) عن قتادة عن سيدنا سليمان عليه السلام .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢٦٨) .

(٤) قوت القلوب (٢/ ٢٦٨) .

فإنَّ النقصانَ والرجحانَ يظهرُ بميلِهِ⁽¹⁾ .

وبالجملةِ : كلُّ مَنْ ينتصفُ لنفسِهِ مِنْ غيرِهِ ولوْ في كلمةٍ ، ولا ينصفُ بمثلِ ما ينتصفُ . . فهوَ داخلٌ تحتَ قولِهِ تعالىٰ : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . . .﴾ الآياتِ ؛ فإنَّ تحريمَ ذلكَ في المكيلِ ليسَ لكونهِ مكيلاً ، بلْ لكونِهِ أمراً مقصوداً ، لتركِ العدْلِ والنَّصَفَةِ فيهِ ، فهوَ جارٍ في جميعِ الأعمالِ .

فصاحبُ الميزانِ في خطرِ الويلِ ، وكلُّ مكلَّفٍ فهوَ صاحبُ موازينَ في أفعالِهِ وأقوالِهِ وخطراتِهِ ، فالويلُ لهُ إنْ عدَلَ عنِ العدْلِ ومالَ عنِ الاستقامةِ ، ولولا تعذُّرُ هـٰذا واستحالتُهُ . . لما وردَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ فلا ينفكُّ عبدٌ ليسَ معصوماً عنِ الميلِ عنِ الاستقامةِ ، إلا أنَّ درجاتِ الميلِ تتفاوتُ تفاوتاً عظيماً ، فلذلكَ تتفاوتُ مدَّةُ مقامِهِمْ في النارِ إلىٰ أوانِ الخلاصِ ، حتَّىٰ لا يبقىٰ بعضُهُمْ إلا بقدْرِ تَحِلَّةِ القسمِ ، ويبقىٰ بعضُهُمْ ألفاً وألوفَ سنينَ .

فنسألُ اللهَ تعالىٰ أنْ يقرِّبَنا مِنَ الاستقامةِ والعدْلِ ؛ فإن الاستدادَ علىٰ متنِ الصراطِ المستقيمِ مِنْ غيرِ ميلٍ عنهُ غيرُ مطموعٍ فيهِ ؛ فإنَّهُ أدقُّ مِنَ الشعرةِ وأحدُّ مِنَ السيفِ ، ولولاهُ . . لكانَ المستقيمُ عليهِ لا يقدرُ علىٰ جوازِ الصراطِ الممدودِ علىٰ متنِ النارِ الذي مِنْ صفتِهِ أنَّهُ أدقُّ مِنَ الشعرةِ وأحدُّ مِنَ

---

(1) قوت القلوب (٢/ ٢٦٨) .

السيفِ ، وبقدْرِ الاستقامةِ على الصراطِ المستقيمِ في الدنيا . . يخفُّ العبدُ يومَ القيامةِ على الصراطِ .

وكلُّ مَنْ خلطَ بالطعامِ أو غيرِهِ تراباً ثمَّ كالَهُ . . فهوَ مِنَ المطففينَ في الكيلِ ، وكلُّ قصَّابٍ وزنَ معَ اللحمِ عظماً لمْ تجرِ العادةُ بمثلِهِ . . فهوَ مِنَ المطففينَ في الوزنِ ، وقسْ علىٰ هـٰذا سائرَ التقديراتِ ، حتَّىٰ في الذرْعِ الذي يتعاطاه البزَّازُ ؛ فإنَّهُ إذا اشترىٰ . . أرسلَ الثوبَ في وقتِ الذرْعِ ولمْ يمدُّهُ مدّاً ، وإذا باعَهُ . . مدَّهُ في الذرْعِ ؛ ليظهرَ تفاوتٌ في القدْرِ ، فكلُّ ذلكَ مِنَ التطفيفِ المعرِّضِ صاحبَهُ للويلِ .

* * *

الرابعُ : أنْ يصدقَ في سعْرِ الوقتِ ولا يُخفيَ منهُ شيئاً :

فقدْ نهىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنْ تلقي الركبانِ ، ونهىٰ عنِ النَّجْشِ .

أمَّا تلقي الركبانِ : فهوَ أنْ يستقبلَ الرفقةَ ويتلقَّى المتاعَ ، ويكذبَ في سعرِ البلدِ ، فقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تتلقَّوُا الركبانَ ، ومَنْ تلقَّاها . . فصاحبُ السلعةِ بالخيارِ بعدَ أنْ يقدمَ السوقَ »(١) .

---

(١) رواه البخاري (٢١٥٠) ، ومسلم (١٥١٥) دون زيادة : (ومن تلقاها . . .) ، والزيادة رواها البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٥/٣٤٨) عن الشافعي رحمه الله تعالىٰ ، وبنحوها رواها مسلم (١٥١٩) .

وهٰذا الشراءُ منعقدٌ ، ولكنَّهُ إنْ ظهرَ كذبُهُ . . ثبتَ للبائعِ الخيارُ ، وإنْ كانَ صادقاً . . ففي الخيارِ خلافٌ ؛ لتعارضِ عمومِ الخبرِ معَ زوالِ التلبيسِ .

ونهىٰ أيضاً أنْ يبيعَ حاضرٌ لبادٍ(١) ؛ وهوَ أن يقدمَ البدويُّ البلدَ ومعهُ قوتٌ يريدُ أنْ يسارعَ إلىٰ بيعِهِ ، فيقولُ لهُ الحضريُّ : اتركْهُ عندي حتَّىٰ أغاليَ في ثمنِهِ وأنتظرَ ارتفاعَ سعرِهِ ، وهٰذا في القوتِ محرَّمٌ ، وفي سائرِ السلعِ خلافٌ ، والأظهرُ تحريمُهُ ؛ لعمومِ النهيِ ، ولأنَّهُ تأخيرٌ للتضييقِ على الناسِ على الجملةِ مِنْ غيرِ فائدةٍ للفضولي المضيِّقِ .

ونهىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنِ النَّجَشِ(٢) ؛ وهوَ أنْ يتقدَّمَ إلى البائعِ بينَ يدي الراغبِ المشتري ، ويطلبَ السلعةَ بزيادةٍ وهوَ لا يريدُها ، وإنَّما يريدُ تحريكَ رغبةِ المشتري فيها ، فهٰذا إنْ لمْ تجرِ مواطأةٌ معَ البائعِ . . فهوَ فعلٌ حرامٌ مِنْ صاحبِهِ ، والبيعُ منعقدٌ ، وإنْ جرىٰ مواطأةٌ . . ففي ثبوتِ الخيارِ خلافٌ ، والأوْلىٰ إثباتُ الخيارِ ؛ لأنَّهُ تغريرٌ بفعلٍ يضاهي التغريرَ في المصرَّاةِ وتلقِّي الركبانِ(٣) .

فهٰذه المناهي تدلُّ علىٰ أنَّهُ لا يجوزُ أنْ يلبسَ على البائعِ والمشتري في سعرِ الوقتِ ، ويكتمَ منهُ أمراً لوْ علمَهُ . . لما أقدمَ على العقدِ ، ففعلُ هٰذا

---

(١) كما في « البخاري » (٢١٤٠) ، و« مسلم » (١٤١٣) .

(٢) رواه البخاري (٢١٤٢) ، ومسلم (١٥١٦) . والنَّجْش بسكون الجيم وفتحها كما في « إرشاد الساري » (٤/ ٦٢) .

(٣) **المصراة** : الحلوب يُحبس لبنها فيها فلا تحلب أياماً ليوهم صاحبُها أنها ذات لبن .

مِنَ الغشِّ الحرامِ المضادِّ للنصحِ الواجبِ .

فقدْ حُكِيَ عنْ رجلٍ مِنَ التابعينَ أنَّهُ كانَ بالبصرةِ ولهُ غلامٌ بالسوسِ يجهِّزُ إليهِ السكَّرَ ، فكتبَ إليهِ غلامُهُ أنَّ قصبَ السكَّرِ قدْ أصابتْهُ آفةٌ في هٰذهِ السنةِ ، فاشترِ السكَّرَ ، قالَ : فاشترىٰ سكراً كثيراً ، فلمَّا جاءَ وقتُهُ . . ربحَ فيهِ ثلاثينَ ألفاً ، فانصرفَ إلىٰ منزلِهِ فأفكرَ ليلتَهُ ، فقالَ : ربحتُ ثلاثينَ ألفاً وخسرتُ نصحَ رجلٍ منَ المسلمينَ ، فلمَّا أصبحَ . . غدا إلىٰ بائعِ السكَّرِ ، فدفعَ إليهِ ثلاثينَ ألفاً وقالَ : باركَ اللهُ لكَ فيها ، فقالَ : ومِنْ أينَ صارَتْ لي ؟ فقالَ : إنِّي كتمتكَ حقيقةَ الحالِ ، وكانَ السكَّرُ قدْ غلا في ذلكَ الوقتِ ، فقالَ : رحمَكَ اللهُ ، قدْ أعلمتَني الآنَ ، وقدْ طيَّبْتُها لكَ ، قالَ : فرجعَ بها إلىٰ منزلِهِ ، وتفكَّرَ وباتَ ساهراً ، وقالَ : ما نصحتُهُ ، فلعلَّهُ استحيا منِّي فتركَها لي ، فبكَّرَ إليهِ مِنَ الغدِ ، وقالَ : عافاكَ اللهُ ، خذْ مالَكَ إليكَ ، فهوَ أطيبُ لقلبي ، فأخذَ منهُ ثلاثينَ ألفاً⁽¹⁾ .

فهٰذهِ الأخبارُ في المناهي والحكاياتُ تدلُّ علىٰ أنَّهُ ليسَ لهُ أنْ يغتنمَ فرصةً ، وينتهزَ غفلةَ صاحبِ المتاعِ ، ويخفيَ مِنَ البائعِ غلاءَ السعرِ ، أوْ مِنَ المشتري تراجعَ الأسعارِ .

فإنْ فعلَ ذلكَ . . كانَ ظالماً ، تاركاً للعدلِ والنصحِ للمسلمينَ .

---

(١) رواها ابن أبي الدنيا في « الورع » (١٦٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/١١٨) .

ومهما باعَ مرابحةً(١) ؛ بأنْ يقولَ : بعتُ بما قامَ عليَّ ، أوْ بما اشتريتُهُ . . فعليهِ أنْ يصدقَ بهِ ، ثمَّ يجبُ أنْ يخبرَ بما حدثَ بعدَ العقدِ مِنْ عيبٍ أوْ نقصانٍ .

ولوِ اشترىٰ إلىٰ أجلٍ . . وجبَ ذكرُهُ ، ولوِ اشترىٰ مسامحةً مِنْ صديقِهِ أوْ ولدِهِ . . يجبُ ذكرُهُ ؛ لأنَّ المعاملَ يعوِّلُ علىٰ عادتِهِ في الاستقصاءِ أنَّهُ لا يتركُ النظرَ لنفسِهِ ، فإذا تركَهُ بسببٍ مِنَ الأسبابِ . . فيجبُ إخبارُهُ ؛ إذِ الاعتمادُ فيهِ علىٰ أمانتِهِ .

* * *

---

(١) وذلك إذا سمَّىٰ لكل قدْر من الثمن ربحاً . « إتحاف » (٥/ ٤٩٤) .

Üçüncü Bab

TİCÂRETTE ADÂLET

İki kişi arasındaki muâmele öyle bir şekilde cereyân eder ki, müftü onun sıhhatine fetvâ verir. Fakat bu muâmele zûlmü mûcip olacak şekilde haddi aşar ve sahibi, Allah'ın gazâbına müstehak olur. Zîra her yasak olan şey, muâhedenin bozulmasını iktizâ etmez. Bu, zararı umûmî olmak ve yalnız muâhede ettiği kimselere münhasır olmak üzere iki kısma ayrılır.

Birinci Kısım
ZARARI UMÛMÎ OLANLAR

Bu da bir kaç nevidir.

Birinci nevi; ihtikâr (karaborsacılık)dır. Gıda maddesi satan kimse, bunları depo ederek fiyatının artmasını bekler. Bu ise zararı umûma şâmil olan bir zûlümdür. Sahibi de şerîat nazarında kötü bir insandır. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنِ احْتَكَرَ الطَّعَامَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ تَكُنْ
صَدَقَتُهُ كَفَّارَةً لِاحْتِكَارِهِ

"Bir kimse, yiyecek maddesini kırk gün hapsettikten sonra, onu tasadduk etse, yine de ihtikârının günâhına keffâret olmaz."[39] bu-

---

[39] Ebû Mansûr Deylemî **"Müsnedi'l-Firdevs"**inde Ali (r.a.) den; Hatîb **"Tarih"**inde Enes'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

yurmuştur. Abdullah b. Ömer (r.a.)'in rivâyetinde, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

مَنِ اِحْتَكَرَ الطَّعَامَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللّٰهِ وَبَرِئَ اللّٰهُ مِنْهُ

"Bir yiyecek maddesini kırk gün hapsedip piyasaya çıkarmayan kimse, Allah'tan uzaklaşmış ve Allah da ondan uzaklaşmış olur."[40] Denildi ki; "Muhtekir bütün insanları öldürmüş gibidir." **Hz. Ali** (r.a.): "Yiyecek maddesini kırk gün ihtikâr edenin, kalbi katılaşır." demiştir. Hz. Ali'nin (r.a.) bir muhtekirin gıda maddesini iddihar ettiğini yakaladığında, yaktığı rivâyet edilir.

İhtikârdan sakınanların fazîletini ifâde eden hadîs-i şerif:

مَنْ جَلَبَ طَعَامًا فَبَاعَهُ بِسِعْرِ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا تَصَدَّقَ بِهِ

"Hâriçten yiyecek maddesi getirip günün râyicine göre satışa arz eden kimse, tamamını tasadduk etmiş gibidir."[41] Diğer bir ifade ile:

فَكَأَنَّمَا اَعْتَقَ رَقَبَةً

"Bir köle azâd etmiş gibidir." buyrulmuştur. Allahü Teâlâ'nın:

وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ

"Kim ki orada (Harem-i Şerîf'te) **zulümle haktan meyli murâd ederse, biz ona elem verici azâbı tattırırız."** (Hac sûresi, 22/25) kavl-i şerîfinin tefsîrinde, "İhtikâr da bu zulme dâhildir ve bildirilen tehdid onu da şâmildir." denilmiştir.

Bir tüccar **Vasıt** şehrinden, bir gemi yükü buğdayı **Basra**'ya gönderdi. **Basra**'daki vekiline "Buğday gelir gelmez, hemen satışa arzet." dedi. Tüccarlar, oldukça bolluk olduğunu, bir hafta bekletildikten sonra satıldığı takdirde iki misli kâr yapılacağını, söylediler. Vekil de buğdayı bir hafta bekletti ve iki misli kâr ile sattı. Keyfiyeti malı gönderen tüccara yazdı. Tüccar cevabî mektubunda:

---

[40] Ahmed ve Hâkim, kuvvetli sened ile İbn Ömer (r.a.)den rivâyet etmişlerdir.

[41] İbn Merdûye tefsirinde İbn Mes'ûd (r.a.)den rivâyet etmiştir.

"Yahu, biz dînimizin selâmeti namına az kâra kanâat edenlerden idik. Sen yanlış hareket ettin. Biz dînimizden fedakârlık ederek fazla kârı sevenlerden değiliz. Siz bize karşı büyük bir cinâyet işlediniz. Mektubumu alır almaz, bütün malı Basra fakirlerine sadaka olarak dağıt. Yapacağımız bu tasaddukla fazla bir şey beklemiyorum. Yapılan ihtikârın cezâsından kurtulursak, bizim için en büyük bahtiyarlık bu olacaktır." dedi.

Bilmiş ol ki; ihtikârdan nehyeden emirler mutlaktır. Bu hususta cins ve zaman olarak iki şeye dikkat etmek lâzımdır.

Cins: Cins itibâriyle ihtikârdır. Bütün yiyecek maddelerini şâmildir. Gıda maddesi olmayan ve gıdaya yardımcı bulunmayan ilaçlar, otlar zâferân ve benzeri şeyler ihtikâra girmez. Yiyecek maddesi olarak tâyin edilen et, meyve ve devamlı olarak değilse de bâzı hâllerde gıda vazifesini görebilen kısımlarda ihtikâr şüphelidir. Ulemâdan bâzıları yağ, bal, şıra, peynir, zeytinyağı ve benzeri maddelerde de ihtikârın olabileceğini söylemişlerdir.

Zaman: İhtikârın zamanında da ihtilâf vardır. Yukarıda Basra'ya giden buğday hikâyesinde anlattığımız gibi, genişlik ve bolluk zamanında da olsa, yine ihtikârın yasak olması ihtimâli olduğu gibi, gıda maddelerinin kesatlık zamanında olacağı ihtimâli de vardır. Yiyecek maddesi kesat ve halkın ihtiyâcı olduğu esnâda daha pahalı satmak maksadıyla, malı piyasaya çıkarmamak süretiyle, muhitindeki insanları zararlandırmaktır. Buna göre, bolluk olup, istenen maddenin herkeste bulunduğu ve değerinden fazla para veren olmadığı bir sırada, bir de kesatlık beklemiyorsa, kimseye bir zararı olmayacağı için, malı tutmasında ihtikâr yoktur. Kesatlık zamanında bal, yağ, peynir ve benzeri maddeleri tutmakta ammeye zarar olduğu için ihtikâr vardır.

Demek oluyor ki, ihtikârın haram olup olmaması, yapacağı zarara bağlıdır. Yiyecek maddesini tahsisten katî olarak anlaşılan da budur. Kimseye zararı olmadığı zamanda bile kerâhetten hâlî değildir. Çünkü bu, zararın başlangıcı sayılır. Zira piyasada malın bulunmaması, fiyatların yükselmesine sebeptir. Bu ise ammeye zarardır. Zararın mukaddimesini beklemek, zarar gibi mahzurludur. Ancak ondan biraz ehvendir. Zararın derecesi nispetinde kerâhet ve haram dereceleri de fark eder.

Hülâsa: Gıda maddelerinde ticaret, pek makbül değildir. Çünkü gıda maddelerindeki ticarette, insanların zarurî ihtiyaçlarından kâr sağlamak vardır. Yüksek bir meziyet olan ticareti zarurî olmayan diğer maddelerden yapmak daha uygundur. Bunun için tâbiînden birisi adamın birine şöyle öğüt vermiştir: "Oğlunu, iki ticaret ve iki sanata verme. Ticaretler: Yiyecek maddeleri ve kefen satıcılığıdır. Çünkü bunların satıcılğını yapanların birisi kıtlığı, diğeri de insanların ölümünü arzu eder. Zîra bu maddelerden bol ticaret, ancak bu sâyede mümkün olur. Sanatların da birisi cezzarlık (kasaplık), diğeri de kuyumculuktur. Kasaplık, kalp katılığı ve merhametsizliği doğurur. Diğeri ise dünyayı altın ve gümüş ile süslemeye çalışır." demiştir.

İkinci nevi: Kalp parayı piyasaya sürmektir. Paranın kalp para olduğunu bilmeyerek alan kimseye zulmedilmiş olur. Bu kimse de bu parayı bilmeyerek bir başkasına verirse, zülüm buna intikal eder. Bilerek kalp parayı başkasına verecek olurlarsa, hepsi zulmetmiş olur. Böylece zarar çoğalır ve fesâd genişlemiş olur. Hepsinin günâhı, parayı ilk defâ piyasaya süren kimseye rücû eder. Çünkü bu kapıyı ilk açan kendisidir. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعَمِلَ بِهَا مَنْ بَعْدَهُ كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا
وَمِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا

"Her kim kötü bir çığır açar da, kendisinden sonrakiler o yolda giderlerse, açtığı çığırın günâhı kendisine yükletildiği gibi, kendisinden sonra o yolda gidenlerin günâhı da yükletilir; bununla berâber onların günâhından hiç bir şey eksilmez."[42] buyurmuştur. Bâzıları şöyle demiştir: "Bir kuruş kalp parayı başkasına vermek, yüz kuruş çalmaktan kötüdür. Çünkü yüz kuruşu çalan, bir defâda çalmıştır. Fakat kalpazanlık kötü bir itiyattır. Kalp para ortadan kayboluncaya veyâ ele geçinceye kadar elden ele dolaşır, öldükten sonra da bu kalp para, onu ilk defâ piyasaya çıkaran kimsenin defterine günâh yazılmasına sebep olur." Günâhı da kendisiyle beraber ölen kimseye ne saâdet. Yazık o kimseye ki, kendisi öldüğü hâlde günâhı devâm eder, onunla kabrinde azâb olunur; ondan sorulur. Allahü Teâlâ:

وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَاٰثَارَهُمْ

"Onların takdîm ettiklerini ve eserlerini yazarız." (Yasin sûresi, 36/12) buyurmuştur. Yâni amellerinin eserlerini de yazarız. "Örnek oldukları kötülükleri yapanların günâhları gibi günâh da onlara yazarız." demektir. Yine Allahü Teâlâ:

---

[42] Müslim, Cerir b. Abdullah (r.a.)den rivâyet etmiştir.

يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ

"O gün insan, takdîm ve tehir ettiği şeylerden haberdâr edilir." (Kıyâme sûresi, 75/13) buyurmuştur. Tehîr ettiği, örnek olduğu kötülüklerdir.

Kalp paralarda riâyet edilmesi gereken beş esas:

1 - Böyle bir geçmez para kendisine verilen kimse, onu başkasının eline geçmeyecek şekilde imhâ etmeli, sakın başkasına vermeye kalkışmamalıdır.

2 - Ticaretle iştigal eden kimse, kalp parayı tanımalıdır. Bu, yalnız kendisini kurtarmak için değil, başkasına kalp para vermemek için de lüzûmludur. Çünkü bilmeyerek de olsa, yaptığı bu hatadan mesûldür. Her işin kendisine mahsus bir ilmi vardır. Herkesin meşgul olduğu işle alâkalı ilmin inceliklerini öğrenmesi vâciptir. Bunun için selef-i sâlihîn, paraları tanımaya çalışırlardı. Gayeleri dünyalık değil, dînlerini korumaktı.

3 - Bu parayı verdiği kimse, kalp olduğunu bilerek bu parayı kabul ederse; veren, yine kendini günâhtan kurtaramaz. Çünkü bunu alanın maksadı, kalp olduğunu anlamayan başka bir kimseye vermektir. Böyle bir düşüncesi olmayan, elbette kalp parayı almaz. Böyle bilerek vermekle, ancak verdiği kimse aldanmamış oluyor. Diğer günâhlarda her ikisi müşterektir.

4 - Bu gibi kalp paraları bulduğu yerde almaktır. Böyle yapmakla Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in:

رَحِمَ اللّٰهُ امْرَأً سَهْلَ الْبَيْعِ سَهْلَ الشِّرَاءِ سَهْلَ الْقَضَاءِ سَهْلَ الْاِقْتِضَاءِ

"Alış-veriş ederken, alacağını talep, borcunu edâ ederken kolaylık gösteren kimseye Allah rahmet eylesin."[43] hadîsi ile amel etmiş olur. Kalp parayı, imhâ etmek maksadıyla alırsa, bu duânın bereketi içine girmiş olur. Şâyet kalp parayı başkasına vermek maksadıyla alırsa bu, hayır sûretinde şeytandan gelen bir şeydir. Bu, hadîs hükmüne aslâ giremez.

5 - Kalp para derken, yalnız yüzünde gümüş yaldızı olup da gümüş olmayan; altın yaldızı olup da altın olmayan, altın ve gümüş paraları kastediyoruz. Ama içerisinde gümüş veyâ altını olup da bakır ile karışık olanlar o muhîtin geçer akçesi ise bununla muâmele yapmakta ulemâ ihtilâf etmiştir. Beldenin parası bu ise -içindeki hâlis altın veyâ gümüş, bilinsin bilinmesin- onunla ticârî muâmeleye, ekseriyet ruhsat vermiştir.

Şâyet o memleketin parası değilse, onunla ticârî muamele câiz değildir. Ancak altın ve gümüş miktarı bilinirse, câizdir. Şayet kendisinde altını veyâ gümüşü eksik olan para varsa, onu müşterisine bildirmeli, bu parayı veyâ bu gibi eşyayı herkese değil, ancak böyle hîleli para ve malın alım satımını mübah görmeyen kimselere vermelidir. Çünkü buna aldırış etmeyenlere verirse fesada sebep olur. Bu ise bilerek, şarapçıya üzüm satmak gibidir. Böyle yapmak, hem tehlikeli, hem de kötülüğe yardım ve kötülüğe iştiraktir. Ticârî hayatın bu inceliklerinde hak yolunu seçmek nâfile ibâdetlerle uğraşmaktan daha efdaldir. Bunun için "Dürüst tüccarlar, Allah katında ibâdet edenlerden daha sevimlidir." denilmiştir. Selef, bu hususlara çok ehemmiyet verir ve son derece ihtiyâtlı davranırdı.

Gâzîlerden bir zât şöyle diyor: "Bir defâ şişman ve iri yapılı bir düşmanı (kâfiri) öldürmek için ona hamle ettim. Atım yürümediği için mecbûren geri döndüm. Bir ara düşman yine bana yaklaştı. Tekrâr hamle etmek istedim, fakat atım gitmedi. Üçüncü defâ tekrâr hamle etmek istedimse de atım geriye kaçtı. Buna çok üzüldüm. Çünkü atımın böyle hareketine tesâdüf etmemiştim. Bu üzüntü içerisinde atımı yanıma aldım, çadırın gölgesinde oturdum. Neden böyle oldu diye düşünürken uyudum. Rüyamda atım bana şöyle hitâb ediyordu: "Sen kalp para ile bana satın aldığın yemi yedirdiğin hâlde benim üzerimde düşman öldüreceğini mi sandın? Hayır, buna aslâ imkân yoktur." Telâşla uyandım ve yem satan adama gittim: "Akşam sana verdiğim paralar duruyor mu, duruyorsa ver bakayım." dedim. Adam paraları verdi ve ben içlerinden kalp olan parayı bulup değiştirdim."

---

[43] Buhârî. Câbir (r.a.)den rivâyet etmiştir.

İşte ihtikârın, umûmî zararlarına dâir misâller. Diğerlerini de var buna kıyâs eyle.

İkinci Kısım

ZARARI MUAMELE ETTİĞİ KİMSEYE DOKUNAN

Alış-veriş ettiği kimseyi zararlandıran her şey zulümdür. Adâlet, dîn kardeşine zarar vermemektir. Buradaki umûmî kaide, kendin için sevmediğini, din kardeşin için de sevmemektir. Sana yapıldığı zaman hoşlanmadığın, kalbini inciten ve ağırına giden muâmeleyi, sen de başkalarına yapmamalısın. Ticaret hayatında kendi parası ile karşısındakinin parasını aynı görmelidir. Kendi ihtiyacı için satın alacak olsa, ancak beş kuruş verebileceği bir malı, başkasına altı kuruşa satan, muâmelede başkasına yapmakla memur olduğu nasihati terk etmiş ve kendisi için sevdiğini, onun için sevmemiş olur. Bu bir icmâldir. Tafsiline gelince, bu da dört sebepte aranır:

Birincisi; malını değerinden fazla övmemek.

İkincisi; malının kusurunu ve gizli ayıplarını örtmemek ve noksanlarını söylemek.

Üçüncüsü; tartı ve ölçüde hîle ve eksiklik yapmamak.

Dördüncüsü; müşteri bildiği takdirde almayacak olduğu bir malın fiyatını müşteriden gizlememek.

Birincisi

1 - Malını övmemek. Şâyet malını, kendisinde olmayan vasıflarla övüyorsa, yalan söylemiş olur. Müşteri, onun sözüne aldanarak malı alırsa, yalanla birlikte, müşteriye zulmetmiş olur. Müşteri kabul etmişse, yalancı ve mürüvvetsiz bir adam olmuş olur. Çünkü yalanı açığa çıkar. Gerçi yalanın her çeşidi- mürüvvetsizliktir. Fakat revaç bulan yalan, görünüşte mürüvveti düşürmez. Yok eğer, malında olan vasıflarla onu övmeye çalışıyorsa, boş lâf etmiş ve lüzûmsuz sözler söylemiş olur. Hâlbuki, konuştuğu her sözden, huzûr-ı ilâhîde mesûldür. Nitekim Allahü Teâlâ:

مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ

“O (insan)**, her ne söz söylerse, mutlaka yanında hazır bir gözcü vardır.”** (Kaf sûresi, 50/18) buyurmuştur. Ancak, müşterinin bilmediği ve malda mevcut olan vasıfları müşteriye anlatabilir. Meselâ köle, câriye ve hayvanların ahlâk ve tabiatlarını mübalâğasız ve kısaca anlatmasında beis yoktur. Bundaki gayesi, müşteriye malının kalitesini anlatmakla, onu yormadan ihtiyacını temîn etmektir.

Ticarette yemin etmek uygun değildir. Eğer yalancı ise yalan yere yemin etmiş olur ki, bu mâmûreleri harâbeye çeviren çok büyük günâhlardandır. Doğru ise cüzî menfaatine, Allahü Teâlâ'nın adını âlet etmiş olur ki, bunda da hatâ etmiş sayılır. Zîra dünya, zarûretsiz, Allah adı ile tervîc edilmeye değmez. Haberde:

وَيْلٌ لِلتَّاجِرِ مِنْ بَلٰى وَاللّٰهِ، وَلَا وَاللّٰهِ؛ وَوَيْلٌ لِلصَّانِعِ مِنْ غَدٍ، وَبَعْدَ غَدٍ

"Evet. Vallâhi öyledir. Evet vallâhi öyle değildir." diyen tâcire ve bugün değil yarın (geleceğim ve yapacağım)*, yarın değil öbür gün* (geleceğim veyâ yapacağım) *diyen sanatkâra bu sözlerinden dolayı yazıklar olsun."*[44] diye vârid olmuştur. Yine haberde şöyle vârid olmuştur:

اَلْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ مُنْفِقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مُمْحِقَةٌ لِلْكَسْبِ

"(Ticarette) *yalan yemin malın sürümünü temîn ederse de,* (kazancın) *bereketini giderir."*[45] Ebû Hüreyre'nin (r.a.) rivâyetinde Rasûl-i Ekrem Efendimiz (s.a.v.):

ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللّٰهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: عُتُلٌّ مُسْتَكْبِرٌ، وَمَنَّانٌ بِعَطِيَّتِهِ، وَمُنْفِقٌ سِلْعَتَهُ بِيَمِينِهِ

"Üç (sınıf) *var ki, kıyamet gününde Allahü Teâlâ bunlara* (rahmet nazarıyla) *bakmaz. Onlar: Kibirli fakir, verdiklerini başa kakanlar ve yemin ile mal satanlardır."*[46] buyurmuştur. Doğru olarak malını övmek, lüzûmsuz bir söz olup, rızkını arttırmakta hiç bir tesîri olmaması bakımından mekruh olduğuna göre, yeminin ne kadar şiddetli olduğu âşikârdır.

---

[44] **"Müsnedü'l-Firdevs"** sahibi, benzerini Enes (r.a.)den rivâyet etmiştir.

[45] Buhârî ile Müslim, Ebû Büreyre (r.a.)den rivâyet etmişlerdir.

[46] Müslim, Ebû Hüreyre (r.a.)den rivâyet etmiştir.

Yûnus bin Ubeyd, bir nevi kumaş satardı. Kendisinden elbise isteyen bir müşterisine, tezgâhtarı kumaş çıkarıp gösterirken, "Allahım, cennetini bizlere nasib eyle." dedi. Bunu gören Yûnus, bu sözün satışta bir dahli olur korkusu ile malı yerine koymasını tezgâhtarına emretti. İşte bu gibiler, dînlerini kaybetmeden dünya ticaretini yapmış olan bahtiyar kimselerdir. Böyleleri âhiret-kârının dünya ticaretinden makbul ve hayırlı olduğunu bilenlerdir.

İkincisi

2 - Malının gizli ve âşikâre bütün kusurlarını söyleyip hiç birini gizlememesi vâciptir. Malın kusurunu müşteriden gizlemek zulüm ve onu aldatmaktır ki, her ikisi de haramdır. Aynı zamanda muamelesinde yapmakla mükellef olduğu nasihati de ihmâl vardır. Hâlbuki bu açıklamayı yapmak onun vazifesidir. Elbisenin güzel tarafını gösterip, kusurlu tarafını gizleyen, hıyânet etmiş olur. Kusurunu gizlemek için, elbiseyi karanlıkta göstermek de aynıdır. Hattâ ayakkabının biri iyi diğeri kötü ise kötüsünü saklayıp iyisini göstermek de böyledir.

Hıyânetin ve kötüyü iyi ile karıştırıp aldatmanın haram olduğuna şu rivâyet delâlet etmektedir: Resul-i Ekrem, ekin pazarına uğramıştı. Orada iyi bir buğday gördü. Hoşuna giden bu buğdayı eli ile yoklayınca, altının yaş olduğunu gördü. Bunun üzerine: "Bu nedir?" diye sordu. Buğday sahibi: "Yâ Rasûlallah, yağmur altında kaldı ve ıslandı." deyince, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

فَهَلَّا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتّٰى يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا

"Niçin ıslak kısmını üste çıkarmadın? Herkes görür de ona göre alırdı. Bizi aldatan, bizden değildir."[47] buyurdu.

---

[47] Müslim, Ebû Hüreyre (r.a.)den rivâyet etmiştir.

Şu hâdise de, doğruyu söylemek sûretiyle nasihatte bulunmanın vücûbuna delâlet etmektedir: **Cerîr**, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e gelerek İslâmiyeti kabul etti. Geri dönüp giderken, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), elbisesinden tutarak Cerîr'i kendisine doğru çekti ve ticarette aldatmamasını, herkese doğruyu söyleyip nasihatte bulunmasını şart koştu. Bundan sonra **Cerîr**, malını satacağı zaman, malın bütün kusurunu müşteriye söylerdi. "İşte mal, işte kusurları ve işte fiyatı. İster al, ister alma." derdi. "Sen böylelikle bir şey kazanamazsın." diyenlere Cerîr: "Biz Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e böyle söz verdik; kazansın, kazanmasın, verdiğimiz sözden dönen değiliz." diye cevap verirdi.[48] **Vâile bin Eska**'ın hazır bulunduğu bir yerde bir deve satıldı. Vâile, devenin ayağında ârıza gördü. Alıcıya söyleyecekti fakat unuttu. Alıcı deveyi alıp giderken hatırladı ve kendisine seslendi: "Et için mi yük için mi aldın?" dedi. Adam: "Yük için aldım." deyince, Vâile: "Ayağında ârıza var, fazla yol gidemez." dedi. Bunun üzerine adam, deveyi iâde etti ve yeniden pazarlık yaparak, yüz dirhem eksiğine deveyi tekrar aldı. Bundan sonra satıcı, Vâile'ye: "Mübârek adam, niçin pazarlığımızı bozdun ve beni zarara soktun?" dedi. Vâile: "Biz herkese nasihat etmek ve doğruyu söylemek üzere söz verdik ve Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in şöyle buyurduğunu duydum:

لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ يَبِيعُ بَيْعًا إِلَّا أَنْ يُبَيِّنَ اٰفَتَهُ وَلَا يَحِلُّ لِمَنْ
يَعْلَمُ ذٰلِكَ إِلَّا تَبْيِينُهُ

"Bir malı, kusurunu söylemeden satmak hiç kimseye helâl olmaz. Malın hu kusurunu bilene de, onu söylememek helâl olmaz."[49]

---

[48] Buhârî ile Müslim, rivâyet etmişlerdir.

[49] Hâkim ve Beyhaki rivâyet etmişlerdir. Hâkim, isnâdının sahih olduğunu söylemiştir.

dedi. Onlar ticaretteki nasihatten, kendisi için râzı olacağı şeye din kardeşi için de rızâ göstermesini, anlamışlardır. Bunu bir fazîlet ve üstünlük değil, belki İslâmiyet'in esaslarından saymışlardır. Çok kimseler, bunu ağır buldukları için, insanlardan uzaklaşıp ibâdeti tercih etmişlerdir. Çünkü insanlar arasına girmek ve onlarla yapılan muamelede Allah hakkına riâyet etmek, sıddıklar makamıdır. Bunun da, ancak iki şeye inanmakla tatbîki mümkündür:

Birincisi; hîle yolu ile yapılan alış-verişlerin rızkı arttırmadığını, belki serveti mahvedip, bereketini kaldırdığını bilmek ve böyle hîle yolu ile azar azar biriktirdiğini, Allahü Teâlâ'nın birden mahvedeceğine inanmaktır.

Şöyle bir hikâye anlatılır: Adamın birinin bir ineği varmış. Adam, bu ineğin sütüne su katar ve öyle satarmış. Günün birinde yağan yağmurlardan meydana gelen sel, ineği götürmüş. Adamın çocuklarından biri, "Süte kattığımız sular toplandı sel oldu ve ineği götürdü." demiş. Nasıl böyle olmasın ki, Rasûl-i Ekrem Efendimiz (s.a.v.):

اَلْبَيِّعَانِ إِذَا صَدَقَا وَنَصَحَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا وَإِذَا كَتَمَا
وَكَذَبَا نُزِعَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا

"Alıcı ile satıcı doğru söyleyip birbirine nasihat ettikleri zaman, alış-verişleri bereketlenir. Malın kusurunu gizleyip yalan söyledikleri zaman, alış-verişlerinin bereketi kalkar."[50] buyurmuştur. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

يَدُ اللهِ عَلَى الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَتَخَاوَنَا فَإِذَا تَخَاوَنَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْهُمَا

---

[50] Buhârî ile Müslim, Hâkim b. Hizam (r.a.)dan rivâyet etmişlerdir.

"Allah'ın (yardım) *eli -birbirine hıyânet etmedikçe- iki ortak iledir. Bunlar, birbirine hıyânet ettikleri zaman, Allah onlardan* (yardım) *elini kaldırır."*[51] Şu halde sadaka, malı eksiltmediği gibi, aldatmak da malı çoğaltmaz. Malın ancak terâzide azalıp çoğalacağını sanan, bu hadîs-i şerîfe inanmamış demektir.

Bir dirhemin, insanın dünya ve âhiret saâdetine sebep olacak şekilde bereketli olabileceğine; binlerce dirhemin, kişinin helâkine sebep olacak şekilde hayırsız ve bereketsiz olduğuna, hattâ "Keşke bu servet bizde olmasaydı." diyecek vaziyete düşürdüğüne inanan kimse "Hîle ve hıyânet malı arttırmaz, sadaka malı eksiltmez." sözünüzün mânâsını anlamış olur.

İkincisi; nasihatin hakikatini anlamak, tamamlamak ve kolaylıkla tatbik edebilmek için inanılması zarûrî olan ikinci madde şudur:

Âhiret kazancının dünya kazancından hayırlı; dünya varlığının ölüm ile sona erip, günâhlarının ise devâm edeceğini, aklı başında olanın âhireti dünya ile değiştiremeyeceğini ve bütün iyiliklerin, dînin selâmetinde olduğunu bilmektir. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَا تَزَالُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ تَدْفَعُ عَنِ الْخَلْقِ سُخْطَ اللّٰهِ مَا لَمْ
يُؤْثِرُوا صَفْقَةَ دُنْيَاهُمْ عَلٰى اٰخِرَتِهِمْ

"Lâ ilahe illallah" kelime-i mübârekesi insanlardan -dünya kârını, âhiret ticareti üzerine tercih etmedikleri müddetçe- Allah'ın gazâbını kaldırmakta devâm eder." Başka bir rivâyette de:

---

[51] Ebû Dâvûd ve Hâkim, Ebû Hüreyre (r.a.)den rivâyet etmişler; Hâkim, isnâdı sahîhdir, dedi.

مَا لَمْ يُبَالُوا مَا نَقَصَ مِنْ دُنْيَاهُمْ بِسَلَامَةِ دِينِهِمْ فَإِذَا فَعَلُوا ذٰلِكَ وَقَالُوا: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ، قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى: كَذَبْتُمْ لَسْتُمْ بِهَا صَادِقِينَ

"Dînlerinin selâmeti nâmına dünyalıktan kayıplarına aldırış etmedikleri müddetçe tevhîd, Allah'ın gazâbını onlardan uzaklaştırır. Bunu yaptıkları yâni dünyalıktan olan kayıplarına üzüldükleri ve "Lâ ilâhe illâllah" dedikleri zaman Allahü Teâlâ "Yalan söylüyorsunuz, bu sözünüzde sâdık değilsiniz." buyurur."[52] demişlerdir. Diğer bir hadîste:

مَنْ قَالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ مُخْلِصًا، دَخَلَ الْجَنَّةَ

"İhlâs ile "Lâ ilâhe illâllah" diyen cennete girer."[53] buyrulmuştur. "Şehâdetle ihlâs nedir?" diye sorulduğunda, Rasûl-i Ekrem Efendimiz (s.a.v.):

أَنْ يُحْرِزَهُ عَمَّا حَرَّمَ اللّٰهُ

"Kendini, Allahü Teâlâ'nın haram kıldıklarından korumasıdır." buyurdu. Diğer bir rivâyette de:

مَا اٰمَنَ بِالْقُرْاٰنِ مَنِ اسْتَحَلَّ مَحَارِمَهُ

"Kur'ân'ın haramını helâl sayan kimse îman etmemiştir." buyurmuştur.[54]

---

[52] Ebû Ya'lâ ve Beyhakî, Enes (r.a.)den rivâyet etmişlerdir. Başka rivâyet yolları da vardır.

[53] Taberânî, **"Mu'cemü'l-Kebîr"** ve **"Mu'cemü'l-Evsat"**ında hasen isnâd ile Zeyd b. Erkam (r.a.) den rivâyet etmiştir.

[54] Tirmizî rivâyet etmiştir.

Ahiret kazancındaki sermâyenin îman olduğunu ve bu gibi hîleli işlerin îmana zarar vereceğini bilen kimse, muayyen günlerde istifâde edeceği cuz'î bir kârdan dolayı, sonu olmayan ebedî bir ömür için hazırlanan îman sermâyesini elbette kaybetmek istemez.

Tâbiînden bir zât: "Cemâatle dolu bir câmie girsem ve benden:

- "Bunların en hayırlısı kimdir?" diye sorulsa:

- "En çok nasihat edendir." derdim. "Bu cemâat içerisinde en çok nasîhat eden şu zâttır." deseler ben:

- "O hâlde en hayırlısı odur." derim. Onlar:

- "Bu cemâatin en hayırsızı kimdir?" deseler ben:

- "En çok hîle yapıp aldatandır." derim. Onlar:

- "En çok hîle yapan şu adamdır." deseler ben:

- "O hâlde en hayırsız budur." derim." dedi.

İyiyi kötü ile karıştırıp hîle ile satış veyâ hîleli sanat, haramdır. Bir sanatkâr, başkası tarafından yapılıp kendisinin kabul etmeyeceği hîleli bir işi, başkasına yapmamalıdır. Sanatkâra yakışan işini en sağlam bir şekilde yapmak, sonra da -varsa- kusurunu alıcıya söylemektir. Ancak bu şekilde kendisini mesûliyetten kurtarmış olur.

Ayakkabıcının biri, **Ali b. Sâlim**'e;

- "Ayakkabı yapıp satmakta selâmet yolu nedir? diye sordu Sâlim:

- "Yaptığın bir çift ayakkabının, sağını solunu ve her ikisinin alt ve yüzlerini bir maddeden yap. Yâni sağını iyi solunu kötü maldan yapma. Astarlarına ve iç kısımlarına da hîle yapma. Dikişlerini seyrek değil, sık yap. Ayakkabıların biri ile diğerini örtme dedi.

Yine bu cümleden olarak **Ahmed b. Hanbel**'e, kolay kolay belli olmayacak şekilde dikiş ile tamir edilip satılan elbiseden sordular. Ahmed b. Hanbel "Bunu gizlemek helâl değildir." dedi.

Eğer, "Malın kusuru söylenirse, müşteri ona rağbet etmez ve alışveriş de olmaz." dersen derim ki:

Bu, hiç de senin dediğin gibi değildir. Çünkü esnâfın alacağı mal satılmayıp kendisine kalsa, kendisinin beğeneceği şekilde iyi bir mal olması lâzımdır. Sonra ona hîle yapmadan az kâr ile verirse, Allah onu bereketlendirir. Bunun güç olması, esnâfın, aza kanâat etmediklerindendir. Zâten az kâr ile meşru bir şekilde temiz mal alıp satmayı itiyâd edinen kimse, öyle çürük malları almaz. Şâyet tesâdüfen eline öyle çürük bir mal geçerse, onun kusurunu müşteriye söyler ve hattâ onu sermâyesine de satmaya râzı olur. **İbn Şîrîn** müşteriye bir koyun satarken: "Bu koyunun bir kusuru var; otunu ayağı ile eşer." dedi. **Hasan b. Sâlih** bir câriye satarken müşterisine: "Bu, bir defa yanımızda kanla karışık balgam tükürdü." demiştir.

İşte, dîndar olanlar, böyle alış-veriş ederler. Böyle yapmayanlar ya ticareti terk etsin veyâ âhiret azâbına hazırlansın.

Üçüncüsü

3 - Ölçü ve tartıda katiyen hîle yapmamak. Alırken nasıl ölçer ve tartarsa, verirken de öyle ölçüp tartmalıdır. Allahü Teâlâ şöyle buyurmuştur:

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ، اَلَّذٖينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ،
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ

"Veyl o mutaffifîne ki, insanlar üzerinden kendilerine ölçtükleri zaman tam basarlar, onlara ölçtükleri veyâ tarttıkları zaman ise eksiltirler." (Mutaffifin sûresi, 83/1-3). Bu "veyl"den kurtuluşun tek yolu, alırken biraz eksik ve verirken de biraz fazla vermektir. Çünkü tam ölçüyü bulmak çok zordur. Kurtuluş için en doğrusu, böylece biraz temâyül göstermektir. Yoksa tam mânâsıyla hakkını bulsun dersen, hakkı tecâvüz edebilir.

Bâzıları "Biz bir tâneden sebep, Allah'ın veylini satın almayız." derler ve verdikleri zaman -bir tâne de olsa- ağır, aldıkları zaman ise bu kadar eksik yapmaya gayret ederler ve "Yer ve gökler genişliğinde olan cenneti bir tâne için kaybedenlere yazıklar olsun." derlerdi. Müjdeyi veyl ile değiştiren ne de çok aldanmıştır. Bu gibi şeylerden kaçınmaya son derece ehemmiyet verirlerdi. Çünkü bunlardan tövbe ve helâlleşmek pek zordur. Zîra bu gibi hak sâhiplerini nerede bir araya toplayacaksın da birer ikişer tânelerini, üçer beşer dirhemlerini bulup kendilerine vereceksin; bu çok zor bir şeydir. Bunun için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

زِنْ وَأَرْجِحْ

"Biraz ağır tart."[55] buyurmuştur.

Tartmak için parasının kir ve lekesini temizlemeye çalışan oğlunu gören **Fudayl**: "Oğlum, senin bu yaptığın, iki (nafile) hac ve yirmi ömreden daha makbuldür." demiştir. Bir zât "Gündüz tartıp durmadan yemin eden ve geceleri sabahlara kadar yatıp uyuyan tüccar ve satıcıların nasıl kurtulacağına şaşarım." demiştir. **Süleyman aleyhisselâm** oğluna: "Oğlum, iki taş arasına kaçan buğday gibi, alıcı ile satıcı arasına da hatâlar girer." demiştir.

---

[55] Ashâb-ı Sünen ve Hâkim, Süveyd b. Kays (r.a.)dan rivâyet etmişlerdir. Tirmizi, hasen ve sahihtir, dedi. Hâkim, Müslim'in şartına göre sahihtir, dedi.

Konuşmasını, tavır ve hareketlerini kadınlara benzeten bir kimsenin ardında namaz kılan sâlih bir zâta “O ardında namaz kıldığın fâsık idi.” dediler. Bu zât sükût etti. Aynı sözü tekrâr ettiklerinde bu sâlih zât: “Sanki sen bana, biri ile alıp diğeri ile veren iki terâzi sahibi idi demek istiyorsun.” dedi. Bu cevâbıyla, onun fıskının kendisiyle Allah arasında kaldığını, Hâlbuki beriki adamın insanlara zulüm ve haksızlık yaptığına işâret etmek istedi. Kul hakkına tecâvüz edenin affı daha uzaktır. Terâzi hakkındaki şiddet ise daha fazladır. Bundan kurtulmak bir dane veyâ yarım dane ile hâsıl olur. (Yâni, terâziye müşteri lehine biraz daha fazla, tartılan şeyden koymakla)

İbn Mes’ûd kıraetine göre Er-Rahmân sûresinin dokuzuncu âyetinde “Bi’l-kıst” kelimesi yerine “Bi’l-lisân” kelimesi vardır ki, bu takdirde mânâ şöyle olur: Terâzinin dilini düzgün tutmaya dikkat ediniz ve noksan tartmayınız. Zîra noksan ve fazlalık dilin sarkmasıyla, meyliyle belli olur.

Hülâsa; Bir sözle dahi başkasından intikam almaya çalışan kimse şâyet kendisi gibi başkalarının hakkını gözetmezse, “Veyl” (vay hâline) hükmüne dâhildir. Çünkü yanlış tartmanın haram olması, tartı olması bakımından değil, başkasının hakkına tecâvüz etmesi bakımındandır. Bu, bütün işlerde câridir. Terazi sahibi adâlete riâyet etmezse, “Veyl” tehlikesi ile karşı karşıyadır. Her mükellef; işinde, sözünde ve amelinde terâzi sahibidir. İstikamet ve adâletten ayrılanın vay hâline. Bu kolay olsaydı, Allahü Teâlâ:

وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلٰى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا

“Sizden hiç biriniz müstesnâ olmamak üzere oraya (cehenneme) **uğrayacaktır. Bu, Rabbinin üzerine katî olarak aldığı kazâ ettiği** (bir şey)**dir.”** (Meryem sûresi, 19/72) buyurmazdı.

Sırât-ı müstakimden ayrılmakta hiç kimse mâsum değildir. Ancak doğru yoldan yanlış yolu meylin dereceleri çok ayrı olduğu için, cehennemde kalmanın dereceleri de ayrıdır.[56] Hattâ bâzıları cehennemde yemin bozuluncaya kadar da kalmazlar.[57]

Bâzıları da binlerce sene kalacaklardır. (Adâlet ve istikametten bizi ayırmamasını Allah'tan dileriz.) Hiç sağa sola sapmadan dosdoğru yolda olmak, cidden çok zordur. Zîra Sırât-ı müstakim, kıldan ince ve kılıçtan keskindir.

Buradaki (dünyadaki) sırât-ı müstakimden hareket etmeyenler, cehennemin üzerinde bulunan ve kıldan ince kılıçtan keskin olan Sırât Köprüsü'nden geçemezler. Burada ne nispette sırât-ı müstakimde bulundu ise o nispette kolaylıkla Sırât Köprüsü'nden geçer.

Gıda maddelerine, toprak ve benzeri yabancı maddeler katarak satanlar; eksik ölçüp yanlış tartanlar muamelesine tâbidir. Yâni "Veyl"'e onlar da dâhildir. Etin hakkı olan miktardan fazla, eti kemik ile tartıp satanlar da aynı hükümdedir. (Acaba, üzerindeki eti alıp kemiği et diye satanlar hangi muâmeleye tâbidir?) İşte her şeyi buna kıyas etmek lâzımdır. Hattâ metre ile mal alanlar alırken bezi sündürmez, hâli üzerine terkeder. Fakat verirken,

---

56. **"Sizden oraya uğramayacak kimse yoktur."** mealindeki âyet-i celîlede zamîrin mercii doğrudan cehennem olacağı gibi, Sırat Köprüsü de olabilir ve en doğrusu da budur. Cehennem de olsa, herkesin orada yanacağı ifadesinin mânâsı anlaşılmaz. Hesâb, mîzan ve sırat görmeden cennete girecek bahtiyarlar olacağı gibi, oradan cehennem ateşinden aslâ müteessir olmadan geçecek mü'minler de vardır. Mü'minlerden cehennemde yanacaklar, buraya kadar affa uğramayan ve şefaate mazhar-olamayan âsîlerdir.
57. Bu, bir yeminin akabinde "İnşaallah" demekle de mümkündür. Buna göre bu kadar bir zaman cehennemde kalırlar demektir veyâ bir keffaret-i yemîn yapılacak kadar zaman demektir.

birkaç santim fazla gelsin diye metreye asılarak ölçenler de aynı hükümdedir. Bunların hepsinde “veyl” vardır.

Dördüncüsü

Piyasaya sâdık kalmak ve fiyatı -gizlememektir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) kafileyi yolda karşılayıp mallarını almaktan[58] ve almayacağı malın üzerine varmaktan nehyetmiştir.[59]

Kafileyi karşılamak: Herhangi bir yerden gelen maddeleri almak için piyasayı gizli tutarak, kafileyi karşılayıp mallarını almak, demektir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bunu men ederek:

لَا تَتَلَقَّوُا الرُّكْبَانَ

“Kafileyi karşılamayın.” buyurmuştur. Böylece malı elinden alınan kimse muhayyerdir; dilerse alış-verişi bozabilir. Gerçi bu alışveriş sahihtir. Fakat çarşıya geldikten sonra, piyasayı yanlış haber verdiğini anlarsa, mal sahibi alış-verişten cayabilir. Şâyet doğru haber vermişse; akdedilmiş olan satıştan dönüp dönemeyeceği ihtilâflıdır. Çünkü aldanmak olmadığı gibi, bu husustaki haberler de muâraza hâlindedir. Bunun için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şehirlinin, köylünün malını satmasından men etmiştir.[60] Yâni daha pahalı satarım diye malını köylüye sattırmaz, köylüden alır ve kendisi köylünün nâmına satar. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), bundan da men etmiştir. Bu, gıda maddelerinde haram, diğer maddelerde

---

[58] Buhârî ile Müslim, İbn Abbâs (r.a.)dan ve Ebû Hüreyre (r.a.)den rivâyet etmişlerdir.

[59] Buhârî ile Müslim. İbn Ömer (r.a.) ve Ebû Hüreyre (r.a.)den rivâyet etmişlerdir.

[60] Buhârî ile Müslim, İbn Abbâs, Ebû Hüreyre ve Enes (radıyallahu anhüm) den rivâyet etmişlerdir.

ise şüphelidir. Fakat nehiy mutlak ve umûmî olduğu için -hangi madde olursa olsun- haramdır. Çünkü köylünün malını alıp bekletmekle piyasada, fuzûlî bir darlık meydana getirilmiş oluyor.[61]

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) "Necş"den men etmiştir. "Necş"in mânâsı müşteri kızıştırmak, yâni almayacağı malı arttırıp daha pahalıya müşteriye sattırmaktır. Şâyet mal sahibi ile anlaşmamış ise bu hareket, haram ve fakat akit sahihtir.[62] Şâyet mal sahibi ile aralarında anlaşma olmuşsa, akdin sıhhatinde ihtilâf varsa da, evlâ olan alanın muhayyer olmasıdır. Bu da aynen kafileyi karşılayıp, malını elinden almak gibidir.

Bütün bu yasaklar, alış-verişte piyasayı, râyici ve bu hususta bildiklerini gizlemenin, câiz olmadığına delîldir. Böyle yapmak, yapılması farz olan nasihatin hilâfına olarak bir haram irtikâb etmektir.

Tâbiînden birisi (**Yûnus b. Ubeydü'l-Basrî**'dir), Basra'da ticaret eder. Bir kölesi de Horasan'ın Sus şehrinde kendisi için şeker imâl ederdi. Kölesi kendisine yazdığı mektupta: "Bu sene şeker kamışlarına hastalık geldi, sen şekeri depo et." dedi. Adamcağız da Basra'da tüccarın şekerini tamamen aldı. Vakti gelince, şekeri otuz bin dirhem kârı ile sattı. Akşam evine gelip yatağına yatınca, şöyle bir düşündü: "Evet ben otuz bin dirhem kazandım. Fakat diğer taraftan yapmakla mükellef olduğum nasihati terkettim. Adama vaziyeti anlatmadan malını aldım. Bunun için de mânevi ziyândayım. Bunun en doğrusu, bu ticareti adama vermektir." dedi ve sabahleyin doğruca şeker tüccarına giderek:

---

[61] Hanefilere göre, şehirde kesatlık yoksa beis yoktur.

[62] Hanefilere göre, bunun yasak olması, alıcının, malı değeri ile alacağı zamandır.

- “Paranı al.” dedi. Tüccar:

- “Hayrola! Bu para nereden?” diye sorunca, adam hâdiseyi anlattı ve o zaman piyasayı ve şekerin vaziyetini haber vermediği için kendisini aldatmış olduğunu söyledi. Tüccar:

- “Helâl-i hoş olsun. O zaman anlatmamışsan, şimdi vaziyeti bildirdin. Memnun oldum, paranı al götür.” dedi. Adam evine dönünce yine düşündü: “Hayır, bu doğru değil. Ben tüccarı aldattım. O zaman şekerin vaziyetini kendisine bildirmedim. Tüccar şimdi utandığı için bu parayı, kabul etmemiştir.” diyerek ertesi gün hemen parayı götürüp tüccara teslim etti:

- “Benim gönlüm ancak böyle rahat eder, sen şu malını al.” dedi.

Bu söz üzerine şekerin sahibi parayı aldı. İşte ticaret mevzuunda bize ulaşan bu örnekler, ticârî muamelelerde fırsatçılık yapmanın, satıcı veyâ alıcıdan o günkü fiyat ve râyiç değişikliklerini gizlemenin, onun gaflet ve bilgisizliğinden istifâde etmenin câiz olmadığını bize anlatmaktadır. Bunlara riâyet etmeyen kişi haksızlık yapmış, zâlim olmuş; adaleti terk etmiş ve dîn kardeşine karşı vazîfe ve yardımı yapmamış olur.

Bir kimse bir malı “Bu mal bana şu kadara mal olmuştu.” veyâ “Onu şu kadara satın almıştım.” diyerek kârıyla satarken, o malı satın aldıktan sonra meydana gelmiş olan bir kusur falan varsa, bunu da belirtmelidir. Eğer o malı vadeli aldıysa onu da söylemelidir. Eğer mal, bir dostundan veyâ onun oğlundan müsâmahalı bir şekilde aldıysa bunu da belirtecektir. Zîra ticaretle uğraşanların aralarındaki âdet şudur ki, satıcının malı hakkındaki beyanlarına güvenirler. Alışverişte îtibar satanın malı hakkındaki beyanınadır. Binaenaleyh satıcı malı hakkında herşeyi dosdoğru söylemelidir. Bu onun vazîfesidir.

البابُ الرّابعُ
في الإحسانِ في المعاملةِ

وقدْ أمرَ اللهُ تعالىٰ بالعدلِ والإحسانِ جميعاً ، والعدلُ سببُ النجاةِ فقطْ ، وهوَ يجري مِنَ التجارةِ مَجرىٰ رأسِ المالِ ، والإحسانُ سببُ الفوزِ ونيلِ السعادةِ ، وهوَ يجري مِنَ التجارةِ مَجرى الربحِ ، ولا يُعدُّ مِنَ العقلاءِ مَنْ قنعَ في معاملاتِ الدنيا برأسِ مالِهِ ، فكذا في معاملاتِ الآخرةِ ، فلا ينبغي للمتديِّنِ أنْ يقتصرَ على العدْلِ واجتنابِ الظلمِ ويدعَ أبوابَ الإحسانِ وقدْ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

ونعني بالإحسانِ : فعلَ ما ينتفعُ بهِ المعاملُ وهوَ غيرُ واجبٍ عليهِ ، ولكنَّهُ تفضُّلٌ منهُ ؛ فإنَّ الواجبَ يدخلُ في بابِ العدلِ وترْكِ الظلمِ ، وقدْ ذكرناهُ .

وتُنالُ رتبةُ الإحسانِ بواحدٍ مِنْ ستةِ أمورٍ :

الأوَّلُ : في المغابنةِ :

فينبغي ألاَّ يغبنَ صاحبَهُ بما لا يُتغابنُ بهِ في العادةِ ، فأمَّا أصلُ المغابنةِ . . فمأذونٌ فيهِ ؛ لأنَّ البيعَ للربحِ ، ولا يمكنُ ذلكَ إلاَّ بغبنٍ ما ، ولكنْ يراعي

فيهِ التقريبَ ، فإنْ بذلَ المشتري زيادةً على الربحِ المعتادِ ؛ إمَّا لشدةِ رغبتِهِ ، أوْ لشدَّةِ حاجتِهِ إليهِ في الحالِ . . فينبغي أنْ يمتنعَ عنْ قبولِهِ ، فذلكَ مِنَ الإحسانِ .

ومهما لمْ يكنْ تلبيسٌ . . لمْ يكنْ أخذُ الزيادةِ ظلماً ، وقدْ ذهبَ بعضُ العلماءِ إلىٰ أنَّ الغبنَ بما يزيدُ على الثلثِ يوجبُ الخيارَ ، ولسنا نرىٰ ذلكَ ، ولكنْ مِنَ الإحسانِ أنْ يحطَّ ذلكَ الغبنَ .

يُروىٰ أنَّهُ كانَ عندَ يونسَ بنِ عبيدٍ حُلَلٌ مختلفةُ الأثمانِ ، ضربٌ قيمةُ كلِّ حلَّةٍ منها أربعُ مئةٍ ، وضربٌ كلُّ حلَّةٍ قيمتُها مئتانِ ، فمضىٰ إلى الصلاةِ وخلَّفَ ابنَ أخيهِ في الدكَّانِ ، فجاءَ أعرابيٌّ وطلبَ حلَّةً بأربعِ مئةٍ ، فعرضَ عليهِ مِنْ حُلَلِ المئتين ، فاستحسنَها ورضيَها ، فاشتراها منهُ ، فمشىٰ بها وهيَ علىٰ يدِهِ ، فاستقبلَهُ يونسُ ، فعرفَ حلَّتَهُ ، فقالَ بكمِ اشتريتَ هـٰذهِ ؟ فقالَ : بأربعِ مئةٍ ، فقالَ : لا تَسْوىٰ أكثرَ مِنْ مئتينِ ، فارجعْ حتَّىٰ تردَّها ، فقالَ : هـٰذهِ تَسْوىٰ في بلدِنا خمسَ مئةٍ ، وأنا أرتضيها ، فقالَ لهُ يونسُ : انصرفْ ؛ فإنَّ النصحَ في الدينِ خيرٌ مِنَ الدنيا بما فيها ، ثمَّ ردَّهُ إلى الدكَّانِ ، وردَّ عليهِ مئتي درهمٍ ، وخاصمَ ابنَ أخيهِ وقاتلَهُ ، وقالَ : أما استحييتَ ، أما اتقيتَ اللهَ ؟! تربحُ مثلَ الثمنِ وتتركُ النصْحَ للمسلمينِ ؟! فقالَ : واللهِ ؛ ما أخذَها إلا وهو راضٍ بها ! قالَ : أفلا رضيتَ لهُ بما ترضاهُ لنفسِكَ ؟!(١) .

---

(١) كذا في « القوت » (٢/٢٦٧) ، وقد رواها أبو نعيم في « الحلية » (٣/١٥) وفيها : =

وهـٰذا إنْ كانَ فيهِ إخفاءُ سعرٍ وتلبيسٌ . . فهوَ مِنْ بابِ الظلمِ ، وقدْ سبقَ .

وفي الحديثِ : « غبنُ المسترسلِ حرامٌ »(١) .

وكانَ الزبيرُ بنُ عديٍّ يقولُ : (أدركتُ ثمانيةَ عشرَ مِنَ الصحابةِ ما منهُمْ أحدٌ يحسنُ يشتري لحماً بدرهمٍ)(٢) .

فغبْنُ مثلِ هـٰؤلاءِ المسترسلينَ ظلمٌ ، وإنْ كانَ مِنْ غيرِ تلبيسٍ . . فهوَ مِنْ تركِ الإحسانِ ، وقلَّما يتمُّ هـٰذا إلا بنوعِ تلبيسٍ وإخفاءِ سعرِ الوقتِ .

وإنَّما الإحسانُ المحْضُ ما نقلَ عنِ السريِّ السقطيِّ رحمهُ اللهُ : أنَّهُ اشترىٰ كُرَّ لوزٍ بستينَ ديناراً ، وكتبَ في رُوْزْنامَچه(٣) : ثلاثةُ دنانيرَ ربحُهُ ، وكأنَّهُ رأىٰ أنْ يربحَ على العشرةِ نصفَ دينارٍ ، فصارَ اللوزُ بتسعينَ ديناراً ،

= أن الأعرابي قال : (أسألك بالله ، من أنت وما اسمك ؟ قال : يونس بن عبيد ، قال : فوالله إنا لنكون في نحر العدو ، فإذا اشتد علينا . . قلنا : اللهم ، ربَّ يونس بن عبيد ؛ فرج عنا ـ أو شبيه هـٰذا ـ فقال يونس : سبحان الله ، سبحان الله !) ، وقوله : (**تسوىٰ**) : لغة علىٰ قول في (تساوي) ، وعامة أهل اللغة علىٰ أنها ليست بفصيحة .

(١) رواه الطبراني في « الكبير » (٨/ ١٢٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ١٨٧) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٥/ ٣٤٩) ، **والمسترسل** : من استأنس لمعامله واطمأن إليه ، وكأنه قد سلَّم أمره إليه .

(٢) رواه البخاري في « التاريخ الكبير » (٣/ ٣٤١) ، وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (١/ ٢٨٠) .

(٣) **روزنامچه** : لفظة فارسية ، وهو سجل الوقائع كالروزنامه ، وقال الحافظ الزبيدي : (هو الدفتر الذي يكتب فيه حساب الداخل والخارج) . « إتحاف » (٥/ ٤٩٦) .

فأتاهُ الدلاَّلُ وطلبَ اللوزَ ، فقالَ : خُذْهُ ، فقالَ : بكمْ ؟ فقالَ : بثلاثةٍ وستينَ ديناراً ، فقالَ الدلاَّلُ ـ وكانَ منَ الصالحينَ ـ : قدْ صارَ اللوزُ بتسعينَ ! فقالَ السريُّ : قدْ عقدتُ عقداً لا أحلُّهُ ، لستُ أبيعُهُ إلا بثلاثةٍ وستينَ ، فقالَ الدلاَّلُ : وأنا عقدتُ بيني وبينَ اللهِ تعالىٰ ألاَّ أغشَّ مسلماً ، لستُ آخذُ منكَ إلا بتسعينَ ، قالَ : فلا الدلاَّلُ اشترىٰ منهُ ، ولا السريُّ باعَهُ !(١) .

فهـٰذا محضُ الإحسانِ مِنَ الجانبينِ ؛ فإنَّهُ معَ العلمِ بحقيقةِ الحالِ .

ويُروىٰ عنْ محمدِ بنِ المنكدرِ أنَّهُ كانَ لهُ شقاقٌ(٢) ؛ بعضُها بخمسةٍ ، وبعضُها بعشرةٍ ، فباعَ في غيبتِهِ غلامُهُ شُقَّةً مِنَ الخمسيَّاتِ بعشرةٍ ، فلمَّا عرفَ . . لمْ يزلْ يطلبُ ذلكَ الأعرابيَّ المشتريَ طولَ النهارِ حتَّىٰ وجدَهُ ، فقالَ لهُ : إنَّ الغلامَ قدْ غلطَ فباعَكَ ما يَسوىٰ خمسةً بعشرةٍ ، فقالَ : يا هـٰذا ؛ قدْ رضيتُ ، فقالَ : وإنْ رضيتَ . . فإنَّا لا نرضىٰ لكَ إلا ما نرضاهُ لأنفسِنا ، فاختَرْ إحدىٰ ثلاثِ خصالٍ : إمَّا أنْ تأخذَ شُقَّةً مِنَ العشريَّاتِ بدراهمِكَ ، وإمَّا أنْ نردَّ عليكَ خمسةً ، وإما أنْ تردَّ شُقَّتَنا وتأخذَ دراهمَكَ ،

---

(١) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٩/١٨٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠/١٨٣) .

(٢) الشِّقاق : جمع شُقَّة ؛ كقِباب وقُبَّة ، نوع من الثياب ، وتجمع علىٰ شُقَق قياساً مطرداً ، وضبطها الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٥/٤٩٦) بضم الشين في الجمع ، ولم يذكره في « التاج » كذلك .

فقالَ : أعطني خمسةً ، فردَّ عليهِ خمسةً ، وانصرفَ الأعرابيُّ يسألُ ويقولُ : مَنْ هـٰذا الشيخُ ؟ فقيلَ لهُ : هـٰذا محمدُ بنُ المنكدرِ ، فقالَ : لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، هـٰذا الذي نستسقي بهِ في البوادي إذا قحطْنا .

فهـٰذا إحسانٌ في ألاَّ يُربَحَ على العشرةِ إلا نصفٌ أوْ واحدٌ علىٰ ما جرَتْ بهِ العادةُ في مثلِ ذلكَ المتاعِ في ذلكَ المكانِ .

ومَنْ قنعَ بربحٍ قليلٍ . . كثرَتْ معاملاتُهُ ، واستفادَ مِنْ تكرُّرِها ربحاً كثيراً ، وبهِ تظهرُ البركةُ ، كانَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ يدورُ في سوقِ الكوفةِ بالدِّرَّةِ ويقولُ : (معاشرَ التجَّارِ ؛ خذوا الحقَّ وأعطوا الحقَّ . . تسلموا ، لا تردُّوا قليلَ الربحِ فتُحرموا كثيرَهُ)(١) .

وقيلَ لعبدِ الرحمـٰنِ بنِ عوفٍ رضيَ اللهُ عنهُ : ما سببُ يسارِكَ ؟ قالَ : ثلاثٌ : ما رددتُ ربحاً قطُّ ، ولا طُلِبَ منِّي حيوانٌ فأخَّرتُ بيعَهُ ، ولا بعتُ بنسيئةٍ(٢) .

ويُقالُ : إنَّهُ باعَ ألفَ ناقةٍ ، فما ربحَ إلا عُقُلَها ، باعَ كلَّ عقالٍ بدرهمٍ ، فربحَ فيها ألفاً ، وربحَ مِنَ النفقةِ عليها ليومِهِ ألفاً(٣) .

* * *

---

(١) رواه وكيع في « أخبار القضاة » (٢/ ١٩٦) .
(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٧٣) .
(٣) قوت القلوب (٢/ ٢٧٣) .

الثاني : في احتمالِ الغبْنِ :

فالمشتري إنِ اشترىٰ طعاماً مِنْ ضعيفٍ ، أوْ شيئاً مِنْ فقيرٍ . . فلا بأسَ أنْ يحتملَ الغبْنَ ويتساهلَ ، ويكونَ بهِ محسناً ، وداخلاً في قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رحمَ اللهُ امرأً سهلَ البيعِ ، سهلَ الشراءِ »(١) .

فأمَّا إذا اشترىٰ مِنْ غنيٍّ تاجرٍ يطلبُ الربحَ زيادةً علىٰ حاجتِهِ . . فاحتمالُ الغبْنِ منهُ ليسَ محموداً ، بلْ هوَ تضييعُ مالٍ مِنْ غيرِ أجرٍ ولا حمدٍ ، فقدْ وردَ في حديثٍ مِنْ طريقِ أهلِ البيتِ : « المغبونُ لا محمودٌ ولا مأجورٌ »(٢) .

وكانَ إياسُ بنُ معاويةَ قاضي البصرةِ ـ وكانَ مِنْ عقلاءِ التابعينَ ـ يقولُ : (لستُ بِخبٍّ ، والخبُّ لا يغبِنُني ، ولا يغبنُ ابنَ سيرينَ ، ولكنْ يغبنُ الحسنَ ويغبنُ أبي)(٣) يعني : معاويةَ بنَ قرَّةَ .

والكمالُ في ألاَّ يغبنَ ولا يُغبنَ ؛ كما وصفَ بعضُهُمْ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ فقالَ : (كانَ أكرمَ مِنْ أنْ يَخدعَ ، وأعقلَ مِنْ أن يُخدعَ)(٤) .

وكانَ الحسنُ والحسينُ وغيرُهما مِنْ خيارِ السلفِ يستقصونَ في الشراءِ ،

---

(١) رواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٦٨٣٠) .

(٢) رواه البخاري في « التاريخ الكبير » (٧/ ٤١) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٦٧٨٣) ، والطبراني في « الكبير » (٣/ ٨٣) .

(٣) رواه وكيع في «أخبار القضاة» (١/ ٣٤٨) وفيه : (يخدعني) بدل (يغبنني) وكذا سياقه .

(٤) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٧٦) من قول المغيرة بن شعبة في حق الفاروق رضي الله عنهما .

ثمَّ يهبونَ معَ ذلكَ الجزيلَ مِنَ المالِ ، فقيلَ لبعضِهِمْ : تستقصي في شرائِكَ على اليسيرِ ثمَّ تهبُ الكثيرَ ولا تبالي ؟! فقالَ : (إنَّ الواهبَ يعطي فضلَهُ ، وإنَّ المغبونَ يغبنُ عقلَهُ)⁽¹⁾ .

وقالَ بعضُهُمْ : (إنَّما أغبنُ عقلي وبصيرتي ، فلا أمكِّنُ الغابنَ منهُ ، وإذا وهبتُ . . أعطي للهِ ولا أستكثرُ لهُ شيئاً)⁽²⁾ .

* * *

الثالثُ : في استيفاءِ الثمنِ وسائرِ الديونِ :

والإحسانُ فيهِ : مرَّةً بالمسامحةِ وحطِّ البعضِ ، ومرَّةً بالإمهالِ والتأخيرِ ، ومرَّةً بالمساهلةِ في طلبِ جودةِ النقدِ .

وكلُّ ذلكَ مندوبٌ إليهِ ، ومحثوثٌ عليهِ ، قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رحمَ اللهُ آمرأً سهلَ البيعِ ، سهلَ الشراءِ ، سهلَ القضاءِ ، سهلَ الاقتضاءِ »⁽³⁾ ، فليغتنمْ دعاءَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « اسمحْ . . يُسمَحْ لكَ »⁽⁴⁾ .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « مَنْ أنظرَ معسراً أوْ تركَ لهُ . . حاسبَهُ اللهُ

---

(1) قوت القلوب (٢/ ٢٧٠) .

(2) قوت القلوب (٢/ ٢٧٠) .

(3) تقدم قريباً .

(4) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٤٨) ، والطبراني في « الأوسط » (٥١٠٨) .

حساباً يسيراً » ، وفي لفظٍ آخرَ : « أظلَّهُ اللهُ تحتَ ظلِّ عرشِهِ يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّهُ »⁽¹⁾ .

وذكرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رجلاً كانَ مسرفاً علىٰ نفسِهِ ، حُوسِبَ فلمْ يُوجدْ لهُ حسنةٌ ، فقيلَ لهُ : هلْ عملتَ خيراً قطُّ ؟ فقالَ : لا ، إلا أنِّي كنتُ رجلاً أداينُ الناسَ فأقولُ لفتياني : سامحوا الموسرَ وأنظروا المعسرَ ـ وفي لفظٍ آخرَ : وتجاوزوا عنِ المعسرِ ـ فقالَ اللهُ تعالىٰ : نحنُ أحقُّ بذلكَ منكَ ، فتجاوزَ اللهُ عنهُ وغفرَ لهُ »⁽²⁾ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أقرضَ ديناً إلىٰ أجلٍ . . فلهُ بكلِّ يومٍ صدقةٌ إلىٰ أجلِهِ ، فإذا حلَّ الأجلُ فأنظرَهُ بعدَهُ . . فلَهُ بكلِّ يومٍ مثلُ ذلكَ الدينِ صدقةً »⁽³⁾ .

وقدْ كانَ مِنَ السلفِ مَنْ لا يحبُّ أنْ يقضيَ غريمُهُ الدينَ لأجلِ هـٰذا الخبرِ حتَّىٰ يكونَ كالمتصدِّقِ بجميعِهِ كلَّ يومٍ⁽⁴⁾ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رأيتُ علىٰ بابِ الجنَّةِ مكتوباً : الصدقةُ

---

(1) رواه مسلم (٣٠١٤) ، واللفظ الأول في « القوت » (٢/ ٢٧٠) .

(2) رواه البخاري (٢٠٧٧) ، ومسلم (١٥٦٠) واللفظ له .

(3) كذا في « القوت » (٢/ ٢٧٠) ، وقد رواه ابن ماجه (٢٤١٨) بلفظ : « من أنظر معسراً . . كان له بكل يوم صدقة ، ومن أنظره بعد حله . . كان له مثله في كل يوم صدقة » ، وفي (و) : (مَنْ أقرض ديناراً . . .) .

(4) قوت القلوب (٢/ ٢٧٠) .

بعشرِ أمثالِها ، والقرضُ بثمانِ عشرةَ »[1] ، فقيلَ في معناهُ : إنَّ الصدقةَ تقعُ في يدِ المحتاجِ وغيرِ المحتاجِ ، ولا يتحمَّلُ ذلَّ الاستقراضِ إلا محتاجٌ[2] .

ونظرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ رجلٍ يلازمُ رجلاً بدينٍ ، فأومأَ إلىٰ صاحبِ الدينِ بيدِهِ : أنْ ضَعِ الشطرَ ، ففعلَ ، فقالَ للمديونِ : « قمْ فأعطِهِ »[3] .

وكلُّ مَنْ باعَ شيئاً وتركَ ثمنَهُ في الحالِ ، ولمْ يرهقْ إلىٰ طلبِهِ . . فهوَ في معنى المقرِضِ ، ورُوِيَ أنَّ الحسنَ البصريَّ باعَ بغلةً لهُ بأربعِ مئةِ درهمٍ ، فلمَّا استوجبَ المالَ . . قالَ لهُ المشتري : اسمحْ يا أبا سعيدٍ ؛ قالَ : قدْ أسقطتُ عنكَ مئةً ، قالَ لهُ : فأحسنْ يا أبا سعيدٍ ؛ فقالَ : قد وهبتُ لكَ مئةً أخرىٰ ، فقبضَ مِنْ حقِّهِ مئتي درهمٍ ، فقيلَ لهُ : يا أبا سعيدٍ ؛ هـٰذا نصفُ الثمنِ ! فقالَ : هـٰكذا يكونُ الإحسانُ ، وإلاَّ . . فلا[4] .

---

[1] رواه ابن ماجه (٢٤٣١) .

[2] وهو تتمة الحديث ، ولفظه : « فقلت : يا جبريل ؛ ما بال القرض أفضل من الصدقة ؟ قال : لأن السائل يسأل وعنده ، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة » ، وقال الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (ص٢١٩) : (المتصدق حسبَ له الدرهم بعشرة ، فدرهم صدقته وتسعة زائدة ، فصارت له عشرة ، والقرض علىٰ ضعف الصدقة ، فدرهم قرضه يرجع إليه ، فلا يحسب ، بقي تسعة ، فتضاعف ، فيكون ثمانية عشر ، والله أعلم وأحكم) .

[3] رواه البخاري (٤٧١) ، ومسلم (١٥٥٨) ، وصاحب الدين هو كعب بن مالك رضي الله عنه .

[4] قوت القلوب (٢/ ٢٧٠) .

وفي الخبرِ : « خذْ حقَّكَ في عفافٍ ، وافٍ أوْ غيرَ وافٍ . . يحاسبْكَ اللهُ حساباً يسيراً »⁽¹⁾ .

* * *

الرابعُ : في توفيةِ الدينِ :

ومنَ الإحسانِ فيهِ حسنُ القضاءِ ؛ وذلكَ بأنْ يمشيَ إلىٰ صاحبِ الحقِّ ولا يكلِّفَهُ أنْ يمشيَ إليهِ يتقاضاهُ ، فقدْ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « خيرُكُمْ أحسنُكُمْ قضاءً »⁽²⁾ .

ومهما قدرَ علىٰ قضاءِ الدينِ . . فليبادرْ إليهِ ولوْ قبلَ وقتِهِ ، وليسلِّمْ أجودَ مما شرطَ عليهِ وأحسنَ .

وإنْ عجزَ . . فلينوِ قضاءَهُ مهما قدرَ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنِ ادَّانَ ديناً وهوَ ينوي قضاءَهُ . . وكلَ اللهُ بهِ ملائكةً يحفظونَهُ ويدعونَ لهُ حتَّىٰ يقضيَهُ »⁽³⁾ .

وكانَ جماعةٌ مِنَ السلفِ يستقرضونَ منْ غيرِ حاجةٍ لهٰذا الخبرِ⁽⁴⁾ .

---

(1) رواه ابن ماجه (٢٤٢٢) دون قوله : (يحاسبك . . .) ، وهي في « القوت » (٢/ ٢٧٠) .

(2) رواه البخاري (٢٣٠٥) ، ومسلم (١٦٠١) .

(3) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ٢٥٠) ولفظه : « من داين الناس بدين يعلم الله منه أنه حريص علىٰ أدائه . . كان معه من الله عون وحافظ » ، وعند ابن ماجه (٢٤٠٨) : « ما من مسلم يدَّان ديناً يعلم الله منه أنه يريد أداءه . . إلا أداه الله عنه في الدنيا » .

(4) كالسيدة عائشة رضي الله عنها ؛ روىٰ أحمد في « المسند » (٦/ ٧٢) : كانت عائشة تداين ، فقيل لها : ما لك وللدين ؟ قالت : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم =

ومهما كلَّمَهُ صاحبُ الحقِّ بكلامٍ خشنٍ.. فليحتملْهُ ، وليقابلْهُ باللطفِ ؛ اقتداءً برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، إذْ جاءَهُ صاحبُ الدينِ عندَ حلولِ الأجلِ ولمْ يكنْ قدِ اتفقَ قضاؤُهُ ، فجعلَ الرجلُ يشدِّدُ الكلامَ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فهمَّ بهِ أصحابُهُ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « دعوهُ ؛ فإنَّ لصاحبِ الحقِّ مقالاً »(١) .

ومهما دارَ الكلامُ بينَ المستقرضِ والمقرضِ.. فالإحسانُ أنْ يكونَ الميلُ الأكثرُ من المتوسِّطِ إلىٰ مَنْ عليهِ الدينُ ؛ فإنَّ المقرضَ يقرضُ عن غنىً ، والمستقرضُ يستقرضُ عنْ حاجةٍ ، وكذلكَ ينبغي أنْ تكونَ الإعانةُ للمشتري أكثرَ ؛ فإنَّ البائعَ راغبٌ عنِ السلعةِ ، يبغي ترويجَها ، والمشتري محتاجٌ إليها .

هـٰذا هوَ الأحسنُ ، إلا أنْ يتعدَّىٰ مَنْ عليهِ الدينُ حدَّهُ ، فعندَ ذلكَ نصرتُهُ في منعِهِ مِنْ تعدِّيهِ وإعانةِ صاحبِهِ ؛ إذْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « انصرْ أخاكَ ظالماً أوْ مظلوماً » ، فقيلَ : كيفَ ننصرُهُ ظالماً ؟ فقالَ : « منعُكَ إيَّاهُ مِنَ الظلمِ نصرةٌ لهُ »(٢) .

* * *

= يقول : « ما من عبد كانت له نية في أداء دينه.. إلا كان له من الله عز وجل عون » ، فأنا ألتمس ذلك العون .

(١) رواه البخاري (٢٣٠٦) ، ومسلم (١٦٠١) ، وهو قطعة من الحديث المتقدم قريباً عندهما .

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٤) ، ومسلم (٢٥٨٤) .

الخامسُ : أنْ يُقيلَ مَنْ يستقيلُهُ :

فإنَّهُ لا يستقيلُ إلا متندِّمٌ مستضرٌّ بالبيعِ ، ولا ينبغي أنْ يرضىٰ لنفسِهِ أنْ يكونَ سببَ استضرارِ أخيهِ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أقالَ نادماً صفقتَهُ . . أقالَهُ اللهُ عثرتَهُ يومَ القيامةِ »(١) أوْ كما قالَ .

* * *

السادسُ : أنْ يقصدَ في معاملتِهِ جماعةً مِنَ الفقراءِ بالنسيئةِ :

وهوَ في الحالِ عازمٌ علىٰ ألاَّ يطالبَهُمْ إنْ لمْ تظهرْ لهمْ ميسرةٌ ، فقدْ كانَ في صالحي السلفِ مَنْ لهُ دفترانِ للحسابِ ، أحدُهُما : ترجمتُهُ مجهولةٌ ، فيهِ أسماءُ مَنْ لا يعرفُهُ مِنَ الضعفاءِ والفقراءِ ، وذلكَ أنَّ الفقيرَ كانَ يرى الطعامَ أوِ الفاكهةَ فيشتهيهِ ، فيقولُ : أحتاجُ إلىٰ خمسةِ أرطالٍ مِنْ هـٰذا مثلاً وليسَ معي ثمنُهُ ، فكانَ يقولُ : خذْهُ واقضِ ثمنَهُ عندَ الميسرةِ ، ولمْ يكنْ يُعدُّ هـٰذا مِنَ الخيارِ ، بلْ عُدَّ مِنَ الخيارِ مَنْ لمْ يكنْ يثبتُ اسمَهُ في الدفترِ أصلاً ، ولا يجعلُهُ ديناً ، ولكنْ يقولُ : خذْ ما تريدُ ، فإنْ يسرَ لكَ . . فاقضِ ، وإلا . . فأنتَ في حلٍّ منهُ وسعةٍ(٢) .

---

(١) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٥٠٢٩) ، وفي (هـ) : (بيعته) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٧٢) .

فهٰذهِ طرقُ تجاراتِ السلفِ وقدِ اندرسَتْ، والقائمُ بهِ محيٍ لهٰذهِ السنَّةِ.

* * *

وبالجملةِ : التجارةُ محكُّ الرجالِ ، وبها يُمتحنُ دينُ الرجلِ وورعُهُ ، ولذلكَ قيلَ(١) : [من مجزوء الرمل]

لا يَغُرَّنْكَ مِنَ ٱلْمَرْ   ءِ قَمِيصٌ رَقَعَهْ
أَوْ إِزارٌ فَوْقَ كَعْبِ ٱلْـ   ـسَّاقِ مِنْهُ رَفَعَهْ
أَوْ جَبِينٌ لاحَ فِيهِ   أَثَرٌ قَدْ قَلَعَهْ(٢)
وَلَدَى ٱلدِّرْهَمِ فَٱنْظُرْ   غِيَّهُ أَوْ وَرَعَهْ

ولذلكَ قيلَ : (إذا أثنىٰ على الرجلِ جيرانُهُ في الحضرِ ، وأصحابُهُ في السفرِ ، ومعاملوهُ في الأسواقِ . . فلا تشكُّوا في صلاحِهِ)(٣) .

وشهدَ عندَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ شاهدٌ ، فقالَ : ائتني بمَنْ يعرفُكَ ، فأتاهُ برجلٍ ، فأثنىٰ عليهِ خيراً ، فقالَ لهُ عمرُ : أنتَ جارُهُ الأدنى الذي يعرفُ

---

(١) الأبيات في « المدهش » (١/ ٢١١) من غير نسبة .

(٢) أثر قد قلعه : تشبيه كثرة السجود وأثرها على الجبين بركبة العنز كيف فيها أثر القلع ، وقد يكون هٰذا مصطنعاً بمعالجة . انظر « الإتحاف » (٥/ ٥٠٥) .

(٣) كذا في « القوت » (٢/ ٢٧٢) ، ورواه بنحوه عن عمر رضي الله عنه هناد في « الزهد » (١٠٤١) .

مدخلَهُ ومخرجَهُ ؟ قالَ : لا ، فقالَ : كنتَ رفيقَهُ في السفرِ الذي يُستدلُّ بهِ علىٰ مكارمِ الأخلاقِ ؟ فقالَ : لا ، قالَ : فعاملتَهُ بالدينارِ والدرهمِ الذي يستبينُ بهِ ورعُ الرجلِ ؟ فقالَ : لا ، قالَ : أظنُّكَ رأيتَهُ قائماً في المسجدِ يهمهمُ بالقرآنِ ، يخفضُ رأسَهُ طوراً ويرفُعُه أخرى ؟ قالَ : نعمْ ، فقالَ : اذهبْ ، فلستَ تعرفُهُ ، وقالَ للرجلِ : اذهبْ فأتني بمَنْ يعرفُكَ (١) .

* * *

---

(١) كذا في « القوت » (٢/ ٢٧٢) ، ورواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ١٢٥) .

Dördüncü Bab

TİCÂRÎ MUÂMELEDE İHSÂN

Allahü Teâlâ hem adâlet, hem de ihsân ile emretmiştir. Adalet, kurtuluşa biricik sebebtir ve kurtuluş için ticaretin sermâyesi gibidir. İhsân, umduğunu bulmaya ve ebedî saâdete vesîledir. Bu da ticaretin kârı gibidir. Dünya ticaretinde, hiç kâr yapmadan sermâyesine alış-verişe kimse râzı olmadığı gibi, âhiret muâmelesinde de, dindâr olan kimsenin sâdece zulüm yapmaktan sarf-ı nazar edip, yalnız adâletle yetinerek ihsânı terketmesi uygun olmaz. Nitekim Allahü Teâlâ:

وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللّٰهُ إِلَيْكَ

“Allah’ın, sana ihsân ettiği gibi, sen de ihsân et.” (Kasas sûresi, 28/77) buyurmuştur. Diğer âyet-i celîlede:

إِنَّ رَحْمَتَ اللّٰهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ

“Muhakkak Allah’ın rahmeti ihsân edenlere yakındır; ihsân edenleredir.” (A’râf sûresi, 7/56) buyurmuştur. Bir başka âyette de:

إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

“Muhakkak Allah, adâlet ve ihsan ile emreder.” (Nahl sûresi, 16/90) buyurulmuştur. Ticarette ihsân demek, müşteriye ikrâm etmek demektir. Bu ihsân vâcib değil, belki bir fazîlettir. Vâcip olan, yukarıda da anlattığımız gibi, zulmü terkedip adâlete riâyettir.

İnsan, şu altı şeyin birini yapmakla ihsân mertebesine yükselebilir:

Birinci haslet: "Gabn-ı fâhiş"e kaçmamak. Şüphesiz mal, kâr ile satılır. Kâr haddi yüksek olacağı gibi, düşük de olabilir. Bir mala müşterinin fazla fiyat vermesi ya piyasayı bilmemesinden veyâ malı beğenmesinden veyâhut da bu mala şiddetle muhtaç olmasındandır. İşte müşteriye az kâr ile malı satmak, ihsândandır. Zîra hîle yapmadan bir malı kârın son haddi ile satmak zulüm değildir. Hanbelîlere göre, bir mal satılarak üçte bir nisbetinde kâr yapıldığında -ki bu, onlara göre gabn-i fâhiştir- müşteri muâhedeyi bozmakta muhayyerdir. Bize göre ise alış-veriş sahihtir; müşteri yapılan muâhedeyi bozmakta muhayyer değildir. Fakat bundan daha düşük bir kârla satmak ihsân olur.

Rivâyet olundu ki; **Yûnus b. Ubeyd**'in dükkânında 200 dirhemden 400 dirheme kadar muhtelif fiyatlarda kumaşlar vardı. Yûnus b Ubeyd, kardeşinin oğlunu dükkânda bırakarak namaza gitti. Dönüşte birisinin elinde kumaş gördü. Kendisinin 200 dirhemlik kumaşlarından olduğunu tanıyınca, adama:

- "Kumaşı kaça aldın?" dedi. Adam:

- "Dörtyüz dirheme aldım." dedi. Yûnus:

- "Aldandın, kumaşın değeri ikiyüz dirhemdir. Geri dön paranın üstünü al." dedi. Adam:

- "Bu kumaş bizim orada beşyüz dirhem de eder, aldanmadım." dedi. Yûnus:

- "Hayır, olmaz. Götürüp kumaşı geri ver. Nasihat etmek dünya kârından hayırlıdır." deyince, adam da kumaşı dükkâna götürür ve ikiyüz dirhemini geri alır. Yûnus yeğenine:

- “Utanmadın mı, Allah’tan korkmadın mı, ikiyüz dirhemlik kumaşı dörtyüz dirheme nasıl verdin? Müslümanlara nasihat etmeyi terk ettin. İkiyüz dirhemlik kumaşı iki misline dörtyüz dirheme sattın, böyle insâfsızlık olur mu?” deyince yeğeni:

- “Vallahi, malı kendi rızâsı ile aldı.” dedi. Yûnus:

- “Peki, o râzı oldu. Fakat senin vicdânın buna nasıl rıza gösterdi?” dedi.

Alış-verişte malın kusurunu gizlemek ve hîle yapmak gibi hususlar, zulüm sayılır. Nitekim hadîs-i şerîfte:

غَبْنُ الْمُسْتَرْسِلِ حَرَامٌ

“Teslîm olan (kendisini satıcının vicdânına terk eden) *kimseden, fazla para almak haramdır.”*[63] buyrulmuştur.

Zübeyr b. Adiy[64] “On sekiz sahâbiye yetiştim. Hiç biri pazarlık yapıp bir kilo et alamayacak kadar bu işin acemisi idiler.” Binâenaleyh satıcıya teslim olan bu gibi bîçâre alıcıları aldatmak, en büyük zulümdür. Hîle yapmayarak en yüksek fiyatla satmak ise ihsânı terk etmektir. Ne yazık ki, bu gibi pazarlığı beceremeyen alıcılarla hîlesiz ve piyasayı gizlemeden dürüst alış-veriş edenler pek azdır.

İhsâna en güzel örnek, Seriyyü’s-Sakatî’den nakledilen şu kıssadır:

Seriyyü’s-Sakatî 60 dinara bir kürr (748 dirhem veyâ bir müddür) badem satın aldı. Yevmiye defterine bunun kârını üç dînar olarak kaydetti. Yâni on dinarda yarım dînar kâr kabul etti. Tam bu sırada bademin kürrü 90 dinara yükseldi. Seriyyü's-Sakatî'ye sâlihlerden bir dellal geldi:

---

[63] Taberânî, Ebû Umâme (r.a.)den; Beyhakî Câbir (r.a.)den ceyyid sened ile rivâyet etmiştir. Yalnız **“Harâmun”** yerine **“Riben”** yazılıdır.

[64] Hemedanlı olup Rey şehrinin kadısı idi. Sikadandır. 131 Hicride Rey’de vefât etmiştir.

- "Satın aldığın bademleri senden almak istiyorum, kaça vereceksin? dedi. Seriyyü's-Sakatî:

- "63 dinara." dedi. Dellal:

- "Ama şimdi bademin kürrü 90 dinara yükseldi." dedi. Seriyyü's-Sakatî:

- "Olsun, ben kararımdan dönmem." dedi. Dellal:

- "Ben de kimseyi aldatmamak ve gerekli nasihatte bulunmak üzere Allah'a söz verdim. Binâenaleyh 90 dînara verirsen alırım, vermezsen almam." dedi. Seriyyü's-Sakatî:

"- Ben 63 dinardan fazlasına vermem." dedi. Ne o sattı, ne de o aldı. İşte iki taraflı ihsân budur. İkisi de hakîkat-i hâli biliyorlardı.

Muhammed b. Münkedir'in[65] 5 ve 10 dirhem değerinde iki çeşit elbisesi vardı. Kendisinin bulunmadığı bir sırada hizmetçisi beş dirhemlik elbiseyi on dirheme sattı. Muhammed b. Münkedir bunu duyunca elbiseyi alan bedevîyi bütün gün arayarak buldu:

- "Yanlışlık oldu, bilmeyerek sana beş dirhemlik kumaşı on dirheme verdiler." dedi. Bedevî:

- "Ben râzıyım, sana ne oluyor?" dedi. Muhammed b. Münkedir:

---

[65] Kureyş kabîlesindendir. Hâfız ve sikadır. Kurraların efendilerindendir. Yetmiş küsur yaşında iken 130 Hicri târihinde vefât etmiştir.

- “Sen râzısın ama benim vicdânım râzı değil. Bana yapılmasına râzı olmadığım bir şeyin sana yapılmasına rızâ gösteremem. Sen üç şeyden birini tercih etmekte muhayyersin: İstersen kumaşı geri verip on dirhemini alırsın. İstersen bunun yerine on dirhemlik kumaştan birini alırsın, istersen fazla verdiğin beş dirhemi geri alırsın.” dedi. Adam:

- “O hâlde beş dirhemi ver.” dedi. Muhammed de beş dirhemi kendisine iâde etti. Bedevî parayı alınca tabiî hoşuna gitti:

- “Bu zât kim idi?” diye sordu. Bedeviye:

- “İşte Muhammed b. Münkedir denilen zât budur.” dediler. Bedevî:

- “Lâ ilâhe illâllah! Biz çölde bu adamın yüzü suyu hürmetine Allah’tan rahmet dileriz.” dedi.

İşte bu, muhitteki âdete göre onda biri geçmeyen ticaret ihsânıdır.

Az kâra kanâat eden çok sürüm yapar, sürümden kazanır ve bu sûretle bereket sağlar. **Hz. Ali** (r.a.) kamçısını eline alıp Küfe çarşısını dolaşır ve tüccarlara: “Hakkınızı alın, müşteriye de hakkını verin; kârın azını reddetmeyin; çoğunu da kaybedersiniz.” derdi.

Abdurrahman b. Avf’a (r.a.): “Seni bu kadar çok servete sâhip kılan sebep nedir?.” diye sordular. Abdurrahman: “Üç sebep beni bu servete sâhip kıldı: Az da olsa bulduğum kârı kaçırmadım. Canlı mallarıma müşteri gelir gelmez hemen verdim. Yâni fazla bekletip lüzûmsuz masrafına girmedim. Veresiye de vermedim.” dedi. Denildi ki; bu zât satın aldığı bin deveyi aldığı fiyattan sattı. Her birinin gemini (bağını) ve o günlük nafakalarını da ayrıca birer dirheme sattı. Bu sûretle sermayesine sattığı develerden iki bin dirhem kâr etti. İşte bu, ticarette bir mahârettir.

İkinci haslet; "Gabn"i üzerine almakta yâni bir miktar aldanmakta da ihsân olur. Meselâ, zayıf ve yoksul kimseden yiyecek veyâ herhangi bir şey alırken bilerek onu bir miktar pahalısına almak ve bu sûretle onun kazanmasına ve kalkınmasına yardımcı olmak. İşte bu da ticârî muâmelede bir ihsândır. Bu kimse, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in:

رَحِمَ اللّٰهُ امْرَأً سَهْلَ الْبَيْعِ سَهْلَ الشِّرَاءِ

"Kolaylıkla alıp satan kimseye Allah rahmet etsin." buyurduğu sınıftan olur. Fakat fazla kârı ile satış yapmak isteyen bir zengine aldanmak makbul değil, belki mükâfatsız malı zâyi etmektir. Ehl-i beyt yolu ile gelen bir hadîste:

اَلْمَغْبُونُ فِي الشِّرَاءِ لَا مَحْمُودٌ وَلَا مَأْجُورٌ

"Alış-verişte aldanan ne makbul, ne de mecurdur."[66] buyrulmuştur. Tabiînin ileri gelenlerinden ve Basra kadısı olan **İyas b. Muâviye b. Kırre**: "Ben hîlekâr değilim, hîle ne beni, ne de İbn Sîrin'i aldattı. Fakat **Hasan-ı Basrî** ve babam aldanırlar." dedi. Asıl olgunluk, aldatmamak ve aldanmamaktadır. Nitekim **Hz. Ömer**'i (r.a.) tavsîf ederlerken: "Başkasını aldatmaktan çok daha keremli, başkasına aldanmaktan çok daha akıllı idi." denilmiştir. Hasan, Hüseyin ve selef-i sâlihînin hayırlı insanları alış-verişte sonuna kadar pazarlık ederler ve neticede ikrâmda bulunurlardı. Hattâ bunlar: "Az vermek için bu kadar sıkı pazarlık ederken sonunda fazla vermeniz arasındaki münâsebet nedir?" diye soranlara:

---

66. Tirmizî ve Hâkim **"Nevâdir"**de Ubeydullah b. Hasan yolu ile Ebû Ya'la Hüseyin b. Ali (r.a.)den rivâyet ettiler.

"Aldanmak ahmaklık, hîbe ise bir fazîlettir." diye cevap verirlerdi. Diğer bâzıları da: "Aldandığımız zaman ahmaklığımıza sayılır, ikrâma geçmez. Hîbe ettiğimiz zaman, Allah için vermiş olur ve ona aldanmamış oluruz." demişlerdir.

Üçüncü haslet; İhsânın üçüncü şekli parayı almaktadır. Parayı alırken küsûrunu bahşetmek, borçluyu sıkıştırmamak ve para üzerinde titizlik göstermemek gibi hulûslardır. Bütün bunlar mendûb ve Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in teşvik buyurduğu usûllerdir. Nitekim hadîste:

"Alış-verişi kolay olup alacağında müsâmaha gösteren ve borcunu kolayca ödeyenlere Allah rahmet etsin."[67] buyrulmuştur. İnsan olan, Reşûl-i Ekrem'in bu duâsını ganîmet bilip bundan faydalanmalıdır. Diğer hadîste:

اِسْمَحْ يُسْمَحُ لَكَ

"Semahat ve cömertlik yap ki, sana da cömertlik yapılsın."[68] Diğer hadîste:

مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ تَرَكَ لَهُ، حَاسَبَهُ اللّٰهُ حِسَابًا يَسِيرًا. وَفِي
لَفْظٍ اٰخَرَ، أَظَلَّهُ اللّٰهُ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ

"Allahü Teâlâ; darda olan borçlusuna müsâade eden veyâ bu borcunu bağışlayan kimsenin kıyâmet günü hesâbını kolayca görür, onu üzmez." Diğer rivâyette:

"Gölgesinden başka bir gölge olmadığı gün, onu, Arş-ı Âzam'ın gölgesinde gölgelendirir."[69] buyrulmuştur.

---

[67] Buhârî, Câbir (r.a.)den rivâyet etmiştir.

[68] Taberânî, İbn Abbâs (r.a.)dan rivâyet etti, râvileri sikadandır.

[69] İkinci lafız ile Müslim, Ebü'l-Yüsr, Ka'b b. Amr (r.a.)den rivâyet etmiştir.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle anlatıyor:

"Dünyada nefsine zulmedip hiç bir hayırda bulunmayan bir adam kıyâmet günü mahşer yerinde hesâba çekilir. Hiç bir iyiliği bulunmaz. "Hiç mi bir iyilik yapmadın?" diye kendisinden sorulunca: "Hayır yapmadım, ancak ben borç para verirdim. İşçilerime: "Alacaklarda zenginleri sıkıştırmayın, fakir olanlardan da vazgeçin." derdim." Allahü Teâlâ: "Yoksullardan vazgeçmeye biz senden daha lâyıkız." buyurur ve ondan vazgeçerek günâhlarını bağışlar."[70]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنْ أَقْرَضَ دِينَارًا إِلٰى أَجَلٍ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ إِلٰى أَجَلِهِ فَإِذَا
حَلَّ الْأَجَلُ فَأَنْظَرَهُ بَعْدَهُ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلُ ذٰلِكَ الدَّيْنِ صَدَقَةً

"Borç para veren, günü yetinceye kadar her gün bir sadaka sevâbı alır. Vade sonunda para ödenmezse her geçen gün için o paranın tamamını sadaka vermiş gibi mükâfat görür."[71] buyurmuştur. Hattâ seleften bâzıları, bu hadîsteki fazîleti elde etmek ve hergün verdiği borcun bütününü tasadduk etmiş gibi olmak için borçluların, borçlarını vâdesinde ödememelerini arzu ederlerdi. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

رَأَيْتُ عَلٰى بَابِ الْجَنَّةِ مَكْتُوبًا: اَلصَّدَقَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا،
وَالْقَرْضُ بِثَمَانِيَةَ عَشْرَةَ

---

70. Müslim, Ebû Mes'ûd el-Ensârî (r.a.)den; benzerini Buhârî ile Müslim, Hüzeyfe (r.a.)den rivâyet etmişlerdir.
71. İbn Mâce, Büreyde (r.a.)den; Ahmed ile Hâkim de rivâyet ettiler ve Buhârî ile Müslim'in şartlarına göre sahihtir, dediler.

“Cennetin kapısında, sadakaya on misli, ödünç paraya ise on sekiz misli mükâfat verileceğinin yazılı olduğunu gördüm.”[72] buyurmuştur. Bunun hikmetinde şöyle denilmektedir: Sadaka, yüzde yüz muhtaç olanlara verilmez. Bâzen ve hattâ çok kere muhtaç olmayanlar da sadaka alır. Fakat ödünç parayı mutlaka sıkışık vaziyette olanlar alır.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), iki kişinin (Abdullah b. Hadred ile Ka’b b. Mâlik) alacak için münâkaşa yaptıklarını gördü ve alacaklı Ka’b’a:

“Yarısını bağışla.” dedi. Borçlu Abdullah’a da:

“Kalk yarısını ver.”[73] buyurdu. (Böylece aralarını buldu).

Herhangi bir şeyi verip akabinde parayı istemeyen, ödünç vermiş gibidir. Rivâyet olundu ki, **Hasan-ı Basrî** dört yüz dirheme bir katırını sattı. Katırı alan, vade sonunda Hasan-ı Basrî’ye:

- “Biraz cömertlik göster.” dedi. Hasan-ı Basrî:

- “Yüz dirhemini bağışladım.” dedi. Bu sefer

- “İhsân et.” dedi. Hasan-ı Basrî:

- “Yüz dirhemini daha bağışladım.” dedi. Adam da ikiyüz dirhemi ödedi. Hasan-ı Basrî’ye:

- “Nasıl oldu da yarısını bıraktın?” dediklerinde:

- “İhsân böyle olur.” dedi.

Haberde:

خُذْ حَقَّكَ فِي كَفَافٍ وَعَفَافٍ وَافٍ أَوْ غَيْرِ وَافٍ يُحَاسِبْكَ
اللّٰهُ حِسَابًا يَسِيرًا

---

[72] İbn Mâce, Enes (r.a.)den rivâyet etmiştir.

[73] Buhârî ile Müslim, Kâ’b b. Mâlik (r.a.)den rivâyet etmişlerdir.

"Hakkını -ister tamam ister eksik olsun kötü söz söylemeden helâl ve meşrû şekilde al ki, Allahü Teâlâ seni en kolay şekilde hesâba çeksin."[74] diye vârid olmuştur.

Dördüncü Haslet; İhsânın dördüncüsü, borcu hakkıyla ve tamamen ödemektir. Kendisi, alacaklının ayağına giderek memnûniyetini izhâr etmek sûretiyle, borcunu ödemelidir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

خَيْرُكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً

"En hayırlınız, borcunu en güzel şekilde ödeyeninizdir."[75] buyurmuştur. İmkân bulunca -zamanından evvel de olsa- hemen borcunu ödemelidir. Bütün şartları en güzel şekilde yerine getirmeli; şâyet âciz vaziyete düşerse, ilk fırsatta borcunu ödemeyi hatırından çıkarmamalıdır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنِ ادَّانَ دَيْنًا وَهُوَ يَنْوِي قَضَاءَهُ وَكَّلَ اللّٰهُ بِهِ مَلَائِكَةً
يَحْفَظُونَهُ وَيَدْعُونَ لَهُ حَتّٰى يَقْضِيَهُ

"Ödemek niyetiyle borçlanan kimseye, Allahü Teâlâ müvekkel melekler tahsîs eder; onu korur ve borcunu ödeyinceye kadar ona duâ ederler."[76] buyurmuştur. Seleften, sırf bu hadîsteki fazîlete ermek maksadıyla borca girenler olmuştur.

Alacaklının ağır sözlerine karşılık vermemeli ve ona tatlılıkla mukabele etmelidir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e uymak ve onu örnek

---

74. İbn Mâce, Ebû Hüreyre (r.a.)den "İsnâd-i hasen" ile rivâyet etmiştir. Yalnız sonundaki ilâve yoktur. Sahîh olduğunu söyleyen Hâkim ve İbn Hibbân da İbn Ömer (r.a.) ve Hz. Aişe (r.a.)den rivâyet etmişlerdir.
75. Buhârî ile Müslim, Ebû Hüreyre (r.a.)'den rivâyet etmişlerdir.
76. Ahmed, Aişe (r.a.)den rivâyet etti. Başka rivâyet yolları da vardır.

edinmek böyle olur. Vade sonunda ödeyemediği bir borcundan dolayı alacaklısı olan Yahudi, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e ağır sözler söyledi. Bunu gören sahâbe-i kiâm, Yahudiyi dövmek istediklerinde, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) onlara hitâben:

دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا

"Ona ilişmeyin. Çünkü alacaklının söz hakkı vardır."[77] buyurmuştur.

Alacaklı ile borçlu arasında münâzaa çıktığı zaman, aracılara yakışan, daha ziyâde borçluyu kayırmaya çalışmaktır. Çünkü veren varlıktan verdi, alan da ihtiyâcı için aldı. Alım satımlarda da dâima müşteri tarafını kayırmalı. Çünkü satan kârı için satıyor; alan ihtiyâcı için alıyor. En güzel yol budur. Ancak borçlu haksızlığa kaçarsa, o zaman borçluyu bu vartaya düşmekten korumak ve kendisini ikaz etmek lâzımdır:

Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

"Zâlim de olsa, mazlûm da olsa, dîn kardeşine yardım et." buyurmuştur. Mazlûma yardım belli, zâlime yardım nasıl olur? dediklerinde:

"Zâlimi zulmünden alıkoymak, ona yardımdır."[78] buyurdu.

Beşinci Haslet; Yapılan ticârî muâhedeyi bozmak için mürâcaat edeni reddetmemeli. Çünkü aldanmış veyâ pişmân olmuştur. Başkasının zararlanmasına sebeb olmayı kabul etmek doğru olmaz; derhâl alış-verişi iptâl etmelidir. Nitekim Rasûl-i Ekrem:

---

[77] Buhârî ile Müslim, Ebû Hüreyre (r.a.)den rivâyet etmişlerdir.
[78] Buhârî ile Müslim, Enes (r.a.)den rivâyet etmişindir.

مَنْ أَقَالَ نَادِمًا صَفْقَتَهُ أَقَالَ اللّٰهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

"Pişman olandan muâhedeyi kaldıran kimsenin, kıyâmet gününde Allahü Teâlâ sürçmelerini kaldırır."[79] buyurmuştur.

Altıncı Haslet; Para bulamazlarsa hiç almamayı niyet ederek yoksullara veresiye vermek. Selef-i sâlihîn tüccarlarının iki defteri bulunur; birisine hüviyeti meçhûl fakirler yazılırdı. Fakir, gördüğü bâzı şeylere heves eder ve fakat parasının olmadığını söylerdi. Esnâf istediğini verir ve: "Paran olduğu zaman ödersin." diyerek hüviyyeti meçhûl olan deftere kaydederdi. Fakat bu da gereği gibi bir fazîlet sayılmazdı. Asıl fazîlet, fakirin istediğini kendisine verip, deftere hiç yazmayan ve: "Bunun için hiç üzülme, eline para geçerse ödersin, geçmezse helâl olsun." diyenlerdedir. Hâsılı uzun sözün kısası ticaret, mihenkdir. Kişinin dîni, verâı bununla ölçülür. Bu hususta şâirin biri:

"Kişinin yırtık cübbe ve topuğa inmeyen kısa gömlek giymesi veyâ alnındaki secde izi seni aldatmasın. Parayı kendisine göster, azgınlık veyâ verâını oradan anlarsın." demiştir.

Bunun için: "Bir adamdan; muhîtinde komşuları, yolculukta arkadaşları, çarşıda tüccarları memnûniyet izhâr ederlerse, onun iyiliğinden şüphe etmeyin." denilmiştir.

Hz. Ömer (r.a.), huzûrunda şâhitlik eden bir adama: "Seni iyi bilen bir kişi getir." dedi. Adam birisini getirdi. Hz. Ömer (r.a.):

- "Bu adam nasıldır?" Adam:

- "İyi bir zâttır." Hz. Ömer:

---

[79] Ebû Dâvûd ve Hâkim, Ebû Hüreyre (r.a.)den rivâyet ettiler. Hâkim, Müslim'in şartlarına göre, sahihtir, dedi.

- "Komşusu musunuz?" Adam:

- "Hayır." Hz. Ömer:

- "Beraber yolculuk ettiniz mi?" Adam:

- "Hayır." Hz Ömer:

- "Kendisiyle alış-veriş ettiniz mi?" Adam:

- "Hayır." Hz Ömer:

- "Zannedersem, sen bu adamın câmide Kur'ân okunurken, başını salladığını gördün." Adam:

- "Evet. Yâ Ömer. Benim gördüğüm bu." deyince Hz. Ömer:

- "Sen git, bu adam hakkında bir şey bilemezsin." dedi. Bilâhare şâhide dönerek:

- "Git de, tezkiye için, seni bilen birisini getir." buyurdu.

البَابُ الخَامِسُ

في شفقة التّاجر على دينه فيما يخصّه ويعمّ آخرته

ولا ينبغي للتاجرِ أنْ يشغلَهُ معاشُهُ عنْ معادِهِ، فيكونَ عمرُهُ ضائعاً وصفقتُهُ خاسرةً ، وما يفوتُهُ مِنَ الربحِ في الآخرةِ لا يفي بهِ ما ينالُهُ في الدنيا ، فيكونُ ممَّنِ اشترى الحياةَ الدنيا بالآخرةِ ، بلِ العاقلُ ينبغي أنْ يشفقَ علىٰ نفسِهِ ، وشفقتُهُ علىٰ نفسِهِ بحفظِ رأسِ مالِهِ ، ورأسُ مالِهِ دينُهُ وتجارتُهُ فيهِ .

قالَ بعضُ السلفِ : (أولى الأشياءِ بالعاقلِ أحوجُهُ إليهِ في العاجلِ ، وأحوجُ شيءٍ إليهِ في العاجلِ أحمدُهُ عاقبةً في الآجلِ)[1] .

وقالَ معاذُ بنُ جبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ في وصيتِهِ : (إنَّهُ لا بدَّ لكَ مِنْ نصيبِكَ في الدنيا ، وأنتَ إلىٰ نصيبِكَ مِنَ الآخرةِ أحوجُ ، فابدأْ بنصيبِكَ مِنَ الآخرةِ فخذْهُ ؛ فإنَّكَ ستمرُّ علىٰ نصيبِكَ مِنَ الدنيا فتنظمُهُ)[2] .

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أيْ : لا تنسَ في الدنيا نصيبَكَ منها للآخرةِ ؛ فإنَّها مزرعةُ الآخرةِ ، وفيها تُكتسبُ الحسناتُ .

* * *

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٦٣) .
(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٦٣) .

وإنَّما تتمُّ شفقةُ التاجرِ علىٰ دينِهِ بمراعاةِ سبعةِ أمورٍ :

الأولُ : حسنُ النيَّةِ والعقيدةِ في ابتداءِ التجارةِ :

فلينوِ بها الاستعفافَ عنِ السؤالِ ، وكفَّ الطمعِ عنِ الناسِ ؛ استغناءً بالحلالِ عنهُمْ ، واستعانةً بما يكسبُهُ على الدينِ ، وقياماً بكفايةِ العيالِ ؛ ليكونَ مِنْ جملةِ المجاهدينَ بهِ .

ولينوِ النصحَ للمسلمينَ ، وأنْ يحبَّ لسائرِ الخلقِ ما يحبُّ لنفسِهِ .

ولينوِ اتباعَ طريقِ العدلِ والإحسانِ في معاملتِهِ كما ذكرناهُ .

ولينوِ الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عنِ المنكرِ في كلِّ ما يراهُ في السوقِ .

فإذا أضمرَ هـٰذهِ العقائدَ والنيَّاتِ . . كانَ عاملاً في طريقِ الآخرةِ ، فإنِ استفادَ مالاً . . فهوَ مزيدٌ ، وإن خسرَ في الدنيا . . ربحَ في الآخرةِ .

* * *

الثاني : أنْ يقصدَ القيامَ في صنعتِهِ أوْ تجارتِهِ بفرضٍ مِنْ فروضِ الكفاياتِ :

فإنَّ الصناعاتِ والتجاراتِ لوْ تُركَتْ . . بطلَتِ المعايشُ ، وهلكَ الخلقُ ، فانتظامُ أمرِ الكلِّ بتعاونِ الكلِّ ، وتكفُّلِ كلِّ فريقٍ بعملٍ ، ولوْ أقبلوا كلُّهُمْ علىٰ صنعةٍ واحدةٍ . . لتعطلَتِ البواقي وهلكوا ، وعلىٰ هـٰذا حملَ بعضُ الناسِ قولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « اختلافُ أمَّتي رحمةٌ »(١)

---

(١) رواه البيهقي في « المدخل » (١٥٢) بلفظ : « واختلاف أصحابي لكم رحمة » .

أيِ : اختلافُ هممِهِمْ في الصناعاتِ والحِرَفِ .

ومِنَ الصناعاتِ ما هيَ مهمَّةٌ ، ومنها ما يُستغنىٰ عنها ؛ لرجوعِها إلىٰ طلبِ التنعُّمِ والتزيُّنِ في الدنيا ، فليشتغلْ بصناعةٍ مهمَّةٍ ؛ ليكونَ في قيامِهِ بها كافياً عنِ المسلمينَ مهماً في الدينِ .

وليجتنبْ صناعةَ النقشِ ، والصياغةَ ، وتشييدَ البنيانِ بالجصِّ ، وجميعَ ما وُضِعَ لتُزخرفَ بهِ الدنيا ، فكلُّ ذلكَ كرهَهُ ذوو الدينِ .

فأمَّا عملُ الملاهي والآلاتِ التي يحرمُ استعمالُها . . فاجتنابُ ذلكَ مِنْ قبيلِ تركِ الظلمِ ، ومِنْ جملةِ ذلكَ : خياطةُ الخيَّاطِ القباءَ مِنَ الإبريسمِ للرجالِ ، وصياغةُ الصائغِ مراكبَ الذهبِ(١) أوْ خواتيمَ الذهبِ للرجالِ ، فكلُّ ذلكَ مِنَ المعاصي ، والأجرةُ المأخوذةُ عليهِ حرامٌ ، ولذلكَ أوجبْنا الزكاةَ فيها وإنْ كنَّا لا نوجبُ الزكاةَ في الحليِّ ؛ لأنَّها إذا قُصدَتْ للرجالِ . . فهيَ محرَّمةٌ ، وكونُها مهيَّأةً للنساءِ لا يلحقُها بالحليِّ المباحِ ما لمْ يُقصدْ ذلكَ بها ، فيُكتسبُ حكمُها مِنَ القصدِ .

وقدْ ذكرنا أنَّ بيعَ الطعامِ وبيعَ الأكفانِ مكروهٌ ؛ لأنَّهُ يوجبُ انتظارَ موتِ الناسِ وحاجتِهِمْ ؛ لغلاءِ السعرِ(٢) ، ويُكرَهُ أنْ يكونَ جزَّاراً ؛ لما فيهِ مِنْ

---

(١) أي : السروج المتخذة منها .

(٢) كذا في جميع النسخ ، وفي نسخة الحافظ الزبيدي (٥/٥٠٧) : (لأنه يحب موت الناس . . .) .

قساوةِ القلبِ ، وأنْ يكونَ حجَّاماً أوْ كنَّاساً ؛ لما فيهِ مِنْ مخامرةِ النجاسةِ ، وكذا الدبَّاغُ وما في معناهُ .

وكرهَ ابنُ سيرينَ الدلالةَ(١) ، وكرهَ قتادةُ أجرةَ الدلاَّلِ(٢) ، ولعلَّ السببَ فيهِ : قلَّةُ استغناءِ الدلاَّلِ عنِ الكذبِ ، والإفراطُ في الثناءِ على السلعةِ لترويجِها ، ولأنَّ العملَ فيهِ لا يتقدَّرُ ، فقدْ يقلُّ وقدْ يكثرُ ، ولا ينظرُ في مقدارِ الأجرةِ إلىٰ عملِهِ ، بلْ إلىٰ قدْرِ قيمةِ الثوبِ ، هـٰذا هوَ العادةُ ، وهوَ ظلمٌ ، بلْ ينبغي أنْ ينظرَ إلىٰ قدْرِ التعبِ .

وكرهوا شراءَ الحيوانِ للتجارةِ ؛ لأنَّ المشتريَ يكرهُ قضاءَ اللهِ تعالىٰ فيهِ ، وهوَ الموتُ الذي هوَ بصددِهِ ـ لا محالةَ ـ وخُلقَ لهُ ، وقيلَ : (بعِ الحيوانَ واشترِ المَوَتانَ)(٣) .

وكرهوا الصرْفَ ؛ لأنَّ الاحترازَ فيهِ عنْ دقائقِ الربا عسيرٌ ، ولأنَّهُ طلبٌ لدقائقِ الصفاتِ فيما لا يُقصدُ أعيانُها ، وإنَّما يُقصدُ رواجُها ، وقلَّما يتمُّ للصيرفيِّ ربْحٌ إلا باعتمادِ جهالةِ معاملِهِ بدقائقِ النقدِ ، فقلَّما يسلمُ الصيرفيُّ وإنِ احتاطَ .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٣٦٨٦) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٦٦) والسياق له .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢٦٦) عن بعض العرب ، قال : (كأنهم كرهوا رد الثمن في الحيوان لما يخافون من تلفه ، واستحبوا شراء المَوَات ، وهو ما لا روح فيه) ، والمَوَتان : خلاف الحيوان ؛ كالدور والأراضي .

ويُكرهُ للصيرفيِّ وغيرِهِ كسْرُ الدرهمِ الصحيحِ والدينارِ ، إلا عندَ الشكِّ في جودتِهِ ، أوْ عندَ ضرورةٍ ، قالَ أحمدُ ابنُ حنبلٍ رحمَهُ اللهُ : (وردَ نهيٌ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وعنْ أصحابِهِ في الصياغةِ مِنَ الصحاحِ ، وأنا أكرهُ الكسرَ)[١] ، وقالَ : (يشتري بالدنانيرِ دراهمَ ، ثمَّ يشتري بالدراهمِ ذهباً ويصوغُهُ)[٢] .

واستحبُّوا تجارةَ البزِّ ، قالَ سعيدُ بنُ المسيَّبِ : (ما مِنْ تجارةٍ أحبَّ إليَّ مِنْ تجارةِ البزِّ ، ما لمْ يكنْ فيها أيمانٌ)[٣] .

وقدْ رُوِيَ : (خيرُ تجارتِكُمْ البزُّ ، وخيرُ صناعتِكُمْ الخَرْزُ)[٤] .

وفي حديثٍ آخرَ : « لوِ اتَّجَرَ أهلُ الجنَّةِ . . لاتَّجروا في البزِّ ، ولوِ اتَّجرَ أهلُ النارِ . . لاتَّجروا في الصرْفِ »[٥] .

---

(١) رواه أبو داوود (٣٤٤٩) ، وابن ماجه (٢٢٦٣) عن عبد الله المزني رضي الله عنه قال : (نهىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس) .

(٢) القولان لأحمد في « الورع » (ص٥٧) .

(٣) رواه ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٧/ ١٣٤) ، وابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (٢٤٨) .

(٤) قال الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٥/ ٥٠٨) : (نقله صاحب « القوت » ، وقال العراقي : لم أقف له علىٰ إسناد ، وذكره صاحب « الفردوس » من حديث علي بن أبي طالب ؛ أي : تعليقاً) .

(٥) روىٰ صدره الطبراني في « الصغير » (١/ ٢٤٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٣٦٥) ولفظه : « لو أذن الله لأهل الجنة في التجارة . . لاتجروا في البز والعطر » ، وهو بتمامه عند صاحب « الفردوس » (٥١٣٢) .

وقدْ كانَتْ غالبُ أعمالِ الأخيارِ مِنَ السلفِ عشرَ صنائعَ : الخرْزُ ، والنجارةُ ، والحمْلُ ، والخياطةُ ، والحذوُ ، والقصارةُ ، وعملُ الخِفافِ ، وعملُ الحديدِ ، وعملُ المغازلِ ، ومعالجةُ صيدِ البرِّ والبحرِ ، والوراقةُ(١) .

قالَ عبدُ الوهَّابِ الورَّاقُ : قالَ لي أحمدُ ابنُ حنبلٍ : ما صنعتُكَ ؟ قلتُ : الوراقةُ ، فقالَ : كسبٌ طيِّبٌ ، ولوْ كنتُ صانعاً بيدي . . لصنعتُ صنعتَكَ ، ثمَّ قالَ لي : لا تكتبْ إلا مواسطةً ، واستثنِ الحواشيَ وظهورَ الأجزاءِ(٢) .

وأربعةٌ مِنَ الصنَّاعِ موسومونَ عندَ الناسِ بضعْفِ الرأيِ : الحاكَةُ ، والقطَّانونَ ، والمغازليُّونَ ، والمعلِّمونَ ، ولعلَّ ذلكَ لأنَّ أكثرَ مخالطتِهِمْ معَ النساءِ والصبيانِ ، ومخالطةُ ضعفاءِ العقولِ تضعفُ العقلَ ، كما أنَّ مخالطةَ العقلاءِ تزيدُ في العقلِ .

وعنْ مجاهدٍ : أنَّ مريمَ عليها السلامُ مرَّتْ في طلبِها لعيسىٰ عليهِ السلامُ

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٦٦) ، وقوله : (والحذو) ليس في (ب) ، وهو في « القوت » و« الإتحاف » ، وبزيادتها تصير إحدىٰ عشرة حرفة .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٦٦) ، وفي (أ) : (مراصفة) بدل (مواسطة) أي : مقاربة ، وفي (ب ، هـ) : (مواضعة) ، وفي (و ، ط) : (مواصفة) ، وإنما نهاه عن الكتابة علىٰ ظهور الأجزاء لأنها قابلة للتلف .

بحاكةٍ ، فطلبتِ الطريقَ ، فأرشدوها غيرَ الطريقِ ، فقالتْ : اللهمَّ ؛ انزعِ البركةَ مِنْ كسبِهِمْ ، وأمتْهُمْ فقراءَ ، وحقِّرْهُمْ في أعينِ الناسِ ، فاستجيبَ دعاؤُها⁽¹⁾ .

وكرهَ السلفُ أخذَ الأجرةِ علىٰ كلِّ ما هوَ مِنْ قبيلِ العباداتِ وفروضِ الكفاياتِ ؛ كغسلِ الأمواتِ ودفنِهِمْ ، وكذا الأذانُ وصلاةُ التراويحِ ، وإنْ حُكمَ بصحّةِ الاستئجارِ عليهِ ، وكذا تعليمُ القرآنِ ، وتعليمُ علْمِ الشرعِ ؛ فإنَّ هـٰذهِ أعمالٌ حقُّها أنْ يتَّجرَ بها للآخرةِ ، فأخذُ الأجرةِ عليها استبدالٌ بالدنيا عنِ الآخرةِ ، ولا يُستحبُّ ذلكَ .

* * *

الثالثُ : ألا تمنعَهُ سوقُ الدنيا عنْ سوقِ الآخرةِ :

وأسواقُ الآخرةِ المساجدُ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ .

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ .

فينبغي أنْ يجعلَ أوَّلَ النهارِ إلىٰ وقتِ دخولِ السوقِ لآخرتِهِ ، فيلازمُ المسجدَ ، ويواظبُ على الأورادِ .

---

(1) قوت القلوب (٢/ ٢٧٦) .

وكانَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ للتجَّارِ : (اجعلوا أوَّلَ نهارِكُمْ لآخرتِكُمْ ، وما بعدَهُ لدنياكُمْ)(١) .

وكانَ صالحو السلفِ يجعلونَ أوَّلَ النهارِ وآخرَهُ للآخرةِ ، والوسطَ للتجارةِ ، ولمْ يكنْ يبيعُ الهريسةَ والرؤوسَ بكرةً إلا الصبيانُ وأهلُ الذمَّةِ ؛ لأنَّهُمْ كانوا في المساجدِ بعدُ(٢) .

وفي الخبرِ : « إنَّ الملائكةَ إذا صعدَتْ بصحيفةِ العبدِ وفيها في أوَّلِ النهارِ وفي آخرِهِ ذكرٌ وخيرٌ.. كفَّرَ اللهُ تعالىٰ عنهُ ما بينَهُما مِنْ سيِّءِ الأعمالِ »(٣) .

وفي الخبرِ : « تلتقي ملائكةُ الليلِ والنهارِ عندَ طلوعِ الفجرِ وعندَ صلاةِ العصرِ ، فيقولُ اللهُ تعالىٰ وهوَ أعلمُ بهِمْ : كيفَ تركتُمْ عبادِي ؟ فيقولونَ : تركناهُمْ وهمْ يصلُّونَ ، وجئناهُمْ وهمْ يصلُّونَ ، فيقولُ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ : أُشهدُكُمْ أنِّي قدْ غفرتُ لهُمْ »(٤) .

ثمَّ مهما سمعَ الأذانَ في وسطِ النهارِ للأولىٰ(٥) والعصرِ . . فينبغي ألاَّ

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٦٥) بنحوه .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٦٥) .

(٣) كذا في « القوت » (٢/ ٢٧٣) ، ورواه الترمذي (٩٨١) بنحوه .

(٤) قوت القلوب (٢/ ٢٧٣) ، ورواه البخاري (٣٢٢٣) ، ومسلم (٦٣٢) .

(٥) وهي صلاة الظهر . « إتحاف » (٥/ ٥١٠) .

يعرِّجَ علىٰ شغلٍ ، وينزعجَ عنْ مكانِهِ ، ويدعَ كلَّ ما كانَ فيهِ ، فما يفوتُهُ مِنْ فضيلةِ تكبيرةِ الإحرامِ معَ الإمامِ في أوَّلِ الوقتِ لا توازيها الدنيا بما فيها ، ومهما لمْ يحضرِ الجماعةَ . . عصىٰ عندَ بعضِ العلماءِ⁽¹⁾ .

وقدْ كانَ السلفُ يبتدرونَ عندَ الأذانِ ويُخْلونَ الأسواقَ للصبيانِ وأهلِ الذمَّةِ ، وكانوا يُستأجرونَ بالقراريطِ لحفظِ الحوانيتِ في أوقاتِ الصلواتِ ، وكانَ ذلكَ معيشةً لهُمْ ، وقدْ جاءَ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أنَّهُمْ كانوا حدَّادينَ وخرَّازينَ ، فكانَ أحدُهُمْ إذا رفعَ المطرقةَ أوْ غرزَ الإشْفىٰ فسمعَ الأذانَ . . لمْ يخرجِ الإشْفىٰ مِنَ المغرزِ ، ولمْ يوقعِ المطرقةَ ورمىٰ بها ، وقامَ إلى الصلاةِ⁽²⁾ .

* * *

الرابعُ : ألاَّ يقتصرَ علىٰ هـٰذا ، بلْ يلازمُ ذكرَ اللهِ سبحانَهُ في السوقِ :

ويشتغلُ بالتسبيحِ والتهليلِ ، فذكرُ اللهِ في السوقِ بينَ الغافلينَ أفضلُ ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ذاكرُ اللهِ في الغافلينَ كالمقاتلِ خلْفَ الفارِّينَ ، وكالحيِّ بينَ الأمواتِ » ، وفي لفظٍ آخر : « كالشجرةِ الخضراءِ بينَ الهشيمِ »⁽³⁾ .

---

(1) قوت القلوب (٢/ ٢٦٥) .

(2) قوت القلوب (٢/ ٢٦٥) والسياق عنده ، **والإشفىٰ** : إبرة الخرّاز .

(3) رواه ابنُ المبارك في « الزهد » (٣٥٧) عن عون بن عبد الله ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٢٤١) بالجملة الأولىٰ منه ، ورواه مرفوعاً بألفاظ المصنف أبو نعيم في « الحلية » =

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ دخلَ السوقَ فقالَ : لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ ، يحيي ويميتُ ، وهوَ حيٌّ لا يموتُ ، بيدِهِ الخيرُ ، وهوَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ . كتبَ اللهُ لهُ ألفَ ألفِ حسنةٍ »⁽¹⁾ ، وكانَ ابنُ عمرَ وسالمُ بنُ عبدِ اللهِ ومحمدُ بنُ واسعٍ وغيرُهُمْ يدخلونَ السوقَ قاصدينَ لنيلِ فضيلةِ هـٰذا الذكرِ⁽²⁾ .

وقالَ الحسنُ : (ذاكرُ اللهِ في السوقِ يجيءُ يومَ القيامةِ لهُ ضوءٌ كضوءِ القمرِ ، وبرهانٌ كبرهانِ الشمسِ ، ومنِ استغفرَ اللهَ في السوقِ . . غفرَ اللهُ لهُ بعددِ أهلِها)⁽³⁾ .

وكانَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ إذا دخلَ السوقَ . . يقولُ : (اللهمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ مِنَ الكفرِ والفسوقِ ، ومِنْ شرِّ ما أحاطَتْ بهِ السوقُ ، اللهمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ يمينٍ فاجرةٍ وصفقةٍ خاسرةٍ)⁽⁴⁾ .

وقالَ أبو جعفرٍ الفَرْغانيُّ : كنَّا يوماً عندَ الجنيدِ ، فجرىٰ ذكرُ ناسٍ

= (٦/ ١٨١) ولم يذكر : (وكالحي بين الأموات) ، وعند البخاري (٦٤٠٧) ، ومسلم (٧٧٩) مرفوعاً : « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت » مطلقاً ، وانظر « الإتحاف » (٥/ ٥١١) .

(١) رواه الحاكم في « المستدرك » (١/ ٥٣٩) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٦٥) ، وتقدم ذكر ذلك عند تخريج الحديث .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢٦٥) .

(٤) كذا في « القوت » (٢/ ٢٦٥) ، وتقدم مرفوعاً بنحوه .

يجلسونَ في المساجدِ ويتشبَّهونَ بالصوفيَّةِ ويقصِّرونَ عمَّا يجبُ عليهِمْ مِنْ حقِّ الجلوسِ ، ويعيبونَ مَنْ يدخلُ السوقَ ، فقالَ الجنيدُ : كمْ ممَّنْ هوَ في السوقِ حكمُهُ أنْ يدخلَ المسجدَ ويأخذَ بأُذُنِ بعضِ مَنْ فيهِ فيخرجَهُ ويجلسَ مكانَهُ ، إنِّي لأعرفُ رجلاً يدخلُ السوقَ وردُهُ كلَّ يومٍ ثلاثُ مئةِ ركعةٍ وثلاثونَ ألفَ تسبيحةٍ ، قالَ : فسبقَ إلىٰ وهمي أنَّهُ يعني نفسَهُ⁽¹⁾ .

فهكذا كانت تجارةُ مَنْ يتجرُ لطلبِ الكفايةِ لا للتنعُّمِ في الدنيا ؛ فإنَّ مَنْ يطلبُ الدنيا للاستعانةِ بها على الآخرةِ كيفَ يدعُ ربحَ الآخرةِ ؟! والسوقُ والمسجدُ والبيتُ لهُ حكمٌ واحدٌ ، وإنَّما النجاةُ بالتقوىٰ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « اتقِ اللهَ حيثُ كنتَ »⁽²⁾ ، فوظيفةُ التقوىٰ لا تنقطعُ عنِ المتجردينَ للدِّينِ كيفما تقلبَتْ بهمُ الأحوالُ ، وبهِ تكونُ حياتُهُمْ وعيشُهُمْ ؛ إذْ فيهِ يرونَ تجارتَهُمْ وربحَهُمْ ، وقدْ قيلَ : مَنْ أحبَّ الآخرةَ . . عاشَ ، ومَنْ أحبَّ الدنيا . . طاشَ ، والأحمقُ يغدو ويروحُ في لاشَ ، والعاقلُ عنْ عيوبِ نفسِهِ فتَّاشٌ⁽³⁾ .

* * *

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٦٢) .

(٢) رواه الترمذي (١٩٨٧) .

(٣) رواه ابن الطيوري في « الطيوريات » (١٠٣١) عن سري السقطي ، ورواه عن ذي النون ابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/ ٤٢٣) ، والجملة الأخيرة زيادة من (ب) ، وهي كذلك في « القوت » (٢/ ٢٦٥) ، **ولاش** : لا شيء ، وجاءت هـٰكذا مراعاة للسجعة، وهي لا تأتي كذلك إلا في الازدواج ونحوه، وتقرأ الجمل مسكنة الآخر لذلك.

الخامسُ : ألاَّ يكونَ شديدَ الحرصِ على السوقِ والتجارةِ :

وذلكَ بأنْ يكونَ أوَّلَ داخلٍ وآخرَ خارجٍ ، وبأنْ يركبَ البحرَ في التجارةِ ، فهما مكروهانِ .

يُقالُ : (مَنْ ركبَ البحرَ . . فقدِ استقصىٰ في طلبِ الرزقِ)(١) .

وفي الخبرِ : « لا يُركبُ البحرُ إلا لحجٍّ ، أوْ لعمرةٍ ، أوْ غزوٍ »(٢) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عمرِو بنِ العاصِ رضيَ اللهُ عنهُما يقولُ : (لا تكنْ أوَّلَ داخلٍ في السوقِ ، ولا آخرَ خارجٍ منها ؛ فإنَّ بها باضَ الشيطانُ وفرَّخَ)(٣) .

رُويَ عنْ معاذِ بنِ جبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ وعبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما : أنَّ إبليسَ يقولُ لولدِهِ زَلَنْبُورَ لعنَهُما اللهُ : سِرْ بكتائبِكَ فأنتَ صاحبُ الأسواقِ ، زيِّنْ لهُمُ الكذبَ ، والحلِفَ ، والخديعةَ والمكرَ والخيانةَ ، وكنْ معَ أوَّلِ داخلٍ وآخرِ خارجٍ منها(٤) .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٧٣) .

(٢) رواه أبو داوود (٢٤٨٩) .

(٣) كذا في « القوت » (٢/ ٢٧٣) عنه ، وقد روي مرفوعاً عند الطبراني في « الكبير » (٦/ ٢٤٨) ، ولمسلم (٢٤٥١) عن سلمان رضي الله عنه قال : (لا تكونن ـ إن استطعت ـ أول من يدخل السوق ، ولا آخر من يخرج منها ؛ فإنها معركة الشيطان ، وبها ينصب رايته) .

(٤) كذا في « القوت » (٢/ ٢٧٣) ، وكون زلنبور صاحب الأسواق رواه أبو الشيخ في =

وفي الخبرِ : « شرُّ البقاعِ الأسواقُ ، وشرُّ أهلِها أوَّلُهُمْ دخولاً وآخرُهُمْ خروجاً »[١] .

وتمامُ هـٰذا الاحترازِ : أنْ يراقبَ وقتَ كفايتِهِ ، فإذا حصلَ كفايةُ وقتِهِ . . انصرفَ واشتغلَ بتجارةِ الآخرةِ ، هـٰكذا كانَ صالحو السلفِ ، فقدْ كانَ منهُمْ مَنْ إذا ربحَ دانقاً . . انصرفَ قناعةً بهِ ، وكانَ حمَّادُ بنُ سلمةَ يبيعُ الخزَّ في سفطٍ بينَ يديهِ ، فكانَ إذا ربحَ حبَّتينِ . . رفعَ سفطَهُ وانصرفَ[٢] .

وقالَ إبراهيمُ بنُ بشَّارٍ : قلتُ لإبراهيمَ بنِ أدهمَ رحمَهُ اللهُ : أمرُّ اليومَ أعملُ في الطينِ ؟ فقالَ : يا بنَ بشارٍ ؛ إنَّكَ طالبٌ ومطلوبٌ ، يطلبُكَ مَنْ لا تفوتُهُ ، وتطلبُ ما قد كُفيتَهُ ، أما رأيتَ حريصاً محروماً ، وضعيفاً مرزوقاً ؟ فقلتُ : إنَّ لي دانقاً عندَ البقَّالِ ، فقالَ : عزَّ عليَّ بكَ ، تملكُ دانقاً وتطلبُ العملَ ؟![٣] .

= « العظمة » (١١٣٣) من قول مجاهد في تفسير قوله سبحانه : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾ .

[١] رواه ابن حبان في « صحيحه » (١٥٩٩) ، والطبراني في « الأوسط » (٧١٣٦) ، وأبو الشيخ في « العظمة » (٢٦٧) ، ومعناه فيما تقدم .

[٢] رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٥٠) ، وسياق المصنف عند صاحب « القوت » (٢/ ٢٧٣) .

[٣] رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٢ـ١٣) وقبل قوله : (إن لي دانقاً) قال له ابن أدهم : (ما لك حيلة ؟) .

وقدْ كانَ فيهِمْ مَنْ ينصرفُ بعدَ الظهرِ ، ومنهُمْ بعدَ العصرِ ، ومنهُمْ مَنْ لا يعملُ في الأسبوعِ إلا يوماً أوْ يومينِ ، وكانوا يكتفونَ بهِ .

* * *

السادسُ : ألاَّ يقتصرَ على اجتنابِ الحرامِ بلْ يتقي مواقعَ الشبهةِ ومظانَّ الريبِ :

ولا ينظرُ إلى الفتاوىٰ ، بلْ يستفتي قلبَهُ ، فما وجدَ فيهِ حزازةً . . اجتنبَهُ ، وإذا حُمِلَ إليهِ سلعةٌ رابَهُ أمرُها . . سألَ عنها حتَّىٰ يعرفَ ، وإلا . . أكلَ الشبهةَ .

وقدْ حُمِلَ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لبنٌ ، فقالَ : « مِنْ أينَ لكُمْ هـٰذا ؟ » فقيلَ : مِنَ الشاةِ ، فقالَ : « ومِنْ أينَ لكُمْ هـٰذهِ الشاةُ ؟ » فقيلَ : مِنْ موضعِ كذا ، فشربَ منهُ ، ثمَّ قالَ : « إنَّا ـ معاشرَ الأنبياءِ ـ أُمِرْنا ألاَّ نأكلَ إلا طيِّباً ، ولا نعملَ إلا صالحاً »(١) .

وقالَ : « إنَّ اللهَ تعالىٰ أمرَ المؤمنينَ بما أمرَ بهِ المرسلينَ ، فقالَ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ﴾ »(٢) .

فسألَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنْ أصلِ الشيءِ ، وأصلِ أصلِهِ ، ولمْ يزدْ ؛

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » (٢٥/ ١٧٤) .

(٢) رواه مسلم (١٠١٥) .

لأنَّ ما وراءَ ذلكَ يتعذَّرُ ، وسنبيِّنُ في كتابِ الحلالِ والحرامِ موضعَ وجوبِ هـٰذا السؤالِ ؛ فإنَّهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ كانَ لا يسألُ عنْ كلِّ ما يُحملُ إليهِ[1] ، وإنَّما الواجبُ أن ينظرَ التاجرُ إلىٰ مَنْ يعاملُهُ ، فكلُّ منسوبٍ إلىٰ ظلمٍ أوْ خيانةٍ أوْ سرقةٍ أوْ رباً . . فلا يعاملُهُ ، وكذا الأجنادُ والظلمةُ لا يعاملُهُمْ ألبتةَ ، ولا يعاملُ أصحابَهُمْ وأعوانَهُمْ ؛ لأنَّهُ معينٌ بذلكَ على الظلمِ .

وحُكِيَ عنْ رجلٍ أنَّهُ تولَّىٰ عملَ سورٍ لعمارةِ ثغرٍ مِنَ الثغورِ ، فقالَ : فوقعَ في نفسي مِنْ ذلكَ شيءٌ وإنْ كانَ ذلكَ العملُ مِنَ الخيراتِ ، بلْ مِنْ فرائضِ الإسلامِ ، ولكنْ كانَ الأميرُ الذي تولَّىٰ عن جهتهِ مِنَ الظلمةِ ، فسألتُ سفيانَ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقالَ : لا تكنْ عوناً لهُمْ علىٰ قليلٍ ولا كثيرٍ ، فقلتُ : هـٰذا سورٌ في سبيلِ اللهِ للمسلمينَ ، فقالَ : نعمْ ، ولكنْ أقلُّ ما يدخلُ عليكَ أنْ تحبَّ بقاءَهُمْ ليوفوكَ أجرَكَ ، فتكونَ قدْ أحببتَ بقاءَ مَنْ يعصي اللهَ تعالىٰ ، وقدْ جاءَ في الخبرِ : (مَنْ دعا لظالمٍ بالبقاءِ . . فقدْ أحبَّ أنْ يُعصى اللهُ في أرضِهِ)[2] ، وفي الحديثِ : « إنَّ اللهَ ليغضبُ إذا مُدحَ

---

[1] فقد روىٰ أحمد في « المسند » (٣/ ٣٥١) عن جابر رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مروا بامرأة ، فذبحت لهم شاة. . . ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم لقمة ، فلم يستطع أن يسيغها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هـٰذه شاة ذبحت بغير إذن أهلها » ، فقالت المرأة : يا نبي الله ؛ إنا لا نحتشم من آل سعد بن معاذ ولا يحتشمون منا ، نأخذ منهم ويأخذون منا .

[2] رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٦٠٤) عن الحسن ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٤٦) من قول سفيان .

الفاسقُ »(١) ، وفي خبرٍ آخرَ : « مَنْ أكرمَ فاسقاً . . فقدْ أعانَ علىٰ هدْمِ الإسلامِ »(٢) .

وقدْ أُدخلَ سفيانُ على المهديِّ وبيدِهِ دَرْجٌ أبيضُ ، فقالَ : يا سفيانُ ؛ أعطني الدواةَ حتَّىٰ أكتبَ ، فقالَ : أخبرني ؛ أيَّ شيءٍ تكتبُ ؟ فإنْ كانَ حقّاً . . أعطيتُكَ(٣) .

وطلبَ بعضُ الأمراءِ مِنْ بعضِ العلماءِ المحبوسينَ عندَهُ أنْ يناولَهُ طيناً ليختمَ بهِ الكتابَ ، فقالَ : ناولْني الكتابَ أوَّلاً حتَّىٰ أنظرَ ما فيهِ(٤) .

فهكذا كانوا يحترزونَ عنْ معاونةِ الظلمةِ ، ومعاملتُهُمْ أشدُّ أنواعِ الإعانةِ ، فينبغي أنْ يجتنبَها ذو الدينِ مهما وجدَ إلىٰ ذلكَ سبيلاً .

وبالجملةِ : فينبغي أنْ ينقسمَ الناسُ عندَهُ إلىٰ مَنْ يُعاملُ ومَنْ لا يُعاملُ ، وليكنْ مَنْ يعاملُهُ أقلَّ ممَّنْ لا يعاملُهُ في هٰذا الزمانِ .

قالَ بعضُهُمْ : (أتىٰ على الناسِ زمانٌ كانَ الرجلُ يدخلُ السوقَ ويقولُ : مَنْ ترونَ لي أنْ أعاملَ منَ الناسِ ؟ فيُقالُ لهُ : عاملْ مَنْ شئتَ ، ثمَّ أتىٰ زمانٌ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٢٣٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٥٤٣) .

(٢) روى الطبراني في « الكبير » (٢٠/ ٩٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢١٨) مرفوعاً : « من وقَّر صاحب بدعة . . فقد أعان علىٰ هدم الإسلام » ، والقصة بتمامها عند صاحب « القوت » (٢/ ٢٦٤) .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢٦٤) ، **والدرج** : الذي يكتب فيه .

(٤) قوت القلوب (٢/ ٢٦٤) .

آخرُ فكانَ يُقالُ : عاملْ مَنْ شئتَ إلا فلاناً وفلاناً ، ثمَّ أتىٰ زمانٌ آخرُ فكانَ يُقالُ : لا تعاملْ أحداً إلا فلاناً وفلاناً ، وأخشىٰ أنْ يأتيَ زمانٌ يذهبُ هـٰذا أيضاً)[1] ، وكأنَّهُ قدْ كانَ الذي خافَ أنْ يكونَ ، إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ .

* * *

السابعُ : ينبغي أنْ يراقبَ جميعَ مجاري معاملتِهِ معَ كلِّ واحدٍ مِنْ معامليهِ :

فإنَّهُ مراقَبٌ ومحاسَبٌ ، فليعدَّ الجوابَ ليومِ الحسابِ والعقابِ في كلِّ فعلِهِ وقولِهِ أنَّهُ لِمَ أقدمَ عليها ولأجلِ ماذا ؟

فإنَّهُ يُقالُ : إنَّهُ يُوقفُ التاجرُ يومَ القيامةِ معَ كلِّ رجلٍ كانَ باعَهُ شيئاً وقفةً ويُحاسبُ عنْ كلِّ واحدٍ محاسبةً علىٰ عددِ مَنْ عاملَهُ .

قالَ بعضُهُمْ : رأيتُ بعضَ التجَّارِ في النومِ ، فقلتُ لهُ : ماذا فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : نشرَ عليَّ خمسينَ ألفَ صحيفةٍ ، فقلتُ : هـٰذهِ كلُّها ذنوبٌ ؟! فقالَ : هـٰذهِ معاملاتُ الناسِ بعددِ كلِّ إنسانٍ عاملتَهُ في الدنيا ، لكلِّ إنسانٍ صحيفةٌ مفردةٌ فيما بينَكَ وبينَهُ مِنْ أوَّلِ معاملتِهِ إلىٰ آخرِها[2] .

فهـٰذا ما على المكتسبِ في معاملتِهِ منَ العدلِ والإحسانِ والشفقةِ على

---

[1] قوت القلوب (٢/ ٢٧٢) بنحوه .

[2] قوت القلوب (٢/ ٢٦٨) .

الدينِ ، فإنِ اقتصرَ على العدْلِ . . كانَ مِنَ الصالحينَ ، وإنْ أضافَ إليهِ الإحسانَ . . كانَ منَ المقربينَ ، فإنْ راعىٰ معَ ذلكَ وظائفَ الدينِ كما ذكرناهُ في البابِ الخامسِ . . كانَ مِنَ الصديقينَ ، واللهُ أعلمُ بالصوابِ .

* * *

تمّ كتاب آداب الكسب والمعاش

وهو الكتاب الثّالث من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدّين

بحمد الله وعونه ، وصلاته على محمّدٍ نبيّه وآله وسلّم تسليمًا

ويتلوه كتاب الحلال والحرام

Beşinci Bab

TÜCCARIN DÎNİNİ KORUMASI

Tüccarın dünya meşgalesi, âhiretini kendisine unutturmamalıdır. Böyle olanların ömrü boşa gitmiş ve kârı zarara dönmüştür. Zîra dünyalık için yaptığı kâr, âhiret zararını karşılayamaz. Ebedî olan âhiret hayâtını satıp, fâni olan dünya hayâtını satın almış olur. Akıllı insana yakışan, asıl sermâyesi olan dînini ve dînî kazancını koruyarak, kendisine acımaktır. Seleften birisi şöyle anlatıyor: Aklı başında olan için en kıymetli madde, peşin olarak muhtaç olduğu şeydir. Peşin olarak en ziyâde muhtaç olduğu şey de gelecekte ve netîce itibâriyle kendisine faydalı olan ve kendisinin övülmesine yarayan şeylerdir.

Muâz b. Cebel (r.a.), öğüdünde şöyle diyor: "Dünyalığa ihtiyâcın var. Fakat âhirete daha çok muhtaçsın. Âhiret ihtiyâcını dünyalığın üzerine tercih et. Bu sâyede dünya işlerin de düzene girer." Allahü Teâlâ:

وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا

"Dünyadan da nasîbini unutma." (Kasas sûresi, 28/77) buyurmuştur. (İmâm Gazâlî'ye göre bu âyet-i kerîme'nin mânâsı şöyledir): "Dünyada, dünyadan âhiret için ayrılan hisseni unutma." Zîra "Dünya, âhiretin tarlasıdır." Hasenât, dünyada kazanılır. Tüccarın dînini koruması ve dînine acıması, ticarette yedi şeye riâyetle mümkündür:

Birincisi; Ticarete başlarken sağlam îtikad ve iyi niyet sahibi olmak. Meselâ helâl kazanç sâyesinde dilencilikten ve insanlara muhtaç olmaktan korunmak, kazancı ile dînini kuvvetlendirmek ve çoluk çocuğunun geçimini sağlamaya niyet etmek lâzımdır ki, bu sâyede mücâhidlerden olabilsin.

Ayrıca Müslümanlara faydalı olmaya niyet etmeli ve kendisi için sevdiğini başkaları için de sevmelidir. Yukarıda da anlattığımız gibi, adâlet ve ihsân yoluna girmeye niyet etmelidir. Çarşı ve pazarda gördüğü kusurları düzeltmeye niyet etmelidir.

İşte bu niyetler ile ticarete başladığı zaman, âhiret yoluna girmiş olur. Eğer bu alış-verişte kâr ederse, o da dünyalığı olur. Şâyet kâr edemezse, âhiretini kazanmış olur.

İkincisi; Ticaret veyâ sanatında farz-ı kifâyelerden olan bir vecîbeyi yerine getirmeye niyet etmelidir. Ticaret ve sanat, farz-ı kifâyelerdendir. Çünkü bunlar ihmâl edilirse, geçim olmaz. İnsanlar açlığından ve ihtiyacından ölürler. Dünya nizâmı karşılıklı yardımlaşma ve vazîfe taksimi ile mümkündür. Eğer herkes aynı işi yaparsa, diğer işler yapılmadığı için, hayât felce uğrar. Hattâ Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in:

اِخْتِلَافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ

"Ümmetimin ihtilâfı rahmettir."[80] sözünü, bu mânâya hamledenler bile olmuştur. Yâni her işte olduğu gibi, ticaret ve sanatta da her birinin iş bölümü yaparak ayrı cihetlerden işi ele almaları bir rahmettir, demek oıur.

Sanatların kısm-ı âzamı mühim olmakla beraber, bâzıları süs ve ziynet kabîlinden olduğu için, zarûrî değildir. Bunun için sanatın mühimlerini tercih ederek, Müslümanlara yarayışlı olanları ile meşgul olunması daha uygundur. Nakışçılık, boyacılık, lüzûmsuz inşaatçılık ve yalnız dünyayı süsleyici şeyler ile uğraşmamalıdır. Dîn erbâbı bu gibi şeylerle uğraşmayı hoş karşılamaz. Çalgı ve benzeri yasak olan âletleri imâl etmekten kaçınmak, zulümden kaçınmak demektir. Erkeklere atlas elbise dikmek, altın ve gümüşten eyer işlemek, yine erkeklere altın yüzük yapmak günâhtır ve bunlardan ücret almak haramdır. Her ne kadar biz (Şâfiîler) ziynet eşyâlannda zekâtı farz görmüyorsak da, erkeklerin kullandıkları altın ve ipek gibi şeylerde gerekli gördük.[81] Çünkü altın ve ipeğin, ziynet olarak erkekte bulunması haramdır. Yalnız kadınlar için ziynet olması haramlıktan kendini kurtarmaz. Ta ki kadın için yapıldığı kasdedilmedikçe.

---

[80] İlim bahsinde geçmiştir.

Yukarıda yiyecek maddesiyle kefen satmanın mekruh olduğunu anlatmıştık. Çünkü bu alış-veriş, insanların acıkmasını ve ölmesini beklemek demektir. Kasaplık da mekruhtur. Çünkü kasaplık, kalp katılığını tevlîd eder. Kan alıcılık ve çöpçülük mekruh işlerdendir Çünkü bunlarda dâima pislikle karşılaşmak yardır. Dibâğat ve benzeri işler de aynı hükümdedir. **İbn Şîrîn** dellallığı; **Katâde** ise dellallıktan alınan ücreti mekruh saymıştır. Her halde bunların dellallığı mekruh görmeleri, dellalın (tezgâhtar) malı fazla överek yalana kaçması ve sarfettiği enerjinin takdîr edilmemesi sebeplerine müsteniddir. Bâzen az ve bâzen çok konuşur. Hâlbuki âdeten bu yönden ücret değişmez. Ücret, satılan malın değeri ile değişir ki bu, bir nevi zulümdür. Hakkı, emeğine göre ücret almasıdır.

---

[81] Hanefilerde, ister kadında ister erkekte olsun, altın ve gümüş zekât nisâbında hesâba katılır. Şâfiîlerde, kadınlarda bulunan altınlardan -diğer kıymetli taşlar gibi- zekât verilmez.

Canlı hayvan alım-satımı da mekruh sayılmıştır. Çünkü müşteri, bunlar hakkında mukadder olan ölümden hoşlanmaz. Bunun için Araplar: "Bir canlı sat, iki ölü al." derler.

Hasan ve **İbn Şîrîn** gibi zâtlar, sarraflığı da mekruh görmüşlerdir. Çünkü burada ribânın inceliklerinden korunmak zordur. Aynı zamanda sarraflıkta zâtî bakımdan pek de lüzûmlu olmayan incelikleri aramak var. Hâlbuki maksud olan onun revaçta olup olmadığını aramaktır. Esâsen sarrafın para kazanabilmesi, başkalarının bu husustaki incelikleri bilmemelerinden doğar. Bunun için ne kadar ihtiyâtlı davransa da haramdan ve şüphelerden selâmet bulması pek zordur. Sarrafların altın ve gümüş yapmaları mekruhtur. Ancak paralar şüpheli ise o zaman bozar ve diğer maddelerde kullanılır. Ahmed b. Hanbel bu hususta Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ve ashâbından nehiy vârid olduğunu[82] ve kendisinin de bunu hoş karşılamadığını söylemiştir. Altın para ile gümüş para alır, sonra gümüş para ile külçe altın alır ve daha sonra altını istediği yerde kullanır. Bu sûretle ribâdan kurtarmış olur.

Manifaturacılığı hoş gördüler. Hattâ **Saîd İbn Müseyyeb**: "Yemin karışmayan manifatura ticareti kadar hoşuma giden hiç bir ticaret yok." demiştir. Nitekim hadîste:

خَيْرُ تِجَارَتِكُمُ الْبَزُّ، وَخَيْرُ صِنَاعَتِكُمُ الْخِرْزُ

"Ticaretinizin en hayırlısı bezzazlık (kumaş ve elbise ticareti)*, sanatınızın en güzeli de dikicilik* (terzilik)*tir."*[83] buyurulmuştur. Diğer hadîste:

---

[82] Bu husûstaki hadisi Ebû Dâvûd, Tirmizî, İbn Mâce ve Hâkim; Alkame yolu ile rivâyet etmişlerdir.

[83] **"Firdevs"** sahibi, Hz. Ali'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

لَوِ اتَّجَرَ أَهْلُ الْجَنَّةِ لَاتَّجَرُوا فِي الْبَزِّ، وَلَوْ اِتَّجَرَ أَهْلُ النَّارِ لَاتَّجَرُوا فِي الصَّرْفِ

"Cennet ehli ticaret etse manifaturacılık, cehennem halkı da alış-veriş yapsa sarraflık yaparlardı."[84] buyurulmuştur.

Selef ekseriyetle şu on sanatı tercih ederlerdi:

1- Dikicilik,

2- Ticaret,

3- Nakliyecilik,

4- Terzilik ve ayakkabıcılık,

5- Elbise temizleyiciliği,

6- Nalincilik,

7- Demircilik,

8- Eğiricilik,

9- Avcılık,

10- Kitapcılık (muharrirlik).

Abdülvehhab el-Varak[85] diyor ki:

"Ahmed b. Hanbel bana:

- "Hangi sanatla iştigal ediyorsun?" diye sordu. Ben:

- "Hattatım, kitap yazarım." dedim. **Ahmed b. Hanbel**:

---

[84] Ebû Mansûr Deylemî. **"Müsned-i Firdevs"**'inde Ebû Said (r.a.) den; birinci şartını Ebû Ya'la ve Ukaylî **"Zuafâ"**de Ebû Bekir es-Sıddîk (r.a.) den rivâyet etmişlerdir.

[85] Abdülhakem'in oğludur. Bağdâdlıdır. Sikadandır. Hicrî 50 yılında ölmüştür.

- "Çok güzel sanat ve helâl kazanç. Eğer ben de bir sanata intisâb etseydim, bu sanatı tercîh ederdim." dedi ve devamla: "Kâğıdın kenarlarına dış taraflarına yazma." diye öğüt verdi. (Çünkü buralara yazılan yazılar zâyi olur.)"

Dört sanat sahibi insanlar arasında hafif meşrep diye tanınmıştır. Bunlar: Çulhacılar, pamuk satıcıları, iyciler ve çocuk terbiyecileridir. Çünkü bunların ilk üçü ekseriyetle kadınlar ile alışveriş eder. Sonuncusu da çocuklarla meşgul olur. Akıllı insanlar arasında bulunmak aklı çoğalttığı gibi, aklı az olanların arasında bulunmak da aklı azaltır.

Mücâhidden şöyle rivâyet olunmuştur: Meryem aleyhisselâm,[86] İsâ aleyhisselâmı aramaya çıkmıştı. Yol üzerinde bulunan bir çulhacıdan gideceği istikameti sordu. O da yanlış yol gösterdi ve Meryem aleyhisselâm şaşırdı. Bunun üzerine onlara bedduâ ederek: "Allahım, bunların kazancından bereketi kaldır ve bunları yoksul olarak öldür. İnsanlar nazarında hakir olsunlar." dedi ve bu duâsı kabul oldu.

İbâdet ve farz-ı kifâye kabîlinden olan cenâze yıkamak, defnetmek, ezân okumak, terâvih kıldırmak, Kur'ân ve fıkıh öğretmek gibi hususlarda her ne kadar ücret almak sahih ise de selef, bunlardan ücret almayı kerîh görmüştür. Çünkü bunların hakkı, bunlardan para almayıp, bunları âhiret sermâyesine ayırmaktır. Ücret almak ise âdeta dünyalığı âhiret üzerine tercîh etmek gibidir. Bu bakımdan hoş değildir.

Üçüncüsü; Dünya pazarı âhiret pazarına mâni olmamalıdır. Âhiret pazarı câmilerdir. Nitekim Allahü Teâlâ:

---

[86] Şâfiîlere (Eş'arîlere) göre kadından Peygamber olabilir. Bunun için Meryem'e "aleyhisselâm" demiştir. Hanefilerde kadından peygamber olmaz.

رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ
وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ

“Öyle adamlar var ki, kazanç ve alış-veriş onları Allah’ı zikretmekten, namaz kılmaktan ve zekât vermekten alıkoymaz.” (Nûr sûresi, 24/37) buyurmuştur. Lâyık olan, çarşıya çıkmadan evvel, ilk vaktini âhiret için ayırmalı, câmilere gidip zikrini yapmalıdır. Nitekim **Hz. Ömer** (r.a.) tüccarlara: “Günün ilk vaktini âhiretiniz için ayırın, sonrasında da dünyalık için çalışın.” demiştir. Selefin iyileri günün ilk ve son vaktinde âhiret için çalışırlardı. Ortasını da dünyalık için ayırırlardı. Hattâ sokakta sabahleyin keşkül ve kelle satanlar, ancak çocuklar ve gayr-i müslimlerdi. Müslümanların büyükleri camilerde bulunurdu. Haberde:

إِنَّ الْمَلَائِكَةَ إِذَا صَعَدَتْ بِصَحِيفَةِ الْعَبْدِ وَفِيهَا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ
وَفِي اٰخِرِهِ ذِكْرُ اللّٰهِ وَخَيْرٌ كَفَّرَ اللّٰهُ عَنْهُ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ سَيِّئِ الْأَعْمَالِ

“Melekler, kulun (amel) *sahifesini Allah’a arzettikleri zaman, eğer günün ilk ve son vakitleri zikir ve hayır ile geçmişse aradaki kötülüklerini Allah bağışlar.”* diye vârid olmuştur.[87] Yine haberde:

تَلْتَقِي مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَعِنْدَ صَلَاةِ
الْعَصْرِ، فَيَقُولُ اللّٰهُ تَعَالٰى وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟
فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَجِئْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ،
فَيَقُولُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ

---

[87] Ebû Ya’lâ, Enes (r.a.)den rivâyet etmiştir.

"(Nöbeti devir ve teslim almak için) *gece ve gündüz melekleri sabah ve ikindi vakitlerinde karşılaşırlar. Allahü Teâlâ onlardan daha iyi bildiği halde 'Kullarımı ne halde bıraktınız?" diye onlardan sorar. Melekler: "Namaz kılarlarken ayrıldık, namaz kılarlarken bulduk." derler. Allahü Teâlâ: "Şâhid olun, onları ben mağfiret ettim." buyurur."*[88] diye vârid olmuştur.

Sonra öğle ve ikindi ezanlarını duyunca her işini bırakıp vakit kaybetmeden hemen namaza gitmelidir. Çünkü imâm ile ilk tekbîrde alacağı mükâfatı, içindeki bütün varlığı ile dünya kendisine kazandıramaz. Cemâati terk etmek, bâzı âlimlere göre Allah'a isyân etmek demektir.

Selef-i sâlihîn, ezân vaktinde câmilere çekilir, çarşı ve pazarları çocuklara ve gayr-i müslimlere terk ederler ve dükkânları beklemeleri için onlara ücret verirlerdi. Çocuklar ve gayr-i müslimler de bu sâyede geçinirlerdi. Allahü Teâlâ'nın:

لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ

"Öyle erkekler ki, kâr ve alış-veriş onları Allah'ın zikrinden alıkoymaz." (Nûr sûresi, 24/37) âyet-i celîlesinin tefsîrinde, bu adamlar demircilik ve dikicilik gibi işlerle uğraşırlardı. Birisi çekici kaldırırken ezânı duysa veyâ "biz"e iplik geçirirken ezân okunsa hemen çekici ve "biz"i yerine koyar ve namaza giderlerdi, denilmiştir.

Dördüncüsü; İbâdet için, yalnız bu kadarı ile de yetinmemeli, dükkânında ve işinde bulunduğu müddetçe Allah'ı hatırından çıkarmamalıdır. Dâima onu zikretmeli, tesbih ve tehlîle devam etmelidir. Gâfiller arasında zikir, daha makbuldür. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

[88] Buhârî ile Müslim, Ebû Hüreyre (r.a.)den rivâyet etmişlerdir.

ذَاكِرُ اللّٰهِ فِي الْغَافِلِينَ كَالْمُقَاتِلِ خَلْفَ الْفَارّ۪ينَ وَكَالْحَيِّ بَيْنَ الْأَمْوَاتِ

“Gâfiller arasında Allah’ı ananla, kaçanların ardında vuruşan, ölüler arasında diri gibidir.” Diğer bir ifâde ile “Kurular arasında yaş ağaç gibidir.” buyurmuştur. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنْ دَخَلَ السُّوقَ، فَقَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَر۪يكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْي۪ي وَيُم۪يتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَد۪يرٌ كَتَبَ اللّٰهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ

“Her kim çarşı pazarda: “Allah’tan başka ibâdete lâyık kimse yoktur. O, birdir, ortağı ve benzeri yoktur. Mülk O’nun, hamd O’na mahsûstur. Öldürür, diriltir. Kendisi diridir ölmez. Hayır O’nun elindedir. O, her şeye kadirdir” derse, kendisi için bir milyon hasene yazılır.”[89] buyurmuştur.

Abdullah b. Ömer, Salim b. Abdullah, Muhammed b. Vâsi ve benzeri zevat, bu fazîleti ihraz için çarşıya çıkar ve bu duaya devam ederlerdi.

Hasan şöyle anlatıyor: “Sokakta Allah’ı zikreden, kıyamet günü ay gibi ziyası, güneş gibi delîli olduğu hâlde Allah’ın huzûruna getirilir. Sokakta istiğfar edenin, sokaktaki insanlar sayısınca günâhları bağışlanır.”

Hz. Ömer (r.a.) sokağa çıktığı zaman: “Allahım, küfürden, fısktan ve bu çarşının kötülüklerinden sana sığınırım. Allahım, yalan yere yemin etmekten ve bizi zarara sokacak alış-verişten sana sığınırım." derdi.

---

[89] Ezkâr bahsinde geçmiştir. Bakınız; C. 1. Sf: 858.

Ebû Cafer el-Fer'ânî şöyle anlatıyor: "Cüneyd'in meclisinde otururken söz, kendilerini sofulara benzetenlere geldi. Bunlar câmilerde otururlar ancak gerekli nefis mürâkabesini yapmazlar. Bununla beraber câmilerde oturmayıp çarşı ve pazarda gezenleri ayıplayan bir zümreye, intikal etti. Bunun üzerine **Cüneyd**: "Ben sokaklarda dolaşan öyle adam bilirim ki, günde üçyüz rekât namaz kılar ve otuzbin tesbih çeker." dedi. Cüneyd'in bu sözünden bu adamın, kendisi olduğunu anladım. Çünkü büyük adamlar, zarûret hâsıl olmadıkça kendilerini takdim etmezler."

Dünyalık için olmayıp, geçim için alış-veriş edenler böyledir. Âhirete yardımı olsun diye dünyalık peşinde olan, nasıl olur da âhiret kazancını ihmâl eder. İbâdet için çarşı, câmi ve ev, hepsi birdir. Kurtuluş takva iledir. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اِتَّقِ اللّٰهَ حَيْثُمَا كُنْتَ

"Nerede olursan ol, Allah'tan kork."[90] buyurmuştur. Nerede olursan ol, ne hâl üzerinde bulunursan bulun, dindâr olanların takvâ vazifesi sona ermez. Geçimlerinde ve yaşayışlarında dâima takvâ üzere bulunurlar. Çünkü kâr ve kazançlarını orada bulurlar. Bunun için: "Allah'ı ve âhireti seven yaşar, dünyayı seven şaşar. Ahmak, günlerini boşa geçirir, akıllı olanlar kendi nefsinin kusurlarını araştırır." denmiştir.

Beşincisi; Çarşı pazara, kâr ve kazanca fazla düşkün olmamalıdır. Yâni çarşıya ilk girip son çıkanlardan olmamalı ve deniz aşırı ticaret seferlerine gitmemelidir. Bunların ikisi de makbul değildir. Denildi ki: "Ticaret için deniz seferine çıkan, rızkı aramanın son haddine ulaşmıştır." Haberde:

---

[90] Tirmizî, Ebû Zer (r.a.)den rivâyet etti ve sahihtir, dedi.

لَا يُرْكَبُ الْبَحْرُ إِلَّا لِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ أَوْ غَزْوٍ

"Deniz seferine ancak hac, umre veyâ cihâd için çıkılır."[91] buyurulmuştur.

Abdullah b. Amr b. As (r.a.): "Çarşıya ilk girip, son çıkanlardan olma. Zîra bu vakitler şeytanın yumurtlayıp civciv çıkardığı vakitlerdir. (Yâni şeytanın oyuncağı olursun.)" demiştir. **Muâz b. Cebel** ve Abdullah b. Ömer'den (r.a.) rivâyet edildiğine göre, iblis, evlatlarından olan Zelembur'e: "Bütün mâiyetin ile çarşıya çık. Yalanı, yalan yere yemini, hîle, hıyânet ile aldatmayı oradakilere süslü göstermeye çalış ve ilk girip son çıkan ile beraber bulun." der. Nitekim haberde:

شَرُّ الْبِقَاعِ الْأَسْوَاقُ، وَشَرُّ أَهْلِهَا أَوَّلُهُمْ دُخُولًا، وَاٰخِرُهُمْ خُرُوجًا

"Durulacak yerlerin en kötüsü sokak ve çarşılardır. Buradakilerin en kötüleri de ilk girip, son çıkanlardır."[92] diye vârid olmuştur. Çarşıda bulunacağı müddet, kifâyet miktarı kazancını sağlayacağı kadar zamandır. Yetecek kadar kazancını temîn eden çarşıyı terk edip, âhiret kazancı ile meşgul olmalıdır. Selef-i sâlihîn böyle yaparlardı. Hattâ bâzıları bir danik dirhemin altıda biri kadar, yâni cüzî bir miktar kazanç elde ettiler mi, onunla yetinir ve geri dönerlerdi. **Hammad b. Seleme**, kadın başörtüleri satardı. İki keçiboynuzu çekirdeği ağırlığında kâr ettiği zaman, sepeti-

---

[91] Ebû Dâvûd, Abdullah b. Ömer (r.a.)den, munkati olarak rivâyet etmiştir.

[92] Ebû Naim **"Hürmeti'l-Mesâcid"**de İbn Abbâs (r.a.)dan buna benzer bir ifâde ile rivâyet etmiştir.

ni toplar ve evine giderdi. **İbrâhim b. Beşşâr** anlatıyor: Bir gün İbrâhim b. Edhem'e:

- "Bugün, inşâatçılara toprak taşıyacağım." dedim. İbrâhim:

- "Sen hem tâlip, hem de matlupsun. Seni arayanın elinden kurtaramazsın. Aradığın yetecek miktar olsun, fazlasına boşver. Nice harîslerin mahrûm ve nice zayıfların merzûk olduklarını görmüyor musun?" dedi. Ben de:

- "Bakkalda bir dirheme yakın param var." dedim. İbrâhim:

- "O hâlde daha ne istiyorsun?" dedi.

Onlardan bâzıları öğleye, bazıları ikindiye kadar ve bâzıları da haftanın yalnız bir veyâ iki günü çalışır ve bununla geçinip giderlerdi.

Altıncısı; Yalnız haramdan kaçınmakla yetinmemeli, şüpheli şeylerden de sakınmalıdır. Verilen ruhsat fetvâlarına iltifât etmemeli, belki kalbine danışmalı, kalbinin mutmain olmadığı yerlere yaklaşmamalıdır. Şüpheli bir mal geldiği zaman, aslını sorup öğrenmeden almamalıdır. Aksi takdirde yediği şüpheli olur.

Bir gün Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e bir miktar süt gelmişti. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مِنْ أَيْنَ لَكُمْ هٰذَا؟ فَقَالُوا: مِنَ الشَّاةِ، فَقَالَ: وَمِنْ أَيْنَ لَكُمْ هٰذِهِ الشَّاةُ؟ فَقِيلَ: مِنْ مَوْضِعِ كَذَا، فَشَرِبَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ لَا نَأْكُلَ إِلَّا طَيِّبًا وَلَا نَعْمَلَ إِلَّا صَالِحًا

- *"Bu sütü nereden aldınız?"* diye sordu. Onlar:

- "Koyundan." deyince Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *“Ya koyunu nereden aldınız?”* buyurdu. Onlar:

- “Falan yerden aldık.” dediler. Bunun üzerine (sütün helâlliğine kani olduğundan) Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) sütü içti:

- *“Biz Peygamberler zümresi, helâl ve temiz olanı yemek ve sâlih amel işlemekle emrolunduk.”*[93] buyurdu. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ:
يَٓا أَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ

“Allahü Teâlâ, Rasûllerine neyi emretti ise mü’minlere de onu emretti ve **“Ey îman edenler! Size rızık olarak verdiğimiz şeylerin helâl ve temizinden yiyin.”** (Bakara sûresi, 2/172) *buyurdu.”*[94] dedi.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) kendisine takdim edilen şeyin aslından ve aslının aslından, yâni önce sütten, sonra sütün alındığı koyundan sordu; daha ilerisine geçmedi. Çünkü daha evveliyâtını incelemek zordur. İnşâallah, hemen bu bahsin akabinde gelecek olan **“Helâl ve Haram Kitâbı”**nda bu gibi soruşturmanın nelerde vâcip olduğunu anlatacağız. Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), her gelenden sormazdı. Tüccara vâcip olan, alış-veriş ettiği kimselerin vaziyetine bakmaktır. Zulüm, hıyânet, sirkat ve ribâ gibi şeyleri yapmakla tanınmış olan kimselerle ve hattâ yardımcıları ile de alış-veriş etmemelidir. Çünkü bunlarla alış-veriş etmek, bunlara yardım sayılır.

Bir kişi bir kale duvarının inşâatını üzerine almıştı. Her ne kadar kale inşâatı, Müslümanların üzerine farz ise de, kaleyi inşâ ettiren zâlimlerden olduğu için, müteahhidin kalbine şüphe düştü ve meseleyi **Süfyân-ı Sevrî**'den sordu. Süfyân-ı Sevrî:

---

[93] Taberânî, Ümmü Abdullah (r.a.) dan rivâyet etmiştir.

[94] Müslim, Ebû Hüreyre (r.a.)den rivâyet etmiştir.

- "Az da olsa zâlimlere yardımcı olma." dedi. Ben de:

- "Bu, Allah için bir iştir." dedim. Süfyân:

- "Evet haklısın. Fakat sen en azından paranı alabilmek için bu zâlimin ömrüne duâ edersin ve bu sebeple Allah'a âsî olanın yaşamasını istersin. Hâlbuki haberde:

مَنْ دَعَا لِظَالِمٍ بِالْبَقَاءِ فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يُعْصَى اللّٰهُ فِي أَرْضِهِ

"Zâlime yaşaması için duâ eden, yeryüzünde Allah'a isyan edilmesini sevmiş olur."[95] diye vârid olmuştur." dedi.

Diğer hadîste:

إِنَّ اللّٰهَ لَيَغْضَبُ إِذَا مُدِحَ الْفَاسِقُ

"Fâsık övüldüğü zaman, Allahü Teâlâ gazablanır."[96] diye vârid olmuştur. Başka bir hadîste:

مَنْ أَكْرَمَ فَاسِقًا فَقَدْ أَعَانَ عَلٰى هَدْمِ الْإِسْلَامِ

"Fâsık olan kimseye ikrâm eden, İslâmiyet'in yıkılmasına yardım etmiş olur."[97] buyurulmuştur.

Süfyân-ı Sevrî, Mehdî'nin yanına girdi. Mehdî, elinde bir beyaz kâğıt bekliyordu. Süfyân'a:

---

[95] İbn Ebi'd-Dünyâ **"Kitâbu's-Samt"**de Hasan'ın sözünden rivâyet etmiştir.

[96] İbn Ebi'd-Dünyâ **"Kitâbu's-Samt"**de, İbn Adiy **"El-Kâmil"**de, Ebû Ya'lâ ve Beyhakî **"Şuâbü'l-Îman"**da Enes (r.a.) den rivâyet etmişlerdir.

[97] İbn Adiy, Aişe (r.a.)den, Taberânî **"Evsât"**ında, Ebû Naim **"Hilye"**de Abdullah b. Yüsr (r.a.)den rivâyet ettiler.

- “Dividini ver, şuraya bir şey yazayım.” dedi. Süfyân:

- “Yazacağını söyle. Kötü bir şey değilse, veririm.” dedi.

Âmirlerden biri yanında mevkûf bulunan bir âlime: “Mühürü ver de şu yazıyı mühürleyeyim.” deyince âlim: “Önce yazıyı ver bakayım, kötü bir şey yazılmamışsa, o zaman mührü veririm.” dedi.

İşte onlar bu şekilde zâlime yardımdan sakınırlardı. Onlarla ticârî muâmele, onlara yapılacak yardımın en büyüğü olacağından dindar olanlar mümkün olduğu kadar bunlardan kaçınmalıdır.

Hülâsa: Ticârî muamelede insanları ikiye ayırmalı ve muâmele ettikleri kimseler, etmediklerinden az olmalıdır. Adamın birisi: “Bir zaman gelecek adam çarşıya girip “Kiminle alış-veriş edeyim?” diye sorduğu zaman, “Kiminle istersen onunla alış-veriş et.” derler. Bir zaman yine sorar; “Falanca ve filanca ile alış-veriş etme. Başka kim olursa olsun alış-veriş et.” Bir zaman daha gelir ki, “Falanca ile filancadan başka kimse ile alış-veriş etme.” denir. Korkarım ki, o falanca ile filanın bulunamayacağı bir zaman da gelir.” dedi. Belki de onun korktuğu zaman gelmiştir. İnnâ lillâhi ve innâ ileyhi râciûn.

Yedincisi; Lâyık olan, alış-veriş ettiği herkes ile bütün ticârî muâmelelerini mürâkabe etmelidir. Çünkü kendisi mürâkabe edilmektedir ve hesaba çekilecektir. Hesap ve ikab günü niçin ve neden dolayı yaptı diye her iş ve sözü ile alâkalı suâllerin cevaplarını şimdiden hazırlamalıdır. Denildi ki; kıyâmet günü her esnâf, alış-veriş ettiği her şahıs için ayrı ayrı hesap verecek ve hepsi ile karşılaşıp hesaplaşacaktır.

Zâtın biri şöyle anlatıyor: “Ölen bit tüccarı rüyâmda gördüm. Ne hâlde olduğunu kendisinden sorduğum zaman, “Allahü Teâlâ elli bin sayfalık bir defter önüme serdi." dedi. Ben de: "Bunlar günâh defteri mi?" dedim. Tüccar: "Hayır dünyada alış-veriş ettiğim insanların defteri. Her insan için ayrı bir sayfa tanzîm edilmiş. Bütün alış-verişleri orada mevcut, onların muhâsebesini yapacağız."" demiştir.

İşte şu anlattıklarımız, alış-veriş edenlerin ticârî muâmelâtta riâyet edecekleri adâlet, ihsân ve dînine şefkat usûlleridir. Yalnız adâlet ile yetinip iktifâ ederse sâlihlerden; ihsânı da buna eklerse, mukarreblerden; bununla beraber Beşinci Bâb'da anlatıldığı üzere dînî vazifelerini de yerine getirirse, sıddîklardan olur. Doğrusunu Allah bilir.

Allah'a hamd olsun ki, O'nun lütf u keremiyle **"Kesb ve Maişet Kitâbı"** burada sona erdi.

كتاب

الحلال والحرام

وهو الكتاب الرابع من ربع العادات
من كتب إحياء علوم الدين

Rub'u'l-Âdât

DÖRDÜNCÜ KİTAB

HELÂL VE HARAM KİTABI

(KİTÂBÜ'L-HELÂL VE'L-HARAM)

كتاب الحلال والحرام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي خلقَ الإنسانَ مِنْ طينٍ لازبٍ وصلصالٍ ، ثمَّ ركَّبَ صورتَهُ في أحسنِ تقويمٍ وأتمِّ اعتدالٍ ، ثمَّ غذاهُ في أوَّلِ نشوئِهِ بلبنٍ استصفاهُ مِنْ بينِ فرْثٍ ودمٍ سائغاً كالماءِ الزلالِ ، ثمَّ حماهُ بما آتاهُ مِنْ طيِّباتِ الرزقِ عنْ دواعي الضعفِ والانحلالِ ، ثمَّ قيَّدَ شهوتَهُ المعاديةَ لهُ عنِ السطوةِ والصِّيالِ ، وقهرَها بما افترضَهُ عليهِ مِنْ طلبِ القوتِ الحلالِ ، وهزمَ بكسرِها جندَ الشيطانِ المتشمِّرِ للإضلالِ ، فلقدْ كانَ يجري مِن ابنِ آدمَ مَجرى الدمِ السيَّالِ ، فضيَّقَ عليهِ عزَّةُ الحلالِ المجرىٰ والمجالَ ، إذ كانَ لا يُبذْرِقُهُ إلىٰ أعماقِ العروقِ إلا الشهواتُ المائلةُ إلى الغلبةِ والاسترسالِ⁽١⁾ ، فبقيَ لمَّا زُمَّتْ بزمامِ الحلالِ خائباً خاسراً ما لهُ مِنْ ناصرٍ ولا والٍ⁽٢⁾ .

والصلاةُ علىٰ محمدٍ الهادي مِنَ الضلالِ ، وعلىٰ آلهِ خيرِ آلٍ وسلَّمَ تسليماً كثيراً .

---

(١) **لا يبذرقه** : لا يوصله ، وأصل البذرقة الخفارة ، وهي لفظة فارسية .

(٢) **والمراد من هـٰذا التمثيل البديع** : تبيينُ أن الشيطان منفور منه في الظاهر ، متبوع في الباطن . مفاد من « الإتحاف » (٦/ ٤) .

أما بعد :

فقدْ قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « طلبُ الحلالِ فريضةٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ » ، رواهُ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ[1] ، وهٰذهِ الفريضةُ مِنْ بينِ سائرِ الفرائضِ أعصاها على العقولِ فهماً ، وأثقلُها على الجوارحِ فعلاً ، ولذلكَ اندرسَ بالكلِّيَّةِ عملاً وعلماً ، وصارَ غموضُ علمِهِ سبباً لاندراسِ عملِهِ ؛ إذْ ظنَّ الجهَّالُ أنَّ الحلالَ مفقودٌ ، وأنَّ السبيلَ دونَ الوصولِ إليهِ مسدودٌ ، وأنَّهُ لمْ يبقَ مِنَ الطيِّباتِ إلا الماءُ الفراتُ ، والحشيشُ النابتُ في المَواتِ ، وما عداهُ فقدْ أخبثَتْهُ الأيدي العاديةُ ، وأفسدَتْهُ المعاملاتُ الفاسدةُ .

وإذْ تعذرَتِ القناعةُ بالحشيشِ مِنَ النباتِ[2] . . لمْ يبقَ وجهٌ سوى الاتساعِ في المحرَّماتِ ، فرفضوا هٰذا القطبَ مِنَ الدينِ أصلاً ، ولمْ يدركوا بينَ الأموالِ فرقاً وفصلاً .

وهيهاتَ هيهاتَ ؛ فالحلالُ بيِّنٌ والحرامُ بيِّنٌ ، وبينَهُما أمورٌ متشابهاتٌ ، ولا تزالُ هٰذهِ الثلاثةُ مقترناتٍ كيفَما تقلبتِ الحالاتُ .

ولمَّا كانَتْ هٰذهِ بدعةً عمَّ في الدينِ ضررُها ، واستطارَ في الخلْقِ

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » (١٠/ ٧٤) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٦/ ١٢٨) دون زيادة : « علىٰ كل مسلم » ، وهي عند الطبراني في « الأوسط » (٨٦٠٥) عن أنس مرفوعاً ، وسياق المصنف في « القوت » (٢/ ٢٨٦) .

(٢) **الحشيش** : هو اليابس من الكلأ ، وهو قول أئمة اللغة ، ومراد المصنف هنا هو الرطب ، أطلقه عليه تجوزاً ، وهٰذه لغة الفقهاء فيه . مفاد من « الإتحاف » (٦/ ٥) .

شرَرُها . . وجبَ كشفُ الغطاءِ عنْ فسادِها ، بالإرشادِ إلىٰ مُدْرَكِ الفرقِ بينَ الحلالِ والحرامِ والشبهةِ علىٰ وجهٍ في التحقيقِ والبيانِ لا يخرجُهُ التضييقُ عنْ حيِّزِ الإمكانِ ، **ونحنُ نوضِّحُ ذلكَ في سبعةِ أبوابٍ :**

البابُ الأوَّلُ : في فضيلةِ طلبِ الحلالِ ومذمَّةِ الحرامِ ، ودرجاتِ الحلالِ والحرامِ .

البابُ الثاني : في مراتبِ الشبهاتِ ، ومثاراتِها ، وتمييزِها عنِ الحلالِ والحرامِ .

البابُ الثالثُ : في البحثِ والسؤالِ ، والهجومِ والإهمالِ ، ومظانِّها في الحلالِ والحرامِ .

البابُ الرابعُ : في كيفيةِ خروجِ التائبِ عنِ المظالمِ الماليةِ .

البابُ الخامسُ : في إدراراتِ السلاطينِ وصِلاتِهِمْ ، وما يحلُّ منها وما يحرمُ .

البابُ السادسُ : في الدخولِ على السلاطينِ ومخالطتِهِمْ .

البابُ السابعُ : في مسائلَ متفرقةٍ .

* * *

MUKADDİME

Hamd, Allah'a mahsûstur (O'na hamd ederim). O Allah ki, inşanı kuru balçıktan ve en güzel sûrette yarattı. Sonra da ilk gıdasını, kan ile pislik arasından çıkan, temiz süt ile temîn etti. Daha sonra, temiz ve çeşitli gıdalarla onu besledi. Zayıflık ve düşüklükten korudu. Bundan sonra da düşmanı olan şehvetini, helâl kazanca mecbûr tutmakla, istediği gibi sağa sola saldırmaktan alıkoymak sûretiyle onu kahr galebesine aldı. Bu sûretle de, kanın cereyanı gibi, insana nüfûz eden ve insanı sapıtmak için paçaları sıvayan şeytanın askerini hezîmete uğrattı. Helâl nafakanın kuvvet ve galebesi onun hareket ve cereyan yollarını daralttı. Çünkü şeytanı damarların içlerine kadar nüfûz ettiren şehvet, helâl zincirine vurulduğu için, şeytân da yardımcısız, perîşan ve rezîl olarak ortada kaldı.

Salât ve selâm, insanları sapıklıktan hidâyete ulaştıran Hazret-i Muhammed (s.a.v.)'e ve O'nun âline ve ashâbına olsun.

Bundan sonra (bilmiş ol ki), Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

طَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ عَلٰى كُلِّ مُسْلِمٍ

"Helâl nafaka temîni her Müslüman üzerine farzdır."[1] buyurmuştur. Hadîsi, İbn Mes'ûd (r.a.) rivâyet etmiştir. Bu, helâl nafaka temîni akılların anlamakta en çok isyan ettiği ve âzalara en ağır

---

[1] C. 1. Sf: 614'de Zekât bahsinde geçti. Orada "Alâ külli müslimin" kaydı yoktur. Bu ziyâde ile hadîsi, Taberânî **"Evsat"**ında Enes (r.a.) den rivâyet etmiştir.

gelen bir farîza olduğu için ilim ve amel, yâni bilip tatbik etmek bakımından tamamen kayboldu. Bu helâl ilmindeki incelikler onun tatbikinin yok olmasına sebeb oldu. Zîra bâzı câhil âlimler artık bu zamanda helâlin ortadan kalktığını, helâli bulmak şöyle dursun, ona giden yolun bile kaybolduğunu, helâl olarak akar sular ile meralarda biten otlardan başka bir şey kalmadığını, diğerlerini ise saldırgan ellerin kirlettiğini ve bozuk muâmelelerin çürüttüğünü zannettiler. Yalnız su ve ot ile geçim olamayacağına göre, haramda müsâmahadan başka bir çâre görmemişler, dînin bu kutbunu kökünden atmış ve helâl ile haram arasında bir fark gözetmemiş oldular.

Bu, hakikatten çok uzak bir görüştür. Çünkü helâller açık, haramlar da meydandadır. Ayrıca bunların arasında bâzı şüpheli şeyler vardır. Hâl ve vaziyet ne kadar değişirse değişsin, bu üçü (Helâl, haram ve şüpheliler) birbirinden ayrılmaz. Vaktâ ki bu hâl, dîne zararı, halka kötülüğü dokunan bir bid'at oldu ise tahkik ve tafsil sûretiyle helâl, haram ve şüpheli şeyleri birbirinden ayırt ederek, bu fâsid görüşün yüzünden perdeyi kaldırmak vâcip olmuştur. Darlık ve zarûret, bu hakikati ortaya koymaya mâni olamaz. Biz bunu yedi babta îzâh edeceğiz:

البابُ الأوّلُ

في الحلال والحرام

وفيه فضيلة الحلال ومذمّة الحرام وبيان أصناف الحلال ودرجاته وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه

فضيلة الحلال ومذمّة الحرام

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ ، أمرَ بالأكلِ مِنَ الطيّباتِ قبلَ العملِ ، وقيلَ : إنَّ المرادَ بهِ الحلالُ[1] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا . . . ﴾ الآية .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ ، ثمَّ قالَ : ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ ، ثمَّ قالَ : ﴿ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ ﴾ ، ثمَّ قالَ : ﴿ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ ، جعلَ آكلَ الربا أوّلَ الأمرِ مؤذناً بمحاربةِ اللهِ تعالىٰ ، وفي آخرِهِ متعرِّضاً للنارِ .

---

[1] كما في « تفسير الطبري » (١٠/١٨/٣٧) ، و« القوت » (٢/٢٨٨) .

والآياتُ الواردةُ في الحلالِ والحرامِ لا تُحصىٰ .

* * *

وروى ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « طلبُ الحلالِ فريضةٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ » ، ولمَّا قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « طلبُ العلمِ فريضةٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ »(١) . . قالَ بعضُ العلماءِ : أرادَ بهِ طلبَ علمِ الحلالِ والحرامِ ، وجعلَ المرادَ بالحديثينِ واحداً(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ سعىٰ علىٰ عيالِهِ مِنْ حلِّهِ . . فهوَ كالمجاهدِ في سبيلِ اللهِ ، ومَنْ طلبَ الدنيا حلالاً في عفافٍ . . كانَ في درجةِ الشهداءِ »(٣) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أكلَ الحلالَ أربعينَ يوماً . . نوَّرَ اللهُ قلبَهُ ، وأجرىٰ ينابيعَ الحكمةِ مِنْ قلبِهِ على لسانِهِ » ، وفي روايةٍ : « زهَّدَهُ اللهُ في الدنيا »(٤) .

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٢٤) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٨٧) .

(٣) روىٰ أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ١٩٦) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٩/ ٢٥) مرفوعاً : « ومن سعىٰ علىٰ عياله . . ففي سبيل الله » ، وروى الخطيب في « تاريخ بغداد » (٨/ ١٦٤) مرفوعاً : « من طلب مكسبة من باب الحلال يكف بها وجهه عن مسألة الناس وولده وعياله . . جاء يوم القيامة مع النبيين والصديقين هٰكذا » وأشار بإصبعه السبابة والوسطىٰ .

(٤) كذا في « القوت » (٢/ ٢٨٧) ، وثمَّ حديث يشبهه من حيث السياق وليس هو هٰذا =

ورُوِي أنَّ سعداً سألَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنْ يسألَ اللهَ تعالىٰ أنْ يجعلَهُ مجابَ الدعوةِ ، فقالَ لهُ : « أطبْ طعمتَكَ . . تُستجَبْ دعوتُكَ »(١) .

ولمَّا ذكرَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الحريصَ على الدنيا . . قالَ : « ربَّ أشعثَ أغبرَ مشرَّدٍ في الأسفارِ ، مطعمُهُ حرامٌ ، وملبسُهُ حرامٌ ، وغُذِيَ بالحرامِ ، يرفعُ يديهِ فيقولُ : يا ربُّ ، يا ربُّ ؛ فأنَّىٰ يُستجابُ لذلكَ ؟! »(٢) .

وفي حديثِ ابنِ عباسٍ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ للهِ ملكاً علىٰ بيتِ المقدسِ ينادي كلَّ ليلةٍ : مَنْ أكلَ حراماً . . لمْ يُقبَلْ منهُ صرفٌ ولا عدلٌ » ، فقيلَ : الصرفُ : النافلةُ ، والعدلُ : الفريضةُ(٣) .

= الحديث كما نبه عليه الحافظ الزبيدي (٦/ ٧) ، وهو ما رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٠١٤) عن مكحول مرسلاً ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ١٨٩) عنه عن أبي أيوب مرفوعاً قال : « من أخلص لله تعالىٰ أربعين يوماً . . ظهرت ينابيع الحكمة علىٰ لسانه » ، وتأمل تمام الحديث الآتي .

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » (٦٤٩١) وتمامه : « والذي نفس محمد بيده ؛ إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه . . ما يتقبل منه عمل أربعين يوماً ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا . . فالنار أولىٰ به » .

(٢) رواه مسلم (١٠١٥) .

(٣) كذا في « القوت » (٢/ ٢٨٨) عن ابن عباس مرفوعاً ، ومعناه في الحديث قبله ، وفي معناه كذلك ما رواه الديلمي في « مسند الفردوس » (٥٨٥٣) : « من أكل لقمة من حرام . . لم تقبل له صلاة أربعين ليلة ، ولم يستجب له دعوة أربعين صباحاً . . . » الحديث .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنِ اشترىٰ ثوباً بعشرةِ دراهمَ وفي ثمنِهِ درهمٌ حرامٌ . . لمْ يقبلِ اللهُ صلاتَهُ ما دامَ عليهِ منهُ شيٌ »(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كلُّ لحمٍ نبتَ مِنْ حرامٍ . . فالنارُ أولىٰ بهِ »(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ لمْ يبالِ مِنْ أينَ اكتسبَ المالَ . . لمْ يبالِ اللهُ مِنْ أينَ أدخلَهُ النارَ »(٣) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « العبادةُ عشرةُ أجزاءٍ ، فتسعةٌ منها في طلبِ الحلالِ » ، رُوِيَ هـٰذا مرفوعاً وموقوفاً علىٰ بعضِ الصحابةِ أيضاً(٤) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أمسىٰ وانياً مِنْ طلبِ الحلالِ . . باتَ مغفوراً لهُ ، وأصبحَ واللهُ عنهُ راضٍ »(٥) .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٩٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥٧٠٧) .

(٢) رواه الترمذي (٦١٤) ولفظه : « إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولىٰ به » ، والبيهقي في « الشعب » (٥٣٧٦) بلفظ : « أيما لحم نبت من حرام . . فالنار أولىٰ به » .

(٣) رواه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (١/ ٣٩٩) موقوفاً علىٰ عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٤) ولفظ صاحب « القوت » (٢/ ٢٨٨) : (وقال جماعة من السلف : الجهاد عشرة أجزاء ، تسعة في طلب الحلال) . وعند الديلمي في « مسند الفردوس » (٤٢٢٢) : « العبادة عشرة أجزاء ، تسعة في الصمت ، والعاشرة في كسب اليد من الحلال » .

(٥) رواه الطبراني في « الأوسط » (٧٥١٦) بلفظ : « من أمسىٰ كالاً من عمل يديه . . أمسىٰ مغفوراً له » .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أصابَ مالاً مِنْ مأثمٍ ، فوصلَ بهِ رحماً ، أوْ تصدَّقَ بهِ ، أوْ أنفقَهُ في سبيلِ اللهِ . . جمعَ اللهُ ذلكَ جميعاً ثمَّ قذفَهُ في النارِ »(١) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « خيرُ دينِكُمُ الورعُ »(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ لقيَ اللهَ ورعاً . . أعطاهُ اللهُ ثوابَ الإسلامِ كلِّهِ »(٣) .

ويُروىٰ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قالَ : « وأمَّا الورعونَ . . فأنا أستحي أنْ أحاسبَهُمْ »(٤) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « درهمٌ مِن رباً أشدُّ عندَ اللهِ مِنْ ثلاثينَ زنيةً في الإسلامِ »(٥) .

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٦٢٥) ، وأبو داوود في « المراسيل » (١٢٤) عن القاسم بن المخيمرة مرسلاً ، ورواه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً ابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢٧/٥٣) .

(٢) هو شطر حديث رواه الحاكم في « المستدرك » (١/ ٩٢ـ ٩٣) ، والطبراني في « الأوسط » (٣٩٧٢) ، والبيهقي في « الشعب » (١٥٧٨) .

(٣) قال الحافظ العراقي : (لم أقف له علىٰ أصل) . « إتحاف » (٦/ ٩) .

(٤) رواه الطبراني في « الكبير » (١٢/ ١٢٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦١/ ١١٣) .

(٥) كذا في « القوت » (٢/ ٢٨٦) ، ورواه أحمد في « المسند » (٥/ ٢٢٥) ولفظه : (من ستة وثلاثين) .

وفي حديثِ أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : « المعدةُ حوضُ البدنِ ، والعروقُ إليها واردةٌ ، فإذا صحَّتِ المعدةُ . . صدرَتِ العروقُ بالصحَّةِ ، وإذا سقمَتْ . . صدرَتْ بالسقْمِ »[1] ، ومثلُ الطعمةِ مِنَ الدينِ مثلُ الأساسِ مِنَ البنيانِ ، فإذا ثبتَ الأساسُ وقويَ . . استقامَ البناءُ وارتفعَ ، وإذا ضعفَ الأساسُ واعوجَّ . . انهارَ البنيانُ ووقعَ[2] ، وقدْ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ . . . ﴾ الآيةَ .

وفي الحديثِ : « مَنِ اكتسبَ مالاً مِنْ حرامٍ ؛ فإنْ تصدَّقَ بهِ . . لمْ يُقبلْ منهُ ، وإنْ تركَهُ وراءَهُ . . كانَ زادَهُ إلى النارِ »[3] .

وقدْ ذكرنا جملةً مِنَ الأخبارِ في كتابِ آدابِ الكسبِ تكشفُ عنْ فضيلةِ كسبِ الحلالِ .

* * *

وأمَّا الآثارُ :

فقدْ رُوِيَ أنَّ الصدِّيقَ رضيَ اللهُ عنهُ شربَ لبناً مِنْ كسبِ عبدِهِ ، ثمَّ سألَ عبدَهُ عنهُ ، فقالَ : تكهنتُ لقومٍ فأعطوني ، فأدخلَ إصبعَهُ في فيهِ وجعلَ

---

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » (٤٣٤٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٤١٤) ، وقال الدارقطني في « العلل » (٨/ ٤٢) عنه : (لا يصح ولا يعرف هـٰذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، إنما هو من كلام عبد الملك بن سعيد بن أبجر) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٨٨) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٨٧) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٤) .

يقيءُ ، قالَ : حتَّىٰ ظننتُ أنَّ نفسَهُ ستخرجُ ، ثمَّ قالَ : اللهمَّ ؛ إنِّي أعتذرُ إليكَ ممَّا حملتِ العروقُ وخالطَ الأمعاءَ(١) .

وفي بعضِ الأخبارِ : أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أُخبرَ بذلكَ ، فقالَ : « أوَما علمتُمْ أنَّ الصدِّيقَ لا يُدخِلُ جوفَهُ إلا طيِّباً »(٢) .

وكذلكَ شربَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ منْ لبنِ إبلِ الصدقةِ غلطاً ، فأدخلَ إصبعَهُ وتقيَّأ(٣) .

وقالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (إنَّكُمْ لتغفلونَ عنْ أفضلِ العبادةِ ؛ الورعُ)(٤) .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما : (لوْ صلَّيتُمْ حتَّىٰ تكونوا كالحنايا ، وصمتُمْ حتَّىٰ تكونوا كالأوتارِ . . ما يُقبلُ ذلكَ منكُمْ إلا بورعٍ حاجزٍ)(٥) .

---

(١) كذا في « القوت » (٢/ ٢٨٧) ، وقد رواه البخاري (٣٨٤٢) بنحوه .

(٢) كذا في « القوت » (٢/ ٢٨٨) ، قال الحافظ العراقي : (لم أجده) . « إتحاف » (٦/ ١٠) .

(٣) رواه مالك في « الموطأ » (١/ ٢٦٩) .

(٤) الذي رواه البيهقي في « الشعب » (٧٧٩٨) : (تغفلون عن أفضل العبادة ؛ التواضع) ، وروى ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/ ٣٩٥) مرفوعاً : « الورع سيد العمل » .

(٥) عزاه الحافظ الزبيدي إلىٰ صاحب « القوت » . « إتحاف » (٦/ ١١) .

وقالَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رحمهُ اللهُ : (لمْ يدرِكْ مَنْ أدركَ إلا مَنْ كانَ يعقلُ ما يدخلُ جوفَهُ)(١) .

وقالَ الفضيلُ : (مَنْ عرفَ ما يدخلُ جوفَهُ . . كتبَهُ اللهُ صدِّيقاً ، فانظرْ عندَ مَنْ تفطرُ يا مسكينُ)(٢) .

وقيلَ لإبراهيمَ بنِ أدهمَ رحمهُ اللهُ : لِمَ لا تشربُ مِنْ ماءِ زمزمَ ؟ فقالَ : لوْ كانَ لي دلوٌ . . لشربتُ(٣) .

وقالَ سفيانُ الثوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (مَنْ أنفقَ مِنَ الحرامِ في طاعةِ اللهِ . . كانَ كمَنْ طهَّرَ الثوبَ النجسَ بالبولِ ، والثوبُ النجسُ لا يطهِّرُهُ إلا الماءُ ، والذنبُ لا يكفِّرُهُ إلا الحلالُ) .

وقالَ يحيىٰ بنُ معاذٍ : (الطاعةُ خزانةٌ مِنْ خزائنِ اللهِ تعالىٰ ، ومفتاحُها الدعاءُ ، وأسنانُهُ اللقمةُ الحلالُ) .

وقالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (لا يقبلُ اللهُ صلاةَ امرىءٍ في جوفِهِ حرامٌ)(٤) .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣٦٩) ولفظه : (يا شقيقُ ؛ لم ينبل عندنا من نبل بالحج ولا بالجهاد ، وإنما نبل عندنا من نبل من كان يعقل ما يدخل جوفه ؛ يعني الرغيفين من حله) .

(٢) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨/ ٣٩٣) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الورع » (١٥٤) .

(٤) كذا حكىٰ روايته ابن رجب في « جامع العلوم والحكم » (١/ ٢٦٢) ، وبنحوه في « الرعاية » (ص٤٦٦) .

وقالَ سهلٌ التستريُّ : (لا يبلغُ العبدُ حقيقةَ الإيمانِ حتَّىٰ يكونَ فيهِ أربعُ خصالٍ : أداءُ الفرائضِ بالسنَّةِ ، وأكلُ الحلالِ بالورعِ ، واجتنابُ النهيِ مِنَ الظاهرِ والباطنِ ، والصبرُ علىٰ ذلكَ إلى الموتِ)(١) .

وقالَ : (مَنْ أحبَّ أنْ يُكاشفَ بآياتِ الصدِّيقينَ . . فلا يأكلْ إلا حلالاً ، ولا يعملْ إلا في سنَّةٍ أوْ ضرورةٍ)(٢) .

ويُقالُ : (مَنْ أكلَ الشبهةَ أربعينَ يوماً . . أظلمَ قلبُهُ) ، وهوَ تأويلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(٣) .

وقالَ ابنُ المباركِ : (ردُّ درهمٍ مِنْ شبهةٍ أحبُّ إليَّ مِنْ أن أتصدَّقَ بمئةِ ألفِ درهمٍ ، ومئةِ ألفٍ ، ومئةِ ألفٍ حتَّىٰ بلغَ إلىٰ ستِّ مئةِ ألفٍ)(٤) .

وقالَ بعضُ السلفِ : (إنَّ العبدَ يأكلُ أكلةً فيتقلبُ قلبُهُ ، فينغَلُ كما ينغَلُ الأديمُ ، فلا يعودُ إلىٰ حالِهِ أبداً)(٥) .

وقالَ سهلٌ : (مَنْ أكلَ الحرامَ . . عصَتْ جوارحُهُ شاءَ أَمْ أبىٰ ، علمَ أوْ

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٨٧) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٨٧) .

(٣) قوت القلوب (١/ ٨٧) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الورع » (٢٠٤) .

(٥) قوت القلوب (٢/ ٢٨٨) ، **والنَغَل** : الفساد ، **ونَغِلَ قلبه** : ضَغِن ، والنية فسدت ، وقد روىٰ نحوه ابن أبي الدنيا في « الورع » (٦٥) في حقِّ نظرة السوء .

لمْ يعلمْ ، ومَنْ كانَتْ طُعْمتُهُ حلالاً . . أطاعَتْ جوارحُهُ ، ووفقَتْ للخيراتِ)[1] .

وقالَ بعضُ السلفِ : (إنَّ أوّلَ لقمةٍ يأكلُها العبدُ مِنْ حلالٍ يُغفرُ لهُ بها ما سلفَ مِنْ ذنوبِهِ ، ومنْ أقامَ نفسَهُ مقامَ ذلٍّ في طلبِ الحلالِ . . تساقطَتْ عنهُ ذنوبُهُ كما تساقطُ ورقُ الشجرِ)[2] .

ورُوِيَ في آثارِ السلفِ أنَّ الواعظَ كانَ إذا جلسَ للناسِ . . قالَ العلماءُ : تفقدوا منهُ ثلاثاً ، فإنْ كانَ معتقداً لبدعةٍ . . فلا تجالسوهُ ؛ فإنَّهُ عنْ لسانِ الشيطانِ ينطقُ ، وإنْ كانَ سيِّىءَ الطُّعْمةِ . . فعنِ الهوىٰ ينطقُ ، وإنْ لمْ يكنْ مكينَ العقلِ . . فإنَّهُ يفسدُ بكلامِهِ أكثرَ ممَّا يصلحُ ، فلا تجالسوهُ[3] .

وفي الأخبارِ المشهورةِ عنْ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ وغيرِهِ : (إنَّ الدنيا حلالُها حسابٌ وحرامُها عذابٌ)[4] ، وزادَ آخرونَ : (وشبهتُها عتابٌ)[5] .

ورُوي أنَّ بعضَ السائحينَ دفعَ طعاماً إلىٰ بعضِ الأبدالِ ، فلمْ يأكلْهُ ، فسألَهُ عنِ السببِ في امتناعِهِ ، فقالَ : نحنُ لا نأكلُ إلا حلالاً ، فلذلكَ تستقيمُ قلوبُنا ، ويدومُ حالُنا ، ونكاشفُ بالملكوتِ ، ونشاهدُ الآخرةَ ، ولوْ

---

[1] عزاه الحافظ الزبيدي إلى « القوت » . « إتحاف » (٦/ ١٢) .

[2] قوت القلوب (٢/ ٢٨٧) .

[3] قوت القلوب (٢/ ٢٨٨) .

[4] رواه أبو داوود في « الزهد » (١١٦) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠١٣٨) .

[5] الزيادة ليوسف ووكيع بن الجراح ، كما في « القوت » (٢/ ٢٩٤) .

أكلْنا ممَّا تأكلونَ ثلاثةَ أيامٍ . . لما رجعْنا إلىٰ شيءٍ مِنْ علمِ اليقينِ ، ولذهبَ الخوفُ والمشاهدةُ مِنْ قلوبِنا ، فقالَ لهُ الرجلُ : فإنِّي أصومُ الدهرَ وأختمُ القرآنَ في كلِّ شهرٍ ثلاثينَ ختمةً ! فقالَ لهُ البدلُ : هـٰذهِ الشربةُ من لبني التي رأيتَني شربتُها أحبُّ إليَّ مِنْ ثلاثينَ ختمةً في ثلاثِ مئةِ ركعةٍ مِنْ أعمالِكَ ، وكانتْ شربةَ لبنٍ من ظبيةٍ وحشيَّةٍ⁽¹⁾ .

وقدْ كانَ بينَ أحمدَ ابنِ حنبلٍ ويحيىٰ بنِ معينٍ صحبةٌ طويلةٌ ، فهجرَهُ أحمدُ إذْ سمعَهُ يقولُ : إنِّي لا أسألُ أحداً شيئاً ، ولوْ أعطاني الشيطانُ شيئاً . . لأكلتُهُ ، حتَّى اعتذرَ يحيىٰ وقالَ : كنتُ أمزحُ ، فقالَ : تمزحُ بالدينِ ؟! أما علمتَ أنَّ الأكلَ مِنَ الدينِ ، قدَّمَهُ اللهُ تعالىٰ على العملِ الصالحِ فقالَ : ﴿ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ ؟!⁽²⁾ .

وفي الخبرِ : أنَّهُ مكتوبٌ في التوراةِ : (مَنْ لمْ يبالِ مِنْ أينَ مطعمُهُ . . لمْ يبالِ اللهُ مِنْ أيِّ أبوابِ النارِ أدخلَهُ)⁽³⁾ .

وعنْ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّهُ لمْ يأكلْ بعدَ قتلِ عثمانَ ونهبِ الدارِ طعاماً إلا مختوماً ؛ حذراً مِنَ الشبهةِ⁽⁴⁾ .

---

(1) قوت القلوب (٢/ ٢٨٩) .

(2) قوت القلوب (٢/ ٢٨٩) ، وفي (ب ، ج) : (السلطان) بدل (الشيطان) .

(3) رواه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (١/ ٣٩٩) موقوفاً علىٰ عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(4) قوت القلوب (٢/ ٢٩٤) ، وذكر أنه رضي الله عنه دعا يوماً بطينة مختومة ، قال عامله : فظننت أن فيها جوهراً أو تبراً ، ففض ختامها ، فإذا فيها سويق شعير ، فنثره بين =

واجتمعَ الفضيلُ بنُ عياضٍ وابنُ عيينةَ وابنُ المباركِ عندَ وهيبِ بنِ الوردِ بمكَّةَ ، فذكروا الرطبَ ، فقالَ وهيبٌ : هوَ مِنْ أحبِّ الطعامِ إليَّ ، إلا أنِّي لا آكلُهُ لاختلاطِ رطبِ مكَّةَ ببساتينِ زبيدةَ وغيرِها(١) ، فقالَ لهُ ابنُ المباركِ : إنْ نظرتَ في مثلِ هـٰذا . . ضاقَ عليكَ الخبزُ ، قالَ : وما سببُهُ ؟ قالَ : إنَّ أصولَ الضياعِ قدِ اختلطتِ بالصوافي(٢) ، فغُشيَ علىٰ وهيبٍ ، فقالَ سفيانُ : قتلتَ الرجلَ ، فقالَ ابنُ المباركِ : ما أردتُ إلا أنْ أهوِّنَ عليهِ ، فلمَّا أفاقَ . . قالَ : للهِ عليَّ ألاَّ آكلَ خبزاً أبداً حتَّىٰ ألقاهُ(٣) .

فكانَ يشربُ اللبنَ ، فأتتْهُ أمُّهُ بلبنٍ ، فسألَها ، فقالَتْ : هوَ مِنْ شاةِ بني فلانٍ ، فسألَ عنْ ثمنِها وأنَّهُ مِنْ أينَ لهُمْ ؟ فذكرَتْ ، فلمَّا أدناهُ مِنْ فيهِ . . قالَ : بقيَ أنَّها مِنْ أينَ كانتْ ترعىٰ ، فسكتَتْ ، فلمْ يشربْ ؛ لأنَّها كانتْ ترعىٰ مِنْ موضعٍ للمسلمينَ فيهِ حقٌّ(٤) ، فقالَتْ لهُ أمُّهُ : اشربْ ؛ فإنَّ اللهَ

= يدي وقال : كل من طعامنا ، فقلت : أتختم عليه يا أمير المؤمنين ؟! قال : نعم ، هـٰذا شيء اصطفيته لنفسي وأخاف أن يختلط فيه ما ليس منه .

(١) وكانت زبيدة ـ زوج الرشيد ـ قد اشترت عدة بساتين بمكة وأوقفتها في سبيل الله تعالىٰ . « إتحاف » (٦/ ١٣) .

(٢) **الصوافي** : الضياع التي يستخلصها السلطان لخاصته ، وأيضاً التي لا وارث لها .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٤٣) وقال : (فزعموا أنه نحل جسمه حتىٰ مات هزلاً) .

(٤) فقد كانت ترعىٰ مع غنم لابن عبد الصمد الهاشمي أمير مكة في الحي . انظر «الإتحاف» (٦/ ١٣) .

تعالىٰ يغفرُ لكَ ، فقالَ : ما أحبُّ أنْ يغفرَ لي وقدْ شربتُهُ ، فأنالَ مغفرتَهُ بمعصيتِهِ(١) .

وكانَ بشرُ الحافي رحمهُ اللهُ مِنَ الورعينَ ، فقيلَ لهُ : مِنْ أينَ تأكلُ ؟ فقالَ : مِنْ حيثُ تأكلونَ ، ولكنْ ليسَ مَنْ يأكلُ وهوَ يبكي كمَنْ يأكلُ وهوَ يضحكُ ، وقالَ : يدٌ أقصرُ مِنْ يدٍ ، ولقمةٌ أصغرُ مِنْ لقمةٍ(٢) .

وهكذا كانوا يحترزونَ عنِ الشبهاتِ .

* * *

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٩٥) ، وقد رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٥١) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٩٥) .

أصناف الحلال والحرام ومداخله

اعلمْ : أنَّ تفصيلَ الحلالِ والحرامِ إنَّما يتولىٰ بيانَهُ كتبُ الفقهِ ، ويستغني المريدُ عنْ تطويلِهِ بأنْ يكونَ لهُ طُعْمةٌ معيَّنةٌ يعرفُ بالفتوىٰ حلَّها ، ولا يأكلُ غيرَها ، فأمَّا مَنْ يتوسَّعُ في الأكلِ مِنْ وجوهٍ متفرِّقةٍ . . فيفتقرُ إلىٰ علمِ الحلالِ والحرامِ كلِّهِ كما فصَّلْناهُ في كتبِ الفقهِ .

ونحنُ الآنَ نشيرُ إلىٰ مجامعِهِ في سياقِ تقسيمٍ ، **وهوَ أنَّ المالَ إنَّما يحرمُ إمَّا لمعنىً في عينِهِ ، أوْ لخللٍ في جهةِ اكتسابِهِ .**

القسمُ الأوَّلُ : الحرامُ لصفةٍ في عينِهِ :

كالخمرِ والخنزيرِ وغيرِهما .

وتفصيلُهُ : أنَّ الأعيانَ المأكولةَ علىٰ وجهِ الأرضِ لا تعدو ثلاثةَ أقسامٍ : فإنَّها **إمَّا** أنْ تكونَ مِنَ المعادنِ كالملحِ والطينِ وغيرِهما ، أوْ مِنَ النباتِ ، أوْ مِنَ الحيوانِ .

فأمَّا المعادنُ ـ وهيَ أجزاءُ الأرضِ وجميعُ ما يخرجُ منها ـ : فلا يحرمُ أكلُهُ إلا مِنْ حيثُ إنَّهُ يضرُّ بالآكلِ ، وفي بعضِها ما يجري مَجرى السُّمِّ ، والخبزُ لوْ كانَ مضرّاً . . لحَرُمَ أكلُهُ ، والطينُ الذي يُعتادُ أكلُهُ لا يحرمُ إلا مِنْ حيثُ الضررُ ، وفائدةُ قولِنا : (إنَّها لا تحرمُ) معَ أنَّها لا تؤكلُ : أنَّهُ لوْ وقعَ

شيءٌ منها في مرقةٍ أوْ طعامٍ مائعٍ . . لمْ يصرْ بهِ محرَّماً .

وأمَّا النباتُ : فلا يحرمُ منهُ إلا ما يزيلُ العقلَ ، أوْ يزيلُ الحياةَ ، أوِ الصحَّةَ ، فمزيلُ العقلِ : البَنْجُ والخمرُ وسائرُ المسكراتِ ، ومزيلُ الحياةِ : السمومُ ، ومزيل الصحَّةِ : الأدويةُ في غيرِ وقتِها .

وكأنَّ مجموعَ هـٰذا يرجعُ إلى الضررِ إلا الخمرَ والمسكراتِ ، فإنَّ الذي لا يسكرُ منها أيضاً حرامٌ معَ قلَّتِهِ ؛ لعينِهِ وصفتِهِ ، وهيَ الشدَّةُ المطربةُ .

وأمَّا السَّمُّ إذا خرجَ عنْ كونِهِ مضرّاً لقلَّتِهِ أوْ لعجنِهِ بغيرِهِ . . فلا يحرمُ .

وأمَّا الحيواناتُ : فتنقسمُ إلىٰ ما يُؤكلُ وإلىٰ ما لا يُؤكلُ ، وتفصيلُهُ في كتابِ الأطعمةِ، والنظرُ يطولُ في تفصيلِها، لا سيما في الطيورِ الغريبةِ وحيواناتِ البرِّ والبحرِ ، وما يحلُّ أكلُهُ منها فإنَّما يحلُّ إذا ذُبِحَ ذبحاً شرعياً ، رُوعيَ فيهِ شروطُ الذابحِ والآلةِ والمذبحِ، وذلكَ مذكورٌ في كتابِ الصيدِ والذبائحِ.

وما لمْ يُذبحْ ذبحاً شرعياً ، أوْ ماتَ . . فهوَ حرامٌ ، ولا يحلُّ إلا ميتتانِ ؛ السمكُ والجرادُ ، وفي معناهما ما يستحيلُ مِنَ الأطعمةِ ؛ كدودِ التفاحِ والخلِّ والجبنِ ؛ فإنَّ الاحترازَ منهما غيرُ ممكنٍ ، فأمَّا إذا أُفردتْ وأُكلتْ . . فحكمُها حكمُ الذبابِ والخنفساءِ والعقربِ وكلِّ ما ليسَ لهُ نفسٌ سائلةٌ ، ولا سببَ في تحريمِها إلا الاستقذارُ ، ولوْ لمْ يكنْ . . لكانَ لا يُكرهُ ، وإنْ وُجدَ شخصٌ لا يستقذرُهُ . . لمْ يُلتفتْ إلىٰ خصوصِ طبعِهِ ؛ فإنَّهُ التحقَ بالخبائثِ لعمومِ

الاستقذارِ ، فيُكرَهُ أكلُهُ ؛ كما لوْ جمعَ المخاطَ وشربَهُ . . كُرِهَ ذلكَ .

وليستِ الكراهةُ لنجاستِها ؛ فإنَّ الصحيحَ أنَّها لا تنجسُ بالموتِ ، إذْ أمرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بأنْ يمقلَ الذبابُ في الطعامِ إذا وقعَ فيهِ(١) ، وربَّما يكونُ حارّاً ، ويكونُ ذلكَ سببَ موتِهِ .

ولوْ تهرَّتْ نملةٌ أوْ ذبابةٌ في قدْرٍ . . لمْ يجبْ إراقتُها ؛ إذِ المستقذرُ جرمُهُ إذا بقيَ لهُ جرمٌ ، ولمْ ينجسْ حتَّىٰ يحرمَ بالنجاسةِ ، وهٰذا يدلُّ علىٰ أنَّ تحريمَهُ للاستقذارِ ، ولذلكَ نقولُ : لوْ وقعَ جزءٌ مِنْ آدميٍّ ميِّتٍ في قدْرٍ ولوْ قدْرَ دانقٍ . . حرمَ الكلُّ ، لا لنجاستِهِ ؛ فإنَّ الصحيحَ أنَّ الآدميَ لا ينجسُ بالموتِ ، ولكنْ لأنَّ أكلَهُ محرَّمٌ احتراماً لا استقذاراً .

وأمَّا الحيواناتُ المأكولةُ إذا ذُبحَتْ بشرطِ الشرعِ . . فلا تحلُّ جميعُ أجزائِها ، بلْ يحرمُ منها الدمُ والفرْثُ وكلُّ ما يُقضىٰ بنجاستِهِ منها ، بلْ تناولُ النجاسةِ مطلقاً محرَّمٌ ، وليسَ في الأعيانِ شيءٌ محرَّمٌ نجسٌ إلا مِنَ الحيواناتِ ، وأمَّا مِنَ النباتِ . . فالمسكراتُ فقطْ دونَ ما يزيلُ العقلَ ولا يسكِرُ ؛ كالبَنْجِ ، فإنَّ نجاسةَ المسكرِ تغليظٌ للزجرِ عنهُ ؛ لكونِهِ في مَظِنَّةِ التشوُّفِ .

ومهما وقعَتْ قطرةٌ مِنَ النجاسةِ أوْ جزءٌ مِنْ نجاسةٍ جامدةٍ في مرقةٍ أوْ

---

(١) كما روى البخاري (٣٣٢٠) مرفوعاً : « إذا وقع الذباب في شراب أحدكم . . فليغمسه ، ثم لينزعه ؛ فإن في إحدىٰ جناحيه داءً والأخرىٰ شفاء » ، وهو بلفظ : (فليمقله) عند النسائي (٧/ ١٧٨) ، **والمقل** : الغمس .

طعامٍ أوْ دهنٍ . . حَرُمَ أكلُ جميعِهِ ، ولا يحرمُ الانتفاعُ بهِ لغيرِ الأكلِ ، فيجوزُ الاستصباحُ بالدهْنِ النجسِ ، وكذا طلاءُ السفنِ والحيواناتِ وغيرِها .

فهٰذهِ مجامعُ ما يحرمُ لصفةٍ في ذاتِه .

* * *

القسمُ الثاني : ما يحرمُ لخللٍ في جهةِ إثباتِ اليدِ عليهِ ، وفيهِ يتسعُ النظرُ ، فنقولُ :

أخذُ المالِ : إمَّا أنْ يكونَ باختيارِ المتملِّكِ ، أوْ بغيرِ اختيارِهِ ، فالذي يكونُ بغيرِ اختيارِهِ ؛ كالإرثِ ، والذي يكونُ باختيارِهِ : إمَّا ألا يكونَ مِنْ مالكٍ ؛ كنيلِ المعادنِ ، أوْ يكونَ مِنْ مالكٍ ، والذي يُؤخذُ مِنْ مالكٍ : فإمَّا أنْ يُؤخذَ قهراً ، أوْ يُؤخذَ تراضياً ، والمأخوذُ قهراً : إمَّا أنْ يكونَ لسقوطِ عصمةِ المالكِ ؛ كالغنائمِ ، أوْ لاستحقاقِ الأخذِ ؛ كزكاةِ الممتنعينَ والنفقاتِ الواجبةِ عليهِمْ ، والمأخوذُ تراضياً : إمَّا أنْ يُؤخذَ بعوضٍ ؛ كالمبيعِ والصداقِ والأجرةِ ، وإمَّا أنْ يُؤخذَ بغيرِ عوضٍ ؛ كالهبةِ والوصيةِ ، **فيحصلُ مِنْ هٰذا السياقِ ستةُ أقسامٍ :**

الأوَّلُ : ما لا يُؤخذ من مالكٍ : كنيلِ المعادنِ ، وإحياءِ المَواتِ ، والاصطيادِ ، والاحتطابِ ، والاستقاءِ مِنَ الأنهارِ ، والاحتشاشِ ، **فهٰذا حلالٌ** ؛ بشرطِ ألا يكونَ المأخوذُ مختصّاً بذي حرمةٍ مِنَ الآدميينَ ، فإذا

انفكَّتْ عنِ الاختصاصاتِ . . ملكَها آخذُها ، **وتفصيلُ ذلكَ في كتابِ إحياءِ المواتِ** .

* * *

الثاني : المأخوذُ قهراً ممَّنْ لا حرمةَ لَهُ : وهوَ الفيءُ والغنيمةُ ، وسائرُ أموالِ الكفارِ المحاربينَ ، **وذلكَ حلالٌ للمسلمينَ** ؛ إذا أخرجوا منها الخمسَ ، وقسمُوها بينَ المستحقينَ بالعدلِ ، ولمْ يأخذوها مِنْ كافرٍ لهُ حرمةٌ وأمانٌ أوْ عهدٌ ، **وتفصيلُ هـٰذهِ الشروطِ في كتابِ السِّيَرِ ، وكتابِ الفيءِ والغنيمةِ ، وكتابِ الجزيةِ** .

* * *

الثالثُ : ما **يُؤخذُ قهراً باستحقاقٍ عندَ امتناعِ مَنْ وجبَ عليهِ** : فيُؤخذُ دونَ رضاهُ ، **وذلكَ حلالٌ** ؛ إذا تمَّ سببُ الاستحقاقِ ، وتمَّ وصْفُ المستحقِّ الذي بهِ استحقاقُهُ ، واقتصرَ على القدْرِ المستحَقِّ ، واستوفاهُ مَنْ يملكُ الاستيفاءَ ؛ مِنْ قاضٍ أوْ سلطانٍ أوْ مستحِقٍّ ، **وتفصيلُ ذلكَ في كتابِ تفريقِ الصدقاتِ ، وكتابِ الوقْفِ ، وكتابِ النفقاتِ** ؛ إذْ فيها النظرُ في صفةِ المستحقِّينَ للزكاةِ والوقْفِ والنفقةِ وغيرِها مِنَ الحقوقِ ، فإذا استُوفيَتْ شرائطُها . . كانَ المأخوذُ حلالاً .

* * *

الرابعُ : ما **يُؤخذُ تراضياً بمعاوضةٍ** : **وذلكَ حلالٌ** ؛ إذا رُوعيَ شرطُ

العوضينِ ، وشرطُ العاقدينِ ، وشرطُ اللفظينِ ؛ أعني : الإيجابَ والقبولَ ، معَ ما تعبَّدَ الشرعُ بهِ مِنِ اجتنابِ الشروطِ المفسدةِ ، **وبيانُ ذلكَ في كتابِ البيعِ ، والسلمِ ، والإجارةِ ، والحوالةِ ، والضمانِ ، والقراضِ ، والشركةِ ، والمساقاةِ ، والشفعةِ ، والصلحِ ، والخلْعِ ، والكتابةِ ، والصداقِ ، وسائرِ المعاوضاتِ .**

* * *

الخامسُ : **ما يُؤخذُ عنْ رضاً مِنْ غيرِ عوضٍ** : **وهوَ حلالٌ** إذا رُوعِيَ فيهِ شرطُ المعقودِ عليهِ ، وشرطُ العاقدينِ ، وشرطُ العقْدِ ، ولمْ يؤدِّ إلىٰ ضررٍ بوارثٍ أوْ غيرِهِ ، **وذلكَ مذكورٌ في كتابِ الهباتِ ، والوصايا ، والصدقاتِ .**

* * *

السادسُ : **ما يحصلُ بغيرِ اختيارٍ ؛ كالميراثِ** : **وهوَ حلالٌ** إذا كانَ المورِّثُ قدِ اكتسبَ المالَ مِنْ بعضِ الجهاتِ الخمسِ علىٰ وجْهٍ حلالٍ ، ثمَّ كانَ ذلكَ بعدَ قضاءِ الدينِ ، وتنفيذِ الوصايا ، وتعديلِ القسمةِ بينَ الورثةِ ، وإخراجِ الزكاةِ والحجِّ والكفارةِ إنْ كانَتْ واجبةً، **وذلكَ مذكورٌ في كتابِ الوصايا والفرائضِ .**

فهٰذهِ مجامعُ مداخلِ الحلالِ والحرامِ ، أومأْنا إلى جملتِها ؛ ليعلمَ المريدُ أنَّهُ إنْ كانَتْ طُعْمتُهُ متفرقةً لا مِنْ جهةٍ معيَّنةٍ . . **فلا يستغني عنْ علمِ**

هٰذهِ الأمورِ ، فكلُّ ما يأكلُهُ مِنْ جهةٍ مِنْ هٰذهِ الجهاتِ ينبغي **أنْ يستفتيَ فيهِ أهلَ العلمِ ، ولا يقدمَ عليهِ بالجهلِ** ؛ فإنَّهُ كما يُقالُ للعالمِ : لِمَ خالفتَ علمَكَ يُقالُ أيضاً للجاهلِ : لِمَ لازمتَ جهلَكَ ولمْ تتعلَّمْ بعدَ أنْ قيلَ لكَ : « **طلبُ العلمِ** فريضةٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ » ؟![1] .

* * *

---

[1] رواه ابن ماجه (٢٢٤) .

درجات الحلال والحرام

اعلمْ : أنَّ الحرامَ كلَّهُ خبيثٌ ، ولكنَّ بعضَهُ أخبثُ مِنْ بعضٍ ، والحلالَ كلَّهُ طيِّبٌ ، ولكنَّ بعضَهُ أطيبُ مِنْ بعضٍ وأصفىٰ ، وكما أنَّ الطبيبَ يحكمُ علىٰ كلِّ حلوٍ بالحرارةِ ولكنْ يقولُ : بعضُها حارٌّ في الدرجةِ الأولىٰ ؛ كالسُّكَّرِ[١] ، وبعضُها حارٌّ في الثانيةِ ؛ كالفانيذِ[٢] ، وبعضُها حارٌّ في الثالثةِ ؛ كالدِّبْسِ[٣] ، وبعضُها حارٌّ في الرابعةِ ؛ كالعسلِ . . فكذلكَ الحرامُ ؛ بعضُهُ خبيثٌ في الدرجةِ الأولىٰ ، وبعضُهُ في الثانيةِ أوِ الثالثةِ أوِ الرابعةِ ، وكذا الحلالُ تتفاوتُ درجاتُ صفائِهِ وطيبِهِ .

فلنقتدِ بأهلِ الطبِّ في الاصطلاحِ علىٰ أربعِ درجاتٍ تقريباً وإنْ كانَ التحقيقُ لا يوجبُ هـٰذا الحصرَ ؛ إذْ يتطرَّقُ إلىٰ كلِّ درجةٍ مِنَ الدرجاتِ أيضاً تفاوتٌ لا ينحصرُ ؛ فكمْ من سُكَّرٍ أشدُّ حرارةً مِنْ سكَّرٍ ، وكذا غيرُهُ .

فلذلكَ نقولُ : **الورعُ عنِ الحرامِ علىٰ أربعِ درجاتٍ** :

ورعُ العدولِ : وهوَ الذي يجبُ الفسقُ باقتحامِهِ ، وتسقطُ العدالةُ بِهِ ، ويثبتُ اسمُ العصيانِ والتعرُّضُ للنارِ بسببِهِ ، وهوَ الورعُ عنْ كلِّ ما تحرِّمُهُ فتاوى الفقهاءِ .

---

(١) **والمقصود به** : السكَّرُ الطَّبَرْزَد ؛ المعتصر من قصب السُّكَّر .

(٢) **الفانيذ** : ضرب من الحلواء ، وهي لفظة فارسية يطلق على السكَّر المصفَّىٰ .

(٣) وهو عصارة الرطب .

الثانيةُ : ورعُ الصالحينَ : وهوَ الامتناعُ عمَّا يتطرَّقُ إليهِ احتمالُ التحريم ، ولكنَّ المفتيَ يرخِّصُ في التناولِ بناءً على الظاهرِ ، فهوَ مِنْ مواقعِ الشبهاتِ على الجملةِ ، فلنسمِّ التحرُّجَ عنْ ذلكَ ورعَ الصالحينَ ، وهوَ في الدرجةِ الثانيةِ .

الثالثةُ : ما لا تحرِّمُهُ الفتوىٰ ولا شبهةَ في حلِّهِ ، ولكنْ يُخافُ منهُ أداؤُهُ إلىٰ محرَّمٍ : وهوَ تركُ ما لا بأسَ بهِ مخافةً ممَّا بهِ بأسٌ ، وهٰذا ورعُ المتقينَ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا يبلغُ العبدُ درجةَ المتقينَ حتَّىٰ يدعَ ما لا بأسَ بهِ مخافةَ ما بهِ بأسٌ »⁽¹⁾ .

الرابعةُ : ما لا بأسَ بهِ أصلاً ولا يُخافُ منهُ أنْ يؤديَ إلىٰ ما بهِ بأسٌ ، ولكنَّهُ يُتناولُ لغيرِ اللهِ : لا علىٰ نيَّةِ التقوِّي بهِ علىٰ عبادةِ اللهِ ، أوْ تتطرَّقَ إلىٰ أسبابِهِ المسهلةِ لهُ كراهيةٌ أوْ معصيةٌ ، والامتناعُ منهُ **ورعُ الصدِّيقينَ** .

فهٰذهِ درجاتُ الحلالِ جملةً إلىٰ أنْ نفصِّلَها بالأمثلةِ والشواهدِ .

* * *

وأمَّا الحرامُ الذي ذكرناهُ في الدرجةِ الأولىٰ وهوَ الذي يُشترطُ التورُّعُ عنهُ في العدالةِ واطِّراحِ سمةِ الفسقِ . . فهوَ أيضاً علىٰ درجاتٍ في الخبثِ ، فالمأخوذُ بعقدٍ فاسدٍ ـ كالمعاطاةِ مثلاً فيما لا يجوزُ فيهِ المعاطاةُ ـ حرامٌ ، ولكنْ ليسَ في درجةِ المغصوبِ علىٰ سبيلِ القهرِ ، بلِ المغصوبُ أغلظُ ؛ إذْ

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥١) ، وابن ماجه (٤٢١٥) .

فيهِ تركُ طريقِ الشرعِ في الاكتسابِ وإيذاءُ الغيرِ ، وليسَ في المعاطاةِ إيذاءٌ ، وإنَّما فيها تركُ طريقِ التعبُّدِ فقطْ ، ثمَّ تركُ طريقِ التعبُّدِ بالمعاطاةِ أهونُ مِنْ تركِهِ بالربا .

وهـٰذا التفاوتُ يُدركُ بتشديدِ الشرعِ ووعيدِهِ وتأكيدِهِ في بعضِ المناهي ، علىٰ ما سيأتي في كتابِ التوبةِ ، عندَ ذكرِ الفرقِ بينَ الصغيرةِ والكبيرةِ ، بلِ المأخوذُ ظلماً مِنْ فقيرٍ أوْ صالحٍ أوْ يتيمٍ أخبثُ وأغلظُ مِنَ المأخوذِ مِنْ قويٍّ أوْ غنيٍّ أوْ فاسقٍ ؛ لأنَّ درجاتِ الإيذاءِ تختلفُ باختلافِ درجاتِ المُؤْذَىٰ .

فهـٰذهِ دقائقُ في تفاصيلِ الخبائثِ لا ينبغي أنْ يُذهلَ عنها ، فلولا اختلافُ درجاتِ العصاةِ . . لما اختلفَتْ دركاتُ النارِ .

وإذا عرفتَ مثاراتِ التغليظِ . . فلا حاجةَ إلىٰ حصرِها في ثلاثِ درجاتٍ أوْ أربعٍ ؛ فإنَّ ذلكَ جارٍ مَجرى التحكُّمِ والتشهِّي ، وهوَ طلبُ حصرٍ فيما لا حاصرَ لهُ ، ويدلُّكَ على اختلافِ درجاتِ الحرامِ في الخبثِ ما سيأتي في تعارضِ المحذوراتِ وترجيحِ بعضِهَا علىٰ بعضٍ ، حتَّىٰ إذا اضطرَّ إلىٰ أكلِ ميتةٍ ، أوْ أكلِ طعامِ الغيرِ ، أوْ أكلِ صيدِ الحَرَمِ . . فإنَّا نقدِّمُ بعضَ هـٰذهِ علىٰ بعضٍ .

* * *

أمثلة الدرجات الأربع في الورع وشواهدها

أمَّا الدرجةُ الأولىٰ ـ وهيَ ورعُ العدولِ ـ : فكلُّ ما اقتضى الفتوىٰ تحريمَهُ ، ممَّا يدخلُ في المداخلِ الستةِ التي ذكرناها مِنْ مداخلِ الحرامِ ، لفقدِ شرطٍ مِنَ الشروطِ . . فهوَ الحرامُ المطلقُ الذي يُنسبُ مقتحمُهُ إلى الفسقِ والمعصيةِ ، وهوَ الذي نريدُهُ بالحرامِ المطلقِ ، فلا يحتاجُ إلىٰ أمثلةٍ وشواهدَ .

* * *

وأمَّا الدرجةُ الثانيةُ : فأمثلتُها كلُّ شبهةٍ لا نوجبُ اجتنابَها ، ولكنْ يُستحبُّ اجتنابُها كما سيأتي في بابِ الشبهاتِ ؛ إذْ مِنَ الشبهاتِ ما يجبُ اجتنابُها فتلتحقُ بالحرامِ .

ومنها ما يُكرهُ اجتنابُها والورعُ عنها ورعُ الموسوسِينَ ؛ كمَنْ يمتنعُ عنِ الاصطيادِ خوفاً مِنْ أنْ يكونَ الصيدُ قدْ أفلتَ مِنْ إنسانٍ أخذَهُ وملكَهُ ، وهاذا وسواسٌ .

ومنها ما يُستحبُّ اجتنابُها ولا يجبُ ، وهوَ الذي يُنزلُ عليهِ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « دعْ ما يريبُكَ إلىٰ ما لا يريبُكَ »(١) ، ونحملُهُ علىٰ نهيِ التنزيهِ ، وكذلكَ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كُلْ ما أصميتَ ، ودعْ

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٨) ، والنسائي (٨/ ٣٢٧) .

ما أنميتَ »(١) ، والإنماءُ : أنْ يجرحَ الصيدَ فيغيبَ عنهُ ، ثمَّ يدركَهُ ميتاً ؛ إذْ يُحتملُ أنَّهُ ماتَ بسقطةٍ أوْ بسببٍ آخرَ .

والذي نختارُهُ ـ كما سيأتي ـ أنَّ هـٰذا ليسَ بحرامٍ ، ولكنْ تركُهُ مِنْ ورعِ الصالحينَ ، وقولُهُ : « دعْ » أمرُ تنزيهٍ ؛ إذْ وردَ في بعضِ الرواياتِ : « كُلْ منهُ وإنْ غابَ عنكَ ما لمْ تجدْ فيهِ أثراً غيرَ سهمِكَ »(٢) ، ولذلكَ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لعديِّ بنِ حاتمٍ في الكلبِ المعلَّمِ : « وإنْ أكلَ . . فلا تأكلْ ؛ فإنِّي أخافُ أنْ يكونَ إنَّما أمسكَ علىٰ نفسِهِ »(٣) علىٰ سبيلِ التنزيهِ لأجلِ الخوفِ ؛ إذْ قالَ لأبي ثعلبةَ الخشنيّ : « كُلْ منهُ » فقالَ : وإنْ أكلَ ؟ فقالَ : « وإنْ أكلَ »(٤) ، وذلكَ لأنَّ حالَ أبي ثعلبةَ وهوَ فقيرٌ مكتسبٌ لا تحتملُ هـٰذا الورعَ ، وحالَ عديٍّ كانتْ تحتملُهُ .

يُحكىٰ عنِ ابنِ سيرينَ أنَّهُ تركَ لشريكٍ لهُ أربعةَ آلافِ درهمٍ لأنَّهُ حاكَ في قلبِهِ شيءٌ ، معَ اتفاقِ العلماءِ علىٰ أنَّهُ لا بأسَ بهِ(٥) .

فأمثلةُ هـٰذهِ الدرجةِ نذكرُها عندَ التعرُّضِ لدرجاتِ الشبهةِ ، فكلُّ

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » (١٢/٢٢) مرفوعاً ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٩/٢٤١) موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) رواه البخاري (٥٤٨٥) ، ومسلم (١٩٢٩) .

(٣) رواه البخاري (١٧٥) ، ومسلم (١٩٢٩) واللفظ له .

(٤) رواه أبو داوود (٢٨٥٢) .

(٥) بنحوه روىٰ أبو نعيم في « الحلية » (٢/٢٦٦) .

ما هو شبهةٌ لا يجبُ اجتنابُهُ . . فهوَ مثالُ هـٰذهِ الدرجةِ .

وأمَّا الدرجةُ الثالثةُ : وهيَ ورعُ المتقينَ ، فيشهدُ لها قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا يبلغُ العبدُ درجةَ المتقينَ حتَّىٰ يدعَ ما لا بأسَ بهِ مخافةَ ما بهِ بأسٌ »(١) .

وقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : (كنَّا ندعُ تسعةَ أعشارِ الحلالِ مخافةَ أنْ نقعَ في الحرامِ)(٢) ، وقيلَ : إنَّ هـٰذا عنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

وقالَ أبو الدرداءِ : (إنَّ مِنْ تمامِ التقوىٰ أنْ يتقيَ العبدُ في مثقالِ ذرَّةٍ ، حتَّىٰ يتركَ بعضَ ما يرىٰ أنَّهُ حلالٌ خشيةَ أنْ يكونَ حراماً ، فيكونَ حجاباً بينَهُ وبينَ النارِ)(٣) .

ولهـٰذا كانَ لبعضِهِمْ مئةُ درهمٍ علىٰ إنسانٍ ، فحملَها إليهِ ، فأخذَ تسعةً وتسعينَ وتورَّعَ عنِ استيفاءِ الكلِّ خيفةَ الزيادةِ(٤) .

وكانَ بعضُهُمْ يتَّجرُ وكلُّ ما يستوفيهِ يأخذُهُ بنقصانِ حبةٍ ، وما يعطيهِ يوفِّيهِ بزيادةِ حبَّةٍ ؛ ليكونَ ذلكَ حاجزاً مِنَ النارِ(٥) .

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥١) ، وابن ماجه (٤٢١٥) .

(٢) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٨/ ١٥٢) ، وفيه : (مخافة الربا) .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٧٩) من زيادات نعيم بن حماد .

(٤) قوت القلوب (٢/ ٢٩٦) بنحوه .

(٥) قوت القلوب (٢/٢٦٨) .

ومِنْ هـٰذهِ الدرجةِ الاحترازُ عمَّا يتسامحُ الناسُ بهِ : فإنَّ ذلكَ حلالٌ في الفتوىٰ ، ولكنْ يُخافُ مِنْ فتحِ بابهِ أنْ ينجرَّ إلىٰ غيرِهِ ، وتألفَ النفسُ الاسترسالَ ، فتتركَ الورعَ .

فمنْ ذلكَ : ما رُوِيَ عنْ عليِّ بْنِ معبدٍ أنَّهُ قالَ : كنتُ ساكناً في بيتٍ بكراءٍ ، فكتبتُ كتاباً ، وأردتُ أنْ آخذَ مِنْ ترابِ الحائطِ لأترِّبَهُ وأجفِّفَهُ ، ثمَّ قلتُ : الحائطُ ليسَ لي ، فقالَتْ لي نفسي : وما قدْرُ ترابٍ مِنْ حائطٍ ؟ فأخذتُ مِنَ الترابِ حاجتي ، فلما نمتُ . . فإذا أنا بشخصٍ واقفٍ يقولُ : يا عليُّ ؛ ستعلمُ غداً الذي يقولُ : وما قدْرُ ترابٍ مِنْ حائطٍ(١) .

ولعلَّ معنىٰ ذلكَ أنَّهُ يرىٰ كيفَ تُحطُّ منزلتُهُ ؛ فإنَّ للتقوىٰ منزلةً تفوتُ بفواتِ ورعِ المتقينَ ، فليسَ المرادُ بهِ أنْ يستحقَّ عقوبةً علىٰ فعلِهِ .

ومِنْ ذلكَ : ما رُوِيَ أنَّ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ وصلَهُ مسكٌ مِنَ البحرينِ ، فقالَ : وددتُ لوْ أنَّ امرأةً وزنَتْ حتَّىٰ أقسمَهُ بينَ المسلمينَ ، فقالتِ امرأتُهُ عاتكةُ : أنا أجيدُ الوزنَ ، فسكتَ عنها ، ثمَّ أعادَ القولَ فأعادتِ الجوابَ ، فقالَ : لا ، أحببتِ أنْ تضعيهِ بكفَّةٍ ، ثمَّ تقولينَ : فيها أثرُ الغبارِ ، فتمسحينَ بها عنقَكِ ، فأصيبُ بذلكَ فضلاً على المسلمينَ(٢) .

وكانَ يُوزنُ بينَ يدي عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ مسكٌ للمسلمينَ ، فأخذَ بأنفِهِ

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١٦٣) بنحوه .

(٢) رواه أحمد في « الزهد » (٦٢٣) .

حتَّىٰ لا تصيبَهُ الرائحةُ وقالَ : وهلْ يُنتفعُ منهُ إلا بريحِهِ ؟ لمَّا استُبعدَ ذلكَ منهُ(١) .

وأخذَ الحسنُ بنُ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما تمرةً مِنْ تمرِ الصدقةِ وكانَ صغيراً ، فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كِخْ كِخْ ، ألقِها »(٢) .

ومِنْ ذلكَ : ما رُوِيَ عنْ بعضِهِمْ أنَّهُ كانَ عندَ محتضرٍ ، فماتَ ليلاً ، فقالَ : أطفئوا السراجَ ؛ فقدْ حدثَ للورثةِ حقٌّ في الدهنِ(٣) .

وروىٰ سليمانُ التيميُّ عنْ نعيمٍ عنِ العطَّارةِ قالَتْ : كانَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ يدفعُ إلى امرأتِهِ طيباً مِنْ طيبِ المسلمينَ فتبيعُهُ ، فباعتْني طيباً ، فجعلَتْ تقومُ وتزيدُ وتنقصُ وتكسرُ بأسنانِها ، فيعلقُ بإصبعِها شيءٌ منهُ ، فقالَتْ بهِ هٰكذا بإصبعِها ثمَّ مسحَتْ بهِ خمارَها ، فدخلَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ فقالَ : ما هٰذهِ الرائحةُ ؟ فأخبرتْهُ ، فقالَ : طيبُ المسلمينَ تأخذينَهُ ؟! فانتزعَ الخمارَ مِنْ رأسِها وأخذَ جرَّةً مِنْ مَاءٍ فجعلَ يصبُّ على الخمارِ ثمَّ يدلكُهُ في الترابِ ، ثمَّ يشمُّهُ ، ثمَّ يصبُّ الماءَ ، ثمَّ يدلكُهُ في الترابِ ويشمُّهُ ، حتَّىٰ لمْ يبقَ لهُ ريحٌ ، قالتْ : ثمَّ أتيتُها مرَّةً أخرىٰ ، فلما وزنَتْ . . علقَ بإصبعِها منهُ

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٢٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٨/ ٦٤).

(٢) رواه البخاري (١٤٩١) ، ومسلم (١٠٦٩) ، والطيالسي في « مسنده » (٢٤٨٢) ، وكلمة (كخ) : كلمة ردع للصغير عن تناول شيء ، وفيها ست لغات ، وفي الخبر : تجنيب الطفل عن الحرام لينشأ عليه ويتمرن . انظر « الإتحاف » (٦/ ٢٧) .

(٣) روىٰ خبراً بنحوه أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٢٨١) .

شيءٌ ، فأدخلَتْ إصبعَها في فيها ثمَّ مسحَتْ بها الترابَ(١) .

فهـٰذا مِنْ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ ورعُ التقوىٰ ؛ لخوفِ أداءِ ذلكَ إلىٰ غيرِه ، وإلا . . فغسلُ الخمارِ ما كانَ يعيدُ الطيبَ إلى المسلمينَ ، ولكنْ أتلفَهُ عليها زجراً وردْعاً واتقاءً مِنْ أنْ يتعدَّى الأمرُ إلى الآخرينَ .

ومِنْ ذلكَ : ما سُئلَ أحمدُ ابنُ حنبلٍ رحمهُ اللهُ عنْ رجلٍ يكونُ في المسجدِ يحملُ مِجْمَرَةً لبعضِ السلاطينِ ويبخِّرُ المسجدَ بالعودِ ، فقالَ : ينبغي أنْ يخرجَ مِنَ المسجدِ ؛ فإنَّهُ لا يُنتفعُ مِنَ العودِ إلا برائحتِهِ(٢) .

وهـٰذا قدْ يقاربُ الحرامَ ؛ فإنَّ القدْرَ الذي يعبقُ بثوبِهِ مِنْ رائحةِ الطيبِ قدْ يُقصدُ ، وقدْ يُبخلُ بهِ ، فلا يدري أنَّهُ يُتسامحُ بهِ أم لا .

وسئلَ أحمدُ ابنُ حنبلٍ عمَّنْ سقطَتْ منهُ ورقةٌ فيها أحاديثُ ، فهلْ لمَنْ وجدَها أنْ يكتبَ منها ثمَّ يردَّها ؟ فقالَ : لا ، بلْ يستأذنُ ثمَّ يكتبُ(٣) .

وهـٰذا أيضاً قدْ يُشكُّ في أنَّ صاحبَها هلْ يرضىٰ بهِ أمْ لا ، فما هوَ في محلِّ الشكِّ والأصلُ تحريمُهُ . . فهوَ حرامٌ ، وتركُهُ مِنَ الدرجةِ الأولىٰ .

ومِنْ ذلكَ التورُّعُ عنِ الزينةِ : لأنَّهُ يُخافُ منها أنْ تدعوَ إلىٰ غيرِها ، وإنْ كانتِ الزينةُ مباحةً في نفسِها .

---

(١) كذا في « القوت » (٢/ ٢٨١) ، ورواه كذلك أحمد في « الورع » (ص٣٧) .

(٢) كذا في « الورع » (ص٣٧) له .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢٨٥) .

وقدْ سئلَ أحمدُ ابنُ حنبلٍ عنِ النعالِ السنديةِ(١) ، فقالَ : أمَّا أنا.. فلا أستعملُها ، ولكنْ إنْ كانَ للطينِ.. فأرجو ، وأمَّا مَنْ أرادَ الزينةَ.. فلا .

ومِنْ ذلكَ : أنَّ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ لمَّا وليَ الخلافةَ.. كانتْ لهُ زوجةٌ يحبُّها ، فطلَّقَها ؛ خيفةَ أنْ تشيرَ عليهِ بشفاعةٍ في باطلٍ ، فيطيعَها ويطلبَ رضاها ، وهـٰذا مِنْ تركِ ما لا بأسَ بهِ مخافةً مِمَّا بهِ بأسٌ ؛ أي : مخافةً منْ أنْ يفضيَ إليهِ .

وأكثرُ المباحاتِ داعيةٌ إلى المحظوراتِ ، حتَّى استكثارُ الأكلِ ، واستعمالُ الطيبِ للمتعزبِ ؛ فإنَّهُ يحرِّكُ الشهوةَ ، ثمَّ الشهوةُ تدعو إلى الفكرِ ، والفكرُ يدعو إلى النظرِ ، والنظرُ يدعو إلىٰ غيرِهِ(٢) .

وكذلكَ النظرُ إلىٰ دورِ الأغنياءِ وتجمُّلِهِمْ مباحٌ في نفسِهِ ، ولكنْ يهيِّجُ الحرصَ ، ويدعو إلىٰ طلبِ مثلِهِ ، ويلزمُ منهُ ارتكابُ ما لا يحلُّ في تحصيلِهِ .

وهكذا المباحاتُ كلُّها إذا لمْ تُؤخذْ بقدْرِ الحاجةِ وفي وقتِ الحاجةِ ، معَ التحرُّزِ مِنْ غوائلِها ؛ بالمعرفةِ أوَّلاً ، ثمَّ بالحذرِ ثانياً.. فقلَّما تخلو عاقبتُها

---

(١) كذا في « الورع » (ص١٧٢) له ، وفي (ط) : (السبتية) .

(٢) من المفاسد ، وفي هـٰذا يقولون : من أدار ناظره.. أتعب خاطره . « إتحاف » (٢٨/٦) .

عنْ خطرٍ ، وكذا كلُّ ما أُخذَ بالشَّرَهِ فقلَّما يخلو عن خطرٍ .

حتَّىٰ كرهَ أحمدُ ابنُ حنبلٍ تجصيصَ الحيطانِ وقالَ : (أمَّا تجصيصُ الأرضِ . . فيمنعُ الترابَ ، وأمَّا تجصيصُ الحيطانِ . . فزينةٌ لا فائدةَ فيهِ)⁽¹⁾ .

حتَّىٰ أنكرَ تجصيصَ المساجدِ وتزيينَها ، واستدلَّ بما رُوِيَ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ سُئِلَ أنْ يكحلَ المسجدَ ، فقالَ : « لا ، عريشٌ كعريشِ موسىٰ »⁽²⁾ ، وإنَّما هوَ شيءٌ مثلُ الكحلِ يُطلىٰ بهِ ، فلمْ يرخِّصْ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيهِ⁽³⁾ .

وكرهَ السلفُ الثوبَ الرقيقَ ، وقالوا : (مَنْ رقَّ ثوبُهُ . . رقَّ دينُهُ)⁽⁴⁾ .

وكلُّ ذلكَ خوفاً مِنْ سريانِ اتباعِ الشهواتِ في المباحاتِ إلىٰ غيرِها ، فإنَّ المحظورَ والمباحَ تشتهيهِما النفسُ بشهوةٍ واحدةٍ ، فإذا عوِّدتِ الشهوةُ المسامحةَ . . استرسلَتْ ، فاقتضىٰ خوفُ التقوى الورعَ عنْ هٰذا كلِّهِ ، فكلُّ

---

(١) كذا في « الورع » (ص١٨٢) له .

(٢) قال الحافظ العراقي : (رواه الدارقطني في « الأفراد » من حديث أبي الدرداء وقال : غريب) . « إتحاف » (٦/ ٢٨) ، وأما لفظ : « عريش كعريش موسىٰ » دون ذكر الكحل . . فقد رواه الدارمي في « سننه » (٣٨) أي : لو رفع يده . . بلغ السقف .

(٣) كذا في « الورع » (١٨٤) له .

(٤) كذا في « القوت » (١/ ٢٥٦) ، ورواه الدولابي في « الكنىٰ والأسماء » (٢/ ٨٠) عن أبي الغدير المليكي .

حلالٍ انفكَّ عنْ مثلِ هـٰذهِ المخافةِ . . فهوَ الحلالُ الطيِّبُ في الدرجةِ الثالثةِ ، وهوَ كلُّ ما لا يُخافُ أداؤُهُ إلىٰ معصيةٍ ألبتةَ .

* * *

أمَّا الدرجةُ الرابعةُ : وهوَ ورعُ الصديقينَ ، فالحلالُ المطلقُ عندَهُمْ : كلُّ ما لا تتقدَّمُ في أسبابِهِ معصيةٌ ، ولا يُستعانُ بهِ علىٰ معصيةٍ ، ولا يُقصدُ منهُ في الحالِ والمآلِ قضاءُ وطرٍ ، بلْ يُتناولُ للهِ تعالىٰ فقطْ ، وللتقوِّي علىٰ عبادتِهِ ، واستبقاءِ الحياةِ لأجلِهِ .

وهؤلاءِ هُمُ الذينَ يروْنَ كلَّ ما ليسَ للهِ حراماً ؛ امتثالاً لقولِهِ تعالىٰ : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ ، وهـٰذهِ رتبةُ الموحدينَ المتجرِّدينَ عنْ حظوظِ أنفسِهِمْ ، المتفرِّدينَ للهِ تعالىٰ بالقصدِ ، ولا شكَّ في أنَّ مَنْ يتورَّعُ عمَّا يُوصلُ إليهِ بمعصيةٍ أوْ يُستعانُ بهِ علىٰ معصيةٍ . . فيتورَّعُ عمَّا يقترنُ بسببِ اكتسابِهِ معصيةٌ أوْ كراهيةٌ .

فمِنْ ذلكَ : ما رُوِيَ عنْ يحيىٰ بنِ يحيىٰ أنَّهُ شربَ الدواءَ ، فقالتْ لهُ امرأتُهُ : لوْ مشيتَ في الدارِ قليلاً حتَّىٰ يعملَ الدواءُ ، فقالَ : هـٰذهِ مشيةٌ لا أعرفُها ، وأنا أحاسبُ نفسي منذُ ثلاثينَ سنةً(١) .

فكأنَّهُ لمْ تحضرْهُ نيَّةٌ في هـٰذهِ المشيةِ تتعلَّقُ بالدينِ ، فلمْ يُجوِّزِ الإقدامَ عليها .

---

(١) كذا في « القوت » (٢/ ٢٨١)، وهو في « الورع » (ص١٢٢) وفيهما : (أربعين سنة).

وعنْ سريٍّ رحمهُ اللهُ أنَّهُ قالَ : انتهيتُ إلىٰ حشيشٍ في جبلٍ وماءٌ يخرجُ منهُ ، فتناولتُ مِنَ الحشيشِ وشربتُ مِنَ الماءِ ، وقلتُ في نفسي : إنْ كنتُ قدْ أكلتُ يوماً حلالاً طيِّباً . . فهوَ هـٰذا اليومُ ، فهتفَ بي هاتفٌ : إنَّ القوَّةَ التي أوصلتْكَ إلىٰ هـٰذا الموضعِ مِنْ أينَ هيَ ؟ فرجعتُ وندمتُ(١) .

ومِنْ هـٰذا : ما رُوِيَ عنْ ذي النونِ المصريِّ أنَّهُ كانَ جائعاً محبوساً ، فبعثَتْ لهُ امرأةٌ صالحةٌ طعاماً علىٰ يدِ السجَّانِ ، فلمْ يأكلْ(٢) ، ثمَّ اعتذرَ وقالَ : جاءني علىٰ يدِ ظالمٍ(٣) .

يعني : أنَّ القوَّةَ التي أوصلتِ الطعامَ إليَّ لمْ تكنْ طيِّبةً ، وهـٰذهِ الغايةُ القصوىٰ في الورعِ .

ومِنْ ذلكَ : أنَّ بشراً كانَ لا يشربُ الماءَ مِنَ الأنهارِ التي حفرَها الأمراءُ(٤) ؛ فإنَّ النهرَ سببٌ لجريانِ الماءِ ووصولِهِ إليهِ ، وإنْ كانَ الماءُ مباحاً في نفسِهِ ، فيكونُ كالمنتفعِ بالنهرِ المحفورِ بأعمالِ الأُجَراءِ ، وقدْ أُعطِيَتْ أجرتُهُمْ منَ الحرامِ .

ولذلكَ امتنعَ بعضُهُمْ مِنَ العنبِ الحلالِ مِنْ كرمٍ حلالٍ ، وقالَ لصاحبِهِ :

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٩٥) .

(٢) حتىٰ لقيته العجوز ، فعاتبته علىٰ رد الطعام ، وأخبرته أنه من عمل يدها حلال خالص .

(٣) قوت القلوب (٢/ ١٩١) .

(٤) قوت القلوب (٢/ ٢٩٦) .

أفسدتَهُ إذْ سقيتَهُ مِنْ ماءٍ يجري في النهرِ الذي حفرتْهُ الظلمةُ⁽¹⁾ ، وهـٰذا أبعدُ عنِ الظلمِ مِنْ شربِ نفسِ الماءِ ؛ لأنَّهُ احترازٌ مِنِ استمدادِ العنبِ مِنْ ذلكَ الماءِ .

وكانَ بعضُهُمْ إذا مرَّ في طريقِ الحجِّ .. لمْ يشربْ مِنَ المصانعِ التي عملتْها الظلمةُ معَ أنَّ الماءَ مباحٌ ، ولكنَّهُ بقيَ محفوظاً بالمصنعِ ، والمصنعُ عُمِلَ بهِ بمالٍ حرامٍ ، فكأنَّهُ انتفاعٌ بهِ⁽²⁾ .

وامتناعُ ذي النونِ مِنْ تناولِ الطعامِ مِنْ يدِ السجَّانِ أعظمُ مِنْ هـٰذا كلِّهِ ؛ لأنَّ يدَ السجَّانِ لا تُوصفُ بأنَّها حرامٌ ، بخلافِ الطبقِ المغصوبِ إذا حُملَ عليهِ ، ولكنْ لمَّا وصلَ إليهِ بقوَّةٍ اكتُسبَتْ بالغذاءِ الحرامِ ... امتنعَ منهُ .

ولذلكَ تقيَّأَ الصدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ مِنَ اللبنِ ؛ خيفةً مِنْ أنْ يُحدثَ الحرامُ فيهِ قوَّةً ، معَ أنَّهُ شربَهُ علىٰ جهلٍ⁽³⁾ ، وكانَ لا يجبُ إخراجُهُ ، ولكنْ

---

(1) والخبر في « القوت » (٢/ ٢٩٦) ، قال : (وحدثت أن امرأة أهدت بشر بن الحارث سلة عنب ، فقالت : هـٰذه من صنيعة أبي ، فردَّها بشر عليها ، فقالت : سبحان الله ! تشك في كرم أبي وفي صحة ملكه وميراثي منه ، وشهادتي مكتوبة في كتاب الشراء ؟ فقال : صدقت ، ملك أبيك ، ولكنك أفسدت الكرم ، قالت : بماذا ؟ قال : سقيته من نهر طاهر ؛ يعني : طاهر بن الحسين بن مصعب بن عبد الله بن طاهر ، صاحب المأمون) .

(2) قوت القلوب (٢/ ٢٩٦) عن طاووس ووهب بن منبه اليمانيين .

(3) قوت القلوب (٢/ ٢٨٧) ، ورواه البخاري (٣٨٤٢) .

تخليةُ الباطنِ عنِ الخبيثِ مِنْ ورعِ الصدِّيقينَ .

ومِنْ ذلكَ : التورُّعُ مِنْ كسبِ حلالٍ اكتسبَهُ خيَّاطٌ يخيطُ في المسجدِ ، فإنَّ أحمدَ رحمَهُ اللهُ كرهَ جلوسَ الخيَّاطِ في المسجدِ(١) ، وسُئِلَ عنِ المغازليِّ يجلسُ في قبَّةٍ في المقابرِ في وقتٍ يخافُ مِنَ المطرِ ، فقالَ : المقابرُ إنَّما هِيَ مِنْ أمرِ الآخرةِ ، وكرهَ جلوسَهُ فيها لذلكَ(٢) .

وأطفأَ بعضُهُمْ سراجاً أسرجَهُ غلامُهُ مِنْ قومٍ يُكرهُ مالُهُمْ(٣) ، وامتنعَ مِنْ تسجيرِ تنُّورٍ للخبزِ وقدْ بقيَ فيهِ جمرٌ مِنْ حطبٍ مكروهٍ(٤) ، وامتنعَ بعضُهُمْ مِنْ أنْ يحكِمَ شسعَ نعلِهِ في مشعلةِ سلطانٍ(٥) .

فهٰذهِ دقائقُ الورعِ عندَ سالكي طريقِ الآخرةِ .

والتحقيقُ فيهِ : أنَّ الورعَ لهُ أوَّلٌ ؛ وهوَ الامتناعُ عمَّا حرَّمَتْهُ الفتوىٰ ، وهوَ ورعُ العدولِ ، ولهُ غايةٌ ؛ وهوَ ورعُ الصدِّيقينَ ، وذلكَ هوَ الامتناعُ مِنْ كلِّ ما ليسَ للهِ ، ممَّا أُخذَ بشهوةٍ ، أوْ توصِّلَ إليهِ بمكروهٍ ، أوِ اتصلَ بسببِهِ مكروهٌ ، وبينَهُما درجاتٌ في الاحتياطِ ، فكلَّما كانَ العبدُ أشدَّ تشديداً علىٰ نفسِهِ . . كانَ أخفَّ ظهراً يومَ القيامةِ ، وأسرعَ جوازاً على الصراطِ ، وأبعدَ

---

(١) كذا في « الورع » (ص٥٩) له .

(٢) كذا في « الورع » (ص٦١) له .

(٣) وهو عثمان بن زائدة . انظر « الورع » (ص١٠٤) .

(٤) كذا في « الورع » (١٠٤) .

(٥) قوت القلوب (٢/ ٢٩١) بنحوه .

عنْ أنْ تترجَّحَ كفَّةُ سيئاتِهِ علىٰ كفَّةِ حسناتِهِ .

وتتفاوتُ المنازلُ في الآخرةِ بحسَبِ تفاوتِ هٰذهِ الدرجاتِ في الورعِ ؛ كما تتفاوتُ دركاتُ النارِ في حقِّ الظلمةِ بحسَبِ تفاوتِ درجاتِ الحرامِ في الخبثِ .

وإذا علمتَ حقيقةَ الأمرِ . . فإليكَ الخيرةُ ؛ فإنْ شئتَ . . فاستكثرْ مِنَ الاحتياطِ ، وإنْ شئتَ فترخَّصْ ، فلنفسكَ تحتاطُ ، وعلىٰ نفسِكَ تترخَّصُ ، والسلامُ .

* * *

Birinci Bab

HELÂLİN FAZÎLETİ VE HARAMIN KÖTÜLÜĞÜ

Bu Husustaki Âyetler:

كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا

“Helâl ve temiz nafaka yiyin. Ve sâlih ameller işleyin.” (Mü’minûn sûresi, 23/51) Allahü Teâlâ âyet-i celîlede sâlih amelden evvel, helâl nafaka yemeyi emretmiştir.

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ

“Mallarınızı aranızda bâtıl (sebeplerle) **yemeyin.”** (Bakara sûresi, 2/188)

إِنَّ الَّذٖينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامٰى ظُلْمًا

“Onlar ki, yetim mallarını zulm ile yerler.” (Nisâ sûresi, 4/10)

يَٓا أَيُّهَا الَّذٖينَ اٰمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنٖينَ

“Ey iman edenler! Allah’tan korkun. Eğer gerçekten inanıyorsanız mevcut faiz alacaklarınızı terk edin.” (Bakara sûresi, 2/278)

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللّٰهِ وَرَسُولِهٖ

“Eğer böyle yapmazsanız (ribâyı terk etmezseniz) **Allah’a**

ve Peygamberine karşı harbe girmiş olduğunuzu bilin." (Bakara sûresi, 2/279)

وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ

"Eğer tövbe edip vazgeçerseniz, sermayeniz sizindir." (Bakara sûresi, 2/279)

وَمَنْ عَادَ فَأُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

"Kim dönerse. İşte onlar nâr ehlidir ve ebedî olarak orada kalacaklardır." (Bakara sûresi, 2/275) Allahü Teâlâ, ribâ yiyenleri önce Allah'a ve Rasûlüne meydan okuyanlardır, diye tavsif etti. Sonra da cehenneme gireceklerini anlattı. Helâl ve haram hakkındaki âyetler sayılamayacak kadar çoktur.

Bu Husustaki Hadisler:

İbn Mes'ûd'un (r.a.) rivâyetine göre Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

طَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ عَلٰى كُلِّ مُسْلِمٍ

"Helâl nafaka aramak, her Müslüman'a farzdır." buyurmuştur İlim bahsinde geçtiği gibi, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz:

طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلٰى كُلِّ مُسْلِمٍ

"İlim talep etmek, her Müslüman'a farzdır." buyurdu. Âlimlerden bâzıları "Bu ilimden murâd, helâl ve haram ilmidir." diyerek her iki hadisin aynı mânâda olduğunu öne sürmüşlerdir.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنْ سَعٰى عَلٰى عِيَالِهِ مِنْ حِلِّهِ فَهُوَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ، وَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالًا فِي عَفَافٍ كَانَ فِي دَرَجَةِ الشُّهَدَاءِ

“Çoluk çocuğunun geçimini helâlinden temîne çalışan, Allah yolunda mücâhede eden gibidir. Nâmusu dâiresinde helâlinden dünyalık peşinde olan, şehidler derecesindedir.”[2] buyurmuştur.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنْ أَكَلَ الْحَلَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نَوَّرَ اللّٰهُ قَلْبَهُ وَأَجْرٰى يَنَابِيعَ
الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهٖ عَلٰى لِسَانِهٖ (وَفِي رِوَايَةٍ) زَهَّدَهُ اللّٰهُ فِي الدُّنْيَا

“Kırk gün helâl yiyenin kalbini Allah nurlandırır ve hikmet gözelerini kalbinden lisânına akıtır.”[3] buyurmuştur.

Diğer bir rivâyette:

“Dünyaya olan meylini Allah keser.” buyrulmuştur. Rivâyete göre Sa’d (r.a.), Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e:

- “Yâ Rasûlallah, Allah’a yalvar da duâsı makbul olanlardan olayım.” dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَطِبْ طَعْمَتَكَ تُسْتَجَبْ دَعْوَتُكَ

“Helâl yemek ye, duân kabul olsun.”[4] buyurdu. Peygamber (s.a.v.) dünyaya harîs olan kimseyi tarif ederken:

رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ مُشَرَّدٍ فِي الْأَسْفَارِ مَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ
حَرَامٌ وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ فَأَنّٰى
يُسْتَجَابُ لِذٰلِكَ

---

2. Taberânî **“Evsat”**ında Ebû Hüreyre (r.a.)den. Ebû Mansûr **“Müsned-i Ferdevs”**inde rivâyet ettiler.
3. Ebû Naim **“Hilye”**de Ebû Eyyûb (r.a.)den: İbn Adiy de Ebû Mûsâ’dan rivâyet etti.
4. Taberâni **“Evsat”**ında İbn Abbâs (r.a.)dan riâyet etti.

"Nice saçı sakalı tozlu, yüzü kirli, oradan oraya kovulan kimseler var ki, yediği harâm, giydiği haram, haram ile gıdâlanmış. Böyle iken elini kaldırır da "Ey Rabbim!" diye duâ eder. Bunun duâsı nasıl kabul olsun, (haram gıda alanın duâsı kabul olmaz)."[5] buyurdu. İbn Abbâs'ın Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den rivâyet ettiği diğer bir hadîste:

إِنَّ لِلّٰهِ مَلَكًا عَلٰى بَيْتِ الْمَقْدِسِ يُنَادِي كُلَّ لَيْلَةٍ مَنْ أَكَلَ
حَرَامًا لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ

"Allahü Teâlâ'nın Beyt-i Makdis üzerinde vazifelendirdiği bir melek her gece şöyle çağırır: Haram lokma yiyenin farzı da, nafilesi de kabul olmaz."[6] Bir başka hadiste:

مَنِ اشْتَرٰى ثَوْبًا بِعَشْرَةِ دَرَاهِمَ وَفِي ثَمَنِهٖ دِرْهَمٌ حَرَامٌ لَمْ
يَقْبَلِ اللّٰهُ صَلَاتَهُ مَا دَامَ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ

"Parasında bir kuruş haram olduğu halde on kuruş ile bir elbise alan kimsenin üzerinde o elbiseden bir parça bulunduğu müddetçe namazı kabul olunmaz."[7] buyurmuştur. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ حَرَامٍ فَالنَّارُ أَوْلٰى بِهٖ

"Haramdan meydana gelen her ete (vücûda) *yaraşan, ateşte yanmaktır."*[8] buyurmuştur. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

[5] Müslim, Ebû Hüreyre (r.a.)den rivâyet etmiştir.

[6] Ebû Mansûr Deylemî'nin **"Müsned-i Firdevs"**inde buna benzer bir rivâyeti vardır.

[7] Ahmed, İbn Ömer (r.a.)den rivâyet etmiştir.

[8] Tirmizî Ka'b ibn Acûze (r.a.)den rivâyet etti ve: "hasen"dir dedi.

“Kazancının nereden geldiğine aldırış etmeyen kimseyi, Allahü Teâlâ hangi kapıdan cehenneme atacağına aldırış etmez.”[9] buyurmuştur. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اَلْعِبَادَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي طَلَبِ الْحَلَالِ

“İbâdet on cüzdür. Dokuzu, helâl nafaka aramaktır.”[10] buyurmuştur. Bu hadîs, bâzı sahâbeye merfû ve bâzılarına da mevkûf olarak rivâyet edilmiştir. Yine Resûl-i Ekrem:

مَنْ أَمْسٰى وَانِيًا مِنْ طَلَبِ الْحَلَالِ بَاتَ مَغْفُورًا لَهُ وَأَصْبَحَ
وَاللّٰهُ عَنْهُ رَاضٍ

“Helâl kazanç uğrunda yorgun olarak akşamlayan kimse, günâhları bağışlanmış olduğu halde yatar. Allah kendisinden râzı olduğu halde sabahlar.”[11] buyurmuştur. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنْ أَصَابَ مَالًا مِنْ مَأْثَمٍ فَوَصَلَ بِهِ رَحِمًا، أَوْ تَصَدَّقَ بِهِ، أَوْ
أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ، جُمِعَ ذٰلِكَ جَمِيعًا، ثُمَّ قُذِفَ بِهِ فِي النَّارِ

“Haram mal kazanıp da onunla sıla-ı rahim yapan, tasadduk eden veyâ Allah uğrunda infak eden kimsenin, bütün bu yaptıklarını Allahü Teâlâ bir araya toplar ve kendisini ateşe atar.”[12] Çünkü haram maldan hayır beklenmez.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

[9] Ebû Mansûr Deylemî **“Müsned-i Firdevs”**inde İbn Ömer (r.a.)den rivâyet etmiştir.

[10] Ebû Mansûr Deylemî, Enes (r.a.)den başka ifâde ile rivâyet etti.

[11] Taberânî **“Evsat”**ında İbn Abbâs (r.a.)dan rivâyet etmiştir.

[12] Ebû Dâvûd **“Merâsil”**inde Kasım’dan mürsel olarak rivâyet etmiştir.

خَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ

"Dîninizin en hayırlı tarafı, verâ (şüpheli şeylerden kaçınmak) *dır."*[13] buyurmuştur. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنْ لَقِىَ اللّٰهَ وَرِعًا أَعْطَاهُ اللّٰهُ ثَوَابَ الْإِسْلَامِ كُلِّهِ

"Şüpheli şeylerden kaçınarak Allah'a kavuşan kimseye, Allahü Teâlâ bütün Müslümanların sevâbı kadar mükâfat verir."[14] buyurmuştur.

Rivâyete göre bâzı ilâhî kitaplarda Allahü Teâlâ:

"Şüpheli şeylerden sakınanları hesâba çekmekten hayâ ederim." buyurmuştur. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

دِرْهَمٌ مِنْ رِبًا أَشَدُّ عِنْدَ اللّٰهِ مِنْ ثَلَاثِينَ زَنْيَةً فِي الْإِسْلَامِ

"Allah katında bir dirhem ribâ, otuz zinâdan daha şiddetlidir."[15] buyurmuştur.

Ebû Hüreyre (r.a.) hadîsinde:

اَلْمَعِدَةُ حَوْضُ الْبَدَنِ وَالْعُرُوقُ إِلَيْهَا وَارِدَةٌ، فَإِذَا صَحَّتِ الْمَعِدَةُ
صَدَرَتِ الْعُرُوقُ بِالصِّحَّةِ، وَإِذَا سَقِمَتْ صَدَرَتْ بِالسِّقَمِ

"Mîde, bedenin havzıdır. Bütün damarlar oraya uğrar ve oradan geçerler. Mîde sağlam ise damarlar da sağlam ve sıhhatli

---

[13] İlim bahsinde geçmiştir.

[14] Me'hazı bulunamamıştır.

[15] Ahmed b. Hanbel ve Dârekutnî, Abdullah b. Hanzele'den rivâyet etti. Râvileri sikadandır. Taberânî de **"Sağîr"**inde İbn Abbâs (r.a.)dan rivâyet etmiştir.

olarak oradan geçerler. Mîde çürük ise damarlar da oradan çürük olarak geçerler.”[16] buyurmuştur. Binâda temel ne ise dînde lokma da aynıdır. Temel sağlam olunca üzerinde yükselen bina sağlam olduğu gibi, helâl lokma da dîni ayakta tutar ve yükseltir. Temel çürük olduğu zaman, binâ eğrilip çöktüğü gibi, lokma haram olduğu zaman, dîn de eğrilir ve çöker:

Allahü Teâlâ:

أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلٰى تَقْوٰى مِنَ اللّٰهِ

“Dîn binasının temelini, Allah’tan korkarak atan mı hayırlı, yoksa...” (Tevbe sûresi, 9/109) buyurmuştur. Hadîste:

مَنِ اكْتَسَبَ مَالًا مِنْ حَرَامٍ فَإِنْ تَصَدَّقَ بِهٖ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ، وَإِنْ
تَرَكَهُ وَرَاءَهُ كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ

“Kazancı haram olan kimse; onu tasadduk ederse, sadakası kabul olmaz. Yanında alıkoyarsa, kendisi için cehennem azığı olur.”[17] buyrulmuştur

Helâl kazancın fazîletini açıklamak için yeteri kadar haberleri. **“Kazanç Âdabı Kitâbı”**nda anlatmıştık.

Bu husustaki diğer eserler:

Hz. Ebû Bekir (r.a.) kölesinin getirdiği bir sütten içti ve hemen kölesine dönerek:

- “Bunu nereden aldın?” diye sordu. Köle:

- “Kehânette bulundum, yâni gaybden bâzı haberler verdim de ücret olarak bu sütü aldım." dedi. Bunun üzerine Ebû Bekir (r.a.), içtiği sütü mîdesinden çıkarmak için boğazına parmak saldı ve boğulacak şekilde istifrâ ederek, çıkarmaya çalıştı. Sonra da: "Allahım, mîdemde kalıp damarlarıma karışan kısmından sana sığınırım." dedi. Rivâyete göre, hâdiseyi Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) duyunca: *"Ebû Bekir'in, mîdesine helâl ve temiz olan lokmadan başka bir şey sokmadığını bilmiyor musunuz?"* buyurdu.

---

[16] Taberânî **“Evsat”**ında; Ukaylî **“Zuafâ”**da rivâyet etti.

[17] Ahmed. İbn Mes’ûd (r.a.)den; ayrıca İbn Hibbân da Ebû Hüreyre (r.a.)den rivâyet etmiştir.

Bunun gibi **Hz. Ömer** (r.a.) de, yanlışlıkla sadaka develerinin sütünü içtiği zaman, hemen parmak salarak kusmuş ve sütü çıkarmıştır.

Hz. Âişe (r.a.): "Siz asıl ibâdetten gaflet ediyorsunuz ki, o verâdır. Yani şüpheli şeylerden sakınmaktır." buyurdu.

Abdullah b. Ömer (r.a.): "Namaz kılmaktan yay gibi, oruç tutmaktan çöp gibi olsanız da (zayıf düşseniz bile) haram ve şüpheli şeylerden kaçınmazsanız, Allah o ibâdetleri kabul etmez." demiştir.

İbrâhim b. Edhem (Allah rahmet etsin): "Kemâle erenler, ancak midelerine gireni kontrol etmekle kemâle erebilmişlerdir." dedi. Fudayl: "Mîdesine gireni bilen kimseyi Allah, sıddıklardan yazar. Bunun için yediğin lokmaya dikkat et." demiştir. İbrâhim b. Edhem'e: "Zemzem suyundan niçin içmiyorsun?" diye sorduklarında "Bardağım olsa içerdim." diye cevap vermiştir.

Süfyân-ı Sevrî (r.a.): "Haramdan infâk eden, pisliği sidik ile yıkayan gibidir." buyurdu. "Pis elbise, temiz su ile yıkanıp temizleneceği gibi, günâhlar da helâl maldan infâk ile temizlenir." demiştir.

Yahya b. Muâz: "Tâat bir hazînedir, anahtarı duâ; anahtarın dişleri ise helâl lokmadır" dedi.

Abdullah b. Abbâs (r.a.): “Kursağında haram lokma olan kimsenin ibâdetini Allah kabul etmez.” demiştir.

Sehl-i Tüsterî: “Dört hasleti bir araya toplamayan, îmanın hakikatine eremez: Sünnetlerle beraber farzları edâ, şüpheli şeylerden kaçınmakla helâl lokma, menhiyâtın zâhir ve bâtınından, gizli ve âşikâre olanından sakınmak, ölünceye kadar sabrederek bu hâl üzerine devâm etmektir.” demiştir. Yine Sehl: “Sıddıklar mertebesine yükselmek isteyen, helâl yemeli ve sünnet üzere amel etmelidir.” dedi.

Denildi ki: Kırk gün şüpheli yemek yiyenin kalbi kararır. İşte bu, Allahü Teâlâ’nın:

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلٰى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

“Yok, öyle değil; belki de kazandıkları şeyler yüreklerine pas bağlamıştır.” (Mutaffifin sûresi, 83/14) âyet-i kerîmesinin tevîlidir.

İbn Mübârek: “Benim için şüpheli bir dirhemi iâde etmek, yüzbin, hattâ milyon dirhem sadaka vermekten, daha sevimlidir.” demiştir. Seleften bâzıları: “Kul, yediği bir lokma sebebiyle kalbi döner ve bir daha doğrulmayasıya-dibâğat edilmeyen derinin bozulup dürüldüğü gibi dürülür.” demişlerdir.

Sehl: “Haram lokma yiyenin âzaları -bilsin bilmesin, istesin istemesin- isyân eder. Yediği helâl olan kimsenin de âzaları kendisine itaat eder ve hayırlı işleri yapmaya muvaffak olur.” demiştir. Yine seleften bâzıları: “İnsanoğlu helâlinden yediği ilk lokma sâyesinde geçmiş günâhları bağışlanır. Helâl nafaka temîni için yorulan kimsenin günâhları -güzün dökülen ağaç yaprakları gibi- dökülür.” demişlerdir.

Selefin eserlerinde şöyle rivâyet edilmiştir: Bir kimse vaaz edeceği zaman, âlimler cemâate: "Onun üç hâlini araştırın ve ondan sonra dinleyin." derlerdi. Bunlardan **birincisi;** îtikadına bakın; bid'atlere inanıyorsa şeytanın dili ile konuşur, onu dinlemeyin. **İkincisi;** yediği yemeğe dikkat etmiyorsa, havadan konuşur; onu da dinlemeyin. **Üçüncüsü;** aklına bakın, eğer aklı tam değilse, sözü de doğru değildir; ona da itibâr etmeyin. Çünkü onun bozduğu, düzelttiğinden çok olur." derlerdi.

Hz. Ali (r.a.) ve diğerlerinden gelen meşhûr haberlerde, helâl olan mâlın hesâbı, haram olanın ise azâbı vardır. Başkaları, şüpheli olan mâlın da itabı olduğunu ziyâde etmişlerdir.

Rivâyete göre, sâlihlerden birisi ermişlerden birisine yemek vermek istedi. Fakat ermiş bunu kabul etmedi. Sâlih zât:

- "Niçin yemiyorsun?" diye sebebini sorunca, ermiş:

- "Biz ancak helâl lokma yeriz. Bu sâyede kalbimiz dürüst olur. Hâlimiz değişmez, melekût âlemini keşfeder ve âhiret âlemini müşâhede ederiz. Eğer biz de sizin yediğinizden üç gün yesek, ilm-i yakînden bizde bir şey kalmaz; korku ve müşâhede kalbimizden silinirdi." dedi. Adam:

- "Ben yılın tamamını oruç tutar, her ay otuz hatim yaparım." dedi. Ermiş:

- "Geceleyin içeceğimi gördüğün şerbet, senin bütün ibâdetlerinden, benim için daha makbul ve sevimlidir." dedi. İçtiği şerbet, yaban keçisinin sütü idi.

Ahmed b. Hanbel ile Yahya b. Maîn arasında uzun ve samîmi bir sohbet devâm ederken, Ahmed b. Hanbel birdenbire Yahya b. Maîn'den yüz çevirdi. Sebebi, Yahya b. Maîn: "Kimseden bir şey istemem. Fakat istemeden şeytan da verirse, onu yerim." sözü olmuştur. Bunun üzerine Yahya b. Maîn: "Ben şaka söyledim." diyerek Ahmed b. Hanbel'den özür dilemiştir. Ahmed b. Hanbel: "Dîn ile şaka olmaz. Yemeğin dînden olduğunu bilmiyor musun? Allahü Teâlâ onu sâlih amel üzerine takdim ederek:

كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا

"Helâl ve temiz olandan yeyin ve sâlih amel işleyin." (Mü'minûn sûresi, 23/51) buyurmadı mı?" dedi.

Haberde vârid olduğuna göre, Tevrat'ta şöyle yazar: "Yediği lokmaya aldırış etmeyen kimseyi Allahü Teâlâ, cehennemin hangi kapısından içeri atacağına aldırış etmez." **Hz. Ali** (r.a.) Hz. Osman'ın (r.a.) katlinden sonra ağzını mühürlediği yemekten başkasını yemezdi. Maksadı, bilmeyerek şüpheli bir şeyin yemeğine karışmamasını temîn idi. **Fudayl b. Iyaz**, İbn Mübarek ve İbn Uyeyne Mekke'de Vüheyb b. El-verd'in yanında toplandılar. Bu esnâda yaş hurmadan söz açıldı. Vüheyb: "Evet, en çok sevdiğim bir yemektir. Fakat Mekke hurmalığı Zübeyde ve diğerlerinin bostanları ile karıştığı için, hurma yemiyorum." dedi Bunun üzerine İbn Mübarek: "Bu kadar incelersen ekmek de yememen lâzım." dedi. Vüheyb:

- "Niçin?" diye sordu. İbn Mübarek:

- "Çünkü arâzi, kimsesi kalmayanların tarlaları ile karıştı. Binâenaleyh, bu da aynı o hurma gibi şüpheli oldu." dedi. Bunu duyan Vüheyb fenalık geçirip düştü. Süfyân, İbn Mübârek'e: "Adamı öldürdün." dedi. İbn Mübârek: "Ben bunu kolaylık olsun diye söyledim." dedi. Vüheyb ayılınca: "Artık bundan sonra ekmek yemem." dedi ve yalnız süt içmekle geçinirdi. Bir gün annesi kendisine süt getirdi. Sütün hangi koyundan ve koyunun bedelinin de nereden ödendiğini sordu. Tam içeceği esnâda: "Bu koyun nerede yayıldı?" diye sorunca, annesi cevap vermedi. Çünkü koyun ammeye âit bir yerde yayılıyordu. Bunun üzerine o da sütü içmedi. Annesi: "Oğlum, Allah mağfiret eder." dedi. Vüheyb: "Ben böyle bilerek isyân edip, mağfiret olmamı sevmem." dedi.

Bişr-i Hafî de şüpheli şeylerden son derece sakınan bir zât idi. Ona: "Nereden yersin?" diye sorduklarında: "Sizin yediğinizden. Fakat ağlayarak yiyen gülerek yiyen gibi değildir. El, elden kısa; lokma lokmadan küçüktür." dedi.

İşte onlar, şüpheli şeylerden böyle sakınırlardı.

HELÂL VE HARAMIN ÇEŞİTLERİ

Helâl ve haramın tafsilâtı fıkıh kitaplarındadır. Fetva ile açıklanması mümkün olan muayyen gıda ile geçinen hakikat yolcularının bu tafsilâta ihtiyâcı yoktur. Fakat çeşitli yollardan geçimini sağlayıp müreffeh hayat geçirmek isteyenlerin fıkıh kitaplarında izâh ve şerh edildiği şekilde helâl ve haram ilmine ihtiyaçları vardır. Biz burada "Efrâdını câmi ağyârını mani'" olacak şekilde helâl ve haramın taksimini yapalım.

Mal, ya zâtı bakımından haram olur veyâ vasfı bakımından. Yâni aslî maddesi temiz olur da kazanç bakımından haram olur.

Birinci Kısım

Birinci kısım, yâni zâtı ve maddesi bakımından haram olan şarap, domuz ve benzeri şeylerdir.

Tafsilâtına gelince: Yeryüzünde yenen gıda maddeleri üç kısımdır. Bunlar:

1 - **Madenlerden** olur; tuz, çamur ve benzerleri gibi.

2 - **Bitkilerden.**

3 - **Hayvânattan** olur.

Mâdenler: Yerin parçalarıdır. Yiyene zararı dokunanlardan başka, hiç birini yemek haram değildir. Mâdenlerden yenmesi haram olan, yiyene zararı dokunanlardır. Bunlardan bazısı zehir yerine geçer, yâni yiyeni öldürür. Hattâ ekmek bile zararı dokunsa yenmesi haram olur. Yemesi âdet hâline getirilen toprağın haram olması, insan bünyesine zarar vermesi bakımındandır. Yoksa toprak, yenmemekle beraber" sulu bir yemeğe düşse onu kirletmez.

Bitkiler: Sıhhate, akla ve hayâta zararı dokunmayan hiç bir bitki haram değildir. Aklı izâle edenler; benek otu ve diğer sekir (sarhoşluk) verici afyon gibi bitkilerdir. İnsanı öldüren ise zehirlerdir. Sıhhati bozan, mevsimin ve ihtiyâcının gayrisinde kullanılan ilâçlardır. Bütün bunların haram olmaları, zararlı olmalarına bağlıdır. Yalnız şarabın ve sekir verici her maddenin, sekir vermeyen az miktarı da haramdır. Çünkü bunun haram olması, zâtı ve vasfı bakımındandır. O da, sekir verme hassasının kendisinde bulunmasıdır. Fakat zehir böyle değildir; azlığı veyâ başka maddeye karıştırılması sebebiyle zarar vermeyecek hâle geldiği zaman, yenmesi haram olmaz.

Hayvânat: Bunlar da yenen ve yenmeyen diye ikiye ayrılır. Tafsilâtı **"Yemek Kitâbı"**ndadır. Burada bunların tafsîline girişmek; bilhassa çeşitli kuşlar, kara ve deniz hayvânlarını açıklamak sözü uzatır. Bundan dolayı onları, burada açıklamayacağız. Ancak yenmesi helâl olan; kesmenin, kesecek âletin ve kesilecek yerin şartlarına riâyetle şerîate uygun şekilde kesilenlerdir. Bunlar da **"Sayd, Zebâih"** kitaplarında açıklanmıştır. İslâm'ın emrettiği şekilde kesilmeyen veyâhut kesilmeden ölen hayvanın eti haramdır. Boğazlanmadan yenenler, balık ve çekirgedir. Elma, sirke ve peynir kurdu da bu bükümdedir. Çünkü bunlardan kaçınmak zordur. Fakat bu maddelerden ayrılan kurtlar istiklâl kazandıkları için, sinek, akrep ve pislik böceği hükmündedir. Akan kanı olmayan bâzı canlıların haram olması, insan tabiatının onları kerih görmesindendir. Bâzı tabiatların aldırış etmemeleri nazara alınmaz.

Çünkü ekseriyet pis gördüğü için, o da yenmeyenler meyânına girmiştir. Balgamı ağızda toplayıp yutmak mekruh olduğu gibi, o da mekruhtur. Yoksa kerahet pis olduğu için değildir. Zîra sahih olan, bu gibi hayvanların ölmekle pis olmamalarıdır. Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) yemek kabına düşen sineği yemeğe batırdıktan sonra çıkarıp atmakla emretmiştir. Hâlbuki yemek sıcak olursa orada ölmesi muhakkaktır. Karınca veyâ sinek tencereye düşse yemeği dökmek lâzım değildir; yalnız onlar atılır. Çünkü tabiatın hoşlanmadığı onların kendisidir; atıldıktan sonra mesele kalmaz. Necasetle pişmedikçe düştüğü yeri pisleştirmez. Demek ki kanı olmayan hayvanın pis olması, tabiatın onu kerih görmesindendir. Bunun için deriz ki: İnsanın en küçük bir cüz'ü dahi tencereye düşse, yine tencereyi pisleştirir. Fakat bu, insanın necis olmasından dolayı değildir. Çünkü sahih olan, ölmekle pis olmamasıdır. Yemeği pisleştirmesi, kendisine hürmeten, etinin yenmemesindendir.

Eti yenen hayvanlar usûlüne uygun olarak kesildikleri zaman bile, her cüzleri helâl değildir. Yâni yenmeyen cüzleri vardır: Kanı, pisliği ve pis olmakla hükmedilen parçaları yenmez. Maddelerde, hayvânattan başka pis ve necis olanı yoktur. Yâni bâzı hayvânların tamamı ve bazılarının da bir kısım âzaları pistir.

Bitkilere (nebâtlara) gelince, sarhoşluk veren her nebat haram ve necistir. Sarhoşluk vermediği hâlde yalnız aklı izâle eden nebatlar necis değildir, benek otu gibi. Sarhoşluk veren bitkilerin necis olmaları, -kötü işlere sebep olduklarından- kendilerinden şiddetle men edildiği içindir. Yemeğe, yağa veyâ kaba bir damla veyâ cüzî bir miktar necâset düştüğü zaman, onu yemek haram olur; başka sûretle intifa (faydalanma) câizdir. Meselâ yağı yakmak, gemi sıvamak ve hayvânları yağlamak gibi işlerde kullanılır. Zâtındaki vasıftan dolayı haram olan, bunlardır.

İkinci Kısım

İkinci kısım, malın kendisi temiz olup, haram olması ona mâlik olmak bakımından olur. Bu cihet tafsîle muhtaçtır.

Deriz ki; bir mala sâhip olmak kişinin isteğiyle olduğu gibi, ihtiyarı dışında da olabilir. İhtiyârı dışında olan, miras gibi servettir. İhtiyârı ile mala sâhip olması ya başka birisinden bu malı almakla olur veyâhut malın başka bir sahibi olmamakla olur. Başka bir sahibi olmadan, kendi ihtiyarı ile edindiği servet mâdenler gibi şeylerdir. Başkasından aldığı mala gelince, bu malı ya onun elinden cebren alır veyâ rızâsı ile alır. Cebren alınanlar ya mal sahibinin o maldan salâhiyeti sakıt olur; ganîmet malı gibi. Veyâ alan kimse onu hak etmiş olur. Bunlar, verilmekten imtinâ edilen zekât borçları ve üzerine borç olan nafakalar gibi şeylerdir. Mal sahibinin rızâsı ile kendisinden alınan ya alış-veriş ya nikâh parası veyâ ücret karşılığı yâhut karşılıksız alınır. Bunlar da hîbe, vasıyet gibi mallardır.

Böylece bunlar altı kısım oluyor:

1 - Sahibi olmayan mallar: Mâdenler, boş arâziyi ihyâ ve imar, avlanmak, odun toplamak, sulamak ve ot toplamak yolu ile elde

edilen servettir. Başkasının yerinden alınmamak şartı ile bunlar helâldir.

2 - Mülkiyet hakkını kaybeden ve hürmet edilmeyen kimseden zor ile almak. Bunlar, haraç, ganîmet ve diğer muhârip kâfirlerden alınan mallardır. Beşte birini hükümete vermek ve diğerini hak sâhiplerine âdilâne taksim etmek sûretiyle bu servet de helâldir. Ancak emân ve muahedede bulunan kâfir malı olmamak şarttır. Bu mal, helâl olmaz. Bu şartların tafsilâtı, **"Siyer Kitâbı"**nın haraç, ganîmet ve cizye kısımlarındadır.

3 - Borcunu ödemeyenlerden, hak sâhiplerinin cebren aldığı mallar. İstihkak sebebi tahakkuk ettiği, hakkı kadar aldığı ve kadı, sultan veyâ hak sahibi kimseler haklarını aldıkları zaman, -mal sahibinin rızâsı olmasa da- helâldir. Bunun tafsîlâtı da **"Tefrîku's-Sadakat"**, **"Kitâbü'l-Vakıf"**, **"Kitâbün-Nafakât"** da mevcuttur. Çünkü bu kitaplarda zekât, vakıf ve nafakaya hak kazananların kimler olduğu ele alınmıştır. Tam hakkına riâyet edilirse bu sûretle alınan da helâldir.

4 - Tarafların rızâsı ile karşılıklı olarak alınan maldır. Akit, söz ve ivaz şartlarına riâyet edildiği zaman bu da helâldir. Bunun tafsîlâtı "bey', selem, îcâr, havâle, zaman, karz, şirket, musâkât, şufa, sulh, hul, kitâbet, sudak" ve diğer "muâvaza kitapları"nda mevcuttur.

5 - Mal sahibinin rızâsı ile karşılıksız alınan maldır. Bu da bütün şartlarına riâyet edildiği ve verene veyâ diğerlerine zararı dokunmadığı zaman helâldir. Bunun tafsîlâtı da, "hîbe, vasıyet ve sadaka kitapları"nda mevcuttur.

6 - İhtiyarında olmayarak elde edilen servettir, mîras gibi. Mûris, şu beş yoldan biri ile meşrû bir şekilde bu serveti kazan-

mışsa, bu da helâldir. Bu da mûrisin borcunu ödeyip, vasıyetini infaz ettikten ve varsa zekât, hac ve kefaretini çıkardıktan sonra arta kalanı vârisler arasında adaletle taksîm etmekle olur ki; tafsilâtı, vasıyet ve ferâiz kitâbındadır.

İşte helâl ve haramların hepsi bunlardır. Hülâsaten bunlara işaret ettik. Maksadımız muayyen bir cihetten, nafakasını temîn etmeyip çeşitli gıda maddelerine ve geçim yollarına başvuranların bütün bu cihetleri bilmesi lâzım geldiğini ve hangi yönden nafakasını temîn ediyorsa o hususu bilenlerden sormasını ve körü körüne hemen o işe başlamamasını sağlamaktır. Âlime "Niçin ilmine muhâlefet ettin?" dendiği gibi, câhile de "İlim talebi her Müslüman'a farzdır. Sana dendiği hâlde, niçin cehâlette ısrâr ediyorsun?" denir.

HELÂL VE HARAMIN DERECELERİ

Haramın hepsi pistir. Fakat bâzısı bâzısından daha pistir. Helâlin hepsi temizdir. Fakat bâzısı bâzısından daha temiz ve daha sâfîdir. Tabîbin, "Bütün tatlıların harâret verdiğini fakat birinci derecede şeker, ikinci derecede şerbet, üçüncü derecede pekmez ve dördüncü derecede de bal gelir." dediği gibi haram da pislik, helâl de temizlik bakımından, derecelere ayrılır.-Her ne kadar hasır yoksa da-bizler tabipler gibi takrîben dereceleri dörde bölelim. Hasır yok dedik; çünkü her derece sayısız kısımlara ayrılabilir. Bâzı şekerin, bâzı şekerden daha çok harâret verdiği gibi. Diğer maddelerde de hüküm aynıdır.

Bunun için biz de deriz ki; kaçınmak dört mertebe üzerinedir:

1 - Âdillerin verâı (haramdan kaçınması). Bu verâya riâyet etmeyen, adâletten düşer, günâhkâr ve cehennem azabına dûçâr

olur. Bu da fakîhlerin fetvâlarında haram dedikleri şeylerden kaçınmaktır.

2 - Sâlihlerin verâ ve takvâsıdır. Zâhire binâen müftünün verdiği ruhsat fetvâsına rağmen şüpheli görülen şeylerden kaçınmaktır Zîra umûmiyetle üzerinde şüphe edilmektedir. İşte buna sâlihler verâı denir ve ikinci derecede gelir.

3 - Fetvâ yönünden haram olmamakla beraber, helâl olduğunda da şüphe yok. Fakat harama yol açmak tehlikesi vardır. Yâni hiç bir beis olmayan şeyi beis olur korkusu ile terketmektir. Bu da müttakîlerin verâıdır.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ دَرَجَةَ الْمُتَّقٖينَ حَتّٰى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهٖ مَخَافَةَ
مَا بِهٖ بَأْسٌ

"Kul, tehlikeli şeye düşerim korkusuyla tehlikeli olmayanı terk etmedikçe, müttakîlerden olamaz."[18] buyurmuştur.

4 - Kendisinde bir beis olmadığı gibi, beis olacak bir şeye de yol açmaz. Fakat Allah'a ibâdette, Allah rızâsından ve takvâ niyetinden başka bir şeyi içine alan veyâ kerâheti kolaylaştıracak şeylere ve isyâna ihtimâli bulunan şeyleri yemekten kaçınmak. Bu gibi yemeklerden kaçınmak da sıddıklar verâıdır.

Delîl ve misâlleri ile açıklamasını yapmadan, mücmel olarak helâlin dereceleri bunlardır. Fısk ve fücûru atmak ve âdil olabilmek için, birinci derecede anlattığımız haramdan sakınmak şarttır. Birinci derecedeki haram, pisliği itibâriyle de pek çok derecelere ayrılır. Meselâ Muâtât (alış veriş) ın câiz olmadığı yerlerde muâtât yolu ile alınan, fâsid bir akid de haramdır. Fakat bu, cebren ve gasben alınan gibi değildir. Gasb sûretiyle alınan daha kötüdür. Çünkü bir malı zorla almakta meşrû olan kazanç yolunu terk ile başkasına eziyet vardır. Muâtât yolu ile yapılan alış-verişte eziyet yoktur. Ancak kulluk vazifesini terk etmek vardır. Bunun gibi, şerîatin bâzılarında veîd ve bâzılarında şiddet kullanması ile bilinir. Bu husus, **“Tevbe Kitâbı”**nda küçük günâhlarla büyük günâhların farkını anlatırken açıklanacaktır. Hattâ yoksuldan, sâlih kimseden ve yetimden zulüm ile mal almak; kuvvetliden, zenginden ve fâsıktan zulüm ile mal almaktan daha ağır ve daha kötüdür. Zîra eziyet olunanın hâli ile eziyet dereceleri değişir.

---

[18] Tirmizî, İbn Mâce ve Hakîm, Atiyye bin Urve'den rivâyet etmişlerdir.

Bunlar, habîs ve haramın tafsîlâtında ihmâl edilmeleri uygun olmayan ince noktalardır. Eğer âsîlerin dereceleri ihtilâf etmese, cehennemin derekeleri de ihtilâf etmezdi. Haramda şiddeti doğuran sebepleri bildirdikten sonra, artık bunları sayı ile sıralamak, delîlsiz dâva ve gönül arzusundan başka bir şey değildir. Zarûret karşısında yemeğe mecbûr kaldığımız ölü eti, başkasının hakkı veyâ haram olan avlardan hangisini tercih etmemiz lâzım geleceğindeki hüküm, haram olan şeylerin bâzısı bâzısından daha habîs olduğunu sana gösterecektir. Biz, şimdi bunlardan bir kısmını takdîm edelim.

HARAMDAN KAÇINMA DERECELERİNİN MİSALLERİ

Birinci derece; adâlet verâıdır. Yâni âdil olabilmek için sakınılması zarûrî olan birinci derecedeki haramlar: Şartlarının birini kaybettiği için zikri geçen altı bölümden birine girip de fetvânın haram dediği her şey, mutlak haramdır. Onu irtikâb edene fâsık ve âsî denir. Zâten mutlak haram demekten, bunu kastediyoruz. Bunlar açık ve meydanda olduğu için, misâl ve şâhid istemezler.

İkinci derece; şüpheli şeyler bâbında geleceği gibi, kaçınılması vâcip değil; belki kaçınılması müstehâb olan şeylerdir. Bâzı şüpheli şeyler var ki, onlardan kaçınmak vâcip olduğu için, onlar da haram bölümüne girer. Bir kısmı da kaçınılması mekruh olan şeylerdir. Bunlardan kaçınanlara vesveseli insanlar denir. Sahibinden kaçmış bir hayvanı avlarım korkusu ile avcılıktan çekinenler gibi. Bu ise açık bir vesvesedir. Bâzıları, kaçınması vâcip değil, müstehâbdır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in:

دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلٰى مَا لَا يُرِيبُكَ

"Sana şüphe, kuşku ve ıztırap veren şeyi bırak da kuşku vermeyeni yap."[19] buyurması buna dâirdir. Yine:

كُلْ مَا أَصْمَيْتَ وَدَعْ مَا أَنْمَيْتَ

"Hemen yakaladığın avı ye. Fakat yaraladıktan bir müddet sonra ölü olarak bulduğun avı yeme."[20] hadîsi de buna dâirdir. Buradaki emir ve nehiyler nedb (yapılanın mendub olduğunu bildirmek) içindir. Çünkü yaraladığın ve sonradan ölü olarak bulduğun av, belki başka bir sebepten ölmüştür. Onun için *"Onu yeme."* buyurmuştur. Bizim tercîhimiz, aşağıda açıklayacağımız gibidir ki, haddizâtında haram değildir. Fakat terki sâlihler verâıdır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in: *"Şüphe ettiğin şeyi terk et."* emri tenzîhîdir, tahrîmî değildir. Zîra diğer rivâyetlerde:

كُلْ مِنْهُ وَإِنْ غَابَ عَنْكَ مَا لَمْ تَجِدْ فِيهِ أَثَرًا غَيْرَ سَهْمِكَ

---

19. Neseî ve Tirmizî sahîh olduğunu söyleyerek Hakîm, Hasan b. Ali (r.a.)den rivâyet etmişlerdir.
20. Taberânî **"Evsat"**ında, İbn Abbâs (r.a.)den ve Beyhâki de mevkûf olarak rivâyet etti.

"Kaybolduktan sonra bulduğun zaman, üzerinde senin attığın oktan başka bir ârıza yoksa onu ye."[21] diye vârid olmuştur.

Bunun için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), Adîy b. Hâtem'e[22] avcı köpek hakkında:

وَإِنْ أَكَلَ فَلَا تَأْكُلْ

"Köpek avladığı hayvandan yedi ise ondan yeme."[23] "Çünkü onu kendisi için avladığından korkarım." buyurmuştur. Bu nehiy bu korku sebebiyle olduğu için, tahrîmî değil tenzîhîdir. Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Ebû Sa'lebetü'l-Huşenî'ye:[24]

"Terbiyeli kelbin avladığından ye." buyurdu. Ebû Sa'lebetü'l-Huşenî'nin: "Köpek bu avdan yedi ise de yiyeyim mi?" sorusuna cevaben: *"Yedi ise de sen yine ye."* buyurdu. Adîy'e: *"Yeme."* Sa'lebe'ye: *"Ye."* buyurması, Adîy'in vaziyeti müsait olup verâa dayanabilmesinden, Sa'lebe'nin ise fakir olup bu verâa tahammül edememesi bakımındandır.

Hikâye olunduğuna göre, Tabiînden olan **Muhammed b. Sîrîn** küçük bir şüphe üzerine -ki ulemâ onda bir beis olmadığında ittifak etmişti- dörtbin dirhemi, arkadaşına terk etmiştir. Şüpheli şeylerin derecelerini açıkladığımız zaman, bunların da misâllerini vereceğiz. Şüpheli olduğu hâlde kaçınılması vâcip olmayan her şey işte şu av eti gibidir.

---

[21] Hanefilerde, yaraladığı avı durmadan tâkip ederse, ölü olarak bulsa da ondan yer. Fakat tâkipten vazgeçer, sonra olü olarak bulursa, onu yiyemez.

[22] Meşhur şahabîdir. Arkadaşları irtidâd etmiş iken kendisi İslâmiyette sebat etti. Irak fütûhâtında ve Hz. Ali muharebelerinde bulundu. 120 yaşında iken Hicrî 68 yılında vefât etti.

[23] Ebû Dâvûd, Amr b. Şuayb ve Ebû Sa'lebe'den "sened-i ceyyid" ile Beyhakî de mevkuf olarak rivâyet etti.

[24] İsminde pek çok ihtilâf var. Bir adı Cürsüm'dür. Babasının ismi de ihtilâflı olup adı Nâşir'dir. Huneyn savaşına hazırlık esnasında Müslüman oldu. Rasûl-i Ekrem onu kendi kavmine gönderdi. Şam'da secdede iken 55 Hicrî'de öldü.

Üçüncü derece; müttakîlerin verâıdır. Buna Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in:

لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ دَرَجَةَ الْمُتَّقِينَ حَتّٰى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ مَخَافَةَ
مَا بِهِ بَأْسٌ

"Kul, beis olan şeye düşmek korkusu ile beis olmayan şeyi terk etmedikçe müttakîler derecesine yükselemez."[25] hadîsi şehâdet etmektedir. Hattâ **Hz. Ömer** (r.a.): "Harama düşmemek için, helâlin onda dokuzunu terk ederdik" demiştir. Bunun, İbn Abbâs'dan (r.a.) rivâyet edildiğini söyleyenler de vardır. Ebû'd-Derdâ (r.a.): "Takvânın tamâmı, zerre miktarı şüpheli olan şeylerden sakınmakla mümkündür. Hattâ kendisiyle cehennem arasında perde olması için, haram olur korkusu ile bâzı helâlleri de terketmesi lâzımdır." demiştir. Bunun için bâzı kimseler yüz dirhem alacaklarına karşılık doksan dokuzunu kabul edip birini iade etmişlerdir.

Bâzıları da, aldığını biraz noksânına kabul eder ve verdiğine bir miktar ilâve ederlerdi. Bununla kendilerini cehennem ateşinden korumaya çalışırlardı.

O kapıyı açmakla daha ilerisine gidip, verâın kaybolması tehlikesine binâen, fetvâ bakımından helâl olup, insanların aldırış etmediği bâzı hususlardan kaçınmak da bu mertebededir. Ali b. Muîd'den[26] rivâyet edilen şu vaka, takvânın bu mertebesindendir: Ali, kira ile oturduğu evde yazdığı bir yazıyı kurutmak için evin duvarından bir miktar toprak almayı düşündü. Tam bu sırada: “Başkasının hakkıdır, nasıl alabilirsin?” diye hatırından geçti ise de “Bu kadar topraktan ne çıkar?” diyerek aldığı toprak ile kâğıdını kuruttu. Gece rüyâsında karşısına bir adam dikildi ve “O bir miktar toprağın ne demek olduğunu yarın öğrenirsin.” dedi. Şüphesiz bununla azab olur mânâsı anlaşılmaz. Belki takvâ ve verâda bulunduğu mertebeden düşmüş olur demektir.

---

[25] Hadisi Tirmizî, İbn Mâce ve Hakîm, Atiyye bin Urve'den rivâyet etmişlerdir.

[26] Bağdadlıdır. Nûh'un oğludur. Sikadandır. Mısır'a hicret etti ve Hicrî 250 de orada öldü.

Hz. Ömer’den (r.a.) rivâyet edilen şu vaka da, verâın bu mertebesindendir: Bir defâ **Bahreyn**’den Hz. Ömer’e (r.a.) bir miktar misk gelmişti. Hz. Ömer:

- “Tartmasını becerebilen bir kadın olsa da bunu terâzi ile taksim ederek münâsip olan herkese hissesini versem.” dedi. Hz. Ömer’in zevcesi Atîke:

- “Ben terâzi ile bölmesini güzel beceririm. Ver tartıp böleyim.” dedi. Hz. Ömer sükût etti. Bir müddet sonra tekrar sordu. Atîke de tekrâr etti. Sonra Hz. Ömer (r.a.):

- “Hayır, senin tartıp bölmeni istemiyorum. Çünkü sen tartarken eline ve terâziye bulaştırır, sonra da vücûduna sürersin ve bu suretle hakkından fazlasını almış olursun.” dedi.

Ömer b. Abdülazîz’in huzûrunda âmmeye âit misk tartılırken, herkesten fazla koku almamak için burnunu tıkardı. “Niçin böyle yapıyorsunuz?” diyenlere: “Zâten bundan istifâde, kokusunu almakla olur.” derdi.

Hz. Hasan (r.a.) henüz küçük yaşta olduğu halde sadaka hurmalarından bir tâne eline almıştı. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

كَخْ كَخْ

"Bırak onu, bırak."[27] buyurdular.

Şu da verâın bu mertebesindendir: Zâtın biri ölüm döşeğinde yatan bir adamın yanında bulunuyordu. Adam ölünce bu zât: "Işığı söndürün. Çünkü ışık vereseye intikal etti ve veresenin hakkıdır." dedi. Süleyman Teymî, **Nuaymetü'l-Attâr**'ın şöyle dediğini naklediyor: Hz. Ömer (r.a.), âmmenin malı olan bir miktar kokuyu taksim etmek üzere, hanımı Atîke'ye vermişti. Atîke, benim hissemi verirken ellerine bulaşan kokuyu başörtüsüne sürdü. Eve geldiğinde, Ömer (r.a.) kendisine: "Bu koku nedir?" diye sorup meseleyi öğrenince, kokuyu toprağa sürmekle yok etmiştir. İşte bu, Hz. Ömer'in (r.a.) verâ ve takvâsıdır. Şüphesiz, başörtüsünü yıkayıp kokuyu oradan yok etmekle Müslümanların eline bir şey geçmez. Ancak, daha ilerisine varmamak üzere, hanımına bir ders olmak için böyle yapmıştır.

Ahmed b. Hanbel'in şu beyânâtı da verâın bu nevindendir: Ahmed b. Hanbel'e: "Adam pâdişâh gelecek diye buhurdanlıkla câmii kokutuyor; buna karşı ne yapmalıyız?" diye sormuşlar, Ahmed b. Hanbel: "Buhurdan, ancak kokusu ile istifâde edilir. Koku ise insanın elbisesine de siner. Adamın belki rızâsı var, belki yok. Rızâsı olmazsa, bu harama yaklaşır. Bunun için adamın işi bitinceye kadar câmii terketmek daha uygundur." dedi. Yine Akmed b. Hanbel'e: "Hadîs yazılı kâğıtları yolda bulan bir kimse, bu hadîsleri yazıp aldıktan sonra sahibine teslim etse, olur mu?" diye sormuşlar, Ahmed b. Hanbel: "Müsâade almadan yazıp alamaz." demiştir. Çünkü sahibinin müsâade edip etmeyeceği şüphelidir. Şüpheli olan her şey haram olduğuna göre, bu, birinci dereceye girer.

---

27. Buhârî Ebû Hüreyre (r.a.)den rivâyet etmiştir.

Süs ve zînetten sakınmak da bu nevidendir. Çünkü zînet, her ne kadar mübâh ise de, daha ileri gidilmesinden korkulur. Yine **Ahmed b. Hanbel**'e tüysüz nalin giymekten sorduklarında: "Gerçi ben giymem. Fakat çamurdan korunmak için giyilebilir. Zînet için olursa uygun olmaz." diye cevap vermiştir.

Hz. Ömer'in (r.a.) çok sevdiği bir âilesi vardı. Onun yüzünden iltimâs ile belki haksızlığa düşerim korkusundan, halîfe olduğu zaman bu kadını boşamıştı. Bu da mezkûr takvâ ve verâ nevindendir. Bütün bunlar, kendisinde beis olan bir şeye düşmek korkusu ile "lâ-be's" (Fıkhen mahzurlu olmayan) şeylerden bile kaçınmaktır.

Mübâh olan şeylerin çokları, insanları tehlikeye götürür. Hattâ bekârların çok yemesi ve koku sürünmesi de böyledir. Çünkü çok yemek; şehveti tahrîk eder, şehvet insanı düşünmeye, düşünce bakmaya, bakmak da daha başka şeylere sevk eder. Yine bunun gibi zenginlerin apartmanlarına, süs ve zînetlerine bakmak, haddizâtında mubahtır. Fakat bunlara bakmak hırs ve onda olan gibisinin kendisinde de olmasını istemekle insanı kötülüklere sevkeder ki, bu bakımdan o da mahzurlu olur. Bütün mübâhlarda hüküm böyledir. İhtiyâç ânında muhtaç olduğu miktar ile yetinmez ve kaçınmak sûretiyle gailelerden korunmazsa, sonu tehlikeli olur. Şehvet hissi ile alınan her şey bunun gibidir. **Ahmed b. Hanbel**, köşeleri sıvamayı bile uygun bulmamıştır. Taban kısmını sıvamakta, topraktan korunmak gibi bir fayda var. Fakat duvarı sıvamakta süsten başka bir fayda yok, demiştir. Hattâ câmileri sıvayıp süslemeyi de kabul etmemişti. Bu görüşüne Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz'in:

لَاعَرِيشَ كَعَرِيشِ مُوسٰى وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ مِثْلُ الْكُحْلِ يُطْلٰى بِهٖ

"Musa'nın gölgeliği gibi gölgelik olmaz. Yani en güzel gölgelik Musa'nın gölgeliğidir. O da çerçöpten yapılmıştı; el tavanına değer bir kulübecikten ibaret idi. Sürme gibi hafif sıvamıştı."[28] hadisi ile delîl çekti. Mescid-i Nebevî'nin sıvanması istendiği zaman, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), bu beyânâtı ile onu men etmiştir. Selef, ince kumaştan elbiseyi de hoş görmemişlerdir: "Elbisesi incelenin, dîni de incelir." demişlerdir. Bütün bunlar, daha ilerisine gidilmesinden korkulduğu içindir. Çünkü insan nefsi mübâh şeyler ile şüpheli şeylere aynı şekilde heves eder. Şehvet, müsamaha ile karşılaşınca, ileri doğru gider. Onun için takvâ korkusu bütün bunlardan çekinmeyi iktizâ etmiştir. Bu gibi ihtilaflı şeylerden âzâde olan her helâl, üçüncü derecede temiz olan helâllerdendir. O da, masiyete götürmeyen helâldir.

4 - Dördüncü derece; sıddıkların verâıdır. Sıddıklara göre helâl, sebeplerinde masiyet olmayan, kendisiyle isyân yapılmayan, şimdi veyâ gelecekte kendisiyle nefsânî arzuları tatmin etmek kastedilmeyen; yalnız Allah rızâsı, ibâdete kuvvet olmak ve bunlar için hayâtı devam ettirmek maksadıyla temîn edilen maldır. Bunlar, Allahü Teâlâ'nın:

قُلِ اللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ

"Allah de. Sonra onları kendi bataklıklarında bırak, oynasınlar." (En'âm sûresi, 6/91) âyet-i celîlesine uyarak, Allah için olmayan her şeyi haram tanımışlardır. Bu mertebe, kendi nefsânî arzularından sıyrılarak, tamamen Allahü Teâlâ'ya bağlanan muvahhidler rutbesidir. Şüphe yok ki, masiyete ulaştıracak olan şeyden kaçınan, masiyet ile kazanılacak olan şeyden de kaçınmış olur.

---

[28] Dârekutnî, **"İfrad"**ında Ebû'd-Derdâ'dan (r.a.) rivâyet etli. Diğer rivâyet yolları da vardır.

Yahya b. Kesîr'den[29] rivâyet edilen şu hikâye, bu dördüncü mertebedendir: Yahya b. Kesir, bir gün müshil almıştı. Hanımı: "Bu müshilin daha iyi tesîr etmesi için evde biraz gezinmen lâzım." deyince Yahya: "Otuz senedir ben hesapsız adım atmış değilim. Bu gezintimin dînî bakımdan bir ehemmiyeti olmadığı için, ben boşa adım atmam" dedi. **Seriyyü's-Sakatî**: "Bir gün dağ başına çıktım. Orada bâzı kurumuş bitkilerden yedim ve akan sulardan içtim. Kendi kendime, "Bundan daha helâl yemek olmaz." dedim. Tam bu sırada başka bir ses duydum: "Bu dağa çıkabilecek kudret ve kuvveti sana veren kimdir?" diyordu. Bu sesi duyunca, söylediğime pişmân oldum." demiştir.

Zünnûn-ı Mısrî'den rivâyet edilen şu hikâye de bu kısımdandır: Bâzı âlimlerce verilen bir fetvâ sebebiyle tevkif edilen Zünnûn-ı Mısrî, günlerce aç kalmıştı. Kadının biri gardiyan vasıtasıyla ona bir tabak yemek gönderdi. Zünnûn, yemeği yemedi. Sonra "Zâlim adamın eliyle geldiği için yemedim." diyerek kadından özür diledi. İşte bu, takvânın ve şüpheli şeylerden kaçınmanın son haddidir.

Bişr-i Hâfî'nin, emirler tarafından açılan kanallardan su içmemesi de yine bundandır. Her ne kadar aslında su temiz ise de haram paradan verilen ücret ile su yolu açıldığı için, içmesinden çekinirdi. Hattâ bâzıları, (yine Bişr-i Hâfî'dir) aslında helâl olduğu hâlde, bu yolda bulunan bağların üzümünden yemezdi. Hâlbuki bu, o suyu içmekten de çok daha ehvendir. Yine bâzıları hac yolunda zâlimler tarafından hazırlanan kaplar içinde bulunan sulardan içmezlerdi.

---

[29] Aslen Nisâburludur. Ahmed b. Hanbel: "Horasan, İbn Mübârek'den sonra Yahya gibisini yetiştirmemiştir. Muhammed b. Eslem Tûsî: Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) i rüyâmda gördüm: "Kimden rivâyet edilen hadisi yazayım?" dedim. Resul i Ekrem: "Yahya'nın rivâyetini yaz." buyurdu." dedi. Yahya, Benî Temîm'den ve sikadandır. İlim, din, fazîlet ve ittika bakımından, zamanının önde gelenlerinden idi. Elbisesini Ahmed b. Hanbel'e vasiyet etmişti. Ahmed, cübbesini kabul etti. "Kâmil bir zât idi." dedi. 142 Hicride doğdu ve 224 de öldü.

Fakat **Zünnûn-ı Misrî**'nin gardiyan eliyle gelen yemekten yememesi, bütün bunların fevkindedir. Çünkü gardiyanın eli haramdır denemez. Fakat kap haramdır denebilir. Gardiyanın kusuru varsa o da haram gıda ile beslenmiş olmasındadır. Böyle bir el ile gelen yemeği kabul etmemenin, verâın son haddi olmasında şüphe yoktur. Haram gıdanın kendisine kuvvet vermesi korkusu ile **Ebû Bekir** (r.a.)'ın içtiği sütü kusması da bundandır. Hâlbuki kusup çıkarması borç değildi.

Mescidde oturup dikiş dikenin aldığı helâl parayı kabul etmemesi de bundandır. **Ahmed b. Hanbel**, mescidde oturup dikiş dikmeyi kerih görürdü. Kendisine, yağmurdan kaçarak mezarların gölgesine sığınıp dikiş dikenlerin aldıkları paradan sorduklarında, "Mezarlar âhiret işi olduğu için orada oturulması mekruhtur." dedi. Yine malını şüpheli gördüğü bir adamın ateşi ile yakılan lambasını söndürmüş ve tandırda şüpheli para ile alınmış bir odun bulunduğu için ekmeğini orada pişirmekten kaçınmıştır. Bâzıları da sultanların ışığında ayakkabılarını tâmirden kaçınmışlardır. İşte bunlar, âhiret yolcuları için, verâın ince noktalarıdır.

Bu hususta sözün doğrusu şudur: Verâın başlangıç ve son haddi vardır. Verâın başlangıcı, fetvânın haram dediği şeylerden kaçınmaktır. Buna adalet verâı denir. Verâın son haddi de, Allah için olmayıp, şehvet hissi ile aldığı yâhut bir kerâhet ile elde ettiği veyâ onun sebebiyle kerahete düştüğü şeylerden kaçınmaktır. Buna da sıddıklar verâı denir. Bu ikisinin arasında ihtiyâtî dereceler vardır. Kişi dünyada ne kadar titiz davranırsa, âhirette o nisbette hafifler, sevâbı ağır gelir ve sırât köprüsünü kolaylıkla geçer. Harâmı ve kötülüğü irtikâb nisbetinde cehennemin derekeleri ayrıldığı gibi, haram ve şüphelilerden kaçınmak nisbetinde cennetteki dereceleri de fark eder. Gerçeğin bu olduğunu bildikten sonra, muhayyersin; istersen son derece ihtiyâtlı davran ve istersen müsâmahalı ol. İyi bil ki, ihtiyatlı davranman lehinde, müsâmahalı davranman aleyhindedir.

البابُ الثَّاني

في مراتب الشّبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « الحلالُ بيِّنٌ ، والحرامُ بيِّنٌ ، وبينَهُما أمورٌ مشتبهاتٌ ، لا يعلمُها كثيرٌ مِنَ الناسِ ، فمَنِ اتقى الشبهاتِ . . فقدِ استبرأَ لعرضِهِ ودينِهِ ، ومَنْ وقعَ في الشبهاتِ . . واقعَ الحرامَ ؛ كالراعي حولَ الحمىٰ ، يوشكُ أنْ يقعَ فيهِ »(١) .

فهٰذا الحديثُ نصٌّ في إثباتِ الأقسامِ الثلاثةِ ، والمشكلُ منها القسمُ المتوسِّطُ الذي لا يعرفُهُ كثيرٌ مِنَ الناسِ ، وهوَ **الشبهةُ** ، فلا بدَّ مِنْ بيانِها ، وكشفِ الغطاءِ عنها ؛ فإنَّ ما لا يعرفُهُ الكثيرُ قدْ يعرفُهُ القليلُ ، فنقولُ :

الحلالُ المطلقُ : هوَ الذي انحلَّ عنْ ذاتِهِ الصفاتُ الموجبةُ للتحريمِ في عينِهِ ، وانحلَّ عنْ أسبابِهِ ما تطرَّقَ إليهِ تحريمٌ أوْ كراهيةٌ .

ومثالُهُ : الماءُ الذي يأخذُهُ الإنسانُ مِنَ المطرِ قبلَ أنْ يقعَ علىٰ ملكِ أحدٍ ، ويكونُ واقفاً عندَ أخذِهِ وجمعِهِ مِنَ الهواءِ في ملكِ نفسِهِ أوْ في أرضٍ مباحةٍ .

والحرامُ المحضُ : هوَ ما فيهِ صفةٌ محرِّمةٌ لا يُشكُّ فيها ؛ كالشدَّةِ

---

(١) رواه البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) .

المطربةِ في الخمرِ ، والنجاسةِ في البولِ ، أوْ حصلَ بسببٍ منهيٍّ عنهُ قطعاً ؛ كالمحصَّلِ بالظلمِ والربا ونظائرِهِ .

فهـٰذانِ طرفانِ ظاهرانِ .

* * *

ويلتحقُ بالطرفينِ ما تُحقِّقَ أمرُهُ ولكنِ احتُملَ تغيُّرُهُ ، ولمْ يكنْ لذلكَ الاحتمالِ سببٌ يدلُّ عليهِ : فإنَّ صيدَ البرِّ والبحرِ حلالٌ ، ومَنْ أخذَ ظبيةً فيُحتملُ أنْ يكونَ قدْ ملكَها صيَّادٌ ثمَّ أفلتَتْ منهُ ، وكذلكَ السمكُ يحتملُ أنْ يكونَ قدْ تزلَّقَ مِنَ الصيَّادِ بعدَ وقوعِهِ في يدِهِ وخريطتِهِ(١) ، فمثلُ هـٰذا الاحتمالِ لا يتطرَّقُ إلىٰ ماءِ المطرِ المختطفِ مِنَ الهواءِ ، ولكنَّهُ في معنىٰ ماءِ المطرِ ، والاحترازُ منهُ وسواسٌ ، **فلنسمِّ هـٰذا الفنَّ ورعَ الموسْوِسينَ** ؛ حتَّىٰ تلتحقَ بهِ أمثالُهُ ، وذلكَ لأنَّ هـٰذا وهمٌ مجرَّدٌ لا دلالةَ عليهِ .

نعمْ ، لوْ دلَّ عليهِ دليلٌ ، فإنْ كانَ قاطعاً ؛ كما لوْ وجدَ حلقةً في أُذنِ السمكِ ، أوْ كانَ محتملاً ؛ كما لو وجدَ على الظبيةِ جراحةً يُحتملُ أنْ يكونَ كيّاً لا يقدرُ عليهِ إلا بعدَ الضبطِ ، ويُحتملُ أنْ يكونَ جرحاً . . فهـٰذا موضعُ الورعِ ، وإذا انتفتِ الدلالةُ مِنْ كلِّ وجهٍ . . فالاحتمالُ المعدومُ دلالتُهُ كالاحتمالِ المعدومِ في نفسِهِ ، ومِنْ هـٰذا الجنسِ مَنْ يستعيرُ داراً ، فيغيبُ

---

(١) وهي الكيس الذي يجمع فيه ما صاده . « إتحاف » (٦/ ٣٣) ، وهي لفظة فارسية أيضاً ، معناها القربة أو الحقيبة .

عنهُ المعيرُ ، فيخرجُ ويقولُ : لعلَّهُ ماتَ وصارَ الحقُّ للوارثِ ، فهـٰذا وسواسٌ إذا لمْ يدلَّ علىٰ موتِهِ سببٌ قاطعٌ أوْ مشكِّكٌ ؛ إذِ الشبهةُ المحذورةُ ما تنشأُ مِنَ الشكِّ .

والشكُّ : عبارةٌ عنِ اعتقادينِ متقابلينِ نشأَا عنْ سببينِ ، فما لا سببَ لهُ لا يثبتُ عقدُهُ في النفسِ حتَّىٰ يساويَ العقدَ المقابلَ لهُ ، فيصيرَ شكّاً ، ولهـٰذا نقولُ : مَنْ شكَّ أنَّهُ صلَّىٰ ثلاثاً أوْ أربعاً . . أخذَ بالثلاثِ ؛ إذِ الأصلُ عدمُ الزيادةِ ، ولوْ سُئِلَ إنسانٌ أنَّ صلاةَ الظهرِ التي أدَّاها قبلَ هـٰذا بعشرِ سنينَ كانتْ أربعاً أوْ ثلاثاً . . لمْ يتحقَّقْ قطعاً أنَّها أربعٌ ، وإذا لمْ يقطعْ . . جُوِّزَ أنْ تكونَ ثلاثاً ، وهـٰذا التجويزُ لا يكونُ شَكّاً ؛ إذْ لمْ يحضرْهُ سببٌ أوجبَ اعتقادَ كونِها ثلاثاً .

فلتفهَمْ حقيقةَ الشكِّ ؛ حتَّىٰ لا يشتبهَ بالوهمِ والتجويزِ بغيرِ سببٍ ، **فهـٰذا يلتحق بالحلالِ المطلقِ .**

ويلتحقُ بالحرامِ المحضِ ما تُحقِّقَ تحريمُهُ وإنْ أمكنَ طريانُ محلِّلٍ ، ولكنْ لمْ يدلَّ عليهِ سببٌ ؛ كمَنْ في يدِهِ طعامٌ لمورِّثِهِ الذي لا وارثَ لهُ سواهُ ، فغابَ عنهُ ، فقالَ : يُحتملُ أنَّهُ ماتَ ، وقدِ انتقلَ الملكُ إليَّ فآكُلُهُ ، فإقدامُهُ عليهِ إقدامٌ علىٰ حرامٍ محضٍ ؛ لأنَّهُ احتمالٌ لا مستندَ لهُ ، فلا ينبغي أنْ يُعدَّ هـٰذا النمطُ مِنْ أقسامِ الشبهاتِ ، وإنَّما الشبهةُ نعني بها : ما اشتبَهَ علينا أمرُهُ ؛ بأنْ تعارضَ لنا فيهِ اعتقادانِ صدرا عنْ سببينِ مقتضيينِ للاعتقادينِ .

* * *

ومثاراتُ الشبهةِ أربعةٌ :

المثار الأوّل : الشكّ في السّبب المحلّل والمحرّم

وذلكَ لا يخلو : إمَّا أنْ يكونَ متعادلاً ، أوْ غلبَ أحدُ الاحتمالينِ ؛ فإنْ تعادلَ الاحتمالانِ . . كانَ الحكمُ لما عُرفَ قبلَهُ ، فيُستصحبُ ولا يُتركُ بالشكِّ ، وإنْ غلبَ أحدُ الاحتمالينِ عليهِ فصدرَ عنْ دلالةٍ معتبرةٍ . . كانَ الحكمُ للغالبِ .

ولا يُتبيَّنُ هـٰذا إلا بالأمثالِ والشواهدِ ، **فلنقسِّمْهُ إلىٰ أقسامٍ أربعةٍ :**

القسمُ الأوَّلُ : أنْ يكونَ التحريمُ معلوماً مِنْ قبلُ ، ثمَّ يقعُ الشكُّ في المحلِّلِ ، فهـٰذهِ شبهةٌ يجبُ اجتنابُها ، ويحرمُ الإقدامُ عليها .

مثالُهُ : أنْ يرميَ إلىٰ صيدٍ فيجرحَهُ ، ويقعَ في الماءِ ، فيصادفَهُ ميتاً ، ولا يدري أنَّهُ ماتَ بالغرقِ أوْ بالجرحِ ؛ **فهـٰذا حرامٌ ؛ لأنَّ الأصلَ التحريمُ** ، إلا إذا ماتَ بطريقٍ معيَّنٍ ، وقدْ وقعَ الشكُّ في الطريقِ المعيَّنِ ، **فلا يُتركُ اليقينُ بالشكِّ** ؛ كما في الأحداثِ والنجاساتِ وركعاتِ الصلاةِ وغيرِها .

وعلىٰ هـٰذا يُنزَّلُ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لعديِّ بنِ حاتمٍ : « لا تأكلْهُ ؛ فلعلَّهُ قتلَهُ غيرُ كلبِكَ »(١) .

ولذلكَ كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا أُتِيَ بشيءٍ اشتبهَ عليهِ أنَّهُ صدقةٌ أوْ

---

(١) رواه البخاري (١٧٥) ، ومسلم (٣/١٩٢٩) .

هديةٌ . . سألَ عنهُ حتَّىٰ يعلمَ أيُّهما هوَ[1] .

ورُوِيَ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أرقَ ليلةً ، فقالَ لهُ بعضُ نسائِهِ : أرقتَ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « أجلْ ، وجدتُ تمرةً ، فخشيتُ أنْ تكونَ مِنَ الصدقةِ » ، وفي روايةٍ : « فأكلتُها ، فخشيتُ أنْ تكونَ منَ الصدقةِ »[2] .

ومِنْ ذلكَ : ما رُوِيَ عنْ بعضِهِمْ أنَّهُ قالَ : كنَّا في سفرٍ معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأصابنا الجوعُ ، فنزلنا منزلاً كثيرَ الضِّبابِ ، فبينا القدورُ تغلي بها إذْ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أمَّةٌ مُسِخَتْ مِنْ بني إسرائيلَ ، فأخافُ أنْ تكونَ هـٰذهِ » ، فأكفأنا القدورَ[3] .

ثمَّ أعلمَهُ اللهُ بعدَ ذلكَ أنَّهُ لمْ يمسخِ اللهُ خلقاً فجعلَ لهُ نسلاً[4] ، وكانَ امتناعُهُ أوَّلاً لأنَّ الأصلَ عدمُ الحلِّ ، وشكَّ في كونِ الذبحِ محلِّلاً .

* * *

القسمُ الثاني : أنْ يعرفَ الحلَّ ويشكَّ في المحرِّمِ ، فالأصلُ الحلُّ ، ولهُ الحكمُ ؛ كما إذا نكحَ رجلانِ امرأتينِ وطارَ طائرٌ ، فقالَ أحدُهما : إنْ كانَ

---

(١) رواه البخاري (٢٥٧٦) ، ومسلم (١٠٧٧) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٢/١٨٣ ، ١٩٣) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٤/١٩٦) ، وابن حبان في « صحيحه » (٥٢٦٦) وفيه : (فأكفأنا وإنا لجياع) ، وقريب منه عند أبي داوود (٣٧٩٥) وزاد مرفوعاً : « وإني لا أدري أيُّ الدواب هي ؟ » .

(٤) فقد روىٰ مسلم (٢٦٦٣) مرفوعاً : « إن الله لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقباً » .

هـٰذا غراباً . . فامرأتي طالقٌ ، وقالَ الآخرُ : إنْ لمْ يكنْ . . فامرأتي طالقٌ ، والتبسَ أمرُ الطائرِ ، فلا يُقضىٰ بالتحريمِ في واحدةٍ منهما ، ولمْ يلزمْهُما اجتنابُهُما ، ولكنَّ الورعَ اجتنابُهُما وتطليقُهُما حتَّىٰ تحلاَّ لسائرِ الأزواجِ ، وقدْ أمرَ مكحولٌ بالاجتنابِ في هـٰذهِ المسألةِ(١) .

وأفتى الشعبيُّ بالاجتنابِ في رجلينِ كانا قدْ تنازعا ، فقالَ أحدُهُما للآخرِ : أنتَ حسودٌ ، فقالَ الآخرُ : أحسدُنا زوجتُهُ طالقٌ ثلاثاً ، فقالَ الآخرُ : نعمْ ، وأشكلَ الأمرُ(٢) .

وهـٰذا إنْ أرادَ بهِ اجتنابَ الورعِ . . فصحيحٌ ، وإنْ أرادَ التحريمَ المحقَّقَ . . فلا وجهَ لهُ ؛ إذْ ثبتَ في المياهِ والنجاساتِ والأحداثِ والصلواتِ أنَّ اليقينَ لا يجبُ تركُهُ بالشكِّ ، وهـٰذا في معناهُ .

* * *

فإنْ قلتَ : وأيُّ مناسبةٍ بينَ هـٰذا وبينَ ذلكَ ؟

فاعلمْ : أنَّهُ لا يحتاجُ إلى المناسبةِ ؛ فإنَّهُ لازمٌ مِنْ غيرِ ذلكَ في بعضِ الصورِ ؛ فإنَّهُ مهما تيقَّنَ طهارةَ الماءِ ثمَّ شكَّ في نجاستِهِ . . جازَ لهُ أنْ يتوضأَ

---

(١) روى ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٩٣٩٥ ، ١٩٣٩٦) الاجتنابَ عن قتادة والشعبي .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٩٣٩٣) وقال : (قد خبتما وخسرتما ، وبانت منكما امرأتاكما) .

بهِ ، فكيفَ لا يجوزُ لهُ أنْ يشربَهُ ؟ وإذا جُوِّزَ الشربُ.. فقدْ سُلِّمَ أنَّ اليقينَ لا يُزالُ بالشكِّ .

إلا أنَّ هـٰهنا دقيقةً ، وهوَ أنَّ وِزانَ الماءِ(١) : أنْ يشكَّ في أنَّهُ طلَّقَ زوجتَهُ أمْ لا ، فيُقالُ : الأصلُ أنَّهُ ما طلَّقَ(٢) ، ووِزانَ مسألةِ الطائرِ : أنْ يتحقَّقَ نجاسةَ أحدِ الإناءينِ ويشتبهَ عينُهُ ، فلا يجوزُ أنْ يستعملَ أحدَهما بغيرِ اجتهادٍ ؛ لأنَّهُ قابلَ يقينَ النجاسةِ بيقينِ الطهارةِ ، فبطلَ الاستصحابُ ، فكذلكَ هـٰهنا قدْ وقعَ الطلاقُ علىٰ إحدى الزوجتينِ قطعاً ، والتبسَ عينُ المطلقةِ بغيرِ المطلقةِ .

فنقولُ : اختلفَ أصحابُ الشافعيِّ في الإناءينِ علىٰ ثلاثةِ أوجهٍ :

فقالَ قومٌ : يستصحبُ بغيرِ اجتهادٍ .

وقالَ قومٌ : بعدَ حصولِ يقينِ النجاسةِ في مقابلةِ يقينِ الطهارةِ يجبُ الاجتنابُ ، ولا يغني الاجتهادُ .

وقالَ المقتصدونَ : يجتهدُ ، وهوَ الصحيحُ .

ولكنْ وِزانُهُ : أنْ تكونَ لهُ زوجتانِ ، فيقولَ : (إنْ كانَ غراباً.. فزينبُ طالقٌ ، وإنْ لمْ يكنْ.. فعمرةُ طالقٌ) ، فلا جرمَ لا يجوزُ لهُ غشيانُهُما بالاستصحابِ ، ولا يجوزُ الاجتهادُ ؛ إذْ لا علامةَ ، ونحرمُهُما عليهِ ؛ لأنَّهُ

---

(١) أي : مثيلة مسألة الماء .

(٢) فلا تأثير للشك هنا . « إتحاف » (٦/ ٣٥) .

لوْ وطئَهُما . . كانَ مقتحماً للحرامِ قطعاً ، وإنْ وطيءَ إحداهُما وقالَ : (أقتصرُ علىٰ هـٰذهِ) . . كانَ متحكِّماً بتعيينِها مِنْ غيرِ ترجيحٍ ، ففي هـٰذا افترقَ حكْمُ شخصٍ واحدٍ وشخصينِ ؛ لأنَّ التحريمَ علىٰ شخصٍ واحدٍ متحقَّقٌ ، بخلافِ الشخصينِ ؛ إذْ كلُّ واحدٍ شكَّ في التحريمِ في حقِّ نفسِهِ .

* * *

فإنْ قِيلَ : فلوْ كانَ الإناءانِ لشخصينِ . . فينبغي أنْ يُستغنىٰ عنِ الاجتهادِ ويتوضَّأَ كلُّ واحدٍ بإنائِهِ ؛ لأنَّهُ تيقَّنَ طهارتَهُ ، وقدْ شكَّ الآنَ فيهِ ؟

فنقولُ : هـٰذا محتملٌ في الفقهِ ، والأرجحُ في الظنِّ المنعُ ، وأنَّ تعدُّدَ الشخصِ هـٰهنا كاتحادِهِ ؛ لأنَّ صحةَ الوضوءِ لا تستدعي مُلْكاً ، بلْ وضوءُ الإنسانِ بماءِ غيرِهِ في رفعِ الحدثِ كوضوئِهِ مِنْ مائِهِ ، فلا يتبيَّنُ لاختلافِ الملكِ واتحادِهِ أثرٌ ، بخلافِ الوطءِ لزوجةِ الغيرِ ؛ فإنَّهُ لا يحلُّ ، ولأنَّ للعلاماتِ مدخلاً في النجاساتِ ، والاجتهادُ فيهِ ممكنٌ ، بخلافِ الطلاقِ⁽¹⁾ ، فوجبَ تقويةُ الاستصحابِ بعلامةٍ ليدفعَ بها قوَّةَ يقينِ النجاسةِ المقابلةَ ليقينِ الطهارةِ .

وأبوابُ الاستصحابِ والترجيحاتِ مِنْ غوامضِ الفقهِ ودقائقِهِ ، وقدِ استقصيناهُ في كتبِ الفقهِ ، ولسنا نقصدُ الآنَ إلا التنبيهَ علىٰ قواعدِها .

* * *

---

(١) فلا مدخل للأمارات فيه ، ولا يفتقر إلى الاجتهاد . « إتحاف » (٦ / ٣٧) .

القسمُ الثالثُ : أنْ يكونَ الأصلُ التحريمَ ، ولكنْ طرأَ ما أوجبَ تحليلَهُ بظنٍّ غالبٍ ، فهوَ مشكوكٌ فيهِ ، والغالبُ حلُّهُ .

فهـٰذا ينظرُ فيهِ ؛ فإنِ استندَ غلبةُ الظنِّ إلىٰ سببٍ معتبرٍ شرعاً . . فالذي نختارُ فيهِ : أنَّهُ يحلُّ ، وأنَّ اجتنابَهُ مِنَ الورعِ .

مثالُهُ : أنْ يرميَ إلىٰ صيدٍ ، فيغيبَ ، ثمَّ يدركَهُ ميتاً وليسَ عليهِ أثرٌ سوىٰ سهمِهِ ، ولكنْ يُحتملُ أنَّهُ ماتَ بسقطةٍ أوْ سببٍ آخرَ ؛ فإنْ ظهرَ عليهِ أثرُ صدمةٍ أوْ جراحةٍ أخرىٰ . . التحقَ بالقسمِ الأوَّلِ^(١) .

وقدِ اختلفَ قولُ الشافعيِّ رحمَهُ اللهُ في هـٰذا القسمِ ، **والمختارُ** : أنَّهُ حلالٌ ؛ لأنَّ الجرحَ سببٌ ظاهرٌ وقدْ تحقَّقَ ، والأصلُ أنَّهُ لمْ يطرأْ غيرُهُ عليهِ ، فطريانُهُ مشكوكٌ فيهِ ، فلا يُدفعُ اليقينُ بالشكِّ .

* * *

فإنْ قيلَ : فقدْ قالَ ابنُ عباسٍ : (كُلْ ما أصميتَ ، ودعْ ما أنميتَ)^(٢) ، وروتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : أنَّ رجلاً أتى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بأرنبٍ ، فقالَ : رميَتي عرفتُ فيها سهمي ، فقالَ : « أصميتَ أوْ أنميتَ ؟ » فقالَ : بلْ أنميتُ ، قالَ : « إنَّ الليلَ خلْقٌ مِنْ

---

(١) وهو أن يكون التحريم معلوماً من قبل ثم يقع الشك في المحلل ، وهو حرام ، والسياق في (ب) : (وإن لم يظهر عليه . . فقد اختلف قول الشافعي . . .) .

(٢) رواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٩/٢٤١) .

خلقِ اللهِ لا يُقدِّرُ قدرَهُ إلا الذي خلقَهُ ، لعلَّهُ أعانَ علىٰ قتلِهِ شيءٌ ؟ »(١) .

وكذلكَ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لعديِّ بنِ حاتمٍ في كلبِهِ المعلَّمِ : « وإنْ أكلَ . . فلا تأكلْ ؛ فإنِّي أخافُ أنْ يكونَ إنَّما أمسكَ علىٰ نفسِهِ »(٢) ، والغالبُ أنَّ الكلبَ المعلَّمَ لا ينسىٰ خُلقَهُ ، ولا يمسكُ إلا علىٰ صاحبِهِ ، ومعَ ذلكَ نهىٰ عنهُ ، وهـٰذا التحقيقُ ؛ وهو أنَّ الحلَّ إنَّما يتحقَّقُ إذا تحقَّقَ تمامُ السببِ ، وتمامُ السببِ بأنْ يفضيَ إلى الموتِ سليماً مِنْ طريانِ غيرِهِ عليهِ ، وقدْ شُكَّ فيهِ ، فهوَ شكٌّ في تمامِ السببِ ، حتَّى اشتُبهَ أنَّ موتَهُ على الحلِّ أوْ على الحرمةِ ، فلا يكونُ هـٰذا في معنىٰ ما تُحقِّقَ موتُهُ على الحلِّ في ساعةٍ ، ثمَّ شُكَّ فيما يطرأُ عليهِ ؟

فالجوابُ : أنَّ نهيَ ابنِ عباسٍ ونهيَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ محمولٌ على الورعِ والتنزيهِ ؛ بدليلِ ما رُويَ في بعضِ الرواياتِ أنَّهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ قالَ : « كُلْ منهُ وإنْ غابَ عنكَ ما لمْ تجدْ فيهِ أثراً غيرَ سهمِكَ »(٣) ، وهـٰذا تنبيهٌ على المعنى الذي ذكرناهُ ، وهوَ أنَّهُ إنْ وجدَ أثراً آخرَ . . فقدْ تعارضَ السببانِ فتعارضَ الظنُّ ، وإنْ لمْ يجدْ سوىٰ جرحِهِ . .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٠٠٣٣) بلفظ المصنف وزاد : « انبذها » ، وبنحوه عند أبي داوود في « المراسيل » (٣٧٤) ، وهو عندهما من حديث موسى بن أبي عائشة عن أبي رزين مرسلاً ، لا من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٢) رواه البخاري (٥٤٨٧) ، ومسلم (١٩٢٩) ، وقد تقدم بعضه .

(٣) رواه البخاري (٥٤٨٥) ، ومسلم (١٩٢٩) .

حصلَ غلبةُ الظنِّ ، فيحكمُ بهِ على الاستصحابِ ؛ كما يحكمُ على الاستصحابِ بخبرِ الواحدِ ، والقياسِ المظنونِ والعموماتِ المظنونةِ وغيرِها .

وأمَّا قولُ القائلِ : إنَّهُ لمْ يُتحقَّقْ موتُهُ على الحلِّ في ساعةٍ ، فيكونَ شكّاً في السببِ . . فليسَ كذلكَ ، بلِ السببُ قدْ تحقَّقَ ؛ إذِ الجرحُ سببُ الموتِ ، وطريانُ الغيرِ شكٌّ فيهِ .

ويدلُّ علىٰ صحَّةِ هـٰذا الإجماعُ علىٰ أنَّ مَنْ جُرِحَ وغابَ ، فوُجدَ ميتاً . . فيجبُ القصاصُ علىٰ جارحِهِ ، بلْ إنْ لمْ يغبْ . . يُحتملُ أنْ يكونَ موتُهُ بهيجانِ خلطٍ في باطنِهِ ؛ كما يموتُ الإنسانُ فجأةً ، فينبغي ألا يجبَ القصاصُ إلا بحزِّ الرقبةِ والجرحِ المدفِّفِ[1] ؛ لأنَّ العللَ القاتلةَ في الباطنِ لا تُؤمنُ ، ولأجلِها يموتُ الصحيحُ فجأةً ، **ولا قائلَ بذلكَ** ، معَ أنَّ القصاصَ مبناهُ على الشبهةِ ، وكذلكَ جنينُ المذكَّىٰ حلالٌ ، ولعلَّه ماتَ قبلَ ذبحِ الأصلِ ، لا بسببِ ذبحِهِ ، أو لمْ يُنفخْ فيهِ الروحُ ، وغرَّةُ الجنينِ تجبُ ، ولعلَّ الروحَ لمْ يُنفخْ فيهِ ، أوْ كانَ قدْ ماتَ قبلَ الجنايةِ بسببٍ آخرَ ، **ولكنْ يُبنىٰ على الأسبابِ الظاهرةِ ؛ فإنَّ الاحتمالَ الآخرَ إذا لمْ يستندْ إلىٰ دلالةٍ تدلُّ عليهِ . . التحقَ بالوهمِ والوسواسِ كما ذكرناهُ** ، فكذلكَ هـٰذا .

وأمَّا قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أخافُ أنْ يكونَ إنَّما أمسكَ علىٰ نفسِهِ » . . فللشافعيِّ رحمهُ اللهُ في هـٰذهِ الصورةِ قولانِ ، والذي نختارُهُ

---

[1] دَفَّف ـ وكذا ذفَّف بالمعجمة ـ : أجهز على الجريح فقتله ؛ أي : الإسراع في موته .

الحكمُ بالتحريمِ ؛ لأنَّ السببَ قدْ تعارضَ ؛ إذِ الكلبُ المعلَّمُ كالآلةِ والوكيلِ ، يمسكُ علىٰ صاحبِهِ فيحلُّ ، ولوِ استرسلَ المعلَّمُ بنفسِهِ ، فأخذَ . . لمْ يحلَّ ؛ لأنَّهُ يُتصوَّرُ منهُ أنْ يصطادَ لنفسِهِ ، ومهما انبعثَ بإشارتِهِ ثمَّ أكلَ . . دلَّ ابتداءُ انبعاثِهِ علىٰ أنَّهُ نازلٌ منزلةَ آلتِهِ ، وأنَّهُ يسعىٰ في وكالتِهِ ونيابتِهِ ، ودلَّ أكلُهُ آخراً علىٰ أنَّهُ أمسكَ لنفسِهِ لا لصاحبِهِ ، فقدْ تعارضَ السببُ الدالُّ ، فيتعارضُ الاحتمالُ ، والأصلُ التحريمُ ؛ فيستصحبُ ، ولا يزالُ بالشكِّ .

وهوَ كما لو وكَّلَ رجلاً بأنْ يشتريَ لهُ جاريةً ، فاشترىٰ جاريةً ، وماتَ قبلَ أنْ يبيِّنَ أنَّهُ اشتراها لنفسِهِ أوْ لموكِّلِهِ . . لمْ يحلَّ للموكِّلِ وطؤُها ؛ لأنَّ للوكيلِ قدرةً على الشراءِ لنفسِهِ ولموكِّلِهِ جميعاً ، ولا دليلَ يرجِّحُ ، والأصلُ التحريمُ ، فهـٰذا يلتحقُ بالقسمِ الأوَّلِ ، لا بالقسمِ الثالثِ .

* * *

القسمُ الرابعُ: أنْ يكونَ الحلُّ معلوماً، ولكنْ يغلبُ على الظنِّ طريانُ محرِّمٍ بسببٍ معتبرٍ في غلبةِ الظنِّ شرعاً؛ فيُرفعُ الاستصحابُ، ويُقضىٰ بالتحريمِ؛ إذْ بانَ لنا أنَّ الاستصحابَ ضعيفٌ، ولا يبقىٰ لهُ حكمٌ معَ غالبِ الظنِّ.

ومثالُهُ : أنْ يؤدِّيَ اجتهادُهُ إلىٰ نجاسةِ أحدِ الإناءينِ بالاعتمادِ علىٰ علامةٍ معيَّنةٍ توجبُ غلبةَ الظنِّ ، فتوجبُ تحريمَ شربِهِ ؛ كما أوجبَتْ منعَ الوضوءِ بهِ .

وكذا إذا قالَ : (إنْ قتلَ زيدٌ عمراً ، أوْ قتلَ زيدٌ صيداً منفرداً بقتلِهِ . . فامرأتي طالقٌ) ، فجرحَهُ وغابَ عنهُ ، فوُجدَ ميتاً . . حرمَتْ زوجتُهُ ؛ لأنَّ الظاهرَ أنَّهُ منفردٌ بقتلِهِ كما سبقَ .

وقد نص الشافعيُّ رحمهُ اللهُ أنَّ مَنْ وجدَ في الغدرانِ ماءً متغيراً احتملَ أنْ يكونَ تغيُّرُهُ بطولِ المكْثِ أوْ بالنجاسةِ . . فيستعملُهُ ، ولوْ رأىٰ ظبيةً بالَتْ فيهِ ، ثمَّ وجدَهُ متغيِّراً ، واحتملَ أنْ يكونَ بالبولِ أوْ بطولِ المكثِ . . لمْ يجزِ استعمالُهُ ؛ إذْ صارَ البولُ المشاهدُ دلالةً مغلِّبَةً لاحتمالِ النجاسةِ⁽¹⁾ .

وهوَ مثالُ ما ذكرناهُ ، وهـٰذا في غلبةِ ظنٍّ استندَ إلىٰ علامةٍ متعلقةٍ بعينِ الشيءِ .

فأمَّا غلبةُ الظنِّ لا مِنْ جهةِ علامةٍ تتعلَّقُ بعينِ الشيءِ . . فقدِ اختلفَ قولُ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ في أنَّ أصلَ الحلِّ : هلْ يزالُ بهِ ؟ إذِ اختلفَ قولُهُ في التوضُّؤِ مِنْ أواني المشركينَ ومدمني الخمرِ ، والصلاةِ في المقابرِ المنبوشةِ ، والصلاةِ معَ طينِ الشوارعِ ؛ أعني : المقدارَ الزائدَ علىٰ ما يتعذَّرُ الاحترازُ عنهُ .

وعبَّرَ الأصحابُ عنهُ بأنَّهُ **إذا تعارضَ الأصلُ والغالبُ فأيُّهُما يُعتبَرُ** ؟ وهـٰذا جارٍ في حلِّ الشربِ مِنْ أواني مدمني الخمرِ والمشركينَ ؛ لأنَّ النجسَ لا يحلُّ شربُهُ ، فإذاً مأخذُ النجاسةِ والحلِّ واحدٌ ، فالتردُّدُ في أحدِهِما

---

(١) الأم (١/ ٣٣) .

يوجبُ التردُّدَ في الآخرِ ، **والذي أختارُهُ** : أنَّ الأصلَ هوَ المعتبرُ ، وأنَّ العلامةَ إذا لمْ تتعلَّقْ بعينِ المتناولِ . . لمْ توجبْ رفعَ الأصلِ ، وسيأتي بيانُ ذلكَ وبرهانُهُ في المثارِ الثاني للشبهةِ ، وهيَ شبهةُ الخلطِ .

فقدِ اتضحَ مِنْ هـٰذا : حكْمُ حلالٍ شكَّ في طريانِ محرِّمٍ عليهِ أوْ ظنَّ ، وحكْمُ حرامٍ شكَّ في طريانِ محلِّلٍ عليهِ أوْ ظنَّ ، وبانَ فرقٌ بينَ ظنٍّ يستندُ إلىٰ علامةٍ في عينِ الشيءِ ، وبينَ ما لا يستندُ إليهِ .

وكلُّ ما حكمْنا في هـٰذهِ الأقسامِ الأربعةِ بحلِّهِ . . فهوَ حلالٌ في الدرجةِ الأولىٰ ، والاحتياطُ تركُهُ ، فالمقدِمُ عليهِ لا يكونُ مِنْ زمرةِ المتقينَ والصالحينَ ، بلْ مِنْ زمرةِ العدولِ الذينَ لا يُقضىٰ في فتوى الشرعِ بفسقِهِمْ وعصيانِهِمْ واستحقاقِهِمُ العقوبةَ ، إلا ما ألحقناهُ برتبةِ الوسواسِ ؛ فإنَّ الاحترازَ عنهُ ليسَ مِنَ الورعِ أصلاً .

* * *

المثار الثّاني للشّبهة : شكٌّ منشؤه الاختلاط

وذلكَ بأنْ يختلطَ الحلالُ بالحرامِ ، ويشتبهَ الأمرُ فلا يتميَّزَ .

والخلطُ لا يخلو : إمَّا أنْ يقعَ بعددٍ لا يُحصرُ مِنَ الجانبينِ أوْ مِنْ أحدِهما ، أوْ بعددٍ محصورٍ .

فإنِ اختلطَ بمحصورٍ . . فلا يخلوُ : إمَّا أنْ يكونَ اختلاطَ امتزاجٍ ؛ بحيثُ لا يتميَّزُ بالإشارةِ ؛ كاختلاطِ المائعاتِ ، أوْ يكونَ اختلاطَ استبهامٍ معَ تميُّزِ الأعيانِ ؛ كاختلاطِ الأعبدِ والدورِ والأفراسِ .

والذي يختلطُ بالاستبهامِ فلا يخلو : أنْ يكونَ ممَّا يُقصدُ عينُهُ ؛ كالعروضِ ، أوْ لا يُقصدُ ؛ كالنقودِ ، فيخرجُ مِنْ هـٰذا التقسيمِ ثلاثةُ أقسامٍ(١) .

القسمُ الأوَّلُ : أنْ تستبهمَ العينُ بعددٍ محصورٍ : كما لوِ اختلطتِ الميتةُ بذكيَّةٍ أوْ بعشرِ ذكيَّاتٍ ، أوْ تختلطُ رضيعةٌ بعشرِ نسوةٍ ، أوْ يتزوَّجُ إحدى الأختينِ ثمَّ تلتبسُ ، **فهـٰذهِ شبهةٌ يجبُ اجتنابُها بالإجماعِ** ؛ لأنَّهُ لا مجالَ للاجتهادِ والعلاماتِ في هـٰذا .

وإذا اختلطَ بعددٍ محصورٍ . . صارتِ الجملةُ كالشيءِ الواحدِ(٢) ، وتقابلَ

---

(١) كذا في (ق) ، وفي (ب) : (. . . من هـٰذا القسمِ أقسامٌ) ، وفي باقي النسخ : (. . . سبعةُ أقسامٍ) ، ولعل المثبت هو الصواب ، والله أعلم .

(٢) أي : للكل حكم الواحد . « إتحاف » (٦ / ٤١) .

فيهِ يقينُ التحريمِ والتحليلِ ، ولا فرقَ في هـٰذا بينَ أنْ يثبتَ حلٌّ فيطرأَ اختلاطٌ بمحرَّمٍ ؛ كما لوْ وقعَ الطلاقُ علىٰ إحدىٰ زوجتيهِ في مسألةِ الطائرِ ، أوْ يختلط قبلَ الاستحلالِ ؛ كما لوِ اختلطَتْ رضيعةٌ بأجنبيةٍ ، فأرادَ استحلالَ واحدةٍ .

وهـٰذا قدْ يُشكلُ في طريانِ التحريمِ ؛ كطلاقِ إحدى الزوجتينِ لما سبقَ مِنَ الاستصحابِ ، وقدْ نبهنا علىٰ وجهِ الجوابِ ، وهوَ أنَّ يقينَ التحريمِ قابلَ يقينَ الحلِّ ، فضعفَ الاستصحابُ ، وجانبُ الخطرِ أغلبُ في نظرِ الشرعِ ؛ فلذلكَ ترجَّحَ .

وهـٰذا إذا اختلطَ حلالٌ محصورٌ بحرامٍ محصورٍ ، فإنِ اختلطَ حلالٌ محصورٌ بحرامٍ غيرِ محصورٍ . . فلا يخفىٰ أنَّ وجوبَ الاجتنابِ أولىٰ .

* * *

القسمُ الثاني : حرامٌ محصورٌ بحلالٍ غيرِ محصورٍ : كما لوِ اختلطتْ رضيعةٌ أوْ عشرُ رضائعَ بنسوةِ بلدٍ كبيرٍ ، فلا يلزمُ بهـٰذا اجتنابُ نكاحِ نساءِ أهلِ البلدِ ، بلْ لهُ أنْ ينكحَ مَنْ شاءَ منهنَّ ، وهـٰذا لا يجوزُ أنْ يعلَّلَ بكثرةِ الحلالِ ؛ إذْ يلزمُ عليهِ أنْ يجوزَ النكاحُ إذا اختلطتْ واحدةٌ حرامٌ بتسعِ حلالٍ ، ولا قائلَ بهِ ، بلِ العلَّةُ الغلبةُ والحاجةُ جميعاً ؛ إذْ كلُّ مَنْ ضاعَ لهُ رضيعٌ أوْ قريبٌ أوْ محرمٌ بمصاهرةٍ أوْ بسببٍ مِنَ الأسبابِ . . فلا يمكنُ أنْ يُسدَّ عليهِ بابُ النكاحِ .

وكذلكَ مَنْ علمَ أنَّ مالَ الدنيا خالطَهُ حرامٌ قطعاً . . لا يلزمُهُ تركُ الشراءِ

والأكلِ ؛ فإنَّ ذلكَ حرجٌ ، وما في الدينِ مِنْ حرجٍ .

ويُعلمُ هـٰذا بأنَّهُ لما سُرقَ في زمانِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِجَنٌّ ، وغلَّ واحدٌ في الغنيمةِ عباءةً[1] . . لمْ يمتنعْ أحدٌ مِنْ شراءِ المجنِّ والعباءةِ في الدنيا ، وكذلكَ كلُّ ما سُرِقَ .

وكذلكَ كانَ يُعرفُ أنَّ في الناسِ منْ يُربي في الدراهمِ والدنانيرِ ، وما تركَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ولا الناسُ الدراهمَ والدنانيرَ بالكليَّةِ .

وبالجملةِ : إنَّما تنفكُّ الدنيا عنِ الحرامِ إذا عُصِمَ الخلقُ كلُّهُمْ عنِ المعاصي ، وهوَ محالٌ ، وإذا لمْ يُشترطْ هـٰذا في الدنيا . . لمْ يُشترطْ أيضاً في بلدٍ ، إلا إذا وقعَ بينَ جماعةٍ محصورينَ ، **بلِ اجتنابُ هـٰذا ورعُ الموسوسينَ** ؛ إذْ لمْ يُنقلْ ذلكَ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ولا عنْ أحدٍ منَ الصحابةِ ، ولا يُتصوَّرُ الوفاءُ بهِ في ملَّةٍ مِنَ المللِ ، ولا في عصرٍ مِنَ الأعصارِ .

* * *

فإنْ قلتَ : فكلُّ عددٍ محصورٌ في علمِ اللهِ سبحانَهُ ، فما حدُّ المحصورِ؟ ولوْ أرادَ الإنسانُ أنْ يحصرَ أهلَ بلدٍ . . لقدرَ عليهِ أيضاً إنْ مُكِّنَ منهُ .

---

[1] سرقة المجن في زمنه صلى الله عليه وسلم عند البخاري (٦٧٩٥) ، ومسلم (١٦٨٦) ، وحديث غل العباءة عند البخاري (٣٠٧٤) .

فاعلمْ : أنَّ تحديدَ أمثالِ هـٰذهِ الأمورِ غيرُ ممكنٍ ، وإنما يُضبطُ بالتقريبِ .

فنقولُ : كلُّ عددٍ لوِ اجتمعَ علىٰ صعيدٍ واحدٍ . . لعسرَ على الناظرِ عدُّهُمْ بمجرَّدِ النظرِ ؛ كالألفِ والألفينِ . . فهوَ غيرُ محصورٍ ، وما سهلَ ؛ كالعشرةِ والعشرينِ . . فهوَ محصورٌ ، وبينَ الطرفينِ أوساطٌ متشابهةٌ تلحقُ بأحدِ الطرفينِ بالظنِّ ، وما وقعَ الشكُّ فيهِ استفتيَ فيهِ القلبُ ؛ فإنَّ الإثمَ حَوَازُّ القلوبِ ، وفي مثلِ هـٰذا المقامِ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لوابصةَ : « استفتِ قلبَكَ وإنْ أفتَوْكَ وأفتَوْكَ وأفتَوْكَ »(١) .

وكذلكَ الأقسامُ الأربعةُ التي ذكرناها في المثارِ الأوَّلِ يقعُ فيها أطرافٌ متقابلةٌ واضحةٌ في النفيِ والإثباتِ ، وأوساطٌ متشابهةٌ ، فالمفتي يفتي بالظنِّ ، وعلى المستفتي أنْ يستفتيَ قلبَهُ ، فإنْ حاكَ في صدرِهِ شيءٌ . . فهوَ الآثمُ بينَهُ وبينَ اللهِ تعالىٰ ، فلا ينجيهِ في الآخرةِ فتوى المفتي ؛ فإنَّهُ يفتي بالظاهرِ ، واللهُ يتولَّى السرائرَ .

* * *

القسمُ الثالثُ : أنْ يختلطَ حرامٌ لا يُحصرُ بحلالٍ لا يُحصرُ ؛ كحكمِ الأموالِ في زمانِنا هـٰذا ، فالذي يأخذُ الأحكامَ مِنَ الصورِ قدْ يظنُّ أنْ نسبةَ غيرِ المحصورِ إلىٰ غيرِ المحصورِ كنسبةِ المحصورِ إلى المحصورِ ، وقدْ

---

(١) رواه أحمد في « مسنده » (٤/ ٢٢٨) .

حكمْنا ثَمَّ بالتحريمِ ، فلنحكمْ هٰهُنا بهِ ! **والذي نختارُهُ خلافُ ذلكَ** ، وهوَ أنَّهُ لا يحرمُ بهٰذا الاختلاطِ أنْ يتناولَ شيئاً بعينِهِ احتُملَ أنَّهُ حرامٌ وأنَّهُ حلالٌ إلا أنْ يقترنَ بتلكَ العينِ علامةٌ تدلُّ علىٰ أنَّهُ مِنَ الحرامِ، فإنْ لمْ يكنْ في العينِ علامةٌ تدلُّ علىٰ أنَّهُ مِنَ الحرامِ . . فتركُهُ ورعٌ ، وأخذُهُ حلالٌ لا يفسقُ بهِ آكلُهُ .

ومِنَ العلاماتِ أنْ يأخذَهُ مِنْ يدِ سلطانٍ ظالمٍ ، إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنَ العلاماتِ التي سيأتي ذكرُها .

ويدلُّ عليهِ الأثرُ والقياسُ :

فأمَّا الأثرُ : فما علمَ في زمنِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ والخلفاءِ الراشدينَ بعدَهُ ، إذْ كانَتْ أثمانُ الخمورِ ودراهمُ الربا مِنْ أيدي أهلِ الذمَّةِ مختلطةً بالأموالِ ، وكذا غلولُ الغنيمةِ .

ومِنَ الوقتِ الذي نهىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنِ الربا إذْ قالَ : « أوَّلُ رباً أضعُهُ ربا العباسِ »[1] ما تركَ الناسُ الربا بأجمعِهِمْ ، كما لمْ يتركوا شربَ الخمورِ وسائرَ المعاصي ، حتَّىٰ رُوِيَ أنَّ بعضَ أصحابِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ باعَ الخمرَ ، فقالَ عمرُ رَضيَ اللهُ عنهُ : (لعنَ اللهُ فلاناً ، هوَ أوَّلُ مَنْ سنَّ بيعَ الخمرِ)[2] ، إذْ لمْ يكنْ قدْ فهمَ أنَّ تحريمَ الخمرِ تحريمٌ لثمنِها .

---

(١) رواه مسلم (١٢١٨) .

(٢) رواه الشافعي في « الأم » (٧/ ٤٤٤) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ فلاناً يجرُّ في النارِ عباءةً قدْ غلَّها »[١] .

وقُتِلَ رجلٌ ، ففتَّشوا متاعَهُ ، فوجدوا فيهِ خرزاتٍ مِنْ خرزِ اليهودِ لا تساوي درهمينِ قدْ غلَّها[٢] .

وكذلكَ أدركَ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الأئمةَ الظلمةَ[٣] ، ولمْ يمتنعْ أحدٌ منهُمْ عنِ الشراءِ في السوقِ بسببِ نهبِ المدينةِ ، وقدْ نهبَها أصحابُ يزيدَ ثلاثةَ أيامٍ[٤] ، وكانَ مَنْ يمتنعُ مِنْ تلكَ الأموالِ مشاراً إليهِ في الورعِ ، والأكثرونَ لمْ يمتنعوا ، معَ الاختلاطِ وكثرةِ الأموالِ المنهوبةِ في أيامِ الظلمةِ .

ومَنْ أوجبَ ما لمْ يوجبْهُ السلفُ الصالحُ ، وزعمَ أنَّهُ تفطَّنَ مِنَ الشرعِ ما لمْ يتفطَّنوا لهُ .. فهوَ موسوسٌ مختلُّ العقلِ ، ولوْ جازَ أنْ يُزادَ عليهِمْ في أمثالِ هٰذا .. لجازَ مخالفتُهُمْ في مسائلَ لا مستندَ فيها سوى اتفاقِهِمْ ؛ كقولِهِمْ : إنَّ الجدَّةَ كالأمِّ في التحريمِ ، وابنَ الابنِ كالابنِ ، وشعرَ الخنزيرِ

---

[١] رواه البخاري (٣٠٧٤) .

[٢] رواه أبو داوود (٢٧١٠) ، والنسائي (٤/ ٦٤) ، وابن ماجه (٢٨٤٨) .

[٣] **فمن الأصحاب** : أبو هريرة ، وأبو سعيد الخدري ، وزيد بن ثابت ، وأبو أيوب الأنصاري ، وجرير بن عبد الله ، وجابر ، وأنس ، والمسور بن مخرمة ، رضي الله تعالىٰ عنهم . **ومن الأئمة الظلمة** : يزيد بن معاوية ، وعبيد الله بن زياد ، ومروان ، ويزيد بن عبد الملك ، والحجاج بن يوسف . انظر « الإتحاف » (٦/ ٤٣) .

[٤] في وقعة الحرَّة التي كان أميرها المسرف مسلم بن عقبة بأمر من يزيد .

وشحمَهُ كاللحمِ المذكورِ تحريمُهُ في القرآنِ ، والربا جارٍ فيما عدا الأشياءَ الستةَ[1] ، وذلكَ محالٌ ؛ فإنَّهُمْ أولىٰ بفهْمِ الشرعِ مِنْ غيرِهِمْ .

وأمَّا القياسُ : فهوَ أنَّهُ لوْ فُتِحَ هٰذا البابُ .. لانسدَّ بابُ جميعِ التصرُّفاتِ ، وخربَ العالمُ ؛ إذِ الفسقُ يغلبُ على الناسِ ، ويتساهلونَ بسببِهِ في شروطِ الشرعِ في العقودِ ، ويؤدي ذلكَ ـ لا محالةَ ـ إلى الاختلاطِ .

* * *

فإنْ قيلَ : فقدْ نقلتُمْ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ امتنعَ مِن أكلِ الضبِّ وقالَ : « أخشىٰ أنْ يكونَ ممَّا مسخَهُ اللهُ »[2] وهوَ في اختلاطٍ غيرِ المحصورِ .

قلنا : يحملُ ذلكَ على الورعِ والتنزُّهِ ، أوْ نقولُ : للضبِّ شكلٌ غريبٌ ، ربَّما يدلُّ علىٰ أنَّهُ مِنَ المسخِ ، فهيَ دلالةٌ في عينِ المتناولِ .

* * *

فإنْ قيلَ : فهٰذا معلومٌ في زمانِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وزمانِ الصحابةِ ؛ بسببِ الربا والسرقةِ والنهبِ وغلولِ الغنيمةِ وغيرِها ، ولكنْ كانتْ هيَ الأقلَّ بالإضافةِ إلى الحلالِ ، فماذا تقولُ في زمانِنا وقدْ صارَ الحرامُ أكثرَ ما في أيدي الناسِ ؛ لفسادِ المعاملاتِ ، وإهمالِ شروطِها ،

---

[1] وهي الذهب والفضة والحنطة والشعير والتمر والملح التي وردت في الحديث .

[2] رواه أحمد في « المسند » (٤/١٩٦) ، وابن حبان في « صحيحه » (٥٢٦٦) .

وكثرةِ الربا ، وأموالِ السلاطينِ الظلمةِ ؟ فمَنْ أخذَ مالاً لمْ يشهدْ عليهِ علامةٌ معيَّنةٌ في عينِهِ للتحريمِ . . فهلْ هوَ حرامٌ أم لا ؟

فأقولُ : ليسَ ذلكَ حراماً ، وإنَّما الورعُ تركُهُ ، وهٰذا الورعُ أهمُّ مِنَ الورعِ إذا كانَ قليلاً ، **ولكنَّ الجوابَ عنْ هٰذا** : أنَّ قولَ القائلِ : (أكثرُ الأموالِ حرامٌ في زمانِنا) غلطٌ محضٌ ، ومنشؤُهُ الغفلةُ عنِ الفرقِ بينَ الكثيرِ والأكثرِ ، فأكثرُ الناسِ ، بلْ أكثرُ الفقهاءِ يظنُّونَ أنَّ ما ليسَ بنادرٍ . . فهوَ الأكثرُ ، ويتوهَّمونَ أنَّهُما قسمانِ متقابلانِ ليسَ بينَهُما ثالثٌ ، وليسَ كذلكَ ، بلِ **الأقسامُ ثلاثةٌ** : **قليلٌ** وهوَ النادرُ ، **وكثيرٌ** ، **وأكثرُ** .

ومثالُهُ : أنَّ الخنثىٰ فيما بينَ الخلْقِ نادرٌ ، وإذا أضيفَ إليهِ المريضُ . . وُجدَ كثيراً ، وكذا السفرُ ، حتَّىٰ يُقالَ : المرضُ والسفرُ مِنَ الأعذارِ العامَّةِ ، والاستحاضةُ مِنَ الأعذارِ النادرةِ ، ومعلومٌ أنَّ المرضَ ليسَ بنادرٍ ، وليسَ بالأكثرِ أيضاً ، بلْ هوَ كثيرٌ .

والفقيهُ إذا تساهلَ وقالَ : (المرضُ والسفرُ غالبٌ ، وهوَ عذرٌ عامٌّ) . . أرادَ بِهِ أنَّهُ ليسَ بنادرٍ ، فإنْ لمْ يردْ هٰذا . . فهوَ غلطٌ ، والصحيحُ والمقيمُ هوَ الأكثرُ ، والمسافرُ والمريضُ كثيرٌ ، والمستحاضةُ والخنثىٰ نادرٌ .

فإذا فُهِمَ هٰذا . . فنقولُ : قولُ القائلِ : (الحرامُ أكثرُ) باطلٌ ؛ لأنَّ مستندَ هٰذا القائلِ إمَّا أنْ يكونَ كثرةَ الظلمةِ والجنديَّةِ[1] ، أوْ كثرةَ الربا

---

[1] والمراد بالجندية هنا : عسكر الأمراء وأعوانهم .

والمعاملاتِ الفاسدةِ ، أوْ كثرةَ الأيدي التي تكرَّرَتْ مِنْ أوَّلِ الإسلامِ إلىٰ زمانِنا هـٰذا علىٰ أصولِ الأموالِ الموجودةِ اليومَ .

أمَّا المستندُ الأوَّلُ . . فباطلٌ ؛ فإنَّ الظلمةَ كثيرٌ ، وليسَ بالأكثرِ ؛ فإنَّهُمُ الجنديةُ ، إذْ لا يظلمُ إلا ذو غلبةٍ وشوكةٍ ، وهمْ إذا أضيفوا إلىٰ كلِّ العالمِ . . لم يبلغوا عُشْرَ عَشيرِهِمْ ، فكلُّ سلطانٍ يجتمعُ عليهِ مِنَ الجنودِ مئةُ ألفٍ مثلاً ، فيملكُ إقليماً يجمعُ ألفَ ألفٍ وزيادةً ، ولعلَّ بلدةً واحدةً مِنْ بلادِ مملكتِهِ يزيدُ عددُها علىٰ جميعِ عسكرِهِ .

ولوْ كانَ عددُ السلاطينِ أكثرَ مِنْ عددِ الرعايا . . لهلك الكلُّ ؛ إذْ كانَ يجبُ علىٰ كلِّ واحدٍ مِنَ الرعيَّةِ أنْ يقومَ بعشرةٍ منْهُمْ مثلاً معَ تنعمِهِمْ في المعيشةِ ، ولا يُتصوَّرُ ذلكَ ، بلْ كفايةُ الواحدِ منهُمْ تجمعُ مِنْ ألفٍ منَ الرعيَّةِ وزيادةٍ .

وكذا القولُ في السرَّاقِ ؛ فإنَّ البلدةَ الكبيرةَ تشتملُ منهُمْ علىٰ عددٍ قليلٍ .

وأمَّا المستندُ الثاني ـ وهوَ كثرةُ الربا والمعاملاتِ الفاسدةِ ـ فهيَ أيضاً كثيرةٌ ، وليستْ بالأكثرِ ، إذْ أكثرُ المسلمينَ يتعاملونَ بشروطِ الشرعِ ، فعددُ هؤلاءِ أكثرُ ، والذي يعاملُ بالربا وغيرِهِ فلوْ عُدَّتْ معاملاتُهُ وحدَهُ . . لكانَ عددُ الصحيحِ منها يزيدُ على الفاسدِ ، إلا أنْ يطلبَ الإنسانُ بوهمِهِ في البلدِ مخصوصاً بالمجَانةِ والخبثِ وقلَّةِ الدينِ ، حتَّىٰ يُتصوَّرَ أنْ يُقالَ : معاملاتُهُ

الفاسدةُ أكثرُ ، ومثلُ ذلكَ المخصوصِ نادرٌ ، وإنْ كانَ كثيراً . . فليسَ بالأكثرِ لوْ كانَ كلُّ معاملاتِهِ فاسدةً ، كيفَ ولا يخلو هوَ أيضاً عنْ معاملةٍ صحيحةٍ تساوي الفاسدةَ أوْ تزيدُ عليها ؟! وهـٰذا مقطوعٌ بهِ لِمَنْ تأمَّلَهُ .

وإنَّما غلبَ هـٰذا على النفوسِ لاستكثارِ النفوسِ الفسادَ ، واستبعادِها إيَّاهُ ، واستعظامِها لهُ ، وإنْ كانَ نادراً ، حتَّىٰ ربَّما يُظنُّ أنَّ الزنا وشربَ الخمرِ قدْ شاعَ كما شاعَ الحرامُ ، فيُتخيَّلُ أنَّهُمُ الأكثرونَ ، وهوَ خطأٌ ؛ فإنَّهُمُ الأقلُّونَ ، وإنْ كانَ فيهِمْ كثرةٌ .

وأمَّا المستندُ الثالثُ ـ وهو أخيلُها(١) ـ **أنْ يُقالَ** : الأموالُ إنَّما تحصلُ مِنَ المعادنِ والنباتِ والحيوانِ .

والنباتُ والحيوانُ حاصلٌ بالتوالدِ ، فإذا نظرْنا إلىٰ شاةٍ مثلاً ، وهيَ تلدُ في كلِّ سنةٍ ، فيكونُ عددُ أصولِها إلىٰ زمانِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قريباً من خمسِ مئةٍ ولا يخلو هـٰذا مِنْ أنْ يتطرَّقَ إلىٰ واحدٍ مِنْ تلكَ الأصولِ غصبٌ أوْ معاملةٌ فاسدةٌ ، فكيفَ يُقدَّرُ أنْ تسلمَ أصولُها عنْ تصرُّفٍ باطلٍ إلىٰ زمانِنا هـٰذا ؟

وكذا بذورُ الحبوبِ والفواكهِ تحتاجُ إلىٰ خمسِ مئةِ أصلٍ أوْ ألفِ أصلٍ مثلاً إلىٰ أوَّلِ الشرعِ ، ولا يكونُ هـٰذا حلالاً ما لمْ يكنْ أصلُهُ وأصلُ أصلِهِ وكذلكَ إلىٰ أوَّلِ زمانِ النبوَّةِ حلالاً .

---

(١) أي : أكثرها خيالاً في النفوس . « إتحاف » (٦/ ٤٥) .

وأمَّا المعادنُ . . فهيَ التي يمكنُ نيلُها علىٰ سبيلِ الابتداءِ ، وهيَ أقلُّ الأموالِ ، وأكثرُ ما يُستعملُ منها الدراهمُ والدنانيرُ ، ولا تخرجُ إلا مِنْ دارِ الضرْبِ ، وهيَ في أيدي الظلمةِ ، بلِ المعادنُ في أيدي الظلمةِ يمنعونَ الناسَ منها ، ويلزمونَ الفقراءَ استخراجَها بالأعمالِ الشاقَّةِ ، ثمَّ يأخذونَها منهمْ غصْباً ، فإذا نُظرَ إلىٰ هـٰذا . . عُلِمَ أنَّ بقاءَ دينارٍ واحدٍ بحيثُ لمْ يتطرَّقْ إليهِ عقدٌ فاسدٌ ولا ظلمٌ وقتَ النيلِ ولا وقتَ الضرْبِ في دارِ الضربِ ولا بعدَهُ في معاملاتِ الصرفِ والربا . . بعيدٌ نادرٌ أو محالٌ ؛ فلا يبقىٰ إذاً حلالٌ إلا الصيدُ والحشيشُ في الصحارى المواتِ والمفاوزِ والحطبُ المباحُ ، ثمَّ مَنْ يحصِّلُهُ لا يقدرُ علىٰ أكلِهِ ، فيفتقرُ إلىٰ أنْ يشتريَ بهِ الحبوبَ والحيواناتِ التي لا تحصلُ إلا بالاستنباتِ والتوالدِ ، فيكونُ قدْ بذلَ حلالاً في مقابلةِ حرامٍ ، فهـٰذا هوَ أشدُّ الطرقِ تخييلاً .

فالجوابُ : أنَّ هـٰذهِ الغلبةَ لمْ تنشأْ مِنْ كثرةِ الحرامِ المخلوطِ بالحلالِ ، فخرجَ عنِ النمطِ الذي نحنُ فيهِ ، والتحقَ بما ذكرناهُ مِنْ قبلُ ، وهوَ تعارضُ الأصلِ والغالبِ ؛ إذِ الأصلُ في هـٰذهِ الأموالِ قبولُها للتصرفاتِ ، وجوازُ التراضي عليها ، وقدْ عارضَهُ سببٌ غالبٌ يخرجُهُ عنِ الصلاحِ لهُ ، فيضاهي هـٰذا محلَّ القولينِ للشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ في حكْمِ النجاساتِ ، **والصحيحُ عندَنا** : أنَّهُ تجوزُ الصلاةُ في الشوارعِ إذا لمْ يرَ نجاسةً ، وأنَّ طينَ الشوارعِ طاهرٌ ، وأنَّ الوضوءَ مِنْ أواني المشركينَ جائزٌ ، وأنَّ الصلاةَ في المقابرِ المنبوشةِ جائزةٌ ، فنثبتُ هـٰذا أوَّلاً ، ثمَّ نقيسُ ما نحنُ فيهِ عليهِ .

ويدلُّ علىٰ ذلكَ توضُّؤُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ منْ مَزادةِ مشركٍ(١) ، وَتوضُّؤُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ مِنْ جرَّةِ نصرانيةٍ(٢) ، معَ أنَّ مشربَهُمُ الخمرُ ومطعمَهُمُ الخنزيرُ ، ولا يحترزونَ عمَّا نتجنَّبُهُ في شرعِنا ، فكيفَ تسلمُ أوانيهِمْ مِنْ أيديهِمْ ؟!

بلْ نقولُ : نعلمُ قطعاً أنَّهُمْ كانوا يلبسونَ الفراءَ المدبوغةَ والثيابَ المصبوغةَ والمقصورةَ ، ومَنْ تأمَّلَ أحوالَ الدبَّاغينَ والقصَّارينَ والصبَّاغينَ . . علمَ أنَّ الغالبَ عليهِمُ النجاسةُ ، وأنَّ الطهارةَ في تلكَ الثيابِ محالٌ أوْ نادرٌ !

بلْ نقولُ : نعلمُ أنَّهُمْ كانوا يأكلونَ خبزَ البُرِّ والشعيرِ ولا يغسلونَهُ معَ أنَّهُ يُداسُ بالبقرِ والحيواناتِ ، وهي تبولُ عليهِ وتروثُ ، وقلَّما يخلصُ مِنْ ذلكَ ، وكانوا يركبونَ الدوابَّ وهيَ تعرقُ ، وما كانوا يغسلونَ ظهورَها معَ كثرةِ تمرُّغِها في النجاساتِ !

بلْ كلُّ دابَّةٍ تخرجُ مِنْ بطنِ أمِّها وعليها رطوباتٌ نجسةٌ قدْ تزيلُها الأمطارُ وقدْ لا تزيلُها ، وما كانَ يُحترزُ عنها .

وكانوا يمشونَ حفاةً في الطرقِ وبالنعالِ ، ويصلُّونَ معها ، ويجلسونَ

---

(١) روىٰ ذلك البخاري (٣٥٧١) ، ومسلم (٦٨٢) في حديث طويل .

(٢) رواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١/ ٣٢) ، وعلقه البخاري قبل الحديث (١٩٣) : إذ قال : (باب وضوء الرجل مع امرأته ، وفضل وضوء المرأة ، وتوضأ عمر بالحميم من بيت نصرانية) .

على الترابِ ، ويمشونَ في الطينِ مِنْ غيرِ حاجةٍ ، وكانوا لا يمشونَ في البولِ والعذرةِ ، ولا يجلسونَ عليها ، ولا يستنزهونَ منهُ ، ومتىٰ تسلمُ الشوارعُ عنِ النجاساتِ معَ كثرةِ الكلابِ وأبوالِها ، وكثرةِ الدوابِّ وأرواثِها ؟!

ولا ينبغي أنْ نظنَّ أنَّ الأعصارَ والأمصارَ تختلفُ في مثلِ هـٰذا ، حتَّىٰ يُظنَّ أنَّ الشوارعَ كانتْ تُغسلُ في عصرِهِمْ ، أوْ كانتْ تُحرسُ عن الدوابِّ ، هيهاتَ ! فذلكَ معلومٌ استحالتُهُ بالعادةِ قطعاً ، فدلَّ علىٰ أنَّهُمْ لمْ يحترزوا إلا مِنْ نجاسةٍ مشاهدةٍ ، أوْ علامةٍ على النجاسةِ دالَّةٍ على العينِ .

فأمَّا الظنُّ الغالبُ الذي يُستثارُ مِنْ ردِّ الوهمِ إلىٰ مجاري الأحوالِ . . فلمْ يعتبروهُ ، وهـٰذا عندَ الشافعيِّ رحمَهُ اللهُ ، وهوَ يرىٰ أنَّ الماءَ القليلَ ينجسُ مِنْ غيرِ تغيُّرٍ واقعٍ ؛ إذْ لمْ يزلِ الصحابةُ يدخلونَ الحماماتِ ، ويتوضؤونَ مِنَ الحياضِ وفيها المياهُ القليلةُ والأيدي المختلفةُ تُغمسُ فيها على الدوامِ ، وهـٰذا قاطعٌ في هـٰذا الغرضِ ، ومهما ثبتَ جوازُ التوضُّؤِ مِنْ جرَّةِ نصرانيةٍ . . ثبتَ جوازُ شربِهِ ، والتحقَ حكمُ الحلِّ بحكمِ النجاسةِ .

* * *

فإنْ قيلَ : لا يجوزُ قياسُ الحلِّ على النجاسةِ ؛ إذْ كانوا يتوسَّعونَ في أمورِ الطهاراتِ ويحترزونَ مِنْ شبهاتِ الحرامِ غايةَ التحرُّزِ ، فكيفَ يُقاسُ عليهِ ؟

فنقولُ : إنْ أُريدَ بهِ أنَّهُمْ صلَّوا معَ النجاسةِ والصلاةُ معها معصيةٌ وهيَ

عمادُ الدينِ . . فبئسَ الظنُّ ، بلْ يجبُ أنْ نعتقدَ فيهِمْ أنَّهُمْ احترزوا عنْ كلِّ نجاسةٍ وجبَ اجتنابُها ، وإنَّما تسامحوا حيثُ لمْ يجبْ ، وكانَ في محلِّ تسامحِهِمْ هـٰذهِ الصورُ التي تعارضَ فيها الأصلُ والغالبُ ، فبانَ أنَّ الغالبَ الذي لا يستندُ إلىٰ علامةٍ تتعلَّقُ بعينِ ما فيهِ النظرُ . . مطَّرَحٌ .

وأمَّا تورُّعُهُمْ في الحلالِ . . فكانَ بطريقِ التقوىٰ ، وهوَ تركُ ما لا بأسَ بهِ مخافةَ ما بهِ بأسٌ ؛ لأنَّ أمرَ الأموالِ مَخُوفٌ ، والنفسُ تميلُ إليها إنْ لمْ تُضبطْ عنها ، وأمرُ الطهارةِ ليسَ كذلكَ ، فقدِ امتنعَ طائفةٌ منهُمْ عنِ الحلالِ المحضِ خيفةَ أنْ يُشغلَ قلبُهُ .

وهلْ حُكِيَ عنْ واحدٍ منهُمْ أنَّهُ احترزَ عنِ الوضوءِ مِنْ ماءِ البحرِ وهوَ الطهورُ المحضُ ؟!

فالافتراقُ في ذلكَ لا يقدحُ في الغرضِ الذي أجمعْنا فيهِ ، علىٰ أنَّا نجري في هـٰذا المستندِ على الجوابِ الذي قدَّمْناهُ في المستندينِ السابقينِ ، ولا نسلِّمُ ما ذكروهُ مِنْ أنَّ الأكثرَ هوَ الحرامُ ؛ لأنَّ المالَ وإنْ كثرَتْ أصولُهُ . . فليسَ بواجبٍ أنْ يكونَ في أصولِهِ حرامٌ ، بلِ الأموالُ الموجودةُ اليومَ ممَّا تطرَّقَ الظلمُ إلىٰ أصولِ بعضِها دونَ بعضٍ .

وكما أنَّ الذي يبتدأُ غصبُهُ اليومَ هوَ الأقلُّ بالإضافةِ إلىٰ ما لا يُغصبُ ولا يُسرقُ فهكذا كلُّ مالٍ في كلِّ عصرٍ وفي كلِّ أصلٍ ، فالمغصوبُ مِنْ مالِ الدنيا والمتناولُ بالفسادِ في كلِّ زمانٍ بالإضافةِ إلىٰ غيرِه أقلُّ ، وليسَ ندري

أنَّ هـٰذا الفرعَ بعينِهِ مِنْ أيِّ القسمينِ ، فلا نسلِّمُ أنَّ الغالبَ تحريمُهُ ؛ فإنَّهُ كما يزيدُ المغصوبُ بالتوالدِ يزيدُ غيرُ المغصوبِ بالتوالدِ ، فيكونُ فرعُ الأكثرِ ـ لا محالةَ ـ أكثرَ في كلِّ عصرٍ وزمانٍ .

بلِ الغالبُ أنَّ الحبوبَ المغصوبةَ تُغصبُ للأكلِ لا للبذرِ ، وكذا الحيواناتُ المغصوبةُ أكثرُها يُؤكلُ ولا يُقتنىٰ للتوالدِ ، فكيفَ يُقالُ : إنَّ فروعَ الحرامِ أكثرُ ولمْ تزلْ أصولُ الحلالِ أكثرَ منْ أصولِ الحرامِ ؟!

وليتفهَّمِ المسترشدُ مِنْ هـٰذا طريقَ معرفةِ الأكثرِ ؛ فإنَّهُ مزلَّةُ قدمٍ ، وأكثرُ العلماءِ يغلطونَ فيهِ ، فكيفَ العوامُّ ؟!

هـٰذا في المتولِّداتِ مِنَ الحيواناتِ والحبوبِ .

فأمَّا المعادنُ : فإنَّها مخلاَّةٌ مسبَّلَةٌ ، يأخذُها في بلادِ التركِ وغيرِها مَنْ شاءَ ، ولكنْ قدْ يأخذُ السلاطينُ بعضَها منهُمْ ، أوْ يأخذونَ الأقلَّ ـ لا محالةَ ـ لا الأكثرَ ، ومَنْ حازَ مِنَ السلاطينِ معدناً فظلمُهُ يمنعُ الناسَ عنهُ ، فأمَّا ما يأخذُهُ الآخذُ منهُ . . فيأخذُهُ مِنَ السلطانِ بأجرةٍ ، والصحيحُ أنَّهُ يجوزُ الاستنابةُ في إثباتِ اليدِ على المباحاتِ والاستئجارُ عليها ، فالمستأجرُ على الاستقاءِ إذا حازَ الماءَ . . دخلَ في ملكِ المستقىٰ لهُ ، واستحقَّ الأجرةَ ، وكذا النيلُ ، فإذا فرَّعْنا علىٰ هـٰذا . . لمْ تحرمْ عينُ الذهبِ ، إلا أنْ يُقدَّرَ ظلمُهُ بنقصانِ أجرةِ العملِ ، وذلكَ قليلٌ بالإضافةِ ، ثمَّ لا يوجبُ تحريمَ عينِ الذهبِ ، بلْ يكونُ ظالماً ببقاءِ الأجرةِ في ذمَّتِهِ .

وأمَّا دارُ الضرْبِ . . فليسَ الذهبُ الخارجُ منها مِنْ أعيانِ ذهبِ السلطانِ الذي غصبَهُ وظلمَ بهِ الناسَ ، بلِ التجَّارُ يحملونَ إليهِمُ الذهبَ المسبوكَ أوِ النقدَ الرديءَ أوِ النقارِ(١) ، ويستأجرونَهُمْ على السبكِ والضرْبِ ، ويأخذونَ مثلَ وزنِ ما سلَّموهُ إليهِم إلا شيئاً قليلاً يتركونَهُ أجرةً لهُمْ على العملِ ، وذلكَ جائزٌ ، وإنْ فُرِضَ دنانيرُ مضروبةٌ مِنْ ذهبِ السلطانِ . . فهيَ بالإضافةِ إلىٰ مالِ التجَّارِ أقلُّ لا محالةَ .

نعم ، السلطانُ يظلمُ أُجراءَ دارِ الضرْبِ بأنْ يأخذَ منهُمْ ضريبةً ؛ لأنَّهُ خصَّصَهُمْ بها مِنْ بينِ سائرِ الناسِ ، حتَّىٰ توفَّرَ عليهِمْ مالٌ بحشمةِ السلطانِ ، فما يأخذُهُ السلطانُ عوضٌ عنْ حشمتِهِ ، وذلكَ مِنْ بابِ الظلمِ ، وهوَ قليلٌ بالإضافةِ إلىٰ ما يخرجُ مِنْ دارِ الضرْبِ ، فلا يَسلمُ لأهلِ دارِ الضرْبِ وللسلطانِ مِنْ جملةِ ما يخرجُ منهُ مِنَ المئةِ واحدٌ ، وهوَ عشرُ العُشْرِ ، فكيفَ يكونُ هوَ الأكثرَ ؟!

فهٰذهِ أغاليطُ سبقَتْ إلى القلوبِ بالوهْمِ ، وتشمَّرَ لتزيينِها جماعةٌ ممَّنْ رقَّ دينُهُمْ ؛ حتَّىٰ قبَّحوا الورعَ وسدُّوا بابَهُ ، واستقبحوا تمييزَ مَنْ يميِّزُ بينَ مالٍ ومالٍ ، وذلكَ عينُ البدعةِ والضلالِ .

* * *

فإنْ قيلَ : فلوْ قدِّرَ غلبةُ الحرامِ وقدِ اختلطَ غيرُ محصورٍ بغيرِ محصورٍ . .

---

(١) **النقار** : السبائك من الذهب والفضة ، معاً أو مفترقاً .

فماذا تقولونَ فيهِ إذا لمْ يكنْ في العينِ المتناولةِ علامةٌ خاصَّةٌ ؟

فنقولُ : الذي نراهُ أنْ تركَهُ ورعٌ ، وأنَّ أخذَهُ ليسَ بحرامٍ ؛ لأنَّ الأصلَ الحلُّ ، ولا يُرفعُ إلا بعلامةٍ معينةٍ ؛ كما في طينِ الشوارعِ ونظائرِهِ .

بل أزيدُ وأقولُ : لوْ طبَّقَ الحرامُ الدنيا حتَّىٰ عُلمَ يقيناً أنَّهُ لمْ يبقَ في الدنيا حلالٌ . . لكنتُ أقولُ : نستأنفُ تمهيدَ الشروطِ مِنْ وقتِنا ونعفو عمَّا سلفَ ، ونقولُ : ما جاوزَ حدَّهُ . . انعكسَ إلىٰ ضدِّهِ ، **فمهما حرمَ الكلُّ . . حلَّ الكلُّ** .

وبرهانُهُ : أنَّهُ إذا وقعتْ هـٰذهِ الواقعةُ . . **فالاحتمالاتُ خمسةٌ** :

أحدُها : أنْ يُقالَ : يدعُ الناسُ الأكلَ حتَّىٰ يموتوا عنْ آخرِهِمْ .

الثاني : أنْ يقتصروا منها علىٰ قدْرِ الضرورةِ وسدِّ الرمقِ يُزجُّونَ عليها أياماً إلى الموتِ .

الثالثُ : أنْ يُقالَ : يتناولونَ قدْرَ الحاجةِ كيفَ شاؤوا ، سرقةً وغصباً وتراضياً مِنْ غيرِ تمييزٍ بينَ مالٍ ومالٍ وجهةٍ وجهةٍ .

الرابعُ : أنْ يتبعوا شروطَ الشرعِ ويستأنفوا قواعدَهُ مِنْ غيرِ اقتصارٍ علىٰ قدْرِ الحاجةِ .

الخامسُ : أنْ يقتصروا معَ شروطِ الشرعِ علىٰ قدْرِ الحاجةِ .

أمَّا الأوَّلُ . . فلا يخفىٰ بطلانُهُ(١) .

---

(١) إذ هو إلقاء بالأيدي إلى التهلكة ، وهو حرام . « إتحاف » (٦/ ٤٩) .

وأمّا الثاني . . فباطلٌ قطعاً ؛ لأنَّهُ إذا اقتصرَ الناسُ علىٰ سدِّ الرمقِ وزجُّوا أوقاتَهُمْ معَ الضعفِ . . فشا فيهِمُ المُوتانُ[1] ، وبطلتِ الأعمالُ والصناعاتُ ، وخربتِ الدنيا بالكليَّةِ ، وفي خرابِ الدنيا خرابُ الدينِ ؛ لأنَّها مزرعةُ الآخرةِ ، وأحكامُ الخلافةِ والقضاءِ والسياساتِ بلْ أكثرُ أحكامِ الفقهِ مقصودُها حفظُ مصالحِ الدنيا ؛ ليتمَّ بها مصالحُ الدينِ .

وأمّا الثالثُ ـ وهوَ الاقتصارُ علىٰ قدْرِ الحاجةِ مِنْ غيرِ زيادةٍ عليهِ معَ التسويةِ بينَ مالٍ ومالٍ بالغصبِ والسرقةِ والتراضي وكيفما اتفقَ ـ فهوَ رفعٌ لسدِّ الشرعِ بينَ المفسدينَ وبينَ أنواعِ الفسادِ ، فتمتدُّ الأيدي بالغصبِ والسرقةِ وأنواعِ الظلمِ ، ولا يمكنُ زجرُهُمْ عنهُ ، إذْ يقولونَ : ليسَ يتميَّزُ صاحبُ اليدِ عنَّا باستحقاقٍ ؛ فإنَّهُ حرامٌ عليهِ وعلينا ، وذو اليدِ لهُ قدْرُ الحاجةِ فقطْ ، فإنْ كانَ هوَ محتاجاً فإنَّا أيضاً محتاجونَ ، وإنْ كانَ الذي أخذتُهُ في حقِّي زائداً على الحاجةِ . . فقدْ سرقتُهُ ممَّا هوَ زائدٌ علىٰ حاجةِ يومِهِ وإذا لَمْ يُراعَ حاجةُ اليومِ أوِ السنةِ . . فما الذي يُراعىٰ ؟ وكيفَ يُضبطُ ؟ وهٰذا يؤدي إلىٰ بطلانِ سياسةِ الشرعِ ، وإغراءِ أهلِ الفسادِ بالفسادِ .

فلا يبقىٰ إلا الاحتمالُ الرابعُ : وهوَ أنْ يُقالَ : كلُّ ذي يدٍ علىٰ ما في يدِهِ وهوَ أولىٰ بهِ ، لا يجوزُ أنْ يُؤخذَ منهُ سرقةً ولا غصباً ، بلْ يُؤخذُ برضاهُ ، والتراضي هوَ طريقُ الشرعِ ، وإذا لَمْ يجزْ إلا بالتراضي . . فللتراضي أيضاً

---

(١) **المُوتان** : الموت الذريع .

منهاجٌ في الشرعِ تتعلَّقُ بهِ المصالحُ ، فلِمَ يُعتبرُ أصلُ التراضي ويُعطَّلُ تفصيلُهُ ؟!

وأمَّا الاحتمالُ الخامسُ ـ وهوَ الاقتصارُ علىٰ قدْرِ الحاجةِ معَ الاكتسابِ بطريقِ الشرعِ مِنْ أصحابِ الأيدي ـ فهوَ الذي نراهُ لائقاً بالورعِ لمَنْ يريدُ سلوكَ طريقِ الآخرةِ ، ولكنْ لا وجهَ لإيجابِهِ على الكافَّةِ ، ولا لإدخالِهِ في فتوى العامَّةِ ؛ لأنَّ أيديَ الظلمةِ تمتدُّ إلى الزيادةِ علىٰ قدْرِ الحاجةِ في أيدي الناسِ ، وكذا أيدي السرَّاقِ ، وكلُّ مَنْ غلبَ سلبَ ، وكلُّ مَنْ وجدَ فرصةً سرقَ ، ويقولُ : لا حقَّ لهُ إلا في قدْرِ الحاجةِ ، وأنا محتاجٌ ، فلا يبقىٰ إلا أنْ يجبَ على السلطانِ أنْ يُخرجَ كلَّ زيادةٍ علىٰ قدْرِ الحاجةِ مِنْ أيدي الملاَّكِ ، ويستوعبَ بها أهلَ الحاجةِ ، ويدرَّ على الكلِّ الأموالَ يوماً فيوماً ، أوْ سنةً فسنةً ، **وفيهِ تكليفُ شططٍ وتضييعُ أموالٍ** :

أمَّا تكليفُ الشططِ : فهوَ أنَّ السلطانَ لا يقدرُ على القيامِ بهـٰذا معَ كثرةِ الخلقِ ، بلْ لا يُتصوَّرُ ذلكَ أصلاً .

وأمَّا التضييعُ : فهوَ أنَّ ما فضلَ عنِ الحاجةِ مِنَ الفواكهِ واللحومِ والحبوبِ ينبغي أنْ يُلقىٰ في البحرِ أوْ يُتركَ حتَّىٰ يتعفَّنَ ، فإنَّ الذي خلقَهُ اللهُ تعالىٰ مِنَ الفواكهِ والحبوبِ زائدٌ علىٰ قدْرِ توسُّعِ الخلقِ وترفُّهِهِمْ ، فكيفَ علىٰ قدْرِ حاجتِهِمْ ؟!

ثمَّ يؤدي ذلكَ إلىٰ سقوطِ الحجِّ والزكاةِ والكفاراتِ الماليةِ ، وكلِّ عبادةٍ

نيطَتْ بالغنىٰ عنِ الناسِ ، إذا أصبحَ الناسُ لا يملكونَ إلا قدْرَ حاجاتِهِمْ ، وهوَ في غايةِ القبْحِ .

بلْ أقولُ : لوْ وردَ نبيٌّ في مثلِ هـٰذا الزمانِ ـ ضرباً للمثلِ ـ لوجبَ عليهِ أنْ يستأنفَ الأمرَ(١) ، ويمهِّدَ تفصيلَ أسبابِ الأملاكِ بالتراضي وسائرِ الطرقِ ، ويفعلَ ما يفعلُهُ لوْ وجدَ جميعَ الأموالِ حلالاً مِنْ غيرِ فرْقٍ ، وأعني بقولي : (يجبُ عليهِ) إذا كانَ النبيُّ ممَّنْ بُعثَ لمصلحةِ الخلقِ في دينِهِمْ ودنياهُمْ ، إذْ لا يتمُّ الصلاحُ بردِّ الكافَّةِ إلىٰ قدْرِ الضرورةِ والحاجةِ ألبتةَ ، فإنْ لمْ يُبعثْ للصلاحِ . . لمْ يجبْ هـٰذا(٢) ، ونحنُ نجوِّزُ أنْ يقدِّرَ اللهُ تعالىٰ سبباً يهلكُ بهِ الخلقَ عنْ آخرِهِمْ ، فيفوِّتُ دنياهُمْ ويضلُّونَ في دينِهِمْ ، فإنَّهُ يهدي مَنْ يشاءُ ، ويضلُّ مَنْ يشاءُ ، ويميتُ مَنْ يشاءُ ، ويحيي مَنْ يشاءُ ، ولكنَّا نقدِّرُ الأمرَ جارياً علىٰ ما أُلِفَ مِنْ سنَّةِ اللهِ تعالىٰ في بعثةِ الأنبياءِ لصلاحِ الدينِ والدنيا .

وما لي أقدِّرُ هـٰذا وقدْ كانَ ما أقدِّرُهُ ؟! فلقدْ بعثَ اللهُ نبيَّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ فترةٍ مِنَ الرسلِ ، وكانَ شرعُ عيسىٰ عليهِ السلامُ قدْ مضىٰ عليهِ

---

(١) كما أشار إلىٰ هـٰذا المعنىٰ المصنف قريباً ؛ إذ استأنف النبي صلى الله عليه وسلم في معالجة مشكلة الربا التي كانت مستباحة ، فوضعها ، وأول ما وضع ربا العباس رضي الله عنه .

(٢) وإليه الإشارة بما ورد في الخبر : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » أي : إنه بعث لمصالح الدين والدنيا وإتمامهما . « إتحاف » (٦/ ٥٠) .

قريبٌ مِنْ ستِّ مئةِ سنةٍ ، والناسُ منقسمونَ إلىٰ مكذِّبينَ لهُ مِنَ اليهودِ وعبدةِ الأوثانِ ، وإلىٰ مصدِّقينَ لهُ قدْ شاعَ الفسقُ فيهِمْ كما شاعَ في زمانِنا الآنَ ، والكفَّارُ مخاطبونَ بفروعِ الشريعةِ(١) ، والأموالُ كانتْ في أيدي المكذِّبينَ لهُ والمصدِّقينَ .

أمَّا المكذِّبونَ . . فكانوا يتعاملونَ بغيرِ شرعِ عيسىٰ عليهِ السلامُ ، وأمَّا المصدِّقونَ . . فكانوا يتساهلونَ معَ أصلِ التصديقِ كما يتساهلُ الآنَ المسلمونَ معَ أنَّ العهدَ بالنبوةِ أقربُ ، فكانتِ الأموالُ كلُّها أوْ أكثرُها أوْ كثيرٌ منها حراماً ، وعفا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عمَّا سلفَ(٢) ، ولمْ يتعرَّضْ لهُ ، وخصَّصَ أصحابَ الأيدي بالأموالِ ، ومهَّدَ الشرعَ .

وما ثبتَ تحريمُهُ في شرعٍ لا ينقلبُ حلالاً لبعثةِ رسولٍ ، ولا ينقلبُ حلالاً بأنْ يسْلِمَ الذي في يدِهِ الحرامُ ، فإنَّا لا نأخذُ في الجزيةِ مِنْ أهلِ الذمَّةِ ما يُعرفُ بعينِهِ أنَّهُ ثمنُ خمرٍ أوْ مالُ رباً ، فقدْ كانتْ أموالُهُمْ في ذلكَ الزمانِ كأموالِنا الآنَ ، وأمرُ العربِ كانَ أشدَّ ؛ لعمومِ النهْبِ والغارةِ فيهِمْ .

فبانَ أنَّ الاحتمالَ الرابعَ متعيِّنٌ في الفتوىٰ ، والاحتمالَ الخامسَ هوَ طريقُ الورعِ ، بلْ تمامُ الورعِ الاقتصارُ في المباحِ علىٰ قدْرِ الحاجةِ ، وتركُ التوسُّعِ

---

(١) وهي مسألة مختلف فيها ، والمراد بالمخاطبة بالفروع ـ كما نقل الحافظ الزبيدي عن المجد الأيكي ـ : تضاعف العذاب بسبب ترك الفروع على العذاب بترك الإيمان . انظر « الإتحاف » (٦/ ٥١) .

(٢) كما بيَّن في خطبة الوداع ، وقد سبق .

في الدنيا بالكليّةِ ، وذلكَ طريقُ الآخرةِ ، ونحنُ الآنَ نتكلَّمُ في الفقهِ المنوطِ بمصالحِ الخلقِ ، وفتوى الظاهرِ لهُ حكمٌ ومنهاجٌ علىٰ حسَبِ مقتضى المصالحِ ، وطريقُ الدينِ لا يقدرُ علىٰ سلوكِهِ إلا الآحادُ ، ولوِ اشتغلَ الخلقُ كلُّهُمْ بهِ.. لبطلَ النظامُ وخرِبَ العالمُ ؛ فإنَّ ذلكَ طلبُ ملكٍ كبيرٍ في الآخرةِ ، ولوِ اشتغلَ كلُّ الخلْقِ بطلبِ ملكِ الدنيا وتركوا الحرفَ الدنيئةَ والصناعاتِ الخسيسةَ.. بطلَ النظامُ ، ثمَّ يبطلُ ببطلانِهِ الملْكُ أيضاً ، فالمحترفونَ إنَّما سُخِّروا لينتظمَ الملْكُ للملوكِ ، وكذلكَ المقبلونَ على الدنيا سُخِّروا ليسلمَ طريقُ الدينِ لذوي الدينِ ، وهوَ ملْكُ الآخرةِ ، ولولاهُ.. لما سلمَ لذوي الدينِ أيضاً دينُهُمْ ، فشرطُ سلامةِ الدينِ لهُمْ أنْ يعرضَ الأكثرونَ عنْ طريقِهِمْ ، ويشتغلوا بأمورِ الدنيا ، وتلكَ قسمةٌ سبقَتْ بها المشيئةُ الأزليَّةُ ، وإليهِ الإشارةُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ .

* * *

فإنْ قيلَ : لا حاجةَ إلىٰ تقديرِ عمومِ التحريمِ حتَّىٰ لا يبقىٰ حلالٌ ، فإنَّ ذلكَ غيرُ واقعٍ ، وهوَ معلومٌ ، ولا شكَّ في أنَّ البعضَ حرامٌ ، وذلكَ البعضُ هوَ الأقلُّ أوِ الأكثرُ فيهِ نظرٌ ، وما ذكرتموهُ مِنْ أنَّهُ الأقلُّ بالإضافةِ إلى الكلِّ جليٌّ ، ولكنْ لا بدَّ مِنْ دليلٍ محصِّلٍ علىٰ تجويزِهِ ليسَ مِنَ المصالحِ المرسلةِ ، وما ذكرتموهُ مِنَ التقسيماتِ كلِّها مصالحُ مرسلةٌ ، فلا بدَّ لها مِنْ شاهدٍ معينٍ تُقاسُ عليهِ حتَّىٰ يكونَ الدليلُ مقبولاً بالاتفاقِ ، فإنَّ

بعضَ العلماءِ لا يقبلُ المصالحَ المرسلةَ .

فأقولُ : إنْ سُلِّمَ أنَّ الحرامَ هوَ الأقلُّ . . فيكفينا برهاناً عصرُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ والصحابةِ معَ وجودِ الربا والسرقةِ والغلولِ والنهبِ ، وإنْ قُدِّرَ زمانٌ يكونُ الأكثرُ هوَ الحرامَ . . فيحلُّ التناولُ أيضاً ، **وبرهانُهُ ثلاثةُ أمورٍ** :

ـ **الأوَّلُ** : التقسيمُ الذي حصرناهُ ، وأبطلْنا منهُ أربعةَ أقسامٍ ، وأثبتنا القسمَ الخامسَ ، فإنَّ ذلكَ إذا جرىٰ فيما إذا كانَ الكلُّ حراماً . . كانَ أجرىٰ فيما إذا كانَ الحرامُ هوَ الأكثرَ أوِ الأقلَّ ، وقولُ القائلِ : (هوَ مصلحةٌ مرسلةٌ) هوسٌ ؛ فإنَّ ذلكَ إنَّما تخيَّلَ مَنْ تخيَّلَهُ في أمورٍ مظنونةٍ ، وهٰذا مقطوعٌ بهِ ، فإنَّا لا نشكُّ في أنَّ مصلحةَ الدينِ والدنيا مرادُ الشرعِ ، وهوَ معلومٌ بالضرورةِ وليسَ بمظنونٍ ، ولا شكَّ في أنَّ ردَّ كافَّةِ الناسِ إلىٰ قدْرِ الضرورةِ أوِ الحاجةِ أوْ إلى الحشيشِ والصيدِ . . مخرِّبٌ للدنيا أوَّلاً ، وللدينِ بواسطةِ الدنيا ثانياً ، فما لا يُشكُّ فيهِ لا يحتاجُ إلىٰ أصلٍ يشهدُ لهُ ، وإنَّما يُستشهدُ على الخيالاتِ المظنونةِ المتعلِّقةِ بآحادِ الأشخاصِ .

* * *

ـ **البرهانُ الثاني** : أنْ يعلَّلَ بقياسٍ محرَّرٍ مردودٍ إلىٰ أصلٍ يتفقُ الفقهاءُ الآنسونَ بالأقيسةِ الجزئيةِ عليهِ، وإنْ كانتِ الجزئياتُ مستحقرةً عندَ المحصِّلينَ بالإضافةِ إلىٰ مثلِ ما ذكرناهُ مِنَ الأمرِ الكلِّيِّ الذي هوَ ضرورةُ النبيِّ لوْ بعثَ

في زمانٍ عمَّ التحريمُ فيهِ ، حتَّىٰ لوْ حكمَ بغيرِهِ . . لخربَ العالمُ .

والقياسُ المحرَّرُ الجزئيُّ : هوَ أنَّهُ قدْ تعارضَ أصلٌ وغالبٌ فيما انقطعتْ فيهِ العلاماتُ المعينةُ مِنَ الأمورِ التي ليسَتْ محصورةً ، فيُحكمُ بالأصلِ لا بالغالبِ ؛ قياساً علىٰ طينِ الشوارعِ وجرَّةِ النصرانيةِ وأواني المشركينَ ، وذلكَ قدْ أثبتناهُ مِنْ قبلُ بفعلِ الصحابةِ .

وقولُنا : (انقطعَتِ العلاماتُ المعينةُ) احترازٌ عنِ الأواني التي يتطرَّقُ الاجتهادُ إليها ، وقولُنا : (ليسَتْ محصورةً) احترازٌ عنِ التباسِ الميتةِ بالذكيَّةِ ، والرضيعةِ بالأجنبيةِ .

* * *

فإنْ قيلَ : كونُ الماءِ طهوراً مستيقنٌ ، وهوَ الأصلُ ، ومَنْ يسلِّمُ أنَّ الأصلَ في الأموالِ الحلُّ ؟ بلِ الأصلُ فيها التحريمُ .

فنقولُ : الأموالُ التي لا تحرمُ لصفةٍ في عينِها حرمةَ الخمرِ والخنزيرِ خُلقَتْ علىٰ صفةٍ تستعدُّ لقبولِ المعاملاتِ بالتراضي ؛ كما خُلقَ الماءُ مستعداً للوضوءِ ، وقدْ وقعَ الشكُّ في بطلانِ هٰذا الاستعدادِ منهُما ، فلا فرقَ بينَ الأمرينِ ، فإنَّها تخرجُ عنْ قبولِ المعاملةِ بالتراضي بدخولِ الظلمِ عليها كما يخرجُ الماءُ عنْ قبولِ الوضوءِ بدخولِ النجاسةِ عليهِ ، فلا فرقَ .

والجوابُ الثاني : أنَّ اليدَ دلالةٌ ظاهرةٌ دالَّةٌ على الملكِ ، نازلةٌ منزلةَ الاستصحابِ وأقوىٰ منهُ ؛ بدليلِ أنَّ الشرعَ ألحقَها بهِ ، إذْ مَنِ ادعيَ عليهِ

دينٌ . . فالقولُ قولُهُ ؛ لأنَّ الأصلَ براءةُ ذمَّتِهِ ، وهـٰذا استصحابٌ ، ومَنِ ادعيَ عليهِ ملكٌ في يدِهِ . . فالقولُ أيضاً قولُهُ ؛ إقامةً لليدِ مقامَ الاستصحابِ ، فكلُّ ما وُجِدَ في يدِ الإنسانِ فالأصلُ أنَّهُ ملكُهُ ، ما لَمْ يدلَّ علىٰ خلافِهِ علامةٌ معينةٌ .

* * *

ـ **البرهانُ الثالثُ** : هوَ أنَّ ما دلَّ علىٰ جنسٍ لا يُحصرُ ولا يدلُّ علىٰ معيَّنٍ . . لمْ يُعتبرْ وإنْ كانَ قطعاً ، فبألا يعتبرَ إذا دلَّ بطريقِ الظنِّ أولىٰ .

وبيانُهُ : أنَّ ما عُلِمَ أنَّهُ ملكُ زيدٍ فحقُّهُ يمنعُ مِنَ التصرُّفِ فيهِ بغيرِ إذنِهِ .

ولوْ عُلِمَ أنَّ لهُ مالكاً في العالمِ ولكنْ وقعَ اليأسُ عنِ الوقوفِ عليهِ وعلىٰ وارثِهِ . . فهوَ مالٌ مرصدٌ لمصالحِ المسلمينَ ، يجوزُ التصرُّفُ فيهِ بحكمِ المصلحةِ .

ولوْ دلَّ علىٰ أنَّ لهُ مالكاً محصوراً في عشرةِ أشخاصٍ مثلاً أوْ عشرينَ . . امتنعَ التصرُّفُ فيهِ بحكمِ المصلحةِ ، فالذي يشكُّ في أنَّ لهُ مالكاً سوىٰ صاحبِ اليدِ أمْ لا . . لا يزيدُ على الذي يتيقَّنُ قطعاً أنَّ لهُ مالكاً ولكنْ لا يعرفُ عينَهُ ، فليَجُزِ التصرُّفُ فيهِ بالمصلحةِ ، والمصلحةُ ما ذكرناهُ في الأقسامِ الخمسةِ ، فيكونُ هـٰذا الأصلُ شاهداً لهُ .

وكيفَ لا وكلُّ مالٍ ضائعٍ فُقِدَ مالكُهُ يصرفُهُ السلطانُ إلى المصالحِ ، ومِنَ المصالحِ الفقراءُ وغيرُهُمْ ، فلوْ صُرِفَ إلىٰ فقيرٍ . . ملكَهُ ، ونفذَ فيهِ

تصرُّفُهُ ، ولوْ سرقَهُ منهُ سارقٌ . . قُطعَتْ يدُهُ ، فكيفَ نفذَ تصرُّفُهُ في ملكِ الغيرِ ؟

ليسَ ذلكَ إلا لحكمِنا بأنَّ المصلحةَ تقتضي أنْ ينتقلَ الملكُ إليهِ ويحلَّ لهُ ، فقضينا بموجَبِ المصلحةِ .

* * *

فإنْ قيلَ : ذلكَ يختصُّ بالتصرُّفِ فيهِ السلطانُ .

فنقولُ : والسلطانُ لمْ يُجوَّزْ لهُ التصرُّفُ في ملكِ غيرِهِ بغيرِ إذنِهِ ، ولا سببَ لهُ إلا المصلحةُ ؛ وهوَ أنَّهُ لوْ تُرِكَ . . لضاعَ ، فهوَ مردَّدٌ بينَ تضييعِهِ وبينَ صرفِهِ إلىٰ مهمٍّ ، والصرفُ إلىٰ مهمٍّ أصلحُ مِنَ التضييعِ ، فرجحَ عليهِ ، والمصلحةُ فيما يُشكُّ فيهِ ولا يُعلمُ تحريمُهُ أنْ يُحكمَ فيهِ بدلالةِ اليدِ ، ويُتركَ علىٰ أربابِ الأيدي ؛ إذِ انتزاعُهُ بالشكِّ وتكليفُهُمُ الاقتصارَ على الحاجةِ . . يؤدِّي إلى الضررِ الذي ذكرناهُ ، وجهاتُ المصلحةِ تختلفُ ؛ فإنَّ السلطانَ تارةً يرىٰ مِنَ المصلحةِ أنْ يبنيَ بذلكَ المالِ قنطرةً ، وتارةً أنْ يصرفَهُ إلىٰ جندِ الإسلامِ ، وتارةً إلى الفقراءِ ، ويدورُ معَ المصلحةِ كيفما دارَتْ ؛ فكذلكَ الفتوىٰ في مثلِ هـٰذا تدورُ على المصلحةِ .

وقدْ خرجَ مِنْ هـٰذا أنَّ الخلقَ غيرُ مأخوذينَ في أعيانِ الأموالِ بظنونٍ لا تستندُ إلىٰ خصوصِ دلالةٍ في ملكِ الأعيانِ ؛ كما لمْ يُؤاخذِ السلطانُ والفقراءُ الآخذونَ منهُ بعلمِهِمْ أنَّ المالَ لهُ مالكٌ ، حيثُ لمْ يتعلَّقِ العلمُ بعينِ

مالكٍ مشارٍ إليهِ ، ولا فرقَ بينَ عينِ المالكِ وبينَ عينِ الأملاكِ في هـٰذا المعنىٰ .

فهـٰذا بيانُ شبهةِ الاختلاطِ ، ولمْ يبقَ إلا النظرُ في امتزاجِ المائعاتِ والدراهمِ والعروضِ في يدِ مالكٍ واحدٍ ، وسيأتي بيانُهُ في بابِ تفصيلِ طريقِ الخروجِ مِنَ المظالمِ .

* * *

المثار الثالث للشبهة : أن يتصل بالسبب المحلل معصية

إمَّا في قرائنِهِ ، وإمَّا في لواحقِهِ ، وإمَّا في سوابقِهِ ، أوْ في عوضِهِ ، وكانتْ مِنَ المعاصي التي لا توجبُ فسادَ العقدِ وإبطالَ السببِ المحلِّلِ .

مثالُ المعصيةِ في القرائنِ : البيعُ في وقتِ النداءِ يومَ الجمعةِ ، والذبحُ بالسكينِ المغصوبةِ ، والاحتطابُ بالقَدُومِ المغصوبِ ، والبيعُ علىٰ بيعِ الغيرِ ، والسومُ علىٰ سومِهِ ، وكلُّ نهيٍ وردَ في العقودِ ولمْ يدلَّ علىٰ فسادِ العقدِ . فإنَّ الامتناعَ مِنْ جميعِ ذلكَ ورعٌ ، وإنْ لمْ يكنِ المستفادُ بهـٰذهِ الأسبابِ محكوماً بتحريمِهِ .

وتسميةُ هـٰذا النمطِ شبهةً فيهِ تسامحٌ ؛ لأنَّ الشبهةَ في غالبِ الأمرِ تطلقُ لإرادةِ الاشتباهِ والجهلِ(١) ، ولا اشتباهَ هـٰهنا ، بلِ العصيانُ بالذبحِ بسكينِ الغيرِ معلومٌ ، وحلُّ الذبيحةِ أيضاً معلومٌ ، ولكنْ قدْ تُشتقُّ الشبهةُ مِنَ المشابهةِ ، وتناولُ الحاصلِ مِنْ هـٰذهِ الأمورِ مكروهٌ ، والكراهةُ تشبهُ التحريمَ ، فإنْ أريدَ بالشبهةِ هـٰذا.. فتسميةُ هـٰذا شبهةً لهُ وجهٌ ، وإلا.. فينبغي أنْ يسمَّىٰ هـٰذا كراهةً لا شبهةً .

---

(١) بأن يجهل حل الشيء من حرمته على الحقيقة ، ولذا عبَّر عنها بعضهم بقوله : ما لم يتعين حلُّه ولا حرمتُهُ . « إتحاف » (٦/ ٥٦) .

وإذا عُرِفَ المعنىٰ . . فلا مشاحَّةَ في الأسامي ، فعادةُ الفقهاءِ التسامحُ في الإطلاقاتِ .

* * *

ثمَّ اعلمْ أنَّ هـٰذهِ الكراهةَ لها ثلاثُ درجاتٍ :

الأولىٰ منها تقربُ مِنَ الحرامِ ، والورعُ عنهُ مهمٌّ . **والأخيرةُ** تنتهي إلىٰ نوعٍ مِنَ المبالغةِ تكادُ تلتحقُ بورعِ الموسوِسينَ .

وبينهَمُا أوساطٌ نازعةٌ إلى الطرفينِ .

فالكراهةُ في صيدِ كلبٍ مغصوبٍ أشدُّ منها في الذبيحةِ بسكينٍ مغصوبٍ أوِ المقتنصِ بسهمٍ مغصوبٍ ؛ إذ الكلبُ لهُ اختيارٌ ، وقدِ اختلفَ في أنَّ الحاصلَ بهِ لمالكِ الكلبِ أوْ للصيَّادِ[1] ؟ ويليهِ البذرُ المزروعُ في أرضٍ مغصوبةٍ ؛ فإنَّ الزرعَ لمالكِ البذرِ ، ولكنْ فيهِ شبهةٌ ، ولوْ أثبتْنا حقَّ الحبْسِ لمالكِ الأرضِ في الزرعِ . . لكانَ كالثمنِ الحرامِ ، ولكنِ الأقيسُ ألا يَثبتَ حقُّ حبسٍ ؛ كما لوْ طحنَ بطاحونةٍ مغصوبةٍ أوِ اقتنصَ بشبكةٍ مغصوبةٍ ، إذْ لا يتعلَّقُ حقُّ صاحبِ الشبكةِ في منفعتِها بالصيدِ ، ويليهِ الاحتطابُ بالقَدُومِ المغصوبِ ، ثمَّ ذبحُهُ ملكَ نفسِهِ بالسكينِ المغصوبِ ؛ إذْ لمْ يذهبْ أحدٌ إلىٰ تحريمِ الذبيحةِ .

---

(١) والصياد هو الغاصب ، فمنهم من قال : (لمالك الكلب) نظراً إلى الأصل ، فلا يحل للصياد أخذه، ومنهم من قال : (للصياد، وعليه وزر الغصب) . « إتحاف » (٦/ ٥٦).

ويليهِ البيعُ في وقتِ النداءِ ؛ فإنَّهُ ضعيفُ التعلُّقِ بمقصودِ العقدِ ، وإنْ ذهبَ قومٌ إلىٰ فسادِ العقدِ⁽¹⁾ ؛ إذْ ليسَ فيهِ إلا أنَّهُ اشتغلَ بالبيعِ عنْ واجبٍ آخرَ كانَ عليهِ ، ولوْ أُفسِدَ البيعُ بمثلِهِ . . لأُفسِدَ بيعُ كلِّ مَنْ عليهِ زكاةُ درهمٍ أوْ صلاةٌ فائتةٌ وجوبُها على الفورِ ، أوْ في ذمَّتِهِ مظلمةُ دانقٍ ؛ فإنَّ الاشتغالَ بالبيعِ مانعٌ لهُ عنِ القيامِ بالواجباتِ ، فليسَ للجمعةِ إلا الوجوبُ بعدَ النداءِ .

وينجرُّ ذلكَ إلىٰ ألا يصحَّ نكاحُ أولادِ الظلمةِ وكلِّ مَنْ في ذمَّتِهِ درهمٌ ؛ لأنَّهُ اشتغلَ بقولِهِ عنِ الفعلِ الواجبِ عليهِ ، إلاَّ أنَّهُ مِنْ حيثُ وردَ في يومِ الجمعةِ نهيٌ على الخصوصِ . . ربَّما سبقَ إلى الأفهامِ خصوصٌ فيهِ ، فتكونُ الكراهةُ أشدَّ ، ولا بأسَ بالحذرِ منهُ ، ولكنْ قدْ ينجرُّ إلى الوسواسِ ، حتَّىٰ يتحرَّجَ عنْ نكاحِ بناتِ أربابِ المظالمِ وسائرِ معاملاتِهِمْ .

وقدْ حُكِيَ عنْ بعضِهِمْ أنَّهُ اشترىٰ شيئاً مِنْ رجلٍ ، فسمعَ أنَّهُ اشتراهُ يومَ الجمعةِ ، فردَّهُ ؛ خيفةَ أنْ يكونَ ذلكَ ممَّا اشتراهُ وقتَ النداءِ ، وهـٰذا غايةُ المبالغةِ ؛ لأنَّهُ ردٌّ بالشكِّ ، ومثلُ هـٰذا الوهمِ في تقديرِ المناهي أوِ المفسداتِ لا ينقطعُ عنْ يومِ السبتِ وسائرِ الأيامِ ، والورعُ حسنٌ ، والمبالغةُ فيهِ أحسنُ ، ولكنْ إلىٰ حدٍّ معلومٍ ، فقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « هلكَ المتنطِّعونَ »⁽²⁾ .

---

(١) وهم أصحاب مالك وأحمد ، فقالوا : إن البيع فيه باطل ، والعقد فاسد . « إتحاف » (٦/٥٧) .

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٠) .

فليحذرْ مِنْ أمثالِ هـٰذهِ المبالغاتِ ؛ فإنَّها وإنْ كانتْ لا تضرُّ صاحبَها . . ربَّما أوهمَتْ عندَ الغيرِ أنَّ مثلَ ذلكَ مهمٌّ ، ثمَّ يعجزُ عمَّا هوَ أيسرُ منهُ ، فيتركُ أصلَ الورعِ ، وهوَ مستندُ أكثرِ الناسِ في زمانِنا هـٰذا ؛ إذْ ضُيِّقَ عليهِمُ الطريقُ ، فأيسوا عنِ القيامِ بهِ ، فاطَّرَحُوهُ ، فكما أنَّ الموسوسَ في الطهارةِ قدْ يعجزُ عنِ الطهارةِ فيتركُها ، فكذا بعضُ الموسوسينَ في الحلالِ سبقَ إلىٰ أوهامِهِمْ أنَّ مالَ الدنيا كلَّهُ حرامٌ ، فتوسَّعوا ، وتركوا التمييزَ ، وهوَ عينُ الضلالِ .

وأمَّا مثالُ اللواحقِ : فهوَ كلُّ تصرُّفٍ يفضي في سياقِهِ إلىٰ معصيةٍ ، وأعلاهُ بيعُ العنبِ مِنَ الخمَّارِ ، وبيعُ الغلامِ مِنَ المعروفِ بالفجورِ بالغلمانِ ، وبيعُ السيفِ مِنْ قطَّاعِ الطريقِ .

وقدِ اختلفَ العلماءُ في صحَّةِ ذلكَ ، وفي حلِّ الثمنِ المأخوذِ منهُ ، والأقيسُ : أنَّ ذلكَ صحيحٌ ، والمأخوذُ حلالٌ ، والرجلُ عاصٍ بعقدِهِ ، كما يعصي بالذبحِ بالسكينِ المغصوبِ والذبيحةُ حلالٌ ، فإنَّهُ يعصي عصيانَ الإعانةِ على المعصيةِ ؛ إذ لا يتعلَّقُ ذلكَ بعينِ العقدِ ، فالمأخوذُ مِنْ هـٰذا مكروهٌ كراهيةً شديدةً ، وتركُهُ مِنَ الورعِ المهمِّ ، وليسَ بحرامٍ(١) .

ويليهِ في الرتبةِ بيعُ العنبِ ممَّنْ يشربُ الخمرَ ولمْ يكنْ خمَّاراً ، وبيعُ

---

(١) وبه قال أبو حنيفة ، وذهب أحمد إلىٰ أنه باطل ، وقال مالك : يفسخ البيع ما لم يفت ، فإن فات . . تصدق بثمنه . « إتحاف » (٦/ ٥٨) .

السيفِ ممَّن يغزو ويظلمُ أيضاً ؛ لأنَّ الاحتمالَ قدْ تعارضَ ، وقدْ كرهَ السلفُ بيعَ السيفِ في وقتِ الفتنةِ ؛ خيفةً مِنْ أنْ يشتريَهُ ظالمٌ ، فهـٰذا ورعٌ فوقَ الأوَّلِ ، والكراهةُ فيهِ أخفُّ .

ويليهِ ما هوَ مبالغةٌ ، ويكادُ يلتحقُ بالوسواسِ ـ وهوَ قولُ جماعةٍ ـ أنَّهُ لا تجوزُ معاملةُ الفلاَّحينَ بآلاتِ الحرثِ ؛ لأنَّهُمْ يستعينونَ بها على الحراثةِ ويبيعونَ الطعامَ منَ الظلمةِ ، فلا يُباعُ منهمُ البقرُ ولا الفدَّانُ وآلاتُ الحرثِ(١) ، وهـٰذا ورعُ الوسوسةِ ؛ إذْ ينجرُّ إلىٰ ألا يُباعَ مِنَ الفلاحِ طعامٌ ؛ لأنَّهُ يتقوَّىٰ بهِ على الحراثةِ ، ولا يُسقىٰ مِنَ الماءِ العامِّ لذلكَ ، وينتهي هـٰذا إلىٰ حدِّ التنطُّعِ المنهيِّ عنهُ ، وكلُّ متوجِّهٍ إلىٰ شيءٍ علىٰ قصْدِ خيرٍ لا بدَّ وأنْ يسرفَ إنْ لمْ يزمَّهُ العلمُ المحقَّقُ(٢) ، وربَّما يقدمُ علىٰ ما يكونُ بدعةً في الدينِ ليستضرَّ الناسُ بعدَهُ بها ، وهوَ يظنُّ أنَّهُ مشغولٌ بالخيرِ ، ولهـٰذا قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « فضلُ العالمِ على العابدِ كفضلي علىٰ أدنىٰ رجلٍ مِنْ أصحابي »(٣) ، والمتنطِّعونَ همُ الذينَ يُخشىٰ عليهِمْ أنْ يكونوا ممَّنْ قيلَ فيهم : ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ .

* * *

---

(١) **الفدَّان** : آلة الحرث ، ويطلق على الثورين يحرث عليهما في قران .

(٢) **يزمُّه** : يمنعه . « إتحاف » (٦/٥٨) ، وفي (ب) : (يلزمه) .

(٣) رواه الترمذي (٢٦٨٥) .

وبالجملةِ : لا ينبغي أنْ يشتغلَ الإنسانُ بدقائقِ الورعِ إلا بحضرةِ عالمٍ متقنٍ ؛ فإنَّهُ إذا جاوزَ ما رُسِمَ لهُ ، وتصرَّفَ بذهنِهِ مِنْ غيرِ سماعٍ . . كانَ ما يفسدُهُ أكثرَ ممَّا يصلحُهُ .

وقدْ رُوِيَ عنْ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ أحرقَ كرمَهُ خوفاً مِنْ أنْ يُباعَ العنبُ ممَّنْ يتخذُهُ خمراً ، وهـٰذا لا أعرفُ لهُ وجهاً(١) ، إنْ لمْ يعرفْ هوَ سبباً خاصاً يُوجبُ الإحراقَ ؛ إذْ ما أحرقَ نخيلَهُ وكرْمَهُ مَنْ كانَ أرفعَ قدراً منهُ منَ الصحابةِ ، ولوْ جازَ هـٰذا . . لجازَ قطعُ الذكرِ خيفةً مِنَ الزنا ، وقطعُ اللسانِ خيفةً منَ الكذبِ ، إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنَ الإتلافاتِ .

* * *

وأمَّا المقدماتُ : فلتطرُّقِ المعصيةِ إليها أيضاً ثلاثُ درجاتٍ :

الدرجةُ العليا التي تشتدُّ الكراهةُ فيها : ما بقيَ أثرُهُ في المتناولِ ؛ كالأكلِ مِنْ شاةٍ عُلفَتْ بعلفٍ مغصوبٍ ، أوْ رعَتْ في مرعىً حرامٍ ؛ فإنَّ ذلكَ معصيةٌ ، وقدْ كانَ سبباً لبقائِها(٢) ، وربَّما يكونُ الباقي مِنْ دمِها ولحمِها وأجزائِها مِنْ ذلكَ العلفِ .

وهـٰذا الورعُ مهمٌّ وإنْ لمْ يكنْ واجباً ، ونُقِلَ ذلكَ عنْ جماعةٍ مِنَ

---

(١) ولعل ذلك السبب الخاص أن الكرْم المذكور كان قد تعود الخمار بأخذ عنبه في كل سنة ، فرأى المصلحة في إحراقه . « إتحاف » (٦/ ٥٩) .

(٢) أي : العلف المذكور . « إتحاف » (٦/ ٥٩) .

السلفِ ، وكانَ لأبي عبدِ اللهِ الطوسيِّ التُّرُوغْبَذِيِّ⁽¹⁾ شاةٌ يحملُها علىٰ رقبتِهِ كلَّ يومٍ إلى الصحراءِ ، ويرعاها وهوَ يصلِّي ، وكانَ يأكلُ منْ لبنِها ، فغفلَ عنها ساعةً ، فتناولتْ مِنْ ورقِ كرمٍ علىٰ طرفِ بستانٍ ، فتركَها في البستانِ ، ولمْ يستحلَّ أخذَها .

* * *

فإنْ قيلَ : فقدْ رُوِيَ عنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ وعبيدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُما أنَّهُما اشتريا إبلاً ، فبعثاها إلى الحمىٰ⁽²⁾ ، فرعتْ فيهِ إبلُهُما حتَّىٰ سمنَتْ ، فقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : أرعيتُماها في الحمى ؟ فقالا : نعمْ ، فشاطرَهُما ، وهـٰذا يدلُّ علىٰ أنَّهُ رأى اللحمَ الحاصلَ مِنَ العلفِ لصاحبِ العلفِ ، فليُوجبْ هـٰذا تحريماً .

قلنا : ليسَ كذلكَ ، فإنَّ العلفَ يفسدُ بالأكلِ ، واللحمُ خلقٌ جديدٌ ، وليسَ هوَ عينَ العلفِ ، فلا شركةَ لصاحبِ العلفِ شرعاً ، ولكنَّ عمرَ غرَّمَهُما قيمةَ الكلأِ ، ورأىٰ ذلكَ مثلَ شطرِ الإبلِ ، فأخذَ الشطرَ بالاجتهادِ ؛ كما شاطرَ سعدَ بنَ أبي وقاصٍ مالَهُ لمَّا قدمَ منَ الكوفةِ ، وكذلكَ شاطرَ

---

(١) عارف زاهد مشهور ، نسبته إلىٰ تُرُوغْبَذ ؛ بضمتين ومعجمة ساكنة وفتح الموحدة وذال معجمة ، قرية من قرىٰ طوس .

(٢) أي : حمى النقيع بالنون والقاف ، وهي الأرض التي كان حماها أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لإبل الصدقة خاصة . « إتحاف » (٦/ ٥٩) .

أبا هريرة رضيَ اللهُ عنهُ ؛ إذْ رأىٰ أنَّ كلَّ ذلكَ لا يستحقُّهُ العاملُ ، ورأىٰ شطرَ ذلكَ كافياً علىٰ حقِّ عملِهِمْ ، وقدَّرَهُ بالشطرِ اجتهاداً .

* * *

الرتبةُ الوسطىٰ : ما نُقلَ عنْ بشرِ بنِ الحارثِ مِنِ امتناعِهِ عنْ ماءٍ يُساقُ في نهرٍ قدِ احتفرَهُ الظلمةُ ؛ لأنَّ النهرَ موصلٌ إليهِ ، وقدْ عُصيَ اللهُ بحفرِهِ ، وامتناعِ آخرَ عنْ عنبِ كرْمٍ يُسقىٰ بماءٍ يجري في نهرٍ حُفِرَ ظلماً ، وهوَ أرفعُ منهُ وأبلغُ في الورعِ ، وامتناعِ آخرَ منَ الشربِ مِنْ مصانعِ السلاطينِ في الطرقِ ، وأعلىٰ مِنْ ذلكَ امتناعُ ذي النونِ مِنْ طعامٍ حلالٍ أُوصلَ إليهِ علىٰ يدِ سجَّانٍ وقولُهُ : إنَّهُ جاءَني علىٰ طبقِ ظالمٍ⁽¹⁾ ، ودرجاتُ هـٰذهِ الرتبِ لا تنحصرُ .

* * *

الرتبةُ الثالثةُ ، وهيَ قريبٌ مِنَ الوسواسِ والمبالغةِ : أنْ يمتنعَ مِنْ حلالٍ وصلَ علىٰ يدِ رجلٍ عصى اللهَ تعالىٰ بالزنا أوِ القذفِ ، وليسَ هـٰذا كما لوْ عصىٰ بأكلِ الحرامِ ، فإنَّ الموصلَ قوَّتُهُ الحاصلةُ مِنَ الغذاءِ الحرامِ ، والزنا والقذفُ لا يوجبُ قوَّةً يُستعانُ بها على الحملِ ، بلِ الامتناعُ مِنْ أخذِ حلالٍ وصلَ علىٰ يدِ كافرٍ وسواسٌ ، بخلافِ أكلِ الحرامِ ؛ إذِ الكفرُ لا يتعلَّقُ بحملِ الطعامِ ، وينجرُّ هـٰذا إلىٰ ألا يؤخذَ مِنْ يدِ مَنْ عصى اللهَ ولوْ بغيبةٍ أوْ كذْبةٍ ، وهوَ غايةُ التنطُّعِ والإسرافِ .

---

(1) قوت القلوب (٢/ ١٩١) .

فليضبطْ ما عرفَ مِنْ ورعِ ذي النونِ وبشرٍ بالمعصيةِ في السببِ الموصلِ ؛ كالنهرِ وقوَّةِ اليدِ المستفادةِ بالغذاءِ الحرامِ .

ولوِ امتنعَ عنِ الشربِ بالكوزِ لأنَّ الفَخَّارَ(١) الذي عملَ الكوزَ كانَ قدْ عصى اللهَ يوماً بضرْبِ إنسانٍ أوْ شتمِهِ . . لكانَ هـٰذا وسواساً ، ولوِ امتنعَ مِنْ لحمِ شاةٍ ساقَها آكلُ حرامٍ . . فهـٰذا أبعدُ مِنْ يدِ السجَّانِ ؛ لأنَّ الطعامَ يسوقُهُ قوَّةُ السجَّانِ ، والشاةُ تمشي بنفسِها ، والسائقُ يمنعُها عنِ العدولِ في الطريقِ فقطْ ، فهـٰذا قريبٌ منَ الوسواسِ .

فانظرْ كيفَ تدرَّجنا في بيانِ ما تتداعىٰ إليهِ هـٰذهِ الأمورُ .

* * *

واعلمْ : أنَّ كلَّ هـٰذا خارجٌ عنْ فتوىٰ علماءِ الظاهرِ ؛ فإنَّ فتوى الفقيهِ تختصُّ بالدرجةِ الأولى التي يمكنُ تكليفُ عامَّةِ الخلْقِ بها ، ولوِ اجتمعوا عليهِ . . لمْ يخربِ العالمُ ، دونَ ما عداهُ مِنْ ورعِ المتقينَ والصالحينَ(٢) .

والفتوىٰ في هـٰذا : ما قالَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لوابصةَ ؛ إذْ قالَ لهُ : « استفتِ قلبَكَ وإنْ أفتوكَ وأفتوكَ وأفتوكَ »(٣) ، وعرَّفَ ذلكَ إذْ قالَ :

---

(١) **الفخَّار** هنا : الذي يعمل الأواني من الطين ، فهو كالحدَّاد والنَّحاس .

(٢) إذ الاجتماع علىٰ ورع المتقين والصالحين يؤدي إلىٰ خراب العالم كما سبق للمصنف بيانه .

(٣) رواه أحمد في « مسنده » (٤/ ٢٢٨) .

« الإثمُ حَوَازُّ القلوبِ »[1] ، وكلُّ ما حاكَ في صدرِ المريدِ مِنْ هـٰذهِ الأسبابِ فلوْ أقدمَ عليهِ معَ حزازةِ القلبِ . . استضرَّ بهِ ، وأظلمَ قلبُهُ بقدْرِ الحزازةِ التي يجدُها ، بلْ لوْ أقدمَ علىٰ حرامٍ في علْمِ اللهِ تعالىٰ وهوَ يظنُّ أنَّهُ حلالٌ . . لمْ يؤثِّرْ ذلكَ في قساوةِ قلبِهِ ، ولوْ أقدمَ علىٰ ما هوَ حلالٌ في فتوىٰ علماءِ الظاهرِ ولكنَّهُ يجدُ حزازةً في قلبهِ . . فذلكَ يضرُّهُ .

وإنَّما الذي ذكرناهُ في النهيِ عنِ المبالغةِ أردْنا بهِ أنَّ القلبَ الصافيَ المعتدلَ هوَ الذي لا يجدُ حزازةً في مثلِ تلكَ الأمورِ ، فإنْ مالَ قلبُ موسوسٍ عنِ الاعتدالِ ، ووجدَ الحزازةَ ، فأقدمَ معَ ما يجدُ في قلبهِ . . فذلكَ يضرُّهُ ؛ لأنَّهُ مأخوذٌ في حقِّ نفسهِ بينَهُ وبينَ اللهِ تعالىٰ بفتوىٰ قلبِهِ ؛ ولذلكَ نشدِّدُ على الموسوسِ في الطهارةِ ونيَّةِ الصلاةِ ؛ فإنَّهُ إذا غلبَ علىٰ قلبِهِ أنَّ الماءَ لمْ يصلْ إلىٰ جميعِ أجزائِهِ بثلاثِ مرَّاتٍ لغلبةِ الوسوسةِ عليهِ . . فيجبُ عليهِ أنْ يستعملَ الرابعةَ ، وصارَ ذلكَ حُكماً في حقِّهِ وإنْ كانَ مخطئاً في نفسهِ .

وأولئكَ قومٌ شدَّدوا فشدَّدَ اللهُ عليهِمْ ، ولذلكَ شدَّدَ علىٰ قومِ موسىٰ

---

[1] رواه الطبراني في « الكبير » (٩/١٤٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٨٩٢) ، وهو موقوف علىٰ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . **وحوازُّ القلوب** ـ بتشديد الزاي ـ : جمع حازَّة ، وهي الأمور التي تحزُّ فيها ؛ أي : تؤثر كما يؤثر الحزُّ في الشيء ، وهو ما يخطر فيها من أن تكون معاصي لفقد الطمأنينة إليها . ورواه شمر : « الإثم حوَّاز القلوب » بتشديد الواو ؛ أي : يحوزها ويتملكها ويغلب عليها ، ويروى : « الإثم حزَّاز القلوب » بزايين ، الأولىٰ مشددة وهي فعّال من الحزّ .

عليهِ السلامُ لمَّا استقصوا في السؤالِ عنِ البقرةِ ، ولوْ أخذوا أوَّلاً بعمومِ لفظِ البقرةِ وكلِّ ما ينطلقُ عليهِ اسمُ البقرةِ . . لأجزأَهُمْ ذلكَ .

فلا تغفُلْ عنْ هاذهِ الدقائقِ التي رددناها نفياً وإثباتاً ؛ فإنَّ مَنْ لا يطَّلعُ علىٰ كنْهِ الكلامِ ولا يحيطُ بمجامعِهِ . . يوشكُ أنْ يزلَّ في درْكِ مقاصدِهِ .

* * *

وأمَّا المعصيةُ في العوضِ . . فلها أيضاً درجاتٌ :

الدرجةُ العليا : التي تشتدُّ الكراهةُ فيها : أنْ يشتريَ شيئاً في الذمَّةِ ويقضيَ ثمنَهُ مِنْ غصبٍ أوْ مالٍ حرامٍ ، فيُنظرُ ؛ فإنْ سلَّمَ البائعُ إليهِ الطعامَ قبلَ قبضِ الثمنِ بطيبِ قلبِهِ ، فأكلَهُ قبلَ قضاءِ الثمنِ . . فهوَ حلالٌ ، وتركُهُ ليسَ بواجبٍ بالإجماعِ ؛ أعني : قبلَ قضاءِ الثمنِ ، ولا هوَ أيضاً مِنَ الورعِ المؤكَّدِ .

فإنْ قضى الثمنَ بعدَ الأكلِ مِنَ الحرامِ . . فكأنَّهُ لمْ يقضِ الثمنَ ، ولوْ لمْ يقضِهِ أصلاً . . لكانَ متقلِّداً للمظلمةِ بترْكِ ذمَّتِهِ مرتهنةً بالدَّيْنِ ، ولا ينقلبُ ذلكَ حراماً .

فإنْ قضى الثمنَ مِنَ الحرامِ ، وأبرأَهُ البائعُ معَ العلمِ بأنَّهُ حرامٌ . . فقدْ برئَتْ ذمَّتُهُ ، ولمْ يبقَ عليهِ إلا مظلمةُ تصرُّفِهِ في الدراهمِ الحرامِ بصرفِها إلى البائعِ ، وإنْ أبرأَهُ علىٰ ظنِّ أنَّ الثمنَ حلالٌ . . فلا تحصلُ البراءةُ ؛ لأنَّهُ يبرئُهُ ممَّا أخذَهُ إبراءَ استيفاءٍ ، ولا يصلحُ ذلكَ للإيفاءِ .

فهـٰذا حكمُ المشترىٰ والأكلِ منهُ وحكمُ الذمَّةِ .

وإنْ لمْ يسلِّمْ إليهِ بطيبةِ قلبٍ ولكنْ أخذَهُ . . فأكْلُهُ حرامٌ ، سواءٌ أكلَهُ قبلَ توفيةِ الثمنِ مِنَ الحرامِ أوْ بعدَهُ ؛ لأنَّ الذي نرى الفتوىٰ بهِ ثبوتُ حقِّ الحبسِ للبائعِ حتَّىٰ يتعيَّنَ ملكُهُ بإقباضِ النقدِ كما تعيَّنَ ملكُ المشتري ، وإنَّما يبطلُ حقُّ حبسِهِ إمَّا بالإبراءِ ، أوِ الاستيفاءِ ، ولمْ يجرِ شيءٌ منهما ، ولكنَّهُ أكلَ ملكَ نفسِهِ ، وهوَ عاصٍ بهِ عصيانَ الراهنِ للطعامِ إذا أكلَهُ بغيرِ إذنِ المرتهنِ⁽¹⁾ ، وبينَهُ وبينَ أكلِ طعامِ الغيرِ فرقٌ ، ولكنْ أصلُ التحريمِ شاملٌ ، هـٰذا كلُّهُ إذا قبضَ قبلَ توفيةِ الثمنِ ؛ إمَّا بطيبةِ قلبِ البائعِ ، أوْ مِنْ غيرِ طيبةِ قلبِهِ .

فأمَّا إذا وفَّى الثمنَ الحرامَ أوَّلاً ثمَّ قبضَ ؛ فإنْ كانَ البائعُ عالماً بأنَّ الثمنَ حرامٌ ومعَ هـٰذا أقبضَ المبيعَ . . بطلَ حقُّ حبسِهِ وبقيَ لهُ الثمنُ في ذمَّتِهِ ؛ إذْ ما أخذَهُ ليسَ بثمنٍ ، ولا يصيرُ أكلُ المبيعِ حراماً بسببِ بقاءِ الثمنِ .

فأمَّا إذا لمْ يعلمْ أنَّهُ حرامٌ وكانَ بحيثُ لوْ علمَ لما رضيَ بهِ ولا أقبضَ المبيعَ . . فحقُّ حبسِهِ لا يبطلُ بهـٰذا التلبيسِ ، فأكلُهُ حرامٌ تحريمَ أكلِ المرهونِ إلىٰ أنْ يبرِئَهُ أوْ يوفِّيَ مِنْ حلالٍ ، أوْ يرضىٰ هوَ بالحرامِ ويبرىءَ ، فيصحُّ إبراؤُهُ ، ولا يصحُّ رضاهُ بالحرامِ .

---

(1) إذ لو رهن الإنسان طعاماً عند غيره . . فلا يجوز لذلك الإنسان التصرف فيه بالأكل أو غيره إلا إن أذن له المرتهن . « إتحاف » (٦/ ٦١) .

فهـٰذا مقتضى الفقهِ وبيانُ الحكمِ في الدرجةِ الأولىٰ منَ الحلِّ والحرمةِ ، فأمَّا الامتناعُ عنهُ . . فمِنَ الورعِ المهمِّ ؛ لأنَّ المعصيةَ إذا تمكَّنَتْ مِنَ السببِ الموصلِ إلى الشيءِ . . تشتدُّ الكراهيةُ فيهِ كما سبقَ ، وأقوى الأسبابِ الموصلةِ الثمنُ ، ولولا الثمنُ الحرامُ . . لما رضيَ البائعُ بتسليمِهِ إليهِ ، فرضاهُ لا يخرجُهُ عنْ كونِهِ مكروهاً كراهيةً شديدةً ، ولكنَّ العدالةَ لا تنخرمُ بهِ ، وتزولُ بهِ درجةُ التقوىٰ والورعِ .

ولوِ اشترىٰ سلطانٌ مثلاً ثوباً أوْ أرضاً في الذمَّةِ وقبضَهُ برضا البائعِ قبلَ توفيةِ الثمنِ ، وسلَّمَهُ إلىٰ فقيهٍ أوْ غيرِهِ صلةً أوْ خلعةً وهوَ شاكٌّ في أنَّهُ سيقضي ثمنَهُ مِنَ الحلالِ أوِ الحرامِ . . فهـٰذا أخفُّ ؛ إذْ وقعَ الشكُّ في تطرُّقِ المعصيةِ إلى الثمنِ ، وتفاوتُ خفَّتِهِ بتفاوتِ كثرةِ الحرامِ وقلَّتِهِ في مالِ ذلكَ السلطانِ ، وما يغلبُ على الظنِّ فيهِ ، وبعضُهُ أشدُّ مِنْ بعضٍ ، والرجوعُ فيهِ إلىٰ ما ينقدحُ في القلبِ .

* * *

الرتبةُ الوسطىٰ : ألا يكونَ العوضُ غصباً ولا حراماً ، ولكنْ يتهيَّأُ لمعصيةٍ ؛ كما لوْ سلَّمَ عوضاً عنِ الثمنِ عنباً والآخذُ شاربُ خمرٍ ، أوْ سيفاً وهوَ قاطعُ طريقٍ ، فهـٰذا لا يوجبُ تحريماً في مبيعٍ اشتراهُ في الذمَّةِ ، ولكنْ يقتضي فيهِ كراهيةً دونَ الكراهيةِ التي في الغصْبِ ، وتتفاوتُ درجاتُ هـٰذهِ الرتبةِ أيضاً بتفاوتِ غلبةِ المعصيةِ علىٰ قابضِ الثمنِ وندورِها .

ومهما كانَ العوضُ عملاً حراماً . . فبذلُهُ حرامٌ ، وإنِ احتُمِلَ تحريمُهُ ولكنْ أُبيحَ بظنٍّ . . فبذلُهُ مكروهٌ ، وعليهِ ينزَّلُ عندي النهيُ عنْ كسبِ الحجَّامِ وكراهتُهُ(١) ؛ إذْ نهىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ عنهُ مرَّاتٍ ، ثمَّ أمرَ بأنْ يُعلفَ الناضحُ(٢) ، وما سبقَ إلى الوهمِ مِنْ أنَّ سببَهُ مباشرةُ النجاسةِ والقذرِ فهوَ فاسدٌ ؛ إذْ يجبُ طردُهُ في الدبَّاغِ والكنَّاسِ ، ولا قائلَ بهِ .

فإنْ قيلَ بهِ . . فلا يمكنُ طردُهُ في القصَّابِ ؛ إذْ كيفَ يكونُ كسبُهُ مكروهاً وهوَ بدلٌ عنِ اللحمِ ، واللحمُ في نفسِهِ غيرُ مكروهٍ ، ومخامرةُ القصَّابِ للنجاسةِ أكثرُ منهُ للحجَّامِ والفصَّادِ ، فإنَّ الحجَّامَ يأخذُ الدمَ بالمِحْجمةِ ويمسحُهُ بالقطنةِ .

ولكنَّ السببَ أنَّ الحجامةَ والفصدَ جراحةٌ ، وهيَ تخريبٌ لبنيةِ الحيوانِ وإخراجٌ لدمِهِ وبهِ قوامُ حياتِهِ ، والأصلُ فيهِ التحريمُ ، وإنَّما يحلُّ لضرورةٍ ، وتُعلمُ الحاجةُ والضرورةُ بحدْسٍ واجتهادٍ ، وربَّما يُظنُّ نافعاً ويكونُ ضارّاً ، فيكونُ حراماً عندَ اللهِ تعالىٰ ، ولكنْ حُكِمَ بحلِّهِ بالظنِّ والحدْسِ ، ولذلكَ لا يجوزُ للفصَّادِ فصْدُ عبدٍ ولا صبيٍّ ولا معتوهٍ إلا بإذنِ وليِّهِ وقولِ طبيبٍ ،

---

(١) إذ روىٰ مسلم (١٥٦٨) مرفوعاً : « ثمن الكلب خبيث ، ومهر البغي خبيث ، وكسب الحجام خبيث » ، وعند النسائي (٧/ ٣١٠) وابن ماجه (٢١٦٥) صريح النهي عن كسب الحجام .

(٢) فقد روىٰ أبو داوود (٣٤٢٢) ، والترمذي (١٢٧٧) ، وابن ماجه (٢١٦٦) عن مُحَيِّصة أنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في إجارة الحجام ، فنهاه عنها ، فلم يزل يسأله ويستأذنه حتىٰ قال : « اعلفه ناضحك وأطعمه رقيقك » .

ولولا أنَّهُ حلالٌ في الظّاهرِ . . لما أعطىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ أجرةَ الحجَّامِ(١) ، ولولا أنَّهُ يحتملُ التحريمَ . . لما نهىٰ عنهُ ، فلا يمكنُ الجمعُ بينَ إعطائِهِ ونهيِهِ إلا باستنباطِ هـٰذا المعنىٰ .

وهـٰذا كانَ ينبغي أنْ نذكرَهُ في القرائنِ المقرونةِ بالسببِ ؛ فإنَّهُ أقربُ إليهِ .

* * *

الرتبةُ السفلىٰ : وهي درجةُ الوسواسِ : وذلكَ أنْ يحلفَ إنسانٌ علىٰ ألا يلبسَ مِنْ غزلِ أمِّهِ ، فباعَ غزلَها ، واشترىٰ بثمنِهِ ثوباً ، فهـٰذا لا كراهيةَ فيهِ ، والورعُ عنهُ وسوسةٌ . ورُوِيَ عنِ المغيرةِ أنَّهُ قالَ في هـٰذهِ الواقعةِ : لا يجوزُ ، واستشهدَ بأنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لعنَ اليهودَ ؛ إذْ حُرِّمَتْ عليهمُ الخمورُ ، فباعوها وأكلوا أثمانَها(٢) ، وهـٰذا غلطٌ ؛ لأنَّ بيعَ الخمورِ باطلٌ ؛ إذْ لمْ يبقَ للخمرِ منفعةٌ في الشرعِ ، وثمنُ البيعِ الباطلِ حرامٌ(٣) .

---

(١) كما في « البخاري » (٢١٠٣) ، و« مسلم » (١٢٠٢) وفيه : (ولو كان حراماً . . لم يعطه) .

(٢) ما رواه البخاري (٢٢٢٣) ، ومسلم (١٥٨٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما : (بلغ عمر أن فلاناً باع خمراً فقال : قاتل الله فلاناً ، ألم يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قاتل الله اليهود ، حرِّمت عليهم الشحوم ، فجملوها ، فباعوها ») ، ولفظ (الشحوم) وما يناسبه في السياق هو في (ب) ، وسيأتي الكلام عليه .

(٣) سبق أن أصل الحديث جاء بلفظ (الشحوم) لا (الخمور) ، ومع هـٰذا فالشاهد لا يبطل ؛ إذ الشحوم حكمها عند اليهود حكم الخمر في إثبات الحرمة ، وبيع الخمر =

وليسَ هـٰذا مِنْ ذلكَ بلْ مثالُ هـٰذا : أنْ يملكَ الرجلُ جاريةً هيَ أختُهُ مِنَ الرضاعِ ، فباعَها بجاريةٍ أجنبيةٍ ، فليسَ لأحدٍ أنْ يتورَّعَ عنهُ ، ويشبِّهَ ذلكَ ببيعِ الخمرِ ، فهـٰذا غايةُ السرفِ في هـٰذا الطرفِ .

وقدْ عرفنا جميعَ الدرجاتِ وكيفيةَ التدريجِ فيها ، وإنْ كانَ تفاوتُ هـٰذهِ الدرجاتِ لا ينحصرُ في ثلاثٍ أوْ أربعٍ ولا في عددٍ ، ولكنِ المقصودُ مِنَ التعديدِ التقريبُ والتفهيمُ .

* * *

فإنْ قيلَ : فقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنِ اشترىٰ ثوباً بعشرةِ دراهمَ فيها درهمٌ حرامٌ . . لمْ يقبلِ اللهُ لهُ صلاةً ما كانَ عليهِ » ، ثمَّ أدخلَ ابنُ عمرَ إصبعيهِ في أذنيه وقالَ : (صُمَّتا إنْ لمْ أكنْ سمعتُهُ منهُ)(١) .

= والشحم عندهم باطل ، وثمنه حرام ، وهـٰذا مستفاد من تشبيه سيدنا عمر الخمر بالشحم ، قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٤/ ٤١٥) : (ووجه تشبيه عمر بيع المسلمين الخمر ببيع اليهود المذاب من الشحم الاشتراكُ في النهي عن تناول كل منهما) ، وبالتعيين : النهي عن الانتفاع بهما ؛ وعليه يكون إثبات لفظ (الشحوم) ومشتقات هـٰذا الجذر في السياق كما جاء في (ب) وعدم مخالفة المصنف لنص الحديث . . غيرَ بعيد .

وقال الحافظ الزبيدي : (هـٰذا إن ثبت أن المغيرة رضي الله عنه رفعت إليه هـٰذه الحادثة بعينها من طريق صحيحة وأجاب بما تقدم ، فإني لم أر رواية المغيرة لهـٰذا الحديث في مظانها ، والله أعلم) . « إتحاف » (٦/ ٦٤) .

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٩٨) .

قلنا : ذلكَ محمولٌ علىٰ ما لوِ اشترىٰ بعشرةٍ بعينِها لا في الذمَّةِ ، وإذا اشترىٰ في الذمَّةِ . . فقدْ حكمْنا بالتحريمِ في أكثرِ الصورِ ، فليُحملْ عليها .

ثمَّ كمْ مِنْ مِلْكٍ يُتوعَّدُ عليهِ بمنعِ قبولِ الصلاةِ لمعصيةٍ تطرَّقَتْ إلىٰ سببِهِ ، وإنْ لمْ يدلَّ ذلكَ علىٰ فسادِ العقدِ ؛ كالمشترىٰ في وقتِ النداءِ وغيرِهِ .

* * *

المثار الرابع : الاختلاف في الأدلة

فإنَّ ذلكَ كالاختلافِ في السببِ ؛ لأنَّ السببَ سببٌ لحكمِ الحلِّ والحرمةِ ، والدليلَ سببٌ لمعرفةِ الحلِّ والحرمةِ ، فهوَ سببٌ في حقِّ المعرفةِ ، وما لمْ يثبتْ في معرفةِ العبدِ . . فلا فائدةَ في ثبوتِهِ في نفسِهِ وإنْ جرىٰ سببُهُ في علمِ اللهِ .

وهوَ إمَّا أنْ يكونَ لتعارضِ أدلةِ الشرعِ ، أوْ لتعارضِ العلاماتِ الدالَّةِ ، أوْ لتعارضِ المتشابهِ .

* * *

القسمُ الأوَّلُ : أنْ تتعارضَ أدلَّةُ الشرعِ :

مثلُ تعارضِ عمومينِ مِنَ القرآنِ أوِ السنةِ ، أوْ تعارضِ قياسينِ ، أوْ تعارضِ قياسٍ وعمومٍ .

وكلُّ ذلكَ يورثُ الشكَّ ، ويُرجَعُ فيهِ إلى الاستصحابِ ، أوِ الأصلِ المعلومِ قبلَهُ إنْ لمْ يكنْ ترجيحٌ ، فإنْ ظهرَ ترجيحٌ في جانبِ الحظْرِ . . وجبَ الأخذُ بهِ ، وإنْ ظهرَ في جانبِ الحلِّ . . جازَ الأخذُ بهِ ، ولكنَّ الورعَ تركُهُ .

واتقاءُ مواضعِ الخلافِ مهمٌّ في الورعِ في حقِّ المفتي والمقلِّدِ ، وإنْ كانَ المقلِّدُ يجوزُ لهُ أنْ يأخذَ بما أفتىٰ لهُ مقلَّدُهُ الذي يظنُّ أنَّهُ أفضلُ علماءِ بلدِهِ ،

ويعرِفُ ذلكَ بالتسامعِ ، كما يعرفُ أفضلَ أطباءِ البلدِ بالتسامعِ والقرائنِ وإنْ كانَ لا يحسنُ الطبَّ .

وليسَ للمستفتي أنْ ينتقدَ مِنَ المذاهبِ أسهلَها عليهِ وأوسعَها[1] ، بلْ عليهِ أنْ يبحثَ حتَّىٰ يغلبَ علىٰ ظنِّهِ الأفضلُ ، ثمَّ يتبعُهُ فلا يخالفُهُ أصلاً .

نعمْ ، إنْ أفتىٰ لهُ إمامُهُ بشيءٍ ولإمامِهِ فيهِ مخالفٌ ؛ فالفرارُ مِنَ الخلافِ إلى الإجماعِ مِنَ الورعِ المؤكَّدِ ، وكذا المجتهدُ إذا تعارضَتْ عندَهُ الأدلَّةُ ، ورجَّحَ جانبَ الحلِّ بحدْسٍ وتخمينٍ وظنٍّ . . فالورعُ لهُ الاجتنابُ ، فلقدْ كانَ المفتونَ يفتونَ بحلِّ أشياءَ لا يقدمونَ عليها قطُّ ؛ تورُّعاً منها ، وحذراً مِنَ الشبهةِ فيها .

* * *

ولنقسمْ هـٰذا أيضاً علىٰ ثلاثِ مراتبَ :

ـ **الرتبةُ الأولىٰ** : ما يتأكَّدُ الاستحبابُ في التورُّعِ عنهُ : وهوَ ما يقوىٰ فيهِ دليلُ المخالفِ ويدقُّ وجهُ ترجيحِ المذهبِ الآخرِ عليهِ .

فمِنَ المهمَّاتِ التورُّعُ عنْ فريسةِ الكلبِ المعلَّمِ إذا أكلَ منها وإنْ أفتى المفتي بأنَّهُ حلالٌ ؛ لأنَّ الترجيحَ فيهِ غامضٌ ، وقدِ اخترنا أنَّ ذلكَ حرامٌ ، فهوَ أقيسُ قولَيِ الشافعيِّ رحمهُ اللهُ ، ومهما وُجدَ للشافعيِّ قولٌ جديدٌ موافقٌ لمذهبِ أبي حنيفةَ رحمَهُ اللهُ أوْ غيرِهِ مِنَ الأئمَّةِ . . كانَ الورعُ فيه مهمّاً ، وإنْ أفتى المفتي بالقولِ الآخرِ .

---

[1] ينتقد هنا : يختار وينتقي .

ومنْ ذلكَ: الورعُ عنْ متروكِ التسميةِ وإنْ لمْ يختلفْ فيهِ قولُ الشافعيِّ[1] ؛ لأنَّ الآيةَ ظاهرةٌ في إيجابِها ، والأخبارَ متواردةٌ فيها ؛ فإنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ لكلِّ مَنْ سألَهُ عنِ الصيدِ : « إذا أرسلتَ كلبَكَ المعلَّمَ وذكرتَ اسمَ اللهِ عليهِ . . فكُلْ »[2] ، ونُقِلَ ذلكَ على التكرارِ ، وقدْ شُهرَ الذبحُ بالتسميةِ[3] ، وكلُّ ذلكَ يقوِّي دليلَ الاشتراطِ ، ولكنْ لمَّا صحَّ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « المؤمنُ يذبحُ على اسمِ اللهِ تعالىٰ سمَّىٰ أوْ لمْ يسمِّ »[4] ؛ فاحتملَ أنْ يكونَ

---

[1] إذ رأى الإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ أن التسمية سنة مستحبة ، وقال في « الأم » (٣/ ٥٩٣) : (لأن المسلم يذبح على اسم الله عز وجل وإن نسي) ، ويتجلى الورع في هـٰذه المسألة فيما إذا تعمد الذابح ترك التسمية ؛ إذ الجمهور علىٰ حرمة أكل مثل هـٰذه الذبيحة ، والشافعية على الكراهة . انظر « الإتحاف » (٦/ ٦٦) ، وتعليل المصنف الآتي هو بيان لمثار الشبهة في هـٰذه المسألة .

[2] رواه البخاري (١٧٥) ، ومسلم (١٩٢٩) .

[3] ومنه ما رواه البخاري (٢٤٨٨) ، ومسلم (١٩٦٨) : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه . . فكلوه ليس السنَّ والظُّفُرَ . . . » الحديث .

[4] وقد رواه أبو داوود في « المراسيل » (٣٦٩) عن الصلت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ذبيحة المسلم حلال ، ذكر اسم الله أو لم يذكر » ، وعند البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٩/ ٢٣٩) : عن ابن عباس رضي الله عنهما فيمن ذبح ونسي التسمية قال : (المسلم فيه اسم الله وإن لم يذكر التسمية) ، وقال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٩/ ٦٣٦) : (الحديث الذي اعتمد عليه ـ أي : الإمام الغزالي ـ وحكم بصحته . . بالغ النووي في إنكاره فقال : هو مجمع علىٰ ضعفه ، قال : وقد أخرجه البيهقي من حديث أبي هريرة وقال : منكر لا يحتج به) ، ثم ذكر حديث أبي داوود المرسل وقال : (الصلت يقال له : السدوسي ، ذكره ابن حبان في « الثقات » ، وهو مرسل جيد) ، وانظر « الإتحاف » (٦/ ٦٧) .

هـٰذا عامّاً موجِباً لصرفِ الآيةِ وسائرِ الأخبارِ عن ظواهرِها ، ويُحتملُ أنْ يُخصَّصَ هـٰذا بالناسي وتُتركَ الظواهرُ ولا تؤوَّلُ ، وكانَ حملُهُ على الناسي ممكناً ؛ تمهيداً لعذرِهِ في تركِ التسميةِ بالنسيانِ ، وكانَ تعميمُهُ وتأويلُ الآيةِ ممكناً إمكاناً أقربَ . . رجحْنا ذلكَ ، ولا يُنكرُ رفعُ الاحتمالِ المقابلِ لهُ ، فالورعُ عنْ مثلِ هـٰذا مهمٌّ واقعٌ في الدرجةِ الأولىٰ .

* * *

ـ **الثانيةُ** : وهيَ تزاحمُ درجةِ الوسواسِ : أنْ يتورَّعَ الإنسانُ عنْ أكلِ الجنينِ الذي يصادفُ في بطنِ الحيوانِ المذبوحِ ، وعنِ الضبِّ ، وقدْ صحَّ في الصحاحِ مِنَ الأخبارِ حديثُ الجنينِ وأنَّ ذكاتَهُ ذكاةُ أمِّهِ صحَّةً لا يتطرَّقُ احتمالٌ إلىٰ متنِهِ ولا ضعفٌ إلىٰ سندِهِ⁽¹⁾ ، وكذلكَ صحَّ أنَّهُ أُكِلَ الضبُّ علىٰ مائدةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وقدْ نُقلَ ذلكَ في « الصحيحينِ »⁽²⁾ .

فالظنُّ بأبي حنيفةَ أنَّهُ لمْ تبلغْهُ هـٰذهِ الأحاديثُ ، ولوْ بلغَتْهُ . . لقالَ بها إنْ أنصفَ ، وإنْ لمْ ينصفْ منصفٌ فيهِ . . كانَ خلافُهُ غلطاً لا يعتدُّ بهِ ولا يورثُ

---

(1) رواه أبو داوود (٢٨٢٧) ، والترمذي (١٤٧٦) ، وابن ماجه (٣١٩٩) ، وقد أشار الحافظ ابن الملقن في « البدر المنير » (٩/ ٤٠٠) ، والحافظ العراقي في « تخريجه » كما في نسخة الحافظ الزبيدي (٦/ ٧٠) إلىٰ أن المصنف هنا تبع في حكمه علىٰ هـٰذا الحديث شيخه إمام الحرمين الجويني في « الأساليب » ، وكلام المصنف في هـٰذه الرتبة والتي قبلها صاغه الإمام النووي في « المجموع » (٩/ ٣٢٦) .

(2) رواه البخاري (٢٥٧٥) ، ومسلم (١٩٤٧) .

شبهةٌ(١) ؛ كما لوْ لمْ يخالفْ ، وعُلِمَ الشيءُ بخبرِ الواحدِ(٢) .

* * *

---

(١) القول بالكراهة أو الحرمة في أكل الضب ليس هو قول أبي حنيفة وحده ، بل هو قول الكوفيين غيره ، كما حكاه ابن بطال ، وحكاه ابن المنذر عن علي ، وابن حزم عن جابر ، وهو عند مسلم (١٩٦١) . انظر « الإتحاف » (٦/ ٧٢) .

وقد روىٰ أبو داوود (٣٧٩٦) عن عبد الرحمـٰن بن شبل : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهىٰ عن أكل لحم الضب ، وروىٰ أحمد في « المسند » (٦/ ١٠٥) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٤٤٦١) واللفظ له ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : أهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ضب ، فلم يأكل منه ، فقلت : يا رسول الله ؛ ألا أطعمه السؤَّال ؟ قال : « لا أطعم السؤَّال إلا ما آكل منه » . قال الحافظ البدر العيني في « عمدة القاري » (١٣/ ١٣٤) : (وقال أصحابنا : الأحاديث التي وردت بإباحة أكل الضب منسوخة بأحاديثنا) إلىٰ آخر كلامه .

وعليه : فحديث : « ذكاة الجنين ذكاة أمه » ليس كما قال المصنف من كونه لا يتطرق الاحتمال إلىٰ متنه ، وقد قال ابن الملقن في « البدر المنير » (٩/ ٤٠١) بعد أن نقل قول المصنف في الحكم علىٰ هـٰذا المتن حجة من ذهب إلىٰ ترك الاحتجاج به كابن حزم والإشبيلي : (وهـٰذا من العجب العجاب ، وخير الأمور أوسطها) ، ثم لا تقف المسألة علىٰ صحة متنه ؛ فإن الاحتمال متطرق إلىٰ فهمه ، وهـٰذا ما لا حاجة فيه إلى الرد ، ثم قول الحنفية بالكراهة في أكل الضب له أصل ، أياً كان هـٰذا الأصل ، بل إن الاقتداء بتركه لأنه صلى الله عليه وسلم لم يأكله تقذراً ـ وهو ما لا يخالف فيه أحد ـ لا يبعد فيه التسنن والتورع ؛ لوجود صورة القدوة به صلى الله عليه وسلم .

إذاً ؛ فأمثلة هـٰذه الرتب تتفاوت بتفاوت أقوال المجتهدين ومقلديهم ، فما يكون مباحاً دون شبهة . . قد يكون حراماً أو فيه شبهة عند بعض المجتهدين المتبعين ، وللتوسع في هذا الموضوع يرجع إلى كتاب : « أثر الحديث الشريف في اختلاف الأئمة الفقهاء » للعلامة الشيخ محمد عوامة نفع الله به فإنه نافع .

(٢) وهو ما سيأتي الحديث عنه في الرتبة الثالثة الآتية .

ـ **الرتبةُ الثالثةُ** : ألا يشتهرَ في المسألةِ خلافٌ أصلاً ، ولكنْ يكونُ الحلُّ معلوماً بخبرِ الواحدِ ، فيقولُ القائلُ : قدِ اختلفَ الناسُ في خبرِ الواحدِ ؛ فمنهُمْ مَنْ لا يقبلُهُ(١) ، فأنا أتورَّعُ ؛ فإنَّ النَّقَلَةَ وإن كانوا عدولاً . . فالغلطُ جائزٌ عليهمْ ، والكذبُ لغرضٍ خفيٍّ جائزٌ عليهِمْ ؛ فإنَّ العدلَ أيضاً قدْ يكذبُ ، والوهمُ جائزٌ عليهِمْ ؛ فإنَّهُ قدْ يسبقُ إلىٰ سمعِهِمْ خلافُ ما يقولُهُ القائلُ ، وكذا إلىٰ فهمِهِمْ .

فهٰذا ورعٌ لمْ يُنقلْ مثلُهُ عنِ الصحابةِ فيما كانوا يسمعونَهُ مِنْ عدْلٍ تسكنُ نفوسُهُمْ إليهِ .

وأمَّا إذا تطرَّقتْ شبهةٌ بسببٍ خاصٍّ ودلالةٍ معيَّنةٍ في حقِّ الراوي . . فللتوقُّفِ وجهٌ ظاهرٌ وإنْ كانَ عدلاً ، وخلافُ مَنْ خالفَ في أخبارِ الآحادِ غيرُ معتدٍّ بهِ ، وهوَ كخلافِ النظَّامِ في أصلِ الإجماعِ(٢) ، وقولِهِ : (إنَّهُ ليسَ بحجَّةٍ) ، ولوْ جازَ مثلُ هٰذا الورعِ . . لكانَ مِنَ الورعِ أنْ يمتنعَ الإنسانُ مِنْ أنْ يأخذَ ميراثَ الجدِّ أبي الأبِ ويقولَ : (ليسَ في كتابِ اللهِ تعالىٰ ذكرٌ إلا

---

(١) وهم الشيعة وبعض المعتزلة ، ومن المحدثين إبراهيم بن عُلَيَّة ، إلا أنه مهجور القول عند الأئمة لميله إلى الاعتزال . انظر « الإتحاف » (٦/ ٧٢ ، ٧٣) .

(٢) وإبراهيم النظَّام هو مبتدع القول برد الإجماع ، كما في « البرهان » (١/ ٦٧٠ـ٦٧٥) ، وتعرض له المصنف في « الاقتصاد » (ص٣٠٧) ورد علىٰ منكري القول بالإجماع ، ومع هٰذا فإن النظَّام في مسألة خبر الواحد يثبت العلم به ولا يلتفت إلى العدد . انظر « المنخول » (ص٣٢٧) .

للبنينَ ، وإلحاقُ ابنِ الابنِ بالابنِ مِنْ إجماعِ الصحابةِ ، وهمْ غيرُ معصومينَ ، والغلطُ عليهِمْ جائزٌ ، وخالفَ النظَّامُ فيهِ) .

وهٰذا هوسٌ ، ويتداعىٰ إلىٰ أنْ يتركَ ما علمَ بعموماتِ القرآنِ ، إذْ منَ المتكلمينَ مَنْ ذهبَ إلىٰ أنَّ العموماتِ لا صيغةَ لها ، وإنَّما يُحتجُّ بما فهمَهُ الصحابةُ منها بالقرائنِ والدلالاتِ ، وكلُّ ذلكَ وسواسٌ .

فإذاً ؛ لا طرفَ مِنْ أطرافِ الشبهاتِ إلا وفيهِ غلوٌّ وإسرافٌ ، فليُفهمْ ذلكَ .

ومهما أشكلَ أمرٌ مِنْ هٰذهِ الأمورِ . فليستفتِ فيهِ القلبَ ، وليدعِ الوَرِعُ ما يريبُهُ إلىٰ ما لا يريبُهُ ، وليتركْ حزازاتِ القلوبِ وما يحكُّ بالصدورِ ، وذلكَ يختلفُ بالأشخاصِ والوقائعِ ، ولكنْ ينبغي أنْ يحفظَ قلبَهُ عنْ دواعي الوسواسِ ؛ حتَّىٰ لا يحكمَ إلا بالحقِّ ، ولا ينطويَ علىٰ حزازةٍ في مظانِّ الوسواسِ ، ولا يخلوَ عنِ الحزازةِ في مظانِّ الكراهةِ .

وما أعزَّ مثلَ هٰذا القلبِ⁽¹⁾ ، ولذلكَ لمْ يردَّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ كلَّ أحدٍ إلىٰ فتوى القلبِ، وإنَّما قالَ ذلكَ لوابصةَ لما كانَ قدْ عرفَهُ مِنْ حالِهِ⁽²⁾ .

---

(١) وهٰذا القلب أعز من الذهب في سائر المعادن ، وهو القلب الذي رد إليه صلى الله عليه وسلم في الحكم لما سئل عن البر والإثم فقال : « البر ما اطمأن إليه القلب ، والإثم حواز القلوب » ، وقال : « الإثم ما حاك في صدرك » . « إتحاف » (٦/ ٧٥) ، وأصله في « القوت » (٢/ ٢٩٠) .

(٢) روىٰ ذلك الخبر أحمد في « مسنده » (٤/ ٢٢٨) .

القسمُ الثاني : أنْ تتعارضَ العلاماتُ الدالَّةُ على الحلِّ والحرمةِ(١) :

فإنَّهُ قدْ يُنهبُ نوعٌ مِنَ المتاعِ في وقتٍ ، ويندرُ وقوعُ مثلِهِ مِنْ غيرِ النهبِ ، فيُرىٰ مثلاً في يدِ رجلٍ مِنْ أهلِ الصلاحِ ، فيدلُّ صلاحُهُ علىٰ أنَّهُ حلالٌ ، ويدلُّ نوعُ المتاعِ وندورُهُ مِنْ غيرِ المنهوبِ علىٰ أنَّهُ حرامٌ ، فيتعارضُ الأمرانِ .

وكذلكَ يخبرُ عدلٌ بأنَّهُ حرامٌ ، وآخرُ بأنَّهُ حلالٌ ، أوْ تتعارضُ شهادةُ فاسقينِ ، أوْ قولُ صبيٍّ وبالغٍ !

فإنْ ظهرَ ترجيحٌ . . حُكِمَ بهِ ، والورعُ الاجتنابُ ، وإنْ لمْ يظهرْ ترجيحٌ . . وجبَ التوقُّفُ ، وسيأتي تفصيلُهُ في بابِ التعرُّفِ بالبحثِ والسؤالِ .

* * *

القسمُ الثالثُ : تعارضُ الأشباهِ في الصفاتِ التي تُناطُ بها الأحكامُ :

مثالُهُ : أنْ يُوصىٰ بمالٍ للفقهاءِ ، فيُعلمَ أنَّ الفاضلَ في الفقهِ داخلٌ فيهِ ، وأنَّ الذي ابتدأَ التعلُّمَ مِنْ يومٍ أوْ شهرٍ لا يدخلُ فيهِ ، وبينَهُما درجاتٌ لا تُحصىٰ ، يقعُ الشكُّ فيها ، فالمفتي يفتي بحسَبِ الظنِّ ، والورعُ الاجتنابُ .

---

(١) أي : تكون كل من العلامتين معارضة للأخرىٰ ؛ فإحداهما تدل علىٰ حلِّه ، والأخرىٰ علىٰ حرمته . « إتحاف » (٦/ ٧٥) .

وهـٰذا أغمضُ مثاراتِ الشبهةِ ، فإنَّ فيها صوراً يتحيَّرُ المفتي فيها تحيُّراً لازماً لا حيلةَ لهُ فيهِ ؛ إذْ يكونُ المتصفُ بصفةٍ في درجةٍ متوسطةٍ بينَ الدرجتينِ المتقابلتينِ ، لا يظهرُ لهُ ميلُهُ إلىٰ أحدِهما .

وكذلكَ الصدقاتُ المصروفةُ إلى المحتاجينَ ؛ فإنَّ مَنْ لا شيءَ لهُ معلومٌ أنَّهُ محتاجٌ ، ومَنْ لهُ مالٌ كثيرٌ معلومٌ أنَّهُ غنيٌّ ، ويتصدىٰ بينَهما مسائلُ غامضةٌ ؛ كمَنْ لهُ دارٌ ، وأثاثٌ ، وثيابٌ ، وكتبٌ ، فإنَّ قدْرَ الحاجةِ منهُ لا يمنعُ مِنَ الصرفِ إليهِ ، والفاضلُ يمنعُ ، والحاجةُ ليسَت محدودةً ، وإنَّما تُدركُ بالتقريبِ ، ويتصدىٰ منهُ النظرُ في مقدارِ سعةِ الدارِ وأبنيتِها ، ومقدارِ قيمتِها ؛ لكونِها في وسَطِ البلدِ ، ووقوعِ الاكتفاءِ بدارٍ دونَها ، وكذلكَ في نوعِ أثاثِ البيتِ إذا كانَ مِنَ الصفرياتِ لا مِنَ الخزفِ ، وكذلكَ في عددِها وكذلكَ في قيمتِها ، وكذلكَ فيما يحتاجُ إليهِ كلَّ يومٍ ، وما يحتاجُ إليهِ في كلِّ سنةٍ كآلاتِ الشتاءِ ، وما لا يحتاجُ إليهِ إلا في السنينَ ، وشيءٌ مِنْ ذلكَ لا حدَّ لهُ .

والوجهُ في مثلِ هـٰذا ما قالَهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ؛ إذْ قالَ : « دعْ ما يريبُكَ إلىٰ ما لا يريبُكَ »(١) ، وكلُّ ذلكَ في محلِّ الريبِ .

فإنْ توقَّفَ المفتي . . فلا وجهَ إلا التوقُّفُ ، وإنْ أفتى المفتي بظنٍّ وتخمينٍ . . فالورعُ التوقُّفُ ، وهوَ أهمُّ مواضعِ الورعِ .

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٨) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٥٢٠١) .

وكذلكَ ما يجبُ بقدْرِ الكفايةِ مِنْ نفقةِ الأقاربِ وكسوةِ الزوجاتِ ، وكفايةِ الفقهاءِ والعلماءِ علىٰ بيتِ المالِ ؛ إذْ فيهِ طرفانِ ؛ يُعلمُ أنَّ أحدَهُما قاصرٌ ، وأنَّ الآخرَ زائدٌ ، وبينَهُما أمورٌ متشابهةٌ تختلفُ باختلافِ الشخصِ والحالِ ، والمطلعُ على الحاجاتِ هوَ اللهُ تعالىٰ ، وليسَ للبشرِ وقوفٌ علىٰ حدودِها ، فما دونَ الرَّطلِ المكيِّ في اليومِ قاصرٌ عنْ كفايةِ الرجلِ الضخمِ ، وما فوقَ ثلاثةِ أرطالٍ زائدٌ على الكفايةِ ، وما بينَهُما لا يُتحقَّقُ لهُ حدٌّ ، فليدعِ الوَرِعُ ما يريبُهُ إلىٰ ما لا يريبُهُ .

وهـٰذا جارٍ في كلِّ حكمٍ نيطَ بسببٍ ، يُعرفُ ذلكَ السببُ بلفظٍ⁽¹⁾ ، إذِ العربُ وسائرُ أهلِ اللغاتِ لمْ يقدِّروا متضمناتِ اللغاتِ بحدودٍ محدودةٍ تنقطعُ أطرافُها عنْ مقابلاتِها ؛ كلفظِ الستَّةِ ؛ فإنَّهُ لا يحتملُ ما دونَها وما فوقَها مِنَ الأعدادِ ، وسائرِ ألفاظِ الحسابِ⁽²⁾ والتقديراتِ ، فليستِ الألفاظُ اللغويَّةُ كذلكَ ، ولا لفظَ في كتابِ اللهِ تعالىٰ وسنَّةِ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلا ويتطرَّقُ الشكُّ إلىٰ أوساطٍ في مقتضياتِها ، تدورُ بينَ أطرافٍ متقابلةٍ وتعظمُ الحاجةُ إلىٰ هـٰذا الفنِّ في الوصايا والأوقافِ .

فالوقفُ على الصوفيَّةِ مثلاً ممَّا يصحُّ ، ومَنِ الداخلُ تحتَ موجَبِ هـٰذا اللفظِ ؟

---

(1) أي : بلفظ خاص . « إتحاف » (٦/ ٧٦) .

(2) في (ب) : (التخمينات) بدل (الحساب) .

هـٰذا مِنَ الغوامضِ ، وكذلكَ سائرُ الألفاظِ[1] ، وسنشيرُ إلىٰ مقتضىٰ لفظِ الصوفيّةِ على الخصوصِ ؛ ليُعلمَ بهِ طريقُ التصرُّفِ في الألفاظِ ، وإلا . . فلا مطمعَ في استيفائِها ، فهـٰذهِ اشتباهاتٌ تثورُ مِنْ علاماتٍ متعارضةٍ ، تجذبُ إلىٰ طرفينِ متقابلينِ ، وكلُّ ذلكَ مِنَ الشبهاتِ التي يجبُ اجتنابُها إذا لمْ يترجَّحْ جانبُ الحلِّ بدلالةٍ تغلبُ على الظنِّ أوْ باستصحابٍ ؛ بموجَبِ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « دعْ ما يريبُكَ إلىٰ ما لا يريبُكَ » ، وبموجَبِ سائرِ الأدلَّةِ التي سبقَ ذكرُها .

فهـٰذهِ مثاراتُ الشبهاتِ ، وبعضُها أشدُّ مِنْ بعضٍ ، ولوْ تظاهرَتْ شبهاتٌ شتَّىٰ علىٰ شيءٍ واحدٍ . . كانَ الأمرُ أغلظَ ؛ مثلَ أنْ يأخذَ طعاماً مختلَفاً فيهِ عوضاً عنْ عنبٍ باعَهُ مِنْ خمَّارٍ بعدَ النداءِ يومَ الجمعةِ ، والبائعُ قدْ خالطَ مالَهُ حرامٌ ليسَ هوَ أكثرَ مالِهِ[2] ، ولكنَّهُ صارَ مشتبهاً بهِ ، فقدْ يؤدِّي ترادفُ الشبهاتِ إلىٰ أنْ يشتدَّ الأمرُ في اقتحامِها .

فهـٰذهِ مراتبُ عرفْنا طريقَ الوقوفِ عليها ، وليسَ في قوَّةِ البشرِ حصرُها ، فما اتضحَ مِنْ هـٰذا الشرحِ . . أُخذَ بهِ ، وما التبسَ . . فليُجتنبْ ؛ فإنَّ الإثمَ حَوَازُّ القلوبِ ، وحيثُ قضينا باستفتاءِ القلبِ . . أردْنا بهِ حيثُ أباحَ المفتي ، أمَّا حيثُ حرَّمَ . . فيجبُ الامتناعُ .

---

(١) كالفقهاء والعلماء والطلبة وغيرهم . « إتحاف » (٦/ ٧٧) .

(٢) فصارت الشُّبهُ أربعاً ، كل واحدة تدعو للورع .

ثمَّ لا يعوَّلُ علىٰ كلِّ قلبٍ ، فربَّ موسوِسٍ ينفرُ عنْ كلِّ شيءٍ ، وربَّ شَرِهٍ متساهِلٍ يطمئنُّ إلىٰ كلِّ شيءٍ ، ولا اعتبارَ بهـٰذينِ القلبينِ ، وإنَّما الاعتبارُ بقلبِ العالمِ الموفَّقِ المراقبِ لدقائقِ الأحوالِ ، فهوَ المحكُّ الذي تُمتحنُ بهِ خفايا الأمورِ ، وما أعزَّ هـٰذا القلبَ في القلوبِ ، فمَنْ لمْ يثقْ بقلبِ نفسِهِ .. فليلتمسِ النورَ مِنْ قلبٍ بهـٰذهِ الصفةِ ، وليعرضْ عليهِ واقعتَهُ .

وجاءَ في الزبورِ : إنَّ اللهَ تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ داوودَ عليهِ السلامُ : قُلْ لبني إسرائيلَ : إنِّي لا أنظرُ إلىٰ صلاتِكُمْ ولا صيامِكُمْ ، ولكنْ أنظرُ إلىٰ مَنْ شكَّ في شيءٍ فتركَهُ لأجلي ، فذاكَ الذي أنظرُ إليهِ وأؤيِّدُهُ بنصري ، وأباهي بهِ ملائكتي (١) .

* * *

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٩٢) .

İkinci Bab

ŞÜPHELİ ŞEYLERİN DERECELERİ VE KAYNAKLARI

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اَلْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا
كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقٰى الشُّبُهَاتِ، فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ
وَلِعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ فَقَدْ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ،
كَالرَّاعِي يَرْعٰى حَوْلَ الْحِمٰى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ

"Helâl belli, haram da bellidir. Ancak aralarında (helâl mi haram mı oldukları belli olmayan) *şüpheli bir takım şeyler vardır ki, insanların çoğu onları bilemez. Şüphelilerden sakınan hem dînini, hem de ırzını korumuş olur. Koru etrâfında güdülen koyunun koruya düşme tehlikesi olduğu gibi, şüphelilere yaklaşanın da harama düşmesinden korkulur."*[30] hadîs-i şerifi, üç kısmın bulunduğunu açıkça göstermektedir. Bu üç kısımdan müşkil olan, ekseriyetin bilemediği şüpheli şeylerdir. İşte bunu açıklamak ve bunun yüzünden perdeyi kaldırmak lâzımdır. Çünkü ekseriyetin bilemediğini azınlık bilebilir. Buna göre deriz ki:

Mutlak helâl, zâtında ve kazancında haram veyâ kerâhetini gerektirecek şeylerden tamâmıyla arınmış olan servetlerdir. Bu da gökten yağan yağmuru, başkasına âit olmayan yerden ve vasıtasız olarak kendi eliyle alması gibi. Bu su, hiç şüphesiz helâldir.

---

[30] Buhârî ile Müslim, Numan b. Beşîr (r.a.)den rivâyet etmişlerdir.

Sırf haram, haramlık vasfında aslâ şüphe olmayan şeylerdir Şaraptaki sarhoşluk, idrârdaki necâset gibi yâhut memnu yollardan; zulüm, ribâ ve benzeri vâsıtalarla kazanılan servetler gibi. İşte bunlar, helâl ve haram olmak üzere belli iki taraftır.

Başka bir şeye ihtimâli olup, o ihtimâle delâlet eden bir sebep olmadığı hâlde hükmü meydanda olanlar da helâl veyâ haramdan birine katılır. Meselâ kara ve deniz avı helâldir. Avlanan balığın başkasının torundan yine suya kaçmak, avlanan geyiğin başkasının elinden kaçma ihtimalleri olmakla beraber, buna delâlet eden bir delîl olmadığı için, bunlar da helâldir. Artık bu gibi uzak ihtimalleri düşünmek, vesveseden başka bir şey değildir. Buna biz, vesvese verâı deriz. Yağmur suyunda düşünülemez. Çünkü bu, delîli olmayan boş bir vehimdir. Şâyet bu av hayvanlarında yara, damga veyâ benzeri ele geçtikten sonra üzerlerinde ancak bulunabilecek olan bir nişan bulunsa, o zaman, bu düşüncede haklı olabilirdi. Meselâ yaban geyiğinin üzerinde bir yara bulunsa, bunun, ele geçtikten sonra dağlanmış olmak ihtimâli olduğu gibi başka yara da olabilir. Bu iki ihtimâle binâen, verâ mahalli sayılabilir. Fakat böyle bir delîl olmadığı zaman, olmayan şeyin delîl olma ihtimâli, yok olan şeyin var olma ihtimâli gibidir. Bu ihtimâl, evini âriyet aldıktan sonra, adamın oradan ayrılması ile "Bu adam belki öldü de bu mal vereseye intikal etti." deyip vesveseye kapılmak gibidir. Çünkü adamın öldüğüne dâir ne katî, ne de şüpheli bir delîl vardır.

Zîra şüphe şekden doğar, şek ise karşılıklı ve denk olan iki sebebin doğurduğu iki itikattan meydana gelir. Sebep olmayınca aslında bir kanâat olmaz. İtikad olmayınca da o kanâat, diğer kanâate tekabül eder, denemez. Çünkü aslında yoktur ki, şek olsun. Bunun için deriz ki; üç veyâ dört rekât kıldım diye şüphe edenler, üç kıldıklarını kabul ederler. Zîra üç kıldıklarında şüpheleri yoktur. Dördüncü rekât şüpheli olduğu için kılınmamış sayılır.[31] Bir insana on sene evvel kıldığı bir öğle namazını "Üç mü kıldın, dört mü kıldın?" diye sorsalar, katî cevap veremez. Katî cevap veremediği için, üç olması da câizdir. Fakat bu cevâz, bir şek değildir. Çünkü onu üç olarak kabul etmesi için bir sebep yoktur. Sebepsiz vehim ile tecvîzi karıştırmamak için, şekkin hakikatini böylece anlamalısın. Binâenaleyh, bu kısımlar da mutlak helâle katılır.

Her ne kadar helâl olmak ihtimâli mümkün ise de, helâl olduğuna delâlet edecek bir sebebi bulunmayan şeyler de mutlak harama katılır. Kendisinden başka vârisi olmayan mûrisinin bir tarafa gitmesi ile kendi elinde bulunan malını, belki ölmüştür, vesvesesine kapılarak yemeye kalkışması gibi. Adamın bu emâneti yemeye kalkışması, doğrudan doğruya katî haramı yemesi demektir. Çünkü bu, delîlsiz bir ihtimâldir. Bu gibi ihtimalleri şüpheden saymak doğru değildir. Şüphe, vaziyeti bizce belli olmayan ve iki tarafı da iktizâ edecek sebeplerin muârazasından meydana gelen bir netîcedir. İki tarafı müsâvî olmayan şeylerde şüphe olmaz.

ŞÜPHENİN KAYNAKLARI

Birinci Kaynak

Birinci menşe: Helâl ve haramın sebeplerinde şek etmektir.[32]

Bu sebepler ya müsâvî veyâ biri diğerinden kuvvetli olur. Sebeplerin ikisi müsâvî olduğu zaman, önce bilinmiş olanı tercîh edilir ve o, şek ile terk edilmez. Mûteber delîllerden meydana gelmek sûretiyle, iki ihtimâlin birisi daha kuvvetli olursa hüküm, kuvvetli olan delîlindir. Bu anlattığımız, ancak misâl ve şâhidleri ile anlaşılır.

---

[31] Hanefilerin bu husustaki görüşünü namaz bahsinde izah ettik.

[32] Şek, herhangi bir şeyin olup olmamasında tereddüt etmek ve hiç bir tarafını tercih etmemek demektir.

O hâlde biz de bunu dörde taksim edelim:

Birinci kısım; önceden haram olduğu bilinmiş iken, sonradan helâl olduğunda şek edilen şeydir. Bu, şüpheli olduğu için yine bundan kaçınmak vâcip olur ve buna cüret etmek haramdır.

Misâli: Attığı mermi ile yaraladığı avını suya düştükten sonra ölü olarak bulmak gibi. Bu av, aslında haram idi. Ancak usûlüne uygun şekilde öldürülürse helâl olur. Avın, aldığı yaradan veyâ sudan öldüğü şüpheli oldu. Binâenaleyh yakin, şek ile zâil olamayacağı için, asıl hürmeti bâkî kaldı ve bu av, haram oldu. Abdestsizlikte, pislikte ve namaz rekâtlarında olduğu gibi. (Meselâ, abdestsiz olduğunu biliyor ve fakat abdest alıp almadığında şüphe ediyorsa, abdest alır. Abdestli olduğunu biliyor fakat abdesti bozulup bozulmadığında şüphe ediyorsa, abdest almaz. İki veyâ üç rekât kıldığında şüphe ediyorsa, iki rekât katî olduğundan, iki rekât üzerine devâm eder. Çünkü yakîn, şek ile zâil olmaz.) Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in Adîy b. Hâtem'e:

لَا تَأْكُلْهُ فَلَعَلَّهُ قَتَلَهُ غَيْرُ كَلْبِكَ

"Onu yeme; başka bir köpek onu öldürmüş olabilir."[33] demesi bu kabildendir. Hattâ Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e bir şey gelip, bunun hediye veyâ sadaka olduğunda şüphe ettiği zaman, sormadan ondan yemezdi.[34] Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), bir gece çok sıkıntılı idi.

---

33. Buhârî ile Müslim, Adiy b. Hâtem (r.a.)den rivâyet etmişlerdir.
34. Buhârî, Ebû Hüreyre (r.a.)den rivâyet etmiştir.

Zevcelerinden biri: “Bu geceniz sıkıntılı geçti.” diye sorunca Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَجَلْ وَجَدْتُ تَمْرَةً فَخَشِيتُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ

“Bir hurma buldum, onun sadaka hurması olmasından korktum.” buyurdu,[35]

Diğer rivâyette: *“Onu yedim. Fakat sadaka hurması olmasından korktum.”* buyurdu.

Abdurrahman b. Hasene’nin anlattığı şu vaka da yine bundandır: Abdurrahman diyor ki: Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ile bir seferde idik. Acıktık. Bir yerde konakladık. Orada pek çok keler vardı. Onları avlayarak tencerelere koyduk. Pişerken, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أُمَّةٌ مُسِخَتْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ هٰذِهِ

“Benî İsrail’den bir cemaat mesh-i sûret olmuştu. Korkarım ki bu kelerler, onlardandır.”[36] buyurdu. Bunun üzerine biz de tencereleri boşalttık. Sonra Allahü Teâlâ, mesh edilen insanların üremediklerini kendisine bildirdi (Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bunu daha önce bilemiyordu.) Önce onlardan çekinmesi, bu eşyada aslolan helâl olmamaları ve boğazlanmakla helâl olmalarındaki şekki idi.

İkinci kısım; helâl olduğu bilinip, haram olmasında şüphe edilenlerdir. Bunda aslolan, helâl olmasıdır ve hüküm helâl olmasınadır. Meselâ, evli olan iki kişinin yanından bir kuş uçup gitse, bunlardan biri: “Bu uçan kuş karga değilse, âilem üç talâk ile boş olsun." diğeri de: "Bu uçan karga idiyse, benim âilem üç talâk ile boş olsun." dese, bu vaziyet karşısında kuş uçup gittiği ve ne olduğu bilinemediği için, hiç birisinin âilesi boş olmaz. Fakat verâ, ikisinin de âilelerini boşayıp yeniden evlenmelerindedir. **Mekhûl**, bu meselede, ictinâb etmekle emretmiştir. **Şa'bî** de, münakaşa eden iki kişiden birisinin diğerine: "Ne hasûd adamsın." demesi üzerine öteki: "Hangimiz daha hasûd ise âilesi üç talâk ile boş olsun mu?" dese, diğeri de; "Olsun." diye kabul etse, hangisinin daha hasûd olduğu bilinemediğinden ikisinin de âilelerinden ayrılmaları için fetvâ vermiştir. Şâyet bu hususta, verâı nazarı itibâra aldı ise doğru, fakat mutlak haram olduğunu kasdetti ise doğru değildir. Çünkü su, necâset, hades ve namaz bahislerinde geçtiği gibi yakîn, şek ile zâil olmaz. Bu da aynı mânâdadır.

---

[35] Ahmed bin Hanbel, Amr b. Şuayb (r.a.)den hasen isnâd ile rivâyet etmiştir.

[36] İbn Hibbân ve Beyhakî, Abdurrahman (r.a.)dan rivâyet etti. Beyhakî, “hasendir” dedi. Ebû Dâvûd, Neseî ve İbn Mâce de Sabit b. Zeyd’den biraz farklı rivâyet ettiler. Buhârî “Sabit’in rivâyeti daha sahihtir” dedi.

Şayet, "Bu mesele ile o meseleler arasında ne münâsebet var?" dersen bilmiş ol ki; münâsebete ihtiyaç yok. Bâzı sûretlerde münâsebet olmadan da aynı şey lâzım gelir. Muselâ, temiz olduğunu bildiği bir suyun, necis olmasında şüphe ederse, ondan abdest alması caizdir. Bu, câiz olduğuna göre, içmesi neden câiz olmasın? İçmek de câiz olduğuna göre, yakînin şek ile zâil olamayacağı teslim edilmiş olur. Fakat burada ince bir nokta var. O da, -bu suyun benzeri olan- âilesini boşayıp bozmadığında şüphe etmesidir. Burada aslolan, onu bozmadığıdır. Karga meselesinin benzeri de iki kaptan birisinin necis olduğunu katî olarak bilip, hangisinin olduğunda tereddüt etmesidir. İçtihâd edip, birisinin temizliğine hüküm vermeden hiç birini kullanamaz. Çünkü birisinin temiz, diğerinin pis okluğuna dâir iki yakîn olduğuna göre istishâb yâni şeyi olduğu gibi bırakmak, bâtıl olur. Bu talâkda da hüküm aynıdır ve katî olarak kadının biri boştur. Fakat hangisinin boş olduğunda iştibah vardır.

Deriz ki; şâfiiler, kaplardan üç şekilde ihtilâf ettiler. Bir kısmı, içtihâddan evvel birini temiz kabul eder. Diğer bir kısmı da, temiz olduğu hakkındaki yakîne karşılık, pis olduğunda da hâsıl olan yakîn karşılığında, "İçtihâdın bir değeri yoktur, kaçınmak lâzımdır." derler. Mûtediller ise içtihâd ederek, birini temiz olarak kabul ederler ve doğrusu da budur. Lâkin bunun asıl benzeri, iki âilesi olan bir adamın: "Bu uçan karga idiyse, Zeyneb; karga değil idiyse, Âişe boştur." demesidir. Bu meselede bu adam, iki âilesini birden saklayamaz. Çünkü muhakkak birisi boştur. Birini de tercîh edemez. Çünkü uçtuğu için kuşun ne olduğu bilinemeyeceğinden, tercîh bilâ-müraccih lâzım gelir. O halde her ikisinden de ayrılması zarûrî olur. Bu hüküm, bir kişi ile ayrı ayrı iki kişi arasında değişmiş oluyor. Zîra bir kişiye iki âilesi de haram olur. Fakat ayrı ayrı iki kişiden hiç birinin âilesi kendisine haram olmaz. Zîra bir karga olmadığına kanîdir.

Şâyet buna göre biri temiz diğeri necis olan iki kap, ayrı ayrı iki şahsın olsa, içtihâda lüzûm kalmadan, herkes "Benim kabım temizdir." diyerek abdest almalarının câiz olması lâzım gelir. "Çünkü temiz olduğu kanâatinde idi, şüphe ise şimdi hâsıl oldu." dersen:

Deriz ki: Bu ihtimâl de fıkıhta mevcûttur. Fakat bence râcih olan, memnû (tercîh edilen görüş, bunun yasak) olmasıdır. Burada, şahısların ayrı ayrı olmaları ile bu şahıs olması arasında fark yoktur. Çünkü abdestin sıhhati için, mülkiyet şart değildir. Başkasına âit olan su ile kendi suyundan abdest alması arasında fark yoktur. Mâlikiyetin değişmesinden bir şey fark etmez. Ama başkasının âilesi ile münâsebet kuramaz. Aynı zamanda, necâsette bâzı alâmetlerin rolü vardır. Bundan dolayı orada içtihâd mümkündür. Fakat talâkta böyle bir belirti olmadığı için, içtihâda ihtiyâcı yoktur. Ama katî olarak birinin temiz, diğerinin pis olduğu bilinen iki kapta, necâsetin kuvvetini defetmek için katîliğe daha yakın olan veyâ çalkanan ve benzeri alâmetlerle içtihâd ederek istishâbı takviye etmesi vâciptir. İstishâb ve tercîh yolları fıkhın mühim meselelerindendir. Fıkıh kitaplarında bu hususa dair geniş bilgi verdik. Burada usûl ve kaidelerine işâret etmekle yetiniyoruz.[37]

Üçüncü kısım; aslolan haram olmasıdır. Fakat zann-ı galib ile helâl olmasını iktizâ eden bir sebep kendisine ârız olmuştur.

İşte bu, meşkûk(şüpheli)tür. Galib olan, helâl olmasıdır. Buna bakılır: zann-ı galib, şer'an mûteber bir sebebe dayanıyorsa, helâl olmasını tercih etmekle beraber bundan kaçınmak verâ olur.

Misâli: Avcı yaraladığı avını kaybetti. Sonra da ölü olarak buldu. Avcının verdiği yaradan başka, ölümüne sebep olacak yarası da yok. Fakat düşmek veyâ bilinemeyen başka bir sebeple de ölmek ihtimâli vardır. Şâyet avcının verdiği yaradan başka bir ârızası bulunursa o zaman birinci kısma girer. Bu, üçüncü kısma giren hayvan hakkında İmam Şâfiî hazretlerinin (r. aleyh) görü-

---

37. Mütekelimîn (Kelâmcılar) ve Hanefîler istihsân kabul eder; Fakat Şafiîlere göre **İstishab** hüccettir. İstishâb demek varlığı bilinip, yokluğu bilinmeyen bir şeyi isbât etmek demektir. Meselâ, bir şeyin varlığı bilindiği hâlde sonradan yok olduğu bilinmezse var olduğunda zan hâsıl olmuştur. Zan ile amel vâcib: o hâlde o şeyin subûtu da vâciptir. Şâfiîlere göre istishâb vâcib olmasa, dînin esâsı yerleşmezdi. Çünkü dînin aslı nübüvvettir. Nübüvvet ise mûcize ile yerleşmiştir. Mûcize de âdete muhâlif bir iştir. Âdetler yerleşmese mûcize onu hark etmezdi. İşte istishâb budur. Tercîh, iki emâreden birini takviye etmektir. Katî hükümlerde tercîh olunmaz. Kıyasları tercîh ya illetleri veyâ illetlerin delîli, hükmün delîli veyâ hükmün keyfiyeti sebebi yahûd illet, hüküm, "ıttırâd" ve fürû da usûlün muvafakati sebebiyledir.

şü çeşitli ise de muhtar olanı, helâl olmasındadır. Çünkü avcının hayvana verdiği yara, ölümü için açık bir sebeptir. Diğer sebepler ise zayıf ve uzak ihtimallerdir. Yakîn, şek ile zâil olmaz.

Şâyet, **İbn Abbâs**'ın (r.a.): "Yakaladığını hemen ye. Aradan zaman geçtikten sonra ölü olarak bulduğunu yeme." demesi ve Hz. Aişe'nin (r.a.): "Adamın biri, Rasûl-i Ekrem'e (s.a.v.) ölü bir tavşan ile gelerek:

"Biliyorum, bu attığım okun yarasıdır, bununla öldü." demesi üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Hemen mi yakaladın yoksa zaman geçtikten sonra ölü olarak mı buldun?"* diye sordu.

- "Hayır, sonradan ölü olarak buldum." deyince Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ اللَّيْلَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللّٰهِ لَا يُقَدِّرُ قَدْرَهُ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُ
فَلَعَلَّهُ أَعَانَ عَلٰى قَتْلِهِ شَيْءٌ

"Geceler, Allahü Teâlâ'nın yaratıklarıdır. Onlar hakkında hükmü ancak, onları yaratan verebilir. Bu hayvanın ölümüne başka bir şey de sebep olabilir."[38] buyurduğu rivâyeti ile terbiyeli köpek, umûmiyetle hataya düşmediği ve ayırdığını sahibi için ayırdığı hâlde, onun hakkında yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in Adîy b. Hâtem'e:

وَإِنْ أَكَلَ فَلَا تَأْكُلْ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا أَمْسَكَ عَلٰى نَفْسِهِ

---

[38] Hadisi. Hz. Aişe (r.a.) değil, Mûsa b. Ebî Âişe rivâyet etmiştir. Ayrıca Ebû Dâvûd ve Beyhakî de rivâyet etmişlerdir. Buhârî, mürsel olduğunu söylemiştir.

"Avından köpek yedi ise ondan yeme. Çünkü bıraktığını kendisi için ayırdığından korkarım."[39] buyurması, helâlliğin tahakkuk etmesi, bütün sebeplerin tahakkukuna bağlı olduğunu; sebebin tamâmı ise başka bir ârıza olmadan ancak atılan mermi ile öldüğünü katî olarak bilmekle mümkün olduğunu bize göstermektedir. "Sebebin tamamında, hattâ helâl veyâ haram olarak ölümünde şek edildi. Bu ise saatinde helâl olarak öldüğü tahakkuk ettikten sonra, ârız olan bir sebep ile helâl veyâ haram olmasında şek edilen gibi değildir." dersen:

Deriz ki: İbn Abbâs (r.a.) ile Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in, bundan nehyetmeleri, tahrîmî değil -verâa binâen- tenzîhîdir. Çünkü:

"Üzerinde senin okundan başka bir eser bulamazsan, kaybolduktan sonra ölü olarak bulsan da yine o avdan ye."[40] rivâyeti de vardır. Bu, pek yakında bizim anlattığımız mânâya bir tenbihtir. Biz şöyle demiştik: Sonradan ölü olarak bulunan av hayvanında, avcının verdiği yaradan başka bir yara daha bulunursa, o zaman sebepler muâraza eder. Sebeplerin muârazası ile hangi yaradan öldüğü hakkındaki zanlar da muâraza eder. Şâyet avcının verdiği yaradan başka bir yarası bulunmazsa, muâraza kalmaz ve kendi verdiği yaradan öldüğü ihtimâli kuvvetlenir. O zaman, haber-i vâhid, kıyâs-ı maznûn, umûmat-ı maznûne ve benzerleri ile istishâb üzerine hükmolunduğu gibi, burada da bu galebe-i zan sayesinde istishâb ile hükmeder ve hayvanı helâl kabul ederiz.

"Yarayı aldığı anda ölmemiş olması, ölüm sebebinde şüphe uyandırmak için kâfidir." demek doğru değildir. Çünkü ölüm sebebi olan yaralamak tahakkuk etmiştir. Başka bir sebebin karışmış olması çok şüpheli ve çok uzak bir ihtimâldir (buna kıymet verilmez.) Bu söylediğimizin doğruluğuna, yaralanıp kaybolduktan sonra ölü olarak bulunan bir adamı, yaralayan kimseye kısasın vâcip olmasında, fakihlerin ittifâkı delâlet etmektedir. Hâlbuki değil o kaybolan, ortada bulunan da aldığı heyecânın tesîriyle kalp sektesi ve benzeri sebeplerden ölmüş olabilirdi ki, bunları kimse nazar-ı itibâra almamıştır. Çünkü nazar-ı itibâra alınsa, ölümle kısas hükmünü verebilmek için ya adamın boğazını kesmek veyâ vurduğu anda öldürmüş olmasını şart koşmaları îcâp ederdi ki bunu hiç kimse söylememiştir. Hâlbuki kısas da şüphe üzerine kurulmuştur. Bunun gibi, hiç canlanmadan veyâ canlandıktan sonra daha önce başka bir sebepten ölmek ihtimâli yine mevcut iken, Besmele ile kesilen hayvanın karnından ölü olarak çıkan yavrunun temizliğine hükmedilmiş ve bu uzak ihtimaller nazar-ı itibâra alınmamıştır. Yine bunun gibi, rahimdeki çocuğun, hiç canlanmamak veyâ daha önce başka bir sebepten ölmek ihtimâli mevcut iken, bunlar nazar-ı itibâra alınmadan, çocuğun düşmesine sebebiyet verene cezayı vermişlerdir. Hüküm, zâhire göredir. Delîl olmayan sebepler yukarıda da anlattığımız gibi, vehim ve vesveseden ileri gitmez. İşte, burada da hüküm böyledir.

---

[39] Buhârî, Müslim ve diğerleri Adiy (r.a.)den rivâyet etmişlerdir.

[40] Buhârî ile Müslim, Adiy b. Hâtem (r.a.)den rivâyet etmişlerdir.

Rasûl-i Ekrem'in (s.a.v.), avından yiyen köpek hakkında:

"Korkarım, geri bıraktığını kendisi için bırakmıştır." buyurmasında, Şâfiî'nin iki sözü vardır. (Biri helâl olmasında, diğeri haram olmasındadır.) Biz, haram olmasını tercîh ederiz. Çünkü burada delîller muâraza hâlindedir. Zîra muallem (eğitilmiş) köpek,[41] bir

---

[41] Hanefilerde köpeğin muallem sayılması için, yakaladığı avını üst üste üç defa yemeden sahibine getirmelidir. Köpeğin avladığının helâl olabilmesi için, aklı başında olan bir kimsenin bağlı bulunduğu muallem köpeğini, avı gördüğü zamân, besmele ile salıvermesi lâzımdır.

âlet ve bir vekil gibidir. Avını sahibi için alıkoyduğu zaman, helâl olur (aksi takdirde helâl olmaz.) Hattâ muallem köpek, kendi başına ava çıkarsa getirdiği av, sahibine helâl olmaz. Çünkü bu avı, kendisi için avlamıştır. Sahibinin işâreti ile gittikten sonra avını yiyen köpeğin bu hareketi, önce sahibinin âleti ve vekili olarak yola çıktığına; sonraki avını yemesi ise kendi hesâbına çalıştığına delâlet etmektedir. Sebeplerin muâraza etmesiyle ihtimaller de muâraza etti. Aslolan bu hayvanın haram olması idi. Helâl olması, şartına riâyetle avlanmasında idi. Bu şart bulunamadı, aslı olan haramlık istishâb edildi ki, bu şek ile zâil olmaz. Bu, tıpkı bir adamın bir câriye satın almak için başka birini vekil etmesine benzer. Adam câriyeyi almış, fakat bu câriye kendisi için mi yoksa kendisini vekil eden adam için midir? Bunu haber vermeden öldüğü için vekil eden adamın, bu câriyeyi kullanması helâl olmaz. Çünkü vekil, câriyeyi müvekkili için alabileceği gibi, kendisi için de alabilir. Câriyeyi kim için aldığına dâir delîl olmadığından, müvekkilin kullanması helâl olmaz. Bu ise üçüncü kısımdan değil, birinci kısımdandır.

Dördüncü kısım; önceden helâl olduğu malum iken, sonradan şer'an mûteber bir sebep olan zann-ı galib ile kendisine haramlık ârız olan şeydir. Artık burada istishâb, yâni onu olduğu gibi helâl kabul etmek hükmü kalkar ve haram olması kesinleşir. Çünkü istishâb, zann-ı galib karşısında zayıf düştüğü için, hükümsüz kalır.

Bunun misâli; Galebe-i zannını iktizâ eden açık bir alâmete dayanarak kaplardan birinin pis olmasına hükmetmesi gibidir. Artık bu kaptan ne içebilir, ne de abdest alabilir. Yine bunun gibi, bir adam "Ahmed, kendi başına bir adam öldürebilir veyâ bir av avlayabilirse karım boş olsun." der. Ahmed de bir adamı veyâ bir avı yaralar ve yaralanan adam veyâ av gözden kaybolduktan sonra ölü olarak bulunursa, adama karısı haram olur. Çünkü zâhiri delîl, adamın kendi başına onu öldürmüş olmasındadır.

İmâm Şâfiî, sel birikintilerinde bulunan bozulmuş bir suyun fazla beklemek veyâ necâset karışmak sebepleriyle bozulmak ihtimalleri olmakla, hiç bir tarafını tercîh edecek bir delîl bulunmadığından kullanılmasıyla; fakat bir yaban geyiğinin bu suya akıttığını gördükten sonra suyun bozulmuş olması, yine iki ihtimâlin biri ile ise de idrar ile bozulmuş olması daha kuvvetli olduğundan, istimâlinin câiz olmaması ile hükmetmiştir. Bu anlattığımızın misâli ve zannın galebesi, müşahedeye istinâd edilen yerlerdedir.

Müşahedeye istinâd etmeyen galebe-i zanna gelince: Asıl helâlliğin bununla zâil olup olmayacağında Şâfiî'nin görüşü ihtilâflıdır. Çünkü İmâm Şâfiî, müşriklerin ve şarapçıların bardaklarından alınan abdestin, kazılmış mezarlıkta ve pisliğe bulaşmış sokaklarda kılınan namazın câiz olup olmamasında ihtilâf etmiştir. Buna mezhep imâmları: "Asıl ile zann-ı galib muâraza ettiği zaman, hangisi tercih edilir?" meselesi adını vermişlerdir. Bu hüküm, şarapçıların kaplarından su içmenin helâl olup olmamasında cârîdir. Zîra necesin içilmesi de câiz değildir. Buna göre necâset ile hillin (helâlliğin) me'hazı birleşiyor.

Birinde tereddüt, diğerinde de tereddüdü gerektirir. Burada da Şâfiî'nin tercih ettiği, birincinin aksine olarak asıldır; galebe-i zan değildir. Alâmet, alınan madde aynına taallûk etmediği zaman, aslın ortadan kalkmasını gerektirmez ve bunun delîli, şüphenin ikincisi olan ihtilât (karışıklık) ta anlatılacaktır.

Bu beyânatımızla kendisine zan veyâ haram edici bir şeyin karışmasında şek edilen helâl ile helâl edici veyâ zannın karışmasında şek edilen haramın hükümleri açıklanmış ve "şey"in kendisindeki alâmete dayanan zan ile "şey"in kendisindeki alâmete dayanmayan zan arasındaki fark anlaşılmış oldu. Şu dört bölümde helâl olması ile hükmettiğimiz her şey, birinci derecedeki helâller meyânındadır. İhtiyât olan, bunları terk etmek ve bunlara yaklaşmamaktır. Bunlara ikdâm edenler müttakî ve sâlihlerden olamaz. Belki kendilerine şerîat hükmünde azâba müstahak fâsık, âsî kimselerdir diye hükmedilemeyen âdiller meyânına girerler. Ancak vehim ve vesvese diye ayırdığımız bölümlerden kaçınmak, hiç bir sûretle verâdan değildir.

İkinci Kaynak

Şüphenin ikinci kaynağı, ihtilâttan (karışıklıktan) doğan şekdir.

Meselâ: Helâl ile haram birbirine karışır ve bunları yekdiğerinden ayırmak mümkün olmaz. Bu ihtilât, her iki taraftan veyâ yalnız bir taraftan birçok sayıların yâhut muayyen sayıların birbirine karışması ile olur. Bu ihtilât -ya sıvılarda olduğu gibi- bu şudur, bu da şudur, denemeyecek şekilde tamamen birbirinin içine girer. Yâhut -köle, ev ve at gibi maddelerde olduğu gibi- ayınlarını ayırt etmek mümkün ise de hangisinin pis olduğunu ayırmanın mümkün olmaması gibi şeylerdir. Bu şekilde karışanların ya aynı maksûddur -alım satım eşyası gibi- yâhut aynı maksûd değil -eşyanın alım satımını sağlayan para gibi- dir. Bu taksîmattan üç kısım meydana çıkmış oldu.

Birinci kısım; helâl ile haramın -muayyen sayılarla- birbirine karışmasıdır. Besmele ile kesilen bir koyunun, murdar olan bir koyun veyâ on koyun ile karışması; süt annenin on kadın ile karışmış olması yâhut iki kız kardeşten birini nikâh edip hangisi olduğunu seçememesi gibi şeylerdir. İşte bütün bunlar, bilittifak kaçınılması gereken şüphelerdir. Çünkü bu hususlarda ne alâmet var ne de içtihâda mecâl var. Muayyen sayılarla karışırsa, hepsi bir şey gibi olur. Burada tahlîl ile tahrîmin (bahse konu şeyin helâl olması ile haram olmasının) kuvveti karşılaşır. Burada önce helâl iken sonra haram olan -uçan kuş meselesinde karılarından birinin boş olması gibi- ile helâl olmadan önce haram ile karışan -alacağı kadınlar arasına süt annesinin karışması gibi- arasında fark yoktur. Fakat bu anlattığımız, istishâb bahsinde geçen karılarından birinin boş olması gibi, tahrîmin ârız olmasında müşkil olur.

Şöyle ki; haram ile helâl olmak ihtimâli aynı kuvvette karşılaştıkları için istishâb tarafı zayıf düştü. Bundan dolayı helâl olması ile hükmedilmedi. Şerîat nazarında tehlike tarafı galip olduğu için tercîhan haram olmasına hükmedilmesidir. Bu anlattığımız, sayılı olan helâl şeylerin sayılı olan haram şeylerle karıştığı zamandır. Sayılı olan helâl şeyler, sayısız olan haram şeyler arasına karıştığı zaman yine bunlardan kaçınmanın evlâ olduğu meydandadır.

İkinci kısım; sayılı haramların sayısız helâller arasına karışmasıdır. Bîr veyâ on tane süt annenin bir şehir kadınları arasına karışması gibi. Artık bu vaziyet karşısında bu şehir kadınlarından hiç birini almamak lâzım gelmez; dilediğini alabilir. Bu hususta helâl olanların çok olmasını illet olarak göstermek, doğru değildir. Çünkü öyle olsa bir tane haram, dokuz tane helâl arasına karıştığı zaman onlardan evlenmenin câiz olması lâzım gelir. Hâlbuki bunu hiç kimse tecvîz etmemiştir.

İllet, galebe ve ihtiyâcın her ikisidir. Çünkü herhangi yönden olursa olsun, bir mahremi kaybolan kimseye evlenme kapılarını kapamak mümkün değildir. Yine bunun gibi, dünya malına haram karıştığını kafi olarak bilen kimseye, alış-veriş ve yemeği terk etmesi lâzım gelmez. Çünkü bunlarda güçlük var, dinde ise güçlük yoktur. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) zamanında bir kalkan ve bir de aba çalınmıştı. Buna rağmen bu cins malları alıp satmaktan kimse geri durmamıştır. Her çalınan şey için de hüküm aynıdır. Ribânın şuyûu da bunun gibidir. Para alım satımına mâni değildir. Ne Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ne de diğerleri para alım satımını terk etmişlerdir.

Hülâsa: Dünyayı haramdan temizlemek için bütün insanların günâhı terk etmeleri lâzımdır. Bu ise muhâl gibi bir şeydir. Bütün dünyada böyle bir şart aranamayacağına göre, bir şehirde de böyle bir şart aranmaz. Ancak, muayyen kimseler arasında olursa, o zaman bunlardan sakınmak mümkündür. Yoksa umûmî ahvâlde bu gibi şeyleri nazar-ı itibâra almak vesveseden başka bir şey değildir. Çünkü böyle bir şey Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ve sahabeden rivâyet edilmediği gibi, hiç bir asırda ve hiç bir millette de duyulmamıştır.

Şâyet her şeyin sayısı Allah katında malûm ve hatta bir şehir ne kadar büyük de olsa nüfûsu belli ve sayılması mümkündür. O halde mahsur ile gayr-ı mahsûru nasıl ayırt edeceğiz? dersen, bilmiş ol ki, bu gibi şeyleri tayin mümkün değil, belki takrîbî olarak zaptedilirler.

Bir araya toplanmış olanlar kalabalık olur, bir bakışta kolaylıkla sayılamayacak kadar yâni bin iki bin civârında olursa, işte bunlar gayr-ı mahsûr, yâni sayılamayacak kadar çoktur, denebilir. Fakat kolaylıkla sayılabilecek kadar, on ve yirmi civârında olurlarsa, bunlar mahsûrdurlar. Bu iki taraf arasında mahsûr ve gayr-ı mahsûr sayılacak orta dereceler de vardır. Bunlar da zan ve tahmin ile bir tarafa katılırlar. Şek eder ve bir tarafı tercih edemezse, o zaman kalbine danışır. Günâh, kalbin çarpmasındadır. İşte bu makamda Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Vâbisa'ya:

اِسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ

"Kalbine danış; her ne kadar sana fetvâ verirlerse de, her ne kadar sana fetvâ verirlerse de, her ne kadar sana fetvâ verirlerse de."[42] buyurmuştur.

Birinci sebepte anlattığımız dört kısımda da aynı şekilde açık olarak müspet ve menfî tarafları bulunduğu gibi, her ikisine ihtimâli olan orta dereceleri de vardır. Müftü, zan üzerine fetvâ verebilir. Fakat fetvâ isteyen, bir de kalbine danışmalıdır. Şâyet gönlü mutmain olmamışsa, Allah katında mesûldür. Müftünün bu gibi ruhsat fetvâsı kendisini bu mesuliyetten kurtarmaz. Çünkü müftü, zâhire göre fetvâ verir, bâtınını Allah bilir.

Üçüncü kısım; sayısız haramların, sayısız helâller arasına karışmış olmasıdır. Zamanımızdaki servetler gibi. (Gazâlî'nin asrı.) Buraya kadar anlattığımızdan çıkarılan netîceye göre, sayılı olan haramlar, sayılı olan helâller arasına karıştığı zaman hepsi haram olduğu ve orada haram olmaları ile hüküm verdiğimiz gibi, sayısız haramların, sayısız helâller arasına karışması ile aynı hükmü vermemiz gerekiyorsa da, buradaki görüşümüz, tamamen onun aksinedir.

Şöyle ki; Bu sayısız haramlar, sayısız helâller arasına karıştığı zaman, bunlardan helâl ve haram ihtimâli olan muayyen bir tânesini alıp yemek haram değildir. Ancak bu maddenin haram olmasına delâlet edecek delîl bulunursa, o zaman haram olur. Böyle bir delîl bulunmadığı zaman, onu terk etmek verâdandır. Fakat bunu almak helâldir ve yiyen de fâsık değildir. Bu alâmetler de zâlim bir sultandan alınanlar gibi, aşağıda anlatacak olduğumuz eser ve kıyâsın delâlet ettiği şeylerdir.

---

[42] Bu hadîsi İmâm Ahmed bin Hanbel **"Müsned"**inde Vâbise'den rivâyet etmiştir. Ayrıca daha evvel C. 1. Sf. 56'da geçmişti.

Eserin bu mânâya delâleti:

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ve Hulefa-i Râşidîn devrinde, zimmîlerin ellerinde dolaşan ribâ ve şarap paraları, ganîmetten ve diğer mallardan çalınan mallar arasına karışmıştı. Rasûl-i Ekrem'in (s.a.v.):

أَوَّلُ رِبًا أَضَعُهُ رِبَا الْعَبَّاسِ

"İlk kaldırdığım ribâ, Abbâs'ın ribâsıdır."[43] buyurduktan sonra, insanların hepsi ribâyı terk etmemişlerdi. Nitekim şarap içmeyi ve diğer günâhları terk etmedikleri gibi. Hattâ ashâbdan birisi şarap sattı. Hz. Ömer (r.a.) bunu duyunca; "Allah'ın rahmetinden uzak kalası. Müslümanlar arasında şarap satmayı ilk icâd eden bu adam olmuştur." dedi. Çünkü şarabın haram olması ile parasının da haram olduğunu anlayamamıştı. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ فُلَانًا يَجُرُّ فِي النَّارِ عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا

"Falan adam, çaldığı aba sebebiyle cehenneme sürüklenmiş oldu."[44] buyurdu. Yine muharebe meydanında öldürülen bir Müslüman'ın eşyaları arasında iki dirhem değerinde olmayan ve bir Yahudi'den çaldığı anlaşılan bâzı taşlar bulundu. Yine bunun gibi. Sahâbe-i kirâm bâzı zâlim emirlere yetişti. (Muâviye'nin oğlu) Yezid'in adamlarının Medine'yi yağma etmeleri (ve orada

---

[43] 43. Müslim, Câbir (r.a.)den rivâyet etmiştir.

[44] 44. Buhârî, Abdullah b. Ömer (r.a.)den rivâyet etmiştir.

adam öldürmek ve benzeri kaleme alınamayacak kötülükleri irtikâb edip hayvanlarını Mescid-i Rasûle bağlamaları) esnasında da kimse çarşı pazarda alışverişten geri durmamıştır. Hâlbuki bu yağma hareketi üç gün devâm etmişti. Bu vaziyet karşısında alış-verişten geri duranlar, parmakla gösterilecek kadar az ve ciddî verâ sahibi kimselerdi. Çoğunluk, çekinmeden alış-verişine devâm etmiştir. (Bütün bunlar, bu üçüncü kısmın helâl olduğunu göstermektedir.) Selef-i sâlihînin borç tanımadığını borç kabul eden ve şerîattan onların anlatmadığını kendisinin anladığını sanan, aklî muvâzenesini kaybetmiş vesveseli bir insandan başka bir şey değildir. Şâyet bu gibi hususlarda onların görüşlerine ziyâde etmek câiz olsaydı, onların ittifakından başka bir mesnedi olmayan diğer hususlarda da onlara muhâlefet câiz olurdu. Meselâ nikâhın haram olmasında, büyük annenin, anne gibi olması; mîrasta torunun oğul gibi sayılması, domuzun tüy ve yağının da eti gibi haram olması, ribânın hadîste anlatılan altı maddeden diğerlerine de şâmil olması. Bütün bunlar, onların ittifâkı iledir. Onlara muhalefet, mümkün değildir. Çünkü onlar şerîatın ahkâmını diğerlerinden daha iyi anlamakta daha öndedirler.

Kıyâsın delâleti:

Şâyet bu kapı açılacak olsa, ticârî ve benzeri bütün muâmelelerin durması iktizâ eder. Bu ise âlemin harap olmasına sebeb olur. Çünkü kötülük insanlarda galiptir. Alış-verişin şartlarına tamamen riâyet etmezler. Bu hâl, karışıklığa mutlaka sebebiyet verir ve bu sûretle ya bütün insanların yediği haram olur yâhut tamamen ticari muâmele felce uğrar.

Şâyet "helâl olan birçok kelerler arasına mesh olmuş olan bâzı kelerlerin karışmış olmasını düşünerek ve bu keler, belki mesh olmuş kelerdendir diyerek, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in keleri yemekten kaçınması bu üçüncü kısmın haram olmasına delîldir." denirse, deriz ki; Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in çekinmesi haram olması bakımından değil, verâ cihetindendir veyâ kelerdeki acâyip şekil, mesh olduğuna delâlet, etmesi bakımındandır. Bu ise alınan şeyin aynına delâlettir. (Zâten haram olduğunu ifâde edecek açık bir delîli olan şey, haramdır.)

Şâyet "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ve sahâbe devrinde bu gibi haram olan şeyler, helâl olanlara nisbeten çok azdı, onun için nazar-ı itibâra alınmayabilirdi. Hâlbuki zamanımızda muâmele bozukluğu, ticârî şartlara riayetsizlik, ribânın çokluğu ve zâlim sultanların mallarının karışıklığı sebebiyle haram, helâlden çok daha fazla olmuştur. Buna ne buyurulur? Haram olduğuna dâir açık bir delîli bulunmayan helâl midir?" dersen:

Derim ki: "Yine haram değil, belki helâldir. Ancak evlâ olan bu gibi şeyleri terk etmektir ve bunlara yanaşmamak verâdır." Şüphesiz haramı çok olan şeylerdeki verâ, haramı az olan eşyadaki verâdan daha mühimdir. Bu, böyle olmakla beraber asıl cevâbı şudur: "Zamanımızdaki servetlerin ekserîsi haramdır." demek, kesir ile ekseri (çok ile daha çoğu) anlamamaktan doğan, galat bir ifâdedir. İnsanların ve hattâ fakîhlerin pek çoğu, nâdir yâni az olmayan her şeyi ekser -yâni pek çok- zannederler ve bunları karşılıklı iki kısım diye düşünürler. Aralarında üçüncü bir kısmın bulunduğunun farkında olmazlar. Hâlbuki işin esâsı böyle değil; bunlar az, çok ve daha çok olmak üzere üç kısma ayrılır. Meselâ: insanlar arasında hünsâlar az, hastalar ve yolcular çoktur. Nitekim hastalık ve yolculuk umûmî özürlerdendir, denir. Hastalıklar meyânında istihâza yâni kadından devâmlı kanın akması hastalığı azdır. Hastalığın az olmadığı malûm olduğu gibi, ekseriyetin hasta olmadığı da meydandadır. Demek ki hastalık daha çok değil, belki çoktur. Musâhele yolu ile bir fakîh, insanlarda hastalık ve yolculuk galibdir dediği zaman, az değil, demek ister. Yoksa bu mânâyı murâd etmeyip, cidden daha çok olduklarını kastederse, galat etmiş olur. Çünkü dâima sağlam ve mukîm olanlar daha çoktur. Yolcu ile hastalar çok, müstahâza ve hünsâlar ise azdır. Şu mukaddime anlaşıldıktan sonra deriz ki; Haram daha çoktur, diyenin sözü bâtıldır. Çünkü “haram daha çoktur” diyenin dayanağı, zaleme ve yardımcılarının çokluğu, ribâ ve fâsit muâmelelerin çoğaldığı ve zamanımıza kadar gelen karışık malların artmış olduğudur.

Birinci dayanağı olan zâlim ve yardımcılarının daha çok olduğunu iddiâ etmesi çürüktür. Çünkü kahr ve galebe sahibi olan zâlimler, diğer halkın onda biri nisbetinde değildir. Zîra yüzbinlerce askerî bulunan bir sultanın mâlik olduğu bölge, milyonlarca insanı içine almaktadır. Hattâ bir vilâyetin nüfûsu bile bütün memûrlarından daha çok olabilir. Şâyet sultanların sayısı maiyetlerinden çok olsa, hepsi helâk olurdu. Çünkü o zaman bir kişinin on kişiyi tam bir refah içinde bakması lâzım gelirdi ki, buna imkân yoktur. Onlardan yalnız birinin nafakası ancak binlerce mâiyyeti tarafından te’mîn edilebilir. Hırsız ve eşkiyâlarda da vaziyet aynıdır. Nüfûsu kalabalık olan bir şehirde, hırsızlık yapanlar, nisbeten çok az kimselerdir. İşte bu dâvaları bâtıldır.

İkinci dayanakları olan ribâ ve fâsid muâmelenin çokluğuna gelince; bu da çoktur, fakat daha çok değildir. Zîra Müslümanların çoğu, şerîatın ahkâmına uygun bir şekilde ticaret etmektedir. Bu ahkâma uymayanlar, onlara nisbetle azdır. Hattâ ribâ ve fâsid muâmele sahibinin bile sahih olan muâmelelerini araştırırsak, sahîh muamelesi fâsid olan muâmelesinden çoktur. Bütün muâmelesi çürük olan bir insan düşünmek güçtür, böylesi olsa da pek azdır. Böylesi çok olsa da yine daha çok değildir. Her ne olursa olsun, bir adamın meşrû ticareti, meşrû olmayan kazancından çoktur ve bu, biraz düşünebilenler için katîdir. Haram kazancın çok görülmesi, insanların ahlâken bozulmuş olmalarındandır. Yoksa bütün kazancı haram olanlar azdır. Hattâ haram, çoğaldığı gibi zinâ, içki şâyi olduğu için onların da çok olduğunu zannetmek hatâdır. Her ne kadar bunlar, kendi aralarında çoğalmışlarsa da, içki içmeyen ve zinâ etmeyenler daha çok ve onlar bunlara nisbetle daha azdırlar.

Üçüncü dayanakları en çok hayâl mahsûlü olan da budur. Şöyle ki: Bütün servetler, mâdenler, bitkiler ve hayvanlardan meydana gelir. Bitkiler ile hayvanlar, üremek suretiyle çoğalır. Meselâ bir koyun yılda bir defâ döllendiğine göre (Gazâli'nin asrında) Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in asrına kadar beşyüz olur. Bunların arasında fâsid muamele ile alınanı, hırsızlık olanı veyâ gasb suretiyle elde edileni bulunabilir. Bunların hepsinin alım satımı meşrûdur nasıl denilebilir? Yine bunun gibi, tohum olarak ekilen buğday dâneleri de Rasûi-i Ekrem'e 'kadar asılları beşyüz veyâ bini bulur. Ona göre bütün bunların hepsi helâl olmadan, bugünkü dânelerin de helâl olmaması lâzım gelir. Mâdenlere gelince; bunlar başkasının eline geçmeden elde edilmeleri mümkündür ki, böyle pek az bulunur. Mâdenlerden çoğunlukla kullanılan, paralardır. Paralar da darphâneden çıkar. Darphâneler mütegallibe ve zalemenin elinde bulunur. Hattâ mâdenler de onların elindedir. Herkesi oralara yaklaştırmazlar. Fakirleri ağır işlerinde çalıştırır, sonra da mâdenleri ellerinden zorla alırlar. Bütün bunlar, inceden inceye düşünüldüğü takdirde, gerek mâden olarak çıkarılmasında, gerek darphânede basılmasında ve gerekse elden ele dolaşmasında, ribâ ve zulümden hâlî bir paranın bulunması çok azdır. Buna göre helâl olarak av hayvanları ile sâhipsiz mezarlardaki bitkilerden başka bir şey kalmamış olur. Bunları temîn eden, yalnız bunlardan gıdasını sağlayamayacağı için, mecbûrî olarak bunları satıp yerlerine üreme sûretiyle yetişen dâne ve hayvânâtı alması iktizâ eder. Bu vazıyet karşısında alışveriş, helâli verip haramı almak olur. İşte bu gibi düşüncelerle çok miktardaki haramın karıştığı çok miktardaki helâle haram demek hayâllerin en uzağıdır.

Buna verilen cevap: Bu galebe, helâle karışan haramın çokluğundan değildir. Bunu bu kısımda değil, önce anlattığımız asıl ile galibin muârazası mevzûunda incelemek lâzımdır ki o, dördüncü kısımdı. (Orada, delîlin yakında geleceğini söylemiştik. İşte delîli burasıdır.) Zîra bu mallarda aslolan, muamelelerde tarafların rızâsı ile şer'î tasarrufât için onları kabul etmektir. (Bunlar, asıl bakımından helâldirler.) Fakat ârızî bir sebep bu asla galebe çalarak onu bozdu ve bu hâli sâlih olmaktan çıkardı da Şâfiî'nin necâsetler hakkındaki verdiği iki şekil hükme benzedi. (Bunlardan en kuvetlisi aslî istishâb, yâni aslen temiz olduğunu kabul etmektir.) Bize göre en doğrusu, görülen necâset bulunmayan âmme yolları üzerinde kılınan namaz sahîh, yağmurdan meydana gelen çamur temiz; müşriklerin kaplarından abdest sahîh ve kabristanda namaz kılmak câizdir.

Şimdi önce bunları isbât edelim, sonra da anlatmakta olduklarımızı buna kıyâs edelim:

Bunu isbât eden delîller: Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in, müşrik bir kadının tulumundan; Hz. Ömer'in (r.a.), Hıristiyan bir kadının ibriğinden abdest almalarıdır. Hâlbuki onların içtikleri şarap, yedikleri domuz eti idi. Ayrıca şerîatımızın necâset kabul ettiği şeylerden de sakınmazlardı. Mutlaka ellerinin pisliği kaplara bulaşırdı.

Hattâ ashâb, dibâğatlanmış hayvan derileri, boyalı ve kaşarlanmış elbiseler giyerlerdi. Hâlbuki gerek boyaya ve gerek suya pislik karışabilirdi. Dabakları, boyacı ve kassarların hâlini düşünen, onların pislikten kurtaramayacağını kolaylıkla anlar. Bu gibi elbiselerde temizlik, pek nâdir olduğu hâlde, sahâbe, onları giymekten çekinmez, hattâ hayvanlarla harman edilen buğdayları yıkamadan yerler, hayvanların sırtını yıkamadan çıplak ve terli oldukları hâlde üzerlerine binerler, yeni doğan ve derisi ıslak hâlde bulunan yavrulardan kaçınmazlar, yollarda yalınayak ve nalinlerle dolaşırlar, sonra da o nalinlerle namaz kılarlardı. Zarûret olmasa da toprak üzerinde oturur ve çamur içinde yürürlerdi. Bununla beraber görülen sidik ve pislikten son derece sakınırlardı. Yollar üzerinde it ve diğer hayvanlar dolaşırken yolların temiz olduğu düşünülemezdi. Onların zamanında sokaklar yıkanır ve diğer hayvanlar da temiz tutulurdu diye hatırdan bir şey geçemez. Çünkü böyle bir şey yoktu ve bu, muhâldir. Bütün bunlar, onların görülen necâsetten yâhut necâset-i ayn olduğunu ifâde eden bir delîl olandan kaçındıklarına açıkça delâlet etmektedir.

Evhâmdan meydana gelen zann-ı galibe aslâ itibâr etmezlerdi. İşte bu, Şafiî görüşüdür. İmâm Şâfiî tahâretin esrarı bölümünde geçtiği gibi -ister kapta isterse başka yerde olsun- az da olsa üç vasfından birini değiştirmeyen suyun temizliği ile hükmetmiştir.[45] Zîra ashâb-ı kirâm, hamamlara girerler; azalan sulara muhtelif eller dalıp çıktığı hâlde çekinmeden havuzlardan abdest alırlardı. İşte bu, maksadımızı ifâde etmekte katiyet kesbeder. Hıristiyanın ibriğinden abdest almanın câiz olduğu yerleşince, içmenin cevâzı da yerleşmiş oldu ve helâllikteki hüküm necâsetteki hükme mülhak oldu.

---

[45] Hanefi mezhebinin görüşünü öğrenmek için, o bahise bakınız.

Şâyet helâldaki hükmü haramdaki hükme kıyâs câiz değil. Zîra onlar, tahâret hususunda oldukça müsâmahakâr davranırlar. Fakat haram şöyle dursun, şüpheli şeylerden bile son derece sakınırlardı. Bunun için bu kıyâs doğru olamaz, dersen:

Deriz ki: "Tahâret hususunda genişlik gösterirlerdi." demekle, dînin direği olan namazı, masiyet olduğu hâlde, necâsetle kılarlardı mânâsını kasdediyorsan bu, ne kötü bir zandır. Bunun aksine olarak, kaçınılması vâcib olan her çeşit necâsetten, onların son derece kaçındıklarına inanmamız vâciptir. Onların müsâmahaları, kaçınılması vâcip olmayan kısımlardadır. Onların müsamaha gösterdikleri, asıl ile galibin muâraza ettiği bu anlattığımız sûretlerdir. Anlaşılıyor ki asıl ile galib, muâraza ettiği zaman, necis olduğuna delâlet eder bir delîl olmadığı yerde galibe kıymet vermeyerek asıl ile hükmetmişlerdir. Takvâ yolu ile helâldeki verâları ve şüpheli şeylerden dahi kaçınmaları, bir beis olur korkusu ile beis olmayan şeyleri terk etmektir.

Zîra malların hükmü korkunç ve tehlikeleri büyüktür. Hâlbuki gemleri vurulmayan insanın nefsi o mala meyleder. Tahâret ise böyle değildir. Hattâ onlardan bâzıları, kendilerini Allah'tan meşgûl eder diye, helâlden bile kaçınmışlardır. Onlardan biri katî olarak temiz olduğu bildirilen deniz suyundan dahî abdest almaktan kaçınmıştır. Onun bu ayrılığı, bizim ittifakımıza engel olamaz. Hâlbuki biz bu hususlarda yukarıda iki seneddeki cevaplara istinâd ediyoruz. Bununla beraber onların, bu malların çoğu haramdır, dedikleri de şüpheden sâlim değildir. Zîra bir malın aslı çok gerilere gitmekle, mutlaka aslında haram olması gerekmez. Elde mevcut malların asıllarının bâzıları haram idiyse, bâzıları da helâl idi. Bu zamanda gasbedilenler az olup gasbedilmeyenler çok olduğu gibi, o zamanlarda da öyle idi. Her asırda her mal böyledir. Çalınıp gasbedilen ve çürük muâmele ile elde edilenler, meşrû bir şekilde kazanılanlara nisbetle azdırlar. Bugün elimizde bulunan malın haram veyâ helâl olarak hangi asıldan geldiğini katî olarak bilemeyiz ve çoğunun haram olduğunu kabul edemeyiz. Çünkü gasbolunan üremekle çoğaldığı gibi, gasbolunmayıp meşrû şekilde kazanılan da çoğalabilir. Binâenaleyh, aslı çok olanın fer'i de daha çok olur ki, aslı çok olan meşrû kazançlardır. Aynı zamanda çalınan dânelerin çoğu ekilmek için değil, yenmek için çalınır. Helâlin aslı, haramın aslından daha çok olduğuna göre, bu vaziyet karşısında haram kısmı daha çoktur, nasıl denebilir? İşte, doğruyu arayan, bu açıklamamızdan daha çoğu bilmenin yolunu öğrensin. Zîra burası ayakların kaydığı bir yerdir. Âlimlerin çoğu burada yanılırken ya avâmın hâli nice olur? Bu anlattığımız dâneler ve hayvanlardan üreyenler hakkındadır.

Mâdenlere gelince: Bunlar sâhipsiz ve başıboş kalmış şeylerdir. Türkistan ve diğer memleketlerde isteyen, bunları toplamakta serbesttir. Fakat bâzen sultanlar bunları toplayanların elinden alır ve az kısmını onlara verir. Sultanlardan mâden sahibi olanların haksızlıkları, insanları mâdenlerden men etmekle olur. Mâdenlerden bir kısmını alanlar, sultana ücretini vermek sûretiyle alırlar. Bu gibi mübâh olan mallara istinâbe sûretiyle mâlik ve îcar etmek sahihtir. Meselâ, sulamak için bir suyu kiralayan, o suya sâhiptir, ücrete hak kazanır. Mâdenler de aynı hükümdedir. Bu asıl üzerine teferruâta giriştiğimizde, mâdenden çıkarılan altının maddesinin haram olmadığı kolaylıkla anlaşılır. Ancak imalât ücretini noksan vermekte zulüm düşünülebilir. Bu da nisbet itibâriyle azdır. Aynı zamanda altının kendi maddesinin haram olmasını da îktizâ etmez, belki işçinin hakkı zimmetinde kalmakla zulmetmiş olur. Darphânelerden çıkan altın paralara gelince, bunlar da bizzât sultanın gasbedip zulm ile aldığı altınlar değildir. Belki tüccarlar da altınlarını oraya gönderir ve para olarak çıkması için darphâneyi isticar ederler. Bir miktar imalât ücretini ödedikten sonra, diğer altınlarını tartı ile alırlar. Bu da câizdir. Şimdi, zâlim sultanın altını ile tüccarın altınlarını mukayese edersek, yine tüccarın altını fazla gelir. Evet, sultanlar sulta ve haşmetleri sebebiyle darphâneyi îcar edenlerden âidât almakla onlara haksızlık eder ve pek çok vâridât sağlarlar. Sultanların bu sûretle aldıkları her ne kadar zulüm ise de, darphâneden çıkanlara nisbetle bu da azdır. Sultana ayrılan ve darphânede kalan, yine ancak yüzde bir nisbetindedir. Buna "daha çok" nasıl denebilir? Bunlar evhâm yolu ile gönüllere giren galatlardan ibârettir. Dîni zayıf olan bâzı kimseler de bunları süslemeye ve verâı takbîh ederek kapılarını kapamaya çalıştı ve servetler arasında ayırım yapanı çirkin görmeye kalkıştılar ki bu, bidat ve sapıklığın kendisidir.

Şâyet "haram kısmını çok takdir edip, sayısız haramın sayısız helâle karıştığını ve aynının helâl veyâ haram olduğunu gösterecek bir alâmet bulunmadığını kabul ettiğimiz zaman, buradaki hüküm nasıl olacak?" dersen:

Deriz ki: Bu gibi maddelere yaklaşmamak verâdan olmakla beraber, alması haram olmayıp helâl olmaktır. Çünkü aslı helâldir. Bu helâllik, muayyen bir alâmet olmadan kalkmaz. Sokak çamurlarında ve daha birçok yerlerde olduğu gibi

Yine derim ki; dünyada mecvut bütün servetlerin haram oldukları katî olarak bilinse, geçmiş tamamen bahşedilir ve hüküm yeniden başlar. Çünkü "Haddini tecâvüz eden, zıddına döner." küllî kaidesi vardır. Hepsi haram olunca, hepsi helâl olur. Bunun delîli, böyle bir vaziyet karşısında, beş ihtimâl vardır:

1 - İnsanların, haram yememek için, yemeyi içmeyi terkedip açlıktan ölmeleri,

2 - Ölmeyecek derecede mevcut mâldan yemeleri ve ölümü beklemeleri,

3 - Mâdem ki bütün servetler haramdır, insanların meşrû ve gayr-ı meşrû demeden, helâl ve haram yollarını aramadan, ihtiyaçlarını giderecek şekilde, bu mallardan almaları,

4 - Yetecek kadarı ile yetinmeden, yeniden şartlarına riâyetle meşrû bir şekilde servet edinmeye devâm etmeleri,

5 - Şer'î hükümlere riâyet etmek sûretiyle yalnız ihtiyaçlarını giderecek kadar bu mallardan almaları.

Birincisi: Bu beş ihtimâlden birincinin bâtıl olduğu meydandadır. (Çünkü bu, bile bile insânın kendisini tehlikeye atması demektir ki, yasak ve haramdır.)

İkincisi de katî olarak bâtıldır. Çünkü insanlar ölmeyecek derecede kazanca kendilerini bağlar ve vakitlerini bu sûretle ihmâl ederlerse, kendilerini ölüme hazırlamış olurlar. Her şey durur ve dünya tamamen harap olur. Dünyanın harap olması ise dînin harap olmasıdır. Zîra dünya âhiretin tarlasıdır. Bunun gibi hilâfet, kazâ ve siyâset hükümleri, hattâ dînin maslahatlarını tamamlamak maksadıyla dünya maslahatlarını muhâfaza eden fıkhın birçok hükümleri de kaybolup gider.

Üçüncü ihtimâl de bâtıldır. Çünkü o, helâl ve haram seçmeden gelişi-güzel ihtiyacını gidermektir. Bunda fesatçılara ve çeşitli fesat yollarına, şerîat kapılarını kapamak vardır. Buna göre hırsızlık ve zorla almak gibi çeşitli zulüm yollarına eller uzanmaya başlar ve bu gibi elleri geri itmek mümkün olmaz. Çünkü bu serveti ellerinde bulunduran onlar, bu mallara bizden daha fazla hak sahibi değil, bize haram ise onlara da haramdır. Buna göre mal sahibi ancak ihtiyacı kadarına hükmedebilir. Onun ihtiyacı varsa, bizim de ihtiyacımız vardır. Şâyet bizim aldığımız ihtiyaçtan fazla ise o da aynı şekilde günlük ihtiyacından fazlasını çalmıştır. O, günlük veyâ yıllık ihtiyâcına riâyet etmemişse, biz niye edelim? dediklerinde artık bunu önlemek imkânı olmaz. Bu hâl, şerîat siyâsetinin butlânına müncer olur ve bozguncuları bozguna teşvik eder.

Dördüncüsü: O hâlde ancak dördüncü ihtimâl kalmıştır. O da servet kimin elinde ise o, bu servete herkesten daha lâyık olmasıdır. Onu zorla veyâ hırsızlıkla elinden almak câiz olmaz. Ancak muvafakatıyla alınır, tarafların rızâsı ise şerîat yoludur. Rızâsı olmadan mal sahibinden malını almak câiz olmadığı yerleşince, rızânın da şeriatta âmme maslahatı ile alâkalı çıkar yolu vardır. Bu maslahata riâyet edilmezse tarafların asıl rızâsı anlaşılmaz ve tafsîli atâlete uğrar.

Beşinci ihtimâle gelince ki, bu da yalnız ihtiyâca yetecek kadarını, şerîata uygun bir şekilde mal sahibinden almak ve fazlasına gitmemektir. Bu, âhiret yolculuğunu murâd edenler için uygun bulduğumuz verâ yoludur. Fakat bu zulmü fetvâya bağlamaya ve herkesi buna mecbûr etmeye imkân yoktur. Zîra o zaman zâlimlerin eli, insanların fazla servetlerine uzanır, hırsızlar ve gücü yetenler çalıp çırparlar ve zorla başkalarının servetlerini ellerinden almaya başlarlar. “Bunların ihtiyaçlarından fazlasında hakları yok, bizler muhtâcız.” derler. Bu vaziyet karşısında tek bir çâre kalır. O da sultanın, mal sâhiplerinin elinde ihtiyaçtan fazla bulunan servetlerini bir araya toplayıp herkese günlük veyâ yıllık ihtiyâcını tesbit ederek vermektir ki, bu hem çok zor, hem de mevcut serveti zâyi etmektir.

"Sultan, bu müşkilâta katlansın." demek doğru olmaz. Çünkü bunun uhdesinden gelemeyeceği âşikârdır. Malı zâyi etmeye gelince, "İhtiyâç miktarı" ifâdesini kullandığımıza göre meyveler, et ve birçok dânelerin ya denize atılması veyâ çürümeye terk edilmesi demektir. Çünkü bunlar, zarûrî ihtiyaç için değil, refâh ve genişlik için yaratılmışlardır.

Aynı zamanda ihtiyaç miktarı ile yetinmekte, hac ve zekât gibi mâlî ibâdetlerle, mâlî kefâretlerin ve servetle alâkalı bütün ibâdetlerin düşmesi lâzım gelir. Çünkü hiç kimsede ihtiyâcından fazla bir şey yoktur. Bu ise akl-ı selîmin kabul etmeyeceği, çok çirkin bir manzaradır. Hattâ ben: "Böyle zamanda bir peygamber gelse, yeniden işi ele alarak bütün servetler helâl kabul edilse, nasıl muamele yapacaktı ise tarafların rızâlarını bulmak ve diğer yollardan sebepleri hazırlamakla yeni bir nizâm vermesi, kendisine vâcip olurdu." derim.

"O peygambere böyle yapması vâcip olurdu." demekle, dîn ve dünya işlerinde âmme maslahatını düzeltmek için gönderilen peygamberi kastediyorum. Çünkü bu nizâm, yalnız ihtiyaç kadarı ile yetinmekle tamamlanmaz. Şâyet böyle dîn ve dünya işlerinde âmme maslahatını düzeltmek için gönderilmemişse, bu takdirde, ona böyle hareket vâcip olmaz. Bununla beraber, Allahü Teâlâ'nın insanları helâk etmek için bâzı sebepler yaratmasını da câiz görürüz. Bu sûretle dünyalıklarını kaybeder ve âhiretlerini sapıtırlar. Allahü Teâlâ, dilediğine hidâyet eder, dilediğini dalâlette bırakır. Dilediğini öldürür ve dilediğini yaşatır; yaptığından mesûl değildir. Fakat biz, âdet-i ilâhıyye iktizâsı dîn ve dünyanın selâmeti için Allahü Teâlâ'nın peygamberler gönderdiğini kabul ederiz. Çünkü gönderilen peygamberler, böyle gönderilmiştir. Peygamber (s.a.v.) Efendimiz, peygamberlerin gönderilmesine ara verildiği bir sırada gelmiştir. Çünkü Hz. İsa'dan Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e kadar altıyüz seneye yakın bir zaman geçmişti. İnsanlar ikiye ayrılmıştı. Yahudi ve putperestlerin çoğu İsâ aleyhisselâmı yalanlıyordu. İsrâiloğulları ve diğerlerinden bir kısmı da onu tasdîk ediyordu. Şimdi olduğu gibi, aralarında fısk u fücûr yaygın hâlde idi.

Hâlbuki kâfirler de şerîatın fer'î hükümleri ile mükelleftirler.[46] Servet ise İsâ aieyhisselâmı tasdîk edenlerin elinde bulunduğu gibi, tekzîb edip yalanlayanlarda da vardı. Hz. İsâ'ya inanmayanlar, onun şerîatıyla amel etmiyorlardı. Ona inananların tasdîkleri olmakla beraber, şer'î hükümleri tamamen tatbik etmiyorlardı. Nitekim peygambere daha yakın olduğumuz halde şimdiki insanlar da aynı vaziyettedir. Görülüyor ki, Peygamber Efendimiz (s.a.v.)'in peygamber olarak gönderildiği zaman, servetlerin tamamı veyâ kısm-ı âzamı yâhut bir kısmı haram idi. Buna rağmen Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), bütün geçmişlerden vazgeçti, onları karıştırmadı ve herkesin elindeki servetini kendi malı olarak tanıdı ve buna göre şer'î hükümleri koydu. Hâlbuki herhangi bir şerîatte haram olduğu bilinen bir madde, yeni peygamberin gelmesiyle helâl olmaz. Yine biz, doğrudan şarap parası veyâ ribâ olduğunu bildiğimiz parayı zimmîlerden cizye olarak almayız. Onların o zamanki malları, bizim bu zamandaki mallarımız gibi karışıktı. Yağmacılık ve soygunculukları bakımından diğer Arap kabîlelerinin malları bunlardan da daha kötü idi.

Bütün bu manzaralar karşısında fetvâ için dördüncü kısım, verâ ve takvâ için de beşinci kısım ihtimâl birleşmiş olur. Hattâ verâın kemâli, mübâh olan şeylerde dahî ihtiyaç kadarı ile iktifâ edip (yetinip), dünyevî zenginliğe fazla dalmamaktır. İşte âhiret yolu budur. Fakat biz burada âmme maslahatına uygun olan fıkhî hükümlerden bahsediyoruz. Zahirî fetvânın, âmme ihtiyâcına göre hüküm ve yolları vardır. Din yoluna ise ancak muayyen kimseler girebilir. Eğer herkes aynı verâ yolunu takip etse nizâm bozulur; âlem harap olurdu. Çünkü takvâ ve verâ yolu, yalnız âhirette büyük mevkî sağlama yoludur. Nitekim dünyalıkta da herkes üstün mevkîler elde etmek için çalışsa, hepsi birden alelâde sanatları terk etseler yine nizâm bozulurdu. Düzenin bozulması ile dünya da harap olurdu. Bâzılarının bu gibi sanatlara bağlanmaları, mülkün meliklere sâlim olarak kalmasını sağladığı gibi, dünyalığa yönelenlerin dünyaya bağlanmaları da dîn erbâbının dîn yolunu selâmete ulaştırır ki, o da âhiret mülküdür. Eğer dünyaya bağlılık olmasaydı, dîn sâhipleri de sâlimen âhiret yoluna yönelemezlerdi. Onların selâmetinin şartı, ekseriyetin o yolu bırakıp dünya işi ile meşgul olmalarıdır. Çünkü geçim için birçok maddelere ihtiyaçları vardı. Bu keyfiyet, ezelde ilâhî meşîetin sebkat ettiği bir taksimdir. Allahü Teâlâ:

---

[46] Hanefilere göre, kafirler şerîatın fer'î hükümleri ile mükellef değildir.

نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا
بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا

"Dünya hayatında onların geçimliklerini aralarında biz paylaştırdık. Birbirlerine iş gördürmeleri için kimini ötekine derecelerle üstün kıldık." (Zuhruf sûresi, 43/32) buyurmuştur.

Şâyet hiç helâl kalmayacak şekilde o servetin hepsini haram olarak mütalâa etmeye lüzûm yoktur. Bunun böyle olmadığı mâlûm. Bâzısının da haram olduğu belli. Fakat haram kısmının az veyâ çok olması şüphelidir. Hepsine nisbetle azdır dediğimiz de meydandadır. Fakat bunu tecvîze delâlet edecek "mesâlîh-i mürsele"den[47] olmayan bir delîl lâzımdır. Sizin anlattığınız taksîmâtın hepsi mesâlih-i mürsele kabîlindendir. Delîlin ittifakla kabul edilmiş olması için üzerine kıyas yapılacak muayyen bir şâhide ihtiyâcı vardır. "Hâlbuki âlimlerin bâzıları "mesâlîh-i mürsele"yi kabul etmiyorlar." dersen:

Derim ki: Haramın, helâlden az olduğu kabul edilirse, delîl olmak için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ve sahâbenin asrı bize kâfidir. Hâlbuki o zaman da ribâ yağmacılık ve soygunculuk vardı. Şâyet haram helâlden çok olduğu bir zaman kabul edersek, yine alması helâldir ve bunun üç delîli vardır:

1 - **Birinci delîl:** Önce anlattığımız ve dördünü iptâl ederek beşincisini ispât ettiğimiz taksimâttır. Çünkü hepsi haram olduğu zaman, alınması caiz olunca, çoğu haram olanın alınması evleviyyetle (öncelikle) câiz olur. Buna "Maslahat-ı mürsele" demek, düşüklük ve boş bir sözdür. Çünkü maslahat-ı mürsele şüpheli şeylerde düşünülür. Bizim anlatmakta olduğumuz, katî hükümlerdir. Zîrâ şerîatın muradı, din ve dünya maslahatı olduğunda şüphemiz yoktur. Bu, şüpheli olmayıp zarûrî olarak bilinen bir gerçektir. Bütün insanları yalnız ot ve av ile geçindirir, muhtaç oldukları zarûrî maddelere bağlamak birinci derecede dünyayı ve bil-vâsıta ikinci derecede de dîni yıkmak demek olduğunda da şüphe yoktur. Şüphesiz olan şeylere delîl aramak lüzûmsuzdur.

---

[47] Herhangi iki şey arasındaki münâsebet, bâzen îtibâr edilir bâzen kabul edilir ve bâzen de iç yüzü bilinmez. İşte "Mesâlih-i mürsele", elenen bu üçüncü kısımdır. Burada da üç mezhep vardır: Bir mezhebe göre mutlak merdûttur. İbn Hacib Âmedî ve fukahânın kabul ettiği budur. Bir mezhebe göre de, mutlak makbuldür ve huccettir. Mâlik ve İmâmu'l-Haremeyn'den rivâyet edilen budur. Şâfiî'den de böyle rivâyet edildiği söylenir. Üçüncüsü Gazâlî'nin görüşüdür. O da maslahat zarûrî, katî ve umûmî olursa mûteber, zarûrî olmazsa mûteber değildir.

Delîl, bâzı şahıslarla alâkalı olup, şüpheli hayâller üzerine kurulan şeylerde aranır.

2 - **İkinci delîl:** Her ne kadar yukarıda anlattığımız "Haramın teammüm ettiği (yaygınlaştığı) bir sırada Peygamber gönderirdi. Eskileri nazar-ı itibâra almadan herkesi elindeki malın sahibi tamdı ve ona göre yeni esaslar koydu. Şayet böyle yapmasaydı âlem harap olurdu." hükm-i küllîsine nisbetle, değerli fakîhler nazarında cüz'iyyât hakîr ise de cüz'î kıyâslarla fakîhlerin üzerinde ittifâk ettiği asla reddolunan, kıyâs-ı muharrer ile illetlenmesidir.

Kıyâs-ı muharrer-i cüz'î, sayılı olmayan şeylerde tâyin edici bir alâmetin bulunmamasıyla, asıl ile gâlibin muârazası hâlinde, sokak çamurlarına, Hıristiyan'ın bardağına ve müşriklerin kaplarına kıyâs ederek asıl ile hükmetmektir ki, bunu sahâbenin işi ile ispat etmiştik. Helâl veyâ haram olduğunu tâyin eden bir alâmet bulunmayacak demekle, üzerinde içtihâd yapılabilen kaplardan; sayılı olmayacak demekle de murdar veyâ bismil (mısmıl / murdar olmayan) olan hayvan ile süt annesi ve yabancı kadının birbirine benzemelerinden kaçınılmıştır. (Bunların hükümleri yukarıda açıklandı.)

Şâyet suda tahâretin asl olması katîdir. Allahü Teâlâ, suyu temizlik için yarattı, bunu herkes bilir. Fakat eşyâda aslolan helâl olmasını kim kabul eder? Belki eşyâda aslolan haram olmaktır." dersen;

İlk cevap olarak deriz ki: Domuz ve içki gibi maddesinde mevcut bir vasıf sebebiyle haram olmayan diğer mallar, tarafların rızâsı ile muâmeleyi kabule elverişli olmakta, suların abdest ve temizliğe elverişli olması gibidir. Sulara necâsetin karışması sebebiyle abdestte kullanılmaktan ve temizleyici olmaktan çıktıkları gibi, mallara da zulüm ve haram karışması sebebiyle, muâmeleyi kabulden çıkarlar ki, bu bakımdan sular ile mallar arasında bir fark olmamış olur.

İkinci bir cevap olarak yine deriz ki: Servetin bir elde bulunması, sahibinin ona mâlik olmasının açık bir delîlidir. Bu delîl "İstishâb" menzilesinde ve daha da kuvvetlidir. Şöyle ki: şerîat onu elinde bulunana vermiştir. Meselâ bir adamın borcu olduğu iddiâ edilse ve bu adam inkâr etse, söz adamın sözüdür. Bir kimsenin elindeki malı bir başkası "Benimdir" deyip dava etse, adam da inkâr etse, söz mal elinde bulunanındır. Malın elde bulunması "İstishâb" makamında kaimdir. Aksini ispat edecek bir alâmet bulunmadıkça, bir kimsenin elinde bulunan malda aslolan, onun olmasıdır.

3 - Üçüncü delîl: Katî şekilde olsa da, sayılamayan cinse delâleti olduğu hâlde aynına delâlet etmeyen bir delîl, şer'an mûteber delîldir. Katî delîl mûteber olmayınca, şüpheli delîlin mûteber olmayacağı açıktır. Bunun açıklaması şöyledir: Meselâ Ahmed'in olduğu katî olarak bilinen bir malda, başkasını tasarruftan men etmek, Ahmed'in hakkıdır. Fakat bir mal ki, bunun insanlar arasında bir sahibi vardı ama sahibinin hüviyeti belli olmadığı gibi, veresesini bulmak imkânı da yoksa bu mal Müslümanların menfaati için saklanır, ihtiyaca göre sarf edilir. Şâyet bu malın on veyâ yirmi kişiden birisine ait olduğu anlaşılırsa, bu yirmi kişi arasından mal sahibini bulmak mümkün olacağından, o malda tasarruf câiz değildir. Bir mal ki, elinde bulunduğu kimseden başkasının da bu malda hakkı olup olmadığı hususunda şüphe edilirse, bu tıpkı insanlar arasında sahibi bilinmeyen bir mal gibidir; maslahat ve ihtiyâca göre bu malda tasarruf edilir. Maslahatı, yukarıda beş kısımda anlattık. İşte bu asıl ona şâhid ve delîldir. Nasıl delîl olmasın ki, sahibi bilinmeyen her malı sultan, maslahat ve ihtiyâca göre sarf eder. Bu ihtiyaç sahibi fakirler olduğu gibi, başkaları da olabilir. Bu gibi maldan bir fakire verilse, o fakir o mala sahip olur ve istediği gibi onda tasarruf eder. Hattâ bir hırsız bu malı çalsa, eli kesilir. Bu, maslahat iktizâsıdır. Çünkü maslahata göre o mal, fakirin mülkü oldu. Yoksa başkasının mülkünde tasarruf edemezdi. İşte burada maslahata göre hüküm verdik.

Şâyet "bu gibi mallarda ancak sultanlar tasarruf edebilir." denirse deriz ki: "Başkasının mülkünde tasarruf, sahibinin izni olmadan sultanlar için de câiz değildir. Sultanların bu gibi mallarda tasarrufu, ancak maslahat iktizâsıdır." O maslahat da şudur: Şâyet o mal, başıboş kalsa kaybolup gidecekti. Demek ki bu mal, iki şey arasında mütereddit: Ya kaybolmalı veyâ bir ihtiyâca sarf edilmeli. Şüphesiz bir ihtiyaca sarf edilmesi daha doğru olduğu için, tercîh edilmiştir. Bunun gibi, şüpheli olup, katî olarak haram olduğu bilinmeyen mallarda da maslahat, elinde bulunduğu kimsenin ona el koyması delâletiyle onu kendisine terk etmektir. Zîra bu gibi şüpheli malları ellerinden alıp, onları yalnız ihtiyaç miktarı ile bırakmak, yukarıda anlattığımız zararlara sebep olur. Maslahat ve ihtiyaç yolları çeşitlidir. Sultan, bâzen bu gibi mallarla, gördüğü ihtiyaca göre bir köprü inşâasını uygun görür. Bâzen orduyu teçhiz için harcar. Bâzen yoksullara verir. Mühim gördüğü hizmetlere sarf eder. Lüzûmun hâsıl olduğu tarafa yönelir. Bu gibi mallarda fetvâ da maslahata göre devreder. Şu verilen îzâhattan anlaşılmış oldu ki, sahibinin kim olduğu bilinmeyen mallara, sultanın el koyup onları fakirlere vermesinde, sultan ile fakirler muâheze edilemediği gibi, hususî şekilde haram olduğu bilinmeyen bir malın, haram olmasında şüphe edilmekten, o mal sahibi de muâheze edilemez. Çünkü nasıl ki sultanın alıp fakire verdiği malın sahibinin kim olduğu bilinemiyorsa, öteki adamın da sâhip olduğu malın haram olduğu katî olarak bilinememektedir Mal sahibi ile mal arasında bu bakımdan bir fark yoktur.

İşte ihtilât yâni karışıklık şüphesinin beyânı bundan ibârettir (ki bunu yukarıda va'd etmiştik.) Geride kalan, sulu maddelerin, para ve ticaret eşyâsının, sahibinin elinde karışmış olmasıdır. Bunun tafsîlâtı, mezâlimden kurtulmak bâbında gelecektir.

Üçüncü Kaynak

Şüphenin üçüncü menşei, malı helâl kılacak sebebe günâhın karışmış olmasıdır.

Alış-verişin fesâdını ve helâl edici sebebin bâtıl olmasını gerektirmeyecek şekilde işlenen bu günâh ya o helâl edici sebeple beraber olur, veyâ ondan sonra, veyâ evvel olur, veyâhut malın bedelinde olur.

Alış-veriş ile beraber işlenip, bey'ı ifsâd etmeyen günâhlar: Cumâ ezanı okunurken alış-veriş yapmak, gasbedilen bıçak ile hayvan kesmek, gasbedilmiş keser ve benzerî âletle odun toplamak, başkasının alış-verişlerine karışmak ve fiyat arttırmak gibi şeylerdir. Alış-verişte men edilen ve fakat alış-verişi bozmayan her şeyden kaçınmak, verâdandır. Bu sebeplerle her ne kadar alış-veriş haram olmazsa da, bunlardan kaçınmak lâzımdır.[48] Bu gibi şeylere şüphe adı verilmesinde müsâmaha vardır. Zîra şüphe, ekseriyetle iltibâs olan ve bilinmeyen şeylerde kullanılır. Burada bu mânâda bir şüphe yoktur. Gasbettiği bıçak ile hayvan boğazlamanın günâhı ve etinin ise helâl olduğu mâlûmdur. Fakat bâzen şüphe (iştibâhtan değil) müşâbehetten doğar. O zaman bu işlerden meydana geleni yemek, mekruh olur ve kerâhet de harama benzemiş olur. Eğer buradaki şüpheden murâd bu mânâ ise o zaman biraz uygun düşer, yok eğer birinci mânâ murâd ise o zaman buna şüphe demektense kerâhet demek daha uygun olur. Binâenaleyh, mânâ anlaşıldıktan sonra isimlerde münâkaşa olmaz. Bu isimlerde müsâmaha, fakîhlerin âdetlerindendir.

---

[48] Hanefilere göre bunlar, ticâretin mekrûhlarındandır.

Bundan sonra bilmiş ol ki, kerahetin dereceleri vardır:

Harama yakın olan kerâhet: Bundan kaçınmak mühimdir. En sonu da vesvese denecek kadar mübâlağalı bir verâdır. Bu ikisinin arasında iki tarafa bakan orta dereceler vardır. Meselâ köpek irâde sahibi olduğu için, gasbedilen köpek ile yapılan avın günâhı, gasbedilen ok ile yapılan avın veyâ gasbedilen bıçak ile hayvan kesmenin günâhından daha çoktur. Hattâ gasbedilen köpek ile yapılan avın, köpeğin asıl sahibine ait olup olmadığı da ihtilaflıdır. Gasbedilmiş arâziyi ekmek de bundan sonra gelir; fakat mahsûl, tohumu ekenindir. Ama bunun helâl ve haram olması şüphelidir. (Çünkü tohum, sahibine nazaran helâl, arâzi sahibine nazaran ise haramdır. İşte bu şüpheye işâret olarak) arâzi sâhibine hakk-ı habs tanımak, haram para gibi olur. Bunun için hakk-ı habs yâni tohumu saklama hakkı tanınmaması, kıyâsa daha uygundur. Gasbedilmiş değirmende öğütülen un ve gasbedilmiş tuzak ile avlanan avlarda olduğu gibi. Zîra tuzak sahibinin bu av ile münâsebeti yoktur. Bunlardan sonra da, gasbedilen balta ile odun yapmak ve daha sonra da, gasbedilmiş bıçak ile hayvanını kesmek gelir.

Çünkü gasbedilmiş bıçak ile kestiği hayvanın etinin haram olduğunu kimse söylememiştir. Cuma ezânı okunurken alış-verişteki kerâhet, bundan da sonra gelir. (Bu ezân da hatip minbere çıktıktan sonra, okunan ezândır.) Her ne kadar imâm Mâlik ve İmâm Ahmed'in ashâbı, "Bu vakitteki alış-veriş bâtıl ve bey' fâsiddir." dedilerse de alış-veriş muâmelesi ile münâsebeti zayıftır. Burada alış-verişle meşgul olmakla diğer vâcibi ihmâl etmekten başka şahsî bir hak yoktur. Şâyet bununla alış-veriş fâsid olsaydı, zekât borcu veyâ zimmetinde bir miktar kul hakkı olan veyâ kazaya kalmış namaz borcu olanların hepsinin alış-verişinin fâsid olması lâzım gelecekti. Çünkü o alış-veriş bunları yapmaya mânidir. (Hâlbuki böyle söyleyen kimse yoktur.) Cuma için borç olan da, ezân okunduktan sonra gitmektir.

Eğer böyle olsaydı, zâlimin ve hattâ zimmetinde bir miktar borcu olanın, evlâdını nikâh etmenin de sahîh olmaması lâzım gelecekti. Çünkü o da borcunu bırakıp başka şeyle meşgul olmuştur. Ancak cuma için hususî nehiy vârid olduğundan, bâzı vehimlere bunun bir hususiyeti olduğu gelir ve bu bakımdan daha şiddetli mekruh sayılır. İhtiyâten buna ehemmiyet vermek daha iyi olmakla, muamelâtı müşkilâta sokacak şekilde vesveseye kapılmaya da lüzûm yoktur.

Hikâye edildiğine göre, adamın biri başka birisinden bir şey satın aldı. Sonra öteki adamın o şeyi Cuma günü aldığını duyunca, ezân vakti aldı korkusu ile malını kendisine iâde etti. Bu ise fazla ifrâttır. Çünkü tamamen şek üzerine kurulmuştur. Menhiyât ve müfsidâtı tâyinde bu gibi vehimler, Cuma'dan başka diğer günlerde de olabilir. Filhakîka verâ güzel bir şeydir. Hattâ bunda mübalağa etmek daha da güzeldir. Ancak (her şeyde olduğu gibi) verâın da bir haddi vardır (onu aşmamak lâzımdır.) Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ

"Çok aşırı gidenler, helâk olmuştur."[49] buyurmuştur. Bu gibi aşırılıklardan kaçınmak lâzımdır. Zîra bu husustaki mübâlağa -her ne kadar sahibine zarar vermezse de- bunu gören başkaları mühim olduğunu sanır, onu tatbik edemediği gibi, daha kolayını da yapmamakla verâı tamamen terk etmiş olur. Zamanımızdaki ekseriyetin dayanağı da budur. Bu sûretle yolları daraltıp hepsini yapamadıkları bahânesiyle, hepsini terke kalkışmışlardır. Vesveseli insanın, tahâretten âciz kalması sebebiyle, tahâreti tamamen terk etmesi gibi. Helâlde vesvese eden bâzı kimseler, artık dünyada helâl kalmadı diyerek, kendilerinin de harama aldırış etmemeye kalkışmaları da böyledir. Bu hâl, sapıklığın kendisidir.

Geleceği itibâriyle günâh olana misâl:

İleride de mâsiyete sebep olacak şekilde, herhangi bir maddede tasarruftur. Bağında yetişen üzümü şarapçıya, genç ve parlak bir köleyi ahlâksıza ve kılıcı eşkiyâya satmak gibi. Âlimler, bu gibi satış muamelesinin sıhhatinde ve alınan paranın helâl olmasında ihtilâf ettilerse de alış-veriş sahîh ve alınan para helâldir. Ancak bu satışı yapan günâhkârdır.

Gasbedilmiş bıçak ile kesmek günâh iken, kesilen hayvanın temiz olması gibi. Zîra üzümü şarapçıya, genç çocuğu ahlâksıza satmakla mâsiyete yardımcı oluyor. Fakat satılan madde temizdir, ona tesîr etmez. Ancak bundan alınan para son derece mekruhtur ve terki mühim verâlardandır. Lâkin haram değildir.[50] Şarap içmeyi âdet edinene üzüm, hem muhârib hem de zâlim kimseye silâh satmak da ikinci derecede mekruhtur. Zîra burada ihtimaller, muâraza hâlindedir. Şarap içenin imalâtçısı olmadığı için, üzümü üzüm olarak yemesi ihtimâli olduğu gibi, şarap içtiği için, şarap yapma ihtimâli de vardır. Öbür mücâhidin, silâhı savaşta kullanma ihtimâli olduğu gibi, zâlim olduğu için, zulüm yolunda kullanma ihtimâli de mevcûttur. İşte her iki ihtimâl mevcût olduğu için, bunlar da mekruh oldu.

---

[49] Müslim, İbn Mes'ûddan (r.a.) rivâyet etmiştir.

[50] İmâm-ı Âzam da aynı görüştedir. İmâm Ahmed'e göre bu alış-veriş bâtıldır. İmâm Mâlik'e göre ise mal kaybolmadı ise alış-veriş feshedilir, kaybolmuşsa bedeli tasadduk edilir.

Hattâ selef, zâlimin eline geçer korkusu ile dâhilî siyâsetin bozuk olduğu zamanlarda, silâh satışını mekruh saymışlardır. Bu, birincinin daha üstünde bir verâ olmakla beraber, satışındaki kerâhet, birinciden ehvendir. Bunları tâkip eden, daha çok ifrâta varan çekinmedir ki, bunun vesveseye varması da muhtemeldir. Meselâ, bâzı kimseler: “Çiftçilere zirâat âletlerinin satılması câiz değil. Çünkü onlar yetiştirdikleri mahsûlü zâlimlere satarlar. Binâenaleyh, onlardan ne hayvan ne de zirâat âleti satın alınır.” derler ki, bu vesvese verâıdır. Çünkü bundan, fellâhlara ekmek satılmaması da lâzım gelir. Zîra onlar ekmek sâyesinde zirâat edebilir. Yine bu sebepten, onlara, âmme sularından da içirmemeye kadar gider ve bu sûretle yasak ve menhiy olan aşırı derecede ifrâta varılmış olur. Hayır kasdıyla teveccüh edilen her şeyde -eğer gerçek ilim mâni olmazsa- isrâfa gidilebilir. Hattâ bâzen hayır yapıyorum zannıyla İslâmiyet’te yeri olmayan, bid’atlere saplanır da kendisinden sonra gelenleri zarara, fuzûlî külfetlere sokar. Bunun içindir ki Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلٰى أَدْنٰى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي

“Âlimin âbid üzerine fazîleti, benim ashâbımın en düşükleri üzerine olan fazîletim gibidir.” buyurdu.[51] Bu derece haddi aşanlar, Allahü Teâlâ’nın:

---

[51] Tirmizî, Ebû Umâme’den (r.a.) rivayet etmiştir. Ayrıca C. 1. Sf: 20’de geçmiştir.

اَلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا

"Onların, dünya hayâtında sa'y ü gayretleri zâyi ve bâtıl oldu. Hâlbuki onlar güzel işler yaptıklarını sanırlar." (Kehf sûresi, 18/104) buyurduğu zümreye girmiş olmalarından korkulur.

Hülâsa: Verâın ince noktaları ile meşgul olmak, ancak anlayışlı bir âlimin huzûrunda olur.. Yoksa câhilâne bir şekilde verâın ince noktaları ile meşgul olmak hiç de uygun değildir. Çünkü nakle dayanmadan hudûdu aşıp kendi görüşü ile hareket eden kimsenin, bozduğu düzelttiğinden fazla olur. Üzümü, şarapçıya satılır korkusu ile **Sa'd b. Ebî Vakkâs**'ın (r.a.) bağını yaktığı rivâyet edilir ki, bizce bunun bir mânâsı yoktur. Ancak, kendisinin bu hususta bir bildiği var idiyse ona karışamayız. Fakat ondan daha üstün sahâbelerin bağlarını yakmadıkları da bir gerçektir. Eğer böyle bir şey câiz olsaydı, zinâ eder korkusu ile insan âletinin ve yalan söyler korkusu ile dilinin ve buna benzer diğer âzaların da kesilmesi câiz olacaktı (ki, böyle bir şey düşünülemez.)

Önce masiyete sebeb olacaklara gelince, bunların da üç derecesi vardır:

1 - İlk derece: Şiddetle mekruh olan en üstün derece. Eseri, yenecek zamana kadar devam edendir. Haksız olarak alınan otu koyuna yedirmek, yâhut sahibine haram olan yerden davarını otlatmak gibi. Bu, devâm eden bir mâsiyettir. Hayvan, yayılmadan besi alır. Bundan kaçınmak -her ne kadar vâcip değilse de- çok mühimdir. Vâcip olduğu da selefin bâzılarından rivâyet edilmiştir. **Ebû Abdullâh et-Tûsî**'nin[52] bir koyunu vardı. Onu yaymak için sırtına alır, kimsenin hakkı olmayan sahrâya götürür ve katiyyen gözünden ayırmazdı. Bir ara gözünden kaybolup bir adamın bağından bir miktar yaprak yedi. Bunun üzerine Ebû Abdullâh, koyununu o bağa terketti ve alıp evine getirmeyi helâl bulmadı.

Şâyet Abdullah b. Ömer ve Ubeydullah b. Ömer (r.a.), bir deve satın aldılar ve babaları **Hz. Ömer**'in (r.a.), sadaka develeri için ayırdığı koruluğa gönderdiler. Hz. Ömer: "Devenizi, koruya gönderdiniz ve orada yayıldı mı?" diye sorunca, onlar da: "Gönderdik." demeleri üzerine deveyi onlarla yarı yarıya bölüştü. Buna göre Hz. Ömer (r.a.) koruda yayılmasından meydana gelen besinin ot sahibine âit olduğuna hükmetti. "O hâlde bu eti, mal sahibinin yemesi haram olmaz mı?" dersen derim ki: "Hayır. Ottan meydana gelen besi, otun aynı değildir." Binâenaleyh ot sahibi, şer'an ortakçı değildir. Hz. Ömer (r.a.) otun değerini aldı ve bunu kendi içtihâdı ile devenin yarı kıymetinde kabul ederek, devenin yarısını bu maksatla almış oldu. Nitekim Kûfe'den dönen **Sa'd b. Ebî Vakkâs** (r.a.) ve Bahreyn'den dönen Ebû Hüreyre'ye (r.a.) de aynı muâmeleyi yapmıştı: Ellerindeki servetlerin yarısını ancak onların hakkı kabul ederek, diğer yarısını ellerinden aldı. Bunlar, o havâlilerde vâlilik (âmillik) yapmışlardı.

2 - Orta derece: Bu kısmın orta derecesi **Bişr b. el-Hâris**'den rivâyet edilen şu hadiselerdir. Bişr zâlimlerin akıttığı kanaldan su içmedi. Zîra suyu getiren kanaldır. Kanal da zulüm ile açılmıştır. Diğer birisi de böyle zulüm ile açılan suyolu ile sulanan bağın üzümünden yememiştir ki bu, verâ bakımından, birinciye nisbetle da ha üstündür. Başka birisi de sultanların yollar üzerinde akıttığı pınarlardan içmemiştir. Bunlardan daha üstünü, gardiyan vâsıtasıyla gelen yemeği, **Zünnûn-ı Mısrî**'nin yememesi ve sebep olarak da: "Zâlimin eliyle bana geldi." demiş olmasıdır. Bu rutbelerin dereceleri sayılamayacak kadar çoktur.

---

[52] Sika'dan olup, Tûs civârında Trogand veyâ Râzikan'dandır. Müslim, kendisinden rivâyette bulunmuştur. 288 Hicrî'de ölmüştür.

3- Üçüncü derece: Bu üçüncü derece de oldukça vesveseye yakın bir ifrattır. O da zinâ eden veyâ fuhuş isnâdında bulunan bir kişi eliyle gelen yemeği, yemekten çekinmektir. Bu, haram yiyen gibi değildir. Çünkü haram yiyen, haramdan, aldığı gıdadan temîn ettiği kuvvet ile yemeği getirmiştir. Fakat zinâ eden veyâ fuhuş isnâdında bulunan, bunlardan kuvvet almış değildir. Değil bunlardan, kâfirin elinden bile helâl bir maddeyi almaktan çekinmek vesvesedir. Ama haram yemek böyle değil. Çünkü küfür ile yemeği taşımak arasında bir münâsebet yoktur. Böyle zinâ edenin elinden helâl yemeği almamak, ister yalanla ve ister gıybetle olsun, Allah'a isyân eden hiç bir kimsenin elinden de almamayı gerektirir ki, bu son derece aşırı gitmek demek olur. Artık verâ sahipleri **Zünnûn** ile **Bişr**'in verâına riâyet etmeli, bundan daha ilerisine gitmemelidir. Onlar, zulüm ile akıtılan sudan ve haram ile kuvvetlenen bedenin getirdiği yemekten yemediler ve fakat daha ilerisine de varmadılar. Bu bardağı yapan, günün birinde nasıl olsa dövmek veyâ sövmek gibi bir günâh işlemiştir diye bardaktan su içmemek en büyük bir vesvesedir. Şu koyunu haram yiyen adam gütmüştür diye ondan yememekle, haram yiyenin getirdiği yemeği yememek arasında fark vardır. Çünkü yemeği adam taşır, fakat koyun kendisi yürür. Çoban, koyunu ancak sağa sola çevirir bunu hesâba katmak, yine vesvesedir. Bunları nasıl güzelce sıralayıp kolaylaştırdığımıza dikkat et.

Bilmiş ol ki; şu anlattıklarımız zâhir âlimlerinin fetvâları dışındadır. Zîra fakîhler bütün insanlara teklifi mümkün olan ve hepsinin yapması ile âlemin harâbına sebep olmayan birinci dereceden fetvâ verirler. Müttaki ve sâlihlerin verâından fetvâ vermezler. Bu hususlardaki gerçek fetvâ, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in Vâbısa'ya üç defâ;

اِسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ

"Sana fetvâ verseler de kalbine danış." demesi ve bunu târif ederek:

اَلْإِثْمُ حَزَّازُ الْقُلُوبِ

"Günâh, kalplerin çarpmasıdır." buyurmuş olmasıdır. Kalbi çarptığı halde bu gibi şeyleri irtikâb eden âhiret yolcusu, çarpıntısı nisbetinde gönlünü rahatsız etmiştir. Hattâ bilmeyerek bir haramı irtikâb ederse, ona zarar vermez. Fakat zâhir ulemâsı katında helâl olduğu kabul edilen bir şeyi yaparken kalbi çarparsa, o kendisine zarar verir.

Biz aşırılıktan men etmekte anlattıklarımızla bu gibi işlerde çarpmayan mûtedil ve sâfi kalpleri kasdetmiştik. Vesveselinin kalbi, itidâlden ayrılır ve kalbinde çarpıntı bulduktan sonra da o işe devâm ederse, kendisine zarar verir. Zira bu adam kendi hakkında kendisi ile Allah arasında, kendi kalbinin fetvası ile hükmetmiş olur. Bunun gibi, vesveseli adam, tahâret ve niyette de şiddet gösterir. Azasını üç defâ yıkadığı halde hâlâ kuru yer kaldığını zanneden, her ne kadar aslında hatâ ise de ona verilecek hüküm, onu dördüncü defâ yıkamaktır. İşte bunlar, zorluk çıkardıkları için Allahü Teâlâ da onlara çetinlik murâd etti. Bunun için Hz. Mûsâ zamanında bile İsrâiloğullarına Allah tarafından güçlük murâd edildi. Zîra onlardan bir inek kesmeleri istenmişti.

Şâyet "Bakara" lafzının mânâsına göre herhangi bir ineği keseydiler, kâfi gelecekti. Fakat onların, kesilecek ineğin vasıfları üzerinde durup, kendi kendilerine müşkilât çıkarmaları, Allah tarafından işlerinin güçleştirilmesine sebep olmuştur. Müsbet, menfî anlattığımız şu incelikleri gözden kaçırma. Herhangi bir sözün inceliğine vâkıf olamayıp şumûlünü kavrayamayanlar biaynihî maksud olanları idrakte aldanabilirler.

İvazda yâni alış-verişi yapılan mâlın bedelinde mâsiyet:

Bunun da dereceleri vardır.

a - Kerâhetin şiddetli olduğu en üstün derece; satın almak sûretiyle zimmetine geçirdiği malın bedelini sonradan gasbedilmiş veyâ her ne şekilde olursa olsun, haram olan para ile ödemektir. Burada bakılır: Satıcı parayı almadan gönül rızâsı ile alıcıya malı teslim etmiş ve alıcı da bedelini ödemeden malı yemişse helâldir. Borcu ödemeden bu malı terketmek vâcip ve hattâ verâdan değildir. Aldığı malı yedikten sonra, haram paradan borcunu öderse, hiç borcunu ödememiş gibidir. Hiç ödememişse, başkasının hakkını zimmetine geçirmekle zâlimlerden olursa da, yine yediği haram değildir. Şâyet borcunu haram paradan öder, alacaklı da haram olduğunu bilerek kabul ederse, berâet-i zimmet eder ve ancak zimmetinde, alacaklıya ödediği haram para borcu kalır. Şâyet alacaklı, helâl sandığı halde, haram para ile borcu ödemişse, borç ödenmiş olmaz. İşte, müşterinin zimmete geçen malının ve bu maldan yemesinin hükmü budur.

Şâyet mal, gönül hoşluğu ile kendisine teslim edilmediği halde, kendisi celâdeti sebebiyle malı alıp yemişse o mal, kendisine haramdır. İsterse haram parayı vermeden malı yemiş olsun, isterse parayı verdikten sonra, ikisi de birdir. Zîra fetvanın ifâde ettiği, mal sahibinin malını vermeyip saklayabilmesidir ki, mala sahip olduğu ancak böyle tahakkuk eder. Nitekim müşterinin o mala mâlik olması da, onu zimmetine almakla olduğu gibi, mal sahibinin malı saklamasının bâtıl olması ya ibrâ veyâ hakkını almakla kabildir. Bunlardan hiç biri olmadı. (Mal sahibinin muvâfakati hilâfına alındı.) Bununla beraber, kendi mülkünü yemiştir. Fakat rehin olan malı yemek gibi isyân işlemiştir. Rehin edilen malı, sahibinin izni olmadan yemek ile, başkasının malını yemesi arasında fark varsa da, asıl haramlık hepsini şâmildir. Bütün bunlar, -satan kimsenin gönül hoşluğu ile olsun, hoşnutsuzlukla olsun- parayı almasından öncedir.

Haram parayı önce öder, sonra malı alırsa; satıcı haram olduğunu bilerek almışsa, artık malı tutmak hakkı kalmaz. Para da zimmette borçtur. Çünkü aldığı para, şer'an para değildir. Bununla beraber aldığı mal da müşteriye haram değildir. Fakat mal sahibi paranın haram olduğunu bilmez ve haram olduğunu bilerek kabul etmeyecek bir kimse ise yine malını tutma hakkı vardır. O zaman tıpkı, rehini yemek gibi helâlinden müşterinin hakkını ödeyinceye ve helâlleşinceye kadar, o malı yemek haram olur. Helâl etmesi sahih, fakat harama rızâ göstermesi sahih değildir.

İşte şu anlattığımız fıkhın muktezâsı ve helâl ile haramdan birinci derecedeki hükmün beyânıdır. Bundan tamamen kaçınmak verâın en mühimidir. Zîra isyân, bir şeye ulaştıracak sebebi mümkün kılarsa, -yukarıda geçtiği gibi- onun kerâheti kuvvetleşir. Ulaştırıcı sebeplerin en kuvvetlisi de paradır. Eğer o haram para olmasa, satıcı malını teslîme râzı olmazdı. Satıcının muvâfakati, onu son derece mekruh olmaktan kurtarmaz. Bununla beraber, sahibi adâletten düşmez. Fakat takvâ ve verâın derecelerinden düşer. Sultan, satıcının rızâsıyla veresiye olarak aldığı herhangi bir şeyi alıp hil'at veyâ sıla olarak bir ehline verse ödeyeceği paranın helâl olup olmadığı şüpheli ise bu birinciden daha hafiftir. Zîra günâhın paraya dayanacağında şek edilmiştir. Bu husustaki hafiflik, sultanın haram parasının azlığı veyâ çokluğuna bağlıdır. Haram parası ne kadar az olursa, kerahet de o nisbette azalır. Bu hususta mürâcaat edilecek müftü, kalptir. Kalp ne kadar huzûr içinde ise o nisbette kerâhet azalmış olur.

b - Orta derece; Orta derecesi de bedel olarak ödenen paranın gasbedilmiş veyâ haram para olmayıp, ancak mâsiyet için hazırlanmış olmasıdır. Meselâ, para karşılığı şarap içen kimseye üzüm ve yol kesene silâh verilmesi gibi. Bu, aldığı şeyin haram olmasını gerekli kılmaz. Fakat gasb ve benzeri şeylerdeki kerâhetten daha da az olsa yine kerâheti icâb ettirir. Bu da, alan kimsenin az veyâ çok isyân etmesi nisbetinde derecelere ayrılır. Aldığı paranın karşılığı haram ise o parayı tasadduk etmesi de haram, şüpheli ise mekruhtur. Buna göre kan alıcının parasının mekrûh ve kazancını yemekten men edilmesi de buna mebnîdir.

Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) defâlarca bu kazancı yemekten men etti. Adam, fakire ve yetime vermek istedi ise de Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) müsâade etmedi ve: *"Devene yedir, onun mîdesine gitsin."* buyurdu. Bâzıları "Onun bu paradan men etmesi, pis olan kan ile uğraşmış olması bakımındandır." dedilerse de bu çürüktür. Öyle olsa dibâgatle uğraşanları ve lâğımcıları da men etmesi lâzım gelirdi. Hâlbuki bunu hiç kimse söylememiştir. Eğer kan alıcının kazancının bu sebepten mekrûh olduğunu kabul etsek, o zaman kasapların da kazançlarının mekruh olması îcâb eder.

Çünkü onlar daha çok pislikle uğraşıyor. Kan alıcı bıçakla kan alır, bez ile siler. Hâlbuki kasapların kazancı aslâ mekruh olamaz.

Nasıl mekruh olsun, sattıkları temiz ettir. Kan almaktaki ücretin haram olması, hayatın kendisine bağlı olduğu kanı çıkarıp insan veyâ hayvanın bünyesini tahrip etmesi bakımındandır. Bunda aslolan haram olmasıdır. Helâl olması, bir zarûret karşılığıdır. Bu ihtiyaç da tahmin ve içtihâd ile bilinir. Çok kere faydalı olacağı sanılır, Hâlbuki zararlı olur da Allah katında haram olur. Fakat tahmin ve içtihâd yolu ile helâl olmasına hükmolunur. Bunun için çocuk ve bunakların velîleri ve hâzık hekim müsâade etmedikçe, kendilerinden kan alınamaz. Görünüşte kan almak helâl olmasaydı, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) kan alana ücret vermezdi.[53] Eğer haram olma ihtimâli olmasaydı, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), alınan ücreti yemekten kendisini men etmezdi. Bir yandan parayı vermek, öte yandan yemesinden men etmek gibi birbirine zıt görülen bu hükümleri, ancak yukarıda anlattığımız mânâyı çıkarmakla telif imkânını buluruz.

Bunu, sebebe mukarin olan karînelerde anlatmamız daha uygundur. Çünkü bu hâl, ona daha yakındır.

c- **En aşağısı, vesveselilerin derecesidir:** Bu da anasının eğirdiğini giymemeye yemin eden bir kimsenin, anasının eğirdiğini satıp, yerine başka bir elbise satın almasıdır. Bu elbiseyi giymekte bir kerâhet yoktur. Bundan kaçınmak vesvesedir. **Muğîre** radıyallahu anh'ın[54] bunu da tecvîz etmediği rivâyet edilir. Bu görüşüne Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in:

لَعَنَ اللّٰهُ الْيَهُودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الْخُمُورُ فَبَاعُوهَا وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا

---

[53] Buhârî ile Müslim, bu husûstaki hadisi, ittifakla İbn Abbâs'dan (r.a.v) rivâyet etmişlerdir.

[54] Muğire b. Şu'be, Sufaki kabîlesinden olup, ashâbın meşhûrlarındandır. Basra ve Kûfe vâliliklerinde bulunmuştur. 50 Hicri'de ölmüştür.

“Allah Yahûdilere lânet etsin ki, onlara şarap haram olunca, onu satıp parasını yediler.”[55] hadîsi ile delîl getirdi. Hâlbuki **Muğîre** (r.a.)'ın görüşü ile delîli arasında fark vardır. Bu sebepten mugalâta etmiştir. Şarapta şer'î bir menfaat kalmadığı için, elbette onun satışı bâtıl ve haramdır. Anasının eğirdiği ipliği satıp başka elbise almak böyle değildir. Bunun benzeri, adamın câriye olan süt kızkardeşini satıp başka câriye almasıdır. Bundan kimse kaçınmaz. İplik satışını şarap satışına benzetmek, bu hususta son derece ifrâta kaçmaktır. İşte şu açıklamalarımızda bütün dereceleri ve bunlardaki tedrîcîliği öğrenmiş olduk ki, bunlar sayılamayacak kadar çoktur. Burada bir kısmını saymaktan maksat, anlaşılmasını kolaylaştırmaktır.

Şâyet Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنْ اشْتَرٰى ثَوْبًا بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ فِيهَا دِرْهَمٌ حَرَامٌ
لَمْ يَقْبَلِ اللّٰهُ لَهُ صَلَاةً

“İçerisinde bir dirhemi haram olduğu halde, on dirheme bir elbise alan kimsenin o elbise ile kıldığı namaz ve tuttuğu orucu Allah kabul etmez.”[56] buyurmuştur. Sonra hadîsi rivâyet eden İbn Ömer (r.a.), parmaklarını kulaklarına tıkayarak: “Ben bunu Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den duymadımsa, kulağım sağır olsun.” dedi. “Buna ne dersiniz?” dersen derim ki: “Bu, ayrıdır.” Bunun içerisinde haram muayyendir. Biz de yukarıda anlattığımız sûretlerde bunun haram olduğunu söyledik. Bunun gibi nice mallar var ki, her ne kadar alış-verişinin fâsid olduğuna delâlet etmezse de,

---

[55] Hadîs, Buhârî ile Müslim'dedir. Ancak “Humûr” değil. “Şuhum” (iç yağı) diye vârid olmuştur.

[56] İmâm Ahmed bin Hanbel, İbn Ömer'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

ona ulaştırıcı sebebinde mâsiyet bulunduğu için, namazının kabul olmayacağı ile korkutulmuştur. Ezân vakti alış-veriş gibi (Hanbelîlerden İbn-i Akil'in dediği gibi her korkutmak, vücûb ifâde etmez.)

Dördüncü Kaynak

Dördüncü şüphe delîllerdeki ihtilâftır.

Delîlde ihtilâf, sebepte ihtilâf gibidir. Zîra sebep, helâl veyâ haram hükmünü vermek içindir. Delîl ise helâl veyâ haram olduğunu bilmek içindir. Demek ki delîl, gerçek marifetin sebebidir. Allah'ın ilminde sebkat etse bile, bilmediği bir şeyin varlığında fayda düşünülemez.

Delîllerin ihtilâfı üç şeyin biri ile olur:

a) İki delîlin muâraza etmesi. (Yâni yekdiğerini bozan iki delîlin bulunması.)

b) Delâlet eden alâmetlerin muârazası.

c) Benzerliğin muârazası.

a) Birinci kısım, şer'î delîllerin muâraza etmesidir. Bu da:

1 - Umûmî olan Kur'ân ile hadîsin muârazası.

2 - İki kıyâsın muârazası.

3 - Kur'ân veyâ hadîsin kıyâs ile muârazasıdır.

Bütün bunlar, şüpheye varan şekki doğurur ve bir müraccih bulunmadığı takdirde "istishâb" veyâ "Önce bilinen asla" mürâcaat olunur. Tercih haram tarafında ise haram olması ile hükmetmek vâcip; helâl tarafında ise helâl olması ile hükmetmek câiz olur. Fakat verâ, terkedilmesidir. Gerek müftü ve gerek mukallid için bu gibi muhâlefet yerlerinden kaçınmak, verâ bâbında çok mühimdir. Şâyet taklitci ise taklid ettiği kimsenin vereceği fetvâ ile amel etmesi kendisi için câizdir. Şüphesiz böyle taklid ettiği, muhitinin en büyük âlimi olan bir zâttır. Bir memlekette en iyi hekimin hangisi olduğu, tecrübe ve halktan duyulmak sûretiyle bilindiği gibi, kendisine inandığı âlimin de bu şekilde tanınmış olması lâzımdır. Fetvâ isteyen kimse, mezheplerden en genişini, en kolayını ve en çok lehinde olanını aramak, hakkı değildir. Belki en efdal ve en üstün olanını kabul edecek, ona uyacak ve ondan aslâ ayrılmayacaktır. Evet, bağlı bulunduğu imamı, kendisine her hangi bir husûsta fetvâ verir. Fakat verdiği fetvâda imamın muhâlefeti varsa, onu bırakıp muhâlefeti bulunmayan icmâa dönmesi, kuvvetli verâdandır. Müctehid de böyledir; herhangi bir hükmünde delîller muâraza ettiği hâlde, kendi tecrübe ve kanâatine dayanarak helâl olmasını tercih ederse de, verâ olan yine ondan kaçınmasıdır. Nice müftüler var ki, birçok şeylerin helâl olması ile fetvâ verdikleri hâlde, şüpheden sakınmak ve verâ olarak o işe yaklaşmazlar.[57] Bunu da üç mertebede inceleyelim:

1 - Birinci mertebe: Kaçınılması kuvvetle müstehâb olandır. O da, verilmiş olan hükme muhâlif olanın mezhebi daha açık ve kuvvetli olup, hükmü verenin bu husustaki delîli daha ince ve kapalı olmaktır. (O zaman, öte taraf tercîh edilir.) Buna göre, kaçınılması mühim olan cihetlerden birisi, yetiştirilmiş av köpeği, avladığı avından yemişse, -artırdığının helâl olduğuna her ne kadar müftü fetvâ verirse de- onu yemekten çekinmelidir. Çünkü kapalı ve ince bir nokta olduğu için burada tercih yapmak çok güçtür. Zîra av köpeğinin artırdığı bu eti, kendisi için mi yoksa sahibi için mi ayırdığı belli değildir. Bunun için biz Şâfiîler, İmâm Şâfiî'nin "Akyes" yâni en kuvvetli kavli bu olduğundan, bunu tercih ederiz. Zâten köpeğin bu avdan yemesi, artan kısmını da kendisi için ayırmış olmasının açık delîlidir. Gerek İmâm-ı Âzam'ın ve gerek diğer imamların sözüne uygun İmâm Şâfiî'nin kavl-i cedîdi bulunursa -müftü onun hilâfına fetvâ verse de- bu sözü tercih etmek verâdandır.[58]

---

[57] Nitekim İmâm-ı Âzam, iğne ucu gibi -kaçınması mümkün olmayan- idrar serpintilerinin bağışlanmış olmaları ile fetvâ verdiği hâlde, kendisi bundan son dereca sakınmıstır. Hattâ bir gün talebesi İmâm Ebû Yûsuf ile Küfe sokaklarında gezerken, elbisesinin bir tarafına bu şekilde idrâr sıçramış, İmâm-ı Âzam o tarafı tutarak hemen eve gitmiş ve yıkamıştır. İmâm-ı Ebû Yûsuf: "Bu kadar idrâr necâsetinin muaf olduğunu bize söyleyen siz değil misiniz? Neden bunu mühimseyerek yıkıyorsunuz?" deyince İmâm-ı Âzam: "O fetvâ. Bu ise takvâdır." demiştir.

Şâfiî'ye göre her ne kadar ister sehven olsun, ister kasten olsun, Allah'ın ismi anılmadan kesilen hayvanı yemek câiz ise de besmelesiz kesilen hayvanı yemekten çekinmek de verâdandır. Zîra hayvanı keserken besmelenin vücûbunda âyet zâhirdir ve bu husustaki haberler, tevâtür derecesindedir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), av etinden kendisine soran herkese:

إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ الْمُعَلَّمَ وَذَكَرْتَ عَلَيْهِ اِسْمَ اللهِ فَكُلْ

"Av için yetiştirilmiş köpeğini, Allah'ın ismini anarak salıverdi-

---

[58] İmâm Şâfiî'nin bir mesele hakkında tek sözü varsa, Şâfiilerce bu "Nass"dır. Şâyet, bir meselede iki sözü olur ve birincisi bilinirse, ona "Kavl-i kadîm", ikincisine "Kavl-i cedîd" denir. Şâyet bir meselede eskiden de bir kaç söz, yeniden de bir kaç sözü varsa ve bunlardan birini tercih etmişse, tercih ettiği "Nass"; diğeri kavl-i malikedir. Şâyet birini tercih etmemişse, diğer mezhep sahiplerinden birinin içtihadına uygun gelen sözü "Vech", şâyet diğer mezheblerde de bu husûsta ihtilâf varsa, buna da "Tarik" denir.

ğin zaman onun getirdiği avı ye."[59] buyurmuştur. Bu hadîs, tekrâr tekrâr Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den rivâyet edilmiştir. Kesilecek hayvanın besmele ile kesilmesi şöhret bulmuştur. Bütün bunlar, hayvanı kesmekte besmelenin şart olmasını takviye eder. Fakat sahîh olarak Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) den:

اَلْمُؤْمِنُ يَذْبَحُ عَلٰى اِسْمِ اللّٰهِ تَعَالٰى سَمّٰى أَوْ لَمْ يُسَمِّ

"Besmeleyi getirse de getirmese de, mü'min dâima Allah'ın ismini anarak, keser."[60] diye vârid oldu ise bunun âmm olup âyeti ve diğer zâhirinden mâni bir karîne olmaya ihtimâli olduğu gibi, hâs olup besmeleyi unutanlar hakkında olması ihlimâli de vardır. Buna göre nasslar, zâhiri üzerine kalır ve tevîl edilmezler. Bunu, mazerete binâen unutarak besmeleyi terkedenlere hamletmek mümkün olmakla beraber, tamîm etmek imkânları daha yakın olduğu için, onu tercih ettik. Bununla beraber diğer ihtimâli de kaldırmıyoruz. Bundan kaçınmak çok mühim ve birinci derecede verâdır.[61]

---

[59] Buhârî ile Müslim, Adıy b. Hâtem ve Ebû Sa'lebe'den rivâyet etmişlerdir.

[60] Ebû Dâvûd'un **"Merâsil"**inde Es-Salt'den merfû olarak rivâyetinde: *"Allah'ın adını ansın anmasın, Müslüman'ın kesdiği helaldir."* Taberânî **"Evsat"**ında Dârekutnî, İbn Adiy, Beyhakî, Ebû Hüreyre'den rivâyetlerinde, birisi: "Ya Rasûlallah, bizden birimiz Allah'ın adını unutarak kesiyor. Bu ne olacak?" diye sordu. Rasûl-i Ekrem: *"Allah'ın ismi her Müslüman iledir."* buyurdu, diye rivâyet ettiler. Ayrıca Dârekuntî ve Beyhakî İbn Abbâs'dan rivâyet ettikleri bir hadîste: *"Müslüman ismi yeter. Keserken besmeleyi unutmuşsa yerken besmeleyi getirsin."* buyurulmuştur.

[61] İster avlarken ve ister hayvanı boğazlarken: ister kasten veyâ sehven olsun, Şâfiîlere göre Besmeleyi terk etmekten bir şey lâzım gelmez. Hanefîlerde, bu hâllerde sehven Besmeleyi terk ederse, kesilen hayvan yenir ve helâldir. Kasten terk ederse, yenmez, murdardır. Kasten Besmeleyi terk edenin, avının ve kestiğinin yenmeyeceğine, âyet sarihtir. Çünkü Kur'ân-ı Kerîm'de:

2 - İkinci mertebe: Vesvese derecesine varır. O da kesilen hayvanın rahminden çıkan yavruyu ve keleri yemekten kaçınmak gibi. Halbûki haberlerde sahih olarak vârid oldu ki, annesini boğazlamak, karnındaki yavruyu da boğazlamaktır. Bu rivâyette hiç bir şüphe yok, sahîh bir rivâyettir ve senedi sağlamdır.[62]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in sofrasında keler yendiği sahîh olarak rivâyet edilmiştir. Bu hadis, Buhârî ile Müslim'de rivâyet edilmiştir.[63] Kanâatımca Ebû Hanife bu hadîse tesadüf edemedi. Tesâdüf etseydi bununla hükmederdi.

"Allah'ın ismi üzerine anılmayarak (avlanan veyâ kesilen) **hayvanı yemeyin."** buyurulmuştur. Beyhakî, Besmele hususunda ayırdığı babında, bu âyetin sebeb-i nüzulünden bahseder ve der ki: "İbn Abbâs'ın rivâyetine göre bu âyet, Yahûdiler hakkında nâzil olmuştur. Onlar: "Bizim öldürdüğümüzü yeriz. Fakat Allah'ın öldürdüğünü yemeyiz." dediler ve bu âyet nâzil oldu. Buna cevap olarak deriz ki: İtibar, lâfzın umûmunadır, sebebin husûsiyyetine değildir. Sebep ne olursa olsun, lâfız umûmîdir. Aslolan, ölünün harâm olmasıdır. Bundan kurtaran, ancak Besmele ile kesilendir.

[62] Musannif, bu ifâdeyi İmâmü'l-Haremeyn'den aldı. Hadîsi, Ebû Dâvûd, Tirmizî rivâyet etti. Tırmizî hasendir, dedi. Ayrıca İbn Mâce ve İbn Hibbân, Ebû Said'den rivâyet ettiler. Hâkim de Ebû Hüreyre'den rivâyet etti ve isnadı sahihtir, dedi. Halbûki böyle değil, Taberânî "Sağîr"inde İbn Ömer'den ceyyid sened ile rivâyet etti. Hanefilerde ihtilaflıdır. Canlı doğarsa kesilmesi şart, tüysüz ve hilkati tam değilse yenmez.

[63] Hadîs böyledir. Buhârî ile Müslim'de İbn Ömer, İbn Abbâs ve Hâlid b. Velid'den (r. anhüm) rivâyet edilmiştir. Hudeybiye fethinde Müslümân olup 21 Hicri'de ölünceye kadar ordu kumandanlıklarında bulunan Hâlid, Resul-i Ekrem'e: "Keler harâm mıdır?" diye sorunca, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.); *"Hayır, harâm değil. Fakat bizim muhitte olmadığı ve kendisinden bir koku aldığım için, ben yemesinden hoşlanmıyorum."* buyurdu. Halid, Rasûl-i Ekrem'in huzûrunda kelerden yedi. Buna benzer daha birçok rivâyetlere göre, helâl olduğuna Şafiî hükmetmiştir. Fakat İmâm-ı Âzam, bunu mekrûh saymıştır. Bununla berâber yalnız İmâm-ı Âzam değil, Ashâb-ı re'y, Kûfeliler, Hz. Ali ve Câbir gibileri de mekrûh saymışlardır. Çünkü Hâlid'in, Rasûl-i

3 - Üçüncü mertebe: Bu meselede aslında muhâlefet şöhret bulmamış, fakat helâl olduğu ancak "Haber-i vâhid" ile bilinmiştir. Adamın biri çıkar, "Haber-i vâhid"de insanlar ihtilâf etmiştir. Bunu hiç kabul etmeyenler de vardır. Ben de bundan çekinirim, diyebilir. Zîra haberleri nakledenler, her ne kadar gerçekte âdil kimseler iseler de, hatâya düşebilir ve hattâ gizli maksatlarla yalan da söyleyebilirler. (Bu, aklen câizdir.) Çünkü âdil olan kimse, bâzen de yalan konuşabilir, aynı zamanda vehme de düşebilirler. Buna hiç bir şey engel olamaz. Bâzen, sözü yanlış duyar ve yanlış anlar, der ve bu sûretle verâ yapmak ister. Fakat sahâbeden böyle verâ işitilmemiştir. Onlar, âdil kimselerden duyduklarına inanır ve gönülleri müsterih olurdu ve bu gibi vehimlere kapılmazlardı. Ancak, bir şüphe ârız olur ve râvînin bu haberi hakkında tereddüt hâsıl olursa o zaman, -âdil olsa da- üzerinde durmanın açık bir yolu vardır. Âhâdın haberlerine muhâlefet edenin ayrılığında bir değer yoktur. Bu da Mu'tezile'nin kodamanlarından olan İbrâhim Nazzâm'ın, icmaın aslında muhâlefet edip hüccet olma-

---

Ekrem'in huzûrunda keler yediğini haber veren İbn Abbâs, Rasûl-i Ekrem ile ancak Tebûk muharebesinde bulunmuş, diğer seferlerde bulunamamıştır. Hâlbuki bu hâdise daha evveldir. Keler kaplarının dökülmesi, memsûh olduklarından dolayı olduğu da katî değildir. Rasûl-i Ekrem'in: "Benim memleketimde keler yok." buyurması da aynı mânâda değil. Çünkü Mekke'de de keler vardı. Bunun mânâsı, bizim memleket halkı bunu yemez, demektir. İmâm-ı Âzam Ebû Hanîfe'ye bu haber ulaşmadı demek çok uzaktır. Çünkü yukarıda dediğimiz gibi, bu sözü yalnız Ebû Hanife dememiş, daha birçokları söylemiştir. Hiç biri bu hadîsleri duymadı mı? Onların da delîlleri vardır. Abdurrahman: "Rasûl-i Ekrem, keler yemekten men etti." diye rivâyet etti. Ebû Dâvûd ve İbn Mâce de Hz. Aişe'den (r.a.) böyle rivâyette bulundular. Hediye gelen bir keleri, Rasûl-i Ekrem yemedi ve *"Yemediğimi, size de yedirmem."* buyurdu. Buna benzer daha birçok rivâyet yolları da vardır.

dığını söylemesi gibi.[64]

Şayet icmâdan kaçınmak câiz olsaydı, dedenin (yâni babanın babasının) mîrâsını almamak iktizâ ederdi. Çünkü Kur'ân'da yalnız oğuldan bahsedilmiş, oğlunun oğlundan bahsedilmemiştir. Oğlunun oğlunu, oğlu gibi tanıyan, sahâbenin ittifâkıdır. Haibûki onlar da bizim gibi birer insan olmaları bakımından, masûm yâni hatâ işlemez değildirler. Zîra **Nazzâm** da bu hükme muhâlefet etmiştir. Bu türlü bir iddiâya kalkışmanın boş bir şey olduğu âşikârdır. Zîra bu, Kur'ân'ın umûmî ifâdeleri ile çıkarılan mânâların da terk edilmelerini iktizâ eder. Çünkü kelâmcılardan bâzıları umûmât-i Kur'âniyye'den ancak karîne ve delâletlerle sahâbenin anladığı ile hükmedilir, dediler. İşte bu gibi verâ, bu şekilde sahâbenin anladıklarını da terk etmeyi iktizâ eder ki, bütün bunların hepsi vesvesedir.

Verilen şu izahattan, şüphelerin her iki tarafında da haddi tecâvüz ve isrâf olduğu anlaşılmış oldu. Bunu anlayıp buna göre hareket etmek lâzımdır. Böyle bir şüphe ile karşılaştığı zaman, kalbine danışsın, şüpheli olanı bırakıp şüphesiz olana sarılsın ve kalbinin çarpıntısından korunsun. Bu da şahıslar ve hâdiseler itibâriyle değişir. Her ne olursa olsun, vesveseye düşmekten kendini korumalıdır. Vesvese yerlerinde huzûrsuzluğa düşmemek için hak ile hükmetsin. Muhakkak olan bir şey varsa, kerâhet yerlerinde her kalp kendini kurtaramaz. Öyle sâfi gönüller nerede? Bunun için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), herkesi kendi kalbinin fetvâsına bırakmamış ve içyüzlerini bildiği için, bunu Vâbisa'ya[65] söylemiştir.[66]

---

[64] İcmâ, azm ve toplanmak mânâlarına geldiği gibi, şerîat ıstılahında, Ümmet-i Muhammed'in müctehidlerinin itikadî veyâ amelî bir meselede ittifak etmeleri demektir. Bu icmâın, kendisiyle amel vâcip olan bir hüccet olduğu, cumhur tarafından kabul edilmiştir. Yalnız Nazzam, Şia ve Havaric, buna muhâlefet etmiştir.

b) İkinci kısım; helâl veyâ haram olmasına delâlet eden alâmetlerin ihtilâf etmesidir. Bu da şöyle olur: Ender bulunabilen bir madde çalınır, sonra da kaybolan o madde gibisi iyi ve sâlih bir zâtın elinde görülür. Maddenin ender bulunması, o çalınan madde olduğuna, elinde görüldüğü zâtın iyi hâli ise o maddenin olmadığına delâlet eder. İşte bu şekilde alâmetler muâraza eder. Yine bunun gibi, âdillerden birisi bir maddenin helâl olduğunu, yine âdil olan bir başkası da haram olduğunu söyler. Yâhut fâsıklardan birisi, bu böyledir diye şehâdet eder. Diğer fâsık da onun aksini söyler yâhut çocuk ayrı şehâdet eder, büyük ayrı şehâdet eder. Bütün bunlarda tercih sebebi bulunursa, tercih yapılır. Fakat verâ, bunlardan kaçınmaktadır. Tercih sebebi bulunmazsa, durmak vâcip olur. Bunun tafsîlâtı; tarif, bahs ve suâl mevzûlarında gelecektir.

c) Üçüncü kısım; ahkâmın alâkalı olduğu sıfatlardaki benzerliğin muâraza etmesidir. Meselâ: Bir adam, malını fakihlere vasiyet ederek "Servetimi, fıkıh âlimlerine dağıtın." demiştir. Muhitte fıkıh âlimi diye şöhret bulan, fâdıl kimsenin bu malda hakkı olduğu ve henüz okumaya yeni başlamış, fıkıhtan bir veyâ iki ders almış bir talebenin de hakkı olmadığı meydandadır. Fakat bu arada tereddüt edilecek pek çok dereceler vardır. Müftü, kanâat ve içtihâdına göre fetvâ verir. Fakat verâ olan, bu gibi şeylerden kaçınmaktır. Bu, şüphe sebeplerinin en karanlık olanlarındandır. Burada, kurtulmasına imkân olmayacak şekilde, müftüyü şaşırtacak noktalar vardır: Zîra bu nitelikle vasıflananlardan bâzısı tam tamamına karşılıklı iki derece arasında yâni ne üst, ne de alt kademeye yakın olduğu için, hiç birini tercihe imkân olmaz.

---

[65] Vâbisa b. Ma'bed'dir. Hicri 9uncu yılda Peygamber'e iltihâk etmiştir.

[66] Evvelce geçmiştir.

Muhtaçlara verilecek sadakalarda da hâl böyledir. Sadakanın, hiç bir şeyi olmayana verileceği, servet sahibine verilmeyeceği malûmdur. Bu iki sınıf arasında şüpheli kısımlar vardır. Meselâ, nice insanlar var ki evi, ev eşyası, elbisesi, kitâbları ve benzerî şeyleri olmakla beraber, bunlardan, ihtiyaç miktarı kendisine sadaka verilmesine mâni olmaz. Ancak, ihtiyaçtan fazlası, sadaka almaya mânidir. Hâcet miktarının muayyen bir târifi yoktur, takrîben bilinir. Evinin büyüklüğüne, inşâatının mükemmeliyetine ve kıymetine bakılır. Meselâ, aynı büyüklükte bir evin, ortada ve kenar semtlerde olması da fark eder. Bütün bunlar nazar-ı itibâra alınır. Daha küçük bir ev ile idâre edip edemeyeceği düşünülür. Mânevî ev eşyalarının sayıları ve kıymetleri hesâplanır. Bunlardan günlük, kışlık ve yazlık olmak üzere yıl içinde muhtaç oldukları nazar-ı itibâra alınır. Bâzı yıllarda muhtaç olacakları da gözönünde bulundurulur. Bunların hiç birinin muayyen haddi yoktur. Bunlarda ölçü, ancak Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in:

دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلٰى مَا لَا يُرِيبُكَ

"Şüphe ve kuşku veren şeyi terk et. Şüphe ve ızdıraptan hâli olanı al." hadîs-i şerifidir. Bütün bunlar, şüphe edilecek şeylerdir. Şayet bu hususlarda müftü, kanâat ve tahmini üzerine fetvâ vermişse bunda durmak, yâni buna yaklaşmamak, verâdandır. Şâyet müftü tevakkuf etti ise bu gibi şeylere yaklaşmamaktan ve durmaktan başka çâre yoktur. Bu, verâın mühim noktalarındandır. Akraba nafakalarının hangi miktârı vâcip, kadınlara giydirilecek elbisenin miktârı nedir? Ulemâ ve fukahânın hazîneden (Beytü'l-mâl) ne miktâr alabileceği, hep böyle şüpheli şeylerdir.

Zîra bunların hepsinin biri fazla, diğeri noksan olan iki tarafı olmakla, bu iki taraf arasında şahıs vs vaziyet itibâriyle değişen şüpheli kısımlar vardır. İhtiyâçlara gereği gibi muttâli olan, ancak Allahü Teâlâ'dır. Beşer, bunların haddine vâkıf değildir. Mekke "Rıtl"'ı ile bir "Rıtıl"dan yâni bir ölçekten azı, çok yiyen bir adamın ihtiyâcına -kâfi değildir. Üç rıtıldan fazlası da ihtiyaçtan çoktur. Bunların arasında muayyen bir had yoktur. Ancak şüpheli şeylerden sakınmak, kalbin kuşkusunu, ızdırâbını dindirmektir.

Bu kaide, lafız ile bilinen sebeb-i hâs ile alâkalı her hükümde cârîdir. Altı, yedi ve benzeri hesâp sayılarının, muayyen adetlerine katî olarak delâletleri gibi. Gerek Araplar ve gerek diğer lisân sahipleri, etrâfında tamamen alâkasını kesmek şartıyla, lügâtlerinin tazammun ettiği manaları katî olarak tahdîd edemezler. Çünkü lügat mânâsı ile konuşulan sözler; hesap sayıları gibi katî değildir. Allah ve Peygamber sözlerindeki lâfızların hepsinin orta derecelerini bulmak, böyledir. Karşılıklı iki taraf yâni en aşağı ve en üst kademe arasında devreder, muayyen bir had bulmak güçtür.

Bilhassa vakıf ve vasiyetlerde bu mevzû daha büyük ehemmiyet taşır. Meselâ sûfilere bir şey vakfetmek sahih, fakat sûfinin kim olduğunu bulmak güçtür. Diğer lâfızlar da bunun gibidir. Biz yakında, bilhassa sûfî kelimesinin muktezâsı üzerinde duracak ve buna işâret edeceğiz ki, kelimelerde tasarrufun yolu anlaşılmış olsun. Yoksa ihâtalı olarak bunları anlamaya imkân yoktur. Bu şüpheler, karşılıklı iki tarafa meyleden alâmetlerin muâraza etmesinden doğar. İstishâb veyâ zann-ı gâlibin delâleti ile helâllik tarafını tercih eder bir sebep; bulunmadığı zaman, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in:

دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلٰى مَا لَا يُرِيبُكَ

"Kuşkulandığın şeyleri terk et. Sana şüphe vermeyeni al." hadîsine uyarak ve diğer anlattığımız sebepler gereğince bunlardan kaçınmak vâcip olur.

İşte, şüphelerin menşei bunlardır. Bunların da bâzısı bâzısından daha şiddetlidir. Bir şeyde birçok şüpheler toplanırsa, orada hüküm daha ağır olur. Meselâ, servetine haram karışmış ve helâline nisbetle haramı az olan bir kimse, Cuma ezânından sonra şarap îmâl edene sattığı üzümden aldığı para ile şüpheli bir yemeği almak gibi. Bu gibi şüphelerin toplanması, ona cüret etmeyi daha da zorlaştırır.

İşte, mertebeler bunlardır. Bunları anlıyabilecek yolları öğrenmiş olduk. Tamâmını saymak, insan gücünün üstündedir. Buradan anlaşılan olduğu gibi alınır, şüpheli olanlardan kaçınılır. Çünkü günâh, kalbin çarpmasındadır. Biz: "Kalbine danış." demekle müftünün: "Câizdir, mübâhtır." dediği hususlarda kalbine danış demek istiyoruz. Yoksa müftünün haram dediği şeylerden kaçınmak farzdır. Aynı zamanda her kalbe de emniyet edilmez. Öyle vesveseli kalpler var ki, her şeyden kaçınır; öyle de müsâmahalı kalpler var ki, her şeyde mutmain olur, huzûr bulur. Bu iki kalbe îtibâr yoktur. Îtibâr, meselenin inceliklerini murâkabeye muvaffak olmuş âlimin kalbinedir. İşte, ince işlerin kendisiyle denendiği mihenk, bu kalptir. Bu, kalpler içerisinde ender bulunan bir kalptir. Kendi kalbine itimâd edemeyenler, Allah'tan kalplerine nûr ihsân etmesini istesin ve bu gibi kalbe sahip olanlardan medet arasınlar. Ahvâlini onlara arz etsin, onların söylediklerini yapsınlar. Zebûr'da vârid olduğuna göre, Allahü Teâlâ Dâvûd aleyhisselâma şöyle vahyetti:

"Yâ Dâvûd! İsrâiloğullarına söyle, ben onların namaz ve oruçlarına bakmam, ancak şüphelendikleri şeyi benim rızâm için terk

edip etmediklerine bakarım. Ve o gibileri kendi nusretimle teyîd ederim; melekelere onlarla iftihâr ederim."

البَابُ الثَّالِثُ

في البحث والسّؤال والهجوم والإهمال ومظانّهما

اعلمْ : أنَّ كلَّ مَنْ قدَّمَ إليكَ طعاماً أوْ هديةً ، أوْ أردتَ أنْ تشتريَ منهُ أوْ تتَّهِبَ . . فليسَ لكَ أنْ تفتِّشَ عنهُ وتسألَ ، أوْ تقولَ : هـٰذا ممَّا لا أتحقَّقُ حلَّهُ ، فلا آخذُهُ ، بلْ أفتِّشُ عنهُ ، وليسَ لكَ أيضاً أنْ تتركَ البحثَ فتأخذَ كلَّ ما لا تتيقَّنُ تحريمَهُ ، بلِ السؤالُ واجبٌ مرَّةً ، وحرامٌ أخرىٰ ، ومندوبٌ مرَّةً ومكروهٌ أخرىٰ ، فلا بدَّ مِنْ تفصيلِهِ .

والقولُ الشافي فيهِ : هوَ أنَّ مَظِنَّةَ السؤالِ مواقعُ الريبةِ ، ومنشأُ الريبةِ ومثارُها : إمَّا أمرٌ يتعلَّقُ بالمالِ ، أوْ يتعلَّقُ بصاحبِ المالِ .

المثار الأوّل : أحوال المالك

ولهُ بالإضافةِ إلىٰ معرفتِكَ ثلاثةُ أحوالٍ : إمَّا أنْ يكونَ مجهولاً ، أوْ مشكوكاً فيهِ ، أوْ معلوماً بنوعِ ظنٍّ يستندُ إلىٰ دلالةٍ .

الحالةُ الأولىٰ : أنْ يكونَ مجهولاً :

والمجهولُ هوَ الذي ليسَ معهُ قرينةٌ تدلُّ علىٰ فسادِهِ وظلمِهِ ؛ كزيِّ

الأجنادِ(١) ، ولا ما يدلُّ علىٰ صلاحِهِ ؛ كثيابِ أهلِ التصوُّفِ والتجارةِ والعلمِ وغيرِ ذلكَ مِنَ العلاماتِ(٢) .

فإذا دخلتَ قريةً لا تعرفُها ، فرأيتَ رجلاً لا تعرفُ مِنْ حالِهِ شيئاً ، ولا عليهِ علامةٌ تنسبُهُ إلىٰ أهلِ صلاحٍ أوْ أهلِ فسادٍ . . فهوَ مجهولٌ .

وإذا دخلتَ بلدةً غريباً ، ودخلتَ سوقَها ، ووجدتَ رجلاً قصَّاباً أوْ خبَّازاً أوْ غيرَهُ ، ولا علامَةَ تدلُّ علىٰ كونِهِ مريباً(٣) أوْ خائناً ، ولا ما يدلُّ علىٰ نفيِهِ . . فهـٰذا مجهولٌ لا تدري حالَهُ ، ولا نقولُ : إنَّهُ مشكوكٌ فيهِ ؛ لأنَّ الشكَّ عبارةٌ عنِ اعتقادينِ متقابلينِ ، لهما سببانِ متقابلانِ ، وأكثرُ الفقهاءِ لا يدركونَ الفرقَ بينَ ما لا يُدرىٰ وبينَ ما يُشكُّ فيهِ ، وقدْ عرفتَ بما سبقَ أنَّ الورعَ تركُ ما لا يُدرىٰ(٤) .

قالَ يوسفُ بنُ أسباطٍ : (منذُ ثلاثينَ سنةً ما حاكَ في قلبي شيءٌ إلا تركتُهُ)(٥) .

---

(١) كتطويل الشوارب والثياب . « إتحاف » (٦/٧٨) .

(٢) فمن علامات الصوفية مدرعة وصوف أو مرقعة وتقصير الملابس ، والتجار من عمامة مدورة وغيرها ، والعلماء من فرجية وطيلسان وعمامة كبيرة . انظر « الإتحاف » (٦/٧٨) ، والاعتبار بزي كل زمان .

(٣) أي : محل الريب ، وفي (أ) : (مرابياً) ، وفي (ب ، ط) : (مربياً) بدل (مريباً) .

(٤) لا ترك ما يجهل . « إتحاف » (٦/٧٨) .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/٢٤٤) .

وتكلَّمَ جماعةٌ في أشدِّ الأعمالِ ، فقالوا : هوَ الورعُ ، فقالَ لهُم حسَّانُ بنُ أبي سنانٍ : ما شيءٌ أهونَ عندي مِنَ الورعِ ، إذا حاكَ في صدري شيءٌ . . تركتُهُ(١) .

فهٰذا شرطُ الورعِ ، وإنَّما نذكرُ الآنَ حكمَ الظاهرِ ، فنقولُ :

حكمُ هٰذهِ الحالةِ : أنَّ المجهولَ إنْ قدَّمَ إليكَ طعاماً ، أوْ حملَ إليكَ هديَّةً ، أوْ أردتَ أنْ تشتريَ مِنْ دكَّانِهِ شيئاً . . فلا يلزمُكَ السؤالُ ، بلْ يدُهُ وكونُهُ مسلماً دلالتانِ كافيتانِ في الهجومِ علىٰ أخذِهِ ، وليسَ لكَ أنْ تقولَ : الفسادُ والظلمُ غالبٌ على الناسِ ، فهٰذهِ وسوسةٌ ، وسوءُ ظنٍّ بهٰذا المسلمِ بعينِهِ ، وإنَّ بعضَ الظنِّ إثمٌ ، وهٰذا المسلمُ يستحقُّ بإسلامِهِ عليكَ ألا تسيءَ الظنَّ بهِ ، فإنْ أسأتَ الظنَّ بهِ في عينِهِ لأنَّكَ رأيتَ فساداً مِنْ غيرِهِ . . فقدْ جنيتَ عليهِ وأثمتَ بهِ في الحالِ نقداً مِنْ غيرِ شكٍّ ، ولوْ أخذتَ المالَ . . لكانَ كونُهُ حراماً مشكوكاً فيهِ .

ويدلُّ عليهِ أنَّا نعلمُ أنَّ الصحابةَ رضيَ اللهُ عنهُم في غزواتِهِمْ وأسفارِهِمْ كانوا ينزلونَ في القرىٰ ولا يَردُّونَ القِرَىٰ ، ويدخلونَ البلادَ ولا يحترزونَ مِنَ الأسواقِ ، وكانَ الحرامُ أيضاً موجوداً في زمانِهِمْ ، وما نُقِلَ عنهُمْ سؤالٌ إلا عنْ ريبةٍ ؛ إذْ كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا يسألُ عنْ كلِّ ما يُحملُ إليهِ(٢) ، بلْ سألَ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الورع » (٤٦ ، ٤٧) .

(٢) فقد روىٰ أحمد في « المسند » (٣/ ٣٥١) عن جابر رضي الله عنه : أن رسول الله =

في أوَّلِ قدومِهِ إلى المدينةِ عمَّا يُحملُ إليهِ : أصدقةٌ أوْ هديَّةٌ(١) ، لأنَّ قرينةَ الحالِ ـ وهوَ دخولُ المهاجرينَ المدينةَ وهمْ فقراءُ(٢) ـ يغلبُ على الظنِّ أنَّ ما يُحملُ إليهِمْ يُحملُ بطريقِ الصدقةِ ، ثمَّ إسلامُ المعطي ويدُهُ لا يدلأَّن علىٰ أنَّهُ ليسَ بصدقةٍ ، وكانَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يُدعىٰ إلى الضيافاتِ فيجيبُ ، ولا يسألُ أصدقةٌ أم لا(٣) ؛ إذِ العادةُ ما جرتْ بالتصدُّقِ بالضيافةِ ؛ ولذلكَ دعتْهُ أمُّ سُليمٍ(٤) ، ودعاهُ الخيَّاطُ ـ فيما رواهُ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ ـ وقدَّمَ إليهِ طعاماً فيهِ قرعٌ(٥) ، ودعاهُ الرجلُ الفارسيُّ فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « أنا وعائشةُ ؟ » فقالَ : لا ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ :

= صلى الله عليه وسلم وأصحابه مروا بامرأة ، فذبحت لهم شاة. . . ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم لقمة ، فلم يستطع أن يسيغها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هـٰذه شاة ذبحت بغير إذن أهلها » ، فقالت المرأة : يا نبي الله ؛ إنا لا نحتشم من آل سعد بن معاذ ولا يحتشمون منا ، نأخذ منهم ويأخذون منا .

(١) رواه البخاري (٢٥٧٦) ، ومسلم (١٠٧٧) .

(٢) وكانوا قد خرجوا بأنفسهم متجردين عن أملاكهم فارين بدينهم . « إتحاف » (٧٩/٦) .

(٣) وأمثلة ذلك كثيرة ، منها ما رواه البخاري (٢٠٨١) ، ومسلم (٢٠٣٦) من دعوة أبي شعيب له صلى الله عليه وسلم وبضع من أصحابه ، فأجاب ولم يسأل عن أصل الطعام .

(٤) كما في « البخاري » (٣٥٧٨) ، ومسلم (٢٠٤٠) .

(٥) كما في « البخاري » (٢٠٩٢) ، ومسلم (٢٠٤١) ، إذ قدَّم إليه خبزاً ومرقاً فيه دُبَّاء وقديد ، قال أنس : (فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة ، قال : فلم أزل أحب الدباء من يومئذ) .

« فلا » ، ثمَّ أجابَهُ بعدَ ذلكَ ، فذهبَ هوَ وعائشةُ يتساوقانِ ، فقرَّبَ إليهما إهالةً(١) ، ولمْ يُنقَلِ السؤالُ في شيءٍ مِنْ ذلكَ .

وسألَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ عبدَهُ عنْ كسبِهِ لمَّا رابَهُ مِنْ أمرِهِ شيءٌ(٢) ، وسألَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ الذي سقاهُ مِنْ لبنِ إبلِ الصدقةِ إذْ رابَهُ ، وكانَ أعجبَهُ طعمُهُ ولمْ يكنْ علىٰ ما كانَ يألفُهُ كلَّ ليلةٍ(٣) ، وهـٰذهِ أسبابُ الريبةِ .

فكلُّ مَنْ وجدَ ضيافةً عندَ رجلٍ مجهولٍ . . لمْ يكنْ عاصياً بإجابتِهِ مِنْ غيرِ تفتيشٍ ، بلْ لوْ رأىٰ في دارِهِ تجمُّلاً ومالاً كثيراً . . فليسَ لهُ أنْ يقولَ : (الحلالُ عزيزٌ وهـٰذا كثيرٌ ، فمِنْ أينَ يجتمعُ هـٰذا مِنَ الحلالِ ؟) بلْ هـٰذا الشخصُ بعينِهِ إذا احتُمِلَ أنْ يكونَ وَرِثَ مالاً أوِ اكتسبَهُ . . فهوَ بعينِهِ يستحقُّ إحسانَ الظنِّ بهِ ، وأزيدُ علىٰ هـٰذا وأقولُ : ليسَ لهُ أنْ يسألَهُ ، بلْ إنْ كانَ يتورَّعُ ولا يُدخِلُ جوفَهُ إلا ما يدري مِنْ أينَ هوَ . . فهوَ حسنٌ ، فليتلطَّفْ في التركِ ، وإنْ كانَ لا بدَّ لهُ مِنْ أكلِهِ . . فليأكلْ بغيرِ سؤالٍ ؛ إذِ السؤالُ إيذاءٌ وهتْكُ سترٍ وإيحاشٌ ، وهوَ حرامٌ بلا شكٍّ(٤) .

* * *

---

(١) رواه مسلم (٢٠٣٧) ، **والإهالة** : الشحم والودك أو ما أذيب منهما أو الزيت وما يؤتدم به .

(٢) انظر « قوت القلوب » (٢/ ٢٨٧) ، وروىٰ ذلك الأثر البخاري (٣٨٤٢) .

(٣) رواه مالك في « الموطأ » (١/ ٢٦٩) .

(٤) إذ قد ورد الوعيد فيمن آذىٰ أخاه ، وفيمن هتك ستره . « إتحاف » (٦/ ٨٠) .

فإنْ قلتَ : لعلَّهُ لا يتأذَّىٰ بالسؤالِ .

فأقولُ : لعلَّهُ يتأذَّىٰ ، وأنتَ تسألُ حذراً مِنْ (لعلَّ) ، فإنْ قنعتَ بـ(لعلَّ) . . فلعلَّ مالَهُ حلالٌ ! وليسَ الإثمُ المحذورُ في إيذاءِ مسلمٍ بأقلَّ مِنَ الإثمِ في أكلِ الشبهةِ أوِ الحرامِ ، والغالبُ على الناسِ الاستيحاشُ بالتفتيشِ .

ولا يجوزُ لهُ أنْ يسألَ مِنْ غيرِهِ مِنْ حيثُ يدري هوَ بهِ ؛ لأنَّ الإيذاءَ في ذلكَ أكثرُ ، وإنْ سألَ مِنْ حيثُ لا يدري هوَ . . ففيهِ إساءةُ ظنٍّ وهتكُ سترٍ ، وفيهِ تجسُّسٌ ، وفيهِ تشبيبٌ بالغيبةِ⁽¹⁾ وإنْ لمْ يكنْ ذلكَ صريحاً ، وكلُّ ذلكَ منهيٌّ عنهُ في آيةٍ واحدةٍ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ .

وكمْ مِنْ زاهدٍ جاهلٍ يوحشُ القلوبَ في التفتيشِ ويتكلَّمُ بالكلامِ الخشنِ المؤذي ، وإنَّما يحسِّنُ الشيطانُ ذلكَ عندَهُ طلباً للشهرةِ بأكلِ الحلالِ ، ولوْ كانَ باعثُهُ محضَ الدينِ . . لكانَ خوفُهُ علىٰ قلبِ مسلمٍ أنْ يتأذَّىٰ أشدَّ مِنْ خوفِهِ علىٰ بطنِهِ أنْ يدخلَهُ ما لا يدري ، وهوَ غيرُ مؤاخذٍ بما لا يدري بهِ إنْ لمْ يكنْ ثَمَّ علامةٌ توجبُ الاجتنابَ .

فليعلمْ أنَّ طريقَ الورعِ التركُ دونَ التجسُّسِ ، وإذا لمْ يكنْ بدٌّ مِنَ الأكلِ . . فالورعُ الأكلُ وإحسانُ الظنِّ ، هـٰذا هوَ المألوفُ مِنَ الصحابةِ

---

(١) في (ب) : (تسبيب) ، وفي (ج) : (تشبيه) .

رضيَ اللهُ عنهُم ، ومَنْ زادَ عليهِمْ في الورعِ فهوَ ضالٌّ مبتدعٌ ، وليس بمتَّبعٍ ؛ فلنْ يبلغَ أحدٌ مُدَّ أحدِهِمْ ولا نَصِيفَهُ ولوْ أنفقَ ما في الأرضِ جميعاً(١) .

كيفَ وقدْ أكلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ طعامَ بريرةَ ، فقيلَ : إنَّهُ صدقةٌ ، فقالَ : « هوَ لها صدقةٌ ولنا هديَّةٌ »(٢) ، ولمْ يسألْ عنِ المتصدِّقِ عليها ، فكانَ المتصدِّقُ مجهولاً عندَهُ ، ولمْ يمتنعْ ؟!

* * *

الحالةُ الثانيةُ : أنْ يكونَ مشكوكاً فيهِ بسببِ دلالةٍ أورثَتْ ريبةً :

فلنذكرْ صورةَ الريبةِ ثمَّ حكمَها .

أمَّا الصورةُ : فهوَ أنْ تدلَّ علىٰ تحريمِ ما في يدِهِ دلالةً إمَّا مِنْ خلقتِهِ ، أوْ مِنْ زيِّهِ وثيابِهِ ، أوْ مِنْ فعلِهِ وقولِهِ .

ـ **أمَّا الخلقةُ** : فأنْ يكونَ علىٰ خلقةِ الأتراكِ والبوادي والمعروفينَ بالظلمِ وقطعِ الطريقِ ، وأنْ يكونَ طويلَ الشاربِ ، وأنْ يكونَ الشعرُ مفرقاً علىٰ رأسِهِ علىٰ دأبِ أهلِ الفسادِ .

ـ **وأمَّا الثيابُ** : فالقَباءُ والقلنسوةُ وزيُّ أهلِ الفسادِ والظلمِ مِنَ الأجنادِ وغيرِهِم(٣) .

---

(١) كما في « البخاري » (٣٦٧٣) ، و« مسلم » (٢٥٤٠) .

(٢) رواه البخاري (١٤٩٣) ، ومسلم (١٠٧٤) .

(٣) وهـٰذا الذي ذكره من هيئاتهم وملابسهم فباعتبار ما كان موجوداً في زمنه ، وأما بعده . . =

ـ **وأمَّا الفعلُ والقولُ** : فهوَ أنْ يُشاهدَ منهُ الإقدامُ علىٰ ما لا يحلُّ ؛ فإنَّ ذلكَ يدلُّ علىٰ أنَّهُ يتساهلُ أيضاً في المالِ ، ويأخذُ ما لا يحلُّ . فهـٰذهِ مواضعُ الريبةِ .

فإذا أرادَ أنْ يشتريَ مِنْ مثلِ هـٰذا شيئاً ، أوْ يأخذَ منهُ هديَّةً ، أوْ يجيبَهُ إلىٰ ضيافةٍ ، وهوَ غريبٌ مجهولٌ عندَهُ ، لمْ يظهرْ لهُ منهُ إلا هـٰذهِ العلاماتُ . . فيُحتملُ أنْ يُقالَ : (اليدُ تدلُّ على الملكِ ، وهـٰذهِ الدلالاتُ ضعيفةٌ ، فالإقدامُ جائزٌ ، والتركُ مِنَ الورعِ) ، ويُحتملُ أنْ يُقالَ : (إنَّ اليدَ دلالةٌ ضعيفةٌ ، وقدْ قابلَها مثلُ هـٰذهِ الدلالةِ ، فأورثَتْ ريبةً ، فالهجومُ غيرُ جائزٍ) ، **وهوَ الذي نختارُهُ ونفتي بهِ** ؛ لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « دعْ ما يريبُكَ إلىٰ ما لا يريبُكَ »[1] ، وظاهرُهُ أمرٌ وإنْ كانَ يحتملُ الاستحبابَ ، ولقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « الإثمُ حَوَازُّ القلوبِ »[2] وهـٰذا لهُ وقعٌ في القلبِ لا يُنكرُ ، ولأنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ سألَ : « أصدقةٌ أوْ

= فقد تغيرت أحوالهم في الهيئات والملابس علىٰ طرق شتىٰ ، والاعتبار بزي كل زمان . « إتحاف » (٦/ ٨١) .

(١) رواه الترمذي (٢٥١٨) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٥٢٠١) .

(٢) رواه الطبراني في « الكبير » (٩/ ١٤٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٨٩٢) ، وهو موقوف علىٰ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . **وحَوَازُّ القلوب** ـ بتشديد الزاي ـ : جمع حازَّة ، وهي الأمور التي تحزُّ فيها ؛ أي : تؤثر كما يؤثر الحزُّ في الشيء ، وهو ما يخطر فيها من أن تكون معاصي لفقد الطمأنينة إليها .

هديَّةٌ ؟»⁽¹⁾ ، وسألَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ غلامَهُ ، وسألَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ ساقيَهُ ، وكلُّ ذلكَ كانَ في موضعِ الريبةِ ، وحملُهُ على الورعِ وإنْ كانَ ممكناً ولكنْ لا يُحملُ عليهِ إلا بقياسٍ حكميٍّ ، والقياسُ ليسَ يشهدُ بتحليلِ هـٰذا ؛ فإنَّ دلالةَ اليدِ والإسلامِ وقدْ عارضَتْها هـٰذهِ الدلالاتُ أورثتْ ريبةً ، فإذا تقابلا . . فالاستحلالُ لا مستندَ لهُ ، وإنَّما لا يُتركُ حكمُ اليدِ والاستصحابِ بشكٍّ لا يستندُ إلىٰ علامةٍ ؛ كما إذا وجدْنا الماءَ متغيِّراً واحتملَ أنْ يكونَ بطولِ المكثِ ، فإنْ رأينا ظبيةً بالَتْ فيهِ ، ثمَّ احتملَ التغيُّرُ بهِ وبغيرِهِ . . تركنا الاستصحابَ ، وهـٰذا قريبٌ منهُ ، ولكنْ بينَ هـٰذهِ الدلالاتِ تفاوتٌ ؛ فإنَّ طولَ الشاربِ ولبسَ القَباءِ وهيئةَ الأجنادِ يدلُّ على الظلْمِ بالمالِ ، أمَّا القولُ والفعلُ المخالفُ للشرعِ إنْ تعلَّقَ بظلمِ المالِ . . فهوَ أيضاً دليلٌ ظاهرٌ ؛ كما لوْ سمعَهُ يأمرُ بالغصْبِ والظلمِ ، أوْ يعقدُ عقدَ الربا ، فأمَّا إذا رآهُ قدْ شتمَ غيرَهُ في غضبِهِ ، أوْ أتبعَ نظرَهُ امرأةً مرَّتْ بهِ . . فهـٰذهِ الدلالةُ ضعيفةٌ ؛ فكمْ مِنْ إنسانٍ يتحرَّجُ في طلبِ المالِ ولا يكتسبُ إلا الحلالَ ومعَ ذلكَ فلا يملكُ نفسَهُ عندَ هيجانِ الغضبِ والشهوةِ .

فليُتنبَّهْ لهـٰذا التفاوتِ ، ولا يمكنُ أنْ يضبطَ هـٰذا بحدٍّ ، فليستفتِ العبدُ في مثلِ ذلكَ قلبَهُ .

وأقولُ : إنَّ هـٰذا إنْ رآهُ مِنْ مجهولٍ . . فلهُ حكمٌ ، وإنْ رآهُ ممَّنْ عرفَهُ

---

(1) رواه البخاري (٢٥٧٦) ، ومسلم (١٠٧٧) .

بالورعِ في الطهارةِ والصلاةِ وقراءةِ القرآنِ . . فلهُ حكمٌ آخرُ ؛ إذْ تعارضَتِ الدلالتانِ بالإضافةِ إلى المالِ فتساقطتا وعادَ الرجلُ كالمجهولِ ؛ إذْ ليسَتْ إحدى الدلالتينِ تناسبُ المالَ على الخصوصِ ، فكَمْ مِنْ متحرِّجٍ في المالِ لا يتحرَّجُ في غيرِهِ ، وكمْ مِنْ محسنٍ للصلاةِ والوضوءِ والقراءةِ ويأكلُ مِنْ حيثُ يجدُ ، فالحكمُ في مثلِ هٰذهِ الوقائعِ ما يميلُ إليهِ القلبُ ، فإنَّ هٰذا أمرٌ بينَ العبدِ وبينَ اللهِ تعالىٰ ، فلا يبعدُ أنْ يُناطَ بسببٍ خفيٍّ لا يطلعُ عليهِ إلا هوَ وربُّ الأربابِ⁽¹⁾ ، وهوَ حكْمُ حزازةِ القلبِ .

ثمَّ ليُتنبَّهْ لدقيقةٍ أخرىٰ ، وهيَ أنَّ هٰذهِ الدلالةَ ينبغي أنْ تكونَ بحيثُ تدلُّ علىٰ أنَّ أكثرَ مالِهِ حرامٌ ، بأنْ يكونَ جندياً ، أوْ عاملَ سلطانٍ ، أوْ نائحةً ، أوْ مغنِّياً⁽²⁾ ، فإنْ دلَّ علىٰ أنَّ في مالِهِ حراماً قليلاً . . لمْ يكنِ السؤالُ واجباً ، بلْ كانَ السؤالُ مِنَ الورعِ .

* * *

الحالةُ الثالثةُ : أنْ تكونَ الحالُ معلومةً بنوعِ خبرةٍ وممارسةٍ ؛ بحيثُ يوجبُ ذلك ظنّاً في حلِّ المالِ أوْ تحريمِهِ :

مثلَ أنْ يُعرفَ صلاحُ الرجلِ وديانتُهُ وعدالتُهُ في الظاهرِ ، وجُوِّزَ أنْ يكونَ الباطنُ بخلافِهِ ، فهٰهنا لا يجبُ السؤالُ ولا يجوزُ ؛ كما في المجهولِ ، بلْ

---

(1) في (أ) : (لا يطلع عليه إلا الله تعالىٰ وهو رب الأرباب) .

(2) في (د) : (مغنِّية) .

أولىٰ(١) ، والإقدامُ هـٰهنا أبعدُ عنِ الشبهةِ مِنَ الإقدامِ علىٰ طعامِ المجهولِ ، فإنَّ ذلكَ بعيدٌ عنِ الورعِ وإنْ لمْ يكنْ حراماً .

وأمَّا أكلُ طعامِ أهلِ الصلاحِ . . فدأبُ الأنبياءِ والأولياءِ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تأكلْ إلا طعامَ تقيٍّ ، ولا يأكلْ طعامَكَ إلا تقيٌّ »(٢) .

فأمَّا إذا علمَ بالخبرةِ أنَّهُ جنديٌّ ، أوْ مغنٍّ ، أوْ مربٍ ، واستغنىٰ عنِ الاستدلالِ عليهِ بالهيئةِ والشكْلِ والثيابِ . . فهـٰهنا السؤالُ واجبٌ لا محالةَ ؛ كما في موضعِ الريبةِ ، بلْ أولىٰ .

* * *

---

(١) أي : أولىٰ من المجهول في عدم السؤال . « إتحاف » (٦/ ٨٢) .

(٢) رواه أبو داوود (٤٨٣٢) ، والترمذي (٢٣٩٥) بلفظ : « لا تصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقي » .

المثار الثّاني : ما يستند الشكّ فيه إلى سببٍ في المال لا في حال المالك

وذلكَ بأنْ يختلطَ الحلالُ بالحرامِ ؛ كما إذا طُرِحَ في سوقٍ أحمالٌ مِنْ طعامٍ غصْبٍ ، واشتراها أهلُ السوقِ ، فليسَ يجبُ علىٰ مَنْ يشتري في تلكَ البلدةِ وذلكَ السوقِ أنْ يسألَ عمَّا يشتريهِ إلا أنْ يظهرَ أنَّ أكثرَ ما في أيديهِمْ حرامٌ ، فعندَ ذلكَ يجبُ السؤالُ ، فإنْ لمْ يكنْ هوَ الأكثرَ . . فالتفتيشُ مِنَ الورعِ ، وليسَ بواجبٍ ، والسوقُ الكبيرُ حكمُهُ حكْمُ بلدٍ .

والدليلُ علىٰ أنَّهُ لا يجبُ السؤالُ والتفتيشُ إذا لمْ يكنِ الأغلبُ الحرامَ . . أنَّ الصحابةَ رضيَ اللهُ عنهُم لمْ يمتنعوا عنِ الشراءِ في الأسواقِ وفيها دراهِمُ الربا وغلولُ الغنيمةِ وغيرُها ، وكانوا لا يسألونَ في كلِّ عقدٍ ، وإنَّما السؤالُ نُقِلَ عنْ آحادِهِمْ نادراً في بعضِ الأحوالِ ، وهيَ محالُّ الرِّيبةِ في حقِّ ذلكَ الشخصِ المعيَّنِ ، وكذلكَ كانوا يأخذونَ الغنائمَ مِنَ الكفَّارِ الذين كانُوا قدْ قاتلوا المسلمينَ ، وربَّما أخذوا أموالَهُمْ ، واحتملَ أنْ يكونَ في تلكَ المغانمِ شيءٌ ممَّا أخذوهُ مِنَ المسلمينَ ، وذلكَ لا يحلُّ أخذُهُ مجَّاناً بالاتفاقِ ، بلْ يُردُّ علىٰ صاحبِهِ عندَ الشافعيِّ ، وصاحبُهُ أولىٰ بهِ بالثمنِ عندَ أبي حنيفةَ ، ولمْ ينقلْ قطُّ التفتيشُ عنْ هـٰذا .

وكتبَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ إلىٰ أذْرَبيجانَ : (إنَّكُمْ في بلادٍ تُذبحُ فيها الميتةُ ، فانظروا ذكيَّهُ من ميتِهِ)(١) ، أَذِنَ في السؤالِ وأمَرَ بِهِ ، ولمْ يأمرْ

---

(١) بنحوه رواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٩/ ٣٢٠) .

بالسؤالِ عنِ الدراهمِ التي هيَ أثمانُها ؛ لأنَّ أكثرَ دراهِمِهِمْ لمْ تكنْ أثمانَ الجلودِ ، وإنْ كانَتْ هيَ أيضاً تُباعُ ، وأكثرُ الجلودِ كانَ كذلكَ .

وكذلكَ قالَ ابنُ مسعودٍ : (إنَّكُمْ في بلادٍ أكثرُ قصَّابيها المجوسُ ، فانظروا الذكيَّ مِنَ الميتةِ) ، فخصَّ بالأكثرِ الأمرَ بالسؤالِ .

ولا يتضحُ مقصودُ هـٰذا البابِ إلا بذكرِ صورٍ وفرضِ مسائلَ يكثرُ وقوعُها في العاداتِ ، فلنفرضْها .

مَسْأَلَةٌ

[فيمَنْ مالُهُ مختلطٌ منَ الحلالِ والحرامِ]

شخصٌ معيَّنٌ خالطَ مالَهُ الحرامُ ، مثلَ أنْ يُباعَ علىٰ دكانِ بيَّاعٍ طعامٌ مغصوبٌ أوْ مالٌ منهوبٌ ، ومثلَ أنْ يكونَ القاضي أوِ الرئيسُ أوِ العاملُ أوِ الفقيهُ الذي لهُ إدرارٌ مِنْ سلطانٍ ظالمٍ . . لهُ أيضاً مالٌ موروثٌ ودهقنةٌ أوْ تجارةٌ(١) ، أوْ رجلٌ تاجرٌ يعاملُ بمعاملاتٍ صحيحةٍ ويُربي أيضاً .

فإنْ كانَ الأكثرُ مِنْ مالِهِ حراماً . . فلا يجوزُ الأكلُ مِنْ ضيافتِهِ ، ولا قبولُ هديَّتِهِ وصدقتِهِ إلا بعدَ التفتيشِ ؛ فإنْ ظهرَ أنَّ المأخوذَ مِنْ وجهٍ حلالٍ . . فذاكَ ، وإلا . . تُرِكَ .

وإنْ كانَ الحرامُ أقلَّ والمأخوذُ مشتبهٌ . . فهـٰذا في محلِّ النظرِ ؛ لأنَّهُ علىٰ

---

(١) والدهقنة بالفارسية : الفلاحة والزراعة هنا .

رتبةٍ بينَ الرتبتينِ ، إذْ قضينا بأنَّهُ لوِ اشتبهَ ذكيَّةٌ بعشْرِ ميتاتٍ مثلاً . . وجبَ اجتنابُ الكلِّ ، وهـٰذا يشبهُهُ مِنْ وجهٍ ؛ مِنْ حيثُ إنَّ مالَ الرجلِ الواحدِ كالمحصورِ ، لا سيما إذا لمْ يكنْ كثيرَ المالِ مثلَ السلطانِ ، ويخالفُهُ مِنْ وجهٍ ؛ إذِ الميتةُ يُعلمُ وجودُها في الحالِ يقيناً ، والحرامُ الذي خالطَ مالَهُ يُحتملُ أنْ يكونَ قدْ خرجَ مِنْ يدهِ وليسَ موجوداً في الحالِ .

وإنْ كانَ المالُ قليلاً وعُلِمَ قطعاً أنَّ الحرامَ موجودٌ في الحالِ . . فهوَ ومسألةُ اختلاطِ الميتةِ واحدٌ ، وإنْ كثرَ المالُ واحتملَ أنْ يكونَ الحرامُ غيرَ موجودٍ في الحالِ . . فهـٰذا أخفُّ مِنْ ذلكَ ، ويشبهُ مِنْ وجهِ الاختلاطَ بغيرِ محصورٍ ؛ كما في الأسواقِ والبلادِ ، ولكنَّهُ أغلظُ منهُ ؛ لاختصاصِهِ بشخصٍ واحدٍ ، ولا يُشَكُّ في أنَّ الهجومَ عليهِ بعيدٌ مِنَ الورعِ جداً ، ولكنَّ النظرَ في كونِهِ فسقاً مناقضاً للعدالةِ ، وهـٰذا مِنْ حيثُ المعنىٰ غامضٌ ؛ لتجاذبِ الأشباهِ ، ومِنْ حيثُ النقلُ أيضاً غامضٌ ؛ لأنَّ ما يُنقلُ فيهِ عنِ الصحابةِ مِنَ الامتناعِ في مثلِ هـٰذا وكذا عنِ السلفِ . . يمكنُ حملُهُ على الورعِ ، ولا يصادفُ فيهِ نصٌّ على التحريمِ .

وما يُنقلُ مِنْ إقدامِ مَنْ أقدمَ منهُمْ على الأكلِ ؛ كأكلِ أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ طعامَ معاويةَ مثلاً إنْ قُدِّرَ في جملةِ ما في يدِهِ حرامٌ . . فذلكَ أيضاً يُحتملُ أنْ يكونَ إقدامُهُ بعدَ التفتيشِ واستبانةِ أنَّ عينَ ما يأكلُهُ مِنْ وجهٍ مباحٍ (١) .

---

(١) بدلالة أن معاوية رضي الله عنه كان يحترز في مأكله كما هو اللائق بشأنه ، ورواية أنه كان =

فالأفعالُ في هـٰذا ضعيفةُ الدلالةِ ، ومذاهبُ العلماءِ المتأخرينَ مختلفةٌ ، حتَّىٰ قالَ بعضُهُمْ : (لوْ أعطاني السلطانُ شيئاً . . لأخذتُهُ)[1] ، وطردَ الإباحةَ فيما إذا كانَ الأكثرُ أيضاً حراماً ، مهما لمْ يعرفْ عينَ المأخوذِ واحتملَ أنْ يكونَ حلالاً ، واستدلَّ بأخذِ بعضِ السلفِ جوائزَ السلاطينِ ؛ كما سيأتي في بابِ بيانِ أموالِ السلاطينِ .

فإذا كانَ الحرامُ هوَ الأقلَّ واحتملَ ألا يكونَ موجوداً في الحالِ . . لمْ يكنِ الأكلُ حراماً ، وإنْ تُحقِّقَ وجودُهُ في الحالِ ؛ كما في مسألةِ اشتباهِ الميتةِ بالذكية . . فهـٰذا ممَّا لا أدري ما أقولُ فيهِ ! وهوَ مِنَ المتشابهاتِ التي يتحيَّرُ المفتي فيها ؛ لأنَّها مترددةٌ بينَ مشابهةِ المحصورِ وغيرِ المحصورِ ، والرضيعةُ إذا اشتبهَتْ في قريةٍ فيها عشرُ نسوةٍ . . وجبَ الاجتنابُ ، وإنْ كانَ ببلدةٍ فيها عشرةُ آلافٍ . . لمْ يجبْ ، وبينَهُما أعدادٌ لوْ سئلتُ عنها . . لكنتُ لا أدري ما أقولُ فيها .

ولقدْ توقَّفَ العلماءُ في مسائلَ هيَ أوضحُ مِنْ هـٰذا ؛ إذْ سئلَ أحمدُ ابنُ حنبلٍ رحمهُ اللهُ عنْ رجلٍ رمىٰ صيداً فوقعَ في ملكِ غيرِهِ : أيكونُ الصيدُ للرامي أوْ لمالكِ الأرضِ ؟ فقالَ : لا أدري ، فروجعَ فيهِ مرَّاتٍ ، فقالَ : لا أدري[2] .

= يألف مائدة معاوية ويصلي خلف علي رضي الله عن الجميع . . فهي من الأقوال المحكية التي لا يعرف لها سند . انظر « الإتحاف » (٦/ ٨٤ ـ ٨٥) .

[1] قوت القلوب (٢/ ٢٨٩) .

[2] كذا في « الورع » (ص١٠٣) ، والفتوىٰ لعبد الله بن المبارك رحمه الله تعالىٰ .

وكثيراً مِنْ ذلكَ حكيناهُ عنِ السلفِ في كتابِ العلمِ ، فليقطعِ المفتي طمعَهُ عنْ درْكِ الحكمِ في جميعِ الصورِ .

وقدْ سألَ ابنَ المباركِ صاحبُهُ مِنَ البصرةِ عنْ معاملتِهِ قوماً يعاملونَ السلاطينَ ، فقالَ : إنْ لمْ يعاملوا سوى السلطانِ . . فلا تعاملْهُمْ ، وإنْ عاملوا السلطانَ وغيرَهُ . . فعاملْهُمْ(١) .

وهـٰذا يدلُّ على المسامحةِ في الأقلِّ ، ويحتملُ المسامحةَ في الأكثرِ أيضاً .

وبالجملةِ : فلمْ يُنقلْ عنِ الصحابةِ أنَّهُمْ كانوا يهجرونَ بالكليَّةِ معاملةَ القصابِ والخبازِ والتاجرِ لتعاطيهِ عقداً واحداً فاسداً ، أوْ لمعاملتِهِ السلطانَ مرَّةً ، وتقديرُ ذلكَ فيهِ بعدٌ ، والمسألةُ مشكلةٌ في نفسِها .

* * *

فإنْ قيلَ : فقدْ رُوِيَ عنْ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ رخَّصَ فيهِ ، وقالَ : (خُذْ ما يعطيكَ السلطانُ فإنَّما يعطيكَ مِنَ الحلالِ ، وما يأخذُ مِنَ الحلالِ أكثرُ مِنَ الحرامِ) .

وسُئِلَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ في ذلكَ ، فقالَ لهُ السائلُ : إنَّ لي جاراً لا أعلمُهُ إلا خبيثاً ، يدعونا ، أو نحتاجُ فنستسلفُهُ ، فقالَ : إذا دعاكَ . .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٧٢) بنحوه .

فأجبْهُ ، وإذا احتجتَ . . فاستسلفْهُ ؛ فإنَّ لكَ المهنأَ وعليهِ المأثمَ⁽¹⁾ .

وأفتىٰ سلمانُ رضيَ اللهُ عنهُ بمثلِ ذلكَ⁽²⁾ .

وقدْ علَّلَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ بالكثرةِ ، وعلَّلَ ابنُ مسعودٍ بطريقِ الإشارةِ بأنَّ عليهِ المأثمَ ؛ لأنَّهُ يعرفُهُ ، و(لكَ المهنأُ) أيْ : أنتَ لا تعرفُهُ .

ورُوِيَ أنَّهُ قالَ رجلٌ لابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : إنَّ لي جاراً يأكلُ الربا ، فيدعونا إلىٰ طعامِهِ ، أفنأتيهِ ؟ فقالَ : نَعَمْ⁽³⁾ .

ورُوِيَ ذلكَ عنِ ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ برواياتٍ كثيرةٍ مختلفةٍ ، وأخذَ الشافعيُّ ومالكٌ رضيَ اللهُ عنهُما جوائزَ الخلفاءِ والسلاطينِ ، معَ العلمِ بأنَّهُ قدْ خالطَ مالَهُمُ الحرامُ ؟

قلنا : أمَّا ما رُوِيَ عنْ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ . . فقدِ اشتهرَ مِنْ ورعِهِ ما يدلُّ علىٰ خلافِ ذلكَ ؛ فإنَّهُ كانَ يمتنعُ مِنْ مالِ بيتِ المالِ ولا يأكلُ منهُ⁽⁴⁾ ، حتىٰ إنَّهُ أمرَ ببيعِ سيفِهِ⁽⁵⁾ ، ولا يكونُ لهُ إلا قميصٌ واحدٌ في وقتِ الغسلِ لا يجدُ

---

(١) رواه الحميري في « جزئه » (١٣) ، وسيأتي نحوه قريباً .

(٢) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (١٤٦٧٧) .

(٣) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (١٤٦٧٥) ، وهو عند البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٥/ ٣٣٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) إذ روىٰ أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٨٠) أنه أعطىٰ جميع ما في بيت مال المسلمين وهو يقول : (يا صفراء ويا بيضاء ؛ غري غيري ، ها وها ، حتىٰ ما بقي منه دينار ولا درهم ، ثم أمر بنضحه وصلىٰ فيه ركعتين) .

(٥) روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٨٣) عن يزيد بن محجن قال : كنت مع علي وهو بالرحبة، فدعا بسيف فسلَّه ، فقال : (من يشتري سيفي هـٰذا ؟ فوالله لو كان عندي ثمن إزار ما بعته).

غيرَهُ(١) ، ولستُ أنكرُ أنَّ رخصتَهُ صريحٌ في الجوازِ ، وفعلَهُ محتملٌ للورعِ ، ولكنَّهُ إنْ صحَّ . . فمالُ السلطانِ لهُ حكمٌ آخرُ ؛ فإنَّهُ بحكمِ كثرتِهِ يكادُ يلتحقُ بما لا يُحصَرُ ، وسيأتي بيانُ ذلكَ ، وكذلكَ فعلُ الشافعيِّ ومالكٍ رضيَ اللهُ عنهُما متعلِّقٌ بمالِ السلطانِ ، وسيأتي حكمُهُ ، وإنَّما كلامُنا في آحادِ الخلْقِ ، وأموالُهُمْ قريبةٌ مِنَ الحصْرِ .

وأمَّا قولُ ابنِ مسعودٍ . . فقيلَ : إنَّما نقلَهُ جوَّابٌ التيميُّ ، وإنَّهُ ضعيفُ الحفظِ(٢) ، والمشهورُ عنهُ ما يدلُّ علىٰ توقِّي الشبهاتِ ؛ إذْ قالَ : (لا يقولنَّ أحدُكُمْ : أخافُ وأرجو ؛ فإنَّ الحلالَ بيِّنٌ والحرامَ بيِّنٌ ، وبينَ ذلكَ أمورٌ مشتبهاتٌ ، فدعْ ما يريبُكَ إلىٰ ما لا يريبُكَ)(٣) ، وقالَ : (اجتنبوا الحكَّاكاتِ ، فإنَّ فيها الإثمَ)(٤) .

* * *

فإنْ قيلَ : فلِمَ قلتُمْ : (إذا كانَ الأكثرُ حراماً . . لمْ يجزِ الأخذُ) معَ أنَّ المأخوذَ ليسَ فيهِ علامةٌ تدلُّ علىٰ تحريمِهِ على الخصوصِ ، واليدُ علامةٌ

---

(١) بنحوه عند أبي نعيم في « الحلية » (١/ ٨٢) .

(٢) جوَّاب التيمي : بتثقيل الواو وآخره موحدة ، صدوق رمي بالإرجاء ، صرَّح بتضعيفه ابن نمير ، وذكره ابن حبان في « الثقات » (٣/ ٢٦٤) ، وقال يعقوب بن سفيان : ثقة يتشيع . انظر « تهذيب التهذيب » (١/ ٣١٩) ، و« تقريب التهذيب » (ص١٤٣) ، و« الإتحاف » (٦/ ٨٧) .

(٣) رواه النسائي (٨/ ٢٣٠) بنحوه ، وقد سبق بعضه في المرفوع .

(٤) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٦٧٩) .

على الملكِ ، حتَّىٰ إنَّ مَنْ سرقَ مالَ مثلِ هـٰذا الرجلِ قطعَتْ يدُهُ ، والكثرةُ توجبُ ظنّاً مرسلاً لا يتعلَّقُ بالعينِ ، فليكنْ كغالبِ الظنِّ في طينِ الشوارعِ ، وغالبِ الظنِّ في الاختلاطِ بغيرِ محصورٍ إذا كانَ الأكثرُ هوَ الحرامَ ، ولا يجوزُ أنْ يُستدلَّ علىٰ هـٰذا بعمومِ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « دعْ ما يريبُكَ إلىٰ ما لا يريبُكَ » لأنَّهُ مخصوصٌ ببعضِ المواضعِ بالاتفاقِ ، وهوَ أنْ يريبَهُ بعلامةٍ في عينِ الملكِ بدليلِ اختلاطِ القليلِ بغيرِ المحصورِ ؛ فإنَّ ذلكَ يوجبُ ريبةً ، ومعَ ذلكَ قطعتُمْ بأنَّهُ لا يحرمُ ؟!

فالجوابُ : أنَّ اليدَ دلالةٌ ضعيفةٌ ؛ كالاستصحابِ ، وإنَّما تؤثِّرُ إذا سلمَتْ عنْ معارضٍ قويٍّ ، فإذا تحقَّقْنا الاختلاطَ ، وتحقَّقْنا أنَّ الحرامَ المخالطَ موجودٌ في الحالِ ، والمالَ غيرُ خالٍ عنهُ ، وتحقَّقْنا أنَّ الأكثرَ هوَ الحرامُ ، وذلكَ في حقِّ شخصٍ معيَّنٍ يقربُ مالُهُ مِنَ الحصرِ . . ظهرَ وجوبُ الإعراضِ عنْ مقتضى اليدِ ، وإنْ لمْ يُحملْ عليهِ قولُهُ عليه الصلاةُ والسلامُ : « دعْ ما يريبُكَ إلىٰ ما لا يريبُكَ » . . لا يبقىٰ لهُ محملٌ ؛ إذْ لا يمكنُ أنْ يُحملَ على اختلاطِ قليلٍ بحلالٍ غيرِ محصورٍ ؛ إذْ كانَ ذلكَ موجوداً في زمانِهِ ، وكانَ لا يدعُهُ .

وعلىٰ أيِّ موضعٍ حُملَ هـٰذا . . كانَ هـٰذا في معناهُ ، وحملُهُ على التنزيهِ صرفٌ لهُ عنْ ظاهرِهِ بغيرِ قياسٍ⁽¹⁾ ، فإنَّ تحريمَ هـٰذا غيرُ بعيدٍ عنْ قياسِ

---

(1) جواب لسؤال مقدر : فلم لا يجوز أن يحمل ذلك على التنزيه ولا مانع من ذلك ؟ انظر « الإتحاف » (٦/ ٨٧) .

العلاماتِ والاستصحابِ ، وللكثرةِ تأثيرٌ في تحقيقِ الظنِّ ، وكذا للحصرِ ، وقدِ اجتمعا ، حتَّىٰ قالَ أبو حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ : (لا يُجتهدُ في الأواني إلا إذا كانَ الطاهرُ هوَ الأكثرَ)، فاشترطَ اجتماعَ الاستصحابِ والاجتهادِ بالعلامةِ وقوّةِ الكثرةِ.

ومَنْ قالَ : (يأخذُ أيَّ آنيةٍ أرادَ مِنْ غيرِ اجتهادٍ) بناءً علىٰ مجرَّدِ الاستصحابِ ؛ فجوَّزَ الشربَ أيضاً . . فيلزمُهُ التجويزُ هٰهنا بمجرَّدِ علامةِ اليدِ ، ولا يجري ذلكَ في بولٍ اشتبهَ بماءٍ ؛ إذ لا استصحابَ فيهِ ، ولا نطردُهُ أيضاً في ميتةٍ اشتبهَتْ بذكيَّةٍ ؛ إذْ لا استصحابَ في الميتةِ ؛ إذِ اليدُ لا تدلُّ علىٰ أنَّها غيرُ ميتةٍ ، وتدلُّ في الطعامِ المباحِ علىٰ أنَّهُ ملكٌ ، **فهٰهنا أربعُ متعلَّقاتٍ** : استصحابٌ ، وقلةٌ في المخلوطِ أوْ كثرةٌ ، وانحصارٌ أوِ اتساعٌ في المخلوطِ بهِ ، وعلامةٌ خاصَّةٌ في عينِ الشيءِ يتعلَّقُ بها الاجتهادُ ، فمَنْ يغفُلُ عنْ مجموعِ الأربعةِ . . ربَّما يغلطُ ، فيُشبِّهُ بعضَ المسائلِ بما لا يُشبهُهُ .

فحصلَ ممَّا ذكرناهُ أنَّ المختلطَ في ملكِ شخصٍ واحدٍ : إمَّا أنْ يكونَ الحرامُ أكثرَهُ أوْ أقلَّهُ ، وكلُّ واحدٍ إمَّا أنْ يُعلمَ بيقينٍ أوْ بظنٍّ عنْ علامةٍ أوْ توهُّمٍ، والسؤالُ يجبُ في موضعينِ ، وهوَ أنْ يكونَ الحرامُ أكثرَ يقيناً أوْ ظنّاً ؛ كما لوْ رأىٰ تركياً مجهولاً يُحتملُ أنْ يكونَ كلُّ مالِهِ مِنْ غنيمةٍ ، وأنْ يكونَ مالُهُ مِنْ غيرِ غنيمةٍ يرتخصُهُ(١) ، وإنْ كانَ الأقلُّ معلوماً باليقينِ . . فهوَ محلُّ التوقُّفِ،

---

(١) وهٰذه الجملة زيادة من (أ) .

وتكادُ تشيرُ سيرُ أكثرِ السلفِ وضرورةُ الأحوالِ إلى الميلِ إلى الرخصةِ .

وأمَّا الأقسامُ الثلاثةُ الباقيةُ . . فالسؤالُ فيها غيرُ واجبٍ أصلاً .

مَسْأَلَةٌ

[فيمَنْ علمَ وجودَ حرامٍ في يدٍ ، ثمَّ جهلَ : هل بقيَ منهُ شيءٌ أمْ لا ؟]

إذا حضرَ طعامَ إنسانٍ علمَ أنَّهُ دخلَ في يدهِ حرامٌ مِنْ إدرارٍ كانَ قدْ أخذَهُ ، أوْ مِنْ وجهٍ آخرَ ، ولا يدري أنَّهُ بقيَ إلى الآنَ أمْ لا . . فلهُ الأكلُ ، ولا يلزمُهُ التفتيشُ ، وإنما التفتيشُ فيهِ مِنَ الورعِ ، ولوْ علمَ أنَّهُ قدْ بقيَ منهُ شيءٌ ، ولكنْ لمْ يدرِ أنَّهُ الأكثرُ أمِ الأقلُّ . . فلهُ أنْ يأخذَ بأنَّهُ الأقلُّ ، وقدْ سبقَ أنَّ أمرَ الأقلِّ مشكلٌ ، وهـٰذا يقربُ منهُ .

مَسْأَلَةٌ

[إنْ كانَ عندَ متولِّي الوقفِ مالانِ ، وثَمَّ مَنْ يستحقُّ أحدَهُما لوجودِ صفتِهِ ، فهلْ لهُ الأخذُ دونَ سؤالٍ ؟]

إذا كانَ في يدِ المتولِّي لسبلِ الخيراتِ مِنَ الأوقافِ أوِ الوصايا مالانِ ، يستحقُّ هوَ أحدَهُما ولا يستحقُّ الثانيَ ؛ لأنَّهُ غيرُ موصوفٍ بتلكَ الصفةِ ، فهلْ لهُ أنْ يأخذَ ما يسلِّمُهُ إليهِ صاحبُ الوقفِ ؟

نُظِرَ ؛ فإنْ كانتْ تلكَ الصفةُ ظاهرةً يعرفُها المتولِّي ، وكانَ المتولِّي

ظاهرَ العدالةِ . . فلهُ أنْ يأخذَ بغيرِ بحثٍ ؛ لأنَّ الظنَّ بالمتولِّي أنَّهُ لا يصرفُ إليهِ ما يصرفُهُ إلا مِنَ المالِ الذي يستحقُّهُ .

وإنْ كانتِ الصفةُ خفيَّةً ، أوْ كانَ المتولِّي ممَّنْ عُرِفَ حالُهُ أنَّهُ يخلطُ ولا يبالي كيفَ يفعلُ . . فعليهِ السؤالُ ؛ إذْ ليسَ هـٰهنا يدٌ ولا استصحابٌ يُعوَّلُ عليهِ ، وهوَ وِزانُ سؤالِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنِ الصدقةِ والهديَّةِ عندَ تردُّدِهِ فيهما⁽¹⁾ ؛ لأنَّ اليدَ لا تخصِّصُ الهديَّةَ عنِ الصدقةِ ولا الاستصحابَ ، فلا ينجي منهُ إلا السؤالُ ؛ فإنَّ السؤالَ حيثُ أسقطناهُ في المجهولِ أسقطناهُ بعلامةِ اليدِ والإسلامِ ، حتَّىٰ لوْ لمْ يعلمْ أنَّهُ مسلمٌ ، وأرادَ أنْ يأخذَ مِنْ يدِهِ لحماً مِنْ ذبيحتِهِ ، واحتملَ أنْ يكونَ مجوسياً . . لمْ يجزْ لهُ ما لمْ يعرفْ أنَّهُ مسلمٌ ؛ إذِ اليدُ لا تدلُّ على الميتةِ ، ولا الصورةُ تدلُّ على الإسلامِ إلا إذا كانَ أكثرُ هـٰذا البلدِ مسلمينَ ، فيجوزُ أنْ يُظنَّ بالذي ليسَ عليهِ علامةُ الكفرِ أنَّهُ مسلمٌ وإنْ كانَ الخطأُ ممكناً فيهِ ، فلا ينبغي أنْ تلتبسَ المواضعُ التي تشهدُ فيها اليدُ والحالُ بالتي لا تشهدُ .

مَسْأَلَةٌ

[في بلدٍ فيهِ دورٌ مغصوبةٌ ، هلْ لهُ شراءُ دارٍ فيهِ ؟]

لهُ أنْ يشتريَ في البلدِ داراً وإنْ علمَ أنَّها تشتملُ علىٰ دورٍ مغصوبةٍ ؛ لأنَّ

---

(١) رواه البخاري (٢٥٧٦) ، ومسلم (١٠٧٧) .

ذلكَ اختلاطٌ بغيرِ محصورٍ ، ولكنَّ السؤالَ احتياطٌ وورعٌ .

وإنْ كانَ في سكَّةٍ عشرُ دورٍ مثلاً ، إحداها مغصوبةٌ أوْ وقفٌ . . لمْ يجزِ الشراءُ ما لمْ يتميزْ ، ويجبُ البحثُ عنهُ .

ومَنْ دخلَ بلدةً وفيها رباطاتٌ خُصِّصَ بوقفِها أربابُ المذاهبِ ، وهوَ علىٰ مذهبٍ واحدٍ مِنْ جملةِ تلكَ المذاهبِ . . فليسَ لهُ أنْ يسكنَ أيَّها شاءَ ، ويأكلَ مِنْ وقفِها بغيرِ سؤالٍ ؛ لأنَّ ذلكَ مِنْ بابِ اختلاطٍ في المحصورِ ، فلا بدَّ مِنَ التمييزِ ، ولا يجوزُ الهجومُ معَ الإبهامِ ؛ لأنَّ الرباطاتِ والمدارسَ في البلدِ لا بدَّ وأنْ تكونَ محصورةً .

مَسْأَلَةٌ

[متىٰ يمتنعُ السؤالُ ومتىٰ يجبُ]

حيثُ جعلنا السؤالَ مِنَ الورعِ . . فليسَ لهُ أنْ يسألَ صاحبَ الطعامِ والمالِ إذا لمْ يأمنْ غضبَهُ ، ولا يُؤمنُ قطُّ غضبُهُ ، وإنَّما أوجبْنا السؤالَ إذا تحقَّقَ أنَّ أكثرَ مالِهِ حرامٌ ، وعندَ ذلكَ لا يُبالىٰ بغضبِ مثلِهِ ؛ إذْ يجبُ إيذاءُ الظالمِ بأكثرَ مِنْ ذلكَ ، والغالبُ أنَّ مثلَ هـٰذا لا يغضبُ مِنَ السؤالِ .

نعم ، إنْ كانَ يأخذُ مِنْ يدِ وكيلِهِ أوْ غلامِهِ أوْ تلميذِهِ أوْ بعضِ أهلِهِ ممَّنْ هوَ تحتَ رعايتِهِ . . فلهُ أنْ يسألَ مهما استرابَ ؛ لأنَّهُمْ لا يغضبونَ مِنْ سؤالِهِ ، ولأنَّ عليهِ أنْ يسألَ ليعلِّمَهُمْ طريقَ الحلالِ ، ولذلكَ سألَ أبو بكرٍ

رضيَ اللهُ عنهُ غلامَهُ ، وسألَ عمرُ مَنْ سقاهُ مِنْ إبلِ الصدقةِ(١) ، وسألَ أبا هريرةَ أيضاً لمَّا أنْ قدمَ عليهِ بمالٍ كثيرٍ ، فقالَ : (ويحكَ ، أكلُّ هـٰذا طيِّبٌ ؟!) مِنْ حيثُ إنَّهُ تعجَّبَ مِنْ كثرتِهِ(٢) ، وكانَ هوَ مِنْ رعيَّتِهِ ، لا سيما وقدْ رفقَ في صيغةِ السؤالِ .

وكذلكَ قالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : (ليسَ شيءٌ أحبَّ إلى اللهِ تعالىٰ مِنْ عدْلِ إمامٍ ورفقِهِ ، ولا شيءَ أبغضُ إليهِ مِنْ جورِهِ وخرقِهِ)(٣) .

مَسْأَلَةٌ

[في تركِ السؤالِ خوفاً منْ هتكِ السترِ وتحصيلِ البغضاءِ]

قالَ الحارثُ المحاسبيُّ رحمهُ اللهُ : (لوْ كانَ لهُ صديقٌ أوْ أخٌ ، وهوَ يأمنُ غضبَهُ لوْ سألَهُ . فلا ينبغي أنْ يسألَهُ لأجلِ الورعِ ؛ لأنَّهُ ربَّما يبدو لهُ ما كانَ مستوراً عنهُ، فيكونُ قدْ حملَهُ علىٰ هتكِ السترِ ، ثمَّ يؤدي ذلك إلى البغضاءِ) .

وما ذكرَهُ حسنٌ ؛ لأنَّ السؤالَ إذا كانَ منَ الورعِ لا مِنَ الوجوبِ . . فالورعُ في مثلِ هـٰذهِ الأمورِ احترازاً عنْ هتكِ السترِ وإثارةِ البغضاءِ أهمُّ .

---

(١) أما سؤال أبي بكر رضي الله عنه . . فقد ورد في « القوت » (٢/ ٢٨٧) ، ورواه البخاري (٣٨٤٢) ، وأما سؤال عمر رضي الله عنه . . فقد رواه مالك في « الموطأ » (١/ ٢٦٩) .

(٢) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (١١/ ٣٢٣) .

(٣) رواه هناد في « الزهد » (١٢٨١) بنحوه ، ولكن عن عمر رضي الله عنه .

وزادَ علىٰ هـٰذا فقالَ : (وإنْ رابَهُ شيءٌ منهُ أيضاً . لمْ يسألْهُ ، ويظنُّ بهِ أنَّهُ يطعمُهُ مِنَ الطيِّبِ ويجنِّبُهُ الخبيثَ ، فإنْ كانَ لا يطمئنُّ قلبُهُ إليهِ . . فليحترِزْ متلطِّفاً ، ولا يهتكُ سترَهُ بالسؤالِ ، قالَ : لأنِّي لمْ أرَ أحداً منَ العلماءِ فعلَهُ) .

فهـٰذا منهُ معَ ما اشتُهِرَ بهِ مِنَ الزهدِ يدلُّ علىٰ مسامحتِهِ فيما إذا خالطَ المالَ الحرامُ القليلُ ، ولكنَّ ذلكَ عندَ التوهُّمِ لا عندَ التحقُّقِ ؛ لأنَّ لفظَ الريبةِ يدلُّ على التوهُّمِ بدلالةٍ تدلُّ عليهِ ، ولا يوجبُ اليقينَ . فليراعِ هـٰذهِ الدقائقَ في السؤالِ .

مَسْأَلَةٌ

[في احتمالِ كذبِ المسؤولِ وإخفائِهِ بيانَ أصلِ المالِ]

ربَّما يقولُ القائلُ : أيُّ فائدةٍ في السؤالِ ممَّنْ بعضُ مالِهِ حرامٌ ، ومَنْ يستحلُّ المالَ الحرامَ ربَّما يكذبُ ؟ فإنْ وثقَ بأمانتِهِ . . فليثقْ بديانتِهِ في الحلالِ .

فأقولُ : مهما علمتَ بمخالطةِ الحرامِ لمالِ إنسانٍ ، وكانَ لهُ غرضٌ في حضورِكَ ضيافتَهُ ، أوْ قبولِكَ هديَّتَهُ . . فلا تحصلُ الثقةُ بقولِهِ ، فلا فائدةَ في السؤالِ منهُ ، فينبغي أنْ يسألَ مِنْ غيرِهِ ، وكذا إنْ كانَ بيَّاعاً وهوَ يُرغِّبُ في البيعِ لطلبِ الربحِ ، فلا تحصلُ الثقةُ بقولِهِ : (إنَّهُ حلالٌ) ، ولا فائدةَ في

السؤالِ منهُ ، وإنَّما يسألُ منْ غيرِه ، وإنَّما يسألُ مِنْ صاحبِ اليدِ إذا لمْ يكنْ متَّهماً ؛ كما يسألُ المتولِّيَ على المالِ الذي يسلِّمُهُ أنَّهُ مِنْ أيِّ جهةٍ ، وكما سألَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنِ الهديَّةِ والصدقةِ(١) ؛ فإنَّ ذلكَ لا يُؤذي ولا يُتهمُ القائلُ فيهِ .

وكذلكَ إذا اتهمَهُ بأنَّهُ ليسَ يدري طريقَ الكسبِ الحلالِ ، فلا يُتهمُ في قولِهِ إذا أخبرَ عنْ طريقٍ صحيحٍ ، وكذلكَ يسألُ عبدَهُ وخادمَهُ ليعرفَ طريقَ اكتسابِهِ ، فهـٰهنا يفيدُ السؤالُ .

فإذا كانَ صاحبُ المالِ متهماً . . فليسألْ مِنْ غيرِهِ ، فإذا أخبرَهُ عدْلٌ واحدٌ . . قبلَهُ ، وإنْ أخبرَهُ فاسقٌ يعلمُ مِنْ قرينةِ حالِهِ أنَّهُ لا يكذبُ حيثُ لا غرضَ له فيهِ . . جازَ قبولُهُ ؛ لأنَّ هـٰذا أمرٌ بينَهُ وبينَ اللهِ تعالىٰ ، والمطلوبُ ثقةُ النفسِ ، وقدْ يحصلُ منَ الثقةِ بقولِ فاسقٍ ما لا يحصلُ بقولِ عدْلٍ في بعضِ الأحوالِ ، وليسَ كلُّ مَنْ فسقَ يكذبُ ، ولا كلُّ مَنْ تُرى العدالةُ في ظاهرِهِ يصدقُ ، وإنَّما نيطتِ الشهادةُ بالعدالةِ الظاهرةِ لضرورةِ الحكمِ ؛ فإنَّ البواطنَ لا يُطلعُ عليها ، وقدْ قبلَ أبو حنيفةَ رحمهُ اللهُ شهادةَ الفاسقِ ، وكم مِنْ شخصٍ تعرفُهُ ، وتعرفُ أنَّهُ قدْ يقتحمُ المعاصيَ ، ثمَّ إذا أخبركَ بشيءٍ . . وثقتَ بهِ .

---

(١) رواه البخاري (٢٥٧٦) ، ومسلم (١٠٧٧) .

وكذلكَ إذا أخبرَ بهِ صبيٌّ مميِّزٌ ممَّنْ عرفتَهُ بالتثبُّتِ ، فقدْ تحصلُ الثقةُ بقولِهِ ، فيحلُّ الاعتمادُ عليهِ .

فأمَّا إذا أخبرَ بهِ مجهولٌ لا يُدرىٰ مِنْ حالِهِ شيءٌ أصلاً . . فهـٰذا ممَّنْ جوزْنا الأكلَ مِنْ يدهِ ؛ لأنَّ يدَهُ دلالةٌ ظاهرةٌ علىٰ ملكِهِ ، وربَّما يقالُ : إسلامُهُ دلالةٌ ظاهرةٌ علىٰ صدقِهِ ، وهـٰذا فيهِ نظرٌ ، ولا يخلو قولُهُ عنْ أثرٍ ما في النفسِ ، حتَّىٰ لوِ اجتمعَ منهُمْ جماعةٌ . . لأفادَ اجتماعُهُمْ ظنّاً قويّاً ، إلاَّ أنَّ أثرَ الواحدِ فيهِ في غايةِ الضعفِ ، فليُنظرْ إلىٰ حدِّ تأثيرِهِ في القلبِ ؛ فإنَّ المفتيَ هوَ القلبُ في مثلِ هـٰذا الموضعِ ، وللقلبِ التفاتاتٌ إلىٰ قرائنَ خفيَّةٍ يضيقُ عنها نطاقُ النطقِ ، فليُتأملْ فيهِ .

ويدلُّ علىٰ وجوبِ الالتفاتِ إليهِ ما رُوِيَ عنْ عقبةَ بنِ الحارثِ أنَّهُ جاءَ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : إنِّي تزوَّجتُ امرأةً ، فجاءَتْ أمةٌ سوداءُ ، فزعمَتْ أنَّها قدْ أرضعتْنا ، وهيَ كاذبةٌ ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « دَعْها » فقالَ : إنَّها سوداءُ ـ يصغِّرُ مِنْ شأنِها ـ فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « فكيفَ وقدْ زعمَتْ أنَّها قدْ أرضعتْكُما ؟! لا خيرَ لكَ فيها ، دعْها عنكَ » ، وفي لفظٍ آخرَ : « كيفَ وقدْ قيلَ ؟! »(١) ، ومهما لمْ يعلمْ كذبَ المجهولِ ، ولمْ تظهرْ أمارةُ غرضٍ لهُ فيهِ . . كانَ لهُ وقعٌ في القلبِ لا محالةَ ، فلذلكَ يتأكَّدُ الأمرُ بالاحترازِ ، فإنِ اطمأنَّ إليهِ القلبُ . . كانَ الاحترازُ حتماً واجباً .

---

(١) الحديث رواه بألفاظ متقاربة البخاري (٥١٠٥) ، وأحمد في « المسند » (٤/ ٧) .

مَسْأَلَةٌ

[في تعارضِ أقوالِ المخبرينَ]

حيثُ يجبُ السؤالُ ؛ فلوْ تعارضَ قولُ عدلينِ . . تساقطا ، وكذا قولُ فاسقينِ ، ويجوزُ أنْ يترجَّحَ في قلبِهِ قولُ أحدِ العدلينِ أوْ أحدِ الفاسقينِ .

ويجوزُ أنْ يترجَّحَ أحدُ الجانبينِ بالكثرةِ أوْ بالاختصاصِ بالخبرةِ والمعرفةِ ، وذلكَ ممَّا يتشعَّبُ تصويرُهُ .

مَسْأَلَةٌ

[في نهبِ متاعٍ ثمَّ وجودِهِ في يدٍ ، فهلْ يجوزُ ابتياعُهُ ؟]

لوْ نُهِبَ متاعٌ مخصوصٌ ، فصادفَ مِنْ ذلكَ النوعِ متاعاً في يدِ إنسانٍ ، وأرادَ أنْ يشتريَهُ ، واحتملَ ألا يكونَ مِنَ المغصوبِ ؛ فإنْ كانَ ذلكَ الشخصُ ممَّنْ عرفَهُ بالصلاحِ . . جازَ الشراءُ ، وكانَ تركُهُ مِنَ الورعِ ، وإنْ كانَ الرجلُ مجهولاً لا يعرفُ منهُ شيئاً ؛ فإنْ كانَ يكثرُ نوعُ ذلكَ المتاعِ مِنْ غيرِ المغصوبِ . . فلهُ أنْ يشتريَ ، وإنْ كانَ لا يوجدُ ذلكَ المتاعُ في تلكَ البقعةِ إلا نادراً ، وإنَّما كثرَ بسببِ الغصبِ . . فليسَ يدلُّ على الحلِّ إلا اليدُ ، وقدْ عارضَتْها علامةٌ خاصَّةٌ مِنْ شكلِ المتاعِ ونوعِهِ ؛ فالامتناعُ عنْ شرائِهِ مِنَ الورعِ المهمِّ ، ولكنَّ الوجوبَ فيهِ نظرٌ ؛ فإنَّ العلامةَ متعارضةٌ ، ولستُ أقدرُ علىٰ أنْ أحكمَ فيهِ بحكمٍ إلا أنْ أردَّهُ إلىٰ قلبِ المستفتي لينظرَ ما الأقوىٰ في

نفسِهِ ؟ فإنْ كانَ الأقوىٰ أنَّهُ مغصوبٌ . . لزمَهُ تركُهُ ، وإلا . . حلَّ لهُ شراؤُهُ .

وأكثرُ هـٰذهِ الوقائعِ يلتبسُ الأمرُ فيها ، فهيَ مِنَ المتشابهاتِ التي لا يعرفُها كثيرٌ مِنَ الناسِ ، فمَنْ توقَّاها . . فقدِ استبرأَ لدينِهِ وعرضِهِ ، ومَنِ اقتحمَها . . فقدْ حامَ حَولَ الحمىٰ وخاطرَ بنفسِهِ .

مَسْأَلَةٌ

[في عددِ الأصولِ التي يجبُ السؤالُ عنْها وضابطُ ذلكَ]

لوْ قالَ قائلٌ : قدْ سألَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنْ لبنٍ قُدِّمَ إليهِ ، فذُكِرَ أنَّهُ مِنْ شاةٍ ، فسألَ عنِ الشاةِ مِنْ أينَ هيَ ، فذُكِرَ لهُ ، فسكتَ عنِ السؤالِ(١) ، أفيجبُ السؤالُ عنْ أصلِ المالِ أم لا ؟ وإنْ وجبَ . . فعنْ أصلٍ واحدٍ أوِ اثنينِ أوْ ثلاثةٍ ؟ وما الضبطُ فيهِ ؟

فأقولُ : لا ضبطَ فيهِ ولا تقديرَ ، بلْ ينظرُ إلى الريبةِ المقتضيةِ للسؤالِ ، إمَّا وجوباً أوْ ورعاً ، ولا غايةَ للسؤالِ إلا حيثُ تنقطعُ الريبةُ المقتضيةُ لهُ ، وذلكَ يختلفُ باختلافِ الأحوالِ ، فإنْ كانَتِ التهمةُ مِنْ حيثُ لا يدري صاحبُ اليدِ كيفَ طريقُ الكسبِ الحلالِ ؛ فإنْ قالَ : (اشتريتُ) . . انقطعَ بسؤالٍ واحدٍ ، وإنْ قالَ : (مِنْ شاتي) . . وقعَ الشكُّ في الشاةِ ، فإذا قالَ : (اشتريتُها) . . انقطعَتِ الريبةُ ، وإنْ كانَتِ الريبةُ مِنَ الظلمِ ـ وذلكَ فيما بينَ

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » (٢٥/ ١٧٤) .

العربِ ، ويتوالدُ في أيديهِمُ المغصوبُ ـ فلا تنقطعُ بقولِهِ : (إنَّهُ مِنْ شاتي) ولا بقولِهِ : (إنَّ الشاةَ ولدتْها شاتي) ، فإنْ أسندَهُ إلى الوراثةِ مِنْ أبيهِ وحالُ أبيهِ مجهولةٌ . . انقطعَ السؤالُ ، وإنْ كانَ يعلمُ أنَّ جميعَ مالِ أبيهِ حرامٌ . . فقدْ ظهرَ التحريمُ ، وإنْ كانَ يعلمُ أنَّ أكثرَهُ حرامٌ . . فكثرةُ التوالدِ وطولُ الزمانِ وتطرُّقُ الإرثِ إليهِ لا يغيِّرُ حكمَهُ ، فلينظرْ في هٰذهِ المعاني .

مَسْأَلَةٌ

[فيمَنْ أوقفَ علىٰ خانَقاهِ الصوفيةِ وغيرِهِمْ ، فهلْ يجوزُ للقائمِ خلطُ الوقفينِ وتقديمُهُ لهؤلاءِ وهؤلاءِ ؟ وما حكمُ أكلِ طعامِهِمْ ؟]

سُئلتُ عنْ جماعةٍ مِنْ سكانِ خانَقاهِ الصوفيَّةِ[1] ، وفي يدِ خادمِهِمُ الذي يقدِّمُ إليهِمُ الطعامَ وقْفٌ علىٰ ذلكَ المسكنِ ووقفٌ آخرُ علىٰ جهةٍ أخرىٰ غيرِ هؤلاءِ ، وهوَ يخلطُ الكلَّ وينفقُ علىٰ هؤلاءِ وهؤلاءِ ، فأكلُ طعامِهِمْ حلالٌ أوْ حرامٌ أوْ شبهةٌ ؟

فقلتُ : إنَّ هٰذا يلتفتُ إلىٰ سبعةِ أصولٍ :

---

[1] **الخانقاه** : بقعة يسكنها أهل الصلاة والخير والصوفية ، والنون مفتوحة ، فارسي معرب من (خانكاه) ومعناه : زاوية الصوفية ، وحكى المقريزي في « المواعظ والاعتبار » (٢/ ٤١٤) أنها حدثت في حدود الأربع مئة من سني الهجرة ، وجعلت لتخلي الصوفية فيها لعبادة الله تعالىٰ ، والمصنف واحد ممن اتخذ خانقاه في آخر حياته .

الأصلُ الأوَّلُ : أنَّ الطعامَ الذي يُقدَّمُ إليهِمْ في الغالبِ يشتريهِ بالمعاطاةِ ، والذي اخترناهُ صحَّةُ المعاطاةِ ، لا سيما في الأطعمةِ والمستحقراتِ ، فليسَ في هٰذا إلا شبهةُ الخلافِ .

الأصلُ الثاني : أنْ ينظرَ أنَّ الخادمَ هلْ يشتريهِ بعينِ المالِ الحرامِ أوْ في الذمةِ ؟ فإنِ اشتراهُ بعينِ المالِ الحرامِ فهوَ حرامٌ ، وإنْ لمْ يُعرفْ . . فالغالبُ أنَّهُ يشتري في الذمَّةِ ، ويجوزُ الأخذُ بالغالبِ ، ولا ينشأُ مِنْ هٰذا تحريمٌ ، بلْ شبهةُ احتمالٍ بعيدٍ ، وهوَ شراؤُهُ بعينِ مالٍ حرامٍ .

الأصلُ الثالثُ : أنَّهُ مِنْ أينَ يشتريهِ ؟ فإنِ اشترىٰ ممَّنْ أكثرُ مالِهِ حرامٌ . . لمْ يجزْ ، وإنْ كانَ ممَّنْ أقلُّ مالِهِ حرامٌ . . ففيهِ نظرٌ قدْ سبقَ ، وإذا لمْ يعرفْ . . جازَ لهُ الأخذُ بأنَّهُ يشتريهِ ممَّنْ مالُهُ حلالٌ ، أوْ ممَّنْ لا يدري المشتري حالَهُ بيقينٍ ؛ كالمجهولِ ، وقدْ سبقَ جوازُ الشراءِ مِنَ المجهولِ ؛ لأنَّ ذلكَ هوَ الغالبُ ، فلا ينشأُ مِنْ هٰذا تحريمٌ ، بلْ شبهةُ احتمالٍ .

الأصلُ الرابعُ : أنْ يشتريَهُ لنفسِهِ أوْ للقومِ ؛ فإنَّ المتولِّيَ والخادمَ كالنائبِ ، ولهُ أنْ يشتريَ لهُمْ ولنفسِهِ ، ولكنْ يكونُ ذلكَ بالنيَّةِ أوْ صريحِ اللفظِ ، وإذا كانَ يجري بالمعاطاةِ . . فلا يجزىءُ اللفظُ ، والغالبُ أنَّهُ لا ينوي عندَ المعاطاةِ ، والقصَّابُ والخبَّازُ ومَنْ يعاملُهُ يعوِّلُ عليهِ ، ويقصدُ البيعَ منهُ ، لا ممَّنْ لا يحضرونَ ، فيقعُ عنْ جهتِهِ ، ويدخلُ في ملكِهِ .

وهـٰذا الأصلُ ليسَ فيهِ تحريمٌ ولا شبهةٌ ، ولكنْ يثبتُ أنَّهُمْ يأكلونَ مِنْ ملكِ الخادمِ .

الأصلُ الخامسُ : أنَّ الخادمَ يقدِّمُ الطعامَ إليهِمْ ، ولا يمكنُ أنْ يجعلَ ضيافةً وهديةً بغيرِ عوضٍ ؛ فإنَّهُ لا يرضىٰ بذلكَ ، وإنَّما يقدِّمُ اعتماداً علىٰ عوضِهِ مِنَ الوقفِ ، فهوَ معاوضةٌ ، ولكنْ ليسَ ببيعٍ ولا إقراضٍ ؛ لأنَّهُ لوِ انتهضَ لمطالبتِهِمْ بالثمنِ . . لاستبعدَ ذلكَ ، وقرينةُ الحالِ لا تدلُّ عليهِ ، فأشبهُ أصلٍ تنزَّلُ عليهِ هـٰذهِ الحالةُ الهبةُ بشرطِ الثوابِ ؛ أعني : هديةٌ لا لفظَ فيها ، مِنْ شخصٍ تقتضي قرينةُ حالِهِ أنَّهُ يطمعُ في ثوابٍ ، وذلكَ صحيحٌ ، والثوابُ لازمٌ ، وهـٰهنا ما طمعَ الخادمُ في أنْ يأخذَ ثواباً عمَّا قدَّمَهُ إلا حقَّهُمْ مِنَ الوقفِ ؛ ليقضيَ بهِ دينَهُ مِنَ الخبَّازِ والقصَّابِ والبقَّالِ وغيرِهِ ، فهـٰذا ليسَ فيهِ شبهةٌ ؛ إذْ لا يُشترطُ لفظٌ في الهديَّةِ ولا في تقديمِ الطعامِ ، وإنْ كانَ معَ انتظارِ الثوابِ ، ولا مبالاةَ بقولِ مَنْ لا يصحِّحُ هديَّةً في انتظارِ ثوابٍ .

الأصلُ السادسُ : أنَّ الثوابَ الذي يلزمُ فيهِ خلافٌ : فقيلَ : إنَّهُ أقلُّ متموَّلٍ ، وقيلَ : قدْرُ القيمةِ ، وقيلَ : ما يرضىٰ بهِ الواهبُ ، حتَّىٰ إنَّ لهُ ألا يرضىٰ بأضعافِ القيمةِ .

والصحيحُ : أنَّهُ يتبعُ رضاهُ ، فإذا لمْ يرضَ . . يردُّ عليهِ ، وهـٰهنا الخادمُ قدْ رضيَ بما يأخذُ مِنْ حقِّ السكَّانِ على الوقفِ ، فإنْ كانَ لهُمْ مِنَ الحقِّ بقدْرِ ما أكلوهُ . . فقدْ تمَّ الأمرُ ، وإنْ كانَ ناقصاً ورضيَ بهِ الخادمُ . . صحَّ أيضاً ،

وإنْ علمَ أنَّ الخادمَ لا يرضىٰ لولا أنَّ في يدِهِ الوقفَ الآخرَ الذي يأخذُهُ بقوَّةِ هؤلاءِ السكَّانِ . . فكأنَّهُ رضيَ في الثوابِ بمقدارٍ بعضُهُ حلالٌ وبعضُهُ حرامٌ ، والحرامُ لمْ يدخلْ في أيدي السكَّانِ ، فهٰذا كالخللِ المتطرِّقِ إلى الثمنِ ، وقدْ ذكرنا حكمَهُ مِنْ قبلُ وأنَّهُ متىٰ يقتضي التحريمَ ومتىٰ يقتضي الشبهةَ .

وهٰذا لا يقتضي تحريماً علىٰ ما فصلناهُ ، فلا تنقلبُ الهديَّةُ حراماً بتوصُّلِ المُهدي بسببِ الهديَّةِ إلىٰ حرامٍ⁽¹⁾ .

الأصلُ السابعُ : أنَّهُ يقضي دينَ الخبَّازِ والقصَّابِ والبقَّالِ مِنِ ارتفاعِ الوقفينِ⁽²⁾ ، فإنْ وفَّىٰ ما أخذَ مِنْ حقِّهِمْ بقيمةِ ما أطعمَهُمْ . . فقدْ صحَّ الأمرُ ، وإنْ قصَّرَ عنهُ ورضيَ القصَّابُ والخبَّازُ بأيِّ ثمنٍ كانَ حراماً أوْ حلالاً . . فهٰذا خللٌ تطرَّقَ إلىٰ ثمنِ الطعامِ أيضاً ، فليلتفتْ إلىٰ ما قدمناهُ مِنَ الشراءِ في الذمَّةِ ، ثمَّ قضاءِ الثمنِ مِنْ حرامٍ ، هٰذا إذا علمَ أنَّهُ قضاهُ مِنْ حرامٍ .

فإنِ احتملَ ذلكَ واحتملَ غيرُهُ . . فالشبهةُ أبعدُ .

وقدْ خرجَ مِنْ هٰذا : أنَّ أكلَ هٰذا ليسَ بحرامٍ ، ولكنَّهُ أكلُ شبهةٍ ، وهوَ بعيدٌ مِنَ الورعِ ؛ لأنَّ هٰذهِ الأصولَ إذا كثرتْ ، وتطرَّقَ إلىٰ كلِّ واحدٍ

---

(١) وبه يتميَّز عن الرشوة ؛ إذ الرشوة ما يتوصل به إلىٰ حرام ، وبينهما فرق . « إتحاف » (٦/ ٩٤) .

(٢) أي : مما يتحصل من جهتهما ، ويسمىٰ ذلك ارتفاعاً لكونه يفيض عنه فيرتفع . « إتحاف » (٦/ ٩٤) .

احتمالٌ . . صارَ احتمالُ الحرامِ بكثرتِهِ أقوىٰ في النفسِ ، كما أنَّ الخبرَ إذا طالَ إسنادُهُ . . صارَ احتمالُ الكذبِ والغلطِ فيهِ أقوىٰ ممَّا إذا قربَ إسنادُهُ .

فهٰذا حكْمُ هٰذهِ الواقعةِ ، وهيَ منَ الفتاوىٰ ، وإنَّما أوردناها ليُعرفَ كيفيةُ تخريجِ الوقائعِ الملتفَّةِ الملتبسةِ ، وأنَّها كيفَ تُردُّ إلى الأصولِ ، فإنَّ ذلكَ ممَّا يعجزُ عنهُ أكثرُ المفتينَ .

* * *

Üçüncü Bab

ARAŞTIRMAK, SORMAK, HÜCÛM VE İHMÂL

Bilmiş ol ki; sana yiyecek getiren veyâ bir şey hediye eden, satın alacağın veyâ hediye edilmesini istediğin şeyi araştırmak, incelemek ve helâl olduğunu katî olarak bilmeden almamak borç olmadığı gibi, tamâmıyla ihmâl edip hiç soruşturmadan katî helâl olduğunu bilmediğin bir şeyi hemen kabul ederek alman da doğru değildir. Soruşturmak: bâzen vâcip, bâzen haram, bâzen mendûb ve bâzen da mekruhtur. Bunları açıklamak îcâb eder.

Bu hususta sadra şifâ verecek söz, araştırma ihtimâli olan, şüpheli yerlerdir. Şüphenin kaynağı ve sebebi ya mal sahibi ile veyâ mal ile alâkalıdır:

Birinci Şüphe: (MAL SÂHİBİNDEDİR)

Senin bilmene nisbetle mal sahibinin üç hâli vardır:

1 - Hiç tanımadığın, bilmediğin bir adam olur.

2 - Şüpheli bir insan olur.

3 - Delîle dayanan bir nevi şüphe ile bilinmiş olur.

1 - Hiç bilmediğin bir kimse ise tavr u hareketinde, kalıp ve kıyâfetinde, zulüm ve fesâdına delâlet edecek bir karîne mevcût

değildir. Bâzı kimselerin süslü elbise giyip bıyıklarını kıvırmaları gibi. Salâhına da delâlet edecek bir karîne yok. Sûfiler, tüccar ve ilim erbâbının kılık ve kıyâfetleri gibi. Bir alâmet de mevcût değildir. İşte, bilmediğin bir memlekette ilk karşılaştığın bir insanın, iyiliğine veyâ kötülüğüne delâlet edecek bir alâmeti olmaz ve hâlinden de bir şey anlayamazsan, bu kimseye meçhûl adam denir. Yabancı bir memleketin çarşısında kasap veyâ ekmekçi gibi tesâdüf ettiğin ve fakat görünüşünde iyiliğine veyâ kötülüğüne delâlet edecek bir delîl bulamadığın kimse de, senin için meçhûl yâni içyüzü bilinmeyen bir insandır. Bu gibi insanlara şüpheli diyemeyiz. Çünkü şek ve şüphe, karşılıklı iki sebebi bulunan iki inançtan ibârettir. Fakîhlerin çoğu, bilinmeyen ile şüpheli olanı ayırt edemezler. Yukardaki izâhatımızdan verâın, bilinmeyenleri terk etmek olduğunu anlamıştın.

Yusuf b. Esbât: "Otuz senedir, şüphelendiğim her şeyi terk ettim." demiştir. Bir kısım cemâat, ibâdetlerin en ağırının hangisi öldüğü hakkında konuşmuşlar ve verâ olduğuna karar vermişlerdir. Basra âbidlerinden **Hasan b. Ebû Sinân** onlara: "Benim için verâdan kolay bir şey yok. Çünkü beni düşündüren her şeyi terkederim." dedi.

İşte verâın şartı budur. Burada, meçhûlün zâhirî hükmünü anlatmak üzere deriz ki:

Bilmediğin bir kimse, sana yemek verir veyâ bir hedîye takdim eder yâhut bir şey almak üzere dükkânına gidersen: "Bunu nereden aldın? Helâl mıdır, haram mıdır?" diye sorman gerekmez. Bu malın, elinde bulunması ve adamın Müslüman olması, adamdan malı almak için kâfi sebeplerdir. Ne olursa olsun, incelemek lâzım. Çünkü "İnsanlarda zulüm ve fesâd gâliptir." demek doğru değildir. Bu, hem vesvese hem de muayyen bir

Müslüman'a sû-i zandır. Sû-i zan ise günâhtır. Müslüman'a sû-i zan değil, hüsn-i zan yapılır. Bozuk hareketine bakarak, sû-i zanda bulunmak, ona karşı bir cinâyettir ve günâha girmektir.

Sahâbe-i kirâmın yolculuk ve muharebelerde köylere uğrayıp, köylünün yemeğini yemeleri, gittikleri memleketlerin çarşı ve pazarlarında alış-veriş etmeleri, bunun delîlidir. Hâlbuki onların zamanında da aynı şekilde helâl ve haram mevcût idi. Onlardan böyle bir araştırma ve soruşturma nakledilmemiştir. Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de kendisine her takdîm edilen şeyden sormamıştır. Ancak Medine'yi ilk teşrîflerinde kendisine getirilen şeyin, sadaka mı hediye mi olduğunu sormuştu ki, bunu sormakta da haklı idi. Çünkü daha yeni gelen Mekke muhâcirleri mevcut olduğundan, sadaka olarak getirilme ihtimâli de vardı ve gelen malın sadaka olarak getirildiğini zannedebilirdi. Aynı zamanda bu malı getiren zâtın, yalnız Müslüman ve malın sahibi olması, bu şüpheyi kaldıramazdı.

Bunun gibi Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), dâvetlere de icâbet eder ve verilen ziyâfetin sadaka olup olmadığını sormazdı. Çünkü âdeten, ziyâfetler sadaka olarak değil, hediye olarak verilirdi. Bunun gibi **Enes** (r.a.)'in annesi Ümmü Süleym ve yine Enes'in rivâyet ettiği gibi bir terzi, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'i davet etmiş ve Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e kabak yemeği takdim etmiştir. Ayrıca Farslı bir zât Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'i davet etti. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Âişe de beraber mi?"* diye sordu. Adam:

- "Hayır." deyince Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Ben de gelemem."* buyurduktan sonra adamın tekrâr dâveti üzerine Hz. Âişe ile dâvete icâbet ettiler. Adam kendilerine, yemek olarak ibâle (erimiş kuyruk) takdim etti. Rasûl-i

Ekrem (s.a.v.), hepsinin yemeğini yedi ve kendilerine bir şey sormadı.

Ebû Bekir ile Ömer'in (Allah kendilerinden râzı olsun), içtikleri südün nereden geldiğini sormaları, şüphelenmiş olmalarındandır. Ebû Bekir (r.a.), kölenin bir şeyi olmadığı için, bu sütü nereden bulduğuna dair şüphelendi. Ömer (r.a.) de içtiği sütün tadı, her zaman içtiği süte benzemediğinden, şüphelendi. Tabiatiyla bunlar, şüphe için birer sebeptir. Ahvâli meçhûl bir kimsenin, sormadan yemeğini yemekten, hiç kimse mesûl değildir. Hattâ evinde fevkalâde süs ve bolluk görse de "Bu adam, bu kadar malı helâlden nasıl toplayabilir? Helâl az olur." dahî diyemez. Bu şekilde sû-i zanna kapılmaktansa, belki mîrasa kondu ve belki de çalıştı kazandı deyip hüsn-i zan etmek daha doğrudur. Daha ileri gidebiliriz ki, böyle bir şey sormak, hakkı değildir. Şâyet mutlaka kaçınıyorsa, ancak nereden geldiğini iyice bildiği şeyi yesin. Bu ise daha güzeldir.

Şâyet yemek zarûreti hâsıl olursa, o zaman sormadan yesin. Zîra adama: "Bunu nereden aldın?" diye sormak, ona eziyet etmek ve şerefini lekelemek olur, izzet-i nefsini rencide eder. Bu ise şüphesiz haramdır.

Şâyet "Belki bundan incinmez." dersen, ben de: "Belki incinir." derim. Zâten sen sormakla "Belki"den kaçıyorsun. Eğer "Belki" ile iktifâ ediyorsan, daha fazla sormaya lüzûm yoktur. Çünkü "Belki helâldir." der ve yersin. Müslüman'a eziyetteki günâh, şüpheli ve hattâ haram olan şeyi yemekten daha az değildir. Ekseriyâ insanlar, bu gibi suâlden incinirler. Ev sâhibinden sormayacağı gibi, adamın anlayacağı şekilde başka birinden de sorup öğrenmesi uygun değildir. Çünkü bunda, daha çok eziyet vardır. Adamın bilemeyeceği şekilde arkasından soruşturmak, adama karşı hem bir sû-i zan, hem de gizli hâlini araştırmak olur ki, burada hem tecessüs, hem de gıybet vardır. Açık olmasa da, netîce budur. Bunların hepsi şu âyet-i kerîme ile yasaklanmıştır:

اِجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا

“Zanların çoğundan kaçının. Zîra zanların bâzısı günâhtır. Gizli hâlleri araştırmayın ve bâzınız bâzılarınızı gıybet etmesin.” (Hücürat suresi, 49/12) buyurulmuştur. Nice câhil zahidler var ki, güya helâl mi haram mı aramak bahanesiyle, gönülleri yıkacak sözler söylerler. Bununla beraber, insanlara helâl yediklerini duyurmak isterler. Bunu yaptıran şeytândır. Şâyet yalnız diyânet adına hareket etmiş olsalar kendi mîdelerine, bilmedikleri şeyi indirmekten ziyâde, Müslüman’ın kalbini kırmaktan korkmaları lâzım gelecekti. Hâlbuki ortada kaçınmayı icâb ettiren bir alâmet yokken, bilmedikleri şeyi yemekten muâheze edilmezler.

İyi bilmeli ki, verâ yolu araştırmak değil, onu almamak ve yememektir. Şâyet yemek zarûri ise araştırmadan hüsn-i zan yaparak yemektir. İşte sahâbeden bilinen de budur. Verâda ifrâta varıp sahabeyi de geçmek isteyenler, kendilerine hiç bir sûretle uyulamayacak olan sapık bid’atçilerdir. Hiç kimse, dünya malının hepsini infâk edecek olsa da, yine ashâbın ulaştığı derecenin onda birine ulaşamaz. Bizzât Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), Hz. Âişe’nin azadlı câriyesi olan Berîre’nin yemeğini yedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e “Bu koyun Berîre’ye sadaka olarak verilmişti.” denildiği zaman:

هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ

“Ona sadaka ise bize de hediyedir.”[67] buyurdu. Hattâ sadakayı

---

[67] Buhârî ile Müslim, Enes’den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

kimin verdiğini bile sormadı ve kimin verdiğini bilmediği hâlde yemekten çekinmedi.

2 - Mal sahibinin ikinci hâli, şüphe uyandıran bir sebebin delâleti ile meşkûk olmasıdır. Önce şüphenin şeklini, sonra da hükmünü anlatalım.

Şüpheye düşmenin sûreti: Adamın yaratılışından, kılık kıyâfetinden, takındığı tavırdan, söz ve işinden, servetinin haram olduğuna bir nevî delîl çekmek. Hilkatinden delîl çekmek, zulüm ve yağmacılıkla tanınmış yol kesiciler ve bedevîler kılığında olmak. Fesad zümre gibi palabıyık, saçları ikiye bölünmüş ve uzatılmış olmak gibi alâmetlerdir. Elbiseye gelince, fesâd ve zulüm erbâbının kılık ve kıyâfetinde olmak. Kaba (kaftan), kalansuve (bir nevi takye) giymek gibi. İş ve söze gelince, helâl olmayan iş ve sözlere cüret etmesini görmek gibi. İşte bu ahvâle sahip olan kimsenin, harama karşı lâubali davranmasından da şüphe edilir. Bunlar şüphe yerleridir.

Bu gibi adamlardan paralı parasız bir şey almak veyâ davetlerine gitmek isteyen bir yabancıya göre, bu adamların hâli meçhûldur. Bozuk bir insan olduğuna delâlet edecek bu delîllerden başka bir şey de yoktur. Burada iki ihtimâl vardır: Birincisi, bu malın elinde bulunması, malın sahibi olduğuna açık bir delîldir. Diğer delîller ise bunun karşısında zayıf kalır. Binâenaleyh, bu malı almak ve yemek câiz, fakat yanaşmamak verâdandır. İkincisi, bu gibi adamların ellerinde malın bulunması, o malın helâl olması için zayıf bir delîldir. Haram olmasını andıran bu zayıf delîller ile karşılaşmıştır. Bu bakımdan iki delîl muâraza etti ve adamın malı şüpheli oldu. Binâenaleyh, bunu almak câiz değildir. İşte bizim de tercih edip fetvâ verdiğimiz budur.

Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.): *"Şüpheliyi bırak. Şüphesiz olana geç."* buyurmuştur. Her ne kadar bu hadîs, istihbâba delâlet ederse de, zâhirî bir emirdir. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.): *"Günâh, kalbin çarpmasıdır."* buyurmuştur. Şüphesiz bu hâlin kalp üzerinde tesîri vardır. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in: *"Sadaka mıdır, hediye midir?"* diye sorması, Hz. Ebû Bekir ve Hz. Ömer'in sütten sormaları hep bunu teyîd eder. Çünkü bütün bunlar, şüphe mevkiindedir. Bu gibi şüpheli şeylerden kaçınmayı verâa hamletmek mümkün ise de bu ancak, hükmî kıyâs ile mümkündür. Kıyâs ise bu gibi ellerde bulunan servetin helâl olmasına şehâdet edemez. Çünkü İslâmiyet ve zülyedliğe, bu delîller muâraza etmektedir. Bunlar karşılaştırıldığı zaman, helâl ile hükmetmek, mesnetsiz olur. Zülyedlik ve istishâb ancak, alâmete dayanmayan şek ile terk edilmez. Alâmete dayanan şek ile zülyedliğin değeri kalmaz.

Meselâ, üç vasfından birini değiştirmiş bir su bulduğumuz vakit bu suyun, aradan uzun zaman geçme neticesinde bozulmak ihtimâli olduğu gibi, necâset sebebiyle de bozulma ihtimâli vardır. Fakat bir yaban keçisinin oraya idrâr ettiğini gördüğümüzde, bu sebepten bozulma ihtimâline binâen, artık istishâbı terk ederiz ve bu suyu kullanmayız, İşte bu da o hükme yakındır. Fakat bu delîller arasında da fark vardır.

Meselâ, bıyık uzatmak, kaftan giymek ve eşkıyâ kıyâfeti, her ne- kadar mal ile zulme delâlet ederse de, şerîate uymayan söz ve iş malda haksızlık ile alâkalı ise; meselâ **"**Falancadan zorla veyâ zulüm ile aldım." gibi ifâdeler duyarsa veyâ bu şekilde bir şey aldığını görürse bu da açık delîl olur. Fakat hiddetli ânında birisine sövdüğünü veyâ şehvet hissi ile bir kadına baktığını görmüşse, bunların harama delâleti zayıftır. Nice kimseler var ki, servet biriktirmede helâl ve harama son derece dikkat ederken, şehvet ve şiddet ânlarında kendisine mâlik olamaz. Bu bakımdan kusurludur diye kazancı da haramdır, denemez. İşte bu farklara dikkat etmek lâzımdır. Bunları da bir târif ile zaptetmek mümkün olmadığı için, yine kalbine danışmalıdır.

Ben derim ki: Bu halleri, bilmediği bir kimsede gördüğü zaman hüküm ayrıdır. Abdest, taharet ve Kur'ân'da verâ sahibi olduğunu bildiği bir kimsede bunları gördüğü zaman, hüküm ayrıdır. Çünkü bu vaziyette, servete nisbetle delîller muâraza ettiği için (bu husustaki kaideye binâen) düşerler ve adam, meçhûl (bilinmemiş) hükmünde olur. Çünkü delâletlerin hiç biri hususî olarak mal ile alâkalı değildir. Mal hususunda haramdan kaçınan nice insanlar var ki, diğer hususlara aldırış etmezler. Nice güzel abdest alıp, namaz kılan, oruç tutan ve Kur'ân okuyanlar var ki, önlerine geleni yemekten çekinmezler. Bu gibi ahvâlde hüküm, kalbin meyline göre verilir. Zîra bu, kul ile Allah arasında gizli bir şeydir. Allah'tan başka kimsenin bilemeyeceği gizli bir sebebe bağlanması da uzak değildir. Bu da kalp çarpmasının hükmüdür.

İnce bir noktaya daha işaret etmek isterim. O da, bütün bu delîllerin adamın servetinin çoğunun haram olmasına delâlet etmeleri lâzım olması keyfiyetidir. Meselâ asker, sultanın âmili, şarkıcı veyâ ağıtçı olmak gibi. Yoksa delîller ancak malında bir miktar haram bulunduğuna delâlet ediyorsa, soruşturmak vâcip değil belki verâdandır.

3 - Üçüncü hâli, servetinin helâl veyâ haram olmasında şüphe uyandıracak şekilde bir nevî tecrübe ile mal sahibinin içyüzünü bilmektir. Meselâ, gerçekte bunun aksine olması câiz olmakla beraber, görünüşte dindar, âdil ve sâlih bir insan olduğu bilinmesi gibi. Bu vaziyette ise artık hâlinden sormak vâcip olmadığı gibi, meçhûl adamda olduğu gibi, sormak dahî câiz değildir.

Burada evlâ olan çekinmemektir. Hâli meçhûl adamın malını almaya kalkışmaktaki şüphe, bundan daha çoktur. Çünkü o malı almak, her ne kadar haram değilse de verâdan uzaktır. Sâlih kimselerin yemeğini yemek ise peygamberler ve velîler âdetidir. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

"Yalnız müttakilerin yemeğini ye. Yemeğini yalnız müttakiler yesin."[68] buyurmuştur.

Fakat tecrübe ile adamın cündî yâni asker, şarkıcı veyâ ribâcı olduğunu bilir ve heyet, şekil ve elbise ile buna delîl aramaya da ihtiyâcı kalmazsa o zaman, şüpheli insan gibi ve belki daha evlâ olarak malından sormak vâcip olur.

İkinci Şüphe
(MALIN SEBEPLERİNDEDİR)

Şüphenin ikinci âmili mal sahibinde olmayıp, maldaki bir sebebe dayanan şüphedir. Bu da helâl ile haramın birbirine karışması ile olur. Gasb ve yağma edilmiş yiyecek maddelerinin pazara götürüp satılması gibi. Gerçi o pazarda olanların, satıcıya: "Bunu nereden aldın?" diye sormaları borç değildir. Satıcıların satmakta oldukları malın çoğunun haram olduğunu bilirlerse, helâlini seçmek için o zaman sormaları vâcip olur.

Şâyet çoğu haram olmazsa, o zaman soruşturmak verâdandır. Büyük çarşı, büyük şehir hükmündedir. Servetinin çoğu haram olmadığı zaman, soruşturmanın vâcip olmadığına delîl şudur: Ribâ, ganîmet hırsızları ve diğer gayr-ı meşrû yollardan edinilmiş servetler olduğu hâlde, sahâbe-i kirâmın, sormadan satın almalarıdır. Soruşturmak bâzı hallerde nâdiren, bâzılarından nakledilmiştir. Bunun sebebi muayyen bir şahıs hakkında şüphe etmenin muhâl olmasıdır. Bunun gibi, muhârebe meydanında öldürdükleri düşmanların bıraktıkları malları, ganîmet olarak alırlardı. Hâlbuki bu ganîmetler arasında, onların Müslümanlardan aldıkları şeylerin bulunma ihtimâli mevcut iken, bunu da araştırmazlardı. Aslında böyle bir malı, karşılıksız almak, katî olarak câiz değildir. Şafii'ye göre aynını, Hanefi'ye göre bedelini vermek süretiyle mal sahibine ödenmesi daha evlâdır.[69]

---

[68] Zekât bahsinde geçmişti. (C. 1, sf: 605). Tirmizî ve Ebû Dâvûd, Ebû Said'den.

Hz. Ömer (r.a.), Azerbaycan'daki Müslümanlara yazdığı bir mektupta: "Orada, ölü hayvanları da boğazlar ve derilerini kullanırlar. Şer'î şekilde kesilenler ile murdar olarak ölenleri ayırın." demekle, bu hususta soruşturmaya izin ve emir vermişken, bunların bedellerini soruşturmaktan bahsetmemiştir. Çünkü her ne kadar derilerin çoğu murdar idiyse de, paraların çoğu bu murdar et ve derilerden değildi. Bunun gibi İbn Mes'ûd (r.a.) da: "Siz bir memlekettesiniz ki, kasapların çoğu mecûsidir. Temiz kesilenlerle pis kesilenleri ayırmaya dikkat edin." buyurmakla, soruşturmayı ekseriyete tahsis etmiştir. Çünkü kasapların çoğu mecûsi idi. Bu bâblardan maksadın iyice açıklanması ve anlaşılması için, bâzı suretleri açıklamak ve âdeten çok vâkî olan bâzı meseleleri canlandırmak suretiyle izah etmek lâzımdır.

---

69. Müşriklerden birisi bir Müslüman'ın devesini elinden aldı. Sonra muharebe meydanında hu deve ganîmet olarak Müslümanların eline geçti. Mal sahibi devesini istedi. Resul-i Ekrem: *"Gaziler arasında ganîmet bölünmeden deveyi buldunsa al götür; deve senindir. Şâyet taksim edildi ise kıymetini verir deveni alırsın."* buyurdu. Hattâ o müşrik, deveyi bir Müslüman'a satsa veyâ hîbe etse veyâ mal mukabilinde verse, eski sahibi ya verdiği parayı veyâ değerini vermek suretiyle mâlını alabilir. Aksi takdirde öteki adam zarâr görmüş olur. Kendisi ise rızâsı hilâfına olsa da bir defâ mâl elinden çıkmıştır.

Mesele

Helâl malına haram katan kimsenin vaziyeti:

Meselâ:

a - Gasb veyâ yağma yolu ile aldığı haram malı dükkânındaki servetine katıp satan,

b - Ticaret, zirâat yâhut miras yolu ile helâl ve meşrû servete sahip olup, zâlim sultandan para alarak bu servetine katan fakih, âmil, reis veyâ kadı gibilerin malları,

c - Ribâ almak sûretiyle malına haram karıştıran bir tüccar.

Bu gibilerin servetine bakılır; eğer çoğu haram ise bu gibilerin servetinden yemek caiz olmaz. Verdiği sadaka ve hediyelerde de inceleme yapılır; helâl olandan vermiş ise kabul edilir, haramdan verdiği anlaşılırsa terk edilir. Şayet servetinin azı haram ve verdiğinin helâl veyâ haram olduğu şüpheli olursa, işte burada düşünülür. Çünkü bu, karşılıklı iki tarafın tam ortasındadır. Biz yukarıda şer'î şekilde kesilen bir hayvan, on tâne murdar hayvan arasına karıştığı zaman, hiç birinin yenilmeyeceğini söylemiştik. Çünkü muayyen sayı, muayyen olan sayılarla karışmıştır. Burada anlattığımız da -hele sultanlar gibi malı çok olmayanlarda- bir kişinin serveti sayılmış gibi olması bakımından ona benzemekte ise de, öte yandan ona aykırı düşmüştür.

Murdar olan hayvanın vücûdu bu anda katî olarak bilinir ve ondan kaçınılır. Fakat servetine karışan haram mal elinden çıkmış olup, bu anda mevcut olmamak ihtimâli de vardır. İşte bu bakımdan ayrılır. Şâyet adamın malı az olur ve haram kısmının hâlen bu servet içinde bulunduğu katî olarak bilinirse, işte o zaman ölü hayvanlara usûlüne uygun olarak kesilen bir hayvanın karışmış olması meselesi gibi olur. Şâyet adamın serveti çok olur ve karışan haramın aradan çıkmış olmak ihtimâli de mevcut olursa, bu ondan ehven olur ve bir yönden de -çarşılarda ve şehirlerde olduğu gibi- sayılamayan çok mallara karışmış gibi olur. Fakat bu, bir şahısta olduğu için çarşı ve şehir hesabından daha ağırdır. Ne olursa olsun, bu malı almak verâdan uzaklaşmaktır. Lâkin bunun adâleti nakzeden bir fısk olmasında nazar vardır. Bu, iki taraftan şüpheler karşılaştığı için, mânâ bakımından derin olduğu gibi, nakil bakımından da derin ve müşkildir.

Çünkü bu gibi şeylerden kaçınma hususunda sahâbe ve seleften rivâyet edilenleri verâa hamletmek de mümkündür. Zîra haram olduğuna dâir açık bir delîle tesadüf edilmemiştir. Bu gibi ziyâfet yemeklerinin yenmesine dâir olan rivâyetlere gelince; Meselâ Ebû Hüreyre'nin (r.a.), Muâviye'nin (r.a.) ziyâfetini kabul etmesi gibi. Muâviye'nin servetinde haram olduğunu kabul edelim, belki Ebû Hüreyre (r.a.) inceleyip yediği yemeğin bir yönden mübâh olduğu kanâatine vardıktan sonra, yemiş olabilir ki, bu da mübâh olduğuna delâlet etmez. (Ebû Hüreyre, Hz. Ali'nin ardında namaz kılar ve Muâviye'nin yemeğini yerdi. "Niçin böyle yapıyorsun?" diyenlere "Muâviye'nin yemeği daha mükemmeldir." derdi. (Aslında Muâviye de haram yemekten son derece sakınırdı.)

Bu gibi hususlarda işlerin delâleti çok zayıftır. Müteahhirîn ulemâsının mezhebi de muhteliftir. Hattâ bâzıları "Sultan bana bir şey verse, onu alırdım." dediği hâlde, çoğu haram olan bir servetten alınan kısmın helâl olduğu bilinmezse, onu almanın mübâh olmadığını söylediler. Seleften bâzılarının, sultanlardan câizeler kabul etmeleri ile de delîl çekildi. (Bu sözü söyleyen Yahya b. Maîn'dir. Bu söz yüzünden Ahmed b. Hanbel ona sırt çevirdi. Sonra da Ahmed b. Handel'den özür diledi.) Buna dâir tafsilât "Sultanların Malı" bâbında gelecektir.

Haram kısmı az olup, şu andaki servet arasında bulunma ihtimâli zayıf olduğu zaman, bu servetten yemek haram değildir. Şâyet o haram, bu anda serveti arasında mevcut olduğu bilinirse -kesin bir hayvanın on tâne murdar hayvan arasına karışması meselesinde olduğu gibi- bu hususta ne diyeceğimi bilemem. Bu, müftüyü şaşırtan karışık bir meseledir. Zîra bu, mahsûr ile gayr-ı mahsûra benzemek arasında tereddüt edilen bir haldir.

Meselâ, on tane kadın bulunan mahallede, bu kadınlar arasında birisinin süt annesi olup ve fakat bunlardan hangisinin olduğunu bilemezse, hiç birini alamaz. Fakat binlerce kadın bulunan bir şehirde bir süt annesi var diye onlardan evlenemez, denemez. Fakat bunların arasında o kadar sayılar vardır ki, bunlar hakkında bir şey diyemem. Halbûki selef ulemâsı, bundan daha açık meselelerde bile tevakkuf etmişlerdir. Nitekim **Ahmed b. Hanbel**'e: "Adamın biri avını vurdu. Fakat av başkasının yerine düştü. Şimdi bu av, avlayanın mıdır yoksa yer sahibinin midir?" diye sormuşlar. İmâm: "Bilemem." diye cevap vermiştir. Tekrâr tekrâr sordukları hâlde, her defâsında "bilemem" demiştir. "İlim Kitâbı"nda buna benzer pek çok misaller vermiştik. Müftü, bunları göz önünde bulundurarak, her sûretteki hükmü anlayabileceğinden tama'ını kesmelidir.

Basralı bir arkadaşı, **İbn Mübârek**'e:

- "Sultanlarla muâmele eden kimselerle ticârî alış-veriş yapabilir miyim?" diye sordu. İbn Mübârek:

- "Eğer, yalnız sultanlarla muâmele ediyorlarsa, onlarla alışveriş etme. Yok eğer, hem sultanlarla hem de başkaları ile muâmele ediyorlarsa, onlarla alış-veriş edebilirsin." diye cevap verdi. Bu, karışığı az olan kısmında müsâmahaya delâlet ettiği gibi, çok olan kısmında da müsâmahaya delâlet eder. Hülâsa: Bir bozuk alış-verişi var veyâ bir defâ sultanlarla alış-veriş etti diye kasap, ekmekçi ve benzeri esnaftan sahâbe-i kirâmın alış-verişi tamamen kestiklerine dâir bir rivâyet mevcut değildir. Bunun haddini tâyin etmek güçtür ve mesele haddi zâtında müşkildir.

Şâyet **Hz. Ali** (r.a.), bu hususta müsâade etti ve "Sultanın verdiğini al, o sana helâlden veriyor. Çünkü onun helâl olarak kazandığı, haram olarak aldığından çoktur." buyurdu.

İbn Mes'ûd'dan (r.a.)'a bu hususta şöyle soruldu: "Benim kötü bir komşum var, ribâ yer. Bâzen bizi dâvet eder ve bâzen de ihtiyaç dolayısıyla biz gideriz, bu nasıl olur?" İbn Mes'ûd (r.a.): "Dâvetine icâbet et, ihtiyâcını da ondan iste. Zîra kârı sana (Çünkü sen bilemezsin. Bu şekilde Selman hazretleri de fetvâ vermiştir.) günâhı kendisinedir." buyurdu.

Hz. Ali (r.a.), servetinin çoğu helâl olduğundan, İbn Mes'ûd (r.a.) ise günâhının kendisine ait olduğunu öne sürdü. Yine diğer bir rivâyette İbn Mes'ûd (r.a.)'a birisi: "Benim komşum var, ribâ yer. Dâvetine gidebilir miyim?" diye sorunca İbn Mes'ûd: "Gidersin." diye cevap vermiştir. İbn Mes'ûd'dan (r.a.) bu hususta ayrı ifadeler ile muhtelif pek çok rivâyetler gelmiştir.

"İmâm Şâfiî ve İmâm Mâlik gibi zâtlar, servetlerine haram karıştığını bildikleri hâlde, sultanların atiyye ve hediyelerini almışlardır. Bütün bunlar, bu hususların câiz olduğunu gösterir." dersen deriz ki: Hz. Ali'den (r.a.), böyle bir rivâyet varsa da verâ ve takvasından, bunun hilâfına şöhret bulan rivâyetler de vardır. O, beytülmâlden bir şey almaktan kaçınırdı ve bu yüzden yâni parasız kaldığı için kılıcını satılığa çıkarmıştır.[70] Hâlbuki tek bir gömleği var idi, yıkanması için giyecek başka bir şeyi yoktu. (Bütün bunlar, hazînelerin dolup taştığı zamanlarda idi.) Onun müsâadesinin -bu gibi yemekleri yemenin câiz olduğunda- açık olduğunu ve bu hareketinin de bir verâ olduğunu inkâr edenlerden değilim. Ancak bu anlattıkların doğru ise bilmiş ol ki, sultanların servetlerinin hükmü ayrıdır. O servetler, çokluğu bakımından sayısız olanlar meyânına girebilir ki, bu da ileride açıklanacaktır. Bizim sözümüz, diğer fertler hakkındadır ki, onların malları kolaylıkla sayılamayacak ve hesap edilemeyecek kadar çok değildir.

İbn Mes'ûd'un (r.a.) beyânatına gelince, onu ezberleme kabiliyeti zayıf olan Cevvab veyâ Havat et-Teymî rivâyet etmiştir. İbn Mes'ûd'dan (r.a.) meşhûr olarak gelen rivâyetler, şüphelerden sakınmaya delâlet etmektedir. Zîra İbn Mes'ûd: "Korkarım, umarım gibi sözleri söylemeyin. Helâl meydanda haram da meydandadır. Arada bâzı şüpheli şeyler vardır. Siz şüpheli şeylerden kaçının, şüphesiz olanları alın." demiştir. Yine İbn Mes'ûd: "Göğsünüze ızdırap veren şeylerden kaçının; Zîra günâh onlardadır." buyurmuştur.

Şayet, alınan kısmın hususî şekilde haram olduğunu bildiren bir delîl olmadığına göre, servetinin çoğu haram olan kimseden almak niçin câiz olmasın? Hâlbuki adam, bu malın sahibidir. Bu gibi adamın malını çalan kimsenin eli kesilir. Haramın çokluğu ise mübhem bir zandır, muayyen bir mala taalluk edemez. Binâenaleyh, sokak çamurlarındaki pislik ve çoğu haram olduğu zaman, sayılamayacak mala karışmış olanlardaki zann-ı galip hükmünde olsun. Aynı zamanda Rasûl-i Ekrem (s.a.v.): *"Şüphelendiğin şeyi terket, şübhelenmediğini al."* hadîsinin umûmî ile de delîl çekmek câiz olmaz. Zîra bu hadîsin bâzı yerlere mahsûs olduğunda ittifak edilmiştir ki, o da o malın kendisindeki bir alâmetten doğan bir şüphedir. Yoksa umûmî şüphe değildir. Bunun delîli de az haramın sayılamayacak çok helâl arasına karıştığı zaman, yine şüphe icab ettiği halde, o çok maldan almanın haram olmaması ile hükmetmenizdir, dersen:

---

[70] Hazinenin, altın ve gümüş ile lebâleb dolduğunu kendisine haber verdiler. O da, bütün muhatapları çağırtarak paraları dağıttı. Bu paranın beşte biri kendi hakkı iken, kırk para alıkoymadı. Hazineyi temizletip orada iki rekât namaz kıldı. Kılıcını satılığa çıkardığı zamân, tek bir gömlekten başka bir şeyi yoktu. "Bir izârım olsa, bu kılıcımı satmazdım." dedi.

Deriz ki: Mala sahip olmak, istishâb gibi zayıf bif delîldir. Bu delîlin müessir olması, kuvvetli bir muârazadan sâlim olmasına bağlıdır. Bir defâ haramın karıştığı, bu anda mevcut olduğu ve haramın helâlden daha çok olduğunu ve nihâyet ne kadar da çok olsa, yine malının hesap edilmesi mümkün olan muayyen bir şahısta olduğu tahakkuk ettikten sonra, artık zülyedliğin değeri kalmaz. Buna kıymet vermemek lâzımdır. Şâyet Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in: *"Şüpheli şeylerden sakın..."* hadîsini buna hamletmezsek, artık hamledilecek yeri kalmaz. Çünkü bir miktar haramın sayılamayacak kadar çok olan helâl mala karışmış olmasına tatbik edilemez.

Zîra bu hal, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) zamanında da mevcut iken, onu terketmemiştir. O halde bu hadîs, zâhirî mânâda olduğuna göre daha başka neye hamledilebilir? Şâyet bunu tenzîhî olarak yâni şüpheliyi terkedip şüphesize gitmek daha evlâdır, şeklinde tevîle kalkışmak ise ortada bir kıyâs olmadan bunu zâhirinden ayırmak olur (ki bu da câiz değildir.) Çünkü anlatmakta olduğumuz bu şeklin haram olması, istishâh ve alâmetlerinden farklı ve uzak değildir. Çokluğun ve hasrın, yâni bir kişide bulunmanın şüpheyi yerleştirmekte büyük tesîri vardır. Her ikisi de burada toplanmıştır. Hattâ **Ebû Hanîfe** (Allah rahmet elsin) pis kaplarla temiz kaplar birbirine karıştığı zaman, temiz olanları daha çok olduğunda, içtihâdı kabul etmektedir. İstishâb, alâmet ile içtihâdın ve çokluğun kuvvetini şart koşmuştur. "Yalnız istishâb ile yâni suda aslolan tahâret olduğu esâsına dayanarak, hiç içtihâda lüzûm göstermeden, gelişigüzel bir tânesini alarak hem abdest alır hem de içer diyenler, hâli nazar-ı itibâra alarak yalnız mâlın elinde bulunması delâletiyle satın alınmasını ve yenmesini tecvîz ederler. Şüphesiz bu, idrarda kabil-i tatbîk değildir. Yâni bu idrar mıdır su mudur?" diye şüphe edildiği zaman, o kullanılmaz. Zira burada istishâb yoktur, yâni aslı temizdir denemez. Çünkü su veyâ idrar olması bilinemiyor. Şer'î şekilde kesilene benzeyen murdar hayvan da bu hükümdedir. Zira ölü hayvanda da istishâb yoktur. Adamın elinde olması da bismil (mısmıl) olduğuna delâlet etmez. Fakat mübah malın elde bulunması, onun mübah olmasına delâlet eder.

Burada dört alâka vardır:

1 - İstishâb, bir şeyi aslında olduğu gibi kabul etmek.

2 - Karışanın az veyâ çok olması.

3 - Karışık malın bir kişide veyâ birçoklarında bulunması.

4 - Kendisiyle içtihâd yapılabilmek için, şeyin kendisinde husûsî bir alâmetin bulunması.

Şu dört alâkadan gaflet edenler, çok kere benzemeyen meseleleri birbirine benzetmeye kalkışmakla, yanılmış olurlar.

Buraya kadar anlattıklarımızdan elde edilen netîceyi şöyle hülâsa edebiliriz: Bir adamın servetine karışmış olan haram ya çok olur veyâ az olur. Bunların her birerleri ya katî olarak bilinir veyâ hususî bir alâmetten yâhut vehimden meydana gelen bir zan ile bilinir. Bunların her ikisinde de nereden geldiğini sormak vâciptir. Onlar da, zan veyâ yakîn ile servetinin çoğu haram olduğu bilinen kimsededir. Meselâ mal sahibi tanımadığı bir asker olursa, bütün servetini ganîmetten elde etmiş olma ihtimâli olduğu için, onu nereden aldığı sorulur. Şâyet malının azının (gayr-ı meşrû) olduğu katî olarak biliniyorsa, işte burası duraklama yeridir. Fakat selefin ekseriyetinin davranış ve vaziyetin zarureti, ruhsata meyyaldir. Diğer üç bölümde ise soruşturmak, hiç bir sûretle vâcip değildir.

Mesele

Sultandan atıyye aldığını veyâ başka sûretle malına haram karıştığını bildiği ve fakat o haramın şimdiye kadar elinde kalıp kalmadığını bilemediği bir kimsenin, yemeğini yemek için araştırma yapmak borç değil, ancak verâdandır. Şâyet, bu haramın kaldığını bilir ve fakat az veyâ çok olduğunu bilemezse, harâmın az olduğunu kabul eder. Azın vazıyetinin şüpheli olduğu, yukarıda geçmişti. Bu da ona yakındır.

Mesele

Mütevellînin elinde, hayrât vakıf veyâ vasiyet için iki nevî mal vardır. **Hayır** sahibinin işaret ettiği vasıflardan birini hâiz olup diğerini hâiz olmayan bir kimseye, mütevellî bu paralardan vermek istediği zaman, alacak olan kimsenin hangi paradan verdiğini sormak borcu mudur, değil midir? Şâyet aranan vasıf, mütevellînin anlayabileceği şekilde açık ve mütevellî de âdil olup, bu hususta hassas ve titiz davranan bir kimse ise sormaya hâcet yoktur. Çünkü mütevellî, müstehak olduğunu ona veriyor. Yoksa eğer, bu vasıf açık değil, mütevellî de bu gibi şeylere aldırış etmeyen bir kimse ise o zaman alacak olan kimsenin sorması lâzımdır. Çünkü burada kendisine itimâd edilecek ne mala sahip olmak, ne de istishâb vardır. Bu, aynen Mekkelilerin Medine'ye göçtükleri ve sadakaların ellerde dolaştığı bir sırada, Rasûl-i Ekrem'e verilen maddenin, sadaka mı hediye mi olduğunu Resül-i Ekrem'in sormasına benzer. Zîra adamın ona sahip olması, onu sadaka olmaktan çıkarıp hediye yapmaz. Bundan kurtuluş, ancak sormakladır. Meçhûllerden sorulmamasını söylememiz, adamın ona sahip ve Müslüman olması bakımındandır. Hattâ Müslüman olmayp, Mecûsi olmak ihtimâli olan kimseden sorup Müslüman olduğunu iyice öğrenmeden, ondan et almak câiz değildir. Zîra elde bulunması etin temizliğine ve yalnız görünüş, kişinin İslâmiyetine delîl teşkil etmez. Her ne kadar hatâya düşmek mümkün ise de, muhitin ekseriyeti Müslüman olursa, o zaman küfrünü gerektirir; kir alâmeti bulunmayandan -Müslüman olduğu zannıyla- alması caizdir. Görünüş ile elde bulunmanın, malın helâl olmasına delâlet ettiği yerlerle, delâlet etmediği yerleri karıştırmamak lâzımdır.

Mesele

Bir memlekette gasbedilmiş evlerin bulunduğunu ve fakat bunların sayılamayacak kadar çok evler arasına karıştığını bildiği zaman, oradan ev satın alması câizdir. Buna rağmen yine soruşturup araştırmak, verâdandır. Şâyet bir sokakta on evden bir tanesi vakıf veyâ haksızlıkla alınmış ise bu evin hangi ev olduğu bilinmiyorsa, oradan ev almak câiz değildir, araştırıp helâl olanı bulmak lâzımdır.

Ayrı ayrı mezheplere tahsis edilmiş kervansaraylar ve misafirhaneleri bulunan bir memlekete giden bir mezhep mensubu, soruşturup araştırmadan, herhangi birinde yatarak, oradan yiyip içmesi câiz değildir. Sorarak, kendi mezhebine âit olanı bulması lâzımdır. Zîra bu kısım, mahsûrun mahsûra karışması kabîlindendir. Bunu ayırmak lâzımdır.

Mesele

"Soruşturmak verâdandır." dediğimiz yerlerde, şâyet yemeğin veyâ malın sahibi kızacaksa, sormaz. Soruşturmanın vâcip olması malının çoğu haram olduğu zamandır. O zaman sahibinin kızıp kızmayacağını nazar-ı itibâra almadan sorar. Çünkü bu adam zâlimdir. Zâlime bu kadarla değil, daha fazlası ile de eziyet etmek lâzımdır. Zâten ekseriya bunlar, bu gibi soruşturmalardan da aldırış etmezler. Şayet vekîlinden, hizmetçisinden, talebesinden veyâ bir adamından alıyorsa, -verâ olarak- yine sorabilir. Çünkü bunlar aldırış etmezler. Aynı zamanda onlara da helâl ve haramı öğrenmeleri için sorması, yine lâzımdır. **Hz. Ebû Bekir**'in (r.a.) içtiği süt hakkında kölesinden ve Hz. Ömer'in (r.a.) içtiği sadaka sütünden sorması, bu kabîldendir. Yine Hz. Ömer'in (r.a.) Bahreyn'e vâli olarak gönderdiği Ebû Hureyre'nin (r.a.) dönüşünde, elinde bulunan fazla miktardaki mala şaşarak: "Yazık sana, bunların hepsi helâl midir?" diye sorması da bu kabîldendir. Bunun gibi **Hz. Ali** (r.a.) "Allah katında, imamın yumuşak ve mülâyim davranmasından daha sevimli yine imamın zulmedip sert davranmasından daha sevimsiz bir şey yoktur." buyurmuştur.

Mesele

Hâris-i Muhasibî şöyle anlatıyor: "Kızacağını katî olarak bildiği dost ve ahbâbından da, verâ olacak yerlerde sormaması daha doğrudur. Çünkü belki bilmediği bir hâlin açığa çıkmasına bu sûretle aralarının açılmasına sebebiyet verir. Muhâsibî'nin bu açıklaması çok yerindedir. Çünkü şüpheli yerlerde sormak verâdan ise de de asıl verâ kişinin gizli küsurunu açığa çıkarmamaktadır. Düşmanlık sebeplerini hazırlamaya yaklaşmamak daha mühimdir. Hattâ **Muhâsibî** daha da ileri giderek: "Dostundan şüphe bile ediyorsa yine sormamalı. Bana verdiği helâl kısmındandır, demelidir. Şâyet kalbi huzûr bulmuyorsa, soruşturmayıp, gizli hallerini açığa çıkarmamak için başka bir kolayını bulup tatlılıkla verdiğini almaktan kaçınmalıdır.

Çünkü âlimlerden hiç birinin bu gibi hallerde soruşturma yaptıklarını görmedim." demiştir. Onun şöhret bulan zühd ve takvası karşısında bu şekil davranması, servete az miktarda karışan haram maldaki müsâmahaya delîldir. Fakat bütün bunlar, haramın kafî olarak bilinmediği şüpheli şeylerdedir. Yoksa haramın bulunduğu kafî olarak bilinen yerlerde müsâmaha yoktur. İşte sorup öğrenmede şu inceliklere dikkat etmek lâzımdır.

Mesele

Malının bir kısmı haram olan kimseden bir şey alırken: "Bu helâl midir, haram mıdır?" diye sormakta ne fayda var? Haram malı irtikâb eden kimse yalan da konuşabilir. Söylediği söze inanacaksak, servetinin de helâl olduğunu kabul etmeliyiz. Binâenaleyh, bu gibilere sormaktan bir fayda sağlanamaz denebilir. Cevâbında deriz ki: Serveti arasında haramın da bulunduğunu bilen bu gibiler, ziyafetinde bulunmanı veyâ hediyesini kabul etmeni istiyorlarsa, sözüne güvenilmediği için, kendisine sormak bir fayda sağlamaz. Bu gibi hallerde başkasından sormak zarûreti vardır. Yine fazla sürüm heveslisi olan satıcının da: "Helâldir." sözüne emniyet edilmez. Bunun için ona değil, yine başkasına sormalıdır. Mal sahibinden, ancak haram ile itham edilmediği zaman, sorulabilir.

Nitekim Mütevellîye, malın nereye sarfedilebileceğinin sorulması ve Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in: *"Hediye midir, sadaka mıdır?"* diye sorması gibi... İşte bu soruşturmalarda sahiplerine eziyet vermez ve onu töhmet altında bırakmaz. Aynı zamanda soran adamın, bu serveti helâlden kazandığını bilmemesi, kendisini töhmet altında bırakıyorsa, doğru olarak servetini helâlden kazandığını haber vermekle de, kendisini bu töhmetten kurtarmış olur. Bunun gibi, kölesinden ve hizmetçisinden, kazanç yollarını sorabilir ve bunlardan sormak fayda temîn eder. Şâyet mal sahibi şüpheli bir kimse ise o zaman kendisinden değil, başkasından sorar ve âdil bir kimsenin -hattâ görünüşü itibâriyle yalan söylemediği anlaşılan bir fâsıkın da- sözünü kabul etmek câizdir.

Zira bu, kendisiyle Allah arasında bir keyfiyettir. Aranan, kalbin huzûrudur. Bâzı hallerde âdil kimsenin sözünden ziyâde fâsıkın sözü müessir olabilir. Çünkü her fâsıkın yalancı olması ve her âdil kişinin doğru konuşması lâzım gelmez. Zarûrî olarak şehâdet, zâhirî adâlete bağlanmıştır. Zîra herkesin içyüzünü ancak Allah bilir. Denildi ki; İmâm-ı Âzam, iftira eden kimsenin şehâdetini kabul etmediği hâlde, fâsıkın şehâdetini kabul etmiştir. Nice günâhkâr tanınmış kimseler var ki itimâda şayân haberler verir. Hattâ aklı başında bir çocuğun da haberi böyledir. Ona da inanılır ve emniyet edilir. Fakat görünüşünden bir şey anlaşılamayan bilinmedik bir adamın haber vermesi ise bilinmeyen bir kimsenin elinden alınan malın helâl olmasını câiz gördüğümüz gibidir. Zîra malın elinde bulunması onun olduğuna delîldir. Müslüman olması, doğru konuşması için kâfi bir delîldir, denebilirse de bu, üzerinde düşünülen bir noktadır. Çünkü bu gibi adam, hissiyâtına kapılabilir ve tek kişinin sözü çok zayıf kalır. Bir kaç kişi olsalar da, sözleri katî değil, ancak kuvvetli zan ifâde eder. Bu gibilerin sözlerinin kalp üzerindeki tesiri aranır. Çünkü bu gibi hâllerde asıl müftü insanın kalbidir. Kalp, lisânın ifâde edemeyeceği birçok gizli noktalar üzerinde durur. Onun için kalbine danışması şarttır. Kalbe danışmanın vâcip olmasına, Ukbe bin el-Hâris'den rivâyet edilen şu hâdise de delâlet etmektedir:

Ukbe (r.a.), Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e giderek şöyle demiştir:

- "Yâ Rasûlallah, ben evlendim. Habeşî bir câriye gelerek, ikimizi de emzirdiğini zannediyor. Kanâatimce yalan söylüyor." dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Evlendiğin kadından ayrıl."* buyurdu. Ukbe:

Ama bu kadın, siyâhî bir câriyedir. Yâni bunun sözünün ne kıymeti olur, demek istedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

فَكَيْفَ وَقَدْ زَعَمَتْ أَنَّهَا قَدْ أَرْضَعَتْكُمَا لَا خَيْرَ لَكَ فِيهَا

- *"Nasıl olur? O sizi emzirdiğini söylemektedir. Artık bu kadında senin için hayır olmaz bundan ayrıl."* buyurdu.[71] Diğer bir ifâde ile de *"Nasıl olur? Artık böyle söyledi ya. Ayrılman lâzım."* buyurmuştur. Yalan söylediği bilinmeyen ve bir maksadı olduğu anlaşılmayan yabancı bir kimsenin sözü, mutlaka kalbe tesir eder. Bunun için, onun sözü ile amel edip çekinmek kuvvetleşir. Hele tamamen inanıyorsa, o zaman kaçınmak katiyet kesbeder ve vâcip olur.

---

[71] Buhârî, Ukbe b. el-Hâris'den rivâyet etmiştir.

Mesele

"Helâl midir, haram mıdır?" diye sorup araştırmak vâcip olan yerlerde iki âdil veyâ iki fâsık kimselerin sözleri muâraza ederse, meselâ âdillerden birisi helâl olduğunu, diğeri ise haram olduğunu söyler. Yine bunun gibi fâsıklardan birisi helâl olduğunu, diğeri de haram olduğunu haber verirse, o zaman iki âdilden birisinin sözünü veyâ iki fâsıktan birisinin sözünü tercih edebilir. Bunun gibi, sayı bakımından çok olmaları veyâ bu hususta daha çok bilgiye sâhip olmaları bakımından âdil veyâ fâsıklardan bir tarafını da tercih edebilir. Bu, böyle birçok kollara ayrılır ki, hepsini açıklamaya imkân yoktur.

Mesele

Ortada yağma edilmiş veyâ kaybolmuş bir madde var. Aynı cinsten bir adamın elinde gördü. Bunu almak istiyor, fakat kaybolmuş olanın kendisi olmak ve olmamak ihtimalleri vardır. Şâyet elinde bulunan adam sâlih ve emin bir kimse ise malı satın almak câiz fakat almamak verâdandır. Şâyet bu adamın hâli bilinmiyor ve gasbedilen bu malın cinsinden piyasada daha pek çok mal varsa, yine alması câizdir. Şâyet o muhitte bulunan bu gibi malların çoğu gasbedilmiş mallarsa, o zaman vaziyet değişir. Malın elinde bulunması helâl olmasına delâlet etmekle, gasbedilen malların cinsinden olması gibi alâmetler de haram olmasına delâlet eder ve bu sûretle iki delîl muâraza ederek birbirini çürütür. Bunun için bu gibi malı almaktan kaçınmak, en mühim verâdandır. Fakat vâcip olup olmaması şüphelidir. Çünkü delîller muâraza ediyor. Bu hususta katî bir hüküm vermeye muktedir değilim. Tek çâre, adamın kalbine danışmasındadır. Gönlü ne tarafa meylederse onu tercih eder; haram olduğuna kanâat getirirse vazgeçer. Helâl olduğuna kani olursa alır. Bu gibi vakaların çoğunda iltibas vardır. Bunlar, çoklarının ayırt edemeyeceği şüpheli şeylerdir. Bu gibi şüphelerden kaçınanlar, dîn ve şereflerini korumuş olurlar. Fakat bu şüpheli şeylere dalanlar, korunun etrâfında dolaşıp kendilerini tehlikeye atmış olurlar.

Mesele

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) kendisine takdim edilen sütün, hangi koyundan ve koyunun nereden alındığını sorduktan sonra, sükût etti. Daha ilerisini karıştırmadı. “Buna göre malın aslından sormak vâcip midir? Vâcip ise bunun haddi ne kadardır? Bir, iki, üç veyâ daha yukarı gider mi, buradaki kaide nedir?” diye sorulursa:

Deriz ki: “Burada ne bir kaide ne de muayyen bir hudûd vardır. Ancak soruşturmayı iktizâ eden şüpheye bakılır. Soruşturma vâcip midir, verâ mıdır? Her iki şeklin de son haddi şüphenin sona ermesine bağlıdır. Bu da vaziyete göre değişir.” Meselâ şüphe yalnız mal sahibinin malı nereden ve ne sûretle aldığını bilmemekten doğuyorsa, onu öğrenmekle mesele halledilmiş olur. “Sütü, koyundan aldım.” dediği zaman, şüphe koyuna intikal ediyor, “Koyunu da falan yerden aldım.” deyince mesele kalmıyor. Şâyet şüphe zulümden doğuyorsa, meselâ çölde yaşayan yağmacıların: “Bu koyun da benim koyunun kuzusudur.” demesi gibi ki, bu kâfi değildir. Çünkü yağma ettiği koyun elinde kuzulayabilir. Şâyet “Babamdan kalmadır.” derse o zaman babasının malı incelenir. Eğer bütün serveti haram ise bu koyunun da haram olduğu anlaşılır. Şâyet servetinin çoğu haram ise zaman aşımı haramlığı kaldırmaz. Şâyet babasının vaziyeti meçhûl ise soru kendiliğinden düşer. Bütün bunlara riâyet edilmelidir.

Mesele

Sûfilerin yatıp kalktıkları tekkelere hizmet edenlerin ellerinde, biri bunlara diğeri de başkalarına ait olmak üzere, iki nevî vakıf bulunur. Fakat onlar her ikisini bir araya toplayıp karıştırdıktan sonra, her sınıfa oradan verirlerse bu yemeği yemek helâl midir, haram mıdır veyâ şüpheli midir, diye sordular. Ben de bu mesele yedi asıl üzerine devreder dedim:

Birinci asıl: Ekseriyetle bunlara verilen yiyecek maddeleri, muâtât (alış veriş) yolu ile temîn edilmektedir. Biz, bu gibi alış-verişin bilhassa yiyecek maddelerinde ve değeri düşük olan şeylerde sahîh olduğunu kabul etmiştik. Burada ancak bir muhâlefet şüphesi var ki, o kadar mühim değildir.

İkinci asıl: Hizmetçilerin satın aldıklarına bakılır. Şâyet haram olan mal ile alıyorlarsa, haramdır. Zimmetle alıyorlarsa, haram değildir. Ekseriyetle zimmetle aldıklarından, îtibar gâlibedir. Haram ile satın almaları uzak bir ihtimâldir.

Üçüncü asıl: Kimden satın aldıkları aranır. Malının çoğu haram olan kimseden alınmış ise yenmez, haramdır. Malının azı haram ise yukarıda anlattığımız gibi, şüphelidir. Şâyet satanın hâlini bilmiyorsa, ondan satın alması câizdir. Bu, malı helâl olan kimseden satın almak gibidir. Hâli bilinmeyen kimseden satın almanın câiz olduğu yukarıda geçmişti. Bundan, haram olması lâzım gelmez. Belki bir şüphe ihtimâli doğar ki, bir değer taşımaz.

Dördüncü asıl: Hizmetçinin malı kendisi için mi, yoksa onlar için mi satın aldığını araştırmaktır. Çünkü mütevellî ile hizmetçi nâib gibidir. Hizmetçi bu malı kendisi için de alabilir. Fakat bu, ya niyet veyâ sarih lafız ile olur. Hele muâtât yolu ile satın alıyorsa, diliyle bunu tâyin etmeye de lüzûm yoktur. Zâten kasap ve ekmekçi gibi satıcılar da müşterilerine satar, orada bulunmayanları nazar-ı îtibâra almazlar. Bu sûretle bu maddeler, alanın zimmetine geçer. Böylece haram veyâ şüphe diye ortada bir şey kalmaz. Ancak onlar, hizmetçinin malını yemiş olurlar.

Beşinci asıl: Hizmetçi onlara yemeği takdim eder. Şüphesiz bunun karşılıksız olması mümkün değil. Karşılığını da vakıf sahiplerinden alır ki, buna da muâvaza derler. Ne satmaktır, ne karzdır. Zira buna mukabil hizmetçinin para istemesine imkân yoktur. Vazıyetin aslâ buna delâleti yoktur. Bu, sevâp maksadıyla sessizce yapılan bir hediyeye benzer. Bu gibi hediyeler ise sahihtir. Sevâbı da vardır. Burada ise hizmetçi, kasaba ve ekmekçiye yaptığı borcu ödemek için, onların vakıftan ayrılan haklarını ister. Bu da şüpheli değildir. Zîra hediyede veyâ yemeği takdim etmekte karşılığını ummamakla beraber, akit ve konuşmak şart değildir. “Karşılıklı verilen hediye sahîh olmaz.” diyenin sözü bir değer taşımaz.

Altıncı asıl: Hediyenin karşılığındadır. Bu ihtilaflıdır. Bâzıları hediyenin en aşağı kıymetini, bâzıları ise tam kıymetini öder ve diğer bâzıları da hediye sahibinin râzı olacağı miktarı hattâ hediyesinin kat kat fazlasını isteyebilir. Râzı olmadığı takdirde, hediyesi kendisine iâde edilir, dediler ve en doğrusu da budur. Burada hizmetçi, sûfilerin iâşesi için vakıflardan aldığına râzı olmuştur. Sûfiler de hakları kadar yemişlerse, mesele tamamdır. Şâyet hakları daha az olup, hizmetçi de buna râzı olmuşsa yine sahihtir. Şayet hizmetçinin elinde vakfın diğer kısmı yoksa -râzı olmayacağı bilinse de- hüküm yine aynıdır. Sanki hizmetçi, karşılığın bir kısmını helâl ve bir kısmını da haram olarak kabul etmiştir. Haram olan kısmı ise sûfilerin eline geçmemiş, hizmetçinin elinde kalmıştır. Bu ise malın bedelindeki karşılık hükmündedir. Bunun ne zaman haram, ne zaman şüpheli olacağını yukarıda da anlatmıştık. Ne olsa yukarıdaki izahatımızdan, haram olmadığı anlaşılmıştır. Hediyeyi veren kimsenin harama tevessül etmiş olması ile hediye haram olmaz. (Hediye ile haram olan bir işi yaptırmak isterse, o zaman hediye rüşvet yerine geçer ve haram olur.)

Yedinci asıl: Yiyecek maddelerinin bedellerini her iki vakıftan toplanan paradan ödemektedir. Şâyet aldığı ile yedirdiği denk ise sahihtir. Şâyet aldığı para az olup alacaklılar yâni kasap ve bakkal gibiler helâl haram demeden, verilen paraya râzı olurlarsa, bu da aynı şekilde yine maddeye değil, bedelindeki karışıklığa rücû eder. Veresiye alınıp borcu haram para ile ödenen malın hükmüne tâbidir. Onu da yukarıda anlattık. Bu da katî olarak haramdan ödendiği bilindiği zamandır. Şâyet helâl ve haram olmakta şüpheli ise şüphe uzak bir ihtimâldir.

Bu izâhtan bu gibi yemeği yemenin haram olmadığı fakat şüpheli ve verâdan uzak olduğu anlaşıldı. Zîra bu asıllar çoğalıp, her asıl için helâl ve haram ihtimâli ortaya çıktığı zaman çokluğu sebebiyle, haram olma ihtimâli kuvvetleşir. Nitekim râvileri uzayıp giden bir haberde, yalan ve galet ihtimâli, râvileri az olan habere nispetle daha kuvvetli olması gibidir. İşte bu vakanın hükmü budur. Bunlar, fetvâ ile alâkalı hükümlerdir. Bunları burada zikretmemiz, karışık ve şüpheli vakaların nasıl ayırt edilebileceklerini ve böyle asıllara nasıl yönelebileceklerini bildirmek içindir. Çünkü müftülerin çoğu, bunları halletmekten âciz kalırlar.

البَابُ الرَّابِعُ
في كيفيّة خروج التّائب عن المظالم الماليّة

اعلمْ : أنَّ مَنْ تابَ وفي يدِهِ مالٌ مختلطٌ . . فعليهِ وظيفةٌ في تمييزِ الحرامِ وإخراجِهِ ، ووظيفةٌ أخرىٰ في مصرِفِ المخرجِ ، فلينظرْ فيهما .

النّظر الأوّل : في كيفيّة التّمييز والإخراج

اعلمْ : أنَّ كلَّ مَنْ تابَ وفي يدِهِ ما هوَ حرامٌ معلومُ العينِ ؛ مِنْ غصبٍ ، أوْ وديعةٍ ، أوْ غيرِهِ . . فأمرُهُ سهْلٌ ، فعليهِ تمييزُ الحرامِ .

وإنْ كانَ ملتبساً مختلطاً . . فلا يخلو : إمَّا أنْ يكونَ في مالٍ هوَ مِنْ ذواتِ الأمثالِ ؛ كالحبوبِ والنقودِ والأدهانِ ، وإمَّا أنْ يكونَ في أعيانٍ متمايزةٍ ؛ كالعبيدِ والدورِ والثيابِ .

فإنْ كانَ في المتماثلاتِ ، أوْ كانَ شائعاً في المالِ كلِّهِ ؛ كمَنِ اكتسبَ المالَ بتجارةٍ يعلمُ أنَّهُ قدْ كذبَ في بعضِها في المرابحةِ وصدقَ في بعضِها ، أوْ مَنْ غصبَ دهناً وخلطَهُ بدهنِ نفسِهِ ، أوْ فعلَ ذلكَ في الحبوبِ أوِ الدراهمِ والدنانيرِ . . فلا يخلو ذلك : إمَّا أنْ يكونَ معلومَ القدْرِ أوْ مجهولَهُ .

فإنْ كانَ معلومَ القدْرِ ؛ مثلَ أنْ يعلمَ أنَّ قدْرَ النصفِ مِنْ جملةِ مالِهِ

حرامٌ . . فعليهِ تمييزُ النصْفِ ، وإنْ أشكلَ . . فلهُ طريقانِ :

أحدُهما : الأخذُ باليقينِ .

والآخرُ : الأخذُ بغالبِ الظنِّ .

وكلاهما قدْ قالَ بهِ العلماءُ في اشتباهِ ركعاتِ الصلاةِ ، ونحنُ لا نجوِّزُ في الصلاةِ إلا الأخذَ باليقينِ ؛ لأنَّ الأصلَ اشتغالُ الذمَّةِ ، فيُستصحبُ ، ولا يُغيَّرُ إلا بعلامةٍ قويَّةٍ ، وليسَ في أعدادِ الركعاتِ علاماتٌ يُوثَقُ بها ، وأمَّا هٰهنا . . فلا يمكنُ أنْ يُقالَ : الأصلُ أنَّ ما في يدِهِ حرامٌ ، بلْ هوَ مشكلٌ ، فيجوزُ لهُ الأخذُ بغالبِ الظنِّ اجتهاداً ، ولكنِ الورعُ في الأخذِ باليقينِ .

فإنْ أرادَ الورعَ . . فطريقُ التحرِّي والاجتهادِ ألا يستبقيَ إلا القدْرَ الذي يتيقَّنُ أنَّهُ حلالٌ .

وإنْ أرادَ الأخذَ بالظنِّ . . فطريقُهُ مثلاً أنْ يكونَ في يدِهِ مالُ تجارةٍ فسدَ بعضُها ، فيتيقَّنُ أنَّ النصْفَ حلالٌ ، وأنَّ الثلثَ مثلاً حرامٌ ، ويبقىٰ سدسٌ يشكُّ فيهِ ، فيحكمُ فيهِ بغالبِ الظنِّ .

وهكذا طريقُ التحرِّي في كلِّ مالٍ ، وهوَ أنْ يقتطعَ القدْرَ المتيقَّنَ مِنَ الجانبينِ في الحلِّ والحرمةِ ، والقدرُ المتردَّدُ فيهِ إنْ غلبَ علىٰ ظنِّهِ التحريمُ . . أخرجَهُ ، وإنْ غلبَ الحلُّ . . جازَ لهُ الإمساكُ ، والورعُ إخراجُهُ ، وإنْ شكَّ فيهِ . . جازَ الإمساكُ ، والورعُ إخراجُهُ ، وهٰذا الورعُ آكدُ ؛ لأنَّهُ صارَ مشكوكاً فيهِ ، وجازَ إمساكُهُ اعتماداً علىٰ أنَّهُ في يدِهِ ،

فيكونُ الحلُّ أغلبَ عليهِ ، وقدْ صارَ ضعيفاً بعدَ يقينِ اختلاطِ الحرامِ ، ويُحتملُ أنْ يُقالَ : الأصلُ التحريمُ ، فلا يأخذُ إلا ما يغلبُ علىٰ ظنِّهِ أنَّهُ حلالٌ ، وليسَ أحدُ الجانبينِ بأولىٰ مِنَ الآخرِ ، وليسَ يتبيَّنُ لي في الحالِ ترجيحٌ ، وهوَ مِنَ المشكلاتِ .

* * *

فإنْ قيلَ : هبْ أنَّهُ أخذَ باليقينِ ، لكنْ الذي يخرجُهُ ليسَ يدري أنَّهُ عينُ الحرامِ ، فلعلَّ الحرامَ ما بقيَ في يدِهِ ، فكيفَ يُقدمُ عليهِ ؟ ولو جازَ هـٰذا . . لجازَ أنْ يُقالَ : إذا اختلطَتْ ميتةٌ بتسعِ ذكيَّاتٍ فهيَ العشرُ . فلَهُ أنْ يطرحَ واحدةً أيَّ واحدةٍ كانَتْ ويأخذَ الباقيَ ويستحلُّهُ ولكنْ يُقالُ : لعلَّ الميتةَ فيما استبقاهُ ، بلْ لوْ طرحَ التسعَ واستبقىٰ واحدةً . . لمْ تحلَّ ؛ لاحتمالِ أنَّها هيَ الحرامُ .

فنقولُ : هـٰذهِ الموازنةُ كانَتْ تصحُّ لولا أنَّ المالَ يحلُّ بإخراجِ البدلِ ؛ لتطرُّقِ المعاوضةِ إليهِ ، وأمَّا الميتةُ . . فلا تتطرَّقُ المعاوضةُ إليها .

فليُكشفِ الغطاءُ عنْ هـٰذا الإشكالِ بالفرضِ في درهمٍ معيَّنٍ اشتبَهَ بدرهمٍ آخرَ فيمَنْ لهُ درهمانِ ؛ أحدُهما حرامٌ وقدِ اشتبهَ عينُهُ ، وقدْ سئلَ أحمدُ ابنُ حنبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ عنْ مثلِ هـٰذا فقالَ : يدعُ الكلَّ حتَّىٰ يتبيَّنَ ، وكانَ قدْ رهنَ آنيةً ، قيلَ : إنَّهُ سطلٌ ، فلما قضى الدينَ . . حملَ إليهِ المرتهنُ آنيتينِ ، وقالَ : لا أدري أيتُهما آنيتُك ، فتركَهُما كلتيهِما ، فقالَ المرتهنُ : هـٰذا هوَ

الذي لكَ ، وإنَّما كنتُ أختبرُكَ ، فقضىٰ دينَهُ ولمْ يأخذِ الرهنَ[1] ، وهـٰذا ورعٌ ، ولكنَّا نقولُ : إنَّهُ غيرُ واجبٍ .

فلنفرضِ المسألةَ في درهمٍ لهُ مالكٌ معيَّنٌ حاضرٌ ، فنقولُ : إذا ردَّ أحدَ الدرهمينِ عليهِ ، ورضيَ بهِ معَ العلمِ بحقيقةِ الحالِ.. حلَّ لهُ الدرهمُ الآخرُ ؛ لأنَّهُ لا يخلو : إمَّا أنْ يكونَ المردودُ في علمِ اللهِ هوَ المأخوذَ ؛ فقدْ حصلَ المقصودُ ، وإنْ كانَ غيرَ ذلكَ.. فقدْ حصلَ لكلِّ واحدٍ درهمٌ في يدِ صاحبِهِ ، فالاحتياطُ أنْ يتبايعا باللفظِ ، فإنْ لمْ يفعلا.. وقع التقاصُّ والتبادلُ بمجرَّدِ المعاطاةِ وإنْ كانَ المغصوبُ منهُ قدْ فاتَ لهُ درهمٌ في يدِ الغاصبِ ، وعسرَ الوصولُ إلىٰ عينِهِ ، واستحقَّ ضمانَهُ ، فلمّا أخذَهُ.. وقعَ عنِ الضمانِ بمجرَّدِ القبضِ ، وهـٰذا في جانبِهِ واضحٌ ؛ فإنَّ المضمونَ لهُ يملكُ الضمانَ بمجرَّدِ القبضِ مِنْ غيرِ لفظٍ ، والإشكالُ في الجانبِ الآخرِ أنَّهُ لمْ يدخلْ في ملكِهِ ، فنقولُ : لأنَّهُ أيضاً إنْ كانَ قدْ سلَّمَ درهمَ نفسِهِ.. فقدْ فاتَ لهُ أيضاً درهمٌ هوَ في يدِ الآخرِ ، وليسَ يمكنُ الوصولُ إليهِ ، فهوَ كالغائبِ ، فيقعُ هـٰذا بدلاً عنهُ في علمِ اللهِ سبحانَهُ وتعالىٰ إنْ كانَ الأمرُ كذلكَ ، ويقعُ هـٰذا التبادلُ في علمِ اللهِ سبحانَهُ كما يقعُ التقاصُّ لوْ أتلفَ رجلانِ كلُّ واحدٍ منهما درهماً علىٰ صاحبِهِ ، بلْ في عينِ مسألتِنا لوْ ألقىٰ كلُّ

---

[1] رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٩/١٦٩) ، وهو في « الرسالة القشيرية » (ص٢١٤) ، والآنية : جمع إناء ، وقد يستعمله الفقهاء ـ كما يفيده السياق هنا ـ مفرداً ، وليس بمفرد . انظر « الإتحاف » (٦/٨٨ ، ٩٦) .

واحدٍ ما في يدِهِ في البحرِ أوْ أحرقَهُ . . كانَ قدْ أتلفَهُ ، ولمْ يكنْ عليهِ عهدةٌ للآخرِ بطريقِ التقاصِّ ، فكذا إذا لمْ يتلفْ ؛ فإنَّ القولَ بهـٰذا أولىٰ مِنَ المصيرِ إلىٰ أنَّ مَنْ يأخذُ درهماً حراماً ويطرحُهُ في ألفِ ألفِ درهمٍ لرجلٍ آخرَ . . يصيرُ كلُّ المالِ محجوراً عليهِ لا يجوزُ التصرُّفُ فيهِ ، وهـٰذا المذهبُ يؤدي إليهِ .

فانظرْ ما في هـٰذا مِنَ البعدِ ، وليسَ فيما ذكرناهُ إلا تركُ اللفظِ ، والمعاطاةُ بيعٌ ، ومَنْ لا يجعلُها بيعاً يتطرَّقُ إليهِ احتمالُهُ ؛ إذِ الفعلُ تضعفُ دلالتُهُ حيثُ يمكنُ التلفُّظُ ، وهـٰهنا هـٰذا التسليمُ والتسلُّمُ للمبادلةِ قطعاً ، والبيعُ غيرُ ممكنٍ ؛ لأنَّ المبيعَ غيرُ مشارٍ إليهِ ولا معلومٌ في عينِهِ ، وقدْ يكونُ ممَّا لا يقبلُ البيعَ ؛ كما لوْ خُلطَ رطلُ دقيقٍ بألفِ رطلِ دقيقٍ لغيرِهِ ، وكذا الدِّبْسُ والرُّطَبُ وكلُّ ما لا يباعُ البعضُ منهُ بالبعضِ .

* * *

فإنْ قيلَ : فأنتمْ جوزْتُمْ تسليمَ قدْرِ حقِّهِ في مثلِ هـٰذهِ الصورةِ وجعلتموهُ بيعاً .

قلنا : لا نجعلُهُ بيعاً ، بلْ نقولُ : هوَ بدلٌ عمَّا فاتَ في يدِهِ ، فيملكُهُ كما يملكُ المتلفُ عليهِ مِنَ الرطبِ إذا أخذَ مثلَهُ ، هـٰذا إذا ساعدهُ صاحبُ المالِ ، فإنْ لمْ يساعدْهُ وأصرَّ وقالَ : (لا آخذُ درهماً أصلاً إلا عينَ ملكي ، فإنِ استبهَمَ . . فأتركُهُ ولا أهبُهُ ، وأعطِّلُ عليكَ مالكَ) .

فأقولُ : على القاضي أنْ ينوبَ عنهُ في القبضِ حتَّىٰ يطيبَ للرجلِ مالُهُ ؛ فإنَّ هـٰذا محضُ التعنُّتِ والتضييقِ ، والشرعُ لمْ يردْ بهِ ، فإنْ عجزَ عنِ القاضي ولمْ يجدْهُ . . فليحكِّمْ رجلاً متديِّناً ليقبضَ عنهُ ، فإنْ عجزَ . . فيتولَّىٰ هوَ بنفسِهِ ، ويفرزُهُ علىٰ نيَّةِ الصرفِ إليهِ درهماً ، ويتعيَّنُ ذلكَ لهُ ، ويطيبُ لهُ الباقي ، وهـٰذا في خلْطِ المائعاتِ أظهرُ وألزمُ .

* * *

فإنْ قيلَ : فينبغي أنْ يحلَّ لهُ الأخذُ ، وينتقلَ الحقُّ إلىٰ ذمَّتِهِ ، فأيُّ حاجةٍ إلى الإخراجِ أولاً ثمَّ التصرُّفِ في الباقي ؟

قلنا : قالَ قائلونَ : يحلُّ لهُ أنْ يأخذَ ما دامَ يبقىٰ قدْرُ الحرامِ ، ولا يجوزُ لهُ أنْ يأخذَ الكلَّ ، فأحدٌ لم يجوِّزْ ذلكَ .

وقالَ آخرونَ : ليسَ لهُ أنْ يأخذَ ما لمْ يُخرجْ قدْرَ الحرامِ بالتوبةِ وقصدِ الإبدالِ .

وقالَ آخرونَ : يجوزُ للآخذِ في التصرُّفِ أنْ يأخذَ منهُ ، وأمَّا هوَ . . فلا يعطي ، فإنْ أعطىٰ . . عصىٰ هوَ دونَ الآخذِ منه وما جوَّزَ أحدٌ أخذَ الكلِّ ؛ وذلكَ لأنَّ المالكَ لوْ ظهرَ . . فلهُ أنْ يطلبَ حقَّهُ مِنْ هـٰذهِ الجملةِ ، إذْ يقولُ : لعلَّ المصروفَ إليَّ يقعُ عينَ حقِّي ، وبالتعيينِ وإخراجِ حقِّ الغيرِ وتمييزِهِ يندفعُ هـٰذا الاحتمالُ ، فهـٰذا المالُ يترجَّحُ بهـٰذا الاحتمالِ علىٰ

غيرِهِ ، وما هوَ أقربُ إلى الحقِّ مقدَّمٌ ؛ كما يُقدَّمُ المثلُ على القيمةِ ، والعينُ على المثلِ ، فكذلكَ ما يُحتملُ فيهِ رجوعُ المثلِ مقدَّمٌ علىٰ ما يُحتملُ فيهِ رجوعُ القيمةِ ، وما يُحتملُ فيهِ رجوعُ العينِ مقدَّمٌ علىٰ ما يُحتملُ فيهِ رجوعُ المثلِ ، ولوْ جازَ لهـٰذا أنْ يقولَ ذلكَ . . لجازَ لصاحبِ الدرهمِ الآخرِ أنْ يأخذَ الدرهمينِ ويتصرَّفَ فيهما ، ويقولَ : (عليَّ قضاءُ حقِّكَ مِنْ موضعٍ آخرَ) إذِ الاختلاطُ مِنَ الجانبينِ ، وليسَ ملكُ أحدِهما بأَنْ يقدَّرَ فائتاً بأولىٰ مِنَ الآخرِ (١) ، إلا أنْ ينظرَ إلى الأقلِّ ، فيقدِّرَ أنَّهُ فائتٌ ، أوْ ينظرَ إلى الذي خلطَ ، فيُجعلَ بفعلِهِ متلفاً لحقِّ غيرِهِ ، وكلاهما بعيدانِ جداً . وهـٰذا واضحٌ في ذواتِ الأمثالِ ؛ فإنَّها تقعُ عوضاً في الإتلافاتِ مِنْ غيرِ عقدٍ .

أمَّا إذا اشتبهَ دارٌ بدورٍ ، أوْ عبدٌ بعبيدٍ . . فلا سبيلَ إلا المصالحةُ والتراضي ، فإنْ أبىٰ أنْ يأخذَ إلا عينَ حقِّهِ ولمْ يقدرْ عليهِ ، وأرادَ الآخرُ أنْ يعوِّقَ عليهِ جميعَ ملكِهِ ؛ فإنْ كانَتْ متماثلةَ القيمِ . . فالطريقُ أنْ يبيعَ القاضي جميعَ الدورِ ويوزِّعَ الثمنَ عليهِمْ بقدْرِ النسبةِ ، وإنْ كانَتْ متفاوتةً . . أخذَ مِنْ طالبِ البيعِ قيمةَ أنفسِ الدورِ وصرفَ إلى الممتنعِ منهُ مقدارَ قيمةِ الأقلِّ ، وتوقَّفَ في قدْرِ التفاوتِ إلى البيانِ أوِ الاصطلاحِ ؛ لأنَّهُ مشكلٌ ، وإنْ لمْ يوجدِ القاضي . . فللذي يريدُ الخلاصَ وفي يدِهِ الكلُّ أنْ يتولَّىٰ ذلكَ بنفسِهِ ،

---

(١) في النسخ : (وليس ملك أحدنا . . .) ، والمثبت من (ق) ، ولعله الأَولى ، والله أعلم .

هـٰذهِ هيَ المصلحةُ ، وما عداها مِنَ الاحتمالاتِ ضعيفةٌ لا نختارُها ، وفيما سبقَ تنبيهٌ على العلَّةِ .

* * *

وهـٰذا في الخلْطِ ظاهرٌ⁽¹⁾ ، وفي النقودِ دونَهُ ، وفي العروضِ أغمضُ ؛ إذْ لا يقعُ البعضُ بدلاً عنِ البعضِ ، فلذلكَ احتيجَ إلى البيعِ .

ولنرسمْ مسائلَ بها يتمُّ بيانُ هـٰذا الأصلِ :

مَسْأَلَةٌ

[فيمَنْ ورثَ مغصوباً وردَّ عليهِ الغاصبُ نصيباً معيناً ، فهوَ لجميعِ الورثةِ]

إذا ورثَ معَ جماعةٍ وكانَ السلطانُ قدْ غصبَ ضيعةً لمورِّثِهِمْ ، فردَّ عليهِ قطعةً معيَّنةً . . فهيَ لجميعِ الورثةِ .

ولوْ ردَّ منَ الضيعةِ نصفاً وهوَ قدْرُ حقِّهِ . . ساهمَهُ الورثةُ⁽²⁾ ؛ فإنَّ النصفَ الذي لهُ لا يتميَّزُ حتَّىٰ يُقالَ : هوَ المردودُ ، والباقي هوَ المغصوبُ ، ولا يصيرُ مميزاً بنيَّةِ السلطانِ وقصدِهِ لحصرِ الغصبِ في نصيبِ الآخرينَ .

---

(1) في (أ ، ب) : (الحنطة) بدل (الخلط) .

(2) أي : شاركوه في سُهْمَته ، وهي النصيب . « إتحاف » (٦/ ٩٨) .

مَسْأَلَةٌ

[في الزيادةِ على المغصوبِ وحكمِها]

إذا وقعَ في يدِهِ مالٌ أخذَهُ مِنْ سلطانٍ ظالمٍ ثمَّ تابَ ، والمالُ عقارٌ ، وكانَ قدْ حصلَ منهُ ارتفاعٌ ، فينبغي أنْ يحسبَ أجرةَ مثلِهِ لطولِ تلكَ المدَّةِ ، وكذلكَ كلُّ مغصوبٍ لهُ منفعةٌ أوْ حصلَ منهُ زيادةٌ ، فلا تصحُّ توبتُهُ ما لمْ يخرجْ أجرةَ المغصوبِ وكذلكَ كلُّ زيادةٍ حصلتْ منهُ .

وتقديرُ أجرةِ العبيدِ والثيابِ والأواني وأمثالِ ذلكَ ممَّا لا يُعتادُ إجارتُها ممَّا يعسرُ ولا يُدركُ ذلكَ إلا باجتهادٍ وتخمينٍ ، وهٰكذا كلُّ التقويماتِ تقعُ بالاجتهادِ ، وطريقُ الورعِ الأخذُ بالأقصىٰ ، وما ربحَهُ على المالِ المغصوبِ في عقودٍ عقدَها على الذمَّةِ وقضى الثمنَ منهُ . . فهوَ ملكٌ لهُ ، ولكنْ فيهِ شبهةٌ ؛ إذْ كانَ ثمنُهُ حراماً كما سبقَ حكمُهُ ، وإنْ كانَ بأعيانِ تلكَ الأموالِ . . فالعقودُ كانَتْ فاسدةً ، وقدْ قيلَ : تنفذُ بإجازةِ المغصوبِ منهُ للمصلحةِ ، فيكونُ المغصوبُ منهُ أولىٰ بهِ .

والقياسُ أنَّ تلكَ العقودَ تُفسخُ ويُستردُّ الثمنُ ، وتُردُّ الأعواضُ ، وإنْ عجزَ عنهُ لكثرتِهِ . . فهيَ أموالٌ حرامٌ حصلَتْ في يدِهِ ، فللمغصوبِ منهُ قدْرُ رأسِ مالِهِ ، والفضلُ حرامٌ يجبُ إخراجُهُ ليتصدَّقَ بهِ ، فلا يحلُّ للغاصبِ ولا للمغصوبِ منهُ ، بلْ حكمُهُ حكمُ كلِّ حرامٍ يقعُ في يدِهِ .

مَسْأَلَةٌ

[في جهالةِ حالِ المورِّثِ وجهةِ اكتسابِهِ]

مَنْ ورثَ مالاً ولمْ يدْرِ أنَّ مورِّثَهُ مِنْ أينَ اكتسبَهُ ؛ أمِنْ حلالٍ أمْ مِنْ حرامٍ ، ولمْ يكنْ ثَمَّ علامةٌ . . فهوَ حلالٌ باتفاقِ العلماءِ .

وإنْ علمَ أنَّ فيهِ حراماً وشكَّ في قدْرِهِ . . أخرجَ مقدارَ الحرامِ بالتحرِّي .

وإنْ لمْ يعلمْ ذلكَ ولكنْ علمَ أنَّ مورِّثَهُ كانَ يتولَّىٰ أعمالاً للسلاطينِ ، واحتملَ أنَّهُ لمْ يكنْ يأخذُ في عملِهِ شيئاً ، أوْ كانَ قدْ أخذَ ولمْ يبقَ في يدِهِ منهُ شيءٌ لطولِ المدَّةِ . . فهٰذهِ شبهةٌ يحسنُ التورُّعُ عنها ولا يجبُ .

وإنْ علمَ أنَّ بعضَ مالِهِ كانَ مِنَ الظلمِ . . فيلزمُهُ إخراجُ ذلكَ القدْرِ بالاجتهادِ .

وقالَ بعضُ العلماءِ : لا يلزمُهُ ، بلِ الإثمُ على المورِّثِ(١) .

واستدلَّ بما رُوِيَ أنَّ رجلاً ممَّنْ وليَ عملَ السلطانِ ماتَ ، فقالَ صحابيٌّ : (الآنَ طابَ مالُهُ) أيْ : لوارثِهِ ، وهٰذا ضعيفٌ ؛ لأنَّهُ لمْ يذكرِ اسمَ الصحابيِّ ، ولعلَّهُ صدرَ مِنْ متساهلٍ ، فقدْ كانَ في الصحابةِ مَنْ

---

(١) حكاه المحاسبي عن طائفة من المتفقهة في « المكاسب » (ص٨٤) .

يتساهلُ ، ولكنْ لا يُذكرُ بهِ لحرمةِ الصحبةِ ، وكيفَ يكونُ موتُ الرجلِ مبيحاً للحرامِ المتيقَّنِ المختلطِ ؟ ومِنْ أينَ يؤخذُ هـٰذا ؟

نعمْ ، إذا لمْ يتيقَّنْ . . يجوزُ أنْ يُقالَ : هوَ غيرُ مأخوذٍ بما لا يدري ، فيطيبُ لوارثٍ لا يدري أنَّ فيهِ حراماً يقيناً(١) .

* * *

---

(١) نظَّر الحافظ الزبيدي في هـٰذه المسألة في أمور : منها تضعيفُ الخبر لجهالة الصحابي مع اتفاقهم أن جهالة الصحابي لا تضر ، ونعتُ بعض الصحابة بالتساهل مع العلم أن هـٰذا إنما يكون اجتهاداً وليس تساهلاً ، هـٰذا إن صح الخبر فيه ، ولم يتعرض لتخريجه ، وتركُ الكشفِ عمن أدرج هـٰذه الزيادة ؛ فإن كان ثقة . . . قبلت منه ، وإلا . . فلا ، ثم ارتضىٰ أخيراً ما أوَّله المصنف من عدم التيقُّن ؛ حيث قال : (وهو أولىٰ من المصير إلىٰ نسبة بعض الصحابة إلى التساهل) . « إتحاف » (٦/ ٩٩) .

النّظر الثّاني : في المصرف

فإذا أخرجَ الحرامَ . . فلهُ ثلاثةُ أحوالٍ :

إمَّا أنْ يكونَ لهُ مالكٌ معيَّنٌ : فيجبُ الصرفُ إليهِ ، أوْ إلىٰ وارثِهِ ، وإنْ كانَ غائباً . . فينتظرُ حضورُهُ أوِ الإيصالُ إليهِ ، وإنْ كانَتْ لهُ زيادةٌ ومنفعةٌ . . فلتُجمعْ فوائدُهُ إلىٰ وقتِ حضورِهِ .

وإمَّا أنْ يكونَ لمالكٍ غيرِ معيَّنٍ ، وقعَ اليأسُ منَ الوقوفِ علىٰ عينِهِ ، ولا يدري أنَّهُ ماتَ عنْ وارثٍ أمْ لا : فهـٰذا لا يمكنُ الردُّ فيهِ للمالكِ ، ويوقفُ حتَّىٰ يتضحَ الأمرُ فيهِ ، وربَّما لا يمكنُ الردُّ لكثرةِ المُلاَّكِ ؛ كغلولِ الغنيمةِ ؛ فإنَّها بعدَ تفرُّقِ الغزاةِ كيفَ يقدرُ علىٰ جمعِهِمْ ؟ وإنْ قدرَ . . فكيفَ يُفرِّقُ دينارٌ واحدٌ مثلاً علىٰ ألفٍ وألفينِ ؟ فهـٰذا ينبغي أنْ يتصدَّقَ بهِ .

وإمَّا أنْ يكونَ مِنْ مالِ الفيءِ والأموالِ المرصدةِ لمصالحِ المسلمينَ كافَّةً : فيصرفُ ذلكَ إلى القناطرِ ، والمساجدِ ، والرباطاتِ ، ومصانعِ طريقِ مكَّةَ⁽¹⁾ ، وأمثالِ هـٰذهِ الأمورِ التي يشتركُ في الانتفاعِ بها كلُّ مَنْ يمرُّ بها منَ المسلمينَ ؛ ليكونَ عامّاً للمسلمينَ .

وحكمُ القسمِ الأوَّلِ لا شبهةَ فيهِ ، أمَّا التصدُّقُ وبناءُ القناطرِ . . فينبغي أنْ

---

(١) أي : مخازن المياه . « إتحاف » (٦/ ١٠٠) .

يتولاَّهُ القاضي ، فيسلِّمُ إليهِ المالَ إنْ وجدَ قاضياً متديِّناً ، وإنْ كانَ القاضي مستحلاً . . فهوَ بالتسليمِ إليهِ ضامنٌ لوِ ابتدأَ بهِ فيما لا يضمنُهُ ، فكيفَ يسقطُ عنهُ بهِ ضمانٌ قدِ استقرَّ عليهِ ؟ بلْ يحكِّمُ مِنْ أهلِ البلدِ عالماً متديِّناً ؛ فإنَّ التحكيمَ أولىٰ مِنَ الانفرادِ .

فإنْ عجزَ عنْ ذلكَ . . فليتولَّ ذلكَ بنفسِهِ ؛ فإنَّ المقصودَ الصرفُ ، وأمَّا عينُ الصارفِ فإنَّما نطلبُهُ لمصارفاتٍ دقيقةٍ في المصالحِ ، فلا يُتركُ أصلُ الصرْفِ بسببِ العجزِ عنْ صارفٍ هوَ أولىٰ عندَ القدرةِ عليهِ .

* * *

فإنْ قيلَ : ما دليلُ جوازِ التصدُّقِ بما هوَ حرامٌ ؟ وكيفَ يتصدَّقُ بما لا يملكُ وقدْ ذهبَ جماعةٌ إلىٰ أنَّ ذلكَ غيرُ جائزٍ ؛ لأنَّهُ حرامٌ ؟ وحُكِيَ عنِ الفضيلِ أنَّهُ وقعَ في يدِهِ درهمانِ ، فلمَّا علمَ أنَّهُما مِن غيرِ وجهِهِ . . رماهُما بينَ الحجارةِ وقالَ : (لا أتصدَّقُ إلا بالطيِّبِ ، ولا أرضىٰ لغيري ما لا أرضاهُ لنفسي) ؟⁽¹⁾.

فنقولُ : نعمْ ، ذلكَ لهُ وجهٌ واحتمالٌ ، ولكنَّا اخترنا خلافَهُ للخبرِ والأثرِ والقياسِ .

أمَّا الخبرُ : فأمْرُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالتصدُّقِ بالشاةِ المصليَّةِ

---

(١) وأصله قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ﴾ ، ويدل له أيضاً حديث عائشة المتقدم في كراهة أكل الضب . « إتحاف » (٦ / ١٠٠) .

التي قُدِّمتْ إليهِ فكلمتْهُ بأنَّها حرامٌ ، إذْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أطعموها الأسارىٰ »(١) .

ولمَّا نزلَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾ . . كذبَهُ المشركونَ وقالوا للصحابةِ : ألا ترونَ ما يقولُ صاحبُكُمْ ؟ يزعمُ أنَّ الرومَ ستغلبُ ، فخاطرَهُمْ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ بإذنِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ(٢) ، فلمَّا حقَّقَ اللهُ صدقَهُ . . جاءَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ بما قمرَهُمْ به فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: « هـٰذا سحتٌ ، فتصدَّقْ بهِ » ، وفرحَ المؤمنونَ بنصرِ اللهِ ، وكانَ قدْ نزلَ تحريمُ القمارِ بعدَ إذنِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لهُ في المخاطرةِ معَ الكفَّارِ(٣) .

وأمَّا الأثرُ : فإنَّ ابنَ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ اشترىٰ جاريةً ولمْ يظفرْ بمالكِها لينقدَهُ الثمنَ ، فطلبَهُ كثيراً فلمْ يجدْهُ ، فتصدَّقَ بالثمنِ ، وقالَ : اللهمَّ ؛ هـٰذا عنهُ إنْ رضيَ ، وإلا . . فالأجرُ لي(٤) .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٢٩٣) ، وأبو داوود (٣٣٣٢) .

(٢) **خاطرهم** : راهنهم علىٰ مال .

(٣) أصل الخبر عند الترمذي (٣١٩٤) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٢/ ٣٣٣) ، ولفظ المرفوع عزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٦/ ٤٧٩) إلىٰ أبي يعلىٰ وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر .

(٤) علَّقه البخاري في « صحيحه » قبل الحديث (٥٠٩٢) (باب حكم المفقود في أهله وماله) ، ورواه الطبراني في « الكبير » (٩/ ٣٤٦) ، وانظر « تغليق التعليق » (٤/ ٤٦٩) .

وسُئِلَ الحسنُ رضيَ اللهُ عنهُ عنْ توبةِ الغالِّ بعدَ تفرُّقِ الجيشِ قالَ : يتصدَّقُ بهِ(١) .

ورُوِيَ أنَّ رجلاً سوَّلَتْ لهُ نفسُهُ فغلَّ مئةَ دينارٍ مِنَ الغنيمةِ ، ثمَّ أتىٰ أميرَهُ ليردَّها عليهِ ، فأبىٰ أنْ يقبضَها ، وقالَ لهُ : تفرَّقَ الناسُ ، فأتىٰ معاويةَ ، فأبىٰ أنْ يقبضَ ، فأتىٰ بعضَ النسَّاكِ ، فقالَ : ادفعْ خُمُسَها إلىٰ معاويةَ ، وتصدَّقْ بما بقيَ ، فبلغَ معاويةَ قولُهُ ، فتلهَّفَ إذْ لمْ يخطرْ لهُ ذلكَ(٢) .

وقدْ ذهبَ أحمدُ ابنُ حنبلٍ والحارثُ المحاسبيُّ وجماعةٌ مِنَ الورعينَ إلىٰ ذلكَ(٣) .

وأمَّا القياسُ : فهوَ أنْ يقالَ : إنَّ هـٰذا المالَ مردَّدٌ بينَ أنْ يضيعَ وبينَ أنْ يُصرفَ إلىٰ خيرٍ ، إذ قدْ وقعَ اليأسُ عنْ مالكِهِ ، وبالضرورةِ يعلمُ أنَّ صَرْفَهُ إلىٰ خيرٍ أولىٰ مِنْ إلقائِهِ في البحرِ ؛ فإنَّا إنْ رميناهُ في البحرِ . . فقدْ فوتناهُ علىٰ أنفسِنا وعلى المالكِ ، ولمْ تحصلْ منهُ فائدةٌ ، وإذا رميناهُ في يدِ فقيرٍ يدعو لمالكِهِ . . حصلَ للمالكِ بركةُ دعائِهِ ، وحصلَ للفقيرِ سدُّ حاجتِهِ ، وحصولُ الأجرِ للمالكِ بغيرِ اختيارِهِ في التصدُّقِ لا ينبغي أنْ ينكرَ ؛ فإنَّ في

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٤٢٢٤) .

(٢) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٩/١٣٨) .

(٣) كذا في « الورع » (ص١٠٣)، وممن أفتىٰ بذلك من الورعين الزهري وعطاء بن أبي رباح ومجاهد ، فقد روى ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٣٥٩٢ ، ٢٣٥٩٣ ، ٢٣٥٩٤) عنهم ذلك ، منها : قال رجل لعطاء بن أبي رباح : رجل أصاب مالاً من حرام ؟ قال : ليردَّه إلىٰ أهله ، فإن لم يعرف أهله . . فليتصدق به ، ولا أدري ينجيه ذلك من إثمه ؟!

الخبرِ الصحيحِ : « إنَّ للزارعِ والغارسِ أجراً في كلِّ ما يصيبُهُ الناسُ والطيورُ مِنْ ثمارِهِ وزرعِهِ »[1] ، وذلكَ بغيرِ اختيارِهِ .

وأمَّا قولُ القائلِ : (لا نتصدَّقُ إلا بالطيِّبِ) . . فذلكَ إذا طلبْنا الأجرَ لأنفسِنا ، ونحنُ الآنَ نطلبُ الخلاصَ مِنَ المظلمةِ لا الأجرَ ، وتردَّدْنا بينَ التضييعِ وبينَ التصدُّقِ ، ورجَّحْنا جانبَ التصدُّقِ علىٰ جانبِ التضييعِ .

وقولُ القائلِ : (لا نرضىٰ لغيرِنا ما لا نرضاهُ لأنفسنا) . . فهوَ كذلكَ ، ولكنَّهُ علينا حرامٌ لاستغنائِنا عنهُ ، وللفقيرِ حلالٌ ؛ إذْ أحلَّهُ دليلُ الشرعِ ، وإذا اقتضتِ المصلحةُ التحليلَ . . وجبَ التحليلُ ، وإذا حلَّ . . فقدْ رضينا لهُ الحلالَ .

ونقولُ : إنَّ لهُ أنْ يتصدَّقَ علىٰ نفسِهِ وعيالِهِ إذا كانَ فقيراً .

أمَّا عيالُهُ وأهلُهُ . . فلا يخفىٰ ؛ لأنَّ الفقرَ لا ينتفي عنهُمْ بكونِهِمْ مِنْ عيالِهِ وأهلِهِ ، بلْ هُمْ أولىٰ مَنْ يتصدَّقُ عليهِمْ . وأمَّا هوَ . . فلهُ أنْ يأخذَ منهُ قدْرَ حاجتِهِ ؛ لأنَّهُ أيضاً فقيرٌ ، ولوْ تصدَّقَ بهِ علىٰ فقيرٍ . . لجازَ ، فكذا إذا كانَ هوَ الفقيرَ .

* * *

---

[1] رواه البخاري (٢٣٢٠) ، ومسلم (١٥٥٢) بنحوه ، وفي بعض رواياته : « وما يرزؤه أحد إلا كان له صدقة » ، وقد لاحظ هـٰذا المعنى الإمام البيهقي ؛ وبيَّن ضعف أخبار إحراق الغلول من الغنيمة في « السنن الكبرىٰ » (٩/١٠٢) .

ولنرسمْ في بيانِ هـٰذا الأصلِ أيضاً مسائلَ :

مَسْأَلَةٌ

[فيما إذا وقعَ في يدِهِ مالٌ منْ سلطانٍ]

إذا وقعَ في يدِهِ مالٌ مِنْ يدِ سلطانٍ . . قالَ قومٌ : يردُّ إلى السلطانِ ؛ فهوَ أعلمُ بما تولاَّهُ ، فيقلِّدُهُ ما تقلَّدَهُ ، وهوَ خيرٌ منْ أنْ يتصدَّقَ بهِ ، واختارَ المحاسبيُّ ذلكَ ، وقالَ : كيفَ يتصدَّقُ بهِ ولعلَّ لهُ مالكاً معيَّناً ؟ ولوْ جازَ ذلكَ . . لجازَ أنْ يسرقَ مِنَ السلطانِ ويتصدَّقَ بهِ .

وقالَ قومٌ : يتصدَّقُ بهِ إذا علمَ أنَّ السلطانَ لا يردُّهُ إلى المالكِ ؛ لأنَّ ذلكَ إعانةٌ للظالمِ ، وتكثيرٌ لأسبابِ ظلمِهِ ، فالردُّ إليهِ تضييعٌ لحقِّ المالكِ .

والمختارُ : أنَّهُ إذا علمَ مِنْ عادةِ السلطانِ أنَّهُ لا يردُّهُ إلىٰ مالكِهِ . . فليتصدقْ بهِ عنِ المالكِ ، فهوَ خيرٌ للمالكِ ـ إنْ كانَ لهُ مالكٌ معيَّنٌ ـ مِنْ أنْ يُردَّ على السلطانِ ؛ لأنَّهُ ربَّما لا يكونُ لهُ مالكٌ معيَّنٌ ، ويكونُ حقَّ المسلمينَ ، وردُّهُ على السلطانِ تضييعٌ ، وإنْ كانَ لهُ مالكٌ معيَّنٌ . . فالردُّ على السلطانِ تضييعٌ ، وإعانةٌ للسلطانِ الظالمِ ، وتفويتٌ لبركةِ دعاءِ الفقيرِ على المالكِ ، وهـٰذا ظاهرٌ .

فإذا وقعَ في يدِهِ مِنْ ميراثٍ ، ولمْ يتعدَّ هوَ بالأخذِ مِنَ السلطانِ . . فإنَّهُ شبيهٌ باللقطةِ التي أيسَ عنْ معرفةِ صاحبِها ؛ إذْ لمْ يكنْ لهُ أنْ يتصرَّفَ فيها

بالتصدُّقِ عنِ المالكِ ، ولكنْ لهُ أنْ يتملَّكَها ثَمَّ وإنْ كانَ غنياً ؛ مِنْ حيثُ إنَّهُ اكتسبَها بجهةٍ مباحةٍ وهوَ الالتقاطُ ، وهاهنا لمْ يحصلِ المالُ بجهةٍ مباحةٍ ، فيؤثِّرُ في منعهِ مِنَ التملُّكِ ، ولا يؤثِّرُ في المنعِ مِنَ التصدُّقِ .

مَسْأَلَةٌ

[في تعيينِ قدرِ الحاجةِ إنْ أبحنا لهُ الأخذَ]

إذا حصلَ في يدِهِ مالٌ لا مالكَ لهُ ، وجوزنا لهُ أنْ يأخذَ قَدْرَ حاجتِهِ لفقرِهِ . . ففي قدْرِ حاجتِهِ نظرٌ ذكرناهُ في كتابِ أسرارِ الزكاةِ ؛ فقدْ قالَ قومٌ : يأخذُ كفايةَ سنةٍ لنفسِهِ وعيالِهِ ، وإنْ قدرَ علىٰ شراءِ ضيعةٍ أوْ تجارةٍ يكتسبُ بها لعيالِهِ . . فعلَ ، وهاذا ما اختارَهُ المحاسبيُّ ، ولكنَّهُ قالَ : (الأولىٰ أنْ يتصدَّقَ بالكلِّ إنْ وجدَ مِنْ نفسِهِ قوَّةَ التوكُّلِ ، وينتظرُ لطْفَ اللهِ سبحانَهُ في الحلالِ ، فإنْ لمْ يقدرْ . . فلهُ أنْ يشتريَ ضيعةً ، أوْ يتخذَ رأسَ مالٍ يتعيَّشُ بالمعروفِ منهُ ، وكلَّ يومٍ وجدَ فيهِ حلالاً أمسكَ ذلكَ اليومَ عنهُ ، فإذا فنيَ . . عادَ إليهِ ، فإذا وجدَ حلالاً معيناً[1] . . تصدَّقَ بمثلِ ما أنفقَهُ مِنْ قبلُ ، ويكونُ ذلكَ قرْضاً عندَهُ ، ثمَّ إنَّهُ يأكلُ الخبزَ[2] ويتركُ اللحمَ إنْ قويَ عليهِ ، وإلا . . أكلَ اللحمَ مِنْ غيرِ تنعُّمٍ وتوسُّعٍ) .

---

(١) في (ب ، هـ) : (مغنياً) .

(٢) في (ب) : (ثم إنه لا يأكل إلا الخبز) .

وما ذكرَهُ لا مزيدَ عليهِ ، ولكنْ جعلُ ما أنفقَهُ قرْضاً عندَهُ فيهِ نظرٌ ، ولا شكَّ في أنَّ الورعَ أنْ يجعلَهُ قرضاً ، فإذا وجدَ حلالاً . . تصدَّقَ بمثلِهِ ، ولكنْ مهما لمْ يجبْ ذلكَ على الفقيرِ الذي يتصدَّقُ بهِ عليهِ . . فلا يبعدُ ألا يجبَ عليهِ أيضاً إذا أخذَهُ لفقرِهِ ، لا سيما إذا وقعَ في يدِهِ مِنْ ميراثٍ ، ولمْ يكنْ متعدِّياً بغصبهِ وكسبهِ حتَّىٰ يُغلَّظَ الأمرُ عليهِ فيهِ .

مَسْأَلَةٌ

[في ترتيبِ الأكلِ عندَ مَنْ في يدِهِ حلالٌ وحرامٌ أو شبهةٌ]

إذا كانَ في يدِهِ حلالٌ وحرامٌ أوْ شبهةٌ ، وليسَ يفضلُ الكلُّ عنْ حاجتِهِ ؛ فإذا كانَ لهُ عيالٌ . . فليخُصَّ نفسَهُ بالحلالِ ، لأنَّ الحجَّةَ عليهِ آكدُ في نفسهِ منها في عبدِهِ وعيالِهِ وأولادِهِ الصغارِ ، والكبارُ منْ أولادِهِ يحرسُهُمْ عنِ الحرامِ إنْ كانَ لا يفضي بهِمْ إلىٰ ما هوَ أشدُّ منهُ ، فإنْ أفضىٰ . . فيطعمُهُمْ بقدْرِ الحاجةِ .

وبالجملةِ : كلُّ ما يحذرُهُ في غيرِهِ فهوَ محذورٌ في نفسِهِ وزيادةٌ ؛ وهوَ أنَّهُ يتناولُ معَ العلمِ ، والعيالُ ربَّما يُعذرونَ إذا لمْ يعلموا ؛ إذْ لمْ يتولَّوا الأمرَ بأنفسِهِمْ .

فليبدأْ في الحلالِ بنفسِهِ ، ثمَّ بمَنْ يعولُ ، وإذا تردَّدَ في حقِّ نفسِهِ بينَ ما يخصُّ قوتَهُ وكسوتَهُ وبينَ غيرِهِ مِنَ المؤنِ ؛ كأجرةِ الحجَّامِ والصبَّاغِ

والقصَّارِ والحمَّالِ ، والاطلاءِ بالنُّورةِ والدهنِ ، وعمارةِ المنزلِ ، وتعهُّدِ الدابَّةِ ، وتسجيرِ التنُّورِ ، وثمنِ الحطبِ ودهنِ السراجِ . . فليخصَّ بالحلالِ قوتَهُ ولباسَهُ ؛ فإنَّ ما يتعلَّقُ ببدنِهِ ولا غنىٰ بِهِ عنهُ هوَ أولىٰ بأنْ يكونَ طيِّباً .

وإذا دارَ الأمرُ بينَ القوتِ واللباسِ . . فيُحتملُ أنْ يُقالَ : يخصُّ القوتَ بالحلالِ ؛ لأنَّهُ الممتزجُ بلحمهِ ودمِهِ ، وكلُّ لحمٍ نبتَ مِنْ حرامٍ . . فالنارُ أولىٰ بهِ ، وأمَّا الكسوةُ . . ففائدتُها سترُ عورتِهِ ، ودفعُ الحرِّ والبرْدِ والأبصارِ عنْ بشرتِهِ ، وهـٰذا هوَ الأظهرُ عندي .

وقالَ الحارثُ المحاسبيُّ : يُقدَّمُ اللباسُ ؛ لأنَّهُ يبقىٰ عليهِ مدَّةً ، والطعامُ لا يبقىٰ عليهِ ؛ لما رُويَ أنَّهُ لا يقبلُ اللهُ صلاةَ مَنْ عليهِ ثوبٌ اشتريَ بعشرةِ دراهمَ فيها درهمٌ حرامٌ(١) ، وهـٰذا محتملٌ ، ولكنَّ أمثالَ هـٰذا قدْ وردَ فيمَنْ في بطنِهِ حرامٌ ونبتَ لحمُهُ مِنْ حرامٍ ، فمراعاةُ اللحْمِ والعظمِ أنْ ينبتَ مِنَ الحلالِ أولىٰ ؛ ولذلكَ تقيَّأَ الصدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ ما شربَهُ معَ الجهلِ ؛ حتَّىٰ لا ينبتَ منهُ لحمٌ يلبثُ ويبقىٰ .

* * *

فإنْ قيلَ : فإذا كانَ الكلُّ منصرفاً إلىٰ أغراضهِ . . فأيُّ فرْقٍ بين نفسِهِ وغيرِهِ ، وبينَ جهةٍ وجهةٍ ، وما مُدرَكُ هـٰذا الفرْقِ ؟

---

(١) الحديث رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٩٨) .

قلنا : عرفَ ذلكَ بما رُوِيَ أنَّ رافعَ بنَ خديجٍ رحمهُ اللهُ ماتَ وخلَّفَ ناضحاً وعبداً حجَّاماً ، فسئلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنْ ذلكَ . . فمنعَ منْ كسبِ الحجَّامِ ، فروجعَ مرَّاتٍ ، فمنعَ منهُ ، فقيلَ : إنَّ لهُ أيتاماً ، فقالَ : « اعلفوهُ الناضحَ »(١) .

فهٰذا يدلُّ على الفرْقِ بينَ ما يأكلُهُ هوَ أوْ دابتُهُ .

وإذا انفتحَ سبيلُ الفرْقِ . . فقسْ عليهِ التفصيلَ الذي ذكرناهُ .

مَسْأَلَةٌ

[في تفاوتِ الصرفِ بينَهُ وبينَ الفقراءِ ونحوِ ذلكَ]

الحرامُ الذي في يدِهِ لوْ تصدَّقَ بهِ على الفقراءِ . . فلهُ أنْ يوسِّعَ عليهِمْ ، وإذا أنفقَ علىٰ نفسِهِ . . فليضيِّقْ ما قدرَ ، وما أنفقَ علىٰ عيالِهِ . . فليقتصدْ ،

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٤/١٤١) ، والطبراني في « الكبير » (٤/٢٧٥) عن عباية بن رفاعة بن رافع بن خديج يحدث أن جدَّه حين مات ترك جارية وناضحاً وغلاماً حجاماً وأرضاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجارية ، فنهىٰ عن كسبها ، قال شعبة : مخافة أن تبغي ، وقال : « ما أصاب الحجام . . فاعلفه الناضح » ، وقال في الأرض : « ازرعها أو ذرها » . ولكن ليس المراد بلفظ (الجد) في هٰذه الرواية رافعاً ؛ إذ رافع لم يمت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلعل المراد هو جده خديج ، وقد ذكر له صحبة البغوي في « معجم الصحابة » (٢/ ٢٨٦) ، وبسط القول في هٰذا الحديث ونسبته الحافظ ابن حجر في « الإصابة » (١/ ٤٢٠) ، وذكر في ترجمة رافع (١/ ٤٨٣) أنه مات سنة أربع وسبعين وهو ابن ست وثمانين سنة .

وليكنْ وسطاً بينَ التوسيعِ والتضييقِ ، فيكونُ الأمرُ علىٰ ثلاثِ مراتبَ .

فإنْ أنفقَ علىٰ ضيفٍ قدمَ عليهِ وهوَ فقيرٌ . . فليوسِّعْ عليهِ ، وإنْ كانَ غنياً . . فلا يطعمْهُ إلا إذا كانَ في برِّيَّةٍ أوْ قدمَ ليلاً ولمْ يجدْ شيئاً ؛ فإنَّهُ في ذلكَ الوقتِ فقيرٌ .

وإنْ كانَ الفقيرُ الذي حضرَ ضيفاً تقيّاً ، لوْ علمَ ذلكَ لتورَّعَ عنهُ . . فليعرضِ الطعامَ وليخبرْهُ ؛ جمعاً بينَ حقِّ الضيافةِ وتركِ الخداعِ .

فلا ينبغي أنْ يكرمَ أخاهُ بما يكرَهُ ، ولا ينبغي أنْ يعوِّلَ علىٰ أنَّهُ لا يدري فلا يضرُّهُ ؛ لأنَّ الحرامَ إذا حصلَ في المعدةِ . . أثَّرَ في قساوةِ القلبِ وإنْ لمْ يعرفْهُ صاحبُهُ .

ولذلكَ تقيَّأَ أبو بكرٍ وعمرُ رضيَ اللهُ عنهُما وكانا قدْ شربا علىٰ جهلٍ(١) ، وهـٰذا وإنْ أفتيْنا بأنَّهُ حلالٌ للفقيرِ . . فإنَّما أحللْناهُ بحكْمِ الحاجةِ إليهِ ، فهوَ كالخنزيرِ والخمرِ إذا أحللْناهُما بالضرورةِ ، فلا يلتحقُ بالطيِّباتِ .

مَسْأَلَةٌ

[فيما إذا كانَ الحرامُ في يدِ أبويهِ أو أحدِهِما]

إذا كانَ الحرامُ أوِ الشبهةُ في يدِ أبويهِ . . فليمتنعْ عنْ مؤاكلتِهما ، فإنْ كانا

---

(١) وأكل الحرام وشربه جهلاً بحاله لا يوجب التقيُّؤ ، ففعلُهما دليل علىٰ ثبوت أثر لهـٰذا الحرام في القلب والبدن .

يسخطانِ . . فلا يوافقْهُما على الحرامِ المحضِ ، بلْ ينهاهُما ، فلا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ⁽¹⁾ .

وإنْ كانَ شبهةً ، وكانَ امتناعُهُ للورعِ . . فهـٰذا قدْ عارضَهُ أنَّ الورعَ طلبُ رضاهُما ، بلْ هوَ واجبٌ ، فليتلطَّفْ في الامتناعِ ، فإنْ لمْ يقدرْ . . فليوافقْ وليقلِّلِ الأكلَ ؛ بأنْ يصغِّرَ اللقمةَ ، ويطيلَ المضْغَ ، ولا يتوسَّعَ ، فإنَّ ذلكَ غرورٌ .

والأخُ والأختُ قريبانِ مِنْ ذلكَ ؛ لأنَّ حقَّهما أيضاً مؤكَّدٌ .

وكذلكَ إذا ألبستْهُ أمُّهُ ثوباً مِنْ شبهةٍ وكانتْ تسخطُ بردِّهِ ، فليقبلْهُ وليلبسْهُ بينَ يديها ، ولينزعْهُ في غيبتِها ، وليجتهدْ ألاَّ يصلِّيَ فيهِ إلا عندَ حضورِها ، فيصلِّي فيهِ صلاةَ المضطرِّ .

وعندَ تعارضِ أسبابِ الورعِ ينبغي أنْ يتفقَّدَ هـٰذهِ الدقائقَ .

وقدْ حُكِيَ عنْ بشرٍ رحمَهُ اللهُ أنَّهُ سلَّمَتْ إليهِ أمُّهُ رطبةً ، وقالَتْ : بحقِّي عليكَ أنْ تأكلَها ، وكانَ يكرهُهُ ، فأكلَ ، ثمَّ صعدَ غرفةً ، فصعدتْ أمُّهُ وراءَهُ ، فرأتْهُ يتقيَّأُ ، وإنَّما فعلَ ذلكَ ؛ لأنَّهُ أرادَ أنْ يجمعَ بينَ رضاها وبينَ صيانةِ المعدةِ⁽²⁾ .

وقدْ قيلَ لأحمدَ ابنِ حنبلٍ : سئلَ بشرٌ : هلْ للوالدينِ طاعةٌ في الشبهةِ ؟ فقالَ : لا ، فقالَ أحمدُ : هـٰذا شديدٌ ، فقيلَ لهُ : سئلَ محمدُ بنُ مقاتلٍ

---

(1) وهـٰذا قد رواه الطبراني في « الكبير » (١٨/ ١٧٠) مرفوعاً بهـٰذا اللفظ .

(2) كذا في « الورع » (ص٨٥) لأحمد ، والخبر في « القوت » (٢/ ٢٧٨) .

العَبَّادانيُّ عنها فقالَ : بِرَّ والديكَ ، فماذا تقولُ ؟ فقالَ للسائلِ : أحبُّ أنْ تعفيَني ؛ فقدْ سمعتَ ما قالا ، ثمَّ قالَ : ما أحسنَ أنْ تداريَهُما(١) .

مَسْأَلَةٌ

[لا تجبُ العباداتُ الماليةُ علىٰ مَنْ في يدِهِ مالٌ حرامٌ محضٌ]

مَنْ في يدِهِ مالٌ حرامٌ محضٌ . . فلا حجَّ عليهِ ، ولا تلزمُهُ كفارةٌ ماليَّةٌ ؛ لأنَّهُ مفلسٌ ، ولا تجبُ الزكاةُ ؛ إذْ معنى الزكاةِ وجوبُ إخراجِ ربعِ العشرِ مثلاً ، وهـٰذا يجبُ عليهِ إخراجُ الكلِّ ؛ إمَّا رداً على المالكِ إنْ عرفَهُ ، أوْ صرفاً إلى الفقراءِ إنْ لمْ يعرفِ المالكَ .

وأمَّا إذا كانَ مالَ شبهةٍ يُحتملُ أنَّهُ حلالٌ ؛ فإذا لمْ يخرجْهُ مِنْ يدِهِ . . لزمَهُ الحجُّ ؛ لأنَّ كونَهُ حلالاً ممكنٌ ، ولا يسقطُ الحجُّ إلا بالفقرِ ، ولمْ يتحققْ فقرُهُ ، وقدْ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ .

وإذا وجبَ عليهِ التصدُّقُ بما يزيدُ علىٰ حاجتِهِ ، حيثُ يغلبُ علىٰ ظنِّهِ تحريمُهُ . . فالزكاةُ أولىٰ بالوجوبِ .

وإنْ لزمتْهُ كفارةٌ . . فليجمعْ بينَ الصومِ والإعتاقِ ؛ ليتخلَّصَ بيقينٍ ، وقدْ قالَ قومٌ : عليهِ الجمعُ ، وقالَ قومٌ : يلزمُهُ الصومُ دونَ الإطعامِ ؛ إذْ ليسَ لهُ يسارٌ معلومٌ ، وقالَ المحاسبيُّ : يكفيهِ الإطعامُ .

---

(١) بنحوه في « الورع » (ص٤٨ ، ٤٩) لأحمد ، وهو في « القوت » (٢/ ٢٧٧) .

والذي نختارُهُ : أنَّ كلَّ شبهةٍ حكمْنا بوجوبِ اجتنابِها ، وألزمناهُ إخراجَها مِنْ يدِهِ ؛ لكونِ احتمالِ الحرامِ أغلبَ علىٰ ما ذكرناهُ . . فعليهِ الجمعُ بينَ الصومِ والإطعامِ ، أمَّا الصومُ . . فلأنَّهُ مفلسٌ حكماً ، وأمَّا الإطعامُ . . فلأنَّهُ قدْ وجبَ عليهِ التصدُّقُ بالجميعِ ، ويُحتملُ أنْ يكونَ لهُ ، فيكونَ اللزومُ مِنْ جهةِ الكفَّارةِ .

مَسْأَلَةٌ

[فيمَنْ أرادَ الحجَّ وبيدِهِ مالٌ حرامٌ أمسكَهُ للحاجةِ]

مَنْ في يدِهِ مالٌ حرامٌ أمسكَهُ للحاجةِ ، فأرادَ أنْ يتطوَّعَ بالحجِّ ؛ فإنْ كانَ ماشياً . . فلا بأسَ بهِ ؛ لأنَّهُ سيأكلُ هـٰذا المالَ في غيرِ عبادةٍ ، فأكلُهُ في عبادةٍ أولىٰ ، وإنْ كانَ لا يقدرُ علىٰ أنْ يمشيَ ، ويحتاجُ إلىٰ زيادةٍ للمركوبِ . . فلا يجوزُ الأخذُ لمثلِ هـٰذهِ الحاجةِ في الطريقِ ، كما لا يجوزُ شراءُ المركوبِ في البلدِ ، وإنْ كانَ يتوقَّعُ القدرةَ علىٰ حلالٍ لوْ أقامَ ؛ بحيثُ يستغني بهِ عنْ بقيَّةِ الحرامِ . . فالإقامةُ في انتظارِهِ أولىٰ مِنَ الحجِّ ماشياً بالمالِ الحرامِ .

مَسْأَلَةٌ

[فيمَنْ خرجَ لحجٍّ واجبٍ بمالٍ فيهِ شبهةٌ]

مَنْ خرجَ لحجٍّ واجبٍ بمالٍ فيهِ شبهةٌ . . فليجتهدْ أنْ يكونَ قوتُهُ مِنَ

الطيِّبِ ، فإنْ لمْ يقدرْ . . فمِنْ وقتِ الإحرامِ إلى التحلُّلِ ، فإنْ لمْ يقدرْ . . فليجتهدْ يومَ عرفةَ ألا يكونَ قيامُهُ بينَ يديِ اللهِ عزَّ وجلَّ ودعاؤُهُ في وقتٍ مطعمُهُ حرامٌ وملبسُهُ حرامٌ ، فليجتهدْ ألا يكونَ في بطنِهِ حرامٌ ، ولا على ظهرِهِ حرامٌ ؛ فإنَّا وإنْ جوَّزْنا هـٰذا للحاجةِ . . فهوَ نوعُ ضرورةٍ ، وما ألحقناهُ بالطيِّباتِ[1] .

فإنْ لمْ يقدرْ . . فليلازمْ قلبَهُ الخوفَ والغمَّ لما هوَ مضطرٌّ إليهِ مِنْ تناولِ ما ليسَ بطيِّبٍ ، فعسى اللهُ عزَّ وجلَّ أنْ ينظرَ إليهِ بعينِ الرحمةِ ، ويتجاوزَ عنهُ بسببِ حزنِهِ وخوفِهِ وكراهتِهِ .

مَسْأَلَةٌ

[فيمَنْ ماتَ وكانَ يعاملُ مَنْ تُكرهُ معاملتُهُ]

سُئِلَ أحمدُ ابنُ حنبلٍ رحمهُ اللهُ فقالَ لهُ قائلٌ : ماتَ أبي وتركَ مالاً ، وكانَ يعاملُ مَنْ تُكرهُ معاملتُهُ ، فقالَ : تدعُ مِنْ مالِهِ بقدْرِ ما ربحَ ، فقالَ : لهُ دينٌ وعليهِ دينٌ ، فقالَ : تقضي وتقتضي ، فقالَ : أفترىٰ ذلكَ ؟ فقالَ أفتدعُهُ محتبساً بدينِهِ ؟![2] .

وما ذكرَهُ صحيحٌ ، وهوَ يدلُّ علىٰ أنَّهُ رأى التحرِّيَ بإخراجِ مقدارِ

---

[1] وإنما جوَّزناه للضرورات . « إتحاف » (٦/ ١٠٩) .

[2] كذا في « الورع » (ص١٤٨) لأحمد ، وهو في « القوت » (٢/ ٢٧٧) .

الحرامِ ، إذْ قالَ : (يخرجُ قدْرَ الربحِ) ، وأنَّهُ رأىٰ أنَّ أعيانَ أموالِهِ ملكٌ لهُ بدلاً عمَّا بذلَهُ في المعاوضاتِ الفاسدةِ بطريقِ التقاصِّ والتقابلِ مهما كثرَ التصرُّفُ وعسُرَ الردُّ ، وعوَّلَ في قضاءِ دينِهِ علىٰ أنَّهُ يقينٌ ، فلا يتركُ بسببِ الشبهةِ .

* * *

Dördüncü Bab

TÖVBEKÂR OLANLARIN HARAMLARDAN KURTULUŞU

Bilmiş ol ki; elinde helâl ve haram olarak karışık malı bulunduğu halde, haramdan tövbe eden kimseye iki vazîfe düşer.

1 - Haramı seçip ayırmak.

2 - Ayırdığı haramı, vereceği yeri bilmek.

Her iki vazîfeye dikkat etmelidir.

Birinci Vazife

Birinci vazîfesi, haramı ayıklayıp çıkarmaktır.

Bilmiş ol ki; haramdan tövbe eden bir kimsenin elinde gasb, emânet veyâ her ne sûretle olursa olsun, aynen bildiği haram varsa, onun işi kolaydır. Haram bildiği kısımları hemen ayırır. Şâyet helâl ile haram karışmış ise bu da ya emsâli bulunan mallarda olur -dâne, bakla ve yağ gibi- yâhut köle, ev, elbise gibi temâyüz etmiş mallarda olur. Şâyet haram olan misli bulunan maddelerden ise yâhut alış-verişinde bâzen hîle yapmak sûretiyle veyâ gasbettiği yağı kendi helâl yağına katmak, yâhut gasbettiği dâneleri kendi dânelerine karıştırmak, altın ve gümüşü kendi altın ve gümüşüne katmak sûretiyle -bütün malına karışmış ise bu kısım iki şekilden hâlî değildir. Karışan haramın miktarını ya bilir veyâ bilmez. Şâyet karışan haram miktarını -meselâ malının yarısının haram olduğunu- biliyorsa, hemen yarısını ayırır. Şâyet miktarında şüpheli ise bunun da iki yolu vardır: Birincisi, yakînen kanâat ettiği miktarı ayırmak ikincisi de zann-ı galibine göre hüküm vermektir. Kıldığı namazın rekâtlarında şüphe eden kimse hakkında her ikisi ile de fetvâ verilmiştir.[72] Fakat biz (Şâfiîler) namazın rekâtlarındaki şüphede zan ile gâlibi değil, yakîni tecvîz ederiz.[73]

Zira burada aslolan ikiden fazlasının zimmette kalmış olmasıdır. Burada istishâb ile amel edilir. İstishâb ise ancak kuvvetli bir delîl ile değiştirilir. Hâlbuki rekatlar arasında kendisine itimâd edilecek şekilde ayrılığı gösteren kuvvetli bir alâmet yoktur. Fakat burada hüküm öyle değildir. Çünkü aslolan bu adamın malı haram olmaktır, denemez. Belki şüphelidir, denir. Buna göre ictihâd edip zann-ı gâlib ile hükmetmek caizdir. Fakat verâ yine yakîn ile amel etmektedir. Yâni şüphe götürmeyecek şekilde haramı ayırmaktır. Verâ ile amel etmek isteyen şüpheli malı kendisinde bırakmaz. Zann-ı gâlib ile amel etmek isteyen de şöyle yapar:

Meselâ, servetinin yarısının helâl, üçte birinin de haram olduğunu katî olarak; altıda birinin de şüpheli olduğunu biliyorsa, burada zann-ı gâlibine göre hüküm verebilir. Bütün servetinde böyle yapar: Bir defa katî olarak bildiği helâl ile haramı ayırır. Ortada şüpheli kısmı kalır. Ona da zann-ı gâlibine göre hüküm verir; helâl tarafı gâlip gelirse saklar, haram tarafı gâlip gelirse ayırır. Ancak verâ o şüpheli kısmını da ayırmaktır. Şâyet hiç bir tara-

---

72. İmâm-ı Âzam'a göre zann-ı galibine göre binâ eder.
73. Meselâ üç rekât mı, iki rekât mı kıldığında şüphe eden kimse, zann-ı galibine göre değil, yakîne göre hareket eder. Yakîn ise iki rekât kıldığı şeklindedir. Çünkü şüphesi, iki rekâtta değil, üç rekâttadır.

fa meyledemiyorsa, bu kısmı saklamak da câiz, ayırmak da. Fakat yine verâ bu gibi malı ayırmaktadır ve bu en kuvvetli bir verâdır. Çünkü şüpheli olmuştur. Saklaması câizdir. Çünkü elinde bulunduğu için helâl olması gâlip ihtimâldir. Fakat haramın karıştığı yakînen bilindiği için buna itimâd zayıflamıştır. Hattâ aslının haram olmak ihtimâli de mevcut olduğu için, ancak zann-ı gâlib ile helâl olduğunu bildiği miktarını almak ihtimâli var, denebilir. Hiç bir taraf, diğerinden kuvvetli olmadığı için, birini diğeri üzerine tercih etmeye imkân yoktur ve bu, müşkil meselelerden biridir.

Şâyet kabul edelim ki, zan ile değil yakîn ile amel etmiş ve şüpheli olan kısımları tamamen ayırmıştır. Fakat asıl haram olanları, ayırdıkları mı yoksa geride kalanları mıdır? Bunu katî olarak bilemiyor, elindeki malı nasıl kullanabilir? Eğer bilmeyerek, ayırmakla geride kalan helâl olsaydı, o zaman bismil (mısmıl) hayvan arasına karışan bir tâne murdar hayvanda da aynı hükmün cârî olması lâzım gelirdi ve böylece onlardan muayyen olmayan birini kaldırıp almakla, diğerlerinin helâl olması icâb ederdi. Hâlbuki değil bir tanesini, dokuz tânesini de atsa yine bir tânesi helâl olmaz. Çünkü belki murdar olan odur, dersen:

Deriz ki: Buradaki kıyasınız "Kıyas ma'al-fârik"tir. Malın bedelini vermekle mal helâl olmasa, o zaman dediğiniz doğru olurdu. Hâlbuki malın (aslı temiz olduğu için) bedelini vermekle haramlıktan kurtarır. Fakat ölü hayvanın (aslı murdar olduğu için) bedelini vermekle helâl olmaz.

Bu meseleyi elinde biri haram, diğeri helâl olarak iki lira bulunan; fakat bunlardan hangisinin helâl, hangisinin haram olduğunu şaşıran bir adamın vaziyeti ile açıklamaya çalışalım: Ahmed b. Hanbel'e bunu sormuşlar, cevâbında: "Hangisinin helâl, hangisinin haram olduğunu katî olarak seçinceye kadar ikisini de terk eder. dedi. Hattâ kendisi bir adama rehîn olarak bir kap vermişti. Parayı ödeyip kabı geri almak istediğinde, adam onun kabına benzer bir kap getirdi ve;

- "Senin kabının hangisi olduğunu şaşırdım, sen istediğini al." demesi üzerine, İmâm:

- "Kalsınlar, belli oluncaya kadar hiç birini alamam." dedi. Bunun üzerine adam:

- "Maksadım sizi denemekdi, yoksa sizin kabınız şudur." dedi ve kabını verdi. Bu şekil hareket verâdandır, yoksa vâcip değildir.

Meseleyi, hazırda belli başlı sahibi bulunan bir dirhemde ele alalım: İki dirhemden birisi kendisine verilir ve kendisi meseleyi bildiği halde râzı olursa, diğer dirhem de olsa kendisine helâl olur. Çünkü gerçekte ona verilen kendi parası idiyse, maksad hâsıl oldu. Kendi parası değil idiyse her ikisinin elinde de birer dirhem bulundu. Ancak burada ihtiyât olan ikisi de lisânen: "Verdim, aldım, kabul ettim. " demelidirler. Şâyet böyle demezlerse de yalnız verip almakla, mesele yine halledilmiştir. Şâyet gasbedilen paralardan bir tanesi gasbedenin elinde kaybolsa ve aynını bulmak mümkün olmasa, onun yerine başkasını almakla beraber, yine dâva halledilmiş olur. Bu, bundan açıktır.

Çünkü hiç bir şey söylemeden yalnız teslim almakla, borç ödenmiş olur. Müşkilât öte taraftadır. O da, o paranın mülküne girmiş olmasıdır. Burada da deriz ki: Kendi parasını teslim etmişse, onun da elde edilmesi mümkün olmayacak şekilde bir dirhemi başkasının elinde kaybolmuştur. Verdiği bu dirhem -hâl böyle olduğuna göre ilm-i ilâhîde- kaybolanın bedeli olur. Bu aynen yekdiğerinin birer dirhemini kaybeden iki kişinin hâli gibidir. Hattâ bu meselede her ikisi ellerinde bulunan birer dirhemi suya atsa veyâ yaksalar hiç birine tazmîn lâzım gelmediği gibi, ellerinde bulunduğu halde bile yine bir şey lâzım gelmez. Yâni dirhemin aynını bulmak şart değildir. Bedeline başka dirhem verilmişse, dâva halledilmiştir. Bunu böyle kabul etmek, Ahmed b. Hanbel'in bu içtihâdından daha kolaydır. Ona göre aldığı bir dirhem haram parayı bir milyon haram para içine katsa onu bulup seçmeyince hiç birini kullanmaması lâzım gelirdi ki, bu çok zor bir vaziyet arzeder. Bizim anlattığımızda yalnız söz konuşuluyor.

Hâlbuki konuşulmadan muâtat yolu ile yapılan alış-veriş de sahihtir. Bunu alış-veriş kabul etmeyenler, konuşmak mümkün olan yerlerde, fiilin delâletini zayıf görenlerdir. Buradaki teslim ve tesellümün, alıp vermenin, mübadele için olduğu bellidir. Alış-veriş olması mümkün değildir. Çünkü alınıp verilen madde malûm değildir. Hattâ bâzan alış-verişi kabul etmeyecek vaziyete de girer. Bir ölçek unun bin ölçek un içerisine karışmış olması gibi. Bunu bulup çıkarmak imkânsızdır. Pekmez, hurma ve benzerî maddeler de bunun gibidir.

Şâyet "Siz bu sûretle, hakkının emsalini teslîm etmeyi caiz görmekle bunu bir alış-veriş yaptınız." denirse deriz ki:

Hayır, bu bir alış-veriş değil, belki elinde kaybolanın bedelini tazmîndir. Telef edilen hurmanın mislini aldığı gibi, adam da parasının mislini almış olur. Bu dediğimiz, mal sahibinin muvâfakatıyla olan hususlardadır. Şâyet mal sahibi, parasının ta kendisini almakta isrâr eder ve "Karıştığı takdirde paramı almam, senin malını da kullanmaz hâle getiririm." diyerek direnirse o zaman haramdan kurtarmak isteyen, öbür adamın vazıyetini düzeltmek için, para sahibine vekâleten hâkimin bu parayı alması lâzımdır. Çünkü adamın bu hareketi inattan ve öbür adamı sıkıştırmaktan başka bir şey değildir. Şerîat, tazyik için vaz edilmemiştir. Şâyet kadıyı bulamazsa, mütedeyyin bir zâtı bu işi için seçer. Şâyet bunu da bulamazsa bizzât kendisi, hak sahibinin nâm u hesâbına borçlu bulunduğu miktârı malından ayırır ve diğerini helâl olarak kullanır. Parada hal böyle olunca, sıvılarda hükmün böyle olması öncelikle sâbit olur.

Şâyet "Önce ayırır, sonra kalanında tasarruf eder demeye ne lüzûm var? Borcunu zimmet ettikten sonra ayırmaya lüzûm kalmadan malında dilediği gibi tasarruf etsin." dersen deriz ki:

Bâzıları, borcu olan haram miktârına ininceye kadar malından harcayabilir. Yalnız, haram miktârı kalırsa, artık ondan harcayamaz, dediler. Diğer bâzıları da tövbe ettikten sonra, haram miktârını ayırmadan malından alamaz ve kullanamaz, dediler. Diğer bâzıları da kullanmak için bu maldan başkası alır ve kullanır fakat kendisi kimseye veremez. Verirse günâhkâr olur, alan ise günâhkâr olmaz, dediler. Fakat hepsinin alınmasını kimse tecvîz etmedi.

Çünkü mal sahibi meydana çıkarsa, bu maldan hakkını isteyebilir ve icâbında bana verilen aynen benim hakkımdır, iddiâsında bulunabilir. Fakat malı ayırmakla bu güçlük ortadan kalkar ve ayrılmış olan bu mal, diğeri üzerine tercih edilir. Dâima hakka yakın olan önde gelir. Meselâ bir şeyin benzeri varken kıymetini değil, benzerini ödemek, tam kendisi mevcut ise benzerini değil, tam kendisini ödemek lâzımdır. Emsâline mürâcaat mümkün olan yerlerde kıymetine değil, emsâline mürâcaat edilir. Tam kendisini bulmak mümkün olan hallerde de emsâline değil, kendisine mürâcaat olunur. Şâyet aslı mevcut iken misline veyâ kıymetine mürâcaat câiz olsa idi, o zaman elinde iki dirhemi bulunan yâni diğer dirhemine karışık bir de kendi dirhemi bulunan kimse "Ben bunların ikisini de kullanır ve senin hakkını başka şeyden öderim." diyebilirdi. Çünkü aynı şekilde onun dirhemi de karışmıştır. Arada fark yoktur. Ne var ki, az olanı veyâ karışmış olanı kaybolmuş kabul edersek, o zaman böyle olabilir. Fakat bunların her ikisi de akıl ve mantıktan uzak şeylerdir. Ve böyle düşünen olmamıştır. İşte şu anlattığımız, emsali bulunan şeylerdedir. Bu gibi maddelerde yeniden bir muâhedeye girişmeden, emsâli ile ödenebilirler.

Fakat ev, bir kaç ev arasına veyâ köle diğer köleler arasına karıştığı ve bunların hangisi olduğu bilinemediği zaman vazıyet değişir. Bunları tarafların anlaşması ve muvâfakatleri ile çözmeye yol yoktur. Şâyet mal sahibi, hakkını aynen istemekte ısrâr eder; borçlu da alacaklının hakkını aynen vermek isterse, o zaman hâkim bunları satar. Evler veyâ köleler, hepsi aynı kıymette ise birinin bedelini hak sahibine verir. Şâyet kıymetleri aynı değilse, o zaman satışa rızâ gösteren taraftan, en pahalı ev veyâ kölenin parası alınır ve satışa râzı olmayana en ucuz evin veyâ kölenin parası verilir. Aradaki fark, mesele aydınlanıncaya kadar durdurulur ve örfe göre muâmele olunur. Çünkü burası şüpheli ve müşkildir. Ortada kadı bulunmazsa, borçtan kurtarmak isteyen mal sahibi bizzât kendisi bu şekilde hareket eder. İşte, maslahata uygun şer'î hüküm budur. Bunların hâricinde kalan diğer rivâyetler zayıftır, onları tercih edemeyiz. Yukarıdaki izâhatta tercih sebebi anlatılmıştır. Bu anlattıklarımız, buğday gibilerde de açıktır. Nakitlerde biraz kapalı, fakat ticaret mallarında çok kapalıdır. Çünkü ticaret mallarında biri diğerinden bedel olamaz. Bunun için ticârî mallardaki haklaşmalarda alım-satıma ihtiyaç vardır. O hâlde buna dâir de bir kaç mesele anlatarak bu faslı tamamlayalım.

Birinci Mesele

Ölen bir adamın malının yarısına bir kişi, diğer yarısına da bir kaç kişi vâris olmuştur. Fakat sultan, ölen adamın emlâk ve akârına el koyarak öbür kişiye ölenin servetinin yarısı nisbetinde bir arazi vermiştir. Sultanın niyeti onun hakkını ödemek olsa dahî, bunu açıkça söylemedikten sonra yâni "Senin hisseni veriyorum, diğerlerinin hakkı duruyor." demedikten sonra, verese bu malı hakları nisbetinde bölüşürler. Bu hususta sultanın yalnız niyeti kâfi değildir.

İkinci Mesele

Zâlim bir sultandan ev, bağ ve bahçe gibi mal almış ve bu akârın kârından ve gelirinden para kazanmış, sonra da tövbe etmek isteyen kimse, geçen zamanın kazancını ve gasbettiğini ve artanı hesap edip ödemedikten sonra, tövbesi sahih değildir. Şüphesiz bunlar, tahmin ve kanâatle tesbît edilebilir. Fakat verâ kanâatinin en son derecesini ele almasıdır. Gasbettiği malın kârından, çalışıp kazandığından borcunu ödemekle, mal kendisinin olur. Fakat haram para ile ödendiği için, bundan önceki bâbta geçtiği gibi, o da şüphelidir. Eğer o gasbedilen malların kendileri ile yaptığı alış-verişten kazanmışsa, alış-verişi fâsittir. Bâzıları da "Kimden gasbedilmiş ise onun müsâadesiyle mûteber olur." dedilerse de kıyâsa göre, o alış-veriş merdûd ve mefsûhtur. Alıp verdikleri iâde edilir. Çokluğu sebebiyle alıp vermekten âciz olsa da hüküm budur. Çünkü mal haramdır. Kimden gasbetmişse ancak ona hakkı kadar verir, fazlasını da tasadduk için ayırır. Ne gasbedene ne de kendisinden gasbedilene helâl olur. Diğer haramlar gibi muâmele görür.

Üçüncü Mesele

Mûrisinin helâl veyâ haram, hangi yoldan kazandığını bilmediği servet, vârise helâldir. Şâyet bu servete haram karıştığını bilir ve fakat miktarını katiyetle bilmezse, kanâatine göre, haram kısmını ayırır. Şâyet servet arasında haramın bulunduğunu bilmez, fakat mûrisinin sultanlar hesabına çalıştığını ve buna karşılık ücret almadığını yâhut almış ama aradan uzun zaman geçtiği için elinde bir şey kalmadığını bilirse, bu da kaçınılması verâdan olan bir şüphe olmakla beraber, kaçınılması vâcip değildir. Servetin bâzısının zulümden alındığını bilirse, içtihâd ile onu ayırması lâzımdır. Âlimlerden bâzıları bunun günâhı mûrise aittir; kendisinin bir şey ayırması lâzım gelmez, dediler ve şu rivâyeti delîl gösterdiler:

Sultanın işlerinde çalışarak servet edindikten sonra ölen bir adamın serveti hakkında ashâbdan bir zâta sordular. Bu zât da "Bu mal, vereseye intikal etmekle temiz oldu." diye cevap verdi. İşte böyle diyenlerin delîli budur. Hâlbuki bu rivâyet zayıftır. Çünkü sahâbî olan bu zâtın isminden bahsedilmemiş, kim olduğu belli değil. Belki dîninde ihmallik eden birisinin ifâdesidir. Ashâb içerisinde böyle ihmallik edenler de vardı. Fakat ashâb oldukları için isimlerini vermek istemiyoruz. Katî bir haramı, ölüm nasıl helâl eder? Böyle bir hüküm nereden çıkabilir? Evet, haramın bulunması muhakkak olarak bilinmezse, vârisi ondan muâheze olunmaz ve onun için helâl olur, denebilir.

İkinci Vazife

Servet içinden ayrılan haramın üç hâli vardır:

İkinci vazife ayrılan haramın verileceği yerleri tâyin etmektir.

1 - Sahibi bilinen haramlar. Sahibi belli olan haramları ya sahibine veyâ veresesine verir. Şâyet hak sahibi hâriçte ise onu bekler veyâ kendisine posta ile gönderir. Bu paradan artmış ve çoğalmış kısım varsa onları da toplar, verir veyâ gönderir.

2 - Sahibi belli olmayan haramlar. Servet içinden ayrılan haramın sahibi belli değilse veyâ veresenin olup olmadığını bilmiyor ve bunu sahibine ulaştırmak mümkün olamıyorsa, iş iyice aydınlanıncaya kadar malı bekletir. Bâzan bir malın o kadar çok sahipleri olur ki, onları bulup vermek de mümkün olmaz. Ganîmet malından çaldığı eşyâ gibi. Çünkü dağılan binlerce gâziyi bulup haklarını vermek mümkün değildir. Lâyık olan bu gibi parayı fakirlere dağıtmaktır.

3 - Yâhut ayrılan haram âmme menfaatine tahsis edilmiş, harâç olarak alınan ve benzeri paralardan olur. Bu da köprü, câmi, kervansaray gibi âmme menfaatlerine sarf edilir.

Birinci kısmın hükmünde şüphe yoktur. Fakat fukaraya tasadduk, köprü ve câmi îmarı gibi ikinci ve üçüncü kısımlara sarf edilecekleri dindâr bir kadı bulunursa, ona teslîm edip, onun vâsıtasıyla yaptırmak daha uygundur. Kadı, harama aldırış etmeyen bir zât ise aslında ona teslîm edilen malı tazmîn etmek lâzım gelir. Nerede kaldı kendisinin tazmîne mecbûr olduğu mal? Bu takdirde kendisine emniyet edilir bir âlimi tavassut ettirir. Bu da mümkün değilse bizzât kendisi bu muâmeleyi yapar. Çünkü maksat, malı bu yola sarf etmektir.

Şâyet "Haram malı sadaka olarak vermenin cevazına delîl nedir? Veyâ mâliki olmadığı bir malı nasıl tasadduk edebilir? Hâlbuki birçokları haram malın tasadduk edilmesinin câiz olmadığına kaildirler. Nitekim Fudayl, elinde bulunan iki dirhemin haram olduğunu anlayınca, onları kayaların arasına savurdu ve "Ben ancak, helâl ve temiz olan malı tasadduk edebilirim; kendime revâ görmediğim haramı başkalarına da revâ görmem." dedi dersen deriz ki: "Evet, senin söylediğinin de yolu ve ihtimâli vardır. Fakat biz hadîs, eser ve kıyâsa dayanarak onun aksini kâbul ettik.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'i bir cenâzeden dönüşlerinde, ateş de kızartılmış bir koyunu yemeye dâvet ettiler. Sahibinin izni ve haberi olmadan koyunun alındığını öğrenen Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اَطْعِمُوهَا الْأُسَارٰى

"Bunu esirlere yedirin." diye[74] buyurmasıdır.

الٓمٓ، غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ
سَيَغْلِبُونَ

"Elif, Lâm, Mim. Rum(lar) **mağlup oldu. Yakın bir yerde. Hâlbuki onlar bu mağlûbiyetlerinin ardından gâlip olacaklar."** (Rûm suresi, 30/1-3) âyeti nâzil olduğu zaman müşrikler bunu yalanladı ve ashâba "Bakın, sizin adamınız ne diyor? Mağlup olan Rûmların ileride gâlip olacaklarını sanıyor." dediler. Bunun üzerine Ebû Bekir (r.a.) Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in müsâadesiyle müşriklerle mubaheseye girişti ve muayyen seneler sonunda ortaya muayyen mal koydular. İleride Rûmlar gâlip gelince Ebû Bekir (r.a.) müşriklerin koydukları malı aldı ve Rasûl-i Ekrem'e (s.a.v.) geldi. Peygamber Efendimiz (s.a.v.):

هٰذَا سُحْتٌ فَتَصَدَّقْ بِهٖ

---

[74] Ahmed b. Hanbel, ceyyid isnâd ile ensârdan olan bir zattan rivâyet etmiştir.

"Bu aldığın haramdır, bunu tasadduk et."[75] buyurdu. Allah'ın va'd ettiği bu nusret üzerine Müslümanlar sevindi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bu müsâadeyi verdikten sonradır ki, kumar haram edildi.[76]

Bu hususta sahâbeden gelen diğer rivâyetler **İbn Mes'ûd** (r.a.) bir câriye satın almıştı. Bedelini ödemek için bir türlü sahibini bulamadı. Nihâyet bedelini tasadduk etti ve "Allahım, bu verdiğim, eğer râzı olursa o mal sahibi içindir. Râzı olmazsa, mükâfatı benimdir." dedi. **Hasan-ı Basrî**'ye "Taksimden önce ganîmet malından çalan kimsenin tövbesi nasıl olur?" diye sorduklarında, Hasan-ı Basrî "Çaldığı ganîmet malını tasadduk eder." diye cevap vermiştir. Rivâyete göre; taksimden önce ganîmet malından yüz altın çalan bir kimse sonra nâdim olarak, parayı zamanın kumandanına götürür. Kumandan "Ben ne yapayım, ordu dağıldı, kimi bulup kime ödeyeyim." diyerek parayı kabul etmez. Bunun üzerine adam Muâviye'ye gider. O da kabul etmez. Nihâyet âbidin birisine gider. O da "Bunun beşte birini Muâviye'ye ver. Çünkü o emîr olduğu için, beşte biri onun hakkıdır. Diğerini de sadaka olarak dağıt." dedi. Adam da aynı maksatla Muâviye'nin huzûruna gider. Muâviye "Bu kadar şeyi anlayamadık." diye kendisine esef eder.

Ahmed b. Hanbel ve Hâris-i Muhâsibi gibi verâ sahibi birçok kimseler de bu fikre kail olmuşlardır.

Kıyâsa gelince; Sahibini bulmaktan ümidi kesilen bu servetin iki hâli vardır: Ya kaybolup gidecek veyâ bir hayra sarf edilecektir.

---

75. Bu gibi bahisleşmelerde karşılıklı para konursa, kumar olduğu için haramdır. Ama para yalnız bir taraftan konursa, helâldir. (Mütercim)
76. Hadîsi Tirmizî ve Hakîm rivâyet ettiler. Hakîm, sahih olduğunu söyledi. Fakat *"Bu aldığın haramdır, onu tasadduk et"* ilâvesini Beyhakî **"Delâilü'n-Nübüvve"**'de İbn Abbâs'dan rivayet etmiştir.

Bunu denize atmaktansa, bir hayra sarf etmenin daha muvâfık düşeceği meydandadır. Çünkü bu serveti suya atmakta ne bize ne de mal sahibine bir kârı vardır. Fakat bir fakirin eline verilirse, fakir mal sahibine duâcı olur. Bu sûretle hem fakir faydalanır, hem de mal sahibi. O halde sahibinin ihtiyârı yok diye, bunu tercih etmemeye sebep yoktur. Bâhusus sahîh haberde:

إِنَّ لِلزَّارِعِ وَالْغَارِسِ أَجْرًا فِي كُلِّ مَا يُصِيبُهُ النَّاسُ
وَالطُّيُورُ مِنْ ثِمَارِهِ وَزَرْعِهِ

"Ziraatle ve meyvecilikle uğraşan kimsenin mahsûl ve meyvesinden insan olsun kuş olsun, her kim ne yerse sahibine mükâfatı vardır."[77] diye vârid olmuştur. Hâlbuki ihtiyârı yoktur.

"Ben ancak helâl ve temiz olanı tasadduk ederim" diyen zât da dâvasında haklıdır. Çünkü o, kendi hesâbına mükâfat bekler. Bu ise ancak helâl ve temizde aranır. "Fakat biz, ecir değil, kul hakkından kurtarmanın çâresini aramaktayız. Bunun için bu malı atalım mı, yoksa bir fakire mi verelim?" diye düşündük ve fakire verilmesini atılması üzerine tercih ettik.

Yine "Ben kendim için râzı olmadığım şeye başkası için de râzı olmam." diyenin sözü de doğrudur. Fakat bu malın bize haram olması, ona muhtaç olmadığımız içindir. Fakat yoksul fakire şerîat bunu helâl etmiştir. Şer'î maslahat, bir şeyin helâl olmasını kabul ederse, bizim de onu helâl tanımamız lâzımdır. Fakire helâl olduğu için bize de ona helâl olması ile hükmetmek vâcip olur. Hattâ biz, biraz daha ileri giderek bu gibi sahipsiz mallardan, fakir ise kendisine ve âile efrâdına da tasadduk edebilir, deriz.

---

77. Buhârî, Enes'den (r.a.) rivâyet etti. Meâl aynı olmakla berâber, ifâde tarzı biraz farklıdır.

Fakir olan âilesine verir. Çünkü fakir olunca âilesinden olmak buna mâni değildir ve belki hârice tasadduk etmeden, onların ihtiyaçlarına vermek daha evlâdır. Kendisine gelince, o da fakir olduğu için ihtiyâcı nisbetinde bu haramdan kendisine ayırması câizdir. Bu asıl üzerine de bir kaç mesele anlatalım:

Mesele

(Zâlim) sultandan eline mal geçtiği zaman, bâzıları "O malı sultana iâde eder." demişlerdir. Sultanın kendi boynuna astığı halkayı ona iâde eder. Böyle yapması o malı tasadduk etmesinden daha hayırlıdır. **Hâris-i Muhâsibî**'nin ihtiyârı budur. Diyor ki: "Adam bu malı nasıl tasadduk edebilir? Belki bu malın bir sahibi vardır, onu da sultan bilir. Şâyet bu gibi malı tasadduk câiz olsaydı sultandan çaldığını da tasadduk câiz olacaktır." Diğer bâzıları da şöyle diyorlar: "Sultanın bu malı sahibine vermeyeceğini bilirse, o zaman malı ona teslim etmez, belki sadaka olarak dağıtır. Çünkü malı ona vermek, zulme yardımdır. Zulmün sebeplerini çoğaltmak ve mal sahibinin hakkını zayi etmek olur."

Burada muhtâr olan şudur: Bu malın muayyen bir sahibi olup, sultanın bu malı sahibine vermeyeceğini bilirse, o zaman bu malı sultana vermeden mal sahibi adına tasadduk etmesi daha hayırlı olur. Eğer malın muayyen bir sahibi yoksa o zaman âmmenin hakkıdır. Yine bunu sultana teslim etmek âmme hakkını kaybetmek, zulmünde sultana yardım etmek ve fakirin mal sahibine duâ etmesini yok etmektir ki, bu apaçık meydandadır. Bizzât kendisi sultandan almayıp miras yolu ile eline böyle bir mal geçtiği zaman, bu sahibi bulunmayan yitik bir mal gibidir. Mal sahibi adına bu malı tasadduk etmekte dilediği gibi tasarruf edemez, fakat mala sahip olabilir. Zengin de olsa, bulduğu mala mâlik olabilir. Yâni onu kendine mâl eder ve sahibine borçlanır. Çünkü bunu mübah yoldan elde etmiştir. Fakat sultandan gelen servet, mübah olmadığı için onu temellük edemez. Ancak tasadduk edebilir.[78]

Mesele

Bir kimsenin eline sahibi bulunmayan bir mal geçtiği zaman, fakir ise ihtiyâcı nisbetinde bu maldan alması câizdir, dedik. Fakat “Esrâr-ı Zekât” da anlattığımız gibi, ihtiyaç miktarı ihtilaflıdır. Bâzıları, kendisinin ve âile efrâdının bir yıllık nafakasını alabilir ve becerebiliyorsa, bununla alış-veriş de yapar, dediler. **Muhâsibî**’nin ihtiyarı budur. Fakat yine Muhâsibî diyor ki:

Tamamen bunu tasadduk edip, Allah’tan helâl nafaka beklemesi daha makbuldür. Eğer buna gücü yetmezse, onunla yiyecek alması yâhut ticaret için onu baş para kabul etmesi ve on-

---

78. Bulunan bir mâlı ilân edip bir yıl beklettikten sonra, onu kendine mâl edebilir mi, edemez mi? Bunda ihtilâf edilmiştir. İmâm Mâlik ve İmâm Şâfiî’ye göre mâlı bulan adam, ister fakir ister zengin olsun, bulunan madde ister para ister eşyâ ve isterse canlı mâl olsun, gerekli ilânâtı yapıp bir yıl beklettikten sonra onu kendi zimmetine alabilir. Ayrıca İmâm Mâlik “Bu adam muhayyerdir; dilerse emânet olarak elinde bulundurur, telef olursa bir şey lâzım gelmez, dilerse tazmîn şartıyla ya tasadduk eder veyâ kendi zimmetine alır.” der. İmâm-ı Âzam’a göre: Zengin olan kimse, yitiklerden bulduğu hiç bir şeyi kendisine mâl edemez ve ondan faydalanamaz. Ancak tazmîn şartıyla tasadduk edebilir. Bu da on dirhemden aşağı olursa, hemen orada bir ilân kâfidir. On dirhemden yukarı ise o muhitte bir sene ilân edip muhâfaza etmesi şartıyladır. Bu müddetten sonra sahibi çıkarsa, isterse mâlını alır. İsterse, onun tasadduk ettiğini kendi nâmına kabul eder. Bulan adam fakir ise bu müddet hitâmında tazmîn şartı ile bu maldan intifâ edebilir. İmâm Ahmed’e göre: Bulunan para ise zengin olsun fakir olsun, tazmîn şartıyla intifâ edebilir. Başka bir eşyâ ise onu kendisine mâl edemez, tasadduk eder.

dan meşrû bir sûrette kazanç sağlaması ve başka helâl nafaka bulduğu günlerde, o helâl nafakayı tercih etmesi, başkasını bulamayınca ona mürâcaat etmesi ve helâlinden buldukça önce yediklerini tasadduk etmesi ve bunu borç gibi saklaması da câizdir. Aynı zamanda böyle bir paradan yemek mecbûriyetinde kalınca mümkün olduğu kadar, yalnız ekmekle yetinmeli, et almamalıdır. Şâyet etsiz olmuyorsa, isrâfa kaçmamalıdır.

Muhâsibî'nin bu anlattıklarına diyecek yoktur. Ancak yediğini borç olarak kabul etmekte biraz düşünülür. Verâ olarak, bunu borç kabul etmenin daha güzel olacağında şüphe yoktur. Helâlini bulduğu zaman onu tasadduk eder fakat bu gibi mal, sadaka olarak verilen bir fakire böyle bir borç terettüp etmediğine göre, fakirliği yüzünden alana da böyle bir borcun terettüb etmemesi lâzımdır. Bilhassa, eline mîrasdan geçmiş olan mallarda, belki kendisi gasbetse o zaman kendi hakkında bir cezâ tatbiki kabîlinden böyle bir şey düşünülebilirdi, fakat o da yoktur.

Mesele

Elinde helâl, haram ve şüpheli mal bulunup da, bütün serveti ancak ihtiyâcı nisbetinde olan kimse, -çoluk çocuğu varsa- şahsen kendisi daha çok mesûl olduğu için, helâl kısmını kendisine ve şüpheli kısmım da âile efrâdına; küçük çocuklarına ve hizmetçilerine yedirmeyi tercih etmelidir. Daha büyük harama yaklaşmamak şartıyla, büyük çocuklarını da bu şüpheli şeylerden korur. Şâyet daha büyük harama gideceklerse, ihtiyaç miktârı onlara verir. Hülâsa, başkası hakkında mahzurlu olan her şey, kendi hakkında daha çok mahzurludur. O da, onun bile bile yemesidir. Halbûki âile efrâdı, çok defâ yediklerinin ne olduğunu bilmediklerinden mâzûr görülebilirler. Çünkü idâreyi kendi eline almamışlardır. Binâenaleyh, evvelâ kendisine sonra diğerlerine helâl nafaka temîn etsin.

Bizzât kendisi yiyeceği ve giyeceği ile tedâvi, boya, çamaşır yıkamak, hamal ücreti, sıva, yağlanmak, ev tâmiri, hayvan kirası, ateş yakmak, odun parası ve ışık masrafları gibi, diğer masrafları arasında mütereddit kalırsa yâni hepsini helâlinden ödemeyip, bir kısmını helâlden ve diğer kısmını da şüpheli şeylerden ödemek zarûreti hâsıl olursa, yiyecek ve giyeceğine helâlini ayırmalı, diğer masrafları da şüpheli olandan görmelidir. Çünkü bedeni ile alâkalı kısımların helâl olması daha evlâdır. Bu vaziyet yalnız yiyeceği ile giyeceği arasında olursa, yiyeceğinin helâl olmasını tercîh eder. Zîra et ve kanına karışan giydiği değil, yediğidir. Haramdan biten her et, cehenneme daha lâyıktır. Elbisenin faydası kendisini sıcaktan, soğuktan koruyarak, setr-i avret etmek ve bedenini görünmekten korumaktır. İşte benim görüşüm budur. **Hâris-i Muhâsibî** ise "Helâl parasını elbiseye verir. Çünkü yediği kısa bir müddet sonra gider, fakat elbise uzun zaman sırtında kalır." Nitekim hadîste:

"Bir dirhemi haram olan on dirhem ile alınan elbise içerisinde kılınan namaz kabul olunmaz." buyurulmuştur. Bu da bir ihtimâl olmakla beraber, buna benzer. Karnında haram lokma olanın ibâdeti kabul olmayacağına, haramdan biten etin cehennemi hak ettiğine dâir birçok rivâyetler vardır. Her hâlde eti ve kemiği helâldan beslemeye dikkat etmek daha evlâdır. Bunun için Ebû Bekir (r.a.) bilmeyerek içtiği sütü kustu. Maksadı, haramdan beslenen et ve kemiğinin bulunmaması idi.

Şâyet "bunların hepsi kendisine bağlı, kendi maksat ve gâyesine tâbi şeylerdir. Kendisi ile nafakası üzerine borç olanların veyâ kendi ihtiyâcı için sarf edeceği şu cihet ile bu cihetin ne farkı vardır, bunların hepsi aynı değil midir?" dersen deriz ki: "Râfi' b. Hadiç rivâyeti ile gelen hadîste bunu anlatmıştık. Şöyle ki: Râfi' öldüğü zaman, bir devesi ve bir de kan alıcı kölesi vardı. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e kan almaktan alınan ücretten sorduklarında ondan men etti. Tekrâr tekrâr sordular, her defasında men edince: "Yetimler var, yâ Resulallah!" dediklerinde, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.): *"O halde onun kazancını deveye yedirin."* buyurdu ki, bu yetimlerinin yemesi ile hayvanın yemesi arasındaki farkı gösterir. İşte, diğerlerini de buna kıyâs et.

Mesele

Elindeki haram paradan diğer fakirlere vereceği zaman, bolca vermeli. Kendi çocuklarına vereceği zaman ise iktisâda riâyet etmeli, kendisi için harcayacaksa, mübrem ve zarûrî ihtiyâcını geçmemelidir. Bu üç mertebeye riâyet etmelidir. Meselâ, kendisine fakir bir misâfir geldiği zaman, ona bolca yedirmeli, zengin adam geldiğinde ona yedirmemelidir. Ancak, kendisi dışarıda bulunduğu bir sırada veyâ gece vakti evine gelen misâfir zengin de olsa -o vakitte başka bir şey bulunmadığı için- yine fakir sayılır. Gelen misâfir fakir fakat şüpheli şeyleri yemekten sakınan müttakîlerden ise o zaman hem yemeği hazırlar, hem de misâfiri aldatmamak için yemeğin helâliyet derecesini kendisine söyler. Dostunun hoşlanmayacağı bir şey ile ona ikrâm etmek doğru olmaz. "Bilmediği için bir şey lâzım gelmez." demek de doğru değildir. Bilmeyerek yese de haram lokma mîdeye girince kalbe kasvet getirir. Bunun için Hazret-i Ebû Bekir ve Hazret-i Ömer (r. anhüma), bilmeyerek içtikleri sütû hemen kusmuşlardır. Bizim bu gibi haramın, fakirlere helâl olması ile fetvâ vermemiz bir zarûret karşılığıdır. Yoksa helâl ile kabil-i kıyâs değildir. Bu, tıpkı zarûret zamânında (ölmeyecek derecede) domuz ve şarabın helâl kılınmasına benzer ki, bu hüküm onların helâller sınıfına girmesi neticesini doğurmaz.

Mesele

Anne ve babasının servetinde haram veyâ şüpheli kısım varsa. -onlar kızsalar da- onlarla yemekten kaçınmalı ve sırf haram olanı yemekten çekinmelidir. Çünkü Allah'a isyân edilecek yerde mahlûka itâat olmaz. Şâyet yalnız şüpheli ise o zaman anneye, babaya itâat etmekteki verâ ile şüpheli olan şeyi yemekten kaçınmak arasındaki verâ, muâraza hâlindedir. Belki anne ve babaya itâat daha kuvvetli ve hattâ vâciptir. Buna göre, gönül hoşluğu ile yemeyebilirse ne âlâ, aksi takdirde muvâfakat eder ve ağır yemek, lokmayı küçük almak sûretiyle az yemeye gayret eder, çok yemez. Zîra çok yemek, aldanmaktır. Kardeş ve kızkardeş haklarına riâyet lâzım olduğu için, onlar da aynı hükümde sayılır. Bunun gibi annesi, şüpheli bir elbiseyi kendisine giydirmek ister ve giymediği takdirde kırılacağını anlarsa, yanında elbiseyi giyer, hâriçte ise çıkarır ve mümkün mertebe o elbise ile namaz kılmamaya gayret eder. Annesinin yanında zarûrî olarak kılar. İşte, ayrı ayrı iki verâın sebepleri muâraza ettiği zaman, bu inceliklere dikkat etmesi lâzımdır.

Hikâye olunduğuna göre, **Bişr-i Hâfi**'ye annesi bir hurma verdi ve yemesini ısrârla istedi. Bişr, annesinin hatırı için hurmayı yedi ve hemen dışarı çıkarak yediği hurmayı kustu. Peşinden çıkan annesi de bunu gördü. Böyle yapmakla hem annesinin rızâsını almış ve hem de mîdesini şüpheli şeyden korumuş oldu.

Ahmed b. Hanbel'e; "Bişr'e şüpheli şeylerde ana babaya itâat olur mu?" diye sorduklarında "Hayır olmaz." dedi. "Siz ne dersiniz?" dediler. Ahmed b. Hanbel: "Bişr, çok ileri gitti." dedi. Yine Ahmed b. Hanbel'e "Abadanlı Muhammed b. Mukatil'e[79] aynı soruyu sorduklarında: "Annene babana itâat eyle." dedi. "Buna ne buyurursunuz?" dediklerinde, Ahmed b. Hanbel (Allah rahmet etsin): "Benim için de en güzeli budur. Onlarla idâre etmek, ne güzeldir." dedi.

Mesele

Bütün serveti haram olan kimsenin hac, zekât ve mâlî kefâret diye bir borcu olmaz. Çünkü o, müflistir. Aynı zamanda zekât, malın kırkta birini vermektir. Bu kimseye ise malının hepsini vermek borçtur. Malın asıl sahibini bulduğunda ona, bulamadığında fakirlere verecektir. Daha hac, zekât veyâ mâlî kefâretler gibi borçlar nerede kaldı?

Helâl ve harama ihtimâli olacak şekilde şüpheli servete mâlik olup, bunu elinden çıkaramamış ise helâl olması ihtimâline binâen, haccetmesi lâzımdır. Hac, ancak fakirlikle düşer. Hâlbuki bunun fakirliği katî olarak belli değildir. Allahü Teâlâ.

وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبٖيلًا

"Yol bakımından gücü yetenlere Beyt'i ziyaret etmek, insanlar üzerinde Allah'ın hakkıdır." (Âl-i İmrân suresi, 3/97) buyurmuştur. Haram olması kuvvetle muhtemel olan malın ihtiyaçtan fazlasını dağıtmak vâcip olursa, zekâtını vermesi evleviyetle sâbit olur. Kefârete borçlandığı zaman hem kefâret verir, hem de orucu tutar. Bu sûretle şüpheden kurtulmuş olur. Hattâ bâzıları bu gibi servet sahiplerine para tasadduk etmek değil, oruç tutmak lâzım geldiğini söylemişlerdir. Çünkü bunlarda servetin olduğu gerçek olarak bilinmemektedir. **Muhâsibî** de bunu tercih etmiştir. Bize göre haram ihtimâli gâlip olduğu için, kaçınması ve elinden çıkarması ile hükmettiğimiz şüpheli yerlerde iki tarafını toplar. Yâni hem oruç tutar, hem de kefâret verir. Oruç tutar; çünkü hükmen müflistir. Yedirir sadaka verir; çünkü hepsini vermekle mükelleftir. Aynı zamanda malın helâl olmak ihtimâli de vardır. Bu bakımdan da oruç ile değil, kefâret vermekle borcunu ödemesi lâzımdır.

---

[79] Sâdık ve âbid bir zâttır. 236 Hicride ölmüştür. Ebû Dâvûd **"Kitâbü'l-Merâsil"**de kendisinden rivâyet etmiştir.

Mesele

İhtiyâcı için kendisine ayırdığı haram para ile nâfile haccetmek isteyen kimse, şâyet hacca yaya gidecekse, bunu yapmasında beis yoktur. Çünkü durduğu yerde yiyeceği malını hac yolunda yemesi arasında bir fark yoktur. Fakat vâsıta tutmak mecbûriyetinde ise memlekette bu gibi parayı vâsıtaya veremediği gibi, hac yolunda da veremez. Şâyet aradan zaman geçmekle eline helâl servet geçip, helâl ile haccedebilmek ihtimâli varsa, haram ile yaya olarak hacca gitmeden, beklemesi daha evlâdır.

Mesele

Şüpheli mal ile farz olan hacca çıkan kimse, hiç olmazsa yiyeceğinin helâl olmasına dikkat etsin. Eğer buna tamamen gücü yetmiyorsa, ihrâma girip ihrâmdan çıkıncaya kadar helâl yemeye gayret etsin. Buna da gücü yetmiyorsa, hele Arefe günü Allah'ın huzûrunda duâ ile meşgul iken, yiyip giydiğinin haram olmamasına dikkat etsin, mîdesinde ve sırtında haram bulunmasın. Biz, her ne kadar bu câiz şu câiz dedikse de, bunları hep zarûret kabul ettik. Yoksa hiç birini helâl ve temiz mertebesine yükseltmedik. Şâyet buna da gücü yetmiyorsa, bunun üzüntü ve sıkıntısını gönlünden eksik etmemelidir. Umulur ki, Allahü Teâlâ kendisine rahmet ile nazar eder ve kusurlarını bağışlar.

Mesele

Adamın biri Ahmed b. Hanbel'e:

- "Babam öldü, malı da var. Fakat muâmelesi çürük olan (yâni servetinde haram bulunan) kimseler ile de alış-veriş ederdi. Ne yapmamı tavsiye edersiniz?" diye sordu. Ahmed b. Hanbel:

- "Onunla olan kârını ayır ve dağıt." buyurdu. Adam:

- "Ayrıca borcu da var, alacağı da." deyince Ahmed b. Hanbel:

- "Babanın borcuna mahpûs kalmasını istemezsen, borcunu da ver alacağını da al." buyurdu. İmâm'ın bu görüşü doğrudur. Haram miktarını çıkarmayı uygun buldu ve baş parayı kendi helâl malı olarak kabul etti.

البَابُ الخَامِسُ
في إدْرارات السّلاطين وصِلاتهم وما يَحِلّ منها وما يحرم

اعلمْ : أنَّ مَنْ أخذَ مالاً مِنْ سلطانٍ . . فلا بدَّ لهُ مِنَ النظرِ في ثلاثةِ أمورٍ :

في مدخلِ ذلكَ إلىٰ يدِ السلطانِ مِنْ أينَ هوَ ؟

وفي صفتِهِ التي بها يستحقُّ الأخذَ .

وفي المقدارِ الذي يأخذهُ هلْ يستحقُّهُ إذا أضيفَ إلىٰ حالهِ وحالِ شركائِهِ في الاستحقاقِ ؟

النّظر الأوّل : في جهات الدّخل للسّلطان

وكلُّ ما يحلُّ للسلطانِ سوى الإحياء وما يشتركُ فيهِ الرعيَّةُ قسمانِ :

مأخوذٌ منَ الكفَّارِ : وهوَ الغنيمةُ المأخوذةُ بالقهرِ ، والفيءُ ؛ وهوَ الذي حصلَ مِنْ مالِهِمْ في يدهِ مِنْ غيرِ قتالٍ ، والجِزيةُ وأموالُ المصالحةِ ؛ وهيَ التي تؤخذُ بالشرطِ والمعاقدةِ .

* * *

والقسمُ الثاني : المأخوذُ مِنَ المسلمينَ : ولا يحلُّ منهُ إلا قسمانِ :

ـ المواريثُ وسائرُ الأموالِ الضائعةِ التي لا يتعيَّنُ لها مالكٌ .

ـ والأوقافُ التي لا متولِّيَ لها .

أمَّا الصدقاتُ . . فليسَ تؤخذُ في هـٰذا الزمانِ ، وما عدا ذلكَ ؛ مِنَ الخراجِ المضروبِ على المسلمينَ ، والمصادراتِ ، وأنواعِ الرِّشوةِ . . كلُّها حرامٌ .

فإذا كتبَ لفقيهٍ أوْ غيرهِ إدراراً ، أوْ صلةً أوْ خلعةً علىٰ جهةٍ . . فلا يخلو مِنْ أحوالٍ ثمانيةٍ ؛ فإنَّهُ إمَّا أنْ يكتبَ لهُ ذلكَ على الجزيةِ ، أوْ على المواريثِ ، أوْ على الأوقافِ ، أوْ علىٰ مواتٍ أحياهُ السلطانُ ، أوْ علىٰ ملْكٍ اشتراهُ ، أوْ علىٰ عاملِ خراجِ المسلمينَ ، أوْ علىٰ بيَّاعٍ مِنْ جملةِ التجَّارِ ، أوْ على الخزانةِ .

* * *

فالأوَّلُ : هوَ الجزيةُ : وأربعةُ أخماسِها للمصالحِ (١) ، وخمسُها لجهاتٍ معيَّنةٍ ، فما يُكتبُ على الخمسِ مِنْ تلكَ الجهاتِ ، أوْ على الأخماسِ الأربعةِ لما فيهِ مصلحةٌ ، وروعيَ فيهِ الاحتياطُ في القدْرِ . . فهوَ حلالٌ بشرطِ أنْ تكونَ الجزيةُ مضروبةً علىٰ وجهٍ شرعيٍّ ؛ ليسَ فيها زيادةٌ علىٰ دينارٍ ، أوْ

---

(١) كسد الثغور ، وبناء القناطر والجسور ، وكفاية القضاة والعلماء والمقاتلة ووزرائهم ؛ لأنه مأخوذ بقوة المسلمين ، فيصرف إلىٰ مصالحهم ، وهـٰؤلاء عملة المسلمين ، قد حبسوا أنفسهم لمصالح المسلمين ، فكان الصرف إليهم تقوية للمسلمين . « إتحاف » (٦/ ١١٠) .

علىٰ أربعةِ دنانيرَ ؛ فإنَّهُ أيضاً في محلِّ الاجتهادِ⁽¹⁾ ، وللسلطانِ أنْ يفعلَ ما هوَ في محلِّ الاجتهادِ ، وبشرطِ أنْ يكونَ الذميُّ الذي تُؤخذُ الجزيةُ منهُ مكتسباً مِنْ وجهٍ لا يُعلمُ تحريمُهُ ، فلا يكونُ عاملَ سلطانٍ ظالمٍ ، ولا بيَّاعَ خمرٍ ، ولا صبيّاً ولا امرأةً ؛ إذْ لا جزيةَ عليهما .

فهٰذهِ أمورٌ تُراعىٰ في كيفيةِ ضرْبِ الجزيةِ ، ومقدارِها ، وصفةِ مَنْ تُصرفُ إليهِ ، ومقدارِ ما يُصرفُ ، فيجبُ النظرُ في جميعِ ذلكَ .

* * *

الثاني : **المواريثُ والأموالُ الضائعةُ** : فهيَ للمصالحِ ، والنظرُ في أنَّ الذي خلَّفَهُ هلْ كانَ مالُهُ كلُّهُ حراماً أَوْ أكثرُهُ أَوْ أقلُّهُ ؟ وقدْ سبقَ حكمُهُ ، فإنْ لمْ يكنْ حراماً . بقيَ النظرُ في صفةِ مَنْ يُصرفُ إليهِ ؛ بأنْ يكونَ في الصرْفِ إليهِ مصلحةٌ ، ثمَّ في المقدارِ المصروفِ .

* * *

الثالثُ : **الأوقافُ** : وكذا يجري النظرُ فيها كما يجري في الميراثِ ، معَ زيادةِ أمرٍ ؛ وهوَ شرْطُ الواقفِ ، حتَّىٰ يكونَ المأخوذُ موافقاً لهُ في جميعِ شرائطِهِ .

* * *

---

(١) فتقدير الدينار هو قول الإمام الشافعي ، وتقديرها بأربعة دنانير هو قول الإمام مالك ، علىٰ تفصيل في ذلك . انظر « الإتحاف » (٦/ ١١٠) .

الرابعُ : ما أحياهُ السلطانُ : وهـٰذا لا يُعتبرُ فيهِ شرْطٌ ؛ إذْ لهُ أنْ يعطيَ مِنْ ملكِهِ ما شاءَ ، لمَنْ شاءَ ، أيَّ قدْرٍ شاءَ ، وإنَّما النظرُ في أنَّ الغالبَ أنَّهُ أحياهُ بإكراهِ الأجراءِ ، أوْ بأداءِ أجرتِهِمْ مِنْ حرامٍ ؛ فإنَّ الإحياءَ يحصلُ بحفرِ القناةِ والأنهارِ وبناءِ الجدرانِ ، وتسويةِ الأرضِ ، ولا يتولاَّهُ السلطانُ بنفسِهِ .

فإنْ كانوا مكرهينَ على الفعلِ . . لمْ يتملكْهُ السلطانُ ، وهوَ حرامٌ ، وإنْ كانوا مستأجرينَ ، ثمَّ قُضيتْ أجورُهُمْ مِنَ الحرامِ . . فهـٰذا يورثُ شبهةً قدْ نبهنا عليها في تعلُّقِ الكراهةِ بالأعواضِ .

* * *

الخامسُ : ما اشتراهُ السلطانُ في الذمَّةِ مِنْ أرضٍ أوْ ثيابِ خِلْعةٍ ، أوْ فرسٍ ، أوْ غيرِهِ : فهوَ ملكُهُ ، ولهُ أنْ يتصرَّفَ فيهِ ، ولكنَّهُ سيقضي ثمنَهُ مِنْ حرامٍ ، وذلكَ يوجبُ التحريمَ تارةً ، والشبهةَ أخرىٰ ، وقدْ سبقَ تفصيلُهُ(١) .

* * *

السادسُ : أنْ يكتبَ علىٰ عاملِ خراجِ المسلمينَ(٢) أوْ مَنْ يجمعُ أموالَ

---

(١) فموجب التحريم كونه اشترىٰ من مال حرام ، وموجب الشبهة أنه اشتراه في الذمة ، ثم أدىٰ ثمنه من حرام . « إتحاف » (٦/ ١١١) .

(٢) أي : على الأراضي الخراجية .

القسمةِ[1] **والمصادرةِ** : وهوَ الحرامُ السحْتُ الذي لا شبهةَ فيهِ ، وهوَ أكثرُ الإدراراتِ في هـٰذا الزمانِ ، إلا ما علىٰ أراضي العراقِ ؛ فإنَّها وقْفٌ عندَ الشافعيِّ رحمهُ اللهُ علىٰ مصالحِ المسلمينَ[2] .

* * *

السابعُ : **ما يُكتبُ علىٰ بيّاعٍ يعاملُ السلطانَ** : فإنْ كانَ لا يُعاملُ غيرَهُ . . فمالُهُ كمالِ خزانةِ السلطانِ ، وإنْ كانتْ معاملتُهُ معَ غيرِ السلطانِ أكثرَ . . فما يعطيهِ قرضٌ على السلطانِ ، وسيأخذُ بدلَهُ مِنَ الحرامِ ، فالخللُ يتطرّقُ إلى العوضِ ، وقد سبقَ حكمُ الثمنِ الحرامِ .

* * *

الثامنُ : **ما يُكتبُ على الخزانةِ ، أوْ علىٰ عاملٍ يجتمعُ عندَهُ مِنَ الحلالِ والحرامِ** : فإنْ لمْ يُعرفْ للسلطانِ دخلٌ إلا مِنَ الحرامِ . . فهوَ سحْتٌ محضٌ ، وإنْ عُرفَ يقيناً أنَّ الخزانةَ تشتملُ علىٰ مالٍ حلالٍ ومالٍ حرامٍ ، واحتملَ أنْ يكونَ ما يسلَّمُ إليهِ بعينِهِ مِنْ الحلالِ احتمالاً قريباً لهُ وقْعٌ في النفسِ ، واحتملَ أنْ يكونَ مِنَ الحرامِ وهوَ الأغلبُ ؛ لأنَّ أغلبَ أموالِ السلاطينِ حرامٌ في هـٰذهِ الأعصارِ ، والحلالُ في أيديهِمْ معدومٌ أوْ عزيزٌ . . فقدِ اختلفَ الناسُ في هـٰذا :

---

(١) في (ب) : (الرشوة) ، وفي نسخة الحافظ الزبيدي (٦/ ١١١) : (الغنيمة) .

(٢) إذ استطاب عمر رضي الله عنه قلوب الغانمين وآجرها من أهلها . انظر « الأم » (٥/ ٦٨٤) ، و« السنن الكبرىٰ » (٦/ ٣١٨) للبيهقي ، و« الإتحاف » (٦/ ١١١) .

فقالَ قومٌ : كلُّ ما لا أتيقَّنُ أنَّهُ حرامٌ . . فلي أنْ آخذَهُ .

وقالَ آخرونَ : لا يحلُّ أنْ يُؤخذَ ما لمْ يُتحقَّقْ أنَّهُ حلالٌ ؛ فلا تحلُّ شبهةٌ أصلاً .

وكلاهما إسرافٌ ، والاعتدالُ ما قدمنا ذكرَهُ ، وهوَ الحكمُ بأنَّ الأغلبَ إذا كانَ حراماً . . حرمَ ، وإنْ كانَ الأغلبُ حلالاً وفيهِ يقينُ حرامٍ . . فهوَ موضعٌ توقفنا فيهِ كما سبقَ .

* * *

ولقدِ احتجَّ مَنْ جوَّزَ أخذَ أموالِ السلاطينِ إذا كانَ فيها حرامٌ وحلالٌ مهما لمْ يتحقَّقْ أنَّ عينَ المأخوذِ حرامٌ . . بما رُوِيَ عنْ جماعةٍ مِنَ الصحابةِ أنَّهُمْ أدركوا أيامَ الأئمةِ الظلمةِ وأخذوا الأموالَ ؛ منهُمْ : أبو هريرةَ ، وأبو سعيدٍ الخدريُّ ، وزيدُ بنُ ثابتٍ ، وأبو أيُّوبَ الأنصاريُّ ، وجريرُ بنُ عبدِ اللهِ ، وجابرٌ ، وأنسُ بنُ مالكٍ ، والمِسْوَرُ بنُ مخرمةَ .

فأخذَ أبو سعيدٍ وأبو هريرةَ مِنْ مروانَ ويزيدَ ومِنْ عبدِ الملكِ⁽¹⁾ ، وأخذ ابنُ عمرَ وابنُ عباسٍ مِنْ الحجَّاجِ⁽²⁾ .

---

(١) فقد أُمِّر عبد الملك في زمن معاوية رضي الله عنه ؛ إذ كان أميره على المدينة وعمره ست عشرة سنة . انظر « الطبقات الكبرىٰ » (٧/ ٢٢١) .

(٢) عقد ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٠٧٠٢ـ٢٠٧٢٢) باباً فيمن رخص في جوائز الأمراء والعمال .

وأخذَ كثيرٌ مِنَ التابعينَ منهُمْ ؛ كالشعبيِّ ، والنخعيِّ ، والحسنِ ، وابنِ أبي ليلىٰ .

وأخذَ الشافعيُّ مِنْ هارونَ الرشيدِ ألفَ دينارٍ في دفعةٍ واحدةٍ ، وأخذَ مالكٌ مِنَ الخلفاءِ أموالاً جمَّةً .

وقالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : (خذْ ما يعطيكَ السلطانُ ؛ فإنَّما يعطيكَ مِنَ الحلالِ ، وما يأخذُ مِنَ الحلالِ أكثرُ) .

وإنما تركَ مَنْ تركَ العطاءَ منهُمْ تورُّعاً ؛ مخافةً علىٰ دينِهِ أنْ يحملَ علىٰ ما لا يحلُّ .

ألا ترىٰ قولَ أبي ذرٍّ للأحنفِ بنِ قيسٍ : (خذِ العطاءَ ما كانَ نحلةً ، فإذا كانَ أثمانَ دينِكُمْ . . فدعوهُ)(١) .

وقالَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : (إذا أُعطِينا . . قبلْنا ، وإذا مُنعْنا . . لمْ نسألْ)(٢) .

وعنْ سعيدِ بنِ المسيَّبِ أنَّ أبا هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ إذا أعطاهُ معاويةُ . . سكتَ ، وإنْ منعَهُ . . وقعَ فيهِ(٣) .

---

(١) رواه ابن سعد في « الطبقات » (٤/ ٢١٦) .

(٢) رواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٦/ ١٨٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٧/ ٣٧٤) بنحوه .

(٣) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٧/ ٣٧٣) بنحوه .

وعنِ الشعبيِّ ، عنْ مسروقٍ[1] : (لا يزال العطاء بأهلِ العطاءِ حتَّىٰ يدخلَهُمُ النارَ)[2] أيْ : يحملُهُمْ ذلكَ على الحرامِ ، لا أنَّهُ في نفسِهِ حرامٌ .

وروىٰ نافعٌ عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما : أنَّ المختارَ كانَ يبعثُ إليهِ المالَ فيقبلُهُ ، ثمَّ يقولُ : (لا أسألُ أحداً ، ولا أردُّ ما رزقَني اللهُ)[3] ، وأهدىٰ إليهِ ناقةً فقبلَها ، وكانَ يُقالُ لها : ناقةُ المختارِ[4] .

ولكنْ هٰذا يعارضُهُ ما رُوِيَ أنَّ ابنَ عمرَ لمْ يردَّ هديةَ أحدٍ إلا هديَّةَ المختارِ ، والإسنادُ في ردِّهِ أثبتُ[5] .

وعنْ نافعٍ أنَّهُ قالَ : بعثَ ابنُ معمرٍ إلى ابنِ عمرَ ستينَ ألفاً ، فقسمَها

---

(١) في (أ ، ج ، هـ ، ط) : (ابن مسروق) ، وفي (ب ، د) : (أبي مسروق) ، والمثبت من بعض نسخ وقف عليها الحافظ الزبيدي ، فالشعبي إنما يروي عن مسروق بن الأجدع الكوفي التابعي المشهور . انظر « الإتحاف » (٦/ ١١٣) .

(٢) قد روى ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٠٧١١) أن خالد بن أسيد بعث إلىٰ مسروق بثلاثين ألفاً ، فردها ، فقالوا له : لو أخذتها فتصدقت بها ووصلت بها ؟! فأبىٰ أن يأخذها .

(٣) رواه ابن سعد في « الطبقات » (٤/ ١٤٠) ، والمختار هو ابن أبي عبيد الثقفي الكذاب .

(٤) معناه في الخبر قبله ، وسيأتي خبر حبيب قريباً .

(٥) خبر ردِّه هدايا المختار رواه ابن سعد في « طبقاته » (٤/ ١٤٧) قال نافع : ما رد ابن عمر علىٰ أحد وصية ولا رد علىٰ أحد هدية إلا على المختار .

على الناسِ ، ثمَّ جاءَهُ سائلٌ ، فاستقرضَ لهُ مِنْ بعضِ مَنْ أعطاهُ ، وأعطى السائلَ(١) .

ولمَّا قدمَ الحسنُ بنُ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما علىٰ معاويةَ رضيَ اللهُ عنهُ فقالَ : ألا أجيزُكَ بجائزةٍ لمْ أجزْها أحداً قبلَكَ مِنَ العربِ ، ولا أجيزُها أحداً بعدَكَ مِنَ العربِ ؟ قالَ : فأعطاهُ أربعَ مئةِ ألفِ درهمٍ ، فأخذَها(٢) .

وعنْ حبيبِ بنِ أبي ثابتٍ قالَ : لقدْ رأيتُ جائزةَ المختارِ لابنِ عمرَ وابنِ عباسٍ فقبلاها ، فقيلَ : ما هيَ ؟ قالَ : مالٌ وكسوةٌ(٣) .

وعنِ الزبيرِ بنِ عديٍّ أنَّهُ قالَ : قالَ سلمانُ : (إذا كانَ لكَ صديقٌ عاملٌ أوْ تاجرٌ يقارفُ الربا ، فدعاكَ إلىٰ طعامٍ أوْ نحوِهِ ، أوْ أعطاكَ شيئاً . . فاقبلْ ، فإنَّ المهنأَ لكَ وعليهِ الوزرُ)(٤) ، وإذا ثبتَ هـٰذا في المُرْبي . . فالظالمُ في معناهُ .

---

(١) روىٰ نحوه ابن سعد في « الطبقات » (٤/ ١٣٨) .

(٢) وروى ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٤/ ١١٣) قال : دخل الحسن والحسين علىٰ معاوية ، فأمر لهما في وقته بمئتي ألف درهم ، قال : خذاها وأنا ابن هند ، ما أعطاها أحد قبلي ولا يعطيها أحد بعدي ، وقد كان من جواب سيدنا الحسين رضي الله عنه علىٰ ذلك (٥٩/ ١٩٣) أن قال : والله ما أعطىٰ أحد قبلك ولا أحد بعدك لرجلين أشرف ولا أفضل منا .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٠٧٠٣) بنحوه ، وسبقت الإشارة إليه قريباً .

(٤) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (١٤٦٧٧) .

وعنْ جعفرٍ عنْ أبيهِ : أنَّ الحسنَ والحسينَ رضيَ اللهُ عنهُم كانا يقبلان جوائزَ معاويةَ(١) .

وقالَ حكيمُ بنُ جبيرٍ : مررْنا علىٰ سعيدِ بنِ جبيرٍ وقدْ جُعِلَ عشَّارون مِنْ أسفلِ الفراتِ ، فأرسلَ إلى العشَّارينَ : أطعمونا ممَّا عندَكُمْ ، فأرسلوا بطعامٍ ، فأكلَ وأكلْنا معهُ(٢) .

وقالَ العلاءُ بنُ زهيرٍ الأزديُّ : أتىٰ إبراهيمَ أبي وهوَ عاملٌ علىٰ حُلوانَ ، فأجازَهُ ، فقبلَ(٣) .

وقالَ إبراهيمُ : (لا بأسَ بجائزةِ العمَّالِ ، إنَّ للعمَّالِ مؤنةً ورزْقاً ، ويدخلُ بيتَ مالِهِ الخبيثُ والطيِّبُ ، فما أعطاكَ فهوَ مِنْ طيِّبِ مالِهِ)(٤) .

فقدْ أخذَ هؤلاءِ كلُّهُمْ جوائزَ السلاطينِ الظلمةِ ، وكلُّهُمْ طعنوا علىٰ مَنْ أطاعَهُمْ في معصيةِ اللهِ تعالىٰ .

وزعمَتْ هٰذهِ الفرقةُ أنَّ ما يُنقلُ مِنِ امتناعِ جماعةٍ مِنَ السلفِ مِنَ العطاءِ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٠٧٠٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٩/ ١٩٤) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٣٦٨٤) ، وسعيد رحمه الله بهٰذا حمل حالهم علىٰ أن لهم رزقاً وكفاية من بيت المال تحت خدمتهم ، فيحل لهم ، وما حل لهم حل لغيرهم . « إتحاف » (٦/ ١١٤) .

(٣) رواه ابن سعد في « طبقاته » (٨/ ٣٩٤) ، وإبراهيم هو النخعي .

(٤) تقدم نحو هٰذا عن علي رضي الله عنه ، وروى ابن سعد في « طبقاته » (٨/ ٣٩٤) عن عون قال : كان إبراهيم يأتي السلطان فيسألهم الجوائز .

لا يدلُّ على التحريمِ ، بلْ على الورعِ ؛ كالخلفاءِ الراشدينَ وأبي ذرٍّ وغيرِهِمْ مِنَ الزهَّادِ ؛ فإنَّهُمُ امتنعوا مِنَ الحلالِ المطلقِ زهداً ، ومِنَ الحلالِ الذي يُخافُ إفضاؤُهُ إلىٰ محذورٍ ورعاً وتقوىٰ ، فإقدامُ هؤلاءِ يدلُّ على الجوازِ ، وامتناعُ أولئكَ لا يدلُّ على التحريمِ .

وما نقلَ عنْ سعيدِ بنِ المسيَّبِ أنَّهُ تركَ عطاءَهُ في بيتِ المالِ حتَّى اجتمعَ بضعةٌ وثلاثونَ ألفاً(١) ، وما نُقلَ عنِ الحسنِ مِنْ قولِهِ : (لا أتوضَّأُ مِنْ ماءِ صيرفيٍّ وإنْ ضاقَ وقتُ الصلاةِ ؛ لأني لا أدري أصلَ مالِهِ) . . كلُّ ذلكَ ورعٌ لا يُنكرُ ، واتباعُهُمْ عليهِ أحسنُ مِن اتباعِهِمْ على الاتساعِ ، ولكنْ لا يحرمُ اتباعُهُمْ على الاتساعِ أيضاً . فهٰذهِ هيَ شبهةُ مَنْ يجوِّزُ أخذَ مالِ السلطانِ الظالمِ .

والجوابُ : أنَّ ما نُقلَ مِنْ أخذِ هؤلاءِ محصورٌ قليلٌ بالإضافةِ إلىٰ ما نقلَ مِنْ رَدِّهِمْ وإنكارِهِمْ ، فإنْ كانَ يتطرَّقُ إلى امتناعِهِمُ احتمالُ الورعِ . . فيتطرَّقُ إلىٰ أخذِ مَنْ أخذَ ثلاثةُ احتمالاتٍ متفاوتةٍ في الدرجةِ بتفاوتِهِمْ في الورعِ ؛ فإنَّ للورعِ في حقِّ السلاطينِ أربعَ درجاتٍ :

الدرجةُ الأولىٰ : ألا يأخذَ منْ مالِهِمْ شيئاً أصلاً ؛ كما فعلَهُ الورعونَ منهُمْ ، وكما كانَ يفعلُهُ الخلفاءُ الراشدونَ ، حتَّىٰ إنَّ أبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ

---

(١) رواه ابن سعد في « طبقاته » (٧/ ١٢٩) .

حسَبَ جميعَ ما كانَ أخذَهُ مِنْ بيتِ المالِ ، فبلغَ ستةَ آلافِ درهمٍ ، فغَرِمَها لبيتِ المالِ[١] .

وحتىٰ إنَّ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ يقسمُ مالَ بيتِ المالِ يوماً ، فدخلَتِ ابنةٌ لهُ وأخذَتْ درهماً مِنَ المالِ ، فنهضَ عمرُ في طلبِها حتَّىٰ سقطَتِ الملحفةُ عنْ أحدِ منكبيهِ ، ودخلَتِ الصبيَّةُ إلىٰ بيتِ أهلِها تبكي ، وجعلَتِ الدرهمَ في فيها ، فأدخلَ عمرُ إصبعَهُ فأخرجَهُ مِنْ فيها ، وطرحَهُ على الخراجِ ، وقالَ : (أيُّها الناسُ ؛ ليسَ لعمرَ ولا لآلِ عمرَ إلا ما للمسلمينَ قريبِهِمْ وبعيدِهِمْ) .

وكسحَ أبو موسى الأشعريُّ بيتَ المالِ ، فوجدَ درهماً ، فمرَّ ببُنَيٍّ لعمرَ رضيَ اللهُ عنهُ ، فأعطاهُ الدرهمَ فرآهُ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ في يدِ الغلامِ ، فقالَ لهُ : مِنْ أينَ لكَ هـٰذا ؟ فقالَ : أعطانيهِ أبو موسىٰ ، فقالَ : يا أبا موسىٰ ؛ ما كانَ في أهلِ المدينةِ بيتٌ أهونَ عليكَ مِنْ آلِ عمرَ ؟! أردتَ ألا يبقىٰ مِنْ أمَّةِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أحدٌ إلا طلبَنا بمظلمةٍ ؟! وردَّ الدرهمَ إلىٰ بيتِ المالِ[٢] .

هـٰذا معَ أنَّ المالَ كانَ حلالاً ، ولكنْ خافَ ألا يستحقَّ هوَ ذلكَ القدْرَ ، فكانَ يستبرئُ لدينِهِ ، ويقتصرُ على الأقلِّ ؛ امتثالاً لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ

---

[١] رواه ابن سعد في « طبقاته » (٣/ ١٧٦) .

[٢] عزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٦٠٢٤) لابن النجار .

وسلَّمَ : « دعْ ما يريبُكَ إلىٰ ما لا يريبُكَ »[١] ، ولقولِهِ : « فمَنْ تركَها . . فقدِ استبرأَ لعرضِهِ ودينِهِ »[٢] ، ولِمَا سمعَهُ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنَ التشديداتِ في الأموالِ السلطانيةِ ، حتَّىٰ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حينَ بعثَ عبادةَ بنَ الصامتِ إلى الصدقةِ : « اتقِ اللهَ يا أبا الوليدِ ؛ لا تجيءْ يومَ القيامةِ ببعيرٍ تحملُهُ علىٰ رقبتِكَ لهُ رغاءٌ ، أوْ بقرةٍ لها خوارٌ ، أوْ شاةٍ لها ثُؤاجٌ » ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ أهكذا يكونُ ؟ قالَ : « نعمْ ، والذي نفسي بيدِهِ إلا مَنْ رحمَ اللهُ » ، قالَ : فوالذي بعثَكَ بالحقِّ ؛ لا أعملُ علىٰ شيءٍ أبداً[٣] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنِّي لا أخافُ عليكُمْ أنْ تشركوا بعدي ، ولكنْ أخافُ عليكُمْ أنْ تَنافَسُوا »[٤] ، وإنَّما خافَ التنافُسَ في المالِ ، ولذلكَ قالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ في حديثٍ طويلٍ يذكرُ فيهِ مَالَ بيتِ المالِ :

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٨) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٥٢٠١) .

(٢) رواه البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) .

(٣) رواه الشافعي في « الأم » (٣/١٤٦) مرسلاً ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٤/١٥٨) موصولاً ، **والثؤاج** : صوت النعجة وصياح الغنم ، وهو عند البيهقي : (لا أعمل علىٰ شيء أبداً ، أو قال : على اثنين) ، قال الرافعي في « شرح مسند الشافعي » (٢/١٦٦) : (كأنه أراد عمل الزكاة ؛ لأنه روي أن عبادة مات بقبرس والياً عليها من قبل عمر رضي الله عنه ، والظاهر من حال الصحابة الوفاء بما قالوه وحلفوا عليه) ، فكأن رواية (اثنين) أوفق لهٰذه العلة ، والمعنىٰ كما ذكر الحافظ الزبيدي : لا ألي الحكم على اثنين ، ولا أقوم علىٰ أحد . « إتحاف » (٦/١١٥) .

(٤) رواه البخاري (١٣٤٤) ، ومسلم (٢٢٩٦) .

(إنِّي لمْ أجدْ نفسي فيهِ إلا كالوالِي مالَ اليتيمِ ؛ إنِ استغنيتُ . . استعففتُ ، وإنِ افتقرتُ . . أكلتُ بالمعروفِ)(١) .

ورُوِيَ أنَّ ابناً لطاووسٍ افتعلَ كتاباً عن لسانِهِ إلىٰ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ ، فأعطاهُ ثلاثَ مئةِ دينارٍ ، فباعَ طاووسٌ ضيعةً لهُ ، وبعثَ مِنْ ثمنِها إلىٰ عمرَ بثلاثِ مئةِ دينارٍ(٢) ، هـٰذا معَ أنَّ السلطانَ مثلُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ .

هـٰذهِ هيَ الدرجةُ العليا في الورعِ .

الدرجةُ الثانيةُ : هوَ أنْ يأخذَ مالَ السلطانِ ولكنْ إنَّما يأخذُ إذا علمَ أنَّ ما يأخذُهُ مِنْ جهةٍ حلالٍ ، فاشتمالُ يدِ السلطانِ علىٰ حرامٍ آخرَ لا يضرُّهُ ، وعلىٰ هـٰذا ينزَّلُ جميعُ ما نُقِلَ مِنَ الآثارِ أوْ أكثرُها ، أوْ ما اختصَّ منها بأكابرِ الصحابةِ والورعينَ منهُمْ ؛ مثلَ ابنِ عمرَ ؛ فإنَّهُ كانَ مِنَ المبالغينَ في الورعِ ، فكيفَ يتوسَّعُ في مالِ السلطانِ وقدْ كانَ مِنْ أشدِّهِمْ إنكاراً عليهِمْ ، وأشدِّهِمْ ذمّاً لأموالِهِمْ ؟! وذلكَ أنَّهُمُ اجتمعوا عندَ ابنِ عامرٍ وهوَ في مرضِهِ ، وأشفقَ علىٰ نفسِهِ مِنْ ولايتِهِ وكونِهِ مأخوذاً عندَ اللهِ بها ، فقالوا لهُ : إنَّا لنرجو لكَ الخيرَ ؛ حفرتَ الآبارَ ، وسقيتَ الحاجَّ ، وصنعتَ وصنعتَ ، وابنُ عمرَ ساكتٌ ، فقالَ : ماذا تقولُ يا بنَ عمرَ ؟ فقالَ : أقولُ ذلكَ إذا طابَ

---

(١) رواه ابن سعد في « طبقاته » (٣/٢٥٦) .

(٢) كذا في « الورع » (ص٨٦) لأحمد .

المكسبُ ، وزكتِ النفقةُ ، وستردُ فترى !(١) .

وفي حديثٍ آخرَ : أنَّهُ قالَ : إنَّ الخبيثَ لا يكفِّرُ الخبيثَ ، وإنَّكَ قدْ وُليتَ البصرةَ ولا أحسبُكَ إلا قدْ أصبتَ منها شرّاً ، فقالَ لهُ ابنُ عامرٍ : ألا تدعو لي ؟ فقالَ ابنُ عمرَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « لا يقبلُ اللهُ صلاةً بغيرِ طهورٍ ، ولا صدقةً مِنْ غلولٍ » ، وقدْ وُليتَ البصرةَ(٢) . فهـٰذا قولُهُ فيما صرفَهُ إلى الخيراتِ .

وعنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما أنَّهُ قالَ في أيامِ الحجَّاجِ : (ما شبعتُ مِنَ الطعامِ مذِ انتهبتِ الدارُ إلىٰ يومي هـٰذا)(٣) .

ورُوِيَ عنْ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ كانَ لهُ سويقٌ في إناءٍ مختومٍ يشربُ منهُ ، فقيلَ : أتفعلُ هـٰذا بالعراقِ معَ كثرةِ طعامِهِ ؟! فقالَ : أما إنِّي لا أختمُهُ بخلاً بهِ ، ولكنْ أكرَهُ أنْ يُجعلَ فيهِ ما ليسَ منهُ ، وأكرهُ أنْ يدخلَ بطني غيرُ طيبٍ(٤) . فهـٰذا هوَ المألوفُ منهُمْ .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (٨) .

(٢) مجمل الخبر رواه أحمد في « الزهد » (١٠٦٣-١٠٦٥) ، والطبراني في « الكبير » (١٠/ ٢٢٧) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٤/ ١٩١) ، والحديث المرفوع فيه رواه مسلم (٢٢٤) .

(٣) رواه بنحوه أبو داوود في « الزهد » (٣٠٩) ، ونسبه الحافظ الزبيدي لصاحب « القوت » كذلك ، وقال : (قوله المذكور أن أكله للطعام لم يكن إلا علىٰ قدر الضرورة من غير توسع فيه) . « إتحاف » (٦/ ١١٧) .

(٤) رواه ضمن خبر طويل أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٨٢) .

وكانَ ابنُ عمرَ لا يعجبُهُ شيءٌ إلا خرجَ عنهُ ، فطُلِبَ منهُ نافعٌ بثلاثينَ ألفاً ، فقالَ : إنِّي أخافُ أنْ تفتنَني دراهمُ ابنِ عامرٍ ـ وكانَ هوَ الطالبَ ـ اذهبْ فأنتَ حرٌّ(١) .

وقالَ أبو سعيدٍ الخدريُّ : (ما منَّا أحدٌ إلاَّ وقدْ مالَتْ بهِ الدنيا إلا ابنُ عمرَ)(٢) .

فبهـٰذا يتضحُ أنَّهُ لا يُظنُّ بهِ وبمَنْ كانَ في منصبِهِ أنَّهُ أخذَ ما لا يدري أنَّهُ حلالٌ .

* * *

الدرجةُ الثالثةُ : أنْ يأخذَ ما أخذَهُ مِنَ السلطانِ ليتصدَّقَ بهِ على الفقراءِ ، أوْ يفرِّقَهُ على المستحقينَ ؛ فإنَّ ما لا يتعيَّنُ مالكُهُ هـٰذا حكمُ الشرعِ فيهِ ، فإذا كانَ السلطانُ إنْ لمْ يأخذْ منهُ لمْ يفرِّقْهُ ، واستعانَ بهِ علىٰ ظلمٍ . فقدْ نقولُ : أخذُهُ منهُ وتفرقتُهُ أولىٰ مِنْ تركِهِ في يدِهِ ، وهـٰذا قدْ رآهُ بعضُ العلماءِ ، وسيأتي وجهُهُ .

وعلىٰ هـٰذا ينزَّلُ ما أخذَهُ أكثرُهُمْ ، ولذلكَ قالَ ابنُ المباركِ : إنَّ الذينَ

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١/٢٩٥) .

(٢) رواه أبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٣/١٧٠٧) عن جابر لا عن أبي سعيد ، رضي الله عنهما .

يأخذونَ الجوائزَ اليومَ ويحتجُّونَ بابنِ عمرَ وعائشةَ . . ما يقتدونَ بهما ؛ لأنَّ ابنَ عمرَ فرَّقَ ما أخذَ حتَّى استقرضَ في مجلسِهِ بعدَ تفرقتِهِ ستينَ ألفاً(١) ، وعائشةُ فعلَتْ مثلَ ذلكَ(٢) ، وجابرُ بنُ زيدٍ جاءَهُ مالٌ فتصدَّقَ بهِ ، وقالَ : رأيتُ أنْ آخذَهُ منهُمْ وأتصدَّقَ بهِ أحبّ إليَّ مِنْ أنْ أدعَها في أيديهِمْ ، وهٰكذا فعلَ الشافعيُّ رحمَهُ اللهُ بما قبلَهُ مِنْ هارونَ الرشيدِ ؛ فإنَّهُ فرَّقَهُ علىٰ قرْبٍ ، حتَّىٰ لمْ يمسكْ لنفسِهِ حبَّةً واحدةً(٣) .

* * *

الدرجةُ الرابعةُ : ألا يتحقَّقَ أنَّهُ حلالٌ ، ولا يفرِّقَ ، بلْ يستنفقُ(٤) ، ولكنْ يأخذُ مِنْ سلطانٍ أكثرُ مالِهِ حلالٌ ، وهكذا كانَ الخلفاءُ في زمانِ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم والتابعينَ بعدَ الخلفاءِ الراشدينَ ، ولمْ يكنْ أكثرُ مالِهِمْ حراماً ، ويدلُّ عليهِ تعليلُ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ حيثُ قالَ : (فإنَّ ما يأخذُهُ مِنَ الحلالِ أكثرُ) .

وهٰذا ممَّا قدْ جوَّزَهُ جماعةٌ مِنَ العلماءِ ؛ تعويلاً على الأكثرِ ، ونحنُ إنَّما توقَّفنا فيهِ في حقِّ آحادِ الناسِ ، ومالُ السلطانِ أشبهُ بالخروجِ عنِ الحصرِ ،

---

(١) روىٰ نحوه ابن سعد في « الطبقات » (٤/ ١٣٨) .

(٢) كما هو عند ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٠٧٠٥) .

(٣) رواه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/ ٢٢٦) بنحوه .

(٤) **يستنفق** : يصرفها نفقة ، يقال : أنفق الرجل علىٰ عياله واستنفق .

فلا يبعدُ أنْ يؤديَ اجتهادُ مجتهدٍ إلىٰ جوازِ أخذِ ما لمْ يُعلمْ أنَّهُ حرامٌ ؛ اعتماداً على الأغلبِ ، وإنَّما منعْنا إذا كانَ الأكثرُ حراماً .

فإذا فهمتَ هٰذهِ الدرجاتِ . . تحققتَ أنَّ إدراراتِ الظلمةِ في زمانِنا لا تجري مجرىٰ ذلكَ ، وأنَّها تفارقُهُ مِنْ وجهينِ قاطعينِ :

أحدُهما : أنَّ أموالَ السلاطينِ في عصرِنا حرامٌ كلُّها أوْ أكثرُها ، وكيفَ لا والحلالُ هوَ الصدقاتُ والفيءُ والغنيمةُ ولا وجودَ لها وليسَ يدخلُ منها شيءٌ في يدِ السلاطينِ ؟!(١) ولمْ يبقَ إلا الجزيةُ ، وأنَّها تُؤخذُ بأنواعٍ مِنَ الظلمِ لا يحلُّ أخذُها بذلكَ ؛ فإنَّهُمْ يجاوزونَ حدودَ الشرعِ في المأخوذِ والمأخوذِ منهُ ، والوفاءِ لهُ بالشرطِ ، ثمَّ إذا نُسِبَ ذلكَ إلىٰ ما ينصبُّ إليهِمْ مِنَ الخراجِ المضروبِ على المسلمينَ ، ومِنَ المصادراتِ ، والرشا ، وصنوفِ الظلمِ . . لمْ يبلغْ عُشرَ معشارِ عَشيرِهِ .

والوجهُ الثاني : أنَّ الظلمةَ في العصرِ الأوَّلِ لقربِ عهدِهِمْ بزمانِ الخلفاءِ الراشدينَ . . كانوا مستشعرينَ(٢) مِنْ ظلمِهِمْ ، ومتشوِّفينَ إلى استمالةِ قلوبِ الصحابةِ والتابعينَ ، وحريصينَ علىٰ قبولِهِمْ عطاياهُمْ وجوائزَهُمْ ، وكانوا يبعثونَ إليهم مِنْ غيرِ سؤالٍ وإذلالٍ ، بلْ كانوا يتقلَّدونَ المنَّةَ بقبولِهِمْ ويفرحونَ بهِ ، فكانوا يأخذونَ منهُمْ ويفرِّقونَ ، ولا يطيعونَ السلاطينَ في

---

(١) أي : في وقت المصنف .

(٢) أي : متخوفين .

أغراضِهِمْ ، ولا يغشَونَ مجالسَهُمْ ، ولا يكثرونَ جمعَهُمْ ، ولا يحبُّونَ بقاءَهُمْ ، بلْ يدعونَ عليهِمْ ، ويطلقونَ اللسانَ فيهِمْ ، وينكرونَ المنكراتِ منهُمْ ، فما كانَ يُحذرُ عليهِمْ أنْ يصيبوا مِنْ دينِهِمْ بقدْرِ ما أصابوا مِنْ دنياهُمْ ، فلمْ يكنْ بأخذِهِمْ بأسٌ .

فأمَّا الآنَ . . فلا تسمحُ نفوسُ السلاطينِ بعطيَّةٍ إلا لمَنْ طمعوا في استخدامِهِ ، والتكثُّرِ بهِ ، والاستعانةِ بهِ علىٰ أغراضِهِمْ ، والتجمُّلِ بغشيانِ مجالسِهِمْ ، وتكليفِهِمُ المواظبةَ على الدعاءِ والثناءِ ، والتزكيةِ والإطراءِ في حضورِهِمْ ومغيبِهِمْ ، فلوْ لمْ يذلَّ الآخذُ نفسَهُ بالسؤالِ أوَّلاً ، وبالتردُّدِ في الخدمةِ ثانياً ، وبالثناءِ والدعاءِ ثالثاً ، وبالمساعدةِ لهُ علىٰ أغراضِهِ عندَ الاستعانةِ رابعاً ، وبتكثيرِ جمعِهِ في مجلسِهِ وموكبِهِ خامساً ، وبإظهارِ الحبِّ والموالاةِ والمناصرةِ لهُ علىٰ أعدائِهِ سادساً ، وبالسترِ علىٰ ظلمِهِ ومقابحِهِ ومساوىءِ أعمالِهِ سابعاً⁽¹⁾ . . لمْ يُنعمْ عليهِ بدرهمٍ واحدٍ ، ولوْ كانَ في فضلِ الشافعيِّ رحمهُ اللهُ مثلاً !

فإذاً ؛ لا يجوزُ أنْ يُؤخذَ منهُمْ في هـٰذا الزمانِ ما يُعلمُ أنَّهُ حلالٌ ؛ لإفضائِهِ إلىٰ هـٰذهِ المعاني ، فكيفَ ما يُعلمُ أنَّهُ حرامٌ أوْ يشكُّ فيهِ ؟!

فمَنِ استجرأَ علىٰ أموالِهِمْ ، وشبَّهَ نفسَهُ بالصحابةِ والتابعينَ . . فقدْ قاسَ

---

(١) والانتساب إليه في أحواله ثامناً ، والتعويل عليه في مهماته تاسعاً ، وجر أسباب تحصيل الأموال إليه عاشراً . « إتحاف » (٦/١١٩) .

الملائكةَ بالحدَّادينَ ؛ ففي أخذِ الأموالِ منهُمْ حاجةٌ إلىٰ مخالطتِهِمْ ومراعاتِهِمْ وخدمةِ عمَّالِهِمْ ، واحتمالِ الذلِّ منهُمْ ، والثناءِ عليهِمْ ، والتردُّدِ إلىٰ أبوابِهِمْ وكلُّ ذلكَ معصيةٌ علىٰ ما سنبينُ في البابِ الذي يلي هٰذا .

فإذاً ؛ قدْ تبيَّنَ ممَّا تقدَّمَ مداخلُ أموالِهِمْ ، وما يحلُّ منها وما لا يحلُّ .

فلو تُصوِّرَ أنْ يأخذَ الإنسانُ منها ما يحلُّ بقدْرِ استحقاقِهِ وهوَ جالسٌ في بيتِهِ يُساقُ إليهِ ذلكَ ، لا يحتاجُ فيهِ إلىٰ تفقُّدِ عاملٍ وخدمتِهِ ، ولا إلى الثناءِ عليهِمْ وتزكيتِهِمْ ، ولا إلىٰ مساعدتِهِمْ . . فلا يحرمُ الأخذُ ، ولكنْ يُكرهُ لمعانٍ سننبِّهُ عليها في البابِ الذي يلي هٰذا .

* * *

النّظر الثّاني والثّالث من هٰذا الباب : في قدر المأخوذ وصفة الآخذ

ولنفرضِ المالَ منْ أموالِ المصالحِ ؛ كأربعةِ أخماسِ الفيءِ ، والمواريثِ ، فإنَّ ما عداهُ ممَّا قدْ تعيَّنَ مستحقُّهُ إنْ كانَ مِنْ وقفٍ ، أوْ صدقةٍ ، أوْ خمسِ فيءٍ ، أوْ خمسِ غنيمةٍ ، وما كانَ مِنْ ملكِ السلطانِ ممَّا أحياهُ أوِ اشتراهُ . . فلهُ أنْ يعطيَ ما شاءَ لمَنْ شاءَ .

وإنَّما النظرُ في الأموالِ الضائعةِ ومالِ المصالحِ ، فلا يجوزُ صرفُهُ إلا إلىٰ مَنْ فيهِ مصلحةٌ عامةٌ ، أوْ هوَ محتاجٌ إليهِ عاجزٌ عنِ الكسبِ .

فأمَّا الغنيُّ الذي لا مصلحةَ فيهِ . . فلا يجوزُ صرفُ مالِ بيتِ المالِ إليهِ ، هٰذا هوَ الصحيحُ ، وإنْ كانَ العلماءُ قدِ اختلفوا فيهِ⁽¹⁾ ، وفي كلامِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ ما يدلُّ علىٰ أنَّ لكلِّ مسلمٍ حقّاً في مالِ بيتِ المالِ ؛ لكونِهِ مسلماً مكثراً جمعَ الإسلامِ ، ولكنَّهُ معَ هٰذا ما كانَ يقسمُ المالَ على المسلمينَ كافَّةً ، بلْ علىٰ مخصوصينَ بصفاتٍ .

فإذا ثبتَ هٰذا . . فكلُّ مَنْ يتولَّىٰ أمراً يقومُ بهِ ، تتعدَّىٰ مصلحتُهُ إلى المسلمينَ ، ولوِ اشتغلَ بالكسبِ لتعطَّلَ عليهِ ما هوَ فيهِ . . فلهُ في بيتِ المالِ حقُّ الكفايةِ ، ويدخلُ فيهِ العلماءُ كلُّهُمْ ؛ أعني : العلومَ التي تتعلَّقُ بمصالحِ

---

(١) فمن قائل : إنه يخمَّس ، وآخر : لا يخمَّس ويصرف في مصالح عامة المسلمين . انظر « الإتحاف » (٦/ ١١٩) .

الدينِ ؛ مِنْ علمِ الفقهِ ، والحديثِ ، والتفسيرِ ، والقراءةِ(١) ، حتَّىٰ يدخلُ فيهِ المعلِّمونَ ، والمؤذنونَ ، وطلبةُ هـٰذهِ العلومِ أيضاً يدخلونَ فيهِ(٢) ، فإنَّهُ إنْ لمْ يُكفَوا . . لمْ يتمكَّنوا مِنَ الطلبِ .

ويدخلُ فيهِ العمَّالُ ، وهمُ الذينَ ترتبطُ مصالحُ الدنيا بأعمالِهِمْ ، وهمُ الأجنادُ المرتزقةُ الذينَ يحرسونَ المملكةَ بالسيوفِ عنْ أهلِ العداوةِ وأهلِ البغيِ وأعداءِ الإسلامِ .

ويدخلُ فيهِ الكتَّابُ والحسَّابُ والوكلاءُ ، وكلُّ مَنْ يُحتاجُ إليهِ في ترتيبِ ديوانِ الخراجِ ؛ أعني : العمالَ على الأموالِ الحلالِ لا على الحرامِ ، فإنَّ هـٰذا المالَ للمصالحِ ، والمصلحةُ إمَّا أنْ تتعلَّقَ بالدينِ أوْ بالدنيا ، وبالعلماءِ حراسةُ الدينِ ، وبالأجنادِ حراسةُ الدنيا ، والدينُ والملكُ توءمانِ ، فلا يستغني أحدُهما عنِ الآخرِ ، والطبيبُ وإنْ كانَ لا يرتبطُ بعلمِهِ أمرٌ دينيٌّ ولكنْ يرتبطُ بهِ صحَّةُ الجسدِ ، والدينُ يتبعُهُ ، فيجوزُ أنْ يكونَ لهُ ولمَنْ يجري مجراهُ في العلومِ المحتاجِ إليها في مصلحةِ الأبدانِ أوْ مصلحةِ البلادِ . . إدرارٌ مِنْ هـٰذهِ الأموالِ ؛ ليتفرَّغوا لمعالجةِ المسلمينَ ؛ أعني : مَنْ يعالجُ منهُمْ بغيرِ أجرةٍ ، وليسَ يُشترطُ في هؤلاءِ الحاجةُ ، بلْ يجوزُ أنْ يُعطَوا معَ الغنىٰ ، فإنَّ الخلفاءَ الراشدينَ كانوا يعطونَ المهاجرينَ والأنصارَ ، ولمْ

---

(١) وما تتوقف عليه مما هو جارٍ مجرى الوسائل والوسائط ؛ كالنحو والصرف والمعاني والبيان ، فلها حكم علوم الدين . « إتحاف » (٦/ ١٢٠) .

(٢) سواء كان من شهر أو سنة أو أزيد أو أقل . « إتحاف » (٦/ ١٢٠) .

يُعرفوا بالحاجةِ ، وليسَ يتقدَّرُ أيضاً بمقدارٍ ، بلْ هوَ إلى اجتهادِ الإمامِ ، ولهُ أنْ يوسِّعَ ويغنيَ ، ولهُ أنْ يقتصرَ على الكفايةِ علىٰ ما يقتضيهِ الحالُ وسعةُ المالِ ، فقدْ أخذَ الحسنُ مِنْ معاويةَ في دفعةٍ واحدةٍ أربعَ مئةِ ألفِ درهمٍ(١) ، وقدْ كانَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ يعطي لجماعةٍ اثني عشرَ ألفَ درهمٍ نُقرةً في السنةِ(٢) ، وأثبتَ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها في هٰذهِ الجريدةِ(٣) ، ولجماعةٍ عشرةَ آلافٍ ، ولجماعةٍ ستةَ آلافٍ ، وهٰكذا .

فهٰذا مالُ هؤلاءِ ، فيُوزَّعُ عليهِمْ حتَّىٰ لا يبقىٰ منهُ شيءٌ ، فإنْ خصَّ واحداً منهُمْ بمالٍ كثيرٍ . . فلا بأسَ .

وكذلكَ للسلطانِ أنْ يخصَّ مِنْ هٰذا المالِ ذوي الخصائصِ بالخلعِ والجوائزِ ، فقدْ كانَ يُفعلُ ذلكَ في السلفِ ، ولكنْ ينبغي أنْ يلتفتَ فيهِ إلى المصلحةِ ، ومهما خُصَّ عالمٌ أوْ شجاعٌ بصلةٍ . . كانَ فيهِ بعثٌ للناسِ ، وتحريضٌ على الاشتغالِ والتشبُّهِ بهِ .

فهٰذهِ فائدةُ الخلَعِ والصلاتِ وضروبِ التخصيصاتِ ، وكلُّ ذلكَ منوطٌ باجتهادِ السلطانِ .

وإنَّما النظرُ في السلاطينِ الظلمةِ في شيئينِ :

أحدُهما : أنَّ السلطانَ الظالمَ عليهِ أنْ يكفَّ عنْ ولايتهِ ، وهوَ إمَّا

---

(١) روى ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٤/ ١١٣) نحوه .

(٢) **النقرة** : القطعة المذابة من الفضة .

(٣) فكانت تأخذ هٰذا القدر من العطاء في كل سنة . « إتحاف » (٦/ ١٢١) .

معزولٌ ، أوْ واجبُ العزلِ ، فكيفَ يجوزُ أنْ يأخذَ مِنْ يدِهِ وهوَ على التحقيقِ ليسَ بسلطانٍ ؟!

والثاني : أنَّهُ ليسَ يعمِّمُ بمالِهِ جميعَ المستحقينَ ، فكيفَ يجوزُ للآحادِ أنْ يأخذوا ؟ أفيجوزُ لهمُ الأخذُ بقدْرِ حصصِهِمْ ، أمْ لا يجوزُ أصلاً ، أمْ يجوزُ أنْ يأخذَ كلُّ واحدٍ ما أعطي ؟

أمَّا الأوَّلُ . . فالذي نراهُ أنَّهُ لا يمنعُ أخذَ الحقِّ ؛ لأنَّ السلطانَ الظالمَ الجاهلَ مهما ساعدتْهُ الشوكةُ ، وعسرَ خلعُهُ ، وكانَ في الاستبدالِ بهِ فتنةٌ ثائرةٌ لا تطاقُ . . وجبَ تركُهُ ، ووجبَتِ الطاعةُ لهُ كما تجبُ طاعةُ الأمراءِ ، وقدْ وردَ في الأمرِ بطاعةِ الأمراءِ ، والمنعِ مِنْ سلِّ اليدِ عنْ مساعدتِهِمْ أوامرُ وزواجرُ(١) ، فالذي نراهُ أنَّ الخلافةَ منعقدةٌ للمتكفِّلِ بها مِنْ بني العبَّاسِ رضيَ اللهُ عنهُ ، وأنَّ الولايةَ نافذةٌ للسلاطينِ في أقطارِ البلادِ المبايعينَ للخليفةِ ، وقدْ ذكرنا في كتابِ « المستظهريِّ » المستنبطِ مِنْ كتابِ « كشفِ الأسرارِ وهتكِ الأستارِ » تأليفِ القاضي أبي الطيِّبِ في الردِّ على أصنافِ

---

(١) كالذي روى البخاري (٦٩٣) مرفوعاً : « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل حبشيٌّ رأسه زبيبة » ، وما رواه البخاري (٣٦٠٣) ، ومسلم (١٨٤٣) مرفوعاً : « إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها » قالوا : يا رسول الله ؛ كيف تأمر من أدرك منا ذلك ؟ قال : « تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم » ، وروى البخاري (٧٠٥٣) ، ومسلم (١٨٤٩) مرفوعاً : « من كره من أميره شيئاً . . فليصبر ، فإنه من خرج من السلطان شبراً . . مات ميتة جاهلية » .

الروافضِ والباطنيةِ . . ما يشيرُ إلىٰ وجهِ المصلحةِ فيه[1] .

والقولُ الوجيزُ : أنَّا نراعي الصفاتِ والشروطَ في السلاطينِ ؛ تشوُّفاً إلىٰ مزايا المصالحِ ، ولوْ قضينا ببطلانِ الولاياتِ الآنَ . . لبطلتِ المصالحُ رأساً ، فكيفَ يفوتُ رأسُ المالِ في طلبِ الربحِ[2] ؟ بلِ الولايةُ الآنَ لا تتبعُ إلا الشوكةَ ، فمَنْ بايعَهُ صاحبُ الشوكةِ . . فهوَ الخليفةُ ، ومَنِ استبدَّ بالشوكةِ وهوَ مطيعٌ للخليفةِ في أصلِ الخطبةِ والسكَّةِ . . فهوَ سلطانٌ نافذُ الحكمِ[3] ، والقضاةُ في أقطارِ الأرضِ ولاةٌ نافذو الأحكامِ ، وتحقيقُ هٰذا قدْ ذكرناهُ في أحكامِ الإمامةِ مِنْ كتابِ « الاقتصادِ في الاعتقادِ »[4] ، فلسنا نطوِّلُ الآنَ بهِ .

وأمَّا الإشكالُ الآخرُ ، وهوَ أنَّ السلطانَ إذا لمْ يعمِّمْ بالعطاءِ كلَّ مستحقٍّ . . فهلْ يجوزُ للواحدِ أنْ يأخذَ منهُ ؟ فهٰذا ممَّا اختلفَ العلماءُ فيهِ علىٰ **أربعِ مراتبَ** :

فغلا بعضُهُمْ وقالَ : كلُّ ما يأخذُهُ فالمسلمونَ كلُّهُمْ فيهِ شركاءُ ، ولا يدري أنَّ حصَّتَهُ منهُ دانقٌ أوْ حبَّةٌ ، فليتركِ الكلَّ .

---

[1] انظر « المستظهري » (١٦٩ ، ١٩٤) .

[2] فالمصالح بمنزلة طلب الربح ، وولي الأمر بمنزلة رأس المال . « إتحاف » (٦/ ١٢٢) .

[3] وهو الحال الذي كان في عصر المصنف رحمه الله تعالىٰ .

[4] الاقتصاد في الاعتقاد (ص٢٩١ـ٢٩٧) .

وقالَ قومٌ : لهُ أنْ يأخذَ قدْرَ قوتِ يومِهِ فقطْ ، فإنَّ هـٰذا القدْرَ يستحقُّهُ لحاجتِهِ على المسلمينَ .

وقالَ قومٌ : لهُ قوتُ سنةٍ ، فإنَّ أخذَ الكفايةِ كلَّ يومٍ عسيرٌ ، وهوَ ذو حقٍّ في هـٰذا المالِ ، فكيفَ يتركُهُ ؟[1] .

وقالَ قومٌ : إنَّهُ يأخذُ ما يعطىٰ ، والمظلومُ هُمُ الباقونَ ، وهـٰذا هوَ القياسُ ؛ لأنَّ المالَ ليسَ مشتركاً بينَ المسلمينَ كالغنيمةِ بينَ الغانمينَ ، ولا كالميراثِ بينَ الورثةِ ؛ لأنَّ ذلكَ صارَ ملكاً لهُمْ ، وهـٰذا لوْ لمْ يتفقْ قسمتُهُ حتَّىٰ ماتَ هؤلاءِ . . لمْ يجبِ التوزيعُ علىٰ ورثتِهِمْ بحكمِ الميراثِ ، بلْ هـٰذا الحقُّ غيرُ متعيّنٍ ، وإنَّما يتعيَّنُ بالقبضِ ، بلْ هوَ كالصدقاتِ ، ومهما أُعطيَ الفقراءُ حصَّتَهُمْ مِنَ الصدقاتِ . . وقعَ ذلكَ ملكاً لهُمْ ، ولمْ يمتنعْ بظلمِ المالكِ بقيَّةَ الأصنافِ بمنعِ حقِّهِمْ هـٰذا إذا لمْ يُصرفْ إليهِ كلُّ المالِ ، بلْ صرفَ إليهِ مِنَ المالِ ما لوْ صرفَ إليهِ بطريقِ الإيثارِ والتفضيلِ معَ تعميمِ الآخرينَ . . لجازَ لهُ أنْ يأخذَهُ .

والتفضيلُ جائزٌ في العطاءِ ؛ سوَّىٰ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، فراجعَهُ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقالَ : إنَّما فضلُهُمْ عندَ اللهِ ، وإنَّما الدنيا بلاغٌ[2] .

---

(١) وإذا قسطه الإمام علىٰ أثلاث ؛ فيعطىٰ في كل أربعة أشهر مرة واحدة قدر ما يكفيه في هـٰذه المدة . . كان حسناً ، وهو الذي أراه وأذهب إليه . « إتحاف » (٦/ ١٢٣) .

(٢) قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ في « الأم » (٥/ ٣٤٥) : (وإن أبا بكر حين قال له عمر : أتجعل الذين جاهدوا في الله بأموالهم وأنفسهم وهجروا ديارهم له كمن إنما دخل =

وفضَّلَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ في زمانِهِ ، فأعطىٰ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها اثني عشرَ ألفاً ، وزينبَ عشرةَ آلافٍ ، وجويريةَ ستةَ آلافٍ ، وكذا صفيَّةُ(١) .

وأقطعَ عمرُ لعليٍّ خاصَّةً رضيَ اللهُ عنهُما ، وأقطعَ عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ أيضاً مِنَ السوادِ خمسَ جنَّاتٍ ، وآثرَ عثمانُ علياً رضيَ اللهُ عنهُما بها ، فقبلَ ذلكَ منهُ ولمْ ينكرْ .

وكلُّ ذلكَ جائزٌ ؛ فإنَّهُ في محلِّ الاجتهادِ ، وهوَ مِنَ المجتهداتِ التي أقولُ فيها : إنَّ كلَّ مجتهدٍ مصيبٌ ؛ وهيَ كلُّ مسألةٍ لا نصَّ فيها علىٰ عينِها ، ولا علىٰ مسألةٍ تقرُبُ منها ، فتكونُ في معناها بقياسٍ جليٍّ ؛ كهٰذهِ المسألةِ ومسألةِ حدِّ الشربِ ؛ فإنَّهُمْ جلدوا أربعينَ وثمانينَ ، والكلُّ سنَّةٌ وحقٌّ ، وإنَّ كلَّ واحدٍ مِنْ أبي بكرٍ وعمرَ رضيَ اللهُ عنهُما مصيبٌ باتفاقِ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم ، وأنَّ المفضولَ ما ردَّ في زمانِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ شيئاً إلى الفاضلِ ممَّا قدْ كانَ أخذَهُ في زمانِ أبي بكرٍ ، ولا الفاضلُ امتنعَ مِنْ قبولِ الفضْلِ في زمانِ عمرَ ، واشتركَ في ذلكَ كلُّ الصحابةِ ، واعتقدوا أنَّ كلَّ واحدٍ مِنَ الرأيينِ حقٌّ(٢) .

= في الإسلام كرهاً ؟! فقال أبو بكر : إنما عملوا لله ، وإنما أجورهم على الله عز وجل ، وإنما الدنيا بلاغ ، وخير البلاغ أوسعه) ، ثم اختاره الإمام الشافعي .

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٣٥٣٧) .

(٢) المستصفىٰ من علم الأصول (٢/ ٣٦٥) ، وفيه قال : (ومن نظر في المسائل الفقهية التي لا نص فيها . . علم ضرورة انتفاء دليل قاطع فيها ، وإذا انتفى الدليل . . فتكليف الإصابة من غير دليل قاطع تكليف محال ، فإذا انتفى التكليف . . انتفى الخطأ) .

فليُؤخذْ هـٰذا الجنسُ دستوراً للاختلافاتِ التي يُصوَّبُ فيها كلُّ مجتهدٍ .

فأمَّا كلُّ مسألةٍ شذَّ عنْ مجتهدٍ فيها نصٌّ أوْ قياسٌ جليٌّ ؛ بغفلةٍ ، أوْ سوءِ رأيٍ ، وكانَ في القوَّةِ بحيثُ يُنقضُ بهِ حكمُ المجتهدِ . . فلا نقولُ فيها : إنَّ كلَّ واحدٍ مصيبٌ ، بلِ المصيبُ مَنْ أصابَ النصَّ أوْ ما في معنى النصِّ .

وقدْ تحصَّلَ مِنْ مجموعِ هـٰذا أنَّ مَنْ وجدَ مِنْ أهلِ الخصوصِ الموصوفينَ بصفةٍ تتعلَّقُ بها مصالحُ الدينِ أوِ الدنيا ، وأخذَ مِنَ السلطانِ خلعةً أوْ إدراراً على التركاتِ أوِ الجزيةِ . . لمْ يصرْ فاسقاً بمجرَّدِ أخذِهِ ، وإنَّما يفسقُ بخدمتِهِ لهُمْ ومعاونتِهِ إيَّاهُمْ ، ودخولِهِ عليهِمْ ، وثنائِهِ وإطرائِهِ لهُمْ ، إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنْ لوازمَ لا يسلمُ المالُ غالباً إلا بها ؛ كما سنبيِّنُهُ .

* * *

Beşinci Bab

SULTANLARIN HEDİYE VE YARDIMLARI

Bilmiş ol ki, sultanlardan mal alan kimsenin üç hususa dikkat etmesi lâzımdır:

1 - Bu servetin, sultanın eline nereden geçtiğine,

2 - Kendisi hangi sıfatla bu servete sahip olduğuna,

3 - Kendi variyetine ve emsâline nisbetle aldığı miktarı hak edip etmediğine dikkat etmelidir.

Birinci Husus

Bu servetin sultanın eline nereden geçtiğini aramak beyânındadır.

Sultanlara alması helâl olan ve maiyetinin ortak olduğu şeyler iki kısımdır:

a- Düşmandan savaşla alınan ganîmet malı ile müsalâha ve şartlara bağlı olarak alınan haraç ve cizye.

b- Müslümanlardan alınan mallardır. Müslümanlardan alınanların yalnız iki şekli helâldir. Bunlar da vârisi ve sahibi bulunmayan mallarla, mütevellîsi olmayan vakıflardır. İslâm'ın ilk devirlerinde alınan sadakalar ise şimdi alınmadığı için, bunlardan bahsetmiyoruz. Bunlardan başka, Müslümanlardan haraç, müsâdere ve rüşvet yolu ile alınan bütün mallar, haramdır.

Bir kimseye, sultan tarafından yaptığı vazifeye karşılık, hediye, yardım veyâ atiyye olarak verilen para, sekiz hâlden hâlî değildir. Ya cizyeden[80] ya sahipsiz mîrastan yâhut vakıftan yâhut sultanın ihyâ ettiği arâziden yâhut satın aldığı malından veyâ Müslümanlardan alınan haraçtan yâhut satıcılardan alınan paralardan veyâhut da hazînedendir.

Birincisi: Birinci kısımdan olan cizyenin beşte dördü (yol, köprü inşâatı, savaş masrafları, kadı ve ulemâ ücreti gibi) âmme ihtiyaçlarına, beşte biri de (zekât kısmında anlatılan) muayyen cihetlere sarfedilir.

Cizye, bu anlattığımız cihetlere -miktarını aşmadan- uygun bir şekilde sarfedilmiş ve meşrû bir şekilde de alınmış ise helâldir.[81] Bir dînar veyâ dört dînardan fazla olmayacak. Bu da içtihâd mevzûudur.

Bu gibi içtihâdlarda sultan, dilediği gibi yapar. Ayrıca cizyeyi veren zimmînin de kazancının meşrû olması, zâlim sultanın işinde çalışmış olmaması, içki satarak servet edinmemesi, sabî ve kadın olmaması da şaıttır. Çünkü bunlardan cizye alınmaz.

İşte, cizyede aranacak vasıflar ve dikkat edilecek hususlar bunlardır. Miktarına, vasfına, kimin ve ne miktar tasarruf ettiğine dikkat etmek lâzımdır.

---

[80] Müslümanlar arasında yaşayan gayr-ı müslimlerden alınan vergidir.

[81] Ebû Hanife'ye göre, cizyeden beşte bir alınmaz. Çünkü bu harp yolu ile alınmamıştır. Rasûl-i Ekrem bunlardan beşte bir almazdı. Cizyede adâlet şarttır. Yine İmâm-ı Âzam'a göre, işçilerden yılda 12, orta halli olanlardan 24, zenginlerden ise 10 dirhem alınır. İmâm Mâlik'e göre, zengin fakir hepsinden 4 dînar altın ve 40 dirhem gümüş alınır. İmâm Şâfiî ise zengin olsun fakir olsun borç olan, bir dînardır, demiştir. İmâm-ı Âzam'dan bu husûsta dört rivâyet vardır. Rivâyetin biri, sultanın takdîrine barıkılır ve alırsa olur, şeklindedir.

İkincisi: Mîraslar ve sahibi bulunmayan mallardır. Bunlar da âmmenin maslahatı içindir. Burada da dikkat edilecek husus şudur: Malın kimden geldiği; helâl mi, haram mı, şüpheli mi olduğu (ki bunlardan her birinin hükmü anlatılmış) dur. Şâyet haram olmadığı anlaşılırsa, bu sefer alana bakılır; hakkı mıdır ve hakkı kadar mı kendisine verilmiştir?

Üçüncüsü: Mütevellîsi bulunmayan vakıflardır. Bunlarda da mîrasta aranan vasıflar aranır. Fazla olarak, vâkıfın şartı da göz önünde bulundurulur ve alınanın, onun bütün şartlarına uygun olup olmadığı araştırılır.

Dördüncüsü: Sultanın işlettiği arâzidir. Burada hiç bir şart aranmaz. Çünkü sultan, kendi mülkünden dilediğine dilediği kadar verebilir. Yalnız burada işçilerinin ücretlerini tamamen ödeyip ödemediği ve paralarını helâlden mi, yoksa haramdan mı verdiği aranır. Çünkü araziyi ihyâ; su akıtmak, çeperini yapmak ve arâziyi işlemekle olur. Sultan, bu işleri bizzât yapamaz. Şâyet bu işleri zorla yaptırmışsa, helâl olmaz. Şâyet çalışan işçilerin ücretlerini haramdan ödemişse yukarıda işaret ettiğimiz gibi, bu da şüphelidir.

Beşincisi: Sultanın veresiye satın aldığı mallardır. Şüphesiz bunlar, onun malıdır. Bunlarda da dilediği gibi tasarruf edebilir. Ancak borcunu helâlden veyâ haramdan ödeme ihtimâli vardır. Bu vaziyet karşısında bu mal, bâzı hallerde helâl ve bâzı hallerde de haram olur ki, bunun açıklaması yukarıda geçti.

Altıncısı: Müslümanlardan alınan haraçtan veyâ müsâdere edilen mallardan alınan paralardır. Bunlar, hiç bir şüphe kabul etmeyecek şekilde haramdır. Bu zamanda (Hicrî beşinci asırda) verilen paraların çoğu bu kabîldendir. Ancak Irak arâzisi müstesnâdır. Çünkü Şâfiî'ye göre, bu arâzi Müslümanların maslahatına sarfedilecek vakıflardandır.[82]

Yedincisi: Sultanın işçilerinden alınan paralardır. Şâyet bu adamlar, başka bir yerden para almıyorlarsa, bunların parası sultanların parası gibidir. Şâyet çoğu zaman hâriçte çalışıyorlarsa, verdikleri sultana yapılmış istikrâz kabîlindendir. Hazîneden bedelini alacaklardır. Bu defa bozukluk maddenin kendisine değil, bedeline teveccüh edecektir. Bedeli haram olanın hükmü, yukarıda geçmiştir.

Sekizincisi: Hazînedeki paralardan veyâ helâl haram seçmeden âmiller (tahsildarlar) nezdinde toplanan paralardır. Şâyet hazîne tamamen haramdan meydana geliyorsa, alınan para da haramdır. Eğer helâl ve haram karışık ise ve kendisine verilen helâlden olmak ihtimâli varsa, kalbine danışarak alabilir. Eğer haramdan olduğu daha kuvvetle muhtemel ise -ki bu asırlarda ekseriyetle sultanların servetleri böyledir.- ellerinde helâl yok gibidir. İşte bunda ihtilâf edilmiştir. Bâzıları, haram olduğu katî olarak bilinmeyen her şey alınır, dediler. Diğer bâzıları ise "helâl olduğu katî olarak bilinmeyen hiç bir şey alınmaz ve şüpheli şey, aslâ helâl olmaz" dedilerse de her iki taraf da ifrat etmiştir. İtidal, anlattığımız gibi, haram olması galip ihtimâl ise haramdır. Helâli galip olup içinde katî olarak haram bulunuyorsa, burada biz tevakkuf ediyor ve katî bir hükme varamıyoruz.

---

[82] Ve halkı icarcıdır. Hz. Ömer (r.a.) gazîlerin gönlünü hoş etmek için böyle yapmıştır. İmâm-ı Âzam arz ı sevâd denen Kûfe ile Basra ve cebren alınıp yine sahipleri iskân ettirilen veyâ sulh yolu ile fethedilen yerler, tamamen arâzi-i harâciyyedir. Zirâ Hz. Ömer, Irak'ı fethettiği vakit birçok sahabe huzûrunda oraya haraç koymuştur. Bunun gibi Amr b. el-As (r.a.) Mısır'ı fethettiği vakit yine oraya haraç koymuştur. Şam'a haracın konmasında bütün sahabenin ittifakı vardır. Bunun gibi Irak arazisi, sahiplerinin malıdır ve onlara haraç konmuştur, dedi. Ebû Bekir el-Cessâs, İmâm Şafiî'nin anlattığı bir kaç yönden galattır, dedi: 1 - Hz. Ömer (r.a.) gazilerin gönlünü hoş etmemiş, bilâkis onlarla münâzara etmiş ve araziye haraç koymuştur. Bilâl ve arkadaşları, buna râzı olmamış ve Hz. Ömer'in (r.a.) bunlara canı sıkılmıştı. 2 - Zimmîler, ganîmet sahiplerini arâzilerine sokmadılar, onların muvâfakatıyla olsa arâziye girmeleri lâzımdı. 3 - Zimmîler de muvâfakat etmedi. Eğer icâre olsaydı muvâfakatları lâzımdı. 4 - Hz. Ömer ile aralarında icâre akdolunamamıştır. 5 - Araziyi görmemek, icâre anlaşmasına mânidir. 6 - Müddeti mâlum olmayan icâreler, sahih değildir. 7 - Haraç ebedîdir. Fakat icâre ebedi olamaz. 8 - İcâre, Müslüman olmakla sâkıt olmaz. Fakat haraç, sâkıt olur. 9 - Hz. Ömer hurmalıklardan da haraç aldı. Hâlbuki bunlardan icâr almak câiz değildir.10 - Sahabeden bir cemâat satın aldılar. Hâlbuki icâr olan yer satın alınmaz.

Alınan kısmın katî olarak haram olduğu bilinmeyen şeylerde, helâl ile haram karışmış olan sultanların malını almak câizdir, diyenler şu rivâyetlere dayanmışlardır. Sahâbeden pek çoğu zâlim hükümdarlara yetişti ve onların atiyyelerini kabul ettiler. Bunlardan bâzıları (Hicrî 57, 58 veyâ 59'da 85 yaşında ölen) Ebû Hüreyre, (Hicri 74 yılında ölen ve sahâbenin ileri gelenlerinden olan) Ebû Saîd el-Hudrî, (57 yaşında iken Hicrî 48 yılında ölen) Zeyd b. Sâbit, (Muâviye devrinde İstanbul'da gâzi olarak 51, 52 veyâ 55'de ölen) Ebü Eyyûb Hâlid b. Zeyd el-Ensârî, (51 veyâ 52 Hicrîde İstanbul'da vefât eden; Cerir b. Abdullah, (94 yaşında, 72 veyâ 79 Hicri yılları arasında ölen) Câbir b. Abdullah el-Ensârî, (103-107 yaşları arasında 68-79 Hicrî yıllarında ölen) Enes b. Mâlik ve (63 yaşında 64 Hicrîde ölen) Müsevvir b. Mahreme (Allah hepsinden râzı olsun) gibi zâtlardır. Ebû Saîd el-Hudrî ve Ebû Hüreyre, Mervân ve Yezîd b. Abdülmelik gibi Emevî hükümdarlarından "idrârâ" almışlardır. İbn Ömer ve İbn Abbâs (r.a.) gibi zâtlar da Haccâc'dan para aldılar. Tâbiînin ileri gelenlerinden olan Şa'bî, İbrâhim Nehâî, Hasan-ı Basrî ve İbn Ebî Leylâ gibi zâtlar da bunlardan para almışlardır. İmâm Şafiî de Harun er-Reşîd'den bir defada bin altın almıştır. İmâm Mâlik de (Saffâh, Mansûr ve Mehdî gibi) hükümdarlardan çok mallar almıştır. Hz. Ali (r.a.) de: "Sultanın verdiğini al. Onun sana verdiği helâldendir ve helâlden aldığı daha çoktur." buyurdu. İşte onların delîlleri bunlardır.

Bunlardan atiyye almayanlar, harama düşer korkusu ile dîn ve diyânetlerini muhâfaza eden verâ sahibi kimselerdir. Ebû Zerr'in (r.a.), Ahnef b. el-Kays'a "Garaz ve ivâz taşımayan hediyeyi alın. Garaz ve ivâzlı olup dîninizi lekeleyecekse, almayın." dediğini düşünsene. Ebû Hüreyre (r.a.) ise "Verileni alırız, verilmediği zaman da niçin vermiyorsunuz. Verin, demeyiz." demiştir. (Tâbiînden olan) Saîd İbn Müseyyeb'in rivâyetinde, Emevî halîfelerinin birincisi olan Muâviye (r.a.), Ebû Hüreyre'ye (r.a.) atiyyesini verdiği zaman, bir şey demez alırdı. Geciktiği zaman, "Niçin gecikti?" diye, Muâviye'ye itâb ederdi, demiştir. (Yine Tâbiînden olan) Şâ'bî'nin Mesrûk'dan rivâyetinde "Atiyyelerin men edilmesi atiyyelerin bizâtihî haram olduklarından değil, belki atıyyeyi alanları ateşe, yâni harama sürüklediği içindir." demiştir. Nâfi'[83] Abdullah b. Ömer'den (r.a.) rivâyetinde; Muhtâr[84] kendisine hediye gönderir, Abdullah da bunu kabul eder ve "Kimseden bir şey istemem, kimsenin verdiğini de reddetmem." dediğini rivâyet etmiştir. Hattâ Muhtâr, bir defa kendisine bir deve hediye etmiş ve bu deveye "Muhtâr'ın devesi" adını vermiştir. Fakat bu rivâyet, şu rivâyete muârızdır: İbn Ömer (r.a.) herkesin hediyesini kabul eder, ancak Muhtâr'ın hediyesini reddederdi. Bu rivâyet, daha kuvvetlidir.[85]

---

[83] Nâfi, Abdullah'ın azâdlı kölesidir. Sikadandır ve çok hadis rivâyet etmiştir. 116 Hicride ölmüştür.

[84] Muhtâr'ın künyesi Ebû İshak'tır. Sakafî kabîlesindendir. Ashâbdan değildir. Rivâyetleri de makbul değildir. Babası sahâbidir. Kûfe'yi istilâ etti ve Mus'ab b. ez-Zübeyr, Hicrî 67'de kendisini öldürdü.

Yine Nâfi'in rivâyetinde İbn Ma'mer, İbn Ömer'e (r.a.) altmış bin dirhem hediye gönderdi. İbn Ömer de bunu orada bulunanlara taksim etti. Tam bu esnâda bir isteyici geldi. İbn Ömer, hediyeyi taksim ettiği kimselerden borç alarak ona verdi. Hz. Ali'nin (r.a.) oğlu Hz. Hasan. (r.a.), Hz. Muâviye'nin (r.a.) yanına gittiği zaman Muâviye Hz. Hasan'a "Şimdiye kadar kimseye vermediğim ve bundan sonra da vermeyeceğim bir câizeyi (hediye) sana takdim edeceğim." dedi ve dört yüz bin dirhem verdi. Hz. Hasan da bunu kabul etti. Habîb b. Ebi Sâbit[86] diyor ki: "Muhtâr'ın İbn Ömer ve İbn Abbâs'a (Allah kendilerinden râzı olsun) verdiği hediyeleri gördüm. Onlar da bu hediyeleri kabul ettiler." "Onlara verilen hediyeler ne idi?" diye soranlara: "Yiyecek ve giyecek eşyâsı idi." dedi.

Zübeyr b. Adîy, Selmân'dan rivâyetinde şöyle diyor: Selmân-ı Farisî (r.a.): "Sultanın işlerinde çalışan bir dostun veyâ ribâ yiyen bir tüccar, seni dâvet ettiği veyâ sana bir hediye verdiği zaman, onu al. Çünkü kârı sana, günâhı onadır." demiştir. Ribâ yiyende hüküm bu olunca, zâlimde de aynıdır. Câfer Sâdık'ın, babası Muhammed'den rrivâyetinde, büyük dedeleri Hasan ve Hüseyin (Allah kendilerinden râzı olsun), Hz. Muâviye'nin câizelerini kabul ederlerdi. Hakim b. Cübeyr[87] anlatıyor: Fırat nehrinin suladığı arâzinin âşar tahsildârı olan Saîd b. Cübeyr'e[88] uğradım. O da âşarcılara: "Yemekten neyiniz varsa, getirin yiyelim." dedi. Onlar da getirdi ve beraberce yedik. (Onlar Beyt'ül-mâl'dan yiyorlardı. O halde yedikleri helâl idi). Alâ b. Zübeyr el-Ezdî anlatıyor:

---

[85] İsâbe'nin İbn Esir'den rivâyetine göre Muhtâr, akrabalığı bulunan Abdullah ibn Ömer'e, ibn Abbâs ve diğer bâzılarına hediye gönderir, onlar da bu hediyeleri kabul ederlerdi. İbn Ömer'in, hediyeyi kabul etmemesi, ihtimâl ki zulme başladığı son zamanlarındadır.

[86] İsmi, Kays b. Dînar'dır. Tâbiîndendir. Hammad b. Süleymân'dan önce Küfe Müftüsü idi. Hicri 127 yılında ölmüştür.

[87] Hâkim b. Cübeyr, Kûfelidir.

"Babam Zübeyr, İbrâhim Nehaî'nin yanına gitti. Irak'ın Hılvan şehrinde âmil olan babam, İbrâhim Nehaî'yi ziyârete giderek ona bâzı hediyeler götürdü ve İbrâhim Nehâî hediyeyi kabul ederek: "Âmillerin ücret almasında beis yoktur. Çünkü onların da geçimleri var. Evet Beyt'ül-mâl'e helâl de girer haram da, fakat senin aldığın emeğinin karşılığıdır ve helâldir." dedi. Bütün bu zâtlar, Allah'a isyân ederek, sultanlara itâat edenlere ta'n ettikleri halde, onların hediyelerini almışlardır.

Bu fırka; Hulefâ-i Râşidîn, Ebû Zer ve emsâli zâtların bu gibi paraları almalarının haram olduğu için değil, verâlarından dolayı almadıklarına hamletmişlerdir. Çünkü onlar, zühdleri sebebiyle mutlak helâli verâ ve takvâları sebebiyle de mahzurlu gördükleri helâlleri terketmiş kimselerdir. Diğerlerinin bu gibi atiyyeleri kabul etmeleri, câiz olmasına delâlet eder. Fakat onların almamaları, haram olmasına delâlet etmez, dediler.

Saîd İbn Müseyyeb'in birikmiş olan otuz küsûr bin dirhemi Beytü'l-mâl'den almaması, **Hasan-ı Basrî**'nin "Sarrafların akıttığı çeşmeden içemem, vakit daralsa bile bu sudan abdest almam. Çünkü onların kazancı karışıktır." buyurması hep inkârına imkân olmayan verâdandır. Onlara uyanlar, müsamahakâr davrananlara uyanlardan daha makbuldür. Bununla beraber, müsamahakâr davrananlara uymak da haram değildir.

---

88. Saîd b. Cübeyr, Kûfeli ve sikadandır. Fakihtir. Henüz elli yaşına varmadan Hicri 95 yılında Haccac tarafından öldürülmüştür.

İşte, zâlim sultanın malını almayı câiz görenlerin şüphesi bu gibi şeylerdir.

Cevâbında deriz ki: Her ne kadar verâ ihtimâli varsa da bu gibi paraları kabul etmeyip reddedenler, kabul eden bu muayyen kimselere nisbetle çok daha fazladır. Bu gibi paraları, alanların verâdaki derecelerinde, ayrı ayrı üç ihtimâl vardır. Zîra sultanlar hakkındaki verâın dört derecesi vardır:

1 - Birinci derece: Hulefâ-i Râşidîn ve asıl verâ sahiplerinin yaptıkları gibi, onların mallarından hiç bir şey almamak. Hattâ Ebû Bekir (r.a.), hazîneden aldığını tamamen hesap etti. Altı bin dirhem tuttu. Hepsini Beytü'l-mâl'a iâde etti. Hz. Ömer (r.a.), bir gün hazîneyi taksîm ederken, küçük bir kız içeri girdi ve oradan bir dirhem alıp çıktı. Hz. Ömer kızın peşinden koştu, hattâ kızın başından çarı düştü. Kız, ağlayarak eve girdi ve dirhemi ağzında sakladı. Hz. Ömer, parmağı ile ağzından parayı aldıktan sonra "Ne Ömer'in ne de çocuklarının yakın ve uzak bütün Müslümanlardan fazla bir hakkı var." diyerek parayı hazîneye koydu. Ebû Mûsâ el-Eş'ârî (r.a.), hazîneyi süpürdü ve bulduğu bir dirhemi oradan geçmekte olan Hz. Ömer'in (r.a.) oğluna verdi. Oğlunun elinde parayı gören Hz. Ömer (r.a.), parayı nereden aldığını sordu. Vaziyeti öğrenince, Ebû Musâ el-Eş'ârî'ye: "Senin nazarında Ömer'in evinden daha düşük bir ev yok mudur, maksadın nedir? Zimmetine hak geçmeyen kimsenin kalmamasını mı istiyorsun?" diyerek, parayı iâde etti. Hâlbuki bu para aslında helâl idi. Fakat Hz. Ömer, zimmetine hakkından fazla geçmesinden korkuyordu. Rasûl-i Ekrem'in (s.a.v.): *"Şüpheli şeyleri terket, şüphesi olmayanları al. Şüpheli şeyleri terkeden dînini korumuş olur."* emrine uyarak dînini korumak için en az miktar ile yetinmeye çalışıyordu. Ve yine sultan malları hakkında Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den duyduğu şiddetli vaîdlere riâyet ediyordu. Hattâ Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), Ubâde b. es-Sâmit'i (r.a.)[89] zekât tahsiline gönderdiği zaman:

اِتَّقِ اللّٰهَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ لَا تَجِئْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِبَعِيرٍ تَحْمِلُهُ عَلٰى رَقَبَتِكَ لَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقَرَةٍ لَهَا خُوَارٌ أَوْ شَاةٍ لَهَا ثُوَاجٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ أَهٰكَذَا يَكُونُ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللّٰهُ، قَالَ: فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَعْمَلُ عَلٰى شَيْءٍ أَبَدًا

"Ey Velid'in babası! Allah'tan kork, kıyâmet günü boynunda bağıran deve ile veyâ böğüren inek veyâ meleyen koyun ile mahşer yerine gelme!" buyurduğu zaman Ubâde:

- "Böyle mi olacak yâ Rasûlallah?" deyince Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Hayâtım yed-i kudretinde olan Allah'a yemin ederim ki, evet öyle olacaktır. Ancak Allahü Teâlâ'nın merhamet buyurdukları müstesnâdır."* buyurdu. Bunun üzerine Ubâde:

- "Seni hak Peygamber olarak gönderen Allah'a yemin ederim ki, ben de bundan böyle bu gibi işlere daha girmem." dedi.[90] Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي إِنَّمَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا

---

[89] Medineli Hazrec kabilesinden olup ensardandır. Bedir'de bulunmuştur. Boyu on karış idi. 72 yasında, Hicri 34 yılında Remle'de ölmüştür.

[90] Şafiî **"Müsned"**inde mürsel olarak Tâvus'tan; Ebû Ya'la **"Mu'cem"**inde muhtasar alarak İbn Ömer'den (r.a.) rivâyet etti. Hadîste gecen zât, Ubâde b. es-Sâmit değil. Sa'd b. Ubâde'dir.

"Ben, sizin benden sonra şirke döneceğinizden korkmam. Sizin için korktuğum, mala meyil ve rağbet etmenizdir."[91] buyurdu.

Bunun için Hz. Ömer (r.a.), hazînedeki malı anlattığı uzun bir hitâbesinde: "Ben, kendimi Beytü'l-mâl'a, yetimin malını koruyan bir muhafız gibi tanırım. İhtiyâcım olmazsa, aslâ Beytü'l-mâl'a yaklaşmam. İhtiyâcım olursa, meşrû bir şekilde harcarım." buyurmuştur. Rivâyet olunduğuna göre, Tâvus'un oğlu Abdullah,[92] babasının nâmına Ömer b. Abdülazîz'e mektup yazarak para istedi. Ömer b. Abdülazîz de üç yüz dînar kendisine verdi. Bunu duyan Tâvus, Yemen'deki malından satarak bu üç yüz dînarı ödedi. Hâlbuki sultan, Ömer b Abdülazîz gibi bir zâttır. (Adâlette, Hz. Ömer'den (r.a.) sonra ikinci gelir.) Verâda üstün derece budur.

2 - İkinci derece: Helâlden olduğunu bilirse o malı, sultandan almaktır. Sultanın elinde başka bir haramın bulunması zarar vermez. İşte eserlerde nakledilenlerin hepsi veyâ çoğu ve İbn Ömer (r.a.) gibi sahabenin büyüklerinden rivâyet edilenler, bu esâsa dayanır. Yoksa o kadar verâ sahibi olan İbn Ömer, sultanın malında nasıl olur da bu kadar genişlik gösterebilir? Hâlbuki onlara en çok hücûm eden ve onların kazançlarını en fazla yeren odur. Şöyle ki; Bir defa ölüm döşeğinde yatan İbn Âmir'in ziyâretine gittiler. İbn Âmir:

- "Bunca yıllar valilik ettim. Allah huzûrunda ne cevap vereceğim?" diye kendi kendine acınıp duruyordu. Etrâfındakiler:

---

[91] Buhârî ile Müslim, Ukbe b. Amir'den rivâyet etmişlerdir.

[92] Tâvus'un oğlu, sikadandır. İyi Arapca bilen güzel yüzlü bir insandı. Hicrî 132 yılında ölmüştür. Birçokları kendisinden rivâyette bulunmuşlardır. Babası Yemenlidir. Adı Zekvân'dır. Tâvus lâkabıdır. Kurrâların en güzeli olduğu için kendisine Tâvus adı verilmiştir. O kadar zühd ve takva sahibi idi ki, Mekke yolundaki sulardan içmezdi.

- "Biz senin için hayır bekliyoruz. Çünkü sen, kuyular kazdırdın, sular çıkardın, hacılara su verdin, şöyle şöyle iyilik ve hizmetlerde bulundun." dediler. Onlar konuşurken İbn Ömer sükût edip dinliyordu. Bunun farkına varan İbn Âmir:

- "Siz ne buyurursunuz, ey Ömer'in oğlu!" deyince İbn Ömer:

- "Eğer helâlinden ve gönül hoşluğu ile Allah rızâsına uygun olarak yapmışlarsa, ben de öyle derim. (Aksi halde onlar sahibine vebâldir.) Yakında Allah'ın huzûruna gider de görürsün." dedi.

Diğer bir rivâyette de: "Pislik, pisliği temizlemez. Sen, Basra valiliğinde bulundun. Orada kötülükten başka bir şey kazanmış olduğunu sanmam." dedi. Bunun üzerine İbn Âmir:

- "Benim için duâ et, ne olur?" deyince İbn Ömer:

- "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in şöyle buyurduğunu işittim:

لَا يَقْبَلُ اللّٰهُ صَلَاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلَا صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ

"Allahü Teâlâ, abdestsiz namazı ve hırsızlıktan alınan para ile verilen sadakayı kabul etmez."[93] Hâlbuki sen, Basra'da valilik ettin." dedi. İşte bu, hayrâta sarfedilen bu gibi paralar hakkındaki sözüdür. Yine İbn Ömer (r.a.) Haccâc'ın hükümrân olduğu bir sırada idi ki: "Hz. Osman'ın (r.a.) şehâdetinden sonra doyasıya yemek yemedim." demiştir. Irak'ta bulunduğu sırada Hz. Ali'nin (r.a.), ağzı mühürlü bir kapta Kavut'u vardı. Oradan alır yer ve yine ağzını mühürlerdi. Kendisine: "Irak gibi bol memlekette böyle olur mu?" diyenlere: "Ben bunu cimriliğimden yapmıyorum. Belki bilmediğim yabancı maddenin buraya karışmasından ve bu sûretle helâl ve temiz olmayan lokmanın mideme gitmesinden

---

[93] Müslim, İbn Ömer'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

korktuğum için böyle yapıyorum." demiştir. İşte onlardan duyup öğrendiğimiz bu gibi halleridir. İbn Ömer (r.a.), hoşuna gitmeyen her şeyden uzaklaşırdı. Kölesi Nâfi', otuz bin dirhem karşılığı azâd olmasını istedi. İbn Âmir kendisine tâlip olduğu için, İbn Ömer: "Sen, İbn Amir'in parası ile beni belâya sokmak, mânevi mesûliyet altına almak istiyorsun. Haydi git. Seni Allah için azâd ettim, senden kırk para istemem." dedi. Ebû Saîd el-Hudrî (r.a.): "İbn Ömer müstesnâ, bizden az veyâ çok dünyaya meyletmeyen kimse yoktur." dedi.

Bu anlattıklarımız, bu ve bunun gibi olan zâtların katî olarak helâl olduğunu bilmedikleri şeyleri kabul etmediklerinin açık delîlidir.

3 - Üçüncü derece: Sultanların aldığını, yoksullara ve onu hak eden kimselere dağıtmak için almaktır. Şâyet sultandan alınmadığı takdirde, onu ayırmayacak ve zimmetinde bırakacaksa, bunu almamak, zulümde ona yardımcı olmak demek olduğundan, sahibi bilinmeyen bu gibi mallarda şer'î hüküm budur. Bunları sultandan alıp, ihtiyaç sahiplerine taksim etmek, sultanın elinde bırakmaktan daha evlâdır. Bâzı âlimlerin görüşü de böyledir. Bunun tevcîhi yakında gelecektir. Çoklarının sultanlardan aldığı buna binâendir. Bunun için İbn Mübarek: "Bugün sultanların câizelerini alıp, İbi Ömer ve Hz. Âişe'nin (Allah kendilerinden râzı olsun) câizeyi kabul etmesi ile delîl çekenler, onlara aslâ uymamaktadırlar. Zîra yukarıda anlattığımız gibi, sultandan aldığı altmış bin dirhemi yanında bulunanlara taksim ettikten sonra, gelen isteyiciye para vermek için onlardan borç aldı. Hz. Âişe (r.a.) de böyle yaptı. Câbir b. Zeyd (r.a.) de kabul ettiği malı dağıttı ve "Onlardan alıp, muhtaçlara dağıtmayı, almamaktan daha uygun görürüm." dedi. İmâm Şâfiî Hazretleri de Harûn

Reşîd'den aldığı bin altını, yanında bir dirhem bırakmamak şartıyla dağıttı.

4 - Dördüncü derece: Katî, olarak helâl olduğunu bilmez, yanında alıkoyar fakat parayı aldığı sultanın servetinin çoğu helâl olduğunu bilir. İşte Hulefâ-i Râşidîn'den sonra sahâbe ve tâbiîn devrindeki halîfelerin ahvâli böyle idi. Onların servetlerinin çoğu haram değildi. Hz. Ali'nin (r.a.) helâlden aldığı daha çoktu diye gösterdiği illet de buna delâlet eder. Çoğunun helâl olmasına dayanarak, âlimlerin bir kısmı da bunu tecvîz etmiştir. Bizim burada tevakkufumuz, avam hakkındadır. Sultanların hesâba sığmayacak servetleri vardır. Çoğunun helâl olduğuna dayanarak, haram olduğu bilinmeyen servetinden almanın cevâzına bir müctehidin ictihâd etmesi uzak bir şey değildir. Bizim men etmemiz, çoğu haram olduğu zamandır.

Şu dört dereceyi anlayabildinse, bu zamandaki sultanların atiyyelerinin onlar gibi olmadığını ve katî olarak iki cihetten onlardan ayrıldığını bilirsin:

Birinci cihet: Bu zamanda (Gazâlî'nin zamanı) sultanların servetlerinin hepsi ve hele çoğu haramdır. Nasıl haram olmasın? Helâl olan sadaka, haraç ve ganîmet mallarıdır. Bu zamanda bunların hiç biri yoktur. Yalnız zimmîlerden alınan cizye kalmıştır. O da helâl olmayacak şekilde çeşitli zulüm ve haksızlıklarla alınmaktadır. Onu, sultandan almak helâl olmaz. Çünkü onlar, alınan parada ve aldıkları kimselerde çeşitli zulüm yollarına baş vuruyor ve şerîatın hudûdunu aşıyor, şartlarına riâyet etmiyorlar. Aynı zamanda Müslümanlardan alınan haraca, müsâdere edilen mallara, rüşvetlere ve çeşitli zulüm yolları ile elde ettikleri paralara nisbetle, bu cizye çok az kalır. Binde birine bile ulaşamaz.

İkinci cihet: Birinci asırdaki zâlimler, Hulefâ-i Râşidîn devrine yakın olmaları hasebiyle haksızlıktan oldukça korkarlardı. Sahâbe ve tâbiînin gönüllerini kendilerine bağlamak isterler, atiyye ve câizelerini onların kabul etmelerini candan arzu ederler ve onları isteyicilik zilletine düşürmeden onlara gönderirlerdi. Hattâ onların kabullerini büyük lütûf ve canlarına minnet sayarlar ve bununla sevinirlerdi. Onlar da bu atiyyeleri kabul ederler ve müstahaklarını bulurlardı. Sultanların keyiflerine itâat etmezler, meclislerine uğramazlar, toplantılarına katılmazlar, bekalarını sevmezler, aleyhlerine duâ ederlerdi. Onlara dil uzatırlar ve hatalı hareketlerini reddederlerdi. Onların dünyalık karşılığı dînlerini kaybetmelerinden korkulmaz. Bu şekilde onların almalarında bir beis yoktu. Fakat şimdi sultanlar, ancak kendilerine hizmette bulunanları, meclislerini süsleyip yaltaklık edenleri, ve kendilerini överek lehlerine duâ edenleri, huzûrlarında ve gıyâblarında medh u senâda bulunanları severler ve onlara vermek isterler. Eğer parayı alan, önce isteme zilletine katlanmazsa ve sultanların hizmetine devâm edip duâ ederek onları övmese, maksatlarında onlara yardımcı olmasa, meclislerine iştirâk etmese, düşmanlarına karşı sultanlara sevgi ve bağlılığını ifâde etmese, zulümlerini, hatâlı ve çirkin hareketlerini gizlemeseydi, bu zât Şâfiî ayârında bir kimse olsa bile sultan ona bir dirhem dahî vermezdi.

Sultanların verdiği-şüpheli veyâ haram olan şöyle dursun katî olarak helâl bildiğini dahi almaması lâzımdır. Kendisini ashâba ve tâbiîne benzeterek, sultanların mallarını almaya cesâret edenler, bekçileri meleklere benzetmeye cür'et edenlerdir. Bugün, sultanlardan mal alabilmek için, meclislerine katılmak, onlara saygı göstermek, memurlarına hizmet etmek, üzerlerine leke kondurmamak, onları övmek, dâima ayaklarına gidip gelmek lâzım ki -ilerideki bâbda açıklayacağımız gibi- bunların hepsi günâhtır.

İşte şu yaptığımız açıklamalarla, sultanların hangi yollardan servet edindikleri ve bu servetlerin hangilerinin helâl ve hangilerinin haram olduğu anlatılmış oldu. Sultan ve erkânını medh u senâ etmeden, istemeden, ayaklarına dahî gitmeden, evinde oturan bir zâta, şu servetin helâl kısmından hakkı kadar verilirse, bunu alması haram olmamakla beraber, önümüzdeki bâbda îzah edeceğimiz sebebler dolayısıyla, mekruhtur.

İkinci Husus

Dikkat edilecek ikinci husus, alanın hâli ile aldığı mıktârı incelemektedir. Sultanın eldeki serveti, âmme maslahatına ayrılmış olan ganîmet mallarının beşte dördü veyâ mîras malları olduğunu kabul edelim. Zîra bunların hâricindeki vakıf, sadaka, haraç ve ganîmetin beşte biri hak sahiplerine âittir. Sultanın, arâziyi zirâat etmek veyâ satın almak sûretiyle edindiği servet de kendi mülküdür. Onları dilediğine dilediği kadar verebilir. Asıl üzerinde durulacak olan sahipsiz mallar ile âmme hizmetlerine ayrılan mallardır. Bunlar, ancak âmme hizmetine veyâ kazanmaktan âciz olan muhtaçlara verilir.

Her ne kadar ulemâ arasında ihtilâflı ise de sahîh olan, âmme hizmeti ile alâkası olmayan zengine, bu maldan vermek câiz değildir. Gerçi Hz. Ömer'in (r.a.) sözünden, bütün Müslümanların Beytü'l-mâl'da hak sahibi oldukları anlaşılabilir. Fakat tatbikat, tamamen bunun aksinedir. Hiç bir zaman Hz. Ömer, hazîneyi bütün Müslümanlara taksim etmiş değildir. Belki hususî vasıf sahiplerine vermiştir. Bu, böyle anlaşıldıktan sonra, âmme maslahatı ile alâkalı bir vazîfe deruhte eden kimse, şahsî kazancı ile meşgul olması âmme işlerine mâni olacaksa, yetecek kadar Beytü'l-mâl'dan alabilir. Fıkıh, tefsir, hadîs ve kırâat âlimleri de bu kategoriye dâhildir. Muallimler, müezzinler ve bu ilimleri öğrenmeye çalışan öğrenciler de buna dâhildir. Çünkü öğrencilerin iâşesi temîn edilmezse, okuyamazlar. Asâyişi korumakla vazîfeliler ve zâbıta kuvvetleri de bu hükümdedir. Kâtipler, muhâsipler, vekiller ve helâl paradan bunların masraflarını ödemekle meşgul olanlar da buna dâhildir. Çünkü bu gibi paralar âmme maslahatı içindir. Âmme maslahatı ise ya dîni olur veyâ dünyevî. Âlimler dîn işlerini, ordu ve diğer kuvvetler de dünya işlerini tedvîr ederler.

Dîn ile dünya yekdiğerinin lâzımıdır, birbirinden ayrılmazlar. Biri diğersiz olamaz. Tabîp dîn ilmi ile alâkalı değilse, dînin tâbi olduğu sıhhat ilmi ile meşguldür. Beden ve belde ilimleri ile uğraşan tabîp ve benzeri kimseler de, hazîneden faydalanabilir. Ücretsiz bakılacak hastalara, ancak bu sâyede bakabilirler. Hem bu gibilerin muhtaç olmaları da şart değildir. Zengin olsalar da yine ücret alabilirler. Hulefâ-i Râşidîn, ihtiyaçları olmayanı ve hattâ zengin olanları da bulunduğu hâlde muhâcir ve ensârı hazîneden faydalandırırlardı. Aynı zamanda verilecek paranın da muayyen bir miktârı yoktur. İmâmın takdîrine bağlıdır. Paranın mevcûduna ve vaziyetin iktizâsına göre verir. **Hz. Hasan** (r.a.), bir defa Muâviye'den (r.a.) dört yüz bin dirhem almıştır. **Hz. Ömer** (r.a.) bir cemâatin her birine yılda on iki bin dirhem külçe altın verirdi. **Hz. Âişe** bunlardandı. Diğer bâzılarına on bin, bir kısmına da altı bin dirhem verirdi. Bu gibi mallar onların hakkıdır; tamamen onlara taksim edilir. İçlerinden birisine diğerlerinden daha çok verebilir. Bunlardan başka sultanlar, dilediklerine bol atiyye ve câize verebilirler. Eskiden böyle yapılırdı. Fakat bu gibi atiyyeler teşvîk mâhiyetinde olmalıdır. Meselâ, temâyüz etmiş âlim veyâ kahraman bir kimseye verilmeli ve diğerlerini bu yola teşvik etmelidir.

İşte mükâfatların faydası budur ve bu olmalıdır. Bütün bunlar da sultanların ictihâdına bağlıdır.

Sultanlar (devlet idârecileri) zâlim olursa, iki hususa dikkat edilmelidir:

1 - Zâlim sultanın emri altında çalışmak câiz olur mu? Zâlim sultan ya azledilmiş veyâ azli vâciptir. Aslında sultan addedilmeyen bu gibi adamın elinden para almanın câiziyeti üzerinde düşünmek gerekir.

2 - Zâlim sultan, herkesin hakkını vermediğine göre ondan para almak câiz olur mu, olmaz mı? Şâyet böyle bir sultandan para almak câiz olursa, hakkı kadar mı, yoksa verdiği kadar mı almak câizdir? Bütün bunlar düşünülmelidir.

Birincisine gelince, bize göre hakkını almasında beis yoktur. Nüfûzlu zâlim ve câhil sultanın atılması güç olur veyâ azledilmesi karışıklıklara sebebiyyet verirse, onu yerinde bırakmak, âmirlere itâat etmek vâcip olduğu gibi, ona da itâat etmek vâcip olur. Hadîste, emîrlere itâatle emrolunmuş ve onlara karşı gelmekten men edilmiştir. Bizim görüşümüz, hilâfet, Abbâsîlerindir. Velâyet ise her tarafta halifeye bağlı olan sultanların nüfûzundadır. Bâtınîlerden olan Râfızîleri red için, Kadı Ebû't-Tayyib'in telîf ettiği **"Keşfü'l-Esrâr ve Hetkû'l-Estâr"** adlı eserinden alınarak **"Mustazhirî"** adı ile yazdığımız eserde, bu hususa dâir açıklama vardır. Sözün kısası şudur: Bizim, sultanlarda aranacak şart ve vasıflara riâyetimiz, dînî ve dünyevî maslahatların meziyetini süslemek içindir. Şâyet "şimdiki vâlilikler bâtıldır." desek, o zaman süs ve ziynet şöyle dursun, âmme hizmeti kökünden kaybolur.

Yâni şart ve vasıflar, kâr gibidir. Saltanat ise sermâyedir. Kârı ararken sermâyeyi kaybetmek doğru mudur? Şimdi velâyet ancak nüfûza, şevket ve azamete bağlıdır. Şevket ve nüfûz sahipleri kime biat ederse, o, halifedir. Hutbesinde, parasında halîfeyi tanıyıp ona itâat eden şevket ve nüfûz sahibi kimseler de hükmü nâfiz sultanlardır.

Kadılar da yeryüzünde hükümleri nâfiz olan vâlilerdir. Bunu da **"Kitâbü'l-İktisâd fi'l-İ'tikâd"**[94] adlı kitâbımızın imâmet ahkâmında açıkladığımız için burada sözü uzatacak değiliz.

İkinci müşkil, sultanın herkese hakkını vermediği zaman, bir kişinin kendi hakkını almasının câiz olup olmadığı meselesidir. Âlimler burada dört şekilde ihtilâf etmişlerdir.

a - Bâzıları bu variyet karşısında bir kişinin aldığı parada herkesin hakkı vardır. Kendisine isâbet edecek olan paranın daha az olması ihtimâline binâen, almaması lâzımdır, diyerek ifrâta varmışlardır.

b - Bâzıları da yalnız, günlük ihtiyâcını alabilir, dediler. Zâten ona düşen de bu kadardır.

c - Bir senelik ihtiyâcını alır. Çünkü her gün, günlük ihtiyâcını almak zordur. O da bu malda hak sahibidir.

d - Diğer bâzılarına göre de, zulme uğrayan başkaları olup kendisini ilgilendirmediği için, sultanın verdiğini kabul eder ki, kıyâs olan da budur. Zîra bu mal, ganîmet ve mîras malları gibi, belirli insanların hakkı olmadığı gibi, miktârı da muayyen değildir. Verilen sadakalar gibidir. Ancak verildikten sonra miktârı belli olur ve alan da ona sahip olmuş olur. Bu malın hepsini kendisine vermiyorsa, diğer yedi sınıfa da vermiyor diye kendisi almamazlık etmez. Diğer sınıflara dağıttığı halde kendisine onlardan fazla verdiği zaman almak câiz olduğu gibi, başkalarına hiç vermeden de kendisine bol miktarda verdiğini almak câizdir. Çünkü atiyye, hedîye ve bağışlarda birine daha çok verilebilir. Hz. Ebû Bekir (r.a.) müsâvî olarak dağıttı. Hz. Ömer (r.a.), kendisine mürâcaat ederek derecelerine göre verilmesini istedi. Hz. Ebû Bekir (r.a.): "Onların fazîletleri Allah katındadır. Benim verdiğim, geçici bir şeydir. Onun için herkesi bir tutuyorum." demiştir. (Bâzılarını üstün tutmak câiz olmasaydı, Hz. Ömer, bu teklifi yapmazdı.)

---

[94] İmâm Gazâlî, Hazretlerinin bu mühim kitabının Türkçemize iki ayrı tercümesi yapılmıştır: 1 - **"İtikadda İktisat"** ismiyle. Mütercim: O. Zeki Soyyiğit. 1971. İstanbul. Dizer-konca Matbaası. 296 sahîfe. İmâmet (Devlet Başkanlığı) ahkâmı için 269. sahîfeye bakınız. 2 - **"îtikadda Orta Yol"** ismiyle. Mütercim: Dr. Kemâl Işık. 1971. Ankara, İlâhiyât Fak. Yayınlarından Nu. XC, Ankara Üniversitesi Basımevi, 207 sahife. İmâmet ahkâmı için 175 inci sahifeye bakınız.

Nitekim Hz. Ömer kendi hilâfeti zamanında bu husûsu göz önünde tutarak, Hz. Aişe'ye[95] on iki bin, Zeyneb'e[96] on bin, Cevriye'ye[97] ve Safiyye'ye[98] (Allah hepsinden râzı olsun) altışar bin dirhem külçe altın vermiştir. Ayrıca Hz. Ali ve Hz. Osman'a (Allah ikisinden de râzı olsun) Irak arâzisinden bir parça ayırmıştır. Hz. Osman da Hz. Ali'ye yine bir arâzi tahsis etmiş ve Hz. Ali de reddetmeden kabul etmiştir. Bütün bunlar, her müctehidin isâbet ettiğini kabul ettiğimiz ictihâdî meselelerdir. O da herhangi bir meselede veyâ kıyâs-ı celî ile ona yakın olan bir meselede açık bir hüküm bulunmayan yerlerdedir. İşte anlatmakta olduğumuz bu mesele böyledir. Ayrıca "Hadd-i şurb" yâni içki içen kimseye verilecek ceza gibi, bâzıları kırk ve bâzıları seksen değnek olduğu hakkında ictihâd etmiş ve hepsi de isâbet etmiştir. Her iki ictihâd da hak ve sünnettir. Hz. Ebû Bekir ve Hz. Ömer (Allah onlardan râzı olsun) her ikisi de sahabenin ittifakı ile isâbet etmişlerdir. Çünkü Hz. Ömer devrinde az almaya başlayan, Hz. Ebû Bekir devrinde aldığı fazlayı iâde etmediği gibi, Hz. Ömer devrinde fazla almaya başlayan da reddetmemiştir.

---

[95] Hz. Ebû Bekir'in (r.a.) kızı ve Rasûl-i Ekrem'in (s.a.v.) en sevdiği zevcesi olup, fıkıhta ve ilimlerin her dalında temayüz ettiği için, kendisine fazla vermiştir.

[96] Cahş'ın kızı ve Rasûl-i Ekrem'in (s.a.v.) zevcesidir. Hz. Ömer'in (r.a.) hilâfeti zamanında Hicri 20 yılında vefât etmiştir.

[97] Benî Mustalik'den Hâris'in kızıdır. Savaşta esîr alındıktan sonra, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) kendisi ile evlenmiştir. Hicri 50 yılında vefât etmiştir.

[98] İsrâilî Hay b. Ahtab'ın kızıdır. Hayber'in fethinden sonra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), kendisiyle evlenmiştir. Muâviye devrinde vefât etmiştir.

Bütün sahâbe burada birleşmiş ve her iki görüşün de hak olduğunu kabul etmişlerdir. Her müctehidin isabetini kabul için bu kabîl ictihadların düstûr olarak ele alınması lâzımdır. Ama hakkında nass ve kıyâs-ı celî ile kendisine benzeyen bir meselede nass varken, gaflet veyâ hatâlı görüş ile şaz olarak yapılan ve müctehidin hükmünü bozan her ictihâdın isâbet ettiğini kabul edemeyiz. Ancak nassa uygun olarak ictihâd eden isâbet etmiş olur.[99]

---

[99] Bilmiş ol ki; aklî işlerde her müctehid isâbet etmiş olmaz. Çünkü hak birdir. Teaddüt etmez. Hakkı bulabilen isâbet etmiş, bulamayan da hataya düşmüş ve (bâzılarına göre) günâhkâr olmuştur. Âmedî'nin naklettiği gibi, Kuşayrî ile Câhiz, her müctehid ictihâdında isâbet etmiştir. Kendisine günâh yoktur. Çünkü ictihâd üzerine, icma ile delîl çekilmiştir, dediler. Aklî meselelerde hüküm böyledir. Fıkhî meselelere gelince, hepsinin veyâ bir tânesinin isâbet ettiğinde ihtilâf vardır.

Şöyle ki; Her meselenin muayyen bir hükmü var mı, yok mu? İmâmü'l-Haremeyn'in anlattığı gibi. Bu hususta da bir kaç söz vardır. Diyor ki: Hakkında sarâhat olmayan vakalarda ulemâ iki şekilde ihtilâf etmiştir: Birincisi, ictihâd edilmeden önce, Allahü Teâlâ'nın o işte muayyen bir hükmü yok-

Bütün bu anlattıklarımızdan hâsıl olan netîce şudur: Gerek dînî, gerek dünyevî âmme maslahatı ile uğraşan kimse, bu hizmetine karşılık olarak sultanlardan hil'at, idrâr, cizye ve benzeri paraları almakla fâsık olmaz. Fâsık olması, zulümlerinde onlara yardımcı olmak, onların âmâline hizmet etmek, onlarla düşüp kalkmak, onları övmek ve benzeri hareketlerde bulunmakladır ki, para alanların çokları bu hareketlerden kurtaramaz ve aynı zamanda yakında anlatacağımız gibi, ekseriya paralar, bu gibilere verilir.

---

tur, onu müctehidin ictihâdına terketmiştir. Bunlara göre, her müctehid isâbet eder. Eş'arîler, Mutezile ve Eşâire'nin kelâmcıları bu fikirdedir. Bunlardan bâzıları da bu gibi vakalarda, şâyet Allahü Teâlâ hükmetseydi, muayyen bir hükmü olurdu, dediler, en uygunu budur. Bâzıları, bu da şart değildir, dediler. İkincisi. her vakada muayyen bir hüküm vardır.

Burada da üç söz vardır. Birincisi; fakîhlerin vs kelâmcıların sözüdür. O da, hiçbir emâresi bulunmayan bir hüküm vardır. Bunu bulan için iki, bulamayan için de bir ecir vardır. İkinci söz, o hükmün üzerinde mutlaka şüpheli bir emâre ve alâmet vardır. Bunu söyleyenler de ihtilâf hâlindedir. Bâzıları, bu hüküm kapalı olduğu için müctehid isâbet etmekle mükellef değildir. Bunun için hataya düşen hem mâzur, hem de me'cûrdur. Bütün fakîhlerin görüşü budur. İmâm Şâfiî ve İmâm-ı Âzam'a nisbet edilen de budur. Bâzıları da müctehid, hakikati aramakla mükelleftir. Şâyet hakikati bulamaz ve başka tarafa saplanırsa, kendi buluşu ile âmel eder. Üçüncü söz, o hükme delâlet eden açık bir delîl vardır, şeklindedir. Bunlara göre müctehid, o hükmü aramakla mükelleftir. Fakat bunların cumhuruna göre, hatâ eden günâhkâr olmaz ve hükmü de bozulmaz. Bâzıları, hatâ ettiği için günâhkâr olur, diğer bâzıları da bulduğu hüküm bozulur, demişlerdir.

البَابُ السَّادِسُ

فيما يَحِلّ من مخالطة السّلاطين الظّلمة ويحرم وحكم غشيان مجالسهم والدّخول عليهم والإكرام لهم

اعلمْ : أنَّ لكَ معَ الأمراءِ والعمَّالِ الظلمةِ ثلاثةَ أحوالٍ :

الحالةُ الأولىٰ ـ وهيَ شرُّها ـ : أنْ تدخلَ عليهِمْ .

والثانيةُ ـ وهي دونَها ـ : أنْ يدخلوا عليكَ .

والثالثةُ ـ وهيَ الأسلمُ ـ : أنْ تعتزلَ عنهُمْ ، فلا تراهم ولا يرونَكَ .

* * *

أمَّا الحالةُ الأولىٰ ـ وهيَ الدخولُ عليهِمْ ـ :

فهوَ مذمومٌ جدّاً في الشرعِ ، وفيهِ تغليظاتٌ وتشديداتٌ تواردَتْ بها الأخبارُ والآثارُ ، فننقلُها لتعرفَ ذمَّ الشرعِ لهُ ، ثمَّ نتعرَّضُ لما يحرمُ منهُ وما يُباحُ وما يُكرهُ ، علىٰ ما تقتضيهِ الفتوىٰ في ظاهرِ العلمِ .

* * *

أمَّا الأخبارُ :

فلمَّا وصفَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الأمراءَ الظلمةَ . . قالَ :

« فمَنْ نابذَهُمْ . . نجا ، ومَنْ اعتزَلَهُمْ . . سلمَ أوْ كادَ يسلمُ ، ومَنْ وقعَ معَهُمْ في دنياهُمْ . . فهوَ منهُمْ »(١) ، وذلكَ لأنَّ مَنِ اعتزَلَهُمْ . . سلمَ مِنْ إثمِهِمْ ، ولكنْ لمْ يسلَمْ مِنْ عذابٍ يعمُّهُ معَهمْ إنْ نزلَ بِهِمْ ؛ لتركِهِ المنابذَةَ والمنازعَةَ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « سيكونُ مِنْ بعدي أمراءُ يظلمونَ ويكذبونَ ، فمَنْ صدَّقهُمْ بكذبِهِمْ ، وأعانَهُمْ علىٰ ظلمِهِمْ . . فليسَ منِّي ولستُ منهُ ، ولمْ يردْ عليَّ الحوضَ »(٢) .

وروىٰ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « أبغضُ القرّاءِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ الذين يزورونَ الأمراءَ »(٣) .

وفي الخبرِ : (خيرُ الأمراءِ الذينَ يأتونَ العلماءَ ، وشرُّ العلماءِ الذينَ يأتونَ الأمراءَ)(٤) .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٨٨٩٨) ، والطبراني في « الكبير » (١١/٣٩) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٤/٢٤٣) ، والترمذي (٢٢٥٩) ، والنسائي (٧/ ١٦٠) .

(٣) رواه ابن ماجه (٢٥٦) .

(٤) روى الديلمي في « مسند الفردوس » (٥٦٦) من حديث عمر رضي الله عنه : « إن الله عز وجل يحب الأمراء إذا خالطوا العلماء ، وإن الله يمقت العلماء إذا خالطوا الأمراء ؛ لأن العلماء إذا خالطوا الأمراء . . رغبوا في الدنيا ، وإن الأمراء إذا خالطوا العلماء . . رغبوا في الآخرة » .

وفي الخبرِ : « العلماءُ أمناءُ الرسلِ علىٰ عبادِ اللهِ ما لمْ يخالطوا السلطانَ ، فإذا فعلوا ذلكَ . . فقدْ خانُوا الرسلَ ، فاحذروهُمْ واعتزلوهُمْ » ، رواهُ أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ(١) .

* * *

وأمَّا الآثارُ :

فقدْ قالَ حذيفةُ : إيَّاكُمْ ومواقفَ الفتنِ ، قيلَ : وما مواقفُ الفتنِ ؟ قالَ : أبوابُ الأمراءِ ، يدخلُ أحدُكُمْ على الأميرِ فيصدِّقُهُ بالكذبِ ، ويقولُ ما ليسَ فيهِ(٢) .

وقالَ أبو ذرٍّ لسلمةَ : (يا سلمةُ ؛ لا تغشَ أبوابَ السلاطينِ ؛ فإنَّكَ لا تصيبُ مِنْ دنياهُمْ شيئاً إلا أصابوا مِنْ دينكَ أفضلَ منهُ)(٣) .

وقالَ سفيانُ : (في جهنَّمَ وادٍ لا يسكنُهُ إلا القرَّاءُ الزوَّارونَ للملوكِ)(٤) .

---

(١) رواه العقيلي كما في « جامع بيان العلم وفضله » (١١١٣) ، والديلمي في « مسند الفردوس » (٤٢١٠) ، وقال الحافظ المناوي نقلاً عن السيوطي : (قوله ـ أي ابن الجوزي : « موضوع » ممنوع ، وله شواهد فوق الأربعين ، فنحكم له علىٰ مقتضىٰ صناعة الحديث بالحسن) .

(٢) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (١١/ ٣١٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٧٧) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٨٨٨٧) ، وسلمة هو ابن قيس .

(٤) رواه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٠٩٧) .

وقالَ الأوزاعيُّ : (ما مِنْ شيءٍ أبغضَ عندَ اللهِ مِنْ عالمٍ يزورُ عاملاً)(١) .

وقالَ سُمنونٌ : (ما أسمجَ بالعالمِ أَنْ يؤتىٰ إلىٰ مجلسهِ ، فلا يُوجدُ ، فيُسألُ عنهُ ، فيُقالُ : إنَّهُ عندَ الأميرِ ، وكنتُ أسمعُ أنَّهُ يُقالُ : « إذا رأيتمُ العالمَ يحبُّ الدنيا . . فاتهموهُ علىٰ دينِكُمْ » حتَّىٰ جرَّبْتُ ذلكَ ؛ إذْ ما دخلتُ قطُّ علىٰ هـٰذا السلطانِ إلا وحاسبتُ نفسي بعدَ الخروجِ ، فأرىٰ عليها الدركَ ، معَ ما أواجهُهُمْ بهِ مِنَ الغلظةِ والمخالفةِ لهواهُمْ)(٢) .

وقالَ عبادةُ بنُ الصامتِ : (حبُّ القارىءِ الناسكِ للأمراءِ نفاقٌ ، وحُبُّهُ للأغنياءِ رياءٌ) .

وقالَ أبو ذرٍّ : (مَنْ كثَّرَ سوادَ قومٍ . . فهوَ منهُمْ)(٣) أيْ : مَنْ كثَّرَ سوادَ الظلمةِ .

وقالَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : إنَّ الرجلَ ليدخلُ على السلطانِ ومعَهُ دينُهُ ، فيخرجُ ولا دينَ لهُ ! قيلَ لهُ : ولِمَ ؟ قالَ : لأنَّهُ يرضيهِ بسخطِ اللهِ(٤) .

---

(١) رواه مرفوعاً ابن عدي في « الكامل » (٢/ ٣٥) .

(٢) ترتيب المدارك (١/ ٣٥٧) .

(٣) قال الحافظ الزبيدي في « الإتحاف » (٦/ ١٢٨) : (هكذا رواه ابن المبارك في « الزهد » عنه موقوفاً) ، وقد رواه مرفوعاً ابن أبي عاصم في « السنة » (١٥٠٥) عن أنس رضي الله عنه ، والديلمي في « مسند الفردوس » (٥٦٢١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

(٤) رواه ابن سعد في « الطبقات » (٨/ ٣٢٧) بتمامه ، ونحوه عند ابن المبارك في « الزهد » (٣٨٢) .

واستعملَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رجلاً ، فقيلَ : كانَ عاملاً للحجَّاجِ ، فعزلَهُ ، فقالَ الرجلُ : إنَّما عملتُ لهُ علىٰ شيءٍ يسيرٍ ، فقالَ لهُ عمرُ : حسبُكَ بصحبتِهِ يوماً أوْ بعضَ يومٍ شؤماً وشرّاً(١) .

وقالَ الفضيلُ : (ما ازدادَ رجلٌ مِنْ ذي سلطانٍ قرباً . . إلا ازدادَ مِنَ اللهِ بعداً)(٢) .

وكانَ سعيدُ بنُ المسيَّبِ يتَّجرُ في الزيتِ ويقولُ : إنَّ في هـٰذا لغنىً عن هؤلاءِ السلاطينِ(٣) .

وقالَ وهيبٌ : (هؤلاءِ الذينَ يدخلونَ على الملوكِ لهُمْ أضرُّ على الأمَّةِ مِنَ المقامرينَ)(٤) .

وقالَ محمدُ بنُ سلمةَ : (الذبابُ على العذرةِ أحسنُ مِنْ قارىءٍ علىٰ بابِ هؤلاءِ)(٥) .

---

(١) رواه الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (١/٦٠٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٨/١٩٧) .

(٢) رواه هناد في « الزهد » (٥٩٧) عن عبيد بن عمير مرسلاً ، وعند أحمد في « المسند » (٢/٣٧١) مرفوعاً : « من بدا . . جفا ، ومن اتبع الصيد . . غفَل ، ومن أتىٰ أبواب السلطان . . افتتن ، وما ازداد عبد من السلطان قرباً . . إلا ازداد من الله بعداً » .

(٣) كونه يتاجر بالزيت عند الترمذي (١٢٦٧) إشارة لذلك .

(٤) رواه أحمد في « الورع » (ص٨٢) .

(٥) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢/٤٤٦) عن محمد بن السماك .

ولمَّا خالطَ الزهريُّ السلطانَ(١) .. كتبَ أخٌ لهُ في الدينِ إليهِ : (عافانا اللهُ وإيَّاكَ أبا بكرٍ مِنَ الفتنِ ، فقدْ أصبحتَ بحالٍ ينبغي لمَنْ عرفَكَ أنْ يدعوَ لكَ اللهَ ويرحمَكَ ، أصبحتَ شيخاً كبيراً ، وقدْ أثقلتْكَ نعَمُ اللهِ ؛ لما فهَّمَكَ مِنْ كتابِهِ ، وعلَّمَكَ مِنْ سنَّةِ نبيِّهِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وليسَ كذلكَ أخذَ اللهُ الميثاقَ على العلماءِ ، قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ .

واعلمْ : أنَّ أيسرَ ما ارتكبتَ وأخفَّ ما احتملتَ أنَّكَ آنستَ وحشةَ الظالمِ ، وسهَّلْتَ سبيلَ الغيِّ بدنوِّكَ ممَّنْ لمْ يؤدِّ حقّاً ولمْ يتركْ باطلاً ، حينَ أدناكَ اتخذوكَ قطباً تدورُ عليكَ رحىٰ ظلمِهِمْ ، وجسراً يعبُرُونَ عليكَ إلىٰ بلائِهِمْ ، وسُلَّماً يصعدونَ فيهِ إلىٰ ضلالتِهِمْ ، ويُدخلونَ بكَ الشكَّ على العلماءِ ، ويقتادونَ بكَ قلوبَ الجهلاءِ ، فما أيسرَ ما عَمَروا لكَ في جنْبِ ما خرَّبوا عليكَ ، وما أكثرَ ما أخذوا منكَ في جنبِ ما أفسدوا عليكَ مِنْ دينِكَ ، فما يؤمنُكَ أنْ تكونَ ممَّنْ قالَ اللهُ تعالىٰ فيهِمْ : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ . . . ﴾ الآيةَ ، وإنَّكَ تعاملُ مَنْ لا يجهلُ ، ويحفظُ عليكَ مَنْ لا يغفُلُ ، فداوِ دينَكَ ؛ فقدْ دخلَهُ سقمٌ ، وهيِّئْ زادَكَ ؛ فقدْ حضرَ سفرٌ بعيدٌ ، وما يخفىٰ على اللهِ مِنْ شيءٍ في الأرضِ ولا في السماءِ ، والسلامُ)(٢) .

---

(١) يعني به عبد الملك بن مروان ، فإنه كان قد خالطه وقدم عليه دمشق مراراً ، وكذا ولده هشام . « إتحاف » (٦/١٢٨) .

(٢) هـٰذا الكتاب أرسله أبو حازم سلمة بن دينار إلى الزهري رحمهما الله تعالىٰ ، رواه =

فهـٰذهِ الأخبارُ والآثارُ تدلُّ علىٰ ما في مخالطةِ السلاطينِ مِنَ الفتنِ وأنواعِ الفسادِ ، **ولكنْ نفصِّلُ ذلكَ تفصيلاً فقهياً ، نميِّزُ فيهِ المحظورَ عنِ المكروهِ والمباحِ ، فنقولُ** :

الداخلُ على السلطانِ معرَّضٌ لأنْ يعصيَ اللهَ تعالىٰ ؛ إمَّا بفعلِهِ ، أوْ بسكوتِهِ ، وإمَّا بقولِهِ ، وإمَّا باعتقادِهِ ، ولا ينفكُّ عنْ أحدِ هـٰذهِ الأمورِ[1] .

أمَّا الفعلُ : فالدخولُ عليهِمْ في غالبِ الأحوالِ يكونُ إلىٰ دورٍ مغصوبةٍ ، وتخطِّيها والدخولُ فيها بغيرِ إذنِ الملاَّكِ حرامٌ ، ولا يغرنَّكَ قولُ القائلِ : (إنَّ ذلكَ ممَّا يتسامحُ بهِ الناسُ ؛ كتمرةٍ أوْ فتاتِ خبزٍ) ؛ فإنَّ ذلكَ صحيحٌ في غيرِ المغصوبِ ، أمَّا المغصوبُ . . فلا ؛ لأنَّهُ إنْ قيلَ : إنَّ كلَّ جلسةٍ خفيفةٍ لا تنقصُ الملكَ فهيَ في محلِّ التسامحِ ، وكذلكَ الاجتيازُ . . فيجري هـٰذا في كلِّ واحدٍ ، فيجري أيضاً في المجموعِ ، والغصبُ إنَّما تمَّ بفعلِ الجميعِ ، وإنَّما يُتسامحُ بهِ إذا انفردَ ، إذْ لوْ علمَ المالكُ بهِ . . ربَّما لمْ يكرهْهُ ، فأمَّا إذا كانَ ذلكَ طريقاً إلى الاستغراقِ بالاشتراكِ . . فحكْمُ التحريمِ ينسحبُ على الكلِّ ، فلا يجوزُ أن يُتخذَ ملكُ الرجلِ طريقاً اعتماداً علىٰ أنَّ

= أبو نعيم في « الحلية » (٣/٢٤٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢/٤١) ضمن خبر طويل .

[1] ووجه الاستقراء : أن الداخل لا يخلو عند دخوله أن يفعل شيئاً ، أو يسكت علىٰ شيء ، أو يقول شيئاً ، أو يعتقد في نفسه شيئاً ، والقول ما كان باللسان ، والفعل ما كان بالجوارح . « إتحاف » (٦/١٣١) .

كلَّ واحدٍ مِنَ المارِّينَ إنَّما يخطو خطوةً لا تنقصُ الملكَ ؛ لأنَّ المجموعَ مفوِّتٌ للملكِ ، وهو كضربةٍ خفيفةٍ في التعليمِ تُباحُ ولكنْ بشرطِ الانفرادِ ، فلوِ اجتمعَ جماعةٌ بضرباتٍ توجبُ القتلَ . . وجبَ القصاصُ على الجميعِ معَ أنَّ كلَّ واحدةٍ مِنَ الضرباتِ لوِ انفردَتْ . . لكانَتْ لا توجبُ قصاصاً .

فإنْ فُرِضَ كونُ الظالمِ في موضعٍ غيرِ مغصوبٍ ؛ كالمواتِ مثلاً ؛ فإنْ كانَ تحتَ خيمةٍ أوْ مِظلَّةٍ مِنْ مالِهِ . . فهوَ حرامٌ(١) ، والدخولُ إليهِ غيرُ جائزٍ ؛ لأنَّهُ انتفاعٌ بالحرامِ واستظلالٌ بهِ .

فإنْ فُرِضَ كلُّ ذلكَ حلالاً . . فلا يعصي بالدخولِ مِنْ حيثُ إنَّهُ دخولٌ ، ولا بقولِهِ : (السلامُ عليكَ) ، ولكنْ إنْ سجدَ ، أوْ ركعَ ، أوْ مثلَ قائماً في سلامِهِ وخدمتِهِ . . كانَ مكرِّماً للظالمِ بسببِ ولايتِهِ التي هيَ آلةُ ظلمِهِ ، والتواضعُ للظالمِ معصيةٌ ، بلْ مَنْ تواضعَ لغنيٍّ ليسَ بظالمٍ لأجلِ غناهُ لا لمعنىً آخرَ يقتضي التواضعَ . . ذهبَ ثلثا دينِهِ(٢) ، فكيفَ إذا تواضعَ لظالمٍ ؟!

فلا يُباحُ إلا مجرَّدُ السلامِ ، فأمَّا تقبيلُ اليدِ ، والانحناءُ في الخدمةِ . . فهوَ معصيةٌ ، إلا عندَ الخوفِ(٣) ، أوْ لإمامٍ عادلٍ ، أوْ لعالمٍ ، أوْ لِمَنْ

---

(١) لكون أغلب أموال السلاطين كذلك . « إتحاف » (٦/ ١٣١) .

(٢) كما روىٰ ذلك الديلمي في « مسند الفردوس » (٥٤٤٩) من حديث أبي ذر ، وقد رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٤٥) عن فرقد السبخي يعزوه للتوراة .

(٣) منه علىٰ نفسه وعياله أو ضيعته ، فإن قبّل اليد . . فلا بأس بذلك ، وأما ما عداه مما ذكر . . فغير جائز ؛ فإنه ليس من شعار المسلمين . « إتحاف » (٦/ ١٣٢) .

يستحقُّ ذلكَ بأمرٍ دينيٍّ(١) ؛ قبَّلَ أبو عبيدةَ بنُ الجرَّاحِ يدَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما لمَّا أنْ لقيَهُ بالشامِ ، فلمْ ينكرْ عليهِ(٢) .

وقدْ بالغَ بعضُ السلفِ حتَّى امتنعَ عنْ ردِّ جوابِهِمْ في السلامِ ، والإعراضُ عنهُمُ استحقاراً لهُمْ مِنْ محاسنِ القرباتِ(٣) ، فأمَّا السكوتُ عنْ ردِّ الجوابِ . . ففيهِ نظرٌ ؛ لأنَّ ذلكَ واجبٌ ، فلا ينبغي أنْ يسقطَ بالظلمِ .

فإنْ تركَ الداخلُ جميعَ ذلكَ ، واقتصرَ على السلامِ . . فلا يخلو مِنَ الجلوسِ على بساطِهِمْ ، وإذا كانَ أغلبُ أموالِهِمْ حراماً . . فلا يجوزُ الجلوسُ على فرشِهِمْ ، هٰذا مِنْ حيثُ الفعلُ .

فأمَّا السكوتُ : فهوَ أنَّهُ سيرى في مجالسِهِمْ مِنَ الفُرُشِ الحريرِ وأواني الفضَّةِ والحريرِ الملبوسِ عليهِمْ وعلى غلمانِهِمْ ما هوَ حرامٌ ، وكلُّ مَنْ رأى منكراً وسكتَ عنهُ . . فهوَ شريكٌ في ذلكَ المنكرِ ، بلْ يسمعُ مِنْ كلامِهِمْ

---

(١) كشيخ مسنٍّ صالح شابَ في الإسلام ، أو شيخه في العلم ولو كان شاباً ، أو والده ، أو والدته ، والعم بمنزلة الأب . « إتحاف » (٦/ ١٣٢) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٦٧٣٢) ، وأبو سعيد البصري في « القُبَل والمعانقة والمصافحة » (ص٩) .

(٣) والعبارة عند الحافظ الزبيدي : (والإعراضِ عنهم استحقاراً لهم ، وجعلوه من محاسن القربات) . « إتحاف » (٦/ ١٣٢) ، وأما الامتناع من رد السلام عليهم . . فقد أورده السيوطي عن ابن باكويه مسنداً في « أخبار الصوفية » حيث قال : (تعززوا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم) . انظر « ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين » (ص٢٣) .

ما هوَ فحشٌ وكذبٌ وشتمٌ وإيذاءٌ ، *والسكوتُ علىٰ جميعِ ذلكَ حرامٌ* ، بلْ يراهُمْ لابسينَ الثيابَ الحرامَ وآكلينَ الطعامَ الحرامَ وجميعُ ما في أيديهِمْ حرامٌ ، والسكوتُ علىٰ ذلكَ غيرُ جائزٍ ، فيجبُ عليهِ الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عنِ المنكرِ بلسانِهِ إنْ لمْ يقدِرْ بفعلِهِ .

* * *

فإنْ قيلَ : إنَّهُ يخافُ علىٰ نفسِهِ ، فهوَ معذورٌ في السكوتِ . . **فهٰذا حقٌّ** ، ولكنَّهُ مستغنٍ عنْ أنْ يعرِّضَ نفسَهُ لارتكابِ ما لا يُباحُ إلا بعذرٍ ؛ فإنَّهُ لوْ لمْ يدخلْ ولمْ يشاهدْ . . لمْ يتوجَّهْ عليهِ الخطابُ بالحِسبةِ ، حتَّىٰ يسقطَ عنهُ بالعذْرِ ، وعندَ هٰذا أقولُ : مَنْ علمَ فساداً في موضعٍ ، وعلمَ أنَّهُ لا يقدرُ علىٰ إزالتِهِ . . فلا يجوزُ لهُ أنْ يحضرَ ليجريَ ذلكَ بينَ يديهِ وهوَ يشاهدُهُ ويسكتُ ، بلْ ينبغي أنْ يحترزَ عنْ مشاهدتِهِ .

وأمَّا القولُ : فهوَ أنْ يدعوَ للظالمِ ، أوْ يثنيَ عليهِ ، أوْ يصدِّقَهُ فيما يقولُ مِنْ باطلٍ ؛ بصريحِ قولِهِ ، أوْ بتحريكِ رأسِهِ ، أوْ باستبشارٍ في وجهِهِ ، أوْ يظهرَ لهُ الحبَّ والموالاةَ والاشتياقَ إلىٰ لقائِهِ ، والحرصَ علىٰ طولِ عمرِهِ وبقائِهِ ؛ فإنَّهُ في الغالبِ لا يقتصرُ على السلامِ ، بلْ يتكلَّمُ ولا يعدو كلامُهُ هٰذهِ الأقسامَ .

أمَّا الدعاءُ لهُ . . فلا يحلُّ ، إلا أنْ يقولَ : أصلحكَ اللهُ ، أوْ وفَّقَكَ اللهُ للخيراتِ ، أوْ طوَّلَ اللهُ عمرَكَ في طاعتِهِ ، أو ما يجري هٰذا المجرىٰ .

فأمَّا الدعاءُ بالحراسةِ ، وطولِ البقاءِ ، وإسباغِ النعمةِ ، معَ الخطابِ بالمولىٰ وما في معناهُ . . فغيرُ جائزٍ ؛ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ دعا لظالمٍ بالبقاءِ . . فقدْ أحبَّ أنْ يُعصى اللهُ في أرضِهِ »(١) .

فإنْ جاوزَ الدعاءَ إلى الثناءِ . . فسيذكرُ ما ليسَ فيهِ ، فيكونُ بهِ كاذباً ومنافقاً ومكرماً لظالمٍ ، وهٰذهِ ثلاثُ معاصٍ ، وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ اللهَ ليغضبُ إذا مُدحَ الفاسقُ »(٢) ، وفي خبرٍ آخرَ : « مَنْ أكرمَ فاسقاً . . فقدْ أعانَ علىٰ هدمِ الإسلامِ »(٣) .

فإنْ جاوزَ ذلكَ إلى التصديقِ لهُ فيما يقولُ ، والتزكيةِ والثناءِ علىٰ ما يعملُ . . كانَ عاصياً بالتصديقِ وبالإعانةِ ؛ فإنَّ التزكيةَ والثناءَ إعانةٌ على المعصيةِ ، وتحريكٌ للرغبةِ فيهِ ، كما أنَّ التكذيبَ والمذمَّةَ والتقبيحَ زجرٌ عنهُ ، وتضعيفٌ لدواعيهِ ، والإعانةُ على المعصيةِ معصيةٌ ، ولوْ بشطرِ كلمةٍ .

ولقدْ سئلَ سفيانُ رضيَ اللهُ عنهُ عنْ ظالمٍ أشرفَ على الهلاكِ في بريَّةٍ ؛

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٦٠٤) عن الحسن ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٤٦/٧) من قول سفيان .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٢٣٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٥٤٣) .

(٣) روى الطبراني في « الكبير » (٩٦/٢٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢١٨/٥) مرفوعاً : « من وقَّر صاحب بدعة . . فقد أعان علىٰ هدم الإسلام » ، والقصة بتمامها عند صاحب « القوت » (٢٦٤/٢) .

هلْ يُسقىٰ شربةَ ماءٍ ؟ فقالَ : لا ، فقيلَ لهُ : يموتُ ! فقالَ : دعْهُ حتىٰ يموتَ ؛ فإنَّ ذلكَ إعانةٌ لهُ علىٰ ظلمِهِ .

وقالَ غيرُهُ : يُسقىٰ إلىٰ أنْ تثوبَ إليهِ نفسُهُ ، ثمَّ يُعرضُ عنهُ .

فإنْ جاوزَ ذلكَ إلىٰ إظهارِ الحبِّ والشوقِ إلىٰ لقائِهِ وطولِ بقائِهِ ؛ فإنْ كانَ كاذباً . . عصىٰ بمعصيةِ الكذبِ والنفاقِ ، وإنْ كانَ صادقاً . . عصىٰ بحبِّهِ بقاءَ ظالمٍ ، وحقُّهُ أنْ يبغضَهُ في اللهِ ويمقتَهُ ، فالبغضُ في اللهِ واجبٌ ، ومحبُّ المعصيةِ والراضي بها عاصٍ ، ومَنْ أحبَّ ظالماً ؛ فإنْ أحبَّهُ لظلمِهِ . . فهوَ عاصٍ بمحبَّتِهِ ، وإنْ أحبَّهُ لسببٍ آخرَ . . فهوَ عاصٍ مِنْ حيثُ إنَّهُ لمْ يبغضْهُ ، وكانَ الواجبُ عليهِ أنْ يبغضَهُ ، وإنِ اجتمعَ في شخصٍ واحدٍ خيرٌ وشرٌّ . . وجبَ أنْ يُحبَّ لأجلِ ذلكَ الخيرِ ، ويُبغضَ لأجلِ ذلكَ الشرِّ ، وسيأتي في كتابِ الأخوةِ والمتحابينَ في اللهِ وجهُ الجمعِ بينَ البغضِ والحبِّ .

فإنْ سلِمَ مِنْ ذلكَ كلِّهِ وهيهاتَ . . فلا يسلمُ مِنْ فسادٍ يتطرَّقُ إلىٰ قلبِهِ ؛ فإنَّهُ ينظرُ إلىٰ توسُّعِهِ في النعمةِ فيزدري نعمَ اللهِ عليهِ ، ويكونُ مقتحماً نهيَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حيثُ قالَ : « يا معشرَ المهاجرينَ ؛ لا تدخلوا علىٰ أهلِ الدنيا ، فإنَّها مسخطةٌ للرِّزقِ »(١) .

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٧٦٠) موقوفاً علىٰ سيدنا عمر رضي الله عنه ، وروى الحاكم في « المستدرك » (٤/ ٣١٢) مرفوعاً : « أقلوا الدخول على الأغنياء ، فإنه قمنٌ ألا تزدروا نعم الله عز وجل » .

وهـٰذا معَ ما فيهِ مِنِ اقتداءِ غيرِهِ بِهِ في الدخولِ ، ومِنْ تكثيرِهِ سوادَ الظلمةِ بنفسِهِ ، وتجميلِهِ إيَّاهُمْ إنْ كانَ ممَّنْ يتجمَّلُ بهِ ، وكلُّ ذلكَ إمَّا مكروهاتٌ وإمَّا محظوراتٌ .

دُعِيَ سعيدُ بنُ المسيَّبِ إلى البيعةِ للوليدِ وسليمانَ ابنَي عبدِ الملكِ بنِ مروانَ⁽¹⁾ ، فقالَ : لا أبايعُ اثنينِ ما اختلفَ الليلُ والنهارُ ؛ فإنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ نهىٰ عنْ بيعتينِ⁽²⁾ ، فقالَ : فقيلَ : ادخلْ مِنَ البابِ واخرجْ مِنَ البابِ الآخرِ ، قالَ : لا واللهِ ؛ لا يقتدي بي أحدٌ مِنَ الناسِ ، قالَ : فجلدَهُ مئةً وألبسَهُ المسوحَ⁽³⁾ .

فلا يجوزُ الدخولُ عليهِمْ إلا بعذرينِ :

أحدُهما : أنْ يكونَ مِنْ جهتِهِمْ أمرُ إلزامٍ لا أمرُ إكرامٍ ، وعلمَ أنَّهُ لوِ امتنعَ . أُوْذِيَ أوْ فسدَ عليهِمْ طاعةُ الرعيةِ واضطربَ أمرُ السياسةِ ، فيجبُ عليهِ حينئذٍ الإجابةُ ، طاعةً لهُمْ ، ومراعاةً لمصلحةِ الخلقِ ؛ حتَّىٰ لا تضطربَ الولايةُ⁽⁴⁾ .

---

(١) وكان الداعي له هو والدهما عبد الملك . « إتحاف » (٦/ ١٣٤) .

(٢) رواه الترمذي (١٣٣١) ، والنسائي (٧/ ٢٩٥) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٧٠) ، **والمسوح** : جمع مِسح ، وهو الكساء الأسود .

(٤) في نسخة الحافظ الزبيدي : (لا طاعة لهم ، بل مراعاة لمصلحة . . .) . « إتحاف » (٦/ ١٣٥) ، والعبارتان موجهتان .

والثاني : أنْ يدخلَ عليهِمْ في دفعِ ظلمٍ عنْ مسلمٍ سواهُ ، أوْ عنْ نفسِهِ ؛ إمَّا بطريقِ الحِسبةِ ، أوْ بطريقِ التظلُّمِ ، فذلكَ رخصةٌ ، بشرطِ ألا يكذبَ ، ولا يثنيَ ، ولا يدعَ نصيحةً يتوقَّعُ لها قبولاً ، فهـٰذا حكمُ الدخولِ .

* * *

الحالةُ الثانيةُ : أنْ يدخلَ عليكَ السلطانُ الظالمُ زائراً :

فجوابُ السلامِ لا بدَّ منهُ ، وأمَّا القيامُ والإكرامُ لهُ . . فلا يحرمُ مقابلةً لهُ علىٰ إكرامِهِ ، فإنَّهُ بإكرامِ العلمِ والدينِ مستحقٌّ للإحمادِ ، كما أنَّهُ بالظلمِ مستحقٌّ للإبعادِ ، فالإكرامُ بالإكرامِ ، والجوابُ بالسلامِ ، ولكنَّ الأولىٰ ألا يقومَ إنْ كانَ معهُ في خلوةٍ ؛ ليظهرَ لهُ بذلكَ عزَّ الدينِ وحقارةَ الظلْمِ ، ويظهرَ لهُ غضبَهُ للدينِ ، وإعراضَهُ عمَّنْ أعرضَ عنِ اللهِ تعالىٰ ، فأعرضَ اللهُ تعالىٰ عنْهُ .

وإنْ كانَ الداخلُ عليهِ في جمعٍ . . فمراعاةُ حشمةِ أربابِ الولاياتِ فيما بينَ الرعايا مهمٌّ ، فلا بأسَ بالقيامِ علىٰ هـٰذهِ النيَّةِ ، وإنْ علمَ أنَّ ذلكَ لا يورثُ فساداً في الرعيَّةِ ، ولا ينالُهُ أذىً مِنْ غضبِهِ . . فتركُ الإكرامِ بالقيامِ أولىٰ .

ثمَّ يجبُ عليهِ بعدَ أنْ وقعَ اللقاءُ أنْ ينصحَهُ ، فإنْ كانَ يقارفُ ما لا يعرفُ تحريمَهُ ، وهوَ يتوقَّعُ أنْ يتركَهُ إذا عرفَ . . فليعرِّفْهُ ، فذلكَ واجبٌ .

وأمَّا ذكرُ تحريمِ ما يعلمُ تحريمَهُ ؛ مِنَ الشربِ والظلمِ . . فلا فائدةَ فيهِ ، بلْ عليهِ أنْ يخوِّفَهُ فيما يرتكبُهُ مِنَ المعاصي مهما ظنَّ أنَّ التخويفَ يؤثِّرُ فيهِ ،

وعليهِ أنْ يرشدَهُ إلىٰ طريقِ المصلحةِ إنْ كانَ يعرفُ طريقاً علىٰ وَفْقِ الشرعِ ؛ بحيثُ يحصلُ بهِ غرضُ الظالمِ مِنْ غيرِ معصيةٍ ، فيصدَّهُ بذلكَ عنِ الوصولِ إلىٰ غرضِهِ بالظلمِ .

فإذاً ؛ يجبُ عليهِ **التعريفُ** في محلِّ جهلِهِ ، **والتخويفُ** فيما هوَ مستجرِىءٌ عليهِ ، **والإرشادُ** إلىٰ ما هوَ غافلٌ عنهُ ممَّا يغنيهِ عنِ الظلمِ .

فهٰذهِ ثلاثةُ أمورٍ تلزمُهُ إذا توقَّعَ للكلامِ فيها أثراً ، وذلكَ أيضاً لازمٌ علىٰ كلِّ مَنِ اتفقَ لهُ دخولٌ على السلطانِ بعذرٍ أوْ بغيرِ عذرٍ .

روىٰ مقاتلُ بنُ صالحٍ قالَ : كنتُ عندَ حمَّادِ بنِ سلمةَ ، وإذا ليسَ في البيتِ إلا حصيرٌ وهوَ جالسٌ عليهِ ، ومصحفٌ يقرأُ فيهِ ، وجرابٌ فيهِ علمُهُ ، ومِطهرةٌ يتوضَّأُ منها ، فبينا أنا عندَهُ . . إذْ دقَّ داقٌّ البابَ ، فإذا هوَ محمدُ بنُ سليمانَ ، فأذنَ لهُ ، فدخلَ وجلسَ بينَ يديهِ ، ثمَّ قالَ : ما لي إذا رأيتُكَ . . امتلأتُ منكَ رُعباً ؟ قالَ حمادٌ : لأنَّهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ قالَ لهُ : « إنَّ العالمَ إذا أرادَ بعلمِهِ وجهَ اللهِ . . هابَهُ كلُّ شيءٍ ، وإنْ أرادَ أنْ يكنزَ بهِ الكنوزَ . . هابَ مِنْ كلِّ شيءٍ »[1] ، ثمَّ عرضَ عليهِ أربعينَ ألفَ درهمٍ وقالَ : تأخذُها وتستعينُ بها ، قالَ : اردُدْها علىٰ مَنْ ظلمتَهُ بها ، قالَ : واللهِ ما أعطيتُكَ إلا ممَّا ورثتُهُ ، قالَ : لا حاجةَ لي فيها ، قالَ : فتأخذُها فتقسمُها ، قالَ : لعلِّي إنْ عدلتُ في قسمتِها أخافُ أنْ يقولَ بعضُ مَنْ لمْ

---

[1] هٰذا الحديث المرفوع رواه حماد كما سيأتي في تخريج الخبر .

يُرزقْ منها : إنَّهُ لمْ يعدِلْ في قسمتِها ، فيأثمُ ، فازوها عنِّي (١) .

* * *

الحالةُ الثالثةُ : أنْ يعتزلَهُمْ فلا يراهُمْ ولا يرونَهُ :

وهوَ الواجبُ ؛ إذْ لا سلامةَ إلا فيهِ ، فعليهِ أنْ يعتقدَ بغضَهُمْ علىٰ ظلمِهِمْ ، ولا يحبَّ بقاءَهُمْ ، ولا يثنيَ عليهِمْ ، ولا يستخبرَ عنْ أحوالِهِمْ ، ولا يتقرَّبَ إلى المتصلينَ بهِمْ ، ولا يتأسَّفَ علىٰ ما يفوتُ بسببِ مفارقتِهِمْ ، وذلكَ إذا خطرَ ببالِهِ أمرُهُمْ ، وإنْ غفَلَ عنهُمْ . . فهوَ الأحسنُ .

وإذا خطرَ ببالِهِ تنعُّمُهُمْ . . فليذكرْ ما قالَهُ حاتِمٌ الأصمُّ : (إنَّما بيني وبينَ الملوكِ يومٌ واحدٌ ، أمَّا أمسِ . . فلا يجدونَ لذَّتَهُ ، وإنِّي وإيَّاهُمْ مِن غدٍ لعلىٰ وجلٍ ، وإنَّما هوَ اليومُ ، وما عسىٰ أنْ يكونَ في اليومِ ؟!) (٢) .

وما قالَهُ أبو الدرداءِ إذْ قالَ : (أهلُ الأموالِ يأكلونَ ونأكلُ ، ويشربونَ ونشربُ ، ويلبسونَ ونلبسُ ، ولهُمْ فضولُ أموالٍ ينظرونَ إليهَا وننظرُ معَهُمْ إليها ، وعليهِمْ حسابُها ونحنُ منها برآءُ) (٣) .

---

(١) رواه الخطيب في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (١ / ٥٦٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣ / ١٣٢) ، والحديث المرفوع في الخبر ساقه بسنده متصلاً حماد إذ قال : سمعت ثابتاً البناني يقول : سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، وذكره ، فهو من روايتهما .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (٤٦٩) عن أبي حازم سلمة بن دينار .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٥٩٢) .

وكلُّ مَنْ أحاطَ علمُهُ بظلمِ ظالمٍ ومعصيةِ عاصٍ . . فينبغي أنْ يحطَّ ذلكَ مِنْ درجتِهِ في قلبِهِ ، فهـٰذا واجبٌ عليهِ ؛ لأنَّ مَنْ صدرَ منهُ ما يكرهُ . . نقصَ ذلكَ مِنْ رتبتِهِ في القلبِ لا محالةَ ، والمعصيةُ ينبغي أنْ تُكرهَ ، فإنَّهُ إمَّا أنْ يغفُلَ عنها ، أوْ يرضىٰ بها ، أوْ يكرهَ ، ولا غفلةَ معَ العلمِ ، ولا وجهَ للرضا ، فلا بدَّ مِنَ الكراهةِ ، فليكنْ جنايةُ كلِّ أحدٍ علىٰ حقِّ اللهِ تعالىٰ كجنايتِهِ علىٰ حقِّكَ .

* * *

فإنْ قلتَ : الكراهةُ لا تدخلُ تحتَ الاختيارِ ، فكيفَ تجبُ ؟

قلنا : ليسَ كذلكَ ؛ فإنَّ المحبَّ يكرهُ بضرورةِ الطبعِ ما هوَ مكروهٌ عندَ محبوبِهِ ومخالفٌ لهُ ، فإنَّما لا يكرهُ معصيةَ اللهِ مَنْ لا يحبُّ اللهَ تعالىٰ ، وإنَّما لا يحبُّ اللهَ تعالىٰ مَنْ لا يعرفُهُ ، والمعرفةُ واجبةٌ ، والمحبةُ للهِ واجبةٌ ، وإذا أحبَّهُ . . كرهَ ما كرهَهُ ، وأحبَّ ما أحبَّهُ ، وسيأتي تحقيقُ ذلكَ في كتابِ المحبَّةِ والرضا .

* * *

فإنْ قلتَ : فقدْ كانَ علماءُ السلفِ يدخلونَ على السلاطينِ .

فأقولُ : نعمْ ، تعلَّمِ الدخولَ منهُمْ ثمَّ ادخلْ ؛ كما حُكِيَ أنَّ هشامَ بنَ عبدِ الملكِ قدمَ حاجّاً إلىٰ مكَّةَ ، فلمَّا دخلَها . . قالَ : ائتوني برجلٍ مِنَ الصحابةِ ، فقيلَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ قدْ فنُوا ، فقالَ : فمنَ التابعينَ ، فأُتِيَ

بطاووسٍ اليمانيِّ ، فلمَّا دخلَ عليهِ . . خلعَ نعليهِ بحاشيةِ بساطِهِ ، ولمْ يسلِّمْ عليهِ بإمرةِ المؤمنينَ ، ولكنْ قالَ : السلامُ عليكَ يا هشامُ ، ولمْ يكنِّهِ ، وجلسَ بإزائِهِ ، وقالَ : كيفَ أنتَ يا هشامُ ؟ فغضبَ هشامٌ غضباً شديداً حتَّىٰ همَّ بقتلِهِ ، فقيلَ لهُ : أنتَ في حرمِ اللهِ وحرمِ رسولِهِ ، فلا يمكنُ ذلكَ ، فقالَ لهُ : يا طاووسُ ؛ ما الذي حملَكَ علىٰ ما صنعتَ ؟ قالَ : وما الذي صنعتُ ؟ فازدادَ غضباً وغيظاً ، قالَ : خلعتَ نعليكَ بحاشيةِ بساطي ، ولمْ تقبِّلْ يدي ، ولمْ تسلِّمْ عليَّ بإمرةِ المؤمنينَ ، ولمْ تكنِّني ، وجلستَ بإزائي بغيرِ إذني ، وقلتَ : كيفَ أنتَ يا هشامُ .

فقالَ : أمَّا ما فعلتُ مِنْ خلْعِ نعلي بحاشيةِ بساطِكَ . . فإنِّي أخلعُهُما بينَ يدي ربِّ العزَّةِ كلَّ يومٍ خمسَ مرَّاتٍ ولا يعاقبُني ، ولا يغضبُ عليَّ ، وأمَّا قولُكَ : لمْ تقبِّلْ يدي . . فإنِّي سمعتُ أميرَ المؤمنينَ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لا يحلُّ لرجلٍ أنْ يقبِّلَ يدَ أحدٍ ؛ إلا يدَ امرأتِهِ مِنْ شهوةٍ ، أوْ ولدِهِ مِنْ رحمةٍ) ، وأمَّا قولُكَ : لمْ تسلِّمْ عليَّ بإمرةِ المؤمنينَ . . فليسَ كلُّ الناسِ راضينَ بإمرتِكَ ، فكرهتُ أنْ أكذبَ ، وأمَّا قولُكَ : لمْ تكنِّني . . فإنَّ اللهَ تعالىٰ سمَّىٰ أنبياءَهُ وأولياءَهُ فقالَ : يا داوودُ ، يا يحيىٰ ، يا عيسىٰ ، وكنَّىٰ أعداءَهُ فقالَ : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ، وأمَّا قولُكَ : جلستَ بإزائي . . فإنِّي سمعتُ أميرَ المؤمنينَ عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا أردتَ أنْ تنظرَ إلىٰ رجلٍ مِنْ أهلِ النارِ . . فانظرْ إلىٰ رجلٍ جالسٍ وحولَهُ قومٌ قيامٌ) .

فقالَ لهُ هشامٌ : عظْني ، فقالَ : سمعتُ مِنْ أميرِ المؤمنينَ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ في جهنَّمَ حيَّاتٍ كالقلالِ ، وعقاربَ كالبغالِ ، تلدغُ كلَّ أميرٍ لا يعدلُ في رعيتِهِ) ، ثمَّ قامَ وخرجَ .

وعنْ سفيانَ الثوريِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : أُدخلتُ علىٰ أبي جعفرٍ المنصورِ بمنىً ، فقالَ لي : ارفعْ إلينا حاجتكَ ، فقلتُ لهُ : اتقِ اللهَ فقدْ ملأتَ الأرضَ ظلماً وجوراً ، قالَ : فطأطأَ رأسَهُ ثمَّ رفعَهُ فقالَ : ارفعْ إلينا حاجتكَ ، قالَ : فقلتُ : إنَّما أُنزلتَ هـٰذهِ المنزلةَ بسيوفِ المهاجرينَ والأنصارِ وأبناؤُهُمْ يموتونَ جوعاً ، فاتقِ اللهَ وأوصل إليهِمْ حقوقَهُمْ ، فطأطأَ رأسَهُ ثمَّ رفعَ فقالَ : ارفعْ إلينا حاجتكَ ، فقلتُ : حجَّ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقالَ لخازنِهِ : كمْ أنفقتَ ؟ قالَ : بضعةَ عشرَ درهماً ، وأرىٰ هـٰهنا أموالاً لا تطيقُ الجمالُ حملَها ، وخرجَ⁽¹⁾ .

فهكذا كانوا يدخلونَ على السلاطينِ إذا أُكرهوا ، فكانوا يغررونَ بأرواحِهِمْ في الانتقامِ للهِ مِمَّنْ ظلمَ .

ودخلَ ابنُ أبي شميلةَ علىٰ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، فقالَ لهُ : تكلَّمْ ، فقالَ : إنَّ الناسَ لا ينجونَ في القيامةِ مِنْ غُصصِها ومراراتِها ومعاينةِ الردىٰ فيها إلا مَنْ أرضى اللهَ بسخطِ نفسِهِ ، فبكىٰ عبدُ الملكِ وقالَ : لأجعلنَّ هـٰذهِ

---

(1) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٤٤) ، وفيها وفي النسخ : (... أموراً لا تطيقها الجبال) ، والمثبت من (ق) .

الكلمةَ مثالاً نصْبَ عينيَّ ما عشتُ(١) .

ولمَّا استعملَ عثمانُ بنُ عفَّانَ رضيَ اللهُ عنهُ عبدَ اللهِ بنَ عامرٍ(٢) . . أتاهُ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأبطأَ عنهُ أبو ذرٍّ وكانَ لهُ صديقاً ، فعاتبَهُ ، فقالَ أبو ذرٍّ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إنَّ الرجلَ إذا وليَ ولايةً . . تباعدَ اللهُ عنهُ »(٣) .

ودخلَ مالكُ بنُ دينارٍ علىٰ أميرِ البصرةِ ، فقالَ : أيُّها الأميرُ ؛ قرأتُ في بعضِ الكتبِ أنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ : مَنْ أحمقُ مِنَ السلطانِ ، ومَنْ أجهلُ ممَّنْ عصاني ، ومَنْ أعزُّ ممَّنِ اعتزَّ بي ؟! أيُّها الراعي السوءُ ؛ دفعتُ إليكَ غنماً سماناً صحاحاً(٤) ، فأكلتَ اللحمَ ، ولبستَ الصوفَ ، وتركتَها عظاماً تتقعقعُ ، فقالَ لهُ والي البصرةِ : أتدري ما الذي يجرِّئُكَ علينا ويجنبُنا عنكَ ؟ قالَ : لا ، قالَ : قلَّةُ الطمعِ إلينا ، وتركُ الإمساكِ لما في أيدينا(٥) .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « محاسبة النفس » (١٠٥) .

(٢) في (أ ، ج ، د) : (العباس) ، وفي (ب) : (ابن عباس) ، وفي (هـ) : (استُعمِل عثمانُ) .

(٣) قال الحافظ العراقي : (لم أقف له علىٰ أصل) . « إتحاف » (٦/ ١٣٩) ، وروىٰ هناد في « الزهد » (٥٩٧) عن عبيد بن عمير مرسلاً ، وأحمد في « المسند » (٢/ ٣٧١) مرفوعاً ما يفيد معناه ، وفيه : « وما ازداد عبد من السلطان دنوّاً . . إلا ازداد من الله بعداً » .

(٤) شبه السلطان براعي الغنم ، والرعية بالغنم . انظر « الإتحاف » (٦/ ١٣٩) .

(٥) رواه ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (١/ ٥٤) ، والأمير هو بلال بن أبي بردة =

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ واقفاً معَ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ ، فسمعَ سليمانُ صوتَ الرعدِ ، فجزعَ ووضعَ صدرَهُ علىٰ مقدمةِ الرحْلِ ، فقالَ لهُ عمرُ : هٰذا صوتُ رحمتِهِ ، فكيفَ إذا سمعتَ صوتَ عذابِهِ ، ثمَّ نظرَ سليمانُ إلى الناسِ فقالَ : ما أكثرَ الناسَ ! فقالَ عمرُ : خصماؤُكَ يا أميرَ المؤمنينَ ، فقالَ لهُ سليمانُ : ابتلاكَ اللهُ بهِمْ[1] .

وحُكيَ أنَّ سليمانَ بنَ عبدِ الملكِ قدِمَ المدينةَ وهوَ يريدُ مكَّةَ ، فأرسلَ إلىٰ أبي حازمٍ فدعاهُ ، فلما دخلَ عليهِ . . قالَ لهُ سليمانُ : يا أبا حازمٍ ؛ ما لنا نكرهُ الموتَ ؟ فقالَ : لأنَّكُمْ خرَّبْتُمْ آخرتَكُمْ وعمَّرْتُمْ دنياكُمْ ، فكرهْتُمْ أنْ تنتقلوا مِنَ العمرانِ إلى الخرابِ .

فقالَ : يا أبا حازمٍ ؛ كيفَ القدومُ على اللهِ تعالىٰ ؟ قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ أمَّا المحسنُ . . فكالغائبِ يقدَمُ علىٰ أهلِهِ ، وأمَّا المسيءُ . . فكالآبقِ يقدَمُ علىٰ مولاهُ .

فبكىٰ سليمانُ وقالَ : ليتَ شعري ! ما لي عندَ اللهِ ؟ قالَ أبو حازمٍ : اعرضْ نفسَكَ علىٰ كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ ؛ حيثُ قالَ : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ .

= الأشعري ، ووقع في (أ ، د) : (ومن أغرُّ ممن اغترَّ بي) وهو موافق لإحدىٰ نسخ « عيون الأخبار » كما بين ذلك محققهُ .

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٨٨) .

قالَ سليمانُ : فأينَ رحمةُ اللهِ ؟ قالَ : قريبٌ مِنَ المحسنينَ .

ثمَّ قالَ سليمانُ : يا أبا حازمٍ ؛ أيُّ عبادِ اللهِ أكرمُ ؟ قالَ : أهلُ المروءةِ والتقىٰ .

قالَ : فأيُّ الأعمالِ أفضلُ ؟ قالَ : أداءُ الفرائضِ معَ اجتنابِ المحارمِ .

قالَ : فأيُّ الدعاءِ أسمعُ ؟ قالَ : دعاءُ المحسَنِ إليهِ للمحسنينَ .

قالَ : فأيُّ الصدقةِ أفضلُ ؟ قالَ : السائلُ البائسُ ، وجهْدُ المقلِّ ، ليسَ فيها مَنٌّ ولا أذىً .

قالَ : فأيُّ القولِ أعدلُ ؟ قالَ : قولُ الحقِّ عندَ مَنْ تخافُ وترجو .

قالَ : فأيُّ المؤمنينَ أكيسُ ؟ قالَ : رجلٌ عملَ بطاعةِ اللهِ ودعا الناسَ إليها .

قالَ : فأيُّ المؤمنينَ أخسرُ ؟ قالَ : رجلٌ خطا في هوىٰ أخيهِ وهوَ ظالمٌ ، فباعَ آخرتَهُ بدنيا غيرِهِ .

قالَ سليمانُ : فما تقولُ فيما نحنُ فيهِ ؟ قالَ : أوتعفيني ؟ قالَ : لا بدَّ ، ولكنْ نصيحةٌ تلقيها إليَّ ، قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّ آباءَكَ قهروا الناسَ بالسيفِ ، وأخذوا هـٰذا الملكَ عنوةً مِنْ غيرِ مشورةٍ مِنَ المسلمينَ ولا رضاً منهُمْ ، حتَّىٰ قتلوا منهُمْ مقتلةً عظيمةً ، وقدِ ارتحلوا ، فلوْ شعرتَ بما قالوا وما قيلَ لهُمْ ، فقالَ لهُ رجلٌ مِنْ جلسائِهِ : بئسما قلتَ ، قالَ أبو حازمٍ : إنَّ اللهَ تباركَ وتعالىٰ قدْ أخذَ الميثاقَ على العلماءِ ليُبيِّنُنَّهُ للناسِ ولا يكتمونَهُ ،

قالَ : فكيفَ لنا أنْ نصلحَ هـٰذا الفسادَ ؟ قالَ : أنْ تأخذَهُ مِنْ حلِّهِ فتضعَهُ في حقِّهِ ، فقالَ سليمانُ : ومَنْ يقدرُ علىٰ ذلكَ ؟ فقالَ : مَنْ يطلبُ الجنَّةَ ويخافُ مِنَ النارِ .

فقالَ سليمانُ : ادعُ لي ، فقالَ أبو حازمٍ : اللهمَّ ؛ إنْ كانَ سليمانُ وليَّكَ . . فيسِّرْهُ لخيرِ الدنيا والآخرةِ ، وإنْ كانَ عدوَّكَ . . فخذْ بناصيتِهِ إلىٰ ما تحبُّ وترضىٰ .

فقالَ سليمانُ : أوصني ، فقالَ : أوصيكَ وأُوجِزُ ؛ عظِّمْ ربَّكَ ، ونزِّهْهُ أنْ يراكَ حيثُ نهاكَ ، أوْ يفقدَكَ حيثُ أمرَكَ(١) .

وقالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ لأبي حازمٍ : عظْني ، فقالَ : اضطجعْ ، ثمَّ اجعلِ الموتَ عندَ رأسِكَ ، ثمَّ انظرْ ما تحبُّ أنْ يكونَ فيكَ تلكَ الساعةَ . . فخذْ بِهِ الآنَ ، وما تكرهُ أنْ يكونَ فيكَ تلكَ الساعةَ . . فدعْهُ الآنَ ، فلعلَّ تلكَ الساعةَ قريبةٌ(٢) .

ودخلَ أعرابيٌّ علىٰ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ ، فقالَ : تكلَّمْ يا أعرابيُّ ؛ فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنِّي مكلِّمُكَ بكلامٍ فاحتملْهُ وإنْ كرهتَهُ ، فإنَّ وراءَهُ ما تحبُّ إنْ قبلتَهُ ، فقالَ : يا أعرابيُّ ؛ إنَّا لنجودُ بسعةِ الاحتمالِ علىٰ

---

(١) روىٰ هـٰذا الخبر بألفاظ متقاربة مع زيادات الدارمي في « سننه » (٦٧٣) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٥٨٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٢٣٤) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣١٧) .

مَنْ لا نرجو نصحَهُ ، ولا نأمنُ غشَّهُ ، فكيفَ بمَنْ نأمَنُ غشَّهُ ونرجو نصحَهُ ؟! فقالَ الأعرابيُّ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّهُ قدْ تكنَّفَكَ رجالٌ أساؤوا الاختيارَ لأنفسِهِمْ ، وابتاعوا دنياهُمْ بدينِهِمْ ، ورضاكَ بسخطِ ربِّهِمْ ، خافوكَ في اللهِ عزَّ وجلَّ ولمْ يخافوا اللهَ فيكَ ، حربٌ للآخرةِ سلْمٌ للدنيا ، فلا تأمنْهُمْ علىٰ ما ائتمنَكَ اللهُ عزَّ وجلَّ عليهِ ، فإنَّهُمْ لمْ يألوا في الأمانةِ تضييعاً ، وفي الأمَّةِ خسفاً وعسفاً ، وأنتَ مسؤولٌ عمَّا اجترحوا ، وليسوا بمسؤولينَ عمَّا اجترحتَ ، فلا تصلحْ دنياهُمْ بفسادِ آخرتِكَ ، فإنَّ أعظمَ الناسِ غبْناً مَنْ باعَ آخرتَهُ بدنيا غيرِهِ ، فقالَ سليمانُ : أما إنَّكَ يا أعرابيُّ قدْ سللْتَ لسانَكَ وهوَ أقطعُ سيفَيْكَ ، فقالَ : أجلْ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ولكنْ لكَ لا عليكَ(١) .

وحُكِيَ أنَّ أبا بكرةَ دخلَ علىٰ معاويةَ ، فقالَ : اتقِ اللهَ يا معاويةُ ؛ واعلمْ أنَّكَ في كلِّ يومٍ يخرجُ عنكَ ، وفي كلِّ ليلةٍ تأتي عليكَ . . لا تزدادُ منَ الدنيا إلا بعداً ، ومِنَ الآخرةِ إلا قرباً ، وعلىٰ أثرِكَ طالبٌ لا تفوتُهُ ، وقدْ نصبَ لكَ عَلَماً لا تجوزُهُ ، فما أسرعَ ما تبلغُ العَلَمَ ، وما أوشكَ ما يلحقُ بكَ الطالبُ ، وإنَّا وما نحنُ فيهِ زائلٌ ، وفي الذي نحنُ إليهِ صائرونَ باقٍ ، إنْ خيراً . . فخيرٌ ، وإنْ شراً . . فشرٌّ .

فهكذا كانَ دخولُ أهلِ العلمِ على السلاطينِ ؛ أعني : علماءَ الآخرةِ ، فأمَّا علماءُ الدنيا . . فيدخلونَ يتقرَّبونَ إلىٰ قلوبِهِمْ ، فيدلُّونَهُمْ على

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٨/ ١٧٥) .

الرخصِ ، ويستنبطونَ لهُمْ بدقائقِ الحيلِ طرقَ السعةِ فيما يوافقُ أغراضَهُمْ ، وإنْ تكلَّموا بمثلِ ما ذكرناهُ في معرضِ الوعظِ . . لمْ يكنْ قصدُهُمُ الإصلاحَ ، بلِ اكتسابُ الجاهِ والقبولِ عندَهُمْ ، **وفي هـٰذا غروران يغترُّ بهما الحمقىٰ** :

أحدُهما : أنْ يظهروا أنَّ قصدَهُمْ في الدخولِ عليهِمْ إصلاحُهُمْ بالوعظِ ، وربَّما يلبِّسونَ علىٰ أنفسِهِمْ بذلكَ ، وإنَّما الباعثُ لهُمْ شهوةٌ خفيَّةٌ للشهرةِ ، وتحصيلُ المعرفةِ عندَهُمْ .

وعلامةُ الصدقِ في طلبِ الإصلاحِ أنَّهُ لوْ تولَّىٰ ذلكَ الوعظَ غيرُهُ ، ممَّنْ هوَ مِنْ أقرانِهِ منَ العلماءِ ، ووقعَ موقعَ القبولِ ، وظهرَ بهِ أثرُ الصلاحِ . . فينبغي أنْ يفرحَ بذلكَ ، ويشكرَ اللهَ تعالىٰ علىٰ كفايتِهِ هـٰذا المهمَّ ؛ كمَنْ وجبَ عليهِ أنْ يعالجَ مريضاً ضائعاً ، فقامَ بمعالجتِهِ غيرُهُ ، فإنَّهُ يعظمُ بهِ فرحُهُ ، فإنْ كانَ يصادفُ في قلبِهِ ترجيحاً لكلامِهِ علىٰ كلامِ غيرِهِ . . فهوَ مغرورٌ .

الثاني : أنْ يزعمَ أنِّي أقصدُ الشفاعةَ لمسلمٍ في دفعِ ظلامةٍ ، وهـٰذا أيضاً مَظِنَّةُ الغرورِ ، ومعيارُهُ ما تقدَّمَ ذكرُهُ .

* * *

وإذْ ظهرَ طريقُ الدخولِ عليهِمْ . فلنرسمْ في الأحوالِ العارضةِ في مخالطةِ السلاطينِ ومباشرةِ أموالِهِمْ مسائلَ :

مَسْأَلَةٌ

[فيمَنْ بعثَ إليهِ السلطانُ مالاً ليفرِّقَهُ]

إذا بعثَ إليكَ السلطانُ مالاً لتفرِّقَهُ على الفقراءِ ، فإنْ كانَ لهُ مالكٌ معيَّنٌ . . فلا يحلُّ أخذُهُ ، وإنْ لمْ يكنْ ، بلْ كانَ حكمُهُ أنَّهُ يجبُ التصدُّقُ بِهِ على المساكينِ كما سبقَ . . فلكَ أنْ تأخذَهُ وتتولَّىٰ تفرقتَهُ ، ولا تعصي بأخذِهِ ، ولكنْ مِنَ العلماءِ مَنِ امتنعَ منْ ذلكَ ، فعندَ هـٰذا ينظرُ في الأَوْلىٰ ، فنقولُ : **الأَوْلىٰ أنْ تأخذَهُ إنْ أمنتَ ثلاثَ غوائلَ** :

الغائلةُ الأُولىٰ : أنْ يظنَّ السلطانُ بسببِ أخذِكَ أنَّ مالَهُ طيِّبٌ ، ولولا أنَّهُ طيِّبٌ . . لما كنتَ تمدُّ اليدَ إليهِ ، ولا تُدخلُهُ في ضمانِكَ ، فإنْ كانَ كذلكَ . . فلا تأخذْهُ ؛ فإنَّ ذلكَ محذورٌ ولا يفي الخيرُ في مباشرتِكَ التفرقةَ بما يحصلُ لهُ مِنَ الجرأةِ علىٰ كسْبِ الحرامِ .

* * *

الغائلةُ الثانيةُ : أنْ ينظرَ إليكَ غيرُكَ مِنَ العلماءِ والجهَّالِ ، فيعتقدونَ أنَّهُ حلالٌ ، فيقتدونَ بكَ في الأخذِ ، ويستدلُّونَ بهِ علىٰ جوازِهِ ، ثمَّ لا يفرِّقونَ ، فهـٰذا أعظمُ مِنَ الأوَّلِ ، فإنَّ جماعةً يستدلُّونَ بأخذِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ علىٰ جوازِ الأخذِ ، ويغفُلُونَ عنْ تفرقتِهِ وأخذِهِ علىٰ نيَّةِ التفرقةِ ، فالمقتدىٰ والمتشبَّهُ بهِ ينبغي أنْ يحترزَ مِنْ هـٰذا غايةَ الاحترازِ ، فإنَّهُ يكونُ فعلُهُ سببَ ضلالِ خلقٍ كثيرٍ .

وقدْ حكىٰ وهبُ بنُ منبهٍ أنَّ رجلاً أُتِيَ بهِ إلىٰ ملكٍ بمشهدٍ مِنَ الناسِ ليُكْرِهَ علىٰ أكلِ لحمِ الخنزيرِ ، فلمْ يأكلْ ، فقُدِّمَ إليهِ لحمُ غنمٍ وأُكرِهَ بالسيفِ ، فلمْ يأكلْ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : إنَّ الناسَ قَدِ اعتقدوا أنِّي طُولبتُ بأكلِ لحمِ الخنزيرِ ، فإذا خرجتُ سالماً وقدْ أكلتُ . . فلا يعلمونَ ماذا أكلتُ فيضلُّونَ(١) .

ودخلَ وهبُ بنُ منبهٍ وطاووسٌ علىٰ محمدِ بنِ يوسفَ أخي الحجَّاجِ وكانَ عاملاً ، وكانَ في غداةٍ باردةٍ في مجلسٍ بارزٍ ، فقالَ لغلامِهِ : هلمَّ ذلكَ الطيلسانَ وألقِهِ علىٰ أبي عبدِ الرحمـٰنِ ـ أيْ : طاووسٍ ـ وكانَ قدْ قعدَ علىٰ كرسيٍّ ، فألقىٰ عليهِ ، فلمْ يزلْ يحرِّكُ كتفيهِ حتَّىٰ ألقى الطيلسانَ عنهُ ، فغضبَ محمدُ بنُ يوسفَ ، فقالَ وهبٌ : كنتَ غنياً عنْ أنْ تغضبَهُ ، لوْ أخذتَ الطيلسانَ وتصدقتَ بهِ ، قالَ : نعمْ ، لولا أنْ يقولَ مَنْ بعدي : إنَّهُ أخذَهُ طاووسٌ ، ولا يصنعُ بهِ ما أصنعُ بهِ . . إذاً لفعلتُ(٢) .

* * *

الغائلةُ الثالثةُ : أنْ يتحرَّكَ قلبُكَ إلىٰ حبِّهِ لتخصيصِهِ إيَّاكَ وإيثارِهِ لكَ بما أنفذَهُ إليكَ ، فإنْ كانَ كذلكَ . . فلا تقبلْ ؛ فإنَّ ذلكَ هوَ السمُّ القاتلُ ،

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٤٦٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٥٥) ، وفيه قوله عند امتناعه وكان قد قُدِّم له لحم جدي : لا ، قد علمت أنه هو ـ لحم الجدي ـ ولكني خفت أن يفتتن الناس بي ، فإذا أريد أحدهم علىٰ أكل لحم الخنزير . . قال : قد أكله فلان ، فيستن بي ، فأكون فتنة لهم ، فقتل رحمة الله عليه .

(٢) رواه ابن سعد في « طبقاته » (٨/ ١٠١) ، وقريب منه عند صاحب « الحلية » (٤/ ٤).

والداءُ الدفينُ ؛ أعني : ما يحبِّبُ الظلمةَ إليكَ ، فإنَّ مَنْ أحببتَهُ لا بدَّ أنْ تحرصَ عليهِ وتداهنَ فيهِ ؛ قالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (جُبلَتِ النفوسُ علىٰ حبِّ مَنْ أحسنَ إليها)(١) ، وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « اللَّهُمَّ ؛ لا تجعلْ لفاجرٍ عندي يداً فيحبَّهُ قلبي »(٢) ، بيَّنَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّ القلبَ لا يكادُ يمتنعُ عنْ ذلكَ .

ورُوِيَ أنَّ بعضَ الأمراءِ أرسلَ إلىٰ مالكِ بنِ دينارٍ بعشرةِ آلافِ درهمٍ ، فأخرجَها كلَّها ، فأتاهُ محمدُ بنُ واسعٍ وقالَ : ما صنعتَ بما أعطاكَ هٰذا المخلوقُ ، فقالَ : سلْ أصحابي ، فقالوا : أخرجَهُ كلَّهُ ، فقالَ : أنشدكَ اللهَ ؛ أقلبُكَ أشدُّ حبّاً لهُ الآنَ أمْ قبلَ أنْ يرسلَ إليكَ ؟ فقالَ : بلِ الآنَ ، قالَ : إنَّما كنتُ أخافُ هٰذا(٣) .

---

(١) رواه القضاعي في « مسنده » (٥٩٩) من طريق ابن عائشة مرفوعاً ، وقد أشار الحافظ الزبيدي إلى احتمال وقوع الوهم بين عائشة وابن عائشة في الرواية ، قال : (ولم أر أحداً من الحفاظ نسبه إلىٰ عائشة مطلقاً) ، وطوّل الكلام في تخريجه . « إتحاف » (٦/ ١٤٧) ، وقد رواه كذلك أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ١٢١) ، وانظر « المقاصد الحسنة » (ص١٧١) ، ويؤيده الحديث بعده .

(٢) قال الحافظ العراقي : (رواه ابن مردويه في « التفسير » من رواية كثير بن عطية عن رجل لم يسمَّ ، ورواه الديلمي في « مسند الفردوس » [٢٠١١] من حديث معاذ ، وأبو موسى المديني في كتاب « تضييع العمر والأيام » من طريق أهل البيت مرسلاً ، وأسانيده ضعيفة) . « إتحاف » (٦/ ١٤٨) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٥٤) ، وفيه أن جواب مالك : اللهم ؛ لا ، قال : ترىٰ أي شيء دخل عليك ؟ فقال مالك لجلسائه : إنما مالك حمار ، إنما يعبد الله مثل محمد بن واسع .

وقدْ صدقَ ؛ فإنَّهُ إذا أحبَّهُ . . أحبَّ بقاءَهُ ، وكرهَ عزلَهُ ونكبتَهُ وموتَهُ ، وأحبَّ اتساعَ ولايتِهِ وكثرةَ مالِهِ ، وكلُّ ذلكَ حبٌّ لأسبابِ الظلمِ ، وهوَ مذمومٌ ، قالَ سلمانُ وابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (مَنْ رضيَ بأمرٍ وإنْ غابَ عنهُ . . كانَ كمَنْ شهدَهُ)[1] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ قيلَ : (لا ترضَوا بأعمالِهِمْ)[2] ، فإنْ كنتَ في القوَّةِ بحيثُ لا تزدادُ حبّاً لهُمْ بذلكَ . . فلا بأسَ بالأخذِ .

وقدْ حُكِيَ عنْ بعضِ عبَّادِ البصرةِ أنَّهُ كانَ يأخذُ أموالاً ويفرِّقُها ، فقيلَ لهُ : ألا تخافُ أنْ تحبَّهُمْ ؟ فقالَ : لوْ أخذَ رجلٌ بيدي وأدخلَني الجنَّةَ ثمَّ عصىٰ ربَّهُ ما أحبَّهُ قلبي ؛ لأنَّ الذي سخَّرَهُ للأخذِ بيدي هوَ الذي أبغضُهُ لأجلِهِ ؛ شكراً لهُ علىٰ تسخيرِهِ إيَّاهُ .

وبهـٰذا تبينَ أنَّ أخذَ المالِ الآنَ منهُم وإنْ كانَ ذلكَ المالُ بعينِهِ مِنْ وجهٍ حلالٍ . . محذورٌ ومذمومٌ ؛ لأنَّهُ لا ينفكُّ عنْ هـٰذهِ الغوائلِ .

---

(١) وقد روىٰ ذلك البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٢٦٦/٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ : (إذا عمل بالخطيئة في الأرض . . كان من شهدها فكرهها كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرضيها . . كان كمن شهدها) ، وقد رواه مرفوعاً أبو داوود (٤٣٤٥) ، وبلفظ المصنف هو عند أبي يعلىٰ في « المسند » (٦٧٨٥) من حديث الحسين رضي الله عنه .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (١٥٦/١٢/٧) عن أبي العالية .

مَسْأَلَةٌ

[فإنْ جازَ أخذُ مالِهِ وتفريقُهُ . . فهلْ يجوزُ سرقتُهُ ونحوُها وتفريقُهُ ؟]

إنْ قالَ قائلٌ : إذا جازَ أخذُ مالِهِ وتفرقتُهُ . . فهلْ يجوزُ أنْ يُسرقَ مالُهُ ، أوْ تُخفىٰ وديعتُهُ وتُنكرَ وتُفرَّقَ على الناسِ ؟

فنقولُ : ذلكَ غيرُ جائزٍ ؛ لأنَّهُ ربما يكونُ لهُ مالكٌ معيَّنٌ ، وهوَ علىٰ عزمِ أنْ يردَّهُ عليهِ ، وليسَ هـٰذا كما إذا بعثَهُ إليكَ ، فإنَّ العاقلَ لا يُظنُّ بهِ أنْ يتصدَّقَ بما يعلمُ مالكَهُ ، فيدلُّ تسليمُهُ علىٰ أنَّهُ لا يعرفُ مالكَهُ ، فإنْ كانَ ممَّنْ يشكلُ عليهِ مثلُهُ . . فلا يجوزُ أنْ يقبلَ منهُ المالَ ما لمْ يعرفْ ذلكَ .

ثمَّ كيفَ يسرقُ ويُحتملُ أنْ يكونَ ملكُهُ قدْ حصلَ لهُ بشراءٍ في ذمَّتِهِ ؟! فإنَّ اليدَ دلالةٌ على الملكِ، فهـٰذا لا سبيلَ إليهِ، بلْ لوْ وجدَ لقطةً، وظهرَ أنَّ صاحبَها جنديٌّ ، واحتملَ أنْ تكونَ لهُ بشراءٍ في الذمَّةِ أوْ غيرِهِ . . وجبَ الردُّ عليهِ .

فإذاً ؛ لا يجوزُ سرقةُ مالِهِمْ ، لا منهُمْ ولا ممَّنْ أودعَ عندَهُ ، ولا يجوزُ إنكارُ وديعتِهِمْ ، ويجبُ الحدُّ علىٰ سارقِ مالِهِمْ إلا إذا ادَّعى السارقُ أنَّهُ ليسَ ملكاً لهُمْ ، فعندَ ذلكَ يسقطُ الحدُّ بالدعوىٰ .

مَسْأَلَةٌ

[في بيانِ حرمةِ المعاملةِ معَ السلاطينِ وأتباعِهِمْ]

المعاملةُ معهُمْ حرامٌ ؛ لأنَّ أكثرَ مالِهِمْ حرامٌ ، فما يُؤخذُ عوضاً فهوَ

حرامٌ ، فإنْ أدَّى الثمنَ مِنْ موضعٍ يعلمُ حلَّهُ . . فيبقى النظرُ فيما سلَّمَ إليهِمْ ، فإنْ علمَ أنَّهُمْ يعصونَ اللهَ بهِ ؛ كبيعِ الديباجِ منهُمْ وهوَ يعلمُ أنَّهُمْ يلبسونَهُ . فذلكَ حرامٌ ؛ كبيعِ العنبِ مِنَ الخمَّارِ ، وإنَّما الخلافُ في الصحَّةِ ، وإنْ أمكنَ ذلكَ ، وأمكنَ أنْ يلبسَها نساؤُهُ . . فهوَ شبهةٌ مكروهةٌ ، هـٰذا فيما يُعصىٰ في عينِهِ مِنَ الأموالِ ، وفي معناهُ بيعُ الفرسِ منهُمْ ، لا سيما في وقتِ ركوبِهِمْ إلىٰ قتالِ المسلمينَ أوْ جبايةِ أموالِهِمْ ؛ فإنَّ ذلكَ إعانةٌ لهُمْ بفرسِهِ ، وهيَ محظورةٌ .

فأمَّا بيعُ الدراهمِ والدنانيرِ منهُمْ ، وما يجري مجراهُ ممَّا لا يُعصىٰ بهِ في عينِهِ ، بلْ يُتوصَّلُ بهِ إلى الظلمِ . . فهوَ مكروهٌ ؛ لما فيهِ مِنْ إعانتِهِمْ على الظلمِ ؛ لأنَّهُمْ يستعينونَ علىٰ ظلمِهِمْ بالأموالِ والدوابِّ وسائرِ الأسبابِ ، وهـٰذهِ الكراهيةُ جاريةٌ في الإهداءِ إليهِمْ ، وفي العملِ لهُمْ مِنْ غيرِ أجرةٍ ، حتَّىٰ في تعليمِهِمْ وتعليمِ أولادِهِمُ الكتابةَ والترسُّلَ والحسابَ .

وأمَّا تعليمُ القرآنِ . . فلا يُكرهُ إلا مِنْ حيثُ أخذُ الأجرةِ ، فإنَّ ذلكَ حرامٌ إلا مِنْ وجهٍ يُعلمُ حلُّهُ .

ولوِ انتصبَ وكيلاً لهُمْ ليشتريَ لهُمْ في الأسواقِ مِنْ غيرِ جُعْلٍ أوْ أجرةٍ . . فهوَ مكروهٌ مِنْ حيثُ الإعانةُ .

وإنِ اشترىٰ لهُمْ ما يعلمُ أنَّهُمْ يقصدونَ بهِ المعصيةَ ؛ كالغلامِ ، والديباجِ للفراشِ واللبسِ ، والفرسِ للركوبِ إلى الظلمِ والقتلِ . . فذلكَ

حرامٌ ، فمهما ظهرَ قصدُ المعصيةِ بالمبتاعِ . . حصلَ التحريمُ ، ومهما لَمْ يظهرْ ، واحتملَ بحكمِ الحالِ ودلالتِها عليهِ . . حصلتِ الكراهةُ .

مَسْأَلَةٌ

[حرمةُ الانتفاعِ بالأسواقِ التي بنوها منْ حرامٍ]

الأسواقُ التي بنَوها بالمالِ الحرامِ تحرمُ التجارةُ فيها ، ولا يجوزُ سكناها ، فإنْ سكنَها تاجرٌ واكتسبَ بطريقٍ شرعيٍّ . . لمْ يحرمْ كسبُهُ وكانَ عاصياً بسكناهُ ، وللناسِ أنْ يشتروا منهُمْ ، ولكنْ لوْ وجدوا سوقاً أخرىٰ . . فالأولى الشراءُ منها ؛ فإنَّ ذلكَ إعانةٌ لسكناهُمْ ، وتكثيرٌ لكراءِ حوانيتِهِمْ ، وكذلكَ معاملةُ السوقِ التي لا خراجَ لهُمْ عليها أحبُّ مِنْ معاملةِ سوقٍ لهمْ عليها خراجٌ .

وقدْ بالغَ قومٌ حتَّىٰ لمْ يجوِّزوا معاملةَ الفلاحينَ وأصحابِ الأراضي التي لهُمْ عليها الخراجُ ؛ لأنَّهُم ربَّما يصرفونَ ما يأخذونَ إلى الخراجِ ، فيحصلُ بهِ الإعانةُ ، وهـٰذا غلوٌّ في الدينِ ، وحرجٌ على المسلمينَ ؛ فإنَّ الخراجَ قدْ عمَّ الأراضيَ ، ولا غنىً بالناسِ عنِ ارتفاعِ الأرضِ ، فلا معنىً للمنعِ منهُ ، ولوْ جازَ هـٰذا . . لحرمَ على المالكِ زراعةُ الأرضِ ؛ حتَّىٰ لا يُطلبَ خراجُها منهُ ، وذلكَ ممَّا يطولُ ويتداعىٰ إلىٰ حسمِ بابِ المعاشِ .

مَسْأَلَةٌ

[حرمةُ معاملةِ أعوانِ السلاطينِ ومتنفذيهم]

معاملةُ قضاتِهِمْ وعمَّالِهِمْ وخدمِهِمْ حرامٌ كمعاملتِهِمْ ، بلْ أشدُّ .

أمَّا القضاةُ . . فلأنَّهُمْ يأخذونَ مِنْ أموالِهِمُ الحرامَ الصريحَ ، ويكثِّرونَ جمعَهُمْ ، ويغرُّونَ الخلقَ بزيِّهِمْ ، فإنَّهُمْ علىٰ زيِّ العلماءِ ، ويختلطونَ بهِمْ ، ويأخذونَ مِنْ أموالِهِمْ ، والطباعُ مجبولةٌ على التشبُّهِ والاقتداءِ بذوي الجاهِ والحشمةِ ، فهُمْ سببُ انقيادِ الخلقِ إليهم .

وأمَّا الخدمُ والحشمُ . . فأكثرُ أموالِهِمْ مِنَ الغصبِ الصريحِ ، ولا يقعُ في أيديهِمْ مالُ مصلحةٍ وميراثٍ وجزيةٍ ولا وجهُ حلالٍ حتَّىٰ تضعفَ الشبهةُ باختلاطِ الحلالِ بأموالِهِمْ ، قالَ طاوُوسٌ : (لا أشهدُ عندَهُمْ وإنْ تحقَّقْتُ ؛ لأنِّي أخافُ تعدِّيَهُمْ علىٰ مَنْ شهدتُ عليهِ)(١) .

* * *

وبالجملةِ : إنَّما فسدتِ الرعيَّةُ بفسادِ الملوكِ ، وفسادُ الملوكِ بفسادِ العلماءِ ، فلولا القضاةُ السوءُ والعلماءُ السوءُ . . لقلَّ فسادُ الملوكِ خوفاً مِنْ إنكارِهِمْ ، ولذلكَ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تزالُ هـٰذهِ الأمَّةُ تحتَ يدِ اللهِ وكنفِهِ ما لمْ تُمالِئْ قرَّاؤُها أمراءَها »(٢) .

---

(١) وقد روى ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٣٧٩٠) عن طاووس قال : (لو رأيت رجلاً شجَّ رجلاً ، فدعاني إلىٰ إمام جائر أشهد له . . ما شهدت له) .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٨٢١) عن الحسن مرسلاً .

وإنَّما ذكرَ القرَّاءَ لأنَّهُمْ كانوا هُمُ العلماءَ ، وإنَّما كانَ علمُهُمْ بالقرآنِ ومعانيهِ المفهومةِ بالسنَّةِ ، وما وراءَ ذلكَ مِنَ العلومِ فهيَ محدثةٌ بعدَهُمْ .

وقدْ قالَ سفيانُ : (لا تخالطِ السلطانَ ، ولا مَنْ يخالطُهُ) ، وقالَ : (صاحبُ القلمِ وصاحبُ الدواةِ وصاحبُ القرطاسِ وصاحبُ الليطةِ . . بعضُهُمْ شركاءُ بعضٍ)(١) .

وقدْ صدقَ ؛ فإنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لعنَ في الخمرِ عشرةً حتَّى العاصرَ والمعتصرَ(٢) .

وقالَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (آكلُ الربا وموكلُهُ وشاهداهُ وكاتبُهُ ملعونونَ علىٰ لسانِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)(٣) ، وكذا رواهُ جابرٌ وعمرُ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ(٤) .

وقالَ ابنُ سيرينَ : (لا تحملْ للسلطانِ كتاباً حتَّىٰ تعلمَ ما فيهِ) .

وامتنعَ سفيانُ رحمهُ اللهُ مِنْ مناولةِ الخليفةِ في زمانِهِ دواةً بينَ يديهِ ، وقالَ : حتَّىٰ أعلمَ ما تكتبُهُ .

---

(١) **والليطة** : القصبة المحدَّة .

(٢) رواه الترمذي (١٢٩٥) ، وابن ماجه (٣٣٨١) .

(٣) رواه بنحو لفظ المصنف النسائي (٨/١٤٧) ، وكذا رواه مسلم (١٥٩٧) مختصراً ، وأبو داوود (٣٣٣٣) والترمذي (١٢٠٦) ، وابن ماجه (٢٢٧٧) .

(٤) حديث جابر رواه مسلم (١٥٩٨) ، وله ولعمر أشار له الترمذي (١٢٠٦) .

فكلُّ مَنْ حواليْهِمْ مِنْ خدمِهِمْ وأتباعِهِمْ ظلمةٌ مثلُهُمْ ، يجبُ بغضُهُمْ في اللهِ جميعاً .

رُوي عنْ عثمانَ بنِ زائدةَ أنَّهُ سألَهُ بعضُ الجندِ وقالَ : أينَ الطريقُ ؟ فسكتَ ، وأظهرَ أنَّ بهِ صمماً ، وخافَ أنْ يكونَ متوجِّهاً إلىٰ ظلمٍ ، فيكونَ هوَ بإرشادِهِ إلى الطريقِ معيناً .

وهٰذهِ المبالغةُ لمْ تُنقلْ عنِ السلفِ معَ الفسَّاقِ مِنَ التجَّارِ والحاكةِ والحجَّامينَ وأهلِ الحمَّاماتِ والصاغةِ والصبَّاغينَ وأربابِ الحرفِ ، معَ غلبةِ الكذبِ والفسقِ عليهِمْ ، بل معَ الكفَّارِ مِنْ أهلِ الذمَّةِ ، وإنَّما هٰذا في الظلمةِ خاصَّةً الآكلينَ لأموالِ اليتامىٰ والمساكينِ ، المواظبينَ علىٰ إيذاءِ المسلمينَ ، الذينَ تعاونوا علىٰ طمْسِ رسومِ الشريعةِ وشعائرِها ، وهٰذا لأنَّ المعصيةَ منقسمةٌ إلىٰ لازمةٍ ومتعديةٍ ، والفسقُ لازمٌ لا يتعدَّىٰ ، وكذا الكفرُ ، وهوَ جنايةٌ علىٰ حقِّ اللهِ تعالىٰ ، وحسابُهُ على اللهِ ، وأمَّا معصيةُ الولاةِ بالظلمِ . . فهوَ متعدٍّ ، وإنَّما يغلظُ أمرُهُمْ لذلكَ ، وبقدْرِ عمومِ الظلمِ وعمومِ التعدِّي يزدادونَ مِنَ اللهِ سبحانهُ مقتاً ، فيجبُ أنْ يزدادَ منهُمُ اجتناباً ، ومِنْ معاملتِهِمُ احترازاً ، فقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يقالُ للشرطيِّ : دعْ سوطَكَ وادخلِ النَّارَ »(١) ، وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مِنْ أشراطِ

---

(١) رواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (١٤٨١) ، وهو عند الحاكم في « المستدرك » (٤/ ٥١٧) بلفظ : « يقال لرجال يوم القيامة : اطرحوا سياطكم وادخلوا جهنم » .

السَّاعةِ رجالٌ معَهُمْ سياطٌ كأذنابِ البقرِ »(١) .

فهٰذا حُكمُهُمْ ، ومَنْ عُرِفَ بذلكَ منهُمْ . . فقدْ عُرِفَ ، ومَنْ لمْ يُعرفْ . . فعلامتُهُ القَباءُ ، وطولُ الشواربِ ، وسائرُ الهيئاتِ المشهورةِ .

فمَنْ رُئِيَ علىٰ تلكَ الهيئةِ . . وجبَ اجتنابُهُ ، ولا يكونُ ذلكَ مِنْ سوءِ الظنِّ ؛ لأنَّهُ الذي جنىٰ علىٰ نفسِهِ إذْ تزيَّا بزيِّهِمْ ، ومساواةُ الزيِّ تدلُّ علىٰ مساواةِ القلبِ ، فلا يتجانَنُ إلا مجنونٌ ، ولا يتشبَّهُ بالفسَّاقِ إلا فاسقٌ ، نعمْ ، الفاسقُ قدْ يلتبسُ فيتشبَّهُ بأهلِ الصلاحِ ، فأمَّا الصالحُ . . فليسَ لهُ أنْ يتشبَّهَ بأهلِ الفسادِ ؛ لأنَّ ذلكَ تكثيرٌ لسوادِهِمْ ، وإنَّما نزلَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ في قومٍ مِنَ المسلمينَ كانوا يكثِّرونَ جماعةَ المشركينَ بالمخالطةِ(٢) .

وقدْ رُوِيَ أنَّ اللهَ تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ يوشعَ بنِ نونٍ : أنِّي مهلكٌ مِنْ قومِكَ أربعينَ ألفاً مِنْ خيارِهِمْ ، وستينَ ألفاً مِنْ شرارِهِمْ ، فقالَ : ما بالُ

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٢٥٠) ولفظه : « يكون في هٰذه الأمة في آخر الزمان رجال ـ أو قال : يخرج رجال من هٰذه الأمة في آخر الزمان ـ معهم أسياط كأنها أذناب البقر ، يغدون في سخط الله ويروحون في غضبه » ، وعند مسلم (٢١٢٨) : « صنفان من أهل النار لم أرهما ؛ قوم معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات . . . » الحديث .

(٢) إذ تخلَّفوا عن الهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبقوا مع المشركين في مكة . انظر « تفسير الطبري » (٤/٥/٣٠٢) .

الأخيارِ ؟! قالَ : إنَّهُمْ لمْ يغضبوا لغضبي ، فكانوا يؤاكلونَهُمْ ويشاربونَهُمْ(١) .

وبهٰذا يتبيَّنُ أنَّ بغضَ الظلمةِ والغضبَ للهِ عليهِمْ واجبٌ .

وروى ابنُ مسعودٍ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أنَّ اللهَ لعنَ علماءَ بني إسرائيلَ إذْ خالطوا الظَّالمينَ في معاشِهِمْ(٢) .

مَسْأَلَةٌ

[في حكمِ الانتفاعِ بما بنوا منْ مرافقَ]

المواضعُ التي بناها الظلمةُ ؛ كالقناطرِ والرباطاتِ ، والمساجدِ ، والسقاياتِ(٣) .. ينبغي أنْ يُحتاطَ فيها ويُنظرَ .

أمَّا القنطرةُ : فيجوزُ العبورُ عليها للحاجةِ ، والورعُ الاحترازُ ما أمكنَ ، وإنْ وجدَ عنهُ معدلاً .. تأكَّدَ الورعُ ، وإنَّما جوَّزْنا العبورَ وإنْ وجدَ معدلاً

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » (٧١) عن إبراهيم بن عمر الصنعاني ، والبيهقي في « الشعب » (٨٩٨٢) عنه ، عن الوضين بن عطاء .

(٢) رواه أبو داوود (٤٣٣٦) ، والترمذي (٣٠٤٧) ولفظه : « لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي .. نهتهم علماؤهم ، فلم ينتهوا ، فجالسوهم في مجالسهم ، وواكلوهم وشاربوهم ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم علىٰ لسان داوود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » .

(٣) فالقناطر ما شيد على الأنهار ، والرباطات للصوفية ، والسقايات لشرب الماء وللوضوء أيضاً . « إتحاف » (٦/ ١٥٢) .

لأنَّهُ إذا لمْ يعرفْ لتلكَ الأعيانِ مالكاً . . كانَ حكمُها أن تُرصدَ للخيراتِ ، وهـٰذا خيرٌ .

فأمَّا إذا عرفَ أنَّ الآجُرَّ والحجرَ قدْ نُقلَ مِنْ دارٍ معلومةٍ ، أوْ مقبرةٍ ، أوْ مسجدٍ معيَّنٍ . . فهـٰذا لا يحلُّ العبورُ فيهِ أصلاً ، إلا لضرورةٍ يحلُّ بها مثلُ ذلكَ مِنْ مالِ الغيرِ ، ثمَّ يجبُ عليهِ الاستحلالُ مِنَ المالكِ الذي يعرفُهُ .

وأمَّا المسجدُ : فإنْ بُنِيَ في أرضٍ مغصوبةٍ ، أوْ بخشبٍ مغصوبٍ مِنْ مسجدٍ آخرَ أوْ مالكٍ معيَّنٍ . . فلا يجوزُ دخولُهُ أصلاً ، ولا للجمعةِ ، بلْ لوْ وقفَ الإمامُ فيهِ . . فليصلِّ هوَ خلفَ الإمامِ وليقفْ خارجَ المسجدِ ؛ فإنَّ الصلاةَ في الأرضِ المغصوبةِ تُسقطُ الفرضَ ، وتنعقدُ في حقِّ الاقتداءِ ؛ فلذلكَ جوَّزْنا للمقتدي الاقتداءَ بمَنْ صلَّىٰ في الأرضِ المغصوبةِ وإنْ عصىٰ صاحبُهُ بالوقوفِ في الغصبِ .

وإنْ كانَ مِنْ مالٍ لا يُعرفُ مالكُهُ . . فالورعُ العدولُ إلىٰ مسجدٍ آخرَ إنْ وجدَ ، فإنْ لمْ يجدْ غيرَهُ . . فلا يتركُ الجمعةَ والجماعةَ ؛ لأنَّهُ يُحتملُ أنْ يكونَ مِنَ الملكِ الذي بناهُ ولوْ علىٰ بعدٍ ، وإنْ لمْ يكنْ لهُ مالكٌ معيَّنٌ ، فهوَ لمصالحِ المسلمينَ .

ومهما كانَ في المسجدِ الكبيرِ بناءٌ لسلطانٍ ظالمٍ . . فلا عذْرَ لمَنْ يصلِّي فيهِ معَ اتساعِ المسجدِ ؛ أعني : في الورعِ ، قيلَ لأحمدَ ابنِ حنبلٍ : ما حجَّتُكَ في ترْكِ الخروجِ إلى الصلاةِ في جماعةٍ ونحنُ بالعسكرِ ؟ فقالَ : حجَّتي أنَّ الحسنَ

وإبراهيمَ التيميَّ خافا أنْ يفتنَهُما الحجَّاجُ ، وأنا أخافُ أنْ أفتنَ أيضاً(١) .

وأمَّا الخلوقُ والتجصيصُ . . فلا يمنعُ مِنَ الدخولِ ؛ فإنَّهُ غيرُ منتفعٍ بهِ في الصلاةِ ، وإنَّما هوَ زينةٌ ، والأولىٰ أنَّهُ لا يُنظرُ إليهِ .

وأمَّا البواري التي فرشوها : فإنْ كانَ لها مالكٌ معيَّنٌ . . فيحرمُ الجلوسُ عليها ، وإلا . . فبعدَ أنْ أُرصدتْ لمصلحةٍ عامةٍ . . جازَ افتراشُها ، ولكنَّ الورعَ العدولُ عنها ؛ فإنَّها محلُّ شبهةٍ .

وأمَّا السقايةُ : فحكمُها ما ذكرناهُ ، وليسَ مِنَ الورعِ الوضوءُ والشربُ منها والدخولُ فيها إلا إذا كانَ يخشىٰ فواتَ الصلاةِ ، فيتوضَّأُ ، وكذا مصانعُ طريقِ مكَّةَ .

وأمَّا الرباطاتُ والمدارسُ : فإنْ كانَتْ رقبةُ الأرضِ مغصوبةً ، أوِ الآجرُ منقولاً مِنْ موضعٍ معيَّنٍ يمكنُ الردُّ إلىٰ مستحقِّهِ . . فلا رخصةَ للدخولِ فيها ، وإنِ التبسَ المالكُ . . فقدْ أُرصدَ لجهةٍ مِنَ الخيرِ ، فالورعُ الاجتنابُ ، ولكنْ لا يلزمُ الفسقُ بدخولِهَا .

وهٰذهِ الأبنيةُ إنْ صدرَتْ مِنْ خدمِ السلاطينِ فالأمرُ فيها أشدُّ ؛ إذْ ليسَ لهُمْ صرْفُ الأموالِ الضائعةِ إلى المصالحِ ، ولأنَّ الحرامَ أغلبُ علىٰ أموالِهِمْ ؛ إذْ ليسَ لهُمْ أخذُ مالِ المصالحِ ، وإنَّما يجوزُ ذلكَ للولاةِ وأربابِ الأمرِ .

---

(١) كذا في « الورع » (ص٧٩) لأحمد .

مَسْأَلَةٌ

[فيما إذا كانَ أصلُ الشارعِ أرضاً مغصوبةً ونحوَ ذلكَ]

الأرضُ المغصوبةُ إذا جُعلتْ شارعاً . . لمْ يجزْ أنْ يتخطَّىٰ فيهِ ألبتةَ ، وإنْ لمْ يكنْ لها مالكٌ معيَّنٌ . . جازَ ، والورعُ العدولُ إنْ أمكنَ .

فإنْ كانَ الشارعُ مباحاً وفوقَهُ ساباطٌ⁽¹⁾ . . جازَ العبورُ ، وجازَ الجلوسُ تحتَ الساباطِ علىٰ وجهٍ لا يحتاجُ فيهِ إلى السقفِ ، كما يقفُ في الشارعِ لشغلٍ ، فإذا انتفعَ بالسقفِ ؛ في دفعِ حرِّ الشمسِ ، أوِ المطرِ ، أوْ غيرِهِ . . فهوَ حرامٌ ؛ لأنَّ السقفَ لا يُرادُ إلا لذلكَ وهٰكذا حكمُ مَنْ يدخلُ مسجداً أوْ أرضاً مباحةً سُقِّفَ أوْ حُوِّطَ بغصبٍ ، فإنَّهُ بمجرَّدِ التخطِّي لا يكونُ منتفعاً بالحيطانِ والسقفِ إلا إذا كانَ لهُ فائدةٌ في الحيطانِ والسقفِ ؛ لحرٍّ أوْ بردٍ ، أوْ تستُّرٍ عنْ بصرٍ أوْ غيرِهِ ، فذلكَ حرامٌ ؛ لأنَّهُ انتفاعٌ بالحرامِ ، إذْ لمْ يحرمِ الجلوسُ على الغصبِ لما فيهِ مِنَ المماسَّةِ ، بلْ للانتفاعِ ، والأرضُ تُرادُ للاستقرارِ عليها ، والسقفُ للاستظلالِ بهِ ، فلا فرقَ بينَهُما .

* * *

---

(١) وهو السقيفة التي تحتها ممر نافذ ، والجمع سوابيط . « إتحاف » (٦/ ١٥٤) .

Altıncı Bab

ZÂLİM SULTANLARLA İHTİLÂTIN HÜKÜMLERİ

Bilmiş ol ki; âmirler, memurlar ve zâlimlerle düşüp kalkmanın üç hâli vardır:

1 - Meclislerine giderek onlara yaklaşmandır ki, en kötüsü budur.

2 - Onların sana yaklaşması ve sana gelip gitmeleridir. Bu, birinciden ehvendir.

3 - Ne onlar seni, ne de sen onları görmeyecek şekilde onlardan uzaklaşmandır. En selâmetli yol budur.

Birinci Hâlin İzahı

Birinci hâl: Bu gibilere yaklaşarak onlarla düşüp kalkmak, şerîatın ciddî olarak çirkin gördüğü bir harekettir. Bu hususta ağır ve şiddetli vaîdler vardır. Bu gibi hareketin şer'an mezmûm olduğunu bildirmek için önce bu hususa dâir rivâyet edilen hadîslerle büyüklerin sözlerini anlatalım. Sonra da hangi ihtilâtın haram, hangisinin mekruh ve hangisinin mübâh olduğunu, zâhirî ilmin gerektirdiği fetvâya göre açıklayalım.

Bu husustaki hadisler:

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), zâlim emirleri anlattıktan sonra şöyle buyurmuştur:

فَمَنْ نَابَذَهُمْ نَجَا، وَمَنْ اِعْتَزَلَهُمْ سَلِمَ أَوْ كَادَ أَنْ يَسْلَمَ، وَمَنْ وَقَعَ مَعَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ فَهُوَ مِنْهُمْ

"Onları inkâr edip onlarla mücâdele eden kurtulur. Onlardan uzaklaşan selâmet bulur veyâ selâmete yaklaşır. Dünyalıklarında onların arasına katılıp, onlarla düşüp kalkanlar da onlardandır."[100] Çünkü mücâdele etmeden yalnız onlardan uzak kalmak, belki insanı mesûliyetten kurtarır. Fakat onlarla mücâdeleyi terkettiği için, nâzil olacak umûmî belâ dışında kalamaz. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِي أُمَرَاءُ يَكْذِبُونَ وَيَظْلِمُونَ، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلٰى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَمْ يَرِدْ عَلَى الْحَوْضِ

"Benden sonra, ileride yalan söyleyip zulmeden emirler türeyecektir. Onların yalanlarını tasdîk edip zulümlerinde onlara yardımcı olanlar, benden değil ve ben de onlardan değilim. (kıyâmet günü) *Havzıma uğrayamazlar."*[101] buyurmuştur.

Ebû Hüreyre'nin (r.a.) rivâyet ettiği diğer bir hadîste:

أَبْغَضُ الْقُرَّاءِ إِلَى اللهِ تَعَالَى الَّذِينَ يَزُورُونَ الْأُمَرَاءَ

"Allahü Teâlâ katında âlimlerin en çok buğz edileni, âmirlerin ziyaretine gidenlerdir."[102] buyurmuştur. Yine bir haberde:

---

[100] Taberânî, İbn Abbâs'dan (r.a.) rivâyet etmiştir.

[101] Neseî ve Tirmizî rivâyet ettiler. Tirmizî, sahîh olduğunu söyledi. Ayrıca Hakîm. Ka'b b. Acuze'den rivâyet etmiştir.

[102] İlim bahsinde geçmiştir.

خَيْرُ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ يَأْتُونَ الْعُلَمَاءَ، وَشَرُّ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ
يَأْتُونَ الْأُمَرَاءَ

“Emirlerin hayırlısı, ulemânın ayağına; ulemânın şerlisi, emirlerin ayağına gidendir.” Yine başka bir haberde:

اَلْعُلَمَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ عَلَى عِبَادِ اللّٰهِ مَا لَمْ يُخَالِطُوا السُّلْطَانَ،
فَإِذَا فَعَلُوا ذٰلِكَ فَقَدْ خَانُوا الرُّسُلَ فَاحْذَرُوهُمْ وَاعْتَزِلُوهُمْ

“Âlimler, sultanlarla karışmadıkça, Allah’ın kulları arasında resûllerin gönderdikleri emîn kimselerdir. Sultanlarla teşrîk-i mesâî ettikleri zaman, resûllere hıyânet etmiş olurlar. İşte o zaman, onlardan kaçının ve uzaklaşın.”[103] buyurulmuştur. Bu haberi Enes rivâyet etmiştir.

Bu hususta İslâm büyüklerinin sözleri:

Huzeyfe (r.a.):

- “Fitne yerlerinden sakının.” dedi. Kendisine:

- “Fitne yerleri nerelerdir?” diye sorulunca, Huzeyfe:

- “Onlar, âmirlerin kapılarıdır. Sizden biriniz onların huzûrlarına girer, yalanlarını tasdîk eder ve onlarda olmayan vasıfları söyler.” buyurdu.

Ebû Zer-i Gıfârî, Seleme b. Kays’a: “Sultanların kapılarına sokulma. Zîra sen, dîninin çoğunu onlara vermedikçe, onların dünyalığından bir şey alamazsın.” buyurdu.

---

[103] Ukaylî, **“Zuafâ”**da ve Hıfsu’l-Ibrî’nin tercümesinde rivâyet etti. İlim bahsinde de geçmiştir.

Süfyân-ı Sevrî: "Cehennemde bir dere vardır. Orada, melikleri ziyâret eden okuyuculara azâb edilir." demiştir.

Evzaî: "Allah katında âlimin, âmili ziyâretinden daha çirkin bir şey yoktur." demiştir. (Buradaki, âmil, devlet- memurlarıdır).

Semnûn: "Bir âlim için, aranıp bulunmadığı ve soruldukta: "Emîrin yanındadır." denmesi ne çirkin bir şeydir. Zîrâ ben hocalarımdan şöyle işittim: "Dünyalığı seven âlimi gördüğünüz zaman, onu dîniniz adına ithâm edin." Bunu bizzât, kendim denedim. Dâima arzularına muhâlefet ve kendilerine karşı geldiğim hâlde yanlarına girip çıktıktan sonra, kendimde onlara karşı bir temâyül hissettim." demiştir.

Ubâde b. es-Sâmit (r.a.) "Alimlerin, âmirleri sevmesi nifâk, zenginleri sevmesi ise riyâdır." dedi.

Ebû Zer (r.a.): "Zâlim bir kavmin karaltısını çoğaltan (yâni zâlimler arasına karışan) kimse onlardandır." buyurdu.

İbn Mes'ûd (r.a.): "Bâzı kimseler, sultanlar huzûruna dînli olarak girer, dînsiz olarak çıkarlar." demiştir. "Niye böyle oluyor?" diyenlere; "Çünkü o, sultanı memnûn eder, Allah'ı gazâblandırır." şeklinde cevap verdi.

Ömer b. Abdülazîz bir kişiyi âmil tâyin etti. Sonra kendisine: "Bu adam, Haccâc devrinde de âmil idi." dediklerinde hemen adamı azletti. "Adamcağız Ömer b. Abdülazîz'e: "Haccâc'ın emrinde çok az vazîfe gördüm." deyince, Ömer b. Abdülazîz: "Şûm ve kötülük bakımından, onunla yarım gün sohbette bulunman da senin için kâfîdir." dedi.

Fudayl: "Kişi sultana ne kadar yakın olursa, Allah'tan o kadar uzaklaşır." demiştir.

Saîd b. Müseyyeb, zeytinyağı alır, satar ve “Bu sâyede sultanlara muhtaç olmam.” derdi.

Vüheyb: “Meliklere yaklaşanların bu ümmete verdikleri zarar, kumarcıların zararından daha çoktur.” demiştir.

Muhammed b. Seleme de: “Pislik üzerinde sinek, melikler kapısındaki âlimlerden daha güzeldir.” dedi.

Zührî (Abdülmelik b. Mervân ve oğlu Hişâm gibi) sultanlarla ihtilâta başladı.[104] Dostlarından birisi kendisine şöyle yazdı:

“Ey Bekr’in babası! Allah sizi ve bizi fitneden korusun. Bilmiş ol ki, seni bilen herkesin, sana acıyıp sana duâ etmesi gereken acıklı bir vazıyete düştün. Çünkü ihtiyârlık hâlinde Allahü Teâlâ’nın Kur’ân ve hadîsten sana bahşettiğini ayaklar altına aldın. Bu yaptığın doğru değildir. Allahü Teâlâ Kur’ân-ı Kerim’de:

لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ

“Elbette onu (Kitâb’ı) **insanlara açıklayacak ve gizlemeyeceksiniz.”** (Âl-i İmrân suresi, 3/187) buyurmuştur. Bilmiş ol ki; sana yakın olması ile bâtîlı terk etmeyip hakkı yerine getirmeyen bir zâlime yaklaşmanla irtikâb ettiğin cinâyetin ve yüklendiğin mesûliyet yükünün en hafifi, onu yalnızlıktan kurtarıp, ona azgınlık yollarını kolaylaştırmış olmandır. Seni, zulüm değirmenlerinin üzerinde döndüğü bir kutup noktası, üzerinden geçip kötülüklerine ulaştıkları köprü ve sapıklıklarına yükselecekleri bir merdiven hâline getirmişlerdir. Seninle beraber (herkes senin gibidir zannı ile) bütün âlimlere sû-i zan yaparlar. Seninle beraber câhillerin gönüllerini avlarlar. Dünyalığında tâmir ettikleri, âhiretinden harap ettiklerine nisbetle ne az! Dîn ve diyânetinden ifsâd ettikleri, senden aldıklarına nisbetle ne çoktur. Seni, Allahü Teâlâ'nın: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ

---

[104] Hişâm, çocuklarına hadîs dersi vermesini Zührî’den ricâ etmişti. Zührî, çocuklarına dört yüz kadar hadis yazdırdı. Bir müddet sonra Hişâm, Zührî’ye “Hoca, yazdığınız hadîs kitâbı kayboldu.” dedi. Zührî “Beis yok, yenisini yazarız.” dedi. Sonra hadîsleri tekrâr yazdı. Bir ay sonra Hişâm, eskisini ortaya çıkardı ve karşılaştırdıklarında bir harf bile olsun hatâ etmediğini gördüler.

"Sonra, arkalarından öyle kötü bir nesil geldi ki, namazı bıraktılar; şehvetlerine uydular." (Meryem suresi, 19/59) buyurduğu vaîdine girmekten ne kurtarabilir? Sen esâsında, seni unutmayanın âmili (memûru)sun. O, senden gâfil değil, dâima seni mürâkabe eder ve korur. Öyleyse aklını başına al ve kendisine hastalık sirâyet edenin dînini tedâvî et. Azığını hazırla, uzun yolculuğun zamanı geldi.

وَمَا يَخْفٰى عَلَى اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ

"Yerde ve gökte Allah için gizli kalmış hiç bir şey yoktur." (İbrâhim suresi, 14/38) Sana selâmlar."[105]

Şu anlattığımız haber ve eserler, sultanlarla ihtilâtın sebep olduğu muhtelif fitne ve fesâd yollarını göstermektedir. Fakat biz, bunların mübâh, mekruh, yasak ve tehlikeli olanlarını ayırt etmek için bu ihtilâtı, bir de fıkhî cihetten ele alarak inceleyelim. Buna göre deriz ki.

Sultanlara yaklaşan kimse; işi, sükûtu, sözü veyâ îtikadı ile isyân etmek istîdâdındadır. Zâten vaziyeti itibâriyle bunlardan hâlî değildir.

---

105. Mektubu yazan, Ebû Hâzim el-A'raç'dır.

İş ile isyân, etmesine gelince: Umûmiyetle sultanların evleri, zulüm ve haksızlıkla alınan evlerdir. Mâl sahibinin izni olmadan bu evlere girmek haramdır. “Yollarda bulunan bir hurma ve ekmek ufağı gibi, bunlarda da dînî müsâmaha vardır.” diyenin sözüne aldanma. Dînî müsâmaha, cebren alınmayan mallardadır. Yoksa gasbedilen mallarda müsâmaha yoktur. “Azıcık oturmak, bu mülkten bir şey eksiltmez, buna müsâmaha edilir.” denirse herhangi bir arâziden geçmek de bunun gibidir. Bir adamın geçmesi zarar vermez, denir. Fakat bu, hepsine şâmil olur. Çünkü gasb, hepsini içine almakla tamamlanır. Müsâmaha, tek kişinin biraz oturmasında ve geçmesinde olur. O da mâl sahibinin müsâmahasına dayanır.

Yoksa herkes burayı yol haline getirirse, o zaman haramlık hepsini şâmil olur ve oradan kimse geçemez. Her fert bir kaç adım atıyor, bu zarar vermez diye, orası herkese yol olamaz. Zîra teker teker hepsinin geçmesi, adamın mülkünü harap eder. Bu, çocuğun okuması için, hocası tarafından kendisine hafif bir tokatın atılmasının câiz olması gibidir. Çocuğun okuması için kendisine bir tokat atmak zarar vermez diye, her gelen bir tokat atamaz. Çünkü herkesin birer tokat atması, çocuğun ölümüne sebep olur ve hepsine kısas cezâsı lâzım gelir. Hâlbuki tek bir tokata bir şey lâzım gelmiyordu. İşte bunun gibi, sultanların zulüm yolu ile aldıkları evlere girip oturmak yasaktır.

Şâyet onlar böyle bir evde oturmuyor ve sahipsiz kırlarda bulunuyorlarsa, bulundukları çadır da aynı şekilde gasbedilmiş bir maldır ve ona girmek, yine câiz değildir. Zîra o, haramda gölgelenmek ve ondan faydalanmak olur. Bütün bunların helâl olduğunu kabul edersek, o zaman oraya selâm vererek girmekle günâhkâr olmaz. Fakat selâmında rükû ve secde edecek şekilde eğilir; yer, etek öper veyâ karşısında -kıyâmda durur gibi- durur ve hizmetine âmâde olursa, -zulmüne âlet ve vâsıta olan saltanatı sebebiyle- zâlime ikrâm ve ona tevâzû göstermiş olur ki, zâlime tevâzû mâsiyettir.

Hattâ zulmünden değil, yalnız zenginliğinden dolayı bir kimseye hürmet edenin, dîninden üçte ikisi gider. Nerede kaldı ki, zâlime tevâzû göstersin. Mübâh olan, onlara ancak selâm vermektir. El öpmek ve hizmetlerinde eğilmek, mâsiyettir. Ancak korku için olabilir. Veyâ âdil bir imama veyâ âlime veyâ dînî bakımdan buna hak kazanan (âbid ve zâhidlere, anne babalar ve dayılar gibi) kimselere olursa beis yoktur. Nitekim **Ebû Ubeyde b. el-Cerrâh** (r.a.)[106] Şam'da buluştuğu Hz. Ali'nin (r.a.) elini öpmüş ve kendisine hiç kimse "Ne yapıyorsun?" dememiştir.

Bâzıları, zâlim sultanlara karşı o kadar ileri gitmiş, onlara hakaret olsun diye, selâmlarını almaktan bile çekinmişler ve bunu bir ibâdet saymışlardır. Fakat selâmlarını almamak, doğru değildir. Çünkü verilen selâmı almak vâcibdir. Bu vücûb, zulüm ile düşmez. Verdiği selâmı iâde eder. Sultanların huzûruna giren kimse, bütün bu hususlara riâyet ederse, oturacağı minderlerin (koltukların) haram olma ihtimâli kuvvetli olduğu için, bunlara da oturması câiz değildir. İşte bunlar, iş bakımından günâh olan kısımlardır.

Sükûtuna gelince: Sultanlar meclisinde gümüş kaplar, ipek minderler ve erkek hizmetçilerde ipek elbiseler görülür ki, bunlar haramdır. Fenâlığı görüp sükût edenler, ona ortak olurlar. Ayrıca yalan, küfür ve sövüp sayma gibi kötü sözleri de duyulur.

---

[106] Bu ümmetin emîni ve cennetle müjdelenen on kişiden biridir. Amvas'da tâûn senesinde 58 yaşında iken Hicri 18 yılında ölmüştür.

Bütün bunlara sükût etmek haramdır. Yedikleri, giydikleri ve ellerinde olanların hepsi haramdır. Bütün bunları görüp susmak, aslâ câiz değildir. Eli ile bozmaya gücü yetmezse dili ile emr-i mârûf ve nehy-i münker etmesi vâciptir. Şâyet "Ne yapsın korkar, bu bakımdan mazurdur." dersen: Bu doğrudur. Fakat keyfî olarak aralarına girip bu hâle düşmesine de bir sebep yoktur. Çünkü sultanların yanlarına sokulup meclislerine katılmasa ve bu hâli müşâhede etmese, bu mesûliyet karşısında kalmaz ve mazeret aramaya da lüzûm olmazdı. Buna göre ben derim ki: Önleyemeyeceği bu gibi fesâd yerlerine bilerek gidip susması câiz değil, belki görmekten sakınması lâzımdır.

Söze gelince: Zâlime duâ etmek, onu övmek, asılsız ve çürük sözlerinde kavuk sallamak, güler yüz göstermek veyâ açık ifâde ile onu tasdik etmek, ona sevgi göstermek, onunla kavuşmaya heves etmeye, uzun ömürlü olmasını dilemek gibi hallerdir. Çünkü sultanların sohbetine katılanlar, yalnız bir selâm ile kifâyet etmez. Bütün bu sözleri ile sultanları takviyeye çalışırlar.

Duâya gelince: Zâlimlere duâ etmek, helâl değildir. Ancak "Allah, seni ıslah etsin, hayırlı işler yapmaya muvaffak kılsın, kendisine kulluk ve ibâdet etmek sûretiyle uzun ömürler versin." diyebilir ve benzeri duâları yapabilir. Fakat "Sultanım, Allah sizi korusun, başımızda dâim etsin, bol nîmetler ihsân etsin." gibi duâlar câiz değildir. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنْ دَعَا لِظَالِمٍ بِالْبَقَاءِ فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يُعْصَى اللّٰهُ فِي أَرْضِهِ

"Zâlime, bekası için duâ eden, yeryüzünde Allah'a isyân edilmesini seven kimsedir." buyurmuştur. Şâyet daha da ileri giderek, kendisinde bulunmayan vasıflarla övmeye başlarsa yalancı,

münâfık ve zâlime ikrâm etmiş olur ki, bunların her biri ayrı ayrı birer suçtur. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ اللّٰهَ لَيَغْضَبُ إِذَا مُدِحَ الْفَاسِقُ

"Fâsık övüldüğü zaman, Allahü Teâlâ muhakkak gazab eder." buyurmuştur. Diğer hadîste:

مَنْ أَكْرَمَ فَاسِقًا فَقَدْ أَعَانَ عَلٰى هَدْمِ الْإِسْلَامِ

"Fâsık olana ikrâm eden, açıkça İslâmiyet'i yıkmaya cür'et etmiştir." buyurulmuştur.[107] Şâyet bu hâli, zâlimi sözünde tasdik etmeye, işinde tezkiye ile medh u senâya kadar vardırırsa, onu tasdik etmek ve yardımcı olmak suçları ile de âsî olur. Zîra zâlimi tezkiye ve onu övmek, isyânda ona yardım etmektir. Bir yarım kelime ile de olsa, isyâna yardım etmek mâsiyettir.

Süfyân-ı Sevrî'ye sormuşlar:

- "Bir zâlimi, çölde susuzluktan ölüme mahkûm olmuş görürsek ona su verelim mi?" Süfyân:

- "Vermeyin, bırakın ölsün. Çünkü ona su verip onu hayâta kavuşturmak, yapacağı zulümde ona yardımcı olmaktır." dedi. Diğerleri ise ölmeyecek kadar su verilir. Başka hiç bir sûretle tarafına bakılmaz, demişlerdir.

Şâyet bu medh u senâ sevgi derecesine yükselir ve onun bekasını temennî ve ona mülâkata iştiyâk derecesine varırsa, yalancılık ve münâfıklık suçu ile suçlanır. Samimî ise zâlimin bekasını sevmekle cezâlanır. Hâlbuki onun hakkı, Allah için ona buğz etmektir. Bu ise vâciptir. Mâsiyeti sevip, mâsiyete rızâ gösteren âsidir. Zâlimi, zulmünden dolayı seven âsidir. Başka yönden seviyorsa -zulmünden dolayı buğz etmediği için- yine âsidir. Bir adamda hem hayır, hem şer toplansa, iyiliğinden ötürü sevmek, kötülüğünden dolayı da buğz etmek lâzımdır.

---

[107] Buradaki hadîslerin üçü de daha evvel geçmiştir.

“Kardeşlik ve Allah İçin Sevmek” kitâbında sevgi ile buğzu toplayabilmenin keyfiyeti anlatılacaktır.

Sultanlarla ihtilât eden kimse, bütün bu anlattıklarımızdan korunabilse de, kalbine gelecek fesattan kendisini kurtaramaz. Çünkü sultanlardaki refâh ve ihtişâmı gördüğü zaman, gözleri kamaşacak ve ona meylederek, kendisi de irtikâba kalkışacaktır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ لَا تَدْخُلُوا عَلٰى أَهْلِ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا
مَسْخَطَةٌ لِلرِّزْقِ

“Ey muhâcirler, dünyalık sahiplerinin yanına girip çıkmayın. Zîra onların yanına girmek, sizi küfrân-ı nîmete sevkeder.”[108] buyurmakla bundan men etmiştir. Hâlbuki kendisine bakarak başkaları da ona uyar, zâlimlerin karaltılarını çoğaltır. Zâlim de “Bakınız, falancı da bize katıldı.” demekle kendisine süs verir. Bunların hepsi ya mekruh veyâ tehlikelidir. Emevî hükümdârlarından Abdülmelik, kendisinden sonra müşterek olarak emir olmak üzere oğulları Velîd ve Süleyman’a biat etmek için **Saîd İbn Müseyyeb**’i dâvet etti. Saîd: “Dünya durdukça, iki kişiye birden biat etmem. Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) iki kişiye biattan nehyetti.” dedi. Abdülmelik’in bütün ısrarlarına rağmen kabul etmediği için kendisine yüz kamçı vuruldu ve siyah elbise giydirildi.

---

108. Hâkim, Abdullah b. eş-Şıhhîr’den rivâyet etti ve isnâdının sahih olduğunu söyledi.

Zâlim sultanların huzûruna ancak iki mâzeret sebebiyle girilebilir: Birincisi, sultan tarafından mecbur tutulduğu -yâni bir ikrâm dâveti değil- mutlaka gelmesi emredildiği zamandır. Şâyet gitmemekle kendisine zararı dokunmak veyâ başkalarına örnek olarak siyâsî havanın bozulma ihtimâli varsa, o zaman dâvete icâbet vâcip olur. Bu icâbet bir itâat değil, belki maslahat-i âmme icâbıdır. İkincisi, kendisine veyâ başka bir Müslüman'a yapılan zulmü önlemek için, zâlimlerin yanlarına gidilebilir. Ya Allah için girer zulmü önlemeye çalışır veyâ tazallüm-i hâl eder. Uğradığı haksızlıkları ona duyurur. Yalan söylememek, iftirâ etmemek ve kabul etmesi muhtemel olan nasihatleri yapmak şartıyla, sultanın huzûruna girmeye şerîatin müsâadesi vardır. İşte sultanların huzûruna girmenin hükmü bunlardır.

İkinci Halin İzâhı

İkinci hâl: Zâlim sultanların seni ziyâret etmeleridir. Ziyâretine gelip selâm verdiklerinde, selâmlarını almak lâzımdır. Onun ikrâmına karşılık, ona kıyâm ve ikrâmda bulunmak da haram değildir. O, zulmü sebebiyle kendisinden uzakta durulmayı hak ettiği gibi, ilim ve dîne ikrâmı sebebiyle de ikrâmı hak etmiştir. İkrâma ikrâm ile selâma da selâm ile mukabele edilir. Fakat sultan yalnız gelmişse, zulmün hakir, dînin azîz olduğunu ve dîn nâmına kendisine küstüğünü, Allahü Teâlâ'nın i'râz ettiği kimselerden kendisinin de yüz çevirdiğini göstermek için, sultana karşı ayağa kalkmamalıdır. Şâyet yalnız değil de, beraberinde başkaları varsa, maiyyetleri arasında sultanların haşmetine saygı duymak mühimdir. Bu maksatla kıyâmda beis yoktur. Fakat maiyyeti üzerinde bir tesir icrâ etmeyeceğini ve sultandan da kendisine bir zarar gelmeyeceğini bilirse, yine kalkmaması evlâdır.

Sultan ile mülâkatta, ona nasihat etmesi vâciptir. Şâyet bilmeyerek işlediği bir hatâsı olur ve bunun hatâ olduğunu anladığı zaman vaz geçecek gibi ise onu hemen bildirmesi vâciptir. Fakat haram olduklarını bildiği israf ve haksızlıklarını kendisine anlatmakta da bir fayda yoktur. Korkutmanın bir tesiri olacağını anlarsa, irtikâb ettiği kötülüklerin cezâlarını hatırlatmakla onu îkaza çalışır. Bunun gibi işlerini yürütmek için haksızlıktan uzak ve şerîate uygun başka bir yol bilirse, sultanı o yolda irşâd eder. O halde bilmediğini anlatmak, cüret ettiği kötü şeylerden kendisini korkutmak, bulamadığı uygun yollara irşâd etmek vazîfeleri âlimin meyânındadır. Sözünün tesirli olacağını anlarsa bu üç şeye dikkat eder. Mâzereti olsun olmasın, sultanın huzûruna giren herkesin, bu hususlara riâyet etmesi lâzımdır.

Muhammed b. Sâlih[109] şöyle anlatıyor: "**Hammad b. Seleme**'nin[110] ziyâretine gittim. Evinde üzerinde oturduğu bir hasır, okuduğu bir mushaf, kitâblarının bulunduğu bir dağarcık ve abdest alacağı bir kabı vardı. Kendisiyle otururken, kapı çalındı. Kapıyı açtık, baktık **Muhammed b. Süleyman.** Müsâade edildi, içeri girdi ve huzûrunda oturdu. Sonra:

- "Sizi görünce beni bir heybet sardı, bunun hikmeti nedir?" diye sordu. Hammad:

- "Çünkü Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ الْعَالِمَ إِذَا أَرَادَ بِعِلْمِهِ وَجْهَ اللّٰهِ هَابَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَإِنْ أَرَادَ
أَنْ يَكْنِزَ بِهِ الْكُنُوزَ هَابَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

---

[109] Bağdadlıdır. Sikadandır. Hafızdır. Hicrî 71 yılında ölmüştür.

[110] Hammad b. Seleme, Basralı Dînar'ın oğludur. Âbiddir. Buhârî **"Edeb"**inde, Müslim **"Erba'a"**sında kendisinden rivâyet etmişlerdir. Hicrî 67'de ölmüştür.

"Âlim, ilmi ile Allah rızâsını murâd ederse, ondan her şey korkar. Fakat ilmi ile para yığmayı kastederse, kendisi her şeyden korkar."[111] buyurmuştur. Bunun üzerine Muhammed b. Süleymân kendisine kırk bin dirhem hediye ederek:

- "Bunu al, ihtiyâcına sarfedersin." dedi. Hammad:

- "Ben almam. Sen git, kimlerden gasbettinse onlara böl." dedi. Muhammed:

- "Vallahi, babamdan kalan mirastır; yâni helâldir, bunu kabul et." dedi. Hammad:

- "Olsun, benim ihtiyâcım yok." dedi. Muhammed:

- "Al da muhtaçlara dağıt." dedi. Hammad:

- "Onu da yapamam. Çünkü ne kadar âdilâne taksim etsem de, bu paradan kendisine isâbet etmeyen birisi kalkar da "Bu adam doğru taksim etmedi." der ve bu sûretle hem onu kaybederim hem de sû-i zan etmekle günâha girmesine sebep olurum." dedi ve kabul etmedi."

Üçüncü Hâlin İzâhı

Üçüncü hâl: Ne sultanlar seni, ne de sen onları görecek şekilde onlardan uzak yaşamandır. Vâcip olan da budur. Çünkü selâmet, ancak buradadır. Zulümlerine karşılık onlara buğz etmeli, bunun vâcip olduğunu bilmeli, yaşamalarını sevmemeli, onları övmemeli. Hâllerini sorup araştırmamalıdır. Onların adamlarına da yaklaşmamalı, onlardan uzak durması yüzünden kaybettiği şeylere üzülmemelidir.

Bu da onlara imrendiği zaman, alacağı tedbîrlerdir. Hiç imrenmezse bu daha güzeldir. Onların bu hayatına gönül verdiği zaman, **Hâtem**'in şu sözlerini hatırlamalıdır. Hâtem şöyle diyor: "Benimle melikler arasında bir günlük fark vardır. Çünkü acı veyâ tatlı elde hiç bir şey kalmamak üzere, geçen gün geçmiştir. Gelecek gün şüpheli; onun da, benim de yarına çıkacağımız belli değildir, içinde bulunduğumuz gün kaldı; o da geçmek üzeredir."

---

[111] Hammad b. Seleme, merfû olarak rivâyet etti.

Ayrıca **Ebû'd-Derdâ**'nın (r.a.) şu sözlerini de hatırlasın: "Servet sahipleri yiyip içiyorlarsa biz de yiyip içiyoruz. Onlar, fazla servetlerine ancak gözleri ile bakarlar, biz de bakabiliriz. Bu hususta aramızda bir fark yoktur. Ancak biz huzûrda iken, onlar servetlerinin hesaplarını vereceklerdir".

Herhangi bir zâlimin zulmünü ve âsinin mâsiyetini bilirse, kalbindeki sevgisini ondan ayırmalıdır. Bu, onun için vâciptir. Zîra kusurlu bildiği herhangi bir şeye insanın meyli olmaz. Zulüm ve mâsiyet ise en büyük kusurdur. Çünkü bir insan, diğerinin günâhından gâfil olabilir. Fakat bildiğine göre gaflet diye bir şey kalmaz veyâ mâsiyete rızâ gösterir, bu da olamaz. Çünkü mâsiyete rızâ, mâsiyettir. Yâhut isyânını hoş karşılamaz. İşte yapacağı, onun isyânını kerih görmektir. Herkesin Allahü Teâlâ'ya karşı işlediği cinâyeti, kendine karşı işlenmiş bir cinâyet gibi kabul etmeli, onu sevmemelidir.

Şâyet "Sevmek ve sevmemek insanın ihtiyârında değil, irâdesi dışındadır. Buna göre bunu sevmek vâcip, şunu sevmemek vâcip, nasıl denebilir?" dersen deriz ki: "Hayır, öyle değildir. Sevgilisinin hoşlanmadığını sevmemek, tabiat iktizâsıdır." (Zâten sevgi makamı bununla tamamlanır). Allah'a karşı yapılan isyânı kerîh görmeyen, Allah'ı sevmemiş sayılır. Allah'ı sevmeyenler ise onu bilmeyenlerdir. Allah'ı bilmek vâcip, Allah için sevmek ve Allah'ı sevmek de vâciptir. Allah'ı seven de onun sevdiğini sever, sevmediğini sevmez. **"Muhabbet ve Rızâ"** kitâbında buna dâir tafsîlât gelecektir.

Şâyet "Eski âlimler, sultanların huzûruna girerlerdi. Buna göre sultanların huzûruna girmekte beis olmamak lâzım gelir." dersen deriz ki: "Evet, söylediğin doğrudur. Fakat önce onlardan sultanların huzûruna girmenin usûlünü öğren. Sonra sen de gir. Şimdi şu hikâyeyi dinle."

Hişâm b. Abdülmelik[112] haccetmek üzere Mekke'ye gittiğinde:

- "Bana ashâbdan bir zât getirin." dedi. Mekkeliler:

- "Ey mü'minlerin emîri, onlardan kimse kalmadı." dediler. Hişâm :

- "O hâlde, tâbiînden birini bulun." dedi. Onlar da o sırada Mekke'de bulunan **Tavusu'l-Yemânî**'yi getirdiler. O da içeri girdi. Ayakkabılarını Hişâm'ın odasında serili olan kilimin kenarına ve alt tarafına koydu. "Ey mü'minlerin emîri, sana selâm." diyecek yerde, doğrudan doğruya herkese yaptığı gibi "Ey Hişâm, sana selâm." dedi. Arapların teâmülü olan künyesini söylemedi. Tam karşısına oturduktan sonra:

- "Nasılsın ey Hişâm?" dedi. Tâvus'un bu söz ve hareketinden küplere binen Hişâm, Tâvus'u öldürmeyi bile aklından geçirdi. Fakat "Ne yapıyorsun? Burası Allah ve Rasûlü'nün haremidir. Aklını başına al! Burada buna imkân yok!" dediler. Bunun üzerine kendine gelen Hişâm:

---

[112] Emevî hükümdarlarından olup, künyesi Ebû Süleyman'dır. Abdülmelik'in ölümünden sonra 105 Hicri târihinde kendisine biat edilmiştir. Hükümdarlık müddeti 19 yıl, bir aydır. 54 yaşında iken Dehnâ'da Hicri 125 senesinin Rebîülevvel ayında ölmüştür.

- "Ey Tâvus, neden böyle yaptın, seni bu (kaba) harekete sevkeden nedir?" dedi. Tâvus:

- "Hayrola ne yaptım?" deyince, Hişâm daha çok hiddetlenerek:

- "Daha ne yapacaktın? Ayakkabılarını oturduğum kilimin altına koydun, elimi öpmedin. Emîrü'l-mü'minîn diye bana selâm vermedin. Künyemi okumadın. Ben müsâade etmeden hemen yanıbaşımda oturdun ve bayağı bir adam gibi "Nasılsın?" diye sordun. Daha ne yapacaktın?" dedi.

Tâvus:

- "Ayakkabılarımı, senin oturduğun kilimin kenârına çıkarmamın bir suç olduğunu bilmiyordum. Çünkü günde beş defa Rabbimin beytinde ve O'nun huzûrunda kilimlerinin kenârında ayakkabılarımı çıkarırım. Bir kere olsun, bana kızmadı ve tekdîrde dahî bulunmadı. Elini öpmediğime gelince, Emîrü'l-mü'minîn **Ali b. Ebî Tâlib**'in (r.a.): "Kimseye kimsenin elini öpmek helâl olmaz. Ancak kişi şehvetle ailesini, şefkatle çocuğunu öpebilir." dediğini işittim de ondan elini öpmedim." dedi. "Sana emîrü'l-mü'minîn demediğime gelince, halkın çoğu senden memnûn değil ve senin emâretini istemiyorlar. Sana yalan söylemekten hoşlanmadım da, onun için söylemedim. Künyeni okumadığıma gelince, Allahü Teâlâ yüce peygamberlere doğrudan doğruya "Yâ Dâvûd, Yâ İsâ, Yâ Mûsâ," diye seslendi ve sevgili peygamberlerinin hiç birinin künyesini okumadı. Yalnız düşmânlarının künyesini okuyarak "Ebû Leheb" dedi. Ben de onun için senin künyeni okumadım." dedi. Tam karşında oturduğuma gelince, çünkü ben Ali b. Ebû Tâlib'in (r.a.) "Cehennemlik bir kimseye bakmak istersen, etrâfındakiler ayakta durup hizmetinde âmâde oldukları hâlde, kendisi oturan bir kimseye bak." dediğini işittim ve işte bunun için tam karşında oturdum." dedi. Bunun üzerine Hişâm:

- "Bana öğüt ver." dedi. Tâvus dedi ki:

- "Hz. Ali'nin (r.a.) şöyle buyurduğunu işittim: "Cehennemde dağlar gibi büyük yılanlar, katırlar gibi akrepler vardır. Bunlar, maiyeti arasında adâlet etmeyen emîrleri zehirleyip duracaklar." dedi ve oradan ayrıldı.

Süfyân-ı Sevrî (Allah rahmet etsin) şöyle anlatıyor: "Mina'da iken beni **Ebû Câfer el-Mansûr**'un[113] huzûruna götürdüler. Ebû Câfer.

- "İhtiyâcını söyle, yerine getireyim." dedi. Ben:

- "Haksızlıkla, zulümle cihânı doldurdun. Allah'tan kork." dedim. Ebû Câfer, bir müddet başını eğdikten sonra:

- "Yine ihtiyâcını söyle." dedi. Ben:

- "Sen, bu mertebeye muhâcir ve ensârın kılıcı sâyesinde eriştin. Şimdi onların çocukları açlıktan kan kusuyorlar. Allah'tan kork ve onlara haklarını ver." dedim. Ebû Câfer tekrar bir müddet başını eğdikten sonra:

- "İhtiyâcını söyle." dedi. Ben:

- "Hz. Ömer (r.a.) haccettiği zaman, hazîne vekiline: "Bu sefer ne kadar sadaka dağıttın?" diye sordu. Hazînedâr: "On bin dirhem küsûr." deyince Hz. Ömer: "İsrâf ettin." dedi. Hâlbuki burada develerin taşıyamayacağı derecede çok paralar görüyorum, dedim ve ayrıldım." İşte eski âlimler, sultanların huzûruna böyle çıkar ve Allah için nasihat ederlerdi.

---

[113] El-Mansûr Billâh, Abbâsi halîfelerinin ikincisidir. Hicrî 135 yılında Mekke'de kendisine biat edilmiştir. 22 yıl hilâfette kaldıktan senra, 58 yaşında iken 150 yılında **Bi'r-i Meymûne**'de ölmüştür.

İbn Ebî Şumeyle, **Abdülmelik b. Mervân**'ın[114] huzûruna girdi. Abdülmelik kendisine:

- "Anlat bakalım, dedi. İbn Ebî Şumeyle:

- "İnsanlar kıyâmetin mihnet ve meşakkatinden ve kötü şeylerle karşılaşmaktan kendilerini kurtaramazlar. Ancak arzuları hilâfına Allah'ın rızâsını arayanlar kurtarır." deyince, Abdülmelik ağlayarak:

- "Bu sözleri, yaşadığım müddetçe dâima göz önünde bulunduracağım." dedi.

Osman b. Affan (r.a.), Abdullah b. Âmir'i âmil (vâli) tâyin ettiği zaman, sahâbe-i kirâm kendisini tebrik etmeye gittikleri hâlde, dostlarından olan Ebû Zer (r.a.), ziyâretine gitmedi. Abdullah b. Âmir, Ebû Zer'e:

- "Niçin gelmiyorsun?"deyince, Ebû Zer:

- "Rasûl-i Ekrem'in (s.a.v.):

"Kişi (sultanlardan) *bir vazîfe aldığı zaman, Allahü Teâlâ ondan uzaklaşır."*[115] buyurduğunu işittim de, ondan dolayı yanına gelmedim." demiştir.

Mâlik b. Dînar, Basra emîrinin huzûruna girdi ve dedi ki: "Bâzı semâvî kitaplarda şöyle yazıldığını gördüm: "Sultanlardan ahmak ve bana isyân edenlerden câhil kimse olmadığı gibi, bana itâat edip benimle izzet bulandan azîz kimse de yoktur. Ey kötü çoban! Senin eline sağlam ve semiz koyunlar teslim ettiğim hâlde, sen etlerini yedin, yünlerini (elbise yaptın ve) giydin ve onları eti sıyrılmış birer kemik hâlinde bıraktın." Bunun üzerine Basra Vâlisi:

---

[114] Künyesi Ebû'l-Velîd'dir. Hicrî 65 yılında Ramazan ayında Şam'da kendisine biat edilmiştir. Hicrî 80 yılında vefât etmiştir.

[115] Bu şekildeki aslı bulunamamıştır. Fakat *"Sultanlara yaklaşan, Allah'tan uzaklaşır."* mealinde sahîh sened ile rivâyetler vardır.

- "Seni bizden uzaklaştıran ve seni bize karşı cüretli kılan sebep nedir?" dedi. Mâlik:

- "Bilmiyorum." deyince, Vâli:

- "Bizim malımızda gözünün olmaması ve bize heves etmeyişindir." diye cevap verdi.

Ömer b. Abdülazîz, (Halîfe) Süleymân b. Abdülmelik ile Arafat'ta vakfede iken dehşetli bir gök gürültüsü oldu. Süleymân b. Abdülmelik korkusundan göğsünü masaya koydu ve ellerini kulaklarına tıkadı. Ömer b. Abdülazîz: "Bu ses, rahmet müjdesidir, yağmurun yağacağını bildirir. Bundan bu kadar korktuğuna göre ya azâb gürültüsünü duyduğun zaman ne yapacaksın?" dedi.

Sonra Süleymân, Arafat'taki kalabalığa şöyle bir baktı ve "Yâ Ömer, ne kalabalık var?" dedi. Ömer b. Abdülazîz de: "İşte bunlar, kıyâmette senin hasımlarındır." dedi. (Buna canı sıkılan Süleymân: "Allah, senin de başına bu belâyı sarsın." dedi ve dediği gibi oldu. Ölümünden sonra hilâfete o geçti.)

Hikâye olunduğuna göre, Mekke'ye gitmekte olan Süleymân b Abdülmelik[116] Medîne-i Münevvere'ye uğradı. Orada bulunan Ebû Hâzim'i huzûruna çağırdı. Ebû Hâzim gelince, Süleymân:

- "Yâ Ebâ Hâzim, ölümü neden sevmiyoruz?" diye sordu. Ebû Hâzim:

---

[116] Künyesi Ebû Eyyûb'dur. Kardeşi Velid'den sonra Hicri 95 yılında kendisine biat edilmiştir.

- "Çünkü siz dünyayı îmar edip âhireti harap edenlerdensiniz. Mâmureyi bırakıp, harâbeye gitmek, elbette gücünüze gider:" dedi. Süleymân:

- "Allah'ın huzûruna nasıl varılır?" diye sordu. Ebû Hâzim:

- "Ey mü'minlerin emîri! İyilik ve ihsânda bulunanlar, kaybettikleri çocuklarına kavuşmuş gibi sevinirler. Kötülük edenler de efendisinden kaçmış köle gibi huzûruna çıkarlar." dedi. Bunun üzerine Süleymân ağladı ve:

- "Bâri Allah huzûrunda hâlimin ne olacağını bilseydim?" dedi. Ebû Hâzim:

- "Hâlini Allahü Teâlâ'nın kelâmına arzeyle." Allahü Teâlâ:

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ

"Muhakkak ki iyiler cennette, kötüler ise cehennemdedir" (İnfitar suresi, 82/13-14) buyurmuştur. Bak, sen hangilerdensin?" dedi. Süleyman:

- "Allahü Teâlâ'nın rahmeti nerededir?" dedi. Ebû Hâzim:

- "O, muhsinleredir." dedi. Süleymân:

- "Yâ Ebâ Hâzim! Allah katında en keremli insan kimdir?" diye sordu. Ebû Hâzim:

- "İyilik edip, takvâ sahibi olanlardır." dedi. Süleymân:

- "Amellerin hangisi daha makbuldür?" diye sordu. Ebû Hâzim:

- "Haramlardan kaçınmakla, farzları yerine getirmektir." dedi. Süleymân:

- "Sözlerin hangisi daha makbuldür?" diye sordu. Ebû Hâzim:

- "Korktuğun ve bir şey umduğun kimseye karşı sözün doğrusunu söylemektir." dedi. Süleymân:

- "Mü'minlerin hangisi daha akıllıdır?" diye sordu. Ebû Hâzim:

- "Kendisi Allah'a ibâdet ettiği hâlde, insanları da Allah'a ibâdete dâvet edendir." dedi. Süleymân:

- "Mü'minlerin en ziyâde hüsranda olanı hangisidir?" diye sordu. Ebû Hâzim:

- "Zâlim olan kardeşliğinin keyfine göre hareket edip, onun dünyalığı için başkasının âhiretini harap edendir." diye cevap verdi. Süleymân:

- "İçinde bulunduğum bu hâle ne dersin?" diye sordu. Ebû Hâzim:

- "Sonunda cezâ var mı? Doğruyu söylersem beni bağışlar mısın?" dedi. Süleymân:

- "Bu, senin bana verdiğin bir öğüttür. Elbette affederim." dedi. Bunun üzerine Ebû Hâzim:

- "Ey mü'minlerin emîri! Senin ataların bu mülkü, Müslümanlarla istişâre etmeden, onların reyine baş vurmadan kılıç ucu ile zor ile aldılar. Bu uğurda nice Müslümanların canlarına kıydılar. Onlar için söylenen sözleri bilseydin, şaşırırdın." deyince Süleymân'ın meclis arkadaşlarından birisi Ebû Hâzim'e "Çirkin konuşuyorsun." dedi. Ebû Hâzim:

- "Sen yalan söylüyorsun. Allahü Teâlâ âlimlerden, bildiklerini söyleyeceklerine dâir söz almıştır. Ben bildiğimi söylüyorum." dedi. Bunun üzerine Süleymân:

- "Bütün bu bozuk işleri düzeltmek için çâre nedir?" diye sordu. Ebû Hâzim:

- “Aldığını helâlinden alıp, hak sahibine vermektir.” dedi. Süleyman:

- “Buna kimin gücü yeter?” dedi. Ebû Hâzim:

- “Cehennemden korkup, cenneti arzu edenlerin gücü yeter.” dedi. Süleymân:

- “O halde benim için Allah’a duâ et.” dedi. Ebû Hâzim:

- “Allahım! Eğer Süleymân senin sevgili kulun ise onu dünya ve âhiretin hayırlı ve yarayışlı işlerinde muvaffak eyle. Her iki tarafın hayrına onu ulaştır. Eğer yanlış yolda ise onu boynundan tutup râzı olduğun yola yönelt.” diye duâ etti. Bunun üzerine Süleymân:

- “Bana öğüt ver.” dedi. Ebû Hâzim:

- “Sana veciz bir öğüt veriyorum, ona dikkat eyle: “Rabbini tâzîm et. Emrettiği yerlerde seni bulamayıp, nehyettiği yerlerde görmemesinden O’nu tenzîh et.” dedi.

Ömer b. Abdülazîz de Ebû Hâzim’den öğüt istediği zaman, Ebû Hâzim: “Bir yere yaslan ve ölümü yanı başında kabul et. Sonra böyle bir anda yanında bulunmasını arzu ettiğin şeyin ne olacağını düşün ve şimdiden onu al. O zaman, yanında bulunmasından hoşlanmadığın şeyi de şimdiden at. İyi bil ki anlattığım bu saat, çok yakındır.” demiştir.

Bedevînin biri, Süleymân b. Abdülmelik’in huzûruna girdi. Süleymân bedevîye:

- “Anlat bakalım.” dedi. Bedevi:

- “Sana anlatacaklarım biraz acıdır. Her ne kadar hoşuna gitmeyecekse de onları dinle. Çünkü bunları kabul edersen sonu senin için iyi olur.” dedi. Süleymân:

- "Ey çölde yaşayan Arap! Biz, nasihatini istemediğimiz ve karışıklık çıkarmasından emin olmadığımız kimselere karşı, her ihtimâli göz önünde bulundurarak yine onları dinlemek müsâmahasını gösterirken, öğüdünü arzu ettiğimiz senin gibi saf ve temiz kimseyi dinlemez iniyiz? Söyleyeceklerini söyle." dedi. Bedevî:

- "Ey mü'minlerin emîri! Seni öyle adamlar koltukladı, öyle kimseler etrâfını sardı ki, onlar kendileri için kötü yolu seçtiler. Çünkü onlar, dünyalık için dînlerini sattılar. Senin rızânı, Allah'ın gazabına tercih ettiler. Senden korktular fakat Allah'tan korkmadılar. Âhiretten kaçıp dünyaya meylettiler. Allahü Teâlâ'nın sana emânet ettiği bu hilâfet işinde, sakın onlara emniyet etme. Zîra onlar, emânetin kaybolmasına, halkın zillete düşüp zulme uğramasına aldırış etmezler. Onların haksızlıklarından sen mesûlsün. Fakat senin yaptıklarından onlar mesûl değildirler. Kendi âhiretini perişan edip, onların dünyasını düzeltmeye çalışma. Çünkü insanlar arasında en çok aldanan, başkasının dünyalığı için kendi âhiretini satandır." dedi. Süleymân:

- "Ey çöl Arabı! Alabildiğine dilinin kılıcını kınından sıyırdın. Bu, senin kılıcından daha keskindir." dedi. Bedevî:

- "Evet. Öyledir ey mü'minlerin emîri. Fakat bu kılıcımı aleyhinde değil, lehinde kullandım." dedi.

Hikâye olunduğuna göre, **Ebû Bekre**[117] bir gün **Muâviye**'nin

---

[117] Nefî b. Hâris Sakafî'dir. Ashâbdandır. Ziyâd'ın ana bir kardeşidir. Ebû Bekre âbid ve sâlih bir zât idi. Üvey kardeşi Ziyâd, Ebû Bekre'nin bir oğlunu süvâribaşı, diğerini erzâk kapucusu, bir üçüncüsünü de Beytü'l-mâl'a memur tâyin etmişti. Hasan-ı Basrî diyor ki: Ziyâd, kardeşini susturmak ve aleyhinde bulunmasını önlemek için kendisine Enes b. Mâlik'i gönderdi. Ebû Bekre hasta yatıyordu. Enes, gerekli tebliğatı yaptıktan sonra: "İşte, oğullarını şu şu işlerde kullanmıyor muyum?" dediğini haber verince Ebû

(r.a.) huzûruna giderek: “Ey Muâviye, Allah’tan kork. İyi bil ki, geçen her gün, seni biraz daha dünyadan uzaklaştırıp âhirete yaklaştırmaktadır. Seni öyle bir şekilde tâkip eden var ki, ondan kurtulmana imkân yoktur. Senin için bir hudûd konmuş, o hudûdu aşamazsın, orada seni yakalar. Biz ve içinde bulunduğumuz her şey yok olacak, ancak gideceğimiz yer bâkidir. Burada iyilik yaptıksa onun mükâfatını, kötülük yaptıksa cezâsını çekeceğiz. Ona göre kendini ayarla.” dedi.

İşte ilim sahipleri, sultanların huzûruna böyle girerlerdi. (Sen de böyle girebilirsen gir.) Fakat biz, ilim sahiplerinden, âhiret âlimlerini kastediyoruz. Dünyalık peşinde olan âlimlere gelince; onlar sultanların gözüne girmek için onlara yaklaşırlar, ruhsat yollarını onlara gösterirler, onların maksatlarına uyacak şekilde hîle yollarını araştırırlar. Yukarıda anlattığımız şekilde konuşsalar da gâyeleri ıslah değil, belki bu cihetten sultanların gözüne girerek mevki ve mansıba ulaşmaktır. Burada da ahmakların iki şekilde aldanması vardır:

Birincisi; ben onları ıslah ediyorum diye, kendisini sûret-i haktan göstererek yanlarına giderken, içinden bu sûretle ün kazanmayı kasdetmektir. Burada, gerçekten ıslah edici olup olmadığını denemek için şu usûl vardır: Şâyet bu vazîfeyi kendi akranından olan başka birisi üzerine alıp muvaffak olduğu zaman memnûn kalırsa, kendisinin de samimî olduğu anlaşılır. Çünkü bu, aynen şöyledir: Bir adamın tedâviye muhtaç bir hastası vardır, fakat hasta uzaktadır. Bu arada bir başkasının hastayı tedâvi ettirdiğini duyunca, nasıl memnun olursa, bu âlim de öyle memnûn olmalıdır. Aksi hâlde aldanmıştır.

Bekre: “Cehenneme götürecek daha bir şey yaptıradı mı?” dedi. Ebû Bekre, Ziyâd’ın velâyeti zamânında Basra’da 50 veyâ 51 Hicri yılında vefât etti.

İkincisi; "Ben onu zulümden men ettim." demesidir. Bunda da samimî olup olmadığı aynen yukarıdaki gibi deneyerek anlaşılır.

Sultanların huzûruna girmenin yolu bilindikten sonra, şimdi de sultanlarla ihtilâta ârız olan hâllerle, onların mallarını alma keyfiyetini açıklamak için, bâzı meseleler anlatalım:

Mesele

Yoksullara taksim edilmek üzere sultan tarafından sana gönderilen malın muayyen bir sahibi varsa, o malı almak helâl olmaz. Muayyen bir sahibi yok ve gerçekten miskinlere tasadduk edilmesi îcâb eden mallardan ise onu alıp dağıtman câizdir. Bu gibi malı almakla âsi olmazsın. Bununla beraber, bu maksatla bu gibi malı almaktan çekinenler de olmuştur. O halde evlâ olanı yapalım. Buna göre deriz ki: Üç gâileden emîn olan kimsenin bu malı alıp dağıtması daha evlâdır.

Gâilenin birincisi; bu mal helâl ve temizdir. Eğer böyle olmasa, bu zât bu malı aslâ zimmetine almazdı gibi şüphe, sultanın gönlüne doğmuş olmalıdır. Şâyet sultanda bu şüpheyi uyandıracaksan bu malı alma. Çünkü onu almak mahzûrlu olur. Zîra senin sebebiyet verdiğin bu kanâatla o sultan, serbestçe haram toplamaya çalışacak ve senin bu malı alıp fâkirlere taksim etmekle yapacağın iyilik, kötülüğünü karşılamayacaktır.

İkinci gâile; seni gören diğer âlim ve câhiller, senden delîl çekerek, şu hâlde bu alınan para helâldir, diyerek parayı alacak sonra da taksim etmeyecekler ki, bunun günâhı evvelkisinden daha büyüktür. Nitekim bir cemâat, İmâm Şâfiî'nin aldığını delîl göstererek, bu gibi paraları almışlar ve fakat onun bu parayı fakirlere dağıtmak maksadı ile aldığını ve dağıttığını bilememişlerdir. İnsanlara örnek olacak mevkîde olan bir kimse, bu gibi şeylerden son derece sakınmalıdır. Çünkü onun bu hareketi, birçoklarının sapıtmasına sebeb olur.

Vehb b. Münebbih şöyle anlatıyor: Zâlim meliklerden birisi, domuz etini cebren yedirmek için, insanlar muvâcehesinde bir zâtı huzûruna çağırarak domuz etini yemeye icbâr ediyor. Adam yemeyince, koyun etini teklif ediyor, adamcağız bunu da kabul etmiyor. Bunun üzerine Melik, adamın idâmını emrediyor. Etrâfında bulunanlar: "Koyun etini niçin yemedin?" diye kendisinden sorduklarında adam: "Domuz eti yemem için buraya çağırıldığımı herkes biliyor. Şimdi ben koyun etinden yer ve kendimi kurtarırsam, kimse koyun eti yediğimi bilmez. Herkes domuz eti yediğimi zanneder ve onlar da sapıtırlar." demiştir.

Yine Vehb b. Münebbih ve **Tâvus**, Haccâc'ın kardeşi Muhammed b. Yûsuf'un yanına girdiler. O, Yemen'de Velid tarafından tayîn edilmiş âmil (vâli) idi. Soğuk bir günde açık bir hava toplantısında bulunuyorlardı. Tâvus da bir sandalyede oturmuştu. Muhammed b. Yûsuf hizmetçisine, bir taylesân (palto gibi kışlık bir elbise) getirip Tâvus'un omuzlarına atmasını emretti. Tâvus, oturduğu müddetçe omuzlarını sallaya sallaya taylesânı düşürdü ve kalktı. Tabiî Muhammed b. Yûsuf, bu hareketine kızdı. Vehb, Tâvusa:

- "Bu adamı kızdırmaya lüzûm yoktu. Taylesânı alıp bir fakire tasadduk edebilirdin." dedi. Tâvus:

- "Doğrudur. Fakat bunu gören, Tâvus aldı ben de alırım." der. "Benim fakire tasadduk ettiğim gibi etmez. Bu işe de ben sebebiyet vermiş olurum." dedi.

Üçüncü gâile; bu vazifeyi sana veriyor diye, sevinmen ve gönlünden ona sevgi beslemendir. Şâyet hatırına böyle bir şey geçecekse, sakın kabul etme. O zâlimlere temâyül, senin için öldürücü bir zehir olur. Çünkü insan sevdiği kimseyi korur ve ona karşı yaltaklık yapar. Nitekim **Hz. Âişe** (r.a.): "İnsanoğlu iyiliğini gördüğü kimseyi fıtraten sever." demiştir. Bir mübârek duâsında, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اَللّٰهُمَّ لَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عِنْدِي يَدًا فَيُحِبُّهُ قَلْبِي

"Allahım, kötü insanları (fâcirleri) *bana ikrâm ettirme ki, kalbim onlara meyletmesin."*[118] buyurmuştur. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) böyle buyurmakla, gönüllerin ikrâma meylettiklerini açıklamış oldular.

Rivâyete göre, Basra emîrlerinden birisi, Mâlik b. Dînar'a on bin dirhem hediye gönderdi. Mâlik de bu hediyeyi, tamamen orada hazır olanlara taksim etti. Bu sırada Muhammed b. Vâsi'[119] yanına gelerek: "Şu mahlûkun sana hediye ettiği parayı ne yaptın?" diye sordu. Mâlik de: "Burada bulunanlara sor." dedi. Onlar da, hepsini dağıttığını söylediler. Muhammed b. Vâsi:

- " Allah aşkına doğru söyle, parayı verdiği için bu adama kalbin temâyül etti mi? İçinde buna karşı eskisinden daha fazla bir sevgi uyandı mı?" diye sordu. Mâlik:

- " Evet, gerçekten öyle oldu. Şimdi ona daha çok temâyül ettim." dedi. Muhammed b. Vâsi:

---

[118] İbn Merdûye tefsirinde, Kesir b. Atiyye rivâyetinden aldı. Ayrıca Mansûr Deylemî **"Müsned-i Firdevs"**inde Muâz'dan (r.a.) ve Ebû Mûsâ el-Medînî **"Tazyîu'l-Umri ve'l-Evkat"** adlı eserinde, Ehl-i Beyt'den mürsel olarak rivayet etmiştir.

[119] Basralıdır. Sikadan ve âbid bir zâttır. Birçok menkıbeleri vardır. Müslim, Ebû Dâvûd, Tirmizî ve Neseî kendisinden rivâyette bulunmuşlardır.

- " İşte ben bundan korkarım." dedi. Doğru söyledi. Çünkü onu sevince, uzun zaman melik olarak kalmasını da ister. Ölümünden ve azlinden hoşlanmaz. Bütün bunlar, zulmün sebeplerini sevmek olur ki, çok kötü bir şeydir.

Selmân ve **İbn Mes'ûd** (r. anhüma): "Eline geçmediği halde bir şeye râzı olan, eline geçmiş hükmündedir." buyurmuşlardır. Allahü Teâlâ da Kur'ân-ı Kerîm'de:

وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا

"Zâlimlere meyletmeyin. Cehennem ateşi sizi kaplar." (Hûd suresi, 11/113) buyurmuştur. Bunun tefsîrinde, onların işlerine râzı olmayın, denilmiştir. Eğer içinden onlara bir sevgi uyanmazsa, o zaman bu maksatla mallarını almakta beis yoktur.

Hikâye olunduğuna göre; Basra âbidlerinden birisi sultanlardan bu gibi paraları alır ve muhtaçlara verirdi. Kendisine: "Bu vesîle ile sende zâlim sultanlara karsı bir sevginin uyanacağından korkmaz mısın?" denildi. Bu zât "Bir adam elimden tutarak beni cennete koysa, sonra da Allah'a isyân etse, gönlüm onu asla sevmez. Zîra onu benim elimden tutmaya musahhar eden de, ona buğz ettiren de Allah'tır." dedi.

Onlardan alınan mal, her ne kadar bir yönden helâl ise de mahzûrlu olmaktan da hâlî değildir. Çünkü şu gâilelerden kurtulamayacağı, bu açıklamalarımızla anlaşılmış oldu.

Mesele

Zâlim sultanların (devlet reislerinin) malını alıp dağıtmak câiz olduğuna göre malını çalmak veyâ emâneti gizleyip inkâr etmek sûretiyle başkalarına dağıtmak da câiz midir?" denirse deriz ki:

"Câiz değildir. Çünkü belki bu malın belli bir sahibi var ve kendisi de malını sahibine iâde etmek kararındadır. Bu, sana gönderdiği mal gibi değildir. Çünkü aklı başında olan bir kimse, sahibi meydanda olan bir malın dağıtılması için başkasına verilemeyecegini kolayca anlar. Böyle zimmetinden çıkaracağı bir malın sahibini bilirse, malını ona iâde eder ve başkasına dağıt diye vermez. Dağıtılması için bu malı başkasına vermesi, sahibini bilmediğine delîldir. Bu bakımdan bu iki mal bir değildir. Sonra bunların malı nasıl çalınır? Belki veresiye satın aldığı bir maldır. Çünkü elinde bulunması, ona mülk olduğuna delâlet eder. Onun için çalmasına hiç bir sûretle yol yoktur. Hattâ selâhiyeti olsa ve bunun sahibinin yağmacı bir asker olduğunu bilse, belki veresiye almıştır diye, o malı ona iâde etmesi vâciptir. Nerede kaldı çalsın! Ne onlardan çalabilir, ne de onların emânet ettikleri yerden. Emânetlerini inkâr etmek de câiz değildir. Çalana hırsızlık cezası tatbik edilir. Ancak çalan kimse, o malın ona âit olmadığını isbât edebilirse, o zaman ceza düşer."

Mesele

Sultanlarla muâmele haramdır. Zîra onların malının çoğu haramdır. Bunlardan bedeli karşılığında alınan da haramdır. Şayet verdiği mal karşısında aldığı bedelinin helâl olduğunu bilirse, onlara teslim ettiği mala bakması lâzımdır. Eğer sattığı mal, ipek gibi bir şey olup onlar da bunu giyeceklerse, şarapçıya üzüm satmak gibi, o da yasak ve haramdır. Fakat bu satışın sahih ve ipeği kadınların giymesi ihtimâli varsa, bu da şüpheli olduğu için mekruhtur. İşte bu, alınıp verilen malın maddesindeki isyandır. Onlara at satmak da aynıdır. Hele atlara binip Müslümanları öldürmek veyâ mallarını yağma etmek istedikleri sırada, bu daha günâhtır. Çünkü bu, onların zulümlerine açıkça yardımcı olmaktır. Onlara, altın gümüş ve benzeri gibi, kendileri ile doğrudan isyân yapılamayan maddeyi vermek, yine bir nevi zulme yardım ve zulmü kolaylaştırdığı için mekruhtur.

Zîra onlar bu paralarla zulümlerine yarayacak maddeleri alırlar. Bu kerâhet, onlara yapılan hediyelerde, fiilen yardımda, çocuklarını okutup yetiştirmede de câridir. Yalnız ücret almamak şartıyla çocuklarına Kur'ân öğretmekte kerâhet yoktur. Zîra helâl olmasının yolu, bilinmeden Kur'ân okutmak için alınan para haramdır. Ücretsiz olarak onların nâmına herhangi bir şey satın alması yine onlara yardım olması bakımından, mekruhtur. Genç ve parlak köleler ve erkekler için ipekler, zulüm, katil ve yağma yolunda binecekleri atlar gibi, kötülük ve isyânda kullanacaklarını bildiği maddeleri, onlar için satın alması haramdır. Aldığı maddeyi katî olarak isyânda kullanacaklarını biliyorsa, onu satın alması haram; görünüşü itibariyle kötülükte de kullanmak ihtimâli varsa, mekruhtur.

Mesele

Zâlim sultanların haram para ile inşâ ettikleri çarşı ve pazarlarda alış-veriş etmek veyâ bu yerleri mesken edinmek, haramdır. Ancak bir tüccar bu binâlarda oturur ve meşrû şekilde alış-veriş ederse, ticareti haram değil; yalnız bu binâlarda oturması sebebiyle, âsî olur.

Halk, bunlardan alış-veriş edebilir. Fakat başka helâlden inşâ edilmiş çarşı pazar bulurlarsa, oradan alış-veriş etmeleri daha uygundur. Çünkü bu, hem onlara yardım, hem de o yerlerin kıymetlenmesine vesîledir. Yine bunun gibi, haraç ödemeyen pazardan alışveriş etmek, haraç veren pazardan alış-veriş etmekten daha makbuldür. Bâzı kimseler bu hususta son derece ileri giderek, haracı alınan arâzi sahipleri ve bunların çiftçileri olan fellâhlar ile muâmeleden kaçınmışlardır. Zîra onlar, aldıkları parayı haraç olarak ödemekle zâlimlere zulümlerinde yardımcı olurlar, demişlerdir. Bu, dînde bir ifrât ve taşkınlık, aynı zamanda Müslümanlara güçlük çıkarmaktan başka bir şey değildir. Zîra haraç, her taraftaki arâzilere sirâyet etmiş olduğundan, bundan men etmekte bir mânâ yoktur. Eğer dedikleri gibi olsaydı, haracı verilen arâzide ziraâtin câiz olmaması lâzım gelirdi. Bu ise uzayıp gider ve nihâyet geçim kapılarının kapanmasına sebebiyet verir.

Mesele

Zâlim sultanların kadıları, vâlileri ve diğer memurları ile yapılan muâmele aynen kendileri ile yapılan muâmele gibi olup, belki daha da ağır bir haramdır.

Kadılara gelince; Onlar sultanların haram olduğu bilinen mallarını alır ve bunları biriktirirler. Ulemâ kılığına girdikleri için, insanlar onlara aldanır. Kadılar sultanlarla ihtilât eder, mallarından alır. İnsan tabiatı, yaratılış itibâriyle haşmet ve mevki sahiplerine heves eder ve onlar gibi olmayı arzu eder. İnsanların onlara bağlanmalarının sebep ve hikmeti budur.

İşçi ve hizmetçilerine gelince; Zâten bunların kazançları, efendilerine dayanarak, vurgunculuktan başka bir şey değildir. Bunların eline mîras ve cizye gibi helâl para geçmeyeceği gibi, helâl olmasına en küçük bir ihtimâl olacak şekilde de para geçmez ki, helâl de karışmıştır, diye bir şüphe uyandırmış olsun. Nitekim Tâvus, "Haklı olsalar da ben onların nezdinde şehâdette bulunmam. Çünkü şâhide de kötülüklerinin sirâyet edeceğinden korkarım." demiştir.

Hülâsa; Çalıştırdıkları memurların bozulması, başlarındaki meliklerin bozulması, meliklerin bozulması da âlimlerin bozulması iledir. Eğer kötü kadılar ve fâsid âlimler bulunmasaydı, melikler de bozulmazdı. Çünkü onlardan çekinirlerdi. Bunun için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَا تَزَالُ هٰذِهِ الْأُمَّةُ تَحْتَ يَدِ اللّٰهِ وَكَنَفِهِ مَا لَمْ تُمَالِئْ قُرَّاؤُهَا أُمَرَاءَهَا

“Okuyucular (âlimler) *emirlere meyletmedikçe bu ümmet, Allah’ın himayesinde ve yed-i kudretindedir.”*[120] buyurmuştur. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’in burada “Ulemâ” yerine “Kurrâ” buyurmuş olması, asıl âlimlerin Kur’ân’ı okuyup sünnete uygun bir şekilde mânâsını anlayanlar olduğuna tenbîh içindir. Bunun haricindeki ilimler, sonradan ihdâs edilmiş şeylerdir. **Süfyân-ı Sevrî**: “Ne sultanlarla, ne de onlarla görüşenlerle düşüp kalk.” demiştir. Yine Süfyân-ı Sevrî: “Kalem, divit, mürekkep, İstampa ve kamış sahipleri birbirinin arkadaşlarıdır.” demiştir. Doğru söyledi. Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), şarapta on kişiye lânet etmiştir. Üzümün suyunu çıkaran ve çıkartan da buna dahildir.[121] Ayrıca İbn Mes’ûd (r.a.): “Ribâ yiyen, vekilliğini, şâhidliğini ve kâtipliğini yapanların hepsi Muhammed aleyhisselâm’ın lisâniyle melûndur.” dedi.[122] Bunu aynı şekilde Câbir ve Ömer (Allah kendilerinden râzı olsun) Rasûl-i Ekrem’den (s.a.v.) rivâyet etmişlerdir.[123]

---

[120] Ebû Amr ed-Dânî **“Kitâbü’l-Fiten”**de Hasan rivâyetinden mürsel olarak, Deylemî **“Müsned-i Firdevs”**de Ali ve İbn Ömer’den (r.a.) başka ifâde ile rivâyet ettiler.

[121] Tirmizî ile İbn Mâce, Enes’den (r.a.) rivâyet etti.

[122] Müslim ve sünen sahipleri rivâyet etmişlerdir. Ayrıca Ebû Dâvûd’un bu meâlde bir rivâyeti vardır. Tirmizî, sahih olduğunu söylemiştir.

[123] Müslim rivâyet etmiştir. Hz. Ömer’in (r.a.): “En son nâzil olan ribâ âyetidir Rasûl-i Ekrem, bunu îzah etmeden ölmüştür.” dediğini İbn Müseyyeb rivâyet etmiştir.

İbn Şîrîn: "Zulmünde kendisine yardımcı olacak kitabı sultana vermemek lâzımdır." dedi.

Süfyân-ı Sevrî, Halifenin ne yazacağını öğrenmeden, kendisine divit kalem vermemiştir.

Sultanların etrâfını saran tebea ve işçilerin hepsi de onlar gibi zâlimdirler. Allah için onlara buğz etmek vâciptir. Sultanların yardımcılarından birisi gideceği yolu Osman b. Zâide'ye[124] sorunca, gideceği yerde zulüm yapacağını ve kendisinin yol göstermekle ona yardımcı olacağını düşündüğünden, dilsizmiş gibi davrandı ve cevap vermedi. Ancak tüccar, hamamcı, boyacı, kan alıcı, sanatkâr ve benzeri kimselerden fâsık olanlarla yapılan bu gibi muâmelelerde bu kadar mübâlağa, seleften rivâyet edilmemiştir. Hattâ zimmîlerle yapılan muâmelelerinde bile bu mübâlağa görülmemiştir. Bu şekil muâmele ancak yetim ve mâzurların mallarını yiyenler ve Müslümanlara devamlı sûrette eziyet edip, şerîatin şiârını bozmak isteyenlere tatbik edilmiştir. Çünkü isyân, biri lâzım diğeri müteaddî yâni birisi şahsa âit, diğeri de başkalarına sirâyet etmek üzere ikiye ayrılır. Fısk ve küfür, şahsa râci ve yalnız Allah'a karşı işlenmiş birer cinâyettir. Bunların cezâsı Allah'a âittir. Fakat vâlilerin zulümleri müteaddî olup halka sirâyet ettiği için, onlara cephe alınır. Zulümlerinin şümûlü nisbetinde Allah'tan uzaklaşır ve azaba uğrarlar. Bunun için onlardan uzaklaşmak ve muamelelerinden kaçınmak lâzımdır. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

يُقَالُ لِلْشُرْطِيِّ دَعْ سَوْطَكَ وَادْخُلِ النَّارَ

---

[124] Osman b. Zaide Küreli olup **"Ri"** şehrine göç etmiştir. Sikadan âbîd bir zattır. Kendisinden, Müslim bir hadis rivâyet etmiştir.

“(Zâlim) *polislere “Elinizdeki kamçıyı atın ve cehenneme girin.” denir.”*[125] buyurmuştur. Diğer bir hadîste:

مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ رِجَالٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ

“Kıyâmetin alâmetlerinden birisi de, ellerinde sığır kuyruğu gibi kamçıları bulunan bâzı erkeklerin türemesidir.”[126] buyurmuştur.

İşte onların hükmü budur. Bunu bilen, onları da bilmiştir. Bilmeyene göre onların alâmetleri; kaftan giymek, bıyık uzatmak ve benzeri meşhûr kıyâfetlerdir. Bu kılık ve kıyâfette görülenlerden sakınmak lâzımdır. Bu bir sû-i zan sayılmaz. Çünkü onların kılığına giren, kendisini onlara benzetmeye çalışan kimse, kalben de onlardandır. Delîlik alâmetleri ancak delîlerde görüldüğü gibi, fısk belirtileri de ancak fâsıklarda görülür. Evet, bunun aksine olarak, fâsıklar bâzen kendilerini sâlihlere de benzetebilirler. Fakat sâlihler hiç bir zaman, kendilerini fâsıklara benzetmezler. Çünkü onlara benzemek, onların cemaatini çoğaltmak demektir. Sâlihler bunu aslâ kabul etmez.

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ

“Nefislerine zulmettikleri halde melekler tarafından öldürülenler.” (Nisâ suresi, 4/97) âyet-i celîlesinin müşrikler arasına katılmakla, onları çoğaltan Müslümanlar hakkında nâzil olduğu söylenmiştir. Rivâyete göre, Allahü Teâlâ (Hz. Mûsâ’dan sonra nebî olan) Yûşâ b. Nûn’a:

---

125. Ebû Ya’la, Enes’den (r.a.) rivâyet etmiştir.
126. Ahmed b. Hanbel ve Hâkim, Ebû Umâme’den rivâyet ettiler ve Hâkim “İsnâdı sahîhtir.” dedi. Buna benzer bir rivâyet de Müslim’de vardır.

- "Senin kavminden yüz bin kişi helâk edeceğim. Bunlardan altmış bini kötü ve kırk bini iyi insanlardır." buyurdu. Yûşâ:

- "Kötüler kötü, iyilerin suçu nedir yâ Rabbi?" diye sordu. Allahü Teâlâ:

- "Onlar benim gazabıma katılmadı. Onlara aldırış etmedi. Onlarla yedi içti ve düştü kalktılar. Bundan dolayı onları da kötülere kattım." buyurdu. Bundan, zâlimlere gazâb ve buğz etmenin vâcip olduğu anlaşılır. Yine bunun gibi İbn Mes'ûd, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den şöyle rivâyet etmiştir:

إِنَّ اللّٰهَ لَعَنَ عُلَمَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ خَالَطُوا الظَّالِمِينَ فِي مَعَاشِهِمْ

"Allahü Teâlâ, geçimlerinde zâlimlerle düşüp kalktıkları için, İsrailoğullarının âlimlerine lânet etmiştir."[127]

Mesele

Zâlimlerin inşâ ettiği köprü, kervansaray, câmi ve çeşme gibi yerlerde de dikkatli davranmak ve düşünmek gerekir.

Köprüler: İhtiyâç dolayısıyla, köprülerden geçmek câiz ise de mümkün mertebe kaçınmak, verâdandır. Şâyet başka geçit varsa, bu verâ daha da kuvvetleşir. Bununla beraber, yine geçmek caizdir. Bu köprü malzemesinin sahibi belli olmadığına göre böyledir. Çünkü bu vaziyet karşısında o mal, hayır işlerine sarf edilir. İşte bu da âmme menfaatine bir hayırdır. Fakat köprünün kireci, taşı bir adamın evinden mezarlık veyâ bir câmiden alınmışsa, o zaman başkasının malını kullanmadaki zarûret hâsıl olmadıkça bu köprüden geçmek câiz olmaz. Geçtikten sonra da mal sahibinden helâllik alması lâzımdır.

---

[127] Ebû Dâvûd, Tirmizî ve İbn Mâce. İbn Mes'ûd'dan (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

Mescidlere gelince: Zorla alınmış bir yerde veyâ sahipli başka bir mescidden de olsa veyâ başkasının mülkünden zorla alınmış malzeme ile yapılmış ise bu mescide Cuma için dahî girmek câiz değildir. İmâm, mescidin içinde kıldırıyorsa, kendisi mescidin dışından imâma uyar, içeri girmez. Çünkü zorla alınan arâzide kılınan bir namazla borç sakıt olur. Her ne kadar içeride kılan günâhkâr ise de ona uymak sahihtir. Sahibi bilinmeyen bir malzemeden yapılmışsa, başka bir mescid varsa, orada kılmak verâdandır. Fakat başka mescid yoksa Cuma ve cemâati terketmemek için bu mescidde kılması gerekir. Çünkü uzak da olsa, kendi mülkünden olma ihtimâli vardır. Muayyen sahibi olmayınca, Müslümanların ihtiyâcına sarfedilen yitikler gibidir. Zâlim sultanlar için dahî bir mahzur yoktur. **Ahmed b. Hanbel**'e: "Cemâate gelmiyorsun, bu husustaki delîl ve mesnedin nedir?" diye sorduklarında, Ahmed b. Hanbel: "Hasan-ı Basrî ve İbrâhim Teymî, Haccâc'ın fitnesine uğrarız korkusu ile câmie gitmedikleri gibi, ben de bu gibi fitneye düşmekten korkarak gelmiyorum." demiştir.

Camii sıvayıp boyamaya gelince: Bu, namazla bir alâkası olmayan süs ve ziynettir. Câmie girmeye mâni değildir. Ancak câmie giren için, buna bakmamak evlâdır.

Câmilere serilen kamış hasır ve diğer sergilere gelince: Bunların sahipleri belli ve onlardan haksızlıkla alınmışlarsa, üzerlerinde oturmak câiz değildir. Sahibi belli olmayıp, âmme menfaatine serilmişlerse üzerlerinde oturmak câizdir ve fakat oturmamak, verâdandır. Çünkü şüphe yeridir.

Çeşmelere gelince: Zâlim sultanların bu gibi mallardan yaptıkları bu gibi su depolarından içmek ve abdest almak verâdan değildir. Ancak namaz vaktinin geçeceğinden korkulursa, o zaman abdest alınır. Mekke yolundaki su depoları da aynı hükümdedir.

Kervansaray ve medreselere gelince: Gerek yeri ve gerekse malzemesi gasbedilmiş olup, sahibi belli ve sahibine reddedilmesi de mümkün ise bunlara girilmez. Şâyet sahipleri belli değilse -âmme hayrına tahsîs edildikleri için- bunlara girmekten fısk lâzım gelmezse de, verâ olan, bu yerlere girmemektir.

Bu yerler, sultanların işçileri ve memurları tarafından yaptırılmış ise mesele daha da zordur. Çünkü onlar böyle sahipsiz paraları âmme menfaatine sarfetmeye selâhlyetli olmadıkları gibi, mallarında haram, daha da fazladır. Âmmeye âit malları almaya selâhiyetleri yoktur. Bu gibi malları alıp sarfetmek, emir ve vâlilerin salâhiyetleri dâhilindedir.

Mesele

Zorla alınan bir arâzi, yol olduğu zaman, oradan geçmek câiz değildir. Sahibi belli olmadığı zaman geçilebilir, fakat mümkün mertebe geçmemek verâdandır. Şâyet geçmesi mübâh olan bir yol olur ve üzerinde gölgelik bulunursa, bu yoldan geçmek, güneş ve yağmurdan korunmamak şartıyla altında oturmak câizdir. Yâni herhangi bir sebeple yol üzerinde durduğu gibi, zâlimler tarafından yapılan bu gibi gölgeliklerde de durabilir. Fakat yağmurdan veyâ güneşten korunmak gibi, bu gölgeden istifâde edilemez. Zâten örtü de bunun için yapılır.

Zorla alınan paralarla duvarı yapılan veyâ üstü örtülen câmi ve diğer yerlere girmenin de hükmü budur. Yalnız içeri girmekle bir şey lâzım gelmez. Fakat gözden saklanmak, soğuk veyâ sıcaktan korunmak için olursa bu gibi yerlere girmek haramdır. Zîra bu, haramdan faydalanmaktır. Gasbedilen yerlerde oturmanın haram olması, oraya temâs etmek için değil, oradan istifâde etmek içindir. Yer, üzerinde durmak için, örtü de gölgelenmek için aranır ki, aralarında fark yoktur.

البَابُ السَّابِعُ

في مسائل متفرّقة يكثر مسيس الحاجة إليها ، وقد سُئل عنها في الفتاوى

مَسْأَلَةٌ

[فيما يجمعُهُ خادمُ الصوفيةِ ومَنْ يجوزُ لهُ أنْ يأكلَ منهُ]

سُئِلَ عنْ خادمِ الصوفيَّةِ يخرجُ إلى السوقِ ، ويجمعُ طعاماً أوْ نقداً ، ويشتري بهِ طعاماً ، فمَنِ الذي يحلُّ لهُ أنْ يأكلَ منهُ ؟ وهلْ يختصُّ بالصوفيَّةِ أمْ لا ؟

فقلتُ : أمَّا **الصوفيَّةُ** . . فلا شبهةَ في حقِّهِمْ إذا أكلوهُ ، وأمَّا غيرُهُمْ . . فيحلُّ لهُمْ إذا أكلوهُ برضا الخادمِ ، ولكنْ لا يخلو عنْ شبهةٍ .

أمَّا الحلُّ . . فلأنَّ ما يُعطىٰ خادمُ الصوفيَّةِ إنَّما يُعطىٰ بسببِ الصوفيَّةِ ، ولكنْ هوَ المُعطىٰ لا الصوفيَّةُ ، فهوَ كالرجلِ المُعِيلِ يُعطىٰ بسببِ عيالِهِ ؛ لأنَّهُ متكفِّلٌ بِهِمْ ، وما يأخذُهُ يقعُ ملكاً لهُ لا للعيالِ ، ولهُ أنْ يطعمَ غيرَ العيالِ ؛ إذْ يبعدُ أنْ يُقالَ : لمْ يخرجْ عنْ ملكِ المُعطي ، ولا يتسلَّطُ الخادمُ على الشراءِ بهِ والتصرُّفِ فيهِ ؛ لأنَّ ذلكَ مصيرٌ إلىٰ أنَّ المعاطاةَ لا تكفي ، وهوَ ضعيفٌ ، ثمَّ لا صائرَ إليهِ في الصدقاتِ والهدايا .

ويبعدُ أنْ يُقالَ : زالَ الملكُ إلى الصوفيَّةِ الحاضرينَ الذينَ هُمْ وقتَ

سؤالِهِ في الخانقاهِ ؛ إذْ لا خلافَ أنَّ لهُ أنْ يطعمَ منهُ مَنْ يقدَمُ بعدَهُمْ ، ولوْ ماتوا كلُّهُمْ أوْ واحدٌ منهُمْ . . لا يجبُ صرْفُ نصيبِهِ إلىٰ وارثِهِ .

ولا يمكنُ أنْ يُقالَ : إنَّهُ وقعَ لجهةِ التصوُّفِ ولا يتعيَّنُ لهُ مستحقٌّ ؛ لأنَّ إزالةَ الملكِ إلى الجهةِ لا توجبُ تسليطَ الآحادِ على التصرُّفِ ، فإنَّ الداخلينَ فيهِ لا ينحصرونَ ، بلْ يدخلُ فيهِ مَنْ يُولدُ إلىٰ يومِ القيامةِ ، وإنَّما يتصرَّفُ فيهِ الولاةُ ، والخادمُ لا يجوزُ لهُ أنْ ينتصبَ نائباً عنِ الجهةِ .

فلا وجهَ إلا أنْ يُقالَ : هوَ ملكُهُ ، وإنَّما يطعمُ الصوفيَّةَ بوفاءِ شرطِ التصوُّفِ والمروءَةِ ، فإنْ منعَهُمْ عنهُ . . منعوهُ عنْ أنْ يُظهرَ نفسَهُ في معرِضِ التكفُّلِ بهِمْ حتَّىٰ ينقطعَ رفقُهُ كما ينقطعُ عمَّنْ ماتَ عيالُهُ .

مَسْأَلَةٌ

[أوصىٰ إلى الصوفيةِ ، فإلىٰ مَنْ يُصرفُ ؟]

سُئِلَ عَنْ مالٍ أُوصِيَ بهِ للصوفيَّةِ ، فمَنِ الذي يجوزُ أن يُصرَفَ إليهِ ؟

فقلتُ : التصوُّفُ أمرٌ باطنٌ لا يُطلعُ عليهِ ، فلا يمكنُ ربطُ الحكمِ بحقيقتِهِ ، بلْ بأمورٍ ظاهرةٍ يعوِّلُ عليها أهلُ العرْفِ في إطلاقِ اسمِ الصوفيِّ .

والضابطُ الكلِّيُّ : أنَّ كلَّ مَنْ هوَ بصفةٍ إذا نزلَ في خانَقاهِ الصوفيَّةِ لمْ يكنْ

نزولُهُ فيهِ واختلاطُهُ بِهِمْ منكراً عندَهُمْ . . فهوَ داخلٌ في غُمارِهِمْ[1] .

والتفصيلُ : أنْ يُلاحظَ فيهِ خمسُ صفاتٍ : الصلاحُ ، والفقرُ ، وزيُّ الصوفيَّةِ ، وألا يكونَ مشتغلاً بحرفةٍ ، وأنْ يكونَ مخالطاً لهُمْ بطريقِ المساكنةِ في الخانَقاهِ .

ثمَّ بعضُ هـٰذهِ الصفاتِ ممَّا يوجبُ زوالُها زوالَ الاسمِ ، وبعضُها ينجبرُ بالبعضِ .

فالفسقُ يمنعُ هـٰذا الاستحقاقَ ؛ لأنَّ الصوفيَّ بالجملةِ عبارةٌ عنْ رجلٍ مِنْ أهلِ الصلاحِ بصفةٍ مخصوصةٍ ، فالذي يظهرُ فسقُهُ وإنْ كانَ علىٰ زيِّهِمْ . . لا يستحقُّ ما أُوصيَ بهِ للصوفيَّةِ ، ولسنا نعتبرُ فيهِ الصغائرَ .

وأمَّا الحرفةُ والاشتغالُ بالكسبِ . . يمنعُ هـٰذا الاستحقاقَ ، فالدُّهقانُ[2] ، والعاملُ ، والتاجرُ ، والصانعُ في حانوتِهِ أوْ دارِهِ ، والأجيرُ الذي يخدمُ بأجرةٍ . . كلُّ هؤلاءِ لا يستحقُّونَ ما أُوصيَ بهِ للصوفيَّةِ ، ولا ينجبرُ هـٰذا بالزيِّ والمخالطةِ .

فأمَّا الوِراقةُ والخياطةُ وما يقربُ منهما ؛ ممَّا يليقُ بالصوفيَّةِ تعاطيها ؛ فإذا تعاطاها لا في حانوتٍ ، ولا علىٰ جهةِ اكتسابٍ وحرفةٍ . . فذلكَ لا يمنعُ

---

[1] **الغمار** ـ بضم الغين المعجمة ويفتح ـ : جماعة الناس ولفيفهم وزحمتهم .

[2] **الدهقان** : لفظة فارسية ، أصل معناها العمدة أو رئيس القرية ، كما تطلق علىٰ من له مال وعقار .

الاستحقاقَ ، وكانَ ذلكَ ينجبرُ بمساكنتِهِ إيَّاهُمْ معَ بقيَّةِ الصفاتِ .

وأمَّا القدرةُ على الحِرَفِ مِنْ غيرِ مباشرةٍ . . فلا تمنعُ .

وأمَّا الوعظُ والتدريسُ . . فلا ينافي اسمَ التصوُّفِ إذا وُجِدَتْ بقيَّةُ الخصالِ مِنَ الزيِّ والمساكنةِ والفقْرِ ؛ إذْ لا يتناقضُ أنْ يُقالَ : صوفيٌّ مقرِئٌ ، وصوفيٌّ واعظٌ ، وصوفيٌّ عالمٌ أوْ مدرِّسٌ ، ويتناقضُ أنْ يُقالَ : صوفيٌّ دُهقانٌ ، وصوفيٌّ تاجرٌ ، وصوفيٌّ عاملٌ .

وأمَّا الفقرُ : فإنْ زالَ بغنىً مفرطٍ يُنسبُ الرجلُ بهِ إلى الثروةِ الظاهرةِ . . فلا يجوزُ معَهُ أخذُ ما أُوصيَ بهِ إلى الصوفيَّةِ ، وإنْ كانَ لهُ مالٌ ولا يفي دخلُهُ بخرْجِهِ . . لمْ يبطلْ حقُّهُ ، وكذا إذا كانَ لهُ مالٌ قاصرٌ عنْ وجوبِ الزكاةِ وإنْ لمْ يكنْ لهُ خرْجٌ ، وهـٰذهِ أمورٌ لا دليلَ لها إلا العاداتُ .

وأمَّا المخالطةُ لهُمْ ومساكنتُهُمْ . . فلها أثرٌ ، ولكنْ مَنْ لا يخالطُهُمْ وهوَ في دارِهِ أوْ في مسجدٍ علىٰ زيِّهِمْ ، ومتخلِّقٌ بأخلاقِهِمْ . . فهوَ شريكٌ في سهمِهِمْ ، وكانَ تركُ المخالطةِ يجبرُها ملازمةُ الزيِّ ، فإنْ لمْ يكنْ علىٰ زيِّهِمْ ووُجِدَتْ فيهِ بقيَّةُ الصفاتِ . . فلا يستحقُّ إلا إذا كانَ مساكناً لهُمْ في الرباطِ ، فينسحبُ عليهِ حكمُهُمْ بالتبعيَّةِ ، فالمخالطةُ والزيُّ ينوبُ كلُّ واحدٍ منهما عنِ الآخرِ .

والفقيهُ الذي ليسَ علىٰ زيِّهِمْ هـٰذا حكمُهُ ، فإنْ كانَ خارجاً . . لمْ يُعدَّ

صوفياً ، وإنْ كانَ ساكناً معَهُمْ ووُجدَتْ بقيَّةُ الصفاتِ . . لمْ يبعدْ أنْ ينسحبَ بالتبعيَّةِ عليهِ حكمُهُمْ .

وأمَّا لبسُ المرقعِ مِنْ يدِ شيخٍ مِنْ مشايخِهِمْ . . فلا يُشترطُ ذلكَ في الاستحقاقِ ، وعدمُهُ لا يضرُّهُ معَ وجودِ الشرائطِ المذكورةِ⁽¹⁾ .

وأمَّا المتأهِّلُ المتردِّدُ بينَ الرباطِ والمسكنِ . . فلا يخرجُ بذلكَ عنْ جملتِهِمْ .

مَسْأَلَةٌ

[في حكمِ ما وُقفَ علىٰ رباطِ الصوفيةِ وسكانِهِ]

ما وُقِفَ علىٰ رباطِ الصوفيَّةِ وسكَّانِهِ . . فالأمرُ فيهِ أوسعُ ممَّا أُوصيَ بهِ للصوفيَّةِ ؛ لأنَّ معنى الوقفِ الصرفُ إلىٰ مصالحِهِمْ ، فلغيرِ الصوفيِّ أنْ يأكلَ معَهُمْ برضاهُمْ علىٰ مائدتِهِمْ مرَّةً أوْ مرَّتينِ ؛ فإنَّ أمرَ الأطعمةِ مبناهُ على التسامحِ ، حتَّىٰ جازَ الانفرادُ بها في الغنائمِ المشتركةِ⁽²⁾ .

وللقوَّالِ⁽³⁾ أنْ يأكلَ معَهُمْ في دعوتِهِمْ مِنْ ذلكَ الوقْفِ، وكانَ ذلكَ مِنْ مصالحِ

---

(١) إلا أنه إنْ وجد فيهم من لبس من يد شيخه . . فهٰذا علامة كماله المنبىء عن كمال الاستحقاق . « إتحاف » (٦/ ١٥٦) .

(٢) في (ب) : (حتىٰ كان الانفراد بها في الغنائم المشتركة جائزاً) .

(٣) وهو المنشد لهم في حلقة الذكر . « إتحاف » (٦/ ١٥٦) .

معايشِهِمْ، وما أُوصيَ بهِ للصوفيَّةِ لا يجوزُ أنْ يُصرفَ إلىٰ قوَّالِ الصوفيَّةِ، بخلافِ الوقْفِ ، وكذلكَ مَنْ حضرَهُمْ مِنَ العمَّالِ والتجَّارِ والقضاةِ والفقهاءِ ممَّنْ لهُمْ غرضٌ في استمالةِ قلوبِهِمْ . . يحلُّ لهُمُ الأكلُ برضاهُمْ ، فإنَّ الواقفَ لا يقفُ إلا معتقداً فيهِ ما جرَتْ بهِ عاداتُ الصوفيَّةِ ، فينزَّلُ على العرْفِ، ولكنْ ليسَ هـٰذا على الدوامِ ، فلا يجوزُ لمَنْ ليسَ صوفيّاً أنْ يسكنَ معَهُمْ على الدوامِ ويأكلَ وإنْ رضوا بهِ ، إذْ ليسَ لهُمْ تغييرُ شرطِ الواقفِ بمشاركةِ غيرِ جنسِهِمْ .

وأمَّا الفقيهُ إذا كانَ علىٰ زيِّهِمْ وأخلاقِهِمْ . . فلهُ النزولُ عليهِمْ ، وكونُهُ فقيهاً لا ينافي كونَهُ صوفيّاً ، والجهلُ ليسَ بشرطٍ في التصوُّفِ عندَ مَنْ يعرفُ التصوُّفَ ، ولا يُلتفتُ إلىٰ خرافاتِ بعضِ الحمقىٰ بقولِهِمْ : (إنَّ العلمَ حجابٌ) ، بلِ الجهلُ هوَ الحجابُ ، وقدْ ذكرنا تأويلَ هـٰذهِ الكلمةِ في كتابِ العلمِ ، وأنَّ الحجابَ هوَ العلمُ المذمومُ دونَ المحمودِ ، وذكرنا المحمودَ والمذمومَ وشرحَهُما .

وأمَّا الفقيهُ إذا لمْ يكنْ علىٰ زيِّهِمْ وأخلاقِهِمْ . . فلهُمْ منعُهُ مِنَ النزولِ عليهِمْ ، وإنْ رضوا بنزولِهِ . . فيحلُّ لهُ الأكلُ معَهُمْ بطريقِ التبعيَّةِ ، فكأنَّ عدمَ الزيِّ تجبرُهُ المساكنةُ ، ولكنْ برضا أهلِ الزيِّ .

وهـٰذهِ أمورٌ تشهدُ لها العاداتُ ، وفيها أمورٌ متقابلةٌ لا يخفىٰ أطرافُها في النفيِ والإثباتِ ، وتتشابَهُ أوساطُها ، فمَنِ احترزَ في مواضعِ الاشتباهِ . . فقدِ استبرأَ لدينِهِ كما نبهْنا عليهِ في بابِ الشبهاتِ .

مَسْأَلَةٌ

[في بيانِ الفرقِ بينَ الرِّشوةِ والهديةِ ، وأحوالِ القابضِ]

سُئِلَ عنِ الفرقِ بينَ الرِّشوةِ والهديَّةِ ، معَ أنَّ كلَّ واحدٍ منهما يصدرُ عنِ الرضا ، ولا يخلو عنْ غرضٍ ، وقد حرمَتْ إحداهُما دونَ الأخرىٰ .

فقلتُ : باذلُ المالِ لا يبذلُهُ قطُّ إلا لغرضٍ ، ولكنَّ الغرضَ إمَّا آجلٌ كالثوابِ ، وإمَّا عاجلٌ ، والعاجلُ إمَّا مالٌ ، وإمَّا فعلٌ وإعانةٌ علىٰ مقصودٍ معيَّنٍ ، وإمَّا تقرُّبٌ إلىٰ قلبِ المُهدىٰ إليهِ بطلبِ محبَّتِهِ ، إمَّا للمحبَّةِ في عينِها ، وإمَّا للتوصُّلِ بالمحبةِ إلىٰ غرضٍ وراءَها ، **فالأقسامُ الحاصلةُ مِنْ هٰذهِ خمسةٌ** :

الأوَّلُ: ما غرضُهُ الثوابُ في الآخرةِ: وذلكَ إمَّا أنْ يكونَ لكونِ المصروفِ إليهِ محتاجاً، أوْ عالماً ، أوْ منتسباً بنسبٍ دينيٍّ ، أوْ صالحاً في نفسِهِ متديِّناً .

فما علمَ الآخذُ أنَّهُ يُعطاهُ لحاجتِهِ . . فلا يحلُّ لهُ أخذُهُ إنْ لمْ يكنْ محتاجاً ، وما علمَ أنَّهُ يُعطاهُ لشرفِ نسبِهِ . . فلا يحلُّ لهُ إنْ علمَ أنَّهُ كاذبٌ في دعوى النسبِ ، وما يُعطىٰ لعلمِهِ . . فلا يحلُّ لهُ أنْ يأخذَهُ إلا أنْ يكونَ في العلمِ كما يعتقدُهُ المُعطي ، فإنْ كانَ خيَّلَ إليهِ كمالاً في العلمِ حتَّىٰ بعثَهُ بذلكَ على التقرُّبِ ولمْ يكنْ كاملاً . . لمْ يحلَّ لهُ ، وما يُعطىٰ لدينِهِ وصلاحِهِ . . فلا يحلُّ لهُ أنْ يأخذَهُ إنْ كانَ فاسقاً في الباطنِ فسقاً لوْ علمَهُ المُعطي . . لما أعطاهُ .

وقلَّما يكونُ الصالحُ بحيثُ لوِ انكشفَ باطنُهُ.. لبقيَتِ القلوبُ مائلةً إليهِ ، وإنَّما سترُ اللهِ الجميلُ هوَ الذي يحبِّبُ الخلْقَ إلى الخلقِ ، وكانَ المتورِّعونَ يوكلونَ في الشراءِ مَنْ لا يُعرفُ أنَّهُ وكيلُهُمْ ؛ حتَّىٰ لا يُسامحوا في المبيعِ خيفةً مِنْ أنْ يكونَ ذلكَ أكلاً بالدِّينِ ، فإنَّ ذلكَ مُخطرٌ .

والتَّقوىٰ خفيٌّ ، لا كالعلمِ والنسبِ والفقرِ ، فينبغي أنْ يجتنبَ الأخذَ بالدينِ ما أمكنَ .

* * *

القسمُ الثاني : ما يُقصدُ بهِ في العاجلِ غرضٌ معيَّنٌ : كالفقيرِ يُهدي إلى الغنيِّ طمعاً في خلعتِهِ ، فهـٰذِهِ هديَّةٌ بشرطِ الثوابِ ولا يخفىٰ حكمُها(١) ، وإنَّما تحلُّ عندَ الوفاءِ بالثوابِ المطموعِ فيهِ ، وعندَ وجودِ شروطِ العقودِ(٢) .

* * *

الثالثُ : أنْ يكونَ المرادُ إعانةً بفعلٍ معيَّنٍ : كالمحتاجِ إلى السلطانِ

---

(١) كما تقدم حيث قال : (ولا مبالاة بقول من قال : لا تصح هدية في انتظار ثواب) .

(٢) وهـٰذا مبني علىٰ أن هـٰذا بيع في صورة الهدية ، وإنما قصد من هديته حقيقة العوض ، ولهـٰذا قيَّد المصنف هـٰذه الهدية بشرط الثواب الذي هو العوض ، أما إن نوى المُهدي عطف الغني عليه وتحننه.. فهي هدية حقيقية . انظر « الإتحاف » (٦/١٥٨) .

يُهدي إلىٰ وكيلِ السلطانِ وخاصَّتِهِ ومَنْ لهُ مكانةٌ عندَهُ ، فهٰذهِ هديَّةٌ بشرطِ ثوابٍ يُعرفُ بقرينةِ الحالِ ، فيُنظرُ في ذلكَ العملِ الذي هوَ الثوابُ ؛ فإنْ كانَ حراماً ؛ كالسعي في تنجيزِ إدرارِ حرامٍ ، أوْ ظلمِ إنسانٍ أوْ نحوِ ذلكَ . . حرمَ الأخذُ ، وإنْ كانَ واجباً ؛ كدفعِ ظلمٍ متعيِّنٍ علىٰ كلِّ مَنْ يقدرُ علىٰ إزالتِهِ ، أوْ شهادةٍ متعينةٍ . . فيحرمُ عليهِ ما يأخذُهُ ، وهيَ **الرِّشوةُ** التي لا يُشكُّ في تحريمِها .

وإنْ كانَ مباحاً لا واجباً ولا حراماً ، وكانَ فيهِ تعبٌ ؛ بحيثُ لوْ عُرِفَ لجازَ الاستئجارُ عليهِ . . فما يأخذُهُ حلالٌ مهما وفَّىٰ بالغرضِ ، وهو جارٍ مجرى الجعالةِ ؛ كقولِهِ : (أوصلْ هٰذهِ القصَّةَ إلىٰ يدِ فلانٍ أوْ يدِ السلطانِ ولكَ دينارٌ) وكانَ بحيثُ يحتاجُ إلىٰ تعبٍ وعملٍ متقوَّمٍ ، أوْ قالَ : (اقترحْ علىٰ فلانٍ أنْ يعينَني في غرضٍ كذا ، أوْ ينعمَ عليَّ بكذا) وافتقرَ في تنجيزِ غرضِهِ إلىٰ كلامٍ طويلٍ ؛ فذلكَ جعلٌ ، كما يأخذُهُ الوكيلُ بالخصومةِ بينَ يدي القاضي ، فليسَ بحرامٍ إذا كانَ لا يسعىٰ في حرامٍ .

وإنْ كانَ مقصودُهُ يحصلُ بكلمةٍ لا تعبَ فيها ، ولكنْ تلكَ الكلمةُ مِنْ ذي الجاهِ أوْ تلكَ الفعلةُ مِنْ ذي الجاهِ مفيدةٌ ؛ كقولِهِ للبوّابِ : لا تغلقْ دونَهُ بابَ السلطانِ ، أوْ كوضعِهِ قصتَهُ بينَ يدي السلطانِ فقطْ . . فهٰذا حرامٌ ؛ لأنَّهُ عوضٌ عنِ الجاهِ ، ولمْ يثبتْ في الشرعِ جوازُ ذلكَ ، بلْ ثبتَ ما يدلُّ على النهيِ عنهُ كما سيأتي في هدايا الملوكِ ، وإذا كانَ لا يجوزُ العوضُ عنْ إسقاطِ الشفعةِ ، والردِّ بالعيبِ ، ودخولِ الأغصانِ في هواءِ

الملكِ ، وجملةٍ مِنَ الأغراضِ معَ كونِها مقصودةً . . فكيفَ يُؤخذُ عنِ الجاهِ ؟!

ويقربُ مِنْ هـٰذا أخذُ الطبيبِ العوضَ علىٰ كلمةٍ واحدةٍ ينبِّهُ بها علىٰ دواءٍ ينفردُ بمعرفتِهِ ؛ كواحدٍ ينفردُ بالعلمِ بنبتٍ يقلعُ البواسيرَ أوْ غيرِهِ ، فلا يذكرُهُ إلا بعوضٍ ، فإنَّ عملَهُ في التلفُّظِ بهِ غيرُ متقوَّمٍ ؛ كحبَّةٍ مِنْ سمسمٍ ، فلا يجوزُ أخذُ العوضِ عليهِ ولا علىٰ علمِهِ ؛ إذْ ليسَ ينتقلُ علمُهُ إلىٰ غيرِهِ ، وإنَّما يحصلُ لغيرِهِ مثلُ علمِهِ ويبقىٰ هوَ عالماً بهِ .

ودونَ هـٰذا الحاذقُ في الصناعةِ ؛ كالصيقلِ مثلاً الذي يزيلُ اعوجاجَ السيفِ أوِ المرآةِ بدَقَّةٍ واحدةٍ لحسْنِ معرفتِهِ بموقعِ الخللِ ، ولحذْقِهِ بإصابتِهِ ، فقدْ يزيدُ بدَقَّةٍ واحدةٍ مالٌ كثيرٌ في قيمةِ السيفِ والمرآةِ(١) ، فهـٰذا لا أرىٰ بأساً بأخْذِ الأجرةِ عليهِ ؛ لأنَّ مثلَ هـٰذهِ الصناعاتِ يتعبُ الرجلُ في تعلُّمِها ليكتسبَ بها ، ويخفِّفَ عنْ نفسِهِ كثرةَ العملِ(٢) .

* * *

الرابعُ : ما يُقصدُ بهِ المحبَّةُ وجلبُها مِنْ قبَلِ المُهدىٰ إليهِ ، لا لغرضٍ معيَّنٍ ، ولكنْ طلباً للاستئناسِ ، وتأكيداً للصحبةِ ، وتودُّداً إلى القلوبِ :

---

(١) ومنه المثل علىٰ ألسنة العامة : دقَّةُ المعلِّم بألف . « إتحاف » (٦/ ١٥٩) وحكىٰ قصة المثل .

(٢) وقال التقي السبكي : (وفي تحريم ما قاله مما يحصل به غرض صحيح وإن لم يكن فيه تعب . . نظرٌ، وقد أجاز أبو إسحاق الاعتياض عن حق الشفعة) . « إتحاف » (٦/ ١٥٩).

فذلكَ مقصودٌ للعقلاءِ ، ومندوبٌ إليهِ في الشرعِ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « تهادَوا تحابُّوا »(١) .

وعلى الجملةِ : فلا يقصدُ الإنسانُ في الغالبِ أيضاً محبَّةَ غيرِهِ لعينِ المحبَّةِ ، بلْ لفائدةٍ في محبَّتِهِ ، ولكنْ إذا لمْ تتعيَّنْ تلكَ الفائدةُ ، ولمْ يتمثَّلْ في نفسِهِ غرضٌ معيَّنٌ يبعثُها في الحالِ أوِ المآلِ . . سُمِّيَ ذلكَ هديةً وحلَّ أخذُها .

* * *

الخامسُ : **أنْ يطلبَ التقرُّبَ إلىٰ قلبِهِ وتحصيلَ محبَّتِهِ ، لا لمحبَّتِهِ ولا للأنسِ بهِ مِنْ حيثُ إنَّهُ أنسٌ فقطْ ، بلْ ليتوصَّلَ بجاهِهِ إلىٰ أغراضٍ لهُ ينحصرُ جنسُها وإنْ لمْ تتخصصْ عينُها ، وكانَ لولا جاهُهُ وحشمتُهُ . . لكانَ لا يهدي إليهِ** : فإنْ كانَ جاهُهُ لأجلِ علْمٍ أوْ نسبٍ . . فالأمرُ فيهِ أخفُّ ، وأخذُهُ مكروهٌ ، فإنَّ فيهِ شائبةَ الرُّشوةِ ، ولكنَّها هديَّةٌ في ظاهرِها .

فإنْ كانَ جاهُهُ بولايةٍ تولاَّها ؛ مِنْ قضاءٍ ، أوْ عملٍ ، أوْ ولايةِ صدقةٍ ، أوْ جبايةِ مالٍ ، أوْ غيرِهِ مِنَ الأعمالِ السلطانيَّةِ حتَّىٰ ولايةِ الأوقافِ مثلاً ، وكانَ لولا تلكَ الولايةُ لكانَ لا يُهدىٰ إليهِ . . فهـٰذِهِ رشوةٌ عُرِضَتْ في معرضِ الهديَّةِ ، إذِ القصدُ بها في الحالِ طلبُ التقرُّبِ واكتسابُ المحبَّةِ ، ولكنْ لأمرٍ ينحصرُ جنسُهُ ؛ إذْ ما يمكنُ التوصُّلُ إليهِ بالولاياتِ لا يخفىٰ ، وآيةُ أنَّهُ

---

(١) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٥٩٤) .

لا يبغي المحبَّةَ أنَّهُ لوْ وَلِيَ في الحالِ غيرُهُ . . لسلَّمَ المالَ إلىٰ ذلكَ الغيرِ ، فهـٰذا ممَّا اتفقوا علىٰ أنَّ الكراهةَ فيهِ شديدةٌ ، واختلفوا في كونهِ حراماً ، والمعنىٰ فيهِ متعارضٌ ؛ فإنَّهُ دائرٌ بينَ الهديَّةِ المحضةِ وبينَ الرشوةِ المبذولةِ في مقابلةِ جاهٍ محضٍ في غرضٍ معيَّنٍ ، وإذا تعارضَتِ المشابهةُ القياسيَّةُ ، وعضدتِ الأخبارُ والآثارُ أحدَهُما . . تعيَّنَ الميلُ إليهِ ، وقدْ دلَّتِ الأخبارُ علىٰ تشديدِ الأمرِ في ذلكَ :

قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يأتي على النَّاسِ زمانٌ يُستحلُّ فيهِ السحتُ بالهديَّةِ ، والقتلُ بالموعظةِ ، يُقتلُ البريءُ لتُوعظَ بهِ العامَّةُ »⁽¹⁾ .

وسئلَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ السحتِ ، فقالَ : (يقضي الرجلُ الحاجةَ فتُهدىٰ لهُ الهديَّةُ)⁽²⁾ ، ولعلَّهُ أرادَ قضاءَ الحاجةِ بكلمةٍ لا تعبَ فيها ، أوْ تبرَّعَ بها لا علىٰ قصدِ أجرةٍ ، فلا يجوزُ أنْ يأخذَ بعدَهُ شيئاً في معرضِ العوضِ .

---

(١) رواه ابن عدي في « الكامل » (٢/ ٢٠٣) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٤/ ١٩٦٩) ، والديلمي في « مسند الفردوس » (١٣٢١ ، ٣٤٥٩) بألفاظ متقاربة ، وقال السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٨٢) : (وأخرج ابن مردويه عن عائشة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ستكون من بعدي ولاة يستحلون الخمر بالنبيذ ، والبخس بالصدقة ، والسحت بالهدية ، والقتل بالموعظة ، يقتلون البريء لتوطّىء العامة لهم ، فيزدادوا إثماً ») .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (٤/ ٦/ ٣١٠) بنحوه .

وشفعَ مسروقٌ شفاعةً ، فأهدىٰ إليهِ المشفوعُ لهُ جاريةً ، فغضبَ وردَّها ، وقالَ : لوْ علمتُ ما في قلبِكَ.. لما تكلَّمْتُ في حاجتِكَ ، ولا أتكلَّمُ فيما بقيَ منها(١) .

وسُئِلَ طاووسٌ عنْ هدايا السلطانِ ، فقالَ : سحتٌ(٢) .

وأخذَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ ربحَ مالِ القراضِ الذي أخذَهُ ولداهُ مِنْ بيتِ المالِ ، وقالَ : (إنَّما أُعطيتُما لمكانِكُما منِّي)(٣) ، إذْ علمَ أنَّهُما أُعطيا لأجلِ جاهِ الولايةِ .

وأهدَتِ امرأةُ أبي عبيدةَ بنِ الجراحِ إلىٰ خاتونَ ملكةِ الرومِ خَلوقاً ، فكافأتْها بجوهرٍ ، فأخذَهُ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ ، فباعَهُ وأعطاها ثمنَ خَلوقِها ، وردَّ باقيَهِ إلىٰ بيتِ مالِ المسلمينَ(٤) .

وقالَ جابرٌ وأبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُما : (هدايا الملوكِ غلولٌ)(٥) .

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٥١١٦) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٢٣٩٢) .

(٣) رواه مالك في « الموطأ » (٢/ ٦٨٧ـ٦٨٨) ، وانظر « الإتحاف » (٦/ ١٦٢) .

(٤) أورد نحو هٰذا الخبر الإمام السرخسي في « شرح السير الكبير » (٤/ ١٢٤١) : أن امرأة عمر رضي الله عنه أهدت امرأة ملك الروم هدية من طيب أو غيره ، فأهدت إليها امرأة الملك هدايا ، فأعطاها عمر من ذلك مثل هديتها ، وأخذ ما بقي من ذلك فجعله في بيت المال .

(٥) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٢٣٩١) من قول سيدنا جابر رضي الله عنه ، ورواه وكيع في « أخبار القضاة » (١/ ٥٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً ، وانظر « الإتحاف » (٦/ ١٦٢) .

ولما ردَّ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ الهديَّةَ . . قيلَ لهُ : كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقبلُ الهديَّةَ ! فقالَ : (كانَ ذلكَ لهُ هديةً ، وهوَ لنا رشوةٌ)⁽¹⁾ أيْ : كانَ يُتقرَّبُ إليهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لنبوَّتِهِ لا لولايتِهِ ، ونحنُ إنَّما نُعطىٰ للولايةِ .

وأعظمُ مِنْ ذلكَ كلِّهِ ما روىٰ أبو حميدٍ الساعديُّ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بعثَ والياً علىٰ صدقاتِ الأزْدِ ، فلمَّا جاءَ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . أمسكَ بعضَ ما معَهُ ، وقالَ : هـٰذا مالُكُمْ ، وهـٰذا لي هديةٌ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « ألا جلسْتَ في بيتِ أبيكَ وبيتِ أمِّكَ حتَّىٰ تأتيَكَ هديَّتُكَ إنْ كنتَ صادقاً ؟! » ثمَّ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « ما لي أستعملُ الرَّجُلَ منكُمْ فيقولَ : هـٰذا لكُمْ وهـٰذا لي هديَّةٌ ؟! ألا جلسَ في بيتِ أمِّهِ ليُهدىٰ لهُ ، والَّذي نفسي بيدِهِ ؛ لا يأخذُ منكُمْ أحدٌ شيئاً بغيرِ حقِّهِ إلا أتى اللهَ يحملُهُ ، فلا يأتينَّ أحدُكُمْ يومَ القيامةِ ببعيرٍ لهُ رُغاءٌ ، أوْ بقرةٍ لها خوارٌ ، أوْ شاةٍ تيعرُ » ، ثمَّ رفعَ يديهِ حتَّىٰ رأيتُ بياضَ إبطيهِ ، ثمَّ قالَ : « اللَّهُمَّ ؛ هلْ بلَّغْتُ »⁽²⁾ .

وإذا ثبتَتْ هـٰذهِ التشديداتُ . . فالقاضي والوالي ينبغي أنْ يقدِّرَ نفسَهُ في

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٩٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٢٠) ، وقبوله صلى الله عليه وسلم للهدية رواه البخاري (٢٥٨٥) .

(٢) وهو الحديث المشهور بحديث ابن اللُّتبِيَّة ، رواه البخاري (٦٩٧٩ ، ٧١٩٧) ، ومسلم (١٨٣٢) .

بيتِ أمِّهِ وأبيهِ ، فما كانَ يُعطىٰ بعدَ العزلِ وهوَ في بيتِ أمِّهِ . . يجوزُ لهُ أنْ يأخذَهُ في ولايتِهِ ، وما يعلمُ أنَّهُ يُعطىٰ لولايتِهِ . . حرمَ أخذُهُ ، وما أشكلَ عليهِ في هدايا أصدقائِهِ أنَّهُمْ هلْ كانوا يعطونَهُ لوْ كانَ معزولاً . . فهوَ شبهةٌ ، فليجتنبْهُ . واللهُ أعلمُ .

* * *

تمّ كتاب الحلال والحرام

وهو الكتاب الرّابع من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدّين

ولله الحمد والمنّة ، وصلواته على أشرف خلقه سيّدنا محمّدٍ وآله وصحبه وسلّم تسليمًا

يتلوه كتاب آداب الصّحبة والأخوّة والمعاشرة مع أصناف الخلق

Yedinci Bab

SORULAR VE CEVAPLARI

Mesele

Suâl: Sûfilerin hizmetçileri tarafından kendileri için toplanan para ve yiyeceklerden, sûfilerden başkası da yiyebilir mi, yoksa bunlar yalnız onlara mı mahsûstur?

Cevap: Bunlardan sûfilerin yiyeceğinde şüphe yoktur. Hizmetçinin muvafakatıyla bundan başkalarının da yemesi helâldir. Ancak şüpheden hâlî değildir. Helâldir, çünkü hizmetçiye, sûfiler için verilmiştir. Fakat bunu alan, doğrudan sûfiler değil, hizmetçilerdir. Dar vaziyette bulunan bir âilenin geçimi için verilen bir parayı veyâ yapılan bir yardımı -çocuklara bakması hasebiyle- âile reisi alır ve âile reisinin aldığı kendi mülkü olur. O, bu paradan başkalarına da verebilir. Sûfilerin nâmına para ve yiyecek toplayan da aynı şekildedir. Topladığı kendi mülkü olduğu için, başkasına da yedirebilir. Artık bu mal, hâlâ verenin mülküdür, denemez. Zîra bunu böyle kabul etmek, muâtât yolu ile yapılan alış-verişin sıhhatini reddetmektir ki, bu zayıftır. Hele sadaka ve hediyelerde bunu kabul eden yoktur. Hizmetçi de böyledir. Ona kimse karışamaz. Mülkiyetin, o zaman tekkelerde bulunan sûfilere intikalini iddiâ etmek de çürüktür. Çünkü sonradan tekkeye intisâb eden sûfilere de toplanandan yedirmek bilittifak câizdir. Aynı zamanda hepsi veyâ birisi ölse, hisselerini vereselerine vermek de lâzım gelmez. Toplanan, mutlak sûfiler adına toplanmıştır; bunun için muayyen fertler hak sahibi olamaz da denemez. Zîra mülkün bir cihete ayrılması, tasarrufu fertlere havale etmeyi gerektirmez. Çünkü tekkeye girenler mahdûd değil, kıyâmete kadar onlardan doğanlar da oraya girer. Bu mallarda âmme idâresini elinde bulunduranlar, tasarruf edebilir. Hizmetçi ise hiçbir yönden bu işe niyâbet edemez, ancak bu toplanan şeyin mâliki sayılır. Tasavvuflarında vefâ ve mürüvvet göstermek şartıyla, sûfilere yedirebilir.

Onu bu işten men ederlerse, artık o sûfilerin kefîli olmaktan da men edilmiş olur ve ehl ü iyâli ölen aile reisi vaziyetine düşer.

Mesele

Suâl: Bir kimse malını sûfilere vasiyet ederse, bu mal kimlere verilir?

Cevap: Tasavvuf, batınî bir keyfiyettir. Bunu herkes bilemez ve hakikatini kavrayamaz. Örf ehlinin, sûfi adını vermekte dayandıkları zâhirî alâmetlerle ve dış görünüşle bilinebilir. Buradaki küllî kaide şudur: Zâviye ve tekkelere giren bir kimse, oradaki sûfilerce kendisine: "Sen bizden değilsin, içimize girme." denmemişse, o kimse sûfilerden sayılır. Beş vasıf kendisinde bulunan sûfidir. Onlar da: Sâlih olmak, fakir olmak, sûfi kılığında bulunmak, sanatı olmamak, meskeni yalnız tekkeler olmaktır. Bu sıfatlardan bazılarının bulunmaması, o kimsenin sûfi olmadığına delâlet eder. Diğer bâzılarına göre de, fısk u fücûr sahibi olanlar, bu vasiyetten faydalanamaz. Çünkü sûfi, hususî vasıflara sahip, sâlih kimse demektir. Fâsık olan bir kimse, sûfi kisvesine bürünmekle sûfilere vasiyet edilen mala vâris olamaz. Fâsık derken, küçük günâhı olanları kaydetmiyoruz.

Sanat sahibi olmak; kazançla uğraşmak, sûfilere vasiyet edilen malı almaya mânidir. Rençberler, âmiller, esnâf, dükkânında veyâ evinde sanatı ile meşgul olanlar, ücretle çalışanların hiçbiri bu vasiyetten istifâde edemez. Bu vasiyyetten faydalanmak için yalnız sûfi kılığına girmek ve sofular arasında bulunmak kâfi değildir. Sûfiliğe mâni olmayan yazıcılık ve dikicilik gibi işleri, dükkânda ve ticaret maksadı ile yapmazsa bunlar, sûfiliğe mâni değildir. Hatta bu vasıflar, diğer sıfatları ile onun sûfiler arasına katılmasını sağlar.

Elinde sanatı olup çalışmamak, sûfiliğe mâni değildir. Bu vaziyette olan bir kimse, sûfilere vasiyet edilen paradan istifâde edebilir.

Va'z u nasihatte bulunmak, ders okutmak, sûfiliğe mâni değildir. Kisve, meskenet, ev, fakirlik gibi diğer vasıflar bulundu mu yine sûfidir. Çünkü vâiz sûfi, okuyucu sûfi, âlim sûfi veyâ müderris sûfi demekte tenâkuz yoktur. Fakat sanatkâr sûfi, tüccar sûfi, âmil (vali) sûfi demekte tenâkuz vardır.

Fakirliğe gelince: Şâyet göze çarpacak şekilde servet sahibi olursa, o zaman bu vasiyetten istifâde edemez. Malı olur fakat geliri giderini karşılamıyorsa, vasiyetten faydalanır. Elindeki serveti zekât nisâbına bâliğ olmuyorsa -masrafı da olmasa- yine vasiyetten istifâde edebilir. İşte, bütün bunların delîli ancak örf ve âdettir.

Sûfiler arasına girip onlarla düşüp kalkmaya gelince; böyle yapan kimsenin de vasiyet malında hakkı vardır. Onlara karışmayıp evinde veyâ mescidde sûfi kılığına girip onların ahlâkı ile ahlâklanmış olan kimse de bu vasiyetten faydalanır. Onların arasına katılmamasından doğan eksikliği, onların kıyâfetinde olması telâfi eder. Şâyet onların kisvesinde değil ve fakat onlara âit diğer vasıfları hâiz olsa da bu vasiyette hakkı yoktur. Ancak onların arasında zâviye ve tekkelerde yaşıyorsa faydalanır. Aralarına karışmak ve kisvelerini kabul etmek, her ikisi yekdiğerini karşılar. Yâni aralarında bulunursa, onların kıyâfetinde olmasa da olur, onların kıyâfetinde ise aralarında bulunmasa da olur.

İşlemeli hırka giymeye gelince: Bu vasiyete hak kazanmak için şeyhleri tarafından kendilerine işlemeli hırkanın giydirilmiş olması şart değildir. Diğer şartlar bulunduktan sonra, hırkanın olmaması zarar vermez. Evli olup, bâzen evine ve bâzen de tekkeye gidenler sûfi olmaktan çıkmış olmazlar.

Mesele

Tekkeler ve oralarda oturanlara vakfedilen paralarda hüküm, mutlak sûfilere yapılan vasiyetlerden daha müsaittir. Zîra bu vakfın mânâsı, vakfedileni onların ihtiyâcına sarfetmek demektir. Binâenaleyh, sûfilerin muvafakatıyla, sûfi olmayanlar da yalnız bir defa değil, bir kaç defa bile onlarla oturup yiyebilirler. Zâten yemek işlerinde müsamaha vardır. Hattâ henüz bölünmeyen ganîmetlerden, bir kişi tek başına da yiyebilir. Hattâ kavval, yâni zikir halkasına onları dâvet eden de onlarla beraber yiyebilir. Fakat sûfilere vasiyet edilen, bu kavvallara verilmez. Ama vakıftan verilir.

Âmiller, tüccarlar, kadılar ve fakîhlerden gönüllerini almak isteyenler de, sûfilerin muvafakatıyla, vakıftan yiyebilirler. Çünkü vakıf, sûfiler âdet ve teâmülüne uygun bir şekilde vakfedilmiştir. Örf ve âdete göre hareket edilir, fakat bu da devâmlı olamaz. Meselâ sûfi olmayan kimse devâmlı sûrette onlarla-razı olsalar da- yiyip içemez. Çünkü bu hareket, vâkıfın şartı hilâfına kendilerinden olmayan bir kimseyi bu vakfa ortak etmek demektir ki, buna selâhiyetleri yoktur.

Ama fakîh olan bir zât, onların kıyâfetinde ve ahlâkında ise aralarına girer ve hissesini alır. Fakîh olması, sûfiliğine engel olmaz.

Çünkü tasavvufu bilene göre, sûfilikte cehâlet şart değildir. (Zira sûfilik demek, zâhir ve bâtın şer'î hükümlere riâyet ederek kitâp ve sünnetle amel etmek demektir.) Mârifetten haberi olmayan bâzı ahmakların: "İlim hicâbdır." gibi aslı olmayan sözlerine değer verilmez. Asıl perde olan, cehâlettir. İlim kitâbında bu sözün tevîlini yapmıştım. Hicâb olan ilmin, yerilen ilim olup övülen ilim olmadığını, mahmûd ile mezmûmu anlattım ve orada gerekli izâhatı verdim. Fakat fakih onların kisve, ahlâk ve kıyâfetinde değilse, bu takdirde bu fakîhi aralarına almayabilirler. Şâyet bu hâli ile kabul ederlerse, yine vakıftan yiyebilir. Aralarında bulunmak, kıyafetteki ayrılığı telâfi eder. Ancak o kıyafette olanların muvafakati şarttır. İşte bunlar, sofuyu tanıtmakta âdet ve teâmülün şehâdet ettiği şeylerdir. Burada nefiy ve isbâtta karşılıklı iki taraf vardır. Yâni bu mutlak sûfidir, bu mutlak sûfi değildir, denecek katî tarafları vardır. Aralarında iki tarafa benzeyen -sûfi olmak ve olmamak ihtimalleri bulunan- ve birbirine benzeyen şüpheli kısımlar vardır. Şüpheler babında anlattığımız gibi şüphelerden kaçınan, dînini ve ırzını korumuş olur.

Mesele

Suâl: Rüşvet ile hediye arasında ne fark vardır? Her ikisi de birer gâye uğrunda ve gönül rızâsı ile verildikleri hâlde, neden biri helâl, diğeri haram oluyor?

Cevap: Malını başkasına veren kimse, elbette bir maksat uğrunda verir. Bu maksat ya peşin veyâ veresiye olur.

1 - Veresiye olan gâye: Âhirette sevap ve mükâfat almak maksadıyla malını infâk etmektir.

2 - Peşin olan gâye de beşe ayrılır:

a) Hediyesi karşılığında bir mükâfat beklemek,

b) Muayyen maksadına yardım olmak için iş yaptırmak,

c) Hediye verdiği kimseye yaklaşmakla onun muhabbetini kazanmak ister ki, bu da iki kısımdır:

d) Ya sırf sevgisine mazhar olmak,

e) Veyâ sevgiyi bir emeline ulaşmak için temîn etmektir.

İşte, hediye vermek şu beş sebebin birine istinâd eder.

Birincisi: Sevap maksadı ile verdiği kimseler: İhtiyâç sahipleri, âlimler, dînî bakımdan soylu bir âileden gelenler ile bizâtihî dindâr, sâlih ve âbid olan kimselerdir. Muhtaç olduğunu sanarak verdiği halde zengin olan, âlim sanarak verdiği halde câhil olan, soylu olduğunu zannederek verdiği halde soylu olmayan, sâlih olduğunu sanarak verdiği halde fâsık olanlar, bu hediyeyi alamazlar. Bu hediye kendilerine haramdır. Veren kimsenin alanda zannettiği vasıflar, zannettiği gibi mevcût değilse, alamaz. İyi ve sâlih görünen çok kimseler var ki, bâtını halleri açığa çıksa, herkes kendilerinden nefret ederdi. Allahü Teâlâ kullarını birbirine sevdirmek için, onların kusurlarını kendi fazlı ile gizler. Eskiden verâ sahibi olan kimseler, herhangi bir ikrâm ile karşılaşmamak için, bilinmeyen yabancı kimselerle alış-veriş ederlerdi. Dîn nâmına bu, tehlikeli bir hâldir. Takvâ, gizli bir şeydir. İlim, neseb ve yoksulluk gibi açık değildir. Bunun için takvâ sahibi, dîn ve diyâneti nâmına bir şey almaktan sakınmalıdır.

İkincisi: Peşin bir gâye uğrunda verilen hediyelerdir. Meselâ: Bir hil'at giydirir veyâ daha iyisini verir ümidiyle, fakir bir kimsenin zengine hediye vermesi gibi. Bu, sevap şartıyla olursa, hükmü gizli olmayan bir hîbedir. Bu bir karşılık olarak değil, her iki tarafın hediyeleşmesi kabîlindendir.

Üçüncüsü: Belli bir işinin yapılmasına yardımcı olması için, sultana ihtiyâcı olan bir kimsenin, sultanın vekîline veyâ alâkalı bir şahsa hediye vermesi. Bunun da mükâfat ümîdiyle verilmiş bir hediye olduğu meydandadır. Ancak, beklediği mükâfata ve yaptıracağı işe bakılır; haram atiyye almak veyâ bir kimseye haksızlık etmek gibi bir iş ise bu hediyeyi almak haramdır. Şâyet herhangi bir zâlimin zulmünü defetmek veyâ görüp bildiğine şehâdet etmek gibi yapılması vâcip olan işlerden ise yine bu hediyeyi almak haramdır. Çünkü bu vazîfeler mecbûrîdir. Bunlar için hedîye kabul etmek, haram olan rüşvetin tâ kendisidir. Şâyet yaptıracağı iş mübâh olup, yaptırılmasında güçlük çekecekse, işini görmek şartı ile aldığı hediye helâldir. Bu, “Sana yüz kuruş, bu paketi falancaya götür.” demek gibidir. Tabiî o paketi oraya götürmekte yol yürümek, yorulmak ve zahmet çekmek vardır. Bundan dolayı aldığı da helâldir. Yâhut “Falancaya söyle, şu işimde bana yardımcı olsun veyâ nakdî yardımda bulunsun.” Bu işi yapmak için de epeyce dil dökmek lâzımdır. İşte buna ücret denir ve câizdir.

Haksız ve haram olmayan dâvalarda, dâva vekillerinin aldıkları ücretler gibi, bunlar da helâldir. Şâyet maksadı, tek bir cümle ile ifâde edilecek yâhut nüfûz kullanmak suretiyle kolay olacak bir iş ise meselâ, herhangi bir adamın “Bu işi yap.” demesiyle olmayıp, mevki sahibi bir adamın yap demesiyle olacaksa yine bu vaziyet karşısında hedîye almak haramdır. Çünkü bu, nüfûz karşılığı alınan paradır ki, şerîat buna cevâz vermez. Meliklere hedîye bahsinde açıklanacağı gibi, şerîat bunu men eder. Şufa hakkını düşürmekten, kusurlu malı iade etmekten, ağaç dallarının kendi arâzisini gölgelemekten ve buna benzer bizzat maksûd olan şeylerden ücret almak câiz olmadığı hâlde, mevki ve rütbesine dayanarak nüfûz kullanarak hediye almak nasıl helâl olur? Tabiblerin, yalnız kendileri bildiği bir ilâcı söylemekten veyâ kısa bir tavsiyede bulunmaktan para istemesi de bu kabildendir. Onun bu kadar bir ifâdesi, bir susam dânesi gibi kıymetsizdir. Yâni kendisini meşgul eden ve yoran bir şey değildir. Bunun için değer taşımaz. Bundan dolayı ne bu sözüne, ne de bu bilgisine karşılık ücret alması câizdir.

Zâten ilmi de kendisinde kalıyor, ancak onun bildiğini öbür adam da bilmiş oluyor. Sanatında mahâreti olanlar da bundan bir derece geridedir. Meselâ, sanatında mâhir olduğu için, bir kılıcın eğriliğini bir çekiç ile doğrultmak gibi; bâzı sanat sahipleri bir çekiç vurmakla malın değerini ücret olarak alırlar. Bu gibi sanatlarda ücret almakta beis yoktur. Çünkü adam, bunu öğreninceye kadar, bunca emek sarfetmiş ve yorulmuştur ve geçimi de bu yoldandır.[128]

Dördüncüsü: Belli bir maksadı olmadan yalnız hediye ettiği zât ile anlaşmak ve sevgisini kazanmak için verilen hediyelerdir. İşte, büyüklere verilen ve şerîatin mendûp kabul ettiği hediye budur. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

تَهَادَوْا تَحَابُّوا

---

128. Buna göre, musannifin tabiblerden maksadı, eski koca-karı hekimleridir Bâzı nebatların hassaları hakkında edindikleri bilgileri hastalara tavsiye ederek ücret alırlar. Bu ücret haramdır. Fakat yıllarca tahsil görüp emek sarfeden, sonra hasta üzerinde titizlikle durup hastayı muayene ve hastalığı teşhis ettikten sonra reçeteyi yazanlar muayene ücreti alabilirler. Hastalığı teşhis edemediği hâlde, teşhis etmiş gibi reçete yazıp, hastanın daha fazla rahatsızlanmasına veyâ ölümüne sebep olan hekimlerin ise vay hâline.

“Karşılıklı hedîye veriniz ki birbirinizi sevesiniz.”[129] buyurmuştur. Ne de olsa, hedîyelerin, yalnız kuru bir sevgi için verilmesi pek enderdir. Mutlaka sevişmenin ardında bir fayda düşünülmektedir. Fakat o fayda belli olmaz ve kendisini hedîye vermeye sevkedecek belli bir garaz mevcût değilse, buna hedîye denir ve alması helâl olur.

Beşincisi: Hediyeyi vermekteki maksadı sevgisini kazanmak ve bu vesîle ile onun mevkiinden istifâde ederek ona birçok şeyleri yaptırabilmeyi düşünerek verilen hedîyelerdir. Hattâ o adamın o mevki ve mansıbı olmasaydı, yalnız sevgi için bu hedîyeleri katiyyen kendisine vermezdi. Şâyet hedîye ettiği zâtın hatırlı olması ilim, dîn ve soyu bakımından ise bu bir derece hafiftir. Her ne kadar bu hedîyede bir nevi rüşvet kokusu varsa da, alınması kerâhetle câizdir. Çünkü görünüşte hediyedir. Şâyet itibârı; kadılık, zekât âmilliği, haraç tahsildârı ve benzeri saltanat işleri ile uğraşmasından ise -isterse evkaf memûrluğu olsun- ve bu vazîfelerden biri bu adamda bulunmasa, katiyyen ona hediye vermeyecek hâlde ise bu verilen, hediye adı altında bir rüşvettir.

Çünkü maksadı bu anda adamla anlaşıp seviştikten sonra ileride birçok işler yaptırmaktır. Çünkü bu gibi vâsıtalarla gördürülen pek çok işler vardır. Bunun alâmeti, o adamın yerine başkası geçse, artık onun sevgisini düşünmeden beriki adama dönerek, hedîyesini ona vermektir. Bunun son derece mekruh olduğunda söz yoktur. Haram olup olmaması ihtilaflıdır. Buradaki mânâ muâraza hâlindedir. Bir taraftan sırf hediye, öte yandan da makam sâyesinde yaptıracağı bir iş için verilmiş rüşvet gibidir. Kıyâsı müşabehetler muâraza edip haber ve eserler bir tarafı takviye ettiği zaman, o tarafa meyledilir. Buradaki haber ve eserler de şiddet tarafındadır. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

[129] Beyhakî, Ebû Hüreyre’den (r.a.) rivâyet etti.

يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُسْتَحَلُّ فِيهِ السُّحْتُ بِالْهَدِيَّةِ وَالْقَتْلُ
بِالمَوْعِظَةِ، يُقْتَلُ الْبَرِيءُ لِتُوعَظَ بِهِ الْعَامَّةُ

"İnsanlar üzerine bir zaman gelecek ki rüşvet, hedîye nâmı altında helâl kabul edilecek. İbret olsun diye adam öldürmek de mübâh sayılacak. İnsanlara gözdağı versin diye suçu olmayan kimse öldürülecektir."[130] buyurmuştur.

İbn Mes'ûd'a (r.a.) haramdan sorduklarında: "Adam birisinin işini görür. İşi görülen kimse de işini görene hediye gönderir. Belki bu adam bir sözle onun işini görmek istedi. Artık sonradan bu iş karşılığında ondan bir şey alması câiz olmaz." diye cevap verdi. Yâni, ücretsiz bir işi gördükten sonra, iş sahibinden hediye almasıdır.

Mesrûk[131] bir adamın işine sözü ile yardım etti. Adam da ona bir câriye hediye etti. Mesrûk, buna kızarak câriyeyi reddetti ve "Kalbindekileri bilseydim, işine hiç bakmazdım. Artık bundan sonraki kısmına bakmam." dedi.

Tâvus'a sultanlara verilen hediyelerden sorduklarında "Haramdır." dedi. Hz. Ömer'in (r.a.) oğulları (Abdullah ile Ubeydullah) hazîneden borç para aldılar. Hz. Ömer bunu duyunca, kârı ile beraber parayı ellerinden aldı ve "Benim hatırım olmasa, bu para size verilmezdi." dedi. Hz. Ömer'in (r.a.) Şam vâlilerinden olan **Ubeyde b. el-Cerrâh**'ın zevcesi, Rûm meliklerinden birisinin hanımına şişe içinde bir koku hediye etti. Rûm melikesi buna karşılık kendisine kıymetli bir cevher taşı hediye etti. Hz. Ömer (r.a.), cevheri sattı, kokunun kıymetini Ubeyde'nin hanımına verdi, fazlasını hazîneye koydu. Câbir ve Ebû Hüreyre (r.a.) "Melikler hediyesi sirkattir." dediler. Ömer b. Abdülazîz hediyeyi reddettiği zaman, "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) "Hediye alırdı" dediler. Ömer b. Abdülazîz: "Evet, O'na hediye idi, fakat bize rüşvettir. Çünkü O'na peygamberliği bakımından yaklaşmak isterlerdi. Bize ise emirliğimiz bakımından yaklaşmak isterler." dedi.

---

[130] Mehazı tesbit edilememiştir.

[131] Mesrûk Küfelidir. Hz. Âişe (r.a.) onu evlâtlık edinmiştir. İbn Mes'ûd'un dostlarındandır.

Bütün bunlardan daha mühimi, Ebû Humeyd es-Sâidî'nin[132] rivâyet ettiğidir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Yemen'de Ezd kabîlesinin zekâtlarının başına bir âmil gönderdi. Adam, dönüşünde topladığı zekâtı teslim etti ve bir kısmını bir tarafa ayırdıktan sonra: "O sizin, bunlar da benimdir. Bana verilen hedîyelerdir." dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَلَا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ، وَبَيْتِ أُمِّكَ حَتّٰى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا! ثُمَّ قَالَ: مَا لِي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ فَيَقُولُ: هٰذَا لَكُمْ وَهٰذَا لِي هَدِيَّةٌ، أَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أُمِّهِ لِيُهْدٰى لَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَأْخُذُ مِنْكُمْ أَحَدٌ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا أَتَى اللّٰهَ يَحْمِلُهُ، فَلَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِبَعِيرٍ لَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقَرَةٍ لَهَا خُوَارٌ أَوْ شَاةٍ تَيْعِرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتّٰى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اَللّٰهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ

---

[132] Medînelidir. Ashâbdan ve ensârdandır. Adı Abdurrahman'dır. Birçokları kendisinden hadîs rivâyet etmiştir. Muâviye'nin son günlerinde ölmüştür.

"Anne babanın evinde otursaydın da, bu hediyeler sana gelseydi, o zaman dediğin doğru olurdu." buyurdu. Sonra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) devâmla ve umûmî bir ifâde ile *"Ne oluyor? Bâzı kimseleri bir işe gönderiyorum da, dönüşlerinde "Bunlar sizin, bunlar da benim, bana verilen hediyelerdir." deyip bir kısmını kendilerine ayırıyorlar.* (Madem ki hediyeler geliyor) *annesinin evinde oturup hediyelerini bekleseydi ya? Hayâtım yed-i kudretinde olan Allah'a yemin ederim ki, sizden hanginiz, hakkı olmayarak bir şey alırsa, kıyamet gününde o şey sırtında olduğu halde, Allah'ın huzûruna gelecektir. Hiç biriniz kıyamet gününde sırtında bağıran deve, böğüren inek ve meleyen koyun olduğu halde Allah'ın huzûruna gelmesin.* (Sonra, koltuk altları görünecek şekilde ellerini kaldırdı ve) *"Allahım, tebliğ ettim mi?"* buyurdu.[133]

Bu husustaki şiddetli vaidler anlaşıldıktan sonra, vâliler ve kadılar şöyle düşünmeli: Bu vazîfeden ayrılsam ve evde otursam bu adam bu hediyeyi yapacak mı idi? Eğer yapacağına kanâat getiriyorsa helâldir, hediyeyi alsın. Yok getirmeyeceğine kanâat ediyorsa, haramdır, bu hediyeye yaklaşmasın. Bâzı dostları da olur ki, onların hediyelerinde katî bir karâra varamaz. Böyle şüpheli şeylerden de sakınsın.

Allah'a hamd ve senâlar olsun ki, O'nun lûtf u keremiyle **"Helâl ve Haram Kitâbı"** da sona erdi.

Her şeyin hakîkatini olduğu gibi ancak Allah bilir.

---

[133] Buhârî'ile Müslim rivâyet etmişlerdir.

كتاب
آداب الصحبة والأخوة والمعاشرة
مع أصناف الخلق

وهو الكتاب الخامس من ربع العادات
من كتب إحياء علوم الدين

Rub‘u’l-Âdât

BEŞİNCİ KİTAB

DOSTLUK, KARDEŞLİK VE SOHBET ÂDÂBI

(KİTÂBU ÂDÂBİ’L-ÜLFET)

كتاب آداب الصّحبة والأخوّة والمعاشرة مع أصناف الخلق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي غمرَ صفوةَ عبادِهِ بلطائفِ التخصيصِ طَوْلاً وامتناناً ، وألَّفَ بينَ قلوبِهِمْ فأصبحوا بنعمتِهِ إخواناً ، ونزعَ الغِلَّ مِنْ صدورِهِمْ فظلُّوا في الدنيا أصدقاءَ وأخداناً ، وفي الآخرةِ رفقاءَ وخلاَّناً ، والصلاةُ علىٰ محمدٍ المصطفىٰ ، وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ الذينَ اتبعوهُ واقتدَوا بِهِ قولاً وفعلاً وعدلاً وإحساناً .

أما بعد :

فإنَّ التحابَّ في اللهِ تعالىٰ ، والأخوَّةَ في دينِهِ . . مِنْ أفضلِ القرباتِ ، وألطفِ ما يُستفادُ مِنَ الطاعاتِ في مجاري العاداتِ ، ولها شروطٌ بها يلتحقُ المتصاحبونَ بالمتحابِّينَ في اللهِ تعالىٰ ، وفيها حقوقٌ بمراعاتِها تصفو الأخوَّةُ عن شوائبِ الكدوراتِ ونزغاتِ الشيطانِ ، فبالقيامِ بحقوقِها يُتقرَّبُ إلى اللهِ تعالىٰ زُلفىٰ ، وبالمحافظةِ عليها تُنالُ الدرجاتُ العُلىٰ ، ونحنُ نبيِّنُ مقاصدَ هٰذا الكتابِ في ثلاثةِ أبوابٍ :

البابُ الأوَّلُ : في فضيلةِ الإِلفةِ والأخوَّةِ في اللهِ تعالىٰ ، وشروطِها ، ودرجاتِها ، وفوائدِها .

البابُ الثاني : في حقوقِ الصحبةِ ، وآدابِها ولوازِمِها .

البابُ الثالثُ : في حقِّ المسلمِ والرَّحِمِ والجوارِ والملكِ ، وكيفيةِ المعاشرةِ معَ مَنْ قدْ يدلي بهٰذهِ الأسبابِ .

* * *

MUKADDİME

Hamd, Allah'a mahsûstur. O Allahü Teâlâ ki, kendi rahmet ve şefkatiyle hâlis kullarına husûsî şeref ve fazîletler ihsân etti. Lütûf ve keremiyle onları birbirine ısındırıp sevindirdi. Gönüllerinden hıyânet, kin ve nefret duygularını söküp atarak dünyada dost ve kardeş; âhirette en samimî arkadaş olarak yaşattı.

Salât u selâm, O'nun habibi Muhammed Mustafâ'ya ve sözünde, işinde, adalet ve ihsânında O'na uyup izinden giden âline ve ashâbına olsun.

Bundan sonra bilmiş ol ki, Allah için birbirini sevmek ve dîn uğrunda kardeş olmak, Allah'a yakınlığın en fazîletlisi ve ibâdetlerin en güzelidir. Fakat bunun da bâzı şartları vardır. Bu şartlara riâyet sâyesinde arkadaşlar, Allah için birbirini sevmiş sayılabilirler. Ayrıca karşılıklı olarak, riâyet edilmesi gereken birçok haklar var ki, bu sâyede kardeşlik tahakkuk eder. Şeytânın vesvesesinden kurtulur ve berraklığını korumuş olur. Ancak, bu haklara riâyetle Allah'a yaklaşır ve bunları korumakla yüksek derecelere erişir.

Şimdi biz bu kitâbın maksadını üç bâbda açıklayacağız:

البَابُ الأوّلُ

في فضيلة الألفة والأخوّة وشروطها ودرجاتها وفوائدها

فضيلة الألفة والأخوّة

اعلمْ : أنَّ الأُلفة ثمرةُ حسْنِ الخلقِ ، والتفرُّقَ ثمرةُ سوءِ الخلقِ ، فحسْنُ الخلقِ يوجبُ التحابَّ والتآلفَ والتوافقَ ، وسوءُ الخلقِ يثمرُ التباغضَ والتحاسدَ والتدابرَ ، ومهما كانَ المثمَرُ محموداً . . كانتِ الثمرةُ محمودةً ، وحسْنُ الخلقِ لا تخفىٰ في الدينِ فضيلتُهُ ، وهوَ الذي مدحَ اللهُ سبحانَهُ بهِ نبيَّه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذْ قالَ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

وقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أكثرُ ما يُدخلُ الناسَ الجنَّةَ تقوى اللهِ وحسْنُ الخلقِ »(١) .

وقالَ أسامةُ بنُ شريكٍ : قلنا : يا رسولَ اللهِ ؛ ما خيرُ ما أُعطيَ الإنسانُ ؟ فقالَ : « خلقٌ حسنٌ »(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « بعثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ »(٣) .

---

(١) هو جزء من حديث رواه الترمذي (٢٠٠٤) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/ ٣٢٤).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٤٣٦) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٣٨١) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٢٧٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ١٩١) واللفظ له .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أثقلُ ما يُوضعُ في الميزانِ خلقٌ حسنٌ »(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ما حسَّنَ اللهُ خَلْقَ امْرِئٍ وخُلُقَهُ فتطعمَهُ النَّارُ »(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يا أبا هريرةَ ؛ عليكَ بحسْنِ الخلقِ » ، قالَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : وما حسْنُ الخلقِ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « تصلُ مَنْ قطعَكَ ، وتعفو عمَّنْ ظلمَكَ ، وتعطي مَنْ حرمَكَ »(٣) .

ولا يخفىٰ أنَّ ثمرةَ الخلُقِ الحسنِ الأُلفةُ وانقطاعُ الوَحشةِ ، ومهما طابَ المثمِرُ . . طابتِ الثمرةُ ، كيفَ وقدْ وردَ في الثناءِ علىٰ نفْسِ الألفةِ ـ سيما إذا كانتِ الرابطةُ هيَ التقوىٰ والدينَ وحبَّ اللهِ تعالىٰ ـ مِنَ الآياتِ والأخبارِ والآثارِ ما فيهِ كفايةٌ ومقنعٌ ؟!

قالَ اللهُ سبحانَهُ مظهراً عظيمَ منَّتِهِ على الخلْقِ بنعمةِ الأُلفةِ : ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ أيْ : بالألفةِ(٤) .

---

(١) رواه أبو داوود (٤٧٩٩) ، والترمذي (٢٠٠٢) .

(٢) رواه الطبراني في « الأوسط » (٦٧٧٦) ، وابن عدي في « الكامل » (٣/ ٨٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٦٧٨) .

(٣) رواه البيهقي في « الشعب » (٧٧٢٥) ، وللحديث روايات متعددة عن غير أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) انظر « تفسير الطبري » (٣/ ٤/ ٤٦) .

ثمَّ ذمَّ التفرقةَ وزجرَ عنها ، فقالَ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ إلىٰ قولِهِ : ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ أقربَكُمْ منِّي مجلساً أحاسنُكُمْ أخلاقاً ، الموطَّؤونَ أكنافاً ، الّذين يألفونَ ويُؤلفونَ »(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « المؤمنُ إِلفٌ مألوفٌ ، ولا خيرَ فيمَنْ لا يألَفُ ولا يُؤلَفْ »(٣) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في الثناءِ على الأخوَّةِ في الدينِ : « مَنْ أرادَ اللهُ بهِ خيراً . . رزقَهُ خليلاً صالحاً ، إنْ نسيَ . . ذكَّرَهُ ، وإنْ ذكرَ . . أعانَهُ »(٤) .

---

(١) وهي : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ .

(٢) رواه الطبراني في « مكارم الأخلاق » (٦) ، وهو بنحوه عند ابن أبي الدنيا في « مداراة الناس » (١٤٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٨/ ٣٠٠) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٤٠٠) ، والطبراني في « الكبير » (٦/ ١٣١) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ٢٣) .

(٤) كذا في « القوت » (٢/ ٢١٤) ، وقد ورد هـٰذا في الوزير الناصح الصادق لولي الأمر ؛ فقد روىٰ أبو داوود (٢٩٣٢) ، والنسائي (٧/ ١٥٩) : « من ولي منكم أمراً ، فأراد الله به خيراً . . جعل له وزيراً صالحاً ، إن نسي . . ذكَّره ، وإن ذكر . . أعانه » ، وروى السلمي في « آداب الصحبة » (٢٨) مرفوعاً : « من سعادة المرء أن يكون إخوانه صالحين » .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مثلُ الأخوينِ إذا التقيا مثلُ اليدينِ تغسلُ إحداهُما الأخرىٰ ، وما التقىٰ مؤمنانِ قطُّ إلاَّ أفادَ اللهُ أحدَهُما مِنْ صاحبِهِ خيراً »(١) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ في الترغيبِ في الأخوَّةِ في اللهِ : « مَنْ آخىٰ أَخاً في اللهِ . . رفعَهُ اللهُ درجةً في الجنَّةِ لا ينالُها بشيءٍ مِنْ عملِهِ »(٢) .

وقالَ أبو إدريسَ الخولانيُّ لمعاذٍ : إنِّي أحبُّكَ في اللهِ ، فقالَ لهُ : أبشرْ ثمَّ أبشرْ ؛ فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « يُنصبُ لطائفةٍ مِنَ النَّاسِ كراسيُّ حولَ العرشِ يومَ القيامةِ ، وجوهُهُمْ كالقمرِ ليلةَ البدرِ ، يفزعُ النَّاسُ وهمْ لا يفزعونَ ، ويخافُ النَّاسُ وهمْ لا يَخافونَ ، وهُمْ أولياءُ اللهِ الَّذينَ لا خوفٌ عليهِمْ ولا هُمْ يحزنونَ » ، فقيلَ : مَنْ هؤلاءِ يا رسولَ اللهِ ؟ فقالَ : « هُمُ المتحابُّونَ في اللهِ تعالىٰ »(٣) .

---

(١) كذا في « القوت » (٢/ ٢١٤) ، وقد رواه السلمي في « آداب الصحبة » (١٢٨) ، وابن شاهين في « الترغيب في فضائل الأعمال » (٤٣٣) ، والديلمي في « مسند الفردوس » (٦٤١١) ، ورواه الحربي في « الحربيات » عن سلمان رضي الله عنه موقوفاً ، وحكىٰ سنده الحافظ الزبيدي في « الإتحاف » (٦/ ١٧٤) .

(٢) كذا في « القوت » (٢/ ٢١٤) ، وقد رواه ابن أبي الدنيا في « الإخوان » (٢٦) بلفظ : « ما أحدث رجل أخاً في الله عز وجل إلا بنى الله له بيتاً في الجنة » ، وعند أبي نعيم في « الحلية » (٥/ ٧) عن محمد بن سوقة : (ما استفاد رجل أخاً في الله إلا رفعه الله بذلك درجة) .

(٣) كذا في « القوت » (٢/ ٢١٧) ، وسياق المصنف عنده ، ولقاء أبي إدريس مع معاذ رضي الله عنه رواه مالك في « الموطأ » (٢/ ٩٥٣) ، وأحمد في « المسند » =

ورواهُ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ وقالَ فيهِ : « إنَّ حولَ العرشِ منابرَ مِنْ نورٍ ، عليها قومٌ لباسُهُمْ نورٌ ، ووجوهُهُمْ نورٌ ، ليسوا بأنبياءَ ولا شهداءَ ، يغبطُهُمُ النبيُّونَ والشهداءُ » ، فقالوا : يا رسولَ اللهِ ؛ حلِّهِمْ لنا(١) ، فقالَ : « هُمُ المتحابُّونَ في اللهِ، والمتجالسونَ في اللهِ ، والمتزاورونَ في اللهِ »(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ما تحابَّ اثنانِ في اللهِ إلاَّ كانَ أحبُّهُما إلى اللهِ أشدَّهُما حبّاً لصاحبِهِ »(٣) .

ويقالُ : إنَّ الأخوينِ في اللهِ إذا كانَ أحدُهُما أعلىٰ مقاماً مِنَ الآخرِ . . رُفِعَ الآخرُ معَهُ إلىٰ مقامِهِ ، وإنَّهُ يُلحَقُ بهِ كما تُلحَقُ الذريَّةُ بالأبوينِ والأهلُ بعضُهُمْ ببعضٍ ؛ لأنَّ الأخوَّةَ إذا اكتُسِبَتْ في اللهِ تعالىٰ . . لمْ تكنْ دونَ أخوَّةِ الولادةِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ : حقَّتْ محبَّتي للَّذينَ يتزاورونَ مِنْ أجلي ، وحقَّتْ محبَّتي للَّذينَ يتحابُّونَ مِنْ أجلِي ،

= (٥/ ٢٢٩) ولفظ المرفوع عندهما : « وجبت محبتي . . . » وسيأتي ، وعند أحمد في « المسند » (٥/ ٣٤٣) قريب مما نقله المصنف عن صاحب « القوت » ولكن عن أبي مالك الأشعري رضي الله تعالىٰ عنه .

(١) أي : اذكر لنا حليتهم ؛ أي : وصفهم .

(٢) كذا في « القوت » (٢/ ٢١٧) ، وهو عن أبي هريرة رضي الله عنه رواه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (١١١٧٢) بنحوه ، وهو من حديث أبي مالك الأشعري المشار إليه في التعليق السابق .

(٣) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٥٤٤) ، وابن حبان في « صحيحه » (٥٦٦) .

وحقَّتْ محبَّتي للذينَ يتباذلونَ مِنْ أجلي ، وحقَّتْ محبَّتي للذينَ يتناصرونَ مِنْ أجلي »(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ يومَ القيامةِ : أينَ المتحابُّونَ بجلالي ؟ اليومَ أظلُّهُمْ في ظلِّي يومَ لا ظلَّ إلاَّ ظلِّي »(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « سبعةٌ يظلُّهُمُ اللهُ في ظلِّهِ يومَ لا ظلَّ إلاَّ ظلُّهُ : إمامٌ عادلٌ ، وشابٌّ نشأَ في عبادةِ اللهِ ، ورجلٌ قلبُهُ معلَّقٌ بالمسجدِ ؛ إذا خرجَ منهُ حتَّىٰ يعودَ إليهِ ، ورجلانِ تحابَّا في اللهِ ؛ اجتمعا علىٰ ذلكَ وتفرَّقا عليهِ ، ورجلٌ ذكرَ اللهَ خالياً ففاضَتْ عيناهُ ، ورجلٌ دعَتْهُ امرأةٌ ذاتُ حسبٍ وجمالٍ فقالَ : إنِّي أخافُ اللهَ تعالىٰ ، ورجلٌ تصدَّقَ بصدَقةٍ فأخفاها حتَّىٰ لا تعلمَ شمالُهُ ما تنفقُ يمينُهُ »(٣) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ما زارَ رجلٌ رجلاً في اللهِ شوقاً إليهِ ، ورغبةً في لقائهِ . إلاَّ ناداهُ ملكٌ مِنْ خلفِهِ : طبتَ وطابَتْ لكَ الجنَّةُ »(٤) .

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٧١٦) ، وأحمد في « المسند » (٤/ ٣٨٦) .

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٦) .

(٣) رواه البخاري (٦٦٠) ، ومسلم (١٠٣١) ، وقوله : (حسب وجمال) هي عند الترمذي (٢٣٩١) .

(٤) رواه بلفظه ابنُ المبارك في « الزهد » (٧٠٩) عن سعد الطائي ، ورواه مرفوعاً عبد الرزاق في « المصنف » (١١/ ٢٠٣) ، والبزار كما في « مختصر زوائده » (١٨١٣) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٤١٤٠) دون قوله : (شوقاً إليه ورغبة في لقائه) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ رجلاً زارَ أخاً لهُ في اللهِ ، فأرصدَ اللهُ لهُ ملكاً ، فقالَ : أينَ تريدُ ؟ قالَ : أريدُ أنْ أزورَ أخي فلاناً ، فقالَ : لحاجةٍ لكَ عندَهُ ؟ قالَ : لا ، قالَ : لقرابةٍ بينَكَ وبينَهُ ؟ قالَ : لا ، قالَ : فبنعمةٍ لهُ عندَكَ ؟ قالَ : لا ، قالَ : فبمَهْ ؟ قالَ : أحبُّهُ في اللهِ ، قالَ : فإنَّ اللهَ تعالىٰ أرسلني إليكَ يخبرُكَ بأنَّهُ يحبُّكَ بحبِّكَ إيَّاهُ ، وقد أوجبَ لكَ الجنَّةَ »⁽¹⁾ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أوثقُ عُرى الإيمانِ الحبُّ في اللهِ والبغضُ في اللهِ »⁽²⁾ .

فبهـٰذا يجبُ أنْ يكونَ للرجلِ أعداءٌ يبغضُهُمْ في اللهِ ، كما يكونُ لهُ أصدقاءُ وإخوانٌ يحبُّهُمْ في اللهِ .

ويُروىٰ أنَّ الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ نبيٍّ مِنَ الأنبياءِ : (أمَّا زهدُكَ في الدنيا . . فقدْ تعجلتَ الراحةَ ، وأمَّا انقطاعُكَ إليَّ . . فقدْ تعززتَ بي ، ولكنْ : هلْ عاديتَ فيَّ عدوّاً ، أوْ هلْ واليتَ فيَّ وليّاً)⁽³⁾ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « اللَّهمَّ ؛ لا تجعلْ لفاجرٍ عليَّ منَّةً ، فترزقَهُ منِّي محبَّةً »⁽⁴⁾ .

---

(1) رواه مسلم (٢٥٦٧) ، ونحوه عند أحمد في « المسند » (٢/ ٢٩٢) .

(2) رواه الطيالسي في « مسنده » (٧٤٧) ، وأحمد في « مسنده » (٤/ ٢٨٦) .

(3) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص١٦٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٣١٧) .

(4) قال الحافظ العراقي : (رواه ابن مردويه في « التفسير » من رواية كثير بن عطية عن =

ويُروىٰ أنَّ اللهَ تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ عيسىٰ عليهِ السلامُ : (لوْ أنَّكَ عبدتَني بعبادةِ أهلِ السماواتِ والأرضِ ، وحبٌّ في اللهِ ليسَ وبغضٌ في اللهِ ليسَ . . ما أغنىٰ عنكَ ذلكَ شيئاً)[1] .

وقالَ عيسىٰ عليهِ السلامُ : تحبَّبوا إلى اللهِ ببغْضِ أهلِ المعاصي ، وتقرَّبوا إلى اللهِ بالتباعدِ منهُمْ ، والتمسوا رضا اللهِ بسخطِهِمْ ، قالوا : يا روحَ اللهِ ؛ فمَنْ نجالسُ ؟ قالَ : جالسوا مَنْ تذكِّرُكُمْ باللهِ رؤيتُهُ ، ومَنْ يزيدُ في علمِكُمْ منطقُهُ ، ومَنْ يرغِّبُكُمْ في الآخرةِ عملُهُ[2] .

ورُوِيَ في الأخبارِ السالفةِ أنَّ اللهَ تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ موسىٰ عليهِ السلامُ : (يا بنَ عمرانَ ؛ كُنْ يقظاناً ، وارتدْ لنفسِكَ إخواناً ، وكلُّ خدْنٍ وصاحبٍ لا يُؤازِرُكَ علىٰ مسرَّتي فهوَ لكَ عدوٌّ)[3] .

وأوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ داوودَ عليهِ السلامُ فقالَ : يا داوودُ ؛ ما لي أراكَ منتبذاً وحيداً ؟ قالَ : إلـٰهي ؛ قليتُ الخلْقَ مِنْ أجلِكَ ، فقالَ : يا داوودُ ؛ كنْ يقظاناً ، وارتدْ لنفسِكَ أخداناً ، فكلُّ خدْنٍ لا يوافقُكَ علىٰ مسرَّتي . . فلا

= رجل لم يسمَّ ، ورواه الديلمي في « مسند الفردوس » [٢٠١١] من حديث معاذ ، وأبو موسى المديني في كتاب « تضييع العمر والأيام » من طريق أهل البيت مرسلاً ، وأسانيده ضعيفة) . « إتحاف » (٦/ ١٤٨) .

[1] رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٧/ ٤٤٥) عن مالك بن دينار عنه عليه السلام .

[2] رواه ابن المبارك في « الزهد » (٣٥٥) عن مالك بن مغول بلاغاً عنه عليه السلام .

[3] رواه أحمد في « الزهد » (٤٣٧) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٤٩٠) عن محمد بن النضر الحارثي عنه عليه السلام بنحوه .

تصحبْهُ ؛ فإنَّهُ لكَ عدوٌّ يقسِّي قلبَكَ ويباعدُكَ منِّي(١) .

وفي أخبارِ داوودَ عليهِ السلامُ أنَّهُ قالَ : يا ربِّ ؛ كيفَ لي أنْ يحبَّني الناسُ كلُّهُمْ ، وأسلمُ فيما بيني وبينَكَ ؟ قالَ : خالقِ الناسَ بأخلاقِهِمْ ، وأحسنْ فيما بيني وبينَكَ(٢) .

وفي بعضِها : خالقْ أهلَ الدنيا بأخلاقِ الدنيا ، وخالقْ أهلَ الآخرةِ بأخلاقِ الآخرةِ(٣) .

وقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ أحبَّكُمْ إلى اللهِ الَّذينَ يألفونَ ويُؤلفونَ ، وإنَّ أبْغضَكُمْ إلى اللهِ المشَّاؤونَ بالنَّميمةِ المفرِّقونَ بينَ الإخوانِ »(٤) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ للهِ ملكاً نصفُهُ مِنَ النارِ ، ونصفُهُ مِنَ الثلجِ ، يقولُ : اللَّهمَّ ؛ كما أَلَّفْتَ بينَ الثلجِ والنارِ كذلكَ أَلِّفْ بينَ قلوبِ عبادِكَ الصَّالحينَ »(٥) .

---

(١) كذا في « القوت » (٢/ ٢١٤) .

(٢) كذا في « القوت » (٢/ ٢١٤) ، ورواه ابن أبي الدنيا في « مداراة الناس » (٤٣) بنحوه .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢١٤) .

(٤) رواه الطبراني في « الأوسط » (٧٦٩٣) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (١/ ٣٩٩) .

(٥) رواه أبو الشيخ في « العظمة » (٣٣٣) مرفوعاً من حديث معاذ بن جبل والعرباض بن سارية رضي الله عنهما ، و(٤٨٥ ، ٤٨٦) عن خالد بن معدان وزياد بن أبي حبيب ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢١٤) عن ابن معدان وأشار إلىٰ روايته عن العرباض =

وقالَ أيضاً عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « ما أحدثَ عبدٌ أخاً في اللهِ إلاَّ أحدثَ اللهُ له درجةً في الجنَّةِ »(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « المتحابُّونَ في اللهِ علىٰ عمودٍ مِنْ ياقوتةٍ حمراءَ في رأسِ العمودِ سبعونَ ألفَ غرفةٍ ، يشرفونَ علىٰ أهلِ الجنَّةِ يضيءُ حسنُهُمْ لأهْلِ الجنَّةِ كما تضيءُ الشَّمسُ لأهلِ الدُّنيا ، فيقولُ أهلُ الجنَّةِ : انطلِقوا بنا ننظرْ إلى المتحابِّينَ في اللهِ ، فيضيءُ حسنُهُمْ لأهلِ الجنَّةِ كما تضيءُ الشَّمسُ ، عليهِمْ ثيابُ سندسٍ خضرٌ ، مكتوبٌ علىٰ جباهِهِمُ : المتُحابُّونَ في اللهِ »(٢) .

* * *

الآثارُ :

قالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : عليكُمْ بالإخوانِ ؛ فإنَّهُمْ عُدَّةٌ في الدنيا والآخرةِ ، ألا تسمعُ إلىٰ قولِ أهلِ النارِ : ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ ؟!

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما : (واللهِ ؛ لوْ صمتُ النهارَ

= رضي الله عنه ، ورواه الديلمي مرفوعاً في « مسند الفردوس » كما حكىٰ سنده الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٦/ ١٧٨) .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الإخوان » (٢٦) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٢٣٦) ، وأبو بكر الشافعي في « الغيلانيات » (١٠٩٦) ، وهو عند الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (ص١٤٠) .

لا أفطرُهُ ، وقمتُ الليلَ لا أنامُهُ ، وأنفقتُ مالي عِلْقاً عِلْقاً في سبيلِ اللهِ ، أموتُ يومَ أموتُ وليسَ في قلبي حبٌّ لأهلِ طاعةِ اللهِ ، وبغضٌ لأهلِ معصيةِ اللهِ . . ما نفعَني ذلكَ شيئاً)(١) .

وقالَ ابنُ السمَّاكِ عندَ موتِهِ : (اللهمَّ ؛ إنَّكَ تعلمُ أنِّي إذا كنتُ أعصيكَ . . كنتُ أحبُّ مَنْ يطيعُكَ ، فاجعلْ ذلكَ قربةً لي إليكَ)(٢) .

وقالَ الحسنُ علىٰ ضدِّهِ : (يا بنَ آدمَ ؛ لا يغرنَّكَ قولُ مَنْ يقولُ : « المرءُ مَعَ مَنْ أحبَّ » ؛ فإنَّكَ لنْ تلحقَ الأبرارَ إلا بأعمالِهِمْ ؛ فإنَّ اليهودَ والنَّصارىٰ يحبُّونَ أنبياءَهُمْ وليسوا معَهُمْ)(٣) .

وهـٰذهِ إشارةٌ إلىٰ أنَّ مجرَّدَ ذلكَ مِنْ غيرِ موافقةٍ في بعضِ الأعمالِ أوْ كلِّها . . لا ينفعُ(٤) .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢١٨) بنحوه ، **والعِلْق** : النفيس من كل شيء .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « المحتضرين » (٣٤٧) .

(٣) ذكر الحافظ السخاوي في « المقاصد الحسنة » (ص٣٧٩) أنه رواه العسكري من جهة داوود بن المحبر .

(٤) والموافقة في بعضها يكون بأصل الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فقد يكون العبد صادقاً في حبه مقصراً في حقه كما يقول أبو عثمان الحيري ، وانظر كلام الحافظ البيهقي في « الشعب » (٤٩٥ ـ ٤٩٨) ، وقد حكى الحديث الذي رواه البخاري (٦٧٨٠) : أن رجلاً علىٰ عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله ، وكان يلقب حماراً ، وكان يُضحك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشراب ، فأتي به يوماً ، فأمر بجلده ، فقال رجل من القوم : اللهم ؛ العنه ، ما أكثر ما يؤتىٰ به ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تلعنوه ؛ فوالله ما علمتُ إلا أنه يحب الله ورسوله » .

وقالَ الفضيلُ في بعضِ كلامِهِ : (هاهْ ؛ تريدُ أنْ تسكنَ الفردوسَ ، وتجاورَ الرحمـٰنَ في دارِهِ معَ النبيِّينَ والصِّديقينَ والشهداءِ والصالحينَ ؟ بأيِّ عملٍ عملتَهُ ؟! بأيِّ شهوةٍ تركتَها ؟! بأيِّ غيظٍ كظمتَهُ ؟! بأيِّ رحمٍ قاطعٍ وصلتَها ؟! بأيِّ زلَّةٍ لأخيكَ غفرتَها ؟! بأيِّ قريبٍ باعدتَهُ في اللهِ ؟! بأيِّ بعيدٍ قاربتَهُ في اللهِ ؟!)(١) .

ويُروىٰ أنَّ اللهَ تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ موسىٰ عليهِ السلامُ : هلْ عملتَ لي عملاً قطُّ ؟ فقالَ : إلـٰهي ؛ إنِّي صلَّيتُ لكَ ، وصمتُ ، وتصدَّقْتُ وزكَّيتُ ، فقالَ : إنَّ الصلاةَ لكَ برهانٌ ، والصومَ جُنَّةٌ ، والصدقةَ ظلٌّ ، والذكرُ نورٌ ، فأيَّ عملٍ عملتَ لي ؟ قالَ موسىٰ عليهِ السلامُ : إلـٰهي ؛ دلَّني علىٰ عملٍ هوَ لكَ ، قالَ : يا موسىٰ ؛ هلْ واليتَ لي وليّاً قطُّ ، وهلْ عاديتَ فيَّ عدوّاً قطُّ ؟ فعلمَ موسىٰ عليهِ السلامُ أنَّ أفضلَ الأعمالِ الحبُّ في اللهِ والبغضُ في اللهِ(٢) .

وقالَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (لوْ أنَّ رجلاً قامَ بينَ الركنِ والمقامِ يعبدُ اللهَ سبعينَ سنةً . . لبعثَهُ اللهُ يومَ القيامةِ معَ مَن يحبُّ)(٣) .

---

(١) وهـٰذا الخبر هو مجموع خبرين رواهما أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٨٥ ، ٩٠) .

(٢) روى الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص ١٦٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٣١٧) بنحوه ، وفي (ب) : (والزكاة نور) ، وفي (هـ) : (والذكر أنس) .

(٣) رواه الدارمي في « سننه » (٣١٨ ، ٣١٩) بنحوه عن علي وسلمان رضي الله عنهما .

وقالَ الحسنُ رضيَ اللهُ عنهُ : (مصارمةُ الفاسقِ قربانٌ إلى اللهِ)[١] .

وقالَ رجلٌ لمحمدِ بنِ واسعٍ : إنِّي لأحبُّكَ في اللهِ ، فقالَ : أحبَّكَ الذي أحببتَني لهُ ، ثمَّ حوَّلَ وجهَهُ وقالَ : اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ أنْ أُحبَّ فيكَ وأنتَ لي مبغضٌ[٢] .

ودخلَ رجلٌ علىٰ داوودَ الطائيِّ ، فقالَ لهُ : ما حاجتُكَ ؟ فقالَ : زيارتُكَ ، فقالَ : أمَّا أنتَ . . فقدْ عملتَ خيراً حينَ زرتَ ، ولكنِ انظرْ ماذا ينزلُ بي إذا قيلَ لي : مَنْ أنتَ فتزارَ ؟ أمِنَ الزهَّادِ أنتَ ؟ لا واللهِ ، أمِنَ العبَّادِ أنتَ ؟ لا واللهِ ، أمِنَ الصالحينَ أنتَ ؟ لا واللهِ ، ثمَّ أقبلَ يوبِّخُ نفسَهُ ويقولُ : كنتُ في الشبيبةِ فاسقاً ، فلمَّا شِخْتُ . . صرْتُ مرائياً ، واللهِ ؛ لَلْمُرائي شرٌّ مِنَ الفاسقِ .

وقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : (إذا أصابَ أحدُكُمْ ودّاً مِنْ أخيهِ . . فليتمسَّكْ بهِ ، فقلَّما يصيبُ ذلكَ)[٣] .

وقالَ مجاهدٌ : (المتحابُّون في اللهِ تعالىٰ إذا التقوا فكَشرَ بعضُهُمْ إلىٰ

---

[١] رواه أبو إسماعيل الهروي في « ذم الكلام وأهله » (٦٩٣) .

[٢] رواه ابن المبارك في « الزهد » (٥٦) من زيادات نعيم بن حماد ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٤٨) وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٦/ ١٥١) .

[٣] قوت القلوب (٢/ ٢١٤) .

بعضٍ . . تتحاتُّ عنهُمُ الخطايا كما يتحاتُّ ورقُ الشجرِ في الشتاءِ إذا يبسَ)(١) .

وقالَ الفضيلُ : (نظرُ الرجلِ إلىٰ وجهِ أخيهِ على المودَّةِ والرحمةِ عبادةٌ)(٢) .

* * *

---

(١) كذا في « القوت » (٢/٢١٧) ، وكشر : ضحك ، وقد روى الطبراني في « الكبير » (٦/٢٥٦) مرفوعاً : « إن المسلم إذا لقي أخاه المسلم ، فأخذ بيده . . تحاتَّت عنهما ذنوبهما كما تتحات الورق من الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف . . . » الحديث .

(٢) قوت القلوب (٢/٢١٧) .

بيان معنى الأخوّة في الله ، وتمييزها عن الأخوّة في الدّنيا

اعلمْ : أنَّ الحبَّ في اللهِ والبغضَ في اللهِ غامضٌ ، وينكشفُ الغطاءُ عنهُ بما نذكرُهُ ، وهوَ أنَّ الصحبةَ تنقسمُ إلىٰ ما يقعُ **بالاتفاقِ** ؛ كالصحبةِ بسببِ الجوارِ ، أوْ بسببِ الاجتماعِ في المكتبِ ، أوْ في المدرسةِ ، أوْ في السوقِ ، أوْ علىٰ بابِ السلطانِ ، أوْ في الأسفارِ ، وإلىٰ ما ينشأُ **اختياراً ويُقصدُ** ، وهوَ الذي نريدُ بيانَهُ ؛ إذِ الأخوَّةُ في الدينِ واقعةٌ في هٰذا القسمِ لا محالةَ ، إذْ لا ثوابَ إلا على الأفعالِ الاختياريةِ ، ولا ترغيبَ إلا فيها ، والصحبةُ عبارةٌ عنِ المجالسةِ والمخالطةِ والمجاورةِ ، وهٰذهِ الأمورُ لا يقصدُ الإنسانُ بها غيرَهُ إلا إذا أحبَّهُ ؛ فإنَّ غيرَ المحبوبِ يُجتنبُ ويُباعدُ ، ولا تُقصدُ مخالطتُهُ .

والذي يُحبُّ فإمَّا أنْ يُحبَّ لذاتِهِ لا ليُتوصَّلَ بهِ إلىٰ محبوبٍ ومقصودٍ وراءَهُ ، وإمَّا أَنْ يُحبَّ للتوصُّلِ بهِ إلىٰ مقصودٍ ، وذلكَ المقصودُ إمَّا أنْ يكونَ مقصوراً على الدنيا وحظوظِها ، وإمَّا أنْ يكونَ متعلقاً بالآخرةِ ، وإمَّا أنْ يكونَ متعلقاً باللهِ تعالىٰ ، فهٰذهِ أربعةُ أقسامٍ .

أمَّا القسمُ الأوَّلُ : وهوَ حبُّكَ الإنسانَ لذاتِهِ :

فذلكَ ممكنٌ ، وهوَ أنْ يكونَ هوَ في ذاتِهِ محبوباً عندَكَ ، علىٰ معنىٰ أنَّكَ تلتذُّ برؤيتِهِ ومعرفتِهِ ومشاهدةِ أخلاقِهِ ؛ لاستحسانِكَ لهُ ، فإنَّ كلَّ جميلٍ لذيذٌ

في حقِّ مَنْ أَدركَ جمالَهُ ، وكلُّ لذيذٍ محبوبٌ ، واللذَّةُ تتبعُ الاستحسانَ ، والاستحسانُ يتبعُ المناسبةَ والملاءمةَ والموافقةَ بينَ الطباعِ .

ثمَّ ذلكَ المستحسنُ إمَّا أنْ يكونَ هوَ الصورةَ الظاهرةَ ؛ أعني : حسنَ الخِلْقةِ ، وإمَّا أنْ يكونَ هوَ الصورةَ الباطنةَ ؛ أعني : كمالَ العقلِ وحسنَ الأخلاقِ ، ويتبعُ حسنَ الأخلاقِ حسنُ الأَفعالِ لا محالةَ ، ويتبعُ كمالَ العقلِ غزارةُ العلمِ ، وكلُّ ذلكَ مستحسنٌ عندَ الطبعِ السليمِ والعقلِ المستقيمِ ، وكلُّ مستحسنٍ مستلذٌّ بهِ ومحبوبٌ ، بلْ في ائتلافِ القلوبِ أمرٌ أغمضُ مِنْ هـٰذا ؛ فإنَّهُ قدْ تستحكمُ المودَّةُ بينَ شخصينِ مِنْ غيرِ مَلاحةٍ في صورةٍ ، ولا حسنٍ في خَلْقٍ وخُلُقٍ ، ولكنْ لمناسبةٍ باطنةٍ توجبُ الألفةَ والموافقةَ ؛ فإنَّ شبهَ الشيءِ منجذبٌ إليهِ بالطبعِ ، والأشباهُ الباطنةُ خفيَّةٌ ، ولها أسبابٌ دقيقةٌ ليسَ في قوَّةِ البشرِ الاطلاعُ عليها .

وعنْ ذلكَ عبَّرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حيثُ قالَ : « الأرواحُ جنودٌ مجنَّدةٌ ، فما تعارفَ منها . . ائتلفَ ، وما تناكرَ منها . . اختلفَ »(١) ، فالتناكرُ نتيجةُ التباينِ ، والائتلافُ نتيجةُ التناسبِ الذي عبَّرَ عنهُ بالتعارفِ .

وفي بعضِ الألفاظِ : « الأرواحُ جنودٌ مجنَّدةٌ تلتقي ، فتَشامُّ في الهواءِ »(٢) .

---

(١) رواه مسلم (٢٦٣٨) .

(٢) رواه الطبراني في « الأوسط » (٥٢١٦) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٤/ ١٩٦٨) ، قال الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٦/ ١٨٢) بعد أن نقل تخريج هـٰذا الحديث عن الحافظ العراقي : (ورأيت بالهامش نقلاً من خط الحافظ ابن حجر =

وقدْ كنَّىٰ بعضُ العلماءِ عنْ هٰذا بأنْ قالَ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ خلقَ الأرواحَ ، ففلقَ بعضَها فلْقاً ، وأطافَها حولَ العرشِ ، فأيُّ روحينِ مِنْ فلقتينِ تعارفا هناكَ فالتقيا . . تواصلا في الدنيا)(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ أرواحَ المؤمنينَ ليلتقيانِ علىٰ مسيرةِ يومٍ وما رأىٰ أحدُهُما صاحبَهُ قطُّ »(٢) .

ورُوِيَ أنَّ امرأةً بمكةَ كانَتْ تُضحكُ النساءَ ، وكانَتْ بالمدينةِ أخرىٰ ، فنزلَتِ المكيَّةُ على المدنيَّةِ ، فدخلَتْ علىٰ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها ، فأضحكَتْها ، فقالَتْ : أينَ نزلتِ ، فذكرَتْ لها صاحبتَها ، فقالَتْ : صدقَ اللهُ ورسولُهُ ، سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « الأرواحُ جنودٌ مجنَّدةٌ . . . » الحديثَ(٣) .

= ما نصه : حديث علي اختلفوا في رفعه ووقفه ، وقد روي من حديث ابن مسعود) . وحديث ابن مسعود رضي الله عنه رواه البيهقي في « الشعب » (٨٦٢٠) قال : (الأرواح جنود مجندة ، تلاقىٰ فتشامُّ كما تشامُّ الخيل ، فما تعارف . . .) الخبر .

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٣٥) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٢٢٠) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٢٦١) .

(٣) رواه البيهقي في « الشعب » (٨٦٢١) ، وفي هٰذا المعنىٰ ما روىٰ أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٨٤) أنه لما اجتمع أويس بهرم بن حيان العبدي ولم يكن لقيه قبلُ . . خاطبه أويسٌ باسمه ، فتعجب لذلك هرمٌ وقال : يرحمك الله ! من أين عرفت اسمي واسم أبي ؟ فوالله ما رأيتك قط ولا رأيتني ، قال : عرفت روحي روحك حيث كلمت نفسي ؛ لأن الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد ، وإن المؤمنين يتعارفون بروح الله عز وجل ، وإن نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل .

والحقُّ في هٰذا : أنَّ المشاهدةَ والتجربةَ تشهدُ للائتلافِ عندَ التناسبِ ، والتناسبُ في الطباعِ والأخلاقِ باطناً وظاهراً أمرٌ مفهومٌ .

وأمَّا الأسبابُ التي أوجبَتْ تلكَ المناسبةَ . . فليسَ في قوَّةِ البشرِ الاطلاعُ عليها ، وغايةُ هذيانِ المنجِّمِ أنْ يقولَ : إذا كانَ طالعُهُ علىٰ تسديسِ طالعِ غيرِهِ أوْ تثليثِهِ[1] . . فهٰذا نظرُ الموافقةِ والمودَّةِ ؛ فتقتضي التناسبَ والتوادَّ ، وإذا كانَ علىٰ مقابلتِهِ أوْ تربيعِهِ . . اقتضى التباغضَ والعداوةَ ! وهٰذا لوْ صدقَ بكونِهِ كذلكَ في مجاري سنَّةِ اللهِ في خلقِ السماواتِ والأرضِ . . لكانَ الإشكالُ فيهِ أكثرَ مِنَ الإشكالِ في أصلِ التناسبِ ؛ فلا معنىٰ للخوضِ فيما لا يُكشفُ سرُّهُ للبشرِ ، فما أوتينا مِنَ العلمِ إلا قليلاً .

ويكفينا في التصديقِ بذلكَ التجربةُ والمشاهدةُ ؛ فقدْ وردَ الخبرُ بهِ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لوْ أنَّ مؤمناً دخلَ إلىٰ مجلسٍ فيهِ مئةُ منافقٍ ومؤمنٌ واحدٌ . . لجاءَ حتَّىٰ يجلسَ إليهِ ، ولوْ أنَّ منافقاً دخلَ إلىٰ مجلسٍ فيه مئةُ مؤمنٍ ومنافقٌ واحدٌ . . لجاءَ حتَّىٰ يجلسَ إليهِ »[2] ، وهٰذا يدلُّ علىٰ أنَّ شبهَ الشيءِ منجذبٌ إليهِ بالطبعِ وإنْ كانَ هوَ لا يشعرُ بهِ .

---

[1] طالع اليوم هو البرج الذي فيه الشمس ، وطالع الساعة هو برجها الذي هو مختص بها . « إتحاف » (٦/ ١٨٣) .

[2] رواه أبو الشيخ في « الأمثال » (١٠٨) مرفوعاً ، وأوقفه البيهقي في « الشعب » (٨٦٢٠) علىٰ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وقد ذكر قريباً ، وأوله : (الأرواح جنود مجندة . . .) الحديث .

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ يقولُ : (لا يتفقُ اثنانِ في عشرةٍ إلا وفي أحدِهما وصفٌ مِنَ الآخرِ ، وإنَّ أشكالَ الناسِ كأجناسِ الطيرِ ، ولا يتفقُ نوعانِ مِنَ الطيرِ في الطيرانِ إلا وبينَهُما مناسبةٌ) ، قالَ : فرأىٰ يوماً غراباً معَ حمامةٍ ، فعجبَ مِنْ ذلكَ ، فقالَ : اتفقا وليسَا مِنْ شكلٍ واحدٍ ! ثمَّ طارا ، فإذا هما أعرجانِ ، فقالَ : مِنْ هـٰهنا اتفقا(١) .

ولذلكَ قالَ بعضُ الحكماءِ : كلُّ إنسانٍ يأنسُ إلىٰ شكلِهِ ، كما أنَّ كلَّ طيرٍ يطيرُ معَ جنسِهِ ، وإذا اصطحبَ اثنانِ برهةً مِنْ زمانٍ ولم يتشاكلا في الحالِ . . فلا بدَّ أنْ يفترقا(٢) ، وهـٰذا معنىً خفيٌّ تفطَّنَ لهُ الشعراءُ حتَّىٰ قالَ قائلُهُمْ(٣) : [من السريع]

وَقـائِـلٍ كَيْـفَ تَفـارَقْتُمـا		فَقُلْـتُ قَـوْلاً فِيـهِ إِنْصـافُ
لَـمْ يَـكُ مِـنْ شَكْلِـي فَفـارَقْتُـهُ		وَالنَّـاسُ أَشْكـالٌ وأُلَّافُ

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٣٥) ، أما الغراب . . فإنه يمشي مشية الأعرج ، وأما الحمامة . . فكان أصابها العرج حقيقة ، فقوله : (هما أعرجان) على التغليب ، أو كان العرج فيهما حقيقة . « إتحاف » (٦/ ١٨٤) .

وقال الحافظ الزبيدي أيضاً : (وهـٰذه الحكاية اشتهر بين الخواص نسبتها للمصنف ، وأنه هو الذي كان يقول بالمناسبة ، وهو الذي رأىٰ غراباً وبلبلاً يمشيان متفقين في صحن المسجد الأقصىٰ ، فلما رأوا ذلك . . أنكروا على المصنف ، فتعجب من ذلك حتىٰ كاد أن يقول بعدم التناسب ، فبينما كذلك إذ أخذ بحجر فرماهما به ، فطارا ، فإذا البلبل أعرج ، فقال : من هـٰهنا اتفقا) . « إتحاف » (٦/ ١٨٤) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٣٥) .

(٣) البيتان لمحمد بن حازم الباهلي في « ديوانه » (ص ٧٥) .

فقدْ ظهرَ مِنْ هـٰذا أنَّ الإنسانَ قدْ يُحبُّ لذاتِهِ ، لا لفائدةٍ تُنالُ منهُ في حالٍ أوْ مآلٍ ، بلْ لمجرَّدِ المجانسةِ والمناسبةِ في الطباعِ الباطنةِ والأخلاقِ الخفيَّةِ .

ويدخلُ في هـٰذا القسمِ الحبُّ للجمالِ إذا لمْ يكنِ المقصودُ قضاءَ الشهوةِ ؛ فإنَّ الصورةَ الجميلةَ مستلذَّةٌ في عينِها وإنْ قُدِّرَ فقدُ أصلِ الشهوةِ ، حتَّىٰ يُستلذُّ النظرُ إلى الفواكِهِ ، والأنوارِ والأزهارِ ، والتفاحِ المشربِ بالحمرةِ ، وإلى الماءِ الجاري والخضرةِ . . مِنْ غيرِ غرضٍ سوىٰ عينِها .

وهـٰذا الحبُّ **لا يدخلُ فيهِ الحبُّ للهِ** ، بلْ هوَ حبٌّ بالطبعِ وشهوةِ النفسِ ، ويُتصوَّرُ ذلكَ ممَّنْ لا يُؤمنُ باللهِ ، إلا أنَّهُ إذا اتصلَ بهِ غرضٌ مذمومٌ . . صارَ مذموماً ؛ كحبِّ الصورةِ الجميلةِ لقضاءِ الشهوةِ حيثُ لا يحلُّ قضاؤُها ، وإنْ لمْ يتصلْ بهِ غرضٌ مذمومٌ . . فهوَ مباحٌ لا يُوصفُ بحمدٍ ولا بذمٍّ ؛ إذِ الحبُّ إمَّا محمودٌ ، وإمَّا مذمومٌ ، وإمَّا مباحٌ لا يُحمدُ ولا يُذمُّ .

* * *

القسمُ الثاني : أنْ يحبَّهُ لينالَ مِنْ ذاتِهِ غيرَ ذاتِهِ :

فيكونَ وسيلةً إلىٰ محبوبٍ غيرِهِ ، والوسيلةُ إلى المحبوبِ محبوبٌ ، وما يُحبُّ لغيرِهِ كانَ ذلكَ الغيرُ هوَ المحبوبَ بالحقيقةِ ، ولكنَّ الطريقَ إلى المحبوبِ محبوبٌ ، ولذلكَ أحبَّ الناسُ الذهبَ والفضةَ ولا غرضَ فيهما ؛ إذْ لا يُطعمانِ ولا يُشربانِ ، ولكنَّهما وسيلةٌ إلى المحبوباتِ ، فمِنَ الناسِ مَنْ

يُحبُّ كما يُحبُّ الذهبُ والفضةُ مِنْ حيثُ إنَّهُ وسيلةٌ إلى المقصودِ ؛ إذْ يتوصَّلُ بهِ إلىٰ نيلِ جاهٍ أوْ مالٍ أوْ علمٍ ؛ كما يحبُّ الرجلُ سلطاناً لانتفاعِهِ بمالِهِ أوْ جاهِهِ ، ويحبُّ خواصَّهُ لتحسينِهِمْ حالَهُ عندَهُ ، وتمهيدِهِمْ أمرَهُ في قلبِهِ ، فالمتوسَّلُ إليهِ إنْ كانَ مقصورَ الفائدةِ على الدنيا . . لمْ يكنْ حبُّهُ مِنْ جملةِ الحبِّ في اللهِ .

وإنْ لمْ يكنْ مقصورَ الفائدةِ على الدنيا ، ولكنَّهُ ليسَ يقصدُ بهِ إلا الدنيا ؛ كحبِّ التلميذِ لأستاذِهِ ، فهوَ أيضاً خارجٌ عنِ الحبِّ للهِ ؛ فإنَّهُ إنَّما يُحبُّهُ ليحصِّلَ منهُ العلمَ لنفسِهِ ، فمحبوبُهُ العلمُ ، فإذا كانَ لا يقصدُ العلمَ للتقرُّبِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، بلْ لينالَ بهِ الجاهَ والمالَ والقبولَ عندَ الخلقِ . . فمحبوبُهُ الجاهُ والقبولُ ، والعلمُ وسيلةٌ إليهِ ، والأستاذُ وسيلةٌ إلى العلمِ ، فليسَ في شيءٍ مِنْ ذلكَ حبٌّ للهِ ؛ إذْ يُتصوَّرُ كلُّ ذلكَ ممَّنْ لا يؤمنُ باللهِ تعالىٰ أصلاً .

ثمَّ ينقسمُ هـٰذا أيضاً إلىٰ مذمومٍ ومباحٍ ، فإنْ كانَ يقصدُ بهِ التوصُّلَ إلىٰ مقاصدَ مذمومةٍ ؛ مِنْ قهرِ الأقرانِ ، وحيازةِ أموالِ اليتامىٰ ، وظلمِ الرعيَّةِ بولايةِ القضاءِ أوْ غيرِهِ . . كانَ الحبُّ مذموماً ، وإنْ كانَ يقصدُ بهِ التوصُّلَ إلىٰ مباحٍ . . فهوَ مباحٌ ، وإنَّما تكتسبُ الوسيلةُ الحكمَ والصفةَ مِنَ المقصدِ المتوسَّلِ إليهِ ؛ فإنَّها تابعةٌ لهُ ، غيرُ قائمةٍ بنفسِها .

* * *

القسمُ الثالثُ : أنْ يحبَّهُ لا لذاتِهِ ، بلْ لغيرِهِ ، وذلكَ الغيرُ ليسَ راجعاً إلىٰ حظوظِهِ في الدنيا ، بلْ يرجعُ إلىٰ حظوظِهِ في الآخرةِ :

فهـٰذا أيضاً ظاهرٌ لا غموضَ فيهِ ، وذلكَ كمَنْ يحبُّ أستاذَهُ وشيخَهُ لأنَّهُ يتوسَّلُ بهِ إلىٰ تحصيلِ العلمِ وتحسينِ العملِ ، ومقصودُهُ مِنَ العلمِ والعملِ الفوزُ في الآخرةِ ، فهـٰذا مِنْ جملةِ المحبِّينَ في اللهِ .

وكذلكَ مَنْ يحبُّ تلميذَهُ لأنَّهُ يتلقَّفُ منهُ العلمَ ، وينالُ بواسطتِهِ رتبةَ التعليمِ ، ويرقىٰ بهِ إلىٰ درجةِ التعظيمِ في ملكوتِ السماءِ ؛ إذْ قالَ عيسىٰ عليهِ السلامُ : (مَنْ علمَ وعملَ وعلَّمَ . . فذلكَ يُدعىٰ عظيماً في ملكوتِ السماءِ)(١) ، ولا يتمُّ التعليمُ إلا بمتعلِّمٍ ، فهوَ إذاً آلةٌ في تحصيلِ هـٰذا الكمالِ ، فإنْ أحبَّهُ لأنَّهُ آلةٌ لهُ ؛ إذْ جعلَ صدرَهُ مزرعةً لحرثِهِ الذي هوَ سببُ ترقِّيهِ إلىٰ رتبةِ العظمةِ في ملكوتِ السماءِ . . فهوَ محبٌّ في اللهِ .

بلِ الذي يتصدَّق بأموالِهِ للهِ ، ويجمعُ الضيفانَ ، ويهيِّئُ لهُمُ الأطعمةَ اللذيذةَ الغريبةَ تقرُّباً إلى اللهِ ، فأحبَّ طبَّاخاً لحسْنِ صنعتِهِ في الطبيخِ . . فهوَ في جملةِ المحبِّينَ في اللهِ عزَّ وجلَّ ، وكذا لوْ أحبَّ مَنْ يتولَّىٰ لهُ إيصالَ الصدقةِ إلى المستحقِّينَ . . فقدْ أحبَّهُ في اللهِ .

بلْ نزيدُ علىٰ هـٰذا ونقولُ : إذا أحبَّ مَنْ يخدمُهُ بنفسِهِ في غسْلِ ثيابِهِ ، وكنْسِ بيتِهِ ، وطبخِ طعامِهِ ، ويفرِّغُهُ بذلكَ للعلمِ والعملِ ، ومقصودُهُ مِنَ

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٩٣) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٧٩١ ، ١٢١٦) .

استخدامِهِ في هـٰذهِ الأعمالِ الفراغُ للعبادةِ . . فهوَ محبٌّ في اللهِ .

بلْ نزيدُ عليهِ ونقولُ : إذا أحبَّ مَنْ ينفقُ عليهِ مالَهُ ، ويواسيهِ بكسوتِهِ وطعامِهِ ومسكنِهِ ، وجميعِ أغراضِهِ التي يقصدُها في دنياهُ ، ومقصودُهُ مِنْ جملةِ ذلكَ الفراغُ للعلمِ والعملِ المقرِّبِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ . . فهوَ محبٌّ في اللهِ ، فقدْ كانَ جماعةٌ مِنَ السلفِ تكفَّلَ بكفايتِهِمْ جماعةٌ مِن أولي الثروةِ ، وكانَ المواسِي والمواسَىٰ جميعاً مِنَ المتحابِّينَ في اللهِ .

بلْ نزيدُ علىٰ ذلكَ ونقولُ : مَنْ نكح امرأةً صالحةً ليتحصَّنَ بها عنْ وساوسِ الشيطانِ ، ويصونَ بها دينَهُ ، أوْ ليُولدَ لهُ منها ولدٌ صالحٌ يدعو لهُ ، وأحبَّ زوجتَهُ لأنَّها آلتُهُ في هـٰذهِ المقاصدِ الدينيةِ . . فهوَ محبٌّ في اللهِ تعالىٰ ، ولذلكَ وردَ في الأخبارِ وفورُ الأجرِ والثوابِ على الإنفاقِ على العيالِ ، حتَّى اللقمةِ يضعُها الرجلُ في في امرأتِهِ .

بلْ نقولُ : كلُّ مَنِ استُهتِرَ بحبِّ اللهِ وحبِّ رضائِهِ ، وحبِّ لقائِهِ في الدارِ الآخرةِ ، فإذا أحبَّ غيرَهُ كانَ محباً في اللهِ ؛ لأنَّهُ لا يُتصوَّرُ أنْ يحبَّ شيئاً إلا لمناسبتِهِ لما هوَ محبوبٌ عندَهُ ، وهوَ رضا اللهِ عزَّ وجلَّ .

بلْ أزيدُ علىٰ هـٰذا وأقولُ : إذا اجتمعَ في قلبِهِ محبَّتانِ ؛ محبَّةُ اللهِ ومحبَّةُ الدنيا ، واجتمعَ في شخصٍ واحدٍ المعنيانِ جميعاً ، حتَّىٰ صلحَ لأنْ يتوسَّلَ بهِ إلى اللهِ وإلى الدنيا ، فإذا أحبَّهُ لصلاحِهِ للأمرينِ . . فهوَ مِنَ المحبِّينَ في اللهِ ؛ كمَنْ يحبُّ أستاذَهُ الذي يعلِّمُهُ الدينَ ويكفيهِ مهمَّاتِ الدنيا بالمواساةِ بالمالِ ، فأحبَّهُ مِنْ حيثُ إنَّ في طبعِهِ طلبَ الراحةِ في الدنيا

والسعادةِ في الآخرةِ ، فهوَ وسيلةٌ إليهما . . فهوَ محبٌّ في اللهِ .

وليسَ مِنْ شرطِ حبِّ اللهِ ألا يحبَّ في العاجلِ حظّاً ألبتةَ ؛ إذِ الدعاءُ الذي أمرَ بهِ الأنبياءُ صلواتُ اللهِ عليهِمْ وسلامُهُ فيهِ جمعٌ بينَ الدنيا والآخرةِ ، ومِنْ ذلكَ قولُهُمْ : « ربَّنا آتنا في الدنيا حسنةً ، وفي الآخرةِ حسنةً »(١) .

وقالَ عيسىٰ عليهِ السلامُ في دعائهِ : (اللَّهُمَّ ؛ لا تُشْمِتْ بي عدوِّي ، ولا تسُؤْ بِي صديقي ، ولا تجعلْ مصيبتي في ديني ، ولا تجعلِ الدنيا أكبرَ همِّي)(٢) ، فدفعُ شماتةِ الأعداءِ مِنْ حظوظِ الدنيا ، ولمْ يقلْ : (ولا تجعلِ الدنيا أصلاً مِنْ همِّي) ، بلْ قالَ : (لا تجعلْها أكبرَ همِّي) .

وقال نبيُّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في دعائِهِ : « اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ رحمةً أنالُ بها شرفَ كرامتِكَ في الدُّنيا والآخرةِ »(٣) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: « اللَّهُمَّ ؛ عافني مِنْ بلاءِ الدُّنيا وعذابِ الآخرةِ »(٤) .

---

(١) رواه مسلم (٢٦٨٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩٦٧٢) .

(٢) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (١١/ ٣٧) ، وأحمد في « الزهد » (٤٩٢) .

(٣) هو جزء من حديث طويل رواه الترمذي (٣٤١٩) .

(٤) رواه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (٢/ ٦٦) ولفظه : « وأعوذ بك من جهد بلاء الدنيا ومن عذاب الآخرة » ، ونحوه عند أحمد في « المسند » (٤/ ١٨١) ولفظه : « اللهم ؛ أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة » ، قال الحافظ الزبيدي : (ومما يشهد لهـٰذا المقام أيضاً ما رواه مسلم [٢٧٢٠] من حديث أبي هريرة رفعه : « اللهم ؛ أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي ») . « إتحاف » (٦/ ١٨٧) .

وعلى الجملةِ : فإذا لمْ يكنْ حبُّ السعادةِ في الآخرةِ مناقضاً لحبِّ اللهِ تعالىٰ . . فحبُّ السلامةِ والصحَّةِ والكفايةِ والكرامةِ في الدنيا كيفَ يكونُ مناقضاً لحبِّ اللهِ ؟

والدنيا والآخرةُ عبارةٌ عنْ حالتينِ ، إحداهُما أقربُ مِنَ الأخرىٰ ، فكيفَ يُتصوَّرُ أنْ يحبَّ الإنسانُ حظوظَ نفسِهِ غداً ولا يحبَّها اليومَ ؟! وإنَّما يحبُّها غداً ؛ لأنَّ الغدَ سيصيرُ حالاً راهنةً ، فالحالةُ الراهنةُ لا بدَّ أنْ تكونَ مطلوبةً أيضاً ، إلا أنَّ الحظوظَ العاجلةَ منقسمةٌ إلىٰ **ما يضادُّ** حظوظَ الآخرةِ ويمنعُ منها ؛ وهيَ التي احترزَ عنها الأنبياءُ والأولياءُ ، وأمروا بالاحترازِ عنها ، وإلىٰ **ما لا يضادُّ** ؛ وهيَ التي لم يمتنعوا منها ؛ كالنكاحِ الصحيحِ ، وأكلِ الحلالِ ، وغيرِ ذلكَ .

فما يضادُّ حظوظَ الآخرةِ فحقُّ العاقلِ أنْ يكرهَهُ ولا يحبَّهُ ؛ أعني : أنْ يكرهَهُ بعقلِهِ لا بطبعِهِ ، كما يكرهُ التناولَ مِنْ طعامٍ لذيذٍ لملكٍ مِنَ الملوكِ يعلمُ أنَّهُ لوْ أقدمَ عليهِ . . لقُطعَتْ يدُهُ أوْ حُزَّتْ رقبتُهُ ، لا بمعنىٰ أنَّ الطعامَ اللذيذَ يصيرُ بحيثُ لا يشتهيهِ بطبعِهِ ولا يستلذُّهُ لوْ أكلَهُ ؛ فإنَّ ذلكَ محالٌ ، ولكنْ علىٰ معنىٰ أنَّهُ يزجرُهُ عقلُهُ عنِ الإقدامِ عليهِ ، وتحصلُ فيهِ كراهةٌ للضررِ المتعلِّقِ بهِ .

والمقصودُ مِنْ هٰذا : أنَّهُ لوْ أحبَّ أستاذَهُ لأنَّهُ يواسيهِ ويعلِّمُهُ ، أوْ تلميذَهُ لأنَّهُ يتعلَّمُ منهُ ويخدمُهُ ، وأحدُهُما حظٌّ عاجلٌ والآخرُ آجلٌ . . لكانَ في

زمرةِ المتحابِّينَ في اللهِ ، ولكنْ بشرطٍ واحدٍ ؛ وهوَ أنْ يكونَ بحيثُ لوْ منعَهُ العلمَ مثلاً ، أوْ تعذَّرَ عليهِ تحصيلُهُ . . لنقصَ حبُّهُ بسببِهِ ، فالقدْرُ الذي ينقصُ بسببِ فقدِهِ هوَ للهِ تعالىٰ ، ولهُ علىٰ ذلكَ القدْرِ ثوابُ الحبِّ في اللهِ .

وليسَ بمستنكرٍ أنْ يشتدَّ حبُّكَ لإنسانٍ لجملةِ أغراضٍ ترتبطُ لكَ بهِ ، فإنِ امتنعَ بعضُها . . نقصَ حبُّكَ ، وإنْ زادَ . . زادَ الحبُّ ، فليسَ حبُّكَ للذهبِ كحبِّكَ للفضَّةِ إذا تساوىٰ مقدارُهُما ؛ لأنَّ الذهبَ يوصلُ إلىٰ أغراضٍ هيَ أكثرُ ممَّا توصِلُ إليهِ الفضَّةُ ، فإذاً يزيدُ الحبُّ بزيادةِ الغرضِ ، ولا يستحيلُ اجتماعُ الأغراضِ الدنيويَّةِ والأخرويَّةِ ، فهوَ داخلٌ في جملةِ الحبِّ للهِ .

وحدُّهُ : هوَ أنَّ كلَّ حبٍّ لولا الإيمانُ باللهِ واليومِ الآخرِ . . لمْ يُتصوَّرْ وجودُهُ . . فهوَ حبٌّ في اللهِ ، وكذلكَ كلُّ زيادةٍ في الحبِّ لولا الإيمانُ باللهِ لمْ تكنْ تلكَ الزيادةُ . . فتلكَ الزيادةُ مِنَ الحبِّ في اللهِ ، فذلكَ وإنْ دقَّ فهوَ عزيزٌ .

قالَ الجريريُّ : (تعاملَ الناسُ في القرنِ الأوَّلِ بالدينِ حتَّىٰ رقَّ الدينُ ، وتعاملوا في القرنِ الثاني بالوفاءِ حتَّىٰ ذهبَ الوفاءُ ، وفي الثالثِ بالمروءةِ حتَّىٰ ذهبتِ المروءةُ ، ولمْ يبقَ إلا الرهبةُ والرغبةُ)(١) .

* * *

---

(١) رواه السلمي في « آداب الصحبة » (٨١) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٣٧٣) من طريقه ، وعندهما زيادة : (حتىٰ ذهبت المروءة ، ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتىٰ ذهب الحياء ، ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرهبة) ، **والقرن** : أهل الزمان الواحد .

القسمُ الرابعُ : أنْ يحبَّ للهِ وفي اللهِ ، لا لينالَ منهُ علماً أوْ عملاً ، أوْ يتوسَّلَ بهِ إلىٰ أمرٍ وراءَ ذاتِهِ :

وهٰذا أعلى الدرجاتِ ، وهوَ أدقُّها وأغمضُها ، وهٰذا القسم أيضاً ممكنٌ ؛ فإنَّ مِنْ آثارِ غلبةِ الحبِّ أنْ يتعدَّىٰ مِنَ المحبوبِ إلىٰ كلِّ مَنْ يتعلَّقُ بالمحبوبِ ويناسبُهُ ، ولوْ منْ بُعْدٍ ، فمَنْ أحبَّ إنساناً حبّاً شديداً . . أحبَّ مُحبَّ ذلكَ الإنسانِ ، وأحبَّ محبوبَهُ ، وأحبَّ مَنْ يخدمُهُ ، وأحبَّ مَنْ يثني عليهِ محبوبُهُ ، وأحبَّ مَنْ يتسارعُ إلىٰ رضا محبوبِهِ ، حتَّىٰ قالَ بقيَّةُ بنُ الوليدِ : (إنَّ المؤمنَ إذا أحبَّ المؤمنَ . . أحبَّ كلبَهُ)(١) ، وهوَ كما قالَ ، ويشهدُ لهُ التجربةُ في أحوالِ العشَّاقِ ، ويدلُّ عليهِ أشعارُ الشعراءِ ، ولذلكَ يحفظُ ثوبَ المحبوبِ وتحفتَهُ ؛ تذكرةً مِنْ جهتِهِ ، ويحبُّ منزلَهُ ومحلتَهُ وجيرانَهُ ، حتَّىٰ قالَ مجنونُ بني عامرٍ(٢) : [من الوافر]

أَمُـرَّ عَلَـى ٱلـدِّيـارِ دِيـارِ لَيْلَـى ... أُقَبِّـلُ ذا ٱلْجِـدارَ وَذَا ٱلْجِـدارا
وَما حُبُّ ٱلدِّيارِ شَغَفْنَ قَلْبي ... وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ ٱلدِّيارا

فإذاً ؛ المشاهدةُ والتجربةُ تدلُّ علىٰ أنَّ الحبَّ يتعدَّىٰ مِنْ ذاتِ المحبوبِ إلىٰ ما يحيطُ بهِ ويتعلَّقُ بأسبابِهِ ، ويناسبُهُ ولوْ مِنْ بُعْدٍ ، ولكنَّ ذلكَ مِنْ

---

(١) أي : أحب كل شيء يتعلق به حتىٰ كلبه . « إتحاف » (٦/ ١٨٨) . وفي هٰذا المعنىٰ أنشدوا :

أحبُّ كلبٍ مِنْ كلاباتِ الناسْ ... إلـيَّ نَبْحـاً كلـبُ أمِّ العبَّـاسْ

(٢) ديوانه (ص ١٧٠) .

خاصِّيةِ فرْطِ المحبَّةِ ، فأصلُ المحبَّةِ لا يكفي فيهِ .

ويكونُ اتساعُ الحبِّ في تعدِّيهِ مِنَ المحبوبِ إلىٰ ما يكتنفُهُ ويحيطُ بهِ ويتعلَّقُ بأسبابِهِ بحسَبِ إفراطِ المحبَّةِ وقوَّتِها ، وكذلكَ حبُّ اللهِ سبحانَهُ وتعالىٰ إذا قَوِيَ وغلبَ على القلبِ . . استولىٰ عليهِ حتَّى انتهىٰ إلىٰ حدِّ الاستهتارِ ، فيتعدَّىٰ إلىٰ كلِّ موجودٍ سواهُ ؛ فإنَّ كلَّ موجودٍ سواهُ أثرٌ مِنْ آثارِ قدرتِهِ ، ومَنْ أحبَّ إنساناً . . أحبَّ صنعتَهُ وخطَّهُ وجميعَ أفعالِهِ ، ولذلكَ كانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا حُمِلَ إليهِ باكورةٌ مِنَ الفواكِهِ(١) . . مسحَ بها عينيهِ وأكرمَها وقالَ : « إنَّهُ قريبُ العهدِ بربِّنا »(٢) .

وحبُّ اللهِ تعالىٰ تارةً يكونُ لصدْقِ الرجاءِ في مواعيدِهِ ، وما يُتوقَّعُ في الآخرةِ مِنْ نعيمِه ، وتارةً لما سلفَ مِنْ أياديهِ وصنوفِ نعمتِهِ ، وتارةً لذاتِهِ لا لأمرٍ آخرَ ، وهوَ أدقُّ ضروبِ المحبَّةِ وأعلاها ، وسيأتي تحقيقُها في كتابِ المحبَّةِ مِنْ ربعِ المنجياتِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ ، وكيفما اتفقَ حبُّ اللهِ ؛ فإذا

---

(١) أي : أول الثمر .

(٢) رواه الطبراني في « الصغير » (٢/ ١١) : (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أُتي بالباكورة من الثمرة . . قبَّلها ، أو جعلها بين عينيه ، ثم أعطاها أصغر من يحضره من الولدان) ، ورواه مرسلاً عن ابن شهاب أبو داوود في « المراسيل » (٤٧٠ ، ٤٧١) وفيه : « اللهم ؛ كما بلغتنا أولها فبلغنا آخرها » ، وبنحوه كذلك عند البيهقي في « الدعوات الكبير » (٥١٤) ، وإكرامه لها بهـٰذا الفعل ، وبإعطائها لمن لم يصب ذنباً ، ولم ترد لفظة : (وأكرمها) عندهم ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « قريب العهد بربنا » ورد بنحوه عند مسلم (٨٩٨) قاله صلى الله عليه وسلم في حق باكورة المطر ، إذ كان يحسر عن ثوبه ليصيبه المطر ويقول : « لأنه حديث عهد بربه » .

قويَ . . تعدَّىٰ إلىٰ كلِّ متعلِّقٍ بهِ ضرباً مِنَ التعلُّقِ ، حتَّىٰ يتعدَّىٰ إلىٰ ما هوَ في نفسِهِ مؤلمٌ مكروهٌ، ولكنْ فرْطُ الحبِّ يضعفُ الإحساسَ بالألمِ، والفرحُ بفعلِ المحبوبِ وقصدِهِ إيَّاهُ بالإيلامِ يغمرُ إدراكَ الألمِ ، وذلكَ كالفرحِ بضربةٍ مِنَ المحبوبِ أوْ قرصةٍ فيها نوعُ معاتبةٍ ؛ فإنَّ قوَّةَ المحبَّةِ تثيرُ فرحاً يغمرُ إدراكَ الألمِ فيهِ ، وقدِ انتهَتْ محبَّةُ اللهِ تعالىٰ بقومٍ إلىٰ أنْ قالوا : لا نفرِّقُ بينَ البلاءِ والنعمةِ(١) ؛ فإنَّ الكلَّ مِنَ اللهِ ، ولا نفرحُ إلا بما فيهِ رضاهُ ، حتَّىٰ قالَ بعضُهُمْ : (لا أريدُ أَنْ أنالَ مغفرةَ اللهِ بمعصيةِ اللهِ) ، وقالَ سُمنونٌ(٢) : [من مخلع البسيط]

وَلَيْسَ لِي فِي سِواكَ حَظٌّ   فَكَيْفَمَا شِئْتَ فَٱخْتَبِرْنِي

وسيأتي تحقيقُ ذلكَ في كتابِ المحبَّةِ .

والمقصودُ : أنَّ حبَّ اللهِ تعالىٰ إذا قَوِيَ . . أثمرَ حبَّ كلِّ منْ يقومُ بحقِّ عبادةِ اللهِ في علمٍ أوْ عملٍ ، وأثمرَ حبَّ كلِّ مَنْ فيهِ صفةٌ مرضيَّةٌ عندَ اللهِ مِنْ خُلُقٍ حسنٍ ، أوْ تأدَّبَ بأدبِ الشرعِ ، وما مِنْ مؤمنٍ محبٍّ للآخرةِ ومحبٍّ للهِ إلا إذا أُخبرَ عنْ حالِ رجلينِ ؛ أحدُهُما : عالمٌ عابدٌ ، والآخرُ : جاهلٌ فاسقٌ . . إلا وجدَ في نفسِهِ ميلاً إلى العالمِ العابدِ ، ثمَّ يضعفُ ذلكَ الميلُ ويقوىٰ بحسَبِ ضعْفِ إيمانِهِ وقوَّتِهِ ، وبحسَبِ ضعفِ حبِّهِ للهِ وقوَّتِهِ ، وهٰذا الميلُ حاصلٌ وإنْ كانا غائبينِ عنهُ ، بحيثُ يعلم أنَّهُ لا يصيبُهُ منهما خيرٌ

---

(١) كما بينه المصنف رحمه الله تعالىٰ في كتاب الشكر .

(٢) عقلاء المجانين (ص ٣٣٩) ، والرسالة القشيرية (ص٨٨) .

ولا شرٌّ في الدنيا ولا في الآخرةِ ، فذلكَ الميلُ هوَ حبٌّ في اللهِ وللهِ مِنْ غيرِ حظٍّ ، فإنَّهُ إنَّما يحبُّهُ لأنَّ اللهَ يحبُّهُ ، ولأنَّهُ مرضيٌّ عندَ اللهِ تعالىٰ ، ولأنَّهُ يحبُّ اللهَ تعالىٰ ، ولأنَّهُ مشغولٌ بعبادةِ اللهِ تعالىٰ ، إلا أنَّهُ إذا ضعفَ.. لمْ يظهرْ أثرُهُ ، فلا يظهرُ لهُ ثوابٌ ولا أجرٌ ، فإذا قَوِيَ.. حملَ على الموالاةِ والنصرةِ ، والذبِّ بالنفسِ والمالِ واللسانِ ، وتتفاوتُ الناسُ فيهِ بحسَبِ تفاوتِهِمْ في حبِّ اللهِ تعالىٰ .

ولوْ كانَ الحبُّ مقصوراً علىٰ حظٍّ يُنالُ مِنَ المحبوبِ في الحالِ أوِ المآلِ.. لما تُصوِّرَ حبُّ الموتىٰ منَ العلماءِ والعبَّادِ ، ومِنَ الصحابةِ والتابعينَ ، بلْ مِنَ الأنبياءِ المنقرضينَ صلواتُ اللهِ عليهِمْ وسلامُهُ ، وحبُّ جميعِهِمْ مكنونٌ في قلبِ كلِّ مسلمٍ متديِّنٍ ، ويتبينُ ذلكَ بغضبِهِ عندَ طعْنِ أعدائِهِمْ في واحدٍ منهُمْ ، وبفرحِهِ عند الثناءِ عليهِمْ وذكرِ محاسِنِهِمْ ، وكلُّ ذلكَ حبٌّ للهِ ؛ لأنَّهُمْ خواصُّ عبادِ اللهِ ، ومَنْ أحبَّ ملكاً أوْ شخصاً جميلاً.. أحبَّ خواصَّهُ وخدمَهُ ، وأحبَّ مَنْ أحبَّهُ .

إلا أنَّهُ يُمتحنُ الحبُّ بالمقابلةِ بحظوظِ النفسِ(١) ، وقدْ يغلبُ بحيثُ لا يبقىٰ للنفسِ حظٌّ إلا فيما هوَ حظُّ المحبوبِ ، وعنهُ عبَّرَ قولُ مَنْ قالَ(٢) : [من الوافر]

أُرِيدُ وِصَالَهُ وَيُرِيدُ هَجْرِي … فَأَتْرُكُ مَا أُرِيدُ لِمَا يُرِيدُ

---

(١) والعبارة في (أ) : (إلا أنه يمتحن القلب بالمقابلة لحظوظ النفس) .

(٢) البيت لابن المنجم الواعظ ، انظر « فوات الوفيات » (٢/ ٣٠١) ، و« الوافي بالوفيات » (١٨/ ٢٦٨) .

وقولُ مَنْ قالَ(١) : [من البسيط]

. . . .　　وَمـا لِجُـرْحٍ إِذا أَرْضـاكُـمُ أَلَـمُ

وقدْ يكونُ الحبُّ بحيثُ يُتركُ بهِ بعضُ الحظوظِ دونَ بعضٍ ، كمَنْ تسمحُ نفسُهُ بأنْ يشاطرَ محبوبَهُ في نصْفِ مالِهِ أوْ في ثلثِهِ أوْ في عشْرِهِ ؛ فمقاديرُ الأموالِ موازينُ المحبَّةِ ؛ إذْ لا تعرفُ درجةُ المحبوبِ إلا بمحبوبٍ يُتركُ في مقابلتِهِ ، فمَنِ استغرقَ الحبُّ جميعَ قلبِهِ . . لمْ يبقَ لهُ محبوبٌ سواهُ ، فلا يمسكُ لنفسِهِ شيئاً ؛ مثلُ أبي بكرٍ الصدِّيقِ رضيَ اللهُ عنهُ ، فإنَّهُ لمْ يتركْ لنفسِهِ أهلاً ولا مالاً ؛ فسلَّمَ ابنتَهُ التي هيَ قرَّةُ عينِهِ ، وبذلَ جميعَ مالِهِ(٢) .

قالَ ابنُ عمرَ : بينَما النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ جالسٌ وعندَهُ أبو بكرٍ الصديقُ ، وعليهِ عباءَةٌ قدْ خلَّلَها علىٰ صدرِهِ بخلالٍ . . إذْ نزلَ جبريلُ عليهِ السلامُ ، فأقرأَهُ مِنَ اللهِ السلامَ ، وقالَ لهُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما لي أرىٰ أبا بكرٍ عليهِ عباءَةٌ قدْ خلَّلَها علىٰ صدرِهِ بخلالٍ ؟ فقالَ : « أنفقَ مالَهُ عليَّ قبلَ الفتحِ » ، قالَ : فأقرئْهُ مِنَ اللهِ السلامَ ، وقُلْ لهُ : يقولُ لكَ ربُّكَ : أراضٍ أنتَ عنِّي في فقرِكَ هـٰذا أمْ ساخطٌ ؟ قالَ : فالتفتَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ أبي بكرٍ وقالَ : « يا أبا بكرٍ ؛ هـٰذا جبريلُ يقرئُكَ السَّلامَ منَ اللهِ تعالىٰ

---

(١) عجز بيت للمتنبي في « ديوانه بشرح العكبري » (٣/ ٣٧٠) وتمامه :

إنْ كانَ سرَّكُمُ ما قالَ حاسِدُنا　　فمـا لجـرحٍ إذا أرضـاكـم أَلَـمُ

(٢) رواه أبو داوود (١٦٧٨) ، والترمذي (٣٦٧٥) .

ويقولُ : أراضٍ أنتَ عنِّي في فقرِكَ هـٰذا أمْ ساخطٌ ؟ » قالَ : فبكىٰ أبو بكر رضيَ اللهُ عنهُ وقالَ : أعلىٰ ربِّي أسخطُ ، أنا عنْ ربِّي راضٍ ، أنا عنْ ربِّي راضٍ (١) .

فحصلَ مِنْ هـٰذا أنَّ كلَّ مَنْ أحبَّ عالماً أوْ عابداً ، أوْ أحبَّ شخصاً راغباً في علْمٍ أوْ في عبادةٍ أوْ في خيرٍ . . فإنَّما أحبَّهُ في اللهِ وللهِ ، ولهُ فيهِ مِنَ الأجرِ والثوابِ بقدْرِ قوَّةِ حبِّهِ .

فهـٰذا شرحُ الحبِّ في اللهِ ودرجاتِهِ ، وبهـٰذا يتضحُ البغضُ في اللهِ ، ولكنْ نزيدُهُ بياناً أيضاً .

* * *

---

(١) رواه الثعلبي في « تفسيره » (٩/ ٢٣٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/ ١٠٥) ، وابن حزم في « المحلىٰ » (٩/ ١٣٩) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٢/ ١٠٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٧١) .

بيان البغض في الله

اعلمْ : أنَّ كلَّ مَنْ يحبُّ في اللهِ لا بدَّ أنْ يبغضَ في اللهِ ؛ فإنَّكَ إذا أحببتَ إنساناً لأنَّهُ مُطيعٌ للهِ ، ومحبوبٌ عندَ اللهِ ؛ فإنْ عصاهُ . . فلا بدَّ أنْ تبغضَهُ ؛ لأنَّهُ عاصٍ للهِ ، وممقوتٌ عندَ اللهِ ، ومَنْ أحبَّ بسببٍ . . فبالضرورةِ يبغضُ لضدِّهِ ، وهـٰذانِ متلازمانِ ، لا ينفصلُ أحدُهُما عنِ الآخرِ ، وهوَ مطردٌ في الحبِّ والبغضِ في العاداتِ ، ولكنْ كلُّ واحدٍ مِنَ الحبِّ والبغضِ داءٌ دفينٌ في القلبِ ، وإنَّما يترشَّحُ عندَ الغلبةِ ، ويترشَّحُ بظهورِ أفعالِ المحبِّينَ والمبغضينَ في المقاربةِ والمباعدةِ ، وفي المخالفةِ والموافقةِ ، فإذا ظهرَ في الفعلِ . . سمِّيَ موالاةً ومعاداةً ، ولذلكَ قالَ اللهُ تعالىٰ : « هلْ واليتَ فيَّ وليّاً ، وهلْ عاديتَ فيَّ عدوّاً » كما نقلناهُ .

وهـٰذا واضحٌ في حقِّ مَنْ لمْ يُظهرْ لكَ إلا طاعتَهُ ؛ إذْ تقدرُ علىٰ أنْ تحبَّهُ ، أوْ لمْ يُظهرْ لكَ إلا فسقَهُ وفجورَهُ وأخلاقَهُ السيئةَ ، فتقدرُ علىٰ أنْ تبغضَهُ ، وإنَّما المشكلُ إذا اختلطتِ الطاعاتُ بالمعاصي ، فإنَّكَ تقولُ : كيفَ أجمعُ بينَ البغضِ والمحبَّةِ وهما متناقضانِ ؟ وكذلكَ تتناقضُ ثمرتُهُما مِنَ الموافقةِ والمخالفةِ ، والموالاةِ والمعاداةِ ؟

فأقولُ : ذلكَ غيرُ متناقضٍ في حقِّ اللهِ تعالىٰ ؛ كما لا يتناقضُ في الحظوظِ البشريَّةِ ؛ فإنَّهُ مهما اجتمعَ في شخصٍ واحدٍ خصالٌ يُحبُّ بعضُها

ويُكرهُ بعضُها . . فإنَّكَ تحبُّهُ مِنْ وجهٍ وتبغضُهُ مِنْ وجهٍ ، فمَنْ لهُ زوجةٌ حسناءُ فاجرةٌ ، أوْ ولدٌ ذكيٌّ خدومٌ ولكنَّهُ فاسقٌ . . فإنَّهُ يحبُّهُما مِنْ وجهٍ ويبغضُهُما مِنْ وجهٍ ، ويكونُ معَهُما علىٰ حالةٍ بينَ حالتينِ ، إذْ لوْ فُرِضَ لهُ ثلاثةُ أولادٍ : أحدُهُمْ ذكيٌّ بارٌّ ، والآخرُ بليدٌ عاقٌّ ، والآخرُ بليدٌ بارٌّ أوْ ذكيٌّ عاقٌّ . . فإنَّهُ يصادفُ نفسَهُ معَهُمْ علىٰ ثلاثةِ أحوالٍ متفاوتةٍ بحسَبِ تفاوتِ خصالِهِمْ ؛ فكذلكَ ينبغي أنْ تكونَ حالُكَ بالإضافةِ إلىٰ مَنْ غلبَ عليهِ الفجورُ ، ومَنْ غلبَتْ عليهِ الطاعةُ ، ومَنِ اجتمعَ فيهِ كلاهُما . . متفاوتةً علىٰ ثلاثِ مراتبَ ، وذلكَ بأنْ تعطيَ كلَّ صفةٍ حظَّها مِنَ البغضِ والحبِّ ، والإعراضِ والإقبالِ ، والصحبةِ والقطيعةِ ، وسائرِ الأفعالِ الصادرةِ منهُمْ .

* * *

فإنْ قلتَ : فكلُّ مسلمٍ فإسلامُهُ طاعةٌ منهُ ، فكيفَ أبغضُهُ معَ الإسلامِ ؟

فأقولُ : تحبُّهُ لإسلامِهِ ، وتبغضُهُ لمعصيتِهِ ، وتكونُ معَهُ علىٰ حالةٍ لوْ قستَها بحالِ كافرٍ أوْ فاجرٍ . . أدركتَ تفرقةً بينَهُما ، وتلكَ التفرقةُ حبٌّ للإسلامِ وقضاءٌ لحقِّهِ .

وقدْرُ الجنايةِ علىٰ حقِّ اللهِ تعالىٰ والطاعةِ لهُ . . كالجنايةِ علىٰ حقِّكَ والطاعةِ لكَ ، فمَنْ وافقَكَ علىٰ غرضٍ وخالفَكَ في آخرَ . . فكُنْ معَهُ علىٰ حالةٍ متوسطةٍ بينَ الانقباضِ والاسترسالِ ، وبينَ الإقبالِ والإعراضِ ، وبينَ التودُّدِ إليهِ والتوحُّشِ منهُ ، فلا تبالغُ في إكرامِهِ مبالغتَكَ في إكرامِ مَنْ يوافقُكَ

علىٰ جميعِ أغراضِكَ ، ولا تبالغُ في إهانتِهِ مبالغتَكَ في إهانةِ مَنْ خالفَكَ في جميعِ أغراضِكِ ، ثمَّ ذلكَ التوسُّطُ تارةً يكونُ ميلُهُ إلىٰ طرفِ الإهانةِ عندَ غلبةِ الجنايةِ ، وتارةً إلىٰ طرفِ المجاملةِ والإكرامِ عندَ غلبةِ الموافقةِ .

فهكذا ينبغي أنْ يكونَ فيمَنْ يطيعُ اللهَ تعالىٰ ويعصيهِ ، ويتعرَّضُ لرضاهُ مرَّةً ولسخطِهِ أخرىٰ .

* * *

فإنْ قلتَ : فبماذا يمكنُ إظهارُ البغضِ ؟

فأقولُ : أمَّا في القولِ . . فبكفِّ اللسانِ عنْ مكالمتِهِ ومحادثتِهِ مرَّةً ، وبالاستخفافِ والتغليظِ في القولِ أخرىٰ ، وأمَّا في الفعلِ . . فبقطعِ السعي في إعانتِهِ مرَّةً ، وبالسعي في إساءتِهِ وإفسادِ مآربِهِ أخرىٰ ، وبعضُ هـٰذا أشدُّ مِنْ بعضٍ ، وهوَ بحسَبِ درجاتِ الفسقِ والمعصيةِ الصادرةِ منهُ .

أمَّا ما يجري مَجرى الهفوةِ التي يعلمُ أنَّهُ متندِّمٌ عليها ، ولا يصرُّ عليها . . فالأولىٰ فيهِ السترُ والإغماضُ .

وأمَّا ما أصرَّ عليهِ مِنْ صغيرةٍ أوْ كبيرةٍ ؛ فإنْ كانَ ممَّنْ تأكَّدتْ بينَكَ وبينَهُ مودَّةٌ وصحبةٌ وأخوَّةٌ . . فلهُ حكمٌ آخرُ ، وسيأتي ، وفيهِ خلافٌ بينَ العلماءِ .

وأمَّا إذا لمْ تتأكَّدْ أخوَّةٌ وصحبةٌ . . فلا بدَّ مِنْ إظهارِ أثرِ البغضِ ؛ إمَّا في الإعراضِ والتباعدِ عنهُ ، وقلَّةِ الالتفاتِ إليهِ ، وإمَّا في الاستخفافِ وتغليظِ القولِ عليهِ ، وهـٰذا أشدُّ مِنَ الإعراضِ ، وهوَ بحسبِ غلظِ المعصيةِ وخفَّتِها .

وكذلكَ في الفعلِ أيضاً رتبتانِ :

إحداهما : قطعُ المعونةِ والرفْقِ والنصرةِ عنهُ ، وهوَ أقلُّ الدرجاتِ .

والأخرىٰ : السعيُ في إفسادِ أغراضِهِ عليهِ ؛ كفعلِ الأعداءِ المبغضينَ ، وهـٰذا لا بدَّ منهُ ، ولكنْ فيما يفسدُ عليهِ طريقَ المعصيةِ ، وذلكَ فيما يؤثِّرُ فيهِ .

أمَّا ما لا يؤثِّرُ فيهِ . . فلا ، ومثالُهُ : رجلٌ عصى اللهَ بشرْبِ الخمرِ ، وقدْ خطبَ امرأةً لوْ تيسَّرَ لهُ نكاحُها . . لكانَ مغبوطاً فيها بالمالِ والجمالِ والجاهِ ، إلا أنَّ ذلكَ لا يؤثِّرُ في منعِهِ مِنْ شربِ الخمرِ ، ولا في بعثٍ وتحريضٍ عليهِ ، فإذا قدرتَ علىٰ إعانتِهِ ليتمَّ لهُ غرضُهُ ومقصودُهُ ، وقدرتَ علىٰ تشويشِهِ ليفوتَهُ غرضُهُ . . فليسَ لكَ السعيُ في تشويشِهِ ، أمَّا الإعانةُ فلوْ تركتَها إظهاراً للغضبِ عليهِ في فسقِهِ . . فلا بأسَ ، وليسَ يجبُ تركُها ؛ إذْ ربَّما يكونُ لكَ نيَّةٌ في أنْ تتلطَّفَ بإعانتِهِ وإظهارِ الشفقةِ عليهِ ليعتقدَ مودَّتَكَ ويقبلَ نصحَكَ ، فهـٰذا حسنٌ .

وإنْ لمْ تنتظرْ ذلكَ منهُ ولكنْ رأيتَ أنْ تعينَهُ علىٰ غرضِهِ قضاءً لحقِّ إسلامِهِ . . فذلكَ ليسَ بممنوعٍ ، بلْ هوَ الأحسنُ إنْ كانَتْ معصيتُهُ بالجنايةِ علىٰ حقِّكَ أوْ حقِّ مَنْ يتعلَّقُ بكَ ، وفيهِ نزلَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾ إلىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ (١) إذْ تكلَّمَ مِسْطَحُ بنُ

---

(١) والآية بتمامها : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

أُثاثةَ في واقعةِ الإفكِ ، فحلفَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنْ يقطعَ عنهُ رفقَهُ ، وقدْ كانَ يواسيهِ بالمالِ ، فنزلَتِ الآيةُ ، معَ عظمِ معصيةِ مسطحٍ(١) .

وأيَّةُ معصيةٍ تزيدُ على التعرُّضِ لحرمِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وإطالةِ اللسانِ في مثلِ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها ؟! إلا أنَّ الصدِّيقَ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ كالمجنيِّ عليهِ في نفسِهِ بتلكَ الواقعةِ ، والعفوُ عمَّنْ ظلمَ والإحسانُ إلىٰ مَنْ أساءَ مِنْ أخلاقِ الصدِّيقينَ ، وإنَّما يحسنُ الإحسانُ إلىٰ مَنْ ظلمَكَ .

فأمَّا مَنْ ظلمَ غيرَكَ ، وعصى اللهَ بهِ . . فلا يحسنُ الإحسانُ إليهِ ؛ لأنَّ في الإحسانِ إلى الظالمِ إساءةً إلى المظلومِ ، وحقُّ المظلومِ أولىٰ بالمراعاةِ ، وتقويةُ قلبِهِ بالإعراضِ عنِ الظالمِ أحبُّ إلى اللهِ مِنْ تقويةِ قلبِ الظالمِ .

فأمَّا إذا كنتَ أنتَ المظلومَ . . فالأحسنُ في حقِّكَ العفوُ والصفحُ .

وطرقُ السلفِ الصالحِ رضيَ اللهُ عنهُم قدِ اختلَفتْ في إظهارِ البغْضِ للهِ معَ أهلِ المعاصي ، وكلُّهُمُ اتفقوا علىٰ إظهارِ البغْضِ للظلمةِ والمبتدعةِ ، وكلِّ مَنْ عصى اللهَ بمعصيةٍ متعدِّيةٍ منهُ إلىٰ غيرِهِ .

* * *

فأمَّا مَنْ عصى اللهَ في نفسِهِ . . فمنهُمْ مَنْ نظرَ بعينِ الرحمةِ إلى العصاةِ كلِّهِمْ ، ومنهُمْ مَنْ شدَّدَ الإنكارَ واختارَ المهاجرةَ .

فقدْ كانَ أحمدُ ابنُ حنبلٍ رحمَهُ اللهُ يهجرُ الأكابرَ في أدنىٰ كلمةٍ ، حتَّىٰ

---

(١) رواه البخاري (٢٦٦١) ، ومسلم (٢٧٧٠) .

هجرَ يحيىٰ بنَ معينٍ في قولِهِ : (إني لا أسألُ أحداً شيئاً ، ولوْ حملَ السلطانُ إليَّ شيئاً . . لأخذتُهُ)⁽¹⁾ .

وهجرَ الحارثَ المحاسبيَّ في تصنيفِهِ في الردِّ على المعتزلةِ ، وقالَ : (إنَّكَ لا بدَّ توردُ أوَّلاً شبهتَهُمْ ، وتحملُ الناسَ على التفكُّرِ فيهَا ، ثمَّ تردُّ عليهِمْ)⁽²⁾ .

وهجرَ أبا ثورٍ في تأويلِهِ قولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ اللهَ خلقَ آدمَ علىٰ صورتِهِ »⁽³⁾ .

وهٰذا أمرٌ يختلفُ باختلافِ النيّةِ ، وتختلفُ النيَّةُ باختلافِ الحالِ ، فإنْ كانَ الغالبُ على القلبِ النظرَ إلى اضطرارِ الخلقِ وعجزِهِمْ ، وأنَّهُمْ مسخَّرونَ لما قُدِّروا لهُ . . أورثَ هٰذا تساهلاً في المعاداةِ والبغْضِ ، ولهُ وجهٌ ، ولكنْ قدْ تلتبسُ بهِ المداهنةُ⁽⁴⁾ ، فأكثرُ البواعثِ على الإغضاءِ عنِ المعاصي المداهنةُ ومراعاةُ القلوبِ ، والخوفُ مِنْ وحشتِها ونفارِها ، وقدْ يلبِّسُ الشيطانُ ذلكَ على الغبيِّ الأحمقِ ، بأنَّهُ ينظرُ بعينِ الرحمةِ .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٨٩) .

(٢) قوت القلوب (١/ ١٦٨) ، وانظر « الإتحاف » (٢/ ٤٩) .

(٣) هجر أحمد لأبي ثور لذلك حكاه أبو طالب في « القوت » (١/ ١٦٨) مع ذكر القولين السابقين كذلك ، والحديث المرفوع رواه البخاري (٦٢٢٧) ، ومسلم (٢٦١٢) .

(٤) وهي هنا : ترك دفع منكر هو قادر عليه لقلَّة مبالاة بالدين ، أو حفظاً لجانب مرتكبه . « إتحاف » (٦/ ١٩٤) .

ومحكُّ ذلكَ : أنْ ينظرَ إليهِ بعينِ الرحمةِ إنْ جنىٰ علىٰ خاصِّ حقِّهِ ، ويقولُ : إنَّهُ قد سُخِّرَ لهُ ، والقدرُ لا ينفعُ منهُ الحذرُ ، وكيفَ لا يفعلُهُ وقدْ كُتِبَ عليهِ ؟! فمثلُ هـٰذا قدْ تصحُّ لهُ نيَّةٌ في الإغماضِ عنِ الجنايةِ علىٰ حقِّ اللهِ تعالىٰ .

فإنْ كانَ يغتاظُ عندَ الجنايةِ علىٰ حقِّهِ ، ويترحَّمُ عندَ الجنايةِ علىٰ حقِّ اللهِ تعالىٰ . . فهـٰذا مداهنٌ مغرورٌ بمكيدةٍ مِنْ مكايدِ الشيطانِ ، فليُتنبَّهْ لهُ .

* * *

فإنْ قلتَ : فأقلُّ الدرجاتِ في إظهارِ البغضِ الهجرُ والإعراضُ ، وقطعُ الرفقِ والإعانةِ ، فهلْ يجبُ ذلكَ حتَّىٰ يعصيَ العبدُ بتركِهِ ؟

فأقولُ : لا يدخلُ ذلكَ في ظاهرِ العلمِ تحتَ التكليفِ والإيجابِ ، فإنَّا نعلمُ أنَّ الذينَ شربوا الخمرَ وتعاطَوا الفواحشَ في زمانِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ والصحابةِ . . ما كانوا يهجرونَ بالكلِّيَّةِ ، بلْ كانوا منقسمينَ فيهِمْ إلىٰ مَنْ يغلظُ القولَ فيهِ ويظهرُ البغضَ لهُ ، وإلىٰ منْ يعرضُ عنهُ ولا يتعرَّضُ لهُ ، وإلىٰ مَنْ ينظرُ إليهِ بعينِ الرحمةِ ولا يؤثرُ المقاطعةَ والتباعدَ .

* * *

فهـٰذهِ دقائقُ دينيَّةٌ تختلفُ فيها طرقُ السالكينَ لطريقِ الآخرةِ ، ويكونُ عملُ كلِّ واحدٍ علىٰ ما يقتضيهِ حالُهُ ووقتُهُ ، ومقتضى الأحوالِ في هـٰذهِ الأمورِ إمَّا مكروهةٌ أوْ مندوبةٌ ، فتكونُ في رتبةِ الفضائلِ ، ولا تنتهي إلى

التحريمِ والإيجابِ ؛ فإنَّ الداخلَ تحتَ التكليفِ أصلُ المعرفةِ للهِ تعالىٰ وأصلُ الحبِّ ، وذلكَ قدْ لا يتعدَّىٰ مِنَ المحبوبِ إلىٰ غيرِهِ ، وإنَّما المتعدِّي إفراطُ الحبِّ واستيلاؤُهُ ، وذلكَ لا يدخلُ في الفتوىٰ وتحتَ ظاهرِ التكليفِ في حقِّ عوامِّ الخلقِ أصلاً .

* * *

بيان مراتب الذين يبغضون في الله وكيفية معاملتهم

فإنْ قلتَ : إظهارُ البغضِ والعداوةِ بالفعلِ إنْ لمْ يكنْ واجباً . . فلا شكَّ أنَّهُ مندوبٌ إليهِ ، والعصاةُ والفسَّاقُ علىٰ مراتبَ مختلفةٍ ، فكيفَ ينالُ الفضلَ عندَ معاملتِهِمْ ؟ وهلْ يسلكُ بجميعِهِمْ مسلكاً واحداً أمْ لا ؟

فاعلمْ : أنَّ المخالفَ لأمرِ اللهِ سبحانَهُ لا يخلو : إمَّا أنْ يكونَ مخالفاً في عقدِهِ، أوْ في عملِهِ ، والمخالفُ في العقدِ : إمَّا مبتدعٌ ، أوْ كافرٌ ، والمبتدعُ : إمَّا داعٍ إلىٰ بدعتِهِ ، أوْ ساكتٌ ، والساكتُ : إما بعجزِهِ ، أوْ باختيارِهِ .

* * *

فأقسامُ الفسادِ في الاعتقادِ ثلاثةٌ :

الأوَّلُ : الكفرُ :

والكافرُ إنْ كانَ محارباً . . فهوَ يستحقُّ القتلَ والإرقاقَ ، وليسَ بعدَ هـٰذينِ إهانةٌ .

وأمَّا الذمِّيُّ : فإنَّهُ لا يجوزُ إيذاؤُهُ إلا بالإعراضِ عنهُ والتحقيرِ لهُ ؛ بالاضطرارِ إلىٰ أضيقِ الطرقِ(١) ، وتركِ المفاتحةِ بالسلامِ(٢) ، فإذا قالَ :

---

(١) إن كان ماشياً في طريق فيه زحمة بحيث لا يقع في وهدة ولا يصدمه نحو جدار ؛ فإن إيذاءهم بلا سبب لا يجوز ، وإنما المراد : ولا تتركوا لهم صدر الطريق إكراماً لهم ، وفيه تنبيه علىٰ ضيق مسلك الكفر ، وأنه يلجىء إلى النار ، وهـٰذه سنة قد أميتت من زمان ، فمن أحياها . . فله الأجر . « إتحاف » (٦/ ١٩٥) .

(٢) وكذلك ما يقوم مقام السلام من التحايا ؛ كأن يقول : صبَّحك الله بالخير ، أو أسعد الله =

(السلامُ عليكَ) . . قلتَ : (وعليكَ) ، والأولى الكفُّ عن مخالطتِهِ ومعاملتِهِ ومواكلتِهِ ، فأمَّا الانبساطُ معَهُ والاسترسالُ إليهِ كما يسترسلُ إلى الأصدقاءِ . . فهوَ مكروهٌ كراهةً شديدةً يكادُ ينتهي ما يقوىٰ منهُ إلىٰ حدِّ التحريمِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ . . . ﴾ الآيةَ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « المسلمُ والمشركُ لا تتراءَىٰ ناراهُما »[1] .

وقالَ عزَّ وجلَّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ . . . ﴾ الآيةَ .

* * *

الثاني : المبتدعُ الذي يدعو إلىٰ بدعتِهِ :

فإنْ كانتِ البدعةُ بحيثُ يكفرُ بها . . فأمرُهُ أشدُّ مِنَ الذميِّ ؛ لأنَّهُ لا يقرُّ بجزيةٍ ولا يسامحُ بعقْدِ ذمَّةٍ .

وإنْ كانتْ ممَّا لا يكفرُ بها . . فأمرُهُ بينَهُ وبينَ اللهِ أخفُّ مِنْ أمرِ الكافرِ لا محالةَ ، ولكنَّ الأمرَ في الإنكارِ عليهِ أشدُّ منهُ على الكافرِ ؛ لأنَّ شرَّ الكافرِ غيرُ متعدٍّ ؛ فإنَّ المسلمينَ اعتقدوا كفرَهُ ، فلا يلتفتونَ إلىٰ قولِهِ ؛ إذْ لا يدَّعي لنفسِهِ الإسلامَ واعتقادَ الحقِّ ، أمَّا المبتدعُ الذي يدعو إلى البدعةِ ، ويزعمُ

= صباحك ، أو مثل ذلك مما جرت به العادات الآن . « إتحاف » (٦/ ١٩٥) .

[1] رواه أبو داوود (٢٦٤٥) ، والترمذي (١٦٠٤) مرفوعاً من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنهما ، والنسائي (٨/ ٣٦) وهو عنده مرسل من حديث قيس بن أبي حازم ، ومطلع الحديث عندهم : « أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين » .

أنَّ ما يدعو إليهِ حقٌّ . . فهوَ سببٌ لغوايةِ الخلقِ ، فشرُّهُ متعدٍّ ، فالاستحبابُ في إظهارِ بغضِهِ ومعاداتِهِ ، والانقطاعِ عنهُ وتحقيرِهِ ، والتشنيعِ عليهِ ببدعتِهِ ، وتنفيرِ الناسِ عنهُ . . أشدُّ .

وإنْ سلَّمَ في خلوةٍ . . فلا بأسَ بردِّ جوابِهِ ، وإنْ علمَ أنَّ الإعراضَ عنهُ والسكوتَ عنْ جوابِهِ يقبِّحُ في نفسِهِ بدعتَهُ ويؤثِّرُ في زجرِهِ . . فتركُ الجوابِ أولىٰ ؛ لأنَّ جوابَ السلامِ وإنْ كانَ واجباً فيسقطُ بأدنىٰ غرضٍ فيهِ مصلحةٌ ، حتَّىٰ يسقطُ بكونِ الإنسانِ في الحمَّامِ ، أوْ في قضاءِ حاجتِهِ ، وغرضُ الزجرِ أهمُّ مِنْ هـٰذهِ الأغراضِ ، وإنْ كانَ في ملأٍ . . فتركُ الجوابِ أولىٰ ؛ تنفيراً للناسِ عنهُ ، وتقبيحاً لبدعتِهِ في أعينِهِمْ .

وكذلكَ الأولىٰ كفُّ الإحسانِ والإعانةِ عنهُ ، لا سيما فيما يظهرُ للخلْقِ ، قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « مَنِ انتهرَ صاحبَ بدْعَةٍ . . ملأَ اللهُ قلبَهُ أمْناً وإيماناً ، ومَنْ أهانَ صاحبَ بدعةٍ . . أمَّنَهُ اللهُ يومَ الفزعِ الأكبرِ ، ومَنْ ألانَ لهُ وأكرمَهُ أوْ لقيَهُ ببشرٍ . . فقدِ استخفَّ بما أنزلَ اللهُ علىٰ محمدٍ » صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ(١) .

* * *

الثالثُ : المبتدعُ العاميُّ الذي لا يقدرُ على الدعوةِ ، ولا يُخافُ الاقتداءُ بهِ :

فأمرُهُ أهونُ ، والأولىٰ ألا يُفاتحَ بالتغليظِ والإهانةِ ، بلْ يُتلطَّفُ بهِ في

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/١٩٩) ، والهروي في « ذم الكلام » (٩٤٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

النصحِ ؛ فإنَّ قلوبَ العوامِّ سريعةُ التقلُّبِ فإنْ لمْ ينفعِ النصحُ ، وكانَ في الإعراضِ عنهُ تقبيحٌ لبدعتِهِ في عينِهِ . تأكَّدَ الاستحبابُ في الإعراضِ ، وإنْ عُلمَ أنَّ ذلكَ لا يؤثِّرُ فيهِ ؛ لجمودِ طبعِهِ ، ورسوخِ عقدِهِ في قلبِهِ . . فالإعراضُ أولىٰ ؛ لأنَّ البدعةَ إذا لمْ يُبالغْ في تقبيحِها . . شاعَتْ بينَ الخلقِ وعمَّ فسادُها .

وأمَّا العاصي بفعلِهِ وعملِهِ لا باعتقادِهِ : فلا يخلو : إمَّا أنْ يكونَ بحيثُ يتأذَّىٰ بهِ غيرُهُ ؛ كالظلمِ ، والغصْبِ ، وشهادةِ الزورِ ، والغيبةِ ، والتضريبِ بينَ الناسِ ، والمشيِ بالنميمةِ ، وأمثالِها ممَّا لا يقتصرُ عليهِ ويؤذي غيرَهُ ، وذلكَ ينقسمُ إلىٰ ما يدعو غيرَهُ إلى الفسادِ ؛ كصاحبِ الماخورِ⁽¹⁾ الذي يجمعُ بينَ الرجالِ والنساءِ ، ويهيِّىءُ أسبابَ الشربِ والفسادِ لأهلِ الفسادِ ، أوْ لا يدعو غيرَهُ إلىٰ فعلِهِ ؛ كالذي يشربُ أوْ يزني ، وهـٰذا الذي لا يدعو غيرَهُ إمَّا أنْ يكونَ عصيانُهُ بكبيرةٍ أوْ بصغيرةٍ ، وكلٌّ واحدٍ فإمَّا أنْ يكونَ مصرّاً عليهِ أوْ غيرَ مصرٍّ .

* * *

فهـٰذِهِ التقسيماتُ يتحصَّلُ منها ثلاثةُ أقسامٍ ، ولكلِّ قسمٍ منها رتبةٌ ، وبعضُها أشدُّ مِنْ بعضٍ ، فلا نسلكُ بالكلِّ مسلكاً واحداً .

---

(١) **الماخور** : لفظة فارسية ، وهو حان الخمر وبيت الدعارة ، أو هو مجلس الفسق والريبة .

القسمُ الأوَّلُ ـ وهو أشدُّها ـ : ما يتضرَّرُ بِهِ الناسُ ؛ كالظلمِ والغصْبِ وشهادةِ الزورِ والغيبةِ والنميمةِ :

فهؤلاءِ الأولى الإعراضُ عنهُمْ ، وتركُ مخالطتِهِمْ ، والانقباضُ عنْ معاملتِهِمْ ؛ لأنَّ المعصيةَ شديدةٌ فيما يرجعُ إلىٰ إيذاءِ الخلْقِ ، ثمَّ هؤلاءِ ينقسمونَ إلىٰ مَنْ يظلمُ في الدماءِ ، وإلىٰ مَنْ يظلمُ في الأموالِ ، وإلىٰ مَنْ يظلمُ في الأعراضِ ، وبعضُها أشدُّ مِنْ بعضٍ ، فالاستحبابُ في إهانتِهِمْ والإعراضِ عنهُمْ مؤكَّدٌ جداً ، ومهما كانَ يُتوقَّعُ مِنَ الإهانةِ زجرٌ لهُمْ أوْ لغيرِهِمْ . . كانَ الأمرُ فيهِ آكدَ وأشدَّ .

* * *

الثاني : صاحبُ الماخورِ الذي يهيِّىءُ أسبابَ الفسادِ ، ويسهِّلُ طرقَهُ على الخلقِ :

فهـٰذا لا يؤذي الخلْقَ في دنياهُمْ ، ولكنْ يجتاحُ بفعلِهِ دينَهُمْ ، وإنْ كانَ علىٰ وَفْقِ رضاهُمْ . . فهوَ قريبٌ مِنَ الأوَّلِ ولكنَّهُ أخفُّ منهُ ؛ فإنَّ المعصيةَ بينَ العبدِ وبينَ اللهِ تعالىٰ إلى العفوِ أقربُ ، لكنَّهُ مِنْ حيثُ إنَّهُ متعدٍّ على الجملةِ إلىٰ غيرِهِ فهوَ شديدٌ ، وهـٰذا أيضاً يقتضي الإهانةَ والإعراضَ والمقاطعةَ ، وتركَ جوابِ السلامِ إذا ظنَّ أنَّ فيهِ نوعاً مِنَ الزجرِ لهُ أوْ لغيرِهِ .

* * *

الثالثُ : الذي يفسقُ في نفسِهِ بشرْبِ خمرٍ ، أوْ ترْكِ واجبٍ ، أوْ مقارفةِ محظورٍ يخصُّهُ :

فالأمرُ فيهِ أخفُّ ، ولكنَّهُ في وقتِ مباشرتِهِ إنْ صُودفَ . . يجبُ منعُهُ بما يمتنعُ بهِ منهُ ، ولوْ بالضربِ والاستخفافِ ، فإنَّ النهيَ عنِ المنكرِ واجبٌ ، وإذا فرغَ منهُ ، وعلمَ أنَّ ذلكَ مِنْ عادتِهِ ، وهوَ مصرٌّ عليهِ ؛ فإنْ تحقَّقَ أنَّ نصحَهُ يمنعُهُ مِنَ العَوْدِ إليهِ . . وجبَ النصحُ ، وإنْ لمْ يتحقَّقْ ولكنَّهُ كانَ يرجوهُ . . فالأفضلُ النصحُ والزجرُ بالتلطُّفِ ، أوْ بالتغليظِ إنْ كانَ هوَ الأنفعَ .

فأمَّا الإعراضُ عنْ جوابِ سلامِهِ ، والكفُّ عنْ مخالطتِهِ حيثُ يعلمُ أنَّهُ يصرُّ وأنَّ النصحَ ليسَ ينفعُهُ . . فهـٰذا فيهِ نظرٌ ، وسيرُ العلماءِ فيهِ مختلفةٌ .

والصحيحُ : أنَّ ذلكَ يختلفُ باختلافِ نيَّةِ الرجلِ ، فعندَ هـٰذا يُقالُ : الأعمالُ بالنيَّاتِ ؛ إذْ في الرِّفْقِ والنظرِ بعينِ الرحمةِ إلى الخلقِ نوعٌ مِنَ التواضعِ ، وفي العنْفِ والإعراضِ نوعٌ مِنَ الزجرِ ، والمستفتَىٰ فيهِ القلبُ ، فما يراهُ أميلَ إلىٰ هواهُ ومقتضىٰ طبعِهِ . . فالأولىٰ ضدُّهُ ؛ إذْ قدْ يكونُ استخفافُهُ وعنفُهُ عنْ كبرٍ وعجْبٍ ، والتذاذٍ بإظهارِ العلوِّ والإدلالِ بالصلاحِ ، وقدْ يكونُ رفقُهُ عنْ مداهنةٍ واستمالةِ قلبٍ للوصولِ بهِ إلىٰ غرضٍ ، أوْ لخوفٍ مِنْ تأثيرِ وحشةٍ ونفرةٍ في جاهٍ أوْ مالٍ ، بظنٍّ قريبٍ أوْ بعيدٍ ، وكلُّ ذلكَ تردُّدٌ علىٰ إشاراتِ الشيطانِ ، وبعيدٌ عنْ أعمالِ أهلِ الآخرةِ .

فكلُّ راغبٍ في أعمالِ الدينِ مجتهدٌ معَ نفسِهِ في التفتيشِ عنْ هـٰذهِ الدقائقِ ، ومراقبةِ هـٰذهِ الأحوالِ ، والقلبُ هوَ المفتي فيهِ ، وقدْ يصيبُ الحقَّ في اجتهادِهِ وقدْ يُخطىءُ ، وقدْ يقدمُ على اتباعِ هواهُ وهوَ عالـمٌ بهِ ، وقدْ يقدمُ وهوَ بحكمِ الغرورِ ظانٌّ أنَّهُ عاملٌ للهِ ، وسالكٌ طريقَ الآخرةِ ، وسيأتي بيانُ هـٰذهِ الدقائقِ في كتابِ الغرورِ مِنْ ربعِ المهلكاتِ .

ويدلُّ علىٰ تخفيفِ الأمرِ في الفسقِ القاصرِ الذي هوَ بينَ العبدِ وبينَ اللهِ تعالىٰ ما رُوِيَ أنَّ شاربَ خمرٍ ضُرِبَ مرَّاتٍ بينَ يدي رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهوَ يعودُ ، فقالَ واحدٌ مِن الصحابةِ : لعنَهُ اللهُ ، ما أكثرَ ما يشربُ ! فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تكنْ عوناً للشيطانِ علىٰ أخيكَ »(١) أوْ لفظاً هـٰذا معناهُ ، وكانَ هـٰذا إشارةً إلىٰ أنَّ الرفْقَ أولىٰ مِن العنْفِ والتغليظِ .

* * *

---

(١) رواه البخاري (٦٧٨١) ولفظه : « لا تكونوا عون الشيطان علىٰ أخيكم » .

بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته

اعلمْ : أنَّهُ لا يصلحُ للصحبةِ كلُّ إنسانٍ ، قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « المرءُ علىٰ دينِ خليلِهِ ، فلينظرْ أحدُكُمْ مَنْ يخالِلُ »[1] ، فلا بدَّ أنْ يتميَّزَ بخصالٍ وصفاتٍ يُرغبُ بسببِها في صحبتِهِ ، وتُشترطُ تلكَ الخصالُ بحسَبِ الفوائدِ المطلوبةِ مِنَ الصحبةِ ؛ إذْ معنى الشرطِ : ما لا بدَّ منهُ للوصولِ إلى المقصودِ ، فبالإضافةِ إلى المقصودِ تظهرُ الشروطُ .

* * *

ويُطلبُ مِنَ الصحبةِ فوائدُ دينيَّةٌ ودنيويَّةٌ :

أمَّا الدنيويةُ : فكالانتفاعِ بالمالِ أوِ الجاهِ ، أوْ مجرَّدِ الاستئناسِ بالمشاهدةِ والمجاورةِ ، وليسَ ذلكَ مِنْ غرضِنا .

وأمَّا الدينيَّةُ : فيجتمعُ فيها أيضاً أغراضٌ مختلفةٌ ؛ إذْ منها الاستفادةُ مِنَ العلمِ والعملِ ، ومنها الاستفادةُ مِنَ الجاهِ تحصُّناً بِهِ عنْ إيذاءِ مَنْ يشوشُ القلبَ ويصدُّ عنِ العبادةِ ، ومنها استفادةُ المالِ للاكتفاءِ بِهِ عنْ تضييعِ الأوقاتِ في طلبِ القوتِ ، ومنها الاستعانةُ في المهمَّاتِ ليكونَ عدَّةً في المصائبِ وقوَّةً في الأحوالِ ، ومنها التبرُّكُ بمجرَّدِ الدعاءِ ، ومنها انتظارُ الشفاعةِ في الآخرةِ ؛ فقدْ قالَ بعضُ السلفِ : (استكثروا مِنَ الإخوانِ ؛ فإنَّ

---

[1] رواه أبو داوود (٤٨٣٣) ، والترمذي (٢٢٧٨) .

لكلِّ مؤمنٍ شفاعةً ، فلعلَّكَ تدخلُ في شفاعةِ أخيكَ)[1] .

ورُوِيَ في غريبِ التفسيرِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ قالَ : يشفِّعُهُمْ في إخوانِهِمْ ، فيدخلُهُمُ الجنَّةَ معَهُم[2] .

ويُقالُ : إذا غُفِرَ للعبدِ . . شُفِّعَ في إخوانِهِ[3] ، ولذلكَ حثَّ جماعةٌ مِنَ السلفِ على الصحبةِ والأُلفةِ والمخالطةِ ، وكرهوا العزلةَ والانفرادَ .

فهٰذِهِ فوائدُ ، تستدعي كلُّ فائدةٍ شروطاً لا تحصلُ إلا بها ، ولا يخفىٰ تفصيلُها .

* * *

أمّا على الجملةِ :

فينبغي أنْ يكونَ فيمَنْ تُؤثرُ صحبتُهُ خمسُ خصالٍ : أنْ يكونَ عاقلاً ، حسنَ الخلُقِ ، غيرَ فاسقٍ ، ولا مبتدعٍ ، ولا حريصٍ على الدنيا :

---

(١) كذا في « قوت القلوب » (٢/ ٢١٤) ، ورواه ابن النجار في « تاريخه » مرفوعاً من حديث أنس رضي الله عنه كما في « فيض القدير » (١/ ٥٠٠) .

(٢) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٨٤) عن الضحاك رحمه الله ، وروى الطبري في « تفسيره » (١٣/ ٢٥/ ٣٧) عن إبراهيم النخعي في تفسير هٰذه الآية : (يشفَّعون في إخوانهم ، ﴿ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ ، قال : يشفعون في إخوان إخوانهم) .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢١٤) .

أمَّا العقلُ : فهوَ رأسُ المالِ ، وهوَ الأصلُ ، فلا خيرَ في صحبةِ الأحمقِ ، فإلى الوحشةِ والقطيعةِ ترجعُ عاقبتُها وإنْ طالَتْ ، قالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ(١) : [من الهزج]

فَلا تَصْحَبْ أَخا ٱلْجَهْلِ   وإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ
فَكَمْ مِنْ جاهِلٍ أَرْدَى   حَلِيماً حِينَ آخاهُ
يُقاسُ ٱلْمَرْءُ بِٱلْمَرْءِ   إِذا ما هُوَ ماشاهُ
وَلِلشَّيْءِ مِنَ ٱلشَّيْءِ   مَقايِيسٌ وَأَشْباهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى ٱلْقَلْبِ   دَلِيلٌ حِينَ يَلْقاهُ

كيفَ والأحمقُ قدْ يضرُّكَ وهوَ يريدُ نفعَكَ وإعانتكَ مِنْ حيثُ لا يدري ، ولذلكَ قالَ الشاعرُ(٢) : [من الكامل]

إِنِّي لَآمَنُ مِنْ عَدُوٍّ عاقِلٍ   وَأَخافُ خِلاًّ يَعْتَرِيهِ جُنُونُ
فَٱلْعَقْلُ فَنٌّ واحِدٌ وَطَرِيقُهُ   أَدْرِي فَأَرْصُدُ وَٱلْجُنُونُ فُنُونُ

ولذلكَ قيلَ : (مقاطعةُ الأحمقِ قربانٌ إلى اللهِ) .

وقالَ الثوريُّ : (النظرُ إلىٰ وجهِ الأحمقِ خطيئةٌ مكتوبةٌ)(٣) .

---

(١) الأبيات مما يُنسب لسيدنا علي رضي الله عنه في « ديوانه » الموسوم بـ« أنوار العقول لوصي الرسول » (ص٢٦٣) ، وكذا تنسب لأبي العتاهية في « ديوانه » (٦٦٥ ، ٦٦٧) .

(٢) فاكهة الخلفاء (ص ٤٤١) .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢٣٤) .

ونعني بالعاقلِ : الذي يفهمُ الأمورَ علىٰ ما هيَ عليهِ ؛ إمَّا بنفسِهِ ، وإمَّا إذا فُهِّمَ وعُلِّمَ .

* * *

وأمَّا حُسْنُ الخلُقِ : فلا بدَّ منهُ ؛ إذْ ربَّ عاقلٍ يدركُ الأشياءَ علىٰ ما هيَ عليهِ ولكنْ إذا غلبَهُ غضبٌ أوْ شهوةٌ ، أوْ بخلٌ أوْ جبنٌ . . أطاعَ هواهُ ، وخالفَ ما هوَ المعلومُ عندَهُ ؛ لعجزِهِ عنْ قهرِ صفاتِهِ ، وتقويمِ أخلاقِهِ ، فلا خيرَ في صحبتِهِ .

* * *

وأمَّا الفاسقُ المصرُّ على الفسقِ : فلا فائدةَ في صحبتِهِ ؛ لأنَّ مَنْ يخافُ اللهَ لا يصرُّ علىٰ كبيرةٍ ، ومَنْ لا يخافُ اللهَ لا تُؤمنُ غائلتُهُ ، ولا يُوثقُ بصداقتِهِ ، بلْ يتغيَّرُ بتغيُّرِ الأغراضِ ، وقدْ قالَ تعالىٰ : ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ ، وقالَ تعالىٰ : ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ ، وقالَ تعالىٰ : ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ وقالَ : ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ ، وفي مفهومِ ذلكَ زجرٌ عنِ الفاسقِ .

* * *

وأمَّا المبتدعُ : ففي صحبتِهِ خطرُ سرايةِ البدعةِ ، وتعدِّي شؤمِها إليهِ ، فالمبتدعُ مستحقٌّ للهجرِ والمقاطعةِ ، فكيفَ تُؤثَرُ صحبتُهُ ؟!

وقدْ قالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ في الحثِّ علىٰ طلبِ التديُّنِ في الصديقِ فيما

رواهُ سعيدُ بنُ المسيَّبِ ، قالَ : (عليكَ بإخوانِ الصدقِ . . تعشْ في أكنافِهِمْ ، فإنَّهُمْ زينةٌ في الرخاءِ ، وعدَّةٌ في البلاءِ ، وضعْ أمرَ أخيكَ علىٰ أحسنِهِ حتَّىٰ يجيئَكَ ما يغلبُكَ منهُ ، واعتزلْ عدوَّكَ ، واحذرْ صديقَكَ إلا الأمينَ منَ القومِ ، ولا أمينَ إلا مَنْ خشيَ اللهَ ، ولا تصحبِ الفاجرَ فتتعلَّمَ مِنْ فجورِهِ ، ولا تطلعْهُ علىٰ سرِّكَ ، واستشرْ في أمرِكَ الذين يخشونَ اللهَ تعالىٰ)⁽¹⁾ .

وأمَّا حسنُ الخلُقِ . . فقدْ جمعَهُ علقمةُ العُطارديُّ في وصيَّتِهِ لابنِهِ لمَّا حضرَتْهُ الوفاةُ ، قالَ : (يا بنيَّ ؛ إنْ عرضَتْ لكَ إلىٰ صحبةِ الرجالِ حاجةٌ . . فاصحبْ مَنْ إذا خدمتَهُ . . صانَكَ ، وإنْ صحبتَهُ . . زانَكَ ، وإنْ قعدَتْ بكَ مؤنةٌ . . مانَكَ ، اصحبْ مَنْ إذا مددتَ يدَكَ بخيرٍ . . مدَّها ، وإنْ رأىٰ منكَ حسنةً . . عدَّها ، وإن رأىٰ سيئةً . . سدَّها ، اصحبْ مَنْ إذا سألتَهُ . . أعطاكَ ، وإنْ سكتَّ . . ابتداكَ ، وإنْ نزلَتْ بكَ نازلةٌ . . واساكَ ، اصحبْ مَنْ إذا قلتَ . . صدَّقَ قولَكَ ، وإنْ حاولتما أمراً . . أمَّرَكَ ، وإنْ تنازعتُما . . آثرَكَ)⁽²⁾ .

فكأنَّهُ جمعَ بهٰذا جميعَ حقوقِ الصحبةِ ، وشرطَ أنْ يكونَ قائماً

---

(1) قوت القلوب (٢/ ٢١٥) ضمن وصية له ، وقد رواه ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص٨٩) .

(2) رواه صاحب « القوت » (٢/ ٢١٦) عن يحيى بن أكثم ، روىٰ ذلك الخبر عن علقمة العطاردي للمأمون ، والسياق عنده .

بجميعِها ، قالَ ابنُ أكثمَ : قالَ المأمونُ : فأينَ هـٰذا ؟! فقيلَ لهُ : أتدري لِمَ أوصاهُ بذلكَ ؟ قالَ : لا ، قالَ : لأنَّهُ أرادَ ألا يصحبَ أحداً .

وقالَ بعضُ الأدباءِ : (لا تصحبْ مِنَ الناسِ إلا مَنْ يكتمُ سرَّكَ ، ويسترُ عيبَكَ ، ويكونُ معكَ في النوائبِ ، ويؤثِرُكَ بالرغائبِ ، وينشرُ حسنَكَ ، ويطوي سيِّئَكَ ، فإنْ لمْ تجدْهُ . . فلا تصحبْ إلا نفسَكَ)[1] .

وقالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ[2] : [من الرجز]

إنَّ أخاكَ ٱلْحَقَّ مَنْ كانَ مَعَكْ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ
وَمَنْ إذا رَيْبُ زَمانٍ صَدَعَكْ شَتَّتَ شَمْلَ نَفْسِهِ لِيَجْمَعَكْ

وقالَ بعضُ العلماءِ : (لا تصحبْ إلا أحدَ رجلينِ : رجلٌ تتعلَّمُ منهُ شيئاً مِنْ أمرِ دينِكَ فينفعُكَ ، ورجلٌ تعلِّمُهُ شيئاً مِنْ أمرِ دينِهِ فيقبلُ منكَ ، والثالثُ فاهربْ منهُ)[3] .

وقالَ بعضُهُمْ : (الناسُ أربعةٌ : فواحدٌ حلوٌ كلُّهُ فلا يُشبعُ منهُ ، وآخرُ مرٌّ كلُّهُ فلا يُؤكلُ منهُ ، وآخرُ فيهِ حموضةٌ فخذْ مِنْ هـٰذا قبلَ أنْ يأخذَ منكَ ،

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٢٦) .

(٢) والذي في « القوت » (٢/ ٢٢٠) : (وروينا عن الحسن بن علي عليهما السلام في وصف الأخ كلاماً رجزاً جامعاً مختصراً) وذكرهما ، والبيتان مما نسب للمأمون ، وانظر « عيون الأخبار » (٣/ ٤) ، و« الجليس الصالح الكافي » (١/ ٣٥٨) .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢٢٦) .

وآخرُ فيهِ ملوحةٌ فخذْ منهُ وقتَ الحاجةِ فقطْ)(١) .

وقالَ جعفرٌ الصادقُ رضيَ اللهُ عنهُ : لا تصحبْ خمسةً : الكذابُ ؛ فإنَّكَ منهُ علىٰ غررٍ ، وهوَ مثلُ السرابِ ، يقرِّبُ منكَ البعيدَ ، ويبعِّدُ منكَ القريبَ ، والأحمقُ ؛ فإنَّكَ لستَ منهُ علىٰ شيءٍ ، يريدُ أنْ ينفعَكَ فيضرَّكَ ، والبخيلُ ؛ فإنَّهُ يقطعُ بكَ أحوجَ ما تكونُ إليهِ ، والجبانُ ؛ فإنَّهُ يسلمُكَ ويفرُّ عندَ الشدَّةِ ، والفاسقُ ؛ فإنَّهُ يبيعُكَ بأكلةٍ أوْ أقلَّ منها ، فقيلَ : وما أقلُّ منها ؟ قالَ : الطمعُ فيها ثمَّ لا ينالُها(٢) .

وقالَ الجنيدُ : (لأَنْ يصحبَني فاسقٌ حسَنُ الخلقِ أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ يصحبَني قارئٌ سيِّءُ الخلُقِ)(٣) .

وقالَ ابنُ أبي الحَواري : قالَ لي أستاذي أبو سليمانَ : (يا أحمدُ ؛ لا تصحبْ إلا أحدَ رجلينِ : رجلاً ترتفقُ بهِ في أمرِ دنياكَ ، أوْ رجلاً تزيدُ معَهُ وتنتفعُ بهِ في أمرِ آخرتِكَ ، والاشتغالُ بغيرِ هـٰذينِ حمقٌ كبيرٌ)(٤) .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (اجتنبْ صحبةَ ثلاثةٍ مِنْ أصنافِ الناسِ :

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٣٧) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٣٧) ، والقول لأبي جعفر محمد بن علي يخاطب ابنه جعفر بن محمد رضي الله عنهم ، ونحوه رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٨٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١/ ٤٠٩) .

(٣) حكاه الحافظ الزبيدي عن صاحب « القوت » . « إتحاف » (٦/ ٢٠٢) .

(٤) قوت القلوب (٢/ ٢٢٦) .

الجبابرةِ الغافلينَ ، والقرَّاءِ المداهنينَ ، والمتصوِّفةِ الجاهلينَ)⁽¹⁾ .

واعلمْ : أنَّ هـٰذهِ الكلماتِ أكثرُها غيرُ محيطٍ بجميعِ أغراضِ الصحبةِ ، والمحيطُ ما ذكرناهُ مِنْ ملاحظةِ المقاصدِ ، ومراعاةِ الشروطِ بالإضافةِ إليها ، فليسَ ما يُشترطُ للصحبةِ في مقاصدِ الدنيا مشروطاً في الصحبةِ في الآخرةِ والأخوَّةِ ؛ كما قالَهُ بشرُ بنُ الحارثِ : (الإخوةُ ثلاثةٌ : أخٌ لآخرتِكَ ، وأخٌ لدنياكَ ، وأخٌ لتأنسَ بهِ)⁽²⁾ ، وقلَّما تجتمعُ هـٰذهِ المقاصدُ في واحدٍ ، بلْ تتفرَّقُ علىٰ جمعٍ ، فتتفرَّقُ الشروطُ فيهِمْ لا محالةَ .

وقدْ قالَ المأمونُ : (الإخوانُ ثلاثةٌ : أحدُهُمْ مثلُهُ مثلُ الغذاءِ لا يُستغنىٰ عنهُ ، والآخرُ مثلُهُ مثلُ الدواءِ يُحتاجُ إليهِ في وقتٍ دونَ وقتٍ ، والثالثُ مثلُهُ مثلُ الداءِ لا يُحتاجُ إليهِ قطُّ ، ولكنَّ العبدَ قدْ يُبتلىٰ بهِ ، وهوَ الذي لا أنسَ فيهِ ولا نفعَ)⁽³⁾ .

وقدْ قيلَ : (مثلُ جملةِ الناسِ مثلُ الشجرِ والنباتِ ، فمنها ما لهُ ظلٌّ وليسَ لهُ ثمرٌ ، وهوَ مثلُ الذي يُنتفَعُ بهِ في الدنيا دونَ الآخرةِ ، فإنَّ نفعَ الدنيا كالظلِّ السريعِ الزوالِ ، ومنها ما لهُ ثمرٌ وليسَ لهُ ظلٌّ ، وهوَ مثلُ الذي يصلحُ للآخرةِ دون الدنيا ، ومنها ما لهُ ثمرٌ وظلٌّ جميعاً ، ومنها ما ليسَ لهُ واحدٌ منهما ؛ كأمِّ غَيْلانَ ، تمزِّقُ الثيابَ ولا طعمَ فيها ولا شرابَ ، ومثلُهُ

---

(١) رواه الأزدي في « طبقات الصوفية » (ص١٠٢) عن يحيى بن معاذ .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٢٦) بنحوه .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢٢٦) .

مِنَ الحيواناتِ الفأرةُ والعقربُ ؛ كما قالَ تعالىٰ : ﴿ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴾)(١) .

وقالَ الشاعرُ(٢) : [من البسيط]

ٱلنَّاسُ شَتَّىٰ إِذا ما أَنْتَ ذُقْتَهُمُ لا يَسْتَوُونَ كَما لا يَسْتَوِي ٱلشَّجَرُ
هَـٰذَا لَـهُ ثَمَـرٌ حُلْـوٌ مَـذاقَتُـهُ وَذاكَ لَيْـسَ لَـهُ طَعْـمٌ وَلا ثَمَـرُ

فإذاً ؛ مَنْ لَمْ يجدْ رفيقاً يؤاخيهِ ويستفيدُ بهِ أحدَ هـٰذهِ المقاصدِ.. فالوحدةُ أولىٰ بهِ ، قالَ أبو ذرٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : (الوحدةُ خيرٌ مِنَ الجليسِ السوءِ ، والجليسُ الصالحُ خيرٌ مِنَ الوحدةِ) ويُروىٰ مرفوعاً(٣) .

* * *

وأمّا الديانةُ وعدمُ الفسقِ : فقدْ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ ، ولأنَّ مشاهدةَ الفسقِ والفسّاقِ تهوِّنُ أمرَ المعصيةِ على القلبِ ، وتبطلُ نفرةَ القلبِ عنها ، وقالَ سعيدُ بنُ المسيَّبِ : (لا تنظروا إلى

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٢٧) ، **وشجرة أم غيلان** : شجرة الغضا ، وهو شوك البرية ، وسميت به لما تزعم العرب أنها مأوىٰ شياطين الجن ، كذا أفاده الحافظ الزبيدي ، وحكىٰ في « تاج العروس » أن لها ثمراً أحلىٰ من العسل ، ونقل عن شيخه ردَّ سبب التسمية وقول من قال : (أم غِيلان) علىٰ أنها جمع غول .

(٢) البيتان للمؤمَّل بن أميل . انظر « لباب الآداب » (٢/ ٧٨) .

(٣) رواه ابن أبي عاصم في « الزهد » (٦٥) ، ورواه مرفوعاً الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٣٤٣) من حديثه .

الظلمةِ فتحبطَ أعمالُكُمُ الصالحةُ)(١) .

بلْ هؤلاءِ لا سلامةَ في مخالطتِهِمْ ، وإنَّما السلامةُ في الانقطاعِ عنهُمْ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا ﴾ أيْ : سلامةً ، والألفُ بدلٌ مِن الهاءِ ، ومعناهُ : إنَّا سَلِمْنا مِنْ إثمِكُمْ ، وأنتُمْ سلمتُمْ مِنْ شرِّنا(٢) .

* * *

وأمَّا الحريصُ على الدنيا : فصحبتُهُ سمٌّ قاتلٌ ؛ لأنَّ الطباعَ مجبولةٌ على التشبُّهِ والاقتداءِ ، بلِ الطبعُ يسرقُ مِنَ الطبعِ مِنْ حيثُ لا يدري صاحبُهُ ، فمجالسةُ الحريصِ على الدنيا تحرِّكُ الحرْصَ ، ومجالسةُ الزاهدِ تزهِّدُ في الدنيا ، فلذلكَ تُكرهُ صحبةُ طلاَّبِ الدنيا ، وتُستحبُّ صحبةُ الراغبينَ في الآخرةِ .

قالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : (أحيوا الطاعاتِ بمجالسةِ مَنْ يُستحيا منهُ)(٣) .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٣٥) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٣٥) ، ومثال الإبدال قول مكرز بن حصن :

تبدَّل حصْنٌ بأزواجه عِشاراً وعَبْقَرةً عبقرا

أراد : عبقرةً ، فأبدل من الهاء ألفاً ، وفي الآية لازدواج الكلم ومراعاة الفاصلة .

(٣) حكاه السلمي في « آداب الصحبة » (٣٣) .

وقالَ أحمدُ ابنُ حنبلٍ رحمَهُ اللهُ : (ما أوقعَني في بليّةٍ إلا صحبةُ مَنْ لا أحتشِمُهُ)[١] .

وقالَ لقمانُ : (يا بنيَّ ؛ جالسِ العلماءَ ، وزاحمْهُمْ بركبتيكَ ؛ فإنَّ القلوبَ لتحيا بالحكمةِ كما تحيا الأرضُ الميتةُ بوابلِ القطرِ)[٢] .

فهٰذا ما أَرَدْنا أنْ نذكرَهُ مِنْ معاني الأخوَّةِ وشروطِها وفوائدِها ، فلنشرعِ الآنَ في ذكرِ حقوقِها ولوازمِها ، وطريقِ القيامِ بها .

* * *

---

(١) رواه السلمي في « آداب الصحبة » (٣٤) .

(٢) رواه مالك في « الموطأ » (٢/ ١٠٠٢) بلاغاً ، وعند البيهقي في « المدخل إلى السنن الكبرىٰ » (٤٤٥) عن عبيد الله بن عمر رضي الله عنهما .

Birinci Bab

DOSTLUK VE KARDEŞLİĞİN FAZÎLETİ

Bilmiş ol ki dostluk, güzel huyun meyvesidir. Ayrılık ise kötü huyun neticesidir. Güzel ahlâk, anlaşıp birleşerek sevişmeyi; kötü ahlâk ise düşmânlığı, çekememezliği ve nihâyet birbirine arka çevirmeyi gerektirir. Güzel ahlâkın dîndeki mühim yeri gizli değildir. Allahü Teâlâ, yüce Peygamberini güzel ahlâkı ile överek:

وَإِنَّكَ لَعَلٰى خُلُقٍ عَظِيمٍ

“Hiç şüphesiz sen, büyük bir ahlâk üzeresin.” (Kalem suresi, 68/4) buyurmuştur. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de hadîsinde:

أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللّٰهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ

“İnsanların cennete girmelerine en çok yardımcı olan takva, Allah korkusu ve güzel ahlâktır.”[1] buyurmuştur. Usâme b. Şüreyk (r.a.) Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e “İnsanlara verilen şeylerin en hayırlısı hangisidir?” diye sorduğumuzda Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

خُلُقٌ حَسَنٌ

“Güzel ahlâktır.”[2] diye cevap verdiler, dedi. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

[1] Tirmizî ve Hâkim, Ebû Hüreyre’den (r.a.) rivâyet etmişlerdir. Hâkim “İsnâdı sahihtir.” dedi.

[2] İbn Mâce, sahîh sened ile rivâyet etmiştir.

بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ

"Ahlâkî güzellikleri tamamlamak için gönderildim."[3] buyurdu. Diğer bir hadîsinde:

أَثْقَلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ خُلُقٌ حَسَنٌ

"Mîzana konacak amellerden en ağır geleni, güzel huydur."[4] buyurmuştur. Bir başka hadîsinde de:

مَا حَسَّنَ اللّٰهُ خَلْقَ امْرِىءٍ وَخُلُقَهُ فَيُطْعِمُهُ النَّارَ

"Allahü Teâlâ, ahlâk ve hilkatini güzelleştirdiği kimseyi, cehennemde yakmaz."[5] buyurmuştur.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Ebû Hüreyre'ye:

يَا أَبَا هُرَيْرَةَ عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ

- *"Ya Ebâ Hüreyre, güzel ahlâklı olmaya gayret et."* buyurdu. Ebû Hüreyre:

- "Güzel ahlâk nedir, yâ Rasûlallah?" diye sordu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Sana gelmeyene gider, kötülük edeni bağışlar, vermeyene verirsin."* buyurdu.[6] İşte güzel ahlâk budur.

---

[3] Ahmed, Beyhakî ve Hâkim, sahih olduğunu söyleyerek, Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[4] Ebû Dâvûd ve Tirmizî, Ebû'd-Derdâ'dan (r.a.) rivâyet etmişlerdir. Tirmizî, sahih olduğunu söylemiştir.

[5] İbn Adiy ve Taberânî **"Mekârim-i Ahlâk"**da ve "Evsat" da, Beyhakî **"Şuabü'l-Îman"**da Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[6] Beyhakî **"Şuabü'l-Îman"**da Hasan'dan rivâyet etmiştir.

Şüphesiz, güzel ahlâkın neticesi insanlarla dostluk ve ünsiyet etmektir. Ağaç güzel olunca, meyvesi de güzel olur. Nasıl böyle olmasın ki, ülfet ve dostluğu -hele Allah sevgisi- din ve takvâ bağları ile kurulan dostluğu öven pek çok âyet ve hadis ile İslâm büyüklerinin sözleri vardır.

Bu Husustaki Ayetler:

1 - Allahü Teâlâ, insanlara bahşettiği en büyük nîmetlerinden olan ülfet ve ünsiyet nîmetini beyân etmek üzere:

لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ
وَلٰكِنَّ اللّٰهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ

“Eğer yeryüzünde olan (her) **şeyi infak etsen, onların kalblerini telif edip aralarını bulamazdın. Lâkin Allahü Teâlâ aralarını bulup kaynaştırdı.”** (Enfâl suresi, 8/63)

فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا

2 - **“O’nun nîmeti sayesinde kardeş oldunuz.”** (Âl-i İmrân suresi, 3/103)

3 - Ayrılığı yermek ve ondan men etmek üzere:

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّٰهِ
عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ
إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلٰى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذٰلِكَ
يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ اٰيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

“Allah’ın ipine (Kur’ân’a) **sımsıkı sarılın ve ayrılmayın, tef-**

rikaya, düşmeyin. Allah'ın size verdiği nîmetleri hatırlayın. Düşman olduğunuz halde, İslâmiyet sâyesinde aranızı buldu, kalplerinizi birbirine bağladı. O'nun nîmeti sâyesinde kardeş oldunuz. Siz ateş çukurunun kenarında idiniz. Allah sizi oraya düşmekten kurtardı. Bunun gibi Allahü Teâlâ size delîllerini açıklar; umulur ki bu sâyede hidâyete ulaşırsınız." (Âl-i İmrân suresi, 3/103) buyurmuştur.

Hadîsler:

إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، اَلْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا
اَلَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ

"Benim meclisime en yakın olanınız, ahlâkça en güzel olan ve etrâfındakilerle hoş geçinenlerdir ki, onlar herkesi sever, onları da herkes sever."[7]

اَلْمُؤْمِنُ إِلْفٌ مَأْلُوفٌ وَلَا خَيْرَ فِي مَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ

"Mü'min, ünsiyet eder ve kendisi ile ünsiyet edilir. Hoş geçinmeyen ve kendisiyle hoş geçinilmeyen kimsede hayır yoktur."[8]

Dindeki kardeşliği övmek üzere:

مَنْ أَرَادَ اللّٰهُ بِهِ خَيْرًا رَزَقَهُ خَلِيلًا صَالِحًا إِنْ نَسِيَ
ذَكَّرَهُ وَإِنْ ذَكَّرَ أَعَانَهُ

"Allahü Teâlâ iyiliğini murâd ettiği kimseye, unuttuğunu hatır-

---

[7] Taberânî **"Mekârim-i Ahlâk"**da Câbir'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

[8] Ahmed ve Taberânî, Sehl b. Sa'd'dan (r.a.) rivâyet etmişlerdir. Ayrıca Hâkim -sahih olduğunu söyleyerek- Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

latacak ve hatırında olanı yapmaya yardım edecek iyi ve sâlih bir dost nasîb eder."[9]

مَثَلُ الْأَخَوَيْنِ إِذَا الْتَقَيَا مَثَلُ الْيَدَيْنِ تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرٰى،
وَمَا الْتَقٰى مُؤْمِنَانِ قَطُّ إِلَّا أَفَادَ اللّٰهُ أَحَدَهُمَا مِنْ صَاحِبِهٖ خَيْرًا

"Allah için birbirini seven iki kardeş buluştukları zaman, biri diğerini yıkayan iki el gibidirler. Ne zaman iki mü'min bir araya gelirse, Allahü Teâlâ birini diğerinden faydalandırır."[10]

Kardeşliğe teşvîk mâhiyetinde:

مَنْ اٰخٰى أَخًا فِي اللّٰهِ رَفَعَهُ اللّٰهُ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ لَا يَنَالُهَا
بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهٖ

"Allah için kardeşlik edinen kimseyi Allahü Teâlâ, cennette hiç bir ameli ile unlaşamayacağı yüksek dereceye yükseltir."[11]

Ebû İdris el-Havelânî[12], Muâz b. Cebel'e (r.a.): "Seni Allah için seviyorum." dediğinde Muâz: "Sana müjdeler olsun. Ben Rasûl-i Ekrem'in (s.a.v.) şöyle buyurduğunu işittim:

يُنْصَبُ لِطَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ كَرَاسِيَّ حَوْلَ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ يَفْزَعُ النَّاسُ وَهُمْ لَا يَفْزَعُونَ

---

[9] Ebû Dâvûd'un, Aişe'den (r.a.) Amir hakkında buna benzer rivâyeti vardır.

[10] Sülemî **"Adâbü's-Sohbe"**de ve Ebû Mansûr Deylemî **"Müsned-i Fîrdevs"**de Enes'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

[11] İbn Ebi'd-Dünyâ **"Kitâbü'l-İhvân"**da Enes'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

[12] Ebû İdris Aizullah, Şam kadısı idi. Hicri 80 yılında öldü. Birçokları kendisinden hadis rivâyet etmişlerdir.

وَيَخَافُ النَّاسُ وَهُمْ لَا يَخَافُونَ وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللّٰهِ الَّذِينَ لَا خَوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

"Kıyamet günü Arş-ı Âzam'ın etrâfında, bir takım insanlar için kürsüler kurulacaktır. Bunların yüzleri ayın ondördü gibi parlayacaktır. İnsanlar feryâd ederken onlar feryâd etmez; insanlar korkarken onlar korkmazlar. Onlar korku ve kederleri olmayan, Allah'ın gerçek dostlarıdır." buyurdu. Kendisine bunların kim olduğu sorulunca: "Onlar, Allah için birbirini seven kimselerdir." buyurdu.[13]

Ebû Hüreyre'nin (r.a.) de aynı meâlde şöyle bir rivâyeti vardır:

إِنَّ حَوْلَ الْعَرْشِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَلَيْهَا قَومٌ لِبَاسُهُمْ نُورٌ وَوُجُوهُهُمْ نُورٌ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ هُمُ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللّٰهِ وَالْمُتَجَالِسُونَ فِي اللّٰهِ وَالْمُتَزَاوِرُونَ فِي اللّٰهِ

"Arş-ı Âzam'ın etrafında nurdan kürsüler vardır. Bu kürsülere öyle kimseler oturacak ki, elbiseleri ve yüzleri nûr gibi parlayacaktır. Bunlar, peygamber de değil, şehîdler de değillerdir. Fakat peygamber ve şehîdler onlara gıpta edecektir." Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e "Bunlar kimlerdir?" diye sorulunca Rasûl-i Ekrem (s.a.v.): *"Onlar, Allah için birbirini sevenler, Allah için buluşup oturanlar ve Allah için birbirini ziyâret edenlerdir."*[14] buyurdu.

مَا تَحَابَّ اِثْنَانِ فِي اللّٰهِ إِلَّا كَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَى اللّٰهِ أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ

---

[13] Uzun bir hadîsde Ahmed ve Hâkim rivâyet ettiler. Hâkim, Buhârî ve Müslim'in şartlarına göre sahih olduğunu söyledi.

[14] Neseî **"Sünen-i Kübrâ"**sında rivâyet etti. Raviler sikadandır.

“Allah için birbirini seven iki kişinin Allah katında en sevimlisi, arkadaşını daha çok sevendir.”[15]

Denildi ki; Allah için birbirini seven iki arkadaştan birinin derecesi daha âlî ise -çocuklar anne babalarına katıldığı gibi- arkadaşı da onun seviyesine yükseltilir. Zîra kardeşlik Allah için olunca, evlâd kardeşlikten geri kalmaz. Nitekim âyet-i celîlede:

أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ

“Zürriyetlerini onlara kattık ve onların amelinden hiç bir şeyi eksiltmeyiz.” (Tûr suresi, 52/21) buyrulmuştur.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى يَقُولُ: حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَزَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَبَاذَلُونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَنَاصَرُونَ مِنْ أَجْلِي

“Allahü Teâlâ buyuruyor: Benim için birbirini ziyaret edenler, benim sevgimi kazanmıştır. Benim için birbirini sevenler, benim sevgime mazhar olmuştur. Benim için verenler, benim sevgimi hak etmiştir. Benim için birbirine yardımda bulunanlar, benim sevgimi kazanmıştır.”[16]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

15. İbn Hibbân ve Hâkim, Enes’den (r.a.) rivâyet etmişlerdir. Hâkim, isnâdının sahih olduğunu söyledi.
16. Ahmed, Amr b. Uneyse’den (r.a.) ve Ubâde b. es-Sâmit’den (r.a.) rivayet etmiştir. Ayrıca Hâkim de rivâyet etti ve **“Sahihtir.”** dedi.

إِنَّ اللهَ تَعَالٰى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي
الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي

"Allahü Teâlâ kıyâmet günü şöyle nidâ eder: "Benim azametim için birbirini sevenler nerededir? Onları, Benim gölgemden başka gölgesi bulunmayan bir günde rahmetim altında gölgelerim." buyurmuştur.[17] Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتّٰى يَعُودَ إِلَيْهِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلٰى ذٰلِكَ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ ذَاتُ حَسَبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتّٰى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ

"Yedi sınıf insan vardır ki, Allahü Teâlâ onları hiç bir gölge bulunmayan günde Arş'ın gölgesinde gölgelendirir:

1 - Adâletli devlet reisi,

2 - Allah'a ibâdetle büyüyen genç,

3 - Kalbi mescidlere bağlı kimse,

4 - Allah için birbirini seven ve bu uğurda birleşip bu sevgi ile ayrılan iki kişi,

5 - Tenhâ yerde Allah'ı zikrederek gözleri yaşaran kimsedir,

---

[17] Müslim rivâyet etmiştir.

6 - Mevki sahibi olan güzel bir kadın tarafından zinâ için çağırıldığı zaman "Ben Allah'tan korkarım." cevabı ile mukabele eden kimse,

7 - Sağ elinin verdiği sadakayı, sol eli duymayacak sûrette gizli sadaka veren kimse."[18]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَا زَارَ رَجُلٌ رَجُلًا فِي اللّٰهِ شَوْقًا إِلَيْهِ وَرَغْبَةً فِي لِقَائِهِ إِلَّا نَادَاهُ مَلَكٌ مِنْ خَلْقِهِ: طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَطَابَتْ لَكَ الْجَنَّةُ

"Allah rızâsı için bir (Müslüman kardeşinin) *ziyâretine giden kimseye bir melek ardından "Kendin de güzel, ziyâretin de güzeldir. Cennet de güzel bir yer olarak senin için hazırlanmıştır." diye çağırır."*[19] buyurmuştur.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللّٰهِ فَأَرْصَدَ اللّٰهُ لَهُ مَلَكًا فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَزُورَ أَخِي فُلَانًا، فَقَالَ: لِحَاجَةٍ لَكَ عِنْدَهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: لِقَرَابَةٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَبِنِعْمَةٍ لَهُ عِنْدَكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَبِمَ؟ قَالَ: أُحِبُّهُ فِي اللّٰهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللّٰهَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ يُخْبِرُكَ بِأَنَّهُ يُحِبُّكَ لِحُبِّكَ إِيَّاهُ وَقَدْ أَوْجَبَ لَكَ الْجَنَّةَ

---

18. Buhârî ile Müslim, Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.
19. İbn Adîy, Enes'den (r.a.) rivâyet etmiştir. Yalnız "Şevkan ve rağbeten" ilâvesi yoktur. Tirmizî ve İbn Mâce de Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

"Allah için sevdiği kardeşliğini ziyârete giden kimsenin yoluna Allah bir melek gönderir. Melek:

- "Nereye gidiyorsun?" diye sorar. Adam:

- "Falan kardeşliğimin ziyâretine gidiyorum." der. Melek:

- "Onunla görülecek bir işiniz mi vardır?" diye sorar. Adam:

- "Hayır." der. Melek:

- "O zâtla hısım ve akrabalığınız mı var?" Adam:

- "Hayır." der. Melek:

- "Yoksa onun sende bir şeyi mi var?" der. Adam:

- "Hayır, yoktur." diye cevap verir. Melek:

- "O halde neden ziyâretine gidiyorsun?" diye sorar. Adam:

- "Kendisini Allah için seviyorum da onun için gidiyorum." der. Melek:

- "O adamı sevdiğin için Allahü Teâlâ'nın da seni sevdiğini ve cennetini kazandığını sana bildirmem için, Allahü Teâlâ beni buraya gönderdi." der."[20] buyurmuştur.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللّٰهِ وَالْبُغْضُ فِي اللّٰهِ

"İmânın en sağlam kulpu, Allah için sevmek ve Allah için buğz etmektir."[21] buyurdu. Bu sebebten, kişinin Allah için sevdiği dostları olduğu gibi, Allah için buğz ettiği düşmanları da olma-

---

[20] Müslim, Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

[21] Ahmed, Berâ b. Âzib'den (r.a.) rivâyet etmiştir. Ayrıca Harâitî **"Mekârim-i Ahlâk"**da İbn Mes'ûd'dan (r.a.) rivâyet etimştir.

lıdır. Rivâyete göre, eski peygamberlerden birine Allahü Teâlâ şöyle vahyetmiştir: “Dünyadan yüz çevirmen, rahat etmen içindir. Bana yönelmen, benimle izzet bulduğun içindir. (Asıl senden istediğim) Benim için buğz etmen ve benim için dost edinmendir.” Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir duâsında:

اَللّٰهُمَّ لَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيَّ مِنَّةً فَتَرْزُقُهُ مِنِّي مَحَبَّةً

“Allahım, fâcir kimsenin nîmetini bana nasîb etme ki, sevgime mazhar olmasın.” buyurmuştur.

Rivâyete göre; Allahü Teâlâ, İsâ aleyhisselâma şöyle vahyetmiştir: *“Sen, yer ve gök ehli kadar bana ibâdet etsen de Allah için buğzun olmasa, hiç bir değer taşımaz.”* İsâ aleyhisselâm: *“Günâhkârlara buğz etmekle Allah’ın sevgisini kazanın; onlardan uzaklaşmakla Allah’a yaklaşın. Onlara kızmakla Allah’ın rızâsını arayın.”* buyurmuştur. “O halde kiminle oturup kalkalım?” diyenlere cevâben: “*Gördüğünüz zaman Allah’ı hatırlatan, sözü ile amellerinizi arttıran ve âhiret ameline sizi teşvîk edenlerle düşüp kalkın.”* buyurmuştur. Yine eski haberlerde rivâyet edildiğine göre; Allahü Teâlâ Hz. Mûsâ aleyhisselâma şöyle vahyetmiştir: *“Ey İmrân’ın oğlu Mûsâ! Uyanık ol ve kendine dost ara. Herhangi bir arkadaşın seni, benim sevgime teşvik etmezse o, düşmanındır.”* Allahü Teâlâ, Dâvûd aleyhisselâma da şöyle vahyetmiştir:

“Ey Dâvûd! Ne oluyor? Seni tek başına kalmış ve insanlardan uzaklaşmış bir halde görüyorum?” Dâvûd aleyhisselâm:

- “*İlâhî, senin rızân uğrunda insanları terk ettim.”* dedi. Allahü Teâlâ:

- “Yâ Dâvûd! Uyanık ol, kendine dost ara. Beni sevmekte sana uymayanlarla da arkadaşlık yapma. Çünkü bu gibiler, senin düş-

manındır. Kalbini karartır ve seni benden uzaklaştırırlar." buyurmuştur. Yine Dâvûd aleyhisselâmdan gelen bir rivâyette, Dâvûd:

- "*Yâ Rab! Sana olan bağlılığıma mâni olmayacak şekilde insanların sevgisini kazanmak için ne yapmalıyım?"* dedi. Allahü Teâlâ:

- "İnsanlarla, kendi kabiliyetlerine göre geçin ve anlaş. Bizim aramızda da ihsândan ayrılma. (Diğer rivâyette) *Dünya adamları ile dünya ahlâkı ile anlaş; âhiret adamları ile de âhiret ahlâkı ile anlaş."* buyurmuştur.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir hadîsinde:

إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللّٰهِ الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ
إِلَى اللّٰهِ الْمَشَّاؤُنَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ

"Allah katında en sevimli olanınız, ülfet edip kendisiyle ülfet olunandır. Allah katında en sevimsiz olanınız da kovuculukla gezip, dostları birbirinden ayıranınızdır."[22] buyurmuştur.

Diğer hadîste:

إِنَّ لِلّٰهِ مَلَكًا نِصْفُهُ مِنَ النَّارِ وَنِصْفُهُ مِنَ الثَّلْجِ يَقُولُ: اَللّٰهُمَّ كَمَا
أَلَّفْتَ بَيْنَ الثَّلْجِ وَالنَّارِ كَذٰلِكَ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ

"Allahü Teâlâ, yarısı kardan ve yarısı ateşten olan bir melek yaratmıştır. Bu melek duâsında: "Allahım, kar ile ateşi birleştirdiğin gibi, sâlih kullarının kalplerini de birleştir." diye duâ eder."[23] buyrulmuştur. Diğer bir hadîste de:

---

[22] Taberânî **"Evsât"** ve **"Sağîr"**inde Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

[23] Ebû'ş-Şeyh İbn Hibbân **"Kitâbü'l-Azame"**de Muâz b. Çebel (r.a.) ve İrbâz b. Sâriye'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

مَا أَحْدَثَ عَبْدٌ أَخًا فِي اللّٰهِ إِلَّا أَحْدَثَ لَهُ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ

"Her kim Allah için bir dost edinirse Allahü Teâlâ onun için cennette yeni bir derece yaratır."[24] buyrulmuştur. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اَلْمُتَحَابُّونَ فِي اللّٰهِ عَلٰى عَمُودٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، فِي رَأْسِ الْعَمُودِ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ، يُشْرِفُونَ عَلٰى أَهْلِ الْجَنَّةِ، يُضِيءُ حُسْنُهُمْ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: اِنْطَلِقُوا بِنَا نَنْظُرْ إِلَى الْمُتَحَابِّينَ فِي اللّٰهِ فَيُضِيءُ حُسْنُهُمْ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ، عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ مَكْتُوبٌ عَلٰى جِبَاهِهِمِ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللّٰهِ

"Allah için birbirini sevenler, üstünde yetmiş bin çardak bulunan kırmızı yakuttan yapılmış bir sütün üzerinde dururlar ve oradan cennet ehline bakarlar. Dünya halkını güneş ziyâlandırdığı gibi, onların nuru da cennet halkına parlar ve onları ziyâlandırır. Cennet halkı "Gelin de şu Allah için birbirini sevenleri görelim." derler. Onlar da üzerlerinde ince yeşil atlastan altın sırmalı elbiseler, alınlarında "Allah için sevilenler" ibâresi yazılı olduğu hâlde, güneş gibi cennet halkına parlarlar."[25] buyurmuştur.

Büyüklerin bu husustaki sözleri:

Hz. Ali (r.a.): "Dost edinin, onlar sizin için dünya ve âhiret sermâyesidir. Cehennem ehlinin:

---

[24] İbn Ebî'd-Dünyâ **"Kitâbü'l-İhvân"**da Enes (r.a.) hadîsinden rivâyet etti. Hadis yukarıda geçmiştir.

[25] Hakîm-i Tirmizî **"Nevâdir"**de İbn Mes'ûd'dan (r.a.) rivâyet etmiştir.

فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ، وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ

“Bizim için şefaat edicilerden kimse olmadığı gibi, samîmi bir dost da yoktur.” (Şuarâ suresi, 26/100-101) diyeceklerini duymadınız mı?” buyurmuştur.

Abdullah b. Ömer (r.a.): “Ömrüm boyunca oruç tutsam, hiç uyumadan geceyi ibâdetle geçirsem, malımı parça parça Allah yolunda infâk etsem ve bu hal üzere ölsem, fakat gönlümde Allah'a itâat edenlere karşı bir sevgi, isyân edenlere karşı da bir nefret duygusu olmasa, bütün bu yaptıklarımdan bir fayda göremem.” demiştir.

Meşhûr Bağdat vâizi **İbn Semmâk**, ölümü anında şöyle demiştir: “Allahım! Sen bilirsin, ben sana karşı kusur işledimse de, itâat edenleri candan severim. Benim bu sevgimi, sana kulluk ve yakınlık olarak kabul eyle.”

Hasan-ı Basrî de tamamen bunun zıddına olarak: “Ey âdemoğlu! *“Kişi sevdiği ile beraberdir.”* hadîsi seni aldatmasın. İyilerin amelini işlemedikçe, iyilerden olamazsın. Zîra Yahûdî ve Hıristiyanlar kendilerince, peygamberlerini severler. Fakat onlar ile değillerdir.” İşte bu, beraberlik olmadan kuru bir sevginin fayda vermeyeceğini açıkça ifâde etmektedir.

Fudayl: “Evet, Firdevs cennetinde peygamberler ve sıddıklarla bir arada bulunmayı istiyorsun ama buna karşılık, hangi ameli işledin? Hangi şehevî arzuyu kırdın, hangi hiddetini yendin? Sana gelmeyen hangi akrabana gittin? Kardeşinin hangi kusurunu bağışladın? Allah için hangi yakınından uzaklaştın ve hangi uzağına yaklaştın?” demiştir.

Rivâyete göre, Allahü Teâlâ Hz. Musâ'ya:

- *"Ya Mûsâ! Benim için bir amel işledin mi?"* diye sordu. Mûsâ aleyhisselâm:

- *"Ya Rab! Senin rızân için namaz kıldım, oruç tuttum, sadaka ve zekât verdim."* dedi. Allahü Teâlâ:

- *"Bütün ibâdetler senin içindir. Namaz kıldın, sana burhandır. Oruç tuttun, sana cehennemden siper ve kalkandır. Sadaka gölge, zekât ise nurdur. Bunların hepsi sana; benim için ne yaptın?"* buyurur. Hz. Mûsâ:

- "*Allahım! O halde senin rızân için olacak bir amele beni irşâd eyle."* dedi. Allahü Teâlâ:

- *"Ya Mûsâ! Benini için dost ve yine benim için düşman edindin mi?"* buyurdu. Musa aleyhisselâm, en fazîletli amelin Allah için sevmek ve Allah için buğzetmek olduğunu anladı.

İbn Mes'ûd (r.a.): "Kişi, Kâ'be'de Rükün ile Makam arasında yetmiş sene ibâdet etse de yine sevdikleri ile haşrolunacaktır." demiştir.

Hasan-ı Basrî: "Fâsıktan uzaklaşmak, Allah'a yaklaşmaktır." demiştir. Adamın biri, Muhammed b. Vâsi'a:

- "Seni Allah için seviyorum." dedi. Muhammed:

- "Sen beni, ne için seviyorsan, ben de seni onun için seviyorum." dedikten sonra yönünü dönerek:

- "Allahım! Sen beni sevmediğin hâlde, senin rızân için sevilmekten sana sığınırım." diye duâ etti. Adamın biri **Dâvûd-i Tâî**'nin[26] huzûruna girdi. Dâvûd-i Tâî ne istediğini kendisinden sordu. Adamcağız: "Ziyâretine geldim." deyince, Tâî: "Sen, bu ziyâretinle bir hayır işledin, mecûrsun. Fakat bana gelince, "Sen kim idin de ziyâret edildin?" denirse, ben ne cevap vereyim?" Zâhidlerden misin? denirse, değilim; âbidlerden misin? denirse, değilim; sâlihlerden misin? denirse, yine değilim. Benim halim o zaman nice olur?" diye kendisini tevbîh etmeye başladı ve şöyle dedi: "Gençliğinde fâsık idin. İhtiyârlayınca mürâî oldun, mürâîlik ise fasıklıktan iyi bir şey değildir."

---

[26] Künyesi, Ebû Süleyman'dır Kûfelidir. Sikadan bir zâttır. Fakîhtir. Zâhiddir. Neseî, kendisinden hadîs rivâyet etmiştir. Hicri 105 yılında vefât etmiştir.

Hz. Ömer (r.a.): "Sizden birinize kardeşliğinden bir sevgi ve saygı geldiği zaman, onu tutsun. Çünkü isâbet pek azdır." dedi.

Mücâhid[27]: "Allah için birbirini sevenler bir araya gelip güler yüz ve tatlı sözle buluştukları zaman, -güz yaprakları gibi- günâhları dökülür." demiştir.

Fudayl: "Kişinin, dostunun yüzüne şefkat ve merhametle bakması ibâdettir." dedi.

---

[27] Mücâhid b. Cübeyr, Mekkeli olup tabiînin sikalarındandır. Tefsîr ve diğer ilimlerde imamdır. Birçokları kendisinden rivâyette bulunmuşlardır. 83 yaşında iken, Hicrî 100 yılında ölmüştür. Allah rahmet eylesin.

KARDEŞLİK ÇERÇEVESİ

Bilmiş ol ki; Allah için sevmek ve Allah için buğzetmek gizli ve kapalı bir şeydir. Şu anlatacaklarımızla, bunun yüzünden perdeyi yırtarak, açığa çıkarılmasına çalışacağız. Anlatacağımız da şudur:

Sohbet ve arkadaşlık, bâzen tesâdüfî olur. Komşuluk, mektep ve medrese arkadaşlığı, sokakta ve hükümet kapılarında tanışmak ve beraber yolculuk etmek gibi ki, bunlar ihtiyârî ve içten gelen bir istekle değil, tesâdüfün mahsûlüdür. Bâzen de kendi arzu ve irâdesi ile olur ki, bizim üzerinde durmak istediğimiz, bu sohbettir. Zîra dînde kardeşlik, bu ikinci kısımda olur. Çünkü mükâfat, kişinin kendi istek ve arzusu ile yaptığı şeylerdedir. Tergîb ve teşvik de bunlaradır. Sohbet; yaklaşmak, buluşmak ve bir arada oturup kalkmaktan ibârettir. Bunlar da ancak sevgi sâyesinde olur. Çünkü insan, sevmediği kimseye yaklaşamaz ve onunla ünsiyet peydâ edemez. Sevdiğini ya bizâtihi sever yâni onunla başka bir sevdiğine ulaşmak için değil de, kendisi için sever. Veyâ onu sevmesi, onun vâsıtasıyla başka bir sevgilisine ulaşmak için olur. Bu ikinci kısım yâni gâyesi ya dünyalığa ulaşmak veyâ âhiret saâdetine nâil olmak yâhut bütün bunların üstünde Allah ile alâkalı bir sevgi olur ki, bunların tamamı dört kısımdır.

Birinci Kısım

Bir insanı zâtî bakımdan sevmektir. Bu kabîl sevgi mümkündür. Güzel kabul ettiğin bir tarafı olur, ondan zevk alırsın ve onu görmekten hoşlanırsın. Güzelliği anlayan herkes için güzellik tatlıdır. Zevk, her hangi bir şeyi güzel bilmeye bağlıdır. Güzellik de iki tabiat arasında müvâfakat, mülâyemet ve münâsebete bağlıdır. Sonra güzel kabul edilen şey ya yaradılışı ve endamı itibariyledir yâhut sîreti, ahlâkı ve güzel işleri itibâriyledir ki bu, bâtınî güzelliktir. Akıl ve ahlâk sahibi gibi, güzel işler güzel ahlâka tâbi olduğu gibi, ilmin çokluğu da aklın kemâline tâbidir. Tab'-ı selîm ve akl-ı müstakim sahiplerine göre, bunların hepsi güzeldir. Güzel olan her şey sevimli ve tatlıdır. Bütün bunlar, sevginin sebepleri olmakla beraber, gönülleri birbirine bağlayan daha ince ve daha kapalı noktalar vardır.

Bâzen iki kişi arasında sûret ve ahlâkta güzellik olmadığı hâlde, ülfet ve ünsiyeti gerektiren batinî bir münâsebet sebebiyle en kuvvetli samîmiyet râbıtası da kurulabilir. Çünkü bir şeye benzeyen tab'an ona meyleder. Bâtınî benzerliklerin hem gizli, hem de beşer idrâkinin kavrayamayacağı ince tarafları vardır.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bu cihete şu mübârek sözleri ile işâret buyurmuştur:

اَلْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اِئْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ
مِنْهَا اخْتَلَفَ

"Ruhlar, bölüklere ayrılan askerler gibidir. (Ruhlar âleminde) *birbirleriyle tanınmış olanlar, dünyada da yekdiğerleriyle uyuşurlar; tanışmayanlar da anlaşamaz, sevişemezler."*[28] Birbirini inkâr ve ihtilâf ayrılığın netîcesi; anlaşmak ise münâsebetin netîcesidir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), bunu *"Teâruf"* kelimesi ile ifâde buyurmuştur. Diğer bâzı rivâyetlerde bu hadîs şöyledir:

---

[28] Müslim, Ebû Hüreyre'den (r.a.); Buhârî de Hz. Aişe'den rivâyet etmişlerdir.

اَلْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ تَلْتَقِي فَتَتَشَامُّ فِي الْهَوَاءِ

"Ruhlar, bölüklere ayrılan askerler gibidir. Havada karşılaşır ve koklaşmak sûretiyle anlaşırlar."[29] Bâzı âlimler, bu hadîsi kinâye yoluyla şöyle açıklarlar: **"**Allahü Teâlâ rûhları yarattı ve onları dağıttı. Bunlar, Arş'ın etrafında dolaştılar. Orada hangileri birbirleriyle birleşip anlaştı ise dünyada da karşılaştıklarında birbirleriyle seviştiler." Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينِ لَيَلْتَقِيَانِ عَلٰى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَمَا رَأٰى
أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ قَطُّ

"İki mü'minin rûhları bir günlük yolda buluşur; Hâlbuki bu ana kadar sahiplerini görmemişlerdir."[30] buyurmuştur. Rivâyete göre; Mekke'de sözleri ile kadınları güldüren bir kadın vardı. Aynı şekilde bir kadın da Medine'de bulunuyordu. Mekke'deki kadın Medine'ye geldi, Hz. Âişe'ye (r.a.) uğradı ve konuşmaları ile Hz. Âişe'yi de güldürdü. Hz. Âişe (r.a.) nerede misâfir olduğunu sordu. Kadın da, kendi gibi güldürücü olan kadında misâfir kaldığını söyledi. Bunun üzerine Hz. Âişe: "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), doğru buyurdu. Çünkü o, *"Ruhlar buluşur."* mealindeki hadîsi okuyarak, böyle buyurdu." dedi.

Burada hak olan şudur ki; müşâhede ve tecrübenin de şehâdetine göre, münâsebet olunca ülfet olur. Zâhir ve bâtında, tabiat ve ahlâkta münâsebetin bulunması da görülen bir gerçektir. Fakat münâsebeti îcâp ettiren sebepleri anlamak, beşerin vüs'atinde değildir. Bu hususta müneccimlerin hezeyân ve gerçek dışı sözleri şöyledir: "Talihleri bir olanlar arasında münâsebet, ayrı olanlar arasından münâferet husûle gelir." Bu söz, Allahü Teâlâ'nın yer ve gökleri yaratmasında cereyân eden hükme uygun bir şekilde doğru bile olsa, asıl münâsesebetteki müşkilâttan daha büyük müşkilâtlar, burada da ortaya çıkar. Bunun için esrârı, beşere çözülmeyen bu gibi şeyler ile uğraşmaya hiç de lüzûm yoktur. Bize ilimden az miktar verilmiştir. Bunu kabulde, tecrübe ve müşâhedelerimiz kâfîdir. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

[29] Taberânî **"Evsât"**ında Hz. Ali'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

[30] Ahmed, Abdullah b. Ömer'den (r.a.) rivâyet etti.

لَوْ أَنَّ مُؤْمِنًا دَخَلَ إِلٰى مَجْلِسٍ فٖيهِ مِائَةُ مُنَافِقٍ وَاحِدٌ، لَجَاءَ
حَتّٰى يَجْلِسَ إِلَيْهِ، وَلَوْ أَنَّ مُنَافِقًا دَخَلَ إِلٰى مَجْلِسٍ فٖيهِ مِائَةُ
مُؤْمِنٍ وَمُنَافِقٌ وَاحِدٌ، لَجَاءَ حَتّٰى يَجْلِسَ إِلَيْهِ

"Bir mecliste yüz münâfık ve bir mü'min bulunsa, o meclise sonradan gelen mü'min, mü'minin yanına; bir mecliste yüz mü'min ve bir münafık bulunsa, oraya gelen münâfık, münâfıkın yanına oturur"[31] buyurmuştur. Bu, bilmeyerek de olsa iki benzerler arasında bir câzibenin bulunmasına delîldir.

Mâlik b. Dînar: **"**On kişi arasında iki kişi anlaşırsa, bunlarda birbirinin vasıflarından vardır. Bu hususta insanlar, kuşlara benzerler. Havada uçan kuşlar, aralarında münâsebet bulunmayan (yâni bir cinsten olmayan) diğer kuşlarla buluşup anlaşamadıkları gibi, insanlar da aralarında münâsebet olmayan fertlerle buluşup anlaşamazlar." demiştir.

Mâlik b. Dînar, bir gün karga ile bir güvercinin bir arada uçtuğunu görünce hayret ederek: “Allah Allah, bunların arasında hiç bir münâsebet yok. Böyle iken nasıl oluyor da bir arada uçabiliyorlar!” diye taaccüb etti. Biraz sonra, İkisinin de topal olduğunu öğrenince hayreti zâil oldu ve “İşte bunlar, münâsebeti bu yönden tesis ettiler.” dedi. Hakimlerden birisi: “Her kuş kendi cinsi ile uçtuğu gibi, her insan da kendi şekli ile ünsiyet eder. Vasıflarında benzerlik olmadığı halde, bir zaman arkadaşlık edenler, mutlaka netîcede ayrılırlar. Bu, gizli bir mânâdır. Şâirler, bunu sezdi ve hattâ onlardan biri:

---

[31] Beyhâkî "**Şuabü'l-İmân**" da İbn Mes'ûd'dan (r.a.); Sahib-i Firdevs. Muâz b. Cebel'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

“Niçin ayrıldınız diye benden sordu. Ben de insâfla kendisine dedim ki:

Şekli şeklime uymuyor, bunun için ayrıldık. Zîra insanlar, şekilleri ile ülfet ederler.”

Şu açıklamadan anlaşıldı ki; İnsanlar şimdi veyâ gelecekte bir fayda beklemeden de sırf cinsiyet ve bâtınî tabiattaki münâsebet ve gizli ahlâk sâyesinde birbirlerini sevebilirler. Güzellik sebebiyle sevmek de bu kısma girer. Çünkü bundan mutlaka kazâ-i şehvet matlûb değildir. Bizâtihî güzel sûret, insanın hoşuna gider ve şehvet de olmasa ondan zevk alır. Hattâ meyvelere, çiçeklere, aydınlığa, yeşilliğe ve akarsulara bakmakta da zevk vardır. Hâlbuki bunlarda şehvet, bahis mevzûu değildir. Bu sevginin, Allah sevgisi ile alâkası yoktur. Bu, tabiî bir sevgidir. Hattâ Allah’a imânı olmayanda da bu sevgi vardır. Ancak kötü maksada dayanırsa, o zaman mezmûm olur. Meselâ, teskîn-i şehvet için kendisine haram olan güzel sûreti sevmek gibi. Şâyet böyle kötü bir maksada dayanmıyorsa ne sevâb ne de günâhtır. Ancak mübâh sayılır. Çünkü sevgi makbul, mezmûm ve mübâh olarak üç kısma ayrılır.

İkinci Kısım

Sevdiğini bizâtihî değil, onun vâsıtasıyla gâyesine ulaşmak için sevmektir. Şüphesiz, sevgiliye ulaştıran vâsıta da sevilir. Gerçekte mahbûb olan, başkası için sevilen değil, o başkasıdır. Fakat sevdiğine ileten yol da sevilir. Altın ve gümüşü sevmek bu kabîldendir. Yoksa bunların zâtından değildir. Çünkü bunlar ne yenilir ne de giyilirler. Fakat bütün sevimli şeyler bunlarla temîn edilir. İşte insanlardan bâzıları da altın ve gümüş gibi, maksada vesîle oldukları için sevilirler. Onlar sâyesinde mevki, mansıb, mal ve ilim temîn edilir. Malından ve mevkiinden faydalandığı için bâzılarının sultanı sevmesi gibi. Sultanların hasekilerini de severler. Çünkü onlar onu sultana takdim eder, sultanın nezdinde över ve sultanın kalbine yerleştirirler. Vâsıta olarak sevdiğini, sırf dünyalık temîni maksadı ile seviyorsa bu sevgi, Allah için olan sevgilerden değildir.

Şâyet sırf dünyalık için değil de âhiret ile de alâkalı olur ve fakat seven, yalnız dünyalık cihetinden seviyorsa, -talebenin hocasını sevmesi gibi- bu da Allah için olan sevgi dışındadır. Çünkü talebenin hocasını sevmesi, ilim öğrenmesi içindir. Aslında talebenin sevdiği ilim olmuş olur. İlim öğrenmekten maksadı Allah'a yakınlık olmayıp, dünyada mevkî sahibi olmak ve halkın yanında îtibar bulmak ise bu adamın sevdiği bunlardır. İlim bunlara, hoca da ilme vesîle olmuş olur ki, bunların hiç birine Allah için sevgi denemez. Çünkü bu gibi sevgiler, Allah'a inanmayanda da bulunur.

Sevginin bu kısmı da mübâh ve mezmûm olarak ikiye ayrılır. Şâyet bu sevgi, emsâllerine galebe çalmak, yetim malı yemek maiyetine zulüm etmek ve benzeri kötü niyetler taşıyorsa mezmûmdur. Eğer, mübâh olan nîmetlere ulaşmak maksadını taşıyorsa mübântır. Vesîle, maksada tâbi olduğu için, maksadın hükmünü alır.

Üçüncü Kısım

Sevdiğini zâtı için değil, başka bir maksatla sevmektir. Eğer bu maksat, dünyalık olmayıp âhiret için olursa ki, bunun gizli ve kapalı tarafı yoktur, apaçık meydandadır. İlim öğrenmek ve güzel amel yapmak maksadı ile hocasını ve şeyhini sevmesi gibi. Şüphesiz, ilim ile amelden maksadı dünyalık değil, âhirette necâta ulaşmaktır. İşte bu, Allah için olan sevgidir. Kendisinden ilim öğrendiği ve kendisi de bu sâyede muallimler rütbesine yükseldiği, melekût âleminde saygı ile anıldığı için, talebesini seven hoca da, Allah için sevenler meyânındadır. Zîra İsâ aleyhisselâm şöyle buyurmuştur: "Öğrenip, öğrendiği ile amel ettikten sonra, başkalarına da öğreten kimsenin adı, melekût âleminde saygı ile anılır."

Şüphesiz öğretmek, öğrenci ile olur. Bu mertebeye yükselmek için talebe bir merdivendir. Hoca talebesini bu bakımdan sever. Çünkü hocanın melekût âleminde saygı ile anılmasına sebep olan talebenin, göğsünü onun tohumuna tarla olarak hazırlamasıdır. İişte bu, Allah için olan sevgidir. Hattâ malını Allah için tasadduk etmek, yine Allah için misâfirlerine nefis ve lezîz yemekler yedirebilmek bakımından, iyi yemek pişiren aşçıyı sevmek. Bütün bunlar, Allah için sevgidir. Sadakasını hak sahiplerine ulaştırmak için vâsıta olanı sevmek de, yine Allah için bir sevgidir.

Daha da ileri giderek deriz ki: Çamaşırını yıkayıp yemeğini pişirmek ve evini temizlemek gibi, şahsî hizmetinde kullandığı bir kimseyi -bu hizmetleri ile kendisinin huzûr içinde ibâdetle meşgûl olmasını temin ettiği için- sevmesi, yine Allah için bir sevgidir. Hattâ huzûr içinde ilim, amel ve ibâdetiyle meşgul olabilmek maksadı ile kendisinin yiyecek, giyecek, mesken gibi bütün maddî ihtiyaçlarını temîn eden kimseyi sevmesi de, yine Allah için bir sevgidir. Eskilerden birçoklarının (huzûr içinde ibâdet edebilmeleri için) bütün ihtiyaçlarını bâzı servet sahipleri üzerlerine almışlardı. Bu maksatla, yardım edenler de yardım olunanlar da Allah için birbirini sevenlerdir.

Bundan da daha ileri giderek deriz ki: Şeytanın vesvesesinden korunmak, dîn ve diyânetini muhâfaza etmek, kendisine duâ edecek hayırlı bir evlat yetiştirmek için sâliha bir kadın ile evlenen ve bu maksatla âilesini seven kimsenin bu sevgisi, yine Allah için sevgidir. Bu sebepten âilesinin nafakasını temîn edenlere büyük mükâfatlar va'd edildiğine dâir haberler vârid olmuştur.

Hattâ şöyle de deriz: Allah için, Allah rızâsı için ve âhirette O'na kavuşmak için sevmekle şöhret bulan yâni bütün sevgisi Allah için olan bir kimse -başka birisini de sevse- yine bu sevginin Allah için olduğunu söyleyebiliriz. Çünkü bu adamın, kendi nazarında mahbûb bir şeyi sevmesine, imkân yoktur; o da Allah rızâsıdır.

Bir gönülde hem dünya, hem de Allah sevgisinin toplanabileceğini de söyleriz. Bunların ikisi de bir adamda bulunabilir. Yâni bir adam vâsıtasıyla bunların ikisi de elde edilebilir; bu iki maksatla bu adamı sevmek, yine Allah için sevmektir. Talebeye dîn ilmini öğretirken maddî ihtiyaçlarını temîn eden hoca gibi. Şimdi dünyalıkta istirâhatini, âhirette de saâdetini temîn ettiği için, her iki yönden hocasını sevmek, Allah için sevgidir.

Bir sevginin Allah için olabilmesi, ona dünyevî hiç bir şeyin karışmaması şartıyladır, denemez. Zîra peygamberlerin bize öğrettikleri duâlarda dünya ile âhiret bir araya toplanmaktadır. Nitekim Kur'ân-ı Kerîm'de:

رَبَّنَا اٰتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْاٰخِرَةِ حَسَنَةً

"Ey Rabbimiz! Bize dünyada da iyilik ver, ahirette de iyilik ver." (Bakara suresi, 2/201) buyrulmaktadır.

İsâ aleyhisselâm da duâsında: *"Allahım, benim hakkımda düşmanımı güldürüp sevindirme; dostumu da mahcup etme. Dînimde bana musîbet verme, meşgalemin çoğunu dünyalık yapma."* dedi. Düşmanların sevinmesinin def'i dünya hazlarındandır, demedi. *"Meşgalemin çoğu dünyalık olmasın."* dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) duâsında:

اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً أَنَالُ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ
فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ

"Allahım, dünya ve âhiretin şerefine ulaştıracak rahmetini isterim."[32] buyurmuştur. Diğer bir duâsında:

اَللّٰهُمَّ عَافِنِي مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا وَبَلَاءِ الْاٰخِرَةِ

"Allahım dünyanın mihnet ve meşakkatinden, âhiretin azabından beni koru."[33] buyurmuştur.

Hulâsa: Âhiret saâdetini sevmek, Allah sevgisine münâfi olmadığına göre, dünyada sıhhat, selâmet, huzûr ve âfiyette olmayı istemek, elbette Allah sevgisine aykırı değildir. Çünkü dün-

---

32. Tirmizî, İbn Abbâs'dan (r.a.) rivâyet etmiştir. Bu hadîs, "Dua Kitâbı"nda bütün tafsîlâtı ile geçmiştir. Bakınız 1. cilt.
33. Ahmed, Bişr b. Ebî Ertâ'dan "ceyyid" sened ile rivâyet etmiştir.

ya ile âhiret ayrı ayrı iki halden ibâret olup biri diğerinden daha yakındır. İnsanoğlu yarının huzûr ve refâhını isteyebilirken, bugünün saâdetini istemesinde neden mahzûr olsun? Yarının huzûrunu istiyor; çünkü yakında, yarını kendisi için hâlî olacak. Hâlbuki bugünü şu anda içinde bulunduğu hâl-i hâzırdır. Elbette bugünün huzûrunu da sever.

Şu kadar var ki, peşin isteklerin bâzıları âhiret faydalarına aykırı düşer ve âhiret sevâbına mâni olur. Onlar, peygamberlerin, velîlerin kaçındıkları ve kaçınılması ile emrettikleri şeylerdir. Diğer bâzıları da âhiret faydalarına mâni değildir. Onlar da peygamberler ve velîlerin yapmasından çekinmedikleri; evlenmek, helâlinden yiyip içmek, giyip kuşanmak ve benzeri şeylerdir. Âhiret menfaatine aykırı düşen şeyleri, insanoğlu tabiatıyla değil, aklı ile kerîh görmeli ve kabul etmemelidir. Yâni mîdesi almıyor, canı çekmiyor diye değil, kötü neticelerini düşünerek -tatlı olduğu halde- onlardan uzak kalmaktadır. Meselâ, sultanın hazırladığı nefîs yemekleri insanın mîdesi çeker ve canı arzu eder. Fakat bu yemeklerden yediği takdirde elinin kesileceğini veyâ boynunun vurulacağını bilen bir kimse -ne kadar nefîs olursa olsun- bu yemeklere yaklaşabilir mi? İşte, âhiretine zarar verecek şeylere de, bunun gibi yaklaşmamalıdır.

Bundan maksat hocasını, hem kendisine baktığı, hem de okuttuğu için severse; hoca da talebesini, hem kendisinden okuduğu, hem de bâzı hizmetinde bulunduğu için severse ki, bunların bir tarafı dünya ile diğer tarafı âhiretle alâkalıdır. Bu sevgi, yine Allah için sevgidir. Ancak bunun da bir şartı vardır. O da şâyet hocası nafakasını temîn etmekle beraber, okutmaktan vazgeçer veyâ talebe hocasına hizmet etmekle okumaktan sarf-ı nazar ederse, taraflardan sevgi azalmış olur. İşte, ikinci hâlde sevgi ne nispette azalırsa, o azalan miktar, Allah için sevgi idi. Ve o nisbette de sevap kazanır.

Bir insanda birçok faydaların toplanmış olması sebebiyle sevginin ona karşı daha da artmasında bir mahzur yoktur. Bunların bâzısı düşerse, sevgi azalabilir; daha da artarsa sevgi de çoğalmış olabilir. Meselâ, insanın aynı ağırlıktaki altın ile gümüşü sevmesi bir değildir. Çünkü aynı ağırlıktaki altın, gümüşten daha çok kıymetlidir. İşte faydaların çoğalması ile sevgi de çoğalır. Bunun gibi dînî ve dünyevî garazların da bir arada toplanmasında bir mahzûr yoktur. Bu da Allah için sevgidir. Bunun tarifi şöyle yapılır:

Allah'a ve âhirete inanmayanlarda, varlığı düşünülemeyen her hangi bir sevgi, Allah için sevgidir. Yine bunun gibi, imânı olmayanlarda düşünülemeyen sevginin çoğalması da yine Allah içindir. Bu sevgi her ne kadar câzip ise de, pek az bulunan kıymetli bir varlıktır.

Ebû Muhammed Cüreyrî[34] şöyle anlatıyor: "Hicrî birinci asırdan sonra insanlar dînde alış-veriş etti ve dîni zayıflattılar. Üçüncü asırdan sonra da mürüvvet ile uğraştılar ve onu da zayıflattılar. Geride ancak rağbet ve rehbet (korkmak ve heves etmek) kaldı."

Dördüncü Kısım

Allah için ve Allah rızâsı için sevmektir. Burada ilim öğrenmek ve amel etmek gibi bir şey olmamakla beraber, zâtından başka nâil olacağı bir maksadı da yoktur. Sevginin en üstün derecesi budur. Çok ince, derin, kapalı olan bu kabîl sevgi de mümkündür. Mahabbetin galebe çalmasının bir eseri de sevginin, sevgili ile alâkalı her şeye geçmesidir. Zîra bir insanı ifrât derecede seven kimse, onu seveni de onun sevdiğini de sever. Hattâ hizmetçisini ve onu medhedeni ve sevgilisinin rızâsını almak isteyen herkesi de sever.

---

[34] Cüreyr, Bekr b. Vâil kabîlesidir. Bu da bu kabîleye mensûptur. Cüneyd'in güzîde adamlarındandır. Sehl b. Abdullah'ın sohbetinde bulunmuştur. Cüneyd'den sonra onun postuna oturmuştur. Büyük bir zâttır. Hicri 311'de ölmüştür.

Bakıyye b. el-Velîd:[35] "Mü'min sevdiği mü'minin köpeğini de sever." demiştir. Ve bu tamamen dediği gibidir. Âşıklarda yapılan tecrübeler ve şâirlerin şiirleri hep buna delîldir. Bunun için bir hatıra olmak üzere, sevgilisinin elbisesini korur ve gizler. Hattâ evini, mahallesini ve komşularını bile sever. Nitekim Mecnûn b. Âmir (adı Kays'dir):

"Leylâ'nın bulunduğu memleketleri dolaşır,
Oraların taşını toprağını öperim.
Aslında, gönlümü yakan o memleketler değil,
Oralarda oturan Leylâ'nın sevgisidir." demiştir.

Görülüyor ki sevgi, yalnız sevgilide kalmayıp, muhîtine de sirâyet ettiğine, tecrübeler delâlet etmektedir. Fakat bu, ifrât dereceden sevginin hususiyetidir. Muhîtine de sirâyet edebilmek için, yalnız sevginin bulunması değil, sevginin ifrât dereceye varması lâzımdır. Sevginin etrâfa sirâyeti, ifrâtı nispetindedir. Allah sevgisi de böyledir. Kuvvetleşip kalbi kapladığı ve artık onu gizlemekten çıkıp aldırış etmeyeceği bir hale geldiği zaman bu sevgi, Allah'tan başka bütün varlıklara da sirâyet eder. Çünkü bütün mevcûdât O'nun kudretinin eseridir.

---

[35] Haysem kabîlesine mensup, hadîs âlimlerinin ileri gelenlerindendir. Buhârî ile Müslim, kendisinden rivâyet etmişlerdir.

Bir kimseyi seven; onun sanatını, yazısını ve bütün işlerini sever. Bunun için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e meyvelerin turfandası takdim edildiği zaman onu sever, yüzüne gözüne sürer ve *"Rabbımın yeni bir yaratığıdır."* derdi.

Allah sevgisi, bâzen va'd ettiği mükâfatlara ve âhirette vereceği nîmetlere karşı ve bâzen de hayatta verdiği nîmetlere mukabil olduğu gibi, bâzen de bütün bunlardan sarf-ı nazarla, yalnız zâtî bakımından olur. İşte, muhabbet çeşitlerinin en ince ve en mühimmi de bu sevgidir. İnşâallah "Rub'-ı Münciyât"ın **"Mahabbet Kitâbı"**nda buna dâir tafsîlât gelecektir.

Ne şekilde olursa olsun, Allah sevgisi kuvvetlendiği zaman, Allah ile münâsebeti olan en küçük şeye dahi geçer. Hattâ sıkıntı, acı, elem ve kederini de sever. Fakat aşırı derecedeki sevgi acı duygusunu zayıflatır, dosttan gelen elemi duymaz olur. Sevgilinin vurduğu tokatın ve aç adama vurulan ekmeğin acısını duydukları gibi… Çünkü aşırı derecedeki sevgi, acıyı duyurmayacak bir sevinme meydana getirir. Allah sevgisi bâzı kimselerde o dereceye yükselmiştir ki onlar, "Biz belâ ile nîmeti birbirinden ayıramayız. Çünkü hepsi Allah'tandır. Biz, ancak O'nun rızâsı ile seviniriz." derler. Hattâ bâzıları: "Biz mâsiyet sebebiyle Allah'ın mağfiretini istemeyiz." derler.

Semnûn şöyle diyor:

"Sen'den başkasından hazzım yok, nasıl istersen beni dene."

"Mahabbet Kitâbı"nda buna dâir tahkikat gelecektir.

Burada maksat şudur: Allah sevgisi kuvvet bulduğu zaman, ilim ve amel bakımından Allah'a hakkıyla kulluk eden herkese karşı sevgi uyandırır. Şerîat âdâbıyla edeplenmek ve güzel ahlâk gibi, Allahü Teâlâ'nın râzı olacağı bir sıfata sahip olan kimseyi de sevindirir. Allah'ı ve âhireti seven bir kimseye, birisi âlim ve âbid, diğeri câhil ve fâsık olan iki adamdan bahsedildiği zaman, âlim ve âbid olanına karşı içinden bir sevgi uyanır. Bu sevgi imânın ve Allah'a karşı olan sevginin zayıflığı ve kuvveti nispetinde zayıflar ve kuvvetleşir. İyi insana karşı olan bu temâyül -o insan uzaklarda da olsa, dünya ve âhirette kendisine hiç bir kârı olmayacağını da bilse- aynı şekilde duyulur. İşte bu meyil, Allah için ve Allah rızâsı için, hiç bir fayda düşünmeden hâsıl olan bir sevgidir.

Çünkü bu mü'minin, o âlim ve âbidi sevmesi, Allahü Teâlâ onu sevdiği ve hareketinin Allah rızâsına uyduğu, Allahü Teâlâ'yı sevdiği ve Allah'a ibâdetle meşgul olduğu içindir. Şu kadar var ki o sevgi zayıfladığı zaman, eseri görülmez; eseri görülmeyen sevgiden de hayır ve mükâfat beklenmez. Bu sevgi kuvvetlendiği zaman dostluk kurmaya, yardımlaşmaya; mal, can ve dil ile sevgisini müdâfaaya doğru gider. Allah sevgisindeki kuvvet ve za'fiyetleri nispetinde, insanlar birbirinden ayrılır.

Eğer sevgi halde veyâ gelecekte mutlaka sevgiliden beklenen bir fayda karşılığında olsaydı, o zaman Allah'ın rahmetine ulaşan âlimler, âbidler, tabiîn ve ashâb ve hattâ gelmiş geçmiş peygamberleri sevmek gibi bir şey düşünülmemesi lâzım gelirdi. Hâlbuki her dindâr Müslüman'ın gönlünde onların sevgisi bâkidir.

Bu sevgi aleyhlerinde konuşulduğu zaman, konuşanlara kızmak, iyilikleri anlatılıp övülmek sûretiyle; lehlerinde konuşulduğu zaman sevinmek sûretiyle hemen kendini gösterir. Bütün bunlar, Allah için sevmektir. Çünkü bunlar, Allah'ın has kullarıdır. Bir sultanı veyâ güzel bir insanı seven kimse, sevdiğinin adamlarını ve hattâ sevdiğini sevenleri de sever. Ancak sevgi, nefsin arzuları ile denenir. Yâni sevgilisi için arzularından vazgeçip geçmediği aranır. Bâzen sevgi o kadar ileri gider ki, sevgilisi için kendisinin bütün istek ve arzularını feda eder. Şu şiiri söyleyen, bunu ifâde etmek istemiştir:

"Ben vuslat istiyorum; o, ayrılık.
Ben arzularımı onun isteklerine fedâ ediyorum."

Yine "Bizi çekemeyenlerin söyledikleri hoşunuza gidiyorsa, sizi memnun eden elem, bizim için hastalık sayılmaz." denmiştir.

Sevginin ifrât derecesi böyle olduğu gibi, bâzen de sevgili uğrunda bütün isteklerini değil, arzularının bir kısmını fedâ eder. Servetinin üçte birini, yarısını veyâ onda birini sevgilisine bahşetmek gibi. Malından ayırdığı miktâr, sevginin mi'yârıdır. Zîra sevginin derecesi, sevgili uğrunda diğer sevdiklerinden vazgeçmekle ölçülür. Sevgi, gönlünü tamamen kaplamışsa, artık o gönle başka bir sevgi sığmaz. Sevgilisi uğruna diğer sevgililerin hepsini fedâ eder. Hz. Ebû Bekir (r.a.) gibi. Allah'a olan sevgisi karşısında bütün varlığından ayrıldı ve kendisinde hiç bir şey bırakmadı. En sevgili kızını Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e verdiği gibi, bütün varlığını da Allah uğrunda infâk etti. Sevginin en üstün derecesi budur.

Abdullah b. Ömer (r.a.) şöyle anlatıyor: "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in meclisinde bulunuyorduk. Hz. Ebû Bekir de sırtında yırtık bir aba olduğu halde orada idi. Bu esnâda Cebrâil aleyhisselâm gelerek Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e selâm verdi:

- "Ya Rasûlallah! Ebû Bekir neden böyle yırtık bir aba içinde bulunuyor?" dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Mekke'yi fethetmeden evvel, bütün malını İslâmiyet uğrunda infâk etti* (ve ondan dolayı böyle bir aba içinde kaldı.)*"* buyurdu. Bunun üzerine Cebrâil aleyhisselâm:

- "Allah'tan ona selâm getirdim. Selâmı tebliğ eyle ve de ki: "Rabbın sana soruyor, şu fakirlik halinde Rabbından râzı mısın, yoksa küskün müsün?" Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de Ebû Bekir'e dönerek:

- *"Ey Ebû Bekir! İşte şu yanımda olan Cebrâil'dir. Allah'tan sana selâm getirdi. Allahü Teâlâ buyuruyor ki: "Şu yoksulluk ânında benden râzı mısın yoksa bana küskün müsün?"* buyurdu. Hz. Ebû Bekir, ağlayarak:

- "Hiç Allah'a küsülür mü? Ben Allahımdan râzıyım, ben Rabbım'dan râzıyım." dedi.[36]

Şu söylediklerimizden elde edilen netice şudur: Âlimi, âbidi, ilim veyâ her hangi bir hayır arzusunda olan bir zâtı seven kimse, mutlaka onu Allah için sevmiştir ve sevgisi nispetinde mükâfatı vardır. İşte bu anlattıklarımız, Allah için olan sevgi ile bu sevginin derecelerini açıklamış oldu. Gerçi bununla Allah için buğzetmenin keyfiyeti de anlaşılmış oldu. Fakat biz onu biraz daha izah edelim.

ALLAH İÇİN BUĞZ ETMEK

Bilmiş ol ki; Allah için seven herkesin, Allah için buğz etmesi de lâzımdır. Çünkü bir insanı, Allah'a kulluk ediyor ve Allah katında sevimlidir diye seviyorsa, Allah'a isyân eden aynı insana buğz etmesi lâzımdır. Zîra iyi olan ve bu yüzden sevilen bu insan, bu defa Allah'a isyân ederek günâhkâr bir insan olmuştur. İnsan, sevdiği kimsede bulunan meziyetin zıddını onda görünce, buğz etmesi lâzım gelir. Bunlar, lâzım ve melzûm kabîlindendir; yek diğerlerinden ayrılmazlar. Sevgi ve nefrette âdet ve usûl budur. Fakat sevgi ile buğzun herbiri gönülde saklı birer hastalıktır. Bu hastalığın sızarak dışarı çıkması, hastalığın çoğalmasına ve galebe çalmasına bağlıdır. Sevgililerin birbirine yaklaşması ve düşmanların birbirinden uzaklaşması, birbirlerine müvâfakat ve muhâlefet etmeleri ile meydana çıkar. Sevgi ve buğz işte görülürse buna müvâlât (dostluk), muâdât (düşmanlık) denir. Bunun için, yukarıda anlattığımız gibi, bir hadîs-i kudsîde Allahü Teâlâ: *"Benim için dost edindin mi, benim için düşman edindin mi?"* buyurmuştur.

---

[36] İbn Hibbân ve Ukaylî **"Zuafâ"**da rivâyet ettiler.

Bu sevgiyi celb edecek şekilde, tâat ve ibâdetinden başka kötü bir sıfatını göstermeyenlere, düşmanlığı celb edecek şekilde fısk ve fücûr ile kötü hallerinden başka bir iyilik göstermeyenler hakkında, açık ve meydandadır. Kapalı ve güç olan, bir yandan ibâdet ve kulluğunu öte yandan isyân ve kötü hallerini ortaya koyan hakkındadır. Birbirini bozan muhabbet ile buğzu bir arada nasıl toplayacağını düşündürür. Çünkü birisi müvâfakati, diğeri muhâlefeti; muhabbet dostluğu, buğz da düşmanlığı iktizâ eder. Derim ki: Bu hususta ne beşerî menfaatlerde, ne de Allahü Teâlâ hakkında tenâkuz vardır. Bir kişide insanın hoşuna giden ve gitmeyen iki haslet bulunur. İnsan, hoşuna giden o hasletle onu sever, hoşuna gitmeyen ile de sevmez. Meselâ adamın geçimsiz ve fakat güzel bir karısı vardır. Güzelliğinden dolayı karıyı sever, geçimsizliğinden dolayı da sevmez. Yine adamın zeki, itâatli ve fakat fâsık bir oğlu var; çocuğu, zekâ ve itâatinden ötürü sever, fıskından ötürü de sevmez.

Bir yönden severken, öte yönden de buğz edebilir, iki hal arasında olur. Bir adamın üç oğlu olsa, bunlardan biri hem zeki, hem itâatli; diğeri hem ahmak, hem de âsi; üçüncüsü de ahmak fakat itâatli veyâ, zeki fakat âsi. Bunların hasletlerindeki farklılığa göre her birine karşı ayrı ayrı üç hâli vardır. Tıpkı bunun gibi, Allah'a kulluk eden, isyân eden, kulluk ve isyânı karıştırana da tavır ve davranışın aynı şekilde olmalıdır. Her sıfata, sevgi veyâ düşmanlıktan hakkı ne ise onu vermeli; ondan tamamen yüz çevirmemelisin. Ona yönelmen mi? Onunla düşüp kalkman mı? Yoksa ondan ayrılman mı lâzım? Onu yapmalısın.

Şâyet "Müslüman'ın Müslümanlığı bir tâattır. Müslüman olduğu hâlde ona nasıl buğz edilir?" dersen derim ki: Müslüman olduğu için sever, âsî olduğu için de buğz edersin. Onunla bir hal üzerinde bulunursun ki, onu kâfir ile fâcir üzerinde düşünürsen, arasındaki farkı bulursun. O fark, İslâm sevgisi ve İslâmiyet'in hakkını vermek farkıdır. Allahü Teâlâ'nın hakkını ödemekle, O'na karşı yapılan cinâyet, sana karşı yapılan itâat ve cinâyet gibi olmalıdır. Bu hususta sana müvâfakat edip diğer hususta muhâlefet eden kimse ile bir hususta iyi, diğer hususta kötü; bir hususta ona yönelmiş, bir hususta arka çevirmiş; bir hususta samîmî, diğer hususta gayr-i samîmî davranırsın. Elbette her hususta sana uyan kimseyi sevdiğin gibi, onu da sevmemelisin. Sana ara sıra muhâlefet edene de, her dâim muhâlefet eden gibi, düşmanlık etmemelisin! Ona da orta bir yol tutarsın. Bu orta derece, hıyânetin çoğaldığı sırada da iyilik tarafına meyledebilir. İşte, Allah'a karşı itâat ve isyân edene karşı takınacağın tavrın da böyle olmalıdır.

Şâyet "Düşmanlığı ne ile açıklamak mümkün olur." dersen, derim ki: "Söz ile olur; bâzen kendisi ile hiç konuşmamak, bâzen dokunaklı sözler söylemek gibi... İş ile olur; yardımı kesmek ve bâzen onu kötülemeye çalışmak gibi. Bunlar birbirinden farklı ve bâzısı bâzısından şiddetlidir. Ondan meydana gelen kötülük ve günâh nisbetinde değişir. Hatâ ve sürçme olarak kendisinden sâdır olan ve hemen pişmân olduğu bilinen kusurlarını gizlemek ve onlara göz yummak lâzımdır.

Fakat küçük günâh olsun, büyük günâh olsun, günâhta ısrar ve devam ediyorsa ve bu adamla aranızda dostluk ve samimiyet varsa, bu hususta ulemâ ihtilâf hâlindedir. Bunun hükmünü ileride açıklayacağız. Şâyet aranızda böyle kuvvetli bir samimiyet yoksa o zaman ona karşı olan husûmetin kendini göstermelidir. Ya ona iltifat etmez ve ondan yüz çevirirsin yâhut sözünle ona dokunursun. Şüphesiz ikincisi, birincisinden daha ağırdır. O da isyânı daha çok olanlara tatbik edilir. Sözde böyle olduğu gibi işte de hüküm aynıdır.

Burada da iki derece vardır:

Birincisi; ona acımak ve yardım etmekten vazgeçmektir. Bu, derecelerin ehvenidir.

İkincisi; düşmanların yaptığı gibi aleyhine geçmek ve işi bozmaya çalışmaktır. İsyânını önlemek mümkün olan kimselerde böyle yapmak lâzımdır. Fakat tesîri olmayanlara böyle yapılmamalıdır.

Meselâ, içkici bir adam güzelliği, asâleti ve mevkii sebebiyle gıpta edilir bir kadına tâlip oldu. Bu kadın ile evlenmek de işretini önlemeyecektir. Bu işi yapmak ve yıkmak senin elinde ise bozmasına ve yıkmasına çalışman doğru olmaz. İsyânına kızdığın için yardımı terk etmekte beis yoktur. Fakat yardımı terk etmek vâcip değildir. Çünkü ona bu işinde yardım etmekle kalbine nüfûz eder ve sana karşı kalbinde bir sevgi uyanır ve bu sûretle ileride sözünü dinleyerek içkiden vazgeçebilir. İşte bu maksatla yardım etmek güzeldir. Şâyet böyle bir şey aklından geçmez, ancak onun bu gibi işlerinde yardımcı olmayı sırf İslâmiyet adına bir vazife kabul ediyorsan, bu da memnû değildir. Eğer hatâsı sana karşı ve seninle alâkalı ise böyle yapmak daha güzeldir. Bunun için Allahü Teâlâ:

وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبٰى
وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا
أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَكُمْ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

"Sizden fazîlet ve genişlik sahipleri yakınlarına, miskinlere, Allah için hicret edenlere vermemeye yemin etmesinler, onları affetsinler ve kusurlarından vazgeçsinler. Allah'ın sizi mağfiret etmesini sevmez misiniz? Allah mağfiret ve rahmet edicidir." (Nûr suresi, 24/22) buyurmuştur. Hz. Ebû Bekir (r.a.) hem fakir, hem de akrabası olduğu için Mistah b. Esâse'ye dâima malî yardımda bulunurdu. İfk hâdisesinde (yâni Hz. Âişe'ye (r.a.) iffetsizlik isnâdında) bu adam da lüzûmsuz sözler konuştuğu için, Hz. Ebû Bekir es-Sıddîk ona artık yardım etmemeye yemin etmişti. Mistah'ın irtikâb ettiği bu büyük iftirâ karşısındaki, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in zevcesine iffetsizlik isnâdında bulunmaktan ve dil uzatmaktan daha büyük günâh ne olabilirdi? Bu âyet-i celîle nâzil oldu. Gerçi Hz. Ebû Bekir es-Sıddîk (r.a.) dâima af ile muâmele eden, kötülük edenlere iyilikle mukabele eden bir zât idi. Fakat bu dedikodular onu şaşkına çevirmişti. Âyet-i celîle nâzil olunca, Hz. Ebû Bekir "Evet, Allahımın beni mağfiret buyurmasını isterim." dedi ve yine yardımına devâm etti. Bu hâdisede dedikodu yapanlar, Mistah Hasan b. Sâbit ve münâfıklardan olan Abdullah b. Ubeyy'dir.[37]

---

[37] Bu vakayı, Buhârî ile Müslim ve diğer hadîs kitâbları, Hz. Aişe'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

Sana karşı kötülük yapanları affedip onlara iyilik yapman, bir fazîlettir. Fakat başkalarına zulmeden ve Allah'a karşı isyân edenlere ihsân edilmez. Çünkü zâlime ihsânda mazlûma haksızlık vardır. Mazlûmun hakkına riâyet, daha mühimdir. Zâlimden îrâz etmekle mazlûmun gönlünü almak, Allah katında zâlimi takviyeden daha sevimlidir. Ancak kendin haksızlığa uğramışsan, senin için affetmek daha güzeldir.

Eskiler günâhlara karşı açıkça husûmet beslemekte ihtilâf etmiştir. Zâlimlere bid'at sahiplerine ve başkalarına zararı dokunan günâhkârlara karşı husûmeti açığa vurmakta ittifâk etmişlerdir. Ancak, zararı yalnız kendisine dokunan ve kendisinde kalan günâhkârlarda ihtilâf etmişlerdir. Bâzıları bu gibi âsîlere de merhametle nazar kıldı. Bâzıları, bu gibileri şiddetle inkâr ederek yanlarından göç etmeyi tercih etti. Ahmed b. Hanbel, haklarında duyduğu küçük bir sözle büyük adamları dahi terk ederdi. Hattâ **Yahyâ b. Maîn**'in: "Kimseden bir şey istemem. Fakat sultan da olsa getirdiğini alırım." dediğini duyduğu için kendisinden uzaklaşmıştır. **Hâris-i Muhâsibî**'nin mûtezileyi reddeden bir risâleyi kaleme almasından dolayı onu da reddetmiş ve "Elbette sen, önce onların şüphelerini ortaya koydun; sonra da reddettin, ilk önce onların şüphelerini yazmakla -kısa bir müddet de olsa- okuyanların fikir ve düşüncelerini o tarafa çektin." demiştir. Ayrıca İmâm Şâfiî'nin ashâbından olan Ebû Sevr, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in:

"Allahü Teâlâ, Âdem'i sûreti üzerine yarattı."[38] hadîsini tevîl ettiği için, ondan ayrılmıştır. Bu iş niyete, niyet de vaziyete göre değişir. Kişi, insanların acziyetini ve mukadderâta musahhar olduklarını düşünmekle, buğz ve adâvette müsâmaha eder. Bunun da

---

[38] Müslim, Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

yolu vardır. Fakat bâzen müdâheneye de -nemelâzımcılığa- benzer. Ekseriyâ insanları isyâna sürükleyen bu nemelâzımcılık, gönül yıkmamak ve küstürmemeyi tercih etmek gibi hallerdir. Şeytan, ahmak insanlara bu düşünceyi süsler ve onların bu gibilere merhametle bakmalarına sebep olur. Bunun ölçüsü şudur: Kendine karşı hatalı hareketlerinde onu af ile karşılar ve "Ne yapalım, mukadderât böyle idi, bu bir yazı idi olacaktı." derse, Allah'a karşı olan diğer hatalarında da aynı şekilde göz yumması, merhameti icâbıdır." denir. Ama kendine karşı yapılan hataları müsâmaha ile karşılarsa, müdâhene etmiştir. Şeytânın elinde eğlencedir; kendine gelmesi lâzımdır.

Şâyet "Düşmanlık izhâr etmenin en aşağı derecesi, ondan yüz çevirmek, ona acımamak ve yardımda bulunmamak olduğuna göre, bunları yapmaktan dolayı günâhkâr ve mesûl müyüz, değil miyiz?" dersen deriz ki: "Hayır günâhkâr olunmaz. Çünkü bu, zâhiri ilmin, borç tanıdığı hükümlerden değildir." Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ve sahâbe devrinde de içki içilir ve kötülük yapılırdı. Fakat bunları yapanlar, tamamen terk edilmezlerdi. Bir kısmı onlara ağır sözler söyler ve düşmanlık ederdi. Diğer kısmı ise onlardan uzaklaşır, fakat aleyhlerinde bulunmazdı. Diğer bir kısmı da onlara acır ve merhametle bakar, onlardan uzaklaşırdı.

Bunlar, dînin ince taraflarıdır. Âhiret yolcularının yolları burada ayrılır. Herkesin ameli kendi hâl ve vaziyetine göre değişir. Bu gibi şeylerde halin iktizâsı ya kerâhet veyâ "nedb"dir. Bunun için fazîlet sayılır, hürmet veyâ vücûb derecesine yükselmez. Zîra teklif edilen, Allah'ı bilmek ve Allah'ı sevmektir. Bu ise bâzen mahbûbdan başkasına geçmez. Başkasına da geçen, kalbi kaplayan ifrat derecedeki sevgidir. Bu ise fetva ile alâkalı olmadığı gibi, umûm insanlara yapılan zâhiri teklife de girmez.

ALLAH İÇİN BUĞZ EDENLERİN MERTEBELERİ

Şâyet düşmanlığı fiilen açığa çıkarmak ne kadar vâcip değilse de mendûb olduğunda şüphe yoktur. Âsî ve fâsıkların da muhtelif dereceleri vardır. Bunlarla muâmelede fazîlet nasıl ihraz edilir, hepsi ile bir çeşit muâmele yapılabilir mi? dersen bilmiş ol ki: Allahü Teâlâ'nın emirlerine aykırı hareket edenlerin muhalefeti ya îtikadda veyâ amelde olur. Îtikadda muhalefet edenler de ya sahib-i bid'at veyâ kâfirdir.

Bid'at sahibi olanlar ya insanları bid'atlerine davet ederler veyâ etmezler. İnsanları bid'atlerine dâvet etmeyenler ya acziyetlerinden dolayı veyâ irâdeleri ile sükût ederler.

O hâlde îtikadı bozuklar üç kısma ayrılıyor:

Birinci Kısım

Küfür hâli: Kâfir savaşıyorsa ya öldürülmeyi veyâ esîr edilmeyi hak eder. Onlara, bunlar dışında bir kötülük yapılmaz. Zimmîlere yâni içimizde bulunan gayr-i müslimlere gelince, onlara eziyet etmek ve kötü muâmelede bulunmak câiz değildir. Ancak, onlara yüz verilmez ve iltifât edilmez. Kendileriyle karşılaşıldığında önce selâm verilmez, verdikleri selâma "ve aleyke" diye mukabele edilir. Evlâ olan onlarla düşüp kalkmamak, alışveriş etmemek, yeyip içmemek ve samimiyet kurmamaktır. Dost ve ahbapları ile düsüp kalktığı gibi, onlarla sıkı sıkıya samîmi ve lâubâli bir şekilde düşüp kalkmak, son derece mekruhtur, harama varmak ihtimâli de vardır. Allahü Teâlâ Kur'ân-ı Kerîm'de:

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّٰهَ
وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا اٰبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ

"Allah'a ve âhirete îman eden kavmi, Allah'a ve Resulüne muhalefet edenlerle dostluk eder ve meveddet kurar bulamazsın. İster babaları, ister oğulları olsun." (Mücâdele suresi, 56/22) buyurmuştur. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de:

اَلْمُسْلِمُ وَالْمُشْرِكُ لَا تَتَرَاءٰى نَارَاهُمَا

"Müslim ile müşrikin ateşleri birbirini görmez."[39] buyurmuştur.

Yine Allahü Teâlâ:

يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ

"Ey imân edenler! Benim de düşmanım, sizin de düşmanınız (olanlar)**ı dost edinmeyin."** (Mümtehine suresi, 60/1) buyurmuştur.

İkinci Kısım

İnsanları bid'atlerine dâvet eden bid'at sahipleridir. İnsanları teşvîk ettikleri bu bid'at, küfrü mûcib olan bir bid'at ise bu bid'at sahibi, zimmîlerden de kötüdür. Çünkü bu adam ne cizye verir, ne de zimmîlik bağlantıları ile müsâmaha edilir. Şâyet küfrü mûcib bid'atlerden değilse, -Allah ile kendi arasındaki hâlikâfirden ehvendir. Fakat bunu reddetmek, kâfiri reddetmekten mühimdir.

Çünkü kâfirin kötülüğü başkasına geçmez. Müslümanlar onu kâfir bilir ve sözüne kıymet vermezler. Kendisi de Müslümanlığını iddia etmez, ama bid'atine dâvet eder ve bid'atinin hakikat olduğunu zanneden bid'atçi, halkı aldatır ve kötülüğü

---

[39] Ebû Dâvûd ve Tirmizî, Cerîr'den rivâyet etmişlerdir. Neseî de mürsel olarak rivâyet elti. Buhârî de: "Sahih olan, bu hadis mürseldir." dedi.

Müslümanlara da sirâyet eder. Buna karşı husûmeti izhâr etmekte, arka çevirip hakarette bulunmakta, bid'atı sebebiyle aleyhinde olmakta ve insanları ondan nefret ettirmekteki müstehaplık, daha kuvvetlidir. Yalnız iken verdiği selâmı iâde etmekte beis yoktur.

Şâyet tarafına bakmamak ve kendisine iltifât etmemekle, bid'ati sebebiyle bu vaziyete düştüğünü anlar, kendisine tesîr ederek bid'atinden vaz geçmek ihtimâli olursa, selâmına mukabele etmemek daha evlâdır. Zîra selâmı almak, her ne kadar vâcip ise de, bâzı sebeplerle bu vâcip sâkıt olur. Hamamda olmak ve kaza-i hâcette bulunmak gibi. Hâlbuki onu bid'atinden men etmek gayesi daha da mühimdir. Şâyet kalabalıkta selâm vermişse, cevap vermemek daha evlâdır. Böylece insanları kendisinden nefret ettirir ve herkesin gözü önünde bid'atini takbîh etmiş olur. Yine bu gibilere yardımda bulunmamak daha iyidir. Hele âmmenin gözü önünde hiç yardım etmemelidir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنِ انْتَهَرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ مَلَأَ اللّٰهُ قَلْبَهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا، وَمَنْ أَهَانَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ أَمَّنَهُ اللّٰهُ يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَمَنْ أَلَانَ لَهُ وَأَكْرَمَهُ أَوْ لَقِيَهُ بِبِشْرٍ فَقَدْ اِسْتَخَفَّ بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ عَلٰى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

"Bid'at sahibini red ve inkâr eden kimsenin kalbini Allahü Teâlâ emniyet ve îmanla doldurur. Bid'at sahibine ihânet eden kimseyi, büyük korku gününde Allahü Teâlâ emîn kılar. Bid'at sâhibine karşı yumuşak davranıp, ona ikrâmda bulunan ve güler yüz gösteren kimse ise Allahü Teâlâ'nın Muhammed

aleyhisselâma indirdiğini istihfâf etmiş (hafife almış) *olur."*[40] buyurmuştur.

Üçüncü Kısım

Avâmdan olan bid'atçidir. Kimseyi bid'atine davet edemediği gibi, kimse de peşinden gitmez. Bu, diğerlerinden ehvendir. Bunun hakkında evlâ olan, kendisine karşı şiddet kullanmak ve ihânet etmek değil, tatlılık ve nasihatle kendisini ikaza çalışmaktır. Çünkü avâmın kalbi çabuk döner. Şâyet öğüt kabul etmez ve kendisinden yüz çevirmekte bid'atini kötülemek gibi bir vâziyet hâsıl olma ihtimâli olursa, o zaman müstehab olan, ondan yüz çevirmektir. Şâyet bid'ati gönlünde yerleşmiş ve kalbi kararmış olduğu için, hiç bir şeyin kendisine tesîr etmeyeceği bilinirse, en doğrusu ona kıymet vermemek ve iltifat etmeyerek, ondan yüz çevirmektir. Zîra şiddetle takbîh edilmeyen bid'atler, kolaylıkla insanlar arasına yayılır ve kötülüğü herkese sirâyet eder.

Îtikadı sağlam olup, iş ve amelinde isyân edenlere gelince, bunlar da üç kısma ayrılır:

1 - Kötülüğünden başkası zarar görenler. Zulüm, gasb, yalan şâhitliği, çekiştirme, insanlar arasında bağırıp çağırma, kovuculuk ve benzeri kötülüklerdir.

2 - Kötülüğü ile başkasına eziyet edenler. Bu da ya başkasını kötü işlere çağırmakla olur. Kadınlı erkekli bir araya toplanıp içki âlemleri yapmak gibi.

3 - Yâhut kötülüğüne başkalarını çağırmazlar. Kendi kendine içki içmek veyâ zinâ etmek gibi. Kötülüğüne başkalarını davet

---

[40] Ebû Naîm **"Hilye"**de ve Hirevî **"Zemm-i Kelâm"**da İbn Ömer'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

etmeyen bu gibiler, kebâir (büyük günâh) veyâ sağâir (küçük günâh) irtikâb ederler.

Bunların her birerleri, bu günâhları ya devâmlı veyâ arasıra irtikâb ederler. Böylece bunlar da üç kısma ayrılmış oluyor. Her kısmın derecesi ayrıdır. Bâzısı bâzısından kötüdür. Bundan dolayı her birinin hükmünü ayrı ayrı bildireceğiz.

Birinci Kısım

Bu, en kötü olanıdır. Çünkü bunun zararı başkalarına dokunur. Zulüm, gasb, yalan şâhitliği, gıybet ve nemime gibi. Bu gibiler hakkında yapılacak iş, bunlardan yüz çevirmek, aralarına karışmamak, kendileri ile hiç bir gûnâ muâmelede bulunmamaktır. Zîra halka eziyet veren isyân, daha ağırdır. Bunlar da cana kıymak, başkasının malını gasbetmek ve nâmusa tecâvüz gibi bir kaç kısma ayrılır ki, bunların da bâzısı bâzısından daha şiddetlidir. Bu gibi günâhkârlardan yüz çevirmek ve bunlara karşı cephe almaktaki istihbâb, çok kuvvetedir. Şâyet onlara karşı ihânette bulunmanın müsbet bir neticesi olacak ve onları kötülükten alıkoyacaksa, o zaman daha kuvvetli bir borç hâlini alır.

İkinci Kısım

Kadınlı erkekli içki âlemleri tertip edip rezaletler çıkarmak için, insanları bir araya çağıran kimselerdir. Gerçi bunlar, bu gibi ahlâksızları dünyalıkta eğlendiriyor, mal ve canlarına taarruz etmiyorlarsa da, onların dîn ve diyânetlerini mahvediyorlar. Onların muvâfakatları ile de olsa, netîce budur. Bu kısım, birinciye yakın olmakla, ondan ehvendir. Çünkü başkasının malına, canına veyâ ırzına taarruz etmeden yapılan günâhlara kul hakkı karışmadığı ve yalnız Allah ile kul arasında kaldığı için, affı birinciden daha kolaydır. Fakat yalnız nefsinde kalmayıp, başkalarını da bu günâha dâvet etmesi bakımından ağırdır. Bu da aynı şekilde ihaneti, yüz çevirmeyi, buluşmamayı ve verilen selâmı almamayı iktizâ eder. Hele ya kendini veyâ başkalarını bu kötülükten alıkoyma ihtimâli varsa, bu tedbîre mutlaka başvurulmalıdır.

Üçüncü Kısım

Kötülükleri başkalarına sirâyet etmeyip, kendilerinde kalanlardır. Başkasına zararı dokunmayacak şekilde mutlak olarak haram ve büyük günâh olan içki içmek veyâ farzlardan birini terketmek veyâ yine kendisine âit olup başkasını alâkadar etmeyen şerîatin yasak ettiği bir şeyi irtikâb etmek gibi. Bu, diğer iki kısımdan ehvendir. Bu kötülüğü irtikâb ettiği esnada tahkîrle ve hattâ dövmekle de olsa, onu men etmeye çalışmak vazîfedir. Zîra nehy-i münker (kötülükten men etmek) vâciptir.

Yaptıktan sonra duyulur, ısrâr ettiği öğrenilir ve nasîhat etmenin kendisine fayda vereceği katî olarak bilinirse, öğüt vermek vâciptir. Nasihatin kendisine fayda vereceği katî olarak bilinmez, fakat bir ihtimâl mevcut ise yine efdâl olan öğüt verip onu kötülükten men etmektir. Kabiliyetine göre, tatlı veyâ acı nasihat edilir. Söz kendisine tesîr etmediği ve bu günâhına devâm ettiği bilindiği takdirde, onunla düşüp kalkmamak ve selâmını almamakta ihtilâf edilmiştir. En doğrusu, bu kişinin niyetine göre değişir. İşte bu gibi hallerde "Ameller, niyetlere göre değerlenir." denir.

Zîra onlara karşı yumuşak davranıp, onlara merhametle bakmamak bir nevî tevâzûdur. Bu gibilere karşı sert davranmak ve onlardan yüz çevirmek, bir nevî zecr ve onu men etmektir. Bu hususta danışacağın kalbindir. Nefsânî arzularına uygun bulduğunu atıp zıddını yapman, daha makbuldür. Çünkü bâzen bu gibi adamı tahkîr ve ona şiddet kullanmak, kibirden ve kendini beğenmekten ve ululuğunu gösterip, kendisinin dürüst bir adam olduğunu duyurmaktan da olur. Sert davranması böyle olduğu gibi, yumuşak davranması da, onunla olacak bir işi için, ona yaltaklık yapmasından veyâ herhangi bir yardımından mahrum kalacağı ve ondan uzak olacağı, korkusundan da olur. Bütün bunlar, şeytanın vesvesesinden olup, âhiret ehlinin amelinden uzaktır. Dînî amellere rağbet eden herkes, bu incelikleri aramakta dâima nefsi ile mücâdele edecektir. Bu halleri mürâkabe edip fetvâyı verecek olan kalbidir. Kalp ise isâbet ettiği gibi, hatâya da düşebilir. Bâzen bilerek nefsinin arzularına uyar ve Allah için hareket ettiğini zannederek aldanır. Bu incelikler, **“Rub’u’l-Mühlikât”**ın **“Gurûr Kitâbı”**nda (Cilt 3, Kitâb 10) açıklanacaktır.

Yalnız şahsına râcî olan günâhlardaki cezânın, diğerine nisbetle hafif olduğuna şu vaka delâlet etmektedir:

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) zamanında, bir adam bir kaç defa içki içerken yakalandı ve her defasında kırbaç cezâsına çarptırıldı. Bir defasında ashâbdan bir zât: “Allah’ın lânetine uğrayası, ne de çok şarap içiyor.” deyince Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَا تَكُونُوا عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلٰى أَخِيكُمْ

“Kardeşinin aleyhinde şeytana yardımcı olma.”[41] buhurdu veyâ bu mânâda başka bir şey söyledi. İşte Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’in hadîsi, bu gibilere yumuşak davranmanın şiddet kullanmaktan daha evlâ olduğuna işârettir.

---

[41] Hadîsi, Buhârî, Ebû Hüreyre’den (r.a.) rivâyet etmiştir.

ARKADAŞLIK EDİLECEK KİMSEDE ARANAN VASIFLAR

Bilmiş ol ki, her insanla sohbet edilmez. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اَلْمَرْءُ عَلٰى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ

"Kişi, dostunun dîni ve ahlâkı üzerinedir. Öyle ise herhangi biriniz dostluk edeceği kimseye baksın."[42] buyurmuştur. İnsan sohbet edeceği kimsede bir takım vasıflar aramalıdır. Bu vasıflar, sohbetten beklenen faydaları sağlayıcı olmalıdır. Sohbetten dînî ve dünyevî faydalar beklenir. Sohbetin dünyevî faydaları, sohbet ettiği kimsenin mal ve mevkiinden faydalanmak veyâ yalnız onunla bir arada bulunup eğlenmektir ki, bizim gâyemiz bu değildir. Sohbetin dînî faydalarına gelince; bu bakımdan da muhtelif gâyeler aranır: İlim ve amel bakımından istifâde etmek, kalbini teşviş ederek ibâdetine mâni olmak isteyenlerden korunmak için, mevkiinden faydalanarak, rahatça kulluk edebilmek için, malından faydalanmak, mühim işlerinde ve felâket anlarında kendisinden yardım istemek, duâsından yümn ü bereket ummak, âhirette şefâatini ümîd etmek gibi faydalardır. Bunun için eski zâtlardan birisi: "Kardeşliklerinizi çoğaltın. Zîra her mü'minin bir şefâati vardır. Belki kardeşliğinin şefâatine nâil olursun." demiştir.

"Garîbü't-Tefsir" de:

وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ

"(Allahü Teâlâ) **İman edip sâlih amel işleyenlerin dualarına icâbet eder ve fazlından onlara arttırır."** (Şûrâ suresi, 42/26) âyet-i celîledeki **“Fazlından onlara ziyade eder.”** kısmının tefsîrinde, onları kardeşliklerine şefâatçi kılar ve beraber cennete girerler, denilmiştir. Denildi ki; Allahü Teâlâ bir kulu mağfiret ettiği zaman, onu kardeşliklerine de şefâatçi kılar. Bunun için geçmişlerin pek çoğu, sohbet, ülfet ve buluşup anlaşmayı teşvîk etti ve ayrı yaşamayı hoş karşılamadı.

---

[42] Ebû Dâvûd, Tirmizî ve Hâkim, Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet ettiler. Tirmizî hasen, Hâkim sahih olduğunu söyledi.

İşte şu saydıklarımız, dînî faydalardır. Fakat bu faydaların meydana gelmesi için bâzı şartlar lâzımdır.

Hâsılı sohbet edeceğin kimsede:

1 - Akıllı olmak,

2 - Güzel ahlâklı olmak,

3 - Fâsık olmamak,

4 - Bid’at sahibi olmamak,

5 - Dünyaya harîs olmamak gibi beş vasıf olmalıdır. Şimdi biz bu vasıfları tafsîlâtıyla beyân edelim:

1 - Akıllı olmak: Akıl sermâye ve asıldır. Ahmak olan kimsenin sohbetinde hayır yoktur. Ne kadar uzasa da devâm etmez, sonu ayrılık ve dargınlıktır. Nitekim Hz. Ali (r.a.):

فَلَا تَصْحَبْ أَخَا الْجَهْلِ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ، فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرْدٰى،
حَلِيمًا حِينَ اَخَاهُ، يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ، إِذَا مَا الْمَرْءُ مَاشَاهُ،
وَلِلْشَيْءِ مِنَ الشَّيْءِ مَقَايِيسُ وَأَشْبَاهُ وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ
دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ

“Ahmak ve câhil ile arkadaşlık etme, ondan kendini koru. Nice ahmaklar var ki, arkadaş oldukları akıllı kimseleri helâk ederler. Kişi arkadaşı ile ölçülür. Bir şey için diğer şeyde mikyâs ve benzerlik vardır. Kalpler buluştuğu zaman birinin diğerine delâleti vardır." demiştir.

Ahmak adam, kâr yapacak yerde bilmeyerek zarar yapar. Bunun için şâir:

إِنّي لَاٰمِنُ مِنْ عَدُوٍ عَاقِلٍ وَأَخَافُ خِلًّا يَعْتَرِيهِ جُنُونٌ
فَالْعَقْلُ فَنٌّ وَاحِدٌ وَطَرِيقُهُ أَدْرٰى فَأَرْصَدُ وَالْجُنُونُ فُنُونٌ

"Akıllı düşmandan korkmam, fakat ahmak dosttan korkarım.

Akıl bir fendir yolu da açık meydandadır, fakat ahmaklık çeşit çeşittir." demiştir.

Bunun için, "Ahmaktan uzaklaşmak, Allah'a yaklaşmaktır." dediler. **Süfyân-ı Sevrî**: "Ahmak olanın yüzüne bakıp durmak muhakkak bir hatâdır." demiştir. Akıllı adamdan maksadımız, her şeyi olduğu gibi anlayabilen veyâ anlatıldığı zaman kabul eden kimsedir.

2 - Güzel ahlâklı olmak: İyi huy, mutlak lâzımdır. Zîra aklı başında nice kimseler var ki, her şeyi olduğu gibi anlar. Fakat kötü vasıflarını yenemediği ve ahlâkını güzelleştiremediği için bildiğinin aksine hareket eder ve nefsinin arzularına uyar. Kızdığı zaman, hiddetini yenemez, şehveti kendisine galebe çalar. Cimriliği veyâ korkaklığı üstün gelir. Bile bile yanlış yola sapar. Böyle olan bir adamın sohbetinde hayır yoktur.

3 - Fâsık olmamak: Fenalığında ısrar eden fâsıkın da sohbetinde fayda yoktur. Zîra Allahü Teâlâ'dan korkan kimse, büyük günâhlarda ısrar etmez. Allah'tan korkmayana ise itimâd olunmaz ve dostluğuna emniyet edilmez. O, gâyesinin tahakkuku için her tarafa meyleder. Nitekim Allahü Teâlâ:

وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ

“Kalbini zikrimizden iğfâl ettiğimiz, hevâ ve hevesine uyan kimseye itâat etme.” (Kehf suresi, 18/28) buyurmuştur. Diğer âyet-i kerîmede de:

فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ

“Hevâsına uyup kıyâmete inanmayan kimse, seni imânından ayırmasın.” (Tâhâ suresi, 20/16) buyrulmuştur. Bir başka âyet-i kerîmede şöyle buyurulmuştur:

ففَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّٰى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

“Zikrimizden (Kur’ân-ı Kerîm’den) **yüz çevirip, ancak dünya hayatını murâd edenlerden yüz çevir.”** (Necm suresi, 53/29) Yine Allahü Teâlâ:

وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ

“Bana yönelenlerin yoluna uy.” (Lokman suresi, 31/15) buyurmuştur. Bütün bu âyet-i kerimelerde fâsık ile sohbet men edilmiştir.

4 - Bid’at sahibi olmamak: Bid’at sahibi ile arkadaşlık etmekte, bid’at ve kötülüğünün sirâyet etme tehlikesi vardır. Bid’at sahipleri zâten tehcîri hak etmiş kimselerdir. Böylelerinin sohbetinde ne fayda var?

Saîd İbn Müseyyeb’in rivâyetinde, dîndar dost aramayı teşvik etmek üzere **Hz. Ömer** (r.a.) şöyle buyurmuştur: “Sâdık kardeşlik bul ve onların arasında yaşa. Dürüst ve samîmî arkadaşlar, genişlikte süs ve ziynet; darlıkta yedek sermâyedir. Dostunun, sana düşen işini güzel bir şekilde gör ki, lüzûmunda sana daha güzeli ile mukabelede bulunsun. Düşmanından uzaklaş, her dosta bel bağlama, ancak emîn olanları seç. Emîn olanlar, Allahü Teâlâ'dan korkanlardır. Kötü insanlarla düşüp kalkma, onlardan kötülük öğrenirsin. Onlara sırrını verme, ifşâ ederler. İşlerini, Allah'tan korkanlara danış ve onlarla istişâre et."

Güzel ahlâka gelince; Ölüm döşeğinde yatan **Alkametü'l-Utaridî**[43] oğluna vasiyetinde şöyle demiştir: "Oğlum, arkadaşlık ihtiyacını duyduğun zaman, kendisine hizmet ettiğin kimse, seni hizmetçi mevkiine düşürmesin. İzzet-i nefsini koruyan, arkadaşlığında sana şeref veren, seni ziynetlendiren ve ihtiyaç anında sana yardım edenlerle düş kalk. Hayır işlerinde sana yardımcı olan, iyiliklerini söyleyen, kusurlarını gizleyen kimselerle samîmî ol. Kendisinden bir şey istediğin zaman veren, sustuğun zaman seninle konuşan, sıkıntılı zamanında yardımına koşan kimselerle buluş. Sözünü tasdik eden, icâbında emrini yerine getiren, münâzaa esnâsında seni tercih eden kimselerle sohbet et."

Alkametü'l-Utaridî bu vasiyeti ile, sohbetin bütün şartlarını açıklamış oldu. Arkadaşlık edeceğin zâtın bütün bu haklara riâyet etmesi lâzımdır.

İbn Edhem[44] diyor ki, Halîfe Me'mûn:

- "Böyle adam nerede?" demiş. Kendisine:

- "Oğluna neden böyle vasiyet ettiğini biliyor musun?" diye sordular. Me'mûn:

---

[43] Amr b. el-Husayn'ın oğludur. Kûfelidir. İbn Mâce, kendisinden rivâyette bulunmuştur. Hicri 56 da ölmüştür.

[44] Künyesi Ebû Muhammed'dir. Temîmîdır. Meşhûr kadılardandır. Fakîh ve sâdık bir insandır. Yapmadığı halde kendisine hırsızlık isnâd edilmiştir. 83 yaşında iken Hicri 43 yılında ölmüştür.

- "Bilmiyorum." deyince, onlar:

- "Kimse ile arkadaşlık etmesin diye bu vasiyeti yapmıştır. Çünkü bu vasıflarda adam bulmak zordur." dediler.

Edibin biri: "Sırrını gizleyen ve kusurlarını örten, felâket anlarında yanında bulunan, seni her şeye tercih eden, iyiliklerini yapıp kötülüklerini düren kimselerle arkadaşlık et; böyle bir adam bulamazsan, kimse ile arkadaşlık etme." demiştir.

Hz. Ali (r.a.) "Gerçek kardeşin, dâima yanında bulunan ve sana yararlı olmak için zarara katlanan, zamanın felâket ve musîbetleri ile karşılaştığın zaman ne pahasına olursa olsun, yardımına koşandır." demiştir.

Âlimlerden biri: "Arkadaşlık edeceğin şahıs şu iki kişiden biri olmalıdır ve bunlardan başkası ile arkadaşlık etmemelisin. Bunlardan biri; dîn ve diyânetin hususunda kendisinden bir şey örenebileceğin ve bu husûsta sana faydalı olabilecek kimsedir. İkincisi de, dînî hususâtında kendisine bir şey öğretebileceğin ve senden istifâde edebilecek olan kimsedir. Artık üçüncüden kaçın" demiştir. Diğer birisi de: insanlar dört kısımdır: Bir kısmı tatlıdır, ondan ye. Çünkü ondan yemekle doyulmaz. İkincisi, acıdır; ondan yenmez. Üçüncüsü mayhoştur; o senden bir şey almadan, sen ondan bir şey al. Dördüncüsü, tuzludur; yalnız ihtiyaç zamanında ondan bir miktâr al." demiştir.

Câfer-i Sâdık (r.a.): "Dört kimse ile arkadaşlık etme:

1 - Yalancı ile. Çünkü sen ona inanırsan aldanırsın. O serap gibidir; uzağı yakın ve yakını uzak gösterir.

2 - Ahmak ile. Çünkü sana kârı dokunacak yerde, zararı dokunur.

3 - Cimri ile. Çünkü o, mübrem ihtiyâcını bile vermez.

4 - Korkak ile. Çünkü o, bir lokmaya ve hattâ daha azına da seni satar." "Bir lokmadan daha az ne olur?" diyenlere: "O bir lokmayı ümîd ederek satar, sonra o lokma da eline geçmez." demiştir.

Cüneyd-i Bağdadî: "İyi ahlâklı bir günâhkâr ile arkadaşlık, kötü huylu âbid ile sohbetten benim için daha hayırlıdır." dedi.

Ahmed b. Havarî diyor ki; "Hocam **Süleymân Dârânî** bana şöyle demiştir: "Ahmed, yalnız şu iki sınıf insandan biri ile arkadaş ol: Dünyalıkta sana faydası dokunan ve âhiret hususunda kendisinden faydalandığın kimseler. Bunlardan başkası ile düşüp kalkmak, en büyük ahmaklıktır."

Sehl b. Abdullah da; "Üç kişinin sohbetinden kaçın." demiştir. Bunlardan biri, gâfil zâlimler, diğeri riyâkâr âlimler ve üçüncüsü de câhil sofulardır.

Bilmiş ol ki: Bu sözlerin çoğu, sohbette aranan bütün gâyeleri içine alamaz. Onları ancak bizim anlattığımız maksatları düşünmek ve sohbetin gâyesine göre şartlarına riâyet etmek, tamamen içine alır. Çünkü dünyalık için yapılan sohbet ve arkadaşlıkta aranan şartlar ayrı, âhiret için yapılan sohbet ve kardeşlikte aranan şartlar ayrıdır. Nitekim **Bişr**: "Kardeşlik üç çeşittir: Biri âhiret, diğeri dünya, üçüncüsü de sohbet kardeşliğidir. Bir adamda bu üç çeşit kardeşlik vasfını bulmak zordur. Belki bu vasıflar ayrı ayrı adamlarda bulunur. Buna göre, aranan şartlar da ayrılmış olur. Yalnız oturup anlaşacağın kardeşlikte arayacağın vasıf ayrı, âhiret kardeşliğinde de arayacağın vasıf ayrıdır."

Halîfe Me'mûn: "Kardeşlikler üç kısımdır: Bir kısmı vücûdun gıdası gibidir. Vücûd gıdasız olamayacağı gibi, insan da onsuz olamaz. Bir kısmı da ilâç gibidir; bâzı zamanlarda ona ihtiyaç hâsıl olur. Diğer bir kısmı da hastalık gibidir, insan hiç bir zaman onu istemez, fakat bâzen da yakalanır. Bu gibi arkadaş ile ne ünsiyet edilir, ne de kendisinden istifâde olunur." demiştir.

Denildi ki: İnsânlar, ağaçlar ve bitkiler gibidir. Bâzısının gölgesi var, meyvesi yok. Bu, dünyalıkta kendisinden istifâde edilip, âhiret nâmına bir faydası olmayandır. Dünya faydası gölge gibidir, tez geçer. Bir kısmının meyvesi var, gölgesi yok. Bu da âhiret için faydası olup, dünyalık için faydası olmayan insandır. Bâzılarının da hem gölgesi, hem de meyvesi vardır. Bu, her iki tarafa faydalı olan insandır. Bir kısmının da ne gölgesi, ne de meyvesi vardır; **ümm-i gaylan dikeni** (deve dikeni) gibi. Bu, yaklaştığın zaman, elbiseni yırtmaktan başka bir işe yaramaz. Bunun hayvanlardan benzeri, fare ve akrep gibi şeylerdir. Nitekim Allahü Teâlâ:

يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلٰى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ

"Kötülüğü, iyiliğinden daha yakın olana yalvarır. O, ne çirkin yardımcı ve ne kötü arkadaştır." (Hac suresi, 22/13) buyurmuştur. Şâir de şöyle diyor:

اَلنَّاسُ شَتّٰى إِذَا مَا أَنْتَ ذُقْتَهُمْ، لَا يَسْتَوُونَ كَمَا لَا يَسْتَوِي
الشَّجَرُ هٰذَا لَهُ ثَمَرٌ حُلْوٌ مَذَاقَتُهُ وَذَاكَ لَيْسَ لَهُ طَعْمٌ وَلَا ثَمَرُ

"Ağaçlar birbirine uymadığı gibi, insanlar da ayrı ayrıdır. Birbirine benzemezler.

Bir kısmının meyvesi tatlı iken, bâzılarının da ne meyvesi, ne de tadı vardır."

Dînî ve dünyevî maksatlarının birine yarayacak bir arkadaş bulamadığı zaman, yalnızlığı tercih etmek evlâdır. Nitekim **Ebû Zer** (r.a.): "Yalnızlık kötü arkadaştan, iyi arkadaş da yalnızlıktan iyidir." demiştir. Bu ifâde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den merfû olarak, yâni hadîs olarak da rivâyet edilmiştir.

Arkadaşın, dindâr olup fâsık olmamasına gelince: Allahü Teâlâ:

وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ

"Benim yoluma gidenlere uy." (Lokman suresi, 31/15) buyurmuştur. Aynı zamanda insan, kötü insanları ve kötüleri göre göre, onlarla ünsiyet peydâ eder, kendisi de kötüleşir. Kötülüğe duyduğu nefret duygusu kaybolur. Nitekim **Sa'îd İbn Müseyyeb**: "Zâlimlere bakmayın, iyilikleriniz kaybolur." demiştir. Bu gibilerle düşüp kalkmak tehlikelidir. Selâmet, onlardan uzak kalmaktadır. Nitekim Allahü Teâlâ:

وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا

"... Ve beyinsizler kendilerine (hoşa gitmeyecek) **lâflar attığı zaman "Selâm" de**(yip geçe)**rler."** (Furkan suresi, 25/63) buyurmuştur.

İşte kardeşliğin şartlarından ve faydalarından anlatmak istediklerimiz, bunlardır. Şimdi de kardeşlik haklarına, kardeşlikte lâzım olan şeylere ve kardeşlik hakkını ödemeye geçelim de bunları anlatmaya çalışalım.

5 - Dünyaya harîs olmamak: Dünyaya harîs olan kimse ile düşüp kalkmak, öldürücü bir zehirdir. Zîra tabiatlar yaratılışlarında başkalarına benzemeye ve onlara uymaya meyyâldir. Belki sahibi anlamadan, tabiat, tabiattan çalar. Dünyaya harîs olanlarla düşüp kalkmak, insanda hırs uyandırır. Zâhidler ile düşüp kalkmak, insanın dünyadan meylini keser. Bunun için, dünyalık peşinde koşanlar ile düşüp kalkmak hoş karşılanmaz, mekruh sayılır. Âhiret yolcuları ile düşüp kalkmak da müstehab kabul edilmiştir.

Hz. Ali (r.a.): "Kendilerinden hayâ edilen kimseler ile düşüp kalkmak sûretiyle amellerinizi ihyâ edin." buyurmuştur.

Ahmed b. Hânbel: "Beni belâya sokan, yalnız hatırını saymadığım kimseler ile sohbetim olmuştur." dedi.

Lokman Hakim oğluna vasiyetinde: "Oğlum, ulemâ sohbetine katıl ve onlara iyice sokul. Bahar yağmurları yeryüzünü yeşerttiği gibi, onların meclislerindeki hikmet nûrları da, insanların kalbini canlandırır." demiştir.

البَابُ الثَّاني
في حقوق الأخوّة والصّحبة

اعلمْ : أنَّ عقدَ الأُخوَّةِ رابطةٌ بينَ الشخصينِ كعقدِ النكاحِ بينَ الزوجينِ ، وكما يقتضي النكاحُ حقوقاً يجبُ الوفاءُ بها قياماً بحقِّ النكاحِ كما سبقَ ذكرُهُ في كتابِ آدابِ النكاحِ .. فكذا عقدُ الأخوَّةِ ، فلأخيكَ عليكَ حقٌّ في المالِ ، وفي النفسِ ، وفي اللسانِ ، وفي القلبِ ، بالعفوِ ، وبالدعاءِ ، وبالإخلاصِ والوفاءِ ، وبالتخفيفِ وتركِ التكلُّفِ والتكليفِ ، وذلكَ يجمعُهُ ثمانيةُ حقوقٍ :

الحقّ الأوّل: في المال

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مثلُ الأخوينِ مثلُ اليدينِ تغسلُ إحداهُما الأُخرىٰ »(١) ، وإنَّما شبَّهَهُما باليدينِ لا باليدِ والرِّجْلِ لأنَّهُما يتعاونانِ علىٰ غرضٍ واحدٍ ، فكذا الأخوانِ إنَّما تتمُّ أخوَّتُهُما إذا توافقا في

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢١٤) ، وقد رواه السلمي في « آداب الصحبة » (١٢٨) ، وابن شاهين في « الترغيب والترهيب » (٤٣٣) ، والديلمي في « مسند الفردوس » (٦٤١١) ، ورواه الحربي في « الحربيات » عن سلمان رضي الله عنه موقوفاً ، وحكىٰ سنده الحافظ الزبيدي في « الإتحاف » (٦/ ١٧٤) .

مقصدٍ واحدٍ ، فهما مِنْ وجهٍ كالشخصِ الواحدِ ، وهـٰذا يقتضي المساهمةَ في السرَّاءِ والضرَّاءِ ، والمشاركةَ في المآلِ والحالِ ، وارتفاعَ الاختصاصِ والاستئثارِ .

والمواساةُ بالمالِ معَ الأخوَّةِ علىٰ ثلاثِ مراتبَ :

أدناها : أنْ تنزلَهُ منزلةَ عبدِكَ أو خادمِكَ ، فتقومَ بحاجتهِ مِنْ فضلةِ مالكَ ، فإذا سنحَتْ لهُ حاجةٌ ، وكانَتْ عندكَ فضلةٌ علىٰ حاجتِكَ . . أعطيتَهُ ابتداءً ، ولمْ تحوجْهُ إلى السؤالِ ، فإنْ أحوجتَهُ إلى السؤالِ . . فهوَ غايةُ التقصيرِ في حقِّ الأخوَّةِ .

الثانيةُ : أنْ تنزلَهُ منزلةَ نفسِكَ ، وترضىٰ بمشاركتِهِ إيَّاكَ في مالِكَ ، ونزولِهِ منزلتَكَ ، حتَّىٰ تسمحَ بمشاطرتِهِ المالَ .

قالَ الحسنُ : (كانَ أحدُهُمْ يشقُّ إزارَهُ بينَهُ وبينَ أخيهِ باثنينِ)(١) .

الثالثةُ ـ وهيَ العليا ـ : أنْ تؤثرَهُ علىٰ نفسِكَ ، وتقدِّمَ حاجتَهُ علىٰ حاجتِكَ ، وهـٰذهِ رتبةُ الصدِّيقينَ ، ومنتهىٰ درجاتِ المتحابِّينَ ، ومِنْ تمامِ هـٰذهِ الرتبةِ الإيثارُ بالنفسِ أيضاً ؛ كما رُوِيَ أنَّهُ سُعِيَ بجماعةٍ مِنَ الصوفيَّةِ إلىٰ بعضِ الخلفاءِ ، فأمرَ بضربِ رقابِهِمْ ، وفيهِمْ أبو الحسينِ النوريُّ ، فبادرَ إلى السيَّافِ ليكونَ هوَ أوَّلَ مقتولٍ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ : فقالَ : أحببتُ أنْ

---

(١) حكى الحافظ الزبيدي نقله عن صاحب « القوت » . « إتحاف » (٦/ ٢٠٤) .

أوثرَ إخواني بالحياةِ في هـٰذهِ اللحظةِ ، فكانَ ذلكَ سببَ نجاةِ جميعِهِمْ ، في حكايةٍ طويلةٍ⁽¹⁾ .

* * *

فإنْ لمْ تصادفْ نفسَكَ في رتبةٍ مِنْ هـٰذهِ الرتبِ معَ أخيكَ . . فاعلمْ أنَّ عقدَ الأخوَّةِ لمْ ينعقدْ بعدُ في الباطنِ ، وإنَّما الجاري بينَكُما مخالطةٌ رسميَّةٌ ، لا وقعَ لها في العقلِ والدينِ ، فقدْ قالَ ميمونُ بنُ مهرانَ : (مَنْ رضيَ مِنَ الإخوانِ بترْكِ الأفضالِ . . فليؤاخِ أهلَ القبورِ)⁽²⁾ .

وأمَّا الدرجةُ الدنيا . . فليسَتْ أيضاً مرضيةً عندَ ذوي الدينِ ، رُوِيَ أنَّ عتبةَ الغلامَ جاءَ إلىٰ منزلِ رجلٍ كانَ قدْ آخاهُ ، فقالَ : أحتاجُ مِنْ مالِكَ إلىٰ أربعةِ آلافٍ ، فقالَ : خُذ ألفينِ ، فأعرضَ عنهُ وقالَ : آثرتَ الدنيا على اللهِ ، أما استحييتَ أنْ تدَّعيَ الأخوَّةَ في اللهِ وتقولَ هـٰذا ؟!⁽³⁾ .

ومنْ كانَ في الدرجةِ الدنيا مِنَ الأخوَّةِ ينبغي ألا تعاملَهُ في الدنيا ، قالَ أبو حازمٍ : (إذا كانَ لكَ أخٌ في اللهِ تعالىٰ . . فلا تعاملْهُ في أمورِ دنياكَ)⁽⁴⁾ ، وإنَّما أرادَ بهِ مَنْ كانَ في هـٰذهِ الرتبةِ .

---

(١) رواها أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٥٠) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٤١٩) .

(٢) كذا في « القوت » (٢/ ٢٢٣) ، ورواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦١/ ٣٦٢) .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢٢٢) .

(٤) نقله الحافظ الزبيدي عن صاحب « القوت » . « إتحاف » (٦/ ٢٥٠) .

وأمَّا الرتبةُ العليا . . فهيَ التي وصفَ اللهُ تعالى المؤمنينَ بها في قولِهِ : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أيْ : كانوا خلطاءَ في الأموالِ ، لا يميزُ بعضُهُمْ رحلَهُ عنْ بعضٍ⁽¹⁾ .

وكانَ فيهِمْ مَنْ لا يصحبُ مَنْ قالَ : نعلي ؛ لأنَّهُ أضافَهُ إلىٰ نفسِهِ⁽¹⁾ .

وجاءَ فتحٌ الموصليُّ إلىٰ منزلِ أخٍ لهُ وكانَ غائباً ، فأمرَ جاريتَهُ فأخرجَتْ صندوقَهُ ، ففتحَهُ وأخرجَ حاجتَهُ ، فأخبرَتِ الجاريةُ مولاها ، فقالَ : إنْ صدقتِ . . فأنتِ حرَّةٌ لوجهِ اللهِ ؛ سروراً بما فعلَ⁽¹⁾ .

وجاءَ رجلٌ إلىٰ أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ وقالَ : إنِّي أريدُ أنْ أؤاخيَكَ في اللهِ ، فقالَ : أتدري ما حقُّ الإخاءِ ؟ قالَ : عرِّفْني ، قالَ : ألاَّ تكونَ أحقَّ بدينارِكَ ودرهمِكَ منِّي ، قالَ : لمْ أبلغْ هٰذهِ المنزلةَ بعدُ ، قالَ : فاذهبْ عنِّي⁽²⁾ .

وقالَ عليُّ بنُ الحسينِ رضيَ اللهُ عنهُما لرجلٍ : هلْ يدخلُ أحدُكُمْ يدَهُ في كمِّ أخيهِ أوْ كيسِهِ فيأخذُ منهُ ما يريدُ بغيرِ إذنٍ ؟ قالَ : لا ، قالَ : فلستُم بإخوانٍ⁽³⁾ .

---

(1) قوت القلوب (٢/ ٢٢٢) .

(2) قوت القلوب (٢/ ٢٢٣) .

(3) كذا في « القوت » (٢/ ٢٢٣) ، والخبر رواه ابن أبي الدنيا في « الإخوان » (١٥٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٨٧) عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر رضي الله عنهما .

ودخلَ قومٌ على الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقالوا : يا أبا سعيدٍ ؛ أصلَّيتَ ؟ قالَ : نعمْ ، قالوا : فإنَّ أهلَ السوقِ لمْ يصلُّوا بعدُ ، قالَ : ومنْ يأخذُ دينَهُ مِنْ أهلِ السوقِ ؟! بلغَني أنَّ أحدَهُمْ يمنعُ أخاهُ الدرهمَ . قالَهُ كالمتعجِّبِ منهُ(١) .

وجاءَ رجلٌ إلىٰ إبراهيمَ بنِ أدهمَ رحمهُ اللهُ وهوَ يريدُ بيتَ المقدسِ ، فقالَ لهُ : إنِّي أريدُ أنْ أرافقَكَ ، فقالَ لهُ إبراهيمَ : علىٰ أنْ أكونَ أملكَ لشيئِكَ منكَ ، قالَ : لا ، قالَ : أعجبَني صدقُكَ(٢) .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رحمهُ اللهُ إذا رافقَهُ رجلٌ لمْ يخالفْهُ ، وكانَ لا يصحبُ إلا مَنْ يوافقُهُ ، وصحبَهُ رجلٌ شرَّاكٌ(٣) ، فأهدىٰ رجلٌ إلىٰ إبراهيمَ في بعضِ المنازلِ قصعةً مِنْ ثريدٍ ، ففتحَ جِرابَ رفيقِهِ وأخذَ حزمةً مِنْ شُرُكٍ ، وجعلَها في القصعةِ ، وردَّها إلىٰ صاحبِ الهديَّةِ ، فلمَّا جاءَ رفيقُهُ قالَ : أينَ الشُّرُكُ ؟ قالَ : ذلكَ الثريدُ الذي أكلتَهُ أَيشٍ كانَ ؟ قالَ : كنتَ تعطيهِ شراكينِ أوْ ثلاثةً ، قالَ : اسمحْ . . يسمحْ لكَ(٤) .

وأعطىٰ مرَّةً حماراً كانَ لرفيقِه بغيرِ إذنِهِ رجلاً رآهُ راجلاً ، فلمَّا

---

(١) رواه أحمد في « الزهد » (١٦٦٨) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/٢٨) ، وفي رواية عنده زيادة : (فنعم الصاحب أنت) .

(٣) شرَّاك : وهو الذي يعمل الشِّرَك للنعال . « إتحاف » (٦/٢٠٦) .

(٤) قوت القلوب (٢/٢٢٣) .

جاءَ رفيقُهُ . . سكتَ ولمْ يكرهْ ذلكَ⁽¹⁾ .

قالَ ابنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما : أُهديَ لرجلٍ مِنْ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رأسُ شاةٍ ، فقالَ : أخي فلانٌ أحوجُ منِّي إليهِ ، فبعثَ بهِ إليهِ ، فبعثَهُ ذلكَ الإنسانُ إلىٰ آخرَ ، فلمْ يَزلْ يبعثُ بهِ واحدٌ إلىٰ آخرَ حتَّىٰ رجعَ إلى الأوَّلِ بعدَ أنْ تداولَهُ سبعةٌ⁽²⁾ .

ورُوِيَ أنَّ مسروقاً ادَّانَ ديناً ثقيلاً ، وكانَ علىٰ أخيهِ خيثمةَ دينٌ ، قالَ : فذهبَ مسروقٌ فقضىٰ دينَ خيثمةَ وهوَ لا يعلمُ ، وذهبَ خيثمةُ فقضىٰ دينَ مسروقٍ وهوَ لا يعلمُ⁽³⁾ .

ولمَّا آخىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بينَ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ عوفٍ وسعدِ بنِ الربيعِ . . آثرهُ سعدٌ بالمالِ والنفسِ ، فقالَ : باركَ اللهُ لكَ فيهما ، فآثرَهُ عبدُ الرحمـٰنِ بما آثرَهُ بهِ ، وكأنَّهُ قبلَهُ ثمَّ آثرَهُ بهِ ، وذلكَ مساواةٌ ، والبدايةُ إيثارٌ ، والإيثارُ أفضلُ مِنَ المساواةِ⁽⁴⁾ .

وقالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ : (لوْ أنَّ الدنيا كلَّها لي ، فجعلتُها في فمِ أخٍ مِنْ إخواني . . لاستقللْتُها لهُ)⁽⁵⁾ .

---

(1) كذا في « القوت » (٢/ ٢٢٣) وبنحوه رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣٨٤) .

(2) انظر « الإتحاف » (١/ ٣٩٨) .

(3) قوت القلوب (٢/ ٢١٧) .

(4) كذا في « القوت » (٢/ ٢٢٤) ، وقصة إيثار سعد لعبد الرحمـٰن رضي الله عنهما عند البخاري (٣٧٨٠) .

(5) قوت القلوب (٢/ ٢٢٤) .

وقالَ أيضاً : (إنِّي لألقمُ اللقمةَ أخاً مِنْ إخواني ، فأجدُ طعمَها في حلقي)[١] .

ولمَّا كانَ الإنفاقُ على الإخوانِ أفضلَ مِنَ الصدقاتِ على الفقراءِ . . قالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : (لعشرونَ درهماً أعطيها أخي في اللهِ . . أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أتصدَّقَ بمئةِ درهمٍ على المساكينِ)[٢] .

وقالَ أيضاً : (لأنْ أصنعَ صاعاً مِنْ طعامٍ وأجمعَ عليهِ إخواني في اللهِ . . أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أعتقَ رقبةً)[٣] .

واقتداءُ الكلِّ في الإيثارِ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فإنَّهُ دخلَ غيضةً معَ بعضِ أصحابِهِ ، فاجتنىٰ منها سواكينِ ؛ أحدُهُما معوجٌّ ، والآخرُ مستقيمٌ ، فدفعَ المستقيمَ إلىٰ صاحبِهِ ، فقالَ لهُ : يا رسولَ اللهِ ، كنتَ واللهِ أحقَّ بالمستقيمِ منِّي ، فقالَ : « ما منْ صاحبٍ يصحبُ صاحباً ولوْ ساعةً مِنَ النهارِ إلا سُئِلَ عنْ صحبتِهِ : هلْ أقامَ فيها حقَّ اللهِ أمْ أضاعَهُ ؟ »[٤] .

وخرجَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ بئرٍ يغتسلُ عندَها ، فأمسكَ

---

[١] قوت القلوب (٢/ ٢٢٤) .

[٢] قوت القلوب (٢/ ٢٢٤) .

[٣] رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٥٦٦) .

[٤] كذا في « القوت » (٢/ ٢٣٧) ، وقد رواه بنحوه الطبري في « تفسيره » (٤/ ٥/ ١١٢) ، وابن حبان في « المجروحين » (١/ ١٥٦) ، والنهرواني في « الجليس الصالح » (١/ ٣٩٥) .

حذيفةُ بنُ اليمانِ الثوبَ وقامَ يسترُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حتَّى اغتسلَ ، ثمَّ جلسَ حذيفةُ ليغتسلَ ، فتناولَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الثوبَ ، وقامَ يسترُ حذيفةَ عنِ الناسِ ، فأبىٰ حذيفةُ وقالَ : بأبي أنتَ وأمِّي يا رسولَ اللهِ ؛ لا تفعلْ ، فأبىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلا أنْ يسترَهُ بالثوبِ حتَّى اغتسلَ(١) .

فأشارَ بهـٰذا إلىٰ أنَّ الإيثارَ هوَ القيامُ بحقِّ الله عزَّ وجلَّ في الصحبةِ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ما اصطحبَ اثنانِ قطُّ إلا كانَ أحبُّهُما إلى اللهِ تعالىٰ أرفقَهُما بصاحبِهِ »(٢) .

ورُوِيَ أنَّ مالكَ بنَ دينارٍ ومحمدَ بنَ واسعٍ دخلا منزلَ الحسنِ وكانَ غائباً ، فأخرجَ محمدُ بنُ واسعٍ سلَّةً فيها طعامٌ مِنْ تحتِ سريرِ الحسنِ ، فجعلَ يأكلُ ، فقالَ لهُ مالكٌ : كفَّ يدَكَ حتَّىٰ يجيءَ صاحبُ البيتِ ، فلمْ يلتفتْ محمدٌ إلىٰ قولِهِ ، وأقبلَ على الأكلِ ، وكانَ أبسطَ منهُ وأحسنَ خلقاً ، فدخلَ الحسنُ ، فقالَ : يا مويلِكُ ؛ هـٰكذا كنَّا ، لا يحتشمُ بعضُنا عنْ بعضٍ حتَّىٰ ظهرتَ أنتَ وأصحابُكَ(٣) .

---

(١) قال الحافظ الزبيدي : (أخرجه ابن أبي عاصم في « الوحدان ») . « إتحاف » (٦/ ٢٠٧) .

(٢) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٥٤٤) ، وابن حبان في « صحيحه » (٥٦٦) ، وفيه هناك : (أشدهما حباً لصاحبه) ، واللفظ المثبت في « القوت » (٢/ ٢١٧) .

(٣) كذا في « القوت » (٢/ ٢٣٢) ، ورواه ابن قدامة في « المتحابين » (١١١) .

وأشارَ بهـٰذا إلىٰ أنَّ الانبساطَ في بيوتِ الإخوانِ مِنَ الصفاءِ في الأخوَّةِ ، كيفَ وقدْ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ ، وقالَ : ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ إذْ كانَ الأخُ يدفعُ مفتاحَ بيتِهِ إلىٰ أخيهِ ، ويفوِّضُ التصرُّفَ كما يريدُ ، وكانَ يتحرَّجُ عنِ الأكلِ بحكمِ التقوىٰ ، حتَّىٰ أنزلَ اللهُ هـٰذهِ الآيةَ ، وأذنَ لهُمْ في الانبساطِ في طعامِ الإخوانِ والأصدقاءِ⁽¹⁾ .

* * *

---

(١) ثم قال عز وجل : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا﴾ بحضرة الإخوان ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ حال تفرقهم ، فسوَّىٰ بين غيبتهم ومشهدهم ؛ لتسوية إخوانهم بينهم وبين أملاكهم ، واستواء قلوبهم مع ألسنتهم في البذل والمحبة لتناول المبذول ، وهـٰذا تحقيق . « إتحاف » (٦/٢٠٨) .

الحقّ الثّاني : في الإعانة بالنّفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السّؤال ، وتقديمها على الحاجات الخاصّة

وهـٰذهِ أيضاً لها درجاتٌ كما للمواساةِ بالمالِ ، فأدناها القيامُ بالحاجةِ عندَ السؤالِ والقدرةِ ، ولكنْ معَ البشاشةِ والاستبشارِ ، وإظهارِ الفرحِ وقبولِ المنَّةِ .

قالَ بعضُهُمْ : (إذا استقضيتَ أخاكَ حاجةً فلمْ يقضِها . . فذكِّرْهُ ثانيةً ؛ فلعلَّهُ أنْ يكونَ قدْ نسيَ ، فإنْ لمْ يقضِها . . فكبِّرْ عليهِ ، واقرأْ هـٰذهِ الآيةَ : ﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾)(١) .

وقضى ابنُ شُبْرُمَةَ حاجةً لبعضِ إخوانِهِ كبيرةً ، فجاءَهُ بهديَّةٍ ، فقالَ : ما هـٰذا ؟! قالَ : لما أسديتَهُ إليَّ ، فقالَ : خذْ مالَكَ عافاكَ اللهُ ، إذا سألتَ أخاكَ حاجةً ، فلمْ يجهدْ نفسَهُ في قضائِها . . فتوضَّأْ للصلاةِ وكبِّرْ عليهِ أربعَ تكبيراتٍ ، وعدَّهُ في الموتىٰ(٢) .

وقالَ جعفرُ بنُ محمدٍ : (إنِّي لأتسارعُ إلىٰ قضاءِ حوائجِ أعدائي مخافةَ أنْ أردَّهُمْ فيستغنوا عنِّي)(٣) ، هـٰذا في الأعداءِ ، فكيفَ في الأصدقاءِ ؟!

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٢٣) .

(٢) كذا في « القوت » (٢/ ٢٢٣) ، ورواه البيهقي في « الشعب » (١٠٤١٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤/ ٣٠٦) .

(٣) رواه السلمي في « آداب الصحبة » (١٤٩) .

وكانَ في السلفِ مَنْ يتفقَّدُ عيالَ أخيهِ وأولادَهُ بعدَ موتِهِ أربعينَ سنةً يقومُ بحاجتِهِمْ(١) ، ويتردَّدُ كلَّ يومٍ إليهِمْ ، ويمونُهُمْ بمالِهِ ، فكانوا لا يفقدونَ مِنْ أبيهِمْ إلا عينَهُ ، بلْ كانوا يرونَ منهُ ما لمْ يرَوا مِنْ أبيهِمْ في حياتِهِ .

وكانَ الواحدُ منهُمْ يتردَّدُ إلىٰ بابِ دارِ أخيهِ ويسألُ ويقولُ : هلْ لكُمْ زيتٌ ؟ هلْ لكُمْ ملحٌ ؟ هلْ لكُمْ حاجةٌ ؟ وكانَ يقومُ بها مِنْ حيثُ لا يعرفُهُ أخوهُ ، وبهٰذا تظهرُ الشفقةُ والأخوَّةُ(٢) .

فإذا لمْ تثمرِ الشفقةُ حتَّىٰ يشفقَ علىٰ أخيهِ كما يشفقُ علىٰ نفسِهِ . . فلا خيرَ فيها ، قالَ ميمونُ بنُ مهرانَ : (مَنْ لمْ تنتفعْ بصداقتِهِ . . لمْ تضرَّكَ عداوتُهُ) .

وقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ألا وإنَّ للهِ أوانيَ في أرضِهِ ، وهيَ القلوبُ ، فأحبُّ القلوبِ إلى اللهِ تعالىٰ أصفاها وأصلبُها وأرقُّها »(٣) ،

---

(١) روى ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٣١٠) عن الحسن قال : (إن كان الرجل ليخلف أخاه في أهله بعد موته أربعين سنة) .

(٢) روى ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨/ ٤٣٢) عن الفضيل وقد سأله رجل عن المؤاخاة : (إن كان الرجل ليحفظ ولد أخيه من بعد موته يتعاهدهم أربعين خمسين سنة عمره كله ، يأتي أهله فيقوم علىٰ بابه فيقول : هل لكم من حاجة ؟ تريدون شيئاً ؟ عندكم دقيق ؟ عندكم سويق ؟ عندكم زيت ؟ عندكم حطب ؟ عندكم كذا ؟ حتىٰ يسألهم عن الكسوة ، فيقولون : نعم ، فيقول : أروني ، فإن كان عندهم ، وإلا . . اشترىٰ لهم الخادم بخمس مئة درهم) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٩٧) من حديث أبي أمامة مرفوعاً ، ونحوه من حديث أبي عنبسة الخولاني رواه الطبراني في « مسند الشاميين » (٨٤٠) بنحوه ، واللفظ هنا =

أصفاها مِنَ الذنوبِ ، وأصلبُها في الدينِ ، وأرقُّها على الإخوانِ .

* * *

وبالجملةِ : فينبغي أنْ تكونَ حاجةُ أخيكَ مثلَ حاجتِكَ ، أوْ أهمَّ مِنْ حاجتِكَ ، وأنْ تكونَ متفقِّداً لأوقاتِ الحاجةِ ، غيرَ غافلٍ عنْ أحوالِهِ ؛ كما لا تغفُلُ عنْ أحوالِ نفسِكَ ، وتغنيَهُ عنِ السؤالِ وإظهارِ الحاجةِ إلى الاستعانةِ ، بلْ تقومُ بحاجتِهِ كأنَّكَ لا تدري أنَّكَ قمتَ بها ، ولا ترىٰ لنفسِكَ حقّاً بسببِ قيامِكَ بها ، بل تتقلَّدُ منَّةً بقبولِهِ سعيَكَ في حقِّهِ وقيامَكَ بأمرِهِ .

ولا ينبغي أنْ تقتصرَ علىٰ قضاءِ الحاجةِ ، بلْ تجتهدُ في البدايةِ بالإكرامِ في الزيادةِ ، والإيثارِ والتقديمِ على الأقاربِ والولدِ .

كانَ الحسنُ يقولُ : (إخوانُنا أحبُّ إلينا مِنْ أهلِنا وأولادِنا ؛ لأنَّ أهلَنا يذكِّرونَنا الدنيا وإخوانَنا يذكِّروننا الآخرةَ)[1] .

وقالَ الحسنُ : (مَنْ شيَّعَ أخاهُ في اللهِ . . بعثَ اللهُ ملائكةً مِنْ تحتِ

= عند صاحب « القوت » (١/ ١١٧) عن علي رضي الله عنه ، وسيأتي للمصنف في وصف القلب .

[1] قوت القلوب (٢/ ٢١٩) عن الحسن وأبي قلابة ، وفيه (٢/ ٢٢٠) قال : (وكان عبد الله بن الحسن البصري يصرف إخوان الحسن إذا جاؤوا لطول لبثهم عنده ولشدة شغله بهم ، فيقول لهم : لا تملُّوا الشيخ ، فكان الحسن إذا علم ذلك . . يقول : دعهم يا لكع ؛ فإنهم أحب إلي منكم ، هٰؤلاء يحبوني لله عز وجل ، وأنتم تريدوني للدنيا) .

عرشِهِ يومَ القيامةِ يشيِّعونَهُ إلى الجنَّةِ)(١) .

وفي الأثرِ : (ما زارَ رجلٌ أخاً في اللهِ شوقاً إلىٰ لقائِهِ إلا ناداهُ ملكٌ مِنْ خلفِهِ . . طبتَ وطابتْ لكَ الجنَّةُ)(٢) .

وقالَ عطاءٌ : (تفقَّدوا إخوانَكُمْ بعدَ ثلاثٍ ، فإنْ كانوا مرضىٰ . . فعودُوهُمْ ، أوْ مشاغيلَ . . فأعينوهُمْ ، أوْ كانوا نسوا . . فذكِّرُوهُمْ)(٣) .

ورُوِيَ أنَّ ابنَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما كانَ يلتفتُ يميناً وشمالاً بينَ يدي رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فسألَهُ عنْ ذلكَ ، فقالَ : أحببتُ رجلاً ، فأنا أطلبُهُ ولا أراهُ ، فقالَ : « إذا أحببتَ أحداً . . فسلْهُ عنِ اسمِهِ واسمِ أبيهِ ، وعنْ منزلِهِ ، فإنْ كانَ مريضاً . . عدْتَهُ ، وإنْ كانَ مشغولاً . . أعنتَهُ » ، وفي روايةٍ : « وعنِ اسمِ جدِّهِ وعشيرتِهِ »(٤) .

وقالَ الشعبيُّ في الرجلِ يجالسُ الرجلَ ، فيقولُ : أعرفُ وجهَهُ ولا أعرفُ اسمَهُ : تلكَ معرفةُ النَّوكَىٰ(٥) .

---

(١) كذا في « القوت » (٢/ ٢١٩) ، ورواه عبد الله بن وهب في « جامعه » (١٦٨) .

(٢) رواه بلفظه ابن المبارك في « الزهد » (٧٠٩) عن سعد الطائي ، ورواه مرفوعاً عبد الرزاق في « المصنف » (١١/ ٢٠٣) ، والبزار كما في « مختصر زوائده » (١٨١٣) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٤١٤٠) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ١٩٨) .

(٤) كذا في « القوت » (٢/ ٢١٩) ، وقد رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٧٧٢) ، والسلمي في « آداب الصحبة » (٤٤) .

(٥) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٧٧٣) ، والنَّوكى : الحمقىٰ .

وقيلَ لابنِ عباسٍ : مَنْ أحبُّ الناسِ إليكَ ؟ قالَ : جليسي(١) .

وقالَ : (ما اختلفَ رجلٌ إلىٰ مجلسي ثلاثاً مِنْ غيرِ حاجةٍ لهُ إليَّ فعلمتُ ما مكافأتُهُ مِنَ الدنيا)(٢) .

وقال سعيدُ بنُ العاصِ : (لجليسي عليَّ ثلاثٌ : إذا دنا . . رحبتُ بهِ ، وإذا حدَّثَ . . أقبلتُ عليهِ ، وإذا جلسَ . . أوسعتُ لهُ)(٣) .

وقدْ قالَ تعالىٰ : ﴿ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾ إشارةً إلى الشفقةِ والإكرامِ ، ومِنْ تمامِ الشفقةِ ألا ينفردَ بطعامٍ لذيذٍ أوْ بحضورٍ في مسرَّةٍ دونَهُ ، بلْ يتنغَّصُ لفراقِهِ ، ويستوحشُ بانفرادِهِ عنْ أخيهِ .

* * *

---

(١) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (١١٤٥) بلفظ : (أكرم الناس عليَّ جليسي) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢١٩) .

(٣) كذا في « القوت » (٢/ ٢١٩) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢١/ ١٣٧) .

الحقّ الثّالث : على اللّسان بالسّكوت مرّةً وبالنّطق أخرىٰ

أمّا السكوتُ : فهوَ أنْ يسكتَ عنْ ذكرِ عيوبِهِ في حضرتِهِ وغيبتِهِ ، بلْ يتجاهلُ عنهُ ، ويسكتُ عنِ الردِّ عليهِ فيما يتكلَّمُ بهِ : فلا يماريهِ ولا يناقشُهُ ، وأنْ يسكتَ عنِ التجسُّسِ والسؤالِ عنْ أحوالِهِ ، وإذا رآهُ في طريقٍ أوْ في حاجةٍ[1] ولمْ يفاتحْهُ بذكرِ غرضِهِ ومصدرِهِ وموردِهِ . . فلا يسألُهُ عنهُ ، فربَّما يثقلُ عليهِ ذكرُهُ ، أوْ يحتاجُ إلىٰ أنْ يكذبَ فيهِ .

وأنْ يسكتَ عنْ أسرارِهِ التي بثَّها إليهِ ، فلا يبثُّها إلىٰ غيرِهِ ألبتةَ ، ولا إلىٰ أخصِّ أصدقائِهِ ، ولا يكشفُ شيئاً منها ولوْ بعدَ القطيعةِ والوحشةِ ؛ فإنَّ ذلكَ مِنْ لؤْمِ الطبعِ وخبثِ الباطنِ .

وأنْ يسكتَ عنِ القدحِ في أحبابِهِ وأهلِهِ وولدِهِ .

وأنْ يسكتَ عنْ حكايةِ قدْحِ غيرِهِ فيهِ ، فإنَّ الذي سبَّكَ مَنْ بلَّغكَ ، قالَ أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا يواجهُ أحداً بشيءٍ يكرهُهُ)[2] ، والتأذِّي يحصلُ أوَّلاً مِنَ المبلِّغِ ، ثمَّ مِنَ القائلِ .

نعمْ ، لا ينبغي أنْ يخفيَ ما يسمعُ مِن الثناءِ عليهِ ؛ فإنَّ السرورَ بهِ أوَّلاً يحصلُ مِنَ المبلِّغِ للمدْحِ ، ثمَّ مِنَ القائلِ ، وإخفاءُ ذلكَ مِنَ الحسدِ .

---

[1] في (ب) : (أو في جماعة) ، وهو مناسب للسياق كذلك .

[2] رواه أبو داوود (٤١٨٢) ، والترمذي في « الشمائل » (٣٤٦) .

وبالجملةِ : فليسكتْ عنْ كلِّ كلامٍ يكرهُهُ جملةً وتفصيلاً ، إلا إذا وجبَ عليهِ النطقُ في أمرٍ بمعروفٍ ، أوْ نهيٍ عنْ منكرٍ ، ولمْ يجدْ رخصةً في السكوتِ . . فإذْ ذاكَ لا يبالي بكراهتهِ ؛ فإنَّ ذلكَ إحسانٌ إليهِ في التحقيقِ ، وإنْ كانَ يظنُّ أنَّها إساءةٌ في الظاهرِ(١) .

أمَّا ذكرُ مساوئِهِ وعيوبِهِ ومساوىءِ أهلِهِ . . فهوَ مِنَ الغيبةِ ، وذلكِ حرامٌ في حقِّ كلِّ مسلمٍ ، ويزجرُكَ عنهُ أمرانِ :

أحدُهما : أنْ تطالعَ أحوالَ نفسِكَ ، فإنْ وجدتَ فيها شيئاً واحداً مذموماً . . فهوِّنْ علىٰ نفسِكَ ما تراهُ مِنْ أخيكَ ، وقدِّرْ أنَّهُ عاجزٌ عنْ قهرِ نفسِهِ في تلكَ الخصلةِ الواحدةِ كما أنَّكَ عاجزٌ عمَّا أنتَ مبتلىً بهِ ، ولا تستثقلْهُ بخصلةٍ واحدةٍ مذمومةٍ ، فأيُّ الرجالِ المهذَّبُ ؟!

وكلُّ ما لا تصادفُهُ مِنْ نفسِكَ في حقِّ اللهِ تعالىٰ . . فلا تنتظرْهُ مِنْ أخيكَ في حقِّ نفسِكَ ، فليسَ حقُّكَ عليهِ بأكثرَ مِنْ حقِّ اللهِ عليكَ .

والأمرُ الثاني : أنْ تعلمَ أنَّكَ لوْ طلبتَ منزهاً عنْ كلِّ عيبٍ . . اعتزلتَ عنِ الخلقِ كافَّةً ، ولمْ تجدْ مَنْ تصاحبُهُ أصلاً ، فما مِنْ أحدٍ مِنَ الناسِ إلا ولهُ محاسنُ ومساوىءُ ، فإذا غلبَتِ المحاسنُ المساوىءَ . . فهوَ الغايةُ والمنتهىٰ ، والمؤمنُ الكريمُ أبداً يُحضرُ في نفسِهِ محاسنَ أخيهِ ؛ لينبعثَ مِنْ

---

(١) ومنهم من قال : يكتبه في لوح ، فيعرض عليه ، لعله يعتبر فيرتدع عنه ، فهاذا هو أولى الأشياء ، وأبعد من غرور المواجهة . « إتحاف » (٦/ ٢١١) .

قلبِهِ التوقيرُ والودُّ والاحترامُ ، وأمَّا المنافقُ اللئيمُ . . فإنَّهُ أبداً يلاحظُ المساوِئَ والعيوبَ .

قالَ ابنُ المباركِ : (المؤمنُ يطلبُ المعاذيرَ ، والمنافقُ يطلبُ العثراتِ)[١] .

وقالَ الفضيلُ : (الفتوَّةُ الصفحُ عنْ زلَّاتِ الإخوانِ)[٢] .

ولذلكَ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « استعيذوا باللهِ مِنْ جارِ السوءِ ؛ الذي إِنْ رأىٰ خيراً . . سترَهُ ، وإِنْ رأىٰ شراً . . أظهرَهُ »[٣] .

وما مِنْ شخصٍ إلا ويمكنُ تحسينُ حالِهِ بخصالٍ فيهِ ، ويمكنُ تقبيحُهُ أيضاً ، رويَ أنَّ رجلاً أثنىٰ علىٰ رجلٍ عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فلما كانَ مِنَ الغدِ . . ذمَّهُ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « أنتَ بالأمسِ تثني عليهِ واليومَ تذمُّهُ ؟! » فقالَ : واللهِ ؛ لقدْ صدقتُ عليهِ بالأمسِ وما كذبتُ عليهِ اليومَ ، إنَّهُ أرضاني بالأمسِ ؛ فقلتُ أحسنَ ما علمتُ فيهِ ، وأغضبَني اليومَ ؛ فقلتُ أقبحَ ما علمتُ فيهِ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إنَّ مِنَ

---

[١] حكاه الحافظ الزبيدي عن صاحب « القوت » . « إتحاف » (٦/ ٢١٢) .

[٢] رواه القشيري في « الرسالة » (ص٣٩٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨/ ٤٣٠) .

[٣] رواه البخاري في « التاريخ الكبير » (٦/ ٢٧٨) من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، وقد تقدم بعضه في حديث الفواقر الثلاث ، وروى النسائي (٨/ ٢٧٤) عن أبي هريرة مرفوعاً : « تعوذوا بالله من جار السوء في دار المقام ، فإن جار البادية يتحول عنك » .

البيانِ لسحراً »[1] ، وكأنَّهُ كرهَ ذلكَ ، فشبَّهَهُ بالسحرِ .

ولذلكَ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ في خبرٍ آخرَ : « البَذاءُ والبيانُ شعبتانِ مِنَ النفاقِ »[2] .

وفي حديثٍ آخرَ : « إنَّ اللهَ يكرهُ لكُمُ البيانَ كلَّ البيانِ »[3] .

ولذلكَ قالَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (ما أحدٌ مِنَ المسلمينَ يطيعُ اللهَ فلا يعصيهِ ، ولا أحدٌ يعصي اللهَ ولا يطيعُهُ ، فمَنْ كانَتْ طاعتُهُ أغلبَ مِنْ معاصيهِ . . فهوَ عدْلٌ)[4] ، وإذا جُعِلَ مثلُ هـٰذا عدلاً في حقِّ اللهِ تعالىٰ . . فبأنْ تراهُ عدلاً في حقِّ نفسِكَ ومقتضىٰ أخوَّتِكَ أولىٰ .

* * *

وكما يجبُ عليكَ السكوتُ بلسانِكَ عنْ مساوئِهِ . . يجبُ عليكَ السكوتُ بقلبِكَ : وذلكَ بتركِ إساءةِ الظنِّ ، فسوءُ الظنِّ غيبةٌ بالقلبِ ، وهوَ منهيٌّ عنهُ أيضاً ، **وحدُّهُ** : ألا تحملَ فعلَهُ علىٰ وجهٍ فاسدٍ ما أمكنَ أنْ تحملَهُ علىٰ وجهٍ

---

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » (٧٦٦٧) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/٦١٣) والرجلان هما الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم .

(٢) رواه الترمذي (٢٠٢٧) .

(٣) رواه الطبراني في « الكبير » (٨/١٦٦) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه ، وقال الحافظ العراقي : (رواه ابن السني في كتاب « رياضة المتعلمين » من حديث أبي أمامة بسند ضعيف) . « إتحاف » (٦/٢١٣) .

(٤) رواه الخطيب في « الكفاية » (ص٧٥ـ ٧٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٤/١٩٧) بنحوه .

حسنٍ ، فأمَّا ما انكشفَ بيقينٍ ومشاهدةٍ . فلا يمكنُكَ ألا تعلمَهُ ، وعليكَ أنْ تحملَ ما تشاهدُ علىٰ سهوٍ ونسيانٍ إنْ أمكنَ .

وهٰذا الظنُّ ينقسمُ إلىٰ **ما يسمَّىٰ تفرُّساً** ، وهوَ الذي يستندُ إلىٰ علامةٍ ، فإنَّ ذلكَ يحرِّكُ الظنَّ تحريكاً ضرورياً لا يُقدرُ علىٰ دفعِهِ ، وإلىٰ **ما منشؤُهُ سوءُ اعتقادِكَ فيهِ** ، حتَّىٰ يصدرَ منهُ فعلٌ لهُ وجهانِ ، فيحملُكَ سوءُ الاعتقادِ علىٰ أنْ تنزلَهُ على الوجهِ الأردأ مِنْ غيرِ علامةٍ تخصُّهُ بها ، وذلكَ جنايةٌ عليهِ بالباطنِ ، وذلكَ جارٍ في حقِّ كلِّ مؤمنٍ⁽¹⁾ ؛ إذْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ اللهَ قدْ حرَّمَ مِنَ المؤمنِ دمَهُ ومالَهُ وعرضَهُ ، وأنْ يُظنَّ بهِ ظنُّ السَّوْءِ »⁽²⁾ .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : «إيَّاكُمْ والظنَّ ؛ فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديثِ»⁽³⁾ .

وسوءُ الظنِّ يدعو إلى التجسُّسِ والتحسُّسِ ، وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تحسَّسوا ، ولا تجسَّسوا ، ولا تقاطَعوا ، ولا تدابَروا ، وكونوا ـ عِبادَ اللهِ ـ إخواناً »⁽⁴⁾ ، والتجسُّسُ في تطلُّعِ الأخبارِ ، والتحسُّسُ بالمراقبةِ بالعينِ⁽⁵⁾ ، فسترُ العيوبِ والتجاهلُ والتغافلُ عنها شيمةُ أهلِ الدينِ .

---

(١) في هامش (ب) : نسخة : (حرام) بدل (جارٍ) .

(٢) رواه الطبراني في « الكبير » (١١/ ٣١)، والبيهقي في « الشعب » (٦٢٨٠) .

(٣) رواه البخاري (٥١٤٤ ، ٦٠٦٤) ، ومسلم (٢٥٦٣) .

(٤) هو تتمة الحديث المتقدم قبله .

(٥) **وأصله** : طلب الشيء بحاسته ؛ كاستراق السمع وإبصار الشيء بخفية ، وقيل : الأول : التفحص عن عورات الناس وبواطن أمورهم بنفسه أو بغيره ، والثاني : أن يتولاه بنفسه ، وقيل : الأول يخصُّ الشر ، والثاني أعم . « إتحاف » (٦/ ٢١٤) .

ويكفيكَ تنبيهاً علىٰ كمالِ الرتبةِ في سترِ القبيحِ وإظهارِ الجميلِ أنَّ اللهَ تعالىٰ وُصِفَ بهِ في الدعاءِ ، فقيلَ : (يا مَنْ أظهرَ الجميلَ وسترَ القبيحَ)[١] ، والمرضيُّ عندَ اللهِ مَنْ تخلَّقَ بأخلاقِهِ ؛ فإنَّهُ ستَّارُ العيوبِ وغفَّارُ الذنوبِ ، ومتجاوزٌ عنِ العبيدِ ، فكيفَ لا تتجاوزُ أنتَ عمَّنْ هوَ مثلُكَ أوْ فوقَكَ ، وما هوَ بكلِّ حالٍ عبدَكَ ولا مخلوقَكَ ؟!

وقدْ قالَ عيسىٰ عليهِ السلامُ للحواريينَ : كيفَ تصنعونَ إذا رأيتُمْ أخاكُمْ نائماً وقدْ كشفَتِ الريحُ ثوبَهُ عنهُ ؟ قالوا : نسترُهُ ونغطِّيهِ ، قالَ : بلْ تكشفونَ عورتَهُ ، قالوا : سبحانَ اللهِ ! مَنْ يفعلُ هٰذا ؟! فقالَ : أحدُكُمْ يسمعُ بالكلمةِ في أخيهِ فيزيدُ عليها ويشيعُها بأعظمَ منها[٢] .

واعلمْ : أنَّهُ لا يتمُّ إيمانُ المرءِ ما لمْ يحبَّ لأخيهِ ما يحبُّ لنفسِهِ ، وأقلُّ درجاتِ الأخوَّةِ أنْ يعاملَ أخاهُ بما يحبُّ أنْ يعاملَهُ بهِ ، ولا شكَّ في أنَّهُ ينتظرُ منهُ سترَ العورةِ ، والسكوتَ عنِ المساوىءِ والعيوبِ ، ولوْ ظهرَ لهُ منهُ نقيضُ ما ينتظرُهُ . . اشتدَّ عليهِ غيظُهُ وغضبُهُ ، فما أبعدَهُ عنِ الإنصافِ إذا كانَ ينتظرُ

---

[١] رواه الحاكم في « المستدرك » (١/ ٥٤٤) وتمامه : (يا من أظهر الجميل ، وستر القبيح ، يا من لا يؤاخذ على الجريرة ، ولا يهتك الستر ، يا عظيم العفو ، يا حسن التجاوز ، يا واسع المغفرة ، يا باسط اليدين بالرحمة ، يا صاحب كل نجوىٰ ، ويا منتهىٰ كل شكوىٰ ، يا كريم الصفح ، يا عظيم المنِّ ، يا مبتدىء النعم قبل استحقاقها ، يا ربنا ، ويا سيدنا ، ويا مولانا ، ويا غاية رغبتنا ؛ أسألك يا ألله ألا تشويَ خلقي بالنار) .

[٢] قوت القلوب (٢/ ٢٢٢) .

منهُ ما لا يضمرُهُ لهُ ، ولا يعزمُ عليهِ لأجلِهِ ، وويلٌ لهُ في نصِّ كتابِ اللهِ تعالىٰ حيثُ قالَ : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ ، فكلُّ مَنْ يلتمسُ مِنَ الإنصافِ أكثرَ ممَّا تسمحُ بهِ نفسُهُ . . فهوَ داخلٌ تحتَ مقتضىٰ هـٰذهِ الآيةِ .

* * *

ومنشأُ التقصيرِ في سترِ العورةِ أوِ السعيِ في كشفِها : الداءُ الدفينُ في الباطنِ ، وهوَ الحقدُ والحسدُ ؛ فإنَّ الحقودَ الحسودَ يمتلىءُ باطنُهُ بالخبْثِ ، ولكنَّهُ يحبسُهُ في باطنِهِ ، ويخفيهِ ولا يبديهِ مهما لمْ يجدْ لهُ مجالاً ، فإذا وجدَ فرصةً . . انحلَّتِ الرابطةُ ، وارتفعَ الحياءُ ، وترشَّحَ الباطنُ بخبثِهِ الدفينِ .

ومهما انطوى الباطنُ علىٰ حقدٍ وحسدٍ . . فالانقطاعُ أولىٰ ، قالَ بعضُ الحكماءِ : (ظاهرُ العتابِ خيرٌ مِنْ مكنونِ الحقدِ ، ولا يزيدُ لطفُ الحقودِ إلا وحشةً منهُ)(١) ، ومنْ في قلبِهِ سخيمةٌ علىٰ مسلمٍ . . فإيمانُهُ ضعيفٌ وأمرُهُ مخطرٌ ، وقلبُهُ خبيثٌ لا يصلحُ للقاءِ اللهِ .

وقدْ روىٰ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ جبيرِ بنِ نفيرٍ عنْ أبيهِ أنَّهُ قالَ : كنتُ باليمنِ ، ولي جارٌ يهوديٌّ يخبرني عنِ التوراةِ ، فقدمَ عليَّ اليهوديُّ مِنْ سفرٍ ، فقلتُ : إنَّ اللهَ تعالىٰ قدْ بعثَ فينا نبياً ، فدعانا إلى الإسلامِ ، فأسلمْنا ، وقدْ نزَّلَ علينا كتاباً مصدقاً للتوراةِ ، فقالَ اليهوديُّ : صدقتَ ، ولكنَّكُمْ

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٢٢) .

لا تستطيعونَ أنْ تقوموا بما جاءَكُمْ بهِ ، إنَّا نجدُ نعتَهُ ونعتَ أمَّتِهِ في التوراةِ : أنَّهُ لا يحلُّ لامرئٍ يخرجُ مِنْ عتبةِ بابهِ وفي قلبهِ سخيمةٌ علىٰ أخيهِ المسلمِ(١) .

* * *

ومِنْ ذلكَ : أنْ يسكتَ عنْ إفشاءِ سرِّهِ الذي استودعَهُ إيَّاهُ : ولهُ أنْ ينكرَهُ وإنْ كانَ كاذباً ، فليسَ الصدقُ واجباً في كلِّ مقامٍ ؛ فإنَّهُ كما يجوزُ للرجلِ أنْ يخفيَ عيوبَ نفسِهِ وأسرارَهُ وإنِ احتاجَ إلى الكذبِ . . فلهُ أنْ يفعلَ ذلكَ في حقِّ أخيهِ ؛ فإنَّ أخاهُ نازلٌ منزلتَهُ ، وهما كشخصٍ واحدٍ لا يختلفانِ إلا بالبدنِ .

هـٰذهِ حقيقةُ الأخوَّةِ .

ولذلكَ لا يكونُ بالعملِ بينَ يديهِ مرائياً وخارجاً عنْ أعمالِ السرِّ إلىٰ أعمالِ العلانيةِ ، فإنَّ معرفةَ أخيهِ بعملِهِ كمعرفتِهِ بنفسِهِ مِنْ غيرِ فرقٍ ، وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ سترَ عورةَ أخيهِ . . سترَهُ اللهُ تعالىٰ في الدنيا والآخرةِ »(٢) .

وفي خبرٍ آخرَ : « فكأنَّما أحيا موءودةً مِنْ قبرِها »(٣) .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٢٢) ، والسخيمةُ : الحقد والضغينة والموجدة في النفس .

(٢) رواه ابن ماجه (٢٥٤٦) وفيه : (يوم القيامة) بدل (في الدنيا والآخرة) ، وعند البخاري (٢٤٤٢) ، ومسلم (٢٥٨٠) : « ومن ستر مسلماً . . ستره الله يوم القيامة » .

(٣) رواه أبو داوود (٤٨٩١) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٧٢٤١) وزيادة : (من قبرها) عنده .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إذا حدَّثَ الرجلُ بحديثٍ ثمَّ التفتَ . . فهوَ أمانةٌ »(١) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « المجالسُ بالأمانةِ إلا ثلاثةَ مجالسَ ، مجلسٌ يُسفكُ فيهِ دمٌ حرامٌ ، ومجلسٌ يُستحلُّ فيهِ فرجٌ حرامٌ ، ومجلسٌ يُستحلُّ فيهِ مالٌ مِنْ غيرِ حلِّهِ »(٢) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إنَّما يتجالسُ المتجالسانِ بالأمانةِ ، ولا يحلُّ لأحدِهِما أنْ يفشيَ علىٰ صاحبِهِ ما يكرهُ »(٣) .

قيلَ لبعضِ الأدباء : كيفَ حفظُكَ للسرِّ ؟ قالَ : أنا قبرُهُ(٤) .

وقدْ قيلَ : (صدورُ الأحرارِ قبورُ الأسرارِ)(٥) .

وقيلَ : إنَّ قلبَ الأحمقِ في فيهِ ، ولسانَ العاقلِ في قلبِهِ ؛ أيْ : لا يستطيعُ الأحمقُ إخفاءَ ما في نفسِهِ ، فيبديهِ مِنْ حيثُ لا يدري ، فمِنْ هـٰذا يجبُ مقاطعةُ الحمقىٰ ، والتوقِّي عنْ صحبتِهِمْ ، بلْ عَنْ مشاهدتِهِمْ .

---

(١) رواه أبو داوود (٤٨٦٨) ، والترمذي (١٩٥٩) .

(٢) رواه أبو داوود (٤٨٦٩) ، فمن قال : أريد قتل فلان ، أو الزنا بفلانة ، أو مال فلان ظلماً . . لا يجوز للمستمعين حفظ سرّه ، بل عليهم إفشاؤه دفعاً للمفسدة . « إتحاف » (٦/ ٢١٧) .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٦٩١) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠٦٧٧) عن أبي بكر بن حزم مرسلاً .

(٤) قوت القلوب (٢/ ٢٢٤) ، ونحوه في « عيون الأخبار » (١/ ٣٩) .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٣٧٧) عن ذي النون المصري .

وقدْ قيلَ لآخرَ : كيفَ تحفظُ السرَّ ؟ قالَ : أجحدُ المُخبِرَ ، وأحلفُ للمستخبِرِ(١) .

وقالَ آخرُ : أسترُهُ وأسترُ أنِّي أسترُهُ .

وعبَّرَ عنهُ ابنُ المعتزِّ بقولِهِ(٢) : [من الطويل]

وَمُسْتَوْدِعِي سِراً تَبَوَّأْتَ كَتْمَهُ فَأَوْدَعْتَهُ صَدْرِي فَصارَ لَهُ قَبْرَا

وقالَ آخرُ وأرادَ الزيادةَ عليهِ(٣) : [من الطويل]

وَما ٱلسِّرُّ فِي صَدْرِي كَثاوٍ بِقَبْرِهِ لأَنِّي أَرَى ٱلْمَقْبُورَ يَنْتَظِرُ ٱلنَّشْرا
ولَـٰكِنَّنِي أَنْساهُ حَتَّىٰ كَأَنَّنِي بِما كانَ مِنْهُ لَمْ أُحِطْ ساعَةً خُبْرا
وَلَوْ جازَ كَتْمُ ٱلسِّرِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَنِ ٱلسِّرِّ وَٱلأَحْشاءِ لَمْ تَعْلَمِ ٱلسِّرَّا

وأفشىٰ بعضُهُمْ سرّاً لهُ إلىٰ أخيهِ ، ثمَّ قالَ لهُ : حفظتَ ؟ فقالَ : بلْ نسيتُ(٤) .

وكانَ أبو سعيدٍ الثوريُّ يقولُ : (إذا أردتَ أنْ تؤاخيَ رجلاً . . فأغضبْهُ ،

---

(١) عيون الأخبار (١/ ٤٠) ، قوت القلوب (٢/ ٢٢٤) .

(٢) رواه له صاحب « القوت » (٢/ ٢٢٤) قال : (ومن أحسن ما سمعت في حفظ السر ما حدثني بعض أشياخنا عن إخوان له دخلوا علىٰ عبد الله بن المعتز ، فاستنشدوه شيئاً من شعره في حفظ السر ، فأنشدهم على البديهة) ، والبيت ليس في « ديوانه » .

(٣) الأبيات لمحمد بن داوود الأصبهاني كما في « القوت » (٢/ ٢٢٤) ، وانظر « لباب الآداب » لابن منقذ (ص ٢٤١) .

(٤) قوت القلوب (٢/ ٢٢٤) .

ثمَّ دُسَّ عليهِ مَنْ يسألُهُ عنكَ وعنْ أسرارِكَ ؛ فإنْ قالَ خيراً وكتمَ سرَّكَ.. فاصحبْهُ)[1] .

وقيلَ لأبي يزيدَ : مَنْ تصحبُ مِنَ الناسِ ؟ قالَ : مَنْ يعلمُ منكَ ما يعلمُ اللهُ ، ثمَّ يسترُ عليكَ كما يسترُ اللهُ[2] .

وقالَ ذو النونِ : (لا خيرَ في صحبةِ مَنْ لا يحبُّ أنْ يراكَ إلا معصوماً)[3] .

ومَنْ أفشى السرَّ عندَ الغضبِ.. فهوَ اللئيمُ ؛ لأنَّ إخفاءَهُ عندَ الرضا تقتضيهِ الطباعُ السليمةُ كلُّها ، وقدْ قالَ بعضُ الحكماءِ : (لا تصحبْ مَنْ يتغيَّرُ عليكَ عندَ أربعٍ : عندَ غضبِهِ ورضاهُ ، وعندَ طمعِهِ وهواهُ)[4] ، بلْ ينبغي أنْ يكونَ صدْقُ الأخوَّةِ ثابتاً على اختلافِ هـٰذهِ الأحوالِ ، ولذلكَ قيلَ[5] : [من الكامل]

وَتَرَى ٱلْكَرِيمَ إِذا تَصَرَّمَ وَصْلُهُ يُخْفِي ٱلْقَبِيحَ وَيُظْهِرُ ٱلإِحْسانا
وَتَرَى ٱللَّئِيمَ إِذا تَقَضَّىٰ وَصْلُهُ يُخْفِي ٱلْجَمِيلَ وَيُظْهِرُ ٱلْبُهْتانا

---

[1] كذا في « القوت » (٢/ ٢٢٥) ، وقد رواه ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص٩١) من قول لقمان لابنه .

[2] قوت القلوب (٢/ ٢٢٥) .

[3] قوت القلوب (٢/ ٢٢٥) .

[4] قوت القلوب (٢/ ٢٢٦) .

[5] قوت القلوب (٢/ ٢١٥) حيث قال قبلهما : (أنشدنا بعض العلماء الحكماء) .

وقالَ العباسُ لابنِهِ عبدِ اللهِ : إنِّي أرىٰ هـٰذا الرجلَ ـ يعني عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ ـ يقدِّمُكَ على الأشياخِ ، فاحفظْ عنِّي خمساً : لا تفشينَّ لهُ سرّاً ، ولا تغتابنَّ عندَهُ أحداً ، ولا تجرينَّ عليهِ كذباً ، ولا تعصينَّ لهُ أمراً ، ولا يطلعنَّ منكَ علىٰ خيانةٍ ، فقالَ الشعبيُّ : كلُّ كلمةٍ مِنْ هـٰذهِ الخمسِ خيرٌ مِنْ ألفٍ⁽¹⁾ .

* * *

ومِنْ ذلكَ : السكوتُ عنِ المماراةِ والمدافعةِ في كلِّ ما يتكلَّمُ بهِ أخوكَ : قالَ ابنُ عباسٍ : (لا تمارِ سفيهاً فيؤذيَكَ ، ولا حليماً فيقليَكَ)⁽²⁾ .

وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ تركَ المراءَ وهوَ مبطلٌ . . بُنِيَ لهُ بيتٌ في ربضِ الجنَّةِ ، ومَنْ تركَهُ وهوَ محقٌّ . . بُنِيَ لهُ بيتٌ في أعلى الجنةِ »⁽³⁾ ، هـٰذا معَ أنَّ تركَهُ مبطلاً واجبٌ ، وقدْ جعلَ ثوابَ النفلِ أعظمَ ؛ لأنَّ السكوتَ عنِ الحقِّ أشدُّ على النفسِ مِنَ السكوتِ على الباطلِ ، وإنَّما الأجرُ علىٰ قدْرِ النصبِ .

وأشدُّ الأسبابِ لإثارةِ نارِ الحقدِ بينَ الإخوانِ المماراةُ والمناقشةُ ؛ فإنَّها

---

(1) رواه الطبراني في « الكبير » (١٠/ ٢٦٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣١٨) ، ولم يذكرا الأخيرتين ، وهو عند صاحب « القوت » (٢/ ٢٢٤) من روايتين أدخل إحداهما في الأخرىٰ .

(2) رواه أبو داوود في « الزهد » (٣٤٨) ضمن وصية له .

(3) رواه الترمذي (١٩٩٣) ، وابن ماجه (٥١) .

عينُ التدابرِ والتقاطع ، فإنَّ التقاطعَ يقعُ أوَّلاً بالآراءِ ، ثمَّ بالأقوالِ ، ثمَّ بالأبدانِ ، وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تدابروا ، ولا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تقاطعوا ، وكونوا ـ عبادَ اللهِ ـ إخواناً ، المسلمُ أخو المسلمِ ، لا يظلمُهُ ولا يحرمُهُ ولا يخذلُهُ ، بحسْبِ المرءِ مِنَ الشرِّ أنْ يحقرَ أخاهُ المسلمَ »(١) .

وأشدُّ الاحتقارِ المماراةُ ؛ فإنَّ منْ ردَّ علىٰ غيرِهِ كلامَهُ . . فقدْ نسبَهُ إلى الجهلِ والحمقِ ، أوْ إلى الغفلةِ والسهوِ عنْ فهمِ الشيءِ علىٰ ما هوَ عليهِ ، وكلُّ ذلكَ استحقارٌ ، وإيغارٌ للصدرِ وإيحاشٌ .

وفي حديثِ أبي أمامةَ الباهليِّ قالَ : خرجَ علينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ونحنُ نتمارىٰ ، فغضبَ وقالَ : « ذَرُوا المراءَ لقلَّةِ خيرِهِ ، وذَرُوا المراءَ فإنَّ نفعَهُ قليلٌ ، وإنَّهُ يهيِّجُ العداوةَ بينَ الإخوانِ »(٢) .

وقالَ بعضُ السلفِ : (مَنْ لاحى الإخوانَ وماراهُمْ . . قلَّتْ مروءَتُهُ ، وذهبَتْ كرامتُهُ)(٣) .

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤) .

(٢) رواه أبو إسماعيل الهروي في « ذم الكلام وأهله » (٥٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣/٣٦٧) ضمن خبر طويل ، وصدره عند الطبراني في « الكبير » (٨/١٥٢) .

(٣) قوت القلوب (٢/٢٢٢) ، وقد روى البيهقي في « الشعب » (٨٠٨١) : « ومن لاحى الرجال . . سقطت مروءته ، وذهبت كرامته » .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ الحسنِ : (إيَّاكَ ومماراةَ الرجالِ ؛ فإنَّكَ لنْ تعدمَ مكرَ حليمٍ ، أوْ مفاجأةَ لئيمٍ)(١) .

وقالَ بعضُ السلفِ : (أعجزُ الناسِ مَنْ قصَّرَ في طلبِ الإخوانِ ، وأعجزُ منهُ مَنْ ضيَّعَ مَنْ ظفرَ بهِ منهمْ)(٢) .

وكثرةُ المماراةِ توجبُ التضييعَ والقطيعةَ ، وتورثُ العداوةَ ، وقدْ قالَ الحسنُ : (لا تشترِ عداوةَ رجلٍ بمودَّةِ ألفِ رجلٍ)(٣) .

* * *

وعلى الجملةِ : فلا باعثَ على المماراةِ إلا إظهارُ التمييزِ بمزيدِ العقلِ والفضلِ ، واحتقارُ المردودِ عليهِ بإظهارِ جهلِهِ ، وهـٰذا يشتملُ على التكبُّرِ والاحتقارِ ، والإيذاءِ والشتْمِ بالحمْقِ والجهلِ ، ولا معنىً للمعاداةِ إلا هـٰذا ، فكيفَ تضامُّهُ الأخوَّةُ والمصافاةُ ؟!

وقدْ روى ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « لا تمارِ أخاكَ ، ولا تمازحْهُ ، ولا تعدْهُ موعداً فتخلفَهُ »(٤) .

---

(١) رواه ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص٩٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٧/٣٨٨) .

(٢) رواه ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص١٠٣) .

(٣) كذا في « القوت » (٢/٢٢٢) ، ورواه ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص٩٤) عن إسماعيل بن مسلم .

(٤) رواه الترمذي (١٩٩٥) .

وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّكُمْ لا تسعونَ الناسَ بأموالِكُمْ ، ولكنْ ليسعْهُمْ منكُمْ بسطُ وجهٍ وحسْنُ خلقٍ »(١) .

والمماراةُ مضادةٌ لحسْنِ الخلقِ .

وقدِ انتهى السلفُ في الحذرِ عنِ المماراةِ والحضِّ على المساعدةِ إلىٰ حدٍّ لمْ يَروا السؤالَ أصلاً ، وقالوا : إذا قلتَ لأخيكَ : قُمْ ، فقالَ : إلىٰ أينَ ؟ . . فلا تصحبْهُ(٢) .

بلْ قالوا : ينبغي أنْ يقومَ ولا يسألَ .

وقالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ : كانَ لي أخٌ بالعراقِ ، فكنتُ أجيئُهُ في النوائبِ ، فأقولُ : أعطني مِنْ مالكَ شيئاً ، فكانَ يلقي إليَّ كيسَهُ ، فآخذُ منهُ ما أريدُ ، فجئتُهُ ذاتَ يومٍ ، فقلتُ : أحتاجُ إلىٰ شيءٍ ، فقالَ : كمْ تُريدُ ؟ فخرجَتْ حلاوةُ إخائهِ مِنْ قلبي(٣) .

وقالَ آخرُ : إذا طلبتَ مِنْ أخيكَ مالاً ، فقالَ : ماذا تصنعُ بهِ ؟ . . فقدْ تركَ حقَّ الإخاءِ(٤) .

---

(١) رواه إسحاق بن راهويه في « مسنده » (٥٣٦) ، والطبراني في « مكارم الأخلاق » (١٨) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ١٢٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٥) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٢٢) .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢٢٢) .

(٤) قوت القلوب (٢/ ٢٢٢) .

واعلمْ : أنَّ قِوامَ الأخوَّةِ بالموافقةِ في الكلامِ والفعلِ وبالشفقةِ ، قالَ أبو عثمانَ الحيريُّ : (موافقةُ الإخوانِ خيرٌ مِنَ الشفقةِ عليهِمْ)(١) ، وهوَ كما قالَ .

* * *

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٤٤) .

الحقّ الرّابع : على اللّسان بالنّطق

فإنَّ الأخوَّةَ كما تقتضي السكوتَ عَنِ المكارهِ فتقتضي أيضاً النطقَ بالمحابِّ ، بلْ هوَ أخصُّ بالأخوَّةِ ؛ لأنَّ مَنْ قنعَ بالسكوتِ . . صحبَ أهلَ القبورِ ، وإنَّما تُرادُ الإخوانُ ليُستفادَ منهُمْ ، لا ليُتخلَّصَ عنْ أذاهُمْ ، والسكوتُ معناهُ كفُّ الأذىٰ .

فعليهِ أنْ يتودَّدَ إليهِ بلسانِهِ ، ويتفقدَهُ في أحوالِهِ التي يحبُّ أنْ يُتفقَّدَ فيها ؛ كالسؤالِ عَنْ عارضٍ إنْ عرضَ ، وإظهارِ شغْلِ القلبِ بسببِهِ ، واستبطاءِ العافيةِ عنهُ ، وكذا جملةُ أحوالِهِ التي يكرهُها ، ينبغي أنْ يظهرَ بلسانِهِ وأفعالِهِ كراهتَها ، وجملةُ أحوالِهِ التي يُسرُّ بها ، ينبغي أنْ يظهرَ بلسانِهِ مشاركتَهُ لهُ في السرورِ بها ، فمعنى الأخوَّةِ المساهمةُ في السرَّاءِ والضرَّاءِ .

وقدْ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: « إذا أحبَّ أحدُكُمْ أخاهُ . . فليخبرْهُ »(١) ، وإنَّما أمرَ بالإخبارِ لأنَّ ذلكَ يوجبُ زيادةَ حبٍّ ، فإنْ عرفَ أنَّكَ تحبُّهُ . . أحبَّكَ بالطبعِ لا محالةَ ، فإذا عرفتَ أنَّهُ أيضاً يحبُّكَ . . زادَ حبُّكَ لا محالةَ ، فلا يزالُ الحبُّ يتزايدُ مِنَ الجانبينِ ويتضاعفُ .

---

(١) رواه أبو داوود (٥١٢٤) ، والترمذي (٢٣٩٢) .

والتحابُّ بينَ المؤمنينَ مطلوبٌ في الشرعِ ، ومحبوبٌ في الدينِ ، ولذلكَ علَّمَ فيهِ الطريقَ فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « تهادَوا تحابُّوا »(١) .

* * *

ومنْ ذلكَ : أنْ تدعوَهُ بأحبِّ أسمائِهِ إليهِ في غيبتِهِ وحضورِهِ : قالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : (ثلاثٌ يصفينَ لكَ وُدَّ أخيكَ : أنْ تسلِّمَ عليهِ إذا لقيتَهُ أوَّلاً ، وتوسعَ لهُ في المجلسِ ، وتدعوَهُ بأحبِّ أسمائِهِ إليهِ)(٢) .

* * *

ومِنْ ذلكَ : أنْ تثنيَ عليهِ بما تعرفُ مِنْ محاسنِ أحوالِهِ عندَ مَنْ يؤثرُ هوَ الثناءَ عندَهُ : فإنَّ ذلكَ مِنْ أعظمِ الأسبابِ في جلْبِ المحبَّةِ ، وكذلكَ الثناءُ علىٰ أولادِهِ وأهلِهِ ، وصنعتِهِ وفعلِهِ ، حتَّىٰ علىٰ عقلِهِ وخلقِهِ وهيئتِهِ ، وخطِّهِ وشِعْرِهِ وتصنيفِهِ ، وجميعِ ما يفرحُ بهِ ، وذلكَ مِنْ غيرِ كذبٍ وإفراطٍ ، ولكنْ تحسينُ ما يقبلُ التحسينَ لا بدَّ منهُ .

وآكدُ مِنْ ذلكَ : أنْ تبلغَهُ ثناءَ مَنْ أثنىٰ عليهِ معَ إظهارِ الفرحِ بهِ ، فإنَّ إخفاءَ ذلكَ محضُ الحسدِ .

* * *

---

(١) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٥٩٤) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٣١٦) ، والسلمي في « آداب الصحبة » (٤٢) ، وقد رواه الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٤٢٩) مرفوعاً من حديث عثمان بن طلحة رضي الله عنه .

ومِنْ ذلكَ : **أنْ تشكرَهُ علىٰ صنيعِهِ في حقِّكَ ، بلْ علىٰ نيَّتِهِ وإنْ لمْ يتمَّ ذلكَ** : قالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : (مَنْ لمْ يحمدْ أخاهُ علىٰ حسنِ النيَّةِ . . لمْ يحمدْهُ علىٰ حسْنِ الصنيعةِ)(١) .

وأعظمُ مِنْ ذلكَ تأثيراً في جلبِ المحبَّةِ : **الذبُّ عنهُ في غيبتِهِ مهما قُصِدَ بسوءٍ أوْ تعرَّضَ لعرضِهِ بكلامٍ صريحٍ أوْ تعريضٍ** : فحقُّ الأخوَّةِ التشميرُ في الحمايةِ والنصرةِ ، وتبكيتُ المتعنِّتِ ، وتغليظُ القولِ عليهِ ، فالسكوتُ عنْ ذلكَ موغرٌ للصدرِ ، ومنفِّرٌ للقلبِ ، وتقصيرٌ في حقِّ الأخوَّةِ .

وإنَّما شبَّهَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الأخوينِ باليدينِ تغسلُ إحداهُما الأخرىٰ . . لينصرَ أحدُهُما الآخرَ وينوبَ عنهُ ، فقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « المسلمُ أخو المسلمِ ، لا يظلمُهُ ولا يخذلُهُ ولا يُسلِمُهُ »(٢) ، وهٰذا من الإسلامِ والخذلانِ ؛ فإنَّ إهمالَهُ ليُمزَّقَ عرضُهُ كإهمالِهِ ليُمزَّقَ لحمُهُ ، وأخسسْ بأخٍ يراكَ والكلابُ تفترسُكَ وتمزِّقُ لحمَكَ وهوَ ساكتٌ لا تحركُهُ الشفقةُ والحميَّةُ للدفعِ عنكَ ، وتمزيقُ الأعراضِ أشدُّ على النفوسِ مِنْ تمزيقِ اللحومِ ، ولذلكَ شبَّهَهُ اللهُ تعالىٰ بأكلِ لحمِ الميتةِ فقالَ : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » (٩١) عن عبيد الله بن محمد التيمي قال : كان يقال . . . وذكره .

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٤) .

والمَلَكُ الذي يمثِّلُ في المنامِ ما تطالعُهُ الروحُ مِنَ اللوحِ المحفوظِ بالأمثلةِ المحسوسةِ يمثِّلُ الغيبةَ بأكلِ لحمِ الميتةِ ، حتَّىٰ إنَّ مَنْ رأىٰ أنَّهُ يأكلُ لحمَ ميتةٍ . . فإنَّهُ يغتابُ الناسَ ؛ لأنَّ ذلكَ المَلَكَ في تمثيلِهِ يراعي المشاركةَ والمناسبةَ بينَ الشيءِ وبينَ مثالِهِ في المعنى الذي يجري مِنَ المثالِ مَجرى الروحِ ، لا في ظاهرِ الصورِ .

فإذاً ؛ حمايةُ الأخوَّةِ بدفعِ ذمِّ الأعداءِ وتعنُّتِ المتعنِّتينَ واجبٌ في عقدِ الأخوَّةِ ، فقدْ قالَ مجاهدٌ : (لا تذكرْ أخاكَ في غيبتِهِ إلا كما تحبُّ أنْ يذكرَكَ في غيبتِكَ)(١) .

فإذاً ؛ لكَ فيهِ معيارانِ :

أحدُهما : أنْ تقدِّرَ أنَّ الذي قيلَ فيهِ لوْ قيلَ فيكَ وكانَ أخوكَ حاضراً . . ما الذي كنتَ تحبُّ أنْ يقولَهُ أخوكَ فيكَ ؟ فينبغي أنْ تعاملَ المتعرِّضَ لعرضِهِ بهِ .

والثاني : أنْ تقدِّرَ أنَّهُ حاضرٌ مِنْ وراءِ جدارٍ يتسمَّعُ قولَكَ ، ويظنُّ أنَّكَ لا تعرفُ حضورَهُ ، فما كانَ يتحرَّكُ في قلبِكَ مِنَ النصرةِ لهُ بمسمَعٍ منهُ ومرأىً . . فينبغي أنْ يكونَ في مغيبِهِ كذلكَ ، فقدْ قالَ بعضُهُمْ : (ما ذُكِرَ أخٌ لي بغيبٍ إلا تصوَّرتُهُ جالساً ، فقلتُ فيهِ ما يحبُّ أنْ يسمعَهُ لوْ حضرَ)(٢) .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢١٧) من وصية ابن عباس رضي الله عنهما لمجاهد .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢١٧) .

وقالَ آخرُ : (ما ذُكرَ أخٌ لي إلا تصوَّرْتُ نفسي في صورتِهِ ، فقلتُ فيهِ مثلَ ما أحبُّ أنْ يُقالَ فيَّ)[١] .

وهـٰذا مِنْ صدقِ الإسلامِ ، وهوَ ألا يرىٰ لأخيهِ إلا ما يراهُ لنفسِهِ .

وقدْ نظرَ أبو الدرداءِ إلىٰ ثورينِ يحرثانِ في فدَّانٍ[٢] ، فوقفَ أحدُهُما يحكُّ جسمَهُ ، فوقفَ الآخرُ ، فبكىٰ أبو الدرداءِ وقالَ : هـٰكذا الأخوانِ في اللهِ يعملانِ للهِ ، فإذا وقفَ أحدُهُما . . وافقَهُ الآخرُ[٣] .

وبالموافقةِ يتمُّ الإخلاصُ ، ومَنْ لمْ يكنْ مخلصاً في إخائِهِ . . فهوَ منافقٌ ، والإخلاصُ استواءُ الغيبِ والشهادةِ ، واللسانِ والقلبِ ، والسرِّ والعلانيةِ ، والجماعةِ والخلوةِ ، والاختلافُ والتفاوتُ في شيءٍ مِنْ ذلكَ مماذقةٌ في المودَّةِ[٤] ، وهوَ دَخَلٌ في الدينِ ، ووليجةٌ في طريقِ المؤمنينَ[٥] .

ومَنْ لا يقدرُ مِنْ نفسِهِ علىٰ هـٰذا . . فالانقطاعُ والعزلةُ أولىٰ بهِ مِنَ المؤاخاةِ والمصاحبةِ ؛ فإنَّ حقَّ الصحبةِ ثقيلٌ ، لا يطيقُهُ إلا محقِّقٌ ، فلا جرمَ أجرُهُ جزيلٌ لا ينالُهُ إلا موفَّقٌ ، ولذلكَ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « أبا هرٍّ ؛

---

[١] قوت القلوب (٢/ ٢١٧) .

[٢] **الفدَّان** : آلة الثورين للحرث ، وقد تقدم استعمال هـٰذه اللفظة .

[٣] قوت القلوب (٢/ ٢٢٨) .

[٤] يقال : فلان يمذق في الود ؛ إذا لم يخلصه ، فالمماذقة ضد المخالصة .

[٥] السياق عند صاحب « القوت » (٢/ ٢١٨) .

أحسنْ مجاورةَ مَنْ جاورَكَ . . تكنْ مسلماً ، وأحسنْ مصاحبةَ مَنْ صاحبَكَ . . تكنْ مؤمناً »(١) .

فانظرْ كيفَ جعلَ الإيمانَ جزاءَ الصحبةِ ، والإسلامَ جزاءَ الجوارِ ، والفرقُ بينَ فضْلِ الإيمانِ وفضلِ الإسلامِ علىٰ حدِّ الفرقِ بينَ المشقَّةِ في القيامِ بحقِّ الجوارِ والقيامِ بحقِّ الصحبةِ ؛ فإنَّ الصحبةَ تقتضي حقوقاً كثيرةً في أحوالٍ متقاربةٍ مترادفةٍ ، بلْ على الدوامِ ، والجوارُ لا يقتضي إلا حقوقاً قريبةً في أوقاتٍ متباعدةٍ لا تدومُ .

* * *

ومِنْ ذلكَ : التعليمُ والنصيحةُ : فليسَ حاجةُ أخيكَ إلى العلمِ بأقلَّ مِنْ حاجتِهِ إلى المالِ ، فإنْ كنتَ غنياً بالعلمِ . . فعليكَ مواساتُهُ مِنْ فضلِكَ ، وإرشادُهُ إلىٰ كلِّ ما ينفعُهُ في الدينِ والدنيا ، فإنْ علَّمْتَهُ وأرشدتَهُ ، فلمْ يعملْ بمقتضى العلمِ . . فعليكَ نصحُهُ ، وذلكَ بأنْ تذكرَ آفاتِ ذلكَ الفعلِ ، وفوائدَ تركِهِ ، وتخوِّفَهُ بما يكرهُهُ في الدنيا والآخرةِ لينزجرَ عنهُ ، وتنبهَهُ علىٰ عيوبِهِ ، وتقبِّحَ القبيحَ في عينِهِ ، وتحسِّنَ الحسنَ .

ولكنْ ينبغي أنْ يكونَ ذلكَ في سرٍّ لا يطلعُ عليهِ أحدٌ ، فما كانَ على

---

(١) رواه القضاعي في « مسند الشهاب » (٦٤٢) ، والديلمي في « مسند الفردوس » (١٧٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ المصنف ، وروى ابن ماجه (٤٢١٧) القطعة الأولىٰ منه ، وهو عند الترمذي (٢٣٠٥) بلفظ : (مؤمناً) بدل (مسلماً) .

الملأِ . . فهوَ توبيخٌ وفضيحةٌ ، وما كانَ في السرِّ . . فهوَ شفقةٌ ونصيحةٌ ؛ إذْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ »(١) أيْ : يرىٰ منهُ ما لا يرىٰ مِنْ نفسِهِ ، فيستفيدُ المرءُ بأخيهِ معرفةَ عيوبِ نفسِهِ ، ولوِ انفردَ . . لمْ يستفدْ ؛ كما يستفيدُ بالمرآةِ الوقوفَ علىٰ عيوبِ صورتِهِ الظاهرةِ .

وقالَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (مَنْ وعظَ أخاهُ سرّاً . . فقدْ نصحَهُ وزانَهُ ، ومَنْ وعظَهُ علانيةً . . فقدْ فضحَهُ وشانَهُ)(٢) .

وقيلَ لِمِسْعَرٍ : تحبُّ مَنْ يخبرُكَ بعيوبِكَ ؟ فقالَ : إنْ نصحَني فيما بيني وبينَهُ . . فنعمْ ، وإنْ قرَّعَني بينَ الملأِ . . فلا(٣) .

وقدْ صدقَ ؛ فإنَّ النصحَ على الملأِ فضيحةٌ ، واللهُ تعالىٰ يعاتبُ المؤمنَ يومَ القيامةِ تحتَ كنفِهِ وفي ظلِّ سترِهِ ، فيوقفُهُ علىٰ ذنوبِهِ سرّاً(٤) .

وقدْ يدفعُ كتابَ عملِهِ مختوماً إلى الملائكةِ الذينَ يحفونَ بهِ إلى الجنَّةِ ، فإذا قاربوا بابَ الجنَّةِ . . أعطَوهُ الكتابَ مختوماً ليقرأَهُ ، وأمَّا أهلُ المقْتِ . . فينادونَ علىٰ رؤوسِ الأشهادِ ، وتُستنطقُ جوارحُهُمْ بفضائِحِهِمْ ، فيزدادون بذلكَ خزْياً وافتضاحاً ، نعوذُ باللهِ مِنَ الخزيِ يومَ العرْضِ الأكبرِ .

فالفرقُ بينَ التوبيخِ والنصيحةِ بالإسرارِ والإعلانِ ؛ كما أنَّ الفرقَ بينَ

---

(١) رواه أبو داوود (٤٩١٨) بلفظه ، ونحوه عند الترمذي (١٩٢٩) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ١٤٠) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٢٨١) ، وابن الطيوري في « الطيوريات » (٣٤٦) .

(٤) السياق عند صاحب « القوت » (٢/ ٢٢١) ، والخبر سيأتي .

المداراةِ والمداهنةِ بالغرضِ الباعثِ على الإغضاءِ ، فإنْ أغضيتَ لسلامةِ دينِكَ ، ولما ترىٰ فيهِ مِنْ إصلاحِ أخيكَ بالإغضاءِ . . فأنتَ مدارٍ ، وإنْ أغضيتَ لحظِّ نفسِكَ ، واجتلابِ شهواتِكَ ، وسلامةِ جاهِكَ . . فأنتَ مداهنٌ .

وقالَ ذو النونِ : (لا تصحبْ معَ اللهِ إلا بالموافقةِ ، ولا معَ الخلقِ إلا بالمناصحةِ ، ولا معَ النفسِ إلا بالمخالفةِ ، ولا معَ الشيطانِ إلا بالعداوةِ)(١) .

* * *

فإنْ قلتَ : إذا كانَ في النصحِ ذكرُ العيوبِ ، وفيهِ إيحاشٌ للقلبِ ، فكيفَ يكونُ ذلكَ مِنْ حقِّ الأخوَّةِ ؟

فاعلمْ : أنَّ الإيحاشَ إنَّما يحصلُ مِنْ ذكرِ عيبٍ يعلمُهُ أخوكَ مِنْ نفسِهِ ، فأمَّا تنبيهُهُ علىٰ ما لا يعلمُهُ . . فهوَ عينُ الشفقةِ ، وهوَ استمالةٌ للقلوبِ ؛ أعني : قلوبَ العقلاءِ ، وأمَّا الحمقىٰ . . فلا يُلتفتُ إليهِمْ ؛ فإنَّ مَنْ ينبهُكَ علىٰ فعلٍ مذمومٍ تعاطيتَهُ ، أوْ صفةٍ مذمومةٍ اتصفتَ بها ؛ لتزكِّيَ نفسَكَ عنها . . كانَ كمَنْ ينبهُكَ علىٰ حيَّةٍ أوْ عقربٍ تحتَ ذيلِكَ وقدْ همَّتْ بإهلاكِكَ ، فإنْ كنتَ تكرهُ ذلكَ . . فما أشدَّ حمقَكَ !

والصفاتُ الذميمةُ عقاربُ وحيَّاتٌ ، وهيَ في الآخرةِ مهلكاتٌ ، فإنَّها

---

(١) الرسالة القشيرية (ص٤٨٩) .

تلدغُ القلوبَ والأرواحَ ، وألمُها شديدٌ ، بلْ أشدُّ ممَّا يلدغُ الظواهرَ والأجسادَ ، وهيَ مخلوقةٌ مِنْ نارِ اللهِ الموقدةِ ، التي تطلعُ على الأفئدةِ .

ولذلكَ كانَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ يستهدي ذلكَ مِنْ إخوانِهِ ويقولُ : (رحمَ اللهُ امرأً أهدىٰ إلىٰ أخيهِ عيوبَهُ)(١) .

ولذلكَ قالَ عمرُ لسلمانَ وقدْ قدمَ عليهِ : ما الذي بلغَكَ منِّي ممَّا تكرهُ ، فاستعفىٰ ، فألحَّ عليهِ ، فقالَ : بلغَني أنَّ لكَ حلَّتينِ ؛ تلبسُ إحداهُما بالنهارِ ، والأخرىٰ بالليلِ ، وبلغَني أنَّكَ جمعتَ بينَ إدامينِ علىٰ مائدةٍ واحدةٍ ، فقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : أمَّا هـٰذانِ . . فقدْ كُفيتَهُما ، فهلْ بلغَكَ غيرُهُما ؟ فقالَ : لا(٢) .

وكتبَ حذيفةُ المرعشيُّ إلىٰ يوسفَ بنِ أسباطٍ : (بلغَني أنَّكَ بعتَ دينَكَ بحبَّتينِ ، وقفتَ علىٰ صاحبِ لبنٍ ، فقلتَ : بكمْ هـٰذا ؟ فقالَ : بسدسٍ ، فقلتَ : لا ، بثُمُنٍ ، فقالَ : هوَ لكَ ، وكانَ يعرفُكَ ، اكشفْ عنْ رأسِكَ قناعَ الغافلينَ ، وانتبهْ عنْ رقدةِ الموتىٰ ، واعلمْ أنَّ مَنْ قرأَ القرآنَ فلمْ يستغنِ ، وآثرَ الدنيا . . لمْ يأمنْ أنْ يكونَ بآياتِ اللهِ مِنَ المستهزئينَ)(٣) .

وقدْ وصفَ اللهُ تعالى الكاذبينَ ببغضِهِمْ للناصحينَ إذْ قالَ : ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٢١) .

(٢) رواه البيهقي في « الشعب » (١٠١٧٠) .

(٣) رواه الآجري في « أخلاق حملة القرآن » (٣٢) .

وهـٰذا في عيبٍ هوَ غافلٌ عنهُ ، فأمَّا ما علمتَ أنَّهُ يعلمُهُ مِنْ نفسِهِ ، وإنَّما هوَ مقهورٌ عليهِ مِنْ طبعِهِ . . فلا ينبغي أنْ يُكشفَ فيهِ سترُهُ إنْ كانَ يخفيهِ ، وإنْ كانَ يظهرُهُ . . فلا بدَّ مِنَ التلطُّفِ في النصحِ ؛ بالتعريضِ مرَّةً ، وبالتصريحِ أخرىٰ ، إلىٰ حدٍّ لا يؤدِّي إلى الإيحاشِ .

فإنْ علمتَ أنَّ النصحَ غيرُ مؤثِّرٍ فيهِ ، وأنَّهُ مضطرٌّ مِنْ طبعِهِ إلى الإصرارِ عليهِ . . فالسكوتُ عنهُ أولىٰ ، **وهـٰذا كلُّهُ فيما يتعلَّقُ بمصالحِ أخيكَ في دينِهِ أوْ دنياهُ** .

* * *

فأمَّا ما يتعلَّقُ بتقصيرِهِ في حقِّكَ . . فالواجبُ فيهِ الاحتمالُ ، والعفوُ والصفحُ ، والتعامي عنهُ ، فالتعرُّضُ لذلكَ ليسَ مِنَ النصحِ في شيءٍ ، نعمْ ، إنْ كانَ بحيثُ يؤدِّي استمرارُهُ عليهِ إلى القطيعةِ . . فالعتابُ في السرِّ خيرٌ مِنَ القطيعةِ ، والتعريضُ بهِ خيرٌ مِنَ التصريحِ ، والكتابةُ خيرٌ مِنَ المشافهةِ ، **والاحتمالُ خيرٌ مِنَ الكلِّ** ؛ إذْ ينبغي أنْ يكونَ قصدُكَ مِنْ أخيكَ إصلاحَ نفسِكَ بمراعاتِكَ إيَّاهُ ، وقيامِكَ بحقِّهِ ، واحتمالِكَ تقصيرَهُ ، لا الاستعانةَ بهِ والاسترفاقَ منهُ .

قالَ أبو بكرٍ الكَتَّانيُّ : (صحبَني رجلٌ وكانَ علىٰ قلبي ثقيلاً ، فوهبتُهُ يوماً شيئاً علىٰ أنْ يزولَ ما في قلبي ، فلمْ يزلْ ، فأخذتُ بيدِهِ يوماً إلى البيتِ ، وقلتُ لهُ : ضعْ رجلَكَ علىٰ خدِّي ، فأبىٰ ، فقلتُ :

لا بدَّ ، ففعلَ ، فزالَ ذلكَ مِنْ قلبي)(١) .

وقالَ أبو عليٍّ الرباطيُّ : صحبتُ عبدَ اللهِ الرازيَّ ، وكانَ يدخلُ الباديةَ ، فقالَ : علىٰ أنْ تكونَ أنتَ الأميرَ أوْ أنا ؟ فقلتُ : بلْ أنتَ ، فقالَ : وعليكَ الطاعةُ ؟ فقلتُ : نعمْ ، فأخذَ مخلاةً ، ووضعَ فيها الزادَ ، وحملَها علىٰ ظهرِهِ ، فإذا قلتُ لهُ : أعطني . . قالَ : ألستَ قلتَ : أنتَ الأميرُ ؟ فعليكَ الطاعةُ ، فأخذَنا المطرُ ليلةً ، فوقفَ علىٰ رأسي إلى الصباحِ وعليهِ كساءٌ وأنا جالسٌ يمنعُ عنِّي المطرَ ، فكنتُ أقولُ معَ نفسي : ليتني متُّ ولمْ أقلْ : أنتَ الأميرُ(٢) .

* * *

---

(١) رواه القشيري في « رسالته » (ص٤٨٨) وفيه : (فقلت : لا بد ، ففعل ، واعتقدت أن لا يرفع رجله من خدي حتىٰ يرفع الله من قلبي ما كنت أجده ، فلما زال عن قلبي ما كنت أجده . . قلت له : ارفع رجلك الآن) ، وإنما أهدىٰ له أولاً عملاً بخبر : « تهادوا تحابوا » فلما لم يرفع الثقل عنه . . عمد إلى اتهام نفسه ، والتسبب في إزالة ما انطوىٰ له في باطنه . انظر « عوارف المعارف » (٢/ ٧٦٣) ، و« الإتحاف » (٦/ ٢٢٦) .

(٢) الرسالة القشيرية (ص٤٨١) .

الحقّ الخامس : العفو عن الزّلات والهفوات

وهفوةُ الصديقِ لا تخلُو : إمَّا أنْ تكونَ في دينِهِ بارتكابِ معصيةٍ ، أوْ في حقِّكَ بتقصيرٍ في الأخوَّةِ .

أمَّا ما يكونُ في الدينِ مِنِ ارتكابِ معصيةٍ والإصرارِ عليها : فعليكَ التلطُّفُ في نصحِهِ بما يقيمُ أودَهُ ، ويجمعُ شملَهُ ، ويعيدُ إلى الصلاحِ والورعِ حالَهُ ، فإنْ لمْ تقدرْ ، وبقيَ مصرّاً . . فقدِ اختلفَتْ طرقُ الصحابةِ والتابعينَ في إدامةِ حقِّ مودَّتِهِ أوْ مقاطعتِهِ .

فذهبَ أبو ذرٍّ رضيَ اللهُ عنهُ إلى الانقطاعِ ، وقالَ : (إذا انقلبَ أخوكَ عمَّا كانَ عليهِ . . فأبغضْهُ مِنْ حيثُ أحببتَهُ)(١) ، ورأىٰ ذلكَ مِنْ مقتضى الحبِّ في اللهِ والبغضِ في اللهِ .

وأمَّا أبو الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ وجماعةٌ مِنَ الصحابةِ . . فذهبوا إلىٰ خلافِهِ ، فقالَ أبو الدرداءِ : (إذا تغيَّرَ أخوكَ وحالَ عمَّا كانَ عليهِ . . فلا تدعْهُ لأجلِ ذلكَ ، فإنَّ أخاكَ يعوجُّ مرَّةً ويستقيمُ أخرىٰ)(٢) .

وقالَ إبراهيمُ النخعيُّ : (لا تقطعْ أخاكَ ، ولا تهجرْهُ عندَ الذنبِ

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢١٨) والسياق عنده .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢١٨) .

بذنبِهِ ، فإنَّهُ يرتكبُهُ اليومَ ويتركُهُ غداً)(١) .

وقالَ أيضاً : (لا تحدِّثوا الناسَ بزلَّةِ العالِمِ ؛ فإنَّ العالمَ يزلُّ الزلَّةَ ثمَّ يتركُها)(٢) .

وفي الخبرِ : « اتقوا زلَّةَ العالِمِ ولا تقطعوهُ وانتظروا فيئتَهُ »(٣) .

وفي حديثِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ وقدْ سألَ عنْ أخٍ كانَ آخاهُ ، فخرجَ إلى الشامِ ، فسألَ عنهُ بعضَ مَنْ قدمَ عليهِ فقالَ : ما فعلَ أخي ؟ فقالَ : ذلكَ أخو الشيطانِ ، قالَ : مَهْ ، قالَ : إنَّهُ قارفَ الكبائرَ حتَّىٰ وقعَ في الخمرِ ، قالَ : إذا أردتَ الخروجَ . . فآذنِّي ، فكتبَ عندَ خروجِهِ إليهِ : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ حمٓ ۞ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۞ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ . . . ﴾ الآيَةَ ، ثمَّ عاتبَهُ تحتَ ذلكَ وعذلَهُ ، فلمَّا قرأَ الكتابَ . . بكىٰ ، وقالَ : صدقَ اللهُ ونصحَ لي عمرُ ، فتابَ ورجعَ(٤) .

وحُكِيَ أنَّ أخوينِ ابتُلِيَ أحدُهُما بهوىً ، فأظهرَ عليهِ أخاهُ وقالَ : إنِّي قدِ

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢١٨) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢١٨) .

(٣) رواه ابن عدي في « الكامل » (٦/ ٦٠) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ٢١١) من حديث عمرو بن عوف مرفوعاً .

(٤) كذا في « القوت » (٢/ ٢١٨) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٩٧) بنحوه ، وزاد من قول عمر رضي الله عنه بعد أن بلغته أوبته : (هكذا فاصنعوا ، إذا رأيتم أخاً لكم زل زلة . . فسددوه ووفقوه ، وادعوا الله أن يتوب عليه ، ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه) .

اعتللتُ(١) ، فإنْ شئتَ ألا تعقدَ علىٰ محبَّتي للهِ . . فافعلْ ، فقالَ : ما كنتُ لأَحُلَّ عقْدَ أخوَّتكَ لأجلِ خطيئتِكَ أبداً ، ثمَّ عقدَ أخوهُ بينَهُ وبينَ اللهِ ألا يأكلَ ولا يشربَ حتَّىٰ يُعافيَ اللهُ أخاهُ مِنْ هواهُ ، فطوىٰ أربعينَ يوماً في كلِّها يسألُهُ عنْ هواهُ ، فكانَ يقولُ : القلبُ مقيمٌ علىٰ حالِهِ ، وما زالَ هوَ ينحَلُ مِنَ الغمِّ والجوعِ ، حتَّىٰ زالَ الهوىٰ عنْ قلبِ أخيهِ بعدَ الأربعينَ ، فأخبرَهُ بذلكَ ، فأكلَ وشربَ بعدَ أنْ كادَ يتلفُ هزالاً وضرّاً(٢) .

وكذلكَ حُكِيَ عنْ أخوينِ مِنَ السلفِ انقلبَ أحدُهُما عنِ الاستقامةِ ، فقيلَ لأخيهِ : ألا تقطعُهُ وتهجرُهُ ؟ فقالَ : أحوجُ ما كانَ إليَّ في هـٰذا الوقتِ لمَّا وقعَ في عثرتِهِ أنْ آخُذَ بيدِهِ ، وأتلطَّفَ لهُ في المعاتبةِ ، وأدعوَ لهُ بالعَوْدِ إلىٰ ما كانَ عليهِ(٣) .

ورُوِيَ في الإسرائيلياتِ : أنَّ أخوينِ عابدينِ كانا في جبلٍ نزلَ أحدُهُما يشتري مِنَ المصرِ لحماً بدرهمٍ ، فرأىٰ بغيّاً عند اللحَّامِ ، فرمقَها وعشقَها ، واجتذبَها إلى خلوةٍ وواقعَها ، ثمَّ أقامَ عندَها ثلاثاً ، واستحيا أنْ يرجعَ إلىٰ أخيهِ ؛ حياءً مِنْ جنايتِهِ ، قالَ : فافتقدَهُ أخوهُ واهتمَّ بشأنِهِ ، فنزلَ إلى المدينةِ ، فلمْ يزلْ يسألُ عنهُ حتَّىٰ دُلَّ عليهِ ، فدخلَ عليهِ وهوَ جالسٌ معَها ،

---

(١) أي : أصابتني علة العشق . « إتحاف » (٦/ ٢٢٨) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٢٣) .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢٢٣) .

فاعتنقَهُ وجعلَ يقبِّلُهُ ويلتزمُهُ ، وأنكرَ الآخرُ أنَّهُ يعرفُهُ لفرْطِ استحيائِهِ منهُ ، فقالَ : قمْ يا أخي ؛ فقدْ علمتُ شأنَكَ وقصَّتَكَ ، وما كنتَ قطُّ أحبَّ إليَّ ولا أعزَّ عليَّ مِنْ ساعتِكَ هـٰذهِ ، فلمَّا رأىٰ أنَّ ذلكَ لمْ يسقطْهُ مِنْ عينِهِ . . قامَ فانصرفَ معَهُ(١) .

فهـٰذهِ طريقةُ قومٍ ، وهيَ ألطفُ وأفقهُ مِنْ طريقةِ أبي ذرٍّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وطريقتُهُ أخشنُ وأسلمُ(٢) .

* * *

فإنْ قلتَ : ولِمَ قلتَ : (هـٰذهِ ألطفُ وأفقهُ) ومقارفُ هـٰذهِ المعصيةِ لا تجوزُ مؤاخاتُهُ ابتداءً ، فتجبُ مقاطعتُهُ انتهاءً ؛ لأنَّ الحكمَ إذا ثبتَ بعلَّةٍ . . فالقياسُ أنْ يزولَ بزوالِها ، وعلَّةُ عقْدِ الأخوَّةِ التعاونُ في الدينِ ، ولا يستمرُّ ذلكَ معَ مقارفةِ المعصيةِ ؟

فأقولُ : أمَّا كونُها ألطفَ . . فلما فيها مِنَ الرفقِ والاستمالةِ والتعطُّفِ المفضي إلى الرجوعِ والتوبةِ ؛ لاستمرارِ الحياءِ عندَ دوامِ الصحبةِ ، ومهما قوطعَ وانقطعَ طمعُهُ عنِ الصحبةِ . . أصرَّ واستمرَّ .

وأمَّا كونُها أفقهَ . . فمِنْ حيثُ إنَّ الأخوَّةَ عقدٌ ينزَّلُ منزلةَ القرابةِ ، فإذا انعقدَتْ . . تأكَّدَ الحقُّ ، ووجبَ الوفاءُ بموجَبِ العقدِ ، ومِنَ الوفاءِ بهِ ألا

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٢٤) .

(٢) في (ج) : (أحسن وأسلم) .

يُهملَ أيامَ حاجتِهِ وفقرِهِ ، وفقرُ الدينِ أشدُّ مِنْ فقْرِ المالِ ، وقدْ أصابَتْهُ جائحةٌ ، وألَمَّتْ بهِ آفةٌ افتقرَ بسببِها في دينِهِ ، فينبغي أنْ يُراقبَ ويُراعىٰ ولا يُهملَ ، بل لا يزالُ يُتلطَّفُ بهِ ليُعانَ على الخلاصِ مِنْ تلكَ الوقعةِ التي ألَمَّتْ بهِ ، فالأخوَّةُ عُدَّةٌ للنائباتِ وحوادثِ الزمانِ ، وهٰذا مِنْ أشدِّ النوائبِ .

والفاجرُ إذا صحبَ تقياً وهوَ ينظرُ إلىٰ خوفِهِ ومداومتِهِ(١) . . فسيرجعُ علىٰ قرْبٍ ، ويستحيي مِنَ الإصرارِ ، بلِ الكسلانُ يصحبُ الحريصَ في العملِ فيحرصُ حياءً منهُ .

قالَ جعفرُ بنُ سليمانَ : (مهما فترتُ في العملِ . . نظرتُ إلىٰ محمدِ بنِ واسعٍ وإقبالِهِ على الطاعةِ ؛ فيرجعُ إليَّ نشاطي في العبادةِ ، وفارقَني الكسلُ ، وعملتُ عليهِ أسبوعاً)(٢) .

وهٰذا التحقيقُ ، وهوَ أنَّ الصداقةَ لُحمةٌ كلُحمةِ النسبِ ، والقريبُ لا يجوزُ أنْ يُهجرَ بالمعصيةِ ، ولذلكَ قالَ اللهُ تعالىٰ لنبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في عشيرتِهِ : ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ ولمْ يقلْ : إنِّي بريءٌ مِنكُم ؛ مراعاةً لحقِّ القرابةِ ولحمةِ النسبِ(٣) .

---

(١) أي : ينظر إلىٰ دوام خوف هٰذا التقي من الله عز وجل .

(٢) روى الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٣٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٤٧) عن جعفر بن سليمان قال : (كنت إذا وجدت من قلبي قسوة . . نظرت إلىٰ وجه محمد بن واسع نظرة ، وكنت إذا رأيت وجه محمد بن واسع . . حسبت أن وجهه وجه ثكلىٰ) .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢١٨) ، **واللُّحمة** : القرابة أو الاختلاط .

وإلىٰ هـٰذا أشارَ أبو الدرداءِ لمَّا قيلَ لهُ : ألا تبغضُ أخاكَ وقدْ فعلَ كذا ؟ فقالَ : إنَّما أبغضُ عملَهُ ، وإلا . . فهوَ أخي[١] .

وأخوَّةُ الدينِ آكدُ مِنْ أخوَّةِ القرابةِ ، ولذلكَ قيلَ لحكيمٍ[٢] : أيُّما أحبُّ إليكَ : أخوكَ أوْ صديقُكَ ؟ فقالَ : إنَّما أحبُّ أخي إذا كانَ صديقاً .

وكانَ الحسنُ يقولُ : (كمْ مِنْ أخٍ لـمْ تلدْهُ أمُّكَ)[٣] .

ولذلكَ قيلَ : القرابةُ تحتاجُ إلىٰ مودَّةٍ ، والمودَّةُ لا تحتاجُ إلىٰ قرابةٍ[٤] .

وقالَ جعفرٌ الصادقُ رضيَ اللهُ عنهُ : (مودَّةُ يومٍ صلةٌ ، ومودَّةُ شهرٍ قرابةٌ ، ومودَّةُ سنةٍ رحمٌ ماسَّةٌ ، مَنْ قطعَها . . قطعَهُ اللهُ)[٥] .

فإذاً ؛ الوفاءُ بعقْدِ الأخوَّةِ إذا سبقَ انعقادُها واجبٌ ، **وهـٰذا جوابُنا عنِ**

---

[١] رواه عبد الرزاق في « المصنف » (١١/ ١٨٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٢٥) ولفظه عندهما : أن أبا الدرداء مرَّ علىٰ رجل قد أصاب ذنباً ، فكانوا يسبونه ، فقال : أرأيتم لو وجدتموه في قَليب . . ألم تكونوا مستخرجيه ؟ قالوا : بلىٰ ، قال : فلا تسبوا أخاكم ، واحمدوا الله الذي عافاكم ، قالوا : أفلا تبغضه ؟ قال : إنما أبغض عمله ، فإذا تركه . . فهو أخي . والخبر عند صاحب « القوت » (٢/ ٢١٨) متوازع بين روايتين كذلك .

[٢] أي : حكيم بن مرَّة ، وهو كلاب ، أحد أجداد المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، صرح بنسبة القول له أبو طالب في « القوت » (٢/ ٢١٨) ، وقول الماوردي في « أدب الدنيا والدين » (ص٢٤٥) : (وقد قيل لبعض قريش : أيما . . .) .

[٣] رواه ابن أبي الدنيا في « الإخوان » (٨٢) .

[٤] قوت القلوب (٢/ ٢١٨) .

[٥] أورده السلمي في « آداب الصحبة » (١٦٩) .

ابتداءِ المؤاخاةِ معَ الفاسقِ ؛ فإنَّهُ لمْ يتقدَّمْ لهُ حقٌّ ، فإذا تقدَّمَتْ لهُ قرابةٌ . . فلا جرمَ لا ينبغي أنْ يقاطعَ ، بلْ يجاملُ ، والدليلُ علىٰ ذلكَ : أنَّ تركَ المؤاخاةِ والصحبةِ ابتداءً ليسَ بمذمومٍ ولا مكروهٍ ، بلْ قالَ قائلونَ : الانفرادُ أولىٰ ، فأمَّا قطعُ الأخوَّةِ عنْ دوامِها . . فمنهيٌّ عنهُ ، ومذمومٌ في نفسِهِ ، ونسبتُهُ إلىٰ تركِها ابتداءً كنسبةِ الطلاقِ إلىٰ تركِ النكاحِ ، فالطلاقُ أبغضُ إلى اللهِ تعالىٰ مِنْ تركِ النكاحِ ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « شرارُ عبادِ اللهِ تعالى المشَّاؤونَ بالنميمةِ ، المفرِّقونَ بينَ الأحبَّةِ »[1] .

وقالَ بعضُ السلفِ في زلاتِ الإخوانِ : (ودَّ الشيطانُ أنْ يلقيَ علىٰ أخيكُمْ مثلَ هـٰذا ؛ حتَّىٰ تهجروهُ وتقطعوهُ ، فماذا اتقيتُمْ منْ محبَّةِ عدوِّكُمْ ؟!)[2] .

وهـٰذا لأنَّ التفرُّقَ بينَ الأحبابِ مِنْ محابِّ الشيطانِ ، كما أنَّ مقارفةَ العصيانِ مِنْ محابِّهِ ، فإذا حصَّلَ الشيطانُ أحدَ غرضيهِ . . فلا ينبغي أنْ يُضافَ إليهِ الآخرُ ، وإلىٰ هـٰذا أشارَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في الذي شتمَ الرجلَ الذي أتىٰ فاحشةً إذ قالَ : « مَهْ ـ وزبرَهُ ـ لا تكونوا عوناً للشيطانِ علىٰ أخيكُمْ »[3] .

فبهـٰذا كلِّهِ يتبيَّنُ الفرقُ بينَ الدوامِ والابتداءِ ؛ لأنَّ مخالطةَ الفسَّاقِ

---

[1] رواه أحمد في « المسند » (٤/٢٢٧) عن عبد الرحمـٰن بن غنم بلاغاً ، ولفظه : « خيار عباد الله الذين إذا رُؤوا . . ذكر الله ، وشرار عباد الله المشَّاؤون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة » الحديث .

[2] قوت القلوب (٢/٢١٨) .

[3] رواه البخاري (٦٧٨١) ولفظه : « لا تكونوا عون الشيطان علىٰ أخيكم » .

محذورةٌ ، ومفارقةَ الأحبابِ والإخوانِ أيضاً محذورةٌ ، وليسَ مَنْ سلِمَ عنْ معارضةِ غيرِهِ كالذي لمْ يسلمْ ، وفي الابتداءِ قدْ سلِمَ ، فرأينا أنَّ المهاجرةَ والتباعدَ هوَ الأولىٰ ، وفي الدوامِ تعارضا ، فكانَ الوفاءُ بحقِّ الأخوَّةِ أولىٰ ، هـٰذا كلُّهُ في زلَّتِهِ في دينِهِ .

* * *

أمَّا زلَّتُهُ في حقِّهِ بما يوجبُ إيحاشَهُ : فلا خلافَ في أنَّ الأولى العفوُ والاحتمالُ ، بلْ كلُّ ما يحتملُ تنزيلُهُ علىٰ وجهٍ حسنٍ ، ويُتصوَّرُ تمهيدُ عذرٍ فيهِ ، قريبٍ أوْ بعيدٍ . . فهوَ واجبٌ بحقِّ الأخوَّةِ ، فقدْ قيلَ : ينبغي أنْ تستنبطَ لزلَّةِ أخيكَ سبعينَ عذراً ، فإنْ لمْ يقبلْهُ قلبُكَ . . فردَّ اللومَ علىٰ نفسِكَ ، فتقولُ لقلبِكَ : ما أقساكَ ! يعتذرُ إليكَ أخوكَ سبعينَ عذراً فلا تقبلُهُ ؟! فأنتَ المعيبُ لا أخوكَ(١) ، فإنْ ظهرَ بحيثُ لمْ يقبلِ التحسينَ . . فينبغي ألا تغضبَ إنْ قدرتَ ، ولكنْ ذلكَ لا يمكنُ ، وقدْ قالَ الشافعيُّ رحمَهُ اللهُ : (مَنِ استُغضبَ فلمْ يغضبْ . . فهوَ حمارٌ ، ومَنِ استُرضيَ فلمْ يرضَ . . فهوَ شيطانٌ)(٢) ، فلا تكنْ حماراً ولا شيطاناً ، واسترضِ قلبَكَ بنفسِكَ نيابةً عنْ أخيكَ ، واحترزْ أنْ تكونَ شيطاناً إنْ لمْ تقبلْ .

---

(١) وقد روى السلمي في « آداب الصحبة » (١٤) عن حمدون القصار قال : (إذا زل أخ من إخوانكم . . فاطلبوا له سبعين عذراً ، فإن لم تقبله قلوبكم . . فاعلموا أن المعيب أنفسكم ؛ حيث ظهر لمسلم سبعون عذراً فلم تقبله) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/١٤٣) .

وقالَ الأحنفُ : (حقُّ الصديقِ أنْ تحتملَ منهُ ثلاثاً : ظلمُ الغضبِ ، وظلمُ الدالَّةِ ، وظلمُ الهفوةِ)(١) .

وقالَ آخرُ : (ما شتمتُ أحداً قطُّ ؛ لأنَّهُ إنْ شتمَني كريمٌ . . فأنا أحقُّ مَنْ غفرَها لهُ ، أوْ لئيمٌ . . فلا أجعلُ عرضي لهُ غرضاً)(٢) ، ثمَّ تمثَّلَ وقالَ(٣) : [من الطويل]

وَأَغْفِرُ عَوْراءَ(٤) ٱلْكَرِيمِ ٱدِّخارَهُ   وَأُعْرِضُ عَنْ شَتْمِ ٱللَّئِيمِ تَكَرُّما

وقدْ قيلَ(٥) : [من مجزوء الكامل]

خُذْ مِنْ خليلِكَ ما صَفا   وَدَعِ ٱلَّذي فِيهِ ٱلْكَدَرْ
فَٱلْعُمْرُ أَقْصَرُ مِنْ مُعا   تَبَةِ ٱلْخَلِيلِ عَلَى ٱلْغِيَرْ

ومهما اعتذرَ أخوكَ كاذباً كانَ أوْ صادقاً . . فاقبلْ عذرَهُ، قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «مَنِ اعتذرَ إليهِ أخوهُ فلمْ يقبلْ . . فعليهِ مثلُ إثْمِ صاحبِ المكسِ»(٦) .

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٤/ ٣٤٢) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الحلم » (١١٧) مع التمثُّلِ الآتي .

(٣) البيت لحاتم الطائي في « ديوانه » (ص٢٢٤) .

(٤) **العوراء** : الكلمة القبيحة .

(٥) البيت لديك الجن في « ديوانه » (ص٢٥٧) .

(٦) رواه ابن ماجه (٣٧١٨) عن جُودان مرفوعاً ، وهو مختلف في صحبته ، وقد رواه له كذلك البغويُّ في « معجم الصحابة » (١/ ٥٠٦) ، والطبراني في « الكبير » (٢/ ٢٧٥) ، ورواه في « الأوسط » (٨٦٣٩) عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً ، **وصاحب المكس** : هو ما يأخذه أعوان السلطان ظلماً عند البيع والشراء ، وفي معنى =

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « المؤمنُ سريعُ الغضبِ ، سريعُ الرضا »(١) ، فلمْ يصفْهُ بأنَّهُ لا يغضبُ .

وكذلكَ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ ولمْ يقلْ : (والفاقدينَ الغيظَ) ، وهـٰذا لأنَّ العادةَ لا تنتهي إلىٰ أنْ يُجرحَ الإنسانُ فلا يتألَّمَ ، بلْ تنتهي إلىٰ أنْ يصبرَ عليهِ ويحتملَ ، وكما أنَّ التألُّمَ بالجرحِ مُقْتَضىٰ طبعِ البدنِ . . فالتألُّمُ بأسبابِ الغضبِ طبعٌ للقلبِ لا يمكنُ قلعُهُ ، ولكنْ يمكنُ ضبطُهُ وكظمُهُ ، والعملُ بخلافِ مقتضاهُ ، فإنَّهُ يقتضي التشفِّيَ والانتقامَ والمكافأةَ ، وتركُ العملِ بمقتضاهُ ممكنٌ ، وقدْ قالَ الشاعرُ(٢) : [من الطويل]

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخاً لا تَلُمُّهُ عَلَىٰ شَعَثٍ أَيُّ ٱلرِّجالِ ٱلْمُهَذَّبُ(٣)

قالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ لأحمدَ بنِ أبي الحَواري : إذا واخيتَ أخاً في هـٰذا الزمانِ . . فلا تعاتبْهُ علىٰ ما تكرهُهُ ، فإنَّكَ لا تأمنُ أنْ ترىٰ في جوابِهِ

= الحديث أن من صفات الله تعالىٰ قبول الاعتذار والعفو عن الزلات ، فمن أبىٰ واستكبر عن ذلك . . فقد عرض نفسه لغضب الله ومقته . انظر « الإتحاف » (٦/ ٢٣٢) .

(١) نسب الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٦/ ٢٣٢) لفظه لصاحب « القوت » وزاد : (فهـٰذه بهـٰذه) ، وقد روىٰ نحوه الترمذي (٢١٩١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً ، وفيه : « ألا إن بني آدم خلقوا علىٰ طبقات شتىٰ » إلىٰ أن قال صلى الله عليه وسلم : « ومنهم سريع الغضب سريع الفيء ، فتلك بتلك » .

(٢) البيت للنابغة الذبياني في « ديوانه » (ص ٧٤) .

(٣) لا تلمه : لا تصلحه ، علىٰ شعث : تفرق وفساد حال ، ثم الاستفهام للاستبعاد والاستقلال ، وبيان عزَّته .

ما هوَ شرٌّ مِنَ الأوَّلِ ، قالَ : فجربتُهُ ، فوجدتُهُ كذلكَ⁽¹⁾ .

وقالَ بعضُهُمْ : (الصبرُ علىٰ مضضِ الأخِ خيرٌ مِنْ معاتبتِهِ ، والمعاتبةُ خيرٌ مِن القطيعةِ ، والقطيعةُ خيرٌ منَ الوقيعةِ)⁽²⁾ .

وينبغي ألا يبالغَ في البغضِ عندَ الوقيعةِ ، قالَ تعالىٰ : ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ﴾ .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « أحبِبْ حبيبَكَ هوناً ما ؛ عسىٰ أنْ يكونَ بغيضَكَ يوماً ما ، وأبغضْ بغيضَكَ هوناً ما ؛ عسىٰ أنْ يكونَ حبيبَكَ يوماً ما »⁽³⁾ .

وقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : (لا يكنْ حبُّكَ كلفاً ، ولا بغضُكَ تلفاً)⁽⁴⁾ ، وهوَ أنْ تحبَّ تلفَ صاحبِكَ معَ هلاكِهِ⁽⁵⁾ .

* * *

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٣٦) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٣٧) ، وروى الدينوري في « عيون الأخبار » (٣/ ٢٨) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : (معاتبة الأخ خير من فقده ، ومن لك بأخيك كلِّه؟!) .

(٣) رواه الترمذي (١٩٩٧) حيث قال : (عن أبي هريرة أُراهُ رفعه) ، قال الحافظ العراقي : (رواه الترمذي وقال : « غريب » ، قلت : رجاله رجال مسلم ، لكن الراوي تردد في رفعه) ، وأوقفه البخاري في « الأدب المفرد » (١٣٢١) من كلام علي رضي الله عنه .

(٤) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (١٣٢٢) وتمامه : فقلت ـ أي : أسلم راوي الحديث ـ : كيف ذاك ؟ قال : إذا أحببت . . كلفت كلف الصبي ، وإذا أبغضت . . أحببت لصاحبك التلف ، وأورده في « القوت » (٢/ ٢١٥) .

(٥) في النسخ : (هلاكك) ، والمثبت من نسخة الحافظ الزبيدي ، ولعله الصواب ، والله أعلم .

الحقّ السّادس : الدّعاء للأخ في حياته وبعد مماته بكلّ ما يحبّه لنفسه ولأهله وكلّ متعلّق به

فتدعو لهُ كما تدعو لنفسِكَ ، ولا تفرِّقْ بينَ نفسِكَ وبينَهُ ، فإنَّ دعاءَكَ لهُ دعاءٌ لنفسِكَ على التحقيقِ ، فقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إذا دعا الرجلُ لأخيهِ في ظهرِ الغيبِ . . قالَ الملكُ : ولكَ بمثلِ ذلكَ »(١) ، وفي لفظٍ آخرَ : « يقولُ اللهُ تعالىٰ : بكَ أبدأُ »(٢) .

وفي الحديثِ : « يُستجابُ للرجلِ في أخيهِ ما لا يُستجابُ لهُ في نفسِهِ »(٣) ، وفي الحديثِ : « دعوةُ الرجلِ لأخيهِ بظهرِ الغيبِ لا تُردُّ »(٤) .

---

(١) رواه مسلم (٢٧٣٢) عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً بنحوه .

(٢) كذا في « القوت » (٢/٢٢٨) ، قال الحافظ العراقي : (لم أجد هـٰذا اللفظ) . « إتحاف » (٦/٢٣٤) .

(٣) كذا في « القوت » (٢/٢٢٨) ، وروىٰ أحمد في « المسند » (٦/٤٥٢) عن أم الدرداء رضي الله عنها مرفوعاً : « يستجاب للمرء بظهر الغيب لأخيه ، فما دعا لأخيه بدعوة إلا قال الملك : ولك بمثل » وقد تقدم نحوه ، وروىٰ أبو داوود (١٥٣٥) ، والترمذي (١٩٨٠) مرفوعاً : « إن أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب » .

(٤) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٧٨٦) ، وهو عند مسلم (٢٧٣٣) بلفظ : « دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة » الحديث حديث أم الدرداء ، وقد تقدم بعضه .

وكانَ أبو الدرداءِ يقولُ : (إنِّي لأدعو لسبعينَ مِن إخواني في سجودي ، أسميهِمْ بأسمائِهِمْ)(١) .

وكانَ محمدُ بنُ يوسفَ الأصبهانيُّ يقولُ : (وأينَ مثلُ الأخِ الصالحِ ؟! أهلُكَ يقتسمونَ ميراثَكَ ويتنعَّمونَ بما خلَّفتَ ، وهوَ منفردٌ بحزنِكَ ، مهتمٌّ بما قَدِمتَ وما صرتَ إليهِ ، يدعو لكَ في ظلمةِ الليلِ وأنتَ تحتَ أطباقِ الثرىٰ)(٢) .

وكأنَّ الأخَ الصالحَ يقتدي بالملائكةِ ؛ إذْ جاءَ في الخبرِ : « إذا ماتَ العبدُ . . قالَ الناسُ : ما خلَّفَ ؟ وقالتِ الملائكةُ : ما قدَّمَ ؟ »(٣) يفرحونَ لهُ بما قدَّمَ ، ويسألونَ عنهُ ، ويشفقونَ عليهِ .

ويُقالُ : (مَنْ بلغَهُ موتُ أخيهِ ، فترحَّمَ عليهِ واستغفرَ لهُ . . كُتبَ لهُ كأنَّهُ شهدَ جنازتَهُ وصلَّىٰ عليهِ)(٤) .

ورُوِيَ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مثلُ الميِّتِ في قبرِهِ مثلُ الغريقِ يتعلَّقُ بكلِّ شيءٍ ، ينتظرُ دعوةً مِنْ ولدٍ أوْ والدٍ ، أوْ أخٍ أوْ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٨١٨٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٧/ ١٨٨) .

(٢) كذا في « القوت » (٢/ ٢٢٨) والسياق عنده ، وفيه : (بحسرتك) بدل (بحزنك) ، وروىٰ بعضه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٣١) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٨٥١) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٩٩٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) قوت القلوب (٢/ ٢٢٨) .

قريبٍ ، وإنَّهُ ليدخلُ علىٰ قبورِ الأمواتِ مِنْ دعاءِ الأحياءِ مِنَ الأنوارِ مثلُ الجبالِ »⁽¹⁾ .

وقالَ بعضُ السلفِ : (الدعاءُ للأمواتِ بمنزلةِ الهدايا للأحياءِ ، فيدخلُ الملكُ على الميِّتِ ومعَهُ طبقٌ مِنْ نورٍ ، عليهِ منديلٌ مِنْ نورٍ ، فيقولُ : هـٰذهِ هديَّةٌ لكَ مِنْ عندِ أخيكَ فلانٍ ، مِنْ عندِ قريبِكَ فلانٍ ، قالَ : فيفرحُ بذلكَ كما يفرحُ الحيُّ بالهديَّةِ)⁽²⁾ .

* * *

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٨٨٥٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً وأوله : « ما الميت في القبر إلا كالغريق المتغوِّث ، ينتظر دعوة . . . » الحديث .

(٢) تقدم نحو هـٰذا ، وأنها رؤيا رآها بشار بن غالب في حق رابعة رحمهما الله تعالىٰ ، وقد روي نحوه مرفوعاً ، رواه الطبراني في « الأوسط » (٦٥٠٠) .

الحقّ السّابع : الوفاء والإخلاص

ومعنى الوفاءِ : الثباتُ على الحبِّ وإدامتُهُ إلى الموتِ معَهُ ، وبعدَ الموتِ معَ أولادِهِ وأصدقائِهِ ، فإنَّ الحبَّ إنَّما يرادُ للآخرةِ ، فإنِ انقطعَ قبلَ الموتِ . . حبطَ العملُ ، وضاعَ السعيُ ، ولذلكَ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ في السبعةِ الذينَ يظلُّهُمُ اللهُ في ظلِّهِ : « ورجلانِ تحابَّا في اللهِ اجتمعا علىٰ ذلكَ ، وتفرَّقا عليهِ »(١) .

وقالَ بعضُهُمْ : (قليلُ الوفاءِ بعدَ الوفاةِ خيرٌ منْ كثيرِهِ في حالِ الحياةِ)(٢) .

ولذلكَ رُوِيَ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أكرمَ عجوزاً دخلَتْ عليهِ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : « إنَّها كانَتْ تأتينا أيامَ خديجةَ ، وإنَّ كرمَ العهدِ مِنَ الدينِ »(٣) .

* * *

فمِنَ الوفاءِ للأخِ : مراعاةُ جميعِ أصدقائِهِ وأقاربِهِ والمتعلقينَ بهِ ، ومراعاتُهُمْ أوقعُ في قلبِ الصديقِ مِنْ مراعاةِ الأخِ نفسِهِ ، فإنَّ فرحَهُ بتفقُّدِ مَنْ

---

(١) رواه البخاري (١٤٢٣) ، ومسلم (١٠٣١) ، وفي (هـ) : (يظلهم الله تعالىٰ تحت عرشه : « أخوين تحابّا في الله اجتمعا . . . ») .

(٢) رواه السلمي في « آداب الصحبة » (١٢٤) .

(٣) رواه الحاكم في « المستدرك » (١/ ١٥) .

يتعلَّقُ بهِ أكثرُ ؛ إذْ لا يدلُّ علىٰ قوَّةِ الشفقةِ والحبِّ إلا تعديهما مِنَ المحبوبِ إلىٰ كلِّ مَنْ يتعلَّقُ بهِ ، حتَّى الكلبِ الذي علىٰ بابِ دارِهِ ينبغي أنْ يتميَّزَ في القلبِ عنْ سائرِ الكلابِ⁽¹⁾ .

ومهما انقطعَ الوفاءُ بدوامِ المحبَّةِ . . شمتَ بهِ الشيطانُ ؛ فإنَّهُ لا يحسدُ متعاونينَ علىٰ برٍّ كما يحسدُ متواخيينِ في اللهِ ومتحابَّينِ فيهِ ، فإنَّهُ يجهدُ نفسَهُ لإفسادِ ما بينَهُما ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ ، وقالَ مخبراً عنْ يوسفَ عليهِ السلامُ : ﴿ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ﴾ .

ويُقالُ : (ما تواخى اثنانِ في اللهِ فتفرَّقَ بينَهُما إلا بذنبٍ يرتكبُهُ أحدُهُما)⁽²⁾ .

وكانَ بشرٌ يقولُ : (إذا قصَّرَ العبدُ في طاعةِ اللهِ . . سلبَهُ اللهُ مَنْ يؤنسُهُ)⁽³⁾ .

وذلكَ لأنَّ الإخوانَ مسلاةٌ للهمومِ ، وعونٌ على الدينِ ، ولذلكَ قالَ ابنُ المباركِ : (ألذُّ الأشياءِ مجالسةُ الإخوانِ ، والانقلابُ إلىٰ كفايةٍ)⁽⁴⁾ .

---

(١) هـٰذا هو الغاية القصوىٰ في حسن العهد ، وقس علىٰ ذلك جيرانه وأهل حارته ، بل أهل قريته . « إتحاف » (٦/ ٢٣٦) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢١٥) ، والسياق عنده .

(٣) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٤/ ٤٣٨) من قوله في حق أخته مضغة لما ماتت وقد كانت أنيسته .

(٤) قوت القلوب (٢/ ٢١٩) عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالىٰ .

والمودَّةُ الدائمةُ هيَ التي تكونُ في اللهِ ، وما يكونُ لغرضٍ . . يزولُ بزوالِ ذلكَ الغرضِ .

ومِنْ ثمراتِ المودَّةِ في اللهِ سبحانَهُ ألا تكونَ معَ حسدٍ في دينٍ ولا دنيا ، وكيفَ يحسدُهُ وكلُّ ما هوَ لأخيهِ فإليهِ ترجعُ فائدتُهُ ؟! وبهِ وصفَ اللهُ تعالى المحبِّينَ في اللهِ فقالَ تعالىٰ : ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ ووجودُ الحاجةِ : هوَ الحسدُ(١) .

* * *

ومِنَ الوفاءِ : ألا يتغيَّرَ حالُهُ في التواضعِ معَ أخيهِ وإنِ ارتفعَ شأنُهُ ، واتسعَتْ ولايتُهُ ، وعظمَ جاهُهُ ، فالترفُّعُ على الإخوانِ بما يتجدَّدُ مِنَ الأحوالِ لؤْمٌ ، ومنْ ذلكَ قولُ الشاعرِ(٢) : [من البسيط]

إِنَّ ٱلْكِرامَ إِذا ما أَسْهَلُوا ذَكَرُوا مَنْ كانَ يَأْلَفُهُمْ فِي ٱلْمَنْزِلِ ٱلْخَشِنِ

وأوصىٰ بعضُ السلفِ ابنَهُ فقالَ : (يا بنيَّ ؛ لا تصحبْ مِنَ الناسِ إلا مَنْ إنِ افتقرتَ إليهِ . . قَرُبَ منكَ ، وإنِ استغنيتَ . . لمْ يطمعْ فيكَ ، وإنْ علَتْ مرتبتُهُ . . لمْ يرتفعْ عليكَ)(٣) .

---

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (١٤/٢٨/٥٣) ، وكان صلى الله عليه وسلم قد قسم أموال بني النضير بين المهاجرين الأولين دون الأنصار ، فلم يحسدوهم علىٰ ما آتاهم الله ورسوله من الفيء .

(٢) البيت لدعبل الخزاعي في « ديوانه » (ص ٤٦٢) .

(٣) قوت القلوب (٢/٢٢٨) .

وقالَ بعضُ الحكماءِ : (إذا وَلِيَ أخوكَ ولايةً ، فثبتَ علىٰ نصفِ مودَّتِهِ لكَ . . فهوَ كثيرٌ)[1] .

وحكى الربيعُ أنَّ الشافعيَّ رضيَ اللهُ عنهُ آخىٰ رجلاً ببغدادَ ، ثمَّ إنَّ أخاهُ وَلِيَ السِّيبَيْنِ[2] ، فتغيَّرَ لهُ عمَّا كانَ عليهِ ، فكتبَ إليهِ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ هٰذهِ الأبياتَ[3] : [من الكامل]

اِذْهَبْ فَوُدُّكَ مِنْ فُؤَادِي طالِقٌ   أَبَداً وَلَيْسَ طَلاقَ ذاتِ ٱلْبَيْنِ
فَإِنِ ٱرْعَوَيْتَ فَإِنَّها تَطْلِيقَةٌ   وَيَدُومُ وُدُّكَ لي عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ
وَإِنِ ٱمْتَنَعْتَ شَفَعْتُها بِمِثالِها   فَتكُونُ تَطْلِيقَيْنِ في حَيْضَيْنِ
فَإِذا ٱلثَّلاثُ أَتَتْكَ مِنِّي بَتَّةً   لَمْ تُغْنِ عَنْكَ وِلايَةُ ٱلسِّيبَيْنِ

* * *

واعلمْ : أنَّهُ ليسَ مِنَ الوفاءِ موافقةُ الأخِ فيما يخالفُ الحقَّ في أمرٍ يتعلَّقُ بالدينِ، بلْ مِنَ الوفاءِ لهُ المخالفةُ: وقدْ كانَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ آخىٰ محمدَ ابنَ عبدِ الحكمِ ، وكانَ يقربُهُ ويقبلُ عليهِ ، ويقولُ : ما يقيمُني بمصرَ غيرُهُ ، فاعتلَّ محمدٌ ، فعادَهُ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ وقالَ[4] : [من مجزوء الكامل]

مَرِضَ ٱلْحَبِيبُ فَعُدْتُهُ   فَمَرِضْتُ مِنْ حَذَرِي عَلَيْهِ

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٢٧) ، والسياق عنده .

(٢) السِّيبان : كورة من سواد الكوفة . انظر « معجم البلدان » (٣/ ٢٩٣) .

(٣) ديوان الإمام الشافعي (ص ١٣٥) .

(٤) ديوان الإمام الشافعي (ص ١٥١) .

وَأَتَـى ٱلْحَبِيـبُ يَعُـودُنِـي فَبَـرِئْـتُ مِـنْ نَظَـرِي إِلَيْـهِ

وظنَّ الناسُ لصدْقِ مودَّتِهما أنَّهُ يفوِّضُ أمرَ حلقتِهِ بعدَ وفاتِهِ إليهِ ، فقيلَ للشافعيِّ في علَّتِهِ التي ماتَ فيها رضيَ اللهُ عنهُ : إلىٰ مَنْ نجلسُ بعدَكَ يا أبا عبدِ اللهِ ؟ فاستشرفَ لهُ محمدُ ابنُ عبدِ الحكمِ وهوَ عندَ رأسِهِ ليومئَ إليهِ ، فقالَ الشافعيُّ : سبحانَ اللهِ ! أيُشَكُّ في هٰذا ! أبو يعقوبَ البويطيُّ ، فانكسرَ لها محمدٌ ، ومالَ أصحابُهُ إلى البويطيِّ معَ أنَّ محمداً كانَ قدْ حملَ عنهُ مذهبَهُ كلَّهُ ، لكنْ كانَ البويطيُّ أفضلَ وأقربَ إلى الزهدِ والورعِ ، فنصحَ الشافعيُّ للهِ تعالىٰ وللمسلمينَ ، وتركَ المداهنةَ ، ولمْ يؤثرْ رضا الخلقِ علىٰ رضا اللهِ تعالىٰ(١) .

فلمَّا توفِّيَ . . انقلبَ محمدُ ابنُ عبد الحكم عنْ مذهبِهِ ، ورجعَ إلىٰ مذهبِ أبيهِ ، ودرسَ كتبَ مالكٍ ، وهوَ مِنْ كبارِ أصحابِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ(٢) ، وآثرَ البويطيُّ الزهدَ والخمولَ ، ولمْ يعجبْهُ الجمعُ والجلوسُ في الحلقةِ ، واشتغلَ بالعبادةِ(٣) ، وصنَّفَ كتابَ « الأمِّ » الذي يُنسبُ الآنَ إلى الربيعِ بنِ سليمانَ ويُعرفُ بهِ ، وإنَّما صنَّفَهُ البويطيُّ ، ولكنْ لمْ يذكرْ نفسَهُ

---

(١) كذا في « القوت » (٢/٢٢٧) والسياق عنده ، ونحوه رواه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/٣٣٧) دون ذكر قول الشافعي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أي : والده عبد الله بن عبد الحكم ، وانتقاله إلىٰ مذهب الإمام مالك رحمه الله حكاه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/٣٤١) .

(٣) حتىٰ روى البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/٣٣٩) عن الربيع أنه قال : (ما رأيت البويطي بعدما فطنت له إلا رأيت شفته تتحرك إما بذكر وإما بقراءة قرآن) .

فيهِ ، ولمْ ينسبْهُ إلىٰ نفسِهِ ، فزادَ الربيعُ فيهِ وتصرَّفَ وأظهرَهُ[١] .

والمقصودُ : أنَّ الوفاءَ بالمحبَّةِ مِنْ تمامِها[٢] .

قالَ الأحنفُ : (الإخاءُ جوهرةٌ رقيقةٌ ، إنْ لمْ تحرسْها . كانَتْ معرَّضةً للآفاتِ ، فاحرسْها بالكظْمِ حتَّىٰ تعتذرَ إلىٰ مَنْ ظلمَكَ ، وبالرضا حتَّىٰ لا تستكثرَ مِنْ نفسِكَ الفضلَ ، ولا مِنْ أخيكَ التقصيرَ)[٣] .

* * *

ومِنْ آثارِ الصدقِ والإخلاصِ وتمامِ الوفاءِ : أنْ تكونَ شديدَ الجزعِ مِنَ المفارقةِ ، نَفُورَ الطبعِ عنْ أسبابِها ، كما قيلَ[٤] : [من الطويل]

وَجَدْتُ مُصِيباتِ ٱلزَّمانِ جَمِيعَهَا   سِوَىٰ فُرْقَةِ ٱلأحبابِ هَيِّنَةَ ٱلْخَطْبِ

وأنشدَ ابنُ عيينةَ هـٰذا البيتَ وقالَ : (لقدْ عهدتُ أقواماً فارقتُهُمْ منذُ ثلاثينَ سنةً ، ما يخيَّلُ إليَّ أنَّ حسرتَهُمْ ذهبَتْ مِنْ قلبي)[٥] .

* * *

ومِنَ الوفاءِ : ألا يسمعَ بلاغاتِ الناسِ علىٰ صديقِهِ ، لا سيما مَنْ يظهرُ

---

[١] قوت القلوب (٢/ ٢٢٨) .

[٢] أي : من تمام المحبة الوفاء بها ، كذا في جميع النسخ ، وفي نسخة الحافظ الزبيدي : (والمقصود : أن الوفاء بالمحبة من تمامها النصح لله) . « إتحاف » (٦/ ٢٣٩) .

[٣] كذا في « القوت » (٢/ ٢١٦) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٤/ ٣٤٢) .

[٤] البيت لقيس بن ذريح في « ديوانه » (ص٦٦) .

[٥] قوت القلوب (٢/ ٢٢٣) .

أوَّلاً أنَّهُ محبٌّ لصديقِهِ كي لا يُتَّهَمَ ، ثمَّ يُلقي الكلامَ عرضاً ، وينقلُ عنِ الصديقِ ما يوغرُ القلبَ ، فذلكَ مِنْ دقائقِ الحيلِ في التضريبِ ، ومَنْ لمْ يحترزْ منهُ . . لمْ تدمْ مودَّتُهُ أصلاً .

قال رجلٌ لحكيمٍ : قدْ جئتُ خاطباً لمودَّتِكَ ، قالَ : إنْ جعلتَ مهرَها ثلاثاً . . فعلتُ ، قالَ : وما هيَ ؟ قالَ : لا تسمعْ عليَّ بلاغةً ، ولا تخالفْني في أمرٍ ، ولا توطِئْني عُِشوةً(١) .

* * *

ومِنَ الوفاءِ : ألا يصادقَ عدوَّ صديقِهِ ، قالَ الشافعيُّ رحمهُ اللهُ : (إذا أطاعَ صديقُكَ عدوَّكَ . . فقدِ اشتركا في عداوتِكَ) .

* * *

---

(١) يقال : أوطأني فلان عشوة ؛ أي : حملني علىٰ أمر غير رشيد ، والخبر في « القوت » (٢/ ٢٢٩) ، وفيه الثالثة : (ولا تعطين فيَّ رشوة) ، ثم زاد : (قد فعلت ، قال : قد آخيتك) .

الحقّ الثّامن : التّخفيف وترك التّكلّف والتّكليف

وذلكَ بألا يكلِّفَ أخاهُ ما يشقُّ عليهِ ، بلْ يروِّحُ سرَّهُ مِنْ مهمَّاتِهِ وحاجاتِهِ ، ويرفِّهُهُ عنْ أنْ يحمِّلَهُ شيئاً مِنْ أعبائِهِ ، ولا يستمدُّ منهُ مِنْ جاهٍ ومالٍ ، ولا يكلِّفُهُ التواضعَ لهُ ، والتفقُّدَ لأحوالِهِ ، والقيامَ بحقوقِهِ ، بلْ لا يقصدُ بصحبتِهِ إلا اللهَ سبحانَه ؛ تبرُّكاً بدعائِهِ ، واستئناساً بلقائِهِ ، واستعانةً بهِ على دينِهِ ، وتقرُّباً إلى اللهِ تعالىٰ بالقيامِ بحقوقِهِ وبحمْلِ مؤنتِهِ .

قالَ بعضُهُمْ : (مَنِ اقتضىٰ مِنْ إخوانِهِ ما لا يقتضونَهُ منهُ . . فقدْ ظلمَهُمْ ، ومَنِ اقتضىٰ منهُمْ مثلَ ما يقتضونَهُ . . فقدْ أتعبَهُمْ ، ومَنْ لمْ يقتضِ . . فهوَ المتفضِّلُ عليهِمْ)(١) .

وقالَ بعضُ الحكماءِ : (مَنْ جعلَ نفسَهُ عندَ الإخوانِ فوقَ قدْرِهِ . . أثِمَ وأثموا ، ومَنْ جعلَ نفسَهُ في قدْرِهِ . . تعبَ وأتعبَهُمْ ، ومَنْ جعلَها دونَ قدْرِهِ . . سلمَ وسلموا)(٢) .

* * *

وتمامُ التخفيفِ : بطيِّ بساطِ التكلُّفِ ، حتَّىٰ لا يستحيَ منهُ فيما لا يستحي مِنْ نفسِهِ ، وقالَ الجنيدُ : (ما تواخى اثنانِ في اللهِ ، فاستوحشَ

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢١٧) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢١٧) .

أحدُهُما مِنْ صاحبِهِ أوِ احتشمَ . . إلا لعلَّةٍ في أحدِهما)(١) .

وقالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : (شرُّ الأصدقاءِ مَنْ تكلَّف لكَ ، ومَنْ أحوجَكَ إلىٰ مداراةٍ ، وألجأكَ إلى اعتذارٍ)(٢) .

وقالَ الفضيلُ : (إنَّما تقاطعَ الناسُ بالتكلُّفِ ، يزورُ أحدُهُمْ أخاهُ ، فيتكلَّفُ لهُ ، فيقطعُهُ ذلكَ عنهُ)(٣) .

وقالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (المؤمنُ أخو المؤمنِ ، لا يغتنمُهُ ، ولا يحتشمُهُ)(٤) .

وقالَ الجنيدُ : (صحبتُ أربعَ طبقاتٍ مِنْ هـٰذهِ الطائفةِ ، كلُّ طبقةٍ ثلاثونَ رجلاً : حارثاً المحاسبيَّ وطبقتَهُ ، وحسناً المسوحيَّ وطبقتَهُ ، وسريّاً السقطيَّ وطبقتَهُ ، وابنَ الكُرينيِّ وطبقتَهُ ، فما تواخى اثنانِ في اللهِ واحتشمَ أحدُهُما مِنْ صاحبِهِ أوِ استوحشَ . . إلا لعلَّة في أحدِهما)(٥) .

وقيلَ لبعضِهِمْ : مَنْ نصحبُ ؟ قالَ : مَنْ يرفعُ عنكَ ثقلَ التكلُّفِ ، وتسقطُ بينَكَ وبينَهُ مؤنةُ التحفُّظِ(٦) .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢١٧) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٢٤) ، وهما عنده قولان ، جمع المصنف هنا بينهما .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢٢٤) .

(٤) قوت القلوب (٢/ ٢٢٥) ، والجملة الأولىٰ رويت في المرفوع .

(٥) تقدم بعضه قريباً عن صاحب « القوت » .

(٦) رواه البيهقي في « الشعب » (٩٠٤٩) عن أبي بكر الزقاق .

وكانَ جعفرُ بنُ محمدٍ الصادقُ رضيَ اللهُ عنهُما يقولُ : (أثقلُ إخواني عليَّ مَنْ يتكلَّفُ لي وأتحفَّظُ منهُ ، وأخفُّهُمْ علىٰ قلبي مَن أكونُ معَهُ كما أكونُ وحدي)(١) .

وقالَ بعضُ الصوفيَّةِ : (لا تعاشرْ مِنَ الناسِ إلا منْ لا تزيدُ عندَهُ ببرٍّ ولا تنقصُ بإثمٍ ، يكونُ ذلكَ لكَ وعليكَ وأنتَ عندَهُ سواءٌ)(١) ، وإنَّما قالَ هـٰذا لأنَّ بهِ يتخلَّصُ عنِ التكلُّفِ والتحفُّظِ ، وإلا . . فالطبعُ يحملُهُ علىٰ أنْ يتحفَّظَ منهُ إذا علمَ أنَّ ذلكَ ينقصُهُ عندَهُ .

وقالَ بعضُهُمْ : (كنْ معَ أبناءِ الدنيا بالأدبِ ، ومعَ أبناءِ الآخرةِ بالعلمِ ، ومعَ العارفينَ كيفَ شئتَ) .

وقالَ آخرُ : (لا تصحبْ إلا مَنْ يتوبُ عنكَ إذا أذنبتَ ، ويعتذرُ إليكَ إذا أسأتَ ، ويحملُ عنكَ مؤنةَ نفسِكَ ، ويكفيكَ مؤنةَ نفسِهِ)(١) .

وقائلُ هـٰذا قدْ ضيَّقَ طريقَ الأخوَّةِ على الناسِ ، وليسَ الأمرُ كذلكَ ، بلْ ينبغي أنْ يؤاخيَ كلَّ متديِّنٍ عاقلٍ ، ويعزمَ علىٰ أنْ يقومَ بهـٰذهِ الشروطِ ، ولا يكلفَها أخاهُ ؛ حتَّىٰ تكثرَ إخوانُهُ ، إذْ بهِ يكونُ مؤاخياً في اللهِ ، وإلا . . كانَتْ مؤاخاتُهُ لحظوظِ نفسِهِ فقطْ .

ولذلكَ قالَ رجلٌ للجنيدِ : قدْ عزَّ الإخوانُ في هـٰذا الزمانِ ، أينَ أخٌ

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٢٥) .

في اللهِ ؟! فأعرضَ الجنيدُ حتَّىٰ أعادَهُ ثلاثاً ، فلمَّا أكثرَ . . قالَ لهُ : إنْ أردتَ أخاً يكفيكَ مؤنتَكَ ، ويتحمَّلُ أذاكَ . . فهـٰذا لعمري قليلٌ ، وإنْ أردتَ أخاً في اللهِ تحملُ أنتَ مؤنتَهُ ، وتصبرُ علىٰ أذاهُ . . فعندي جماعةٌ أعرفُهُمْ لكَ ، فسكتَ الرجلُ⁽¹⁾ .

* * *

واعلمْ : أنَّ الناسَ ثلاثةٌ : رجلٌ تنتفعُ بصحبتِهِ ، ورجلٌ تقدرُ علىٰ أنْ تنفعَهُ ولا تتضرَّرُ بهِ ولكنْ لا تنتفعُ بهِ ، ورجلٌ لا تقدرُ أيضاً علىٰ أنْ تنفعَهُ وتتضرَّرُ بهِ ، وهوَ الأحمقُ أوِ السيِّءُ الخلقِ ، فهـٰذا الثالثُ ينبغي أنْ يُجتنبَ ، فأمَّا الثاني . . فلا يُجتنبُ ؛ لأنَّكَ تنتفعُ في الآخرةِ بشفاعتِهِ وبدعائِهِ ، وبثوابِكَ على القيامِ بهِ ، وقدْ أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليهِ السلامُ : إنْ أطعتَني . . فما أكثرَ إخوانَكَ ؛ أيْ : إنْ واسيتَهُمْ واحتملتَ منهُمْ ولمْ تحسدْهُمْ⁽²⁾ .

وقدْ قالَ بعضُهُمْ : (صحبتُ الناسَ خمسينَ سنةً ، فما وقعَ بيني وبينَهُمْ خلافٌ ؛ لأنِّي كنتُ معَهُمْ علىٰ نفسي)⁽³⁾ ، ومَنْ كانتْ هـٰذهِ شيمتَهُ . . كثرَ إخوانُهُ .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٢٥) ، وقال : (فهـٰذا ـ لعمري ـ يكون محباً لنفسه إذا اقتضىٰ هـٰذا من أخيه ، لا محباً لأخٍ في الله تعالىٰ) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢١٥) .

(٣) أورده القشيري في « الرسالة » (ص٩٣) ، وهو لأبي سعيد الخرَّاز .

ومِنَ التخفيفِ وترْكِ التكلُّفِ : ألا يعترضَ عليهِ في نوافلِ العباداتِ : كانَ طائفةٌ مِنَ الصوفيةِ يصطحبونَ علىٰ شرطِ المساواةِ بينَ أربعةِ معانٍ : إنْ أكلَ أحدُهُمُ النهارَ كلَّهُ . . لمْ يقلْ لهُ صاحبُهُ : صُمْ ، وإنْ صامَ الدهرَ كلَّهُ . . لمْ يقلْ لهُ : أفطرْ ، وإنْ نامَ الليلَ كلَّهُ . . لمْ يقلْ لهُ : قُمْ ، ولمَنْ صلَّى الليلَ كلَّهُ . . لمْ يقلْ لهُ : نمْ ، وتستوي حالاتُهُ عندَهُ بلا مزيدٍ ولا نقصانٍ ؛ لأنَّ ذلكَ إنْ تفاوتَ عندَهُ . . حرَّكَ الطبعَ إلى الرياءِ والتحفُّظِ لا محالةَ(١) ، وقدْ قيلَ : (مَنْ سقطَتْ كلفتُهُ . . دامَتْ ألفتُهُ ، ومَنْ خفَّتْ مؤنتُهُ . . دامَتْ مودَّتُهُ)(٢) .

وقالَ بعضُ الصحابةِ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ لعنَ المتكلِّفينَ) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أنا والأتقياءُ مِنْ أمَّتي برآءُ مِنَ التكلُّفِ »(٣) .

وقالَ بعضُهُمْ : (إذا عملَ الرجلُ في بيتِ أخيهِ أربعَ خصالٍ . . فقدْ تمَّ أنسُهُ بِهِ : إذا أكلَ عندَهُ ، ودخلَ الخلاءَ ، وصلَّىٰ ونامَ) ، فذُكرَ ذلكَ

---

(١) السياق هنا عند صاحب « القوت » (٢/ ٢٢٥ـ٢٢٦) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٢٩) .

(٣) كذا في « القوت » (٢/ ٢٢٩) ، ورواه الديلمي في « مسند الفردوس » (٢٢٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٥/ ٢٧٨) بلفظ : « إني بريء من التكلف وصالحو أمتي » ، وعند البخاري (٧٢٩٣) موقوفاً علىٰ سيدنا عمر رضي الله عنه : (نهينا عن التكلُّف) .

لبعضِ المشايخِ⁽¹⁾ ، فقالَ : بقيتْ خامسةٌ ؛ وهيَ أنْ يحضرَ معَ الأهلِ في بيتِ أخيهِ ويجامعَها ؛ لأنَّ البيتَ إنَّما يتخذُ للاستخفاءِ في هٰذهِ الأمورِ الخمسِ ، وإلا . . فالمساجدُ أروحُ لقلوبِ المتعبدينَ ، فإذا فعلَ هٰذهِ الخمسَ . . فقدْ تمَّ الإخاءُ ، وارتفعَتِ الحشمةُ ، وتأكَّدَ الانبساطُ .

وقولُ العربِ في تسليمِهِمْ يشيرُ إلىٰ ذلكَ⁽²⁾ ، إذْ يقولُ أحدُهُمْ لصاحبِهِ : مرحباً وأهلاً وسهلاً ؛ أيْ : لكَ عندَنا مرحبٌ وهوَ السعةُ في القلبِ والمكانِ ، ولكَ عندنا أهلٌ تأنسُ بهِمْ بلا وحشةٍ لكَ منَّا ، ولكَ عندنا سهولةٌ في ذلكَ كلِّهِ ؛ أيْ : لا يشتدُّ علينا شيءٌ ممّا تريدُ .

* * *

ولا يتمُّ التخفيفُ وتركُ التكلُّفِ إلا بأنْ يرىٰ نفسَهُ دونَ إخوانِهِ ، ويحسنَ الظنَّ بهِمْ ويُسيئَه بنفسِهِ ، فإذا رآهُمْ خيراً مِنْ نفسِهِ . . فعندَ ذلكَ يكونُ هوَ خيراً منهُمْ⁽³⁾ .

قالَ أبو معاويةَ الأسودُ : إخواني كلُّهُمْ خيرٌ منِّي ، قيلَ : وكيفَ ذلكَ ؟

---

(١) وهو من بعض مشايخ أبي طالب المكي كما حكىٰ هٰذا الخبر في « القوت » (٢/ ٢٣٠) وسياقه عنده ، وقد وقع هٰذا الخبر في نسخة الحافظ العراقي مرفوعاً وهو ليس كذلك ، أشار لهٰذا الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٦/ ٢٤٢) .

(٢) وكذلك تشير إليه عبارة صاحب « القوت » (٢/ ٢٣٠) .

(٣) ومن هنا قولهم : سيد القوم خادمهم ، فلا تتم السيادة إلا باطِّراح النفس وترك الترفع على الإخوان . « إتحاف » (٦/ ٢٤٣) .

قالَ : كلُّهُمْ يرىٰ لي الفضلَ عليهِ، ومَنْ فضَّلَني علىٰ نفسِهِ . . فهوَ خيرٌ منِّي[1] .

وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « المرءُ علىٰ دينِ خليلِهِ ، ولا خيرَ في صحبةِ مَنْ لا يرىٰ لكَ مثلَ ما ترىٰ لهُ »[2] .

فهٰذهِ أقلُّ الدرجاتِ وهيَ النظرُ بعينِ المساواةِ والكمالِ في رؤيةِ الفضلِ للأخِ ، ولذلكَ قالَ سفيانُ : (إذا قيلَ لكَ : يا شرَّ الناسِ ، فغضبتَ . . فأنتَ شرُّ الناسِ)[3] أيْ : ينبغي أنْ تكونَ معتقداً ذلكَ في نفسِكَ أبداً ، وسيأتي وجهُ ذلكَ في كتابِ الكبرِ والعجْبِ .

وقدْ قيلَ في معنى التواضعِ ورؤيةِ الفضلِ للإخوانِ أبياتٌ[4] : [من المتقارب]

تَـذَلَّـلْ لِمَـنْ إِنْ تَـذَلَّلْـتَ لَـهْ   يَـرَىٰ ذاكَ لِلْفَضْـلِ لا لِلْبَلَـهْ
وَجـانِـبْ صَـداقَـةَ مَـنْ لا يَـزالُ   عَلَى ٱلأَصْدِقاءِ يرى ٱلفَضْلَ لَهْ

وقالَ آخرُ[5] : [من الخفيف]

كَـمْ صَـدِيـقٍ عَـرَفْتُـهُ بِصَـدِيـقٍ   صارَ أَحْظَىٰ مِنَ ٱلصَّدِيقِ ٱلعَتِيقِ

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٧٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/ ١٨) .

(٢) رواه ابن عدي في « الكامل » (٣/ ٢٤٧) ، والقضاعي في « مسند الشهاب » (٩٠٧) ، وتقدم تخريج الجملة الأولىٰ منه ، وروىٰ نحو الجملة الثانية منفردة أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٥) .

(٣) نسبه الحافظ الزبيدي لصاحب « القوت » . « إتحاف » (٦/ ٢٤٣) .

(٤) البيتان لجحظة البرمكي في « ديوانه » (ص ١٤١) .

(٥) كذا في « القوت » (٢/ ٢٢٠) لبعض الأدباء ، وانظر «الصداقة والصديق» (ص ٣٤٩).

وَرَفِيقٍ رَأَيْتُهُ فِي طَرِيقٍ صارَ عِنْدِي هُوَ ٱلصَّدِيقَ ٱلْحَقِيقِي

ومهما رأى الفضلَ لنفسِهِ . . فقدِ احتقرَ أخاهُ ، وهٰذا في عمومِ المسلمينَ مذمومٌ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « بحسْبِ امرئٍ مِنَ الشرِّ أنْ يحقرَ أخاهُ المسلمَ »(١) .

* * *

ومِنْ تتمَّةِ الانبساطِ وتركِ التكلُّفِ : أنْ يشاورَ إخوانَهُ في كلِّ ما يقصدُهُ ، ويقبلَ إشارتَهُمْ ، فقدْ قالَ تعالىٰ : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ .

ولا ينبغي أنْ يخفيَ عنهُمْ شيئاً مِنْ أسرارِهِ ؛ كما رُوِيَ عنْ يعقوبَ ابنِ أخي معروفٍ قالَ : جاءَ أسودُ بنُ سالمٍ إلىٰ عمِّي معروفٍ ، وكانَ مؤاخياً لهُ ، فقالَ : إنَّ بشرَ بنَ الحارثِ يحبُّ مؤاخاتَكَ ، وهوَ يستحي أنْ يشافهَكَ بذلكَ ، وقدْ أرسلَني إليكَ يسألُكَ أنْ تعقدَ لهُ فيما بينَكَ وبينَهُ أخوَّةً يحتسبُها ويعتدُّ بها ، إلا أنَّهُ يشترطُ فيها شروطاً : لا يحبُّ أنْ يشتهرَ بذلكَ ، ولا يكونُ بينَكَ وبينَهُ مزاورةٌ ولا ملاقاةٌ ، فإنَّهُ يكرهُ كثرةَ الالتقاءِ ، فقالَ معروفٌ : أمَّا أنا فإذا أحببتُ أحداً . . لمْ أحبَّ مفارقتَهُ ليلاً ولا نهاراً ، ولزرتُهُ في كلِّ وقتٍ ، ولآثرتُهُ علىٰ نفسي في كلِّ حالٍ ، ثمَّ ذكرَ مِنْ فضلِ الأخوَّةِ والحبِّ في اللهِ أحاديثَ كثيرةً ، ثمَّ قالَ فيها : وقدْ آخىٰ رسولُ اللهِ

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤) .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علياً رضيَ اللهُ عنهُ[1] ، فشاركَهُ في العلمِ ، وقاسمَهُ في البُدْنِ ، وأنكحَهُ أفضلَ بناتِهِ وأحبَّهُنَّ إليهِ ، وخصَّه بذلكَ لمؤاخاتِهِ ، وأنا أشهدُكَ أنِّي قدْ عقدتُ لهُ أخوَّةً بيني وبينَهُ ، وعقدتُ إخاءهُ في اللهِ لرسالتِكَ ولمسألتِهِ علىٰ ألا يزورَني إنْ كرهَ ذلكَ ، ولكنِّي أزورُهُ متىٰ أحببتُ ، وآمرُهُ أنْ يلقاني في مواضعَ نلتقي فيها ، وآمرُهُ ألا يخفيَ عليَّ شيئاً مِنْ شأنِهِ ، وأنْ يطلعَني علىٰ جميعِ أحوالِهِ ، فأخبرَ ابنُ سالمٍ بشراً بذلكَ ، فرضيَ وسرَّ بهِ[2] .

* * *

فهـٰذا جامعُ حقوقِ الصحبةِ ، وقدْ أجملناهُ مرَّةً ، وفصلناهُ أخرىٰ ، ولا يتمُّ ذلكَ إلا بأنْ تكونَ علىٰ نفسِكَ للإخوانِ ، ولا تكونَ لنفسِكَ عليهِمْ ، وأنْ تنزلَ نفسَكَ منزلةَ الخادمِ لهُمْ ، فتقيدَ بحقوقِهِمْ جميعَ جوارِحِكَ .

أمَّا البصرُ : فبأنْ تنظرَ إليهِمْ نظرَ مودَّةٍ يعرفونَها منكَ ، وتنظرَ إلىٰ محاسنِهِمْ ، وتتعامىٰ عنْ عيوبِهِمْ ، ولا تصرفَ بصرَكَ عنهُمْ في وقتِ إقبالِهِمْ عليكَ وكلامِهِمْ معَكَ .

رُوِيَ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يُعطي كلَّ مَنْ جلسَ إليهِ نصيبَهُ مِنَ

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » (٨/١٢٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٠/١١٩) ، وقال صاحب « القوت » (٢/٢٣٦) : (وهـٰذا من أعلىٰ فضائله ؛ لأن علمه من علمه ، وحاله من وصفه) .

(٢) الخبر بتمامه في « قوت القلوب » (٢/٢٣٦) .

وجهِهِ ، وما استصغاهُ أحدٌ إلا ظنَّ أنَّهُ أكرمُ الناسِ عليهِ ، حتَّىٰ كانَ مجلسُهُ وسمعُهُ وحديثُهُ ولطيفُ مسألتِهِ وتوجهُهُ للجالسِ إليهِ ، وكانَ مجلسُهُ مجلسَ حياءٍ وتواضعٍ وأمانةٍ(١) ، وكانَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ أكثرَ الناسِ تبسُّماً وضحكاً في وجوهِ أصحابِهِ ، وتعجباً ممَّا يحدثونَهُ بهِ ، وكانَ ضحكُ أصحابِهِ عندَهُ التبسُّمَ ؛ اقتداءً منهُمْ بفعلِهِ ، وتوقيراً لهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ(٢) .

وأمَّا السمعُ : فبأنْ تسمعَ كلامَهُمْ متلذذاً بسماعِهِ ، ومصدِّقاً بهِ ، ومظهراً للاستبشارِ بهِ ، ولا تقطعَ حديثَهُمْ عليهِمْ بمرادَّةٍ ولا منازعةٍ ومداخلةٍ واعتراضٍ ، فإنْ أرهقَكَ عارضٌ . . اعتذرتَ إليهِمْ ، وتحرسَ سمعَكَ عنْ سماعِ ما يكرهونَ .

وأمَّا اللسانُ : فقدْ ذكرنا حقوقَهُ ، فإنَّ القولَ فيه يطولُ ، ومنْ ذلكَ ألا يرفعَ صوتَهُ عليهِمْ ولا يخاطبَهُمْ إلاَّ بما يفقهونَ .

---

(١) ففي الحديث الذي رواه الترمذي في « الشمائل » (٣٣٦) في وصف مجلسه عليه الصلاة والسلام : (يعطي كل جلسائه بنصيبه ، لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، من جالسه أو فاوضه في حاجة صابره حتىٰ يكون هو المنصرف عنه ، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها ، أو بميسور من القول . . . ، مجلسه مجلس حلم وحياء ، وأمانة وصبر) الحديث .

(٢) روى الترمذي في « الشمائل » (٣٥١) في وصفه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه : (يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون منه) ، وعنده (٢٢٥) : (جلُّ ضحكه التبسم) ، وكذا (٢٢٧) : (ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

وأمَّا اليدانِ : فألا يقبضَهُما عنْ معونتِهِمْ في كلِّ ما يُتعاطىٰ باليدِ .

وأمَّا الرجلانِ : فأنْ يمشيَ بِهِما وراءَهُمْ مشيَ الأتباعِ لا مشيَ المتبوعينَ ، ولا يتقدَّمَهُمْ إلا بقدْرِ ما يقدِّمونَهُ ، ولا يقرُبَ منهُمْ إلا بقدْرِ ما يقرِّبونَهُ ، ويقومَ لهُمْ إذا أقبلوا ، ولا يقعدَ إلا بقعودِهِمْ ، ويقعدَ متواضعاً حيثُ يُقعَدُ .

ومهما تمَّ الاتحادُ . . خفَّ حملُهُ مِنْ هـٰذهِ الحقوقِ ؛ مثلُ القيامِ والاعتذارِ والثناءِ ، فإنَّها مِنْ حقوقِ الصحبةِ ، وفي ضمنِها نوعٌ مِنَ الأجنبيةِ والتكلُّفِ ، فإذا تمَّ الاتحادُ . . انطوىٰ بساطُ التكلُّفِ بالكليَّةِ ، فلا يسلكُ بهِ إلا مسلَكَ نفسِهِ ؛ لأنَّ هـٰذهِ الآدابَ الظاهرةَ عنوانُ آدابِ الباطنِ وصفاءِ القلبِ ، ومهما صفَتِ القلوبُ . . استُغنيَ عنْ تكلُّفِ إظهارِ ما فيها ، ومَنْ كانَ نظرُهُ إلىٰ صحبةِ الخلْقِ . . فتارةً يعوجُّ وتارةً يستقيمُ ، ومَنْ كانَ نظرُهُ إلى الخالقِ . . لزمَ الاستقامةَ ظاهراً وباطناً ، وزيَّنَ باطنَهُ بالحبِّ للهِ ولخلقِهِ ، وزيَّنَ ظاهرَهُ بالعبادةِ للهِ والخدمةِ لعبادِهِ ؛ فإنَّها أعلىٰ أنواعِ الخدمةِ للهِ ، إذْ لا وصولَ إليها إلا بحسْنِ الخُلُقِ ، ويدركُ العبدُ بحسْنِ خلقِهِ درجةَ القائمِ الصائمِ وزيادةً(١) .

* * *

---

(١) وتقدم حديث : « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم الصائم » .

خاتمةٌ لهذا الباب نذكر فيها جملةً من آداب المعيشة والمجالسة مع أصناف الخلق ملتقطة من كلام بعض الحكماء

إنْ أردتَ حسْنَ المعيشةِ . . فالْقَ صديقَكَ وعدوَّكَ بوجهِ الرضا ، مِنْ غيرِ ذلَّةٍ لهُمْ ولا هيبةٍ منهُمْ ، وتوقَّرْ مِنْ غيرِ كبْرٍ ، وتواضعْ في غيرِ مذلَّةٍ ، وكنْ في جميعِ أمورِكَ في أوسطِها ، فكلا طرفي قصْدِ الأمورِ ذميمٌ .

ولا تنظرْ في عِطفيكَ ، ولا تكثرِ الالتفاتَ ، ولا تقفْ على الجماعاتِ ، وإذا جلستَ . . فلا تستوفزْ(١) ، وتحفَّظْ مِنْ تشبيكِ أصابعِكَ ، والعبثِ بلحيتِكَ وخاتمِكَ ، وتخليلِ أسنانِكَ(٢) ، وإدخالِ إصبعِكَ في أنفِكَ(٣) ، وكثرةِ بصاقِكَ وتنخُّمِكَ ، وطردِ الذبابِ مِنْ وجهِكَ ، وكثرةِ التمطِّي والتثاؤبِ في وجوهِ الناسِ ، وفي الصلاةِ وغيرِها .

وليكنْ مجلسُكَ هادياً(٤) ، وحديثُكَ منظوماً ومرتَّباً ، وأصْغِ إلى الكلامِ الحسنِ ممَّنْ حدَّثَكَ بغيرِ إظهارِ تعجُّبٍ مفرِطٍ ، ولا تسألْهُ إعادتَهُ ، واسكتْ

---

(١) **الاستيفاز** : جلوس منتصب على هيئة من يريد القيام .

(٢) وسبقت قصة ابن المبارك ، وفيها : (وهل يستاك الرجل بين يدي صديقه ؟!) .

(٣) أو أذنك ، فكل ذلك فيه تقذير ، إلا إن احتيج إليه . . فمرة واحدة . « إتحاف » (٦/٢٤٦) .

(٤) يهتدي به الناس إلى الخير ، ووصف المجلس بالهادي على سبيل المبالغة ، أو المراد بالهادي هنا اللين . « إتحاف » (٦/٢٤٦) ، وهي كذلك (هادياً) في « روضة العقلاء » (ص١٩٩) .

عنِ المضاحكِ والحكاياتِ ، ولا تحدَّثْ عن إعجابِكَ بولدِكَ ولا جاريتِكَ ، ولا شِعرِكَ ولا تصنيفِكَ وسائرِ ما يخصُّكَ .

ولا تتصنَّعْ تصنُّعَ المرأةِ في التزيُّنِ ، ولا تتبذَّلْ تبذُّلَ العبدِ ، وتوقَّ كثرةَ الكحْلِ والإسرافَ في الدهنِ ، ولا تلحَّ في الحاجاتِ ، ولا تشجِّعْ أحداً على الظلْمِ .

ولا تُعلمْ أهلَكَ وولدَكَ فضلاً عنْ غيرِهِمْ مقدارَ مالِكَ ؛ فإنَّهُمْ إنْ رأوهُ قليلاً . . هنتَ عليهِمْ ، وإنْ كانَ كثيراً . . لمْ تبلغْ قطُّ رضاهُمْ ، وأخفْهُمْ في غيرِ عنْفٍ ، ولِنْ لهُمْ مِنْ غيرِ ضعفٍ ، ولا تهازلْ أمتَكَ ولا عبدَكَ فيسقطَ وقارُكَ .

وإذا خاصمتَ . . فتوقَّرْ وتحفَّظْ مِنْ جهلِكَ ، وتجنَّبْ عجلتَكَ ، وتفكَّرْ في حجَّتِكَ ، ولا تكثرِ الإشارةَ بيديكَ ، ولا تكثرِ الالتفاتَ إلىٰ مَنْ وراءَكَ ، ولا تجثُ علىٰ ركبتيكَ ، وإذا هدأَ غضبُكَ . . فتكلَّمْ .

وإنْ قرَّبَكَ سلطانٌ . . فكنْ منهُ علىٰ مثلِ حدِّ السنانِ ، وإنِ استرسلَ إليكَ . . فلا تأمنِ انقلابَهُ عليكَ ، وارفقْ بهِ رفقَكَ بالصبيِّ ، وكلِّمْهُ بما يشتهيهِ ما لمْ يكنْ معصيةً ، ولا يحملنَّكَ لطفُهُ بكَ أنْ تدخلَ بينَهُ وبينَ أهلِهِ وولدِهِ وحشمِهِ وإنْ كنتَ لذلكَ مستحقاً عندَهُ ، فإنَّ سقطةَ الداخلِ بينَ المَلِكِ وأهلِهِ سقطةٌ لا تنعشُ (١) ، وزلَّةٌ لا تُقالُ .

---

(١) أي : لا تقام ، يقال : انتعش العاثر ؛ إذا نهض من عثرته .

وإيَّاكَ وصديقَ العافيةِ ؛ فإنَّهُ أعدى الأعداءِ ، ولا تجعلْ مالَكَ أكرمَ مِنْ عرضِكَ .

وإذا دخلتَ مجلساً . . فالأدبُ فيهِ البدايةُ بالتسليمِ ، وتركُ التخطِّي لِمَنْ سبقَ ، والجلوسُ حيثُ اتسعَ ، وحيثُ يكونُ أقربَ إلى التواضعِ ، وأنْ تحييَ بالسلامِ مَنْ قربَ منكَ عندَ الجلوسِ .

ولا تجلسْ على الطريقِ ، فإنْ جلستَ . . فأدبُهُ غضُّ البصرِ ، ونصرةُ المظلومِ ، وإغاثةُ الملهوفِ ، وعونُ الضعيفِ ، وإرشادُ الضالِّ ، وردُّ السلامِ ، وإعطاءُ السائلِ ، والأمرُ بالمعروفِ ، والنهيُ عنِ المنكرِ ، والارتيادُ لموضعِ البصاقِ ، ولا تبصقْ في جهةِ القبلةِ ، ولا عنْ يمينِكَ ، ولكنْ عنْ يسارِكَ ، وتحتَ قدمِكَ اليسرىٰ .

ولا تجالسِ الملوكَ ، فإنْ فعلتَ . . فأدبُهُ تركُ الغيبةِ ، ومجانبةُ الكذبِ ، وصيانةُ السرِّ ، وقلَّةُ الحوائجِ ، وتهذيبُ الألفاظِ ، والإعرابُ في الخطابِ ، والمذاكرةُ بأخلاقِ الملوكِ ، وقلَّةُ المداعبةِ ، وكثرةُ الحذرِ منهُمْ وإنْ ظهرَتْ لكَ المودَّةُ ، وألا تتجشَّأَ بحضرتِهِمْ ، ولا تتخلَّلَ بعدَ الأكلِ عندَهُ ، وعلى الملكِ أنْ يحتملَ كلَّ شيءٍ إلا إفشاءَ السرِّ ، والقدْحَ في الملْكِ ، والتعرُّضَ للحُرَمِ .

ولا تجالسِ العامَّةَ ، فإنْ فعلتَ . . فأدبُهُ تركُ الخوضِ في حديثِهِمْ ، وقلَّةُ

الإصغاءِ إلىٰ أراجيفِهِمْ(١) ، والتغافلُ عمَّا يجري في سوءِ ألفاظِهِمْ ، وقلَّةُ اللقاءِ لهُمْ معَ الحاجةِ إليهِمْ .

وإيَّاكَ أنْ تمازحَ لبيباً أوْ غيرَ لبيبٍ ؛ فإنَّ اللبيبَ يحقدُ عليكَ ، والسفيهَ يجترىءُ عليكَ ؛ لأنَّ المزاحَ يخرقُ الهيبةَ ، ويسقطُ ماءَ الوجهِ ، ويعقبُ الحقدَ ، ويذهبُ بحلاوةِ الوُدِّ ، ويشينُ فقهَ الفقيهِ ، ويجرِّىءُ السفيهَ ، ويسقطُ المنزلةَ عندَ الحكيمِ ، ويمقتُهُ المتقونَ ، وهوَ يميتُ القلبَ ، ويباعدُ عنِ الربِّ تعالىٰ ، ويكسبُ الغفلةَ ، ويورثُ الذلَّةَ ، وبهِ تظلمُ السرائرُ وتموتُ الخواطرُ ، وبهِ تكثرُ العيوبُ وتبينُ الذنوبُ .

وقدْ قيلَ : لا يكونُ المزاحُ إلا مِنْ سخْفٍ أوْ بطرٍ ، ومَنْ بليَ في مجلسٍ بمزاحٍ أوْ لغطٍ . . فليذكرِ اللهَ عزَّ وجلَّ عندَ قيامِهِ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ جلسَ في مجلسٍ ، فكثرَ فيهِ لغطُهُ ، فقالَ قبلَ أنْ يقومَ مِنْ مجلِسِهِ ذلكَ : سبحانَكَ اللَّهُمَّ وبحمدِكَ ، أشهدُ أَنْ لا إلـٰهَ إلاَّ أَنتَ ، أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ . . إلا غُفِرَ لهُ ما كانَ في مجلسِهِ ذلكَ »(٢) .

* * *

---

(١) وهي الأقوال السيئة والأخبار الكاذبة ، وقد أرجف القوم الشيء وبه ؛ إذا أكثروا من تلك الأقوال والأخبار حتىٰ يضطر الناس بها . « إتحاف » (٦/ ٢٤٨) .

(٢) رواه الترمذي (٣٤٣٣) .

İkinci Bab

SOHBET VE KARDEŞLİK HAKLARI

Bilmiş ol ki, kardeşlik muahedesi, karı koca arasındaki nikâh bağı gibi iki kişi arasında bir bağlantıdır. Vefâ göstermek ve evlilik hakkına riâyet etmek, nasıl bir vazîfe ise -ki “Nikâh Âdâbı” bahsinde geçmiştir- kardeşlik hukukuna riâyet etmek de, aynı şekilde bir vazifedir. Kardeşliğinin, malında ve şahsında hakkı var; dilinde ve kalbinde hakkı var. Duâ edeceksin, kusurlarını bağışlayacaksın, vefâ göstereceksin, ağırlık vermeyeceksin, teklif ve tekellüf göstermeyeceksin.

Bunların yekûnu sekiz haktır:

Birinci Hak

Birinci hak maldadır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَثَلُ الْأَخَوَيْنِ مَثَلُ الْيَدَيْنِ تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرٰى

“İki kardeş, iki el gibidir; biri diğerini yıkar.”[45] buyurmuştur. Kardeşlikleri ellere benzetip; birini el, diğerini ayağa benzetmemesi, bir gâye uğrunda yekdiğerine yardımcı olmaları bakımındandır. Kardeşliklerin kardeşlikleri, ancak böyle bir maksatta birleştikleri takdirde tamam olur. Bunlar, bir bakıma yekvücûd bir mâhiyet arzeder. Bu ise genişlikte, darlıkta, servet ve her hâl ü kârda ortaklığı, hattâ arkadaşını tercîh etmeyi gerektirir.

Kardeşlikler arasında mal ile yardımlaşmak üç derecedir:

---

[45] Hadis, evvelce geçmiştir.

1 - Kardeşliğin en aşağı derecesi, onu hizmetçi kabul edip, malının fazlasından ihtiyâcını görmektir. Bir ihtiyâcı olduğunu duyduğun zaman, -sende varsa- istemesine hâcet kalmadan, behemehal ihtiyâcını temîn edersin. Zîra onu istemeye mecbûr etmek, kardeşlikte son derece noksânlıktır.

2 - Kardeşliğini, kendi seviyesinde tutmaktır. Onu, mal ve servetine ortak gibi kabul edip, icâbında malını onunla bölüşmektir. **Hasan-ı Basrî** diyor ki: " Allah için kardeş olanlar, bürgülerini (örtülerini) kardeşlikleri ile ortadan bölerlerdi."

3 - Kardeşliğin en yüksek mertebesi olan üçüncü derecede onu, kendine tercih edip, onun ihtiyâcını kendi ihtiyâcından önce düşünmektedir. İşte bu, sıddîklar mertebesi ve Allah için birbirini sevenlerin en üstün derecesidir. Canını da kendi üzerine tercih etmek, bu mertebenin meyvelerindendir. Nitekim hikâye olunduğuna göre boyunları vurulmak için bir kısım sûfiler halîfe tarafından aranıyorlardı. (Hicri 295'de ölen ve **Seriyyü's-Sakatî**'nin arkadaşlarından olan) **Ebû'l-Hüseyn en-Nûrî** de bunların arasında idi. Bu zât, hemen öne koştu ve ilk önce kendisinin öldürülmesini istedi. Sebebini kendisinden sorduklarında: "Bir an olsun, kardeşliklerime bir hayat kazandırmayı arzu ettim de onun için öne geçtim." diye cevap verdi ve bu söz sâyesinde hepsi hayâtlarını kurtardı.

Şâyet kardeşliğin hakkında bu derecelerden hiç birine sahip değilsen, kardeşlik bağlarının samîmî olmadığı, ancak görünüşte bir arkadaşlık olup, akıl ve dîn bakımından hiç bir değeri olmadığı anlaşılır. **Meymûn b. Mihrân**[46] "Kuru kuruya kardeşliğe râzı olanlar, ölüler ile kardeş olsun." demiştir.

---

[46] Kûfelidir. Rika'ya göç etti. Sikadan fakih bir zâttır. Ömer b. Abdülazîz devrinde valilik yapmıştır. Buhârî **"Edebü'l-Müfred"**inde ve diğerleri de kendisinden rivâyette bulunmuşlardır.

Yalnız dünyalık için olan kardeşlik de dindâr kimseler nezdinde pek mûteber değildir. Rivâyet olundu ki; **Utbetü'l-Gulâm**, bir gün bir kardeşliğinin evine gitti.

- "Senin malından dörtbin dirheme ihtiyâcım var." dedi. Kardeşliği:

- "İkibin dirhem al." deyince Utbetü'l-Gulâm:

- "Sen dünyalığı, Allah rızâsına tercîh ettin; utanmadan da Allah için kardeşlik kurdun, sonra da "Bu kardeşliğimdir." dedin, diyerek ondan yüz çevirdi. Dünyalık mertebesinde olan kardeşliklerle dünya muâmelesi de uygun değildir. Nitekim **Ebû Hâzim**: "Allah için olan kardeşliğin ile dünya muâmeleleri yapma." dedi. Ve bu sözü ile bu seviyede olanları kasdetti.

Rütbe-i ulyâ'ya yâni en üstün dereceye gelince; Allahü Teâlâ mü'minleri bununla tevsîk ederek:

وَأَمْرُهُمْ شُورٰى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ

"Ve işlerinde meşveret eder, verdiğimiz rızıktan infâk ederler." (Şûrâ suresi, 42/38) buyurmuştur. Yâni olanlar, servetlerinde müşterektirler, azıkları birbirinden ayrılmaz. Hattâ onlardan bâzıları, benim nalınlarım, (ayakkabılarım) diyen kimse ile arkadaşlık etmezlerdi. Çünkü o, kendi malı diye ayrılık görüyordu. **Fethu'l-Musılî**, dostlarından birinin evine gitti. Adamcağız evde yoktu. Fethu'l-Mûsılî âilesine: "Sandığın anahtarını getir." dedi. Kadın da anahtarı getirdi. Adam, sandığı açtı, cüzdanından ihtiyâcı kadar parayı aldı, sandığı kilitleyip anahtarı kadına teslim etti. Adamın câriyesi, Fethu'l-Mûsılî'nin bu yaptığını kendisine haber verdi. Adam câriye'ye: "Doğru söylüyorsun, seni âzâd ettim." dedi. Dostunun bu samîmî hareketinden o derece memnûn oldu. Bir kişi **Ebû Hüreyre**'ye (r.a.) gelerek:

- "Seninle kardeşlik olmak istiyorum." dedi. Ebû Hüreyre:

- "Kardeşlik hakkının ne olduğunu biliyor musun?" diye sordu. Adamcağız:

- "Bilmiyorum, söyle bakalım nedir?" deyince, Ebû Hüreyre:

- "Senin altın ve gümüş gibi servetine benden fazla hak sahibi olmaman demektir." dedi. Adamcağız:

- "Ben bu dereceye henüz yükselemedim." deyince, Ebû Hüreyre:

- "O hâlde buyur git." dedi.

Ali b. el-Hüseyin (r.a.), kardeşliklerden birisine:

- "Nasıl, arkadaşlarınıza sormadan, lâzım olan parayı ceplerinden alabilir misiniz?" deyince, adam:

- "Hayır." diye cevap verdi. Bunun üzerine Hz. Hüseyin:

- "O hâlde siz, gerçek kardeşlik değilsiniz." dedi.

Hasan-ı Basrî'nin huzûruna bir cemâat girdi ve:

- "Kıldın mı?" diye sordular. O da:

- "Evet, kıldım." dedi. Onlar:

- "Pazar halkı, daha namazmı kılmadı." dediler. Hasan-ı Basrî:

- "Pazar halkından alacağını kim alabilir ki." dedi. Devâmla: "Onlar, ihvânlarına bir dirhem yardımda dahî bulunmazlar." dedi.

İbrâhim b. Edhem Kudüs'e gitmek üzere hazırlandığı bir sırada, adamın biri gelerek:

- “Seninle arkadaş olmak istiyorum.” dedi. İbrâhim b. Edhem:

- “Senin malına, ben de senin gibi sahip olmam şartı ile olur.” dedi. Adam:

- “Öyle şey olmaz, bunu kabul etmem.” deyince, İbrâhim:

- “Doğru konuşan bir adamsın, senin doğru konuşmanın hayranıyım.” dedi. İbrâhim b. Edhem yolculukta arkadaşının sözünden çıkmazdı. Bununla beraber, görüşüne uymayan adamlarla da arkadaşlık etmezdi. Adamın biri İbrâhim b. Edhem’e çanakta bir miktar tirit göndermişti. Arkadaşının çantasını açtı ve içinden nalin kayışı çıkarıp adamın kabı içine koydu ve kendisine iâde etti. Arkadaşı gelip, kayışları aradığı zaman, İbrâhim:

- “Yediğin tiride karşılık verdim.” dedi. Adam:

- “Bu kayışa, iki üç tirit alınırdı.” deyince, İbrâhim:

- “Cömertlik yap ki, Allah da sana bol versin.” dedi.

Yine **İbrâhim b. Edhem**, bir defa arkadaşına âit olan bir merkebi, yaya gördüğü bir kimseye verdi ve arkadaşı buna itirâz etmedi.

İbn Ömer (r.a.), şöyle anlatıyor: “Rasûl-i Ekrem’in (s.a.v.) ashâbından birisine bir koyun kellesi takdim edildi. O zât, “Falanca benden daha açtır, kelleyi ona verin.” dedi. Öteki zât da aynı şekilde söyledi. Böylece kelle yedi kişiyi dolaştıktan sonra, tekrâr evvelki adama geldi. Çünkü aç olanı o idi.”

Rivâyet olundu ki; **Mesrûk**, arkadaşı Hayseme’nin ağır borcunu ödemek için, arkadaşının haberi olmadan, kendisi borç altına girmiş ve yekdiğerinin haberleri olmadan, birbirinin borçlarını ödemişlerdir.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), Abdurrahman b. Avf (r.a.) ile Sa'd b. er-Rebi' arasında kardeşlik kurduğu zaman, Sa'd bütün malını Abdurrahman'a terketti. Abdurrahman da, "Allah mübârek etsin." diyerek malı ortadan böldü. Sa'd'ın yaptığına îsâr (kendisi muhtaç iken başkasını tercih etmek) ikincisine de müsâvat denir. İsâr, müsâvâttan daha makbuldür.

Süleymân Dârânî şöyle diyor: "Bütün dünya benim olsa da, hepsini birden kardeşliğime yedirsem, yine bana az gelirdi." Yine bu zât: "Ben, arkadaşıma yedirdiğim yemeğin tadını alırım." demiştir.

Dost ve ahbâplara infâk, yoksullara sadaka vermekten daha efdal olduğu için, **Hz. Ali** (r.a.): "Dost ve ahbâplara yedirdiğim yirmi dirhem, fakirlere verdiğim yüz dirhemden, benim için daha sevimlidir." buyurdu.

Yine **Hz. Ali** (r.a.): "Dost ve ahbâbımla yediğim bir sâ' (bir buçuk kilo civârında) yemek, benim için bir köle âzâd etmekten daha makbuldür." dedi.

Kendi ihtiyaçları varken, başkalarını tercîh etmekte hepsinin örneği, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'dir. Bir defa bir arkadaşı ile bir misvâk ağacından iki misvâk yaptı. Misvâkların birisi eğri, diğeri düz ve doğru idi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) misvâkın güzel ve doğru olanını arkadaşına ve eğri olanını da kendisine ayırdı. Arkadaşı: "Bu güzel misvâk, size yakışır yâ Rasûlallah." deyince, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَا مِنْ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِبًا وَلَوْ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ إِلَّا
سُئِلَ عَنْ صُحْبَتِهِ هَلْ أَقَامَ فِيهَا حَقَّ اللّٰهِ أَمْ أَضَاعَهُ

"Bir saat de olsa, bir kimse ile arkadaşlık edene, arkadaşlık hakkına riâyet edip etmediği sorulur."[47] buyurdu ve arkadaşlık hakkının îsâr ile yâni arkadaşını kendi üzerine tercîh etmekle ödeneceğini anlatmış oldu.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) yıkanmak üzere, Huzeyfe ile beraber bir kuyuya gittiler. Huzeyfe, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in elbisesi ile Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'i örtüyor ve görünmekten koruyordu. Sıra Huzeyfe'ye gelince, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de aynı şekilde Huzeyfe'ye perde tutmak istedi. Huzeyfe, buna itiraz edince, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَا اصْطَحَبَ اثْنَانِ قَطُّ إِلَّا كَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَى اللّٰهِ أَرْفَقَهُمَا بِصَاحِبِهِ

"İki arkadaşın, Allah katında en sevimlisi, arkadaşına karşı daha müşfik davrananıdır."[48] buyurdu.

Rivâyet olunduğuna göre; **Mâlik b. Dînar** ile Muhammed b. Vâsi, Hasan-ı Basrî'nin evine gittiler. Hasan-ı Basrî evde yoktu. Muhammed b. Vâsi içinde yemek bulunan bir sepeti dolaptan çekerek yemeye başladı. Mâlik b. Dînar: "Elini çek, mal sahibi gelmeden yeme." dedi ise de, Muhammed b. Vâsi aldırış etmedi. Yemeye devâm etti. Mâlik, ondan daha cömert ve güzel ahlâk sahibi idi. Hasan-ı Basrî, bu vaziyeti görünce Mâlik b. Dînar'a: "Ey Müveylik, -bu, Mâlik'in ism-i tasgîridir- işte sizin gibi sûfiler yetişinceye kadar, biz ehl-i suffa mensupları böyle idik. Birbirimizden çekinmezdik." demiş ve bu sözü ile dostların evinde serbest hareket etmenin kardeşlikteki sâfîlikten ileri geldiğine işâret etmiştir. Nasıl böyle olmasın ki, Allahü Teâlâ yemeklerin, izinsiz yenebileceklerini sayarken:

---

47. Mehazı bulunamamıştır.
48. Bundan önceki babda "... arkadaşını daha fazla seven" şeklinde geçmişti.

أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ

“Veyâ dostlarınız veyâ anahtarlarına mâlik olduğunuz kimselerin de yemeklerini yiyebilirsiniz.” (Nûr suresi, 24/61) buyurmuştur. Kardeş, kardeşe anahtarını teslîm eder ve dilediği gibi tasarrufuna müsâade eder. Bâzı çekingen kimseler, kardeşlerinin anahtarlarını aldıkları halde, takvâya uyarak az yerlerdi. Bunun üzerine Allahü Teâlâ, bu âyeti inzâl buyurdu. Serbest olarak dost ve kardeşlerinin evinden yemelerine müsâade etti.

İkinci Hak

Kardeşliğin ikinci hakkı, kardeşinin fiilen yardıma muhtaç olduğunu görünce, onun istemesine mahal bırakmadan yardımına koşmak ve kendi işini sonraya bırakmaktır. Mâlî yardımda olduğu gibi, bunun da dereceleri vardır. En düşük derecesi, kendisinin gücü yeterek yardımı istediği zaman güler yüz, tatlı söz ve memnûniyetle yardımına koşmaktır.

Bâzıları şöyle diyor: Dostundan bir yardım istediğin zaman, yardımına gelmezse, onu bir defa daha kendisine hatırlat; çünkü unutmuş olabilir. Şâyet ikinci defa da tarafına bakmazsa, ona bir cenâze namazı kıl, tekbîr al ve:

اَلْمَوْتٰى يَبْعَثُهُمُ اللّٰهُ

“Ve ölüleri Allah diriltir.” (En'âm suresi, 6/36) âyet-i celîlesini oku. Yâni onu, kendisiyle ünsiyet edilemeyen ölülerden say.

İbn Şibrime;[49] arkadaşlarından birisinin mühim bir ihtiyacını temîn etti. Arkadaşı, bunun karşılığı ve mükâfatı olarak, kendisine değerli bir hediye takdim edince, İbn Şibrime: “Hediyeni al, Allah seni mükâfatlandırsın. Dostuna bir işin düşüp onu görmediği ve ona bütün kuvveti ile sarılmadığı zaman, âdeta bir cenâze namazı kılar gibi, abdest al ve dört tekbîr getirerek, artık onu ölülerden say.” demiştir.

---

[49] Ebû Abdillâh'dır. Kûfelidir ve Kûfe'nin fakîhlerinden olup, oranın kadılarındandır. Tabiîndendir. Hadîste sikadır. Şâir, cömert ve güzel ahlâklıdır. Buhârî, kendisini şâhid göstermiştir. Hicrî 44'de ölmüştür.

Câfer b. Muhammed: “Ben, bir daha bana ihtiyaç arz etmezler korkusu ile düşmanlarımın bile ihtiyaçlarını gidermeye bütün imkânlarımla gayret ederim.” demiştir. Düşmanlar hakkında hal böyle olunca ya dostlar arasında nasıl olmalıdır?

Eski dostlardan bâzıları; ahbapları öldükten sonra, kırk sene geçtiği halde, hâlâ çoluk çocuklarını arar ve onların her türlü ihtiyaçlarını gidermeye çalışır. Onlara her gün malî yardımda bulunurlardı. Çocuklar bu sâyede yalnız babalarını kaybetmiş olur; diğer hususlarda, belki babalarından da daha rahat yaşarlardı. Onlar, dostlarının çocuklarına o derece bakarlardı ki, her gün evlerine uğrayıp “Tuzunuz, zeytininiz var mı, başka ne eksiğiniz var?” diye sorarlardı. İşte kardeşlik şefkati böyle olur.

Kendisi gibi kardeşliğine acımayan kimsenin, kardeşliğinde hayır yoktur. **Meymûn b. Mihrân** şöyle anlatıyor: “Dostluğundan fayda görmediğin kimsenin, husûmetinden sana bir zarar gelmez.” Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَلَا وَإِنَّ لِلّٰهِ أَوَانِيَ فِي أَرْضِهِ وَهِيَ الْقُلُوبُ، فَأَحَبُّ الْأَوَانِيَ
إِلَى اللهِ تَعَالٰى أَصْفَاهَا وَأَصْلَبُهَا وَأَرَقُّهَا

“Bilmiş ol ki, Allahü Teâlâ’nın yeryüzünde kapları var; onlar da kalplerdir. Bu kalplerin Allah katında en sevimlisi, (günâhlardan)

pâk, (dînde) *salâbetli ve* (kardeşlerine karşı) *en yumuşak olanıdır.”*[50] buyurdu.

Hülâsa; Kardeşlikte usûl, onun ihtiyâcını, kendi ihtiyâcın gibi ve belki de daha mühim kabul etmen ve kendi ihtiyaçlarını unutmadığın gibi, onun ihtiyaçlarını da araştırıp dâima hatırdan çıkarmamandır. Onun mürâcaatına lüzûm göstermeden yardımına koşman ve yardımda bulunurken, kendine bir pay ayırmaman, belki senin yardımını onun kabul etmesini, bir lütûf tanımandır.

Hattâ yalnız ihtiyâcını gidermekle yetinmemeli, onu yakınların üzerine de tercih ederek bolluk göstermeye de çalışmalısın.

Nitekim **Hasan-ı Basrî**: “Bizim dost ve kardeşliklerimiz, bize âile efradımızdan daha sevimlidir. Zîra bizim âile efrâdı, bizi dünyada anar, ama dostlarımız mahşer yerinde ararlar.” demiştir.

Hasan-ı Basrî: “Allah için din kardeşlerini teşyî eden kimseyi, cennete teşyî etmek için, kıyâmet gününde Allahü Teâlâ Arş'ın altından melekler gönderir.” demiştir.

Eserde şöyle vârid olmuştur:

مَا زَارَ رَجُلٌ رَجُلًا أَخًا فِي اللّٰهِ شَوْقًا إِلَيْهِ وَرَغْبَةً فِي لِقَائِهِ
إِلَّا نَادَاهُ مَلَكٌ مِنْ خَلْفِهِ طِبْتَ وَطَابَتْ لَكَ الْجَنَّةُ

“Allah için sevdiği kardeşliğinin ziyaretine giden kimseye, ardından bir melek: “Çok güzel iş gördün, cenneti hak ettin.” diye çağırır.”[51]

Atâ şöyle anlatıyor: “Üç gün içinde görmediğiniz kardeşliği-

---

50. Taberânî, Ebû Utbetü'l-Havlânî'den ceyyid sened ile rivâyet etmiştir.
51. Bundan evvelki bâbda geçmiştir.

nizi araştırın, şâyet hasta ise ziyâretine gidin, meşgul ise yardım edin. Sohbeti unuttularsa hatırlatın."

Rivâyet olunduğuna göre; bir gün Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in meclisinde **Abdullah b. Ömer** sağa sola bakıp duruyordu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), niçin baktığını sordu. O da: "Sevdiğim bir adam vardı, onu araştırıyorum." deyince Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِذَا أَحْبَبْتَ أَحَدًا فَسَلْهُ عَنْ اِسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَعَنْ مَنْزِلِهِ فَإِنْ
كَانَ مَرِيضًا عُدْتَهُ وَإِنْ كَانَ مَشْغُولًا أَعَنْتَهُ

"Bir adamı sevdiğin zaman adını, babasının adını, (bir rivâyette) *dedesinin ve akrabalarının adını sor öğren. Hasta olduğu zaman ziyâretine, işi olduğu zaman yardımına gidersin."*[52] buyurdu.

Şa'bî: "Bir adam ile düşüp kalkan kimseye "O kimdir?" diye sorduğun zaman, "Şahsen tanıyorum, fakat adını ve soyadını bilmiyorum." derse, buna ahmak tanışması derler." demiştir.

Abdullah b. Abbâs'a (r.a.): "En çok kimi seversin?" diye sorduklarında, o "Benimle düşüp kalkanı." demiştir.

Yine **İbn Abbâs** (r.a.) şöyle diyor: "Üç gün üst üste gelip meclisime devâm ettiği hâlde, maddî bir istekte bulunmayan kimsenin, yalnız Allah rızâsı için gelmiş olduğunu anlarım." demiştir.

Saîd b. el-Âs;[53] "Üç gün meclisime devâm eden kimse, bana yaklaştığı zaman ona saygı gösteririm. Konuştuğu zaman, onu dinlerim. Oturacağı zaman, ona yer hazırlarım." demiştir. Nitekim Allahü Teâlâ:

---

[52] Harâitî **"Mekârim-i Ahlâk"**da Beyhakî **"Şuabü'l-Îman"**da rivâyet etmişlerdir. Ayrıca Tirmizî de Yezîd b. Nuâme'den rivâyet etti.

[53] Emevîlerdendir. Rasûl-i Ekrem'in irtihâlinde 9 yaşında idi. Kureyş'in ileri gelenlerinden olup, cömert ve fasîh bir zât idi. Hz. Osmân'ın mushaf kâtiplerinden idi. Hz. Osman devrinde Kûfe valiliğinde bulunmuş, Taberistan'ı fethetmiş ve Cürcan'ı almıştır. Muâviye zamanında da Medine

رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ

"Aralarında merhametlidirler." (Fetih suresi, 48/29) buyurmuş ve bununla, mü'minler arasındaki şefkate işâret etmiştir. İyi bir yemeği yalnız yememesi, sevinçli günlerini yalnız geçirmemesi ve arkadaşını hazır bulundurması, yalnız kaldığı için üzüntü duyması, arkadaşına hasret çekmesi, şefkat ve ikrâmın tamamındandır.

Üçüncü Hak

Üçüncü hak, dildedir. Bâzen susması ve bâzen de konuşması lâzımdır.

Sükût etmesine gelince; Huzûrunda ve gıyabında kusurlarını bilmezlikten gelmek ve onlardan hiç bahsetmemektir. Münâkaşadan sarf-ı nazarla, içyüzünü araştırmaktan sakınmaktır. Kendisini yolda gördüğü zaman, nereden gelip nereye ve niçin gittiğini sormamalı, belki açıklamak istemez ve yalan söylemeye mecbur kalır. Yalnız kendisine açtığı esrârını başkasına söylemek, hattâ bunu dostlarına da söylemekten sükût etmeli ve hiç bir suretle kimseye açıklamamalıdır. Çünkü bunları başkasına açıklamak, ahlâksızlıktır.

Hattâ dostlarına da dil uzatmamak, başkasının kendi aleyhindeki sözlerini de söylememelidir. Zîra sana söven, o sözü sana getirendir.

âmilliğinde bulunmuştur. 58 Hicrîde ölmüştür. Müslim, Tirmizî ve Neseî, kendisinden rivâyet etmişlerdir.

Enes (r.a.) şöyle anlatıyor: "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) kimsenin hoşuna gitmeyecek sözü yüzüne vurmazdı. Çünkü eziyet, haberi ilk getirenden, sonra onu söyleyendendir. Evet, duyduğu iyiliklerini gizlememelidir. Çünkü burada da aynı şekilde ilk sevinci, işittiği kimseden, sonra söyleyenden alır. Bu gibi duyduğu iyilikleri gizlemesi çekememezliğindendir.

Hülâsa; kısa olsun, uzun olsun, dostunun hoşlanmadığı sözleri sarf etmekten kaçınmalıdır. Ancak emr-i mâruf ve nehy-i münker gibi hususlar olursa, bu hususta sükûta müsâade yoktur. Onu îkaz için konuşması borçtur; artık hoşlanıp hoşlanmadığını aramaz. Her ne kadar görünüşte ağırına giderse de, gerçekte bu sözler ona bir ihsân ve iyilik yerine geçer.

Dostunun ve âile efradının kusur ve noksanlarını söylemek gıybettir. Gıybet ise -değil dostlar arasında- herkes için haramdır. İnsanı gıybetten iki şey alıkoyar. Birisi, kendi halini düşünmektir. Kendinde bir kusur bulduğun zaman, işte sen bu kusurunu nasıl ıslâh edemiyorsan, onun da kendi kusurunu- ıslah edemediğini düşünerek, onu mazûr görmelisin. Bir kusuru ile onu kötü görmeye kalkışma, kusursuz insan nerede? Senin Allah'a karşı noksanların var iken, onun sana karşı olan bâzı kusurlarına aldırış etme!

Çünkü senin ondaki hakkın, Allahü Teâlâ'nın sende olan hakkı kadar değildir. İkincisi, kusursuz insan olamayacağına göre, kusursuz arkadaş arayan kimsenin, kûşe-i vahdete çekilmekten başka çâresi olmadığını bilirsin. İnsanların iyilikleri olduğu gibi, kusurları da vardır. Aranan, iyiliğinin kötülüğüne galebe çalmasıdır. Kerem sahibi mü'min, dâima dîn kardeşinin iyiliklerini hatırlar ki, bu sâyede ona sevgi ve saygısı artar. İnsanların dâima kusurlarını araştıranlar, ahlâksız münâfıklardır.

İbn Mübârek: "Mü'min, dâima mazeretleri kabul eder, münâfık ise dâima sürçmeleri arar." demiştir.

Fudayl: "Kerem, dostların kusurlarını bağışlamaktadır." diyor. Bunun için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)

اِسْتَعِيذُوا بِاللّٰهِ مِنْ جَارِ السُّوءِ الَّذِي إِنْ رَأٰى خَيْرًا سَتَرَهُ وَإِنْ رَأٰى شَرًّا أَظْهَرَهُ

"Gördüğü iyilikleri gizleyip, gördüğü kötülükleri teşhîr eden kötü komşudan Allah'a sığının."[54] buyurmuştur. Kim olursa olsun, onu kendisinde mevcut iyi bir haslet ile tezkiye etmek mümkün olduğu gibi, yine kendisinde mevcut bir kusur ile teşhir etmek de mümkündür.

Rivâyet olunduğuna göre; adamın biri bir gün, bir başkasını Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e övdü. Ertesi gün aynı adam, yine aynı adamı Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e yermeye başlayınca Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَنْتَ بِالْأَمْسِ تُثْنِي عَلَيْهِ وَالْيَوْمَ تَذُمُّهُ

"Dün onu öven sen değil mi idin, bugün ne oldu da zemmediyorsun?" buyurdu. Adam: "Vallahi dün, doğru söylediğim gibi, bugün de yalan konuşmadım. Ancak, dün beni memnun ettiği için iyiliğinden, bugün de kızdırdığı için kötülüğünden bahsettim." dedi. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا

---

[54] Buhârî târihinde Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmiştir. Neseî, Ebû Hüreyre ve Ebû Sa'id'den sahîh sened ile rivâyet etti.

"Bâzı beyânlarda sihir var."[55] buyurdu ve hoşuna gitmeyen adamın bu konuşmasını sihre benzetti. Bu sebepten, diğer bir haberde yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اَلْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ

"Kötü söz ve edebiyât yapmak, nifâktan birer şûbedir."[56] buyurdu. Diğer bir haberde:

إِنَّ اللّٰهَ يَكْرَهُ لَكُمُ الْبَيَانَ كُلَّ الْبَيَانِ

"Allahü Teâlâ, sizin fesâhatınızı ve fazîletinizi açığa çıkarmak maksadıyla son derece edebî konuşmalarınızı kerih görür."[57] diye vârid olmuştur. Bunun gibi İmâm Şâfiî (Allah rahmet etsin) "İtaat edip, hiç isyân etmeyen, isyan edip de hiç itaat etmeyen bir kimse düşünülemez. İyiliği kötülüğüne, itaati mâsiyetine galip olan âdil ve iyi bir insan demektir." demiştir.

Bu gibiler, Allahü Teâlâ hakkında âdil sayılırsa, senin hakkında da iyiliği kötülüğüne galip olan bâzı kusur sahiplerini âdil kabul etmen evleviyetle sâbit olur.

Dostun hakkında kötü konuşmamak sana borç olduğu gibi, kalbinden de ona sû-i zan etmemek yine sana borçtur. Zîra bundan da men edilmiştir. Bunun haddi, hareketlerini iyiliğe yormak mümkün olduğu müddetçe onları kötü mânâlara almamaktır. Ama açıkça bildiklerini de bilmezlikten gelmek mümkün de-

---

55. Taberânî **"Evsat"**ında: Hâkim **"Müstedrek"**inde Ebû Bekre'den rivâyet etmişlerdir.
56. Tirmizî rivâyet etti. Hâkim, Ebû Umâme'de rivâyet etti. Buhârî ile Müslim'in şartlarına göre sahih olduğunu söyledi.
57. İbn Sünnî **"Riyadâtü'l-Muallimîn"**de Ebû Umâme'den; Taberânî ise. **"Kebîr"**inde rivâyet etti.

ğildir. Onları da mümkün olduğu kadar unutup, yanılmasına bağışlamalısın. Bu gibi zannın bir kısmına "teferrüs" denir. Yâni bir alâmete dayanır ki, zarûrî olarak insanı şüphelendirir. Bundan kurtulmak, insanın elinde değildir. Bir kısmının menşei de bu husustaki yanlış bir inanışa bağlıdır. Adam, müsbet veyâ menfî şekilde yorumlanabilecek bir işi yapar. Fakat senin yanlış yorumun onu kötü mânâya çeker. Hâlbuki ortada onu kötülüğe tahsis edecek bir delîl yoktur. Böyle bir işi, bu gibi bir anlayışla kötülüğe yormak, bâtınî bir cinâyet; aynı zamanda mü'min hakkında haramdır. Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ اللّٰهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الْمُؤْمِنِ مِنَ الْمُؤْمِنِ دَمَهُ وَمَالَهُ
وَعِرْضَهُ وَأَنْ يَظُنَّ بِهٖ ظَنَّ السُّوءِ

"Allahü Teâlâ, mü'minin mü'mine kanını, malını ve ırzını haram ettiği gibi, aleyhinde kötü zanda bulunmayı da haram kılmıştır."[58] buyurmuştur. Diğer bir hadîste:

إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدٖيثِ

"Sû-i zandan son derece sakının. Zîra sû-i zan sözlerin en yalanıdır."[59] buyurulmuştur. Kötü zan, insanı tecessüs ve tahassüse yâni casusluk ve araştırmaya sevkeder. Hâlbuki Rasûl-i Ekrem (s.a.v.);

لَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَقَاطَعُوا وَلَا تَدَابَرُوا
وَكُونُوا عِبَادَ اللّٰهِ إِخْوَانًا

---

58. Hâkim, **"Tarih"**inde İbn Abbâs'dan (r.a.) rivâyet etmiştir. Râvileri kuvvetlidir. İbn Mâce benzerini İbn Ömer'den (r.a.) ve Müslim de benzerini Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmiştir.
59. Buhârî ile Müslim, Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

“Söz araştırmayın, gözünüzle kusur aramayın, ayrılmayın, birbirinize arka çevirmeyin! Ey Allah’ın kulları, kardeş olun.”[60] buyurmuştur.

Kusurları örtmek ve onları görmezlikten gelmek, dîndarların şiârıdır. En üstün rütbenin, kötülükleri gizleyip iyilikleri teşhîrde olduğunda, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’in duasında, Allahü Teâlâ’yı bu vasıf ile tavsîf etmesi, delîl olarak yeter. Duâ şudur: “Ey iyilikleri açığa çıkarıp çirkin işleri gizleyen Allahım!”

Allah’ın razı olduğu, kendi ahlâkı ile ahlâklanmaktır. Allahü Teâlâ ayıpları örter, günâhları bağışlar, kulunun kusurlarından vazgeçer. Sen senin gibi veyâ senden üstün olanların kusurlarını nasıl olur da, bağışlamazsın? O, senin ne kölendir, ne de yarattığındır. İsâ aleyhisselâm havârîlerine: “Uykuda olan kardeşlerinizin mahrem yerlerini rüzgârın açtığını görürseniz ne yaparsınız?” diye sordu. Onlar da: “Örter ve kapatırız.” dediler. Hz. İsâ: “Hayır, belki açar ve açığa çıkarırsınız.” deyince havariler: “Sübhanallah, böyle olur mu, kim böyle yapar?” dediler. Hz. İsâ: “Sizden birinizin dîn kardeşi hakkında bir söz duyduğunda, ona biraz daha ekleyip söylemesi. İşte uyuyan adamın açılmış olan mahrem yerini biraz daha açması gibidir.” buyurdu.

Bilmiş ol ki, insan kendisi için sevdiğini başkası için de sevmedikçe, kâmil bir îman sahibi olamaz. Kardeşliğin en düşük derecesi, onun sana karşı yapmasını sevdiğin şeyi ona yapmandır. Şüphesiz insan, arkadaşının kendisini örtmesini ve kusurlarını gizlemesini ister. Beklediğinin aksini arkadaşlarından görürse, ona karşı nefret ve kini uyanır. Kardeşinden beklediğinin aksini ona yapması, elbette insâfsızlık olur. Böyle yapanlara Kur'ân-ı Kerîm lisânıyla veyl (hasret) va'dedilmiştir. Nitekim Allahü Teâlâ:

---

[60] Buhârî ile Müslim, Ebû Hüreyre’den (r.a.) rivâyet etmişlerdir.

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ، اَلَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ

"Veyl ol kimselere ki, insanlardan aldıkları zaman, bol ve ağır alırlar; verdikleri zaman hafif de olsa eksik vermeye çalışırlar." (Mutaffifîn suresi, 83/1-3) buyurmuştur.

Verdiğinden fazlasını, yaptığından çoğunu bekleyen herkes, bu "Veyl"e dâhildir. Bu gibi mahrem şeyleri örtmeyip daha da fazla açmaya çalışmanın menşei, içinde yerleşen kin ve çekememezlik hastalığıdır. Bu hastalıklar kendisinde bulunan kimsenin, içi mel'anetle doludur; fırsat gözler, imkân buluncaya kadar onu açığa çıkarmaz. Fırsat bulunca da, ipin ucunu salıverir, utanma perdesini kaldırır, içindeki pis kokuları etrâfa saçmaya başlar. Bâtını kin ve haset ile dürülmüş olan kimseden ayrılmak daha makbuldür. Hakimlerden birisi: **"**Açık tektir, gizli bekleyen kinden daha hayırlıdır. Kindar adamın iyiliği, uzak kalmasıdır. Kalbinde bir Müslüman'a karşı kin ve hasedi olan kişinin imânı zayıf ve sonu tehlikelidir. Bu habîs kalp ile Allah'a ulaşamaz." demiştir.

Abdurrahman b. Nüfeyr[61] babasının şöyle dediğini anlatıyor: "Ben Yemen'de iken, Yahudi bir komşum vardı. Bana Tevrat'tan bâzı haberler verirdi. Yahudi, bir yolculuğundan dönüp geldiğinde kendisine: "Allah bize bir Peygamber gönderdi. O Peygamber bizi İslâm dinine dâvet etti. Biz de Müslüman olduk ve bize bir kitâb indirdi. O kitâb Tevrât'ı da tasdik ediyor." dedim. Yahudi: "Doğrusun, fakat siz onun hükmünü hakkıyla yerine getiremezsiniz. Çünkü biz, o peygamberin ve ümmetinin vasıflarını Tevrât'ta şöyle gördük: "Evin eşiğinden çıkan bir kimsenin, hiç bir Müslüman'a karşı haset ve kin duyguları beslemesi helâl olmaz." dedi.

---

[61] Hazremîdir, Künyesi Ebû Ahmed'dir. Sikadandır. Şam'ın büyük tâbiîlerindendir. Buhârî'den başkaları kendisinden rivâyette bulunmuşlardır. Hişam'ın hilâfeti zamanında 118 Hicrîde ölmüştür.

Kendisine emânet ettiği sırrı ifşâdan kaçınması lâzımdır. Yalan da olsa onu inkâr etmesi îcab eder. Çünkü her ne kadar doğru söylemek vâcip ise de bâzı istisnaları vardır. İnsan yalan söylemekle de olsa kendi kusurlarını gizlemesi câiz olduğu gibi, kardeşi hakkında da böyle yapması caizdir. Zîra kardeşi demek, kendisi demektir. Onlar her ne kadar, bedenleri ayrı ise de gerçekte ayrılmayan bir şahıs gibidir. İşte gerçek kardeşlik budur. Hattâ gizli yapılması gereken amelleri onun yanında âşikâre yapmakla mürâî de olmaz. Çünkü o, aynen kendisi demektir. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ سَتَرَهُ اللّٰهُ تَعَالٰى فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ

"Din kardeşinin ayıplarını örten kimsenin, Allahü Teâlâ dünya ve âhirette kusurlarını örter."[62] buyurmuştur. Diğer bir haberde:

فَكَأَنَّمَا أَحْيَا مَوْؤُدَةً

"Bir ölüyü diriltmiş gibi olur."[63] diye vârid olmuştur. Diğer bir hadîste:

---

[62] İbn Mâce, İbn Abbâs'dan (r.a.); Müslim, Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir. Ayrıca Buhârî ile Müslim, İbn Ömer'den (r.a.) biraz farklı ifâde ile rivâyet etmişlerdir.

[63] Ebû Dâvûd, Neseî ve Hâkim, Ukbe b. Âmirden (r.a.) rivâyet etmişler. Hâkim, isnâdının sahih olduğunu söyledi.

إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِحَدِيثٍ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهُوَ أَمَانَةٌ

"Bir adam, etrafına bakınarak bir söz söylediği zaman o söz (oradakilere) *emânettir."*[64] buyurulmuştur. Başka bir hadîste şöyle buyrulmuştur:

اَلْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ إِلَّا ثَلَاثَةَ مَجَالِسَ: مَجْلِسٍ يُسْفَكُ فِيهِ دَمٌ
حَرَامٌ، وَمَجْلِسٌ يُسْتَحَلُّ فِيهِ فَرْجٌ حَرَامٌ، وَمَجْلِسٌ يُسْتَحَلُّ
فِيهِ مَالٌ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ

"Meclisler, emniyet yeridir (orada konuşulanlar hârice çıkmaz). *Ancak üç meclis müstesnâdır: Birisi, haksız olarak adam öldürmek için konuşulan, diğeri başkasının ırzına taarruz için konuşulan, üçüncüsü de başkasının malına tecâvüz için konuşulan sözlerdir, bunlar söylenir."*[65] Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّمَا يَتَجَالَسُ الْمُتَجَالِسَانِ بِالْأَمَانَةِ وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدِهِمَا أَنْ
يُفْشِيَ عَلَى صَاحِبِهِ مَا يَكْرَهُ

"İki kişi bir arada oturup konuşurken, birbirine itimad ederek konuşurlar. Artık yekdiğerinin sevmedikleri şeyleri açıklamaları helâl olmaz."[66] buyrulmuştur. Edîblerden birisine sormuşlar: "Sır saklayabilir misin?" Edib; "Evet, ben sırlar mezarıyım." diye cevap vermiştir. Nitekim:

---

64. Ebû Dâvûd ve Tirmizî, Câbir'den rivâyet etmişlerdir. Tirmizî, "hasendir" dedi.
65. Ebû Dâvûd, Câbir'den (r.a.) rivâyet etti. İsmini vermediği kardeşinin oğlu da râviler arasındadır.
66. Ebû Bekir b. Lâl, **"Mekârim-i Ahlâk"**da, Enes den (r.a.): İbn Mübarek, **"Zühd"**ünde Ebû Bekir b. Hazm'dan mürsel olarak; Hâkim, İbn Abbâs'dan (r.a.) biraz farklı ifâde ile rivâyet etti ve "sahih" olduğunu söyledi.

“Erkeklerin göğüsleri, sırların mezârıdır.” denilmiştir. Denildi ki: Ahmak olanın kalbi ağzında; akıllının dili kalbindedir. Yâni ahmak sır saklayamaz; her bildiğini olur olmaz yerde söyler. Bunun için ahmak ile sohbetten ve düşüp kalkmaktan uzak kalmak lâzımdır. Birisine: “Sırrı nasıl muhafaza edersin?” diye sormuşlar. O: “Haber vereni inkâr eder, haber almak isteyene de yemin ederim.” dedi. Diğer birisi de: “O sırrı gizlerim ve gizlemekte olduğumu da gizlerim.” dedi. Nitekim **İbn Mûtez** bunu şöyle ifâde etmiştir:

وَمُسْتَوْدَعِي سِرًّا تَبَوَّأْتُ كَتْمَهُ فَأَوْدَعْتُهُ صَدْرِي فَصَارَ لَهُ قَبْرًا

“Açıklamayı istemediğim bana emânet edilen bir sırrı, göğsüme yerleştiririm de göğsüm ona mezar olur.” Diğer birisi, daha da ileri giderek şöyle demiştir:

وَمَا السِّرُّ فِي صَدْرِي كَثَاوٍ بِقَبْرِهِ لِأَنِّي أَرَى الْمَقْبُورَ يَنْتَظِرُ
النَّشَرَا وَلٰكِنَّنِي أَنْسَاهُ حَتّٰى كَأَنَّنِي بِمَا كَانَ مِنْهُ لَمْ أُحِطْ سَاعَةً
خَبَرًا وَلَوْ جَازَ كَتْمُ السِّرِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَنِ السِّرِّ وَالْإِحْشَاءِ لَمْ
تَعْلَمِ السِّرَّا

“Sır, benim göğsümde mezarda bekleyen gibi de değildir. Çünkü mezarda olanlar, dirilip açığa çıkmayı bekliyorlar. Ben, bana emânet edilen sırrı öyle unuturum ki, sanki ömrümde duymamış gibi olurum. Eğer sır ile aramızda sırrı gizlemek mümkün olsaydı, onu gizleyip yok ettiğimden, sırrın bile haberi olmazdı.”

Adamın biri başka birisine, bir sırrını söyler ve “Bunu kimseye söyleme, muhâfaza et” der. Öteki adam: “Ben onu unuttum.” diye cevap verir.

Ebû Said Sevrî şöyle anlatıyor: "Dost edineceğin adamı, önce kızdır sonra üzerine bir adam sal, ona senden sorsun. Şâyet iyiliğine konuşur ve sırrını gizlerse, bu adam sâdıkdır. Onunla dostluğunu devâm ettir."

Ebû Yezid el-Bistâmî'ye: "Kim ile arkadaşlık edeyim?" diye soran adama Ebû Yezîd: "Allahü Teâlâ'nın senin hakkında bildiği gizli kusurlarını bildiği halde, onları Allahü Teâlâ'nın gizlediği gibi gizleyen kimse ile arkadaşlık et." diye cevap vermiştir.

Zûnnûn-ı Mısrî: "Seni her yönden masûm görmek isteyenin sohbetinde hayır yoktur. Kızdığı vakit sırrı ifşâ edenler, alçak kimselerdir. Zîra huzûr ve sükûn anında sırrı gizlemek, tabiat iktizâsıdır. İnsanlık onu hiddet anında saklamaktadır." demiştir.

Hakimlerden biri: "Dört hâlinde değişiklik gösteren kimse ile arkadaşlık etme. Onlar da hiddet, sükûn, tamah ve şehvet arzularının galeyana geldiği sıradadır. Kardeşliğin sadâkati, bütün bu hallerde de değişmemektir." demiştir.

Bunun için şöyle denilmiştir:

وَتَرَى الْكَرِيمَ إِذَا تَصَرَّمَ وَصْلُهُ يُخْفِي الْقَبِيحَ وَيُظْهِرُ
الْإِحْسَانَا وَتَرَى اللَّئِيمَ إِذَا تَقَضّٰى وَصْلُهُ يُخْفِي الْجَمِيلَ
وَيُظْهِرُ الْبُهْتَانَا

"Kerem sahibi insanlarla aran açılsa bile, yine iyiliğini söyler ve kötülüğünü gizlerler. Kötü insanlarla dostluğun sona erince, iyiliğini gizler ve aleyhinde konuşurlar."

Hz. Abbas (r.a.) oğlu Abdullah'a: "Oğlum, bu adamın (yâni Hz. Ömer) seni yaşlıların da önüne geçirdiğini görüyorum. Sana beş tavsiyede bulunacağım, onlara dikkat et: Kimsenin sırrını ona açma, yanında kimseyi gıybet etme, sakın ona yalan söyleme emirlerine karşı isyan etme ve hiç bir sûretle kendisine hıyânette bulunma." demiştir. Şa'bî diyor ki: "Şu beş tavsiyenin her biri bin altından kıymetlidir."

Yine dostunun her sözüne itirazdan ve onunla mücâdeleden susman lâzımdır. Nitekim **İbn Abbâs** (r.a.): "Âdi kimselerle mücâdele etme, seni üzerler. Halim adamlarla mücâdele etme, sana küserler." demiştir.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de bir hadîsinde:

مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ،
وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ

"Haksız olduğu halde mücâdeleden vazgeçen kimseye, Allahü Teâlâ cennetin kenar yerinde bir ev inşâ ettirir. Haklı olduğu halde mücâdeleden kaçınan kimseye ise cennetin ortasında bir köşk inşâ ettirir."[67] buyurmuştur. Haksız mücâdeleyi terk etmek vâcip iken, Allahü Teâlâ burada nâfilenin sevâbını vâcibin sevabından daha üstün kılmıştır. Çünkü haksız mücâdeleden vazgeçmek, haklı mücâdeleden vazgeçmekten daha kolaydır. Hakka sükût, bâtıla sükûttan zordur. Mükâfat, güçlük ve zahmet nispetindedir. Dostlar arasında kin ateşini en kuvvetli tutuşturan, münâkaşa ve mücâdeledir. Çünkü mücâdele, ayrılmanın ve arka çevirmenin tâ kendisidir. Zîra ayrılık önce fikirde, sonra sözde ve daha sonra işte kendini gösterir. Hâlbuki Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَقَاطَعُوا وَكُونُوا

---

[67] Tirmizî ve İbn Mace, Enes bin Mâlikden. Ayrıca C. 1 S: 121'de geçmişti.

عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا؛ اَلْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَحْرِمُهُ
وَلَا يَخْذُلُهُ؛ بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ

"Birbirinize arka çevirmeyin, husûmet beslemeyin, çekememezlik yapmayın, aranızı açmayın. Ey Allah'ın kulları, kardeş olun. Müslüman, Müslüman'ın kardeşidir; ona zulmetmez, onu mahrum etmez, onu terk etmez. Kişiye kötülük bakımından din kardeşine hakâret etmesi yeter."[68] buyurmuştur. Hakaretin en ağırı, münâkaşa ve mücâdeledir. Çünkü başkasının sözünü reddetmek, onu cehâlet ve ahmaklıkla yâhut gafletle ve bir şeyi olduğu gibi anlayamamakla itham etmektir.

Ebû Umâmetü'l-Bâhilî şöyle anlatıyor: "Biz mücâdele hâlinde iken Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) çıkageldi. Bu manzara karşısında canı sıkılarak şöyle buyurdu:

ذَرُوا الْمِرَاءَ لِقِلَّةِ خَيْرِهِ، وَذَرُوا الْمِرَاءَ فَإِنَّ نَفْعَهُ قَلِيلٌ وَإِنَّهُ
يُهَيِّجُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ

"Mücâdeleyi terk edin. Zîra onun kârı azdır. Mücâdeleyi terk edin. Faydası az olduğu gibi, dostlar arasına husûmetin girmesine sebep olur."[69] buyurmuştur. Seleften bir zât "İnsanlara husûmet edip, onlar ile mücâdele eden kimsenin, mürüvveti azalır ve kerâmeti, yâni iyiliği kaybolur." demiştir.

---

[68] Müslim, Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmiştir. İlk fıkraları, Buhârî ile Müslim'dendir.

[69] Taberânî "**Kebir**"inde Ebû Umâme, Ebûd-Derdâ, Vâile ve Enes'den (r.a.) rivâyet etti. Yalnız "li kıllat-i hayrihi"den aşağısı yoktur. Bundan sonrasını da Ebû Mansûr Deylemî "**Müsned-i Firdevs**"inde Ebû Umâme'den rivâyet etmiştir.

Abdullah b. el-Hasan: "İnsanlarla mücâdeleden kaçın. Çünkü iyilerinin mekrine, kötülerinin ânî saldırışlarına marûz kalabilirsin." demiştir. Seleften biri: "İnsanların en âcizi dost edinmeyen; bundan daha âcizi dostlarını kaybedendir." demiştir. Şüphesiz lüzûmsuz münâkaşalar, dostları azaltır ve hasımları çoğaltır.

Hasan-ı Basrî "Bin kişinin dostluğuna, bir kişinin düşmanlığını satın alma." demiştir.

Hülâsa; Mücâdelenin yegâne sebebi, karşısındakinin cehâletini ortaya koymak sûretiyle onu tahkir edip kendisinin akıl, fazîlet ve şeref üstünlüğünü isbâta çalışmaktır. Bu ise kibri, karşısındakine hakareti, onu cehalet ve ahmaklıkla ithâmı gerektirir ki, zâten düşmanlık da bu demektir. Daha kardeşlik ve dostluk nerede kalır?

İbn Abbâs (r.a.) Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) den şöyle rivâyet etmiştir:

لَا تُمَارِ أَخَاكَ وَلَا تُمَازِحْهُ وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفَهُ

"Kardeşinle mücâdele etme, onunla alay etme, ona verdiğin sözden dönme."[70] Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّكُمْ لَا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ وَلٰكِنَّ لِيَسَعْهُمْ مِنْكُمْ
بَسْطُ وَجْهٍ وَحُسْنُ خُلُقٍ

"Siz, mallarınızla herkesi memnun edemezsiniz. Öyle ise onları güler yüz ve güzel ahlâk ile memnun etmeye çalışın."[71] buyurmuş-

---

[70] Hadîsi, Tirmizî rivâyet etti.

[71] Ebû Ya'la el-Mûsılî ve Taberânî "**Mekârîm-i Ahlâk**"da; İbn Adiy "**Kâmil**"inde rivâyet ettiler. Hâkim, "sahih" olduğunu söylemiştir. Beyhakî de "**Şuabü'l-İmân**"ında Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

tur. Mücâdele, güzel ahlâkın zıddıdır. Selef, bu hususta o kadar ihtiyatlı davranırlardı ki, mücâdele olur diye soru bile sormazlardı. Hattâ arkadaşına "Kalk, gidelim." dediğin zaman "Nereye gideceğiz?" derse onunla arkadaşlık etme. Onun hakkı, hiç sormadan kalkmaktır." dediler.

Ebû Süleyman Dârânî anlatıyor: "Irak'ta bir dostum vardı. Zaman zaman ziyâretine giderdim. Kendisine: "Paraya ihtiyâcım var." derdim. O da para kesesini bana uzatır, ihtiyacım kadarını alır, diğerini kendisine iâde ederdim. Bir defa yine gittim ve ihtiyacım olduğunu söylediğimde "Ne kadar paraya ihtiyacın var?" diye sorması, benim kalbimden kardeşlik sevgisini ve tadını azalttı."

Başka bir zât: "Kardeşliğinden bir şey istediğin zaman, "Ne yapacaksın?" diye sorarsa, kardeşlik hakkını kaybetmiş olur." dedi. Bilmiş ol ki; kardeşliğin devâmı sözde, işte ve şefkatle mükâfat ile kabildir.

Ebû Osmân Hiyerî:[72] "Dostların birbirine müvâfakatı, birbirlerine şefkatlerinden daha hayırlıdır." dedi. Bu, tam dediği gibidir.

Dördüncü Hak

Dördüncü hak, konuşmak iledir. Kardeşlik, kötü sözlerden sükûtu gerektirdiği gibi, iyi sözleri konuşmayı da gerekli kılar. Muhabbeti artıracak sözleri konuşmak, kardeşliğin hususiyetlerindendir. Çünkü sükût ile iktifâ edenler, ölüler ile kardeşlik etmiş gibi olur. Kardeşlik edinmekteki gaye, onlardan faydalanmaktır.

---

[72] Saîd b. İsmail'dir. Nisâbûr'da ikamet ederdi. Orada Kirmanşah ve Yahya b. Muâz Râzi ile görüştü. Sonra Ebû'l-Hafs el-Haddâd ile buluştu ve onun yanında kaldı. 283 Hicrîde öldü. Kuşeyrî "**Risâle**"sinde: "Dünyâda üç adam var: Ebû Osmân Nisâbur, Cüneyd-i Bağdadî ve Şam'da İbn Celâ." demiştir.

Yalnız eziyetlerinden kurtulmak değildir. Sükût demek, zahmet vermemek demektir. O halde, dili ile ona sevgisini anlatmalı, hoşlandığı hususlarını araştırmalı. Meselâ, bir derdi olup olmadığını sormalı ve üzüntüsünü izhâr etmelidir. Neşeli hallerinde sevincini izhâr etmeli ve onu dostuna anlatmalıdır. Kardeşliğin mânâsı, neşe ve sevinci, elem ve kederi paylaşmak demektir. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ

"Sizden biriniz kardeşini sevdiği zaman, sevdiğini ona duyursun."[73] buyurmuştur. Sevgisini de duyurmayı emir buyurması, sevginin artmasına vesîle olması bakımındandır. Şüphesiz karşısındaki adam, onu sevdiğini duyarsa, elbette o da seni sever; onun sevdiğini sen de bilirsen, senin de ona sevgin artar, derken her iki taraftan da sevgi çoğalır. Müslümanlar arasında karşılıklı sevişme; şerîatte matlûb ve dînde mahbûbtur. Bunun için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) sevişmenin yolunu bildirmek üzere:

"Hediyeleşin ki, sevişesiniz."[74] buyurmuştur. Sevginin tezâhürü olarak, konuşma şekillerinden birisi de huzûrunda ve gıyâbında hoşlandığı isim ile onu anmaktır.

Hz. Ömer (r.a.): "Üç şey kardeşlik meveddetini sâfîleştirir: Selâm, mecliste yer vermek, sevdiği isim ile onu çağırmaktır." buyurdu.

Konuşması gerekenlerden birisi de, methedilmeyi arzu ettiği kimseler yanında onun iyiliklerini konuşmaktır. Sevgiyi celb etmenin en kuvvetli âmillerinden birisi de budur. Bunun gibi âile efrâdını, sanatını, işini, aklını, ahlâkını, kalıp ve kıyâfetini, yazısını, şiirini, eserlerini ve bütün hoşuna giden şeyleri -yalan ve ifrâta varmamak şartıyla- övmektir. Meselâ senin çocukların, şimdiki çocukların en iyisidir, demek gibi. Bunlardan daha mühimi, onu övenlerin methettiklerini, neşeli neşeli ona anlatmaktır. Bunu gizlemek, hasetten başka bir şey değildir.

---

[73] Ebû Dâvûd ve Tirmizî rivâyet ettiler. Tirmizî, "hasen ve sahîh" olduğunu söyledi. Ayrıca Hâkim de Mikdâd b. Ma'd-i Kerîb'den rivâyet etmiştir.

[74] Beyhakî, Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

Konuşulması gereken şeylerden birisi de, senin için yaptıklarına ve hattâ yapmak istediklerine karşı ona teşekkür etmektir. Nitekim **Hz. Ali** (r.a.): "Kardeşliğinin kendi hakkındaki samimî düşünce ve niyetlerine teşekkür etmeyen, yaptığı iyiliklere de teşekkür etmemiş olur." demiştir.

Sevgiyi celb etmekte bunlardan daha mühimi de, gıyâbında ona hazırlanan sû-i kast karşılığında veyâ hakkında söylenen kötü sözlerde onu müdâfaa etmektir. Kardeşliğin hakkı budur. Kardeşliğini korumak ve ona yardımcı olmak için dâima paçaları sıvayacak ve hasımlarını susturmaya çalışacaktır. Kardeşliği aleyhindeki cereyânlara karşı sükûtu tercih etmek, samîmiyeti bozar, nefret uyandırır ve kardeşlik hakkında noksanlık olur. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in, kardeşleri iki ele benzetmesi, birbirlerine yardım etmeleri ve nöbetleşe birbirinin vazifelerini görmeleri bakımındandır. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اَلْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَثْلِمُهُ

"Müslüman, Müslüman'ın kardeşidir; onu terk ve ihmâl etmez." buyurmuştur. O'nun şerefini paymâl edecek sözlere susmakla, etinin parçalanmasına susmak arasında bir fark yoktur. Ne alçak arkadaştır ki, köpeklerin seni parçalamakta olduğunu gördüğü halde, seyirci kalır da seni kurtarmaya gelmez. Şefkat

ve samîmiyeti onu harekete getirmez. Şerefini zedeleyici sözler, köpeğin eti parçalamasından daha müessirdir. Bunun için Allahü Teâlâ bu gibi gıybet edenleri ölü eti yemeye benzeterek:

أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا

“Sizden biriniz, ölü kardeşinin etini yemeyi sever mi?” (Hücûrat suresi, 49/12) buyurmuştur. İnsanın rüyâsında melekleri görebilmesi, rûhun Levh-i Mahfuz’da melekleri düşünebildiği şekil üzerindedir. Bunun gibi gıybet de, ölü eti yemeye benzetilmiştir. Hattâ rüyâ tâbircilerine göre, rüyâsında ölü eti yediğini görmesi, gıybet etmesi demektir. Zîra o meleği temsîlde, melek ile temsîl ettiği şeyler arasında bir benzerlik ve ortaklık iddiâ etmektedir. Fakat bu benzerlik sûrette değil, rûh mesâbesinde olan mânâdadır.

Görülüyor ki; kardeşlik bağlarında, kardeşliği her türlü saldırılardan korumak vâciptir. Onun için **Mücâhid** şöyle diyor: “Gıyâbında, kardeşliğinin seni nasıl anmasını istersen, sen de onun gıyâbında onu öyle an.” Şimdi elinde iki mi’yâr (ölçü) bulunuyor: Birincisi; kardeşliğinin hakkında söylenenler, senin hakkında ve kardeşliğinin yanında söylense, onun ne gibi konuşmalarından sen memnûn olacaktın? İşte sen de aynı müdâfaayı onun için yapmalısın. İkincisi; aleyhinde konuşulan dostunun perde arkasında dinlemekde olduğunu ve fakat onun seni orada bilmediğini farzetsen, o zaman nasıl konuşmak isterdin ve hangi sözlerini ona duyurmayı arzu ederdin? İşte gıyâbında da böyle konuşman lâzımdır. Zâtın biri şöyle anlatıyor: “Kardeşliğimin, gıyâbında bir söz açıldığı zaman, onu mecliste kabul eder ve huzûrunda nasıl konuşacaksam, gıyâbında da öyle konuşurum.”

Diğer birisi de: "Kardeşimin gıyâbında bir söz konuşulduğu zaman onu benim yerime koyar ve onun hakkında neler konuşacağından hoşlanırsam, ben de onun hakkında öyle konuşurum." demiştir. İşte şu anlattıklarımız, İslâmiyet'in sadâkatindendir. O da, kendisi için uygun gördüğünü, dîn kardeşi için de uygun görmektir.

Ebû'd-Derdâ (r.a.) tarlada, bir boyundurukta koşulu iki öküz gördü, öküzlerden birisi kaşınmak için durunca, öteki de durdu. Bunu gören Ebû'd-Derdâ ağlayarak: "İşte Allah için kardeşlik böyle olur; ikisi de Allah için çalışır. Fakat biri durduğu zaman, öbürü de ona uyar." dedi. İhlâs, ancak birbirine uymakla tamam olur. Kardeşliğinde hâlis olmayanlar, münâfıktır. İhlâs demek huzûr, gıyâb, lisân, kalp, gizli, âşikâr, tenhâ ve halk içinde davranışın değişmemesi demektir. Bunların birisinde ihtilâf ve tavrın değişmesi, dostluğun bozulması demektir ki, bu da, dînde hilekârlık ve imân yolunda tenbelliktir. Bu şekilde kardeşlik haklarına riâyet edemeyenlerin, herkesten ayrılıp uzlete çekilmeleri ve yalnız bir hayat yaşamaları, kardeşlik ve arkadaşlık yapmalarından daha uygundur. Çünkü sohbetin hakkı ağırdır, ona ancak gerçekçiler dayanır; ecri büyüktür. Onu da ancak başaranlar alır. Bunun için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَبَا هِرَّ أَحْسِنْ مُجَاوَرَةَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا وَأَحْسِنْ
مُصَاحَبَةَ صَاحِبِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا

"Ey Ebû Hirre, komşun ile güzel komşuluk et ki, Müslüman olasın. Arkadaşın ile güzel arkadaşlık et ki, mü'min olasın."[75] buyur-

---

[75] Tirmizî ve İbn Mâce, Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmişlerdir. Dârekutnî "hadis sâbittir." demiştir.

muştur. Bir defa düşününüz; nasıl Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) imânı, güzel sohbetin mükâfatı, İslâmiyet'i de güzel komşuluğun mükâfatı kılmıştır. Îman ile İslâm'ın aralarındaki fazîlet farkı, komşu hakkındaki şefkat ile arkadaşın hakkını edâ etmek arasındaki fark gibidir. Sohbet, devâmlı ve birbirini tâkip eden birçok hakları iktizâ eder. Komşuluk ise bâzı zamanlarda bir komşuluk hakkını gerekli kılar.

Dostuna öğretmek ve öğüt vermek de, konuşması gereken hususlardandır. Kardeşliğinin ilme olan ihtiyâcı, mala olan ihtiyâcından az değildir. Şayet ilim cihetinden zengin isen onu, onunla bölüşmen gerekir. Dünya ve âhiretine yarayacak şeyleri kendisine öğretmen iktizâ eder. Şâyet öğrettiğini tatbik etmezse, nasihat etmen lâzım gelir. Nasihat ise bulunduğu yanlış yolun kötülüklerini ve terkindeki faydaları anlatmak ve kötü işlerinden dolayı onu korkutmaktır. Bu sâyede belki vazgeçer, aklını başına alır, kusurlarını anlar ve onlardan tövbe eder. Fakat bu nasihat ve öğütler, kimsenin göremeyeceği tenhâ yerlerde olmalıdır. Halk arasındaki öğüt, onu teşhîr ve terzîldir. Tenhâdaki ikaz, şefkat ve nasihattir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اَلْمُؤْمِنُ مِرْاٰةُ الْمُؤْمِنِ

"Mü'min, mü'minin aynasıdır."[76] buyurmuştur. Yâni kendisinde göremediğini onda görür, bu sâyede kendi kusurlarını da anlamış olur. Tek başına istifâde edemez. Karşısındaki aynada, yüzünün kusurlarını gördüğü gibi. İmâm Şâfiî: "Kardeşine, gizli vaaz edip öğüt veren, ona gerçek nasihat etmiş ve onu yükseltmiştir. Halk arasında öğüt vermeye kalkışan, onu rüsvay ve perişan etmiştir." demiştir.

---

[76] Ebû Dâvûd, Ebû Hüreyre'den (r.a.) hasen isnâd ile rivâyet etmiştir.

Mis'ar'a: "Noksanlarını sana haber vereni sever misin?" diye sorduklarında, o: "Şâyet tenhâ yerde ve nasihat yolu ile bunları söylerse ne güzel. Amma halk arasında beni rüsvây ederse, aslâ sevmem." dedi ve doğru söyledi. Zîra alenî nasihat, insanı teşhirden başka bir şey değildir.

Allahü Teâlâ, kıyâmet gününde mü'min kulunu rahmetinin gölgesine almak sûretiyle muâtebe eder. Ona gizlice günâhlarını hatırlatır. Bâzen de amel defteri, onu cennete götürecek meleklerin eline mühürlü olarak teslim edilir. Cennete yaklaştıklarında, okuması için, kapalı olarak zarfı kendisine takdîm ederler. Fakat gadabına uğrayanların soruşturmaları halk arasında yapılır. Bütün âzâları rezaletlerini ortaya döker, herkesin huzûrunda rezil, rüsvây ve perişan olurlar. O büyük arz gününün rezâletinden Allah'a sığınırız. Gizli nasihatle âşikâre nasihat ve tevbîh aralarındaki fark, göz yummaya sebep olan, müdârâ ile müdâhene arasındaki fark gibidir. Dîninin selâmeti nâmına susuyor ve arkadaşının düzelmesini sükûtta buluyorsan, müdârâ etmiş olursun. Yok eğer mevkiini korumak ve nefsinin arzularına uymak için susarsan müdâhene etmiş olursun. Müdârâ makbul, müdâhene mezmûmdur.

Zünnûn-ı Mısrî şöyle anlatıyor: "Allah ile musâhabetin O'nun emirlerine uymakla; halk ile sohbetin onlara nasihat etmekle, nefis ile buluşman ona muhalefetle, şeytan ile buluşman da ona husûmet ile olsun."

Şâyet "Nasihat, adamın kusurlarını sayıp dökmek olduğuna göre, onun kalbini kırmak vardır. Bu, nasıl olur da kardeşlik olur?" dersen bilmiş ol ki: "Kalbin kırılması, kardeşliğinin bildiği ve bilerek yaptığı kusurları ona anlatmaktadır. Bilmediklerini ona anlatmak ise ayn-ı şefkattir. Şefkat, aklı başında olanların kalbini sana doğru çeker. Ahmaklara zâten iltifat edilmez." Zîra seni uzaklaştırmak için, yapmış olduğun kötü bir işi veyâ kötü bir huyunu sana haber veren kimse, seni öldürmeye hazırlanan eteğinin altındaki yılan ve akrebi sana haber veren gibidir. Şâyet bu, senin hoşuna gitmiyorsa, tam bir ahmaksın. Kötü huylar, yılan ve akrepler gibi ve belki de onlardan fenâdır. Yılan ve akrepler, fâni hayatını sona erdirir. Onlar ise âhirette ebedî hayâtını mahv u perişan ederler. Onların verdiği acı, yılan ve akrebin verdiği acıdan daha fenâdır. Onlar kıyâmette Allahu Teâlâ'nın hazırladığı ateşten yaratılacak ve seni zehirleyeceklerdir.

Bunun için **Hz. Ömer** (r.a.), kusurlarını dâima arkadaşından sorar ve "Arkadaşına kusurlarını haber verene Allah rahmet etsin." derdi. Hattâ bir vâlilikten dönen **Selmân**'a: "Benim hakkımda neler duydunsa söyle." deyince Selmân, af ve özür diledi. Hz. Ömer (r.a.) ısrar edince Selmân (r.a.): "Senin hakkında biri gecelik, diğeri sabahlık olmak üzere iki elbise giyiyor ve bir sofrada iki kap yemek bulunduruyor, dediklerini duydum." dedi. Bunun üzerine **Hz. Ömer**: "Bunlardan vaz geçtim. Başka duydukların var mı?" diye tekrâr sorunca, Selmân (r.a.): "Hayır, başka bir şey duymadım." dedi.

Huzeyfetü'l-Mer'asî, **Yusuf b. el-Esbât**'a yazdığı bir mektupta: "Haber aldım ki, sen iki habbeye dînini satmışsın. Duyduğuma göre sütcüye gitmiş, südün fiyatını sormuşsun. Adam "Dirhemin altıda biri." deyince sen, "Hayır, sekizde biri olsun." dedin ve adam da seni bildiği için hemen "Süt senin olsun." dedi ve sen de aldın. Başından gâfiller perdesini kaldır, ölülerden ibret al. Bilmiş ol ki, Kur'ân'ı okuyup başkasından müstağnî olmayan ve dünyalığı tercih eden kimse, Allahü Teâlâ'nın âyetleri ile istihzâ etmekten emîn olamaz. Allahü Teâlâ yalancıları, nasihatçilere buğz ile vasıflandırmıştır. Nitekim:

وَلٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ

"Fakat onlar nasîhat edenleri sevmezler." (A'râf suresi, 7/79) buyurulmuştur. Bütün bunlar, bilmediği kusurları hakkında alınacak tedbirlerdir. Fakat bilerek yanılıp yaptığı ve gizlemeye çalıştığı kusurlarını açıklamak uygun olmaz. Sâyet bu kusurlarını açıkça irtikâb ediyorsa bâzen şaka, bâzen îmâ ve bâzen de nefreti mûcib olmayacak şekilde, açıkça anlatmaya çalışmalısın. Şâyet nasihatin kâr etmeyeceğini ve kendisinin o kötülüğe ısrar etmeye mecbur kalmış bir vaziyete düştüğünü anlarsan, o zaman sükût etmen daha uygun olur. Bütün bunlar, kardeşliğinin dîn ve dünyasında kendi yararı ile alâkalı şeylerdendir.

Fakat sana karşı olan kusurlarına gelince: Onlara dayanmak, bağışlamak ve onlardan vaz geçmekle onları görmemezlikten gelmek, senin vazîfendir. Bu hususlarda ona dokunmak, nasihat değildir. Eğer devâmı, aranızın açılmasına sebebiyet verecekse, gizlice ikazda bulunmak, ayrılmaktan ehvendir. Îmâ yolu ile onlara dokunmak, açıkça söylemekten; yazı ile bildirmek de şifâhî söylemekten daha ehvendir. Bununla beraber tahammül etmek, hepsinden daha hayırlıdır. Zîra sana yakışan, arkadaşlıktan maksadın, arkadaşının haklarına riâyet ederek kendini düzeltmek ve onun hakkını ödemekle kusurlarına tahammül etmek olmalı ve ondan yardım görmek maksadı olmamalıdır.

Ebû Bekir Kettânî[77] şöyle anlatıyor: "Bir adam bana arkadaş olmuştu. Arkadaşlığı bana ağır geliyordu. Bu ağırlığın kalkması için kendisine bir hediyede bulundumsa da, yine bu ağırlık zâil olmadı. Bir gün elinden tuttum, evime getirdim ve "Ayağını yüzüme koy." dedim. Adam bundan çekindi ise de ısrârım üzerine dediğimi yaptı ve ona karşı duyduğum ağırlık benden kalktı."

---

[77] Adı Muhammed b. Ali el-Bağdadî'dir. Cüneyd ve benzerlerinin sohbetinde bulundu. 322 Hicrîde ölünceye kadar Mekke'de mücavir kalmıştır.

Ebû Ali er-Ribâtî şöyle anlatıyor: "Abdullah-ı Râzî ile arkadaş oldum. Beraber çölde gidiyorduk. Abdullah bana:

- "Sen mi reis olacaksın, ben mi?" dedi. Ben de:

- "Sen reis olacaksın." dedim. Abdullah:

- "O halde sen de bana itâat edeceksin." dedi. Ben de:

- "Başüstüne." dedim. Abdullah, azığı bir torbaya koydu ve omuzuna astı. Ben:

- "Torbayı bana ver." dedim. Abdullah:

- "Sen bana itâate mecbursun." dedi. Yolda yağmura yakalandık. Başıma bir şemsiye gibi siper oldu ve beni sabaha kadar yağmurdan korudu. Ses çıkaramadım. Ancak kendi kendime "Keşke ölseydim de ona sen başkan ol, demeseydim." dedim."

Beşinci Hak

Beşinci hak: Bâzı sürçme ve hatâlarını bağışlamaktır. Dostun sürçmeleri ya bir mâsiyet irtikâbı ile dîninde olur. Yâhut kardeşine karşı kardeşlik hatâsından olur. Günâh irtikâbındaki hatâları ve onlardaki ısrârına gelince, eğriliğini doğrultacak, dağınık hâlini toplayacak, salâhını iâde edecek ve hâlini düzeltecek şekilde güzel nasihatlerde bulunursun. Şâyet tesîr etmez ve hatâlarında ısrâr ederse, samîmiyetin devâmı veyâ kesilmesi hususunda ashâb ve tâbiînden gelen haberler muhteliftir.

Ebû Zer (r.a.): "Bu gibilerden ayrılmalıdır." dedikten sonra şöyle devâm etmektedir: "Kardeşliğin, vaziyetini ıslâh ettiği zaman onu nasıl sevdinse, bu defa da buğz etmelisin. Bu, Allah için sevginin ve Allah için buğz etmenin îcâbıdır."

Ebû'd-Derdâ (r.a.) ile ashâbdan bir cemaat da, bunun aksini müdâfaa etmişlerdir. Ebû'd-Derdâ (r.a.) diyor ki: "Arkadaşın bozulup, vaziyetini değiştirdi diye onu terk etme. Çünkü o, bir insandır. Bâzen eğrilirse, bâzen de doğrulur."

İbrahim-i Nehâî: "İşlediği günâhtan ötürü arkadaşın ile arayı açma. Zîra o, bugün bir günâh işlemişse, yarın onu terkeder." demiştir.

Yine İbrahim-i Nehâî: "Bir âlimin hatâsını teşhîre kalkışmayın: Zîra âlim, işlediği zelleyi terkedebilir." Nitekim haberde:

اِتَّقُوا زَلَّةَ الْعَالِمِ وَلَا تَقْطَعُوهُ وَانْتَظِرُوا فَيْئَتَهُ

"Âlimin yanılmasından sakının ve onunla münâsebeti kesmeyin, düzelmesini bekleyin."[78] diye vârid olmuştur.

Hz. Ömer'den (r.a.) gelen bir rivâyette şöyle denmektedir: "Ömer'in bir kardeşliği Şam'a gitmişti. Şam'dan gelen bir adama ondan sordu. Adam:

- "O, şeytana arkadaş oldu, vaziyetini bozdu. Kebâir irtikâbına ve hattâ açıkça istîmâline de başlamıştır." deyince Hz. Ömer: "Sus, dönüşte bana uğra." dedi. Adam döneceği sırada Hz. Ömer'e uğradı. Hz. Ömer de yazdığı mektupta:

حٰمٓ، تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللّٰهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ
التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ

---

[78] Beğâvî **"Mu'cem"**inde: İbn Adiy **"Kâmil"**de Amr İbn Avf-ı Müzenî'den rivâyet etti.

"Rahmân ve rahîm olan Allah'ın adıyla. Hâ Mim. Kur'ân'ı indiren O Allah'tır ki, hükmünde galip olup, kullarının işlerini bilir. Günâhları mağfiret ile tövbeleri kabul edicidir. (Buna karşılık) **azâbı da şiddetlidir."** (Mü'min suresi, 40/1-3) âyet-i celîlelerinden sonra, gerekli tekdîr ve nasihatte bulundu. Adam mektubu okuyunca ağladı ve "Allahu Teâlâ kelâmında sâdıktır. Ömer de bana nasihat etti." diyerek tövbekâr oldu ve hatâlarından vazgeçti."

Hikâye olunduğuna göre: İki kardeşlikten birisi bir aşka tutulur ve arkadaşına: "Artık ben böyle bir hastalığa yakalandım, kardeşlik hakkına riâyet edemeyeceğim için istersen ayrılalım." der. Kardeşliği: "Hayır, ben seni bırakmam." dedikten sonra yemesini içmesini terk ederek, kardeşliğinin bu hastalıktan kurtulması için Allah'a yalvarır. Her gün kendisini yoklar ve halini suâl eder. Aldığı cevapta, aşkın hâlâ kalpte devam ettiğini anlayınca, yine devam eder. Aradan kırk gün geçtikten sonra, Allahü Teâlâ kardeşliğinin gönlünden nefsânî sevgiyi kaldırır. Bitkin vaziyete düşen kardeşliği de, yeniden yiyip içmeye başlar. (Yâni onlar, hataya düşen kardeşlerini terk etmezler, belki ıslâhları için gıyâblarında Allah'a yalvarırlardı.)

Yine hikâye olunduğuna göre; İki kardeşlikten birisi istikametini bozduğu için diğerine: "Artık bundan vazgeç." dediklerinde o: "Ne demek, asıl şimdi bana muhtaç oldu. Böyle bir zamanda onu terk etmek doğru olur mu? Ben şimdi ona öğüt verecek ve düzelmesi için Allah'a yalvaracağım." dedi.

İsrâilî hikâyelerde şöyle rivâyet edilmiştir: Bir dağda ibâdetle meşgul olan iki kardeşlikten birisi yiyecek almak için şehre iner. Kasap dükkânında kötü bir kadın görür, ona meyleder ve onunla buluşarak parayı beraberce yerler. Kardeşliğinin yanına dönecek yüzü kalmadığından, kötü kadının yanında kalır. Diğer taraftan kardeşliğinin gelmediğini gören zât, şehre iner. Araya araya kardeşliğini kötü kadının yanında bulunca boynuna sarılır. Ona sevgisini saygısını anlatırsa da, adamcağız utancından "Seni tanımıyorum." diyecek kadar ileri gider. Ancak kardeşliğinin ısrarları karşısında dayanamayarak, bu kötü halinden vazgeçer. Tekrar onunla ibâdet etmek üzere dağa yönelir. İşte bir kısmının tuttuğu yol budur. Bu yol anlayış, lütûf ve merhamet bakımından **Ebû Zer**'in (r.a.) yolundan daha münâsiptir. Selâmet bakımından ise Ebû Zer'in (r.a.) tâkip ettiği yol daha güzeldir. Yâni ikisi de câizdir.

Şâyet "Bu yolun daha anlayışlı ve daha lütûfkâr olduğunu nasıl söyleyebilirsin? Hâlbuki ilk önce bu gibi insanlarla arkadaşlık câiz olmayıp, bunlardan uzak kalmak gerekirken, sonradan bu vaziyete düşenler ile münâsebeti kesmek vâcip olmaz mı? Zîra bir illet ile sâbit olan bir hükümde kıyâs, o illetin zevâli ile o hükmün de zâil olmasıdır. Kardeşlik bağlarını kurmanın illeti, dîn husundaki yardımlaşmadır. Hâlbuki isyâna dalan kimsede bu yardımlaşma devâm etmez." dersen, derim ki:

"Onunla arkadaşlığı kesmemenin lütuf olması, onu anmak ve sohbetin devâmının tesîri ile tövbekâr olup, eski hâline dönmesi ihtimâlindendir." Zîra ona yüz çevirmek, onu isyân ile başbaşa bırakmak demektir. Bu ise onun isyânda ısrar ve devamını neticelendirir. Daha anlayışlı bir hareket olmasına gelince; kardeşlik tesisi, manevî bir yakınlık ve râbıtadır. Bu münâsebet kurulunca, hak ve vecîbeler de kuvvetleşir. Muâhedede vefâ göstermek icap eder. Vefa ise ihtiyaç ânında onu ihtiyâcı ile başbaşa bırakmamak ve elinden tutmaktır.

Şüphesiz dîndeki ihtiyacı, maldaki ihtiyacından daha mühimdir. Kendisine bir belâ ve musîbet geldi. Dînî bakımdan muhtaç hâle düştü. Artık kardeşliğine vazife terettüp etti. Lâyık olan, onu ihmâl etmek değil, elinden tutup kaldırmaktır. Kendisini bu âfetten kurtarmaktır. Kardeşliğin tesîsindeki gaye bu değil mi? Zamanın hâdise ve felâketlerine karşı yardımlaşmak değil midir? Daha bundan büyük musîbet ne olur? Kötü bir kimse, iyi bir kimse ile arkadaşlık ettiği zaman, onun Allah korkusunu ve ibâdete devamını göre göre kendine gelir ve yavaş yavaş kendi hâlini düzeltir. Artık günâha ısrar etmekten vazgeçer. Hattâ tenbel insan, çalışkan bir adamın yanında bulunmakla, ondan utanarak çalışmaya başlar.

Nitekim **Cafer b. Süleymân** şöyle diyor: “İbâdette tenbelleştiğim zaman Muhammed b. Vâsi’a bakarak yeniden ibâdete heveslenirim. Tenbelliğim kaybolur; o istekle bir hafta devâm ederim.”

Bu tahkikat bize gösteriyor ki: Dostluk ve samîmiyet, sihrî kardeşlik gibidir. İnsanın isyân eden akrabasını atması câiz olmadığı gibi, kardeşlik edindiği bir kimseyi isyân ediyor diye tamamen atması uygun olmaz. Akıl ve anlayış, onu elinden tutup kaldırmaktır. Bunun için Allahü Teâlâ Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e akrabaları hakkında:

فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ

“Eğer sana isyân ederlerse de ki; ben sizin amelinizden berîyim.” (Şuarâ suresi, 26/216) buyurdu ve “De ki; ben sizden berîyim.” buyurmadı. Akrabalık ve nesep hakkına riâyeti emretti.

Ebû’d-Derdâ (r.a.)’a: “Kardeşliğin isyân etti, ona kin tutmuyor musun?” dendiği zaman buna işâret ederek: “Kendisine değil, bu işine buğzederim. Çünkü o, benim dîn kardeşimdir. Dîndeki kardeşlik, soy kardeşliğinden daha kuvvetlidir.” dedi. Bunun için, Hakîmin birine: "Kardeşini mi daha çok seversin, yoksa, kardeşliğini mi?" dendiği zaman Hakîm: "Samîmî dostum olursa kardeşimi severim."' demiştir.

Hasan-ı Basrî de: "Nice kardeşler vardır ki, sanki onları bir ana doğurmamıştır." demiştir. Bunun için "Yakınlık, sevgiye muhtaçtır. Fakat sevginin yakınlığa ihtiyacı yok." denilmiştir.

Cafer-i Sâdık (r.a.): "Bir günlük dostluk sıla; bir aylık dostluk yakınlık; bir yıllık dostluk ise mahremiyettir. Bunu keseni, Allahü Teâlâ rahmetinden uzaklaştırır." dedi. Anlaşıldı ki, önce kurulan kardeşlik bağına vefâ göstermek vâciptir.

İşte, fâsık olan bir kimse ile arkadaşlık kurduktan sonra, günâha dalan kardeşlik arasındaki fark ve vereceğimiz cevap, bundan ibârettir. Çünkü öteden beri sapık yolda olan bir kimse ile kardeşlik muâhedesi geçmemiştir. Şâyet sıhrî yakınlık varsa, ona riâyet lâzımdır. Bunun delîli kötü adam ile ilk önce sohbet, dostluk ve kardeşlik kurmanın mekruh ve mezmûm olmamasıdır. Hattâ bu gibilerden uzak kalmanın daha evlâ olduğunu da söylemişlerdir. Fakat kurulmuş olan kardeşlik bağlarını koparmak, yasak ve menhîdir. Haddi zâtında çirkin bir harekettir. Bunu, kötü kimse ile yeniden kardeşlik kurmaya benzetmek, karıyı boşamayı, hiç evlenmemeye benzetmek gibi olur. Hâlbuki karıyı boşamak, Allah katında hiç evlenmemekten çok daha fenâdır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir mübârek sözünde:

شِرَارُ عِبَادِ اللهِ الْمَشَّاؤُنَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ

"Allahü Teâlâ'nın en kötü kulları, (yeryüzünde) *kovuculukla dolaşıp, dost ve ahbapları birbirinden ayıranlardır."*[79] buyurmuştur.

---

[79] Ahmed b. Hanbel, Hz. Esmâ binti Zeyneb'den rivâyet etmiştir.

Seleften birisi, dostların kusurlarını gizlemek hususunda şöyle diyor: “Dostlarınızın kusurlarını yüzlerine vurup, onlarla aranızın açılması, şeytanın arzu ettiği bir harekettir. Şeytanın isteğine uymakla ne kazanırsınız? Şeytan, âsîlerin bir araya toplanmasından hoşlandığı gibi, dostların da ayrılmasından ve aralarının açılmasından hoşlanır. Günâhkârların buluşması ile şeytanın bir arzusu yerine gelirse, hiç olmazsa dostların ayrılması ile ikinci arzusu da yerine gelmiş olmasın. İçkiye devam eden bir adamı şiddetle kötüleyen birisine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

“Sus.” diyerek, onu korkuttuktan sonra: *“Kardeşiniz hakkında şeytana yardımcı olmayın.”*[80] buyurmuştur. Bütün bu îzâhatımızdan, kötü adam ile ilk önce dostluk kurmakla, samimiyet tesîs edildikten sonra isyân eden kimse ile dostluğu devam ettirmek arasındaki fark anlaşılmış oldu. Fâsıklar arasına girmek mahzûrlu olduğu gibi, dostların ayrılmaları da mahzûrludur. Başkası ile muârazadan sâlim olan, sâlim olmayan gibi değildir. İnsan, kötü kimselerle ilk önce muârazadan sâlimdir. Onun için onlardan uzak kalması daha uygundur. Fakat kardeşlik tesîsinden sonra muâraza halindedir. Bunun için devam etmesi ve kardeşlik hakkına vefâ göstermesi daha evlâdır. Bütün bunlar, kardeşliğinin dîndeki hatâları karşısındadır.

Kendisine karşı hatâlarına gelince; bu hatâlar her ne kadar ayrılmalarını gerektirecek şekilde ise de bunları affetmek ve tahammül etmek daha evlâdır. Hattâ mümkün olduğu kadar güzel tevîl yollarını aramak ve bu sûretle arkadaşını mazûr göstermeye çalışmak, kardeşlik hakkı olarak vâciptir. Denildi ki; lâyık olan, kardeşliğinin bir kusuru için yetmiş çeşit mazeret bulmaya çalışmaktır. Şâyet kendini tatmin edemiyorsan, kabahati kendinde bulmalı ve kendi kendine "Sen ne katı yürekli bir insansın ki, kardeşliğin sana yetmiş çeşit mazeret anlatırken, bunların hiç birini kabul etmiyorsun. Kardeşliğinin bir kusuru yok, ona kusur aramaya çalışan sensin." demelidir.

---

[80] Buhârî, Ebû Hüreyre’den (r.a.) rivâyet etmiştir.

Eğer hiç bir sûretle kendini iknâ edemiyorsa, hiç olmazsa kızmamalıdır. Fakat bu da zor bir iştir. Nitekim İmâm Şâfiî (Allah rahmet etsin): "Kızdırıldığı halde kızmayan, merkeptir. Gönlü alınmaya çalışıldığı halde rızâ göstermeyen ise şeytandır." demiştir. İnsan ne merkep olmalı, ne de şeytan. Kardeşliğine vekâleten kendi gönlünü hoş etmeye çalış ve şeytan olmaktan kaçın.

Ahnef şöyle anlatıyor: "Kardeşliğinin üç hâline tahammül etmek, kardeşlik hakkıdır. Bunlardan biri hiddet, diğeri nazlanmak, üçüncüsü de bâzı dil sürçmeleridir." Başka birisi de şöyle diyor: "Ömrümde kimseye kötü söz söylemedim. Çünkü bana kötü söz söyleyen, iyi bir kimse ise bana yaraşan onu ona bağışlamaktır; kötü kimse ise onu karşıma almamaktır." Sonra bu hususu şâirin şu şiiri ile ifâde etmiştir:

وَاغْفِرْ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ اِدِّخَارَهُ وَأَعْرِضْ عَنْ شَتْمِ اللَّئِيمِ تَكَرُّمًا

"İyi adamın kötü sözlerini bağışlarım.

Kötü adamın kötü sözlerine de şerefimi korumak için boş veririm." Diğer birisi de:

خُذْ مِنْ خَلِيلِكَ مَا صَفَا، وَدَعِ الَّذِي فِيهِ الْكَدَرُ
فَالْعُمْرُ أَقْصَرُ مِنْ مُعَاتَبَةِ الْخَلِيلِ عَلَى الْغَيْرِ

"Dostunun, hoşuna giden taraflarını al. Hoşuna gitmeyen kı-

sımlarını at. Çünkü hoşuna gitmeyen taraflarını düzeltmeye ömrün kifayet etmez; onlarla meşgul olma." demiştir.

Yalan da olsa, kardeşliğin, senden özür dilediği zaman onun mazeretini kabul et. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنِ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ أَخُوهُ فَلَمْ يَقْبَلْ عُذْرَهُ فَعَلَيْهِ مِثْلُ إِثْمِ
صَاحِبِ الْمُكْسِ

"Kardeşliğinin mazeretini kabul etmeyen kimseye, âşarcıların haksızlıkla aldıklarının günâhı kadar günâh vardır."[81] buyurmuştur. Yine bir hadîste:

اَلْمُؤْمِنُ سَرِيعُ الْغَضَبِ سَرِيعُ الرِّضَا

"Mü'min tez kızar, tez barışır."[82] buyurmuş, *"Hiç kızmaz."* buyurmamıştır. Nitekim Allahu Teâlâ da:

وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ

"Hiddetini yenenler." (Âl-i İmrân suresi, 3/134) buyurdu ve "Hiddet etmeyenler." buyurmadı. Çünkü yara alıp, acı duymamak olmaz. Yaralanan acıyı duyar ve fakat ona tahammül eder. Yaradan acı duymak bedenin iktizâsı olduğu gibi, hiddetten acı duymak da rûhun iktizâsıdır. Bunu kökünden söküp atmak mümkün değilse de, buna tahammül etmek ve aksini yapmak mümkündür. O, intikam almak ister, insan da kendini teskîn eder. Nitekim şâir:

وَلَسْتُ بِمُسْتَبِقٍ أَخًا لَا تَلُمُّهُ عَلٰى شَعْثٍ أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبُ

---

[81] İbn Mâce ve Ebû Dâvûd **"Merâsil"**de Cevdâr, hadisinden rivâyet etmişlerdir. Ayrıca Taberânî, **"Evsat"**ında Câbir'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

[82] Tirmizî'nin "hasen" olduğunu kabul ettiği, Ebû Saîd'den buna benzer bir rivâyeti vardır.

"Kusurlarını düzeltmeyen arkadaştan vazgeçmem.
Dört başı mamûr insan nerede bulursun?" demiştir.

Ebû Süleymân Dârânî, talebesi Ahmed b. el-Havârî'ye: "Bu zamanda birisiyle kardeşlik olursan, sevmediğin hareketlerinde onu muaheze etme. Çünkü alacağın cevâbın daha kötü olacağından emin değilsin." demiştir. Ahmed: "Ben bunu denedim ve gerçekten öyle buldum." demiştir. Başka birisi: "Dostun zahmetlerine katlanmak, ona itâb etmekten; itâb etmek, ondan ayrılmaktan; ondan ayrılmak da aleyhinde bulunmaktan daha hayırlıdır." dedi. Aleyhinde bulunduğu zaman, ifrâta varmamalıdır. Zîra Allahu Teâlâ:

عَسَى اللّٰهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً

"Umulur ki Allahu Teâlâ, sizinle adâvet beslediğiniz kimseler arasına dostluk ilka eder." (Mümtehine suresi, 60/7) buyurmuştur. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de:

أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسٰى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا
وَاَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسٰى اَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا

"Sevdiğin kimseyi biraz idareli sev. Olabilir ki günün birinde sana buğzeder. Buğz ettiğin kimseye karşı fazla ifrata kaçma. Olabilir ki, günün birinde dostun olur."[83] buyurmuştur. **Hz. Ömer** (r.a.): "Sevgin külfet, düşmanlığın da telef olmasın." demiştir.

Altıncı Hak

Kardeşliğin altıncı hakkı, hayatında ve ölümünde, onun sevdiği ve kendisi için arzu ettiği şekilde kendisi ve çoluk çocuğu için hayır duâda bulunmaktır. Onunla kendi aranda bir fark gözetmeyeceksin. Senin ona duâ etmen, gerçekte kendi kendine duâ etmen gibidir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

[83] Tirmizî, Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etti. Râvileri sikadandır.

إِذَا دَعَا الرَّجُلُ لِأَخِيهِ فِي ظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ
مِثْلُ ذٰلِكَ

“Bir kimse kardeşine gıyabında duâ ettiği zaman bir melek; “Allah, sana da o duâ ettiğin gibi versin.” der.”[84] buyurmuştur. Diğer bir ifâde ile:

يَقُولُ اللّٰهُ تَعَالٰى: بِكَ أَبْدَأُ يَا عَبْدِي

“(Böylece dîn kardeşine duâda bulunan kimseye) *Allahu Teâlâ; Ey kulum, önce senden başlarım, der.”* buyrulmuştur. Yine bir hadîste:

يُسْتَجَابُ لِلرَّجُلِ فِي أَخِيهِ مَا لَا يُسْتَجَابُ لَهُ فِي نَفْسِهِ

“Kişinin kendi hakkında kabul olmayan duâları, başkası hakkında kabul olur.”[85] buyrulmuştur. Başka bir hadîste de şöyle buyrulmuştur:

دَعْوَةُ الرَّجُلِ لِأَخِيهِ فِي ظَهْرِ الْغَيْبِ لَا تُرَدُّ

“Kişinin, kardeşi hakkında gıyâben yaptığı duâ reddolunmaz.”[86]

Ebû’d-Derdâ (r.a.): “Secdemde isimlerini hatırladığım yetmiş kardeşliğime duâ ederim.” demiştir.

---

84. Müslim, Ebû’d-Derdâ’dan (r.a.) rivâyet etmiştir.
85. Ebû Dâvûd ve Tirmizî’nin Abdullah İbn Ömer den (r.a.) bu mealde bir rivâyeti vardır.
86. Dârekutnî, **“İlel”**de Ebû’d-Derdâ’dan rivâyet etmiştir.

Muhammed b. Yûsuf İsfehânî: "İnsanın çoluk çocuğu, sâlih kardeşliği gibi nasıl olabilir? Çoluk çocuk mirâsını bulup zevk ile yiyerek vakit geçirir. İyi kardeşlik ise mâtemini tutar; kabirdeki hâlini düşünür ve o toprak altında yatarken onun için hayır duâda bulunur." demiştir. Sâlih kardeşlik melekler gibidir. Zîra haberde:

إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ قَالَ النَّاسُ: مَا خَلَّفَ؟ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا قَدَّمَ؟

"İnsan öldüğü zaman vârisleri "Ne bıraktı", melekler "Ne getirdi?" derler."[87] diye vârid olmuştur. Salih ameli var ise melekler sevinir ve ona rıfk ile muâmele ederler.

Denildi ki; kardeşliğinin ölüm haberini alıp ona acıyan ve mağfiretini Allah'tan dileyen kimse, cenâzesinde bulunmuş gibi mükâfat alır. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَثَلُ الْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ مَثَلُ الْغَرِيقِ يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ شَيْءٍ يَنْتَظِرُ دَعْوَةً مِنْ وَلَدٍ أَوْ وَالِدٍ أَوْ أَخٍ أَوْ قَرِيبٍ، وَإِنَّهُ لَيَدْخُلُ عَلٰى قُبورِ الْأَمْوَاتِ مِنْ دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ مِنَ الْأَنْوَارِ مِثْلُ الْجِبَالِ

"Mezarındaki ölü, suya düşüp de her şeye sarılan kimse gibidir; evlâdından, anne ve babasından, kardeşinden ve bütün yakınlarından duâ bekler. Her gün hayattakilerin duâlarından dağlar gibi nurlar, mezarlara girer."[88] buyurmuştur.

Seleften bir zât: "Ölülere duâ, hayattakilere hediye vermek gibidir. Melek, nurdan bir mendil içinde, nurdan bir tabak ile kabrine iner ve “Bu, falan yakınının sana gönderdiği hediyedir.” der. Hayattaki insan, hediyeden memnun olduğu gibi, o da sevinir.” demiştir.

---

[87] Beyhakî, **"Şuabü'l-Îman"**nda Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etti.

[88] Ebû Mansûr Deylemî **"Müsned-i Firdevs"**inde Ebû Hüreyre'den (r.a.). rivâyet etmiştir.

Yedinci Hak

Yedinci hak, vefâ ve ihlâstır. Vefâ demek kendisiyle ölünceye kadar, öldükten sonra da âile efrâdıyla, dost ve ahbâbıyla-mahabbeti devâm ettirmektir. Sevgi, zâten âhiret için aranır. Ölmeden evvel sona ererse, çekilen emekler boşa gider. Nitekim Arş-ı Âzam’ın gölgesinde gölgelenecek olan yedi sınıf insanları sayarken, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), bunlardan biri de:

وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللّٰهِ اِجْتَمَعَا عَلٰى ذٰلِك وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ

“Allah için birbirini seven ve bu sevgi ile birleşen ve ayrılan iki kişi.” buyurdular. Diğer bir zât: “Az da olsa, öldükten sonra vefâ göstermek, hayattaki çok sevişmeden daha makbuldür.” demiştir. Bunun içindir ki Rasûl-i Ekrem (s.a.v.); bir defa yanına gelen bir kocakarıya fazla ikrâmda bulundu. Sebebini soranlara:

إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ وَإِنَّ كَرَمَ الْعَهْدِ مِنَ الدِّينِ

“Bu kadın, Hatice’nin sağlığında bize gelir giderdi, ahde vefâ dindendir.”[89] diye cevap verdi. Kardeşliğe vefâ göstermenin şartlarından birisi de, onun dost ve akrabalarını arayıp sormaktır. Onların hakkına riâyet etmek, kardeşliğinin hakkına riâyetten daha tesirlidir. Çünkü kardeşliği buna fazlasıyla memnun kalır; Zîra şefkat kuvveti, bu sevginin, sevgilinin kapısında duran kö-

---

[89] Hâkim, Aişe’den (r.a.) rivâyet etmiş ve Buhârî ile Müslim’in şartlarına göre “sahih” olduğunu söylemiştir.

peğine kadar, bütün yakınlarına sirâyet etmesi ile ölçülür. Mahabbetin kesilmesi şeytanın hoşuna gider. Zîra şeytan, Allah için sevişip kardeşlik olanlara haset ettiği kadar, iyilik üzerinde yardımlaşanlara haset etmez. O, bütün imkânları ile kardeşlerin arasını bozmaya çalışır. Nitekim Allahu Teâlâ:

وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ

"(Mü'min) **Kullarıma söyle, sözün en güzelini söylesinler. Sonra şeytan aralarını bozar."** (İsrâ suresi, 17/53) buyurmuştur. Diğer âyet-i kerîmede şöyle buyrulmuştur:

مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي

"Benimle kardeşlerimin arasını şeytan açtıktan sonra." (Yusuf suresi, 12/100) Denildi ki; Allah için yapılan kardeşliklerin bozulması, mutlaka birisinin bir günâh irtikâb etmesindendir.

Bişr: "Kişi amelinde noksanlık edince, Allahu Teâlâ başkalarını onunla ünsiyet ettirmez." demiştir. Zîra kardeşlikler, adamın kederini kaldırır. Dîn ve dünyasında kendisine yardımcı olurlar.

İbn Mubârek: "En tatlı şey, kardeşlerle sohbet ve kifâyet miktârı ile yetinmektir." demiştir. Allah için olan mahabbet, devâm eden sevgidir. Dünyalık için olursa, tez geçer devâm etmez. Dîn ve dünyalıkta kardeşliğine haset etmemek, Allah için olan kardeşliğin neticesidir. Nasıl haset etsin ki, kardeşliğinin nesi varsa, kârı kendisinedir. Allahu Teâlâ, Allah için sevenleri, bununla tavsif ederek:

وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّآ اُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ
عَلٰٓى أَنْفُسِهِمْ

“**Ve onlara verilenlerden kalplerinde haset bulmazlar; onları kendilerine tercih ederler.”** (Haşr suresi, 59/9) buyurmuştur.

Sevgiye vefâ göstermekten biri de, mevkii ne kadar yükselse de dâima arkadaşına karşı mütevâzi davranmaktır. Vazıyetin değişmesiyle, arkadaşlara karşı büyüklük taslamak, alçaklıktandır. Nitekim şâir:

إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَيْسَرُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَشِنِ

“Kerem sahibi insanlar, darlık zamanlarında kendileri ile düşüp kalkanları genişlik zamanlarında da ararlar.” demiştir.

Eskilerden birisi, oğluna şöyle vasiyet etmiştir: “Oğlum, herkes ile arkadaşlık etme. Bak; muhtaç olduğun zaman sana yaklaşan, genişlik zamanında malına göz dikmeyen, yükseldiği vakit sana üstünlük taslamayan kimseleri arkadaşlığa seç.” Hakimlerden bir zât: “Kardeşliğin bir mevki ihrâz ettiği zaman, sana olan sevgisinin yarısını muhâfaza ediyorsa, o, yine çoktur.” demiştir.

Rebî’den[90] rivâyet olunmuştur ki: Şâfiî (Allah rahmet etsin), Bağdat’ta bir kardeşlik edindi. Sonra bu kardeşliği Irak’da Sibeyn vâliliklerine tâyin edildi ve Şâfiî’ye karşı olan davranışı değişti. Bunun üzerine Şâfiî, kendisine şu beyitleri yazdı:

اِذْهَبْ فَوُدُّكَ مِنْ فُؤَادِي طَالِقٌ، أَبَدًا وَلَيْسَ طَلَاقُ ذَاتِ الْبَيْنِ
فَإِنِ ارْعَوَيْتَ فَإِنَّهَا تَطْلِيقَةٌ، وَيَدُومُ وَدُّكَ لِي عَلٰى ثِنْتَيْنِ

---

[90] Süleyman b. Abdülcebbar’dır. Sikadandır. 96 yaşında iken, Hicri 270’de ölmüştür.

وَإِنِ امْتَنَعْتَ شَفَّعْتُهَا بِمِثْلِهَا، فَتَكُونُ تَطْلِيقَيْنِ فِي حَيْضَيْنِ
وَإِذَا الثَّلَاثُ أَتَتْكَ مِنِّي بَتَّةً، لَمْ يُغْنِ عَنْكَ وِلَايَةُ السِّيبَيْنِ

"Git, ebedî olarak senin sevgini gönlümden boşadım. Şâyet kusurundan vazgeçer ve düzelirsen, bu bir talâktır; iki talâk ile sözümüz yine devam eder. Yok, tutumunda ısrâr ediyorsan, sana bir talâk daha veririm ve iki hayızda iki talâk olmuş olur. Üçüncü talâkı da verirsem, artık Sibeyn vâliliği de seni kurtaramaz."

Bilmiş ol ki; dîne muhâlif hareketlerinde kardeşliğe müvâfakat etmek, vefakârlık sayılmaz. Bu hususta vefakârlık, onun bu yanlış hareketlerine muhâlefet etmektedir. İmâm Şâfiî, Muhammed b. Abdülhakem ile kardeşlik tesîs etti. İmâm Şâfiî de ders okur, hizmetinde bulunur, ona hürmet ve saygı gösterirdi. Şâfiî "Beni Mısır'da durduran bu zâttır." dedi. Günün birinde, Muhammed hastalandı, Şâfiî ziyâretine gitti ve şöyle dedi:

مَرِضَ الْحَبِيبُ فَعِدْتُهُ، فَمَرِضْتُ مِنْ حَذَرِي عَلَيْهِ
وَأَتَى الْحَبِيبُ يَعُودُنِي، فَبَرِئْتُ مِنْ نَظَرِي إِلَيْهِ

"Dostum hastalandı, ziyâretine gittim. Onun için korktuğumdan, kendim hastalandım. Bunun üzerine dostum ziyaretime geldi, onu görmekle şifâyâb oldum."

Muhammed b. Abdülhakem ile aralarındaki samîmiyet dolayısıyla kendisinden sonra, postu ona teslim edeceğini sanarak ölüm hastalığında: "Senden sonra kimin yanında toplanalım?" diye sordular. Başı ucunda bulunan Muhammed b. Abdülhakem, hemen karşısına çıkarak, kendisinin gösterilmesini istedi ise de

İmâm Şâfiî: “Sübhânallah, şaşılacak şey. Ebû Yakub el-Buveytî dururken, kimin etrafında toplanacaksınız?” dedi.[91]

Muhammed, buna küstü ve Şafiî öldükten sonra, babası Mâlik’in mezhebine dönerek, İmam Mâlik’in kitaplarını okutmaya başladı ve İmâm Mâlik’in en büyük adamları meyânına geçti. Şâfiî’nin Buveytî’yi tercîhindeki hikmet, onun zühd ve takvâsı idi. Başına toplanmak onu aldatmadı; dâima ibâdet ile meşgul oldu. Rebî b. Süleyman’a nisbet edilen ve ona âit olduğu sanılan ***“El-Üm”*** kitâbını o yazdı. Fakat kitaba ismini koymadı ve onu kendine mâl etmedi. Rebî, onda bâzı değişiklikler ve ilâveler yapmak sûretiyle onu kendine mâl etti. Maksadımız, muhabbette vefânın kemâli, Allah için nasihat olduğunu bildirmektir.

Ahnef: “Kardeşlik, ince ve latîf bir cevherdir. Onu korumazsan kazâya uğrar. Dâima hiddetini yenmekle onu koru ki, sana zulmeden gelip senden özür dilesin. Olan ile yetin, ne kendin için fazlasını ara, ne de arkadaşının kusuruna bak.” demiştir.

Sadâkat, samimiyet ve vefâ göstermenin eserlerinden birisi de, ayrılığa son derece üzülmek ve ayrılık sebeplerinden nefret etmektir. Nitekim şâir:

“Dostların ayrılığından başka, zamanın bütün musîbet ve felâketlerini ehemmiyetsiz görmekteyim.” demiştir.

İbn Uyeyne de: “Otuz senedir kendilerinden ayrı düştüğüm öyle samîmî arkadaşlarım var ki, hasretleri bir an bile kalbimden çıkmaz.” demiştir.

Dostluğa vefâ göstermenin şartlarından birisi de, dostuna belâğat ve edebiyatçıların sözlerinden dem vurmamalıdır. Hele önce "Seni seviyorum." dedikten sonra o sözleri ona arzetmek, dostuna ağır gelir. Bu gibi şeylerden kaçınmayanlar, dostluğu yaşatamazlar. Adamın biri hakîmin birisine:

---

[91] Yusuf Kureyşîdir. Baveyt, Said’de bir köyün adıdır. Şâfiî’nin en kıymetli adamlarındandır. 231 Hicrî’de hapishânede ölmüştür.

- "Seninle kardeşlik olmaya geldim." deyince, hakîm: "Üç şeyi mehir olarak kabul edersen olur." dedi. Adam:

- "O üç şey nedir?" diye sordu. Hakîm:

- "Bana belâğat dinletme, hiç bir şeyde bana muhalefet etme ve bana rüşvet teklif etme." dedi. (Adam da kabul ederek, kardeşlik oldular.)

Dostluğa vefânın şartlarından birisi de, dostunun düşmanı ile dostluk kurmamaktır. Nitekim İmâm Şafiî: "Dostun, düşmanına itaat edince, husûmette ortak olur." demiştir.

Sekizinci Hak

Sekizinci hak, dostuna yük olmamak ve lüzûmsuz tekliflerde bulunmamaktır. Hattâ mümkün olduğu kadar ihtiyacını dostundan gizler; mal ve mevki gibi bir şey ondan istemez; dâima ona neşe ulaştırır. Lüzûmsuz tevazu, hürmet ve hizmet gibi şeyler ile ona ağırlık vermez, sevgisi ancak Allah için olur. Duâsından faydalanmak, onunla ünsiyet kurmak, dînî hususlarda yardımını istemek, kardeşlik hakkına riâyet ve eziyetlerine katlanmakla Allah'a yakınlığa niyet eder.

Bâzıları da şöyle diyor: "Kendisinden beklenmeyeni arkadaşlarından bekleyen, onlara zulmetmiş olur. Kendisinden istenebilenleri arkadaşlarından isteyen, onlara eziyet etmiş olur. Arkadaşlarına hiç bir teklifte bulunmayan, onlara fazîlet göstermiş olur."

Hukemâdan birisi: “Kardeşlikleri yanında kendisini olduğundan üstün göstermeye çalışan günâhkâr olduğu gibi, onları da günâha sokar. Olduğu kadar görünmeye çalışan, kendisi de zahmete girer, onları da zahmete sokar. Fakat olduğundan aşağı görünen, kendisi de selâmet bulur, arkadaşlarını da selâmete erdirir.” demiştir.

Dâima hafif davranmanın tamamı, ağır sergileri dürmektir. Yâni misâfirlerine karşı lüzûmsuz sergiler sermemektir. Kendisi için utanmadığına, dostları için de utanmamalıdır.

Cüneyd: “İki kardeşlikten birinin diğerinden çekinmesi, mutlaka birinin kusurundandır.” demiştir.

Hz. Ali (r.a.): “Dostların kötüsü, senin için külfete katlanan, zahmetlere giren, seni müdârâya ve özür dilemeye mecbûr edendir. (Yâni dostluk, sâde olmalıdır.)”

Fudayl: “İnsanların arayı açmaları, bu gibi fuzûlî zahmet ve külfetler yüzündendir. Ziyârete gittiği kardeşliği bir sürü külfete girince, adam da bir daha ziyâretine gitmez.” demiştir.

Hz. Aişe (r.a.): “Mü’min, mü’minin kardeşidir ne onu ganîmet bilir, ne de ondan utanır.” demiştir.

Cüneyd: “Sûfilerden, her tabakası otuz kişi olan dört tabaka ile arkadaşlık ettim. Birincisi, Hâris-i Muhâsibî ve onun derecesinde olanlar. İkincisi, Hasan Mesuhî ve onun tabakasında olanlar. Üçüncüsü, Seriyyü’s-Sakatî ve onun tabakasında olanlar. Dördüncüsü de, İbn Keribî ve onun tabakasında olanlardır. Allah için kardeşlik olanların hiç biri, diğerinden ne çekindi, ne de utandı. Eğer böyle bir şey oldu ise birisindeki bozukluktandır.” dedi.

Zâtın birisine: “Kiminle arkadaşlık edelim?” diye sorduklarında o: "Lüzûmsuz tekliflerde bulunmayan ve çekingen davranmayan kimselerle arkadaşlık et." diye cevap vermiştir.

Cafer b. Sâdık: "Benim kardeşliklerimden bana en çok ağırlık vereni, benim için külfet ve zahmetlere giren ve bu sûretle kendisinden çekindiğim kimsedir. En çok sevdiğim kardeşliğim de, yalnızlık hâlim ile onunla bir arada bulunduğum zaman, davranışım değişmeyen kimsedir." demiştir.

Sûfilerden bir zât: "Arkadaşlık edeceğin kimse öyle bir adam olmalı ki, onun yanında ne iyiliğin artmalı, ne de kötülüğün azalmalıdır." demiştir. Böyle söylemesi, arkadaşın külfetinden kurtarmak içindir. Yoksa gönül, günâhını azaltacak kimselerle buluşmasını ister.

Diğer birisi: "Büyükler huzurunda edepli ol, âhiret adamları yanında ilim sahibi ol, arifler huzurunda nasıl istersen öyle bulun." demiştir. Diğer birisi de: "Günâh işlediğin zaman senin affını isteyen, hata ettiğin zaman senin nâmına özür dileyen, sıkıntılı anlarında sana yardım eden ve sana yük olmayan kimselerle arkadaş ol." demiştir. Fakat bunu söyleyen, kardeşlik yollarını çok daraltmıştır. Esâsında onun dediği gibi de değildir. Her dindâr ve aklı başında olan kimse ile kardeşlik bağlarını kurmalı ve bu şartlara riâyet edeceğine azmetmelidir ki, bu sâyede dost ve ahbapları çoğalmış olsun. Zîra Allah için kardeşlik böyle olur. Yoksa öyle kardeşlik edinmek için insanları seçmeye kalkışırsa, o dünyalık ve kendi kârına bir kardeşlik olur.

Bunun için adamın biri **Cüneyd**'e: "Bu zamanda kardeşlikler azaldı. Nerede o Allah için olan kardeşler?" dedi. Cüneyd, ses etmedi. Adam üç defa bu sözü tekrarladı. Üçüncüde Cüneyd: "Eğer ihtiyacına yarayacak ve eziyetine katlanacak bir arkadaş arıyorsan, cidden böyle bir kardeşlik bulmak zordur. Yok eğer kendin eziyetine katlanacağın ve yardımına koşacağın Allah için bir kardeşlik arıyorsan, bu gibiler benim yanımda pek çoktur. İstersen, onları sana da göstereyim." deyince, adam sustu.

İnsanların en âlimi üç kimsedir: Sohbetinden faydalanılan insan, kendisine faydan dokunup ondan zarar görmediğin adam, kendisine bir kârın dokunmadığı gibi, ondan da bir zarar görmediğin kimse. Bu da ya ahmak veyâ ahlâksız kimsedir. Bu üçüncüden uzaklaşmak lâzımdır. İkincisinden uzaklaşma; çünkü hiç olmazsa âhirette ondan faydalanırsın. Allahü Teâlâ, Musa aleyhisselâma şöyle vahyetmiştir: "Bana itâat eden dostlarının eziyetlerine katlanır ve onlara haset etmezsen, dostların çoğalır." Zâtın biri de şöyle anlatıyor: "Elli senedir insanlarla düşüp kalkarım, bir kere olsun aramızda ihtilâf çıkmamıştır. Çünkü ben, yalnız nasıl idimse, onların yanında da aynı olurum." Hâli bu olanların her yerde ve her dâim dost ve kardeşlikleri çoğalır.

Kardeşliğe karşı yumuşak davranmanın alâmetlerinden birisi de, nafile ibâdetlerinde ona külfet yüklememektir. Sûfilerden bir cemâat, dört mânâda müsâvâta riâyet etmek şartıyla arkadaşlık yaparlardı:

1 - Arkadaşı gündüzleri devamlı olarak yiyip içse bile öteki: "Ne olur, biraz da oruç tut." diye kendisine söylemezdi.

2 - Seneyi boydan boya oruç tutsa: "Yâhu hiç olmazsa bir gün ye." demekle işine müdâhale etmezdi.

3 - Geceyi bütün gece uyku ile geçirse, öteki: "Kalk da iki rekât namaz kıl demezdi.

4 - Diğer biri de, sabaha kadar hiç yatmadan namaz kılsa, öteki: "Ne yapıyorsun? Biraz istirahat et." deyip işine karışmaz-

dı. Bunların yalnızlık ve halk arasındaki davranışları değişmezdi. Yalnızlıkta nasıl hareket ederlerse cemiyette de aynı şekilde hareket ederlerdi. Ancak "Böyle yapmakla riyâdan korunmuş olurlardı.

Araplar arasında şöyle denir: "Ülfetin şartı, külfeti terk etmektir. Binâenaleyh, külfeti olmayanın ülfeti, ağırlık vermeyenin de sevgi ve muhabbeti devam eder." Ashâbdan bir zât: "Allahu Teâlâ, külfet ve zahmet verenlere lânet eder." demiştir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَنَا وَالْأَتْقِيَاءُ مِنْ أُمَّتِي بُرَاءُ مِنَ التَّكَلُّفِ

"Ben ve ümmetimin muttaki olanları, külfet ve zahmet vermekten berîyiz."[92] buyurmuştur. Bir başkası: "İnsan, kardeşliğinin evinde dört şey yaparsa, onunla ünsiyet tamam oldu demektir: Onlar da: Evinde yemek, namaz kılmak, uyumak ve tuvaletine gitmektir." demiştir. Adam bu sözü şeyhin birine anlatınca, şeyh:. "Bir şey daha kaldı. O da âilesi ile dostunun evine misâfir gidip îcâbında temâsta bulunabilmektir. Zîra ev, bu beş şeyi saklı olarak yapabilmek için inşâ edilir. Böyle olmasa, yalnız ibâdet için câmiler daha müsâittir. Bu beş şeyi dostunun evinde yapabilirse, ortadan çekimserlik kalkar ve dostluk kuvvetlenmiş olur." demiştir.

Selâm esnasında Arapların "Merhaba, ehlen ve sehlen." sözleri bunun delîlidir. Yâni gönlümüze ferahlık verdin, burada yabancılık yok, tamamen kendi adamlarındır, çekinmeden rahatça burada oturur ve kolaylıkla her istediğini yapabilirsin, arzu ettiğin her şeyi yapmakta serbestsin, bizden sana hiçbir gûna müdâhale vâki olmaz." demektir. Tekellüfü terk, ancak kendini dostlarından düşük görüp, onlara hüsn-i zan etmek ve bütün hatâları kendinde görmekle mümkündür. Arkadaşlarını kendisinden üstün gördüğü zaman, kendisi hepsinden üstün sayılır.

---

[92] Dûrekutnî, **"İfrâd"**da Zübeyr b. el Avvam'dan (r.a.) rivâyet etti.

Ebû Muâviye el-Esved: "Benim kardeşliklerimin hepsi benden hayırlıdır." dedi. "Nasıl olur?" diye soranlara, "Hepsi beni kendilerinden üstün sayarlar. Şüphesiz beni üstün kabul eden herkes benden hayırlıdır." Hâlbuki Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اَلْمَرْءُ عَلٰى دِينِ خَلِيلِهِ وَلَا خَيْرَ فِي صُحْبَةِ مَنْ لَا يَرٰى لَكَ
مِثْلَ مَا تَرٰى لَهُ

"Kişi, arkadaşının dîni ve ahlâkı üzerinedir. Kendisine revâ gördüğünü sana revâ görmeyenin sohbetinde hayır yoktur."[93] buyurmuştur ki, kardeşliğini fazîlet bakımından kendi seviyende görmek, derecelerin en aşağısıdır. Kemâl, fazîleti arkadaşında bilmektir. Bunun için **Süfyan-ı Sevrî**: "Sana, ey insanların kötüsü, dendiği zaman kızarsan, bilmiş ol ki, insanların en kötüsü sensin." demiştir. Yâni dâima kendini insanların en kötüsü görmelisin. Kibir ve Ucûb kitablarında buna dâir tafsilât gelecektir. Tevazû ve fazîleti dostlarda görmek hususunda söylenen beyitler:

تَذَلَّلْ لِمَنْ إِنْ تَذَلَّلْتَ لَهُ يَرٰى ذَاكَ لِلْفَضْلِ لَا لِلْبَلَهِ
وَجَانِبْ صَدَاقَةَ مَنْ لَا يَزَالُ عَلَى الْأَصْدِقَاءِ يَرَى الْفَضْلَ لَهُ

"Tevazûunu, ahmaklığına saymayıp fazîletine sayanlara karşı dâima mütevazı ol. Dostlarına karşı fazîleti dâima kendisinde görenlerden de uzaklaş." Diğer bir şâir:

---

[93] Birinci fıkrası, bundan evvelki bâbda geçti. İkinci fıkrasını İbn Adiy **"El-Kâmil"**de Enes'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

كَمْ صَدِيقٍ عَرَفْتَهُ بِصَدِيقٍ صَارَ أَحْظَى مِنَ الصِّدِّيقِ الْعَتِيقِ
وَرَفِيقٍ رَأَيْتَهُ فِي طَرِيقٍ صَارَ عِنْدِي هُوَ الصَّدِيقَ الْحَقِيقِيَّ

"Nice sâdık sandığın dostlar var ki, kendini Sıddık-ı Ekber'den büyük görür. Nice yol üzerinde tanıştığın arkadaşlar var ki, bana göre sana gerçek dost onlar olur." demiştir.

Fazîleti kendisinde gören, arkadaşını tahkîr etmiş olur. Bu, bütün Müslümanlar arasında mezmûmdur. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

بِحَسْبِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ

"Dîn kardeşine hakarette bulunmak, mü'min kişiye kötülük olarak yeter."[94] buyurmuştur.

Dostlarına karşı samîmî davranıp, onlara ağırlık vermemenin tamamından birisi de, her işinde onlarla müşâvere etmek ve fikirlerine hürmet göstermektir. Allahu Teâlâ, sevgili peygamberine:

وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ

"Emirde onlarla meşveret et." (Âl-i İmrân suresi, 3/159) buyurmuştur. Sırrını onlardan saklamamalıdır.

Ma'rûf'un kardeşinin oğlu Yakûb'dan hikâye olduğuna göre; Esved b. Sâlim, Ma'rûf'un amcasına gelerek şöyle dedi: "Bişr b. el-Hâris, seninle kardeşlik olmak istiyor. Bunu açıkça sana söylemekten utandığı için, beni size gönderdi. Kendisini kardeşliğe kabul etmenizi ricâ ediyor. Fakat bâzı şartları da vardır. Onlar da, bu kardeşliğin duyulmaması ve karşılıklı ziyâret ve mülâkat yapılmamasıdır. Çünkü o, fazla iltifâttan hoşlanmaz.” Bunun cevâbında Ma’rûf: “Fakat ben kardeşliği olduğum kimseden gece ve gündüz hiç bir an ayrılmamak isterim. Her zaman ziyâretine gider ve dâima onu kendime tercih ederim.” dedi ve sonra da Allah için sevginin fazîletinden bahseden birçok hadîsler okudu ve devâmla “Resûl-i Ekrem, Hz. Ali’yi kardeşlik etmekle, onu ilimde kendisine ortak etti. Kurbanı onunla böldü. En sevimli kızını ona verdi. Şimdi sen şâhid ol. Mâdem ki seni gönderdi, ben de onu Allah için kardeşliğe kabul ettim. O, beni ziyârete gelmezse de, ben fırsat buldukça ziyâretine giderim. Ona söyle, toplantılarda buluşalım, hâlinden hiç bir şeyi benden saklamasın, her hâlini bana bildirsin.” dedi. İbn Sâlim, vaziyeti Bişr’e haber verince Bişr de râzı oldu ve memnûniyetle kabul etti.

---

[94] Hadîsi, Müslim, Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etmiştir.

İşte, sohbetin hakları bunlardır. Bunları önce icmâl, sonra da tafsîl ettik. Bu kardeşlik, onların aleyhinde değil; dâima lehlerinde olmak ve kendini onlara hizmetçi saymakla tamamlanır. Bütün uzuvlarınla kardeşliklerine hizmette bulun.

Göze gelince: Onlara dâima şefkat nazarı ile bakmalı ve kusurlarına göz yummalısın. Onlar sana yönelip, seninle konuştukları zaman, gözlerini onlardan ayırmamalısın.

Rivâyet olunduğuna göre; Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), meclisinde oturan herkese teveccüh edip hepsine, yüzüne bakma fırsatını verirdi. Kime yönelse, ona öyle iltifât gösterirdi ki, adam kendini o meclisin en üstünü zannederdi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’in meclisi; hayâ, tevâzû ve emniyet meclisi idi. Ashâbını dâima güler yüzle karşılar, sözlerinden hoşlanır ve onları istekle dinlerdi. Ashâb-ı kirâm da ona uyarak ve saygı göstererek tebessüm ile iktifa eder, meclisinde kahkahalar savunmazlardı.

Kulağa gelince: Kardeşliğinin sözünü can kulağı ile inanarak ve neşe içerisinde dinlemeli; inat, muâraza ve müdâhale yolu ile sözünü kesmemelidir. Bir mâni zuhûr ederse özür dilemeli ve sevmedikleri sözleri dinlemekten sakınmalıdır.

Dile gelince: İhvan hakkında dilin vazifelerini anlattık, tekrarında söz uzar. Ancak, kardeşliklerine yüksek sesle konuşmamalı ve anlamadıkları sözlerle onlara hitap etmemelidir.

Eller: Ellerin vazifeleri de, onlara el ile yapılabilecek yardımdan geri kalmamaktır.

Ayaklar: Ayakların vazifeleri de, onların önünde değil, arkalarında yürümektir. Ancak, müsâade ettikleri nisbette ilerlemeli ve yaklaşmalıdır. Geldikleri zaman, onlara kıyâm etmeli ve onlar oturmadan kendisi oturmamalı ve oturduğu yerde tevâzû ile oturmalıdır. Anlaşma tamam olunca, artık sohbetin hakkı olan ayağa kalkıp özür dilemek ve teşekkür etmek gibi şeyler ortadan kalkar. Çünkü bunlarda bir nevî yabancılık vardır. Birlik ve beraberlik tamamen yerleşince, her türlü külfet ortadan kalkar; âdeta yalnız imiş gibi olur. Zîra bu zahirî âdâb, bâtınî âdâbın ve kalp temizliğinin başlangıcıdır. Kalp, sâfîleşip tam samimiyet peydâ olunca, artık bu gibi külfetlere lüzûm kalmaz. Gözü insanların sohbetinde olan kimse bâzen eğrilir, bâzen de doğrulur. Fakat gözünü ve gönlünü Hâlik'a bağlayan kimse, zahir ve bâtında istikamet üzeredir. Bâtınını Hâlik ve mahlûkun sevgisi, zâhirini de Allah'a ibâdet ve kullarına hizmet etmekle süsler. Allah için hizmetin en üstünü budur. Zîra insanı Allah'a götüren yol, ancak güzel ahlâktır. Kul, güzel ahlâkı sâyesinde, oruç tutup namaz kılanlar derecesine ve daha ileriye yükselir.

İkincî Bâbın Hâtimesi

Burada bâzı hakîmlerin sözlerinden ihtisâr etmek sûretiyle, muhtelif tabakalardaki insanlarla düşüp kalkmanın âdâbından bahsedeceğiz.

İnsanlarla güzel geçinmek istersen, ister dostun ister düşmanın olsun, hepsini güler yüzle karşıla. Herkese karşı zillete düşmeyen bir tevâzû ve kibre varmayan vakar içinde bulun. Her şeyde ifrât mezmûm olduğu için dâima orta yolu tercih et. Omuz başlarına bakma, sağa sola iltifât etme. Halk arasında bulun fakat onları tarassut etme, mecliste tevâzû ile otur. Parmak çıtlatma, yüzüğünle oynama; sakalını, bıyığını, dişlerini ve burnunu karıştırma, sineklerle oynama, öksürme, balgam atma, sümkürme, gerek namazda, gerekse namaz dışında gerinme ve esneme. Sözlerin düzgün, sohbetin irşâd edici olsun. Güzel sözleri dinle, fakat hayranlık gösterme tekrârını isteme, hikâye ve gülünç yerlerinden sakınmasını bil. Çocuklarından, hizmetçinden şiir ve eserlerinden ve diğer sana âit olan şeylerden bahsetme, süslenmekte kadınlar gibi ifrâta varma. Hizmetkârlar gibi pejmürde olma. Her nevî süste israfa varma, dileklerinde ısrar etme. Kimseyi zulme teşvik etme. Varlığını, değil başkalarına âile efrâdına bile bildirme. Çünkü az ise onlar seni tahkîr eder, çok ise ihtiyaçları tükenmez, almakla başa çıkamazsın.

Şiddete varmayacak şekilde onları korkut. Za'fa düşmeyecek şekilde onlara yumuşak davran. Hizmetkârların ile şakalaşma, vakarın kaybolur.

Mücâdele esnâsında diline sahip ol. Vakarını koru, sürçmelerden sakın, acele etme. Getirdiğin delîlleri düşün. Ellerin ile işâret edip durma. Sağına soluna ve ardına bakma. Konuşurken diz üstü çökme, daha doğrusu hiddetin teskin olduktan sonra konuş.

Sultanlar ile buluştuğun zaman, onlarla bıçak üstünde durur gibi bulun. Sultanların sana gösterdikleri teveccühe emniyet etme. Çocuğun suyuna gittiğin gibi onun da suyuna git. Günâha varmamak şartıyla hoşuna gidecek sözleri konuş. Sana karşı müsâmahakâr davranıyor diye saltanat işlerine karışma. Âile yuvasına kadar sokulma. Buna selâhiyetli olsan bile bundan kaçın. Zîra sultan ile âilesi arasına giren, düzelmeyecek şekilde bir hatâya düşer ve daha kaldırılamayacak şekilde düşebilir.

Genişlik zamanındaki dostlarına kıymet verme, darlık zamanında onlar en büyük düşmanın olur. Servetini, şerefinden daha kıymetli tutma.

Bir meclise gittiğin zaman önce selâm ver. Önündeki insanları çiğneyip ileri geçme, boş bulduğun yerde otur. Tevâzû'a uygun bulduğun yeri kabul et. Hususî mevkî arama. Yollar üzerinde oturma. Oturmak zarûreti varsa, gözlerine sahip ol; gelip geçenleri süzüp durma. Düşkünleri koru. Mazlûmların elinden tut. Şaşkınlara yol göster. Verilen selâmı al. İsteyiciye ver. Emr-i mârûf ve nehy-i münker eyle. Balgamını atacak münâsip yer ara. Kıbleye, önüne ve sağına atma; hiç olmazsa ayağının altına al.

Melikler ile düşüp kalkma. Şâyet sohbetlerinde bulunursan, kimsenin hakkında dedi-kodu yapma. Yalan konuşma. Sırrı muhafaza et. Fazla ihtiyaç gösterme. Düzgün konuşmaya dikkat et. Şakayı azalt. Her ne kadar sana sevgi gösterseler de sen yine onlardan sakın. Karşılarında geğirme, yemekten sonra karşılarında dişlerini temizleyip durma, bu hareketin nefret uyandırır. Buna mukabil Melik'e de düşen vazifeler vardır. O da gizli işleri açıklamak, saltanat ve harem işlerine müdâhaleden başka huzurundakilerin bütün kusurlarına tahammül etmektir.

Ayak takımları ile düşüp kalkma. Şâyet meclislerinde bulunursan, onların lüzûmsuz dedi-kodularına katılma. Boş sözlerine fazla kıymet verme, kötü sözlerini duymazlıktan gel. Zarûret ve ihtiyaç halleri hâricinde onlarla oturma.

İster akıllı, ister ahmak olsun, insanlarla fazla şakalaşma. Çünkü akıllılar sana kızar, ahmaklar da şaka esnâsında lüzûmsuz ve çirkin sözler söyleyip, izzet-i nefsini rencîde ederler. İstihzâ, insanın vakarını kaybettirir, yüzünden hayâyı kaldırır. Kin ve nefreti uyandırır; dostluğun tadını kaçırır, fakîhin fıkhını lekeler, âdî kimselere lüzûmsuz sözler söyleme cesâreti verir. Büyükler nezdindeki değerini kaybettirir. Müttaki insanlar, istihzâ sevmez, kalbi körelir. İnsanı Allah'tan uzaklaştırır. Gafleti doğurur. Zillet ve meskenet getirir. Kalbi karartır, hatıraları öldürür. Kusurları çoğaltır. Günâhları açığa çıkartır. (Bunlar, ifrât derecedeki şakacılığın âfetleridir). Denildi ki; şakacılık ya ahmaklık veyâ küfrân-ı nîmetten gelir. Bir mecliste istihzâ yapan veyâ lüzûmsuz sözler konuşan, oradan kalktığı zaman, Allahu Teâlâ'yı zikretsin. Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ
مَجْلِسِهِ ذٰلِكَ: سُبْحَانَكَ اللّٰهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا
أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذٰلِكَ

"Bir mecliste lüzûmsuz sözler konuşan kimse, kalkarken "Sübhaneke'llâhümme ve bi hamdike eşhedü en lâ ilâhe illâ ente estağfiruke ve etûbu ileyke" derse, oradaki hatâları bağışlanır."[95] buyurmuştur.

---

[95] Tirmizî, Ebû Hüreyre'den (r.a.) rivâyet etti ve "sahihtir" dedi.

البَابُ الثَّالِثُ
فِي حَقِّ المسلمِ والرَّحمِ والجوارِ والملكِ وكيفيَّةِ المعاشرةِ مع من يدلي بهذه الأسباب

اعلمْ : أنَّ الإنسانَ إما أنْ يكونَ وحدهُ ، أوْ معَ غيرِهِ ، وإذا تعذَّرَ عيشُ الإنسانِ إلا بمخالطةِ منْ هوَ مِنْ جنسِهِ . . لمْ يكنْ لهُ بدٌّ مِنْ تعلُّمِ آدابِ المخالطةِ ، وكلُّ مخالطٍ ففي مخالطتِهِ أدبٌ ، والأدبُ علىٰ قدْرِ حقِّهِ ، وحقُّهُ علىٰ قدْرِ رابطتِهِ التي بها وقعَتِ المخالطةُ .

والرابطةُ : إمَّا القرابةُ وهيَ أخصُّها ، أوْ أخوَّةُ الإسلامِ وهيَ أعمُّها ، وإمَّا الجوارُ ، وإمَّا صحبةُ السفرِ أوِ المكتبِ أوِ الدرْسِ ، وإمَّا الصداقةُ أوِ الأخوَّةُ .

ولكلِّ واحدٍ مِنْ هـٰذهِ الروابطِ درجاتٌ ، فالقرابةُ لها حقٌّ ، ولكنْ حقُّ الرحمِ المحرمِ آكدُ ، وللمحرمِ حقٌّ ، ولكنْ حقُّ الوالدينِ آكدُ .

وكذلكَ حقُّ الجارِ ولكنْ يختلفُ بحسَبِ قربِهِ مِنَ الدارِ وبعدِهِ ، ويظهرُ التفاوتُ عندَ النسبةِ ، حتىٰ إنَّ البلديَّ في بلادِ الغربةِ يجري مَجرى القريبِ في الوطنِ ؛ لاختصاصِهِ بحقِّ الجوارِ في البلدِ .

وكذلكَ حقُّ المسلمِ يتأكَّدُ بتأكُّدِ المعرفةِ ، وللمعارفِ درجاتٌ ، فليسَ

حقُّ الذي عُرِفَ بالمشاهدةِ كحقِّ الذي عُرِفَ بالسماعِ ، بلْ آكدُ منهُ ، والمعرفةُ بعدَ وقوعِها تتأكَّدُ بالاختلاطِ .

وكذلكَ الصحبةُ تتفاوتُ درجاتُها ، فحقُّ الصحبةِ في الدرسِ والمكتبِ آكدُ مِنْ حقِّ صحبةِ السفرِ .

وكذلكَ الصداقةُ تتفاوتُ ، فإنَّها إذا قويَتْ . . صارَتْ أخوَّةً ، فإنِ ازدادَتْ . . صارَتْ محبَّةً ، فإنِ ازدادَتْ . . صارَتْ خلَّةً ، والخليلُ أقربُ مِنَ الحبيبِ ، والمحبَّةُ ما تتمكَّنُ مِنْ حبَّةِ القلْبِ ، والخلَّةُ ما تتخلَّلُ سرَّ القلبِ ، فكلُّ خليلٍ حبيبٌ ، وليسَ كلُّ حبيبٍ خليلاً .

وتفاوتُ درجاتِ الصداقةِ لا يخفىٰ بحكْمِ المشاهدةِ والتجربةِ ، فأمَّا كونُ الخلَّةِ فوقَ الأخوَّةِ . . فمعناهُ : أنَّ لفظَ الخلَّةِ عبارةٌ عنْ حالةٍ هيَ أتمُّ مِنَ الأخوَّةِ ، وتعرفُهُ مِنْ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لوْ كنتُ متخذاً خليلاً . . لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً ، ولكنَّ صاحبَكُمْ خليلُ اللهِ »[1] ؛ إذِ الخليلُ هوَ الذي يتخلَّلُ الحبُّ جميعَ أجزاءِ قلبِهِ ظاهراً وباطناً ويستوعبُهُ ، ولمْ يكنْ يستوعبُ قلبُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ سوىٰ حبِّ اللهِ تعالىٰ ، وقدْ منعتْهُ الخلَّةُ عنِ الاشتراكِ فيهِ[2] ، معَ أنَّهُ اتخذَ عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ أخاً ، فقالَ : « عليٌّ

---

(١) رواه البخاري (٤٦٦) ، ومسلم (٢٣٨٢ ، ٢٣٨٣) ، قال الحافظ الزبيدي : (الحديث متواتر ، وقد رواه زهاء خمسة عشر من الصحابة) . « الإتحاف » (٦/ ٢٥٠).

(٢) أي: لما اتخذه خليلاً . . لم يصلح أن يشترك في خلة الخالق خلة الخلق، ثم قال: «ولكن أخوة الإسلام»، فأوقفه مع الأخوة؛ لأن فيها مشاركة في الحال. «إتحاف» (٦/ ٢٥١).

منِّي بمنزلةِ هارونَ مِنْ موسىٰ إلا النبوَّةَ »(١) ، فعدلَ بعليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ النبوَّةِ كما عدلَ بأبي بكرٍ عنِ الخلَّةِ ، فشاركَ أبو بكرٍ عليّاً رضيَ اللهُ عنهُما في الأخوَّةِ وزادَ عليهِ بمقاربةِ الخلَّةِ وأهليتِهِ لها لوْ كانَ للشركةِ في الخلَّةِ مجالٌ ، فإنَّهُ نبَّهَ عليهِ بقولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً » .

وكانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حبيبَ اللهِ وخليلَهُ ، فقدْ رُوِيَ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ صعدَ المنبرَ يوماً مستبشراً فرحاً ، فقالَ : « إنَّ اللهَ قدِ اتخذَني خليلاً كما اتخذَ إبراهيمَ خليلاً ، فأنا حبيبُ اللهِ ، وأنا خليلُ اللهِ تعالىٰ »(٢) .

فإذاً ؛ ليسَ قبلَ المعرفةِ رابطةٌ ، ولا بعدَ الخلَّةِ درجةٌ ، وما سواهُما مِنَ الدرجاتِ بينَهُما ، وقدْ ذكرنا حقَّ الصحبةِ والأخوَّةِ ، ويدخلُ فيهما ما وراءَهُما مِنَ المحبَّةِ والخلَّةِ ، وإنَّما تتفاوتُ الرتبُ في تلكَ الحقوقِ كما سبقَ بحسَبِ تفاوتِ المحبَّةِ والأخوَّةِ ، حتىٰ ينتهيَ أقصاها إلىٰ أنْ يوجبَ الإيثارَ بالنفسِ والمالِ ؛ كما آثرَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ نبيَّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ(٣) ،

---

(١) رواه البخاري (٣٧٠٦) ، ومسلم (٢٤٠٤) بلفظ : « أنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلا أنه لا نبي بعدي » ، وعند أحمد في « المسند » (١/ ١٧٠) : « أوما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلا النبوة ؟ » .

(٢) كذا في « القوت » (٢/ ٢٣١) ، وقد رواه مسلم (٥٣٢) دون زيادة : (فأنا حبيب الله ، وأنا خليل الله) ، وقوله : (حبيب الله) رواه الترمذي (٣٦١٦) ولفظه ضمن حديث : « وأنا حبيب الله ولا فخر » ، والجملة الثانية ثابتة بالحديث المتقدم .

(٣) كما روى اللالكائي في « اعتقاد أهل السنة » (٢٤٢٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٣) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٢/ ٤٧٦) .

وكما آثَرَهُ أبو طلحةَ ببدنِهِ ، إذْ جعلَ نفسَهُ وقايةً لشخصِهِ العزيزِ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ⁽¹⁾ .

فنحنُ الآنَ نريدُ أنْ نذكرَ حقَّ أخوَّةِ الإسلامِ ، وحقَّ الرحمِ ، وحقَّ الوالدينِ ، وحقَّ الجوارِ ، وحقَّ المِلْكِ ؛ أعني : ملكَ اليمينِ ؛ فإنَّ مِلْكَ النكاحِ قدْ ذكرنا حقوقَهُ في كتابِ آدابِ النكاحِ .

* * *

---

(١) كما روى البخاري (٣٨١١) ، ومسلم (١٨١١) .

حقوق المسلم

هيَ أنْ يسلِّمَ عليهِ إذا لقيَهُ ، ويجيبَهُ إذا دعاهُ ، ويشمِّتَهُ إذا عطسَ ، ويعودَهُ إذا مرضَ ، ويشهدَ جنازتَهُ إذا ماتَ ، ويبرَّ قسمَهُ إذا أقسمَ عليهِ ، وينصحَ لهُ إذا استنصحَهُ ، ويحفظَهُ بظهرِ الغيبِ إذا غابَ عنهُ ، ويحبَّ لهُ ما يحبُّ لنفسِهِ ، ويكرَهَ لهُ ما يكرَهُ لنفسِهِ ، وردَ جميعُ ذلكَ في أخبارٍ وآثارٍ(١) .

وقدْ روىٰ أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ ، عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « أربعٌ مِنْ حقِّ المسلمينَ عليكَ : أنْ تعينَ محسنَهُمْ ، وأنْ تستغفرَ

---

(١) منها ما رواه البخاري (١٢٤٠) ، ومسلم (٢١٦٢) واللفظ له : « حق المسلم على المسلم ستٌّ » قيل : ما هن يا رسول الله ؟ قال : « إذا لقيته . . فسلِّم عليه ، وإذا دعاك . . فأجبه ، وإذا استنصحك . . فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله . . فسمِّته ، وإذا مرض . . فعده ، وإذا مات . . فاتبعه » ، والتسميت والتشميت بمعنىً .

ومنها ما رواه أحمد في « المسند » (١/٨٨) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً : « للمسلم على المسلم من المعروف ست : يسلم عليه إذا لقيه ، ويشمته إذا عطس ، ويعوده إذا مرض ، ويجيبه إذا دعاه ، ويشهده إذا توفي ، ويحب له ما يحب لنفسه ، وينصح له بالغيب » .

ومنها ما رواه البخاري (١٢٣٩) ، ومسلم (٢٠٦٦) وفيه : (وإبرار القسم أو المقسم ، ونصرة المظلوم) ، وقد جمع أصول هاذه الأخبار أبو طالب المكي في « القوت » (٢/١٤١) .

لمذنبِهِمْ ، وأنْ تدعوَ لمدبرِهِمْ ، وأنْ تحبَّ تائبَهُمْ »(١) .

وقالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما في معنىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ قالَ : (يدعو صالحُهُمْ لطالحِهِمْ ، وطالحُهُمْ لصالحِهِمْ ، إذا نظرَ الطالحُ إلى الصالحِ مِنْ أمَّةِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . قالَ : اللهمَّ ؛ باركْ لهُ فيما قسمتَ لهُ مِنَ الخيرِ ، وثبِّتْهُ عليهِ ، وانفعْنا بهِ ، وإذا نظرَ الصالحُ إلى الطالحِ . . قالَ : اللهمَّ ؛ اهدِهِ وتبْ عليهِ ، واغفرْ لهُ)(٢) .

* * *

ومنها : أنْ يحبَّ للمؤمنينَ ما يحبُّ لنفسِهِ ، ويكرَهَ لهُمْ ما يكرَهُ لنفسِهِ : قالَ النعمانُ بنُ بشيرٍ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « مثلُ المؤمنينَ في توادِّهِمْ وتراحُمِهِمْ كمثلِ الجسدِ ، إذا اشتكىٰ عضوٌ منهُ . . تداعىٰ سائرُهُ بالحمىٰ والسهرِ »(٣) .

ورَوىٰ أبو موسىٰ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُهُ بعضاً »(٤) .

* * *

---

(١) قال صاحب « القوت » (٢/ ١٤١) : (روينا عن إسماعيل بن أبي زياد ، عن أبان بن عياش ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) وذكره ، وقد رواه الديلمي في « مسند الفردوس » (١٤٩٩) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) قوت القلوب (٢/ ١٤١) .

(٣) رواه البخاري (٦٠١١) ، ومسلم (٢٥٨٦) .

(٤) رواه البخاري (٤٨١) ، ومسلم (٢٥٨٥) .

ومنها : **ألا يؤذيَ أحداً مِنَ المسلمينَ بفعلٍ ولا قولٍ** : قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « المسلمُ مَنْ سلمَ المسلمونَ مِنْ لسانِهِ ويدِهِ »(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في حديثٍ طويلٍ يأمرُ فيهِ بالفضائلِ : « فإنْ لمْ تقدرْ . . فدعِ الناسَ مِنَ الشرِّ ؛ فإنَّها صدقةٌ تصدَّقُ بها علىٰ نفسِكَ »(٢) .

وقالَ أيضاً عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « أفضلُ المسلمينَ مَنْ سلمَ المسلمونَ مِنْ لسانِهِ ويدِهِ »(٣) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أتدرونَ مَنِ المسلمُ ؟ » فقالوا : اللهُ ورسولُهُ أعلمُ ، قالَ : « المسلمُ مَنْ سلمَ المسلمونَ مِنْ لسانِهِ ويدِهِ » ، قالوا : فمَنِ المؤمنُ ؟ قالَ : « مَنْ أمنَهُ المؤمنونَ علىٰ أنفسِهِمْ وأموالِهِمْ » ، قالوا : فمَنِ المهاجرُ ؟ قالَ : « مَنْ هجرَ السوءَ واجتنبَهُ »(٤) .

وقالَ رجلٌ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما الإسلامُ ؟ قالَ : « أنْ يسلمَ قلبُكَ للهِ ، ويسلمَ المسلمونَ مِنْ لسانِكَ ويدِكَ »(٥) .

---

(١) رواه البخاري (١٠) ، ومسلم (٤١) ، وإنما ذكر اللسان واليد وخصَّهما لأن أكثر وأغلب الأذىٰ بهما .

(٢) رواه البخاري (٢٥١٨) ، ومسلم (٨٤) ، قاله صلى الله عليه وسلم لأبي ذرٍّ رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري (١١) ، ومسلم (٤٢) وقد سئل صلى الله عليه وسلم : (أي المسلمين أفضل ؟) فذكره .

(٤) رواه الطبراني في « الأوسط » (٢٣٤) .

(٥) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ١١٤) .

وقالَ مجاهدٌ : (يُسلَّطُ علىٰ أهلِ النارِ الجربُ ، فيحتكُّونَ حتَّىٰ يبدوَ عظمُ أحدِهِمْ مِنْ جلدِهِ ، فيُنادَىٰ : يا فلانُ ؛ هلْ يؤذيكَ هـٰذا ؟ فيقولُ : نعمْ ، فيُقالُ : هـٰذا بما كنتَ تؤذي المؤمنينَ)(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لقدْ رأيتُ رجلاً يتقلَّبُ في الجنَّةِ في شجرةٍ قطعَها عنْ ظهْرِ الطريقِ كانَتْ تؤذي الناسَ »(٢) .

وقالَ أبو برزةَ رضيَ اللهُ عنهُ : يا رسولَ اللهِ ؛ علِّمْني شيئاً أنتفعُ بهِ ، قالَ : « اعزلِ الأذىٰ عنْ طريقِ المسلمينَ »(٣) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ زحزحَ عنْ طريقِ المسلمينَ شيئاً يؤذيهِمْ . . كتبَ اللهُ لهُ بهِ حسنةً ، ومَنْ كتبَ اللهُ لهُ حسنةً . . أوجبَ لهُ بها الجنَّةَ »(٤) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا يحلُّ لمسلمٍ أنْ يشيرَ إلىٰ أخيهِ بنظرةٍ تؤذيهِ »(٥) .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (١٢٤)، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٣٩٤).

(٢) رواه مسلم (١٩١٤/ ١٢٩) .

(٣) رواه مسلم (٢٦١٨) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ٤٤٠) .

(٥) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٦٨٩) عن حمزة بن عبدة مرسلاً ، وزاد الحافظ العراقي : (وفي « البر والصلة » له من زيادات الحسين المروزي : حمزة بن عبد الله بن أبي سمي ، وهو الصواب) . « إتحاف » (٦/ ٢٥٥) ، وقال الحافظ المناوي في « فيض القدير » (٥/ ٥٠٤) : (عن حمزة بن عبيد مرسلاً ، هو ابن عبد الله بن عمر ، قال الذهبي : ثقة إمام) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا يحلُّ لمسلمٍ أنْ يروِّعَ مسلماً »(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ اللهَ يكرَهُ أذى المؤمنِ »(٢) .

وقالَ الربيعُ بنُ خثيمٍ : (الناسُ رجلانِ : مؤمنٌ فلا تؤذِهِ ، وجاهلٌ فلا تجاهلْهُ)(٣) .

* * *

ومنها : أنْ يتواضعَ لكلِّ مسلم ، ولا يتكبَّرَ عليهِ : فإنَّ اللهَ لا يحبُّ كلَّ مختالٍ فخورٍ ، وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ اللهَ تعالىٰ أوحىٰ إليَّ : أنْ تواضعوا ؛ حتَّىٰ لا يفخرَ أحدٌ علىٰ أحدٍ »(٤) .

ثمَّ إنْ تفاخرَ عليهِ غيرُهُ . . فليحتملْ ، فاللهُ تعالىٰ قالَ لنبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ .

---

(١) رواه أبو داوود (٥٠٠٤) عن عبد الرحمـٰن بن أبي ليلىٰ قال : حدثنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يسيرون مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فنام رجل منهم ، فانطلق بعضهم إلىٰ حبْل معه ـ وعند أحمد في « المسند » (٥/ ٣٦٢) : إلىٰ نبل معه ـ فأخذه ، ففزع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً » .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٦٩٢) عن عكرمة بن خالد مرسلاً ، وذكره الترمذي (٢٨٢٥) تعليقاً .

(٣) رواه السلمي في « آداب الصحبة » (٣٨) .

(٤) رواه مسلم (٢٨٦٥) ضمن خطبة له صلى الله عليه وسلم ، ورواه مفرداً أبو داوود (٤٨٩٥) ، وابن ماجه (٤١٧٩) .

وعنِ ابنِ أبي أوفىٰ : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يتواضعُ لكلِّ مسلمٍ، ولا يأنفُ ولا يستكبرُ أنْ يمشيَ معَ الأرملةِ والمسكينِ فيقضيَ حاجتَهُ)(١) .

* * *

ومنها : ألا يسمعَ بلاغاتِ الناسِ بعضِهِمْ علىٰ بعضٍ ، ولا يبلِّغَ بعضَهُمْ ما يسمعُ منْ بعضٍ: قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا يدخلُ الجنَّةَ قتَّاتٌ »(٢) .

وقالَ الخليلُ بنُ أحمدَ : (مَنْ نمَّ إليكَ . . نمَّ عليكَ ، ومَنْ أخبرَكَ بخبرِ غيرِكَ . . أخبرَ غيرَكَ بخبرِكَ)(٣) .

* * *

ومنها : ألا يزيدَ في الهجرةِ لمَنْ يعرفُهُ علىٰ ثلاثةِ أيامٍ مهما غضبَ عليهِ : قالَ أبو أيوبَ الأنصاريُّ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا يحلُّ لمسلمٍ أنْ يهجرَ أخاهُ فوقَ ثلاثٍ ، يلتقيانِ فيعرضُ هٰذا ويعرضُ هٰذا ، وخيرُهُما الذي يبدأُ بالسلامِ »(٤) .

وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أقالَ مسلماً عثرتَهُ . . أقالَهُ اللهُ يومَ القيامةِ »(٥) .

---

(١) رواه النسائي (٣/ ١٠٨) .

(٢) رواه البخاري (٦٠٥٦) ، ومسلم (١٠٥) ، **والقتَّات** : النمَّام .

(٣) رواه السلمي في « آداب الصحبة » (١٢١) .

(٤) رواه البخاري (٦٠٧٧) ، ومسلم (٢٥٦٠) .

(٥) رواه أبو داوود (٣٤٦٠)، وابن ماجه (٢١٩٩)، ولفظه عند أبي نعيم في «الحلية» (٦٦/ ٣٤٥).

قالَ عكرمةُ : (قالَ اللهُ تعالىٰ ليوسفَ بنِ يعقوبَ : بعفوِكَ عنْ إخوتِكَ . . رفعتُ ذكرَكَ في الذاكرينَ)(١) .

قالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (ما انتقمَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لنفسِهِ قطُّ إلا أنْ تُنتَهَكَ حرمةُ اللهِ ، فينتقمَ للهِ)(٢) .

وقالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (ما عفا رجلٌ عنْ مظلمةٍ إلا زادَهُ اللهُ بها عزّاً)(٣) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ما نقصَ مالٌ مِنْ صدقةٍ ، وما زادَ اللهُ رجلاً بعفوٍ إلا عزّاً ، وما منْ أحدٍ تواضعَ للهِ إلا رفعَهُ اللهُ »(٤) .

* * *

ومنها : **أنْ يحسنَ إلىٰ كلِّ مَنْ قدرَ عليهِ منهُمْ ما استطاعَ** : لا يميزُ بينَ الأهلِ وغيرِ الأهلِ ، رُوِيَ عنْ عليِّ بنِ الحسينِ ، عنْ أبيهِ ، عنْ جدِّهِ رضيَ اللهُ عنهُم قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « اصنعِ المعروفَ إلىٰ أهلِهِ وإلىٰ غيرِ أهلِهِ ، فإنْ أصبتَ أهلَهُ . . فهوَ أهلُهُ ،

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٣٣٧) .

(٢) رواه البخاري (٣٥٦٠) ، ومسلم (٢٣٢٧) .

(٣) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٤٢١) .

(٤) رواه مسلم (٢٥٨٨) ولفظه عنده : (ما نقصت صدقة من مال . . .) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وإنْ لمْ تصبْ أهلَهُ . . فأنتَ أهْلُهُ »(١) .

وعنهُ بإسنادِهِ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رأسُ العقلِ بعدَ الدينِ التودُّدُ إلى الناسِ واصطناعُ المعروفِ إلىٰ كلِّ برٍّ وفاجرٍ »(٢) .

وقالَ أبو هريرةَ : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا يأخذُ أحدٌ بيدِهِ فينزعُ يدَهُ حتَّىٰ يكونَ الرجلُ هوَ الذي يرسلُهُ ، ولمْ تكنْ تُرىٰ ركبتُهُ خارجةً عنْ ركبةِ جليسِهِ ، ولمْ يكنْ أحدٌ يكلمُهُ إلا أقبلَ عليهِ بوجهِهِ ، ثمْ لمْ يصرفْهُ عنهُ حتَّىٰ يفرغَ مِنْ كلامِهِ)(٣) .

* * *

ومنها : **ألا يدخلَ علىٰ أحدٍ منهُمْ إلا بإذنِهِ** : بلْ يستأذنُ ثلاثاً ، فإنْ لمْ يُؤذنْ لهُ . . انصرفَ ، قالَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « الاستئذانُ ثلاثٌ ، فالأولىٰ يستنصتونَ ، والثانيةُ : يستصلحونَ ، والثالثةُ : يأذنونَ أوْ يردُّونَ »(٤) .

---

(١) رواه أبو بكر الشافعي في « الغيلانيات » (٧٨) ، والجصاص في « أحكام القرآن » (٣/ ٢٦٧) ، والسلمي في « آداب الصحبة » (١٣٨) ، وهو عند الدارقطني في « العلل » (٣/ ١٠٧) .

(٢) رواه السلمي في « آداب الصحبة » (١٣٩) بتمامه ، وروى الطبراني في « الأوسط » (٦٠٧٦) الجملة الأولىٰ منه .

(٣) رواه الطبراني في « الأوسط » (٨٦٨٣) ، ونحوه عند الترمذي (٢٤٩٠) ، وابن ماجه (٣٧١٦) .

(٤) رواه السلمي في « آداب الصحبة » (١٦٢) ، **ويستصلحون** : أي : المكان للجلوس ، =

ومنها : أنْ يخالقَ الجميعَ بخلقٍ حسنٍ ، ويعاملَهُمْ بحسَبِ طريقتِهِ : فإنَّهُ إنْ أرادَ لقاءَ الجاهلِ بالعلمِ ، والأميِّ بالفقهِ ، والعييِّ بالبيانِ . . آذىٰ وتأذَّىٰ .

* * *

ومنها : أنْ يوقِّرَ المشايخَ ويرحمَ الصبيانَ : قالَ جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «ليسَ منَّا مَنْ لمْ يوقِّرْ كبيرَنا ، ولمْ يرحمْ صغيرَنا»(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مِنْ إجلالِ اللهِ إكرامُ ذي الشيبةِ المسلمِ »(٢) .

ومِنْ تمامِ توقيرِ المشايخِ : ألا يتكلمَ بينَ أيديهِمْ إلا بالإذنِ ، قالَ جابرٌ : قدمَ وفدُ جهينةَ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقامَ غلامٌ ليتكلمَ ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَهْ ، فأينَ الكبيرُ ؟ »(٣) .

= أو يصلحون عليهم ثيابهم ونحو ذلك ، وعند البخاري (٦٢٤٥) ، ومسلم (٢١٥٣) واللفظ له : « الاستئذان ثلاث ، فإن أُذن لك ، وإلا . . فارجع » .

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » (٥٩٢٣) ، ورواه البخاري في « الأدب المفرد » (٣٥٤) ، وأبو داوود (٤٩٤٣) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٢) رواه أبو داوود (٤٨٤٣) وتمامه : « وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط » .

(٣) رواه البيهقي في « الشعب » (١٠٤٨٦) ، وفي (ب ، هـ ، ط ، ي) : (الكُبْر) بدل (الكبير) وهي رواية .

وفي الخبرِ : « ما وقَّرَ شابٌّ شيخاً إلا قيَّضَ اللهُ لهُ في سنِّهِ مَنْ يوقِّرُهُ »⁽¹⁾ ، وهـٰذهِ بشارةٌ بدوامِ الحياةِ ، فليُتنبَّهْ لها ، فلا يُوفَّقُ لتوقيرِ الشيوخِ إلا مَنْ قضى اللهُ لهُ بطولِ العمرِ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تقومُ الساعةُ حتىٰ يكونَ الولدُ غيظاً ، والمطرُ قيظاً ، وتفيضُ اللئامُ فيضاً ، وتغيضُ الكرامُ غيضاً ، ويجترىءُ الصغيرُ على الكبيرِ ، واللئيمُ على الكريمِ »⁽²⁾ .

والتلطُّفُ بالصبيانِ مِنْ عادةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ⁽³⁾ ، كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقدمُ منَ السفرِ ، فيتلقاهُ الصبيانُ ، فيقفُ عليهِمْ ، ثمَّ يأمرُ بهِمْ فيُرفعونَ إليهِ ، فيرفعُ منهُمْ بينَ يديهِ وخلفَهُ ، ويأمرُ أصحابَهُ أنْ يحملوا بعضَهُمْ ، فربَّما تفاخرَ الصبيانُ بعدَ ذلكَ ، فيقولُ بعضُهُمْ لبعضٍ : حملَني رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بينَ يديهِ ، وحملَكَ أنتَ وراءَهُ ، ويقولُ بعضُهُمْ : أمرَ أصحابَهُ أنْ يحملوكَ وراءَهُمْ⁽⁴⁾ .

---

(1) رواه الترمذي (٢٠٢٢) ولفظه : « ما أكرم شاب . . . » الحديث .

(2) رواه الطبراني في « الأوسط » (٦٤٢٣) ، والقضاعي في « مسند الشهاب » (٩٤٩) .

(3) تقدم أنه صلى الله عليه وسلم كان أفكه الناس مع صبي .

(4) روى البخاري (٣٠٨٢) ، ومسلم (٢٤٢٧) عن ابن أبي مليكة قال : قال ابن الزبير لابن جعفر رضي الله عنهم : أتذكر إذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت وابن عباس ؟ قال : نعم ، فحملنا وتركك .

ورویٰ مسلم (٢٤٢٨) عن عبد الله بن جعفر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر . تُـلُقِّيَ بصبيان أهل بيته ، قال : وإنه قدم من سفر ، فسُبق بي إليه ، فحملني =

وكانَ يُؤتىٰ بالصبيِّ الصغيرِ ليدعوَ لهُ بالبركةِ وليسمِّيَهُ ، فيأخذُهُ فيضعُهُ في حجرِهِ(١) ، فربما بالَ الصبيُّ عليهِ ، فيصيحُ بهِ بعضُ مَنْ يراهُ ، فيقولُ : « لا تُزْرِموا الصبيَّ بولَهُ » ، فيدعُهُ حتَّىٰ يقضيَ بولَهُ ، ثمَّ يفرغُ مِنْ دعائِهِ لهُ وتسميتِهِ ، ويبلغُ سرورَ أهلِهِ فيهِ ، وألا يروا أنَّهُ تأذَّىٰ ببولِهِ ، فإذا انصرفوا . . غسلَ ثوبَهُ بعدَهُ(٢) .

* * *

= بين يديه ، ثم جيء بأحد ابني فاطمة ، فأردفه خلفه ، فأدخلنا المدينة ثلاثة علىٰ دابة .

(١) فقد روى البخاري (٥٤٦٨) ، ومسلم (٢١٤٧) واللفظ له : (كان يؤتىٰ بالصبيان ، فيبرِّك عليهم ويحنِّكهم) .

(٢) روى الطبراني في « الأوسط » (٦١٩٣) عن أم سلمة رضي الله عنها : أن الحسن أو الحسين بال علىٰ بطن النبي صلى الله عليه وسلم ، فذهبوا ليأخذوه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تُزْرِموا ابني ولا تستعجلوه » فتركه حتىٰ قضىٰ بوله ، فدعا بماء فصبه عليه .

وروى البخاري (٦٣٥٥) ، ومسلم (٢٨٦) عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يؤتىٰ بالصبيان ، فيدعو لهم ، فأُتي بصبي ، فبال علىٰ ثوبه ، فدعا بماء فأتبعه إياه ولم يغسله) .

ورویٰ أحمد بن منيع في « مسنده » كما في « البدر المنير » (١/ ٥٣٩ـ٥٤٠) عن حسين بن علي ـ أو ابن حسين بن علي ـ : حدثتنا امرأة من أهلنا ، قالت : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقياً علىٰ ظهره يلاعب صبياً علىٰ صدره . . إذ بال ، فقامت لتأخذه وتضربه ، قال : « دعيه ، ائتوني بكوز من ماء » فنضح الماء على البول حتىٰ تفايض الماء على البول . . . الحديث .

ووقع في (أ ، ج) هنا : (ولا يروا) بدل (وألا يروا) ، وفي (د) : (وألا يري والديه أنه . . .) .

ومنها : أنْ يكونَ معَ كافةِ الخلْقِ مستبشراً طلْقَ الوجهِ رفيقاً : قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أتدرونَ علىٰ منْ حُرمَتِ النارُ ؟ » قالوا : اللهُ ورسولُهُ أعلمُ ، قالَ : « على الليِّنِ الهيِّنِ السهلِ القريبِ »(١) .

وقالَ أبو هريرةَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ اللهَ يحبُّ السهلَ الطلْقَ »(٢) .

وقالَ بَعضُهُمْ : يا رسولَ اللهِ ؛ دلَّني علىٰ عملٍ يدخلُني الجنَّةَ ، فقالَ : « إنَّ مِنْ موجباتِ المغفرةِ بذلَ السلامِ ، وحسنَ الكلامِ »(٣) .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما : (البرُّ شيءٌ هيِّنٌ ؛ وجهٌ طليقٌ وكلامٌ ليِّنٌ)(٤) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « اتقوا النارَ ولوْ بشقِّ تمرةٍ ، فإنْ لمْ تجدوا . . فبكلمةٍ طيِّبةٍ »(٥) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ في الجنَّةِ لغرفاً يُرىٰ ظهورُها مِنْ

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٤١٥) ، والطبراني في « الكبير » (٢٠/ ٣٥٢) ، وهو عند الترمذي (٢٤٨٨) من غير كلمة (اللين) .

(٢) رواه القضاعي في « مسند الشهاب » (١٠٨٣) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٦٩٨) .

(٣) رواه الطبراني في « الكبير » (٢٢/ ١٨٠) ، والقضاعي في « مسند الشهاب » (١١٤٠) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « مداراة الناس » (١٠٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٧٠٢) .

(٥) رواه البخاري (١٤١٣) ، ومسلم (١٠١٦) .

بطونِها ، وبطونُها منْ ظهورِها » ، فقالَ أعرابيٌّ : لمَنْ هيَ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « لِمَنْ أطابَ الكلامَ ، وأطعمَ الطعامَ ، وصلَّىٰ بالليلِ والناسُ نيامٌ »(١) .

وقالَ معاذُ بنُ جبلٍ : قالَ لي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أوصيكَ بتقوى اللهِ ، وصدقِ الحديثِ ، ووفاءِ بالعهدِ ، وأداءِ الأمانةِ ، وتركِ الخيانةِ ، وحفظِ الجارِ ، ورحمةِ اليتيمِ ، ولينِ الكلامِ ، وبذلِ السلامِ ، وخفضِ الجناحِ »(٢) .

وقالَ أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ عرضَتْ لنبيِّ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ امرأةٌ وقالَتْ : لي معكَ حاجةٌ ، وكان معهُ ناسٌ مِنْ أصحابِهِ ، فقالَ : « اجلسي في أيِّ نواحي السككِ شئتِ . . أجلِسْ إليكِ » ، ففعلَتْ ، فجلسَ إليها حتَّىٰ قضَتْ حاجتَها(٣) .

وقالَ وهبُ بنُ منبهٍ : إنَّ رجلاً مِنْ بني إسرائيلَ صامَ سبعينَ سنةً ، يفطرُ في كلِّ سبعةِ أيامٍ ، فسألَ اللهَ تعالىٰ أنْ يريَهُ كيفَ يغوي الشيطانُ الناسَ ، فلمَّا طالَ عليهِ ذلكَ ولمْ يُجَبْ . . قالَ : لوِ اطلعتُ علىٰ خطيئتي وذنبي بيني وبينَ ربِّي . . لكانَ خيراً لي مِنْ هـٰذا الأمرِ الذي طلبتُهُ ، فأرسلَ اللهُ إليهِ ملكاً فقالَ

---

(١) رواه الترمذي (١٩٨٤) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٤٠) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٩٥٦) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٨/ ٤٣٤) .

(٣) رواه مسلم (٢٣٢٦) .

لهُ : إنَّ اللهَ أرسلَني إليكَ وهوَ يقولُ لكَ : إنَّ كلامَكَ هـٰذا الذي تكلَّمْتَ بهِ أحبُّ إليَّ ممَّا مضىٰ مِنْ عبادتِكَ ، وقدْ فتحَ اللهُ بصرَكَ فانظرْ ، فنظرَ ، فإذا جنودُ إبليسَ قدْ أحاطَتْ بالأرضِ ، وإذا ليسَ أحدٌ مِنَ الناسِ إلا والشياطينُ حولَهُ كالذبابِ ، فقالَ : أيْ ربِّ ؛ مَنْ ينجو مِنْ هـٰذا؟ فقالَ : الوادعُ الليِّنُ(١) .

* * *

ومنها : **ألا يعدَ مسلماً بوعدٍ إلا ويفي بهِ** : قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « العِدَةُ عطيَّةٌ »(٢) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « العِدَةُ دينٌ »(٣) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « ثلاثٌ في المنافقِ : إذا حدثَ . . كذبَ ، وإذا وعدَ . . أخلفَ ، وإذا اؤتمنَ . . خانَ »(٤) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « ثلاثٌ مَنْ كنَّ فيهِ . . فهوَ منافقٌ وإنْ صامَ وصلَّىٰ » وذكرَ ذلكَ(٥) .

* * *

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٣٢) ، وفيها وفي (ق) : (الورع) بدل (الوادع) .

(٢) رواه الطبراني في « الأوسط » (١٧٧٣) عن قباث بن أشيم رضي الله عنه ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٥٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، ورواه عبد الرزاق في « المصنف » (١١/ ٩٥) ، وأبو داوود في « المراسيل » (٥١٨) عن الحسن مرسلاً .

(٣) رواه الطبراني في « الأوسط » (٣٥٣٨) ، و« الصغير » (١/ ١٤٩) عن علي وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما .

(٤) رواه البخاري (٣٣) ، ومسلم (٥٩) .

(٥) رواه مسلم (٥٩) بهـٰذا اللفظ ، وأصله في « الصحيحين » كما تقدم .

ومنها : أنْ ينصفَ الناسَ مِنْ نفسِهِ ، ولا يأتيَ إليهِمْ إلا بما يحبُّ أنْ يُؤتىٰ إليهِ : قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا يستكملُ العبدُ الإيمانَ حتَّىٰ يكونَ فيهِ ثلاثُ خصالٍ : الإنفاقُ مِنَ الإقتارِ ، والإنصافُ منْ نفسِهِ ، وبذلُ السلامِ »(١) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « منْ سرَّهُ أنْ يُزحزحَ عنِ النارِ ويدخلَ الجنَّةَ . . فلتأتِهِ منيَّتُهُ وهوَ يشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ ، وليأتِ إلى الناسِ ما يحبُّ أنْ يُؤتىٰ إليهِ »(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يا أبا الدرداءِ ؛ أحسنْ مجاورةَ مَنْ جاورَكَ . . تكنْ مؤمناً ، وأحبَّ للناسِ ما تحبُّ لنفسِكَ . . تكنْ مسلماً »(٣) .

وقالَ الحسنُ : (أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ آدمَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بأربعِ خصالٍ ، وقالَ : فيهنَّ جماعُ الأمرِ لكَ ولولدِكَ : واحدةٌ لي ، وواحدةٌ لكَ ، وواحدةٌ بيني وبينَكَ ، وواحدةٌ بينكَ وبينَ الخلقِ ؛ فأما التي لي . . فتعبدُني ولا تشركُ بي شيئاً ، وأمَّا التي لكَ . . فعملُكَ أجزيكَ بهِ أفقرَ

---

(١) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٣٦٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ١٤١) ، وأوقفه عبد الرزاق في « المصنف » (١٠/ ٣٨٦) علىٰ راويه عمار بن ياسر رضي الله عنهما .

(٢) رواه مسلم (١٨٤٤) ، والطبراني في « الأوسط » (٤٧٣٨) .

(٣) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٢٥٢) ، وسبق أنه قاله صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة رضي الله عنه .

ما تكونُ إليهِ ، وأمَّا التي بيني وبينَكَ . . فعليكَ الدعاءُ وعليَّ الإجابةُ ، وأمَّا التي بينَكَ وبينَ الناسِ . . فتصحبُهُمْ بالذي تحبُّ أنْ يصحبوكَ بهِ)(١) .

وسألَ موسىٰ عليهِ السلامُ ربَّهُ تعالىٰ فقالَ : أيْ ربِّ ؛ أيُّ عبادِكَ أعدلُ ؟ قالَ : مَنْ أنصفَ مِنْ نفسِهِ(٢) .

* * *

ومنها : أن يزيدَ في توقيرِ مَنْ تدلُّ هيئتُهُ وثيابُهُ علىٰ علوِّ منزلتِهِ : فينزلُ الناسَ منازلَهُمْ ، رُوِيَ أنَّ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها كانَتْ في سفرٍ ، فنزلَتْ منزلاً ، فوضعَتْ طعامَها ، فجاءَ سائلٌ ، فقالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : ناولوا هـٰذا المسكينَ قرصاً ، ثمَّ مرَّ رجلٌ علىٰ دابَّةٍ ، فقالَتْ : ادعوهُ إلى الطعامِ ، فقيلَ لها : تعطينَ السائلَ وتدعينَ هـٰذا الغنيَّ ؟! فقالَتْ : إنَّ اللهَ تعالىٰ قدْ أنزلَ الناسَ منازلَ ، لا بدَّ لنا أنْ ننزلَهُمْ تلكَ المنازلَ ، هـٰذا المسكينُ يرضىٰ بقرصٍ ، وقبيحٌ بنا أنْ نعطيَ هـٰذا الغنيَّ علىٰ هـٰذهِ الهيئةِ قرصاً(٣) .

---

(١) رواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٢٧٥٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/١٧٣) من طريق الحسن عن أنس مرفوعاً .

(٢) رواه هناد في « الزهد » (٤٨٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦١/١٣٩) عن أبي عمرو الشيباني بلاغاً .

(٣) رواه أبو داوود (٤٨٤٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/٣٧٩) بنحوه ، وفيه قولها رضي الله عنها : (وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن ننزل الناس منازلهم) .

ورُوِيَ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ دخلَ بعضَ بيوتِهِ ، فدخلَ عليهِ أصحابُهُ حتَّىٰ غصَّ المجلسُ وامتلأَ ، فجاءَ جريرُ بنُ عبدِ اللهِ البجليُّ ، فلمْ يجدْ مكاناً ، فقعدَ على البابِ ، فلفَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رداءَهُ ، فألقاهُ إليهِ وقالَ لهُ : « اجلسْ علىٰ هـٰذا » ، فأخذَهُ جريرٌ ووضعَهُ علىٰ وجهِهِ ، وجعلَ يقبِّلُهُ ويبكي ، ثمَّ لفَّهُ ورمىٰ بهِ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقالَ : ما كنتُ لأجلسَ علىٰ ثوبِكَ ، أكرمَكَ اللهُ كما أكرمتَني ، فنظرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يميناً وشمالاً ثمَّ قال : « إذا أتاكُمْ كريمُ قومٍ . . فأكرموهُ »(١) .

وكذلكَ كلُّ مَنْ لهُ عليهِ حقٌّ قديمٌ فليكرمْهُ ، رُوِيَ أنَّ ظئرَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ التي أرضعَتْهُ جاءَتْ إليهِ ، فبسطَ لها رداءَهُ ، ثمَّ قالَ لها : « مرحباً بأمِّي » ، ثمَّ أجلسَها على الرداءِ ، ثمَّ قالَ لها : « اشفعي . .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٧١) ، والطبراني في « الأوسط » (٥٢٥٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/٢٠٦) .

قال الحافظ المناوي في « فيض القدير » (١/٢٤١) : (ليس المراد بكريم القوم عالمهم أو صالحهم كما وهم البعض ، ألا ترىٰ أنه لم ينسبه في الحديث إلىٰ علم ولا إلىٰ دين ومن هـٰذا السياق انكشف أن استثناء الكافر والفاسق كما وقع لبعضهم منشؤه الغفلة عما تقرّر من أن الإكرام منوط بخوف محذور ديني أو دنيوي أو لحوق ضرر للفاعل أو للمفعول معه ، فمتىٰ خيف شيء من ذلك . . شرع إكرامه ، بل قد يجب ، فمن قدم عليه بعض الولاة الظلمة الفسقة ، فأقصىٰ مجلسه ، وعامله معاملة الرعية . . فقد عرَّض نفسه وماله للبلاء ، فإن أوذي ولم يصبر . . فقد خسر الدنيا والآخرة) .

تشفَّعِي ، وسَلِي . . تعطَي » ، فقالَتْ : قَومي ، فقالَ : « أمَّا حقِّي وحقُّ بني هاشمٍ . . فهوَ لكِ » ، فقامَ الناسُ مِنْ كلِّ ناحيةٍ وقالوا : وحقُّنا يا رسولَ اللهِ .

ثمَّ وصلَها بعدُ ، وأخدمَها ، ووهبَ لها سُهْمانَهُ بخيبرَ ، فبيعَ ذلكَ مِنْ عثمانَ بنِ عفانَ رضيَ اللهُ عنهُ بمئةِ ألفِ درهمٍ⁽¹⁾ .

---

(١) رویٰ أبو داوود (٥١٤٤) عن أبي الطفيل رضي الله عنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لحماً بالجعرانة ، قال أبو الطفيل : وأنا يومئذ غلام أحمل عظم جزور ، إذ أقبلت امرأة حتىٰ دنت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فبسط لها رداءه ، فجلست عليه ، فقلت : من هي ؟ قالوا : أمه التي أرضعته .

وروى ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٢١٤) عن عبد الرحمٰن بن أبي الحسين : أن النبي صلى الله عليه وسلم أتت خالته من الرضاعة ـ يعني : سلمىٰ بنت أبي ذؤيب ـ فنزع رداءه عن ظهره ، فبسطه لها وقال : « مرحباً بأمي » .

وروى ابن سعد في « الطبقات » (١/ ٩٣) عن عمر بن سعد قال : جاءت ظئر النبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فبسط لها رداءه ، وأدخل يده في ثيابها ووضعها علىٰ صدرها ، وقضىٰ حاجتها ، قال : فجاءت إلىٰ أبي بكر ، فبسط لها رداءه وقال لها : دعيني أضع يدي خارجاً من الثياب ، قال : ففعل وقضىٰ لها حاجتها ، ثم جاءت إلىٰ عمر ، ففعل مثل ذلك .

ثم حكى ابن سعد منَّهُ صلى الله عليه وسلم علىٰ عشيرة حليمة رضي الله عنها ، وقوله عليه الصلاة والسلام لهم : « أما ما لي ولبني عبد المطلب . . فهو لكم ، وأسأل لكم الناس ، فإذا صليت بالناس الظهر . . فقولوا : نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلىٰ رسول الله ، فإني سأقول لكم : ما كان لي . . . » الحديث ، وهو عند النسائي كذلك (٦/ ٣٦٢) ، وأصله في « الصحيحين » .

ووقع في (ب ، ق) : (ووهب لها أحدَ سهمانه بحنين) .

ولربَّما أتاهُ مَنْ يأتيهِ وهو علىٰ وسادةٍ جالسٌ ، فلا يكونُ فيها سعةٌ يجلسُ معَهُ ، فينتزِعُها ويضعُها تحتَ الذي يجلسُ إليهِ ، فإنْ أبىٰ . . عزمَ عليهِ حتىٰ يفعلَ(١) .

* * *

ومنها : أنْ يصلحَ ذاتَ البينِ بينَ المسلمينَ مهما وجدَ إليهِ سبيلاً : قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ألا أخبرُكُمْ بأفضلَ مِنْ درجةِ الصلاةِ والصيامِ والصدقةِ ؟ » قالوا : بلىٰ ، قالَ : « إصلاحُ ذاتِ البينِ ، وفسادُ ذاتِ البينِ هيَ الحالقةُ »(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أفضلُ الصدقةِ إصلاحُ ذاتِ البينِ »(٣) .

وعنْ أنسٍ قالَ : بينَما رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ جالسٌ إذْ ضحكَ حتَّىٰ بدَتْ ثناياهُ ، فقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : يا رسولَ اللهِ ؛ بأبي أنتَ

---

(١) روى الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٥٩٩) عن أنس رضي الله عنه قال : دخل سلمان الفارسي علىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وهو متكىء علىٰ وسادة ، فألقاها له ، فقال سلمان : صدق الله ورسوله ـ ثم قال ـ : دخلت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكىء علىٰ وسادة ، فألقاها إلي ثم قال : « يا سلمان ؛ ما من مسلم يدخل علىٰ أخيه ، فيلقي له وسادة إكراماً له إلا غفر الله له » .

(٢) رواه مالك في « الموطأ » (٢/ ٩٠٤) ، وأبو داوود (٤٩١٩) ، والترمذي (٢٥٠٩) ، **والحالقة** : الخصلة التي شأنها أن تحلق ؛ أي : تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل المزينون الشعر ، أو المراد : المزيلة لمن وقع فيها . « إتحاف » (٦/ ٢٦٧) .

(٣) رواه عبد بن حميد في « مسنده » (٣٣٥) ، والقضاعي في « مسند الشهاب » (١٢٨٠) .

وأمِّي ، ما الذي أضحكَكَ ؟ قالَ : « رجلانِ مِنْ أمَّتي جَثيا بينَ يدي ربِّ العزَّةِ ، فقالَ أحدُهُما : يا ربِّ ؛ خذْ لي مظلمتي مِنْ هـٰذا ، فقالَ اللهُ تعالىٰ : ردَّ علىٰ أخيكَ مظلمتَهُ ، فقالَ : يا ربِّ ؛ لمْ يبقَ لي مِنْ حسناتي شيءٌ ، فقالَ اللهُ تعالىٰ للطالبِ : كيفَ تصنعُ بأخيكَ ، ولمْ يبقَ لهُ مِنْ حسناتِهِ شيءٌ ؟ فقالَ : يا ربِّ ؛ فليحملْ عنِّي مِنْ أوزاري » ، ثمَّ فاضَتْ عينُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالبكاءِ ، فقالَ : « إنَّ ذلكَ ليومٌ عظيمٌ ، يومٌ يحتاجُ الناسُ فيهِ إلىٰ أنْ يُحملَ عنهُمْ مِنْ أوزارِهِمْ » ، قالَ : « فيقولُ اللهُ تعالىٰ للمتظلِّمِ : ارفعْ بصرَكَ فانظرْ في الجنانِ ، فقالَ : يا ربِّ ؛ أرىٰ مدائنَ مِنْ فضةٍ وقصوراً مِنْ ذهبٍ مكللةً باللؤلؤِ ، لأيِّ نبيٍّ هـٰذا ، أوْ لأيِّ صدِّيقٍ أوْ لأيِّ شهيدٍ هـٰذا ؟ قالَ اللهُ تعالىٰ : هـٰذا لمَنْ أعطى الثمنَ ، قالَ : يا ربِّ ؛ ومَنْ يملكُ ذلكَ ، قالَ : أنتَ تملكُهُ ، قالَ : بماذا يا ربِّ ؟ قالَ : بعفوكَ عنْ أخيكَ ، قالَ : يا ربِّ ؛ قدْ عفوتُ عنهُ ، قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : خذْ بيدِ أخيكَ فأدخلْهُ الجنَّةَ » ، ثمَّ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « اتقوا اللهَ وأصلحوا ذاتَ بينِكُمْ ، فإنَّ اللهَ تعالىٰ يصلحُ بينَ المؤمنينَ يومَ القيامةِ »(١) .

وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ليسَ بكذَّابٍ مَنْ أصلحَ بينَ اثنينِ فقالَ خيراً »(٢) .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « حسن الظن » (١١٨) ، والحاكم في « المستدرك » (٥٧٦/٤) .

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٢) ، ومسلم (٢٦٠٥) .

وهـٰذا يدلُّ علىٰ وجوبِ الإصلاحِ بينَ الناسِ ؛ لأنَّ تركَ الكذبِ واجبٌ ، ولا يسقطُ الواجبُ إلا بواجبٍ آكدَ منهُ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كلُّ الكذبِ مكتوبٌ إلا أنْ يكذبَ الرجلُ في الحرْبِ ، فإنَّ الحربَ خَدعةٌ ، أوْ يكذبَ بينَ اثنينِ فيصلحَ بينَهُما ، أوْ يكذبَ لامرأتِهِ ليرضيَها »⁽¹⁾ .

* * *

ومنها : أنْ يسترَ عوراتِ المسلمينَ كلِّهِمْ : قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ سترَ علىٰ مسلمٍ . . سترَهُ اللهُ تعالىٰ في الدنيا والآخرةِ »⁽٢⁾ .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : «لا يسترُ عبدٌ عبداً إلا سترَهُ اللهُ يومَ القيامةِ»⁽٣⁾ .

وقالَ أبو سعيدٍ الخدريُّ : قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا يرى امرؤٌ مِنْ أخيهِ عورةً فيسترُها عليهِ إلا دخلَ الجنَّةَ »⁽٤⁾ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لماعزٍ لما أخبرَهُ : « لوْ سترتَهُ بثوبِكَ . . كانَ خيراً لكَ »⁽٥⁾ .

---

(١) رواه الخرائطي في « مساوىء الأخلاق » (١٨٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٤٦٠) .

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٩) ، وعند البخاري (٢٤٤٢) : « ومن ستر مسلماً . . ستره الله يوم القيامة » .

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٠) .

(٤) رواه عبد بن حميد في « مسنده » (٨٨٥) ، والطبراني في « الأوسط » (١٥٠٣) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه ، ورواه في « الكبير » (١٧/ ٢٨٨) من حديث عقبة رضي الله عنه

(٥) رواه أبو داوود (٤٣٧٧) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٧٢٣٤) .

فإذاً ؛ على المسلمِ أنْ يسترَ عورةَ نفسِهِ ، فحقُّ إسلامِهِ واجبٌ عليهِ كحقِّ إسلامِ غيرِهِ ، قالَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (لوْ أخذتُ شارباً . . لأحببتُ أنْ يسترَهُ اللهُ ، ولوْ أخذتُ سارقاً . . لأحببتُ أنْ يسترَهُ اللهُ)⁽¹⁾ .

ورُوِيَ أنَّ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ يعسُّ بالمدينةِ ذاتَ ليلةٍ ، فرأىٰ رجلاً وامرأةً علىٰ فاحشةٍ ، فلمَّا أصبحَ . . قالَ للناسِ : أرأيتُمْ لوْ أنَّ إماماً رأىٰ رجلاً وامرأةً علىٰ فاحشةٍ ، فأقامَ عليهِما الحدَّ . . ما كنتُمْ فاعلينَ ؟ قالوا : إنَّما أنتَ إمامٌ ، فقالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : ليسَ ذلكَ لكَ ، إذاً يقامُ عليكَ الحدُّ ؛ إنَّ اللهَ لمْ يأمنْ علىٰ هـٰذا الأمرِ أقلَّ مِنْ أربعةِ شهداءَ ، ثمَّ تركَهُمْ ما شاءَ اللهُ أنْ يتركَهُمْ ، ثمَّ سألَهُمْ ، فقالَ القومُ مثلَ مقالتِهِمُ الأولىٰ ، فقالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ مثلَ مقالتِهِ⁽²⁾ .

وهـٰذا يشيرُ إلىٰ أنَّ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ متردِّداً في أنَّ الواليَ هلْ لهُ أنْ يقضيَ بعلمِهِ في حدودِ اللهِ تعالىٰ ، فلذلكَ راجعَهُمْ في معرضِ الفتوىٰ ، لا في معرضِ الإخبارِ ، خيفةً مِنْ ألا يكونَ لهُ ذلكَ ، فيكونَ قاذفاً بإخبارِهِ ، ومالَ رأيُ عليٍّ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ إلىٰ أنَّهُ ليسَ لهُ ذلكَ .

وهـٰذا مِنْ أعظمِ الأدلَّةِ علىٰ طلبِ الشرعِ لسترِ الفواحشِ ، فإنَّ أفحشَها الزنا ، وقدْ نيطَ بأربعةٍ مِنَ العدولِ يشاهدونَ ذلكَ منهُ في ذلكَ منها كالمرْوَدِ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٨٦٦٤) .

(٢) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٤٢٤) .

في المُكْحُلَةِ ، وهـٰذا قطُّ لا يتفقُ ، وإنْ علمَهُ القاضي تحقيقاً . . لمْ يكنْ لهُ أنْ يكشفَ عنهُ .

فانظرْ إلى الحكمةِ في حسْمِ بابِ الفاحشةِ بإيجابِ الرجمِ الذي هوَ أعظمُ العقوباتِ ، ثمَّ انظرْ إلىٰ كثيفِ سترِ اللهِ كيفَ أسبلَهُ على العصاةِ مِنْ خلقِهِ بتضييقِ الطريقِ في كشفِهِ .

فنرجو ألا نُحرمَ هـٰذا الكرمَ يومَ تُبلى السرائرُ ، ففي الحديثِ : « إنَّ اللهَ تعالىٰ إذا سترَ علىٰ عبدٍ عورتَهُ في الدنيا . . فهوَ أكرمُ مِنْ أنْ يكشفَها في الآخرةِ ، وإنْ كشفَها في الدنيا . . فهوَ أكرمُ مِنْ أنْ يكشفَها مرةً أخرىٰ »(١) .

وعنْ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ عوفٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : حرستُ معَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ ليلةً في المدينةِ ، فبينَما نحنُ نمشي . . إذْ ظهرَ لنا سراجٌ ، فانطلقنا نؤمُّهُ ، فلمَّا دنونا منهُ . . إذا بابٌ مغلقٌ علىٰ قومٍ لهمْ أصواتٌ ولغطٌ ، فأخذَ عمرُ بيدي ، وقالَ لي : أتدري بيتَ مَنْ هـٰذا ؟ قلتُ : لا ، قالَ : هـٰذا بيتُ ربيعةَ بنِ أميَّةَ بنِ خلفٍ ، وهُمُ الآنَ شَرْبٌ(٢) ، فما ترى ؟ قلتُ : أرىٰ أنَّا قدْ أتينا ما نهانا اللهُ عنهُ ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٢٦) ، وابن ماجه (٢٦٠٤) عن عليٍّ رضي الله عنه مرفوعاً ، ولفظه : « من أصاب حدّاً فعُجِّل في عقوبته في الدنيا . . فالله أعدل من أن يثنّي علىٰ عبده العقوبة في الآخرة ، ومن أصاب حداً فستره الله عليه وعفا عنه . . فالله أكرم من أن يعود إلىٰ شيء قد عفا عنه » ، وعند مسلم (٢٥٩٠) مرفوعاً : « لا يستر الله علىٰ عبد في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة » .

(٢) أي : يشربون الخمر .

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ ، فرجعَ عمرُ وتركَهُمْ(١) .

وهـٰذا يدلُّ علىٰ وجوبِ السترِ وتركِ التتبُّعِ ، وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمعاويةَ : « إنَّكَ إنِ اتبعتَ عوراتِ الناسِ . أفسدتَهُمْ أوْ كدتَ تفسدُهُمْ »(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يا معشرَ مَنْ آمنَ بلسانِهِ ولمْ يدخلِ الإيمانُ في قلبِهِ ؛ لا تغتابوا المسلمينَ ولا تتَّبعُوا عوراتِهِمْ ؛ فإنَّهُ مَنْ يتَّبعْ عورةَ أخيهِ المسلمِ . . يتَّبعِ اللهُ عورتَهُ ، ومَنْ يتَّبعِ اللهُ عورتَهُ . . يفضحْهُ ولوْ كانَ في جوفِ بيتِهِ »(٣) .

وقالَ أبو بكرٍ الصدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ : (لوْ رأيتُ أحداً علىٰ حدٍّ مِنْ حدودِ اللهِ تعالىٰ . . ما أخذتُهُ ، ولا دعوتُ لهُ أحداً حتَّىٰ يكونَ معيَ غيري)(٤) .

وقالَ بعضُهُمْ : كنتُ قاعداً معَ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ ؛ إذْ جاءَهُ رجلٌ بآخرَ ، فقالَ : هـٰذا نشوانُ ، فقالَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ : استنكهوهُ ، فاستنكهوهُ فإذا هوَ نشوانُ ، فحبسَهُ حتَّىٰ ذهبَ سكرُهُ ، ثمَّ دعا

---

(١) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (١٠/ ٢٣١) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/ ٣٧٧) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٨/ ٣٣٣) .

(٢) رواه أبو داوود (٤٨٨٨) وبعده : فقال أبو الدرداء : كلمة سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعه الله تعالىٰ بها .

(٣) رواه أبو داوود (٤٨٨٠) .

(٤) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٤٣١) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ١٤٤) .

بسوطٍ ، فكسرَ ثمرَهُ ، ثمَّ قالَ للجلاَّدِ : اجلدْ وارفعْ يدَكَ ، وأعطِ كلَّ عضوٍ حقَّهُ ، فجلدَهُ وعليهِ قَباءٌ أوْ قُرْطُقٌ ، فلمَّا فرغَ . . قالَ للذي جاءَ بهِ : ما أنتَ منهُ ؟ قالَ : عمُّهُ ، قالَ عبدُ اللهِ : ما أدبتَ فأحسنتَ الأدبَ ، ولا سترتَ الخَرْبَةَ ، إنَّهُ ينبغي للإمامِ إذا انتهىٰ إليهِ حدٌّ أنْ يقيمَهُ ، وإنَّ اللهَ عفوٌّ يحبُّ العفوَ ، ثمَّ قرأَ : ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا . . .﴾ الآيةَ ، ثمَّ قالَ : إنِّي لأذكُرُ أوَّلَ رجلٍ قطعَهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، أُتِيَ بسارقٍ فقطعَهُ ، فكأنَّما أُسِفَّ وجهُهُ ، فقالوا : يا رسولَ اللهِ ؛ كأنَّكَ كرهتَ قطعَهُ ، قالَ : « وما يمنعُني ، لا تكونوا عوناً للشياطينِ علىٰ أخيكُمْ ، فقالُوا : ألا عفوتَ عنهُ ؟! فقالَ: إنَّهُ ينبغي للسلطانِ إذا انتهىٰ إليهِ حدٌّ أنْ يقيمَهُ ، إنَّ اللهَ عفوٌّ يحبُّ العفوَ ، وقرأَ : ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ » ، وفي روايةٍ : (فكأنَّما سُفِيَ في وجهِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رمادٌ لشدَّةِ تغيُّرِهِ)⁽¹⁾ .

ورُوِيَ أنَّ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ يعسُّ بالمدينةِ مِنَ الليلِ ، فسمعَ صوتَ رجلٍ في بيتٍ يتغنَّىٰ ، فتسوَّرَ عليهِ ، فوجدَ عندَهُ امرأةً وعندَهُ خمرٌ ، فقالَ : يا عدوَّ اللهِ ؛ أظننْتَ أنَّ اللهَ يستُرُكَ وأنتَ علىٰ معصيتِهِ ؟! فقالَ : وأنتَ

---

(1) الخبر بتمامه رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٧/ ٣٧٠) ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٤٤٤) ، والطبراني في « الكبير » (٩/ ١٠٩) ، والحديث المرفوع فيه رواه أحمد في « المسند » (١/ ٤١٩ ، ٤٣٨) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/ ٣٨٢) ، **والقرطق** : ثوب كالقَباء ، وأصله لفظة فارسية (كُرْتِه) معناها : السربال والقميص ، **والخَربة** : العورة ، والذلة والهوان والفضيحة ، أو الفساد في الدين ، **وأُسِفَّ وسُفِيَ** : هو من الإسفاف ، والمراد منه التغيُّر والتقبُّض .

يا أميرَ المؤمنينِ ؛ فلا تعجلْ ، فإنْ كنتُ قدْ عصيتُ اللهَ واحدةً . . فقدْ عصيتَ اللهَ في ثلاثٍ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ وقدْ تجسسْتَ ، وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾ وقدْ تسوَّرْتَ عليَّ ، وقدْ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ . . . ﴾ الآيةَ ، وقدْ دخلتَ بيتي بغيرِ إذنٍ ولا سلامٍ ! فقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : هلْ عندَكَ مِنْ خيرٍ إنْ عفوتُ عنكَ ؟ قالَ : نعمْ واللهِ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ لئنْ عفوتَ عنِّي . . لا أعودُ لمثلِها أبداً ، فعفا عنهُ وخرجَ وتركَهُ⁽¹⁾ .

وقالَ رجلٌ لعبدِ اللهِ بنِ عمرَ : يا أبا عبدِ الرحمـٰنِ ؛ كيفَ سمعتَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ في النجوىٰ يومَ القيامةِ ؟ قالَ : سمعتُهُ يقولُ : « إنَّ اللهَ تعالىٰ ليُدني منهُ المؤمنَ ، فيضعُ عليهِ كنفَهُ ويسترُهُ مِنَ الناسِ ، فيقولُ : أتعرفُ ذنبَ كذا ؟ أتعرفُ ذنبَ كذا ؟ فيقولُ : نعمْ يا ربِّ ؛ حتَّىٰ إذا قرَّرَهُ بذنوبِهِ ، ورأىٰ في نفسِهِ أنَّهُ قدْ هلَكَ . . قالَ لهُ : يا عبدي ؛ إنِّي لمْ أسترْها عليكَ في الدنيا إلا وأنا أريدُ أنْ أغفرَها لكَ اليومَ ، فيُعطَىٰ كتابَ حسناتِهِ ، وأمَّا الكافرونَ والمنافقونَ . . فيقولُ الأشهادُ : ﴿ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ »⁽²⁾ .

وقد قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كلُّ أمَّتي معافىً إلا المجاهرينَ ، وإنَّ

---

(1) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٤٤٨) .

(2) رواه البخاري (٢٤٤١) ، ومسلم (٢٧٦٨) ، **والأشهاد** : هم الحفظة من الملائكة الذين شهدوا ما فعلوا .

مِنَ المجاهرةِ أنْ يعملَ الرجلُ السوءَ سرّاً ثمَّ يخبرَ بهِ »(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنِ استمعَ خبرَ قومٍ وهمْ لهُ كارهونَ . . صُبَّ في أذنيهِ الآنُكُ يومَ القيامةِ »(٢) .

* * *

ومنها : أنْ يتقيَ مواضعَ التهمِ : صيانةً لقلوبِ الناسِ عنْ سوءِ الظنِّ ، ولألسنتِهِمْ عنِ الغيبةِ ، فإنَّهُمْ إذا عصَوا اللهَ بذكرِهِ ، وكانَ هوَ السببَ فيهِ . . كانَ شريكاً ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كيفَ ترونَ مَنْ يسبُّ أبويهِ ؟ » فقالوا : وهلْ مِنْ أحدٍ يسبُّ أبويهِ ؟ فقالَ : « نعمْ ، يسبُّ أبوي غيرِهِ فيسبُّونَ أبويهِ »(٣) .

وقدْ روىٰ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ

---

(١) رواه البخاري (٦٠٦٩) ، ومسلم (٢٩٩٠) .

(٢) رواه البخاري (٧٠٤٢) ، **والآنك** : الرصاص المذاب ، أو خالصه ، وحدَّه بعضهم بالقصدير ، وهـٰذا فيمن يستمع بمفسدة ؛ كنميمة ، أما مستمع حديث قوم بقصد منعهم من الفساد أو ليتحرَّز من شرِّهم . . فلا يدخل تحته ، بل قد يندب ، بل يجب ، بحسب المواطن ، وللوسائل حكم المقاصد . « إتحاف » (٦/ ٢٧٢) .

(٣) رواه البخاري (٥٩٧٣) ، ومسلم (٩٠) ولفظه عندهما : « من الكبائر شتم الرجل والديه » ، قالوا : يا رسول الله ، وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : « نعم ، يسبُّ أبا الرجل ، فيسبُّ أباه ، ويسبُّ أمَّهُ ، فيسبُّ أمَّه » .

كلَّمَ إحدىٰ نسائِهِ ، فمرَّ بهِ رجلٌ ، فدعاهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقالَ : « يا فلانُ ؛ هـٰذهِ زوجتي صفيَّةُ » ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ، مَنْ كنتُ أظنُّ فيهِ . . فإنِّي لمْ أكنْ أظنُّ فيكَ ! فقالَ : « إنَّ الشيطانَ يجري مِنِ ابنِ آدمَ مَجرى الدمِ » ، وزادَ في روايةٍ « إنِّي خشيتُ أنْ يقذفَ في قلوبِكُما شيئاً » وكانا رجلينِ ، فقالَ : « علىٰ رسلِكُما ، إنَّها صفيةُ » الحديثَ ، وكانَتْ قدْ زارتْهُ في العشرِ الأواخرِ مِنْ رمضانَ(١) .

وقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : (مَنْ أقامَ نفسَهُ مقامَ التهمِ . . فلا يلومَنَّ مَنْ أساءَ بهِ الظنَّ)(٢) .

ومرَّ برجلٍ يكلِّمُ امرأةً علىٰ ظهرِ الطريقِ ، فعلاهُ بالدِّرةِ ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّها امرأتي ! فقالَ : فهلا حيثُ لا يراكَ الناسُ(٣) .

* * *

ومنها : أنْ يشفعَ لكلِّ مَنْ لهُ حاجةٌ مِنَ المسلمينَ إلىٰ مَنْ لهُ عندَهُ منزلةٌ ، ويسعىٰ في قضاءِ حاجتِهِ بما يقدرُ عليهِ : قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنِّي أُوتىٰ وأُسألُ ، وتُطلبُ إليَّ الحاجةُ وأنتمْ عندي ، فاشفعوا . . تُؤجروا ، ويقضي اللهُ علىٰ يدي نبيِّهِ ما أحبَّ »(٤) .

---

(١) رواه البخاري (٢٠٣٥ ، ٣٢٨١) ، ومسلم (٢١٧٥) .

(٢) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٤٧٧) .

(٣) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٤٧٩) .

(٤) رواه البخاري (١٤٣٢) ، ومسلم (٢٥٨٥) .

وقالَ معاويةُ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « اشفعوا إليَّ . . تُؤجرُوا ، وإنِّي أريدُ الأمرَ فأؤخِّرُهُ كيْ تشفعوا إليَّ فتُؤجروا »(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا مِنْ صدقةٍ أفضلَ مِنْ صدقةِ اللسانِ » ، قيلَ : وكيفَ ذلكَ ؟ قالَ : « الشفاعةُ يُحقَنُ بها الدمُ ، وتُجَرُّ بها المنفعةُ إلىٰ آخرَ(٢) ، ويُدفَعُ بها المكروهُ عنْ آخرَ »(٣) .

وروىٰ عكرمةُ عنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : أنَّ زوجَ بريرةَ كانَ عبداً يُقالُ لهُ : مغيثٌ ، كأنِّي أنظرُ إليهِ خلفَها وهوَ يبكي ودموعُهُ تسيلُ علىٰ لحيتِهِ ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ للعباسِ : « ألا تعجبُ مِنْ شدَّةِ حبِّ مغيثٍ لبريرةَ ، وشدَّةِ بغضِ بريرةَ مغيثاً ؟! » ، فقالَ لها النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَوْ راجعتِيهِ ؛ فإنَّهُ أبو ولدِكِ » ، قالَتْ : يا رسولَ اللهِ ، أتأمرني فأفعلَ ؟ فقالَ : « لا ، إنَّما أنا شافعٌ »(٤) .

* * *

ومنها : أنْ يبدأَ كلَّ مسلمٍ بالسلامِ قبلَ الكلامِ ، ويصافحَهُ عندَ السلامِ :

---

(١) رواه أبو داوود (٥١٣٢) ، والنسائي (٥/ ٧٨) .
(٢) في (ج) : (وتجري) .
(٣) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٦٦٩) ، والطبراني في « الكبير » (٧/ ٢٣٠) .
(٤) رواه البخاري (٥٢٨٣) .

قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ بدأَ بالكلامِ قبلَ السلامِ . . فلا تجبْهُ حتَّىٰ يبدأَ بالسلامِ »(١) .

وقالَ بعضُهُمْ : دخلتُ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ولمْ أسلِّمْ ولمْ أستأذنْ ، فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ارجعْ فقلِ : السلامُ عليكُمْ ، أدخلُ ؟ »(٢) .

وروىٰ جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إذا دخلتُمْ بيوتَكُمْ . . فسلِّموا علىٰ أهلِها ؛ فإنَّ الشيطانَ إذا سلَّمَ أحدُكُمْ . . لمْ يدخلْ بيتَهُ »(٣) .

وقالَ أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ : « خدمتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ثمانيَ حججٍ ، فقالَ لي : « يا أنسُ ؛ أسبغِ الوضوءَ . . يُزَدْ في عمرِكَ ، وسلِّمْ علىٰ مَنْ لقيتَهُ مِنْ أمَّتي . . تكثرْ حسناتُكَ ، وإذا دخلتَ منزلَكَ . . فسلِّمْ علىٰ أهلِ بيتِكَ . . يكثرْ خيرُ بيتِكَ »(٤) .

---

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » (٤٣٠) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٢١٤) .

(٢) رواه أبو داوود (٥١٧٦) ، والترمذي (٢٧١٠) ، وصاحب القصة هو كَلَدَةُ بن حنبلٍ رضي الله عنه ، وفي غير (ب) : (وادخل) بدل (أدخلُ) ، والمثبت هو الصواب كما في « الإتحاف » (٦ / ٢٧٤) ، والله أعلم .

(٣) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٤٣) .

(٤) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٤٤) ، والطبراني في « الأوسط » (٥٤٤٩) ، وعند الترمذي (٢٦٩٨) مرفوعاً : « يا بنيَّ ؛ إذا دخلت علىٰ أهلك . . فسلِّم يكون بركة عليك وعلىٰ أهل بيتك » .

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَا ﴾ .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « والذي نفسي بيدِهِ ؛ لا تدخلونَ الجنَّةَ حتَّىٰ تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتَّىٰ تحابُّوا ، أفلا أدلُّكُمْ علىٰ عملٍ إذا عملتموهُ . . تحاببْتُمْ ؟ » قالوا : بلىٰ يا رسولَ اللهِ ، قالَ : « أفشوا السلامَ بينكُمْ »(١) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إذا سلَّمَ المسلمُ على المسلمِ فردَّ عليهِ . . صلَّتْ عليهِ الملائكةُ سبعينَ مرَّةً »(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ الملائكةَ تعجبُ مِنَ المسلمِ يمرُّ على المسلمِ فلا يسلِّمُ عليهِ »(٣) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « يسلِّمُ الراكبُ على الماشي ، وإذا سلَّمَ مِنَ القومِ واحدٌ . . أجزأَ عنهُمْ »(٤) .

وقالَ قتادةُ : (كانَتْ تحيَّةُ مَنْ كانَ قبلَكُمُ السجودَ ، فأعطى اللهُ عزَّ وجلَّ

---

(١) رواه مسلم (٥٤) ، قال الإمام النووي : (هكذا هو في جميع الأصول والروايات بحذف النون من آخره ، وهي لغة معروفة صحيحة) ، وفي (أ) : (تؤمنون) ، وهي عند أحمد في « المسند » (٢/ ٣٩١) .

(٢) قال الحافظ العراقي : (ذكره صاحب « الفردوس » من حديث أبي هريرة ، ولم يسنده ولده) . « إتحاف » (٦/ ٢٧٥) ، وهو قطعة من الوصية المشهورة ، وتقدم ذكرها .

(٣) هو قطعة من الوصية المتقدم ذكرها كذلك .

(٤) رواه مالك في « الموطأ » (٢/ ٩٥٩) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (١٠/ ٣٨٧) عن زيد بن أسلم مرسلاً ، وعند البخاري (٦٢٣٢) ، ومسلم (٢١٦٠) مرفوعاً بلفظ : « يسلم الراكب على الماشي . . . » وسيأتي ، وعند أبي داوود (٥٢١٠) مرفوعاً : « يجزىء عن الجماعة إذا مرُّوا أن يُسلِّم أحدهم ، ويجزىء عن الجلوس أن يردَّ أحدهم » .

هـٰذهِ الأمَّةَ السلامَ ، وهي تحيَّةُ أهلِ الجنَّةِ)(١) .

وكانَ أبو مسلمٍ الخولانيُّ يمرُّ علىٰ قومٍ فلا يسلِّمُ عليهِمْ ، ويقولُ : ما يمنعُني إلا أنِّي أخشىٰ ألا يردُّوا فتلعنَهُمُ الملائكةُ(٢) .

والمصافحةُ أيضاً سنَّةٌ معَ السلامِ ، وجاءَ رجلٌ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : السلامُ عليكُمْ ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « عشرُ حسناتٍ »، فجاء آخرُ فقالَ: السلامُ عليكُمْ ورحمةُ اللهِ، فقالَ : « عشرونَ »، فجاءَ آخرُ فقالَ : السلامُ عليكمْ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ ، فقالَ : « ثلاثونَ »(٣) .

وكانَ أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ يمرُّ على الصبيانِ فيسلِّمُ عليهِمْ ، وروىٰ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ فعلَ ذلكَ(٤) .

وروىٰ عبدُ الحميدِ بنُ بهرامَ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مرَّ في المسجدِ يوماً وعصبةٌ منَ النساءِ قعودٌ، فأومأَ بيدِهِ بالتسليمِ، وأشارَ عبدُ الحميدِ بيدِهِ للحكايةِ(٥) .

---

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (٨/ ١٣/ ٨٧) .

(٢) ولقد كان الفخر ابن عساكر لا يمر علىٰ مدرسة الحنابلة ، فقيل له ، فقال : أخشىٰ أن يقعوا فيَّ ، فأكون سبباً لمقتهم ، يشير إلىٰ ما كان بينهم وبين الأشاعرة من المخاصمات . « إتحاف » (٦/ ٢٧٦) .

(٣) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٤٩٣) بلفظ المصنف ، ونحوه عند أبي داوود (٥١٩٥) ، والترمذي (٢٦٨٩) .

(٤) رواه البخاري (٦٢٤٧) ، ومسلم (٢١٦٨) .

(٥) رواه الترمذي (٢٦٩٧) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « لا تبدؤوا اليهودَ والنصارىٰ بالسلامِ ، وإذا لقيتُمْ أحدَهُمْ في الطريقِ . . فاضطرُّوهُ إلىٰ أضيقِهِ »(١) .

وعنْ أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تصافحوا أهلَ الذمَّةِ ، ولا تبدؤوهُمْ بالسلامِ ، وإذا لقيتموهُمْ في الطريقِ . . فاضطرُّوهُمْ إلىٰ أضيقِهِ »(٢) .

قالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : إنَّ رهطاً مِنَ اليهودِ دخلوا علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالوا : السامُ عليكَ ، فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « وعليكُمْ » ، قالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : فقلتُ : بلْ عليكمُ السامُ واللعنةُ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « يا عائشةُ ؛ إنَّ اللهَ يحبُّ الرفقَ في كلِّ شيءٍ » ، قالَتْ عائشةُ : ألَمْ تسمعْ ما قالوا ؟! فقالَ : « فقدْ قلتُ : عليكُمْ »(٣) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « يسلِّمُ الراكبُ على الماشي ، والماشي على القاعدِ ، والقليلُ على الكثيرِ ، والصغيرُ على الكبيرِ »(٤) .

---

(١) رواه مسلم (٢١٦٧) ، بحيث لا يقع في وهدة ، ولا يصدمه نحو جدار ، فإن كان الطريق واسعاً . . فلا تضيّق عليهم ؛ لأنه إيذاء بلا سبب ، وقد نهينا عن إيذائهم . « إتحاف » (٦/ ٢٧٧) ، وانظر « فيض القدير » (٦/ ٣٨٦) .

(٢) رواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ١٣٦) ضمن خبر طويل .

(٣) رواه البخاري (٦٠٢٤) ، ومسلم (٢١٦٥) .

(٤) رواه البخاري (٦٢٣٢) ، ومسلم (٢١٦٠) ، دون ذكر سلام الصغير على الكبير ، وهي عند البخاري (٦٢٣٤) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « لا تشبَّهوا باليهودِ والنصارىٰ ؛ فإنَّ تسليمَ اليهودِ الإشارةُ بالأصابعِ ، وتسليمَ النصارى الإشارةُ بالأكفِّ » ، قالَ أبو عيسىٰ : إسنادُهُ ضعيفٌ(١) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إذا انتهىٰ أحدُكمْ إلىٰ مجلسٍ . . فليسلِّمْ ، فإنْ بدا لهُ أنْ يجلسَ . . فليجلسْ ، ثمَّ إذا قامَ . . فليسلِّمْ ، فليستِ الأولىٰ بأحقَّ مِنَ الآخرةِ »(٢) .

وقالَ أنسٌ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إذا التقى المؤمنانِ فتصافحا . . قسمَتْ بينَهُما سبعونَ مغفرةً ؛ تسعةٌ وستونَ لأحسنِهما بِشْراً »(٣) .

وقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إذا التقى المسلمانِ ، فسلَّمَ كلُّ واحدٍ منهما علىٰ صاحبِهِ وتصافحا . . نزلَتْ بينَهُما مئةُ رحمةٍ ؛ للبادىء تسعونَ ، وللمصافحِ عشرٌ »(٤) .

وقالَ الحسنُ : (المصافحةُ تزيدُ في الوُدِّ)(٥) .

وقالَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٩٥) .

(٢) رواه أبو داوود (٥٢٠٨) ، والترمذي (٢٧٠٦) .

(٣) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٤٨) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « مداراة الناس » (٦٥) ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٤٩) ، وفي النسخ : (عشرة) بدل (عشر) .

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « الإخوان » (١٢٠)، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٥٠).

وسلَّمَ : « تمامُ تحيَّاتِكُمْ بينَكُمُ المصافحةُ »(١) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « قبلةُ المسلمِ أخاهُ المصافحةُ »(٢) .

ولا بأسَ بقبلةِ يدِ المعظَّمِ في الدينِ ؛ تبرُّكاً بهِ وتوقيراً لهُ .

رُوِيَ عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : (قبَّلْنا يدَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)(٣) .

وعنْ كعبِ بنِ مالكٍ قالَ : (لمَّا نزلَتْ توبتي .. أتيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقبَّلْتُ يدَهُ)(٤) .

ورُوِيَ أنَّ أعرابياً قالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ ائذنْ لي فأقبِّلَ رأسَكَ ويدَكَ ، قالَ : فأذنَ لهُ ، ففعلَ(٥) .

ولقيَ أبو عبيدةَ عمرَ بنَ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُما ، فصافحَهُ وقبَّلَ يدَهُ ، وتنحَّيا يبكيانِ(٦) .

وعنِ البراءِ بنِ عازبٍ أنَّهُ سلَّمَ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهوَ

---

(١) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٥١) ، وهو عند الترمذي (٢٧٣١) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه .

(٢) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٥٢) .

(٣) رواه أبو داوود (٢٦٤٧) .

(٤) رواه أبو بكر ابن المقرىء في « الرخصة في تقبيل اليد » (١) .

(٥) رواه أبو بكر ابن المقرىء في « الرخصة في تقبيل اليد » (٥) ، وفيه : (ورجلك) بدل (ويدك) .

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في « الإخوان » (١٢٩) .

يتوضَّأُ ، فلمْ يردَّ عليهِ حتَّىٰ فرغَ مِنْ وضوئِهِ ، فردَّ عليهِ ، ومدَّ يدَهُ إليهِ فصافحَهُ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما كنتُ أرىٰ هـٰذا إلا مِنْ أخلاقِ الأعاجمِ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ المسلمينِ إذا التقيا فتصافحا . . تحاتَّتْ ذنوبُهُما »(١) .

وعنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « إذا مرَّ الرجلُ بالقومِ فسلَّمَ عليهِمْ ، فردوا عليهِ . . كانَ لهُ عليهِمْ فضلُ درجةٍ ؛ لأنَّهُ ذكَّرَهُمُ السلامَ ، وإنْ لمْ يردوا عليهِ . . ردَّ عليهِ ملأٌ خيرٌ منهُمْ وأطيبُ» ، أوْ قالَ : «وأفضلُ»(٢) .

والانحناءُ عندَ السلامِ منهيٌّ عنهُ ، قالَ أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ : قلنا : يا رسولَ اللهِ ؛ أينحني بعضُنا لبعضٍ ؟ قالَ : « لا » ، قالَ : فيقبِّلُ بعضُنا بعضاً ؟ قالَ : « لا » ، قالَ : فيصافحُ بعضُنا بعضاً ؟ قالَ : « نعم »(٣) .

والالتزامُ والتقبيلُ قدْ وردَ بهِ الخبرُ عندَ القدومِ مِنَ السفرِ(٤) ، وقالَ أبو ذرٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : (ما لقيتُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلا صافحَني ، وطلبَني

---

(١) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٥٧) ، وعند أبي داوود (٥٢١٢) ، والترمذي (٢٧٢٧) ، وابن ماجه (٣٧٠٣) مرفوعاً : « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرّقا » .

(٢) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٥٩) ، ورواه البيهقي في « الشعب » (٨٤٠٠ ، ٨٤٠٣) موقوفاً علىٰ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ومرفوعاً .

(٣) رواه الترمذي (٢٧٢٨) ، وابن ماجه (٣٧٠٢) .

(٤) وهو ما رواه الترمذي (٢٧٣٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت : (قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي ، فأتاه ، فقرع الباب ، فقام إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عُرياناً يجرُّ ثوبه ، والله ما رأيته عرياناً قبله ولا بعده ، فاعتنقه وقبّله) .

يوماً فلمْ أكنْ في البيتِ ، فلمَّا أُخبرتُ . . جئتُ وهو علىٰ سريرٍ ، فالتزمَني ، فكانَتْ أجودَ وأجودَ)(١) .

والأخذُ بالركابِ في توقيرِ العلماءِ وردَ بهِ الأثرُ ، فعلَ ابنُ عباسٍ ذلكَ بركابِ زيدِ بنِ ثابتٍ(٢) ، وأخذَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ بغَرْزِ زيدٍ حتىٰ رفعَهُ ، وقالَ : هـٰكذا فافعلوا بزيدٍ وأصحابِ زيدٍ(٣) .

والقيامُ مكروهٌ علىٰ سبيلِ الإعظامِ ، لا علىٰ سبيلِ الإكرامِ ، قالَ أنسٌ : ما كانَ شخصٌ أحبَّ إلينا مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وكانوا إذا رأوهُ . . لمْ يقوموا ؛ لما يعلمونَ مِنْ كراهيتِهِ لذلكَ(٤) .

ورُوِيَ أنَّهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ قالَ مرَّةً : « إذا رأيتموني . . فلا تقوموا كما تصنعُ الأعاجمُ »(٥) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « مَنْ سرَّهُ أنْ يمثلَ لهُ الرجالُ قياماً . . فليتبوَّأْ مقعدَهُ مِنَ النارِ »(٦) .

---

(١) رواه أبو داوود (٥٢١٤) .

(٢) رواه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٨٣٢) ، وأصله عند الطبراني في « الكبير » (٥/١٠٧) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/٤٢٣) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٦١٥٤) ، **وزيد هنا** : هو ابن صُوحان ، تابعي كبير اختلف في صحبته . **والغرز** : ركاب الإبل .

(٤) رواه الترمذي (٢٧٥٤) .

(٥) رواه أبو داوود (٥٢٣٠) ، وابن ماجه (٣٨٣٦) .

(٦) رواه أبو داوود (٥٢٢٩) ، والترمذي (٢٧٥٥) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا يقيمُ الرجلُ الرجلَ مِنْ مجلسِهِ ثمَّ يجلسُ فيهِ ، ولكنْ توسَّعوا وتفسَّحوا »(١) ، وكانوا يحترزونَ عنْ ذلكَ لهٰذا النهيِ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إذا أخذَ القومُ مجالسَهُمْ ؛ فإنْ دعا رجلٌ أخاهُ فأوسعَ لهُ .. فليأتِهِ ، فإنَّما هيَ كرامةٌ أكرمَهُ بها أخوهُ ، فإنْ لمْ يوسعْ لهُ .. فلينظرْ إلىٰ أوسعِ مكانٍ يجدُهُ فليجلسْ فيهِ »(٢) .

ورُوِيَ أنَّهُ سلَّمَ رجلٌ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهوَ يبولُ ، فلمْ يجبْهُ(٣) ؛ فيُكرهُ السلامُ علىٰ مَنْ يقضي حاجتَهُ .

ويُكرهُ أنْ يقولَ ابتداءً : عليكَ السلامُ ؛ فإنَّهُ قالَهُ رجلٌ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ عليكَ السلامُ تحيَّةُ الموتىٰ » قالها ثلاثاً ، ثمَّ قالَ : « إذا لقيَ أحدُكُمْ أخاهُ .. فليقلِ : السلامُ عليكُمْ ورحمةُ اللهِ »(٤) .

ويُستحبُّ للداخلِ إذا سلَّمَ ولمْ يجدْ مجلساً ألا ينصرفَ ، بلْ يقعدُ وراءَ الصفِّ ، كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ جالساً في المسجدِ ، إذْ أقبلَ

---

(١) رواه البخاري (٦٢٦٩ ، ٦٢٧٠) ، ومسلم (٢١٧٧) .

(٢) رواه البغوي في « معجم الصحابة » (٣/ ٢٩٤) من حديث شيبة بن عثمان ، ورواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢/ ١٣١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) رواه مسلم (٣٧٠) ، ونحوه عند البخاري (٣٣٧) .

(٤) رواه أبو داوود (٥٢٠٩) ، والترمذي (٢٧٢١) .

ثلاثةُ نفرٍ ، فأقبلَ اثنانِ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأمَّا أحدُهُما . . فوجدَ فُرجةً فجلسَ فيها ، وأمَّا الثاني . . فجلسَ خلفَهُمْ ، وأمَّا الآخرُ . . فأدبرَ ذاهباً ، فلمَّا فرغَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . قالَ : « ألا أخبرُكُمْ عنِ النفرِ الثلاثةِ ؟ أمَّا أحدُهُمْ . . فأوَىٰ إلى اللهِ ؛ فآواهُ اللهُ ، وأمَّا الثاني . . فاستحيا ؛ فاستحيا اللهُ منهُ ، وأمَّا الثالثُ . . فأعرضَ ؛ فأعرضَ اللهُ عنهُ »(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ما مِنْ مسلمينِ يلتقيانِ فيتصافحانِ إلا غُفِرَ لهما قبلَ أنْ يفترقا »(٢) .

وسلَّمَتْ أمُّ هانئٍ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « مَنْ هـٰذهِ ؟ » فقيلَ لهُ : أمُّ هانئٍ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « مرحباً بأمِّ هانئٍ »(٣) .

* * *

ومنها : أنْ يصونَ عرْضَ أخيهِ المسلمِ ونفسَهُ ومالَهُ عنْ ظلمِ غيرِهِ مهما قدرَ ، ويردَّ عنهُ ويناضلَ دونَهُ وينصرَهُ ؛ فإنَّ ذلكَ يجبُ عليهِ بمقتضىٰ أخوَّةِ الإسلامِ : روىٰ أبو الدرداءِ أنَّ رجلاً نالَ مِنْ رجلٍ عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ

---

(١) رواه البخاري (٦٦) ، ومسلم (٢١٧٦) .

(٢) رواه أبو داوود (٥٢١٢) ، والترمذي (٢٧٢٧) .

(٣) رواه البخاري (٣٥٧) ، ومسلم (٣٣٦) .

عليهِ وسلَّمَ ، فردَّ عنهُ رجلٌ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ ردَّ عنْ عِرْضِ أخيهِ . . كانَ لهُ حجاباً مِنَ النارِ »⁽¹⁾ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ما مِنِ امرئٍ مسلمٍ يردُّ عنْ عِرْضِ أخيهِ إلا كانَ حقّاً على اللهِ أنْ يردَّ عنهُ نارَ جهنَّمَ يومَ القيامةِ »⁽²⁾ .

وعنْ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « مَنْ ذُكِرَ عندَهُ أخوهُ المسلمُ وهوَ يستطيعُ نصرَهُ فلمْ ينصرْهُ . . أدركَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ بها في الدنيا والآخرةِ ، ومَنْ ذُكِرَ عندَهُ أخوهُ المسلمُ فنصرَهُ . . نصرَهُ اللهُ تعالىٰ بها في الدنيا والآخرةِ »⁽³⁾ .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « مَنْ حمىٰ عرضَ أخيهِ المسلمِ في الدنيا . . بعثَ اللهُ تعالىٰ لهُ ملكاً يحميهِ يومَ القيامةِ مِنَ النارِ »⁽⁴⁾ .

وقالَ جابرٌ وأبو طلحةَ : سمعنا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « ما مِنِ امرئٍ ينصرُ مسلماً في موضعٍ يُنتهكُ فيهِ مِنْ عرضِهِ ، وتُستحلُّ

---

(١) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٨٥) ، ولفظ المرفوع عند الترمذي (١٩٣١) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٦/٤٤٩) ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٨٦) واللفظ له .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت وآداب اللسان » (٢٤٣) ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٨٨) ، والمصنف هنا جمع بين الروايتين .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت وآداب اللسان » (٢٤٢) ، وهو عند أبي داوود (٤٨٨٣) بنحوه .

حرمتُهُ إلا نصرَهُ اللهُ في موطنٍ يحبُّ فيهِ نصرَهُ ، وما مِن امرئٍ خذلَ مسلماً في موطنٍ يُنتهكُ فيهِ مِنْ حرمتِهِ إلا خذلَهُ اللهُ في موضعٍ يحبُّ فيهِ نصرتَهُ »(١) .

* * *

ومنها : تشميتُ العاطسِ : قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ في العاطسِ يقولُ : الحمدُ للهِ علىٰ كلِّ حالٍ ، ويقولُ الذي يشمِّتُهُ : يرحمُكُمُ اللهُ ، ويردُّ عليهِ العاطسُ فيقولُ : يهديكُمُ اللهُ ويصلحُ بالَكُمْ(٢) .

وعنِ ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يعلِّمُنا ، يقولُ : « إذا عطَسَ أحدُكُمْ . . فليقلِ : الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، فإذا قالَ ذلكَ . . فليقلْ مَنْ عندَهُ : يرحمُكَ اللهُ ، فإذا قالوا ذلكَ . . فليقلْ : يغفِرُ اللهُ لي ولكُمْ »(٣) .

وشمَّتَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عاطساً ولمْ يشمِّتْ آخرَ ، فسألَهُ عنْ ذلكَ ، فقالَ : « إنَّهُ حمدَ اللهَ وأنتَ سكتَّ »(٤) .

---

(١) رواه أبو داوود (٤٨٨٤) .

(٢) رواه البخاري (٦٢٢٤) ، وأبو داوود (٥٠٣٣) واللفظ له ، والترمذي (٢٧٤١) ، وابن ماجه (٣٧١٥) .

(٣) رواه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (٩٩٨١) .

(٤) رواه البخاري (٦٢٢١ ، ٦٢٢٥) ، ومسلم (٢٩٩١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يُشمَّتُ المسلمُ إذا عطسَ ثلاثاً ، فإنْ زادَ . . فهوَ زُكامٌ »(١) .

ورُوِيَ أنَّهُ شمَّت عاطساً ثلاثاً، فعطسَ أخرىٰ ، فقالَ : « إنَّكَ مزكومٌ »(٢) .

وقالَ أبو هريرةَ : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا عطسَ . . غضَّ صوتَهُ ، واستتر بثوبِهِ أوْ يدِهِ) ، ورُوِيَ : (وخمَّرَ وجهَهُ)(٣) .

وقالَ أبو موسى الأشعريُّ : كانَ اليهودُ يتعاطسونَ عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رجاءَ أنْ يقولَ : يرحمُكُمُ اللهُ ، فكانَ يقولُ : « يهديكُمُ اللهُ »(٤) .

وروىٰ عبدُ اللهِ بنُ عامرِ بنِ ربيعةَ عنْ أبيهِ : أنَّ رجلاً عطسَ خلفَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في الصلاةِ ، فقالَ : الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيِّباً مباركاً فيهِ ، كما يرضاهُ ربُّنا وبعدَ ما يرضىٰ ، والحمدُ للهِ علىٰ كلِّ حالٍ ، فلمَّا سلَّمَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . قالَ : « مَنْ صاحبُ الكلماتِ ؟ » فقالَ : أنا يا رسولَ اللهِ ، ما أردتُ بهنَّ إلا خيراً ، فقالَ : « لقدْ رأيتُ اثني عشرَ ملكاً كلُّهُمْ يبتدرُونَها أيُّهُمْ يكتبُها »(٥) .

---

(١) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٢٥٠) ، وأبو داوود (٥٠٣٤) .

(٢) رواه مسلم (٢٩٩٣) .

(٣) رواه أبو داوود (٥٠٢٩) ، والترمذي (٢٧٤٥) ، وتخمير الوجه رواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٢/ ٢٩٠) .

(٤) رواه أبو داوود (٥٠٣٨) ، والترمذي (٢٧٣٩) .

(٥) رواه أبو داوود (٧٧٤) بنحوه .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ عُطسَ عندَهُ فسبقَ إلى الحمدِ . . لمْ يشتكِ خاصرتَهُ »(١) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « العطاسُ مِنَ اللهِ ، والتثاؤبُ مِنَ الشيطانِ ، فإذا تثاءبَ أحدُكُمْ . . فليضعْ يدَهُ علىٰ فيهِ ، فإذا قالَ : آهْ آهْ . . فإنَّ الشيطانَ يضحكُ مِنْ جوفِهِ »(٢) .

وقالَ إبراهيمُ النخعيُّ : (إذا عطسَ في قضاءِ الحاجةِ . . فلا بأسَ بأنْ يذكرَ اللهَ)(٣) .

وقالَ الحسنُ : (يحمدُ اللهَ في نفسِهِ)(٤) .

وقالَ كعبٌ : قالَ موسىٰ عليهِ السلامُ : يا ربِّ ؛ أقريبٌ أنتَ فأناجيَكَ ، أمْ بعيدٌ فأناديَكَ ؟ فقالَ : أنا جليسُ مَنْ ذكرَني ، فقالَ : فإنَّا نكونُ علىٰ حالٍ نجلُّكَ أنْ نذكرَكَ عليها ؛ كالجنابةِ والغائطِ ، فقالَ : اذكرْني علىٰ كلِّ حالٍ(٥) .

* * *

---

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » (٧١٣٧) ولفظه : « من بادر العاطس بالحمد . . عوفي من وجع الخاصرة ، ولم يشتك ضرسه أبداً » .

(٢) رواه الترمذي (٢٧٤٦) بلفظ المصنف هنا ، وأصله عند البخاري (٣٢٨٩) ، ومسلم (٢٩٩٤) ، وقوله : (آه آه) هو حكاية صوت التثاؤب ، وعند أبي داوود (٥٠٢٨) : « ولا يقل : هاه هاه ؛ فإنما ذلكم الشيطان يضحك منه » .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٢٣٣) .

(٤) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٢٣٤) .

(٥) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٢٣١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦١/ ١١٥) .

ومنها : أنَّهُ إذا بُلِيَ بذي شرٍّ . . فينبغي أنْ يجاملَهُ ويتقيَهُ : قالَ بعضُهُمْ : (خالصِ(١) المؤمنَ مخالصةً ، وخالقِ الفاجرَ مخالقةً ، فإنَّ الفاجرَ يرضىٰ بالخلقِ الحسنِ في الظاهرِ)(٢) .

وقالَ أبو الدرداءِ : (إنَّا لنكشُرُ(٣) في وجوهِ أقوامٍ وإنَّ قلوبَنا لتلعنُهُمْ)(٤) ، وهٰذا معنى المداراةِ ، وهيَ ملاطفةٌ معَ مَنْ يخافُ شرَّهُ .

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ .

قالَ ابنُ عباسٍ في معنىٰ قولِهِ : ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ أي : الفحشَ والأذىٰ بالسلامِ والمداراةِ(٥) .

ورُوِيَ في معنىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ قالَ : بالرغبةِ والرهبةِ ، والحياءِ والمداراةِ(٦) .

---

(١) أي : عاشره بإخلاص وحسن نية .

(٢) قاله صعصعة بن صوحان لابن أخيه زيد كما في « القوت » (٢/ ٢١٤) حيث قال له : (أنا كنت أحب إلىٰ أبيك منك ، وأنت أحب إلي من ابني ، خصلتان أوصيك بهما ، فاحفظهما : خالص المؤمن مخالصة ، وخالق الفاجر مخالقة ؛ فإن الفاجر يرضىٰ منك بالخلق الحسن ، وإنه لحق عليك أن تخالص المؤمن) ، **والمجاملة** : إظهار الخلق الجميل .

(٣) أي : نَبشُّ .

(٤) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص١٩١) ، وهو من معلقات البخاري (كتاب الأدب ، باب المداراة مع الناس) .

(٥) قوت القلوب (٢/ ٢١٥) .

(٦) قوت القلوب (٢/ ٢١٥) .

وقالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : استأذنَ رجلٌ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : « ائذنوا لهُ ، فبئسَ رجلُ العشيرةِ هوَ » ، فلمَّا دخلَ . . ألانَ لهُ القولَ حتَّىٰ ظننتُ أنَّ لهُ عندَهُ منزلةً ، فلمَّا خرجَ . . قلتُ لهُ : لمَّا دخلَ . . قلتَ الذي قلتَ ، ثمَّ ألنتَ لهُ القولَ ! فقالَ : « يا عائشةُ ؛ إنَّ شرَّ النَّاسِ منزلةً عندَ اللهِ يومَ القيامةِ منْ تركَهُ النَّاسُ اتِّقاءَ فحشِهِ »(١) .

وفي الخبرِ : « ما وقىٰ بهِ المرءُ عرضَهُ . . فهوَ لهُ صدقةٌ »(٢) .

وفي الأثرِ : (خالطوا الناسَ بأعمالِهِمْ ، وزايلوهُمْ بالقلوبِ)(٣) .

وقالَ محمدُ بنُ الحنفيةِ رضيَ اللهُ عنهُ : (ليسَ بحكيمٍ مَنْ لمْ يعاشِرْ بالمعروفِ مَنْ لا يجدُ مِنْ معاشرتِهِ بدّاً ، حتَّىٰ يجعلَ اللهُ لهُ منهُ فرجاً)(٤) .

* * *

ومنها : أنْ يجتنبَ مخالطةَ الأغنياءِ ، ويختلطَ بالمساكينِ ، ويحسنَ إلى الأيتامِ : كانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « اللهمَّ ؛ أحيني مسكيناً ، وأمتْني مسكيناً ، واحشرْني في زمرةِ المساكينِ »(٥) .

---

(١) رواه البخاري (٦٠٣٢) ، ومسلم (٢٥٩١) واللفظ له .

(٢) رواه الدارقطني في « سننه » (٣/ ٢٨) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٥٠) من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً .

(٣) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (١١/ ١٤٤) من قول عمر رضي الله عنه بنحوه ، ولفظه في « القوت » (٢/ ٢١٥) .

(٤) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٨٨٩) .

(٥) رواه الترمذي (٢٣٥٢)، وابن ماجه (٤١٢٦)، **والمسكنة هنا** : الإخبات والخمول لا القلة .

وقالَ كعبُ الأحبارِ : كانَ سليمانُ عليهِ السلامُ في ملكِهِ إذا دخلَ المسجدَ فرأىٰ مسكيناً . . جلسَ إليهِ ، وقالَ : مسكينٌ جالسَ مسكيناً .

وقيلَ : (ما كانَ منْ كلمةٍ تُقالُ لعيسىٰ عليهِ السلامُ أحبَّ إليهِ مِنْ أنْ يُقالَ لهُ : يا مسكينُ)[1] .

وقالَ كعبُ الأحبارِ : (ما في القرآنِ مِنْ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ . . فهوَ في التوراةِ : يا أيُّها المساكينُ)[2] .

وقالَ عبادةُ بنُ الصامتِ : (إنَّ للنارِ سبعةَ أبوابٍ ؛ ثلاثةٌ للأغنياءِ ، وثلاثةٌ للنساءِ ، وواحدٌ للفقراءِ والمساكينِ) .

وقالَ الفضيلُ : (بلغَني أنَّ نبيّاً مِنَ الأنبياءِ قالَ : يا ربِّ ؛ كيفَ لي أنْ أعلمَ رضاكَ عنِّي ؟ فقالَ : انظرْ كيفَ رضا المساكينِ عنكَ)[3] .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إيّاكُمْ ومجالسةَ الموتىٰ » ، قيلَ : ومنِ الموتىٰ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « الأغنياءُ »[4] .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٦٣) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦١٧٢) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٤٢٢) عن خيثمة بن عبد الرحمـٰن رحمه الله تعالىٰ .

(٣) روىٰ أحمد في «الزهد» (٢٩١) عن وهب خبراً من الإسرائيليات وفيه : (إن أرادوا رضاي . . فليرضوا المساكين ؛ فإنهم إن أرضوهم . . رضيت ، وإذا أسخطوهم . . سخطت) .

(٤) رواه الترمذي (١٧٨٠) ولفظه : عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أردت اللحوق بي . . فليكفك من الدنيا كزاد الراكب ، وإياكِ ومجالسة الأغنياء ، ولا تستخلقي ثوباً حتىٰ ترقعيه » .

وقالَ موسىٰ عليهِ السلامُ : إلـٰهي ؛ أينَ أبغيكَ ؟ قالَ : عندَ المنكسرةِ قلوبُهُم(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تَغبطَنَّ فاجراً بنعمةٍ ؛ فإنَّكَ لا تدري إلىٰ ما يصيرُ بعدَ الموتِ ، فإنَّ مِنْ ورائهِ طالباً حثيثاً »(٢) .

وأمَّا اليتيمُ . . فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ ضمَّ يتيماً مِنْ أبوينِ مسلمينِ حتَّىٰ يستغنيَ . . فقدْ وجبَتْ لهُ الجنَّةُ ألبتَّةَ »(٣) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « أنا وكافلُ اليتيمِ في الجنَّةِ كهاتينِ » وهوَ يشيرُ بإصبعيهِ(٤) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ وضعَ يدَهُ علىٰ رأسِ يتيمٍ ترحُّماً . . كانَتْ لهُ بكلِّ شعرةٍ تمرُّ عليها يدُهُ حسنةٌ »(٥) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « خيرُ بيتٍ مِنَ المسلمينَ بيتٌ فيهِ يتيمٌ

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٦٤) .

(٢) رواه البخاري في « التاريخ الكبير » (٢/ ٢١٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٢٢٢) من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، وأوقفه عليه ابن المبارك في « الزهد » (٦٢٣) .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٦٥٦) ، وأحمد في « المسند » (٤/ ٣٤٤) .

(٤) رواه البخاري (٥٣٠٤) ، ومسلم (٢٩٨٣) .

(٥) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٦٥٢) عن ثابت بن العجلان بلاغاً عنه صلى الله عليه وسلم بلفظ المصنف ، وله (٦٥٥) ، ولأحمد في « المسند » (٥/ ٢٥٠) ، والطبراني في « الكبير » (٨/ ٢٠٢) من حديث أبي أمامة مرفوعاً : « من مسح رأس يتيم لا يمسحه إلا لله . . كان له بكل شعرة مرّت عليها يده حسنات » الحديث .

يحسنُ إليهِ ، وشرُّ بيتٍ مِنَ المسلمينَ بيتٌ فيهِ يتيمٌ يُساءُ إليهِ »[١] .

* * *

ومنها : النصيحةُ لكلِّ مسلمٍ ، والجهدُ في إدخالِ السرورِ علىٰ قلبِهِ : قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « المؤمنُ يحبُّ للمؤمنِ ما يحبُّ لنفسِهِ »[٢] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا يؤمنُ أحدُكُمْ حتَّىٰ يحبَّ لأخيهِ ما يحبُّ لنفسِهِ »[٣] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ أحدَكُمْ مرآةُ أخيهِ ، فإذا رأىٰ بهِ شيئاً . . فليمطْهُ عنهُ »[٤] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَن قضىٰ حاجةً لأخيهِ . . فكأنَّما خدمَ اللهَ عمرَهُ »[٥] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أقرَّ عينَ مؤمنٍ . . أقرَّ اللهُ عينَهُ يومَ القيامةِ »[٦] .

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٦٧٩) ، وهو عند البخاري في « الأدب المفرد » (١٣٧) .

(٢) قال العراقي : لم أره بهٰذا اللفظ . قلت : هو معنى الحديث الآتي . « الإتحاف » (٦/ ٢٩١) .

(٣) رواه البخاري (١٣) ، ومسلم (٤٥) .

(٤) رواه الترمذي (١٩٢٩) .

(٥) رواه البخاري في « التاريخ الكبير » (٧/ ٣٥٢) ، والطبراني في « مسند الشاميين » (٢٠٦٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٥٥) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٦) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٦٨٥) مرسلاً .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ مشىٰ في حاجةِ أخيهِ ساعةً مِنْ ليلٍ أوْ نهارٍ ، قضاها أوْ لمْ يقضِها . . كانَ خيراً لهُ مِنِ اعْتِكافِ شهرينِ »(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ فرَّجَ عنْ مغمومٍ ، أوْ أعانَ مظلوماً . . غفرَ اللهُ لهُ ثلاثاً وسبعينَ مغفرةً »(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « انصُرْ أخاكَ ظالماً أوْ مظلوماً » ، فقيلَ : كيفَ ينصرُهُ ظالماً ؟ قالَ : « يمنعُهُ مِنَ الظلمِ »(٣) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إنَّ مِنْ أحبِّ الأعمالِ إلى اللهِ إدخالَ السرورِ على قلبِ المؤمنِ ، أوْ أن تفرِّجَ عنهُ غمّاً ، أوْ تقضيَ عنهُ ديناً ، أوْ تطعمَهُ مِنْ جوعٍ »(٤) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ حمىٰ مؤمناً مِنْ منافقٍ يعنتُهُ . . بعثَ اللهُ إليهِ ملكاً يحمي لحمَهُ يومَ القيامةِ مِنْ نارِ جهنَّمَ »(٥) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « خصلتانِ ليسَ فوقَهُما شيءٌ مِنَ الشَّرِّ :

---

(١) رواه الحاكم في « المستدرك » (٤/ ٢٧٠) .

(٢) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٩٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٤٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٩/ ١٣٨) بألفاظ مقاربة .

(٣) رواه البخاري (٢٤٤٤) ، ومسلم (٢٥٨٤) .

(٤) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٦٨٤) عن أبي شريك مرسلاً ، وروى الطبراني في « الكبير » (١١/ ٧١) من حديث ابن عباس مرفوعاً : « إن أحب الأعمال إلى الله بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم » .

(٥) رواه أبو داوود (٤٨٨٣) .

الشِّركُ باللهِ ، والضرُّ لعبادِ اللهِ ، وخصلتانِ ليسَ فوقَهُما شيءٌ مِنَ البرِّ : الإيمانُ باللهِ ، والنَّفعُ لعبادِ اللهِ »(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ لمْ يهتمَّ للمسلمينَ . . فليسَ منهُمْ »(٢) .

وقالَ معروفٌ الكرخيُّ : (مَنْ قالَ كلَّ يومٍ : اللهمَّ ؛ ارحمْ أمَّةَ محمدٍ . . كتبَهُ اللهُ مِنَ الأبدالِ ، وفي روايةٍ أخرىٰ : اللهمَّ ؛ أصلحْ أمَّةَ محمدٍ ، اللهمَّ ؛ ارحمْ أمَّةَ محمدٍ ، اللهمَّ ؛ فرِّجْ عنْ أمَّةِ محمدٍ ، كلَّ يومٍ ثلاثَ مرَّاتٍ . . كتبَهُ اللهُ مِنَ الأبدالِ)(٣) .

وبكىٰ عليُّ بنُ الفضيلِ يوماً ، فقيلَ لهُ : ما يبكيكَ ؟ فقالَ : أبكي علىٰ مَنْ ظلمَني إذا وقفَ غداً بينَ يديِ اللهِ تعالىٰ وسئلَ عنْ ظلمِهِ ولمْ تكنْ لهُ حجَّةٌ(٤) .

* * *

ومنها أنْ يعودَ مرضاهمْ : والمعرفةُ والإسلامُ كافيانِ في إثباتِ هـٰذا الحقِّ ونيلِ فضلِهِ .

---

(١) قال الحافظ العراقي : (ذكره صاحب « الفردوس » (٢٩٨٨) من حديث علي ، ولم يسنده ولده في « مسنده ») . « إتحاف » (٦/ ٢٩٣) .

(٢) رواه الطبراني في « الأوسط » (٧٤٦٩) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/ ٣١٧) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠٠٣٨) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٦٦) بنحوه ، وفيه : (عشر مرات) .

(٤) أورده إبراهيم البيهقي في « المحاسن والمساوىء » (ص٥٠٠) .

وأدبُ العائدِ : خفَّةُ الجلسةِ ، وقلَّةُ السؤالِ ، وإظهارُ الرقَّةِ ، والدعاءُ بالعافيةِ ، وغضُّ البصرِ عنْ عوراتِ الموضعِ ، وعندَ الاستئذانِ لا يقابلُ البابَ ، ويدقُّ برفقٍ ، ولا يقولُ : (أنا) إذا قيلَ لهُ : (مَنْ ؟) ، ولا يقولُ : (يا غلامُ) ، ولكنْ يحمدُ ويسبِّحُ⁽¹⁾ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « تمامُ عيادةِ المريضِ أنْ يضعَ أحدُكُمْ يدَهُ علىٰ جبهتِهِ أوْ علىٰ يدِهِ ويسأَلَهُ : كيفَ هوَ ؟ وتمامُ تحيَّاتِكُمُ المصافحةُ »⁽²⁾ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ عادَ مريضاً . . قعدَ في مخارفِ الجنَّةِ ، حتَّىٰ إذا قامَ . . وُكِّلَ بهِ سبعونَ ألفَ ملكٍ يصلُّونَ عليهِ حتَّى الليلِ »⁽³⁾ .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إذا عادَ الرجلُ المريضَ . . خاضَ في الرحمةِ ، فإذا قعدَ عندَهُ . . قرَّتْ فيهِ »⁽⁴⁾ .

---

(1) وإن قال : فلان بن فلان . . لا بأس بذلك ؛ لأن المقصود الإعلام ، وهو يحصل بذكر الاسم أكثر من التسبيح ، وإن جمع بينهما . . فحسن . « إتحاف » (٦/ ٢٩٤) .

(2) رواه الترمذي (٢٧٣١) .

(3) رواه أبو داوود (٣٠٩٨) ، والترمذي (٩٦٩) ، وابن ماجه (١٤٤٢) بألفاظ مقاربة ، وعند مسلم (٢٥٦٨) مرفوعاً : « من عاد مريضاً . . لم يزل في خُرفة الجنة حتىٰ يرجع » ، **ومخارف** : جمع مخرف ، موضع الاختراف ، وخرف الثمار واخترفها : قطعها وجناها ، والمراد بمخارف الجنة : مجاني ثمارها . « إتحاف » (٦/ ٢٩٤) .

(4) رواه مالك في « الموطأ » (٢/ ٩٤٦) بلاغاً ، ووصله من طرق ابن عبد البر في « التمهيد » (٢٤/ ٢٧٣) ، ورواه كذلك بنحوه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٦٠) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٥٢٢) بألفاظ مقاربة .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إذا عادَ المسلمُ أخاهَ أوْ زارَهُ . . قالَ اللهُ تعالىٰ : طبتَ وطابَ ممشاكَ ، وتبوَّأْتَ منزلاً في الجنَّةِ »(١) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إذا مرضَ العبدُ . . بعثَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ إليهِ ملكينِ ، فقالَ : انظرا ماذا يقولُ لعوَّادِهِ ، فإنْ هوَ إذا جاؤوهُ حمدَ اللهَ وأثنىٰ عليهِ . . رفعا ذلكَ إلى اللهِ وهوَ أعلمُ ، فيقولُ : لعبدي عليَّ إنْ توفَّيْتُهُ أنْ أدخلَهُ الجنَّةَ ، وإنْ أنا شفيتُهُ أنْ أبدلَ لهُ لحماً خيراً مِنْ لحمهِ ، ودماً خيراً مِنْ دمِهِ ، وأنْ أكفِّرَ عنهُ سيِّئاتِهِ »(٢) .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ يردِ اللهُ بهِ خيراً . . يُصِبْ منهُ »(٣) .

وقالَ عثمانُ رضيَ اللهُ عنهُ : مرضتُ ، فعادَني رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : « بسْمِ اللهِ الرحمـٰنِ الرحيمِ ، أعيذُكَ باللهِ الأحدِ الصمدِ ، الَّذي لمْ يلدْ ولمْ يولدْ ، ولمْ يكنْ لهُ كفواً أحدٌ ، مِنْ شرِّ ما تجدُ » ، قالَها مراراً(٤) .

---

(١) رواه الترمذي (٢٠٠٨) ، وابن ماجه (١٤٤٣) .

(٢) رواه مالك في « الموطأ » (٢/ ٩٤٠) عن عطاء بن يسار مرسلاً ، وأسنده موصولاً ابن عبد البر في « التمهيد » (٥/ ٤٧) ، ورواه ابن أبي الدنيا في « المرض والكفارات » (٧٨) من حديث أبي هريرة مرفوعاً .

(٣) رواه البخاري (٥٦٤٥) ، وقال الحافظ ابن حجر : (ونسبه أبو الفضل بن عمار الشهيد إلىٰ تخريج مسلم وأعلَّه ، وليس هو في النسخ الموجودة الآن) . «إتحاف» (٦/ ٢٩٦).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « المرض والكفارات » (١٩٤) ، والطبراني في « الدعاء » (١١٢١) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٥٥٣) .

ودخلَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ وهوَ مريضٌ، فقالَ لهُ : « قلِ : اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ تعجيلَ عافيتِكَ ، أوْ صبراً علىٰ بليَّتِكَ، أوْ خروجاً مِنَ الدُّنيا إلىٰ رحمتِكَ ؛ فإنَّكَ ستُعطىٰ إحداهُنَّ »(١) .

ويُستحبُّ للعليلِ أيضاً أنْ يقولَ : (أعوذُ بعزَّةِ اللهِ وقدرتِهِ مِنْ شرِّ ما أجدُ وأحاذِرُ)(٢) .

وقالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : (إذا شكا أحدُكُمْ بطنَهُ . . فليسألِ امرأتَهُ شيئاً مِنْ صَداقِها ، فيشتريَ بهِ عسلاً ، فيشربَهُ بماءِ السماءِ ، فيجتمعَ لهُ الهنيءُ والمريءُ والشفاءُ والمباركُ)(٣) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يا أبا هريرةَ ؛ ألا أخبرُكَ بأمرٍ هوَ حقٌّ ، مَنْ تكلَّمَ بهِ في أوَّلِ مضجعِهِ مِنْ مرضِهِ . . نجَّاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ ؟ »قلتُ : بلىٰ يا رسولَ اللهِ ؛ قالَ : « يقولُ : لا إلـٰهَ إلاَّ اللهُ ، يحيي ويميتُ ، وهوَ حيٌّ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « المرض والكفارات » (٣٠) ، ولم يصرح أنه دخل علىٰ علي رضي الله عنه ، ولكن صرَّح به القضاعي في « مسند الشهاب » (١٤٧٠) .

(٢) لما روىٰ مالك في « الموطأ » (٢/ ٩٤٢) عن عثمان بن أبي العاص أنه أتىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه وجع كاد يهلكه ، فقال له صلى الله عليه وسلم : « امسحه بيمينك سبع مرات وقل : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد » ، وعند مسلم (٢٢٠٢) زيادة : « وأحاذر » .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٤١٥٥) ، والإشارة فيه إلىٰ قوله تعالىٰ في صداق المرأة : ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ ، وقوله تعالىٰ في العسل : ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ ، وقوله تعالىٰ في المطر : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا ﴾ .

لا يموتُ ، سبحانَ اللهِ ربِّ العبادِ والبلادِ ، والحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيِّباً مباركاً فيهِ علىٰ كلِّ حالٍ ، اللهُ أكبرُ كبيراً ، كبرياءُ ربِّنا وجلالُهُ وقدرتُهُ بكلِّ مكانٍ ، اللهمَّ ؛ إنْ أنتَ أمرضتَني لتقبضَ روحي في مرضي هٰذا . . فاجعلْ رُوحي في أرواحِ مَنْ سبقَتْ لهُ منكَ الحسنىٰ ، وباعدْني مِنَ النَّارِ كما باعدتَ أولياءَكَ الَّذينَ سبقَتْ لهُمْ منكَ الحسنىٰ »(١) .

ورُوِيَ أنَّهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ قالَ : « عيادةُ المريضِ فُواقَ ناقةٍ »(٢) .

وقالَ طاووسٌ : (أفضلُ العيادةِ أخفُّها)(٣) .

وقالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (عيادةُ المريضِ مرَّةً سُنةٌ ، فما ازددتَ . . فنافلةٌ)(٤) .

وقالَ بعضُهُمْ : (عيادةُ المريضِ بعدَ ثلاثٍ)(٥) .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « المرض والكفارات » (١٥٦) ، وابن عدي في « الكامل » (٥/ ٨٥) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « المرض والكفارات » (١٧٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٨٧٨٦) ، **والفواق** : الوقت ما بين الحلبتين ، إذ تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدرَّ ، وقيل : ما بين قبض اليد عند الحلب وفتحها ، فيكون مجازاً دالاً على التخفيف .

(٣) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٣/ ٥٩٤) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « المرض والكفارات » (٨١) ، والطبراني في « الكبير » (١١/ ٢٥٨) .

(٥) رواه هناد في « الزهد » (٣٧٩) ، وابن أبي الدنيا في « المرض والكفارات » (٢٤٢) كلاهما عن النعمان بن أبي عياش الزرقي من قوله .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « أغِبُّوا في العيادةِ ، وأرْبِعُوا فيها »(١) .

وجملةُ آدابِ المريضِ : حسنُ الصبرِ ، وقلَّةُ الشكوىٰ والضجرِ ، والفزعُ إلى الدعاءِ ، والتوكُّلُ بعدَ الدواءِ علىٰ خالقِ الدواءِ .

* * *

ومنها : أنْ يشيِّعَ جنائزَهُمْ : قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ شيَّعَ جَنازةً . . فلهُ قيراطٌ مِنَ الأجرِ ، فإنْ وقفَ حتَّىٰ تُدفنَ . . فلهُ قيراطانِ »(٢) .

وفي الخبرِ : « القيراطُ مثلُ أحدٍ »(٣) .

ولمَّا روىٰ أبو هريرةَ هٰذا الحديثَ وسمعَهُ ابنُ عمرَ . . قالَ : (لقدْ فرَّطْنا في قراريطَ كثيرةٍ)(٤) .

والقصدُ مِنَ التشييعِ : قضاءُ حقِّ المسلمينَ والاعتبارُ ، وكانَ مكحولٌ الدمشقيُّ إذا رأىٰ جَنازةً . . قالَ : (اغدوا ؛ فإنَّا رائحونَ ، موعظةٌ بليغةٌ ، وغفلةٌ سريعةٌ ، يذهبُ الأوَّلُ والآخرُ لا عقلَ لهُ)(٥) .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « المرض والكفارات » (٢١٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٨٧٨٢) من حديث جابر مرفوعاً ، وزاد : « إلا أن يكون مغلوباً فلا يعاد » ، **وأغبُّوا** : زوروه يوماً ودعوه يوماً ، **وأربعوا** : زوروه يوماً ، ودعوه يومين ، وعودوه في الرابع . انظر « فيض القدير » (٢/ ١٥) .

(٢) رواه البخاري (٤٧ ، ١٣٢٥) ، ومسلم (٩٤٥) .

(٣) هو قطعة من الحديث السابق ، وأيضاً عند مسلم (٩٤٦) .

(٤) رواه البخاري (١٣٢٤) .

(٥) حكاه عنه الحافظ عبد الحق الإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » (ص١٥٣) ، وقد =

وخرجَ مالكُ بنُ دينارٍ خلفَ جَنازةِ أخيهِ وهوَ يبكي ويقولُ : (واللهِ ؛ لا تقرُّ عيني حتَّىٰ أعلمَ إلامَ صرتَ ، ولا واللهِ لا أعلمُهُ ما دمتُ حيّاً)⁽¹⁾ .

وقالَ الأعمشُ : (كنَّا نشهدُ الجنائزَ ، فلا ندري مَنْ نعزِّي لحزنِ القومِ كلِّهِمْ)⁽²⁾ .

ونظرَ إبراهيمُ الزيَّاتُ إلىٰ أناسٍ يترحَّمونَ علىٰ ميِّتٍ فقالَ : لوْ ترحمونَ أنفسَكُمْ . . لكانَ أولىٰ ؛ إنَّهُ نجا مِنْ أهوالٍ ثلاثةٍ : وجهَ ملكِ الموتِ قدْ رأىٰ ، ومرارةَ الموتِ قدْ ذاقَ ، وخوفَ الخاتمةِ قدْ أمنَ)⁽³⁾ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يتبعُ الميِّتَ ثلاثةٌ ، فيرجعُ اثنانِ ويبقىٰ واحدٌ ، يتبعُهُ أهلُهُ ومالُهُ وعملُهُ ، فيرجعُ أهلُهُ ومالُهُ ، ويبقىٰ عملُهُ »⁽⁴⁾ .

* * *

ومنها : أنْ يزورَ قبورَهُمْ : والمقصودُ الدعاءُ والاعتبارُ وترقيقُ القلبِ .

قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ما رأيتُ منظراً إلاَّ والقبرُ أفظعُ منهُ »⁽⁵⁾ .

= رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٣/ ٥٤٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٨٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(١) رواه ابن عساكر في « تعزية المسلم » (٢٨) ، واسم أخيه المتوفىٰ هو ملحان .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٨٤٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٥٠) .

(٣) حكاه الحافظ عبد الحق الإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » (ص١١٦) .

(٤) رواه البخاري (٦٥١٤) ، ومسلم (٢٩٦٠) .

(٥) رواه الترمذي (٢٣٠٨) ، وابن ماجه (٤٢٦٧) .

وقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : خرجْنا معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأتى المقابرَ ، فجلسَ إلىٰ قبرٍ ، وكنتُ أدنى القومِ منهُ ، فبكىٰ وبكينا ، فقالَ : « ما يبكيكُمْ ؟ » قلنا : بكينا لبكائِكَ ، قالَ : « هٰذا قبرُ آمنةَ بنتِ وهبٍ ، استأذنتُ ربِّي في زيارَتِها فأذنَ لي ، واستأذنتُهُ في أنْ أستغفرَ لها . . فأبىٰ عليَّ ، فأدركَني ما يدركُ الولدَ مِنَ الرقَّةِ »(١) .

وكانَ عثمانُ رضيَ اللهُ عنهُ إذا وقفَ علىٰ قبرٍ . . بكىٰ حتَّىٰ تُبلَّ لحيتُهُ ، ويقولُ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إنَّ القبرَ أوَّلُ منازلِ الآخرةِ ، فإنْ نجا منهُ صاحبُهُ . . فما بعدَهُ أيسرُ ، وإنْ لمْ ينجُ منهُ . . فما بعدَهُ أشدُّ »(٢) .

وقالَ مجاهدٌ : (أوَّلُ ما يكلِّمُ ابنَ آدمَ حفرتُهُ ، فتقولُ : أنا بيتُ الدودِ ، وبيتُ الوحدةِ ، وبيتُ الغربةِ ، وبيتُ الظلمةِ ، فهٰذا ما أعددتُ لكَ ، فما أعددتَ لي ؟!)(٣) .

وقالَ أبو ذرٍّ : (ألا أخبرُكُمْ بيومِ فقري ؟ يومَ أُوضعُ في قبري)(٤) .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٣٥٥) بنحو لفظ المصنف من حديث بريدة رضي الله عنه ، وهو مختصراً عند مسلم (٩٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه الترمذي (٢٣٠٨) ، وابن ماجه (٤٢٦٧) .

(٣) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢/ ٤٩٦) عن علي رضي الله عنه من طريق مجاهد ، وقد رواه الترمذي (٢٤٦٠) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً بنحوه .

(٤) حكاه الحافظ الإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » (ص١٩٠) .

وكانَ أبو الدرداءِ يقعدُ إلى القبورِ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : (أجلسُ إلىٰ قومٍ يذكِّرُونَني معادي ، وإنْ قمتُ عنهُم . . لمْ يغتابوني) .

وقالَ حاتمٌ الأصمُّ : (مَنْ مرَّ بالمقابرِ فلمْ يتفكَّرْ لنفسِهِ ، ولمْ يَدْعُ لهمْ . . فقدْ خانَ نفسَهُ وخانَهُمْ)(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ما مِنْ ليلةٍ إلاَّ وينادي منادٍ : يا أهلَ القبورِ ؛ مَنْ تغبطونَ ؟ فيقولونَ : نغبطُ أهلَ المساجدِ ؛ لأنَّهُمْ يصومونَ ولا نصومُ ، ويصلُّونَ ولا نصلِّي ، ويذكرونَ اللهَ ولا نذكرُهُ »(٢) .

وقالَ سفيانُ الثوريُّ : (مَنْ أكثرَ ذكرَ القبرِ . . وجدَهُ روضةً مِنْ رياضِ الجنَّةِ ، ومَنْ غفَلَ عنْ ذكرِهِ . . وجدَهُ حفرةً مِنْ حفرِ النارِ)(٣) .

وكانَ الربيعُ بنُ خُثيمٍ قدْ حفرَ في دارِهِ قبراً ، فكانَ إذا وجدَ في قلبِهِ قساوةً . . دخلَ فيهِ فاضطجعَ فيهِ ، ومكثَ ساعةً ، ثمَّ يقولُ : ﴿ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ ﴾ ، ثمَّ يقولُ : يا ربيعُ ؛ قدْ رجعْتَ ، فاعملِ الآنَ قبلَ ألا ترجعَ(٤) .

وقالَ ميمونُ بنُ مهرانَ : خرجتُ معَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ إلى المقبرةِ فلمَّا

---

(١) حكاه الحافظ الإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » (ص١٩٥) .

(٢) قال الحافظ العراقي : (لم أجد له أصلاً) . « إتحاف » (٦/ ٣٠١) ، والإشارة فيه إلى انقطاع العمل للمؤمنين ، والتحسر علىٰ فواته لغيرهم ، وهـٰذا ثابت المعنىٰ .

(٣) حكاه الحافظ الإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » (ص١٩٥) .

(٤) رواه البلاذري في « أنساب الأشراف » (١١/ ٣١١) .

نظرَ إلى القبورِ . . بكىٰ ، وقالَ : يا ميمونُ ؛ هـٰذهِ قبورُ آبائي بني أميَّةَ ؛ كأنَّهُمْ لمْ يشاركوا أهلَ الدنيا في لذَّاتِهِمْ ، أما تراهُمْ صرعىٰ قدْ خلَتْ بهمُ المَثُلاتُ ، وأصابَ الهوامُّ مِنْ أبدانِهِمْ ؟ ثمَّ بكىٰ وقالَ : واللهِ ؛ ما أعلمُ أحداً أنعمَ ممَّنْ صارَ إلىٰ هـٰذهِ القبورِ وقدْ أمنَ عذابَ اللهِ(١) .

وآدابُ المعزِّي : خفضُ الجناحِ ، وإظهارُ الحزْنِ ، وقلَّةُ الحديثِ ، وتركُ التبسُّمِ(٢) .

وآدابُ تشييعِ الجنازةِ : لزومُ الخشوعِ ، وتركُ الحديثِ ، وملاحظةُ الميتِ ، والتفكُّرُ في الموتِ ، والاستعدادُ لهُ ، وأنْ يمشيَ أمامَ الجنازةِ بقربِها ، والإسراعُ بالجنازةِ سنةٌ .

فهـٰذهِ جملُ آدابٍ تنبِّهُ علىٰ آدابِ المعاشرةِ معَ عمومِ الخلقِ .

والجملةُ الجامعةُ في ذلكَ : ألا تستصغرَ منهُمْ أحداً ، حيّاً كانَ أوْ ميتاً فتهلكَ ؛ لأنَّكَ لا تدري لعلَّهُ خيرٌ منكَ ، فإنَّهُ وإنْ كانَ فاسقاً فلعلَّهُ يُختمُ لكَ بمثلِ حالِهِ ويُختمُ لهُ بالصلاحِ !

ولا تنظرْ إليهِمْ بعينِ التعظيمِ لهمْ في حالِ دنياهُمْ ، فإنَّ الدنيا صغيرةٌ عندَ اللهِ ، صغيرٌ ما فيها ، ومهما عَظُمَ أهلُ الدنيا في نفسِكَ . . فقدْ عظَّمْتَ الدنيا ، فتسقطُ مِنْ عينِ اللهِ عزَّ وجلَّ .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٥/٢٦٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/٢٣٢) .

(٢) ولا بأس بالجلوس لها ثلاثة أيام من غير ارتكاب محظور . « إتحاف » (٦/٣٠٢) .

ولا تبذلْ لهُمْ دينَكَ لتنالَ مِنْ دنياهُمْ فتصغرَ في أعينِهِمْ ، ثمَّ تُحرمَ دنياهُمْ ، فإنْ لمْ تُحرمْ . . كنتَ قدِ استبدلْتَ الذي هوَ أدنىٰ بالذي هوَ خيرٌ .

ولا تعادِهِمْ بحيثُ تظهرُ العداوةَ ، فيطولَ الأمرُ عليكَ في المعاداةِ ، ويذهبَ دينُكَ ودنياك فيهِمْ ، ويذهبَ دينُهُمْ فيكَ ، إلا إذا رأيتَ منكراً في الدينِ ، فتعادي أفعالَهُمُ القبيحةَ ، وتنظرُ إليهِمْ بعينِ الرحمةِ لهُمْ ؛ لتعرُّضِهِمْ لمقتِ اللهِ وعقوبتِهِ بعصيانِهِمْ ، فحسبُهُمْ جهنَّمُ يصلونَها ، فما لكَ تحقدُ عليهِمْ ؟!

ولا تسكنْ إليهِمْ في مودتِهِمْ لكَ ، وثنائِهِمْ عليكَ في وجهِكَ ، وحسنِ بشرِهِمْ لكَ ؛ فإنَّكَ إنْ طلبتَ حقيقةَ ذلكَ . . لمْ تجدْ في المئةِ إلا واحداً ، وربَّما لا تجدُهُ .

ولا تشْكُ إليهِمْ أحوالَك فيكلَكَ اللهُ إليهِمْ ، ولا تطمعْ أنْ يكونوا لكَ في الغيبِ والسرِّ كما في العلانيةِ ، فذلكَ طمعٌ كاذبٌ ، وأنَّىٰ تظفرُ بهِ ؟!

ولا تطمعْ فيما في أيديهِمْ فتستعجلَ الذلَّ ولا تنالَ الغرضَ ، ولا تعلُ عليهِمْ تكبُّراً لاستغنائِكَ عنهُمْ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ يلجئُكَ إليهِمْ عقوبةً على التكبُّرِ بإظهارِ الاستغناءِ .

وإذا سألتَ أحداً منهُمْ حاجةً فقضاها . . فهوَ أخٌ مستفادٌ ، وإنْ لمْ يقضِ . . فلا تعاتبْهُ ، فيصيرَ عدوّاً تطولُ عليكَ مقاساتُهُ .

ولا تشتغلْ بوعظِ مَنْ لا ترىٰ فيهِ مخايلَ القبولِ ، فلا يسمعُ منك

ويعاديكَ ، وليكنْ وعظُكَ عرْضاً وإرسالاً مِنْ غيرِ تنصيصٍ على الشخصِ .

ومهما رأيتَ منهُمْ كرامةً وخيراً . . فاشكرِ اللهَ الذي سخَّرَهُمْ لكَ ، واستعذْ باللهِ أنْ يكلَكَ إليهِمْ ، وإذا بلغَكَ منهُمْ غيبةٌ ، أوْ رأيتَ منهُمْ شرّاً ، أوْ أصابَكَ منهُمْ ما يسوءُكَ . . فكِلْ أمرَهُمْ إلى اللهِ ، واستعذْ باللهِ مِنْ شرِّهِمْ ، ولا تشغَلْ نفسَكَ بالمكافأةِ فيزيدَ الضررُ ، ويضيعَ العمرُ بشغلِهِ ، ولا تقلْ لهُمْ : (لمْ تعرِفوا موضعي) ، واعتقدْ أنَّكَ لوِ استحققْتَ ذلكَ . . لجعلَ اللهُ لكَ موضعاً في قلوبِهِمْ ، فاللهُ المحبِّبُ والمبغِّضُ إلى القلوبِ .

وكُنْ فيهِمْ سميعاً لحقِّهِمْ ، أصمَّ عنْ باطِلِهِمْ ، نطوقاً بحقِّهِمْ ، صَموتاً عنْ باطلِهِمْ .

واحذرْ صحبةَ أكثرِ الناسِ ، فإنَّهُمْ لا يقيلونَ عثرةً ، ولا يغفرونَ زلَّةً ، ولا يسترونَ عورةً ، ويحاسبونَ على النقيرِ والقطميرِ ، ويحسدونَ على القليلِ والكثيرِ ، ينتصفونَ ولا ينصفونَ ، ويؤاخذونَ على الخطأِ والنسيانِ ولا يعفونَ ، يغرونَ الإخوانَ بالإخوانِ بالنميمةِ والبهتانِ ، فصحبةُ أكثرِهِمْ خسرانٌ ، وقطيعتُهُمْ رجحانٌ ، إنْ رضوا . . فظاهرُهُمُ الملَقُ ، وإنْ سخطوا . . فباطنُهُمُ الحَنَقُ ، لا يؤمنونَ في حنقِهِمْ ، ولا يرجونَ في ملقِهِمْ ، ظاهرُهُمْ ثيابٌ ، وباطنُهُمْ ذئابٌ ، يقطعونَ بالظنونِ ، ويتغامزونَ وراءَكَ بالعيونِ ، ويتربَّصونَ بصديقِهِمْ مِنَ الحسدِ ريبَ المنونِ(١) ، يحصونَ

---

(١) **المنون هنا** : الدهر .

عليكَ العثراتِ في صحبتِهِمْ ؛ ليجبهوكَ بها في غضبِهِمْ ووحشتِهِمْ(١) .

ولا تعوِّلْ علىٰ مودَّةِ مَنْ لمْ تخبرْهُ حقَّ الخبرةِ ؛ بأنْ تصحبَهُ مدَّةً في دارٍ أوْ موضعٍ واحدٍ ، فتجرِّبَهُ في عزلِهِ وولايتِهِ ، وغناهُ وفقرِهِ ، أوْ تسافرَ معَهُ ، أوْ تعاملَهُ في الدينارِ والدرهمِ ، أوْ تقعَ في شدَّةٍ فتحتاجَ إليهِ ، فإنْ رضيتَهُ في هـٰذهِ الأحوالِ . . فاتخذْهُ أباً لكَ إنْ كانَ كبيراً ، أوِ ابناً لكَ إنْ كانَ صغيراً ، أوْ أخاً إنْ كانَ مثلَكَ .

فهـٰذهِ جملةُ آدابِ المعاشرةِ معَ أصنافِ الخلقِ .

* * *

---

(١) في نسخة علىٰ هامش (ب) : (ليجهِّلوك) بدل (ليجبهوك) ، وجبهَهُ : لقيه بالمكروه .

حقوق الجوار

اعلمْ : أنَّ الجوارَ يقتضي حقّاً وراءَ ما تقتضيهِ أخوَّةُ الإسلامِ ، فيستحقُّ الجارُ المسلمُ ما يستحقُّهُ كلُّ مسلمٍ وزيادةً ؛ إذْ قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « الجيرانُ ثلاثةٌ : جارٌ لهُ حقٌّ واحدٌ ، وجارٌ لهُ حقَّانِ ، وجارٌ لهُ ثلاثةُ حقوقٍ ؛ فالجارُ الَّذي لهُ ثلاثةُ حقوقٍ الجارُ المسلمِ ذو الرَّحِمِ ، فلهُ حقُّ الجوارِ وحقُّ الإسلامِ وحقُّ الرَّحِمِ ، وأمَّا الذي لهُ حقَّان . . فالجارُ المسلمُ ، لهُ حقُّ الجوارِ وحقُّ الإسلامِ ، وأمَّا الذي لهُ حقٌّ واحدٌ . . فالجارُ المشركُ »(١) ، فانظرْ كيفَ أثبتَ للمشركِ حقّاً بمجرَّدِ الجوارِ .

وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أحسنْ مجاورةَ مَنْ جاورَكَ . . تكنْ مسلماً »(٢) .

وقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ما زالَ جبريلُ يوصيني بالجارِ حتَّىٰ ظننتُ أنَّهُ سيورِّثُهُ »(٣) .

---

(١) رواه هناد في « الزهد » (١٠٣٦) ، وابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٣٤١) ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٢٤٧) ، وابن عدي في « الكامل » (٥/ ١٧١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٠٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٩١١٣) ، وسيأتي للحديث بقية .

(٢) رواه الترمذي (٢٣٠٥) ، وابن ماجه (٤٢١٧) ، والقضاعي في « مسند الشهاب » (٦٤٢) ، والديلمي في « مسند الفردوس » (١٧٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري (٦٠١٤) ، ومسلم (٢٦٢٥) ، ومعنىٰ (سيورثه) : كاد يجعل له حقاً في المال ، تنبيه علىٰ إنزاله منزلة من يرث من البر والصلة .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ . . فليكرمْ جارَهُ »(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا يؤمنُ عبدٌ حتَّىٰ يأمنَ جارُهُ بوائقَهُ »(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أوَّلُ خصمينِ يومَ القيامةِ جارانِ »(٣) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إذا أنتَ رميتَ كلبَ جارِكَ . . فقدْ آذيتَهُ »(٤) .

ويُروىٰ أنَّ رجلاً جاءَ إلى ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ فقالَ لهُ : إنَّ لي جاراً يؤذيني ويشتمُني ويضيِّقُ عليَّ ، فقالَ لهُ : اذهبْ ؛ فإنْ هوَ عصى اللهَ فيكَ . . فأطِعِ اللهَ فيهِ(٥) .

وقيلَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : إنَّ فلانةَ تصومُ النهارَ وتقومُ الليلَ وتؤذي جيرانَها ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « هيَ في النَّارِ »(٦) .

وجاءَ رجلٌ إلى النبيِّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يشكو جارَهُ ، فقالَ لهُ النبيُّ

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٩) ، ومسلم (٤٧) .

(٢) رواه البخاري (٦٠١٦) ، ونحوه عند مسلم (٤٦) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ١٥١) ، والطبراني في « الكبير » (١٧/ ٣٠٣) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه .

(٤) قال الحافظ العراقي : (لم أجد له أصلاً) .

(٥) وفي هـٰذا المعنىٰ قالة عمر الفاروق رضي الله عنه التي رواها ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص٨٩) : (ما كافأت من يعصي الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه) .

(٦) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٤٤٠) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (١١٩) .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « اصبِرْ » ، ثمَّ قالَ لهُ في الثالثةِ أوِ الرابعةِ : « اطرحْ متاعَكَ في الطَّريقِ » ، قالَ : فجعلَ الناسُ يمرُّونَ بهِ فيقولونَ : ما لكَ ؟ فيُقالُ : آذاهُ جارُهُ ، قالَ : فجعلوا يقولونَ : لعنَهُ اللهُ ، فجاءَهُ جارُهُ فقالَ لهُ : رُدَّ متاعَكَ ، فواللهِ ؛ لا أعودُ[1] .

وروى الزهريُّ أنَّ رجلاً أتى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فجعلَ يشكو جارَهُ ، فأمرَهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنْ ينادِيَ على بابِ المسجدِ : « ألا إنَّ أربعينَ داراً جارٌ »[2] ، قالَ الزهريُّ : (أربعونَ هـٰكذا ، وأربعونَ هـٰكذا ، وأربعونَ هـٰكذا ، وأربعونَ هـٰكذا) ، وأومأَ إلىٰ أربعِ جهاتٍ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « اليُمْنُ والشؤمُ في المرأةِ والمسكنِ والفرسِ ، فيُمْنُ المرأةِ خفَّةُ مهرِها ، ويسرُ نكاحِها ، وحسنُ خُلُقِها ، وشؤمُها غلاءُ مهرِها ، وعسرُ نكاحِها ، وسوءُ خُلُقِها ، ويُمْنُ المسكنِ سَعتُهُ وحسنُ جوارِ أهلِهِ ، وشؤمُهُ ضيقُهُ وسوءُ جوارِ أهلِهِ ، ويُمْنُ الفرسِ ذلُّهُ وحسنُ خُلقِهِ ، وشؤمُهُ صعوبتُهُ وسوءُ خُلُقِهِ »[3] .

---

[1] رواه أبو داوود (٥١٥٣) .

[2] رواه أبو داوود في « المراسيل » (٣٤٢) عن الزهري ، وعنده تمام قول الزهري ، ووصله من طريقه الطبراني في « الكبير » (١٩/ ٧٣) .

[3] قال الحافظ العراقي : (رواه مسلم [٢٢٢٥] من حديث ابن عمر : « الشؤم في الدار والمرأة والفرس » ، وفي رواية له [٢٢٢٥/ ١١٧] : « إن يكن من الشؤم شيء حقاً » ، وله من حديث سهل بن سعد [٢٢٢٥/ ١١٩] : « إن كان .. ففي الفرس والمرأة والمسكن » ، وللترمذي [٢٨٢٤] من حديث حكيم بن معاوية : « لا شؤم ، وقد يكون =

واعلمْ : أنَّهُ ليسَ حقُّ الجوارِ كفَّ الأذىٰ فقطْ ، بلِ احتمالُ الأذىٰ ، فإنَّ الجارَ أيضاً قدْ كفَّ أذاهُ ، فليسَ في ذلكَ قضاءُ حقٍّ .

ولا يكفي أيضاً احتمالُ الأذىٰ ، بلْ لا بدَّ مِنَ الرفقِ ، وإسداءِ الخيرِ والمعروفِ ؛ إذْ يُقالُ : إنَّ الجارَ الفقيرَ يتعلَّقُ بجارِهِ الغنيِّ يومَ القيامةِ ويقولُ : يا ربِّ ؛ سلْ هـٰذا : لِمَ منعَني معروفَهُ وسدَّ بابَهُ دوني ؟(١) .

وبلغَ ابنَ المقفَّعِ أنَّ جاراً لهُ يبيعُ دارَهُ في دينٍ ركبَهُ ، وكانَ ابنُ المقفَّعِ يجلسُ في ظلِّ دارِهِ ، فقالَ : ما قمتُ إذاً بحرمةِ ظلِّ دارِهِ إنْ باعَها مُعدِماً ، فدفعَ إليهِ ثمنَ الدارِ ، وقالَ : لا تبعْها(٢) .

= اليمن في الدار والمرأة والفرس » ، ورواه ابن ماجه [١٩٩٣] فسماه عمر بن معاوية ـ هو مخْمَر بن معاوية عم حكيم ـ وللطبراني ـ في « الكبير » [٢٤/ ١٥٣] ـ من حديث أسماء بنت عميس قالت : يا رسول الله ؛ ما سوء الدار ؟ قال : « ضيق ساحتها ، وخبث جيرانها » ، قيل : فما سوء الدابة ؟ قال : « منعها ظهرها ، وسوء خلقها » ، قيل : فما سوء المرأة ؟ قال : « عقم رحمها ، وسوء خلقها » ، وكلاهما ضعيف ، ورويناه في « كتاب الخيل » للدمياطي من حديث سالم بن عبد الله مرسلاً : « إذا كان الفرس ضروباً . . فهو شؤم ، وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجاً قبل زوجها فحنَّت إلى الزوج الأول . . فهي مشؤومة ، وإذا كانت الدار بعيدة من المسجد لا يسمع فيها الأذان والإقامة . . فهي مشؤومة » ، وإسناده ضعيف) . « إتحاف » (٦/ ٣٠٦) ، وجعلت السيدة عائشة الشؤم هنا حكاية حال أهل الجاهلية ، ويحمل كذلك على عدم الموافقة كما أفاده الحافظ الزبيدي وغيره .

(١) روى البخاري في « الأدب المفرد » (ص١١٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : « ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع » .

(٢) أورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (١/ ٣٣٩) .

وشكا بعضُهُمْ كثرةَ الفأرِ في دارِهِ ، فقيلَ لهُ : لوِ اقتنيتَ هرّاً ، فقالَ : أخشىٰ أنْ يسمعَ الفأرُ صوتَ الهرِّ فيهربَ إلىٰ دورِ الجيرانِ ، فأكونَ قدْ أحببتُ لهُمْ ما لا أحبُّ لنفسي .

* * *

وجملةُ حقِّ الجارِ : أنْ يبدأَهُ بالسلامِ ، ولا يطيلَ معهُ الكلامَ ، ولا يكثرَ عنْ حالِهِ السؤالَ ، ويعودَهُ في المرضِ ، ويعزِّيَهِ في المصيبةِ ، ويقومَ معَهُ في العزاءِ ، ويهنِّئَهُ في الفرحِ ، ويظهرَ الشركةَ في السرورِ معَهُ ، ويصفحَ عنْ زلاتِهِ ، ولا يتطلَّعَ مِنَ السطحِ إلىٰ عوراتِهِ ، ولا يضايقَهُ في وضعِ الجذعِ علىٰ جدارِهِ ، ولا في مصبِّ الماءِ في ميزابِهِ ، ولا في مطرحِ الترابِ في فِنائِهِ ، ولا يضيقَ طريقَهُ إلى الدارِ ، ولا يتبعَهُ النظرَ فيما يحملُهُ إلىٰ دارِهِ ، ويسترَ ما ينكشفُ لهُ مِنْ عوراتِهِ ، ويتعيَّنُ أن يعينَهُ إذا نابتْهُ نائبةٌ(١) ، ولا يغفُلَ عنْ ملاحظةِ دارِهِ عندَ غيبتِهِ ، ولا يتسمَّعَ عليهِ كلامَهُ(٢) ، ويغضَّ بصرَهُ عنْ حرمتِهِ ، ولا يديمَ النظرَ إلىٰ خادمتِهِ ، ويتلطَّفَ بولدِهِ في كلمتِهِ ، ويرشدَهُ إلىٰ ما يجهلُهُ مِنْ أمرِ دينِهِ ودنياهُ ، هـٰذا إلىٰ جملةِ الحقوقِ التي ذكرناها لعامَّةِ المسلمينَ .

وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أتدرونَ ما حقُّ الجارِ ؟ إنِ استعانَ

---

(١) في (أ) : (وينعش من صرعته) .

(٢) في (ب) : (ولا يستمع عليه كلاماً) .

بكَ . . أعنتَهُ ، وإنِ استنصرَكَ . . نصرتَهُ ، وإنِ استقرضَكَ . . أقرضْتَهُ ، وإنِ افتقرَ . . عدتَ عليهِ ، وإنْ مرضَ . . عدتَهُ ، وإنْ ماتَ . . تبعتَ جَنازتَهُ ، وإنْ أصابَهُ خيرٌ . . هنأتَهُ ، وإنْ أصابَتْهُ مصيبةٌ . . عزَّيتَهُ ، ولا تستطلْ عليهِ بالبناءِ فتحجبَ عنهُ الريحَ إلا بإذنِهِ ، ولا تؤذِهِ ، وإذا اشتريتَ فاكهةً . . فأهدِ لهُ ، فإنْ لمْ تفعلْ . . فأدخلْها سرّاً ، ولا يخرجْ بها ولدُكَ ليغيظَ بها ولدَهُ ، ولا تؤذِهِ بقُتارِ قدْرِكَ ، إلا أنْ تغرفَ لهُ منها ، ثمَّ قالَ : أتدرونَ ما حقُّ الجارِ ؟ والذي نفسي بيدِهِ ؛ لا يبلغُ حقَّ الجارِ إلا مَنْ رحمَهُ اللهُ » . هٰكذا رواهُ عمرُو بنُ شعيبٍ عنْ أبيهِ ، عنْ جدِّهِ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[1] .

قالَ مجاهدٌ : كنتُ عندَ عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو وغلامٌ لهُ يسلخُ شاةً ، فقالَ : يا غلامُ ؛ إذا سلختَ . . فابدأْ بجارِنا اليهوديِّ ، حتَّىٰ قالَ ذلكَ مراراً ، فقالَ لهُ : كمْ تقولُ هٰذا ! فقالَ : إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمْ يزلْ يوصينا بالجارِ حتَّىٰ خشينا أنَّهُ سيورِّثُهُ[2] .

وقالَ هشامٌ : (كانَ الحسنُ لا يرىٰ بأساً أنْ تطعمَ الجارَ اليهوديَّ والنصرانيَّ مِنْ أضحيتِكَ)[3] .

---

[1] رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٢٤٧) ، وابن عدي في « الكامل » (٥/ ١٧١) ، قال الحافظ في « فتح الباري » (١٠/ ٤٤٦) بعد ذكر من خرَّجه : (وأسانيدهم واهية ، لكن اختلاف مخارجها يشعر بأن للحديث أصلاً) .

[2] رواه البخاري في « الأدب المفرد » (١٢٨) بلفظ المصنف هنا ، وكذا بنحوه أبو داوود (٥١٥٢) ، والترمذي (١٩٤٣) .

[3] رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٢٢٢) .

وقالَ أبو ذرٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : أوصاني خليلي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقالَ : « إذا طبختَ قدْراً . . فأكثرْ ماءَها ، ثمَّ انظرْ بعضَ أهلِ بيتٍ مِنْ جيرانِكَ فاغرفْ لهُمْ منها »⁽¹⁾ .

وقالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّ لي جارينِ ، أحدُهُما مقبلٌ ببابِهِ ، والآخرُ ناءٍ ببابِهِ عنِّي ، وربَّما كانَ الذي عندي لا يسعُهُما ، فأيُّهُما أعظمُ حقّاً ؟ فقالَ : « المقبلُ عليكِ ببابِهِ »⁽²⁾ .

ورأى الصدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ ولدَهُ عبدَ الرحمـٰنِ وهوَ يماظُّ جاراً لهُ ، فقالَ : (لا تماظَّ جارَكَ ؛ فإنَّ هـٰذا يبقىٰ والناسُ يذهبونَ)⁽³⁾ .

وقالَ الحسنُ بنُ عيسى النيسابوريُّ : سألتُ عبدَ اللهِ بنَ المباركِ ، فقلتُ : الرجلُ المجاورُ يأتيني فيشكو غلامي أنَّهُ أتىٰ إليهِ أمراً ، والغلامُ ينكرُ ، فأكرَهُ أنْ أضربَهُ ولعلَّهُ بريءٌ ، وأكرَهُ أنْ أدعَهُ فيجدَ عليَّ جاري ، فكيفَ أصنعُ ؟ قالَ : إنَّ غلامَكَ لعلَّهُ أنْ يحدثَ حدثاً يستوجبُ فيهِ الأدبَ ، فاحفظْهُ عليهِ ، فإذا شكاهُ جارُكَ . . فأدِّبْهُ علىٰ ذلكَ الحدثِ ، فتكونَ قدْ أرضيتَ جارَكَ وأدبتَهُ علىٰ ذلكَ الحدثِ⁽⁴⁾ .

---

(١) رواه مسلم (٢٦٢٥) .

(٢) رواه البخاري (٢٢٥٩) ، والذي رواه المروزي في « البر والصلة » (٢٤٣) أقرب للفظ المصنف .

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٦٩٩)، **والمماظَّة**: المخاصمة والمشاقَّة وشدة المنازعة .

(٤) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٢٤٣) .

وهٰذا تلطُّفٌ في الجمعِ بينَ الحقَّينِ .

وقالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (خلالُ المكارمِ عشرٌ ، تكونُ في الرجلِ ولا تكونُ في أبيهِ ، وتكونُ في العبدِ ولا تكونُ في سيِّدِهِ ، يقسمُها اللهُ تعالىٰ لمَنْ أحبَّ : صدقُ الحديثِ ، وصدقُ الناسِ ، وإعطاءُ السائلِ ، والمكافأةُ بالصنائعِ ، وصلةُ الرحمِ ، وحفظُ الأمانةِ ، والتذمُّمُ للجارِ ، والتذمُّمُ للصاحبِ ، وقِرى الضيفِ ، ورأسُهُنَّ الحياءُ)⁽¹⁾ .

وقالَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يا نساءَ المسلماتِ ؛ لا تحقرَنْ جارةٌ لجارتِها ولوْ فِرْسِنَ شاةٍ »⁽²⁾ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ مِنْ سعادةِ المرءِ المسلمِ المسكنَ الواسعَ ، والجارَ الصالحَ ، والمركبَ الهنيءَ »⁽³⁾ .

وقالَ عبدُ اللهِ : قالَ رجلٌ : يا رسولَ اللهِ ؛ كيفَ لي أنْ أعلمَ إذا أحسنتُ أوْ أسأتُ ؟ قالَ : « إذا سمعتَ جيرانَكَ يقولونَ : قدْ أحسنتَ . . فقدْ أحسنتَ ، وإذا سمعتَهُمْ يقولونَ : قدْ أسأتَ . . فقدْ أسأتَ »⁽⁴⁾ .

وقالَ جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ : قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ كانَ لهُ

---

(١) رواه هناد في « الزهد » (١٠٤٦) ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٢٤٩) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٣١٩) .

(٢) رواه البخاري (٢٥٦٦) ، ومسلم (١٠٣٠) .

(٣) رواه عبد بن حميد في « مسنده » (٣٨٥) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (١١٦) .

(٤) رواه ابن ماجه (٤٢٢٣) ، وعبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه .

جارٌ في حائطٍ أوْ شريكٌ . . فلا يبعْهُ حتَّىٰ يعرضَهُ عليهِ »(١) .

وقالَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : (قضىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّ الجارَ يضعُ جذوعَهُ في حائطِ جارِهِ ، شاءَ أمْ أبىٰ)(٢) .

وقالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا يمنعنَّ أحدُكُمْ جارَهُ أنْ يضعَ خشبَهُ في حائطِهِ »(٣) ، وكانَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما لي أراكُمْ عنها معرضينَ ؟ واللهِ ؛ لأرمينَّها بينَ أكتافِكُمْ)(٤) ، وقد ذهبَ بعضُ العلماءِ إلىٰ وجوبِ ذلكَ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أرادَ اللهُ بهِ خيراً . . عسلَهُ » ، قيلَ : وما عسلَهُ ؟ قالَ : « يحبِّبُهُ إلىٰ جيرانِهِ »(٥) .

* * *

---

(١) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٢٥٨) ، وعند ابن ماجه (٢٤٩٢) مرفوعاً : « من كانت له نخل أو أرض . . فلا يبيعها حتىٰ يعرضها علىٰ شريكه » .

(٢) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٢٥٩) .

(٣) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٢٦١) ، وهو عند البخاري (٢٤٦٣) ، ومسلم (١٦٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبه في جداره » .

(٤) رواه البخاري (٢٤٦٣) وهي تمام الحديث المشار إليه قبل عنده ، وهي عند الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٢٦٢) .

(٥) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٢٦٣) .

حقوق الأقارب والرّحم

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يقولُ اللهُ تعالىٰ : أنا الرحمـٰنُ ، وهـٰذهِ الرحمُ ، شققْتُ لها اسماً من اسمي ، فمَنْ وصلَها . . وصلْتُهُ ، ومنْ قطعَها بتتُّهُ »(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ سرَّهُ أنْ يُنسأَ لهُ في أثرِهِ ، ويُوسَّعَ عليهِ في رزقِهِ . . فليصلْ رحمَهُ » ، وفي روايةٍ أخرىٰ : « مَنْ سرَّهُ أنْ يُمدَّ لهُ في عمرِهِ ، ويُوسَّعَ لهُ في رزقِهِ . . فليتقِ اللهَ وليصلْ رحمَهُ »(٢) .

وقيلَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أيُّ الناسِ أفضلُ ؟ فقالَ : « أتقاهُمْ للهِ وأوصلُهُمْ للرحمِ ، وآمَرُهُمْ بالمعروفِ ، وأنهاهُمْ عنِ المنكرِ »(٣) .

وقالَ أبو ذرٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : (أوصاني خليلي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بصلةِ

---

(١) رواه البخاري (٥٩٨٩) ، ومسلم (٢٥٥٥) بنحوه من حديث عائشة رضي الله عنها ، وهو عند أبي داوود (١٦٩٤) ، والترمذي (١٩٠٧) بلفظ المصنف من حديث عبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري (٢٠٦٧) ، ومسلم (٢٥٥٧) من حديث أنس رضي الله عنه ، وزيادة : (فليتق الله) عند أحمد في « المسند » (١/١٤٣) من حديث علي كرم الله وجهه .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٦/٤٣٢) ، والطبراني في « الكبير » (٢٤/٢٥٧) من حديث درة بنت أبي لهب رضي الله عنها .

الرحمِ وإنْ أدبرَتْ ، وأمرَني أنْ أقولَ الحقَّ وإنْ كانَ مرّاً)⁽¹⁾ .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إنَّ الرحمَ معلَّقةٌ بالعرشِ ، وليسَ الواصلُ المكافىءَ ، ولكنِ الواصلُ الذي إذا انقطعَتْ رحمُهُ . . وصلَها »⁽٢⁾ .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إنَّ أعجلَ الطاعةِ ثواباً صلةُ الرحمِ ، حتَّىٰ إنَّ أهلَ البيتِ ليكونونَ فُجّاراً ، فتنمو أموالُهُمْ ويكثرُ عددُهُمْ إذا وصلوا أرحامَهُمْ »⁽٣⁾ .

وقالَ زيدُ بنُ أسلمَ : لمَّا خرجَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ مكَّةَ . . عرضَ لهُ رجلٌ ، فقالَ : إنْ كنتَ تريدُ النساءَ البيضَ والنوقَ الأُدْمَ . . فعليكَ ببني مدلجٍ ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ اللهَ قدْ منعَ منِّي بني مدلجٍ بصلتِهِمُ الرحمَ »⁽٤⁾ .

وقالَتْ أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ الصديقِ رضيَ اللهُ عنهُما : قدمَتْ عليَّ أمِّي ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّ أمي قدمَتْ عليَّ وهيَ مشركةٌ ،

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٥/١٥٩) ، وابن حبان في « صحيحه » (٤٤٩) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٢/١٦٣) ، وهو عند البخاري (٥٩٩١) دون الجملة الأولىٰ منه .

(٣) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٤٤٠) ، والطبراني في « الأوسط » (١٠٩٦) .

(٤) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٢٧٦) ، وزاد : « وطعنهم في ألباب الإبل » ، قال القاسم بن سلام في « غريب الحديث » (٣/ ٣٠) : (وبعضهم يرويه : « في لبّات الإبل ») ثم نعته بالمحفوظ .

أفأصلُها ؟ قالَ : « نعمْ » ، وفي روايةٍ : أفأعطيها ؟ قالَ : « نعمْ ، صليها »(١) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « الصدقةُ على المساكينِ صدقةٌ ، وعلىٰ ذي الرحمِ ثنتانِ »(٢) .

ولمَّا أرادَ أبو طلحةَ أنْ يتصدَّقَ بحائطٍ لهُ كانَ يعجبُهُ ؛ عملاً بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ . . قالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ هوَ في سبيلِ اللهِ والفقراءِ والمساكينِ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « وجبَ أجرُكَ ، فاقسمْهُ في أقاربِكَ »(٣) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « أفضلُ الصدقةِ علىٰ ذي الرحمِ الكاشحِ »(٤) ، وهوَ في معنىٰ قولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « أفضلُ الفضائلِ أنْ تصلَ مَنْ قطعَكَ ، وتعطيَ مَنْ حرمَكَ ، وتصفحَ عمَّنْ ظلمَكَ »(٥) .

---

(١) رواه البخاري (٣١٨٣) ، ومسلم (١٠٠٣) ، والرواية الثانية عند البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٤/ ١٩١) .

(٢) رواه الترمذي (٦٥٨) ، والنسائي (٥/ ٩٢) ، وابن ماجه (١٨٤٤) .

(٣) رواه البخاري (١٤٦١) ، وهو بلفظه عند الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٢٨٥) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٤١٦) ، والطبراني في « الكبير » (٤/ ١٣٨) ، **والكاشح** : هو الذي يضمر العداوة ويطوي عليها كشحه ، والكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي .

(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٣٨)، والطبراني في « الكبير » (٢٠/ ١٨٨)، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٢٩٥) .

ورُوِيَ أنَّ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ كتبَ إلىٰ عمَّالِهِ : (مُرُوا الأقاربَ أنْ يتزاوروا ولا يتجاوروا)⁽¹⁾ وإنَّما قالَ ذلكَ لأنَّ التجاورَ يورثُ التزاحمَ على الحقوقِ ، وربَّما يورثُ الوحشةَ وقطيعةَ الرحمِ .

* * *

---

(١) أورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٣/ ٨٨) ، كتب بذلك إلىٰ أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

حقوق الوالدَيْن والولد

لا يخفىٰ أنَّهُ إذا تأكَّدَ حقُّ القرابةِ والرحمِ فأخصُّ الأرحامِ وأمسُّها الولادةُ ، فيتضاعفُ تأكُّدُ الحقِّ فيها ، وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لنْ يجزيَ ولدٌ والدَهُ حتَّىٰ يجدَهُ مملوكاً فيشتريَهُ فيعتقَهُ »(١) .

وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « برُّ الوالدينِ أفضلُ مِنَ الصلاةِ والصدقةِ والصومِ والحجِّ والعمرةِ والجهادِ في سبيلِ اللهِ »(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أصبحَ مُرضياً لأبويهِ . . أصبحَ لهُ بابانِ مفتوحانِ إلى الجنَّةِ ، ومَنْ أمسىٰ . . فمثلُ ذلكَ ، وإنْ كانَ واحداً . . فواحدٌ ، ومَنْ أصبحَ مسخطاً لأبويهِ . . أصبحَ لهُ بابانِ مفتوحانِ إلى النارِ ، ومَنْ أمسىٰ . . مثلُ ذلكَ ، وإنْ كانَ واحداً . . فواحدٌ ، وإنْ ظَلَما ، وإنْ ظَلَما ، وإنْ ظَلَما »(٣) .

---

(١) رواه مسلم (١٥١٠) .

(٢) قال الحافظ الزبيدي في « الإتحاف » (٦/ ٣١٤) : (قال العراقي : لم أجده هكذا ، وروىٰ أبو يعلىٰ ـ في « مسنده » [٢٧٦٠] ـ والطبراني في « الصغير » [١/ ٨٠] و« الأوسط » (٢٩٣٦) من حديث أنس : أتىٰ رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه ، قال : « هل بقي من والديك أحد ؟ » قال : أمي ، قال : « قابل الله في برها ، فإذا فعلت ذلك . . فأنت حاج ومعتمر ومجاهد » وإسناده حسن) .

(٣) رواه هناد في « الزهد » (٩٩٣) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٥٣٨) ، ونحوه عند البخاري في « الأدب المفرد » (٧) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ الجنَّةَ يُوجدُ ريحُها مِنْ مسيرةِ خمسِ مئةِ عامٍ ، ولا يجدُ ريحَها عاقٌّ ولا قاطعُ رحمٍ »(١) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « بِرَّ أمَّكَ وأباكَ ، وأختكَ وأخاكَ ، ثمَّ أدناكَ فأدناكَ »(٢) .

ويُروىٰ أنَّ اللهَ تعالىٰ قالَ لموسىٰ عليهِ السلامُ : يا موسىٰ ؛ إنَّهُ مَنْ برَّ والديه وعقَّني . . كتبتُهُ بارّاً ، ومَنْ برَّني وعقَّ والديهِ . . كتبتُهُ عاقّاً .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « أكبرُ الكبائرِ الإشراكُ باللهِ وعقوقُ الوالدينِ »(٣) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « لا يدخلُ الجنَّةَ مدمنُ خمرٍ ، ولا عاقٌّ لوالديهِ ، ولا منَّانٌ »(٤) .

وقيلَ : لمَّا دخلَ يعقوبُ علىٰ يوسفَ عليهما السلامُ . . لمْ يقمْ لهُ ، فأوحى اللهُ تعالىٰ إليهِ : أتتعاظمُ أنْ تقومَ لأبيكَ ؟! وعزَّتي وجلالي ؛ لا أخرجْتُ مِنْ صلبِكَ نبيّاً .

---

(١) رواه الطبراني في « الصغير » (١/ ١٤٥) من حديث أبي هريرة ، وليس فيه ذكر القاطع ، وهي في « الأوسط » (٥٦٦٠) من حديث جابر ، إلا أنه قال : « ألف عام » .

(٢) رواه النسائي (٥/ ٦١) ضمن حديث ، وهو عند أحمد في « المسند » (٢/ ٢٢٦) مفرداً من حديث أبي رمثة رضي الله عنه ، وفي (أ) بزيادة (برَّ) أوَّلَه ، وليست في الحديث .

(٣) هـٰذا الحديث والذي يليه زيادة من (أ) ، والحديث رواه البخاري (٦٩١٩) ، ومسلم (٨٧) .

(٤) رواه الطبراني في « الأوسط » (٢٣٥٦) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ما علىٰ أحدٍ إذا أرادَ أنْ يتصدَّقَ بصدقةٍ أنْ يجعلَها لوالديهِ إذا كانا مسلمينِ ، فيكونَ لوالديهِ أجرُها ويكونَ لهُ مثلُ أجورِهما مِنْ غيرِ أنْ ينقصَ مِنْ أجورِهما شيءٌ »(١) .

وقالَ مالكُ بنُ ربيعةَ : بينما نحنُ عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذْ جاءَهُ رجلٌ مِنْ بني سَلِمةَ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ هلْ بقيَ عليَّ منْ برِّ أبويَّ شيءٌ أبرُّهُما بهِ بعدَ وفاتِهِما ؟ قالَ : « نعمِ ، الصلاةُ عليهِما ، والاستغفارُ لهما ، وإنفاذُ عهدِهِما ، وإكرامُ صديقِهِما ، وصلةُ الرحمِ التي لا تُوصلُ إلا بهما »(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ مِنْ أبرِّ البرِّ أنْ يصلَ الرجلُ أهلَ وُدِّ أبيهِ بعدَ أنْ يولِّيَ الأبُ »(٣) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « برُّ الوالدةِ على الوالدِ ضعفانِ »(٤) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « دعوةُ الوالدةِ أسرعُ إجابةً » ، قيلَ :

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠٧/٥٣) .

(٢) رواه أبو داوود (٥١٤٢) ، وابن ماجه (٣٦٦٤) .

(٣) رواه مسلم (٢٥٥٢) ، وابن حبان في « صحيحه » (٤٣١) دون قوله أخيراً: (الأب) .

(٤) الذي رواه البخاري (٥٩٧١) ، ومسلم (٢٥٤٨) مرفوعاً عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : « أمُّك » ، قال : ثم مَنْ ؟ قال : « ثم أمُّك » ، قال : ثم مَنْ ؟ قال : « ثم أمُّك » ، قال : ثم مَنْ ؟ قالَ : « ثمَّ أبوكَ » .

يا رسولَ اللهِ ؛ ولِمَ ذاكَ ؟ قالَ : « هيَ أرحمُ مِنَ الأبِ ، ودعوةُ الرحِمِ لا تسقطُ »(١) .

وسألَهُ رجلٌ فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ مَنْ أبرُّ ؟ فقالَ : « بِرَّ والديكَ » ، فقالَ : ليسَ لي والدانِ ، فقالَ : « برَّ ولدَكَ ، كما أنَّ لوالديكَ عليكَ حقّاً . . كذلكَ لولدِكَ عليكَ حقٌّ »(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رحمَ اللهُ والداً أعانَ ولدَهُ علىٰ برِّهِ »(٣)

---

(١) قال الحافظ العراقي : (لم أقف له علىٰ أصل) . « إتحاف » (٦/ ٣١٦) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « العيال » (١٥١) من حديث عمران بن عبد الله الخزاعي مرسلاً وليس فيه : « كما أن لوالديك . . . » ، وقال الحافظ العراقي : (رواه النوقاتي في كتاب « معاشرة الأهلين » من حديث عثمان بن عفان دون قوله : « فكما أن لوالديك . . . » ، وهـٰذه القطعة رواها الطبراني من حديث ابن عمر ، قال الدارقطني في « العلل » (١٢/ ٤١١) : إن الأصح وقفه على ابن عمر) . « إتحاف » (٦/ ٣١٦) .

وعند مسلم (١١٥٩) في رواية من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : « وإن لولدك عليك حقاً » ، قال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » (٨/ ٤٣) : (فيه أن على الأب تأديب ولده وتعليمه ما يحتاج إليه من وظائف الدين ، وهـٰذا التعليم واجب على الأب وسائر الأولياء قبل بلوغ الصبي والصبية ، نص عليه الشافعي وأصحابه ، قال الشافعي وأصحابه : وعلى الأمهات أيضاً هـٰذا التعليم إذا لم يكن أب ؛ لأنه من باب التربية ، ولهن مدخل في ذلك ، وأجرة هـٰذا التعليم من مال الصبي ، فإن لم يكن له مال . . فعلىٰ من تلزمه نفقته ؛ لأنه مما يحتاج إليه) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٥٩٢٤) ، وهناد في « الزهد » (٩٩٥) عن الشعبي مرسلاً ، ووصله من حديثه السلميُّ في « آداب الصحبة » (١٣٧) من طريق آل البيت عن علي كرم الله وجهه .

أيْ : لمْ يحملْهُ على العقوقِ بسوءِ عملِهِ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ساووا بينَ أولادِكُمْ في العطيَّةِ »(١) .

وقدْ قيلَ : (ولدُكَ ريحانتُكَ سبعاً ، وخادمُكَ سبعاً ، ثمَّ هوَ عدوُّكَ أوْ شريكُكَ)(٢) .

وقالَ أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « الغلامُ يُعقُّ عنهُ يومَ السابعِ ويُسمَّىٰ ويُماطُ عنهُ الأذىٰ ، فإذا بلغَ ست سنينَ . . أُدِّبَ ، فإذا بلغَ تسعَ سنينَ . . عُزِلَ فراشُهُ ، فإذا بلغَ ثلاثَ عشرةَ سنةً . . ضُربَ على الصلاةِ ، فإذا بلغَ ستَ عشرةَ سنةً . . زوَّجَهُ أبوهُ ، ثمَّ أخذَ بيدِهِ وقالَ : قدْ أدبْتُكَ وعلَّمْتُكَ وأنكحتُكَ ، أعوذُ باللهِ مِنْ فتنتِكَ في الدنيا وعذابِكَ في الآخرةِ »(٣) .

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » (١١/ ٣٥٤) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٦/ ١٧٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً ، وروى البخاري (٢٥٨٧) مرفوعاً : « اعدلوا بين أولادكم » .

(٢) أورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٣/ ٩٤) ، ومعنىٰ (**ريحانتك سبعاً**) : هو بمنزلة الريحان تشمه وتحبه سبع سنين ؛ كما روى الترمذي (١٩١٠) عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو محتضن أحد ابني ابنته وهو يقول : « إنكم لتبخِّلون وتجبّنون وتجهّلون ، وإنكم لمن ريحان الله » .

(٣) قال الحافظ العراقي : (رواه أبو الشيخ في كتاب « الضحايا والعقيقة » ، إلا أنه قال : « وأدبوه لسبع وزوجوه لسبع عشرة » ، ولم يذكر الصوم ، وفي إسناده من لم يسم) . « إتحاف » (٦/ ٣١٧) ، وجمل الحديث متوازعة في كتب السنة .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مِنْ حقِّ الولدِ على الوالدِ أنْ يحسنَ أدبَهُ ، ويحسنَ اسمَهُ »⁽¹⁾ .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « كلُّ غلامٍ رهينٌ ـ أوْ رهينةٌ ـ بعقيقتِهِ ، تُذبحُ عنهُ يومَ السابعِ ، ويُحلقُ رأسُهُ »⁽²⁾ .

وقالَ قتادةُ : (إذا ذُبحَتِ العقيقةُ . . أُخذَتْ صوفةٌ منها فاستُقبلَتْ بها أوداجُها ، ثمَّ تُوضعُ علىٰ يافوخِ الصبيِّ حتَّىٰ يسيلَ منهُ مثلُ الخيطِ ، ثمَّ يُغسلُ رأسُهُ ويُحلقُ بعدَهُ)⁽³⁾ .

وجاءَ رجلٌ إلىٰ عبدِ اللهِ بنِ المباركِ ، فشكا إليهِ بعضَ ولدِهِ ، فقالَ : هلْ دعوتَ عليهِ ؟ قالَ : نعمْ ، قالَ : أنتَ أفسدتَهُ .

ويُستحبُ الرفْقُ بالولدِ ، رأى الأقرعُ بنُ حابسٍ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهوَ يقبِّلُ ولدَهُ الحسنَ ، فقالَ : إنَّ لي عشرةً مِنَ الولدِ ما قبَّلْتُ واحداً منهُمْ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إنَّ مَنْ لا يرحمُ . . لا يُرحمُ »⁽⁴⁾ .

---

(1) رواه البيهقي في « الشعب » (٨٢٩١ ، ٨٣٠٠) من حديث ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم .

(2) رواه أبو داوود (٢٨٣٧) ، والترمذي (١٥٢٢) ، والنسائي (٧/ ١٦٦) ، وابن ماجه (٣١٦٥) .

(3) رواه أبو داوود (٢٨٣٧) تتمة الحديث السابق ، وقتادة أحد رواته ، والتدمية مكروهة عند الجمهور ، ورأوا مكانها التضمخ بالخَلوق والزعفران ، وممن ذهب إليها من الشافعية الإمام الماوردي ، وكلام المصنف يشير إلىٰ هـٰذا أيضاً . انظر « طرح التثريب » (٥/ ٢١٥ـ٢١٦) .

(4) رواه البخاري (٥٩٩٧) ، ومسلم (٢٣١٨) .

وقالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : قالَ لي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يوماً : « اغسلي وجهَ أسامةَ » ، فجعلتُ أغسلُهُ وأنا أتقيهِ ، فضربَ يدي ، ثمَّ أخذَهُ فغسلَ وجهَهُ ، ثمَّ قبَّلَهُ ، ثمَّ قالَ : « قدْ أحسنَ بنا إذْ لمْ يكنْ جاريةً »(١) .

وتعثَّرَ الحسنُ والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ منبرِهِ ، فنزلَ ، فحملَهُ ، وقرأَ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾(٢) .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ شدَّادٍ : بينَما رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يصلِّي بالناسِ . . إذْ جاءهُ الحسنُ ، فركبَ عنقَهُ وهوَ ساجدٌ ، فأطالَ السجودَ بالناسِ حتَّىٰ ظنُّوا أنَّهُ قدْ حدثَ أمرٌ ، فلمَّا قضىٰ صلاتَهُ . . قالوا : قدْ أطلتَ

---

(١) رواه ابن ماجه (١٩٧٦) ولفظه عنها رضي الله عنها : عثر أسامة بعتبة الباب فشُجَّ في وجهه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أميطي عنه الأذىٰ » ، فتقذَّرته ، فجعل يمصُّ عنه الدم ويمجُّه عن وجهه ، ثم قال : « لو كان أسامة جارية . . لحليته وكسوته حتىٰ أنفِّقه » ، ورواه ابن راهويه في « مسنده » (١٧٧٥) بنحو لفظ المصنف ، وفيه : أصاب وجه أسامة شيء فدمي ، فغسلت وجهه ، فمسحه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقميصه وقال : « أحسن الله بنا إذ لم يكن جارية » ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نظر إلىٰ وجه أسامة بعد موت أبيه . . بكىٰ . وفي (ب) : (وأنا آنفُهُ) ، وفي هامشها : (نسخة : أتعيَّبُهُ) .

(٢) رواه أبو داوود (١١٠٩) ، والترمذي (٣٧٧٤) ، والنسائي (٣/ ١٠٨) ، وابن ماجه (٣٦٠٠) ، من حديث بريدة ، ولفظه : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان ، فنزل ، فأخذهما ، فصعد بهما المنبر ثم قال : « صدق الله ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ ، رأيت هـٰذين فلم أصبر » ، ثم أخذ في الخطبة .

السجودَ يا رسولَ اللهِ حتَّىٰ ظننَّا أنَّهُ قدْ حدثَ أمرٌ ! فقالَ : « إنَّ ابني قدِ ارتحلَني ، فكرهتُ أنْ أعجلَهُ حتَّىٰ يقضيَ حاجَتَهُ »[1] .

وفي ذلك فوائدُ :

إحداها : القربُ منَ اللهِ تعالىٰ ، فإنَّ العبدَ أقربُ ما يكونُ منَ اللهِ تعالىٰ إذا كانَ ساجداً .

وفيه : الرفقُ بالولدِ ، والبرُّ ، وتعليمٌ لأمتِهِ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ريحُ الولدِ مِنْ ريحِ الجنَّةِ »[2] .

وقالَ يزيدُ بنُ معاويةَ : أرسلَ أبي إلى الأحنفِ بنِ قيسٍ ، فلمَّا صارَ إليهِ .. قالَ لهُ : يا أبا بحرٍ ؛ ما تقولُ في الولدِ ؟ قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ثمارُ قلوبِنا ، وعمادُ ظهورِنا ، ونحنُ لهُمْ أرضٌ ذليلةٌ ، وسماءٌ ظليلةٌ ، وبهِمْ نصولُ علىٰ كلِّ جليلةٍ ، فإنْ طلبوا .. فأعطِهِمْ ، وإنْ غضبوا .. فأرضِهِمْ يمنحوكَ وُدَّهُمْ ، ويحبُّوكَ جهدَهُمْ ، ولا تكنْ عليهِمْ ثقلاً ثقيلاً فيملُّوا حياتَكَ ، ويحبُّوا وفاتَكَ ، ويكرهوا قربَكَ ، فقالَ لهُ معاويةُ : للهِ أنتَ يا أحنفُ ! لقدْ دخلتَ عليَّ وأنا مملوءٌ غضباً وغيظاً علىٰ يزيدَ ، فلمَّا خرجَ الأحنفُ مِنْ عندِهِ .. رضيَ عنْ يزيدَ ، وبعثَ إليهِ بمئتي ألفِ درهمٍ ، ومئتي

---

(١) رواه النسائي (٢/ ٢٢٩) عن عبد الله بن شداد عن أبيه ، شك بين الحسن والحسين رضي الله عنهما .

(٢) رواه الطبراني في « الصغير » (٢/ ٢١) ، و« الأوسط » (٥٨٥٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

ثوبٍ ، فأرسلَ يزيدُ إلى الأحنفِ بمئةِ ألفِ درهمٍ ، ومئةِ ثوبٍ ، فقاسمَهُ إيَّاها على الشطرِ(١) .

فهٰذهِ هيَ الأخبارُ الدالَّةُ علىٰ تأكُّدِ حقِّ الوالدينِ ، وكيفيةُ القيامِ بحقِّهِما تُعرفُ ممَّا ذكرناهُ في حقِّ الأخوَّةِ ؛ فإنَّ هٰذهِ الرابطةَ آكدُ مِنَ الأخوَّةِ ، بلْ يزيدُ هٰهنا أمرانِ :

أحدُهما : أنَّ أكثرَ العلماءِ علىٰ أنَّ طاعةَ الأبوينِ واجبةٌ في الشبهاتِ وإنْ لمْ تجبْ في الحرامِ المحضِ ، حتَّىٰ إذا كانا يتنغصانِ بانفرادِكَ عنهُما بالطعامِ . . فعليكَ أنْ تأكلَ معَهُما ؛ لأنَّ تركَ الشبهةِ ورعٌ ، ورضا الوالدينِ حتمٌ .

وكذلكَ ليسَ لكَ أنْ تسافرَ في مباحٍ أوْ نافلةٍ إلا بإذنِهِما ، والمبادرةُ إلى الحجِّ الذي هوَ فرضُ الإسلامِ نفلٌ ؛ لأنَّهُ على التأخيرِ ، والخروجُ لطلبِ العلمِ نفلٌ إلا إذا كنتَ تطلبُ علمَ الفرضِ مِنَ الصلاةِ والصومِ ولمْ يكنْ في بلدِكَ مَنْ يعلِّمُكَ ، وذلكَ كمَنْ يُسْلِمُ ابتداءً في بلدٍ ليسَ فيها مَنْ يعلِّمُهُ شرْعَ الإسلامِ ، فعليهِ الهجرةُ ، ولا يتقيَّدُ بحقِّ الوالدينِ .

قالَ أبو سعيدٍ الخدريُّ : هاجرَ رجلٌ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِن اليمنِ وأرادَ الجهادَ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « هلْ باليمنِ أبواكَ؟» قالَ : نعمْ ، قالَ : « هلْ أذِنا لكَ ؟ » فقالَ : لا ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « فارجعْ إلىٰ أبويكَ فاستأذنْهُما ، فإنْ فعلا . . فجاهدْ ، وإلا . .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « العيال » (١٥٢) ، ونحوه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص١٩١) .

فبِرَّهُما ما استطعتَ ؛ فإنَّ ذلكَ خيرُ ما تلقى اللهَ بِهِ بعدَ التوحيدِ »(١) .

وجاءَ آخرُ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يستشيرُهُ في الغزوِ ، فقالَ : « ألكَ والدةٌ ؟ » قالَ : نعمْ ، قالَ : « فالزمْها ؛ فإنَّ الجنَّةَ تحتَ رجليها »(٢) .

وجاءَ آخرُ وطلبَ البيعةَ على الهجرةِ ، وقالَ : ما جئتُكَ حتَّىٰ أبكيتُ والديَّ ، فقالَ : « ارجعْ إليهِما فأضحكْهُما كما أبْكيتَهُما »(٣) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « حقُّ كبيرِ الإخوةِ علىٰ صغيرِهِمْ كحقِّ الوالدِ علىٰ ولدِهِ »(٤) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إذا استصعبَتْ علىٰ أحدِكُمْ دابَّتُهُ ، أوْ ساءَ خلقُ زوجتِهِ أوْ أحدٌ مِنْ أهلِ بيتِهِ . . فليؤذِّنْ في أذنِهِ »(٥) .

* * *

---

(١) رواه أبو داوود (٢٥٣٠) إلىٰ قوله : « وإلا . . فبرَّهُما » ، وعند البخاري (٣٠٠٤) ، ومسلم (٢٥٤٩) من حديث عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد ، فقال : « أحيٌّ والداك ؟ » قال : نعم ، قال : « ففيهما فجاهد » .

(٢) رواه النسائي (٦/ ١١) ، وابن ماجه (٢٧٨١) .

(٣) رواه أبو داوود (٢٥٢٨) ، والنسائي (٧/ ١٤٣) ، وابن ماجه (٢٧٨٢) .

(٤) رواه أبو داوود في « المراسيل » (٤٨٣) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٥٥٣) من حديث سعيد بن العاص مرسلاً ، ورواه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (١/ ١٥٨) من حديث أبي هريرة مرفوعاً .

(٥) قال الحافظ العراقي : (رواه الديلمي في « مسند الفردوس » من حديث الحسين بن علي بن أبي طالب بسند ضعيف نحوه) . « إتحاف » (٦/ ٣٢٢) .

حقوق المملوك

اعلمْ : أنَّ ملكَ النكاحِ قدْ سبقَ ذكرُ حقوقِهِ في آدابِ النكاحِ .

فأمَّا ملكُ اليمينِ . . فهوَ أيضاً يقتضي حقوقاً في المعاشرةِ لا بدَّ مِنْ مراعاتِها .

فقدْ كانَ مِنْ آخرِ ما أوصىٰ بهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنْ قالَ : « اتقوا اللهَ فيما ملكَتْ أيمانُكُم ، أطعموهُمْ ممَّا تأكلونَ ، واكسوهُمْ ممَّا تلبسُونَ ، ولا تكلِّفُوهُمْ مِنَ العملِ ما لا يطيقونَ ، فما أحببتُمْ . . فأمسكوا ، وما كرهتُمْ . . فبيعُوا ، ولا تعذِّبوا خلقَ اللهِ ، فإنَّ اللهَ سبحانَهُ ملَّكَكُمْ إيَّاهُمْ ، ولوْ شاءَ . . لملَّكَهُمْ إيَّاكُمْ »(١) .

---

(١) قال الحافظ العراقي : (هو مفرق في عدة أحاديث ، فروىٰ أبو داوود [٥١٥٦] من حديث علي : كان آخر كلامِ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصلاة الصلاة ، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم » ، وفي « الصحيحين » من حديث أنس : كان آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت : « الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم » ، ولهما ـ البخاري [٣٠] ، ومسلم [١٦٦١] ـ من حديث أبي ذر : « أطعموهم مما تأكلون ، واكسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم . . فأعينوهم » لفظ رواية لمسلم ، وفي رواية أبي داوود [٥١٦١] : « من لاءمكم من مملوكيكم . . فأطعموهم مما تأكلون ، واكسوهم مما تلبسون ، ومن لم يلائمكم منهم . . فبيعوه ، ولا تعذبوا خلق الله تعالىٰ » ، وإسناده صحيح) . « إتحاف » (٦/ ٣٢٣) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « للمملوكِ طعامُهُ وكسوتُهُ بالمعروفِ ، ولا يكلَّفُ مِنَ العملِ ما لا يطيقُ »(١) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « لا يدخلُ الجنَّةَ خِبٌّ ، ولا متكبِّرٌ ، ولا خائنٌ ، ولا سيِّءُ المَلَكَةِ »(٢) .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ : جاءَ رجلٌ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ كمْ نعفو عنِ الخادمِ ؟ فصمتَ عنهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ثمَّ قالَ : « اعفُ عنهُ في كلِّ يومٍ سبعينَ مرَّةً »(٣) .

وكانَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ يذهبُ إلى العوالي كلَّ يومِ سبتٍ ، فإذا وجدَ عبداً في عملٍ لا يطيقُهُ . . وضعَ عنهُ منهُ(٤) .

ويُروىٰ عنْ أبي هريرةَ أنَّهُ رأىٰ رجلاً علىٰ دابَّتِهِ وغلامُهُ يسعىٰ خلفَهُ ، فقالَ لهُ : يا عبدَ اللهِ ؛ احملْهُ ، فإنَّما هوَ أخوكَ ، روحُهُ مثلُ روحِكَ ،

---

(١) رواه مسلم (١٦٦٢) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٤) ، واقتصر الترمذي (١٩٤٦) ، وابن ماجه (٣٦٩١) علىٰ (سيء الملكة) ، وقوله : (**سيء الملكة**) أي : يسيءُ السيرة مع من يملكه . **والخِبُّ** بالكسر : الخدَّاع . وليس لفظ (متكبر) عندهم .

(٣) رواه أبو داوود (٥١٦٤) ، والترمذي (١٩٤٩) .

(٤) هو عند مالك في « الموطأ » (٢/ ٩٨٠) بلاغاً ، **والعوالي** : موضع بقرب المدينة ، به نخيل وزراعة ، كأنه جمع عالية ، ومعنىٰ (**عنه منه**) : خففه عليه بأن يعينه بنفسه في عمله . « إتحاف » (٦/ ٣٢٤) .

فحملَهُ ، ثمَّ قالَ : (لا يزالُ العبدُ يزدادُ مِنَ اللهِ بُعداً ما مشىٰ خلفَهُ)(١) .

وقالَتْ جاريةٌ لأبي الدرداءِ : إنِّي سمَّمْتُكَ منذُ سنةٍ ، وما عملَ فيكَ شيئاً ، فقالَ : لِمَ فعلتِ ذلكَ ؟ فقالتْ : أردتُ الراحةَ منكَ ، فقالَ : اذهبي فأنتِ حرَّةٌ لوجهِ اللهِ .

وقالَ الزهريُّ : (متىٰ قلتُ للمملوكِ : أخزاكَ اللهُ . . فهوَ حرٌّ)(٢) .

وقيلَ للأحنفِ بنِ قيسٍ : ممَّنْ تعلَّمْتَ الحلمَ ؟ قالَ : مِنْ قيسِ بنِ عاصمٍ ، قيلَ : فما بلغَ منْ حلمِهِ ؟ قالَ : بينما هوَ جالسٌ في دارِهِ . . إذْ أتتْهُ خادمةٌ لهُ بسَفُّودٍ عليهِ شواءٌ ، فسقطَ السَّفُّودُ مِنْ يدِها على ابنٍ لهُ ، فعقرَهُ فماتَ ، فدهشَتِ الجاريةُ ، فقالَ : ليسَ يسكنُ روعَ هـٰذهِ الجاريةِ إلا العتقُ ، فقالَ لها : أنتِ حرَّةٌ لا بأسَ عليكِ(٣) .

وكانَ عونُ بنُ عبدِ اللهِ إذا عصاهُ غلامُهُ . . قالَ : ما أشبهَكَ بمولاكَ ، مولاكَ يعصي مولاهُ ، وأنتَ تعصي مولاكَ .

وأغضبَهُ يوماً ، فقالَ : إنَّما تريدُ أنْ أضربَكَ ، اذهبْ فأنتَ حرٌّ(٤) .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٢١) من كلام أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٢) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٩/ ٤٤٧) عن الشعبي رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أورده القشيري في « رسالته » (ص٤١١) ، والسَّفُّود : الحديد الذي يُشوىٰ عليه اللحم .

(٤) رواه ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص١٣٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٠/ ١٧) .

وكانَ عندَ ميمونِ بنِ مهرانَ ضيفٌ ، فاستعجلَ علىٰ جاريتِهِ بالعَشاءِ ، فجاءَتْ مسرعةً ومعها قصعةٌ مملوءةٌ ، فعثرَتْ فأراقتْها علىٰ رأسِ سيِّدِها ميمونٍ ، فقالَ : يا جاريةُ ؛ أحرقتِني ، قالتْ : يا معلِّمَ الخيرِ ، ومؤدِّبَ الناسِ ؛ ارجعْ إلىٰ ما قالَ اللهُ تعالىٰ ، قالَ : وما قالَ الله تعالىٰ ؟ قالَتْ : ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ ، قالَ : قدْ كظمتُ غيظي ، قالتْ : ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ ، قالَ : قدْ عفوتُ عنكِ ، قالَتْ : زدْ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ، قالَ : أنتِ حرَّةٌ لوجهِ اللهِ⁽¹⁾ .

وقالَ ابنُ المنكدرِ : إنَّ رجلاً مِنْ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ضربَ عبداً لهُ ، فجعلَ العبدُ يقولُ : أسألُكَ باللهِ ، أسألُكَ بوجهِ اللهِ ، فلمْ يعفِهِ ، فسمعَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ صياحَ العبدِ ، فانطلقَ إليهِ ، فلمَّا رأىٰ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أمسكَ يدَهُ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « سألَكَ بوجهِ اللهِ فلمْ تعفِهِ ، فلمَّا رأيتَني أمسكتَ يدكَ ؟! قالَ : فإنَّهُ حرٌّ لوجهِ اللهِ يا رسولَ اللهِ ، فقالَ : « لوْ لمْ تفعلْ . . لسفعَتْ وجهَكَ النارُ »⁽²⁾ .

---

(1) رویٰ نحوه البيهقي في « الشعب » (٧٩٦٤) عن علي بن الحسين رضي الله عنهما .

(2) عزاه الحافظ العراقي لابن المبارك في « الزهد » عن محمد بن المنكدر مرسلاً ، ورواه مسلم (١٦٥٩) مرفوعاً عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أنه كان يضرب غلامه ، فجعل يقول : أعوذ بالله ، قال : فجعل يضربه ، فقال : أعوذ برسول الله ، فتركه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والله ، لله أقدر عليك منك عليه » ، قال : فأعتقه . وسيأتي قريباً .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « العبدُ إذا نصحَ لسيِّدِهِ وأحسنَ عبادةَ اللهِ . . فلهُ أجرُهُ مرَّتينِ »(١) .

ولمَّا أُعتقَ أبو رافعٍ . . بكىٰ وقالَ : (كانَ لي أجرانِ ، فذهبَ أحدُهُما)(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « عُرِضَ عليَّ أوَّلُ ثلاثةٍ يدخلونَ الجنَّةَ ، وأوَّلُ ثلاثةٍ يدخلونَ النارَ ؛ فأمَّا أوَّلُ ثلاثةٍ يدخلونَ الجنَّةَ : فالشهيدُ ، وعبدٌ مملوكٌ أحسنَ عبادةَ ربِّهِ ونصحَ لسيِّدِهِ ، وعفيفٌ متعفِّفٌ ذو عيالٍ ، وأوَّلُ ثلاثةٍ يدخلونَ النارَ : أميرٌ مسلَّطٌ ، وذو ثروةٍ لا يُعطِي حقَّ اللهِ ، وفقيرٌ فخورٌ »(٣) .

وعنْ أبي مسعودٍ الأنصاريِّ قالَ : بينا أنا أضربُ غلاماً لي . . إذْ سمعتُ صوتاً مِنْ خلفي : « اعلمْ أبا مسعودٍ مرتينِ ، فالتفتُّ ، فإذا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فألقيتُ السوطَ مِنْ يدي ، فقالَ : « واللهِ ؛ للهُ أقدرُ عليكَ منكَ علىٰ هٰذا »(٤) .

---

(١) رواه البخاري (٢٥٤٦) ، ومسلم (١٦٦٤) .

(٢) حكاه عنه النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » (٤٨٩/٢) ، وكان أعتقه صلى الله عليه وسلم يومَ بشَّرَهُ بإسلامِ العباس رضي الله عنه .

(٣) رواه الترمذي (١٦٤٢) ولم يذكر الثلاثة الأخيرة ، وبتمامه ابن حبان في « صحيحه » (٤٦٥٦) .

(٤) رواه مسلم (١٦٥٩) ، وقد تقدم قريباً تعليقاً .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إذا ابتاعَ أحدُكُمُ الخادمَ . . فليكنْ أوَّلُ شيءٍ يطعمُهُ الحلوَ ؛ فإنَّهُ أطيبُ لنفسِهِ » رواهُ معاذٌ(١) .

وقالَ أبو هريرةَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إذا أتىٰ أحدَكُمْ خادمُهُ بطعامِهِ . . فليجلسْهُ ، وليأكلْ معهُ ، فإنْ لمْ يفعلْ . . فليناولْهُ » .

وفي روايةٍ : « إذا كفىٰ أحدَكُمْ مملوكُهُ صنعةَ طعامِهِ ، فكفاهُ حرَّهُ ومؤنتَهُ ، وقرَّبَهُ إليهِ . . فليجلسْهُ ، وليأكلْ معَهُ ، فإنْ لم يفعلْ . . فليناوِلْهُ ، أوْ ليأخذْ أكلةً فليروِّغْها ـ وأشارَ بيدِهِ ـ وليضعْها في يدِهِ وليقلْ : كُلْ هـٰذِهِ »(٢) .

ودخلَ علىٰ سلمانَ رجلٌ وهوَ يعجنُ ، فقالَ : يا أبا عبدِ اللهِ(٣) ؛ ما هـٰذا ؟ قالَ : بعثنا الخادمَ في شغلٍ ، فكرهْنا أنْ نجمعَ عليهِ عملينِ(٤) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ كانَتْ عندَهُ جاريةٌ ، فعالَها وأحسنَ

---

(١) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٥١٢) .

(٢) الحديث بلفظ المصنف وروايتيه رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٥١٣ ، ٥١٤) ، وهو بنحوه عند البخاري (٢٥٥٧) ، ومسلم (١٦٦٣) ، ومعنىٰ (**فليروغها**) : يغمسها بالإدام ونحو ذلك .

(٣) هي كنية سيدنا سلمان رضي الله تعالىٰ عنه . « الإصابة » (٢/ ٦٠) .

(٤) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٣٦٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٠٠) .

إليها ، ثمَّ أعتقَها وتزوَّجَها . . فذلكَ لهُ أجرانِ »(١) .

وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كلُّكُمْ راعٍ وكلُّكُم مسؤولٌ عنْ رعيَّتِهِ »(٢) .

* * *

فجملةُ حقِّ المملوكِ : أنْ يشركَهُ في طعمتِهِ وكسوتِهِ ، ولا يكلِّفَهُ فوقَ طاقتِهِ ، ولا ينظرَ إليهِ بعينِ الكبرِ والازدراءِ .

وأنْ يعفوَ عنْ زلَّتِهِ ، ويتفكَّرَ عندَ غضبِهِ عليهِ بهفوتِهِ أوْ بجنايتِهِ في معاصيهِ ، وجنايتِهِ علىٰ حقِّ اللهِ تعالىٰ ، وتقصيرِهِ في طاعتِهِ ، معَ أنَّ قدرةَ اللهِ عليهِ فوقَ قدرتِهِ .

وروىٰ فضالةُ بنُ عبيدٍ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « ثلاثةٌ لا يُسألُ عنهُمْ :

رجلٌ فارقَ الجماعةَ ، أوْ عصىٰ إمامَهُ ، فماتَ عاصياً ، فلا يُسألُ عنهُ(٣) .

وامرأةٌ غابَ عنها زوجُها وقدْ كفاها مؤنةَ الدنيا ، فتبرَّجَتْ بعدَهُ ، فلا يُسألُ عنها » .

---

(١) رواه البخاري (٩٧ ، ٢٥٤٤) ، ومسلم (١٥٤) .

(٢) رواه البخاري (٨٩٣) ، ومسلم (١٨٢٩) .

(٣) في نسخة الحافظ الزبيدي (٦/٣٢٧) : (ورجل عصىٰ إمامه ومات عاصياً ، فلا يسأل عنهما) .

و« ثلاثةٌ لا يُسألُ عنهُمْ : رجلٌ ينازعُ اللهَ سبحانَهُ رداءَهُ ، ورداؤُهُ الكبرياءُ وإزارُهُ العزُّ ، ورجلٌ في شكٍّ منَ اللهِ ، والقَنوطُ مِنْ رحمةِ اللهِ »[1] .

* * *

تمّ كتاب آداب الصّحبة والأخوّة والمعاشرة مع أصناف الخلق
وهو الكتاب الخامس من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدّين
والحمد لله ربّ العالمين ، حمدًا دائمًا كثيرًا طيّبًا مباركًا فيه
وصلى الله على سيّدنا محمّدٍ النّبيّ العربيّ المصطفى
خيرة الله من خلقه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا
يتلوه كتاب آداب العزلة

---

(١) رواهما الطبراني في « الكبير » (١٨/٣٠٦ ، ٣٠٧) ، وابن حبان في « صحيحه » (٤٥٥٩) ، وفيهما : « وعصىٰ إمامه فمات عاصياً ، فلا يسأل عنه ، وأمة أو عبد أبق من سيده فمات . . . » وانظر « الإتحاف » (٦/٣٢٧ـ٣٢٨) .

Üçüncü Bab

İNSANLARLA BİR ARADA YAŞAMANIN ÂDÂBI

Bilmiş ol ki; insanoğlu ya tek başına olur veyâ başkaları ile bulunur. Tek başına yaşayamayacağına ve hemcinsine muhtaç olduğuna göre, insanlarla bir arada yaşamanın âdâbını öğrenmesi lâzımdır.

Her insanın, arkadaşına karşı takınacağı bir tavır ve hareketi vardır. Bu da herkesin hakkına göredir. Herkesin hakkı da yakınlık bağına göre değişir. Aradaki bağ:

1 - "Yakınlık bağı olur. Bu, en husûsî bir bağdır.

2 - "İslâm kardeşliği bağı olur ki, bu da en şümûllü olanıdır.

3 - "Komşuluk bağı olur.

4 - "Yolculuk, okul ve ders arkadaşlığı bağı olur.

5 - "Dostluk ve kardeşlik bağı olur.

Bu bağlardan her birinin ayrı ayrı dereceleri vardır. Meselâ, hısım ve akrabalık gibi yakınlığın bir hakkı var; fakat mahremiyetin hakkı daha kuvvetlidir. Mahremiyetin de husûsî bir hakkı var; fakat anne ve baba hakları daha mühimdir. Komşuluk hakkı da, aynı şekilde evin yakınlık ve uzaklığı ile değişir. Şüphesiz en büyük hak, en yakın olanın hakkıdır. Hattâ aynı memleketli olan iki kişi, hâriç memlekette komşu sayılırlar. Bunun gibi görüşüp tanışmakla Müslüman'ın hakkı da kuvvetleşir. Bu tanışmanın da dereceleri vardır. Hiç görüşmediğin bir Müslüman'ın, sende İslâmiyet hakkı vardır. Adını duyduğunda bu hak, daha da kuvvetleşir. Tanıdığın Müslüman'ın hakkı da adını duyduğun Müslüman'dan daha kuvvetlidir. Tanışmanın da dereceleri ve bu derecelere göre değişen hakları vardır. Samîmî olduğun Müslüman'ın hakkı daha da kuvvetli olur. Arkadaşlıkta da vaziyet böyledir. Yol arkadaşının sende bir hakkı var; fakat mektep ve ders arkadaşının hakkı daha kuvvetlidir. Dostluk da böyledir; kuvvetleştiği zaman kardeşliğe, daha da kuvvetleşirse sevgiye döner. Halil, habîbden daha yakındır. Muhabbet, kalbe yerleşen bir sevgidir. Hullet ise kalbin derinliklerine giren bir sevgidir. Bunun için, her halîl habibdir; fakat her habîb halîl değildir. Dostluk ve samimiyetin derecelerinin farklı oluşu, müşahede ve tecrübe ile de sabit olduğundan, meydandadır.

Hullet, uhuvvetten üstündür demek, hulletin uhuvvetten daha mükemmel olduğunu ifâde etmektir. Bu husus, Rasûl-i Ekrem'in (s.a.v.) şu mübârek sözünden kolaylıkla anlaşılmaktadır:

لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلٖيلًا وَلٰكِنْ
صَاحِبَكُمْ خَلٖيلُ اللّٰهِ

"Eğer halil edinseydim, Ebû Bekir'i halil edinirdim; fakat arkadaşınız yâni Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) *Allah'ın halilidir."*[1]

Çünkü halil demek, zâhir ve bâtın kalbinin her tarafını sevgi kaplamış demektir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in kalbini, ancak Allah sevgisi kaplamıştır. Artık bu hullet, onu ortaklıktan menetmiştir. Hâlbuki Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Hz. Ali'yi (r.a.) kardeşliğe kabul etmiş ve

عَلِيٌّ مِنّٖي بِمَنْزِلَةِ هٰرُونَ مِنْ مُوسٰى إِلَّا النُّبُوَّةَ

---

[1] 1. Buhârî ile Müslim, Ebû Saîd el-Hudrî'den rivâyet etmişlerdir.

"Hârûn, Mûsâ'ya nasıl idiyse, Ali de bana aynıdır; nübüvvet hâriç."[2] buyurmuştur. Hz. Ebû Bekir'i hulletten ayırdığı gibi, Hz. Ali'yi de nübüvvetten ayırmıştır. Hz. Ebû Bekir'i kardeşlikte Hz. Ali ile birleştirdi. Üstelik hullete liyâkat ve yakınlık bakımından onu daha ileri geçirdi. Eğer halillik, ortaklık kabul etseydi, Ebû Bekir'in buna lâyık olduğunu bildirmek üzere *"Ebû Bekir'i halil edinirdim."* buyururdu. Rasûl-i Ekrem Allahu Teâlâ'nın hem habîbi ve hem de halîlidir. Rivâvete göre Râsûl-i Ekrem bir gün hutbe îrad etmek üzere minbere çıktı ve

إِنَّ اللّٰهَ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا فَأَنَا
حَبِيبُ اللّٰهِ وَأَنَا خَلِيلُ اللّٰهِ تَعَالٰى

"Allahu Telâ beni halîl edindi. Nitekim İbrahim aleyhisselâmı da halîl edinmişti. Şimdi ben, Allahu Teâlâ'nın hem habîbi ve hem de halîliyim."[3] buyurdu.

Anlaşılıyor ki mârifetten evvel rabıta, hulletten sonra da derece yoktur. Bütün dereceler, mârifet ile hullet arasındadır. Sohbet ve kardeşliğin haklarını anlatmıştık. Muhabbet ile hullet de bunlara girer. Bu haklardaki derece farkları, muhabbet ve kardeşlikteki derece farkları nispetinde ayrılır. Hattâ son haddi, îsâr yâni arkadaşını mal ve canla kendi üzerine tercih etmesidir. Nitekim Ebû Bekir (r.a.), Rasûl-i Ekrem'e (s.a.v.) böyle davranmıştır. Ebû Bekir, hem malını ve hem de canını Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in yoluna adamıştır. (Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in bir defa Mekke'de saldırıya uğradığını duyunca oraya koştu ve kendisini siper etti. Bu defa onlar, Ebû Bekir'e dönerek bütün saçlarını yoldular. Hira mağarasında önce kendisi içeri girerek, bütün delikleri elbisesi ile kapatmıştır. Ayrıca infâk âyeti nâzil olunca, bütün servetini vermiştir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) kendisine:

---

[2] Buhârî ile Müslim, Sa'd b. Ebî Vakkas'tan rivâyet etmişlerdir.

[3] Taberânî, Ebû Umâme'den rivâyet etmiştir.

- "Ya Ebâ Bekir! Kendine ve çocuklarına ne bıraktın?" diye sorunca:

- "Allah ve Rasûlünü bıraktım." diye cevap vermiştir). Talha da (r.a.) Uhud savaşında bedeni ile Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e siper olmuştur.

Şimdi, İslâm kardeşliğinin, mahremiyetin, ana-baba, komşu ve idaresi altında bulunan kimselerin haklarından bahsedeceğiz. Karı-koca haklarını **"Nikâh Kitâbı"**nda anlatmıştık.

Müslüman Hakları

Müslüman'ın belli başlı hakları şunlardır:

- "Karşılaştığın zaman selâm vermek,

- "Dâvetine icâbet etmek,

- "Aksırdığı ve "Elhamdülillâh" dediği zaman, "Yerhamükellah" demek,

- "Hastalığında ziyâretine gitmek,

- "Öldüğü zaman cenâzesine katılmak,

- "Kendisine verilen sözde durmak,

- "Akıl danıştığı zaman, doğruyu söylemek,

- "Gıyâbında kendisini korumak,

- "Kendin için sevdiğini onun için de sevmek; kendin için hoşlanmadığını onun için de hoşlanmamak,

Bütün bunların hakkında haber ve eserler vârid olmuştur.

Enes'in (r.a.) rivâyetine göre Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

أَرْبَعٌ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْكَ: أَنْ تُعِينَ مُحْسِنَهُمْ، وَأَنْ
تَسْتَغْفِرَ لِمُذْنِبِهِمْ، وَأَنْ تَدْعُوَ لِمُدْبِرِهِمْ، وَأَنْ تُحِبَّ تَائِبَهُمْ

"Müslümanların sende dört hakkı vardır: İyilik yapanlara yardımcı olman, günâhkârlar için mağfiret dilemen, gıyâbında onlara duâ etmen ve tövbekâr olanlarını sevmendir."[4]

Abdullah b. Abbas (r.a.):

رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ

"Aralarında merhametlidirler." (Fetih suresi, 48/29) âyet-i celîlesinin mânâsında "İyileri kötülerine, kötüleri de iyilerine duâ eder." demiştir. Meselâ Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in ümmetinin sâlihleri, diğer sâlih kimseleri gördükleri zaman:

"Allahım! Bu zâta kısmet ettiğin bu hayrı, hakkında mübarek kıl ve bu iyiliklerin devâmını nasîb et. Bizi de iyiliklerinden bereketlendir." Kötü kimseleri gördüğü zaman ise:

"Allahım! Bunu hidâyete ulaştır, kusurlarını bağışla ve sürçmelerini mağfiret et." diye duâ ederler. İşte aralarındaki şefkat ve merhametleri budur." demiştir. Yine Müslümanların haklarındandır ki, kendisi için sevdiğini onlar için de sevmek, kendisi için hoşlanmadığını onlar için de hoş görmemektir. **Nûman b. Beşîr** (r.a.)[5] Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in şöyle buyurduğunu haber veriyor:

---

[4] Bu hadîsi **"Firdevs"** sahibi zikretti.

[5] Ensarın Hazreç kabîlesindendir. Rasûl-i Ekrem'in Medine'ye hicretinde, ensarda doğan ilk çocuktur. Rasûl-i Ekrem'in vefatında sekiz yaşında idi. Muâviye zamanında 9 ay kadar Küfe Valiliği yapmıştır. 63 Hicrî'de ölmüştür.

مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُدِهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا
اشْتَكٰى عُضْوٌ مِنْهُ تَدَاعٰى سَائِرُهُ بِالْحُمّٰى وَالسَّهَرِ

Mü'minlerin birbirlerine karşı sevgi ve acımaları, bir ceset gibidir. Cesedin bir uzvu rahatsız olunca bütün ceset uykusuz ve huzursuz olup, onun tedâvisi ile meşgul olduğu gibi, Müslümanlar da böyle birbirine yardıma koşmalıdır."[6]

Ebû Mûsâ el-Eş'ârî'nin (r.a.) rivâyetine göre Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

اَلْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا

"Mü'minler, birbirini bağlayıp destekleyen bir binanın tuğlaları gibidir."[7]

Sözü ve işi ile kimseye eziyet etmemek de Müslüman'ın haklarındandır. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

اَلْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ

"Müslüman, elinden ve dilinden Müslümanların emîn olduğu kimsedir."[8]

Yine fazîletleri emrettiği uzun hadîsinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur.

فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ فَدَعِ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقْتَ بِهَا
عَلٰى نَفْسِكَ

---

[6] Buhârî ile Müslim rivâyet etmişlerdir.

[7] Buhârî ile Müslim, rivâyet etmişlerdir.

[8] Buhârî ile Müslim, Abdullah b. Ömer'den rivâyet etmişlerdir.

“Şâyet iyilik yapmaya gücün yetmiyorsa, hiç olmazsa kötülük etme. Kötülük etmemek de, nefsin için verilmiş bir sadakadır.”[9]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

أَفْضَلُ الْمُسْلِمِينَ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ

“Müslümanların en efdâli, elinden ve dilinden Müslümanların emîn olduğu kimsedir.”[10] Bir başka rivâyette de Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُسْلِمُ فَقَالُوا: اَللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، قَالُوا: فَمَنِ الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: مَنْ أَمِنَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلٰى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، قَالُوا: فَمَنِ الْمُهَاجِرُ؟ قَالَ: مَنْ هَجَرَ السُّوءَ وَاجْتَنَبَهُ، قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: أَنْ تُسْلِمَ قَلْبَكَ لِلّٰهِ وَيَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ.

- “(Gerçek) *Müslüman kimdir bilir misiniz?”* buyurdu. Ashâb-ı kirâm:

- “Allah ve Rasûlü bilir.” dediler. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- “(Gerçek) *Müslüman, Müslümanların elinden ve dilinden emîn olduğu kimsedir.”* buyurdu. Ashâb-ı kirâm:

- “Ya Rasûlallah! Mü’min kimdir?” diye sordular. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

[9] Buhârî ile Müslim, Ebû Zer’den rivâyet etmişlerdir.

[10] Buhârî ile Müslim, Ebû Mûsâ’dan rivâyet ethıişlerdir.

- "(Gerçek) *mü'min, mü'minlerin mal ve canlarını kendisine emniyet ettikleri kimsedir."* buyurdu. Ashâb-ı kirâm:

- "Muhacir (hicret eden) kimdir?" diye sordular. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Kötülükleri terk edip onlardan uzaklaşan kimsedir."* buyurdu.

Bir başkası da:

- "İslâm nedir?" diye sordu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Kalbin, Allah için selâmet bulup, Müslümanların da dilinden ve elinden selâmet bulmalarıdır."* buyurdu.[11]

Mücâhid anlatıyor: Cehennem halkı öyle şiddetli uyuz hastalığına yakalanırlar ki, bütün etleri kemiklerinden sıyrılır. Bunlara:

- "Bu hastalıktan rahatsız oluyor musunuz?" diye sorduklarında onlar:

- "Evet." diye cevap verirler. Kendilerine:

- "İşte bu, dünyada mü'minlere verdiğiniz eziyetin cezâsıdır." denilir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا فِي الْجَنَّةِ يَتَقَلَّبُ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا عَن
ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ

"Adamın birini, insanların gelip geçmelerine mâni olan bir ağacı yoldan kaldırıp attığı için cennet içerisinde zevk ve safâda gördüm."[12] buyurmuştur.

---

[11] Taberânî ve Hâkim, Fudâle'den rivâyet etmişlerdir. Hâkim, "sahih" olduğunu söylemiştir.

[12] Müslim, Ebû Hüreyre'den rivâyet etmiştir.

Ebû Hüreyre (r.a.) diyor ki: Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e:

- "Ya Rasûlallah! Bana faydalı olacak bir ameli öğretir misin?" dedim. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اِعْزِلِ الْأَذٰى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ

"Müslümanlara eziyet verecek şeyleri yollardan kaldır."[13] buyurdu. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

مَنْ زَحْزَحَ عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا يُؤْذِيهِمْ كَتَبَ اللّٰهُ لَهُ بِهَا
حَسَنَةً، وَمَنْ كَتَبَ اللّٰهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً أَوْجَبَ لَهُ بِهَا الْجَنَّةَ

"Müslümanlara eziyet veren şeyi yoldan kaldırıp atan kimseye Allahu Teâlâ bir hasene yazar. Her kime ki Allahu Teâlâ bir hasene yazarsa, o hasene sâyesinde onu cennete koyar."[14]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا

"Müslüman'ı korkutmak, Müslüman'a helâl olmaz." buyurmuştur.

Diğer hadîste şöyle buyurulmuştur:

لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُشِيرَ إِلٰى أَخِيهِ بِنَظْرَةٍ تُؤْذِيهِ

"Eziyet veren bir bakışla Müslüman'a işaret etmek, Müslüman için helâl olmaz."[15]

---

[13] Müslim, Ebû Berze'den rivâyet etmiştir.

[14] Ahmed b. Hanbel, Ebû'd-Derdâ'dan rivâyet etmiştir.

[15] İbn Mübarek **"Zühd"**ünde Hamza b. Ubeyd'den mürsel olarak rivâyet etmistir.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ اللّٰهَ يَكْرَهُ أَذَى الْمُؤْمِنِينَ

"Allahu Teâlâ, mü'minlere eziyeti kerîh görür."[16] buyurmuştur.

Rebî b. el-Haysem: "İnsanlar iki sınıftır: Bir kısmı mü'mindir, ona eziyet etme. Bir kısmı da câhildir, onu hiç karşına alma." demiştir.

Müslüman haklarından birisi de; her Müslüman'a tevâzû göstermek, böbürlenmemektir. Zîra Allahu Teâlâ, sallana sallana gezen kibirli insanları sevmez. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

إِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى أَوْحٰى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتّٰى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلٰى أَحَدٍ

"Allahu Teâlâ bana, tevâzû etmenizi bildirdi. Sakın kimse kimseye övünmesin."[17] Bununla beraber kendisine böbürlenen kimseye aldırış etmemelidir. Zîra Allahü Teâlâ Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e:

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ

"Affa sarıl, mârûf ile emret ve câhillerden yüz çevir." (A'râf suresi, 7/199) buyurmuştur.

Abdullah b. Ebî Evfâ:[18] "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) herkese karşı tevâzû gösterir, fakir ve yoksullarla gezerek ihtiyaçlarını giderirdi.” demiştir.

---

[16] İbn Mübarek "**Zühd**"ünde İkrime b. Halid'den ceyyid sened ile rivâyet etmiştir.

[17] Ebû Dûvud ve İbn Mâce, Iyâd b. Cemmaz'dan sahih sened ile rivâyet etmiştir.

[18] Halid b. el-Hars el-Eslemî'nin oğlu Alkame'dir. Ashâbdandır. Hüdeybiye musâlahasında bulunmuştur. Rasûl-i Ekrem'den sonra uzun yıllar yaşamış. Hicrî 87 de ölmüştür. Kûfe'de ölen sahabîlerin en sonuncusudur.

Müslüman haklarından birisi de; lehte konuşulan sözleri dinleyip sahiplerine ulaştırmaktan kaçınmaktır. Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ

“Kovucular cennete giremez.”[19] buyurmuştur.

Nahiv âlimlerinden **Halil b. Ahmed** şöyle demiştir:

“Sana kovuculuk yapan, bir gün senin için başkasına da yapar; başkasından sana söz getiren, senden de başkasına götürür.”

Müslüman haklarından biri de; darıldığı kimseye üç günden fazla küskün durmamaktır. Eba Eyyûb el-Ensârî’nin rivâyetinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ
هٰذَا وَيُعْرِضُ هٰذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ

“Bir Müslüman’ın dîn kardeşini üç gün üç geceden fazla terk edip dargın durması helâl olmaz. Öyle ki, iki mü’min birbirine kavuşurlar da birisi yüzünü şu tarafa, öbürüsü öte tarafa çevirir. Hâlbuki bunların hayırlısı önce selâm vermeye başlayanıdır.”[20]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا عَثْرَتَهُ أَقَالَهُ اللّٰهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

---

[19] Buhârî ile Müslim, Hüzeyfe’den rivâyet etmişlerdir.

[20] Buhârî ile Müslim, Ebû Eyyûb’dan rivâyet etmişlerdir.

"Yaptığı alış-verişte pişman olan bir Müslüman'ın pişmanlığını kabul eden kimsenin, Allahu Teâlâ kıyamette hatâlarını bağışlar."[21] buyurmuştur.

İkrime (r.a.), Allah Teâlâ'nın Hz. Yusuf'a: *"Kardeşlerini bağışlamandan ötürü dünya ve âhirette kadrini yücelttim."* buyurduğunu söylemiştir.

İbn Abbas'ın (r.a.) âzâdlısı İkrime (r.a.) Hz. Âişe'nin (r. anha) şöyle dediğini rivâyet etmiştir:

"Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şahsına yapılan hiç bir kötülüğün intikamını almamıştır. Ancak Allah'a karşı yapılan hürmetsizliklerde, Allah için intikam almıştır."

İbn Abbas (r.a.) şöyle demiştir:

"Kendisine haksızlık yapanı bağışlayan kimsenin, Allah şerefini yükseltir."

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir hadîsinde şöyle buyurmuştur:

مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ، وَمَا زَادَ اللّٰهُ رَجُلًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا،
وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّٰهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللّٰهُ

"Sadaka, maldan bir şeyi azaltmaz. Allahu Teâlâ bir kulun şerefini (başkalarını) *affı sebebiyle mutlaka yükseltir. Allah için tevâzu eden kimseyi de mutlaka yükseltir."*[22]

Müslüman haklarından birisi de; gücü yettiği kadar herkese iyilik ve ihsân etmektir. Ali, babası Hüseyin'den, o da babası Ali'den (Allah her üçünden de razı olsun) rivâyetinde, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur.

---

[21] Ebû Dâvûd ve Hâkim rivâyet etmişlerdir.

[22] Müslim, Ebû Hüreyre'den rivâyet etmiştir.

اِصْنَعِ الْمَعْرُوفَ فِي أَهْلِهِ وَفِي غَيْرِ أَهْلِهِ فَإِنْ أَصَبْتَ أَهْلَهُ
فَهُوَ أَهْلُهُ، وَإِنْ لَمْ تُصِبْ أَهْلَهُ فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ

"Ehli olsun olmasın, sen iyilik yap. Eğer ehlini bulursan ne güzel; ehlini bulamazsan, sen iyilik yapmanın ehli olursun."[23]

Yine Ali'den gelen rivâyette, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الدِّينِ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ وَاصْطِنَاعُ
الْمَعْرُوفِ إِلٰى كُلِّ بِرٍّ وَفَاجِرٍ

"Îmandan sonra aklın başı, herkes ile dostluk kurmak ve herkese iyilik yapmaktır."[24] buyurmuştur.

Ebû Hüreyre (r.a.) şöyle demiştir:

"Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), her kimin elinden tutarsa, adam bırakmadan o bırakmazdı. Kimsenin önüne doğru ayaklarını uzatmazdı. Konuşan kimseye yönelir ve sözü bitirmeden ayrılmazdı."

Müslüman haklarından bilisi de; müsâade almadan evine girmemektir. Üç defaya kadar kapıyı çalabilir, üçüncüde de müsâade edilmezse geri döner. Nitekim Ebû Hüreyre (r.a.), Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in şöyle buyurduğunu haber veriyor:

اَلْاِسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ: فَالْأُولٰى يَسْتَنْصِتُونَ، وَالثَّانِيَةُ
يَسْتَصْلِحُونَ، وَالثَّالِثَةُ يَأْذَنُونَ أَوْ يَرُدُّونَ

"İzin talebi üç defadır. Birincide susar ve gelenin kim olduğunu

---

[23] Dârekutnî **"El-İlel"**de zikretmiştir.

[24] Taberânî **"Evsat"**ında, Hattâbî **"Taribü't-Tâlibîn"**de ve Ebû Naîm **"Hilye"**de rivâyet etmiştir.

öğrenmek için dinlerler, ikincide hazırlanır, üçüncüde kabul veyâ reddederler."[25]

Müslüman haklarından birisi de; herkes ile hoş geçinmek ve herkese anlayışına göre muâmele yapmaktır. Câhile ilimden, ümmîye fıkıhtan, dili dönmeyene edebiyâttan dem vurma. Bu hem ona, hem de kendisine eziyet etmekten başka bir şey değildir.

Müslüman haklarından birisi de; büyüklerine hürmet ve saygı, küçüklerine şefkat göstermektir. Câbir'den (r.a.) rivâyete göre, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا وَلَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا

"Büyüklerimize saygı göstermeyip, küçüklerimize merhamet etmeyen bizden değildir."[26]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مِنْ إِجْلَالِ اللّٰهِ إِكْرَامُ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ

"Yaşlılara saygı göstermek, Allahu Teâlâ'yı tâzîmdendir."[27] buyurmuştur.

Büyüklere saygı göstermenin tamamı, müsâadeleri olmadan huzurlarında söz söylememektir. Câbir'in (r.a.) beyânına göre; Cuheyne kabîlesinden bir heyet Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'i ziyârete geldi. Konuşmak için içlerinden bir genç hazırlanınca, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

[25] Darekutnî **"İfrat"**da: Buhârî ile Müslim, Ebû Musâ'dan rivâyet etmişlerdir.

[26] Taberânî **"Evsat"**ında; Ebû Dâvûd ve Buhârî **"Edeb"** de Abdullah b. Ömer'den hasen isnâd ile rivâyet etmişlerdir.

[27] Ebû Dâvûd hasen isnâd ile, Ebû Mûsâ el-Eş'arî'den rivâyet etmişlerdir.

مَهْ، فَأَيْنَ الْكَبِيرُ

“Sen dur, büyüğünüz nerde? O konuşsun.”[28] buyurdu. Yine hadîste:

مَا وَقَّرَ شَابٌّ شَيْخًا إِلَّا قَيَّضَ اللّٰهُ لَهُ فِي سِنِّهِ مَنْ يُوَقِّرُهُ

“Yaşlılara saygı gösteren kimseye, ihtiyarladığı zaman Allahu Teâlâ, saygı gösterecek kimseler yaratır.”[29] Bu, saygı gösteren kimsenin uzun ömürlü olacağına da bir müjdedir. Yaşlılara saygıyı, Allahu Teâlâ ancak uzun ömürlü olanlara nasîb eder. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتّٰى يَكُونَ الْوَلَدُ غَيْظًا وَالْمَطَرُ قَيْظًا وَتَفِيضُ
اللِّئَامُ فَيْضًا وَتَغِيضُ الْكِرَامُ غَيْضًا وَيَجْتَرِيءُ الصَّغِيرُ عَلَى
الْكَبِيرِ وَاللَّئِيمُ عَلَى الْكَرِيمِ

“Evlâd babasına hışmetmedikçe, yağmur azalmadıkça, kötü ve alçak kimseler çoğalmadıkça, iyiler azalmadıkça, küçükler büyüklerin yüzüne durmadıkça, iyilerin karşısına kötüler çıkmadıkça kıyamet kopmaz.”[30]

Çocuklara karşı mülâyim ve yumuşak davranmak, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’in güzel âdetlerindendi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir yolculuktan döndüğü zaman, çocuklar onu karşılar, o da onların yanında dururdu. Sonra onlara emir verir, onlar da mübarek sırtına ve omuzlarına atlarlar ve onlardan bâzılarını ashâba havâle ederdi. Sonra çocuklar birbirlerine, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) seni arkasında, beni ise kucağında taşıdı, derlerdi. Diğerleri de beni sırtına aldı, seni başkalarına gönderdi, diyerek aralarında övünürlerdi. Ad koymak ve hayır duâda bulunmak için, çocukları Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e getirirlerdi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de çocuğu kucağına alır ve çocukların bâzen akıttıkları da olurdu. Bunu gören ashâb bağırınca, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

[28] Hâkim rivâyet etti ve sahih olduğunu söyledi.
[29] Tirmizî Enes’den rivâyet etti. Hasen olduğunu söyleyenler var.
[30] Müslim, Aişe’den rivâyet etmiştir.

"Çocuğu korkutup akıtmasına mâni olmayın."[31] buyurur ve işini bitirinceye kadar çocuğu serbest bırakırdı. Sonra duâ eder ve adını kordu. Çocuğun akıtmasına aldırış etmediği için, sahibi sevinirdi. Onlar gittikten sonra sidiği yıkardı.

Müslüman komşu haklarından birisi de: Her zaman herkese karşı güler yüzlü, tatlı ve yumuşak davranmaktır. Bir gün Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ashâbına:

أَتَدْرُونَ عَلٰى مَنْ حُرِّمَتِ النَّارُ؟ قَالُوا: اللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،
قَالَ: عَلَى اللَّيِّنِ الْهَيِّنِ السَّهْلِ الْقَرِيبِ

- *"Cehennemin kimlere haram olduğunu bilir misiniz?"* diye sordu. Ashâb:

- "Allah ve Rasûlü bilir." dediler. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Herkese yumuşak davranan, cana yakın olan kimselerdir."* buyurdu.[32]

Ebû Hüreyre'nin (r.a.) rivâyetinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

---

[31] Harâitî **"Mekârim-i Ahlâk"**da Âişe'den; Taberânî, İbn Mes'ûd'dan rivâyet etmişlerdir.

[32] Tirmizî, İbn Mes'ûd'dan rivâyet etmiştir.

إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ السَّهْلَ الطَّلِقَ الْوَجْهِ

"Allahu Teâlâ yumuşak, mülâyim, tatlı ve güler yüzlü insanları sever."[33]

Ashâbtan bir zât Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e: "Beni cennete koyacak bir ameli bana öğret." deyince, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ مِنْ مُوجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ بَذْلَ السَّلَامِ وَحُسْنَ الْكَلَامِ

"Herkese selâm vermek ve güzel konuşmak, mağfiretin sebeplerindendir."[34] buyurdu.

Abdullah İbn Ömer (r.a.) şöyle demiştir: İyilik kolay bir şeydir: Güler yüz ve hoş sözlü olmaktır.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir hadîsinde şöyle buyurmuştur:

اِتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ

"Kendinizi, bir hurmanın yarısı ile de olsa cehennemden koruyun. Bunu da bulamayan, tatlı söz ile kendisini korusun."[35]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَغُرَفًا يُرٰى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا

"Cennette öyle köşkler var ki içi dışından, dışı da içinden gö-

---

[33] Beyhakî **"Şuabü'l-Îman"**da rivâyet etmiştir.

[34] İbn Ebî Şeybe **"Müsannef"**inde, Taberânî ve Harâitî **"Mekârim-i Ahlâk"**da, Beyhakî **"Şuabu'l-Îman"** da Hamî b. Yezid'den isnâd-ı ceyyid ile rivâyet etmişlerdir.

[35] Buhârî ile Müslim, Adîy b. Hâtem'den rivâyet etmişlerdir.

rünür." Bunu duyan bedevî: "Onlar kimindir, ya Rasûlallah?" deyince Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ

"Güzel konuşan, yemek yediren ve insanlar uykuda iken namaz kılanlar içindir."[36] buyurdu.

Muaz b. Cebel diyor ki; Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bana:

أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللّٰهِ، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَوَفَاءِ الْعَهْدِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَتَرْكِ الْخِيَانَةِ، وَحِفْظِ الْجَارِ، وَرَحْمَةِ الْيَتِيمِ، وَلِينِ الْكَلَامِ، وَبَذْلِ السَّلَامِ، وَخَفْضِ الْجَنَاحِ

"Ya Muaz! Allah'tan korkmak, doğru konuşmak, ahde vefâ, emâneti edâ, hıyâneti terk, komşuyu korumak, öksüze acımak, yumuşak konuşmak, herkese selâm veımek ve kanatları alçaltmayı (yâni tevâzû göstermeyi) *sana tavsiye ederim."*[37] buyurmuştur.

Enes'den (r.a.) rivâyete göre: Bir gün Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e -yanında daha başkaları olduğu halde- bir kadın gelerek:

- "Ey Allah'ın Rasûlü! Sizinle bâzı hususları görüşmek istiyorum." dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اِجْلِسِي فِي أَيِّ نَوَاحِي السِّكَكِ شِئْتِ أَجْلِسْ إِلَيْكِ

- *"Arzu ettiğin yeri tensîb et; ben seni orada dinlerim."*[38] buyurmuş ve kadının uygun gördüğü yere giderek, derdini dinleyip isteğini yerine getirmiştir.

---

[36] Tirmizî, Ali'den rivâyet etti.

[37] Harâitî **"Mekârim-i Ahlâk"**da, Beyhakî **"Zübd"**ünde ve Ebû Nâim **"Hilye"**de rivâyet etmişlerdir.

[38] Hadîsi Müslim rivâyet etmiştir.

Vehb b. Münebbih şöyle diyor:

“Benî İsrail’de bir zât haftada bir defa iftar etmek üzere, yetmiş yıllık ömrünü oruçla geçirmiştir. Bu âbid, şeytanların insanları nasıl sapıttıklarını kendisine göstermesini Allahü Teâlâ’dan niyâz etmiştir. Aradan uzun zaman geçtiği hâlde dileği yerine gelmeyince, düşünmüş ve kendi kendine: “Her hâlde Allah’a karşı işlediğim kusurlarımı öğrenmem, hakkımda daha hayırlı olur.” demiş. Bunun üzerine Allahu Teâlâ kendisine bir melek göndermiş ve melek kendisine şöyle demiş: “Allahu Teâlâ sana şöyle buyuruyor: “Şu sözün, geçmişteki âdetlerinden benim için daha sevimlidir.” Bununla beraber, Allahu Teâlâ gözünden perdeyi kaldırmış ve “Gözünü aç da şeytanların insanları nasıl sapıttıklarını gör.” dedi. Adam, şeytanların yeryüzünü istilâ ettiklerini, sineklerin hücûmuna uğrayan bir insanın hâli gibi, insanları sardıklarını görünce:

“Allahım! Bunların şerrinden kim kurtarabilir?” dedi. Allahu Teâlâ:

Şüpheli şeylerden çekinen, yumuşak davranan ve alçak gönüllü olan kimseler, bunların şerrinden kurtulur.” buyurdu.”

Müslüman haklarından birisi de: Verdiği sözde durmaktır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir hadîsinde:

اَلْعِدَّةُ عَطِيَّةٌ

“Va’d ettiğin, bir atıyyedir.”[39] buyurmuştur. Diğer bir hâdîste de şöyle buyurmuştur:

---

[39] Taberânî **“Evsat”**ında Kabas b. Uşeym’den rivâyet etmiştir.

اَلْعِدَّةُ دَيْنٌ

"Söz vermek, borçlanmak demektir."[40] Bir başka hadîste de:

ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلّٰى

"Üç şey münâfıkta bulunur: Konuştuğu zaman yalan söyler, va'd ettiği zaman sözünde durmaz, itimâd edildiği zaman hıyanet eder."[41] buyurmuştur.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

ثَلَاثٌ فِي الْمُنَافِقِ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ

"Üç haslet her kimde bulunursa, oruç tutsa ve namaz kılsa da yine münafıktır."[42] buyurduktan sonra, yukardaki üç vasfı saymıştır.

Müslüman haklarından birisi de; herkese karşı insâflı davranmak ve kendisine yapılmasından hoşlandığı muâmeleyi başkalarına yapmaktır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir mübârek sözünde şöyle buyurmuştur:

لَا يَسْتَكْمِلُ الْعَبْدُ الْإِيمَانَ حَتّٰى يَكُونَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: اَلْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ، وَالْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ، وَبَذْلُ السَّلَامِ

"Üç haslete sahip olmadıkça kişinin îmanı olgunlaşmaz: Yok-

---

[40] Taberânî, **"Evsat"** ve **"Esgar"**ında Ali ve İbn Mes'ûd'dan rivâyet etti.

[41] Buhârî ile Müslim, Ebû Hüreyre'den rivâyet etmişlerdir.

[42] Buhârî ile Müslim, Ebû Hüreyre'den rivâyet etmişlerdir. Yalnız *"Oruç tutsa da namaz kılsa da"* ziyâdesi Buhârî'de yok, Müslim'dedir.

tan infâk etmek (yâni muhtaç olduğu hâlde Allah için vermek), *insâflı olmak ve herkese selâm vermek.”*[43]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ
وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُهُ، وَلْيُؤْتِ
إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتٰى إِلَيْهِ

“Cehennemden uzaklaşıp cennete girmeyi isteyen, son nefesinde şehâdet kelimesini getirerek hayâta gözlerini kapasın ve kendisine yapılmasını sevdiği şeyi insanlara yapsın.”[44] buyurmuştur.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ أَحْسِنْ مُجَاوَرَةَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا
وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا

“Ey Ebû’d-Derdâ! Etrâfında bulunanlarla güzel komşuluk et ki, mü’min olasın, kendin için sevdiğini insanlar için de sev ki müslim olasın.”[45]

Hasan-ı Basrî şöyle diyor:

“Allahü Teâlâ, Âdem aleyhisselâma dört haslete sahip olmasını emretmiş ve bütün iyi vasıfların bu dört haslette olduğunu bildirmiştir. Bunlardan biri benim, diğeri senin için; üçüncüsü ikimiz arasında ortak ve dördüncüsü de senin ile diğer insanlar arasında ortak olandır.

---

[43] Harâitî **“Mekârim-i Ahlâk”**da Ammar b. Yasir’den ve Buhârî de buna mevkuf olarak rivâyet etmişlerdir.

[44] Müslim, Abdullah b. Amr b. el-Âs’dan, ayrıca Harâitî **“Mekârim-i Ahlâk”**da rivâyet etmişlerdir.

[45] Harâitî **“Mekârim-i Ahlâk”**da rivâyet etmiştir. Meşhûr olanı, Ebû Hüreyre’nin rivayetidir.

Birincisi: Bana ibâdette hiç bir şeyi ortak koşmamandır.

İkincisi: Yapmış olduğun amelindir; en dar gününde o amelin mükâfatını sana veririm.

Üçüncüsü: Senin duâ etmen ve benim de duâna icabet edip, istediğini vermemdir.

Dördüncüsü: İnsanların ne şekilde sana arkadaş olmalarını arzu ediyorsan, senin de onlara öyle davranmandır.

Mûsâ aleyhisselâm Allahu Teâlâ'ya:

- "Rabbim! Kullarının en âdili kimdir?" diye sordu. Allahü Teâlâ:

- "İnsâflı olanıdır." buyurdu.

Müslüman haklarından bir diğeri de; vaziyetine göre herkese saygı göstermek ve lâyık olduğu mevkii vermektir.

Rivâyete göre; Hz. Âişe (r.a.) bir yolculukta istirahat etmekte iken kapısına bir dilenci geldi. Hz. Âişe:

- "Verin bir parça ekmek de gitsin." buyurdu. Biraz sonra bir atlı acıktığı için, yemek istemek üzere çadırının önüne geldi. Hz. Âişe:

- "Çadırın odasına yemeğe dâvet edin." buyurdu. Bunun üzerine Hz. Âişe'ye:

- "Bunların ikisi de Allah'ın kullarıdır. Birini bir parça ekmekle savdın, diğerini de yemeğe dâvet ettin. Bu müsâvat mıdır?" dediler. Hz. Âişe:

- "Allahu Teâlâ yarattığı insanlara ayrı ayrı mevki bahşetmiştir. Herkesin mevkiine saygı göstermek vazîfemizdir. Asıl gâye, geleni memnun etmektir. Dilenci, bir parça ekmekle memnun olur, fakat acıkmış bir yolcuya dilenci muâmelesi yapmak doğru olmadığı gibi, ona eziyet olurdu." buyurdu.

Rivâyete göre: Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) zevce-i muhteremelerinden birinin evine gitti. Ashâb-ı kirâm da beraberinde eve girdi. Oda tıklım tıklım doldu. Öyle ki, oturacak yer kalmadı. Tam bu sırada Abdullah el-Becelî de geldi. Yer olmadığı için kapının eşiği üzerinde oturdu. Bunu gören Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), ridâsını çıkardı ve kendisine atarak: "Al, bunun üzerine otur." buyurdu. Abdullah ridâyı alıp yüzüne gözüne sürdükten sonra: "Ben bunun üzerine nasıl otururum?" diyerek tekrar ridâyı dürüp Resül-i Ekrem'e (s.a.v.) iâde etti. Sonra "Bana ikrâm ettiğin gibi, Allahu Teâlâ da sana ikrâm etsin." dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) etrâfına bakınarak:

إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ

"Bir kabîlenin ileri gelen adamı size geldiği zaman, ona ikrâm edin."[46] buyurdu.

Bunun gibi eski dostlarına da ikrâm etmesi lâzımdır. Rivâyete göre bir gün Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e süt annesi geldi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), ridâsını altına döşeyerek:

"Anneciğim! Hoş geldiniz, buyurun oturun." demek sûretiyle hâl ve hatırını sordu, sonra da:

"Bir emrin varsa söyleyin yapalım." buyurdu. Kadın: "Havâzin harbinde esir edilen akrabalarım Sa'd oğullarını senden istemeye geldim." dedi. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

[46] Hâkim, Câbir'den rivâyet etti.

"Benim ve Haşimoğulları'nın hisselerine düşenleri serbest bırakıyorum." buyurdu. Bunu gören ashâb-ı kirâm: "Bizim elimizde olanları da bahşettik." dediler. Ayrıca Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), kendisine bir hizmetçi ve yine kendi hissesine düşen bir pehmâneyi de hediye etti ve kendisini memnûn ederek kabîlesine yolcu etti. Sonra da Hz. Osmân (r.a.) kendi hilâfeti zamanında bu pehmâneyi yüzbin dirheme satın almıştır.[47] Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in meclisine birisi gelip oturacak yer bulamadığı zaman, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) hemen üzerinde oturduğu sergiyi gelenin altına sererdi. Gelen adam oturmak istemeyince de ısrar ederdi.

Müslüman haklarından birisi de, imkân nisbetinde Müslümanları barıştırmak ve aralarını bulmaktır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا:
بَلٰى، قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ

"Size; namaz kılmak, oruç tutmak ve sadaka vermekten daha fazîletli bir dereceyi bildireyim mi?" buyurdu. Ashâb-ı kirâm: "Evet bildir, Ya Rasûlallah" deyince, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

"İki kişi arasını bulmak ve düzeltmektir. Zîra ara bozukluğu, dîni kökünden yok eder."[48] buyurdu. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ

"En fazîletli sadaka, iki kişi arasını bulmaktır."[49] buyurmuşlardır. Enes (r.a.) diyor ki:

---

[47] Ebû Dâvûd ve Hâkim rivâyet ettiler. Hâkim, sahih olduğunu söyledi.

[48] Ebû Dâvûd ve Tırmizî, Ebû'd-Derda'dan rivâyet ettiler. Tirmizî, sahihtir dedi.

[49] Taberânî **"Kebir"**inde Abdullah b. Amr'dan rivâyet etti.

Bir gün Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’in huzurunda oturuyorduk. Resul-i Ekrem, fındık dişleri görülecek şekilde gülümsedi. Hz. Ömer: “Anam babam sana fedâ olsun ya Rasûlallah, sizi güldüren ne idi?” diye sordu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

رَجُلَانِ مِنْ أُمَّتِي جَثَيَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعِزَّةِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رَبِّ خُذْ لِي مَظْلَمَتِي مِنْ هٰذَا، فَقَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى: رُدَّ عَلٰى أَخِيكَ مَظْلَمَتَهُ. فَقَالَ: يَا رَبِّ لَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِي شَيْءٌ، فَقَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى لِلطَّالِبِ: كَيْفَ تَصْنَعُ بِأَخِيكَ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْءٌ. فَقَالَ: يَا رَبِّ، فَلْيَحْمِلُ عَنِّي مِنْ أَوْزَارِي. ثُمَّ فَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبُكَاءِ، فَقَالَ: إِنَّ ذٰلِكَ لَيَوْمٌ عَظِيمٌ، يَوْمٌ يَحْتَاجُ النَّاسُ فِيهِ إِلٰى أَنْ يُحْمَلَ عَنْهُمْ مِنْ أَوْزَارِهِمْ، قَالَ: فَيَقُولُ اللّٰهُ تَعَالٰى -أَيْ لِلْمُتَظَلِّمِ-: اِرْفَعْ بَصَرَكَ فَانْظُرْ فِي الْجِنَانِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أَرٰى مَدَائِنَ مِنْ فِضَّةٍ وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةً بِاللُّؤْلُؤِ، لِأَيِّ نَبِيٍّ هٰذَا أَوْ لِأَيِّ صِدِّيقٍ أَوْ لِأَيِّ شَهِيدٍ؟ قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى: هٰذَا لِمَنْ أَعْطَى الثَّمَنَ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَنْ يَمْلِكُ ذٰلِكَ؟ قَالَ: أَنْتَ تَمْلِكُهُ، قَالَ: بِمَاذَا؟ قَالَ: بِعَفْوِكَ عَنْ أَخِيكَ، قَالَ: يَا رَبِّ فَإِنِّي قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ اللّٰهُ تَعَالٰى: خُذْ بِيَدِ أَخِيكَ فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اِتَّقُوا اللّٰهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ

"Ümmetimden iki kişi Allahu Teâlâ'nın huzûruna çıktı. Birisi:

- "Allahım! Bu adamdan hakkımı al ve bana ver." dedi. Allahu Teâlâ o adama:

- "Hakkını ver." buyurdu. Adam:

- "Ya Rabbi! Bir iyiliğim kalmadı, ne vereyim?" dedi. Allahu Teâlâ hak sahibine:

- "Ne yapacaksın? Bu adamın iyilikten hiç bir şeyi kalmadı." buyurur. Hak sahibi:

- "Bâri günâhlarımı alsın ya Rab!" der, buyurdu ve sonra da ağlayarak: O gün öyle büyük bir gündür ki, o günde başkalarının günâhlarını yüklenmek şöyle dursun, insan kendi günâhının yükünden kurtulmaya muhtaç olduğu bir gündür. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) devamla: Allahu Teâlâ hak sahibine:

- "Başını kaldır, gözünü aç ve cennetin şu muhteşem köşklerine bak, buyurur. Hak sahibi:

- "Ya Rab! Cennette gümüşten şehirler; inci ve pırlantalarla işlenmiş altından köşkler görüyorum. Bunlar hangi şehîd, hangi sıddîk veyâ hangi peygamberindir?" diye sorar. Allahu Teâlâ:

- "İşte o gördüğün göz kamaştırıcı köşkler, bedellerini ödeyenler içindir." buyurur. Adam:

- "Ya Rab! Bunların bedellerini kim ödeyebilir ki?" der. Allahu Teâlâ:

- "Sen ödeyebilirsin." buyurur. Hak sahibi:

- "Neyim var ki, ben bunları nasıl alabilirim?" der. Allahu Teâlâ:

- "Hakkını bu kardeşine bağışlamakla, bunlara mâlik olursun." buyurur. Adam:

- “Bahşettim, ya Rab!” deyince, Allahu Teâlâ:

- “Haydi, arkadaşının elinden tutup beraberce cennete girin.” buyurur. Sonra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) devâmla:

- “Allah’tan korkun ve aralarınızı düzeltmeye çalışın. Zîra Allahu Teâlâ kıyâmet gününde sizin aranızı düzeltir.” [50] buyurdu.

Diğer bir hadîste Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

لَيْسَ بِكَذَّابٍ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ اِثْنَيْنِ فَقَالَ خَيْرًا

“İki kişinin arasını bulmak için hayırlı sözler söyleyen yalancı değildir.”[51] Bu hadîs-i şerif, ara bulmanın vücûbuna delâlet etmektedir. Zîra yalanı terk etmek vâciptir. Bir vâcip ise ancak kendisinden daha kuvvetli bir vâcip ile düşer. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

كُلُّ الْكَذِبِ مَكْتُوبٌ إِلَّا أَنْ يَكْذِبَ الرَّجُلُ فِي الْحَرْبِ فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ، أَوْ يَكْذِبَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا، أَوْ يَكْذِبَ لِامْرَأَتِهِ لِيُرْضِيهَا

“Bütün yalanlar yazılır, ancak savaşta yapılan propagandalar yazılmaz. -Çünkü harp, bir taktiktir- veyâ iki kişinin arasını düzeltmek için yalan konuşmak veyâ ailesini memnun etmek için yalan söylemek, aleyhinde yazılmaz.”[52]

---

[50] Harâitî **“Mekârim-i Ahlâk”**da, Hâkim Ebû Ya’la el-Mûsılî’den rivâyet ettiler. Hâkim sahihtir, dedi.

[51] Buhârî ile Müslim, Ümmü Gülsüm bint-i Akabe b. Ebî Muayt’tan rivâyet etmişlerdir.

[52] Harâitî **“Mekârim-i Ahlâk”**da Nevvas b. Sem’an’dan rivayet etti. Aynısı Tirmizî’de de vardır.

Müslüman haklarından birisi de; dîn kardeşinin kusurlarını gizlemektir. Hadîs-i şerîfte Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

مَنْ سَتَرَ عَلٰى مُسْلِمٍ سَتَرَهُ اللّٰهُ تَعَالٰى فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ

"Müslüman'ın kusurlarını gizleyen kimsenin, Allahu Teâlâ dünya ve âhirette kusurlarını örter."[53] Diğer hadîste şöyle buyurulmuştur:

لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا إِلَّا سَتَرَهُ اللّٰهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

"Bir kulun aybını örten kimsenin, Allahu Teâlâ kıyâmette kusurlarını örter."[54]

Ebû Saîd el-Hudrî'nin rivâyetinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

لَا يَرَى الْمُؤْمِنُ مِنْ أَخِيهِ عَوْرَةً فَيَسْتُرُهَا عَلَيْهِ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ

"Kardeşinin bir kusurunu görüp gizleyen her mü'min cennete girer."[55]

Mâiz, başından geçen bir mâcerâyı Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e anlatınca, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَوْ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ كَانَ خَيْرًا لَكَ

"Eğer onu elbisen ile örtsen ve gizlesen, senin için daha iyi olurdu."[56]

---

[53] Müslim, Ebû Hüreyre'den: ayrıca yine Buhârî ile Müslim İbn Ömer'den, rivâyet etmişlerdir.

[54] Müslim, Ebû Hüreyre'den rivâyet etmiştir.

[55] Taberânî **"Evsat"**ında ve **"Sağir"**inde; Harâitî **"Mekârim-i Ahlâk"**ta rivâyet etmişlerdir.

[56] Ebû Dâvûd, Nesei, Naim b. Hizal'den; Hâkim de Hizal'in kendisinden rivâyet etti ve "sâhihtir" dedi.

Bu bize şunu gösteriyor ki: insan başkalarının kusurunu örteceği gibi, kendi kusurlarını da gizlemesi lâzımdır. **Ebû Bekir** (r.a.) şöyle buyurmuştur:

"İçki içen bir adama rastlasam, Allahu Teâlâ'nın onu benden saklamasını; bir hayırsıza rasgelsem, yine onu benden gizlemesini arzu ederdim."

Hz. Ömer (r.a.) hilâfeti esnâsında zaman zaman gece teftişlerine çıkardı. Bir gece gezintisinde, zinâ hâlinde iki kişiyi yakaladı. Ertesi gün halka hitâben şu konuşmayı yaptı:

"İmâm (yâni kendisi) bir erkeğin bir kadın ile zinâ ettiğini görür ve görüşüne dayanarak, onlara zinânın cezâsı olan haddi tatbik ederse, buna ne dersiniz?" Oradakiler:

- "İmamımız ve halifemizsin. Madem ki gözün ile gördün, cezâyı tatbike selâhiyyettârsın." dediler. Hz. Ali (r.a.):

- "Hayır, sen buna selâhiyetli değilsin. Şâyet böyle bir şey yaparsan sana had icrâ edilir. Çünkü Allahu Teâlâ bu hususlarda dört şâhid istemiştir, dedi. **Hz. Ömer** (r.a.), bir müddet bekledikten sonra aynı suâli tekrarlardı ve Hz. Ali de aynı müdâfaayı yaptı. **Hz. Ömer** bu sözü ile her hangi bir zinâyı haber vermek değil, böyle bir selâhiyete sahip olup olmadığını öğrenmek istiyordu. Kendisi tereddüt ediyordu. Sonunda Hz. Ali'nin (r.a.) fikrini benimsedi.

İşte bu anlattığımız, dînin fuhşiyâtın gizlenmesini istemekte olduğunun en kuvvetli delîlidir. Fuhşiyâtın en fenâsı ise zinâdır. Hâlbuki burada "âdil olan dört kişinin bıçak kına girer gibi görmeleri"ni şart koşmuştur ki, buna da imkân yok gibidir. Yalnız hâkimin bunu bilmesi kifâyet etmez. Cezaların en büyüğü olan recmi koyarak fuhuş ve zinâ yolunu kapatmaktaki hikmetine bak ve sonra da Cenab-ı Hakk'ın âsî kulları üzerine gerdiği örtünün kesafetini gör ki, günâhın meydana çıkmaması hususunda yolu nasıl daraltmıştır.

Dört kişi görmedikten sonra teşhîrine imkân vermeme, teşhîrden siyânettir. Dünyada bizi teşhîrden koruyan Allahu Teâlâ'dan, bütün gizli işlerin açığa çıkacağı tüyler ürpertici kıyâmet gününde bu lütûf ve keremini bizden esirgememesini diler ve umarız. Zîra hadîs-i şerîfte şöyle buyurulmuştur:

إِنَّ اللّٰهَ إِذَا سَتَرَ عَلٰى عَبْدٍ عَوْرَتَهُ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ
يَكْشِفَهَا فِي الْاٰخِرَةِ وَإِنْ كَشَفَهَا فِي الدُّنْيَا فَهُوَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ
يَكْشِفَهَا مَرَّةً أُخْرٰى

"Dünyada kulunun kusurunu gizleyen Allahu Teâlâ, âhirette onu gizlemek bakımından daha keremlidir. Dünyada bir defa teşhîr ettiği kimseyi âhirette bir daha rezîl etmekten daha keremlidir."[57]

Abdurrahman b. Avf (r.a.) şöyle diyor:

"Bir gece Hz. Ömer ile teftişe çıktık. Gezerken bir evde ışık gördük, pencereye yaklaşınca, kapısı kilitli odada karışık ve gürültülü seslerin geldiğini duyduk. Hemen Hz. Ömer elimden tutarak:

- "Burası kimin evidir, biliyor musun?" diye benden sordu. Ben:

- "Bilemiyorum." dedim. Hz. Ömer:

- "Burası Rebîa b. Ümeyye b. Halef'in evidir. Görüyorsun ya bunlar içki içiyorlar; bunlara ne yapalım ne dersin?" dedi. Ben:

---

57. Tirmizî, İbn Mâce ve Hakim Ali'den rivâyet ettiler. Hâkim, Buhârî ile Müslim'in şartlarına göre sahihtir, dedi. Müslim'in bu mealde ayrı bir rivâyeti vardır.

Benim anladığım, biz Allahu Teâlâ'nın:

وَلَا تَجَسَّسُوا

"Birbirinizin gizli hâllerini araştırmayın." (Hücûrât suresi, 49/12) diye yasak ettiği bir kusur işlemekteyiz." dedim. Bunun üzerine Hz. Ömer, hemen geri çekildi ve oradan uzaklaştı."

Bu ve benzerî vakalar, dâima kusurları örtmenin gerekli ve kusur aramanın yasak olduğuna delâlet etmekledir. Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Muâviye'ye (r.a.):

إِنَّكَ إِنْ تَتَبَّعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ تُفْسِدُهُمْ

"Şâyet sen, insanların kusurlarını ve gizli hallerini araştırırsan, onları ifsâd etmiş ve ifsâdlarına sebep olmuş olursun."[58] buyurdu.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

يَا مَعْشَرَ مَنْ اٰمَنَ بِلِسَانِهٖ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا
الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللّٰهُ
عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللّٰهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ كَانَ فٖي جَوْفِ بَيْتِهٖ

"Ey dili ile îman edip, imanları kalplerine nüfûz etmeyen topluluk! Müslümanları çekiştirmeyin, gizli hallerini araştırmayın; Zîra dîn kardeşinin gizli hallerini araştıran kimsenin, Allahu Teâlâ gizli hallerini araştırır ve evinin içinde de olsa kusurlarını meydana çıkararak onu rezîl eder."[59]

---

[58] Ebû Dâvûd, sahih sened ile Muâviye'den rivâyet etmiştir.

[59] Ebû Dâvûd, Ebû Bürde'den isnâd-ı ceyyid ile rivâyet etmiştir. Tirmizî de hasen olduğunu söyleyerek, İbn Ömer'den benzerini rivâyet etmiştir.

Hz. Ebû Bekir (r.a.) şöyle demiştir:

"Tek başıma bir adamın bir cinâyet işlediğini görsem ne bu adama cezâ vermeye kalkışır, ne de başkasını kendisine bu cinâyeti göstermek için, çağırırım."

Zâtın biri de şöyle diyor: "**Abdullah b. Mes'ûd**'un meclisinde otururken, bir adam beraberinde birisi olduğu hâlde içeri girdi ve arkadaşının sarhoş olduğunu söyledi. Abdullah b. Mes'ûd (r.a.) adamın ağzını koklattırdı ve içkili olduğu anlaşılınca, sarhoşluğu geçinceye kadar adamı tutukladı. Sonra bir odun parçası getirtti. Dallarını yoldurdu ve cellâda: "Bu adama içkinin cezâsı olan kamçıları vur." dedi. Adamın sırtında bir kaba kaftan veyâ yünden bir elbise olduğu hâlde cezâ tatbik edildi. Sonra adama:

- "Sen bunun nesi olursun?" diye sordu. Adam:

- "Amcası olurum." deyince Abdullah:

- "Edebe riâyet etmediğin gibi, adamın kusurunu da gizlemedin diye ona itâbda bulundu ve devâmla:

Haber verilen bir haddi icrâ etmek, imâm için zarûrîdir. Fakat Allah affeder ve affedenleri sever." dedikten sonra:

وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا

"Affetsin ve vaz geçsinler." (Nûr suresi, 24/22) âyet-i kerîmesini okudu. Daha sonra devâmla söyle dedi: Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in hırsızın elini ilk kestirdiği vakti hatırlıyorum, benzi sararmıştı. Oradakiler:

- "Bu hâdiseye üzülmüş görünüyorsunuz?" dediklerinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *“Niçin üzülmeyeyim, din kardeşlerinize karşı şeytanlara yardımcı olmayın.”*[60] buyurdu. Bunun üzerine oradakiler:

- “O halde bağışlasaydın.” dediklerinde, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *“Sultanlara yaraşan, kendilerine intikal eden cinâyetlerin cezasını vermektir. Fakat Allahu Teâlâ affeder ve affı sever.”* buyurdu ve

وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَكُمْ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

“Affetsin, vaz geçsinler. Allahu Teâlâ’nın sizi mağfiret etmesini sevmez inisiniz? Allah mağfiret ve merhamet edicidir.” (Nûr suresi, 24/22) âyet-i celîlesini okudu.

Diğer rivâyette de, bu ilk bilek kesme hâdisesinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) o kadar üzülmüş ve benzi solmuştu ki, âdeta yüzüne kül serpilmiş gibi idi.

Rivâyete göre, **Hz. Ömer** (r.a.) Medine’de gece teftişine çıktığı bir sırada, bir evde türkü söylenmekte olduğunu duydu. Pencereye yaklaşınca içeride yanında bir kadın ve içki bulunan bir adamı gördü ve:

- “Ey Allah’ın düşmanı! Senin bu isyanını Allahu Teâlâ’nın gizleyeceğini mi sandın?” diyerek çıkışmaya başlayınca, adam:

- “Ey mü’minlerin emîri! Dur, acele etme. Ben bir kusur işledimse sen üç küsur işledin.” dedi. Bunlardan birincisi Allahu Teâlâ:

وَلَا تَجَسَّسُوا

“Tecessüs etmeyin.” (Hücûrât suresi, 49/12) buyurduğu halde, sen casusluk yaptın. İkincisi Allahu Teâlâ:

وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا

---

[60] Hâkim rivâyet etti ve isnadının sahih olduğunu söyledi.

"Evlere arkalarından dolaşıp, pencere ve deliklerden bakmak iyilik değil." (Bakara suresi, 2/189) buyurduğu halde, kapıdan gelmedin de pencerelerden baktın. Üçüncüsü Allahu Teâlâ:

لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ

"Başkalarının evlerine girmeyin." (Nûr suresi, 24/27) buyurduğu halde, selâm vermeden, izin almadan içeri girdin." dedi. Bunun üzerine Hz. Ömer:

- "Seni affedersem, ne gibi iyilikte bulunursun?" diye sordu. Adam:

- "Beni bağışlarsan, bir daha bu işe dönmem." dedi. Hz. Ömer de oradan ayrıldı.

Adamın biri **Abdullah b. Ömer**'e (r.a.):

- "Ey Abdurrahman'ın babası! Kıyâmet gününde "Necvâ" yâni Allahu Teâlâ'nın kulunu gizlice hesâba çekmesi hakkında Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ne buyurdu, nasıl işittin? Bunu bize anlatır mısın?" dedi. Abdullah:

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in şöyle buyurduğunu işittim:

إِنَّ اللّٰهَ لَيُدْنِي مِنْهُ الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، وَيَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ، فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، حَتّٰى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهٖ، وَرَاٰى فِي نَفْسِهٖ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ قَالَ لَهُ: يَا عَبْدِي، إِنِّي لَمْ أَسْتُرْهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَغْفِرَهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطٰى كِتَابَ حَسَنَاتِهٖ، أَمَّا

الْكَافِرُونَ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا
عَلٰى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الظَّالِمِينَ

- "Allahu Teâlâ mü'min kuluna rahmeti ile yaklaşır ve onu rahmeti ile örterek şöyle huyurur:

- "Ey kulum! Şu şu günâhlarını hatırlıyor musun?" Kul:

- "Evet." diyerek bütün günâhlarını itirâf edince helâk olduğunu görür. Bunun üzerine Allahu Teâlâ:

- "Ey kulum! Onları dünyada gizlediğimin sebebi, seni bugün mağfiret etmem içindir." buyurur. Ve hasenât defteri eline verilir. Kâfir ve münâfıklara gelince, herkesin huzûrunda: "İşte bunlar, Allah'a karşı yalan söylediler, Allah'ın lâneti zâlimleredir." denir."[61]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ
يَعْمَلَ الرَّجُلُ السُّوءَ سِرًّا ثُمَّ يُخْبِرُ بِهِ

"Bütün ümmetim affedilir ancak aşikâre günâh işleyenler affedilmez. Gizli isyân ettiği halde bunu haber verenler, aşikâre günâh işlemiş gibidir."[62] buyurulmuştur.

Diğer haberde şöyle vârid olmuştur:

مَنِ اسْتَمَعَ خَبَرَ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الْآنُكُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ

---

[61] Buhârî ile Müslim rivâyet etmişlerdir.

[62] Buhârî ile Müslim, Ebû Hüreyre'den rivâyet etmişlerdir.

"Bir kavmin konuştuklarını -hoşlanmadıkları hâlde- gizlice dinleyen kimsenin, kıyâmet günü kulağına kurşun akıtılır."[63]

Müslüman haklarından birisi de, insanları çekiştirmeden ve sû-i zandan kurtarmak için kendisinin töhmet yerlerinden uzak kalmasıdır. Zîra onların, onun hakkında dedi-kodu etmeleri ile Allah'a isyân etmiş olmalarına kendisi sebep olduğu için, bu cürümde onlara ortak olur. Allahu Teâlâ şöyle buyurmuştur:

وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ فَيَسُبُّوا اللّٰهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ

"Allah'tan başka yalvardıklarına (yâni taptıkları putlara, heykellere) **sövmeyin ki, onlar da bilmeyerek aşırı gidip Allah'a sövmesinler."** (En'âm suresi, 6/108)

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ashâb-ı kirâma:

كَيْفَ تَرَوْنَ مَنْ يَسُبُّ أَبَوَيْهِ فَقَالُوا: وَهَلْ مِنْ أَحَدٍ يَسُبُّ أَبَوَيْهِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ يَسُبُّ أَبَوَي غَيْرِهِ فَيَسُبُّونَ أَبَوَيْهِ

- *"Anne ve babasına sövenleri nasıl bulursunuz?"* buyurdu. Ashâb-ı kirâm:

- "Ana ve babasına söven de olur mu?" demeleri üzerine, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Evet. O, başkalarının anne babasına kötü söyler: Onlar da onun anne ve babasına kötü söylerler."* buyurdu.[64]

Enes b. Mâlik (r.a.) şöyle demiştir:

---

[63] Buhârî İbn Abbas'dan merfû ve mevkuf olarak ve aynı şekilde Ebû Hüreyre'den rivâyet etmişlerdir.

[64] Buhârî ile Müslim, Abdullah b. Ömer'den rivâyet etmişlerdir.

"Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), zevcelerinden birisi ile konuşurken, oradan birisi geçiyordu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), adamı çağırarak:

يَا فُلَانُ هٰذِهِ زَوْجَتِي صَفِيَّةُ

- *"Ey kişi! Bu, benim zevcem Safiyye'dir."* buyurdu. Adam:

- "Meğer ben sizden şüphe mi edecektim ya Rasûlallah?" deyince, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Kan insanın damarlarına hulûl ettiği gibi, şeytan da insana nüfûz eder."* buyurdu.[65]

Başka bir rivâyette; bu geçenler iki kişi idiler. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) itikâfta iken kendisini ziyârete gelen zevcesi Safiyye'yi kapı üzerinde yolcu ediyordu. Adamlar geçerken, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

عَلٰى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ

- *"Olduğunuz gibi durun! Bu Safiyye'dir."* buyurdu ve onların mukabelesi üzerine yukardaki cevâbı verdikten sonra:

إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا

- *"Korkarım, şeytan kalbinize bir şüphe sokar."* buyurdu.[66]

Hz. Ömer (r.a.) şöyle demiştir:

"Töhmet yerlerinde bulunan bir kimse, aleyhindeki dedikodulardan dolayı başkalarını değil, kendini levmetmelidir."

Yine **Hz. Ömer** (r.a.) bir gün sokak ortasında bir kadın ile konuşan bir adamı gördü. Ona vurmak üzere kırbacını kaldırınca, adam:

---

65. Müslim rivâyet etmiştir.
66. Buhârî ile Müslim, Safiyyeden rivâyet etmişlerdir.

- "Bu, benim âilemdir." dedi. Bunun üzerine Hz. Ömer:

- "Kimsenin göremeyeceği tenhâ bir yer bulamadın da, bu sokak ortasına mı dikildin?" buyurdu.

Müslüman haklarından birisi de, sözü geçtiği kimselere Müslümanların haklı işlerinde vâsıta olarak yardım etmek ve imkân nisbetinde ihtiyaçlarını gidermek için gayret sarfetmektir. Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

إِنِّي أُوتِىَ وَأَسْأَلُ وَتُطْلَبُ إِلَيَّ الْحَاجَةُ وَأَنْتُمْ عِنْدِي
فَاشْفَعُوا لِتُؤْجَرُوا وَيَقْضِيَ اللّٰهُ عَلٰى يَدَيْ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ

"Bana gelip benden soran ve bâzı ihtiyaç dileğinde bulunanlar olur. Yanımda bulunan sizler de onlara yardımcı olun ki, ecir kazanasınız. Allahu Teâlâ sevdiği şeyi peygamberlerinin elinde kazâ eder."[67]

Muâviye'nin (r.a.) rivâyetine göre Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

اِشْفَعُوا إِلَيَّ تُؤْجَرُوا إِنِّي أُرِيدُ الْأَمْرَ وَأُؤَخِّرُهُ كَيْ تَشْفَعُوا
إِلَيَّ فَتُؤْجَرُوا

"Bu gibi ihtiyaç için bana gelenlere siz de yardımcı olun. Ben, yapmayı murâd ettiğim bâzı işleri, sizin iltimâsda bulunup ecir kazanmanız için biraz geciktiririm."[68]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

67. Buhârî ile Müslim, Ebû Musa'dan rivâyet etmişlerdir.
68. Ebû Dâvûd, Neseî ve İbn Asâkir, Hemmâm b. Münebbih yolu ile Muaviye'den rivâyet etmişlerdir.

مَا مِنْ صَدَقَةٍ أَفْضَلَ مِنْ صَدَقَةِ اللِّسَانِ قِيلَ: وَكَيْفَ ذٰلِكَ؟
قَالَ: الشَّفَاعَةُ يُحْقَنُ بِهَا الدَّمُ، وَتُجَرُّ بِهَا الْمَنْفَعَةُ إِلٰى اٰخَرَ،
وَيُدْفَعُ بِهَا الْمَكْرُوهُ عَنْ اٰخَرَ

"Dilin sadakasından, yâni dil ile yapılan yardımdan daha fazîletli bir sadaka olamaz." buyurdu. Bunun nasıl olacağını soranlara da şu cevâbı verdi:

"İltimâsda bulunmakla. Çünkü bu sâyede kan dâvası önlenir, menfaat sağlanır ve zararın önüne geçilmiş olur."[69]

İkrime'nin (r.a.) İbn Abbâs'dan (r.a.) rivâyetinde: Bureyre'nin efendisi Mugîs, seyyâh bir köle idi. Bureyre'yi Hz. Âişe satın alıp âzâd edince, kölelikten kurtularak hürriyetine kavuştuğu için, efendisi Mugîs'in gözyaşları ile ağladığını görüyorum. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Hz. Abbas'a (r.a.) hitaben:

- *"Mugîs'in Bureyre'yi bu kadar sevdiğine ve Bureyre'nin de ona bu kadar husûmet beslediğine şaşmaz mısın?"* buyurduktan sonra, Bureyre'ye dönerek:

- *"Bu adama yeniden nikâh olur musun? Bu, senin çocuğunun babasıdır."* buyurdu. Kadın:

- "Eğer emredersen, hayhay." deyince Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Hayır, ben bir iltimâscıyım."* buyurdu.[70]

Müslüman haklarından birisi de, karşılaştığı kimseye -söze başlamadan önce- selâm vermek ve musâfaha etmektir. Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

69. Harâitî **"Mekârim-i Ahlâk"**da ve Taberânî **"Kebîr"**inde Semure b. Cündüb'den rivâyet etmişlerdir.
70. Hadîsi Buhârî; rivâyet etmiştir.

مَنْ بَدَأَ بِالْكَلَامِ قَبْلَ السَّلَامِ فَلَا تُجِيبُوهُ حَتّٰى يَبْدَأَ بِالسَّلَامِ

"Selâm vermeden önce söze başlayan kimseye, selâm ile başlayıncaya kadar cevap vermeyin." buyurmuştur.

Zâtın biri şöyle demiştir:

"İzin almadan ve selâm vermeden Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in huzûruna girdim. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اِرْجِعْ فَقُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَادْخُلْ

"Geri dön! Selâm ver, sonra içeri gir."[71] buyurdu.

Câbir'in (r.a.) rivâyetinde Resûl-i Ekrem şöyle buyurmuştur.

إِذَا دَخَلْتُم بُيُوتَكُمْ فَسَلِّمُوا عَلٰى أَهلِهَا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَلَّمَ أَحَدُكُم لَمْ يَدْخُلْ بَيْتَهُ

"Girdiğiniz ev halkına selâm verin. Zîra selâm verdiğiniz eve şeytan girmez."[72]

Enes (r.a.) şöyle demiştir:

"Sekiz sene Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in hizmetinde bulundum, bana:

يَا أَنَسُ، أَسْبِغِ الْوُضُوءَ يُزَدْ فِي عُمْرِكَ، وَسَلِّمْ عَلٰى مَنْ لَقِيتَ مِنْ أُمَّتِي تَكْثُرْ حَسَنَاتُكَ، وَإِذَا دَخَلْتَ مَنْزِلَكَ فَسَلِّمْ عَلٰى أَهْلِ بَيْتِكَ يَكْثُرْ خَيْرُ بَيْتِكَ

---

71. Ebû Dâvûd ve Tirmizî, Kilde b. el-Hanbel'den rivâyet etmişlerdir. Tirmizî hasen olduğunu söyledi. Zâten vaka sahibi de bu râvidir.
72. Harâitî **"Mekârim-i Ahlâk"**da rivâyet etmiştir.

"Ey Enes! Abdeste devâm et ve abdesti güzel al ki, ömrün uzasın. Karşılaştığın herkese selâm ver ki, hasenâtın çoğalsın. Evine girdiğin zaman ehl-i beytine selâm ver ki, evinin iyiliği ve bereketi artsın."[73] buyurdu."

Enes (r.a.), Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in şöyle buyurduğunu rivâyet etmiştir:

إِذَا الْتَقَى الْمُؤْمِنَانِ فَتَصَافَحَا قُسِمَتْ بَيْنَهُمَا سَبْعُونَ مَغْفِرَةً
تِسْعٌ وَسِتُّونَ لِأَحْسَنِهِمَا بِشْرًا

"İki mü'min karşılaşıp musâfaha ettikleri zaman aralarında, yetmiş günâhları için mağfiret bölünür. Bunun altmış dokuzu güleryüzlü olanın, biri de diğerinindir."

Allahu Teâlâ şöyle buyuruyor:

وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا

"Size selâm verildiği zaman, onu daha güzeli veyâ misli ile iâde edin." (Nisâ suresi, 4/86)

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de şöyle buyurmuştur:

وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتّٰى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا
حَتّٰى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلٰى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ،
قَالُوا: بَلٰى يَا رَسُولَ اللّٰهِ، قَالَ: أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ

"Varlığımı kudret elinde bulunduran Allah'a yemin ederim ki, mü'min olmadıkça cennete giremezsiniz; birbirinizi sevmedikçe de

---

[73] Harâitî **"Mekârim-i Ahlâk"**da, Beyhakî **"Şuabü'l-Îman"**da. Ayrıca Tirmizî sâhih olduğunu söyleyerek rivâyet etmişlerdir.

mü'min olamazsınız. İster misiniz size bir ameli bildireyim ki, onu yaptığınız zaman birbirinizi sevmiş olursunuz? Aranızda selâmı yayınız."[74]

Diğer bir hadîste de:

إِذَا سَلَّمَ الْمُسْلِمُ عَلَى الْمُسْلِمِ فَرَدَّ عَلَيْهِ صَلَّتْ عَلَيْهِ
الْمَلَائِكَةُ سَبْعِينَ مَرَّةً

"Bir Müslüman diğer bir Müslüman'a selâm verdiği; o da selâmı iâde ettiği zaman melek, yetmiş kere ona selâm eder."[75] buyrulmuştur.

Başka bir hadîste şöyle buyurulmuştur:

إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَعْجَبُ مِنَ الْمُسْلِمِ يَمُرُّ عَلَى الْمُسْلِمِ
وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ

"Bir Müslüman ile karşılaştığı hâlde, selâm vermeden geçen Müslüman'a, melekler bile şaşar."[76]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي وَإِذَا سَلَّمَ مِنَ الْقَوْمِ وَاحِدٌ أَجْزَأَ عَنْهُمْ

"Binitli olan, yaya olana selâm verir. Gelen cemâatten birisi selâm verirse hepsine yeter."[77]

---

[74] Müslim, Ebû Hüreyre'den rivâyet etmiştir.

[75] Sahibü'l-Firdevs, Ebû Hüreyre'den rivâyet etti.

[76] Mehazı tesbît edilememiştir.

[77] İmâm Mâlik **"Muvatta"** adlı eserinde Zeyd b. Eslem'den mürsel olarak; Ebû Dâvûd da Ali hadîsinden; Buhârî ile Müslim de Ebû Hüreyre'den rivâyet etmişlerdir.

Katâde şöyle demiştir:

“Selefin selâmı, selâm verdiği adama secde etmek idi. Bize ise Allahü Teâlâ: “Es-selâmü aleyküm ve rahmetullah” demeyi tâlim buyurdu. Bu selâm, cennet ehlinin selâmıdır.”

Ebû İdris el-Havlânî, uğradığı bâzı kimselere selâm vermezdi. Niçin böyle yaptığını soranlara şu cevâbı verirdi: “Korkarım selâm almazlar da melekler onları lânetler.”

Musâfaha: Selâm ile beraber bir de el sıkışmak sünnettir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e bir zât gelerek: “Es-selâmü aleyküm” dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), selâmını aldıktan sonra: *“Sana on sevap var.”* buyurdu. Başka birisi gelerek: “Es-selâmü aleyküm ve rahmetullah” deyince: *“Sana da yirmi sevap var.”* buyurdu. Üçüncü birisi de gelerek: “Es-selâmü aleyküm ve rahmetullahi ve berekâtüh” diye selâm verince: *“Sana da otuz sevap var.”* buyurdu.[78]

Enes (r.a.), çocuklara da selâm verir ve Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’in böyle yaptığını söylerdi.

Abdülhamîd b. Behram şöyle demiştir:

“Bir gün Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) mescide gitmişti. Orada bulunan kalabalığa eli ile selâm verdikten sonra (Hamîd, bu selâmı eli ile de göstermiştir.):

لَا تَبْدَؤُا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارٰى بِالسَّلَامِ وَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ
فِي الطَّرِيقِ فَاضْطَرُّوهُ إِلٰى أَضْيَقِهِ

“Yahudi ve Hristiyanlara önce siz selâm vermeyin. Yollarda on-

---

[78] Ebû Dâvûd ve Tirmizî, İmran b. Husayn’dan rivâyet ettiler. Tirmizî hasen ve garîb olduğunu söyledi.

lara rastladığınız zaman, çukura düşmemek ve duvara çarpmamak şartıyla onları aralayarak geçiniz."[79] buyurdular.

Ebû Hüreyre (r.a.) Rasûl-i Ekrem'in (s.a.v.) şöyle buyurduğunu rivâyet etmiştir:

لَا تُصَافِحُوا أَهْلَ الذِّمَّةِ وَلَا تَبْدَؤُهُمْ بِالسَّلَامِ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ
فِي الطَّرِيقِ فَاضْطَرُّوهُمْ إِلٰى أَضْيَقِ الطُّرُقِ

"Zimmîlerle musâfaha etmeyin ve önce siz selâm vermeyin. Yolda karşılaştığınız zaman, onları kenara çekilmeye mecbur ederek geçin."

Hz. Âişe şöyle demiştir:

"Yahûdilerden bir cemâat Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in huzuruna gelerek "Es-Selâmü aleyküm (Allah'ın rahmeti üzerine olsun)" diyecek yerde, kasıtlı olarak "Es-sâmü aleyküm (ölüm üzerinize olsun)" dediler. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de *"Aleyküm* (size olsun)" buyurdu". Hz. Âişe devâmla diyor ki: "Ben dayanamayarak "Ve aleykümü's-sâm ve'l-la'ne (ölüm ve lânet size olsun)" dedim. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي كُلِّ شَيْءٍ

- *"Ya Âişe! Allahu Teâlâ her şeyde yumuşak davranmayı sever."* buyurdu. Ben:

- "Onların dediklerini duymadın mı?" dedim. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

فَقَدْ قُلْتُ عَلَيْكُمْ

---

[79] Müslim, Ebû Hüreyre'den rivâyet etmiştir.

- *“Ben de “Aleyküm* (Size olsun)*” diyerek, onu, onlara iâde ettim ya.”* buyurdu.”[80]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ،
وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ وَالصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ

“Binitli yaya olana; yaya, oturana; az, çoğa ve küçük büyüğe selâm verir.”

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارٰى فَإِنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ بِالْإِشَارَةِ
بِالْأَصَابِعِ وَتَسْلِيمَ النَّصَارٰى بِالْإِشَارَةِ بِالْأَكُفِّ

“Sakın Yahûdi ve Hristiyanlara benzemeyin. Zîra Yahudilerin selâmı, parmak işâreti, Hristiyanların selâmı ise avuç işâreti iledir.”[81] buyurdu.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

إِذَا انْتَهٰى أَحَدُكُمْ إِلٰى مَجْلِسٍ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يَجْلِسَ
فَلْيَجْلِسْ، ثُمَّ إِذَا قَامَ فَلْيُسَلِّمْ فَلَيْسَتِ الْأُولٰى بِأَحَقَّ مِنَ الْأَخِيرَةِ

“Bir meclise uğradığınız zaman selâm verin. Oturmak îcap ediyorsa, oturduktan sonra; kalkıp giderken yine selâm verin. Birinci selâm, ikinci selâmdan daha mühim değildir; ikisi de aynı hükümdedir.”[82]

---

[80] Buhârî ile Müslim rivâyet etmiştir.

[81] Tirmizî, Amr b. Şuayb’den, o da babası ve dedesinden rivâyet etmiştir.

[82] Ebû Dâvûd ve Tirmizî, Ebû Hüreyre’den rivâyet etmişlerdir. Tirmizî, hasendir, dedi.

Enes (r.a.), Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in şöyle buyurduğunu rivâyet etmiştir:

إِذَا الْتَقٰى الْمُؤْمِنَانِ فَتَصَافَحَا قُسِمَتْ بَيْنَهُمَا سَبْعُونَ مَغْفِرَةً، تِسْعَةٌ وَسِتُّونَ لِأَحْسَنِهِمَا بِشْرًا

"İki mü'min karşılaşıp musâfahalaştıkları zaman, aralarında yetmiş rahmet bölüşürler. Bunlardan altmış dokuzu güleryüzlü olana, birisi de asık suratlı olana verilir."[83]

Hz. Ömer (r.a.), Rasûl-i Ekrem'in şöyle buyurduğunu rivâyet ediyor:

إِذَا الْتَقٰى الْمُسْلِمَانِ وَسَلَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلٰى صَاحِبِهٖ وَتَصَافَحَا نَزَلَتْ بَيْنَهُمَا مِائَةُ رَحْمَةٍ لِلْبَادِئِ تِسْعُونَ وَلِلْمُصَافِحِ عَشَرَةٌ

"İki Müslüman karşılaştıklarında, birbirine selâm vererek musâfahalaşırsa, aralarına yüz rahmet iner. Bunun doksânı, önce selâm verip musâfahalaşana, onu ise musâfaha eden ikinci şahsadır."[84]

Hasan-ı Basrî şöyle demiştir:

"Musâfaha sevgiyi arttırır."

Ebû Hüreyre (r.a.), Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in şöyle buyurduğunu rivâyet etmiştir:

تَمَامُ تَحِيَّاتِكُمْ بَيْنَكُمُ الْمُصَافَحَةُ

---

83. Taberânî **"Evsat"**ında Ebû Hüreyre'den rivâyet etmiştir.
84. Bezzâr Müsned'inde. Harâitî **"Mekârim-i Ahlâk"**ta. ayrıca Beyhakî **"Şuabu'l-îman"**da rivâyet etmişlerdir.

“Selâmınızın tamâmı, musâfaha iledir.”[85]

Bir başka hadîste de şöyle buyrulmuştur:

قُبْلَةُ الْمُسْلِمِ أَخَاهُ الْمُصَافَحَةُ

“Müslüman’ın kardeşini öpmesi, musâfahasıdır. Yâni Müslümanlar öpüşmezler belki musâfaha ederler. Musâfaha öpüşmek yerine geçer.”[86] Teberrük ve saygı olarak, dîn büyüklerinin ellerini öpmekte beis yoktur. **İbn Ömer** (r.a.): “Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’in elini öperdik.” demiştir. **Kâ’b b. Mâlik** de: “Tebuk savaşına iştirâk edemeyişimdeki hatânın bağışlandığına dâir âyet-i celîle nâzil olduğu zaman, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e giderek elini öptüm.” demiştir.

Yine rivâyete göre, bedevî Arabın biri Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e gelerek: “Ya Rasûlallah müsâade buyur da elini ve başını öpeyim.” dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) kendisine müsâade etti ve adam da dediğini yaptı. **Ebû Ubeyde** Şam’da veli iken, Şam’a gelen Ömer b. el-Hattab (r.a.) ile karşılaşınca, musâfahalaştılar. Ebû Ubeyde, Hz. Ömer’in elini öptü ve ağlaştılar.

Berâ b. Âzib (r.a.) şöyle demiştir:

“Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e abdest alırken selâm verdim. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) abdesti bitirdikten sonra selâmımı aldı ve elini uzatarak benimle musâfaha etti. Ben de:

- “Ya Rasûlallah! Bu, acem âdeti değil mi?” dedim. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ الْمُسْلِمَيْنِ إِذَا الْتَقَيَا فَتَصَافَحَا تَحَاتَّتْ ذُنُوبُهُمَا

---

[85] Harâitî **“Mekârim-i Ahlâk”**da. Ayrıca Tirmizî Ebû Umâme’den rivâyet etti.

[86] Harâitî ve İbn Adîy Enes’den rivâyet ettiler.

- *"Müslümanlar karşılaştıklarında musâfaha ederlerse, günâhları dökülür."* buyurdu".

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

إِذَا مَرَّ الرَّجُلُ بِالْقَوْمِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ فَرَدُّوا عَلَيْهِ كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ
فَضْلُ دَرَجَةٍ لِأَنَّهُ ذَكَّرَهُمُ السَّلَامَ وَإِنْ لَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ
مَلَأٌ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَأَطْيَبُ أَوْ قَالَ وَأَفْضَلُ

"Bir kimse uğradığı cemâata selâm verdiğinde, onlar selâmını alırlarsa, selâm verenin -selâmı hatırlattığı için- onlar üzerine fazîlet ve mükâfatı vardır. Şâyet selâmı almazlara, onlardan daha hayırlı ve temiz bir cemâat (melekler) *tarafından selâmı alınır."*[87]

Selâm verirken eğilmek nehyedilmiştir. Enes (r.a.), Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e:

- "Ya Rasûlallah! Selâm verdiğimiz zaman eğilelim mi?" diye sordu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Hayır."* buyurdu. Enes:

- "Öpüşelim mi?" dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Hayır, öpüşmeyin."* buyurdu. Enes:

- "Musâfaha edelim mi?" dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Evet, musâfaha edin."* buyurdu.[88]

Yolculuktan dönüşte, kucaklaşmak ve öpüşmek hakkında da rîvâyetler vardır. Ebû Zer (r.a.) şöyle demiştir:

---

[87] Beyhakî sahih sened ile İbn Mes'ûd'dan merfû olarak rivâyet etmiştir.

[88] Tirmizî rivâyet etti ve hasendir, dedi. Ayrıca Beyhakî **"Şuabu'l-Îman"**da rivâyet etti.

“Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ile ne zaman karşılaşsak, musâfaha ederdik. Hattâ bir gün beni aradı, ben yoktum. Haber aldığımda doğruca ziyâretine gittim. Kendisi oturuyordu. Kucaklaştık. Kendisi çok sevinçli ve neşeli idi.”

Âlimleri binitlerine bindirirken, saygı için üzengilerinden tutmak hakkında eser vârid olmuştur. **İbn Abbas**, Zeyd b. Sâbit’in üzengisini tutmuş. Hz. Ömer de aynı şeyi yapmış ve “Zeyd ve Zeyd’in adamlarına yâni ilim sahiplerine böyle yapın.” demiştir.

İkrâm kastıyla değil de, tâzim için ayağa kalkmak da mekruhtur. Enes (r.a.) şöyle demiştir: “Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’den sevimli kimse yoktu. Böyle iken, hoşlanmadığını bildiğimiz için, geldiği zaman kimse ayağa kalkmazdı.”

Rivâyete göre Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِذَا رَأَيْتُمُونِي فَلَا تَقُومُوا كَمَا تَصْنَعُ الْأَعَاجِمُ

“Acemlerin yaptığı gibi, siz de beni gördüğünüz zaman ayağa kalkmayın.”[89] buyurdu.

Başka bir hadîste de şöyle buyrulmuştur:

مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ

“Kendisine kıyâm edilmesini seven kimse cehennemdeki yerine hazırlansın.”[90]

Diğer bir hadîste:

---

[89] Ebû Dâvûd ve İbn Mâce Ebû Umâme’den rivâyet etti.

[90] Ebû Dâvûd ve Tirmizî Muâviye’den rivâyet etmişlerdir. Tirmizî hasendir, demiştir.

لَا يُقِمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسْ فِيهِ وَلٰكِنْ
تَوَسَّعُوا وَتَفَسَّحُوا

"Hiç kimse başkasını kaldırıp yerine oturmasın, ancak sıkışarak yer verin."[91] buyrulmuştur.

Ashâb-ı kirâm, bu hususa son derece ehemmiyet verirlerdi. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

إِذَا أَخَذَ الْقَوْمُ مَجَالِسَهُمْ فَإِنْ دَعَا أَحَدٌ أَخَاهُ فَأَوْسَعَ لَهُ فَلْيَأْتِهِ
فَإِنَّمَا هِيَ كَرَامَةٌ أَكْرَمَهُ بِهَا أَخُوهُ فَإِنْ لَمْ يُوَسِّعْ لَهُ فَلْيَنْظُرْ إِلٰى
أَوْسَعِ مَكَانٍ يَجِدُهُ فَلْيَجْلِسْ فِيهِ

"Mecliste olanlar yerlerini alıp oturdukları zaman, birisi bir kardeşini dâvet ederek yer verirse, o bir ikrâmdır; onu kabul etsin. Şâyet yer göstermezse, müsâit olan bir yer bulsun ve oraya otursun."[92]

Rivâyete göre, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) idrârını yaparken bir zât kendisine selâm verdi. Fakat Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) selâmını almadı. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), kazâ-i hâcette olan adama selâm vermeyi kerih görürdü.

"Aleyke's-selâm" diye başlamak mekruhtur. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e bir kimse böyle müfred olarak "Aleyke's-selâm" deyince, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَوْتٰى قَالَهَا ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ

---

[91] Buhârî ile Müslim, İbn Ömer'den rivâyet etmişlerdir.

[92] Begavî **"Mûcemü's-Sahâbe"**de İbn Şeybe'den rivâyet etmiştir. Râviler sikadır.

"Aleyke's-selâm," ölülere verilen selâmdır." (Çünkü onlarla beraber muhâfız melekler bulunmadığı için, onlar tektir.) Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), bu sözünü üç kere tekrarladıktan sonra:

إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَقُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ

"Sizden biriniz kardeşine mülâki olduğu zaman "Es-selâmü aleyküm ve rahmetullahi ve berekâtüh" desin."[93] buyurdu.

Meclise gelen kimse, safta oturacak yer bulamazsa -müstehâb olan- geri dönmeyip, safın arkasında oturmaktır. Bir gün Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ashâb-ı kirâmı ile mecliste otururken üç kişi geldi. İkisi Rasûl-i Ekrkem'e yöneldi, birisi bulduğu boş yere, ikincisi de safın arkasında oturdu. Üçüncüsü geri dönerek gitti. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), konuşmasını bitirdikten son şöyle buyurdu:

أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوٰى إِلَى اللّٰهِ
فَاٰوَاهُ اللّٰهُ، وَأَمَّا الثَّانِي فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللّٰهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الثَّالِثُ
فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللّٰهُ عَنْهُ

"Size üç kişinin halini bildireyim mi? Birincisi Allah'a yaklaştı, Allahu Teâlâ da onu rahmeti altına aldı. İkincisi utandı ve safın arkasında kaldı, Allahu Teâlâ da ondan hayâ etti. Üçüncüsü arka çevirdi, Allahu Teâlâ da ondan irâz etti."[94]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقَا

---

[93] Ebû Dâvûd, Tirmizî ve Neseî **"El-Yevm ve'l-Leyle"**de İbn Cerî'den rivâyet etmişlerdir. Zâten kıssa sahibi de odur. Tirmizî hasen ve sahihtir, dedi.

[94] Buhârî ile Müslim, Ebû Vâkid el-Leysî'den rivâyet etmişlerdir.

"İki Müslüman karşılaşıp musâfaha ettikleri zaman, onlar ayrılmadan Allahu Teâlâ onları mağfiret buyurur."[95]

Hz. Ali'nin (r.a.) kızkardeşi ve Ebû Tâlib'in kızı Fahte (Ümmühânî) Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e selâm verdi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Bu kadın kimdir?"* diye sordu. Kendisine:

- "Ümmühânî'dir." dediler. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Ümmühânî merhâba!"* diyerek hâl ve hatırını sordu.[96]

Müslüman haklarından birisi de mümkün mertebe din kardeşinin mal, can, namus ve ırzını korumaktır. Gıyabında onu müdâfaa etmek, huzurunda ise yardımda bulunmaktır. İslâmî kardeşlik iktizâsı böyle hareket etmek vâciptir. Ebû'd-Derdâ'dan (r.a.) rivâyete göre, bir adam Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in huzurunda birisinin aleyhinde konuştu. Bir başkası da adamı müdâfaa etti. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ كَانَ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ

"Dîn kardeşini müdâfaa eden kimseye, o müdâfaası cehennem ateşine karşı perde olur."[97]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَرُدُّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى
اللهِ أَنْ يَرُدَّ عَنْهُ نَارَ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

"Hangi bir Müslüman ki, din kardeşini müdâfaa ederse Allahu

---

[95] Ebû Dâvûd, Tirmizî ve İbn Mâce, Berâ b. Âzib'den rivâyet etmişlerdir.

[96] Müslim, Ümmühanî'den rivâyet etmiştir.

[97] Tirmizî rivâyet etti ve hasendir, dedi.

Teâlâ'nın onu kıyamet gününde cehennem ateşinden korumasını hak eder."[98]

Enes'in (r.a.) rivâyetinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

مَنْ ذُكِرَ عِنْدَهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ وَهُوَ يَسْتَطِيعُ نَصْرَهُ فَلَمْ يَنْصُرْهُ
أَدْرَكَهُ اللّٰهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ وَمَنْ ذُكِرَ عِنْدَهُ أَخُوهُ
الْمُسْلِمُ فَنَصَرَهُ نَصَرَهُ اللّٰهُ تَعَالٰى فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ

"Bulunduğu mecliste dîn kardeşinin aleyhinde konuşulurken ona yardım etmeye ve onu müdâfaaya gücü yeterken, bu yardımda bulunmayan kimseyi Allahu Teâlâ dünya ve âhirette zelîl eder. Yanında bir din kardeşinin aleyhinde konuşulurken, müdâfaasına gücü yetip de onu müdâfaa eden kimseyi de Allahu Teâlâ dünya ve âhirette yardımına mazhar kılar."[99]

مَنْ حَمٰى عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي الدُّنْيَا بَعَثَ اللّٰهُ
تَعَالٰى لَهُ مَلَكًا يَحْمِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ النَّارِ

"Kim, dünyada dîn kardeşinin şerefini korursa, kıyâmet günü Allahu Teâlâ bir melek gönderir ve melek onu cehennem ateşinden korur."[100]

Câbir ve Ebû Talhâ'nın (r.a.) rivâyetinde, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

---

98. Ahmed, Esmâ b. Yezid'den; Harâitî **"Mekârim-i Ahlâk"**da rivâyet etmişlerdir. Taberânî'ye göre, Ebûd-Derdâ'dandır. Râviler arasında Şehr b. Huşib vardır.
99. İbn Ebî'd-Dünyâ rivâyet etmiştir.
100. Ebû Dâvûd rivâyet etmiştir.

مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَهَكُ فِيهِ
عِرْضُهُ وَيُسْتَحَلُّ حُرْمَتُهُ إِلَّا نَصَرَهُ اللّٰهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ
نَصْرَهُ وَمَا مِنِ امْرِئٍ خَذَلَ مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ يُنْتَهَكُ فِيهِ
حُرْمَتُهُ إِلَّا خَذَلَهُ اللّٰهُ فِي مَوْضِعٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ

"Bir Müslüman'ın şerefi ile oynandığı, aleyhinde konuşulduğu yerlerde, ona kim yardım ederse, Allahu Teâlâ da yardıma muhtaç olduğu gün kendisine yardım eder. Kim bir Müslüman'ı topluluk içinde, aleyhinde konuşup rezîl ve teşhîr etmeye kalkarsa, yardımı seveceği gün, Allahu Teâlâ da onu rezîl eder."[101]

Müslüman haklarından birisi de, aksırdığı zaman **"El-hamdülillâh"** diyen kimseye, **"Yerhamükellah"** demektir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

"Aksıran kimse "El-hamdülillâh alâ külli hâl" desin. Bunu duyan da "Yerhamükellah" desin. Aksıran da cevap olarak "Yehdîkumullahu ve yuslihu bâleküm" desin."[102] buyurmuştur.

İbn Mes'ûd'un rivâyetinde ise Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَإِذَا قَالَ
ذٰلِكَ فَلْيَقُلْ مَنْ عِنْدَهُ: يَرْحَمُكَ اللّٰهُ، فَإِذَا قَالُوا ذٰلِكَ فَلْيَقُلْ:
يَغْفِرُ اللّٰهُ لِي وَلَكُمْ

---

[101] Ebû Dâvûd rivâyet etmiştir.

[102] Buhârî ve Ebû Dâvûd, Ebû Hüreyre'den rivâyet etmişlerdir.

“Sizden biriniz aksırdığı zaman “El-hamdülillâh” desin. Yanında bulunan, “Yerhamükellah” desin. Aksıran da “Yağfirullahu lî ve leküm” desin.”[103]

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), aksırıp “El-hamdülillâh” diyen bir adama, “Yerhamükellah” dediği hâlde, aksıran bir başkasına bir şey demedi. Adam:

- “Ya Rasûlallah! Bana niçin “Yerhamükellâh” demedin?” diye sordu. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.): *“O, Allah’a hamd etti, sen ise sustun”* buyurdu. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

يُشَمَّتُ الْعَاطِسُ الْمُسْلِمُ إِذَا عَطَسَ ثَلَاثًا فَإِنْ زَادَ فَهُوَ زُكَامٌ

“Aksıran Müslüman, üç defaya kadar aksırır (ve El-hamdülillâh der) *se “Yerhamükellah” denir. Üçten fazla olursa artık o, zükâmdır* (nezledir)*; ona “Yerhamükellah” demeye lüzûm yoktur.”*[104] buyurdu.

Rivâyete göre, adamın biri üç defa aksırdı ve **“El-hamdülillâh”** dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de kendisine, *“Yerhamükellâh”* dedi. Adam, dördüncü defa aksırınca, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

“Artık nezle olduğun anlaşıldı.”[105] buyurdu.

Ebû Hüreyre (r.a.) şöyle demiştir:

“Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), aksırdığı zaman sesini kısar, elini ağzına getirirdi. Hattâ yüzünü kapattığı da olurdu.”[106]

---

[103] Neseî **“El-Yevm ve’l-Leyle”**de. Ebû Dâvûd ve Tirmizî ise Salim b. Ab dullah’tan rivâyet ettiler.

[104] Buhârî ile Müslim, Enes’ten rivâyet etmişlerdir.

[105] Ebû Dâvûd ve Tirmizî rivâyet ettiler. Tirmizî hasen ve sahih olduğunu söyledi.

[106] Ebû Dâvûd ve Tirmizî rivâyet ettiler. Tirmizî hasen ve sahih olduğunu söylemiştir.

Ebû Mûsâ el-Eş'arî şöyle demiştir:

"Yahûdiler, "Yerhamükellah" der ümidi ile Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in meclisinde aksırır dururlardı. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de "Yerhamükellah" yerine, "Yehdîkümüllah (Allah size hidâyet nasîb etsin)" buyururdu."[107]

Abdullah b. Abbas b. Rebîa, babasından şöyle anlatıyor: Adamın biri Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in ardında namaz kılarken aksırdı ve:

"Elhamdülillah hamden kesîren tayyiben mübâreken fîhi kemâ yerdâ rabbunâ ve ba'de mâ yerdâ. Elhamdülillâhi alâ külli hâlin. (Meâli: Allah'a hamdolsun. Çok hamd, güzel hamd, bereketli hamd, Rabbimizin râzı olduğu gibi ve râzı olduktan sonra her hâl ü kârda hamd Allah'a mahsûstur) dedi. Selâm verdikten sonra, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنْ صَاحِبُ الْكَلِمَاتِ؟ فَقَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللّٰهِ مَا أَرَدْتُ بِهِنَّ
إِلَّا خَيْرًا. فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ اِثْنٰى عَشَرَ مَلَكًا كُلُّهُمْ يَبْتَدِرُونَهَا
أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا

- *"O sözleri söyleyen kim idi?"* diye sordu. Adam:

- "Ben idim, bunlarla ancak hayrı murad ettim ya Rasûlallah." deyince Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"On iki meleği, daha evvel bu sözleri ben yazacağım diye müsâbaka hâlinde gördüm."* buyurdu.[108]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

---

[107] Ebû Dâvûd, Abdullah b. Amr b. Rebî'den (r.a.). o da babasından rîvâyet etti. İsnadı ceyyiddir.

[108] Taberânî **"Evsat"**ında ve duâ faslında Ali'den rivâyet etmiştir.

مَنْ عَطَسَ عِنْدَهُ فَسَبَقَ إِلَى الْحَمْدِ لَمْ يَشْتَكِ خَاصِرَتَهُ

“Aksırdığı zaman “El-hamdülillah” diyen kimse, göz ağrısı görmez.”[109] Başka bir hadîste de şöyle buyurulmuştur:

اَلْعِطَاسُ مِنَ اللّٰهِ وَالتَّثَاؤُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى فِيهِ، فَإِذَا قَالَ: هَا هَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَضْحَكُ مِنْ جَوْفِهِ

“Aksırmak Allah’tan, esnemek ise şeytandandır. Sizden biriniz esnediği zaman, elini ağzına koysun. Esnerken ha ha diyenlere şeytan içinden güler.”[110]

İbrâhim Nehaî: “Def’-i tab” esnâsında aksıran kişinin, içinden “El-hamdülillâh” demesinde beis yoktur.” demiştir.

Hasan-ı Basrî: “Bu hâlde içinden hamd etmelidir.” dedi.

Ka’bü’l-Ahbâr şöyle demiştir: “Mûsâ aleyhisselâm, Allahu Teâlâ’ya:

“Ey Rabbım! Yakın mısın, sana alçak sesle yalvarayım yoksa uzak mısın, yüksek sesle çağırayım?” dedi. Allahu Teâlâ:

“Beni zikreden kimsenin arkadaşıyım; dâima yanındayım.” buyurdu. Mûsâ aleyhisselâm:

“Ya Rab! Kazâyı hâcette bulunurken ve cünüplük gibi hâllerimiz olur ki, seni anmaya utanır ve bu hâlde seni anmayı saygısızlık sayarım.” dedi. Allahü Teâlâ cevâben:

---

[109] Buhârî ile Müslim, Ebû Hüreyre’den rivâyet ettiler. Fakat bu rivâyette **“Aksırmak Allah’tandır.”** kaydı yoktur. Bu kayıt Tirmizî’nindir.

[110] Buhârî ile Müslim, Âişe (r. anha)’dan rivâyet etmişlerdir.

- "Her hâlinde beni an." buyurmuştur.

Müslüman haklarından birisi de; kötü bir insan ise kötülüğüne tahammül ederek, ondan kendini korumaya gayret etmektir. Nitekim bâzı kimseler: "Mü'minler ile samîmî dostluk kur, kötüler ile de güzel geçinmeye gayret et; Zîra kötü kimse dıştaki görünüşe râzı olur." demişlerdir.

Ebû'd-Derdâ (r.a.): "Biz, içimizden lânet ettiğimiz bâzı kimselerin yüzüne gülerdik." buyurmuştur. Bu şekil hareket bir riyâ değil, belki idâre ve müdârâdır. Zararından korktuğun kimselerle böyle hareket edersin. Nitekim âyet-i celîle'de:

اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ

"Kötülüğü iyilikle def et." (Mü'minûn suresi, 23/96) buyurulmuştur. İbn Abbas (r.a.):

وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ

"Ve kötülüğü iyilik ile karşılarlar." (Ra'd suresi, 13/22) âyet-i celîlesinin tefsirinde; kendilerine yapılan eziyet ve söylenen kötü sözleri müdârâ ve selâm vermekle karşılarlar, demiştir. Yine Allahu Teâlâ'nın:

وَلَوْلَا دَفْعُ اللّٰهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ

"Eğer Allahu Teâlâ insanların bâzısını bâzısı ile def etmeseydi." (Bakara suresi, 2/251) âyet-i celîlesinin tefsirinde "korku, idâre, hayâ ve rağbet ile" diye tefsir etmiştir. Hz. Aişe (r. anha) şöyle demiştir: "Bir gün bir adam Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ile görüşmek üzere, yanına girmek için izin istedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اِئْذَنُوا لَهُ فَبِئْسَ رَجُلُ الْعَشِيرَةِ هُوَ

- *“İzin verin, girsin. O, kabîlesinin en kötü insanıdır.”* buyurdu.

Adam içeri girince, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) onunla öyle tatlı konuşmaya başladı ki, aralarında eskiden beri samîmiyetin bulunduğunu sandım. Adam çıkıp gidince ben:

- “Ya Rasûlallah! Adam kapıya geldiği zaman böyle söyledin, adam içeri girince tatlı tatlı muhabbete başladın, bu nasıl oldu?” dedim. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

يَا عَائِشَةُ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللّٰهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ
النَّاسُ اِتِّقَاءَ فُحْشِهِ

- *“Ya Âişe! Kıyamet günü Allah katında insanların en kötüsü, fenâlığından korkularak kendisine hürmet edilen kimsedir.”* buyurdu.[111]

Haberde şöyle vârid olmuştur.

مَا وَقَى الرَّجُلُ بِهٖ عِرْضَهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ

“Kişi şerefini ne ile korursa, o kendisi için sadakadır.”[112] Eserde de şöyle vârid olmuştur:

“İşiniz ile insanlar arasına karışın fakat gönülleriniz ile herkese bağlanmayın.”

Muhammed b. Hanefiyye şöyle demiştir:

“Hoşlanmadığı bir kimseden kurtarıncaya kadar, güzel geçinemeyen kimse, akıllı sayılmaz.”

---

[111] Ebû Ya’lâ ve İbn Adiy, Câbirden rivâyet ettiler.

[112] İbn Mâce ve Hâkim, Ebû Saîd’den rivâyet ettiler. Hâkim, sahihtir dedi. Tirmizî de Aişe (r. anha)’dan rivâyet etti.

Müslüman haklarından birisi de; zenginlerden ziyâde yoksullarla düşüp kalkmak, öksüzlerine iyilik yapmaktır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) duâsında şöyle buyurmuştur:

اَللّٰهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَأَمِتْنِي مسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ
الْمَسَاكِينِ

"Allahım! Beni fakir yaşat, fakir öldür ve fakirlerle haşret."[113]

Ka'bü'l-Ahbâr şöyle demiştir:

"O büyük mülkün sahibi olan Süleymân aleyhisselâm, mescide girip orada bir yoksul gördüğü zaman, hemen onun yanına sokulur ve "Bir miskin bir miskin ile oturdu." derdi." Rivâyet edilmiştir ki; Hz. Îsâ aleyhisselâmın en çok hoşuna giden söz kendisinin "Ey miskin!" diye çağırılmasıydı. Ka'bü'l-Ahbâr "Kur'ân-ı Kerîm'de "Ey îman şerefiyle müşerref olanlar!" hitabının Tevrat'taki karşılığı "Ey miskinler." şeklindedir. Yâni, Tevrat'ta, inananlara "Ey miskinler!" diye hitap edilirken, Kur'ân-ı Kerîm'de, mü'minlere "Ey îman edenler!" diye hitap edilir. "

Ubâde b. Sâmitde şöyle demiştir:

"Cehennemin yedi kapısı var; üçü zenginler, üçü kadınlar ve birisi de fakirler içindir."

Fudayl şöyle demiştir:

"Peygamberlerden biri:

- "Ya Rab! Benden râzı olduğunu nasıl anlayayım?" demiş. Allahu Teâlâ:

---

[113] Tirmizî rivâyet etti. Hâkim de Aişe (r. anha)'dan rivâyet etti ve isnâdı sahihtir, dedi.

- "Yoksullara bak, onlar senden ne ile ve nasıl râzı olurlarsa, ben de öylece râzı olurum." buyurdu."

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir hadîsinde:

إِيَّاكُمْ وَمُجَالَسَةَ الْمَوْتٰى قِيلَ وَمَنِ الْمَوْتٰى يَا رَسُولَ اللّٰهِ؟
قَالَ: اَلْأَغْنِيَاءُ

"Sakın ölülerle düşüp kalkmayın." buyurdu. "Ölüler kimdir?" sorusuna cevap olarak da: *"Zenginlerdir."*[114] buyurdu.

Mûsâ aleyhisselâm:

- *"Allahım! Seni nerede arayayım?"* dedi. Allahu Teâlâ:

- *"Beni mahzûn gönüllerde ara."* buyurdu.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir hadîste şöyle buyurmuştur:

لَا تَغْبِطَنَّ فَاجِرًا بِنِعْمَةٍ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي إِلٰى مَا يَصِيرُ بَعْدَ
الْمَوْتِ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ طَالِبًا حَثِيثًا

"Sakın kötü insan elindeki nîmete imrenme. Zîra onun, öldükden sonra neye uğrayacağını bilemezsin. Çünkü onun ardından ciddî şekilde arayıcısı vardır."[115]

Yetime gelince; Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا مِنْ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ حَتّٰى يَسْتَغْنِي فَقَدْ وَجَبَتْ
لَهُ الْجَنَّةُ أَلْبَتَّةَ

---

[114] Buhârî **"Tarih"**inde; Taberânî **"Evsat"**ında ve Beyhakî **"Şuabü'l-Îman"**da Ebû Hüreyre'den rivâyet etmişlerdir.

[115] Ahmed ve Taberânî, Mâlik b. Ömer'den rivâyet etmişlerdir.

"Her kim Müslüman ana ve babadan yetim kalmış bir çocuğu, kendi kendini idâre edecek vaziyete gelinceye kadar himâyesine alırsa, elbette cennet'e girmeyi hak eder."[116]

Diğer bir hadîste şöyle buyrulmuştur:

أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ

"Ben ve yetimi himâye eden, cennette şunlar gibiyiz."[117] buyurdu ve şehâdet parmağı ile orta parmağının arasını açarak gösterdi. Yâni şu iki parmak arası gibi cennette birbirimize yakınız demektir.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

مَنْ وَضَعَ يَدَهُ عَلٰى رَأْسِ يَتِيمٍ تَرَحُّمًا، كَانَتْ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ
تَمُرُّ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَةٌ

"Kim şefkat ve merhametle bir yetimin başını okşarsa, elinin dokunduğu tüyler sayısınca sevap alır."[118]

Diğer bir hadîste:

خَيْرُ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ، وَشَرُّ
بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ

"Müslüman evlerinin en hayırlısı, içerisinde kendisine iyi muâmele yapılan yetimin bulunduğu evdir. Müslüman evlerinin en

---

116. Buhârî, Sehl b. Sa'd'dan; Müslim, Ebû Hüreyre'den rivâyet etmişlerdir.
117. Ahmed ve Taberânî, Ebû Umâme'den; İbn Hibbân da **"Zuafâ"**da İbn Ebî Evfâ'dan rivâyet etmişlerdir.
118. İbn Mâce, Ebû Hüreyre'den rivâyet etti.

kötüsü de kendisine haksızlık yapılan yetimin bulunduğu evdir."[119] buyrulmuştur.

Müslüman haklarından birisi de; Müslüman'a güzel öğüt vermek ve gönlünü hoş etmeye çalışmaktır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir mübârek sözünde şöyle buyurmuştur:

اَلْمُؤْمِنُ يُحِبُّ لِلْمُؤْمِنِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ

"Mü'min, kendisi için sevdiğini dîn kardeşi için de sever."

Diğer bir hadîste de şöyle buyurulmuştur:

لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتّٰى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ

"Sizden herhangi biriniz kendisi için sevdiğini dîn kardeşi için de sevmedikçe (olgun) *mü'min olmaz."*[120]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ أَحَدَكُمْ مِرْاٰةُ أَخِيهِ فَإِذَا رَأٰى فِيهِ شَيْئًا فَلْيُمِطْهُ عَنْهُ

"Siz, kardeşinizin aynasısınız. Onda (maddî ve mânevî) *bir leke gördüğünüz zaman onu alıp atın."*[121] buyurmuştur.

Başka bir hadîste de şöyle buyurulmuştur:

مَنْ قَضٰى حَاجَةً لِأَخِيهِ فَكَأَنَّمَا خَدَمَ اللّٰهَ عُمْرَهُ

"Kardeşinin bir ihtiyâcını gideren kimse, ömrü boyunca Allah'a kulluk etmiş gibidir."[122]

---

119. Evvelce geçmişti.
120. Ebû Dâvûd ve Tirmizî rivâyet etmişlerdir.
121. Buhârî **"Tarih"**inde: Taberânî ve Harâitî **"Mekârim-i Ahlâk"**ta Enes'den rivâyet etmişlerdir.
122. İbn Mübârek **"Zühd"**ünde rivâyet etmiştir.

مَنْ أَقَرَّ عَيْنَ مُؤْمِنٍ أَقَرَّ اللّٰهُ عَيْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

"Mü'minin gözünü sevindiren kimsenin, Allahu Teâlâ kıyâmet günü gözlerini sevindirir."[123]

مَنْ مَشٰى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ قَضَاهَا أَوْ
لَمْ يَقْضِهَا كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنِ اعْتِكَافِ شَهْرَيْنِ

"Kardeşinin işi uğrunda -ister gece ister gündüz olsun- bir saat gezen kimse; -o işi ister görsün, ister görmesin- iki ay itikâfa girmekten daha hayırlı bir hayır kazanmış olur."[124]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ مَغْمُومٍ أَوْ أَعَانَ مَظْلُومًا غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ
ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ مَغْفِرَةً

"Bir kimsenin sıkıntı ve kederini gideren veyâ bir mazluma yardım eden kimseyi, Allahu Teâlâ yetmiş üç kere mağfiret eder."[125]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

اُنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا فَقِيلَ: كَيْفَ يَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟
قَالَ: يَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ

"Zâlim olsun, mazlûm olsun kardeşine yardım et." Oradakiler:

---

[123] Hâkim, İbn Abbas'dan rivâyet etti ve sahih olduğunu söyledi. Taberânî de **"Evsat"**ında biraz farklı olarak rivâyet etti.

[124] Harâitî **"Mekârim-i Ahlâk"**da; İbn Hibbân **"Zuafâ"**da ve İbn Adiy de Enes'den rivâyet etmişlerdir.

[125] Buhârî ile Müslim, Enes'den rivâyet etmişlerdir.

- "Zâlime yardım nasıl olur?" dediler. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Onu zulmünden men etmekle, ona yardım edersin."*[126] buyurdu.

Bir başka hadîste şöyle buyrulmuştur:

إِنَّ مِنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللّٰهِ إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلٰى قَلْبِ الْمُؤْمِنِ
أَوْ أَن يُفَرِّجَ عَنْهُ غَمًّا أَوْ يَقْضِيَ عَنْهُ دَيْنًا أَوْ يُطْعِمَهُ مِنْ جُوعٍ

"Allah katında en sevimli amel, mü'minin kalbini sevindirmek, sıkıntısını gidermek, borcunu ödemek veyâ karnını doyurmaktır."[127]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

مَنْ حَمٰى مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ يَعْنَتُهُ بَعَثَ اللّٰهُ إِلَيْهِ مَلَكًا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَحْمِي لَحْمَهُ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ

"Bir mü'mini, bir münâfıkın eziyetinden koruyan kimseye, Allahu Teâlâ kıyamet günü bir melek göndererek onu cehennem ateşinden korur."[128]

Diğer bir hadîste de şöyle buyrulmuştur:

خَصْلَتَانِ لَيْسَ فَوْقَهُمَا شَيْءٌ مِنَ الشَّرِّ الشِّرْكُ بِاللّٰهِ وَالضُّرُّ
لِعِبَادِ اللّٰهِ، وَخَصْلَتَانِ لَيْسَ فَوْقَهُمَا شَيْءٌ مِنَ الْبِرِّ الْإِيمَانُ بِاللّٰهِ
وَالنَّفْعُ لِعِبَادِ اللّٰهِ

---

[126] Taberânî **"Sağîr"** ve **"Evsat"**ında İbn Ömer'den rivâyet etmiştir.

[127] İbn Mübârek, Ahmed, Ebû Dâvûd, İbn Ebi'd-Dünyâ gıybet bahsinde ve Taberânî Sehl b. Muaz'dan rivâyet etmişlerdir.

[128] Firdevs sahibi Hz. Ali'den rivâyet etmiştir.

"İki haslet var ki, kötülükte onlardan daha kötüsü yoktur: Allah'a şirk koşmak ve Allah'ın kullarına zararlı olmaktır. İki haslet de vardır ki, iyilikte onlardan daha üstünü yoktur: Allah'a îman etmek ve Allah'ın kullarına faydalı olmaktır."[129]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ لِلْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ

"Müslümanların dertleri ile ilgilenmeyen onlardan değildir."[130]

Mârûf-ı Kerhî şöyle demiştir:

"Kim ki, her gün, Allahım! Muhammed ümmetini ıslâh et, derse ebdâllerden sayılır." Diğer bir rivâyette: Her kim günde üç kere; Allahım! Muhammed ümmetini ıslâh et." derse ebdâllerden yazılır.

Ali b. Fudayl, birgün gözyaşları ile ağladı. Kendisine:

- "Ey Fudayl! Neden ağlıyorsun?" diyenlere Fudayl:

- "Bana zulmedene ağlıyorum. Yarın Allah huzurunda yaptığı zulümden sorulacağı an, hiç bir cevap veremeyecek. İşte onun hâline acıdığım için ağlıyorum." demiştir.

Müslüman haklarından biri de; hastalarını ziyâret etmektir. Yalnız Müslüman olmak ve onunla tanışmak, bu hak için fazîletin ihrâzı için kâfidir. Hastayı ziyâret eden az oturmalı, kendisine acıdığını hissettirmeli, hastaya sıhhat ve âfiyetle duâ etmeli ve mahrem yerlerine bakmamalıdır. İçeri girmek için müsâade isteyeceği zaman, gelişi güzel kapının ortasına değil, yan tarafa durmalı, kapıyı nezâketle çalmalı, "Kapıda kim var?" diye sorulduğu zaman; “Ben” dememeli, adını söylemeli, “Ey çocuk, ey hizmetçi” diye seslenmemeli. Belki hamd ve tesbih ederek kendini duyurmalıdır. Bütün bunlar, ziyâretin âdâbındandır. Bir hadîs-i şerifte Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

[129] Hâkim, Hüzeyfe'den rivâyet etti. Taberânî de **"Evsat"**ında Ebû Zer'den rivâyet etmiştir.

[130] Ahmed ve Tirmizî rivâyet ettiler. Başka rivâyet yolları da vardır.

“Hastayı ziyâretin tamamı, elini hastanın alnına koyarak veyâ elinden tutarak: “Nasılsın?” diye sormaktır. Selâmlaşmanın tamamı da musâfahadır.”[131] buyurmuştur.

Bir başka hadîs-i şerîfte de şöyle buyurulmuştur:

مَنْ عَادَ مَرِيضًا قَعَدَ فِي مَخَارِفِ الْجَنَّةِ حَتّٰى إِذَا قَامَ وُكِّلَ
بِهِ سَبْعُونَ أَلْفِ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتّٰى اللَّيْلَ

“Hastayı ziyâret eden, cennet bahçelerine oturmuş gibidir. Hastanın yanından ayrıldığı zaman yetmiş bin melek onun için akşama kadar mağfiret diler.”[132]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

إِذَا عَادَ الرَّجُلُ الْمَرِيضَ خَاضَ فِي الرَّحْمَةِ فَإِذَا
قَعَدَ عِنْدَهُ قَرَّتْ فِيهِ

“Hasta ziyâretine giden kimse, rahmet deryasına dalmış olur. Ziyâretçi hastanın yanında oturduğu zaman, rahmet deryasına yerleşmiş olur.”[133]

---

131. **“Sünen”** sahipleri ve Hâkim, Hz. Ali den rivâyet etmişlerdir. İbn Mâce ve Hâkim, sahihtir, dediler. Tirmizî hasendir, dedi. Müslim’in de bu meâlde bir rivâyeti vardır.
132. Hâkim ve Beyhâkî, Câbir’den rivâyet etmişlerdir. Hâkim, Müslim’in şartına göre sahih olduğunu söyledi. Başka rivâyet yolları da var.
133. Tirmizî ve İbn Mâce, Ebû Hüreyre’den rivâyet etmişlerdir.

Bir diğer hadîste de şöyle buyurulmuştur:

إِذَا عَادَ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ أَوْ زَارَهُ قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى: طِبْتَ وَطَابَ
مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مَنْزِلًا فِي الْجَنَّةِ

"Bir Müslüman, kardeşinin iyâdet veyâ ziyâretine gittiği zaman, Allahu Teâlâ; kendin de güzel, bu gidişin de güzel, buyurur. Bu vesîle ile cennette kendine bir yer hazırlamış oldun." buyurur."[134]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ بَعَثَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالٰى إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ. فَقَالَ:
اُنْظُرَا، مَاذَا يَقُولُ لِعُوَّادِهٖ. فَإِنْ هُوَ –إِذَا جَاؤُهُ– حَمِدَ اللّٰهَ وَأَثْنٰى
عَلَيْهِ. رَفَعَا ذٰلِكَ إِلَى اللّٰهِ. وَهُوَ أَعْلَمُ. فَيَقُولُ: لِعَبْدِي عَلَيَّ،
إِنْ تَوَفَّيْتُهُ، أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ. وَإِنْ أَنَا شَفَيْتُهُ أَنْ أُبْدِلَهُ لَحْمًا
خَيْرًا مِنْ لَحْمِهٖ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهٖ. وَأَنْ أُكَفِّرَ عَنْهُ سَيِّئَاتِهٖ

"Kul hastalandığı zaman, Allahu Teâlâ iki melek gönderir ve "Bakın, kulum ziyâretçilere ne diyor?" buyurur. Şâyet kul hamdeder ve hâline rızâ gösterirse bu sözünü Allah'a yükseltirler. Hâlbuki Allahu Teâlâ onlardan daha iyi bilir. O zaman Allahu Teâlâ: "Kulumu öldüreceksem onu cennete koymak; şâyet şifâ vereceksem eski etinden ve kılından daha iyisini ona vermek ve günâhlarını bağışlamak borcum olsun." buyurur."[135]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

---

134. İmâm Mâlik **"El-Muvatta"** adlı eserinde Ata b. Yesâr'dan mürsel olarak rivâyet etmiştir. İbn Abdülberr, Ebû Saîd el-Hudrî'den rivâyet etmiştir.
135. Buhârî Ebû Hüreyre'den rivâyet etmiştir.

مَنْ يُرِدِ اللّٰهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ

"Allahu Teâlâ kime hayır irâde ederse, onu ona verir."[136]

Hz. Osman (r.a.) şöyle buyurmuştur:

"Bir defa hastalanmıştım. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) yanıma geldi ve:

"Ya Osman! Şu duâyı oku." buyurdu"[137]

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ أُعِيذُكَ بِاللّٰهِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ، الَّذِي
لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، مِنْ شَرِّ مَا تَجِدُ

"Bismillâhirrahmânirrahîm. Seni, bir ve samed olan Allah'a, öyle Allah ki, doğmadı, doğurulmadı. O'na biri denk olmayan Allah'a, mevcut şerlerden sığındırırım."

Hz. Ali (r.a.) rahatsız bulunduğu bir sırada, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) yanına gelerek:

قُلِ اللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَعْجِيلَ عَافِيَتِكَ أَوْ صَبْرًا عَلٰى بَلِيَّتِكَ
أَوْ خُرُوجًا مِنَ الدُّنْيَا إِلٰى رَحْمَتِكَ فَإِنَّكَ سَتُعْطٰى إِحْدَاهُنَّ

"Allahım! Senden âcil şifâ veyâ verdiğin belâya sabır veyâ dünyadan rahmetine göç etmeyi isterim." de. Emîn ol, bunlardan biri sana verilecektir." buyurdu.[138]

Hastanın şöyle demesi de müstehaptır:

---

136. İbn Sünnî **"El-Yevm ve'l-Leyle"**de; Taberânî ve Beyhakî "**Ed'iye"**de hasen isnâd ile Osmân b. Affan'dan rivâyet etmişlerdir.

137. İbn Ebî'd-Dünyâ **"Maraz"** kitâbından başka ifade ile Enes'den rivâyet etmiştir.

138. İbn Ebi'd-Dünyâ **"Ed-Duâ ve'l-Maraz ve'l-Keffârât"**da rivâyet etmiştir.

"Çektiğim şu acıdan ve korktuklarımdan Allah'ın kudretine ilticâ eder; O'na sığınırım."

Hz. Ali (r.a.) şöyle demiştir:

"Herhangi biriniz karnı ağrıdığı zaman, âilesinin nikâh parasından bir miktâr istesin ve alsın, onunla bal satın alarak yağmur suyu karıştırıp içsin." Böyle yapmakla, kolaylıkla elde edilmiş helâl ve temiz kazanç ile temiz ve mübârek olan yağmur suyu ve şifâ olan balı bir araya toplamış olur.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), Ebû Hüreyre'ye (r.a.):

يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَمْرٍ هُوَ حَقٌّ، مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ فِي أَوَّلِ
مَضْجَعِهِ مِنْ مَرَضِهِ، نَجَّاهُ اللّٰهُ تَعَالٰى مِنَ النَّارِ؟ قُلْتُ: بَلٰى يَا
رَسُولَ اللّٰهِ، قَالَ: يَقُولُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ
حَيٌّ لَا يَمُوتُ، سُبْحَانَ رَبِّ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ، اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ حَمْدًا
كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ عَلٰى كُلِّ حَالٍ، اَللّٰهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا إِنَّ كِبْرِيَاءَ
رَبِّنَا وَجَلَالَهُ وَقُدْرَتَهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، اَللّٰهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَمْرَضْتَنِي
لِقَبْضِ رُوحِي فِي مَرَضِي هٰذَا، فَاجْعَلْ رُوحِي فِي أَرْوَاحِ
مَنْ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ الْحُسْنٰى، وَبَاعِدْنِي مِنَ النَّارِ كَمَا
بَاعَدْتَ أَوْلِيَاءَكَ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ الْحُسْنٰى

- *"Yâ Eba Hüreyre! Sana, ölüm döşeğine yatan bir hastanın daha ilk günde okuması ile ateşten kurtulmaya hak kazanacağı bir duayı öğreteyim mi?"* buyurdu. Ebû Hüreyre:

- "Evet bildir ya Rasûlallah, deyince Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

"Allah'tan başka ilâh yoktur, öldüren ve dirilten O'dur. Kendisi, ölmeyen birdir. Kulların ve milletlerin Rabbi olan Allah'ı noksan sıfatlardan tenzîh ederim. Her halde O'na; iyi, güzel ve çok hamd ederim. Allah, gerçekte her şeyden büyüktür. O'nun büyüklüğü, kudret ve celâli her yerde bellidir. Allahım, bu hastalığım ölüm hastalığı ise benim rûhumu iyilerle haşreyle. İyileri cehennem ateşinden koruduğun gibi, beni de cehennem ateşinden koru, desin." buyurdu.[139]

Rivâyete göre, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

عِيَادَةُ الْمَرِيضِ بَعْدَ ثَلَاثٍ فُوَاقُ نَاقَةٍ

"Hasta, hastalandıktan üç gün sonra, ziyaret edilir ve deveyi sağarken memesine süt gelmesini bekleyecek kadar devam eder. (Yâni ziyâret kısa olmalıdır.)*"*[140] buyurmuştur.

Tâvus da: "Hasta ziyâretinin makbulü, kısa olanıdır." demiştir.

İbn Abbas (r.a.) ise: "Hastayı bir defa ziyâret sünnettir; fazlası nâfiledir." dedi. Bâzen de: "Hasta, üç günden sonra ziyâret edilir." demişlerdir.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

أَغِبُّوا فِي الْعِيَادَةِ وَأَرْبِعُوا فِيهَا

"Hasta ziyâretine tekrar tekrar gidin. Fakat bunu dört gün ara ile yapın."[141]

Hastanın riâyet edeceği hususlar: Sabırlı olmak, bağırıp ça-

---

139. İbn Ebî'd-Dünyâ **"Kitâbu'l-Maraz"**da Enes'den rivâyet etmiştir.
140. İbn Ebi'd-Dünyâ, Câbir'den rivâyet etmiştir. Râviler arasında Ebû Ya'lâ da vardır.
141. Buhârî ile Müslim, Ebû Hüreyre'den rivâyet etmişlerdir.

ğırarak şikâyet etmemek, duâ etmek, tedâviden sonra Allah'a tevekkül edip şifâyı O'ndan bilmektir.

Müslüman haklarından birisi de; cenâzelerini teşyî etmektir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir hadîs-i şerifinde şöyle buyurmuştur:

مَنْ شَيَّعَ جَنَازَةً فَلَهُ قِيرَاطٌ مِنَ الْأَجْرِ فَإِنْ وَقَفَ حَتّٰى تُدْفَنَ

فَلَهُ قِيرَاطَانِ

"(Dîn kardeşinin) *cenâze namazına iştirak eden kimseye bir kırat, cenâze defnedilinceye kadar bekleyene iki kırat sevap vardır."*[142] Buradaki kırat'ı anlatmak üzere, diğer bir hadîste şöyle buyrulmuştur:

اَلْقِيرَاطُ مِثْلُ أُحُدٍ

"Bir kırat, Uhud dağı gibidir."[143] Ebû Hüreyre (r.a.), bu hadîsi rivâyet edip de İbn Ömer (r.a.) bunu duyduğu zaman şöyle demiştir: "Biz çok defa kıratlarda tefrit ederdik."

Cenâzeyi teşyîden asıl maksat; Müslüman haklarına riâyet, yâni Müslüman'a karşı yapılması gereken son vazîfeyi yerine getirmek ve ölüyü görmekle kendi âkıbetinin de, bu olacağını düşünerek ibret almaktır.

Mekhûl-i Dımışkî[144] bir cenâze gördüğü zaman: "Siz sabah-

---

142. Müslim, Sevbân ve Ebû Hüreyre'den rivâyet etmiştir.
143. Künyesi, Ebû Abdillâh'tır. Kisrâ'nın torunlarındandır. Dedesi Heratlı idi. Kâbil meliklerinden bir kadın ile evlendi, sonra öldü. Kadın babasına döndü ve Şehrab'ı doğurdu. Mekhûl da orada dünyâya geldi. Oradan Sa'd b. As'a esir düştü. Sa'd da onu Huzeyl kabîlesinden bir kadına hîbe etti. Kadın, onu âzâd etti. Tabiîn neslinden olup sikadandır. Birçok sahabîden rivâyet etmiştir.
144. Müslim, Enes'den rivâyet etmiştir.

leyin gitmişseniz, biz de akşamleyin geleceğiz. Ortada açık bir öğüt ve sür'atli bir gaflet vardır. Öne geçenler gider, arkadakiler aldırış etmezler." derdi.

Mâlik b. Dînar, kardeşinin cenâzesi ardından ağlayarak giderken: "Vallâhi senin âkıbetini bilmeden benim için huzur yok. Fakat ne yazık ki, vallâhi ölünceye kadar bundan haberim olamaz." derdi.

A'meş-i Kûfî de şöyle demiştir:

"Biz cenâzelere iştirâk ederdik. Fakat kimi tâziye edeceğimizi bilemezdik. Çünkü herkes üzüntü ve keder içinde kalırdı."

İbrâhim Zeyyâd, bir kavmin bir cenâzeye fazla acıyıp üzüldüklerini görünce şöyle derdi:

"Ona o kadar acıyacağınıza biraz da kendinize acısanız, daha iyi yaparsınız. Çünkü o zât, bu anda üç safhayı atlatmıştır. Azrâil'i görmesi, ölüm acısı ve son nefeste îmanlı veyâ îmansız gitme korkusu."

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir hadîsinde şöyle buyurmuştur:

يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثٌ فَيَرْجِعُ اِثْنَانِ وَيَبْقٰى وَاحِدٌ يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ
وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقٰى عَمَلُهُ

"Ölüyü üç şey takip eder: Âilesi, malı ve ameli. Bunlardan ikisi geri döner ve biri kalır. Âilesi ve malı geri gelir ve ameli kalır."[145]

Müslüman'ın haklarından birisi de; kabir ziyâretidir. Kabir ziyâretinden maksat; ölüye duâ, ibret almak ve gönlü yumuşatmaktır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

---

[145] Tirmizî, İbn Mâce ve Hâkim, Osmân'dan rivâyet ettiler. Hâkim, isnâdının sahih olduğunu söyledi.

مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ

"Mezardan daha korkunç bir manzara görmedim; gördüğüm manzaraların en korkuncu mezardır."[146]

Hz. Ömer (r.a.) şöyle demiştir:

"Bir gün Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ile gidiyorduk. Bir kabristana uğradık. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ağladı, bizler de ağladık. Sonra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bize dönerek:

- *"Niçin ağlıyorsunuz?"* buyurdu. Biz:

- "Sizi ağlar gördüğümüz için ağlıyoruz." dedik. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

هٰذَا قَبْرُ اٰمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ اِسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي زِيَارَتِهَا فَأَذِنَ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَأَبٰى عَلَّي فَأَدْرَكَنِي مَا يُدْرِكُ الْوَلَدَ مِنَ الرِّقَّةِ

- *"Bu kabir, annem Vehb'in kızı Âmine'nin kabridir. Ziyâret etmek için Rabbımdan izin istedim, izin verdi. Kendisine duâ edip istiğfar etmem için izin istedim, fakat buna müsaade etmedi. Bundan dolayı bir evlâd rikkati ile ağladım."* buyurdu.[147]

Hz. Ömer (r.a.), bir mezar başında durduğu zaman, sakalı ıslanıncaya kadar ağlar ve "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in şöyle buyurduğunu işittim." derdi:

---

146. Müslim, Ebû Hüreyre'den muhtasar olarak rivâyet etmiştir.
147. Tirmizî rivâyet etmiştir. İbn Mâce hasen, Hâkim ise sahih olduğunu söylemiştir.

إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْاٰخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ صَاحِبُهُ فَمَا بَعْدَهُ
أَيْسَرُ وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ

"Kabir, âhiret menzillerinin ilkidir. Kabir azabından kurtarıp orasını kolaylıkla atlatabilen için ondan sonrası daha kolay geçer. Şâyet burada kurtaramazsa sonu daha da zorlaşır."[148]

Mücâhid şöyle demiştir:

"Âdemoğluna kabrinin ilk söyledikleri sözler şunlardır: Ben kurt ve haşerat yeriyim, ben yalnızlık yeriyim, ben garib ve karanlık yeriyim. Bunlara karşı ne hazırladın?"

Ebû Zer (r.a.) de şöyle demiştir:

"En yoksul ve muhtaç olduğum günü size anlatayım mı? O, kabre konduğum ilk gündür."

Ebû'd-Derdâ (r.a.), ekseriya mezarlıkta otururdu. Sebebini sorduklarında şöyle derdi: "Öyle kimselerle oturuyorum ki, onlar bana hem âhiretimi hatırlatıyorlar; hem de yanlarından ayrıldığım zaman, aleyhimde konuşmuyorlar."

Hâtem-i Esamm: "Kabristana uğradığı halde ölüler için duâ etmeyen ve kendi hâlini düşünmeyen kimse, hem ölülere, hem de kendine hıyânet etmiş olur." demiştir.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

مَا مِنْ لَيْلَةٍ إِلَّا يُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ مَنْ تَغْبِطُونَ؟ قَالُوا:
نَغْبِطُ أَهْلَ الْمَسَاجِدِ لِأَنَّهُم يَصُومُونَ وَلَا نَصُومُ، وَيُصَلُّونَ
وَلَا نُصَلِّي، وَيَذْكُرُونَ اللّٰهَ وَلَا نَذْكُرُهُ

---

[148] Mehazı bulunamamıştır.

- "Her gece bir münâdî ölülere şöyle nidâ eder:

- "Kimlere gıpta edersiniz?" Ölüler:

- "Camilerde bulunanlara gıpta ederiz. Çünkü onlar oruç tutar, biz tutamayız, namaz kılarlar biz kılamayız. Allah'ı anarlar biz anamayız, diye cevap verirler."[149]

Sufyân-ı Sevrî şöyle demiştir:

"Mezarı düşünüp endişesini gizleyen ve ona göre hazırlanan kimse, orayı cennet bahçelerinden bir bahçe olarak bulur. Mezarı düşünmeyen ve ondan gaflet eden kimse ise orasını bir cehennem çukuru olarak bulur."

Rebî b. Haysem; evinde bir mezar kazdırdı. Kalbi katılaştığı zaman, kabre girer, bir saat kadar orada yatardı. Sonra:

رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ

"Rabbim, beni dünyaya ger çevir. Umulur ki, terk ettiğim (servet) **ile sâlih amel işlerim."** (Mü'minûn suresi, 23/99-100) âyet-i celîlesini okur ve çıkardı. Çıkınca da kendi kendine: "Ey Rebî! Bak, geri çevrildin. Geri çevrilmeyeceğin an gelmeden iyi amellerde bulun." derdi.

Meymûn b. Mihrân şöyle demiştir: "Ömer b. Abdülazîz ile bir kabristana uğradık. Ömer, mezarları görünce ağladı ve "Ey Meymûn! Şu gördüğün kabristan, babalarım Emevîlerin kabristanıdır. Sanki dünyaya hiç gelmemişler ve dünya lezzetlerini hiç tatmamışlardır. Hepsi geldi geçti. Şimdi toprak altında cesetlerini kurtlar yemektedir." diyerek ağlamasına devam etti. Sonra da

---

[149] Cenâzenin önünde gitmek, Şâfiîlere göredir. Hanefîlere göre önünden değil; ardından gidilir. Her iki mezhebin de delîlleri vardır.

"Vallahi, Allah'ın azâbından emîn olarak burada kimlerin yattığım bilemem." dedi."

Tâziye edenin vazifesi; boynunu bükmek, fazla konuşmamak, gülmemek ve hüznünü izhâr etmektir.

Cenazeyi teşyîin âdabı: Huşû içinde bulunmak, fazla konuşmamak, ölümü düşünmek, ölümü hatırlamak, ona hazırlanmak, cenâzenin önünden gitmek;[150] ayrıca cenâzeyi sür'atle götürmek ki, bu sünnettir.

İşte buraya kadar anlattıklarımız, bütün insanlar için, muâşeret âdâbıdır. Bu anlattıklarımızın hülâsası şudur:

Ölü olsun diri olsun hiç kimseyi küçük görme; küçük gördüğün anda helâk olursun. Şâyet bu adamı kötü bir kimse olarak tanıyorsan ne mâlûm, belki sonunda sen kötü olarak ölürsün, o da iyi olarak ölür. Dünyalık bakımından da kimseye heves etme. Çünkü Allah katında dünya ve dünyada olan her şey değersizdir. Dünya ehline heves ettiğin anda; dünyayı büyütmüş, Allah'ın nazarında ise düşmüş olursun. Dünyalık elde etmek için dîninden fedakârlık etme; böyle yapmakla dünyalığı olanların da gözünde küçülmüş; hem dünya hem de dîninden olmuş olursun.

Şâyet dünyalıklarına nâil olursan, iyiyi verip kötüyü almış olursun ki, bu alışverişinde de aldanmış olursun. Onlara açıkça husûmet de besleme; sonra müşkil vazıyete düşersin. Onların dîni kaybolur. Ancak bu gibilerin gayr-i meşrû ve kötü işlerini gördüğün zaman, onların bu kötü işlerine buğzet ve isyanları sebebiyle uğrayacakları ilâhî azâbdan dolayı onlara acı. Varacakları cehennem onlara yeter, senin daha fazla kin tutmana lüzûm yok. Onların samîmî olmayan sevgi ve alâkalarına bel bağlama, bu gibi hareketlerinde samîmî olanlarını arasan, ancak yüzde birini bulursun. Belki onu da bulamazsın. Halinden onlara şikâyet etme. Allah seni onlara havâle eder, sonra daha çok perişan olursun. Gıyâbında da göründükleri gibi olmalarını bekleme. Çünkü bu boş bir ümiddir. Onlardan bir şey bekleme; onlardan bir şey ummak, insanı zillete düşürür. İhtiyâcın yok diye kimseye karşı kibirlenme. Zîra Allahü Teâlâ bir gün seni onlara muhtaç eder ve kibrinin cezâsını sana çektirir. Birisi bir ihtiyâcını yerine getirdiği zaman o, kendisinden istifâde edilen bir kardeşin sayılır. Fakat ihtiyacını görmedi diye kimseye de kafa tutma. Sonra önüne geçilemeyecek derecede sana kin besler. Kendisinde kabul emâreleri görülmeyen kimseye va'z etmekle meşgül olma. Çünkü o, seni dinlemez, sözlerinden kızar ve sana husûmet besler.

---

[150] Hasan b. Sufyân ve Bezzâr **"Müsned"**lerinde; Ebû'ş-Şeyh **"Kitâbü's-Sevâb"**da; Ebû Naim "**Hilye"**de Câbir'den ve İbn Adiy ve Abdullah b. Ömer'den rivâyet etmişlerdir.

Öğüt ve nasihatin, umûmî bir mâruzattan ibâret olsun. Hiç bir şahsı hedef alma. Onlardan bir ikrâm, iyilik gördüğün zaman, Allah'a şükret. Çünkü onu yaptıran O'dur. Seni onlara havâle etmesinden Allah'a sığın. Onlardan bir zarar gördüğün ve kötülük duyduğun zaman, onları Allah'a havâle et ve kötülüklerinden Allah'a sığın. Sakın intikam almaya kalkışma. Daha büyük zararlarla karşılaşır ve ömrünü boşa harcamış olursun. Onlara: "Siz benim kadar bilemediniz." deme İyi bil ki; eğer hakkın olsaydı Allahü Teâlâ onların gönlünde sana bir mevki bahşederdi. Gönüllere sevgi ve husûmeti ilka eden, Allahü Teâlâ'dır. Aralarında bulunduğun müddetçe doğru sözlerini dinle, yanlış sözlerine karşı da sağır ol; haklarını muhâfazada konuş, yanlış işlerinde dilsiz ol.

Herkes ile sohbet etme. Çünkü insanların çoğu sürçmeleri bağışlamaz, küçük hatâlardan vaz geçmez, kusurları örtmez, inceden inceye her şeyin muhasebesini yapar. Başkasının insâfını arar. Fakat kendileri insâf etmezler. Yanlışlık ve yanılma sebebiyle meydana gelen hatâları arar ve bağışlamazlar. Söz taşımak ve iftirâ etmekle dost ve ahbapları birbirine düşürürler. Bunların çoğu ile düşüp kalkmak hüsran, ayrı yaşamak ise tercîhe şâyândır. Râzı oldukları şeylerde de görünüşte yaptıkları yaltaklıktır. Kızdıkları zaman, içleri kin ve nefretle doludur. Zamanında kendilerine emniyet edilmediği gibi, yaltaklık anlarında da kendilerinden bir şey beklenmez. Elbiseleri koyun postu, içleri kurttur. Şüpheli şeylerle katî hüküm verir. Gıyâbında aleyhinde kusur aramak için seni gözetleyip dururlar. Çekememezliklerinden dolayı, dostlarında şüpheli şeyler araştırırlar. Hiddetli anlarında yüzüne vurmak için, sohbetlerinde durmadan sürçmeler ararlar. İyice denemediğin kimsenin sohbetine sakın itimâd etme. Mutlaka yalnız beraber kalmak üzere onu denemen lâzımdır. Vazifeye alındığı, vazifeden atıldığı, zengin ve fakir olduğu zamanlarda onu dene. Yâhut onunla yolculuk et veyâ bir miktar alış-veriş yap yâhut da çok muhtâç anında onu dene. Bu hallerinde kendisinden memnun kalırsan arkadaşlığa, hattâ senden büyükse babalığa, küçükse evlâtlığa kabul et.

İşte, insanlarla geçinmenin âdâbı, hülâsa olarak bundan ibârettir.

KOMŞU HAKLARI

Bilmiş ol ki; Müslüman haklarının üstünde bir de komşu hakları vardır. Müslüman bir komşunun, Müslümanlardan da fazla olarak hakları vardır. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

اَلْجِيرَانُ ثَلَاثَةٌ: جَارٌ لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ، وَجَارٌ لَهُ حَقَّانِ، وَجَارٌ لَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ؛ فَالْجَارُ الَّذِي لَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ اَلْجَارُ الْمُسْلِمُ ذُو الرَّحِمِ فَلَهُ حَقُّ الْجِوَارِ وَحَقُّ الْإِسْلَامِ وَحَقُّ الرَّحِمِ، وَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقَّانِ فَالْجَارُ الْمُسْلِمُ لَهُ حَقُّ الْجِوَارِ وَحَقُّ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ فَالْجَارُ الْمُشْرِكُ

"Üç nevî komşu vardır: Bunlardan birinin bir hakkı, diğerinin iki hakkı ve üçüncüsünün de üç hakkı vardır. Üç hakkı olan komşu, Müslüman ve akraba olan komşudur. Bunun; komşuluk, İslâmiyet ve mahremiyet olmak üzere üç hakkı vardır. Müslüman olan komşunun da, komşuluk ve İslâmiyet hakkı olmak üzere iki hakkı vardır. Müslüman olmayan komşunun da yalnız komşuluk hakkı vardır."[151]

İslâmiyetin yüceliğine bak ki, müşrik olan komşuya bile hak tanımıştır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir diğer hadîsinde de şöyle buyurmuştur:

أَحْسِنْ مُجَاوَرَةَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا

"Civârında bulunan komşu ile iyi geçin ki, Müslüman olasın."[152] Bir başka hadîs-i şerîfte de şöyle buyrulmuştur:

مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتّٰى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ

"Cebrâil, komşu hakkında bana öyle tavsiyede bulundu ki, komşuyu komşuya vâris kılacak sandım."[153]

---

[151] Yukarıda geçmişti.

[152] Buhârî ile Müslim Aişe ve İbn ömer'den rivâyet etmişlerdir.

[153] Buhârî ile Müslim Ebû Şureyh'den rivâyet etmişlerdir.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ

“Allah’a ve âhiret gününe îmanı olan komşusuna ikrâm etsin.” [154] Diğer bir hadîste de şöyle buyrulmuştur:

لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتّٰى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ

“Komşusu kötülüğünden emîn olmadıkça, kişinin îmanı kâmil olmaz.” [155] Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

أَوَّلُ خَصْمَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَارَانِ

“Kıyâmet gününde ilk hasımlar, komşulardır.” [156] Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

إِذَا أَنْتَ رَمَيْتَ كَلْبَ جَارِكَ فَقَدْ اٰذَيْتَهُ

“Komşunun köpeğini dövdüğün zaman, ona eziyet etmiş olursun.”

Rivâyete göre, adamın biri İbn Mes’ûd’a (r.a.) giderek:

- “Bir komşum var; dâima bana zahmet verir, kötü söyler ve durmadan ezîyet eder.” dedi. İbn Mes’ûd:

- “Sen git yerinde otur. O, senin hakkında Allah’a isyân etti ise sen onun hakkında Allah’a ibâdet eyle.” buyurdu.

---

154. Buhârî Ebû Şureyh’den rivâyet etmiştir.
155. Ahmed ve Taberânî Akabe b. Amir den riâyet etmişlerdir.
156. Ahmed ve Hâkim, Ebû Hüreyre’den rivâyet etmişlerdir. Hâkim, isnâdı sahihtir, dedi.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e falan kadın gündüz sâim, gece kaim; ancak komşusuna eziyet eder." dediler. Resûl-i Ekrem:

هِيَ فِي النَّارِ

- *"O, cehennemdedir."* buyurdu.[157]

Yine bir kişi Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e gelerek komşusundan şikâyet etti. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.): *"Sabret"* buyurdu. Adamcağız şikâyetini üç-dört defa tekrarlayınca, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.): *"Evinin eşyasını sokağa ât."* buyurdu. Adamcağız öyle yaptı. Gelen geçen adamın eşyasını çiğnemek zorunda kalıyor ve böyle yaptığını duyanlar, komşusuna lânet ediyorlardı. Bunu duyan komşusu: "Şu eşyayı topla, içeri al; vallahi sana bir daha kötülük etmem." dedi.[158]

Zührî şöyle demiştir: Bir adam Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e gelerek, komşusundan şikâyet etti. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) mescidin kapısında:

"Bilmiş olun ki, kırk ev komşudur." diye nidâ edilmesini emretti.[159] Zührî devamla: "Kırk ev sağdan, kırk ev soldan, kırk ev önden ve kırk ev de arkadan komşudur." diyerek dört tarafa işaret etti.

Diğer bir hadîste Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

اَلْيُمْنُ وَالشُّؤْمُ فِي الْمَرْأَةِ وَالمَسْكَنِ وَالْفَرَسِ، فَيُمْنُ الْمَرْأَةِ

---

[157] Ebû Dâvûd, İbn Hibbân ve Hâkim, Ebû Hüreyre'den rivâyet ettiler ve Hâkim, Müslim'in şartlarına göre, sahih olduğunu söyledi.

[158] Ebû Dâvûd **"Merâsil"**de rivâyet etmiştir. Fakat Taberânî, Zührî yolu ile hadisi vasletti. Ayrıca Ebû Ya'lâ da Ebû Hüreyre'den, rivâyet etmiştir.

[159] Müslim, İbn Ömer'den rivâyet etmiştir. Farklı ifâdelerle daha pek çok rivâyet yolları vardır.

خِفَّةُ مَهْرِهَا وَيُسْرُ نِكَاحِهَا وَحُسْنُ خُلُقِهَا، وَشُؤْمُهَا غَلَاءُ
مُهْرِهَا وَعُسْرُ نِكَاحِهَا وَسُوءُ خُلُقِهَا، وَيُمْنُ الْمَسْكَنِ سِعَتُهُ
وَحُسْنُ جِوَارِ أَهْلِهِ وَشُؤْمُهُ ضِيقُهُ وَسُوءُ جِوَارِ أَهْلِهِ، وَيُمْنُ
الْفَرَسِ ذُلُّهُ وَحُسْنُ خُلُقِهِ، وَشُؤْمُهُ صُعُوبَتُهُ وَسُوءُ خُلُقِهِ

"Uğurluluk ve uğursuzluk kanda, evde ve attadır. Kadının uğurlu oluşu, nikâh parasının azlığında, kolaylıkla nikâh edilmesinde ve güzel ahlâkındadır. Uğursuzluğu ise nikâh parasının çokluğunda, nikâhının güçlüğünde ve kötü ahlâkındadır. Evin uğurlu oluşu genişliğinde ve iyi komşusundadır. Uğursuzluğu da, darlığında (rutûbetli olup hava almamasında) *ve komşunun kötü oluşundadır. Atın uğuru, başı yumuşak ve ahlâklı olmasında, uğursuzluğu da sert başlı ve ahlâksız olmasındadır."*[160]

Bilmiş ol ki; komşu hakkı, yalnız kötülük etmemekle iktifâ etmek değildir. Belki, onun eziyetine de katlanmak lâzımdır. Komşun da sana eziyet etmeyebilir. Bu, komşu hakkını yerine getirmek olmaz. Hattâ yalnız eziyete tahammül etmek de kâfi değildir. Belki komşusuna karşı yumuşak davranmak, ona her türlü iyilik yapman lâzımdır. Zîra denildi ki; kıyâmet günü, yoksullar zengin komşularının yakalarından yapışarak Allahü Teâlâ'nın huzûruna getirir ve "Ya Rab buna sor, neden bana yardım etmedi?" der.

---

[160] Adı Abdullah, künyesi Muhammed'dir. Fasîh ve belîğ bir zât idi. Haccac-ı Zâlim, babasını o kadar dövdü ki, ellerinin derisi soyuldu. Bundan dolayı babasına **"Mukaffa"** denildi.

İbn Mukaffa[161] komşusunun, borçlandığı için evini satmak zorunda olduğunu duymuştu. Hâlbuki kendisi evin gölgesinden faydalanıyormuş. Bu komşuluk hakkını ödemek için, evin bedelini kendisine vermiş ve evi satmamasını söylemiştir.

Adamın biri, farelerin evini istilâ etmesinden şikâyet etmiş. Bir kedi almasını tavsiye edenlere: "Bunu yapmam; çünkü kedinin sesini duyan farelerin, evimi terkedip komşunun evine gitmesinden ve bu sûretle kendim için sevmediğimi komşum için sevmiş olacağımdan korkarım." diye cevap vermiştir.

Selâm vermek, onu fazla lâfa tutmamak, iğneden ipliğe hâlini incelememek de komşu haklarındandır. Ayrıca hastalandığında ziyâret, bir felâkete uğradığında tâziye, sevinçli günlerinde tebrîk etmek ve kendi sevincini göstermek, kusurlarını bağışlamak, kapı ve pencereden gizli hâllerini araştırmamak, evinin önünü daraltmamak, evine getirdiğine göz dikmemek, kusurlarını gizlemek, felâkete uğradığında yardımına koşmak, ayrıldığı zaman evini korumak, konuştuklarını dinlememek, mahrem yerlerine bakmamak; hizmetçilerine kötü gözle bakmamak, çocuğu ile güzel konuşmak, dîn ve dünyasında bilmediklerini ona öğretmek de komşu haklarındandır.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir hadîsinde şöyle buyurmuştur:

أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ؟ إِنِ اسْتَعَانَ بِكَ أَعَنْتَهُ، وَإِنِ اسْتَنْصَرَكَ نَصَرْتَهُ، وَإِنِ اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ، وَإِنِ افْتَقَرَ عُدْتَ عَلَيْهِ، وَإِنْ مَرِضَ عُدْتَهُ، وَإِنْ مَاتَ تَبِعْتَ جَنَازَتَهُ، وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَّأْتَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَّيْتَهُ، وَلَا تَسْتَعْلِ عَلَيْهِ بِالْبِنَاءِ

---

[161] Harâitî **"Mekârim-i Ahlâk"**da ve İbn Adiy **"El-Kâmil"** de rivâyet etmişlerdir.

فَتَحْجُبَ عَنْهُ الرِّيحَ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تُؤْذِيَهِ، وَإِذَا اشْتَرَيْتَ
فَاكِهَةً فَاهْدِ لَهُ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأَدْخِلْهَا سِرًّا وَلَا يَخْرُجْ بِهَا
وَلَدُكَ لِيَغِيظَ بِهَا وَلَدَهُ، وَلَا تُؤْذِهِ بِقِتَارِ قِدْرِكَ إِلَّا أَنْ تَغْرِفَ لَهُ
مِنْهَا. ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا
يَبْلُغُ حَقَّ الْجَارِ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ اللّٰهُ

"Komşu hakkının nelerden ibâret olduğunu bilir misiniz? Muavenet isterse muâvenet etmek, yardım dilerse yardımına koşmak, ödünç isterse vermek, muhtaç olursa ihtiyâcını gidermek, hastalanırsa geçmiş olsuna gitmek, ölürse cenâzesinde bulunmak, sevinçli günlerinde gözaydınlığına gitmek ve felâketli günlerinde tâziyesine koşmaktır.

Müsâdesini almadan, havasını kesecek şekilde evini, onun evinden daha yüksek yapma. Komşuna eziyet etme. Satın aldığın meyveden ona da ver; veremeyeceksen gösterme. Çocuğun, onun çocuklarına karşı bu meyveleri sokak ortasında yemesin. Tencerende pişen yemeğin râyihası ile onu incitme. (Sonra devamla)*: Komşu hakkının ne demek olduğunu biliyor musunuz? Varlığımı kudret elinde bulunduran Allah'a and olsun ki, komşu hakkını Allahu Teâlâ'nın rahmetine mazhar olan kimseler ödeyebilir."*[162] Bu hadîsi Amr b. Şuayb babasından, o da dedesinden, o da Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den böyle rivâyet etmiştir.

Mücâhid diyor ki: Abdullah b. Ömer'in yanında bulunuyordum. Hizmetçisi de bir koyun yüzüyordu. Abdullah, hizmetçisine bir kaç defa: "Koyunu yüzdüğün zaman, Yahudi komşumuzu unutma. Önce onun hakkını ver." dedi. Hizmetçisi: "Niçin böyle söylüyorsun?" deyince Abdullah: "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), komşularımız hakkında bize o derece tavsiyelerde bulundu ki, malımıza vâris olacaklarını sanmıştık." dedi.[163]

---

[162] Ebû Dâvûd ve Tirmizî rivâyet etmişlerdir.

Hişâm şöyle demiştir: "Hasan-ı Basrî, Yahûdi olan bu gibi komşulara kurban etinden yedirmekte beis görmezdi."

Ebû Zer (r.a.): "Benim sevgili peygamberim bana şöyle öğüt verdi:

إِذَا طَبَخْتَ قِدْرًا فَأَكْثِرْ مَاءَهَا ثُمَّ انْظُرْ بَعْضَ أَهْلِ بَيْتٍ فِي
جِيرَانِكَ فَاغْرِفْ لَهُمْ مِنْهَا

"- Tencereyi kaynattığın zaman, suyunu bol koy, sonra etrafındaki komşularına bak ve onlara da ver."[164] demiştir.

Hz. Âişe (r.a.) şöyle demiştir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e:

- "İki komşum var; birinin kapısı tam kapıma bakıyor, diğerinin kapısı ise arkadadır. Bâzen her ikisine de verecek hâlim olmuyor? Bunların hangisini tercih edeyim; hangisi daha çok hak sahibidir?" diye sordum. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اَلْمُقْبِلُ عَلَيْكَ بِبَابِهِ

- *"Kapısı kapına bakan, daha çok hak sahibidir."* buyurdu.[165]

Hz. Ebû Bekir es-Sıddîk (r.a.), oğlu Abdurrahman'ı komşusu ile kavga ederken gördü ve oğluna darılarak: "Oğlum komşun

---

163. Hişam b. Hasan el-Ezdî'dir. Basralı ve sikadandır. Hasan ve İbn Sirîn'den rivâyet etmiştir. Hicri 47 de ölmüştür.
164. Hadisi, Müslim rivâyet etmiştir.
165. Hadîsi, Buhârî rivâyet etmiştir.

ile dedi-kodu yapma. Şu gördüğün insanlar dağılır gider ve sen yine komşunla başbaşa kalırsın." dedi.

Nisaburlu Îsâ oğlu Hasan[166] demiştir ki: **Abdullah b. Mübârek**'e şöyle sordum:

- "Kölemin yanlış bir hareketinden komşum bana şikâyette bulundu. Kölem ise bunu inkâr etti. Suçu yok diye köleyi dövmekten çekindiğim gibi, adamın da: "Şikâyet ettiğim halde kölesine bir muâmelede bulunmadı." demesinden üzülüyorum, nasıl yapayım? Abdullah:

- "Kölen yanlış bir iş yaparsa, onu görmezden gel. Şâyet komşun şikâyet ederse onu dövebilirsin. Bu sûretle hem komşunu memnûn etmiş, hem de kölenin terbiyesini vermiş olursun, dedi. Bu ise her iki tarafın hakkını yerine getirmektir.

Hz. Âişe (r.a.) şöyle demiştir: "Ululuk vasıfları ve güzel huylar, bâzen babada olmaz da oğlunda olur; efendisinde bulunmaz da kölesinde bulunur. Allahu Teâlâ bu vasıfları dilediği kullarına verir. Onlar da: Doğru konuşmak, insanlara inanmak, isteyince vermek, akrabayı görüp gözetmek, emânete riâyet etmek, komşusunun ve arkadaşının bâzı kusurlarını görmemezlikten gelmek ve misâfirlere ikramda bulunmaktır. Bunların hepsinin başı da hayâdır."

Ebû Hüyeyre'nin rivâyetinde, Reşûl-i Ekrem (s.a.v.):

يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ

"Ey kadınlar! Bir koyun tırnağı kadar bile olsa bir kadın, komşusu olan kadına hakaret etmesin."[167] buyurmuştur:

---

[166] Abdullah b. Mübârek'in âzâdlısıdır. Fakih ve muhaddislerdendir. Sikadır. Müslim ve Ebû Dâvûd, kendisinden rivâyet etmişlerdir.

[167] Buhârî rivâyet etmiştir.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

إِنَّ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ الْمَسْكَنَ الْوَاسِعَ وَالْجَارَ
الصَّالِحَ وَالْمَرْكَبَ الْهَنِئَ

"Geniş ev, iyi komşu, başı yumuşak ve yürüyen hayvana (sahip olmak) *Müslüman'ın saâdetindendir."*[168]

Abdullah şöyle demiştir. "Adamın biri Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e şöyle sorar:

- "Ya Rasûlallah! İyilik veyâ kötülük yaptığımı nereden bileyim?" Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِذَا سَمِعْتَ جِيرَانَكَ يَقُولُونَ قَدْ أَحْسَنْتَ فَقَدْ أَحْسَنْتَ،
وَإِذَا سَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ قَدْ أَسَأْتَ فَقَدْ أَسَأْتَ

- "(Her hangi bir işinde) *komşularının "İyi yaptın" dediklerini duyduğun zaman bil ki, iyilik yaptın. "Kötü yaptın" dediklerini duyduğun zaman bil ki, kötülük yapmışsın."*[169] buyurdu. Câbir'in (r.a.) rivâyetinde de, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

مَنْ كَانَ لَهُ جَارٌ فِي حَائِطٍ أَوْ شَرِيكٌ فَلَا يَبِعْهُ حَتّٰى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ

"Her hangi bir ev (veyâ bahçede) *sırdaşı veyâ ortağı olan kimse, bunları satacağı zaman, ona teklif etmeden başkasına satmasın."*[170]

---

168. Ahmed, Nafi b. Abdülharis'den ve Sa'd b. Ebî Vakkas'dan; ayrıca Hâkim de Nafî'den rivâyet etmişler ve Nafî, isnâdı sahihtir, demiş.
169. Ahmed ve Taberânî, Abdullah b. Mes'ûd'dan rivâyet etmişlerdir. İsnâdı, ceyyiddir.
170. İbn Mâce ve Hâkim rivâyet etmişlerdir. Hâkim, isnadının sahih olduğunu söylemiştir. Başka rivâyet yolları da vardır.

Ebû Hüreyre (r.a.), şöyle demiştir: “Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), komşu komşusunun duvarına bir ağacını dayayabilir; buna komşu, ister râzı olsun, ister olmasın, diye hükmetmiştir.” Nitekim hadîste:

لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَضَعَ خَشَبَهُ فِي جِدَارِهِ

“Sizden herhangi biriniz, odununu veyâ bir ağaç parçasını duvarına koymaktan, komşusunu men etmesin.”[171] buyurmuşlardır.

Ebû Hüreyre: “Nedir, sizi bu hükme riâyet etmez görüyorum? Vallahi onu omuzlarınıza yüklerim.” demiştir. Hattâ bâzı alimler bunun vücûbuna kail olmuşlardır.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنْ أَرَادَ اللّٰهُ بِهِ خَيْرًا عَسَلَهُ قِيلَ وَمَا عَسَلَهُ قَالَ: يُحَبِّبُهُ إِلٰى جِيرَانِهِ

- *“Allahu Teâlâ iyiliğini murâd ettiği kimseyi ballandırır.”* buyurdu. Ashâb-ı kirâm:

- “Ballandırma ne demektir, nasıl olur?” diye sordular. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *“Onu komşusuna sevdirir demektir.”* diye cevap verdi.

AKRABA VE MAHREM HAKLARI

Bu husustaki hadisler:

Kudsî bir hadîste Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

يَقُولُ اللّٰهُ تَعَالٰى: أَنَا الرَّحْمٰنُ وَهٰذِهِ الرَّحِمُ شَقَقْتُ لَهَا اِسْمًا
مِنْ اِسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ

---

[171] Bu lafız ile hadisi, Harâitî **“Mekârim-i Ahlâk”**da rivâyet etmiştir. Buhârî ile Müslim de bu meâlde bir hadis rivâyet etmişlerdir.

"Allahu Teâlâ buyuruyor: Ben rahmânım (ibtidâ karşılıksız olarak veririm). *Bu da rahm, mahremiyet ve yakınlıktır. Benim adımdan ona ad veririm. Her kim "rahm"ı yerine getirir, mahremlerine yakınlık gösterir ve onları gözetirse, ben de onu gözetirim. Kim, mahremlik haklarına riâyet etmezse, ben de onunla alâkayı keserim."*[172]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ وَيُوَسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَتَّقِ اللّٰهَ
وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ

"Ömrünün uzaması ve rızkının çoğalması kendisini sevindiren kimse, mahremlerini gözetsin." Diğer rivâyette: *"ömrünün uzamasını ve rızkının artmasını arzu eden kimse, Allah'tan korksun ve mahremlerini gözetsin."*[173]

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e:

- "İnsanların en efdali kimdir?" diye sordular. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَتْقَاهُمْ لِلّٰهِ وَأَوْصَلُهُمْ لِرَحِمِهِ وَاٰمَرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَاهُمْ
عَنِ الْمُنْكَرِ

- *"Allah'tan en çok korkan, mahremlerini en çok görüp gözeten ve en çok mârûfu emir ve münkerden nehyedendir."* buyurdu.[174]

---

[172] Buhârî ile Müslim, Aişe'den rivâyet etmişlerdir.

[173] Buhârî ile Müslim, Enes'ten rivâyet etmişlerdir. Ancak: *"Allah'tan kork."* ziyâdesi yoktur. Bu ziyâde ile Ahmed ve Hâkim ceyyid sened ile Ali'den rivâyet etmişlerdir.

[174] Ahmed ve Taberânî, Dürre binti Ebî Leheb'ten hasen isnâd ile rivâyet etmişlerdir.

Ebû Zer (r.a.) şöyle demiştir: "Dostum Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bana, arka çevirse de mahremi gözetmek, acı da olsa hakkı söylemekle öğüt vermiştir."[175] Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

إِنَّ الرَّحِمَ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ وَلَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ وَلٰكِنَّ
الْوَاصِلَ الَّذٖي إِذَا انْقَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا

"Rahim, şefkat ve merhamet hakları Arş'da asılıdır. Onu gözetmek, yalnız iyilik yapanlara iyilik yapmakla değildir. Asıl sıla-ı rahim, kendisine bakmayan yakınlarına bakmak ve gelmeyenlere gitmekledir."[176]

Bir başka hadîs-i şerîfte de şöyle buyurulmuştur:

إِنَّ أَعْجَلَ الطَّاعَةِ ثَوَابًا صِلَةُ الرَّحِمِ، حَتّٰى إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ
لَيَكُونُونَ فُجَّارًا فَتَنْمُوا أَمْوَالُهُمْ وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ إِذَا وَصَلُوا
أَرْحَامَهُمْ

"Mükâfatı en çabuk verilen tâat, sıla-ı rahimdir. Hattâ bir ev halkı kötü kimselerden bile olsa, sıla-ı rahim sâyesinde malları da çoğalır, nüfusları da artar."[177]

Zeyd b. Eslem şöyle demiştir: "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), Mekke'de peygamberliğini ilân ettiği zaman, adamın biri kendisine:

- "Beyaz tenli kadın istersen, Müdlic kabîlesine saldır, dedi.

---

175. Ahmed ve İbn Hibban **"Sahiheyn"**de rivâyet etmişlerdir.
176. Taberânî ve Beyhâkî, Abdullah b. Ömer'den; Buhârî biraz eksiği ile ayrıca Müslim de Âişe'den rivâyet etmişlerdir.
177. İbn Hibbân, Ebû Bekir'den ve Harâitî **"Mekârim-i Ahlâk"**ta; Beyhakî **"Şuabü'l-Îman"**da Abdurrahman b. Avf'dan rivâyet etmişlerdir.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) (onun kadınlar hakkındaki sözüne kıymet vermemek ve böyle bir gâye için Peygamberliğini ilân etmemiş olmakla beraber):

إِنَّ اللّٰهَ قَدْ مَنَعَنِي مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ بِصِلَتِهِمِ الرَّحِمَ

- *"Müdlic kabîlesi, akrabalarını görüp gözettikleri için, Allahu Teâlâ bu kabîleye saldırmaktan beni menetmiştir."* buyurdu."

Ebû Bekir (r.a.)'in kızı Esmâ' (r.a.) şöyle anlatıyor: "Annem beni ziyârete gelmişti. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e:

- "Ya Rasûlallah, annem bana geldi fakat müşrikedir, ona sıla edeyim mi?" diye sordum. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Evet, sıla et."* buyurdu. Diğer rivâyette Esmâ:

- "Ona bir şey vereyim mi?" deyince Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Evet, ona ikrâmda bulun."* buyurdu.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

اَلصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسَاكِينِ صَدَقَةٌ وَعَلٰى ذِي الرَّحِمِ اِثْنَتَانِ

"Yoksullara verilen bir sadaka, mahremlere verilen ise iki sadakadır."

Allahu Teâlâ:

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ

"Sevdiğinizden vermedikçe birr u takvâya nâil olamazsınız." (Âl-i İmrân suresi, 3/92) buyurunca Ebû Talha, bu mertebeye erişebilmek için çok sevdiği bir bağını Allah yolunda olanlara, yoksullara ve yolda kalmışlara sadaka olarak vermeyi murâd ettiğinde, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ona:

وَجَبَ أَجْرُكَ عَلَى اللهِ فَاقْسِمْهُ فِي أَقَارِبِكَ

“Allahu Teâlâ sana mükâfatını verecek, sen onu akrabaların arasında bölüştür.”[178] buyurdu. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ

“Sadakanın en fazîletlisi, senden yüz çeviren akrabaya verilen sadakadır.”[179] buyurmuştur. Bu hadîs-i şerif, aynen Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’in:

أَفْضَلُ الْفَضَائِلِ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ
وَتَصْفَحَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ

“Fazîletlerin en üstünü; sana gelmeyene gitmen, vermeyene vermen ve kötülük edene iyilik etmendir.”[180] buyurduğu hadîsin mânâsındadır.

Rivâyete göre, Hz. Ömer (r.a.) valilerine yazdığı mektupta: “Akrabaların birbirlerini ziyaret etmelerini ve fakat birbirlerine komşu olmamalarını emredin.” demiştir. Çünkü yakın komşuluk hakka riâyetsizliği getirir; bu da ayrılığa ve sıla-ı rahmin kesilmesine sebep olur.

---

[178] Harâitî **“Mekârim-i Ahlâk”**ta mürsel olarak rivâyet etmiştir. İsnâdı sahihtir.

[179] Buhârî ile Müslim rivâyet etmişlerdir.

[180] Neseî, hasen olduğunu söyledi. Ayrıca Tirmizî ve İbn Mâce Selmân b. Amir ed-Dibbî’den rivâyet etmişlerdir.

ANA, BABA VE EVLAT HAKLARI

Yakın ve mahrem hakları, en mühim haklardandır. En kuvvetli yakınlık, çocuk doğurmak olduğundan, anne ve baba haklarının daha büyük ehemmiyeti olduğu meydandadır. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur.

لَنْ يَجْزِيَ وَلَدٌ وَالِدَهُ حَتّٰى يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيَعْتِقَهُ

"Evlat, babasının hakkını hiç bir sûretle ödeyemez. Ancak onu köle olarak bulur ve sonra da satın alarak âzâd ederse, hakkını ödemiş olabilir."[181]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

بِرُّ الْوَالِدَيْنِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالصَّوْمِ وَالحَجِّ
وَالْعُمْرَةِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ

"Ana ve babaya iyilikte bulunmak; namâz, sadaka, oruç, hac, ömre ve Allah yolunda cihaddan daha efdaldir."

Bir başka hadîste Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz şöyle buyurmuştur:

مَنْ أَصْبَحَ مُرْضِيًا لِأَبَوَيْهِ أَصْبَحَ لَهُ بَابَانِ مَفْتُوحَانِ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ أَمْسٰى فَمِثْلُ ذٰلِكَ وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا فَوَاحِدًا وَإِنْ ظَلَمَا وَإِنْ ظَلَمَا؛ وَمَنْ أَصْبَحَ مُسْخِطًا لِأَبَوَيْهِ أَصْبَحَ لَهُ بَابَانِ مَفْتُوحَانِ إِلَى النَّارِ وَمَنْ أَمْسٰى مِثْلُ ذٰلِكَ وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا فَوَاحِدًا وَإِنْ ظَلَمَا وَإِنْ ظَلَمَا وَإِنْ ظَلَمَا

---

[181] Hadîsi, Buhârî rivâyet etti ve evvelce geçti.

“Kim, anne ve babasının rızâlarını alarak sabahlarsa, cennette ona iki kapı açılır. Aynı şekilde akşamlarsa, yine kendisine cennette iki kapı açılır. Anne ve babasından yalnız birisi hayatta olur da onun gönlünü hoş ederse, kendisine cennete giden bir kapı açılır.” buyurdu. Ashâbtan bir zât:

- *“Zulmederlerse de mi?”* diye sordu. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) üç defa:

- *“Zulmetseler de.”* buyurdu. Ve devamla:

“Anne ve babasını küstürmüş olduğu hâlde sabahlayan kimseye de cehennemden iki kapı açılır. Bu halde akşamlayana da aynı şekilde cehennemde iki kapı açılır. Bunlardan bir tanesi hayatta olur da, onun rızasını almaz ve onu küstürürse, kendisine cehenneme giden bir kapı açılır; zulmederlerse de, zulmederlerse de, zulmederlerse de.”[182] buyurdu.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

إِنَّ الْجَنَّةَ يُوجَدُ رِيحُهَا مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ وَلَا يَجِدُ
رِيحَهَا عَاقٌّ وَلَا قَاطِعُ رَحِمٍ

“Cennetin güzel kokusu, beş yüz yıllık mesâfeden alınır. Fakat anne ve babasına isyân edenlerle akrabaları ile münâsebeti kesenler, bu kokuyu alamaz.”[183]

Bir başka hadîste de şöyle buyrulmuştur:

---

182. Ahmed ve Taberânî, Eyyub’ten rivâyet etmişlerdir. Râviler arasında Haccac b. Ertet vardır. Ayrıca Beyhakî, Ümmü Gülsüm bint-i Atebe’den rivâyet etmiştir.
183. Ahmed, Muaz b. Enes’ten rivâyet etmiştir. Ayrıca Taberânî Ebû Umâme’den rivâyet etmiştir, hadîs evvelce geçmiştir.

بِرَّ أُمَّكَ وَأَبَاكَ وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ فَأَدْنَاكَ

"Annene, babana, kız kardeşine, kardeşine ve sırasıyla diğer yakınlarına iyilik et."[184]

Rivâyete göre Allahü Teâlâ, **Mûsâ aleyhisselâm**a şöyle vahyetmiştir: *"Anne ve babasına itâat edip de bana isyân edeni, iyilerden yazarım. Fakat bana itâat ettiği halde anne ve babasına isyân edenleri kötülerden yazarım."*

Rivâyete göre; Yâkub aleyhisselâm Mısır'daki oğlu Yûsuf aleyhisselâmın yanına gittiği zaman Yûsuf aleyhisselâm, babasına kıyâm etmemişti. Bunun üzerine Allahu Teâlâ:

"Kendini ne kadar beğendin de babana kıyâm etmedin? İzzet ve celâlim hakkı için senin sulbünden peygamber yapmayacağım." buyurdu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

مَا عَلَىٰ أَحَدٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ أَنْ يَجْعَلَهَا لِوَالِدَيْهِ
إِذَا كَانَا مُسْلِمَيْنِ فَيَكُونُ لِوَالِدَيْهِ أَجْرُهَا وَيَكُونُ لَهُ مِثْلُ
أُجُورِهِمَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمَا شَيْءٌ

"Sadaka veren kimse, sadakasını neden Müslüman olan anne ve babasının rûhu için vermez ki? Hâlbuki böyle yapsa verdiği sadakanın sevâbı, onların rûhuna gideceği gibi, onlardan bir şey eksiltmemek şartıyla, onların sevâbı gibi bir sevap da kendisine yazılır."[185]

Malik b. Rebîa[186] şöyle demiştir:

---

[184] Müslim, Ebû Hüreyre'den rivâyet etmiştir.

[185] Beyhakî **"Şuabü'l-Îman"**nda böyle bir hadis rivâyet etmiştir.

[186] Taberânî "**Sağîr**"inde Ebû Hüreyre'den; **"Evsat"**ında Câbir'den biraz farklı olarak rivâyet etmiştir.

“Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’in huzurunda bulunuyorduk. Benî Seleme’den bir kişi gelerek Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e:

- “Annem babam öldükten sonra, onlar için yapabileceğim bir iyilik var mı?” diye sordu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

نَعَمْ اَلصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا وَالْاِسْتِغْفَارُ لَهُمَا وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا
وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا

- *“Evet; onlar için duâ ve istiğfar etmek, verdikleri sözü yerine getirmek, dostlarına ikrâm etmek; yakınlığı onlar vasıtasıyla olan kimseleri ziyâret ederek ikrâmda bulunmaktır.”*[187] buyurdu.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ الْأَبُ

“İyiliklerin en iyisi, baba öldükten sonra dostlarını ziyâret etmektir.”[188]

Bir başka hadîste de şöyle buyurmuştur:

بِرُّ الْوَالِدَةِ عَلَى الْوَلَدِ ضِعْفَانِ

“Anneye yapılan iyiliğin mükâfatı, iki mislidir.”[189]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

دَعْوَةُ الْوَالِدَةِ أَسْرَعُ إِجَابَةً

---

[187] Neseî, Târik el-Muhâribî’den: Ahmed ve Hâkim, Ebû Remse’den rivâyet etmişlerdir.

[188] Taberânî **“Evsat”**ında Amr b. Şuayb’den rivâyet etmiştir.

[189] Bedir’de bulunan bahtiyarların en son ölenlerindendir. Hicrî 30 da öldüğü rivâyet edilmiştir.

"Annenin duâsı, en çabuk kabul olan duâlardandır."

"Neden böyledir?" diye soranlara da, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

هِيَ أَرْحَمُ مِنَ الْأَبِ وَدَعْوَةُ الرَّحِمِ لَا تَسْقُطُ

"Zîra o, babadan daha şefkatlidir; merhametlinin duâsı boşa gitmez." buyurdu.

Bir kişi Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e gelerek:

- "Ya Rasûlallah! Kime iyilik yapayım?" dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Annene ve babana iyilikte bulun."* buyurdu. Adam:

- "Anne ve babam yok." deyince, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

بِرَّ وَلَدَكَ كَمَا أَنَّ لِوَالِدَيْكَ عَلَيْكَ حَقًّا كَذٰلِكَ لِوَلَدِكَ
عَلَيْكَ حَقٌّ

- *"O halde evlâdınıza ikrâm edin. Çünkü anne ve babanızın sizde hakkı olduğu gibi, evlâdınızın da sizde hakkı vardır."*[190] buyurdu. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

رَحِمَ اللّٰهُ وَالِدًا أَعَانَ وَلَدَهُ عَلٰى بِرِّهٖ

"Allahu Teâlâ o babaya rahmet etsin ki, çocuğuna, iyilik etmesi hususunda yardımcı olur."[191] buyurmuştur.

Bir başka hadîs-i şerifte şöyle buyurmuştur:

سَاوُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ

---

[190] Ebû Dâvûd, İbn Mâce, İbn Hibbân ve Hâkim rivâyet etmişlerdir.

[191] Müslim, İbn Ömer'den rivâyet etmiştir.

“Hedîyede çocuklarınız arasında eşitliğe riâyet ediniz.”[192]

Denildi ki; Evlâdın, yedi yaşına kadar güzel kokundur, onu sever ve koklarsın. Sonra yedi sene yâni on dört yaşına kadar da hizmetçindir. Sonra da ya düşmanın veyâ ortağındır.

Enes’den (r.a.) rivâyete göre, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

اَلْغُلَامُ يُعَقُّ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ وَيُسَمّٰى وَيُمَاطُ عَنْهُ الْأَذٰى، فَإِذَا
بَلَغَ سِتَّ سِنٖينَ أُدِّبَ، فَإِذَا بَلَغَ تِسْعَ سِنٖينَ عُزِلَ فِرَاشُهُ، فَإِذَا
بَلَغَ ثَلَاثَ عَشَرَةَ سَنَةً ضُرِبَ عَلَى الصَّلَاةِ، فَإِذَا بَلَغَ سِتَّ
عَشَرَةَ سَنَةً زَوَّجَهُ أَبُوهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهٖ وَقَالَ: قَدْ أَدَّبْتُكَ وَعَلَّمْتُكَ
وَأَنْكَحْتُكَ أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنْ فِتْنَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَعَذَابِكَ فِي الْاٰخِرَةِ

“Çocuk yedi günlük olunca kurban kesilir, adı verilir ve temizlenir. Altı yaşında terbiye edilmeye başlanır. Yedi yaşında yatağı ayrılır. On üç yaşında namaz kılması için hafifçe terbiye edilir. On altı yaşında babası onu evlendirir ve sonra da elinden tutarak:

- “Oğlum! Seni terbiye ettim, okuttum ve everdim. Dünyada bir felâkete, âhirette âzâba uğramandan Allah’a sığınırım. Yâni aklını başına al da ona göre çalış, der.”[193]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

مِنْ حَقِّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يُحْسِنَ أَدَبَهُ وَيُحْسِنَ اِسْمَهُ

---

192. Evvelce geçti.
193. Ebû Amr et-Tevkânî **“Kitâbu Muâşereti’l-Ehleyn”**de Osmân b. Affân’dan biraz eksiği ile ve bu ifâde ile Taberânî, İbn Ömer’den rivâyet etmiştir.

"Çocuğu güzel terbiye etmek ve ona güzel bir ad vermek, evlâdın baba üzerindeki haklarındandır."[194]

Diğer bir hadîs-i şerifte şöyle buyurulmuştur:

كُلُّ غُلَامٍ رَهِينٌ أَوْ رَهِينَةٌ بِعَقِيقَتِهِ تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ
وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ

"Her doğan çocuk, akîka kurbanına bağlıdır. Yâni kurbanı kesilinceye kadar durur ve kesilmeden ölürse, anne ve babasına şefaat edemez. Yedinci gün kurbanı kesilir ve traş edilir."[195]

Katâde şöyle demiştir:

"Akîka kurbanı kesildiği zaman, ondan bir parça yün alınır ve çocuğun başı üzerine konur; âdeta saçları gibi tel tel sarkıtılır. Sonra başı yıkanır ve traş edilir."

Adamın biri **Abdullah b. Mübârek**'e gelerek, çocuğundan şikâyet eder. Abdullah:

- "Çocuğuna hiç bedduâ ettin mi?" diye sorar. Adam:

- "Evet, ettim." deyince, Abdullah:

- "Çocuğun ahlâkını sen bozdun." buyurur.

Çocuğa karşı şefkatli davranmak müstehaptır. Akrâ b. Hâbis[196] Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in Hz. Hasan'ı öptüğünü görünce:

- "Benim on tâne çocuğum olduğu halde, hiç birini öpmedim." dedi. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

194. Ebû'ş-Şeyh İbn Hibbân **"Kitâbu's-Sevâb"**da Ali ve İbn Ömer'den ve Et-Tevkanî'den mürsel olarak rivâyet etmiştir.
195. Taberânî **"Kebîr"**inde İbn Asâkîr **"Târih"**inde İbn Abbas'tan rivâyet etmiştir.
196. Ebû'ş-Şeyh İbn Hibban **"Kitâbu'z-Zahâyâ ve'l-Akîka"**da rivâyet etmiştir.

إِنَّ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ

- *"Merhamet etmeyene, merhamet olunmaz."*[197] buyurdu.

Hz. Âişe (r.a.) şöyle demiştir: "Bir gün Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bana:

اِغْسِلِي وَجْهَ أُسَامَةَ

- *"Usâme'nin yüzünü yıka."* buyurdu. (Usâme'nin yüzü kanamıştı). Ben, biraz çekingen davranarak yüzünü yıkıyordum. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), elimi iterek Usâme'nin yüzünü yıkadı ve çocuğu severek:

- *"Bu, câriye olmadığı için bize iyilik etmiştir. Eğer câriye olsaydı, bunu satın alır âzâd ederdim."*[198] buyurdu. (Çünkü sevdiği bir zâtın çocuğu idi.)

Bir gün Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) minberde iken, Hz. Hasan'ın düştüğünü gördü. Hemen minberden inerek onu kucağına aldı ve

إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ

"Muhakkak sizin mal ve çocuklarınız fitnedir." (Teğâbun suresi, 64/15) âyet-i celîlesini okudu.[199]

Abdullah b. Şeddâd[200] şöyle demiştir:

"Rasûl-i Ekrem Namaz kıldırırken secdeye gittiği sırada Hüseyin (r.a.) gelerek boynuna çıktı. Herkes secdede olduğu için, olandan kimsenin haberi olmadı. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) uzun süre secdede kaldı. Hattâ bâzıları bir emr-i Hak vukûundan şüphelendiler. Namazı bitirince, ashâb:

---

[197] Beyhakî "**Şuabü'l-Îman**"da İbn Abbas ve Âişe'den rivâyet etmişlerdir.

[198] Sünen sahipleri Semure hadîsinden rivâyet etmişlerdir. Tirmizî, "hasendir" demiştir.

[199] Müellefe-i kulûbtandır ve Temîmîdir.

[200] Buhârî, Ebû Hüreyre'den rivâyet etmiştir.

- "Ya Rasûlallah! Bu secdeyi çok uzattınız; hattâ biz, bir şey mi oldu diye çok korktuk." dediler. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ ابْنِي قَدْ اِرْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أَعْجِلَهُ حَتّٰى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ

- *"Secdede iken torunum omuzlarıma çıktı. Gönlü oluncaya kadar onu* (omuzumdan) *atmayı uygun görmedim. Bundan dolayı secdeyi uzattım."*[201] buyurdu. Bu hadîsten istifâde edilen hükümler şunlardır: Kulun Allah'a en yakın olduğu yer, secdedir. Böyle olduğu halde secdede fazla kalmıştır. Ayrıca çocuğa şefkat, iyilik ve ümmetine örnek olmak gibi meselelerdir. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

رِيحُ الْوَلَدِ مِنْ رِيحِ الْجَنَّةِ

"Çocuk kokusu, cennet kokularındandır."[202]

Yezîd b. Muâviye[203] şöyle anlatmıştır:

Babam Muâviye, **Ahnef b. Kays**'ı dâvet etti. Ahnef gelince, babam kendisine:

- "Ey Ebû'l-Bahr! Çocuklar hakkındaki görüşün nedir?" diye sordu. Ahnef:

---

[201] Başka meâlde Ahmed b. Hanbel'in Aişe'den rivâyeti vardır ve isnâdı sahîhtir.

[202] Sünen sahibleri Büreyde'den rivâyet etmişlerdir. Tirmizî, hasen ve garib olduğunu söylemiştir.

[203] Medineli olup annesi Müslümândır. Tabiinin ileri gelenlerinden ve sikadandır.

- "Onlar gönlümüzün meyvesi, sırtımızın dayanağıdır. Biz ise onların ayağı altında yumuşak yer, başları üstünde gölge olur ve onlar için her müşkilâta katlanırız. Ne isterlerse verir, kızarlarsa hiddetlerini teskîne çalışırız. Sana meyil ve muhabbetleri sây u gayretleri, seni memnun etsin. Onlara ağırlık verme ki, senden uzaklaşmasınlar ve hayatından usanıp ölümünü istemesinler." dedi. Babam:

- "Yâ Ahnef! Allah (c.c.) için doğru söyledin.

- "Vallahi sen gelmeden, ben Yezîd'e son derece kızgındım (geldin de hiddetimi teskîn ettin.) dedi. Ahnef ayrıldıktan sonra Muâviye, oğlu Yezîd'e iki yüz bin dirhem ile iki yüz kat elbise gönderdi. Oğlu da bunları Ahnef ile paylaştı.

Bütün bunlar, anne ve baba hakkının ehemmiyetini göstermektedir. Bunların haklarını korumanın keyfiyeti, kardeşlik yolunda anlatılmıştır. Aynı zamanda bu bağlılık, kardeşlikten daha kuvvetlidir. Hattâ burada fazla olarak iki hüküm vardır: Birincisi katî olarak haram olan şeylerde onlara itâat edilmezse de, âlimlerin çoğu, şüpheli olan şeylerde de onlara itâatin gerekliliğine kaildir. Hattâ onlar senin ayrı yemeni istemez ve onların yemeğinden yemeni isterlerse, yemekleri şüpheli olsa da, onlarla yemek yemen sana borçtur. Çünkü şüpheli şeylerden sakınmak verâ, fakat anne ve babanın rızâsını almak vâciptir.

İkincisi: Mübâh ve nâfile olan işlerde anne ve babanın muvafakatini almadan seyahat edemezsin. Hac işi de böyledir. Her ne kadar hac farz ise de, hemen yapılması nafiledir; tehîr edilebilir.[204] İlim öğrenmek için yolculuk da aynı şekilde nâfiledir. Ancak farz olan namaz, oruç gibi mühim meseleleri memleketinde öğretecek kimse yoksa, o zaman gidebilir ve o zaman anne ve baba hakkı mevzû bahis olmaz.

---

[204] Neseî, Abdullah b. Şeddâd'dan rivâyet etmiştir. Ayrıca Hâkim de rivâyet etti ve Buhârî ile Müslim'in şartlarına göre sahih olduğunu söyledi.

Ebû Saîd el-Hudrî (r.a.) şöyle demiştir:

"Yemen'den bir kişi Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e gelerek:

- "Ya Rasûlallah! Cihâd etmek istiyorum." dedi. Rasûl-i Ekrem:

هَلْ بِالْيَمَنِ أَبَوَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «أَذِنَا لَكَ؟» قَالَ: لَا. فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَارْجِعْ إِلٰى أَبَوَيْكَ فَاسْتَأْذِنْهُمَا، فَإِنْ فَعَلَا، فَجَاهِدْ وَإِلَّا فَبِرَّهُمَا مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّ ذٰلِكَ خَيْرُ مَا تَلْقَى اللهَ بِهٖ بَعْدَ التَّوْحِيدِ

- *"Yemen'de annen, baban var mı?"* diye sordu. Adam:

- "Evet. Var, ya Rasûlallah." dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Sana izin verdiler mi?"* diye sordu. Adam:

- "Hayır. Vermediler, ya Rasûlallah." dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Anne ve babana dön de izin iste. Müsâade ederlerse cihâd et; etmezlerse gücün yettiği kadar onların hizmetine devâm et. Çünkü îmandan sonra seni Allah'a ulaştıracak amellerin en hayırlısı odur."*[205] buyurdu.

Yine cihâda gitmek için istişâre etmek üzere, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e gelen bir başkasına:

أَلَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَالْزَمْهَا فَإِنَّ الْجَنَّةَ عِنْدَ رِجْلَيْهَا

---

[205] Taberânî **"Sağîr"** ve **"Evsat"**ında; İbn Hibbân **"Zuafâ"**da İbn Abbas'tan rivâyet etmişlerdir.

- *"Annen var mı?"* diye sordu. Adam:

- "Evet, var." dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Onun yanına git. Zîra cennet onun ayakları altındadır."*[206] buyurdu. Başka birisi hicret maksadı ile gelerek:

- "Ya Rasûlallah! Annemi babamı ağlattım da geldim." deyince, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اِرْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا

- *"Onlara dön ve onları ağlattığın gibi güldür."*[207] buyurdu.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

حَقُّ كَبِيرِ الْإِخْوَةِ عَلٰى صَغِيرِهِمْ كَحَقِّ الْوَالِدِ عَلٰى وَلَدِهٖ

"Büyük kardeşin küçük kardeşteki hakkı, anne babanın evlâdı üzerindeki hakkı gibidir."[208]

Diğer bir hadîste de şöyle buyurulmuştur:

إِذَا اسْتَصْعَبَتْ عَلٰى أَحَدِكُمْ دَابَّتُهُ أَوْ سَاءَ خُلُقُ زَوْجَتِهٖ أَوْ
أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهٖ فَلْيُؤَذِّنْ فٖي أُذُنِهٖ

"Bir kimseye biniti güçlük çıkardığı, karısı veyâ ev halkından birisi huysuzluk ettiği zaman, kulağına ezân okusun."[209]

---

[206] Künyesi Ebû Hâlid'dir. Hicrî 60 da halife olmuştur. Kırk yaşına varmadan Hicrî 64 târihinde vefât etmiştir.

[207] Bu görüş, Şâfiî mezhebinin görüşüdür. Hac bahsine bakınız.

[208] Ahmed ve İbn Hibbân rivâyet etmişlerdir.

[209] Neseî, İbn Mâce ve Hâkim Muâviye b. Cahme'den rivâyet etmişlerdir. Hâkim, isnâdının sahîh olduğunu söylemiştir.

KÖLE HAKLARI

Bilmiş ol ki; evlenmek sûretiyle mâlik olduğu âilesine karşı olan vazifeler, evlenme âdâbında geçmiştir. Câriye olarak edindiği âilelerine karşı da riâyet edilmesi gereken bâzı haklar vardır.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) son nasîhatında:

اِتَّقُوا اللّٰهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ وَاكْسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا لَا يُطِيقُونَ، فَمَا أَحْبَبْتُمْ فَأَمْسِكُوا وَمَا كَرِهْتُمْ فَبِيعُوا، وَلَا تُعَذِّبُوا خَلْقَ اللّٰهِ فَإِن اللّٰهَ مَلَّكَكُمْ إِيَّاهُمْ وَلَو شَاءَ لَمَلَّكَهُمْ إِيَّاكُمْ

"Mâlik olduğunuz köle ve câriyeleriniz hakkında Allah'tan korkun. Onlara yediğinizden yedirin. Güçlerinin yetmeyeceği işleri onlara teklif etmeyin. Sevdiğinizi saklayın, hoşunuza gitmeyenleri satın. Allah'ın yarattıklarına eziyet etmeyin. Allahü Teâlâ'nın sizi onlara mâlik kıldığını unutmayın. Allah dileseydi, onları size mâlik kılardı."[210] buyurmuştur.

Diğer bir hadîste de şöyle buyrulmuştur:

لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ وَكِسْوَتُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يُكَلَّفُ مِنَ الْعَمَلِ مَا لَا يُطِيقُ

"Uygun bir elbise ve yemek, kölenin hakkıdır. Gücünün yetmediği işi kendisine teklifte bulunmayınız."[211]

---

[210] Ebû Dâvûd, Neseî, İbn Mace ve Hâkim, Abdullah b. Ömer'den rivâyet etmişlerdir. Hâkim, isnadı sahihtir, demiştir.

[211] Ebû'ş-Şeyh İbn Hibbân **"Kitâbü's-Sevâb"**da Ebû Hüreyre'den rivâyet etmiştir.

Başka bir hadîste şöyle buyrulmuştur:

لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ خَبٌّ وَلَا مُتَكَبِّرٌ وَلَا خَائِنٌ وَلَا سَيِّئُ الْمُلْكَةِ

“Kötü huylu bozguncular, kendini beğenen kibirliler, hâin kimseler, köle ve câriyelerine karşı kötü davrananlar cennete giremezler.”[212]

Abdullah b. Ömer (r.a.) şöyle demiştir:

“Bir kişi Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e gelerek:

- “Ya Rasûlallah! Hizmetçilerimizin kusurlarından ne kadarını affedelim?” diye sordu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir müddet sustuktan sonra:

اُعْفُ عَنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً

- *“Günde yetmiş defa işledikleri hatâları bağışla.”*[213] buyurdu.

Hz. Ömer (r.a.) her Cumartesi Medîne’ye yakın bağlık ve hurmalık bir yer olan Avâli’ye gider, orada çalışan işçilere bakardı. Gücünden fazla çalıştırılanların işlerini ayarlardı.

Ebû Hüreyre (r.a.), bir adamı binitli ve hizmetçisini de ardında yaya olarak yürür gördüğünde:

- “Ey Allah’ın kulu! O da senin gibi insandır ve senin kardeşindir. Ne olur, onu da atlasına al.” demiştir.

Ebû’d-Derdâ’nın câriyesi, kendisine:

- “Seni şu kadar önce zehirlediğim halde, zehir sana tesîr etmedi.” dedi. Ebû’d-Derdâ:

---

212. Ebû Mansûr ed-Deylemî **“Müsned-i Firdevs”**de Hz. Ali’den rivâyet etmiştir.
213. Bu hadîs, bir kaç hadîsten toplanmıştır. Ebû Dâvûd bir kısmını, Buhârî ile Müslim Ebû Zer’den diğer kısmını sahîh sened ile rivâyet etmişlerdir.

- "Niçin zehirledin?" diye sordu. Köle:

- "Telâşından kurtulmak için." dedi. Bunun üzerine Ebû'd-Derdâ:

- "Mâdem ki benden bu kadar bunaldın, ben de seni âzâd ettim." dedi.

Zuhrî: Efendisi tarafından "Allah cezanı versin!" denen köle, âzâd edilmedikçe, bu lâfın kefâreti ödenemez." demiştir.

Ahnef b. Kays'a:

- "Bu kadar yumuşak ahlâkı nereden aldın?" diye sorduklarında, Ahnef:

- "Kays b. Âsım'dan aldım." dedi.[214]

- "Onun ahlâkı nasıldı?" diye sordular, Ahnef:

- "O öyle halîm bir adam idi ki, bir defa evine gitmiştik. Câriyesi, bir kapta pişmiş et getirirken, et çocuğun üzerine döküldü ve çocuk yanarak öldü. Bu dehşet karşısında câriyenin son derece üzüldüğünü gören Kays, câriyenin üzüntüsünü gidermek için, bunu âzâd etmekten başka çâre yoktur." diyerek, câriyeyi âzâd etmiştir.

Avn b. Abdullah,[215] kölesi kendisine isyân ettiği zaman;

- "Efendine ne çok benziyorsun; efendin de aynı senin gibi Mevlâsına karşı isyân ediyor." derdi. Bir gün kölesi kendisini iyice kızdırmıştı. Avn:

- "Bu hareketinle seni dövmemi istiyorsun. Fakat dövmeyeceğim, seni âzâd ediyorum." dedi.

---

[214] Müslim, Ebû Hüreyre'den rivâyet etmiştir.

[215] Ahmed toplu olarak, Tirmizî ayrı ayrı, İbn Mâce kısa olarak Ebû Bekir'den rivâyet etmişlerdir.

Meymûn b. Mihrân'ın misafiri geldi. Misâfire acele yemek vermesini câriyesine emretti. Câriyesi de o telâşla yemeği efendisinin, başına döktü. Meymûn:

- "Ne yaptın, beni yaktın?" deyince, câriye:

- "Ey insanların terbiyesi ile meşgul olup onlara iyilikleri öğreten efendi, Allahu Teâlâ'nın buyurduğuna baksana?" deyince, Meymûn:

- "Allahu Teâlâ ne buyurdu?" diye sordu. Câriye:

- "Allahu Teâlâ şöyle buyurdu:

وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ

"Onlar ki hiddetlerini yenerler." (Âl-i İmrân suresi, 3/134)

وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ

"Aynı zamanda insanların kusurlarını da bağışlarlar." (Âli-İmrân suresi, 3/134) âyetlerini okudu. Bunun üzerine Meymûn:

-Ben de seni affettim." dedi. Câriye:

وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

"Allahu Teâlâ ihsân edenleri sever." (Âli-İmrân suresi, 3/134) âyetini okuyunca, Meymûn:

- "O hâlde ben de ihsân olarak Allah için seni âzâd ettim." dedi.

İbn Münkedir[216] şöyle demiştir:

"Ashâbtan bir zât, kızdığı kölesini dövmeye başlamıştı. Köle:

---

[216] Ebû Dâvûd ve Tirmizî rivâyet ettiler.

- "Allah aşkına ne olursun, beni dövme." demiş ise de efendisi onu dinlememişti. O kadar dövmüş ki, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) kölenin feryâdını duymuştu. Adam, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in kendine doğru ilerlemekte olduğunu görünce, dövmekten vazgeçmişti. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

سَأَلَكَ بِوَجْهِ اللّٰهِ فَلَمْ تُعْفِهِ فَلَمَّا رَأَيْتَنِي أَمْسَكْتَ يَدَكَ قَالَ: فَإِنَّهُ حُرٌّ لِوَجْهِ اللّٰهِ يَا رَسُولَ اللّٰهِ، فَقَالَ: لَوْ لَمْ تَفْعَلَ لَسَفَعَتْ وَجْهَكَ النَّارُ

- *"Allah aşkına beni bırak dediği halde dinlemedin de, beni görünce bıraktın?"* buyurmuş. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in itâbına uğrayan adam yaptığına pişmân olarak:

- "Onu âzâd ettim ya Rasûlallah." deyince, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

- *"Eğer âzâd etmeseydin, ateş yüzünü yakıp karartırdı."*[217] buyurdu. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

اَلْعَبْدُ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللّٰهِ فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ

"Köle, efendisinin hizmetinde bulunup Allah'a güzel ibâdet ederse, iki mükâfat alır."[218]

Ebû Rafî[219] âzâd edildiği zaman ağladı ve "Köle iken bir Allah'a ibâdet, bir de efendime hizmet ederken iki mükâfat alıyordum. Şimdi bunların birinden mahrûm oldum." dedi.

---

[217] Hilmi ile meşhûr bir sahabi olup, Basra'ya hicret etmiştir. Birçok hadis âlimleri kendisinden rivâyette bulunmuşlardır.

[218] Kûfeli zâhidlerdendir. Sikadır. Ömer b. Abdülazîz devrinde yaşamıştır.

[219] İbn Münkedir Teymî'dir. Tabiînden ve sikadır. Birçokları kendisinden hadîs rivâyet etmişlerdir. Hicrî 130 da ölmüştür.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَأَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ، فَأَمَّا أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: فَالشَّهِيدُ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ لِسَيِّدِهِ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ؛ وَأَمَّا أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ: فَأَمِيرٌ مُسَلَّطٌ، وَذُو ثَرْوَةٍ لَا يُعْطِي حَقَّ اللّٰهِ، وَفَقِيرٌ فَخُورٌ

"Cennete ilk girecek üç kişi ile, cehenneme ilk girecek üç kişi bana gösterildi. Cennete ilk girecek olanlar: şehîdler ve efendisine hizmet ile Allah'a güzel ibâdet eden köleler ve kalabalık âileye mâlik yoksul ve fakat iffet sahibi fakirlerdir. Cehenneme ilk girecek üç kişi de zâlim emirler, zekâtını vermeyen zenginler ve kibirli yoksulladır."[220]

Ebû Mes'ûd Ensârî (r.a.) şöyle demiştir:

"Kölemi döverken ardımdan bir ses duydum: *"Ya Ebâ Mes'ûd! bilmiş ol ki,"* diyordu. Bu sesi ilk defa duydum. Bir de ardıma baktım ki, seslenen Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'dir. Onu görünce hemen kamçıyı attım. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

وَاللّٰهِ لَلّٰهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلٰى هٰذَا

- *"Yemin ederim ki, senin bu köleye olan gücünden ziyâde, Allahu Teâlâ'nın gücü sana yeter."*[221] buyurdu.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

---

220. İbn Mübarek **"Zühd"**ünde mürsel olarak rivâyet etmiştir. Müslim'in de İbn Mes'ûd'dan biraz farklı bir rivâyeti vardır.
221. Buhârî ile Müslim, İbn Ömer'den rivâyet etmişlerdir.

إِذَا ابْتَاعَ أَحَدُكُمُ الْخَادِمَ فَلْيَكُنْ أَوَّلُ شَيْءٍ يُطْعِمُهُ الْحُلْوَ
فَإِنَّهُ أَطْيَبُ لِنَفْسِهٖ

"Sizden biriniz hizmetçi aldığı zaman, ona ilk olarak tatlı yedirsin. Çünkü o, onun için hoş olur."[222]

Ebû Hüreyre'nin rivâyetinde, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِذَا أَتٰى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهٖ فَلْيُجْلِسْهُ، فَلْيَأْكُلْ مَعَهُ، فَإِنْ
لَمْ يَفْعَلْ فَلْيُنَاوِلْهُ لُقْمَةً (وَفِي رِوَايَةٍ) إِذَا كَفٰى أَحَدَكُمْ مَمْلُوكُهُ
صَنْعَةَ طَعَامِهٖ فَكَفَاهُ حَرَّهُ وَمُؤْنَتَهُ وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ فَلْيُجْلِسْهُ وَلْيَأْكُلْ
مَعَهُ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلْيُنَاوِلْهُ أَوْ لِيَأْخُذْ أَكْلَةً فَلْيُرَوِّغْهَا (وَأَشَارَ
بِيَدِهٖ) وَلْيَضَعْهَا فِي يَدِهٖ وَلْيَقُلْ كُلْ هٰذِهٖ

"Sizden birinize hizmetçi yemek yedirdiği zaman, onu da sofraya oturtsun. Bunu yapamazsa, hiç olmazsa yemekten biraz versin." buyurdu. Diğer rivâyette: "Sizden birinize hizmetçi yemeğini güzelce hazırlayıp önüne koyduğu vakit, onu da sofraya oturtsun, bunu yapamazsa bir miktar ona aldırtsın, bunu da yapamazsa hiç olmazsa bir lokma eline vermek sûretiyle karşılıkta bulunsun ve bunu yemesini söylesin."[223]

---

[222] Resul i Ekrem'in âzâdlı kölesidir, adı İbrâhim'dir. Hz. Abbas'ın kölesi idi. Hz. Abbas onu Resul-i Ekrem'e hediye etmişti. Köle, Abbas'ın Müslüman olduğunu haber verince, Resul-i Ekrem de onu âzâd etti. Uhud ve diğer gazvelerde bulundu. Fakat Bedir'de bulunamadı. Bedir'den önce Müslüman oldu. Hz. Osman'ın şehâdetinden kısa bir müddet sonra Medîne'de öldü.

[223] Tirmizî rivâyet etti. İbn Hibbân da Ebû Hüreyre'den rivâyet etmiştir.

Selmân-ı Fârisî, bir adamın yanına gitti. Adamın hamur yoğurduğunu gördü. Ne yaptığını sorunca, adam: “Hizmetçiye başka iş vermiştik. İş üzerine iş vermeyi uygun bulmadığım için, hamuru da kendim yoğuruyorum.” dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ جَارِيَةٌ فَصَانَهَا وَأَحْسَنَ إِلَيْهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا
وَتَزَوَّجَهَا فَذٰلِكَ لَهُ أَجْرَانِ

“Kim câriyesine iyi bakar, onu güzel korur ve terbiye eder, sonra da âzâd ederek onunla evlenirse, iki ecir alır.”[224]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)

كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ

“Hepiniz çobansınız ve hepiniz de çobanlığınızdan mesûlsünüz.”[225]

Hizmetçilerin haklarından bâzıları şunlardır:

Onları kendi yediğinden yedirmek, giydiğinden giydirmek ve takatlarından fazla iş vermemektir. Onlara kibirli ve hâşîn gözle bakmamak, bâzı hatâlarını bağışlamak, hatâlarından dolayı kendilerine kızdığı zaman, kendisinin Allah’a karşı hatâlarını ve Allahu Teâlâ’nın kendisinden daha ziyâde intikama muktedir olduğunu düşünmektir.

Fudâle b. Abdullah[226] rivâyetinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

---

224. Hadîsi, Müslim rivâyet etmiştir.
225. Taberânî “**Evsât**”ında ve Harâitî **“Mekârim-i Ahlâk”**ta rivâyet etmişlerdir.
226. Buhârî ile Müslim, biraz farklı ifâdelerle rivâyet etmişlerdir. Harâitî **“Mekârim-i Ahlâk”**ta bu lafız ile rivâyet etmiştir.

ثَلَاثَةٌ لَا يُسْأَلُ عَنْهُم: رَجُلٌ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَرَجُلٌ عَصٰى
إِمَامَهُ فَمَاتَ عَاصِيًا، فَلَا يُسْأَلُ عَنْهُمَا؛ وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا
زَوْجُهَا وَقَدْ كَفَاهَا مُؤْنَةَ الدُّنْيَا، فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ، فَلَا يُسْأَلُ عَنْهَا.
وَثَلَاثَةٌ لَا يُسْأَلُ عَنْهُم: رَجُلٌ يُنَازِعُ اللّٰهَ رِدَاءَهُ وَرِدَاؤُهُ الْكِبْرِيَاءُ
وَإِزَارُهُ الْعِزُّ، وَرَجُلٌ فِي شَكٍّ مِنَ اللّٰهِ، وقُنُوطٌ مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ

"Üç kimseden sorulmaz, yâni onlar helâk olmuştur. Müslüman cemâatinden ayrılan, îmamına isyân eden ve bu halde ölen kimselerin vaziyeti perişandır. Bunlardan sorma. Birisi de kocası kayıp olduktan sonra, geçimi yerinde olduğu halde süslenip evlenen kadın, ondan da sorma. Yine üç kişiden daha sorma. Onlar da, Allah ile münâzaa edercesine kibredenler. Çünkü Allah'ın ridâsı kibir, izârı ise ululuktur. Diğeri Allah hakkında şüphe edenlerdir. Üçüncüsü de Allah'ın rahmetinden ümîd kesenlerdir."[227]

"İnsanlarla Sohbet ve Muaşeret Âdâbı Kitabı" burada tamam olmuştur.

---

[227] Buhârî ile Müslim, Ebû Mûsâ'dan rivâyet etmişlerdir. Hadisi, Hâkim ve Taberânî rivâyet etmişlerdir. Hâkim sahihtir, dedi. Buhârî ile Müslim, İbn Ömer'den rivâyet etmişlerdir. Fudale'nin babası, Ubeyd, şâir idi. Kendisi Uhud gazvesinde bulundu ve Rasûl-i Ekrem'e orada biat etti. Şam'a gitti ve orada Muâviye'ye kadılık yaptı. Şam'da öldü. Rasûl-i Ekrem, Medîne'ye geldiği vakit, altı yaşında olup, Hicrî 53 de öldüğünü Vâkidî söyler.

كتاب

آداب العزلة

وهو الكتاب السادس من ربع العادات
من كتب إحياء علوم الدين

Rub'u'l-Âdât

ALTINCI KİTAB

İNSANLARDAN AYRI YAŞAMANIN ÂDÂBI

(KİTÂBU ÂDÂBİ'L- UZLET)

كتاب آداب العزلة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي أعظمَ النعمةَ علىٰ خيرةِ خلقِهِ وصَفوتِهِ ، بأنْ صرفَ هممَهُمْ إلىٰ مؤانستِهِ ، وأجزلَ حظَّهُمْ مِنَ التلذُّذِ بمشاهدةِ آلائِهِ وعظمتِهِ ، وروَّحَ أسرارَهُمْ بمناجاتِهِ وملاطفتِهِ ، وحقَّرَ في قلوبِهِمُ النظرَ إلىٰ متاعِ الدنيا وزهرتِها حتَّىٰ اغتبطَ بعزلتِهِ كلُّ مَنْ طُويتِ الحُجُبُ عنْ مجاري فكرتِهِ ، فاستأنسَ بمطالعةِ سُبُحاتِ وجهِهِ تعالىٰ في خلوتِهِ⁽¹⁾ ، واستوحشَ بذلكَ عنِ الأُنسِ بالإنسِ وإنْ كانَ مِنْ أخصِّ خاصَّتِهِ .

والصَّلاةُ علىٰ سيدِنا محمدٍ سيِّدِ أنبيائِهِ وخيرتِهِ ، وعلىٰ آلِهِ وصحابتِهِ سادةِ الخلقِ وأئمَّتِهِ⁽²⁾ .

أمّا بعدُ :

فإنَّ للناسِ اختلافاً كثيراً في العزلةِ والمخالطةِ وتفضيلِ إحداهما على الأخرى ، معَ أنَّ كلَّ واحدةٍ منهما لا تنفكُّ عنْ غوائلَ تنفرُ عنها ، وفوائدَ تدعو إليها .

---

(١) **سبحات** : بضمتين ؛ أي : نوره وبهاؤه وجلاله وعظمته .

(٢) في (أ) : (الحق) بدل (الخلق) .

وميلُ أكثرِ العبَّادِ والزهَّادِ إلى اختيارِ العزلةِ وتفضيلِها على المخالطةِ ، وما ذكرناهُ في كتابِ الصحبةِ مِنْ فضيلةِ المخالطةِ والمؤاخاةِ والمؤالفةِ يكادُ يناقضُ ما مالَ إليهِ الأكثرونَ مِنِ اختيارِ الاستيحاشِ والخلوةِ ، فكشفُ الغطاءِ عنِ الحقِّ في ذلكَ مهمٌّ ، ويحصلُ ذلكَ برسمِ بابينِ :

البابُ الأوَّلُ : في نقلِ المذاهبِ والحججِ فيها .

البابُ الثاني : في كشفِ الغطاءِ عنِ الحقِّ بحصْرِ الفوائدِ والغوائلِ .

* * *

MUKADDİME

Hamd Allah'a mahsûstur. O ki, hayırlı ve halis kullarını birbirine ısındırıp ünsiyet ettirmekle, onlara en büyük nîmetini bahsetmiştir. O ki, münâcatı ve mânevî lütufları ile gönüllerini huzûra eriştirmiştir. O ki, dünyanın süsünü, iyilik, zevk u safasını, onların gönlünde küçülterek, ona meyletmelerini önlemiştir. O dereceye kadar ki, düşünce yollarındaki perdeleri dürebilenler, vahdet köşesine çekilmeyi tercîh ederek, tenhâ yerlerde Allahu Teâlâ'nın nûrunu, azamet ve celâlini düşünmekle ünsiyet edip, kendilerine en yakın olan insanlarla bile düşüp kalkmaktan hoşlanmaz olmuşlardır.

Salât ve selâm, Efendimiz ve bütün peygamberlerin efendisi ve yaratıkların en hayırlısı Muhammed aleyhisselâma ve halkın efendisi ve imamları olan âline ve ashâbına olsun.

Bundan sonra bilmiş ol ki: Halk arasına karışmak veyâ yalnız yaşamak ve bunların birini diğerinden üstün tutmak hususunda insanların görüşleri birbirine uymamaktadır. Her iki tarafın da faydalı ve heves edilir yönleri olduğu gibi, sevilmeyen kötü tarafları da vardır. Âbid ve zâhidlerin çoğu uzleti tercîh etmekte ve ihtilâttan üstün görmektedirler. Sohbet kitâbında anlattığımız; halk arasına girip, onlarla ülfet ve ünsiyet kurmanın efdaliyeti hakkındaki yazılarımız, bu ekseriyetin meylettiği uzlet ve halvet anlayışına uymaz. Bu hususta hakikatin yüzünden perdeyi kaldırmak ve gerçeği îzah etmek cidden ehemmiyeti mûcib bir husus olup, iki bâbda îzahı mümkündür.

البَابُ الأَوَّلُ

في نقل المذاهب والأقاويل وذكر حجج الفريقين في ذلك

أمّا المذاهبُ: فقدِ اختلفَ الناسُ فيها، وظهرَ هـٰذا الاختلافُ بينَ التابعينَ:

فذهبَ إلى اختيارِ العزلةِ وتفضيلِها على المخالطةِ: سفيانُ الثوريُّ، وإبراهيمُ بنُ أدهمَ، وداوودُ الطائيُّ، وفضيلُ بنُ عياضٍ، وسليمانُ الخوّاصُ، ويوسفُ بنُ أسباطٍ، وحذيفةُ المرعشيُّ، وبشرٌ الحافي.

وقالَ أكثرُ التابعينَ باستحبابِ المخالطةِ، واستكثارِ المعارفِ والإخوانِ؛ للتألُّفِ والتحبُّبِ إلى المؤمنينَ، والاستعانةِ بِهِمْ في الدينِ؛ تعاوناً على البرِّ والتقوىٰ، ومالَ إلىٰ هـٰذا: سعيدُ بنُ المسيَّبِ، والشعبيُّ، وابنُ أبي ليلىٰ، وهشامُ بنُ عروةَ، وابنُ شُبْرمةَ، وشريحٌ، وشريكُ بنُ عبدِ اللهِ، وابنُ عيينةَ، وابنُ المباركِ، والشافعيُّ، وأحمدُ ابنُ حنبلٍ، وجماعةٌ⁽¹⁾.

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢١٤)، وهنا سرد الشارح الحافظ الزبيدي أقوالاً في تفضيل العزلة أو الخلطة علىٰ أختها، ثم قال: (وقال الكرماني في « شرح البخاري »: المختار في عصرنا تفضيل الاعتزال؛ لندور خلو المحافل من المعاصي، وقال البدر العيني: أنا موافق له فيما قال، فإن الاختلاط مع الناس في هـٰذا الزمان لا يجلب إلا الشرور، وقال أبو البقاء الأحمدي: وأنا أقول بأفضلية العزلة لبعدها عن الرياء في العمل، وخلو الخاطر وشهود سر الوحدانية في الأزل، **قلت**: وأنا موافق لما قالوا من تفضيل العزلة؛ لفساد الزمان والإخوان، والله المستعان). « إتحاف » (٦/ ٣٣١).

والمأثورُ عنِ العلماءِ مِنَ الكلماتِ ينقسمُ إلىٰ كلماتٍ مطلقةٍ تدلُّ على الميلِ إلىٰ أحدِ الرأيينِ ، وإلىٰ كلماتٍ مقرونةٍ بما يشيرُ إلىٰ علَّةِ الميلِ ، فلننقلِ الآنَ مطلقاتِ تلكَ الكلماتِ ؛ لنتبيَّنَ المذاهبَ فيها ، وما هوَ مقرونٌ بذكرِ العلَّةِ نوردُها عندَ التعرُّضِ للغوائلِ والفوائدِ ، فنقولُ :

قدْ رُوِيَ عنْ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : (خذوا بحظِّكُمْ مِنَ العزلةِ)(١) .

وقالَ ابنُ سيرينَ : (العزلةُ عبادةٌ)(٢) .

وقالَ الفضيلُ : (كفىٰ باللهِ مُحبّاً ، وبالقرآنِ مؤنساً ، وبالموتِ واعظاً ، اتخذِ اللهَ صاحباً ، ودعِ الناسَ جانباً)(٣) .

وقالَ أبو الربيعِ الزاهدُ لداوودَ الطائيِّ : عظْني ، قالَ : صُمْ عنِ الدنيا ، واجعلْ فطرَكَ الآخرةَ ، وفرَّ مِنَ الناسِ فرارَكَ مِنَ الأسدِ(٤) .

وقالَ الحسنُ رضيَ اللهُ عنهُ : (كلماتٌ أحفظُهُنَّ مِنَ التوراةِ : قنعَ ابنُ آدمَ فاستغنىٰ ، اعتزلَ الناسَ فسَلِمَ ، تركَ الشهواتِ فصارَ حرّاً ، تركَ الحسدَ

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١١) من زيادات نعيم بن حماد ، وابن حبان في « روضة العقلاء » (ص٨١) .

(٢) رواه الخطابي في « العزلة » (٢٧) .

(٣) رواه الخطابي في « العزلة » (٣٣) بتمامه ، والقطعة الأخيرة (اتخذ الله صاحباً . . .) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣٧٣) عن إبراهيم بن أدهم أنه كان يرتجزه إذا عمل .

(٤) رواه الخطابي في « العزلة » (٣٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦٠) .

فظهرَتْ مروءتهُ ، صبرَ قليلاً فتمتَّعَ طويلاً)[١] .

وقالَ وهيبُ بنُ الوردِ : (بلغَنا أنَّ الحكمةَ عشرةُ أجزاءٍ ؛ تسعةٌ منها في الصمتِ ، والعاشرُ في عزلةِ الناسِ)[٢] .

وقالَ يوسفُ بنُ مسلمٍ لعليِّ بنِ بكَّارٍ : ما أصبرَكَ على الوحدةِ ـ وقدْ كانَ لزمَ البيتَ ـ فقالَ : كنتُ وأنا شابٌّ أصبرُ علىٰ أشدَّ مِنْ هٰذا ، كنتُ أجالسُ الناسَ ولا أكلِّمُهُمْ[٣] .

وقالَ سفيانُ الثوريُّ : (هٰذا وقتُ السكوتِ ، وملازمةِ البيوتِ)[٤] .

وقالَ بعضُهُمْ : كنتُ في سفينةٍ ومعنا شابٌّ من العلويَّةِ[٥] ، فمكثَ معنا سبعاً لا نسمعُ لهُ كلاماً ، فقلنا لهُ : يا هٰذا ؛ قدْ جمعَنا اللهُ وإيَّاكَ منذُ سبعٍ ولا نراكَ تخالطُنا ولا تكلِّمُنا ؟! فأنشأَ يقولُ[٦] : [من الوافر]

قَلِيلُ ٱلْهَمِّ لا وَلَدٌ يَمُوتُ   وَلا أَمْرٌ يُحاذِرُهُ يَفُوتُ

---

(١) رواه الخطابي في « العزلة » (٣٧) ، فهي خمس كلمات ، ولكل منها شاهد في المرفوع من الأخبار . « إتحاف » (٦/ ٣٣٢) .

(٢) رواه الخطابي في « العزلة » (٣٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٤٢) ، ورواه مرفوعاً ابن عدي في « الكامل » (٦/ ٤٤٢) .

(٣) رواه الخطابي في « العزلة » (٣٩) .

(٤) ذكره الخطابي في « العزلة » (٤٠) عقب الخبر الآتي .

(٥) أي : من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه . « إتحاف » (٦/ ٣٣٢) .

(٦) رواه الخطابي في « العزلة » (٤٠) عن محمد بن يوسف النحوي ، عن بعض أشياخه ، وانظر « شرح نهج البلاغة » (١٠/ ٤٠ـ ٤١) .

قَضَىٰ وَطَرَ ٱلصِّبا وَأَفادَ عِلْماً فَغايَتُهُ ٱلتَّفَرُّدُ وَٱلسُّكُوتُ

وقالَ إبراهيمُ النخعيُّ لرجلٍ : (تفقَّهْ ثمَّ اعتزلْ) ، وكذا قالَ الربيعُ بنُ خُثيمٍ(١) .

وقيلَ : كانَ مالكُ بنُ أنسٍ يشهدُ الجنائزَ ، ويعودُ المرضىٰ ، ويعطي الإخوانَ حقوقَهُمْ ، فتركَ ذلكَ واحداً واحداً حتَّىٰ تركَها كلَّها ، وكانَ يقولُ : (لا يتهيَّأُ للمرءِ أنْ يخبرَ بكلِّ عذرٍ لهُ)(٢) .

وقيلَ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ : لوْ تفرغتَ لنا ؟ فقالَ : ذهبَ الفراغُ ، فلا فراغَ إلا عندَ اللهِ تعالىٰ(٣) .

وقالَ الفضيلُ : (إنِّي لأجدُ للرجلِ عندي يداً إذا لقيَني ألا يسلِّمَ عليَّ ، وإذا مرضتُ ألا يعودَني) .

وقالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ : بينَما الربيعُ بنُ خُثيمٍ جالسٌ علىٰ بابِ دارِهِ إذْ جاءَهُ حجرٌ فصكَّ جبهتَهُ ، فشجَّهُ ، فجعلَ يمسحُ الدمَ ويقولُ : لقدْ وُعظتَ يا ربيعُ ، فقامَ ودخلَ دارَهُ ، فما جلسَ بعدَ ذلكَ علىٰ بابِ دارِهِ حتَّىٰ أُخرجَتْ جنازتُهُ(٤) .

---

(١) رواه الخطابي في « العزلة » (٤٢) عنهما بسندين متفرقين .

(٢) رواه الخطابي في « العزلة » (٥٠) ، واستمر على العزلة نحو اثنتي عشرة سنة ، وأقام عليه أهل عصره النكير ، وكثر فيه الكلام . « إتحاف » (٦/ ٣٣٣) .

(٣) رواه ابن سعد في « طبقاته » (٧/ ٣٨٥) .

(٤) أورده ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٣/ ٣٣) .

وكانَ سعدُ بنُ أبي وقاصٍ وسعيدُ بنُ زيدٍ لزما بيوتَهُما بالعقيقِ ، فلمْ يكونا يأتيانِ المدينةَ لجمعةٍ ولا غيرِها ، حتَّىٰ ماتا بالعقيقِ(١) .

وقالَ يوسفُ بنُ أسباطٍ : سمعتُ سفيانَ الثوريَّ يقولُ : (واللهِ الذي لا إلـٰهَ إلا هوَ ؛ لقدْ حلَّتِ العزلةُ)(٢) .

وقالَ بشرُ بنُ عبدِ اللهِ : (أقِلَّ مِنْ معرفةِ الناسِ ؛ فإنَّكَ لا تدري ما يكونُ يومَ القيامةِ ، فإنْ تكنْ فضيحةٌ . . كانَ مَنْ يعرفُكَ قليلاً)(٣) .

ودخلَ بعضُ الأمراءِ علىٰ حاتمٍ الأصمِّ ، فقالَ لهُ : ألكَ حاجةٌ ؟ فقالَ : نعمْ ، قالَ : ما هيَ ؟ قالَ : ألا تراني ولا أراكَ .

وقالَ رجلٌ لسهلٍ : أريدُ أنْ أصحبَكَ ، فقالَ : إذا ماتَ أحدُنا ؛ فمَنْ يصحبُ الآخرُ . . فليصحبْهُ الآنَ(٤) .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (٥٨) ، وأصله عند مالك في « الموطأ » (١/ ٢٣٢) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٨٨) ، ونقل اليافعي في « الإرشاد والتطريز » (ص١٣٣) عن بعض العارفين : (إن كانت حلَّت في زمانه . . فقد وجبت في زماننا) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (١٠٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٤١) عن بشر بن منصور السَّليمي .

(٤) في (أ) : (فمن يصحبه . . فليصحبه الآن) ، وفي (ب) : (فمن يصحبه إلى الآخرة . . فليصحبه الآن) ، والخبر رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٤٨٧) ، ولفظه : إذا مات أحدنا فمن يصحبه الباقي ؟ قال : الله ، فقال له : فليصحبه الآن . قال الحافظ الزبيدي : (وفيه صحة إطلاق الصحبة على الله ، ويؤيده خبر : « اللهم ؛ أنت الصاحب في السفر ») . « إتحاف » (٦/ ٣٣٤) .

وقيلَ للفضيلِ : إنَّ علياً ابنَكَ يقولُ : لوددتُ أنِّي في مكانٍ أرى الناسَ ولا يروني ، فبكى الفضيلُ وقالَ : يا ويحَ عليٍّ ! أفلا أتمَّها فقالَ : لا أراهُمْ ولا يروني ؟!(١) .

وقالَ الفضيلُ أيضاً : (مِنْ سخافةِ عقْلِ الرجلِ كثرةُ معارفِهِ)(٢) .

وقالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (أفضلُ المجالسِ مجلسٌ في قعْرِ بيتِكَ ، لا ترىٰ ولا تُرىٰ)(٣) .

فهٰذهِ أقاويلُ المائلينَ إلى العزلةِ .

* * *

---

(١) قال الحافظ الزبيدي : (أخرجه صاحب « الحلية » ، أشار بذلك إلىٰ أن المقام الثاني أفضل وأعلىٰ درجة ، إذ رؤيته للناس شغل كبير عن الله تعالىٰ) . « إتحاف » (٦/ ٣٣٤) .

(٢) روىٰ نحوه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (١٣٨) موقوفاً علىٰ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) نسبه الحافظ الزبيدي لصاحب « الحلية » . « إتحاف » (٦/ ٣٣٤) .

ذكر حجج المائلين إلى المخالطة ووجه ضعفها

احتجَّ هؤلاءِ بقولهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ . . . ﴾ الآيةَ ، وبقولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ ، فامتنَّ على الناسِ بالسببِ المؤلِّفِ .

وهٰذا ضعيفٌ ؛ لأنَّ المرادَ بهِ تفرُّقُ الآراءِ واختلافُ المذاهبِ في معاني كتابِ اللهِ وأصولِ الشريعةِ ، والمرادُ بالألفةِ : نزعُ الغوائلِ مِنَ الصدورِ ، وهيَ الأسبابُ المثيرةُ للفتنِ المحرِّكةُ للخصوماتِ ، والعزلةُ لا تنافي ذلكَ .

واحتجُّوا بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « المؤمنُ آلفٌ مألوفٌ ، ولا خيرَ فيمَنْ لا يألفُ ولا يُؤلفُ »(١) .

وهٰذا أيضاً ضعيفٌ ؛ لأنَّهُ إشارةٌ إلىٰ مذمَّةِ سوءِ الخُلُقِ الذي تمتنعُ بسببِهِ المؤالفةُ ، ولا يدخلُ تحتَهُ الحسنُ الخلقِ ، الذي إنْ خالطَ . . أَلِفَ وأُلِفَ ، ولكنَّهُ تركَ المخالطةَ اشتغالاً بنفسِهِ ، وطلباً للسلامةِ مِنْ غيرِهِ .

واحتجُّوا بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ فارقَ الجماعةَ شبراً . . خلعَ ربقةَ الإسلامِ منْ عنقِهِ »(٢) .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٤٠٠) ، والطبراني في « الكبير » (٦/ ١٣١) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ٢٣) .

(٢) رواه البيهقي في « السنن الكبرى » (٨/ ١٥٧) .

وقالَ : « مَنْ فارقَ الجماعةَ فماتَ . . فميتتُهُ جاهليَّةٌ »(١) ، وبقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ شقَّ عصا المسلمينَ والمسلمونُ في إسلامٍ دامجٍ . . فقدْ خلعَ ربقةَ الإسلامِ منْ عنقِهِ »(٢) .

وهـٰذا ضعيفٌ ؛ لأنَّ المرادَ بهِ الجماعةُ التي اتفقتْ آراؤُهُمْ علىٰ إمامٍ بعقدِ البيعةِ ، فالخروجُ عليهِمْ بغيٌ ، وذلكَ مخالفةٌ بالرأيِ وخروجٌ عليهِمْ ، وذلكَ محظورٌ ؛ لاضطرارِ الخلقِ إلىٰ إمامٍ مطاعٍ يجمعُ رأيَهُمْ ، ولا يكونُ ذلكَ إلا بالبيعةِ مِنَ الأكثرِ ، فالمخالفةُ فيها تشويشٌ مثيرٌ للفتنةِ ، فليسَ في هـٰذا تعرُّضٌ للعزلةِ .

واحتجوا بنهيِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عَنِ الهجرِ فوقَ ثلاثٍ ؛ إذْ قالَ : « مَنْ هجرَ أخاهُ فوقَ ثلاثٍ فماتَ . . دخلَ النارَ »(٣) ، وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « لا يحلُّ لمسلمٍ أنْ يهجرَ أخاهُ فوقَ ثلاثٍ ، والسابقُ يدخلُ الجنَّةَ »(٤) ، وقالَ : « مَنْ هجرَ أخاهُ سنةً . . فهوَ كسافكِ دمِهِ »(٥) ، قالوا : والعزلةُ هجرُهُ بالكلِّيَّةِ .

---

(١) رواه عبد الرزاق في « مصنفه » (٢٠٧٠٧) .

(٢) رواه الطبراني في « الكبير » (١١/ ٢٥) .

(٣) رواه أبو داوود (٤٩١٤) .

(٤) رواه البخاري (٦٠٦٥) ، ومسلم (٢٥٥٩) دون زيادة الجملة الأخيرة ، وعند الطبراني في « الأوسط » (٧٨٧٠) : « والذي يبدأ بالسلام يسبق إلى الجنة » .

(٥) رواه أبو داوود (٤٩١٥) ، وفيه : (كسفك دمه) بدل (كسافك دمه) .

وهٰذا ضعيفٌ ؛ لأنَّ المرادَ بهِ الغضبُ على الناسِ ، واللجاجُ فيهِ بقطعِ الكلامِ والسلامِ والمخالطةِ المعتادةِ ، فلا يدخلُ فيهِ تركُ المخالطةِ أصلاً مِنْ غيرِ غضبٍ ، **مع أنَّ الهجر فوقَ ثلاثٍ جائزٌ في موضعينِ** :

أحدُهُما : أنْ يرىٰ فيهِ استصلاحاً للمهجورِ في الزيادةِ .

والثاني : أنْ يرىٰ لنفسهِ سلامةً فيهِ .

والنهيُ وإنْ كانَ عاماً فهوَ محمولٌ علىٰ ما وراءَ الموضعينِ المخصوصينِ ؛ بدليلِ ما رُوِيَ عنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هجرَهَا ذا الحجةِ والمحرَّمَ وبعضَ صفرٍ⁽¹⁾ .

وروىٰ عمرُ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ اعتزلَ نساءَهُ وآلىٰ منهُنَّ شهراً ، وصعدَ إلىٰ غرفةٍ لهُ ، وهيَ خزانتُهُ ، فلبثَ تسعاً وعشرينَ يوماً ، فلمَّا نزلَ . . قيلَ لهُ : إنَّكَ كنتَ فيها تسعاً وعشرينَ ؟ فقالَ : «الشهرُ قدْ يكونُ تسعةً وعشرينَ»⁽²⁾ .

---

(1) وإنما الهجْرُ وقع في حق أم المؤمنين زينب ؛ إذ طلب منها صلى الله عليه وسلم أن تعطي صفية بعيراً مكان بعيرها الذي كان قد اعتلَّ ، فقالت : أنا أعطي تلك اليهودية ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم فهجرها ، وعائشة رضي الله عنها هي راوية الحديث ، فالضمير في قولها : (فهجرها) عائد علىٰ زينب لا عليها ، والحديث رواه أبو داوود (٤٦٠٢) .

(2) الحديث ضمن خبر طويل رواه ابن عباس عن عمر رضي الله عنهم كما في « البخاري » (٢٤٦٨) ، و« مسلم » (١٤٧٩) ، ورواه البخاري (١٩١٠) ، ومسلم (١٠٨٥) عن أم سلمة بنحو لفظ المصنف واختصاره .

وروتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « لا يحلُّ لمسلمٍ أنْ يهجر أخاهُ فوقَ ثلاثةِ أيامٍ ، إلا أنْ يكونَ ممَّنْ لا تُؤمنُ بوائقُهُ »(١) ، فهـٰذا صريحٌ في التخصيصِ ، وعلىٰ هـٰذا ينزَّلُ قولُ الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُ حيثُ قالَ : (هجرانُ الأحمقِ قربةٌ إلى اللهِ)(٢) ؛ فإنَّ ذلكَ يدومُ إلى الموتِ ، إذِ الحماقةُ لا يُنتظرُ علاجُها .

وذُكِرَ عندَ محمدِ بنِ عمرَ الواقديِّ رجلٌ هجرَ رجلاً حتَّىٰ ماتَ ، فقالَ : (هـٰذا شيءٌ قدْ تقدَّمَ فيهِ قومٌ : سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ كانَ مهاجراً لعمَّارِ بنِ ياسرٍ حتَّىٰ ماتا ، وعثمانُ بنُ عفَّانَ كانَ مهاجراً لعبدِ الرحمـٰنِ بنِ عوفٍ ، وعائشةُ كانَتْ مهاجرةً لحفصةَ ، وكانَ طاووسٌ مهاجراً لوهْبِ بنِ منبِّهٍ حتَّىٰ ماتَ)(٣) ، وكلُّ ذلكَ يحملُ علىٰ رؤيتِهِمْ سلامتَهُمْ في المهاجرةِ .

---

(١) رواه ابن عدي في « الكامل » (٦/ ١٤٦) ، والخطابي في « العزلة » (٤٧) ثم قال : (ومحمد بن الحجاج المصفر وإن لم يكن بالقوي عند أهل الحديث.. فإن دلائل الكتاب والسنة والقياس متضافرة علىٰ جواز هجران من لا تؤمن بوائقه والتباعد عنه ، بل هو الواجب علىٰ كل أحد من الناس) .

(٢) رواه الخطابي في « العزلة » (٤٨) ، وكذا جعله الديلمي في « مسند الفردوس » (٧٠٠٤) من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما .

(٣) رواه الخطابي في « العزلة » (٤٩) ، وزاد أمثلة الحافظ المناوي في « فيض القدير » (٦/ ٢٣٤) حيث قال : (والحسن وابن سيرين ، وهجر ابن المسيب أباه وكان زياتاً فلم يكلمه إلىٰ أن مات ، وكان الثوري يتعلم من ابن أبي ليلىٰ ثم هجره ، فمات ابن أبي ليلىٰ فلم يشهد جنازته ، وهجر أحمد ابن حنبل عمه وأولاده لقبولهم جائزة السلطان) ، وروىٰ مالك في « الموطأ » (٢/ ٦٣٤) عن عطاء بن يسار : (أن معاوية بن أبي سفيان باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها ، فقال أبو الدرداء : =

واحتجوا بما رُوِيَ أنَّ رجلاً أتى الجبلَ ليتعبَّدَ فيهِ ، فجيءَ بهِ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : « لا تفعلْ أنتَ ولا أحدٌ منكُمْ ، لَصبرُ أحدِكُمْ في بعضِ مواطنِ الإسلامِ خيرٌ لهُ مِنْ عبادةِ أحدِكُمْ وحدَهُ أربعينَ عاماً »⁽¹⁾ .

والظاهرُ : أنَّ هٰذا إنَّما كانَ لما فيهِ مِنْ تركِ الجهادِ معَ شدَّةِ وجوبِهِ في ابتداءِ الإسلامِ ؛ بدليلِ ما رُوِيَ عنْ أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : غزونا علىٰ عهدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فمررْنا بشعبٍ فيهِ عيينةٌ طيِّبةُ الماءِ ، فقالَ واحدٌ مِنَ القومِ : لوِ اعتزلتُ الناسَ في هٰذا الشعبِ ، ولنْ أفعلَ ذلكَ حتَّىٰ أذكرَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تفعلْ ؛ فإنَّ مقامَ أحدِكُمْ في سبيلِ اللهِ خيرٌ مِنْ صلاتِهِ في أهلِهِ ستينَ عاماً ، ألا تحبُّونَ أنْ يغفرَ اللهُ لكُمْ وتدخلوا الجنَّةَ ، اغزوا في

= سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهىٰ عن مثل هٰذا إلا مثلاً بمثل ، فقال له معاوية : ما أرىٰ بمثل هٰذا بأساً ، فقال أبو الدرداء : من يعذرني من معاوية ؟! أنا أخبره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبرني عن رأيه ! لا أساكنك بأرض أنت بها . . .) الخبرَ .

وفي ذيل خبر الخطابي المزبور قال : (وإنما كان هجران طاووس وهباً لأن وهباً مال في آخر أمره إلىٰ رأي القدرية وأظهره للناس ، فعاتبه طاووس علىٰ ذلك ، فلما لم ينته عنه . . نابذه وهجره) .

(١) رواه أبو داوود الطيالسي في « مسنده » (١٢٠٩) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٤/ ٢٢٦٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٢٧٥) بنحوه .

سبيلِ اللهِ ؛ فإنَّهُ مَنْ قاتلَ في سبيلِ اللهِ فُواقَ ناقةٍ . . أدخَلَهُ اللهُ الجنَّةَ »⁽¹⁾ .

واحتجوا بما روىٰ معاذُ بنُ جبلٍ أنَّهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ قالَ : « إنَّ الشيطانَ ذئبُ الإنسانِ كذئبِ الغنمِ ، يأخذُ القاصيةَ والناحيةَ والشاردةَ ، إيَّاكُمْ والشعابَ ، وعليكُمْ بالعامَّةِ والجماعةِ والمساجدِ »⁽²⁾ .

وهـٰذا إنَّما أرادَ بهِ مَنِ اعتزلَ قبلَ تمامِ العلمِ ، وسيأتي بيانُ ذلكَ ، وأنَّ ذلكَ منهيٌّ عنهُ إلا لضرورةٍ .

* * *

---

(١) رواه الترمذي (١٦٥٠) ، وفيه : (سبعين) بدل (ستين) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٢٣٢) ، والطبراني في « الكبير » (٢٠/ ١٦٤) .

ذكر حجج المائلين إلى تفضيل العزلة

احتجوا بقولِهِ تعالىٰ حكايةً عنْ إبراهيمَ عليهِ السلامُ : ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ . . . ﴾ الآيةَ ، ثمَّ قالَ تعالىٰ : ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ إشارةً إلىٰ أنَّ ذلكَ ببركةِ العزلةِ .

وهـٰذا ضعيفٌ ؛ لأنَّ مخالطةَ الكفارِ لا فائدةَ فيها إلا دعوتُهُمْ إلى الدينِ ، وعندَ اليأسِ مِنْ إجابتِهِمْ فلا وجهَ إلا هجرتُهُمْ ، وإنَّما الكلامُ في مخالطةِ المسلمينَ وما فيها مِنَ البركةِ ؛ لما رُوِيَ أنَّهُ قيلَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : الوضوءُ مِنْ جَرٍّ مخمَّرٍ أحبُّ إليكَ أوْ مِنْ هـٰذهِ المطاهرِ التي يتطهَّرُ منها الناسُ ؟ فقالَ : « بلْ مِنْ هـٰذهِ المطاهرِ ؛ التماساً لبركةِ أيدي المسلمينَ »[1] .

ورُوِيَ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا طافَ بالبيتِ . . عدلَ إلىٰ زمزمَ ليشربَ منها ، فإذا التمرُ المنقعُ في حياضِ الأدمِ وقدْ مغثَهُ الناسُ بأيديهِمْ وهمْ يتناولونَ

---

[1] رواه الطبراني في « الأوسط » (٧٩٨) ، وابن عدي في « الكامل » (٢/ ٣٧٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٠٣) ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، ولفظه : « بل من هـٰذه المطاهر ، إن دين الله الحنيفية السمحة » ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إلى المطاهر ، فيؤتىٰ بالماء ، فيشربه يرجو بركة أيدي المسلمين ، ورواه عبد الرزاق في « المصنف » (١/ ٧٤) عن محمد بن واسع مرسلاً . **والجرُّ** : جمع جرَّة ، الإناء المعهود المصنوع من الخزف .

منهُ ويشربونَ(١) ، فاستسقىٰ منهُ وقالَ : « اسقوني » ، فقالَ العباسُ : إنَّ هـٰذا النبيذَ شرابٌ قدْ مُغِثَ وخِيضَ بالأيدي ، أفلا آتيكَ بشرابٍ أنظفَ منْ هـٰذا منْ جَرٍّ مخمَّرٍ في البيتِ ؟ فقالَ : « اسقوني مِنْ هـٰذا الذي يشربُ منهُ الناسُ ، ألتمسُ بركةَ أيدي المسلمينَ » ، فشربَ منهُ(٢) .

فإذاً ؛ كيفَ يُستدلُّ باعتزالِ الكفارِ والأصنامِ على اعتزالِ المسلمينَ معَ كثرةِ البركةِ فيهِمْ ؟

واحتجوا أيضاً بقولِ موسىٰ عليهِ السلامُ : ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴾ ، فإنَّهُ فزِعَ إلى العزلةِ عندَ اليأسِ منهُمْ .

وقالَ تعالىٰ في أصحابِ الكهفِ : ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ أمرَهُم بالعزلةِ .

وقدِ اعتزلَ نبيُّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قريشاً لمَّا آذوهُ وجفوهُ ، ودخلَ الشِّعْبَ(٣) ، وأمرَ أصحابَهُ باعتزالِهِمْ والهجرةِ إلىٰ أرضِ الحبشةِ(٤) ،

---

(١) **مغثه الناس** : مرسوه ودلكوه .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٢٠) ، والأزرقي في « أخبار مكة » (٢/ ٥٢ـ٥٣) بنحوه ، وأصله عند البخاري (١٦٣٦) ، ولفظ المصنف في « القوت » (٢/ ٢٣٤) .

(٣) رواه ابن سعد في « طبقاته » (١/ ١٧٧) موصولاً ومرسلاً ، وعنده أن المشركين هم من حصروا بني هاشم في شِعْب أبي طالب ، ورواه البيهقي في « الدلائل » (٢/ ٣١١) من طريق موسى بن عقبة الواقدي صاحب « المغازي » وفيه اختيار أبي طالب الدخول ، وأنه هو من أمر به .

(٤) رواه أبو داوود (٣٢٠٥) .

ثمَّ تلاحقوا بهِ في المدينة بعدَ أنْ أعلى اللهُ كلمتَهُ .

وهـٰذا أيضاً اعتزالٌ عنِ الكفَّارِ عندَ اليأسِ منهُمْ ؛ فإنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمْ يعتزلِ المسلمينَ ولا منْ توقَّعَ إسلامَهُ مِنَ الكفَّارِ ، وأهلُ الكهْفِ ما اعتزلَ بعضُهُمْ بعضاً وهمْ مؤمنونَ ، وإنَّما اعتزلوا الكفَّارَ ، وإنَّما النظرُ في العزلةِ مِنَ المؤمنينَ .

واحتجُّوا بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لعبدِ اللهِ بنِ عامرٍ الجهنيِّ لمَّا قالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما النجاةُ ؟ قالَ : « ليسعْكَ بيتُكَ ، وأمسكْ عليكَ لسانَكَ ، وابْكِ علىٰ خطيئتِكَ »(١) .

ورُوِيَ أنَّهُ قيلَ لهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أيُّ الناسِ أفضلُ ؟ قالَ : « مؤمنٌ مجاهدٌ بنفسِهِ ومالِهِ في سبيلِ اللهِ تعالىٰ » ، قيلَ : ثمَّ مَنْ ؟ قالَ : « رجلٌ معتزلٌ في شعبٍ مِنَ الشعابِ يعبدُ ربَّهُ ويدعُ الناسَ مِنْ شرِّهِ »(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ اللهَ يحبُّ العبدَ التقيَّ الغنيَّ الخفيَّ »(٣) .

وفي الاحتجاجِ بهـٰذهِ الأحاديثِ نظرٌ : فأمَّا قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لعبدِ اللهِ بنِ عامرٍ . فلا يمكنُ تنزيلُهُ إلا علىٰ ما عرفَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٠٦) .

(٢) رواه البخاري (٢٧٨٦) ، ومسلم (١٨٨٨) .

(٣) رواه مسلم (٢٩٦٥) ، ويؤكد استدلالهم أنه من رواية صحابي معتزل هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، قاله لابنه حين قال له : أنزلتَ في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم ؟ .

بنورِ النبوَّةِ مِنْ حالِهِ ، وأنَّ لزومَ البيتِ كانَ أليقَ بهِ وأسلمَ لهُ مِنَ المخالطةِ ؛ فإنَّهُ لمْ يأمرْ جميعَ الصحابةِ بذلكَ ، وربَّ شخصٍ تكونُ سلامتُهُ في العزلةِ لا في المخالطةِ ، كما قدْ تكونُ سلامتُهُ في القعودِ في البيتِ ، وألا يخرجَ إلى الجهادِ ، وذلكَ لا يدلُّ علىٰ أنَّ تركَ الجهادِ أفضلُ .

وفي مخالطةِ الناسِ مجاهدةٌ ومقاساةٌ ، ولذلكَ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « المؤمنُ الذي يخالطُ الناسَ ويصبرُ علىٰ أذاهُمْ خيرٌ مِنَ الذي لا يخالطُ الناسَ ولا يصبرُ علىٰ أذاهمْ »(١) .

وعلىٰ هٰذا ينزَّلُ قولُهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « رجلٌ معتزلٌ يعبدُ ربَّهُ ويدعُ الناسَ مِنْ شرِّهِ » ، فهٰذا إشارةٌ إلىٰ شرِّيرٍ بطبعِه يتأذَّى الناسُ بمخالطتِهِ .

وقولُهُ : « إنَّ اللهَ يحبُّ التقيَّ الخفيَّ » إشارةٌ إلىٰ إيثارِ الخمولِ ، وتوقِّي الشهرةِ ، وذلكَ لا يتعلَّقُ بالعزلةِ ، فكمْ مِنْ راهبٍ معتزلٍ تعرفُهُ كافَّةُ الناسِ ، وكمْ مِنْ مخالطٍ خاملٍ لا ذكرَ لهُ ولا شهرةَ ، فهٰذا تعرُّضٌ لأمرٍ لا يتعلَّقُ بالعزلةِ .

واحتجُّوا بما رُوِيَ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ لأصحابِهِ : « ألا أنبئُكُمْ بخيرِ الناسِ ؟ » قالوا : بلىٰ يا رسولَ اللهِ ، فأشارَ بيدِهِ نحوَ المغربِ وقالَ : « رجلٌ آخذٌ بعنانِ فرسِهِ في سبيلِ اللهِ ، ينتظرُ أنْ يُغيرَ أو يغارَ عليهِ ، ألا أنبئُكُمْ بخيرِ الناسِ بعدَهُ ؟ » وأشارَ بيدِهِ نحوَ الحجازِ وقالَ : « رجلٌ في غنمِهِ

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٠٧) ، وابن ماجه (٤٠٣٢) واللفظ له .

يقيمُ الصلاةَ ، ويؤتي الزكاةَ ، ويعلمُ حقَّ اللهِ في مالِهِ ، اعتزلَ شرورَ الناسِ »(١) .

فإذا ظهرَ أنَّ هـٰذهِ الأدلةَ لا شفاءَ فيها منَ الجانبينِ . . فلا بدَّ مِنْ كشفِ الغطاءِ بالتصريحِ بفوائدِ العزلةِ وغوائلِها ، ومقايسةِ بعضِها بالبعضِ ؛ ليتبيَّنَ الحقُّ فيها .

* * *

---

(١) رواه مالك في « الموطأ » (٢/ ٤٤٥) بنحوه عن عطاء بن يسار مرسلاً ، ورواه ابن سعد في « طبقاته » (١٠/ ٢٩٦) بلفظ المصنف ، والطبراني في « الكبير » (٢٥/ ١٠٤) وفيه : (المشرق) بدل (المغرب) ، وابن عبد البر في « التمهيد » (١٧/ ٤٥٠) وفيه : (الشام) بدل (المغرب) .

Birinci Bab

UZLETİ TERCÎH EDENLER

BU HUSUSTAKİ MEZHEPLER

İnsanlar bu hususta ihtilâf etmişlerdir. Bu ayrılık, tâbiîn devrinde başlamıştır. (Tâbiînden olmayan) Süfyân-ı Sevrî, İbrâhim b. Edhem, Dâvûd-ı Tâî, Fudayl b. Iyâz, Süleyman el-Havâs, Yûsuf b. Evsat, Huzeyfetü'l-Merâşî ve Bişr-i Hafî de uzleti tercîh edenlerdendir. Tâbiînin bir çoğu da halk arasına karışmayı, âşinâ ve dostları çoğaltmayı, Müslümanlarla anlaşıp birbirini sevmeyi ve dînî işlerinde onlara yardımcı olmayı, iyilik ve takvâ ile yardımda bulunmayı tercîh ederlerdi.

Said İbn Müseyyeb, Şa'bî, İbn Ebî Leylâ, Hişam b. Urve, İbn Şibrime, Şerik b. Abdullah, İbn Uyeyne, İbn Mübârek, Şâfiî, Ahmed b. Hanbel ve bir cemâat da buna meyletmiştir.

Bu hususta âlimlerden gelen haberler de iki esâsta mütâlaa edilebilir:

Birincisi: Mutlak olarak bu iki fırkadan birisine meyleder mâhiyettedir.

İkincisi: Her hangi bir fırkaya, sebeplerini açıklamak sûretiyle, meyleder mâhiyettedir.

Biz, mezhepleri îzah için, önce bu fırkalara mutlak olarak meyleden sözleri anlatacağız. Kâr ve zararlarını îzah sırasında da, fırkalardan birine meyletme hakkında gösterdikleri sebepleri îzah edeceğiz. Buna göre deriz ki:

Hz. Ömer (r.a.): "Uzletten nasibinizi alın" buyurmuştur. İbn Şîrîn de: "Uzlet, ibâdettir". Fudayl da, "Sevmek için Allah, arkadaş olmak için Kur'ân, nasîhat için de ölüm yeter." demişlerdir. Yine denildi ki: Allah ile arkadaş ol ve insanları bir tarafa bırak.

Zâhid **Ebû'r-Rebî**, Dâvûd-i Tâî'ye:

– "Bana öğüt ver." dedi. Dâvûd-i Tâî:

– Dünyadan Oruç tut, âhiretin için iftar et; yâni dünyadan elini eteğini çek, âhiretin için çalış, arslanlardan kaçtığın gibi, insanlardan da uzaklaş, dedi.

Hasan-ı Basrî de, şu cümleleri Tevrat'tan ezberledim, diyor:

"Âdemoğlu kanâat edince ihtiyaçtan kurtarır, insanlardan uzaklaştıkça selâmete ulaşır, şehvetleri terk ettikçe hürriyete kavuşur, haset etmedikçe mürüvvet sâhibi olur, az sabreder çok kârını bulur."

Vuheyb b. Verd-i Mekkî şöyle demiştir:

"Biz öğrendik ki hikmet on cüzdür: Dokuzu sükût etmekte, biri ise insanlardan uzak kalmaktadır."

Yûsuf b. Müslim, evinden dışarı çıkmayan Ali b. Bekkâr'e:

– "Bu yalnızlığa nasıl dayanırsın?" diye sordu. Ali:

– Ben gençliğimde bundan daha dayanıklı idim. İnsanlarla oturur fakat hiç konuşmazdım." dedi.

Sufyân-ı Sevrî de şöyle demiştir:

"Bu zaman, sükût edip eve çekilerek azıcık geçim ile yetinip, ölünceye kadar sabretme zamanıdır."

Diğer bâzıları da şöyle demişlerlerdir: "Bir gemide seyahat ediyorduk. Arkadaşlarımız arasında Alevîlerden bir genç de vardı. Bir hafta bir arada kaldığımız halde, tek sözünü duymadık. Kendisine:

"Niçin konuşmuyorsun?" dediğimizde, o şöyle dedi:

"Üzüntüsü az, ölecek çocuğu yok, kaybolmasından sakınacağı bir işi de yok. Gençlik heyecanı ihtiyâcını giderdi ve ilim kazandı. Gâyesi, susması ve yalnızlığıdır."

İbrâhim Nehaî, bir kişiye:

– Dînî bilgileri öğren de sonra uzlet et." demiştir. Rebî b. Heysem de aynı tavsiyede bulunmuştur.

Denildi ki: **Mâlik b. Enes**, dostları ile görüşür, hastaları ziyâret eder ve cenâzelere giderdi. Sonradan yavaş yavaş hepsini terk etti. Neden böyle yaptığını soranlara da: "İnsanın, her mâzeretini söylemesi doğru değildir." cevâbını vermiştir.

Ömer b. Abdülazîz'e:

– "Biraz aramızda bulunsan ne olur?" diyenlere, Ömer:

– "Artık bizim için Allah ile bulunmaktan başka bir şey yok." demiştir.

Fudayl da: "Karşılaştığımda bana selâm vermeyenden ve hasta olduğum zaman ziyâretime gelmeyenden memnun olurum." demiştir.

Ebû Süleyman Dârânî şöyle demiştir:

"**Rebî b. Heysem**, kapısının önünde biraz oturur, hava alır ve etrafa bakınırdı. Yine bir gün kapının önünde otururken, atılan bir taş alnına vurarak, alnını kanatmıştı. O, bir taraftan kanı silerken, öte yandan da:

– "Ey Rebî bu taş sana ders verdi ve bir daha kapıya çıkma." diyerek içeri girdi ve ölünceye kadar bir daha dışarı çıkmadı."

Sa'd b. Ebi Vakkas ile Sa'd b. Zeyd, son zamanlarında Akik'deki evlerine çekildiler. Ölünceye kadar -Cumaları dahi şehre inmez oldular.

Yûsuf b. Esbât, Sufyân-ı Sevrî'nin şöyle dediğini rivâyet etmiştir: "Kendisinden başka gerçek mâbûd olmayan Allahu Teâlâ'ya yemin ederim ki, artık yalnız yaşama zamanı gelmiştir."

Bişr b. Abdullah da şöyle demiştir: "İnsanlarla âşinâlığı azalt, tanıdıkların çok olmasın. Çünkü kıyâmette âkıbetinin ne olacağını bilmiyorsun. Herkesin karşısında rezîl olmaktansa tanıdıklarının az olması daha iyidir."

Emirlerden biri **Hâtem-i Esam**'ın huzûruna girer ve:

- "Bir ihtiyâcın varsa söyle, yerine getireyim." der. Hâtem:

- "Evet. Bir ihtiyâcım var, onu yerine getir." der. O da:

-"Ne ben seni göreyim; ne de sen beni gör. Ne sen beni bil, ne de ben seni bileyim." der.

Adamın biri **Sehl-i Tüsterî**'ye:

- "Seninle arkadaş olmak isterim." der. Sehl:

- "Birimiz ölünce âhirete kadar kim arkadaş olacak?" Adam:

- "Allah." deyince, Sehl:

- "O halde şimdiden O'na arkadaş olmaya bak." dedi.

Fudayl'a oğlu Ali'nin: "Öyle bir yerde olsam ki, ben insanları gördüğüm halde onlar beni görmese." dediğini söyledikleri zaman Fudayl ağladı ve:

- "Keşke Ali bu sözü tamamlasaydı: Ne onlar beni, ne de ben onları göreceğim bir yerde olsaydım, deseydi." dedi.

Yine **Fudaly**: "Dostları çoğaltmak, zekâ zayıflığındandır." demiştir.

İbn Abbas (r.a.): "Oturacak yerlerin en makbulü, kimseyi görmediğin evin içidir." demiştir.

İHTİLÂTI TERCİH EDENLER

İhtilâtı uzlet üzerine tercîh edenler şu âyet-i kerîmeleri delîl göstermişlerdir:

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا

"İhtilâf edip, ayrılığa düşenler gibi olmayın." (Âl-i İmrân sûresi, 3/105)

فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

"Kalplerinizi telîf etti." (Âl-i İmrân sûresi, 3/103) Bunlar, insanlar arasına katılmanın, ayrılıktan daha makbul olduğu hususunda ileri sürdükleri delîllerdendir. Fakat bu, zayıftır. Çünkü âyet-i kerîmelerden murâd: şerîatın aslında ve Kur'ân'ın mânâlarındaki fikir ayrılığıdır. Uzletten murâd da, husûmeti harekete getirecek, fitne ve fesada sebep olacak ayrılık fikirlerini bertaraf etmektir ki, bunun, uzleti men eder bir tarafı yoktur.

Şu hadîs-i şerifle de delîl çektiler:

اَلْمُؤْمِنُ إِلْفٌ مَأْلُوفٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ

"Mü'min, geçim ehli olup herkes ile iyi geçinendir. Ülfet etmeyen ve ülfet olunmayan kimsede hayır yoktur."[1] Fakat bu hadîs-i şerîfle de delîl çekmeleri zayıftır. Çünkü hadîs, ünsiyete mâni olan kötü ahlâka işarettir, yoksa insanlarla ülfet edebilecek şekilde güzel huylu bir insanın selâmete çekilerek kendisi ile meşgul olması hususu ile bir münâsebeti yoktur.

Bir başka delîlleri de, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz'in şu mübârek sözleridir:

مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ

"Müslümanlardan bir karış ayrılan kimse, İslâm bağını boynundan çıkarmış olur."

مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ

"Cemaatten ayrılan, câhiliyet devrinde ölmüş gibidir."[2]

مَنْ شَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمُونَ فِي إِسْلَامٍ دَامِجٍ فَقَدْ
خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ

"Her kim, cemaat halinde bulundukları halde, Müslümanların arasını açar ve onlardan ayrılırsa, İslâmiyet bağını boynundan çıkarmış olur."[3] Bu delîller de zayıftır. Çünkü hadîslerdeki gaye, Müslümanlar bir imam üzerine ittifak ettikleri zaman, onlara isyân etmek, onlardan yan çizmek ve onlara karşı gelmektir ki, elbette bu tehlikelidir. Zîra Müslümanların etrafında toplandıkla-

---

1. Birinci Babta geçmiştir.
2. Müslim, Ebû Hüreyre'den rivâyet etmiştir.
3. Taberâni ve Hattâbi «**Uzlet Kitabı**»nda sened-i ceyyid ile İbn Abbâs'dan rivâyet etmişlerdir.

rı bir imama ihtiyaçları vardır. Bu da ancak ekseriyetin onu kabul etmesi ile kabildir. Buna muhalefet etmek, ortalığı karıştırmak ve fitneyi uyandırmak demektir ki, bu elbette yasaktır. Fakat uzletin bununla bir münâsebeti yoktur.

Ayrıca şu hadîs-i şerîfleri de delîl olarak göstermişlerdir:

مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ

"Dîn kardeşine üç günden ziyâde dargın duran kimse ölürse, cehenneme gider."[4]

لَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ وَالسَّابِقُ
بِالصُّلْحِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ

"Müslüman'ın dîn kardeşine üç günden ziyâde dargın durması helâl olmaz, önce konuşan, cennete girer."[5]

مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَافِكِ دَمِهِ

"Kardeşine bir yıl dargın duran kimse, onun kanını akıtmış gibidir."[6] Bu hadîsleri de dâvalarına delîl olarak gösterdiler ve uzlet kardeşini tamamen terktir dediler. Bu delîlleri de zayıftır. Zîra hadîslerden gâye, insanlara kızarak onlarla konuşmamak, selâm vermemek ve bu sûretle aralarına karışmamak demektir. Yoksa dargınlığın, bir hiddet olmadan insanlarla ayrı yaşamakla bir alâkası yoktur. Bununla beraber şu iki halde üç günden ziyâde küskün durmak da câizdir. Birincisi: Küskün durdu-

---

4. Ebû Dâvûd, Ebû Hüreyre'den sahih sened ile rivâyet etmiştir.
5. Buhârî ile Müslim, Enes'ten rivâyet etmişlerdir. Ancak *"Önce konuşan cennete girer."* ilâvesi yoktur. Bu kısım, Taberânî'nin rivâyetinde vardır.
6. Ebû Dâvûd, Ebû Hırâş es-Sülemî'den rivâyet etmiştir. Senedi sahihtir.

ğu kimsenin halinin düzelmesine kanâat getirdiği zamandır. Diğeri de, selâmeti, konuşmamasında bulmaktadır. Her ne kadar hadîs, mutlak sûrette küskün durmayı men ederse de, bu iki hal müstesnadır. Nitekim **Hz. Aişe**'den (r. anha) rivâyet edildiğine göre Rasûl-i Ekrem (s.a.v.); Zilhicce, Muharrem ayları ile Safer ayının bâzı günlerinde kendisiyle konuşmamıştır.[7] Yine **Hz. Ömer**'den (r.a.) rivâyet edildiğine göre, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), bir ay âilelerinden ayrılarak çardağına çekilmiştir. Burada yirmi dokuz gün bekledikten sonra barışmıştır. "Bir aya yemin etmiştin." diyenlere cevâben, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اَلشَّهْرُ قَدْ يَكُونُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ

"Ay, bâzen yirmi dokuz gün gelir."[8] buyurmuştur.

Yine **Hz. Âişe**'nin (r. anha.) rivâyetinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
مِمَّنْ لَا تُؤْمَنُ بَوَائِقُهُ

"Bir Müslüman'ın, kardeşine üç günden ziyâde küskün durması helâl olmaz. Ancak kötülüğünden emîn olamayacağı bir kimse ise o zaman helâl olur."[9] İşte bu hadîs, tahsîse delîldir. **Hasan-ı Basrî**'nin: "Ahmaktan uzaklaşmak, Allah'a yaklaşmaktır." sözü de bu mânâdadır. Hâlbuki bu da ölüme kadar devâm eder. Çünkü ahmaklığın zâil olması mümkün değildir.

Muhammed b. Ömer el-Vâkidî'ye, bir adamın ölünceye kadar bir adamla konuşmadığını anlattıklarında, Vakidî: “Bu yeni değil, Sa’d b. Ebî Vakkas ölünceye kadar Ammar b. Yaser ile konuşmadı. Osman b. Affan (r.a.) Abdurrahman b. Avf ile, Hz. Âişe Hafsa ile, Tâvûs da Vehb b. Münebbih ile ölünceye kadar konuşmamışlardır.” demiştir. Bütün bunlar, selâmeti konuşmamakta bulduklarına hamledilmiştir.

---

[7] Ebû Dâvûd, Aişe'den riyâyet etmiştir.

[8] Buhârî ile Müslim, Ömer'den rivâyet etmişlerdir.

[9] İbn Adîy, Aişe'den rivâyet etmiştir.

Bunların bir delîli de şu rivâyettir: Adamın biri, sırf ibâdet maksadıyla dağa çekilmişti. Bunun nasıl bir hareket olduğunu anlamak için, adamı Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e getirdiler. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَا تَفْعَلْ أَنْتَ وَلَا أَحَدٌ مِنْكُمْ لَصَبْرُ أَحَدِكُمْ فِي بَعْضِ مَوَاطِنِ
الْإِسْلَامِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ عِبَادَةِ أَحَدِكُمْ وَحْدَهُ أَرْبَعِينَ عَامًا

“Ne sen, ne de başka biriniz böyle yapsın! Müslümanlar arasında bulunup onların eziyetlerine katlanmak, tek başına kalıp kırk yıl ibâdet etmekten daha hayırlıdır.”[10] buyurmuştur. Hâlbuki bu hadîs daha ziyâde İslâm’ın ilk devirlerinde farz olan ve üzerinde ehemmiyetle durulan cihâdı aksatmamak bakımından vârid olmuştur. Nitekim aynı meâldeki şu hadîs, bu iddiayı teyîd etmektedir. Ebû Hüreyre (r.a.) diyor ki: Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ile gazâya çıkmıştık.

Bir vâdide suyu tatlı olan bir göze bulduk. İçimizden biri: “İnsanlardan ayrılır ve bu suyun başına gelir otururdum. Fakat bunu Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e sormadan yapamam.” dedi. Sonra da meseleyi Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’den suâl etti. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

[10] Beyhaki. As’as b. Selametlen rivâyet etmiştir. Hadisin mürsel olduğunu söyleyenler vardır. İbn Hibban da mürsel olarak **«Sukâtü’t-Tabiin»**de rivâyet etmiştir.

لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ مُقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِهِ فِي أَهْلِهِ سِتِّينَ عَامًا، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَكُمْ وَتَدْخُلُوا الْجَنَّةَ؟ اُغْزُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَإِنَّهُ مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ أَدْخَلَهُ اللّٰهُ الْجَنَّةَ

"Böyle yapma. Zîra her hangi birinizin Allah uğrunda mücâhede etmesi, evinde kıldığı altmış senelik namazdan hayırlıdır. Allahu Teâlâ'nın sizi mağfiret etmesini ve cenneti (ne koymasını) sevmez misiniz? (O halde) *Allah yolunda gazâ edin. Zîra bir deve sağımı kadar*[11] *harbeden kimseyi Allahu Teâlâ cennete koyar."*[12] buyurdu.

Bir başka delîlleri de Muaz b. Cebel'in rivâyet ettiği şu hadîstir:

إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الْإِنْسَانِ، كَذِئْبِ الْغَنَمِ يَأْخُذُ الْقَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ وَالشَّارِدَةَ وَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ وَعَلَيْكُمْ بِالْعَامَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالْمَسَاجِدِ

"Şeytan, insanın kurdudur. Kurt, kenarda köşede kalmış, sürüden ayrılmış ve uzaklaşmış koyunu yakaladığı gibi, şeytan da cemaattan ayrılanları yakalar. Sakın cemaattan ayrılmayın, halk arasına katılın, câmi ve cemaatlerde bulunun."[13] Hâlbuki bu hadîs, il-

---

[11] Hadîste geçen **"Fevak"** şu demektir: Sahibi deveyi sağdıktan sonra bırakır. Yavrusu memesine asılır ve tekrar gelen sütü alır. İşte bu arada geçen zamandır.

[12] Ahmed ve Taberânî rivâyet etmişlerdir. Râvîler sikadandır.

[13] Tirmizî rivâyet etmiştir. Hâkim de rivâyet etti ve Müslim'in şartına göre, sahihtir dedi.

mini tamamlamadan uzlete çekilenler hakkındadır ki, tafsîlâtı gelecektir.

UZLETİ TERCİH EDENLERİN DELÎLLERİ

Bunlar da Allahu Teâlâ'nın, İbrâhim aleyhisselâmdan hikâye yolu ile haber verdiği şu âyet-i celîle ile, uzletin daha makbul olduğuna delîl çektiler. Allahu Teâlâ buyuruyor:

فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا

"Onlardan ve Allah'tan başka taptıklarından uzaklaşınca, Biz de ona İshak'ı ve (İshak'ın oğlu) **Yâkûb'u verdik ve hepsini de Peygamber yaptık."** (Meryem sûresi, 19/49) Görülüyor ki, âyette uzletin hayır ve bereketine işâret buyurulmaktadır.

Bunların, bu âyet-i kerîme ile delîl çekmeleri zayıftır. Çünkü âyet-i celîle kâfirler hakkındadır. Onların arasına girmek, onları îmâna dâvet içindir. Bu mümkün olmayınca, ayrılmaktan ve onlardan uzaklaşmaktan başka çâre yoktur. Hâlbuki bizim sözümüz, Müslümanlar arasında kalmakta ve onun faydaları hakkındadır. Nitekim rivâyet olunduğuna göre, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e:

– "Kapalı destilerden mi abdest almak hoşunuza gider, yoksa herkesin istifâdesine arzedilen ve herkes tarafından kullanılan şu matharalardan mı?" diye sormuşlar, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

بَلْ مِنْ هٰذِهِ الْمَطَاهِرِ الْتِمَاسًا لِبَرَكَةِ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ

– *"Müslümanların ellerinin bereketini umduğum için, şu mat-*

haraları tercîh ederim."[14] buyurdu. Yine rivâyete göre: Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Kâbe'yi tavaf ettikten sonra su içmek üzere Zemzem kuyusuna gitti. Bir de baktı ki, bir kap içinde hurma şerbeti yapıp içiyorlar. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *"Bana su verin."* buyurdu. Bunun üzerine Hz. Abbas:

– Bu hurma şerbetidir. Bunlar kabı kirlettiler, müsâade buyur da, ben evden ağzı kapalı temiz testiden su getireyim." dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اِسْقُونِي مِنْ هٰذَا الَّذِي يَشْرَبُ مِنْهُ النَّاسُ أَلْتَمِسْ بَرَكَةَ
أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ

– *Herkesin içtiği şu kaptan bana da içirin. Müslümanların elleri bereketi çeker."* buyurdu.[15] Ve bu sudan içti. Vaziyet bu merkezde iken, Müslümanlardan ayrılmak, kâfirlerden ve onların taptıklarından uzaklaşmaya nasıl benzetilir? Bunlar birbirine delîl olamazlar.

Mûsâ aleyhisselâmın dediği şu âyet-i kerîmeyi de delîl getirdiler.

وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ

"Eğer bana itimâdınız yoksa benden uzak olunuz." (Duhan sûresi, 44/21) Hâlbuki Hz. Mûsâ, onların îman etmelerinden ümîdini kestikten sonra, onlardan uzlet etmiştir ki, bu da dâvalarına delîl olamaz.

---

[14] Taberâni **"Evsat"**ında İbn Ömer'den rivâyet etmiştir.

[15] Ezrakî **"Mekke Târihi"**nde İbn Abbas'tan, ayrıca Tâvus'tan mürsel olarak rivâyet etmişlerdir.

Yine Allahu Teâlâ'nın Ashâb-ı Kehf hakkında:

وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللّٰهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ
يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ

"Vaktâ ki onlardan, Allah'tan başka taptıkları putlardan uzaklaştınız. Mağaraya (çekilip) **sığının, Allah rahmetinden size verir."** (Kehf sûresi, 18/16) buyurduğu gibi onlara uzleti emretti. Ayrıca Kureyş, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e ezâ ve cefâ ettikleri vakit, Şi'bî-i Ebî Tâlib'de uzlete çekildi. Ashâb-ı kirâmına da müşriklerden uzak kalmayı ve Habeşistan'a hicreti emretti. İslâmiyet yayıldıktan sonra, Medîne'de buluştular. Bütün bunlar, kâfirlerden uzaklaşmaktır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), Müslümanlardan uzaklaşmayı emretmedi. Müslüman olma ihtimâli olmayan kâfirlerden uzaklaştırdı. Ashâb-ı Kehf de aynı şekilde kâfirlerden uzaklaştı, birbirinden ayrılmadılar. Dâva, Müslümanlardan uzlettedir.

Uzletin daha makbul olduğuna, Abdullah b. Âmir el-Cehnî'nin rivâyeti ile de delîl çekiyorlar. Abdullah, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e, kurtuluş çârelerinin neler olduğunu sorunca, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لِيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ

"Evinde otur, dilini koru ve hatâlarına ağla."[16] buyurmuştur. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e:

– "İnsanların en efdali kimdir?" diye sorulunca, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

[16] Tirmizî, Akabe'den rivâyet etti ve hasendir, dedi.

مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ تَعَالٰى، قِيلَ: ثُمَّ
مَنْ؟ قَالَ: رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ، يَعْبُدُ رَبَّهُ،
وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ

– *"Canı ve malı ile Allah yolunda mücâhede eden mü'mindir."* buyurdu. "Sonra "kim?" sorusuna da:

– *"Bir dağa çekilip kimseye kötülüğü dokunmadan Allahına ibâdet edendir."*[17] buyurdu.

Diğer bir hadîste de şöyle buyurmuştur:

إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ

"Allahu Teâlâ müttaki, zengin ve insanlardan saklı kalan kimseleri sever."[18] İşte bunlar, uzletin efdal olduğunu ifâde ederler.

Bu hadîslerle delîl çekmek zayıftır. Çünkü Abdullah b. Âmir hakkındaki hadîs, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in nübüvvet nûru ile onun hakkında bildiği hale binâendir. Yoksa Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), bunları, ondan başka hiç kimseye tavsiye etmemiştir. Nice kimseler vardır ki selâmet, onların evde kalmalarında ve muhârebeye gitmemelerindedir. Bu hal, mücâhedeyi terk etmenin daha makbul olduğuna delâlet etmez. Hâlbuki insanlar arasına katılmakta mücâhede ve yorgunluk vardır. Bunun için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

اَلَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلٰى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لَا
يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلٰى أَذَاهُمْ

---

[17] Buhârî ile Müslim, Ebû Said el-Hudrî'den rivâyet etmişlerdir.

[18] Müslim, Sa'd b. Ebi Vakkas'tan rivâyet etmiştir.

“İnsanlar arasına katılıp, onların eziyetlerine katlananlar, insanlar arasına girmeyip eziyetlerine katlanmayanlardan daha hayırlıdır.”[19] İşte Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’in: *“Uzlete çekilip Rahbine ibâdet eden ve insanları kötülükten emîn kılan, insanların hayırlısıdır.”* buyurduğu da bu gibilerdir. Yâni insanlık âlemi için zararlı olan kimselerin eve kapanıp ibâdet etmeleri daha makbuldür. *“Allah, gizli kalan müttakîleri sever.”* hadîsi de şöhretten kaçınmak içindir. Uzlet ile bir alâkası yoktur. Nice uzlete çekilmiş râhipler vardır ki, onların şöhreti âfâkı kaplar. Nice insanlar arasına katılmış kimseler vardır ki, adı sanı bile okunmaz. Şu halde bu hadîsin uzlet ile bir münâsebeti yoktur.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’in şu hadisi ile de uzletin daha iyi olduğuna delîl çekmişlerdir. Hadîs şudur:

Bir gün Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ashâbına:

أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيرِ النَّاسِ؟ قَالُوا: بَلٰى يَا رَسُولَ اللّٰهِ، فَأَشَارَ بِيَدِهٖ نَحْوَ الْمَغْرِبِ وَقَالَ: «رَجُلٌ أَخَذَ بِعِنَانِ فَرَسِهٖ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ يَنْتَظِرُ أَنْ يُغِيرَ أَوْ يُغَارَ عَلَيْهِ. أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ بَعْدَهُ؟» وَأَشَارَ بِيَدِهٖ نَحْوَ الْحِجَازِ وَقَالَ: «رَجُلٌ فِي غَنَمِهٖ يُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ وَيَعْلَمُ حَقَّ اللّٰهِ فِي مَالِهٖ وَاعْتَزَلَ شُرُورَ النَّاسِ».

– *“Dikkat edin, insanların hayırlısının kim olduğunu size bildireyim mi?”* buyurdu. Ashâb:

– “Bildir, ya Rasûlallah.” deyince Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) eli ile batıyı göstererek:

---

[19] Tirmizî, İbn Mâce, İbn Ömer’den rivâyet etmişlerdir.

– *"Atının yedeğini eline almış, Allah uğrunda bekliyor; ya kendisi saldıracak veyâ düşmanın saldırısını önleyecek."* buyurdu. Bundan sonra eli ile Hicaz tarafını göstererek:

– *"İnsanların hayırlısı, koyunlarının başında bulunup namazını kılan, zekâtını veren ve malında Allah hakkı olduğunu bilen, insanların kötülüğünden uzaklaşan kimsedir."*[20] buyurdu. Fakat yukarıda anlattığımız gibi, bu hadîsler hiç bir tarafa katî delîl olamaz. Bunun için, bu hususu iyice açıklayarak, yüzünden perdeyi kaldırmak ve uzletin fayda ve zararlarını anlatmak lâzım ki, hak tecellî etsin.

---

[20] Taberânî Ümmü Mübeşşir'den rivâyet etmiştir Ayrıca Tirmizî ile Neseî, daha muhtasar olarak, İbn Abbas tan rivâyet etmişlerdir. Tirmizî, sahih olduğunu söylemiştir.

البَابُ الثَّاني

في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحقّ في فضلها

اعلمْ : أنَّ اختلافَ الناسِ في هـٰذا يضاهي اختلافَهُمْ في فضيلةِ النكاحِ والعزوبةِ ، وقدْ ذكرنا أنَّ ذلكَ يختلفُ باختلافِ الأحوالِ والأشخاصِ ، بحسَبِ ما فصَّلْناهُ مِنْ آفاتِ النكاحِ وفوائدِهِ ، فكذلكَ القولُ فيما نحنُ فيهِ .

فلنذكرْ أوَّلاً فوائدَ العزلةِ ، وهيَ تنقسمُ إلىٰ فوائدَ **دينيَّةٍ ودنيويَّةٍ** :

والدينيَّةُ : تنقسمُ إلىٰ **تمكُّنٍ** مِنْ تحصيلِ الطاعاتِ في الخلوةِ ؛ بالمواظبةِ على العبادةِ والفكرِ وتربيةِ العلمِ ، وإلىٰ **تخلُّصٍ** مِنِ ارتكابِ المناهي التي يتعرَّض الإنسانُ لها بالمخالطةِ ؛ كالرياءِ والغيبةِ والسكوتِ عنِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ ، ومسارقةِ الطبعِ مِنَ الأخلاقِ الرديئةِ والأعمالِ الخبيثةِ مِنْ جلساءِ السوءِ .

وأمَّا الدنيويَّةُ : فتنقسمُ إلىٰ **تمكُّنٍ** مِنَ التحصيلِ بالخلوةِ ؛ كتمكُّنِ المحترفِ في خلوتِهِ ، وإلىٰ **تخلصٍ** مِنْ محذوراتٍ يتعرَّضُ لها بالمخالطةِ ؛ كالنظرِ إلىٰ زهرةِ الدنيا وإقبالِ الخلْقِ عليها ، وطمعِهِ في الناسِ وطمعِ الناسِ فيهِ ، وانكشافِ سترِ مروءتِهِ بالمخالطةِ ، والتأذي بسوءِ خلقِ الجليسِ في

مِرائِهِ أوْ سوءِ ظنِّهِ ، أوْ نميمتِهِ أوْ محاسدتِهِ ، أوِ التأذِّي بثقلِهِ وتشوُّهِ خلقتِهِ[1] .

* * *

وإلىٰ هـٰذا ترجعُ مجامعُ فوائدِ العزلةِ ، فلنحصرْها في ستِّ فوائدَ :

الفائدةُ الأولىٰ : الفراغُ للعبادةِ والفكرِ ، والاستئناسُ بمناجاةِ اللهِ تعالىٰ عنْ مناجاةِ الخلْقِ ، والاشتغالُ باستكشافِ أسرارِ اللهِ تعالىٰ في أمرِ الدنيا والآخرةِ ، وملكوتِ السماواتِ والأرضِ :

فإنَّ ذلكَ يستدعي فراغاً ، ولا فراغَ معَ المخالطةِ ، فالعزلةُ وسيلةٌ إليهِ ، ولهـٰذا قالَ بعضُ الحكماءِ : (لا يتمكَّنُ أحدٌ مِنَ الخلوةِ إلا بالتمسُّكِ بكتابِ اللهِ تعالىٰ ، والمتمسِّكونَ بكتابِ اللهِ تعالىٰ همُ الذين استراحوا مِنَ الدنيا بذكرِ اللهِ ، الذاكرونَ اللهَ باللهِ ، عاشوا بذكرِ اللهِ ، وماتوا بذكرِ اللهِ ، ولقوا اللهَ بذكرِ اللهِ) ، ولا شكَّ في أنَّ هؤلاءِ تمنعُهُمُ المخالطةُ عنِ الفكرِ والذكرِ ، فالعزلةُ أولىٰ بهِمْ .

ولذلكَ كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في ابتداءِ أمرِهِ يتبتَّلُ في جبلِ حِراءٍ وينعزلُ إليهِ[2] ، حتىٰ قويَ فيهِ نورُ النبوَّةِ ، فكانَ الخلْقُ لا يحجبونَهُ عنِ اللهِ تعالىٰ ، فكانَ ببدنِهِ معَ الخلْقِ ، وبقلبِهِ مقبلاً على اللهِ تعالىٰ ، حتَّىٰ كانَ

---

[1] في (ب) : (وسوء خلقته) ، وفي (هـ) : (وبسوء خلقه) .

[2] رواه البخاري (٤) ، ومسلم (١٦٠) .

الناسُ يظنُّونَ أنَّ أبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ خليلُهُ ، فأخبرَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ عنِ استغراقِ همِّهِ باللهِ فقالَ : « لوْ كنتُ متَّخذاً خليلاً . . لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً ، ولكنْ صاحبُكُمْ خليلُ اللهِ »(١) .

ولنْ يتسعَ للجمعِ بينَ مخالطةِ الناسِ ظاهراً والإقبالِ على اللهِ سرّاً إلا قوّةُ النبوَّةِ(٢) ، فلا ينبغي أنْ يغترَّ كلُّ ضعيفٍ بنفسِهِ فيطمعَ في ذلكَ .

ولا يبعدُ أنْ تنتهيَ درجةُ بعضِ الأولياءِ إليهِ ، فقدْ نُقِلَ عنِ الجنيدِ أنَّهُ قالَ : (أنا أكلِّمُ اللهَ منذُ ثلاثينَ سنةً والناسُ يظنُّونَ أنِّي أكلِّمُهُمْ)(٣) ، وهـٰذا إنَّما يتيسَّرُ للمستغرقِ بحبِّ اللهِ استغراقاً لا يبقىٰ لغيرِهِ فيهِ متَّسعٌ ، وذلكَ غيرُ منكَرٍ ، ففي المستهتَرينَ بحبِّ الخلْقِ مَنْ يخالطُ الناسَ ببدنِهِ وهوَ لا يدري ما يقولُ ولا ما يقالُ لهُ لفرطِ عشقِهِ لمحبوبِهِ ، بلِ الذي دهاهُ ملمَّةٌ تشوِّشُ عليهِ أمراً مِنْ أمورِ دنياهُ قدْ يستغرقُهُ الهمُّ بحيثُ يخالطُ الناسَ ولا يحسُّ بهِمْ ولا يسمعُ أصواتَهُمْ لشدَّةِ استغراقِهِ ، وأمرُ الآخرةِ أعظمُ عندَ العقلاءِ ، فلا

---

(١) رواه البخاري (٤٦٦) ، ومسلم (٦/٢٣٨٣) ، قال الحافظ الزبيدي : (الحديث متواتر ، وقد رواه زهاء خمسة عشر من الصحابة) . « الإتحاف » (٦/ ٢٥٠) .

(٢) إذ لها وجه إلى الخلق من حيث تبليغ الأحكام إلى الأنام ، ووجه إلى الحق من حيث المثول بين يديه ، والاستئناس بالقرب ، فالوجه الأول هو وجه النبوة ، والثاني هو وجه الولاية ، وهي سر النبوة وخلاصها ، فقول من قال : الولاية أفضل من النبوة ؛ إنما يعني بها ولاية النبوة ، وقد جمع له صلى الله عليه وسلم بين الوجهين في آن واحد . « إتحاف » (٦/ ٣٤٢) .

(٣) التعرُّف لمذهب التصوف (ص١٤٤) .

يستحيلُ ذلكَ فيهِ ، ولكنَّ الأولىٰ بالأكثرينَ الاستعانةُ بالعزلةِ ، ولذلكَ قيلَ لبعضِ الحكماءِ : ما الذي أرادوا بالخلوةِ واختيارِ العزلةِ ؟ فقالَ : ليستدعوا بذلكَ دوامَ الفكرةِ ، وتثبتَ العلومُ في قلوبِهِمْ ؛ ليحيَوا حياةً طيِّبةً ، ويذوقوا حلاوةَ المعرفةِ(١) .

وقيلَ لبعضِ الرهبانِ : ما أصبرَكَ على الوحدةِ ؟ فقالَ : ما أنا وحدي ، أنا جليسُ اللهِ عزَّ وجلَّ ، إذا شئتُ أنْ يناجيَني . . قرأتُ كتابَهُ ، وإذا شئتُ أنْ أناجيَهُ . . صلَّيْتُ .

وقيلَ لبعضِ الحكماءِ : إلىٰ أيِّ شيءٍ أفضىٰ بهِمُ الزهدُ والخلوةُ ؟ فقالَ : إلى الأنسِ باللهِ(٢) .

وقالَ سفيانُ بنُ عيينةَ : لقيتُ إبراهيمَ بنَ أدهمَ رحمهُ اللهُ في بلادِ الشامِ ، فقلتُ لهُ : يا إبراهيمُ ؛ تركتَ خراسانَ ؟ فقالَ : ما تهنأتُ بالعيشِ إلا هـٰهنا ، أفرُّ بديني مِنْ شاهقٍ إلىٰ شاهقٍ ، فمَنْ يراني يقولُ : موسوِسٌ أوْ حمَّالٌ أوْ ملاَّحٌ(٣) .

---

(١) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٤٣) ، وفي غير (ب ، هـ) : (المغفرة) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ١٣٦) .

(٣) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٥٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣٦٩) ، والسائل عندهما هو شقيق بن إبراهيم ، لا سفيان ، **والموسوس** ـ علىٰ صيغة اسم الفاعل ـ : مَنْ تعتريه الوساوس ، وهو يحدِّث نفسه بها ، قال تعالىٰ : ﴿ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾ .

وقيلَ لغزوانَ الرقاشيِّ : هبْكَ لا تضحكُ ، فما يمنعُكَ مِنْ مجالسةِ إخوانِكَ ؟ قالَ : إنِّي أصيبُ راحةَ قلبي في مجالسةِ مَنْ عندَهُ حاجتي(١) .

وقيلَ للحسنِ : يا أبا سعيدٍ ؛ هـٰهنا رجلٌ لمْ نرهُ قطُّ جالساً إلا وحدَهُ خلفَ ساريةٍ ! فقالَ الحسنُ : إذا رأيتموهُ.. فأخبروني بهِ ، فنظروا إليهِ ذاتَ يومٍ ، فقالوا للحسنِ : هـٰذا الرجلُ الذي أخبرناكَ بهِ ، وأشاروا إليهِ ، فمضىٰ إليهِ الحسنُ وقالَ لهُ : يا عبدَ اللهِ ؛ أراكَ قدْ حُبِّبَتْ إليكَ العزلةُ ، فما يمنعُكَ مِنْ مجالسةِ الناسِ ؟ فقالَ : أمرٌ شغلَني عنِ الناسِ ، قالَ : فما يمنعُكَ أنْ تأتيَ هـٰذا الرجلَ الذي يقالُ لهُ : الحسنُ فتجلسَ إليهِ ؟ فقالَ : أمرٌ شغلَني عنِ الناسِ وعنِ الحسنِ ، فقالَ لهُ الحسنُ : وما ذاكَ الشغلُ رحمَكَ اللهُ ؟ قال : إنِّي أصبحُ وأمسي بينَ نعمةٍ وذنبٍ ، فرأيتُ أنْ أشغلَ نفسي بشكرِ اللهِ تعالى على النعمةِ ، والاستغفارِ مِنَ الذنبِ ، فقالَ لهُ الحسنُ : أنتَ يا عبدَ اللهِ أفقهُ عندي مِنَ الحسنِ ، فالزمْ ما أنتَ عليهِ(٢) .

وقيلَ : بينَما أويسٌ القرنيُّ جالسٌ إذْ أتاهُ هَرِمُ بنُ حيَّانَ ، فقالَ لهُ أويسٌ : ما جاءَ بكَ ؟ قالَ : جئتُ لآنسَ بكَ ، فقالَ أويسٌ : ما كنتُ أرىٰ أنَّ أحداً يعرفُ ربَّهُ فيأنسَ بغيرِهِ !(٣) .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (١٧٣) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (٧٠) .

(٣) روى ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (٢٠١) عن هرم عن أويس قال : (الوحدة أحب إليَّ) .

وقالَ الفضيلُ : (إذا رأيتُ الليلَ مقبلاً . . فرحتُ بهِ وقلتُ : أخلو بربِّي ، وإذا رأيتُ الصبحَ أدركَني . . استرجعتُ كراهيةَ لقاءِ الناسِ ، وأنْ يجيئَني مَنْ يشغلُني عنْ ربِّي)⁽¹⁾ .

وقالَ عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ : طوبىٰ لمَنْ عاشَ في الدنيا وعاشَ في الآخرةِ، قيلَ لهُ : وكيفَ ذلكَ ؟ قالَ : يناجي اللهَ في الدنيا ، ويجاورُهُ في الآخرةِ .

وقالَ ذو النونِ المصريُّ : (سرورُ المؤمنِ ولذَّتُهُ في الخلوةِ بمناجاةِ ربِّهِ)⁽²⁾ .

وقالَ مالكُ بنُ دينارٍ : (مَنْ لمْ يأنسْ بمحادثةِ اللهِ عزَّ وجلَّ عنْ محادثةِ المخلوقينَ . . فقدْ قلَّ علمُهُ ، وعميَ قلبُهُ ، وضيَّعَ عمرَهُ)⁽³⁾ .

وقالَ ابنُ المباركِ : (ما أحسنَ حالَ منِ انقطعَ إلى اللهِ تعالىٰ)⁽⁴⁾ .

ويُروىٰ عنْ بعضِ الصالحينَ أنَّهُ قالَ : بينَما أنا أسيرُ في بعضِ بلادِ الشامِ إذا أنا بعابدٍ خارجٍ مِنْ بعضِ تلكَ الجبالِ ، فلمَّا نظرَ إليَّ . . تنحَّىٰ إلىٰ أصلِ شجرةٍ وتستَّرَ بها ، فقلتُ : سبحانَ اللهِ ! تبخلُ عليَّ بالنظرِ إليك ؟! فقالَ : يا هٰذا ؛ إنِّي أقمتُ في هٰذا الجبلِ دهراً طويلاً أعالجُ قلبي في الصبرِ عنِ الدنيا وأهلِها ، فطالَ في ذلك تعبي ، وفنيَ فيهِ عمري ، فسألتُ اللهَ عزَّ وجلَّ

---

(١) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٨٩) عن سفيان الثوري .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (٤٢) عن عابد باليمن .

(٣) رواه ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص٨٥) .

(٤) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٥٩٢) .

ألا يجعلَ حظِّي مِنْ أيامي في مجاهدةِ قلبي ، فسكَّنَهُ اللهُ عنِ الاضطرابِ وألفَ الوحدةَ والانفرادَ ، فلمَّا نظرتُ إليكَ . . خفتُ أنْ أقعَ في الأمرِ الأوَّلِ ، فإليكَ عنِّي ، فإنِّي أعوذُ مِنْ شرِّكَ بربِّ العارفينَ وحبيبِ التائبينَ ، ثمَّ صاحَ : وا غمَّاهُ مِنْ طولِ المكثِ في الدنيا ، ثمَّ حوَّلَ وجهَهُ عنِّي ، ثمَّ نفضَ يديهِ وقالَ : إليكِ عنِّي يا دنيا ، لغيري فتزيَّني ، وأهلَكِ فغرِّي ، ثمَّ قالَ : سبحانَ مَنْ أذاقَ قلوبَ العارفينَ مِنْ لذَّةِ الخدمةِ وحلاوةِ الانقطاعِ إليهِ ما ألهىٰ قلوبَهُمْ عنْ ذكرِ الجنانِ ، وعنِ الحورِ الحسانِ ؟! وجمعَ هِمَمَهُمْ في ذكرِهِ ، فلا شيءَ ألذُّ عندَهُمْ منْ مناجاتِهِ ، ثمَّ تركَني ومضىٰ وهوَ يقولُ : قدوسٌ قدوسٌ(١) .

فإذاً ؛ في الخلوةِ أنسٌ بذكرِ اللهِ ، واستكثارٌ مِنْ معرفةِ اللهِ ، وفي مثلِ ذلكَ قيلَ(٢) : [من الطويل]

وَإِنِّي لَأَسْتَغْشِي وَما بِيَ غَشْوَةٌ لَعَلَّ خَيالاً مِنْكِ يَلْقَىٰ خَيالِيا
وَأَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلْجُلُوسِ لَعَلَّنِي أُحَدِّثُ عَنْكِ ٱلنَّفْسَ بِٱلسِّرِّ خالِيا

ولذلكَ قالَ بعضُ الحكماءِ : (إنَّما يستوحشُ الإنسانُ مِنْ نفسِهِ لخلوِّ ذاتِهِ عنِ الفضيلةِ ، فيكثرُ حينئذٍ ملاقاةَ الناسِ ، ويطردُ الوحشةَ عنْ نفسِهِ

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٣٥٦) بنحوه .

(٢) البيتان لمجنون ليلىٰ في « ديوانه » (ص ٢٩٤ ، ٢٩٦) ، ونسبا لقيس بن ذريح أيضاً . انظر « ديوانه » (ص١٦١) .

بالكونِ معَهُمْ ، فإذا كانَتْ ذاتُهُ فاضلةً . . طلبَ الوحدةَ ؛ ليستعينَ بها على الفكرةِ ، ويستخرجَ العلمَ والحكمةَ)[1] .

وقدْ قيلَ : (الاستئناسُ بالناسِ مِنْ علاماتِ الإفلاسِ)[2] .

فإذاً ؛ هٰذهِ فائدةٌ جزيلةٌ ولكنْ في حقِّ بعضِ الخواصِّ .

ومَنْ يتيسَّرُ لهُ بدوامِ الذكرِ الأنسُ باللهِ ، أوْ بدوامِ الفِكرِ التحقُّقُ في معرفةِ اللهِ . . فالتجرُّدُ لهُ أفضلُ منْ كلِّ ما يتعلَّقُ بالمخالطةِ ، فإنَّ غايةَ العباداتِ وثمرةَ المعاملاتِ أنْ يموتَ الإنسانُ محبّاً للهِ ، عارفاً باللهِ ، ولا محبَّةَ إلا بالأنسِ الحاصلِ بدوامِ الذكرِ ، ولا معرفةَ إلا بدوامِ الفِكرِ ، وفراغُ القلبِ شرطُ كلِّ واحدٍ منهما ، ولا فراغَ معَ المخالطةِ .

* * *

الفائدةُ الثانيةُ : التخلُّصُ بالعزلةِ عنِ المعاصي التي يتعرَّضُ الإنسانُ لها غالباً بالمخالطةِ ، ويسلمُ منها في الخلوةِ :

وهيَ أربعةٌ : الغيبةُ ، والرياءُ ، والسكوتُ عنِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ ، ومسارقةُ الطبعِ مِنَ الأخلاقِ الرديئةِ والأعمالِ الخبيثةِ التي يوجبُها الحرصُ على الدنيا .

أمَّا الغيبةُ : فإذا عرفتَ في كتابِ آفاتِ اللسانِ مِنْ ربعِ المهلكاتِ

---

(١) حكاه الخطابي في « العزلة » (ص٢٣) .

(٢) حكاه الخطابي في « العزلة » (ص٢٣) .

وجوهَها . . عرفتَ أنَّ التحرُّزَ عنها معَ المخالطةِ عظيمٌ ، لا ينجو منها إلا الصدِّيقونَ ، فإنَّ عادةَ الناسِ كافةً التمضمضُ بأعراضِ الناسِ ، والتفكُّهُ بها ، والتنقُّلُ بحلاوتِها ، وهيَ طعمتُهُمْ ولذَّتُهُمْ ، وإليها يستروحونَ مِنْ وحشتِهِمْ في الخلوةِ ، فإنْ خالطتَهُمْ ووافقتَ . . أثمتَ وتعرضتَ لسخطِ اللهِ تعالىٰ ، وإنْ سكتَّ . . كنتَ شريكاً ، والمستمعُ أحدُ المغتابينَ ، وإنْ أنكرتَ . . أبغضوكَ ، وتركوا ذلكَ المغتابَ واغتابوكَ ، فازدادوا غيبةً إلىٰ غيبةٍ ، وربما زادُوا على الغيبةِ وانتهوا إلى الاستخفافِ والشتْمِ .

* * *

وأمَّا الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عنِ المنكرِ : فهوَ مِنْ أصولِ الدينِ ، وهوَ واجبٌ كما سيأتي بيانُهُ في آخرِ هـٰذا الربعِ ، ومَنْ خالطَ الناسَ . . فلا يخلو عنْ مشاهدةِ المنكراتِ ، فإنْ سكتَ . . عصى اللهَ بهِ ، وإنْ أنكرَ . . تعرَّضَ لأنواعٍ مِنَ الضررِ ؛ إذْ ربَّما يجرُّهُ طلبُ الخلاصِ منهُ إلىٰ معاصٍ هيَ أكبرُ ممَّا نهىٰ عنهُ ابتداءً ، وفي العزلةِ خلاصٌ من هـٰذا ؛ فإنَّ الأمرَ في إهمالِهِ شديدٌ ، والقيامَ بهِ شاقٌّ .

وقدْ قامَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ خطيباً وقالَ : (أيُّها الناسُ ؛ إنَّكُمْ تقرؤونَ هـٰذهِ الآيةَ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ ، وإنَّكُمْ تضعونَها في غيرِ موضعِها ، وإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إذا رأى الناسُ المنكرَ فلمْ

يغيِّروهُ . . أوشكَ أنْ يعمَّهُمُ اللهُ بعقابٍ »)(١) .

وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ اللهَ ليسألُ العبدَ حتَّىٰ يقولُ : ما منعكَ إذ رأيتَ المنكرَ في الدنيا أنْ تنكرَهُ ؟ فإذا لقَّنَ اللهُ عبداً حجَّتَهُ . . قالَ : يا ربِّ ؛ رجوتُكَ وخفتُ الناسَ »(٢) .

وهٰذا إذا خافَ مِنْ ضربٍ أوْ أمرٍ لا يطاقُ ، ومعرفةُ حدودِ ذلكَ مشكلٌ ، وفيهِ خطرٌ ، وفي العزلةِ خلاصٌ ، وفي الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ إثارةٌ للخصوماتِ ، وتحريكٌ لغوائلِ الصدورِ ، كما قيلَ(٣) : [من الطويل]

وَكَمْ سُقْتُ فِي آثارِكُمْ مِنْ نَصِيحَةٍ   وَقَـدْ يَسْتَفِيـدُ ٱلْبُغْضَـةَ ٱلْمُتَنَصِّـحُ

ومَنْ جرَّبَ الأمرَ بالمعروفِ . . ندمَ عليهِ غالباً ، فإنَّهُ كجدارٍ مائلٍ يريدُ الإنسانُ أنْ يقيمَهُ ، فيوشكُ أنْ يسقطَ عليهِ ، فإذا سقطَ عليهِ . . يقولُ : يا ليتَني تركتُهُ مائلاً .

---

(١) رواه أبو داوود (٤٣٣٨) ، والترمذي (٢١٦٨) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (١١٠٩٢) ، وابن ماجه (٤٠٠٥) .

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠١٧) ، وفيه : (وفَرِقت من الناس) ، وبلفظ المصنف رواه الخطابي في « العزلة » (٦٧) ، وقال عقبه : (هٰذا طريق في الرواية يرتضيه أهل النقل من أهل الحديث ، فعلىٰ هٰذا لا يحرج المرء ـ إن شاء الله ـ إن ترك أن يتعرض لأهل المنكر إذا خاف عاديتهم ، ولم يأمن بوائقهم ، مادام كارهاً لفعلهم بقلبه ، ومصارماً لهم بعزمه ونيته) ، ثم ساق كلاماً في تفضيل العزلة من هٰذا الباب فريداً .

(٣) أنشده الخطابي في « العزلة » (ص٣٨) ، والمبرد في « الكامل » (٣/١٥٠٢) عن الرياشي ، وهو في « ديوان عمارة بن عقيل » (ص ٩٢) .

نعمْ ، لوْ وجدَ أعواناً أمسكوا الحائطَ حتَّىٰ يحكمَهُ بدعامةٍ . . استقامَ ، وأنتَ اليومَ لا تجدُ الأعوانَ ، فدعْهُمْ وانجُ بنفسِكَ .

* * *

وأمّا الرياءُ : فهوَ الداءُ العضالُ ، الذي يعسرُ على الأبدالِ والأوتادِ الاحترازُ عنهُ ، وكلُّ مَنْ خالطَ الناسَ . . داراهُمْ ، ومَنْ داراهُمْ . . راءاهُمْ ، ومَنْ راءاهُمْ . . وقعَ فيما وقعوا فيهِ ، وهلكَ كما هلكوا .

وأقلُّ ما يلزمُ فيهِ النفاقُ ، فإنَّكَ إنْ خالطتَ متعاديينِ ولمْ تلقَ كلَّ واحدٍ منهما بوجْهٍ يوافقُهُ . . صرتَ بغيضاً إليهما جميعاً ، وإنْ جاملتَهُما . . كنتَ مِنْ شرارِ الناسِ(١) ؛ كما قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « تجدونَ مِنْ شِرارِ الناسِ ذا الوجهينِ ، الذي يأتي هؤلاءِ بوجهٍ وهؤلاءِ بوجهٍ »(٢) .

وأقلُّ ما يجبُ في مخالطةِ الناسِ إظهارُ الشوقِ والمبالغةُ فيهِ ، ولا يخلو ذلكَ عنْ كذبٍ ؛ إمَّا في الأصلِ ، وإمَّا في الزيادةِ ، فإظهارُ الشفقةِ بالسؤالِ عنِ الأحوالِ بقولِكَ : كيفَ أنتَ ؟ وكيفَ أهلُكَ ؟ وأنتَ في الباطنِ فارغُ القلبِ مِنْ همومِهِ . . نفاقٌ محضٌ ، قالَ ابنُ مسعودٍ : (إنَّ الرجلَ فيكُمْ ليخرجُ مِنْ بيتِهِ ، فيلقي الرجلُ لهُ إليهِ حاجةً ، فيقولُ : ذيتَ وذيتَ ،

---

(١) واستثني من ذلك ما كان القصد فيه الإصلاح . « إتحاف » (٦/٣٤٦) .

(٢) رواه البخاري (٣٤٩٤) ، ومسلم (٢٥٢٦) .

فيمدحُهُ ، فعسىٰ ألا يحكيَ مِنْ حاجتِهِ بشيءٍ ، فيرجعَ وقدْ أسخطَ اللهَ عليهِ ، ما معَهُ مِنْ دينِهِ شيءٌ)(١) .

قالَ سريٌّ : (لوْ دخلَ عليَّ أخٌ لي ، فسوَّيتُ لحيتي بيدي لدخولِهِ . . خشيتُ أنْ أكتبَ في جريدةِ المنافقينَ) .

وكانَ الفضيلُ جالساً وحدَهُ في المسجدِ الحرامِ ، فجاءَ إليهِ أخٌ لهُ ، فقالَ لهُ : ما جاءَ بكَ ؟ قالَ : المؤانسةُ يا أبا عليٍّ ، فقالَ : هيَ ـ واللهِ ـ بالمواحشةِ أشبهُ ، هلْ تريدُ إلا أنْ تتزيَّنَ لي وأتزيَّنَ لكَ ، وتكذبَ لي وأكذبَ لكَ ، إمَّا أنْ تقومَ عنِّي ، وإمَّا أنْ أقومَ عنكَ(٢) .

وقالَ بعضُ العلماءِ : (ما أحبَّ اللهُ عبداً إلا أحبَّ ألا يُشعرَ بهِ)(٣) .

ودخلَ طاووسٌ على الخليفةِ هشامٍ ، فقالَ : كيفَ أنتَ يا هشامُ ؟ فغضبَ عليهِ وقالَ : لِمَ لمْ تخاطبْني بأميرِ المؤمنينَ ؟ فقالَ : لأنَّ جميعَ المسلمينَ لمْ يتفقوا علىٰ خلافتِكَ ، فخشيتُ أنْ أكونَ كاذباً .

فمَنْ أمكنَهُ أنْ يحترزَ هـٰذا الاحترازَ . . فليخالطِ الناسَ ، وإلا . . فليرضَ بإثباتِ اسمِهِ في جريدةِ المنافقينَ ، فقدْ كانَ السلفُ يتلاقونَ ويحترزونَ في قولِهِمْ : كيفَ أصبحتَ ؟ وكيفَ أمسيتَ ؟ وكيفَ أنتَ ؟ وكيفَ حالُكَ ؟

---

(١) رواه الفريابي في « صفة المنافق » (٨٧) ، وذيتَ وذيت : من ألفاظ الكنايات ؛ مثل : كيت وكيت .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (٧٢) .

(٣) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص١٦٦) .

وفي الجوابِ عنهُ ، وكانَ سؤالُهُمْ عنْ أحوالِ الدينِ لا عنْ أحوالِ الدنيا[1] .

قالَ حاتمٌ الأصمُّ لحامدٍ اللفَّافِ : كيفَ أنتَ في نفسِكَ ؟ قالَ : سالمٌ معافىً ، فكرهَ حاتمٌ جوابَهُ ، فقالَ : يا حامدُ ؛ السلامةُ مِنْ وراءِ الصراطِ ، والعافيةُ في الجنةِ !

وكانَ إذا قيلَ لعيسىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : كيفَ أصبحتَ ؟ . . قالَ : (أصبحتُ لا أملكُ نفعَ ما أرجو ، ولا أستطيعُ دفعَ ما أحاذرُ ، وأصبحتُ مرتهناً بعملي ، والخيرُ كلُّهُ بيدِ غيري ، فلا فقيرَ أفقرُ منِّي)[2] .

وكانَ الربيعُ بنُ خُثيمٍ إذا قيلَ لهُ : كيفَ أصبحتَ . . قالَ : (أصبحْنا ضعفاءَ مذنبينَ ، نستوفي أرزاقَنا ، وننتظرُ آجالَنا)[3] .

وكانَ أبو الدرداءِ إذا قيلَ لهُ : كيفَ أصبحتَ ؟ . . قالَ : (أصبحتُ بخيرٍ إنْ نجوتُ مِنَ النارِ) .

وكانَ سفيانُ الثوريُّ إذا قيلَ لهُ : كيفَ أصبحتَ ؟ . . يقولُ : (أصبحتُ أشكو ذا إلىٰ ذا ، وأذمُّ ذا إلىٰ ذا ، وأفرُّ مِنْ ذا إلىٰ ذا) .

وقيلَ لأويسٍ القرنيِّ : كيفَ أصبحتَ ؟ قالَ : (كيفَ يصبحُ رجلٌ إذا أمسىٰ لا يدري أنَّهُ يصبحُ ، وإذا أصبحَ لا يدري أنَّهُ يمسي ؟!) .

---

[1] قوت القلوب (١/١٦٣) .

[2] رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٩٩٩٩ ، ٣٥٣٧٧) .

[3] رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٥١) من زيادات نعيم بن حماد .

وقيلَ لمالكِ بنِ دينارٍ : كيفَ أصبحتَ ؟ فقالَ : (أصبحتُ في عمرٍ ينقصُ ، وذنوبٌ تزيدُ) .

وقيلَ لبعضِ الحكماءِ : كيفَ أصبحتَ ؟ قالَ : (أصبحتُ لا أرضىٰ حياتي لمماتي ، ولا نفسي لربِّي) .

وقيلَ لحكيمٍ : كيفَ أصبحتَ ؟ قالَ : (أصبحتُ آكلُ رزقَ ربِّي ، وأطيعُ عدوَّهُ إبليسَ) .

وقيلَ لمحمدِ بنِ واسعٍ : كيفَ أصبحتَ ؟ قالَ : (ما ظنُّكَ برجلٍ يرتحلُ كلَّ يومٍ إلى الآخرةِ مرحلةً)[1] .

وقيلَ لحامدٍ اللفَّافِ : كيفَ أصبحتَ ؟ قالَ : أصبحتُ أشتهي عافيةَ يومٍ إلى الليلِ ، فقيلَ لهُ : ألستَ في عافيةٍ كلَّ الأيامِ ؟ فقالَ : العافيةُ يومٌ لا أعصي اللهَ تعالىٰ فيهِ[2] .

وقيلَ لرجلٍ وهوَ يجودُ بنفسِهِ : ما حالُكَ ؟ فقالَ : وما حالُ مَنْ يريدُ سفراً بعيداً بلا زادٍ ، ويدخلُ قبراً موحشاً بلا مؤنسٍ ، وينطلقُ إلىٰ ملكٍ عدْلٍ بلا حجَّةٍ ؟![3] .

---

[1] رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢/٣٤٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٦/١٦٩) .

[2] رواه البيهقي في « الشعب » (٦٨٥٨) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦٩) عن حامد اللفاف ، عن شيخه حاتم الأصم .

[3] أورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٢/٣١٠) عن بعض حكماء فارس .

وقيلَ لحسانَ بنِ أبي سنانٍ : ما حالكَ ؟ قالَ : ما حالُ مَنْ يموتُ ثمَّ يُبعثُ ثمَّ يُحاسبُ ؟ !(١) .

وقالَ ابنُ سيرينَ لرجلٍ : كيفَ حالكَ ؟ فقالَ : وما حالُ مَنْ عليهِ خمسُ مئةِ درهمٍ ديناً وهوَ معيلٌ ؟ فدخلَ ابنُ سيرينَ منزلَهُ ، فأخرجَ لهُ ألفَ درهمٍ ، فدفعَها إليهِ وقالَ : خمسُ مئةٍ اقضِ بها دينَكَ ، وخمسُ مئةٍ عُدْ بها علىٰ نفسِكَ وعيالِكَ ، ولمْ يكنْ عندَهُ غيرُها ، ثمَّ قالَ : واللهِ ؛ لا أسألُ أحداً عنْ حالِهِ أبداً .

وإنَّما فعلَ ذلكَ لأنَّهُ خشيَ أنْ يكونَ سؤالُهُ عنْ غيرِ اهتمامٍ بأمرِهِ ، فيكونَ مرائياً منافقاً ، فقدْ كانَ سؤالُهُمْ عنْ أمورِ الدينِ وأحوالِ القلبِ في معاملةِ اللهِ ، وإنْ سألوا عنْ أمورِ الدنيا . . فعنِ اهتمامٍ ، وعزمٍ على القيامِ بما يظهرُ لهُمْ مِنَ الحاجةِ .

وقالَ بعضُهُمْ : (إنِّي لأعرفُ أقواماً كانوا لا يتلاقَونَ(٢) ، ولوْ حكمَ أحدُهُمْ علىٰ صاحبِهِ بجميعِ ما يملكُهُ . . لمْ يمنعْهُ ، وأرى الآنَ أقواماً يتلاقَونَ ويتساءلونَ حتىٰ عنِ الدجاجةِ في البيتِ ، ولوِ انبسطَ أحدُهُمْ لحبَّةٍ مِنْ مالِ صاحبِهِ . . لمنعَهُ ، فهلْ هـٰذا إلا مجرَّدُ الرياءِ والنفاقِ ؟!) .

وآيةُ ذلكَ أنَّكَ ترىٰ هـٰذا يقولُ : كيفَ أنتَ ؟ ويقولُ الآخرُ : كيفَ

---

(١) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٥٦٥) .

(٢) في (ب) : (يتمالقون) ، وكذا الآتية هي نسخة علىٰ هامشها .

أنتَ ؟ فالسائلُ لا ينتظر الجوابَ ، والمسؤولُ يشتغلُ بالسؤالِ ولا يجيبُ ، وذلكَ لمعرفتِهِمْ بأنَّ ذلكَ عنْ رياءٍ وتكلُّفٍ ، ولعلَّ القلوبَ لا تخلو عنْ ضغائنَ وأحقادٍ والألسنةُ تنطلقُ بالسؤالِ .

قالَ الحسنُ : (إنَّما كانوا يقولونَ : السلامُ عليكُمْ إذا سلمَتْ ـ واللهِ ـ القلوبُ ، أمَّا الآنَ . . كيفَ أصبحْتَ عافاكَ اللهُ ؟ كيفَ أنتَ أصلحَكَ اللهُ ؟ فإنْ أخذنا بقولِهِمْ . . كانَتْ بدعةً ، لا ولا كرامةَ ، فإنْ شاؤوا . . غضبوا علينا ، وإنْ شاؤوا . . لا)[1] .

وإنَّما قالَ ذلكَ لأنَّ البدايةَ بقولِكَ : كيفَ أصبحتَ . . بدعةٌ[2] .

وقالَ رجلٌ لأبي بكرِ بنِ عيَّاشٍ : كيفَ أصبحتَ ؟ فما أجابَهُ ، وقالَ : دَعُونا مِنْ هـٰذهِ البدعةِ ، وقالَ : إنَّما حدثَ هـٰذا في زمانِ الطاعونِ الذي كانَ يُدعىٰ طاعونَ عَمْواسَ بالشامِ ؛ مِنَ الموتِ الذريعِ ، كانَ الرجلُ يلقاهُ أخوهُ غدوةً ، فيقولُ : كيفَ أصبحتَ مِنَ الطاعونِ ؟ ويلقاهُ عشيَّةً ، فيقولُ : كيفَ أمسيتَ ؟[3] .

---

(١) قوت القلوب (١/ ١٦٣) .

(٢) ففي الخبر : « من بدأكم بالكلام قبل السلام . . فلا تجيبوه » ، وقد تقدم . « إتحاف » (٦/ ٣٤٩) .

(٣) قوت القلوب (١/ ١٦٣) ، **وطاعون عمواس** : أول طاعون ظهر في الإسلام ، نسب إلىٰ بلد عمواس علىٰ ستة أميال من بيت المقدس ، وقيل : إنما سمي بذلك لكونه عمَّ وآسىٰ ، فهو اسم مركب عليه . انظر « الإتحاف » (٦/ ٣٥٠) .

والمقصودُ : أنَّ الالتقاءَ في غالبِ العاداتِ ليسَ يخلو عنْ أنواعٍ مِنَ التصنُّعِ والرياءِ والنفاقِ ، وكلُّ ذلكَ مذمومٌ ، بعضُهُ محظورٌ ، وبعضُهُ مكروهٌ ، وفي العزلةِ الخلاصُ مِنْ ذلكَ ؛ فإنَّ مَنْ لقيَ الخلقَ ولمْ يخالقْهُمْ بأخلاقِهِمْ . . مقتوهُ واستثقلوهُ ، واغتابوهُ وتشمَّروا لإيذائِهِ ، فيذهبُ دينُهُمْ فيهِ ، ويذهبُ دينُهُ ودنياهُ في الانتقامِ منهُمْ .

* * *

وأمَّا مسارقةُ الطبعِ لما يشاهدُهُ مِنْ أخلاقِ الناسِ وأعمالِهِمْ : فهوَ داءٌ دفينٌ ، قلَّما يتنبَّهُ لهُ العقلاءُ فضلاً عنِ الغافلينَ ، فلا يجالسُ الإنسانُ فاسقاً مدَّةً معَ كونِهِ مُنْكراً عليهِ في باطنِهِ إلا ولوْ قاسَ نفسَهُ إلىٰ ما قبلَ مجالستِهِ . . أدركَ فيها تفرقةً في النفرةِ عنِ الفسادِ واستثقالِهِ ؛ إذْ يصيرُ الفسادُ بكثرةِ المشاهدةِ هيِّناً على الطبعِ ، فيسقطُ وقعُهُ واستعظامُهُ لهُ ، وإنَّما الوازعُ عنه شدَّةُ وقْعِهِ في القلبِ ، فإذا صارَ مستصغراً بطولِ المشاهدةِ . . أَوْشَكَ أنْ تنحلَّ القوَّةُ الوازعةُ ، ويذعنَ الطبعُ للميلِ إليهِ أوْ لما دونَهُ ، ومهما طالَتْ مشاهدتُهُ للكبائرِ مِنْ غيرِهِ . . استحقرَ الصغائرَ مِنْ نفسِهِ ، ولذلكَ يزدري الناظرُ إلى الأغنياءِ نعمةَ اللهِ عليهِ ، فتؤثِّرُ مجالستُهُمْ في أنْ يستصغرَ ما عندَهُ ، وتؤثِّرُ مجالسةُ الفقراءِ في استعظامِ ما أتيحَ لهُ مِنَ النعمِ .

فكذلكَ النظرُ إلى المطيعينَ والعصاةِ هٰذا تأثيرُهُ في الطبعِ ، فمَنْ يقصرُ نظرَهُ علىٰ ملاحظةِ أحوالِ الصحابةِ والتابعينَ في العبادةِ والتنزُّهِ عنِ الدنيا . .

فلا يزالُ ينظرُ إلىٰ نفسِهِ بعينِ الاستصغارِ ، وإلىٰ عبادتِهِ بعينِ الاستحقارِ ، وما دامَ يرىٰ نفسَهُ مقصِّراً . . فلا يخلو عنْ داعيةِ الاجتهادِ ؛ رغبةً في الاستكمالِ ، واستتماماً للاقتداءِ .

ومَنْ نظرَ إلى الأحوالِ الغالبةِ علىٰ أهلِ الزمانِ ، وإعراضِهِمْ عنِ اللهِ تعالىٰ ، وإقبالِهِمْ على الدنيا ، واعتيادِهِمُ المعاصيَ . . استعظمَ أمرَ نفسِهِ بأدنىٰ رغبةٍ في الخيرِ يصادفُها في قلبِهِ ، **وذلكَ هوَ الهلاكُ** .

ويكفي في تغييرِ الطبعِ مجرَّدُ سماعِ الخيرِ والشرِّ فضلاً عنْ مشاهدتِهِ ، وبهٰذهِ الدقيقةِ يُعرفُ سرُّ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « عندَ ذكرِ الصالحينَ تنزَّلُ الرحمةُ »⁽¹⁾ ، فإنَّما الرحمةُ دخولُ الجنَّةِ ولقاءُ اللهِ تعالىٰ ، وليسَ ينزلُ عندَ الذكرِ عينُ ذلكَ ولكنْ سببُهُ ؛ وهوَ انبعاثُ الرغبةِ مِنَ القلبِ ، وحركةُ الحرْصِ على الاقتداءِ بهِمْ ، والاستنكافُ مما هوَ ملابسٌ لهُ مِنَ القصورِ والتقصيرِ ، ومبدأُ الرحمةِ فعلُ الخيرِ ، ومبدأُ فعلِ الخيرِ الرغبةُ ، ومبدأُ الرغبةِ ذكرُ أحوالِ الصالحينَ ، فهٰذا معنىٰ نزولِ الرحمةِ .

والمفهومُ مِنْ فحوىٰ هٰذا الكلامِ عند الفَطِنِ كالمفهومِ مِنْ نظمِهِ ، وهوَ أنَّ عندَ ذكرِ الفاسقينَ تنزلُ اللعنةُ ؛ لأنَّ كثرةَ ذكرِهِمْ تهوِّنُ على الطبعِ أمرَ المعاصي ، واللعنةُ هيَ البعدُ ، ومبدأُ البعدِ مِنَ اللهِ هوَ المعاصي والإعراضُ

---

(1) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٢٨٥) من كلام ابن عيينة دون رفع للنبي صلى الله عليه وسلم ، وانظر « مقدمة ابن الصلاح » (ص ٤٢٨) ، و« الإتحاف » (٦/ ٣٥١) .

عنِ اللهِ ؛ بالإقبالِ على الحظوظِ العاجلةِ والشهواتِ الحاضرةِ لا على الوجهِ المشروعِ ، ومبدأُ المعاصي سقوطُ ثقلِها وتفاحشِها عنِ القلبِ ، ومبدأُ سقوطِ الثقلِ وقوعُ الأنسِ بها بكثرةِ السماعِ .

وإذا كانَ هـٰذا حالَ ذكرِ الصالحينَ والفاسقينَ . . فما ظنُّكَ بمشاهدتِهِمْ ، بلْ قدْ صرَّحَ بهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حيثُ قالَ : « مثلُ الجليسِ السوءِ كمثلِ الكيرِ ، إنْ لمْ يحرقْكَ بشررِهِ . . علقَ بكَ مِنْ ريحِهِ »(١) ، فكما أنَّ الريحَ يعلقُ بالثوبِ ولا يشعرُ بهِ . . فكذلكَ يسهلُ الفسادُ على القلبِ وهوَ لا يشعرُ بهِ ، وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « مثلُ الجليسِ الصالحِ كمثلِ صاحبِ المسكِ ، إنْ لمْ يهبْ لكَ منهُ . . تجدْ ريحَهُ »(٢) .

ولهـٰذا أقولُ : مَنْ عرفَ مِنْ عالمٍ زلَّةً . . حَرُمَ عليهِ حكايتُها ؛ لعلتينِ :

إحداهُما : أنَّها غيبةٌ .

والثانيةُ ـ وهيَ أعظمُهُما ـ : أنَّ حكايتَها تهوِّنُ على المستمعينَ أمرَ تلكَ الزلَّةِ ، ويسقطُ مِنْ قلوبِهِمُ استعظامُهُمُ الإقدامَ عليها ، فيكونُ ذلكَ سبباً لتهوينِ تلكَ المعصيةِ ؛ فإنَّهُ مهما وقعَ فيها فاستنكرَ ذلكَ . . دفعَ الاستنكارَ وقالَ : كيفَ يُستبعدُ هـٰذا منَّا وكلُّنا مضطرونَ إلىٰ مثلِهِ حتَّى العلماءُ والعبَّادُ ؟!

---

(١) رواه البخاري (٢١٠١) ، ومسلم (٢٦٢٨) ، ولفظ المصنف عند ابن حبان في « صحيحه » (٥٧٩) .

(٢) قطعة من الحديث المتقدم قبله .

ولو اعتقدَ أنَّ مثلَ ذلكَ لا يقدِمُ عليهِ عالمٌ ، ولا يتعاطاهُ مرموقٌ معتبرٌ . . لشقَّ عليهِ الإقدامُ ، فكَمْ مِنْ شخصٍ يتكالبُ على الدنيا ، ويحرصُ علىٰ جمعِها ، ويتهالَكُ علىٰ حبِّ الرئاسةِ وتزيينِها ، ويهوِّنُ علىٰ نفسِهِ قبحَها ويزعمُ أنَّ الصحابةَ رضيَ اللهُ عنهُمْ لمْ ينزِّهوا أنفسَهُمْ عنْ حبِّ الرئاسةِ ، وربَّما يستشهدُ عليهِ بقتالِ عليٍّ ومعاويةَ رضيَ اللهُ عنهُما ، ويخمِّنُ في نفسِهِ أنَّ ذلكَ لمْ يكنْ لطلبِ الحقِّ ، بلْ لطلبِ الرئاسةِ . . فهـٰذا الاعتقادُ الخطأُ يهوِّنُ عليهِ أمرَ الرئاسةِ ولوازمَها مِنَ المعاصي .

والطبعُ اللئيمُ يميلُ إلى اتباعِ الهفواتِ ، والإعراضِ عنِ الحسناتِ ، بلْ إلىٰ تقديرِ الهفوةِ فيما لا هفوةَ فيهِ بالتنزيلِ علىٰ مقتضى الشهوةِ ؛ ليتعلَّلَ بهِ ، وهوَ مِنْ دقائقِ مكايدِ الشيطانِ ، ولذلكَ وصفَ اللهُ المراغمينَ للشيطانِ فيها بقولِهِ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ ﴾ .

وضربَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لذلكَ مثلاً وقالَ : « مثلُ الذي يجلسُ يستمعُ الحكمةَ ثمَّ لا يعملُ إلا بشرِّ ما يسمعُ . . كمثلِ رجلٍ أتىٰ راعياً فقالَ لهُ : يا راعي ؛ اجزرْ لي شاةً مِنْ غنمِكَ ، فقالَ : اذهبْ فخُذْ خيرَ شاةٍ فيها ، فذهبَ فأخذَ بأذنِ كلبِ الغنمِ ! »⁽¹⁾ .

وكلُّ مَنْ ينقلُ هفواتِ الأئمةِ فهـٰذا مثالُهُ أيضاً .

وممَّا يدلُّ علىٰ سقوطِ وقعِ الشيءِ عنِ القلبِ بسببِ تكرُّرِهِ ومشاهدتِهِ :

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٧٢) وفيه : (أجزرني) بدل (اجزر لي) .

أنَّ أكثرَ الناسِ إذا رأَوا مسلماً أفطرَ في نهارِ رمضانَ . . استبعدوهُ استبعاداً يكادُ يفضي إلى اعتقادِهِمْ كفرَهُ ، وقدْ يشاهدونَ مَنْ يخرجُ صلواتٍ عنْ أوقاتِها فلا تنفرُ عنهُ طباعُهُمْ كنفرتِهِمْ عنْ تأخيرِ الصومِ ، معَ أنَّ صلاةً واحدةً يقتضي تركُها الكفرَ عندَ قومٍ ، وحزَّ الرقبةِ عندَ قومٍ ، وتركُ صومِ رمضانَ كلِّهُ لا يقتضيهِ ، ولا سببَ لهُ إلا أنَّ الصلاةَ تتكرَّرُ ، والتساهلُ فيها ممَّا يكثرُ ، فيسقطُ وقعُها بالمشاهدةِ عنِ القلبِ .

وكذلكَ لوْ لبسَ الفقيهُ ثوباً مِنْ حريرٍ ، أوْ خاتماً مِنْ ذهبٍ ، أوْ شربَ مِنْ إناءِ فضةٍ . . استبعدَتْهُ النفوسُ ، واشتدَّ إنكارُها ، وقدْ يُشاهدُ في مجلسٍ طويلٍ لا يتكلَّمُ إلا بما هوَ اغتيابٌ للناسِ ولا يستبعدُ منهُ ذلكَ ، والغيبةُ أشدُّ مِنَ الزنا(١) ، فكيفَ لا تكونُ أشدَّ مِنْ لبسِ الحريرِ ؟! ولكنَّ كثرةَ سماعِ الغيبةِ ومشاهدةَ المغتابينَ . . أسقطَ عنِ القلوبِ وقعَها ، وهوَّنَ على النفسِ أمرَها .

فتفطَّنْ لهـٰذهِ الدقائقِ ، وفرَّ مِنَ الناسِ فرارَكَ مِنَ الأسدِ ، فإنَّكَ لا تشاهدُ منهُمْ إلا ما يزيدُ في حرصِكَ على الدنيا ، وغفلتِكَ عنِ الآخرةِ ، ويهوِّنُ

---

(١) فقد روىٰ هناد في « الزهد » (١١٧٨) ، والطبراني في « الأوسط » (٦٥٨٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٣١٥ ، ٦٣١٦) مرفوعاً : « إياكم والغيبة ، فإن الغيبة أشد من الزنا » ، قالوا : يا رسول الله ؛ وكيف الغيبة أشد من الزنا ؟ قال : « إن الرجل قد يزني ثم يتوب ، فيتوب الله عليه ، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتىٰ يغفر له صاحبه » ، وسيأتي للمصنف .

عليكَ المعصيةَ ، ويضعفُ رغبتَكَ في الطاعةِ .

فإنْ وجدتَ جليساً تذكِّرُك باللهِ صورتُهُ وسيرتُهُ . . فالزمْهُ ولا تفارقْهُ ، واغتنمْهُ ولا تستحقرْهُ ؛ فإنَّها غنيمةُ العاقلِ ، وضالَّةُ المؤمنِ ، وتحقَّقْ أنَّ الجليسَ الصالحَ خيرٌ مِنَ الوحدةِ ، وأنَّ الوحدةَ خيرٌ مِنَ الجليسِ السوءِ ، ومهما فهمتَ هـٰذهِ المعانيَ ، ولاحظتَ طبعَكَ ، والتفتَّ إلىٰ حالِ منْ أردتَ مخالطتَهُ . . لمْ يخفَ عليكَ أنَّ الأولى التباعُدُ عنهُ بالعزلةِ ، أوِ التقرُّبُ إليهِ بالخلطةِ .

وإيَّاكَ أنْ تحكمَ مطلقاً على العزلةِ أوِ الخلطةِ بأنَّ إحداهما أولىٰ ؛ إذْ كلُّ مفصَّلٍ فإطلاقُ القولِ فيهِ بلا أوْ نعمْ خلْفٌ محضٌ ، ولا حقَّ في المفصَّلِ إلا التفصيلُ .

* * *

الفائدةُ الثالثةُ : الخلاصُ مِنَ الفتنِ والخصوماتِ ، وصيانةُ الدينِ والنفسِ عنِ الخوضِ فيها والتعرضِ لأخطارِها :

وقلَّما تخلو البلادُ عنْ تعصباتٍ وفتنٍ وخصوماتٍ ، فالمعتزلُ عنهُمْ في سلامةٍ منها ، قالَ عبدُ اللهِ بنُ عمرِو بنِ العاصِ : لمَّا ذكرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الفتنَ ووصفَها وقالَ : « إذا رأيتَ الناسَ مَرِجَتْ عهودُهُمْ ، وخفَّتْ أماناتُهُمْ ، وكانوا هـٰكذا » وشبَّكَ بينَ أصابعِهِ . . فقلتُ : فما تأمرني ؟ فقالَ : « الزمْ بيتَكَ ، واملكْ عليكَ لسانَكَ ، وخذْ ما تعرفُ ،

ودعْ ما تنكرُ ، وعليكَ بأمرِ الخاصَّةِ ، ودعْ عنكَ أمرَ العامَّةِ »(١) .

وروىٰ أبو سعيدٍ الخدريُّ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « يوشكُ أنْ يكونَ خيرُ مالِ المسلمِ غنماً يتبعُ بها شَعَفَ الجبالِ ومواقعَ القطرِ ، يفرُّ بدينِهِ مِنَ الفتنِ منْ شاهقٍ إلىٰ شاهقٍ »(٢) .

وروىٰ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « سيأتي على الناسِ زمانٌ لا يسلمُ لذي دينٍ دينُهُ ، إلا مَنْ فرَّ بدينِهِ مِنْ قريةٍ إلىٰ قريةٍ ، ومِنْ شاهقٍ إلىٰ شاهقٍ ، ومِنْ حجرٍ إلىٰ حجرٍ ؛ كالثعلبِ الذي يروغُ » ، قيلَ لهُ : ومتىٰ ذلكَ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « إذا لمْ تُنَلِ المعيشةُ إلا بمعاصي اللهِ تعالىٰ ، فإذا كانَ ذلكَ الزمانُ . . حلَّتِ العزوبةُ » ، قالوا : وكيفَ ذاكَ يا رسولَ اللهِ وقدْ أمرتَنا بالتزويجِ ؟ قالَ : « إذا كانَ ذلكَ الزمانُ . . كانَ هلاكُ الرجلِ علىٰ يدي أبويهِ ، فإنْ لمْ يكنْ لهُ أبوانِ . . فعلىٰ يدِي زوجتِهِ وولدِهِ ، فإنْ لمْ يكنْ . . فعلىٰ يدي قرابتِهِ » ، قالوا : وكيفَ ذلكَ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ :

---

(١) رواه أبو داوود (٤٣٤٣) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٩٩٦٢) ، ومرجت : اضطربت وفسدت ، قال الخطابي في « العزلة » (ص١٥) عند شرحه لهٰذا الخبر : (أمر الخاصة : هو كل ما يخصه ويعنيه ويخص كل إنسان في ذاته ؛ من إعالة أهله ، وسياسة ذويه ، والقيام لهم والسعي في مصالحهم ، ونهاه عن التعرض لأمر العامة ، والتعاطي لسياستهم ، والترؤس عليهم ، والتوسط في أمورهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « دع عنك أمر العامة ») ، وسياق المصنف هنا عنده .

(٢) رواه البخاري (١٩) .

« يعيِّرونَهُ بضيقِ اليدِ ، فيتكلَّفُ ما لا يطيقُ ، حتَّىٰ يوردوهُ مواردَ الهلكةِ »(١) .

وهـٰذا الحديثُ وإنْ كانَ في العزوبةِ فالعزلةُ مفهومةٌ منهُ ؛ إذْ لا يستغني المتأهِّلُ عنِ المعيشةِ والمخالطةِ ، ثمَّ لا ينالُ المعيشةَ إلا بمعصيةِ اللهِ تعالىٰ .

ولستُ أقولُ : هـٰذا أوانُ ذلكَ الزمانِ ، فلقدْ كانَ هـٰذا بأعصارٍ قبلَ هـٰذا العصرِ ، ولأجلِهِ قالَ سفيانُ الثوريُّ : (واللهِ ؛ لقدْ حلَّتِ العزلةُ)(٢) .

وقالَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : ذكرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الفتنةَ وأيامَ الهرْجِ ، قلتُ : وما الهرجُ ؟ قالَ : « حينَ لا يأمنُ الرجلُ جليسَهُ » ، قلتُ : فبمَ تأمرُني إنْ أدركتُ ذلكَ الزمانَ ؟ قالَ : « كفَّ نفسَكَ ويدَكَ وادخلْ دارَكَ » ، قالَ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ أرأيتَ إنْ دخلَ عليَّ داري ؟ قالَ : « فادخلْ بيتَكَ » ، قلتُ : فإنْ دخلَ عليَّ بيتي ؟ قالَ : « فادخلْ مسجدَكَ واصنعْ هـٰكذا ـ وقبضَ على الكوعِ ـ وقلْ : ربيَّ اللهُ حتَّىٰ تموتَ »(٣) .

وقالَ سعدٌ لمَّا دُعِيَ إلى الخروجِ أيامَ معاويةَ . . قالَ : (لا ، إلا أنْ تعطوني سيفاً لهُ عينانِ بصيرتانِ ولسانٌ ينطقُ بالكافرِ فأقتلَهُ ، وبالمؤمنِ فأكفَّ عنهُ) ، وقالَ : (مثلُنا ومثلُكُمْ كمثلِ قومٍ كانوا علىٰ محجَّةٍ بيضاءَ ، فبينا هم

---

(١) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٤٣٩) ، والديلمي في « مسند الفردوس » (٨٦٩٧) ، ولفظه هنا عند الخطابي في « العزلة » (٩) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٨٨) .

(٣) رواه أبو داوود (٤٢٥٨) مختصراً ، ورواه بتمامه الخطابي في « العزلة » (١١) .

كذلكَ يسيرونَ . . إذْ هاجَتْ ريحٌ عجاجةٌ ، فضلُّوا الطريقَ والتبسَ عليهِمْ ، فقالَ بعضُهُمْ : الطريقُ ذاتَ اليمينِ ، فأخذوا فيها ، فتاهوا وضلُّوا ، وقالَ بعضُهُمْ : ذاتَ الشمالِ ، فأخذوا فيها ، فتاهوا وضلُّوا ، وأناخَ آخرونَ ، وتوقَّفوا حتَّىٰ ذهبَتِ الريحُ ، وتبيَّنَتِ الطريقُ) ، فسعدٌ وجماعةٌ فارقوا الفتنَ ، ولمْ يخالطوا إلا بعدَ زوالِ الفتنِ (١) .

وعنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما : أنَّهُ لمَّا بلغَهُ أنَّ الحسينَ رضيَ اللهُ عنهُ توجَّهَ إلى العراقِ . . تبعَهُ ، فلحقَهُ علىٰ مسيرةِ ثلاثةِ أيامٍ ، فقالَ لهُ : أينَ تريدُ ؟ فقالَ : العراقَ ، فإذا معهُ طواميرُ وكتبٌ (٢) ، فقالَ : هـٰذهِ كتبُهُمْ وبيعتُهُمْ ، فقالَ : لا تنظرْ إلىٰ كتبِهِمْ ولا تأتِهِمْ ، فأبىٰ ، فقالَ : إنِّي محُدِّثُكَ حديثاً ، إنَّ جبريلَ أتى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فخيَّرَهُ بينَ الدنيا والآخرةِ ، فاختارَ الآخرةَ على الدنيا ، وإنَّكَ بضعةٌ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، واللهِ ؛ لا يليها أحدٌ منكُمْ أبداً ، وما صرفَها عنكُمْ إلا للذي هوَ خيرٌ لكُمْ ، فأبىٰ أنْ يرجعَ ، فاعتنقَهُ ابنُ عمرَ وبكىٰ ، وقالَ : أستودعُكَ اللهَ مِنْ قتيلٍ أو أسيرٍ (٣) .

---

(١) رواه الخطابي في « العزلة » (١٧) .

(٢) **الطوامير** : جمع طُومار ، وهي الصحيفة ، أو لفظة فارسية معناها : الكتاب الطويل أو الخطاب الطويل .

(٣) رواه الآجري في « الشريعة » (١٦٦٨) ، والخطابي في « العزلة » (٢٥) بلفظ المصنف .

وكانَ في الصحابةِ عشرةُ آلافٍ ، فما خفَّ أيامَ الفتنةِ أكثرُ مِنْ أربعينَ رجلاً[1] .

وجلسَ طاووسٌ في بيتِهِ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : فسادُ الزمانِ ، وحيفُ الأئمةِ[2] .

ولمَّا بنىٰ عروةُ قصرَهُ بالعقيقِ ولزمَهُ . . قيلَ لهُ : لزمتَ القصرَ وتركتَ مسجدَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؟! فقالَ : رأيتُ مساجدَكُمْ لاهيةً ، وأسواقَكُمْ لاغيةً ، والفاحشةَ في فجاجِكُمْ عاليةً ، وفيما هناكَ عمَّا أنتُمْ فيهِ عافيةٌ[3] .

فإذاً ؛ الحذرُ مِنَ الخصوماتِ ومثاراتِ الفتنِ إحدىٰ فوائدِ العزلةِ .

* * *

الفائدةُ الرابعةُ : الخلاصُ مِنْ شرِّ الناسِ :

فإنَّهُمْ يؤذونَكَ مرَّةً بالغيبةِ ، ومرَّةً بسوءِ الظنِّ والتهمةِ ، ومرَّةً بالاقتراحاتِ والأطماعِ الكاذبةِ التي يعسرُ الوفاءُ بها ، وتارةً بالنميمةِ أوِ الكذبِ ، فربَّما يرونَ منكَ مِنَ الأعمالِ أوِ الأقوالِ ما لا تبلغُ عقولُهُمْ كنهَهُ ، فيتخذونَ ذلكَ ذخيرةً عندَهُمْ يدخرونَها لوقتٍ تظهرُ فيهِ فرصةٌ للشرِّ ، فإذا

---

(١) رواه الخطابي في « العزلة » (١٩) من قول ابن سيرين رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه الخطابي في « العزلة » (٢٦) .

(٣) رواه الخطابي في « العزلة » (٢٨) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٢٤٠٣) .

اعتزلتَهُمُ . . استغنيتَ عنِ التحفُّظِ عنْ جميعِ ذلكَ ، ولذلكَ قالَ بعضُ الحكماءِ لغيرِهِ : أعلِّمُكَ بيتينِ خيرٌ مِنْ عشرةِ آلافِ درهمٍ ؟ فقالَ : ما هما ؟ قالَ(١) : [من الخفيف]

اِخْفِضِ ٱلصَّوْتَ إِنْ نَطَقْتَ بِلَيْلٍ وَٱلْتَفِتْ بِٱلنَّهارِ قَبْلَ ٱلْمَقالِ
لَيْسَ لِلْقَوْلِ رَجْعَةٌ حِينَ يَبْدُو بِقَبِيحٍ يَكُونُ أَوْ بِجَمالِ

ولا شكَّ أنَّ مَنِ اختلطَ بالناسِ ، وشاركَهُمْ في أعمالِهِمْ . . لمْ ينفكَّ مِنْ حاسدٍ وعدوٍّ يسيءُ الظنَّ بهِ ، ويتوهَّمُ أنَّهُ يستعدُّ لمعاداتِهِ ، ولنصبِ المكيدةِ عليهِ ، ولتدسيسِ غائلةٍ وراءَهُ ، فالناسُ مهما اشتدَّ حرصُهُمْ علىٰ أمرٍ . . يحسبونَ كلَّ صيحةٍ عليهِمْ ، هُمُ العدوُّ فاحذرْهُمْ .

وقدِ اشتدَّ حرصُهُمْ على الدنيا ، فلا يظنُّونَ بغيرِهِمْ إلا الحرصَ عليها ، قالَ المتنبِّي(٢) : [من الطويل]

إِذا ساءَ فِعْلُ ٱلْمَرْءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَّقَ مَا يَعْتادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ
وَعادَىٰ مُحِبِّيهِ بِقَوْلِ عِداتِهِ فَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ ٱلشَّكِّ مُظْلِمِ

وقدْ قيلَ : (معاشرةُ الأشرارِ تورثُ سوءَ الظنِّ بالأبرارِ)(٣) .

---

(١) رواه الخطابي في « العزلة » (٦٥) ، وانظر « شرح نهج البلاغة » (١٠/ ٤٨) .
(٢) ديوانه بشرح العكبري (٤/ ١٣٥) ، وسياق المصنف عند الخطابي في « العزلة » (ص٤٠) .
(٣) حكاه الخطابي في « العزلة » (ص٤٠) .

وأنواعُ الشرِّ الذي يلقاهُ الإنسانُ مِنْ معارفِهِ ومَنْ يختلطُ بهِ كثيرةٌ ، ولسنا نطوِّلُ بتفصيلِها ، ففيما ذكرناهُ إشارةٌ إلىٰ مجامعِها ، وفي العزلةِ خلاصٌ عنْ جميعِها ، وإلىٰ هـٰذا أشار أكثرُ مَنِ اختارَ العزلةَ ، فقالَ أبو الدرداءِ : (اخْبُرْ تَقْلِهْ)(١) .

وقالَ الشاعرُ(٢) : [من السريع]

مَـنْ حَمِـدَ ٱلنَّـاسَ وَلَـمْ يَبْلُهُـمْ ثُـمَّ بَـلاهُـمْ ذَمَّ مَـنْ يَحْمَـدُ
وَصـارَ بِـٱلْـوَحْـدَةِ مُسْتَـأْنِسـاً يُـوحِشُـهُ ٱلأَقْـرَبُ وَٱلأَبْعَـدُ

وقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : (في العزلةِ راحةٌ مِنَ الخليطِ السوءِ)(٣) .

وقيلَ لعبدِ اللهِ ابنِ الزبيرِ : ألا تأتي المدينةَ ؟ فقالَ : ما بقيَ فيها إلا حاسدُ نعمةٍ ، أوْ فَرِحٌ بنقمةٍ(٤) .

وقال ابنُ السمَّاكِ : (كتبَ صاحبٌ لنا : أمَّا بعدُ : فإنَّ الناسَ كانوا دواءً يُتداوىٰ بهِ ، فصاروا داءً لا دواءَ لهُ ، ففرَّ منهُمْ فرارَكَ مِنَ الأسدِ)(٥) .

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٨٥) ، ورواه الخطابي في « العزلة » (٨٦) عنه يرفعه ، ومعناه : من خَبَر الناس وعرفهم . . أبغضهم وتركهم ، والهاء في (تقلِه) للسكت .

(٢) انظر « الموشىٰ » (ص ٢٢) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٦١٨) ، والخطابي في « العزلة » (١٣) .

(٤) القول لعبد الله بن عروة بن الزبير ، رواه عنه الخطابي في « العزلة » (٢٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٢٩٩) .

(٥) رواه الخطابي في « العزلة » (٣٥) وتمامه : (واتخذ الله تعالىٰ مؤنساً والسلام) .

وكانَ بعضُ الأعرابِ يلازمُ شجراً ويقولُ : هوَ نديمٌ فيهِ ثلاثُ خصالٍ : إنْ سمعَ منِّي. . لمْ ينمَّ عليَّ ، وإنْ تفلتُ في وجهِهِ. . احتملَ منِّي ، وإنْ عربدتُ عليهِ. . لمْ يغضبْ ، فسمعَ الرشيدُ ذلكَ فقالَ : زهَّدَني في الندماءِ(١) .

وكانَ بعضُهُمْ قد لزمَ الدفاترَ والمقابرَ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : لمْ أرَ أسلمَ مِنْ وحدةٍ ، ولا أوعظَ مِنْ قبرٍ ، ولا جليساً أمتعَ مِنْ دفترٍ(٢) .

وقالَ الحسنُ رضيَ اللهُ عنهُ : أردتُ الحجَّ ، فسمعَ ثابتٌ البنانيُّ ذلكَ ، وكانَ أيضاً مِنْ أولياءِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فقالَ : بلغَني أنَّكَ تريدُ الحجَّ ، فأحببتُ أنْ نصطحبَ ، فقالَ لهُ الحسنُ : ويحَكَ ، دعْنا نتعاشرُ بسترِ اللهِ علينا ، إنِّي أخافُ أنْ نصطحبَ فيرىٰ بعضُنا مِنْ بعضٍ ما نتماقتُ عليهِ(٣) .

وهـٰذهِ إشارةٌ إلىٰ فائدةٍ أخرىٰ في العزلةِ ، وهيَ **بقاءُ السترِ على الدينِ والمروءةِ والأخلاقِ ، والفقرِ وسائرِ العوراتِ** ، وقدْ مدحَ اللهُ سبحانَهُ المتسترِّينَ فقالَ : ﴿ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ .

وقالَ الشاعرُ(٤) : [من الطويل]

وَلا عارَ إِنْ زالَتْ عَنِ ٱلْحُرِّ نِعْمَةٌ   وَلَـٰكِنَّ عاراً أَنْ يَزُولَ ٱلتَّجَمُّلُ

---

(١) رواه الخطابي في « العزلة » (٤٤) .

(٢) حكاه الخطابي في « العزلة » (ص٢٧) .

(٣) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٢٠١) .

(٤) البيت لعلي بن الجهم في « ديوانه » (ص١٧٣) .

ولا يخلو الإنسانُ في دينِهِ ودنياهُ وأخلاقِهِ وأفعالِهِ عنْ عوراتٍ ، الأَولىٰ لهُ في الدينِ والدنيا سترُها ، ولا تبقى السلامةُ معَ انكشافِها .

وقالَ أبو الدرداءِ : (كانَ الناسُ ورقاً لا شوكَ فيهِ ، فالناسُ اليومَ شوكٌ لا ورقَ فيهِ)(١) ، وإذا كانَ هٰذا حكْمَ زمانِهِ وهوَ في أواخرِ القرنِ الأوَّلِ . . فلا ينبغي أنْ يُشكَّ في أنَّ الأخيرَ شرٌّ .

وقالَ سفيانُ بنُ عيينةَ : قالَ لي سفيانُ الثوريُّ في اليقظةِ في حياتِهِ ، وفي المنامِ بعدَ وفاتِهِ : (أقلِلْ مِن معرفةِ الناسِ ؛ فإنَّ التخلُّصَ منهُمْ شديدٌ ، ولا أحسبُ أنِّي رأيتُ ما أكرهُ إلا ممَّنْ عرفتُ)(٢) .

وقالَ بعضُهُمْ : جئتُ إلىٰ مالكِ بنِ دينارٍ وهوَ قاعدٌ وحدَهُ ، وإذا كلبٌ قدْ وضعَ حنكَهُ علىٰ ركبتِهِ ، فذهبتُ أطردُهُ ، فقالَ : دعْهُ يا هٰذا ؛ هٰذا لا يضرُّ ولا يؤذي ، وهوَ خيرٌ مِنَ الجليسِ السوءِ(٣) .

وقيلَ لبعضِهِمْ : ما حملَكَ علىٰ أنْ تعتزلَ الناسَ ؟ قالَ : خشيتُ أنْ أسلبَ ديني ولا أشعرُ(٤) .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « مداراة الناس » (١٣) .

(٢) قول الثوري في اليقظة رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٨٩) عن خلف بن تميم ، وفي المنام (٦/ ٣٨٣) بنحوه .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٨٤) .

(٤) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٦) من زوائد نعيم بن حماد ، والقول لشرحبيل بن السمط .

وهـٰذهِ إشارةٌ إلىٰ مسارقةِ الطبعِ مِنْ أخلاقِ القرينِ السوءِ .

وقالَ أبو الدرداءِ : (اتقوا اللهَ واحذروا الناسَ ؛ فإنَّهُمْ ما ركبوا ظهرَ بعيرٍ إلا أدبروهُ ، ولا ظهرَ جوادٍ إلا عقروهُ ، ولا قلبَ مؤمنٍ إلا خرَّبوهُ)⁽¹⁾ .

وقالَ بعضُهُمْ : (أقللْ مِنَ المعارفِ ؛ فإنَّهُ أسلمُ لدينِكَ وقلبِكَ ، وأخفُّ لسقوطِ الحقوقِ عنكَ)⁽²⁾ ؛ لأنَّهُ كلَّما كثُرَتِ المعارفُ . . كثُرَتِ الحقوقُ وعسرَ القيامُ بالجميعِ .

وقالَ بعضُهُمْ : (أنكرْ مَنْ تعرفُ ، ولا تتعرَّفْ إلىٰ مَنْ لا تعرفُ)⁽³⁾ .

* * *

الفائدةُ الخامسةُ : أنْ ينقطعَ طمعُ الناسِ عنكَ ، وينقطعَ طمعُكَ عنِ الناسِ :

فأمَّا انقطاعُ طمعِ الناسِ . . ففيهِ كلُّ الجدوىٰ ؛ فإنَّ رضا الناسِ غايةٌ لا تدركُ ، فاشتغالُ المرءِ بإصلاحِ نفسِهِ أولىٰ .

ومِنْ أهونِ الحقوقِ وأيسرِها حضورُ الجنائزِ ، وعيادةُ المريضِ ، وحضورُ الولائمِ والإملاكاتِ ، وفيها تضييعُ الأوقاتِ ، والتعرُّضُ للآفاتِ .

ثمَّ قدْ تعوِّقُ عنْ بعضِها العوائقُ ، وتُستقبلُ فيها المعاذيرُ ، ولا يمكنُ

---

(١) أدبروه : أحفوه أو نقبوه .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢١٣) .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢١٤) .

إظهارُ كلِّ الأعذارِ ، فيقولونَ لهُ : قمتَ بحقِّ فلانٍ وقصَّرْتَ في حقِّنا ، ويصيرُ ذلكَ سببَ عداوةٍ ، فقدْ قيلَ : مَنْ لمْ يعدْ مريضاً في وقتِ العيادةِ . . اشتهىٰ موتَه خيفةً مِنْ تخجيلِهِ ـ إذا صحَّ ـ علىٰ تقصيرِهِ .

ومَنْ عمَّمَ الناسَ كلَّهُمْ بالحرمانِ . . رضُوا عنهُ كلُّهُمْ ، ولوْ خصَّصَ . . استوحشوا ، وتعميمُهُمْ بجميعِ الحقوقِ لا يقدرُ عليهِ المتجرِّدُ لهُ طولَ الليلِ والنهارِ ، فكيفَ مَنْ لهُ مهمٌّ يشغلُهُ في دينٍ أوْ دنيا ؟!

قالَ عمرُو بنُ العاصِ : (كثرةُ الأصدقاءِ كثرةُ الغرماءِ) .

وقالَ ابنُ الروميِّ⁽¹⁾ :　　[من الوافر]

عَـدُوُّكَ مِـنْ صَـدِيقِـكَ مُسْتَفَـادٌ　　فَـلا تَسْتَكْثِـرَنَّ مِـنَ ٱلصِّحَـابِ
فَـإِنَّ ٱلـدَّاءَ أَكْثَـرُ مـا تَـراهُ　　يَكُـونُ مِـنَ ٱلطَّعـامِ أَوِ ٱلشَّـرابِ

وقالَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (أصلُ كلِّ عداوةٍ اصطناعُ المعروفِ إلى اللئامِ)⁽²⁾ .

وأمَّا انقطاعُ طمعِكَ عنهُمْ . . فهوَ أيضاً فائدةٌ جزيلةٌ ، فإنَّ مَنْ نظرَ إلىٰ زهرةِ الدنيا وزينتِها . . تحرَّكَ حرصُهُ ، وانبعثَ بقوَّةِ الحرصِ طمعُهُ ، ولا يرىٰ إلا الخيبةَ في أكثرِ الأطماعِ ، فيتأذَّىٰ بهِ ، ومهما اعتزلَ . . لمْ

---

(1) ديوانه (١/ ٢٣١) .

(2) رواه الخطابي في « العزلة » (ص٩٤) بنحوه ، وبلفظه رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٩٠) ولكن عن سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ .

يشاهدْ ، وإذا لمْ يشاهدْ . . لمْ يشتهِ ولمْ يطمعْ ، ولذلكَ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ .

وقال صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « انظروا إلىٰ مَنْ هوَ دونكُمْ ، ولا تنظروا إلىٰ مَنْ هوَ فوقَكُمْ ؛ فإنَّهُ أجدرُ ألا تزدروا نعمةَ اللهِ عليكُمْ »(١) .

وقالَ عونُ بنُ عبدِ اللهِ : (كنتُ أجالسُ الأغنياءَ ، فلمْ أزلْ مغموماً ، كنتُ أرىٰ ثوباً أحسنَ مِنْ ثوبي ، ودابَّةً أفرهَ مِنْ دابَّتِي ، فجالستُ الفقراءَ فاسترحتُ)(٢) .

وحُكِيَ أنَّ المزنيَّ رحمَهُ اللهُ خرجَ مِنْ بابِ جامعِ الفسطاطِ وقدْ أقبلَ ابنُ عبدِ الحكمِ في موكبِهِ ، فبهرَهُ ما رأىٰ مِنْ حالِهِ وحسنِ هيئتِهِ ، فتلا قولَهُ تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ ، ثمَّ قالَ : بلىٰ أصبرُ وأرضىٰ ، وكانَ فقيراً مقلّاً(٣) .

فالذي هوَ في بيتِهِ لا يُبتلىٰ بمثلِ هـٰذهِ الفتنِ ؛ فإنَّ مَنْ شاهدَ زينةَ الدنيا . . فإمَّا أنْ يقوىٰ دينُهُ ويقينُهُ فيصبرَ ، فيحتاجَ إلىٰ أنْ يتجرَّعَ مرارةَ الصبرِ ، وهُوَ أمرُّ مِنَ الصَّبِرِ ، أوْ تنبعثَ رغبتُهُ ، فيحتالَ في طلبِ الدنيا ، فيهلَكَ هلاكاً مؤبَّداً ، أمَّا في الدنيا . . فبالطمعِ الذي يخيبُ في أكثرِ الأوقاتِ ، فليسَ كلُّ

---

(١) رواه مسلم (٢٩٦٣) .

(٢) رواه الخطابي في « العزلة » (ص٣٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٢٤٣) .

(٣) رواه الخطابي في « العزلة » (ص٣٥) .

مَنْ يطلبُ الدنيا تتيسَّرُ لهُ ، وأمَّا في الآخرةِ . . فبإيثارِهِ متاعَ الدنيا علىٰ ذكرِ اللهِ تعالىٰ والتقرُّبِ إليهِ .

ولذلكَ قالَ ابنُ الأعرابيِّ(١) : [من الطويل]

إِذا كانَ بابُ ٱلذُّلِّ مِنْ جانِبِ ٱلْغِنَىٰ سَمَوْتُ إِلَى ٱلْعَلْيَاءِ مِنْ جَانِبِ ٱلْفَقْرِ

أشارَ إلىٰ أنَّ الطمعَ يوجبُ في الحالِ ذلاًّ .

* * *

الفائدةُ السادسةُ : الخلاصُ مِنْ مشاهدةِ الثقلاءِ والحمقىٰ ومقاساةِ حمقِهِمْ وأخلاقِهِمْ :

فإنَّ رؤيةَ الثقيلِ هيَ العمى الأصغرُ .

قيلَ للأعمشِ : ممَّ عمشتْ عيناكَ ؟ قالَ : مِنَ النظرِ إلى الثقلاءِ(٢) .

ويُحكىٰ أنَّهُ دخلَ عليهِ أبو حنيفةَ ، فقالَ لهُ : في الخبرِ أنَّ مَنْ سلبَ اللهُ كريمتيهِ . . عوَّضَهُ اللهُ عنهما ما هوَ خيرٌ منهما(٣) ، فما الذي عوَّضكَ ؟ فقالَ في معرضِ المطايبةِ : عوَّضَني عنهما أنَّهُ كفاني رؤيةَ الثقلاءِ وأنتَ منهُمْ(٤) .

---

(١) رواه له الخطابي في « العزلة » (ص٣٦) ، وانظر « شرح نهج البلاغة » (١٠/ ٥١) .

(٢) رواه الخطابي في « العزلة » (ص٤٢) .

(٣) فقد روى البخاري (٥٦٥٣) مرفوعاً : « إن الله قال : إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر . . عوضته منهما الجنة » ، يريد عينيه .

(٤) رواه ابن عدي في « الكامل » (٦/ ٣٢٥) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٢١٦٤) بنحوه ، وانظر « الإتحاف » (٦/ ٣٦١) .

وقالَ ابنُ سيرينَ : سمعتُ رجلاً يقولُ : (نظرتُ إلىٰ ثقيلٍ مرَّةً فغشيَ عليَّ)(١) .

وقالَ جالينوسُ : (لكلِّ شيءٍ حمىً ، وحمى الروحِ النظرُ إلى الثقلاءِ)(٢) .

وقالَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (ما جالستُ ثقيلاً إلا وجدتُ الجانبَ الذي يليهِ مِنْ بدني كأنَّهُ أثقلُ عليَّ مِنَ الجانبِ الآخرِ) .

وهٰذهِ الفوائدُ ما سوى الأوليينِ متعلقةٌ بالمقاصدِ الدنيويةِ الحاضرةِ ، ولكنَّها أيضاً تتعلَّقُ بالدينِ ، فإنَّ الإنسانَ مهما تأذَّىٰ برؤيةِ ثقيلٍ . . لمْ يأمنْ أنْ يغتابَهُ ، ويستنكرَ ما هوَ صنْعُ اللهِ ، فإذا تأذَّىٰ مِنْ غيرِه بغيبةٍ أوْ سوءِ ظنٍّ أوْ محاسدةٍ أوْ نميمةٍ أوْ غيرِ ذلكَ . . لمْ يصبرْ عنْ مكافأتِهِ ، وكلُّ ذلكَ يجرُّ إلىٰ فسادِ الدينِ ، وفي العزلةِ سلامةٌ عنْ جميعِ ذلكَ ، فليفهمْ .

* * *

---

(١) رواه الخطابي في « العزلة » (ص٤٣) .

(٢) حكاه الخطابي في « العزلة » (ص٤٣) عن الأعمش عن جالينوس .

آفات العزلة

اعلمْ : أنَّ مِنَ المقاصدِ الدينيةِ والدنيويةِ ما يُستفادُ مِن الاستعانةِ بالغيرِ ، ولا يحصلُ ذلكَ إلا بالمخالطةِ ، فكلُّ ما يُستفادُ مِنَ المخالطةِ يفوتُ بالعزلةِ ، وفواتُهُ مِنْ آفاتِ العزلةِ .

فانظرْ إلىٰ فوائدِ المخالطةِ ، والدواعي إليها ما هيَ ؟ وهيَ التعليمُ والتعلُّمُ ، والنفعُ والانتفاعُ ، والتأديبُ والتأدُّبُ ، والاستئناسُ والإيناسُ ، ونيلُ الثوابِ وإنالتُهُ في القيامِ بالحقوقِ ، واعتيادُ التواضعِ ، واستفادةُ التجاربِ مِنْ مشاهدةِ الأحوالِ والاعتبارِ بها .

فلنفصِّلْ ذلكَ ؛ فإنَّها مِنْ فوائدِ المخالطةِ ، وهيَ سبعٌ :

الفائدةُ الأولىٰ : التعليمُ والتعلُّمُ :

وقدْ ذكرنا فضلَهُما في كتابِ العلمِ ، وهما أعظمُ العباداتِ في الدنيا ، ولا يتصوَّرُ ذلك إلا بالمخالطةِ ، إلا أنَّ العلومَ كثيرةٌ ، وعنْ بعضِها مندوحةٌ ، وبعضُها ضروريٌّ في الدنيا .

فالمحتاجُ إلى التعلُّمِ لما هوَ فرضٌ عليهِ عاصٍ بالعزلةِ ، وإنْ تعلَّمَ الفرضَ وكانَ لا يتأتَّىٰ منهُ الخوضُ في العلومِ ، ورأى الاشتغالَ بالعبادةِ . . فليعتزلْ .

وإنْ كانَ يقدرُ على التبرُّزِ في علومِ الشرعِ والعقلِ . . فالعزلةُ في حقِّهِ قبلَ

التعلُّمِ غايةُ الخسرانِ ، ولهـٰذا قال النخعيُّ وغيرُهُ : (تفقَّهْ ثمَّ اعتزِلِ)[1] .

ومنِ اعتزلَ قبلَ التعلُّمِ . . فهوَ في الأكثرِ مضيِّعٌ أوقاتَهُ بنومٍ أوْ فكرٍ في هوسٍ ، وغايتُهُ أنْ يستغرقَ الأوقاتَ بأورادٍ يستوعبُها ، ولا ينفكُّ في أعمالِهِ بالبدنِ والقلبِ عنْ أنواعٍ مِنَ الغرورِ ، فيخيبُ سعيُهُ ، ويبطلُ عملُهُ بحيثُ لا يدري ، ولا ينفكُّ في اعتقادِهِ في اللهِ وصفاتِهِ عنْ أوهامٍ يتوهَّمُها ويأنسُ بها ، وعنْ خواطرَ فاسدةٍ تعتريهِ فيها ، فيكونُ في أكثرِ أحوالِهِ ضُحْكةً للشيطانِ ، وهوَ يرىٰ نفسَهُ مِنَ العبَّادِ !

فالعلمُ هوَ أصلُ الدينِ ، فلا خيرَ في عزلةِ العوامِّ والجهَّالِ ؛ أعني : مَنْ لا يحسنُ العبادةَ في الخلوةِ ، ولا يعرفُ جميعَ ما يلزمُهُ فيها .

فمثالُ النفسِ مثالُ مريضٍ يفتقرُ إلىٰ طبيبٍ متلطِّفٍ يعالجُهُ ، فالمريضُ الجاهلُ إذا خلا بنفسِهِ عنِ الطبيبِ قبلَ أنْ يتعلَّمَ الطبَّ . . تضاعفَ ـ لا محالةَ ـ مرضُهُ ، فلا تليقُ العزلةُ إلا بالعالمِ .

وأمَّا التعليمُ . . ففيهِ ثوابٌ عظيمٌ مهما صحَّتْ نيَّةُ المعلِّمِ والمتعلِّمِ ، ومهما كانَ القصدُ إقامةَ الجاهِ والاستكثارَ بالأصحابِ والأتباعِ . . فهوَ هلاكُ الدينِ ، وقدْ ذكرنا وجهَ ذلكَ في كتابِ العلمِ .

وحكْمُ العالمِ في هـٰذا الزمانِ ، أنْ يعتزلَ إنْ أرادَ سلامةَ دينهِ ؛ فإنَّهُ لا يرىٰ مستفيداً يطلبُ فائدةً لدينِهِ ، بلْ لا طالبَ إلا لكلامٍ مزخرفٍ يُستمالُ

---

[1] رواه الخطابي في « العزلة » (٤٢) .

بِهِ العوامُّ في معرضِ الوعظِ ، أو لجدالٍ معقَّدٍ يُتوصَّلُ بِهِ إلىٰ إفحامِ الأقرانِ ، ويُتقرَّبُ بِهِ إلى السلطانِ ، ويُستعملُ في معرضِ المنافسةِ والمباهاةِ .

وأقربُ علمٍ مرغوبٍ فيهِ المذهبُ(١) ، ولا يطلبُ غالباً إلا للتوصُّلِ إلى التقدُّمِ على الأمثالِ ، وتولِّي الولاياتِ ، واجتلابِ الأموالِ ، فهؤلاءِ كلُّهُمْ يقتضي الدينُ والحزمُ الاعتزالَ عنهُمْ .

فإنْ صُودفَ طالبٌ للهِ ، ومتقرِّبٌ بالعلمِ إلى اللهِ . . فأكبرُ الكبائرِ الاعتزالُ عنهُ ، وكتمانُ العلمِ منهُ ، وهـٰذا لا يُصادفُ في بلدةٍ كبيرةٍ أكثرُ مِنْ واحدٍ أوِ اثنينِ إنْ صُودفَ .

ولا ينبغي أنْ يغترَّ الإنسانُ بقولِ سفيانَ : (تعلَّمْنا العلمَ لغيرِ اللهِ ، فأبى العلمُ أنْ يكونَ إلا للهِ)(٢) ؛ فإنَّ الفقهاءَ يتعلَّمونَ لغيرِ اللهِ ثمَّ يرجعونَ إلى اللهِ ، وانظرْ إلىٰ أواخرِ أعمارِ الأكثرينَ منهُمْ واعتبرْهُمْ أنَّهُمْ ماتوا وهمْ هلكىٰ علىٰ طلبِ الدنيا ومتكالبونَ عليها ، أوْ راغبونَ عنها وزاهدونَ فيها ، وليسَ الخبرُ كالمعاينةِ .

واعلمْ : أنَّ العلمَ الذي أشارَ إليهِ سفيانُ هوَ علمُ الحديثِ وتفسيرُ القرآنِ ومعرفةُ سيرِ الأنبياءِ والصحابةِ ، فإنَّ فيها التخويفَ والتحذيرَ ، وهوَ سببٌ

---

(١) أي : المسائل المتعلقة بمذهبه . « إتحاف » (٦/ ٢٦٣) ، ولا يبعد أن يراد به هنا الفقه خصوصاً ؛ إذ قد أشار المصنف أنه كتب « الإحياء » علىٰ رسْمِهِ استمالةً للقلوب .

(٢) قد شرحها المصنف كذلك في « ميزان العمل » (ص ٣٤٣) .

لإثارةِ الخوفِ مِنَ اللهِ ، فإنْ لمْ يؤثِّرْ في الحالِ . . أثَّرَ في المآلِ .

فأمَّا الكلامُ والفقهُ المجرَّدُ الذي يتعلَّقُ بفتاوى المعاملاتِ وفصْلِ الخصوماتِ ؛ المذهبُ منهُ والخلافُ . . لا يردُّ الراغبَ فيهِ للدنيا إلى اللهِ تعالىٰ ، بلْ لا يزالُ متمادياً في حرصِهِ إلىٰ آخرِ عمرِهِ .

ولعلَّ ما أودعناهُ هـٰذا الكتابَ إنْ تعلَّمَهُ المتعلِّمُ رغبةً في الدنيا . . فيجوزُ أنْ يرخَّصَ فيهِ ؛ إذْ يُرجىٰ أنْ ينزجرَ بهِ في آخرِ عمرِهِ ؛ فإنَّهُ مشحونٌ بالتخويفِ باللهِ ، والترغيبِ في الآخرةِ ، والتحذيرِ مِنَ الدنيا ، وذلكَ ممَّا يُصادفُ في الأحاديثِ وتفسيرِ القرآنِ ، ولا يُصادفُ في كلامٍ ، ولا خلافٍ ، ولا في مذهبٍ ، فلا ينبغي أنْ يخادعَ الإنسانُ نفسَهُ ، فإنَّ المقصِّرَ العالمَ بتقصيرِهِ أسعدُ حالاً مِنَ الجاهلِ المغرورِ ، أوِ المتجاهلِ المغبونِ .

وكلُّ عالمٍ اشتدَّ حرصُهُ على التعليمِ يوشكُ أنْ يكونَ غرضُهُ القبولَ والجاهَ ، وحظُّهُ تلذُّذَ النفسِ في الحالِ ؛ باستشعارِ الإدلالِ على الجهَّالِ والتكبُّرِ عليهم ، فآفةُ العلمِ الخيلاءُ كما قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ⁽¹⁾ .

ولذلكَ حُكِيَ عنْ بشرٍ أنَّهُ دفنَ سبعةَ عشرَ قمطراً مِنْ كتبِ الأحاديثِ التي سمعَها ، وكانَ لا يحدِّثُ ، ويقولُ : (إنِّي أشتهي أنْ أحدِّثَ ، فلذلكَ

---

(١) المعروف ـ كما قال الحافظ العراقي ـ هو حديث : « آفة العلم النسيان وآفة الجمال الخيلاء » ، وهو قطعة من حديث رواه البيهقي في « الشعب » (٤٣٢٦) ، وانظر « الإتحاف » (٦/ ٣٦٤) .

لا أحدِّثُ ، ولوِ اشتهيتُ ألا أحدِّثَ . . لحدثْتُ)(١) .

ولذلكَ قالَ : (« حدَّثَنا » بابٌ مِنْ أبوابِ الدنيا ، وإذا قالَ الرجلُ : « حدَّثَنا » . . فإنَّما يقولُ : أوسعوا لي)(٢) .

وقالَتْ رابعةُ العدويَّةُ لسفيانَ الثوريِّ : نعمَ الرجلُ أنتَ لولا رغبتُكَ في الدنيا ، قالَ : وفي ماذا رغبتُ ؟ قالَتْ : في الحديثِ(٣) .

ولذلكَ قالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ : (مَنْ تزوَّجَ ، أوْ كتبَ الحديثَ ، أوِ اشتغلَ بالسفرِ . . فقدْ ركنَ إلى الدنيا)(٤) .

* * *

فهٰذهِ آفاتٌ قدْ نبهنا عليها في كتابِ العلمِ ، والحزْمُ الاحترازُ بالعزلةِ ، وتركُ الاستكثارِ مِنَ الأصحابِ ما أمكنَ ، بلِ الذي يطلبُ الدنيا بتدريسِهِ وتعليمِهِ . . فالصوابُ لهُ ـ إنْ كانَ عاقلاً ـ في مثلِ هٰذا الزمانِ أنْ يتركَهُ ، فلقدْ صدقَ أبو سليمانَ الخطابيُّ حيثُ قالَ : (دعِ الراغبينَ في صحبتِكَ والتعلُّمِ منكَ ، فليسَ لكَ منهُمْ مالٌ ولا جمالٌ ، إخوانُ العلانيةِ أعداءُ السرِّ ، إذا لقوكَ . . تملَّقوكَ ، وإذا غبْتَ عنهُمْ . . سلقوكَ ، مَنْ أتاكَ منهُمْ . . كانَ

---

(١) قوت القلوب (١/ ١٥٦) ، وبنحوه رواه عنه الخطيب في « شرف أصحاب الحديث » (٢٣٠) .

(٢) قوت القلوب (١/ ١٣٥) .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٥٧) .

(٤) قوت القلوب (١/ ١٣٥) .

عليكَ رقيباً ، وإذا خرجَ . . كانَ عليكَ خطيباً ، أهلُ نفاقٍ ونميمةٍ ، وغلٍّ وخديعةٍ، فلا تغترَّ باجتماعِهِمْ عليكَ، فما غرضُهُمْ العلمَ ، بلِ الجاهُ والمالُ، وأنْ يتخذوكَ سلَّماً إلىٰ أوطارِهِمْ وأغراضِهِمْ ، وحماراً في حاجاتِهِمْ .

إنْ قصَّرْتَ في غرضٍ مِنْ أغراضِهِمْ . . كانوا أشدَّ أعدائِكَ ، ثمَّ يعدُّونَ تردُّدَهُمْ إليكَ دالَّةً عليكَ ، ويرونَهُ حقّاً واجباً لديكَ ، ويفرضونَ عليكَ أنْ تبذلَ عرضَكَ وجاهَكَ ودينَكَ لهُمْ ، فتعاديَ عدوَّهُمْ ، وتنصرَ قريبَهُمْ وخادمَهُمْ ووليَّهُمْ ، وتنتهضَ لهُمْ سفيهاً وقدْ كنتَ فقيهاً ، وتكونَ لهُمْ تابعاً خسيساً بعدَ أنْ كنتَ متبوعاً رئيساً ، ولذلكَ قيلَ : اعتزالُ العامَّةِ مروءةٌ تامَّةٌ)(١) .

فهٰذا معنىٰ كلامِهِ وإنْ خالفَ بعضَ ألفاظِهِ ، وهوَ حقٌّ وصدْقٌ ، فإنَّكَ ترى المدرسينَ في رِقٍّ دائمٍ ، وتحتَ حقٍّ لازمٍ ، ومِنَّةٍ ثقيلةٍ ممَّنْ يتردَّدُ إليهِمْ ، فكأنَّهُ يُهدي تحفةً إليهِمْ ، فيرىٰ حقَّهُ واجباً عليهِمْ ، وربَّما لا يختلفُ إليهِ ما لمْ يتكفَّلْ برزقٍ لهُ على الإدرارِ ، ثمَّ المدرِّسُ المسكينُ قدْ يعجزُ عنِ القيامِ بذلكَ مِنْ مالِهِ ، فلا يزالُ يتردَّدُ إلىٰ أبوابِ السلاطينِ ، ويقاسي الذلَّ والشدائدَ مقاساةَ الذليلِ المهينِ ، حتَّىٰ يُكتبَ لهُ علىٰ بعضِ وجوهِ السحتِ مالٌ حرامٌ ، ثمَّ لا يزالُ العاملُ يسترقُّهُ ويستخدمُهُ ، ويمتهنُهُ ويستذلُّهُ إلىٰ أنْ يسلمَ إليهِ ما يقدرُهُ نعمةً مستأنفةً مِنْ عندِهِ عليهِ ، ثمَّ يبقىٰ في

---

(١) العزلة (ص٣٩) .

مقاساةِ القسمةِ علىٰ أصحابِهِ ؛ إنْ سوَّىٰ بينَهُمْ . . مقتَهُ المبرِّزونَ ، ونسبوهُ إلى الحمْقِ وقلَّةِ التمييزِ ، والقصورِ عنْ درْكِ مصارفاتِ الفضلِ ، والقيامِ في مقاديرِ الحقوقِ بالعدلِ ، وإنْ فاوتَ بينَهُمْ . . سلقَهُ السفهاءُ بألسنةٍ حدادٍ ، وثاروا عليهِ ثورانَ الأساودِ والآسادِ⁽¹⁾ ، فلا يزالُ في مقاساتِهِمْ في الدنيا ، وفي مظالمِ ما يأخذُهُ ويفرِّقُهُ في العقبىٰ .

والعجبُ أنَّهُ معَ هـٰذا البلاءِ كلِّهِ تمنِّيهِ نفسُهُ بالأباطيلِ ، وتدلِّيهِ بحبلِ الغرورِ ، وتقولُ لهُ : لا تفترْ عنْ صنيعِكَ ، فإنَّما أنتَ بما تفعلُهُ مريدٌ وجهَ اللهِ تعالىٰ ، ومذيعٌ شرْعَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وناشرٌ علمَ دينِ اللهِ ، وقائمٌ بكفايةِ طلابِ العلمِ مِنْ عبادِ اللهِ ، وأموالُ السلاطينِ لا مالكَ لها ، وهيَ مرصدةٌ للمصالحِ ، وأيُّ مصلحةٍ أكبرُ مِنْ تكثيرِ أهلِ العلمِ ؟! فبِهِمْ يظهرُ الدينُ ويتقوَّىٰ أهلُهُ ، ولوْ لمْ يكنْ ضُحْكةً للشيطانِ . . لعلمَ بأدنىٰ تأمُّلٍ أنَّ فسادَ الزمانِ لا سببَ لهُ إلا كثرةُ أمثالِ أولئكَ الفقهاءِ ، الذينَ يأكلونَ ما يجدونَ ، ولا يميِّزونَ بينَ الحلالِ والحرامِ ، فتلحظُهُمْ أعينُ الجهَّالِ ، ويستجرئونَ على المعاصي باستجرائِهِمْ ؛ اقتداءً بهِمْ ، واقتفاءً لآثارِهِمْ ، ولذلكَ قيلَ : ما فسدَتِ الرعيَّةُ إلا بفسادِ الملوكِ ، وما فسدَتِ الملوكُ إلا بفسادِ العلماءِ ، فنعوذُ باللهِ مِنَ الغرورِ والعمىٰ ؛ فإنَّهُ الداءُ الذي ليسَ لهُ دواءٌ .

* * *

---

(١) **الأساود** : جمع أسود ، الحية السوداء ، **والآساد** : جمع أسد .

الفائدةُ الثانيةُ : النفعُ والانتفاعُ :

أمَّا الانتفاعُ بالناسِ : فبالكسبِ والمعاملةِ ، وذلكَ لا يتأتَّىٰ إلا بالمخالطةِ ، والمحتاجُ إليهِ مضطرٌ إلىٰ تركِ العزلةِ ، فيقعُ في جهادٍ مِنَ المخالطةِ إنْ طلبَ موافقةَ الشرعِ فيهِ كما ذكرناهُ في كتابِ الكسبِ .

فإنْ كانَ معَهُ ما لوِ اكتفىٰ بهِ قانعاً لأقنعَهُ . . فالعزلةُ أفضلُ لهُ إذا انسدَّتْ طرقُ المكاسبِ في الأكثرِ إلا مِنَ المعاصي ، إلا أنْ يكونَ غرضُهُ الكسْبَ للصدقةِ ، فإذا اكتسبَ مِنْ وجهِهِ وتصدَّقَ . . فهوَ أفضلُ مِن العزلةِ ؛ للاشتغالِ بالنافلةِ ، وليسَ بأفضلَ مِنَ العزلةِ ؛ للاشتغالِ بالتحقُّقِ في معرفةِ اللهِ تعالىٰ ومعرفةِ علومِ الشرعِ ، ولا مِنَ الإقبالِ بكنهِ الهمَّةِ على اللهِ تعالىٰ ، والتجرُّدِ بهِ لذكرِ اللهِ ؛ أعني : مَنْ حصلَ لهُ أنْسٌ بمناجاةِ اللهِ عنْ كشفٍ وبصيرةٍ ، لا عنْ أوهامٍ وخيالاتٍ فاسدةٍ .

وأمَّا النفعُ : فهوَ أنْ ينفعَ الناسَ ؛ إمَّا بمالِهِ أوْ ببدنِهِ ، فيقومَ بحاجاتِهِمْ علىٰ سبيلِ الحسبةِ ، ففي النهوضِ بقضاءِ حوائجِ المسلمينَ ثوابٌ ، وذلكَ لا يُنالُ إلا بالمخالطةِ ، ومَنْ قدرَ عليها معَ القيامِ بحدودِ الشرعِ . . فهيَ أفضلُ لهُ مِنَ العزلةِ إنْ كانَ لا يشتغلُ في عزلتِهِ إلا بنوافلِ الصلواتِ والأعمالِ البدنيةِ ، وإنْ كانَ ممَّنِ انفتحَ لهُ طريقُ العملِ بالقلبِ ؛ بدوامِ ذكرٍ أوْ فكرٍ . . فذلكَ لا يُعدلُ بهِ غيرُهُ ألبتةَ .

* * *

الفائدةُ الثالثةُ : التأديبُ والتأدُّبُ :

ونعني بهِ[1] : الارتياضَ بمقاساةِ الناسِ ، والمجاهدةَ في تحمُّلِ أذاهُمْ ؛ كسراً للنفسِ ، وقهراً للشهواتِ ، وهيَ مِنَ الفوائدِ التي تُستفادُ بالمخالطةِ ، وهيَ أفضلُ مِنَ العزلةِ في حقِّ مَنْ لمْ تتهذَّبْ أخلاقُهُ ، ولمْ تذعنْ لحدودِ الشرعِ شهواتُهُ .

ولهـٰذا انتدبَ خدَّامُ الصوفيَّةِ في الرباطاتِ ، فيخالطونَ الناسَ بخدمتِهِمْ ، وأهلَ السوقِ للسؤالِ منهُمْ ؛ كسراً لرعونةِ النفسِ ، واستمداداً مِنْ بركةِ دعاءِ الصوفيَّةِ المنصرفينَ بهممِهِمْ إلى اللهِ سبحانَهُ .

وكانَ هـٰذا هوَ المبدأَ في الأعصارِ الخاليةِ ، والآنْ قدْ خالطَتْهُ الأغراضُ الفاسدةُ ، ومالَ ذلكَ عنِ القانونِ كما مالَتْ سائرُ شعائرِ الدينِ ، فصارَ يُطلبُ مِنَ التواضعِ بالخدمةِ التكثيرُ بالاستتباعِ ، والتذرُّعُ إلىٰ جمعِ المالِ ، والاستظهارُ بكثرةِ الأتباعِ ، فإنْ كانَتِ النيَّةُ هـٰذا . . فالعزلةُ خيرٌ منهُ ، ولو إلى القبرِ ، وإنْ كانَتِ النيَّةُ رياضةَ النفسِ . . فهيَ خيرٌ مِنَ العزلةِ في حقِّ المحتاجِ إلى الرياضةِ ، وذلكَ ممَّا يُحتاجُ إليهِ في بدايةِ الإرادةِ ، فبعدَ حصولِ الارتياضِ ينبغي أنْ يفهمَ أنَّ الدابّةَ لا يُطلبُ مِنْ رياضتِها عينُ رياضتِها ، بلِ المرادُ منها أنْ تُتخذَ مركباً يُقطعُ بهِ المراحلُ ، ويُطوىٰ علىٰ

---

[1] أي : بالتأدُّب ، وسيأتي الكلام على التأديب .

ظهرِهِ الطريقُ(١) ، والبَدَنُ مطيَّةٌ للقلبِ ، يركبُها ليسلكَ بها طريقَ الآخرةِ ، وفيها شهواتٌ إنْ لمْ يكسرْها . . جمحَتْ بهِ في الطريقِ ، فمَنِ اشتغلَ طولَ العمرِ بالرياضةِ . . كانَ كمَنْ اشتغلَ طولَ عمرِ الدابَّةِ برياضتِها ولمْ يركبْها ، فلا يستفيدُ منها إلا الخلاصَ في الحالِ مِنْ عضِّها ورفْسِها ورَمْحِها ، وهيَ - لعمري - فائدةٌ مقصودةٌ ، ولكنْ مثلُها حاصلٌ مِنَ البهيمةِ الميتةِ ، والدابَّةُ تُرادُ لفائدةٍ تحصلُ مِنْ حياتِها ، فكذلكَ الخلاصُ عنْ ألمِ الشهواتِ في الحالِ يحصلُ بالنومِ والموتِ ، فلا ينبغي أنْ يقنعَ بها ؛ كالراهبِ الذي قيلَ لهُ : يا راهبُ ؛ فقالَ : (ما أنا براهبٍ ، إنَّما أَنا كلبٌ عقورٌ ، حبستُ نفسي حتَّىٰ لا أعقرَ الناسَ) ، وهـٰذا حسنٌ بالإضافةِ إلىٰ مَنْ يعقرُ الناسَ ، ولكنْ لا ينبغي أنْ يقتصرَ عليهِ ، فإنَّ مَنْ قتلَ نفسَهُ أيضاً . . لمْ يعقرِ الناسَ ، بلْ ينبغي أنْ يتشوَّفَ إلى الغايةِ المقصودةِ بها ، ومنْ فهمَ ذلكَ واهتدىٰ إلى الطريقِ وقدرَ على السلوكِ . . استبان لهُ أنَّ العزلةَ أعونُ لهُ مِنَ المخالطةِ ، فالأفضلُ لمثلِ هـٰذا الشخصِ المخالطةُ أوَّلاً والعزلةُ آخراً .

وأمَّا التأديبُ : فإنَّما نعني بهِ أنْ يروِّضَ غيرَهُ ، وهوَ حالُ شيخِ الصوفيَّةِ معَهُمْ ، فإنَّهُ لا يقدرُ علىٰ تهذيبِهِمْ إلا بمخالطتِهِمْ ، وحالُهُ حالُ المعلِّمِ ، وحكمُهُ حكمُهُ ، ويتطرَّقُ إليهِ مِنْ دقائقِ الآفاتِ والرياءِ ما يتطرَّقُ إلىٰ نشرِ العلمِ ، إلا أنَّ مخايلَ طلبِ الدنيا مِنَ المريدينَ الطالبينَ للارتياضِ أبعدُ منها

---

(١) في (ب) : (يقطع بها المراحل ، ويطوىٰ علىٰ ظهرها الطريق) .

مِنْ طلبةِ العلمِ ، ولذلكَ يُرىٰ فيهِمْ قلةٌ ، وفي طلبةِ العلمِ كثرةٌ ، فينبغي أنْ يقيسَ ما تيسَّرَ لهُ مِنَ الخلوةِ بما تيسَّرَ لهُ مِنَ المخالطةِ وتهذيبِ القومِ ، وليقابلْ أحدَهُما بالآخرِ ، وليؤثرِ الأفضلَ ، وذلكَ يدركُ بدقيقِ الاجتهادِ ، ويختلفُ بالأحوالِ والأشخاصِ ، فلا يمكنُ الحكمُ عليهِ مطلقاً بنفيٍ ولا إثباتٍ .

* * *

الفائدةُ الرابعةُ : الاستئناسُ والإيناسُ :

وهوَ غرضُ مَنْ يحضرُ الولائمَ والدعواتِ ، ومواضعَ المعاشرةِ والأنسِ ، وهـٰذا يرجعُ إلىٰ حظِّ النفسِ في الحالِ ، وقدْ يكونُ ذلكَ علىٰ وجهٍ حرامٍ ؛ بمؤانسةِ مَنْ لا تجوزُ مؤانستُهُ ، أوْ علىٰ وجهٍ مباحٍ ، وقدْ يُستحبُّ ذلكَ لأمرِ الدينِ ، وذلكَ فيمَنْ يستأنسُ بمشاهدةِ أحوالِهِ وأقوالِهِ في الدينِ ؛ كالأنسِ بالمشايخِ الملازمينَ لسمْتِ التقوىٰ ، وقدْ يتعلَّقُ بحظِّ النفسِ ، ويُستحبُّ إذا كانَ الغرضُ منهُ ترويحَ القلبِ ؛ لتهييجِ دواعي النشاطِ في العبادةِ ، فإنَّ القلوبَ إذا أكرهَتْ . . عميَتْ ، ومهما كانَ في الوحدةِ وحشةٌ ، وفي المجالسةِ أنسٌ يروِّحُ القلبَ . . فهيَ أولىٰ ؛ إذِ الرفقُ في العبادةِ مِنْ حزْمِ العبادةِ .

ولذلكَ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ اللهَ لا يملُّ حتَّىٰ تملُّوا »(١) ،

---

(١) هو شطر حديث رواه البخاري (٤٣ ، ٦٤٦٥) ، ومسلم (٧٨٢) .

وهـٰذا أمرٌ لا يُستغنىٰ عنهُ ؛ فإنَّ النفسَ لا تألفُ الحقَّ على الدوامِ ما لمْ تُروَّحْ ، وفي تكليفِها الملازمةَ تنفيرٌ ، ومَنْ يشادَّ هـٰذا الدينَ . . يغلبْهُ ؛ فإنَّ الدينَ متينٌ ، والإيغالُ فيهِ برفْقٍ دأْبُ المستبصرينَ(١) .

ولذلكَ قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (لولا مخافةُ الوسواسِ . . لمْ أجالسِ الناسَ) ، وقالَ مرَّةً : (. . . لدخلتُ بلاداً لا أنيسَ بها ، وهلْ يفسدُ الناسَ إلا الناسُ)(٢) .

فلا يستغني المعتزلُ إذاً عنْ رفيقٍ يستأنسُ بمشاهدتِهِ ومحادثتِهِ في اليومِ والليلةِ ساعةً ، فليجتهدْ في طلبِ مَنْ لا يفسدُ عليهِ في ساعتِهِ تلكَ سائرَ ساعاتِهِ ، فقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « المرءُ علىٰ دينِ خليلِهِ ، فلينظرْ أحدُكُمْ مَنْ يخاللُ »(٣) .

وليحرِصْ أنْ يكونَ حديثُهُ عندَ اللقاءِ في أمورِ الدينِ ، وحكايةِ أحوالِ القلبِ ، وشكواهُ وقصورِهِ عنِ الثباتِ على الحقِّ ، والاهتداءِ إلى الرشدِ ، ففي ذلكَ متنفَّسٌ ومتروَّحٌ للنفسِ ، وفيهِ مجالٌ رحْبٌ لكلِّ مشغولٍ بإصلاحِ نفسِهِ ؛ فإنَّهُ لا تنقطعُ شكواهُ ولوْ عُمِّرَ أعماراً طويلةً ، والراضي عنْ نفسِهِ مغرورٌ قطعاً(٤) .

---

(١) إشارة إلىٰ ما رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٩٨) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «مداراة الناس» (١٢٦)، وهو بلفظيه عند صاحب «القوت» (٢/ ١٤٢).

(٣) رواه أبو داوود (٤٨٣٣) ، والترمذي (٢٢٧٨) .

(٤) ولا يذاكره في أمور الدنيا ، وأحوال فساد الخلق ، والشكوىٰ على الظالمين ، وما انتشر من فساد حال الرعية والعامة . « إتحاف » (٦/ ٣٦٩) .

فهـٰذا النوعُ مِنَ الاستئناسِ في بعضِ أوقاتِ النهارِ ربَّما يكونُ أفضلَ مِنَ العزلةِ في حقِّ بعضِ الأشخاصِ ، فليتفقدْ فيهِ أحوالَ القلبِ وأحوالَ الجليسِ أوَّلاً ، ثمَّ ليجالسْ .

* * *

الفائدةُ الخامسةُ : في نيلِ الثوابِ وإنالتهِ :

أمَّا النيلُ : فبحضورِ الجنائزِ ، وعيادةِ المرضىٰ ، وحضورِ العيدينِ ، وأمَّا حضورُ الجمعةِ . . فلا بدَّ منهُ ، وحضورُ الجماعةِ في سائرِ الصلواتِ أيضاً لا رخصةَ في تركِهِ إلا لخوفِ ضررٍ ظاهرٍ يقاومُ ما يفوتُ مِنْ فضيلةِ الجماعةِ ويزيدُ عليهِ ، **وذلكَ لا يتفقُ إلا نادراً** ، وكذلكَ في حضورِ الإملاكاتِ والدعواتِ ثوابٌ مِنْ حيثُ إنَّهُ إدخالُ سرورٍ علىٰ قلبِ مسلمٍ .

وأمَّا إنالتُهُ : فهوَ أنْ يفتحَ البابَ لتعودَهُ الناسُ ، أوْ يعزُّوهُ في المصائبِ ، أوْ يهنُّوهُ على النعمِ ، فإنَّهُمْ ينالونَ بهِ ثواباً ، وكذلكَ إذا كان مِنَ العلماءِ وأذنَ لهُمْ في الزيارةِ . . نالوا ثوابَ الزيارةِ ، وكانَ هوَ بالتمكينِ سبباً فيهِ .

فينبغي أنْ يزنَ ثوابَ هـٰذهِ المخالطاتِ بآفاتِها التي ذكرناها ، وعندَ ذلكَ قدْ ترجحُ العزلةُ وقدْ ترجحُ المخالطةُ ، فقدْ حُكِيَ عنْ جماعةٍ مِنَ السلفِ مثلِ مالكِ بنِ أنسٍ وغيرِهِ تركُ إجابةِ الدعواتِ وعيادةِ المرضىٰ وحضورِ الجنائزِ ، بلْ كانوا أحلاسَ بيوتِهِمْ⁽¹⁾ ، لا يخرجونَ إلا للجمعةِ وزيارةِ القبورِ ،

---

(١) **أحلاس** : جمع حِلْس ، وهو الحصير الذي يلي الأرض ؛ أي : كانوا ملازمين بيوتهم ، =

وبعضُهُمْ فارقَ الأمصارَ وانحازَ إلىٰ قُلَلِ الجبالِ ؛ تفرُّغاً للعبادةِ وفراراً مِنَ الشواغلِ .

* * *

الفائدةُ السادسةُ مِنَ المخالطةِ : التواضعُ :

فإنَّهُ مِنْ أفضلِ المقاماتِ ، ولا يُقدرُ عليهِ في الوحدةِ⁽¹⁾ ، وقدْ يكونُ الكِبْرُ سبباً في اختيارِ العزلةِ ، فقدْ رُوِيَ في الإسرائيلياتِ : أنَّ حكيماً مِنَ الحكماءِ صنَّفَ ثلاثَ مئةٍ وستينَ مصحفاً في الحكمةِ ، حتَّىٰ ظنَّ أنَّهُ قدْ نالَ عندَ اللهِ منزلةً ، فأوحى الله تعالىٰ إلىٰ نبيِّهِ : قلْ لفلانٍ : إنَّكَ قدْ ملأتَ الأرضَ نفاقاً ، وإنِّي لا أقبلُ مِنْ نفاقِكَ شيئاً ، قالَ : فتخلَّىٰ وانفرد في سرْبٍ تحتَ الأرضِ ، وقالَ : الآنَ قدْ بلغتُ رضا ربِّي ، فأوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ نبيِّه : قلْ لهُ : إنَّكَ لمْ تبلغْ رضايَ ، قالَ : فدخلَ الأسواقَ ، وخالطَ العامَّةَ وجالسَهُمْ ، وواكلَهُمْ وأكلَ الطعامَ بينَهُمْ ، ومشىٰ في الأسواقِ معَهُمْ ، فأوحى اللهُ تعالىٰ إلى نبيِّهِ : الآنَ قدْ بلغتَ رضايَ⁽²⁾ .

فكَمْ مِنْ معتزلٍ في بيتِهِ وباعثُهُ التكبُّرُ ، ومانعُهُ عنِ المحافلِ ألا يُوقَّرَ

= لا يتنقلون كما أن الأحلاس لا تنقل ، وفي هـٰذا إشارة إلىٰ كمال التواضع . « إتحاف » (٦/ ٣٦٩) .

(١) لأن التواضع تفاعل يقتضي الاثنينية . « إتحاف » (٦/ ٣٧٠) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٣٣) ، وتقدم مختصراً .

أوْ لا يُقدَّمَ ، أوْ يرى الترفُّعَ عنْ مخالطتِهِمْ أرفعَ لمحلِّهِ ، وأبقىٰ لطراوةِ ذكرِهِ بينَ الناسِ .

وقدْ يعتزلُ خيفةً مِنْ أنْ تظهرَ مقابحُهُ لوْ خالطَ ، فلا يُعتقدُ فيهِ الزهدُ والاشتغالُ بالعبادةِ ، فيتخذُ مِنَ البيتِ ستراً علىٰ مقابحِهِ ؛ إبقاءً على اعتقادِ الناسِ في زهدِهِ وتعبُّدِهِ مِنْ غيرِ استغراقِ وقتٍ في الخلوةِ بذكرٍ أوْ فكرٍ .

وعلامةُ هؤلاءِ : أنَّهُمْ يحبُّونَ أنْ يُزاروا ولا يحبُّونَ أنْ يزوروا ، ويفرحونَ بتقرُّبِ العوامِّ والسلاطينِ إليهِمْ ، واجتماعِهِمْ علىٰ بابِهِمْ وطريقِهِمْ ، وتقبيلِهِمْ أيديَهُمْ علىٰ سبيلِ التبرُّكِ ، ولوْ كانَ الاشتغالُ بنفسِهِ هوَ الذي يبغِّضُ إليهِ المخالطةَ وزيارةَ الناسِ . . لبغضَ إليهِ زيارتَهُمْ لهُ ؛ كما حكيناهُ عنِ الفضيلِ حيثُ قالَ : (وهلْ جئتَني إلا لأتزيَّنَ لكَ وتتزيَّنَ لي ؟!)[1] ، وعنْ حاتمٍ الأصمِّ أنَّهُ قالَ للأميرِ الذي زارَهُ : (حاجتي ألاَّ أراكَ ولا تراني) .

فمَنْ ليسَ مشغولاً معَ نفسِهِ بذكرِ اللهِ . . فاعتزالُهُ عنِ الناسِ سببُهُ شدَّةُ اشتغالِهِ بالناسِ ؛ لأنَّ قلبَهُ متجرِّدٌ للالتفاتِ إلىٰ نظرِهِمْ إليهِ بعينِ الوقارِ والاحترامِ .

والعزلةُ لهـٰذا السببِ جهلٌ مِنْ وجوهٍ :

أحدُها : أنَّ التواضعَ والمخالطةَ لا تنقُصُ مِنْ منصبِ مَنْ هوَ كبيرٌ بعلمِهِ أوْ دينِهِ ؛ إذْ كانَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ يحملُ التمرَ والملحَ في ثوبِهِ

---

[1] رواه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (٧٢) .

ويدِهِ ويقولُ[1] : [من الرجز]

لا يَنْقُصُ ٱلْكامِلَ مِنْ كَمالِهِ   ما جَرَّ مِنْ نَفْعٍ إِلَىٰ عِيالِهِ

وكانَ أبو هريرةَ وحذيفةُ وأُبيٌّ وابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُمْ يحملونَ حزمةَ الحطبِ وجِرابَ الدقيقِ علىٰ أكتافِهِمْ[2] .

وكانَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ وهو والي المدينةِ والحطبُ علىٰ رأسِهِ : طرِّقوا لأميرِكُمْ[3] .

وكانَ سيِّدُ المرسلينَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يشتري الشيءَ فيحملُهُ إلىٰ بيتِهِ بنفسِهِ ، فيقولُ لهُ صاحبُهُ : أعطني أحملْهُ ، فيقولُ : « صاحبُ الشيءِ أحقُّ بحملِهِ »[4] .

وكانَ الحسنُ بنُ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما يمرُّ بالسُّؤَّالِ وبينَ أيديهِمْ كِسَرٌ ، فيقولونَ : هلمَّ إلى الغداءِ يا بنَ رسولِ اللهِ ؛ فكانَ ينزلُ ويجلسُ على الطريقِ ويأكلُ معَهُمْ ، ثمَّ يركبُ ويقولُ : إنَّ اللهَ لا يحبُّ المستكبرينَ .

---

[1] ديوان سيدنا علي (ص ٢١٢) ، وهو أيضاً لمحمد بن كناسة . انظر « الأغاني » (١٣/ ٤٨٥١) .

[2] قوت القلوب (٢/ ٢٣٣) .

[3] الرسالة القشيرية (ص٢٦٩) .

[4] رواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٦١٦٢) ، والطبراني في « الأوسط » (٦٥٩٠) ، ومن سأله الحمل عنه هو سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه ، وكان قد اشترىٰ صلى الله عليه وسلم سراويل له يلبسه .

الوجهُ الثاني : أنَّ الذي شغلَ نفسَهُ بطلبِ رضا الناسِ عنهُ ، وتحسينِ اعتقادِهِمْ فيهِ . . مغرورٌ ؛ لأنَّهُ لوْ عرفَ اللهَ حقَّ المعرفةِ . . علمَ أنَّ الخلقَ لا يغنونَ عنهُ مِنَ اللهِ شيئاً ، وأنَّ ضررَهُ ونفعَهُ بيدِ اللهِ ، فلا نافعَ ولا ضارَّ سواهُ ، وأنَّ مَنْ طلبَ رضا الناسِ ومحبَّتَهُمْ بسخطِ اللهِ . . سخطَ اللهُ عليهِ وأسخطَ عليهِ الناسَ(١) ، بلْ رضا الناسِ غايةٌ لا تُدركُ ، فرضا اللهِ أولىٰ بالطلبِ ، ولذلكَ قالَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ ليونسَ بنِ عبدِ الأعلىٰ : واللهِ ؛ ما أقولُ لكَ إلا نصحاً ، إنَّهُ ليسَ إلى السلامةِ مِنَ الناسِ سبيلٌ ، فانظرْ ما يصلحُكَ فافعلْهُ(٢) .

ولذلكَ قيلَ(٣) : [من مخلع البسيط]

مَـنْ راقَـبَ ٱلنَّـاسَ مـاتَ غَمّـاً   وَفـازَ بِـٱللَّـذَّةِ ٱلْجَسُـورُ

ونظرَ سهلٌ إلىٰ واحدٍ مِنْ أصحابِهِ فقالَ : اعملْ كذا وكذا ـ لشيءٍ أمرَهُ بهِ ـ فقالَ : يا أستاذُ ؛ لا أقدرُ عليهِ لأجلِ الناسِ ، فالتفتَ إلىٰ أصحابِهِ وقالَ : (لا ينالُ عبدٌ حقيقةً مِنْ هـٰذا الأمرِ حتَّىٰ يكونَ بأحدِ وصفينِ : عبدٌ تسقطُ الناسُ مِنْ عينِهِ ، فلا يرىٰ في الدنيا إلا خالقَهُ ، وأنَّ أحداً لا يقدرُ علىٰ أنْ يضرَّهُ

---

(١) وهو معنىٰ حديث رواه الترمذي (٢٤١٤) عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « من التمس رضا الله بسخط الناس . . كفاه الله مؤنة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله . . وَكَلَهُ اللهُ إلى الناس » .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٣٣) .

(٣) البيت لسلم الخاسر في « ديوانه » (ص ١٠٤) ضمن « شعراء عباسيون » لغرونباوم .

ولا ينفعَهُ ، وعبدٌ سقطَتْ نفسُهُ عنْ قلبِهِ ، فلا يبالي بأيِّ حالٍ يرونَهُ)(١) .

وقالَ الشافعيُّ رحمهُ اللهُ : (ليسَ مِنْ أحدٍ إلا ولهُ محبٌّ ومبغضٌ ، فإذا كانَ هٰكذا . . فكنْ معَ أهلِ طاعةِ اللهِ)(٢) .

وقيلَ للحسنِ : يا أبا سعيدٍ ؛ إنَّ قوماً يحضرونَ مجلسَكَ ليسَ بغيتُهُمْ إلا تتبُّعَ سقطاتِ كلامِكَ ، وتعنُّتَكَ بالسؤالِ ! فتبسَّمَ وقالَ للقائلِ : هوِّنْ عليكَ ، فإنِّي حدثتُ نفسي بسكنى الجنانِ ومجاورةِ الرحمٰنِ فطمعَتْ ، وما حدثتُ نفسي بالسلامةِ مِنَ الناسِ ؛ لأنِّي قدْ علمتُ أنَّ خالقَهُمْ ورازقَهم ومحييَهُمْ ومميتَهُمْ لمْ يسلمْ منهُمْ(٣) .

وقالَ موسىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : يا ربِّ ؛ احبسْ عنِّي ألسنةَ الناسِ ، فقالَ : يا موسى ؛ هٰذا شيءٌ لمْ أصطفِهِ لنفسي ، فكيفَ أفعلُهُ بكَ ؟!(٤) .

وأوحى اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ إلىٰ عُزيرٍ : إنْ لمْ تطبْ نفساً بأنْ أجعلَكَ عِلكاً في أفواهِ الماضغينَ . . لمْ أكتبْكَ عندي مِنَ المتواضعينَ(٥) .

فإذاً ؛ مَنْ حبسَ نفسَهُ في البيتِ ليحسِّنَ اعتقاداتِ الناسِ وأقوالَهُمْ فيهِ . . فهوَ في عناءٍ حاضرٍ في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٣٤) .
(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ١١٧) .
(٣) قوت القلوب (٢/ ٢٣٤) وتمامه : (فكيف أحدث نفسي بالسلامة منهم ؟!) .
(٤) قوت القلوب (٢/ ٢٣٤) .
(٥) قوت القلوب (٢/ ٢٣٤) .

فإذاً ؛ لا تُستحبُّ العزلةُ إلا لمستغرقِ الأوقاتِ بربِّهِ ذكراً وفكراً ، وعبادةً وعلماً ؛ بحيثُ لوْ خالطَ الناسَ . . لضاعَتْ أوقاتُهُ ، وكثُرَتْ آفاتُهُ ، وتشوَّشَتْ عليهِ عباداتُهُ .

فهٰذهِ غوائلُ خفيةٌ في اختيارِ العزلةِ ، ينبغي أنْ تُتقىٰ ؛ فإنَّها مهلكاتٌ في صورِ منجياتٍ .

* * *

الفائدةُ السابعةُ : التجارِبُ :

فإنَّها تُستفادُ مِنْ مخالطةِ الخلقِ ومجاري أحوالِهِمْ ، والعقلُ الغريزيُّ ليسَ كافياً في تفهُّمِ مصالحِ الدينِ والدنيا ، وإنَّما تفيدُها التجربةُ والممارسةُ ، ولا خيرَ في عزلةِ مَنْ لمْ تحنِّكْهُ التجارِبُ ، فالصبيُّ إذا اعتزلَ . . بقيَ غُمراً جاهلاً ، بلْ ينبغي أنْ يشتغلَ بالتعلُّمِ ليحصلَ لهُ في مدَّةِ التعلُّمِ ما يحتاجُ إليهِ مِنَ التجاربِ ، ويكفيهِ ذلكَ ، ويحصِّلُ بقيةَ التجارِبِ بسماعِ الأحوالِ ، فلا يحتاجُ إلى المخالطةِ .

ومِنْ أهمِّ التجاربِ : أنْ يجرِّبَ نفسَهُ وأخلاقَهُ وصفاتِ باطنِهِ ، وذلكَ لا يقدرُ عليهِ في الخلوةِ ؛ فإنَّ كلَّ مجرَّبٍ في الخلاءِ يسيرٌ ، وكلَّ غضوبٍ أوْ حقودٍ أوْ حسودٍ إذا خلا بنفسِهِ . . لمْ يترشَّحْ منهُ خبثُهُ ، وهٰذهِ الصفاتُ مهلكاتٌ في أنفسِها ، يجبُ إماطتُها وقهرُها ، ولا يكفي تسكينُها بالتباعدِ عمَّا يحرِّكُها .

فمثالُ القلبِ المشحونِ بهٰذه الخبائثِ مثالُ دُمَّلٍ ممتلىءٍ بالصديدِ والمِدَّةِ(١) ، وقدْ لا يحسُّ صاحبُهُ بألمِهِ ما لمْ يتحرَّكْ أوْ يمسُّهُ غيرُهُ ، فإنْ لمْ يكنْ لهُ يدٌ تمسُّهُ ، أوْ عينٌ تبصرُ صورتَهُ ، ولمْ يكنْ معَهُ مَنْ يحرِّكُهُ . . ربَّما ظنَّ بنفسِهِ السلامةَ ، ولمْ يشعرْ بالدُّمَّلِ في نفسِهِ ، واعتقدَ فقدَهُ ، ولكنْ لوْ حرَّكَهُ محرِّكٌ ، أوْ أصابَهُ مِشرطُ حجَّامٍ . . انفجرَ منهُ الصديدُ وفارَ فورانَ الشيءِ المحتقنِ إذا حُبِسَ عنِ الاسترسالِ ؛ فكذلكَ القلبُ المشحونُ بالبخلِ والحقدِ والغضبِ والحسدِ وسائرِ الأخلاقِ الذميمةِ إنَّما تنفجرُ منهُ خبائثُهُ إذا حُرِّكَ .

وعنْ هٰذا كانَ السالكونَ لطريقِ الآخرةِ ، الطالبونَ لتزكيةِ القلوبِ يجرِّبونَ أنفسَهُمْ ، فمَنْ كانَ يستشعرُ في نفسِهِ كِبْراً . . سعىٰ في إماطتِهِ حتىٰ كانَ بعضُهُمْ يحملُ قِربةَ ماءٍ علىٰ ظهرِهِ بينَ الناسِ ، أوْ حزمةَ حطبٍ علىٰ رأسِهِ ويتردَّدُ في الأسواقِ ؛ ليجرِّبَ بهِ نفسَهُ ، فإنَّ غوائلَ النفسِ ومكايدَ الشيطانِ خفيَّةٌ ، قلَّ منْ يتفطَّنُ لها .

ولذلكَ حُكِيَ عَنْ بعضِهِمْ أنَّهُ قالَ : أعدتُ صلاةَ ثلاثينَ سنةً معَ أنِّي كنتُ أصلِّيها في الصفِّ الأوَّلِ ، ولكنْ تخلَّفْتُ يوماً لعذرٍ ، فما وجدتُ موضعاً في الصفِّ الأوَّلِ ، فوقفتُ في الصفِّ الثاني ، فوجدتُ نفسي تستشعرُ خجلةً منْ نظرِ الناسِ إليَّ ، وقدْ سُبقتُ إلى الصفِّ الأوَّلِ ، فعلمتُ أنَّ جميعَ صلواتي

---

(١) المِدَّة : ما يجتمع في الجرح من القيح .

كانَتْ مشوبةً بالرياءِ ، ممزوجةً بلذَّةِ نظرِ الناسِ إليَّ ورؤيتِهِمْ إيَّايَ في زمرةِ السابقينَ إلى الخيرِ .

فالمخالطةُ لها فائدةٌ ظاهرةٌ عظيمةٌ في استخراجِ الخبائثِ وإظهارِها ، ولذلكَ قيلَ : (السفرُ يُسْفِرُ عنِ الأخلاقِ) ؛ فإنَّهُ نوعٌ مِنَ المخالطةِ الدائمةِ .

وستأتي غوائلُ هٰذهِ المعاني ودقائقُها في ربعِ المهلكاتِ ، فإنَّ بالجهلِ بها يحبطُ العملُ الكثيرُ ، وبالعلمِ بها يزكو العملُ القليلُ ، ولولا ذلكَ . . لما فضلَ العلمُ على العملِ ؛ إذْ يستحيلُ أنْ يكونَ العلمُ بالصلاةِ ولا يُرادُ إلا للصلاةِ أفضلَ مِنَ الصلاةِ ؛ فإنَّا نعلمُ أنَّ ما يُرادُ لغيرِهِ فذلكَ الغيرُ أشرفُ منهُ ، وقدْ قضى الشرعُ بتفضيلِ العالمِ على العابدِ ، حتَّىٰ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « فضْلُ العالمِ على العابدِ كفضلي علىٰ أدْنىٰ رجلٍ مِنْ أصحابي »(١) ، **فمعنىٰ تفضيلِ العلمِ يرجعُ إلىٰ ثلاثةِ أوجهٍ** :

أحدُها : ما ذكرناهُ .

والثاني : عمومُ نفعِهِ ؛ إذْ تتعدَّىٰ فائدتُهُ ، والعملُ لا يتعدَّىٰ .

والثالثُ : أنْ يُرادَ بهِ العلمُ باللهِ وصفاتِهِ وأفعالِهِ ، فذلكَ أفضلُ مِنْ كلِّ عملٍ ، بلْ مقصودُ الأعمالِ صرْفُ القلوبِ عنِ الخلقِ إلى الخالقِ ؛ لتنبعثَ بعدَ الانصرافِ إليهِ لمعرفتِهِ ومحبَّتِهِ ، فالعملُ وعلمُ العملِ مرادانِ لهٰذا العلمِ .

وهٰذا العلمُ غايةُ المريدينَ ، والعملُ كالشرطِ لهُ ، وإليهِ الإشارةُ بقولِهِ

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٨٥) .

تعالىٰ : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ فالكلمُ الطيِّبُ : هوَ هـٰذا العلمُ ، والعملُ الصالحُ كالحمَّالِ الرافعِ لهُ إلىٰ مقصدِهِ ، فيكونُ المرفوعُ أفضلَ مِنَ الرافعِ .

وهـٰذا كلامٌ معترَضٌ لا يليقُ بهـٰذا الكلامِ ، فلنرجعْ إلى المقصودِ فنقولُ :

إذا عرفتَ فوائدَ العزلةِ وغوائلَها . . تحققتَ أنَّ الحكمَ عليها مطلقاً بالتفضيلِ نفياً وإثباتاً خطأٌ ، بلْ ينبغي أنْ يُنظرَ إلى الشخصِ وحالِهِ ، وإلى الخليطِ وحالِهِ ، وإلى الباعثِ علىٰ مخالطتِهِ وإلى الفائتِ بسببِ مخالطتِهِ مِنْ هـٰذهِ الفوائدِ المذكورةِ ، ويُقاسُ الفائتُ بالحاصلِ ، فعندَ ذلكَ يتبيَّنُ الحقُّ ، ويتضحُ الأفضلُ .

وكلامُ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ هوَ فصْلُ الخطابِ ؛ إذْ قالَ : (يا يونسُ ؛ الانقباضُ عنِ الناسِ مكسبةٌ للعداوةِ ، والانبساطُ إليهِمْ مجلبةٌ لقرناءِ السوءِ ، فكُنْ بينَ المنقبضِ والمنبسطِ)(١) .

فلذلكَ يجبُ الاعتدالُ في المخالطةِ والعزلةِ ، ويختلفُ ذلكَ بالأحوالِ ، وبملاحظةِ الفوائدِ والآفاتِ يتبيَّنُ الأفضلُ ، هـٰذا هوَ الحقُّ الصُّراحُ ، وكلُّ ما ذُكرَ سوىٰ هـٰذا فهوَ قاصرٌ ، وإنَّما هوَ إخبارُ كلِّ واحدٍ عنْ حالةٍ خاصَّةٍ هوَ فيها ، فلا يجوزُ أنْ يحكمَ بها علىٰ غيرِهِ المخالفِ لهُ في الحالِ .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ١٢٢) ، ويونس هو ابن عبد الأعلى الصدفي .

والفرقُ بينَ العالمِ والصوفيِّ في ظاهرِ العلمِ يرجعُ إلىٰ هـٰذا ؛ وهوَ أنَّ الصوفيَّ لا يتكلَّمُ إلا عنْ حالِهِ ، فلا جرمَ تختلفُ أجوبتُهُمْ في المسائلِ ، والعالمُ هوَ الذي يدركُ الحقَّ علىٰ ما هوَ عليهِ ، ولا ينظرُ إلىٰ حالِ نفسِهِ ، فيكشفُ الحقَّ فيهِ ، وذلكَ ممَّا لا يُختلفُ فيهِ ؛ فإنَّ الحقَّ واحدٌ أبداً ، والقاصرُ عنِ الحقِّ كثيرٌ لا ينحصرُ .

ولذلكَ سُئِلَ الصوفيَّةُ عنِ الفقرِ ، فما مِنْ واحدٍ إلا وأجابَ بجوابٍ غيرِ جوابِ الآخرِ ، وكلُّ ذلكَ حقٌّ بالإضافةِ إلىٰ حالِهِ ، وليسَ بحقٍّ في نفسِهِ ؛ إذِ الحقُّ لا يكونُ إلا واحداً .

ولذلكَ قالَ أبو عبدِ اللهِ الجلاءُ وقدْ سُئِلَ عنِ الفقرِ فقالَ : (اضربْ بكمَّيْكَ الحائطَ وقُلْ : ربِّيَ اللهُ ، فهوَ الفقرُ)(١) .

وقالَ الجنيدُ : (الفقيرُ : هوَ الذي لا يسألُ أحداً ولا يعارِضُ ، وإنْ عُورِضَ . . سكتَ)(٢) .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (الفقيرُ : الذي لا يسألُ ولا يدَّخرُ)(٣) .

وقالَ آخرُ : (هو ألا يكونَ لكَ ، فإذا كانَ لكَ . . فلا يكونُ لكَ ،

---

(١) أورده الطوسي في « اللمع » (ص ٧٤) ، وهو إشارة إلىٰ كمال التخلي عن الدنيا ، وصدق التوجه والالتجاء إلى الله تعالىٰ . « إتحاف » (٦/ ٣٧٥) .

(٢) أورده الطوسي في « اللمع » (ص ٧٥) .

(٣) أورده الطوسي في « اللمع » (ص ٧٥) ، وفيه : (لا يسأل ولا يرد ولا يحبس) .

ومِنْ حيثُ لمْ يكنْ لكَ . . لمْ يكنْ لكَ)(١) .

وقالَ إبراهيمُ الخوَّاصُ : (هوَ تركُ الشكوىٰ ، وإظهارُ أثرِ البلوىٰ)(٢) .

والمقصودُ : أنَّهُ لوْ سُئِلَ منهُمْ مئةٌ . . لسُمِعَ منهُمْ مئةُ جوابٍ مختلفةٌ ، قلَّما يتفقُ منها اثنانِ ، وذلكَ كلُّهُ حقٌّ مِنْ وجهٍ ؛ فإنَّهُ خبرُ كلِّ واحدٍ عنْ حالِهِ وما غلبَ علىٰ قلبِهِ ، ولذلكَ لا ترى اثنينِ منهُمْ يُثبتُ أحدُهُما لصاحبِهِ قدماً في التصوفِ أوْ يثني عليهِ ، بلْ كلُّ واحدٍ منهُمْ يدَّعي أنَّهُ الواصلُ إلى الحقِّ والواقفُ عليهِ ؛ لأنَّ أكثرَ تردُّدِهِمْ علىٰ مقتضى الأحوالِ التي تعرضُ لقلوبِهِمْ ، فلا يشتغلونَ إلا بأنفسِهِمْ ، ولا يلتفتونَ إلىٰ غيرِهِمْ .

ونورُ العلمِ إذا أشرقَ . . أحاطَ بالكلِّ ، وكشفَ الغطاءَ ، ورفعَ الاختلافَ .

ومثالُ نظرِ هؤلاءِ ما رأيتَ مِنْ نَظَرِ قومٍ في أدلَّةِ الزوالِ بالنظرِ في الظلِّ ، فقالَ بعضُهُمْ : هوَ في الصيفِ قدمانِ ، وحُكيَ عنْ آخرَ أنَّهُ نصفُ قدمٍ ، وآخرَ يردُّ عليهِ وأنَّهُ في الشتاءِ سبعةُ أقدامٍ ، وحُكِيَ عنْ آخرَ أنَّهُ خمسةُ أقدامٍ ، وآخرَ يردُّ عليهِ ، فهـٰذا يشبهُ أجوبةَ الصوفيةِ واختلافَهُمْ ؛ فإنَّ كلَّ واحدٍ مِنْ هؤلاءِ أخبرَ عنِ الظلِّ الذي رآهُ ببلدِ نفسِهِ ، فصدقَ في قولِهِ ، وأخطأَ في تخطئتِهِ صاحبَهُ ؛ إذْ ظنَّ أنَّ العالمَ كلَّهُ بلدُهُ ، أوْ هوَ مثلُ بلدِهِ ،

---

(١) أورده الطوسي في « اللمع » (ص ٧٥) ، وهو لابن الجلاء كذلك .

(٢) أورده الطوسي في « اللمع » (ص ٧٥) .

كما أنَّ الصوفيَّ لا يحكمُ على العالمِ إلا بما هوَ حالُ نفسِهِ .

والعالمُ بالزوالِ هوَ الذي يعرفُ علَّةَ طولِ الظلِّ وقِصَرِهِ ، وعلَّةَ اختلافِهِ بالبلادِ ، فيخبرُ بأحكامٍ مختلفةٍ في بلادٍ مختلفةٍ ، ويقولُ في بعضِها : لا يبقىٰ ظلٌّ ، وفي بعضِها : يطولُ ، وفي بعضِها : يقصُرُ ، فهـٰذا ما أردنا أنْ نذكرَهُ مِنْ فضيلةِ العزلةِ والمخالطةِ .

* * *

فإنْ قلتَ : فمَنْ آثرَ العزلةَ ورآها أفضلَ لهُ وأسلمَ . . فما آدابُهُ في العزلةِ ؟

فنقولُ : إنَّما يطولُ النظرُ في آدابِ المخالطةِ ، وقدْ ذكرناها في كتابِ آدابِ الصحبةِ .

وأمَّا آدابُ العزلةِ . . فلا تطولُ ، فينبغي للمعتزِلِ أنْ ينويَ بعزلتِهِ كفَّ شرِّ نفسِهِ عنِ الناسِ **أوَّلاً** ، ثمَّ طلبَ السلامةِ مِنْ شرِّ الأشرارِ **ثانياً**(١) ، ثمَّ الخلاصَ مِنْ آفةِ القصورِ عنِ القيامِ بحقوقِ المسلمينَ **ثالثاً** ، ثمَّ التجرُّدَ بكنْهِ الهمَّةِ لعبادةِ اللهِ **رابعاً** . **فهـٰذهِ آدابُ نيَّتِهِ** .

ثمَّ ليكنْ في خلوتِهِ مواظباً على العلمِ والعملِ ، والذكْرِ والفكْرِ ؛ ليجتنيَ

---

(١) وإنما قال المصنف : (من شر الأشرار) ، ولم يقل : (من شرهم) إشارة إلىٰ أنه ليس كل خليط شريراً ، فإذا لم يكن كذلك . . فلا يطلب السلامة منه ؛ لأنه لا شر عنده ، وهو احتراس حسن ، وإن كان يفهم من قولهم : (من شرهم) أي : من شر أشرارهم . « إتحاف » (٦/ ٣٧٧) .

ثمرةَ العزلةِ ، وليمنعَ الناسَ عنْ أنْ يكثروا غشيانَهُ وزيارتَهُ ، فيتشوَّشَ وقتُهُ ، وليكفَّ عنِ السؤالِ عنْ أخبارِهِمْ ، وعنِ الإصغاءِ إلىٰ أراجيفِ البلدِ ، وما الناسُ مشغولونَ بهِ ، فإنَّ كلَّ ذلكَ ينغرسُ في القلبِ حتَّىٰ ينبعثَ في أثناءِ الصلاةِ أوِ الفكرِ مِنْ حيثُ لا يحتسبُ ، فوقوعُ الأخبارِ في السمعِ كوقوعِ البذْرِ في الأرضِ ، فلا بدَّ أنْ ينبتَ وتتفرَّعَ عروقُها وأغصانُها ، ويتداعىٰ بعضُها إلىٰ بعضٍ ، وأحدُ مهمَّاتِ المعتزلِ قطعُ الوساوسِ الصارفةِ عنْ ذكرِ اللهِ ، والأخبارُ ينابيعُ الوساوسِ وأصولُها .

وليقنعْ باليسيرِ مِنَ المعيشةِ ، وإلا . . اضطرَّهُ التوسُّعُ إلى الناسِ ، واحتاجَ إلىٰ مخالطتِهِمْ .

وليكنْ صبوراً علىٰ ما يلقاهُ مِنْ أذى الجيرانِ ، وليسدَّ سمعَهُ عنِ الإصغاءِ إلىٰ ما يُقالُ فيهِ مِنْ ثناءٍ عليهِ بالعزلةِ ، أوْ قدْحٍ فيهِ بترْكِ الخلطةِ ؛ فإنَّ كلَّ ذلكَ يؤثِّرُ في القلبِ ولوْ مدَّةً يسيرةً ، وحالَ اشتغالِ القلبِ بهِ لا بدَّ أنْ يكونَ واقفاً عنْ سيرِهِ في طريقِ الآخرةِ ؛ فإنَّ السيرَ إمَّا **بالمواظبةِ** علىٰ وِرْدٍ وذكْرٍ معَ حضورِ قلبٍ ، وإمَّا **بالفكرِ** في جلالِ اللهِ وصفاتِهِ وأفعالِهِ وملكوتِ سماواتِهِ وأرضِهِ ، وإمَّا **بالتأمُّلِ** في دقائقِ الأعمالِ ومفسداتِ القلوبِ وطلبِ طرقِ التحصُّنِ منها ، وكلُّ ذلكَ يستدعي الفراغَ ، والإصغاءُ إلىٰ جميعِ ذلكَ ممَّا يشوِّشُ القلبَ في الحالِ ، وقدْ يتجدَّدُ ذكرُهُ في دوامِ الذكرِ مِنْ حيثُ لا ينتظرُ .

وليكنْ لهُ أهلٌ صالحةٌ أوْ جليسٌ صالحٌ لتستريحَ نفسُهُ إليهِ في اليومِ ساعةً

عنْ كدِّ المواظبةِ ، ففيهِ عونٌ علىٰ بقيَّةِ الساعاتِ .

ولا يتمُّ لهُ الصبرُ في العزلةِ إلا بقطْعِ الطمعِ عنِ الدنيا وما الناسُ منهمكونَ فيهِ ، ولا ينقطعُ طمعُهُ إلا بقصَرِ الأملِ ، بألا يقدِّرَ لنفسِهِ عمراً طويلاً ، بلْ يصبحُ علىٰ أنَّهُ لا يمسي ، ويمسي علىٰ أنَّهُ لا يصبحُ ، فيسهلُ عليهِ صبْرُ يومٍ ، ولا يسهلُ عليهِ العزمُ على الصبرِ عشرينَ سنةً لوْ قدَّرَ تراخي الأجلِ .

وليكنْ كثيرَ الذكرِ للموتِ ووحدةِ القبرِ مهما ضاقَ قلبُهُ مِنَ الوحدةِ ، وليتحقَّقْ أنَّ منْ لمْ يحصلْ في قلبِهِ مِنْ ذكرِ اللهِ ومعرفتِهِ ما يأنسُ بهِ . . فلا يطيقُ وحشةَ الوحدةِ بعدَ الموتِ ، وأنَّ مَن أنسَ بذكرِ اللهِ ومعرفتِهِ . . فلا يزيلُ الموتُ أنسَهُ ؛ إذ لا يهدمُ الموتُ محلَّ الأنسِ والمعرفةِ ، بلْ يبقىٰ حيّاً بمعرفتِهِ وأنسِهِ ، فرحاً بفضْلِ اللهِ عليهِ ورحمتِهِ ، كما قالَ اللهُ تعالىٰ في الشهداءِ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ ، وكلُّ متجرِّدٍ للهِ في جهادِ نفسِهِ فهوَ شهيدٌ مهما أدركَهُ الموتُ مقبلاً غيرَ مدبرٍ ، فالمجاهدُ مَن جاهدَ نفسَهُ وهواهُ ؛ كما صرَّحَ بهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ(١) ، والجهادُ الأكبرُ جهادُ النفسِ ،

---

(١) رواه الترمذي (١٦٢١) ، وابن حبان في « صحيحه » (٤٦٢٤) ، وأحمد في « المسند » (٦/ ٢٠) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ١١) ، والطبراني في « الكبير » (١٨/ ٣٠٩) .

كما قالَ الصحابةُ رضيَ اللهُ عنهُم : (رجعنا مِنَ الجهادِ الأصغرِ إلى الجهادِ الأكبرِ)(١) يعنونَ جهادَ النفسِ .

* * *

تمّ كتاب آداب العزلة

وهو الكتاب السّادس من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدّين

والحمد لله ربّ العالمين

والصّلاة والسّلام على رسوله محمّدٍ وآله الطّيّبين الطّاهرين وصحبه أجمعين

يتلوه كتاب آداب السّفر

---

(١) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٣٧٣) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (١٣/٤٩٨) ، وابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (ص١١٨) عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً ، ولفظه : « قدمتم خير مقدم ، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » ، قالوا : وما الجهاد الأكبر ؟ قال : « مجاهدة العبد هواه » .

İkinci Bab

UZLETİN FAYDA VE ZARARLARI

Bilmiş ol ki: Ayrı yaşamakta ve insanlar arasına katılmaktaki ihtilâf, evlenme ile bekâr kalmanın fazîletindeki ihtilâf gibidir. Biz, evlenmenin âfet ve faydaları mevzûunda, vaziyetin şahıslara göre değiştiğini anlatmıştık. Burada da hüküm aynıdır. Bunun için önce uzletin faydalarını anlatalım. Bu faydalar, dînî ve dünyevî olmak üzere ikiye ayrılır. Dinî faydaları da halk arasında yapılamayan tâat ve ibâdetle meşgul olmak, Allahu Teâlâ'nın kudret ve azametini düşünüp ilmini geliştirmek; riyâ, gıybet, mârufu emir ve münkeri nehyetmekten sarf-ı nazarla, halk arasına katılmakla düşeceği bâzı günâhlardan korunmak, insan tabiatının çaldığı kötü arkadaşların kötü îtiyadlarından korunmak gibi faydalardır.

Dünyevî faydalar ise sanatını tenhâda rahatça icrâ edebilmek, insanlar arasına katılmakla; dünyalığa meyletmek, insanların kendisine yönelmesi insanlardan ve insanların kendisinden bir şeyler istemesi, kapalı olan halinin açığa çıkması, çekememezlik, koğuculuk, riyâ ve sû-i zan gibi, ahlâksız arkadaşların kendisine eziyet vermesi ve onların diğer tabiatlarından eziyet görmesi gibi hallerden korunmaktır. İşte bunlar, insanlardan ayrı yaşamanın faydalarıdır. Bütün bu faydaları altı maddede îzah edelim:

Birinci Fayda

Birinci fayda: Huzûr içinde ibâdet, tefekkür, insanlardan ayrılıp Allah ile baş başa kalmak, yer ve gök, dünya ve âhiret hususunda esrâr-ı ilâhîyi araştırmakla uğraşmaktır. Bütün bu işler huzûr ister. İnsanlar arasına katılmakla bu huzûr sağlanmaz. Uzlet, bunları sağlamaya bir vesîledir. Bunun için bâzı hakîmler şöyle demişlerdir:

Yalnız kalmak, ancak Allahın kitâbına sarılmakla mümkündür. Allahu Teâlâ'nın kitâbına sarılmayanlar, Allah'ı zikretmekle dünya meşgalesinden kurtulmuşlardır. Allah'ı zikredenler, Allah ile beraberdir. Onlar Allah'ı anarak yaşar, Allah'ı anarak ölür, Allah'ı anarak Allah'a ulaşır. Şüphesiz, insanlar arasına karışmak, bu gibileri zikir ve fikirden alıkoyar. Bu gibiler hakkında uzlet, elbette daha evlâdır. Bunun için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), ilk zamanlarında insanlardan ayrılır ve Hira Mağarası'na gider ve orada uzlete çekilirdi. Bu sâyede Peygamberlik nuru kendisinde kuvvetlendi de insanlar arasına katılmak, onu Allah'tan men etmedi. O, bedeni ile insanlar arasında iken, kalbi ile Allah'a yönelmişti. Hatta insanlar, onun en çok sevdiği kimsenin Hz. Ebû Bekir olduğunu sanmışlardı. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), yalnız Allah'a bağlandığını ve kalbinde asıl O'nun sevgisi bulunduğunu bildirmek üzere:

لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلٰكِنَّ
صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللّٰهِ

"Eğer bir dost ve sevgili edinseydim, Ebû Bekir'i dost edinirdim. Fakat sizin arkadaşınız, Allahın halîli ve dostudur."[21] Dışta insan-

---

[21] Hadîs, yukarıda geçmiştir.

larla, içte Allah ile bulunmak, yalnız peygamberlere mahsûstur. Tekâmül etmemiş bâzı zayıf kimselerin buna tamah etmesi uygun olmaz. Bununla beraber bâzı velîlerin bu dereceye yükselmesi de akıldan uzak değildir. Nitekim **Cüneyd** şöyle demiştir: "Tam otuz senedir Allah huzurunda bulunup sinirlerimle O'na hitap eder olduğum halde, insanlar kendileri ile konuştuğumu sanırlar."

Bu, ancak başkasının araya girmesine imkân vermeyecek şekilde bütün varlığı ile Allah'a bağlananlara nasîb olur ki, inkârı kabil değildir. Meselâ, birisine ifrât derecede âşık olan kimse, insanlar arasına girdiği halde onların söylediklerinden haberi olmadığı gibi, kendi konuştuğundan da haberi olmaz. Çünkü o, aşkı ile meşguldür. Hattâ dünya hususunda bir sıkıntı ile karşılaşan kimse, o kadar dalgın olur ki, insanlar arasında bulunduğu halde etraftakilerden haberi bile olmaz, konuştuklarını dahi duymaz. Aklı başında olanlar için âhiret işleri daha mühimdir. Her ne olursa olsun, ekseriyet için uygun olan, yalnız kalmaktan istifâde etmektir. Bunun için hakîmin birisine:

– "Niçin uzlete çekilip yalnız kalıyorlar?" diye sorduklarında, Hakîm:

– "Yalnızlık sâyesinde devâmlı tefekkürde kalmayı, ilmin gönüllerinde birleşmesini isterler ki, bu sâyede temiz bir hayat yaşayıp mârifetin zevkine varmış olsunlar." demiştir. Hakîmin birisine:

– "Yalnızlığa nasıl tahammül edersin?" diye sorduklarında Hakîm:

– "Ben yalnız değilim, Allah ile beraberim. Allahu Teâlâ'nın benimle konuşmasını arzu ettiğim zaman, Kur'ân-ı Kerîm'i okurum. Ben, Allahu Teâlâ ile konuşmak istediğimde de namaz kılarım dedi."

Yine Hakîm'in birisine:

– "Bu târik-i dünyalık ve yalnızlık, sizi nereye kadar götürecek?" diye sorduklarında, Hakîm:

– "Allah'a ve Allah ile ünsiyete kadar." diye cevap vermiştir.

Sufyân b. Uyeyne şöyle demiştir:

İbrâhim b. Edhem ile Şam'da buluştum ve kendisine:

– "Horasan'ı niçin terk ettin?" diye sordum. İbrâhim:

– "Evet. Huzûru ancak burada buldum. Dağdan dağa koşar dururum. Beni gören de, bu ya vesveseli bir insan veyâ bir hamal veyâ bir rençberdir." der, diye cevap vermiştir.

Gazvân el-Rakkaşî'ye:

– "Haydi kabul edelim gülmüyorsun; ama dostlarınla oturmana mani olan nedir?" diye sorduklarında, Gazvân:

– "Ben huzûru, kendisine muhtaç olduğum zât ile (yâni Allahu Teâlâ ile) bulunmakta buldum." demiştir.

Hasan-ı Basrî'ye:

– "Ey Ebâ Said! Buraya bir adam gelip gider; dâima tek başına direk arkasında oturur ve kimse ile konuşmaz." dediler. Hasan:

– "Bir daha geldi mi bana haber verin." der. Adam yine gelip aynı yere oturduğunda, Hasan-ı Basrî'ye haber verirler. Hasan-ı Basrî, adama yaklaşarak:

– "Ey Allahın kulu! Bakıyorum uzleti seviyor ve insanlar arasına katılmak istemiyorsun." diye sorar. Adam:

– “Evet, bir iş beni insanlar arasına katılmaktan alıkoymuştur.” der. Hasan-ı Basrî:

– “(Kendisini kastederek) burada Hasan-ı Basrî adında birisi var, hiç olmazsa onunla düşüp kalksan.” der. Adam:

– “Onun yanına gitmeme de mâni olan bir engel vardır.” der. Hasan:

– “Allah sana rahmet etsin, o mâni nedir? Onu bize anlatır mısın?” der. Adam:

– “Her sabah ve akşam Allahu Teâlâ’nın sayısız nîmetlerine mazhar olmuşken, buna mukabil pek çok günâh ile karşı karşıya bulunmaktayım. İşte bu nîmetlerin şükrünü ödemek ve günâhlarımdan tövbe etmekle uğraşmayı, insanlar arasına katılmaktan daha mühim bulduğumdan, kimse ile ihtilât etmek istemiyorum.” der. Bunun üzerine Hasan-ı Basrî:

– “Ey Allahın kulu! Sen benim görüşümle **Hasan-ı Basrî**’den de daha fakîh ve anlayışlısın, bu haline devâm eyle.” der.

Üveys-i Karnî otururken Herm b. Hayyân yanına geldi. Üveys-i Karnî, yanına gelmesinin hikmetini kendisinden sorduğunda, Herm:

– “Seninle dostluk bağları kurmak için geldim.” der. Üveys-i Karnî:

– “Allahını bilen hiç bir kimsenin başkası ile dostluk ettiğini görmedim.” diye cevap verir.

Fudayl: “Akşam olunca Rabb’ım ile baş başa kalacağım diye sevinirim. Gün doğanca da, beni Rabb’ımdan alıkoyacaklar diye Allah’a sığınırım.” demiştir.

Abdullah b. Zeyd de şöyle demiştir:

"Hem dünya, hem de âhirette yaşayan kimseye ne saâdet." Âhirette nâsıl yaşadığı kendisinden sorulunca:

– "Dünya yaşayışında Allah'ı hatırından çıkarmadı ve dâima O'na yalvardı ve bu sâyede de âhirette O'nun rahmetine mazhar oldu." dedi.

Zunnûn-ı Mısrî de şöyle demiştir:

"Mü'minin neşe ve zevki, tenhâda kalıp Allah ile buluşmasındadır."

Mâlik b. Dînar: "İnsanlar ile düşüp kalkmaktan ziyâde Allah ile münâcattan zevk almayan kimsenin ilmi az, kalbi kör ve ömrü boşa gitmiştir." demiştir.

İbn Mübârek şöyle demiştir:

"İnsanlarla alâkasını kesip Allah'a yönelenlerin hali güzeldir."

Sâlihlerden biri şöyle demiştir: "Şam civârında dolaşırken, dağdan gelmiş bir âbid ile karşılaştım. Adam beni görünce, bir ağacın arkasına çekilerek saklanmak istedi. Ben ise kendi kendime: "Allah Allah, bu nasıl adam ki kendisine bakmama da cimrilik ediyor." dedim. Adam özür dilemek üzere:

– Ey insan! Ben dünyalıktan ve dünyadaki insanlardan alâkamı kesip bütün varlığımla Allah'a yönelebilmem için uzun yıllardır şu dağlarda mağara hayatı yaşamaktayım. Bu hususta birçok zahmetlere katlandım, hayatımı yıprattım. Artık geride kalan şu bir kaç günlük ömrümde de nefis mücâdelesi ile uğraşmaktan kurtulmam için Allah'a yalvardım. Allahu Teâlâ da kalbimi huzûra kavuşturdu ve yalnızlıktan ünsiyet ettirdi. Şimdi sana baktıkça yine eski halime düşeceğimden korktum. Ne olur benden uzaklaş;

ben senin şerrinden âlemlerin Rabbine ve ümitsizlerin habîbine sığınırım." dedi ve yüksek sesle:

– "Vay başıma şu dünyada uzun müddet beklemekten." diyerek yönünü benden çevirdi ve elinin ters tarafı ile işâret ederek:

– "Ey dünya! Benden uzak ol, git seni sevenlere karşı süslen ve onları aldatmaya bak." dedi. Sonra ilâve etti:

– "Âriflerin gönüllerini cennet ve güzel huylarına varıncaya kadar her şeyden ayırıp zevkli bir şey olmayacak şekilde bütün himmetlerini O'nu zikirde toplayan, gönüllerine kulluk ve ibâdetin zevkini yerleştiren Allahü Teâlâ'yı noksan sıfatlardan tenzîh ederim." dedi ve "Kuddûsun Kuddûsun" diyerek oradan ayrıldı."

Bütün bu rivâyetlerden; yalnızlıkta Allahu Teâlâ'yı zikretmekte ünsiyet ve yalnızlıkta Allah'ı daha çok mârifet olduğu anlaşılmaktadır. Nitekim bu hususta şöyle denmiştir:

وَإِنِّي لَأَسْتَغْشِي وَمَا بِي غَشْوَةٌ   لَعَلَّ خَيَالًا مِنْكَ يَلْقَى خَيَالِيَا
وَأَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الْجُلُوسِ لَعَلَّنِي   أُحَدِّثُ عَنْكَ النَّفْسَ بِالسِّرِّ خَالِيَا

"Ben uykum olmadığı halde uyur gibi yapıyorum;
belki bu sâyede hayallerimi gerçekleştiriyorum."

"Halkın arasından ayrılıyorum; belki bu sâyede
tenhâda seninle buluşma imkânı bulurum."[22]

Bunun için hakîmin biri şöyle demiştir: "İnsan, fazîlet ve olgunluktan mahrum olduğu zaman yalnızlıktan vahşet duyar ve insanlarla fazla düşüp kalkmak suretiyle dehşetten kurtulmaya çalışır. Fakat fazîletli insanlar, faydalı bilgi ve hikmetler meydana çıkarmak için düşünmeye yardımcı olan yalnızlığı ararlar."

---

[22] Şâir bu beytiyle; murakabeden mükâlemeye ve nihayet visal-i manevîye ulaşmayı kasdetmiştir.

Denildi ki: "İnsanlarla düşüp kalkmak, iflâs alâmetlerindendir."

Demek oluyor ki; yalnızlıkta büyük faydalar vardır. Fakat bu faydalar herkes için değil, bâzı kimseler içindir. Kim, devamlı zikir sâyesinde Allah ile ünsiyet kurabilir veya devamlı tefekkür sâyesinde Allah'ı mârifette gerçeklere ulaşabilirse insanlar arasına karışmakla alâkalı her şeyden ayrılmak, onun için daha makbuldür. Zîra ibâdetin gâyesi ve muamelâtın neticesi, insanın Allahu Teâlâ'yı bilerek ve O'nu severek ölmesidir. Muhabbet ancak zikrin devamından meydana gelen ünsiyet iledir; mârifet ise düşüncenin devâmı iledir.

Bütün bunlarda huzûr-ı kalp şarttır. İnsanlar arasında bulunduğu müddetçe kalp huzûru sağlanamaz.

İkinci Fayda

İkinci fayda: Uzlet sayesinde, ekseriya insanlar arasında bulunmaktan doğacak isyandan kurtulmaktır. Halk arasında bulunmakla insanın içine düşeceği belli başlı günâhlar vardır. Bunlar; gıybet ve nemîme ile riyâdır. Bir de emr-i bi'l-mâruf nehy-i ani'l-münker etmemektir.

Gıybet: Bunun kötülüğünü "Rub'u'l-Mühlikât"ın "**Âfât-i Lisân Kitâbı**"nda öğrenmiş ve insanlar arasında bulunmakla bundan kurtulmanın çok zor olduğunu ve bundan ancak sıddîkların korunabileceğini de anlatmıştık.

Zîra ekseriyâ insanların âdeti, dedi-kodu ile uğraşmaktır. İnsanlar bundan zevk alırlar ve dostları ile bu gibi dedi-kodular ile ünsiyet ederler. Şâyet aralarına girer ve bu gibi konuşmalarında onlara uyarsan günâhkâr olmakla beraber, Allahu Teâlâ'nın da hışmına uğrarsın. Şâyet sükût edersen yine onlara ortak olursun. Çünkü gıybeti dinleyen, gıybet edenlerin birisidir. Şâyet "Bu yaptığınız nedir?" diye inkâra kalkarsan, sana kızarlar ve gıybetini yaptıkları adamı bırakıp seni çekiştirmeye başlarlar. Bu sûretle gıybet üzerine gıybet etmiş olurlar. Hattâ daha da ileri giderek seninle alay ederler, kötü sözler söylemeye başlarlar.

Emr-i bi'l-mâruf ve nehy-i ani'l-münkere gelince: Bu bölümün sonunda anlatacağımız gibi bu, farzdır ve dînin esâsındandır. İnsanlar arasına giren kimsenin, bâzı kötülükleri görmemesine imkân yoktur. Sükût ederse Allah'a karşı isyân etmiş olur; düzeltmeye kalkarsa birçok kötülüklerle karşılaşır. Bâzen öyle olur ki, o kötülüklerden kurtulmak için daha büyük günâha girer (kaş yaparken göz çıkarmış olur). Hâlbuki yalnızlıkta bunlardan kurtuluş vardır. Emr-i bi'l-mâruf ve nehy-i ani'l-münkeri ihmâl etmek güç; hakkını vererek bu vazîfeyi ifa etmek ise çok zordur. **Hz. Ebû Bekir** (r.a.) bir hutbesinde:

"Ey insanlar! Siz,

يَآ أَيُّهَا الَّذٖينَ اٰمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا
اهْتَدَيْتُمْ

"Ey îman getiren kimseler, siz kendinize bakınız, siz doğru yolda bulundukça, yoldan çıkanların size ziyânı olmaz." (Mâide sûresi, 5/105) âyet-i celîlesini okuyorsunuz fakat onu yerine koymuyorsunuz; başka mânâda kullanıyorsunuz. Zîra ben Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den şöyle buyurduğunu işittim:

إِذَا رَأَى النَّاسُ الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللّٰهُ بِعِقَابٍ

"İnsanlar kötülüğü görüp önlemedikleri zaman, Allahu Teâlâ'nın, onların hepsini âzâba uğratmasından korkulur." dedi. Gerçi Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

إِنَّ اللّٰهَ لَيَسْأَلُ الْعَبْدَ حَتّٰى يَقُولَ لَهُ: مَا مَنَعَكَ إِذَا رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ أَنْ تُنْكِرَهُ؟ فَإِذَا لَقَّنَ اللّٰهُ لِعَبْدٍ حُجَّتَهُ قَالَ: يَا رَبِّ رَجَوْتُكَ وَخِفْتُ النَّاسَ

"Allahu Teâlâ (kıyâmet günü) *kuluna sorarak:*

– "Dünyada kötülüğü gördüğün zaman, neden önlemedin?" buyurur. Allahu Teâlâ kuluna, vereceği cevabı öğretince, kul:

– "İnsanlardan korktuğum ve senin de rahmetini umduğum için sükût ettim." der."[23] Fakat bu, dayak yiyeceği veyâ güç yetiremeyeceği bir vazıyet ile karşılaştığı zamandır. Bunun derecesini tâyin etmek zor olduğundan tehlikelidir. Ama yalnızlıkta bundan kurtuluş vardır. Aynı zamanda emr-i bi'l-mâruf ve nehy-i ani'l-münkerde kinleri tahrîk ederek husûmetleri harekete geçirmek gibi haller de vardır. Nitekim Şâir:

"Nice vaaz ve nasîhatler var ki, husûmet ve dedikoduları doğurur." demiştir.

Emr-i bi'l-mâruf ve nehy-i ani'l-münkeri tecrübe edenler, çok kere ona pişman olmuştur. O, eğri bir duvar gibidir; doğrultmak isterken üzerine yıkılmak tehlikesi vardır. Şâyet doğrultmaya çalışırken üzerine yıkılırsa, "Keşke hiç dokunmasaydım" dersin.

---

[23] İbn Mâce Saîd el-Hudrî'den ceyyid sened ile rivâyet etmiştir.

Evet, yardımcıları olsa da köşeyi tutsalar, kendisi de direklerle birlikte sağlamlaştırsa, olurdu. Fakat bugün bu gibi yardımcılar bulunmaz. Onun için onları bırak ve kendini kurtarmaya çalış.

Riyâ: Bu, tedâvisi çok zor olan bir hastalıktır. Ebdâl ve evtâd[24] bu hastalıktan kurtulamamıştır. İnsanlar arasına giren herkes onlarla müdârâ eder. Müdârâ eden ise riyâdan kurtulamaz. İnsanlara karşı riyâkârlık eden, onların yakalandıkları bu hastalığa yakalanarak helak olur. Bundan da en az nifak doğar. Çünkü birbirine düşman iki kişi ile buluştuğun zaman, ikisinin de görüşlerine uymayacak olursan, her ikisiyle de düşman olursun. Her ikisine de güler yüz gösterir ve dostça davranırsan, insanların en kötüsü olursun. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

تَجِدُونَ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ يَأْتِي هٰؤُلَاءِ بِوَجْهٍ
وَهٰؤُلَاءِ بِوَجْهٍ

"İnsanların en kötüsü olarak ikiyüzlü olanları bulursun. Zîra onlar birine başka diğerine de başka yüz ile giden iki yüzlü kimselerdir."[25] Yine bunun gibi insanlar arasına katılmakta en az onlara hevesli olduğunu göstermek ve bu hususta mübâlağa etmektir. Bu kimse yalandan kurtulamaz. Mutlaka ya aslında veyâ mübâlağa etmesinde yalan vardır. Yine bu gibi içinde olmadığı halde güyâ onun derdi ile alâkadar oluyormuş gibi bir tavır ta-

---

[24] Ebdâl, yukarıda anlatıldı. Evtâd, her asırda bulunan dört kimsedir. Bunlar artmaz ve eksilmezler. Şeyh-i Ekber şöyle demiştir: "Bunlardan bir tanesini Kudüs'de gördüm. Kına elemekle meşgul idi. Adı, İbn Ca'dûn idi. Bunlar, şark, garb, şimâl ve cenûbun muhafazasına memurdurlar. Bu ise şark muhafızı idi. Bunlar: Abdülhayy, Abdülmürîd ve Abdülkadir'dir.

[25] Buhârî ve Müslim Ebû Hüreyre'den...

kınarak: "Nasılsınız? Çoluk çocuk inşâallah âfiyettedlr." diye hal hatır sormak hali de vardır. Bu hareket sırf nifaktır.

Seriyyü's-Sakatî şöyle diyor: "Dostlarımdan birisi ziyâretime geliyor diye elimle sakalımı düzeltmeye çalışırsam, münâfıklar listesine kaydolmaktan korkarım." Fudayl, Mescid-i Haram'da tek başına otururken dostlarından birisi yanına geldi. Fudayl:

– "Niye geldin?" diye sordu. Dostu:

– "Ya Ebâ Ali! Seni sevdiğim için geldim." dedi. Fudayl:

– "Vallâhi bu yaptığın dostluktan ziyâde vahşeti ve ayrılığı gerekli kılan bir harekettir. Çünkü bu hareketin, senin bana ve benim sana karşı yaldızlı sözler söylememizi ve karşılıklı yalan konuşmamızı ve netîcede ya senin bırakıp gitmeni veyâ benim kalkıp gitmemi gerektirir ki, bir yakınlıktan ziyâde uzaklaşmaktır." dedi.

Ulemâdan birisi şöyle demiştir: "Allahu Teâlâ kimi severse, o kimsenin bunu bilmemesini de sever. Yâni insanlar arasında onu değersiz kalır. Ona kimse iltifat etmez ve bu sûretle ne söylediğinin farkında olmaz."

Tâvus, Emevî halîfelerinden Abdülmelik'in oğlu Hişâm'ın huzûruna çıktı ve:

– "Ey Hişâm! Nasılsın?" diye sorunca, Hişâm kızdı ve:

– "Neden bana ismimle çağırdın da "Ey Emîrü'l-mü'minîn" demedin?" dedi. Tâvus:

– "Çünkü bütün mü'minler senin emâretine ittifak etmemişlerdir. Yalancı olurum korkusu ile sana sevdiğin ünvânla hitap etmedim." dedi.

Kim bu şekilde kendini koruyamazsa, işte onun uzlete çekilmesi lâzımdır. Aksi halde münâfıklar listesine geçmesini kabul etmelidir. Eskiler, bu vartaya düşmemek için buluştukları zaman, "Nasılsın ve ne haldesin?" gibi sorulardan ve bu sorulara verilecek cevaplardan son derece sakınırlardı. Onlar, yekdiğerine dünyalıktan değil, dinî hususlarda suâl sorarlardı.

Hâtem-i Esam, Hamid e'l-Lefaf'a:

– "Nasılsın?" diye sorduğunda, Hamid:

– "Afiyet ve selâmetteyim." diye cevap verdi. Hâtem bu cevâbı hoş görmeyerek:

– "Ey Hamid! Selâmet, sırat köprüsünü geçtikten sonra; afiyet de cennete girdikten sonradır." dedi.

İsâ aleyhisselâma:

– "Nasıl sabahladın?" diye sorulduğunda:

– "Arzu ettiğimi hazırlamaya ve hoşlanmadığım şeyi uzaklaştırmaya muktedir olmadığım bir halde sabahladım. Bütün iyilikler başkasının elinde, benden yoksulu yoktur." diye cevap verdi:

Rebî b. Heysem'e; "Nasıl sabahladın?" diye sorulduğunda, "Zayıf ve günâhkâr olduğumuz halde sabahladık. Rızkımızı yiyor ve ecelimizi bekliyoruz." dedi.

Ebû'd-Derdâ'ya; "Nasıl sabahladın?" diye soruldukta, "Cehennemden kurtarırsam, hayır üzerine sabahladım." dedi.

Üveys-i Karnî'ye; "Nasıl sabahladın?" diye sorduklarında, "İnsan nasıl sabahlar? Akşamladığı vakit sabaha, sabahladığı vakit akşama gireceğini bilmez. İşte ben de bu haldeyim." dedi.

Mâlik b. Dînar'a da aynı suâl sorulduktan; "Ömrüm azaldığı ve günâhlarım çoğaldığı halde sabahladım." dedi.

Hükemâdan birisine nasıl sabahladığı sorulunca; "Ölümüm için hayatımı, Rabbım için ise nefsimi arzu ve tercîh ettiğim halde sabahladım." dedi. Yine Hakîmin birisine; "Nasıl sabahladın?" diye sordular. "Rabb'ımın nîmetini yer ve düşmanı olan şeytana itâat eder bir halde sabahladım." diye cevap verdi.

Muhammed b. Vâsık'a; "Nasıl sabahladın?" diye sorulduğunda, "Akşama kadar âfiyette bulunmayı arzu eder olduğum halde sabahladım." dedi. Âfiyette olup olmadığını soranlara da; "Âfiyet, hiç isyan etmeden geçirdiğim gündür." diye cevap verdi.

Ölüm döşeğinde yatan bir kişiye nasıl olduğunu sorduklarında; "Azıksız olarak yolculuğa çıkan, tek başına ıssız kabre giren, hiç bir güç ve kuvvete sâhip olmadan âdil Melik'in huzûruna çıkacak kimsenin hali nasıl olur?" diye cevap vermiştir.

Hasan b. Ebû Sinân'a; "Ne haldesin?" diye sorduklarında, "Öldükten sonra dirilip de hesaba çekilen adamın hali nasıl olur?" demiştir.

İbn Sîrîn bir adama:

– "Ne haldesin?" diye sorar. Adam:

– "Ailesi kalabalık olan, parası olmayan ve üstelik beş yüz dirhem borcu bulunan bir adamın hali nasıl olur?" diye cevap verir. Bunun üzerine İbn Sîrîn evine girer, bin dirhem alıp adama götürür ve:

– "Al, beş yüz dirhemi borcuna ve beş yüz dirhemi de çoluk çocuğuna harcarsın." der.

İbn Sîrîn'in bundan başka parası yoktu. Sonra da: "Vallahi artık kimsenin halini sormam." dedi. Böyle demesi, soracağı kimsenin derdi ile alâkadar olamayacağı korkusundan idi. Onlar, suâllerinde daha çok dînî cepheyi, kalbin hallerini, Allahu Teâlâ ile olan muâmelesini araştırırlardı. Dünyalıktan sordukları zaman ise mutlaka onunla alâkadar olmak ve muhtaç oldukları hususlarda yardım etmek için sorarlardı.

Bir zât şöyle demiştir: "Ben öyle adamlar tanırım ki, onlar pek buluşmazlardı. Bunlardan biri diğerinin bütün servetine el koysa, mal sâhibi aslâ müdâhale etmezdi. Şimdi öyle adamlar tanırım ki, sık sık buluşurlar, evindeki tavuğuna ve kedisine varıncaya kadar, iğneden ipliğe vaziyetini ve her halini sorarlar; fakat bir şey isteseler birbirine vermezler. Bu şekilde hal ve hatır sormak riyâ ve nifâktan başka bir şey değildir. Bunun alâmeti şudur: Bakarsınız, biri, "Nasılsın?" diğeri de "Ne haldesin?" diye sorar. Soranlar bu suâllerine bir cevap beklemediği gibi, soruların samimî olmayıp riyâkârane olduğunu her iki taraf da bilir. İşte bu, riyâ ve nifaktır. Hattâ bâzen gönüller kin ve çekememezlikle dolu olduğu halde, sırf yapmacık bir edâ ile dil ucuyla hal ve hatır sorarlar.

Hasan-ı Basrî şöyle demiştir: "Onlar, gönüller selâmet bulduğu vakit ve gönüllerin selâmeti için "Es-selâmü aleyküm ve rahmetullahi" derlerdi. Fakat şimdi "Ne halde sabahladın?", "Allah afiyet versin", "Ne haldesin, Allah yardımcın olsun" gibi sözler söylüyorlar. Eğer biz de aynen bunlar gibi yaparsak, bid'at işlemiş oluruz. Bu kerâmet sayılmaz. Bunun için biz böyle yapmayız. Onlar ister kızsın, ister kızmasınlar." Hasan-ı Basrî'nin böyle demesi; söze, "Ne halde sabahladın?" veyâ "Hayırlı sabahlar" demekle başlamak, bid'at olduğu içindir.

Adamın biri **Ebû Bekir b. İyâs**'a;[26] "Ne halde sabahladın?"

---

[26] Buhârî **"Sahih"**inde, bu adam ile ihticâc etmiştir. Sikadan bir zâttır, yüz yaşına yaklaştığı bir sırada 94 Hicrî târihinde vefât etmiştir.

deyince, Ebû Bekir buna cevap vermedi ve "Şu bid'atlerden vaz geçin." dedi. "Ne halde sabahladın?" sözü, ilk defa Şam'da Beyt-i Makdis'e yakın olan Amevas şehrinde meydana gelen tâun zamanında söylenmiştir.[27] Birbirini ve hastaları ziyarete gidenler: "Tâundan nasıl sabahladın?", akşam vakti gidince de "Tâundan nasıl akşamladın?" diye sorarlardı. Bu söz, bundan sonra yayıldı.

Maksat şudur: Ekseriyetle buluşmalar, riyâ ve nifak gibi yapmacık söz ve hareketlerden kurtulamaz. Hâlbuki bu hareketlerin hepsi mezmum, hattâ bâzıları mekruh ve bâzıları tehlikelidir. Yalnızlıkta bütün bunlardan kurtuluş vardır. Zîra halk arasına girip onların teâmülüne uymayanlar, istiskal edilir, hakkında dedi-kodu yapılır; gıybeti yapılır ve onlara eziyet edilirdi. Bu sebeple onlar günâhkâr olur, intikam almaya kalkışmakla sen de günâhkâr olursun.

Muhitteki söz, iş ve hareketleri insan tabîatının çalmasına gelince, bu da tehlikeli bir hastalıktır. Aklı basında fazîlet sâhibi insanlar bile bu hastalıktan kendilerini zor kurtarabilir. Nerede kaldı gafiller. Bundan dolayı insan, içinden hareketlerini benimsemediği halde kötü kimseler ile fazla düşüp kalkmamalıdır.

Eğer bu gibiler ile fazla düşüp kalkarsa, kendinde büyük değişiklik duyar. Önceden hoşuna gitmeyen bu çirkin hareketlere yavaş yavaş alışır ve artık onlara aldırış etmez olur. Zîra kendisini bu kötü şeylerden alıkoyan, onları kendisinin büyük bir suç sayması idi. Göre göre onları küçümser ve nihayet kalbinden de onlara kıymet vermemeye başlar. Hele büyük günâhları bol bol görünce, artık küçüklere ehemmiyet vermez olur. Bunun için, zenginler ile düşüp kalkan, kendi varlığını küçümser ve hiç mesâbesinde görür. Yoksullar ile düşüp kalkanlar da ellerindeki nîmetlerin kadrini bilir. İtaat edenler ile isyân edenlere bakmak da aynıdır. Bu, fıtrî bir tesîrdir. Ashâb-ı kirâm ve tâbiînin tâat ve ibâdetlerini düşünenler, kendi ibâdetlerini küçük görürler. Kendi ibâdetlerini küçümseyenler de, elbette onlara uymak için gayret eder, kendine çeki düzen vererek ibâdetini arttırmaya çalışır. Ama dünya adamlarına, onların Allah'tan yüz çevirip, isyana daldıklarına bakan kimse de, kendisinin iyilikleri içinde büyür ve kendisini beğenmeye başlar ve işte o zaman helak olur. Tabiatın değişmesinde iyilik ve kötülükleri sâdece dinleyip duymak da kâfidir. Nerede kaldı onları göz ile görmek. İşte şu inceliği bilmek sâyesinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in:

---

[27] Müslümanlar arasında ilk tâun hastalığı, Hz. Ömer zamanında bu bölgede vukua gelmiştir.

عِنْدَ ذِكْرِ الصَّالِحِينَ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ

"Sâlihler anıldığında rahmet iner." hadîsinin sırrı anlaşılmış olur. Rahmet, cennete girmek ve Allah'a kavuşmaktır. Şüphesiz sâlihler zikredildiği anda böyle bir rahmet inmez fakat bu rahmetin sebebi bulunur. Bu da gönülden onlara uyma ve onların izinden gitme arzusu ile kusurları yok etme sebeplerinin uyanmasıdır. Rahmetin sebebi, iyi işlerdir. İyiliklerin menşei de onlara heves etmektir. Onlara heves etmenin âmili de sâlihleri, iyi halleri ile anmak ve hatırlamaktır. İşte, *"Sâlihler anıldığı zaman, rahmet nâzil olur."* hadîsinin mânâsı budur.

Aklı başında olanlar için, bu sözden anlaşılan, mefhûm-ı muhalifinden anlaşılan mânâ gibidir. O da, iyiler anıldığı zaman rahmet indiği gibi, kötüler anıldığı zaman da lânet iner. Çünkü kötüleri ve kötülüklerini çokça anmak, insana kötülük yapmayı kolaylaştırır, bu da lâneti mûcib olur. Lânet demek, Allahın rahmetinden uzak kalmak demektir. Rahmetten uzak kalmanın başlangıcı isyana dalıp Allah'tan yüz çevirmek ve meşrû olmayan bir yolda dünyalık ve şehvet peşinde koşmaktır. İsyânın kaynağı da, onu küçümsemektir. Küçümsemenin sebebi çok dinlemek yüzünden onunla ünsiyet peydâ etmektir. İyileri ve kötüleri anmanın netîceleri bu olursa, ya onları görmek ve aralarında bulunmanın sonu ne olur? Bizzât Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bu hususta açıkça şöyle buyurmuştur:

مَثَلُ الْجَلِيسِ السُّوءِ كَمَثَلِ الْكِيرِ إِنْ لَمْ يَحْرِقْكَ بِشَرَرِهِ
عَلِقَ بِكَ مِنْ رِيحِهِ

"Kötü arkadaş, demircilerin körükleri gibidir. Şayet üflediği ateş kıvılcımları seni yakmazsa, kokusu sana bulaşır."[28] O pis koku farkında olmayarak elbiseye sindiği gibi, kötülük de farkında olmayarak kolaylıkla insanın kalbine girer. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ مَثَلُ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِنْ لَمْ يَهَبْ
لَكَ مِنْهُ تَجِدْ رِيحَهُ

"İyi arkadaş, güzel koku satan gibidir. Sana koku sürmezse de, yanında bulunduğun müddetçe güzel kokusundan faydalanırsın."[29] Bunun için derim ki: Âlimin sürçmesini görenler iki sebepten dolayı onu kimseye söylememelidirler. Sebebin biri, gıybettir. İkincisi ve daha mühimi de, âlimin sürçmesini söyleyip herkes tarafından duyulunca, o kusurun ehemmiyeti kaybolur;

---

[28] Buhârî ile Müslim, Ebû Mûsâ'dan rivâyet etmişlerdir.

[29] Buhârî ile Müslim, Ebû Hüreyre'den rivâyet etmişlerdir.

artık onu herkes küçümsemeye başlar. Aynı kusur başka bir kimsede görülüp de, “Ne yapıyorsun?” dendiği zaman, hemen cephe alır: “Neden bu kadar kusur bana çok görülüyor? Hepimiz böyle kusurlar yapabiliriz. Âlimler ve âbidler bile kusursuz değillerdir; onlar da aynen bu kusurları yapıyorlar.” der.

Şâyet âlim ve âbidlerin bu gibi hatâları işlemediklerini bilseydi, o da kendine gelir; bu kusurlara yaklaşmazdı. Nice kimseler var ki, dünyalığa dalar, dünyalık toplamaya harîs olur. Riyâset sevdâsına kapılarak hayatını tehlikeye atar. Bunu da hoş görür; sanır ki ashâb-ı kirâm da riyâset sevgisinden uzaklaşmamışlardır. Hattâ Hz. Ali ve Hz. Muâviye arasındaki mücâdeleyi de buna delîl gösterirler. Bu mücâdelelerin hak uğrunda olmayıp yalnız riyâset sevgisi uğrunda olduğunu sanırlar. İşte bu yanlış kanâat, onlara riyâset sevgisini ve bunun gerektirdiği şeyleri kolaylaştırır. Kötü tabiat ise sürçmelere meyleder, iyiliklerden uzaklaşır. Belki kötülükleri, kötülük değillermiş gibi kabul eder. İşte bu da şeytanın ince hîlelerindendir. Bunun için bu hususta şeytandan uzaklaşanları Allahu Teâlâ şöyle vasıflandırmıştır:

اَلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ

“Onlar ki, sözü dinler ve en güzeline uyarlar.” (Zümer sûresi, 39/18) Resûl-i Ekrem de şöyle buyurmuştur:

مَثَلُ الَّذِي يَجْلِسُ يَسْتَمِعُ الْحِكْمَةَ ثُمَّ لَا يَعْمَلُ إِلَّا بِشَرِّ مَا يَسْتَمِعُ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى رَاعِيًا فَقَالَ لَهُ: يَا رَاعِي اُجْرُرْ لِي شَاةً مِنْ غَنَمِكَ، فَقَالَ: اِذْهَبْ فَخُذْ خَيْرَ شَاةٍ فِيهَا، فَذَهَبَ فَأَخَذَ بِأُذُنِ كَلْبِ الْغَنَمِ.

"Oturup da hikmetli sözleri dinlediği halde, duyduklarının en kötüsü ile amel edenler, çobana gidip de bana bir koyun ver dediği ve çoban da beğendiğin koyunu al dediği halde, o kimsenin gidip köpeği seçmesine benzer."[30] İşte imamların hatâlarını haber verenler, koca bir sürü içinden köpeği seçenler gibidir.

Sık sık görülen ve yayılan şeylerin insan rûhu üzerindeki ehemmiyetini kaybettiğine delâlet eden vakalardan biri de şudur: İnsanların çoğu Ramazan günü orucunu yiyen bir kimseyi gördükleri zaman, ona hücûm ederler; hattâ küfrüne kadar gidenler olur. Buna karşılık namazı kılmayanlara o kadar aldırış etmezler. Hâlbuki namazı terk edenlerin küfrüne kail olanlar olduğu gibi, boynu vurulur diyenler de vardır.[31]

Orucu yemek ise bunların hiç birini mûcib değildir. Ancak namaz, günde beş defa geldiği ve sık sık kılmayanlara tesâdüf edildiği için buna alışılmıştır. Oruç, yılda bir defa gelip, açıktan yiyenleri az olduğu için hemen göze çarpmaktadır. İşte bir şeyi fazla görmenin insan rûhu üzerindeki tesîri böyledir. Meselâ bir fakîh ipek elbise giyse veyâ altın yüzük taksa veyâ gümüş bardaktan su içse, bu hoş karşılanmaz ve hemen kendisine hücûm edilir. Buna karşılık aynı fakîh herhangi bir mecliste gıybet etse buna aldırış edilmez. Zinadan da şiddetli olan gıybetin ipek giymekten daha kötü olduğu meydandadır. Ancak gıybet edenler çok olduğu ve bu gibi sözler çok duyulduğu için insan rûhu üzerindeki tesîrini kaybetmiştir.

İşte, şu incelikleri düşün ve yırtıcı hayvanlardan kaçar gibi insanlardan da uzaklaş. Zîra senin insanlardan görüp duyacağın şeyler, dünyaya hırs ve hevesini artırmaktan başka bir şey değildir. Bunlar sana âhireti unutturur, günâhı kolaylaştırır ve ibâdete olan hevesini azaltır. Sana, Allah'ı hatırlatacak bir arkadaş bulursan ondan ayrılma, onu küçümseme; belki onu kendin için bir devlet bil. Böyle kimseler, aklı başında olan insanlar için bir ganîmettir ve mü'minin yitiğidir. İyi bil ki; iyi arkadaş yalnızlıktan hayırlı; yalnızlık ise kötü arkadaştan hayırlıdır. Ne zaman ki, şu söylediklerimi anlar, kendini düşünür ve arkadaşlık edeceğin kimsenin ahvâlini murâkabe edebilirsen, artık ona yaklaşmanın veyâ ondan uzaklaşmanın hangisi daha iyi olacağını bulabilmenden senin için korkulmaz. Sakın, doğrudan doğruya uzlet veyâ insanlar arasına girmenin daha iyi olacağına hükmetme. Zîra tafsîlâta kabiliyeti olan işlerde hemen "evet" veyâ "hayır" demekle hüküm vermek doğru olmaz. Bu gibi hususların hakkı, onları izâhtır.

---

[30] İbn Mâce Ebû Hüreyre'den rivâyet etmiştir.

[31] İmâm-ı Azam'a göre böyle değildir.

Üçüncü Fayda

Uzletin üçüncü faydası; fitne ve mücâdeleden kurtuluş, bunlara dalmaktan ve tehlikelerine girmekten dînini ve nefsini korumaktır. Bu zamanda taassuplardan, münâkaşa ve mücâdelelerden kurtulmuş memleket pek az bulunur. Bunlardan selâmet, ancak uzlette kalmaktadır. Amr b. As'ın oğlu Abdullah (Allah her ikisinden de râzı olsun) şöyle anlatıyor: Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) fitneyi açıklayıp anlattığı zaman bana:

إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ وَكَانُوا هٰكَذَا

– "İnsanların verdikleri sözler sarsıldığı yâni sözlerinde durmadıkları ve emânetleri azaldığı yâni emânete riâyet etmedikleri ve onları şöyle (Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bunu söylerken parmaklarını

birbirine karıştırdı Yâni böyle karmakarışık bir halde) *gördüğün zaman ne yaparsın?"* buyurdu.

– "Evet. Buyur ya Rasûlallah, böyle bir zaman gelince ne yapayım?" dedim. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اَلْزِمْ بَيْتَكَ وَاَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَخُذْ مَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا
تُنْكِرُ وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ الْخَاصَّةِ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ

– Evinde otur, dilini tut, işine geleni al, işine gelmeyeni at, şahsî işlerinle uğraş ve umûmî işlere karışma."[32] buyurdu.

Ebû Saîd el-Hudri'nin rivâyetinde, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمًا يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ
وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ مِنْ شَاهِقٍ إِلٰى شَاهِقٍ

"Öyle bir zaman gelecek ki; Müslüman'ın en hayırlı malı koyun olacaktır. Müslüman, koyunlarını alır dağ başına ve yağmurlu yerlere gider; dîninin selâmeti uğrunda onlarla dağdan dağa dolaşır durur."[33]

Abdullah b. Mes'ûd'un rivâyetinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَسْلَمُ لِذِي دِينٍ دِينُهُ إِلَّا مَنْ فَرَّ
بِدِينِهِ مِنْ قَرْيَةٍ إِلٰى قَرْيَةٍ، وَمِنْ شَاهِقٍ إِلٰى شَاهِقٍ، وَمِنْ جُحْرٍ

---

[32] Ebû Dâvûd ve Neseî "El-Yevm ve'l-Leyle"de hasen isnâd ile rivâyet etmişlerdir.

[33] Hadisi Buhârî rivâyet etmiştir.

إِلٰى جُحْرٍ، كَالثَّعْلَبِ الَّذِي يَرُوغُ. قِيلَ لَهُ: وَمَتٰى ذٰلِك يَا رَسُولَ اللّٰهِ؟ قَالَ: إِذَا لَمْ تُنَلِ الْمَعِيشَةُ إِلَّا بِمَعَاصِي اللّٰهِ تَعَالٰى فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ الزَّمَانُ حَلَّتِ الْعُزُوبَةُ. قَالُوا: وَكَيْفَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ وَقَدْ أَمَرْتَنَا بِالتَّزْوِيجِ؟ قَالَ: إِذَا كَانَ ذٰلِك الزَّمَانُ كَانَ هَلَاكُ الرَّجُلِ عَلٰى يَدِ أَبَوَيْهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبَوَانِ فَعَلٰى يَدَيْ زَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَعَلٰى يَدَيْ قَرَابَتِهِ. قَالُوا: وَكَيْفَ ذٰلِكَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ؟ قَالَ: يُعَيِّرُونَهُ بِضِيقِ الْيَدِ فَيَتَكَلَّفُ مَا لَا يُطِيقُ حَتّٰى يُورِدَهُ ذٰلِك مَوَارِدَ الْهَلَكَةِ

“İnsanlara bir zaman gelecek ki; dîn sâhibi ancak köyden köye dolaşmak, dağdan dağa koşmak ve kaçan tilki gibi kayadan kayaya sıçramakla dînini koruyabilir; başka hiç bir sûretle koruyamaz.” buyurdu. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e:

– “Ya Rasûlallah! Buyurduğunuz ne zaman olacak?” diye sordular. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *“Geçimin isyânsız sağlanamayacağı zaman. Bu zamanda bekâr kalmak helal olur.”* buyurdu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e:

– “Ama siz bize evlenmeyi tavsiye etmiştiniz.” dediler. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *“O zaman gelince, kişinin helâki anne ve babasının, bunlar yoksa âile ve çocuklarının, bunlar da yoksa akrabalarının elinde olacaktır.”* buyurdu. Onlar:

– “Bu nasıl olur?” diye sorduklarında, Rasûl-i Ekrem:

– *"Bir şey kazanamıyorsun, diye onu ayıplayacak, o da kendini tehlikeye atacak şekilde yapamayacağı işlere girecek."*[34] buyurdu. Hadîs-i şerîf, her ne kadar evlenmemek hakkında vârid oldu ise de, uzlete çekilmiş mânâsı da bundan anlaşılır. Çünkü evlenmemekten gâye ihtilâttan korunmaktır. Zîra evlenen kimse mecburî olarak halk arasına katılacak ve âile geçimi için isyâna dalacaktır. Ben, bu zaman şimdi geldi demek istiyorum. Hâlbuki daha önce gelmişti. Bunun için Süfyân-ı Sevrî; "Allah'a uzlet zamanı gelmiştir." dedi.

İbn Mes'ûd (r.a.) diyor ki: Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), fitne ve karışıklık zamanlarının geleceğini anlatmıştı. Ben:

– "Ya Rasûlallah! Bunlar ne zaman olacak?" diye kendisinden sordum. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

حِينَ لَا يَأْمَنُ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ قُلْتُ: فَبِمَ تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكْتُ ذٰلِكَ الزَّمَانَ؟ قَالَ: «كُفَّ نَفْسَكَ وَيَدَكَ، وَادْخُلْ دَارَكَ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَيَّ دَارِي؟ قَالَ: «فَادْخُلْ بَيْتَكَ» قُلْتُ: فَإِنْ دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي؟ قَالَ: «فَادْخُلْ مَسْجِدَكَ، وَاصْنَعْ هٰكَذَا»

– *"İnsanın, düşüp kalktığı arkadaşına emniyet etmediği zamanda olacak."* buyurdu. Ben:

– "O zamana yetişirsem nasıl hareket edeyim? Bu hususta ne emrediyorsunuz?" dedim. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *"Elini, eteğini çek ve evine gir."* buyurdu. Ben:

---

[34] Nikâh bahsinde geçmiştir.

– “Bu hal, evime girerse ne yaparım?” dedim. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *“Odana gir.”* buyurdu. Ben:

– “Odama da girerse ne yapayım?” dedim. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *“Mescidine gir ve böyle yap* (Yâni eteklerine kapan ve) *ölünceye kadar Rabbım Allah’tır, de.”* buyurdu.[35]

Muâviye (r.a.) zamanında **Sa’d b. Ebî Vakkas**’ı (r.a.) (oğlu Ömer ile kardeşinin oğlu Hâşim) muharebeye dâvet ettiklerinde o:

“Bana iki gözü ve dili olan bir kılınç vermedikçe ben dışarı çıkmam. Kılınç gözü ile görecek, dili ile de “İşte şu kâfirdir” diyecek, ben onu öldüreceğim. “Şu da mü’mindir” diyecek ve ben ondan elimi çekeceğim. Böyle olmadıkça ben katiyen çıkmam.” dedi ve devam ederek: “Biz ve siz, açık bir yolda (ki bu yoldan maksat İslâmiyet’tir.) yürüyen bir kafile gibiyiz. Yolda giderken şiddetli bir kasırga gelir, ortalığı altüst eder, tozu dumana katar ve yolu kaybederiz. Bu hengâmede kafilenin bir kısmı, yol sağa gidiyor diyerek sağa ayrılırlar. Diğer bir kısmı da sola gider diyerek sola ayrılır ve her ikisi de helâk olurlar. Diğer üçüncü bir kısmı da olduğu yerde bekler. Rüzgâr dindikden, ortalık açıldıktan ve yol aydınlandıktan sonra yola devam ederler. İşte, aramızdaki fark budur.” dedi ve Sa’d’ın görüşünde olan bir cemâat fitne kalkıncaya kadar, fırtınalara kapılmayarak evlerinde beklediler.

Abdullah b. Ömer (r.a.), Hz. Hüseyin’in Irak’a yöneldiğini haber alınca, üç günlük yolda ona yetişerek:

– “Nereye gidiyorsun?” diye sordu. Hz. Hüseyin, Emevîlerin kendisine yazdıkları beyitleri göstererek:

---

[35] Ebû Dâvûd muhtasar olarak, Hattabî de tamamını “Uzlet”de rivâyet etti.

– "Irak'a gidiyorum." dedi. İbn Ömer:

– "Onların, sözlerinde vefaları yoktur; daha dün babanı öldürdüler. Sakın, bu yazdıklarına aldanıp da oraya gitme." dedi ise de Hz. Hüseyin onu dinlemedi. Bunun üzerine İbn Ömer devamla:

– "Ben sana bir hâdiseyi anlatayım." dedi ve şöyle devam etti:

– "Cebrâil aleyhisselâm, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e gelerek, onu dünya veyâ âhireti tercîh etmekte serbest bıraktı. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), âhireti tercîh etti. Sen ise Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den bir parçasın. Vallahi hilâfete ancak sizin hayırlınız lâyık olur ve bunu ancak sizden hayırlı olanlar alabilir. Gel gitme, geri dön." dedi. Hz. Hüseyin:

– "Herkes mukadder âkıbetine uğrayacaktır; ben geri dönemem." dedi. Bunun üzerine İbn Ömer, Hz. Hüseyin'in boynuna sarılarak:

– "Seni Allah'a emânet eder, esâret ve ölümden seni korumasını dilerim." dedi ve ağlayarak ayrıldı.[36]

Medîne'de on bine yakın ashâb varken, fitneden ancak kırk kişi korkmuştur. Tâvus b. Keysân da evinden dışarı çıkmamıştır. Evinden dışarı çıkmadığını soranlara, zamanın bozulduğunu ve imamların zulmettiğini sebep olarak göstermiştir. Urve b. Zübeyr, Akîk'de bir köşk yaptırıp oraya çekilmişti. Bunu görenler:

– "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in mescidini bıraktın da köşküne mi çekildin?" dediler. Urve:

– "Baktım ki, câmileriniz oyuncak haline geldi. Çarşıları boş sözleriniz doldurdu, dillerinizde fâhiş sözler yükseldi. Urve de selâmeti burada buldu." dedi.

---

[36] Taberânî ve Bezzar, hasen isnâd ile rivâyet etmişlerdir.

Bu beyânâtımızla, uzletin faydalarından birisinin de, fitne ve dedikodulardan kurtuluş yolu olduğu anlaşıldı.

Dördüncü Fayda

Uzletin dördüncü faydası; insanların şerrinden kurtuluştur. Çünkü insanlar; bâzen çekiştirmek, bâzen kötü zan ve töhmet altında bulundurmakla, bâzen hakkında düşündükleri kötü şeylerle, bâzen de kovuculuk ve yalan sözlerle sana eziyet edip dururlar. Çok kere de akıl erdiremedikleri, bâzı söz ve işlerini hatâlı bulur, senin aleyhinde kullanmak için bunları sermâye edinirler ve fırsat bulunca hemen söylerler. İşte uzlette bütün bunlardan kurtuluş ve korunma vardır. Bunun için hakîmin biri diğerine:

– “Ben sana on bin dirhemden daha hayırlı olan iki beyit öğreteyim.” dedi. Diğeri de:

– “Öğret.” deyince, hakîm:

اِخْفِضِ الصَّوْتَ إِنْ نَطَقْتَ بِلَيْلٍ   وَالْتَفِتْ بِالنَّهَارِ قَبْلَ الْمَقَالِ
لَيْسَ لِلْقَوْلِ رُجْعَةٌ حِينَ يَبْدُو   بِقَبِيحٍ يَكُونُ أَوْ بِجَمَالِ

“Karanlıkta konuşurken fazla bağırma,
Gündüz de etrafına bakmadan konuşma,

Güzel veyâ çirkin bu bir sözdür,
çıkan sözü geri almak imkânsızdır.” şiirini okudu.

İnsanlar arasına girip onlarla çalışan kimsenin haset ve sû-i zandan kurtulmasına imkân yoktur. Hattâ onu da, kendilerine husûmet besliyor, hîle düşünüyor zannederler. İnsanlar bir şeye harîs oldular mı her sesin kendi aleyhlerinde olduğunu sanırlar. İşte bunlar düşmandır; onlardan korun.” Onların dünyaya hırsı artmış, herkesi de kendileri gibi zannettiler. Nitekim **Mütenebbî**:

"Fâsid vehimlerin insanlara karşı olan sû-i zanlarını tasdik etmeleri, onların kötü îtiyâdlarındandır. Düşmanlarının sözü ile dostuna düşmanlık etmeye başlamakla, karanlık gecede yolunu yitiren şaşkına dönerler." demiştir.

Denildi ki: "İyiler, kötü kimselerle düşüp kalktıkları takdirde, kendileri hakkında sû-i zan edilmesine sebep olurlar."

İnsanoğlunun düşüp kalktığı dostlarından gördüğü kötülükler pek çoktur. Biz, tafsîlâtına girişecek değiliz. Şu anlattıklarımızda icmâlen hepsine işaret vardır. Yalnızlıkta, bunların hepsinden kurtuluş vardır. Uzleti tercîh edenlerin çoğu da buna işâret etmişlerdir.

Ebû'd-Derdâ (r.a.): "İnsanları tecrübe edip, iç yüzlerini öğrenen, onlardan uzaklaşır." demiştir. Bu söz, merfû olarak da rivâyet edilmiştir. Şâir de şöyle demiştir:

مَنْ حَمِدَ النَّاسَ وَلَمْ يَبْلُهُمْ ثُمَّ بَلَاهُمْ ذَمَّ مَنْ يَحْمَدُ
وَصَارَ بِالْوَحْدَةِ مُسْتَأْنِسَا يُوحِشُهُ الْأَقْرَبُ وَالْأَبْعَدُ

"İnsanları tecrübeye tâbi tutmadan övenler,
Denedikten sonra yererler,

Sonra ünsiyeti yalnızlıkta bulurlar,
Yakın ve uzak herkesten vahşet duyarlar."

Hz. Ömer (r.a.); "Yalnızlıkta, kötü arkadaştan kurtuluş vardır." demiştir.

Abdullah b. Zübeyr'e:[37]

---

[37] Kureyşî'dir. Annesi Ebû Bekir'in (r.a.) kızı Esma'dır (r.anha.) Kureyşîlerden Medîne'de ilk doğan Müslüman çocuğudur. Annesi hâmile iken Medîne'ye

– “Niçin Medîne’ye gelmiyorsun?” diye sorduklarında, Abdullah:

– “Nasıl geleyim, şimdi elindeki nîmete haset edip, uğradığın felâkete sevinen insanlar kalmıştır.” dedi.

Bağdat’ın meşhur vâizlerinden **İbn Semmâk** da bir arkadaşının kendisine şöyle yazdığını söylüyor: İnsanlar, hastalığı tedâvi eden ilaçlar iken, şimdi tedâvisi kabil olmayan hastalık halini almışlardır Arslandan kaçtığın gibi, onlardan da uzaklaş. Çöl Arablarından birisi dâima bir ağacın yanında bulunurdu; ağacı sular ve bakımını yapardı. Bunun sebebini soranlara: “O, kendisinde üç haslet bulunan bir arkadaşımdır. Hakkımda nemmâmlık yapmaz. Yüzüne tükürsem de darılmaz. Kötü sözler söylesem de bana kızmaz.” dedi. Harûne’r-Reşîd bu sözü duyunca, şu üç haslet, arkadaşlıkta aranan vasıflardır, dedi: Birisi de, kitâb okumak ve kabir ziyareti ile meşgul olurdu. Sebebini kendisinden soranlara, selâmeti yalnızlıkta, en iyi vâizi mezarlıkta, en iyi arkadaşı da kitap okumakta buldum, dedi.

Hasan-ı Basrî şöyle demiştir: “Hacca gitmeye niyyet ettim. Velîlerden biri olan Sâbit Bennanî bunu duydu ve bana:

– “Hacca gideceğini duydum, sana arkadaş olmak isterim.” dedi. Ben:

– “Ne olur, bırak da Allahu Teâlâ kusurlarımızı örtüyor, böyle kalalım. Birbirimize karşı saygı ve sevgimiz vardır. Korkarım ki arkadaş olmakla kusurlarımız fâş olur da birbirimizden sevgimiz kal-

---

göç etti ve tam yirmi ay sonra doğdu. Rasûl-i Ekrem’in irtihâlinde sekiz sene dört aylık idi. Fasîh ve şecâatli bir zât olup, Yezid’in ölümünden sonra 64 Hicrîde halife oldu. Hicaz, Irak. Yemen, Mısır’ın tamamını ve Şam havalisinin çoğunu emrine aldı. İktidarı 9 yıldır. Abdülmelik b. Mervan’ın zamanında Salı günü Hicrî 72 de Haccac b. Yûsuf tarafından öldürülmüştür.

kar." dedi. Bu da uzletin diğer bir faydasına işârettir. O da yoksulluk, mürüvvet, ahlâk ve benzeri diğer kusurların kapalı kalıp açığa çıkmamasıdır. Hallerini gizleyenleri övmek üzere Allahu Teâlâ:

يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ

"Hallerini bilmeyenler, onları iffetlerinden dolayı zengin zanneder." (Bakara sûresi, 2/273) buyurmuştur. Şâir de şöyle demiştir:

"Yokluk, ayıp değildir; âr, zillete düşmektir."

İnsan, gerek dînî ve gerek dünyevî işlerinde, ahlâk ve gidişinde kusursuz değildir. Dînî olsun, dünyevî olsun, kusurların kapalı kalması daha iyidir. İnsan, halk arasına girerse, kusurları fâş olur, selâmete eremez.

Ebû'd-Derdâ (r.a.); "İnsanlar dikensiz gül iken, şimdi gülsüz diken oldular." dedi. Birinci asrın sonları olan o zaman böyle olunca, bu zamanda ondan daha kötü oldukları meydandadır.

Süfyân b. Uyeyne şöyle demiştir: "Süfyân-ı Sevrî, sağlığında ve uyanık iken, öldükten sonra da rüyâmda bana şöyle demiştir:

– "Âşinâlarını azalt, sonra onlardan kurtulmak zor olur. Bütün kötülükleri, dostlarımdan gördüğümde hiç tereddüt etmem."

Zâtın biri de şöyle demiştir: Mâlik bin Dinâr'ı ziyârete gitmiştim. Yanında kimse yoktu. Yalnız bir köpek, başını dizleri üzerine koymuş duruyordu. Köpeği kovmak istediğimde, Mâlik:

– "Bırak. Bu, ne ısırır, ne de kimseye bir zarar verir. Kötü arkadaştan çok iyidir." dedi.

Bir zâta; "Neden uzlete çekildin?" diye sordular. Cevâbında: "Haberim olmadan dînimin kaybolmasından korktuğum için." dedi. Bu da insan tabiatının kötü huyları almasına işârettir.

Ebû'd-Derdâ (r.a.): "Allah'tan korkun ve insanlardan sakının. Çünkü onlar, bindikleri devenin sırtını deler, yara eder. Bindikleri atı çökertir, girdikleri kalbi harap ederler." dedi.

Yine bir zât şöyle demiştir: "Âşinâları azalt. Zîra dîn ve kalbin selâmeti, kul haklarının azalması, dostları azaltmakla mümkündür. Çünkü dostlar çoğalınca, onlara karşı vazîfeler de çoğalır ve haklarını ödemek zorlaşır."

Bir başkası da: "Bildiklerini bırak, bilmediklerinle de münâsebet kurma." demiştir.

Beşinci Fayda

Uzletin beşinci faydası; senin insanlardan, insanların da senden ümîdlerini kesmelerindedir. İnsanların, senden ümîdlerini kesmelerinde birçok faydalar vardır. Herkesi memnun etmek zordur. Bunun için kendi kusurlarını düzeltmekle uğraşmak daha makbuldür. En kolay ve en hafif haklarından bâzıları, evlenmelerinde ve diğer cemiyetlerinde hazır bulunup, dâvetlerine katılmak, hastalarını ziyâret ve cenâzelerine gitmektir. Bütün bunlarda vakitleri isrâf etmekle beraber tehlikelerle karşılaşmak da vardır. Sonra, bâzılarını yapmakta öyle mâzeretler doğar ki, onları açıklamak mümkün olmaz. Bunun üzerine, falana gittin bize gelmedin, diye sana küserler ve bu hal husûmete sebep olur. Denildi ki: Hastayı hastalığında ziyâret etmeyen, iyileştiği zaman, utancından ölümünü temennî eder. Ama hiç kimseyi görmeye gitmeyen kimse bir şey demez. Adam seçerse o takdirde kendisine küserler. Hâlbuki bir insan geceli gündüzlü uğraşsa herkesin hakkını yerine getiremez. Dîn ve dünya meşgalesi olanlar, bu hakları tamamen nasıl yerine getirebilir? **Amr b. Âs** (r.a.); "Dostların çokluğu, alacaklıların çokluğu demektir." dedi. **İbn Rûmî** de şöyle demiştir:

"Dostunu çoğaltma, çünkü dostluktan düşmanlık doğar.
Fazla yeyip içme, çünkü çok yemekten hastalık doğar."

İmâm Şâfiî: "Bütün düşmanlıkların aslı, kötülerle dostlukta ve onlara iyilik etmektedir." demiştir.

Senin, insanlardan ümîdini kesmende de büyük faydalar vardır. Çünkü dünya varlığını, süs ve ziynetlerini görenler, ona heves eder ve harîs olurlar. Bu sebeple de tamahı artar. Çok kere emeline ulaşamadığı için ümîdsizliğe düşer ve buna üzülür. Fakat insanlar arasına katılmazsa bunları görmez. Bunları görmeyince de heves etmez, huzûr içinde kalır. Bunun için Allahu Teâlâ:

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلٰى مَا مَتَّعْنَا بِهٖ

"Onlara verdiğimiz dünyalığa gözlerini dikme." (Tâhâ sûresi, 20/131) buyurmuştur. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de şöyle buyurmuştur:

اُنْظُرُوا إِلٰى مَنْ هُوَ دُونَكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلٰى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ
فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ

"Sizden daha düşkün olanlara bakın, üstün olanlara bakmayın. Çünkü böyle yapmanız, Allahü Teâlâ'nın size verdiğini takdir etmenize daha uygun düşer."[38]

Avn b. Abdullah şöyle demiştir:

"Ben, zenginlerle düşüp kalktığım sıralarda sıkıntı ve ızdıraptan kurtulamıyordum. Bakıyordum, onların elbisesi benim elbisemden iyi, binitleri benim binitlerimden kuvvetli, üzülüp duruyordum. Fakirlerle düşüp kalkmaya başlayınca huzûra kavuştum."

---

38. Müslim, Ebû Hüreyre'den rivâyet etmiştir.

Hikâye olundu ki: **Müzenî** (Allah rahmet etsin) Fustat'da Amr b. el-Âs'ın yaptırdığı camiin kapısından çıkarken, süvarileri ile geçmekte olan İbn Abdülhakem ile karşılaştı. Onun ihtişâmı kendisini şaşırttı. Tam bu sırada Allahu Teâlâ'nın:

وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ

"Bâzınızı bâzınıza fitne kıldık, sabretmez misiniz?" (Furkan sûresi, 25/20) âyet-i celîlesini okudu ve "Evet ya Rabbi, sabreder ve râzı olurum." dedi. Kendisi yokluk ve darlık içinde idi. Nitekim evinde olan bir kimse, böyle fitnelere mübtelâ olmaz. Çünkü dünya zînetini gören kimse ya dîn ve yakîni kuvvetli olduğundan sabredecektir ki, bu takdîrde sabrın acılığına katlanması gerekecek yahut onun da gönlü dünyalığa düşer ve dünyalığı elde etmek için hîleli yollara sapar ve ebediyyen helâk olur. Dünyada helâk olması, ekseriyâ umduğunu bulamayacağı tamahından dolayıdır. Çünkü her isteyene dünyalık nasip olmaz. Âhirette helâk olması ise dünya varlığını, Allah'ı zikir ile ona yakınlık üzerine tercîh etmesi bakımındandır. Bunun için **İbn Arabî** şöyle demiştir:

"Zillet kapısı zenginlik tarafından olduğu vakit, onu bırakırım da fakirlik tarafındaki şeref kapısına yükselirim." Bu sözü ile tamahın zilleti mûcib olduğuna işâret etmiştir.

Altıncı Fayda

Uzletin altıncı faydası; insana ağırlık veren kimselerle ahmakları görmekten ve ahmaklık derecelerini ölçmekten kurtuluştur. Bu gibi insana ağırlık verenleri görmek, küçük bir körlüktür.

A'meş'e:

– "Neden gözün yaşarır?" diye sorduklarında, A'meş:

– "Ağırlık veren kimselere bakmaktan yaşarır." diye cevap vermiştir.

Hikâye edildiğine göre **İmâm-ı A'zam**; Ameş'in yanına gitmiş ve:

– "Hadiste vârid olduğuna göre Allahü Teâlâ, kimin gözlerinin ışığını alırsa ona karşılığını verir, sana ne verdi?" diye sormuştur. A'meş:

– "Mükâfat, olarak, bana ağırlık verenleri görmekten beni kurtardı." dedikten sonra, şaka olarak:

– "Sen de onlardan birisin." dedi:

İbn Sîrîn; "Bir defa bir zâtın şöyle dediğini işittim." demiştir: Hoşuma gitmeyen sevimsiz bir adama baktığım için bana baygınlık geldi.

Calinus[39] şöyle demiştir: "Her şeyin bir sıtması vardır. Rûhun sıtması da sıkıntı veren kimselere bakmaktır."

İmam Şafiî: "Hoşuma gitmeyen adamlarla oturduğum vakit, vücudumdan onun bulunduğu taraf, diğer tarafımdan daha ağır gelir." demiştir.

İlk iki faydadan sonra anlattığımız dört fayda, dünyevî faydalar olmakla beraber, dîn ile de alâkalıdır. Çünkü insan hoşuna gitmeyen birini gördüğü zaman, kendini kaybetmekten ve sun-ı ilâhiye dil uzatmaktan emîn olamaz. Çekiştirme, sû-i zan, çekememezlik, kovuculuk ve benzeri şeylerle başkasından eziyet gören bir insan, karşılık vermekten kendini alamaz. Bu hareket de dînin fesâdına sebebiyet verir.

---

[39] Eski Yunan feylesoflarındandır.

İşte, uzlette bunların hepsinden kurtuluş vardır.

UZLETİN ÂFETLERİ

Bilmiş ol ki: Dînî ve dünyevî birçok faydalar var ki, bunlara ancak başkalarının yardımı ile ulaşılır. Bu yardım da ancak, cemiyet arasına katılmakla sağlanır. Uzlette, insanlar arasına katılmakla elde edilebilecek her şeyden, mahrûmiyet vardır. İşte bu gibi yardımlardan mahrum olmak, uzletin âfetlerindendir. O halde insanlar arasına girmenin faydalarına ve insanlar arasındaki ihtilâfın sebeplerine bir göz atalım. Bunlar: Okumak, okutmak, istifâde etmek, faydalandırmak, terbiye etmek, edeplenmek, ünsiyet etmek, ünsiyet olunmak, sevap kazanmak, karşılıklı haklara saygı göstermek, tevazu öğrenmek, görgü ve bilgiden tecrübe edinmek ve ibret almak gibi şeylerdir. Bunları tafsîlâtı ile anlatalım ki, hepsi yedidir.

Birinci Fayda

İhtilâtın birinci faydası; okuyup okutmaktır. **"İlim Kitâbı"**nda bunların fazîletini anlattık. Dünyada en büyük ibâdet bunlardır. Şüphesiz bunlar, insanlar arasına girmekle mümkün olur. Ne var ki, ilimlerin bâzılarına ihtiyaç duyulmaz. Bâzıları ise zarûrîdir. Kendisi için öğrenilmesi farz olan ilimleri öğrenmeyip uzlete çekilen günâhkârdır. Şâyet kendisi için zarûrî ve mecbûrî ilimleri öğrenmiş, fakat ileriye götürebilecek kudrette olmadığından, ibadetle meşgul olmayı tercîh ediyorsa, uzlete çekilsin. Şâyet dînî ve aklî ilimleri öğrenip anlayabilecek seviyede ise bunları öğrenmeden uzlete çekilmesi, kendi hakkında en büyük bir hüsrândır. Bunun için İbrâhim Nehâî ve diğerleri; "Önce oku, sonra uzlet et." demişlerdir.

Okumadan uzlete çekilen kimse zamanının çoğunu uyku veyâ hayâlî şeylerle geçirir. En iyisi, bütün zamanlarını vird ve ibâdetle geçirmek değil midir? Gerek bedeni gerek kalbi bütün ibâdetlerinde emeklerini boşa çıkaracak aldanmalardan yine kurtaramaz, bilmeyerek amelini mahvedebilir. Allahu Teâlâ'nın zât ve sıfatı hakkındaki inancı, bir takım vehimlerden kurtulamaz. Bütün bu vehimlerle, fâsid hâtıralarla ünsiyet eder. Ekseriyâ şeytanın eğlencesi olur da hâlâ kendini âbidlerden sayar. İlim, dînin aslıdır. Avâm ve câhillerin uzletinde hayır yoktur. Avâm ve câhil derken, halvette ibâdeti beceremeyen ve bu husustaki bilgilere sâhip olmayanları kastediyoruz. İnsanın nefsi, tedâvi için müşfik bir tabîbe muhtaç olan bir hasta gibidir. Câhil bir hasta, tıp ilmini öğrenmeden, hekimsiz kaldığı zaman, hastalığı artacağı gibi, câhil bir insan da muhtaç olduğu bilgileri öğrenmeden uzlete çekilemez. Uzlet ancak âlime yakışır.

Okuyup öğrenmeye gelince; okuyup öğrenirken niyet Allah rızâsı ise burada da büyük mükâfatlar vardır. Şâyet okuyan ve okutan, Allah rızâsına niyet etmez de dünyalık için okurlarsa, bu şekil okuma ve okutmalar, dîni tehlikeye sürükler. "**İlim Kitâbı**"nda buna dâir açıklamada bulunduk.

Bu zamanda âlimin hükmü, uzlete çekilmektir. Çünkü bu, imânda dîninin selâmeti için okumak isteyenler pek enderdir. Belki bu zamanda vâizler, va'z u nasîhatleriyle kitleyi peşinden sürükleyebilmek için, yaldızlı cümleler kullanmak ve emsâllerini alt edip, sultanların gözüne girebilmek ve cedel sözleri öğrenmek isterler. Bütün bunlardan gâyeleri maddî sahada bir üstünlük taslamaktır. Öğrenmek istedikleri ilimlerin en makbulü, mezheb imamlarının söylediklerini anlamaktır. Bu da çok kere samimî niyet taşımaz. Emsâlleri arasında üstün bilgiye sâhip olmak, kadılık almak ve servet edinmek gibi çürük gayeler taşır ki; akıl, mantık ve dîn, bu gibilerden uzak kalmayı emreder. Şâyet gâyesi Allah rızâsı ve Allah'a yaklaşmak olan bir talebe bulunursa, bundan uzaklaşmak ve bildiğini ondan gizlemek en büyük günâhlardandır. Bu da bir memlekette bir veya iki kişiden fazla bulunmaz.

Süfyân-ı Sevrî'nin şu sözüne aldanmak doğru değildir. Diyor ki: "Biz ilmi, başka gâyeler uğrunda öğrendik. Fakat ilim, Allah'tan başkası için olmayı kabul etmedi."

Yâni fakîhler, önce başka gayeler uğrunda okurlar, sonra ilim onları Allah'a çevirir ve niyetlerini düzeltirler. Sen onların sonuna bak; kimisi ölüm gelip çattığı halde hâlâ dünyalık peşindedir. Bâzısı da dünyadan yüz çevirmiş ve âhirete yönelmiştir. Böylece vazıyetlerini gör ve ibret al. "Haber, müşahede gibi değildir."

Aynı zamanda şunu da bilmelisin ki: **Sufyân-ı Sevrî**'nin işaret ettiği ilim; hadîs, tefsir, Peygamber (s.a.v.) ve ashâbının siyerini okumak ilimleridir. Bu ilimlerde insanı korkutmak ve çekindirmek vardır. Bu ilimler, eninde sonunda Allah'tan korkuyu arttırır. Muâmele fetvaları ve hasımların arasını bulmakla alâkalı olan fıkıh ve kelâm ilimleri, tâliplerini dünyalığa çekmekten başka bir fayda sağlamaz; gittikçe dünyaya heveslerini arttırır.

Umulur ki, şu kitapta yazdıklarımızı, bir talebe dünyalığa heves ederek okursa, bunları okuma sâyesinde ömrünün sonunda kendini düzeltir. Çünkü bu yazılarımız Allah'tan korkutmak, dünyadan uzaklaştırıp âhirete yaklaştıracak öğütlerle doludur. Buna, Kur'ân ve hadîste tesâdüf edilir. Kelâm, felsefe ve mezhep ilimlerinde böyle bir şey yoktur. İnsanın kendi kendini aldatması doğru olmaz. Kusurlarını bilen insan, aldanan câhilden daha mesuttur. Okutmak hırsına kapılan her âlimin mevkî ve mansıp peşinde olmasından korkulur. Bu gibilerin ilimden nasibi, câhillerden kendini üstün görmek ve onlara karşı böbürlenmekle muvakkat bir zevkten ibârettir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in haber verdikleri gibi *"İlmin âfeti, kibirdir."* Bunun için **Bişr-i Hâfî**'nin on yedi bohça hadîs kitabı gömdüğü hikâye edilir. Bu zât, hiç hadîs rivâyet etmezdi. Neden hadîs rivâyet etmediğini soranlara şu cevabı verirdi: "Gönlüm rivâyet etmek istiyor da ondan. Eğer hadîs söylemeyi canım çekmeseydi rivâyet ederdim." Yâni gönlünün arzusuna uymamak için hadîs rivâyetinde bulunmuyordu. Bunun için "haddesenâ (bize hadîs söyledi)" demek, dünya kapılarından bir kapıdır, demiştir.

Bir kimse "haddesenâ" dediği zaman, lisân-ı haliyle diyor ki: "Bana bir gelir kapısı açıldı." Bu sâyede kendisine bir mevkî sağlamaya çalışır.

Râbia Adviyye, ziyâretine gelen Sufyân-ı Sevrî'ye:

- "Ne güzel adam idin, ah şu dünyaya hevesin olmasa." dedi. Sufyân-ı Sevrî:

- "Nerede dünyalığa heves ediyorum?" deyince, Râbia:

- "Hadis rivâyet ediyorsun ya." dedi.

Bunun için **Süleymân Dârânî**: "Evlenen, hadis arayan, yolculuk işleri ile meşgul olan kimse, dünyalığa meyletmiş sayılır." demiştir.

Bütün bu âfetlere **"İlim Kitabı"**nda tafsîlâtıyla yer vermiştik. Akıl, düşleri aldatmak ve uzlete çekilmekle bunlardan korunmaktadır. Belki okuyup okutmak sûretiyle dünyalık peşinde olanlar için en doğrusu, bu gibi zamanda hepsini terk etmektir.

Nitekim (Hicrî 388 de ölen) **Süleymân Hattâbî**: "Sohbetine heves edip senden okumak isteyenlere boş ver; onlardan sana ne mal, ne de cemâl nâmına bir hayır gelir. Onlar, açık dost, gizli düşmandırlar. Onlarla buluştuğunuz zaman size yaltaklık ederler, fakat gıyabında da aleyhinde konuşmaktan geri durmazlar. Yanına gelen, huzûrunda seni murâkabe eder, arkanda aleyhinde hitâbet eder. Onlar iki yüzlü, kovucu, karıştırıcı ve hîlekâr kimselerdir. Başına toplanmaları aslâ seni aldatmasın. Onların okumaktaki gâyeleri, ilim öğrenmek değil, mevki ve servet edinmektir. Gâyelerine ulaşmak için seni bir vâsıta ve binit olarak kullanmak isterler. Her hangi bir arzularına karşı ihmâlkâr davranırsan, en büyük düşmanın kesilirler. Sonra da senin başına toplanmalarını, sana büyük bir ikram sayarlar. Senin onlarla uğraşmanı, senden bir hak tanır; bütün varlığını onların uğruna fedâ etmeni, âdetâ bir borcun imiş gibi telâkkî ederler.

Düşmanlarına düşmanlık, yakın dost ve ahbaplarına da iyilik etmek borcun imiş gibi, düşünürler. Onların hocası olduğun halde onlara karşı elpençe dîvan duracaksın. Reisleri olduğun halde emirlerinde olacaksın. Bunun için tam mürüvvet, umûmî uzlettedir, denilmiştir." dedi. İşte, **Ebû Süleymân**'ın sözü bundan ibârettir. Her ne kadar musannifin anlatmadığı daha bâzı sözleri varsa da, bu zât doğru söylemiştir. Zîra müderrisleri, okutanları, dâimî bir zillete, büyük minnet ve borç altında imiş gibi görürsün. Güyâ o, yanına gelenlere hedîyelerini dağıtıyormuş gibidir. Bu, âdeta onlara karşı kendi üzerinde bir borç imiş gibidir. Çok defa başına toplananlar, geçimlerinden âciz kimselerdir.

Zavallı yoksul müderris, kendi malından onların nafakasını temîn edemez. Bunun için sultanların kapısında dolaşıp durur. Zillet, mihnet ve meşakkate, binbir çile ve zahmete katlanır ve nihâyet haram vâridâttan kendisine bir miktar yazdırır. Sonra bunu almak için âmillerin eziyetleri ile karşılaşır. Onlar, sanki kendi ceplerinden veriyorlarmış gibi ona olmadık eziyeti yaparlar. Böylece oralardan günlük, haftalık veyâ aylık bir şeyler koparır. Bununla da bitmez, bir de bunu başına toplananlara taksim işi ve güçlüğü ile karşılaşır. Hepsine müsâvî verse, ileri gelenleri, bunu hocanın beceriksizliğine, ahmaklığına ve adaletsizliğine hamlederler. Farklı taksim yapsa, bu defa da diğerleri onu kötü söz yağmuruna tutarlar. Zehirli yılan ve yırtıcı arslanlar gibi üzerine saldırırlar.

Böylece hayatı boyunca güçlükler içinde kıvranırken, öldükten sonra da, alıp böldüğünün hesâbını vermek, arada haram varsa azâbını çekmek zorluğu ile karşı karşıyadır. Şaşılacak şeydir ki; o, bütün bu sıkıntılar içinde, yalan vaîdler ve boş düşüncelerle kendi kendini aldatarak; "Sen sakın aldırma. Şübhesiz bütün bu hareketlerini Allah rızâsı için yapıyorsun. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in sünnetini ve Allahın dînini neşrediyorsun. Talebelerin geçimlerini sağlamakla meşgulsün. Sultanların ellerinde bulunan malların zaten sahibi belli değildir. Bunlar âmme menfaatine sarf edilir. İlmi yaymaktan daha üstün maslahat ne olabilir? Dîn bu adamlarla açığa çıkar ve kuvvetlenir." der.

Eğer bu zât, şeytanın elinde oyuncak olmasaydı, zamanın bozulmasına, bu gibi helâl ve haram demeyen ve bulduklarını yiyen fakîhlerin sebep olduğunu kolaylıkla anlardı. Çünkü câhiller de onlara bakarak cesâret alırlar ve harama dalarlar.

Bunun için denilmiştir ki: "Maiyet erkânı, meliklerin bozulması ile bozulur ve yoldan çıkarlar. Melikler de âlimlerin bozulması yüzünden bozulurlar." Körlük ve aldanmaktan Allah'a sığınırız. Çünkü bu, dermânı bulunmayan bir derttir.

İkinci Fayda

Cemiyet arasına katılmanın ikinci faydası; hem başkasının, hem de kendisinin faydalanmasıdır. Kendisinin faydalanması, kazanç ve çalışması iledir. Bu, ancak insanlar arasına girmekle mümkündür. Buna muhtaç olanların uzleti terk etmeleri zarûrîdir. İnsanlar arasına katılmakla meşrû bir şekilde kazanç sağlamak isterse, birçok güçlüklerle karşılaşır. Nitekim **"Kazanç Kitâbı"**nda bunu açıklamıştık. Şâyet çoğunluğu isyâna girmek sûretiyle kazanç sağlayacaksa kendini geçindirebilecek serveti olanların uzleti daha makbuldür. Ancak kazançtan gâyesi, kazandığını tasadduk ise o zaman kazanç ile uğraşması daha makbuldür. Fakat ilâhî mârifette hakikate ulaşmak ve düşünerek şer'î ilimlerin künhüne erebilmek ve bütün varlığı ile Allah'a yönelmek, onu zikir ve fikir ile meşgul olmak için yaptığı uzletten, daha makbuldür. Yâni bu niyetlerle uzlet, tasadduk niyetiyle yapılan ticâretten daha makbuldür. Bu niyetlerden gâyemiz, evham ve hayâlden uzak olarak keşif yolu ile ve basîret nûru ile Allahu Teâlâ ile ünsiyet edebilenlerdir. Yoksa bir takım boş vehim ve hayâllere kapılanlar değildir.

İnsanlara dokunacak faydalarına gelince; servet veya bedeni ile muhtaçlara yardımda bulunur. Allah rızâsı için, kardeşlerine yardım elini uzatmakta sevap vardır. Bu mükâfata, ancak insanlar arasına katılmakla ulaşılır. Meşrû bir şekilde buna gücü yetenler için, insanlar arasına katılmak -şâyet uzletinde yalnız bedenî ibâdetlerle uğraşacaksa- daha makbuldür. Şâyet basîret gözü açılmış, kalbi ile zikir ve fikre devâm edecekse, bunun hiç bir muâdili olmadığı meydandadır.

Üçüncü Fayda

İnsanlar arasına girmenin üçüncü faydası; terbiye etmek ve edep öğrenmektir. Yâni insanlar arasına girmekle onların zahmet ve eziyetlerine katlanır ve bu hususta nefis mücâhedesi yapar ve bu sâyede nefsine ve şeytana galebe çalar. Bu da ancak cemiyet arasında bulunmakla mümkün olur. Ahlâkını düzeltmeyen ve şerîatın sınırlarını gereği gibi koruyamayanların, bu hareketleri, uzletlerinden daha makbuldür. Bu sebeptendir ki, sûfilere hizmet edenler, kervansaray ve tekkelere giderek oralarda sûfilerin hizmetinde bulunanlar, çarşı ve pazara giderek insanlara avuç açmak sûretiyle onlardan dilendiler. Gâyeleri, nefsin gücünü yenmek ve Allah'a bağlanan sûfilerin duâsından medet ummak idi. İşte, geçmiş asırlarda başlangıç böyle idi. Fakat şimdi insanlar arasına girmeye bozuk maksatlar karıştı. Dînin diğer şiarı mihverinden çıktığı gibi, insanlar arasına girmekteki gâye de istikamet kanunundan ayrıldı. Görünüşteki hizmet ve tevâzûdan maksat, adam çoğaltmak ve servet edinmek oldu. Şâyet cemiyet arasına girmekten gâye bu ise ömrünün sonuna kadar da olsa, uzlette kalması daha hayırlıdır. Niyet nefsi terbiye ise buna muhtaç olanlar için ihtilât, uzletten hayırlıdır. Çünkü başlangıçda buna ihtiyaç vardır.

Riyâzet, mücâhede ve terbiye yapıldıktan sonra bilmelidir ki; hayvanı terbiyeden gâye, terbiyenin kendisi değil, terbiye edilen hayvana binip onunla mesafeleri aşmaktır. Bunun gibi, beden de âhiret yolunu asmak için, kalbin bir binitidir. Aynı zamanda bedende bulunan şehvetleri kırmazsa, beden yolda serkeşlik yapar ve güçlük çıkarır. Ömrü boyunca nefis terbiyesi ile meşgul olanlar, hiç binmediği halde ömrü boyunca hayvanın terbiyesi ile meşgul olanlar gibidir. Bu adam, bu hayvandan hiç istifâde edemez. Ancak bu anda aldığı terbiye sâyesinde onu ısırmaz ve tepmez. Doğrusu bu da bir istifâdedir, fakat bu yoldaki istifâde, ölü hayvandan daha mükemmel şekilde elde edilir. O da ne teper, ne de ısırır. Hâlbuki hayvan, kendisinden faydalanmak için saklanır. Nefsi terbiye etmekteki gâye de yalnız şehvetlerinden korunmak ise bunlar uyku ve ölüm ile de sağlanır, fakat bu kadarla iktifa etmemek lâzımdır.

Meselâ bir râhibe (inzivâya çekilen bir kişiye): ″Ey râhib″ diye çağırdığın zaman, o "Ben râhib değilim, saldırgan bir köpeğim, insanları ısırmamak için kendimi tevkif ettim." derse, şübhesiz bu da ısırmaya devâm edenlerden iyidir. Fakat bu kadarla kifayet etmek doğru değildir. Çünkü kendi kendini öldüren de hiç kimseyi ısıramaz. Belki nefsi terbiyeden maksûd olan neticeye teveccüh etmelidir. Kim bunu anlar, doğru yolu bulur ve sülûke gücü yeterse, onun hakkında uzletin daha hayırlı olduğu anlaşılır. Fakat yine buna yaraşan, önce insanlar arasına karışmak, sonra uzlet etmektir. İşte insanlar arasına girmenin bir faydası, böylece kendini terbiye ederek, nefis hâkimiyetini sağlamaktır.

Başkalarını terbiye etmeye gelince: Bu, başkalarını riyâzete koymaktır ki, bu sûfiler arasında bulunan şeyhlerin onlara karsı takındığı tavr u hareketidir. Şeyh, mürîdlerini ancak aralarında bulunmakla terbiye edebilir. O, bir mürebbî ve muallim gibidir; hükmü de onun hükmüdür. Şeyhe de, ilmi yayan gibi riyâ ve benzeri âfetler ârız olabilir. Fakat riyâzet ve nefis terbiyesi peşinde olan mürîdlerin dünyalık hayâlleri, ilim tâliplerinden daha az görülür. Bu hususta lâyık olan, kendi vaziyetini murâkabe etmesidir. Eğer insanlar arasına katılmakta onlara faydalı olacaksa, onların içine girmeli; olmayacaksa inzivâyı tercîh etmelidir. Bu da ince bir gayretle anlaşılır ve hattâ şahsiyet itibârı ile değişir. Mutlak olarak inzivâ ve ihtilât daha hayırlıdır, diye hüküm verilemez.

Dördüncü Fayda

İhtilâtın dördüncü faydası; insanlarla ünsiyet etmek ve onlarla anlaşıp birbirini sevmektir. Düğün, dâvet ve benzeri toplantı yerlerine gidenlerin maksadı budur. Bu da, nefsin bu andaki arzusu demektir. İyi olmayan kimselerle düşüp kalkmak haram olabileceği gibi, mübah da olur. Hattâ bâzen dînî hususlar için müstehap da olur. Bu da düşüp kalktığı zâtın dînî söz ve işlerine alışmak maksadıyla olduğu zamandır. Takvâyı iltizâm eden şeyhlerle düşüp kalkmak gibi. Bu ünsiyet, bâzen nefsin arzularına uyarak da olur. Daha istekli olarak ibâdet edebilmek gâyesini taşırsa, bu da müstehap olur.

Zîra gönüller bir şeye zorlandıkça ondan usanır, tembelleşir ve körleşir. Ne zaman ki yalnızlıktan huzur bulamıyor ve insanlar arasına karışmakla huzur bulacaksa, o zaman cemâat arasına girmesi daha uygun olur. Zîra ibâdette mülâyemet, gönlün arzu ve isteğinden doğar. Bunun için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ اللّٰهَ لَا يَمَلُّ حَتّٰى تَمَلُّوا

"Siz amelden ağırlaşıp tembelleşmedikçe, Allahu Teâlâ sizden mükâfatı kesmez."[40] buyurmuştur. Bu ağırlıktan kimse kurtaramaz. Çünkü nefis, devamlı olarak Hak ile ünsiyet edemez, biraz da başka sûretle dinlenmek ister. Onu devamlı sûrette ibâdete zorlamak, tenbelleşmesine sebep olur. Rasûl-i Ekrem'in:

إِنَّ هٰذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ

"Bu dîn, çok sağlam ve metîndir. Ona mülâyemetle nüfûz et-

---

[40] Yukarıda geçmiştir.

meye çalışın." buyurmasından maksadı budur.[41] Âhestelikle dînin hükümlerini işlemek, basîret sâhibi insanların âdetidir. Bunun için **İbn Abbâs** (r.a.):

"Vesvese korkusu olmasa, insanlar arasına girmezdim." demiştir. Bir kere de: "Kimsenin olmadığı yere girerim." dedi.

Anlaşıldı ki, uzlete çekilen kimsenin 24 saat içerisinde hiç olmazsa bir sâat görüşüp ünsiyet edeceği bir zâta ihtiyâcı vardır. O halde bu sâatte diğer sâatlerini ifsâd etmeyecek bir arkadaş bulmaya gayret etmelidir. Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اَلْمَرْءُ عَلٰى دٖينِ خَلٖيلِهٖ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ

"İnsan, arkadaşının ahlâkı ve dîni üzeredir. O halde arkadaşlık ettiği kimseye dikkat etsin."[42] buyurmuştur.

Buluştuğu kimse ile dînî hükümleri ve kalbin hallerini konuşmaya dikkat etmeli ve şikâyetleri, hak üzerine sebâttaki kusurlarından ve doğru yola ulaşamadığından olmalıdır. İşte bu gibi sohbetlerde gönlü dinlendirmek ve huzûra kavuşturmak vardır. Nefsini islâh ile uğraşanlar için burada geniş imkânlar vardır. Zîra uzun seneler geçse bile bu husustaki şikâyeti sona ermez. Haline râzı olan, mutlaka aldanmıştır. Bu şekilde bâzı sâatlerinde insanlarla buluşmak, bâzı kimseler hakkında yalnızlıktan hayırlıdır. İnsan önce kendi halini ve arkadaşlık edeceği kimsenin halini gözden geçirmeli, sonra da onunla oturmaya karar vermelidir.

---

41. Yukarıda geçmiştir.
42. «Sohbet Adâbı»nda geçmiştir.

Beşinci Fayda

Beşinci fayda; sevap kazanmak ve başkasına sevap kazandırmaktır.

İhtilâttan kendisinin sevap kazanacağı yerler: Cenâze namazı, hasta ve bayram ziyâretlerine gitmek gibi şeylerdir. Cumalarda bulunmak farz-ı ayındır, buraya gitmesi lâzımdır. Diğer namazlarda cemâati terke de müsâade yoktur. Ancak cemâatin fazîletinden kaçırdığını karşılayacak bir zarar korkusu melhûz ise cemâate gitmeyebilir ki, bu da pek ender vâki olur. Ayrıca düğün cemiyetlerinde ve diğer dâvetlerde bulunmakta Müslüman'ın gönlünü sevindirmek bakımından sevap vardır. İşte ihtilâttan kendisinin sevap kazanacağı yerler bunlardır.

Başkasına sevap kazandırmasına gelince; o da hastalandığı zaman ziyâretine, başına bir felâket geldiğinde taziyesine ve sevinçli günlerinde göz aydınlığına gelenlere kapıyı açık bulundurmasıdır. Gelenler, bu sâyede sevap kazanmış olurlar. Yine bunun gibi, kendisi âlimlerden ise ziyâretine gelenlere izin vermesiyle, onların sevap kazanmalarına sebep olmuş olur.

İnsanlar arasına katılmanın sevap ve âfetlerini anlattık. Buna göre insan, bunları karşılıklı olarak terâzinin gözüne koyup tartmalıdır. Bâzen sevap ve Bâzen de günâh tarafları ağır geleceğinden, ona göre kendisini ayarlamalıdır. **İmâm Mâlik** ve benzeri bâzı zâtların, dâvetlere gitmeyi terk ettikleri, hattâ hasta ziyâreti ve cenâze teşyîi için dahî çıkmadıkları hikâye edilmiştir. Evlerine çekilir ancak Cumalara çıkar ve kabir ziyâretine giderlerdi. Bâzıları şehirleri de terk ederek meşgale ve sıkıntıdan kurtarıp huzur içinde ibâdet etmek için dağ başlarına çekilmişlerdi.

Altıncı Fayda

İnsanlar arasına katılmanın altıncı faydası; tevâzû sâhibi ve alçak gönüllü olmaktır. Tevâzû, makamların en fazîletlisidir. Buna yalnızlıkta güç yetmez. Hattâ bâzen kibirlilik de yalnızlığa sebep olur. Yâni kibri yüzünden, insanlar arasına katılmayabilir. İsrâiliyâtta rivâyet edildiğine göre; Hakîmin biri hikmete dâir 360 eser yazmış ve bu sâyede Allah'a yaklaştığını sanmıştı. Allahu Teâlâ zamanın peygamberine şöyle vahyetmiştir:

"Falana söyle, yeryüzünü nifâk ile doldurdu. Ben onun nifakından bir şey kabul etmem." Bunun üzerine adamcağız tek başına bir mağaraya çekilerek ibâdet etmeye başladı ve "Artık şimdi Rabbımın rızâsına eriştim." dedi. Yine Allahu Teâlâ peygamberine:

"Ona söyle; insanlar arasına girip onların eziyetlerine katlanmadıkça benim rızâma erişemez." diye vahyetti. Adamcağız çarşıya çıktı, insanlar arasına girdi, onlarla düşüp kalktı, beraber yürüdü, yedi ve içti. Bunun üzerine Allahu Teâlâ peygamberine şöyle buyurdu: "Haber ver o adama ki, işte şimdi benim rızâma nail oldu."

Nice uzlete çekilenler vardır ki, onların yalnızlığı tercîhleri, kibirlerindendir. İnsanlar arasında saygı görmek ve öne geçebilmek gibi umdukları mevkîleri bulamayınca, uzlete çekilirler ve bunu kendileri için bir şeref sayarlar. Ancak bu sûretle, insanlar arasında saygı ile anılacaklarını düşünürler.

Bâzen de kusûrlarının açığa çıkacağından korkarak, zühd ve ibâdet maksadı olmayıp zamanını zikir ve fikir ile geçirmediği hâlde, yalnızlık ile kusurlarını örtmek ve insanlara karşı kendini zâhidlerden göstermek için, uzlete çekilenler olur. Bunları tanımak için bâzı alâmetler vardır. Şöyle ki:

Ziyâret olunmayı sever, başkasını ziyaret etmek istemezler. Sultanların kendilerine yaklaşmalarına, avâm tabakalarının yoluna çıkmalarına, kapıları önünde toplanmalarına yümn-ü bereket umarak el ve eteğini öpmelerine sevinir. Eğer nefsi ile meşgul olmak için, insanlar arasına katılmaktan ve insanları ziyaretten ayrıldı ise elbette kendini ziyârete gelenlerden de aynı şekilde hoşlanmaması îcab ederdi. Nitekim **Fudayl**'dan hikâye ettiğimiz gibi kendisini ziyarete gelene: "Sen süslenip püslenip beni ziyârete geldiğin gibi, benim de sana karşı süslenip püslenmem gerekiyor." demişti.

Hâtem-i Esam da kendini ziyârete gelip:

– "Bir dileğin var mı?" diyen emîre;

– "Benim dileğim, ne sen beni gör, ne de ben seni görmüş olayım." demiştir. Allahu Teâlâ'yı zikir ve fikir ile meşgul olmayanların uzlete çekilmeleri, insanlarla fazla meşgul olabilmeleri içindir. Zîra onun uzletten gâyesi, insanların saygısını sağlamaktır.

Bu maksatla uzlet, bir kaç bakımdan cehâlettir:

Birincisi: Tevâzû ve insanlar arasına katılmak insanın mansıb ve ilmî değerini sarsmazlar. Nitekim Hz. Ali, bâzen eteğinde ve bâzen de elinde yiyecek eşyâsını taşır, evine getirir ve "Çoluk çocuğuna yiyecek taşımak, insanın kemâline noksanlık getirmez." buyururdu.

Ebû Hüreyre, Übey ve İbn Mes'ûd (Allah onlardan râzı olsun) odun bağını ve un torbasını omuzlarına alarak eve götürürlerdi. Ebû Hüreyre Medîne vâlisi iken odun demetini başı üzerinde taşır ve sokaktan geçerken de "Vâlinize yol verin." derdi. Bizzât Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) satın aldığı bâzı maddeleri kendisi eve götürürdü. Yanında bulunanlar: "Biz götürelim." dediklerinde:

– *“Malı taşımak, sahibinin hakkıdır.”*[43] buyururdu. Hz. Hasan b. Ali (r.a.) atı üzerinde dilencilerin bulunduğu yerden geçerken:

– “Ey Rasûl’ün oğlu! Buyur bizimle yemek ye.” derlerdi. Hz. Hasan da atından inerek dilenciler arasına girer, onlarla yemeklerinden yerdi. Atına binip ayrılırken de:

– “Muhakkak ki Allah, kibredenleri sevmez.” derdi.

İkincisi: İnsanların teveccühüne ve hüsn-ü zannına mazhar olmak için çalışanlar, aldanmışlardır. Zîra hakkıyla Allahu Teâlâ’yı bilenler, insanların hiç bir şey yapamayacağını, kâr ve zararın Allahu Teâlâ’nın kudretinde olduğunu, O’ndan başka hiç bir kimsenin zarar veremeyeceğini bilir. İnsanların rızâsını, Allahu Teâlâ’nın gadabında arayanlara, Allahu Teâlâ’nın buğzedeceğini ve insanları da ona küstüreceğini hattâ insanların rızâsını kazanmanın mümkün olamayacağını ve Allahu Teâlâ’nın rızâsını kazanmanın daha mühim olacağını anlarlar da onunla meşgul olurlar. Bunun için İmâm Şâfiî, Yunus b. Abdülâlâ’ya:[44]

– “Vallahi ben sana öğüt veriyorum. Bilmiş ol ki; insanların hepsini memnun edip, dedikodularından kurtulmak imkânsızdır. Onun için insanları düşünme, kendine bak, hakkında hayırlı olan şeyleri yap.” demiştir. Bunun için denildi ki:

“İnsanları memnun etmeyi düşünen, derdinden kurtaramaz fakat cesâreti olan zevk ve rahatına ulaşır.”

---

[43] Ebû Ya’lâ, Ebû Hüreyre’den rivâyet etmiştir.

[44] Künyesi, Ebû Mûsâ’dır. Hicrî 170 de doğdu. İmâm Şafiî’den fıkıh tahsil etti. Sikadan sayılan bir hadîs âlimi olduğu gibi, aynı zamanda kurra idi. Mısır’da **“Reisû’l-Ûlâ”** olmuştur. Yağmur dualarında onu öne geçirirlerdi. Hicrî 204 Rebiûlâhir’de ölmüştür.

Sehl-i Tüsterî, arkadaşlarından birisine bakarak, emrettiği bir iş için:

– "Şöyle böyle yap." dedi. Adamcağız:

– "Hocam, ben insanlar için böyle şeyler yapamam." dedi. Bundan sonra Sehl, yanındakilere dönerek:

– "İnsanda şu iki vasfın biri bulunmadıkça, bu işin hakikatine ulaşamaz:

1 - İnsanları tamamen gözünden düşürüp, dünyada yaratanından başka hiç bir şey görmemek ve Allahu Teâlâ'dan başka kimsenin kendisine kâr veyâ zarar getiremeyeceğini bilmek.

2- Kendi benliğinden tamamen geçerek, insanların kendisini şu veyâ bu şekilde gördüğüne aldırış etmemektir.

İmâm Şâfiî (Allah rahmet etsin): "Her insanın hem dostu, hem de düşmanı vardır. Hal böyle olunca, sen de dost ve düşmanı bırak, Allahü Teâlâ'ya kulluk edenler arasında bulun." demiştir.

Hasan-ı Basrî'ye:

– "Yâ Ebâ Saîd! Bâzı kimseler, kusurlarını aramak ve bir takım suallerle seni müşkil veziyete düşürmek maksadıyla meclisine gelirler." denildiğinde, Hasan-ı Basrî gülerek:

– "Aldırma. Ben kendimi cennetlikler ve Allah dostları ile teskîne çalışıyorum; ümîdim orayadır. Yoksa hiç bir zaman insanlardan selâmet bulacağım ümidine kapılmış değilim. Zîra onları yoktan var eden, envâ-i çeşit nîmetleriyle donatan, yaşatan ve öldüren Allah bile onların dilinden kurtulamamış, nerede kaldı ki ben." demiştir.

Hz. Mûsâ:

– “Ya Rab! Şu insanların diline düşmekten beni koru.” diye duâ etti. Allahu Teâlâ:

– “Ya Mûsâ! Bu bir şeydir ki, kendi Zât-ı Kibriyâmı bile bundan korumadım, nerede kaldı ki seni.” buyurmuştur.

Allahu Teâlâ, **Uzeyir aleyhisselâm**’a şöyle vahyetmiştir:

– “Ey Uzeyir! Seni çekiştiricilerin ağzına sakız yapmamdan hoşlanmazsan, ben de seni mütevâzilerden yazmam.”

Anlaşıldı ki; insanların teveccühüne ve hüsn-ü zanlarına mazhar olarak hakkında iyi sözler söylemeleri için inzivâya çekilen kimse, peşin bir gâye uğrunda çalışıyor demektir. Hâlbuki:

وَلَعَذَابُ الْاٰخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

“Elbette âhiret azabı daha büyüktür. Eğer (bunu) **bilselerdi.”** (Zümer sûresi, 39/26) buyrulmuştur. Demek oluyor ki uzlet, ancak insanlara karıştığın zaman, âfetlerin çoğalacağı, ibâdetinin karışacağı ve birçok vakitlerinin kaybolacağı ve uzlet halinde, bütün vakitlerini; zikir, fikir, ilim ve ibâdetle geçireceğin zamanda müstehap olur.

İşte bu saydıklarımız, uzletin gizli gâilelerindendir. Bunlardan korunmak lâzımdır. Çünkü bunlar görünüşte kurtuluş yolları iseler de, gerçekde büyük tehlikelerdir.

Yedinci Fayda

İnsanlar arasına katılmanın yedinci faydası; tecrübe sahibi olmaktır. Şüphesiz tecrübe, onların arasına girmek ve hallerini incelemekle mümkün olur. Yalnız yaratılıştaki akıl, dîn ve dünya işlerini gereği gibi anlamak için kâfî derecede değildir; tecrübe ve temrînlere ihtiyacı vardır. Tecrübeler kendisini zorlayan kimsenin uzletinde hayır yoktur. Çocuk uzlete çekilirse bön, câhil ve ahmak yetişir. Belki önce okutulmalı, okurken de gerekli tecrübeleri edinmelidir. Artık bu kadarı yeter, yâni okurken insanlar arasına katılmak sûretiyle edindiği denemeler, kâfîdir. Diğer hususları insanlar arasına katılmadan duymakla da öğrenebilir.

Tecrübelerin en mühimi, kendi ahlâkını ve gizli vasıflarını denemektedir. Buna da yalnızlıkta imkân yoktur. Çünkü yalnızlıkta her şey kolaydır. Zîra her asabî, hiddet sâhibi, kindar ve çekememezler yalnız kaldıkları vakit, bu hastalıklardan bir şey kendilerinde görülmez. Ancak cemiyet arasında bunlar anlaşılır. İşte şu vasıflar tehlikelidir, bunları yok etmek lâzımdır. Bunları yalnız harekete geçirecek şeylerden uzak tutmakla susturmak yetmez.

Bu hastalıklarla dolmuş olan bir kalp, cerahatle dolmuş bir çıban gibidir. Bâzen başkası dokunmaz veyâ hareket etmezse sâhibi acısını duymayabilir. Yarayı görmek için gözü, dokunmak için eli olmaz, hareket ettirecek kimse bulunmaz ve dururken de acıyı duymazsa; yaradan kurtulup selâmete ulaştığını sanır. Fakat yaraya birisi dokunur veyâ cerrah neşteri vurursa, delinen bir kaptan suyun fışkırması gibi, hemen cerahat akmaya başlar. İşte kin, çekememezlik, cimrilik, hiddet ve benzeri kötü huylarla dolu olan kalp de böyledir. Tahrîk edildiği zaman kendisinden pislikler akmaya başlar. Bunun için kalp tezkiyesi ile uğraşan âhiret yolcuları, bu hastalıkların kendilerinde olup olmadığını araştırırlar. Kendinde kibir hastalığını bulanlar hemen izâlesine çalışır ve bunun için insanlar arasına girerek su, odun taşır ve sokaklarda dolaşır dururlar. Çünkü nefsin gâilesi ve şeytanın hîlesi gizlidir. Bunları az kimseler anlar.

Hattâ birisi şöyle anlatıyor: “Beş vakit namazımı otuz sene birinci safta kıldım. Bir defa geciktiğim için birinci safta yer bulamadım. Ve ikinci safta kıldım. Fakat ikinci safta kıldığım için nefsimde bir üzüntü hissettim. “Beni nasıl ikinci safta görürler, bu benim için ayıp olur.” diyerek birinci safa sokuldum. İşte o zaman bütün namazlarımda riyâ olduğunu, beni herkesin ibâdette müsâbaka eder bir vaziyette görmesini arzu edip bundan zevk aldığımı anladım.”

İşte insanlar arasına girmekte, gizli hastalıkları açığa çıkarmak bakımından büyük faydalar vardır. Bunun için “Yolculuk, insanın ahlâkî karakterini açığa çıkarır.” denilmiştir. Zîra yolculuk devamlı bir ihtilâttır. Bu mânâların gâile ve incelikleri **“Rub’u’l-Mühlikat Kitâbı”**nda gelecektir.

Bu incelikleri bilmemek, bir çok amellerin mahvolmasına sebep olduğu gibi, bunları bilmekle de az amel, büyük faydalar sağlar. Böyle olmasaydı ilim, amel üzerine tercîh edilmezdi. Yoksa namaz kılmak için, namaz hakkındaki bilgnin, namazdan efdal olması muhaldir. Çünkü başka bir şeye ulaşmak için elde ettiğimiz şeyden, ulaşacağımız şeyin daha şerefli olduğunu biliriz. Yâni daimâ gâye vâsıtadan kıymetlidir. Binâenaleyh, namaz kılmak için elde edilen bilgiden, o bilgi ile namaz kılmak daha makbuldür. Hâlbuki dîn, âlimi âbid üzerine tercîh etmiştir. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.);

فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِٖي عَلٰى أَدْنٰى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِٖي

“Âlimin âbid üzerine üstünlüğü, benim ashâbımdan en düşük seviyede olanlarına üstünlüğüm gibidir.”[45] buyurmuştur.

---

[45] «İlim» bahsinde geçmişlir.

İlmi, amel üzerine tercîh etmenin üç yolu vardır. **Birinci** tevcihini anlatmış bulunuyoruz. **İkincisi:** İlim müteaddî olup, herkese faydası dokunması bakımındandır. Hâlbuki amel, herkesin şahsında kalır, başkasına geçmez. **Üçüncüsü:** Amelden efdâl olan ilim, Allahu Teâlâ'nın zât, sıfât ve ef'âlini bildiren ilimdir. Bu ilmin bütün ilimlerden üstün olduğunda şüphe yoktur. Hattâ amellerden gâye, Allahu Teâlâ'yı bilip sevmesi için, gönülleri yaratıklardan ayırıp yaratana bağlamaktır. Amel ve amel için olan ilim, bu gâye uğrunda lâzımdır. İşte mürîdlerin gâyesi, Allahu Teâlâ'yı mârifet (bilme) ilmine ulaşmaktır. Amel de bu ilmin şartı gibidir. Nitekim Allahu Teâlâ:

إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ

"Kelime-i tayyibe Allah'a gider, fakat onu yükselten sâlih ameldir." (Fatır sûresi, 35/10) buyurmakla buna işâret etmiştir. Kelime-i tayyibe bu ilimdir. Amel-i sâlih de bunu Allah'a yükselten bir hamal gibidir. Şübhesiz, yükselen, yükselten vâsıtadan daha makbuldür. Bu, dedikodu kaldıran bir sözdür. Biz bunun üzerinde fazla durmadan gâyemize dönelim.

Uzletin gâile ve faydalarını bildikten sonra, mutlak sûrette uzlet daha iyidir veyâ daha kötüdür diye hüküm vermenin yanlış olduğunu anlamış olursun. Belki lâyık olan, kişinin haline, arkadaşının haline, insanların arasına girmenin sebeplerine ve ihtilât sebebiyle kazanacağı veya kaybedeceği şeylere bakılır; kâr ve zararı karşılaştırılır. İşte o zaman gerçek meydana çıkar; uzlet ve ihtilattan hangisinin daha makbul olduğu anlaşılır. Bu hususta **İmâm Şâfiî**'nin sözü tam bir orta yoldur; yanlış ile doğruyu birbirinden ayıran bir gerçektir. Şöyle ki:

"Ey Yunus! İnsanlara surat ekşitmek, düşmanlığa sebep olur.

Onlara karşı tatlı yüzlü olmak, birçok kütü kimselerle arkadaş olmaya sebebiyet verir. Öyle ise ne asık suratlı ol, ne de fazla güler yüz göster." Yâni ne çok sokul ve ne de çok uzaklaş. Bunun için ihtilât ve uzlette ortayı bulmak vâciptir. Bu da şahısların halleri itibariyle değişir; kâr ve zararlarını düşünmekle de efdali anlaşılmış olur.

İşte açık gerçek budur. Bundan başka söylenenlerin hepsi eksiktir. Herkes kendi vaziyetini açıklamıştır. Başkası hakında da aynı hükmü vermek, doğru olmaz. İşte zâhirî ilimlerde âlim ile sûfinin farkı buna göredir. Sûfi, ancak kendi halinden konuşur. Şüphesiz her sûfi kendi haline göre cevap verir. Âlim, gerçeği olduğu gibi anlayan kimsedir. O. kendi vaziyetini örnek almaz, belki gerçeği açıklar. O gerçek ki, onda kimse ihtilâf etmez.

Çünkü daimâ hak birdir. Hakkı bulamayanlar, sayılamayacak kadar çoktur. Bunun için sûfilere fakirlikten soruldukda, her biri ayrı ayrı cevap vermişlerdir. Her ne kadar cevaplar, her birinin haline göre doğru ise de, haddi zâtında doğru olmayabilirler. Çünkü hak birdir. Bu sebepten kendisine fakirlikten sorulan **Ebû Abdullah el-Celâ**: "Koltukların ile köşeye vur (yâni her şeyden silkin, her şeyi arkaya at.) ve Rabbım Allah'tır, de. İşte fakirlik budur." dedi. Bu sözü ile dünyadan tamamıyla alâkayı kestiğine işâret etmek istemiştir.

Cüneyd de şöyle demiştir: "Fakirlik, kimseden bir şey istememek ve kimseye itirâzda bulunmamaktır. Hattâ itirâz edildiği zaman, sükût etmektir."

Sehl b. Abdullah da: "Fakir, bir şey istemeyen ve toplamayan kimsedir." dedi.

Diğer birisi de: "Fakirlik, bir şeyin olmamak, bir şeyin olursa senin için olmamaktır. Senin için olmayan da elbette senin değildir." demiştir.

İbrâhim el-Havas: "Fakirlik, kimseye şikâyet etmemek ve ihtiyâcını göstermemektir." demiştir. Bu misâlleri vermekteki gâyemiz, yüz kişiye de sorsan herbiri ayrı ayrı cevap verecektir ve belki de hiç birinin cevabı diğerine uymayacaktır. Hepsi de bir yönden bir gerçeği ifâde etmektedir. Çünkü herkes kendi halinden ve kalbine gelenden haber vermiştir. Bunun için bunlardan hiç biri diğerinin tasavvufta daha üstün olduğunu kabul etmez ve hiç biri diğerini medh u senâda bulunmaz. Belki her biri kendisinin hakka vâsıl olup hakikati bulduğunu iddiâ eder. Zîra onlar ekseriya kalplerindeki hallerin gereğine göre hareket ederler. Ancak kendi nefisleri ile meşgullerdir, başkasına bakmazlar. Fakat ilim nûru ile parladığı zaman her şeyi kuşatır, hakkın yüzünden perdeyi kaldırarak ayrılıkları giderir. Bunların görüşleri, öğle vaktinin girmesindeki görüşlerin ayrılıklarına benzer.

Bâzıları yaz mevsiminde her şeyin gölgesi iki kademecik olunca öğle vakti girer demiştir. Diğer bâzıları da, gölge yarım kademecik olunca, öğlenin ilk vakti girer, demişlerdir. Diğer bâzıları buna itiraz ederek, kış mevsiminde gölge yedi kadem olunca ancak öğlenin vakti girer demişlerdir. Başkalarından da her şeyin gölgesi beş kadem olunca ancak öğlenin vakti girdiği rivâyet edilerek, diğerlerine itiraz edilmiştir. İşte bu da tıpkı sûfilerin cevapları ve ihtilâfları gibidir. Çünkü bunların her biri kendi muhitlerindeki gölgeden haber vermişlerdir. Fakat başkalarına itiraz etmede hatâya düşmüşlerdir. Bu hatânın sebebi de arzın her tarafını kendi muhîtleri gibi zannetmeleridir. Hâlbuki muhîte göre vaziyet değişir. Sûfi de bunun gibi herkese, kendi halini nazar-ı itibâra alarak hüküm verir. Asıl öğle vaktinin girdiğini bilenler, gölgenin uzayıp kısalma sebeplerini ve ayrı ayrı yerlerdeki ihtilâfın illetlerini bilenlerdir. İşte bunlar, her memleket için ayrı hükümler koyar ve bâzılarında hiç gölge kalmadan, diğerlerinde azıcık gölge düşünce ve başka memleketlerde de gölge uzayınca öğle vaktinin girmiş olduğunu haber verirler. Uzlet ve ihtilâtın fazîletinden anlatmak istediğimiz bunlardır.

Şâyet, "Selâmeti uzlette bulup, onu tercîh edenlerin uzlet âdâbı nedir?" diye sorarsanız, deriz ki:

İhtilâtın âdâbı pek çoktur. Bunlar sözü uzatır. Şu kadar ki, biz onları sohbet âdâbında anlattık.

Uzlet âdâbına gelince; bu, o kadar uzun değildir. Yalnızlığı tercîh eden kimse, önce kötülüğünün kimseye dokunmamasını, sonra kötülerin şerrinden korunmayı ve sonra Müslüman haklarını korumaktaki kusurdan kurtulmayı ve daha sonra da bütün himmetini Allah'a ibâdete hasretmeyi niyet etmelidir. İşte uzlette niyetin âdâbı budur. Sonra halvette ilim, amel, zikir ve fikir ile meşgul olmalı ki, uzletin faydasını sağlamış olsun. Zamanlarını kaybetmemek için, fazla ziyâretçi kabul etmemeli, insanların hallerinden fazla sormamalı, ayak takımlarına meyletmemeli ve insanların uğraştıkları seyleri araştırmamalıdır. Zîra bütün bunlar gönülde iz bırakır, namaz ve tefekkürde bile gönlüne takılarak insanı meşgul ederler. Haberlerin kulağa düşmesi, tohumun toprağa karışması gibidir. Aynı tohum gibi, haberler de kulakta kökleşir biter ve dalları birbirine dolaşır. Uzlete çekilen kimsenin mühim vazîfelerinden birisi de Allah'ı zikirden alıkoyacak vesveseleri kesip atmaktır. Hâlbuki haberler, vesvesenin aslı ve kaynağıdır.

Ayrıca az geçimle iktifâ etmelidir. Aza kanâat etmezse, insanlar arasına girmek mecbûriyetinde kalır. Komşularının eziyetlerine de katlanmalıdır. Uzlete çekildi diye, insanların övmelerine veyâ ihtilâtı terk etti diye yermelerine kulak asmamalıdır. Çünkü kısa bir müddet de olsa, bütün bunlar gönülde iz bırakır ve bunlarla meşgul oldukça girdiği âhiret yolunda duraklar. Çünkü âhiret yolculuğu ya huzûr-ı kalp ile devamlı zikir ve fikre veyâ Allahü Teâlâ'nın azâmeti, sıfatları ve ef'âliyle yer ve göklerdeki gizliliklerini veyâ amellerin incelikleri ile kalp hastalıklarını düşünmek ve bunlardan korunmakla mümkün olur. Bütün bunlar, huzûr ve sükûn ister. Yukarıda saydığımız şeylerle alâkalanmak zikir esnâsında bile zaman zaman hatırına gelir. Bunun için bunlardan uzak kalmalıdır. Ailesi sâliha olmalı veyâ devamlı ibâdetin ağırlığını gidermek ve gönlünün huzûrunu sağlamak için, günde bir sâat sohbet edeceği iyi bir ahbâbı bulunmalıdır. Zîra bunda günün diğer sâatlerini ibâdetle geçirmeye yardım vardır.

Uzlete sabır, dünyadan ve insanların meylettiği dünyalıktan alâkasını kesmekle mümkündür. Bunlardan da kurtuluş, tamahını azaltmakla kabildir. Bu da fazla yaşayacağını değil, akşam sabah ölmekte olduğunu düşünmekle olur. Bu sûretle bir günlük uzlete sabır mümkün olur. Fakat yirmi sene daha yaşayacağını takdir eden ve düşünenin sabır göstermesi pek kolay olmaz. Kabirde yalnız kalacağını hatırlamalı ve Allahu Teâlâ'yı zikir ve marifetten gönlünde bir ünsiyet bulamayan kimsenin öldükten sonra yalnızlık vahşetine dayanamayacağını; zikir ve fikir sâyesinde Allahu Teâlâ ile ünsiyet edebilen kimsenin bu ünsiyetini ölümün yok edemeyeceğini kafi olarak bilmelidir. Çünkü ölüm, ünsiyet ve mârifet mahallini yıkamaz. O, Allahu Teâlâ'nın fazl u rahmetiyle sevinç içerisinde, Allahu Teâlâya mârifet ve ünsiyet halinde diri olarak kalır. Nitekim şehidler hakkında Allahu Teâlâ:

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِنْدَ
رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَرِحِينَ بِمَا اٰتَاهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ

“Allah yolunda öldürülenleri ölü sanmayın, belki onlar diridirler. Rablarının katında rızıklandırılırlar. Allahu Teâlâ’nın fazlından onlara verdiği (nîmetler) **ile ferahlanırlar.”** (Âl-i İmrân sûresi, 3/169-170) buyurmuştur. Allah için dünyadan ayrılıp, nefis mücahedesinde bulunan herkes, bu halinde ölürse şehittir.

فَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ وَهَوَاهُ

“Mücâhid, nefis ve hevâsı ile cihad edendir.”[46] Rasûl-i Ekrem’in haber verdiği asıl mücâhid işte budur.

En büyük mücâdele, nefis mücâhedesidir. Nitekim ashâb-ı kirâma

“Küçük cihâddan büyük cihâda döndük.” buyurmuşlardır ki, bununla nefis mücâhedesini kasdetmişlerdir.

“Uzlet Âdâbı Kitabı” burada tamamlandı.

Hamd, yalnız Allah’a mahsûstur.

---

[46] Hakîm, Fudâle b. Ubeyd’den rivâyet etmiştir.

كتاب
آداب السفر

وهو الكتاب السابع من ربع العادات
من كتب إحياء علوم الدين

Rub'u'l-Âdât

YEDİNCİ KİTAB

SEFER (YOLCULUK) ÂDÂBI

(KİTABU ÂDÂBİ'S-SEFER)

كتاب آداب السّفر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي فتحَ بصائرَ أوليائِهِ بالحكمِ والعبرِ ، واستخلصَ هممَهُمْ لمشاهدةِ عجائبِ صنعِهِ في الحضرِ والسفرِ ، فأصبحوا راضينَ بمجاري القدرِ ، منزِّهينَ قلوبَهُمْ عنِ التلفُّتِ إلىٰ مُنتزهاتِ البصرِ ، إلا علىٰ سبيلِ الاعتبارِ بما يسنحُ في مسارحِ النظرِ ومجاري الفكرِ ، فاستوىٰ عندَهُمْ البرُّ والبحرُ ، والسهلُ والوعرُ ، والبدوُ والحضرُ .

والصلاةُ علىٰ محمَّدٍ سيِّدِ البشرِ ، وعلىٰ آلِهِ وأصحابه المقتفينَ لآثارِهِ في الأخلاقِ والسيرِ ، وسلَّمَ كثيراً .

أما بعد :

فإنَّ السفرَ وسيلةٌ إلى الخلاصِ عنْ مهروبٍ عنْهُ ، أوِ الوصولِ إلىٰ مطلوبٍ مرغوبٍ فيهِ .

والسفر سفران : سفرٌ بظاهرِ البدنِ عنِ المستقرِّ والوطنِ إلى الصحارىٰ والفلواتِ ، وسفرٌ بسيرِ القلبِ عنْ أسفلِ السافلينَ إلىٰ ملكوتِ السماواتِ ، وأشرفُ السفرينِ السفرُ الباطنُ .

فإنَّ الواقفَ على الحالةِ التي نشأَ عليها عَقيبَ الوِلادةِ ، الجامدَ علىٰ

ما تلقَّنَهُ بالتقليدِ مِنَ الآباءِ والأجدادِ . . لازمٌ درجةَ القصورِ ، وقانعٌ برتبةِ النقْصِ ، ومستبدلٌ بمتسعِ فضاءِ جنَّةٍ عرضُها السماواتُ والأرضُ ظلمةَ السجنِ وضيقَ الحبسِ ، وقدْ صدقَ القائلُ(١) :

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ ٱلنَّاسِ شَيْئاً   كَنَقْصِ ٱلْقَادِرِينَ عَلَى ٱلتَّمَامِ

إلا أنَّ هـٰذا السفرَ لمَّا كانَ مقتحِمُهُ في خطْبٍ خطيرٍ . . لمْ يستغنِ فيهِ عنْ دليلٍ وخفيرٍ ، فاقتضىٰ غموضُ السبيلِ ، وفقدُ الخفيرِ والدليلِ ، وقناعةُ السالكينَ عنِ الحظِّ الجزيلِ بالنصيبِ النازلِ القليلِ . . اندراسَ مسالكِهِ ، فانقطعَ فيهِ الرفاقُ ، وخلا عنِ الطائفينَ(٢) متنزهاتُ الأنفسِ والملكوتِ والآفاقِ .

وإليهِ دعا اللهُ سبحانَهُ بقولِهِ : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ ، وبقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ .

وعلى القعودِ عنْ هـٰذا السفرِ وقعَ الإنكارُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ، وبقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ .

فمَنْ تيسَّرَ لهُ هـٰذا السفرُ . . لمْ يزلْ في سيرِهِ متنزِّهاً في جنةٍ عرضُها السماواتُ والأرضُ وهوَ ساكنٌ بالبدنِ ، مستقرٌّ في الوطنِ ، وهوَ السفرُ الذي

---

(١) البيت من الوافر ، وهو للمتنبي في « ديوانه بشرح العكبري » (٤/ ١٤٥) .
(٢) في (أ) : (الطالبين) بدل (الطائفين) .

لا تضيقُ فيهِ المناهلُ والمواردُ ، ولا يضرُّ فيهِ التزاحمُ والتواردُ ، بلْ تزيدُ بكثرةِ المسافرينَ غنائمُهُ ، وتتضاعفُ ثمراتُهُ وفوائدُهُ ، فغنائمُهُ دائمةٌ غيرُ ممنوعةٍ ، وثمراتُهُ متزايدةٌ غيرُ مقطوعةٍ ، إلا إذا بدا للمسافرِ فترةٌ في سفرِهِ ووَقفةٌ في حركتِهِ ، فإنَّ اللهَ لا يغيِّرُ ما بقومٍ حتَّىٰ يغيِّروا ما بأنفسِهِمْ ، وإذا زاغوا . . أزاغَ اللهُ قلوبَهُمْ ، وما اللهُ بظلَّامٍ للعبيدِ ، ولكنَّهُمْ يظلمونَ أنفسَهُمْ .

ومَنْ لمْ يؤهَّلْ للجَوَلانِ في هٰذا الميدانِ ، والتطوافِ في متنزَّهاتِ هٰذا البستانِ . . ربَّما سافرَ بظاهرِ بدنِهِ في مدَّةٍ مديدةٍ فراسخَ معدودةً ، مغتنماً بها تجارةً للدنيا أوْ ذخيرةً للآخرةِ ، فإنْ كانَ مطلبُهُ العلمَ والدينَ ، أوِ الكفايةَ للاستعانةِ على الدينِ . . كانَ مِنْ سالكي سبيلِ الآخرةِ ، وكانَ لهُ في سفرِهِ شروطٌ وآدابٌ إنْ أهملَها . . كانَ مِنْ عمَّالِ الدنيا وأتباعِ الشيطانِ ، وإنْ واظبَ عليها . . لمْ يخلُ سفرُهُ عنْ فوائدَ تُلحقُهُ بعمَّالِ الآخرةِ وأولياءِ الرحمٰنِ ، ونحنُ نذكرُ آدابَهُ وشروطَهُ في بابينِ :

البابُ الأوَّلُ : في الآدابِ مِنْ أوَّلِ النهوضِ إلىٰ آخرِ الرجوعِ ، وفي نيَّةِ السفرِ وفائدتِهِ .

البابُ الثاني : فيما لا بدَّ للمسافرِ مِنْ تعلُّمِهِ مِنْ رخصِ السفرِ وأدلَّةِ القبلةِ والأوقاتِ .

* * *

MUKADDİME

Hamd, Allah'a mahsûstur. O Allah ki, hikmet ve ibretlerle dostlarının basîretlerini açtı ve kuvvetlendirdi de, hazer ve seferde onların himmetlerini, O'nun sanat inceliklerini görmeye tahsîs etmekle, her biri mukadderâtına razı olarak, göz kamaştırıcı şeylerden uzaklaştı ve onlara ancak ibret nazarı ile baktılar. Artık onlar için deniz ve kara, sahil ve dağ, şehir ve çöl müsâvî oldu.

Salât ve selâm, beşerin efendisi olan Muhammed aleyhisselâma ve ahlâk ve sîrette onun yoluna giren âl ve ashâbı üzerine olsun.

Bundan sonra bilmiş ol ki; sefer, kaçılan şeyden kurtulmaya, aranan ve arzu edilen şeye ulaşmaya bir sebeptir. Sefer (yolculuk) ikidir: Birisi, bedeni ile memleketinden dağlara, çöllere ve başka yerlere gitmek ki bu, zâhirî yolculuktur. Diğeri de kalbi ile şu en aşağı tabakadan göklere ve melekût âlemine seyretmektir ki, bu da bâtınî seferdir. Yolculuğun en makbulü budur. Doğduğu gibi kalıp, anne ve babasından gördüğü ile kifâyet edenler, kusurlu derecede kalmış, eksikliğe kanâat etmiş, yer ve gökler kadar genişliği olan cenneti hapishâne karanlığı ve darlığı ile değişmiş sayılır. Şu şiiri söyleyen, gerçekten doğru söylemiştir:

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ

"İnsanların ayıpları arasında, olgunluğa gücü yetenlerin kusurlu kalmaları gibi bir ayıp görmedim."

Şu kadar var ki, bu yolun yolcusu, büyük tehlikeler karşısında olduğundan, bir rehber ve koruyucudan müstağnî olamaz. Yolun kapalılığı, delîl ve muhâfızın yokluğu sebebiyle yolcuların o büyük kârlardan vaz geçerek ayaklarına gelen az ile yetinmeleri, bu yolun yolcularını yok etti, arkadan gelen kalmadı. Gerek kendi nefisleri ve gerek âfâk ve melekût âlemi buralarda seyahat edip tenezzüh edenlerden boşaldı. Hâlbuki:

سَنُرِيهِمْ اٰيَاتِنَا فِي الْاٰفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ

"Biz onlara (kudretimize delâlet eden) **alâmetlerimizi âfâk ve nefislerinde gösteririz."** (Fussilet sûresi, 41/53)

وَفِي الْأَرْضِ اٰيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

İmanlarında yakîni olanlar için yerde Allahın kudretine delâlet eden alâmetler vardır. Kendi nefislerinizde de âyetler vardır. Görmez misiniz?" (Zâriyât sûresi, 51/20-21) âyet-i celîleleri ile Allahü Teâlâ bunlara dâvet etmektedir. Bu yolculuktan vazgeçenleri yermek üzere de:

وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ، وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

"Elbet siz de sabah ve akşam onlar(ın yurtların)**a uğruyorsunuz. Hâlâ akıllanmayacak mısınız?"** (Saffat sûresi, 37/137-138)

وَكَأَيِّنْ مِنْ اٰيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ
عَنْهَا مُعْرِضُونَ

"Göklerde ve yerde (Allahın varlığını, birliğini ve kemâl-i kudretini isbât eden) **nice âyetler** (nişâneler) **vardır ki** (insanlar)

bunlardan yüz çevirici olarak, üstüne basıp geçerler.” (Yûsuf sûresi, 12/105)

Bu yol, kendilerine nasîb olanlar, bedenleri ile vatanlarında durdukları halde, yalnız eni yer ve gökler kadar geniş olan cennet bahçelerinde tenezzüh ederler. Bu öyle bir yolculuktur ki, bunun sulak ve uğrak yerleri sıkışmaz, izdiham ve kalabalık zararlı olmaz. Belki yolcularının çokluğu nispetinde kâr ve faydaları çoğalır. Onun ganîmetleri devâmlıdır, bitip tükenmez. Onun meyveleri artar, eksilmez. Ancak yolcu tenbelleşir ve duraklarsa, o zaman yolculuğun nîmetleri de kesilmiş olur. Zîra Allahü Teâlâ, hallerini değiştirmedikçe, bir millete verdiği nîmeti onlardan almaz. Onlar Hak’tan meylettikleri zaman, Allahü Teâlâ da nîmetini onlardan alır. Yoksa Allahü Teâlâ kimseye zulmetmez, herkes kendine zulmeder. Kim, bu mânevî yolculuk meydanında cevelân etmeye ehil olmaz ve cennet bahçelerinde tenezzüh edemezse, işte o bedeni ile kilometrelerce yol alarak ya dünya ticâreti veyâ âhiret kârı peşinde dolaşır. Şâyet yolculuğu ilim ve dîn uğrunda veyâ dînine yardım maksadı ile olursa bu da âhiret yoluna girmiş yolculardandır. Bununla beraber, bu yolculukta riâyet edeceği birçok âdâb ve şartlar vardır. Bunları ihmâl ederse, dünyalık için çalışmış ve şeytana uymuş olur. Şâyet bu âdâb ve şartlara riâyet ederse, bu yolculuğu âhiret ameline katacak faydalardan hâlî kalmaz. Şimdi biz iki bâbta-Allahü Teâlâ’nın izni ile-bu âdâb ve şartları anlatalım.

البَابُ الأوّلُ

في الآداب من أوّل النهوض إلى آخر الرجوع ، وفي نيّة السّفر وفائدته

وفيه فصلان

الفَصْلُ الأوّلُ

في فوائد السّفر وفضله ونيّته

اعلمْ : أنَّ السفرَ نوعُ حركةٍ ومخالطةٍ ، وفيهِ فوائدُ ولهُ آفاتٌ كما ذكرناهُ في كتابِ الصحبةِ والعزلةِ .

والفوائدُ الباعثةُ على السفرِ لا تخلو مِنْ هربٍ أوْ طلبٍ ، فإنَّ المسافرَ إمَّا أنْ يكونَ لهُ مزعجٌ عنْ مُقامِهِ ولولاهُ لما كانَ لهُ مقصدٌ يسافرُ إليهِ ، وإمَّا أنْ يكونَ لهُ مقصدٌ ومطلبٌ .

والمهروبُ عنهُ : إمَّا أمرٌ لهُ نكايةٌ في الأمورِ الدنيويةِ ؛ كالطاعونِ والوباءِ إذا ظهرَ ببلدٍ ، أوْ خوفٌ سببُهُ فتنةٌ أوْ خصومةٌ ، أوْ غلاءُ سعرٍ .

وهوَ إمَّا عامٌّ ؛ كما ذكرناهُ ، أوْ خاصٌّ ؛ كمَنْ يُقصدُ بأذيَّةٍ في بلدِهِ فيهربُ منها ، وإمَّا أمرٌ لهُ نكايةٌ في الدينِ ؛ كمَنِ ابتليَ في بلدِهِ بجاهٍ ومالٍ واتساعِ أسبابٍ تصدُّهُ عنِ التجرُّدِ للهِ ، فيؤثرُ الغربةَ والخمولَ ، ويجتنبُ السعةَ والجاهَ ، أوْ كمَنْ يُدعىٰ إلىٰ بدعةٍ قهراً ، أوْ إلىٰ ولايةِ عملٍ

لا تحلُّ مباشرتُهُ ، فيطلبُ الفرارَ منهُ .

وأمَّا المطلوبُ . . فهوَ إمَّا دنيويٌّ كالمالِ والجاهِ ، أوْ دينيٌّ .

والدينيُّ إمَّا علمٌ وإمَّا عملٌ .

والعلمُ إمَّا علمٌ مِنَ العلومِ الدينيةِ ، وإمَّا علمٌ بأخلاقِ نفسهِ وصفاتِهِ علىٰ سبيلِ التجربةِ ، وإمَّا علمٌ بآياتِ الأرضِ وعجائبِها ؛ كسفرِ ذي القرنينِ وطوافِهِ في نواحي الأرضِ .

والعملُ إمَّا عبادةٌ وإمَّا زيارةٌ .

والعبادةُ هيَ الحجُّ والعمرةُ والجهادُ ، والزيارةُ أيضاً مِنَ القرباتِ ، وقدْ يُقصدُ بها مكانٌ ؛ كمكَّةَ والمدينةِ وبيتِ المقدسِ والثغورِ ؛ فإنَّ الرباطَ بها قربةٌ ، وقدْ يُقصدُ بها الأولياءُ والعلماءُ ، وهُمْ إمَّا موتىٰ فتُزارُ قبورُهُمْ ، وإمَّا أحياءٌ فيُتبرَّكُ بمشاهدتِهِمْ ، ويُستفادُ مِنَ النظرِ إلىٰ أحوالِهِمْ قوَّةُ الرغبةِ في الاقتداءِ بهِمْ .

* * *

فهٰذهِ هيَ أقسامُ الأسفارِ ، ويخرجُ مِنْ هٰذهِ القسمةِ أقسامٌ :

القسمُ الأوَّلُ : السفرُ في طلبِ العلمِ :

وهوَ إمَّا واجبٌ ، وإمَّا نفلٌ ، وذلكَ بحسبِ كونِ العلمِ واجباً أوْ نفلاً ، وذلكَ العلمُ إمَّا علمٌ بأمورِ دينِهِ ، أوْ بأخلاقِهِ في نفسِهِ ، أوْ بآياتِ اللهِ في أرضِهِ .

وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ خرجَ مِنْ بيتِهِ في طلبِ العلمِ . . فهوَ في سبيلِ اللهِ حتَّىٰ يرجعَ »(١) .

وفي خبرٍ آخرَ : « مَنْ سلكَ طريقاً يلتمسُ فيهِ علماً . . سهَّلَ اللهُ لهُ طريقاً إلى الجنَّةِ »(٢) .

وكانَ سعيدُ بنُ المسيَّبِ يسافرُ الأيامَ في طلبِ الحديثِ الواحدِ(٣) .

وقالَ الشعبيُّ : (لوْ سافرَ رجلٌ مِنَ الشامِ إلىٰ أقصى اليمنِ في كلمةٍ تدلُّهُ علىٰ هدىً ، أوْ تردُّهُ عنْ ردىً . . ما كانَ سفرُهُ ضائعاً)(٤) .

ورحلَ جابرُ بنُ عبدِ اللهِ مِنَ المدينةِ إلىٰ مصرَ معَ غيرِهِ مِنَ الصحابةِ ، فساروا شهراً في حديثٍ بلغَهُمْ عنْ عبدِ اللهِ بنِ أُنيسٍ الأنصاريِّ يحدِّثُ بهِ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، حتَّىٰ سمعوهُ(٥) .

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٤٧) ، وقوله : « حتىٰ يرجع » إشارة إلىٰ أنه بعد الرجوع وإنذار القوم له درجة أعلىٰ من تلك الدرجة ؛ لأنه حينئذٍ وارث الأنبياء في تكميل الناقصين . « فيض القدير » (٦/ ١٢٤) .

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٩) .

(٣) فقد روى ابن سعد في « طبقاته » (٢/ ٣٢٨) عنه أنه قال : (إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد) .

(٤) قوت القلوب (٢/ ٢٠٥) .

(٥) رواه الحاكم في « المستدرك » (٢/ ٤٣٧) ، وأشار إلىٰ ذلك البخاري في « صحيحه » (كتاب العلم/ باب الخروج في طلب العلم) حيث قال : (ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلىٰ عبد الله بن أُنيس في حديث واحد) .

وقلَّ مذكورٌ في العلمِ محصِّلٌ مِنْ زمانِ الصحابةِ إلىٰ زمانِنا هـٰذا إلا وحصَّلَ العلمَ بالسفرِ وسافرَ لأجلِهِ .

وأمَّا علمُهُ بنفسِهِ وأخلاقِهِ : فذلك أيضاً مهمٌّ ؛ فإنَّ طريقَ الآخرةِ لا يمكنُ سلوكُهُ إلا بتحسينِ الخُلقِ وتهذيبِهِ ، ومَنْ لا يطلعُ علىٰ أسرارِ باطنِهِ وخبائثِ صفاتِهِ . . لا يقدرُ علىٰ تطهيرِ القلبِ منها ، وإنَّما السفرُ هوَ الذي يسفرُ عنْ أخلاقِ الرجالِ ، وبهِ يُخرجُ اللهُ الخبْءَ في السماواتِ والأرضِ .

وإنَّما سُمِّيَ السفرُ سفراً لأنَّهُ يسفرُ عنِ الأخلاقِ ، ولذلكَ قالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ للذي كانَ يعرِّفُ عندَهُ بعضَ الشهودِ : هلْ صحبتَهُ في السفرِ الذي يُستدلُّ بهِ علىٰ مكارمِ الأخلاقِ ؟ فقالَ : لا ، فقالَ : ما أراكَ تعرفُهُ⁽¹⁾ .

وكانَ بشرٌ يقولُ : (يا معشرَ القرَّاءِ ؛ سِيحوا . . تطيبوا ؛ فإنَّ الماءَ إذا ساحَ . . طابَ ، وإذا كثُرَ مُقامُهُ في موضعٍ . . تغيَّرَ)⁽²⁾ .

وبالجملةِ : فإنَّ النفسَ في الوطنِ معَ مواتاةِ الأسبابِ لا تظهرُ خبائثُ أخلاقِها ؛ لاستئناسِها بما يوافقُ طبعَها مِنَ المألوفاتِ المعهودةِ ، فإذا حملَتْ وعثاءَ السفرِ ، وصُرِفَتْ عنْ مألوفاتِها المعتادةِ ، وامتُحنَتْ بمشاقِّ الغربةِ . .

---

(1) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت وآداب اللسان » (٦٠٣) ، وبلفظ المصنف في « القوت » (٢/ ١١٥) .

(2) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٤/ ٢٠٧) بنحوه ، ولفظه في « القوت » (٢/ ٢٠٤) .

انكشفَتْ غوائلُها ، ووقعَ الوقوفُ علىٰ عيوبِها ، فيمكنُ الاشتغالُ بعلاجِها .

وقدْ ذكرنا في كتابِ العزلةِ فوائدَ المخالطةِ ، والسفرُ مخالطةٌ معَ زيادةِ اشتغالٍ واحتمالِ مشاقَّ .

وأمَّا آياتُ اللهِ في أرضِهِ : ففي مشاهدتِها فوائدُ للمستبصرِ ، ففيها قِطَعٌ متجاوراتٌ ، وفيها الجبالُ ، والبراري والبحارُ ، وأنواعُ الحيوانِ والنباتِ ، وما مِنْ شيءٍ منها إلا وهوَ شاهدٌ للهِ بالوحدانيةِ ، ومسبِّحٌ لهُ بلسانٍ ذَلِقٍ(١) لا يدركُهُ إلا مَنْ ألقى السمعَ وهوَ شهيدٌ ، وأمَّا الجاحدونَ والغافلونَ والمغترُّونَ بلامعِ السرابِ مِنْ زهرةِ الدنيا . . فإنَّهُمْ لا يبصرونَ ولا يسمعونَ ؛ لأنَّهُمْ عنِ السمعِ معزولونَ ، وعنْ آياتِ ربِّهِمْ محجوبونَ ، يعلمونَ ظاهراً مِنَ الحياةِ الدنيا وهُمْ عنِ الآخرةِ همْ غافلونَ .

وما أُريدَ بالسمعِ السمعُ الظاهرُ ؛ فإنَّ الذينَ أُريدوا بهِ ما كانوا معزولينَ عنهُ ، وإنَّما أُريدَ بهِ السمعُ الباطنُ ، ولا يُدركُ بالسمعِ الظاهرِ إلا الأصواتُ ، ويشاركُ فيهِ الإنسانَ سائرُ الحيواناتِ ، فأمَّا السمعُ الباطنُ . . فيُدركُ بهِ لسانُ الحالِ ، وهوَ نطقٌ وراءَ نطقِ المقالِ ، يشبهُ قولَ القائلِ حكايةً لكلامِ الوتدِ والحائطِ : قالَ الجدارُ للوَتِدِ : لِمَ تشقُّني ؟ فقالَ : سَلْ مَنْ يدقُّني فلمْ يتركْني ، وراءِ الحجرَ الذي ورائي(٢) .

---

(١) ذلق : فصيح .

(٢) راءِ : فعل أمر من راءىٰ يرائي ؛ أي : انظر . « إتحاف » (٢/ ٧٨) .

وما مِنْ ذرَّةٍ في السماواتِ والأرضِ إلا ولها أنواعُ شهاداتٍ للهِ سبحانَهُ بالوحدانيةِ هيَ توحيدُها ، وأنواعُ شهاداتٍ لصانِعها بالتقدُّسِ هيَ تسبيحُها ، ولكنْ لا يفقهونَ تسبيحَها ؛ لأنَّهُمْ لمْ يسافروا مِنْ مضيقِ سَمْعِ الظاهرِ إلىٰ فضاءِ سَمْعِ الباطنِ ، ومِنْ رَكاكةِ لسانِ المقالِ إلىٰ فصاحةِ لسانِ الحالِ ، ولوْ قدرَ كلُّ عاجزٍ علىٰ مثلِ هـٰذا السيرِ . . لما كانَ سليمانُ عليهِ السلامُ مختصّاً بفهمِ منطقِ الطيرِ ، ولما كانَ موسىٰ عليهِ السلامُ مختصّاً بسماعِ كلامِ اللهِ تعالى الذي يجبُ تقديسُهُ عَنْ مشابهةِ الحروفِ والأصواتِ .

ومَنْ يسافرُ ليستقرئَ هـٰذهِ الشهاداتِ مِنَ الأسطرِ المكتوبةِ بالخطوطِ الإلهيةِ علىٰ صفحاتِ الجماداتِ . . لمْ يطلْ سفرُهُ بالبدنِ ، بلْ يستقرُّ في موضعٍ ويفرِّغُ قلبَهُ للتمتُّعِ بسماعِ نغماتِ التسبيحاتِ مِنْ آحادِ الذرَّاتِ ، فما لهُ وللتردُّدِ في الفلواتِ ولهُ غنيةٌ في ملكوتِ السماواتِ ؟! فالشمسُ والقمرُ والنجومُ بأمرِهِ مسخراتٌ ، وهيَ إلىٰ أبصارِ ذوي البصائرِ مسافراتٌ في الشهرِ والسنةِ مراتٍ ، بلْ هيَ دائبةٌ في الحركةِ علىٰ توالي الأوقاتِ ، فمِنَ الغرائبِ أنْ يدأبَ في الطوافِ بآحادِ المساجدِ مَنْ أُمرتِ الكعبةُ أنْ تطوفَ بهِ ! ومِنَ الغرائبِ أنْ يطوفَ في أكنافِ الأرضِ مَنْ تطوفُ بهِ أقطارُ السماءِ !(١) .

ثُمَّ ما دامَ المسافرُ مفتقراً إلىٰ أنْ يبصرَ عالَمَ المُلكِ والشهادةِ بالبصرِ

---

(١) انظر ما ذكره العلامة الآلوسي في « تفسيره » (٢٣/ ١٤ـ ١٥) ، وقد سبقت الإشارة إليه في كتاب (أسرار الحج) عند قوله : (فضيلة المقام بمكة المكرمة وكراهته) .

الظاهرِ . . فهوَ يُعدُّ في المنزلِ الأوَّلِ مِنْ منازلِ السائرينِ إلى اللهِ تعالىٰ والمسافرينَ إلىٰ حضرتِهِ ، وكأنَّهُ معتكفٌ علىٰ بابِ الوطنِ لمْ يفضِ بهِ المسيرُ إلىٰ متسعِ الفضاءِ ، ولا سببَ لطولِ المُقامِ في هـٰذا المنزلِ إلا الجبنُ والقصورُ ، ولذلك قالَ بعضُ أرباب القلوبِ : (إنَّ الناسَ يقولونَ : افتحوا أعينَكُمْ حتَّىٰ تبصروا ، وأنا أقولُ : غمِّضوا أعينَكُمْ حتَّىٰ تبصروا) ، وكلُّ واحدٍ مِنَ القولينِ حقٌّ ، إلا أنَّ الأوَّلَ خبَّرَ عنِ المنزلِ الأوَّلِ القريبِ مِنَ الوطنِ ، والثانيَ خبَّرَ عمَّا بعدَهُ مِنَ المنازلِ البعيدةِ عنِ الوطنِ ، التي لا يطؤُها إلا مخاطرٌ بنفسِهِ ، والمجاوزُ إليها ربَّما يتيهُ فيها سنينَ ، وربَّما يأخذُ التوفيقُ بيدِهِ فيرشدُهُ إلىٰ سواءِ السبيلِ ، والهالكونَ في التيهِ همُ الأكثرونَ مِنْ ركَّابِ هـٰذهِ الطرقِ ، ولكنِ السائحونَ السالمونَ بنورِ التوفيقِ فازوا بالنعيمِ والملكِ المقيمِ ، وهمُ الذينَ سبقَتْ لهُمْ مِنَ اللهِ الحسنىٰ .

واعتبرْ هـٰذا الملكَ بملكِ الدنيا ؛ فإنَّهُ يقلُّ بالإضافةِ إلىٰ كثرةِ الخلقِ طلابُهُ ، ومهما عظمَ المطلوبُ . . قلَّ المساعدُ ، ثمَّ الذي يهلِكُ أكثرُ مِنَ الذي يملكُ ، ولا يتصدَّىٰ لطلبِ الملكِ العاجزُ الجبانُ ؛ لعظيمِ الخطرِ وطولِ التعبِ .

وَإِذا كـانَـتِ ٱلنُّفـوسُ كِبـاراً   تَعِبَتْ فِي مُرادِها ٱلأَجْسامُ(١)

وما أودعَ اللهُ العزَّ والملكَ في الدينِ والدنيا إلا في متنِ الخطرِ .

---

(١) البيت من الخفيف ، وهو للمتنبي في « ديوانه بشرح العكبري » (٣/ ٣٤٥) .

وقدْ يُسمِّي الجبانُ الجبنَ والقصورَ باسمِ الحـزْمِ والحذرِ ؛ كما قيل⁽¹⁾ : [من الوافر]

تَـرَى ٱلْجُبَنَـاءُ أَنَّ ٱلْجُبْـنَ حَـزْمٌ   وَتِلْـكَ خَـدِيعَـةُ ٱلطَّبْـعِ ٱللَّئِيـمِ

فهٰذا حكْمُ السفرِ الظاهرِ إذا أُريدَ بهِ السفرُ الباطنُ بمطالعةِ آياتِ اللهِ في الأرضِ ، فلنرجعْ إلى الغرضِ الذي كنَّا نقصدُهُ ولنبيِّنْ .

* * *

القسمُ الثاني : وهوَ أنْ يسافرَ لأجلِ العبادةِ : إمَّا لجهادٍ أوْ لحجٍّ :

وقدْ ذكرنا فضْلَ ذلكَ وآدابَهُ وأعمالَهُ الظاهرةَ والباطنةَ في كتابِ أسرارِ الحجِّ ، ويدخلُ في جملتِهِ زيارةُ قبورِ الأنبياءِ عليهمُ السلامُ ، وزيارةُ قبورِ الصحابةِ والتابعينَ ، وسائرِ العلماءِ والأولياءِ ، وكلُّ مَنْ يُتبرَّكُ بمشاهدتِهِ في حياتِهِ يُتبرَّكُ بزيارتِهِ بعدَ وفاتِهِ .

ويجوزُ شدُّ الرحالِ لهٰذا الغرضِ ، ولا يمنعُ مِنْ هٰذا قولُهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « لا تُشدُّ الرحالُ إلا إلىٰ ثلاثةِ مساجدَ : مسجدي هٰذا ، والمسجدِ الحرامِ ، والمسجدِ الأقصىٰ »⁽²⁾ ؛ لأنَّ ذلكَ في المساجدِ ، فإنَّها متماثلةٌ بعدَ هٰذهِ المساجدِ ، وإلا . . فلا فرقَ بينَ زيارةِ قبورِ الأنبياءِ وبينَ الأولياءِ والعلماءِ في أصلِ الفضلِ ، وإنْ كانَ يتفاوتُ في الدرجاتِ تفاوتاً

---

(1) البيت للمتنبي في « ديوانه بشرح العكبري » (٤/ ١٢٠) ، وفيه : (أن العجز عقل) .

(2) رواه البخاري (١١٨٩) ، ومسلم (١٣٩٧) .

عظيماً بحسَبِ اختلافِ درجاتِهِمْ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ .

وبالجملةِ : زيارةُ الأحياءِ أولىٰ مِنْ زيارةِ الأمواتِ ، والفائدةُ مِنْ زيارةِ الأحياءِ طلبُ بركةِ الدعاءِ وبركةِ النظرِ إليهِمْ ؛ فإنَّ النظرَ إلىٰ وجوهِ العلماءِ والصلحاءِ عبادةٌ[1] ، وفيه أيضاً حركةُ الرغبةِ في الاقتداءِ بهِمْ ، والتخلُّقِ بأخلاقِهِمْ وآدابِهِمْ ، هـٰذا سوىٰ ما يُنتظرُ مِنَ الفوائدِ العلميَّةِ المستفادةِ مِنْ أنفاسِهِمْ وأفعالِهِمْ ، كيفَ ومجرَّدُ زيارةِ الإخوانِ في اللهِ عزَّ وجلَّ فيهِ فضْلٌ كما ذكرناهُ في كتابِ الصحبةِ ؟! وفي التوراةِ : (سِرْ أربعةَ أميالٍ : زُرْ أخاً في اللهِ)[2] .

وأمَّا البقاعُ . . فلا معنىٰ لزيارتِها سوى المساجدِ الثلاثةِ ، وسوى الثغورِ للرباطِ بها ، فالحديثُ ظاهرٌ في أنَّهُ لا تُشدُّ الرحالُ لطلبِ بركةِ البقاعِ إلا إلى المساجدِ الثلاثةِ .

وقدْ ذكرنا فضائلَ الحرمينِ في كتابِ الحجِّ ، وبيتُ المقدسِ أيضاً لهُ فضلٌ كبيرٌ ، خرجَ ابنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ مِنَ المدينةِ قاصداً بيتَ المقدسِ حتَّىٰ صلَّىٰ فيهِ الصلواتِ الخمسَ ثمَّ كرَّ راجعاً مِنَ الغدِ إلى المدينةِ[3] .

---

(١) فإنهم إذا رُؤوا . . ذكر الله ، والذكر عبادة . « إتحاف » (٦/ ٣٨٨) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ١٨٧) ، ورواه الديلمي في « مسند الفردوس » (٣٥٢٣) عن علي رضي الله عنه ، وروىٰ نحوه ابن عدي في « الكامل » (٥/ ١٧٩) مرفوعاً ، وورد منثوراً علىٰ لسان التابعين كذلك .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢٠٥) .

وقدْ سألَ سليمانُ عليهِ السلامُ ربَّهُ عزَّ وجلَّ أنَّ مَنْ قصدَ هـٰذا المسجدَ لا يعنيهِ إلا الصلاةُ فيهِ ألا تصرفَ نظرَكَ عنهُ ما دامَ مقيماً فيهِ حتَّىٰ يخرجَ منهُ ، وأنْ تخرجَهُ مِنْ ذنوبِهِ كيومَ ولدتْهُ أمُّهُ ، فأعطاهُ اللهُ ذلكَ(١) .

* * *

القسمُ الثالثُ : أنْ يكونَ السفرُ للهربِ مِنْ سببٍ مشوِّشٍ للدينِ :

وذلكَ أيضاً حسنٌ ، فالفرارُ ممَّا لا يُطاقُ مِنْ سننِ الأنبياءِ والمرسلينَ .

وممَّا يجبُ الهربُ منهُ : الولايةُ ، والجاهُ ، وكثرةُ العلائقِ والأسبابِ ؛ فإنَّ كلَّ ذلكَ يشوِّشُ فراغَ القلبِ ، والدينُ لا يتمُّ إلا بقلبٍ فارغٍ عنْ غيرِ اللهِ ، فإنْ لمْ يتمَّ فراغُهُ . . فبقدْرِ فراغِهِ يُتصوَّرُ أنْ يشتغلَ بالدينِ ، ولا يُتصوَّرُ فراغُ القلبِ في الدنيا عنْ مهمَّاتِ الدنيا والحاجاتِ الضروريةِ ، ولكنْ يُتصوَّرُ تخفيفُها وتثقيلُها ، وقدْ نجا المخفُّونَ وهلكَ المثقلونَ(٢) ، والحمدُ للهِ الذي لمْ يعلِّقِ النجاةَ بالفراغِ المطلقِ عنْ جميعِ الأوزارِ والأعباءِ ، بلْ قَبلَ المخفَّ بفضلِهِ ، وشمَلَهُ بسعةِ رحمتِهِ .

والمخفُّ : هوَ الذي ليستِ الدنيا أكبرَ همِّهِ ، وذلكَ لا يتيسَّرُ في الوطنِ لمَنِ اتسعَ جاهُهُ ، وكثرَتْ علائقُهُ ، فلا يتمُّ مقصودُهُ إلا بالغربةِ والخمولِ

---

(١) كذا في « القوت » (٢/ ٢٠٥) ، ونحوه عند النسائي (٢/ ٣٤) .

(٢) فقد روى الحاكم في « المستدرك » (٤/ ٥٧٣) من حديث أبي الدرداء مرفوعاً : « إن أمامكم عقبة كؤوداً ، لا يجوزها المثقلون ، فأحب أن أتخفف لتلك العقبة » .

وقطعِ العلائقِ التي لهُ بدٌّ عنها ؛ حتَّىٰ يروِّضَ نفسَهُ مدَّةً مديدةً ، ثمَّ ربَّما يمدُّهُ اللهُ بمعونتِهِ ، فينعمُ عليهِ بما يقوىٰ بهِ يقينُهُ ، ويطمئنُّ بهِ قلبُهُ ، فيستوي عندَهُ الحضرُ والسفرُ ، ويتقاربُ عندَهُ وجودُ الأسبابِ والعلائقِ وعدمُها ، فلا يصدُّهُ شيءٌ منها عمَّا هوَ بصددِهِ مِنْ ذكرِ اللهِ ، وذلكَ ممَّا يعزُّ وجودُهُ جدّاً ، بلِ الغالبُ على القلوبِ الضعفُ ، والقصورُ عنِ الاتساعِ للخلْقِ والخالقِ ، وإنَّما يسعدُ بهٰذهِ القوَّةِ الأنبياءُ والأولياءُ ، والوصولُ إليها بالكسبِ شديدٌ وإنْ كانَ للاجتهادِ والكسبِ فيها مدخلٌ أيضاً .

ومثالُ تفاوتِ القوَّةِ الباطنةِ فيهِ كتفاوتِ القوَّةِ الظاهرةِ في الأعضاءِ ، فربَّ رجلٍ قويٍّ ذي مِرَّةٍ ، سويٍّ شديدِ الأعصابِ محكَمِ البنيةِ ، يستقلُّ بحملِ ما وزنُهُ ألفُ رطلٍ مثلاً ، فلوْ أرادَ الضعيفُ المريضُ أنْ ينالَ رتبتَهُ بممارسةِ الحملِ والتدريجِ فيهِ قليلاً قليلاً . . لمْ يقدرْ عليهِ ، ولكنَّ الممارسةَ والجهْدَ يزيدُ في قوَّتِهِ زيادةً ما ، وإنْ كانَ ذلكَ لا يبلِّغُهُ درجتَهُ ، فلا ينبغي أنْ يتركَ الجهدَ عندَ اليأسِ عنِ الرتبةِ العليا ؛ فإنَّ ذلكَ غايةُ الجهلِ ونهايةُ الضلالِ .

وقدْ كانَ مِنْ عادةِ السلفِ رضيَ اللهُ عنهُمْ مفارقةُ الوطنِ خيفةً مِنَ الفتنِ ، قالَ سفيانُ الثوريُّ : (هٰذا زمانُ سوءٍ ، لا يؤمنُ فيهِ على الخاملِ ، فكيفَ على المشهورينَ ؟! هٰذا زمانُ رجلٍ ينتقلُ مِنْ بلدٍ إلىٰ بلدٍ ، كلَّما عُرِفَ في موضعٍ . . تحوَّلَ إلىٰ غيرِهِ)(١) .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٠٥) .

وقالَ أبو نعيمٍ : رأيتُ سفيانَ الثوريَّ وقدْ علَّقَ قلَّتَهُ بيدِهِ ، ووضعَ جرابَهُ علىٰ ظهرِهِ ، فقلتُ : إلىٰ أينَ يا أبا عبدِ اللهِ ؟ قالَ : بلغَني عنْ قريةٍ فيها رخْصٌ ، أريدُ أنْ أقيمَ بها ، فقلتُ لهُ : وتفعلُ هٰذا ؟ قالَ : نعمْ ، إذا بلغَكَ أنَّ قريةً فيها رخْصٌ . . فأقمْ بها ؛ فإنَّهُ أسلمُ لدينِكَ وأقلُّ لهمِّكَ(١) . وهٰذا هربٌ مِنْ غلاءِ السعرِ .

وكانَ سريٌّ السقطيُّ يقولُ للصوفيَّةِ : (إذا خرجَ الشتاءُ . . فقدْ خرجَ آذارُ ، وأورقَتِ الأشجارُ ، وطابَ الانتشارُ ؛ فانتشروا)(٢) .

وقدْ كانَ الخوَّاصُ لا يقيمُ في بلدٍ أكثرَ مِنْ أربعينَ يوماً ، وكانَ مِنَ المتوكلينَ ، ويرى الإقامةَ اعتماداً على الأسبابِ قادحاً في التوكُّلِ(٣) ، وسيأتي أسرارُ الاعتمادِ على الأسبابِ في كتابِ التوكُّلِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

* * *

القسمُ الرابعُ : السفرُ هرباً ممَّا يقدحُ في البدنِ ؛ كالطاعونِ ، أوْ في المالِ ؛ كغلاءِ السعرِ وما يجري مجراهُ :

ولا حرجَ في ذلكَ ، بلْ ربَّما يجبُ الفرارُ في بعضِ المواضعِ ، وربَّما يُستحبُّ في بعضٍ ؛ بحسَبِ وجوبِ ما يترتَّبُ عليهِ مِنَ الفوائدِ واستحبابِهِ .

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١٢٣) ، وأبو نعيم هو الفضل بن دكين .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٠٥) .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٢٠٧) .

ولكنْ يُستثنىٰ منهُ الطاعونُ ، فلا ينبغي أنْ يفرَّ منهُ ؛ لورودِ النهيِ فيهِ ، قالَ أسامةُ بنُ زيدٍ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ هـٰذا الوجعَ أوِ السقمَ رجزٌ عُذِّبَ بهِ بعضُ الأممِ قبلَكُمْ ، ثمَّ بقيَ بعدُ في الأرضِ ، فيذهبُ المرَّةَ ويأتي الأخرىٰ ، فمَنْ سمعَ بهِ في أرضٍ . . فلا يقدمَنَّ عليهِ ، ومَنْ وقعَ بأرضٍ وهوَ بها . . فلا يخرجَنَّهُ الفرارُ منهُ »[1] .

وقالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ فناءَ أمَّتي بالطعنِ والطاعونِ » ، فقلتُ : هـٰذا الطعنُ قدْ عرفناهُ ، فما الطاعونُ ؟ قالَ : « غدَّةٌ كغدَّةِ البعيرِ تأخذُهُمْ في مراقِهِمْ ، المسلمُ الميتُ منهُ شهيدٌ ، والمقيمُ عليهِ المحتسِبُ كالمرابطِ في سبيلِ اللهِ ، والفارُّ منهُ كالفارِّ مِنَ الزحفِ »[2] .

وعنْ مكحولٍ عنْ أمِّ أيمنَ قالَتْ : أوصىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بعضَ أهلِهِ : « لا تشركْ باللهِ شيئاً وإنْ عُذِّبْتَ أوْ حُرِّقتَ ، وأطعْ والديكَ ، وإنْ أمراكَ أنْ تخرجَ مِنْ كلِّ شيءٍ هوَ لكَ . . فاخرجْ منهُ ، ولا تتركِ الصلاةَ عمداً ؛ فإنَّهُ مَنْ تركَ الصلاةَ عمداً . . فقدْ برئَتْ منهُ ذمَّةُ اللهِ ، وإيَّاكَ والخمرَ ؛ فإنَّها مفتاحُ كلِّ شرٍّ ، وإيَّاكَ والمعصيةَ ؛ فإنَّها تسخطُ اللهَ ، ولا تفرَّ مِنَ الزحفِ ، وإنْ أصابَ الناسَ مُوْتانٌ وأنتَ فيهِمْ . . فاثبتْ فيهِمْ ،

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧٣) ، ومسلم (٢٢١٨) واللفظ له .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ١٤٥) .

أنفقْ مِنْ طَولِكَ علىٰ أهلِ بيتِكَ ، ولا ترفعْ عصاكَ عنهُمْ ، أخِفْهُمْ في اللهِ »(١) .

فهٰذهِ الأحاديثُ تدلُّ علىٰ أنَّ الفرارَ مِنَ الطاعونِ منهيٌّ عنهُ ، وكذا القدومُ عليهِ ، وسيأتي سِرُّ ذلك في كتابِ التوكُّلِ .

* * *

فهٰذهِ أقسامُ الأسفارِ ، وقدْ خرجَ منهُ أنَّ السفرَ ينقسمُ : إلىٰ مذمومٍ ، وإلىٰ محمودٍ ، وإلىٰ مباحٍ ، والمذمومُ ينقسمُ : إلىٰ **حرامٍ** ؛ كإباقِ العبدِ وسفرِ العاقِّ ، وإلىٰ **مكروهٍ** ؛ كالخروجِ مِنْ بلدِ الطاعونِ ، والمحمودُ ينقسمُ : إلىٰ **واجبٍ** ؛ كالحجِّ وطلبِ العلمِ الذي هوَ فريضةٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ ، وإلىٰ **مندوبٍ إليه** ؛ كزيارةِ العلماءِ وزيارةِ مشاهدِهِمْ .

ومِنْ هٰذهِ الأسبابِ تتبيَّنُ النيَّةُ في السفرِ ، فإنَّ معنى النيّةِ الانبعاثُ للسببِ الباعثِ والانتهاضُ لإجابةِ الداعيةِ ، ولتكنْ نيَّتُهُ الآخرةَ في جميعِ أسفارِهِ ، وذلكَ ظاهرٌ في الواجبِ والمندوبِ ، ومحالٌ في المكروهِ والمحظورِ ، وأمَّا **المباحُ** . . فمرجعُهُ إلى النيةِ ، فمهما كانَ قصدُهُ بطلبِ المالِ مثلاً التعفُّفَ عنِ السؤالِ ، ورعايةَ سترِ المروءةِ على الأهلِ والعيالِ ، والتصدُّقَ بما فضلَ مِنَ المالِ عنْ مبلغِ الحاجاتِ . . صارَ هٰذا المباحُ بهٰذهِ

---

(١) رواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٧/ ٣٠٤) ، وحكىٰ إرساله بين مكحول وأم أيمن رضي الله عنها ، ثم قال : (قال أبو عبيد : قال الكسائي وغيره : يقال إنه لم يرد العصا التي يضرب بها ، ولا أمر أحداً بذلك ، ولكنه أراد الأدب) ، **والموتان** ـ بوزان بُطْلان ـ : الموت الكثير الذريع .

النيَّةِ مِنْ أعمالِ الآخرةِ ، ولوْ خرجَ إلى الحجِّ وباعثُهُ الرياءُ والسمعةُ . . لخرجَ عنْ كونِهِ مِنْ أعمالِ الآخرةِ ، فقولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « الأعمالُ بالنيّاتِ »⁽¹⁾ عامٌّ في الواجباتِ والمباحاتِ دونَ المحظوراتِ ؛ فإنَّ النيَّةَ لا تؤثِّرُ في إخراجِها عَنْ كونِها محظورةً .

وقدْ قالَ بعضُ السلفِ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ قدْ وكَّلَ بالمسافرينَ ملائكةً ينظرونَ إلىٰ مقاصدِهِمْ ، فيُعطي كلَّ واحدٍ علىٰ نحوِ نيَّتِهِ ، فمَنْ كانَتْ نيَّتُهُ الدنيا . . أُعطيَ منها ونقصَ مِنْ آخرتِهِ أضعافُهُ ، وفُرِّقَ عليهِ همُّهُ ، وكثُرَ بالحرصِ والرغبةِ شغلُهُ ، ومَنْ كانَتْ نيَّتُهُ الآخرةَ . . أُعطيَ مِنَ البصيرةِ والفطنةِ ، وفُتِحَ لهُ مِنَ التذكرةِ والعبرةِ بقدْرِ نيَّتِهِ ، وجُمِعَ لهُ همُّهُ ، ودعَتْ لهُ الملائكةُ واستغفرَتْ لهُ)⁽²⁾ .

وأمَّا النظرُ في أنَّ السفرَ هوَ الأفضلُ أوِ الإقامةَ . . فذلكَ يضاهي النظرَ في أنَّ الأفضلَ هوَ العزلةُ أوِ المخالطةُ ، وقدْ ذكرنا منهاجَهُ في كتابِ العزلةِ ، فليفهمْ هـٰذا منهُ ؛ فإنَّ السفرَ نوعُ مخالطةٍ معَ زيادةِ تعبٍ ومشقةٍ تفرِّقُ الهمَّ وتشتِّتُ القلبَ في حقِّ الأكثرينَ ، والأفضلُ في هـٰذا ما هوَ الأعونُ على الدينِ .

ونهايةُ ثمرةِ الدينِ في الدنيا تحصيلُ معرفةِ اللهِ تعالىٰ ، وتحصيلُ الأنسِ بذكرِ اللهِ تعالىٰ ، والأنسُ يحصلُ بدوامِ الذكرِ ، والمعرفةُ تحصلُ بدوامِ الفكرِ ،

---

(1) رواه بهـٰذا اللفظ ابن حبان في « صحيحه » (٣٨٨) ، وقد تقدم .

(2) قوت القلوب (٢/ ٢٠٤) .

ومَنْ لمْ يتعلَّمْ طريقَ الفكرِ والذكرِ . . لمْ يتمكَّنْ منهما ، والسفرُ هوَ المعينُ على التعلُّمِ في الابتداءِ ، والإقامةُ هيَ المعينةُ على العملِ بالعلمِ في الانتهاءِ .

وأمَّا السياحةُ في الأرضِ على الدوامِ . . فمِنَ المشوشاتِ للقلبِ إلا في حقِّ الأقوياءِ ؛ فإنَّ المسافرَ ومالَهُ لعلىٰ قَلَتٍ إلا ما وقى اللهُ(١) ، فلا يزالُ المسافرُ مشغولَ القلبِ ، تارةً بالخوفِ علىٰ نفسِهِ ومالِهِ ، وتارةً بمفارقةِ ما ألفَهُ واعتادَهُ في إقامتِهِ ، وإنْ لمْ يكنْ معَهُ مالٌ يخافُ عليهِ . . فلا يخلو عنِ الطمعِ والاستشرافِ إلى الخلْقِ ، فتارةً يضعفُ قلبُهُ بسببِ الفقرِ ، وتارةً يقوىٰ باستحكامِ أسبابِ الطمعِ .

ثمَّ شغلُ الحطِّ والترحالِ مشوِّشٌ لجميعِ الأحوالِ ، فلا ينبغي أنْ يسافرَ المريدُ إلا في طلبِ علمٍ ، أوْ مشاهدةِ شيخٍ يُقتدىٰ بهِ في سيرتِهِ وتُستفادُ الرغبةُ في الخيرِ مِنْ مشاهدتِهِ ، فإنِ اشتغلَ بنفسِهِ واستبصرَ ، وانفتحَ لهُ طريقُ الفكرِ أوِ العملِ . . فالسكونُ أولىٰ بهِ ، إلا أنَّ أكثرَ متصوِّفةِ هـٰذهِ الأعصارِ لمَّا خلَتْ بواطنُهُمْ مِنْ لطائفِ الأفكارِ ودقائقِ الأعمالِ ، ولمْ يحصلْ لهُمْ أنسٌ باللهِ تعالىٰ وبذكرِهِ في الخلوةِ ، وكانوا بطَّالينَ غيرَ محترفينَ ولا مشغولينَ ، قدْ ألفوا البطالةَ واستثقلوا العملَ ، واستوعروا طريقَ الكسبِ ، واستلانوا جانبَ السؤالِ والكديةِ(٢) ، واستطابوا الرباطاتِ المبنيَّةَ لهُمْ في البلادِ ،

---

(١) القَلَت : الهلاك ، يقال : أصبح علىٰ قَلَت ؛ أي : علىٰ شرف هلاك .

(٢) الكدية : الاستجداء من الناس ، والإلحاح في المسألة .

واستسخروا الخدمَ المنتصبينَ للقيامِ بخدمةِ القومِ ، واستخفُّوا عقولَهُمْ وأديانَهُمْ ؛ مِنْ حيثُ لمْ يكنْ قصدُهُمْ مِنَ الخدمةِ إلا الرياءَ والسمعةَ وانتشارَ الصيتِ ، واقتناصَ الأموالِ بطريقِ السؤالِ ؛ تعلُّلاً بكثرةِ الأتباعِ ، فلمْ يكنْ لهُمْ في الخانَقاهاتِ حكمٌ نافذٌ ، ولا تأديبٌ للمسافرينَ نافعٌ ، ولا حجرٌ عليهِمْ قاهرٌ ، فلبسوا المرقَّعاتِ ، واتخذوا مِنَ الخانقاهاتِ متنزَّهاتٍ ، وربما تلقَّنُوا ألفاظاً مزخرفةً مِنْ أهلِ الطاماتِ ، فينظرونَ إلىٰ أنفسِهِمْ وقدْ تشبَّهوا بالقومِ في خرقتِهِمْ ، وفي سياحتِهِمْ ، وفي لفظِهِمْ وعبارتِهِمْ ، وفي آدابٍ ظاهرةٍ مِنْ سيرتِهِمْ ، فيظنُّونَ بأنفسِهِمْ خيراً ، ويحسبونَ أنَّهُمْ يحسنونَ صنعاً ، ويعتقدونَ أنَّ كلَّ سوداءَ تمرةٌ ، ويتوهَّمونَ أنَّ المشاركةَ في الظواهرِ توجبُ المساهمةَ في الحقائقِ .

وهيهاتَ ! فما أغزرَ حماقةَ مَنْ لا يميِّزُ بينَ الشحْمِ والورَمِ ! فهؤلاءِ بغضاءُ اللهِ ؛ فإنَّ الله تعالىٰ يبغضُ الشابَّ الفارغَ ، ولمْ يحملْهُمْ على السياحةِ إلا الشبابُ والفراغُ ، إلا مَنْ سافرَ لحجٍّ أوْ عمرةٍ في غيرِ رياءٍ ولا سمعةٍ ، أوْ سافرَ لمشاهدةِ شيخٍ يُقتدىٰ به في علمِهِ وسيرتِهِ ، وقدْ خلتِ البلادُ عنهُ الآنَ .

والأمورُ الدينيَّةُ كلُّها قدْ فسدَتْ وضعفَتْ إلا التصوُّفَ ، فإنَّهُ قدِ انمحقَ بالكليَّةِ وبطلَ ؛ لأنَّ العلومَ لمْ تندرسْ بعدُ ، والعالمُ وإنْ كانَ عالمَ سوءٍ فإنَّما فسادُهُ في سيرتِهِ لا في علمِهِ ، فيبقىٰ عالماً غيرَ عاملٍ بعلمِهِ ، والعملُ غيرُ العلمِ .

وأمَّا التصوُّفُ . . فإنَّهُ عبارةٌ عنْ تجرُّدِ القلبِ للهِ تعالىٰ ، واستحقارِ

ما سوى اللهِ ، وحاصلُهُ يرجعُ إلىٰ عملِ القلبِ والجوارحِ ، ومهما فسدَ العملُ . . فاتَ الأصلُ .

وفي أسفارِ هؤلاءِ نظرٌ للفقهاءِ ؛ مِنْ حيثُ إنَّهُ إتعابُ نفسٍ بلا فائدةٍ ، وقدْ يُقالُ : إنَّ ذلكَ ممنوعٌ(١) ، **ولكنَّ الصوابَ عندنا أنْ نحكمَ بالإباحةِ** ، فإنَّ حظوظَهُمُ التفرُّجُ عنْ كرْبِ البطالةِ بمشاهدةِ البلادِ المختلفةِ(٢) ، وهٰذهِ الحظوظُ وإنْ كانَت خسيسةً فنفوسُ المتحرِّكينَ لهٰذهِ الحظوظِ أيضاً خسيسةٌ ، ولا بأسَ بإتعابِ حيوانٍ خسيسٍ لحظٍّ خسيسٍ يليقُ بهِ ويعودُ إليهِ ، فهوَ المتأذِّي وهوَ المتلذِّذُ .

والفتوىٰ تقتضي تشتيتَ العوامِّ في المباحاتِ التي لا نفعَ فيها ولا ضررَ ، فالسائحونَ مِنْ غيرِ مهمٍّ في الدينِ والدنيا ، بلْ لمحضِ التفرُّجِ في البلادِ ؛ كالبهائمِ المتردِّدةِ في الصحارىٰ ، فلا بأسَ بسياحتِهِمْ ما كفُّوا عنِ الناسِ شرَّهُمْ ، ولمْ يلبسوا على الخلقِ حالَهُمْ ، وإنَّما عصيانُهُمْ في التلبيسِ والسؤالِ على اسمِ التصوُّفِ ، والأكلِ مِنَ الأوقافِ التي وُقفَت على الصوفيَّةِ ؛ لأنَّ الصوفيَّ عبارةٌ عنْ رجلٍ صالحٍ عدْلٍ في دينِهِ ، معَ صفاتٍ

---

(١) وسند المنع أنا لا نسلم أنه إتعاب نفس ، فأقل ما يقال فيه : إن تلك الحركة لا تخلو عن مشقة ، وهي لا تقصر عن رياضة للبدن ، وهٰذه فائدة في الجملة . « إتحاف » (٦/ ٣٩٥) .

(٢) فإن البطالة ثقل معنوي ، لا يخففها إلا التنقل من أرض إلىٰ أرض . « إتحاف » (٦/ ٣٩٥) .

أخرىٰ وراءَ الصلاحِ ، ومِنْ أقلِّ أحوالِ هؤلاءِ أكلُهُمْ أموالَ السلاطينِ ، وأكلُ الحرامِ مِنَ الكبائرِ ، فلا تبقىٰ معَهُ العدالةُ والصلاحُ .

ولوْ تُصُوِّرَ صوفيٌّ فاسقٌ . . لتُصُوِّرَ صوفيٌّ كافرٌ ، وفقيهٌ يهوديٌّ ، وكما أنَّ الفقيهَ عبارةٌ عنْ مسلمٍ مخصوصٍ . . فالصوفيُّ عبارةٌ عنْ عدْلٍ مخصوصٍ لا يقتصرُ في دينِهِ على القدْرِ الذي تحصلُ بهِ العدالةُ ، وكذلكَ مَنْ نظرَ إلىٰ ظواهرِهِمْ ولمْ يعرفْ بواطنَهُمْ وأعطاهُمْ مِنْ مالِهِ علىٰ سبيلِ التقرُّبِ إلى اللهِ تعالىٰ . . حرمَ عليهِمُ الأخذُ ، وكانَ ما أكلوهُ سحتاً ، وأعني بهِ : إذا كانَ المعطي بحيثُ لوْ عرفَ بواطنَ أحوالِهِمْ . . ما أعطاهُمْ .

وأخذُ المالِ بإظهارِ التصوُّفِ مِنْ غيرِ اتصافٍ بحقيقتِهِ كأخذِهِ بإظهارِ نسبِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ سبيلِ الدعوىٰ ، ومَنْ زعمَ أنَّهُ علويٌّ(١) وهوَ كاذبٌ ، وأعطاهُ مسلمٌ مالاً لحبِّهِ أهلَ بيتِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ولوْ علمَ أنَّهُ كاذبٌ . . لمْ يعطِهِ شيئاً ؛ فأخذُهُ عليهِ حرامٌ ، وكذلكَ الصوفيُّ .

ولهٰذا احترزَ المحتاطونَ عنِ الأكلِ بالدينِ ؛ فإنَّ المبالغَ في الاحتياطِ لدينِهِ لا ينفكُّ في باطنِهِ عنْ عوراتٍ لوِ انكشفَتْ للراغبِ في مواساتِهِ . . لفترَتْ رغبتُهُ عنِ المواساةِ ، فلا جرمَ كانوا لا يشترونَ شيئاً بأنفسِهِمْ مخافةَ

---

(١) أي : من أولاد علي ـ كرم الله وجهه ـ بواسطة أحد أولاده الخمسة ؛ الحسن والحسين ومحمد والعباس وعمر . « إتحاف » (٦/٣٩٦) .

أنْ يُسامحوا لأجلِ دينِهِمْ ، فيكونوا آكلينَ بالدينِ ، وكانوا يوكلونَ مَنْ يشتري لهُمْ ، ويشترطونَ على الوكيلِ ألا يظهرَ أنَّهُ لمَنْ يشتري .

نعمْ ، إنَّما يحلُّ أخذُ ما يُعطىٰ لأجلِ الدينِ إذا كانَ الآخذُ بحيثُ لوْ علمَ المعطي مِنْ باطنِهِ ما يعلمُهُ اللهُ تعالىٰ . . لمْ يقتضِ ذلكَ فتوراً في رأيِهِ فيهِ ، والعاقلُ المنصفُ يعلمُ مِنْ نفسِهِ أنَّ ذلكَ ممتنعٌ أوْ عزيزٌ ، والمغرورُ الجاهلُ بنفسِهِ أحرىٰ بأنْ يكونَ جاهلاً بأمرِ دينِهِ ، فإنَّ أقربَ الأشياءِ إلىٰ قالبِهِ قلبُهُ ، فإذا التبسَ علىٰ قالبِهِ أمرُ قلبِهِ . . فكيفَ ينكشفُ لهُ غيرُهُ ؟! ومَنْ عرفَ هـٰذهِ الحقيقةَ . . لزمَهُ ـ لا محالةَ ـ ألا يأكلَ إلا مِنْ كسبِهِ ؛ ليأمنَ مِنْ هـٰذهِ الغائلةِ ، أوْ لا يأكلَ إلا مِنْ مالِ مَنْ يعلمُ قطعاً أنَّهُ لوِ انكشفَ لهُ عوراتُ باطنِهِ . . لمْ يمنعْهُ ذلكَ عنْ مواساتِهِ .

فإنِ اضطرَّ طالبُ الحلالِ ومريدُ طريقِ الآخرةِ إلىٰ أخذِ مالِ غيرِهِ . . فليصرِّحْ لهُ وليقلْ : (إنَّكَ إنْ كنتَ تعطيني لما تعتقدُهُ فيَّ مِنَ الدينِ . . فلستُ مستحقّاً لذلكَ ، ولوْ كشفَ اللهُ تعالىٰ ستري . . لمْ ترني بعينِ التوقيرِ ، بلِ اعتقدتَ أنِّي شرُّ الخلقِ أوْ مِنْ شرارِهِمْ) ، فإنْ أعطاهُ معَ ذلكَ . . فليأخذْ ؛ فإنَّهُ ربَّما يرضىٰ منهُ هـٰذهِ الخصلةَ ، وهوَ اعترافُهُ علىٰ نفسِهِ بركاكةِ الدينِ ، وعدمِ استحقاقِهِ لما يأخذُهُ⁽¹⁾ .

ولكنْ هـٰهنا مكيدةٌ للنفسِ بيِّنةٌ ومخادعةٌ فليُتفطَّنْ لها ؛ وهوَ أنَّهُ قدْ يقولُ

---

(١) في النسخ : (وعدم استحلاله) ، والمثبت من (ق) ، ولعله الصواب ، والله أعلم .

ذلكَ مظهراً أنَّهُ متشبِّهٌ بالصالحينَ في ذمِّهِمْ نفوسَهُمْ واستحقارِهِمْ لها ، ونظرِهِمْ إليها بعينِ المقْتِ والازدراءِ ، فتكونُ صورةُ الكلامِ صورةَ القدحِ والازدراءِ ، وباطنُهُ وروحُهُ هوَ عينُ المدحِ والإطراءِ ، فكمْ مِنْ ذامٍّ نفسَهُ وهوَ لها مادحٌ بعينِ ذمِّهِ ، فذمُّ النفسِ في الخلوةِ معَ النفسِ هوَ المحمودُ ، فأمَّا الذمُّ في الملأِ . فهوَ عينُ الرياءِ ، إلا إذا أوردَهُ إيراداً يحصلُ للمستمعِ يقيناً أنَّهُ مقترفٌ للذنوبِ ومعترفٌ بها ، وذلكَ ممَّا يمكنُ تفهيمُهُ بقرائنِ الأحوالِ ، ويمكنُ تلبيسُهُ بقرائنِ الأحوالِ ، والصادقُ بينَهُ وبينَ اللهِ تعالىٰ يعلمُ أنَّ مخادعتَهُ للهِ عزَّ وجلَّ أوْ مخادعتَهُ لنفسِهِ محالٌ ، فلا يتعذَّرُ عليهِ الاحترازُ عنْ أمثالِ ذلكَ .

فهٰذا هوَ القولُ في أقسامِ السفرِ ، ونيَّةِ المسافرِ ، وفضيلتِهِ .

* * *

الفَصلُ الثَّاني

في آدابِ المسافرِ من أوّلِ نهوضه إلى آخرِ رجوعه

وهي أحدَ عشرَ أدباً

الأوَّلُ : أنْ يبدأَ بردِّ المظالمِ ، وقضاءِ الديونِ ، وإعدادِ النفقةِ لمَنْ تلزمُهُ نفقتُهُ : ويردُّ الودائعَ إنْ كانَتْ عندَهُ ، ولا يأخذُ لزادِهِ إلا الطيِّبَ الحلالَ ، وليأخذْ قدراً يوسِّعُ بهِ علىٰ رفقائِهِ ، قالَ ابنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما : (مِنْ كرمِ الرجلِ طيبُ زادِهِ في سفرِهِ)⁽¹⁾ .

ولا بدَّ في السفرِ مِنْ طيبِ الكلامِ ، وإطعامِ الطعامِ ، وإظهارِ مكارمِ الأخلاقِ ؛ فإنَّ السفرَ يُخرجُ خبايا الباطِنِ ، ومَنْ صلحَ لصحبةِ السفرِ . . صلحَ لصحبةِ الحضرِ ، وقدْ يصلحُ في الحضرِ مَنْ لا يصلحُ للسفرِ ، ولذلكَ قيلَ : (إذا أثنىٰ على الرجلِ معاملوهُ في الحضرِ ، ورفقاؤُهُ في السفرِ . . فلا تشكُّوا في صلاحِهِ)⁽²⁾ .

والسفرُ مِنْ أسبابِ الضجرِ ، ومَنْ أحسنَ خُلُقَهُ في الضجرِ . . فهوَ الحسنُ الخُلُقِ، وإلا . . فعندَ مساعدةِ الأمورِ علىٰ وَفقِ الغرضِ قلَّما يظهرُ سوءُ الخلقِ.

---

(١) قوت القلوب (٢/ ١١٥) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٠٧) عن بعض السلف .

وقدْ قيلَ : (ثلاثةٌ لا يُلامونَ على الضجرِ : الصائمُ، والمريضُ، والمسافرُ)(١) .

وتمامُ حسنِ خلقِ المسافرِ الإحسانُ إلى المكاري ، ومعاونةُ الرفقةِ بكلِّ ممكنٍ ، والرفقُ بكلِّ منقطعٍ ؛ بألا يجاوزَهُ إلا بإعانةٍ بمركوبٍ أوْ زادٍ أوْ توقُّفٍ لأجلِهِ ، وتمامُ ذلكَ معَ الرفقاءِ بمزاحٍ ومطايبةٍ في بعضِ الأوقاتِ مِنْ غيرِ فحشٍ ولا معصيةٍ ؛ ليكونَ ذلكَ شفاءً لضجرِ السفرِ ومشاقِّهِ .

* * *

الثاني : أنْ يختارَ رفيقاً : فلا يخرجُ وحدَهُ ، فالرفيقُ ثمَّ الطريقُ ، وليكنْ رفيقُهُ ممَّنْ يعينُهُ على الدينِ ، فيذكِّرُهُ إذا نسيَ ، ويعينُهُ ويساعدُهُ إذا ذكَرَ ؛ فإنَّ المرءَ علىٰ دينِ خليلِهِ ، ولا يُعرفُ الرجلُ إلا برفيقِهِ .

وقدْ نهىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عَنْ أنْ يسافرَ الرجلُ وحدَهُ وقالَ : « الثلاثةُ نفرٌ »(٢) ، وقالَ : « إذا كنتُمْ ثلاثةً في سفرٍ . فأمِّروا أحدَكُمْ »(٣) ، وكانوا يفعلونَ ذلكَ ، ويقولونَ : هٰذا أميرٌ أمَّرَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ(٤) .

---

(١) كذا في « القوت » (٢/ ٢٠٧) ، وقد رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٤/ ٣٠٠) عن يحيى بن أبي كثير ، وزاد : (الشيخ الفاني) .

(٢) كذا في « القوت » (٢/ ٢٠٧) ، والذي رواه أبو داوود (٢٦٠٧) ، والترمذي (١٦٧٤) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٨٧٩٨) مرفوعاً : « الراكب شيطان ، والراكبان شيطانان ، والثلاثة ركب » .

(٣) رواه الطبراني في « الكبير » (٩/ ١٨٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

(٤) روىٰ ذلك الحاكم في « المستدرك » (١/ ٤٤٣) عن عمر رضي الله عنه ، والسياق عند صاحب « القوت » (٢/ ٢٠٧) .

وليؤمِّروا أحسنَهُمْ أخلاقاً ، وأرفقَهُمْ بالأصحابِ ، وأسرعَهُمْ إلى الإيثارِ وطلبِ الموافقةِ ، وإنَّما يُحتاجُ إلى الأميرِ لأنَّ الآراءَ تختلفُ في تعيينِ المنازلِ والطرقِ ومصالحِ السفرِ ، ولا نظامَ إلا في الوحدةِ ، ولا فسادَ إلا مِنَ الكثرةِ ، وإنَّما انتظمَ أمرُ العالمِ لأنَّ مدبِّرَ الكلِّ واحدٌ ، ولوْ كانَ فيهما آلهةٌ إلا اللهُ لفسدَتا ، ومهما كانَ المدبِّرُ واحداً . . انتظمَ أمرُ التدبيرِ ، وإذا كثرَ المدبِّرونَ . . فسدَتِ الأمورُ في الحضرِ والسفرِ ، إلا أنَّ مواطنَ الإقامةِ لا تخلو عنْ أميرٍ عامٍّ كأميرِ البلدِ ، وأميرٍ خاصٍّ كربِّ الدارِ ، وأمَّا السفرُ . . فلا يتعيَّنُ لهُ أميرٌ إلا بالتأميرِ ، فلهـٰذا وجبَ التأميرُ ليجمعَ شتاتَ الآراءِ .

ثمَّ على الأميرِ ألا ينظرَ إلا لمصلحةِ القومِ ، وأنْ يجعلَ نفسَهُ وقايةً لهُمْ ؛ كما نُقلَ عنْ عبدِ اللهِ المروزيِّ أنَّهُ صحبَهُ أبو عليٍّ الرباطيُّ فقالَ : علىٰ أنْ تكونَ أنتَ الأميرَ أوْ أنا ؟ فقالَ : بلْ أنتَ ، فلمْ يزلْ يحملُ الزادَ لنفسِهِ ولأبي عليٍّ علىٰ ظهرِهِ ، وأمطرتِ السماءُ ذاتَ ليلةٍ ، فقامَ عبدُ اللهِ طولَ الليلِ علىٰ رأسِ رفيقِهِ وفي يدِهِ كساءٌ يمنعُ عنهُ المطرَ ، فكلَّما قالَ لهُ عبدُ اللهِ : لا تفعلْ . . يقولُ : ألمْ تقلْ : إنَّ الإمارةَ مسلَّمةٌ لكَ ؟ فلا تتحكَّمْ عليَّ ، ولا ترجعْ عنْ قولِكَ ، حتَّىٰ قالَ أبو عليٍّ : وددتُ أنِّي مِتُّ ولمْ أقلْ لهُ : أنتَ الأميرُ . فهكذا ينبغي أنْ يكونَ الأميرُ .

وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « خيرُ الأصحابِ أربعةٌ »⁽¹⁾ ،

---

(١) رواه أبو داوود (٢٦١١) ، والترمذي (١٥٥٥) ولفظه : « خير الصحابة أربعة » .

وتخصيصُ الأربعةِ مِنْ بينِ سائرِ الأعدادِ لا بدَّ أنْ يكونَ لهُ فائدةٌ ، والذي ينقدحُ فيهِ أنَّ المسافرَ لا يخلو عنْ رحلٍ يحتاجُ إلىٰ حفظِهِ ، وعنْ حاجةٍ يحتاجُ إلى التردُّدِ فيها ، ولوْ كانوا ثلاثةً . . لكانَ المتردِّدُ في الحاجةِ واحداً ، فيتردَّدُ في السفرِ بلا رفيقٍ ، فلا يخلو عنْ خطرٍ وعنْ ضيقِ قلبٍ ؛ لفقدِ أنسِ الرفيقِ ، ولوْ تردَّدَ في الحاجةِ اثنانِ . . لكانَ الحافظُ للرحلِ واحداً ، فلا يخلو أيضاً عنِ الخطرِ وعنْ ضيقِ الصدرِ (١) .

فإذاً ؛ ما دونَ الأربعةِ لا يفي بالمقصودِ ، وما فوقَ الأربعةِ يزيدُ ، فلا تجمعُهُمْ رابطةٌ واحدةٌ ، فلا ينعقدُ بينَهُمُ الترافقُ ؛ لأنَّ الخامسَ زيادةٌ بعدَ الحاجةِ ، ومَنْ يُستغنىٰ عنهُ لا تصرفُ الهمَّةُ إليهِ ، فلا تتمُّ المرافقةُ معهُ .

نعمْ ، في كثرةِ الرفقاءِ فائدةٌ للأمنِ مِنَ المخاوفِ ، ولكنَّ الأَربعةَ خيرٌ للرفاقةِ الخاصَّةِ لا للرفاقةِ العامَّةِ ، وكَمْ مِنْ رفيقٍ في الطريقِ عندَ كثرةِ الرفاقِ لا يُكلَّمُ ولا يُخالَطُ إلىٰ آخرِ الطريقِ للاستغناءِ عنهُ .

* * *

الثالثُ : أنْ يودِّعَ رفقاءَ الحضرِ والأهلَ والأصدقاءَ : وليدعُ عندَ الوداعِ بدعاءِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، قالَ بعضُهُمْ : صحبتُ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما مِنَ مكَّةَ إلى المدينةِ حرسَها اللهُ ، فلمَّا أردتُ أنْ

---

(١) ويقرب منه أن يقال : وجه تخصيص هـٰذا العدد لأن أحدهم لو مرض . . أمكنه جعل واحد وصياً والآخرين شهيدين ، ولأنهم لو كانوا ثلاثة ربما تناجى اثنان دون واحد وهو منهي عنه . انظر « الإتحاف » (٦/ ٣٩٩) .

أفارقَهُ . . شيَّعَني وقالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « قالَ لقمانُ : إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ إذا استُودعَ شيئاً . . حفظَهُ ، وإنِّي أستودعُ اللهَ دينَكَ وأمانتَكَ وخواتيمَ عملِكَ »(١) .

وروىٰ زيدُ بنُ أرقمَ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « إذا أرادَ أحدُكُمْ سفراً . . فليودِّعْ إخوانَهُ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ جاعلٌ لهُ في دعائِهِمُ البركةَ »(٢) .

وعنْ عمرِو بنِ شعيبٍ ، عنْ أبيهِ ، عنْ جدِّهِ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ إذا ودَّعَ رجلاً قال : « زوَّدَكَ اللهُ التقوىٰ ، وغفرَ ذنبَكَ ، ووجَّهَكَ للخيرِ حيثُ توجَّهْتَ »(٣) ، فهـٰذا دعاءُ المقيمِ للمودِّعِ .

وقالَ موسىٰ بنُ وردانَ : أتيتُ أبا هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أودِّعُهُ لسفرٍ أردتُهُ ، فقالَ : ألا أعلِّمُكَ يا بنَ أخي شيئاً علَّمَنيهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عندَ الوداعِ ؟ فقلتُ : بلىٰ ، قالَ : قلْ : « أستودعُكَ اللهَ الذي لا تضيعُ ودائعُهُ »(٤) .

وعنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ رجلاً أتى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : إنِّي أريدُ سفراً فأوصني ، فقالَ لهُ : « في حفْظِ اللهِ وفي

---

(١) رواه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠٢٧٣) .

(٢) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٠٥) .

(٣) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٠٦) ، وبنحوه عند الترمذي (٣٤٤٤) .

(٤) رواه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠٢٦٩) ، وابن ماجه (٢٨٢٥) .

كنفِهِ ، زوَّدَكَ اللهُ التقوىٰ ، وغفرَ ذنبَكَ ، ووجَّهَكَ للخيرِ حيثُ كنتَ أوْ أينَما كنتَ » شكَّ فيهِ الراوي(١) .

وينبغي إذا استودعَ اللهَ تعالىٰ ما يخلفُهُ أنْ يستودعَ الجميعَ ولا يخصِّصَ ، فقدْ رُوِيَ أنَّ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ يعطي الناسَ عطاياهُمْ ، إذْ جاءَهُ رجلٌ معَهُ ابنٌ لهُ فقالَ لهُ عمرُ : ما رأيتُ أحداً أشبهَ بأحدٍ مِنْ هـٰذا بكَ ، فقالَ لهُ الرجلُ : أحدِّثُكَ عنهُ يا أميرَ المؤمنينَ بأمرٍ ؟ إنِّي أردتُ أنْ أخرجَ في سفرٍ وأمُّهُ حاملٌ بهِ فقالَتْ : تخرجُ وتدعُني علىٰ هـٰذهِ الحالِ ؟! فقلتُ : أستودعُ اللهَ ما في بطنِكِ ، فخرجتُ ، ثمَّ قدمتُ فإذا هيَ قدْ ماتَتْ ، فجلسنا نتحدَّثُ ، فإذا نارٌ علىٰ قبرِها ، فقلتُ للقومِ : ما هـٰذهِ النارُ ؟ فقالوا : هـٰذا مِنْ قبرِ فلانةَ ، نراها كلَّ ليلةٍ ، فقلتُ : واللهِ إنْ كانَتْ لصوَّامةً قوَّامةً ، فأخذتُ المعولَ حتَّى انتهينا إلى القبرِ ، فحفرنا ، فإذا سراجٌ ، وإذا هـٰذا الغلامُ يدبُّ ، فقيلَ لي : إنَّ هـٰذهِ وديعتُكَ ، ولوْ كنتَ استودعتَ أمَّهُ . . لوجدتَها ، فقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : لهوَ أشبهُ بكَ مِنَ الغرابِ بالغرابِ(٢) .

* * *

الرابعُ : أنْ يصليَ قبلَ السفرِ صلاةَ الاستخارةِ : كما وصفناها في كتابِ

---

(١) رواه الدارمي في « سننه » (٢٧١٣) ، وهو عند الترمذي (٣٤٤٤) دون « في حفظ الله وفي كنفه » .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « مجابو الدعوة » (٤٧) ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٧٩٩) واللفظ له .

الصلاةِ ، ووقتَ الخروجِ يصلِّي لأجلِ السفرِ ، فقدْ روىٰ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رجلاً أتى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : إنِّي نذرتُ سفراً ، وقدْ كتبتُ وصيَّتي ، فإلىٰ أيِّ الثلاثةِ أدفعُها : إلىٰ أبي ، أمْ أخي ، أمِ ابني ؟ فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ما استخلفَ عبدٌ في أهلِهِ مِنْ خليفةٍ أحبَّ إلى اللهِ مِنْ أربعِ ركعاتٍ يصلِّيهِنَّ في بيتِهِ إذا شدَّ عليهِ ثيابَ سفرِهِ ، يقرأُ فيهنَّ بـ(فاتحةِ الكتابِ) ، و(قلْ هوَ اللهُ أحدٌ) ، ثمَّ يقولُ : اللهمَّ ، إنِّي أتقرَّبُ بهِنَّ إليكَ ؛ فاخلفْني بهِنَّ في أهلي ومالي ، فهيَ خليفتُهُ في أهلِهِ ومالِهِ ، وحرزٌ حولَ دارِهِ حتَّىٰ يرجعَ إلىٰ أهلِهِ »⁽¹⁾ .

* * *

الخامسُ : إذا حصلَ علىٰ بابِ الدارِ . فليقلْ : باسمِ اللهِ ، توكَّلْتُ على اللهِ ، لا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ⁽²⁾ ، ربِّ أعوذُ بكَ أنْ أضلَّ أوْ أُضَلَّ ، أوْ أزلَّ أوْ أُزَلَّ ، أوْ أظلمَ أوْ أظلمَ ، أوْ أجهلَ أوْ يُجهلَ عليَّ⁽³⁾ .

فإذا مشىٰ . . قالَ : اللهمَّ ، بكَ انتشرتُ ، وعليكَ توكلتُ ، وبكَ اعتصمتُ ، وإليكَ توجهتُ ، اللهمَّ ، أنتَ ثقتي ، وأنتَ رجائي ؛ فاكفني ما أهمَّني وما لا أهتمُّ بهِ ، وما أنتَ أعلمُ بهِ منِّي ، عزَّ جارُكَ ، وجلَّ

---

(١) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٧٥٢) .

(٢) رواه أبو داوود (٥٠٩٥) ، والترمذي (٣٤٢٦) .

(٣) رواه النسائي (٨/ ٢٦٨) ، وابن ماجه (٣٨٨٤) .

ثناؤُكَ ، ولا إلـٰهَ غيرُكَ ، اللهمَّ ؛ زودْني التقوىٰ ، واغفرْ لي ذنبي ، ووجهْني للخيرِ أينَما توجهتُ(١) .

وليدعُ بهـٰذا الدعاءِ في كلِّ منزلٍ يرحلُ عنهُ .

فإذا ركبَ الدابّةَ . . فليقلْ : باسمِ اللهِ ، وباللهِ ، واللهُ أكبرُ ، توكلتُ على اللهِ ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ ، ما شاءَ اللهُ كانَ وما لمْ يشأْ لمْ يكنْ ، ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ ، فإذا استوتِ الدابّةُ تحتَهُ . . فليقلْ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ اللهمَّ ، أنتَ الحاملُ على الظهرِ ، وأنتَ المستعانُ على الأمورِ(٢) .

* * *

السادسُ : أنْ يرحلَ مِنَ المنازلِ بكرةً : روىٰ جابرٌ : أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رحلَ يومَ الخميسِ وهوَ يريدُ تبوكَ وبكَّرَ ، وقالَ : « اللهمَّ ؛ باركْ لأمَّتي في بكورِها »(٣) .

---

(١) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٤٩٥) دون قوله : « عز جارك ، وجل ثناؤك ، ولا إلـٰه غيرك » ، والبيهقي في « الدعوات الكبير » (٤٥١) بتمامه .

(٢) انظر « الإتحاف » (٦/ ٤٠٤ـ٤٠٥) .

(٣) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٣٥) بلفظ المصنف ، وهو عند أبي داوود (٢٦٠٦) ، والترمذي (١٢١٢) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٨٧٨٢) ، وابن ماجه (٢٢٣٦) من حديث صخر الغامدي رضي الله عنه بنحوه .

ويُستحبُّ أنْ يبتدىءَ بالخروجِ يومَ الخميسِ ، فقدْ روىٰ كعبُ بنُ مالكٍ عنْ أبيهِ قالَ : قلمَّا كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يخرجُ إلىٰ سفرٍ إلا يومَ الخميسِ(١) .

وروىٰ أنسٌ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « اللهمَّ ؛ باركْ لأمَّتي في بكورِها يومَ السبتِ »(٢) .

وكانَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ إذا بعثَ سريَّةً . . بعثَها أوَّلَ النهارِ(٣) .

وروىٰ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « اللهمَّ ؛ باركْ لأمَّتي في بكورِها يومَ خميساتِها »(٤) .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ : إذا كانَ لكَ إلىٰ رجلٍ حاجةٌ . . فاطلبْها إليهِ نهاراً ، ولا تطلبْها ليلاً ، واطلبْها بكرةً ؛ فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « اللهمَّ ؛ باركْ لأمَّتي في بكورِها »(٥) .

ولا ينبغي أنْ يسافرَ بعدَ طلوعِ الفجرِ مِنْ يومِ الجمعةِ ، فيكونَ عاصياً بتركِ الجمعةِ ، واليومُ منسوبٌ إليها ، فكانَ أوَّلُهُ مِنْ أسبابِ وجوبِها .

---

(١) رواه البخاري (٢٩٤٩) ، وهو عن عبد الرحمـٰن بن كعب بن مالك عن أبيه كعب رضي الله عنه ، وسقط من النسخ اسم الابن ، وقد أشار لهـٰذا أيضاً الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٦/ ٤٠٥) .

(٢) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٣٧) .

(٣) هو في حديث صخر الغامدي رضي الله عنه المتقدم قريباً .

(٤) رواه ابن ماجه (٢٢٣٧) ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٤١) .

(٥) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٤٢) .

والتشييعُ للوداعِ سنَّةٌ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لأنْ أشيِّعَ مجاهداً في سبيلِ اللهِ فأكنفَهُ على رحلِهِ غدوةً أوْ روحةً . . أحبُّ إليَّ مِنَ الدنيا وما فيها »(١) .

* * *

السابعُ : ألا ينزلَ حتىٰ يحمى النهارُ : فهوَ السنَّةُ ، ويكونُ أكثرُ سيرِهِ في الليلِ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « عليكُمْ بالدُّلجةِ ؛ فإنَّ الأرضَ تُطوىٰ بالليلِ ما لا تُطوىٰ بالنهارِ »(٢) .

ومهما أشرفَ على المنزلِ . . فليقلِ : اللهمَّ ، ربَّ السمواتِ السبعِ وما أظللْنَ ، وربَّ الأرضينَ السبعِ وما أقللْنَ ، وربَّ الشياطينِ وما أضللْنَ ، وربَّ الرياحِ وما ذرينَ ، وربَّ البحارِ وما جرينَ ؛ أسألُكَ خيرَ هٰذا المنزلِ وخيرَ أهلِهِ ، وأعوذُ بكَ مِنْ شرِّ هٰذا المنزلِ وشرِّ ما فيهِ ، اصرفْ عنِّي شرَّ شرارِهِمْ(٣) .

فإذا نزلَ المنزلَ . . فليصلِّ فيهِ ركعتينِ ، ثمَّ ليقلْ : اللهمَّ ، إنِّي أعوذُ بكلماتِ اللهِ التامَّاتِ التي لا يجاوزُهُنَّ برٌّ ولا فاجرٌ مِنْ شرِّ ما خلقَ(٤) .

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٨٢٤) ، وأكنفه : أعينه عليه .

(٢) رواه أبو داوود (٢٥٧١) دون : « ما لا تطوىٰ بالنهار » ، وهي عند مالك في « الموطأ » (٢/ ٩٧٩) مرسلةً .

(٣) رواه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (٨٧٧٦) .

(٤) رواه مسلم (٢٧٠٨) بنحوه .

فإذا جنَّ عليهِ الليلُ . . فليقلْ : يا أرضُ ؛ ربِّي وربُّكِ اللهُ ، أعوذُ باللهِ مِنْ شرِّكِ ، ومِنْ شرِّ ما فيكِ ، وشرِّ ما دبَّ عليكِ ، أعوذُ باللهِ مِنْ شرِّ كلِّ أسدٍ وأسودَ وحيَّةٍ وعقربٍ ، ومِنْ ساكنِ البلدِ ووالدٍ وما ولدَ⁽¹⁾ ، ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ .

ومهما علا نشزاً مِنَ الأرضِ في وقتِ السيرِ . . فينبغي أنْ يقولَ : (اللهمَّ ، لكَ الشرفُ علىٰ كلِّ شرفٍ ، ولكَ الحمدُ علىٰ كلِّ حالٍ)⁽²⁾ ، ومهما هبطَ . . سبَّحَ ، ومهما خافَ الوحشةَ في سفره . . قالَ : (سبحانَ الملكِ القدُّوسِ ، ربِّ الملائكةِ والروحِ ، جللتَ السماواتِ بالعزَّةِ والجبروتِ)⁽³⁾ .

* * *

الثامنُ : أنْ يحتاطَ بالنهارِ : فلا يمشي منفرداً خارجَ القافلةِ ؛ لأنَّهُ ربَّما يُغتالُ أوْ ينقطعُ ، **ويكونَ بالليلِ متحفِّظاً عندَ النومِ** ، كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا نامَ في ابتداءِ الليلِ في السفرِ . . افترشَ ذراعَهُ ، وإنْ نامَ في آخرِ الليلِ . . نصبَ ذراعَهُ نصباً ، وجعلَ رأسَهُ في كفِّهِ⁽⁴⁾ .

---

(١) رواه أبو داوود (٢٦٠٣)، **وسكّان البلد** : الجن، **ووالد وما ولد هنا**: إبليس والشياطين.

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٣٩) ، وأبو يعلىٰ في « المسند » (٤٢٩٧) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٥٢٢) .

(٣) رواه الطبراني في « الكبير » (٢/ ٢٤) .

(٤) كما في « مسلم » (٦٨٣) عن أبي قتادة قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان في سفر ، فعرَّس بليل . . اضطجع علىٰ يمينه ، وإذا عرَّس قبيل الصبح . . نصب ذراعه ، ووضع رأسه علىٰ كفه) .

والغرضُ مِنْ ذلكَ : ألا يستثقلَ في النومِ فتطلعَ الشمسُ وهوَ نائمٌ لا يدري فيكونَ ما يفوتهُ مِنَ الصلاةِ أفضلَ ممَّا يطلبُهُ بسفرِهِ .

والمستحبُّ بالليلِ أنْ يتناوبَ الرفقاءُ في الحراسةِ ، فإذا نامَ واحدٌ . . حرسَ آخرُ ، فهوَ السنَّةُ(١) .

ومهما قصدَهُ عدوٌّ أوْ سبعٌ في ليلٍ أوْ نهارٍ . . فليقرأْ آيةَ الكرسيِّ ، و﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ ، وسورةَ الإخلاصِ ، والمعوِّذتينِ ، وليقلْ : باسم اللهِ ، ما شاءَ اللهُ ، لا قوَّةَ إلا باللهِ ، حسبيَ اللهُ ، توكَّلتُ على اللهِ ، ما شاءَ اللهُ ، لا يأتي بالخيرِ إلا اللهُ ، ما شاءَ اللهُ ، لا يصرفُ السوءَ إلا اللهُ ، حسبيَ اللهُ وكفىٰ ، سمعَ اللهُ لمَنْ دعا ، ليسَ وراءَ اللهِ منتهىٰ ، ولا دونَ اللهِ ملجا ، ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ ، تحصنتُ باللهِ العظيمِ ، واستعنتُ بالحيِّ القيومِ الذي لا يموتُ ، اللهمَّ ؛ احرسْنا بعينِكَ التي لا تنامُ ، واكنفْنا بركنِكَ الذي لا يرامُ ، اللهمَّ ؛ ارحمْنا بقدرتِكَ علينا ، فلا نهلِكُ وأنتَ ثقتُنا ورجاؤُنا ، اللهمَّ ؛ اعطفْ علينا قلوبَ عبادِكَ وإمائِكَ برأفةٍ ورحمةٍ ؛ إنَّكَ أنتَ أرحمُ الراحمينَ .

* * *

التاسعُ : أنْ يرفقَ بالدابَّةِ : إنْ كانَ راكباً . . فلا يحمِّلُها ما لا تطيقُ ،

---

(١) رواه ابن خزيمة في « صحيحه » (٣٦) ، وابن حبان في « صحيحه » (١٠٩٦) ، وأبو داوود (١٩٨) ، وأحمد في « المسند » (٣/ ٣٤٣) .

ولا يضربُها في وجهِها ؛ فإنَّهُ منهيٌّ عنهُ ، ولا ينامُ عليها ؛ فإنَّهُ يثقلُ بالنومِ ، وتتأذَّىٰ بهِ الدابَّةُ ، كانَ أهلُ الورعِ لا ينامونَ على الدوابِّ إلا غفوةً .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تتخذوا ظهورَ دوابِّكُمْ كراسيَّ »(١) .

ويُستحبُّ أنْ ينزلَ عنِ الدابَّةِ غَدوةً وعشيَّةً يروحُها بذلكَ ، فهوَ سنَّةٌ(٢) ، وفيهِ آثارٌ عنِ السلفِ(٣) .

وكانَ بعضُ السلفِ يكتري بشرطِ ألا ينزلَ ويوفِّي الأجرةَ ، ثمَّ كانَ ينزلُ ؛ ليكونَ بذلكَ محسناً إلى الدابَّةِ ، فيوضعَ في ميزانِ حسناتِهِ لا في ميزانِ حسناتِ المكاري(٤) .

ومَنْ آذى الدابَّةَ بضربٍ أوْ حملِ ما لا تطيقُ . . طُولبَ بهِ يومَ القيامةِ ، إذْ في كلِّ كبدٍ حرَّاءَ أجرٌ(٥) .

وقالَ أبو الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ لبعيرٍ لهُ عندَ الموتِ : (أيُّها البعيرُ ؛

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٤١) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ٤٤٤) .

(٢) روى البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٥/ ٢٥٥) عن أنس رضي الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر في السفر . . مشىٰ ـ زاد فيه غيره : قليلاً ـ وناقته تقاد) .

(٣) روى ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦١/ ٤٠٦) : (أن نافع بن جبير كان يحج ماشياً وناقته أو راحلته تقاد معه) .

(٤) قوت القلوب (٢/ ١١٦) .

(٥) كما روىٰ ذلك ابن ماجه (٣٦٨٦) ، وفيه : (حرَّىٰ) بوزان فعلىٰ ، وحرَّىٰ وحرَّاء : للدلالة على الحياة .

لا تخاصمْني إلىٰ ربِّك ، فإنِّي لمْ أكنْ أحملُكَ فوقَ طاقتِكَ)[1] .

وفي النزولِ ساعةً صدقتانِ : إحداهُما : ترويحُ الدابّةِ ، والثانيةُ : إدخالُ السرورِ علىٰ قلْبِ المكاري .

وفيهِ فائدةٌ أخرىٰ ، وهيَ رياضةُ البدنِ ، وتحريكُ الرجلينِ ، والحذرُ مِنْ خدرِ الأعصابِ بطولِ الركوبِ .

وينبغي أنْ يقرِّرَ معَ المكاري ما يحملُهُ عليها شيئاً شيئاً ويعرِضَهُ عليهِ ، ويستأجرَ الدابّةَ بعقدٍ صحيحٍ ؛ لئلا يثورَ بينَهُما نزاعٌ يؤذي القلبَ ويحملُ على الزيادةِ في الكلامِ ، فما يلفظُ العبدُ مِنْ قولٍ إلا لديهِ رقيبٌ عتيدٌ ، فليحترزْ عنْ كثرةِ الكلامِ واللجاجِ معَ المكاري .

ولا ينبغي أنْ يحملَ فوقَ المشروطِ شيئاً وإنْ خفَّ ؛ فإنَّ القليلَ يجرُّ إلى الكثيرِ ، ومَنْ حامَ حولَ الحمىٰ . . يوشكُ أنْ يقعَ فيهِ .

قالَ رجلٌ لابنِ المباركِ وهوَ علىٰ دابّتِهِ : احملْ لي هـٰذهِ الرقعةَ إلىٰ فلانٍ ، فقالَ : حتّىٰ أستأذنَ الجمّالَ ؛ فإنّي لمْ أشارطْهُ علىٰ هـٰذهِ الرقعةِ .

فانظرْ كيف لمْ يلتفتْ إلىٰ قولِ الفقهاءِ : إنَّ هـٰذا ممّا يتسامحُ بهِ ، ولكنْ سلكَ طريقَ الورعِ .

* * *

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١١٧٣) ، واسم بعيره هـٰذا : دمون .

العاشرُ : ينبغي أنْ يستصحبَ ستةَ أشياءَ : قالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا سافرَ . . حملَ معهُ خمسةَ أشياءَ : المرآةُ ، والمُكْحُلةُ ، والمِدرىٰ ، والسواكُ ، والمشطُ)[1] ، وفي روايةٍ أخرىٰ عنها ستةُ أشياءَ : (المرآةُ ، والقارورةُ ، والمقراضُ ، والسواكُ ، والمُكْحُلةُ ، والمشطُ)[2] .

وقالَتْ أمُّ سعدٍ الأنصاريَّةُ : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا يفارقُهُ في السفرِ المرآةُ والمُكْحُلةُ)[3] .

وقالَ صهيبٌ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « عليكُمْ بالإثمدِ عندَ مضجعِكُمْ ، فإنَّهُ ممَّا يزيدُ في البصرِ ، وينبتُ الشعرَ »[4] .

ورُوِيَ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يكتحلُ ثلاثاً ثلاثاً ، وفي روايةٍ أخرى أنَّهُ اكتحلَ لليمنىٰ ثلاثاً ، ولليسرىٰ ثنتينِ[5] .

وقد زادَ الصوفيَّةُ الرَّكوةَ والحبلَ ، وقالَ بعضُ الصوفيَّةِ : (إذا لمْ يكنْ

---

[1] رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٢٨) واللفظ له ، والطبراني في « الأوسط » (٥٢٣٨) ، **والمدرىٰ** : شيء يعمل من حديد أو خشب علىٰ شكل سن من أسنان المشط وأطول منه ، يسرح به الشعر الملبد . « إتحاف » (٦/ ٤١٠) .

[2] رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٢٩) .

[3] رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٢٧) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة »(٦/ ٣٥٠٩) في ترجمة أم سعد بنت زيد بن ثابت ، أو امرأته .

[4] رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٣٠) .

[5] رواه ابن سعد في « طبقاته » (١/ ٤١٦)، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٣٩٥٣) .

معَ الفقيرِ رَكوةٌ وحبلٌ . . دلَّ علىٰ نقصانِ دينِهِ)(١) ، وإنَّما زادوا هـٰذا لما رأوهُ مِنَ الاحتياطِ في طهارةِ الماءِ وغسلِ الثيابِ ، فالرَّكوةُ لحفظِ الماءِ الطاهرِ ، والحبلُ لتجفيفِ الثوبِ المغسولِ ، ولنزحِ الماءِ مِنَ الآبارِ .

وكانَ الأوَّلونَ يكتفونَ بالتيمُّمِ ، ويغنونَ أنفسَهُمْ عنْ نقلِ الماءِ ، ولا يبالونَ بالوضوءِ مِنَ الغدرانِ ومِنَ المياهِ كلِّها ما لمْ يتيقَّنوا نجاستَها ، حتَّىٰ توضَّأَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ مِنْ ماءٍ في جرَّةٍ نصرانيَّةٍ(٢) ، وكانوا يكتفون بالأرضِ والجبالِ عنِ الحبلِ ، فيفرشونَ الثيابَ المغسولةَ عليها ، فهـٰذهِ بدعةٌ ، إلا أنَّها بدعةٌ حسنةٌ ، وإنَّما البدعةُ المذمومةُ ما تضادُّ السننَ الثابتةَ ، أمَّا ما يعينُ على الاحتياطِ في الدينِ . . فمستحسنٌ .

وقدْ ذكرنا أحكامَ المبالغةِ في الطهاراتِ في كتابِ الطهارةِ ، وأنَّ المتجرِّدَ لأمرِ الدينِ لا ينبغي أنْ يؤثرَ طريقَ الرخصةِ ، بلْ يحتاطُ في الطهارة ما لمْ يمنعْهُ ذلكَ عنْ عملٍ أفضلَ منهُ .

وقيلَ : كانَ الخوَّاصُ مِنَ المتوكلينَ ، وكانَ لا يفارقُهُ أربعةُ أشياءَ في السفرِ والحضرِ : الرَّكوةُ ، والحبْلُ ، والإبرةُ بخيوطِها ، والمقراضُ ، وكانَ يقولُ : هـٰذهِ ليسَتْ مِنَ الدنيا(٣) .

* * *

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٠٧) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٠٧) .

(٣) كذا في « قوت القلوب » (٢/ ٢٠٧) ، و« الرسالة القشيرية » (ص٤٨٢) .

الحاديَ عشرَ : في آدابِ الرجوعِ مِنَ السفرِ : كانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا قفلَ مِنْ غزوٍ أوْ حجٍّ أوْ عمرةٍ أوْ غيرِهِ.. يكبِّرُ علىٰ كلِّ شرفٍ مِنَ الأرضِ ثلاثَ تكبيراتٍ ويقولُ : « لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ ، وهوَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ ، آيبونَ تائبونَ عابدونَ ساجدونَ لربِّنا حامدونَ ، صدقَ اللهُ وعدَهُ ، ونصرَ عبدَهُ ، وهزمَ الأحزابَ وحدَهُ »(١) .

وإذا أشرفَ علىٰ مدينتِهِ.. فليقلِ : (اللهمَّ ؛ اجعلْ لنا بها قراراً ورزقاً حسناً)(٢) ، ثمَّ ليرسلْ إلىٰ أهلِهِ مَنْ يبشِّرُهُمْ بقدومِهِ ؛ كي لا يقدمَ عليهِمْ بغتةً فيرىٰ ما يكرهُ ، ولا ينبغي لهُ أن يطرقَهُمْ ليلاً ، فقدْ وردَ النهيُ عنهُ(٣) .

وكان النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا قدمَ.. دخلَ المسجدَ أوَّلاً وصلَّىٰ ركعتينِ ، ثمَّ دخلَ البيتَ(٤) ، وإذا دخلَ.. قالَ : « توباً توباً ، لربِّنا أوْباً ، لا يغادرُ علينا حوباً »(٥) .

وينبغي أنْ يحملَ لأهلِ بيتِهِ ولأقاربِهِ تحفةً مِنْ مطعومٍ أوْ غيرِهِ ، علىٰ قدْرِ إمكانِهِ ، فهوَ سنَّةٌ ، فقدْ رُوِيَ أنَّهُ إنْ لمْ يجدْ شيئاً.. فليضعْ في مخلاتِهِ

---

(١) رواه البخاري (١٧٩٧) ، ومسلم (١٣٤٤) .
(٢) رواه المحاملي في « الدعاء » (٩٥) .
(٣) رواه البخاري (٥٠٧٩) ، ومسلم (١٩٢٨/ ١٨١) .
(٤) رواه البخاري (٤٤١٨) ، ومسلم (٧١٦) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٥٥) .

حجراً⁽¹⁾ ، وكأنَّ هـٰذا مبالغةٌ في الاستحثاثِ علىٰ هـٰذهِ المكرمةِ ؛ لأنَّ الأعينَ تمتدُّ إلى القادمِ مِنَ السفرِ ، والقلوبَ تفرحُ بهِ ، فيتأكَّدُ الاستحبابُ في تأكيدِ فرحِهِمْ وإظهارِ التفاتِ القلبِ في السفرِ إلىٰ ذكرِهِمْ بما يستصحبُ في الطريقِ لهُمْ .

فهـٰذهِ جملةٌ مِنَ الآدابِ الظاهرةِ .

* * *

فأمَّا الآدابُ الباطنةُ . . ففي الفصلِ الأوَّلِ بيانُ جملةٍ منها .

وجملتُهُ : ألا يسافرَ إلا إذا كانَ زيادةُ دينِهِ في السفرِ ، ومهما وجدَ قلبَهُ متغيراً إلىٰ نقصانٍ . . فليقفْ ولينصرفْ .

ولا ينبغي أنْ يجاوزَ همُّهُ منزلَهُ ، بلْ ينزلُ حيثُ ينزلُ قلبُهُ ، وينوي في دخولِ كلِّ بلدةٍ أنْ يرىٰ شيوخَها ، ويجتهدُ أنْ يستفيدَ مِنْ كلِّ واحدٍ أدباً أوْ كلمةً لينتفعَ بها ، لا ليحكيَ ذلكَ ويظهرَ أنَّهُ لقيَ المشايخَ .

ولا يقيمُ ببلدةٍ أكثرَ مِنْ أسبوعٍ أوْ عشرةِ أيامٍ ، إلا أنْ يأمرَهُ الشيخُ المقصودُ بذلكَ ، ولا يجالسُ في مدَّةِ الإقامةِ إلا الفقراءَ الصادقينَ ، وإنْ كانَ قصدُهُ زيارةَ أخٍ . . فلا يزيدُ علىٰ ثلاثةِ أيامٍ ، فهوَ حدُّ الضيافةِ ، إلا إذا شقَّ علىٰ أخيهِ مفارقتُهُ .

---

(1) روى الدارقطني في « سننه » (٢/ ٣٠٠) من حديث عائشة مرفوعاً : « إذا قدم أحدكم من سفر . . فليهد إلىٰ أهله ، وليطرفهم ولو كانت حجارة » .

وإذا قصدَ زيارةَ شيخٍ . . فلا يقيمُ عندَهُ أكثرَ مِنْ يومٍ وليلةٍ ، ولا يشتغلُ بالعِشْرةِ ؛ فإنَّ ذلكَ يقطعُ بركةَ سفرِهِ .

وكلَّما يدخلُ البلدَ . . فلا يشتغلُ بشيءٍ سوىٰ زيارةِ الشيخِ بزيارةِ منزلِهِ ، فإنْ كانَ في بيتِهِ . . فلا يدقُّ عليهِ بابَهُ ولا يستأذنُ عليهِ إلىٰ أنْ يخرجَ ، فإذا خرجَ . . تقدَّمَ إليهِ بأدبٍ فسلَّمَ عليهِ ، ولا يتكلَّمُ بينَ يديهِ إلا أنْ يسألَهُ ، فإنْ سألَهُ . . أجابَ بقدْرِ السؤالِ ، ولا يسألُهُ عنْ مسألةٍ ما لمْ يستأذنْ أوَّلاً(١) .

وإذا كانَ في السفرِ . . فلا يكثرُ ذكرَ أطعمةِ البلدانِ وأسخيائِها ، ولا ذكْرَ أصدقائِهِ فيها ، وليذكرْ مشايخَها وفقراءَها .

ولا يهملُ في سفرِهِ زيارةَ قبورِ الصالحينَ ، بلْ يتفقدُها في كلِّ قريةٍ وبلدةٍ ، ولا يظهرُ حاجتَهُ إلا بقدْرِ الضرورةِ ، ومعَ مَنْ يقدرُ علىٰ إزالتِها ، ويلازمُ في الطريقِ الذكْرَ وقراءةَ القرآنِ بحيثُ لا يسمعُ غيرُهُ ، وإذا كلَّمَهُ إنسانٌ . . فليتركِ الذكرَ وليجبْهُ ما دامَ يحدِّثُهُ ، ثمَّ ليرجعْ إلىٰ ما كانَ عليهِ .

فإنْ تبرَّمَتْ نفسُهُ بالسفرِ أوْ بالإقامةِ . . فليخالفْها ، فالبركةُ في مخالفةِ النفسِ ، فإذا تيسَّرَتْ لهُ خدمةُ قومٍ صالحينَ . . فلا ينبغي لهُ أنْ يسافرَ تبرُّماً بالخدمةِ ، فذلكَ كفرانُ نعمةٍ(٢) .

---

(١) وقال الإمام أبو طالب في « القوت » (١/ ١٦٤) : (كانوا يقعدون علىٰ أبوابهم وفي مساجدهم ينتظرون خروجهم لأوقات الصلاة ؛ إجلالاً للعلم ، وهيبة للعلماء) .

(٢) فإن خدمة الصالحين نعمة من الله ، فإذا تركها تبرماً . . دل علىٰ كفرانه لها . « إتحاف » (٦/ ٤١٤) .

ومهما وجدَ نفسَهُ في نقصانٍ عمَّا كانَ عليهِ في الحضرِ . . فليعلمْ أنَّ سفرَهُ معلولٌ ، وليرجعْ ؛ إذْ لوْ كانَ بحقٍّ . . لظهرَ أثرُهُ .

قالَ رجلٌ لأبي عثمانَ المغربيِّ : خرجَ فلانٌ مسافراً ، فقالَ : (السفرُ غربةٌ ، والغربةُ ذِلَّةٌ ، وليسَ للمؤمنِ أنْ يذلَّ نفسَهُ)(١) ، وأشارَ بهِ إلىٰ أنَّ مَنْ ليسَ لهُ في السفرِ زيادةُ دينٍ فقدْ أذلَّ نفسَهُ ، وإلاَّ . . فعزُّ الدينِ لا يُنالُ إلا بذلَّةِ الغربةِ .

فليكنْ سفرُ المريدِ مِنْ وطنِ هواهُ ومرادِهِ وطبعِهِ حتىٰ يعزَّ في هـٰذهِ الغربةِ ولا يذلَّ ؛ فإنَّ مَنِ اتبعَ هواهُ في سفرِهِ . . ذلَّ ـ لا محالةَ ـ إمَّا عاجلاً وإمَّا آجلاً .

* * *

---

(١) رواه الأزدي في « طبقات الصوفية » (ص٣٥٩) ، وعند الترمذي (٢٢٥٤) ، وابن ماجه (٤٠١٦) : « لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه » مرفوعاً .

Birinci Bab

YOLCULUK ÂDÂBI VE YOLCULUĞA NİYETİN FAYDALARI

Birinci Fasıl

YOLCULUĞUN FAYDALARI, FAZÎLETİ VE NİYETİ

Bilmiş ol ki; yolculuk, bir nevî hareket ve ihtilâttır. Bunun hem faydaları, hem de âfetleri vardır. Nitekim bunlar **“Sohbet ve Uzlet Kitâbları”**nda anlatılmıştır. Yolculuğu teşvîk eden faydalar, bir şeyden kaçmak veyâ bir şeyi aramaktan hâli değildir. Çünkü yolcunun ya bulunduğu yerde huzûru yoktu -ki bu olmasa yola çıkmazdı- veyâ aradığı bir gâyesi vardır. Kendisinden kaçıp uzaklaşmak istediği ya dünyalıkta kendisine zarar verecek bir şey olur -bir memlekette zuhûr eden tâun, vebâ ve benzeri bulaşıcı hastalıklar gibi- veyâ sebebi fitne, husûmet ve pahalılık olan bir korku olur. Bu sebepler ya umûmî olur veyâ yalnız kendisine mahsûs olarak, o memlekette ona eziyet edilmek istenir; o da oradan uzaklaşmak ister. İşte bunlar, yolculuğun dünyevî sebepleridir. Yâhut dînine zarar verecek bir sebep dolayısıyla memleketinden uzaklaşmak ister. Meselâ, memleketinde zengin, servet ve mevki sâhibi olup da bu variyeti, yalnız Allah ile baş başa kalmasına engel olan bir kimsenin, Allah’a hakkıyla kulluk edebilmesi için bütün bunları fedâ ederek gurbeti tercîh etmesi veyâ zorla kendisine bid’at irtikâb ettirmek istenen veyâ yapılması helâl olmayan bir iş kendisine teklîf edilen bir kimsenin bunlardan kaçıp kurtulması gibi sebeplerdir.

Aradığı bir şey için sefer etmesi de aynen iki şekildedir: Ya dünyalık için olur; mal ve mevki peşinde koşmak gibi. Veyâ dînî olur; ilim ve amel için yolculuk yapmak gibi. İlim de ya dîn ilmi olur ya tecrübe ile ahlâk ilmi olur. Veyahut yeryüzündeki alâmet ve acayip şeyleri görmek ilmi olur. **Zülkarneyn**'in yerin etrafını dolaşmak için ettiği sefer gibi. Amel de ya ibâdet veyâ ziyâret olur. İbâdet; hac, ümre ve cihâd gibi şeylerdir. Ziyâret de aynı vaziyette ibâdet sayılır. Bâzen velîler ve âlimlerin ziyâreti kastedilir. Bunlardan bir kısmı ölü olur; kabirlerinde ziyâret edilir. Bir kısmı hayatta olur; bunları ziyaretle yümn u bereket umulur. Onların hallerini görerek, onlar gibi yapmaya heves eder. İşte yolculuğun sebepleri bunlardır. Şu taksimattan bir kaç kısım meydana çıkmış oldu:

Birinci kısım: İlim tahsîli için yolculuktur. Bu da ya vâcip veyâ nâfiledir ki, öğreneceği ilme göredir. Vâcip ise yolculuk da vâcip, nâfile ise yolculuk da nâfile yâni sünnet olur. Öğreneceği ilim, dînî veyâ ahlâkı hakkında olacağı gibi Allahü Teâlâ'nın azametine delâlet eden yeryüzündeki alâmetleri görmek maksadı ile de olur. Hadîs-i şerîfte Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ حَتّٰى يَرْجِعَ

"İlim talebi için evinden çıkan kimse, evine dönünceye kadar Allah yolundadır."[1] Diğer hadîste şöyle buyrulmuştur:

مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللّٰهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ

"İlim aramak için yola koyulan kimseye, Allahü Teâlâ cennet yolunu kolaylaştırır."[2]

---

[1] Tirmizî. Enes'ten rivâyet etti.

[2] Müslim rivâyet etti. **«İlim»** bahsinde geçmiştir.

Tâbiîn büyüklerinden olan **Saîd İbn Müseyyeb** bir hadîsi öğrenmek için günlerce yolculuk ederdi. **Şa'bî**: "Bir kimse kendisini kötülükten koruyacak veyâ iyiliğe irşâd edecek bir kelime öğrenmek için Şam'dan tâ Yemen'in öte ucuna kadar gitse, yolculuğu boşa gitmez." demiştir. **Abdullah b. Enîs-i Ensârî**'nin Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den rivâyet ettiği bir hadîsi kendi ağzından dinlemek üzere Câbir b. Abdullah, ashâbtan on zât ile birlikte Medîne'den Mısır'a gitmişler ve bir ay yol yürümüşlerdir. Ashâb devrinden zamanımıza kadar ilimlerin çoğu böyle yolculukla elde edilmiştir.

Kendi nefsine ve ahlâkına olan ilmine gelince; bu da mühimdir. Çünkü âhiret yoluna girmek, ancak ahlâkını düzeltmekle mümkündür. Kendi iç ahvâlini ve kötü vasıflarını bilmeyen kimse, kalbini bu kötülüklerden temizleyemez. Bunun için kendi ahlâkını anlamak ve düzeltmek maksadıyla yolculuğa çıkar. Yolculuk, kişinin ahlâkî seviyesini ortaya koyar. Yerde ve gökteki gizlilikler sefer ile açığa çıkar. Esâsen yolculuğa Arapça'da "SEFER" adı verilmesi, kişinin ahlâkını açığa çıkarıp aydınlatması bakımındandır. Bunun için **Hz. Ömer**, bir şâhidi tezkiye eden zâta:

– "Bu adam ile yolculuk ettin mi?" diye sormuş, adam:

– "Hayır." deyince, Hz. Ömer:

– "O halde sen bunun ahlâkı hakkında bir şey bilemezsin." buyurmuştur.

Bişr-i Hâfî de: "Ey âlimler, seyahat ediniz ki, geçiminiz kolaylaşsın ve güzel olsun. Zîra akan su temiz ve tatlı olur; duran su kokar." demiştir.

Hülâsa; geçim sebeplerinin yardımı ile muhîtinde yaşayan kimsenin kötü halleri açığa çıkmaz. Çünkü o, alışmış olduğu tabiatına uygun gelen şeylerle ünsiyet etmiştir. Yolculuk mihnetini sırtlandığı ve alışkın olduğu şeylerden ayrıldığı ve gurbet zorlukları ile karşılaştığı zaman, bütün gizli halleri açığa çıkar ve ayıpları görünür. İşte bu sâyede onların tedâvîsi ile meşgul olur. **"Uzlet Kitâbı"**nda ihtilâtı anlatmıştık. Yolculuk, bir ihtilât olduğu gibi, üstelik meşgale ve meşakkatlere katlanmaktır.

Allahü Teâlâ'nın yeryüzündeki alâmetlerine gelince; basîret sâhibi insanların bunları görmesinde büyük faydalar vardır. Yeryüzünde birbirine yakın kıtalar, dağlar, karalar, denizler, muhtelif hayvan ve nebatlar vardır. Bunların her biri Allahü Teâlâ'nın birliğine şehâdet eder ve her biri fasîh bir lisan ile Allah'ı tesbîh eder. Fakat bunların tesbîhini ancak kalbi ile hâzır olup gönül kulağı ile dinleyenler duyabilir. İnkâr eden kâfirlerle dünyanın yaldızlı serâbının parlaklığına aldananlar bu gerçeği ne görür, ne de duyabilirler. Zîra onlar gerçeği duymaktan ve Allahü Teâlâ'nın âyetlerini görmekten men edilmişlerdir. Nitekim âyet-i celîlede şöyle buyrulmuştur:

يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْاٰخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ

"Onlar, dünya hayatının görünen yüzünü bilirler. Âhiretten ise onlar tamamen gafildirler." (Rûm sûresi, 30/7) Burada işitmezler, demekten maksat, kulakları duymaz demek değildir. Zîra maksat, bu kulak değil, iç hâssesidir. Baştaki kulak ile ancak sesler duyulur ki, bütün hayvanlarda bu vardır. İç hâsse ise bununla lisân-ı hâl anlaşılır ki, bu halin ifâdesi, lisânın ifâdesinden bambaşkadır. Bu, tahta ile çivinin sözünü hikâye edene benzer. Tahta, çiviye.

– "Neden beni yarıyorsun?" diye sorar. Çivi:

– "Bana değil, tepeme inen tokmağa sor." der.

Yer ve göklerde her zerre Allahü Teâlâ'nın varlığına ve birliğine delâlet eder. İşte o, O'nun tevhîdidir. Ayrıca yaratanını noksan sıfatlardan tenzîh eden alâmetleri var; o da tesbîhtir. Fakat onlar bu tevhîd ve tesbîhleri duyamazlar. Çünkü onlar sem'-i zâhirînin darlığında bâtını duymanın geniş fezâsına, görülen dilin rekâketinden lisân-ı halin fesâhetine geçemememişlerdir. Eğer her fâninin buna gücü yetseydi, kuşların dilini anlamak Süleymân aleyhisselâma, harf ve sesten tenzîhi vâcip olan Allahü Teâlâ'nın kelâmını duymak Mûsâ aleyhisselâma tahsîs edilmezdi. Kim, kudret kaleminin bu kâinata çizdiği şehâdet satırlarını aramak için yolculuk ederse, bulunduğu yerden ayrılmasına lüzum yoktur. O, bulunduğu yerde her zerrenin tesbîh nağmelerini huzûr-ı kalb ile dinleyebilir. Artık sahrâlara, çöl ve dağlara göç etmesine lüzum yoktur. Göklerin melekût ve gizliliklerinden de müstağnîdir. Güneş, ay ve yıldızlar emrindedir. Garîb olan şeylerden birisi de bizzât Kâbe, kendisini tavâf ile memur olan bir zâtın, dolaşıp mescidleri ziyâret etmesidir.

Yine garîb olan şeylerden birisi de, gökler kendisini tavâf eden kimsenin, yeryüzünde dolaşıp etrafı tavâf etmesidir. Yolcu, âlem-i mülk ve şehâdeti görmek için baş gözü ile görmeye muhtaç oldukça, Allah'a yolcu olmak isteyenlerin, daha birinci menzilinde sayılır. Âdeta vatan kapısında bekleyip fezâ boşluğuna geçemeyenler gibidir. Burada fazla beklemenin korkaklık ve noksanlıktan başka bir sebebi yoktur. Bunun için basîret sâhiplerinden biri şöyle demiştir: "İnsanlar, görmek için gözünüzü açın derler. Ben ise görebilmeniz için çözünüzü kapayın derim." Bu sözlerin ikisi de doğrudur. Şu kadar ki, birincisi, vatana en yakın olan konaktan haber vermektir. İkincisi ise icâbında yıllarca oralarda dolaşmak zorunda kalacağından, ancak büyük tehlikeleri göze alabileceklerin gidebilecekleri vatanı uzak olan konak yerlerinden haber vermektedir.

Buralarda bâzen yıllarca dolaşıldığı gibi, bâzen tevfik-i ilâhî elinden tutup kendisini kolaylıkla doğru yola götürenleri de olur. Fakat bu kervanın yolculuklarından bu çölde helâk olanları da pek çoktur. Ancak Allahü Teâlâ'nın tevfik nûru ile seyâhat edenler, ebedî nîmetlere ve devâmlı mülklere ulaşabilirler. Bunlar da Allahü Teâlâ'nın inâyetine mazhar olmuş kimselerdir. Bu âhiret mülkü ile dünya mülkünü mukayese ettiğin zaman, onun tâliplerinin nispet îtibâriyle az olduklarını görürsün. İstenilen şey büyük olduğu nispette imkân ve yardımcıları da azalır. Onun için bu yolda helak olanlar, bu mülke sâhip olabilenlerden daha çoktur. Tehlike ve zahmeti çok olduğu için âciz ve korkak kimseler, bu mülkün peşinde koşmazlar. Bir şâir şöyle demiştir:

"İstekler ne kadar büyük olursa, cisimler o nispette yorulur."

Allahü Teâlâ, dîn ve dünyalıktaki mülk ve ululuğu, tehlikelerin ötesine yerleştirmiştir. Bunlara erişmek için tehlikeyi göze almak lâzımdır. Bâzen korkak kimseler, korkaklığın akıldan ileri geldiğini iddiâ ederler ki, bu doğru değildir. Nitekim şâir:

"Korkaklar, korkaklığı zeyreklik zanneder.
Hâlbuki bu, alçak tabiatların bir aldatmasıdır." demiştir.

Bu anlattığımız, yeryüzünde Allahü Teâlâ'nın varlığına delâlet eden alâmetleri mütâlaa etmekle bâtınî yolculuğu murâd eden kimsenin zâhirdeki yolculuğunun hükmüdür. Biz maksadımıza dönelim ve onu açıklayalım.

İkinci kısım: Hac veyâ cihâd gibi ibâdet maksadı ile seyahat edenlerdir. Haccın fazîletini, zahirî ve bâtınî âdâbını **"Esrâr-ı Hac Kitâbı"**nda anlatmıştık. İbâdet niyetiyle yapılan bu yolculuğa, peygamberlerin (Salât ve selâm onlara olsun) ashâb, tâbiîn, âlimler ve velîlerin kabirlerini ziyâret de girer. Sağlığında ziyâretinde bereket umulan herkes, öldükten sonra da ziyâret edilir. Bunun için yolculuk yapmak da câizdir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in:

لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلٰى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هٰذَا، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصٰى

"Seyahat ancak üç mescid için yapılır: Benim şu mescidim (yâni Medîne-i Münevvere'deki Harem-i Resûl), *Mescid-i Haram* (yânî Kâbe) *ve bir de Mescid-i Aksâ'dır."*[3] hadîs-i şerifi, bu ziyâretlere mâni değildir. Zîra hadîs-i serîf, mescidler hakkındadır. Şu üç mescidden sonra, diğer mescidler birbirinin aynıdır. Yoksa her ne kadar Allah katındaki derecelerinin ihtilâfı ile aralarında büyük farklar varsa da, fazîletin aslında ulemâ, evliyâ ve peygamberlerin kabirlerini ziyâret arasında bir fark yoktur.

Hülâsa; dirileri ziyâret, ölüleri ziyâretten daha makbuldür. Dirileri ziyâretten gâye duâlarını almak, onlara bakmaktan yümn u bereket ummaktır. Çünkü sâlih âlimlerin yüzüne bakmak ibâdettir. Ayrıca onlardan istifâde, bunun hâricindedir. Nasıl ibâdet olmasın ki **"Sohbet Kitâbı"**nda anlattığımız gibi, yalnız Allah için olan kardeşlikleri bile ziyârette fazîlet vardır. Rivâyete göre Tevrat'ta şöyle yazar:

"Dört mil mesâfe uzaklıktaki kardeşliğini Allah için ziyâret et."

Mekânlara gelince: Artık şu üç mescidden ve düşman karşısına çıkmaktan başkası için seferin bir mânası yoktur. Hadîs-i şerîf, yalnız bu üç mescid için sefer yapılabileceğini açıkça ifâ-

---

3. **«Hac»** bahsinde geçmiştir.

de etmektedir. Biz, Kâbe ve Harem-i Rasûl'ün fazîletini **"Hac Kitabı"**nda anlatmıştık. Beyt-i Makdis'in de büyük fazîleti vardır. **Abdullah İbn Ömer** (r.a.), Medîne-i Münevvere'den Mescid-i Aksâ'ya namaz kılmak için gitti ve orada beş vakit namaz kıldıktan sonra, ertesi gün hemen geri dönmüştür. Süleyman aleyhisselâm, Allahü Teâlâ'ya şöyle duâ etti:

"Allahım, yalnız namaz kılmak maksadı ile, şu Mescid-i Aksâ'ya gelen kimseye -mescidden çıkıncaya kadar- rahmetinle nazar et ve mescidden çıkınca da, yeni doğmuş gibi onu günâhlarından çıkar." Allahü Teâlâ da, onun bu dileğini kabul etmiştir.

Üçüncü kısım: Dînine zarar verecek şeylerden sakınmak için yolculuktur. Bu da güzeldir. Gücü yetmediği şeylerden kaçmak, peygamber sünnetidir. Sakınılması lâzım gelen şeylerden birisi de, vâlilik, mevki ve halkla ihtilâtı sağlayan sebeplerdir. Bütün bunlar kalbin huzûrunu bozar. Hâlbuki diyânet, kalbin Allahü Teâlâ'dan başka her şeyden alâkasını kesmekle tamamlanır. Şâyet mâsivâdan tamamiyle korunamazsa, korunduğu nispette dîn işleri ile meşgul olur.

Esâsen dünyada bulunduğu müddetçe zarûrî ihtiyaçlarından ve mühim şeylerden kalbinin tamamen boş olması düşünülemez. Ancak bu kâbusun kalbi tamamen kaplaması veyâ kalpte az bulunması düşünülür. Dünya meşgalesi kalbinde az olanlar kurtulmuş, çok olanlar helâk olmuştur. Hamd, O Allah'a ki; necâtı, kalbin dünya meşgalesinden tamamen kurtuluşuna değil, belki fazl u rahmetiyle kalpteki meşgale azlığına bağlamıştır.

Dünya meşgalesini kalbinde azaltan, en büyük gâyesi dünyalık olmayan kimsedir. Bu da memleketinde mevki ve mansıb sâhibi olup etraf ile alâkalı olan kimse için mümkün değildir. Bu gâyeye ulaşabilmek için bir müddet gurbeti ihtiyâr etmek ve her şeyden alâkayı kesmek lâzımdır. Ancak bu sâyede kendini murâkabe edebilir. Sonra çok kere Allahü Teâlâ'nın meded ve inâyeti ona yetişir, yakîni kuvvetleşir ve kalbi mutmain olur da, artık memleketinde bulunmakla, hâriçte bulunmak, sebep ve alâkaların bulunması ile bulunmaması arasında bir fark kalmaz. Artık onu, Allah'ı zikir yolundan hiç bir şey alıkoymaz. Bu gibiler, pek ender bulunan kimselerdir.

Ekseriyâ insanların kalpleri zayıftır, Allah'a ve kuluna karşı kusurludur. Bu mertebeye ancak peygamberler ve velîler yükselebilir. Her ne kadar çalışma ve gayretin bu hususta dahli varsa da, sa'y u gayret ile bu mertebeye yükselmek cidden güçtür. Bu hususta bâtınî kuvvetlerin birbirinden farklı olması, azalardaki dış kuvvetlerin birbirinden farklı olması gibidir. Kasları sağlam, vücûdu kuvvetli nice insanlar var ki, yüzlerce kilo ağırlığındaki yükü yerden kolaylıkla kaldırabilir. Zayıf bünyeli kimseler, her ne kadar yavaş yavaş idmanlaşa idmanlaşa yük taşımaya alışırsa da bu mertebeye yükselemez. Fakat her ne kadar bu mertebeye yükselemezse de, idman sayesinde kuvveti artar. Bunun için cehd ü gayreti terk etmesi doğru olmaz. Son mertebeye yükselemiyorum diye hepsini terk etmek, cehâlet ve sapıklıktır.

Fitne korkusu ile vatanından ayrılmak, eskilerin âdetlerindendir. **Süfyân-ı Sevrî** şöyle demiştir:

"Bu zaman kötü bir zamandır. Bunun zararından, kabuğuna çekilmiş, bilinmeyen kimseler bile kurtulamaz. Nerede kaldı meşhûrlar. Bu zaman, kişinin diyâr diyâr dolaşacağı bir zamandır. Nerde bilinir ve tanınırsa, hemen orayı terk edip başka tarafa gitmelidir."

Ebû Nuaym şöyle demiştir:

"Bir gün baktım ki, Süfyân-ı Sevrî, ibriğini eline ve dağarcığını sırtına alarak yola koyuldu. Kendisine:

– "Ey Ebû Abdullah, nereye gidiyorsun?" dedim. Süfyân:

– "Falan köyde hayatın ucuz olduğunu öğrendim, orada ikamete gidiyorum." dedi.

– "Sen de mi böyle yapıyorsun? dedim. Süfyân:

– "Evet, ucuzluk olduğunu duyduğun memlekete git. Çünkü bu sıkıntını azaltır ve dînin için daha selâmetli olur, demiştir." Bu da pahalılıktan kaçmaktır.

Seriyyü's-Sakatî sûfilere, kış mevsimi çıkıp bahar geldiği, ağaçlar çiçeklenip her taraf yeşillendiği zaman, siz de yeryüzüne dağılın, derdi. **İbrâhim el -Havâs**, kırk günden ziyâde bir memlekette kalmazdı. Kendisi Allah'a tevekkül edenlerden idi. Bir yerde kırk günden fazla kalmayı sebeplere güvenmek addeder ve tevekküle aykırı sayardı. Sebeplere dayanmanın sırrı, inşaallah tevekkül bâbında gelecektir.

Dördüncü kısım: Bedenine zarar verecek şeylerden kaçınmak için yapılan yolculuktur, tâûn gibi. Veyâ malına gelecek zarar sebebiyle yolculuktur. Pahalılık ve benzeri şeyler gibi. Bu maksatlarla yolculukta da bir mahzur yoktur. Sağlayacağı fayda îtibâriyle bu yolculuklar, bâzen vâcip, bâzen de müstehap olur. Fakat tâûn müstesnâdır. Bundan kaçmak doğru değildir. Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), bundan kaçmaktan men etmiştir.

Usâme b. Zeyd (r.a.) diyor ki, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ هٰذَا الْوَجَعَ أَوِ السَّقَمَ رِجْزٌ عُذِّبَ بِهِ بَعْضُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ،

ثُمَّ بَقِيَ بَعْدُ فِي الْأَرْضِ، فَيَذْهَبُ الْمَرَّةَ وَيَأْتِي الْأُخْرٰى، فَمَنْ سَمِعَ بِهِ فِي أَرْضٍ، فَلَا يَقْدُمَنَّ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَقَعَ بِأَرْضٍ وَهُوَ بِهَا فَلَا يَخْرُجَنَّهُ الْفِرَارُ مِنْهُ

“Şu sancı ve hastalık, bir azâbdır. Sizden evvelki milletlerin bâzıları buna yakalanmış ve bununla azâb olunmuşlardır. Sonra bu hastalık yeryüzünde kaldı. Bâzen gider ve bâzen gelir. Bir yerde tâûn olduğunu duyan kimse, oraya yaklaşmasın, tâûn olduğu yerde bulunan kimse de oradan çıkıp kaçmasın.”[4] buyurmuştur. Hz. Âişe’nin (r.a.) rivâyetinde de Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

إِنَّ فَنَاءَ أُمَّتِي بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ، فَقُلْتُ: هٰذَا الطَّعْنُ قَدْ عَرَفْنَاهُ فَمَا الطَّاعُونُ؟ قَالَ: غُدَّةٌ كَغُدَّةِ الْبَعِيرِ تَأْخُذُهُمْ فِي مُرَافَقَتِهِمْ، اَلْمُسْلِمُ الْمَيِّتُ فِيهِ شَهِيدٌ، وَالْمُقِيمُ عَلَيهِ الْمُحْتَسِبُ كَالْمُرَابِطِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْفَارُّ مِنْهُ كَالْفَارِّ مِنَ الزَّحْفِ

“Ümmetimin helaki, ta’n (harb meydanında birbirini öldürmek) *ve tâûn iledir.”* Hz. Âişe:

– *“Ta’n’ı bildik, tâûn nedir ya Rasûlallah?”* deyince, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *Hayvan guddesi* (bezi) *gibi bir bezdir. Yâni hayvana gelen sancı gibi bir nevi hastalıktır. İnsanların karınlarının alt kısmından yakalar. Bu hastalıktan ölen Müslümanlar şehîddir. Hastalığın bulunduğu yerde sabır ve metânetle ve mükâfatını Allah’tan dileye-*

---

[4] Buhârî ve Müslim rivâyet etmişlerdir.

rek bekleyen (ve hastaları kendi kaderleri ile baş başa bırakmayıp onlara hizmette bulunan) *düşman karşısında nöbet bekleyen gibi ecir alır. Bu hastalıktan kaçan, muhârebe meydanından kaçan gibidir."*[5] buyurdu.

Yine Mekhûl'ün Ümmü Eymen'den rivâyetinde, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bâzı ashâbına şöyle öğüt vermiştir:

لَا تُشْرِكْ بِاللّٰهِ شَيْئًا وَإِنْ عُذِّبْتَ أَوْ حُرِّقْتَ وَأَطِعْ وَالِدَيْكَ وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ لَكَ فَاخْرُجْ مِنْهُ، وَلَا تَتْرُكِ الصَّلَاةَ عَمْدًا فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ عَمْدًا بَرِئَتْ ذِمَّةُ اللّٰهِ مِنْهُ، وَإِيَّاكَ وَالْخَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ، وَإِيَّاكَ وَالْمَعْصِيَةَ فَإِنَّهَا تُسْخِطُ اللّٰهَ، وَلَا تَفِرَّ مِنَ الزَّحْفِ وَإِنْ أَصَابَ النَّاسَ مَوَتَانٌ وَأَنْتَ فِيهِمْ فَاثْبُتْ فِيهِمْ، أَنْفِقْ مِنْ طُولِكَ عَلٰى أَهْلِ بَيْتِكَ وَلَا تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْهُمْ، أَخِفْهُمْ بِاللّٰهِ

"Her ne çeşit azâb olunursan ol, hattâ ateşe atılsan bile Allah'a şirk koşma. Ana ve babana itâat eyle, bütün servetini feda et derlerse de onları kırma. Namazı kasten terk etme. Zîra bilerek namazı terk edenler, Allahü Teâlâ'nın emânı dışında kalırlar. Sakın içki kullanma. Zîra o, bütün kötülüklerin anahtarıdır. Sakın isyan etme. Zîra Allah'ı gücendirirsin. Muhârebe meydanından kaçma, bulunduğun yerde ölen çok olursa oradan ayrılma, varlığından âile efradına ver, onları iyi geçindir. Sopayı karşılarından kaldırma ve onları Allahın azâbı ile korkut."[6]

---

[5] Ahmed ve İbn Abdülberr **"Temhîd"**de ceyyid isnâd ile rivâyet etmişlerdir.

[6] Beyhakî rivâyet etti ve mürsel olduğunu söyledi.

Şu hadîs-i şerifler, tâûndan kaçmanın ve tâûn bulunduğu yere girmenin yasak olduğuna delâlet etmektedirler. **“Tevekkül Kitâbı”**nda buna dâir tafsîlât gelecektir.

İşte şu anlattıklarımız, seferin kısımlarıdır. Bundan seferin mezmûm, makbul ve mübâh olarak üç kısma ayrıldığı meydana çıkar.

Mezmûm olan yolculuk haram olur. Kölenin efendisini terk edip kaçması, kişinin anne ve babasına âsî olarak yola çıkması gibi.

Mekrûh olur; tâûnun bulunduğu yerden kaçmak gibi.

Makbul olan yolculuk vâcip olur; Hacca ve herkese vâcip olan ilim tahsiline gitmek gibi.

Mendûb olur; âlimleri ve kabirlerini ziyâret için olan yolculuk gibi.

Bütün bu sebeplerden, yolculukta niyet işi meydana çıkmış oldu. Zîra niyetin mânâsı, tahrîk eden bir sebebe hazırlanmak demektir. O halde bütün yolculuklarda Allah rızâsını niyet etmelidir. Vâcip ve mendûp olan yolculuklarda bir niyet mümkün, mekrûh ve tehlikeli yolculuklarda ise muhaldir. Mübâhlar da niyete bağlıdır. Meselâ, servet kazanmak için yolculuk mübâhdır. Niyeti, dilencilikten kurtarmak, çoluk çocuğunu rahat yaşatmak ve fazlasından sadaka vermek olursa, bu niyet ile işlenen bu mübâh da âhiret amelinden olur. Gösteriş ve desinler diye hacca çıksa, bu yolculuğu, âhiret ameli olmaktan çıkar. Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ

"Ameller (in kıymeti) *ancak niyetlere göredir."*[7] buyurmuştur.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in bu hadîsi vâcip, mendup ve mübâhları şâmildir. Yalnız yasakları şâmil değildir. Çünkü bunlar, niyet ile tehlikeli olmaktan çıkmazlar. Seleften bir zât şöyle diyor: "Allahü Teâlâ, yolculara husûsî melekler tahsîs etmiştir. Onlar yolcuların maksatlarına bakar ve ona göre mükâfatlandırılırlar. Niyeti dünyalık olan kimseye, dünyalıktan bir miktar verilir; âhiretinden kat kat eksilir ve telâşı çoğaltılır. Niyeti âhiret olan kimseye de basîret, hikmet ve fetânet verilir ve niyetine göre de basîret sâhibi olur, telâşı azalır. Melekler de kendisi için duâ ve istiğfar ederler.

Yolculuk ile ikametten hangisinin efdal olduğunu aramak, aynen uzlet ile ihtilâtta olduğu gibidir. Bunun özünü **"Uzlet Kitâbı"**nda anlattık. Ona kıyas ederek, yolculuk ile ikametten hangisinin efdal olduğunu anla. Çünkü yolculuk bir nevî ihtilâttır. Üstelik dağınık fikir ve kalp huzursuzluğu gibi bir sürü zahmet ve yorgunluğu da vardır. Mâmâfih burada da efdal olan, dînine daha çok faydalı olanıdır. Dünyada dînin son meyvesi, Allah'ı mârifet ve O'nu zikir ile O'nunla ünsiyet peydâ etmektir. Mârifet ise fikrin devamı ile hâsıl olur. Fikir ve zikrin yollarını bilmeyenin bunlardan nasip alması mümkün değildir.

Yolculuk ilk önce öğrenmeyi kolaylaştırır. İkamet de neticede ameli kolaylaştırır. Yeryüzünde devamlı seyahat, kalbi karıştırır. Ancak **İbrâhim b. Edhem** gibi kuvvetli kimseler bundan müstesnâdır. Zîra misâfir ve serveti dâima sallantı ve tehlikededir. Ancak Allahü Teâlâ'nın koruduğu müstesnâ. Misâfirin kalbi her zaman meşguldür. Bâzen malından, bâzen de canından korkar, bâzen de ikamet hayatında alışkın olduğu şeyleri düşünür. Şâyet serveti yoksa o zaman da gözü, milletin servetindedir. "Bâzen yoksulluk sebebiyle gönlü zayıflaşır, bâzen de ümîd sebeplerinin çoğalması ile kuvvetleşir. Sonra ümîd ve yolculuk meşgalesi halet-i rûhiyesini alt üst eder. Bunun için mürîde yakışan, ancak ilim uğrunda yâhut kendisine uyacak ve onu rehber kabul edecek bir şeyh için yolculuk etmektir.

---

[7] Buhârî ile Müslim, Ömer'den rivâyet etimişlerdir. Tecrid-i Sarîh Tercemesi C. 1. S: 1.

Şâyet kendi kusurlarını görüp düzeltebiliyor, fikir ve amel yolları kendisine açılıyorsa, durması daha makbuldür. Şu kadar var ki, zamanımızın mutasavvıfesi, bâtınları fikir zevkinden ve amelin inceliklerinden mahrum olup, tenhalarda Allahü Teâlâ'yı zikirle ünsiyet edemediklerinden, bir sanat ve bir meşgaleleri olmadığından, tembelliğe alışkın olup çalışmak kendilerine ağır geldiği için, kazanç yolunu bırakıp, dilencilik ve insanların sırtından geçinme yolunu tercîhle diyâr diyâr dolaşmayı uygun buldu. Onlar için inşâ edilmiş kervansaray ve tekkelerde dolaşarak, oralarda gelen geçene hizmet edenleri kendilerine bağladılar. Kendi akıl ve dînlerini maskara ettiler.

Çünkü iş ve güçleri riyâ ve gösteriş şân ve şöhret kazanmak, türlü hîlelerle servet edinmektir. Tekkelerde bir tesîrleri yoktur. Mürîdlere faydalı bir terbiye vermez, onları kötülüklerden men etmezler. Yünden ve deriden elbise giyer, tekkelerde keyiflerine bakarlar. Şatahat ve taşkınlık edenlerin bâzı yaldızlı sözlerini ezberler, onları okur ve kendilerini söz, kıyâfet, seyahat ve görünüşte onlara benzetmeye çalışırlar, kendilerini hayır yolunda zannederler. İyilik yaptıklarını sanırlar. Her siyahın hurma olduğunu zanneder ve zâhirdeki benzerliğin gerçekte de ortaklığı iktizâ ettiğine inanırlar. Besi ile şişkinliği birbirinden ayıramayan, ne ahmak adamdır. İşte bunlar, Allahü Teâlâ'nın sevmediği, gazâb ettiği kimselerdir.

Zîra Allahü Teâlâ boş duran, işsiz güçsüz serserice dolaşan gençlere gazâb eder. Bunları da yolculuğa sürükleyen gençlik ve işsizliktir. Ancak riyâ ve gösteriş dışında yalnız Allah rızâsı için hac ve umre maksadıyla yola çıkanlar yâhut ilim ve ahlâkında örnek kabul edilecek bir şeyhin ziyâretine gidenler müstesnâdır. Esâsen şimdi böyle bir adam da bulunamaz. Tasavvuf, tamamen çöküntüye uğradı ve mahvoldu. Çünkü ilimler yok olmamıştır. Âlim bozuk ise bozukluğu ilminde değil, ahlâkındadır. Şu halde her ne kadar ameli yoksa da, âlim vardır. İlim başka, amel daha da başkadır.

Tasavvufa gelince: Tasavvuf, kalbini her şeyden ayırıp Allah'a yönelmek, başkalarına kıymet vermemek demektir. Bunun hulâsası da kalp ve âzâların ameli demektir. Amel bozulunca, aslı da kaybolur. Faydasız bir yorgunluk olduğu için, bu gibilerin seyahatinde fakîhlerin sözleri vardır. Hattâ bu seyahatin memnû olduğunu ifâde edenler de vardır. Fakat bize göre en doğrusu, yine bu yolculuğu mübâh kabul etmektir.

Çünkü bu gibilerin muhtelif memleket ve milletleri ve onların çalışma tarzlarını görmekle tembellikten kurtulmaları ihtimâl dâhilindedir. Bu faydalar her ne kadar değersiz ise de, zâten bu gayeler uğrunda seyahat edenler de değersiz kimselerdir. Âdî bir hayvanı, faydası kendisine dokunacak âdî şeyler peşinde yormakta beis yoktur. Yorulan da kendisi, zevk alacak olan da kendisidir. Fetvâ, avâmı fayda ve zararı olmayan mübâhlardan ayırmayı iktizâ eder. Dîn ve dünyalığa yarayışlı olmayıp, yalnız hava almak için diyâr diyar dolaşmak, yazıda hayvanların ipsiz sapsız dolaşmasına benzer.

Başkalarına bir zararı olmayıp, hallerini insanlara sirâyat ettirmedikleri müddetçe, bu gibilerin seyahatlerinde de bir beis yoktur. Asıl günâhları, dilenmelerinde tasavvufu âlet etmeleri ve gerçek sûfilere tahsis edilen vakıfları yemelerindedir. Zîra sûfi, salâhın üstünde diğer iyi vasıfları ile dîninde âdil ve sâlih kimse demektir. Bu gibi sahte sûfilerin en ehven halleri sultanların mallarından yemektir. Hâlbuki haram yemek, kebâirdendir. Kebâiri irtikâb edende adâlet ve salâh diye bir şey aranamaz. Şâyet fâsık sûfi diye bir şey düşünülecek olsa, kâfir sûfi, fakîh Yahudi de düşünülebilirdi. Fakîh, muayyen bir Müslüman demek olduğu gibi, sûfi de dîninde yalnız kendisiyle adâlet hâsıl olacak miktar ile iktifa etmeyip, bunun üstünde kendine has bir adâlete sâhip olan kimsedir. Yine bunun gibi, onların içyüzlerini bilmeyip görünüşlerine aldanarak, Allah rızâsı için onlara vermek isteyenlerin verdiklerini almaları haramdır ve bundan yedikleri de meşrû değildir.

Demek istiyorum ki; onlara o yardımı yapan zât, bunların halet-i rûhîyelerini bilseydi katiyen onlara bir şey vermezdi. Aslında tasavvuf ile uzak yakın bir münâsebeti olmadığı halde, sırf kendini sûfi göstererek bu malı alması; evlâd-ı Rasûl'den ve Hz. Ali'nin soyundan geldiğini yalandan iddiâ ederek, ehl-i beyti seven bir kimseyi kandırıp ondan mal alması gibidir. Hâlbuki o zât, bunun yalancı olduğunu bilse, ona bir şey vermezdi. Böyle bir kimsenin aldığı haram olduğu gibi, yalandan sûfilik iddiâ ederek sûfileri sevenleri aldatarak mallarını almak da aynı şekilde haramdır. Bunun için ihtiyâtlı davrananlar, dîn ve diyânetleri karşılığında bir şey alıp yemekten çekinmişlerdir. Zîra dîni için ne kadar titiz ve ihtiyâtlı davransa da, insanın öyle gizli halleri olur ki, onunla arkadaşlığa rağbet eden kimse bunları bilse, onunla arkadaşlık ve dostluk arzusu azalırdı. Bunun için kendilerine müsâmaha edilir de, dînleri adına yerler korkusu ile bu gibi ihtiyâtlı davrananlar, lüzumlu maddeleri bizzat kendileri almadıkları gibi, aldırdıkları adama da falanca için alıyorum, dememesini tembîh ederlerdi. Evet, veren kimse, verdiği zât hakkında Allahü Teâlâ'nın bildiğini kendisi de bilse aldırış etmeyecekse, o zaman verileni almak helâl olur.

Hâlbuki aklı başında olup insafla düşünen kimse, bunun çok ender ve belki de hiç mümkün olamayacağını pekâlâ bilir. Nefsine aldanmış câhil kimselerin dîni hususunda da aldanacağı meydandadır. (Çünkü kişinin kalıbına en yakın olan, kalbidir. Kalbini anlamayan, başkasının halini nasıl anlayabilir?) Bu halini kavrayan kimseye lâzım olan, bu gâileden korunmak için, ancak kendi kazancından yemektir. Veyâhut da gizli hallerini bildiği halde yine kendisinden nefret etmeyeceğini katî olarak bildiği kimsenin yemeğini yemektir.

Mürîd ve âhiret yolcusu, başkasının yemeğini yemek mecbûriyetinde kalırsa, adama, sen beni olgun bir insan sanarak bana yardımda bulunmak istiyorsan bilmiş ol ki, ben bu değerde ve bu saygıya lâyık bir insan değilim. Benim gizli hallerimi Allahü Teâlâ açığa çıkarsaydı, sen bu saygı ile bana bakmaz ve beni insanların kötüsü kabul ederdin, demelidir. Bundan sonra kendisine bir şey verirse, onu alabilir. Çünkü kendisi içyüzünü itiraf etti ve adam da bunu kabul etti demektir. Fakat burada da nefsin ince bir hîlesi vardır. Buna son derece dikkat etmek lâzımdır. O da, böyle söylerken, nefsini yerip kendilerine hakaret etmekte, kendini sâlihlere benzetmek ister, sözü görünüşte bir zem, gerçekte kendini övmek olur.

Nice kendisini yerenler var ki, gerçekte methetmektedir. Yalnızlıkta kendini yermek makbul, halk arasında yermek ise riyânın kendisidir. Ancak samîmi olarak muhâtabını iknâ edecek şekilde kusurlu olduğunu ve bunu îtirâf ettiğini bildiriyorsan bu riyâ olmaz. Bunu hal karînesiyle anlatmak mümkün olduğu gibi, hal karînesiyle de karıştırmak mümkündür. Allahına karşı sâdık olan kimse, Allahü Teâlâ'yı veyâ kendini aldatmanın muhal olduğunu bilir. Artık bu gibi şeylerden kaçınmak kendisi için zor bir şey olmaz.

İşte seferin kısımları, yolcunun niyeti ve niyetin fazîleti hakkındaki sözler bundan ibâretir.

İkinci Fasıl

EVİNDEN ÇIKIP DÖNÜNCEYE KADAR OLAN YOLCULUK ÂDÂBI

1 - Sefere çıkacak olan evvelâ kul haklarını, borcunu ve nafakası üzerine borç olanların geçimini temîn etmeli, varsa zimmetindeki emânetleri ödemelidir. Kendisine ve arkadaşlarına yetecek şekilde helâl ve temizinden azığını almalıdır.

İbn Ömer (r.a.); "Yolculukta iyi ve temiz azık almak, kişinin keremliliğindendir." demiştir. Yolculukta hoş sohbet olmak, azığından yedirmek ve arkadaşlarına karşı iyi davranmak lâzımdır. Yolculuk, insanın içindeki gizli hallerini meydana çıkarır. Yolculuk arkadaşlarına karşı iyi davrananlar, hazerde de arkadaşları ile iyi geçinebilirler. İnsan, bâzen hazerde iyi olur, fakat yolculukta bu halini koruyamaz.

Bunun için denilmiştir ki; kişinin hazerde alış veriş ettiği kimseler, yolculukta da arkadaşları olursa, artık bunun iyiliğinde şüphe etmeyin. Yolculuk, yolcuya ağırlık veren sebeplerdendir. Bu gibi telaşlı hallerde ahlâkı güzel olan kimse güzel huylu sayılır. Yoksa keyfi yerinde, her şey arzusuna uygun olan kimsenin kötü ahlâkına pek ender rastlanır. Üç kimsenin titizliklerinden dolayı levm edilmedikleri söylenmiştir. Bunlar da oruçlu, hasta ve yolculardır. Yolcunun güzel ahlâkı binitine acımak, imkân nispetinde arkadaşlarına yardım etmek, yolda kalmışlara vâsıta ve yiyecek temîni sûretiyle acımakla tamam olur. Bunun da tamamı, fuhuş ve isyana vardırmayacak şekilde arkadaşlarının gönlünü hoş etmek için ara sıra onlarla şakalaşmakladır. Böyle yapmakla yolculuğun güçlük ve yorgunluğunu unutturmuş olur.

2 - Sefere çıkacak olan önce bir arkadaş bulmalı, arkadaşsız yola çıkmamalıdır. Önce arkadaş, sonra sefer. Seçeceği arkadaşı, dîn işlerinde kendisine yardımcı olmalıdır. Unuttuğunu hatırlatmalı ve yapacağında kendisine yardımcı olmalıdır. Kişi, arkadaşının dîni üzerinedir. Herkes, arkadaşı ile tanınır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), arkadaşsız yola çıkmaktan men etmiş[8] ve *"Üç kişi olmalı."*[9] buyurmuştur.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فِي السَّفَرِ فَأَمِّرُوا أَحَدَكُمْ

"Seferde üç kişi olduğunuz zaman, birinizi reis seçin."[10]

Ashâb-ı kirâm da böyle yapar ve "Bu, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in emrettiği emrîmizdir." derlerdi.

Seçilecek reisin ahlâkı güzel olmalı; arkadaşlarına acıyan, başkalarını kendisine tercîh eden ve söz dinleyen kimselerden olmalıdır. Yolculukta bir reisin lüzumu, konak ve yol tâyinindeki ihtilâfları önlemek ve yolculuk işlerini tanzîm içindir. Çünkü herkesin görüşü ayrıdır. Bir reis, karar verir. Nizâm birlikte, bozgunluk çokluktadır. Kâinatın nizâmı da idarecisinin bir olmasındandır. Nitekim âyet-i celîlede şöyle buyrulmuştur:

---

[8] Ahmed, İbn Ömer'den sahih sened ile rivâyet etmiştir.
[9] Hz. Ali'nin vasiyetindeki meşhur hadisten rivâyet edilmiştir.
[10] Taberâni İbn Mes'ûd'dan hasen isnâd ile rivâyet etmiştir.

لَوْ كَانَ فِيهِمَا اٰلِهَةٌ اِلَّا اللّٰهُ لَفَسَدَتَا

“Yerde ve göklerde Allah’tan başka ilâhlar olsaydı, yer gökler fesâda giderdi. (Bu nizâm ya hiç kurulamaz veyâ devam edemezdi.)**”** (Enbiyâ sûresi, 21/22) Müdebbir tek olduğu zaman, tedbîr edilen işler muntazam olur. -Hazarda ve seferde- müdebbir çoğaldıkça işler bozulur. Ancak yaşanılan yerler emîrden halî olamaz. Belediye emîri gibi. Yâhut emîr-i has ev sâhibi gibi. Yolculukta böyle bir reis olmadığından, bu ancak yolcuların kendi aralarından birini seçmeleri ile sağlanır. Dağınık fikirleri bir araya toplamak için, yolcuların bir âmir seçmeleri vâcip olmuştur. Âmire borç olan, arkadaşlarının menfaatlerine uygun olanı tercîh etmek ve kendisini onlara karşı koruyucu olarak tâyin etmektir. Nitekim **Abdullah el-Murûzî**’den nakledildiğine göre, Ebû Ali er-Ribâtî kendisine arkadaş olmuş. Ebû Ali’ye:

– “Sen mi reis olacaksın ben mi?” diye sormuş. Ebû Ali:

– “Hayır, sen reis olacaksın” demiştir. Abdullah da:

– “O halde sen de benim emrime uyacaksın.” demiştir. Bundan sonra, Abdullah hem kendisinin, hem de Ebû Ali’nin azığını sırtında taşımaya başlamıştır. Bir gece yağmur yağmış. Abdullah sabaha kadar elindeki kilim parçası ile arkadaşının başında durarak ona yağmurdan gölge olmuştur. Ebû Ali kendisine:

– “Böyle yapma, böyle olmaz.” dedikçe, Abdullah:

– “Sen beni âmir kabul etmedin mi? Her şeyde bana itâat edeceğine söz vermedin mi? Neden sözünde durmuyorsun? Bana tahakküm etmeye kalkışma ve sözünden dönme.” dedi.

Ebû Ali diyor ki: "Keşke ölseydim de bu sözü vermeseydim, diyecek hale geldim." İşte âmir, emri altında bulunanlara böyle davranmalıdır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

خَيْرُ الْأَصْحَابِ أَرْبَعَةٌ

"Arkadaşların en hayırlısı dörttür."[11] Elbette dört sayısını tahsîste bir hikmet vardır. Benim anladığım, yolcu, muhafıza muhtaçtır bir. Şuraya buraya gidip gelecek bir arkadaşa muhtaçtır iki. Bunların yekûnu üç eder. Şayet yalnız üç kişi kalsalar, şuraya buraya gidip gelen tek kalır. Bu ise tek başına arkadaşlarından ayrılmaktan çekinir, canı sıkılır ve bâzen de tehlikeli olur. Şayet bu gibi hizmetleri yapacak iki kişi olursa, adamın yanında muhafız olarak bir kişi kalır. Bu da can sıkıcı ve tehlikeli olmaktan halî değildir. O halde yolcunun yanında dörtten az arkadaş bulunması maksada kâfi gelmez. Dörtten fazlası da fazladır. Zîra dörtten sonraki beşinci fazladır. Fazla gelen ve kendisine ihtiyaç olmayan arkadaş ile insan lâyıkıyla meşgul olamaz. Gerçek arkadaşlar ne kadar çok olursa tehlike de o nisbette az olur. Fakat bilhassa dört arkadaş bir adam için daha hayırlıdır. Umûmî yolculukta tabiî fazlası daha iyidir. Arkadaşları çoğalınca, çokları birbirleriyle ihtilât etmez ve hattâ sohbete bile katılmazlar.

3 - Seyahate çıkarken âile efrâdına, komşularına ve memleketteki dost ve ahbâplarına vedâ etmeli ve ayrılırken Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in duâsı ile duâ etmelidir. Zâtın biri şöyle anlatıyor:

Abdullah b. Ömer ile Mekke'den Medîne'ye giderken ar-

---

11. Ebû Dâvûd, Tirmizî ve Hâkim, İbn Abbâs'dan rivâyet ettiler. Tirmizî, hasen ve garîb olduğunu; Hâkim de, Buhârî ile Müslim'in şartlarına göre sahih olduğunu söyledi.

kadaş oldum. Ayrılacağım sırada beni uğurlarken, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in Lokman'dan rivâyet ettiği şu hadîsini bana okudu:

قَالَ لُقْمَانُ: إِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى إِذَا اسْتَوْدَعَ شَيْئًا حَفِظَهُ وَإِنِّي
أَسْتَوْدِعُ اللّٰهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ

"Lokman buyurdu ki; Allahü Teâlâ kendisine emânet edilen şeyi korur. Ben de senin malını, dînini ve amelinin sonunu Allah'a emânet ediyorum."[12] Zeyd b. Erkam'ın rivâyetinde de, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ سَفَرًا فَلْيُوَدِّعْ إِخْوَانَهُ، فَإِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى جَاعِلٌ
لَهُ فِي دُعَائِهِمُ الْبَرَكَةَ

"Sizden biriniz yolculuğa çıkmak istediği zaman, dostlarına vedâ etsin. Zîra Allahü Teâlâ onların duasında onun için bereket halk eder."[13] Yine Amr b. Şuayb'den, o da babasından, o da babasından rivâyete göre, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir kimseye vedâ ederken:

زَوَّدَكَ اللّٰهُ التَّقْوٰى وَغَفَرَ ذَنْبَكَ وَوَجَّهَكَ إِلَى الْخَيْرِ حَيْثُ تَوَجَّهْتَ

"Allahü Teâlâ seni takvâ ile azıklandırsın, günâhlarını bağışlasın ve her nereye yönelirsen sana hayrı nasîb etsin." derdi.[14] Bu duâ, duranın, gidene yapacağı duâdır.

---

[12] Neseî **"El-Yevm ve'l-Leyle"**de, ayrıca Ebû Dâvûd da muhtasar olarak rivâyet ettiler. İsnadı ceyyiddir.

[13] Harâitî "**Mekârim-i Ahlâk**" da rivâyet etmiştir.

[14] Harâitî **"Mekârim-i Ahlâk"**ta ve Mahâmilî **"Duâ"**da rivâyet etmişlerdir.

Mûsâ b. Virdan;[15] "Bir yolculuk için vedâ etmek üzere Ebû Hüreyre'ye gelmiştim. Ebû Hüreyre;

– "Yeğenim, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in bana öğrettiği-vedâ esnâsında yapılması gereken duâyı sana öğreteyim mi?" dedi. Ben de:

– "Öğret." dedim. Bunun üzerine Ebû Hüreyre:

أَسْتَوْدِعُكَ اللهَ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ

– *"Seni O büyük olan Allah'a emânet ederim ki, O, aslâ emâneti zâyi etmez."* de, dedi.[16]

Enes b. Mâlik'den (r.a.) rivâyete göre şöyle demiştir: Adamın biri Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e gelerek:

– Seyahata çıkmak istiyorum, bana öğüt ver, ya Rasûlallah." dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de:

فِي حِفْظِ اللهِ وَفِي كَنَفِهِ زَوَّدَكَ اللهُ التَّقْوٰى وَغَفَرَ ذَنْبَكَ
وَوَجَّهَكَ لِلْخَيْرِ حَيْثُ كُنْتَ أَوْ أَيْنَمَا كُنْتَ

– *Allahın hıfz u himâyesinde ol. Allah sana takvâyı azık etsin, günâhını yarlığasın. Her ne halde ve nerede olursan ol, Allah seni hayra yöneltsin."*[17] buyurdu.

Lâyık olan, geride bıraktığı bütün varlığını Allahü Teâlâ'ya emânet etmeli, bâzılarını ayırmamalıdır. Rivâyete göre; **Hz. Ömer** herkese atıyyesini verirken, adamın biri de çocuğu ile beraber geldi. Hz. Ömer, bir çocuğa ve bir de adama bakarak, “Bu kadar benzerlik ben hiç görmedim.” dedi. Adamcağız, ben sana bu çocuğun hikâyesini anlatayım diyerek söze başladı ve dedi ki: Ben seyahate çıkıyordum, hanım buna hâmile idi. Önüme geçerek: “Beni bu halde nereye bırakıp gidiyorsun?” deyince ben, “Karnında olan çocuğu Allah’a emânet ediyorum.” dedim ve gittim. Döndüğümde kadın ölmüştü. Konu komşu ile konuşurken, mezarında bir ışık gördüm. Komşulara bu ateşin ne olduğunu sordum. Komşular da bu ateşi her akşam gördüklerini söylediler. Ben de “Bu kadın namaz kılar, oruç tutardı; buna azâb olmasa gerek.” dedim ve kazma kürek alarak mezar başına gittik. Mezarı kazdık, baktık ki, orada bir ışık yanıyor ve çocuk da canlı duruyor. Bana: “İşte emânetin al, eğer annesini de emânet etseydin onu da canlı bulurdun.” diye ses geldi. **Hz. Ömer**: “Vallahi, karganın kargaya benzeyişinden daha çok bu çocuk sana benziyor.” dedi.

---

[15] Aslen Medîneli olup, Buhârî **"Edeb"**inde ve diğer **"Sıbâh-ı Erba'a"** kendisinden rivâyet etmişlerdir. 74 yaşında Hicrî 127 de ölmüştür.

[16] İbn Mâce ve Neseî **"El-Yevm ve'l-Leyle"**de hasen sened ile rivâyet etmişlerdir.

[17] **«Hac Kitâbı»**nın ikinci bâbında geçti.

4 - Yola çıkmadan -Namaz bahsinde anlattığımız şekilde- istihare namazı, ayrıca yola çıkarken de iki rekât sefer namazı kılmak. Enes b. Mâlik’in rivâyetinde bir adam Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e gelerek:

– “Ben yola çıkmak istiyorum, vasiyetimi yazdım. Bu vasiyeti oğluma mı, kardeşime mi, yoksa babama mı vereyim?” diye sordu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَا اسْتَخْلَفَ عَبْدٌ فِي أَهْلِهِ مِنْ خَلِيفَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ
مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ يُصَلِّيهِنَّ الْعَبْدُ فِي بَيْتِهِ إِذَا شَدَّ عَلَيْهِ ثِيَابَ
سَفَرِهِ، يَقْرَأُ فِيهِنَّ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، ثُمَّ
يَقُولُ: اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ بِهِنَّ إِلَيْكَ فَاخْلُفْنِي بِهِنَّ فِي أَهْلِي

وَمَالِي، فَهِيَ خَلِيفَتُهُ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ، وَحِرْزٌ حَوْلَ دَارِهِ حَتّٰى
يَرْجِعَ إِلٰى أَهْلِهِ

"İnsanın çoluk çocuğuna bırakacağı, Allah katında en hayırlı haleftir. Yola çıkacağı esnâda, her rekâtında Fatiha ve İhlâs okuyarak kılacağı dört rekât namazdır. Sonra da "Allahım, bu namazı senin rızân için kıldım. Benim âilemi ve malımı koru." demesidir. İşte o namaz, dönünceye kadar malının korunmasına vesîle olur." buyurdu.[18]

5 - Kapıya geldiği zaman:

بِسْمِ اللّٰهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّٰهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ، رَبِّ
أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ
أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ

– *"Allahım! Senin adını anarak, yardımına sığınarak yolculuğa çıkıyorum. Kuvvet ve kudret, ancak sendendir. Rabbim! Sapıklıktan, saptırılmaktan, zillete düşmekten ve düşürülmekten, zulümden ve zulme uğratılmaktan, unutmak ve unutturulmaktan sana sığınırım."* der. Yola çıkınca:

اَللّٰهُمَّ بِكَ انْتَشَرْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَبِكَ اعْتَصَمْتُ وَإِلَيْكَ
تَوَجَّهْتُ، اَللّٰهُمَّ أَنْتَ ثِقَتِي وَأَنْتَ رَجَائِي فَاكْفِنِي مَا أَهَمَّنِي
وَمَا لَا أَهْتَمُّ بِهِ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، عَزَّ جَارُكَ وَجَلَّ
ثَنَاؤُكَ وَلَا إِلٰهَ غَيْرُكَ، اَللّٰهُمَّ زَوِّدْنِي التَّقْوٰى وَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي
وَوَجِّهْنِي لِلْخَيْرِ أَيْنَمَا تَوَجَّهْتُ

---

[18] Harâitî "**Mekârim-i Ahlâk**"ta rivâyet etti.

– “Allahım! Senin yardımınla yola çıktım. Sana güveniyor, sana bel bağlıyor ve sana yöneliyorum. Allahım! Yegâne istinadgâhım ve ümîd kaynağım sensin. Her halde ve her müşkilâtımda ve bildiğin her hususlarımda bana yardımcı ol. Şânın yücedir. Senden başka mâbud yoktur. Allahım! Takvâyı bana azık et, kusurlarımı bağışla, beni dâima hayra yönelt.” der. Her konak yerinden ayrılırken bu duâyı okumalıdır. Vâsıtaya binerken:

بِسْمِ اللّٰهِ وَبِاللّٰهِ وَاللّٰهُ أَكْبَرُ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّٰهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
بِاللّٰهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَمَا شَاءَ اللّٰهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، سُبْحَانَ
الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلٰى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ

– “Allah’ın ism-i şerîfi ve Allah adıyla başlarım. Allah en büyüktür. O’na tevekkül ettim. Kudret ve kuvvet ancak büyük ve yüce olan Allah iledir. Dilediğini yapar. Dilemediğini yapmaz. Onu tesbîh ederiz ki, bize bunu teshîr etti (kolaylaştırdı.) Lâkin biz onda karar kılmamışızdır. Biz ancak Rabbimize doğru dönmüşüzdür.” duasını okur. Vâsıtaya yerleştiği zaman:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللّٰهُ،
اَللّٰهُمَّ أَنْتَ الْحَامِلُ عَلَى الظَّهْرِ وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ عَلَى الْأُمُورِ

– “Hamd olsun Allah’a ki, bizi hidâyetiyle buna kavuşturdu. Eğer Allah bize hidâyet etmeseydi, kendiliğimizden bunun yolunu bulmuş olamazdık. Allahım! Beni bu vâsıtaya bindiren de, her işimde yardım eden de sensin.” der.

6 - Erken yola çıkmalıdır. Câbir’in (r.a.) rivâyetine göre Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Tebûk seferine, perşembe günü erkenden çıkmış ve:

اَللّٰهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا

"Allahım! Erken işbaşı eden ümmetimin işlerini bereketli kıl."[19] buyurmuştur.

Yolculuğu perşembe günü yapmalıdır. Abdullah b. Ka'b b. Mâlik babasının rivâyetinde, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in umûmiyetle perşembe günü yolculuk ettiğini bildirmiştir.[20] Enes'den (r.a.) de şöyle rivâyet edilmiştir: Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اَللّٰهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا يَوْمَ السَّبْتِ

"Allahım! Cumartesi erkenden yola çıkanın işlerini bereketlendir."[21] diye duâ etmiştir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir tarafa bir müfreze çıkaracağı zaman, sabahleyin erkenden yola çıkarırdı.[22] Ebû Hüreyre'nin (r.a.) rivâyetinde, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اَللّٰهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا يَوْمَ خَمِيسِهَا

"Allahım! Perşembe günü erkenden yola çıkan ümmetimin işlerini bereketlendir."[23] diye duâ etmiştir. Abdullah b. Abbâs da: "Bir adam ile bir işin olduğu zaman, onu akşamleyin değil, sabahleyin erkenden bul. Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اَللّٰهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا

---

[19] Harâitî ve **"Sünen-i Erba'a"**da Sahr-ı Âmirî'den rivâyet etmişlerdir. Tirmizî, hasendir, dedi.

[20] Buhârî, **"Sahih"**inde rivâyet etmiştir.

[21] Bezzâr ve Harâitî, rivâyet ettiler.

[22] **"Sünen-i Erba'a"** da Sahr-ı Âmirî'den rivâyet ettiler ve Tirmizî hasendir, dedi.

[23] İbn Mâce ve Harâiti **«Mekârim-i Ablâk»**ta rivâyet ettiler.

- *"Allahım! Ümmetimden erken işlerine çıkanların işlerini mübârek kıl."*[24] buyurmuştur," dedi.

Cumayı terk etmekle âsî olmamak için, Cuma sabahı güneş doğdukdan sonra, yola çıkmamalıdır.[25] Gün, sabahtan başladığına göre sabah vakti, Cuma'nın vücûbuna sebep olur.

Yolcuyu uğurlamak sünnettir. Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَأَنْ أُشَيِّعَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَأَكْتَنِفَهُ عَلٰى رَحْلِهِ غَدْوَةً
أَوْ رَوْحَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

"Sabah veyâ akşam yola çıkan mücâhidi kucaklayıp yolcu etmek, benim için her şeyden sevimlidir."[26] buyurdu.

7 - Güneş iyice kızdırıncaya kadar istirahat etmemelidir; sünnet olan budur. Umûmiyetle yolculuğu gece yapmalıdır. Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ

"Sabaha yakın yola çıkın."[27] buyurmuştur. Zîra geceleyin alınan mesâfe, gündüz sıcağında alınamaz. Konaklayacağı zaman:

اَللّٰهُمَّ رَبَّ السَمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ وَرَبَّ الْأَرْضِينَ
السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ وَرَبَّ الرِّيَاحِ
وَمَا ذَرَيْنَ وَرَبَّ الْبِحَارِ وَمَا جَرَيْنَ أَسْأَلُكَ خَيْرَ هٰذَا الْمَنْزِلِ

---

[24] Bezzâr ve Taberânî **"Kebîr"**de, Harâitî **"Mekârim-i Ahlâk"**ta rivâyet ettiler. İfâde, Harâitî'nindir.

[25] Bu hususta Cuma bahsinde tafsîlât vardır.

[26] İbn Mâce, Muâz b. Enes'den rivâyet etmiştir.

[27] Haccın ikinci babında geçmiştir.

وَخَيْرَ أَهْلِهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هٰذَا الْمَنْزِلِ وَشَرِّ مَا فِيهِ
اِصْرِفْ عَنِّي شَرَّ شِرَارِهِمْ

– "Ey yedi kat göklerin ve bunların gölgelendirdiklerinin, yerlerin içinde bulunanların, şeytanların ve sapıttıklarının, rüzgârların ve eserek getirdiklerinin, nehirlerin ve akıttıklarının Rabbı olan Allahım! Konaklayacağım bu yerin ve burada bulunanların iyiliklerini senden ister ve kötülüklerinden sana sığınırım. Kötülüklerinden beni koru." der.

Konakladığı zaman, iki rekât namaz kılmalı ve:

اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللّٰهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بِرٌّ
وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ

– "Allahım! Bütün ilâhî kelimelerinin hürmetine, yarattıklarının şerrinden sana sığınırım." demelidir.

Gecelediği zaman:

يَا أَرْضُ رَبِّي وَرَبُّكِ اللّٰهُ أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنْ شَرِّكِ وَمِنْ شَرِّ مَا
فِيكِ وَشَرِّ مَا دَبَّ عَلَيْكِ أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنْ شَرِّ كُلِّ أَسَدٍ وَأَسْوَدٍ
وَحَيَّةٍ وَعَقْرَبٍ وَمِنْ شَرِّ سَاكِنِي الْبَلَدِ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ

– "Ey yer! Senin de benim de Rabbımız Allah'tır, senin içinde olanların ve üzerinde yürüyenlerin kötülüklerinden Allah'a sığınırım. Yılan, çiyan, akrep, arslan ve benzeri zararlı hayvanların şerrinden Allah'a sığınırım. Bu memleketin kötülüklerinden, doğuran ve doğanların fenalıklarından Allah'a sığınırım." der ve

وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

Gecenin ve gündüzün içinde barınan her şey O'nundur. O hakkıyla işiten, gerçek bilendir." (En'âm sûresi, 6/13) âyetini okur.

Yolculukta şerefli yerlere yükseldikçe:

اَللّٰهُمَّ لَكَ الشَّرَفُ عَلٰى كُلِّ شَرَفٍ وَلَكَ الْحَمْدُ عَلٰى كُلِّ حَالٍ

– Allahım! Her şerefin üstünde şeref şenindir. Her hal u kârda hamd sana mahsûstur." der. Vâdilere indikde tesbîh eder "Sübhanallah" der.

Yolculukta yalnızlıktan korktuğu zaman:

سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ رَبِّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ، جَلَّلْتَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْعِزَّةِ وَالْجَبَرُوتِ

– "Meleklerin ve rûhun Rabbi olan ve noksan sıfatlardan münezzeh bulunan Allahımı tesbîh ve takdîs ederim. İzzet, ceberût ve azametiyle gökler yükselmiştir." der.

8 - Gündüzleri dahi kendisini korumalı ve kafileden ayrılarak tek başına dolaşmamalıdır. Çünkü şaşırmak ve yankesiciler eline düşmek tehlikesi vardır. Gece uyurken de emniyette olmalıdır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) seferde gecenin ilk vakitlerinde uyursa, bağdaş kurar da öyle uyurdu. Sabaha yakın da ayaklarını diker, başını iki koltuğunun arasına alarak uyurdu. Maksadı sabah namazına uyanmak idi ki kaybettiği, yolculukta aradığından efdal olmasın.

Yolculukta nöbetleşerek uyumak müstehaptır. Yolculardan biri uyur, diğeri bekler, sonra o uyur öbürü onu bekler. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in sünneti bu yoldadır. Gece veyâ gündüz yırtıcı hayvanların saldırısına karşı (gerekli maddî tedbirleri almakla beraber) Âyetü'l-Kürsî, Şehidallâh, İhlâs ve Muavvizeteyn'i okumalı ve "Bismillah, ancak Allahü Teâlâ'nın dilediği olur. Allahım bana yeter. Ben O'na tevekkül etim. Mâşaallah, hayır ancak Allah'tan gelir. Mâşaallah, kötülüğü ancak Allahü Teâlâ önler. Allahım bana yeter. Allahü Teâlâ duâ edeni duyar. İlk ve son sığınacak ancak Allah'tır.

كَتَبَ اللّٰهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللّٰهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ

"Allah şöyle hüküm vermiştir: "And olsun ki ben galip geleceğim, peygamberlerim de. Şüphesiz Allah yegâne kuvvet sahibidir, mutlak galiptir."" (Mücâdele sûresi, 58/21)

Allahü Teâlâ'nın kalesine sığındım. Hayy, Kayyûm ve lâ-yemût olan Allahü Teâlâ'ya sığındım. Allahım, uyumayan gözlerin hürmetine beni koru, sonu gelmeyen himâyene beni al. Allahım, bize olan kudretinle bize merhamet et de, helâk olmayalım. Ümîd ve güvenimiz sanadır. Allahım lütfunla kullarının kalplerini bize çevir de, bize acısınlar. Merhamet edenlerin en merhametlisi sensin, demelidir.

9 - Bineği varsa ona acımalı, gücünden fazla yüklememeli, yüzüne vurmamalı; bundan men edilmiştir. Hayvan üzerinde uyumamalı. Çünkü uyku ağırlık verir ve hayvanı yorar. Vera sahibi insanlar, hayvanlar üzerinde zarûrî hallerde pek az bir miktar uyurlardı. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَا تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ كَرَاسِيَّ

"Binek hayvanlarınızın sırtını döşek yapmayın."[28] buyurmuş-

---

[28] Hac kitabında geçmiştir.

tur. Kuşluk ve ikindi vakitleri hayvanın sırtından inerek onu dinlendirmek sünnettir. Bu hususta seleften rivâyetler vardır. Hattâ seleften bâzıları mal sahibi ile hayvanın sırtından hiç inmemek şartıyla pazarlık eder, parayı ona göre verir ve sonra da yalnız hayvana iyilik olsun diye sırtından inerdi. Böylece hayvana acımasından hâsıl olan mükâfat da mal sahibinin değil, kendi mîzânına konur. Kim bir hayvana, dövmek veya haddinden fazla yük vurmakla eziyet ederse, kıyamette cezâsını çeker. Zîra her ciğer sahibi hayvana acımakta ecir vardır.

Ebû'd-Derdâ (r.a.) ölürken devesine şöyle demiştir: "Ey deve, yarın Allah huzurunda benden davacı olma. Çünkü ben sana gücün yetmediği yükü vurmadım."

Hayvanın sırtından bir müddet inmekte iki sadaka vardır. Birincisi hayvanı dinlendirmek, diğeri mal sâhibinin gönlünü hoş etmektir. Ayrıca vücûd idmanı ve kan hareketi gibi faydaları da vardır. Yine lâyık olan, hayvana yükleyeceği her şeyi teker teker ortaya koymalı ve buna göre pazarlığını yaptıktan sonra kiralamalıdır ki, sonradan aralarında kalp kırıcı haller ve lüzumsuz dedi-kodular almasın. Ağızdan çıkan her söz takip edilir ve defterine işlenir. Bunun için, fazla konuşmaktan, mal sâhibi ile mücâdeleden çekinmelidir. Koru etrafında dolaşan kimsenin koruya düşmesinden korkulur.

At üzerinde giden **İbn Mübârek**'e adamın biri:

– "Şu mektubu falan zâta verir misin?" deyince, İbn Mübârek:

– "Dur, önce mal sâhibine soralım. Çünkü ben böyle bir şey taşımayı şart konmamıştım; müsâade ederse alırım." dedi. Bu sözü ile İbn Mübârek, fakîhlerin müsâmaha yolunu değil, verâ yolunu tercîh etmiştir.

10 - Seyahate çıkan kimsenin altı şeyi yanında bulundurması uygundur. Nitekim Hz. Âişe (r. anha) şöyle buyuruyor:

"Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) yolculuğunda beş şeyi yanında bulundururdu: Ayna, sürme kabı, makas, misvak ve tarak." Diğer rivâyette ise altı şey bulundururdu. Bunlar da: Ayna, sürmelik, tarak, makas, misvak ve güzel koku kaplarıdır.

Sa'd'ın (r.a.) annesi de şöyle anlatıyor: "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) yolculukta ayna ve sürme kutusunu yanından ayırmazdı."

Süheyb'in (r.a.) rivâyetinde, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

عَلَيْكُمْ بِالْإِثْمَدِ عِنْدَ مَضْجَعِكُمْ فَإِنَّهُ مِمَّا يَزِيدُ فِي الْبَصَرِ
وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ

"Yatarken siyah sürme kullanın. Zîra siyah sürme, gözün ışığını arttırır ve göz kirpiklerinin bitmesine yardımcı olur."[29] Bir rivâyette, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) her iki gözüne üçer kere sürme çekerdi. Diğer rivâyette sağ gözüne üç ve sol gözüne iki sürme çekerdi.

Sûfiler yolculukta bu altı şeyden başka iki şeyin daha bulundurulmasını uygun görmüşlerdir. Onlar da, ibrik ve iptir. Hattâ sûfilerden biri, "Yoksul yolcunun yanında ibrik ve ip bulunmaması dîninin noksanlığına delîldir." dedi. Bunları bulundurmalarının sebebi, temizliğe dikkat etmek ve yıkadığı elbiseyi asıp kurutmak içindir. İbrik, suyu temiz saklar, ip ile de yıkadığı çamaşırı asar. Ayrıca ip ile ibriği kuyuya sarkıtır ve su alır.

---

29. Harâitî **"Mekârim-i Ahlâk"**da rivâyet etti. Tirmizî'ye göre sahihtir. İbn Huzeyme ve İbn Hibbân, İbn Abbâs'dan sahîh olarak rivâyet etmişlerdir. İbn Abdülberr de sahîh olduğunu söylemiştir. Hattâbî de senedi sahihtir, demiştir.

Hâlbuki ilk Müslümanlar, su bulunmadığı zaman teyemmüm ile iktifâ ederler. Ve bunun için su taşımaya lüzum görmezlerdi. Pis olduğunu katî olarak bilmedikleri su birikintilerinden abdest alırlar, buna aldırış etmezlerdi. Hattâ **Hz. Ömer** (r.a.) Hıristiyan kadının ibriğinden abdest almıştır. Aynı zamanda elbiselerini kurutmak için ip aramazlar; toprak, kum ve kayalar üzerinde elbiselerini kuruturlardı. İp bulundurmak, sonradan ihdâs edilmiş güzel bir âdettir. Çirkin bid'at, sünnete uymayan harekettir. Dînde, ihtiyata yardımcı olan bid'atler, "Bid'at-i hasene"dir ve güzel sayılmıştır.

Taharette mübalâğanın ahkâmını "**Tahâret Kitâbı**"nda anlattık. Kendini tamamen dîn yoluna veren kimsenin ruhsat yolunu tercîh etmesi uygun olmaz. Belki daha mühim bir ibâdetle meşgul olmayacaksa, tahârete ehemmiyet vermesi daha uygundur. Denildi ki: "Havas, tevekkül edenlerden oldukları halde hazerde ve seferde dört şeyi eksik etmezlerdi: İbrik, ip, iğne-iplik ve makas. Hattâ onlar, bunları dünyalıktan bile saymazlardı."

11 - Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) gazâ, hac, umre ve benzeri yolculuklardan dönüşünde uğradığı her yüksek tepede üç kere tekbîr alır ve:

لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اٰيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللّٰهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ

"Allah'tan başka ilâh yok. O, birdir. Şerîki (ortağı) yoktur. Mülk O'nundur. Hamd ancak O'na mahsûstur. O, her şeye kadirdir. Bizler

Allah'a dönücü, O'na tövbe edici, O'na ibâdet edici, O'na secde edici ve O'na hamd edicileriz. Allah Teâlâ, kuluna yardım ederek, orduları kovarak va'dini yerine getirdi."[30]diye hamd ederdi.

Kişi, kasabasına döndüğü zaman:

اَللّٰهُمَّ اجْعَلْ لَنَا بِهَا قَرَارًا وَرِزْقًا حَسَنًا

"Allahım, bizi burada yerleştir ve bize burada temiz ve bol rızık nasîb eyle." desin.

Daha sonra eve müjdeci göndersin. Ânî olarak eve giderek, hoşlanmayacağı bir manzara ile karşılaşmaya fırsat vermesin. Gece eve gitmekten Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) men etmiştir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) yolculuk dönüşünde mescide uğrar, iki rekât namaz kılar, sonra eve giderdi. Eve girdiği zaman:

تَوْبًا تَوْبًا لِرَبِّنَا أَوْبًا أَوْبًا لَا يُغَادِرُ عَلَيْنَا حَوْبًا

"Allah'a tövbe eder ve O'na yöneliriz. O, bizim üzerimizde hatâ bırakmaz."[31] derdi. İmkânları nispetinde çoluk çocuğuna ve yakınlarına yiyecek ve giyecekten hediyeler getirmelidir. Bu, sünnettir. "Hiçbir şey bulamazsa mendiline taş doldursun." diye rivâyet bile vardır. Bu, hediye getirmek hususunda mübalâğa ile teşvîk mâhiyetindedir. Çünkü herkes gelene gözünü diker ve gelmesiyle gönüller sevinir. Seyahatte onları hatırlayıp, onlar için bir şeyler almak, bu sevgiyi daha da kuvvetleştirir.

Bunlar, zâhiri âdâbdır.

---

[30] Mehazı bulunamamıştır.

[31] İbn Sünnî **«El-Yevm ve'l-Leyle»** de ve Hâkim, İbn Abbâs'dan rivâyet ettiler. Hâkim, Buhârî ve Müslim'in şartlarına göre sahih olduğunu söyledi.

Bâtınî âdâb: Birinci fasılda icmâlen bunlardan da bahsetmiştik. Meselâ, yolculuğu daha ziyâde dînî uğrunda yapmalı, kalbinin bozulacağını ve dîninde noksanlık olacağını anlarsa yolculuktan sarf-ı nazar etmelidir. Gönlünün meylettiği yerde kalmalı ve ileri geçmemelidir. Her uğradığı memlekette oranın âlim ve âbidlerini ziyâret etmeyi niyet etmeli, her birerlerinden edep ve terbiye bakımından istifâde etmeye gayret etmelidir. Onlardan öğrendiklerini başkalarına aktarmayı ve bu vesîle ile "Ben şöyle kimseleri ziyâret ettim." demeyi düşünmemelidir. Gittiği memlekette bir hafta ve azamî on günden fazla kalmamalıdır. Yalnız seyahatinde görmek istediği şeyhi, fazla kalmasını emrederse, o zaman kalabilir. Oturduğu müddetçe sâdık yoksullarla düşüp kalkmalı; şâyet gayesi bir kardeşliğini ziyâret ise üç günden fazla kalmamalıdır. Çünkü ziyâretin haddi üç gündür. Ancak kardeşliği ayrılmasından gücenecekse, o zaman fazla kalabilir.

Şâyet şeyhini ziyârete gitmişse yirmi dört saatten fazla kalmamalı ve insanlarla meşgul olmamalıdır. Zîra bu kabil hareket, yolculuğun bereketini yok eder. Girdiği her kasabada başka şeylerle meşgul olmamalı, ancak olgun zâtları ziyâret etmelidir. Şeyhin evine ziyâret maksadı ile gittiği zaman, şeyh içeride ise kapıyı çalmamalı ve şeyh kapıya gelinceye kadar içeri girmek için müsâade istememelidir. Şeyh kapıya çıktığı zaman hürmetle ona yaklaşarak selâm vermeli, hiçbir şey konuşmadan durmalıdır. Ancak sorduklarına cevap vermeli, müsâadesi olmadan fazla bir şey sormamalıdır.

Yolculukta zenginlerden, dostlarından ve memleket yemeklerinden konuşmamalı, belki gezdiği memleketlerin şeyhlerinden ve yoksullarından bahsetmelidir. Yolculuğunda iyilerin mezarlarını ziyâret etmeyi de, ihmâl etmemelidir. Her yerde büyük adamları araştırıp mezarlarını ziyâret etmelidir. İhtiyaçlarından ancak zarûrî ve mübrem olanlarını, sâdece yerine getirebileceklere açıklamalıdır. Yolda sessizce zikir ve Kur'ân okumaya devâm etmelidir. Kendisi ile konuşan olursa, hemen zikir ve Kur'ân okumayı kesip onlara cevap vermeli ve yine bıraktığı yerden başlamalıdır. Şâyet yolculuktan veyâ durmaktan canı sıkılırsa nefsinin arzusuna uymamalı, aksine hareket etmelidir. Zira bereket, nefsin arzularına uymamaktadır.

İyilere hizmet vazîfesi kendisine düşmüşse, hizmetten ağırlanarak oradan ayrılmamalıdır. Bu, nîmete nankörlük olur. Hazerde yaptığı ibâdeti yolculukta yapamıyorsa, yolculuğunun hatâlı olduğunu anlamalı ve hemen geri dönmelidir. Zîra bu seyahati hak yolunda olsaydı, eserini gösterecekti.

Bir kişi **Ebû Osman Mağribî**'ye[32], başka birisinin sefere çıktığını söyleyince, Ebû Osman: "Yolculuk gurbettir. Gurbet de zillettir. Müslüman'ın nefsini zillete düşürmesi doğru değildir." dedi ve bu sözü ile yolculuğunda diyânetini arttıramayan kimseleri kasdetti. Yoksa dîn bakımından ululuğa, yolculuğun zilleti ile ulaşılır. Mürîdin yolculuğu, nefsânî arzularından ve tabiatleştiği şeylerden uzaklaşmak için olmalıdır ki, bu gurbette zilletten kurtarıp ululuğa ulaşabilsin. Yoksa hevâ ve isteklerine uyarak yolculuk eden, sonunda ya bu dünyada veyâ âhirette zelîl olur.

---

[32] Adı Sa'id, b. Selâm'dır. Asrının tek adamı idi. Nisabur'da 373 Hicrî târihinde ölmüştür.

البَابُ الثَّاني

فيما لا بدّ للمسافر من تعلّمه من رخص السّفر وأدلّة القبلة والأوقات

اعلمْ : أنَّ المسافرَ يحتاجُ في أوَّلِ سفرِهِ إلىٰ أنْ يتزوَّدَ لدنياهُ ولآخرتِهِ .

أما زادُ الدنيا : فالطعامُ والشرابُ ، وما يحتاجُ إليهِ مِنَ النفقةِ .

فإنْ خرجَ متوكِّلاً مِنْ غيرِ زادٍ . . فلا بأسَ بهِ إذا كانَ سفرُهُ في قافِلةٍ أوْ بينَ قرىً متصلةٍ .

وإنْ ركبَ الباديةَ وحدَهُ أوْ معَ قومٍ لا طعامَ معهُمْ ولا شرابَ ؛ فإنْ كانَ ممَّنْ يصبرُ على الجوعِ أسبوعاً أوْ عشراً مثلاً ، ويقدرُ علىٰ أنْ يجتزِئَ بالحشيشِ . . فلهُ ذلكَ ، وإنْ لمْ يكنْ لهُ قوَّةُ الصبرِ على الجوعِ ولا القدرةُ على الاجتزاءِ بالحشيشِ . . فخروجُهُ مِنْ غيرِ زادٍ معصيةٌ ؛ فإنَّهُ ألقىٰ نفسَهُ بيدِهِ إلى التهلكةِ ، ولهـٰذا سرٌّ سيأتي في كتابِ التوكُّلِ .

وليسَ معنى التوكُّلِ التباعدَ عنِ الأسبابِ بالكليَّةِ ، ولوْ كانَ كذلكَ . . لبطلَ التوكُّلُ بطلبِ الدلوِ والحبلِ ، ونزحِ الماءِ مِنَ البئرِ ، ولوجبَ أنْ يصبرَ حتَّىٰ يسخِّرَ اللهُ ملكاً أوْ شخصاً آخرَ حتَّىٰ يصبَّ الماءَ في فيهِ ، فإنْ كانَ حفظُ الدلوِ والحبلِ لا يقدحُ في التوكُّلِ وهوَ آلةُ الوصولِ إلى المشروبِ . . فحملُ عينِ المطعومِ والمشروبِ حيثُ لا يُنتظرُ لهُ وجودٌ أولىٰ بألا يقدحَ فيهِ .

وستأتي حقيقةُ التوكُّلِ في موضعِهِ ؛ فإنَّهُ ملتبسٌ إلا على المحققينَ مِنْ علماءِ الدينِ .

* * *

وأمَّا زادُ الآخرةِ : فهوَ العلمُ الذي يحتاجُ إليهِ في طهارتِهِ وصومِهِ وصلاتِهِ وعباداتِهِ ، فلا بدَّ أنْ يتزوَّدَ منهُ ؛ إذِ السفرُ تارةً يخففُ عنهُ أموراً فيحتاجُ إلىٰ معرفةِ القدْرِ الذي يخفِّفُهُ السفرُ ؛ كالقصرِ ، والجمعِ ، والفطرِ ، وتارةً يشدِّدُ عليهِ أموراً كانَ مستغنياً عنها في الحضرِ ؛ كالعلمِ بالقبلةِ ، وأوقاتِ الصلواتِ ؛ فإنَّه في البلدِ مكفيٌّ بغيرِهِ مِنْ محاريبِ المساجدِ ، وأذانِ المؤذنينَ ، وفي السفرِ قدْ يحتاجُ إلىٰ أنْ يتعرَّفَ بنفسِهِ .

* * *

فإذاً ؛ ما يفتقرُ إلىٰ تعلُّمِهِ ينقسمُ إلىٰ قسمينِ :

القسم الأول : العلم برخص السفر

والسفرُ يفيدُ في الطهارةِ رخصتينِ : مسحُ الخفَّينِ والتيمُّمُ ، وفي صلاةِ الفرضِ رخصتينِ : القصرُ والجمعُ ، وفي النفلِ رخصتينِ : أداؤُهُ على الراحلةِ وأداؤُهُ ماشياً ، وفي الصومِ رخصةً واحدةً ، وهيَ الفطرُ ، فهٰذهِ سبعُ رخصٍ .

الرخصةُ الأولىٰ : المسحُ على الخفينِ :

قالَ صفوانُ بنُ عسَّال : (أمرنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا كنَّا مسافرينَ أوْ سَفْراً ألا ننزعَ خفافَنا ثلاثةَ أيامٍ ولياليَهُنَّ)[1] ، فكلُّ مَنْ لبسَ الخفَّ علىٰ طهارةٍ مبيحةٍ للصلاةِ ثمَّ أحدثَ . . فلهُ أنْ يمسحَ علىٰ خفِّهِ مِنْ وقتِ حدثِهِ ثلاثةَ أيَّامٍ ولياليَهُنَّ إنْ كانَ مسافراً ، ويوماً وليلةً إنْ كانَ مقيماً ، ولكنْ بخمسةِ شروطٍ :

الأوَّلُ : أنْ يكونَ اللبسُ بعدَ كمالِ الطهارةِ : فلوْ غسلَ الرجلَ اليمنىٰ وأدخلَها في الخفِّ ، ثمَّ غسلَ اليسرىٰ وأدخلَها في الخفِّ . . لمْ يجزْ لهُ المسحُ عندَ الشافعيِّ رحمهُ اللهُ حتَّىٰ ينزعَ خفَّ اليمنىٰ ويعيدَ لبسَهُ .

الثاني : أنْ يكونَ الخفُّ قويّاً يمكنُ المشيُ فيهِ ، ويجوزُ المسحُ على الخفِّ وإنْ لمْ يكنْ منعَّلاً ؛ إذِ العادةُ جاريةٌ بالتردُّدِ فيهِ في المنازلِ ؛ لأنَّ فيهِ

---

[1] رواه الترمذي (٩٦) ، والنسائي (١/ ٨٣) ، وابن ماجه (٤٧٨) .

قوَّةً على الجملةِ ، بخلافِ جوربِ الصوفيَّةِ ؛ فإنَّهُ لا يجوزُ المسحُ عليهِ ، وكذا الجُرْموقُ الضعيفُ .

الثالثُ : ألا يكونَ في موضعِ فرضِ الغسلِ خرقٌ ، فإنْ تخرَّقَ بحيثُ انكشفَ محلُّ الفرضِ . . لمْ يجزِ المسحُ ، وللشافعيِّ قولٌ قديمٌ أنَّهُ يجوزُ ما دامَ يستمسكُ على الرجلِ ، وهوَ مذهبُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، ولا بأسَ بهِ لمسيسِ الحاجةِ إليهِ ، وتعذُّرِ الخرْزِ في السفرِ في كلِّ وقتٍ .

والمداسُ المنسوجُ يجوزُ المسحُ عليهِ مهما كانَ ساتراً لا تبدو بشرةُ القدمِ مِنْ خلالِهِ ، وكذا المشقوقُ الذي يُردُّ علىٰ محلِّ الشقِّ بشَرَجٍ⁽¹⁾ ؛ لأنَّ الحاجةَ تمسُّ إلىٰ جميعِ ذلكَ ، فلا يُعتبرُ إلا أنْ يكونَ ساتراً إلىٰ ما فوقَ الكعبينِ كيفما كانَ ، فأمَّا إذا سترَ بعضَ ظهرِ القدمِ وسترَ الباقيَ باللفافةِ . . لمْ يجزِ المسحُ عليهِ .

الرابعُ : ألا ينزعَ الخفَّ بعدَ المسحِ عليهِ ، فإنْ نزعَ . . فالأولى استئنافُ الوضوءِ ، فإنِ اقتصرَ علىٰ غسلِ القدمينِ . . جازَ .

الخامسُ : أنْ يمسحَ على الموضعِ المحاذي لمحلِّ فرضِ الغسلِ لا على الساقِ ، وأقلُّهُ : ما يسمَّىٰ مسْحاً علىٰ ظهرِ القدمِ مِنَ الخفِّ ، وإذا مسحَ بثلاثِ أصابعَ . . خرجَ مِنْ شبهةِ الخلافِ ، وأكملُهُ : أنْ يمسحَ أعلاهُ وأسفلَهُ

---

(١) صورته : ما لو كان المداس مفتوحاً ويغطَّىٰ بما يشبه الأزرار والعُرىٰ ، والشَّرَج : العروة .

دفعةً واحدةً مِنْ غيرِ تكرارٍ ، كذلكَ فعلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ(١) .

ووصْفُهُ : أنْ يبلَّ اليدينِ ويضعَ رؤوسَ أصابعِ اليمنىٰ مِنْ يدِهِ علىٰ رؤوسِ أصابعِ اليمنىٰ مِنْ رجلِهِ ويمسحَهُ ؛ بأنْ يجرَّ أصابعَهُ إلىٰ جهةِ نفسِهِ ، ويضعَ رؤوسَ أصابعِ يدِهِ اليسرىٰ علىٰ عقبِهِ مِنْ أسفلِ الخفِّ ويمرَّها إلىٰ رأسِ القدمِ .

ومهما مسحَ مقيماً ثمَّ سافرَ ، أوْ مسافراً ثمَّ أقامَ . . غَلَّبَ حكْمَ الإقامةِ ، فليقتصرْ علىٰ يومٍ وليلةٍ .

وعددُ الأيامِ الثلاثةِ محسوبٌ مِنْ وقتِ حدثِهِ بعدَ المسحِ على الخفِّ ، فلوْ لبسَ الخفَّ في الحضرِ ولمْ يمسحْ في الحضرِ ، ثمَّ خرجَ وأحدثَ في السفرِ وقتَ الزوالِ مثلاً . . مسحَ ثلاثةَ أيامٍ ولياليَهُنَّ ، مِنْ وقتِ الزوالِ إلى الزوالِ مِنَ اليومِ الرابعِ ، فإذا زالَتِ الشمسُ مِنَ اليومِ الرابعِ . . لمْ يكنْ لهُ أنْ يصلِّيَ إلا بعدَ غسلِ الرجلينِ ، فيغسلُ رجليهِ ويعيدُ لبسَ الخفِّ ، ويراعي وقتَ الحدثِ ويستأنفُ الحسابَ مِنْ وقتِ الحدثِ .

ولوْ أحدثَ بعدَ لبسِ الخفِّ في الحضرِ ثمَّ خَرجَ بعدَ الحدثِ . . فلهُ أنْ يمسحَ ثلاثةَ أيامٍ ؛ لأنَّ العادةَ قدْ تقتضي اللبسَ قبلَ الخروجِ ، ثمَّ لا يمكنُ الاحترازُ مِنَ الحدثِ ، فأمَّا إذا مسحَ في الحضرِ ثمَّ سافرَ . . اقتصرَ علىٰ مدَّةِ المقيمينَ .

---

(١) رواه أبو داوود (١٦٥) ، والترمذي (٩٧) ، وابن ماجه (٥٥٠) .

ويُستحبُّ لكلِّ مَنْ يريدُ لبسَ خفٍّ في حضرٍ أوْ سفرٍ أنْ ينكسَ الخفَّ وينفضَ ما فيهِ ؛ حذراً مِنْ حيَّةٍ أوْ عقربٍ أوْ شوكةٍ ، فقدْ رُوِيَ عنْ أبي أمامةَ أنَّهُ قالَ : دعا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بخفَّيهِ ، فلبسَ أحدَهُما ، فجاءَ غرابٌ فاحتملَ الآخرَ ثمَّ رمىٰ به فخرجتْ منهُ حيَّةٌ ، فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ . . فلا يلبسْ خفَّيْهِ حتَّىٰ ينفضَهُما »(١) .

* * *

الرخصةُ الثانيةُ : التيمُّمُ :

والترابُ بدلٌ عنِ الماءِ عندَ العذرِ ، وإنَّما يتعذَّرُ الماءُ بأنْ يكونَ بعيداً عنِ المنزلِ بعداً لوْ مشىٰ إليهِ . . لمْ يلحقْهُ غوثُ القافلةِ إنْ صاحَ أوِ استغاثَ ، وهوَ البعدُ الذي لا يعتادُ أهلُ المنزلِ في تردادِهِمْ لقضاءِ الحاجةِ التردُّدَ إليهِ ، وكذا إنْ نزلَ على الماءِ عدوٌّ أوْ سبعٌ ، فيجوزُ التيمُّمُ ، وإنْ كانَ الماءُ قريباً ، وكذا إنِ احتاجَ إليهِ لعطشِهِ في يومِهِ أوْ بعدَ يومِهِ لفقدِ الماءِ بينَ يديهِ ، فلهُ التيمُّمُ ، وكذا إنِ احتاجَ إليهِ لعطشِ أحدِ رفقائِهِ ، فلا يجوزُ لهُ الوضوءُ ، ويلزمُهُ بذلُهُ ، إمَّا بثمنٍ أوْ بغيرِ ثمنٍ .

ولوْ كانَ يحتاجُ إليهِ لطبخِ مرقةٍ أوْ لحمٍ أوْ لبلِّ فتيتٍ يجمعُهُ بهِ . . لمْ يجزْ لهُ التيمُّمُ ، بلْ عليهِ أنْ يجتزىءَ بالفتيتِ اليابسِ ويتركَ تناولَ المرقةِ ، ومهما

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » (٨/ ١٣٧) .

وُهِبَ لهُ الماءُ . . وجبَ قبولُهُ ، وإنْ وُهِبَ ثمنُهُ . . لمْ يجبْ قبولُهُ ؛ لما فيهِ مِنَ المنَّةِ ، وإنْ بيعَ بثمنِ المثلِ . . لزمَهُ الشراءُ ، وإنْ بيعَ بغبنٍ . . لمْ يلزمْهُ .

فإذا لمْ يكنْ معَهُ ماءٌ وأرادَ أنْ يتيمَّمَ . . فأوَّلُ ما يلزمُهُ طلبُ الماءِ مهما جُوِّزَ الوصولَ إليهِ بالطلبِ ، وذلكَ بالتردُّدِ حَوالَيِ المنزلِ ، وتفتيشِ الرحلِ ، وطلبِ البقايا مِنَ الأواني والمطاهرِ ، فإنْ نسيَ الماءَ في رحلِهِ ، أوْ نسيَ بئراً بالقربِ منهُ . . لزمَهُ إعادةُ الصلاةِ ؛ لتقصيرِهِ في الطلبِ ، وإنْ علمَ أنَّهُ سيجدُ الماءَ في آخرِ الوقتِ . . فالأولىٰ أنْ يصليَ بالتيمُّمِ في أوَّلِ الوقتِ ؛ فإنَّ العمرَ لا يوثقُ بهِ ، وأوَّلُ الوقتِ رضوانُ اللهِ .

تيمَّمَ ابنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما ، فقيلَ لهُ : أتتيمَّمُ وجدرانُ المدينةِ تنظرُ إليكَ ؟ فقالَ : أوَأبقىٰ إلىٰ أنْ أدخلَها ؟!⁽¹⁾ .

ومهما وجدَ الماءَ بعدَ الشروعِ في الصلاةِ . . لمْ تبطلْ صلاتُهُ ، ولمْ يلزمْهُ الوضوءُ ، وإذا وجدَهُ قبلَ الشروعِ في الصلاةِ . . لزمَهُ الوضوءُ .

ومهما طلبَ فلمْ يجدْ . . فليقصدْ صعيداً طيِّباً عليهِ ترابٌ يثورُ منهُ غبارٌ ، وليضربْ عليهِ كفَّيْهِ بعدَ ضمِّ أصابعِهِ ضربةً ، فيمسحُ بهما وجهَهُ ، ويضربُ ضربةً أخرىٰ بعدَ نزعِ الخاتمِ وتفريجِ الأصابعِ ويمسحُ بها يديه إلىٰ مرفقيهِ ،

---

(١) قال الحافظ ابن الملقن في « خلاصة البدر المنير » (١/ ٧١) : (رواه مالك والشافعي والدارقطني بنحوه بأسانيد صحيحة ، وذكره البخاري بغير إسناد) ، وانظر « البدر المنير » (٢/ ٦٦٦) .

فإنْ لمْ يستوعبْ بضربةٍ واحدةٍ جميعَ يديهِ . . ضربَ ضربةً أخرىٰ ، وكيفيَّةُ التلطُّفِ فيهِ ما ذكرناهُ في كتابِ الطهارةِ ، فلا نعيدُهُ .

ثم إذا صلىٰ بهِ فريضةً واحدةً . . فلهُ أنْ يتنفَّلَ ما شاءَ بذلكِ التيمُّمِ ، وإن أرادَ الجمعَ بينَ فريضتينِ . . فعليهِ أنْ يعيدَ التيمُّمَ للصلاةِ الثانيةِ ، فلا يصلِّي فرضينِ إلا بتيمُّمَينِ .

ولا ينبغي أنْ يتيمَّمَ لصلاةٍ قبلَ دخولِ وقتِها ، فإنْ فعلَ . . وجبَ عليهِ إعادةُ التيمُّمِ .

ولينوِ عندَ مسحِ الوجهِ استباحةَ الصلاةِ ، ولوْ وجدَ مِنَ الماءِ ما يكفيهِ لبعضِ طهارتِهِ . . فليستعملْهُ ثمَّ ليتيمَّمَ بعدَهُ تيمُّماً تامّاً .

* * *

الرخصةُ الثالثةُ : في الصلاةِ المفروضةِ القصرُ :

ولهُ أنْ يقتصرَ في كلِّ واحدةٍ مِنَ الظهرِ والعصرِ والعشاءِ علىٰ ركعتينِ ، ولكنْ بشروطٍ ثلاثةٍ :

الأوَّلُ : أنْ يؤديَها في أوقاتِها ، فلوْ صارَتْ قضاءً . . فالأظهرُ لزومُ الإتمامِ .

الثاني : أنْ ينويَ القصرَ ، فلوْ نوى الإتمامَ . . لزمَهُ الإتمامُ ، ولوْ شكَّ في أنَّهُ نوى القصرَ أوِ الإتمامَ . . لزمَهُ الإتمامُ .

الثالثُ : ألا يقتديَ بمقيمٍ ولا بمسافرٍ متمٍّ ، فإنْ فعلَ . . لزمَهُ الإتمامُ ،

بلْ إنْ شكَّ في أنَّ إمامَهُ مقيمٌ أوْ مسافرٌ . . لزمَهُ الإتمامُ وإنْ تيقَّنَ بعدَهُ أنَّهُ مسافرٌ ؛ لأنَّ شعارَ المسافرِ لا يخفىٰ ، فليكنْ متحقِّقاً عندَ النيَّةِ .

وإنْ شكَّ في أنَّ إمامَهُ هلْ نوى القصرَ أمْ لا بعدَ أنْ عرفَ أنَّهُ مسافرٌ . . لمْ يضرُّهُ ذلكَ ؛ لأنَّ النيَّاتِ لا يُطلعُ عليها .

وهٰذا كلُّهُ إذا كانَ في سفرٍ طويلٍ مباحٍ ، وحدُّ السفرِ مِنْ جهةِ البدايةِ والنهايةِ فيهِ إشكالٌ ، فلا بدَّ مِنْ معرفتِهِ ، **والسفرُ** : هوَ الانتقالُ مِنْ موضعِ الإقامةِ معَ ربطِ القصدِ بمقصدٍ معلومٍ ، فالهائمُ وراكبُ التعاسيفِ ليسَ لهُ الترخُّصُ⁽¹⁾ ، وهوَ الذي لا يقصدُ موضعاً معيَّناً .

ولا يصيرُ مسافراً ما لمْ يفارقْ عمرانَ البلدِ ولا يُشترطُ أنْ يجاوزَ خرابَ البلدةِ وبساتينَها التي قدْ يخرجُ أهلُ البلدةِ إليها للتنزُّهِ وأمَّا القريةُ . . فالمسافرُ منها ينبغي أنْ يجاوزَ البساتينَ المحوطةَ دونَ التي ليستَ بمحوطةٍ .

ولوْ رجعَ المسافرُ إلى البلدِ لأخذِ شيءٍ نسيهُ . . لمْ يترخَّصْ إنْ كانَ ذلكَ وطنَهُ ما لمْ يجاوزِ العمرانَ ، وإنْ لمْ يكنْ ذلكَ هوَ الوطنَ . . فلهُ الترخُّصُ ؛ إذْ صارَ مسافراً بالانزعاجِ والخروجِ منهُ .

وأمَّا نهايةُ السفرِ فبأحدِ أمورٍ ثلاثةٍ :

الأوَّلُ : الوصولُ إلى العمرانِ مِنَ البلدِ الذي عزمَ على الإقامةِ بهِ .

---

(١) **راكب التعاسيف** : هو الذي يسلك علىٰ غير طريق ، كأنه جمع تَعساف ، مثل التضراب والتقتال والترحال ، والتفعال مطرد في كل فعل ثلاثي غالباً . « إتحاف » (٦/ ٤٢٩) .

الثاني : العزمُ على الإقامةِ ثلاثةَ أيامٍ فصاعداً ؛ إمَّا في بلدٍ أوْ صحراءَ .

الثالثُ : صورةُ الإقامةِ وإنْ لمْ يعزمْ ، كما إذا أقامَ علىٰ موضعٍ واحدٍ ثلاثةَ أيامٍ سوىٰ يومِ الدخولِ . . لمْ يكنْ لهُ الترخُّصُ بعدَهُ .

وإنْ لمْ يعزمْ على الإقامةِ وكانَ لهُ شغلٌ وهوَ يتوقَّعُ كلَّ يومٍ أنْ يتنجَّزَ ، ولكنَّهُ يتعوَّقُ عليهِ ويتأخَّرُ . . فلهُ أنْ يترخَّصَ وإنْ طالَتِ المدَّةُ علىٰ أقيسِ القولينِ ؛ لأنَّهُ منزعجٌ بقلبِهِ ومسافرٌ عنِ الوطنِ بصورتِهِ ، ولا مبالاةَ بصورةِ الثبوتِ علىٰ موضعٍ واحدٍ معَ انزعاجِ القلبِ ، ولا فرقَ بينَ أنْ يكونَ هـٰذا الشغلُ قتالاً أوْ غيرَهُ ، ولا بينَ أنْ تطولَ المدَّةُ أوْ تقصرَ ، ولا بينَ أنْ يتأخَّرَ الخروجُ لمطرٍ لا يُعلمُ بقاؤُهُ ثلاثةَ أيامٍ أوْ لغيرِهِ ؛ إذْ ترخَّصَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقصرَ في بعضِ الغزواتِ ثمانيةَ عشرَ يوماً علىٰ موضعٍ واحدٍ⁽¹⁾ ، وظاهرُ الأمرِ أنَّهُ لوْ تمادى القتالُ . . لتمادىٰ ترخُّصُهُ ؛ إذْ لا معنىٰ للتقديرِ بثمانيةَ عشرَ يوماً ، والظاهرُ : أنَّ قصْرَهُ كانَ لكونِهِ مسافراً ، لا لكونِهِ غازياً مقاتلاً . **هـٰذا معنى السفرِ** .

وأمَّا معنى الطويلِ : فهوَ أنْ يكونَ مرحلتينِ ، كلُّ مرحلةٍ ثمانيةُ فراسخَ ، وكلُّ فرسخٍ ثلاثةُ أميالٍ، وكلُّ ميلٍ أربعةُ آلافِ خطوةٍ، وكلُّ خطوةٍ ثلاثةُ أقدامٍ .

ومعنى المباحِ : ألا يكونَ عاقّاً لوالديهِ هارباً منهُما ، ولا هارباً مِنْ مالكِهِ ، ولا تكونَ المرأةُ هاربةً مِنْ زوجِها ، ولا أن يكونَ مَنْ عليهِ الدينُ

---

(١) رواه أبو داوود (١٢٢٩) ، وجاء ذلك في قصة فتح مكة .

هارباً مِنَ المستحقِّ معَ اليسارِ ، ولا يكونَ متوجِّهاً في قطعِ طريقٍ ، أوْ قتلِ إنسانٍ، أوْ طلبِ إدرارِ حرامٍ مِنْ سلطانٍ ظالمٍ، أوْ سعيٍ بالفسادِ بينَ المسلمينَ .

وبالجملةِ : فلا يسافرُ الإنسانُ إلا في غرضٍ ، والغرضُ هوَ المحرِّكُ ، فإنْ كانَ تحصيلُ ذلكَ الغرضِ حراماً ، ولولا ذلكَ الغرضُ لكانَ لا ينبعثُ لسفرِهِ . . فسفرُهُ معصيةٌ ، ولا يجوزُ فيهِ الترخُّصُ .

وأمَّا الفسقُ في السفرِ بشربِ الخمرِ وغيرِهِ . . فلا يمنعُ الرخصةَ ، بلْ كلُّ سفرٍ ينهى الشرعُ عنهُ فلا يعينُ عليهِ بالرخصةِ .

ولوْ كانَ لهُ باعثانِ ؛ أحدُهُما مباحٌ ، والآخرُ محظورٌ ، وكانَ بحيثُ لوْ لمْ يكنِ الباعثُ المحظورُ لكانَ المباحُ مستقلاًّ بتحريكِهِ ، ولكانَ ـ لا محالةَ ـ يسافرُ لأجلِهِ . . فلهُ الترخُّصُ .

والمتصوِّفةُ الطوَّافونَ في البلادِ مِنْ غيرِ غرضٍ صحيحٍ سوى التفرُّجِ لمشاهدةِ البقاعِ المختلفةِ . . في ترخُّصِهِمْ خلافٌ ، **والمختارُ** : أنَّ لهمُ الترخُّصَ .

* * *

الرخصةُ الرابعةُ : الجمعُ بينَ الظهرِ والعصرِ في وقتيهما ، وبينَ المغربِ والعشاءِ في وقتيهما :

فذلكَ أيضاً جائزٌ في كلِّ سفرٍ طويلٍ مباحٍ ، وفي جوازِهِ في السفرِ القصيرِ قولانِ ، ثمَّ إنْ قدَّمَ العصرَ إلى الظهرِ . . فلينوِ الجمعَ قبلَ الفراغِ مِنَ الظهرِ ، وليؤذِّنْ للظهرِ وليقمْ ، وعندَ الفراغِ يقيمُ للعصرِ ، ويجدِّدُ التيمُّمَ أوَّلاً إنْ كانَ

متيمِّماً ، ولا يفرِّقُ بينَهُما بأكثرَ مِنْ تيمُّمٍ وإقامةٍ ، فإنْ قدَّمَ العصرَ . . لمْ يجزْ ، وإنْ نوى الجمعَ عندَ التحرُّمِ بصلاةِ العصرِ جازَ عندَ المزنيِّ ، ولهُ وجهٌ في القياسِ ، إذْ لا مستندَ لإيجابِ تقديمِ النيَّةِ ، بلِ الشرعُ جوَّزَ الجمعَ ، وهـٰذا جمعٌ ، وإنَّما الرخصةُ في العصرِ ، فتكفي النيَّةُ فيها ، وأمَّا الظهرُ . . فجارٍ على القانونِ .

ثمَّ إذا فرغَ مِنَ الصلاتينِ . . فينبغي أنْ يجمعَ بينَ سننِ الصلاتينِ ، أمَّا العصرُ . . فلا سنَّةَ بَعدَها ولكنِ السنَّةُ التي بعدَ الظهرِ يصلِّيها بعدَ الفراغِ مِنَ العصرِ ، إمَّا راكباً أوْ مقيماً ؛ لأنَّهُ لوْ صلَّىٰ راتبةَ الظهرِ قبلَ العصرِ . . لانقطعَتِ الموالاةُ ، وهيَ واجبةٌ علىٰ وجهٍ ، وإنْ أرادَ أنْ يقيمَ الأربعَ المسنونةَ قبلَ الظهرِ والأربعَ المسنونةَ قبلَ العصرِ . . فليجمعْ بينهُما قبلَ الفريضتينِ ، فيصلِّي سنَّةَ الظهرِ أوَّلاً ، ثمَّ سنَّةَ العصرِ ، ثمَّ فريضةَ الظهرِ ، ثمَّ فريضةَ العصرِ ، ثمَّ سنَّةَ الظهرِ الركعتانِ اللتانِ هما بعدَ الفرضِ .

ولا ينبغي أنْ يهملَ النوافلَ في السفرِ ، فما يفوتُهُ مِنْ ثوابِها أكثرُ ممَّا ينالُهُ مِنَ الربحِ ، لا سيما وقدْ خفَّفَ الشرعُ عليهِ وجوَّزَ لَهُ أداءَها على الراحلةِ ؛ كي لا يتعوَّقَ عنِ الرفقةِ بسببِها .

وإنْ أخَّرَ الظهرَ إلى العصرِ . . فيجري علىٰ هـٰذا الترتيبِ ، ولا يبالي بوقوعِ راتبةِ الظهرِ بعدَ العصرِ في الوقتِ المكروهِ ؛ لأنَّ ما لهُ سببٌ لا يُكرهُ في هـٰذا الوقتِ ، وكذلكَ يفعلُ في المغربِ والعشاءِ والوترِ إذا قدَّمَ أوْ أخَّرَ ،

فبعدَ الفراغِ مِنَ الفرضِ يشتغلُ بجميعِ الرواتبِ ويختمُ الجميعَ بالوترِ .

وإنْ خطرَ لهُ ذكرُ الظهرِ قبلَ خروجِ وقتِهِ . . فليعزمْ علىٰ أدائِهِ معَ العصرِ جمعاً ، فهوَ نيَّةُ الجمعِ ؛ لأنَّهُ إنَّما يخلو عنْ هـٰذهِ النيَّةِ إمَّا بنيَّةِ التركِ ، أوْ بنيَّةِ التأخيرِ عَنْ وقتِ العصرِ وذلكَ حرامٌ ، والعزمُ عليهِ حرامٌ .

وإنْ لمْ يتذكَّرِ الظهرَ حتَّىٰ خرجَ وقتُهُ ؛ إمَّا لنومِهِ ، وإمَّا لشغلٍ . . فلهُ أنْ يؤديَ الظهرَ معَ العصرِ ولا يكونُ عاصياً ؛ لأنَّ السفرَ كما يشغلُ عنْ فعلِ الصلاةِ . . فقدْ يشغلُ عنْ ذكرِها ، ويُحتملُ أنْ يقالَ : إنَّ الظهرَ إنَّما تقعُ أداءً إذا عزمَ علىٰ فعلِها قبلَ خروجِ وقتِها ، لكنِ الأظهرُ أنَّ وقتَ الظهرِ والعصرِ صارَ مشتركاً في السفرِ بينَ الصلاتينِ ، ولذلكَ يجبُ على الحائضِ قضاءُ الظهرِ إذا طهرَتْ قبلَ الغروبِ ، ولذلكَ ينقدحُ ألا تُشترطَ الموالاةُ ولا الترتيبُ بينَ الظهرِ والعصرِ عندَ تأخيرِ الظهرِ ، أمَّا إذا قدَّمَ العصرَ على الظهرِ . . لمْ يُجزِ ؛ لأنَّ ما بعدَ الفراغِ مِنَ الظهرِ هوَ الذي جعلَ وقتاً للعصرِ ؛ إذْ يبعدُ أنْ يشتغلَ بالعصرِ مَنْ هوَ عازمٌ علىٰ تركِ الظهرِ أوْ علىٰ تأخيرِهِ .

وعذرُ المطرِ مجوِّزٌ للجمعِ كعذرِ السفرِ .

وتركُ الجمعةِ أيضاً مِنْ رخصِ السفرِ ، وهيَ متعلِّقةٌ بفرائضِ الصلواتِ .

ولوْ نوى الإقامةَ بعدَ أنْ صلَّى العصرَ ، فأدركَ وقتَ العصرِ في الحضرِ . . فعليهِ أداءُ العصرِ ، وما مضىٰ إنَّما كان مُجْزِئاً بشرطِ أنْ يبقى العذرُ إلىٰ خروجِ وقتِ العصرِ .

* * *

الرخصةُ الخامسةُ في التنفُّلِ راكباً :

كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يصلِّي علىٰ راحلتِهِ أينما توجَّهَتْ بهِ دابَّتُهُ ، وأوترَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ على الراحلةِ⁽¹⁾ .

وليسَ على المتنفِّلِ الراكبِ في الركوعِ والسجودِ إلا الإيماءُ ، وينبغي أنْ يجعلَ سجودَهُ أخفضَ مِنْ ركوعِهِ ، ولا يلزمُهُ الانحناءُ إلىٰ حدٍّ يتعرَّضُ بهِ لخطرٍ بسببِ الدابَّةِ ، فإنْ كانَ في مرقدٍ . . فليتمَّ الركوعَ والسجودَ ؛ فإنَّهُ قادرٌ عليهِ .

وأمَّا استقبالُ القبلةِ . . فلا يجبُ لا في ابتداءِ الصلاةِ ولا في دوامِها ، ولكنْ صوبُ الطريقِ بدلٌ عنِ القبلةِ ، فليكنْ في جميعِ صلاتِهِ إمَّا مستقبلاً للقبلةِ أوْ متوجِّهاً في صوبِ الطريقِ ؛ لتكونَ لهُ جهةٌ يثبتُ فيها ، فلوْ حرفَ دابَّتَهُ عنِ الطريقِ قصداً . . بطلَتْ صلاتُهُ ، إلا إذا حرفَها إلى القبلةِ ، ولوْ حرفَها ناسياً وقصُرَ الزمانُ . . لمْ تبطلْ صلاتُهُ ، وإنْ طالَ . . ففيهِ خلافٌ .

وإن جمحَتْ بهِ الدابَّةُ فانحرفَتْ . . لمْ تبطلْ صلاتُهُ ؛ لأنَّ ذلكَ ممَّا يكثرُ وقوعُهُ ، وليسَ عليهِ سجودُ سهوٍ ؛ إذِ الجماحُ غيرُ منسوبٍ إليهِ ، بخلافِ ما لوْ حرفَ ناسياً ، فإنَّهُ يسجدُ للسهوِ بالإيماءِ .

* * *

---

(١) رواه البخاري (١٠٠٠) ، ومسلم (٧٠٠) .

الرخصةُ السادسةُ : التنفُّلُ للماشي جائزٌ في السفرِ :

ويومِىءُ بالركوعِ والسجودِ ، ولا يقعدُ للتشهدِ ؛ لأنَّ ذلكَ يبطلُ فائدةَ الرخصةِ ، وحكمُهُ حكمُ الراكبِ ، لكنْ ينبغي أنْ يتحرَّمَ بالصلاةِ مستقبلاً للقبلةِ ؛ لأنَّ الانحرافَ في لحظةٍ لا عسرَ فيهِ ، بخلافِ الراكبِ ؛ فإنَّ في تحريفِ الدابةِ وإنْ كانَ العِنانُ بيدِهِ نوعَ عسرٍ ، وربَّما تكثرُ الصلاةُ فيطولُ عليهِ ذلكَ .

ولا ينبغي أنْ يمشيَ في نجاسةٍ رطبةٍ عمداً ، فإنْ فعلَ . . بطلَتْ صلاتُهُ ، بخلافِ ما لوْ وطئَتْ دابَّةُ الراكبِ نجاسةً ، وليسَ عليهِ أنْ يشوِّشَ المشيَ علىٰ نفسِهِ بالاحترازِ مِنَ النجاساتِ التي لا تخلو الطرقُ عنها غالباً .

وكلُّ هاربٍ مِنْ عدوٍّ أوْ سيلٍ أوْ سبعٍ . . فلهُ أنْ يصلِّيَ الفريضةَ راكباً وماشياً كما ذكرناهُ في التنفُّلِ .

* * *

الرخصةُ السابعةُ : الفطرُ :

وهوَ في الصومِ ، فللمسافرِ أنْ يفطرَ ، إلا إذا أصبحَ مقيماً ثمَّ سافرَ ، فعليهِ إتمامُ ذلكَ اليومِ ، وإنْ أصبحَ مسافراً صائماً ثمَّ أقامَ . . فعليهِ الإتمامُ ، وإنْ أقام مفطراً . . فليسَ عليهِ الإمساكُ بقيَّةَ النهارِ ، وإنْ أصبحَ مسافراً علىٰ عزْمِ الصومِ . . لمْ يلزمْهُ ، بلْ لهُ أنْ يفطرَ إذا أرادَ .

والصومُ أفضلُ مِنَ الفطرِ ، والقصرُ أفضلُ مِنَ الإتمامِ ؛ للخروجِ عنْ

شبهةِ الخلافِ(١) ، ولأنَّهُ ليسَ في عهدةِ القضاءِ ، بخلافِ المفطرِ ، فإنَّهُ في عهدةِ القضاءِ ، وربَّما يتعذَّرُ عليهِ ذلكَ بعائقٍ ، فيبقىٰ في ذمَّتِهِ ، إلا إذا كانَ الصومُ يضرُّ بهِ ، فالإفطارُ أفضلُ .

فهـٰذهِ سبعُ رخصٍ ، تتعلَّقُ ثلاثٌ منها بالسفرِ الطويلِ ، وهيَ القصرُ ، والفطرُ ، والمسحُ ثلاثةَ أيامٍ ، وتتعلَّقُ اثنتانِ منها بالسفرِ طويلاً كانَ أوْ قصيراً ، وهما سقوطُ الجمعةِ ، وسقوطُ القضاءِ عندَ أداءِ الصلاةِ بالتيمُّمِ .

* * *

وأمَّا صلاةُ النافلةِ ماشياً وراكباً . . ففيهِ خلافٌ ، والأصحُّ جوازُهُ في القصيرِ ، والجمعُ بينَ الصلاتينِ فيهِ خلافٌ ، والأظهرُ اختصاصُهُ بالطويلِ .

وأمَّا صلاةُ الفرضِ راكباً وماشياً للخوفِ . . فلا تتعلَّقُ بالسفرِ ، وكذا أكلُ الميتةِ ، وكذا أداءُ الصلاةِ في الحالِ بالتيمُّمِ عندَ فقدِ الماءِ ، بلْ يشتركُ فيها الحضرُ والسفرُ مهما وُجدَتْ أسبابُها .

* * *

فإنْ قلتَ : فالعلمُ بهـٰذهِ الرخصِ هلْ يجبُ على المسافرِ تعلُّمُهُ قبلَ السفرِ أمْ يُستحبُّ لهُ ذلكَ ؟

---

(١) فإن أبا حنيفة رحمه الله قال : هو عزيمة ، وقد شدد فيه حتىٰ قال ببطلان صلاة من صلىٰ أربعاً ولم يجلس بعد الركعتين ، ويروىٰ عن مالك أيضاً أنه عزيمة ، وكذلك ترك الجمع أفضل للخروج من الخلاف . انظر « الإتحاف » (٦/ ٤٣٧) .

فاعلمْ : أنَّهُ إنْ كانَ عازماً علىٰ تركِ المسحِ والقصرِ والجمعِ والفطرِ وتركِ التنفُّلِ راكباً وماشياً . . لمْ يلزمْهُ علمُ شروطِ الترخُّصِ في ذلكَ ؛ لأنَّ الترخُّصَ ليسَ بواجبٍ عليهِ ، وأمَّا علمُ رخصةِ التيمُّمِ . . فيلزمُهُ ؛ لأنَّ فقدَ الماءِ ليسَ إليهِ إلا أنْ يسافرَ علىٰ شطِّ نهرٍ يُوثقُ ببقاءِ مائِهِ ، أوْ يكونَ معَهُ في الطريقِ عالمٌ يقدرُ على استفتائِهِ عندَ الحاجةِ ، فلهُ أنْ يؤخِّرَ إلىٰ وقتِ الحاجةِ ، أمَّا إذا كانَ يظنُّ عدمَ الماءِ ، ولمْ يكنْ معَهُ عالمٌ . . فيلزمُهُ التعلُّمُ لا محالةَ .

* * *

فإنْ قلتَ : التيمُّمُ يُحتاجُ إليهِ لصلاةٍ لمْ يدخلْ بعدُ وقتُها ، فكيفَ يجبُ علمُ الطهارةِ لصلاةٍ بعدُ لمْ تجبْ وربَّما لا تجبُ ؟

فأقولُ : مَنْ بينَهُ وبينَ الكعبةِ مسافةٌ لا تُقطعُ إلا في سنةٍ . . فيلزمُهُ قبلَ أشهرِ الحجِّ ابتداءُ السفرِ ، ويلزمُهُ تعلُّمُ المناسكِ ـ لا محالةَ ـ إذا كانَ يظنُّ أنَّهُ لا يجدُ في الطريقِ مَنْ يتعلَّمُ منهُ ؛ لأنَّ الأصلَ الحياةُ واستمرارُها ، وما لا يُتوصَّلُ إلى الواجبِ إلا بهِ . . فهوَ واجبٌ ، وكلُّ ما يُتوقَّعُ وجوبُهُ توقعاً ظاهراً غالباً على الظنِّ ولهُ شرطٌ لا يُتوصَّلُ إليهِ إلا بتقديمِ ذلكَ الشرطِ علىٰ وقتِ الوجوبِ . . فيجبُ تقديمُ تعلُّمِ الشرطِ لا محالةَ ؛ كعلمِ المناسكِ قبلَ وقتِ الحجِّ وقبلَ مباشرتِهِ ؛ فلا يحلُّ إذاً للمسافرِ أنْ ينشىءَ السفرَ ما لمْ يتعلَّمْ هٰذا القدْرَ مِنْ علمِ التيمُّمِ .

وإنْ كانَ عازماً علىٰ سائرِ الرخصِ . . فعليهِ أنْ يتعلَّمَ أيضاً القدْرَ الذي

ذكرناهُ مِنْ علمِ التيمُّمِ وسائرِ الرخصِ ؛ فإنَّهُ إذا لمْ يعلمِ القدْرَ الجائزَ لرخصةِ السفرِ . . لمْ يمكنْهُ الاقتصارُ عليهِ .

* * *

فإنْ قلتَ : إنْ لمْ يتعلَّمْ كيفيةَ التنفُّلِ راكباً وماشياً ماذا يضرُّهُ وغايتُهُ إذا صلَّىٰ أنْ تكونَ صلاتُهُ فاسدةً ، وهيَ غيرُ واجبةٍ ، فكيفَ يكونُ علمُها واجباً ؟

فأقولُ : إنَّ مِنَ الواجبِ ألا يصلِّيَ النفلَ علىٰ نعتِ الفسادِ ، فالتنفُّلُ معَ الحدثِ والنجاسةِ وإلىٰ غيرِ القبلةِ ومِنْ غيرِ إتمامِ شروطِ الصلاةِ وأركانِها . . حرامٌ ، فعليهِ أنْ يتعلَّمَ ما يحترزُ بهِ عنِ النافلةِ الفاسدةِ ؛ حذراً مِنَ الوقوعِ في المحظورِ .

فهـٰذا بيانُ علْمِ ما خُفِّفَ عنِ المسافرِ في سفرِهِ .

* * *

القسم الثاني : ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر

وهوَ علمُ القبلةِ والأوقاتِ ، وذلكَ أيضاً واجبٌ في الحضرِ ، ولكنْ في الحضرِ مَنْ يكفيهِ ؛ مِنْ محرابٍ متفقٍ عليهِ يغنيهِ عنْ طلبِ القبلةِ ، ومؤذِّنٍ يراعي الوقتَ فيغنيهِ عنْ طلبِ علْمِ الوقتِ .

والمسافرُ قدْ تشتبهُ عليهِ القبلةُ ، وقدْ يلتبسُ عليهِ الوقتُ ، فلا بدَّ لهُ مِنَ العلمِ بأدلَّةِ القبلةِ والمواقيتِ .

أمَّا أدلَّةُ القبلةِ . . فهيَ ثلاثةُ أقسامٍ :

أرضيَّةٌ : كالاستدلالِ بالجبالِ والقرىٰ والأنهارِ .

وهوائيَّةٌ : كالاستدلالِ بالرياحِ شمالِها وجنوبِها ، وصباها ودَبورِها(١) .

وسماويَّةٌ : وهيَ النجومُ .

* * *

فأمَّا الأرضيَّةُ والهوائيَّةُ : فتختلفُ باختلافِ البلادِ .

فربَّ طريقٍ فيهِ جبلٌ مرتفعٌ يعلمُ أنَّهُ علىٰ يمينِ المستقبلِ أوْ شمالِهِ أوْ ورائِهِ أوْ قدَّامِهِ ، فليتعلَّمْ ذلكَ وليفهمْهُ .

---

(١) والصبا تأتي من مشرق الشمس ، وهي القبول أيضاً ، والدبور تأتي من ناحية المغرب . « إتحاف » (٦/ ٤٣٩) .

وكذلكَ الرياحُ قدْ تدلُّ في بعضِ البلادِ ، فليفهمْ ذلكَ ، ولسنا نقدرُ على استقصاءِ ذلكَ ؛ إذْ لكلِّ بلدٍ وإقليمٍ حكْمٌ آخرُ .

* * *

وأمَّا السماويَّةُ : فأدلتُها تنقسمُ إلىٰ نهاريَّةٍ وإلىٰ ليليَّةٍ :

أمَّا النهاريَّةُ . . فالشمسُ .

فلا بدَّ أنْ يراعيَ قبلَ الخروجِ مِنَ البلدِ أنَّ الشمسَ عندَ الزوالِ أينَ تقعُ منهُ ، أهيَ بينَ الحاجبينِ ، أوْ هيَ على العينِ اليمنىٰ أوِ اليسرىٰ ، أوْ تميلُ إلى الجبينِ ميلاً أكثرَ مِنْ ذلكَ ؟

فإنَّ الشمسَ لا تعدو في البلادِ الشماليَّةِ هـٰذهِ المواقعَ .

فإذا حفظَ ذلكَ فمهما عرفَ الزوالَ بدليلِهِ الذي سنذكرُهُ . . عرفَ القبلةَ بهِ .

وكذلكَ يراعي موقعَ الشمسِ منهُ وقتَ العصرِ ، فإنَّهُ في هـٰذينِ الوقتينِ يحتاجُ إلى القبلةِ بالضرورةِ ، وهـٰذا أيضاً لمَّا كانَ يختلفُ بالبلادِ . . فليسَ يمكنُ استقصاؤُهُ .

وأمَّا القبلةُ وقتَ المغربِ . . فإنَّها تُدركُ بموضعِ الغروبِ ، وذلكَ بأنْ يحفظَ أنَّ الشمسَ تغربُ عنْ يمينِ المستقبِلِ أوْ هيَ مائلةٌ إلىٰ وجهِهِ أوْ قفاهُ .

وبالشفقِ أيضاً تُعرفُ القبلةُ للعشاءِ الآخرةِ ، وبمشرقِ الشمسِ تُعرفُ القبلةُ لصلاةِ الصبحِ .

فكأنَّ الشمسَ تدلُّ على القبلةِ في الصلواتِ الخمسِ ، ولكنْ يختلفُ ذلكَ بالشتاءِ والصيفِ ؛ فإنَّ المشارقَ والمغاربَ كثيرةٌ ، وإنْ كانَتْ محصورةً في جهتينِ . . فلا بدَّ مِنْ تعلُّمِ ذلكَ أيضاً .

ولكنْ قدْ يصلِّي المغربَ والعشاءَ بعدَ غيبوبةِ الشفقِ ، فلا يمكنُهُ أنْ يستدلَّ على القبلةِ بهِ ، فعليهِ أنْ يراعيَ موقعَ القطبِ ، وهوَ الكوكبُ الذي يُقالُ لهُ : الجدْيُ⁽¹⁾ ، فإنَّهُ كوكبٌ كالثابتِ ، لا تظهرُ حركتُهُ عنْ موضعِهِ⁽²⁾ ، وذلكَ إمَّا أنْ يكونَ علىٰ قفا المستقبلِ ، أوْ علىٰ منكبِهِ الأيمنِ مِنْ ظهرِهِ ، أوْ منكبِهِ الأيسرِ في البلادِ الشماليةِ مِنْ مكَّةَ ، وفي البلادِ الجنوبيةِ كاليمن وما وراءَها ، فيقعُ في مقابلةِ المستقبلِ ، فليتعلَّمْ ذلكَ .

وما عرفَهُ في بلدِهِ . . فليعوِّلْ عليهِ في الطريقِ كلِّهِ ، إلا إذا طالَ السفرُ ، فإنَّ المسافةَ إذا بعدَتْ . . اختلفَ موقعُ الشمسِ وموقعُ القطبِ ومواقعُ

---

(1) وفي تعبيره هـٰذا مسامحة ؛ فإن الذي عرَّفه غيره من علماء هـٰذا الفن أنه نجم صغير في بنات نعش الصغرىٰ بين الفرقدين . « إتحاف » (٦/ ٤٣٩) ، وقال الجوهري في « الصحاح » (ج د ي) : (نجم إلىٰ جنب القطب تعرف به القبلة) .

(2) ولذلك سمي قطباً ، تشبيهاً له بقطب الرحىٰ . « إتحاف » (٦/ ٤٤٠) .

المشارقِ والمغاربِ ، إلا أنَّهُ ينتهي في أثناءِ سفرِهِ إلىٰ بلدٍ فينبغي أنْ يسألَ أهلَ البصيرةِ ، أوْ يراقبَ هـٰذهِ الكواكبَ وهوَ مستقبلٌ محرابَ جامعِ البلدِ ؛ حتَّىٰ يتضحَ لهُ ذلكَ ، فمهما تعلَّمَ هـٰذهِ الأدلَّةَ . . فلهُ أنْ يعوِّلَ عليها .

فإنْ بانَ لهُ أنَّهُ أخطأَ مِنْ جهةِ القبلةِ إلىٰ جهةٍ أخرىٰ منَ الجهاتِ الأربعِ . . فينبغي أنْ يقضيَ .

وإنِ انحرفَ عنْ حقيقةِ محاذاةِ القبلةِ ولكنْ لمْ يخرجْ عنْ جهتِها . . لمْ يلزمْهُ القضاءُ .

وقدْ أوردَ الفقهاءُ خلافاً في أنَّ المطلوبَ جهةُ الكعبةِ أوْ عينُها ؟ وأشكلَ معناهُ علىٰ قومٍ ، إذْ قالوا :

إنْ قلنا : المطلوبُ العينُ . . فمتىٰ يتصوَّرُ هـٰذا مع بُعدِ الديارِ ؟

وإنْ قلنا : المطلوبُ الجهةُ . . فالواقفُ في المسجدِ إنِ استقبلَ جهةَ الكعبةِ وهوَ خارجٌ ببدنِهِ عنْ موازاةِ الكعبةِ . . لا خلافَ في أنَّهُ لا تصحُّ صلاتُهُ !

وقدْ طوَّلوا في تأويلِ معنى الخلافِ في الجهةِ والعينِ .

ولا بدَّ أوَّلاً مِنْ فهمِ معنىٰ مقابلةِ العينِ ومقابلةِ الجهةِ :

فمعنىٰ مقابلةِ العينِ : أنْ يقفَ موقفاً لوْ خرجَ خطٌّ مستقيمٌ مِنْ بينِ عينيهِ

إلىٰ جدارِ الكعبةِ . . لاتصلَ بهِ وحصلَ مِنْ جانبيِ الخطِّ زاويتانِ متساويتانِ ، وهـٰذهِ صورتُهُ :

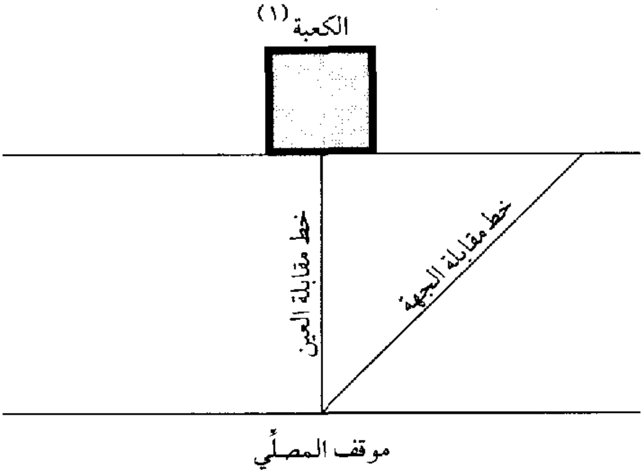
الكعبة[1]
خط مقابلة العين
خط مقابلة الجهة
موقف المصلّي

---

(١) كذا الرسم في (أ ، ب) ، وسقط من (ج) ، ولبيانه بالمسمَّيات : **معنى استقبال عين الكعبة** : أن يكون في موقف لو خرج خط مستقيم من بين عينيه إلىٰ جدار الكعبة . . لاتصل به ، وهو الخط (أب) ، ولا يشترط أن يتصل بوسط جدار الكعبة ، بل بأي نقطة منه (من نقاط القطعة د هـ) ، ويتحصل من هـٰذا الموقف تساوي الزاويتين (أ̂١ ، أ̂٢) ، والنقطة (ب) هي النقطة المفروضة الوحيدة لتساوي الزاويتين كما لا يخفىٰ .

فلو اتصل الخط الصادر عن (أ) بغيرها من نقاط الخط (ق١) . . لم يكن المصلي مستقبلاً للعين ، ولكنه يكون مستقبلاً للجهة ؛ كالخط (أج) مثلاً كما سيبين ذلك المصنف مع ضابط ذلك .

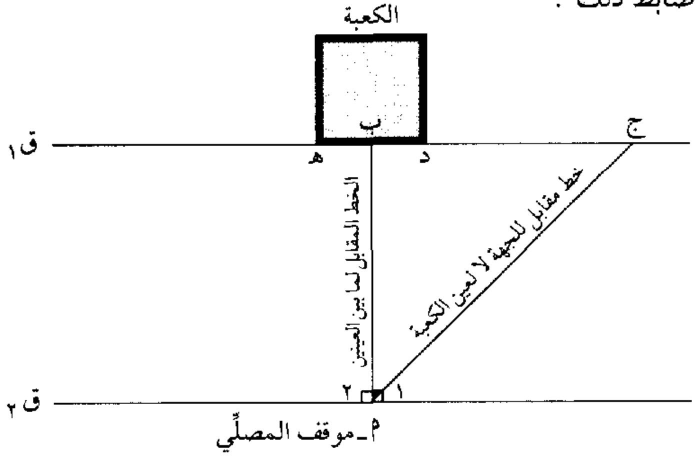
الكعبة
ب
ج
ق١
هـ
د
الخط المقابل لما بين العينين
خط مقابل للجهة لا لعين الكعبة
٢
١
ق٢
أ ـ موقف المصلّي

والخطُّ الخارجُ مِنْ موقفِ المصلِّي يقدِّرُ أنَّهُ خارجٌ مِنْ بينِ عينيهِ ، فهٰذهِ صورةُ مقابلةِ العينِ .

وأمّا مقابلةُ الجهةِ . . فيجوزُ فيها أنْ يتصلَ طرفُ الخطِّ الخارجِ مِنْ بينِ العينينِ إلى الكعبةِ مِنْ غيرِ أنْ يتساوى الزاويتانِ عنْ جنبتِي الخطِّ ، بلْ لا يتساوى الزاويتانِ إلا إذا انتهى الخطُّ إلىٰ نقطةٍ معيَّنةٍ هيَ واحدةٌ ، فلو مُدَّ هٰذا الخطُّ على الاستقامةِ إلىٰ سائرِ النقطِ مِنْ يمينِها أوْ شمالِها . . كانَتْ إحدى الزاويتينِ أضيقَ ، فيخرجُ عنْ مقابلةِ العينِ ، ولكنْ لا يخرجُ عنْ مقابلةِ الجهةِ ، كالخطِّ الذي كتبنا عليهِ : (مقابلةَ الجهةِ) فإنَّهُ لوْ قدَّرَ الكعبةَ علىٰ طرفِ ذلكَ الخطِّ . . لكانَ الواقفُ مستقبلاً لجهةِ الكعبةِ لا لعينِها(١) .

وحدُّ تلكَ الجهةِ : ما يقعُ بينَ خطَّينِ يتوهمُهُما الواقفُ مستقبلاً لجهةٍ خارجينِ مِنَ العينينِ ، يلتقي طرفاهُما في داخلِ الرأسِ بينَ العينينِ علىٰ زاويةٍ قائمةٍ ، فما يقعُ بينَ الخطَّينِ الخارجينِ مِنَ العينينِ . . فهوَ داخلٌ في الجهةِ ، وسعةُ ما بينَ الخطينِ تتزايدُ بطولِ الخطَّينِ وبالبعدِ عنِ الكعبةِ ، وهٰذهِ صورتُهُ(٢) :

---

(١) فالمصلي يقف عند النقطة (أ) ، والكعبة عند النقطة (ج) هنا .

(٢) كذا في (ب) ، وسقط الرسم في (ج) ، وفي (أ) صورة الكعبة علىٰ جهة اليمين بين القائمتين ، وطول الخطين مع زيادة سعة الجهة يكون بالبعد عن الكعبة ، والعكس بالعكس ، وموقف المصلي هو عند التقاطع .

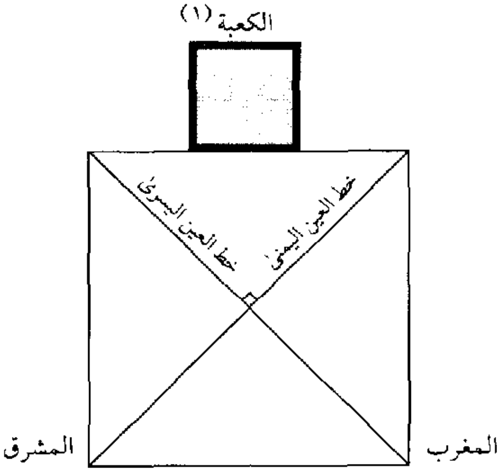

فإذا فُهِمَ معنى العينِ والجهةِ . . فأقولُ : الذي يصحُّ عندَنا في الفتوىٰ أنَّ المطلوبَ العينُ إنْ كانَتِ الكعبةُ ممَّا يمكنُ رؤيتُها ، وإنْ كانَ يُحتاجُ إلى الاستدلالِ عليها لتعذُّرِ رؤيتِها[١] . . فيكفي استقبالُ الجهةِ .

فأمَّا طلبُ العينِ عندَ المشاهدةِ . . فمجمعٌ عليهِ ، وأمَّا الاكتفاءُ بالجهةِ عندَ تعذُّرِ المعاينةِ . . فيدلُّ عليهِ الكتابُ والسنَّةُ وفعلُ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُمْ والقياسُ .

أمَّا الكتابُ : فقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ أيْ : نحوَهُ[٢] ، ومَنْ قابلَ جهةَ الكعبةِ . . يُقالُ : قدْ ولَّىٰ وجهَهُ شطرَها .

وأمَّا السنَّةُ : فما رُوِيَ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ لأهلِ المدينةِ : « ما بينَ المغربِ والمشرقِ قبلةٌ »[٣] ، والمغربُ يقعُ علىٰ يمينِ

---

[١] بأن حال بينه وبينها حائل أصلي ؛ كالجبل ، أو طارئ ؛ كالبناء . « إتحاف » (٦/ ٤٤٥) .

[٢] كما روىٰ ذلك الطبري في « تفسيره » (٢/ ٢/ ٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

[٣] رواه الترمذي (٣٤٢ ، ٣٤٤) ، والنسائي (٤/ ١٧١) ، وابن ماجه (١٠١١) .

أهلِ المدينةِ ، والمشرقُ علىٰ يسارِهِمْ ، فجعلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ جميعَ ما يقعُ بينَهُما قبلةً ، ومساحةُ الكعبةِ لا تفي بما بينَ المشرقِ والمغربِ ، وإنَّما يفي بذلكَ جهتُها .

ورُوِيَ هٰذا اللفظُ أيضاً عنْ عمرَ وعنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما(١) .

وأمَّا فعلُ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُمْ : فما رُوِيَ أنَّ أهلَ مسجدِ قُباءٍ كانوا في صلاةِ الصبحِ بالمدينةِ مستقبلينَ لبيتِ المقدسِ مستدبرينَ للكعبةِ ؛ لأنَّ المدينةَ بينَهُما ، فقيلَ لهُمْ : الآنَ قدْ حُوِّلَتِ القبلةُ إلى الكعبةِ ، فاستداروا في أثناءِ الصلاةِ مِنْ غيرِ طلبِ دلالةٍ ، ولمْ يُنكرْ عليهِمْ ، وسمِّيَ مسجدُهُمْ ذا القبلتينِ(٢) .

ومقابلةُ العينِ مِنَ المدينةِ إلىٰ مكَّةَ لا تُعرفُ إلا بأدلَّةٍ هندسيَّةٍ يطولُ النظرُ فيها ، فكيفَ أدركوا ذلكَ على البديهةِ في أثناءِ الصلاةِ وفي ظلمةِ الليلِ ؟!

ويدلُّ أيضاً مِنْ فعلِهِمْ أنَّهُمْ بنَوا المساجدَ حوالَي مكَّةَ وفي سائرِ بلادِ الإسلامِ ولمْ يحضروا قطُّ مهندساً عندَ تسويةِ المحاريبِ ، ومقابلةُ العينِ لا تُدركُ إلا بدقيقِ نظرِ الهندسةِ .

---

(١) رواه مالك في « الموطأ » (١/١٩٦) ، والحاكم في « المستدرك » (١/٢٠٥ـ٢٠٦) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٢/٩) .

(٢) رواه البخاري (٤٠) ، ومسلم (٥٢٧) .

وأمَّا القياسُ : فهوَ أنَّ الحاجةَ تمسُّ إلى الاستقبالِ وبناءِ المساجدِ في جميعِ أقطارِ الأرضِ ، ولا يمكنُ مقابلةُ العينِ إلا بعلومٍ هندسيَّةٍ لمْ يردِ الشرعُ بالنظرِ فيها ، بل ربَّما يزجرُ عنِ التعمُّقِ في علمِها ، فكيفَ ينبني أمرُ الشرعِ عليها ؟! فيجبُ الاكتفاءُ بالجهةِ للضرورةِ .

وأمَّا دليلُ صحَّةِ الصورةِ التي صورناها وهوَ حصْرُ جهاتِ العالمِ في أربعِ جهاتٍ : فقولُهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ في آدابِ قضاءِ الحاجةِ : « لا تستقبلوا بها القبلةَ ولا تستدبرُوها ، ولكنْ شرِّقوا أوْ غرِّبوا »(١) ، وقالَ هٰذا بالمدينةِ ، والمشرقُ علىٰ يسارِ المستقبلِ بها ، والمغربُ علىٰ يمينِهِ ، فنهىٰ عنْ جهتينِ ورخَّصَ في جهتينِ ، ومجموعُ ذلكَ أربعُ جهاتٍ ، ولمْ يخطرْ ببالِ أحدٍ أنَّ جهاتِ العالمِ يمكنُ أنْ تُفرضَ ستّاً أوْ سبعاً أو عشراً ، وكيفَما كانَ فما حكمُ الباقي ؟ بلِ الجهاتُ تثبتُ في الاعتقاداتِ بناءً علىٰ خلقةِ الإنسانِ ، وليسَ لهُ إلا أربعُ جهاتٍ ؛ قدَّامٌ ، وخلفٌ ، ويمينٌ ، وشمالٌ(٢) ، فكانتِ الجهاتُ بالإضافةِ إلى الإنسانِ في ظاهرِ النظرِ أربعاً ، والشرعُ لا يُبنىٰ إلا علىٰ مثلِ هٰذهِ الاعتقاداتِ ، فظهرَ أنَّ المطلوبَ الجهةُ ، وذلكَ يسهِّلُ أمرَ الاجتهادِ فيها ، وتُعلمُ بهِ أدلَّةُ القبلةِ .

فأمَّا مقابلةُ العينِ . . فإنَّما تُعرفُ بمعرفةِ مقدارِ عرضِ مكَّةَ عنْ خطِّ

---

(١) رواه البخاري (٣٩٤) ، ومسلم (٢٦٤) .

(٢) أي : في مستوٍ واحد ، وهو أيضاً مجال تصور القبلة .

الاستواءِ ، ومقدارِ درجاتِ طولِها ، وهوَ بعدُها عنْ أوَّلِ عمارةٍ في المشرقِ[1] ، ثمَّ يُعرفُ ذلكَ أيضاً في موقفِ المصلِّي ، ثمَّ يُقابلُ أحدُهُما بالآخرِ ، ويُحتاجُ فيهِ إلىٰ آلاتٍ وأسبابٍ طويلةٍ ، والشرعُ غيرُ مبنيٍّ عليها قطعاً ، فإذاً ؛ القدْرُ الذي لا بدَّ مِنْ تعلُّمِهِ مِنْ أدلَّةِ القبلةِ موقعُ المشرقِ والمغربِ في الزوالِ ، وموقعُ الشمسِ وقتَ العصرِ ، فبهـٰذا يسقطُ الوجوبُ .

* * *

فإنْ قلتَ : فلوْ خرجَ المسافرُ مِنْ غيرِ تعلُّمِ ذلكَ . . هل يعصي ؟

فأقولُ : إنْ كانَ طريقُهُ علىٰ قرىً متصلةٍ فيها محاريبُ ، أوْ كانَ معَهُ في الطريقِ بصيرٌ بأدلَّةِ القبلةِ موثوقٌ بعدالتِهِ وبصيرتِهِ ، يقدرُ علىٰ تقليدِهِ . . فلا يعصي ، وإنْ لمْ يكنْ معَهُ شيءٌ مِن ذلكَ . . عصىٰ ؛ لأنَّهُ سيتعرَّضُ لوجوبِ الاستقبالِ ولمْ يكنْ قدْ حصَّلَ علمَهُ ، فصارَ ذلكَ كعلمِ التيمُّمِ وغيرِهِ .

فإنْ تعلَّمَ هـٰذهِ الأدلَّةَ واستبهمَ عليهِ الأمرُ بغيمٍ مظلمٍ ، أوْ تركَ التعلُّمَ ولمْ يجدْ في الطريقِ مَنْ يقلِّدُهُ . . فعليهِ أنْ يصلِّيَ في الوقتِ علىٰ حسبِ

---

[1] وهـٰذا الموضع المعروف بجزائر الخالدات وجزائر السعداء ، وقيل : موضع يسمىٰ بكنك دز ، وبينهما (١٨٠°) درجة . « إتحاف » (٦/٤٤٨) .

حالِهِ ، ثمَّ عليهِ القضاءُ سواءٌ أصابَ أمْ أخطأَ .

* * *

والأعمىٰ ليسَ لهُ إلا التقليدُ ، فليقلِّدْ مَنْ يُوثقُ بدينِهِ وبصيرتِهِ إنْ كانَ مقلَّدُهُ مجتهداً في القبلةِ ، وإنْ كانَتِ القبلةُ ظاهرةً . . فلهُ اعتمادُ قولِ كلِّ عدْلٍ يخبرُهُ بذلكَ في حضرٍ أوْ سفرٍ .

وليسَ للأعمىٰ ولا للجاهلِ أنْ يسافرَ في قافلةٍ ليسَ فيها مَنْ يعرفُ أدلَّةَ القبلةِ حيثُ يُحتاجُ إلى الاستدلالِ ، كما ليسَ للعامِّيِّ أنْ يقيمَ ببلدةٍ ليسَ فيها فقيهٌ عالمٌ بتفصيلِ الشرعِ ، بلْ يلزمُهُ الهجرةُ إلىٰ حيثُ يجدُ مَنْ يعلِّمُهُ دينَهُ ، وكذا إنْ لمْ يكنْ في البلدِ إلا فقيهٌ فاسقٌ ، فعليهِ الهجرةُ أيضاً ؛ إذْ لا يجوزُ لهُ اعتمادُ فتوى الفاسقِ ، بلِ العدالةُ شرطٌ لجوازِ قبولِ الفتوىٰ ؛ كما في الروايةِ ، وإنْ كانَ معروفاً بالفقهِ مستورَ الحالِ في العدالةِ والفسقِ . . فلهُ القبولُ مهما لمْ يجدْ مَنْ لهُ عدالةٌ ظاهرةٌ ؛ لأنَّ المسافرَ في البلادِ لا يقدرُ أنْ يبحثَ عنْ عدالةِ المفتينَ ، وإنْ رآهُ لابساً للحريرِ أوْ ما يغلبُ عليهِ الإبريسَمُ(١) ، أوْ راكباً لفرسٍ عليهِ مركبُ ذهبٍ . . فقدْ ظهرَ فسقُهُ ، وامتنعَ عليهِ قبولُ قولِهِ ، فليطلبْ غيرَهُ ، وكذلكَ إذا رآهُ يأكلُ علىٰ مائدةِ سلطانٍ أغلبُ مالِهِ حرامٌ ، أوْ يأخذُ منهُ إدراراً أوْ صلةً مِنْ غيرِ أنْ يعلمَ أنَّ الذي يأخذُهُ

---

(١) **الإبريسم** : لفظة فارسية ، وهو الحرير الخام .

مِنْ وجهٍ حلالٍ ، فكلُّ ذلكَ فسقٌ يقدحُ في العدالةِ ويمنعُ مِنْ قبولِ الفتوىٰ والروايةِ والشهادةِ .

* * *

وأمَّا معرفةُ أوقاتِ الصلواتِ الخمسِ . . فلا بدَّ منها :

فوقتُ الظهرِ : يدخلُ بالزوالِ ، فإنَّ كلَّ شخصٍ لا بدَّ أنْ يقعَ لهُ في ابتداءِ النهارِ ظلٌّ مستطيلٌ في جانبِ المغربِ ، ثمَّ لا يزالُ ينقصُ إلىٰ وقتِ الزوالِ ، ثمَّ يأخذُ في الزيادةِ في جهةِ المشرقِ ، ولا يزالُ يزيدُ إلى الغروبِ ، فليقمِ المسافرُ في موضعٍ أوْ لينصبْ عوداً مستقيماً ، وليعلِّمْ علىٰ رأسِ الظلِّ ، ثمَّ لينظرْ بعدَ ساعةٍ ، فإنْ رآهُ في النقصانِ . . فلمْ يدخلْ بعدُ وقتُ الظهرِ .

وطريقُهُ في معرفةِ ذلكَ : أنْ ينظرَ في البلدِ وقتَ أذانِ المؤذِّنِ المعتمدِ ظلَّ قامتِهِ ، فإنْ كانَ مثلاً ثلاثةَ أقدامٍ بقدمِهِ ؛ فمهما صارَ كذلك في السفرِ وأخذَ في الزيادةِ . . صلَّىٰ ؛ فإنْ زادَ عليهِ ستةُ أقدامٍ ونصفٌ بقدمِهِ . . دخلَ **وقتُ العصرِ** ، إذْ ظلُّ كلِّ شخصٍ بقدمِهِ ستُّ أقدامٍ ونصفٌ بالتقريبِ .

ثمَّ ظلُّ الزوالِ يزيدُ كلَّ يومٍ إنْ كانَ سفرُهُ مِنْ أوَّلِ الصيفِ ، وإنْ كانَ مِنْ أوَّلِ الشتاءِ . . فينقصُ كلَّ يومٍ ، وأحسنُ ما يُعرفُ بهِ ظلُّ الزوالِ الميزانُ ، فليستصحبْهُ المسافرُ ، وليتعلَّمِ اختلافَ الظلِّ بهِ في كلِّ وقتٍ .

وإنْ عرفَ موقعَ الشمسِ مِنْ مستقبلِ القبلةِ وقتَ الزوالِ ، وكانَ في السفرِ في موضعٍ ظهرَتِ القبلةُ فيهِ بدليلٍ آخرَ . . فيمكنُهُ أنْ يعرفَ الوقتَ بالشمسِ ؛ بأنْ تصيرَ بينَ عينيهِ مثلاً إنْ كانَتْ كذلكَ في البلدِ .

وأمَّا وقتُ المغربِ : فيدخلُ بالغروبِ ، ولكنْ قدْ تحجبُ الجبالُ المغربَ عنهُ ، فينبغي أنْ ينظرَ إلىٰ جانبِ المشرقِ ، فمهما ظهرَ سوادٌ في الأفقِ مرتفعٌ مِنَ الأرضِ قيدَ رمحٍ . . فقدْ دخلَ وقتُ المغربِ .

وأمَّا العشاءُ : فيعرفُ بغيبوبةِ الشفقِ ، وهوَ الحمرةُ ، فإنْ كانتْ محجوبةً عنهُ بجبالٍ . . فيعرفُهُ بظهورِ الكواكبِ الصغارِ وكثرتِها ، فإنَّ ذلكَ يكونُ بعدَ غيبوبةِ الحمرةِ .

وأمَّا الصبحُ : فيبدو في الأوَّلِ مستطيلاً كذنبِ السِّرْحانِ ، فلا حكمَ لهُ إلىٰ أنْ ينقضيَ زمانٌ ثمَّ يظهرُ بياضٌ معترضٌ لا يعسرُ إدراكُهُ بالعينِ لظهورِهِ ، فهٰذا أوَّلُ الوقتِ .

قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ليسَ الصبحُ هٰكذا ـ وجمعَ كفيهِ ـ وإنَّما الصبحُ هٰكذا » ووضعَ إحدىٰ سبابتيهِ على الأخرىٰ وفتحَهُما ، وأشارَ بهِ إلىٰ أنَّهُ معترضٌ(١) .

---

(١) رواه ابن ماجه (١٦٩٦) ، ولم يشر إلى الكف والسبابتين ، وروىٰ أحمد في « المسند » (٤/ ٢٣) من حديث طلق بن علي مرفوعاً : « ليس الفجر بالمستطيل في الأفق ، ولكنه المعترض الأحمر » .

وقدْ يُستدلُّ عليهِ بالمنازلِ ، وذلكَ تقريبٌ لا تحقيقٌ فيهِ ، بلِ الاعتمادُ علىٰ مشاهدةِ انتشارِ البياضِ عرضاً ؛ لأنَّ قوماً ظنُّوا أنَّ الصبحَ يطلعُ قبلَ الشمسِ بأربعةِ منازلَ ، وهـٰذا خطأٌ ؛ لأنَّ ذلكَ هوَ الفجرُ الكاذبُ ، والذي ذكرهُ المحقِّقونَ أنَّهُ يتقدَّمُ على الشمسِ بمنزلتينِ .

وهـٰذا تقريبٌ ولكنْ لا اعتمادَ عليهِ ؛ فإنَّ بعضَ المنازلِ تطلعُ معترضةً منحرفةً فيقصرُ زمانُ طلوعِها ، وبعضُها منتصبةً فيطولُ زمانُ طلوعِها ، ويختلفُ ذلكَ في البلادِ اختلافاً يطولُ ذكرُهُ .

نعمْ ، تصلحُ المنازلُ لأنْ يُعلمَ بها قربُ وقتِ الصبحِ وبعدُهُ ، فأمَّا حقيقةُ أوَّلِ الصبحِ . . فلا يمكنُ ضبطُهُ بمنزلتينِ أصلاً .

وعلى الجملةِ : فإذا بقيَتْ أربعُ منازلَ إلىٰ طلوعِ قرصِ الشمسِ بمقدارِ منزلةٍ . . يُتيقَّنُ أنَّهُ الصبحُ الكاذبُ ، وإذا بقيَ قريبٌ مِنْ منزلتينِ . . يُتحقَّقُ طلوعُ الصبحِ الصادقِ .

ويبقىٰ بينَ الصبحينِ قدْرُ ثلثي منزلةٍ بالتقريبِ يُشكُّ فيهِ أنَّهُ مِنْ وقتِ الصبحِ الصادقِ أوِ الكاذبِ ، وهوَ مبدأُ ظهورِ البياضِ وانتشارِهِ قبلَ اتساعِ عرضِهِ .

فمِنْ وقتِ الشكِّ ينبغي أنْ يتركَ الصائمُ السحورَ ويقدِّمَ القائمُ الوترَ عليهِ ، ولا يصلِّيَ صلاةَ الصبحِ حتَّىٰ تنقضيَ مدَّةُ الشكِّ ، فإذا تحقَّقَ . . صلَّىٰ .

ولوْ أرادَ مريدٌ أنْ يقدِّرَ على التحقيقِ وقتاً معيَّناً يشربُ فيهِ متسحِّراً ، ويقومُ عقيبَهُ ، ويصلِّي الصبحَ متصلاً بهِ . . لمْ يقدرْ علىٰ ذلكَ ؛ فليسَ معرفةُ ذلكَ في قوَّةِ البشرِ أصلاً ، بلْ لا بدَّ مِنْ مهلةٍ للتوقُّفِ والشكِّ ، ولا اعتمادَ إلا على العيانِ ولا اعتمادَ في العيانِ إلا علىٰ أنْ يصيرَ الضوءُ منتشراً في العرْضِ حتَّىٰ تبدوَ مبادي الصفرةِ .

وقدْ غلطَ في هـٰذا جمعٌ مِنَ الناسِ كثيرٌ ، يصلُّونَ قبلَ الوقتِ ، ويدلُّ عليهِ ما روىٰ أبو عيسى الترمذيُّ في « جامعِهِ » بإسنادِهِ عنْ طلْقِ بنِ عليٍّ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « كلوا واشربوا ولا يَهِيدَنَّكُمْ الساطعُ المصعِدُ ، وكلوا واشربوا حتىٰ يعترِضَ لكُمُ الأحمرُ » ، وهـٰذا صريحٌ في رعايةِ الحمرةِ ، قالَ أبو عيسىٰ : (وفي البابِ عنْ عديِّ بنِ حاتمٍ ، وأبي ذرٍّ ، وسَمُرَةَ بنِ جندبٍ ، وهوَ حديثٌ حسنٌ غريبٌ ، والعملُ علىٰ هـٰذا عندَ أهلِ العلمِ)⁽¹⁾ .

وقالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما : (كلوا واشربوا ما دامَ الضوءُ ساطعاً) ، قالَ صاحبُ « الغريبينِ » : (أيْ : مستطيلاً)⁽²⁾ .

فإذاً ؛ لا ينبغي أنْ يُعوَّلَ إلا علىٰ ظهورِ الصفرةِ ، وكأنَّها مبادي

---

(١) رواه الترمذي (٧٠٥) ، وهو عند أبي داوود (٢٣٤٨) كذلك ، **ولا يهيدنكم** : لا يزعجنكم ولا يمنعكم الأكل ، وأصل الهيد الزجر . « إتحاف » (٦/ ٤٥٢) .

(٢) انظر « الغريبين » (٣/ ٨٩٣) ، و« تهذيب اللغة » (٢/ ٦٥) ، و« النهاية في غريب الحديث » (٢/ ٣٦٥) .

الحمرةِ ، وإنَّما يحتاجُ المسافرُ إلىٰ معرفةِ الأوقاتِ لأنَّهُ قدْ يبادرُ بالصلاةِ قبلَ الرحيلِ حتَّىٰ لا يشقَّ عليهِ النزولُ ، أوْ قبلَ النومِ حتَّىٰ يستريحَ ، فإنْ وطَّنَ نفسَهُ علىٰ تأخيرِ الصلاةِ إلىٰ أنْ يتيقَّنَ فتسمحَ نفسُهُ بفواتِ فضيلةِ أوَّلِ الوقتِ ، ويتجشَّمَ كلفةَ النزولِ وكلفةَ تأخيرِ النومِ إلى اليقينِ . . استغنىٰ عنْ تعلُّمِ علمِ الأوقاتِ ، فإنَّ المشكلَ أوائلُ الأوقاتِ لا أوساطُها ، واللهُ أعلمُ .

* * *

تمَّ كتاب آداب السَّفر

وهو الكتاب السَّابع من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدّين

والحمد لله ربّ العالمين ، حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه

وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ النّبيّ العربيّ المصطفى

وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين وسلّم كثيراً

يتلوه كتاب آداب السّماع والوجد

İkinci Bab

YOLCULUKTA BİLİNMESİ GEREKEN RUHSATLAR

Bilmiş ol ki; Yolcu, seyahatine çıkarken dünya ve âhiret için azık almaya muhtaçtır. Dünya azığı yiyecek, içecek ve muhtaç olduğu diğer maddelerdir. Şayet kafile ile gidiyorsa veya köyler yakın ise tevekkül ederek azıksız yola çıkmasında da beis yoktur. Şâyet tek başına gidiyor veya arkadaşlarında da yiyecek yok ve yolda da köyler bulunmuyorsa, o zaman bakılır; günlerce açlığa dayanabilen veya bitkilerle barınabilen bir kimse ise yine gidebilir. Eğer bu evsâfta değilse, azıksız çıkması günâhtır. Çünkü doğrudan doğruya kendini tehlikeye atmış olur. Bunun da bir sırrı var ve bunun açıklaması "**Tevekkül Bâbı**"nda gelecektir.

Tevekkülün mânâsı, sebeplerden tamamen uzaklaşmak demek değildir. Eğer tevekkülün mânâsı bu olsaydı; kova, ip aramak ve kuyudan su çekmekle yapılan tevekkül bâtıl olurdu. Artık ya başka bir insan veyâ bir melek gelerek suyu ağzına akıtıncaya kadar beklemesi vâcip olurdu. İpi ve kovayı saklamak tevekküle aykırı değilse, su ve yemeği taşımanın tevekküle aykırı olmadığı meydandadır. Tevekkülün gerçek mânâsı, inşâallah yerinde gelecektir. Dîn âlimlerinin muhakkiklerinden başka, çokları tevekkülün mânâsında yanılmışlardır.

Âhiret azığına gelince; bu da tahâretinde namaz, oruç ve diğer ibâdetlerinde muhtaç olduğu ilimlerdir. Bu hususta da azıklanması lâzımdır. Zîra yolculuk bâzı hükümleri kendisine kolaylaştırır. Bunların neden ve nelerden ibâret olduklarını bilmesi lâzımdır. Namazı kısaltmak, bir vakitte iki namazı birden kılmak ve orucunu bozmak gibi hazerde muhtaç olmadığı bâzı meseleleri de yolculuk güçleştirir. Kıbleyi bulmak ve namaz vakitlerini bilmek gibi. Çünkü memleketinde namaz vakitlerini bildiren ezanlar okunduğu gibi, kıbleyi gösteren mihraplar da mevcuttur. Bunları, yolculukta kendisinin bulmak zarureti vardır. Demek ki, seyâhate çıkmak isteyenin yolculuk sebebiyle öğrenmesi gerekli meseleler iki kısımdır:

Birinci Kısım
SEFERİN RUHSATLARI

Yolculuğun, taharette iki ruhsatı vardır. Bunların biri teyemmüm diğeri de mestler üzerine meshetmektir. Farz namazlarda da iki ruhsatı vardır. Birisi, dört rekâtlı farzları iki rekât kılmakta, diğeri de namazları bir arada kılmaktadır. Nafile namazlarda da iki şekil ruhsatı vardır. Birisi, onları yürüyerek kılmak, diğeri de hayvan üzerinde kılmaktır. Oruçta da bir ruhsatı vardır. O da sonradan kazâ etmek üzere orucunu yemektir ki, bu ruhsatların yekûnu yedidir.

Birinci ruhsat, mestler üzerine meshetmektir. **Safvan b. Asal**[33] diyor ki: Misafir bulunduğumuz bir yolculukta Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), mestlerimizi üç gün üç gece çıkarmamamızı bize emretmiştir. Abdestli iken mestlerini giyen bir kimse-misâfir iseabdesti bozulduğu andan îtibâren üç gün üç gece mestleri üzerine meshedebilir. Mukîm olan için bu müddet, yirmi dört saattir. Fakat mestler üzerine meshetmenin beş şartı vardır:

---

[33] Safvan, meşhur sahâbîdir. Küfe'ye göç etmiştir. 12 gazası vardır. İbn Mes'ûd da kendisinden hadîs rivâyet etmiştir. Tirmizî, Neseî ve İbn Mâce de kendisinden rivâyette bulunmuşlardır.

Birincisi: Abdestini tamamen aldıktan sonra mestlerini giymelidir. Hattâ sağ ayağını yıkayıp sol ayağını yıkamadan hemen mestini giyer ve sonra sol ayağını yıkar da sol mestini giyerse, -Şâfiî'ye göre- yeniden sağ ayağının mestini çıkarıp giymeden bu mestler üzerine meshedemez.[34]

İkincisi: Mestler, üzerlerinde yürünebilecek şekilde dayanıklı olmalıdır. Alt kısımları nalinli olmasa da, bu mestler üzerine mesh câizdir. Çünkü bunlar üzerinde âdeten yürünebilir. Fakat yün çorap ve edik bunun aksinedir, bunlar üzerine mesh olmaz.[35]

Üçüncüsü: Mestlerde yırtık ve sökük olmamalıdır. Şâyet ayaktan yıkanması gereken yer, görülecek şekilde yırtık ise bu mestler üzerine mesh olmaz. Şâfiî'nin kavl-i kadîminde, ayağında durup, üzerinde yürünebildiği ve yırtık fazla olmadığı müddetçe, üzerine mesh etmek caizdir. Malikî'nin mezhebi de budur.[36] Çünkü zarûret vardır. Hele yolculukta dikici bulmak da zordur. Deriyi göstermeyecek şekilde sık olan örme pabuçların üzerine de mesh etmek câizdir. Üzerleri yarık olup, ip ile bağlananlar üzerine de mesh edilir. Zîra bütün bunlara ihtiyaç vardır. Aranan, topukların üzerine kadar ayakları kaplamaktır. Fakat ayakların üstünü tamamen kaplamazlar ve bir kısmı başka bez ile kaplanırsa, o zaman üzerlerine mesh edilmez.

---

[34] Hanefilere göre; ilk önce ayaklarını yıkayıp mestlerini giyse, sonra diğer âzâlarını yıkasa da yine câizdir.

[35] Hanefilere göre yün çorap kalın ve sık olur, suyu hemen içine almaz ve kendi başına bağsız olarak ayakta durabilirse, bunların da üzerine mesh etmek caizdir. Fakat teâmül değildir.

[36] Hanefilere göre bir mestteki ayrı ayrı ve çuvaldız iğnesi kadar olan yırtıklar bir araya toplanıp, üç parmak sığacak kadar olursa, bu mestler üzerine mesh câiz olmaz.

Dördüncüsü: Üzerlerine mesh edildikten sonra mestlerin çıkarılmaması lâzımdır. Mestler ürerine mesh ettikten sonra mestlerini çıkarır (ve başka sûretle abdesti bozulmamışsa) evlâ olan yeniden abdest almaktır. Bununla beraber yalnız ayaklarını yıkaması da kifâyet eder.

Beşincisi: Ayaklardan yıkaması farz olan kısmın üzerine mesh etmektir. Yâni topuklardan yukarı kısmına mesh olmaz. En azı, enine veyâ boyuna üç parmak ile mesh etmektir. İhtilâftan kurtulmak için, evlâ olan bir su ile ayağının hem üst ve hem de alt kısmını mesh etmektir. Meselâ, avucuna suyu döktükten sonra, el parmaklarını ayaklarının parmak ucundan ve üst taraftan kendisine doğru çeker ve şemiklere kadar çıkar. Sonra da parmak uçları ile ayağının taban kısmını mesh eder. Onu da topuklarından başlayarak parmak ucuna doğru çeker. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), böyle yapmıştır.[37]

Mukîm iken mestler üzerine mesh edip, sonra sefere çıkan veyâ misâfir iken mesh edip sonra ikamet eden kimseler için, meshin müddeti, mukîm gibi hesap edilir. Yâni müddeti yirmi dört sâattır.[38]

Üç gün üç gecenin başlaması, abdesti bozulup mestler üzerine mesh ettiği andan itibâr edilir. Hazerde mestlerini giyse ve yine hazerde mestler üzerine mesh etse ve sonradan sefere çıksa ve meselâ zevâl vakti abdesti bozulsa ve mestler üzerine mesh etse; işte bu zevâlden itibaren üç gün üç gece yâni dördüncü günün zevâline kadar mestler üzerine mesh edilir. Dördüncü günün zevâl vakti girince mestlerin hükmü kalkar. (Başka sûretle abdesti bozulmamış ise) mestlerini çıkarıp ayaklarını yıkadıktan ve şayet abdesti bozulmuş ise yeniden abdest aldıktan sonra mestlerini giyer ve aynı şekilde devam eder. Şayet mukîm iken mestleri giydikten sonra abdesti bozulur ve ondan sonra sefere çıkarsa, yine üç gün mestler üzerine mesh edebilir. Çünkü âdeten mestler sefere çıkmadan giyilir ve abdest de bozulabilir. Fakat hazerde mestler üzerine mesh etmişse, mukîm hükmüne tâbidir, ancak yirmi dört saat mesh edebilir.[39]

---

[37] Hanefilerde de aynı şekildedir. Yalnız taban kısmını mesh etmek yoktur.

[38] Hanefilere göre mukim iken mestler üzerine mesh ettikten sonra sefere çıkan kimse, üç gün üç gece mesh eder. Misâfir iken ikamet eden de yirmi dört saatten fazla mesh edemez.

Mestlerini giymek isteyen kimse -ister mukîm isler misâfir olsun- mestlerinin içini temizleyip giymesi müstehaptır. Çünkü içinde yılan, akrep veya diken bulunabilir. Ebû Umâme'den rivâyete göre, bir gün Resül-i Ekrem giymek için mestlerini getirtti. Birini giydi, diğerini giyeceği sırada bir karga gelerek mesti kaptı ve havalandı, sonra da mesti yere bıraktı ve mestin içinden bir yılan çıktı. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurdu:

مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ فَلَا يَلْبِسْ خُفَّيْهِ حَتّٰى يَنْفُضَهُمَا

"Allah'a ve âhiret gününe îmanı olan, mestlerini silkmeden ve içini temizlemeden giymesin."[40]

İkinci ruhsat, su bulunmadığı vakit abdest üzerine teyemmüm etmektir. Suyun bulunmaması şöyledir: Su uzak mesâfede olmalıdır. Öyle ki, adam, abdest almak için kafileden ayrılıp oraya gidecek ve gerektiğinde oradan yardım talebinde bulu-

---

39. Hanefîlere göre mukîm olsun, misâfir olsun, mestler üzerine meshin başlaması, abdesti bozulduğu andan itibârendir. Mukîm veyâ misâfir için de aynı şekildedir. Sefere çıkmadan abdesti bozulmuşsa, sefere çıktıktan sonra yine üç günü tamamlar.
40. Hadîsi Taberânî rivâyet etmiştir.

nacak olsa, sesini duyuramayacaktır. İşte bu vaziyet karşısında teyemmüm eder. Suyun bu kadar uzakta bulunması, yok mesâbesindedir. Su yakında olup düşman veyâ yırtıcı hayvan eline geçmiş ise yine yok sayılır. İçmesi için muhtaç olduğu suyu da yok hükmündedir. Arkadaşlarının su ihtiyacı da aynıdır. Ya para ile veyâ parasız, onlara içme suyu verir ve bu suyu abdestte harcamaz. Çorba veyâ et pişirmek yahut biriktirdiği ekmek kırıntılarını ıslatmak için suyu varsa, yalnız kuru ekmek parçaları ıslatmak için yetecek kadar suyu ayırır, diğer su ile abdestini alır.

Çünkü çorba ve et pişirmek zarûrî değildir. Suyu bunlar için ayırıp teyemmüm edemez. Yolculuk esnasında kendisine hediye edilen suyu kabul etmesi vâciptir. Fakat suyun bedeli hîbe edilirse -bunda minnet altına girmek olduğundan- parayı kabul etmek mecbûriyeti yoktur. Tam değeri ile satılan suyu -parası varsa- almak mecbûriyetindedir. Fahiş fiyât ile satılıyorsa, abdest için alması mecbûri değildir.[41]

Su bulunmayıp teyemmüm etmek gerektiğinde ilk işi, umduğu yerlerde suyu aramaktır. Meselâ kapları arar, kafileye sorar. Bu aramadan sonra teyemmüm eder. Şâyet yükleri arasındaki suyu veyâ civârındaki kuyuyu unutmuşsa, aramada kusur ettiği için, teyemmüm ile kıldığı namazı iâde eder. Vaktin son cüz'ünde suyu bulmak ihtimâli varsa da evlâ olan, ilk cüz'ünde teyemmüm ile namazını kılmaktır. Çünkü ilk vakit, Allahın râzı olduğu vakittir. Hem de vaktin son cüz'üne yetişeceği ne mâlum?[42]

---

[41] Hafefilere göre suyun bulunmaması iki şekilde düşünülür. Biri hakîkaten su yoktur. Yâni yolda giderken her yönden dört yüz metre mesâfede su yoksa, yok sayılır. Diğeri de suyun hükmen yokluğudur. Meselâ, su var fakat almak için parası yoktur veyâ parası var fakat fâhiş fiyatla satılıyor. Yâhut su var fakat müsâade etmiyorlar. Yâhut suyu kullanmak için bedeninde suyu kullanmasına mâni bir ârıza vardır. Veyâhut can veyâ malına karşı tehlike vardır. Veyâ mevcut suyu-yine çorba hâriç-kendisinin, arkadaşlarının, hayvanının ve hattâ köpeğinin ihtiyâcına yetecek kadardır. Bütün bu hâllerde su yok sayılır ve teyemmüm eder.

Abdullah b. Ömer (r.a.) bir defa teyemmüm edince, kendisine:

– "Medîne duvarları sana bakıp dururken, yâni Medîne göründüğü halde niçin teyemmüm ediyorsun?" dediklerinde:

– "Medîne'ye gidebileceğim ne mâlum?" cevâbını vermiştir.

Namaza başladıktan sonra suyu görmekle, namazı da bozulmaz ve yeniden abdest alması da gerekmez.[43] Namaza başlamadan suyu görürse, o zaman teyemmüm bozulur ve abdest alması gerekir.

Aradığı halde suyu bulamadığı zaman, tozu çıkan temiz toprak hazırlar, parmaklarını birleştirerek avuçlarının içini tamamen toprağa vurur ve onunla yüzünü mesh eder. Sonra parmaklarını açar, parmağındaki yüzüğünü çıkararak, ikinci defa elinin içini toprağa vurur ve ellerini -dirsekleri de dâhil olmak üzere- dirseklerine kadar mesh eder. Şâyet bir vuruşta bütün ellerini kaplayamazsa, ikinci defa tekrar ellerini toprağa vurur. Ellerini, nasıl toprağa vuracağını tahâret kısmında anlattık, tekrara lüzum yoktur.[44]

---

[42] Hanefîlere göre bu ihtimâl karşısında vaktin son cüz'üne kadar bekler.

[43] Hanefilere göre su bulundu, teyemmüm bozuldu. Su ile abdest alıp namazı kılması gerekir.

[44] Hanefilere göre tozlu olan her temiz madde üzerinde teyemmüm caizdir. Teyemmümün yedi rüknü vardır: Birincisi: Teyemmüm edilecek şey, temiz toprak ve toprak cinsinden olmaktır. İkincisi: Ellerini toprağa vurmaktır. Üçüncüsü: Toprağa vurduğu ellerini başka yere vurmadan abdest azalarına

Bir teyemmüm ile bir farz namaz kıldıktan sonra, dilediği kadar nâfile namaz kılabilir. Fakat bir teyemmüm ile iki farz kılınmaz, ikinci farzı kılmak için yeniden teyemmüm etmesi lâzımdır.[45]

Vakti girmemiş olan bir namaz için teyemmüm etmesi uygun olmaz. Şâyet vakit girmeden teyemmüm etmişse, vakti girdikten sonra bu teyemmümü iâde etmesi vâciptir.

Yüzünü mesh ederken, namaz kılmak için teyemmüm ettiğine niyet etmelidir. Şâyet bâzı âzâlarına yetecek su varsa, bu suyu kullanır ve sonra da teyemmüm eder.[46]

Üçüncü ruhsat, farz namazlardadır. Öğle, ikindi ve yatsı namazlarını üç şartı ile ikişer rekât kılabilir.

Birincisi: Bu namazları vakitlerinde kılmaktır. Şâyet kazâya kalırlarsa, onları tamam kılar.

İkincisi: Kısaltmayı niyet etmelidir. Şâyet tamam kılmayı niyet, etmiş veyâ nasıl niyet ettiğinde şüphe etmişse, namazını tamam kılar.

Üçüncüsü: Mukîme veyâ dört rekat kılmayı kararlaştırmış mimisâfir imamın kaç rekât kılacağını bilmez ve sonra kısaltarak

---

sürmektir. Dördüncüsü: Niyettir. Beşincisi: Yüzü mesh etmektr. Altıncısı: Kolları mesh etmektir. Yedincisi de tertîbdir. Bunların bâzılarına dâir tafsilât metinde gelecektir.

[45] Hanefilere göre; Teyemmüm, abdestin bedelidir. Abdest ile yapılan her ibâdet, farz namazı için yapılan teyemmüm ile de yapılır. Yâni teyemmüm bozuluncaya kadar abdestli imiş gibi farz ve nafilelerden dilediği namazları kılar.

[46] Hanefilere göre abdest âzâlarına yetmeyen su, yok hükmündedir. Bâzı âzâlarına bu suyu kullanması lüzumsuzdur.

kıldığını anlarsa da yine dört kılması lâzımdır Zîra misâfirin niyeti gizlidir, bilinemez. Bundan dolayı vaktiyle sorması lâzımdır. Şâyet daha başlangıçta misâfir olduğunu bildiği imamın tam veyâ kısaltarak kılacağında şüphe etse de kendisine zarar vermez. Çünkü niyetlere muttalî olmak zordur. Bütün bunlar, mübâh olan uzun bir sefere çıktığı zamandır.[47]

Başlangıcından sonuna kadar yolculuğun hudûdunu tayinde güçlük vardır, bunu bilmek lâzımdır. Sefer (yolculuk) muayyen bir maksat uğrunda ikametgâhından ayrılması demektir. Yolsuz ve muayyen olmayan istikametlere gidenlerin muayyen bir maksatları olmadığı için, onlara namazlarını kısaltma ruhsatı verilmemiştir. Bulunduğu kasabanın mâmur olan bölgesinden dışarı çıkmadıkça misâfir sayılmaz. Harabe kısmından çıkmış olması şart değildir. Yazlık olarak çıkılan bağlık da harabe hükmündedir. Köyden çıkan, misâfir sayılabilmek için etrafı çevrili ve zirâat yerlerinden çıkması lâzımdır. Etrafı çevrili olmayan zirâat yerlerinden çıkmış olması şart değildir.[48] Misâfir, evde namazı kısaltamaz. Şâyet geri döndüğü yer vatanı değil idiyse, o zaman misâfirliğine zarar vermez. Çünkü burası ikamet yeri değildir.

Yolculuk üç şeyin biri ile sona erer:

Birincisi: İkamete niyet ettiği beldenin mâmûrelerine girmekle,

---

[47] Hanefilere göre 18 saatlik mesafeye giden misâfir, mukim olan imâma uymadığı takdirde, dört rekâtlı farz namazları ikişer rekât kılması mecburîdir. Hattâ bu namazlar vaktinde kılınmaz ve kazaya kalırlarsa, ikişer rekât olarak kaza edilirler.

[48] Hanefîlere göre kasaba ve köylerde hudûd dışına çıkmış olması lâzımdır. Meselâ, belediye sınırları içinde at koşusu yapılan yerleri de geçmiş olması lâzımdır.

İkincisi: Bir belde veya kırda en az üç gün ve daha ziyâde ikamete niyet etmekle.[49]

Üçüncüsü: İkamet şeklidir. Meselâ, bir yerde üç gün ikamete niyet etmezse de -girdiği gün hâriç- üç gün kalırsa, yine üç günden sonra namazını kısaltamaz. Şâyet bir yerde kalmak niyeti yok ve orada her an görülmesini beklediği bir işi var; görülse hemen dönecek fakat işi bitmiyor, böylece zaman ne kadar uzarsa uzasın, yine misâfir sayılır.[50] Aynı zamanda misâfir huzursuzluğu içindedir. Kalp huzursuzluğu ile bir yerde fazla kalmanın bir değeri yoktur. Bu meşgalenin bir katil veyâ her hangi başka bir sebep olması ve müddetin uzayıp kısalması veyâ uzayıp giden yağmur sebebiyle orada kalması arasında fark yoktur. Çünkü yağmurun her an kesilme ihtimali vardır. Zîra bizzat Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bâzı gazâlarında on sekiz gün bir yerde beklediği ve yine (ibadetlerini) seferî yaptığı vâkidir. Şüphesiz harp, daha da uzasa yine sefer hali devam edecektir. On sekiz gün bir hudûd değildir. Yine onun namazı kısaltması, harpte oluşundan değil, seferde oluşundan idi. İşte şu anlattığımız, namazı kısaltmak için seferin mânâsıdır.

Yolculuğun uzun mesafesine gelince: Buradaki mesafe iki merhale (iki konak) her konak sekiz fersah, her fersah üç mil, her mil dürt bin adım ve her adım üç ayak boyu olmaktır.

Yolculuğun mübâh olmasına gelince: Anne ve babasına veyâ efendisine âsî olarak ayrılmış, kocasından, vaziyeti müsâit iken borçlusundan kaçmış; yol kesmek, adam öldürmek, haram nafaka sağlamak veyâ Müslümanlar arasında fesat çıkarmak için çıkmış olmayacak demektir.[51]

---

[49] Hanefilere göre gittiği memlekette en az on beş gün ikamete niyet etmesi lâzımdır. 14 gün dahî ikamete niyet etse, mukim olmaz, namazlarını seferî olarak kılması lâzımdır.

[50] Hanefîlere göre her iki şekilde yıllarca orada kalsa, yine mısafirdir. Çünkü her an işinin bitmesini beklemektedir.

Hülâsa, insan bir gâye uğrunda yola çıkar. İnsanı harekete geçiren bu gâyesidir. Şâyet mâsiyet uğrunda sefere çıkmışsa, namazını kısaltamaz. Fakat gâyesi isyân değil iken, yolda isyân ederse bu namazı kısaltmasına mâni değildir. Ancak dînin yasak ettiği maksatlarla yapılan yolculukta namaz kısaltılmaz. Şâyet biri kötü, diğeri de iyi iki maksadı var ve kötülük tarafı da bulunmuyorsa ve bu halde de yolculuk mecbûriyeti var idiyse, yine namazı kısaltabilir. Yalnız muhtelif memleketleri görmek için seyahate çıkıp başka bir gâyesi olmayan sûfilerin seyahatlerinde namazlarını kısaltıp kısaltmamaları ihtilâflı ise de, muhtar olan, onlara da müsâade edilmesidir.

Dördüncü ruhsat, öğle ile ikindiyi öğle veyâ ikindi vaktinde bir arada, akşam ile yatsıyı da akşam veyâ yatsı vaktinde ve bir arada kılmaktır. Mübâh olan, her uzun yolculukta bu câizdir. Kısa mesâfelerdeki yolculuklarda ihtilâflıdır.[52] Meselâ, ikindi namazını öğle vaktinde kılacaksa, bunun üç şartı vardır:

Birincisi: öğle namazını bitirmeden, her iki namazı bir vakitte kılmayı niyet etmektir.

---

[51] Hanefîlere göre 90 kilometre mesâfeye gitmeyi kararlaştırıp yola çıkan kimse, her ne maksatla giderse gitsin misâfirdir, yolculuğun gâyesi aranmaz. İyi niyetle giderse sevabı kendisine, kötü niyetle giderse cezası yine kendisine râcidir, misâfirliğine tesiri olmaz.

[52] Hanefîlere göre misâfir olsun mukim olsun, her namaz kendi vaktinde kılınır. Vaktinden önce kılınan namaz sahih değildir. Vaktinden sonraya kalan ise kazâdır. Bu hüküm yalnız Arafat'ta Arefe gününün öğle ve ikindisi ile akşam ve yatsı namazlarına tatbik edilir. Öğle ile ikindiyi öğle vakti Arafat'ta; akşam ile yatsıyı da yatsı vakti Müzdelife'de kılarlar. Arafat'ta cem-i takdîmin de bâzı şartları vardır.

İkincisi: Önce öğle için kamet edip öğleyi, sonra ikindi için kamet edip ikindiyi kılmaktır. İkindi namazı için de ayrıca teyemmüm etmektir. Zâten her iki namaz arasını bir teyemmüm ve bir kametten fazla açmaz. Şâyet öğle vaktinde önce ikindiyi sonra öğleyi kılarsa, namazı olmaz. Şâyet ikindi namazına başlarken, her iki namazı bir arada kılmayı niyet ederse, Müzenî'ye göre yine câizdir. Kıyasta bunun da yolu vardır. Çünkü bunları bir arada kılmaya dâir olan niyeti önceden yapmanın mesnedi yoktur. Şeriat, mutlak sûrette bunları bir arada kılmayı câiz görmüştür. İkindi namazını kılarken buna niyet etmesi de kifâyet eder. Zâten öğle, yerinde kılınmış oluyor.

Üçüncüsü: Farzları kıldıktan sonra sünnetlerini bir arada kılmaktır. Gerçi ikindiden sonra sünnet yoktur. Öğleden sonraki sünneti, ikindinin farzından sonra kılar. Şâyet sünneti iki farz arasında kılarsa, müvâlât bozulur. Namazlar birbirinden yarılmış olur ve o zaman iki namazı bir arada kılmak câiz olmaz. Şâyet. öğle ve ikindiden önceki dört rekât sünnetleri de kılmak isterse, her ikisini öğlenin farzından evvel kılar. Önce öğlenin, sonra ikindinin sünnetlerini kılar ve sonra da sıra ile peş peşe farzları kılar. En sonunda da öğlenin iki rekât sünnetini kılarak namazları tamamlar.

Seferde nâfile namazları ihmâl etmemelidir. Aksi takdirde yolculuktaki kârından, kaybedeceği sevap daha çok olur. Bilhassa şerîat, yolculukta sünnetlerin vâsıtada kılınmasına da müsâade etmiştir.

Şâyet öğle namazını ikindi vaktine bırakırsa, yine aynı usûle riâyet eder. Öğlenin son sünnetinin, ikindiden sonraki kerâhet vaktine kalmasına aldırış etmez. Çünkü bir sebep dolayısıyla bu vakte kalan namaz, mekrûh sayılmaz. Akşam, yatsı ve vitir namazlarında da aynı usûle riâyet eder. Bu namazları takdim veyâ tehir ile bir araya topladığı zaman, önce farzları, sonra bütün sünnetleri ve daha sonra da vitri kılar. Şâyet öğle vakti henüz çıkmadan kılmamış olduğunu hatırlarsa, ikindi ile bir arada ikindi vaktinde kılmasına niyet eder. Bu da cem'în niyetidir. Çünkü adamın bu niyetten hâlî kalması ya hiç kılmamak veyâ ikindiyi vaktinden geçirmektir ki, bu ve buna azmetmek haramdır. Şâyet uyku veyâ her hangi bir sebeple öğle namazını hatırlamadan ikindi vakti girerse, yine öğleyi ikindi ile kılar ve günâhkâr olmaz. Zîra yolculuk, insanı fiilen namazdan alıkoyduğu gibi, bâzen namazı hatırlamaktan da alıkoyar. Gerçi ikindi namazını kılan, öğle namazının kazâ sayılmaması için, daha öğle içinde ikindi vaktinde kılınacağına niyet etmek lâzımdır, denirse, yolculukta öğle ile ikindi vakitleri her iki namaz için müşterek vakit sayıldıklarından, bu söz zayıf kalır.

Bu vakitler müşterek olduğu için, yolculukta akşam vakti girmeden, hayızdan temizlenen kadına ikindi namazı gibi, öğle namazını da kazâ etmek borç olur. Bundan dolayı öğle namazı ikindiye tehîr edildiği zaman, birbirini tâkip ve tertîb ortadan kalkar. Fakat ikindi öğle vaktine alınırsa, o zaman tertîb ve müvâlât şarttır. Zîra öğle vaktinde kılınacak olan ikindinin vakti, öğle namazını kıldıktan sonra başlar. Çünkü öğleyi tehîr etmeye veyâ hiç kılmamaya karar veren bir kimsenin ikindiyi kılması çok uzak bir şeydir. Yolculuk mâzereti gibi, yağmur da özürdür, yâni yağmur, öğle ve ikindiyi bir arada kılmayı tecvîz eder.

Farz olan namazlardan biri olan Cuma'da, yolculuk dolayısıyla terk edilebilir. Şâyet seferî olarak ikindi namazını kıldıktan sonra -ikindi vakti çıkmadan- ikamete niyet ederse, namazı bâtıl olur. Onu yeniden tamam olarak kılar. Çünkü o namazın sıhhati mâzeretin akşama kadar devâmına bağlıdır.

Beşinci ruhsat, sünnetleri binek üzerinde kılmaktır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bindiği vâsıtanın istikametini tâyin etmeden -yâni hangi yöne gidiyorsa gitsin, buna aldırış etmeden- üzerinde nâfile namaz kılardı. Binit üzerinde sünnet (nâfile) kılındığında rükû ve sücûd, ima ile yapılır, ancak secdesinde rükûdan biraz daha fazla eğilir. Çok eğilip hayvanı rahatsız etmeye de lüzum yoktur. Yatabilecek vazîyetde ise mümkün olduğu için, secdesini de yapar. Namaza başlarken ve namaz esnâsında kıbleye dönmesi de şart değildir. Yol istikameti, kıbleye bedeldir. Bütün namazında ya kıbleye yönelmeli veyâ yol istikametine gitmelidir. Şâyet bindiği hayvan kasdî olarak yoldan ayrılırsa namazı bozulur. Ancak kendisi hayvanı kıbleye çevirir veyâ unutarak başka tarafa biraz çevirirse zarar etmez. Zamanın uzaması, namazı bozup bozmamasında ihtilâflıdır. At serkeşlik ederek dönerse zarar vermez, çünkü bu ekseriya olan bir şeydir. Bu hareket kendisinden olmayıp hayvandan olduğu için, sehiv secdesi de lâzım gelmez. Fakat kendisi yanlışlıkla hayvanı çevirirse îma ile sehiv secdesi yapar.

Altıncı ruhsat, yaya yolcuya da, yürürken ima ile nâfile namaz kılmasının câiz olmasıdır. Artık teşehhüde oturmaz. Çünkü oturmak îcâb ederse, yürüyerek kılmasına müsâade edilmemiş demek olur. Yayanın hükmü, binicinin hükmü gibidir. Fakat ilk tekbîri kıbleye yönelerek alması lâzımdır. Çünkü vâsıta üzerinde bu güç ise de yaya için bir ân kıbleye dönmek mümkündür. Yürürken namaz kılan kimsenin yaş pislik üzerinde yürümesi uygun değildir. Şâyet kasdî olarak necâsete basarsa namazı fâsid olur. Tabiî hayvanın necâsete basması namaza mâni değildir. Yollar üzerinde pisliklerden sakınmak için fazla müşkilâta katlanmaya da lüzum yoktur. Düşman, yırtıcı hayvan, sel ve benzeri tehlikeli şeylerden kaçmakta olan kimse, farz namazlarını da hayvan üzerinde veyâ yaya olarak nafile namazları gibi kılabilir.

Yedinci ruhsat, sonradan kazâ etmek üzere orucu yemesindedir. Misâfir, orucunu yiyebilir. Ancak mukîm iken sabahladıktan sonra yola çıkarsa, o günü tamamlar. Bunun gibi, misâfir oruçlu iken sabahladıktan sonra mukîm olursa yine o günü yemeden oruca devâm eder. Şâyet orucunu bozmuş iken, ikamet etmişse o günü tutmak mecbûriyeti yoktur. Sefer halinde iken oruç tutmaya azmetmiş olarak sabahlamışsa, ister yer isterse oruca devâm eder. Oruç tutması yemesinden efdaldir, -hilâftan kurtulmak için- namazı kısaltması, tam kılmasından daha iyidir.[53] Çünkü hem şüpheden kurtulmuş olur, hem de zâten namaz, oruç gibi kazâ edilecek değildir. Orucu sonradan tutmak güçleşir ve borç zimmetinde kalır. Ancak oruçtan zarar görecekse, o zaman yemesi makbuldür.

İşte, misâfire verilen ruhsatlar bunlardır. Üç tanesi uzun yolculukla alâkalıdır. Onlar da:

1 - Namazı kısaltmak,

2 - Orucu bozmak,

3 - Mestler üzerine meshin müddetini 24 saatten üç güne çıkarmaktır.

İkisi de hem uzun, hem kısa yolculuk ile alâkalıdır. Onlar da Cuma'nın düşmesi ve teyemmüm ile kılınan namazların iâde edilmemesidir. Nâfile namazları binitli ve yaya olarak kılmakta ihtilâf varsa da, esah olan kısa yolculukta da bunların câiz olmalarıdır. İki namazı bir vakitte kılmakta en doğrusu, uzun yolculuk ile alâkalıdır. Farz namazları korku halinde binitli veyâ yaya kılmanın zâten sefer ile alâkası yoktur, tehlike anında câizdir. Ölü hayvan etini yemek ve teyemmüm ile namaz kılmanın da sefer ile alâkası yoktur. Zarûret olduğu yerde câizdir.

---

[53] Hanefilere göre: Misâfir öğle, ikindi ve yatsı namazlarını tamâm kılamaz. Çünkü bunları kısa kılması ruhsat değil, azimettir. Oruçda ise hüküm. Şâfiîlerinki gibidir.

Şâyet, "Yolculuktaki bu ruhsatları, yolculuğa çıkmadan önce öğrenmek, yolcuya vâcip midir, yoksa müstehap mıdır?" dersen bilmiş ol ki: Eğer mest üzerine mesh etmek, namazı kısaltmak, iki namazı birleştirmek, orucu yemek ve nâfile namazları atlı veyâ yaya yürürken kılma ruhsatlarını tatbik etmeyecek ve bunları aynen mukîm gibi yapacaksa, bu bilgilere ihtiyâcı yoktur. Çünkü bu ruhsatlarla amel etmek ona vâcip değildir. Fakat teyemmüme ruhsat ilmi ona lâzımdır. Zîra yolda susuz kalmak zarûrîdir. Yola bir nehir kenarını tâkip ederek seyahat ediyor veyâ yanında bunu bilen bir âlim varsa, o zaman ihtiyaç vaktinde ona sormakla iktifâ eder. Fakat bunlar yoksa o zaman yola çıkmadan teyemmüm ilmini öğrenmesi lâzımdır.

Şâyet, "Teyemmüm, tahâret gibi namaz için lâzımdır. Namaz vakti girmeden bu ilim niye vâcip olsun? Belki de lâzım olmayacaktır." dersen derim ki: Haccı misâl verelim. Kendisi ile Mekke arasında bir yıllık mesâfe bulunan bir kimseye hac ayları girmeden yola çıkmak vâcip olduğu gibi, yolda kendisini öğretecek bir kimse yoksa, yola çıkmadan da hac ile alâkalı meseleleri öğrenmesi vâciptir. Çünkü aslolan, yaşayıp hac mevsimine yetişmesidir. Her hangi bir vâcibe ulaşabilmek için zarûrî olan bir şeyi öğrenmek de vâciptir. Hangi bir şey ki, vücûbu zann-ı gâlib ile beklenir ve ona ulaşabilmek için önceden bir takım şartları varsa, o şartları daha önce öğrenmek de vâcip olur. Haccın şart ve rükünlerini önceden öğrenmek gibi... Şu halde misâfirin de teyemmüm ile alâkalı meseleleri öğrenmeden yola çıkması helâl olmaz. Şâyet misâfire bahşedilen diğer ruhsatlarla amel etmek azminde ise onlarla da alâkalı mâlûmatı öğrenmesi vâciptir. Şâyet, "Yolculukta at üzerinde veyâ yaya yürürken nâfile namaz kılmak usûllerini öğrenmek neden vâcip olsun? Çünkü aslında bu namazlar vâcip değildir." dersen derim ki: Nâfile kılmak vâcip değil fakat kılacaksa, onu fesad üzerine binâ etmemesi vâciptir. Abdestsiz iken, üzerinde pislik varken, kıbleye yönelmeden, şart ve rükünlerini tamamlamadan nâfile namaz haramdır. Her ne kadar namaz nâfile olup vâcip değilse de, bu gibi tehlikelere düşmemek için bunları öğrenmesi yine vâciptir.

İşte buraya kadar anlattığımız, yolculuk halinde misâfire verilen ruhsatlardır.

İkinci Kısım
YOLCULUKTA BİLİNMESİ VÂCİP OLANLAR

Yolculuk sebebiyle yeniden bilinmesi vâcip olan vazîfeler, kıble ve namaz vakitlerini bilmektir. Hakikî bir Müslüman'ın bunları her dâim bilmesi lâzımdır. Fakat hazerde mihrab ve diğer vâsıtalarla kıble, müezzinin ezân okuması ile de vakitler bilinmiş olduğundan, kendisinin ayrıca bunlar üzerinde durmasına lüzum yoktur. Ancak yolcu, hem kıble, hem de vakitlerde şaşırabilir. Bunun için vakit ve kıble delîllerini bilmesi lâzımdır.

Kıblenin delîli üç kısımdır:

1 - Yeryüzünde bulunur: Dağlar, köyler ve ırmaklardan delîl çekmek gibi,

2 - Havaî olur: Güney, kuzey, sabâ ve batı yellerinden delîl çekmek gibi,

3 - Semavî olur: Yıldızlardan delîl çekmek gibi.

Yerlerden ve havaî dediğimiz rüzgârlardan kıbleyi tâyin etmek, memleketlere göre değişir. Bâzı yollar var ki orada bulunan yüksek bir dağın, istikamete göre, yolcunun sağına veyâ soluna düştüğü bilinebilir. İşte bunu bilip öğrenerek ondan kıbleyi tâyin etmesi lâzımdır. Rüzgârlar da bâzı memleketlerde yönü tâyin eder. Onları da bilmesi lâzımdır. Bunları bütün teferruâtıyla anlatmak imkânımız yoktur. Çünkü her iklim ve memleketin ayrı bir hükmü vardır.

Semavî delîllere gelince: Bunlar da gündüz ve gece olmak üzere iki kısma ayrılır. Gündüzün delîli güneştir. Memleketinden çıkmadan önce zevâl vakti güneşin hangi istikamette olduğuna bakmaktır. Meselâ, iki kaş arasında, sağ veyâ sol kaşı üstünde veyâ yan tarafında bulunduğunu tespit etmektir. Çünkü kuzey memleketlerde güneş zeval vakti bu istikametler etrafında olur. Bunu bilebilirse, aşağıda anlatacağımız delîl ile zeval vaktini bulunca, kıbleyi de bulmuş olur. İkindide aynı şekilde hareket eder. Zâten daha çok bu iki vakitte kıbleyi bulmak zarureti vardır. Bu da memlekete göre değiştiği için, bu ciheti de tamamen açıklamak mümkün değildir. Akşam vaktinde kıbleyi bulmaya gelince; bu da gurub yerini tespit ile bilinir.

Meselâ güneş batarken kıbleye dönmüş olan insanın tam cephesinden yâhut sağından mı nereden battığını tespit ederse, sonradan ona kıyâs ile kıbleyi bulur. Yatsı vaktinde de kıble, şafak ile tespit edilir. Güneşin doğmasını tespit ile de sabah namazanın kıblesi bulunmuş olur. Beş vakit namazda kıbleyi güneş tâyin etmiş olur. Fakat bâzen ufuktaki şafak kaybolduktan sonra akşam ile yatsıyı kılmak îcab eder. O zaman güneşten istifâde edilemez. İşte o zaman kutup yıldızına da dikkat etmelidir. O hareketi belli etmeyen sâbit bir yıldız gibidir. Bu yıldız, ya kıbleye dönenin tam tepesinde olur, ya sağ omuz veyâ sol omuz arkasında bulunur. Mekke'nin şimâlinde olanlar için böyledir. Fakat Mekke'nin cenûbunda bulunan Yemen ve havalisinde de kutup yıldızı, kıbleye dönen kimsenin tam karşısında olur ki, bunu da bilmesi lâzımdır. Memleketinde öğrenip bildiklerine yolda da itimad eder. Ancak uzun mesâfe alırsa, o zaman güneş, kutup, doğuş ve batışlarda yerlerini değişebilirler.

O zaman bir kasabaya gittiğinde, anlayışlı bir kimseden sorup öğrenmeli veyâ kasaba içerisinde aynı kendi memleketi gibi, kıble ve vakitler bilindiği için, orada da memleketindeki usûlü tatbik etmeli ve kıbleye dönerek güneşin ve kutup yıldızının bulunduğu yerleri, namaz vakitlerinde tespit etmeli ve artık o kanâatine dayanmalıdır. Şâyet kıbleden ayrıldığını ve başka islikametlere yönelerek kılmış olduğunu anlarsa, namazını kazâ etmesi lâzımdır. Şâyet kıble istikametinden ayrılmamış, fakat aynı noktaya dek getirememişse, namazını iâde etmez.

"Aranan, Kâbe'nin yönü müdür, yoksa aynı mıdır?" diye fıkıh âlimleri arasında ihtilâf vardır. Bâzıları burada müşkil vazıyete düşmüştür. Şöyle ki: Aranan, noktası noktasına Kâbe'ye yönelmektir dersek, uzak mesâfelerden harfiyyen denk getirmek mümkün değildir. Eğer o yöne yönelmek yeter dersek, mesciddе namaz kılıp Kâbe'den inhiraf eden kimsenin namazı sahîh değildir ki, bu ittifaklıdır. Bu hususta sözü fazla uzattılar. Bunun için önce tam Kâbe'ye yönelmekle, o istikamete yönelmenin ne demek olduğunu bilmek lâzımdır. Tam mukabele demek, iki kaşı arasından dosdoğru bir ip uzatsa doğru Kâbe'ye gider. İnhiraf ise o ipin sağa veyâ sola sapması demektir. İşte aynen mukabelenin şekli:

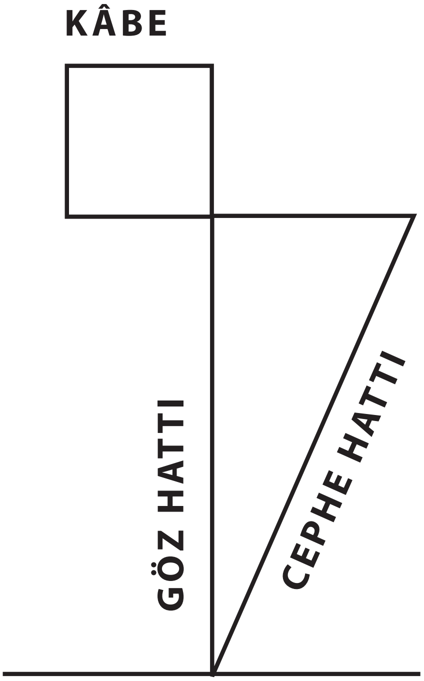

Yalnız Kâbe cihetine yönelmenin kifâyetine gelince; çizdikleri hat zâviyesi bakımından beraberlik aranmamakla beraber, Kâbe'ye doğru iki kaş arasından çıkan hattın çıkış noktalarının bir olması câiz ve kâfidir. Ancak çıkan hatlar, muayyen bir noktaya vardığı zaman birleşirler. Eğer bu hat, istikametindeki sağında veyâ solunda bulunan diğer noktalara uzansa, zâviyelerin biri daha dar olurdu ve gözün karşısında olmaktan çıkardı, fakat cihet karşılığından ayrılmazdı. Cihet mukabelesinde çizdiğimiz hat gibi... Eğer Kâbe o hattın bir tarafında farz edilseydi, o istikamette duran kimse, tam Kâbe'nin aynına değil fakat istikametine yönelmiş olurdu. Bu cihetin haddi iki hat arasıdır. Meselâ, bir cihete yönelen kimse bu iki hattın iki gözden çıkıp uçlarının bir zâviye-i kaimede kafanın içerisinde birleştiklerini sanır. Gözlerden çıkan iki hat arasında kalan boşluk, cihette dâhildir. Bu iki hat arasındaki açı, uzunluğu ve Kâbe'ye uzaklığı nispetinde çoğalır. Bunun da şekli şöyledir:

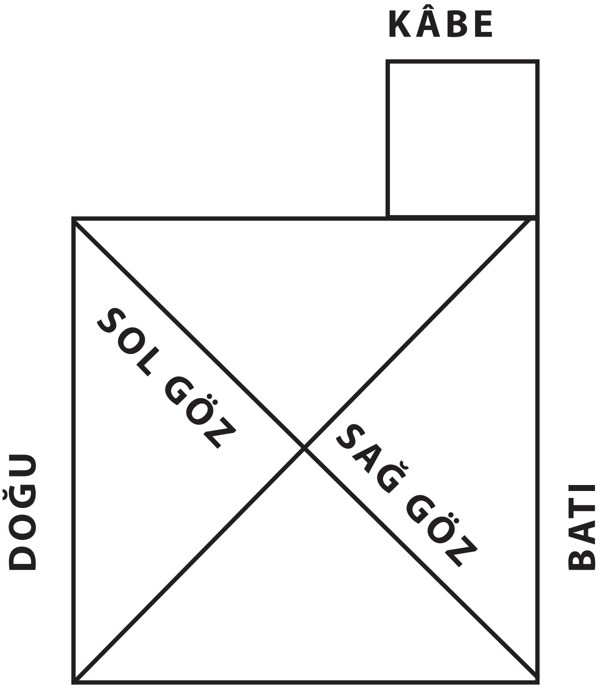

Aynen Kâbe’ye yönelmekle, Kâbe cihetine yönelmenin ne demek olduğu anlaşıldıktan sonra, derim ki: Fetvâda bizim için sahîh olan, Kâbe’yi görebiliyorsa, Kâbe’nin aynine yönelmektir; göremeyip delîle muhtaç ise Kâbe cihetine yönelmesi kâfidir.

Kâbe görülürken tam ona yönelmenin lüzumu ittifaklıdır. Görülmediği zaman, o tarafa yönelmenin kifâyet edeceğine Kitâb, Sünnet ve ashâbın hareketi delâlet etmektedir.

Kitâbdan delîl:

وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ

“Nerde olursanız, yönünüzü o tarafa çeviriniz.” (Bakara sûresi, 2/150) Kâbe tarafına dönen kimse için, “O tarafa döndü.” denir.

Sünnetten delîl:

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ashâba hitâben:

مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ قِبْلَةٌ

"Şark ile garb arası kıbledir."[54] buyurdu.

Batı, Medînelilerin sağı, doğu da soludur. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bu ikisinin arasını kıble kabul etmiştir. Hâlbuki Kâbe'nin mesahası doğusuna ve batısına istiâp edecek büyüklükte değildir. Ancak o cihetiyle kaplamış olur. Bu hadîs, Hz. Ömer ve oğlu Abdullah'tan da rivâyet edilmiştir.

Ashâbın işine gelince: Kuba halkı mescidlerinden Mescıd-i Aksâ'ya doğru namaz kılarken, bir zât geldi ve kıblenin Kâbe'ye döndüğünü haber verdi. Onlar da hemen arkaya dönerek kıble hakkında ince tedkîkat yapmadan namazlarını kıldılar ve bunlara kıbleyi iyice araştırmadıkları için kimse bir şey demedi. Hattâ bu mescide "İki kıbleli mescid" de dediler.[55] Şüphesiz Medîne'den tam Kâbe'yi göz önüne almak mümkün değildir. Bu, büyük hendesî hesaplar ister. Namaz kılarken hemen yönü bulamazlardı. Hattâ kıldıkları namazın ikindi veyâ yatsı namazı olması ihtimâli de vardır. Gece karanlığında ve namaz esnâsında tam Kâbe'nin aynine dek getirmek elbette zordur. Yine başka bir delîl de şudur: Onlar Mekke'nin civârında ve diğer memleketlerde mescidler inşâ ederler ve kıblenin tâyini için mühendise lüzum görmezlerdi. Kıyastan delîli: Her memlekette mescidler inşâ etmek ve Kâbe'ye yönelmek ihtiyâcı varken ve tam Kâbe'ye yönelebilmek hendesî hesaplara muhtaç iken, şerîatımız hendese ile uğraşmayı emretmemiş, belki lüzumsuz incelikler ile (herkesin) uğraşmasını bile men etmiştir. Daha nasıl her yerde Kâbe'ye yönelmek farz olsun? Şüphesiz zarûret sebebiyle o tarafa yönelmek kifâyet eder.

---

[54] Tirmizî rivâyet etti ve sahihtir, dedi. İbn Mâce de Ebû Hüreyre'den rivâyet etmiştir.

[55] Asıl **"İki Kıbleli Mescid"**, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in, ikindi namazını kıldırdığı sırada, Cebrâil'in kıblenin Kâbe'ye döndüğünü haber vermesi ile hemen oluk tarafına döndüğü BENÎ SELEME mescididir. Böylece erkekler kadınların, kadınlar da erkeklerin yerini almak suretiyle, diğer iki rekâtı Kâbe'ye doğru tamamladılar.

Bunları dörde hasrettiğimizin delîline gelince; o da Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in kazâ-i hâcet hakkında irâd buyurduğu şu hadîstir:

لَا تَسْتَقْبِلُوا بِهَا الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا وَلٰكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا

"Kazâ-i hâcette kıbleye dönmeyin, arkanızı da kıbleye çevirmeyin, doğuya veyâ batıya dönünüz."[56]

Bu hadîs, Medîne-i Münevvere'de îrâd edilmiştir. Kâbe'ye yönelince şark soluna, garb sağına gelir. Bunların hepsi dört cihet yapar. Artık hiç kimse cihetlerin altı, yedi veyâ on olmasını düşünmez. Zâten olsa bile diğerlerinin hükmü nedir? Îtikad nokta-i nazarında bunlar, insanın yaratılışına göre ayarlanır. İnsanın, sağ, sol, ön ve arka olmak üzere dört yönü vardır. İşte insana nisbetle (ana) yön dörttür. Şerîat da bu esâslar üzerinde kurulur. Anlaşıldı ki aranan (hâriçte olanlar için) kıble cihetine yönelmektir. Onu ictihad ile bulmak kolaylaşır ve bununla kıblenin delîli bilinmiş olur.

Kâbe'nin aynına denk getirmek ise uzun boylu bir iştir. Meselâ, Kâbe'nin Ekvator'a nispetle enlem ve boylamlarını bilmek ve bu hesapları, bunlar arasındaki farkları, sonra namaz kılanın yerini tespit etmek ve sonra da bunları karşılaştırmak iktizâ eder. Bu ise birçok âlet ve vâsıtalar ister. Şerîat bu gibi şeyler üzerine kurulmaz. Anlaşıldı ki, kıbleyi bulmak için zeval vaktinde şark ile garbı, ikindide güneşin mevkiini bilmek kifâyet eder ve bu kadarını bilmekle vâcip yerini bulmuş olur.

---

[56] Buhârî ile Müslim. Ebû Eyyûb'dan rivâyet etmişlerdir.

Şâyet, "Bu kadarını da öğrenmeden seyahate çıkan yolcu günâhkâr olur mu?" dersen derim ki: Eğer mâmûreler arasında gidiyor, gittiği yerlerde kıbleyi gösteren mihraplar mevcut veyâ bu ilmi anlayan bir kimse yanında olup lüzumunda ondan sormak mümkün ise günâhkâr olmaz. Bunların hiçbiri yoksa o zaman günâhkâr olur. Çünkü o, namaz kılacak, bunun için kıbleyi bulmak mecbûriyeti var. Teyemmüm meseleleri gibi, bunları da öğrenmesi lâzımdır. Şâyet bu bilgiyi öğrenmiş, fakat hava kapalı veyâ öğrenmeden yola çıkmış ve bir bilen de yoksa o zaman istediği gibi namazını kılar. Fakat isâbet etse de sonunda bu namazları kazâ eder.[57]

Gözleri görmeyenler, yanlarında bulunan kimseleri taklîd ederler. Şüphesiz -varsa- anlayıp bileni taklîd etmeleri lâzımdır. Şâyet kıble belli ise hazerde ve seferde her âdil olan kimsenin sözüne itimad edilir. Kör ve câhillerin, kıbleyi bilecek bir kimsenin bulunmadığı bir kafile ile seyahat etmeleri uygun değildir. Nitekim âlimi bulunmayan bir memlekette bir câhilin ikameti uygun olmadığı gibi... Hattâ bir memlekette fâsık bir fakîh olsa da orada durmak doğru değildir. Bu gibi memleketlerden göç edip, muh-

---

57. Hanefî mezhebine göre kıbleyi bilmediği bir muhitte -varsa- bir bilenden sorar. Bilen yoksa, kendi kendine araştırır ve kanaat getirdiği tarafa kanaat getirdikten sonra kılar. Şâyet araştırmadan ve sormadan kılarsa, isâbet etse de namazı iâde eder. Araştırdıktan sonra isâbet etmese de kıldığı namazı iâde etmez. Hattâ dört rekâtlı bir namazın birinci rekâtını kanaatine göre bir tarafa, ikinci rekâtte-kanâati değişirse-değiştiği tarafa, üçüncü ve dördüncüyü de kanaatine göre, ayrı ayrı taraflara dönüp kılsa, yine namazı sahihtir. Yalnız kanaatine uyacaktır.

taç olduğu dînî meseleleri kendisine öğretecek itimada şâyân bir âlimin bulunduğu yere gitmesi lâzımdır. Çünkü fetvânın kabulünde, fetvâ veren kimsenin adâleti rol oynar. Fasıkın fetvâsı makbul değildir. Şâyet, görünüşü kapalı fakat fakîh ise fetvâsı ile amel edilir. Zîra yolcu bir insan, müftülerin adâletinden söz açamaz.

Şâyet, ipek giydiğini veyâ altın işlemeli eğerler üzerine bindiğini görürse, artık onun fıskı meydana çıkmış olduğundan, ona itimad etmez; başkasını arar. Yine bunun gibi, onu servetinin haram olduğu gâlip olan sultanlar sofrasında görür veyâ bu gibi sultanlardan helâl veyâ haram olduğunu incelemeden hediyeler alırsa; bütün bunlar, adâlete mâni olan fısk alâmetleridir. Artık onun fetvâ, rivâyet ve şehâdetinin değeri kalmaz.

Beş vakit namazın vakitlerine gelince: Bunları muhakkak bilmesi lâzımdır.

Öğle vakti: Zevâl ile girer. Güneşin ilk doğuşunda, her şeyin batıya doğru uzanan bir gölgesi vardır. Bu gölge zevâle kadar kısalır. Zevâlde doğu tarafına geçer ve güneş batıncaya kadar doğuya doğru uzar. Yolcu, ya kendisi bir yere dikilir veyâhut düz bir ağaç parçasını bir yere diker ve gölgenin baş tarafını işâretler. Bir müddet sonra bakar, şâyet gölge uzuyorsa öğle vakti girmemiştir. Bunu bilmekte tâkip edeceği yol, bulunduğu beldede itimâd edilir müezzin ezânı okuduğu zaman, dikdiği ağacın gölgesine bakmaktır. Meselâ, gölgenin doğuya doğru kendi ayağı ile üç ayak olduğunu bulmuştur. Yolculukta da aynı usûlü tâkip eder. Gölge üç ayağı geçmeye başlayınca, öğle vakti girmiştir, namazını kılar.

İkindi vakti: Şâyet altı buçuk ayak geçmişse, ikindi vakti girmiştir, ikindiyi kılar. Zîra her şeyin gölgesi takrîben kendi ayağı ile altı buçuk ayaktır. Sonra şâyet baharda yola çıkmışsa, yaza doğru gittikçe zevâlin gölgesi her gün biraz daha uzar. Kış ibtidâsında yola çıkmışsa, gittikçe her gün gölge biraz daha kısalır. Zevâlin gölgesini en güzel şekilde bildiren "**Mîzân**"dır. Yolcu, bunu yanında bulundurmalı ve her vakitteki gölgenin ihtilâfını bilmelidir.[58]

Akşam vakti: Bu da güneşin batması ile başlar, fakat bâzen dağın arkasında güneş gizlenebilir. Bunun için batıya değil, doğuya bakmalıdır. Doğudaki karaltı bir mızrak boyu yerden yükselmişse, akşam vakti girmiştir.

Yatsı vakti: Bu da gökteki kızartının kaybolması ile başlar.[59]

Sabah vakti: Ufukta uzunlamasına kurt kuyruğu gibi karışık bir beyazlık görülür (buna **"Fecr-i kâzib"** denir.) Bununla sabah vakti girmez. Aradan bir zaman geçtikten sonra açık şekilde görülen ve ufku kaplayan bir beyazlık görülür. İşte sabahın ilk vakti, bununla başlar.

Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), ellerini birbirine geçirerek:

لَيْسَ الصُّبْحُ هٰكَذَا (وَجَمَعَ بَيْنَ كَفَّيْهِ) وَإِنَّمَا الصُّبْحُ هٰكَذَا

"Böyle karışık ağartı belirdiği zaman sabahın vakti girmez, belki (işâret parmaklarını bir biri üstüne koyup açarak) *bu şekil*

---

[58] Hanefîlere göre her şeyin gölgesi bir veyâ iki misline çıktığı zaman ikindi vakti girer. Fakat bir misli uzadığı zaman dediğimizde, öğlenin doğuya meyleden gölgesi de ayrı hesap edilir. Yâni o gölgeden sonra bir misli uzamakla ikindi vakti girmiş olur.

[59] Hanefîlerde bu fikre kail olanlar varsa da aslolan, kırmızılıktan sonra gelen beyazlığın kaybolması ile yatsı vaktinin girmiş olmasıdır.

beyazlık girdiği vakit girer.”[60] buyurdu. Bâzen ayın yirmi sekiz menzili ile de sabahın girdiğine delîl bulunabilirse de bu gerçek değil, yaklaşık bir buluş olur. Asıl güvenilen, ufukta enine doğru beyazlığın görülmesidir. Zîra bâzı kimseler sabah vakti güneş doğmadan dört menzil evvel doğar zannederler ki, bu yanlıştır. Çünkü dört menzil evvel “**Fecr-i kâzib**” olur. Muhakkiklerin anlattıkları güneşten iki menzil evvel, sabah vaktinin girmiş olmasıdır. Bu da takrîbîdir, buna da güvenilmez. Bâzı menziller meyilli olur, inhiraf eder ve doğuş zamanları kısalır. Bâzıları ise amûdî (dikey) olur ve doğuş zamanı uzar. Memleketler itibâriyle de bu vaziyet değişir ki, bunları îzah sözü çok uzatır. Bu menziller ile ancak sabah vaktinin yaklaştığı bilinebilir, yoksa katî olarak sabahın girdiği bilinemez.

Hülâsa olarak şunu deriz ki: Güneşin doğmasına dört menzil kaldığı zaman, yalancı sabah (Subh-ı kâzib) olduğunu, iki menzile yakın bir zaman kaldığında da asıl sabah (subh-ı sâdık)ın ilk vakti girdiği tahakkuk eder. Demek ki, bu iki sabah arasında bir menzilenin 3/2 si nispetinde şüpheli bir kısım kalmış oluyor. O da, beyazlığın henüz enine genişlemeden yeni çıkmaya başladığı vakittir. İşte o şüpheli vakitte oruç tutacak kimse, yemeği kesmelidir. Vitir namazı da bundan önce kılınmalıdır. Fakat bu şüphe müddeti kalkıncaya kadar sabah namazı kılınmamalı, katî olarak vakit girdikten sonra kılınmalıdır. Katî olarak, seherin son noktası ile sabahın ilk noktasını tâyin etmek beşer kudreti dışındadır. Şüpheden kurtulmak için bir mühlet tâyini zarûrîdir. Îtimâd, ancak açıkça görülüp bilinen şeyedir. O halde ancak ufukta enine doğru ağartının dağılmasıyla sabahın ilk vakti girer.

---

[60] İbn Mâce İbn Mes’ûd’dan sahîh sened ile muhtasar olarak, Ahmed de Talk b. Ali’den isnâd-ı hasen ile rivâyet etmişlerdir.

İnsanların çoğu bu noktada şaşırır ve vaktinden önce namazlarını kılmış olurlar. Tirmizî'nin **"Câmi"**inde, Talk b. Alî'ye isnâd ederek Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den yaptığı şu rivâyeti, buna delâlet etmektedir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا يَهِيبَنَّكُمُ السَّاطِعُ الْمُصَعِّدُ وَكُلُوا
وَاشْرَبُوا حَتّٰى يَعْتَرِضَ لَكُمُ الْأَحْمَرُ

"Yiyiniz ve içiniz; uzunluğuna olan ağartı sizi alıkoymasın. Yiyiniz içiniz tâ enine doğru beyazlık görününceye kadar."[61]

Bu hadîs, kızarıklığa riâyet bakımından açıktır. Ebû İsa bu bâbta şöyle demiştir: "Adiyy b. Hâtem, Ebû Zer, Semure b. Cündüb hadîsin garîb ve hasen olduğunu ve ilim erbâbına göre bununla amel edilebileceğini söylemişlerdir."

İbn Abbâs (r.a.) şöyle buyurmuştur:

"Yiyiniz, içiniz ağartı boyuna oldukça." Sâhibü'l-Garîbeyn de "uzununa" demiştir. O halde îtimâd, enine doğru ufkun ağarmaya başladığı zamandır.

İşte misâfire namaz vakitlerini bilmek mecbûridir. Çünkü bâzen zahmet olmasın diye hareketten önce, bâzen de istirahat için uykudan önce namaz kılmak ister ve bu sûretle vaktinden önce kılmış olabilir. Şâyet ilk vaktin fazîletinden vazgeçer, iniş biniş ve uykusuzluk külfetlerine katlanmayı göze alarak vaktin ortalarında namaz kılmak isterse, artık vakit ilmine ihtiyâcı kalmaz. Çünkü müşkil olan, vaktin ilk cüz'ünü bulmaktır.

"Yolculuk Adabı Kitabı" burada tamam oldu.

---

61. Hadîsi, ayrıca Ebû Dâvûd da rivâyet etmiştir.

كِتَابُ
آدابِ السَّماعِ والوَجْدِ

وهو الكتاب الثّامن من ربع العادات
من كتب إحياء علوم الدّين

Rub'u'l-Âdât

SEKİZİNCİ KİTAB

SEMÂ VE VECDİN ÂDÂBI

(KİTABU ÂDÂBİ'S-SEMÂ VE'L-VECD)

كتاب آداب السّماع والوجد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي أحرقَ قلوبَ أوليائِهِ بنارِ محبّتِهِ ، واسترقَّ هممَهُمْ وأرواحَهُمْ بالشوقِ إلىٰ لقائِهِ ومشاهدتِهِ ، ووقفَ أبصارَهُمْ وبصائرَهُمْ علىٰ ملاحظةِ جمالِ حضرتِهِ ، حتَّىٰ أضحَوا من تنسُّمِ روحِ الوصالِ سكرىٰ⁽¹⁾ ، وأصبحَتْ قلوبُهُمْ مِنْ ملاحظةِ سُبُحاتِ الجلالِ والهةً حيرىٰ ، فلمْ يرَوا في الكونينِ شيئاً سواهُ ، ولمْ يذكروا في الدارينِ إلا إيَّاهُ .

إنْ سنحَتْ لأبصارِهِمْ صورةٌ . . عبرَتْ إلى المصوِّرِ بصائرُهُمْ ، وإنْ قرعَتْ أسماعَهُمْ نغمةٌ . . سبقَتْ إلى المحبوبِ سرائرُهُمْ ، وإنْ وردَ عليهِمْ صوتٌ مزعجٌ أوْ مقلقٌ ، أوْ مطربٌ أوْ محزنٌ ، أوْ مبهجٌ أوْ مشوِّقٌ أوْ مهيِّجٌ . . لمْ يكنِ انزعاجُهُمْ إلا إليهِ ، ولا طربُهُمْ إلا بِهِ ، ولا قلقُهُمْ إلا عليهِ ، ولا حزنُهُمْ إلا فيهِ ، ولا شوقُهُمْ إلا إلىٰ ما لديهِ ، ولا انبعاثُهُمْ إلا لهُ ، ولا تردُّدُهُمْ إلا حوالَيْهِ ، فمنهُ سماعُهُمْ ، وإليهِ استماعُهُمْ ، فقدْ أقفلَ عنْ غيرِهِ أبصارَهُمْ وأسماعَهُمْ ، أولئكَ الذينَ اصطفاهُمُ اللهُ لولايتِهِ ، واستخلصَهُمْ مِنْ بينِ أصفيائِهِ وخاصَّتِهِ .

---

(١) **والسكر عندهم** : غيبة بوارد قوي ، وهو يعطي الطرب والالتذاذ ، وهو أقوىٰ من الغيبة وأتم منها . « إتحاف » (٦/ ٤٥٤) .

والصلاةُ علىٰ محمدٍ المبعوثِ برسالتِهِ ، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أئمَّةِ الحقِّ وقادتِهِ ، وسلمَ تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فإنَّ القلوبَ والسرائرَ(١) خزائنُ الأسرارِ ومعادنُ الجواهرِ ، وقدْ طُويَتْ فيها جواهرُها كما طُويَتِ النارُ في الحديدِ والحجرِ ، وأُخفيَتْ كما أُخفيَ الماءُ تحتَ الترابِ والمدرِ ، ولا سبيلَ إلى استثارةِ خفاياها إلا بقوادحِ السماعِ ، ولا منفذَ إلى القلوبِ إلا مِنْ دهليزِ الأسماعِ ، فالنغماتُ الموزونةُ المستَلَذَّةُ تخرجُ ما فيها ، وتظهرُ محاسنَها أوْ مساوِيَها ، فلا يظهرُ مِنَ القلبِ عندَ التحريكِ إلا ما يحويهِ ، كما لا يرشحُ الإناءُ إلا بما فيهِ .

فالسماعُ للقلبِ محكٌّ صادقٌ(٢) ، ومعيارٌ ناطقٌ ، فلا تصلُ روحُ السماعِ إليهِ إلا وقدْ تحرَّكَ فيهِ ما هوَ الغالبُ عليهِ .

وإذا كانَتِ القلوبُ بالطباعِ مطيعةً للأسماعِ ، حتَّىٰ أبدَتْ بوارداتِها مكامنَها ، وكشفَتْ بها عنْ مساويها وأظهرَتْ محاسنَها . . وجبَ شرحُ القولِ في السماعِ والوجدِ ، وبيانُ ما فيهما مِنَ الفوائدِ والآفاتِ ، وما يُستحبُّ

---

(١) **السرائر** : هي خواطر النفس ، فهي غير القلوب ، إذ القلب عبارة عن لطيفة ربانية لها بهـٰذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلقٌ ، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان . « إتحاف » (٦/ ٤٥٥) .

(٢) **المحكُّ** : الحجر الأسود البرّاق الذي تحك عليه الجواهر المعدنية ، فيبين الخالص من غيره .

فيهما مِنَ الآدابِ والهيئاتِ ، وما يتطرَّق إليهما مِنْ خلافِ العلماءِ في أنَّهُما مِنَ المحظوراتِ أوِ المباحاتِ .

ونحنُ نوضِّحُ ذلكَ في بابينِ :

البابُ الأوَّلُ : في بيانِ إباحةِ السماعِ .

البابُ الثاني : في آدابِ السماعِ ، وآثارِهِ في القلبِ بالوجدِ ، وفي الجوارحِ بالرقصِ والزعقِ وتمزيقِ الثيابِ .

* * *

MUKADDİME

Hamd, Allah'a mahsûstur. O Allah ki, dostlarının gönüllerini muhabbet ateşi ile öyle dağladı, himmet ve rûhlarını O'na mülâkât ile O'nun cemâlini müşâhede ile kendisine öyle bağladı, göz ve basîretlerini kendi cemâlini düşünmeye öyle hasretti ki; vuslat zevki ile hepsi sarhoş, azâmet ve celâlini düşünmekten hepsi hayrân ve mest olup kâinatta Allah'tan başka bir şey göremez oldular. Dünya ve âhirette O'ndan başka bir şey hatırlamaz oldular. Gözlerine bir sûret gözükünce, gönülleri onu yaratana döndü. Kulaklarına bir ses gelince, gönülleri mahbûblarını hatırladı. Kendilerini rahatsız edici, üzücü veya neşelendirip tahrîk edici güzel sesler duydukları zaman şikâyet ve üzüntülerini O'na yapar oldular. Dertlerini O'na arz eder, neşelerini O'ndan bilir, hevesleri O'na, coşmaları O'nun için ve hareketleri O'nun rızâsı etrafında dönmek olur. Başka bir şeye kıymet vermezler, O'ndan duyar ve O'nu dinlerler. Göz ve kulakları başkasına kapanmıştır. İşte Allahu Teâlâ'nın iyi kulları arasından seçip kendisine husûsî dost edindiği kimseler bunlardır.

Salât ve selâm, peygamber olarak gönderdiği Muhammed aleyhisselâma ve Hakk'ın imamları ve koruyucusu olan âline ve ashâbına olsun.

Bundan sonra bilmiş ol ki: Gönüller, sırların hazîneleri ve cevherlerin mâdenleridir. Demir ile taşta, ateşin saklandığı, toprak altında suların gizlendiği gibi, gönüllerde de cevherler gizlidir. Demirin taşa vurması ile ateşin meydana çıkması gibi bu gizli sırları açığa çıkarmak ve bu derinliğe yol bulmak da ancak semâ çakmağını çakmakla mümkündür. İnsana zevk veren âhenkli nâğmeler, gönüllerde saklı olan güzellik veya çirkinlikleri açığa çıkarır. Her bardak içinde olanı gösterdiği gibi, semâ halinde de kişinin içinde ne var ise dışına o çıkar. Semâ (mûsiki) kalbin gerçek mihengi ve konuşan bir ayârıdır. Semâ kalbe ulaşınca, kalpte gâlip olan ne ise onu harekete geçirir. Vaktâ ki gönüller, tabiatleri îcâbı duyduklarına itâat edip, gizlediklerini açığa çıkarır; iyilik veyâ kötülüklerini ortaya koyar oldular. Bu vaziyet karşısında, semâ ve vecdi açıklayarak, onlardaki fayda ve âfetleri, bunlarda müstehab olan âdâb ve heyetleri ve bunlar hakkındaki ulemânın "günâhtır" veyâ "mübâhtır" gibi sözlerini îzah etmemiz farz olmuştur. İşte biz de bunları iki bâbta anlatacağız.

البَابُ الأَوَّلُ
في ذكر اختلاف العلماء في إباحة السماع وكشف الحق فيه

بيان أقاويل العلماء والمتصوفة في تحليله وتحريمه

اعلمْ : أنَّ السماعَ هوَ أوَّلُ الأمرِ ، ويثمرُ السماعُ حالةً في القلبِ تسمَّى الوجدَ ، ويثمرُ الوجدُ تحريكَ الأطرافِ ؛ إمَّا بحركةٍ غيرِ موزونةٍ فتُسمَّى الاضطرابَ ، وإمَّا موزونةٍ فتُسمَّى التصفيقَ والرقصَ .

فلنبدأ بحكمِ السماعِ وهوَ الأوَّلُ ، وننقلُ فيهِ الأقاويلَ المعربةَ عنِ المذاهبِ فيهِ ، ثم نذكرُ الدليلَ علىٰ إباحتِهِ ، ثمَّ نردفُهُ بالجوابِ عمَّا تمسَّكَ بهِ القائلونَ بتحريمِهِ .

فأمَّا نقلُ المذاهبِ :

فقدْ حكى القاضي أبو الطيِّبِ الطبريُّ عنِ الشافعيِّ ومالكٍ وأبي حنيفةَ وسفيانَ وجماعةٍ مِنَ العلماءِ ألفاظاً يُستدلُّ بها علىٰ أنَّهُمْ رأوا تحريمَهُ(١) .

وقالَ : (قالَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ في كتابِ آدابِ القضاءِ : إنَّ الغناءَ لهوٌ مكروهٌ يشبهُ الباطلَ ، ومَنِ استكثرَ منهُ . . فهوَ سفيهٌ تُردُّ شهادتُهُ)(٢) .

---

(١) حكىٰ ذلك أبو الطيب الطبري في رسالته « الرد علىٰ من يحب السماع » (ص٢٧ ـ ٣٢) ، وانظر ما ذكره الحافظ الزبيدي في « الإتحاف » (٦/ ٤٦٢ ـ ٤٦٥) .

(٢) الرد علىٰ من يحب السماع (ص٢٧) ، والأم (٧/ ٥١٨) .

وقالَ القاضي أبو الطيِّبِ : (استماعُهُ مِنَ المرأةِ التي ليسَتْ بمَحْرمٍ لهُ لا يجوزُ عندَ أصحابِ الشافعيِّ رحمهُ اللهُ بحالٍ ، سواءٌ كانَتْ مكشوفةً أوْ مِنْ وراءِ حجابٍ ، وسواءٌ كانَتْ حرَّةً أوْ مملوكةً)⁽¹⁾ .

وقالَ : (قالَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : صاحبُ الجاريةِ إذا جمعَ الناسَ لسماعِها . . فهوَ سفيهٌ تردُّ شهادتُهُ)⁽²⁾ .

وقالَ : (حُكِيَ عنِ الشافعيِّ أنَّهَ كانَ يكرهُ الطقطقةَ بالقضيبِ ، ويقولُ : وضعَتْهُ الزنادقةُ ليشتغلوا بهِ عنِ القرآنِ ، وقالَ الشافعيُّ رحمهُ اللهُ : ويُكرهُ مِنْ جهةِ الخبرِ اللعبُ بالنردِ أكثرَ ممَّا يُكرهُ اللعبُ بشيءٍ مِنَ الملاهي ، ولا أحبُّ اللعبَ بالشِّطرنجِ ، وأكرهُ كلَّ ما لعبَ بهِ الناسُ ؛ لأنَّ اللعبَ ليسَ مِنْ صنعةِ أهلِ الدينِ ولا المروءةِ .

وأمَّا مالكٌ رحمهُ اللهُ . . فقدْ نهىٰ عنِ الغناءِ ، وقالَ : إذا اشترىٰ جاريةً فوجدَها مغنيةً . . كانَ لهُ ردُّها ، وهوَ مذهبُ سائرِ أهلِ المدينةِ إلا إبراهيمَ بنَ سعدٍ وحدَهُ .

وأمَّا أبو حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ . . فإنَّهُ كانَ يكرهُ ذلكَ ، ويجعلُ سماعَ الغناءِ مِنَ الذنوبِ ، وكذلكَ سائرُ أهلِ الكوفةِ ؛ سفيانُ الثوريُّ وحمادٌ ، وإبراهيمُ ، والشعبيُّ ، وغيرُهُمْ) .

---

(١) الرد علىٰ من يحب السماع (ص٢٧) ، وانظر « المهذب » (٢/ ٤١٧) .

(٢) الأم (٧/ ٥١٨) .

فهـٰذا كلُّهُ نقلَهُ القاضي أبو الطيِّبِ الطبريُّ(١) .

ونقلَ أبو طالبٍ المكيُّ إباحةَ السماعِ عنْ جماعةٍ ، فقالَ : (سمعَ مِنَ الصحابةِ : عبدُ اللهِ بنُ جعفرٍ(٢) ، وعبدُ اللهِ بنُ الزبيرِ(٣) ، والمغيرةُ بن شعبةَ(٤) ، ومعاويةُ ، وغيرُهُمْ)(٥) .

وقالَ : (قدْ فعلَ ذلكَ كثيرٌ مِنَ السلفِ الصالحِ ، صحابيٌّ وتابعيٌّ بإحسانٍ)(٦) .

---

(١) أي : في رسالته « الرد علىٰ من يحب السماع » (ص٢٩ ـ ٣١) ، وانظر ما قاله الحافظ الزبيدي في « الإتحاف » (٦/ ٤٥٧) .

(٢) قال عنه ابن عبد البر في « الاستيعاب » (ص٣٨٧) : (كان لا يرىٰ بسماع الغناء بأساً) .

(٣) قال إمام الحرمين الجويني في « نهاية المطلب » (١٩/ ٢٣) : (وقد روى الرواة أن ابن الزبير كانت له جوارٍ عوَّادات ، فدخل عليه ابن عمر وبالقرب منه عود ، فقال له ابن الزبير : يا صاحب رسول الله ؛ ما هـٰذا ؟ فأخذه وتأمله ، فقال : ميزان شامي وأنا ابن عمر) ، قال الحافظ الزبيدي : (وحكىٰ سماع الغناء عنه الشيخ تاج الدين الفزاري وغيره) . « إتحاف » (٦/ ٤٥٩) .

(٤) روى الطبري في « تاريخه » (٥/ ٣٣٦) عن محمد بن عامر قال : (لام معاوية عبد الله بن جعفر على الغناء ، فدخل يوماً علىٰ معاوية ومعه بُديح ، ومعاوية واضع رجلاً علىٰ رجل ، فقال عبد الله لبُديح : إيهاً يا بديح ؛ فتغنَّىٰ ، فحرَّك معاوية رجله ، فقال عبد الله : مه يا أمير المؤمنين ! فقال معاوية : إن الكريم طروب) .

(٥) قوت القلوب (٢/ ٦٢) .

(٦) منهم الفاروق عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمـٰن بن عوف ، وأبو عبيدة ابن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو مسعود البدري ، وعبد الله بن الأرقم ، وأسامة بن زيد ، وحمزة بن عبد المطلب ، وعبد الله بن عمر ، والبراء بن =

وقالَ : (لمْ يزلِ الحجازيونَ عندَنا بمكَّةَ يسمعونَ السماعَ في أفضلِ أيامِ السنةِ ، وهيَ الأيامُ المعدوداتُ التي أمرَ اللهُ عبادَهُ فيها بذكرِهِ ؛ كأيامِ التشريقِ ، ولمْ يزلْ أهلُ المدينةِ مواظبينَ كأهلِ مكَّةَ على السماعِ إلىٰ زمانِنا هـٰذا ، فأدركنا أبا مروانَ القاضيَ ولهُ جوارٍ يسمعنَ الناسَ التلحينَ قدْ أعدَّهُنَّ للصوفيةِ)(١) .

قالَ : (وكانَ لعطاءٍ جاريتانِ تلحنانِ ، فكانَ إخوانُهُ يستمعونَ إليهما)(٢) .

قالَ : (وقيلَ لأبي الحسنِ بنِ سالمٍ : كيفَ تنكرُ السماعَ وقدْ كانَ الجنيدُ وسريٌّ السقطيُّ وذو النونِ يسمعونَ ؟ فقالَ : كيفَ أنكرُ السماعَ وأجازَهُ وسمعَهُ مَنْ هوَ خيرٌ منِّي ، وقدْ كانَ عبدُ اللهِ بنُ جعفرٍ الطيَّارِ يسمعُ ؟! وإنَّما أنكرُ اللهوَ واللعبَ في السماعِ)(٣) .

ورُوِيَ عنْ يحيىٰ بنِ معاذٍ أنَّهُ قالَ : (فقدنا ثلاثةَ أشياءَ ، فما نراها

= مالك ، وعمرو بن العاص ، والنعمان بن بشير ، وحسان بن ثابت ، وخوات بن جبير ، ورباح بن المغترف ، وعبيد الله بن عمر ، وعائشة الصديقة ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، وابن سيرين . انظر « السماع » للحافظ ابن القيسراني (ص٣٧) وما بعدها ، و« الإتحاف » (٦/ ٤٥٩) .

(١) قوت القلوب (٢/ ٦٢) إلىٰ قوله : (كأيام التشريق) ، وأبو مروان القاضي وثقه أبو حاتم كما في « الجرح والتعديل » (٨/ ٢٥) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ٦٢) .

(٣) قوت القلوب (٢/ ٦٢) ، وابن سالم هو شيخ صاحب « القوت » .

ولا أراها تزدادُ إلا قلَّةً : حسنُ الوجهِ معَ الصيانةِ ، وحسنُ القولِ معَ الديانةِ ، وحسنُ الإخاءِ معَ الوفاءِ)(١) .

ورأيتُ في بعضِ الكتبِ هـٰذا محكياً بعينِهِ عنِ الحارثِ المحاسبي(٢) ، وفيه ما يدلُّ علىٰ تجويزِهِ السماعَ معَ زهدِهِ وتصاونِهِ وجدِّهِ في الدينِ وتشميرِهِ .

قالَ : (وكانَ ابنُ مجاهدٍ لا يجيبُ دعوةً إلا أنْ يكونَ فيها سماعٌ)(٣) .

وحكىٰ بعضُهُمْ أنَّهُ قالَ : اجتمعْنا في دعوةٍ ومعَنا أبو القاسمِ ابنُ بنتِ منيعٍ وأبو بكرِ بنُ أبي داوودَ وابنُ مجاهدٍ في نظرائِهِمْ ، فحضرَ سماعٌ ، فجعلَ ابنُ مجاهدٍ يحرِّضُ ابنَ بنتِ منيعٍ على ابنِ أبي داوودَ في أنْ يسمعَ ، فقالَ ابنُ أبي داوودَ : حدَّثني أبي عنْ أحمدَ ابنِ حنبلٍ أنَّهُ كرهَ السماعَ ، وكانَ أبي يكرهُهُ ، وأنا علىٰ مذهبِ أبي ، فقالَ أبو القاسم ابنُ بنتِ منيعٍ : أمَّا جدِّي أحمدُ بنُ منيعٍ . . فحدَّثني عنْ صالحِ بنِ أحمدَ : أنَّ أباهُ كانَ يسمعُ قولَ ابنِ الخبَّازةِ ، فقالَ ابنُ مجاهدٍ لابنِ أبي داوودَ : دعني أنتَ منْ أبيكَ ، وقالَ لابنِ بنتِ منيعٍ : دعني أنتَ مِنْ جدِّكَ ، أيشٍ تقولُ يا أبا بكرٍ فيمَنْ أنشدَ بيتَ شعرٍ ، أهوَ حرامٌ ؟ فقالَ ابنُ أبي داوودَ : لا ، قالَ : فإنْ كانَ حسنَ الصوتِ . . حرُمَ عليهِ إنشادُهُ ؟ قالَ : لا ، قالَ : فإنْ أنشدَهُ وطوَّلَهُ ، وقصَّرَ

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٦٢) .

(٢) رواه عنه القشيري في « الرسالة » (ص٤١١ ، ٥٤٨) .

(٣) انظر « تاريخ بغداد » (٥/ ٣٥٤) .

منهُ الممدودَ ، ومدَّ منهُ المقصورَ . أيحرمُ عليهِ ؟ قالَ : أنا لمْ أقوَ لشيطانٍ واحدٍ ، فكيفَ أقوىٰ لشيطانينِ ؟!(١) .

قالَ : (وكانَ أبو الخيرِ العسقلانيُّ الأسودُ مِنَ الأولياءِ يسمعُ ويولَّهُ عندَ السماعِ ، وصنَّفَ فيهِ كتاباً ردَّ فيهِ علىٰ منكريهِ ، وكذلكَ جماعةٌ منهُمْ صنَّفوا في الردِّ علىٰ منكريهِ)(٢) .

وحكي عنْ بعضِ الشيوخِ أنَّهُ قالَ : رأيتُ أبا العباسِ الخضرَ عليهِ السلامُ ، فقلتُ لهُ : ما تقولُ في هـٰذا السماعِ الذي اختلفَ فيهِ أصحابُنا ؟ فقالَ : هوَ الصافي الزلالُ الذي لا يثبتُ عليهِ إلا أقدامُ العلماءِ(٣) .

وحُكِيَ عنْ مِمْشاذَ الدينوريِّ : أنَّهُ قالَ : رأيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في النومِ ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ هلْ تنكرُ مِنْ هـٰذا السماعِ شيئاً ؟ فقالَ : ما أنكرُ منهُ شيئاً ، ولكنْ قُلْ لهُمْ يفتتحونَ قبلَهُ بالقرآنِ ويختمونَ بعدَهُ بالقرآنِ(٤) .

وحُكِيَ عنْ طاهرِ بنِ بلالٍ الهمدانيِّ الورَّاقِ وكانَ مِنْ أهلِ العلمِ أنَّهُ قالَ :

---

(١) القصة بهـٰذا السياق عند صاحب « القوت » كما نقلها الحافظ الزبيدي في « الإتحاف » (٦/٤٦٨) ، وسماع أحمد لغناء ابن الخبازة رواه الحافظ ابن القيسراني في « السماع » (ص٤٦) عن صالح بن أحمد ابن حنبل .

(٢) نسبه الحافظ الزبيدي لصاحب « القوت » . « الإتحاف » (٦/٤٦٨) .

(٣) قوت القلوب (٢/٦٢) .

(٤) كذا في « القوت » كما ذكر ذلك الحافظ الزبيدي ، وقال : (هكذا أورده صاحب « القوت » وصاحب « الإمتاع » . « إتحاف » (٦/٤٦٨) .

كنتُ معتكفاً في جامعِ جُدَّةَ على البحرِ ، فرأيتُ يوماً طائفةً يقولونَ في جانبٍ منهُ قولاً ويسمعونَ ، فأنكرتُ ذلكَ بقلبي ، وقلتُ : في بيتٍ مِنْ بيوتِ اللهِ تعالىٰ يقولونَ الشعرَ ؟! قالَ : فرأيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ تلكَ الليلةَ وهوَ جالسٌ في تلكَ الناحيةِ ، وإلىٰ جنبِهِ أبو بكرٍ الصديقُ رضيَ اللهُ عنهُ ، وإذا أبو بكرٍ يقولُ شيئاً مِنَ القولِ والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يستمعُ إليهِ ويضعُ يدَهُ علىٰ صدرِهِ كالواجدِ بذلكَ ، فقلتُ في نفسي : ما كانَ ينبغي لي أنْ أنكرَ علىٰ أولئكَ الذينَ كانوا يسمعونَ وهـٰذا رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يسمعُ وأبو بكرٍ يقولُ ، فالتفتَ إليَّ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقالَ : هـٰذا حقٌّ بحقٍّ ، أوْ قالَ : حقٌّ مِنْ حقٍّ ، أنا أشكُّ فيهِ(١) .

وقالَ الجنيدُ : (تنزلُ الرحمةُ علىٰ هـٰذهِ الطائفةِ في ثلاثةِ مواضعَ : عندَ الأكلِ ؛ لأنَّهُمْ لا يأكلونَ إلا عنْ فاقةٍ ، وعندَ المذاكرةِ ؛ لأنَّهُمْ لا يتحاورونَ إلا في مقاماتِ الصديقينَ ، وعندَ السماعِ ؛ لأنَّهُمْ يسمعونَ بوجْدٍ ويشهدونَ حقاً)(٢) .

وعنِ ابنِ جريجٍ أنَّهُ كانَ يرخِّصُ في السماعِ ، فقيلَ لهُ : أيُؤتىٰ بهِ يومَ القيامةِ في جملةِ حسناتِكَ أوْ سيئاتِكَ ؟ فقالَ : لا في الحسناتِ ولا في السيئاتِ ؛ لأنَّهُ شبيهٌ باللغوِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ ﴾ .

---

(١) كذا في « القوت » كما ذكر ذلك الحافظ الزبيدي . « إتحاف » (٦/ ٤٦٩) .

(٢) الرسالة القشيرية (ص٥٤٨) .

هـٰذا ما نُقلَ مِنَ الأقاويلِ ، ومَنْ طلبَ الحقَّ مِنْ التقليدِ ؛ فمهما استقصىٰ . . تعارضَتْ عندَهُ هـٰذهِ الأقاويلُ ، فيبقىٰ متحيِّراً أوْ مائلاً إلىٰ بعضِ الأقاويلِ بالتشهِّي ، وكلُّ ذلكَ قصورٌ ، بلْ ينبغي أنْ يُطلبَ الحقُّ بطريقِهِ ، وذلكَ بالبحثِ عنْ مداركِ الحظرِ والإباحةِ كما سنذكرُهُ .

* * *

بيان الدليل على إباحة السماع

اعلمْ : أنَّ قولَ القائلِ : (السماعُ حرامٌ) معناهُ : أنَّ اللهَ تعالىٰ يعاقبُ عليهِ ، وهـٰذا أمرٌ لا يُعرفُ بمجرَّدِ العقلِ ، بلْ بالسمعِ ، ومعرفةُ الشرعيَّاتِ محصورةٌ في النصِّ ، أوِ القياسِ على المنصوصِ ، وأعني بالنصِّ : ما أظهرَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بقولِهِ أوْ فعلِهِ ، وبالقياسِ : المعنى المفهومَ مِنْ ألفاظِهِ وأفعالِهِ ، فإنْ لمْ يكنْ فيهِ نصٌّ ، ولمْ يستقمْ فيهِ قياسٌ علىٰ منصوصٍ : بطلَ القولُ بتحريمِهِ ، وبقيَ فعلاً لا حرجَ فيهِ كسائرِ المباحاتِ .

ولا يدلُّ علىٰ تحريمِ السماعِ نصٌّ ولا قياسٌ ، ويتضحُ ذلكَ في جوابِنا عنْ أدلَّةِ المائلينَ إلى التحريمِ ، ومهما تمَّ الجوابُ عنْ أدلَّتِهِمْ . . كانَ ذلكَ مسلكاً كافياً في إثباتِ هـٰذا الغرضِ ، لكنْ نستفتحُ ونقولُ : **قدْ دلَّ القياسُ والنصُّ جميعاً علىٰ إباحتِهِ** :

أمَّا القياسُ : فهوَ أنَّ الغناءَ اجتمعَ فيهِ معانٍ ينبغي أنْ يُبحثَ عنْ أفرادِها ، ثمَّ عنْ مجموعِها ، فإنَّ فيهِ سماعَ صوتٍ طيِّبٍ ، موزونٍ ، مفهومِ المعنىٰ ، محرِّكٍ للقلبِ .

فالوصفُ الأعمُّ أنَّهُ صوتٌ طيِّبٌ ، ثمَّ الطيِّبُ ينقسمُ إلى الموزونِ وغيرِهِ ، والموزونُ ينقسمُ إلى المفهومِ كالأشعارِ ، وإلىٰ غيرِ المفهومِ كأصواتِ الجماداتِ وسائرِ الحيواناتِ .

أمَّا سماعُ الصوتِ الطيِّبِ مِنْ حيثُ إنَّهُ طيِّبٌ : فلا ينبغي أنْ يُحرَّمَ ، بلْ هوَ حلالٌ بالنصِّ والقياسِ .

أمَّا القياسُ : فهوَ أنَّهُ يرجعُ إلىٰ تلذُّذِ حاسَّةِ السمعِ بإدراكِ ما هوَ مخصوصٌ بهِ ، وللإنسانِ عقلٌ وخمسُ حواسَّ ، ولكلِّ حاسَّةٍ إدراكٌ ، وفي مدركاتِ تلكَ الحواسِّ ما يُستلذُّ ، فلذَّةُ **البصرِ** في المبصراتِ الجميلةِ ؛ كالخضرةِ والماءِ الجاري والوجهِ الحسنِ ، وبالجملةِ : سائرُ الألوانِ الجميلةِ ، وهيَ في مقابلةِ ما يُكرهُ مِنَ الألوانِ الكدرةِ القبيحةِ ، **وللشمِّ** الروائحُ الطيبةُ ، وهيَ في مقابلةِ الأنتانِ المستكرهةِ ، **وللذوقِ** الطعومُ اللذيذةُ ؛ كالدسومةِ والحلاوةِ والحموضةِ ، وهيَ في مقابلةِ المرارةِ المستبشعةِ ، **وللمسِ** لذَّةُ اللينِ والنعومةِ والملاسةِ ، وهيَ في مقابلةِ الخشونةِ والضراسةِ ، **وللعقلِ** لذَّةُ العلمِ والمعرفةِ ، وهيَ في مقابلةِ الجهلِ والبلادةِ .

فكذلكَ الأصواتُ المدركةُ بالسمعِ تنقسمُ إلىٰ مستلذَّةٍ ؛ كصوتِ العنادلِ والمزاميرِ ، ومستكرهةٍ ؛ كنهيقِ الحميرِ وغيرِهِ ، فما أظهرَ قياسَ هـٰذهِ الحاسَّةِ ولذَّتِها علىٰ سائرِ الحواسِّ ولذَّاتِها !

وأمَّا النصُّ : فيدلُّ علىٰ إباحةِ سماعِ الصوتِ الحسنِ امتنانُ اللهِ تعالىٰ علىٰ عبادِهِ بهِ ؛ إذْ قالَ تباركَ وتعالىٰ : ﴿ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ ، فقيل : هوَ الصوتُ الحسنُ(١) .

---

(١) الدر المنثور (٧/ ٤)، إذ روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن الزهري كذلك .

وفي الحديثِ : « ما بعثَ اللهُ نبيّاً إلا حسنَ الصوتِ »(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « للهُ أشدُّ أذَناً للرجلِ الحسنِ الصوتِ بالقرآنِ مِنْ صاحبِ القينةِ إلىٰ قينتِهِ »(٢) .

وفي الحديثِ في معرضِ المدحِ لداوودَ عليهِ السلامُ : أنَّهُ كانَ حسنَ الصوتِ في النياحةِ علىٰ نفسِهِ ، وفي تلاوةِ الزبورِ ، حتَّىٰ كانَ يجتمعُ الإنسُ والجنُّ والوحشُ والطيرُ لسماعِ صوتِهِ ، وكانَ يُحملُ مِنْ مجلسِهِ أربعُ مئةِ جنازةٍ وما يقربُ منْ ذلكَ في الأوقاتِ(٣) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في مدحِ أبي موسى الأشعريِّ رضيَ اللهُ عنهُ : « لقدْ أُعطيَ مزماراً مِنْ مزاميرِ آلِ داوودَ »(٤) .

وقولُ اللهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ يدلُّ بمفهومِهِ علىٰ مدحِ الصوتِ الحسنِ ، ولو جازَ أنْ يقالَ : إنَّما أُبيحَ ذلكَ بشرطِ أنْ يكونَ في القرآنِ . . للزمَهُ أنْ يُحرِّمَ سماعَ صوتِ العندليبِ ؛ لأنَّهُ ليسَ يقرأُ القرآنَ ، وإذا جازَ سماعُ صوتِ غفْلٍ لا معنىٰ لهُ . . فلِمَ لا يجوزُ سماعُ صوتٍ يُفهمُ منهُ

---

(١) رواه الترمذي في « الشمائل » (٣٢٠) عن قتادة ، وأوقفه أبو بكر الشافعي في « الغيلانيات » (٣٥٠) علىٰ أنس رضي الله عنه ، وانظر « علل الدار قطني » (١٢/ ١٥٩) ، إذ صوَّب أنه من قول قتادة .

(٢) رواه ابن ماجه (١٣٤٠) ، وأصله عند مسلم (٧٩٢) ، والأَذَن : الاستماع .

(٣) كذا في « الرسالة القشيرية » (ص٥٤٦) ، وروى ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/ ٩٩) نحوه .

(٤) رواه البخاري (٥٠٤٨) ، ومسلم (٧٩٣) .

الحكمةُ والمعاني الصحيحةُ ؟! فإنَّ مِنَ الشعرِ لحكمةً .

فهٰذا نظرٌ في الصوتِ مِنْ حيثُ إنَّهُ طيِّبٌ حسنٌ .

* * *

الدرجةُ الثانيةُ : النظرُ في الصوتِ الطيِّبِ الموزونِ : فإنَّ الوزْنَ وراءَ الحُسْنِ ، فكمْ مِنْ صوتٍ حسنٍ خارجٌ عنِ الوزنِ ، وكمْ مِنْ صوتٍ موزونٍ غيرُ مستطابٍ .

والأصواتُ الموزونةُ باعتبارِ مخارجِها ثلاثةٌ : فإنَّها إمَّا أنْ تخرجَ مِنْ جمادٍ ؛ كصوتِ المزاميرِ والأوتارِ وضربِ القضيبِ والطبلِ وغيرِهِ ، وإمَّا أنْ تخرجَ مِنْ حنجرةِ حيوانٍ ، وذلكَ الحيوانُ : إمَّا إنسانٌ وإمَّا غيرُهُ ؛ فصوتُ العنادلِ والقماريِّ وذواتِ السجعِ مِنَ الطيورِ معَ طيبِها موزونةٌ متناسبةُ المطالعِ والمقاطعِ ، فلذلكَ يُستلذُّ سماعُها .

والأصلُ في الأصواتِ حناجرُ الحيواناتِ ، وإنَّما وُضعَتْ المزاميرُ علىٰ صورِ الحناجرِ ، وهوَ تشبيهٌ للصنعةِ بالخلقةِ ، وما مِنْ شيءٍ توصَّلَ أهلُ الصناعاتِ بصناعتِهِمْ إلىٰ تصويرِهِ إلا ولهُ مثالٌ في الخلقةِ التي استأثرَ اللهُ تعالىٰ باختراعِها ، فمنهُ تعلَّمَ الصنَّاعُ ، وبهِ قصدوا الاقتداءَ ، وشرحُ ذلكَ يطولُ .

فسماعُ هٰذهِ الأصواتِ يستحيلُ أنْ يُحرَّمَ لكونِها طيِّبةً أوْ موزونةً ، فلا ذاهبَ إلىٰ تحريمِ سماعِ صوتِ العندليبِ وسائرِ الطيورِ ، ولا فرْقَ بينَ

حَنجرةٍ وحَنجرةٍ ، ولا بينَ جمادٍ وحيوانٍ ، فينبغي أنْ يُقاسَ علىٰ صوتِ العندليبِ الأصواتُ الخارجةُ مِنْ سائرِ الأجسامِ باختيارِ الآدميِّ ؛ كالذي يخرجُ مِنْ حلقِهِ ، أوْ مِنَ القضيبِ والطبلِ والدفِّ وغيرِهِ ، ولا يُستثنىٰ مِنْ هـٰذِهِ إلا الملاهي والأوتارُ والمزاميرُ ؛ إذ وردَ الشرعُ بالمنعِ منها ، لا للذَّتِها ؛ إذْ لوْ كانَ للذَّةِ . . لقيسَ عليها كلُّ ما يلتذُّ بهِ الإنسانُ ، ولكنْ حُرِّمَتِ الخمورُ واقتضَتْ ضراوةُ الناسِ بها المبالغةَ في الفطامِ عنها ، حتَّى انتهى الأمرُ في الابتداءِ إلىٰ كسرِ الدنانِ ، فحرمَ معَها ما هوَ شعارُ أهلِ الشربِ ، وهيَ الأوتارُ والمزاميرُ فقطْ ، وكانَ تحريمُها من قبيلِ الإتْباعِ ؛ كما حرمَتِ الخلوةُ بالأجنبيةِ لأنَّها مقدمةُ الجماعِ ، وحرمَ النظرُ إلى الفخذِ لاتصالِهِ بالسوءتين ، وحرمَ قليلُ الخمرِ وإنْ كانَ لا يسكرُ لأنَّهُ يدعو إلى السكْرِ .

وما مِنْ حرامٍ إلا ولهُ حريمٌ يطيفُ بهِ ، وحكْمُ الحرمةِ ينسحبُ علىٰ حريمِهِ ؛ ليكونَ حمىً للحرامِ ووقايةً لهُ ، وحظاراً مانعاً حولَهُ ، كما قال صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ لكلِّ ملكٍ حمىً ، وإنَّ حمى اللهِ محارمُهُ »⁽¹⁾ ، فهيَ محرَّمةٌ تبعاً لتحريمِ الخمرِ بثلاثِ عللٍ :

إحداها : أنَّها تدعو إلىٰ شربِ الخمرِ ، فإنَّ اللذَّةَ الحاصلةَ بها إنَّما تتمُّ بالخمرِ ، ولمثلِ هـٰذهِ العلَّةِ حرمَ قليلُ الخمرِ .

الثانية : أنَّها في حقِّ قريبِ العهدِ بشربِ الخمرِ تذكِّرُ مجالسَ الأنسِ

---

(١) رواه البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) .

بالشربِ ، فهيَ سببُ الذكرِ ، والذكرُ سببُ انبعاثِ الشوقِ ، وانبعاثُ الشوقِ إذا قويَ . . فهوَ سببُ الإقدامِ ، ولهٰذهِ العلَّةِ نُهِيَ عنِ الانتباذِ في المزفَّتِ والحَنْتَمِ والنقيرِ⁽¹⁾ ، وهيَ الأواني التي كانَتْ مخصوصةً بها بهيئاتِها ، فإنَّ مشاهدةَ صورِها تذكِّرُ بها ، وهٰذهِ العلَّةُ تفارقُ الأولىٰ ، إذْ ليسَ فيها اعتبارُ لذَّةٍ في المذكِّرِ ، إذْ لا لذَّةَ في رؤيةِ القنينةِ وأواني الشربِ ، لكنْ مِنْ حيثُ التذكيرُ بها ، فإنْ كانَ السماعُ يذكِّرُ الشربَ تذكيراً يشوِّقُ إلى الخمرِ عندَ مَنْ ألفَ ذلكَ معَ الشربِ . . فهوَ منهيٌّ عنِ السماعِ لخصوصِ هٰذهِ العلَّةِ فيهِ .

الثالثة : الاجتماعُ عليها لمَّا أنْ صارَ مِنْ عادةِ أهلِ الفسقِ ، فيُمنعُ مِنَ التشبُّهِ بهمْ ؛ لأنَّ مَنْ تشبَّهَ بقومٍ . . فهوَ منهُمْ ، وبهٰذهِ العلَّةِ نقولُ بتركِ السنَّةِ مهما صارَتْ شعاراً لأهلِ البدعةِ ؛ خوفاً مِنَ التشبُّهِ بهِمْ ، وبهٰذهِ العلَّةِ يحرمُ ضربُ الكوبةِ ، وهوَ طبلٌ مستطيلٌ دقيقُ الوسطِ واسعُ الطرفينِ ، وضربُها عادةُ المخنَّثينَ ، ولولا ما فيهِ مِنَ التشبُّهِ . . لكانَ مثلَ طبلِ الحجِّ والغزوِ .

وبهٰذهِ العلَّةِ نقولُ : لوِ اجتمعَ جماعةٌ ، وزيَّنوا مجلساً ، وأحضروا آلاتِ الشربِ وأقداحَهُ ، وصبُّوا فيها السكنجبينَ⁽²⁾ ، ونصَّبوا ساقياً يدورُ

---

(1) كما في « البخاري » (٥٣) ، ومسلم (١٧) ، والنهي منه صلى الله عليه وسلم كان لوفد عبد القيس ، **والمزفَّت** : الإناء المطلي بالزفت ، **والحنتم** : جرار يجلب فيها الخمر ، تسرع الشدة فيها ، **والنقير** : خشبة تنقر وتجوَّف تتخذ في الانتباذ .

(2) **السكنجبين** : المعمول بالخلِّ والعسل ، أو صبوا فيها اللبن الممزوج بالسكر . « إتحاف » (٦/ ٤٧٤) .

عليهِمْ ويسقيهِمْ ، فيأخذونَ مِنَ الساقي ويشربونَ ، ويحيّي بعضُهُم بعضاً بكلماتِهِمُ المعتادةِ بينَهُمْ . . حرمَ ذلكَ عليهِمْ وإنْ كانَ المشروبُ مباحاً في نفسِهِ ؛ لأنَّ فيهِ تشبُّهاً بأهلِ الفسادِ ، بلْ لهٰذا يُنهىٰ عنْ لبسِ القَباءِ وعنْ تركِ الشعرِ على الرأسِ قزعاً في بلادٍ صارَ القَباءُ فيها مِنْ لباسِ أهلِ الفسادِ ، ولا يُنهىٰ عنْ ذلكَ فيما وراءَ النهرِ ؛ لاعتيادِ أهلِ الصلاحِ ذلكَ فيهِمْ .

فبهٰذِهِ المعاني حرمَ المزمارُ العراقيُّ والأوتارُ كلُّها ؛ كالعودِ والصنْجِ والربابِ والبَرْبَطِ وغيرِها(١) ، وما عدا ذلكَ فليسَ في معناها ؛ كشاهينِ الرعاةِ والحجيجِ(٢) ، وشاهينِ الطبَّالينَ ، وكالطبلِ والقضيبِ ، وكلِّ آلةٍ يُستخرجُ منها صوتٌ مستطابٌ موزونٌ سوىٰ ما يعتادُهُ أهلُ الشربِ ؛ لأنَّ كلَّ ذلكَ لا يتعلَّقُ بالخمرِ ، ولا يذكِّرُ بها ، ولا يشوِّقُ إليها ، ولا يوجبُ التشبُّهَ بأربابِها . . فلمْ يكنْ في معناها ، فبقيَ علىٰ أصلِ الإباحةِ ؛ قياساً علىٰ أصواتِ الطيورِ وغيرِها .

بلْ أقولُ : سماعُ الأوتارِ ممَّنْ يضربُ بها علىٰ غيرِ وزنٍ متناسبٍ مستلَذٍّ

---

(١) **العُود** : آلة وترية معروفة ، **والصنج** : تقدم أنها آلة الرباب ، وأنها لفظة فارسية على اعتبار ذلك ، أو هي ما يتخذ من الصفر كالنحاس يضرب أحدهما على الآخر ، **والرباب** : آلة وترية كذلك ، **والبربط** : بوزان جعفر ، وهو العود ، وعطف المصنف له على العود مشعر بالتغاير ، وسقط لفظ (العود) من (أ) ، وعليه فلا إشكال ، وهو لفظة فارسية بفتحتين أوّله يطلق على القيثارة والعود ونحوها .

(٢) **والشاهين** : الصرناي ، وهو قصبة متسع آخرها يزمَّر بها ، ونحوه الشبابة والناي أو اليراع .

حرامٌ أيضاً ، وبهـٰذا يتبيَّنُ أنَّهُ ليستِ العلَّةُ في تحريمِها مجرَّدَ اللذَّةِ والطيبةِ[1] ، بلِ القياسُ تحليلُ الطيِّباتِ كلِّها إلا ما في تحليلِهِ فسادٌ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ ، فهـٰذهِ الأصواتُ لا تحرمُ مِنْ حيثُ إنَّها أصواتٌ موزونةٌ ، وإنَّما تحرمُ بعارضٍ آخرَ كما سيأتي بيانُ العوارضِ المحرِّمةِ .

* * *

الدرجةُ الثالثةُ : الموزونُ المفهومُ : وهوَ الشعرُ ، وذلكَ لا يخرجُ إلا مِنْ حَنجرةِ الإنسانِ ، فيُقطعُ بإباحةِ ذلكَ ؛ لأنَّهُ ما زادَ إلا كونُهُ مفهوماً ، والكلامُ المفهومُ غيرُ حرامٍ ، والصوتُ الطيِّبُ الموزونُ غيرُ حرامٍ ، فإذا لمْ يحرمِ الآحادُ . . فمِنْ أينَ يحرمُ المجموعُ ؟!

نعمْ ، يُنظرُ فيما يُفهمُ منهُ ، فإنْ كانَ فيهِ أمرٌ محظورٌ . . حرمَ نثرُهُ ونظمُهُ ، وحرمَ التصويتُ بهِ ، سواءٌ كانَ بألحانٍ أوْ لمْ يكنْ .

والحقُّ فيهِ ما قالَهُ الشافعيُّ رحمَهُ اللهُ ؛ إذْ قالَ : (الشعرُ كلامٌ ، فحسنُهُ حسنٌ ، وقبيحُهُ قبيحٌ)[2] ، ومهما جازَ إنشادُ الشعرِ بغيرِ صوتٍ وألحانٍ . . جازَ إنشادُهُ معَ الألحانِ ، فإنَّ أفرادَ المباحاتِ إذا اجتمعَتْ . . كانَ ذلكَ

---

[1] في نسخة الحافظ الزبيدي : (اللذة الطيبة) بسقوط الواو . « إتحاف » (٦/ ٤٧٥) .

[2] الأم (٧/ ٥١٣) ، ورفعه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٥/ ٦٨) ، وروىٰ عبد الرزاق في « المصنف » (١١/ ٥) عن عمران بن الحصين : (إن الشعر كلام ، وإن من الكلام حقاً وباطلاً) .

المجموعُ مباحاً ، ومهما انضمَّ مباحٌ إلىٰ مباحٍ . . لم يحرمْ إلا إذا تضمَّنَ المجموعُ محظوراً لا تتضمَّنُهُ الآحادُ ، ولا محظورَ هـٰهنا .

وكيفَ يُنكرُ إنشادُ الشعرِ وقدْ أُنشدَ بينَ يدي رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؟!(١) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إنَّ مِنَ الشعرِ لحكمةً »(٢) .

وأنشدَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : [من الكامل]

ذَهَبَ ٱلَّذِينَ يُعاشُ فِي أَكْنافِهِمْ وَبَقِيتُ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ ٱلأَجْرَبِ(٣)

وفي « الصحيحينِ » عنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها أنَّها قالَتْ : لمَّا قدمَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ المدينةَ . . وُعِكَ أبو بكرٍ وبلالٌ رضيَ اللهُ عنهُما ، وكانَ بها وباءٌ ، فقلتُ : يا أبتِ ؛ كيفَ تجدُكَ ؟ ويا بلالُ ؛ كيفَ

---

(١) فقد روى البخاري (٣٢١٢) ، ومسلم (٢٤٨٥) : مرَّ عمر في المسجد وحسان ينشد ، فقال : كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك ، ثم التفت إلىٰ أبي هريرة فقال : أنشدك بالله ؛ أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أجب عني ، اللهم ؛ أيده بروح القدس » ؟! قال : نعم .

(٢) رواه البخاري (٦١٤٥) .

(٣) البيت للبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه في « ديوانه » (ص ١٥٧) ، وقد تمثلت به السيدة الطاهرة عائشة رضي الله عنها كما روىٰ ذلك عبد الرزاق في « المصنف » (١١/ ٢٤٦) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٥٨٢) ، ورواه مسلسلاً بالترحم الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٦/ ٤٧٧) .

تجدُكَ ، فكانَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ إذا أخذَتْهُ الحمَّىٰ . . يقولُ(١) : [من الرجز]

كُـلُّ ٱمْـرِىءٍ مُصَبَّـحٌ فِـي أَهْلِـهِ ... وَٱلْمَوْتُ أَدْنَىٰ مِنْ شِراكِ نَعْلِهِ

وكانَ بلالٌ إذا أُقْلِعَ عنهُ الحمىٰ يرفعُ عقيرتَهُ ويقولُ(٢) : [من الطويل]

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِـوادٍ وَحَـوْلِـي إِذْخِـرٌ وَجَلِيـلُ
وَهَـلْ أَرِدَنْ يَـوْمـاً مِيـاهَ مَجَنَّـةٍ ... وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شامَةٌ وَطَفِيلُ

قالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : فأخبرتُ بذلكَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : « اللهمَّ ؛ حبِّبْ إلينا المدينةَ كحبِّنا مكَّةَ أو أشدَّ »(٣) .

وقدْ كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ينقلُ اللَّبِنَ معَ القومِ في بناءِ المسجدِ وهوَ يقولُ :

هَـٰذا ٱلْحِمـالُ لا حِمـالُ خَيْبَرْ ... هَـٰـذا أَبَـرُّ رَبَّنـا وَأَطْهَـرْ(٤)

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مرةً أخرىٰ :

اللَّهُمَّ إِنَّ ٱلْعَيْشَ عَيْشُ ٱلآخِرَةْ ... فَـٱرْحَـمِ الأَنْصَـارَ وٱلْمُهـاجِـرَةْ

وهـٰذا في « الصحيحين »(٥) .

---

(١) البيت في « ديوان سيدنا أبي بكر » (ص ٧٠) .

(٢) البيتان في « التعازي والمراثي » (ص ٢٦٧) .

(٣) روىٰ ذلك البخاري (١٨٨٩) ، ومسلم (١٣٧٦) ، والشعر عند البخاري فقط ، **والإذخر والجليل** : نبتان ، **وشامة وطفيل** : جبلان .

(٤) رواه البخاري (٣٩٠٦) .

(٥) رواه البخاري (٢٨٣٤) ، ومسلم (١٨٠٥) ، وكان ذلك في قصة حفر الخندق ، وفي البيت خزم ، وهو زيادة بعض حروف المعاني في أوله ، وعجزه روي مختلفاً فيه .

وكانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يضعُ لحسانَ منبراً في المسجدِ يقومُ عليهِ قائماً يفاخرُ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أوْ ينافحُ ، ويقولُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ اللهَ يؤيِّدُ حسانَ بروحِ القُدُسِ ما نافحَ أوْ فاخرَ عنْ رسولِ اللهِ » صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ(١) .

ولمَّا أنشدَهُ النابغةُ شعرَهُ . . قالَ لهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا يَفْضُضِ اللهُ فاكَ »(٢) .

وقالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يتناشدونَ عندَهُ الأشعارَ وهوَ يتبسَّمُ)(٣) .

وعنْ عمرِو بنِ الشريدِ ، عنْ أبيهِ قالَ : أنشدتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مئةَ قافيةٍ مِنْ قولِ أميَّةَ بنِ أبي الصلتِ ، كلُّ ذلكَ يقولُ : « هيهِ هيهِ » ، ثمَّ قالَ : « إنْ كادَ في شعرِهِ ليسلمُ »(٤) .

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٤٦) ، وعند البخاري (٣٥٣١) ، ومسلم (٢٤٨٧) قول السيدة عائشة رضي الله عنها : (إنه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

(٢) رواه أبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٢٣١٨/٤) ، وابن عبد البر في « الاستيعاب » (ص ٧٣٧)، وتقدم قريباً تعليقاً قوله صلى الله عليه وسلم مثل هـٰذا للعباس رضي الله عنه .

(٣) رواه الترمذي (٢٨٥٠) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : (جالست النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مئة مرة ، فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت ، فربما تبسم معهم) ، قال الحافظ العراقي : (ولم أقف عليه من حديث عائشة) . « إتحاف » (٤٨٢/٦) .

(٤) رواه مسلم (٢٢٥٥) ، وقوله : (هيه) بمعنىٰ : زدني ، ويجوز في هائها الأخيرة السكون والفتح والتنوين نصباً وجراً .

وعنْ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يُحدىٰ لهُ في السفرِ ، وأنَّ أنجشةَ كانَ يحدو بالنساءِ ، والبراءَ بنَ مالكٍ كانَ يحدو بالرجالِ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «يا أنجشةُ؛ رويدَكَ سوقَكَ بالقواريرِ»[1] .

ولمْ يزلِ الحُداءُ وراءَ الجمالِ مِنْ عادةِ العربِ في زمانِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وزمانِ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم ، وما هوَ إلا أشعارٌ تؤدَّىٰ بأصواتٍ طيِّبةٍ وألحانٍ موزونةٍ ، ولمْ يُنقلْ عنْ أحدٍ مِنَ الصحابةِ إنكارُهُ ، بلْ ربَّما كانوا يلتمسونَ ذلكَ تارةً لتحريكِ الجمالِ ، وتارةً للاستلذاذِ ، فلا يجوزُ أنْ يحرمَ مِنْ حيثُ إنَّهُ كلامٌ مفهومٌ مستلذٌّ ، مؤدّىً بأصواتٍ طيِّبةٍ وألحانٍ موزونةٍ .

* * *

الدرجةُ الرابعةُ : النظرُ فيهِ مِنْ حيثُ إنَّهُ محرِّكٌ للقلبِ ومهيِّجٌ لما هوَ الغالبُ عليهِ :

فأقولُ : للهِ تعالىٰ سرٌّ في مناسبةِ النغماتِ الموزونةِ للأرواحِ ، حتَّىٰ إنَّها لتؤثِّرُ فيها تأثيراً عجيباً ، فمِنَ الأصواتِ ما يفرحُ ، ومنها ما يحزنُ ، ومنها ما ينوِّمُ ، ومنها ما يضحكُ ويطربُ ، ومنها ما يستخرجُ مِنَ الأعضاءِ حركاتٍ علىٰ وزنِها باليدِ والرجْلِ والرأسِ .

---

(١) رواه أبو داوود الطيالسي في « مسنده » (٢٠٤٨) ، وأحمد في « المسند » (٣/ ٢٥٤) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (١٢٦٤) ، وهو عند البخاري (٦١٤٩) ، ومسلم (٢٣٢٣) في قصة أنجشة فقط .

ولا ينبغي أن يُظنَّ أنَّ ذلكَ لفهمِ معاني الشعرِ ، بلْ هٰذا جارٍ في الأوتارِ ، حتىٰ قيلَ : (مَنْ لمْ يحرِّكْهُ الربيعُ وأزهارُهُ ، والعودُ وأوتارُهُ . . فهوَ فاسدُ المزاجِ ، ليسَ لهُ علاجٌ) .

وكيفَ يكونُ ذلكَ لفهمِ المعنىٰ وتأثيرُهُ مشاهدٌ في الصبيِّ في مهدِهِ ؟! فإنَّهُ يسكِّنُهُ الصوتُ الطيِّبُ عنْ بكائِهِ ، وتنصرفُ نفسُهُ عمَّا يبكيهِ إلى الإصغاءِ إليهِ ، والجملُ معَ بلادةِ طبعِهِ يتأثَّرُ بالحُداءِ تأثُّراً يستخفُّ معَهُ الأحمالَ الثقيلةَ ، ويستقصرُ لقوَّةِ نشاطِهِ في سماعِهِ المسافاتِ الطويلةَ ، وينبعثُ فيهِ مِنَ النشاطِ ما يسكرُهُ ويولِّهُهُ ، فتراها إذا طالَتْ عليها البوادي ، واعتراها الإعياءُ والكلالُ تحتَ الأحمالِ والمحاملِ ، إذا سمعَتْ مناديَ الحُداءِ . . تمدُّ أعناقَها ، وتصغي إلى الحادي ناصبةً آذانَها ، وتسرعُ في سيرِها حتَّىٰ تتزعزعَ عليها أحمالُها ومحاملُها(١) .

---

(١) ذكر في « أدب النديم » (ص ٩٦) أنه كتب إلىٰ بعض من كان يزهد في السماع أبياتاً ، وفيها صوّر ما حدَّث عنه إمامنا الغزالي هنا إذ قال :

إنْ كنتَ تنكرُ أنَّ في الـ ... ألحانِ فائدةً ونفعا
فانظرْ إلى الإبلِ التي ... هيَ وَيْكَ أغلظُ منكَ طبعا
تصغي لأصواتِ الحُدا ... ةِ فتقطعِ الفلواتِ قطعا
ومنَ العجائبِ أنَّهمْ ... يُظْمُونَها خمساً وربعا
فإذا تورَّدتِ الحِيا ... ضَ وشارفتْ في الماءِ كرعا
وتشوَّفتْ للصوتِ من ... حادٍ تصيخُ إليهِ سمعا
ذهلتْ عنِ الماءِ الذي ... تلتذُّه برداً ونفعا
شوقاً إلى النغمِ التي ... أطربْنَها لحناً وسمعا

وربما تتلفُ أنفسَها في شدَّةِ السيرِ وثقلِ الحملِ ، وهيَ لا تشعرُ بهِ لنشاطِها ؛ فقدْ حكىٰ أبو بكرٍ محمدُ بنُ داوودَ الدينوريُّ المعروفُ بالدُّقيِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : كنتُ بالباديةِ ، فوافيتُ قبيلةً مِنْ قبائلِ العربِ ، فأضافني رجلٌ منهم ، وأدخلَني خباءهُ ، فرأيتُ في الخباءِ عبداً أسودَ مقيداً بقيدٍ ، ورأيتُ جِمالاً قدْ ماتَتْ بينَ يدي البيتِ وقدْ بقيَ منها جملٌ وهوَ ناحلٌ ذابلٌ ، كأنَّهُ تُنزعُ روحُهُ ، فقالَ لي الغلامُ : أنتَ ضيفٌ ، ولكَ حقٌّ ، فتشفَّعْ فيَّ إلىٰ مولايَ ؛ فإنَّهُ مكرمٌ لضيفِهِ ، فلا يردُّ شفاعتكَ في هـٰذا القدرِ ، فعساهُ يحلُّ القيدَ عنِّي ، قالَ : فلمَّا أحضروا الطعامَ . . امتنعتُ ، وقلتُ : لا آكلُ ما لمْ أشفعْ في هـٰذا العبدِ ، فقالَ : إنَّ هـٰذا الغلامَ قدْ أفقرَني وأهلكَ جميعَ مالي ، فقلتُ : ماذا فعلَ ؟ فقالَ : إنَّ لهُ صوتاً طيِّباً ، وإنِّي كنتُ أعيشُ مِنْ ظهورِ هـٰذهِ الجمالِ ، فحمَّلَها أحمالاً ثقالاً ، وكانَ يحدو بها حتَّىٰ قطعَتْ مسيرةَ ثلاثةِ أيَّامٍ في ليلةٍ واحدةٍ مِنْ طيبِ نغمتِهِ ، فلمَّا حطَّتْ أحمالَها . . ماتَتْ كلُّها إلا هـٰذا الجملَ الواحدَ ، ولكنْ أنتَ ضيفي ، فلكرامتِكَ قدْ وهبتُهُ لكَ .

قالَ : فأحببتُ أنْ أسمعَ صوتَهُ ، فلمَّا أصبحنا . . أمرَهُ أنْ يحدوَ علىٰ جملٍ يستقي الماءَ مِنْ بئرٍ هناكَ ، فلمَّا رفعَ صوتَهُ . . هامَ ذلكَ الجملُ وقطعَ حبالَهُ ، ووقعتُ أنا علىٰ وجهي ، فما أظنُّ أني سمعتُ قطُّ صوتاً أطيبَ منهُ (١) .

* * *

---

(١) رواه الطوسي في « اللمع » (ص٣٤٠) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٤٧) .

فإذاً ؛ تأثيرُ السماعِ في القلبِ محسوسٌ ، ومَنْ لمْ يحركْهُ السماعُ . . فهوَ ناقصٌ مائلٌ عنِ الاعتدالِ، بعيدٌ عنِ الروحانيّةِ، زائدٌ في غلظِ الطبعِ وكثافتِهِ على الجمالِ والطيورِ، بلْ علىٰ سائرِ البهائمِ ، فإنَّ جميعَها تتأثَّرُ بالنغماتِ الموزونةِ، ولذلكَ كانَتِ الطيورُ تقفُ علىٰ رأسِ داوودَ عليهِ السلامُ لاستماعِ صوتِهِ .

ومهما كانَ النظرُ في السماعِ باعتبارِ تأثيرِهِ في القلوبِ . . لمْ يجزْ أنْ يحكمَ فيهِ مطلقاً بإباحةٍ ولا تحريمٍ ، بلْ يختلفُ ذلكَ بالأحوالِ والأشخاصِ ، واختلافِ طرقِ النغماتِ ، فحكمُهُ حكمُ ما في القلبِ[1] .

قالَ أبو سليمانَ : (السماعُ لا يجعلُ في القلبِ ما ليسَ فيهِ ، ولكنْ يحرِّكُ ما هوَ فيهِ)[2] .

* * *

فالترنُّمُ بالكلماتِ المسجعةِ الموزونةِ معتادٌ في مواضعَ لأغراضٍ مخصوصةٍ ترتبطُ بها آثارٌ في القلبِ ، وهي سبعةُ مواضعَ :

الأوَّلُ : غناءُ الحجيجِ : فإنَّهُمْ يدورونَ أوَّلاً في البلادِ بالطبلِ والشاهينِ والغناءِ ، وذلكَ مباحٌ ؛ لأنَّها أشعارٌ نُظمَتْ في وصفِ الكعبةِ والمقامِ والحطيمِ وزمزمَ وسائرِ المشاعرِ ، ووصفِ الباديةِ وغيرِها ، وتأثيرُ ذلكَ

---

(١) فالمنكر له من غير تفصيل . . إما مغتر بما أتيح له من أعمال الأخيار ، وإما جامد الطبع لا ذوق له فيصرُّ على الإنكار . « إتحاف » (٦/ ٤٨٦) .

(٢) الرسالة القشيرية (ص٥٥٧) ولفظه : إن الصوت الحسن لا يدخل في القلب شيئاً ، وإنما يحرك من القلب ما فيه . قال ابن أبي الحواري : صدق والله أبو سليمان .

تهييجُ الشوقِ إلىٰ حجِّ بيتِ اللهِ تعالىٰ ، واشتعالُ نيرانِهِ إنْ كانَ ثمَّ شوقٌ حاصلٌ ، أوِ استثارةُ الشوقِ واجتلابُهُ إنْ لمْ يكنْ حاصلاً ، وإذا كانَ الحجُّ قربةً والشوقُ إليه محموداً . . كانَ التشويقُ إليهِ بكلِّ ما يشوِّقُ محموداً ، وكما يجوزُ للواعظِ أنْ ينظمَ كلامَهُ في الوعظِ ، ويزيِّنَهُ بالسجعِ ، ويشوِّقَ الناسَ إلى الحجِّ بوصفِ البيتِ والمشاعرِ ، ووصفِ الثوابِ عليهِ . . جازَ لغيرِهِ ذلكَ علىٰ نظمِ الشعرِ ؛ فإنَّ الوزنَ إذا انضافَ إلى السجعِ . . صارَ الكلامُ أوقعَ في القلبِ ، فإذا أُضيفَ إليهِ صوتٌ طيِّبٌ ونغماتٌ موزونةٌ . . زادَ وقعُهُ ، فإنْ أُضيفَ إليهِ الطبلُ والشاهينُ وحركاتُ الإيقاعِ . . زادَ التأثيرُ ، وكلُّ ذلكَ جائزٌ ما لمْ يدخلْ فيهِ المزاميرُ والأوتارُ التي هيَ منْ شعارِ الأشرارِ .

نعمْ ، إنْ قصدَ بهِ تشويقَ مَنْ لا يجوزُ لهُ الخروجُ إلى الحجِّ ؛ كالذي أسقطَ الفرضَ عنْ نفسِهِ ولمْ يأذنْ لهُ أبواهُ في الخروجِ . . فهٰذا يحرمُ عليهِ الخروجُ ؛ فيحرمُ تشويقُهُ إلى الخروجِ بالسماعِ وبكلِّ كلامٍ يشوِّقُ إلى الخروجِ ؛ فإنَّ التشويقَ إلى الحرامِ حرامٌ ، وكذا إذا كانَتِ الطريقُ غيرَ آمنةٍ ، وكانَ الهلاكُ غالباً . . لمْ يجزْ تحريكُ القلوبِ ومعالجتُها بالتشويقِ .

* * *

الثاني : ما يعتادُهُ الغزاةُ لتحريضِ الناسِ على الغزوِ : وذلكَ أيضاً مباحٌ كما للحاجِّ ، ولكنْ ينبغي أنْ تخالفَ أشعارُهُمْ وطرقُ ألحانِهِمْ أشعارَ الحاجِّ وطرقَ ألحانِهِ؛ لأنَّ استثارةَ داعيةِ الغزوِ بالتشجيعِ ، وتحريكِ الغيظِ والغضبِ فيهِ على الكفارِ ، وتحسينِ الشجاعةِ واستحقارِ النفسِ والمالِ بالإضافةِ إليهِ .

والأشعارُ المشجعةُ مثلُ قولِ المتنبِّي(١) : [من الطويل]

وَإِلاَّ تَمُتْ تَحْتَ السيوفِ مُكَرَّماً تَمُتْ وَتُقاسِ ٱلذُّلَّ غَيْرَ مُكَرَّمِ

وقولِهِ أيضاً(٢) : [من الوافر]

يَـرَى ٱلْجُبَنـاءُ أَنَّ ٱلْجُبْـنَ حَـزْمٌ وَتِلْـكَ خَـدِيعَـةُ ٱلطَّبْـعِ ٱللَّئِيـمِ

وأمثالُ ذلكَ ، وطرقُ الأوزانِ المشجعةِ تخالفُ الطرقَ المشوقةَ ، فهٰذا أيضاً مباحٌ في وقتٍ يُباحُ فيهِ الغزوُ ، ومندوبٌ إليهِ في وقتٍ يُستحبُّ فيهِ الغزوُ ، ولكنْ في حقِّ مَنْ يجوزُ لهُ الخروجُ إلى الغزوِ .

* * *

الثالثُ : الرجزياتُ التي يستعملُها الشجعانُ في وقتِ اللقاءِ : والغرضُ منها التشجيعُ للنفسِ وللأنصارِ ، وتحريكُ النشاطِ فيهِمْ للقتالِ(٣) ، وفيهِ التمدُّحُ بالشجاعةِ والنجدةِ ، وذلكَ إذا كانَ بلفظٍ رشيقٍ وصوتٍ طيِّبٍ . . كانَ أوقعَ في النفسِ ، **وذلكَ مباحٌ** في كلِّ قتالٍ مباحٍ ، **ومندوبٌ** في كلِّ قتالٍ مندوبٍ ، **ومحظورٌ** في قتالِ المسلمينَ وأهلِ الذمَّةِ وكلِّ قتالٍ محظورٍ ؛ لأنَّ تحريكَ الدواعي إلى المحظورِ محظورٌ .

وذلكَ منقولٌ عنْ شجعانِ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُمْ ؛ كعليٍّ وخالدٍ

---

(١) ديوانه بشرح العكبري (٤/ ٣٣) .

(٢) كذا في « ديوانه بشرح العكبري » (٤/ ١٢٠) ، وفيه : (العجز) بدل (الجبن) .

(٣) في النسخ : (فيه للقتال) ، والمثبت من (ق) ، ولعله الصواب ، والله أعلم .

رضيَ اللهُ عنهُما وغيرِهما ، ولذلكَ نقولُ : ينبغي أنْ يُمنعَ مِنَ الضربِ بالشاهينِ في معسكرِ الغزاةِ ؛ فإنَّ صوتَهُ مرقِّقٌ محزنٌ يحلُّ عقدةَ الشجاعةِ ، ويضعفُ ضرامةَ النفسِ⁽¹⁾ ، ويشوِّقُ إلى الأهلِ والوطنِ ، ويورثُ الفتورَ في القتالِ ، وكذا سائرُ الأصواتِ والألحانِ المرققةِ للقلبِ ، فالألحانُ المرققةُ المحزنةُ تباينُ الألحانَ المحرِّكةَ المشجِّعةَ ، فمَنْ فعلَ ذلكَ علىٰ قصدِ تغييرِ القلوبِ وتفتيرِ الآراءِ عنِ القتالِ الواجبِ . . فهوَ عاصٍ ، ومَنْ فعلَهُ علىٰ قصدِ التفتيرِ عنِ القتالِ المحظورِ . . فهوَ بهِ مطيعٌ .

* * *

الرابعُ : أصواتُ النياحةِ ونغماتُها : وتأثيرُها في تهييجِ الحزنِ والبكاءِ وملازمةِ الكآبةِ ، **والحزنُ قسمانِ : محمودٌ ، ومذمومٌ** :

فأما المذمومُ : فكالحزنِ علىٰ ما فاتَ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ ، والحزنُ على الأمواتِ مِنْ هـٰذا القبيلِ ؛ فإنَّهُ تسخُّطٌ لقضاءِ اللهِ تعالىٰ ، وتأسُّفٌ علىٰ ما لا تداركَ لهُ ، فهـٰذا الحزنُ لمَّا كانَ مذموماً . . كانَ تحريكُهُ بالنياحةِ مذموماً ، فلذلكَ وردَ النهيُ الصريحُ في النياحةِ⁽²⁾ .

---

(١) في (ب ، د ، هـ) : (صرامة النفس) ، وكلٌّ متجه .

(٢) فقد روى البخاري (١٣٠٦) ، ومسلم (٩٣٦) عن أم عطية رضي الله عنها : (أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع البيعة ألا ننوح) .

وأمَّا الحزنُ المحمودُ : فهوَ حزنُ الإنسانِ علىٰ تقصيرِهِ في أمرِ دينِهِ ، وبكاؤُهُ علىٰ خطاياهُ ، والبكاءُ والتباكي والحزنُ والتحازنُ علىٰ ذلكَ محمودٌ ، وعليهِ بكىٰ آدمُ عليهِ السلامُ ، وتحريكُ هـٰذا الحزنِ وتقويتُهُ محمودٌ ؛ لأنَّهُ يبعثُ على التشمُّرِ للتداركِ ، ولذلكَ كانَتْ نياحةُ داوودَ عليهِ السلامُ محمودةً ؛ إذْ كانَ ذلكَ معَ دوامِ الحزنِ وطولِ البكاءِ بسببِ الخطايا والذنوبِ ، فقدْ كانَ عليهِ السلامُ يَحزنُ ويُحزنُ ويبكي ويُبكي ، حتَّىٰ كانَتِ الجنائزُ تُرفعُ مِنْ مجالسِ نياحتِهِ ، وكانَ يفعلُ ذلكَ بألفاظِهِ وألحانِهِ ، **وذلك محمودٌ** ؛ لأنَّ المفضيَ إلى المحمودِ محمودٌ ، وعلىٰ هـٰذا لا يحرمُ على الواعظِ الطيِّبِ الصوتِ أنْ ينشدَ على المنبرِ بألحانِهِ الأشعارَ المحزنةَ المرقِّقَةَ للقلبِ ، ولا أنْ يبكيَ ويتباكىٰ ليتوصَّلَ بهِ إلىٰ تبكيةِ غيرِهِ وإثارةِ حزنِه .

* * *

الخامسُ : السماعُ في أوقاتِ السرورِ تأكيداً للسرورِ وتهييجاً لهُ : وهوَ مباحٌ إنْ كانَ ذلكَ السرورُ مباحاً ؛ كالغناءِ في أيامِ العيدِ ، وفي العرسِ ، وفي وقتِ قدومِ الغائبِ ، وفي وقتِ الوليمةِ والعقيقةِ ، وعندَ ولادةِ المولودِ ، وعندَ ختانِهِ ، وعندَ حفظِهِ للقرآنِ العزيزِ ، وكلُّ ذلكَ مباحٌ لأجلِ إظهارِ السرورِ بهِ .

ووجهُ جوازِهِ : أنَّ مِنَ الألحانِ ما يثيرُ الفرحَ والسرورَ والطربَ ، فكلُّ ما جازَ السرورُ بهِ . جازَ إثارةُ السرورِ فيهِ ، ويدلُّ علىٰ هـٰذا مِنَ النقلِ إنشادُ

النساءِ على السطوحِ بالدفِّ والألحانِ عندَ قدومِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : [من مجزوء الرمل]

طَلَــعَ ٱلْبَــدْرُ عَلَيْنــا مِــنْ ثَنِيَّــاتِ ٱلْــوَداعِ
وَجَــبَ ٱلشُّكْــرُ عَلَيْنــا مــا دَعــا للهِ داعِ[1]

---

(١) استقباله صلى الله عليه وسلم بالفرح والسرور ، وخروجهم في الطرقات ، واعتلاؤهم السطوح للنظر إليه صلى الله عليه وسلم ، والغناء والرقص وضرب الدف له من قبل الجواري في أزقة المدينة . . مما ثبت بالأخبار ، وإنشاد البيتين السالفين رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٢/٥٠٦) عن ابن عائشة ـ وهو عبيد الله بن محمد ، وهو من ذرية عائشة بنت طلحة ـ يقول : لما قدم عليه الصلاة والسلام المدينة . . جعل النساء والصبيان يقلن ، وذكر البيتين .

وجاء ذكر الدف والغناء عند ابن ماجه (١٨٩٩) عن أنس رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ ببعض المدينة ، فإذا هو بجوار يضربن بدفِّهنَّ ويتغنين ويقلن :

نحــنُ جــوارٍ مِــنْ بنــي النجــارِ يــا حبَّــذا محمــدٌ مِــنْ جــارِ

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يعلم الله إني لأحبكُنَّ » ، وكان ذلك عند دخوله المدينة ، وتحديداً عند بني النجار ، وعند أحمد في « المسند » (١/٢) من حديث الصديق رضي الله عنه : (حتىٰ قدمنا المدينة ، فتلقاه الناس ، فخرجوا في الطريق وعلى الأجاجير ـ السطوح ـ فاشتد الخدم والصبيان في الطريق يقولون : الله أكبر ، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفيه ذكر نزوله في بني النجار كذلك ، وكذا ثبت الرقص واللعب بالحراب كما رواه أبو داوود (٤٩٢٣) عن أنس قال : (لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . . لعبت الحبشة لقدومه فرحاً بذلك ، لعبوا بحرابهم) .

وقد بحث العلامة الحافظ الزرقاني نفي وثبوت هـٰذين البيتين في حادثة الهجرة أو عند قفوله من تبوك ، وذلك للخلاف في كون ثنية الوداع هل هي في جهة الشام أو مكة ؟ =

فهـٰذا إظهارٌ للسرورِ بقدومِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وهوَ سرورٌ محمودٌ ، فإظهارُهُ بالشعرِ والنغماتِ والرقصِ والحركاتِ أيضاً محمودٌ ، فقدْ نُقلَ عَنْ جماعةٍ مِنَ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُمْ أنَّهُمْ حَجَلوا في سرورٍ أصابَهُمْ كما سيأتي في أحكامِ الرقصِ ، وهوَ جائزٌ في قدومِ كلِّ قادمٍ يجوزُ الفرحُ بهِ ، وفي كلِّ سببٍ مباحٍ مِنْ أسبابِ السرورِ .

ويدلُّ علىٰ هـٰذا ما رُوِيَ في « الصحيحينِ » عنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها أنَّها قالَتْ : (رأيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يسترُني بردائِهِ ، وأنا أنظرُ إلى الحبشةِ يلعبونَ في المسجدِ حتَّىٰ أكونَ أنا الذي أسأمُهُ ، فاقدُروا قدْرَ الجاريةِ الحديثةِ السنِّ ، الحريصةِ على اللهوِ)(١) إشارةً إلىٰ طولِ مدَّةِ وقوفِها .

وروى البخاريُّ ومسلمٌ أيضاً في « صحيحيهما » حديثَ عُقيلٍ ، عنِ الزهريِّ ، عنْ عروةَ ، عنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : أنَّ أبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ دخلَ عليها وعندَها جاريتانِ في أيَّامِ منىً تُدَفِّفانِ وتضربانِ والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ متغشٍّ بثوبِهِ ، فانتهرَهُما أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، فكشفَ النبيُّ

= والجمع دال علىٰ وجود أكثر من ثنية ، فالحاج يستقبل ويودع من ثنية مكة ، وقاصد الشام من ثنية الشام ، بل ما حكاه ياقوت في « معجم البلدان » (٨٦/٢) يؤكد أنها من جهة المدينة ، حيث قال : (ثنية الوداع : بفتح الواو ، وهو اسم من التوديع عند الرحيل ، وهي ثنية مشرفة على المدينة ، يطؤها من يريد مكة) ، ومجمل المرويات يشير إلىٰ ثبوت السماع فرحاً بقدومه عليه الصلاة والسلام ، وهو مراد المصنف وشاهده .

(١) رواه البخاري (٥٢٣٦) ، ومسلم (١٧/٨٩٢) .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنْ وجهِهِ فقالَ : « دعْهُما يا أبا بكرٍ ؛ فإنَّها أيامُ عيدٍ »(١) .

وقالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : رأيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يسترُني بردائِهِ وأنا أنظرُ إلى الحبشةِ وهمْ يلعبونَ في المسجدِ ، فزجرَهُمْ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أمناً يا بني أرْفِدةَ »(٢) يعني مِنَ الأمنِ ، وفي حديثِ عمرِو بنِ الحارثِ عنِ ابنِ شهابٍ نحوُه ، وفيهِ : (تغنِّيانِ وتضربانِ)(٣) .

وفي حديثِ أبي طاهرٍ ، عنِ ابنِ وهبٍ : (واللهِ ؛ لقدْ رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقومُ علىٰ بابِ حجرتي والحبشةُ يلعبونَ بحرابِهِمْ في مسجدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وهوَ يسترُني بردائِهِ لكيْ أنظرَ إلىٰ لعبِهِمْ ، ثمَّ يقومُ مِنْ أجلي حتَّىٰ أكونَ أنا الذي أنصرفُ)(٤) .

ورُوِيَ عنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها أنَّها قالَتْ : (كنتُ ألعبُ بالبناتِ عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، قالت : وكانَ يأتيني صواحبُ لي ، فكنَّ يتقنَّعْنَ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُسرِّبُهُنَّ إليَّ فيلعبنَ معي)(٥) .

---

(١) رواه البخاري (٩٨٨) ، ومسلم (٨٩٢) .

(٢) رواه البخاري (٩٨٨) ، ومسلم (٨٩٣) .

(٣) رواه مسلم (١٧/٨٩٢) ، وانظر « الإتحاف » (٦/ ٤٩١) .

(٤) رواه مسلم (١٨/٨٩٢) .

(٥) رواه البخاري (٦١٣٠) ، ومسلم (٢٤٤٠) ، **ويسربهن** : يرسلهن .

وفي روايةٍ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ لها يوماً : « ما هـٰذا ؟ » قالَتْ : بناتي ، قالَ : « فما هـٰذا الذي أرىٰ في وَسْطِهِنَّ ؟ » قالَتْ : فرسٌ ، قالَ : « ما هـٰذا الذي عليهِ ؟ » قالَتْ : جناحانِ ، قالَ : « فرسٌ لهُ جناحانِ ؟! » قالَتْ : أوَما سمعتَ أنَّهُ كانَ لسليمانَ بنِ داوودَ عليهِ السلامُ خيلٌ لها أجنحةٌ ، قالَتْ : فضحكَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حتَّىٰ بدَتْ نواجذُهُ(١) .

والحديثُ محمولٌ عندَنا علىٰ عادةِ الصبيانِ في اتخاذِ اللعبِ مِنَ الخزفِ والرقاعِ مِنْ غيرِ تكميلِ صورتِهِ ، بدليلِ ما رُوِيَ في بعضِ الرواياتِ أنَّ الفرسَ كانَ لهُ جناحانِ مِنْ رقاعٍ .

وقالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : دخلَ عليَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وعندي جاريتانِ تغنِّيانِ بغناءِ بُعاثَ ، فاضطجعَ على الفراشِ وحوَّلَ وجهَهُ ، فدخلَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ فانتهرَني وقالَ : مزمارُ الشيطانِ عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؟! فأقبلَ عليهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقالَ : « دعْهُما » ، فلمَّا غفلَ . . غمزتُهُما ، فخرجَتا ، وكانَ يومَ عيدٍ يلعبُ فيهِ السودانُ بالدَّرَقِ والحِرابِ ، فإمَّا سألتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وإمَّا قالَ : « تشتهينَ تنظرينَ ؟ » فقلتُ : نعمْ ، فأقامَني وراءَهُ وخدِّي علىٰ خدِّهِ ، ويقولُ : « دونَكُمْ يا بني أرْفِدةَ » حتَّىٰ إذا مَلِلْتُ . . قالَ :

---

(١) رواها أبو داوود (٤٩٣٢) .

« حسْبُكِ ؟» قلتُ : نعمْ ، قالَ : « فاذهبي » ، وفي « صحيح مسلم » : (فوضعتُ رأسي علىٰ منكبِهِ ، فجعلتُ أنظرُ إلىٰ لعبهِمْ ، حتَّىٰ كنتُ أنا الذي انصرفتُ)(١) .

فهٰذهِ الأحاديثُ كلُّها في « الصحيحين »(٢) ، وهوَ نصٌّ صريحٌ في أنَّ الغناءَ واللعبَ ليسَ بحرامٍ ، **وفيها دلالةٌ علىٰ أنواعٍ مِنَ الرخصِ** :

الأوَّلُ : اللعبُ ، ولا تخفىٰ عادةُ الحبشةِ في الرقْصِ واللعبِ .

والثاني : فعلُ ذلكَ في المسجدِ .

والثالثُ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « دونَكُمْ يا بني أرْفِدةَ » وهوَ أمرٌ باللعبِ ، والتماسٌ لهُ ، فكيفَ يُقدَّرُ كونُهُ حراماً ؟!

والرابعُ : منعُهُ لأبي بكرٍ وعمرَ رضيَ اللهُ عنهما عنِ الإنكارِ والتغييرِ ، وتعليلُهُ بأنَّهُ يومُ عيدٍ ؛ أي : هوَ وقتُ السرورِ ، وهٰذا مِنْ أسبابِ السرورِ .

والخامسُ : وقوفُهُ طويلاً في مشاهدةِ ذلكَ وسماعِهِ لموافقةِ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها ، وفيهِ دليلٌ علىٰ أنَّ حسْنَ الخلقِ في تطييبِ قلوبِ النساءِ والصبيانِ بمشاهدةِ اللعبِ أحسنُ مِنْ خشونةِ الزهدِ والتقشُّفِ في الامتناعِ والمنعِ منهُ .

---

(١) رواه البخاري (٩٥٠) ، ومسلم (٨٩٢) ، **ويوم بُعاث** : من أيام الأوس والخزرج بين المبعث والهجرة ، كانت الغلبة فيه للأوس ، وهو اسم حصن لهم .

(٢) سوىٰ بعض الروايات ، كرواية أبي داوود السابقة ، وأصلها في « الصحيحين » ، فلا اعتراض ، وثمَّ نصوص أخرىٰ في بيان جواز الغناء واللعب والترخيص بذينك ، أورد بعضها الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٦/ ٤٩٣) .

والسادسُ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ابتداءً لعائشةَ : « أتشتهينَ أنْ تنظري ؟ » فلمْ يكنْ ذلكَ عنِ اضطرارٍ إلىٰ مساعدةِ الأهلِ خوفاً مِنْ غضبٍ أوْ وحشةٍ ، فإنَّ الالتماسَ إذا سبقَ . . ربَّما كانَ الردُّ سببَ وحشةٍ ، وهوَ محذورٌ ، فيُقدَّمُ محذورٌ علىٰ محذورٍ ، فأمَّا ابتداءُ السؤالِ . . فلا حاجةَ فيهِ .

والسابعُ : الرخصةُ في الغناءِ والضربِ بالدفِّ مِنَ الجاريتينِ معَ أَنَّهُ شبَّهَ ذلكَ بمزاميرِ الشيطانِ ، وفيهِ بيانُ أنَّ المزمارَ المحرَّمَ غيرُ ذلكَ .

والثامنُ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يقرعُ سمعَهُ صوتُ الجاريتينِ وهوَ مضطجعٌ ، ولوْ كانَ يضربُ بالأوتارِ في موضعٍ . . لما جوَّزَ الجلوسَ هناكَ ليقرعَ صوتُ الأوتارِ سمعَهُ ، فيدلُّ هـٰذا علىٰ أنَّ صوتَ النساءِ غيرُ محرَّمٍ تحريمَ صوتِ المزاميرِ ، بلْ إنَّما يُحرَّمُ عندَ خوفِ الفتنةِ .

فهـٰذهِ المقاييسُ والنصوصُ تدلُّ علىٰ إباحةِ الغناءِ ، والرقصِ ، والضربِ بالدفِّ ، واللعبِ بالدَّرَقِ والحرابِ ، والنظرِ إلىٰ رقصِ الحبشةِ والزنوجِ في أوقاتِ السرورِ كلِّها قياساً علىٰ يومِ العيدِ ؛ فإنَّهُ وقتُ سرورٍ ، وفي معناهُ يومُ العرسِ ، والوليمةِ ، والعقيقةِ ، والختانِ ، ويومُ القدومِ مِنَ السفرِ ، وسائرُ أسبابِ الفرحِ ، وهوَ كلُّ ما يجوزُ الفرحُ بهِ شرعاً .

ويجوزُ الفرحُ بزيارةِ الإخوانِ ولقائِهِمْ واجتماعِهِمْ في موضعٍ واحدٍ علىٰ طعامٍ أوْ كلامٍ ، فهوَ أيضاً مظِنَّةُ السماعِ .

السادسُ : سماعُ العشاقِ تحريكاً للشوقِ وتهييجاً للعشقِ وتسليةً للنفسِ : فإنْ كانَ في مشاهدةِ المعشوقِ . . فالغرضُ تأكيدُ اللذَّةِ ، وإنْ كانَ معَ المفارقةِ . . فالغرضُ تهييجُ الشوقِ ، والشوقُ وإنْ كانَ ألماً ففيهِ نوعُ لذَّةٍ إذا انضافَ إليهِ رجاءُ الوصالِ ، فإنَّ الرجاءَ لذيذٌ ، واليأسَ مؤلمٌ ، وقوَّةُ لذَّةِ الرجاءِ بحسَبِ قوَّةِ الشوقِ والحبِّ للشيءِ المرجوِّ .

ففي هٰذا السماعِ تهييجُ العشقِ ، وتحريكُ الشوقِ ، وتحصيلُ لذَّةِ الرجاءِ المقدَّرِ في الوصالِ ، معَ الإطنابِ في وصْفِ حسنِ المحبوبِ .

وهٰذا حلالٌ إنْ كانَ المشتاقُ إليهِ ممَّنْ يُباحُ وصالُهُ ؛ كمَنْ يعشقُ زوجتَهُ أوْ سُرِّيَّتَهُ ، فيُصغي إلىٰ غنائِها لتتضاعفَ لذتُهُ في لقائِها ، فيحظىٰ بالمشاهدةِ البصرُ ، وبالسماعِ الأذنُ ، ويفهمَ لطائفَ معاني الوصالِ والفراقِ القلبُ ، فتترادفَ أسبابُ اللذَّةِ ، فهٰذا نوعُ تمتُّعٍ مِنْ جملةِ مباحاتِ الدنيا ومتاعِها ، وما الحياةُ الدنيا إلا لعبٌ ولهوٌ ، وهٰذا منهُ .

وكذلكَ إنْ غضبَتْ منهُ جاريتُهُ ، أوْ حيلَ بينَهُ وبينَها بسببٍ مِنَ الأسبابِ . . فلهُ أنْ يحرِّكَ بالسماعِ شوقَهُ ، وأنْ يستثيرَ بهِ لذَّةَ رجاءَ الوصالِ ، فإنْ باعَها أوْ طلَّقَها . . حرمَ عليهِ ذلكَ بعدَهُ ؛ إذْ لا يجوزُ تحريكُ الشوقِ حيثُ لا يجوزُ تحقيقُهُ بالوصالِ واللقاءِ .

وأمَّا مَنْ يتمثَّلُ في نفسِهِ صورةَ صبيٍّ أوِ امرأةٍ لا يحلُّ لهُ النظرُ إليها ، وكانَ ينزِّلُ ما يسمعُ علىٰ ما تمثَّلَ في نفسِهِ . . فهٰذا حرامٌ ؛ لأنَّهُ محرِّكٌ

للفكرِ في الأفعالِ المحظورةِ ، ومهيِّجٌ للداعيةِ إلىٰ ما لا يُباحُ الوصولُ إليهِ ، وأكثرُ الفساقِ والسفهاءِ مِنَ الشبانِ في وقتِ هيجانِ الشهوةِ لا ينفكُّونَ عنْ إضمارِ شيءٍ مِنْ ذلكَ ، فذلكَ ممنوعٌ في حقِّهِمْ ؛ لما فيهِ مِنَ الداءِ الدفينِ ، لا لأمرٍ يرجعُ إلىٰ نفسِ السماعِ ، ولذلكَ سئلَ حكيمٌ عنِ العشقِ ، فقالَ : (دخانٌ يصعدُ إلىٰ دماغِ الإنسانِ ، يزيلُهُ الجماعُ ، ويهيِّجُهُ السماعُ) .

* * *

السابعُ : سماعُ مَنْ أحبَّ اللهَ تعالىٰ وعشقَهُ واشتاقَ إلىٰ لقائِهِ : فلا ينظرُ إلىٰ شيءٍ إلا رآهُ فيهِ سبحانَهُ ، ولا يقرعُ سمعَهُ قارعٌ إلا سمعَهُ منهُ أوْ فيهِ ، فالسماعُ في حقِّهِ مهيِّجٌ لشوقِهِ ، ومؤكِّدٌ لعشقِهِ وحبِّهِ(١) ، ومُورٍ زنادَ قلبِهِ ، ومستخرجٌ منهُ أحوالاً مِنَ المكاشفاتِ والملاطفاتِ لا يحيطُ الوصفُ بها ، يعرفُها مَنْ ذاقَها ، وينكرُها مَنْ كَلَّ حسُّهُ عنْ ذوقِها ، وتسمَّىٰ تلكَ الأحوالُ بلسانِ الصوفيةِ : وَجْداً ، مأخوذاً مِنَ الوجودِ والمصادفةِ ؛ أيْ : يصادفُ مِنْ نفسِهِ أحوالاً لمْ يكنْ يصادفُها قبلَ السماعِ ، ثمَّ تكونُ تلكَ الأحوالُ أسباباً لروادفَ وتوابعَ لها تحرقُ القلبَ نيرانُها ، وتنقيهِ من الكدوراتِ كما تنقي النارُ الجواهرَ المعروضةَ عليها مِنَ الخَبَثِ ، ثمَّ يتبعُ الصفاءَ الحاصلَ بهِ مشاهداتٌ ومكاشفاتٌ ، وهيَ غايةُ مطالبِ المحبِّينَ للهِ تعالىٰ ، ونهايةُ ثمرةِ

---

(١) سيبين المصنف قريباً جواز إطلاق لفظ العشق في حقِّه عزَّ شأنه ، ويكون ذلك في حقِّ من يفهم حقيقة المعنىٰ ، ويمنع في حق من يوهمه معاني يجب تنزيه الحق عنها .

القرباتِ كلِّها ، فالمفضي إليها مِنْ جملةِ القرباتِ ، لا مِنْ جملةِ المعاصي والمباحاتِ .

وحصولُ هٰذهِ الأحوالِ للقلبِ بالسماعِ سببُهُ سرُّ اللهِ تعالىٰ في مناسبةِ النغماتِ الموزونةِ للأرواحِ ، وتسخيرُ الأرواحِ لها وتأثُّرُها بها شوقاً ، وفرحاً وحزناً ، وانبساطاً وانقباضاً ، ومعرفةُ السبب في تأثرِ الأرواحِ بالأصواتِ مِنْ دقائقِ علومِ المكاشفاتِ ، والبليدُ الجامدُ القاسي القلبِ ، المحرومُ عَنْ لذَّةِ السماعِ . . يتعجَّبُ مِنِ التذاذِ المستمعِ ووَجْدِهِ واضطرابِ حالِهِ وتغيُّرِ لونِهِ تعجُّبَ البهيمةِ مِنْ لذَّةِ اللَّوزِينَجِ⁽¹⁾ ، وتعجُّبَ العنينِ مِنْ لذَّةِ المباشرةِ ، وتعجُّبَ الصبيِّ مِنْ لذَّةِ الرئاسةِ واتساعِ أسبابِ الجاهِ ، وتعجُّبَ الجاهلِ مِنْ لذَّةِ معرفةِ اللهِ تعالىٰ ومعرفةِ جلالِهِ وعظمتِهِ وعجائبِ صنعِهِ .

ولكلٍّ ذلكَ سببٌ واحدٌ ، وهوَ أنَّ اللذَّةَ نوعُ إدراكٍ ، والإدراكُ يستدعي مُدرَكاً ويستدعي قوَّةً مدرِكةً ، فمَنْ لمْ تكملْ قوَّةُ إدراكِهِ . . لمْ يُتصوَّرْ منهُ التلذُّذُ ، فكيفَ يدركُ لذَّةَ الطعومِ مَنْ فقدَ الذوقَ ؟ وكيفَ يدركُ لذَّةَ الألحانِ مَنْ فقدَ السمعَ ، ولذَّةَ المعقولاتِ مَنْ فقدَ العقلَ ؟ فكذلكَ ذوقُ السماعِ بالقلبِ بعدَ وصولِ الصوتِ إلى السمعِ يدركُ بحاسَّةٍ باطنةٍ في القلبِ ، مَنْ فقدَها . . عدمَ ـ لا محالةَ ـ لذَّتَهُ .

* * *

---

(١) **اللوزينج** : نوع من الحلواء شبه القطائف ، يؤدم بدهن اللوز ، وهي لفظة فارسية .

ولعلَّكَ تقولُ : كيفَ يُتصوَّرُ العشقُ في حقِّ اللهِ تعالىٰ حتَّىٰ يكونَ السماعُ محرِّكاً لهُ ؟

فاعلمْ : أنَّ مَنْ عرفَ اللهَ . . أحبَّهُ لا محالةَ ، ومَنْ تأكَّدَتْ معرفتُهُ . . تأكَّدَتْ محبَّتُهُ بقدْرِ تأكُّدِ معرفتِهِ ، والمحبَّةُ إذا تأكَّدَتْ . . سُمِّيَتْ عشقاً ، فلا معنىٰ للعشْقِ إلا محبةٌ مؤكَّدةٌ مفرطةٌ ، ولذلكَ قالتِ العربُ : (إنَّ محمداً عشقَ ربَّهُ) لمَّا رأوهُ يتخلَّىٰ للعبادةِ في جبلِ حراءٍ(١) .

واعلمْ : أنَّ كلَّ جمالٍ محبوبٌ عندَ مدرِكِ ذلكَ الجمالِ ، واللهُ تعالىٰ جميلٌ يحبُّ الجمالَ(٢) ، ولكنَّ الجمالَ إنْ كانَ بتناسبِ الخلقةِ وصفاءِ اللونِ . . أُدركَ بحاسَّةِ البصرِ ، وإنْ كانَ الجمالُ بالجلالِ والعظمةِ وعلوِّ الرتبةِ ، وحسنِ الصفاتِ والأخلاقِ ، وإرادةِ الخيراتِ لكافَّةِ الخلقِ وإفاضتِها عليهم على الدوام ، إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنَ الصفاتِ الباطنةِ . . أُدركَ بحاسَّةِ القلبِ ، ولفظُ الجمالِ قدْ يُستعارُ أيضاً لها ، فيُقالُ : (إنَّ فلاناً جميلٌ

---

(١) كونه صلى الله عليه وسلم تخلَّىٰ للعبادة والتحنث في غار حراء رواه البخاري (٤) ، ومسلم (١٦٠) ، وفيه : (ثم حُبِّبَ إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه) ، **ومعنى العشق هنا** : إفراط المحبة .

وروىٰ أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ١٦٥) أثراً مرسلاً عن الحسن : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالىٰ : إذا كان الغالب علىٰ عبدي الاشتغال بي . . جعلت نعيمه ولذته في ذكري ، فإذا جعلت نعيمه ولذته في ذكري . . عشقني وعشقته . . . » الخبر .

(٢) كما جاء مرفوعاً ، رواه مسلم (٩١) .

وحسنٌ) ولا تُرادُ صورتُهُ ، وإنَّما يُعنىٰ بهِ : أنَّهُ جميلُ الأخلاقِ ، محمودُ الصفاتِ ، حسنُ السيرةِ ، حتَّىٰ قدْ يُحبُّ الرجلُ لهـٰذهِ الصفاتِ الباطنةِ استحساناً لها كما تُحبُّ الصورةُ الظاهرةِ .

وقدْ تتأكَّدُ هـٰذهِ المحبَّةُ فتُسمَّىٰ عشقاً ، وكمْ مِنَ الغلاةِ في حبِّ أربابِ المذاهبِ ؛ كالشافعيِّ ومالكٍ وأبي حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُمْ ، حتَّىٰ يبذلونَ أموالَهُمْ وأرواحَهُمْ في نصرتِهِمْ وموالاتِهِمْ ، ويزيدونَ علىٰ كلِّ عاشقٍ في الغلوِّ والمبالغةِ .

ومِنَ العجبِ أنْ يُعقلَ عشقُ شخصٍ لمْ تُشاهدْ قطُّ صورتُهُ أجميلٌ هوَ أمْ قبيحٌ ، وهوَ الآنَ ميِّتٌ ، ولكنْ لجمالِ صورتِهِ الباطنةِ ، وسيرتِهِ المرضيةِ ، والخيراتِ الحاصلةِ مِنْ علمِهِ لأهلِ الدينِ ، وغيرِ ذلكَ مِنَ الخصالِ . . ثمَّ لا يُعقلَ عشقُ مَنْ تُرى الخيراتُ منهُ ، بلْ على التحقيقِ مَنْ لا خيرَ ولا جمالَ ولا محبوبَ في العالمِ إلا وهوَ حسنةٌ مِنْ حسناتِهِ ، وأثرٌ مِنْ آثارِ كرمِهِ ، وغرفةٌ مِنْ بحرِ جودِهِ !! بلْ كلُّ حسنٍ وجمالٍ في العالمِ أُدركَ بالعقولِ والأبصارِ والأسماعِ وسائرِ الحواسِّ ، مِنْ مبتدأِ العالمِ إلىٰ منقرضِهِ ، ومِنْ ذروةِ الثريَّا إلىٰ منتهى الثرىٰ . . فهوَ ذرَّةٌ مِنْ خزائنِ قدرتِهِ ، ولمعةٌ مِنْ أنوارِ حضرتِهِ .

فليتَ شعري ، كيفَ لا يُعقلُ حبُّ مَنْ هـٰذا وصفُهُ ؟! وكيفَ لا يتأكَّدُ عندَ العارفينَ بأوصافِهِ حبُّهُ حتَّىٰ يجاوزَ حدّاً يكونُ إطلاقُ اسمِ العشقِ عليهِ ظُلماً في حقِّهِ ؛ لقصورِهِ عنِ الإنباءِ عنْ فرطِ محبَّتِهِ ؟!

فسبحانَ مَنِ احتجبَ عنِ الظهورِ بشدَّةِ ظهورِهِ ، واستترَ عنِ الأبصارِ

بإشراقِ نورِهِ ، ولولا احتجابُهُ بسبعينَ حجاباً مِنْ نورِهِ . . لأحرقَتْ سُبُحاتُ وجهِهِ أبصارَ الملاحظينَ لجمالِ حضرتِهِ ، ولولا أنَّ ظهورَهُ سببُ خفائِهِ . . لبُهتَتِ العقولُ ، ودَهِشَتِ القلوبُ ، وتخاذلَتِ القوىٰ ، وتناثرَتِ الأعضاءُ ، ولوْ رُكِّبَتِ القلوبُ مِنَ الحجارةِ والحديدِ . . لأصبحَتْ تحتَ مبادي أنوارِ تجلِّيهِ دكّاً دكّاً ، فأنَّىٰ تطيقُ كنْهَ نورِ الشمسِ أبصارُ الخفافيشِ ؟!

وسيأتي تحقيقُ هـٰذهِ الإشارةِ في كتابِ المحبّةِ ، ويتضحُ أنَّ محبَّةَ غيرِ اللهِ تعالىٰ قصورٌ وجهلٌ ، بلِ المتحقِّقُ بالمعرفةِ لا يعرفُ غيرَ اللهِ تعالىٰ ؛ إذْ ليسَ في الوجودِ تحقيقاً إلا اللهُ تعالىٰ وأفعالُهُ ، ومَنْ عرفَ الأفعالَ مِنْ حيثُ إنَّها أفعالٌ . . فلمْ يجاوزْ معرفةَ الفاعلِ إلىٰ غيرِهِ ؛ فمَنْ عرفَ الشافعيَّ رحمَهُ اللهُ مثلاً وعلمَهُ وتصنيفَهُ مِنْ حيثُ إنَّهُ تصنيفُهُ ، لا مِنْ حيثُ إنَّهُ بياضٌ وجلْدٌ وحبْرٌ وورقٌ وكلامٌ منظومٌ ولغةٌ عربيةٌ فلمْ يجاوزْ معرفتَهُ الشافعيَّ إلىٰ غيرِهِ ، ولا جاوزَتْ محبتُهُ إلىٰ غيرِهِ ، فكلُّ موجودٍ سوى اللهِ تعالىٰ فهوَ تصنيفُ اللهِ تعالىٰ وفعلُهُ وبديعُ أفعالِهِ ، فمَنْ عرفَها مِنْ حيثُ هِيَ صنعُ اللهِ تعالىٰ ، فرأىٰ مِنَ الصنعِ صفاتِ الصانعِ كما يرىٰ مِنْ حسنِ التصنيفِ فضلَ المصنِّفِ وجلالةَ قدرِهِ . . كانَتْ معرفتُهُ ومحبَّتُهُ مقصورةً على اللهِ تعالىٰ ، غيرَ مجاوزةٍ إلىٰ سواهُ.

ومِنْ حدِّ هـٰذا العشقِ أنَّهُ لا يقبلُ الشِّرْكةَ ، وكلُّ ما سوىٰ هـٰذا العشقِ فهوَ قابلٌ للشركةِ ؛ إذْ كلُّ محبوبٍ سواهُ يُتصوَّرُ لهُ نظيرٌ : إمَّا في الوجودِ ، وإمَّا في الإمكانِ ، فأمَّا هـٰذا الجمالُ . . فلا يُتصوَّرُ لهُ ثانٍ ، لا في الإمكانِ ، ولا في الوجودِ ، فكانَ اسمُ العشقِ علىٰ حبِّ غيرِهِ مجازاً محضاً لا حقيقةً .

نعم ، الناقصُ القريبُ في نقصانِهِ مِنَ البهيمةِ قدْ لا يدركُ مِنْ لفظِ العشقِ إلا طلبَ الوصالِ الذي هوَ عبارةٌ عنْ تماسِّ ظواهرِ الأجسامِ وقضاءِ شهوةِ الوقاعِ ، فمثلُ هـٰذا الحمارِ ينبغي ألا يُستعملَ معَهُ لفظُ العشقِ والشوقِ والوصالِ والأنْسِ ، بلْ يجنَّبُ هـٰذهِ الألفاظَ والمعانيَ كما تُجنَّبُ البهيمةُ النرجسَ والريحانَ ، وتُخصَّصُ بالقتِّ والحشيشِ وأوراقِ القضبانِ ؛ فإنَّ الألفاظَ إنَّما يجوزُ إطلاقُها في حقِّ اللهِ تعالىٰ إذا لمْ تكنْ موهمةً معنىً يجبُ تقديسُ اللهِ تعالىٰ عنهُ ، والأوهامُ تختلفُ باختلافِ الأفهامِ ، فليُتنبَّهْ لهـٰذهِ الدقيقةِ في أمثالِ هـٰذهِ الألفاظِ .

بلْ لا يبعدُ أنْ ينشأَ مِنْ مجرَّدِ سماعٍ لصفاتِ اللهِ تعالىٰ وجدٌ غالبٌ ينقطعُ بسببهِ نِياطُ القلبِ ، فقدْ روىٰ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أنَّه ذكرَ غلاماً كانَ في بني إسرائيلَ علىٰ جبلٍ ، فقالَ لأمِّهِ : مَنْ خلقَ السماءَ ؟ قالَتِ : اللهُ عزَّ وجلَّ ، قالَ : فمَنْ خلقَ الأرضَ ؟ قالَتِ : اللهُ عزَّ وجلَّ ، قالَ : فمَنْ خلقَ الجبالَ ؟ قالَتِ : اللهُ تعالىٰ ، قالَ : فمَنْ خلقَ هـٰذهِ الغنمَ ؟ قالَتِ : اللهُ عزَّ وجلَّ ، فقالَ : إنِّي لأسمعُ للهِ تعالىٰ شأناً ، ثمَّ رمىٰ بنفسِهِ مِنَ الجبلِ ، فتقطَّعَ »(١) ، وهـٰذا كأنَّهُ سمعَ ما دلَّ علىٰ جلالِ اللهِ تعالىٰ وتمامِ قدرتِهِ ، فطربَ لهُ ووَجَدَ ، فرمىٰ نفسَهُ مِنَ الوجْدِ .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا كما في «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٥٣) وحكىٰ سنده، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٧٨) ولكن من حديث ابن عمر ، وقال الحافظ العراقي : (رواه ابن حبان) . « إتحاف » (٦/ ٥٠٠)، وعزاه ابن كثير في « جامع المسانيد » (٢٨/ ٣٧٣) لأبي يعلىٰ في « مسنده » .

وما أُنزلتِ الكتبُ إلا ليطربوا بذكرِ اللهِ تعالىٰ ، قال بعضُهُمْ : رأيتُ مكتوباً في الإنجيلِ : (غنَّيْنا لكُمْ فلم تطربوا ، وزمَّرْنا لكُمْ فلمْ ترقصوا) أيْ : شوَّقناكُمْ بذكرِ اللهِ تعالىٰ فلمْ تشتاقوا⁽¹⁾ .

فهٰذا ما أردْنا أنْ نذكرَهُ مِنْ أقسامِ السماعِ ، وبواعثِهِ ، ومقتضياتِهِ ، وقدْ ظهرَ على القطْعِ **إباحتُهُ** في بعضِ المواضعِ ، **والندبُ** إليهِ في بعضِ المواضعِ .

* * *

فإنْ قلتَ : فهلْ لهُ حالةٌ يحرمُ فيها ؟

فأقولُ : إنَّهُ يحرمُ بخمسةِ عوارضَ : عارضٌ في المُسْمِعِ ، وعارضٌ في آلةِ السماعِ ، وعارضٌ في نظمِ الصوتِ ، وعارضٌ في نفسِ المستمعِ ، أوْ في مواظبتِهِ ، وعارضٌ في كونِ الشخصِ منْ عوامِّ الخلقِ⁽²⁾ ؛ لأنَّ أركانَ السماعِ هوَ المُسْمِعُ ، والمستمِعُ ، وآلةُ السماعِ .

* * *

العارضُ الأوَّلُ : أنْ يكونَ المُسْمِعُ امرأةً لا يحلُّ النظرُ إليها ، وتُخشى الفتنةُ في سماعِها : وفي معناها الصبيُّ الأمردُ الذي تُخشىٰ فتنتُهُ ، وهٰذا حرامٌ ؛ لما فيهِ مِنْ خوفِ الفتنةِ ، وليسَ ذلكَ لأجلِ الغناءِ ، بلْ لوْ كانَتِ المرأةُ بحيثُ

---

(1) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/٣٥٨) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٣٦) عن مالك بن دينار قرأه في التوراة ، والكلام علىٰ وجه التمثيل .

(2) قوله : (وعارض في كون الشخص من عوامّ الخلق) زيادة من (ق) .

يُفتنُ بصوتِها في المحاورةِ من غيرِ ألحانٍ . . فلا يجوزُ محاورتُها ومحادثتُها ، ولا سماعُ صوتِها في القرآنِ أيضاً ، وكذلكَ الصبيُّ الذي تُخاف فتنتُهُ .

* * *

فإنْ قلتَ : فهلْ تقولُ : إنَّ ذلكَ حرامٌ بكلِّ حالٍ حسماً للبابِ ، أوْ لا يحرمُ إلا حيثُ تُخافُ الفتنةُ في حقِّ مَنْ يخافُ الفتنة ؟

فأقولُ : هٰذهِ مسألةٌ محتملةٌ مِنْ حيثُ الفقهُ يتجاذبُها أصلانِ :

أحدُهُما : أنَّ الخلوةَ بالأجنبيةِ والنظرَ إلىٰ وجهِها حرامٌ ، سواءٌ خيفَتِ الفتنةُ أوْ لمْ تُخفْ ؛ لأنَّها مَظِنَّةُ الفتنةِ على الجملةِ ، فقضى الشرعُ بحسْمِ البابِ مِنْ غيرِ التفاتٍ إلى الصورِ .

والثاني : أنَّ النظرَ إلى الصبيانِ مباحٌ إلا عندَ خوفِ الفتنةِ ، فلا يُلحقُ الصبيانُ بالنساءِ في عمومِ الحسمِ ، بلْ يُتبعُ فيهِ الحالُ .

وصوتُ المرأةِ دائرٌ بينَ هٰذينِ الأصلينِ ، فإنْ قسناهُ على النظرِ إليها . . وجبَ حسْمُ البابِ ، وهوَ قياسٌ قريبٌ ، ولكنْ بينَهُما فرقٌ ؛ إذِ الشهوةُ تدعو إلى النظرِ في أوَّلِ هيجانِها ، ولا تدعو إلىٰ سماعِ الصوتِ ، وليسَ تحريكُ النظرِ لشهوةِ المماسَّةِ كتحريكِ السماعِ ، بلْ هوَ أشدُّ .

وصوتُ المرأةِ في غيرِ الغناءِ ليسَ بعورةٍ ، فلمْ تزلِ النساءُ في زمنِ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُمْ يكلِّمْنَ الرجالَ في السلامِ والاستفتاءِ والسؤالِ والمشاورةِ وغيرِهِ ، ولكنْ للغناءِ مزيدُ أثرٍ في تحريكِ الشهوةِ ، فقياسُ هٰذا

على النظرِ إلى الصبيانِ أولىٰ ؛ لأنَّهُمْ لمْ يُؤمروا بالاحتجابِ كما لمْ تُؤمرِ النساءُ بسترِ الأصواتِ ؛ فينبغي أنْ يتَّبعَ مثارَ الفتنِ ويقتصرَ التحريمُ عليهِ ، **هـٰذا هوَ الأشبهُ الأقيسُ عندي** .

ويتأيَّدُ بحديثِ الجاريتينِ المغنِّيتينِ في بيتِ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها⁽¹⁾ ، إذْ يُعلمُ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يسمعُ صوتَهُما ولمْ يحترزْ منهُ ، ولكنْ لمْ تكنِ الفتنةُ مَخُوفةً عليهِ ، فلذلكَ لمْ يحترزْ .

فإذاً ؛ يختلفُ هـٰذا بأحوالِ المرأةِ ، وأحوالِ الرجلِ في كونِهِ شابّاً أو شيخاً ، ولا يبعدُ أنْ يختلفَ الأمرُ في مثلِ هـٰذا بالأحوالِ ؛ فإنَّا نقولُ للشيخِ أنْ يقبِّلَ زوجتَهُ وهوَ صائمٌ ، وليسَ للشابِّ ذلكَ ؛ لأنَّ القبلةَ تدعو إلىٰ وقاعٍ في الصومِ ، وهوَ محظورٌ ، والسماعُ يدعو إلى النظرِ والمقاربةِ ، وهوَ حرامٌ ، فيختلفُ ذلك أيضاً بالأشخاصِ⁽²⁾ .

* * *

العارضُ الثاني : في الآلة : بأنْ تكونَ مِنْ شعائرِ أهلِ الشربِ أوِ المخنثينَ ، وهيَ المزاميرُ ، والأوتارُ ، وطبلُ الكوبةِ ، فهـٰذهِ ثلاثةُ أنواعٍ

---

(١) رواه البخاري (٩٨٨) ، ومسلم (٨٩٢) .

(٢) قال الأدفوي في « الإمتاع » أكثر من ذلك ، كما نقله العلامة الحافظ الزبيدي : (إني أقول : إذا خاف الفتنة . . فهو محل نظر أيضاً ، فإن المفسدة غير حاصلة ، وإنما تتوقع ، فيحتمل حصولها ويحتمل عدمه ، والأمور المتوقعة لا تلحق بالواقعة إلا بنص أو إجماع ، فإن ورد شيء من ذلك . . فهو المعتمد ، والشافعية لا يقولون بالمصالح المرسلة ، وكذلك أكثر العلماء) . « إتحاف » (٦/ ٥٠٢) .

ممنوعةٍ ، وما عدا ذلكَ يبقىٰ علىٰ أصلِ الإباحةِ ؛ كالدُّفِّ وإنْ كانَ فيهِ الجلاجلُ ، وكالطبلِ والشاهينِ والضربِ بالقضيبِ وسائرِ الآلاتِ(١) .

* * *

العارضُ الثالثُ : في نظمِ الصوتِ : وهوَ الشعرُ ، فإنْ كانَ فيهِ شيءٌ مِنَ الخنا والفحشِ والهجوِ ، أوْ ما هوَ كذبٌ على اللهِ وعلىٰ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أو على الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم ؛ كما رتَّبَهُ الروافضُ في هجاءِ الصحابةِ وغيرِهِمْ . . فسماعُ ذلكَ حرامٌ ، بألحانٍ وغيرِ ألحانٍ ، والمستمعُ شريكُ القائلِ .

وكذلكَ ما فيهِ وصفُ امرأةٍ بعينِها ، فإنَّهُ لا يجوزُ وصْفُ المرأةِ بينَ يدي الرجالِ .

وأمَّا هجاءُ الكفَّارِ وأهلِ البدعِ . . فذلكَ جائزٌ ، فقدْ كانَ حسانُ بنُ ثابتٍ ينافحُ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ويهاجي الكفَّارَ ، وأمرَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بذلكَ(٢) .

---

(١) ذكر الحافظ الزبيدي في العود : أن المعروف في مذاهب الأئمة الأربعة أن الضرب به وسماعه حرام ، وذهبت طائفة إلىٰ جوازه ، وحكي سماعه عن عبد الله بن جعفر وابن عمر وابن الزبير ومعاوية وعمرو بن العاص وحسان بن ثابت وابنه ، وخارجة بن زيد ، ونقله الأستاذ أبو منصور أيضاً عن مالك ، وكذلك حكاه الفوراني في كتابه « الغمد » ، وتقدمت نقولات في سماعه إلىٰ أن قال : (ونقل عن العز بن عبد السلام أنه سئل عنه ، فقال : إنه مباح ، وهـٰذا هو الذي يقتضيه سياق المصنف هنا) . « إتحاف » (٦/ ٥٠٥) .

(٢) إذ روى البخاري (٣٢١٣)، ومسلم (٢٤٨٦) مرفوعاً : «اهجُهُمْ أو هاجهمْ وجبريل معك» .

فأمَّا النسيبُ ، وهوَ الذي فيهِ التشبيبُ بوصفِ الخدودِ والأصداغِ وحسنِ القدِّ والقامةِ وسائرِ أوصافِ النساءِ . . فهـٰذا فيهِ نظرٌ ، **والصحيحُ** : أنَّهُ لا يحرمُ نظمُهُ وإنشادُهُ بصوتٍ وغيرِ صوتٍ ، وعلى المستمعِ ألا ينزِّلَهُ على امرأةٍ معيَّنةٍ ، وإنْ نزَّلَهُ . . نزَّلَهُ علىٰ مَنْ يحلُّ لهُ ؛ مِنْ زوجتِهِ وجاريتِهِ ، فإنْ نزَّلَهُ علىٰ أجنبيةٍ . . فهوَ العاصي بالتنزيلِ وإجالةِ الفكرِ فيهِ ، **ومَنْ هـٰذا وصفُهُ . . فينبغي أنْ يجتنبَ السماعَ رأساً** ، فإنَّ مَنْ غلبَ عليهِ عشقٌ . . نزَّلَ كلَّ ما سمعَهُ عليهِ ، سواءٌ كانَ اللفظُ مناسباً لهُ أوْ لمْ يكنْ ؛ إذْ ما مِنْ لفظٍ إلا ويمكنُ تنزيلُهُ علىٰ معانٍ بطريقِ الاستعارةِ ، فالذي يغلبُ علىٰ قلبِهِ حبُّ اللهِ تعالىٰ . . يتذكَّرُ بسوادِ الصدغِ مثلاً ظلمةَ الكفرِ ، وبنضارةِ الخدِّ نورَ الإيمانِ ، وبذكرِ الوصالِ لقاءَ اللهِ تعالىٰ ، وبذكرِ الفراقِ الحجابَ عنِ اللهِ تعالىٰ في زمرةِ المردودينَ ، وبذكرِ الرقيبِ المشوِّشِ لروحِ الوصالِ عوائقَ الدنيا وآفاتِها المشوِّشةَ لدوامِ الأنسِ باللهِ تعالىٰ .

ولا يحتاجُ في تنزيلِ ذلكَ عليهِ إلى استنباطٍ وتفكُّرٍ ومهلةٍ ، بلْ تسبقُ المعاني الغالبةُ على القلبِ إلىٰ فهمِهِ معَ اللفظِ ؛ كما رُوِيَ عنْ بعضِ الشيوخِ أنَّهُ مرَّ في السوقِ ، فسمعَ واحداً يقولُ : (الخيارُ عشرةٌ بحبَّةٍ) ، فغلبَهُ الوجدُ ، فسُئِلَ عنْ ذلكَ ، فقالَ : إذا كانَ الخيارُ عشرةٌ بحبَّةٍ . . فما قيمةُ الأشرارِ ؟!(١) .

---

(١) وصاحب القصة هو الشبلي رحمه الله تعالىٰ . انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٥٥٧) .

واجتازَ بعضُهُمْ في السوقِ ، فسمعَ قائلاً يقولُ : (يا سعترَ برِّي) ، فغلبَ عليهِ الوجدُ ، فقيلَ لهُ : علىٰ ماذا كانَ وجدُكَ ؟ فقالَ : سمعتُهُ كأنَّهُ يقولُ : اسعَ . . ترَ بِرِّي(١) .

حتَّىٰ إنَّ العجميَّ قدْ يغلبُ عليهِ الوجدُ على الأبياتِ المنظومةِ بلغةِ العربِ ، فإنَّ بعضَ حروفِها يوازنُ الحروفَ العجميةَ ، فيفهمُ منها معانٍ أخرَ ، وأنشدَ بعضُهُمْ(٢) : [من الطويل]

وَما زارَني فِي ٱلنَّوْمِ إِلاَّ خَيالُهُ فَقُلْتُ لَهُ : أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَبا

فتواجدَ عليهِ رجلٌ أعجميٌّ ، فسُئِلَ عنْ سببِ وجدِهِ ، فقالَ : إنَّهُ يقولُ : (مازاريم) ، وهوَ كما يقولُ ، فإنَّ لفظَ (زارَ) يدلُّ في العجميةِ على المشرفِ على الهلاكِ ، فتوهَّمَ أنَّهُ يقولُ : (كلُّنا مشرفونَ على الهلاكِ) ، فاستشعرَ عندَ ذلكَ خطرَ هلاكِ الآخرةِ .

والمحترقُ في حبِّ اللهِ تعالىٰ وجدُهُ بحسَبِ فهمِهِ ، وفهمُهُ بحسَبِ تخيُّلِهِ ، وليسَ مِنْ شرطِ تخيُّلِهِ أنْ يوافقَ مرادَ الشاعرِ ولغتَهُ ، فهٰذا الوجدُ حقٌّ وصدقٌ ، ومَنِ استشعَرَ خطرَ هلاكِ الآخرةِ . . فجديرٌ بأنْ يتشوَّشَ عليهِ عقلُهُ ، وتضطربَ عليهِ أعضاؤُهُ .

فإذاً ؛ ليسَ في تغييرِ أعيانِ الألفاظِ كبيرُ فائدةٍ ، بلِ الذي غلبَ عليهِ عشقُ

---

(١) وصاحب القصة هو أبو سليمان الدمشقي . انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٥٥٥) .
(٢) انظر « مصارع العشاق » (٢/ ١٣٢) .

مخلوقٍ ينبغي أنْ يحترزَ مِنَ السماعِ بأيِّ لفظٍ كانَ ، والذي غلبَ عليهِ حبُّ اللهِ تعالىٰ فلا تضرُّهُ الألفاظُ ، ولا تمنعُهُ عنْ فهمِ المعاني اللطيفةِ المتعلِّقةِ بمجاري همَّتِهِ الشريفةِ .

* * *

العارضُ الرابعُ : في المستمعِ : وهوَ أنْ تكونَ الشهوةُ غالبةً عليهِ ، وكانَ في غُرَّةِ الشبابِ ، وكانَتْ هـٰذهِ الصفةُ أغلبَ عليهِ مِنْ غيرِها . . فالسماعُ حرامٌ عليهِ ، سواءٌ غلبَ علىٰ قلبِهِ حبُّ شخصٍ معيَّنٍ أوْ لمْ يغلبْ ؛ فإنَّهُ كيفما كانَ . . فلا يسمعُ وصفَ الصدغِ والخدِّ ، والوصالِ والفراقِ إلا ويحرِّكُ ذلكَ شهوتَهُ ، وينزِّلُهُ علىٰ صورةٍ معيَّنةٍ ينفخُ الشيطانُ بها في قلبِهِ ، فتشتعلُ فيهِ نارُ الشهوةِ ، وتحتدُّ بواعثُ الشرِّ ، وذلكَ هوَ النصرةُ لحزبِ الشيطانِ ، والتخذيلُ للعقلِ المانعِ منهُ الذي هوَ حزبُ اللهِ تعالىٰ .

والقتالُ في القلبِ دائمٌ بينَ جنودِ الشيطانِ وهيَ الشهواتُ وبينَ حزبِ اللهِ تعالىٰ وهوَ نورُ العقلِ ، إلا في قلبٍ قدْ فتحَهُ أحدُ الجندينِ واستولىٰ عليهِ بالكلِّيَّةِ ، وغالبُ القلوبِ الآنَ قدْ فتحَها جندُ الشيطانِ ، وغلبَ عليها ، فتحتاجُ حينئذٍ إلىٰ أنْ تستأنفَ أسبابَ القتالِ لإزعاجِها ، فكيفَ يجوزُ تكثيرُ أسلحتِها وتشحيذُ سيوفِها وأسنَّتِها ، والسماعُ مُشَحِّذٌ لأسلحةِ جندِ الشيطانِ في حقِّ مثلِ هـٰذا الشخصِ ؟! فليُخرجْ مثلُ هـٰذا عنْ مَجْمَعِ السماعِ ؛ فإنَّهُ يُستضرُّ بهِ(١) .

* * *

---

(١) في (ي) : (فليتحرج) بدل (فليخرج) .

العارضُ الخامسُ : أنْ يكونَ الشخصُ مِنْ عوامِّ الخلقِ(١) : ولمْ يغلبْ عليهِ حبُّ اللهِ تعالىٰ ليكونَ السماعُ لهُ محبوباً ، ولا غلبَتْ عليهِ الشهوةُ ليكونَ في حقِّه محظوراً ، ولكنَّهُ أُبيحَ في حقِّهِ كسائرِ أنواعِ اللذَّاتِ المباحةِ ، إلا أنَّهُ إذا اتخذَهُ ديدنَهُ وهِجِّيراهُ ، وقصرَ عليهِ أكثرَ أوقاتِهِ . . فهـٰذا هوَ السفيهُ الذي تُرَدُّ شهادتُهُ ؛ فإنَّ المواظبةَ على اللهوِ جنايةٌ ، وكما أنَّ الصغيرةَ بالإصرارِ والمداومةِ تصيرُ كبيرةً . . فكذلكَ بعضُ المباحاتِ بالمداومةِ يصيرُ صغيرةً ، وهوَ كالمواظبةِ علىٰ متابعةِ الزنوجِ والحبشةِ والنظرِ إلىٰ لعبِهِمْ على الدوامِ ، فإنَّهُ ممنوعٌ وإنْ لمْ يكنْ أصلُهُ ممنوعاً ؛ إذْ فعلَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ومِنْ هـٰذا القبيلِ اللعبُ بالشطرنجِ ، فإنَّهُ مباحٌ ، ولكنَّ المواظبةَ عليهِ مكروهةٌ كراهةً شديدةً ، ومهما كانَ الغرضُ اللعبَ والتلذُّذَ باللهوِ . . فذلكَ إنَّما يُباحُ لما فيهِ مِنْ ترويحِ القلبِ ، إذْ راحةُ القلبِ معالجةٌ لهُ في بعضِ الأوقاتِ لتنبعثَ دواعيهِ فتشتغلَ في سائرِ الأوقاتِ بالجدِّ في الدنيا ؛ كالكسبِ والتجارةِ ، أوْ في الدينِ ؛ كالصلاةِ والقراءةِ ، واستحسانُ ذلكَ فيما بينَ تضاعيفِ الجدِّ كاستحسانِ الخالِ عَلَى الخدِّ ، ولوِ استوعبَتِ

---

(١) **وأراد بالعوام هنا** : غير أهل المعرفة بالله تعالىٰ ، فدخل فيه علماء الدنيا بسائر فنونهم ، والمتكلمون على العلوم الغريبة ، والمشتغلون بالتدريس والتصنيف ، وقال القاضي حسين ـ نقلاً عن الجنيد ـ في « تعليقه » : (الناس في السماع علىٰ ثلاثة أضرب : العوام ، والزهاد ، والعارفون ، فأما العوام . . فحرام عليهم ؛ لبقاء نفوسهم ، وأما الزهاد . . فيباح لهم ؛ لحصول مجاهداتهم ، وأما أصحابنا . . فيستحب لهم ؛ لحياة قلوبهم) . « إتحاف » (٦/ ٥١١) .

الخِيلانُ الوجهَ . . لشوَّهَتْهُ ، فما أقبحَ ذلكَ ! فيعودُ ذلكَ الحسنُ قبحاً بسببِ الكثرةِ ، فما كلُّ حسنٍ يحسنُ كثيرُهُ ، ولا كلُّ مباحٍ يُباحُ كثيرُهُ ، بلِ الخبزُ مباحٌ ، والاستكثارُ منهُ حرامٌ⁽¹⁾ ، فهٰذا المباحُ كسائرِ المباحاتِ⁽²⁾ .

* * *

فإنْ قلتَ : فقدْ أدَّىٰ مساقُ هٰذا الكلامِ إلىٰ أنَّهُ مباحٌ في بعضِ الأحوالِ دونَ بعضٍ ، فلِمَ أطلقتَ القولَ أوَّلاً بالإباحةِ ؟ إذْ إطلاقُ القولِ في المفصَّلِ بـ(لا) أوْ بـ(نعم) خلفٌ وخطأٌ .

فاعلمْ : أنَّ هٰذا غلطٌ ؛ لأنَّ الإطلاقَ إنَّما يمتنعُ بتفصيلٍ ينشأُ مِنْ عينِ ما فيهِ النظرُ ، فأمَّا ما ينشأُ مِنَ الأحوالِ العارضةِ المتصلةِ بهِ مِنْ خارجٍ . . فلا يمنعُ الإطلاقَ ، ألا ترىٰ أنَّا إذا سُئلنا عن العسلِ : أهوَ حلالٌ أمْ لا ؟ . .

---

(١) أي : إذا كان يستضرُّ به ، وكذا شراب الرمان مباح شربه ، وهو شفاء ، والاستكثار منه مضرٌّ بالمعدة . « إتحاف » (٦/ ٥١١) .

(٢) لم يرتض الأدفوي هٰذا التأصيل في « الإمتاع » ، وقد نقله الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٦/ ٥١١) ، قال : (وهٰذا الذي ذكره المصنف صحيح من جهة القياس ، وقد ناقضه صاحب « الإمتاع » من أصله فقال : وأما من فرَّق بين القليل والكثير . . فغير متجه ، ولا دليل له ، والقياس أن المباح قليله يباح كثيره إلا أن يدل الدليل كسائر المباحات) ، وبيَّن وجه إباحته ، إلىٰ أن قال : (ولو قيل : إن بعض المباحات يصير بالمداومة مكروهاً . . لأمكن أن يكون له وجه ؛ فإن الاشتغال بالمباحات وترك ما هو أنفع منها في الآخرة تفريط ، والإنسان مطلوب منه الاشتغال بالطاعات بحسب القدرة . . . ، وإذا صرف أكثر وقته النفيس إلى المباح . . كان تاركاً للأولىٰ ، ولا نعني بالكراهة هنا إلا ترك الأولىٰ) .

قلنا : إنَّهُ حلالٌ على الإطلاقِ ، معَ أنَّهُ حرامٌ على المحرورِ الذي يستضرُّ بِهِ ، وإذا سئلْنا عنِ الخمرِ . . قلنا : إنَّها حرامٌ ، معَ أنَّها تحلُّ لِمَنْ غصَّ بلقمةٍ أنْ يشربَها مهما لمْ يجدْ غيرَها ، ولكنْ هوَ مِنْ حيثُ إنَّهُ خمرٌ حرامٌ ، وإنَّما أُبيحَ لعارضِ الحاجةِ ، والعسلُ مِنْ حيثُ إنَّهُ عسلٌ حلالٌ ، وإنَّما حرمَ لعارضِ الضررِ ، وما يكونُ لعارضٍ . . فلا يُلتفتُ إليهِ ، فإنَّ البيعَ حلالٌ ، ويحرمُ بعارضِ الوقوعِ في وقتِ النداءِ يومَ الجمعةِ وبجملةٍ مِنَ العوارضِ ، فالسماعُ مِنْ جملةِ المباحاتِ مِنْ حيثُ إنَّهُ سماعُ صوتٍ موزونٍ طيِّبٍ مفهومٍ ، وإنَّما تحريمُهُ بعارضٍ خارجٍ عنْ حقيقةِ ذاتِهِ .

وإذا انكشفَ الغطاءُ عنْ دليلِ الإباحةِ . . فلا نبالي بمَنْ يخالفُ بعدَ ظهورِ الدليلِ .

وأمَّا الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ . . فليسَ تحريمُ الغناءِ مِنْ مذهبِهِ أصلاً⁽¹⁾ ، وقدْ نصَّ الشافعيُّ وقالَ : في الرجلِ يتخذُهُ صناعةً : لا تجوزُ شهادتُهُ ، وذلكَ لأنَّهُ مِنَ اللهوِ المكروهِ الذي يشبهُ الباطلَ ، ومَنِ اتخذَهُ

---

(1) قال صاحب « الإمتاع » ـ العلامة الأدفوي ـ : (وتتبعت أنا عدة كثيرة من المصنفات ، فلم أر نصاً في تحريمه ، وطالعت جملة من « الأم » و« الرسالة » وتصانيف متقدمي الأصحاب ومتوسطيهم ومتأخريهم ، فلم يحك أحد عنه التحريم ، بل حكىٰ عنه الأستاذ أبو منصور البغدادي أن مذهبه إباحة السماع بالقول والألحان إذا سمعه الرجل من رجل ، أو من جاريته ، أو من امرأة يحل له النظر إليها ، متىٰ سمعه في داره وفي دار بعض أصدقائه ، ولم يسمعه علىٰ قارعة الطريق ، ولم يقترن سماعه بشيء من المنكرات ، ولم يضيع مع ذلك أوقات الصلاة عن أدائها فيها ، ولم يضيع شهادة لزمه أداؤها) . « إتحاف » (٦/ ٥١٢) .

صنعةً(١) . . كانَ منسوباً إلى السفاهةِ وسقوطِ المروءةِ، وإنْ لمْ يكنْ محرَّماً بيِّنَ التحريمِ ، فإنْ كانَ لا ينسبُ نفسَهُ إلى الغناءِ ، ولا يُؤتىٰ لذلكَ ، ولا يأتي لأجلِهِ ، وإنَّما يُعرفُ بأنَّهُ قدْ يطربُ في الحالِ ، فيترنَّمُ فيها . . لمْ يُسقطْ هـٰذا مروءتَهُ ولمْ يبطلْ شهادتَهُ ، واستدلَّ بحديثِ الجاريتينِ اللتينِ كانتا تغنيانِ في بيتِ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها(٢) .

وقالَ يونسُ بنُ عبدِ الأعلىٰ : سألتُ الشافعيَّ رحمهُ اللهُ عنْ إباحةِ أهلِ المدينةِ للسماعِ ، فقالَ الشافعيُّ : لا أعلمُ أحداً مِنْ علماءِ الحجازِ كرهَ السماعَ ، إلا ما كانَ منهُ في الأوصافِ ، فأمَّا الحُداءُ ، وذكرُ الأطلالِ والمرابعِ ، وتحسينُ الصوتِ بألحانِ الأشعارِ . . فمباحٌ(٣) .

وحيثُ قالَ : (إنَّهُ لهوٌ مكروهٌ يشبهُ الباطلَ) ، فقولُهُ : (لهوٌ) صحيحٌ ، ولكنِ اللهوُ مِنْ حيثُ إنَّهُ لهوٌ ليسَ بحرامٍ ، فلعبُ الحبشةِ ورقصُهُمْ لهوٌ ، وقدْ كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ينظرُ إليهِ ولا يكرهُهُ ، بلِ اللهوُ واللغوُ لا يؤاخذُ اللهُ تعالىٰ بهِ إنْ عنىٰ بهِ أنَّهُ فعلٌ لا فائدةَ فيهِ ؛ فإنَّ الإنسانَ لوْ وظَّفَ علىٰ نفسِهِ أنْ يضعَ يدَهُ علىٰ رأسِهِ في اليومِ مئةَ مرَّةٍ . . فهـٰذا عبثٌ لا فائدةَ فيهِ ولا يحرمُ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ

---

(١) في النسخ : (ومن صنعه) بدل (ومن اتخذه صنعة) ، والمثبت من (ق) ، ولعله الصواب ، والله أعلم .

(٢) الأم (٧/٥١٨) .

(٣) رواه الحافظ ابن القيسراني المقدسي في « صفوة التصوف » (ص ٣٢٩) .

أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ ، فإذا كانَ ذكرُ اسمِ اللهِ تعالىٰ على الشيءِ علىٰ طريقِ القسَمِ منْ غيرِ عقدٍ عليهِ ولا تصميمٍ ، والمخالفةُ فيهِ معَ أنَّهُ لا فائدةَ فيهِ لا يؤاخذُ بهِ . . فكيفَ يؤاخذُ بالشعْرِ والرقصِ ؟!

وأمَّا قولُهُ : (يشبهُ الباطلَ) . . فهـٰذا لا يدلُّ على اعتقادِهِ تحريمَهُ ، بلْ لوْ قالَ : (هوَ باطلٌ) صريحاً . . لما دلَّ على التحريمِ ، وإنَّما يدلُّ علىٰ خلوِّهِ عنِ الفائدةِ ، فالباطلُ ما لا فائدةَ فيهِ ، فقولُ الرجلِ لزوجتِهِ مثلاً : (بعتُ نفسي منكِ) ، وقولُها : (اشتريتُ) . . عقدٌ باطلٌ مهما كانَ القصدُ اللعبَ والمطايبةَ ، وليسَ بحرامٍ إلا إذا قصدَ التمليكَ المحقَّقَ الذي منعَ الشرعُ منهُ .

وأمَّا قولُهُ : (مكروهٌ) . . فيُنزَّلُ علىٰ بعضِ المواضعِ التي ذكرناها ، أوْ يُنزَّلُ على التنزيهِ ، فإنَّهُ نصَّ علىٰ إباحةِ لعبِ الشطرنجِ ، وذكرَ : (إنِّي أكرَهُ كلَّ لعبٍ) ، وتعليلُهُ يدلُّ عليهِ ، فإنَّه قالَ : (ليسَ ذلكَ مِنْ عادةِ ذوي الدينِ والمروءةِ)(١) ، فهـٰذا يدلُّ على التنزيهِ .

وردُّهُ الشهادةَ بالمواظبةِ عليهِ لا يدلُّ علىٰ تحريمِهِ أيضاً ، بلْ قدْ تُردُّ الشهادةُ بالأكلِ في السوقِ ، وما يخرمُ المروءةَ ، بلِ الحياكةُ مباحةٌ ، وليسَتْ مِنْ صنائعِ ذوي المروءةِ ، وقدْ تُردُّ شهادةُ المحترفِ بالحرفةِ الخسيسةِ ، فتعليلُهُ يدلُّ علىٰ أنَّهُ أرادَ بالكراهةِ التنزيهَ ، وهـٰذا هوَ الظنُّ أيضاً بغيرِهِ مِنْ كبارِ الأئمَّةِ ، وإنْ أرادوا التحريمَ . . فما ذكرناهُ حجَّةٌ عليهِمْ .

* * *

---

(١) الأم (٧/ ٥١٥) .

بيان حجة القائلين بتحريم السماع والجواب عنها

احتجُّوا بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ ، قالَ ابنُ مسعودٍ والحسنُ البصريُّ والنخعيُّ رضيَ اللهُ عنهُمْ : إنَّ لهْوَ الحديثِ هوَ الغناءُ(١) .

وروَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ حرَّمَ القَينةَ وبيعَها وثمنَها وتعليمَها)(٢) .

فنقولُ : أمَّا القينةُ : فالمرادُ بها الجاريةُ التي تغنِّي للرجالِ في مجلسِ الشربِ ، وقدْ ذكرنا أنَّ غناءَ الأجنبيَّةِ للفسَّاقِ ومَنْ يُخافُ منهُ الفتنةُ حرامٌ ، وهمْ لا يقصدونَ بالقينةِ إلا ما هوَ محظورٌ ، فأمَّا غناءُ الجاريةِ لمالكِها . . فلا يُفهمُ تحريمُهُ مِنْ هـٰذا الحديثِ ، بلْ لغيرِ مالكِها سماعُها عندَ عدمِ الفتنةِ ؛ بدليلِ ما رُوِيَ في « الصحيحينِ » مِنْ غناءِ الجاريتينِ في بيتِ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها(٣) .

وأمَّا شراءُ لهوِ الحديثِ بالدينِ استبدالاً بهِ ليضلَّ عنْ سبيلِ اللهِ . . فهوَ حرامٌ مذمومٌ ، وليسَ النزاعُ فيهِ ، وليسَ كلُّ غناءٍ بدلاً عنِ الدينِ مشترىً بهِ ومضلاً عنْ سبيلِ اللهِ تعالىٰ ، وهوَ المرادُ في الآيةِ ، ولوْ قرأَ القرآنَ ليضلَّ بهِ عنْ سبيلِ اللهِ . . لكانَ حراماً .

---

(١) رواه الحاكم في « المستدرك » (٢/٤١١) عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢١٥٤٥) عن النخعي عن مجاهد .

(٢) رواه الطبراني في « الأوسط » (٤٥١٠) .

(٣) روىٰ ذلك البخاري (٩٨٨) ، ومسلم (٨٩٢) .

حُكِيَ عنْ بعضِ المنافقينَ أنَّهُ كانَ يؤمُّ الناسَ ولا يقرأُ إلا (سورةَ عبسَ) لما فيها مِنَ العتابِ معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فهمَّ عمُر رضيَ اللهُ عنهُ بقتلِهِ ورأىٰ فعلَهُ حراماً ؛ لما فيهِ منَ الإضلالِ(١) ، فالإضلالُ بالشعرِ والغناءِ أولىٰ بالتحريمِ .

* * *

واحتجُّوا بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾ ، قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : هوَ الغناءُ بلغةِ حِمْيرٍ(٢) ؛ يعني السمدَ ، فنقولُ : فينبغي أنْ يحرمَ الضحكُ وعدمُ البكاءِ أيضاً ؛ لأنَّ الآيةَ تشتملُ عليهِ .

* * *

فإنْ قيلَ : إنَّ ذلكَ مخصوصٌ بالضحكِ على المسلمينَ لإسلامِهِمْ . . **فهٰذا** أيضاً مخصوصٌ بأشعارِهِمْ وغنائِهِمْ في معرضِ الاستهزاءِ بالمسلمين ؛ كما قالَ تعالىٰ : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ وأرادَ بهِ شعراءَ الكفَّارِ ، ولمْ يدلَّ ذلكَ علىٰ تحريمِ نظمِ الشعرِ في نفسِهِ .

* * *

واحتجُّوا بما روىٰ جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ :

---

(١) قوت القلوب (١/ ٩٣) وفيه أنَّه ضرب عنقه .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (١٣/ ٢٧/ ١٠٣) ، وفيه من معاني السمد : البرطمة ، وهي الشموخ .

« كانَ إبليسُ أوَّلَ مَنْ ناحَ ، وأوَّلَ مَنْ تغنَّىٰ »(١) ، فقدْ جمعَ بينَ النياحةِ والغناءِ .

قلنا : لا جرمَ كما استثنيَ عنهُ نياحةُ داوودَ عليهِ السلامُ ، ونياحةُ المذنبينَ علىٰ خطاياهُمْ . فكذلكَ يُستثنى الغناءُ الذي يُرادُ بهِ تحريكُ السرورِ والحزنِ والشوقِ حيثُ يباحُ تحريكُهُ ، بلْ كما استثنيَ غناءُ الجاريتينِ يومَ العيدِ في بيتِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وغناؤُهُنَّ عندَ قدومِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بقولِهِنَّ : [من مجزوء الرمل]

طَلَعَ ٱلْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ ٱلْوَدَاعِ(٢)

* * *

واحتجُّوا بما روىٰ أبو أمامةَ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « ما رفعَ أحدٌ صوتَهُ بغناءٍ إلا بعثَ اللهُ تعالىٰ إليهِ شيطانينِ علىٰ منكبيهِ يضربانِ بأعقابِهِما علىٰ صدرِهِ حتَّىٰ يمسكَ »(٣) .

قلنا : هوَ منزَّلٌ علىٰ بعضِ أنواعِ الغناءِ الذي قدمناهُ ، وهوَ الذي يحرِّكُ مِنَ القلبِ ما هوَ مرادُ الشيطانِ مِنَ الشهوةِ وعشقِ المخلوقِ ، فأمَّا ما يحرِّكُ

---

(١) قال الحافظ العراقي : (لم أجد له أصلاً من حديث جابر ، وذكره صاحب « الفردوس » من حديث علي بن أبي طالب ، ولم يخرجه ولده في « مسنده » [٤٢]) ، فردُّ المصنف إذاً من باب التنزُّل .

(٢) إنشاد البيت رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٢/ ٥٠٦) .

(٣) رواه الطبراني في « الكبير » (٨/ ٢٠٤) .

الشوقَ إلى اللهِ أوِ السرورَ بالعيدِ أوْ حدوثِ الولدِ أوْ قدومِ الغائبِ . . فهٰذا كلُّهُ يضادُّ مرادَ الشيطانِ ، بدليلِ قصَّةِ الجاريتينِ والحبشةِ والأخبارِ التي نقلناها مِنَ الصحاحِ ، **فالتجويزُ في موضعٍ واحدٍ نصٌّ في الإباحةِ ، والمنعُ في ألفِ موضعٍ محتملٌ للتأويلِ ومحتملٌ للتنزيهِ** ، أمَّا الفعلُ . . فلا تأويلَ لهُ ؛ إذْ ما حرمَ فعلُهُ إنَّما يحلُّ بعارضِ الإكراهِ فقطْ ، وما أُبيحَ فعلُهُ يحرمُ بعوارضَ كثيرةٍ حتَّى النياتِ والقُصُودِ .

* * *

واحتجُّوا بما روىٰ عقبةُ بنُ عامرٍ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « كلُّ شيءٍ يلهو بهِ الرجلُ فهوَ باطلٌ ، إلا تأديبَهُ فرسَهُ ، ورميَهُ بقوسِهِ ، وملاعبتَهُ امرأتَهُ »(١) .

قلنا : فقولُهُ : « باطلٌ » لا يدلُّ على التحريمِ ، بلْ يدلُّ علىٰ عدمِ الفائدةِ ، وقدْ يُسلَّمُ ذلكَ ، علىٰ أنَّ التلهيَ بالنظرِ إلى الحبشةِ خارجٌ عنْ هٰذهِ الثلاثةِ وليسَ بحرامٍ ، بلْ يلحقُ بالمحصورِ غيرُ المحصورِ قياساً(٢) ؛ كقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا يحلُّ دمُ امرئٍ مسلمٍ إلا بإحدىٰ ثلاثٍ »(٣) ،

---

(١) رواه أبو داوود (٢٥١٣)، والترمذي (١٦٣٧)، والنسائي (٦/ ٢٢٢)، وابن ماجه (٢٨١١).

(٢) وهٰذا تقرير جواب ثان ، **وحاصله** : أن هٰذا العام خرجت منه مفردات كثيرة جداً ، وإذا كثرت مخصصات العام . . لم تبق فيه حجة عند قوم ، وعند من يتمسك بالعموم فنقول : هٰذا العام خرج منه الغناء بالأدلة التي ذكرت . « إتحاف » (٦/ ٥٣٠) .

(٣) رواه البخاري (٦٨٧٨) ، ومسلم (١٦٧٦) وتمامه : « النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والمارق من الدين التارك للجماعة » .

فإنَّهُ يُلحقُ بهِ رابعٌ وخامسٌ ، فكذلكَ ملاعبتُهُ امرأتَهُ لا فائدةَ فيهِ إلا التلذُّذُ ، وفي هٰذا دليلٌ علىٰ أنَّ التفرُّجَ في البساتينِ وسماعَ أصواتِ الطيورِ وأنواعَ المداعباتِ ممَّا يلهو بهِ الرجلُ لا يحرمُ عليهِ شيءٌ منها وإنْ جازَ وصفُهُ بأنَّهُ باطلٌ .

* * *

واحتجُّوا بقولِ عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ : (ما تغنَّيْتُ ، ولا تمنَّيتُ ، ولا مسستُ ذكري بيميني منذُ بايعتُ بها رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)(١) .

قلنا : فليكنِ التمنِّي ومسُّ الذكرِ باليمينِ حراماً إنْ كانَ هٰذا دليلَ تحريمِ الغناءِ(٢) ، فمِنْ أينَ ثبتَ أنَّ عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ لا يتركُ إلا الحرامَ؟!(٣) .

* * *

واحتجُّوا بقولِ ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (الغناءُ ينبتُ النفاقَ في القلبِ) ، وزادَ بعضُهُمْ : (كما ينبتُ الماءُ البقلَ) ، ورفعَهُ بعضُهُمْ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وهوَ غيرُ صحيحٍ(٤) .

---

(١) رواه ابن ماجه (٣١١) .

(٢) وهما ليسا كذلك . « إتحاف » (٦/ ٥٢٥) .

(٣) وإنما تنزه عن ذلك كما تنزه عن غيره من المباحات ، وكثير من الصحابة رضي الله عنهم تورعوا وزهدوا في كثير من المباحات . « إتحاف » (٦/ ٥٢٥) .

(٤) رواه موقوفاً ومرفوعاً البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ٢٢٣) ، ورواه مرفوعاً أبو داوود (٤٩٢٧) ، وبيَّن الحافظ الزبيدي ضعفه في « الإتحاف » (٦/ ٥٢٥) .

قالوا : ومرَّ على ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما قومٌ محرمونَ وفيهِمْ رجلٌ يغنِّي ، فقالَ : (ألا لا أسمعَ اللهُ لكُمْ ، ألا لا أسمعَ اللهُ لكمْ) .

وعنْ نافعٍ أنَّهَ قالَ : كنتُ معَ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما في طريقٍ ، فسمعَ زمَّارةَ راعٍ ، فوضعَ إصبعيهِ في أذنيهِ ، ثمَّ عدلَ عنِ الطريقِ ، فلمْ يزلْ يقولُ : يا نافعُ ؛ أتسمعُ ذلكَ ؟ حتَّىٰ قلتُ : لا ، فأخرجَ إصبعيهِ وقالَ : هٰكذا رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ صنعَ(١) .

وقالَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمهُ اللهُ : (الغناءُ رقيةُ الزنا)(٢) .

وقالَ بعضُهُمْ : (الغناءُ رائدٌ مِنْ روَّادِ الفجورِ)(٣) .

وقالَ يزيدُ بنُ الوليدِ : (إيَّاكُمْ والغناءَ ؛ فإنَّهُ ينقصُ الحياءَ ويزيدُ الشهوةَ ، ويهدمُ المروءةَ ، وإنَّهُ لينوبُ عنِ الخمرِ ، ويفعلُ ما يفعلُهُ السكرُ ، فإنْ كنتُمْ لا بدَّ فاعلينَ . . فجنِّبوه النساءَ ؛ فإنَّ الغناءَ داعيةُ الزنا)(٤) .

فنقولُ : قولُ ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (ينبتُ النفاقَ) أرادَ بهِ في حقِّ المغنِّي ، فإنَّهُ في حقِّهِ ينبتُ النفاقَ ؛ إذْ غرضُهُ كلُّهُ أنْ يعرضَ نفسَهُ علىٰ غيرِهِ ، ويروِّجَ صوتَهُ عليهِ ، ولا يزالُ ينافقُ ويتودَّدُ إلى الناسِ ليرغبوا في

---

(١) رواه أبو داوود (٤٩٢٤) ونعته بالمنكر ، ونحوه عند ابن ماجه (١٩٠١) عند سماع طبل .

(٢) رواه البيهقي في « الشعب » (٤٧٥٥) .

(٣) أورده ابن منظور في « مختصر تاريخ دمشق » (٦/ ٢٢) للحطيئة الشاعر .

(٤) رواه البيهقي في « الشعب » (٤٧٥٤) .

غنائِهِ ، وذلكَ أيضاً لا يوجبُ تحريماً ، فإنَّ لبْسَ الثيابِ الجميلةِ وركوبَ الخيلِ المهملجةِ وسائرَ أنواعِ الزينةِ والتفاخرِ بالحرثِ والأنعامِ والزرعِ وغيرِ ذلكَ(١) . . ينبتُ الرياءَ والنفاقَ في القلبِ ، ولا يُطلقُ القولُ بتحريمِ ذلكَ كلِّهِ ، فليسَ السببُ في ظهورِ النفاقِ في القلبِ المعاصيَ فقطْ ، بلِ المباحاتُ التي هيَ مواقعُ نظرِ الخلقِ أكثرُ تأثيراً ، ولذلكَ نزلَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ عنْ فرسٍ هملجَ تحتَهُ وقطعَ ذنبَهُ(٢) ؛ لأنَّهُ استشعرَ في نفسِهِ الخيلاءَ لحسْنِ مشيتِهِ ، فمبدأُ النفاقِ مِنَ المباحاتِ .

وأمَّا قولُ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما : (ألا لا أسمعَ اللهُ لكمْ) . . فلا يدلُّ على التحريمِ مِنْ حيثُ إنَّهُ غناءٌ ، بلْ كانوا محرمينَ ، ولا يليقُ بهِمُ الرفثُ(٣) ، وظهرَ لهُ مِنْ مخايلِهِمْ أنَّ سماعَهُمْ لمْ يكنْ لوجدٍ وشوقٍ إلىٰ زيارةِ بيتِ اللهِ تعالىٰ ، بلْ لمجرَّدِ اللهوِ ، فأنكرَ ذلكَ عليهِمْ لكونِهِ منكراً بالإضافةِ إلىٰ حالِهِمْ وحالِ الإحرامِ ، وحكاياتُ الأحوالِ تكثرُ فيها وجوهُ الاحتمالِ .

وأمَّا وضعُهُ إصبعيهِ في أذنيهِ . . فيعارضُهُ أنَّهُ لمْ يأمرْ نافعاً بذلكَ ولا أنكرَ عليهِ سماعَهُ ، وإنَّما فعلَ ذلكَ هوَ لأنَّهُ رأىٰ أنْ ينزِّهَ سمعَهُ في الحالِ وقلبَهُ عنْ

---

(١) ولكونه عطف الزرع على الحرث فقد يتعين كون الحرث هنا : جمع المال وكسبه ، **والمهملجة** : مذللة منقادة ، وهي لفظة فارسية .

(٢) رواه بنحوه أبو داوود في « الزهد » (٧٧) .

(٣) إذ فرق بين القصائد والأغاني ، قال أبو طالب في « القوت » (٢/ ٦٢) : (والفرق بين الأغاني والقصائد أن الأغاني ما شبِّب به النساء ، وذكر فيه الغزل ووصفن به ، وشهدن منه ، ودعا إلى الهوىٰ ، وشوّق إلى اللهو) .

صوتٍ ربَّما يحرِّكُ اللهوَ ويمنعُهُ عنْ فكرٍ كانَ فيهِ أوْ ذكْرٍ هوَ أولىٰ منهُ ، وكذلكَ فِعلُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ معَ أنَّهُ لمْ يمنعِ ابنَ عمرَ لا يدلُّ أيضاً على التحريمِ ، بلْ يدلُّ علىٰ أنَّ الأولىٰ تركُهُ ، **ونحنُ نرىٰ أنَّ الأولىٰ تركُهُ في أكثرِ الأحوالِ** ، بلْ أكثرُ مباحاتِ الدنيا الأولىٰ تركُها إذا علمَ أنَّ ذلكَ يؤثِّرُ في القلبِ ، فقدْ خلعَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بعدَ الفراغِ مِنَ الصلاةِ ثوبَ أبي جهمٍ(١) ؛ إذْ كانَتْ عليهِ أعلامٌ شغلَتْ قلبَهُ ، أفترىٰ أنَّ ذلكَ يدلُّ علىٰ تحريمِ الأعلامِ على الثوبِ ؟! فلعلَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ في حالةٍ كانَ صوتُ زمَّارةِ الراعي يشغلُهُ عنْ تلكَ الحالةِ كما شغلَهُ العَلَمُ عنِ الصلاةِ .

بلِ الحاجةُ إلى استثارةِ الأحوالِ الشريفةِ مِنَ القلبِ بحيلةِ السماعِ قصورٌ بالإضافةِ إلىٰ مَنْ هوَ دائمُ الشهودِ للحقِّ وإنْ كانَ كمالاً بالإضافةِ إلىٰ غيرِهِ ، ولذلكَ قالَ الحصريُّ : (ماذا أعملُ بسماعٍ ينقطعُ إذا ماتَ مَنْ يُسمعُ منهُ ؟!)(٢) ، إشارةً إلىٰ أنَّ السماعَ مِنَ اللهِ تعالىٰ هوَ الدائمُ ، والأنبياءُ عليهِمُ السلامُ على الدوامِ في لذَّةِ السمعِ والشهودِ ، فلا يحتاجونَ إلى التحريكِ بالحيلةِ .

وأمَّا قولُ الفضيلِ : (هوَ رقيةُ الزنا) وكذلكَ ما عداهُ مِنَ الأقاويلِ القريبةِ

---

(١) رواه البخاري (٣٧٣) ، ومسلم (٥٥٦/ ٦٢) .

(٢) رواه الطوسي في « اللمع » (ص ٣٤٣) عنه مباشرة ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٥٠) ، والحصري هو علي بن إبراهيم البصري .

منهُ . . فهوَ منزَّلٌ علىٰ سماعِ العشاقِ والمغتلمينَ مِنَ الشبَّانِ ، ولوْ كانَ ذلكَ عامّاً . . لما سُمِعَ مِنَ الجاريتينِ في بيتِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

* * *

وأمَّا القياسُ : فغايةُ ما يذكرُ فيهِ أنْ يُقاسَ على الأوتارِ ، وقدْ سبقَ الفرقُ ، أوْ يُقالُ : هوَ لهوٌ ولعبٌ ، وهوَ كذلكَ ، لكنِ الدنيا كلُّها لهوٌ ولعبٌ ، قالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ لزوجتِهِ : (إنَّما أنتِ لعبةٌ في زاويةِ البيتِ)⁽¹⁾ ، وجميعُ الملاعبةِ معَ النساءِ لهوٌ إلا الحراثةَ التي هيَ سببُ وجودِ الولدِ .

وكذلكَ المزحُ الذي لا فحشَ فيهِ حلالٌ ، نُقِلَ ذلكَ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وعنِ الصحابةِ كما سيأتي تفصيلُهُ في كتابِ آفاتِ اللسانِ إنْ شاءَ اللهُ ، وأيُّ لهوٍ يزيدُ علىٰ لهوِ الحبشةِ والزنوجِ في لعبِهِمْ وقدْ ثبتَ بالنصِّ إباحتُهُ ؟! علىٰ أنِّي أقولُ : اللهوُ مروِّحٌ للقلبِ ، ومخفِّفٌ عنهُ أعباءَ الفكرِ ، والقلوبُ إذا أُكرهتْ . . عميَتْ ، وترويحُها إعانةٌ لها على الجدِّ ، فالمواظبُ على التفقُّهِ مثلاً ينبغي أنْ يتعطَّلَ يومَ الجمعةِ ؛ لأنَ عطلةَ يومٍ تبعثُ النشاطَ في سائرِ الأيامِ ، والمواظبُ على نوافلِ الصلواتِ في سائرِ الأوقاتِ ينبغي أنْ يتعطَّلَ في بعضِ الأوقاتِ ، ولأجلهِ كُرِهَتِ الصلاةُ في بعضِ الأوقاتِ ، فالعطلةُ معونةٌ على العملِ ، واللهوُ معينٌ على الجدِّ ،

---

(1) قوت القلوب (٢/ ٢٥٣) .

ولا يصبرُ على الجدِّ المحضِ والحقِّ المرِّ إلا نفوسُ الأنبياءِ عليهِمُ السلامُ .

فاللهوُ دواءُ القلبِ عنْ داءِ الإعياءِ والملالِ ، فينبغي أنْ يكونَ مباحاً ، ولكنْ لا ينبغي أنْ يستكثرَ منهُ كما لا يستكثرُ مِنَ الدواءِ .

فإذاً ؛ اللهوُ علىٰ هـٰذهِ النيّةِ يصيرُ قربةً ، هـٰذا في حقِّ مَنْ لا يحرِّكُ السماعُ مِنْ قلبِهِ صفةً محمودةً يُطلبُ تحريكُها ، بلْ ليسَ لهُ إلا اللذةُ والاستراحةُ المحضةُ ، فينبغي أنْ يُستحبَّ لهُ ذلكَ ؛ ليتوصَّلَ بهِ إلى المقصودِ الذي ذكرناهُ .

نعمْ ، هـٰذا يدلُّ علىٰ نقصانٍ عنْ ذروةِ الكمالِ ؛ فإنَّ الكاملَ هوَ الذي لا يحتاجُ أنْ يروِّحَ نفسَهُ بغيرِ الحقِّ ، ولكنَّ حسناتِ الأبرارِ سيئاتُ المقرَّبينَ ، ومَنْ أحاطَ بعلمِ علاجِ القلوبِ ، ووجوهِ التلطُّفِ بها للسياقةِ إلى الحقِّ . . علمَ قطعاً أنَّ ترويحَها بأمثالِ هـٰذهِ الأمورِ دواءٌ نافعٌ لا غنىً عنهُ .

* * *

Birinci Bab

SEMÂIN MÜBÂHLIĞI HAKKINDA ULEMÂNIN İHTİLÂFI

Semâın (mûsiki) **helâl veyâ haram olduğuna dâir ulemâ ve mutasavvifenin sözleri:**

Bilmiş ol ki: **“semâ”** yâni mûsiki bir başlangıçtır. Kalbde **“vecdi”** yâni duyurma halini doğurur. Bu vecd ve duygu, bedeni harekete geçirir. Bu hareket muvâzenesiz bir sarsıntı ise buna ızdırap (deprenmek) denir. Muvâzeneli ve intizâmlı olursa buna tasfîk (elleri birbirine çarpmak) ve raks yâni bütün âzâ ile hareket edip sallanmak ve oynamak denir.

Birinci Derece

Önce birinci derecede olan **“semâ”**ı ele alalım, onun hükmünü anlatalım ve mezhep imamlarının bunun hakkındaki sözlerini anlatalım. Sonra mübâh olduğuna dâir delîlleri açıklayalım ve **“haramdır”** diyenlere gereken cevaplarını verelim.

Semâ hakkında mezhep imamlarının sözleri:

Kadı Ebû’t-Tayyib et-Taberî,[1] Şâfiî, Mâlikî, Ebû Hanife, Süfyan ve ulemâdan bir cemâatten, haram olduğuna dâir sözler rivâyet etmiştir.

---

[1] Şafiî mezhebinin ileri gelenlerindendir. Hicrî 348 târihinde Taberistan’da doğmuş, yüz yaşını aşkın olarak 450’de ölmüştür.

Şâfiî **"Âdâbü'l-Kazâ"** adlı kitabında şöyle der: **"Teganni** bâtıla benzeyen mekrûh bir oyundur. Buna fazla devam eden ahmaktır ve şehâdeti merdûttur, yâni kabul edilmez."

Kadı Ebû't-Tayyib diyor ki: "Mahremi olmayan kadından tegannî dinlemek, Şâfiilere göre hiçbir suretle câiz değildir. Muganniyye, (Şarkı söyleyen, tegannî eden kadın) ister açıkta ister perde arkasında olsun, ister hür ve ister câriye bulunsun hepsi birdir."

Yine Ebû't-Tayyib, Şâfiî'nin: "Bir kimse halkı başına toplayıp câriyesine şarkı söyletir ve onları dinletirse, bu kimse sefih, yâni akılsızdır ve şehâdeti makbul değildir." dediğini naklediyor. Yine rivâyet olunduğuna göre, İmâm Şâfiî, herhangi bir şeyi diğerine dokundurup ses çıkarmayı da mekrûh tanır ve, bunu Kur'ân-ı Kerîm'i dinlememek için zındıklar icâd etti, derdi.

İmâm Şâfiî, Nerd-tavla-ile eğlenmenin diğer çalgı âletleri ile eğlenmekten daha mekrûh olduğunu söylerdi. Yine İmâm Şâfiî, satranç ve benzeri eğlenceleri mekrûh görürüm. Zîra oyun, mürüvvet ve diyânet sâhibi kimselerin işi değildir, derdi. (Şüphesiz bunlar, parasız eğlencelerdir.)

İmâm Mâlik, türkü ve şarkılardan nehyeder ve "Bir kimse, bir câriye satın aldıktan sonra, şarkıcı olduğunu anlarsa, onu iâde etmeye hakkı vardır." derdi. İbrahim b. Sa'd'dan[2] başka bütün Medînelilerin görüşü de bu yoldadır.

İmâm-ı Âzam Ebû Hanife de şarkı ve türküyü kerîh görür ve türkü dinlemeyi günâh sayardı. Süfyân-ı Sevrî, Hammad, İbrâhim, Şa'bî ve diğer Küfe halkı da aynı görüşte idiler.

---

[2] Medîneli ve Kureyşî olup, Bagdad'a göç etmiştir. Sikadandır. 108 Hicrîde doğmuş ve 158 Hicrî'de ölmüştür.

Bütün bu anlattıklarımızı Kadı Ebû't-Tayyib et-Taberî nakletmiştir. Buna karşı Ebû Tâlib-i Mekkî "**Kûtü'l-Kulûb**" kitabında birçok kimselerden "Semâın yâni musikînin mübâh olduğunu" yazmış ve ashâbtan Abdullah b. Câfer, Abdullah b. Zübeyr, Muğîre b. Şû'be, Muâviye ve daha başkalarının semâ ettiklerini söylemiştir. Ve devamlı sahâbe ve tâbiîn gibi birçok selef-i sâlihler şiir söylemişler, semâ etmişler ve Mekke'de Hicaz halkı yılın en fazîletli bayram günlerinde semâ dinlemişlerdir ki, bu günler zikir ile geçirilmeleri emredilen teşrîk günleri gibi sayılı günlerdir. Medîneliler de Mekkeliler gibi bu güne kadar şiir dinlemektedirler. Hattâ Kadı Ebû Mervan'a[3] yetiştik. Onun da câriyeleri sûfiler için hazırladıkları şiirleri dinletirdi. Ata'nın da iki câriyesi tegannî eder ve dostları dinlerdi. Ebû'l-Hasan b. Sâlim'e:

– "Cüneyd, Seriyyü's-Sakatî ve Zünnûn gibi zâtlar, gınayı dinlerken siz men eder misiniz?" diye sorduklarında, Ebû'l-Hasan:

– "Benden çok üstün olan bu zâtlar dinledikten sonra ben ne diyebilirim." demiştir. Abdullah b. Câfer et-Tayyar da semâ ederdi. Ancak semâda oyun ve eğlenceyi kabul etmezdi. Rivâyete göre Yahya b. Muaz şöyle demiştir:

"Üç şey kaybettik, bunların yokluğu bize zarardan başka bir şey getirmez. **Birincisi,** haramdan korumak sûretiyle güzel yüz. **İkincisi,** diyâneti korumakla güzel söz ve güzel ses. **Üçüncüsü** de vefâkârlıkla samimî arkadaşlıktır." Aynen bu ifâdeyi bâzı kitaplarda Hâris-i Muhâsibi'den de bulduk. Kemâl-i zühdi, dîninde tevakkîsi ve gayretiyle beraber ifâdede **"semâ"** dinlemeye cevaz vardır.

---

[3] Osmân b. Affan'ın torunlarından olup, Medîne'de doğmuş ve Mekke'de ikamet etmiştir. Sikadandır. Hicri 241'de ölmüştür.

Ebû Tâlib diyor ki: "İbn Mücâhid[4] semâ olmayan dâvetlere icâbet etmezdi." Birçokları şöyle anlatıyor: "Bir dâvette toplanmıştık. Aramızda Ebû'l-Kasım Beğavî, Ebû Bekir b. Dâvûd[5] ve İbn Mücâhid gibi zâtlar da bulunuyordu. Tâm o sırada "semâ" hazırlandı. İbn Mücâhid, İbn Ebû Dâvûd'un semâ etmesi için, İbn bint-i Mûni'i teşvîk ediyordu. İbn-i Ebû Dâvûd:

– "Babam bana, Ahmed b. Hanbel'den rivâyetine göre, Ahmed b. Hanbel, semâı kerih görürdü, ben de kerih görürüm. Ebû'l-Kasım İbn-i bint-i Mûni' de, dedim. Salih b. Ahmed[6]'den bana rivâyetinde, o da İbn Hubbâze'nin şiirine semâ ederdi." dedi. Bunun üzerine İbn Mücâhid:

– "İkinizin de rivâyetleri sizde kalsın." dedi ve Ebû Bekir'e dönerek:

– "Sen ne dersin, semâ ve şiir haram mıdır?" diye sordu. Ebû Bekir İbn Ebû Dâvûd:

– "Hayır, değildir." dedi. İbn Mücâhid:

– "Sesi güzel ise söylemesi haram olur mu?" diye sordu. Ebû Bekir:

– "Hayır, olmaz." dedi. İbn Mücâhid:

– "Bunu şiir haline sokar. Bâzı yerlerini uzatır ve bâzı yerlerini kısaltırsa haram olur mu?" diye sorunca, Ebû Bekir:

---

[4] Kelâmcıların şeyhi Abdullah b. Mücâhid olması muhtemeldir. Bağdadlı Ebû Bekir olmak ihtimâli de vardır. Sikadan olup Hicrî 324'de ölmüştür.

[5] Hicrî 230'da Sicistan'da doğmuştur. Ezberinden otuz bin hadîs rivâyet etmiştir. Hicrî 310'da ölmüştür.

[6] Anadan dedesi Ahmed b. Mâni'dir. Bağdad'a göç etmiş ve sikadandır. Hicrî 160'da doğmuş, 244'de ölmüştür. Salih b. Ahmed'in künyesi Ebû'l-Fadl'dır.

– “Ben bir şeytan ile başa çıkamıyorum, iki şeytan ile nasıl başa çıkabilirim.” dedi.

Yine **“Kûtü’l-Kulûb”** sâhibi diyor ki: Ebû’l-Hasan el-Askalânî velîlerden iken, kendisinden geçecek ve bîhûş olacak derecede semâ ederdi. Hattâ bu hususta bir kitap yazdı ve semâı inkâr edenleri o kitapta reddetti. Bunun gibi daha birçokları da semâı yasak edenlerin aleyhinde yazılar yazdılar.

Şeyhin birinden hikâye edildiğine göre diyor ki: Ebû’l-Abbâs: “Hızır aleyhisselâmı gördüm ve:

– “Hocalarımızın üzerinde ihtilâf ettiği bu semâ hakkında sizin görüşünüz nedir?” diye kendisinden sordum. Hızır aleyhisselâm:

– “O, öyle kaygan bir taştır ki, onun üzerinde ancak âlimler ayak tutturabilir.” dedi.

Mümşâd ed-Dînûrî[7]’den hikâye olunduğuna göre diyor ki: Rasûl-i Ekrem’i rüyâmda gördüm ve kendisine:

– “Semâı inkâr eder misiniz?” diye sordum. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– “Hayır, hiç bir şeyi reddetmem. Yalnız onlara söyle; Kur’ân ile başlasınlar ve Kur’ân ile bitirsinler.” buyurdu.

İlim ehlinden olan Tahir b. Bilâl-i Hemedânî el-Varak’dan hikâye edildiğine göre, şöyle anlatıyor: Cidde’de deniz kenarında bir câmide îtikâfa girmiştim. Bir gün câmiin bir kenarında bâzı kimselerin şiir söylediklerini gördüm ve bunu iyi bulmadım. Kendi kendime; “Allahın evinde şiir söylüyorlar.” dedim. O gece rüyâmda Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'i aynı yerde yanında Ebû Bekir (r.a.) olduğu halde gördüm. Bir de baktım ki, Ebû Bekir (r.a.) şiir söylüyor. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de elini göğsüne koymuş, âdeta vecde gelmiş gibi dinliyordu. Kendi kendime; "Daha benim onlara diyecek ne hakkım var. İşte Peygamber dinliyor, Ebû Bekir söylüyor." dedim. Tam o sırada Rasûl-i Ekrem bana teveccüh ederek: "Bu haktır" buyurdu.

---

[7] Adı, Muhammed b. Hüseyin’dir. Künyesi Ebû Ali’dir. Cüneyd’den almıştır. 390 Hicri’de ölmüştür.

Cüneyd diyor: "Bu sûfiye taifesine, üç yerde rahmet iner:

Birincisi: Yemek yerken; çünkü onlar tam ve ihtiyaç anında ibâdete kuvvet olsun diye yemek yerler.

İkincisi: Müzâkere esnâsında; çünkü onlar ancak sıddîkların makamlarından konuşurlar.

Üçüncüsü: Semâ vaktinde; çünkü onlar vecd içinde semâ eder ve Hakk'a şehâdet ederler.

Rivâyete göre İbn Cüreyc[8] semâa müsâade ederdi. Kendisine:

– "Bu müsâadeniz kıyâmet günü sevapların arasında mı, yoksa günâhların arasında mı gelir?" diye sormuşlar. O da:

– "Ne sevap, ne de günâhlar arasındadır. Lağv gibi bir şeydir." derdi. Nitekim Kur'ân-ı Kerîm'de Allahü Teâlâ şöyle buyurmuştur:

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ

"Allahü Teâlâ yemindeki lâğvlerinizden dolayı sizleri muâheze etmez." (Bakara sûresi, 2/225)

---

[8] Abdülmelik'in oğludur, Emevîlerdendir. Dînin beşiği sayılırdı. Hicri 150 târihinde ölmüştür.

Buraya kadar anlattıklarımız, söylenen lakırdılardır. semâ hususunda bu gibi sözleri taklîdden gerçeği bulmak isteyenler, bu delîlleri inceledikte, delîllerin muâraza ettiğini görür ve hangisi ile amel edeceğini şaşırır. Bâzen kendi arzusu ile bir tarafa meyleder ki, hepsi kusur olur. Lâyık olan hakkı, kendi yollarından aramak lâzımdır. Bu da şimdi anlattığımız gibi mahzurlu veyâ mübâh olup olmadığı hakkında delîlleri araştırmakla olur.

SEMÂIN MÜBAH OLDUĞUNA DÂİR DELÎLLER

Bilmiş ol ki: "Semâ haramdır." demenin mânâsı, "Allahü Teâlâ, bundan dolayı azâb eder." demektir. Bu ise yalnız akıl ile değil, nakil ile bilinir. Dînî hükümler ya nassa veyâhut nass üzerine kurulan kıyâsa bağlıdır. Nassdan gâyemiz, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in sözü veyâ işi ile sâbit olan hükümlerdir. Kıyâstan gâyemiz de, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in söz ve işinden anlaşılan mânâlardır. Şâyet bir hükümde nass veyâ nassa dayanan kıyâs olmazsa, artık buna haram olarak hükmetmek bâtıldır. Bu iş, diğer mübâhlar gibi kalır. Semâın haram olduğuna dâir ne nass var ne de kıyâs. Haram olduğuna meyledenlerin göstereceği delîllere vereceğimiz cevapta bunu açıklayacağız. Onların delîllerine vereceğimiz cevaplar tamam olunca, bu maksadı isbât için kâfi gelir. Fakat her şeyden önce biz deriz ki; nass ile kıyâs semâın ibâhatine delâlet eder.

Kıyâs: Tegannîde birkaç mânâ toplanmıştır. Bunları teker teker ele alacağız ve sonra da hepsinden bahsedeceğiz. Tegannîde mânâsı anlaşılan vezinli güzel söz vardır. Kalbi tahrîk eden güzel bir sestir. Güzel, vezinli olur, vezinsiz olur. Vezinli olanın ya mânâsı anlaşılır; şiirler gibi. Veyâ mânâsı anlaşılmaz; hayvanât ve cansızların sesi gibi...

Ses güzel olduğu için, onu dinlemenin haram olduğunu söylemek doğru değildir; belki nass ve kıyâs ile helâldir.

Kıyâs ile helâl olduğuna gelince; güzel ses, işitme hassasının kendine mahsus anlayışıyla zevkini sağlar. İnsanın aklı ve beş hassası vardır. Her hassanın kendine has bir anlayışı vardır. Her hassa, kendi anlayışına göre zevk alır. Gözün zevki güzel yeşilliklerde, akarsular ve güzel yüzleri görmesindedir.

Hulâsa, bütün çirkin şeyler karşılığındaki güzel şeylerden göz zevk alır. Koku hassası da bütün kötü kokular karşısında ne kadar güzel kokular varsa, hepsinden zevk alır. Tad alma hassası; ne kadar yağlı, tatlı, mayhoş şeyler varsa, onlardan zevk alır. Ekşi, acı ve kekremsi şeylerden hoşlanmaz. Ellemek; yumuşaklık, nezâket, kaypaklık halinden zevk alır ki, bu da katılık ve sertlik karşılığıdır. Akıl da cehâlet ve gabâvetin karşılığı olan zekâ, anlayış ve ilmin zevkini duyar. Bunun gibi, kulak ile duyulan sesler; zevk veren bülbül ve çalgı sesleri, zevk vermeyen eşek ve benzerlerinin sesleri olmak üzere ikiye ayrılır. Diğer hassaların zevkli taraflarında günâh yok da, kulağın kastı neresinde? İşitmek hassası ile diğer hassalar arasında ne fark vardır?

Nassa gelince: Allahü Teâlâ'nın, güzel ses vermesiyle insanları minnet altına alması, onun dinlenebilmesine delîldir. Nitekim âyet-i celîlede:

يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ

"Yaratışta dilediğini artırır." (Fatır sûresi, 35/1) buyrulmuştur. Denildi ki, âyetteki "ziyade" den murad, güzel sestir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de şöyle buyurmuştur:

مَا بَعَثَ اللّٰهُ نَبِيًّا إِلَّا حَسَنَ الصَّوْتِ

“Allahü Teâlâ gönderdiği her peygamberi güzel sesli göndermiştir.”[9] Diğer hadîste de şöyle buyurmuştur:

اَللّٰهُ أَشَدُّ أُذُنًا لِلرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْاٰنِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ لِقَيْنَتِهِ

“Allahü Teâlâ, Kur’ân’ı güzel ses ile okuyan kimseyi, şarkıcı bir câriyeyi sahibinin dinlemesinden daha dikkat ve zevk ile dinler.”[10] Hadîs-i şerîfte, Dâvûd aleyhisselâmı övme makamında; *“Kendi kendine ağlamasında ve Zebûr okuyuşunda öyle güzel sese mâlik idi ki ins, cin, vahşî hayvanlar ve kuşlar sesini dinlemek için başına toplanırlardı. Zaman gelirdi, güzel sesinin tesîri altında dört yüz kişinin can verdiği olurdu.”* şeklinde bir kısım vardır. Ebû Mûsâ el-Eş’arî’yi methetmek üzere Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَقَدْ أُوتِيَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ اٰلِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

“Ebû Mûsâ’ya, Âl-i Dâvûd’un mizmârından, yâni güzel sesinden verilmiştir.”[11] buyurdu. Allahü Teâlâ’nın:

إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ

“Seslerin en çirkini merkep sesidir.” (Lokman sûresi, 31/19) buyurmasından, güzel sesi övmenin mânâsı anlaşılır, mefhûmu ile buna delâlet vardır.

Şâyet “Evet, güzel ses dinlenir. Ama Kur’ân okumak şartı ile.” dersen, o zaman bülbülün de sesini dinlememek iktizâ ederdi. Çünkü o, Kur’ân okumaz. Mânâsız bir ses dinlemek câiz olunca, sahih mânâları ve hikmetle dolu olan sözleri dinlemek, neden câiz olmasın? "Şiirin bâzısı hikmettir." buyrulmuştur. Bu anlattığımız, sesin güzelliği bakımından bir görüştür.

---

[9] Tirmizî **«Şemail»**inde Katade’den rivâyet etmiştir.

[10] **“Tilâvetü’l-Kur’ân Kitabı”**nda geçmiştir.

[11] **“Tilâvetü’l-Kur’ân Kitâbı”**nda geçmiştir.

İkinci Derece

Vezinli olan güzel sese bakıştır. Sözün vezinli olması, güzel sesten de ayrı bir şeydir. Nice güzel sesler var ki, vezin ve kafiye ile alâkaları yoktur. Nice de vezin ve kafiyeye uygun sesler var ki, güzel değillerdir. Mahreçleri bakımından güzel sesler üç kısma ayrılır:

Cansızlardan çıkan sesler: Düdük, davul ile benzeri çalgılardan çıkan sesler gibi. Bu sesler ya bir canlının boğazından çıkar. O canlı ya insan olur ya hayvan. Bülbül, kumru, tûti ve benzeri kuşların sesleri hem güzel, hem de kafiye ve vezin bakımından uygundurlar. Onun için bunların sesinden zevk alınır. Seslerde aslolan, canlıların hançereleridir. Çalgılar, canlıların seslerine göre ayarlanmışlardır. Sanat, hilkate benzetilmiştir. Zâten bütün sanatkârlar yaptıkları sanat eserlerini, Allahü Teâlâ'nın yarattığı bir esere bakarak icad ederler.

Sanatlar, hilkatten öğrenilir ve ona uyarlar. Bu hususu açıklarsak, söz çok uzar. Bu sesleri dinlemenin haram olması cidden muhaldir. Çünkü bunların hepsi güzel ve mevzûn sözlerdir. Bülbül ve diğer kuşların seslerini dinlemenin haram olduğunu söyleyen bir kimse yoktur. Yakışan, bülbül sesi ile Âdemoğlunun kendi ihtiyârı ile diğer cisimlerden çıkan sesleri birbirine kıyâs etmek ve aralarında fark gözetmemektir. İnsanın boğazından çıkması ile davul, def ve benzeri âletten çıkması arasında ne fark vardır? Yalnız zevk için değil de doğrudan doğruya dince yasak edilen oyunlar, telli ve nefesli çalgılar bu hükümden müstesnadır; onlar yasaktır. Zîra bunlar, zevkleri yüzünden yasak edilseydi, hepsinin yasak edilmesi iktizâ ederdi. Fakat şarap, yasak edilince, insanlar o kadar ileri gitti ki, şarap küplerini de kırmaya kalkıştılar. Şarap haram olunca, sarhoşların çaldıkları telli ve nefesli çalgılar da şaraptaki hükme uyularak yasak edilmiştir.

Nitekim yabancı kadın ile bir arada bulunmanın haram olması gibi. Çünkü yabancı kadın ile erkeğin bir arada bulunmaları zinânın mukaddimesidir. Bunun gibi, en mahrem yerine yakın olduğu için oyluklara bakmak da haram edildi, neticede sarhoşluğa gideceği için sarhoşluk vermeyen içkinin azı da haram edilmiştir. Her haramın etrafında dolaşılabilecek bir harîmi vardır. Haramlığın hükmü, o harîmi de içine alır ve haramın etrafına yaklaşmak da haram olur. Çünkü ancak bu sâyede haramdan korunur. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَىً وَإِنَّ حِمَى اللّٰهِ مَحَارِمَهُ

“Her pâdişâhın bir korusu, yasak ettiği bölgesi vardır. Allahü Teâlâ’nın yasak bölgesi de, haram ettiği şeylerdir.”[12] Bu gibi çalgıların şaraba uyularak yasak edilmeleri üç sebeptendir:

Birincisi: Zâten içki ile çalınması mutâd olan çalgılar, insanı içkiye teşvîk eder. Çünkü bu gibi zevkler çalgı ile başlar, içkide kemâlini bulur.

İkincisi: Çalgı, yakın bir geçmişte şarap içmiş olanın içmesini hatırlattığı için yasaktır. Çünkü bu gibi çalgılar çalınınca hemen içki hatırlanır. İçki hatırlanınca gönül ona meyleder. Bu temâyül kuvvet bulunca içki de içilir. Zâten bu sebepten ziftli sırlı kaplarda ve diğer çamurdan yapılmış kadehlerde, yâni şarap için kullanılan kaplarda hurma şerbeti içmek de yasak edilmiştir. Çünkü bunlar göz önünde bulundurulursa eski günler, yâni içki içilen günler hatırlanır ve hatıralarda yaşar. Şüphesiz bunları görmekten bir zevk alınmaz, ancak eskiyi hatırlattığı için, yasak edilmiş şeylerdir.[13] Demek ki, bu bardakların yasak edilmesi zevk alındığı için değil, içkiyi hatırlattığı içindir. Şâyet, semâ eden içkiyi hatırlarsa, bu yüzden ona da semâ haram olur.

---

[12] Helâl ve Harâm bahsinde geçmiştir.

Üçüncüsü: Onların başında toplanmaktır. Çalgıların başında toplanmak, kötü kimselerin âdetleri olduğundan, onlara benzemekten men edilmiştir. Zîra "Bir kavme benzemek isteyen kimse, onlardan sayılır." Hattâ bu sebepten, bid'atçiler sünneti işlemeye kalkıştıkları vakit, onlara benzememek için, sünneti dahî terk etmekle hükmedebiliriz. Ve yine bu sebepten davul çalması da haram olur. Şâyet o gibi kötülere benzemek olmasaydı, hacı ve gâziler için çalınan davul gibi olurdu ve bir mahzûru olmazdı. Yine bu sebepten deriz ki: Bir cemâat bir araya toplanıp, meclislerini süslese, içki âlet ve kadehlerini hazırlasa ve bunlara şerbetler doldurup aralarından bir sâki onlara dağıtsa, sâkiden bardağı alan, şarap ile alâkalı bir takım sözler söylese, yâni içki âlemine benzetmek isteseler, mübâh olan bu şerbet, onlara haram olur. Zîra kendilerini kötü kimselere benzetmiş oluyorlar. İşte bu sebepten kötü kimselerin kaftan giydikleri, başlarının tepesinde saç bıraktıkları mutâd olan yerlerde kaftan giymek ve bu şekilde saç bırakmaktan men edilir. Ama Mâverâü'n-Nehir'de Ceyhun'un ötesinde Ezbek diyârında bunlarda bir mahzûr yoktur. Çünkü buralarda bu kıyâfet, iyi kimselerin de îtiyâdıdır.

---

[13] Hanefilerde Rasûl-i Ekrem sonradan bu yasağını kaldırmış ve *"Hangi kapta olursa olsun şerbet içebilirsiniz."* buyurmuştur. Bu hadîsi Büreyde'den rivâyet etmiştir. Buna istinâden bu gibi bardaklarda şerbet içmekte be-is yoktur.

İşte bu sebeplerden ud (saz), sanc (zil), rebâb (bir nevî telli çalgı), berbed ve benzeri Irak çalgılarının hepsi yasak edilmiştir. Fakat bunlardan başka sarhoşların kullanmaları mutâd olmayan ve sarhoşlukla alâkası bulunmayan, vezinli güzel ses çıkaran davul ve benzeri çalgılar yasak değildir. Çünkü bunlar çalınırken içki hatırlanmadığı, ona teşvîk edilmediği ve içkicilere benzetme olmadığı için, bunlar kuşların sesine benzetilerek, mübâh olarak kalmışlardır. Yasak olmanın illeti, yalnız zevk meselesi değildir. Hattâ içkiyi hatırlatan çalgılar zevk vermeyecek şekilde vezinsiz olsalar, yine haramdır. Kıyâs, helâllığında fesâd olmayan bütün tayyibâtın helâl olmasındadır. Nitekim âyet-i celîlede:

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّٰهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ

De ki: Allahü Teâlâ'nın, kulları için çıkardığı zînetleri ve rızkın tayyibâtını, yâni temiz, helâl ve zevk veren kısımlarını kim haram eder?" (A'râf sûresi, 7/32) Bütün bu sesler, vezinli ve güzel ses olmaları bakımından haram olmazlar, belki haram kısmında anlatılacağı gibi, bâzı ârızalar sebebi ile haram olurlar.

Üçüncü Derece

Vezinli olup, mânâsı anlaşılanlardır; şiir gibi. Bu, ancak insan hançeresinden çıkar. Bunun mübâh olması mutlaktır. Çünkü bundan mevzûn olmaktan başka, üstelik söylenenin anlaşılması da vardır. Veznin haram olmadığını anlattık. Anlaşılıyor diye bir söz haram olmaz. Vezinli güzel ses de haram değildir. Bunlar teker teker haram olmadıklarına göre, ikisi bir araya gelmekle neden haram olsunlar? Evet, anlaşılan mânâya bakılır. Şâyet kötü sözlerden meydana gelmişse; ister lâhn (nağme) ile okunsun, ister lâhinsiz okunsun, o, haram olur.

Burada hak olan, İmâm Şâfii'nin (Allah rahmet etsin) söylediğidir. İmâm diyor ki: "Şiir bir sözdür; güzeli güzel, çirkini çirkindir. Sessiz ve lahinsiz şiir söylemek câiz olduğuna göre, seslisi ve lahinlisi de câizdir." Çünkü mübâhların fertleri bir araya toplanmakla haram meydana gelmez. Ancak fertlerinde olmayan mahzurlar, hepsinde bulunursa, o zaman haram olabilir. Hâlbuki burada öyle bir şey yoktur. Şiir söylemekten nasıl men edilir ki, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in huzûrunda bile şiir söylenmiş ve Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً

"Bâzı şiirler ayn-ı hikmettir."[14] buyurmuştur. Ve bizzât Hz. Aişe Lebîd'in şu şiirini okumuştur:

"Himâyelerinde barınabilecek insanlar çekildi gitti de, kendileriyle yaşanılamayacak uyuzlular arasında kaldım." Buhârî ile Müslim'de Hz. Âişe'den rivâyete göre; Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Medîne'ye hicret ettiği zaman, Hz. Ebû Bekir ve Hz. Bilâl zehirli sıtma hastalığına yakalandılar. Ben, babam ile Bilâl'a nasıl olduklarını sordum. Babam Ebû Bekir'i sıtma tuttuğu zaman:

"Herkes çoluk çocuğu arasında sabahlar. Fakat, ölüm kendisine nâlinlerinin kayışından daha yakındır." demiştir. Bilâl da sıtması kesildiği zaman yüksek sesle:

"Acaba bir daha izhir ve celîl otları arasında yatmak nasîb olacak mı?

Tüfeyl ve Şame tepelerini görecek ve Mücene suyundan kana kana içecek miyim?" demiştir. Yâni Mekke'nin hasretini çekiyorlardı.

---

[14] Buhârî, Ubey b. Kâb'dan rivâyet etmiştir.

Hz. Âişe diyor ki: Vaziyeti Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e anlattım. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

"Allahım, Mekke'yi sevdiğimiz gibi ve belki daha da fazla Medîne'yi bize sevdir." buyurdu.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Mescid-i Nebevî'nin inşâsında taş taşırken:

"Bu hamallık Hayber hamallığına benzemez, ondan çok hayırlı, iyi ve temizdir." şiirini okumuştur.

Yine diğer bir defa şöyle buyurmuştur:

لَا هُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْاٰخِرَةِ فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

"Allahım! Hayât, âhiret hayâtıdır. Muhâcir ve ensara sen rahmet et."[15] Bu hadîsler, Buhârî ile Müslim'dedir. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Hassan için Mescîd'de bir minber hazırlattı. Hassan minbere çıkar ve ayakta Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'i öven veyâ onu müdâfaa eden şiirler söylerdi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de:

إِنَّ اللّٰهَ يُؤَيِّدُ حَسَّانَ بِرُوحِ الْقُدُسِ مَا نَافَحَ أَوْ فَاخَرَ عَنْ
رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

"Muhakkak ki, Allahü Teâlâ, Rasûlü'nü övmek ve müdâfaa etmek hususunda Hassan'ı Rûhu'l-Kuds ile takviye etmektedir."[16] buyurdu. Nâbiğa, şiirini söylediği zaman, yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

[15] Birinci beyt Buhârî'de, ikinci beyt Buhârî ile Müslim'de, Enes'den rivâyet edilmiştir.

[16] Hadisi, Buhârî muallâk olarak; Ebû Dâvûd, Tirmizî ve Hâkim muttasıl olarak Hz. Aişe'den rivâyet etmişlerdir. Tirmizî ve Hâkim, sahih olduğunu söylemişlerdir.

"Dişlerin dökülmesin."[17] diye kendisine duâ etmiştir. Yine Hz. Âişe'nin anlattığına göre, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in ashâbı onun huzûrunda şiir söylerler ve Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de gülümserdi.[18] Amr b. eş-Şureyd'in babası Süveyd-i Sakafî'den rivâyetinde, babası diyor ki; Rasûl-l Ekrem'e Ümmî b. Ebû's-Salt'ın yüz kafiyeli şiirini okudum. Her beyti okudukça Rasûl-i Ekrem (s.a.v.): *"Devâm et, nerede ise bu şiirleri ile Müslüman olacaktı."* buyurdu. Enes'in (r.a.) rivâyetinde: Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in seyahatinde de şiirler söylenirdi. Encüşe kadınlara, Berâ b. Azib de erkeklere şiir söylerdi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Encüşe'ye:

يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ

"Ey Encüşe! Bardakları kırmadan, yâni bardak gibi kolay kırılan ve gönlü yumuşak olan kadınları fazla incitmemek üzere şiirlerini söyle."[19] buyurmuştur.

Develerin peşinde böyle şiir ve beyitler söylemek Arab âdetlerinden olup, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ve sahâbe devrinde mevcut idi. Bu ise güzel ses ile mevzûn şarkılardan ibârettir. Bunu sahâbeden kimse inkâr etmediği gibi, bâzen zevk ve bâzen de develeri coşturup yürütmek için bunu yaparlardı. Artık vezinli, güzel sesli ve anlayışlı sözlerdir diye haram olması düşünülemez.

Dördüncü Derece

Kalbi harekete geçirip, kalbe gâlip olan tarafı açığa çıkarması bakımından üzerinde durmaktır. Derim ki: Vezinli nağmelerin rûhlar ile münâsebetinde Allahü Teâlâ'nın bir sırrı vardır. Öyle ki, o nağmeler rûh üzerinde acayip tesirler meydana getirir. Bâzı sesler, kalbi neşelendirir; bâzıları mahzûn eder, bâzıları uyutur, bâzıları da güldürür ve hoplatır. Diğer bâzıları da söylenene uygun şekilde âzâları hareket ettirir. Bunu şiirin mânâsı anlaşıldığına hamletmek doğru değildir. Çünkü bu, diğer çalgılarda da cârîdir. Hattâ denildi ki: Bahar ve yeşilliği ûd ve evtârı (keman) kendisini harekete geçirmeyen kimsenin mizacı bozuktur, tedâvisi imkânsız bir rûh hastasıdır. Baharın yeşilliği ve çalgı seslerinde bir mânâ olmadığı meydandadır. Bununla beraber beşikteki çocukta bile güzel sesin tesîri görülen bir gerçektir. Ağlamakta olan çocuğun kulağına giden güzel ses, kendisini susturur ve o sese doğru meyleder. Develer bile katı tabiatleri ile sürücülerinin nağmelerine bayılır da ağır yük, kendilerine hafif ve uzak mesâfe de yakın gelir.

---

[17] Hüzeym b. Evs'den, Hâkim de rivâyet etmiştir.

[18] Müslim rivâyet etmiştir.

[19] Ebû Dâvûd et-Tayâlîsî rivâyet etti. Buhârî ile Müslim "**Râcife Kıssası**"nda ittifak etmişlerdir.

Çünkü bu sesten son derece zevk alırlar. Katı tabiatleri ile deve dahi sırtındaki şarkıcının sesinden öyle müteessir olur ki, yükü kendisine hafif gelir, aldığı zevk sayesinde uzak mesâfeler kendisine kısalır. Kendisini sarhoş ve mest edecek derecede bir zevk alır. Yol uzadığı vakit mahfeler altında kendilerine ağırlık ve yorgunluk gelir. Fakat deve sürücüsünün o nağmesini duydukları zaman, hemen boyunlarını o tarafa uzatır, kulakları nağmeden aldığı bu zevk ile o kadar mest olurlar ki, semeri ve yükü sırtında sallanmaya başlar. Bâzen nağmeden aldığı bu zevk ile, o kadar mest olur ki, ağır yük altında bilmeyerek süratli hareketi ile ölüme sürüklenir, kendi kendini telef eder. Ebû Bekir Muhammed b. Dâvûd ed-Dinûrî şöyle anlatıyor:

"Çölde Arap kabîlelerinden bir kabîleye uğradım. Zâtın biri beni çadırına alarak misâfir etti. Orada eli ayağı bağlı siyah bir köle ve çadırın etrafında da yeni ölmüş develer gördüm. Bir deve de henüz ölmemiş bitkin bir vaziyette can çekişiyordu. Köle, bir fırsatını bularak bana:

– "Sen misâfirsin. Efendimin misâfire hürmeti sonsuzdur. Ne olur bir iltimâs et de beni kurtar." dedi. Akşam olunca ev sâhibi yemeği getirdi. Ben de:

– "Kölenin ellerini çözmeden yemeğini yemem." dedim. Adam:

– "Bu köle beni mahvetti. Benim bir kaç devem vardı, bunların sırtından geçinirdim. Develeri bu köleye verdim, o da onları yüklettikten sonra şarkı söylemeye başladı. Sesi çok güzel olduğu için develeri mest etti ve üç günlük mesâfeyi bir günde aldı. Develerin yüklerini alınca, gördüğün gibi hiç biri yerinden kalkamadı ve hepsi öldü." dedi. "Fakat mâdem ki siz kıymetli misâfirim olarak iltimâs ettiniz, ben de ellerini çözeyim." dedi ve çözdü. Ben, adamın sesini duymak istedim. Sabah olunca saka devesi ile su getirmesini ve şiir söylemesini efendisi emretti. Köle şiire başlayınca, deve yerinden sıçrayarak yularını kopardı ve ben de bayıldım düştüm. Gerçekten böyle güzel ses, ömrümde duymamıştım.

Anlaşılıyor ki, mûsikinin gönül üzerinde tesîri vardır. Bundan müteessir olmayan kimse, hasta ve halet-i rûhiyesi bozuktur. Bu adamın, kabalığı kuşlar, develer ve bütün hayvanlardan da fazladır. Çünkü bunların hepsi vezinli nağmelerden müteessir olurlar. Nitekim kuşlar bile, güzel sesini dinlemek için Dâvûd aleyhisselâmın başı üstünde saf bağlarlardı. Binaenaleyh mûsikinin rûhlar üzerindeki tesîri mutlak sûrette onun mübâh veyâ haram olmasına sebep teşkil etmez. Ancak bu vaziyet ahvâl ve şahıslara göre değişik bir manzara arzeder ki, bu takdirde mûsikinin hükmü, kalpte olanın hükmüne tâbidir. **Ebû Süleymân ed-Dârânî** diyor ki: Mûsiki, kalpte olmayan bir şeyi kalbe koyamaz. Ancak kalpte olanı harekete geçirir. Seci, kafiye ve vezinli sözleri söylemek bâzı maksatlara gönülleri çevirmek bakımından bir kaç yerde âdettir. Bunlar da yedi yerdir:

Birincisi: Hacıların uğurlanışı esnâsında çalıp söylenenlerdir. Onlar önce kasabalarda davul, şâhin çalıp şiirler söyleyerek memlekette dolaşırlar ki, bu mübâhtır. Zîra bunların söyledikleri Kâbe, Makam, Hatîm, Zemzem ve diğer mübârek makamları öven ve Arap çölünü anlatan şiirlerdir. Bunlar insanları Kâbe'yi ziyârete teşvîk eder ve insanların gönüllerini teshîr ederler. İçeride bir aşk varsa onu ateşlendirirler; yoksa bir heves ve heyecan uyandırırlar. Hac, bir ibâdet ve ona teşvîk, güzel bir hareket olduğuna göre, hangi vâsıta ile olursa olsun, ona teşvîki sağlayan her şey makbuldür. Nasıl ki vâize, sözlerini süsleyerek vezin haline getirip yaldızlı cümleler kullanmak ve bu gibi cümlelerle haccın ehemmiyetini ve mükâfatını güzelce anlatıp, hacca teşvîk etmek câiz ise başkalarını da bu hususta manzûm şiir ve beyitler okumak sûretiyle hacca teşvîk etmek câizdir.

Çünkü secili sözler, bir de vezin haline gelirse tesîri daha da artar. Buna bir de güzel ses eklenirse, tesîr biraz daha çoğalmış olur. Hele buna davul, şâhin ve hareketler eklendi mi bu tesîr son haddine ulaşır. Kötülerin kullandığı nefesli ve telli çalgılar, bu işe katılmayınca, bütün bunların hepsi câizdir. Evet, hacca çıkması câiz olmayan kimseyi, meselâ hac farizasını îfa etmiş, tekrar gitmek istiyor fakat anne ve babası izin vermiyor, bunun hacca gitmesi haramdır. İşte bu gibileri çekici sözler ve mûsiki ile hacca teşvîk etmek de haramdır. Çünkü harama teşvîk de haramdır. Yine yol emniyeti mevcut değil ve yolda tehlike var ise hacca teşvîk câiz olmaz.

İkincisi: Hacılarda olduğu gibi, gâzilerin, insanları gazâya teşvîk için yaptıkları da câizdir. Fakat onların şarkıları ve okunuş tarzları, hacıların şiir ve okunuş şeklinden ayrı olmalıdır. Zîra harbe teşvîk, korkakları cesârete getirmek, düşmanlara karşı onları harekete geçirmek, kahramanlığı övmek ve cihâd uğrunda mal ve cana kıymet vermemek gibi şarkılar ve bu şarkıları aynı rûh içinde söylemekle mümkündür. Nitekim Mütenebbî şöyle diyor:

"Kılıçlar altında fazîletler tamamlanmazsa, artık zillet belirir." Yine:

"Korkaklar, korkaklığı akıllılık sanır. Hâlbuki bu anlayış alçak tabiatlerin bir hîlesidir." demiştir.

İşte buna benzer korkaklığı yeren, şecaati öven marşlar ve şarkılar söylenmelidir. Vezin ve besteleri teşvîk, yollarına göre değişir. Gazânın mübâh olduğu yerlerde böylece gazâya teşvîk mübâh, müstehâp olduğu yerlerde de mendûbtur. Fakat bütün bu tahrikler harbe çıkabilecek vazıyette olanlara yapılmalıdır.

Üçüncüsü: Düşman karşısında kahramanların kendilerini öven şiirleridir. Yâni bu şiirleri kendilerini harekete geçirmek, kuvvet almak ve harbe isteklenmek için söylerler. Burada insanın kendi kendini ululuk ve kahramanlıkla övmesi vardır. Bu da hafif ve güzel sesle söylenirse daha çok tesîr eder. Bu, mübâh olan her mühârebede mübâh, mendûb olan her mühârebede ise mendûbtur. Fakat Müslümanlarla, zimmîlerle ve şer'an mahzurlu olan muhârebelerde günâhtır. Çünkü yasaklara teşvîk yasaktır. Böyle muhârebe esnâsında kendisini övmek, sahâbenin şecaatli sîmâlarından nakledilmiştir. Hz. Ali, Halid ve benzerleri gibi. (Allah hepsinden râzı olsun). Bunun için deriz ki:

Harp esnâsında şâhîn (bir nevi çalgı âleti) çalınmamalıdır. Çünkü sesi, yumuşatıcı ve hüzün vericidir; cesâret bağlarını gevşetir, harp isteğini zayıflatır. Çoluk çocuğu hatırlatır ve harbe karşı tenbellik uyandırır. Kalbi yumuşatıcı bütün sesler de böyledir. Kalbi yumuşatıp mahzun edecek sesler, kalbi galeyana getirip tahrik edecek seslerden ayrıdır. Harp esnâsında o gibi sesleri çıkaran kimse, orduyu harpten soğutacağı için, âsî olur. Ancak aslında yapılması yasak olan harbi sabote etmek için yapıyorsa, o zaman âsî olması şöyle dursun, belki itâat etmiş olur.

Dördüncüsü: Ölü için yapılan ağıt ve nağmelerdir. Bunun tesîri, insanı coşturup ağlatmasında ve üzüntü içinde bırakmasındadır. Üzüntü ve hüzün biri makbul, diğeri mezmûm olmak üzere ikiye ayrılır. Kaybolan şeye üzülmek, mezmûmdur. Zîra Allahü Teâlâ:

لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلٰى مَا فَاتَكُمْ

"Kaybettiğiniz şeye üzülmeyesiniz diye..." (Hadîd sûresi, 57/23) buyurmuştur. Ölülere mahzûn olmak da bu kabîldendir. Çünkü buna üzülmek, Allâhü Teâlâ'nın kazâsına küsmek ve telâfisi mümkün olmayan bir şey için boşuna üzülmektir. Bu husustaki elem ve keder mezmûm olduğuna göre ağlamak sûretiyle bunu tahrîk etmek de mezmûmdur. Bunun için ağlamak, katî sûrette yasak edilmiştir.

Makbul olan üzüntü, insanın dîni hususunda işlediği günâhlara üzülmesidir. Bunlar için ağlaması, ağlamaya çalışması ve üzülmesi makbuldür. Âdem aleyhisselâm bunlar için ağlamıştır. Bu üzüntüyü tahrîk etmek makbuldür. Zîra üzülerek tövbe eder ve günâhlarından sarf-ı nazar eyler. Bunun için Dâvûd aleyhisselâmın ağlaması da makbul sayılmıştır. Zîra onun devamlı üzüntülü olması ve ağlaması hatâ ve zelleleri sebebiyle idi. Dâvûd aleyhisselâm da ağlar, ağlatır, mahzûn olur ve o dereceye kadar mahzûn ettirirdi ki; onun ağlaması sebebiyle meclisinden cenâzeler kalkardı. Yâni ağlayıp ağlatmasına dayanamayarak ölenler olurdu. O, ağlamasını hem söz, hem de ses ile yapardı. Bu makbuldür. Çünkü iyiliğe götürüyor. İyiliğe götüren her şey makbuldür. Bunun için vaize, kürsülerden güzel ses ile, tahrîk edici, hüzün verip kalbi yumuşatıcı şiirler okumak, yasak değildir. Ağlaması ve ağlamaya çalışması ve bu sûretle cemâati ağlatması da yasak değildir.

Beşincisi: Neşeli zamanlarda neşeyi arttırmak için mûsiki çalmaktır. Şâyet bu sevinç, mübâh bir şey için ise ona teşvîk de mübâhtır. Bayram ve doğum günlerinde, sünnetlerde, hafız cemiyetlerinde, düğünlerde ve gurbetten gelen için söylenen şarkı ve mûsikiler gibi. Nağmeyi açıklamak için bütün bunlar mübâhtır. Çünkü bâzı lahinler (nağme), besteler, neşe ve sevinci arttırır. Bu haller de sevinç ve neşe halleridir. O halde böyle günlerde neşeyi arttıran şey de mübâhtır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Mekke-i Mükerreme'den Medîne-i Münevvere'ye hicret buyurduklarında kadınların dam başlarında def ve sesle şiirler söyleyerek neşelerini arttırmaları buna delâlet eder.[20] Kadınların söyledikleri şiirler:

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا   مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا   مَا دَعَا لِلّٰهِ دَاعٍ

---

[20] Bu rivâyet, Beyhakî'nin **"Delâilü'n-Nübüvve"**sinde Hz. Aişe'den rivâyetidir.

“Ay bize Seniyyetü’l-Vedâ tarafından doğdu.
Allah’a dâvet eden bulundukça, bize de şükretmek vâciptir.”

Kadınların bu hareketi, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’in gelmesinden doğan sevinç ve heyecanı açıklamaktır. Bu sevinç, makbul bir sevinçtir. Bunu şiir, nağme ve raks ile açıklamak da makbuldür. Raks ahkâmında açıklanacağı gibi, sahâbeden bir cemâatin, bir sevinçten dolayı tek ayak üzerine kalktıkları da rivâyet edilmiştir. Gelen her misâfir ve mübâh olan her sevinç için bu câizdir. Buhârî ile Müslim’de Hz. Âişe’den (r.a.) rivâyet edilen şu hâdise de buna delâlet etmektedir. Hz. Âişe diyor ki:

“Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), ridâsını bana örttü ve Mescid’de Habeşîlerin kalkan oyunlarını seyrediyordum. O dereceye kadar ki, artık usanmıştım. Oyun seyretmeye hevesli genç bir kızın dahi usanmasından, bu oyunu seyretmenin ne kadar uzadığını takdir edersiniz.”

Yine Buhârî ile Müslim’de Hz. Âişe’den rivâyete göre: Mina’da bayram günlerinde yanında iki kız def çalıp şiirler söylerken Hz. Ebû Bekir yanlarına girdi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de ridâsını başına almış yaslanıyordu. Ebû Bekir onları kovdu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) yüzünü açarak:

دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ

“Ya Eba Bekir! Onları bırak, bayram günleridir.”[21] buyurdu. Yine Hz. Âişe diyor ki:

“Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) beni ridâsı ile örttü ve ben mescidde kalkan oynayan Habeşlileri seyrediyordum. Tam bu sırada Hz. Ömer gelerek onları men edince Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

[21] Buhârî ile Müslim rivâyet etmişlerdir.

أَمِنَّا يَا بَنِي أَرْفِدَةَ

"Emin olduk, ey Erfide oğulları."[22] buyurdu.

Amr b. Hâris'in ibn Şihab'dan rivâyetinde, şarkı söyleyip sallandıkları da vardır. Ebû Tahir'in İbn Vehb'den rivâyetinde:

"Vallahi Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) onun kapısı önünde bakıyor ve Habeşîler harbelerle Mescid-i Rasûl'de oynuyorlardı. Onları seyredebilmem için, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) beni ridâsı ile örtüyordu. Sonra ben dönmek istediğimde benim için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de kalktı."

Yine Hz. Âişe'den rivâyete göre, Hz. Âişe diyor ki:

"Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in yanında iken oyuncak bebeklerle oynardım. Emsâllerim ve dostlarım, oynamak için bana geldiklerinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den çekinirlerdi. Fakat Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), bana geldikleri için sevinirdi." Diğer bir rivâyette:

"Bir gün Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bana:

– "Bunlar (oyuncaklar) nedir?" diye sordu. Ben:

– "Bunlar benim kız çocuklarımdır." dedim. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– "Şu ortalarındaki nedir?" diye sordu. Ben:

– "O da attır." dedim. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– "Şu üzerlerinde takılı olan nedir?" diye sordu. Ben:

– "Kanatlarıdır." dedim. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– "İki kanatlı at olur mu?" dedi. Ben:

– "Duymadın mı? Dâvûd oğlu Süleymân aleyhisselâmın kanatlı atları vardı." dedim. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) dişleri görülecek şekilde gülümsedi."[23]

---

[22] Müslim, Ebû Hüreyre'den rivâyet etmiştir. Başka rivâyet yolları da vardır.

Biz (Şafiî)lere göre hadîsdeki oyuncaklar çocukların saksı, toprak ve bez parçalarından yarım yamalak yaptıkları oyuncaklar mânasındadır. Nitekim diğer rivâyetlerde, "Atın bezlerden iki kanadı vardı." şeklindedir. Yine Hz. Âişe diyor ki:

"Buas Günü'nün şiirlerini terennüm eden iki küçük kız yanımda iken Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) geldi ve ridâsını başına çekerek yatağına yaslandı, yüzünü de arkaya çevirdi. Bu sırada babam Ebû Bekir gelerek: "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in huzûrunda bu şeytan çalgıları nedir?" diye beni azarladı. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ona dönerek:

"Onları bırak!" buyurdu. Fakat yönünü başka tarafa çevirince, gözümle çocuklara işaret ettim, onlar da çıkıp gittiler. O gün, bayram idi. Sudanlılar kılıç ve kalkan oyunları oynuyorlardı. Ya ben ricâ ettim veyâhut Rasûl-i Ekrem (s.a.v.); *"Görmek ister misin?"* dedi. Ben de, "Evet." dedim ve beni arka tarafına aldı. Omuzlarına yaslandım, yanaklarım yanaklarına değecek şekilde seyrediyordum. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ

"Daha yaklaşın ey Erfide oğulları." buyurdu. Usandığımda Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *"Artık yeter değil mi?* buyurdu. Ben de:

– "Evet." dedim. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *"O halde gidin."* buyurdu."

---

[23] Buhârî ile Müslim ve bir kısmını da Ebû Dâvûd sahîh sened ile rivâyet etmişlerdir.

Sahîh-i Müslim'deki rivâyette ise Hz. Âişe: "Omuzuna yaslanmış bir vaziyette seyrettim ve nihâyet kendi arzumla ayrıldım." şeklindedir.[24]

Bütün bu hadîsler, Buhârî ile Müslim'dedir. Şarkı ve oyunun haram olmadığına bunlar açık hükümlerdir. Bunlarda bâzı ruhsatlara da delâlet vardır. Onlar da:

1 - Oyuna ruhsattır. Habeşîlerin oyun ve titremeleri kimse için gizli ve kapalı değildir.

2 - Bu işlerin mescidde yapılması.

3 - Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in *"Birbirinize daha çok sokulun."* emri, oyun ve temâs ile emirdir, nasıl haram olur?

4 - Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), *"Bugün bayram, sevinç ve neşe günüdür."* buyurarak, Ebû Bekir ve Ömer'in (r.a.) inkâra kalkışmalarından onları men etmesidir.

5 - Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in, Hz. Âişe'ye uyarak uzun müddet seyretmesi ve dinlemesidir. Burada ayrıca, oyunları seyretmekte kadın ve çocukların gönüllerini hoş etmek, ahlâk bakımından zühd ve takva sertliğine bürünerek onları men etmekten daha güzel olduğuna da delîl vardır.

6 - Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in Hz. Âişe'ye, *"Nasıl, seyretmek istiyor musun?"* diye sormasıdır. Buradan anlaşılıyor ki: Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir mecbûriyet karşısında değil idi. İlk teklif kadından gelse, belki Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) huzûrun bozulacağını düşünerek ve istemeyerek müsâade etmiş olabilirdi. Hâlbuki vaziyet hiç de öyle değil, bizzât kendisi teklif etmiştir.

7 - Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in, câriyelerin def ile çalgı çalıp

---

[24] Buhârî ile Müslim rivâyet etmişlerdir.

şarkı söyleyerek oynamalarına müsâade etmiş olmasıdır. Hâlbuki bu da kötü insanların kullandığı çalgılara benzer. Bundan anlaşılıyor ki, yasak olan mizmar ve çalgılar, başkalarıdır.

8 - Küçük kızların seslerini, yaslanmış olduğu halde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in duymuş ve dinlemiş olmasıdır. Eğer yasak olan telli çalgılardan olsaydı, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in orada oturup dinlemesi câiz olmazdı ve oturmazdı. Bütün bunlar, telli çalgılar gibi, kadın sesinin haram olmadığına delâlet etmektedir. Kadın sesi ancak fitne korkusu anında haram olur.

Bütün bu açık hüküm ve kıyâslar tegannînin, raksın, def çalmanın kılıç ve kalkan oyunlarının ve neşe günlerinde Habeşî ve Zencilerin oyunlarını seyretmenin mübâh olduğuna delâlet etmektedir. Bayram günleri neşe günü oldukları gibi evlenme, ziyafet, doğum, sünnet, gurbetçinin gelmesi ve her hangi toplantı günleri de neşe günleridir. Bugünlerde de mûsiki dinlenebilir.

Altıncısı: Gönlü tesellî etmek, aşkı heyecanlandırmak ve hevesi arttırmak için âşıkların yaptığı semâdır. Mâşûk ile buluştuğu zaman ise gâye, zevki arttırmaktır. Ayrılık zamanında ise gâye, ona karşı olan iştiyâkını arttırmaktır. İştiyâk her ne kadar acı olsa da vuslat ümidi olunca kendine mahsus bir zevki vardır. Çünkü ümit, dâima tatlıdır. Ümitsizlik elem vericidir. Ümitteki lezzet, iştiyâkın kuvveti nisbetinde çoğalır. İşte şu semâ da, iştiyâkı tahrîk ve sevgilisinin güzelliğini uzun uzadıya anlatmakla beraber, umulan mülâkattaki zevki tahsil ve aşkı heyecanlandırarak iştiyâkı harekete geçirmek vardır. Bu semâ, iştiyâkında olan kimseye ulaşmak mübâh ise helâldir. Meselâ ailesine âşık olan bir kimse, ona mülâkatta fazla zevk almak için onun tegannîlerini dinlemesi gibi... Göz, görmekle, kulak da dinlemekle zevklerini alırlar. Kalb de buluşmanın zevkini ve ayrılmanın elemini bu sûretle anlar ve lezzetlerin sebepleri bir araya toplanmış olur. Bunlar, dünyalıktan istifâde edilecek zevk çeşitleridir.

Zâten dünya hayatı, oyun ve oyuncaktan ibârettir. Bunlar da dünya hayatının bir kısmıdır. Bunun gibi, âilesi ile kendi arasına bir dargınlık veyâ kırgınlık girmişse, semâ ile şevkini arttırmak ve bu sâyede vuslat talebinde bulunmak da câizdir. Fakat âilesini boşamışsa, artık bu yollara başvurması haramdır. Bunun gibi, bakması ve yaklaşması haram olan yabancı bir kadını aklına alıp mûsikisini onun nâmına söylemek de haramdır.

Zîra böyle yapmak, nefsi kötü yollara tahrîk ve mübâh olmayan işlere teşvîktir. Zamanımızın âşıklarının çoğu ve şehvetin galeyânı sırasında gençlerin âdîleri, gönüllerine bu gibi şeyleri almaktan hâlî değildir. Bu ise şiddetle yasaktır. Çünkü nefiste saklı bir hastalıktır. Yâni bu semâın yasak olması, bu hastalığı canlandırması bakımındandır. Yoksa semâ olduğu için değildir. Bunun için hakîmin birine aşktan sorduklarında: "İnsanın içinden beynine çıkan bir dumandır. Onu münâsebet yok eder, mûsiki artırır." diye cevap vermiştir.

Yedincisi: Allah'ı seven ve Allah'a âşık olanların ve Allah'a ulaşmaya iştiyâkı olanların semâıdır. O, nereye bakarsa Allah'ı görür; nereden duyarsa duysun, Allah'tan duyar. Mûsiki bu gibilerin aşkını kuvvetlendirir, şevkini arttırır, kalbinin ateşini alevlendirir ve onu öyle keşif ve taltiflere ulaştırır ki, onlar söz ile ifâde edilemez; tadan bilir; tadını alamayanlar ise inkâr eder. İşte bu hallere sûfîler dilinde vecd hali denir ki, vücud ve tesâdüften alınmadır. Yâni kendinde öyle haller buldu ve öyle şeyler ile karşılaştı ki, semâdan evvel böyle bir şeye rastlamamış ve böyle bir şey bulmamıştı. Sonra bu halleri öyle sebepler takip eder ki, onlar ateşleri ile kalbi yakar ve kötülüklerden temizlerler.

Nitekim yakmak sûretiyle bir cevherin yabancı maddelerden temizlenmesi gibi. Kalp, böylece temizlendikten sonra bir takım gerçekleri müşâhade ve gizli işleri keşfetme hali başlar. İşte Allahü Teâlâ'yı sevenlerin ulaşmak istedikleri son gâye ve bütün yakınlıkların son meyvesi budur. İnsanı bu mertebeye ulaştıran her şey, yakınlık vâsıtalarından olup, isyân ve mübâhlar cümlesinden değildir. Semâ vâsıtasıyla bu hallerin kalpte hâsıl olması, vezinli nağmelerin ruhlar ile münâsebetinde ve ruhları mûsikilere teshîr etmesi, ruhların mûsikilerden, aşka gelmek, sevinmek, mahzûn olmak, kendinden geçmek gibi müteessir olmaları, Allahın bir sırrıdır.

Seslerle gönüllere tesîrin bu sırrına, mükâşefe ilminin inceliklerinde katı kalpli, ahmak ve semâın zevkinden mahrûm olan kimseler, mûsiki dinleyenin bundan zevk almasından vecde gelip halinin değişmesi ve renginin solmasından, hayvanların helvadan lezzet almaya şaşmaları ve hünsâların kadınlarla zevk almaktan, çocukların, riyâset ve mevkilerden büyüklerin zevk almasına şaşmaları gibi. Câhilin, Allahü Teâlâ'yı, azamet ve celâlini, sanatındaki acâiblerini bilmekte alınan zevke şaşmaları gibi şaşar dururlar. Aslında bütün bunların bir sebebi var, o da, her zevk bir anlayıştır. Anlayışta, anlaşılması gereken bir şey ile anlama kuvveti ister. Anlayış kuvveti olgunlaşmayan kimse, bu zevki anlaması düşünülemez. Çünkü tad alma hâssasını kaybeden kimse yemekten nasıl zevk alsın? Duymayan kimsenin, güzel sesten, aklı olmayan kimse de mâkûlâttan nasıl zevk alabilirler? Mûsikinin zevki de önce sesin kulağâ gelmesi ve sonra da kalbin ondan zevk alması iledir. Bu hâssaları kaybeden, elbette bu zevkten mahrum olur. Belki Allah'a karşı aşk nasıl düşünülebilir ki, semâın zevki onu tahrik etsin? diye hatırına bir şey gelirse:

Bilmiş ol ki: Allahü Teâlâ'yı bilen Onu sever; bilgisi kuvvetlendikçe sevgisi de artar. Kuvvetli sevgiye aşk denir. Aşkın mânâsı ifrât derecede sevgidir. Bunun için Araplar, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'i Hira mağarasında ibâdette gördükleri zaman, "Muhammed, Rabbisine âşık oldu." dediler.

Yine bilmiş ol ki: Güzelliği anlayanlar için her güzel sevimlidir. Allahü Teâlâ cemâl sâhibidir; güzeldir, güzeli sever. Fakat güzellik, kalıp, kıyâfette ve yüz parlaklığında olursa göz ile görülür. Güzellik, celâl ve azamet, ululuk, yücelik, rütbe üstünlüğü, güzel vasıflar, güzel ahlâk, herkes için iyilik dilemek, devâmlı olarak herkese iyilik etmek ve benzeri bâtınî sıfatlardan ise bu güzellik kalp hâssası ile anlaşılır. Cemâl, güzellik kelimesi bâzen bu mânâda da kullanılır. Falan zât, güzel ve cemâl sâhibidir, denir. Hâlbuki boy güzelliği değil, ahlâk ve iyi vasıflar güzelliği murad edilir. İnsân, endâm güzelliği ile sevildiği gibi, bu bâtınî güzelliği ile de sevilir. Bu sevgi bâzen o kadar ileri gider ki aşk halini alır.

Şâfiî, Mâlikî, Hanefî ve Hanbelî gibi mezhep imamlarını sevmekte o kadar ileri gidenler olmuştur ki, mal ve canlarını uğurlarında fedâ etmişler ve ifrâtta her âşıkı geçmişlerdir. Şâyân-ı hayrettir ki, halâ ölü olduğu için kendisini göremediğinden, güzel veyâ çirkin olduğunu bilmediği halde; güzel, iyi vasıf, sâlih amel ve benzeri iyi hâsletler sâhibi olan bir kimseye âşık olmayı biliyor da, bunca nîmetlerine ulaştığı ve belki âlemde sevilen, iyi ve güzel her ne varsa O'nun iyiliklerinden biri, lütuf eserlerinden bir eseri sahâvet deryâsından bir katre olduğunu, belki âlemde, âlemin bidâyetinden inkırazına kadar, kulak, göz, kalp ve diğer hâssalarla bilinen bütün hüsn ve cemâl, yerin dibinden Arş'ın üstüne kadar her ne varsa O'nun kudret hazînesinden bir zerre ve hazretinin nurlarından bir semâ olduğunu anlamıyor.

Keşke bilseydim, bütün bu vasıfların sâhibi olan zâtı sevmeye nasıl akıl erdiremiyor ve bütün bu kemâl sıfatlarını bilen âriflerin gönüllerinde O'nun sevgisi kuvvetlenerek öyle bir dereceye yükselir ki, aşk kelimesi de O'nun sevgisinin derecesini ifâde edemediğinden, o sevgiye aşk adını vermenin zulüm olacağına akıl erdiremiyor.

Her şeyden açık olmasına rağmen açığa çıkmaktan saklanan, nuru bütün kâinatı aydınlatırken gözlere görülmeyen Allahü Teâlâ'yı tesbîh ve noksan sıfatlardan tenzîh ederim. Eğer nûrdan yetmiş perde ardında saklanmasaydı, O'nun celâlinin nûru, O'nun cemâlini düşünenlerin gözlerini yakardı.

Şâyet O'nun son derece açıkta oluşu, gizliliğine sebep olmasaydı, akıllar hayrete düşer; gönüller şaşırır, beşerî kuvvetler rüsvây ve âzâlar birbirinden ayrılırdı. Eğer kalpler demir ve taştan olsaydı, O'nun nûrunun tecelliyâtı karşısında paramparça olurdu. Yarasa kuşu, güneşin ziyâsına nasıl dayanabilir? Bu işâretlerin tahkiki **"Muhabbet Kitâb"**ında gelecektir. Orada Allah'tan başkasını sevmenin cehâlet ve kusur olduğu anlatılacaktır. Belki gerçek mârifet sâhibi, Allah'tan başka kimseyi bilemez. Çünkü gerçekte Allahü Teâlâ'nın zât ve ef'âlinden başka bir şey yoktur. Bütün gördüklerini bir iş ve işin eseri olarak anlayan kimse, artık işin sâhibinden başkasını düşünmez. Meselâ, -Allah rahmet etsin- Şâfii'yi ve onun yüksek ilmini; kâğıt, mürekkep ve yazı bakımından değil de tasnîfâtı bakımından onun eserlerini bilen, artık onu bırakıp başkasına bakmaz ve sevgisini başkasına intikal ettirmez. Allahü Teâlâ'nın zât ve sıfâtından başka ne varsa hepsi O'nun eseri ve işidir. Bunu böyle anlayan, -bir kitaptan sâhibinin fazîletini anladığı gibi- bu masnûâttan da sâhibinin kudret ve azametini anlar ve bütün mârifet ve sevgisini ancak Allahü Teâlâ'ya hasreder; başkasına bakmaz. Bu aşkın ayırıcı husûsiyeti, ortaklık kabul etmemesindedir. Bunun dışındaki bütün aşklar, ortaklık kabul ederler. Zîra her sevginin bir benzeri olabilir. Fakat bu cemâlin bir ikincisi asla düşünülemez. Bunun benzeri ne mevcut, ne de mümkündür. Onun için başka sevgilere aşk adını vermek, gerçek değil, belki mecâzdır.

Evet -behâim gibi- kısa görüşlüler, aşktan, kazâ-i şehvet ve münâsebetten ibâret olan zâhirî temâs ve vuslattan başka bir şey anlamayabilirler. Bu gibi yaratıklar ile aşk, şevk, visâl ve üns gibi sözleri konuşmamak gerekir. Hayvanların nergis ve güzel kokulu otlardan uzaklaştırılıp, kuru yonca, ot ve ağaç yapraklarına yaklaştırıldıkları gibi, bu gibileri de bu sözlerden uzaklaştırmak lâzımdır. Zîra söylenen sözleri Allahü Teâlâ hakkında zikretmek, ancak Allahü Teâlâ'yı ondan tenzih etmenin vâcip olduğu bir mânâyı ilham ettirmediği zaman câizdir. Vehimler, anlayış îtibâriyle değişir. Bu gibi sözlerde bu ince noktaya dikkat edilmelidir. Hattâ yalnız Allahü Teâlâ'nın sıfatlarını duymakla beraber kalp damarını koparıp insanı ölüme sürükleyecek şekilde vecde gelmek de mümkündür. Nitekim Ebû Hüreyre'nin (r.a.) rivâyetinde, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

"*İsrâiloğullarında, dağ başında yaşayan bir çocuk annesine:*

– "Anne şu gökleri kim yarattı?" diye sordu. Annesi:

– "Allah yarattı."

– "Ya şu yerleri?"

– "Onları da Allah yarattı."

– "Ya şu bulutları kim yarattı?"

– "Onları da Allah yarattı." deyince, oğlu:

– "Bu ne büyük Allah'tır!" diyerek öyle bir vecde geldi ki, kendisini dağdan aşağı atarak parçalandı."[25]

Zâten bütün semâvî kitaplar, Allahü Teâlâ'yı zikrederek heyecanlansınlar diye nâzil olmuştur. Birisi, İncil'de şöyle gördüm, diyor: "Size Tegannî ettik, heyecanlanmadınız, çalgı çaldık oynamadınız. Yâni Allahü Teâlâ'yı zikretmeye teşvîk ettik, iştiyâk duymadınız." İşte mûsikinin bölüm, sebep ve iktizâlarından anlatmak istediğimiz bunlardı. Bu açıklamalarımızdan, semâın bâzı yerde mübâh ve bâzı yerde de mendûb olduğu anlaşılmıştır.

Şâyet, "Haram olduğu yer de var mıdır?" diye sorarsan derim ki; beş arıza dolayısı ile haram olur. Onlar da:

1 - Dinletendeki ârıza,

2 - Dinletme âletindeki ârıza,

3 - Ses ayarındaki ârıza,

4 - Dinleyicinin kendisinde veyâ devamındaki ârıza.

5 - Ve dinleyici şahsın avâmdan olma ârızasıdır.

Zîra semâın erkânı; dinleyen, dinleten ve semâ âleti olmak üzere üçtür.

Birinci Ârıza: Mûsiki çalan, kendisine bakılması helâl olmayan ve mûsikisinden fitne çıkması korkulan bir kadın olmasıdır. Fitne tehlikesi olan parlak genç de bu hükümdedir. Fitne korkusu olduğu için bunların mûsikisini dinleyip seyretmek haramdır. Yâni haram olması, tegannî bakımından değildir. Hattâ lahinsiz ve tegannîsiz, düz olarak konuşan bir kadının sesinden ve konuşmasından fitne uyandırma tehlikesi varsa, onunla konuşmak ve -Kur'ân-ı Kerîm bile olsa- sesini dinlemek câiz olmaz. Yakışıklı genç de aynı hükümdedir.

---

[25] İbn Hibbân rivâyet etmiştir.

Şâyet, "Bu kapıyı kapamak için, her hal ü kârda haramdır veyâ günâhtan korkanlar hakkında yalnız fitne tehlikesi olan yerlerde haram, diğer hususlarda haram olmaz, der misin?" diye sorarsan derim ki: Bu fıkıh bakımından şüpheli bir meseledir ki, iki asıl ve kaide arasındadır. Bu iki esâs, onu kendine doğru çeker.

Birinci esas: Yabancı kadınla tek başına kapalı yerde kalmak ve onun yüzüne bakmak -fitne korkusu, olsun olmasın- haramdır. Zîra bu, yalnız başına bir fitnedir. Dîn, bu kapıyı kapamak için şekline bakmadan, bunu haram etmiştir.

İkinci esas: Fitne korkusu olmadığı zaman genç çocuğa bakmak mübâhtır. Umûmî yasakta erkek çocuk, kadın hükmünde değildir. Ancak vaziyete bakılır ve ona göre hüküm verilir. İşte kadının sesi de bu iki esas arasında devreder. Şâyet, sesini halvette yüzüne bakmaya benzetecek olursak, o zaman bu kapıyı kapamamız îcab eder. Yâni yüzüne bakmak gibi, sesini de dinlemek haram olur. Bu, yakın bir kıyâs olmakla beraber aralarında da fark vardır. Zîra şehvet, ilk galeyânında sesini dinlemeyi değil, bakmayı teşvîk eder. Bakmanın şehveti tahrîk etmesi, duymanın tahrîkinden çok kuvvetlidir. Bununla beraber tegannîsiz kadın sesi avret değildir. Zîra sahabe devrinde kadınlar erkeklerle selamlaşırlardı. Onlarla konuşurlar, soru sorarlar, fetvâ ve meşveretde bulunurlardı. Fakat şüphesiz, şehveti tahrîk bakımından tegannî, düz konuşmaktan üstündür.

O halde kadının tegannîsini genç çocukların haline benzetmek daha uygundur. Zîra kadınlar, seslerini gizlemekle emrolunmadıkları gibi, çocuklar da gizlemekle memur değillerdir. Lâyık olan hürmet, fitne yerlerine hamlolunmalıdır ki, bana göre kıyâsa en yakın olanı da budur. Bu kanâatimi Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in huzûrunda Hz. Âişe'nin evinde iki genç kızın tegannîleri kuvvetlendirmektedir.

Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) onların seslerini duyuyor, fakat men etmiyordu. Çünkü fitne korkusu yoktu. Anlaşılıyor ki bu dâva, kadın ve erkeğin vaziyetine yâni genç ve yaşlı olmalarına göre değişir. Bu gibi hallerde vaziyetin değişmiş olması akla uzak bir şey değildir. Çünkü yaşlı bir kimsenin Ramazan günü oruçlu iken âilesini öpmesine cevâz verilirken, ilerisi tehlikeli olacağı için genç olana bu cevâz verilmemektedir. Semâ ve mûsiki de bakmaya ve neticede yanaşmaya dâvet eder ki bu, haram ve aynı zamanda şahısların haline göre değişir.

İkinci Ârıza: İkinci arıza, mûsiki âletlerindedir. İçki âlemlerinde kullanılan çalgılar gibi. Bunlar da mezâmir (nefesli çalgılar), evtâr (telli çalgılar) ve tablü'l-kibe (küçük davul ve trampet) gibi çalgılardır. Bu üç nevi çalgılar yasak, diğerleri ise mübâh olarak kalmışlardır. Bunlar da def, -her ne kadar defde ziller bulunsa bile- davul, şâhin, kadîb (nay) gibi çalgılardır.

Üçüncü Ârıza: Üçüncü ârıza, ses ayarında yâni şiir şeklindedir. Şâyet kötü, çirkin, fâhiş ve hicvedici sözlerle, Allah'a, Rasûlüne ve ashâbına karşı yalan sözler varsa -ki Râfizîlerin ashâb-ı kirâm hakkında uydurdukları yalan şiirler gibi- lahinli lahinsiz bunları dinlemek haramdır. Dinleyen de söyleyen gibi günâhkârdır. Belli bir kadını anlatan söz ve şiirleri dinlemek de haramdır. Çünkü erkekler arasında bir kadını anlatmak caiz değildir, ancak kâfirleri ve bid'atçileri yermek caizdir. Nitekim Hassan b. Sâbit, şiirleri ile Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'i över, kâfirleri yererdi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de bunu ona emretmişti. Mutlak sûrette kadınların yanak, saç, kıyâfet ve diğer vasıflarını övmekte ihtilâf vardır. Doğrusu, düz ifâde veyâ şiir ile de olsa, bunu anlatmanın haram olmamasıdır. Ancak dinleyici bu vasıflarla muayyen bir kadını canlandırmamalıdır. Şâyet mutlak birisi hakkında bu vasıfları canlandırmak isterse, herkes kendi helâli, âilesi hakkında bunları düşünmelidir. Yabancı bir kadını böyle düşünmekle günâhkâr olur. Hali bu olan kimselerin bu gibi meclislerden uzak kalmaları gerekir.

Zîra âşık olanlar, her sözü kendi arzularına çekerler -ister yakışsın, ister yakışmasın- istiâre yolu ile her sözü insan istediği tarafa çekebilir. Meselâ, gönlünde Allah sevgisi yer eden kimseler, yanaklardan aşağı dökülen kâküllerden küfür karanlığını, parlak yanaklardan îman nûrunu, vuslatı anmaktan Allah'a mülâkat mânâsını, firâk ve ayrılıktan reddedilmişler arasında kalıp Allahü Teâlâ'dan uzaklaşmayı, sevgilisiyle kavuşmaya mâni olan sebeplerden de, dünya gâilelerini ve Allahü Teâlâ ile ünsiyete engel olan dünya meşgalelerini hatırlar. Bu mânâları anlamak için de uzun boylu düşünmeye muhtaç değillerdir. Belki bu sözler, bir yandan söylenirken, bu mânâlar da kalbine doğar. Nitekim şeyhin birinden şöyle rivâyet edilmiştir:

Bir gün çarşıda gezerken birisinin "Bir dirheme on salatalık." diye bağırdığını duyar duymaz hemen vecde geldi ve titremeye başladı. Neden böyle olduğunu soranlara, bir gıda maddesi iken bir dirheme on tâne salatalık olursa, ya hiç bir şeye yaramayan kötü insanların değeri ne olur? dedi. Yine zâtın birisi çarşıda gezerken, adamın biri, "Ey dağlarda kendi kendine yetişen kekik otu!" diye seslendi. Yâni kekik otu var, alın diye bağırıyordu. Adamın bu sözünü duyunca hemen vecde geldi ve titremeye başladı. "Sana ne oluyor?" diye soranlara, bu adam burada soranlara sanki o, "Koş iyiliğimi görürsün." dediğini işittim cevabını veriyor. Arap'tan başka milletler, Arap nâtı ile nazm edilen beytlerden başka mânâlar çıkarır ve bundan vecde gelirler. Nitekim Arabînin biri:

“Beni gecede ancak hayâli ziyâret etti.” şiirini okuyunca, Arab olmayanın biri hemen vecde kapılarak titremeye başladı. “Ne oluyorsun?” diyenlere, duymadınız mı? “MÂZÂRÎM” dedi. O, “Ma zârenî”den bu lâfzı anladı ve Farsça’da “zâr” helâke yönelmiş, “mâ” ben, “yim” muzâfunileyhdir, çoğuldur. Yâni “mâzârîm” demek, hepimiz helâkteyiz, demektir. Arap olmayan bunu anlayınca, âhiret helâkini hatırladı ve bundan vecde geldi, titremeye başladı. Allah aşkı ile yananların vecdi, anlayışlarına göredir. Anlayışları da tahayyül ettikleri gibidir. Onun hayâlinin şâirin şiiri ve murâdına uygun olması şart değildir. İşte bu vecd, hak ve gerçektir. Âhiret helâkini hatırlayan kimsenin, şaşkına dönüp tir tir titremek hakkıdır. Görülüyor ki; sözlerin kalıplarını değiştirmekte de uzun boylu fayda yoktur. Belki yaratıklara ifrat derecede âşık olan, hangi ifâde ile olursa olsun, mûsikiden uzak kalmalıdır. Allah sevgisi gâlip olan kimselere de söz ve ifâde tarzı zarar vermez. Ne ifâde ile olursa olsun, o kimse o sözden kendi âlî himmeti ile alâkalı ince mânâlar çıkarabilir.

Dördüncü Ârıza: Dördüncü ârıza, dinleyicinin kendisindedir. Gençlik çağında ve şehveti diğer bütün vasıflarına gâlip olan bir kimseye -ister gönlüne muayyen bir kimsenin sevgisi gâlip olsun, ister olmasın- mûsiki dinlemek haramdır. Çünkü o kâkül, gül yanak, ayrılık ve vuslat kelimelerini duyduğu zaman şehveti harekete geçer ve bütün bunları belli bir sûret olarak kabul eder. Şeytan kalbini körükler, şehvet ateşini tutuşturur ve kötülük kapılarını açtırır. Bu ise şeytanın askerine yardımdır; Allahü Teâlâ’nın askeri sayılan aklı mağlûb etmek olur. Hâlbuki gönülde şeytanın ordusundan sayılan şehvet ile Allahü Teâlâ’nın askerinden olan akıl nûru arasında devâmlı bir mücâdele vardır. Ancak bu iki ordunun biri kalbi fetheder ve tamamen istilâ ederse, o zaman mücâdele sükût eder. Bu zaman ekseriya kalpleri şeytanet istilâ etti ve kapladılar. Buna göre yeniden mücâdele kapısını açmaya muhtaçsın. Nerede kaldı halâ şeytanın silâhını çoğaltmak ve kılıcını bilemek? İşte mûsiki, bu gibiler hakkında şeytanın silâhlarını bilemekten başka bir şeye yaramaz. Bu gibiler mûsiki cemâatinden ayrılsın. Çünkü onlara zarar verirler.

Beşinci Ârıza: Beşinci ârıza, mûsiki dinleyicisinin, Allah sevgisi az olan avâm tabakasından olmasıdır. O, ancak mûsikiyi sever, bununla beraber şehveti de galeyâna gelmez ki, hakkında mahzurlu olsun. Bu gibiler hakkında mûsiki, diğer zevkler gibi mübâhtır. Fakat zamanlarını buna hasrederek mûsiki dinlemeyi âdet haline getirmek de şehâdetini reddedecek şekilde sefeh (akılsızlık) ve ahmaklık olur. Zîra oyun ve eğlenceye dalmak cinâyettir. Küçük günâhlar, ısrâr ve devamla büyüdüğü gibi, bâzı mübâhlar da devamla küçük günâha döner. Bu da, Zencî ve Habeşîlerin oyunlarını devâmlı seyretmek gibi şeylerdir. Her ne kadar Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in seyretmiş olmasına binâen, aslında bunları seyretmek yasak değilse de, devâmlı olarak onları takip etmek doğru değildir. "Satranç" da bunun gibidir. (Parasız oynamak şartıyla) her ne kadar aslında mübâh ise de, buna devâm etmek şiddetle mekrûhtur. Zîra kalbin sıkıntısını teskin, bâzı hallerde tedâvi sayılır. Gönül sıkıntılarını yatıştırıp diğer vakitlerde dünyalık için kâr ve kisbinde, dîn için de namaz ve Kur'ân'ın da bulunabilmesi bakımından muayyen bir zaman için mûsiki dinlemesi mübâh görülmüştür. Dîn ve dünyasında daha istekle çalışabilmesi için mûsiki dinlemeyi hoş görmek, yanak üzerindeki "ben"in güzelliği gibidir. Şâyet o ben, bütün yüzü kaplarsa, yüzü çirkinleştirir ve berbâd eder. Çokluk sebebiyle güzellik, çirkinliğe döner. Her güzelliğin çoğu, güzellik olamayacağı gibi, her mübâhın çoğu da mübâhlıkta kalamaz. Meselâ, ekmek mübâhtır, fakat çok yemesi haramdır. İşte bu mübâh da diğer mübâhlar gibidir.[26]

HÜKÜM

Şâyet, "Senin bu açıklamandan mûsikinin bâzı hallerde mübâh olduğu ve bâzı hallerde mübâh olmadığı anlaşılıyor. Önce nasıl mutlak olarak mübâhtır, dedin? Hakkında imamların mübâhtır, değildir, gibi sözleri varken senin doğrudan mübâhtır, demen hatâ olmaz mı?" dersen bilmiş ol ki:

Senin bu düşüncen galet(yanlış)tır. Zîra benim, mutlak mübâhtır demem, ne zaman hatâlı olurdu; şâyet bunun aslında, imamlar arasında bir dedikodu olsa, fakat hâricî bir sebeple olan ihtilâf, o şeyin aslında mutlak hüküm vermeye mâni değildir. Sen baksana, bize "Bal helâl mıdır, haram mıdır?" diye sorduklarında, biz çekinmeden, mutlak olarak helâldir, deriz. Hâlbuki mîzâcı harâretli ve demevî olanlara zarar verdiği için, bu gibilere bal haramdır. Yine bize şaraptan sordukları zaman, biz mutlak olarak haramdır, deriz. Hâlbuki yediği lokma boğazına tıkanan bir kimse, su ve benzeri başka bir şey bulamazsa, şarap ile bu lokmayı aşağı geçirmesi helâldir. Fakat şüphesiz şarap olması bakımından, haramdır. Mübâh olması, ihtiyaç ve zarûret sebebiyledir. Bal da bal olmak haysiyetiyle helâldir. Bâzı kimselere haram olması, zarar vermesi bakımındandır; ârızî hükümlere bakılmaz. Meselâ, alışveriş helâl iken, Cuma ezanı vaktinde haramdır. Buna benzer ârızalar gibi, mûsiki de mânâsı anlaşılan güzel bir ses ve mevzûn olmakla beraber, aslında mübâhtır. Haram olması, hakikatten hâriç bir ârıza sebebiyledir. Mübâh olduğuna dâir delîlin perdesi yırtıldıktan sonradır ki, muhalefete aldırış etmeyiz.

---

[26] Bütün bu beyanât, Gazâlî'nin fikridir. Bir mübâh, ekseriyetle harâm olmaz. Ancak hürmetini ifâde eden bir delîl bulunmalıdır. Satranç, mübâh değil belki mekruhtur: azı da çoğu da mekrûhtur. Sağîre'nin kebîre olmasına kıyâs da yanlıştır. Çünkü Sağîre'de her dâim terk etmek ve her dâim tövbe etmekle memurdur. Fakat onun devâmı ve ısrârı ve tövbe etmemesi kebîre olmasına sebebiyet verir.

İmâm Şâfiî'ye gelince: Aslında onun mezhebinde tegannî haram değildir. Zîra İmâm Şâfiî **"Âdâbü'l-Kazâ Mine'l-Ümm"** adlı kitabında tasrîh etmiştir ve tegannîyi geçim sanatı yapan kimsenin şehadeti kabul değildir, demiştir. Zîra her ne kadar açık bir haram değilse de, bâtıla benzeyen mekruh bir oyundur. Onu meslek edinen mürüvvetsiz ve sefîh kimsedir. Şâyet tegannîyi sanat edinmez ve onun için uğraşmazsa, ancak bâzı zamanlarda tegannî etmekle mürüvvetini kaybetmez ve şehâdeti bâtıl olmaz. Ve Hz. Âişe'nin evinde tegannî eden iki genç kızla dâvasına delîl çekmiştir.

Yunus b. Abdülâlâ diyor ki: İmâm Şâfiî'ye, Medîne halkının mûsikiyi mübâh saydıklarının hikmetini sorduğumda, İmâm: "Değil Medîne, Hicâz âlimlerinden hiç birinin mûsikiyi kerih gördüğünü bilmem. Ancak şu anlattığımız vasıf sâhipleri müstesnâdır. Ama deve peşinde şarkı, Etlâl Murabî ve ses güzelleştirerek lahin yapmak mübâhtır."

İmâm Şâfiî, "Mûsiki, bâtıla benzer mekruh bir eğlencedir." dedi. Bir de boş bir eğlencedir sözü doğrudur. Eğlence ve oyun olması bakımından haram değildir Çünkü Habeşîlerin mescidde oyun ve raks etmeleri bir eğlence idi. Fakat Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) mekruh saymadan onu seyretmedi hattâ boş bir eğlence olduğunu bilerek yapılan lehv ve lağvden yâni boş eğlence ve boş sözlerden Allahü Teâlâ muâhaze etmez. Ya daha şiir söylemek ve raks etmekle neden muâhaze etsin? İnsan günde yüz kere elimi başıma koyacağım diye karar alsa, bu bir abesdir. Faydasız boş bir iştir; haram değildir. Nitekim Allahü Teâlâ:

“Allahü Teâlâ sizleri yeminlerinizdeki “lâğv”den dolayı mesûl tutmaz.” (Bakara sûresi, 2/225) buyurmuştur.

Kasıtsız olarak yemin yolu ile Allahü Teâlâ’nın adına bir şeyi anıp, sonra bir fayda beklemeden ondan ayrılmakla muâhaze edilmediği halde, şiir söyleyip oynamakla neden muâhaze edilsin? Bâtıla benzediği hakkındaki sözüne gelince; bu da mûsikiyi haram itikad ettiğine delâlet etmez. Hattâ “Bâtıldır” dese de yine haram olduğuna delâlet etmez, ancak faydasız bir şey olduğunu ifâde etmiş olur. Çünkü bâtıl, faydasız şey demektir. Kişinin karısına; “Kendimi sana sattım.” karısının da; “Ben de seni satın aldım.” demeleri, eğer şakacılık ise boş bir sözdür, haram değildir. Ancak şerîatın men ettiği hakiki alım satımı kaydediyorlarsa, bu haramdır. Mekrûh olduğu hakkındaki sözüne gelince, bu da anlattığım bâzı hallerdedir. Veyâhut kerâhet, tenzîhîdir.

Çünkü Şâfiî, satranç oyununun mübâh olduğunu katî olarak bildirmiştir. Ve yine kendisi: “Hiç bir oyunu sevmem, hepsini mekruh görürüm.” demiştir. Zâten gösterdiği illet de buna delâlet eder. Şöyle ki: Bunlar, diyânet ve mürüvvet sâhibi kimselerin âdetlerinden değildir. Bu illet, ancak tenzîhen mekrûh olduğuna delâlet edebilir. Ayrıca mûsikiye devâm edenin şehâdetini kabul etmemesi de haram olmasına delâlet etmez. Çünkü sokakta yemek yiyenin şehâdeti de reddedilir. Mürüvveti kaybettiren ve hattâ mübâh olan çulhacılık dahi şehâdete mâni olabilir. Çünkü bu, mürüvvet sâhiplerinin sanatı değildir. Hattâ bâzen âdî sanat sahiplerinin de şehâdetleri reddedilebilir. İmâm’ın bütün gösterdiği illetler, mûsikinin tenzîhen mekrûh olmasına delâlet ederler. Diğer büyük imamlardan rivâyet edilenlerden de hükmün böyle olduğunu zannediyoruz. Şâyet, mutlak haram olduklarını iddiâ ediyorlarsa, delîllerimiz onlara karşı hüccet olur.

MÛSİKİNİN HARAMLIĞINA DAİR DELİLLER

Ayetten delîlleri Allahü Teâlâ'nın:

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ

"İnsanlardan bâzıları efsâne ve boş sözleri satarlar." (Lokman sûresi, 31/6) buyurduğudur. İbn Mes'ûd, Hasan-ı Basrî ve Nehâî (Allah onlardan râzı olsun), âyet-i kerîmedeki **"Lehve'l-hadîs"**in Tegannî olduğunu söylemişlerdir. Hz. Âişe'nin (r.a.) rivâyetinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى حَرَّمَ الْقَيْنَةَ وَبَيْعَهَا وَثَمَنَهَا وَتَعْلِيمَهَا

"Allahü Teâlâ kayneyi, satmasını, parasını ve öğretmesini haram etmiştir."[27] buyurdu. Kayne, içki meclislerinde erkeklere şarkı söyleyen câriyedir. Zâten biz, yabancı bir kadının fitne, kendilerinden korkulan fâsıklara tegannî etmesinin haram olduğunu söylemiştik. Onlar da kayneden şer'an mahzurlu olanı kastederler. Fakat bir câriyenin kendi efendisine şarkı söylemesinin haram olacağı mânası bu hadîsten çıkarılamaz. Hattâ Buhârî ile Müslim'de rivâyet edilen Hz. Âişe'nin evinde bâzı mürâhikanın (henüz bâliğa olmamış küçük kız çocuklarının) şarkı söylemelerinin delâletiyle, fitne korkusu olmayan hallerde başkalarına da şarkı söylemenin haram olduğu mânası anlaşılamaz.

Ama boş sözler, uydurma yalanlarla dînini satarak insanları yoldan çıkarmaya çalışanın haram ve mezmûm olduğunda şüphe yoktur. Buna diyecek yok. Fakat her tegannî, dîni satmak ve insanları azdırıp sapıtmak demek değildir. Âyetten murâd ise insanları sapıtmak, dîni verip dünyalığı almaktır. İnsanları sapıtmak maksadı ile Kur'ân dahi okusa, yine haramdır.

---

[27] Taberânî **"Evsat"**ında rivâyet etmiştir.

Hikâye edildiğine göre; münafıklardan birisi imam olmuş ve imamlığında dâimâ Abese sûresini okurmuş. Çünkü bu sûrede Resül-i Ekrem'e bir nevi itâb vardır. Hz. Ömer (r.a.), bu adamın gâyesi insanları sapıtmak olduğu için, okuduğunu dahî haram kabul ederek öldürmeye azmetmişti. Kur'ân ile sapıtmak haram olunca, şiir ve tegannî ile sapıtmanın haram olması evleviyetle sâbit olur.

Yine Allahü Teâlâ'nın:

أَفَمِنْ هٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ
سَامِدُونَ

"Şu Kur'ân'a karşı mı istihzâ ederek gülersiniz ve ağlamazsınız da, onun duyulmaması için tegannî edersiniz!" (Necm sûresi, 53/59-60) âyeti ile delîl çekerler. Nitekim İbn Abbas (r.a.): "Semed, Humeyr lügatinde Tegannîdir." dedi.

Biz de deriz ki: Kur'ân'ı dinletmemek için gülmek ve ağlamak da aynı hükümdedir. Zîra âyet, bunları da şâmildir.

Şâyet, "O gülmek, Müslüman oldukları için Müslümanlara karşı gülmelerine mahsûstur." dersen; bu da onların, Müslümanlar ile alay etmeleri meyânındaki şiir ve tegannîlerine mahsûstur. Nitekim:

وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ

"Şairler(e gelince), **onlara ancak sapıklar uyar."** (Şuarâ sûresi, 26/224) âyetindeki "Şâirler"den murâd da küffâr şâirleridir ki, bu da bizâtihî şiir düzmenin haram olmasına delâlet etmez.

Bir başka delîlleri de, Câbir'in Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den rivâyet ettiği şu hadîstir:

كَانَ إِبْلِيسُ أَوَّلَ مَنْ نَاحَ وَأَوَّلَ مَنْ تَغَنّٰى

"İlk ağlayan ve ilk tegannî eden şeytandır."[28]

Bu hadîste, ölü üzerine ağlamak ile tegannî etmek birleştirilmiştir. Şüphesiz Dâvûd aleyhisselâmın ve günâhkârların hatâları içir olan ağlamaları, bu hükmün dışında kalır. Bunun gibi tahrîkleri mübâh olan yerlerde hüznü, şevki ve neşeyi tahrîk için yapılan tegannîler de istisnâ edilir. Nitekim Hz. Aişe'nin (r.a.) evindeki küçük kızların tegannîleri ile Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in Medîne'yi teşrîflerinde, Medîneli kadınların şiirleri de, bu hükmün dışında kalmıştı.

Yine Ebû Umâme'nin Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den rivâyet ettiği:

مَا رَفَعَ أَحَدٌ صَوْتَهُ بِغِنَاءٍ إِلَّا بَعَثَ اللّٰهُ لَهُ شَيْطَانَيْنِ عَلٰى
مَنْكِبَيْهِ يَضْرِبَانِ بِأَعْقَابِهِمَا عَلٰى صَدْرِهِ حَتّٰى يُمْسِكْ

"Tegannî ile sesini yükselten kimseye Allahü Teâlâ iki şeytan musallat eder. Bu şeytanlar, o kimsenin omuzları arasında dururlar ve bitirinceye kadar göğsünü tekmelerler."[29] hadîsi ile delîl çekmişlerdir.

Cevâbında deriz ki: Bu hadîs, bizim de yukarıda anlattığımız gibi, bâzı tegannîlerle alâkalıdır. O da şehveti ve insan aşkını harekete geçiren şiirlerdir. Ama Allah sevgisini, hâriçteki adamın gelme sevgisini veyâ çocuk doğmasının sevincini veyâ bayram neşesini arttıran tegannîler, tamamen şeytanın arzularına uymazlar. Nitekim iki câriyenin şiirleri ve Habeşîlerin oyunları ile Buhârî ve Müslim'den olan rivâyetlerimiz buna delâlet etmektedir. Bir yerde câiz görmek, mübâh olmasına sarahattir. Bin yerde men edilmesi ise tevîl edilmeye ve başka mânâlara haml edilmeye ihtimali olan bir haldir. Ama yapılmış bir iş tevîl kabul etmez. Zîra yapılması haram olan bir iş ancak icbâr karsısında helâl olabilir. Fakat yapılması mübâh olan bir iş çok sebeplerle haram olur. Niyet, maksat ve gâyeler gibi...

---

[28] Firdevs sûhibi Hz. Ali'den rivâyet etmşir.

[29] İbn Ebî'd-Dünyâ ve **"Kebir"**inde Taberânî rivâyet etmişlerdir.

Yine Ukbe b. Amir'in Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den rivâyet ettiği şu hadîsle de tegannînin haram olduğuna delîl çekmişlerdir:

كُلُّ شَيْءٍ يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ فَهُوَ بَاطِلٌ إِلَّا تَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ وَرَمْيَهُ
بِقَوْسِهِ وَمُلَاعَبَتَهُ لِامْرَأَتِهِ

"İnsanın eğlendiği her şey bâtıldır. Ancak atını terbiye etmesi, ok atması ve ailesiyle şakalaşması ve oynaması müstesnâdır."[30]

Bunun da cevâbında deriz ki: **"Bâtıl"** ifâdesi, haram olmasını gerektirmez, belki faydasız olduğuna delâlet eder. Bunu biz de kabul ediyoruz. Bununla beraber Habeşîlerin oyunları bu üçünün de dışındadır ve haram değildir. Belki sayılmayan bâzı şeylerde sayılanlar arasına katılabilir. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in:

لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدٰى ثَلَاثٍ

---

[30] **«Sünen-i Erba'a»** da rivâyet edilmiştir.

"Müslüman'ın kanı, ancak üç şeyin biri ile helâl olur."[31] buyurduğu halde bu hükme dördüncü de beşinci de katılmıştır. Ailesiyle oynamasında da zevkten başka bir şey yoktur. Bunda da insanın bağlara ve kırlara çıkarak kuş sesleri ve insanın eğlendiği çeşitli eğlenceler yapması, her ne kadar bâtıl ise de, hiçbirinin haram olduğuna delâlet yoktur.

Yine Hz. Osman'ın (r.a.): "Ben tegannî etmedim, temennî etmedim. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e biat ettikten sonra sağ elimle edep yerimi tutmadım." sözü ile de tegannînin haram olduğuna delîl çekmişlerdir.

Cevâbında deriz ki: O halde temennî ve sağ el ile edep yerini tutmanın da haram olması lâzım gelir ki, böyle şey olamaz. Sonra kim dedi ki, Hz. Osman yalnız haramı terk eder, mekruhları terk etmezdi? Yâni Hz. Osman'ın: "Yapmadım." veyâ "Yapmam." dediği her şeyin mutlaka haram olması lâzım gelmez.

Yine İbn Mes'ûd'un: "Su sebzeleri yetiştirdiği gibi, tegannî de kalpte nifak doğurur." kaydını ilâve etti ve bâzıları da bu sözü Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e izâfe ettiler ki, bu rivâyet sahîh değildir. Yine dediler ki: Abdullah b. Ömer'e ihrâma girmiş bir cemâat uğradı, aralarında tegannî eden birisi de bulunuyordu. Abdullah b. Ömer: "Allah sizin semâınızı kabul etmez." buyurdu.

Yine Nafî diyor ki: Ben Abdullâh b. Ömer ile bir yolda iken, çobanın kaval sesini duydu. Elleri ile kulaklarını tıkayarak yoldan saptı ve:

– "Ey Nafî, hâlâ sesi duyuluyor mu?" diye sordu. Ben:

– "Artık duyulmuyor." dediğim zaman kulağını açtı ve:

---

[31] Buhârî ile Müslim, İbn Mes'ûd'dan rivâyet etmişlerdir.

– "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in böyle yaptığını gördüm." dedi. Fuzayl b. İyaz: "Tegannî, zinânın efsûnudur." dedi. Diğer birisi de "Tegannî, kötülüğün elçilerinden biridir." dedi. Yezîd b. Velîd[32] de; "Tegannîden sakınınız. Zîra o hâyâyı azaltır, şehveti çoğaltır. Mürüvveti yıkar ve içki yerine geçer. Sarhoşun yaptığı kötülükleri yaptırır. Şâyet mutlaka tegannî isteğini duyuyorsanız, kadınları uzaklaştırın. Zîra tegannî, zinâyı teşvîk eder." gibi sözler ile tegannînin haram olduğuna delîl çekmişlerdir.

Biz de cevâbında deriz ki: İbn Mes'ûd'un, "Tegannî nifâkı doğurur." sözü, tegannî edenler ve mûsikiciler hakkındadır ve bu doğrudur. Çünkü şarkıcının bütün emeli sesini güzelleştirmekle kendisini insanlara arz edip sevdirmektir. Bu hususta münafıkça bir hareket etmiş olur. Bununla beraber tegannî yine haram olmaz. Meselâ, yine gösteriş ve desinler diye, türlü şekilde süslenip iyi vâsıtalara binmek, servet ve sâman sâhibi olmak kalpte nifâk doğurur. Fakat buna rağmen bunlara haram denemez. Nifakın kalpte doğmasına sebep olan yalnız mâsiyet değildir; belki halkın gözü önünde bulunan mübâhlar da buna daha çok müessir olabilir. Bunun için Hz. Ömer (r.a.), bindiği rahvan atından inerek kuyruğunu kesmiştir. Zîra onun güzel yürümesi kendisinde bir gurur doğurduğunu duydu. İşte, mübâhlardan da nifak olur.

Abdullah İbn Ömer'in: "Allah sizin gösterişinizi kabul etmez." sözü de mutlak gınânın (tegannî, nağme, şarkı v.b.) haram olmasına delâlet etmez. Belki ihrâmda iken tegannîlerin doğru olmayacağını – beyândır. Zâten görünüşlerinden, bu tegannîyi Kâbe'yi ziyâretlerinden şevke gelerek vecd içerisinde yapmadıklarını, ancak bir eğlence olarak yapmış olduklarını da anlamıştı. İhrâmda bulunan kimsenin haline yakışamayacağı için, onları reddetti.

---

[32] Emevî hükümdarlarından Abdülmelik'in oğlu 12 nci halifedir. Hicrî 125'da ölmüştür.

Diğer zevâtın hallerini hikâye etmeye gelince; bu hususlarda söz çok uzar. Çünkü bunlarda birçok ihtimâller mevcuttur. Elini kulağına koymasına gelince; eğer kaval sesini dinlemek gerçekten haram olsaydı, Nafi'e de aynı şeyi emretmesi gerekirdi. Hâlbuki Nafi'e bir şey söylemedi. Kendisinin öyle yapması, o an için çalgı sesinin, üzerinde menfî bir tesîr yapabileceğini hesâba katmış olabileceğindendir. Belki o an için, daha mühim bir şey düşünmüş olabilirdi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de aynı şekilde hareket etmiş ve İbn Ömer'i men etmemiştir. Bu da yine haram olmadığına delâlet etmez. Ancak onu dinlememenin evleviyetine delâlet eder. Zâten biz de birçok hallerde terkinin evlâ olduğunu söylemekteyiz. Değil bu, kalbe menfî tesîr edecek mübâhların da birçoklarının terkini daha evlâ görmekteyiz.

Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) namazı kıldırdıktan sonra Ebû Cehm'in işlemeli elbisesini çıkararak kendisine iâde etti. Yoksa işlemeli elbise giymenin haram olduğunu mu sanıyorsun? Haram olsaydı, mal sâhibinin de onu giymesine müsâade etmemesi lâzımdı. Belki kaval sesi sırasında Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) öyle bir halde idi ki, o halde bu sesi duymak istemiyordu. Çünkü çalgı sesi onu meşgul edebilirdi. Nasıl ki, cübbedeki işleme kendisini namazda meşgul etmişti. Belki mûsiki aracılığı ile kalpte mânevî zevk uyandırmaya çalışmak, -her ne kadar başkalarına nispetle bir kemâl olabilirse de- kalbinde hakkı müşâhede hali devâm edenler için, bir kusurdur. Bunun için Huserî:[33] "İşitici öldüğü zaman, kesilen ve daha duyulamayan mûsikiyi ben ne yapayım?" demiştir. Bununla beraber devâm edecek zevkin, Allahü Teâlâ'dan gelen mânevî zevk olduğuna işâret etmek istemiştir. Peygamberler devamlı olarak işitmek ve müşâhede zevkindedirler. Bu zevki tahrîk için çâreler aramaya muhtaç değildirler. Bu da bundan îbârettir.

---

[33] Aslen Basralı olup Bağdat'da ikamet eden, zamanının kal ve hâl ehli şeyhlerinden bir zattır. Hicrî 271'de ölmüştür. Rahmetullahi aleyh.

Fuzayl'ın, "Mûsiki zinânın efsûnudur, büyüsüdür." dediğine ve bu mânâdaki diğer zâtların sözlerine gelince; bu da fâsıkların ve kanları galeyan halinde bulunan gençlerin mûsikisidir. Eğer umûmî olsaydı, Hz. Âişe'nin (r.a.) evinde, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in huzurunda mûsiki sesleri duyulamazdı.

Kıyâsa gelince: Bunun da en sonu, bu mûsikiyi telli çalgılara benzetmektir. Hâlbuki aralarındaki farkı yukarıda anlattık. Yâhut hepsi de "LEHV" ve "LU'B" yâni oyun ve eğlenceden îbâret şeylerdir. Yâni dervişlerin mûsikisi, semâı da boş, oyun ve eğlenceden ibârettir, deriz. Bunu böyle kabul edersek de, yine haram olması lâzım gelmez. Çünkü dünyanın bütünü oyun ve eğlencedir. Nitekim Hz. Ömer (r.a.) âilesine: "Sen ev içinde bir eğlencesin." dedi. Evlat yetiştirmek için olan münâsebet hâriç, kadın ile her nevi oynaşma bir eğlencedir. Fuhşiyat bulunmayan her şaka da bir eğlencedir. Hâlbuki şakalaşmalar, sahâbeden rivâyet edildiği gibi, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den de mervîdir. İnşâallah bu, "**Âfât-I Lisân**" kitabında açıklanacaktır.

Zâten Zenci ve Habeşîlerin oyunlarından daha üstün eğlence olabilir mi? Bunların oyunlarının mübâh olduğu sarahaten sâbittir. Bununla beraber ben derim ki: Oyun, kalbi rahatlandırır, ağırlık ve sıkıntıyı kaldırır. Gönül ağırlaştığı zaman, körleşir ve tembelleşir. Onu yatıştırmak, huzura kavuşturmak ise yeniden kendisini harekete geçirir. Meselâ, haftanın her günü devâmlı ders okumak insanı yorar ve tembelleştirir. Fakat Cuma günü yapacağı tatil, onu yeniden heveslendirir. Devamlı olarak namaz kılmak da insanı tembelleştirir. Bunun için biraz ara vermesi lâzımdır. Bu sebeptendir ki, bâzı vakitlerde namaz kılmak mekruh sayılmıştır. Bu sûretle biraz dinlenip ara vermek, insanın neşâtını arttırır ve yeniden zevkle ibâdete başlar.

Binâenaleyh, oyun ve eğlence ciddî çalışmaya dahi yardımcı olur. Devamlı bir şekilde mahzâ ciddiyet üzere olmaya ve acı gerçeklere ancak Peygamberler dayanabilir. Eğlence, yorgunluk ve tembellik hastalığına karşı kalbin devâsıdır. Ne var ki, bütün şakalar, oyun ve eğlenceler mübâh olmalı ve ifrâta kaçmamalıdır. Diğer hastalıkları tedâvi eden ilâçların fazlası zarar olduğu gibi, kalbi tembellikten tedâvi edecek olan oyun ve eğlenceler de fazla olmamalıdır. İşte bu maksatla yapılan eğlenceler de ibâdet yerine geçer. Bu da, kalbinden bu zevki bulamayıp bu vâsıtalarla iyi vasıflara ulaşabilmek isteyenler içindir. İşte bu gibiler, bu yollardan gidebilir.

Gerçi bu gibiler, olgunluğun yüksek mertebesinde değildirler. Çünkü orada olsalar, Hak'tan başkası ile gönüllerini huzura kavuşturmaya muhtaç olmazlardı. Bununla beraber bu gâye uğrunda çalışanlara kötü denmez. Her ne kadar o üstün derecelerdekiler için, bu bir kusur olsa da, bunlar için yine bir kemâldir. Nitekim "Ebrârın hasenâtı mukarrebûnun seyyiâtıdır = İyilerin sevâpları, Allah'a manen yakın olanların günâhları gibidir." denilmiştir. Kalbin tedâvi yollarını ve kalbi Hakk'a sevk etmenin çarelerini iyice bilebilenler, bu gibi şeylerle kalbi huzura kavuşturmanın faydalı bir tedâvi yolu olduğunu kabul ederler.

البَابُ الثَّاني

في آثار السّماع وآدابه

اعلمْ : أنَّ أوَّلَ درجةِ السماعِ فهمُ المسموعِ وتنزيلُهُ علىٰ معنىً يقعُ للمستمعِ ، ثمَّ يثمرُ الفهمُ الوجدَ ، ويثمرُ الوجدُ الحركةَ بالجوارحِ ، فليُنظرْ في هـٰذهِ المقاماتِ الثلاثةِ .

المقام الأوّل : في الفهم

وهوَ يختلفُ باختلافِ أحوالِ المستمعِ ، **وللمستمعِ أربعةُ أحوالٍ** :

إحداها : أنْ يكونَ سماعُهُ بمجرَّدِ الطبعِ :

أيْ : لا حظَّ لهُ في السماعِ إلا استلذاذُ الألحانِ والنغماتِ ، وهـٰذا مباحٌ ، وهوَ أخسُّ رتبِ السماعِ إذِ الإبلُ شريكةٌ لهُ فيهِ ، وكذا سائرُ البهائمِ ، بلْ لا يستدعي هـٰذا الذوقَ إلا الحياةُ ، فلكلِّ حيوانٍ نوعُ تلذُّذٍ بالأصواتِ الطيِّبةِ .

* * *

الحالةُ الثانيةُ : أنْ يسمعَ بفهمٍ ولكنْ ينزِّلُهُ علىٰ صورةِ مخلوقٍ :

إمَّا معيَّناً أوْ غيرَ معيَّنٍ ، وهوَ سماعُ الشبَّانِ وأربابِ الشهوةِ ، ويكونُ

تنزيلُهُمْ للمسموعِ علىٰ حسَبِ شهواتِهِمْ ومقتضىٰ أحوالِهِمْ ، وهـٰذهِ الحالةُ أخسُّ مِنْ أنْ نتكلَّمَ فيها إلا ببيانِ خسَّتِها والنهيِ عنها .

* * *

الحالةُ الثالثةُ : أنْ ينزِّلَ ما يسمعُهُ علىٰ أحوالِ نفسِهِ في معاملتِهِ معَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وتقلُّبِ أحوالِهِ في التمكُّنِ مرَّةً وتعذُّرِهِ أخرىٰ :

وهـٰذا سماعُ المريدينَ ، لا سيما المبتدئينَ ، فإنَّ للمريدِ ـ لا محالةَ ـ مراداً هوَ مقصدُهُ ، ومقصدُهُ معرفةُ اللهِ تعالىٰ ، ولقاؤُهُ والوصولُ إليهِ بطريقِ المشاهدةِ بالسرِّ وكشفِ الغطاءِ ، ولهُ في مقصدِهِ طريقٌ هوَ سالكُهُ ، ومعاملاتٌ هوَ مثابرٌ عليها ، وحالاتٌ تستقبلُهُ في معاملاتِهِ .

فإذا سمعَ ذكرَ عتابٍ أوْ خطابٍ ، أوْ قبولٍ أوْ ردٍّ ، أوْ وصلٍ أوْ هجرٍ ، أوْ قربٍ أوْ بعدٍ ، أوْ تلهُّفٍ علىٰ فائتٍ أوْ تعطُّشٍ إلىٰ منتظَرٍ ، أوْ شوقٍ إلىٰ واردٍ ، أوْ طمعٍ أوْ يأسٍ ، أوْ وحشةٍ أوِ استئناسٍ ، أوْ وفاءٍ بالوعدِ أوْ نقضٍ للعهدِ ، أوْ خوفِ فراقٍ أوْ فرحٍ بوصالٍ ، أوْ ذكرَ ملاحظةِ الحبيبِ ومدافعةِ الرقيبِ ، أوْ همولِ العبراتِ ، أوْ ترادفِ الحسراتِ ، أوْ طولِ الفراقِ ، أوْ عدةِ الوصالِ ، أوْ غيرِ ذلكَ ممَّا يشتملُ علىٰ وصفِهِ الأشعارُ . فلا بدَّ أنْ يوافقَ بعضُها حالَ المريدِ في طلبِهِ ، فيجريَ ذلكَ مجرى القدَّاحِ الذي يوري زنادَ قلبِهِ ، فتشتعلُ بهِ نيرانُهُ ، ويقوىٰ بهِ انبعاثُ الشوقِ وهيجانُهُ ، ويهجمُ بسببِهِ عليهِ أحوالٌ مخالفةٌ لعادتِهِ ، ويكونُ لهُ مجالٌ رحبٌ في تنزيلِ الألفاظِ علىٰ أحوالِهِ .

وليسَ على المستمعِ مراعاةُ مرادِ الشاعرِ مِنْ كلامِهِ ، بلْ لكلِّ كلامٍ وجوهٌ ، ولكلِّ ذي فهمٍ في اقتباسِ المعنىٰ منهُ حظٌّ .

ولنضربْ لهٰذهِ التنزيلاتِ والفهومِ أمثلةً كي لا يظنَّ الجاهلُ أنَّ المستمعَ لأبياتٍ فيها ذكرُ الفمِ والخدِّ والصُّدْغِ إنَّما يُفهمُ منها ظواهرُها ، ولا حاجةَ بنا إلىٰ ذكرِ كيفيةِ فهمِ المعاني مِنَ الأبياتِ ، ففي حكاياتِ أهلِ السماعِ ما يكشفُ عنْ ذلكَ .

فقد حُكِيَ أنَّهُ سمعَ بعضُهُمْ قائلاً يقولُ : [من مجزوء الكامل]

قَالَ ٱلرَّسُولُ غَداً تَزُو … رُ فَقُلْتُ تَدْرِي مَا تَقُولُ

فاستفزَّهُ القولُ واللحنُ ، وتواجدَ ، وجعلَ يكرِّرُ ذلكَ ويجعلُ مكانَ التاءِ نوناً ، فيقولُ : (قالَ ٱلرَّسُولُ : غداً نزورُ) ، حتَّىٰ غُشيَ عليهِ مِنْ شدَّةِ الفرحِ واللذَّةِ والسرورِ ، فلمَّا أفاقَ . . سُئِلَ عنْ وجدِهِ مِمَّ كانَ ؟ فقالَ : ذكرتُ قولَ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ أهلَ الجنَّةِ يزورونَ ربَّهُمْ في كلِّ يومِ جمعةٍ مرَّةً »[1] .

وحكى الدُّقيُّ عنِ ابنِ الدَّرَّاجِ أنَّهُ قالَ : كنتُ أنا وابنُ الفُوَطِيِّ مارَّينِ على الدجلةِ بينَ البصرةِ والأُبُلَّةِ ، وإذا بقصرٍ حسنٍ لهُ منظرةٌ وعليهِ رجلٌ بينَ يديهِ جاريةٌ تغنِّي وتقولُ : [من مجزوء الرمل]

كُلَّ يَوْمٍ تَتَلَوَّنْ … غَيْرُ هَٰذا بِكَ أَجْمَلْ

---

[1] (١) رواه الترمذي (٢٥٤٩) ، وابن ماجه (٤٣٣٦) .

فإذا شابٌّ حسنٌ تحتَ المنظرةِ وبيدِهِ ركْوةٌ وعليهِ مرقَّعةٌ يستمعُ ، فقالَ : يا جاريةُ ؛ باللهِ وبحياةِ مولاكِ إلاَّ أعدتِ عليَّ هـٰذا البيتَ ، فأعادَتْ ، فكانَ الشابُّ يقولُ : واللهِ ؛ هـٰذا تلوُّني مع الحقِّ في حالي ، فشهقَ شهقةً وماتَ ، قالَ ؛ فقلنا : قدِ استقبلَنا فرضٌ ، فوقفْنا فقالَ صاحبُ القصرِ للجاريةِ : أنتِ حرَّةٌ لوجهِ اللهِ تعالىٰ ، قالَ : ثمَّ خرجَ أهلُ البصرةِ وصلَّوا عليهِ ، فلمَّا فرغوا مِنْ دفنِهِ . . قالَ صاحبُ القصرِ : أشهدُكُمْ أنَّ كلَّ شيءٍ لي في سبيلِ اللهِ ، وكلَّ جواريَّ أحرارٌ ، وهـٰذا القصرُ للسبيلِ ، قالَ : ثمَّ رمىٰ بثيابِهِ ، واتَّزرَ بإزارٍ ، وارتدىٰ بآخرَ ، ومرَّ علىٰ وجهِهِ والناسُ ينظرونَ إليهِ حتَّىٰ غابَ عنْ أعينِهِمْ وهمْ يبكونَ ، فلمْ يُسمعْ لهُ بعدُ خبرٌ(١) .

والمقصودُ : أنَّ هـٰذا الشخصَ كانَ مستغرقَ الوقتِ بحالِهِ معَ اللهِ تعالىٰ ، ومعرفةِ عجزِهِ عنِ الثبوتِ علىٰ حسنِ الأدبِ في المعاملةِ ، وتأسُّفِهِ علىٰ تقلُّبِ قلبِهِ ، وميلِهِ عنْ سَنَنِ الحقِّ ، فلمَّا قرعَ سمعَهُ ما يوافقُ حالَهُ . . سمعَهُ مِنَ اللهِ تعالىٰ كأنَّهُ يخاطبُهُ ويقولُ لهُ :

كُـــلَّ يَـــوْمٍ تَتَلَـــوَّنْ   غَيْـــرُ هَـــذا بِـــكَ أَجْمَـــلْ

ومَنْ كانَ سمعُهُ مِنَ اللهِ تعالىٰ وعلى اللهِ وفيهِ . . فينبغي أنْ يكونَ قدْ أحكمَ قانونَ العلمِ في معرفةِ اللهِ تعالىٰ ومعرفةِ صفاتِهِ ، وإلا . . خطرَ لهُ في السماعِ

---

(١) رواه الطوسي في « اللمع » (ص٣٥٨) عن الدقي مباشرة ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٥٥) .

في حقِّ اللهِ تعالىٰ ما يستحيلُ عليهِ تعالىٰ ويكفرُ بهِ ، ففي سماعِ المريدِ المبتدىءِ خطرٌ إلا إذا لمْ ينزِّلْ ما يسمعْ إلا علىٰ حالِهِ مِنْ حيثُ لا يتعلَّقُ بوصفِ اللهِ تعالىٰ .

ومثالُ الخطأ فيهِ : هـٰذا البيتُ بعينِهِ لوْ سمعَهُ في نفسِهِ وهوَ مخاطبٌ بهِ ربَّهِ عزَّ وجلَّ ، فيضيفُ التلوُّنَ إلى اللهِ تعالىٰ ؛ فيكفرُ ، وهـٰذا قدْ يقعُ عنْ جهلٍ محضٍ مطلقٍ غيرِ ممزوجٍ بتحقيقٍ ، وقدْ يكونُ عنْ جهلٍ ساقَهُ إليهِ نوعٌ مِنَ التحقيقِ ، وهوَ أنْ يرىٰ تقلُّبَ أحوالِ قلبِهِ ، بلْ تقلُّبَ سائرِ أحوالِ العالمِ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وهوَ حقٌّ ، فإنَّهُ تارةً يبسطُ قلبَهُ ، وتارةً يقبضُهُ ، وتارةً ينوِّرُهُ ، وتارةً يظلمُهُ ، وتارةً يقسِّيهِ ، وتارةً يُليِّنُهُ ، وتارةً يثبِّتُهُ علىٰ طاعتِهِ ويقوِّيهِ عليها ، وتارةً يسلِّطُ الشيطانَ عليهِ ليصرفَهُ عنْ سَنَنِ الحقِّ ، وهـٰذا كلُّهُ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، ومَنْ يصدرُ منهِ أحوالٌ مختلفةٌ في أوقاتٍ متقاربةٍ فقدْ يُقالُ لهُ في العادةِ : إنَّهُ ذو بَداواتٍ ، وإنَّهُ متلوِّنٌ ، ولعلَّ الشاعرَ لمْ يردْ بهِ إلا نسبةَ محبوبِهِ إلى التلوُّنِ في قبولِهِ وردِّهِ ، وتقريبِهِ وإبعادِهِ ، وهـٰذا هوَ المعنىٰ ، وسماعُ هـٰذا كذلكَ في حقِّ اللهِ تعالىٰ كفرٌ محضٌ ، بلْ ينبغي أنْ يعلمَ أنَّهُ سبحانَهُ وتعالىٰ يلوِّنُ ولا يتلوَّنُ ، ويغيِّرُ ولا يتغيَّرُ ، بخلافِ عبادِهِ ، وذلكَ العلمُ يحصلُ للمريدِ باعتقادٍ تقليديٍّ إيمانيٍّ ، ويحصلُ للعارفِ البصيرِ بيقينٍ كشفيٍّ حقيقيٍّ ، وذلكَ مِنْ أعاجيبِ أوصافِ الربوبيَّةِ ، وهوَ التغييرُ مِنْ غيرِ تغيُّرٍ ، ولا يتصوَّرُ ذلكَ إلا في حقِّ اللهِ تعالىٰ ، بلْ كلُّ مغيِّرٍ سواهُ فلا يغيِّرُ ما لمْ يتغيَّرْ .

ومِنْ أربابِ الوجدِ مَنْ يغلبُ عليهِ حالٌ مثلُ السكْرِ المدهشِ ، فيطلقُ

لسانَهُ بالعتابِ معَ اللهِ ، ويستنكرُ اقتهارَهُ للقلوبِ وقسمتَهُ للأحوالِ الشريفةِ علىٰ تفاوتٍ ، فإنَّهُ المستصفي لقلوبِ الصدِّيقينَ ، والمبعدُ لقلوبِ الجاحدينَ والمغرورينَ ، فلا مانعَ لما أعطىٰ ، ولا معطيَ لما منعَ ، ولمْ يقطعِ التوفيقَ عنِ الكفَّارِ لجنايةٍ متقدمةٍ ، ولا أمدَّ الأنبياءَ عليهِمُ السلامُ بتوفيقِهِ ونورِ هدايتِهِ لوسيلةٍ سابقةٍ ، ولكنَّهُ قالَ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ، وقالَ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ .

فإنْ خطرَ ببالِكَ أنَّهُ لِمَ اختلفَتِ السابقةُ وهمْ في ربقةِ العبوديَّةِ مشتركونَ ؟ . . نوديتَ مِنْ سُرادِقاتِ الجلالِ : لا تجاوزْ حدَّ الأدبْ ، فإنَّهُ لا يُسألُ عمَّا يفعلُ وهمْ يُسألونَ .

ولعمري ؛ تأدُّبُ اللسانِ والظاهرِ ممَّا يقدرُ عليهِ الأكثرونَ ، فأمَّا تأدُّبُ السرِّ عنْ إضمارِ الاستبعادِ لهـٰذا الاختلافِ الظاهرِ في التقريبِ والإبعادِ ، والإشقاءِ والإسعادِ ، معَ بقاءِ السعادةِ والشقاوةِ أبدَ الآبادِ . . فلا يقوىٰ عليهِ إلا العلماءُ الراسخونَ في العلمِ .

ولهـٰذا قالَ الخضرُ عليهِ السلامُ لمَّا سُئِلَ عنِ السماعِ في المنامِ : (إنَّهُ الصفاءُ الزلالُ الذي لا يثبتُ عليهِ إلا أقدامُ العلماءِ)⁽¹⁾ ؛ لأنَّهُ محرِّكٌ لأسرارِ

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٦٢) .

القلوبِ ومكامِنها ، ومشوِّشٌ لها تشويشَ السكْرِ المدهشِ الذي يكادُ يحلُّ عقدةَ الأدبِ عنِ السرِّ إلا ممَّنْ عصمَهُ اللهُ تعالىٰ بنورِ هدايتِهِ ولطْفِ عصمتِهِ .

ولذلكَ قالَ بعضُهُمْ : (ليتَنا نجونا مِنْ هـٰذا السماعِ رأساً برأسٍ)[1] ، ففي هـٰذا الفنِّ مِنَ السماعِ خطرٌ يزيدُ علىٰ خطرِ السماعِ المحرِّكِ للشهوةِ ، فإنَّ غايةَ ذلكَ معصيةٌ ، وغايةُ الخطأِ هـٰهنا كفرٌ .

* * *

واعلمْ : أنَّ الفهمَ قد يختلفُ بأحوالِ المستمعِ ، فيغلبُ الوجدُ علىٰ مستمعينِ لبيتٍ واحدٍ وأحدُهُما مصيبٌ في الفهمِ والآخرُ مخطىءٌ ، أوْ كلاهُما مصيبانِ وقدْ فهما معنيينِ مختلفينِ متضادَّينِ ، ولكنَّهُ بالإضافةِ إلى اختلافِ أحوالِهِما لا يتناقضُ ؛ كما حُكِيَ عنْ عتبةَ الغلامِ أنَّهُ سمعَ رجلاً يقولُ : [من مجزوء الكامل]

سُبْحَـــانَ جَبَّـــارِ ٱلسَّمَـــا   إِنَّ ٱلْمُحِـــبَّ لَفِـــي عَنَـــا

فقالَ : صدقتَ ، وسمعَهُ رجلٌ آخرُ فقالَ : كذبتَ ، فقالَ بعضُ ذوِي البصائرِ : (أصابا جميعاً)[2] .

وهوَ الحقُّ ؛ فالتصديقُ كلامُ محبٍّ غيرِ ممكَّنٍ مِنَ المرادِ ، بلْ مصدودٌ متعبٌ بالصدِّ والهجرِ ، والتكذيبُ كلامُ مستأنسٍ بالحبِّ مستلذٍّ لما يقاسيهِ

---

[1] والقائل هو أبو علي الروذباري رحمه الله كما في « اللمع » (ص ٣٤٣) .

[2] رواه الطوسي في « اللمع » (ص٣٦٢) ، والقشيري في « رسالته » (ص٥٥٥) .

بسببِ فرْطِ حبِّهِ غيرِ متأثِّرٍ بهِ ، أوْ كلامُ محبٍّ غيرِ مصدودٍ عنْ مرادِهِ في الحالِ ، ولا مستشعرٍ لخطرِ الصدِّ في المآلِ ، وذلكَ لاستيلاءِ الرجاءِ وحسنِ الظنِّ علىٰ قلبِهِ ، فباختلافِ هـٰذهِ الأحوالِ يختلفُ الفهمُ .

وحُكِيَ عنْ أبي القاسم بنِ مروانَ وكانَ قدْ صحبَ أبا سعيدٍ الخرَّازَ رحمهُ اللهُ ، وتركَ حضورَ السماعِ سنينَ كثيرةً ، فحضرَ في دعوةٍ يقولُ إنسانٌ فيها : [من مجزوء الرمل]

واقِــفٌ فِــي ٱلْمَــاءِ عَطْشَــا نٌ وَلَـٰكِــنْ لَيْــسَ يُسْقَــى

فقامَ القومُ وتواجدوا ، فلمَّا سكنوا . . سألَهُمْ عنْ معنىٰ ما وقعَ لهَمْ مِن معنى البيتِ ، فأشاروا إلى التعطُّشِ إلى الأحوالِ الشريفةِ والحرمانِ منها معَ حضورِ أسبابِها ، فلمْ يقنعْهُ ذلكَ ، فقيلَ لهُ : فماذا عندكَ فيهِ ؟ فقالَ : أنْ يكونَ في وسَطِ الأحوالِ ويُكرمَ بالكراماتِ ولا يُعطىٰ منها ذرَّةً[1] .

وهـٰذهِ إشارةٌ إلىٰ إثباتِ حقيقةٍ وراءَ الأحوالِ والكراماتِ ، فالأحوالُ سوابقُها ، والكراماتُ تسنحُ في مباديها ، والحقيقةُ بعدُ لمْ يقعِ الوصولُ إليها ، ولا فرقَ بينَ المعنى الذي فهمَهُ وبينَ ما ذكروهُ إلا في تفاوتِ رتبةِ المتعطَّشِ إليهِ ، فإنَّ المحرومَ مِنَ الأحوالِ الشريفةِ أوَّلاً يتعطَّشُ إليها ، فإنْ مُكِّنَ منها . . تعطَّشَ إلىٰ ما وراءَها ، فليسَ بينَ المعنيينِ اختلافٌ في الفهمِ ، بلِ الاختلافُ بينَ الرتبتينِ .

---

[1] رواه الطوسي في « اللمع » (ص٣٦١) ، وبنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٠/٣١) .

وكانَ الشبليُّ رحمهُ اللهُ كثيراً ما يتواجدُ علىٰ هـٰذا البيتِ(١) : [من الطويل]

وِدادُكُـمُ هَجْـرٌ وَحُبُّكُـمُ قِلـىً   وَوَصْلُكُمُ صَرْمٌ وَسِلْمُكُمْ حَرْبُ

وهـٰذا البيتُ يمكنُ سماعُهُ علىٰ وجوهٍ مختلفةٍ ، بعضُها حقٌّ وبعضُها باطلٌ ، **وأظهرُها** : أنْ يُفهمَ هـٰذا في الخلقِ ، بلْ في الدنيا بأسرِها ، بلْ في كلِّ ما سوى اللهِ تعالىٰ ؛ فإنَّ الدنيا مكّارةٌ خدَّاعةٌ ، قتَّالةٌ لأربابِها، معاديةٌ لهُمْ في الباطنِ، ومظهرةٌ صورةَ الوُدِّ، فما امتلأَتْ منها دارٌ حَبْرةً إلا امتلأَتْ عبرةً، كما وردَ في الخبرِ(٢)، وكما قالَ الثعالبيُّ في وصفِ الدنيا(٣): [من الطويل]

تنَحَّ عَنِ ٱلدُّنْيا فَلا تَخْطِبَنَّها   وَلا تَخْطِبَنْ قَتَّالَةً مَنْ تناكَحُ
فَلَيْسَ يَفِي مَرْجُوُّها بِمَخُوفِها   وَمَكْرُوهُها إِمَّا تَأَمَّلْتَ راجِحُ
لَقَدْ قالَ فِيها ٱلْواصِفُونَ فَأَكْثَرُوا   وَعِنْدِي لَها وَصْفٌ لَعَمْرِيَ صَالِحُ
سُلافٌ قُصاراها زُعافٌ وَمَرْكَبٌ   شَهِيٌّ إِذا ٱسْتَلْذَذْتَهُ فَهْوَ جامِحُ
وَشَخْصٌ جَمِيلٌ يُونِقُ ٱلنَّاسَ حُسْنُهُ   وَلَـٰكِنْ لَهُ أَسْرارُ سُوءٍ قَبائِحُ

والمعنى الثاني : أنْ ينزِّلَهُ علىٰ نفسِهِ في حقِّ اللهِ تعالىٰ ؛ فإنَّهُ إذا تفكَّرَ . .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٣٦٩) ، والطوسي في « اللمع » (ص٣٦٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص١٦٧) ، والبيت مما نسب إلى الشبلي ، وهو في « ديوانه » (ص ١٣٨) .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٢٦٣) ، والقضاعي في « مسند الشهاب » (٨٠٣) عن يحيى بن أبي كثير مرسلاً .

(٣) ديوانه (ص ٣٩) .

فمعرفتُهُ جهلٌ ، إذْ ما قدروا اللهَ حقَّ قدرِهِ ، وطاعتُهُ رياءٌ ؛ إذْ لا يتقي اللهَ حقَّ تقاتِهِ ، وحبُّهُ معلولٌ ؛ إذْ لا يدعُ شهوةً مِنْ شهواتِهِ في حبِّهِ ، ومَنْ أرادَ اللهُ بهِ خيراً وبصَّرَهُ بعيوبِ نفسِهِ . . رأىٰ مصداقَ هـٰذا البيتِ في نفسِهِ ، وإنْ كانَ عليَّ الرتبةِ بالإضافةِ إلى الغافلينَ ، ولذلكَ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا أحصي ثناءً عليكَ ، أنتَ كما أثنيتَ علىٰ نفسِكَ »⁽¹⁾ ، وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إنِّي لأستغفرُ اللهَ في اليومِ والليلةِ سبعينَ مرَّةً »⁽²⁾ ، وإنَّما كانَ استغفارُهُ عنْ أحوالٍ هيَ درجاتُ بُعْدٍ بالإضافةِ إلىٰ ما بعدَها ، وإنْ كانَتْ قُرْباً بالإضافةِ إلىٰ ما قبلَها ، فلا قربَ إلا ويبقىٰ وراءَهُ قربٌ لا نهايةَ لهُ ؛ إذْ سبيلُ السلوكِ إلى اللهِ تعالىٰ غيرُ متناهٍ ، والوصولُ إلىٰ أقصىٰ درجاتِ القربِ محالٌ .

والمعنى الثالثُ : أنْ ينظرَ في مبادىءِ أحوالِهِ فيرتضيَها ، ثمَّ ينظرَ في عواقبِها فيزدريَها ؛ لاطلاعِهِ علىٰ خفايا الغرورِ فيها ، فيرىٰ ذلكَ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، فيستمعَ البيتَ في حقِّ اللهِ تعالىٰ شكايةً مِنَ القضاءِ والقدرِ ، وهـٰذا كفرٌ كما سبقَ بيانُهُ .

وما مِنْ بيتٍ إلا ويمكنُ تنزيلُهُ علىٰ معانٍ ، ذلكَ بقدْرِ غزارةِ علْمِ المستمعِ وصفاءِ قلبِهِ .

* * *

---

(1) رواه مسلم (٤٨٦) .

(2) رواه البخاري (٦٣٠٧) بزيادة : (أكثر) ، وبنحو لفظ المصنف عند الترمذي (٣٢٥٩) ، وابن ماجه (٣٨١٦) .

الحالةُ الرابعةُ : سماعُ مَنْ جاوزَ الأحوالَ والمقاماتِ :

فعزبَ عنْ فهمِ ما سوى اللهِ تعالىٰ ، حتَّىٰ عزبَ عنْ نفسِهِ وأحوالِها ومعاملاتِها ، وكانَ كالمدهوشِ الغائصِ في بحرِ عينِ الشهودِ الذي يضاهي حالُهُ حالَ النسوةِ اللاتي قطعْنَ أيديَهُنَّ في مشاهدةِ جمالِ يوسفَ عليهِ السلامُ ، حتَّىٰ بهتْنَ وسقطَ إحساسُهُنَّ وعنْ مثلِ هـٰذهِ الحالةِ تعبِّرُ الصوفيَّةُ بأنَّهُ قدْ فَنِيَ عنْ نفسِهِ ، ومهما فنيَ عنْ نفسِهِ . . فهوَ عنْ غيرِهِ أفنىٰ ، فكأنَّهُ فنيَ عنْ كلِّ شيءٍ إلا عنْ الواحدِ المشهودِ ، وفنيَ أيضاً عنِ الشهودِ ، فإنَّ القلبَ إنِ التفتَ إلى الشهودِ وإلىٰ نفسِهِ بأنَّهُ مشاهدٌ . . فقدْ غفلَ عنِ المشهودِ ؛ فالمستهتَرُ بالمرئيِّ لا التفاتَ لهُ في حالِ استغراقِهِ إلىٰ رؤيتِهِ ، ولا إلىٰ عينِهِ التي بها رؤيتُهُ ، ولا إلىٰ قلبِهِ الذي بهِ لذَّتُهُ ، فالسكرانُ لا خبرَ لهُ مِنْ سكرِهِ ، والمتلذِّذُ لا خبرَ لهُ منِ التذاذِهِ ، وإنَّما خبرُهُ مِن الملتذِّ بهِ فقطْ .

ومثالُهُ : العلمُ بالشيءِ ؛ فإنَّهُ مغايرٌ للعلمِ بالعلمِ بذلكَ الشيءِ ، فالعالمُ بالشيءِ مهما وردَ عليهِ العلمُ بالعلمِ بالشيءِ . . كانَ معرضاً عنِ الشيءِ ، ومثلُ هـٰذهِ الحالةِ قدْ تطرأُ في حقِّ المخلوقينَ ، فتطرأُ أيضاً في حقِّ الخالقِ ، ولكنَّها في الغالبِ تكونُ كالبرقِ الخاطفِ الذي لا يثبتُ ولا يدومُ ، فإنْ دامَ . . لمْ تطقْهُ القوَّةُ البشريَّةُ ، فربَّما يضطربُ تحتَ أعبائِهِ اضطراباً تهلكُ فيهِ نفسُهُ ؛ كما رُوِيَ عنْ أبي الحسينِ النوريِّ أنَّهُ حضرَ مجلساً ، فسمعَ هـٰذا البيتَ : [من الكامل]

ما زِلْتُ أَنْزِلُ فِي وِدادِكَ مَنْزِلاً تَتَحَيَّـرُ ٱلأَلْبـابُ عِنْـدَ نُـزُولِـهِ

فقامَ وتواجدَ ، وهامَ علىٰ وجهِهِ ، فوقعَ في أجمةِ قصبٍ قدْ قُطعَ وبقيَتْ أصولُهُ مثلَ السيوفِ ، فصارَ يعدو فيها ، ويعيدُ البيتَ إلى الغداةِ ، والدمُ يخرجُ مِنْ رجليهِ ، حتَّىٰ ورمَتْ قدماهُ وساقاهُ ، وعاشَ بعدَ ذلكَ أياماً وماتَ رحمَهُ اللهُ (١) .

فهٰذهِ درجةُ الصديقينَ في الفهمِ والوجدِ ، وهيَ أعلى الدرجاتِ ؛ لأنَّ السماعَ على الأحوالِ نازلٌ عنْ درجاتِ الكمالِ ، وهيَ ممتزجةٌ بصفاتِ البشريةِ ، وهوَ نوعُ قصورٍ ، وإنَّما الكمالُ أنْ يفنىٰ بالكليَّةِ عنْ نفسِهِ وأحوالِهِ ؛ أعني أنَّهُ ينساها ، فلا يبقىٰ لهُ التفاتٌ إليها ، كما لمْ يكنْ للنسوةِ التفاتٌ إلى الأيدي والسكاكينِ ، فيسمعُ باللهِ وللهِ ، وفي اللهِ ومِنَ اللهِ ، وهٰذهِ رتبةُ مَنْ خاضَ لجةَ الحقائقِ وعبرَ ساحلَ الأحوالِ والأعمالِ ، واتحدَ بصفاءِ التوحيدِ ، وتحقَّقَ بمحضِ الإخلاصِ ، فلمْ يبقَ فيهِ منهُ شيءٌ أصلاً ، بلْ خمدَتْ بالكليَّةِ بشريتُهُ ، وفنيَ التفاتُهُ إلىٰ صفاتِ البشريَّةِ رأساً ، ولستُ أعني بفنائِهِ فناءَ جسدِهِ ، بلْ فناءَ قلبِهِ ، ولستُ أعني بالقلبِ اللحمَ والدمَ ، بلْ سرٌّ لطيفٌ لهُ إلى القلبِ الظاهرِ نسبةٌ خفيَّةٌ وراءَها سرُّ الروحِ الذي هوَ مِنْ أمرِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، عرفَها مَنْ عرفَها ، وجهلَها مَنْ جهلَها ، ولذلكَ السرِّ وجودٌ ، وصورةُ ذلكَ الوجودِ ما يحضرُ فيهِ ، فإذا حضرَ فيهِ غيرُهُ . فكأنَّهُ

---

(١) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٥/٣٤٢) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٠٤) ، وأورده الطوسي في « اللمع » (ص٣٦٣) .

لا وجودَ إلا للحاضرِ ، ومثالُهُ : المرآةُ المجلوَّةُ ، إذْ ليسَ لها لونٌ في نفسِها ، بلْ لونُها لونُ الحاضرِ فيها ، وكذلكَ الزجاجةُ ، فإنَّها تحكي لونَ قرارِها ، ولونُها لونُ الحاضرِ فيها ، وليسَ لها في نفسِها صورةٌ ، بلْ صورتُها قبولُ الصورِ ، ولونُها هوَ هيئةُ الاستعدادِ لقبولِ الألوانِ ، ويعربُ عنْ هٰذهِ الحقيقةِ ـ أعني : سرَّ القلبِ ـ بالإضافةِ إلىٰ ما يحضرُ فيهِ قولُ الشاعرِ[1] :

[من الكامل]

رَقَّ ٱلزُّجاجُ وَرَقَّتِ ٱلْخَمْرُ فَتَشابَها فَتَشاكَلَ ٱلأَمْرُ
فَكَأَنَّما خَمْرٌ وَلا قَدَحٌ وَكَأَنَّما قَدَحٌ وَلاَ خَمْرُ

وهٰذهِ مغاضةٌ من مغاضاتِ علومِ المكاشفةِ[2] ، منها نشأَ خيالُ مَنِ ادعى الحلولَ والاتحادَ ، وقالَ : أنا الحقُّ ، وحولَهُ يدندنُ كلامُ النصارىٰ في دعوى اتحادِ اللاهوتِ بالناسوتِ ، أوْ تدرُّعِها بها أوْ حلولِها فيها ، علىٰ ما اختلفَتْ فيهِ عباراتُهُمْ ، وهوَ غلطٌ محضٌ ، يضاهي غلطَ مَنْ يحكمُ على المرآةِ بصورةِ الحمرةِ إذا ظهرَ فيها لونُ الحمرةِ مِنْ مقابلِها .

وإذا كانَ هٰذا غيرُ لائقٍ بعلمِ المعاملةِ . . فلنرجعْ إلى الغرضِ ، فقدْ ذكرنا تفاوتَ الدرجاتِ في فهمِ المسموعاتِ .

* * *

---

(١) البيتان للصاحب بن عباد في « ديوانه » (ص ١٧٦) .

(٢) هي من قولهم : أعطاه غيضاً من فيض ، **والغيض** : القليل .

المقام الثاني بعد الفهم والتنزيل : الوجد

وللناسِ كلامٌ طويلٌ في حقيقةِ الوجْدِ ؛ أعني : للصوفيةِ ، وللحكماءِ الناظرينَ في وجهِ مناسبةِ السماعِ للأرواحِ ، فلننقلْ مِنْ أقوالِهِمْ ألفاظاً ، ثمَّ لنكشفْ عنِ الحقيقةِ فيهِ .

* * *

أمَّا الصوفيّةُ : فقدْ قالَ ذو النونِ المصريُّ رحمهُ اللهُ في السماعِ : (إنَّهُ واردُ حقٍّ جاءَ يزعجُ القلوبَ إلى الحقِّ ، فمَنْ أصغىٰ إليهِ بحقٍّ . . تحقَّقَ ، ومَنْ أصغىٰ إليهِ بنفسٍ . . تزندقَ)⁽¹⁾ ، فكأنَّهُ عبَّرَ عنِ الوجدِ بانزعاجِ القلوبِ إلى الحقِّ ، وهوَ الذي يجدُهُ عندَ ورودِ واردِ السماعِ ، إذْ سمَّى السماعَ واردَ حقٍّ .

وقالَ أبو الحسينِ الدَّرَّاجُ مخبراً عمَّا وجدَهُ في السماعِ : (والوجدُ عبارةٌ عمَّا يُوجدُ عندَ السماعِ ، وقالَ : جالَ بي السماعُ في ميادينِ البهاءِ ، فأوجدَني وجودَ الحقِّ عندَ العطاءِ ، فأسقاني بكأسِ الصفاءِ ، فأدركتُ بهِ منازلَ الرضاءِ ، وأخرجَني إلىٰ رياضِ النزهةِ والفضاءِ)⁽²⁾ .

---

(1) الرسالة القشيرية (ص٥٤٨) ، وبيَّنَ الإمام الهجويري معنىٰ هـٰذا إذ قال في « كشف المحجوب » (ص٤٥٠) : (ويقصد الشيخ ذو النون بإعماله هـٰذه اللفظة ـ أي : الزندقة ـ أن أهل الحق يقفون بسماعهم على الحقيقة ، أما أهل الهوىٰ . . فإنهم يجادلون في الحق بتأويل غامض ، وبذلك وقعوا في المعصية) .

(2) اللمع (ص٣٤٢) .

وقالَ الشبليُّ رحمهُ اللهُ : (السماعُ ظاهرُهُ فتنةٌ ، وباطنُهُ عبرةٌ ، فمَنْ عرفَ الإشارةَ . . حلَّ لهُ استماعُ العبرةِ ، وإلا . . فقدِ استدعى الفتنةَ ، وتعرَّضَ للبليَّةِ)⁽١⁾ .

وقالَ بعضُهُمْ : (السماعُ غذاءُ الأرواحِ لأهلِ المعرفةِ ؛ لأنَّهُ وصفٌ يدقُّ عنْ سائرِ الأعمالِ ، ويُدركُ برقَّةِ الطبعِ لرقَّتِهِ ، وبصفاءِ السرِّ لصفائِهِ ولطفِهِ عندَ أهلِهِ)⁽٢⁾ .

وقالَ عمروُ بنُ عثمانَ المكيُّ : (لا يقعُ علىٰ كيفيةِ الوجْدِ عبارةٌ ؛ لأنَّهُ سرُّ اللهِ عندَ المؤمنينَ الموقنينَ)⁽٣⁾ .

وقالَ بعضُهُمُ : (الوجدُ مكاشفاتٌ مِنَ الحقِّ)⁽٤⁾ .

وقالَ أبو سعيدِ بنُ الأعرابيِّ : (الوجدُ رفعُ الحجابِ ، ومشاهدةُ الرقيبِ ، وحضورُ الفهمِ ، وملاحظةُ الغيبِ ، ومحادثةُ السرِّ ، وإيناسُ المفقودِ ، وهوَ فناؤُكَ أنتَ مِنْ حيثُ أنتَ)⁽٥⁾ .

وقالَ أيضاً : (الوجدُ أوَّلُ درجاتِ الخصوصِ ، وهوَ ميراثُ التصديقِ

---

(١) اللمع (ص ٣٤٢) ، والرسالة القشيرية (ص ٥٤٨) .

(٢) بنحوه أورده القشيري في « رسالته » (ص ٥٤٩) .

(٣) اللمع (ص ٣٧٥) .

(٤) نقله الطوسي في « اللمع » (ص ٣٧٥) .

(٥) اللمع (ص ٣٧٦) ، ولأبي سعيد بن الأعرابي ـ وهو من أصحاب الجنيد ـ كتاب في الوجد ، أكثر عنه النقل الإمام الطوسي في « اللمع » ، بل عقد لتلخيصه باباً (ص ٣٨٥) .

بالغيبِ ، فلمَّا ذاقوها وسطعَ في قلوبِهِمْ نورُها . . زالَ عنهُمْ كلُّ شكٍّ وريبٍ)(١) .

وقالَ أيضاً : (الذي يحجبُ عنِ الوجدِ رؤيةُ آثارِ النفسِ ، والتعلُّقُ بالعلائقِ والأسبابِ ؛ لأنَّ النفسَ محجوبةٌ بأسبابِها ، فإذا انقطعَتِ الأسبابُ ، وخلصَ الذكرُ ، وصحا القلبُ ورقَّ وصفا ، ونجعَتِ الموعظةُ فيهِ ، وحلَّ مِنَ المناجاةِ في محلٍّ غريبٍ ، وخُوطبَ وسمعَ الخطابَ بأُذُنٍ واعيةٍ ، وقلبٍ شاهدٍ ، وسرٍّ ظاهرٍ ، فشاهدَ ما كانَ منهُ خالياً . . فذلكَ هوَ الوجدُ ؛ لأنَّهُ قدْ وجدَ ما كانَ معدوماً عندَهُ)(٢) .

وقالَ أيضاً : (الوجدُ ما يكونُ عندَ ذكرٍ مزعجٍ ، أوْ خوفٍ مقلقٍ ، أوْ توبيخٍ علىٰ زلَّة ، أوْ محادثةٍ بلطيفةٍ ، أوْ إشارةٍ إلىٰ فائدةٍ ، أوْ شوقٍ إلىٰ غائبٍ ، أوْ أسفٍ علىٰ فائتٍ ، أوْ ندمٍ علىٰ ماضٍ ، أوِ استجلابٍ إلىٰ حالٍ ، أوْ داعٍ إلىٰ واجبٍ ، أوْ مناجاةٍ بسرٍّ ، وهوَ مقابلةُ الظاهرِ بالظاهرِ ، والباطنِ بالباطنِ ، والغيبِ بالغيبِ ، والسرِّ بالسرِّ ، واستخراجُ ما لَكَ بما عليكَ ، ممَّا سبقَ لكَ السعيُ فيهِ ، فيكتبُ ذلكَ لكَ بعدَ كونِهِ منكَ ، فيثبتُ لكَ قدمٌ بلا قدمٍ ، وذكرٌ بلا ذكرٍ ، إذْ كانَ هوَ المبتدِئَ بالنعمِ والمتولِّيَ ، وإليهِ يرجعُ الأمرُ كلُّهُ)(٣) .

---

(١) اللمع (ص ٣٧٦) .
(٢) اللمع (ص ٣٧٦) .
(٣) اللمع (ص ٣٨٥) .

فهـٰذا ظاهرُ علْمِ الوجدِ ، وأقوالُ الصوفيّةِ مِنْ هـٰذا الجنسِ في الوجدِ كثيرةٌ .

* * *

وأمّا الحكماءُ : فقالَ بعضُهُمْ : (في القلبِ فضيلةٌ شريفةٌ تعذَّرَ علىٰ قوّةِ النطْقِ إخراجُها باللفظِ ، فأخرجتْها النفسُ بالألحانِ ، فلمّا ظهرتْ . . سرتْ وطربتْ إليها ، فاستمعوا مِنَ النفسِ وناجوها ، ودعوا مناجاةَ الظواهرِ)(١) .

وقالَ بعضُهُمْ : (نتائجُ السماعِ استنهاضُ العاجزِ مِنَ الرأيِ ، واستجلابُ العازبِ مِنَ الأفكارِ ، وحدةُ الكالِّ مِنَ الأفهامِ والآراءِ ، حتىٰ يثوبَ ما عزبَ ، وينهضَ ما عجزَ ، ويصفوَ ما كدرَ ، ويمرحَ في كلِّ رأيٍ ونيّةٍ ، فيصيبَ ولا يخطئَ ، ويأتيَ ولا يبطئَ) .

وقالَ آخرُ : (كما أنَّ الفكرَ يطرقُ العلمَ إلى المعلومِ . . فالسماعُ يطرقُ القلبَ إلى العالمِ الروحانيِّ) .

وقالَ بعضُهُمْ وقدْ سُئِلَ عنْ سببِ حركةِ الأطرافِ بالطبعِ علىٰ وزنِ الألحانِ والإيقاعاتِ فقالَ : (ذلكَ عشقٌ عقليٌّ ، والعاشقُ العقليُّ لا يحتاجُ إلىٰ أنْ يناغيَ معشوقَهُ بالمنطقِ الجِرْميِّ ، بلْ يناغيهِ ويناجيهِ بالتبسُّمِ ، واللحظِ ، والحركةِ اللطيفةِ بالحاجبِ والجفنِ والإشارةِ وهـٰذهِ نواطقُ أجمعُ ، إلا أنَّها روحانيّةٌ ، وأمّا العاشقُ البهيميُّ . . فإنَّهُ يستعملُ النطقَ

---

(١) حكىٰ بعض ذلك كشاجم في « أدب النديم » (ص ٩٦) .

الجِرْمِيِّ ليعبِّرَ بهِ عنهُ ، ويموِّهَ ظاهرَ شوقِهِ الضعيفِ وعشقِهِ الداثرِ) .

وقالَ آخرُ : (مَنْ حزنَ . . فليسمعِ الألحانَ ، فإنَّ النفسَ إذا دخلَها الحزنُ . . خمدَ نورُها ، وإذا فرحَتِ . . اشتعلَ نورُها ، وظهرَ زِبْرِجُها ، فيظهرُ الحنينُ بقدْرِ قبولِ القابلِ ، وذلكَ بقدْرِ صفائِهِ ونقائِهِ مِنَ الغشِّ والدنسِ)⁽¹⁾ .

* * *

والأقاويلُ المفرَّقةُ في السماعِ والوجدِ كثيرةٌ ، ولا معنىٰ للاستكثارِ مِنْ إيرادِها ، فلنشتغلْ بتفهيمِ المعنى الذي الوجْدُ عبارةٌ عنهُ ، فنقولُ : إنَّهُ عبارةٌ عنْ حالةٍ يثمرُها السماعُ ، وهوَ واردُ حقٍّ جديدٌ عَقيبَ السماعِ يجدُهُ المستمعُ مِنْ نفسِهِ ، وتلكَ الحالةُ لا تخلو عنْ قسمينِ ؛ فإنَّها إمَّا أنْ ترجعَ إلىٰ مكاشفاتٍ ومشاهداتٍ هيَ مِنْ قبيلِ العلومِ والتنبيهاتِ ، وإمَّا أنْ ترجعَ إلىٰ تغيُّراتٍ وأحوالٍ ليسَتْ مِنَ العلومِ ، بلْ هيَ كالشوقِ والخوفِ ، والحزنِ والقلقِ والسرورِ ، والأسفِ والندمِ ، والبسطِ والقبضِ ، وهـٰذهِ الأحوالُ يهيِّجُها السماعُ ويقوِّيها ، فإنْ ضعُفَتْ بحيثُ لمْ يؤثِّرْ في تحريكِ الظاهرِ أوْ تسكينِهِ ، أوْ تغييرِ حالِهِ حتَّىٰ يتحرَّكَ علىٰ خلافِ عادتِهِ ، أوْ يطرقَ أوْ يسكنَ عنِ النظرِ والنطقِ والحركةِ علىٰ خلافِ عادتِهِ . . لمْ يُسمَّ وجْداً ، وإنْ ظهرَ على الظاهرِ . . سُمِّيَ وجْداً ؛ إمَّا ضعيفاً ، وإمَّا قويّاً ، بحسَبِ ظهورِهِ

---

(١) والزِبْرِج : الزينة ، أو هو الذهب ، وزبرج الشيء : حسنه .

وتغييرِهِ للظاهرِ ، وتحريكُهُ بحسَبِ قوَّةِ ورودِهِ ، وحفظُ الظاهرِ عنِ التغيُّرِ بحسَبِ قوَّةِ الواجدِ وقدرتِهِ علىٰ ضبطِ جوارحِهِ ، فقدْ يقوى الوجْدُ في الباطنِ ولا يتغيَّرُ الظاهرُ لقوَّةِ صاحبِهِ ، وقدْ لا يظهرُ لضعفِ الواردِ وقصورِهِ عنِ التحريكِ ، وحلِّ عقدِ التماسكِ .

وإلىٰ معنى الأوَّلِ أشارَ أبو سعيدِ بنُ الأعرابيِّ حيثُ قالَ في الوجدِ : (إنَّه مشاهدةُ الرقيبِ ، وحضورُ الفهمِ ، وملاحظةُ الغيبِ) .

ولا يبعدُ أنْ يكونَ السماعُ سبباً لكشفِ ما لمْ يكنْ مكشوفاً قبلَهُ ، فإنَّ الكشفَ يحصلُ بأسبابٍ :

منها : التنبيهُ ، والسماعُ منبهٌ .

ومنها : تغيُّرُ الأحوالِ ومشاهدتُها وإدراكُها ، فإنَّ إدراكَها نوعُ علمٍ يفيدُ إيضاحَ أمورٍ لمْ تكنْ معلومةً قبلَ الورودِ⁽¹⁾ .

ومنها : صفاءُ القلبِ ، والسماعُ يؤثِّرُ في تصفيةِ القلبِ ، والصفاءُ يسبِّبُ الكشفَ .

ومنها : انبعاثُ نشاطِ القلبِ بقوَّةِ السماعِ ، فيقوىٰ بهِ علىٰ مشاهدةِ ما كانَ تقصرُ عنهُ قبلَ ذلكَ قوَّتُهُ ؛ كما يقوى البعيرُ علىٰ حملِ ما كانَ لا يقوىٰ عليه قبلَهُ ، وعملُ القلبِ الاستكشافُ وملاحظةُ أسرارِ الملكوتِ ، كما أنَّ عملَ البعيرِ حملُ الأثقالِ .

---

(١) والسماع سبب لإدراكها . « إتحاف » (٦/ ٥٤٣) .

فبواسطةِ هٰذهِ الأسبابِ يكونُ سبباً للكشفِ ، بلِ القلبُ إذا صفا . . ربَّما يمثلُ لهُ الحقُّ في صورةٍ مشاهدةٍ ، أوْ في لفظٍ منظومٍ يقرعُ سمعَهُ ؛ يُعبَّرُ عنهُ بصوتِ الهاتفِ إذا كانَ في اليقظةِ ، وبالرؤيا إذا كانَ في المنامِ ، وذلكَ جزءٌ منْ ستَّةٍ وأربعينَ جزءاً مِنَ النبوَّةِ، وعلمُ تحقيقِ ذلكَ خارجٌ عنْ علمِ المعاملةِ .

وذلك كما رُوِيَ عنْ محمدِ بنِ مسروقٍ البغداديِّ أنَّهُ قالَ : خرجتُ ليلةً في أيَّامِ جاهليَّتي وأنا نشوانُ ، وكنتُ أغنِّي بهٰذا البيتِ : [من البسيط]

بِطِيزَنَاباذَ كَرْمٌ ما مَرَرْتُ بِهِ   إِلاَّ تَعَجَّبْتُ مِمَّنْ يَشْرَبُ ٱلْمَاءَ

فسمعتُ قائلاً يقولُ : [من البسيط]

وَفِي جَهَنَّمَ ماءٌ ما تَجَرَّعَهُ   خَلْقٌ فَأَبْقَىٰ لَهُ فِي ٱلْجَوْفِ أَمْعاءَ

قالَ : فكانَ ذلكَ سببَ توبتي ، واشتغالي بالعلمِ والعبادةِ(١) .

فانظرْ كيفَ أثَّرَ الغناءُ في تصفيةِ قلبِهِ حتَّىٰ تمثَّلَ لهُ حقيقةُ الحقِّ في صفةِ جهنَّمَ في لفظٍ موزونٍ منظومٍ ، وقرعَ ذلكَ سمعَهُ الظاهرَ .

ورُوِيَ عنْ مسلمٍ العبَّادانيِّ أنَّهُ قالَ : قدمَ علينا مرَّةً صالحٌ المريُّ ، وعتبةُ

---

(١) انظر « المحب والمحبوب » (٤/ ٣٦٧) ، والخبر عند الطوسي في « اللمع » (ص٣٧٠) ، وقد روىٰ نحوه ابن أبي الدنيا في « الهواتف » (٣٩) وصاحب القصة أبو نواس عنده ، **وطيزناباذ** : بلدة بين القادسية والكوفة ، وهي أعجمية ، اشتهرت بالخمر ، كما في « معجم البلدان » (٤/ ٥٥) ، وكذا روى الخبر عن أبي نواس ، وعبارة الطوسي في بيان المراد من القصة : (ألا ترىٰ أنه حين أدركته العناية . . امتحق الباطل الذي كان فيه بمصادفة الحق له ، وكان باطله سبباً لنجاته حين صحبه التوفيق وشملته الرعاية) .

الغلامُ ، وعبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ ، ومسلمٌ الأَسْوارِيُّ ، فنزلوا على الساحلِ ، قالَ : فهيَّأتُ لهُمْ ذاتَ ليلةٍ طعاماً ، فدعوتُهُمْ إليهِ ، فجاؤوا ، فلمَّا وضعتُ الطعامَ بينَ أيديهِمْ . . إذا قائلٌ يقولُ رافعاً صوتَهُ : [من الطويل]

وَتُلْهِيكَ عَنْ دارِ ٱلْخُلُودِ مَطاعِمٌ ... وَلَـذَّةُ نَفْـسٍ غَيُّهـا غَيْـرُ نـافِـعِ

قالَ : فصاحَ عتبةُ الغلامُ صيحةً وخرَّ مغشياً عليهِ ، وبكى القومُ ، فرفعْنا الطعامَ وما ذاقوا ـ واللهِ ـ منهُ لقمةً(١) .

وكما يُسمعُ صوتُ الهاتفِ عندَ صفاءِ القلبِ . . يُشاهدُ أيضاً بالبصرِ صورةُ الخضرِ عليهِ السلامُ ، فإنَّه يتمثَّلُ لأربابِ القلوبِ بصورٍ مختلفةٍ(٢) ، وفي مثلِ هـٰذهِ الحالةِ تتمثَّلُ الملائكةُ للأنبياءِ عليهِمُ السلامُ ؛ إمَّا علىٰ حقيقةِ صورتِها ، وإمَّا علىٰ مثالٍ يُحاكي صورتَها بعضَ المحاكاةِ .

وقدْ رأىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ جبريلَ عليهِ السلامُ مرتينِ في صورتِهِ ، وأخبرَ عنه أنَّهُ سدَّ الأفقَ(٣) ، وهوَ المرادُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ . . . ﴾ إلىٰ آخرِ هـٰذهِ الآياتِ .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ١٦٠) .

(٢) هـٰذا هو اعتقاد الإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ في الخضر عليه السلام أنه يمكن الاجتماع به ، وهو كذلك اعتقاد الكثير من الحفاظ والعلماء والصلحاء ، وقد تقدم الحديث عن الخضر عليه السلام .

(٣) كما في « البخاري » (٤٨٥٥) ، ومسلم (١٧٧) ، وفيهما بيان كون الآيات الآتية في جبريل عليه السلام .

وفي مثلِ هـٰذهِ الأحوالِ مِنَ الصفاءِ يقعُ الاطلاعُ علىٰ ضمائرِ القلوبِ ، وقدْ يُعبَّرُ عنْ ذلكَ الاطلاعِ بالتفرُّسِ ، ولذلكَ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « اتقوا فِراسةَ المؤمنِ ؛ فإنَّهُ ينظرُ بنورِ اللهِ »[1] .

وقدْ حُكِيَ أنَّ واحداً منَ المجوسِ كانَ يدورُ على المسلمينَ ويقولُ : ما معنىٰ قولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « اتقوا فِراسةَ المؤمنِ » ؟ فكانَ يُذكرُ لهُ تفسيرُهُ ولا يقنعُهُ ذلكَ ، حتَّى انتهىٰ إلىٰ بعضِ المشايخِ مِنَ الصوفيَّةِ ، فسألَهُ ، فقالَ لهُ : معناهُ أنْ تقطعَ الزُّنارَ الذي علىٰ وسَطِكَ تحتَ ثوبِكَ ، فقالَ : صدقتَ ، هـٰذا معناهُ ، وأسلمَ ، وقالَ : الآنَ عرفتُ أنَّكَ مؤمنٌ ، وأنَّ إيمانَكَ حقٌّ[2] .

وكما حُكِيَ عنْ إبراهيمَ الخوَّاصِ قالَ : كنتُ ببغدادَ في جماعةٍ مِنَ الفقراءِ في الجامعِ ، فأقبلَ شابٌّ طيِّبُ الرائحةِ حسنُ الوجهِ ، فقلتُ لأصحابي : يقعُ لي أنَّهُ يهوديٌّ ، فكلُّهُمْ كرهوا ذلكَ ، فخرجتُ وخرجَ الشابُّ ، ثمَّ رجعَ إليهِمْ ، وقالَ : أيشٍ قالَ الشيخُ فيَّ ؟ فاحتشموهُ ، فألحَّ عليهِمْ ، فقالوا لهُ : قالَ : إنَّكَ يهوديٌّ ، قالَ : فجاءَني وأكبَّ علىٰ يديَّ وقبَّلَ رأسي ، وأسلمَ ، وقالَ : نجدُ في كتبِنا أنَّ الصدِّيقَ لا تخطىءُ فِراستُهُ ، فقلتُ : أمتحنُ المسلمينَ ، فتأمَّلتُهُمْ ، فقلتُ : إنْ كانَ فيهِمْ

---

(١) رواه الترمذي (٣١٢٧) .

(٢) روى القشيري في « الرسالة » (ص ٤٠٨) نحو هـٰذا عن الجنيد في رجل نصراني .

صدِّيقٌ . . ففي هـٰذهِ الطائفةِ ؛ لأنَّهُمْ يقولونَ حديثَهُ سبحانَهُ ، ويقرؤونَ كلامَهُ ، فلبَّسْتُ عليكُمْ ، فلمَّا اطلعَ عليَّ الشيخُ وتفرَّسَ فيَّ . . علمتُ أنَّهُ صدِّيقٌ ، قالَ : وصارَ الشابُّ مِنْ كبارِ الصوفيَّةِ[1] .

وإلىٰ مثلِ هـٰذا الكشفِ الإشارةُ بقولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « لولا أنَّ الشياطينَ يحومونَ علىٰ قلوبِ بني آدمَ . . لنظروا إلىٰ ملكوتِ السماءِ »[2] ، وإنَّما تحومُ الشياطينُ على القلوبِ إذا كانَتْ مشحونةً بالصفاتِ المذمومةِ ؛ فإنَّها مرعى الشيطانِ وجندِهِ ، ومَنْ خَلَصَ قلبُهُ مِنْ تلكَ الصفاتِ وصفا . . لمْ يطفِ الشيطانُ حولَ قلبِهِ ، وإليهِ الإشارةُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ ، وبقولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ .

والسماعُ سببٌ لصفاءِ القلبِ ، وهوَ شبكةٌ للحقِّ بواسطةِ الصفاءِ ، وعلىٰ هـٰذا يدلُّ ما رُوِيَ أنَّ ذا النونِ المصريَّ رحمَهُ اللهُ دخلَ بغدادَ ، فاجتمعَ إليهِ قومٌ مِنَ الصوفيَّةِ ومعهُمْ قوَّالٌ ، فاستأذنوهُ في أنْ يقولَ لهُمْ شيئاً ، فأذنَ لهُمْ في ذلكَ ، فأنشأَ يقولُ : [من مجزوء الوافر]

صَغِيرُ هَواكَ عَذَّبَنِي ... فَكَيْفَ بِهِ إِذَا ٱحْتَنَكَا
وَأَنْتَ جَمَعْتَ فِي قَلْبِي ... هَوىً قَدْ كانَ مُشْتَرَكا
أَمَا تَرْثِي لِمُكْتَئِبٍ ... إذا ضَحِكَ ٱلْخَلِيُّ بَكَىٰ

---

[1] الرسالة القشيرية (ص ٤٠٥) .
[2] هو عند أحمد في « المسند » (٢/ ٣٥٣) في قصة الإسراء مرفوعاً .

فقامَ ذو النونِ وسقطَ علىٰ وجهِهِ ، ثمَّ قامَ رجلٌ آخرُ ، فقالَ ذو النونِ : ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ ، فجلسَ ذلكَ الرجلُ ، وكانَ ذلكَ اطلاعاً مِنْ ذي النونِ علىٰ قلبِهِ أنَّهُ متكلِّفٌ متواجدٌ ، فعرَّفَهُ أنَّ الذي يراهُ حينَ يقومُ هوَ الخصمُ في قيامِهِ لغيرِ اللهِ تعالىٰ ، ولوْ كانَ الرجلُ صادقاً . . لما جلسَ(١) .

فإذاً ؛ قدْ رجعَ حاصلُ الوجدِ إلىٰ مكاشفاتٍ وإلىٰ حالاتٍ .

* * *

واعلمْ : أنَّ كلَّ واحدٍ منهما ينقسمُ إلىٰ ما يمكنُ التعبيرُ عنهُ عندَ الإفاقةِ منهُ ، وإلىٰ ما لا تمكنُ العبارةُ عنهُ أصلاً ، ولعلكَ تستبعدُ حالةً أوْ علماً لا تعلمُ حقيقتَهُ ، ولا يمكنُ التعبيرُ عن حقيقتِهِ فلا تستبعدْ ذلكَ ؛ فإنَّكَ تجدُ في أحوالِكَ القريبةِ لذلك شواهدَ :

أمَّا العلمُ : فكمْ مِنْ فقيهٍ تُعرضُ عليهِ مسألتانِ متشابهتانِ في الصورةِ ، ويدركُ الفقيهُ بذوقِهِ أنَّ بينَهُما فرقاً في الحكمِ ، وإذا كُلِّفَ ذكرَ وجهِ الفرقِ . . لمْ يساعدهُ اللسانُ على التعبيرِ وإنْ كانَ مِنْ أفصحِ الناسِ ، فيدركُ بذوقِهِ الفرقَ ولا يمكنُهُ التعبيرُ عنهُ ، وإدراكُهُ الفرقَ علمٌ يصادفُهُ في قلبِهِ بالذوقِ ، ولا شكَّ أنَّ لوقوعِهِ في قلبِهِ سبباً ، ولهُ عندَ اللهِ تعالىٰ حقيقةٌ ، ولا يمكنُهُ

---

(١) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٨/٣٩٣) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٥٢) ، والأبيات لابن الزيات في « ديوانه » (ص ١٠٧) ، **واحتنك** : استحكم واستولىٰ ، ومنه : ﴿ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ .

التعبيرُ عنهُ ، لا لقصورٍ في لسانِهِ ، بلْ لدقَّةِ المعنىٰ في نفسِهِ عنْ أنْ تنالَهُ العبارةُ ، وهـٰذا ممَّا قدْ تفطَّنَ لهُ المواظبونَ على النظرِ في المشكلاتِ .

وأمَّا الحالُ : فكمْ مِنْ إنسانٍ يدركُ في قلبِهِ في الوقتِ الذي يصبحُ فيهِ قبضاً أوْ بسطاً ولا يعلمُ سببَهُ ، وقدْ يتفكَّرُ الإنسانُ في شيءٍ فيؤثِّرُ في نفسِهِ أثراً ، فينسىٰ ذلكَ السببَ ويبقى الأثرُ في نفسِهِ ، وهوَ يحسُّ بهِ ، وقدْ تكونُ الحالةُ التي يحسُّ بها سروراً ثبتَ في نفسِهِ بتفكُّرِهِ في سببٍ موجبٍ للسرورِ ، أوْ حزناً فينسى المتفكَّرَ فيهِ ، ويحسُّ بالأثرِ عَقيبَهُ ، وقدْ تكونُ تلكَ الحالةُ حالةً غريبةً لا يعربُ عنها لفظُ السرورِ والحزنِ ، ولا يصادفُ لها عبارةً مطابقةً مفصحةً عنِ المقصودِ ، بلْ ذوقُ الشعرِ الموزونِ ، والفرقُ بينَهُ وبينَ غيرِ الموزونِ . . يختصُّ بهِ بعضُ الناسِ دونَ بعضٍ ، وهيَ حالةٌ يدركُها صاحبُ الذوقِ ، بحيثُ لا يشكُّ فيها ؛ أعني : التفرقةَ بينَ الموزونِ والمنزحفِ ، ولا يمكنُهُ التعبيرُ عنها بما يتضحُ بهِ مقصودُهُ لمَنْ لا ذوقَ لهُ ، وفي النفسِ أحوالٌ غريبةٌ هـٰذا وصفُها(١) .

بلِ المعاني المشهورةُ مِنَ الخوفِ والحزنِ والسرورِ إنَّما تحصلُ في

---

(١) بل في المحسوسات لو قيل لك : ما الفرق بين رائحة الزبد ورائحة المسك ، وطولبت بعبارة تميز بينهما . . لعسرت عليك وأنت تدرك الفرق بينهما قطعاً من نفسك ، ولو قيل لك : ما الفرق بين حلاوة السكر وحلاوة العسل . . لكان كذلك ، وإذا عسرت العبارات عن تمييز هـٰذه المحسوسات . . فعسرها عن موارد القلوب وما يفتح به الحق ويخلقه فيها من المحبة والشوق والفرح والأنس وغيرها من أحوال القلوب أولىٰ . « إتحاف » (٦/ ٥٤٧) .

السماعِ عنْ غناءٍ مفهومٍ ، فأمَّا الأوتارُ وسائرُ النغماتِ التي ليسَتْ مفهومةً . . فإنَّها تؤثِّرُ في النفسِ تأثيراً عجيباً ، ولا يمكنُ التعبيرُ عنْ عجائبِ تلكَ الآثارِ ، وقدْ يُعبَّرُ عنها بالشوقِ ، ولكنْ شوقٌ لا يعرفُ صاحبُهُ المشتاقَ إليهِ ، فهوَ عجيبٌ ، والذي اضطربَ قلبُهُ بسماعِ الأوتارِ أوِ الشاهينِ وما أشبهَهُ ليسَ يدري إلىٰ ماذا يشتاقُ ، ويجدُ في نفسِهِ حالةً كأنَّها تتقاضىٰ أمراً ليسَ يدري ما هوَ ، حتَّىٰ يقعَ ذلكَ للعوامِّ ، ومَنْ لا يغلبُ علىٰ قلبِهِ لا حبُّ آدميٍّ ولا حبُّ اللهِ تعالىٰ .

وهـٰذا لهُ سرٌّ ، وهوَ أنَّ كلَّ شوقٍ فلَهُ ركنانِ :

أحدُهُما : صفةُ المشتاقِ ، وهوَ نوعُ مناسبةٍ معَ المشتاقِ إليهِ .

والثاني : معرفةُ المشتاقِ إليهِ ، ومعرفةُ صورةِ الوصولِ إليهِ .

فإنْ وُجدَتِ الصفةُ التي بها الشوقُ ، ووُجِدَ العلمُ بصورةِ المشتاقِ إليهِ . . كانَ الأمرُ ظاهراً ، وإنْ لمْ يُوجدِ العلمُ بالمشتاقِ إليهِ ، ووُجدتِ الصفةُ المشوِّقةُ ، وحُرِّكَتْ تلكَ الصفةُ وأُشعلَ نارُها . . أورثَ ذلكَ دهشةً وحيرةً لا محالةَ ، ولوْ نشأَ آدميٌّ وحدَهُ حيثُ لمْ يرَ صورةَ النساءِ ، ولا عرفَ صورةَ الوقاعِ ، ثمَّ راهقَ الحلمَ ، وغلبَتْ عليهِ الشهوةُ . . لكانَ يحسُّ مِنْ نفسِهِ بنارِ الشهوةِ ، ولكنْ لا يدري أنَّهُ يشتاقُ إلى الوقاعِ ؛ لأنَّهُ ليسَ يدري صورةَ الوقاعِ ، ولا يعرفُ صورةَ النساءِ ؛ فكذلكَ في نفسِ الآدميِّ مناسبةٌ معَ العالمِ الأعلىٰ ، واللذّاتِ التي وُعدَ بها في سدرةِ المنتهىٰ والفراديسِ العلا ، إلا أنَّهُ لمْ يتخيَّلْ مِنْ هـٰذهِ الأمورِ إلا الصفاتِ والأسماءَ ، كالذي سمعَ لفظَ الوقاعِ

واسمَ النساءِ ولمْ يشاهدْ صورةَ امرأةٍ قطُّ ، ولا صورةَ رجلٍ ، ولا صورةَ نفسِهِ في المرآةِ ليعرفَ بالمقايسةِ ، فالسماعُ يحرِّكُ منهُ الشوقَ ، والجهلُ المفرطُ والاشتغالُ بالدنيا قدْ أنساهُ نفسَهُ ، وأنساهُ ربَّهُ ، وأنساهُ مستقرَّهُ الذي إليهِ حنينُهُ واشتياقُهُ بالطبعِ ، فيتقاضاهُ قلبُهُ أمراً ليسَ يدري ما هوَ ، فيدهشُ ويتحيَّرُ ويضطربُ ، ويكونُ كالمنخنقِ الذي لا يعرفُ طريقَ الخلاصِ .

فهٰذا وأمثالُهُ مِنَ الأحوالِ التي لا يُدركُ تمامُ حقائقِها ، ولا يمكنُ المتصفَ بها أنْ يعبِّرَ عنها ، فقدْ ظهرَ انقسامُ الوجدِ إلىٰ ما يمكنُ إظهارُهُ ، وإلىٰ ما لا يمكنُ إظهارُهُ .

* * *

واعلمْ أيضاً : أنَّ الوجدَ ينقسمُ إلىٰ **هاجمٍ** ، وإلىٰ **متكلَّفٍ** ويُسمَّى التواجدَ ، **وهٰذا التواجدُ** المتكلَّفُ : فمنهُ **مذمومٌ** ؛ وهوَ الذي يُقصدُ بهِ الرياءُ ، وإظهارُ الأحوالِ الشريفةِ معَ الإفلاسِ منها ، ومنهُ ما هوَ **محمودٌ** ؛ وهوَ التوصُّلُ إلى استدعاءِ الأحوالِ الشريفةِ واكتسابِها واجتلابِها بالحيلةِ ، فإنَّ للكسبِ مدخلاً في جلبِ الأحوالِ الشريفةِ .

ولذلكَ أمرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مَنْ لمْ يحضرْهُ البكاءُ في قراءةِ القرآنِ أنْ يتباكىٰ ويتحازنَ ، فإنَّ هٰذهِ الأحوالَ قدْ تُتكلَّفُ مبادئُها ، ثمَّ تتحقَّقُ أواخرُها ، وكيفَ لا يكونُ التكلُّفُ سبباً في أنْ يصيرَ المتكلَّفُ بالآخرةِ طبعاً وكلُّ مَنْ يتعلَّمُ القرآنَ أوَّلاً يحفظُهُ تكلُّفاً ويقرؤُهُ تكلُّفاً منْ غيرِ

تمامِ التأمُّلِ وإحضارِ الذهنِ ، ثمَّ يصيرُ ذلكَ ديدناً للسانِ مطرداً ، حتىٰ يجري بهِ لسانُهُ في الصلاةِ وغيرِها وهوَ غافلٌ ، فيقرأُ تمامَ السورةِ وتثوبُ نفسُهُ إليهِ بعدَ انتهائِهِ إلىٰ آخرِها ، ويعلمُ أنَّهُ قرأَها في حالِ غفلتِهِ ؟! وكذلكَ الكاتبُ يكتبُ في الابتداءِ بجهدٍ شديدٍ ، ثمَّ تمرُنُ عليهِ يدُهُ ، فتصيرُ الكتابةُ لهُ طبعاً ، فيكتبُ أوراقاً كثيرةً وهوَ مستوفي القلبِ بفكرٍ آخرَ .

فجميعُ ما تحتملُهُ النفسُ والجوارحُ مِنَ الصفاتِ لا سبيلَ إلى اكتسابِهِ إلا بالتكلُّفِ والتصنُّعِ أوّلاً ، ثمَّ يصيرُ بالعادةِ طبعاً ، وهوَ المرادُ بقولِ بعضِهِمْ : (العادةُ طبيعةٌ خامسةٌ) ، فكذلكَ الأحوالُ الشريفةُ لا ينبغي أنْ يقعَ اليأسُ منها عندَ فقدِها ، بلْ ينبغي أنْ يُتكلَّفَ اجتلابُها بالسماعِ وغيرِهِ ، فلقدْ شُوهدَ في العاداتِ مَنِ اشتهىٰ أنْ يعشقَ شخصاً ولمْ يكنْ يعشقُهُ ، فلمْ يزلْ يردِّدُ ذكرَهُ علىٰ نفسِهِ ، ويديمُ النظرَ إليهِ ، ويقرِّرُ علىٰ نفسِهِ الأوصافَ المحبوبةَ والأخلاقَ المحمودةَ فيهِ . . حتَّىٰ عشقَهُ ، ورسخَ ذلكَ في قلبِهِ رسوخاً خرجَ عنْ حدِّ اختيارِهِ ، واشتهىٰ بعدَ ذلكَ الخلاصَ منهُ فلمْ يتخلَّصْ .

فكذلكَ حبُّ اللهِ تعالىٰ ، والشوقُ إلىٰ لقائِهِ ، والخوفُ مِنْ سخطِهِ ، وغيرُ ذلكَ مِنَ الأحوالِ الشريفةِ ، إذا فقدَها الإنسانُ . . فينبغي أنْ يتكلَّفَ اجتلابَها بمجالسةِ الموصوفينَ بها ، ومشاهدةِ أحوالِهِمْ ، وتحسينِ صفاتِهِمْ في النفسِ ، وبالجلوسِ معَهُمْ في السماعِ ، وبالدعاءِ والتضرُّعِ إلى اللهِ تعالىٰ في أنْ يرزقَهُ تلكَ الحالةَ بأنْ ييسِّرَ لهُ أسبابَها ، ومِنْ أسبابِها السماعُ ومجالسةُ الصالحينَ والخائفينَ والمحبِّينَ والمشتاقينَ والخاشعينَ ، فمَنْ

جالسَ شخصاً . . سرتْ إليهِ صفاتُهُ مِنْ حيثُ لا يدري .

ويدلُّ علىٰ إمكانِ تحصيلِ الحبِّ وغيرِهِ مِنَ الأحوالِ بالأسبابِ قولُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في دعائِهِ : « اللهمَّ ؛ ارزقْني حبَّكَ ، وحبَّ مَنْ أحبَّكَ ، وحبَّ ما يقرِّبُني إلىٰ حبِّكَ »⁽¹⁾ ، فقدْ فزِعَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ إلى الدعاءِ في طلبِ الحبِّ .

فهـٰذا بيانُ انقسامِ الوجدِ إلىٰ مكاشفاتٍ وإلىٰ أحوالٍ ، وانقسامِهِ إلىٰ ما يمكنُ الإفصاحُ عنهُ ، وإلىٰ ما لا يمكنُ ، وانقسامِهِ إلى المتكلَّفِ وإلى المطبوعِ .

* * *

فإنْ قلتَ : فما بالُ هؤلاءِ لا يظهرُ وجدُهُمْ عندَ سماعِ القرآنِ وهوَ كلامُ اللهِ سبحانَهُ ، ويظهرُ عندَ الغناءِ وهوَ كلامُ الشعراءِ ؟! فلوَ كانَ ذلكَ حقّاً مِنْ لطفِ اللهِ تعالىٰ ، ولمْ يكنْ باطلاً مِنْ غرورِ الشيطانِ . . لكانَ القرآنُ أولىٰ بهِ مِنَ الغناءِ .

فنقولُ : الوجدُ الحقُّ هوَ ما ينشأُ مِنْ فرْطِ حبِّ اللهِ تعالىٰ ، وصدْقِ إرادتِهِ ، والشوقِ إلىٰ لقائِهِ ، وذلكَ يهيجُ بسماعِ القرآنِ أيضاً ، وإنَّما الذي لا يهيجُ بسماعِ القرآنِ حبُّ الخلقِ والعشقُ للمخلوقِ .

ويدلُّ علىٰ ذلكَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ ، وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ

---

(1) رواه الترمذي (٣٢٣٥) .

ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ ، وكلُّ ما يُوجدُ عَقيبَ السماعِ بسببِ السماعِ في النفسِ فهوَ وجْدٌ ، فالطمأنينةُ والاقشعرارُ والخشيةُ ولينُ القلبِ كلُّ ذلكَ وجْدٌ ، وقدْ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ ، فالوجلُ والخشوعُ وجْدٌ مِنْ قبيلِ الأحوالِ ، وإنْ لمْ يكنْ مِنْ قبيلِ المكاشفاتِ ، ولكنْ قدْ يصيرُ سبباً للمكاشفاتِ والتنبيهاتِ ، ولهٰذا قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « زيِّنوا القرآنَ بأصواتِكُمْ »(١) ، وقالَ لأبي موسى الأشعريِّ : « لقدْ أُوتِي مِزماراً مِنْ مزاميرِ آلِ داوودَ عليهِ السلامُ »(٢) .

وأمَّا الحكاياتُ الدالَّةُ علىٰ أنَّ أربابَ القلوبِ ظهرَ عليهِمُ الوجدُ عندَ سماعِ القرآنِ . . فكثيرةٌ ؛ فقولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « شيَّبَتْني هودٌ وأخواتُها »(٣) خبرٌ عنِ الوجْدِ ، فإنَّ الشيبَ يحصلُ مِنَ الحزنِ والخوفِ ، وذلكَ وجْدٌ .

ورُوِيَ أنَّ ابنَ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قرأَ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (سورةَ النساءِ) ، فلمَّا انتهىٰ إلىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ . . قالَ : « حسبُكَ » ، وكانَتْ عيناهُ تذرفانِ بالدمعِ(٤) .

---

(١) رواه أبو داوود (١٤٦٨) ، والنسائي (٢/ ١٧٩) ، وابن ماجه (١٣٤٢) .

(٢) رواه البخاري (٥٠٤٨) ، ومسلم (٧٩٣) .

(٣) رواه الترمذي (٣٢٩٧) .

(٤) رواه البخاري (٤٥٨٢) ، ومسلم (٨٠٠) .

وفي روايةٍ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قرأَ هٰذهِ الآيةَ أوْ قُرِىءَ عندَهُ : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ فصعقَ⁽¹⁾ .

وفي روايةٍ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قرأَ : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ فبكىٰ⁽²⁾ .

وكانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا مرَّ بآيةِ رحمةٍ دعا واستبشرَ⁽³⁾ ، والاستبشارُ وجْدٌ .

وقدْ أثنى الله تعالىٰ علىٰ أهلِ الوجدِ بالقرآنِ فقالَ تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ .

ورُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يصلِّي ولصدرِهِ أزيزٌ كأزيزِ المرجلِ⁽⁴⁾ .

وأمَّا ما نُقلَ مِنَ الوجدِ بالقرآنِ عنِ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُمْ والتابعينَ . . فكثيرٌ ، فمنهُمْ مَنْ صعقَ ، ومنهُمْ مَنْ بكىٰ ، ومنهُمْ مَنْ غُشِيَ عليهِ ، ومنهُمْ مَنْ ماتَ في غشيتِهِ ، ورُوِيَ أنَّ زرارةَ بنَ أبي أوفىٰ وكانَ مِنَ التابعينَ كانَ يؤمُّ الناسَ

---

(١) رواه ابن عدي في « الكامل » (٢/ ٤٣٦) عن أبي حرب بن أبي الأسود مرسلاً ، وعن حمران بن أعين يرفعه للنبي صلى الله عليه وسلم ، وعن حمران أيضاً رواه هناد في « الزهد » (٢٦٧) .

(٢) رواه مسلم (٢٠٢) .

(٣) رواه مسلم (٧٧٢) ، ولم يذكر فيه الاستبشار ، بل هو عند الطوسي في « اللمع » (ص ٣٥٣) .

(٤) رواه أبو داوود (٩٠٤) ، والنسائي (٣/ ١٣) .

بالرقَّةِ ، فقرأَ : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾ فصعقَ وماتَ في محرابِهِ رحمهُ اللهُ (١) .

وسمع عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ رجلاً يقرأُ : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴾ ، فصاحَ صيحةً وخرَّ مغشياً عليهِ ، فحُملَ إلىٰ بيتِهِ ، فلمْ يزلْ مريضاً في بيتِهِ شهراً (٢) .

وأبو جهيرٍ مِنَ التابعينَ قرأَ عليهِ صالحٌ المريُّ ، فشهقَ وماتَ (٣) .

وسمعَ الشافعيُّ رحمهُ اللهُ قارئاً يقرأُ : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ فغُشيَ عليهِ (٤) .

وسمعَ عليُّ بنُ الفضيلِ قارئاً يقرأُ : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، فسقطَ مغشياً عليهِ ، فقالَ الفضيلُ : شكرَ اللهُ لكَ ما قدْ علمَهُ منكَ (٥) .

وكذلكَ نُقلَ عنْ جماعةٍ منهُمْ ، وكذلكَ الصوفيَّةُ ، فقدْ كانَ الشبليُّ في مسجدِهِ ليلةً مِنْ رمضانَ وهوَ يصلِّي خلفَ إمامٍ لهُ ، فقرأَ الإمامُ : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ ، فزعقَ الشبليُّ زعقةً ظنَّ الناسُ أنَّهُ قدْ طارَتْ روحُهُ ، واحمرَّ وجهُهُ ، وارتعدَتْ فرائصُهُ ، فكانَ يقولُ : (بمثلِ

---

(١) رواه الترمذي (٤٤٥) بنحوه .

(٢) رواه القاسم بن سلام في « فضائل القرآن » (ص ١٣٧) وذكر أنه بقي ناقهاً عشرين يوماً .

(٣) روىٰ ذلك ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٤٦/٥٦) ضمن خبر طريف .

(٤) مناقب الشافعي (١٧٦/٢ـ ١٧٧) .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٩٧/٨) ، وانظر « تهذيب الكمال » (١٠٠/٢١) .

هـٰذا يُخاطبُ الأحبابُ) ، يرددُ ذلكَ مراراً[١] .

وقالَ الجنيدُ : دخلتُ علىٰ سريٍّ السقطيِّ ، فرأيتُ بينَ يديهِ رجلاً قدْ غُشِيَ عليهِ ، فقالَ لي : هـٰذا رجلٌ قدْ سمعَ آيةً مِنَ القرآنِ فغُشيَ عليهِ ، فقلتُ : اقرؤوا عليهِ تلكَ الآيةَ بعينِها ، فقُرِئَتْ ، فأفاقَ ، فقالَ : مِنْ أينَ قلتَ هـٰذا ؟ فقلتُ : رأيتُ يعقوبَ عليهِ السلامُ كانَ عماهُ مِنْ أجلِ مخلوقٍ ، فبمخلوقٍ أبصرَ ، ولوْ كانَ عماهُ مِنْ أجلِ الحقِّ ما أبصرَ بمخلوقٍ ، فاستحسنَ ذلكَ[٢] .

ويشيرُ إلىٰ ما قالَهُ الجنيدُ قولُ الشاعرِ[٣] : [من المتقارب]

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَىٰ لَذَّةٍ وَأُخْرَىٰ تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

وقالَ بعضُ الصوفيةِ : كنتُ أقرأُ ليلةً هـٰذهِ الآيةَ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ ، فجعلتُ أرددُها ، فإذا هاتفٌ يهتفُ بي : كمْ ترددُ هـٰذهِ الآيةَ ؟! فقدْ قتلتَ أربعةً من الجنِّ لمْ يرفعوا رؤوسَهُمْ إلى السماءِ منذُ خُلقوا[٤] .

وقالَ أبو عليٍّ المغازليُّ للشبليِّ : ربَّما تطرقُ سمعي آيةٌ مِنْ كتابِ اللهِ تعالىٰ فتحدوني على الإعراضِ عنِ الدنيا ، ثمَّ أرجعُ إلىٰ أحوالي وإلى الناسِ ، فلا أبقىٰ علىٰ ذلكَ ، فقالَ : ما طرقَ سمعَكَ مِنَ القرآنِ فاجتذَبكَ بهِ إليهِ . فذلكَ عطفٌ منهُ عليكَ ، ولطفٌ منهُ بكَ ، وإذا ردَّكَ إلىٰ نفسِكَ . .

---

(١) رواه الطوسي في « اللمع » (ص ٣٥٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٥٣) .

(٢) اللمع (ص ٣٥٤) ، والرسالة القشيرية (ص ٥٥٣) .

(٣) البيت للأعشى الكبير في « ديوانه » (ص ٢٢٣) .

(٤) اللمع (ص٣٥٤) .

فهوَ شفقةٌ منهُ عليكَ ؛ فإنَّهُ لا يصلحُ لكَ إلا التبرِّي مِنَ الحولِ والقوَّةِ في التوجُّهِ إليهِ(١) .

وسمعَ رجلٌ مِنْ أهلِ التصوُّفِ قارئاً يقرأُ : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴾ ، فاستعادَها مِنَ القارىءِ ، وقالَ : كمْ أقولُ لها : (ارجعي) وليسَتْ ترجعُ ، وتواجدَ ، وزعقَ زعقةً فخرجَتْ روحُهُ .

وسمعَ بكرُ بنُ معاذٍ قارئاً يقرأُ : ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ . . . ﴾ الآيةَ ، فاضطربَ ، ثمَّ صاحَ : ارحمْ مَنْ أنذرتَهُ ولمْ يُقبِلْ إليكَ بعدَ النذيرِ بطاعتِكَ ، ثمَّ غُشِيَ عليهِ(٢) .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رحمَهُ اللهُ إذا سمعَ أحداً يقرأُ : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴾ . . اضطربَتْ أوصالُهُ حتَّىٰ كانَ يرتعدُ .

وعنْ محمدِ بنِ صبيحٍ قالَ : كانَ رجلٌ يغتسلُ في الفراتِ ، فمرَّ بهِ رجلٌ على الشاطىءِ يقرأُ : ﴿ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ ، فلمْ يزلِ الرجلُ يضطربُ حتَّىٰ غرقَ وماتَ .

وذُكرَ أنَّ سلمانَ الفارسيَّ أبصرَ شاباً يقرأُ ، فأتىٰ علىٰ آيةٍ ، فاقشعرَّ جلدُهُ ، فأحبَّهُ سلمانُ ، وفقدَهُ ، فسألَ عنهُ ، فقيلَ لهُ : إنَّهُ مريضٌ ، فأتاهُ يعودُهُ ، فإذا هوَ في الموتِ ، فقالَ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ أرأيتَ تلكَ القشعريرةَ

---

(١) اللمع (ص٣٥٤) ، والرسالة القشيرية (ص٥٥٣) .

(٢) رواه ابن حبيب في « عقلاء المجانين » (ص٦٥) .

التي كانَتْ منِّي ، فإنَّها أتتني في أحسنِ صورةٍ ، فأخبرَتني أنَّ اللهَ قدْ غفرَ لي بها كلَّ ذنبٍ .

وبالجملةِ : لا يخلو صاحبُ القلبِ عنْ وجْدٍ عندَ سماعِ القرآنِ ، فإنْ كانَ القرآنُ لا يؤثِّرُ فيهِ أصلاً . . فمثلُهُ كمثلِ الذي ينعقُ بما لا يسمعُ إلا دعاءً ونداءً ، صمٌّ بكمٌ عميٌ فهُمْ لا يعقلونَ ، بلْ صاحبُ القلبِ تؤثِّرُ فيهِ الكلمةُ مِنَ الحكمةِ يسمعُها ، قالَ جعفرٌ الخلديُّ : دخلَ رجلٌ مِنْ أهلِ خراسانَ على الجنيدِ وعندَهُ جماعةٌ ، فقالَ للجنيدِ : متىٰ يستوي عندَ العبدِ حامدُهُ وذامُّهُ ؟ فقالَ بعضُ الشيوخِ : إذا دخلَ المارستانَ وقيِّدَ بقيدينِ ، فقالَ الجنيدُ : ليسَ هٰذا مِنْ شأنِكَ ، ثمَّ أقبلَ على الرجلِ ، وقالَ : إذا تحقَّقَ أنَّهُ مخلوقٌ ، فشهقَ الرجلُ شهقةً وخرجَتْ روحُهُ(١) .

* * *

فإنْ قلتَ : فإنْ كانَ سماعُ القرآنِ مفيداً للوجدِ . . فما بالُهُمْ يجتمعونَ علىٰ سماعِ الغناءِ مِنَ القوَّالينَ دونَ القارئينَ ؟! فكانَ ينبغي أنْ يكونَ اجتماعُهُمْ وتواجدُهُمْ في حلقِ القرَّاءِ لا حلقِ المغنِّينَ ، وكانَ ينبغي أنْ يُطلبَ عندَ كلِّ اجتماعٍ في كلِّ دعوةٍ قارىءٌ لا قوَّالٌ ، فإنَّ كلامَ اللهِ تعالىٰ أفضلُ مِنَ الغناءِ لا محالةَ .

فاعلم : أنَّ الغناءَ أشدُّ تهييجاً للوجدِ مِنَ القرآنِ مِنْ **سبعةِ أوجهٍ** :

---

(١) اللمع (ص٣٦٨) .

الوجهُ الأوّلُ : أنَّ جميعَ آياتِ القرآنِ لا تناسبُ حالَ المستمعِ ولا تصلحُ لفهمِهِ وتنزيلِهِ علىٰ ما هوَ ملابسٌ لهُ : فمنِ استولىٰ عليهِ حزنٌ أوْ شوقٌ أوْ ندمٌ . . فَمِنْ أينَ يناسبُ حالَهُ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَـٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ ، وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَـٰتِ ﴾ ، وكذلكَ جميعُ الآياتِ التي فيها بيانُ أحكامِ الميراثِ والطلاقِ والحدودِ وغيرِها ؟! وإنَّما المحرِّكُ لما في القلبِ ما يناسبُهُ ، والأبياتُ إنَّما نظمَها الشعراءُ إعراباً بها عن أحوالِ القلبِ ، فلا يُحتاجُ في فهمِ الحالِ منها إلىٰ تكلُّفٍ .

نعمْ ، مَنْ يستولي عليهِ حالةٌ غالبةٌ قاهرةٌ . . لمْ تُبْقِ فيهِ متَّسعاً لغيرِها ، ومعهُ تيقُّظٌ وذكاءٌ ثاقبٌ يتفطَّنُ بهِ للمعاني البعيدةِ مِنَ الألفاظِ . . فقدْ يحضرُ وجْدُهُ علىٰ كلِّ مسموعٍ ؛ كمَنْ يخطرُ لهُ عندَ ذكرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَـٰدِكُمۡ ﴾ حالةُ الموتِ المحوجِ إلى الوصيةِ ، وأنَّ كلَّ إنسانٍ لا بدَّ أنْ يخلفَ مالَهُ وولدَهُ ، وهما محبوباهُ مِنَ الدنيا ، فيتركَ أحدَ المحبوبينِ للثاني ويهجرَهُما جميعاً ، فيغلبُ عليهِ الخوفُ والجزعُ .

أوْ يسمعُ ذكرَ اللهِ في قولِهِ : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ، فيدهشُهُ مجرَّدُ الاسمِ عمَّا قبلَهُ وبعدَهُ ، أوْ يخطرُ لهُ رحمةُ اللهِ علىٰ عبادِهِ وشفقتُهُ بأنْ تولَّىٰ قسْمَ مواريثِهِمْ بنفسِهِ نظراً لهُمْ في حياتِهِمْ وموتِهِمْ ، فيقولُ : إذا نظرَ لأولادِنا بعدَ موتِنا . . فلا نشكُّ أنَّهُ ينظرُ لنا ، فيهيجُ منهُ حالُ الرجاءِ ، ويورثُهُ ذلكَ استبشاراً وسروراً .

أوْ يخطرُ لهُ مِنْ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ تفضيلُ الذكرِ بكونِهِ رجلاً على الأنثىٰ ، وأنَّ الفضلَ في الآخرةِ لرجالٍ لا تلهيهِمْ تجارةٌ ولا بيعٌ عنْ ذكرِ اللهِ ، وأنَّ مَنْ ألهاهُ غيرُ اللهِ تعالىٰ عنِ اللهِ تعالىٰ . . فهوَ مِنَ الإناثِ لا مِنَ الرجالِ تحقيقاً ، فيخشىٰ أنْ يُحجبَ أوْ يُؤخَّرَ في نعيمِ الآخرةِ كما أُخِّرَتِ الأنثىٰ في أموالِ الدنيا .

فأمثالُ هـٰذا قدْ يحرِّكُ الوجدَ ، ولكنْ لمَنْ فيهِ وصفانِ :

أحدُهُما : حالةٌ غالبةٌ مستغرقةٌ قاهرةٌ .

والآخرُ : تفطُّنٌ بليغٌ وتيقُّظٌ كاملٌ للتنبيهِ بالأمورِ القريبةِ على المعاني البعيدةِ .

وذلكَ ممَّا يعزُّ ، فلأجلِ ذلكَ يُفزعُ إلى الغناءِ الذي هوَ ألفاظٌ مناسبةٌ للأحوالِ ، حتىٰ يتسارعَ هيجانُها .

ورُوِيَ أنَّهُ كانَ أبو الحسينِ النوريُّ معَ جماعةٍ في دعوةٍ ، فجرىٰ بينَهُمْ مسألةٌ في العلمِ وأبو الحسينِ ساكتٌ ، ثمَّ رفعَ رأسَهُ وأنشدَهُمْ : [من الرمل]

رُبَّ وَرْقاءَ هَتُوفٍ فِي ٱلضُّحَى ذاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي فَنَنِ
ذَكَرَتْ إِلْفاً وَدَهْراً صالِحاً وَبَكَتْ حُزْناً فَهاجَتْ حَزَنِي
فَبُكائِي رُبَّما أَرَّقَها وَبُكاها رُبَّما أَرَّقَنِي
وَلَقَدْ تَشْكُو فَما أَفْهَمُها وَلَقَدْ أَشْكُو فَما تَفْهَمُنِي
غَيْرَ أَنِّي بِٱلْجَوَىٰ أَعْرِفُها وَهْيَ أَيْضاً بِٱلْجَوَىٰ تَعْرِفُنِي

قالَ : فما بَقِيَ أحدٌ مِنَ القومِ إلا قامَ وتواجدَ ، ولمْ يحصلْ لهُمْ هٰذا الوجْدُ مِنَ العلمِ الذي خاضوا فيهِ ، وإنْ كانَ العلمُ جدّاً وحقّاً(١) .

* * *

الوجهُ الثاني : أنَّ القرآنَ محفوظٌ للأكثرينَ ، ومتكرِّرٌ على الأسماعِ والقلوبِ : وكلُّ ما سُمعَ أوَّلاً . . عظُمَ أثرُهُ في القلوبِ ، وفي الكرَّةِ الثانيةِ يضعفُ أثرُهُ ، وفي الثالثةِ يكادُ يسقطُ أثرُهُ ، ولوْ كُلِّفَ صاحبُ الوجدِ الغالبِ أنْ يحضرَ وجدَهُ علىٰ بيتٍ واحدٍ على الدوامِ في مرّاتٍ متقاربةٍ في الزمانِ ، في يومٍ أوْ أسبوعٍ . . لمْ يمكنْهُ ذلكَ ، ولوْ أُبدلَ ببيتٍ آخرَ . . لتجدَّدَ لهُ أثرٌ في قلبِهِ وإنْ كانَ معرباً عنْ عينِ ذلكَ المعنىٰ ، ولكنْ كونُ النظْمِ واللفظِ غريباً بالإضافةِ إلى الأوَّلِ يحرِّكُ النفسَ وإنْ كانَ المعنىٰ واحداً .

وليسَ يقدرُ القارئُ علىٰ أنْ يقرأَ قرآناً غريباً في كلِّ وقتٍ ودعوةٍ ، فإنَّ القرآنَ محصورٌ لا يمكنُ الزيادةُ عليهِ ، وكلُّهُ محفوظٌ ومتكرِّرٌ .

وإلىٰ ما ذكرناهُ أشارَ الصدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ حيثُ رأى الأعرابَ يقدمونَ فيستمعونَ القرآنَ ويبكونَ ، فقالَ : (كنَّا كما كنتُمْ ، ثمَّ قسَتْ قلوبُنا)(٢) ، ولا تظنَّنَّ أنَّ قلْبَ الصدِّيقِ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ أقسىٰ مِنْ قلوبِ الأجلافِ مِنَ

---

(١) اللمع (ص٣٧٩) ، والأبيات حكيت عن الشبلي كما في « ديوانه » (ص ١٥٢) ، **والورقاء** : الحمامة ، **والهتوف** : كثيرة الهدير ، **والشجو** : الحزن ، **والحَزَن** : لغة في الحُزْن ، **والإِلْف** : الصاحب الأليف ، **والجوىٰ** : وجد الباطن وحرقته .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٣) .

العربِ ، وأنَّهُ كانَ أخلىٰ عنْ حبِّ اللهِ تعالىٰ وحبِّ كلامِهِ مِنْ قلوبِهِمْ ، ولكنَّ التكرارَ علىٰ قلبِهِ اقتضى المرونَ عليهِ ، وقلَّةَ التأثُّرِ بهِ ، لما حصلَ لهُ مِنَ الأُنْسِ بكثرةِ سماعِهِ ؛ إذْ محالٌ في العادةِ أنْ يسمعَ السامعُ آيةً لمْ يسمعْها قبلُ فيبكيَ ، ثمَّ يدومُ بكاؤُهُ عليها عشرينَ سنةً يردِّدُها ويبكي ، ولا يفارقُ الأوَّلُ الآخرَ إلا في كونِهِ غريباً جديداً ، ولكلِّ جديدٍ لذَّةٌ ، ولكلِّ طارىءٍ صدمةٌ ، ومعَ كلِّ مألوفٍ أنسٌ يناقضُ الصدمةَ .

ولهـٰذا همَّ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ أنْ يمنعَ الناسَ مِنْ كثرةِ الطوافِ ، وقالَ : (قدْ خشيتُ أنْ يتساهلَ الناسُ بهـٰذا البيتِ) أيْ : يأنسوا بهِ ، ومَنْ قدمَ حاجّاً ، فرأى البيتَ أوَّلاً . . بكىٰ وزعقَ ، وربَّما غُشِيَ عليهِ إذا وقعَ عليهِ بصرُهُ ، وقدْ يقيمُ بمكَّةَ شهراً ولا يحسُّ مِنْ ذلكَ في نفسِهِ بأثرٍ .

فإذاً ؛ المغنِّي يقدرُ على الأبياتِ الغريبةِ في كلِّ وقتٍ ، ولا يقدرُ في كلِّ وقتٍ علىٰ آيةٍ غريبةٍ .

* * *

الوجهُ الثالثُ : أنَّ لوزنِ الكلامِ بذوقِ الشعرِ تأثيراً في النفسِ : فليسَ الصوتُ الموزونُ الطيِّبُ كالصوتِ الطيِّبِ الذي ليسَ بموزونٍ ، وإنَّما يُوجدُ الوزنُ في الشعرِ دونَ الآياتِ ، ولوْ زحفَ المغنِّي البيتَ الذي ينشدُهُ ، أوْ لحنَ فيهِ ، أوْ مالَ عنْ حدِّ تلكَ الطريقةِ في اللحنِ . . لاضطربَ قلبُ المستمعِ ، وبطلَ وجْدُهُ وسماعُهُ ، ونفرَ طبعُهُ ؛ لعدمِ المناسبةِ ، وإذا نفرَ

الطبعُ . . اضطربَ القلبُ وتشوَّشَ ، فالوزنُ إذاً مؤثِّرٌ ، فلذلكَ طُلِبَ الشعرُ .

* * *

الوجهُ الرابعُ : أنَّ الشعرَ الموزونَ يختلفُ تأثيرُهُ في النفسِ بالألحانِ التي تُسمَّى الطرقَ والدستاناتِ(١) : وإنَّما اختلافُ تلكَ الطرقِ بمدِّ المقصورِ وقصْرِ الممدودِ ، والوقفِ في أثناءِ الكلماتِ ، والقطعِ والوصلِ في بعضِها ، وهـٰذا التصرُّفُ جائزٌ في الشعرِ ، ولا يجوزُ في القرآنِ إلا التلاوةُ كما أُنزلَ ، فقصرُهُ ومدُّهُ ، والوقفُ والوصلُ والقطعُ فيهِ علىٰ خلافِ ما تقتضيهِ التلاوةُ . . حرامٌ أوْ مكروهٌ ، وإذا رتَّلَ القرآنَ كما أُنزلَ . . سقطَ عنهُ الأثرُ الذي سببُهُ وزْنُ الألحانِ ، وهوَ سببٌ مستقلٌّ بالتأثيرِ وإنْ لمْ يكنْ مفهوماً ؛ كما في الأوتارِ والشاهينِ وسائرِ الأصواتِ التي لا تفهمُ .

* * *

الوجهُ الخامسُ : أنَّ الألحانَ الموزونةَ تُعضدُ وتُؤكَّدُ بإيقاعاتٍ وأصواتٍ أخرَ موزونةٍ خارجَ الحلقِ : كالضربِ بالقضيبِ والدُّفِّ وغيرِهِ ؛ لأنَّ الوجدَ الضعيفَ لا يُستثارُ إلا بسببٍ قويٍّ(٢) ، وإنَّما يقوىٰ بمجموعِ هـٰذهِ الأسبابِ ،

---

(١) **الدستانات** : الأعواد التي عليها يعوَّل في لين الوتر وشدَّته ، وتعديل رنَّتِهِ ، تكون علىٰ طرف العود ، وهي لفظة فارسية .

(٢) **وسبب ضعفه** : سذاجة القلب ، وبلادة الطبع ، واستحكام الشواغل الفكرية ، أو رداءة المزاج . « إتحاف » (٦/ ٥٥٧) .

ولكلٍّ واحدٍ منها حظٌّ في التأثيرِ ، وواجبٌ أنْ يُصانَ القرآنُ عنْ مثلِ هـٰذهِ القرائنِ ؛ لأنَّ صورتَها عندَ عامَّةِ الخلقِ صورةُ اللهوِ واللعبِ ، والقرآنُ جدٌّ كلُّهُ عندَ كافَّةِ الخلقِ ، فلا يجوزُ أنْ يُمزجَ بالحقِّ المحضِ ما هوَ لهوٌ عندَ العامَّةِ ، وصورتُهُ صورةُ اللهوِ عندَ الخاصَّةِ ، وإنْ كانوا لا ينظرونَ إليها مِنْ حيثُ إنَّها لهوٌ ، بلْ ينبغي أنْ يُوقَّرَ القرآنُ ، فلا يُقرأُ علىٰ شوارعِ الطرقِ ، بلْ في مجلسٍ ساكنٍ ، ولا في حالِ الجنابةِ ، ولا علىٰ غيرِ طهارةٍ ، ولا يقدرُ على الوفاءِ بحقِّ حرمةِ القرآنِ في كلِّ حالٍ إلا المراقبونَ لأحوالِهِمْ ، فيُعدلُ إلى الغناءِ الذي لا يستحقُّ هـٰذهِ المراقبةَ والمراعاةَ .

ولذلكَ لا يجوزُ الضربُ بالدفِّ معَ قراءةِ القرآنِ ليلةَ العرسِ ، وقدْ أمرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بضرْبِ الدفِّ في العرسِ وقالَ : « أظهروا النكاحَ ولوْ بضربِ الغربالِ »(١) ، أوْ بلفظٍ هـٰذا معناهُ ، وذلكَ جائزٌ معَ الشعرِ دونَ القرآنِ .

ولذلكَ لمَّا دخلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بيتَ الرُّبيِّعِ بنتِ معوِّذٍ وعندَها جوارٍ يغنينَ ، فسمعَ إحداهُنَّ تقولُ :

(وَفِينا نَبِيٌّ يَعْلَمُ ما في غَدٍ) علىٰ وجهِ الغناءِ ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « دعي هـٰذا ، وقولي ما كنتِ تقولينَ »(٢) ، وهـٰذهِ شهادةٌ

---

(١) رواه الترمذي (١٠٨٩) .

(٢) رواه البخاري (٤٠٠١) .

بالنبوَّةِ ، فزجرَها عنها ، وردَّها إلى الغناءِ الذي هوَ لهوٌ ؛ لأنَّ هـٰذا جدٌّ محضٌ ، فلا يُقرنُ بصورةِ اللهوِ .

فإذاً ؛ يتعذَّرُ بسببِهِ تقويةُ الأسبابِ التي بها يصيرُ السماعُ محرِّكاً للقلبِ ، فواجبٌ في الاحترامِ العدولُ إلى الغناءِ عنِ القرآنِ ، كما وجبَ علىٰ تلكَ الجاريةِ العدولُ عنْ شهادةِ النبوَّةِ إلى الغناءِ .

* * *

الوجهُ السادسُ : أنَّ المغنيَ قدْ يغني ببيتٍ لا يوافقُ حالَ المستمعِ ، فيكرهُهُ ، وينهاهُ عنهُ ، ويستدعي غيرَهُ : فليسَ كلُّ كلامٍ موافقاً لكلِّ حالٍ ، فلوِ اجتمعوا في الدعواتِ على القارىءِ . . فربما يقرأُ آيةً لا توافقُ حالَهُمْ ؛ إذِ القرآنُ شفاءٌ للناسِ كلِّهِمْ على اختلافِ الأحوالِ ، فآياتُ الرحمةِ شفاءُ الخائفِ ، وآياتُ العذابِ شفاءُ المغرورِ الآمنِ ، وتفصيلُ ذلكَ ممَّا يطولُ .

فإذاً ؛ لا يُؤمنُ ألا يوافقَ المقروءُ الحالَ ، وتكرهَهُ النفسُ ، فيتعرَّضَ بهِ لخطرِ كراهةِ كلامِ اللهِ سبحانَهُ مِنْ حيثُ لا يجدُ سبيلاً إلىٰ دفعِهِ ، فالاحترازُ عنْ خطرِ ذلكَ حزمٌ بالغٌ وحتمٌ واجبٌ ؛ إذْ لا يجدُ الخلاصَ عنهُ إلا بتنزيلِهِ علىٰ وَفْقِ حالِهِ ، ولا يجوزُ تنزيلُ كلامِ اللهِ تعالىٰ إلا علىٰ ما أرادَ اللهُ تعالىٰ .

وأمَّا قولُ الشاعرِ . . فيجوزُ تنزيلُهُ علىٰ غيرِ مرادِهِ ، ففيهِ خطرُ الكراهةِ أوْ خطرُ التأويلِ الخطأِ لموافقةِ الحالِ ، فيجبُ توقيرُ كلامِ اللهِ وصيانتُهُ عنْ ذلكَ .

هـٰذا ما ينقدحُ لي في عللِ انصرافِ الشيوخِ إلىٰ سماعِ الغناءِ عنْ سماعِ القرآنِ في حالةِ الجمعِ والأوقاتِ .

* * *

وهـٰهنا وجهٌ سابعٌ ذكرَهُ أبو نصرٍ السرَّاجُ الطوسيُّ في الاعتذارِ عنْ ذلكَ : فقالَ : القرآنُ كلامُ اللهِ وصفةٌ مِنْ صفاتِهِ ، وهوَ حقٌّ لا تطيقُهُ القوَّةُ البشريَّةُ ؛ لأنَّهُ غيرُ مخلوقٍ ، فلا تطيقُهُ الصفاتُ المخلوقةُ ، ولوْ كُشفَ للقلوبِ ذرَّةٌ مِنْ معناهُ وهيبتِهِ . . لتصدَّعَتْ ودَهِشَتْ وتحيَّرَتْ ، والألحانُ الطيِّبَةُ مناسبةٌ للطباعِ ، ونسبتُها نسبةُ الحظوظِ لا نسبةُ الحقوقِ ، والشعرُ نسبتُهُ نسبةُ الحظوظِ ، فإذا علقَتِ الألحانُ والأصواتُ بما في الأبياتِ مِنَ الإشاراتِ واللطائفِ . . شاكلَ بعضُها بعضاً ، وكانَ أقربَ إلى الحظوظِ وأخفَّ على القلوبِ ؛ لمشاكلةِ المخلوقِ المخلوقَ ، فما دامَتِ البشريَّةُ باقيةً ، ونحنُ بصفاتِنا وحظوظِنا نتنعَّمُ بالنغماتِ الشجيَّةِ والأصواتِ الطيِّبةِ . . فانبساطُنا بمشاهدةِ بقاءِ هـٰذهِ الحظوظِ إلى القصائدِ أولىٰ مِنِ انبساطِنا إلىٰ كلامِ اللهِ تعالى الذي هوَ صفتُهُ وكلامُهُ ، الذي منهُ بدأَ وإليهِ يعودُ . هـٰذا حاصلُ المقصودِ مِنْ كلامِهِ واعتذارِهِ(١) .

وقدْ حُكِيَ عنْ أبي الحسينِ الدَّرَّاجِ أنَّهُ قالَ : قصدتُ يوسفَ بنَ الحسينِ الرازيَّ مِنْ بغدادَ للزيارةِ والسلامِ عليهِ ، فلمَّا دخلتُ الريَّ وكنتُ أسألُ

---

(١) اللمع (ص٣٥٦) .

عنه . . فكلُّ مَنْ سألتُهُ قالَ : أيشٍ تعملُ بذلكَ الزنديقِ ؟! فضيَّقوا صدري حتَّىٰ عزمتُ على الانصرافِ ، ثمَّ قلتُ في نفسي : قدْ جبتُ هـٰذا الطريقَ كلَّهُ ، فلا أقلَّ مِنْ أنْ أراهُ ، فلمْ أزلْ أسألُ عنهُ حتَّىٰ دخلتُ عليهِ في مسجدٍ وهوَ قاعدٌ في المحرابِ ، وبينَ يديهِ رحلٌ ، وبيدِهِ مصحفٌ وهوَ يقرأُ ، وإذا هوَ شيخٌ بهيٌّ حسنُ الوجهِ واللحيةِ ، فسلمتُ عليهِ ، فأقبلَ عليَّ وقالَ : مِنْ أينَ أقبلتَ ؟ فقلتُ : مِنْ بغدادَ ، فقالَ : وما الذي جاءَ بكَ ؟ فقلتُ : قصدتُكَ للسلامِ عليكَ ، فقالَ : لوْ أنَّ في بعضِ هـٰذهِ البلدانِ قالَ لكَ إنسانٌ : أقمْ عندَنا حتَّىٰ نشتريَ لكَ داراً أوْ جاريةً . . أكانَ يقعدُكَ ذلكَ عنِ المجيءِ ؟ فقلتُ : ما امتحنَني اللهُ بشيءٍ مِنْ ذلكَ ، ولوِ امتحنَني . . ما كنتُ أدري كيفَ أكونُ ، ثمَّ قالَ لي : أتحسنُ أنْ تقولَ شيئاً ؟ فقلتُ : نعمْ ، فقالَ : هاتِ ، فابتدأتُ أقولُ : [من الطويل]

رَأَيْتُكَ تَبْنِي دائِباً فِي قَطِيعَتِي ولَوَ كُنْتَ ذا حَزْمٍ لَهَدَّمْتَ ما تَبْنِي
كَأَنِّي بِكُمْ وَاللَّيْتُ أَفْضَلُ قَوْلِكُمْ أَلا لَيْتَنا كُنَّا إِذا ٱللَّيْتُ لا يُغْنِي

قالَ : فأطبقَ المصحفَ ، ولمْ يزلْ يبكي حتَّى ابتلَّتْ لحيتُهُ وابتلَّ ثوبُهُ حتَّىٰ رحمتُهُ مِنْ كثرةِ بكائِهِ ، ثمَّ قالَ : يا بنيَّ ؛ تلومُ أهلَ الريِّ يقولونَ : (يوسفُ زنديقٌ) ، هـٰذا أنا مِنْ صلاةِ الغداةِ أقرأُ في المصحفِ لمْ تقطرْ مِنْ عيني قطرةٌ ، وقدْ قامَتِ القيامةُ عليَّ بهـٰذينِ البيتينِ ؟!⁽¹⁾ .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٤٠) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٥٤) ، والبيتان للوليد بن يزيد في « ديوانه » (ص ٨٥ ـ ٨٦) .

فإذاً ؛ القلوبُ وإنْ كانَتْ محترقةً بحبِّ الله تعالىٰ ، فإنَّ البيتَ الغريبَ يهيِّجُ منها ما لا تهيِّجُ تلاوةُ القرآنِ ، وذلكَ لوزنِ الشعرِ ومشاكلتِهِ للطباعِ ، ولكونِهِ مشاكلاً للطبعِ اقتدرَ البشرُ علىٰ نظمِ الشعرِ ، وأمَّا القرآنُ . . فنظمُهُ خارجٌ عنْ أساليبِ الكلامِ ومنهاجِهِ ، وهوَ لذلكَ معجزٌ لا يدخلُ في قوَّةِ البشرِ ؛ لعدمِ مشاكلتِهِ لطبعِهِ .

ورُوِيَ أنَّ إسرافيلَ أستاذَ ذي النونِ المصريِّ دخلَ عليهِ رجلٌ ، فرآهُ وهوَ ينكتُ الأرضَ بإصبعِهِ ، ويترنَّمُ ببيتٍ ، فقالَ : هلْ تحسنُ أنْ تترنَّمَ بشيءٍ ؟ فقالَ : لا ، فقالَ : فأنتَ بلا قلبٍ .

إشارةً إلىٰ أنَّ مَنْ لهُ قلبٌ وعرفَ طبعَهُ . . علمَ أنَّهُ تحرِّكُهُ الأبياتُ والنغماتُ تحريكاً لا يُصادفُ في غيرِها ، فيتكلَّفُ طريقَ التحريكِ ؛ إمَّا بصوتِ نفسِهِ أوْ بغيرِهِ .

* * *

فقدْ ذكرنا حكمَ المقامِ الأوَّلِ في فهمِ المسموعِ وتنزيلِهِ ، وحكمَ المقامِ الثاني في الوجْدِ الذي يُصادفُ في القلبِ ، فلنذكرِ الآنَ أثرَ الوجْدِ ؛ أعني : ما يترشَّحُ منهُ إلى الظاهرِ ؛ مِنْ صعقةٍ ، وبكاءٍ ، وحركةٍ ، وتمزيقِ ثوبٍ وغيرِهِ ، فنقولُ :

المقام الثّالث من السّماع : نذكر فيه آداب السّماع ظاهرًا وباطنًا وما يُحمَد من آثار الوجد وما يُذَمّ

فأمَّا الآدابُ . . فهيَ خمسُ جملٍ :

الأوَّلُ : مراعاةُ الزمانِ والمكانِ والإخوانِ :

قالَ الجنيدُ : (السماعُ يحتاجُ إلىٰ ثلاثةِ أشياءَ ، وإلا . . فلا تسمعْ : الزمانُ ، والمكانُ ، والإخوانُ)⁽¹⁾ ، ومعناهُ : أنَّ الاشتغالَ بهِ في وقتِ حضورِ طعامٍ ، أوْ خصامٍ ، أوْ صلاةٍ ، أوْ صارفٍ مِنَ الصوارفِ معَ اضطرابِ القلبِ . . لا فائدةَ فيهِ ، فهٰذا معنىٰ مراعاةِ **الزمانِ** ، فيراعي حالةَ فراغِ القلبِ لهُ .

وأمَّا **المكانُ** . . فقدْ يكونُ شارعاً مطروقاً ، أوْ موضعاً كريهَ الصورةِ ، أوْ فيهِ سببٌ يشغلُ القلبَ ، فيجتنبُ ذلكَ .

وأمَّا **الإخوانُ** . . فسببُهُ أنَّهُ إذا حضرَ غيرُ الجنسِ ؛ مِنْ منكرٍ للسماعِ ، متزهِّدٍ بالظاهرِ ، مفلسٍ مِنْ لطائفِ القلوبِ . . كانَ مستثقَلاً في المجلسِ ، واشتغلَ القلبُ بهِ ، وكذلكَ إذا حضرَ متكبِّرٌ مِنْ أهلِ الدنيا يُحتاجُ إلىٰ مراقبتِهِ ومراعاتِهِ ، أوْ متكلِّفٌ متواجدٌ مِنْ أهلِ التصوُّفِ يرائي بالوجدِ والرقصِ وتمزيقِ الثيابِ ، فكلُّ ذلكَ مشوِّشاتٌ ، فتركُ السماعِ عندَ فقدِ هٰذهِ الشروطِ أولىٰ ، ففي هٰذهِ الشروطِ نظرٌ للمستمعِ .

* * *

---

(١) أورده الطوسي في « اللمع » (ص٣٤٢) ، والقشيري في « رسالته » (ص٥٤٨) .

الأدبُ الثاني : وهوَ نظرُ الحاضرينَ أنَّ الشيخَ إذا كانَ حولَهُ مريدونَ يضرُّهُمُ السماعُ . . فلا ينبغي أنْ يسمعَ في حضورِهِمْ :

فإنْ سمعَ . . فليشغلْهُمْ بشغلٍ آخرَ .

والمريدُ الذي يستضرُّ بالسماعِ أحدُ ثلاثةٍ :

ـ **أقلُّهُمْ درجةً** : هوَ الذي لمْ يدركْ مِنَ الطريقِ إلا الأعمالَ الظاهرةَ ، ولمْ يكنْ لهُ ذوقُ السماعِ ، فاشتغالُهُ بالسماعِ اشتغالٌ بما لا يعنيهِ ؛ فإنَّهُ ليسَ مِنْ أهلِ اللهوِ فيلهوَ ، ولا مِنْ أهلِ الذوقِ فيتنعَّمَ بذوقِ السماعِ ، فليشتغلْ بذكرٍ أوْ خدمةٍ ، وإلا . . فهوَ تضييعٌ لزمانِهِ .

ـ **الثاني** : هوَ الذي لهُ ذوقُ السماعِ ، ولكنْ فيهِ بقيَّةٌ مِنَ الحظوظِ والالتفاتِ إلى الشهواتِ والصفاتِ البشريَّةِ ، ولمْ ينكسرْ بعدُ انكساراً تُؤمنُ غوائلُهُ ، فربَّما يهيِّجُ السماعُ منهُ داعيةَ اللهوِ والشهوةِ ، فيقطعُ عليهِ طريقَهُ ، ويصدُّهُ عنِ الاستكمالِ .

ـ **الثالث** : أنْ يكونَ قدِ انكسرَتْ شهوتُهُ ، وأُمنَتْ غائلتُهُ ، وانفتحَتْ بصيرتُهُ ، واستولىٰ علىٰ قلبِهِ حبُّ اللهِ تعالىٰ ، ولكنَّهُ لمْ يحكمْ ظاهرَ العلمِ ، ولمْ يعرفْ أسماءَ اللهِ تعالىٰ وصفاتِهِ ، وما يجوزُ عليهِ وما يستحيلُ(١) ، فإذا فُتحَ لهُ بابُ السماعِ . . نزَّلَ المسموعَ في حقِّ اللهِ تعالىٰ علىٰ ما يجوزُ وما لا يجوزُ ، فيكونُ ضررُهُ مِنْ تلكَ الخواطرِ التي هيَ كفرٌ أعظمَ مِنْ نفعِ السماعِ .

---

(١) اللمع (ص٣٥٩) .

قال سهلٌ رحمَهُ اللهُ : (كلُّ وجدٍ لا يشهدُ لهُ الكتابُ والسنةُ فهوَ باطلٌ)(١) ، فلا يصلحُ السماعُ لمثلِ هـٰذا ، ولا لمَنْ قلبُهُ بعدُ ملوَّثٌ بحبِّ الدنيا وشهوةِ المحمدةِ والثناءِ ، ولا لمَنْ يسمعُ لأجلِ التلذُّذِ والاستطابةِ بالطبعِ فيصيرُ ذلكَ عادةً لهُ ، ويشغلُهُ ذلكَ عنْ عباداتِهِ ومراعاةِ قلبِهِ ، وينقطعُ عليهِ طريقُهُ ، فالسماعُ مزلَّةُ قدمٍ يجبُ حفظُ الضعفاءِ عنهُ .

قالَ الجنيدُ : رأيتُ إبليسَ في النومِ ، فقلتُ لهُ : هلْ تظفرُ مِنْ أصحابِنا بشيءٍ ؟ قالَ : نعمْ ، في وقتينِ ، وقتِ السماعِ ووقتِ النظرِ ، فإنِّي أدخلُ عليهِمْ بِهِ ، فقالَ بعضُ الشيوخِ : لوْ رأيتُهُ أنا . . لقلتُ لهُ : ما أحمقَكَ ! مَنْ سمعَ منهُ إذا سمعَ ، ونظرَ إليهِ إذا نظرَ . . كيفَ تظفرُ بهِ . فقالَ الجنيدُ : صدقتَ .

* * *

الأدبُ الثالثُ : أنْ يكونَ مصغياً إلىٰ ما يقولُ القائلُ :

حاضرَ القلبِ ، قليلَ الالتفاتِ إلى الجوانبِ ، متحرِّزاً عنِ النظرِ إلىٰ وجوهِ المستمعينَ وما يظهرُ عليهِم مِنْ أحوالِ الوجْدِ ، مشتغلاً بنفسِهِ ومراعاةِ قلبِهِ ومراقبةِ ما يفتحُ اللهُ تعالىٰ لهُ مِنْ رحمتِهِ في سرِّهِ ، متحفِّظاً عنْ حركةٍ تشوِّشُ علىٰ أصحابِهِ قلوبَهُمْ ، بلْ يكونُ ساكنَ الظاهرِ ، هادئَ الأطرافِ ، محترزاً عنِ التنحنحِ والتثاؤبِ ، ويجلسُ مطرقاً رأسَهُ كجلوسِهِ في فكرٍ

---

(١) اللمع (ص٣٧٦) .

مستغرقٍ لقلبهِ ، متماسكاً عنِ التصفيقِ والرقصِ وسائرِ الحركاتِ علىٰ وجهِ التصنُّعِ والتكلُّفِ والمراءاةِ ، ساكتاً عنِ النطقِ في أثناءِ القولِ بكلِّ ما عنهُ بدٌّ .

فإنْ غلبهُ الوجْدُ وحرَّكَهُ بغيرِ اختيارهِ . . فهوَ فيهِ معذورٌ غيرُ ملومٍ ، ومهما رجعَ إليهِ الاختيارُ . . فليعدْ إلىٰ هدوئِهِ وسكونِهِ ، ولا ينبغي أن يستديمَهُ حياءً مِنْ أنْ يُقالَ : (انقطعَ وَجْدُهُ على القرْبِ) ، ولا أنْ يتواجدَ خوفاً مِنْ أنْ يُقالَ : (هوَ قاسي القلبِ ، عديمُ الصفاءِ والرقَّةِ) .

حُكِيَ أنَّ شاباً كانَ يصحبُ الجنيدَ ، فكانَ إذا سمعَ شيئاً مِنَ الذكرِ يزعقُ ، فقالَ لهُ الجنيدُ يوماً : إنْ فعلتَ ذلكَ مرَّةً أخرىٰ . . لمْ تصحبْني ، فكانَ بعدَ ذلكَ يضبطُ نفسَهُ ، حتَّىٰ يقطرُ مِنْ كلِّ شعرةٍ منهُ قطرةُ ماءٍ ولمْ يزعقْ ، فحُكِيَ أنَّهُ اختنقَ يوماً لشدَّةِ ضبطِهِ لنفسِهِ ، فشهقَ شهقةً فانشقَّ قلبُهُ وتلفَتْ نفسُهُ(١) .

ورُوِيَ أنَّ موسىٰ عليهِ السلامُ قصَّ في بني إسرائيلَ ، فمزَّقَ واحدٌ منهُمْ ثوبَهُ أوْ قميصَهُ ، فأوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليهِ السلامُ : قلْ لهُ : مزِّقْ لي قلبَكَ ، ولا تمزِّقْ ثيابَكَ(٢) .

قالَ أبو القاسمِ النصراباذيُّ لأبي عمرٍو بنِ نجيدٍ : أنا أقولُ : إذا اجتمعَ

---

(١) رواه الطوسي في « اللمع » (ص ٣٥٨) واللفظ له ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٥٤) .

(٢) اللمع (ص٢٤٦) ، والرسالة القشيرية (ص٥٥٣) .

القومُ فيكونُ معَهُمْ قوّالٌ يقولُ . . خيرٌ مِنْ أنْ يغتابوا ، فقالَ أبو عمرٍو : الرياءُ في السماعِ ، وهوَ أنْ ترىٰ مِنْ نفسِكَ حالاً ليسَتْ فيكَ شرٌّ مِنْ أنْ تغتابَ ثلاثينَ سنةً ، أوْ نحوَ ذلكَ(١) .

* * *

فإنْ قلتَ : هلِ الأفضلُ هوَ الذي لا يحرِّكُهُ السماعُ ولا يؤثِّرُ في ظاهرِهِ ، أوِ الذي يظهرُ عليهِ ؟

فاعلمْ : أنَّ عدمَ الظهورِ تارةً يكونُ لضعفِ الواردِ مِنَ الوجْدِ(٢) ؛ فهوَ **نقصانٌ** ، وتارةً يكونُ معَ قوَّةِ الوجْدِ في الباطنِ ، ولكنْ لا يظهرُ لكمالِ القوَّةِ علىٰ ضبْطِ الجوارحِ ، وهوَ **كمالٌ** ، وتارةً يكونُ لكونِ حالِ الوجْدِ ملازماً ومصاحباً في الأحوالِ كلِّها ، فلا يتبيَّنُ للسماعِ مزيدُ تأثيرٍ ، وهوَ **غايةُ الكمالِ** ، فإنَّ صاحبَ الوجْدِ في غالبِ الأحوالِ لا يدومُ وجْدُهُ ، فمَنْ هوَ في وجدٍ دائمٍ فهوَ المرابطُ للحقِّ والملازمُ لعينِ الشهودِ ، فهٰذا لا تغيِّرُهُ طوارقُ الأحوالِ ، ولا يبعدُ أنْ تكونَ الإشارةُ بقولِ الصدِّيقِ رضيَ اللهُ عنهُ : (كنَّا كما كنتُمْ ثمَّ قسَتْ قلوبُنا) ، معناهُ : قويتْ قلوبُنا واشتدَّتْ ، فصارَتْ تطيقُ ملازمةَ الوجْدِ في كلِّ الأحوالِ ، فنحنُ في سماعِ معاني القرآنِ على الدوامِ ، فلا يكونُ القرآنُ جديداً في حقِّنا طارئاً علينا حتَّىٰ نتأثَّرَ بهِ .

---

(١) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٥٥٨) .

(٢) إما لجهله بمنزلة السماع ، أو لسواد قلبه من ارتكاب المعاصي ، أو لجمود طبعه مع الوقوف على الإنكار . « إتحاف » (٦/ ٥٦٤) .

فإذاً ؛ قوّةُ الوجْدِ تحرِّكُ ، وقوّةُ العقْلِ والتماسكِ تضبطُ الظواهرَ ، وقدْ يغلبُ أحدُهُما الآخرَ ؛ إمَّا لشدَّةِ قوّتِهِ ، وإمَّا لضعفِ ما يقابلُهُ ، ويكونُ النقصانُ والكمالُ بحسَبِ ذلكَ ، فلا تظنَّنَّ أنَّ الذي يضطربُ بنفسِهِ على الأرضِ أتمُّ وجداً مِنَ الساكنِ باضطرابِهِ ، بلْ ربَّ ساكنٍ أتمُّ وجداً منَ المضطربِ ، فقدْ كانَ الجنيدُ يتحرَّكُ في السماعِ في بدايتِهِ ، ثمَّ صارَ لا يتحرَّكُ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ : فقال : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾(١) .

إشارةً إلىٰ أنَّ القلبَ مضطربٌ جائلٌ في الملكوتِ والجوارحُ متأدِّبةٌ في الظاهرِ ساكنةٌ .

وقالَ أبو الحسنِ محمدُ بنُ أحمدَ وكانَ بالبصرةِ : صحبتُ سهلَ بنَ عبدِ اللهِ ستينَ سنةً ، فما رأيتُهُ تغيَّرَ عندَ شيءٍ كانَ يسمعُهُ مِنَ الذكرِ أوِ القرآنِ ، فلمَّا كانَ في آخرِ عمرِهِ . . قرأَ رجلٌ بينَ يديهِ : ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ . . . ﴾ الآيةَ ، فرأيتُهُ قدِ ارتعدَ وكادَ يسقطُ ، فلمَّا عادَ إلىٰ حالِهِ . . سألتُهُ عنْ ذلكَ ، فقالَ : نعمْ يا حبيبي قدْ ضعفْنا(٢) .

---

(١) اللمع (ص٣٦٦) ، ونحوه في « الرسالة القشيرية » (ص١٤٠) وفيه قول الجريري : (أنا إذا حضرت موضعاً فيه سماع وهناك محتشم . . أمسكت علىٰ نفسي وجدي ، فإذا خلوت . . أرسلت وجدي ، فتواجدت) .

(٢) رواه عنه الطوسي في « اللمع » (ص٣٦٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٥٦) .

وكذلكَ سمعَ مرَّةً قولَهُ تعالىٰ : ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ ، فاضطربَ ، فسألَهُ ابنُ سالمٍ وكانَ مِنْ أصحابِهِ ، فقالَ : قدْ ضعفتُ ، فقيلَ لهُ : فإنْ كانَ هـٰذا مِنَ الضعفِ . . فما قوَّةُ الحالِ ، فقالَ : ألا يردَ عليهِ واردٌ إلا وهوَ يبتلعُهُ بقوَّةِ حالِهِ ، فلا تغيِّرُهُ الوارداتُ وإنْ كانَتْ قويةً(١) .

وسببُ القدرةِ علىٰ ضبطِ الظاهرِ معَ وجودِ الوجدِ استواءُ الأحوالِ بملازمةِ الشهودِ ؛ كما حُكِيَ عنْ سهلٍ رحمهُ اللهُ تعالىٰ أنَّهُ قالَ : (حالي قبلَ الصلاةِ وبعدَها واحدةٌ)(٢) ، لأنَّهُ كانَ مراعياً للقلبِ حاضرَ الذكرِ معَ اللهِ تعالىٰ في كلِّ حالٍ ، فكذلكَ يكونُ قبلَ السماعِ وبعدَهُ ؛ إذْ يكونُ وجْدُهُ دائماً ، وعطشُهُ متصلاً ، وشربُهُ مستمراً ، بحيثُ لا يؤثرُ السماعُ في زيادتِهِ ، كما رُوِيَ أنَّ ممشاذَ الدينوريَّ أشرفَ علىٰ جماعةٍ فيهِمْ قوَّالٌ ، فسكَتُوا ، فقالَ : ارجعُوا إلىٰ ما كنتُمْ فيهِ ، فلوْ جُمعَتْ ملاهي الدنيا في أذني . . ما شُغِلَ همِّي ولا شُفِيَ بعضُ ما بي(٣) .

وقالَ الجنيدُ رحمهُ اللهُ تعالىٰ : (لا يضرُّ نقصانُ الوجدِ معَ فضْلِ العلمِ ، وفضْلُ العلمِ أتمُّ مِنْ فضْلِ الوجدِ) .

* * *

---

(١) اللمع (ص٣٦٥) .
(٢) اللمع (ص٣٦٦) ، ولحاق المصنف عنده .
(٣) رواه الطوسي في « اللمع » (ص٣٦٦) .

فإنْ قلتَ : فمثلُ هـٰذا لِمَ يحضرُ السماعَ ؟

فاعلمْ : أنَّ مِنْ هؤلاءِ مَنْ تركَ السماعَ في كبرِهِ ، وكانَ لا يحضرُ إلا نادراً ؛ لمساعدةِ أخٍ مِنَ الإخوانِ ، وإدخالاً للسرورِ علىٰ قلبِهِ ، وربَّما حضرَ ليعرفَ القومُ كمالَ قوَّتِهِ ، فيعلمونَ أنَّهُ ليسَ الكمالُ بالوجْدِ الظاهرِ ، فيتعلَّمونَ منهُ ضبطَ الظاهرِ عنِ التكلُّفِ ، وإنْ لمْ يقدروا على الاقتداءِ بهِ في صيرورتِهِ طبعاً لهُمْ .

وإنِ اتفقَ حضورُهُمْ معَ غيرِ أبناءِ جنْسِهِمْ . . فيكونونَ معهُمْ بأبدانِهِمْ ، نائينَ عنهُمْ بقلوبِهِمْ وبواطنِهِمْ ؛ كما يجلسونَ مِنْ غيرِ سماعٍ معَ غيرِ جنسِهِمْ بأسبابٍ عارضةٍ تقتضي الجلوسَ معَهُمْ .

وبعضُ مَنْ نُقِلَ عنهُ تركُ السماعِ ويُظن أنَّهُ كرهَهُ . . كانَ سببُ تركِهِ استغناءَهُ عنِ السماعِ بما ذكرناهُ ، وبعضُهُمْ كانَ مِنَ الزهَّادِ ، ولمْ يكنْ لهُ حظٌّ روحانيٌّ في السماعِ ، ولا كانَ هوَ مِنْ أهلِ اللهوِ ، فتركَهُ لئلا يكونَ مشغولاً بما لا يعنيهِ ، وبعضُهُمْ تركَهُ لفقدِ الإخوانِ ، قيلَ : لبعضِهِمْ ؛ لِمَ لا تسمعُ ؟ فقالَ : ممَّنْ ؟ ومعَ مَنْ ؟

* * *

الأدبُ الرابعُ : ألا يقومَ ولا يرفعَ صوتَهُ بالبكاءِ وهوَ يقدرُ علىٰ ضبطِ نفسِهِ :

ولكنْ إنْ رقصَ أوْ تباكىٰ . . فهوَ مباحٌ إذا لمْ يقصدْ بهِ المراءاةَ ؛ لأنَّ التباكيَ استجلابٌ للحزنِ ، والرقصَ سببٌ في تحريكِ السرورِ والنشاطِ ،

فكلُّ سرورٍ مباحٌ ، فيجوزُ تحريكُهُ ، ولوْ كانَ ذلكَ حراماً . . لما نظرَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها إلى الحبشةِ معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهمْ يزفنونَ ، هـٰذا لفظُ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها في بعضِ الرواياتِ(١) .

وقد رُوِيَ عنْ جماعةٍ مِنَ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُمْ أنَّهُمْ حَجَلوا لمَّا وردَ عليهِمْ سرورٌ أوجبَ ذلكَ ، وذلكَ في قصَّةِ ابنةِ حمزةَ لمَّا اختصَمَ فيها عليُّ بنُ أبي طالبٍ وأخوهُ جعفرٌ وزيدُ بنُ حارثةَ رضيَ اللهُ عنهُمْ ، فتشاحُّوا في تربيتِها ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لعليٍّ : « أنتَ منِّي وأنا منكَ » فحَجَلَ عليٌّ ، وقالَ لجعفرٍ : « أشبهتَ خَلقي وخُلقي » فحَجَلَ وراءَ حجْلِ عليٍّ ، وقالَ لزيدٍ : « أنتَ أخونا ومولانا » فحَجَلَ زيدٌ وراءَ حجْلِ جعفرٍ ، ثمَ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « هيَ لجعفرٍ ، لأنَّ خالتَها تحتَهُ ، والخالةُ والدةٌ »(٢) .

وفي بعضِ الرواياتِ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ لعائشةَ رضيَ اللهُ عنها :

---

(١) رواه مسلم (٨٩٢/ ٢٠) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١٠٨) ، وأصله في « البخاري » (٢٦٩٩) ، ونص ابن حجر في « فتح الباري » (٧/ ٥٠٧) أن الحجل هو الوقوف علىٰ رجل واحدة ، وهو الرقص بهيئة مخصوصة ، وضبط الفعل بفتح فكسر ، وقال القاضي عياض في « مشارق الأنوار » (١/ ١٨٢) : (وقوله : « فحجل » ؛ أي : قفز علىٰ رجْل سروراً وفرحاً ؛ كالرقص ، ويرفع الأخرىٰ ، وقد يكون بهما معاً) ، وقال ابن منظور في « اللسان » (ح ج ل) : (ويكون بالرجلين جميعاً ، إلا أنه قفز وليس بمشي) ، وقال الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٦/ ٥٦٧) : (وأصل الحجل مشي المقيد ، والقيد هو الحجل بالكسر ، ومنه قولهم : الغراب يحجل ، ولا شك أن مشي المقيد إنما هو وثب واهتزاز ، وهو الرقص) .

« أتحبِّينَ أنْ تنظري إلىٰ زَفْنِ الحبشةِ ؟ »⁽¹⁾ ، والزَّفْنُ والحَجْلُ هوَ الرقصُ ، وذلكَ يكونُ لفرحٍ أوْ شوقٍ ، فحكمُهُ حكْمُ مهيِّجِهِ ؛ إنْ كانَ فرحُهُ محموداً والرقصُ يزيدُهُ ويؤكِّدُهُ . . فهوَ محمودٌ ، وإنْ كانَ مباحاً . . فهوَ مباحٌ ، وإنْ كانَ مذموماً . . فهوَ مذمومٌ .

نعمْ ، لا يليقُ اعتيادُ ذلكَ بمناصبِ الأكابرِ وأهلِ القدوةِ ؛ لأنَّهُ في الأكثرِ يكونُ عنْ لهوٍ ولعبٍ ، وما لهُ صورةُ اللعبِ واللهوِ في أعينِ الناسِ فينبغي أنْ يجتنبَهُ المقتدىٰ بهِ لئلا يصغرَ في أعينِ الخلقِ ، فيُترَكَ الاقتداءُ بهِ .

وأمَّا تمزيقُ الثوبِ . . فلا رخصةَ فيهِ إلا عندَ خروجِ الأمرِ عنِ الاختيارِ ، ولا يبعدُ أنْ يغلبَ الوجدُ بحيثُ يمزِّقُ ثوبَهُ وهوَ لا يدري ؛ لغلبةِ سكْرِ الوجْدِ عليهِ ، أوْ يدري ولكنْ يكونُ كالمضطرِّ الذي لا يقدرُ علىٰ ضبطِ نفسِهِ ، وتكونُ صورتُهُ صورةَ المكرهِ ؛ إذْ يكونُ لهُ في الحركةِ والتمزيقِ متنفَّسٌ ، فيضطرُّ إليهِ اضطرارَ المريضِ إلى الأنينِ ، ولوْ كُلِّفَ الصبرَ عنهُ . . لمْ يقدرْ عليهِ ، معَ أنَّهُ فعلٌ اختياريٌّ ، **فليسَ كلُّ فعلٍ حصولُهُ بالإرادةِ يقدرُ الإنسانُ علىٰ تركِهِ** ، فالتنفُّسُ فعلٌ يحصلُ بالإرادةِ ، ولوَ كلَّفَ الإنسانُ نفسَهُ أنْ يمسكَ النَّفَسَ ساعةً . . لاضطرَّ مِنْ باطنِهِ إلىٰ أنْ يختارَ التنفُّسَ ، فكذلكَ الزعقةُ وتمزيقُ الثيابِ قدْ يكونُ كذلكَ ، فهـٰذا لا يوصفُ بالتحريمِ ، فقدْ ذُكِرَ عندَ السريِّ حديثُ الوجدِ الحادِّ الغالبِ ، فقالَ : نعمْ ، يضربُ وجهَهُ

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٦/١١٦) .

بالسيفِ وهوَ لا يدري ، فروجعَ فيهِ واستبعدَ أن ينتهيَ إلىٰ هـٰذا الحدِّ ، فأصرَّ عليهِ ولمْ يرجعْ ، ومعناهُ : أنهُ في بعضِ الأحوالِ قدْ ينتهي إلىٰ هـٰذا الحدِّ في بعضِ الأشخاصِ (١) .

* * *

فإنْ قلتَ : فما تقولُ في تمزيقِ الصوفيَّةِ الثيابَ الجديدةَ بعدَ سكونِ الوجْدِ والفراغِ مِنَ السماعِ ؟ فإنَّهُمْ يمزِّقونَها قطعاً صغاراً ويفرِّقونَها على القومِ ، ويسمونَها الخرقةَ .

فاعلمْ : أنَّ ذلكَ مباحٌ إذا مزِّقَ قطعاً مربَّعةً تصلحُ لترقيعِ الثيابِ والسجاداتِ ، فإنَّ الكرباسَ يُمزَّقُ حتَّىٰ يُخاطَ منهُ القميصُ ، ولا يكونُ ذلكَ تضييعاً ؛ لأنَّهُ تمزيقٌ لغرضٍ ، وكذلكَ ترقيعُ الثيابِ لا يمكنُ إلا بالقطعِ الصغارِ ، وذلكَ مقصودٌ ، والتفرقةُ على الجميعِ ليعمَّ ذلكَ الخيرُ مقصودٌ ، فهوَ مباحٌ ، ولكلِّ مالكٍ أنْ يقطعَ كرباسَهُ مئةَ قطعةٍ ويعطيَها لمئةِ مسكينٍ ، ولكنْ ينبغي أنْ تكونَ القطعُ بحيثُ يمكنُ أنْ يُنتفعَ بها في الرقاعِ ، وإنَّما منعنا في السماعِ التمزيقَ المفسدَ للثوبِ الذي يهلكُ بعضُهُ ، بحيثُ لا يبقىٰ منتفعاً بهِ ، فهوَ تضييعٌ محضٌ لا يجوزُ بالاختيارِ .

* * *

---

(١) اللمع (ص٣٨١) .

الأدبُ الخامسُ : موافقةُ القومِ في القيامِ إذا قامَ واحدٌ منهُمْ في وجْدٍ صادقٍ مِنْ غيرِ رياءٍ وتكلُّفٍ ، أوْ قامَ باختيارٍ مِنْ غيرِ إظهارِ وجْدٍ وقامَ لهُ الجماعةُ :

فلا بدَّ مِنَ الموافقةِ ، فذلكَ مِنْ آدابِ الصحبةِ ، وكذلكَ إنْ جرَتْ عادةُ طائفةٍ بتنحيةِ العِمامةِ علىٰ موافقةِ صاحبِ الوجْدِ إذا سقطَتْ عِمامتُهُ ، أوْ خلعِ الثيابِ إذا سقطَ عنهُ ثوبُهُ بالتمزيقِ ، فالموافقةُ في هـٰذهِ الأمورِ مِنْ حسنِ الصحبةِ والعشرةِ ؛ إذِ المخالفةُ موحشةٌ ، ولكلِّ قومٍ رسمٌ ، ولا بدَّ مِنْ مخالقةِ الناسِ بأخلاقِهِمْ كما وردَ في الخبرِ⁽¹⁾ ، لا سيما إذا كانَتْ أخلاقاً فيها حسْنُ العشرةِ والمجاملةُ وتطييبُ القلبِ بالمساعدةِ .

وقولُ القائلِ : إنَّ ذلكَ بدعةٌ لمْ تكنْ في الصحابةِ . . فليسَ كلُّ ما يُحكمُ بإباحتِهِ منقولاً عنِ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُمْ ، وإنَّما المحذورُ ارتكابُ بدعةٍ تراغمُ سنَّةً مأثورةً ، ولمْ يُنقلِ النهيُ عنْ شيءٍ مِنْ هـٰذا ، والقيامُ عندَ الدخولِ للداخلِ لمْ يكنْ مِنْ عادةِ العربِ ، بلْ كانَ الصحابةُ رضيَ اللهُ عنهُمْ لا يقومونَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في بعضِ الأحوالِ كما رواهُ أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ⁽²⁾ ، ولكنْ إذا لمْ يثبتْ فيهِ نهيٌ عامٌّ . . فلا نرىٰ بهِ بأساً في البلادِ التي جرتِ العادةُ فيها بإكرامِ الداخلِ بالقيامِ ، فإنَّ القصدَ منهُ الاحترامُ والإكرامُ ، وتطييبُ القلبِ بهِ ، وكذلكَ سائرُ أنواعِ المساعدةِ إذا قُصدَ بها

---

(١) كما روى الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٣٤٣) مرفوعاً : « خالقوا الناس بأخلاقهم ، وخالفوهم في أعمالهم » .

(٢) رواه الترمذي (٢٧٥٤) .

تطييبُ القلبِ(١) ، واصطلحَ عليها جماعةٌ . . فلا بأسَ بمساعدتِهِمْ عليها ، بلِ الأحسنُ المساعدةُ ، إلا فيما وردَ فيهِ نهيٌ لا يقبلُ التأويلَ .

ومِنَ الأدبِ : ألا يقومَ للرقصِ معَ القومِ إنْ كانَ يُستثقلُ رقصُهُ ، ولا يشوشَ عليهِمْ أحوالَهُمْ ؛ إذِ الرقصُ مِنْ غيرِ إظهارِ التواجدِ مباحٌ ، والمتواجدُ : هوَ الذي يلوحُ للجمعِ منهُ أثرُ التكلُّفِ ، ومَنْ يقومُ عنْ صدقٍ لا تستثقلُهُ الطباعُ ، فقلوبُ الحاضرينَ إذا كانوا مِنْ أربابِ القلوبِ محكٌّ للصدقِ والتكلُّفِ .

سئلَ بعضُهُمْ عنِ الوجدِ الصحيحِ فقالَ : (صحتُهُ قبولُ قلوبِ الواجدينَ لهُ إذا كانوا أشكالاً غيرَ أضدادٍ)(٢) .

* * *

فإنْ قلتَ : فما بالُ الطباعِ تنفرُ عنِ الرقصِ ، ويسبقُ إلى الأوهامِ أنَّهُ باطلٌ ولهوٌ ومخالفٌ للدينِ ، فلا يراهُ ذو جدٍّ في الدينِ إلا وينكرُهُ ؟

فاعلمْ : أنَّ الجدَّ لا يزيدُ علىٰ جِدِّ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وقدْ رأى الحبشةَ يزفنونَ في المسجدِ وما أنكرَهُ ، لمَّا كانَ في وقتٍ لائقٍ بهِ ، وهوَ العيدُ ، ومِنْ شخصٍ لائقٍ بهِ ، وهمُ الحبشةُ .

نعمْ ، نفرةُ الطباعِ عنهُ لأنَّهُ يُرىٰ غالباً مقروناً باللهوِ واللعبِ ، واللهوُ

---

(١) في النسخ : (طيبة القلب) ، والمثبت من (ق) .

(٢) القول لأبي يعقوب النهرجوري ، انظر « اللمع » (ص٣٧٨) .

واللعبُ مباحٌ ، ولكنْ للعوامِّ مِنَ الزنوجِ والحبشةِ ومَنْ أشبهَهُمْ ، وهوَ مكروهٌ لذوي المناصبِ ؛ لأنَّهُ لا يليقُ بهِمْ ، وما كُرِهَ لكونِهِ غيرَ لائقٍ بمنصبِ ذي المنصبِ . . فلا يجوزُ أنْ يُوصفَ بالتحريمِ ، فمنَ سألَ فقيراً شيئاً ، فأعطاهُ رغيفاً . . كانَ ذلكَ طاعةً مستحسنةً ، ولوْ سألَ مَلِكاً ، فأعطاهُ رغيفاً أو رطلاً مِنَ الخبزِ . . كانَ ذلكَ منكراً عندَ الناسِ كافَّةً ، ومكتوباً في تواريخِ الأخبارِ مِنْ جملةِ مساوئِهِ ،يُعيَّرُ بهِ أعقابُهُ وأشياعُهُ ، ومعَ هـٰذا فلا يجوزُ أنْ يُقالَ : (ما فعلَهُ حرامٌ)؛ لأنَّهُ مِنْ حيثُ إنَّهُ أعطىٰ خبزاً لفقيرٍ حسنٌ ، ومِنْ حيثُ إنَّهُ بالإضافةِ إلىٰ منصبِهِ كالمنعِ بالإضافةِ إلى الفقيرِ مستقبحٌ ؛ فكذلكَ الرقصُ وما يجري مجراهُ منَ المباحاتِ ، ومباحاتُ العوامِّ سيئاتُ الأبرارِ ، وحسناتُ الأبرارِ سيئاتُ المقرَّبينَ ، ولكنْ هـٰذا مِنْ حيثُ الالتفاتُ إلى المناصبِ ، فأمَّا إذا نُظرَ إليهِ في نفسِهِ . . وجبَ الحكمُ بأنَّهُ هوَ في نفسِهِ لا تحريمَ فيهِ ، واللهُ أعلمُ .

* * *

فقدْ خرجَ مِنْ جملةِ التفصيلِ السابقِ : أنَّ السماعَ قدْ يكونُ **حراماً محضاً** ، وقدْ يكونُ **مباحاً** ، وقدْ يكونُ **مستحباً** ، وقدْ يكونُ **مكروهاً** .

أمَّا الحرامُ : فهوَ لأكثرِ الناسِ مِنَ الشبَّانِ ، ومَنْ غلبَتْ عليهِمْ شهوةُ الدنيا، فلا يحرِّكُ السماعُ منهُمْ إلا ما هوَ الغالبُ علىٰ قلوبِهِمْ مِنَ الصفاتِ المذمومةِ .

وأمَّا المكروهُ : فهوَ لمَنْ لا ينزِّلُهُ علىٰ صورةِ المخلوقينَ ، ولكنَّهُ يتخذُهُ عادةً لهُ في أكثرِ الأوقاتِ علىٰ سبيلِ اللهوِ .

وأما المباحُ : فهوَ لمَنْ لا حظَّ لهُ منهُ إلا التلذُّذُ بالصوتِ الحسنِ .

وأمَّا المستحبُّ : فهوَ لمَنْ غلبَ عليهِ حبُّ اللهِ تعالىٰ ، ولمْ يحرِّكِ السماعُ منهُ إلا الصفاتِ المحمودةَ ، والحمدُ للهِ وحدَهُ ، وصلَّى اللهُ علىٰ محمّدٍ وآلِهِ ، والسلامُ ، واللهُ أعلمُ .

* * *

تمّ كتاب آداب السّماع والوجد

وهو الكتاب الثّامن من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدّين

بحمد الله وعونه ، وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وعلى آله وسلّم

يتلوه كتاب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر

İkinci Bab

MÛSİKİNİN ÂDÂBI VE ÂZÂLAR ÜZERİNDEKİ TESÎRİ

Bilmiş ol ki; Mûsikinin ilk derecesi, söyleneni anlamak ve dinleyene anlatacak ve tesîr edecek şekilde ifâde etmektir. Demek ki, mûsikide ilk aranan, fehm (anlamak)dır. Bu anlayıştan sonra vecd (kalbin coşması) ondan sonra da âzânın titreşmesi vardır ki, bunlar üç makamdır:

Birinci Makam

Fehm (anlayış) hakkındadır. Bu anlayış, dinleyicilerin hallerine göre değişir. Dinleyicilerin dört hali vardır:

Birinci hal: Dinlemekle yalnız tabiat bakımından zevk almaktır. Yâni beste, ses ve kafiyesinden zevk alır. Bu mübâhtır ve aynı zamanda en düşük bir derecedir. Zîra semâın bu kadar zevkinde develer ve diğer hayvanlar da ortaktır. Her canlı, güzel sesten zevk alır.

İkinci hal: Mûsikiden anlayarak zevk almak. Fakat söylenen sözleri canlandırarak, belirli veyâ belirsiz bir sûret haline ifrâğ eder. Bu da gençlerin ve şehvet sâhiplerinin mûsikisidir. Şehvetlerine ve hallerine göre duydukları sözleri canlandırırlar. Bu hal, üzerinde durulmaya değmez. Ancak kötülük ve yasak olması bakımından bundan bahsedeceğiz.

Üçüncü hal: Duyduklarını kendisinin Allahü Teâlâ'ya karşı olan muamelesi ile ayarlamaktır. Bâzen hareketlerini uygun bulur, bâzen de özür dileyecek halde olur. İşte bu da ilk başlangıçta mürîdlerin halidir. Zîra elbette mürîdin bir murâdı vardır. Murâdı, maksadıdır. Şüphesiz mürîdin maksadı, Allahü Teâlâ'yı mârifettir. Ona mülakat ve müşâhede yolu ile ulaşmaktır.

Mürîdin maksadına ulaşmak için sülûk ettiği bir tarîk (girdiği bir yol), başvurduğu muâmele ve işlerinde karşılaştığı halleri vardır. İtâb, tekdîr, hitâb, kabul, red, vuslat, hicrân, yakınlık, uzaklık, geçip gidene hasret, beklenen şeye iştiyâk, gelene heves, ümîd, mahrûmiyet, yalnızlık, ünsiyet, va'de vefâ, muâhedeyi bozmak, korku, firkat, vuslat ile ferah, sevgiliyi hatırlamak, rakibi müdâfaa, gözyaşları, hasret karşılaşmaları, uzun ayrılık, vuslat va'di ve benzeri şiir ile alâkalı sözleri duyduğu zaman, bunların bâzısı mürîdin maksadına uygun düşebilir de çakmak taşı gibi kalbinin, ateşini tutuşturur ve bu sebeple şevk ve heyecanı artar ve âdete uymayan bâzı hareketler kendisinden sâdır olur. Bu sözleri kendi haline göre tevîl eder. Çünkü dinleyen kimse, şâirin sözlerini şâirin arzusuna göre anlamaya mecbur değildir. Her sözün müteaddit tevîlleri vardır. Herkes kendi anlayışına göre mânâ çıkarabilir. Biz bunu bir misâl ile açıklayalım da câhiller ağız, yanak ve kâkül kelimelerinden ancak zâhir mânânın murâd olmayıp başka mânâların da murâd edilebileceğini anlasınlar. Artık bu mânâları nasıl anladığını açıklamaya lüzum yoktur. Semâ ehlinin hikâyelerinde bunu açıklayan vakalar vardır.

Hikâye olunduğuna göre zâtın birisi, başka bir şâirin:

"(Aradaki) elçi dostu için, seni yarın ziyâret edecek dedi. Ben de, söylediğini biliyorsun dedim." (Yâni doğru diyorsun, dedim). Söylediğini duyunca, hemen vecde gelerek titremeye başladı ve "Tezûru"daki "T" yi "N" okuyarak: "Rasûl, yarın ziyâret edeceğiz

dedi." şeklinde okuya okuya sevincinden bayılıp düştü. Ayıldığı zaman, "Ne oldu? Niye vecde kapıldın?" diye kendisine soranlara "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in:

إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَزُورُونَ رَبَّهُمْ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمْعَةٍ مَرَّةً

"Cennet ehli her Cuma günü Rablerini bir kere ziyâret ederler."[34] hadîsini hatırladım da ondan vecde geldim." dedi.

Er-Rakıy[35] İbn Diraç'dan şöyle anlatıyor: İbn Diraç diyor ki: Ben ve İbn Futî, Basra ile Ubelle kasabaları arasında Dicle üzerinden seyahat ediyorduk. Ay ışığında Eyle'ye yaklaştığımızda bir kumandana âit etrafı manzaralı güzel bir köşkün yanına geldiğimizde baktık ki, köşkün balkonunda bir adamın yanındaki bir câriye tegannî edip duruyor ve bu arada:

"Her gün ayrı bir renge giriyorsun, bu senin için güzel bir hareket değildir." dedi. Bu esnâda köşkün altında, elinde ibrik, sırtında eski bir kaftanı olan bir genç de onu dinliyordu. Genç, câriyenin bu şiirini duyunca, "Allah aşkına şu şiirini bir daha söyle. Zîra benim Allah ile halim böyledir." dedi. Câriye de efendisinin müsâadesini aldıktan sonra gence dönerek bu şiirini birkaç defa tekrar etti. Genç, "İşte Allahü Teâlâ'ya karşı benim halim budur." diyerek bir sayhâ çekti ve öldü. Bu manzara karşısında, "Bize farz terettüb etti, farz ile karşılaştık." dedik. Yâni farz-ı kifâyeden olan cenâzeyi defnetmek işidir. Bekledik; Basra ve Eyle'ye de haber gitti. Köşkün sâhibi hemen cariyeyi âzâd etti. Her taraftan cemâat geldi ve cenâzeyi defnettik. Bu sırada köşkün sâhibi; "Şâhid olunuz, bütün malımı Allah rızâsı için fedâ ediyorum. Bü-

---

[34] Tirmizî ve İbn Mâce. Ebû Hüreyre'den rivâyet etmişlerdir.

[35] Ebû Bekir Muhammed b. Dâvûd ed-Dinûrî'dir. Şam vilâyetinin büyük şeyhlerindendir. Hicrî 350 yılına kadar yaşamıştır.

tün câriyelerim âzâddır. Bu köşkü de yolculara bıraktım." diyerek elbisesini çıkarıp attı. Sırtına bir gömlek alarak burnu doğrultusuna gitti. O günden sonra kendisinden bir daha haber alınamadı. Bundan maksat şudur: Bu genç, her halinde Allah ile beraber idi ve muâmelesinde hüsn-ü edebe riâyetten âciz olduğunu biliyor, kalbinin değişmesinden ve bâzen Hak'tan meyletmesinden üzülüyordu. Binâenaleyh hâl-i pür-melâlini dile getiren bu şiirleri duyunca, bir an için, Allahü Teâlâ'yı kendisine hitâb ediyormuş gibi farzettiğinden; "Her gün ayrı bir boyaya giriyorsun, bu senin için güzel değildir." itâbını duymuş gibi oldu ve utancının şiddetinden öldü. İşte bu zât da cariyenin şiirinden bu mânâyı anladı.

Kimin semâı Allah'tan, Allah için ve Allah'ta olursa, Allahü Teâlâ'nın zât ve sıfatı ile alâkalı ilim kanunlarını iyice bilmesi lâzımdır. Aksi takdirde semâdan Allah hakkında muhal olan bir mânâ çıkarır ve küfre gider. Mübtedî olan mürîdlerin semâı tehlikelidir. Ancak Allahü Teâlâ'nın sıfatlarını ilgilendirmeden, duyduğu şiirleri kendi hali ile tatbik ederse, zarar vermez. Duyduğu beyitlerden hatâya düşebilmesinin misâli, yine bu beyt olabilir. Şöyle ki: Yukarıda anlattığımız tevcîhin aksine olarak hitâb edeni kendisi, muhatabı da Allahü Teâlâ'yı kabul ederek; âdeta Allahü Teâlâ'ya hitâb edercesine "Her gün ayrı bir renge bürünüyorsun." diye bir mânâ çıkarırsa küfre gider. Bu şekil bir tevcîh, sırf cehâletle olabileceği gibi, kendi anlayışına göre ilmin kendisini sevk ettiği cehâlet de olabilir. O da, kendi halinin ve hattâ bütün âlemin değişikliğini Allahü Teâlâ'dan bilmesidir. Bu bir gerçektir. Çünkü her şey Allahü Teâlâ'nın kudretindedir, dilediği tarafa çevirir. Bâzen kalbini açar, her şeyi ona açıklar, bâzen kahrı tecellî ederek kalbini kapatır, bâzen kalbini nûrlandırır ve bâzen de karartır. Bâzen tâat ve ibâdâta devâm ettirir, bâzen de hak yoldan ayırmak için şeytanı kalbine musâllat eder. Bütün bunlar, Allahü Teâlâ'nın halk (yaratma) ve irâdesiyle olduğunda şüphe yoktur. Fakat böyle peyderpey, farklı işler kendisinden sâdır olan kimseye, âdeten değişik fikir ve renkler sâhibi denilir. Hattâ belki de bu şâir, sevgilisini, kendini kabul edip reddetmekte, uzaklaştırıp yaklaştırmakta muhtelif renklere girdiğini kasdetmiştir. Mânâ bu olunca, Allahü Teâlâ hakkında da böyle düşünmek, küfürden başka bir şey değildir. Belki lâyık olan, Allahü Teâlâ'nın kullarının aksine olarak renk verdiği halde kendisi renklenmediğini, başkalarını değiştirdiği halde kendisinin değişmediğini bilmektir. Mürîd bu ilmi, îmanı taklîd etmekle öğrenebileceği gibi, ârif-i billâh olanlar da keşf-i hakîkî ile bilebilirler.

İşte bu, akılları hayrete düşüren rubûbiyet vasıflarındandır. Ancak O'dur ki, kendisi değişmediği halde başkalarını değiştirir. Ondan başka her şey kendini değiştirmeden, başkasını değiştiremez. Vecd sâhiplerinden bâzıları âdeta müthiş bir sarhoşluk halini alır ve Allah'a itâb edercesine sözler sarf eder. Allahü Teâlâ'nın, kalplere hâkim olmasını ve iyi halleri farklı olarak vermesini inkâra da kalkışır. Hâlbuki sıddîkların kalplerini sâfîleştiren ve aldanmışların gönüllerini uzaklaştıran O'dur. Verdiğine kimse mâni olamadığı gibi, vermediğine de kimse veremez. Kâfirlere tevfîkini geçmiş cinâyetleri yüzünden kesmediği gibi, peygamberlere de tevfîk ve hidâyet nûrunu geçmiş bir sebebe mebnî vermiş değildir. Fakat Allahü Teâlâ:

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ

"Rasûl olarak gönderdiğimiz kullarımız için kelâmımız sebkat etmiştir." (Sâffât sûresi, 37/171) buyurmuştur. Diğer münkirler hakkında da:

وَلٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنّ۪ي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَع۪ينَ

"Lâkin bizden hüküm sâbık oldu ki; elbette cehennemi, cin ve insanlarla dolduracağım" (Secde sûresi, 32/13) buyurmuştur. Diğer bir âyette de şöyle buyurmuştur:

إِنَّ الَّذ۪ينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنٰى أُو۬لٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ

"Onlar ki, kendileri için bizden hüsnâ ve iyilik sebkat etmiştir. Onlar cehennemden uzaklaştırılır." (Enbiya sûresi, 21/101)

Şâyet, "Bütün insanlar kul olmakta ortak oldukları halde haklarındaki geçmiş hükümler neden böyle ihtilâf ediyor?" diye hatırına bir şey gelirse; "Allah'tan utan, edebin hudûdunu aşma. Zîra O, yaptığından mesûl değil, fakat kullar mesûldür." diye hitâb gelir.

Ömrüme yemîn ederim ki; dili ve zevâhiri terbiye etmeye çokları muktedir olabilir. Fakat yaklaştırmak, uzaklaştırmak, saadet ve şekavet ebedî olarak kalması ile beraber, başkalarını saîd etmek ve şakî etmek gibi zâhirdeki ihtilâfları içinde düşünmekten uzaklaştırıp bu hususta bâtını, kalbini ve sırrını terbiye edebilenler pek azdır. Buna ancak ilimde rusûh bulanların gücü yeter. Bunun için rüyasında semâ ve mûsiki hakkında Hızır aleyhisselâma soran kimseye Hızır aleyhisselâm: "O kaypak bir taştır, üzerinde ancak âlimler durabilir." demiştir. Zîra semâ, kalbin gizli hallerini ve esrârını harekete geçirir ve edebin zararlarını aşacak şekilde insanı sarhoş eder. Ancak hidâyet nûru ve lütuf ve ismetiyle koruduğu kimseler müstesnâ kalır. Bunun için bâzıları: "Ne olaydı başa baş, yâni ne kâr, ne de zarar, bu semâdan kurtarsaydık." demişlerdir. Bu şekilde semâdan olan tehlike, şehveti tahrîk eden mûsikideki tehlikeden daha büyüktür. Çünkü şehveti tahrîk eden mûsikinin sonu günâhkâr olmaktır. Fakat bu kabilden olan semâın sonu küfürdür.

Bilmiş ol ki: Anlayış, dinleyicinin halet-i rûhiyesine göre değişir. Aynı beyti dinleyen iki kimse, anladıkları mânâya göre vecde kapılır; bunlardan birisi doğru, diğeri yanlış anlayabilir yâhut her ikisinin de anladıkları ayrı ayrı mânâlar da doğru olabilir. Her ikisi birbirine zıt ayrı ayrı mânâlar anlamışlar, fakat kendi hallerine nisbetle, tenâkuza düşmemiş olabilirler. Nitekim Utbetü'l-Gulâm'dan rivâyet edildiğine göre bir şâirin:

"Yer ve göklere hâkim olan Allah'ı tesbîh ederim. Sevenler, mihnet ve meşakkat içindedir." Söylediğini duyunca, doğru söylüyorsun, dedi. Bu beyti duyanlardan başka birisi de, yalan söylüyorsun, dedi. Buna karşılık bâzı basîret sâhipleri, her ikisinin de isâbet ettiklerini söylediler ki, hakikat da budur. "Doğrudur" sözü, henüz murâdına eremeyen ve vuslat kapıları kendisine kapalı olan âşıkın sözüdür. "Yalandır" sözü de mahabbetle ünsiyet peydâ edip, ifrât derecede sevgisinden zevk alıp da üzülmeyen kimsenin, veyâ bu anda murâdından men edilmeyen ve ilerde böyle bir tehlike ihtimâli olmayan kimsenin sözüdür. Çünkü ümîd ve hüsn-ü zan kalbini kaplamıştır. İşte görüldüğü gibi, şahısların halet-i rûhiyelerinin farklı olmasıyla anlayış, idrâk ve fehmleri de değişiklik arzeder.

Ebû'l-Kasım b. Mervân'dan hikâye olunduğuna göre: Uzun yıllar semâı terk ederek Ebû Said el-Harraz'a arkadaş olmuştu. Bir gün bulunduğu bir dâvette şâirin biri:

"Susamış olup, su içinde bulunduğu halde, kendisine su verilmez." mealindeki şiirini okuyunca, oradakilerin hepsi vecde geldi. Bu hal kendilerinden geçince onlara:

– "Bu beyitten ne anladınız?" diye sordu. Onlar:

– "İyi hallere susamış olduklarını ve sebepler mevcûd iken, ondan mahrûm oldukları" mânâsını anladıklarını söylediler. Fakat bu îzah Ebû'l-Kasım'ı tatmin etmedi. Bunun üzerine onlar:

– "Ya siz ne anladınız?" diye sorduklarında, Ebû'l-Kasım:

– "İnsan, hallerin[36] ortasında olup, kerâmetlerle de tekrîm edildiği halde, o hal ve kerametlerden kendisine zerrecik nasip verilmemiş kimsenin halini anlatır." dedi.

Bu da **"ahvâl"** ile **"kerâmet"**in ötesinde bir de **"hakikat"**ın bulunduğuna işârettir. Şöyle ki: **"haller"** onun sâbıkası, **"kerâmet"** de onun mukaddimesidir. **"Hakikat"** onlardan sonra gelir. Aslında onların anlayışları ile kendi anlayışı arasında bir fark yoktur. Fark, susamış olanların kendi hallerindedir. Çünkü iyi hallerden mahrum olan, önce ona susamıştır. Ancak onu elde ettikten sonra diğerlerine geçer. Anlaşılıyor ki, Ebû'l-Kasım **"hakikat"** peşinde; onlar ise **"hal"** peşindedirler. Aralarındaki ihtilâf mânâları anlamakta değil, kendi rütbelerindedir.

Merhûm Şiblî de çok kere şu beyit okundukça vecde gelirdi;

"Dostluğunuz ayrılık, sevginiz düşmanlıktır. Vuslatınız ayrılık, sulhunuz harptir."

Bu beyti, bâzısı hak, bâzısı da bâtıl olmak üzere muhtelif şekillerde dinlemek ve anlamak mümkündür. En açık mânâsı, bunu insanlar üzerinde, bütün dünya varlıklarında ve hattâ Allahü Teâlâ'dan başka ne varsa, hepsi üzerinde tatbik etmektir. Zîra dünya, sâhibini öldüren hilekâr ve aldatıcı bir varlıktır. Dost göründüğü halde esâsında en büyük düşmandır. Dünyalıktan sevinçle dolan bir ev sonunda ağıt ile dolmaya mahkûmdur. Nitekim haberde böyle vârid olmuş ve Sa'lebî de dünyayı anlatırken şu beyitleri söylemiştir:

---

[36] **"Hâl"** ve **"makam"** tasavvufi tâbirlerdendir.

تَنَحَّ عَنِ الدُّنْيَا فَلَا تَخْطِبَنَّهَا   وَلَا تَخْطِبَنَّ قَتَالَة مِنْ تَنَاكُح
فَلَيْسَ يَفِي مَرْجُوُّهَا بِمَخْوَفِهَا   وَمَكْرُوهِهَا أَمَا تَأَمَّلْتَ رَاجِح
لَقَدْ قَالَ فِيهَا الوَاصِفُونَ فَأَكْثَرُوا   وَعِنْدِي لَهَا وَصْفٌ لَعَمْرِي صَالِح
سَلَاف قِصَارَاُهَا زعَاف وَمَرْكَبٌ   شَهِيٌّ إِذَا اسْتَذْلَلَتَهُ فَهُوَ جَامِح
وَشَخْصٌ جَمِيلٌ يُؤْثِرُ النَّاس حُسْنَه   وَلَكِنْ لَهُ أَسْرَارُ سُوءٍ قَبَائِح

"Dünyadan vazgeç sakın onu isteme,

"Ondan umduğun, korktuğunu karşılamaz.
Düşünürsen, kötülüğü daha çoktur.

"Onu anlatanlar onun hakkında söyledi ve sözü çok uzattılar.
Ben de onun öyle bir vasfı var ki, yemîn ederim o yeter.

"O bir içkidir ki, sonu acı ve karışıktır. İştiha edilir;
tadını aldığın zaman, seni yolun kenarında yüz üstü bırakır.

"Aynı zamanda insanları hayran bırakan güzel bir şahıs
gibidir. Fakat onun gizli ve kötü halleri vardır."

İkinci mânâ; beyti, Allahü Teâlâ hakkında kendi kendine tenzîl etmek, bu beyt ile kendisinin Allahü Teâlâ'ya karşı vaziyetine işâret etmektir. Zîra düşündüğü zaman, Allah'ı mârifetinin cehl olduğunu anlar. Çünkü Allahü Teâlâ'yı künhü ile kimse bilemez. Tâati ise riyâdır; hakkıyla müttakilerden değildir. Allahü Teâlâ'yı sevdiğini iddiâ etmesi de mâlûldür. Çünkü Allah sevgisi karşısında şehevî arzularının hiç birinden geçmemiştir. Allahü

Teâlâ kime hayır dilerse, kendi ayıplarını ona gösterir ye ondan vazgeçirir. Her ne kadar gâfillere nispetle daha üstün mertebede olsa bile, yine bu beytin tezâhürlerini kendisinde görür. Bunun için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلٰى نَفْسِكَ

"Ben seni gereği gibi marifetten ve medh u senâdan âcizim. Sen, zâtını tavsîf ettiğin gibisin."[37] buyurdu. Diğer hadîste de şöyle buyurmuştur:

إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ فِي الْيَومِ وَاللَّيْلَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً

"Ben yirmi dört saatte yetmiş kere Allah'a tövbe ederim." Şüphesiz onun istiğfarı, her ne kadar arkadakilere nispetle daha ileride olsalar da, öndekilere nispetle daha uzakta kalan bâzı hallerdendir. Zîra her yakınlığın ilerisinde daha yakınlık vardır. Zîra Allah'a giden yollar nâmütenâhîdir. Yakınlığın son noktasına varmak ise muhaldir.

Üçüncü mânâ; sâlik, ilk hallerine bakarak onlara râzı olur. Sonra netîcelerine bakarak onlarda saklı bulunan aldanmaları anlayınca onları hakîr görür. Bütün bunları Allah'tan bilerek, Allahü Teâlâ'nın kazâ ve kaderinden şikâyet etmek üzere, beyti Allahü Teâlâ hakkında dinlemiş olmasıdır. İşte bu, yukarıda da anlattığımız gibi küfürdür. Görülüyor ki, hangi beyit olursa olsun, muhtelif mânâlarla izâh edilir. Bu da dinleyicinin ilmi kabiliyeti ve kalp sâfiliği nispetindedir.

Dördüncü hal; Dördüncü hal de, hal ve makamları geçenlerin semâıdır. Bu adam Allah'tan başka her şeyi kaybetmiş, hattâ nefsinde, nefsinin hal ve muâmelelerini de kaybetmiş, kendinden geçmiş, müşahede deryâsına dalmış ve orada her şeyi şaşırmış kalmış bir kimsedir. Bu adam, Yûsuf'un güzelliğine hayran kalarak şaşıran ve ellerini kestikleri halde acısını duymayan Mısır kadınları gibi olmuş ve hissi iptâl edilmiştir. Sûfiler buna "Nefsinden geçmiş." kimse derler. Nefsinden geçen, başkalarından haydi haydi geçmiştir. Hattâ şuhûddan da vazgeçerek yalnız vâhid-i meşhûd ile kalmıştır. Zîra kalp, şahide ve nefsine baktığı zaman, meşhûddan gâfil olabilir. Bütün varlığı ile görülen şeye bakan kimse bu istiğrakı halinde ne kendi bakışına, ne de görme vâsıtası olan gözüne, ne de bu görüşten zevk alan kalbine bakar. Zîra sarhoşun sarhoşluğundan ve zevk alan kimsenin zevk almasından haberi olmaz.

---

[37] Yukarıda geçti.

Ancak zevk aldığı şeyden haberi olur. Bunun benzeri, bir şeyi bilmektir. Yâni ona ilimdir. Bir şeyi bilmek, onu bildiğini bilmeye muğâyirdir. O şeyi bilmek başka ve o şeyi bildiğini bilmek de başkadır. Bir şeye âlim olan kimse, o şeye âlim olduğuna dâir ilim kendisine gelirse, o şeyden yüz çevirir. Bu hal, hem mahlûka, hem de Halik'a karşı olur. Lâkin, umûmiyetle fazla devâm etmez, şimşek gibi gelir geçer. Şâyet devâm edecek olsa, beşer kuvveti buna güç yetiremez. Çok defa bunun ağırlığı altında helâk olur. Nitekim **Ebû'l-Hasan en-Nûrî**[38] bulunduğu bir mecliste:

"Sana olan aşkımdan, akılların hayran kalacağı derecelere inerim." şiirini duyunca, hemen vecde gelerek ayaklandı ve yüzüstü kapandı; gövdeleri kesilmiş, kökleri bıçak gibi keskin kamışlar üzerine düştü. Onların üzerinde titreşerek sabaha kadar bu beyti tekrarlayıp durdu. Vücûdu kan içinde kaldı ve bundan haberi olmadı. Bir müddet sonra da öldü. (Allah rahmet etsin.)

---

[38] Bağdadlı ve Cüneyd'in emsâli bir zât olup, Hicrî 398'de ölmüştür.

İşte bu anlattığımız, vecd ve anlayışın sıddîklar derecesidir ve derecelerin en üstünüdür. Zîra haller üzerinde semâ, kemâl derecesinden düşüktür. Çünkü semâ, beşerî vasıflar ile karışık bir nevî kusurdur. Asıl kemâl, nefsinden ve nefsin hallerinden tamamen geçmektedir. Mısır kadınlarının bıçaklar ile kesilen ellerine kıymet vermeyip iltifât etmedikleri gibi, artık o da tamamen nefsini unutur ve ona aslâ iltifât etmez. Bütün duyduğu Allah'tan, Allah için ve Allah ile olur. İşte bu rütbe, hakikat derinliklerine dalıp hal ve ameller sâhilini geçen tevhîdin parlaklığına ulaşan, tâm mânâsı ile ihlâsı gerçekleştiren ve kendisinde hiç bir şey bırakmayıp, beşeriyet vasıflarını kökünden kurutan ve beşerî vasıflara iltifatı kökünden yok eden kimselerin rütbesidir. Ben burada "Yok olur." derken, cesedinin yok olmasını değil, kalbinin yokluğunu kastediyorum. Kalbinin yokluğundan da sol taraftaki et ve kandan ibâret kalbi değil; o kalp ile gizli iltifât, alâka ve râbıtası bulunan ve Allâh'ın emrinden olan kalb-i rûhânîyi kastediyorum. Onu, bilen bilir, bilmeyen bilmez. İşte o rûhânî kalp dediğimiz sırrın bir vücûdu vardır. O vücûdun sûreti orada yâni kalpte hazırlanan şeydir. Başkası hazırlanırsa, artık vücûd, bu hâzırlanan şey olur. Bunun benzeri aynadır. Zîra aynada bir sûret yoktur. Orada kim hazırlanırsa, onun rengini alır. Bardak da bunun gibidir. O da içinde ne varsa onun rengini alır ve onu gösterir. Haddi zâtında belli bir rengi yoktur; onun rengi, içine girenlerin rengini kabul etmeye elverişlidir. Bu hakikat yâni kalbe hazırlanana nispetle kalbin sırrını, şâirin şu şiiri gâyet güzel ifâde eder:

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَقَّتِ الْخَمْرُ   فَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ الْأَمْرُ
فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قدْحٌ   وَكَأَنَّمَا قدْحٌ وَلَا خَمْرُ

“Bardak inceldi, şarap inceldi;
birbirine benzedi ve ayrılmaları güçleşti.

Sanki şarap var, bardak yok;
yine sanki bardak var, şarap yoktur.”

İşte bu anlattığımız, mükâşefe ilimlerinin makamlarından bir makamdır. Hulûl ve ittihad, vahdet-i vücûdluk bundan neşet etti de **Hallâc-ı Mânsûr**: “Ene’l-Hak”, **Bâyezîd-i Bestamî** de “Sübhânî mâ a’zama şânî” dediler.[39] Hıristiyanların teslîs akidesi “Lâhût” un “Nâsût” ile ittihad dâvaları bunun etrafında döner. Ya onu ona sardırırlar veyâ hulûl ettirirler ki, kendileri de bu hususta ihtilâf halindedirler. Bu, açık bir hatâdır. Aynanın karşısındaki kırmızı rengi aynada görüp aynaya “kırmızıdır” diyenin sözüne benzer. Vaktâ ki bu hususta derinlemesine konuşmak muâmele ilmine yaraşmadı ise biz yine gâyemize dönelim.

İkinci Makam

İkinci makam, şiiri anlayıp bir dereceye yerleştirdikten sonra hâsıl olan vecd makamıdır. Vecdin hakikatinde, sûfilerle semâın rûh ile münâsebetini inceleyen hukemânın uzun sözleri vardır. Önce bunların bâzı sözlerini sonra da bu husustaki hakikati îzah edelim.

MUTASAVVİFENİN SÖZLERİ

Zünnûn-i Mısrî (Allah rahmet etsin) diyor ki; Semâ, Hak’tan gelir ve kalbi Hakk’a doğru tahrîk eder. Hak yönünden ona eğilen, Hakk’ı bulur. Nefis ve şehvet yönünden ona meyleden de zındıklaşır. Demek oluyor ki: Vecdi, gönülleri Hakk’a çevirmekle târif etti. Kendisi semâda bu hali duyduğu için ona "Vârid-i Hak-Hak'tan gelir." adını vermiştir.

---

[39] Mehazı bulunamamıştır.

Ebü'l-Hüseyn ed-Dirac da semâdaki vecdinden haber vermiş olacak ki: "Vecd, semâ esnâsında bulunan bir halden ibarettir." dedi ve devamla, "Hal meydanında semâ beni oynattı, bahşiş olarak bana Hakk'ı buldurdu, bana halis bardaklardan sâfi şerbet içirdi ve bu sâyede rızâ mevkiine yükseldim de beni fezâ bahçelerinde tenezzühe ulaştırdı." dedi.

Şiblî (Allah rahmet etsin): "Semâın zâhiri fitne, bâtını ise ibrettir. İşâretten anlayan kimseye ibâre dinlemek helâldir. İşâretten anlamazsa fitneyi uyandırabilir ve felâketlerle karşılaşır." dedi. Diğer birisi: "Semâ, mûsiki mârifet erbâbı için rûhun gıdasıdır. Zîra o, diğer amelleri çeken bir vasıftır. Tabiat yönünden dinleyenler, tabiatın inceliği ile onun inceliğine ulaşır, kalpte sırrın sâfiliği ile onun sefâsına ve ehli katındaki letâfetine ulaşır."

Amr b. Osman-ı Mekkî:[40] "Vecdin keyfiyeti ibâre ile ifâde edilemez. Zîra vecd, yakîn sâhibi mü'minlerin kalbinde Allahü Teâlâ'nın bir sırrıdır." demiştir. Diğer bâzıları da: "Vecd, Hak'tan gelen bir mükâşefedir." demişlerdir.

Ebû Saîd b. el-A'râbî[41] de: "Vecd; perdelerin kalkması, murakabe, müşâhede, duyduklarının mânâsında anlayışın huzûru, gaybı mülâhaza, lisân-ı sır ile konuşmak ve nerede olursan ol etrafında bulunan mefkûd, gayb ile ünsiyet peydâ etmektir." demiştir. Yine bu zât şöyle demiştir: "Vecd, havassın ilk derecesidir. Bu, gaybe îmanın neticesidir. Rûhânî kuvvetle bunun zevkine varıp kalplerine nûru akıtıldığı zaman, bütün şek ve şüpheden kurtulurlar." Yine bu zât: "Semâda vecde mâni olan, nefsin eseri ve diğer münâsebet ve sebeplerle alâkalanmaktır. Zîra nefis, bütün sebepleri ile Hak'tan mahcûb ve memnûdur. Ne zaman ki sebepleri kalkar, o zaman zikir halis olur, kalp gafletten uyanır, incelir, parlar; vâ'z u nasîhat kendisine tesîr eder. Gizli münâcattan garib bir makama yükselir ve orada kendisine hitâb edilir. Huzûr-i kalb ve duyduğunu zabteden bir kulak ile o hitâbı dinler ve gaybı müşâhede edebilirse, işte bu an onun vecd anıdır. Zîra o, yok olanı yanında hazır bulmuştur." dedi. Yine bu zat şöyle demiştir: "Vecd; Hakk'ı tahrîk eden zikir, rûyete mâni olduğu için, ıstırap veren korku, sâdır olan zelleye tevbîh, ince ve tatlı sohbet, bir faydaya işâret, gâibe iştiyâk, kaybettiğine üzülmek, geçmişe nedamet, veyâ bir vâcibe dâvet veyâ gizli münâcât anında meydana gelen bir haldir. Vecd, zâhiri zâhir ile, batını bâtın ile, gaybi gayb ile ve sırrı sır ile karşılaştırmak demektir. Ayrıca geçmiş kazançlarından aleyhinde olan şey ile beraber lehinde olanı meydana çıkarmaktır. O şey, senden meydana çıktıktan sonra, yine senin için yazılır ve senin için ayaksız ayak, zikirsiz zikir yazılır. Her ne kadar nîmeti veren bütün işlerin mütevellîsi olan O ise her şey O'na rücû ederse de, vaziyet budur." İşte vecd ilminin zâhiri budur. Vecd hakkında sûfîlerin buna benzer daha pek çok sözleri vardır.

---

[40] Ebû Abdullah, kavminin şeyhidir, tarikat ve usûlde imamlarıdır. Hicrî 271 de Bağdad'da ölmüştür.

[41] Basralı Ahmed b. Muhamed b. Ziyad'dır. Cüneyd'in arkadaşıdır. Harem'de mücâvir kalmıştır. Hicrî 341'de ölmüştür.

HUKEMÂNIN SÖZLERİ

Hukemâya gelince: Bâzıları semâ ve vecd hakkında şöyle diyorlar: Kalpte öyle şerefli bir fazîlet var ki, lisân onu ifâde etmek sûreti ile açığa çıkaramaz. O ancak lahn ve tegannî ile açığa çıkar, açığa çıkınca nefis neşelenir ve oynamaya başlar. Artık o kimse nefsini dinler, onunla konuşur ve zevâhiri terk eder.

Diğer bâzıları da şöyle demiştir: "Semâın netîcesi, bozulan ve tembelleşen fikir ve düşüncelerini düzelterek, rey ve fikirlerinde isâbet edip hatâdan ve tembellikten kurtulmaktır." Diğer birisi; "Fikir ve düşünce, ilmi mâluma doğru çektiği gibi, semâ da kalbi âlem-i rûhânîye çeker." dedi. Bir başkasına, lahn ve tegannîye uygun olarak insan bedeninin hareket etmesinin hikmetinden sorduklarında: "Buna aşk aklı denir. Aklın aşkı, mâşukuna aşkını dil ile ifâdeye muhtaç değildir. Belki gülümseme, göz, kaş oynatması ve buna benzer latîf hareket ve işâretlerle ifâde eder. Bunlar daha mükemmel ifâdelerdir. Ancak bunlar rûhânîdirler. Aşk-ı behîmîye gelince; bu da merdûd ve zayıf olan aşkının görünüşünü ifâde için mantıkını yâni dilini kullanmak zorundadır." dedi. Diğer birisi de: "Mahzun olan bir kimse lahn (nağme) ve tegannî dinlesin. Çünkü hüzün, girdiği gönlü dondurur ve nûrunu söndürür. Lahn (tegannî) ile râhatlandığı zaman, onun nûru yeniden parlamaya başlar, sevinci tezahür eder. Kabiliyeti nisbetinde hüznünü kaldırır. Bu da kalbin mânevî kirlerden temiz ve sâfiliği derecesine göredir. Semâ ve vecd hakkında çok sözler vardır. Artık bunları uzun uzun anlatmaya lüzum yoktur. Biz vecdin neden ibâret olduğunu anlatmaya çalışalım.

Vecd, semâın doğurduğu bir keyfiyettir. Semâın akabinde Hak'tan gelir ve dinleyen onu içinden duyar. Bu halet ve keyfiyet iki kısımdan hâlî değildir. Ya neticesi müşâhede ve mükâşefeye varır ki, o zaman ilimler ve ikâzlar kabilinden olur. Veya ilimden sayılmayan iştiyâk, korku, hüzün, ıstırap, neşe, esef, pişmanlık, ferahlık ve sıkıntı gibi bâzı haller ve değişikliklere sebep olur. Bu halleri semâ heyecanlandırır ve âdetin hilâfına olarak harekete geçirir. Şâyet, âdete muhalif olacak şekilde kendini harekete geçirmez, teskîn etmez veyâ titremek, sıkıntı duymak ve âdetinin hilâfına konuşmak ve hareket etmek gibi haller göstermeyecek şekilde zayıf olursa, ona vecd denmez. Şâyet bu haller görülürse, zûhuru, görünüşteki değişikliği, hareketindeki kuvvet ve zayıflığı nispetinde kuvvetli veyâ zayıf, vecd adını alır. Bâzen sâhibi kuvvetli olduğu için vecd kuvvetli olur fakat içinde kalır ve hâriçte tesîrini göstermez. Bâzen de gelen vâridler zayıf olup bağları gevşek olduğu için harekete geçiremez. Birinci mânâya işâret olarak **Ebû Saîd b. el-A'râbî** vecd hakkında: "O, rakîbi müşâhede, anlayışı hazırlamak ve gaybı mülâhazadır." dedi. Önceden keşfedilmemiş bâzı şeylerin semâ vâsıtası ile keşfedilmesi uzak bir şey değil. Çünkü keşif, muhtelif sebeplerle olabilir.

Onlardan birisi, tenbîh yâni uyarmaktır. Semâ uyarıcıdır.

Diğer birisi de, hallerin değişmesi ve onları kendisinde bilip anlamasıdır. Onları anlamak, daha önceden bilinmeyen bir takım şeyleri açıklayan bir nevî ilimdir.

Keşfin sebeplerinden birisi de, kalbin cilâlanmasıdır. Semâ, kalbi cilâlandırır. Cilâ da keşfi doğurur.

Keşif sebeplerinin birisi de, semâın yardımı ile kalp neşesinin uyanmasıdır. Bu sâyede daha önce güç yetiremediği şeyleri müşâhedeye güç yetirir. Nitekim devenin, devecinin şarkıları sâyesinde daha önce taşıyamadığı ağır yükleri taşıyabilmesi gibi. Devenin işi ağır yükleri taşımak olduğu gibi, kalbin işi de melekûtun esrârını düşünmek ve keşif yolu ile müşâhede etmektir. İşte bu sebeplerdendir ki semâ, keşfe sebep olabilir. Belki kalp temizlenip cilâlandığı zaman, basîret gözü ile uyanıklık halinde Hakk'ı müşâhede eder veyâ hatîften (gâibten) kendisine sesler gelebilir. Uyku halinde de rüyâ ile bunlara ulaşabilir. Rüyâ ise nübüvvetin kırk altı cüz'ünden bir cüzdür.[42]

---

[42] Rasûl-i Ekrem'in nübüvveti 23 senedir. Bunun altı ayı rüya ile geçmiştir.

Bu keşfin hakikatini öğreten ilim, muamele ilmi dışındadır. Nitekim **Muhammed b. Mesrûk-ı Bağdadî** şöyle anlatıyor: Gençliğimde çakır keyif bir gece gezintisinde kendi kendime şu şiiri söyleyerek gidiyordum:

"Tûr-i Sînâ'da öyle bağlık var ki; oraya uğradığımda, o üzüm sularını bırakıp su içenlere şaşarım."

Tam bu sırada hatîften şöyle bir ses duydum:

"Cehennemde öyle bir su var ki; onu boğaz sordukça (yudum yudum içtikçe) bağırsaklar ağzına gelir."

İşte benim tövbe ederek ilim ve ibâdetle meşgul olmama sebep olan hâdise budur. Şimdi kalbi temizlemekte tegannînin tesîrini gör. Hattâ hakikat, vezinli ve mânâsı anlaşılan sözlerle kendisine tecellî ederek kulaklarını çekti ve kendisi de halini düzeltti.

Müslim Abadânî diyor ki: Bir defa Sâlihü'l-Merî, Utbetü'l-Gulâm, Abdülvâhîd b. Zeyd ve Müslim el-Esvârî bizim memlekete geldiler ve sâhile indiler. Bir akşam kendilerini dâvet ettim. Sofraya oturdukları sırada birisi:

"Ebedî makam olan cennetten, yemekler ve azgınlığı hiç bir fayda sağlamayan nefis zevkleri seni meşgul eder." dedi. Bunu duyan Utbetü'l-Gulâm, bir sayha ederek bayıldı, düşdü. Cemâat da bir lokma yemeden yemekler ortada kaldı. Yemeğin tadına bakmadan sofraları kaldırdım. Kalp cilâlanmış iken, hatîften sesler duyulabileceği gibi, Hızır aleyhisselâmın sûreti de müşâhede edilebilir. Hızır, basîret sâhibi kimselere muhtelif şekillerde görünebi-

---

Yirmi üç senenin altı ayı ise kırk altıda bir ay eder. Çünkü yirmi üç senede kırk altı ay vardır. Bu bakımdan Rasûl-i Ekrem'in rüya ile peygamberliği, nübüvvetin kırk altıda bir cüz'ü olmuştur.

lir. İşte melekler de bu hallerde peygamberlere görünür; ya gerçek sûretleri ile veyâ bâzı halleri temsil ve hikâye edecek kılık ve kıyâfetlerde görünürler. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), Cebrâil aleyhisselâmı iki defa asıl sûreti üzerinde görmüştür. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), *“Ufku doldurmuştu.”* buyurdu. Allahü Teâlâ’nın:

عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوٰى، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوٰى، وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلٰى

“O vahyi ona öğreten, kuvveti şiddetli Cebrail’dir. O, akıllı ve memûriyetinde müstakimdir. O, ufuk-ı âlâda idi.” (Necm sûresi, 53/5-7)

İnsanın kalbi böyle cilâlandığı sıralarda başka gönüllerde saklı olan şeyleri de keşfedebilir ve buna firâset denir. Nitekim Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

اِتَّقُوا فَرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللّٰهِ تَعَالٰى

“Mü’minin firâsetinden sakınınız. Zîra o, Allahü Teâlâ’nın bahşettiği nûr ile bakar.”[43] buyurmuştur.

Hikâye olunduğuna göre; Mecûsî’nin biri Müslümanlar arasında dolaşarak, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’in:

“Mü’minin firâsetinden korkunuz.” hadîsinden ne demek istendiğini sorar. Aldığı cevaplar kendisini tatmîn etmez. Nihâyet sûfilerden bir zâta giderek, bu hadîsin mânâsını suâl eder. (Tabiî Mecûsî, Mecûsiliğini gizlemiştir ve Mecûsi olduğunu bilen yoktur.) Mezkûr zât cevâbında: “Belinizde gizli kuşandığınız zunnârı kesmenizdir.” diye cevap verince, Mecûsî tasdik ederek Müslüman olur. Ve “Şimdi senin mü’min olup îmânının hak olduğunu anladım.” der.

---

[43] Tirmizî Ebû Saîd’den rivâyet etmiştir.

Yine hikâye olunduğuna göre; **İbrâhim el-Hayâs** şöyle demiştir: Bağdâd câmiinde fakirler ile otururken güzel kokulu, parlak bir genç içeri girdi. Ben yanımdakilere: "Bu gelen gencin Yahudi olduğunu sanıyorum." dedim. Arkadaşlarım bu sözümden hoşlanmadılar. Genç, aleyhinde bir şey söylediğimin farkında idi. Ben oradan çıktım. Genç de arkamdan çıktı ve yine geri dönerek orada bulunanlara benim kendi aleyhinde ne dediğimi sordu. Onlar inkâr ettilerse de o, ısrâr etti. Onlar da, "Senin Yahudi olduğunu söyledi." dediler. Adamcağız oradan gelerek beni buldu, elime ayağıma kapanarak Müslüman oldu. Bu zât şöyle anlatıyor: "Bizler kitabımızda, sıddîkların firâsetinde yanılmadıklarını okumuştuk. Ben de "Şu Müslümanları bir tecrübe edeyim." dedim. "Düşündüm ki, bunlar arasında sıddîk denecek bir kimse varsa ancak şu tâife arasında bulunur. Zîra onlar Allahü Teâlâ'nın sözünü yerine getirir ve âyetlerini okurlar." dedim. "Ve bu maksatla oraya geldim. Şeyh, benim içyüzümü anlayınca bildim ki, bu zât sıddîktır." Sonra da bu genç, hatırı sayılır sûfiler meyânına girdi. Bu gibi keşiflere işâret ederek Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuşlardır:

لَوْلَا أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلٰى قُلُوبِ بَنِي اٰدَمَ لَنَظَرُوا إِلٰى
مَلَكُوتِ السَّمَاءِ

"Eğer şeytanlar Âdemoğullarının gönüllerinde dolaşmasaydı; onlar, göklerin gizliliklerini ve melekût âlemini görürlerdi."[44]

Şeytanların gönüllerde dolaşması, gönüllerin kötü vasıflar ile dolu olması halindedir. Kötü vasıflardan kalbini temizleyip sâfileştiren kimselerin kalplerinin etrafına şeytanlar yaklaşamaz. Allahü Teâlâ'nın:

---

[44] Oruç bahsinde geçti.

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ

“Yalnız onlar arasından hâlis olan kullarım müstesnâdır.” (Hicr sûresi, 15/ 40) ve yine:

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ

“Benim kullarımda senin hiçbir tahakkümün yoktur.” (Hicr sûresi, 15/42) âyet-i celîleleri buna işâret etmektedir.

Semâ, kalbin cilâlanmasına sebep olur. Kalp de cilâlandıkça, hakkı çeker ve hakka yaklaşır. **Zünnûn-ı Mısrî**’den rivâyet edilen şu hikâye de buna delâlet etmektedir. Zünnûn-ı Mısri Bağdâd’a gitti. Sûfilerden bir cemâat başına toplandı, aralarında bir de şâir bulunuyordu. -Onlar şâirin bir şeyler söylemesi için Zünnûn’den izin istediler. Zünnûn müsâade etti ve şâir:

صَغِيرُ هَوَاكَ عَذَّبَنِي   فَكَيْفَ بِهِ إِذَا احْتَنَكَا
وَأَنْتَ جَمَعْتَ فِي قَلْبِي   هَوٰى قَدْ كَانَ مُشْتَرِكاً
أَمَا تَرْثَى لِمُكْتَئَبٍ   إِذَا ضَحِكَ الخَلِى بَكٰى

“Aşkının küçüğü bile beni hasta etti.
Ya bu aşk kuvvetlendiği zaman, hâlim nice olur?
Sen benim kalbimde müşterek hevâlar ve aşklar topladın,
Elem ve kederden hâlî olan kimse güldüğü zaman,
tasasından ağlayana acımaz mısın?”

deyince, Zünnûn, vecde kapılarak ayağa kalkarken yüzüstü düştü. Sonra başka birisi vecde yakalanıp ayağa kalkınca, Zünnûn: “Kalktığın zaman Allah seni görür.” deyince adam oturdu. Zünnûn, adamın zorla vecde gelmek istediğini anladı ve ona başka maksatla vecde gelenlere, onları gören Allahü Teâlâ'nın hasım olduğunu bildirmek istedi. Eğer adam sâdık olsaydı oturmazdı. İşte vecdin netîcesi bir takım haller ve keşiflere yönelir.

Bilmiş ol ki: Keşifler ve haller ikiye ayrılır. Bunlardan bir kısmı ifâkat halinde ifâde edilebilir, diğer bir kısmı da ifâde edilemez. Kelimeler onları anlatamaz. Belki sen iç yüzünü bilmediğin ve tâbiri olmayan bâzı ilim ve halleri inkâr edebilirsin. Fakat sakın böyle yapma ve bunları uzak şeyler sanma. Zîra sen kendi yakın halinde bunun delîlini bulabilirsin.

İlme gelince; Fakîhin biri görünüşte birbirine benzeyen iki mesele ile karşılaşır. Hükümde aralarında fark olduğunu bilir, bunun zevkine varır, bunu açıklamak için uğraşır. Ne kadar fasîh olsa da o ayrılığı ifâde edecek kelimeler bulamaz. Ayrılığın zevkine varır fakat ifâdeden âciz kalır. Bu farkı anlaması kalbinde zevk ile bulduğu bir ilimdir. Elbette kalbinde bu ilmin meydana gelmesinde bir sebep ve onun Allah katında bir hakikati var, fakat onu ifâde etmek mümkün olmaz. Bu imkânsızlık, dilindeki kusurdan değil, belki ibârenin alamayacağı, mânâdaki incelikten-dir. Böyle ince meselelerle uğraşanlar, bu gibi hallerle dâima karşı karşıyadırlar.

Hâle gelince; Nice kimseler vardır ki, sabahleyin gönlünde huzur ve bir inşirah duyar, bâzen de bir sıkıntı ve telâş halinde olur. Ortada mûcib bir sebep olmadığı için, hikmetini anlayamaz. Bunun gibi bâzen insan bir şey düşünür ve öyle müteessir olur ki, düşündüğü şeyi unutur ve o tesîri kendisi duyup anlayacak şekilde gönlünde kalır. Bâzen de duyduğu hal bu sevinç hali olur. Bu neşenin sebebini düşünmekle o sevinç kendisinde yerleşir. O hususta düşündüğünü unuttuğu halde acısını duyar. Bâzen de ifâde edemeyeceği garîb bir hal ile karşılaşır. Ne neşe, ne de hüzüne benzer. İfâde etmekten âciz kalır. Ancak mevzûn şiir ile ifâde edebilir.

Vezinli şiirlerle mevzun olmayan şiirler arasındaki farkı herkes değil, bâzı kimseler anlayabilir. Onu ancak zevk sâhipleri anlar ve düz konuşulan söz ile mevzun arasındaki farkı bilir. Fakat zevk sahibi olmayanlara bunu anlatamaz. İşte nefiste böyle garîb haller vardır. Belki korku, hüzün ve neşe gibi meşhur mânâlar, çalgısız olarak söylenilen ve mânâsı anlaşılan tegannîleri dinlemekten hâsıl olur. Telli çalgılar ve diğer mânâsız nâğmeler, insanın nefsinde acâyip bir şekilde tesîr eder, fakat o acâyipliği ifâde mümkün olmaz. Bâzen buna şevk denir, fakat sâhibi neye müştak olduğunu ifâde edemez ki, bu acâyip bir şeydir. Çalgıları dinlemekle kalbi çarpan kimse, kalbinin neye ve ne için çarptığını bilemez. Kendisinde bir şey arıyormuş gibi bir hal hisseder, fakat ne aradığını bilemez. Bu hal, avamda ve hattâ gönlünde ne Allah, ne de kul sevgisi olan kimselerde de görülür. İşte bunun da bir sırrı vardır. O da iştiyâkın iki rüknü olmasıdır.

Birinci rükün; İştiyâk sahibinin sıfatıdır. O da müştak olduğu kimse ile bir nevi münâsebettir.

İkinci rükün: İkinci rükün de, iştiyâk duyduğu şeyi ve ona ulaşmanın yolunu bilmesidir. Şâyet kendisi ile öyle iştiyâk duyduğun sıfatı bulur ve iştiyâk duyduğun şeyin sûretini de bilirsen, iş meydanda ve kolay olur. Şâyet heves ettiğin şeyin ne olduğunu bilmez ve yalnız içinden bir iştiyâk uyanır ve kalbini ateşlendir irse işte bu, insanda çâresiz bir hayret ve dehşet uyandırır. Meselâ, kadın görmeden ve münâsebeti bilmeden bir çocuk kendi başına yetişir, erginlik çağına erer ve şehveti uyanarak galeyâna başlar. Bu adam, kendinde bir şehvet ateşinin uyandığını anlar, fakat cinsî münâsebetten haberi olmadığı ve kadın yüzü görmediği için, neye müştâk olduğunu bilemez. İşte bunun gibi Âdemoğlunun nefsinde âlem-i âlâ ile bir münâsebet, Sidre-i Müntehâ'da ve Firdevs-i Âla'da vâdedilen zevkler vardır. Fakat o, bunlardan yalnız sıfatları ile isimleri düşünebilir. Hiç bir kadın, insan ve hattâ aynada bile kendisini göremeyen ve yalnız kadın ve münâsebet adlarını duyan kimsenin isim ve sıfatları düşünebilmesi gibidir. Semâ da böylece şevkini uyandırır fakat aşırı derecede cehâleti ve dünya meşgalesi ona nefsini, Rabbini ve tab'an neye iştiyâk duyduğunu unutturur. Ve nefsi, anlamadığı şeylere kendini sürükler.

İşte bu ve benzeri hâllerin tam mâhiyetleri anlaşılmaz ve bunlarla mevsûf olan kimsenin halini ifâde etmesi mümkün olmaz. Bu beyânâtımızla vecdi, izhârı mümkün ve gayri mümkün diye iki kısımda mütâlâa edişimizin doğruluğu anlaşılmış oldu.

VECDİN KISIMLARI

Yine bilmiş ol ki: Vecd, külfetsiz ve meşakkatsiz gelen ile, külfetli ve meşakkatli bir şekilde gelen olmak üzere ikiye ayrılır. Bu ikincisine "Tevâcüd" yâni vecde gelmeye çalışmak, denir. Böyle zorlamak sûretiyle meydana gelen vecdin bir kısmı mezmum, bir kısmı da makbuldür. Müflis olduğu halde riyâ ederek kendisini iyilerden göstermek sûretiyle zorlayarak yaptığı vecdi mezmumdur. Fakat kendisini zorlamak sûretiyle iyi hallere sâhip olabilmek için çalışıyorsa, makbuldür.

Bunun için, Kur'ân-ı Kerîm okunurken içinden coşup ağlamayanlara Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

"Ağlar gibi yapın." buyurmuştur. Bu gibi hâllerin başlangıcı bâzen külfetli olur fakat netîcede tabiat hâlini alır. Niçin böyle olmasın ki, Kur'ân-ı Kerîm'in ezberlenmesi de aynı şekilde-

dir. Önce zor ile okur, zorla düşünerek ezberler, iyice ezberledi mi artık meleke kesbeder ve ondan sonra kolaylıkla okur. Hattâ dili Kur'ân'a öyle alışır ki, hâriçte veyâ namazda aklı başka yerde iken bile, hiç düşünden Kur'an'ı okur ve bir sûreyi bitirdikten sonra aklı başına gelir ve bitmiş olduğunu görür. Kâtip de böyledir; ilk önce zorlukla yazıya alışır, sonra tabiat hâlini alır. Başka şeyler düşünürken hattâ bakmadan sayfalarca yazabilir. Beden âzâlarının ve insanın elde ettiği bütün vasıflarda hüküm budur. Önce zorlayarak bunları öğrenir, sonra da kendisinde tabiat, huy, alışkanlık hâlini alırlar. Bâzılarının: "Âdet, beşinci tabiattır." dediklerinden maksatları bu olsa gerektir. İşte iyi haller de böyledir. İyi hâllere sâhip olunamadı diye ümit kesilmemelidir. Semâ ve diğer vâsıtalarla bunları elde etmeye çalışmalıdır.

Görülegelen bir gerçektir ki, bir kimse birine âşık olmak ister de olamaz. Ancak, adamı devamlı olarak anmak, sevilecek vasıflarını düşünmek sûretiyle adamı iyice sevmeye başlar. Öyle ki, bu defa aşkı irâdesinin dışına çıkar, bu aşktan kurtulmak isterse de kurtuluş çaresini bulamaz. Allah sevgisi ve Allah'a iştiyâk, âzâbından korkmak ve benzeri iyi halleri insan kaybettiği zaman ümîdini kesmemeli, onları elde etmeye çalışmalıdır. Bunları elde etmek için bu gibilerle düşüp kalkmalı, onların iyi hâllerini görmeli, meclislerinde bulunmakla onların güzel hallerini beğenmeli ve bu iyi hâlin kendisine de nasip olmasını duâ edip Allah'tan dilemelidir. İyi hallere sâhip olabilmenin sebeplerinden birisi de semâ, iyi kimseler, Allah'tan korkanlar, ihsân edenler, Allah'a âşık olanlar ve ibâdetlerinde huşû edenlerle düşüp kalkmaktır. İnsana, düşüp kalktığı kimsenin vasıfları, farkında olmadan sirâyet eder. Aşkın ve benzeri iyi hallerin, sebepleri ile de elde edilmelerinin mümkün olduğuna Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in:

اَللّٰهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ أَحَبَّكَ وَحُبَّ
مَنْ يُقَرِّبُنِي إِلٰى حُبِّكَ

"Allahım, sevgini ve seni sevenin sevgisini ve seni sevmeye beni yaklaştıranın sevgisini bana nasip et."[45] diye duâ etmesi delâlet eder. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) sevgi talebinde ısrâr etmiştir.

İşte bu anlattıklarımız "Vecd"in mükâşefe ve hâllere ve izâhı mümkün olup olmayana ve zorlamak sûretiyle veyâ tabiat iktizâsı olması hakkındaki taksîmâtıdır.

Şâyet madem ki vecd Allah'tandır, Allahın lütfûdur; şeytanın aldatmasından değildir. "O halde bunlar Kur'ân-ı Kerîm okunurken neden vecde gelmiyorlar da, şâirlerin şiirleri tegannî edilirken vecde geliyorlar?" dersen deriz ki: Hak olan vecd, aşırı derecede Allah sevgisinden, irâde doğruluğundan ve Allah'a olan aşkından meydana gelen vecddir. Bu vecd, Kur'ân-ı Kerîm okunurken de kendini gösterir. Kur'ân-ı Kerîm'i dinlemekle vecde gelmeyen aşk, yaratıklara olan aşktır. Yoksa Yaratan'a âşık olanlar Kur'ân okunurken de aynı vecdi duyarlar.

أَلَا بِذِكْرِ اللّٰهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ

"Haberiniz olsun ki, kalpler ancak Allah'ı zikretmekle mutmain olur, olgunlaşır." (Ra'd sûresi, 13/ 28)

مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ
جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلٰى ذِكْرِ اللّٰهِ

---

[45] Duâ bahsinde geçti.

“Vaîdi dinlediklerinde kalplerinden korkularından derileri titrer. Sonra da Allahü Teâlâ’nın rahmet ve mağfiretini zikretmekle derileri ve kalpleri mutmain olur.” (Zümer sûresi, 39/ 23) âyet-i celîleleri buna delâlet etmektedir.

Semâ akabinde, semâ sebebiyle insanda hâsıl olan sükûn, tüylerin dikilmesi, derinin ürpermesi, korku ve kalp yumuşaklığı gibi hallerin hepsi vecddir. Kur’ân-ı Kerîm okunurken Allah âşıklarında bu hal görülür. Yine Allahü Teâlâ:

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ

“Gerçek mü’minler, Allah anıldığı zaman yürekleri titreyenlerdir.” (Enfâl sûresi, 8/2)

لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْاٰنَ عَلٰى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا
مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ

“Eğer şu Kur’ân’ı bir dağ üzerine indirseydik (ve akıl verseydik) **o dağı Allah korkusundan alçalmış ve paramparça olmuş görürdün.”** (Haşr sûresi, 59/21) buyurmuştur. Titremek, korkmak ve huşû, her ne kadar mükâşefe kabîlinden değillerse de, hal kabîlinden bir vecddirler. Fakat mükâşefeye ve uyarmaya sebep olabilirler. Bunun için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

زَيِّنُوا الْقُرْاٰنَ بِأَصْوَاتِكُمْ

“Kur’ân’ı sesinizle süsleyin.”[46] buyurmuştur. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Ebû Mûsâ el-Eş’arî’ye de:

لَقَدْ أُوتِيَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ اٰلِ دَاوُودَ

---

[46] “**Tilâvet-i Kur’ân Kitâbı**”nda geçti.

"Al-i Dâvûd'un mizmârından, seslerinden ona da verilmiştir." buyurdu.

Basîret sahiplerinin Kur'ân-ı Kerîm'i duydukları zaman vecde geldiklerine dâir pek çek hikâyeler vardır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in:

شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا

"Hûd ve benzeri sûreler beni kocalttı."[47] hadisi vecdden haber vermektedir. Zîra kocalmak, hüzün ve korkudan gelir. Hüzün ve korku ise vecd demektir. Rivâyete göre; İbn Mesûd (r.a.) Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e Nisâ sûresini okudu da:

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلٰى هٰؤُلَاءِ شَهِيدًا

"Her ümmetten peygamberlerini şâhid getirdiğimiz zaman ve seni de o peygamberlerin sıdkına şâhid getirdiğimiz zaman onların halleri nice olur?" (Nisâ sûresi, 4/41) âyet-i celîlesini okuduğu zaman, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in gözleri yaş ile doldu ve: *"Yeter"* buyurdu.[48] Diğer rivâyette, bizzat Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in kendisi veyâ huzurunda:

إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا، وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا

"Onlar için âhirette hazırladığımız kelepçeler, yakıcı ateşler, boğazda kalan yemekler ve acı verici azâb vardır." (Müzzemmil sûresi, 73/12-13) âyeti okununca, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bağırarak yere düştü.[49]

---

[47] Tirmizî Ebû Cuhayfe'den, Hâkim İbn Abbâs'tan rivâyet etmişlerdir. Tirmizî hasen olduğunu, Hâkim de Buhârî'nin şartına göre sahîh olduğunu söylemiştir.

[48] Buhârî ile Müslim rivâyet etmişlerdir.

[49] İbn Adiy **"Kâmil"**de, Beyhakî **"Şuabü'l Îman"**da Ebû Harb'den mürsel olarak rivâyet etmişlerdir.

Diğer bir rivâyette Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ

“Onlara azâb edersen şüphesiz onlar senin kullarındır.” (Mâide sûresi, 5/118) âyet-i celîlesini okuyunca ağladı.[50] Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), rahmet ve duâ âyetlerini okuduğu zaman istibşâr ederdi. Böyle sevinmek de bir vecddir. Allahü Teâlâ, vecde gelenleri Kur’ân-ı Kerîm’de överek şöyle buyurmuştur:

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرٰى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ
الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ

“Rasûl’e nâzil olan (Kur’ân)**’ı duydukları zaman, Hakk’ı bildiklerinden gözyaşı döktüklerini görürsün.”** (Mâide sûresi, 5/83) Yine rivâyete göre Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) namaz kıldığı zaman göğsünden, kaynayan tencereden gelen ses gibi ses gelirdi.[51]

Kur’ân-ı Kerîm’in âyetlerini dinlerken vecde gelen sahâbe ve tâbiin, pek çoktur. Kimi sayhâ etti, kimi ağladı, kimi bayıldı. Hattâ ölenler bile oldu. Rivâyete göre; Zuhâre b. Ebî Evfa, tâbiînin sikalarından idi. İmamlık yapar, Kur’ân’ı rikkatle okurdu. Bir gün namaz kıldırırken:

فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ

“Sûra üfürüldüğü zaman.” (Müddessir sûresi, 74/8) âyet-i celîlesini okuyunca öyle bir sayhâ etti ki, hemen mihrapta, düşerek can verdi.

---

[50] Müslim, Abdullah b. Ömer’den rivâyet etmiştir.

[51] Ebû Dâvûd, Neseî ve Tirmizî “**Şemâil**”inde Abdullah b. eş-Şıhhır’den rivâyet etmiştir.

Hz. Ömer bir adamın:

إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ

"Rabbinin azâbı elbette vâkidir. Onu defedecek (hiç bir şey de) **yoktur."** (Tûr sûresi, 52/7-8) âyet-i celîlesini okuduğunu duyunca olduğu yerde düştü. Eve götürdüler, bir ay kadar hasta yattı. Tâbiînden Ebû Cerîr; çok güzel sesi olan Sâlihü'l-Mer'î, Kur'ân-ı Kerîm okurken bayıldı ve bilâhare öldü. İmâm Şafiî de bir adamın:

هٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ، وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ

"Bu (hepsinin) **dillerinin tutulacağı bir gündür. Onlara izin de verilmeyecek ki özür dilesinler."** (Mürselât suresi, 77/35-36) âyet-i celîlesini okuduğunu duyunca bayıldı. Ali b. Fudayl da bir zâtın:

يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

"O gün insanlar, âlemlerin Rabbi olan Allahü Teâlâ'nın fermânı için, ayakta dururlar." (Muttaffifîn suresi, 83/6) âyet-i celîlesini okuduğunu duyunca bayıldı ve yere düştü. Babası **Fudayl** da "Allahü Teâlâ senin bu haline memnun oldu." dedi. Tâbiînden olan daha birçok cemâatten rivâyet edilmiştir. Bu hal sûfilerden de rivâyet edilmiştir. **Şiblî** hazretleri Ramazan'da mescidde imamın arkasında namaz kılarken, imam:

وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

"Eğer biz, sana vahyettiğimiz Kur'ân'ı gidermeyi, ortadan kaldırmayı dileseydik, sen onu yerine getirecek vekîl bulamazdın." (İsrâ suresi, 17/86) âyet-i celîlesini okuyunca, öyle bir haykırdı ki, insanlar öldüğünü sandılar. Benzi sarardı, vücûdu titremeye başladı. “Dost ve ahbaplara böyle hitap edilirse, başkalarına ne yapılır?” diyerek âyet-i celîleyi tekrar tekrar okudu.

Cüneyd şöyle anlatıyor: Bir gün Seriyyü’s-Sakatî’nin yanına gittim. Orada baygın halde yatan birisini gördüm. “Bu nedir?” diye sorduğumda, Seriyyü’s-Sakatî: “Bir âyet-i celîle dinledi ve onun için bayılıp düştü” dedi. Ben: “O âyeti aynen kendisine okuyun.” dedim. Onlar da âyet-i kerîmeyi kendisine okuyunca, adam ayıldı. Bunun üzerine Seriyyü’s-Sakatî: “Bunu nereden bildin?” diye sordu, ben de: “Yâkub aleyhisselâmın gözleri, bir yaratıktan yâni oğlu yüzünden görmez olmuştu. Sonra yine onun yüzünden açılmıştı. Eğer Hak’tan dolayı görmez olsaydı, asla yaratıktan ötürü açılmazdı. Bunu da bu âyet-i kerîmeden dolayı bayılmış gördüm. Anladım ki, ayılma sebebi de yine bu âyet olacaktır, dedim ve sözüm hoşuna gitti.” Nitekim Cüneyd’in görüşüne şâirin sözü de işaret ediyor.

“Zevkle bir bardak şerbet içtim. Sonra ondan içtiğim ikinci bardak ile önceki içmiş olduğum bir bardak şerbetten peydâ olan hastalığımı giderdim.”

Sûfilerden biri:

كُلُّ نَفْسٍ ذَٓائِقَةُ الْمَوْتِ

“Herkes ölümü tadacak.” (Âl-i İmrân suresi, 3/185) âyet-i celîlesini, bir gece tekrar tekrar okuyordum. O sırada gaipten bir ses geldi: “Bu âyeti daha ne kadar tekrar edeceksin? Yaratılalıdan beri hayâlarından ötürü gözlerini yukarı kaldırmayan dört cinninin ölümüne sebep oldun.” dedi.”

Ebû Ali el-Meğâzilî, Şiblî’ye:

– "Çok defa bir âyet-i celîle duydum mu beni dünyalıktan çeker. Fakat sonra yine eski halime ve dünyaya dönerim. Bu hal bende devâm etmez." dedi. Şiblî de:

– "Kur'ân'ı duyduğunda dünyadan alâkanı kesmek istemen, Allahü Teâlâ'nın sana bir lütfudur. Sonra yine dünyalığa dönmen, sana acıyıp merhamet etmesindendir. Çünkü sen, henüz tamamen dünyadan alâkanı kesecek halde değilsin. Zaman zaman sana o cephenin zevkini tattırır, senin ona iştiyâkın artar ve olgunlaşarak bu mertebeye erersin."

Bir mutasavvıf, birisinin:

يَآ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلٰى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً

"Ey emîn ve mutmain olan nefis! Sen Allah'tan râzı, Allah da senden râzı olduğu halde Rabbine dön!" (Fecr suresi, 89/27-28) âyet-i celîlesini okuduğunu duyunca, "Bir daha oku." dedi. O zât da: "O nefis bir defa Allah'a rücû edip gitti. Ben ona bir daha "dön" nasıl diyeyim?" deyince, adam bu mânâdan vecde gelerek düştü ve öldü.

Bekir b. Muaz, bir zâtın:

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْاٰزِفَةِ

"O (müşrikleri) **hemen gelecek olan kıyamet günü ile korkut. O gün kalpler hüzünle dolup boğazlarına gelerek ağızlarından çıkar."** (Mü'min suresi, 40/18) âyet-i celîlesini okuduğunu duyunca, dehşetle heyecana kapıldı:

– "Allahım, inzâr ettiğin halde halâ sana yönelmeyen kuluna acı!" diyerek bayıldı ve düştü.

İbrahim b. Edhem:

إِذَا السَّمَآءُ انْشَقَّتْ

“Semâ yarıldığı zaman.” (İnşikâk suresi, 84-1) âyetini duyunca vücûdu titredi.

Muhammed b. Sabîh şöyle anlatıyor: Adamın biri Fırat nehrinde yıkanıyordu. Nehrin kenarından geçmekte olan birisi:

وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ

“Ey mücrimler! Bugün siz (bir tarafa) **ayrılın.”** (Yâsîn suresi, 36/59) âyet-i celîlesini okudu. Yüzen adam bunu duyunca titreyerek suya battı ve öldü.

Denildi ki: **Selmân-ı Farisî**, Kur’ân okuyan bir genci gördü, ona yaklaştı. Genç, bir tehdît âyeti okuyunca, vücûdu sarsıldı. Gencin bu hali, Selmân’ın hoşuna gitti. Bir ara gencin izini kaybetti, sordu soruşturdu ve hasta olduğunu duydu. Hemen ziyâretine gitti ki, genç ölüm döşeğinde yatıyordu. Selmân’ı görünce: “O titremeler bir güzel sûret şeklinde karşıma çıktı ve senin de duyduğun bu haşyet ve korku sâyesinde, Allahü Teâlâ beni affetti.” dedi.

Hülâsa: Basîret sâhibi insanlar, Kur’ân-ı Kerîm okunduğu zaman vecd ve semâdan hâlî kalamazlar. Şâyet Kur’ân-ı Kerîm kendisine hiç tesîr etmiyorsa o, karga gibi veyâ hayvanlara çobanların seslenmesi gibi mânâsız sesler çıkarmaktan başka bir şey yapmaz. Bu gibiler, akılları ermeyen, dilsiz, kör ve sağırlar gibidir. Belki basîret sâhibi insanlar, değil Kur’ân-ı Kerîm’i, hikmet ifâde eden bir kelimeyi dahi duydukları zaman, kalplerine tesîr eder.[52]

---

[52] Yukarıdan aşağı Kur’ân-ı Kerîm’den, Resul i Ekrem, sahâbe ve tabiînden verilen bu misâllerde, heyecanlanmak, göz yaşarması, durduğu yerde

Horasanlı bir adam **Cüneyd**'in huzûruna girdi ve:

– "Mehd ile zem insan için ne zaman müsâvî olur? Yâni hangi dereceye yükselirse, artık ne medhe, ne de zemme aldırış eder?" diye sordu. Cüneyd henüz cevâba başlamadan orada bulunan zâtlardan biri:

– "Tımarhâneye girip kendisine kelepçe vurulduğu zaman." diye cevap verdi. Bunun üzerine Cüneyd, cevap veren zâta:

– "Bu söze cevap vermek senin haddin değil." diyerek soruyu soran zâta döndü ve:

– "Mahlûk (yaratılmış) olduğunu ne zaman anlarsa." dedi. Soruyu soran bu cevâbı alınca, öyle bir sayhâ etti ki, can vererek orada yığılıp kaldı.

"Mâdem ki Kur'ân-ı Kerîm'in vecd üzerinde tesiri var. Öyleyse insanlar, neden bu tegannîcilerle okuyucuların başına toplanır da, Kur'ân-ı Kerîm okuyanların başına toplanmazlar? Hâlbuki onlara yakışan, toplantılarını Kur'ân okunan yerlerde yayıp, orada vecde gelmek, tegannîcilerin başına toplanmamak ve gittikleri yerlere şarkıcıları değil, hâfızları dâvet etmektir. Çünkü Allahü Teâlâ'nın kelâmının tegannîlerden efdal olduğu meydandadır." dersen bilmiş ol ki: Tegannî, vecdi harekete getirmekte, yedi vecihte Kur'ân-ı Kerîm'den daha kuvvetlidir.

Birinci Vecih

Kur'ân-ı Kerîm'in bütün âyetleri, dinleyicinin haline uygun düşmez ve onu anlayarak kendi haline tenzîle güç yetiremez.

---

vücûdun ürpermesi ve bayılıp düşmek gibi hâller vardır. Kalkıp sallanmalar yoktur. Arada göze çarpacak kadar muazzam fark vardır. Keşke sağ olsaydı da bu farkı ne ile telâfi ettiğini kendisinden sorsaydık.

Meselâ; hüzün, aşk, nedâmet ve benzeri haller kendisini istilâ eden bir kimsenin:

يُوصِيكُمُ اللّٰهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ

“Allahü Teâlâ evlâtlarınız hakkında (mirâs olarak) **bir erkeğe iki kız kadar verilmesini emreder.”** (Nisâ suresi, 4/11)

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ

“Onlar ki, nâmuslu kadınlara iftira ederler.” (Nûr suresi, 24/4) âyet-i celîleleri haline nasıl uyar ve bunlardan ne zevk alır. Mirâs, talâk, had ve benzeri ahkâm âyetleri de böyledir. Kalpte olanı harekete geçiren, ona uygun olandır. Fakat şâirler, şiirleri kalbin hallerini ifâde için söylemişlerdir. Artık halin onları anlamasında bir güçlük yoktur. İşte bundan dolayı şiir tercîh ediliyor. Evet, kimin kalbini haller istilâ eder ve başkasını içeri alarak boşluk bırakmazsa, üstelik lafızların uzak mânâlarını düşünebilecek şekilde zekî ve uyanık bir insan olursa duyduğu her sözden vecde gelebilir. Meselâ:

يُوصِيكُمُ اللّٰهُ فِي أَوْلَادِكُمْ

“Evlâdınız hakkında Allâh size vasiyet eder.” (Nisâ suresi, 4/11) âyet-i celîlesinden de vecde gelebilir. Şöyle ki; bundan vasiyeti gerektiren ölüm olduğunu ve sevdiklerinden birini diğerine bırakacağını ve her ikisinden ayrılacağını düşünerek korku ve dehşete kapılarak vecde gelebilir. Veyâ bu âyet-i celîlede, vasiyet ve evlâd kelimelerine bakmadan, yalnız **“Allah”** lâfza-ı celâlinden vecde gelebilir. Yâhut, mallarının taksîmini de kendi üzerine almak sûretiyle, insanların sağlık ve ölüm hallerini ayarlayan Allahü Teâlâ’nın o büyük rahmetini düşünerek ve ölümümüzden sonra çocuklarımızı düşünen Allahü Teâlâ elbette bizleri bırakmaz diyerek sevinir, heyecanlanır ve vecde gelir. Yâhût:

لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ

"Erkek için iki kadın kadar, yâni kadının iki misli verilir." (Nisâ suresi, 4/11) âyet-i celîlesinden; erkeği kadından üstün tuttuğunu, âhirette fazîlet, alışverişi kendisini Allah'ı zikirden alıkoymayanların olacağını ve kendisini Allah'tan alıkoyanın gerçek erkeklerden olmayıp ancak kadınlardan sayılacağını, kadınlar meyânında geri kaldığı gibi, kendisinin de âhiret nîmetlerinden geri kalacağını düşünerek vecde gelebilir. İşte bunlar, vecdi uyandırır fakat bu vecd, iki vasfa sâhip olan kimsede uyanır:

Birincisi: Kalbinin her tarafını kaplayan kahir bir hal sâhibi olmak.

İkincisi: Uzak mânâları düşünen, bilmek için tam bir ayıklık ve keskin bir zekâya sâhip olmaktır. Böyle adam da pek az bulunur. Bunun için hallerine uygun olan tegannîleri dinlerler ki, heyecanlansınlar ve bu sâyede vecde gelmiş olsunlar.

Rivâyete göre: **Ebû'l-Hüseyin Nûrî** bir cemâat ile bir dâvette bulunuyordu. Ortaya ilmî bir mesele kondu. Ebû'l-Hüseyin sükût edip dinliyordu. Sonra birden şu şiirleri okudu:

رُبَّ وَرْقَاءٍ هَتُوفٍ فِي الضُّحٰى   ذَاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي فَنَنِ
ذَكَرَتْ إِلْفاً وَدَهْرَاً صَالِحَاً   وَبَكَتْ حُزْنَاً فَهَاجَتْ حُزْنِي
فَبُكَائِي رُبَّمَا أَرَّقَهَا   وَبُكَاهَا رُبَّمَا أَرَّقَنِي
وَلَقَدْ أَشْكُو فَمَا أَفْهَمُهَا   وَلَقَدْ تَشْكُو فَمَا تَفْهَمُنِي

غَيْرَ أَنِّي بِالْجَوٰى أَعْرِفُهَا   وَهِيَ أَيْضًا بِالْجَوٰى تَعْرِفُنِي

"Güvercin kuşu kuşluk vakti,
yumuşak dallar üzerinde hazîn hazîn ötüşüyor,

Onun eski dostluk günlerinin hasretini çekerek ağlaması,
beni de ağlattı.

Benim ağlamam onu uyandırdı,
onun ağlaması da beni yumuşattı,

Her ikimiz de ayrılıktan şikâyet ediyoruz.
Fakat birbirimize anlatamıyoruz.

Ancak iç yangınlarımızla birbirimizi anlayabiliyoruz." deyince herkes vecde geldi ve ayağa kalkarak sallanmaya başladı. İlim hak ve gerçek olduğu ve ilme daldıkları halde bu vecdi bulamamışlardı.

İkinci Vecih

İkinci vecih: Kur'ân-ı Kerîm'i çokları bilir, dâima okur ve düşünürler. İlk duyulan şeyin gönülde tesîri büyük olur. Fakat tekrar edildikçe bu tesîr azalır, ikinci derecede zayıflar, üçüncü derecede düşecek hâle gelir. Şâyet üstün vecde mâlik olan bir kimse bile bir evde devamlı olarak sık sık vecde gelmek istese ve bunun için uğraşsa da onun için mümkün olmaz. Evini değiştirmekle de yine vecde gelebilir. Yine bunun gibi, aynı mânâda olsa da, onun daha garîb ve başka bir şeklide ifâde etmek nefsi harekete geçirebilir. Kur'ân-ı Kerîm'in okuyucusu her zaman, Kur'ân'ı garîb olarak okuyamaz. Çünkü Kur'ân mahsûr ve mahdûttur, ona ziyâde etmek mümkün değildir. Hepsi ezberlenmiş ve dâima tekrarlana gelmiştir.

Bu anlattıklarımıza işâreten **Ebû Bekir es-Sıddîk** (r.a.), Medîne'ye gelen bedevî Arapların Kur'ân'ı dinlerken ağladıklarını görünce:

– "Biz de ilk önce böyle idik. Fakat zamanla kalplerimiz katılaştı. Yâni Kur'ân-ı Kerîm ile ünsiyet peydâ ettik." dedi. Hz. Ebû Bekir'in, kalbinin, Arapların ayak takımlarından daha katı olduğunu sanma. Onun kalbi, Allah aşkı ve sevgisi bakımından, hepsinin kalbinden daha temiz ve bu sevgi için daha boştur. Fakat çok tekrar, onunla ünsiyetini sağladı ve tesîrini azalttı. Zîra insanoğlunun, ilk duyduğu âyetten ağladığı gibi, yirmi sene devamlı okuduktan sonra, yine onu okuyup ağlaması ve ilk hâli ile son hâlinin bir olması âdet bakımından muhal gibidir. Bu, her yeni ve garîb olan şeyler için böyledir. Çünkü her yeninin bir tadı ve her yeni gelenin bir tesîri olduğu gibi her ülfet edilen şeyde de, o tesîrin aksine olarak ünsiyet vardır. Bunun için **Hazret-i Ömer**, Kâbe'yi fazla tavaftan men etmeyi kastederek:

– "Korkarım ki, çok tavaf etmekle Kâbe'nin heybetini nezdlerinde kaybederler." dedi. Yâni "Onunla ünsiyet peyda ederek artık hiçe sayacak bir hal alırlar." demek istedi. Nitekim ilk defa Kâbe'ye giden kimse, orayı ilk görüşünde dehşetli heyecanlanır, ağladığı, hattâ bayıldığı bile olur. Fakat aradan bir müddet geçtikten sonra, üstündeki bu tesîr kaybolmaya başlar. İşte tegannîciler, her an yeni ve garîb buluşları ile piyasaya çıkarlar. Fakat her an bir garîb âyet bulunamaz.

Üçüncü Vecih

Üçüncü vecih; Şiir yolu ile mevzun sözlerin insan üzerinde tesîri vardır. Vezinli güzel ses ile vezinsiz güzel ses arasında fark vardır Vezinler ise âyetlerde değil, şiirlerde bulunur. Eğer şâir şiirini düz okusa, yâhut bestesini bozsa dinleyicinin canı sıkılır ve vecd u semâı kaybolur. Uygun olmadığı için, ondan nefret duymaya başlar. Tabiat bir şeye nefret edince kalbin de huzuru kaçar. Anlaşıldı ki, vezin müessirdir ve bunun için güzel telakkî edilmiştir.

Dördüncü Vecih

Dördüncü vecih; Mevzun bir şiirin lahinler îtibâriyle insanlar üzerindeki tesîri değişir. Meselâ, uzatılmayacağı yerde uzatmak, kısaltılmayacağı yerde kısaltmak, durulmayacak yerde durmak ve bâzılarını ayırıp bâzılarını da katmak gibi. Şiirde bu gibi tasarruflar câizdir. Kur'ân-ı Kerîm'i ise ancak nâzil olduğu gibi okumak mecburiyeti vardır. Tilâvetin hilâfına kasır, med, katı', ve vasıllar bâzen mekruh, bâzen de haram olur. Kur'ân-ı Kerîm nâzil olduğu gibi okunacağına göre insan üzerindeki tesîrinde, kendi başına bir sebep olan lahnın tesîri düşmüş olur. Lahn mânâsız olan nefesli ve telli çalgılar ile şâhîn ve diğer mânâsız seslerde de kendini gösterir.

Beşinci Vecih

Beşinci vecih; Mevzun lahinler, ağzından çıkmayan diğer def, ney ve benzeri âletlerin sesleri ile de takviye edilir. Zîra zayıf olan vecd, kuvvetli sebeplerle uyanır, İşte şu sebeplerle takviye edilir. Çünkü bunlardan her birinin vecdi uyandırmakta pay ve tesîri vardır. Hepsi bir araya gelince kuvvet kazanırlar. Kur'ân-ı Kerîm'i bu gibi sebeplerden korumak vâciptir. Çünkü bunlar, görünüşte oyun ve eğlencedir. Kur'ân-ı Kerîm ise hak ve hakikattir. Onu, avam arasında mutlak lehv; havas arasında her ne kadar lehv diye îtibâr edilmezse de, yine sûreten lehv kabul ettikleri bu gibi şeylerden korumak lâzımdır. Hattâ Kur'ân-ı Kerîm'i cenâbet, abdestsiz ve sokak ortalarında okumaktan korumalı, onu sâkin yerlerde okumalıdır. Her halde Kur'ân-ı Kerîm'e gerektiği gibi saygı yapılamaz. Ancak hallerini murâkabe ederek okuyanlar, îcâb eden hürmeti ona gösterebilirler. Onun için, bu gibi murâkabe ve riâyete zarûret hâsıl olmayan tegannîyi tercîh eder. Bunun için, nikâh gecesinde de Kur'ân ile def çalınmaz. Hâlbuki Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَظْهِرُوا النِّكَاحَ وَلَوْ بِضَرْبِ الْغِرْبَالِ

"Def ile de olsa evlenmeyi ilân ediniz."[53] Şiir ile de def çalınır. Fakat Kur'ân-ı Kerîm ile çalınmaz. Bunun için Rasûl-i Ekrem, tegannî eden câriyelerden birinin: "Aramızda yarın ne olacağını bilen bir Peygamber var." demesi üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Efendimiz:

دَعِي هٰذَا وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ

"Bu sözü bırak da, neyi söylüyordun ise onu söyle."[54] buyurdu. Bu sûretle onu bu gibi sözlerden men ederek, kendi sözlerine çevirdi. Çünkü bu ciddî bir söz, onun yaptığı ise oyun ve eğlence idi. Ciddî sözler, eğlence arasına giremez.[55] Bu câriyeye gerçeklerden ayrılarak oyuncağa dönmesi ihtâr edildiği gibi, Kur'ân-ı Kerîm'e hürmeten tegannîlerde ondan uzak kalmak da vâciptir.

Altıncı Vecih

Altıncı vecih: Her söz, her hale muvafık düşmediğinden, herhangi bir evde yapılan tegannî, bâzı dinleyicilerin haline uygun gelmeyebilir. Binâenaleyh değişmesini isteyebilirler. Şâyet davetlerde Kur'ân okuyucusunun başına toplansalar, okunan âyetler bâzı kimselerin haline uygun düşmeyebilir. Zîra Kur'ân-ı Kerîm, hallerinin ihtilâflarına göre bütün insanlara şifâdır. Meselâ, rahmet âyetleri azâbdan korkana, azâb âyetleri emîn ve mağrûr olanlara şifâdır. Tafsîlâtı, sözü çok uzatır. Buna göre okunan âyet-i celîle bâzılarının haline uygun gelmeyebilir ve o an için, bu âyeti istemeyebilir. Bu sûretle Allahü Teâlâ'nın kelâmına karşı, önlemesi gayri kabil bir kerâhet tehlikesi doğar. Bundan kaçınmak, son derece mühim ve ehemmiyeti mûcibdir. Zîra bundan kurtuluş ancak Kur'ân'ı kendi haline indirerek, o şekil bir tevîl yapmakla mümkündür. Hâlbuki Allahü Teâlâ'nın kelâmı, ancak kendi murâdına göre, tevîl edilir. Ama şâirin şiirini insan istediği mânâya göre tevîl edebilir. Burada ise ancak tevildeki hatâdan doğma bir kerâhet vardır. Allahü Teâlâ'nın kelâmını bu gibi indî tevîllerden korumak vâciptir. Bundan dolayı vecd için, Kur'ân-ı Kerîm üzerinde toplanmazlar. Şeyhlerin, niçin Kur'ân-ı Kerîm'i bırakıp da tegannîler ile semâ edip vecde gelmelerine dâir bulduğum sebepler bunlardan ibârettir.

---

[53] Evlenme bahsinde geçmiştir.

[54] Buhârî rivâyet etti. Evlenme bahsinde geçmiştir.

[55] Rasûl-i Ekrem'in bu câriyeyi bu sözden men etmesinden; gaybı Allahü Teâlâ'dan başka kimsenin bilemeyeceğini de istihraç edebiliriz.

Yedinci Vecih

Burada özür dilemek üzere, **Ebû'n-Nasr es-Sirâc et-Tûsî**'nin de anlattığı yedinci bir vecih vardır. O da şöyledir: Kur'ân-ı Kerîm Allahü Teâlâ'nın kelâmı ve kelâm sıfatıdır. O haktır, beşer ona güç yetiremez. O, mahlûk olmadığı için mahlûkun vasıfları, ona dayanamaz. Onun mânâlarından bir lem'a gönüllere keşfolunsaydı gönüller şaşırıp kalırdı. Güzel lahinler tab'a uygun düşer. Lahinlerin tabiatlere nisbeti, haz ve zevk bakımındandır, hak ve hakikat bakımından değildir. Şiir de aynıdır. Lahin ve güzel sesler beyitlerdeki latîf işâretlere tealluk ettiği zaman, onlar birbirine benzer ve haz almaya daha yakın ve kalbe daha hafif gelir. Çünkü yaratıklar birbirine benzerler. Beşeriyet devam edip bizler de, bu vasıflarda oldukça güzel sesler ile kafiyeli ve mevzun şiirlerden zevk alırız ve bu gibi kasîdelerden duyduğumuz zevk, Kur'ân-ı Kerîm'den üstün olur. O Kur'ân ki, Allahın kelâmı ve sıfatıdır. Geliş O'ndan ve dönüş de yine O'nadır. İşte o zâtın bu hususta beyân ettiği mâzeretin hülâsası bundandan ibârettir.

Ebû'l-Hasan ed-Dirac'dan hikâye edildiğine göre diyor ki: Bağdad'dan Hüseyin Râzî'yi ziyâret etmek üzere yola çıktım. Rey şehrine gittiğimde nerede olduğunu sordum. Her kime sordumsa "O zındığı ne yapacaksın? Onunla ne işin var?" diye beni karşıladılar. O kadar canımı sıktılar ve moralimi bozdular ki, geri dönmeye karar verdim. Sonra da kendi kendime, "Bu kadar zahmeti ihtiyar ile uzak yerden buraya geldiğim halde, hiç görmeden geri dönmem uygun olmaz. Ne olursa olsun. Mâdem ki geldim bir defa olsun kendisini görmem lâzım." dedim. Araya araya kendisini mescidde buldum, önünde rahle, üzerindeki Mushaf-ı Şerîf'i okuyordu. Baktım ki sakallı, yüzü güzel ve nurlu bir insan. Kendisine selâm verdim. Hemen selâmımı aldı ve:

– "Nereden geliyorsun?" dedi. Ben de:

– "Bağdâd'dan geliyorum." dedim. O:

– "Hayrola ne iş için geldin?" diye sordu. Ben de:

– "Sizi ziyaret ve size selâm vermek için geldim." dedim. O:

– "Allahın selâmı senin üzerine olsun." dedi ve devamla: Gelirken yolda birisi, sen burada kal biz sana ev alalım, câriye verelim, deseydi kalır mı idin?" diye sordu. Ben:

– "Böyle bir şey ile karşılaşmadım, karşılaşsam bakardım." dedim. O:

– “Halimize uygun bir şiir söyler misin?” dedi. Ben de:

– “Söylerim.” dedim. O:

– “O halde söyle bakalım.” deyince ben, günlerinin çoğunun boşa gittiğine işâret ederek:

رَأَيْتُكَ تَبْنِي دَائِمًا فِي قَطِيعَتِي   وَلَوْ كُنْتَ ذَا حَزْمٍ لَهَدَمْتَ مَا تَبْنِي
كَأَنِّي بِكُمْ وَاللَّيت أَفْضَلُ قَوْلِكُمْ   أَلَا لَيْتَنَا كُنَّا إِذِ اللَّيْتُ لَا يُغْنِي

“Bakıyorum ki, dâima beni uzaklaştırmak istiyorsun.
Eğer aklım olsaydı senin bu yaptığını kökünden yıkardım.

“Öyle sanıyorum ki, sözünüzün efdali, “ne olsaydı” sözüdür. Bu sözün fayda vermeyeceği günde acaba halimiz nice olur?” dedim. Baktım ki, hemen Kur’ân-ı Kerîm’i kapatarak ağlamaya başladı. Öyle ağladı ki, ben de kendisine acıdım. Sonra bana dönerek:

– “Oğlum, bu kasaba halkı benim için zındık derler. İşte gördüğün gibi, sabah namazından beri Kur’ân okurken gözümden bir damla yaş çıkmadı. Senin okuduğun şu iki beyit yüzünden kıyâmet başıma koptu. Anlaşılıyor ki, gönüller Allah aşkı ile tutuşursa, böyle garîb beyitlerin verdiği heyecan, Kur’ân-ı Kerîm’in verdiği heyecandan fazla olur. Sebebi, şiirin mevzûn olup tabiata uygun olmasıdır. Zâten tabiata uygun olduğu için, insan şiir söyleyebilir. Kur’ân-ı Kerîm’in nazmı ise o beşer sözünün üslup ve yolundan başka bir üsluptur. Onun için mûcizdir. Tabiata uygun düşmediği için beşerin ona gücü yetmez.

Rivâyete göre; **Zünnûn-ı Mısrî**’nin hocası İsrafil’in huzuruna birisi girdi ve baktı ki, İsrafil parmağını yere dayamış beyit söylüyor. İsrafil, gelen adama:

– “Sen beyit söyler misin?” diye sorar. Adam:

– “Hayır, söylemem.” diye cevap verince, İsrafil:

– “O halde sen kalpsizsin.” dedi. Bununla beraber kalb-i rakîk sâhibi bir kimsenin beyit söyleyebileceğine işâret etmiştir. Çünkü o his onu beyit ve nağmeler bakımından harekete geçirir ve kendisini zorlar.

Üçüncü Makam

Burada semâın zâhirî ve bâtınî âdâbı ile vecdin netîcelerinin, mezmum veyâ makbul olanlarını anlatacağız.

Semâın âdâbı beştir:

Birinci Edeb

Zaman, mekân ve ihvânı yâni arkadaşları iyi seçmektir. Nitekim Cüneyd-i Bağdâdî:

“Semâ üç şeye muhtaçtır. Bu üç şey bulunmazsa dinleme! Onlar da anlattığımız gibi; **zaman, mekân, ihvân**dır.

Zamanın mânâsı: Yâni yemek esnâsında, kırgınlık ve husûmet anında, namazda veyâ kalp huzurunun bulunmadığı bir mâni esnâsında, semâ faydasız bir şeydir.

Mekâna gelince: Pis sokak kenarlarında, çirkin manzaralı veyâ kalbi meşgul eden yerlerde de semâ edilmemeli, çünkü bir tesiri olmaz.

İhvâna gelince: Aralarında hemcinsleri olmayıp, sûretâ zâhid görünüp, kalp inceliklerinden müflis ve semâı inkâr edenlerin bulunduğu kimseler yanında semâ etmemeli. Çünkü bu gibiler ağırlık verir. Bunun gibi hakkına riâyet edilecek dünya büyüklerinden biri bulunduğu veyâ yaka-paça yırtık sûrette, riyâ ederek sahte sûfilik yapanların bulunduğu meclislerde de semâ etmemelidir. Çünkü bütün bunlar, fikri karıştıran şeylerdir.

İkinci Edeb

Mecliste bulunanların hâline bakmaktır. Etrafta semâın zarar vereceği mürîdler varsa onların yanında şeyhin semâ etmesi uygun olmaz. Şâyet semâ edecekse onlara başka vazîfe vermelidir. Semâdan üç sınıf insan zarar görür.

Birincisi: Bunlardan en ehveni, tarîkatten ancak zâhirî amelleri anlayıp semâdan zevk almayan kimselerdir. Bu gibilerin semâı, boş şeylerle meşgul olmaktan başka bir şeye yaramaz. Çünkü oyun ve eğlence adamı değil ki, eğlensin. Zevk ehli değil ki, semâdan faydalansın. Bu gibilerin zikir veyâ yoksullara hizmet ile meşgul olmaları daha uygundur. Aksi halde zamanını kaybetmiş olur.

İkincisi: Semâın zevkini almış fakat şehvetler ve beşerî sıfatlardan henüz tamamen sıyrılamamıştır. Semâ, bu gibilerin şehevî hislerini tahrîk edip tekâmüllerine mâni olacağı için bunların da uzak kalmaları daha doğru olur.

Üçüncüsü: Gerçi şehveti kırılmış, gâilesinden emin olmuş, basîreti açılmış, kalbini Allah sevgisi istilâ etmiştir. Fakat ilm-i zâhirî zayıf, Allahu Teâlâ nın esmâ ve sıfatını, Allahü Teâlâ hakkında caiz ve mumtenî, muhal olan şeyleri bilmez. Bu gibilere semâ kapısı açıldığı zaman, artık onları kendi kafasına göre Allahü Teâlâ hakkında yorumlar; câiz midir, değil midir? Onu bilmez. Binâenaleyh o hatırına gelenlerden göreceği zarar, semâdan edineceği kârdan kat be kat büyüktür. Çünkü Allahü Teâlâ hakkında câiz olmayan bir sıfatı, O'na izâfe etmek küfürdür.

Sehl (Allah rahmet etsin) diyor ki: Kitâb ve sünnetin şehâdet etmediği her vecd, bâtıldır. Bu gibi vecdler için semâ doğru olmaz. Kalbi dünya sevgisi, medh u senâ aşkı ile mülevves olanlarla, nefsânî arzularını tatmîn etmek isteyenlere semâ yasaktır. Çünkü bu gibiler artık semâı âdet haline getirir, ibâdeti ihmâl eder, kalbini düzeltmez, yolu kesilir. Semâ, ayakların kayacağı yerdir. Zayıf kimseleri bundan korumak lâzımdır.

Cüneyd diyor ki: Şeytanı rüyamda gördüm ve kendisine:

– "Bizim sûfîleri aldatmak için onlara ne zaman yol bulabilirsin?" diye sordum. Şeytan da:

– "İki vakitte. Semâ esnâsında ve harama baktıkları zaman onlara nufûz ederek aldatırım." dedi. Bunu dinleyen şeyhlerden biri:

– "Şeytanı görseydim, derdim. Ne ahmak imişsin! Semâ ettiği zaman Allah'tan dinleyen, baktığında ise Allah'a bakan bir kimseyi sen nasıl olur da aldatabilirsin?" deyince Cüneyd:

– "Doğru diyorsun." dedi.

Üçüncü Edeb

Sağa sola iltifat etmeden, huzur içinde söyleyeni dinlemek, dinleyenlere ve onlardaki vecd haline bakmadan kendi nefsi ile meşgul olup kalbini düzeltmeye çalışmak. Allahü Teâlâ'nın, sırrına ifâza ettiği rahmeti murakabe etmek, arkadaşlarını meşgul edecek hareketlerden sakınmak, etrafını korumak, esnemek ve öksürükten çekinmek. İstiğrak halinde oturduğu gibi, başını önüne eğerek oturmak. Titreşme, oynaşma, sûnî ve riyâ olan diğer hareketlerden sakınmak. Lüzumsuz sözlerden vaz geçmektir. Şâyet vecd hali kendisine galebe çalarak ihtiyârsız hareket ederse, mâzûrdur, yerilmez. İrâdesine sâhip olduğu anda, yine eski sükûnuna döner. Ne çabuk vecdi geçti, bunun kalbi katıdır diyeceklerinden utanarak vecde devâm etmesi uygun olmaz.

Hikâye olunduğuna göre; gencin biri, **Cüneyd**'in sohbetine devam etti. Zikir nâmına birşey duyar duymaz hemen sayhâ ederek rengi değiştirdi. Cüneyd ona:

– "Bir daha böyle yaparsan huzurumdan ayrılacaksın." dedi. O da bu gibi hallerde vücûdu su içinde kaldığı halde, artık kendini sabreder ve zabteder oldu. Hattâ bir defasında kendini fazla sıkarak boğulacak hale geldi ve nihâyet gayr-ı ihtiyârî bağırarak düştü ve öldü.

Rivâyete göre: Mûsâ aleyhisselâm vaaz ederken aşka gelen biri elbisesini yırttı. Allahü Teâlâ Mûsa aleyhisselâma vahyederek buyurdu ki: "O adama söyle, gerçek âşık ise elbisesini değil, kalbini yırtsın. Kalbindeki perdeyi kaldırmaya çalışsın."

Ebû'l-Kasım en-Nasrabâdî[56] Ebû Amr b. Ubeyd'e:

– "Ben derim ki, bir mecliste şiir söyleyeni dinlemek, gıybetten daha hayırlıdır." deyince, Ebû Amr da:

– "Semâ ederken kendinde olmayan bir hâli göstermek sûretiyle riyâ yapmak, otuz sene gıybet etmekten daha kötüdür." dedi.

Şayet, vecdin içerde kalıp âzâlarda tesîrini göstermeyeni ile âzâlarda kendisini gösterenlerden hangisinin daha makbul olduğunu sorarsan, bilmiş ol ki: Vecdin açığa çıkmaması bâzen içteki zayıflıktan, yâni semâdan müteessir olmamaktan doğar ki, bu noksanlıktır. Bazan içde beklenen tesîri yapar fakat âzâlarını zabtetmeye muktedir olduğu için hârice çıkmaz, bu bir kemâldir. Bâzen de semâ dinleyen, her halinde vecd içindedir. Semâ onun üzerinde fazla bir tesîr icrâ edemez. Bu ise kemâlin son mertebesidir. Dâima vecd içinde bulunan zât, hakka bağlanmıştır. Şuhûdî değil yâni perdeyi değil, perdenin içindekini müşahede ile meşguldür. Hallere dokunan şeyler bunun halini değiştirmez.

---

[56] Hadis âlimlerinden olup Şiblî ve daha birçoklarının sohbetinde bulunmuş Mekke-i Mükerreme'de mücâvir kalarak 367 Hicrî'de ölmüştür.

Ebû Bekir es-Sıddîk'in (r.a.) "Biz de sizin gibi idik, sonra kalbimiz katılaştı." sözünün mânâsı: Artık kalplerimiz kuvvetleşdiğinden, her halde vecde tahammül edebiliyor. Zîra biz, her an Kur'ân-ı Kerîm'in mânâlarını dinlemekteyiz. Kur'ân-ı Kerîm bizim hakkımızda yeni bir şey değil ki, ondan müteessir olalım, şeklinde olması mümkündür. Demek ki vecdin kuvveti insanı harekete geçirir, akıl ve mücâdele kuvveti de zâhirî hareketten alıkoyar. Ya fazla kuvvetinden veyâ karşısındakinin zayıflığından, bunlardan biri diğerine gâlip gelebilir. Noksân veyâ kemâl de bu bakımdan olabilir. Binâenaleyh kendini yere atan kimsenin vecdi, sâkin durandan daha fazladır zannetmemelidir. Ne sâkin duranlar var ki onların vecdi, kendini yere atanlardan daha kuvvetlidir. Nitekim Cüneyd ilk anlarında semâdan hareket ederdi, sonraları hareket etmez oldu. Sebebini soranlara:

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ
اللّٰهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ

"Sen dağları görürsün de, onları yerinde durur sanırsın. Oysa onlar bulutların yürümesi gibi yürümektedirler. (Bu,) **her şeyi sapasağlam yapan Allah'ın sanatıdır."** (Neml suresi, 27/88) âyet i celîlesini okudu ve bu sözü ile kalbin muztarib olup, melekût âleminde cevelân ettiğini ve buna karşı bedenin görünüşte sükûnet halinde olduğunu ifâde etmek istedi.

Basra'da bulunan **Ebû'l-Hüseyin Muhammed b. Ahmed** anlatıyor: 60 sene Sehl b. Abdullah'ın sohbetinde bulundum. Zikir veya Kur'ân'dan duyduğu her hangi bir şeyden dolayı kendisinde bir değişiklik görmedim. Ömrünün son günlerinde birisi:

فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ

"İşte bu gün sizden fidye alınmaz." (Hadîd suresi, 57/15) âyet-i celîlesini okuyunca, yıkılacak şekilde sallandığını gördüm. Bu hâlinden kendisine sorduğumda: "Evet dostum, zayıfladık." dedi. Yine bir defa:

اَلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمٰنِ

"O gün mülk, padişahlık, hüküm ve kazâ Allah'a mahsustur." (Furkan suresi, 25/26) âyet-i celîlesini duyunca titremeye başladı. Sohbetinde bulunan İbn Sâlim sebebini sorunca, "Zayıfladım." dedi. "Zayıflığın netîcesi bu olunca, ya kuvvetli olmak hali nedir?" diye soranlara. "Uğrayan her şeyi metanetle karşılamak ve hiç bir şeyden vazyeti değişmemektir." dedi. Vecde geldiği halde, âzâlarını hareketten men etmeye ve zâhirini zabta muktedir olmanın sebebi, devamlı müşâhede içinde bulunmakla her halin müsâvî olmasıdır. Nitekim rivâyet edildiğine göre **Sehl** diyor ki: "Benim namazdan evvel ve sonraki halim arasında bir değişiklik yoktur, her ikisi de aynıdır." Zîra o her halinde kalbini murâkabede ve Allah'ı anmakla meşgul idi. İşte semâdan evvel ve sonra da vaziyeti bu merkezde idi. Çünkü kendisi dâima vecd içinde ve aşk susuzluğu devâmlı olup durmadan muhabbet şerbetini içmekte idi. Öyle ki, semâ onun bu aşkına hiç bir şey katamazdı. Nitekim **Memşâd ed-Dinûrî**, aralarında şiir söyleyenler bulunan bir cemâatin meclisine girince sükût ettiler. Memşâd: "Siz şiir ve sohbetinize devâm edin. Eğer bütün dünya çalgıları kulağımın yanında çalınsa, beni himmetimden alıkoyamaz ve içimdeki hastalığa şifâ olamaz." dedi.

Cüneyd, "İlim çokluğu ile vecd noksanlığı zarar vermez. Zîra ilmin fazîleti, vecdin fazîletinden üstündür." dedi.

Şayet, "Bu gibilerin semâ yerlerinde ne işi var?" dersen bilmiş ol ki: Bunlardan bâzıları ihtiyârladığında semâı ter ketti. Ancak ihvânlarından birine müsâade veyâ gönlünü hoş etmek için bu meclislere gitmiştir. Bâzen de kuvvetindeki kemâli göstermek için iştirak etmiştir ki, maksadı kemâlin, görünüşdeki vecdde olmadığını onlara bildirmek ve her ne kadar onun mertebesine yükselemezlerse de, zâhirlerini tekellüften kurtarmalarını ondan öğrenmeleri içindir. Ve şâyet vecdi inkâr edenlerin meclisinde bulundukları zaman, onların yanında vecde kapılmamalarını sağlayabilmek ve görünüşte onlarla fakat bâtınları ve kalpleri ile onlardan uzak kalabilmelerini sağlamak içindir. Nitekim her hangi bir sebeple bu gibilerin meclisinde semâsız oturanlar olduğu gibi, sûfilerden bâzılarının semâı terk ettiği nakledilmiştir. Bu, semâı kerîh görmelerinden değil, belki yukarıda anlattığımız sebeplerdendir. Bâzıları ise zâhidlerden olduğu halde semâın mânevî zevkine varamadığı gibi, lehv ve eğlence adamı olmadığından, boş şey ile uğraşmamak için semâı terk etmiştir. Diğer bâzıları da gerekli ihvânı bulamadığı için semâı terk etmiştir. Hattâ birisine, niçin semâ etmiyorsun dendiği zaman kime ve kim ile semâ edeyim, diye cevap vermiştir.

Dördüncü Edeb

Kendisini zabtedebilecek güçte olan kimsenin, ayağa kalkmaması ve yüksek sesle ağlamamasıdır. Fakat riyâ olmamak üzere ağlar gibi bir tavır takınması ve raks etmesi de mübâhtır. Zîra ağlar gibi yapmak, hüznü celbetmek, raks ile neşe ve sevinci tahrîk etmeye sebep olur. Mübâh olan her sevinci harekete geçirmek câizdir. Eğer haram olsa Hz. Âişe, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ile beraber Habeşîleri seyretmezdi. Hâlbuki onlar oynuyorlardı. Sahâbe-i kirâmdan bir cemâatin bir sevinç dolayısıyla tek ayak üzerine kalktıkları rivâyet edilmiştir. Şehid Hz. Hamza'nın kızı Umâme'nin terbiyesine bakmakta, Hz. Ali, Câfer ve Zeyd b. Hârise, velhâsıl her biri, çocuğa ben bakacağım diye ayaklandılar. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Hz. Ali'ye: "Sen benden ve ben de sendenim." deyince, Hz. Ali sevincinden hopladı ve tek ayak üzerine kalktı. Hz. Câfer'e: "Ahlâkın da kıyâfetin de bana benzer." deyince, o da hopladı. Zeyd'e de: "Sen bizim kardeşimizsin." demekle o da sevincinden hopladı ve hepsi tek ayak üzerine kakarak eğlendiler.[57] Sonra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.): "Onun terbiyesi Câfer'e aittir. Çünkü teyzesi Câfer'dedir. Teyze de anne sayılır." buyurdu.

Bir rivâyette Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Hz. Âişe'ye: "Habeşîlerin titreşme ve oyunlarını görmek ister misin?" buyurmuştur. "Zefen" ve "Hacel" raksedip oynamak demektir. Bu da fazla sevinçten veyâ bir şeye iştiyâktan doğar. Bunun dîndeki yeri, sebebine bağlıdır. İyi bir şeye sevinip hoplaması bu sevincini arttıracaksa makbuldür. Mübâh olan bir şeye sevinmiş ise oynaması mübâh, kötü bir şeye sevinmiş ise oynaması kötüdür.

Evet, böyle raksetmek, önder olacak büyüklere yakışmayan bir harekettir. Zîra bu gibi rakslar ekseriyetle oyun ve eğlenceden doğar. İnsanların nazarında oyun ve eğlence şeklinde olan hareketlerden önderlerin çekinmesi lâzımdır. Çünkü bu hareketlerde bulunmakla gözden ve itibârdan döşerler.

---

[57] Ebû Dâvud Hz. Ali'den hasen isnâd ile rivâyet etmiştir.

Elbiseyi yırtmaya gelince: iş, irâde ve ihtiyarından çıkıncaya kadar buna müsâade yoktur. Yaka-paçasını yırtacak kadar vecde gelmesi de mümkündür. Çünkü vecdi kendisini sarhoş ettiği için, yaptığından haberi olmayabilir. Yâhut haberi olur. Fakat âdeten mecbur tutuluyormuş gibi kendisine hâkim olamaz. Görünümde icbar edilmiş gibi bir hal alır. Zîra hareket etmekte ve elbisesini parçalamakta kendince bir râhatlık duyar ve bir nefes almış gibi olur. Âdeta hastanın inlemesi gibi ona mecbûr olur. Kendisini zorlasa da sabredemez. Bu, her ne kadar ihtiyârî ise de, insanoğlu irâdesi ile yaptığı hareketlerin bâzen terkine güc yetiremez. Meselâ, nefes almak insanın irâdesi ile iken, bir müddet nefes almasa, içinden nefes almaya mecbûr olur. İşte oynamak ve elbiseyi yırtmak da bunun gibidir. Onun için buna haram denemez.

Seriyyü's-Sakatî'ye ifrâd derecede vecdden sorduklarında, "Evet bâzen bilmeyerek kılıncı yüzüne de vurabilir." dedi ise de tatmin olmayarak tekrar tekrar kendisine sordular ve her defasında sözünde ısrâr etti. Yâni bâzı zamanlarda ve bâzı hallerde bâzı kimselerde böyle de olabilir.

Şâyet, "Vecd hali geçtikten ve semâdan çıktıktan sonra, yeni elbiselerini parça parça ederek orada bulunanlara dağıtıp buna da "HIRKA" adını verdiklerine ne buyurulur?" dersen bilmiş ol ki: O elbiseyi, yırtık elbiseler yama olacak şekilde parçalayıp yoksullara dağıtmak mübâhtır. Zîra elbise dikinmek için kumaş parçalanır. Onu parçalamak, zâyi etmek demek değildir. Çünkü bir maksad uğrunda parçalanıyor. Bunun gibi seccâde ve eski elbiseyi yamalamak da küçük parçalar ile olur. İşte gâye budur. Herkes yırtığını yamasın diye, onu birçok parçalara ayırıp dağıtmak, elbette mübâhtır. Aranılan cihet, bölünen parçaların yırtıklara yama olabilecek şekilde bölünmeleridir. Bizim semâda men ettiğimiz, heder olacak şekilde elbiseyi parçalamaktır. Bunun ihtiyârî olarak yapılması câiz değildir.

Beşinci Edeb

Riyasız olarak birisi vecde gelip ayağa kalktığı zaman, diğerleri de ona uyarak-ayağa kalkmalarıdır. Ona arkadaşlık, sohbet âdâbındandır. Yine bunun gibi, vecd halinde olan kimsenin başörtüsü düşerse oradakilerin de ona uyarak başlarını açmak, elbisesini yırtmışsa, onların da elbiselerini çıkarmaları uygun düşer. Bu da hüsn-ü muâşeret âdabıdır. Zîra muhalefet vahşeti doğurur. Her kavmin bir usûl ve âdeti vardır. İnsanların ahlâklarına uymak lâzımdır. Nitekim hadîste böyle vârid olmuştur. Bâhusûs hüsn-ü muâşeret ve gönül hoşluğu halinde usûle riâyet daha mühimdir.

Efendim, bu bir bid'attir, Sahâbe devrinde yoktu, onun için bu âdete uyulmaz sözü de pek makbul değildir. Çünkü her mübâh olan şeyin sahâbeden menkûl olması şart değildir. Mahzûrlu olan, sünneti bozan bid'ati irtikâb etmektir. Hâlbuki bunların hiç birinden nehiy nakledilmemiştir. Girene kıyâm, Arapların âdeti değildi. Hattâ Enes'in (r.a.) rivâyet ettiği gibi, bâzı hallerde sahâbe-i kirâm, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) için bile ayağa kalkmazlardı. Fakat bu hususta umûmî bir şey vârid olmadığı için, gelene ayağa kalkmak âdet olan memleketlerde ayağa kalkmakta beis görmeyiz. Çünkü maksat gelene hürmet, ikrâm ve gönlünü hoş etmektir. Diğer müsâade edilen işlerde de hüküm aynıdır. Maksat gönül almak olup cemâatin âdeti olan bir şeyi yapmakta beis yoktur. Belki tevîl kabul etmeyen yasaklar dışında bu gibi şeylere müsâade etmek daha güzeldir.

Edeblerden birisi de eğer hoşlanmıyorlarsa onlarla raksetmemek ve onların huzurunu bozmamaktır. Gerçi uydurma vecd yapmadan raksetmek mübâhtır. Sûretâ vecde gelenler cemiyete ağırlık verir. Fakat doğru olarak kalkan kimse cemiyete ağırlık vermez. Hazır bulunanlar basîret sâhibi kimseler ise onların kalpleri doğru vecd ile zorlama yapılan vecdin mihengidir, onu anlarlar. Nitekim birisinden, "Vecd-i sahîh ne ile bilinir?" diye sorulduğunda, "Hazırda olanlar aynı gönülde iseler, onların kalplerinın doğruluğuna şehâdet ettiği vecd, doğru; aksi ise yalandır." dedi.

Şâyet, "Bâzı tabiatlara ne oluyor ki, raksdan kaçar ve niçin bâzı vehimler raksın dîne aykırı, bâtıl bir oyun olduğunu sanırlar ve gerçek dîn adamları onu inkâr derler? Bunun sebebi nedir?" diye sorarsan bilmiş ol ki: Dindeki ciddiyet, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in ciddiyetinden fazla olamaz. Habeşîlerin mescidde oynadıklarını gördü ve bunu reddetmedi. Çünkü, hem gün neşe günü idi ve hem de oynayanlar uygun kimseler idi. Yâni Habeşîler idi. Evet, tabiatlar ondan nefret edebilir. Çünkü görünüşte oyun ve eğlenceden ibâret bir şeydir. Oyun ve eğlencenin mübâh olması da zenci, Habeşî ve benzerleri kimseler içindir. Mevkî sâhibi kimselerin şerefiyle uygun düşmeyeceği için, onlar hakkında mekrûhtur. Yâni onlar hakkındaki kerâhet, mevkîleri itibâriyledir. Onun için raksa haram denemez.

Meselâ, bir fakirden bir şey istense, o fakir de bir parça ekmek verse, herkesin kabul edip güzel göreceği bir tâat sayılır. Fakat bir pâdişahtan istense, pâdişâh iki ekmek de verse hoş karşılanmaz. Herkes bunu pâdişaha uygun görmez ve hattâ pâdişâhın aleyhine olarak târih sayfalarına bile geçer. Bununla beraber pâdişâhın bu yaptığına “harâmdır” da denemez. Çünkü yoksula ekmek vermekle güzel bir iş yapmıştır. Fakat nisbet itibariyle çirkin bir harekette bulundu. İşte raks ve benzeri mübâhlar da bunun gibidir. Avâm takımı için mübâh olan, ebrâr (iyiler) için günâh sayıldığı gibi, ebrârın hasenesi de onlardan manen daha ileride olan mukarrebler için seyyiedir. Fakat bütün bunlar, şahısların mevkîlerine nazarandır. Yapılan işin kendisine bakıldığı zaman onda bir haramlık olmadığı anlaşılır. Daha doğrusunu Allah bilir.

NETÎCE

Buraya kadar verdiğimiz îzahattan çıkarılan netîceye göre, semâ bâzen haram, bâzen mübâh, bâzen mekrûh ve bâzen de müstehap olur. Dünya şehvetleri gâlip olanlar ve gençlerin çoğu için haramdır. Çünkü semâ ancak onların gönüllerini istilâ eden şehvetlerini galeyâna getirir.

Semâı mahlûk sûretine tenzil etmeyerek, oyun ve eğlence yolu ile âdet haline getirerek, zamanlarının çocuğunu semâ ile geçirenler için de mekrûhtur.

Yalnız güzel sesten zevk almak için dinleyenlere de mübâhtır.

Allah sevgisi kendisine galebe çalıp iyi vasıflarını harekete geçirenler için de semâ müstehaptır.

Yalnız Allah’a hamdeder, Muhammed aleyhisselâma ve âline salât u selâm ederim.

كِتَابُ
الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ
وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ

وهو الكتاب التّاسع من ربع العادات
من كتب إحياء علوم الدّين

Rub'u'l-Âdât

DOKUZUNCU KİTAB

MÂRUFU EMREDİP, MÜNKERDEN NEHYETME KİTABI

(KİTÂBU'L-EMRİ BİL-MÂRUF VE'N-NEHY-İ ANİ'L-MÜNKER)

كتاب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي لا تُستفتحُ الكتبُ إلا بحمدِهِ ، ولا تُستمنحُ النعمُ إلا بواسطةِ كرمِهِ ورفدِهِ⁽¹⁾ ، والصلاةُ علىٰ سيِّدِ الأنبياءِ محمدٍ رسولِهِ وعبدِهِ ، وعلىٰ آلِهِ الطيِّبينَ وأصحابِهِ الطاهرينَ مِنْ بعدِهِ .

أما بعـد :

فإنَّ الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عنِ المنكرِ هوَ القطبُ الأعظمُ في الدينِ ، وهوَ المهمُّ الذي ابتعثَ اللهُ لهُ النبيِّينَ أجمعينَ ، ولوْ طُوِيَ بساطُهُ ، وأُهملَ علمُهُ وعملُهُ . . لتعطلَتِ النبوَّةُ ، واضمحلَتِ الديانةُ ، وعمَّتِ الفتنةُ⁽²⁾ ، وفشَتِ الضلالةُ ، وشاعَتِ الجهالةُ ، واستشرى الفسادُ ، واتسعَ الخرقُ ، وخربَتِ البلادُ ، وهلكَ العبادُ ، ولمْ يشعروا بالهلاكِ إلىٰ يومِ التنادِ .

وقدْ كانَ الذي خفْنا أنْ يكونَ ، فإنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ ؛ إذْ قدِ اندرسَ مِنْ هـٰذا القطبِ عملُهُ وعلمُهُ ، وانمحقَ بالكليَّةِ حقيقتُهُ ورسمُهُ ، فاستولَتْ

---

(1) في (ب ، ج ، د) : (مجده) بدل (رفده) .

(2) في غير (أ ، ب) : (الفترة) بدل (الفتنة) ، وفي (ج) زيادة : (وعميت البصيرة) .

على القلوبِ مداهنةُ الخلْقِ ، وانمحَتْ عنها مراقبةُ الخالقِ ، واسترسلَ الناسُ في اتباعِ الهوىٰ والشهواتِ استرسالَ البهائمِ ، وعزَّ علىٰ بسيطِ الأرضِ مؤمنٌ صادقٌ لا تأخذُهُ في اللهِ لومةُ لائمٍ .

فمَنْ سعىٰ في تلافي هٰذهِ الفترةِ ، وسدِّ هٰذهِ الثُّلمةِ ؛ إمَّا متكفِّلاً بعلمِها⁽١⁾ ، أوْ متقلِّداً لتنفيذِها ، مجدِّداً لهٰذهِ السنَّةِ الداثرةِ ، ناهضاً بأعبائِها ، ومتشمِّراً في إحيائِها . . كانَ مستأثراً مِنْ بينِ الخلقِ بإحياءِ سنَّةٍ أفضى الزمانُ إلىٰ إماتتِها ، ومستبداً بقربةٍ تتضاءَلُ درجاتُ القرْبِ دونَ ذروتِها ، **وها نحنُ نشرحُ علمَ ذلكَ في أربعةِ أبوابٍ** :

البابُ الأوَّلُ : في وجوبِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ وفضيلتِهِ .

البابُ الثاني : في أركانِهِ وشروطِهِ .

البابُ الثالثُ : في مجاريهِ وبيانِ المنكراتِ المألوفةِ في العاداتِ .

البابُ الرابعُ : في أمرِ الأمراءِ والسلاطينِ بالمعروفِ ونهيِهِمْ عنِ المنكرِ .

* * *

---

(١) بأن يعلِّم الناس بما أعطاه من بيان قوانينها ورسومها وحدودها ، إن لم يكن أهلاً للعمل بها . « إتحاف » (٣/٧) .

MUKADDİME

Hamd, Allah'a mahsûstur. (O'na hamdederim). O Allah ki, her kitâba O'na mahdetmekle başlanır. Nîmet ve atıyyeler ancak O'nun kerem ve in'âmı ile elde edilir.

Salât u selâm, peygamberlerin ulusu, kulu ve rasûlü olan Muhammed aleyhisselâm üzerine ve sonra da iç ve dışları temiz olan onun âline ve ashâbına olsun.

Bundan sonra bilmiş ol ki: Mârufu emredip münkerden nehyetmek[1] dînde en büyük kutup noktasını teşkîl eder. Allahü Teâlâ'nın peygamberler göndermesinin en mühim sebebi de budur. Şâyet mârufu emredip münkerden nehyetmek ortadan kaldırılıp, ilim ve amel ihmâl edilseydi, peygamberlik atâlete, diyanet çöküntüye uğrar, ihtilâf çoğalır, sapıklık yayılır, cehâlet ortalığı kaplar, fesad her tarafa sirâyet ederdi. Her ne kadar bu bataklığa daldıkları için kıyamete kadar farkında olmasalar da bozgunluklar çoğalır, memleketler harâb olur ve insanlar helâke giderlerdi.

Korktuğumuz da başımıza gelmişdir. Bu hususta **"İnnâ lillâh ve innâ ileyhi râciûn"** demekten başka çâremiz yoktur. Zîra bu kutbun ilmi ve ameli ortadan kalkmış, hakikat ve âdeti de kaybolmuştur. Halka müdâhene (dalkavukluk ve koltuklama) gönülleri kaplamış, Hâlik'ın murakabe korkusu ise gönüllerden silinmiştir.

---

[1] Aklın kabul ettiği, tab'ı selîmin uygun gördüğü ve dînin emrettiği şeylere mâruf, Allahın razı olmadığı söz ve işlere de münker denir.

Yaylımdaki hayvanlar gibi, insanlar şehvetlerinin arzularına takılmış, yeryüzünde Allah uğrundaki mücâdelede yerenlerin yermesine aldırış etmeyen gerçek mü'minler azalmıştır. İlmini tekeffül edinmek, infâzını üzerine almak, kaybolan bu sünneti yenilemek, isbâtına çalışmak ve yeniden dirilmesine gayret etmek sûretiyle bu boşluğun telâfisine ve bu gediğin kapatılmasına çalışan kimse, insanlar arasında, zamanın öldürdüğü bir sünneti diriltmeye çalışan ve bu sâyede zirvesine yaklaşamayan bütün yakınlıkların fevkine ve böyle büyük bir dereceye yükselmiş olur. İşte biz burada bunun ilmini dört bâbta açıklayacağız.

البَابُ الأوَّلُ
في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته والمذمّة في إهماله وإضاعته

ويدلُّ علىٰ ذلكَ بعدَ إجماعِ الأمَّةِ عليهِ وإشاراتِ العقولِ السليمةِ إليهِ الآياتُ والأخبارُ والآثارُ .

أمَّا الآياتُ :

فقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ ، ففي الآيةِ بيانُ الإيجابِ ، فإنَّ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ وَلۡتَكُن ﴾ أمرٌ ، وظاهرُ الأمرِ الإيجابُ ، وفيها بيانُ أنَّ الفلاحَ منوطٌ بهِ ؛ إذْ حصرَ وقالَ : ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ ، وفيها بيانُ أنَّهُ فرضُ كفايةٍ لا فرضُ عينٍ ، وأنَّهُ إذا قامَ بهِ أمَّةٌ . . سقطَ الفرضُ عنِ الباقينَ ؛ إذْ لمْ يقلْ : (كونوا كلُّكُمْ آمرينَ بالمعروفِ) ، بلْ قالَ : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ ﴾ ، فإذاً ؛ مهما قامَ بهِ واحدٌ أوْ جماعةٌ . . سقطَ الحرجُ عنِ الآخرينَ ، واختصَّ الفلاحُ بالقائمينَ بهِ المباشرينَ لهُ ، وإنْ تقاعدَ عنهُ الخلْقُ أجمعونَ . . عمَّ الحرجُ كافَّةَ القادرينَ عليهِ لا محالةَ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ

ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ۝ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ، فلمْ يشهدْ لهمْ بالصلاحِ بمجرَّدِ الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخرِ ، حتَّىٰ أضافَ إليهِ الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عنِ المنكرِ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ، فقدْ نعتَ المؤمنينَ بأنَّهُمْ يأمرونَ بالمعروفِ وينهونَ عنِ المنكرِ ، فالذي هجرَ الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عنِ المنكرِ خارجٌ عنْ هؤلاءِ المؤمنينَ المنعوتينَ في هـٰذهِ الآيةِ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ ، وهـٰذا غايةُ التشديدِ ؛ إذْ علَّلَ استحقاقَهُمُ اللعنةَ بتركِهِمُ النهيَ عنِ المنكرِ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ ، وهـٰذا يدلُّ علىٰ فضيلةِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ ؛ إذْ بيَّنَ أنَّهُمْ كانوا بهِ خيرَ أمَّةٍ أُخرجَتْ للناسِ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ ، فبيَّنَ أنَّهُمُ استفادوا النجاةَ بالنهيِ عنِ السوءِ ، ويدلُّ ذلكَ على الوجوبِ أيضاً .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ ، فقرنَ ذلكَ بالصلاةِ والزكاةِ في نعتِ الصالحينَ والمؤمنينَ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ وهٰذا أمرٌ جزْمٌ ، ومعنى التعاونِ : الحثُّ عليهِ ، وتسهيلُ طرقِ الخيرِ ، وسدُّ سبلِ الشرِّ والعدوانِ بحسَبِ الإمكانِ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ ، فبيَّنَ أنَّهُمْ أثموا بترْكِ النهيِ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ . . . ﴾ الآيةَ ، فبيَّنَ أنَّهُ أهلكَ جميعَهُمْ إلا قليلاً منهم كانوا ينهونَ عنِ الفسادِ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ ، وذلكَ هوَ الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عنِ المنكرِ للوالدينِ والأقربينَ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا . . . ﴾ الآيةَ ،

والإصلاحُ : نهيٌ عنِ البغيِ ، وإعادةٌ إلى الطاعةِ ، فإنْ لمْ يفعلْ . . فقدْ أمرَ اللهُ تعالىٰ بقتالِهِ ، فقالَ تعالىٰ : ﴿ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ ، وذلكَ هوَ النهيُ عنِ المنكرِ .

* * *

وأمّا الأخبارُ :

فمنها ما رُوِيَ عنْ أبي بكرٍ الصدِّيقِ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ في خطبةٍ خطبَها : (أيُّها الناسُ ؛ إنَّكُمْ تقرؤونَ هـٰذهِ الآيةَ وتؤوِّلونَها علىٰ خلافِ تأويلِها : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ ، وإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « ما مِنْ قومٍ عملوا بالمعاصي وفيهِمْ مَنْ يقدرُ أنْ ينكرَ عليهِمْ ، فلمْ يفعلْ . . إلا يوشكُ أنْ يعمَّهُمُ اللهُ بعذابٍ مِنْ عندِهِ »)⁽¹⁾ .

ورُوِيَ عنْ أبي ثعلبةَ الخشنيِّ أنَّهُ سألَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنْ تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ ، فقالَ : « يا أبا ثعلبةَ ؛ مُرْ بالمعروفِ وانْهَ عنِ المنكرِ ، فإذا رأيتَ شُحّاً مطاعاً ، وهوىً متبعاً ، ودنيا مؤثَرةً ، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيِهِ . . فعليكَ بنفسِكَ ، ودعْ عنكَ العوامَّ ، إنَّ مِنْ ورائِكُمْ فتناً كقطعِ الليلِ المظلمِ ، للمتمسِّكِ فيها بمثلِ الذي أنتمْ عليهِ

---

(1) رواه أبو داوود (٤٣٣٨) ، والترمذي (٢١٦٨) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (١١٠٩٢) ، وابن ماجه (٤٠٠٥) .

أجرُ خمسينَ منكُمْ » ، قيلَ : بلْ منهُمْ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « بلْ منكُمْ ؛ لأنَّكُمْ تجدونَ على الخيرِ أعواناً ولا يجدونَ عليهِ أعواناً »(١) .

وسُئِلَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ عنْ تفسيرِ هٰذهِ الآيةِ ، فقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (إنَّ هٰذا ليسَ زمانَها ، إنَّها اليومَ مقبولةٌ ، ولكنْ قدْ أوشكَ أنْ يأتيَ زمانُها ، تأمرونَ بالمعروفِ فيُصنعُ بكمْ كذا وكذا ، وتقولونَ فلا يُقبلُ منكُمْ ، فحينئذٍ عليكُمْ أنفسَكُم ، لا يضرُّكُم مَنْ ضلَّ إذا اهتديتُمْ)(٢) .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لتأمُرُنَّ بالمعروفِ وتنهوُنَّ عنِ المنكرِ أوْ ليسلِّطَنَّ اللهُ عليكُمْ شرارَكُمْ ، ثمَّ يدعو خيارُكُمْ فلا يُستجابُ لهُمْ »(٣) ، معناهُ : تسقطُ مهابتُهُمْ منْ أعينِ الأشرارِ ، فلا يخافونَهُمْ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يا أيُّها الناسُ ؛ إنَّ اللهَ يقولُ : لتأمُرُنَّ بالمعروفِ ولتنهَوُنَّ عنِ المنكرِ قبلَ أنْ تدعوا فلا يُستجابُ لكُمْ »(٤) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ما أعمالُ البرِّ عندَ الجهادِ في سبيلِ اللهِ

---

(١) رواه أبو داوود (٤٣٤١) ، والترمذي (٣٠٥٨) ، وابن ماجه (٤٠١٤) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (٥/٧/١٢٣) .

(٣) رواه البزار في « مسنده » (٨٥١٠) ، والطبراني في « الأوسط » (١٤٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ونحوه رواه الترمذي (٢١٦٩) من حديث حذيفة رضي الله عنه .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٦/١٥٩) ، وابن حبان في « صحيحه » (٢٩٠) من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ مقارب ، وهو عن ابن ماجه (٤٠٠٤) ولم يذكر فيه أنه من كلام الله تعالىٰ .

إلا كنفثةٍ في بحرٍ لجِّيٍّ ، وما جميعُ أعمالِ البرِّ والجهادِ في سبيلِ اللهِ عندَ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ إلا كنفثةٍ في بحرٍ لجِّيٍّ »[1] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ اللهَ تعالىٰ ليسألُ العبدَ : ما منعَكَ إذْ رأيْتَ المنكرَ أنْ تنكرَهُ ؟ فإذا لقَّنَ اللهُ العبدَ حجَّتَهُ . . قالَ : ربِّ ؛ وثقتُ بكَ وفَرِقْتُ مِنَ الناسِ »[2] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إيَّاكُمْ والجلوسَ على الطرقاتِ » ، قالوا : ما لنا بدٌّ ، إنَّما هيَ مجالسُنا نتحدَّثُ فيها ، قالَ : « فإذا أبيتُمْ إلا ذلكَ . . فأعطوا الطريقَ حقَّها » ، قالوا : وما حقُّ الطريقِ ؟ قالَ : « غضُّ البصرِ ، وكفُّ الأذىٰ ، وردُّ السلامِ ، والأمرُ بالمعروفِ ، والنهيُ عنِ المنكرِ »[3] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كَلامُ ابنِ آدمَ كلُّهُ عليهِ لا لهُ ، إلا أمرٌ بمعروفٍ أوْ نهيٌ عنْ منكرٍ ، أوْ ذكرُ اللهِ تعالىٰ »[4] .

---

(١) قال الحافظ العراقي : (رواه الديلمي في « مسند الفردوس » [٦٣٢٦] مقتصراً على الشطر الأول من حديث جابر ـ وهو عنده [٦٣٠٣] من حديث أبي هريرة بلفظ أقرب ـ بإسناد ضعيف ، وأما الشطر الأخير . . فرواه علي بن معبد في كتاب « الطاعة والمعصية » من رواية يحيى بن عطاء مرسلاً أو معضلاً ، ولا أدري من يحيى بن عطاء) « إتحاف » (٨/٧) ، وفي (ج) : (كتفلة) بدل (كنفثة) في الموضعين .

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠١٧) ، والخطابي في « العزلة » (٦٧) ، ولفظه هنا قريب لما رواه أحمد في « المسند » (٢٩/٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري (٢٤٦٥) ، ومسلم (٢١٢١) .

(٤) رواه الترمذي (٢٤١٢) ، وابن ماجه (٣٩٧٤) بنحوه .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ اللهَ لا يعذِّبُ الخاصَّةَ بذنوبِ العامَّةِ حتَّىٰ يُرى المنكرُ بينَ أظهرِهِمْ وهمْ قادرونَ علىٰ أنْ ينكروهُ فلا ينكروهُ »(١) .

وروىٰ أبو أمامةَ الباهليُّ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « كيْفَ أنتُمْ إذا طغىٰ نساؤُكُمْ ، وفسقَ شبَّانُكُمْ ، وتركتُمْ جهادَكُمْ ؟ » قالوا : وإنَّ ذلكَ لكائنٌ يا رسولَ اللهِ ؟! قالَ : « نعمْ ، والذي نفسي بيدِهِ ، وأشدُّ منهُ سيكونُ » ، قالوا : وما أشدُّ منهُ يا رسولَ اللهِ ؟ قَالَ : « كيفَ أنتُمْ إذا لمْ تأمرُوا بمعروفٍ ولمْ تنهَوا عنْ منكرٍ ؟ » قالُوا : وكائنٌ ذلكَ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « نعمْ ، والذي نفسي بيدِهِ ؛ وأشدُّ منْهُ سيكونُ » ، قالُوا : وما أشدُّ منهُ ؟ قالَ : « كيفَ أنتُمْ إذا رأيتُمُ المعروفَ منكراً ، وَرأيتُمُ المنكرَ معروفاً ؟ » قالوا : وكائنٌ ذلكَ يا رسولَ اللهِ ؟! قالَ : « نعمْ ، والذي نفسي بيدِهِ ، وأشدُّ منْهُ سيكونُ » ، قالوا : وما أشدُّ منهُ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « كيْفَ أنتُمْ إذا أمرتُمْ بالمنكرِ ونهيتُمْ عنِ المعروفِ ؟ » قالوا : وكائنٌ ذلكَ يا رسولَ اللهِ ؟! قالَ : « نعمْ ، والذي نفسي بيدِهِ ، وأشدُّ منهُ سيكونُ ، يقولُ اللهُ تعالىٰ : بي حلفتُ ؛ لأتيحنَّ لهُمْ فتنةً يصيرُ الحليمُ فيها حيرانَ »(٢) .

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٣٥٢) وفيه : (فلا ينكرونه) ، وأحمد في « المسند » (٤/ ١٩٢) من حديث عدي الكندي .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » (٣١) ، ونحوه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٦٤٢٠) ، والطبراني في « الأوسط » (٩٣٢١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وعنْ عكرمةَ ، عنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تقفنَّ عندَ رجلٍ يُقتلُ مظلوماً ؛ فإنَّ اللعنةَ تنزلُ علىٰ مَنْ حضرَهُ حينَ لمْ يدفعوا عنهُ ، ولا تقفنَّ عندَ رجلٍ يَضربُ مظلوماً ؛ فإنَّ اللعنةَ تنزلُ علىٰ مَنْ حَضرَهُ »(١) .

قالَ : وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا ينبغي لامرئٍ يشهدُ مقاماً فيهِ حقٌّ إلا تكلَّم بهِ ؛ فإنَّهُ لنْ يقدِّمَ أجلَهُ ، ولنْ يحرمَهُ رزقاً هوَ لهُ »(٢) .

وهـٰذا الحديثُ يدلُّ علىٰ أنَّهُ لا يجوزُ دخولُ دورِ الظلمةِ والفسقةِ ، ولا حضورُ المواضعِ التي يُشاهدُ المنكرُ فيها ولا يُقدرُ علىٰ تغييرِهِ ، فإنَّهُ قالَ : « اللعنةُ تنزلُ علىٰ مَنْ حضرَ » .

ولا يجوزُ لهُ مشاهدةُ المنكرِ مِنْ غيرِ حاجةٍ اعتذاراً بأنَّهُ عاجزٌ ، ولهـٰذا اختارَ جماعةٌ مِنَ السلفِ العزلةَ ؛ لمشاهدتِهِمُ المنكراتِ في الأسواقِ والأعيادِ والمجامعِ وعجزِهِمْ عنِ التغييرِ ، وهـٰذا يقتضي لزومَ الهجرةِ للخلقِ .

ولهـٰذا قالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رحمهُ اللهُ : (ما ساحَ السوَّاحُ وخلَّوا دورَهُمْ وأولادَهُمْ إلا لمثلِ ما نزلَ بنا حينَ رأوا الشرَّ قدْ ظهرَ ، والخيرَ قدِ

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » (١١/ ٢٦٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٧١٧٣) .

(٢) كذا رواه البيهقي في « الشعب » (٧١٧٣) بسند الحديث السابق .

اندرسَ ، ورأوا أنَّهُ لا يُقبلُ ممَّن تكلَّمَ ، ورأوا الفتنَ ولمْ يأمنوا أنْ تعتريَهُمْ ، وأنْ ينزلَ العذابُ بأولئكَ القومِ فلا يسلمونَ منهُ ، فرأَوا أنَّ مجاورةَ السباعِ وأكلَ البقولِ خيرٌ مِنْ مجاورةِ هؤلاءِ في نعيمِهِمْ ، ثمَّ قرأَ : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ قالَ : ففرَّ قومٌ ، فلولا ما جعلَ اللهُ جلَّ ثناؤُهُ في النبوَّةِ مِنَ السرِّ . . لقلنا : ما همْ بأفضلَ مِنْ هؤلاءِ فيما بلغَنا إنَّ الملائكةَ عليهمُ السلامُ لتلقَّاهُمْ وتصافحُهُمْ ، والسحابُ والسباعُ تمرُّ بأحدِهِمْ فيناديها فتجيبُهُ ، ويسألُها : أينَ أُمرتِ ؟ فتخبرُهُ ، وليسَ بنبيٍّ) .

وقالَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ حضرَ معصيةً فكرهَها . . فكأنَّهُ غابَ عنها ، ومَنْ غابَ عنها فأحبَّها . . فكأنَّهُ حضرَها »(١) ، ومعنى الحديثِ : أنْ يحضرَ لحاجةٍ أوْ يتفقَ جريانُ ذلكَ بينَ يديهِ ، فأمَّا الحضورُ قصداً . . فممنوعٌ بدليلِ الحديثِ الأوَّلِ .

وقالَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ما بعثَ اللهُ عزَّ وجلَّ نبيّاً إلا ولهُ حواريٌّ ، فيمكثُ النبيُّ بينَ أظهرِهِمْ ما شاءَ اللهُ تعالىٰ يعملُ فيهِمْ بكتابِ اللهِ وبأمرِهِ ، حتَّىٰ إذا قبضَ اللهُ نبيَّهُ . . مكثَ الحواريُّونَ يعملونَ بكتابِ اللهِ وبأمرِهِ ، وبسنَّةِ نبيِّهِمْ ، فإذا انقرضوا . . كانَ مِنْ بعدِهِمْ قومٌ يركبونَ رؤوسَ المنابرِ ، يقولونَ ما تعرفونَ ، ويعملونَ ما تنكرونَ ، فإذا رأيتُمْ ذلكَ . . فحقٌّ علىٰ كلِّ مؤمنٍ جهادُهُمْ بيدِهِ ، فإنْ لمْ

---

(١) رواه ابن عدي في « الكامل » (٧/ ٢٣٠) ، وهو عند أبي داوود (٤٣٤٥) من حديث العرس بن عميرة رضي الله عنه .

يستطعْ . . فبلسانِهِ ، فإنْ لمْ يستطعْ . . فبقلبِهِ ، وليسَ وراءَ ذلكَ إسلامٌ »⁽¹⁾ .

وقالَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (كانَ أهلُ قريةٍ يعملونَ بالمعاصي ، وكانَ فيهِمْ أربعةُ نفرٍ ينكرونَ ما يعملونَ ، فقامَ أحدُهُمْ فقالَ : إنَّكُمْ تعملونَ كذا وكذا ، فجعلَ ينهاهُمْ ويخبرُهُمْ بقبيحِ ما يصنعونَ ، فجعلوا يردُّونَ عليهِ ولا يرعوونَ عنْ أعمالِهِمْ ، فسبَّهُمْ فسبُّوهُ ، وقاتلَهُمْ فغلبوهُ ، فاعتزلَ ، ثمَّ قالَ : اللهمَّ ؛ إنِّي نهيتُهُمْ فعصوني ، وسببتُهُمْ فسبُّوني ، وقاتلتُهُمْ فغلبوني ، ثمَّ ذهَب ، ثمَّ قامَ الآخرُ ، فنهاهُمْ ، فلمْ يطيعوهُ ، فسبَّهُمْ فسبُّوهُ ، فاعتزلَ ، ثمَّ قالَ : اللهمَّ ؛ إنِّي قَدْ نهيتُهُمْ فلمْ يطيعوني ، وسببتُهُمْ فسبُّوني ، ولوْ قاتلتُهُمْ . . لغلبوني ، ثمَّ ذهبَ ، ثمَّ قامَ الثالثُ ، فنهاهُمْ ، فلم يطيعوهُ ، فاعتزلَ ، ثمَّ قالَ : اللهمَّ ؛ إنِّي قدْ نهيتُهُمْ فلمْ يطيعوني ، ولوْ سببْتُهُمْ . . لسبُّوني ، ولوْ قاتلتُهُمْ . . لغلبوني ، ثمَّ ذهبَ ، ثمَّ قَامَ الرابعُ فقالَ : اللهمَّ ؛ إنِّي لوْ نهيتُهُمْ . . لعصوني ، ولوْ سببتُهُمْ . . لسبُّوني ، ولوْ قاتلتُهُمْ . . لغلبوني ، ثمَّ ذهبَ ، قالَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : كانَ الرابعُ أدناهُم منزلةً ، وقليلٌ فيكُمْ مثلُهُ) .

وقالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما : قيلَ : يا رسولَ اللهِ ؛ أتهلكُ القريةُ وفيها الصالحونَ ؟ قالَ : « نعمْ » ، قيلَ : بِمَ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « بتهاونِهِمْ وسكوتِهِمْ عنْ معاصي اللهِ عزَّ وجلَّ »⁽²⁾ .

---

(1) رواه مسلم (٥٠) بنحوه .

(2) رواه البزار في « مسنده » (٤٧٤٣) ، والطبراني في « الكبير » (١١/ ٢٧٠) .

وقالَ جابرُ بنُ عبدِ اللهِ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أوحى اللهُ تباركَ وتعالىٰ إلىٰ ملكٍ مِنَ الملائكةِ : أنِ اقلبْ مدينةَ كذا وكذا علىٰ أهلِها ، فقالَ : يا ربِّ ؛ إنَّ فيهِمْ عبدَكَ فلاناً ، لمْ يعصِكَ طرفةَ عينٍ ! قالَ : اقلبْها عليهِ وعليهِمْ ؛ فإنَّ وجهَهُ لمْ يتمعَّرْ فيَّ ساعةً قطُّ »(١) .

وقالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « عُذِّبَ أهلُ قريةٍ فيها ثمانيةَ عشرَ ألفاً عملُهُمْ عملُ الأنبياءِ » ، قالوا : يا رسولَ اللهِ ؛ كيفَ ؟ قالَ : « لمْ يكونوا يغضبونَ للهِ ، ولا يأمرونَ بالمعروفِ ، ولا ينهونَ عنِ المنكرِ »(٢) .

وعنْ عروةَ عنْ أبيهِ قالَ : قالَ موسىٰ عليهِ السلامُ : يا ربِّ ؛ أيُّ عبادِكَ أحبُّ إليكَ ؟ قالَ : الذي يتسرَّعُ إلىٰ هوايَ كما يتسرَّعُ النسرُ إلىٰ هواهُ ، والذي يكلَفُ بعباديَ الصالحينَ كما يكلَفُ الصبيُّ بالثدي ، والذي يغضبُ إذا أُتيتْ محارمي كما يغضبُ النَّمرُ لنفسِهِ ، فإنَّ النمرَ إذا غضبَ لنفسِهِ . . لمْ يبالِ قلَّ الناسُ أمْ كثروا(٣) .

---

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » (٧٦٥٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٧١٨٩) ، والتمعُّرُ : تغيُّرُ الوجه عند الغضب .

(٢) قال الحافظ العراقي : (لم أقف عليه مرفوعاً) ، وسيأتي نحوه للمصنف قريباً . انظر « الإتحاف » (٧/ ١١) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٤٢٥) ، وهناد في « الزهد » (٤٨٨) ، ورواه من حديث عائشة مرفوعاً الطبراني في « الأوسط » (١٨٦٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ١٣) .

وهٰذا يدلُّ علىٰ فضيلةِ الحِسْبَةِ معَ شدَّةِ الخوفِ .

وقالَ أبو ذرٍّ الغفاريُّ : قالَ أبو بكرٍ الصدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ : يا رسولَ اللهِ ؛ هلْ مِنْ جهادٍ غيرِ قتالِ المشركينَ ؟ فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « نعمْ يا أبا بكرٍ ؛ إنَّ للهِ تباركَ وتعالىٰ مجاهدينَ في الأرضِ ، أفضلُ مِنَ الشهداءِ ، أحياءٌ مرزوقونَ ، يمشونَ على الأرضِ ، يباهي اللهُ بهِمْ ملائكةَ السماءِ ، وتُزيَّنُ لهُمُ الجنَّةُ كما تزيَّنَتْ أمُّ سلمةَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ » ، فقالَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ومَنْ هُمْ ؟ قالَ : « هُمُ الآمرونَ بالمعروفِ ، والناهونَ عنِ المنكرِ ، والمحبُّونَ في اللهِ ، والمبغضونَ في اللهِ » ، ثمَّ قالَ : « والذي نفسي بيدِهِ ؛ إنَّ العبدَ منهُمْ ليكونُ في الغرفةِ فوقَ الغرفاتِ فوقَ غُرَفِ الشهداءِ ، للغرفةِ منها ثلاثُ مئةِ ألفِ بابٍ ، منها الياقوتُ والزمردُ الأخضرُ ، علىٰ كلِّ بابٍ نورٌ ، وإنَّ الرجلَ منهُمْ ليُزوَّجُ بثلاثِ مئةِ ألفِ حوراءَ قاصراتِ الطرفِ عينٍ ، كلَّما التفتَ إلىٰ واحدةٍ منهُنَّ فنظرَ إليها . . تقولُ لهُ : أتذكرُ يومَ كذا وكذا أمرتَ بالمعروفِ ونهيتَ عنِ المنكرِ ؟ كلَّما التفتَ إلىٰ واحدةٍ منهُنَّ . . ذكرَتْ لهُ كلَّ مقامٍ أمرَ فيهِ بمعروفٍ ، ونهىٰ فيهِ عنْ منكرٍ »(١) .

وقالَ أبو عبيدةَ بنُ الجرَّاحِ رضيَ اللهُ عنهُ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ أيُّ الشهداءِ أكرمُ على اللهِ عزَّ وجلَّ ؟ قالَ : « رجلٌ قامَ إلىٰ والٍ جائرٍ ، أَمرَهُ

---

(١) قال الحافظ العراقي : (الحديث بطوله لم أقف له علىٰ أصل ، وهو منكر) . « إتحاف » (٧/ ١٢) .

بالمعروفِ ونهاهُ عنِ المنكرِ فقتلَهُ ، فإنْ لمْ يقتلْهُ . . فإنَّ القلمَ لا يجري عليهِ بعدَ ذلكَ وإنْ عاشَ ما عاشَ »(١) .

وقالَ الحسنُ البصريُّ رحمهُ اللهُ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أفضلُ شهداءِ أمَّتي رجلٌ قامَ إلىٰ إمامٍ جائرٍ ، فأمرَهُ بالمعروفِ ونهاهُ عنِ المنكرِ فقتلَهُ علىٰ ذلكَ ، فذلكَ الشهيدُ منزلتُهُ في الجنَّةِ بينَ حمزةَ وجعفرٍ »(٢) .

وقالَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « بئسَ القومُ قومٌ لا يأمرونَ بالقسطِ ، وبئسَ القومُ قومٌ لا يأمرونَ بالمعروفِ ولا ينهونَ عنِ المنكرِ »(٣) .

* * *

وأمَّا الآثارُ :

فقدْ قالَ أبو الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ : (لتأمرنَّ بالمعروفِ ، ولتنهوُنَّ عنِ المنكرِ أوْ ليسلِّطنَّ اللهُ عليكُمْ سلطاناً ظالماً ، لا يجلُّ كبيرَكُمْ ، ولا يرحمُ

---

(١) رواه الطبراني في « مسند الشاميين » (٣٥٤١) إلىٰ قوله : (فقتله) ، ونعت الحافظ العراقي الزيادة بأنها منكرة . انظر « الإتحاف » (٧/ ١٢) .

(٢) روىٰ نحو هـٰذا من حديث جابر الحاكمُ في « المستدرك » (٣/ ١٩٥) ، ولفظه : « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلىٰ إمام جائر فأمره ونهاه ، فقتله » .

(٣) قال الحافظ العراقي : (رواه أبو الشيخ ابن حيان من حديث جابر بسند ضعيف ، وأما حديث عمر . . فأشار إليه أبو منصور الديلمي في « مسند الفردوس » بقوله : وفي الباب ، ورواه علي بن معبد في كتاب « الطاعة والمعصية » من حديث الحسن مرسلاً) . « إتحاف » (٧/ ١٢) .

صغيرَكُمْ ، ويدعو عليهِ خيارُكُمْ فلا يُستجابُ لهُمْ ، وتنتصرونَ فلا تُنصرونَ ، وتستغفرونَ فلا يُغفرُ لكُمْ)(١) .

وسُئِلَ حذيفةُ رضيَ اللهُ عنهُ عنْ ميتِ الأحياءِ ، فقالَ : (الذي لا ينكرُ المنكرَ بيدِهِ ، ولا بلسانِهِ ، ولا بقلبِهِ)(٢) .

وقالَ مالكُ بنُ دينارٍ : كانَ حبرٌ مِنْ أحبارِ بني إسرائيلَ يغشى الرجالُ والنساءُ منزلَهُ ، يعظُهُمْ ويذكِّرُهُمْ بأيامِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فرأىٰ بعضَ بنيهِ يوماً وقدْ غمزَ بعضَ النساءِ ، فقالَ : مهلاً يا بنيَّ مهلاً ، فسقطَ مِنْ سريرِهِ ، فانقطعَ نخاعُهُ ، وأسقطَتِ امرأتُهُ ، وقتلَ بنوهُ في الجيشِ ، فأوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ نبيِّ زمانِهِ أنْ أخبرْ فلاناً الحبْرَ أنِّي لا أُخرجُ مِنْ صلبِكَ صدِّيقاً أبداً ، أما كانَ مِنْ غضبِكَ لي إلا أنْ قلتَ : مهلاً يا بنيَّ مهلاً ؟!(٣)

وقالَ حذيفةُ : يأتي على الناسِ زمانٌ لأنْ تكونَ فيهِمْ جيفةُ حمارٍ أحبُّ إليهِمْ مِنْ مؤمنٍ يأمرُهُمْ وينهاهُمْ(٤) .

وأوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ يوشعَ بنِ نونٍ عليهِ السلامُ : إنِّي مهلكٌ مِنْ قومِكَ أربعينَ ألفاً مِنْ خيارِهِمْ وستينَ ألفاً مِنْ شرارِهِمْ ، فقالَ : يا ربِّ ؛ هؤلاءِ

---

(١) كذا أورده أبو الليث السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص ٩٧) ، والثعلبي في « تفسيره » (٣/ ١٢٣) ، وتقدم معناه في المرفوع .

(٢) رواه البيهقي في « الشعب » (٧١٨٤) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٧٢) .

(٤) أورده الثعلبي في « تفسيره » (٣/ ١٢٣) .

الأشرارُ ، فما بالُ الأخيارِ ؟! فقالَ : إنَّهُمْ لمْ يغضبوا لغضبي ، وواكلوهُمْ وشاربوهُمْ(١) .

وقالَ بلالُ بنُ سعدٍ : (إنَّ المعصيةَ إذا أُخفيَتْ . . لمْ تضرَّ إلا صاحبَها ، فإذا أُعلنَتْ ولم تُغيَّرْ . . أضرَّتْ بالعامَّةِ)(٢) .

وقالَ كعبُ الأحبارِ لأبي مسلمٍ الخولانيِّ : كيفَ منزلتُكَ مِنْ قومِكَ ؟ قالَ : حسنةٌ ، قالَ كعبٌ : إنَّ التوراةَ لتقولُ غيرَ ذلكَ ! قالَ : وما تقولُ ؟ قالَ : تقولُ : إنَّ الرجلَ إذا أمرَ بالمعروفِ ، ونهىٰ عنِ المنكرِ . . ساءَتْ منزلتُهُ عندَ قومِهِ ، فقالَ : صدقتِ التوراةُ وكذبَ أبو مسلمٍ(٣) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما يأتي العمَّالَ ، ثمَّ قعدَ عنهُمْ ، فقيلَ لُه : لوْ أتيتَهُمْ فلعلَّهُمْ يجدونَ في أنفسِهِمْ ، فقالَ : أرهبُ إنْ تكلَّمْتُ أنْ يروا أنَّ الذي بي غيرُ الذي بي ، وإنْ سكتُّ . . رهبتُ أنْ آثمَ(٤) .

وهٰذا يدلُّ علىٰ أنَّ مَنْ عجزَ عنِ الأمرِ بالمعروفِ . . فعليهِ أنْ يبعدَ عنْ ذلكَ الموضعِ ويستترَ عنهُ ؛ حتىٰ لا يجريَ بمشهدٍ منهُ .

وقالَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ : (أوَّلُ ما تُغلبونَ عليهِ مِنَ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » (٧١) ، والبيهقي في « الشعب » (٨٩٨٢) .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٣٥٠) .

(٣) رواه الخولاني في « تاريخ داريا » (ص ٦٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٧/٢٠٣) .

(٤) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٣٥٥) .

الجهادِ الجهادُ بأيديكُمْ ، ثمَّ الجهادُ بألسنتِكُمْ ، ثمَّ الجهادُ بقلوبِكُمْ ، فإذا لمْ يعرفِ القلبُ المعروفَ ، ولمْ ينكرِ المنكرَ . . نكسَ ، فجُعلَ أعلاهُ أسفلَهُ)[1] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ رحمهُ اللهُ : (أيُّما عبدٍ عملَ في شيءٍ مِنْ دينِهِ بما أُمِرَ بهِ أوْ نُهِيَ عنهُ ، وتعلَّقَ بهِ عندَ فسادِ الأمورِ وتنكُّرِها وتشوشِ الزمانِ . . فهوَ ممَّنْ قدْ قامَ للهِ في زمانِهِ بالأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ) ، معناهُ : أنَّهُ إذا لمْ يقدرْ إلا علىٰ نفسِهِ ، فقامَ بها ، وأنكرَ أحوالَ الغيرِ بقلبِهِ . . فقدْ جاءَ بما هوَ الغايةُ في حقِّهِ .

وقيلَ للفضيلِ : ألا تأمرُ وتنهى ؟ فقالَ : إنَّ قوماً أمروا ونهوا فكفروا ، وذلكَ أنَّهُمْ لمْ يصبروا علىٰ ما أُصيبوا .

وقيلَ للثوريِّ : ألا تأمرُ بالمعروفِ وتنهىٰ عنِ المنكرِ ؟ فقالَ : إذا انبثقَ البحرُ . . فمَنْ يقدرُ أنْ يسكُرَهُ[2] .

فقدْ ظهرَ بهٰذهِ الأدلَّةِ أنَّ الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عنِ المنكرِ واجبٌ ، وأنَّ فرضَهُ لا يسقطُ معَ القدرةِ إلا بقيامِ قائمٍ بهِ ، فلنذكرِ الآنَ شروطَهُ وشروطَ وجوبِهِ .

* * *

---

[1] رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٨٧٣٣) .

[2] رواه أبو بكر الخلال في « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » (٢٠) ، يقال : سَكَر النهر سَكْراً ؛ إذا سدَّه .

Birinci Bab

MÂRUFU EMREDİP MÜNKERDEN NEHYETMENİN FAZÎLETİ

Emr-i mâruf ve nehy-i münkerin vücûb ve fazîletini akl-ı selîm kabul edip, üzerinde icmâ bulunduğu gibi, şu âyet-i celîleler de bunu açıkça ifâde etmektedir:

Bu husustaki âyet-i kerîmeler:

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

“Sizden öyle bir cemâat bulunmalıdır ki, (onlar herkesi) **hayra çağırsınlar; iyiliği emretsinler, kötülükten vaz geçirmeye çalışsınlar. İşte onlar murâdına erenlerin tâ kendileridir.”** (Âl-i İmrân suresi, 3/104)

Âyet-i celîle, emr-i mâruf ve nehy-i münkerin vücûbunu ifâde etmektedir. Çünkü **“Bulunsun”** bir emirdir. Emrin zâhiri vücûbtur.[2] Ayrıca kurtuluşun emr-i mâruf ve nehy-i münkere bağlı olduğu ifâde edilmektedir. Çünkü **“İşte onlar, murâdına erenlerin tâ kendileridir.”** cümlesinde hasır vardır. Yâni felaha ulaşanlar, ancak bunlardır. Ayrıca emr-i mârufun farz-ı ayın olmayıp farz-ı kifâye olduğu da ifâde edilmektedir. Yâni bâzıları vazîfeyi yerine getirirse diğerlerinden vebâl sâkıt olur. Çünkü âyet-i celîlede **"Hepiniz bu vazîfeyi yapınız."** buyurulmadı. **"Sizden bir kısmınız bu vazîfeyi yapsın."** buyuruldu. Bir muhitte bu vazîfeyi yerine getirenler bulunursa, felâh bu vazîfeyi yapanlara mahsûs olmakla beraber, diğerlerinden de günâh sakıt odur. Bu vazîfeyi yapacak bir kimse bulunmadığı takdirde hepsi birden mesul olurlar.

---

[2] Buradaki **“Vücûb”** kelimesi, farz mânâsındadır. Usûl âlimleri bu kelimeyi farz makamına kullanırlar.

لَيْسُوا سَوَآءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ اٰيَاتِ اللّٰهِ اٰنَاءَ
اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ، يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَأُولٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ

"Hepsi bir değildirler. Kitaplıların içinde ayakta dikilen bir ümmet vardır ki, gecenin saatlerinde onlar secdeye kapanarak Allahın âyetlerini okurlar. Allah'a ve âhiret gününe inanırlar, iyiliği emrederler, kötülükten vaz geçirmeye çalışırlar, hayır işlerinde de birbirleriyle yarış yaparlar. İşte onlar sâlihlerdendir." (Âl-i İmrân suresi, 3/113-114)

Yalnız Allah'a ve âhirete îmanları sebebiyle onların salâhlarına şehâdet etmedi. Belki emr-i mâruf ve nehy-i münkeri bu îmana izâfe etti. Ancak bu sâyede sâlihlerden olacaklarını bildirdi.

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

"Mü'min erkekler de mü'min kadınlar da birbirinin velîleri (dostları ve yardımcıları)**dır. Bunlar** (insanlara) **iyiliği em-**

rederler (onları) **kötülükten vaz geçirmeye çalışırlar, namazı dosdoğru kılarlar, zekâtı verirler. Allah ve Rasûlüne itâat ederler. İşte bunlar, Allah onları rahmetiyle yarlığayacaktır. Çünkü O, azîzdir, hakîmdir.”** (Tevbe suresi, 9/71)

Mü’minleri emr-i mâruf ve nehy-i münker etmekle vasıflandırdı. Emr-i mâruf ve nehy-i münkeri terk edenler, bu vasıflarını kaybederler.

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلٰى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى
ابْنِ مَرْيَمَ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ
عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ

“İsrailoğullarından olup da küfredenlere Dâvûd’un da, Meryem oğlu İsa’nın da dili ile lânet olunmuştur. Bunun sebebi isyân etmeleri ve aşırı gitmeleri idi. Onlar işledikleri herhangi bir fenâlıktan birbirini vaz geçirmeye çalışmazlardı. Hakikat, yapmakta devam ettikleri ne kötü idi.” (Mâide suresi, 5/78-79)

Bu âyette son derece şiddet kullanılmıştır. Zîra lânete hak kazanmalarına sebep, nehy-i münkeri terk ettikleri gösterilmiştir.

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ

“Siz insanlar için çıkarılmış en hayırlı bir ümmetsiniz. İyiliği emreder, kötülükten vazgeçirmeye çalışırsınız.” (Âl-i İmrân suresi, 3/110)

Bu âyet-i celîle de emr-i mâruf ve nehy-i münkerin fazîletine delâlet etmektedir. Zîra bu âyette emr-i mâruf ve nehy-i münker edenlerin insanlar arasından seçilmiş hayırlı ümmet oldukları bildiriliyor.

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ
وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ

"Vaktâ ki, onlar artık edilen vaazları unuttular. Biz de kötülükten vazgeçirmekte sebat edenleri selâmete çıkardık. Zulmedenleri ise yapmakta oldukları fısklar yüzünden şiddetli bir azâb ile yakaladık." (Â'râf suresi, 7/165)

Allahü Teâlâ bu âyet-i celîlede, onların kötülükten men etmeleri kurtuluşlarının sebebi olduğunu beyân buyurmuştur ki, bu âyet-i celîle de emr-i mârufun vücûbuna delâlet eder.

اَلَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ
وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ

"Onları biz yeryüzüne yerleştirirsek namaz kılarlar, zekât verirler, mârufu emrederler, münkerden nehyederler." (Hac suresi, 22/41)

Allahü Teâlâ mü'min ve sâlih kimseleri anlatırken emr-i mârufu da iyi vasıflarına eklemiştir.

وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوٰى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ

"İyilik etmek, fenâlıktan sakınmak hususunda birbirinizle yardımlaşın. Günâh işlemek ve haddi aşmak üzerinde yardımlaşmayın." (Mâide suresi, 5/2)

Bu katî bir emirdir. Yardımlaşmanın mânâsı, imkân nisbetinde kötülük kapılarını kapayıp, iyilik yollarını kolaylaştırmak ve buna teşvîk etmektir.

لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ
السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ

“Bâri âlimleri, fakîhleri onları günâh söylemelerinden ve haram yemelerinden vazgeçirmeye çalışsalardı ya. Herhalde yapmakta oldukları bu (sanat) **ne kadar kötü!”** (Mâide suresi, 5/63)

Onların, emr-i mârufu ve nehy-i münkeri terk etmekle günâha düştüklerini beyân buyurdu.

فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ
الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ

“Sizden önceki devirlerde (insanları) **yeryüzünde fesâd** (çıkarmak)**tan vazgeçirmeye çalışacak** (bu sûretle onları helâkten kurtaracak) **fazîlet sahipleri bulunmalı değil miydi?”** (Hûd suresi, 11/116)

Allahü Teâlâ bu âyet-i celîlede de fesâttan ve bozgunculuktan nehyeden az bir kimseyi kurtarıp diğerlerini helâk ettiğini beyân buyurmuştur.

يَٓا أَيُّهَا الَّذٖينَ اٰمَنُوا كُونُوا قَوَّامٖينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَٓاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ
عَلٰٓى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبٖينَ

"Ey îman edenler! Adaleti titizlikle ayakta tutan (hâkim) **ler ve Allah için şâhidlik eden** (insan)**lar olsun.** (O hükmünüz veyâ sahiciliğiniz) **velev ki kendinizin veyâ ana ve babalarınızın ve yakın hısımların aleyhinde olsun."** (Nisâ suresi, 4/135)

Bu da, ana-baba ve diğer yakınlara emr-i mâruf ve nehy-i münkerdir.

لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ
أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللّٰهِ
فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا

"Onların fısıldaşmalarının birçoğunda hayır yoktur. Meğer ki, bir sadaka vermeyi ya bir iyilik yapmayı veyâ insanların arasını düzeltmeyi emredenler ola. Kim Allahın rızâsını arayarak böyle yaparsa biz ona çok büyük bir mükâfat vereceğiz." (Nisâ suresi, 4/114)

وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا

"Eğer mü'minlerden iki takım birbirleriyle dövüşürlerse aralarını düzeltiniz." (Hücûrât suresi, 49/9)

Islâh, azgınlığı kaldırıp, tâati iâde etmektir. Şayet azgınlıktan vazgeçmez ve ibâdete dönmezlerse Allahü Teâlâ bu gibilerle mukâteleyi emrederek şöyle buyurmuştur:

فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتّٰى تَفِيءَ إِلٰى أَمْرِ اللّٰهِ

"Eğer biri diğeri üzerine saldırırsa, saldıranlarla Allahın buyruğuna dönmelerine kadar savaşınız." (Hucûrât suresi, 49/9)

Bu husustaki haberler:

Hz. Ebû Bekir Sıddîk (r.a.) bir hutbesinde:

يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا
اهْتَدَيْتُمْ

“Ey îman edenler! Siz nefisleriniz(i ıslâh etmey)**e bakınız. Kendiniz doğru yola giderseniz, yolunu şaşırmış kimselerin zararı size dokunmaz.”** (Mâide suresi, 5/105) âyet-i celîlesini okuyor ve asıl mânâsının hilâfına tevîl ediyorsunuz. Hâlbuki ben Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’den şöyle dinledim: Buyurdular ki: *“Bir kavim arasında isyân edenleri düzeltebilecek kimseler var iken, buna susarlarsa Allahü Teâlâ’nın, azâbı, hepsine birden göndermesi pek yakındır.”*[3]

Rivâyete göre **Sa’lebetü’l-Haşenî,** Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e bu âyetin tefsîrinden sordu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ، مُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِذَا رَأَيْتَ شُحًّا
مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ
بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَ؛ إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا
كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهَا بِمِثْلِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ
أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» قِيلَ: بَلْ مِنْهُم يَا رَسُولَ اللّٰهِ. قَالَ: «لَا
بَلْ مِنْكُمْ لِأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانًا وَلَا يَجِدُونَ
عَلَيْهِ أَعْوَانًا

---

[3] Ebû Dâvûd, Tirmizî ve Neseî sahih senedle rivâyet etmişlerdir.

"Yâ Ebâ Sa'lebe! İyilikleri emret, kötülüklerden vazgeçirmeye çalış. Ne zaman ki, aşırı derecede cimrilik hâkim olur, nefislerin arzusu peşinden gidilir, dünya âhiret üzerine tercîh edilir, herkes kendi görüşünü beğenir, kimse kimseyi tanımaz bir hale gelirse, o zaman insanlardan vazgeç ve kendine bak. Önünüzde gece karanlığında yol kesenler gibi karanlık günler vardır. O günlerde benim sünnetime sarılanlara, sizlerin bu gün aldığınız mükâfatın elli misli vardır."

Ashâb-ı kirâm, o zamanki insanlara nisbetle elli misli fazla sevap alırlar diye bir açıklama istedilerse de, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) tekîd ederek: *"Hayır, sizin elli misli fazlanızı alırlar. Çünkü siz iyiliklerde yardımcı bulursunuz fakat onlar bulamazlar."*[4] buyurmuştur.

İbn Mes'ûd'a bu âyetin tefsirinden suâl edilince, "Daha onun zamanı değildir. Çünkü şimdi tam mânâsıyla emr-i mâruf ve nehy-i münker yapılabiliyor. Bir zaman gelecek ki, o zaman emr-i mâruf ettiğiniz vakit, sizi uygunsuz şekilde karşılayacaklar. İşte o vakit, bu âyetin hükmü ile amel eder ve siz hidâyette olursanız, başkasının sapıklıkta olması size zarar vermez." buyurdu.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ اللّٰهُ
عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ، ثُمَّ يَدْعُو خِيَارَكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ

"Ya mârufu emr ve münkerden nehyedersiniz, yâhut Allahü Teâlâ sizin kötülerinizi size musallat eder. Sonra iyileriniz duâ etmeye kalkışır, fakat duaları kabul olunmaz."[5]

---

[4] Ebû Dâvûd ve Tirmizî rivâyet etti. İbn Mâce hasen olduğunu söyledi.

[5] Bezzâr Ömer b. Hattab'tan, Taberânî «**Evsat**»ında Ebû Hüreyre'den rivâyet etmişlerdir.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

يَآ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللّٰهَ يَقُولُ: لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ
الْمُنْكَرِ قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ

“Ey insanlar! Cenâb-ı Allah buyuruyor: Duâ edip de dualarınız kabul olunmamaya başlamadan önce emr-i mâruf ve nehy-i münker etmelisiniz.”[6] buyurmuştur.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

مَا أَعْمَالُ الْبِرِّ عِنْدَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ إِلَّا كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ
لُجِّيٍّ، وَمَا جَمِيعُ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ عِنْدَ
الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ

“Bütün ameller, Allah rızâsı uğrunda cihâda nisbetle büyük denizlerin yanında bir damla su gibi kalır. Allah yolunda cihâd da dâhil olmak üzere, bütün ameller emr-i mâruf ve nehy-i münkere nisbetle yine bir damla gibidir.”[7]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ اللّٰهَ لَيَسْأَلُ الْعَبْدَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ أَنْ تُنْكِرَهُ؟
فَإِذَا لَقَّنَ اللّٰهُ عَبْدًا حُجَّتَهُ، قَالَ: رَبِّ وَثِقْتُ بِكَ، وَفَرِقْتُ
مِنَ النَّاسِ

---

[6] Ahmed ve Beyhakî rivâyet etmiştir.

[7] Ebû Mansûr Deylemî **“Müsned-i Firdevs”**inde birinci kısmını Câbir’den, ikinci kısmını Ali b. Mâbet **“Tâat ve Mâsiyet Kitâbı”**nda Yahya b. Ata’dan Mürsel veyâ Mu’dal olarak rivâyet etmişlerdir.

"Allahü Teâlâ, kötülüğü gördüğü halde ondan vazgeçirmeye çalışmayan kuluna, "Niçin men etmedin?" diye soracaktır. Allahü Teâlâ hüccetini kuluna anlattığı vakit o kul; "Allahım, sana güvendim ve insanlardan korktum." diyecektir."[8] buyurmuştur.

Yol Hakkı:

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

«إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ» قَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا ذٰلِكَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا» قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذٰى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»

– *"Yollar üzerinde oturmaktan sakınınız."* buyurdu. Ashâb:

– *"Bizim sohbet yerlerimiz yol kenarlarıdır. Buralarda oturmak bizim için mecbûri gibidir."* dediler. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *"Mutlaka yol kenarında oturmak zarûreti hâsıl oluyorsa, yolun hakkını veriniz."* buyurdu. Ashâb:

– *"Yolun hakkı nedir Ya Rasûlallah?"* dediler. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *"Gelip geçene bakmamak, gözlerinizi yabancıdan sakınmak, yolcuya eziyet verecek şeyleri yoldan atmak, verilen selâmı almak ve mârufu emredip münkerden nehyetmektir."* buyurdu.[9]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

[8] İbn Mâce rivâyet etmiştir.

[9] Buhârî ile Müslim, Ebû Saîd'den rivâyet etmişlerdir.

كَلَامُ ابْنُ اٰدَمَ كُلُّهُ عَلَيْهِ لَا لَهُ إِلَّا أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيًا عَنْ
مُنْكَرٍ أَوْ ذِكْرًا لِلّٰهِ تَعَالٰى

"Âdemoğlunun konuştuğu her söz lehine değil, belki aleyhinedir. Ancak emr-i mâruf ve nehy-i münker ederek konuştuğu sözler ile Allah'ı zikrettiği lehinedir."[10] buyurmuştur.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

إِنَّ اللّٰهَ لَا يُعَذِّبُ الْخَاصَّةَ بِذُنُوبِ الْعَامَّةِ حَتّٰى يَرَى الْمُنْكَرَ
بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلٰى أَنْ يُنْكِرُوهُ فَلَا يُنْكِرُونَهُ

"Allahü Teâlâ avâmın isyânıyla havassa azâb etmez! Ne zaman ki, aralarında isyân açığa çıkar da men etmeye kadir iken onu men etmezlerse, o zaman azâb umûmîleşir."[11]

Ebû Umâme el-Bahilî Rasûl-i Ekrem'den (s.a.v.) şöyle rivâyet ediyor. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

كَيفَ أَنْتُمْ إِذَا طَغٰى نِسَاؤُكُمْ وَفَسَقَ شُبَّانُكُمْ وَتَرَكْتُمْ جِهَادَكُمْ؟ قَالُوا: وَإِنَّ ذٰلِكَ لَكَائِنٌ يَا رَسُولَ اللّٰهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهٖ وَأَشَدُّ مِنْهُ سَيَكُونُ. قَالُوا: وَمَا أَشَدُّ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللّٰهِ؟ قَالَ: كَيفَ أَنْتُمْ إِذَا لَمْ تَأْمُرُوا بِمَعْرُوفٍ وَلَمْ تَنْهُوا عَنْ مُنْكَرٍ؟ قَالُوا: وَكَائِنٌ ذٰلِكَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهٖ وَأَشَدُّ مِنْهُ سَيَكُونُ. قَالُوا وَمَا أَشَدُّ مِنْهُ؟ قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ

---

[10] İlim bahsinde geçmiştir.

[11] Ahmed, Adiy b. Umeyr'den rivâyet etti.

إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا؟ قَالُوا: وَكَائِنٌ ذٰلِكَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ؟ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَأَشَدُّ مِنْهُ سَيَكُونُ. قَالُوا: وَمَا أَشَدُّ مِنْهُ؟ قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا أَمَرْتُمْ بِالْمُنْكَرِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ؟ قَالُوا: وَكَائِنٌ ذٰلِكَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ؟ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي نفسِي بِيَدِهِ وَأَشَدُّ مِنْهُ سَيَكُونُ، يَقُولُ اللّٰهُ تَعَالٰى: بِي حَلَفْتُ لَأُتِيحَنَّ لَهُمْ فِتْنَةً يَصِيرُ الْحَلِيمُ فِيهَا حَيْرَانَ

– *"Kadınlarınız azdığı, gençleriniz isyana daldığı ve sizler de cihâdı terk ettiğiniz zaman haliniz nice olur?"* buyurdu. Ashâb-ı kirâm:

– "Böyle şey olacak mı ya Rasûlallah?" diye sorduklarında, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *"Evet, varlığım kudret elinde olan Allah'a yemin ederim ki, bundan daha kötüsü olacaktır."* buyurdu. Ashâb-ı kirâm:

– "O hangisidir ya Rasûlallah?" diye suâl ettiler. Rasûl-i Ekrem:

– *"Ya mâruf ile emr ve munkerden nehyetmediğiniz zaman haliniz nice olur?"* buyurdu. Ashâb-ı kirâm:

– "Bu da mı olacak ya Rasûlallah?" diye suâl ettiklerinde, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *"Evet, bu ve bundan daha şiddetlisi olacak."* buyurdu. Ashâb:

– "O hangisidir ya Rasûlallah?" diye sordular. Rasûl-i Ekrem:

– *"Ya kötülük ile emredip iyilikten men ettiğiniz zaman haliniz nice olur?"* buyurdu. Ashâb-ı kirâm:

– “Ya Rasûlallah, böyle şey de olacak mı?” dediler. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.).

– *“Evet. Nefsim kudret elinde olan Allah’a yemin ederim ki, bunun daha da fenâsı olacaktır.”* Allahü Teâlâ şöyle buyurur: **“Zâtıma kasem ettim; onlara öyle bir fitne ve belâ veririm ki, halîm olanları da şaşırır.”**[12] buyurdu.

İkrime’nin İbn Abbâs’tan rivâyetinde, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

لَا تَقِفَنَّ عِنْدَ رَجُلٍ يَقْتُلُ مَظْلُومًا، فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلٰى مَنْ
حَضَرَهُ وَلَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ وَلَا تَقِفَنَّ عِنْدَ رَجُلٍ يَضْرِبُ فَإِنَّ
اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلٰى مَنْ حَضَرَهُ وَلَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ

“Mazlûm olarak öldürülen veyâ dövülen kimsenin yanında bulunmayın. Zîra mazlûmun yanında bulunup onu müdâfaa etmeyen kimseye lânet iner.”[13]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَا يَنْبَغِي لِامْرِئٍ شَهِدَ مَقَامًا فِيهِ حَقٌّ إِلَّا تَكَلَّمَ بِهِ، فَإِنَّهُ لَنْ
يُقَدِّمَ أَجَلَهُ وَلَنْ يَحْرِمَهُ رِزْقًا هُوَ لَهُ

“Zulüm yapılan bir yerde bulunmak insana lâyık değildir. Şâyet bulunursa hakkı müdâfaaya çalışmalıdır. Onun bu hareketi ne ömrünü keser ne de kendisini mukadder olan rızkından mahrum eder.”[14] buyurmuştur.

---

[12] İbn Ebi’d Dünyâ rivâyet etmiştir.

[13] Taberânî, Beyhakî **«Şuabü’l-Îman»**da hasen sened ile rivâyet etmişlerdir.

[14] Beyhakî **“Şuabü’l-Îman”**da İbn Abbas’dan; Tirmizî de rivâyet etti ve hasendir, dedi. Ayrıca İbn Mâce Ebû Saîd’den başka ifâde ile rivâyet etmiştir.

Bu hadis, ıslâhına gücü yetmediği zâlimlerin, fâsıkların evlerine ve fenâlıkların görüleceği yerlere girmenin câiz olmadığına delâlet eder. Zîra bu gibi yerlerde bulunanlara lânet iner. Sudan bahânelerle "Ben âciz idim, onu bozamazdım." diyerek münkerâtı müşâhede etmek insana câiz olmaz. Bu sebepten selef-i sâlihînin pek çoğu sokakta, bayram ve toplantı yerlerinde kötülük gördüklerinden ve bozmasına güçleri yetmediğinden uzleti tercîh etmişlerdir. İşte bu hal, insanlardan ayrı yaşamayı gerektirir. Bunun için **Ömer b. Abdülazîz** (Allah rahmet etsin): "Seyyahların evlerini ve âile fertlerini terk ederek seyâhate çıkmalarının belli başlı sebebi bu olsa gerektir. Kötülüğün açığa çıktığını, iyiliğin kaybolduğunu ve söylenen sözü kabul edenlerin kalmadığını gördüklerinde, önlenmesi mümkün olmayan fitne sebebiyle o kavme azâbın geleceğine kani oldukları için, yırtıcı hayvanlar arasında yaşayıp nebâtat ile barınmayı, bu gibiler ile komşuluk edip nîmetlerden faydalanmak üzerine tercîh etmişlerdir." dedi ve sonra da:

فَفِرُّوا إِلَى اللّٰهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ

"O halde (Habibim de ki:) **"Hepiniz Allah'a kaçın. Hakikat, ben sizi** (Allahın azâbından) **apâşikâr korkutan** (bir peygamber)**im."** (Zâriyât suresi, 51/50) âyet-i celîlesini okudu ve bir kavim bu emre uyarak Allah'a ilticâ etti. Şâyet Cenâb-ı Hak, nübüvvete sırrını yerleştirmese, peygamberler bunlardan efdâl değildir, diyecek hale gelirdik. Çünkü öğrendiğimize göre, melekler bunlarla buluşur; musafahalaşır, bulutlar ve yırtıcı hayvanlar bunların yanına uğrar, bunlar onlarla konuşur, nereden gelip nereye gittiklerini suâl ederler ve cevaplarını da alırlar. Hâlbuki kendileri peygamber değildirler.

Ebû Hüreyre (r.a.), Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in şöyle buyurduğunu haber veriyor:

مَنْ حَضَرَ مَعْصِيَةً فَكَرِهَهَا فَكَأَنَّهُ غَابَ عَنْهَا وَمَنْ غَابَ
عَنْهَا فَأَحَبَّهَا فَكَأَنُّهُ حَضَرَهَا

"Hoşlanmadığı halde günâh işlenen bir yerde bulunan, orada değilmiş gibidir. Fakat o mâsiyeti sevdiği halde uzakta kalan, mâsiyetin içinde bulunmuş gibidir."[15] Hadîsin mânâsı, tesâdüfen veyâ bir iş dolayısıyla bu gibi meclislerde bulunanlar hakkındadır. Yoksa bile bile bu gibi yerlere girmek, yukarıdaki hadîsin delâletiyle memnûdur.

İbn Mes'ûd'un rivâyetinde, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

مَا بَعَثَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيًا إِلَّا وَلَهُ حَوَارِي، فَيَمْكُثُ النَّبِيُّ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مَا شَاءَ اللّٰهُ تَعَالٰى يَعْمَلُ فِيهِمْ بِكِتَابِ اللّٰهِ وَبِأَمْرِهِ حَتّٰى إِذَا قَبَضَ اللّٰهُ نَبِيَّهُ مَكَثَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْمَلُونَ بِكِتَابِ اللّٰهِ وَبِأَمْرِهِ وَبِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ، فَإِذَا انْقَرَضُوا كَانَ مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمٌ يَرْكَبُونَ رُءُوسَ الْمَنَابِرَ يَقُولُونَ مَا يَعْرِفُونَ وَيَعْمَلُونَ مَا يُنْكِرُونَ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذٰلِكَ فَحَقٌّ عَلٰى كُلِّ مُؤْمِنٍ جِهَادُهُمْ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذٰلِكَ إِسْلَامٌ

---

[15] İbn Adiy rivâyet etmiştir.

"Allahü Teâlâ'nın gönderdiği her peygamberin havarileri vardır. O peygamber, Allahü Teâlâ'nın dilediği kadar onların arasında bulunur. Allahın kitâbı ile amel eder ve onunla amel edilmesini emreder. O peygamber irtihal ettiği zaman, havarileri, Allahın kitabı ve peygamberlerinin sünneti ile amel ederler ve böylece emrederler. Bunlar da öldükten sonra bir takım kimseler gelir; minberlerin tepesine yükselirler. Bildiklerini söylerler, sözlerinde reddettiklerini kendileri yaparlar. Bunları gördüğünüz zaman, onlarla mücâhede etmek her mü'mine borçtur. Gücü yeterse eliyle mücâdele eder, gücü yetmezse dili ile buna da gücü yetmezse ona kalbi ile buğz eder. Artık İslâmiyet'te bundan aşağısı yoktur."[16]

İbn Mes'ûd (r.a.) şöyle anlatıyor: "Bir köy halkı isyâna dalmıştı. Bunların arasında dört zât onların bu hareketlerini, aslâ kabul etmezlerdi. Bunlardan biri köylüye:

– "Bu sizin yaptığınız doğru değil, bu çirkin hareketlerden vazgeçiniz." dedi ise de, onu dinlemediler. Münâkaşa neticesinde onu dövdüler. O da aralarından ayrılarak bir kenâra çekildi.

– "Allahım! Elinden geleni yaptım, beni dinlemediler. Darıldık, dövüştük, beni yendiler, ne yapayım?" dedi. Sonra ikincisi kalktı, bu da onları men etti; dinlemediler, münâkaşa sonunda onlarla dövüşmeden, kenâra çekildi ve:

– "Allahım! Eğer ben de dövüşmeye kalkışsam, beni de döveceklerdi." dedi. Sonra üçüncüsü kalktı, onları bu kötülüklerden vaz geçirmeye çalıştı; kabul etmediler. Bunun üzerine kenâra çekilerek:

– "Allahım! Ne yapayım? Bunlara kötü söylesem, bana daha fenâ söyleyeceklerdi. Dövsem beni daha çok döveceklerdi." diye mâzeret diledi. Dördüncüsü de:

---

[16] Müslim de, benzerini rivâyet etmiştir.

– “Allahım! Görüyorsun, dâvet etsem dinlemeyecekler, bir şey söylesem daha ağırını bana söyleyecekler, dövmeye kalkışsam beni dövecekler.” diyerek kenâra çekilmiştir”. İbn Mes’ûd (r.a.) Devamla: “Derece bakımından bunların en zayıfı dördüncüsüdür. Buna rağmen sizde bunun gibileri de az bulunur.” dedi.

İbn Abbâs (r.a.) diyor ki, Rasûl-i Ekrem’e (s.a.v.)’e:

– “İçinde iyiler bulunan bir memleket de helâk olur mu?” diye sordular. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

قَالَ: نَعَمْ

– *“Evet, helâk olur.”* buyurdu. Onlar:

– “Nasıl olur?” diye sorduklarında, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

بِتَهَاوِنِهِمْ وَسُكُوتِهِمْ عَلٰى مَعَاصِي اللّٰهِ تَعَالٰى

– *“İsyâna sükût etmeleri ve bu sûretle dine ihânette bulunmaları sebebiyle.”* buyurdu.[17]

Câbir b. Abdullah (r.a.) rivâyetinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

أَوْحَى اللّٰهُ تَبَارَكَ وَتَعَالٰى إِلٰى مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَنِ اقْلِبْ مَدِينَةَ كَذَا وَكَذَا عَلٰى أَهْلِهَا، فَقَالَ: يَا رَبُّ إِنَّ فِيهِمْ عَبْدَكَ فُلَانًا لَمْ يَعْصِكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ، قَالَ: اقْلِبْهَا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ، فَإِنَّ وَجْهَهُ لَمْ يَتَمَعَّرْ لِي سَاعَةً قَطُّ

“Allahü Teâlâ bir meleğe:

---

[17] Bezzâr ve Taberânî rivâyet etmişlerdir.

– *"Falan kasabanın altını üstüne çevir." diye vahyetti. Melek:*

– *"Ya Rab, onların içinde sana bir defa olsun isyân etmeyen falan zât vardır." dedi. Allahü Teâlâ:*

Onu da, onları da altüst et. Zîra onun yüzü bir defa olsun benim rızâm uğrunda onlara ekşimemiştir." buyurdu."[18]

Âişe (r.a.) Rasûl-i Ekrem'den (s.a.v.) şöyle rivâyet etmiştir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

"İçinde peygamberler gibi ibâdet eden on sekiz bin kişi bulunan bir memlekete azâb olunmuştur." buyurdu. Dinleyenler:

– "Bu nasıl oldu?" diye sorduklarında, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *"Çünkü onlar Allah için gazab etmediler. Mârufu emredip münkerden nehyetmediler."* buyurdu.

Urve, babası Zübeyr'den rivâyetinde, Mûsâ aleyhisselâm:

– *"Ya Rab, hangi kulun senin için daha sevimlidir?"* diye sordu. Allahü Teâlâ:

– *"Gerges kuşu arzusunun peşine koştuğu gibi, benim rızâm uğrunda süratle koşanları ve çocuk memeyi takip eder gibi, sâlihleri takip edenleri ve haramlar karşısında kaplanlar gibi kükreyenleri severim."* buyurdu.

Ebû Zer'in (r.a.) rivâyetine göre Ebû Bekir (r.a.) Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e:

– "Müşrikler ile savaştan başka bir savaş var mı?" diye sordu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *"Evet yâ bâ Bekir."* buyurdu ve devamla:

---

[18] Taberanî **«Evsat»**ında ve Beyakî «Şuabü'l-Îman»ında rivâyet ettiler.

إِنَّ لِلّٰهِ تَعَالٰى مُجَاهِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَفْضَلَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَحْيَاءٌ مَرْزُوقِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ يُبَاهِي اللّٰهُ بِهِمْ مَلَائِكَةَ السَّمَاءِ وَتَزَيَّنُ لَهُمُ الْجَنَّةُ كَمَا تَزَيَّنَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لِرَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

“Allahü Teâlâ’nın yeryüzünde öyle mücâhidleri vardır ki, bunlar şehîdlerden üstündürler. Bunlar diridirler, yeryüzünde gezerler, yer içerler. Allahü Teâlâ gökteki meleklere bunlarla iftihar eder. (Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’in zevcesi) Ümmü Seleme Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e karşı süslendiği gibi, cennet de bunlar için süslenir.” buyurdu. Ebû Bekir:

– “Bunlar kimdir?” diye sordu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– Mârufu emredip münkerden nehyeden, Allah için birbirini sevip, Allah için buğz edenlerdir.” buyurdu. Sonra devamla:

“Nefsim kudret elinde olan Allah’a yemîn ederim ki, bunlar şehîdlerden daha üstün köşklerdedirler. Her birinin köşkünün Yakût’tan ve yeşil Zeberced’den yapılmış üç yüz bin kapısı vardır. Her kapıda nûr vardır. Her birinin gözü ve gönlü tamamen efendisine bağlı üç yüz bin hurisi vardır. Her ne zaman bunlardan birine iltifat eder ve bakarsa, hemen o, falan vakitte emr-i mâruf ve nehy-i münker ettiğini kendisine hatırlatır.” buyurdu.

Ebû Ubeyde b. el-Cerrâh (r.a.) Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e:

– “Allah katında şehîdlerin en keremlisi hangisidir?” diye sorduğunda, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

رَجُلٌ قَامَ إِلٰى وَالٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ

فَقَتَلَهُ فَإِنْ لَمْ يَقْتُلْهُ فَإِنَّ الْقَلَمَ لَا يَجْرِي عَلَيْهِ بَعْدَ ذٰلِكَ وَإِنْ
عَاشَ مَا عَاشَ

– "Zâlim bir vâliye karşı adamın biri kalkıp da mârufu emredip münkerden onu nehyeder. O da buna karşı bu adamı öldürürse, işte şehîdlerin en keremlisi budur. Şâyet bu adamı öldürmezse, ondan sonra bu adam ne kadar yaşarsa yaşasın, günâhı yazılmaz."[19] buyurdu.

Hasan-ı Basrî diyor ki, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurdu:

أَفْضَلُ شُهَدَاءِ أُمَّتِي رَجُلٌ قَامَ إِلٰى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ بِالْمَعْرُوفِ
وَنَهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ فَقَتَلَهُ عَلٰى ذٰلِكَ فَذٰلِكَ الشَّهِيدُ مَنْزِلَتُهُ فِي
الْجَنَّةِ بَيْنَ حَمْزَةَ وَجَعْفَرَ

"Ümmetimin şehîdlerinin en efdali, zâlim hükümdâra emr-i mâruf ve nehy-i münker ettiği için hükümdâr tarafından öldürülen kimsedir. Bu adam cennette Hamza ile Câfer arasındadır."[20]

Ömer b. Hattâb (r.a.), Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'i şöyle derken dinledim diyor:

بِئْسَ الْقَوْمُ قَوْمٌ لَا يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَبِئْسَ الْقَوْمُ قَوْمٌ لَا
يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

"Ne kötü kavimdir o kavim ki, adâletle emretmezler. Ne kötü bir kavimdir o kavim ki, mârufu emredip münkerden nehyetmezler."

---

19. Bezzar rivâyet etmiştir.
20. Hâkim de sahih isnâd ile bu mealde bir hadîs rivâyet etmiştir.

Bu hususta büyük adamların sözleri:

Ebû'd-Derdâ (r.a.) diyor: "Ya, iyiliği emreder kötülükten nehyedersiniz veyahut Allahü Teâlâ size, büyüklerinize saygı göstermeyen ve küçüklerinize acımayan zâlim hükümdârları musallat eder. İyileriniz duâ eder, duâları kabul olmaz. Yardım isterseniz yardım olunmazsınız, mağfiret dilersiniz, mağfiret olunmazsınız."

Huzeyfe'ye (r.a.):

– "Hayatta olduğu halde ölü sayılan adamlar kimlerdir?" diye sorulduğunda, Huzeyfe:

– "Gördüğü kötülüğü eliyle, diliyle veyâ kalbi ile bozup inkâr etmeyen kimselerdir." dedi.

Mâlik b. Dînar şöyle anlatıyor: "İsrâiloğullarının dânişmendlerinden biri kadın-erkek insanları evine toplar, onlara vaz u nasîhat eder ve âhiret ile korkuturdu. Bir gün oğullarından birinin kadınlar ile meşgul olduğunu görünce: "Oğlum, ağır olun ağır olun." dedi ve koltuğundan yere düştü, karısını boşadı. Oğulları savaşta öldü. Allahü Teâlâ zamanının peygamberine vahyetti ki: "Sen o âlime söyle, ben onun sulbünden, asla iyi bir evlat çıkarmam. Değil mi ki o, benim için kızmayıp da, oğullarına yumuşak davrandı."

Huzeyfe anlatıyor: "Öyle bir zaman gelecek ki, o zaman insanların yanında bir merkep lâşesi bulunmak, bir emr-i mâruf ve nehy-i münker edenlerden daha sevimlidir."

Allahü Teâlâ **Yuşâ b. Nûn** aleyhisselâma şöyle vahyetmiştir: *"Senin ümmetinden yüz bin kişiyi helâk edeceğim. Bunların kırk bin kişisi iyi, altmış bin kişisi de kötü insanlardır."* Yûşâ aleyhisselâm:

– *"Ya Rab! Kötüler kötü, iyilerin günâhı nedir?"* diye sorunca, Allahü Teâlâ:

– *"Onlar benim için isyân edenlere kızmadı, onlarla beraber düşüp kalktılar, yiyip içtiler."* buyurdu.

Bilâl b. Sa'd diyor ki: "İsyân gizli yapıldığı zaman zararı yalnız sâhibine râcîdir. Aşikâre olup ıslâh edilmediği zaman, mazarratı umûma sirâyet eder."

Kâ'bu'l-Ahbâr, Ebû Müslim Havlânî'ye:

– "Akraba ve komşuların ile aran nasıldır?" diye sordu. Ebû Müslim:

– "İyidir." dedi. Kâ"b:

– "Tevrat'ta başka türlü yazar." dedi. Müslim:

– "Tevrat'ta nasıl yazar?" diye sorunca, Kâ"b:

– "Tevrat'ta der ki: "Emr-i mâruf ve nehy-i münker eden kimse, kavmi arasında sevilmez." Bunun üzerine Müslim:

– "Tevrat doğru diyor. Müslim ise yanlış konuşuyor." dedi.

Abdullah b. Ömer (r.a.) vâlilerin kapısına gider ve sonra içeri girmeden geri dönerdi. Kendisine:

– "Niçin geri döndün? Yanlarına girsen belki nasîhatlerinden ve mübârek sözlerinden istifâde ederlerdi." diyenlere, Abdullah b. Ömer:

– "Evet, konuşursam onlar beni olduğumdan başka zannederler. Susarsam günâhkâr olurum korkusu ile girmeden geri dönmeyi tercîh ettim." dedi. Bu vaka, emr-i mâruf ve nehy-i münker edemeyenlerin bu gibi yerlerden uzaklaşmalarına delâlet eder.

Ali b. Ebû Talib de (r.a.) şöyle diyor: "İlk mağlûb olacağınız mücâhede el, sonra dil ve daha sonra da kalp ile yapılan mücâhededir. Kalp mârufu kabul ve münkeri reddetmezse tersine döner."

Sehl b. Abdullah (Allah rahmet etsin): "Kim dînin emrettiği bir şey ile amel eder ve yasaklarından kaçınır ve milletin ahlâkı bozulduğu zaman buna sarılırsa, Allah için emr-i mâruf ve nehy-i münker eden gibidir. Yâni başkalarına emredip nehyeden kimse, başkalarının kötü hallerini inkâr etmekle, kendi variyetini düzeltir ve nefsini ıslâh ederse bu vazîfeyi yapmış gibi sayılır."

Fudayl'a:

– "Niçin emr-i mâruf ve nehy-i münker etmezsin?" diye sorduklarında:

– "Çok emredip nehyeden var ki, uğradıkları musîbete sabredemedikleri için küfre varmışlardır." dedi.

Sufyân-ı Sevrî'ye:

– "Niçin emr-i mâruf ve nehy-i münker etmezsin?" diye sorduklarında:

– "Deniz akmaya başladığı vakit onu kim durdurabilir." dedi.

Bütün bu izahlardan emr-i mâruf ve nehy-i münkerin farz olduğu ve gücü yetenlerden bu farzın sükût etmeyeceği anlaşılmıştır. O halde emr-i mârufun şartlarını ve vücûbunun şartlarını anlatalım:

البَابُ الثَّاني

في أركان الأمر بالمعروف وشروطه

اعلمْ : أنَّ الأركانَ في الحِسْبةِ التي هيَ عبارةٌ شاملةٌ للأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ . . أربعةٌ : المحتسِبُ ، والمحتسَبُ عليهِ ، والمحتسَبُ فيهِ ، ونفسُ الاحتسابِ(١) .

فهٰذهِ أربعةُ أركانٍ ، ولكلِّ واحدٍ منها شروطٌ .

الركن الأوّل : المحتسِب

ولهُ شروطٌ ؛ وهوَ أنْ يكونَ مكلَّفاً ، مسلماً ، قادراً .

فيخرجُ منهُ : المجنونُ ، والصبيُّ ، والكافرُ ، والعاجزُ(٢) ، ويدخلُ فيهِ : آحادُ الرعايا وإنْ لمْ يكونوا مأذونينَ ، ويدخلُ فيهِ : الفاسقُ ، والرقيقُ ، والمرأةُ .

فلنذكرْ وجهَ اشتراطِ ما اشترطناهُ ، ووجهَ اطِّراحِ ما اطَّرحْناهُ .

---

(١) **الحِسبة بالكسر** : اسم من الاحتساب ؛ بمعنىٰ : ادخار الأجر عند الله تعالىٰ .

(٢) زيادة من (ب ، ج) .

أمَّا الشرطُ الأوَّلُ وهوَ التكليفُ :

فلا يخفىٰ وجهُ اشتراطِهِ ، فإنَّ غيرَ المكلَّفِ لا يلزمُهُ أمرٌ ، وما ذكرناهُ أردْنا بهِ أنَّهُ شرطُ الوجوبِ ، فأمَّا إمكانُ الفعلِ وجوازُهُ . . فلا يستدعي إلا العقلَ ، حتىٰ إنَّ الصبيَّ المراهقَ للبلوغِ المميِّزَ وإنْ لمْ يكنْ مكلَّفاً فلهُ إنكارُ المنكرِ ، ولهُ أنْ يريقَ الخمرَ ويكسرَ الملاهيَ ، وإذا فعلَ ذلكَ . . نالَ بهِ ثواباً ، ولمْ يكنْ لأحدٍ منعُهُ مِنْ حيثُ إنَّهُ ليسَ بمكلَّفٍ ، فإنَّ هـٰذهِ قربةٌ ، وهوَ مِنْ أهلِها ؛ كالصلاةِ والإمامةِ وسائرِ القرباتِ ، وليسَ حكمُهُ حكمَ الولاياتِ ، حتَّىٰ يُشترطَ فيهِ التكليفُ ، ولذلكَ أثبتناهُ للعبدِ وآحادِ الرعيَّةِ .

نعمْ ، في المنعِ بالفعلِ وإبطالِ المنكرِ نوعُ ولايةٍ وسلطنةٍ ، ولكنَّها تُستفادُ بمجرَّدِ الإيمانِ ؛ كقتلِ المشركِ وإبطالِ أسبابِهِ وسلْبِ أسلحتِه ، فإنَّ للصبيِّ أنْ يفعلَ ذلكَ حيثُ لا يستضرُّ بهِ ، فالمنعُ عنِ الفسقِ كالمنعِ عنِ الكفرِ .

* * *

وأمَّا الشرطُ الثاني وهوَ الإيمانُ :

فلا يخفىٰ وجهُ اشتراطِهِ ؛ لأنَّ هـٰذا نصرةٌ للدينِ ، فكيفَ يكونُ مِنْ أهلِهِ مَنْ هوَ جاحدٌ لأصلِ الدينِ وعدوٌّ لهُ ؟!

* * *

وأمَّا الشرطُ الثالثُ وهوَ العدالةُ :

فقدِ اعتبرَها قومٌ ، وقالوا : ليسَ للفاسقِ أنْ يحتسِبَ ، وربَّما استدلوا فيهِ

بالنكيرِ الواردِ علىٰ مَنْ يأمرُ بما لا يفعلُهُ ؛ مثلَ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ ، وقولِهِ تعالىٰ : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ، وبما رُوِيَ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مررتُ ليلةَ أُسريَ بي بقومٍ تُقرضُ شفاهُهُمْ بمقاريضَ مِنْ نارٍ ، فقلتُ : مَنْ أنتُمْ ، فقالوا : كنَّا نأمرُ بالخيرِ ولا نأتيهِ ، وننهىٰ عنِ الشرِّ ونأتيهِ »[1] ، وبما رُوِيَ أنَّ اللهَ تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ عيسىٰ عليهِ السلامُ : (يا بنَ مريمَ ؛ عِظْ نفسَكَ ، فإنِ اتعظتَ . . فعظِ الناسَ ، وإلا . . فاستحيِ منِّي)[2] .

وربما استدلوا مِنْ طريقِ القياسِ بأنَّ هدايةَ الغيرِ فرعٌ للاهتداءِ ، فكذلكَ تقويمُ الغيرِ فرعٌ للاستقامةِ ، والإصلاحُ زكاةٌ عنْ نصابِ الصلاحِ ، فمَنْ ليسَ بصالحٍ في نفسِهِ . . فكيفَ يصلحُ غيرَهُ ؟ ومتىٰ يستقيمُ الظلُّ والعودُ أعوجُ ؟

وكلُّ ما ذكروهُ خيالاتٌ ، وإنَّما الحقُّ أنَّ للفاسقِ أنْ يحتسبَ .

وبرهانُهُ : هوَ أنْ نقولَ : هلْ يُشترطُ في الاحتسابِ أنْ يكونَ متعاطيهِ معصوماً عنِ المعاصي كلِّها ؟ فإنْ شُرطَ ذلكَ . . فهوَ خرقٌ للإجماعِ ، ثمَّ حسمٌ لبابِ الاحتسابِ ؛ إذْ لا عصمةَ للصحابةِ فضلاً عمَّنْ دونَهُمْ ، والأنبياءُ عليهِمُ السلامُ قدِ اختلفَ في عصمتِهِمْ عنِ الخطايا ، والقرآنُ العزيزُ دالٌّ علىٰ

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٢٠) بنحوه .

(٢) رواه أحمد في « الزهد » (٣٠٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٨٢) .

نسبةِ آدمَ عليهِ السلامُ إلى المعصيةِ ، وكذا جماعةٌ مِنَ الأنبياءِ[1] ، ولهـٰذا قالَ سعيدُ بنُ جبيرٍ : (إنْ لمْ يأمرْ بالمعروفِ ولمْ ينهَ عنِ المنكرِ إلا مَنْ لا يكونُ فيهِ شيءٌ . . لمْ يأمرْ أحدٌ بشيءٍ) ، فأعجبَ مالكاً ذلكَ مِنْ سعيدِ بنِ جبيرٍ .

وإنْ زعموا أنَّ ذلكَ لا يُشترطُ عنِ الصغائرِ[2] ، حتَّىٰ يجوزُ للابسِ الحريرِ أنْ يمنعَ مِنَ الزنا وشربِ الخمرِ . . فنقولُ : وهلْ لشاربِ الخمرِ أنْ يغزوَ الكفَّارَ ويحتسبَ عليهِمْ بالمنعِ مِنَ الكفرِ ؟

فإنْ قالوا : لا . . خرقوا الإجماعَ ؛ إذْ جنودُ المسلمينَ لمْ تزلْ مشتملةً على البرِّ والفاجرِ وشاربِ الخمرِ وظالمِ الأيتامِ ، ولمْ يُمنعوا مِنَ الغزوِ ،

---

(١) الخلاف واقع في العصمة عن الصغائر ، وهو رأي الإمام الغزالي في بعض كتبه الكلامية ، قال في « الاقتصاد » (ص ٢٨٦) : (فإن عصمة الأنبياء عن الكبائر عرفت شرعاً ، وعن الصغائر مختلف فيها) ، وهو رأي شيخه إمام الحرمين الجويني ، حيث قال في « الإرشاد » (ص ٣٥٦) حين حرَّج نفسه : أيهما أغلب جواز وقوع الصغائر أو عدمها ؟ قال : (الأغلب على الظن عندنا جوازها ، وقد شهدت أقاصيص الأنبياء في آي من كتاب الله تعالىٰ علىٰ ذلك ، فالله أعلم بالصواب) ، وللعلامة المتكلم عبد الكريم الشهرستاني كلمة بديعة ، حيث قال في « نهاية الإقدام » (ص ٤٤٥) : (**والأصح** : أنهم معصومون عن الصغائر عصمتهم عن الكبائر ، فإن الصغائر إذا توالت . . صارت بالاتفاق كبائر ، وما أسكر كثيره . . فقليله حرام ، لكن المجوَّز عليهم عقلاً وشرعاً مثل ترك الأولىٰ من الأمرين المتقابلين جوازاً وجوازاً ، وحظراً وحظراً ، ولكن التشديد عليهم في ذلك القدر يوازي التشديد علىٰ غيرهم في كبائر الأمور ، وحسنات الأبرار سيئات المقربين ، وتحت كل زلة يجري عليهم سر عظيم ، فلا تلتفت إلىٰ ظواهر الأحوال ، وانظر إلىٰ سرائر المآل) .

(٢) في (ب) : (وإن زعموا أن ذلك لا يشترط فيه العصمة عن الصغائر) .

لا في عصرِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ولا بعدَهُ .

وإنْ قالوا : نعمْ . . فنقولُ : شاربُ الخمرِ هلْ لهُ أنْ يمنعَ مِنَ القتلِ أمْ لا ؟

فإنْ قالوا : لا . . قلنا : فما الفرقُ بينَهُ وبينَ لابسِ الحريرِ ؟! إذْ جازَ لهُ المنعُ مِنَ الخمرِ ، والقتلُ كبيرةٌ بالنسبةِ إلى الشربِ ، كالشربِ بالنسبةِ إلىٰ لبسِ الحريرِ ، فلا فرقَ .

وإنْ قالوا : نعم ، وفصَّلوا الأمرَ فيهِ ؛ بأنَّ كلَّ مقدِمٍ علىٰ شيءٍ فلا يمنعُ عنْ مثلِهِ ولا عمَّا دونَهُ ، وإنما يمنعُ عمَّا فوقَهُ . . فهٰذا تحكُّمٌ ؛ فإنَّهُ كما لا يبعُد أنْ يمنعَ الشاربُ مِنَ الزنا والقتلِ فمِنْ أينَ يبعدُ أنْ يمنعَ الزاني مِنَ الشربِ ؟ بلْ مِنْ أينَ يبعدُ أنْ يشربَ ويمنعَ غلمانَهُ وخدمَهُ منَ الشربِ ، ويقولَ : يجبُ عليَّ الانتهاءُ والنهيُ ، فمن أين يلزمُني بالعصيانِ بأحدِهما أنْ أعصيَ اللهَ تعالىٰ بالثاني ؟! وإذْ كانَ النهيُ واجباً عليَّ ، فمِنْ أينَ سقطَ وجوبُهُ بإقدامي ؟! إذْ يستحيلُ أنْ يُقالَ : يجبُ النهيُ عنْ شربِ الخمرِ عليهِ ما لمْ يشربْ ، فإذا شربَ . . سقطَ عنهُ النهيُ !

* * *

فإنْ قيلَ : فيلزمُ علىٰ هٰذا أَنْ يقولَ القائلُ : الواجبُ عليَّ الوضوءُ والصلاةُ ، فأنا أتوضَّأُ وإنْ لمْ أصلِّ ، وأتسحَّرُ وإنْ لمْ أصمْ ؛ لأنَّ المستحبَّ ليَ الصومُ والسحورُ جميعاً ، ولكنْ يُقالُ : أحدُهما مرتَّبٌ على الآخرِ ،

فكذلكَ تقويمُ الغيرِ مرتَّبٌ علىٰ تقويمِهِ نفسَهُ ، فليبدأْ بنفسِهِ ثمَّ بمَنْ يعولُ .

فالجوابُ : أنَّ التسحُّرَ يُرادُ للصوم ، ولولا الصومُ . . لما كانَ التسحُّرُ مستحبّاً ، وما يُرادُ لغيرِهِ لا ينفكُّ عنْ ذلكَ الغيرِ ؛ وإصلاحُ الغيرِ لا يُرادُ لإصلاحِ النفسِ ، ولا إصلاحُ النفسِ لإصلاحِ الغيرِ ، فالقولُ بترتُّبِ أحدِهِما على الآخرِ تحكُّمٌ .

وأمَّا الوضوءُ والصلاةُ . . فهوَ لازمٌ ، فلا جرمَ أنَّ مَنْ توضَّأَ ولمْ يصلِّ كانَ مؤدِّياً أمرَ الوضوءِ ، وكانَ عقابُهُ أقلَّ مِنْ عقابِ تركِ الوضوءِ والصلاةِ جميعاً ، فليكنْ مَنْ تركَ النهيَ والانتهاءَ أكثرَ عقاباً ممَّنْ نهىٰ ولمْ ينتهِ ، كيفَ والوضوءُ شرطٌ لا يُرادُ لنفسِهِ ، بلْ للصلاةِ ، فلا حكمَ لهُ دونَ الصلاةِ ، فأمَّا الحِسبةُ . . فليسَتْ شرطاً في الانتهاءِ والائتمارِ ، فلا مشابهةَ بينَهُما .

* * *

فإنْ قيلَ : فيلزمُ علىٰ هـٰذا أنْ يُقالَ : إذا زنى الرجلُ بامرأةٍ وهيَ مكرهةٌ مستورةُ الوجهِ ، فكشفَتْ وجهَها باختيارِها ، فأخذَ الرجلُ يحتسبُ في أثناءِ الزنا ويقولُ : أنتِ مكرهةٌ في الزنا ، ومختارةٌ في كشفِ الوجهِ لغيرِ مَحْرَمٍ ، وهـٰأنا غير محرمٍ لكِ ، فاستري وجهَكِ ، فهـٰذا احتسابٌ شنيعٌ يستنكرُهُ قلبُ كلِّ عاقلٍ ، ويستبشعُهُ كلُّ طبعٍ سليمٍ !

فالجوابُ : أنَّ الحقَّ قدْ يكونُ شنيعاً ، وأنَّ الباطلَ قدْ يكونُ مستحسناً بالطباعِ ، والمتبعُ الدليلُ دونَ نفرةِ الأوهامِ والخيالاتِ ، فإنَّا نقولُ : قولُهُ

لها في تلكَ الحالةِ : (لا تكشفي وجهَكِ) واجبٌ ، أوْ مباحٌ ، أو حرامٌ ؟

فإنْ قلتُمْ : (إِنَّهُ واجبٌ) .. فهوَ الغرضُ ؛ لأنَ الكشفَ معصيةٌ ، والنهيُ عنِ المعصيةِ حقٌّ .

وإنْ قلتُمْ : (إِنَّهُ مباحٌ) .. فإذاً لهُ أنْ يقولَ ما هوَ مباحٌ ، فما معنىٰ قولِكُمْ : (ليسَ للفاسقِ الحِسبةُ) ؟

وإنْ قلتُمْ : (إِنَّهُ حرامٌ) .. فنقولُ : كان هـٰذا واجباً ، فمِنْ أينَ حَرُمَ بإقدامِهِ على الزنا ؟! ومِنَ الغريبِ أنْ يصيرَ الواجبُ حراماً بسببِ ارتكابِ حرامٍ آخرَ !

* * *

وأمّا نفرةُ الطباعِ عنهُ واستنكارُها لهُ .. فهوَ لسببينِ :

أحدُهُما : أنَّهُ تركَ الأهمَّ واشتغلَ بما هوَ مهمٌّ ، وكما أنَّ الطباعَ تنفرُ عنْ تركِ المهمِّ إلىٰ ما لا يعني .. فتنفرُ أيضاً عنْ تركِ الأهمِّ والاشتغالِ بالمهمِّ ، كما تنفرُ عمَّنْ يتحرَّجُ عنْ تناولِ طعامٍ مغصوبٍ وهوَ مواظبٌ على الربا ، وكما تنفرُ عمَّنْ يتصاونُ عنِ الغيبةِ ويشهدُ بالزورِ ؛ لأنَّ الشهادةَ بالزورِ أفحشُ وأشدُّ مِنَ الغيبةِ التي هيَ إخبارٌ عنْ كائنٍ يصدقُ فيهِ المخبرُ ، وهـٰذا الاستبعادُ في النفوسِ لا يدلُّ علىٰ أنَّ تركَ الغيبةِ ليسَ بواجبٍ وأنَّهُ لوِ اغتابَ أوْ أكلَ لقمةً مِنْ حرامٍ .. لمْ تزدْ بذلكَ عقوبتُهُ ، فكذلكَ ضررُهُ في الآخرةِ مِنْ معصيتِهِ أكثرُ مِنْ ضررِهِ مِنْ معصيةِ غيرِهِ ، فاشتغالُهُ بالأقلِّ عنِ الأكثرِ مستنكرٌ

في الطبع مِنْ حيثُ إنَّهُ تركَ الأكثرَ ، لا مِنْ حيثُ إنَّهُ أتىٰ بالأقلِّ .

فمَنْ غُصِبَ فرسُهُ ولجامُ فرسِهِ ، فاشتغلَ بطلبِ اللجامِ وتركَ الفرسَ . . نفرَتْ عنهُ الطباعُ ، ويُرىٰ مسيئاً إذْ قدْ صدرَ منهُ طلبُ اللجامِ ، وهوَ غيرُ منكرٍ مِنْ هٰذا الوجهِ ، ولكنِ المنكرُ تركُهُ لطلبِ الفرسِ بطلبِ اللجامِ ، فاشتدَّ الإنكارُ عليهِ لتركِهِ الأهمَّ بما هوَ دونَهُ ؛ فكذلكَ حِسبةُ الفاسقِ تُستبعدُ مِنْ هٰذا الوجهِ ، وهٰذا لا يدلُّ علىٰ أنَّ حِسبتَهُ مِنْ حيثُ إنَّها حِسبةٌ مستنكرةٌ .

الثاني : أنَّ الحِسبةَ تارةً تكونُ بالنهيِ بالوعظِ ، وتارةً بالقهرِ ، ولا ينجعُ وعظُ مَنْ لا يتعظُ أوَّلاً ، ونحنُ نقولُ : مَنْ علمَ أنَّ قولَهُ لا يُقبلُ في الحِسبةِ لعلمِ الناسِ بفسقِهِ . . فليسَ عليهِ الحسبةُ بالوعظِ ؛ إذْ لا فائدةَ في وعظِهِ ، فالفسقُ يؤثِّرُ في إسقاطِ فائدةِ كلامِهِ ، ثمَّ إذا سقطَتْ فائدةُ كلامِهِ . . سقطَ وجوبُ الكلامِ .

فأمَّا إذا كانَتِ الحِسبةُ بالمنعِ . . فالمرادُ منه القهرُ ، وتمامُ القهرِ أنْ يكونَ بالفعلِ والحجَّةِ جميعاً ، وإذا كانَ فاسقاً . . فإنْ قهرَ بالفعلِ فقدْ قهرَ بالحجَّةِ ، إذْ يتوجَّهُ عليهِ ؟ أنْ يُقالَ لهُ : فأنتَ لِمَ تقدمُ عليهِ فتنفرُ الطباعُ عنْ قهرِهِ بالفعلِ معْ كونِهِ مقهوراً بالحجَّةِ ، وذلكَ لا يخرجُ الفعلَ عنْ كونِهِ حقّاً ، كما أنَّ مَنْ يذبُّ الظالمَ عنْ آحادِ المسلمينَ ويهملُ أباهُ وهوَ مظلومٌ معَهُمْ تنفرُ الطباعُ عنهُ ، ولا يخرجُ دفعُهُ عنِ المسلمِ عنْ كونِهِ حقّاً .

فخرجَ مِنْ هٰذا أنَّ الفاسقَ ليسَ عليهِ الحِسبةُ بالوعظِ علىٰ مَنْ يعرفُ

فسقَهُ ؛ لأنَّهُ لا يتعظُ ، وإذا لمْ يكنْ عليهِ ذلكَ وعلمَ أنَّهُ يفضي إلىٰ تطويلِ اللسانِ في عرضِهِ بالإنكارِ . فنقولُ : ليسَ لهُ ذلكَ أيضاً ، فرجعَ الكلامُ إلىٰ أنَّ أحدَ نوعيِ الاحتسابِ ـ وهوَ الوعظيُّ ـ قدْ بطلَ بالفسقِ ، وصارَتِ العدالةُ مشروطةً فيهِ .

وأمَّا الحِسبةُ القهريةُ . . فلا يُشترطُ فيها ذلكَ ، فلا حجرَ على الفاسقِ في إراقةِ الخمورِ وكسْرِ الملاهي وغيرِها إذا قدرَ ، وهـٰذا غايةُ الإنصافِ والكشفِ في المسألةِ .

وأمَّا الآياتُ التي استدلُّوا بها . . فهوَ إنكارٌ عليهِمْ مِنْ حيثُ تركُهُمُ المعروفَ ، لا مِنْ حيثُ أمرُهُم بهِ ، ولكنَّ أمرَهُمْ دلَّ علىٰ قوَّةِ علمِهِمْ ، وعقابُ العالمِ أشدُّ ؛ لأنَّهُ لا عذرَ لهُ معَ قوَّةِ علمِهِ .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ المرادُ بهِ : الوعدُ الكاذبُ(١) .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ إنكارٌ مِنْ حيثُ إنَّهُمْ نسوا أنفسَهُمْ ، لا مِنْ حيثُ إنَّهُمْ أمروا غيرَهُمْ ، ولكنْ ذكرَ أمرَ الغيرِ استدلالاً بهِ علىٰ علمِهِمْ وتأكيداً للحجَّة عليهِمْ .

وقولُهُ تعالىٰ : (يا بنَ مريمَ ؛ عِظْ نفسَكَ) الحديثَ . . هوَ في الحِسبةِ بالوعظِ ، وقدْ سلَّمْنا أنَّ وعظَ الفاسقِ ساقطُ الجدوىٰ عندَ مَنْ يعرفُ فسقَهُ ،

---

(١) فهو ليس من باب الحسبة ، وانظر « تفسير الطبري » (١٤/٢٨/١٠٣) .

ثمَّ قولُهُ : (فاستحيِ منِّي) لا يدلُّ علىٰ تحريمِ وعظِ الغيرِ ، بلْ معناهُ : استحيِ منِّي فلا تتركِ الأهمَّ وتشتغلَ بالمهمِّ ، كما يُقالُ : احفظْ أباكَ ثمَّ جارَكَ وإلا . . فاستحيِ .

* * *

فإنْ قيلَ : فليجزْ للكافرِ الذميِّ أنْ يحتسبَ على المسلمِ إذا رآهُ يزني ؛ لأنَّ قولَهُ : (لا تزنِ) حقٌّ في نفسِهِ ، فمحالٌ أنْ يكونَ حراماً عليهِ ، بلْ ينبغي أنْ يكونَ مباحاً أوْ واجباً .

قلنا : الكافرُ إنْ منعَ المسلمَ بفعلِهِ . . فهوَ تسلُّطٌ عليهِ ، فيمنعُهُ مِنْ حيثُ إنَّهُ تسلُّطٌ ، وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ، وأمَّا مجرَّدُ قولِهِ : (لا تزنِ) . . فليسَ بمحرَّمٍ عليهِ مِنْ حيثُ إنَّهُ نهيٌ عنِ الزنا ، ولكنْ مِنْ حيثُ إنَّهُ إظهارُ دالَّةِ الاحتكامِ على المسلمِ ، وفيهِ إذلالٌ للمتحكَّمِ عليهِ والفاسقُ يستحقُّ الإذلالَ ، ولكنْ لا مِنَ الكافرِ الذي هوَ أولىٰ بالذلِّ منهُ .

فهٰذا وجهُ منعِنا إيَّاهُ مِنَ الحِسبةِ ، وإلا . . فلسنا نقولُ : إنَّ الكافرَ يُعاقبُ بسببِ قولِهِ : (لا تزنِ) مِنْ حيثُ إنَّهُ نهيٌ ، بلْ نقولُ : إنَّهُ إذا لمْ يقلْ : (لا تزنِ) يُعاقبُ عليهِ إنْ رأينا خطابَ الكافرِ بفروعِ الدينِ ، وفيهِ نظرٌ استوفيناهُ في الفقهياتِ ، وليسَ يليقُ بغرضِنا الآنَ .

* * *

الشرطُ الرابعُ : كونُهُ مأذوناً مِنْ جهةِ الإمامِ والوالي :

فقدْ شرطَ قومٌ هـٰذا الشرطَ ، ولمْ يثبتوا للآحادِ مِنَ الرعيَّةِ الحِسبةَ ، **وهـٰذا الاشتراطُ فاسدٌ** ؛ فإنَّ الآياتِ والأخبارَ التي أوردْناها تدلُّ علىٰ أنَّ كلَّ مَنْ رأىٰ منكراً فسكتَ عليهِ . . عصىٰ ؛ إذْ يجبُ نهيُهُ أينَما رآهُ وكيفَما رآهُ على العمومِ ، والتخصيصُ بشرطِ التفويضِ مِنَ الإمامِ تحكُّمٌ لا أصلَ لهُ .

والعجبُ أنَّ الروافضَ زادوا علىٰ هـٰذا ، فقالوا : لا يجوزُ الأمرُ بالمعروفِ ما لمْ يخرجِ الإمامُ المعصومُ ، وهوَ الإمامُ الحقُّ عندَهُمْ ، وهؤلاءِ أخسُّ رتبةً مِنْ أنْ يُكلَّموا ، بلْ جوابُهُمْ أنْ يُقالَ لهم إذا جاؤوا إلى القضاةِ طالبينَ لحقوقِهِمْ في دمائِهِمْ وأموالِهِمْ : إنَّ نصرتَكُمْ أمرٌ بالمعروفِ ، واستخراجَ حقوقِكُمْ مِنْ أيدي مَنْ ظلمَكُمْ نهيٌ عنِ المنكرِ ، وطلبَكُمْ لحقِّكُمْ مِنْ جملةِ المعروفِ ، وما هـٰذا زمانَ النهيِ عنِ الظلمِ وطلبِ الحقوقِ ؛ لأنَّ الإمامَ الحقَّ بعدُ لمْ يخرجْ !

* * *

فإنْ قيلَ : في الأمرِ بالمعروفِ إثباتُ سلطنةٍ وولايةٍ ، واحتكامٌ على المحكومِ عليهِ ، ولذلكَ لمْ يثبتْ للكافرِ على المسلمِ معَ كونِهِ حقّاً ، فينبغي ألا يثبتَ لآحادِ الرعيَّةِ إلا بتفويضٍ مِنَ الوالي وصاحبِ الأمرِ .

فنقولُ : أمَّا الكافرُ . . فممنوعٌ ؛ لما فيهِ مِنَ السلطنةِ وعزِّ الاحتكامِ ، والكافرُ ذليلٌ لا يستحقُّ أنْ ينالَ عزَّ التحكُّمِ على المسلمِ .

وأمَّا آحادُ المسلمينَ . . فيستحقُّونَ هـٰذا العزَّ بالدينِ والمعرفةِ ، وما فيهِ مِنْ عزِّ السلطنةِ والاحتكامِ لا يحوجُ إلىٰ تفويضٍ ، كعزِّ التعليمِ والتعريفِ ؛ إذْ لا خلافَ في أنَّ تعريفَ التحريمِ والإيجابِ لمَنْ هوَ جاهلٌ ومقدمٌ على المنكرِ بجهلِهِ . . لا يحتاجُ إلىٰ إذْنِ الوالي ، وفيهِ عزُّ الإرشادِ وعلى المعرَّفِ ذلُّ التجهيلِ ، وذلكَ يكفي فيهِ مجرَّدُ الدينِ ؛ فكذلكَ النهيُ .

* * *

وشرحُ القولِ في هـٰذا : أنَّ الحسبةَ لها خمسُ مراتبَ كما سيأتي :

أولاها : التعريفُ .

والثانيةُ : الوعظُ بالكلامِ اللطيفِ .

والثالثةُ : السبُّ والتعنيفُ ، ولستُ أعني بالسبِّ الفحشَ ، بلْ أنْ يقولَ: يا جاهلُ، يا أحمقُ ، يا فاسقُ ؛ ألا تخافُ مِنَ اللهِ ؟ وما يجري هـٰذا المجرىٰ .

والرابعةُ : المنعُ بالقهرِ بطريقِ المباشرةِ ؛ ككسرِ الملاهي ، وإراقةِ الخمرِ ، واختطافِ الثوبِ الحريرِ مِنْ بدنِهِ⁽¹⁾ ، واستلابِ الثوبِ المغصوبِ منهُ وردِّهِ علىٰ صاحبِهِ .

والخامسةُ : التخويفُ والتهديدُ بالضربِ ، أوْ مباشرةُ الضربِ لهُ حتَّىٰ يمتنعَ عمَّا هوَ عليهِ ؛ كالمواظبِ على الغيبةِ والقذفِ ، فإنَّ سلبَ لسانِهِ غيرُ ممكنٍ ، ولكنْ يُحملُ على اختيارِ السكوتِ بالضربِ ، وهـٰذا قدْ يحوجُ إلى

---

(١) في غير (أ) : (من رأسه) ، وفي (ق) : (من لابسه) .

استعانةٍ وجمعِ أعوانٍ مِنَ الجانبينِ ، ويجرُّ ذلكَ إلىٰ قتالٍ .

وسائرُ المراتبِ لا يخفىٰ وجهُ استغنائها عنْ إذنِ الإمامِ إلا المرتبةَ الخامسةَ ، فإنَّ فيها نظراً سيأتي .

* * *

أمَّا التعريفُ والوعظُ . . فكيفَ يحتاجُ إلىٰ إذنِ الإمامِ ؟! وأمَّا التجهيلُ والتحميقُ والنسبةُ إلى الفسقِ وقلَّةِ الخوفِ مِنَ اللهِ وما يجري مجراهُ . . فهوَ كلامٌ صدقٌ ، والصدقُ مستحقٌّ ، بلْ أفضلُ الدرجاتِ كلمةُ حقٍّ عندَ سلطانٍ جائرٍ كما وردَ في الحديثِ⁽¹⁾ ، فإذا جازَ الحكمُ على الإمامِ علىٰ مراغمتِهِ . . فكيفَ يُحتاجُ إلىٰ إذنِهِ ؟! وكذلكَ كسرُ الملاهي وإراقةُ الخمورِ فإنَّهُ تعاطي ما يُعرفُ كونُهُ حقّاً مِنْ غيرِ اجتهادٍ ، فلمْ يفتقرْ إلى الإمامِ .

فأمَّا جمعُ الأعوانِ وشهرُ الأسلحةِ . . فذلكَ قدْ يجرُّ إلىٰ فتنةٍ عامَّةٍ ، ففيهِ نظرٌ سيأتي .

واستمرارُ عاداتِ السلفِ على الحِسبةِ على الولاةِ قاطعٌ بإجماعِهِمْ على الاستغناءِ عنِ التفويضِ ، بلْ كلُّ مَنْ أمرَ بمعروفٍ ؛ فإنْ كانَ الوالي راضياً بهِ . . فذاكَ ، وإنْ كانَ ساخطاً لهُ . . فسخطُهُ لهُ منكرٌ يجبُ الإنكارُ عليهِ ، فكيفَ يُحتاجُ إلىٰ إذنِهِ في الإنكارِ عليهِ ؟!

ويدلُّ علىٰ ذلكَ عادةُ السلفِ في الإنكارِ على الأئمةِ رضيَ اللهُ عنهُمْ

---

(١) رواه أبو داوود (٤٣٤٤) ، والترمذي (٢١٧٤) ، وابن ماجه (٤٠١١) .

أجمعينَ ؛ كما رُوِيَ أنَّ مروانَ بنَ الحكمِ خطبَ قبلَ الصلاةِ في العيدِ ، فقالَ لهُ رجلٌ : إنَّما الخطبةُ بعدَ الصلاةِ ، فقالَ لهُ مروانُ : تُرِكَ ذلكَ يا أبا فلانٍ ، فقالَ أبو سعيدٍ : أمَّا هـٰذا . . فقدْ قضىٰ ما عليهِ ، قالَ لنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ رأىٰ منكُمْ منكراً . . فلينكرْهُ بيدِهِ ، فإنْ لمْ يستطعْ . . فبلسانِهِ ، فإنْ لمْ يستطعْ . . فبقلبِهِ ، وذلكَ أضعفُ الإيمانِ »(١) ، فلقدْ كانوا فهموا مِنْ هـٰذهِ العموماتِ دخولَ السلاطينِ تحتَها ، فكيفَ يُحتاجُ إلىٰ إذنِهِمْ ؟!

ورُوِيَ أنَّ المهديَّ لمَّا قدمَ مكةَ . . لبثَ بها ما شاءَ اللهُ ، فلمَّا أخذَ في الطوافِ . . نحَّى الناسَ عنِ البيتِ ، فوثبَ عبدُ اللهِ بنُ مرزوقٍ فلبَّبَهُ بردائِهِ ثمَّ هزَّهُ وقالَ لهُ : انظرْ ما تصنعُ ! مَنْ جعلَكَ بهـٰذا البيتِ أحقَّ ممَّنْ أتاهُ مِنَ البعدِ أوِ القربِ ، وقدْ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ ، حتَّىٰ إذا صارَ عندَهُ حُلْتَ بينَهُ وبينَهُ ؟! مَنْ جعلَ لكَ هـٰذا ؟! فنظرَ في وجهِهِ وكانَ يعرفُهُ لأنَّهُ مِنْ مواليهِمْ ، فقالَ : أعبدُ اللهِ بنُ مرزوقٍ ؟ قالَ : نعمْ ، فأُخِذَ ، فجيءَ بهِ إلىٰ بغدادَ ، فكرهَ أنْ يُعاقبَهُ عقوبةً يشنَّعُ عليهِ بها في العامَّةِ ، فجعلَهُ في إصطبلِ الدوابِّ ليسوسَ الدوابَّ ، وضمُّوا إليهِ فرساً عَضوضاً سيِّيءَ الخلقِ ليعقِرَهُ الفرسُ ، فليَّنَ اللهُ تعالىٰ لهُ الفرسَ ، قالَ : ثمَّ صيَّروهُ إلىٰ بيتٍ وأغلقُوا عليهِ وأخذَ المهديُّ المفتاحَ عندَهُ ، فإذا هوَ قدْ خرجَ بعدَ ثلاثٍ إلى البستانِ يأكلُ البقلَ ، فأُوذِنَ بهِ المهديُّ ، فقالَ لهُ : مَنْ أخرجَكَ ؟ قالَ :

---

(١) رواه مسلم (٤٩) .

الذي حبسَني ، فضجَّ المهديُّ وصاحَ وقالَ : ما أخلقَ بنا أنْ نقتلَكَ ! فرفعَ عبدُ اللهِ إليهِ رأسَهُ يضحكُ وهوَ يقولُ : لوْ كنتَ تملكُ حياةً أوْ موتاً ، فما زالَ محبوساً حتَّىٰ ماتَ المهديُّ ، ثمَّ خلوا عنهُ ، ورجعَ إلىٰ مكَّةَ ، قالَ : وكانَ قدْ جعلَ علىٰ نفسِهِ نذراً إنْ خلَّصَهُ اللهُ مِنْ أيديهِمْ أنْ ينحرَ مئة بَدنةٍ ، فكانَ يعملُ في ذلكَ حتَّىٰ نحرَها(١) .

ورُوِيَ عنْ حبانَ بنِ عبدِ اللهِ قالَ : تنزَّهَ هارونُ الرشيدُ بالدَّوِينِ ومعَهُ رجلٌ مِنْ بني هاشمٍ ، وهوَ سليمانُ بنُ أبي جعفرٍ ، فقالَ لهُ هارونُ : قدْ كانَتْ لكَ جاريةٌ تغنِّي فتحسنُ ، فجئْنا بها ، قالَ : فجاءَتْ فغنَّتْ ، فلمْ يحمدْ غناءَها ، فقالَ لها : ما شأنُكِ ؟ فقالَتْ : ليسَ هـٰذا عودي ، فقالَ للخادمِ : جئْها بعودِها ، قالَ : فجاءَ بالعودِ ، فوافقَ شيخاً يلقطُ النوىٰ ، فقالَ : الطريقَ يا شيخُ ؛ فرفعَ الشيخُ رأسَهُ ، فرأى العودَ ، فأخذَهُ مِنَ الخادمِ فضربَ بهِ الأرضَ وكسرَهُ ، فأخذَهُ الخادمُ وذهبَ بهِ إلىٰ صاحبِ الربعِ ، فقالَ : احتفظْ بهـٰذا ، فإنَّهُ طلبةُ أميرِ المؤمنينَ ، فقالَ لهُ صاحبُ الربعِ : ليسَ ببغدادَ أعبدُ مِن هـٰذا ، فكيفَ يكونُ طلبةَ أميرِ المؤمنينَ ؟! فقالَ لهُ : اسمعْ ما أقولُ لكَ ، ثمَّ دخلَ علىٰ هارونَ ، فقالَ : إنِّي مررتُ علىٰ شيخٍ يلقطُ النوىٰ ، فقلتُ لهُ : الطريقَ ، فرفعَ رأسَهُ ، فرأى العودَ ، فأخذَهُ ، فضربَ بهِ الأرضَ فكسرَهُ ، فاستشاطَ هارونُ غضباً واحمرَّتْ عيناهُ ، فقالَ لهُ سليمانُ بنُ أبي جعفرٍ :

---

(١) الإمامة والسياسة (ص ٣٢٠) ، ذكر فيه ابن قتيبة إنكاره علىٰ أبي جعفر المنصور وعلى المهدي من بعده .

ما هـٰذا الغضبُ يا أميرَ المؤمنينَ ! ابعثْ إلىٰ صاحبِ الربعِ يضربْ عنقَهُ ويرمِ بهِ في الدجلةِ ، فقالَ : لا ، ولكنْ نبعثُ إليهِ ونناظرُهُ أوّلاً ، فجاءَ الرسولُ فقالَ : أجبْ أميرَ المؤمنينَ ، فقالَ : نعمْ ، قالَ : اركبْ ، قالَ : لا ، فجاءَ يمشي حتَّىٰ وقفَ علىٰ بابِ القصرِ ، فقيلَ لهارونَ : قدْ جاءَ الشيخُ ، فقالَ للندماءِ : أيَّ شيءٍ ترونَ ؟ نرفعُ ما هـٰهنا مِنَ المنكرِ حتَّىٰ يدخلَ هـٰذا الشيخُ أوْ نقومُ إلىٰ مجلسٍ آخرَ ليسَ فيهِ منكرٌ ؟ فقالوا لهُ : نقومُ إلىٰ مجلسٍ آخرَ ليسَ فيهِ منكرٌ أصلحُ ، فقاموا إلىٰ مجلسٍ ليسَ فيهِ منكرٌ ، ثمَّ أمرَ بالشيخِ فأدخلَ وفي كمِّهِ الكيسُ الذي فيهِ النوىٰ ، فقالَ لهُ الخادمُ : أخرجْ هـٰذا مِنْ كمِّكَ وادخلْ علىٰ أميرِ المؤمنينَ ، فقالَ : مِنْ هـٰذا عشائي الليلةَ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ ، قالَ : نحنُ نعشِّيكَ ، قالَ : لا حاجةَ لي إلىٰ عشائِكُمْ ، فقالَ هارونُ للخادمِ : أيَّ شيءٍ تريدُ منهُ ، فقالَ : في كمِّهِ نوىً ، فقلتُ لهُ : اطرحْهُ وادخلْ علىٰ أميرِ المؤمنينَ ، فقالَ : دعْهُ لا يطرحْهُ ، فدخلَ ، فسلَّمَ ، ثم جلسَ ، فقالَ لهُ هارونُ : يا شيخُ ؛ ما حملَكَ علىٰ ما صنعتَ ، قالَ : وأيَّ شيءٍ صنعتُ ؟ وجعلَ هارونُ يستحي أنْ يقولَ : كسرتَ عودَنا ، فلمَّا أكثرَ عليهِ . . قالَ : إنِّي سمعتُ أباكَ وأجدادَكَ يقرؤون هـٰذهِ الآيةَ على المنبرِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾ ، وأنا رأيتُ منكراً فغيَّرتُهُ ، فقالَ : فغيِّرْهُ ، فواللهِ ما قالَ إلا هـٰذا ، فلما خرجَ . . أعطى الخليفةُ رجلاً بدرةً وقالَ : اتبعِ الشيخَ ، فإنْ رأيتَهُ يقولُ : قلتُ لأميرِ المؤمنينَ وقالَ لي . . فلا تعطِهِ شيئاً ، وإنْ رأيتَهُ لا يكلِّمُ أحداً . . فأعطِهِ

البدرةَ ، فلمَّا خرجَ مِنَ القصرِ . . فإذا هوَ بنواةٍ في الأرضِ قدْ غاصَتْ ، فجعلَ يعالجُها ولمْ يكلِّمْ أحداً ، فقالَ لهُ : يقولُ لكَ أميرُ المؤمنينَ : خذْ هـٰذهِ البدرةَ ، فقالَ : قلْ لأميرِ المؤمنينَ يردُّها مِنْ حيثُ أخذَها .

ورُوِيَ أنَّهُ أقبلَ بعدَ فراغِهِ مِنْ كلامِهِ على النواةِ يعالجُ قلعَها مِنَ الأرضِ وهوَ يقولُ(١) : [من الوافر]

أَرَى ٱلدُّنْيا لِمَنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ هُمُوماً كُلَّما كَثُرَتْ لَدَيْهِ
تُهِينُ ٱلْمُكْرِمِينَ لَها بِصُغْرٍ وَتُكْرِمُ كُلَّ مَنْ هانَتْ عَلَيْهِ
إِذا ٱسْتَغْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَدَعْهُ وَخُذْ ما أَنْتَ مُحْتاجٌ إِلَيْهِ

وعنْ سفيانَ الثوريِّ رحمهُ اللهُ قالَ : حجَّ المهديُّ سنةَ ستٍّ وستينَ ومئةٍ ، فرأيتُهُ يرمي جمرةَ العقبةِ والناسُ يُخبطونَ يميناً وشمالاً بالسياطِ ، فوقفتُ فقلتُ : يا حسنَ الوجهِ ؛ حدَّثَنا أيمنُ بنُ نابلٍ عنْ قدامةَ بنِ عبدِ اللهِ الكلابيِّ قالَ : (رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يرمي الجمرةَ يومَ النحرِ علىٰ جملٍ لا ضربَ ولا طردَ ولا جلْدَ ، ولا إليكَ إليكَ)(٢) ، وهـٰأنتَ يُخبطُ الناسُ بينَ يديكَ يميناً وشمالاً ، فقالَ لرجلٍ : مَنْ هـٰذا ؟ قالَ : سفيانُ الثوريُّ ، فقالَ : يا سفيانُ ؛ لوْ كانَ المنصورُ . . ما احتملَكَ علىٰ هـٰذا ، فقلتُ : لوْ أخبرَكَ المنصورُ بما لقيَ . . لأقصرتَ عمَّا أنتَ فيهِ ، قالَ : فقيلَ

---

(١) الأبيات لأبي العتاهية في « ديوانه » (ص ٤١٠ـ ٤١١) .

(٢) رواه الترمذي (٩٠٣) ، والنسائي (٥/ ٢٧٠) ، وابن ماجه (٣٠٣٥) .

لهُ : إنَّهُ قالَ لكَ : يا حسنَ الوجهِ ، ولمْ يقلْ لكَ : يا أميرَ المؤمنينَ ، فقالَ : اطلبوهُ ، فطُلِبَ سفيانُ ، فاختفىٰ(١) .

وقدْ رُوِيَ عنِ المأمونِ أنَّهُ بلغَهُ أنَّ رجلاً محتسِباً يمشي في الناسِ يأمرُهُمْ بالمعروفِ وينهاهُمْ عنِ المنكرِ ولمْ يكنْ مأموراً مِنْ عندِهِ بذلكَ ، فأمرَ بأنْ يُدخلَ عليهِ ، فلمَّا صارَ بينَ يديهِ . . قالَ لُه : إنَّهُ بلغَني أنَّكَ رأيتَ نفسَكَ أهلاً للأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ مِنْ غيرِ أنْ نأمرَكَ ، وكانَ المأمونُ جالساً علىٰ كرسيٍّ ينظرُ في كتابٍ أوْ قصَّةٍ ، فأغفلَهُ ، فوقعَ منهُ ، فصارَ تحتَ قدمِهِ مِنْ حيثُ لمْ يشعرْ ، فقالَ لهُ المحتسبُ : ارفعْ قدمَكَ عنْ أسماءِ اللهِ تعالىٰ ثمَّ قلْ ما شئتَ ، فلمْ يفهمِ المأمونُ مرادَهُ ، فقالَ : ماذا تقولُ ؟ حتَّىٰ أعادَهُ ثلاثاً ، فلمْ يفهمْ ، فقالَ : إمَّا رفعتَ أوْ أذنتَ لي حتَّىٰ أرفعَ ، فقالَ : قدْ أذنتُ لكَ ، فنظرَ المأمونُ تحتَ قدمِهِ ، فرأى الكتابَ فأخذَهُ وقبَّلَهُ وخجلَ ، ثمَّ عادَ وقالَ : لِمَ تأمرُ بالمعروفِ وقدْ جعلَ اللهُ ذلكَ إلينا أهلَ البيتِ ؟ ونحنُ الذينَ قال اللهُ تعالىٰ فيهِمْ : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ ، فقالَ : صدقتَ يا أميرَ

---

(١) روىٰ أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٧٧) نحو هـٰذا ، قال الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٧/ ٢٢) : (هكذا أورد المصنف هـٰذه القصة تبعاً لغيره ، وقد عرفت أن سفيان توفي قبل هـٰذه المدة بخمس سنوات ، ولكن ثبت أنه اختفىٰ من المهدي حين طلبه ، وأنه كان ذلك بسبب أمره بالمعروف) ، ثم ساق الحافظ الزبيدي حديث أبي نعيم وقال : (فبان بهـٰذا أن للقصة المذكورة أصلاً ، وإنما الغلط جاء من التاريخ ، وكان تولية المهدي سنة ثمان وخمسين ، فلعل حقه سنة ستين ، فتأمل) .

المؤمنينَ ، أنتَ كما وصفتَ نفسَكَ مِنَ السلطانِ والتمكينِ ، غيرَ أنَّا أعوانُكَ وأولياؤُكَ فيهِ ، ولا ينكرُ ذلكَ إلا مَنْ جهلَ كتابَ اللهِ تعالىٰ وسنَّةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ . . . ﴾ الآيـةَ ، وقـالَ رسـولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُهُ بعضاً »(١) ، وقدْ مُكِّنتَ في الأرضِ ، وهٰذا كتابُ اللهِ وسنَّةُ نبيِّهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ، فإنِ انقدتَ لهُما . . شكرتَ لمَنْ أعانَكَ بجزءٍ منهُما ، وإنِ استكبرتَ عنهُما ولمْ تنقدْ لما لزمَكَ منهُما . . فإنَّ الذي إليهِ أمرُكَ وبيدِهِ عزُّكَ وذلُّكَ قدْ شرطَ أنَّهُ لا يضيعُ أجرَ مَنْ أحسنَ عملاً ، فقلِ الآنَ ما شئتَ ، فأُعجبَ المأمونُ بكلامِهِ وسُرَّ بِهِ ، وقالَ : مثلُكَ يجوزُ لهُ أنْ يأمرَ بالمعروفِ ، فامضِ علىٰ ما كنتَ عليهِ بأمرِنا وعنْ رأينا ، فاستمرَّ الرجلُ علىٰ ذلكَ .

ففي سياقِ هٰذه الحكاياتِ بيانُ الدليلِ على الاستغناءِ عنِ الإذنِ .

* * *

فإنْ قيلَ : أفتثبتُ ولايةَ الحِسبةِ للولدِ على الوالدِ ، والعبدِ على السيِّدِ ، والزوجةِ على الزوجِ ، والتلميذِ على الأستاذِ ، والرعيَّةِ على الوالي مطلقاً . . كما يثبتُ للوالدِ على الولدِ ، والسيِّدِ على العبدِ ، والزوجِ على الزوجةِ ، والأستاذِ على التلميذِ ، والسلطانِ على الرعيَّةِ ، أو بينَهُما فرقٌ ؟

---

(١) رواه البخاري (٤٨١) ، ومسلم (٢٥٨٥) .

فاعلمْ : أنَّ الذي نراهُ أنَّهُ يثبتُ أصلُ الولايةِ ، ولكنْ بينَهُما فرقٌ في التفصيلِ ، ولنفرضْ ذلكَ في الولدِ معَ الوالدِ ، **فنقولُ** : قدْ رتَّبْنا للحِسبةِ خمسَ مراتبَ ، وللولدِ الحِسبةُ بالرتبتَينِ الأوليينِ ، وهما التعريفُ ، ثمَّ الوعظُ والنصحُ باللطفِ ، وليسَ لهُ الحِسبةُ بالسبِّ والتعنيفِ ، والتهديدِ ، ولا بمباشرةِ الضرْبِ ، وهما الرتبتانِ الأخيرتانِ .

وهلْ لهُ الحسبةُ بالرتبةِ الثالثةِ[1] ، حيثُ تؤدِّي إلىٰ أذى الوالدِ وسخطِهِ ؟

هٰذا فيهِ نظرٌ[2] ، وهوَ بأنْ يكسرَ مثلاً عودَهُ ، ويريقَ خمرَهُ ، ويحلَّ الخيوطَ عنِ ثيابِهِ المنسوجةِ مِنَ الحريرِ ، ويردَّ إلى الملاَّكِ ما يجدُهُ في بيتِهِ مِنَ المالِ الحرامِ الذي غصبَهُ أوْ سرقَهُ أوْ أخذَهُ عنْ إدرارٍ ورزقٍ مِنْ ضريبةِ المسلمينَ إذا كانَ صاحبُهُ معيَّناً ، ويبطلَ الصورَ المنقوشةَ علىٰ حيطانِهِ ، والمنقورةَ في خشبِ بيتِهِ ، ويكسرَ أوانيَ الذهبِ والفضةِ ، فإنَّ فعلَهُ في هٰذهِ الأمورِ ليسَ يتعلَّقُ بذاتِ الأبِ ، بخلافِ الضرْبِ والسبِّ ، ولكنَّ الوالدَ يتأذَّىٰ بهِ ويسخطُ بسببِهِ ، إلا أنَّ فعلَ الولدِ حقٌّ ، وسخطُ الأبِ منشؤُهُ حبُّهُ للباطلِ وللحرامِ !

والأظهرُ في القياسِ : أنَّهُ يثبتُ للولدِ ذلكَ ، بلْ يلزمُهُ أنْ يفعلَ ذلكَ ،

---

(١) كذا في النسخ ، ولعل الصواب : (بالرتبة الرابعة) حسبما ذكره سابقاً .

(٢) **ووجه النظر** : أن رضا الوالد مطلوب علىٰ كل حال ، فهل يقدَّم على الاحتساب ؟ والاحتساب أيضاً مأمور به ، فهل يقدم عليه ولو أدىٰ ذلك إلى السخط ؟ فصار الأمر ملتبساً . « إتحاف » (٧/ ٢٤) .

ولا يبعدُ أنْ ينظرَ فيهِ إلىٰ قبحِ المنكرِ وإلىٰ مقدارِ الأذىٰ والسخطِ ، فإنْ كانَ المنكرُ فاحشاً وسخطُهُ عليهِ قريباً ؛ كإراقةِ خمرِ مَنْ لا يشتدُّ غضبُهُ . . فذلكَ ظاهرٌ ، وإنْ كانَ المنكرُ قريباً والسخطُ شديداً ؛ كما لوْ كانَتْ لهُ آنيةٌ مِنْ بلَّورٍ أوْ زجاجٍ علىٰ صورةِ حيوانٍ وفي كسرِها خسرانُ مالٍ كثيرٍ . . فهٰذا ممَّا يشتدُّ فيهِ الغضبُ ، وليسَ تجري هٰذهِ المعصيةُ مَجرى الخمرِ وغيرِهِ ، فهٰذا كلُّهُ مجالُ النظرِ .

* * *

فإنْ قيلَ : ومِنْ أينَ قلتُمْ : ليسَ لهُ الحِسبةُ بالتعنيفِ والضربِ والإرهاقِ إلىٰ تركِ الباطلِ والأمرُ بالمعروفِ في الكتابِ والسنَّةِ وردَ عامّاً مِنْ غيرِ تخصيصٍ ، وأمَّا النهيُ عنِ التأفيفِ والإيذاءِ . . فقدْ ورَد وهوَ خاصٌّ فيما لا يتعلَّقُ بارتكابِ المنكراتِ ؟

فنقولُ : قدْ وردَ في حقِّ **الأبِ على الخصوصِ** ما يوجبُ الاستثناءَ عنِ العمومِ ؛ إذْ لا خلافَ في أنَّ الجلاَّدَ ليسَ لهَ أنْ يقتلَ أباهُ حداً في الزنا ، ولا لهُ أنْ يباشرَ إقامةَ الحدِّ عليهِ ، بلْ لا يباشرُ قتلَ أبيهِ الكافرِ ، بلْ لوْ قطعَ يدَهُ . . لمْ يلزمْهُ قصاصٌ ، ولمْ يكنْ لَهُ أنْ يؤذيَهُ في مقابلتِهِ ، وقدْ وردَ في ذلكَ أخبارٌ(١) ، وثبتَ بعضُها بالإجماعِ .

---

(١) منها حديث الذي حذف ابنه بسيف ، فأصاب ساقه ، فنزا في جرحه ، فمات ، فأخذ منه عمر رضي الله عنه ديته ودفعها إلىٰ ورثته دونه ، روىٰ ذلك الشافعي في « الأم » (٧/ ٨٥) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (٩/ ٤٠٣) ، والبيهقي في « السنن =

فإذا لمْ يجزْ لهُ إيذاؤُهُ بعقوبةٍ هيَ حقٌّ علىٰ جنايةٍ سابقةٍ . . فلا يجوزُ لهُ إيذاؤُهُ بعقوبةٍ هيَ منعٌ عنْ جنايةٍ مستقبلةٍ متوقَّعةٍ ، بلْ أولىٰ .

وهٰذا الترتيبُ أيضاً ينبغي أنْ يجريَ في **العبدِ والزوجةِ معَ السيِّدِ والزوجِ** فهما قريبانِ مِنَ الوالدِ في لزومِ الحقِّ ، وإنْ كانَ ملكُ اليمينِ آكدَ مِنْ ملكِ النكاحِ ، ولكنْ في الخبرِ : (أنَّهُ لوْ جازَ السجودُ لمخلوقٍ . . لأمرتُ المرأةَ بالسجودِ لبعلِها)[1] ، وهٰذا يدلُّ علىٰ تأكيدِ الحقِّ أيضاً .

⁂

وأمَّا الرعيَّةُ معَ السلطانِ . . فالأمرُ فيها أشدُّ مِنَ الوالدِ، فليسَ لهُمْ معَهُ إلا التعريفُ والنصحُ ، فأما الرتبةُ الثالثةُ . . ففيها نظرٌ مِنْ حيثُ إنَّ الهجومَ علىٰ أخذِ الأموالِ مِنْ خزانتِهِ وردِّها إلى الملاَّكِ ، وعلىٰ تحليلِ الخيوطِ مِنْ ثيابهِ الحريرِ ، وكسرِ آنيةِ الخمورِ في بيتِهِ . . يكادُ يفضي إلىٰ خرْقِ هيبتِهِ وإسقاطِ حشمتِهِ ، وذلكَ محظورٌ وردَ النهيُ عنْه[2] ، كما ورَد النهيُ عنِ السكوتِ

= الكبرىٰ » (٨/ ٣٨) ، ورروىٰ أحمد في « المسند » (١/ ١٦) ، والترمذي (١٤٠٠) ، من حديث عمر رضي الله عنه ـ وهو في الخبر السابق كذلك ـ مرفوعاً : « لا يقاد الوالد بالولد » ، ورواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٨/ ٣٩) ، من حديث ابن عباس رضي الله عنه كذلك .

[1] رواه الترمذي (١١٥٩) .

[2] كما روى الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٢٩٠) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٨/ ١٦٤) من حديث عياض بن غنم رضي الله عنه مرفوعاً : « من كانت عنده نصيحة لذي سلطان . . فلا يكلمه بها علانية ، وليأخذ بيده فليخل به ، فإن قبلها . . قبلها ، =

على المنكرِ ، فقدْ تعارضَ فيهِ أيضاً محذورانِ ، والأمرُ فيهِ موكولٌ إلى اجتهادٍ منشؤُهُ النظرُ في تفاحشِ المنكرِ ، ومقدارِ ما يسقطُ مِنْ حشمتِهِ بسببِ الهجومِ عليهِ ، وذلكَ ممَّا لا يمكنُ ضبطُهُ .

وأمَّا التلميذُ والأستاذُ . . فالأمرُ فيما بينَهُما أخفُّ ؛ لأنَّ المحترمَ هوَ الأستاذُ المفيدُ للعلمِ مِنْ حيثُ الدينُ ، ولا حرمةَ لعالمٍ لا يعملُ بعلمِهِ ، فلهُ أنْ يعاملَهُ بموجَبِ علمِهِ الذي تعلَّمَهُ منهُ .

ورُوِيَ أنَّهُ سُئِلَ الحسنُ عنِ الولدِ كيفَ يحتسبُ علىٰ والدِهِ ؟ فقالَ : يعظُهُ ما لمْ يغضبْ ، فإنْ غضبَ . . سكتَ عنهُ .

* * *

الشرطُ الخامسُ : كونُهُ قادراً : ولا يخفىٰ أنَّ العاجزَ ليسَ عليهِ حِسبةٌ إلا بقلبِهِ ؛ إذْ كلُّ مَنْ أحبَّ اللهَ تعالىٰ فيكرهُ معاصيَهُ وينكرُها ، وقالَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (جاهدوا الكفَّارَ بأيديكُمْ ، فإنْ لمْ تستطيعوا إلا أنْ تكفهرُّوا في وجوهِهِمْ . . فافعلوا)(١) .

= وإلا . . كان قد أدى الذي عليه والذي له » ، وللترمذي (٢٢٢٤) ، من حديث أبي بكرة الثقفي رضي الله عنه مرفوعاً : « من أهان سلطان الله في الأرض . . أهانه الله » ، قاله أبو بكرة لرجل سمعه يقول : (انظروا إلىٰ أميرنا يلبس ثياب الفساق) .

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٣٧٧) ولفظه : (جاهدوا المنافقين بأيديكم ، فإن لم تستطيعوا . . فبألسنتكم ، فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفهروا في وجوههم . . فاكفهروا في وجوههم) .

واعلمْ : أنَّهُ لا يقفُ سقوطُ الوجوبِ على العجْزِ الحسِّيِّ ، بلْ يلتحقُ بهِ ما يخافُ عليهِ مكروهاً ينالُهُ ، فذلكَ في معنى العجْزِ ، وكذلكَ إذا لمْ يخفْ مكروهاً ولكنْ علمَ أنَّ إنكارَهُ لا ينفعُ ، فليلتفتْ إلىٰ معنيينِ :

أحدُهُما : عدمُ إفادةِ الإنكارِ امتناعاً .

والآخرُ : خوفُ مكروهٍ .

ويحصلُ منِ اعتبارِ المعنيينِ أربعةُ أحوالٍ :

أحدُها : أنْ يجتمعَ المعنيانِ : بأنْ يعلمَ أنَّهُ لا ينفعُ كلامُهُ ، ويُضربُ إنْ تكلَّمَ ، فلا تجبُ عليهِ الحِسبةُ ، بلْ ربَّما تحرمُ في بعضِ المواضعِ .

نعمْ ، يلزمُهُ ألا يحضرَ مواضعَ المنكرِ ، ويعتزلَ في بيتِهِ حتَّىٰ لا يشاهدَهُ ، ولا يخرجُ إلا لحاجةٍ مهمَّةٍ أوْ واجبٍ ، ولا يلزمُهُ مفارقةُ تلكَ البلدةِ والهجرةُ إلا إذا كانَ يرهقُ إلى الفسادِ(١) ، أوْ يحملُ علىٰ مساعدةِ السلاطينِ في الظلمِ والمنكراتِ ، فتلزمُهُ الهجرةُ إنْ قدرَ عليها ، فإنَّ الإكراهَ لا يكونُ عذراً في حقِّ مَنْ يقدرُ على الهربِ مِنَ الإكراهِ .

الحالةُ الثانيةُ : أنْ ينتفيَ المعنيانِ جميعاً : بأنْ يعلمَ أنَّ المنكرَ يزولُ بقولِهِ وفعلِهِ ، ولا يقدرُ لهُ علىٰ مكروهٍ ، فيجبُ عليهِ الإنكارُ ، وهـٰذهِ هيَ القدرةُ المطلقةُ .

الحالةُ الثالثةُ : أنْ يعلمَ أنَّهُ لا يفيدُ إنكارُهُ ، لكنَّهُ لا يخافُ مكروهاً : فلا

---

(١) يرهق هنا : يقترب ويدنو منه .

تجبُ عليهِ الحِسبةُ ؛ لعدمِ فائدتِها ، ولكنْ تُستحبُّ لإظهارِ شعائرِ الإسلامِ ، وتذكيرِ الناسِ بأمرِ الدينِ .

الحالةُ الرابعةُ : عكسُ هٰذهِ : وهوَ أنْ يعلمَ أنَّهُ يصابُ بمكروهٍ ، ولكنْ يبطلُ المنكرَ بفعلِهِ ، كما يقدرُ علىٰ أنْ يرميَ زجاجةَ الفاسقِ بحجرٍ فيكسرَها ويريقَ الخمرَ ، أوْ يضربَ العودَ الذي في يدِهِ ضربةً مختطفةً فيكسرَهُ في الحالِ ، ويتعطَّلَ عليهِ هٰذا المنكرُ ، ولكنَّهُ يعلمُ أنَّهُ يرجعُ إليهِ فيضربُ رأسَهُ ، فهٰذا ليسَ بواجبٍ وليسَ بحرامٍ ، بل هوَ مستحبٌّ ، ويدلُّ عليهِ الخبرُ الذي أوردناهُ في فضلِ كلمةِ حقٍّ عندَ إمامٍ جائرٍ ، ولا شكَّ في أنَّ ذلكَ مَظِنَّةُ الخوفِ .

ويدلُّ عليهِ ما رُوِيَ عنْ أبي سليمانَ الدارانيِّ رحمهُ اللهُ تعالىٰ أنَّهُ قالَ : (سمعتُ مِنْ بعضِ الخلفاءِ كلاماً ، فأردتُ أنْ أنكرَ عليهِ وعلمتُ أنِّي أقتلُ ، ولمْ يمنعْني القتلُ ، ولكنْ كانَ في ملأٍ مِنَ الناسِ ، فخشيتُ أنْ يعتريَني التزيُّنُ للخلقِ ، فأقتلَ مِنْ غيرِ إخلاصٍ في الفعلِ)[1] .

* * *

فإنْ قيلَ : فما معنىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ ؟

قلنا : لا خلافَ في أنَّ المسلمَ الواحدَ لهُ أنْ يهجمَ علىٰ صفِّ الكفَّارِ ويقاتلَ وإنْ علمَ أنَّهُ يُقتلُ ، وهٰذا ربَّما يُظنُّ أنَّهُ مخالفٌ لموجَبِ الآيةِ ، وليسَ كذلكَ ، فقدْ قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (ليسَ التهلكةُ ذلكَ ،

---

[1] قوت القلوب (٢/ ١٣٧) .

بلْ تركُ النفقةِ في طاعةِ اللهِ تعالىٰ)(١) أيْ : مَنْ لمْ يفعلْ ذلكَ . . فقدْ أهلكَ نفسَهُ .

وقالَ البراءُ بنُ عازبٍ : (التهلكةُ : هوَ أنْ يذنبَ الذنبَ ثمَّ يقولَ : لا يُتابُ عليَّ)(٢) .

وقالَ عَبيدةُ : (هوَ أنْ يذنبَ ثمَّ لا يعملَ بعدَهُ خيراً حتَّىٰ يهلكَ)(٣) .

وإذا جازَ أنْ يقاتلَ الكفَّارَ حتَّىٰ يُقتلَ . . جازَ أيضاً لهُ ذلكَ في الحِسبةِ ، ولكنْ لوْ علمَ أنَّهُ لا نكايةَ لهجومِهِ على الكفَّارِ ؛ كالأعمىٰ يطرحُ نفسَهُ على الصفِّ أوِ العاجزِ . . فذلكَ حرامٌ ، وداخلٌ تحتَ عمومِ آيةِ التهلكةِ ، وإنَّما جازَ لهُ الإقدامُ إذا علمَ أنَّهُ يقاتلُ إلىٰ أنْ يُقتلَ ، أوْ علمَ أنَّهُ يكسرُ قلوبَ الكفَّارِ بمشاهدتِهِمْ جراءتَهُ ، واعتقادِهِمْ في سائرِ المسلمينَ قلَّةَ المبالاةِ وحبَّهُمْ للشهادةِ في سبيلِ اللهِ ، فتُكسرُ بذلكَ شوكتُهُمْ ؛ فكذلكَ يجوزُ للمحتسبِ ، بلْ يُستحبُّ لهُ أنْ يعرِّضَ نفسَهُ للضربِ والقتلِ إذا كانَ لحسبتِهِ تأثيرٌ في رفعِ المنكرِ ، أوْ في كسرِ جاهِ الفاسقِ ، أوْ في تقويةِ قلوبِ أهلِ الدينِ .

فأمَّا إنْ رأىٰ فاسقاً متغلباً وحدَهُ وعندَهُ سيفٌ وبيدِهِ قدحٌ ، وعلمَ أنَّهُ لوْ أنكرَ عليهِ لشربَ القدحَ وضربَ رقبتَهُ . . فهٰذا ممَّا لا أرىٰ للحسبةِ فيهِ

---

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (٢/٢/٢٦٥) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (٢/٢/٢٦٨) .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (٢/٢/٢٦٨) ، وعَبيدة هو السلماني ، وروىٰ نحوه عن ابن سيرين كذلك .

وجهاً ، وهوَ عينُ الإهلاكِ ، فإنَّ المقصودَ أنْ يؤثِّرَ في الدينِ أثراً ويفديَهُ بنفسِهِ ، فأمَّا تعريضُ النفسِ للهلاكِ مِنْ غيرِ أثرٍ . فلا وجهَ لهُ ، بلْ ينبغي أنْ يكونَ هـٰذا حراماً .

وإنَّما يُستحبُّ لهُ الإنكارُ إذا قدرَ علىٰ إبطالِ المنكرِ ، أوْ ظهرَ لفعلِهِ فائدةٌ ، وذلكَ بشرطِ أنْ يقتصرَ المكروهُ عليهِ ، فإنْ علمَ أنَّهُ يُضربُ معَهُ غيرُهُ مِنْ أصحابِهِ أوْ أقاربِهِ أوْ رفقائِهِ . . فلا تجوزُ لهُ الحِسبةُ ، بلْ تحرمُ ؛ لأنَّهُ عجزَ عنْ دفعِ المنكرِ ، إلا بأنْ يفضيَ ذلكَ إلىٰ منكرٍ آخرَ ، وليسَ ذلكَ مِنَ القدرةِ في شيءٍ ، بلْ لوْ علمَ أنَّهُ لوِ احتسبَ لبطلَ ذلكَ المنكرُ ولكنْ كانَ ذلكَ سبباً لمنكرٍ آخرَ يتعاطاهُ غيرُ المحتسَبِ عليهِ . . فلا يحلُّ لهُ الإنكارُ على الأظهرِ ؛ لأنَّ المقصودَ عدمُ مناكيرِ الشرعِ مطلقاً ، لا مِنْ زيدٍ ولا مِنْ عمرٍو ، وذلكَ بأنْ يكونَ مثلاً معَ الإنسانِ شرابٌ حلالٌ نَجِسَ بسببِ وقوعِ نجاسةٍ فيهِ ، وعلمَ أنَّهُ لوْ أراقَهُ . . لشربَ صاحبُهُ الخمرَ ، أوْ شربَ أولادُهُ الخمرَ ؛ لإعوازِهِمُ الشرابَ الحلالَ ، فلا معنىً لإراقةِ ذلكَ .

ويحتملُ أنْ يُقالَ : إنَّهُ يريقُ ذلكَ ، فيكونُ هوَ مبطلاً لمنكرٍ ، وأمَّا شربُ الآخرِ . فهوَ الملومُ فيهِ ، والمحتسبُ غيرُ قادرٍ علىٰ منعِهِ مِنْ ذلكَ المنكرِ .

وقدْ ذهبَ إلىٰ هـٰذا ذاهبونَ ، وليسَ ببعيدٍ ؛ فإنَّ هـٰذهِ مسائلُ فقهيةٌ لا يمكنُ فيها الحكمُ إلا بظنٍّ ، ولا يبعدُ أنْ يُفرَّقَ بينَ درجاتِ المنكرِ المغيَّرِ والمنكرِ الذي تفضي إليهِ الحِسبةُ والتغييرُ ، فإنَّهُ إذا كانَ يذبحُ شاةً لغيرِهِ حتَّىٰ

يأكلَها وعلمَ أنَّهُ لوْ منعَهُ مِنْ ذلكَ لذبحَ إنساناً وأكلَهُ . . فلا معنىٰ لهـٰذهِ الحِسبةِ .

نعمْ ؛ لوْ كانَ منْعُهُ عنْ ذبحِ إنسانٍ أوْ قطعِ طرفِهِ يحملُهُ علىٰ أخذِ مالِهِ . . فذلكَ لهُ وجهٌ .

فهـٰذِه دقائقُ واقعةٌ في محلِّ الاجتهادِ ، وعلى المحتسبِ اتباعُ اجتهادِهِ في ذلكَ كلِّهِ ، ولهـٰذهِ الدقائقِ نقولُ : العاميُّ ينبغي لهُ ألا يحتسبَ إلا في الجليّاتِ المعلومةِ ؛ كشربِ الخمرِ ، والزنا ، وتركِ الصلاةِ ، فأمَّا ما يُعلمُ كونُهُ معصيةً بالإضافةِ إلىٰ ما يطيفُ بهِ مِنَ الأفعالِ ، ويفتقرُ فيهِ إلى اجتهادٍ . . فالعاميُّ إنْ خاضَ فيهِ . . كانَ ما يفسدُهُ أكثرَ ممَّا يصلحُهُ .

وعنْ هـٰذا يتأكَّدُ ظنُّ مَنْ لا يثبتُ ولايةَ الحِسبةِ إلا بتعيينِ الوالي ، إذْ ربَّما يُنتدبُ لها مَنْ ليسَ أهلاً لها ؛ لقصورِ معرفتِهِ ، أوْ قصورِ ديانتِهِ ، فيودِّي ذلكَ إلىٰ وجوهٍ مِنَ الخللِ ، وسيأتي كشفُ الغطاءِ عنْ ذلكَ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

* * *

فإنْ قيلَ : وحيثُ أطلقْتُم العلمَ بأنَّهُ يصيبُهُ مكروهٌ أَوْ أنَّهُ لا تفيدُ حسبتُهُ ؛ فلوْ كانَ بدلَ العلمِ ظنٌّ . . فما حكمُهُ ؟

قلنا : الظنُّ الغالبُ في هـٰذهِ الأبوابِ في معنى العلمِ ، وإنَّما يظهرُ الفرقُ عندَ تعارضِ الظنِّ والعلمِ ، إذْ يرجحُ العلمُ اليقينيُّ على الظنِّ ، ويُفرَّقُ بينَ العلمِ والظنِّ في مواضعَ أخرَ ، وهوَ أنَّهُ يسقطُ وجوبُ الحِسبةِ عنهُ حيثُ علمَ

قطعاً أنَّهُ لا يفيدُ ، فإنْ كانَ غالبُ ظنِّهِ أنَّهُ لا يفيدُ ولكنْ يحتملُ أنْ يفيدَ ، وهوَ مَعَ ذلكَ لا يتوقَّعُ مكروهاً . . فقدِ اختلفوا في وجوبِهِ ، والأظهرُ : وجوبُهُ ؛ إذ لا ضررَ فيهِ ، وجدواهُ متوقعٌ(١) ، وعموماتُ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ تقتضي الوجوبَ بكلِّ حالٍ ، ونحنُ إنَّما نستثني عنهُ بطريقِ التخصيصِ ما إذا عُلمَ أنَّهُ لا فائدةَ فيهِ ؛ إمَّا بالإجماعِ ، أوْ بقياسٍ ظاهرٍ ، وهوَ أنَّ الأمرَ ليسَ يُرادُ لعينِهِ ، بلْ للمأمورِ ؛ فإذا عُلمَ اليأسُ عنهُ . . فلا فائدةَ فيهِ ، فأمَّا إذا لمْ يكنْ يأسٌ . . فينبغي ألا يسقطَ الوجوبُ .

* * *

فإنْ قيلَ : فالمكروهُ الذي تُوقَّعُ إصابتُهُ إنْ لمْ يكنْ متيقناً ولا معلوماً بغالبِ الظنِّ ، ولكنْ كانَ مشكوكاً فيهِ ، أوْ كانَ غالبُ ظنِّهِ أنَّهُ لا يُصابُ بمكروهٍ ، ولكنِ احتملَ أنْ يُصابَ بمكروهٍ . . فهٰذا الاحتمالُ هلْ يُسقطُ الوجوبَ حتَّىٰ لا يجبُ إلا عندَ اليقينِ بأنَّهُ لا يصيبُهُ مكروهٌ ، أمْ يجبُ في كلِّ حالٍ إلا إذا غلبَ علىٰ ظنِّهِ أنَّهُ يُصابُ بمكروهٍ ؟

قلنا : إنْ غلبَ على الظنِّ أنَّهُ يُصابُ . . لمْ يجبْ ، وإنْ غلبَ أنَّهُ لا يُصابُ . . وجبَ ، ومجرَّدُ التجويزِ لا يسقطُ الوجوبَ ؛ فإنَّ ذلكَ ممكنٌ في كلِّ حِسبةٍ .

وإنْ شكَّ فيهِ مِنْ غيرِ رجحانٍ . . فهٰذا محلُّ النظرِ ، فيُحتملُ أنْ يُقالَ :

---

(١) أي : نفعه ؛ لوجود الاحتمال . « إتحاف » (٧/ ٢٨) .

الأصلُ الوجوبُ بحكمِ العموماتِ ، وإنَّما يسقطُ بمكروهٍ ، والمكروهُ هوَ الذي يُظنُّ أوْ يُعلمُ حتَّىٰ يكونَ متوقعاً ، وهٰذا هوَ الأظهرُ ، ويُحتملُ أنْ يُقالَ : إنَّهُ إنَّما يجبُ عليهِ إذا علمَ أنَّهُ لا ضررَ فيهِ عليهِ ، أوْ ظنَّ أنَّهُ لا ضررَ عليهِ .

والأوَّلُ أصحُّ ؛ نظراً إلىٰ قضيَّةِ العموماتِ الموجبةِ للأمرِ بالمعروفِ .

* * *

فإنْ قيلَ : فالتوقُّعُ للمكروهِ يختلفُ بالجبْنِ والجراءةِ ، فالجبانُ الضعيفُ القلبِ يرى البعيدَ قريباً ، حتَّىٰ كأنَّهُ يشاهدُهُ ويرتاعُ منهُ ، والمتهوِّرُ الشجاعُ يبعدُ وقوعَ المكروهِ بهِ بحكمِ ما جُبِلَ عليهِ مِنْ حسْنِ الأملِ ، حتَّىٰ إنَّهُ لا يصدِّقُ بهِ إلا بعدَ وقوعِهِ ، فعلىٰ ماذا التعويلُ ؟

قلنا : التعويلُ على اعتدالِ الطبعِ ، وسلامةِ العقلِ والمزاجِ ، فإنَّ الجبنَ مرضٌ ، وهوَ ضعفٌ في القلبِ سببُهُ قصورٌ في القوَّةِ وتفريطٌ ، والتهوُّرُ إفراطٌ في القوَّةِ وخروجٌ عنِ الاعتدالِ بالزيادةِ ، وكلاهُما نقصانٌ ، وإنَّما الكمالُ في الاعتدالِ الذي يُعبَّرُ عنهُ بالشجاعةِ ، وكلُّ واحدٍ مِنَ الجبنِ والتهوُّرِ يصدرُ تارةً عنْ نقصانِ العقلِ ، وتارةً عنْ خللٍ في المزاجِ بتفريطٍ أوْ إفراطٍ ، فإنَّ مَنِ اعتدلَ مزاجُهُ في صفةِ الجبنِ والجراءةِ قدْ لا يتفطَّنُ لمداركِ الشرِّ ، فيكونُ سببَ جراءتِهِ جهلُهُ ، وقدْ لا يتفطَّنُ لمداركِ دفعِ الشرِّ ، فيكونُ سببَ جبنِهِ جهلُهُ ، وقدْ يكونُ عالماً بحكمِ التجربةِ والممارسةِ بمداخلِ الشرِّ ودوافعِهِ ، ولكنْ يعملُ الشرُّ البعيدُ في تخذيلِهِ وتحليلِ قوَّتِهِ في الإقدامِ بسببِ ضعفِ

قلبِهِ ما يفعلُهُ الشرُّ القريبُ في حقِّ الشجاعِ المعتدلِ الطبعِ ، فلا التفاتَ إلى الطرفينِ .

وعلى الجبانِ أنْ يتكلَّفَ إزالةَ الجبنِ بإزالةِ علَّتِهِ ، وعلَّتُهُ جهلٌ أوْ ضعفٌ ، ويزولُ الجهلُ بالتجربةِ ، ويزولُ الضعفُ بممارسةِ الفعلِ المَخُوفِ منهُ تكلُّفاً حتَّىٰ يصيرَ معتاداً ، إذِ المبتدىءُ في المناظرةِ والوعظِ مثلاً قدْ يجبنُ عنهُ طبعُهُ لضعفِهِ ، فإذا مارسَ واعتادَ . . فارقَهُ الضعفُ ، فإنْ صارَ ذلكَ ضرورياً غيرَ قابلٍ للزوالِ بحكمِ استيلاءِ الضعفِ على القلبِ . . فحكْمُ ذلكَ الضعيفِ يتبعُ حالَهُ ، فيُعذرُ كما يُعذرُ المريضُ في التقاعدِ عنْ بعضِ الواجباتِ .

ولذلكَ قدْ نقولُ علىٰ رأيٍ : لا يجبُ ركوبُ البحرِ لأجلِ حَجَّةِ الإسلامِ علىٰ مَنْ يغلبُ عليهِ الجبنُ في ركوبِ البحرِ ، ويجبُ علىٰ مَنْ لا يعظمُ خوفُهُ منهُ ، فكذلكَ الأمرُ في وجوبِ الحِسبةِ .

* * *

فإنْ قيلَ : فالمكروهُ المتوقَّعُ ما حدُّهُ ؟ فإنَّ الإنسانَ قدْ يكرهُ كلمةً ، وقدْ يكرهُ ضربةً ، وقدْ يكرهُ طولَ لسانِ المحتسَبِ عليهِ في حقِّهِ بالغيبةِ ، وما مِنْ شخصٍ يُؤمرُ بالمعروفِ إلا ويُتوقَّعُ منه نوعٌ مِنَ الأذىٰ ، وقدْ يكونُ منهُ أنْ يسعىٰ بهِ إلىٰ سلطانٍ ، أوْ يقدحَ فيهِ في مجلسٍ يتضرَّرُ بقدحِهِ فيهِ ، فما حدُّ المكروهِ الذي يسقطُ الوجوبُ بهِ ؟

قلنا : هـٰذا أيضاً فيهِ نظرٌ غامضٌ ، وصورُهُ منتشرةٌ ، ومجاريهِ كثيرةٌ ، ولكنَّا نجتهدُ في ضمِّ نشرِهِ وحصرِ أقسامِهِ ، فنقولُ :

المكروهُ نقيضُ المطلوبِ ، ومَطالبُ الخلقِ في الدنيا ترجعُ إلىٰ أربعةِ أمورٍ :

أمَّا في النفسِ . . فالعلمُ .

وأمَّا في البدنِ . . فالصحةُ والسلامةُ .

وأمَّا في المالِ . . فالثروةُ .

وأمَّا في قلوبِ الناسِ . . فقيامُ الجاهِ .

فإذاً ؛ المطلوبُ : العلمُ ، والصحةُ ، والثروةُ ، والجاهُ .

ومعنى الجاهِ : ملكُ قلوبِ الناسِ ، كما أنَّ معنى الثروةِ ملكُ الدراهمِ ؛ لأنَّ قلوبَ الناسِ وسيلةٌ إلى الأغراضِ ، كما أنَّ ملكَ الدراهمِ وسيلةُ جمعِ ما في الدنيا منَ المطالبِ ، وسيأتي تحقيقُ معنى الجاهِ وسببُ ميلِ الطبعِ إليهِ في ربعِ المهلكاتِ .

وكلُّ واحدةٍ مِنْ هـٰذهِ الأربعةِ يطلبُها الإنسانُ لنفسِهِ ولأقاربِهِ والمختصينَ بهِ ، ويُكرهُ في هـٰذهِ الأربعةِ أمرانِ :

أحدُهُما : زوالُ ما هوَ حاصلٌ موجودٌ .

والآخرُ : امتناعُ ما هوَ منتظرٌ مفقودٌ ؛ أعني : اندفاعَ ما يتوقَّعُ وجودَهُ .

فلا ضررَ إلا في فواتِ حاصلٍ وزوالِهِ ، أوْ تعوُّقِ منتظرٍ ، فإنَّ المنتظرَ عبارةٌ عنِ الممكنِ حصولُهُ ، والممكنُ حصولُهُ كأنَّهُ حاصلٌ ، وفواتُ إمكانِهِ كأنَّهُ فواتُ حصولِهِ ، فرجعَ المكروهُ إلىٰ قسمينِ :

أحدُهُما : **خوفُ امتناعِ المنتظرِ** : وهـٰذا لا ينبغي أنْ يكونَ مرخِّصاً في تركِ الأمرِ بالمعروفِ أصلاً ، ولنذكرْ مثالَهُ في المطالبِ الأربعةِ :

أمَّا العلمُ : فمثالُهُ : تركُهُ الحسبةَ علىٰ مَنْ يختصُّ بأستاذِهِ خوفاً مِنْ أن يقبحَ حالُهُ عندَهُ فيمتنعَ مِنْ تعليمِهِ .

وأمَّا الصحةُ : فتركُهُ الإنكارَ على الطبيبِ الذي يدخلُ عليهِ مثلاً وهوَ لابسٌ حريراً خوفاً مِنْ أنْ يتأخَّرَ عنهُ فتمتنعَ بسببِهِ صحتُهُ المنتظرةُ .

وأمَّا المالُ : فتركُهُ الحسبةَ على السلطانِ وأصحابِهِ ، وعلىٰ مَنْ يواسيهِ مِنْ مالِهِ خيفةً مِنْ أنْ يقطعَ إدرارَهُ في المستقبلِ ويتركَ مواساتَهُ .

وأمَّا الجاهُ : فتركُهُ الحسبةَ علىٰ مَنْ يتوقَّعُ منهُ نصرةً وجاهاً في المستقبلِ خيفةً مِنْ ألا يحصلَ لهُ الجاهُ ، أوْ خيفةً مِنْ أنْ يقبحَ حالُهُ عندَ السلطانِ الذي يتوقَّعُ منهُ ولايةً .

وهـٰذا كلُّهُ لا يُسقطُ وجوبَ الحِسبةِ ؛ فإنَّ هـٰذهِ زياداتٌ امتنعَتْ ، وتسميةُ امتناعِ حصولِ الزياداتِ ضرراً مجازٌ ، وإنَّما الضررُ الحقيقيُّ فواتُ حاصلٍ ، ولا يُستثنىٰ عنْ هـٰذا شيءٌ إلا ما تدعو إليهِ الحاجةُ ، ويكونُ في فواتِهِ محذورٌ يزيدُ علىٰ محذورِ السكوتِ على المنكرِ ، كما إذا كانَ محتاجاً

إلى الطبيبِ لمرضٍ ناجزٍ ، والصحَّةُ منتظرةٌ مِنْ معالجةِ الطبيبِ ، ويعلمُ أنَّ في تأخُّرِه شدَّةَ الضنا بهِ وطولَ المرضِ ، وقدْ يفضي إلى الموتِ ، وأعني بالعلمِ : الظنَّ الذي يجوزُ بمثلِهِ تركُ استعمالِ الماءِ ، والعدولُ إلى التيممِ ، فإذا انتهىٰ إلىٰ هـٰذا الحدِّ . . لمْ يبعدْ أنْ يرخَّصَ في تركِ الحِسبةِ .

وأمَّا في العلمِ : فمثلُ أنْ يكونَ جاهلاً بمهمَّاتِ دينِهِ ، ولمْ يجدْ إلا معلِّماً واحداً ، ولا قدرةَ لهُ على الرحلةِ إلىٰ غيرِهِ ، وعلمَ أنَّ المحتسَبَ عليهِ قادرٌ علىٰ أنْ يسدَّ عليهِ طريقَ الوصولِ إليهِ ؛ لكونِ العالمِ مطيعاً لهُ ، أوْ مستمعاً لقولِهِ .

فإذاً ؛ الصبرُ على الجهلِ بمهمَّاتِ الدينِ محذورٌ ، والسكوتُ على المنكرِ محذورٌ ، ولا يبعدُ أنْ يرجحَ أحدُهُما ، ويختلفُ ذلكَ بتفاحشِ المنكرِ ، وشدَّةِ الحاجةِ إلى العلمِ لتعلُّقِهِ بمهمَّاتِ الدينِ .

وأمَّا في المالِ : فكمَنْ يعجزُ عنِ الكسبِ والسؤالِ وليسَ هوَ قويَّ النفسِ في التوكُّلِ ، ولا منفقَ عليهِ سوىٰ شخصٍ واحدٍ ، ولوِ احتسبَ عليهِ . . قطعَ رزقَهُ ، وافتقرَ في تحصيلِهِ إلىٰ طلبِ إدرارٍ حرامٍ ، أوْ ماتَ جوعاً ؛ فهـٰذا أيضاً إذا اشتدَّ الأمرُ فيهِ . . لمْ يبعدْ أنْ يُرخَّصَ لهُ في السكوتِ .

وأمَّا الجاهُ : فهوَ أنْ يؤذيَهُ شريرٌ ، ولا يجدَ سبيلاً إلىٰ دفعِ شرِّهِ إلا بجاهٍ يكتسبُهُ مِنْ سلطانٍ ، ولا يقدرَ على التوصُّلِ إليهِ إلا بواسطةِ شخصٍ يلبسُ الحريرَ ، أوْ يشربُ الخمرَ ، ولوِ احتسبَ عليهِ . . لمْ يكنْ واسطةً ووسيلةً لهُ ، فيمتنعُ عليهِ حصولُ الجاهِ ، ويدومُ بسببِهِ أذى الشريرِ .

فهٰذهِ الأمورُ كلُّها إذا ظهرَتْ وقويَتْ . . لمْ يبعدِ استثناؤُها ، ولكنَّ الأمرَ فيها منوطٌ باجتهادِ المحتسِبِ ، حتَّىٰ يستفتيَ فيها قلبَهُ ، ويزنَ أحدَ المحذورينِ بالآخرِ ، ويرجِّحَ بنظرِ الدينِ لا بموجَبِ الهوىٰ والطبعِ ، فإنْ رجحَ بموجَبِ الدينِ . . سُمِّيَ سكوتُهُ مداراةً ، وإنْ رجحَ بموجَبِ الهوىٰ . . سُمِّيَ سكوتُهُ مداهنةً .

وهٰذا أمرٌ باطنٌ لا يُطلعُ عليهِ إلا بنظرٍ دقيقٍ ، ولكنَّ الناقدَ بصيرٌ ، فحقٌّ علىٰ كلِّ متديِّنٍ أنْ يراقبَ قلبَهُ ، ويعلمَ أنَّ اللهَ تعالىٰ مطلعٌ علىٰ باعثِهِ وصارفِهِ أنَّهُ الدينُ أوِ الهوىٰ ، وستجدُ كلُّ نفسٍ ما عملَتْ مِنْ سوءٍ أوْ خيرٍ محضراً عندَ اللهِ ، ولوْ في فلتةِ خاطرٍ أوْ في لفتةِ ناظرٍ ، مِنْ غيرِ ظلمٍ وجورٍ ، فما اللهُ بظلاَّمٍ للعبيدِ .

* * *

وأمَّا القسمُ الثاني وهوَ فواتُ الحاصلِ : فهوَ مكروهٌ ومعتبرٌ في جوازِ السكوتِ في الأمورِ الأربعةِ إلا العلمَ ، فإنَّ فواتَهُ غيرُ مخوفٍ إلا بتقصيرٍ منهُ ، وإلا . . فلا يقدرُ أحدٌ علىٰ سلبِ العلمِ مِنْ غيرِهِ وإنْ قدرَ علىٰ سلبِ الصحَّةِ والسلامةِ والثروةِ والجاهِ والمالِ ، وهٰذا أحدُ أسبابِ شرفِ العلمِ ، فإنَّهُ يدومُ في الدنيا ، ويدومُ ثوابُهُ في الآخرةِ ، فلا انقطاعَ لهُ أبدَ الآبادِ .

وأمَّا الصحةُ والسلامةُ : ففواتُهُما بالضربِ ، فكلُّ مَنْ علمَ أنَّهُ لوْ أمرَ بالمعروفِ ونهىٰ عنِ المنكرِ أنَّهُ يُضربُ ضرباً مؤلماً يتأذَّىٰ بهِ في الحِسبةِ . .

لمْ تلزمْهُ الحسبةُ ، وإنْ كانَ يُستحبُّ لهُ ذلكَ كما سبقَ ، وإذا فُهمَ هـٰذا في الإيلامِ بالضربِ . . فهوَ في الجرحِ والقطعِ والقتلِ أظهرُ .

وأمَّا الثروةُ : فهوَ بأنْ يعلمَ أنَّهُ تُنهبُ دارُهُ ، ويخربُ بيتُهُ ، وتُسلبُ ثيابُهُ ، فهـٰذا أيضاً يسقطُ عنهُ الوجوبَ ، ويبقى الاستحبابُ ؛ إذْ لا بأسَ بأنْ يفديَ دينَهُ بدنياهُ ، ولكلِّ واحدٍ مِنَ الضربِ والنهْبِ حدٌّ في القلَّةِ لا يُكترثُ بهِ ؛ كالحبَّةِ في المالِ ، واللطمةِ الخفيفِ ألمُها في الضربِ ، وحدٌّ في الكثرةِ يُتيقَّنُ باعتبارِهما ، ووسطٌ يقعُ في محلِّ الاشتباهِ والاجتهادِ ، وعلى المتديِّنِ أنْ يجتهدَ في ذلكَ ، ويرجِّحَ جانبَ الدينِ ما أمكنَ .

وأمَّا الجاهُ : ففواتُهُ بأنْ يُضربَ ضرباً غيرَ مؤلمٍ ، أوْ يُسبَّ علىٰ ملأٍ مِنَ الناسِ ، أوْ يُطرحَ منديلُهُ في رقبتِهِ ويُدارَ بهِ في البلدِ ، أوْ يُسوَّدَ وجهُهُ ويُطافَ بهِ ، وكلُّ ذلكَ مِنْ غيرِ ضربٍ مؤلمٍ للبدنِ ، وهوَ قادحٌ في الجاهِ ، ومؤلمٌ للقلبِ .

وهـٰذا لهُ درجاتٌ ، والصوابُ : أنْ يُقسمَ إلىٰ ما يُعبَّرُ عنهُ بسقوطِ المروءةِ ؛ كالطوافِ بهِ في البلدِ حاسراً حافياً ، فهـٰذا يرخِّصُ في السكوتِ ؛ لأنَّ المروءةَ مأمورٌ بحفظِها في الشرعِ ، وهـٰذا مؤلمٌ للقلبِ ألماً يزيدُ علىٰ ألمِ ضرباتٍ معدودةٍ ، وعلىٰ فواتِ دريهماتٍ قليلةٍ ، **فهـٰذهِ درجةٌ** .

الثانيةُ : ما يُعبَّرُ عنهُ بالجاهِ المحضِ وعلوِّ الرتبةِ ، فإنَّ الخروجَ في ثيابٍ فاخرةٍ تجمُّلٌ ، وكذلكَ الركوبُ للخيولِ ، فلوْ علمَ أنَّهُ لوِ احتسبَ . . لكُلِّفَ

المشيَ في السوقِ في ثيابٍ لا يعتادُ هوَ مثلَها ، أوْ كُلِّفَ المشيَ راجلاً وعادتُهُ الركوبُ .

فهٰذا مِنْ جملةِ المزايا ، وليسَ المواظبةُ علىٰ حفظِها محمودةً ، وحفظُ المروءةِ محمودٌ ، فلا ينبغي أنْ يسقطَ وجوبُ الحِسبةِ بمثلِ هٰذا القدْرِ .

وفي معنىٰ هٰذا ما لوْ خافَ أنْ يُتعرَّضَ لهُ باللسانِ إمَّا في حضرتِهِ بالتجهيلِ والتحميقِ والنسبةِ إلى الرياءِ والنفاقِ ، وإمَّا في غيبتِهِ بأنواعِ الغيبةِ ، فهٰذا لا يُسقطُ الوجوبَ ؛ إذْ ليسَ فيهِ إلا زوالُ فضلاتِ الجاهِ التي ليسَ إليها كبيرُ حاجةٍ ، ولوْ تُركتِ الحِسبةُ بلومِ لائمٍ ، أوْ باغتيابِ فاسقٍ ، أوْ شتمِهِ وتعنيفِهِ ، أوْ سقوطِ المنزلةِ عَنْ قلبِهِ وقلبِ أمثالِهِ . . لمْ يكنْ للحِسبةِ وجوبٌ أصلاً ؛ إذْ لا تنفكُّ الحِسبةُ عنْ ذلكَ إلا إذا كانَ المنكرُ هوَ الغيبةَ ، وعلمَ أنَّهُ لوْ أنكرَ . . لمْ يسكتِ المغتابُ ، ولكنْ أضافَهُ إليهِ وأدخلَهُ معَهُ في الغيبةِ ، فتحرمُ هٰذهِ الحِسبةُ ؛ لأنَّها سببُ زيادةِ المعصيةِ ، وإنْ علمَ أنَّهُ يتركُ تلكَ الغيبةَ ويقتصرُ علىٰ غيبتِهِ . . فلا تجبُ عليهِ الحسبةُ ؛ لأنَّ غيبتَهُ أيضاً معصيةٌ في حقِّ المغتابِ ، ولكنْ يُستحبُّ لهُ ذلك ؛ ليفديَ عرضَ المذكورِ بعِرْضِ نفسِهِ علىٰ سبيلِ الإيثارِ .

وقدْ دلَّتِ العموماتُ علىٰ تأكُّدِ وجوبِ الحِسبةِ وعظمِ الخطرِ في السكوتِ عنها ، فلا يقابلُهُ إلا ما عظمَ في الدينِ خطرُهُ ، والمالُ والنفسُ والمروءةُ قدْ ظهرَ في الشرعِ خطرُها ، فأمَّا مزايا الجاهِ والحشمةِ ودرجاتُ التجمُّلِ وطلبُ ثناءِ الخلقِ . . فكلُّ ذلكَ لا خطرَ لهُ .

وأمَّا امتناعُهُ لخوفِ شيءٍ مِنْ هـٰذهِ المكارهِ في حقِّ أولادِهِ وأقاربِهِ . . فهوَ في حقِّهِ دونَهُ ؛ لأنَّ تأذيَهُ بأمرِ نفسِهِ أشدُّ مِنْ تأذِّيهِ بأمرِ غيرِهِ ، ومِنْ وجهِ الدينِ هوَ فوقَهُ ؛ لأنَّ لهُ أنْ يسامحَ في حقوقِ نفسِهِ ، وليسَ لهُ المسامحةُ في حقِّ غيرِهِ .

فإذاً ؛ ينبغي أنْ يمتنعَ ، فإنَّهُ إنْ كانَ ما يفوتُ مِنْ حقوقِهِمْ يفوتُ علىٰ طريقِ المعصيةِ ؛ كالضربِ والنهْبِ . . فليسَ لهُ هـٰذهِ الحِسبةُ ؛ لأنَّهُ دفْعُ منكرٍ يفضي إلىٰ منكرٍ .

وإنْ كانَ يفوتُ لا بطريقِ المعصيةِ . . فهوَ إيذاءُ مسلمٍ أيضاً ، وليسَ لهُ ذلكَ إلا برضاهُمْ .

فإنْ كانَ يؤدِّي ذلكَ إلىٰ أذىٰ قومِهِ . . فليتركْهُ ، وذلكَ كالزاهدِ الذي لهُ أقاربُ أغنياءُ ، فإنَّهُ لا يخافُ علىٰ مالِهِ إنِ احتسبَ على السلطانِ ، ولكنَّهُ يقصدُ أقاربَهُ انتقاماً منهُ بواسطتِهِمْ ، فإذا كانَ يتعدَّى الأذىٰ مِنْ حِسبتِهِ إلىٰ أقاربِهِ وجيرانِهِ . . فليتركْها ؛ فإنَّ إيذاءَ المسلمينَ محذورٌ ، كما أنَّ السكوتَ على المنكرِ محذورٌ(١) .

نعمْ ، إنْ كانَ لا ينالُهُمْ أذىً في مالٍ ونفسٍ ، ولكنْ ينالُهُمُ الأذىٰ بالشتمِ والسبِّ . . فهـٰذا فيهِ نظرٌ ، ويختلفُ الأمرُ فيهِ بدرجاتِ المنكراتِ في تفاحشِها ، ودرجاتِ الكلامِ المحذورِ في نكايتِهِ في القلبِ وقدحِهِ في العرضِ .

* * *

---

(١) **والأرجح** : ترك إيذاء المسلمين . « إتحاف » (٧/ ٣٣) .

فإنْ قيلَ : فلو قصدَ الإنسانُ قطعَ طرفٍ مِنْ نفسِهِ ، وكانَ لا يمتنعُ عنهُ إلا بقتالٍ ربَّما يؤدِّي إلىٰ قتلِهِ . . فهلْ نقاتلُهُ عليهِ ؟ فإنْ قلتُمْ : (نقاتلُ) . . فهوَ محالٌ ؛ لأنَّهُ إهلاكُ نفسٍ خوفاً مِنْ إهلاكِ طرفٍ ، وفي إهلاكِ النفسِ إهلاكُ الطرفِ أيضاً !

قلنا : تمنعُهُ عنهُ ونقاتلُهُ ؛ إذْ ليسَ غرضُنا حفْظَ نفسِهِ وطرفِهِ ، بلِ الغرضُ حسْمُ سبيلِ المنكرِ والمعصيةِ ، وقتلُهُ في الحِسبةِ ليسَ بمعصيةٍ ، وقطعُهُ طرفَ نفسِهِ معصيةٌ ، وذلكَ كدفعِ الصائلِ علىٰ مالِ مسلمٍ بما يأتي علىٰ قتلِهِ ، فإنَّهُ جائزٌ لا علىٰ معنىٰ أنَّا نفدي درهماً مِنْ مالِ مسلمٍ بروحِ مسلمٍ ، فإنَّ ذلكَ محالٌ ، ولكنْ قصدُهُ لأخذِ مالِ المسلمينَ معصيةٌ ، وقتلُهُ في الدفعِ عنِ المعصيةِ ليسَ بمعصيةٍ ، وإنَّما المقصودُ دفعُ المعاصي .

* * *

فإنْ قيلَ : فإنْ علمْنا أنَّهُ لوْ خلا بنفسِهِ قطعَ طرفَ نفسِهِ . . فينبغي أنْ نقتلَهُ في الحالِ حسماً لبابِ المعصيةِ !

قلنا : ذلكَ لا يُعلمُ يقيناً ، ولا يجوزُ سفكُ دمِهِ بتوهُّمِ معصيةٍ ، ولكنَّا إذا رأيناهُ في حالِ مباشرةِ القطعِ . . دفعناهُ ، فإنْ قاتلَنا . . قاتلناهُ ، ولمْ نبالِ بما يأتي علىٰ روحِهِ .

* * *

فإذاً ؛ المعصيةُ لها ثلاثةُ أحوالٍ :

إحداها : أنْ تكونَ متصرِّمةً ، فالعقوبةُ علىٰ ما تصرَّمَ منها حدٌّ أوْ تعزيرٌ ، وهوَ إلى الولاةِ لا إلى الآحادِ .

الثانيةُ : أنْ تكونَ المعصيةُ راهنةً وصاحبُها مباشرٌ لها ؛ كلبسِهِ الحريرَ ، وإمساكِهِ العودَ والخمرَ ، فإبطالُ هـٰذهِ المعصيةِ واجبٌ بكلِّ ما يمكنُ ما لمْ تؤدِّ إلىٰ معصيةٍ أفحشَ منها أوْ مثلِها ، وذلكَ يثبتُ للآحادِ والرعيَّةِ[1] .

الثالثةُ : أنْ يكونَ المنكرُ متوقَّعاً ؛ كالذي يستعدُّ بكنسِ المجلسِ وتزيينِهِ وجمعِ الرياحينِ لشربِ الخمرِ وبعدُ لمْ يحضرِ الخمرُ ، فهـٰذا مشكوكٌ فيهِ ، إذْ ربَّما يعوِّقُ عنهُ عائقٌ ، فلا يثبتُ للآحادِ سلطنةٌ على العازمِ على الشربِ إلا بطريقِ الوعظِ والنصحِ ، فأمَّا بالتعنيفِ والضربِ .. فلا يجوزُ للآحادِ ولا للسلطانِ ، إلا إذا كانَتْ تلكَ المعصيةُ عُلمتْ منهُ بالعادةِ المستمرَّةِ ، وقدْ أقدمَ على السببِ المفضي إليها ، ولمْ يبقَ لحصولِ المعصيةِ إلا ما ليسَ لهُ فيهِ إلا الانتظارُ ، وذلكَ كوقوفِ الأحداثِ علىٰ أبوابِ حماماتِ النساءِ للنظرِ إليهنَّ عندَ الدخولِ والخروجِ ، فإنَّهُمْ وإنْ لم يضيِّقوا الطريقَ لسعتِهِ .. فتجوزُ الحِسبةُ عليهِمْ بإقامتِهِمْ مِنَ الموضعِ ومنعِهِمْ مِنَ الوقوفِ بالتعنيفِ والضربِ .

---

[1] كذا في جميع النسخ و« الإتحاف » (٧/٣٣) ، وفيه : (وفي نسخة : « للآحاد من الرعية ») .

وكانَ تحقيقُ هـٰذا إذا بُحِثَ عنهُ يرجعُ إلىٰ أنَّ هـٰذا الوقوفَ في نفسِهِ معصيةٌ ، وإنْ كانَ مقصدُ العاصي وراءَهُ ، كما أنَّ الخلوةَ بالأجنبيةِ في نفسِها معصيةٌ ؛ لأنَّها مَظِنَّةُ وقوعِ المعصيةِ ، وتحصيلُ مظنَّةِ المعصيةِ معصيةٌ ، ونعني بالمظنَّةِ : ما يتعرَّضُ الإنسانُ بهِ لوقوعِ المعصيةِ غالباً ؛ بحيثُ لا يقدرُ على الانكفافِ عنها ، فإذاً هوَ على التحقيقِ حِسبةٌ علىٰ معصيةٍ راهنةٍ ، لا علىٰ معصيةٍ منتظرةٍ .

* * *

الرّكن الثّاني للحسبة : ما فيه الحسبة

وهوَ كلُّ منكرٍ موجودٍ في الحالِ ، ظاهرٍ للمحتسِبِ بغيرِ تجسُّسٍ ، معلومٍ كونُهُ منكراً بغيرِ اجتهادٍ .

فهـٰذِهِ أربعةُ شروطٍ ، فلنبحثْ عنها .

الأوَّلُ : كونُهُ منكراً :

ونعني بهِ : أنْ يكونَ محذورَ الوقوعِ في الشرعِ ، وعدلْنا عنْ لفظِ المعصيةِ إلىٰ هـٰذا لأنَّ المنكرَ أعمُّ مِنَ المعصيةِ ؛ إذْ مَنْ رأىٰ صبيّاً أوْ مجنوناً يشربُ الخمرَ . . فعليهِ أنْ يريقَ خمرَهُ ويمنعَهُ ، وكذا إنْ رأىٰ مجنوناً يزني بمجنونةٍ أوْ بهيمةٍ . . فعليهِ أنْ يمنعَهُ منهُ ، وليسَ ذلكَ لتفاحشِ صورةِ الفعلِ وظهورِهِ بينَ الناسِ ، بلْ لوْ صادفَ هـٰذا المنكرَ في خلوةٍ . . وجبَ المنعُ منهُ .

وهـٰذا لا يُسمَّىٰ معصيةً في حقِّ المجنونِ ؛ إذْ معصيةٌ لا عاصيَ بها محالٌ ، فلفظُ المنكرِ أدلُّ عليهِ وأعمُّ مِنْ لفظِ المعصيةِ .

وقدْ أدرجْنا في عمومِ هـٰذا الصغيرةَ والكبيرةَ ، فلا تختصُّ الحِسبةُ بالكبائرِ ، بلْ كشفُ العورةِ في الحمَّامِ ، والخلوةُ بالأجنبيةِ ، وإتباعُ النظرِ للنسوةِ الأجنبيَّاتِ . . كلُّ ذلكَ مِنَ الصغائرِ ، ويجبُ النهيُ عنها ، وفي الفرْقِ بينَ الصغيرةِ والكبيرةِ نظرٌ سيأتي في كتابِ التوبةِ .

* * *

الشرطُ الثاني : أنْ يكونَ موجوداً في الحالِ :

وهوَ احترازٌ عنِ الحِسبةِ علىٰ مَنْ فرغَ مِنْ شربِ الخمرِ ، فإنَّ ذلكَ ليسَ إلى الآحادِ وقدِ انقرضَ المنكرُ ، واحترازٌ عمَّا سيوجدُ في ثاني الحالِ ، كمَنْ يُعلمُ بقرينةِ حالِهِ أنَّهُ عازمٌ على الشرْبِ في ليلتِهِ ، فلا حِسبةَ عليهِ إلا بالوعظِ ، وإنْ أنكرَ عزمَهُ عليهِ . . لمْ يجزْ وعظُهُ أيضاً فيهِ ، فإنَّ فيهِ إساءةَ ظنٍّ بالمسلمِ ، وربَّما صدقَ في قولِهِ ، وربَّما لا يقدمُ علىٰ ما عزمَ عليهِ لعائقٍ .

وليتنبَّهْ للدقيقةِ التي ذكرناها ؛ وهوَ أنَّ الخلوةَ بالأجنبيةِ معصيةٌ ناجزةٌ ، وكذا الوقوفُ علىٰ بابِ حمَّامِ النساءِ وما يجري مجراهُ .

* * *

الشرطُ الثالثُ : أنْ يكونَ المنكرُ ظاهراً للمحتسِبِ بغيرِ تجسُّسٍ :

فكلُّ مَنْ سترَ معصيةً في دارِهِ وأغلقَ بابَهُ . . لا يجوزُ أنْ يُتجسَّسَ عليهِ ، وقدْ نهى اللهُ تعالىٰ عنهُ ، وقصَّةُ عمرَ وعبدِ الرحمـٰنِ بنِ عوفٍ رضيَ اللهُ عنهُما فيهِ مشهورةٌ ، وقدْ أوردناها في كتابِ آدابِ الصحبةِ .

وكذلكَ ما رُوِيَ أنَّ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ تسلَّقَ دارَ رجلٍ ، فرآهُ علىٰ حالةٍ مكروهةٍ ، فأنكرَ عليهِ ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنْ كنتُ أنا قدْ عصيتُ اللهَ مِنْ وجهٍ واحدٍ . . فقدْ عصيتَهُ مِنْ ثلاثةِ أوجهٍ ، فقالَ : وما هيَ ؟ فقالَ : قدْ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ وقدْ تجسَّسْتَ ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَأْتُوا

ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ وقدْ تسوَّرْتَ مِنَ السطحِ ، وقالَ : ﴿ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ وقدْ دخلتَ وما سلَّمتَ عليَّ ، فتركَهُ عمرُ ، وشرطَ عليهِ التوبةَ .

ولذلكَ شاورَ عمرُ الصحابةَ رضيَ اللهُ عنهُمْ وهوَ على المنبرِ ، وسألَهُمْ عنِ الإمامِ إذا شاهدَ بنفسِهِ منكراً . . فهلْ لهُ إقامةُ الحدِّ فيهِ ؟ وأشارَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ بأنَّ ذلكَ منوطٌ بعدلينِ ، فلا يكفي فيهِ واحدٌ .

وقدْ أوردْنا هـٰذهِ الأخبارَ في بيانِ حقِّ المسلمِ مِنْ كتابِ آدابِ الصحبةِ ، فلا نعيدُها .

* * *

فإنْ قلتَ : فما حدُّ الظهورِ والاستتارِ ؟

فاعلمْ : أنَّ مَنْ أغلقَ بابَ دارِهِ وتستَّرَ بحيطانِهِ . . فلا يجوزُ الدخولُ عليهِ بغيرِ إذنِهِ لتُعرفَ المعصيةُ ، إلا أنْ يظهرَ في الدارِ ظهوراً يعرفُهُ مَنْ هوَ خارجَ الدارِ ؛ كأصواتِ المزاميرِ والأوتارِ إذا ارتفعَتْ بحيثُ جاوزَ ذلكَ حيطانَ الدارِ ، فمَنْ سمعَ ذلكَ . . فلهُ دخولُ الدارِ وكسرُ الملاهي ، وكذلكَ إذا ارتفعَتْ أصواتُ السكارىٰ بالكلماتِ المألوفةِ بينَهُمْ ، بحيثُ يسمعُهُ أهلُ الشوارعِ ، فهـٰذا إظهارٌ موجبٌ للحِسبةِ .

فإذاً ؛ إنَّما يُدرَكُ معَ تخلُّلِ الحيطانِ صوتٌ أوْ رائحةٌ ، فإذا فاحَتْ روائحُ الخمرِ ؛ فإنِ احتملَ أنْ يكونَ ذلكَ مِنَ الخمورِ المحترمةِ . . فلا يجوزُ

قصدُها بالإراقةِ ، وإنْ علمَ بقرينةِ الحالِ أنَّها فاحَتْ لتعاطيهِمُ الشربَ. . فهـٰذا محتملٌ ، والظاهرُ : جوازُ الحسبةِ .

وقدْ تُسترُ قارورةُ الخمرِ وظروفُهُ في الكمِّ وتحتَ الذيلِ ، وكذلكَ الملاهي ، فإذا رأىٰ فاسقاً وتحتَ ذيلِهِ شيءٌ . . لمْ يجزْ أنْ يكشفَ عنهُ ما لمْ يظهرْ بعلامةٍ خاصَّةٍ ، فإنَّ فسقَهُ لا يدلُّ علىٰ أنَّ الذي معَهُ خمرٌ ؛ إذِ الفاسقُ يحتاجُ أيضاً إلى الخلِّ وغيرِهِ ، ولا يجوزُ أنْ يستدلَّ بإخفائِهِ ، وأنَّهُ لوْ كان خلاًّ . . لما أخفاهُ ؛ لأنَّ الأغراضَ في الإخفاءِ ممَّا تكثرُ .

وإنْ كانَتِ الرائحةُ فائحةً . . فهـٰذا محلُّ النظرِ ، والظاهرُ : أنَّ لهُ الاحتسابَ ؛ لأنَّ هـٰذهِ علامةٌ تفيدُ الظنَّ ، والظنُّ كالعلمِ في أمثالِ هـٰذهِ الأمورِ ، وكذلكَ العودُ ربَّما يُعرفُ بشكلِهِ إذا كانَ الثوبُ الساترُ لهُ رقيقاً ، فدلالةُ الشكْلِ كدلالةِ الرائحةِ والصوتِ ، وما ظهرَتْ دلالتُهُ فهوَ غيرُ مستورٍ ، بلْ هوَ مكشوفٌ .

وقدْ أُمرْنا بأنْ نسترَ ما سترهُ اللهُ تعالىٰ ، وننكرَ علىٰ مَنْ أبدىٰ لنا صفحتَهُ(١) ، والإبداءُ لهُ درجاتٌ ؛ فتارةً يبدو لنا بحاسَّةِ السمعِ ، وتارةً بحاسَّةِ الشمِّ ، وتارةً بحاسَّةِ البصرِ ، وتارةً بحاسَّةِ اللمسِ ولا يمكنُ

---

(١) رَوىٰ مالك في « الموطأ » (٢/ ٨٢٥) عن زيد بن أسلم يرفعه للنبي صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس ؛ قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله ، من أصاب من هـٰذه القاذورات شيئاً . . فليستتر بستر الله ، فإنه من يبدي لنا صفحته . . نُقم عليه كتاب الله » .

تخصيصُ ذلكَ بحاسَّةِ البصرِ ، بلِ المرادُ العلمُ ، وهـٰذهِ الحواسُّ أيضاً تفيدُ العلمَ ، فإذاً إنَّما يجوزُ أنْ يكسرَ ما تحتَ الثوبِ إذا علمَ أنَّهُ خمرٌ ، وليسَ لهُ أنْ يقولَ : أرني لأعلمَ ما فيهِ ، فإنَّ هـٰذا تجسُّسٌ ، **ومعنى التجسُّسِ** : طلبُ الأماراتِ المعرِّفةِ ، فالأمارةُ المعرِّفةُ إنْ حصلَتْ وأورثَتِ المعرفةَ . . جازَ العملُ بمقتضاها ، وأمَّا طلبُ الأمارةِ المعرِّفةِ . . فلا رخصةَ فيهِ أصلاً .

* * *

الشرطُ الرابعُ : أنْ يكونَ كونُهُ منكراً معلوماً بغيرِ اجتهادٍ :

فكلُّ ما هوَ في محلِّ الاجتهادِ فلا حِسبةَ فيهِ ، فليسَ للحنفيِّ أنْ ينكرَ على الشافعيِّ أكلَهُ الضبَّ والضبعَ ومتروكَ التسميةِ ، ولا للشافعيِّ أنْ ينكرَ على الحنفيِّ شربَهُ النبيذَ الذي ليسَ بمسكرٍ وتناولَهُ ميراثَ ذوي الأرحامِ ، وجلوسَهُ في دارٍ أخذَها بشفعةِ الجوارِ ، إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنْ مجاري الاجتهادِ .

نعمْ ، لوْ رأى الشافعيُّ شافعياً يشربُ النبيذَ ، وينكحُ بلا وليٍّ ويطأُ زوجتَهُ . . فهـٰذا في محلِّ النظرِ ، والأظهرُ : أنَّ لهُ الحِسبةَ والإنكارَ ، إذْ لمْ يذهبْ أحدٌ مِنَ المحصِّلينَ إلىٰ أنَّ المجتهدَ يجوزُ لهُ أنْ يعملَ بموجَبِ اجتهادِ غيرِهِ ، ولا أنَّ الذي أدَّى اجتهادُهُ في التقليدِ إلىٰ شخصٍ رآهُ أفضلَ العلماءِ أنَّ لهُ أنْ يأخذَ بمذهبِ غيرِهِ ، فينتقدَ مِنَ المذاهبِ أطيبَها عندَهُ ، بلْ علىٰ كلِّ مقلِّدٍ اتباعُ مقلَّدِهِ في كلِّ تفصيلٍ .

فإذاً ؛ مخالفتُهُ للمقلَّدِ متفقٌ علىٰ كونِهِ منكراً بينَ المحصِّلينَ ، وهوَ عاصٍ بالمخالفةِ .

إلا أنَّهُ يلزمُ مِنْ هـٰذا أمرٌ أغمضُ منهُ ، وهوَ أنَّهُ يجوزُ للحنفيِّ أنْ يعترضَ على الشافعيِّ إذا نكحَ بغيرِ وليٍّ ، بأنْ يقولَ لهُ : الفعلُ في نفسِهِ حقٌّ ، ولكنْ لا في حقِّكَ ، فأنتَ مبطلٌ بالإقدامِ عليهِ معَ اعتقادِكَ أنَّ الصوابَ مذهبُ الشافعيِّ ، ومخالفةُ ما هوَ صوابٌ عندَكَ معصيةٌ في حقِّكَ وإنْ لمْ يكنْ صواباً عندَ اللهِ تعالىٰ(١) ، وكذلكَ الشافعيُّ يحتسبُ على الحنفيِّ إذا شاركَهُ في أكلِ الضبِّ ومتروكِ التسميةِ وغيرِهِ ، ويقولُ : إمَّا أنْ تعتقدَ أنَّ الشافعيَّ أولىٰ بالاتباعِ ثمَّ تقدمَ عليهِ أوْ لا تقدمَ عليهِ علىٰ خلافِ معتقدِكَ .

ثمَّ ينجرُّ هـٰذا إلىٰ أمرٍ آخرَ في المحسوساتِ ، وهوَ أنْ يجامعَ الأصمُّ مثلاً امرأةً علىٰ قصدِ الزنا ، وعلمَ المحتسبُ أنَّ هـٰذهِ امرأتُهُ زوَّجَهُ إيَّاها أبوهُ في صغرِهِ ، ولكنَّهُ ليسَ يدري ، وعجزَ عنْ تعريفِهِ ذلكَ لصممِهِ ، أوْ لكونِهِ غيرَ عالمٍ بلغتِهِ ، فهوَ في الإقدامِ معَ اعتقادِهِ أنَّها أجنبيَّةٌ عاصٍ ومعاقبٌ عليهِ في الدارِ الآخرةِ ، فينبغي أنْ يمنعَهُ منهُ معَ أنَّها زوجتُهُ ، وهوَ بعيدٌ مِنْ حيثُ إنَّهُ حلالٌ في علمِ اللهِ ، قريبٌ مِنْ حيثُ إنَّهُ حرامٌ عليهِ بحكمِ غلطِهِ وجهلِهِ ، ولا شكَّ في أنَّهُ لوْ علَّقَ طلاقَ زوجتِهِ علىٰ صفةٍ في قلبِ المحتسبِ مثلاً مِنْ مشيئةٍ أوْ غضبٍ أوْ غيرِهِ ، وقدْ وجدَتِ الصفةُ في قلبِهِ وعجزَ عنْ تعريفِ

---

(١) وفي (ج) : (وإن كان صواباً) .

الزوجينِ ذلكَ ، ولكنْ علمَ وقوعَ الطلاقِ في الباطنِ ، فإذا رآهُ يجامعُها . . فعليهِ المنعُ ؛ أعني : باللسانِ ؛ لأنَّ ذلكَ زناً ، إلا أنَّ الزانيَ غيرُ عالمٍ بهِ ، والمحتسبُ عالمٌ بأنَّها طلقَتْ منهُ ثلاثاً ، وكونُهُما غيرَ عاصيينِ لجهلِهِما بوجودِ الصفةِ . . لا يُخرجُ الفعلَ عنْ كونهِ منكراً ، ولا يتقاعدُ ذلكَ عنْ زنا المجنونِ ، وقدْ بيَّنا أنَّهُ يمنعُ منهُ .

فإذا كانَ يمنعُ ممَّا هوَ منكرٌ عندَ اللهِ وإنْ لمْ يكنْ منكراً عندَ الفاعلِ ولا هوَ عاصٍ بهِ لعذرِ الجهلِ . . فيلزمُ مِنْ عكسِ هـٰذا أنْ يُقالَ : ما ليسَ بمنكرٍ عندَ اللهِ وإنَّما هوَ منكرٌ عندَ الفاعلِ لجهلِهِ . . لا يمنعُ منهُ ، **وهـٰذا هوَ الأظهرُ والعلمُ عندَ اللهِ** .

فتحصَّلَ مِنْ هـٰذا أنَّ الحنفيَّ لا يعترضُ على الشافعيِّ في النكاحِ بلا وليٍّ ، وأنَّ الشافعيَّ يعترضُ على الشافعيِّ فيهِ ؛ لكونِ المعترَضِ عليهِ منكراً باتفاقِ المحتسبِ والمحتسَبِ عليهِ .

وهـٰذهِ مسائلُ فقهيَّةٌ دقيقةٌ ، والاحتمالاتُ فيها متعارضةٌ ، وإنَّما أفتينا فيها بحسَبِ ما ترجَّحَ عندَنا في الحالِ ، ولسنا نقطعُ بخطأِ المخالفِ فيها إنْ رأىٰ أنَّه لا يجري الاحتسابُ إلا في معلومٍ على القطعِ ، وقدْ ذهبَ إليهِ ذاهبونَ ، وقالوا : (لا حِسبةَ إلا في مثلِ الخمرِ والخنزيرِ وما يُقطعُ بكونهِ حراماً) ، ولكنَّ الأشبهَ عندَنا أنَّ الاجتهادَ يؤثِّرُ في حقِّ المجتهدِ ، إذْ يبعدُ غايةَ البعدِ أنْ يجتهدَ في القبلةِ ويعترفَ بظهورِ القبلةِ عندَهُ في جهةٍ بالدلالاتِ

الظَّنِّيَّةِ ثُمَّ يستدبرَها ، ولا يمنعُ منهُ لأجلِ ظنِّ غيرِهِ ، إذْ ربَّما يظنُّ غيرُهُ أنَّ الاستدبارَ هوَ الصوابُ .

ورأيُ مَنْ يرىٰ أنَّهُ يجوزُ لكلِّ مقلِّدٍ أنْ يختارَ مِنَ المذاهبِ ما أرادَ . . غيرُ معتدٍّ بهِ ، ولعلَّهُ لا يصحُّ ذهابُ ذاهبٍ إليهِ أصلاً ، فهـٰذا مذهبٌ لا يثبتُ ، وإنْ ثبتَ . . فلا يُعتدُّ بهِ .

* * *

فإنْ قلتَ : إذا كانَ لا يُعترضُ على الحنفيِّ في النكاحِ بلا وليٍّ لأنَّهُ يرىٰ أنَّهُ حقٌّ . . فينبغي ألا يُعترضَ على المعتزليِّ في قولِهِ : (إنَّ اللهَ لا يُرىٰ) ، وقولِهِ : (إنَّ الخيرَ مِنَ اللهِ ، والشرَّ ليسَ مِنَ اللهِ) ، وقولِهِ : (كلامُ اللهِ مخلوقٌ) ، ولا على الحشويِّ في قولِهِ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ جسمٌ ولهُ صورةٌ ، وإنَّهُ مستقرٌّ على العرشِ) ، بلْ لا ينبغي أنْ يُعترضَ على الفلسفيِّ في قولِهِ : (الأجسادُ لا تُبعثُ ، وإنَّما تُبعثُ النفوسُ) ؛ لأنَّ هـٰؤلاءِ أيضاً أدَّى اجتهادُهُمْ إلىٰ ما قالوهُ ، وهمْ يظنُّونَ أنَّ ذلكَ هوَ الحقُّ ، فإنْ قلتَ : بطلانُ مذهبِ هؤلاءِ ظاهرٌ . . فبطلانُ مذهبِ مَنْ يخالفُ نصَّ الحديثِ الصحيحِ أيضاً ظاهرٌ ، وكما ثبتَ بظواهرِ النصوصِ أنَّ اللهَ تعالىٰ يُرىٰ والمعتزليُّ ينكرُها بالتأويلِ . . فكذلكَ ثبتَ بظواهرِ النصوصِ مسائلُ خالفَ فيها الحنفيُّ ؛ كمسألةِ النكاحِ بلا وليٍّ ، ومسألةِ شفعةِ الجوارِ ونظائرِهما .

فاعلمْ : أنَّ المسائلَ تنقسمُ :

إلىٰ ما يتصوَّرُ أنْ يُقالَ فيها : (كلُّ مجتهدٍ مصيبٌ) ، وهيَ أحكامُ الأفعالِ في الحلِّ والحرمةِ ، وذلكَ هوَ الذي لا يُعترضُ على المجتهدينَ فيهِ ؛ إذْ لا يُعلمُ خطؤُهُمْ قطعاً ، بلْ ظنّاً .

وإلىٰ ما لا يُتصوَّرُ أنْ يكونَ المصيبُ فيهِ إلا واحداً ؛ كمسألةِ الرؤيةِ ، والقدرِ ، وقدمِ الكلامِ ، ونفيِ الصورةِ والجسميةِ والاستقرارِ عنِ اللهِ تعالىٰ ، فهـٰذا ممَّا يُعلمُ خطأُ المخطىءِ فيهِ قطعاً ، فلا يبقىٰ لخطئِهِ الذي هوَ جهلٌ محضٌ . . وجهٌ .

فإذاً ؛ البدعُ كلُّها ينبغي أنْ تُحسمَ أبوابُها ، وتُنكرَ على المبتدعينَ بدعُهُمْ وإنِ اعتقدوا أنَّها الحقُّ ؛ كما يُردُّ على اليهودِ والنصارىٰ كفرُهُمْ وإنْ كانوا يعتقدونَ أنَّ ذلكَ حقٌّ ؛ لأنَّ خطأَهُمْ معلومٌ على القطعِ ، بخلافِ الخطأِ في مظانِّ الاجتهادِ .

* * *

فإنْ قلتَ : فمهما اعترضتَ على القدريِّ في قولِهِ : (الشرُّ ليسَ مِنَ اللهِ) . . اعترضَ عليكَ القدريُّ أيضاً في قولِكَ : (الشرُّ مِنَ اللهِ) ، وكذلكَ في قولِكَ : (إنَّ اللهَ يُرىٰ) ، وفي سائرِ المسائلِ ، إذِ المبتدعُ محقٌّ عندَ نفسِهِ ، والمحقُّ مبتدعٌ عندَ المبتدعِ ، وكلٌّ يدَّعي أنَّهُ محقٌّ وينكرُ كونَهُ مبتدعاً ، فكيفَ يتمُّ الاحتسابُ ؟

فاعلمْ : أنَّا لأجلِ هـٰذا التعارضِ نقولُ : ينظرُ إلى البلدةِ التي فيها أظهرَتْ تلكَ البدعةُ ، فإنْ كانَتِ البدعةُ غريبةً والناسُ كلُّهُمْ على السنَّةِ . . فلهُمُ الحِسبةُ عليهِمْ بغيرِ إذنِ السلطانِ ، وإنِ انقسمَ أهلُ البلدِ إلىٰ أهلِ البدعةِ وأهلِ السنَّةِ ، وكانَ في الاعتراضِ تحريكُ فتنةٍ بالمقاتلةِ . . فليسَ للآحادِ الحِسبةُ في المذاهبِ إلا بنصبِ السلطانِ ، فإذا رأى السلطانُ الرأيَ الحقَّ ونصرَهُ ، وأذنَ لواحدٍ أنْ يزجرَ المبتدعةَ عنْ إظهارِ البدعةِ . . كانَ لهُ ذلكَ وليسَ لغيرِهِ ، فإنَّ ما يكونُ بإذنِ السلطانِ لا يتقابلُ ، وما يكونُ مِنْ جهةِ الآحادِ فيتقابلُ الأمرُ فيهِ .

وعلى الجملةِ : فالحِسبةُ في البدعِ أهمُّ مِنَ الحِسبةِ في كلِّ المنكراتِ ، ولكنْ ينبغي أنْ يُراعىٰ فيها هـٰذا التفصيلُ الذي ذكرناهُ ؛ كي لا يتقابلَ الأمرُ فيها ، ولا ينجرَّ إلىٰ تحريكِ الفتنةِ .

بلْ لوْ أذنَ السلطانُ مطلقاً في منعِ كلِّ مَنْ يصرِّحُ بأنَّ القرآنَ مخلوقٌ ، أوْ أنَّ اللهَ تعالىٰ لا يُرىٰ ، أوْ أنَّهُ مستقرٌّ على العرشِ مماسٌّ لهُ ، أوْ غيرِ ذلكَ مِنَ البدعِ . . تَسلَّطَ الآحادُ على المنعِ منهُ ، ولمْ يتقابلِ الأمرُ فيهِ ، وإنَّما يتقابلُ عندَ عدمِ إذنِ السلطانِ فقطْ .

* * *

الرّكن الثّالث : المحتسَب عليه

وشرطُهُ : أنْ يكونَ بصفةٍ يصيرُ الفعلُ الممنوعُ منهُ في حقِّهِ منكراً ، ولعلَّهُ[1] يكفي في ذلكَ أنْ يكونَ إنساناً ، ولا يُشترطُ كونُهُ مكلَّفاً ، إذْ بيَّنَّا أنَّ الصبيَّ لوْ شربَ الخمرَ . . مُنِعَ منهُ واحتسبَ عليهِ ، وإنْ كانَ قبلَ البلوغِ ، ولا يُشترطُ كونُهُ مميِّزاً ، إذْ بيَّنَّا أنَّ المجنونَ لوْ كانَ يزني بمجنونةٍ أوْ يأتي بهيمةً . . لوجبَ منعُهُ منهُ .

نعمْ ، مِنَ الأفعالِ ما لا يكونُ منكراً في حقِّ المجنونِ ؛ كتركِ الصلاةِ والصومِ وغيرِهِ ، ولكنَّا لسنا نلتفتُ إلى اختلافِ التفاصيلِ ، فإنَّ ذلكَ أيضاً ممَّا يختلفُ فيهِ المقيمُ والمسافرُ ، والمريضُ والصحيحُ ، وغرضُنا الإشارةُ إلى الصفةِ التي بها يتهيَّأُ توجُّهُ أصلِ الإنكارِ عليهِ ، لا ما بهِ يُتهيَّأُ للتفاصيلِ .

* * *

فإنْ قلتَ : فاكتفِ بكونِهِ حيواناً ، ولا تشترطْ كونَهُ إنساناً ، فإنَّ البهيمةَ لوْ كانَتْ تفسدُ زرعاً لإنسانٍ . . لكنَّا نمنعُها منهُ كما نمنعُ المجنونَ مِنَ الزنا وإتيانِ البهيمةِ .

فاعلمْ : أنَّ تسميةَ ذلكَ حِسبةً لا وجهَ لها ؛ إذِ الحِسبةُ عبارةٌ عنِ المنعِ عنْ منكرٍ لحقِّ اللهِ ؛ صيانةً للممنوعِ عنْ مقارفةِ المنكرِ ، ومنعُ المجنونِ عنِ

---

[1] وعند الحافظ الزبيدي : (وأقلُّ ما) . انظر « الإتحاف » (٧/ ٣٩) .

الزنا وإتيانِ البهيمةِ لحقِّ اللهِ ، وكذا منعُ الصبيِّ عنْ شربِ الخمرِ ، والإنسانُ إذا أتلفَ زرعَ غيرِهِ . . مُنعَ منهُ لحقَّينِ :

أحدُهما : حقُّ اللهِ تعالىٰ ؛ فإنَّ فعلَهُ معصيةٌ .

والثاني : حقُّ المتلَفِ عليهِ .

فهما علَّتانِ ، تنفصلُ إحداهُما عنِ الأخرىٰ ، فلوْ قطعَ طرفَ غيرِهِ بإذنِهِ . . فقدْ وُجدتِ المعصيةُ وسقطَ حقُّ المجنيِّ عليهِ بإذنِهِ ، فتثبتُ الحِسبةُ والمنعُ بإحدى العلَّتينِ ، والبهيمةُ إذا أتلفَتْ . . فقدْ عدمَتِ المعصيةُ ، ولكنْ يثبتُ المنعُ بإحدى العلَّتينِ ، ولكنْ فيهِ دقيقةٌ ، وهوَ أنَّا لسنا نقصدُ بإخراجِ البهيمةِ منعَ البهيمةِ ، بلْ حفظَ مالِ المسلمِ ؛ إذِ البهيمةُ لوْ أكلَتْ ميتةً أوْ شربَتْ مِنْ إناءٍ فيهِ خمرٌ أوْ ماءٌ مشوبٌ بخمرٍ . . لمْ نمنعْها منهُ ، بلْ يجوزُ إطعامُ كلابِ الصيدِ الجيفَ والميتاتِ ، ولكنَّ مالَ المسلمِ إذا تعرَّضَ للضياعِ وقدرنا علىٰ حفظِهِ بغيرِ تعبٍ . . وجبَ ذلكَ علينا ؛ حفظاً للمالِ .

بلْ لوْ وقعَتْ جرَّةٌ لإنسانٍ مِنْ علوٍّ وتحتَها قارورةٌ لغيرِهِ ، فتُدفعُ الجرَّةُ لحفظِ القارورةِ ، لا لمنعِ الجرَّةِ مِنَ السقوطِ ، فإنَّا لا نقصدُ منعَ الجرَّةِ وحراستَها مِنْ أنْ تصيرَ كاسرةً للقارورةِ .

ونمنعُ المجنونَ مِنَ الزنا وإتيانِ البهيمةِ وشربِ الخمرِ وكذا الصبيَّ . . لا صيانةً للبهيمةِ المأتيةِ أوِ الخمرِ المشروبِ ، بلْ صيانةً للمجنونِ عنْ شربِ الخمرِ ، وتنزيهاً لهُ مِنْ حيثُ إنَّهُ إنسانٌ محترمٌ .

فهٰذهِ لطائفُ دقيقةٌ لا يتفطَّنُ لها إلا المحقِّقونَ ، فلا ينبغي أنْ يُغفلَ عنها .

ثمَّ فيما يجبُ تنزيهُ الصبيِّ والمجنونِ عنهُ نظرٌ ؛ إذْ قدْ يتردَّدُ في منعِهما مِنْ لبسِ الحريرِ وفي غيرِ ذلكَ ، وسنتعرَّضُ لما نشيرُ إليهِ في البابِ الثالثِ .

* * *

فإنْ قلتَ : فكلُّ مَنْ رأىٰ بهائمَ قدِ استرسلَتْ في زرعِ إنسانٍ فهلْ يجبُ عليهِ إخراجُها ؟ وكلُّ مَنْ رأىٰ مالاً لمسلمٍ أشرفَ على الضياعِ هلْ يجبُ عليهِ حفظُهُ ؟

فإنْ قلتُمْ : (إنَّ ذلكَ واجبٌ).. فهٰذا تكليفٌ شططٌ يؤدِّي إلىٰ أنْ يصيرَ الإنسانُ مسخَّراً لغيرِهِ طولَ عمرِهِ ، وإنْ قلتُمْ : (لا يجبُ).. فلمَ يجبُ الاحتسابُ علىٰ مَنْ يغصِبُ مالَ غيرِهِ وليسَ لهُ سببٌ سوىٰ مراعاةِ مالِ الغيرِ .

فنقولُ : هٰذا بحثٌ دقيقٌ غامضٌ ، والقولُ الوجيزُ فيهِ أنْ نقولَ : مهما قدرَ علىٰ حفظِهِ عنِ الضياعِ ، مِنْ غيرِ أنْ ينالَهُ تعبٌ في بدنِهِ ، أوْ خسرانٌ في مالِهِ ، أوْ نقصانٌ في جاهِهِ.. وجبَ عليهِ ذلكَ ، فذلكَ القدْرُ واجبٌ في حقوقِ المسلمِ ، بلْ هوَ أقلُّ درجاتِ الحقوقِ .

والأدلَّةُ الموجبةُ لحقوقِ المسلمينَ كثيرةٌ ، وهٰذا أقلُّ درجاتِها وهوَ أولىٰ بالإيجابِ مِنْ ردِّ السلامِ ؛ فإنَّ الأذىٰ في هٰذا أكثرُ مِنَ الأذىٰ في ترْكِ ردِّ السلامِ ، بلْ لا خلافَ في أنَّ مالَ الإنسانِ إذا كانَ يضيعُ بظلمِ ظالمٍ ، وكانَ

عندَهُ شهادةٌ لوْ تكلَّمَ بها لرجعَ الحقُّ إليهِ . . وجبَ عليهِ ذلكَ ، وعصىٰ بكتمانِ الشهادةِ ، ففي معنىٰ تركِ الشهادةِ تركُ كلِّ دفعٍ لا ضررَ على الدافعِ فيهِ .

فأمَّا إنْ كانَ عليهِ تعبٌ أوْ ضررٌ في مالٍ أوْ جاهٍ . . لمْ يلزمْهُ ذلكَ ؛ لأنَّ حقَّهُ مرعيٌّ في منفعةِ بدنِهِ وفي مالِهِ وجاهِهِ كحقِّ غيرِهِ ، فلا يلزمُهُ أنْ يفديَ غيرَهُ بنفسِهِ .

نعمْ ، الإيثارُ مستحبٌّ ، وتجشُّمُ المصاعبِ لأجلِ المسلمينَ قربةٌ ، فأمَّا إيجابُها . . فلا .

فإذاً ؛ إنْ كانَ يتعبُ بإخراجِ البهائمِ عنِ الزرعِ . . لمْ يلزمْهُ السعيُ في ذلكَ ، ولكنْ إذا كانَ لا يتعبُ ؛ بتنبيهِ صاحبِ الزرعِ مِنْ نومِهِ ، أوْ بإعلامِهِ . . يلزمُهُ ذلكَ ، فإهمالُ تعريفِهِ وتنبيهِهِ كإهمالِ تعريفِ القاضي بالشهادةِ ، وذلكَ لا رخصةَ فيهِ .

ولا يمكنُ أنْ يُراعىٰ فيهِ الأقلُّ والأكثرُ ، حتَّىٰ يُقالَ : إنْ كانَ لا يضيعُ مِنْ منفعتِهِ في مدَّةِ اشتغالِهِ بإخراجِ البهائمِ إلا قدْرُ درهمٍ مثلاً ، وصاحبُ الزرعِ يفوتُهُ مالٌ كثيرٌ ، فيترجَّحُ جانبُهُ ؛ لأنَّ الدرهمَ الذي لهُ هوَ يستحقُّ حفظَهُ كما يستحقُّ صاحبُ الألفِ حفظَ الألفِ ، فلا سبيلَ للمصيرِ إلىٰ ذلكَ .

فأمَّا إذا كانَ فواتُ المالِ بطريقٍ هوَ معصيةٌ ؛ كالغصبِ ، أوْ قتلِ عبدٍ مملوكٍ للغيرِ . . فهـٰذا يجبُ المنعُ منهُ وإنْ كانَ فيهِ تعبٌ ما ؛ لأنَّ

المقصودَ حقُّ الشرعِ ، والغرضُ دفعُ المعصيةِ .

وعلى الإنسانِ أنْ يُتعبَ نفسَهُ في دفعِ المعاصي كما عليهِ أنْ يُتعبَ نفسَهُ في تركِ المعاصي ، والمعاصي كلُّها في تركِها تعبٌ ، وإنَّما الطاعاتُ كلُّها ترجعُ إلىٰ مخالفةِ النفسِ ، وهيَ غايةُ التعبِ ، ثمَّ لا يلزمُهُ احتمالُ كلِّ ضررٍ ، بلِ التفصيلُ فيهِ ما ذكرناهُ مِنْ درجاتِ المحذوراتِ التي يخافُها المحتسبُ .

وقدِ اختلفَ الفقهاءُ في مسألتينِ تقرُبانِ مِنْ غرضِنا :

إحداهُما : أنَّ الالتقاطَ هلْ هوَ واجبٌ ، واللُّقَطَةُ ضائعةٌ ، والملتقطُ مانعٌ عنِ الضياعِ وساعٍ في الحفظِ ؟

والحقُّ فيهِ عندَنا : أنْ يُفصَّلَ ويُقالَ :

إنْ كانَتِ اللقطةُ في موضعٍ لوْ تركَها فيهِ لمْ تضعْ ، بلْ يلتقطُها مَنْ يعرِّفُها ، أوْ تُتركُ ؛ كما لوْ كانَتْ في مسجدٍ ، أوْ رباطٍ يتعيَّنُ مَنْ يدخلُهُ وكلُّهُمْ أمناءُ . . فلا يلزمُهُ الالتقاطُ .

وإنْ كانتْ في مَضيعةٍ . . نظرَ ؛ فإنْ كانَ عليهِ تعبٌ في حفظِها ، كما لوْ كانَتْ بهيمةً وتحتاجُ إلىٰ علفٍ وإصطبلٍ . . فلا يلزمُهُ ذلكَ ؛ لأنَّهُ إنَّما يجبُ الالتقاطُ لحقِّ المالكِ ، وحقُّهُ بسببِ كونِهِ إنساناً محترماً ، والملتقطُ أيضاً إنسانٌ ، ولهُ حقٌّ في ألا يتعبَ لأجلِ غيرِهِ ، كما لا يتعبُ غيرُهُ لأجلِهِ .

وإنْ كانتِ اللقطةُ ذهباً أوْ ثوباً أوْ شيئاً لا ضررَ عليهِ فيهِ إلا مجرَّدُ تعبِ

التعريفِ . . فهـٰذا ينبغي أنْ يكونَ في محلِّ الوجهينِ ؛ فقائلٌ يقولُ : التعريفُ والقيامُ بشرطِهِ شبْهُ تعبٍ ، فلا سبيلَ إلىٰ إلزامِهِ ذلكَ إلا أنْ يتبرَّعَ فيلتزمَ طلباً للثوابِ ، وقائلٌ يقولُ : إنَّ هـٰذا القدْرَ مِنَ التعبِ مستصغرٌ بالإضافةِ إلىٰ مراعاةِ حقوقِ المسلمينَ ، فينزَّلُ هـٰذا منزلةَ تعبِ الشاهدِ في حضورِ مجلسِ الحكمِ ، فإنَّهُ لا يلزمُهُ السفرُ إلىٰ بلدةٍ أخرىٰ إلا أنْ يتبرَّعَ بهِ ، وإذا كانَ مجلسُ القاضي في جوارِهِ . . لزمَهُ الحضورُ وكانَ التعبُ بهـٰذهِ الخطواتِ لا يُعدُّ تعباً في غرضِ إقامةِ الشهادةِ وأداءِ الأمانةِ ، وإنْ كانَ في الطرفِ الآخرِ مِنَ البلدِ وأحوجَ إلى الحضورِ في الهاجرةِ وعندَ شدَّةِ الحرِّ . . فهـٰذا قدْ يقعُ في محلِّ الاجتهادِ والنظرِ .

فإذاً ؛ الضررُ الذي ينالُ الساعيَ في حفظِ حقِّ الغيرِ لهُ طرفٌ في القلَّةِ لا يُشكُّ في أنَّهُ لا يُبالىٰ بهِ ، وطرفٌ في الكثرةِ لا يُشكُّ في أنَّهُ لا يلزمُ احتمالُهُ ، ووسطٌ يتجاذبُهُ الطرفانِ ، ويكونُ ذلكَ أبداً في محلِّ الشبهةِ والنظرِ ، وهيَ مِنَ الشبهاتِ المزمنةِ التي ليسَ في مقدورِ البشرِ إزالتُها ، إذْ لا علَّةَ تفرِّقُ بينَ أجزائِها المتقاربةِ ، ولكنَّ المتقيَ ينظرُ فيها لنفسِهِ ويدعُ ما يريبُهُ إلىٰ ما لا يريبُهُ .

فهـٰذا نهايةُ الكشفِ عنْ هـٰذا الأصلِ (١) .

* * *

---

(١) ولم يذكر المصنف المسألة الثانية التي تقرب من الغرض . « إتحاف » (٧/ ٤١) .

الركن الرابع : نفس الاحتساب

ولهُ درجاتٌ وآدابٌ .

أمَّا الدرجاتُ : فأوَّلُها : التعرُّفُ ، ثمَّ التعريفُ ، ثمَّ النهيُ بالوعظِ والنصحِ ، ثمَّ السبُّ والتعنيفُ ، ثمَّ التغييرُ باليدِ ، ثمَّ التهديدُ بالضربِ ، ثمَّ إيقاعُ الضربِ وتحقيقُهُ ، ثمَّ شهْرُ السلاحِ ، ثمَّ الاستظهارُ فيهِ بالأعوانِ وجمعِ الجنودِ .

* * *

أمَّا الدرجةُ الأولىٰ : وهي التعرُّفُ :

ونعني بهِ طلبَ المعرفةِ بجريانِ المنكرِ ، وذلكَ منهيٌّ عنهُ ، وهوَ التجسُّسُ الذي ذكرناهُ ، فلا ينبغي أن يسترقَ السمعَ علىٰ دارِ غيرِهِ ليسمعَ صوتَ الأوتارِ ، ولا أنْ يستنشقَ ليدركَ رائحةَ الخمرِ ، ولا أنْ يمسَّ ما في ثوبِهِ ليعرفَ شكلَ المزمارِ ، ولا أنْ يستخبرَ مِنْ جيرانِهِ ليخبروهُ بما يجري في دارِهِ .

نعمْ ، لوْ أخبرَهُ عدلانِ ابتداءً مِنْ غيرِ استخبارٍ بأنَّ فلاناً يشربُ الخمرَ في دارِهِ ، أوْ بأنَّ في دارِهِ خمراً أعدَّهُ للشربِ . فلهُ إذْ ذاكَ أنْ يدخلَ دارَهُ ، ولا يلزمُهُ الاستئذانُ ، ويكونُ تخطِّي ملكِهِ بالدخولِ للتوصُّلِ إلىٰ دفعِ المنكرِ ؛ ككسرِ رأسِهِ بالضربِ للمنعِ مهما احتاجَ إليهِ .

وإنْ أخبرَهُ عبدانِ أوْ عدلٌ واحدٌ ، وبالجملةِ : كلُّ مَنْ تقبلُ روايتُهُ لا شهادتُهُ . . ففي جوازِ الهجومِ علىٰ دارِهِ بقولِهِمْ نظرٌ واحتمالٌ ، والأولىٰ أنْ يمتنعَ ؛ لأنَّ لهُ حقّاً في ألا يتخطَّىٰ دارَهُ بغيرِ إذنِهِ ، ولا يسقطُ حقُّ المسلمِ عمَّا ثبتَ عليهِ حقُّهُ إلا بشاهدينِ ، فهـٰذا أولىٰ ما يُجعلُ مردّاً فيهِ[1] ، وقدْ قيلَ : إنَّهُ كانَ نقشُ خاتمِ لقمانَ : (السترُ لما عاينتَ أحسنُ مِنْ إذاعةِ ما ظننتَ) .

* * *

الدرجةُ الثانيةُ : التعريفُ :

فإنَّ المنكرَ قدْ يقدمُ عليهِ المقدمُ بجهلِهِ ، وإذا عُرِّفَ أنَّهُ منكرٌ . . تركَهُ ؛ كالسواديِّ يصلي ولا يحسنُ الركوعَ والسجودَ[2] ، فيُعلمُ أنَّ ذلكَ لجهلِهِ بأنَّ هـٰذهِ ليستْ بصلاةٍ ، ولوْ رضيَ بألا يكونَ مصلِّياً . . لتركَ أصلَ الصلاةِ .

فيجبُ تعريفُهُ باللطفِ مِنْ غيرِ عنفٍ ، وذلكَ لأنَّ في ضمنِ التعريفِ نسبةً إلى الجهلِ والحمقِ ، والتجهيلُ إيذاءٌ ، وقلَّما يرضى الإنسانُ بأنْ يُنسبَ إلى الجهلِ بالأمورِ ، لا سيما بالشرعِ ، ولذلكَ ترى الذي يغلبُ عليهِ الغضبُ كيفَ يغضبُ إذا نُبِّهَ على الخطأِ والجهلِ ، وكيفَ يجتهدُ في مجاحدةِ الحقِّ بعدَ معرفتِهِ ؛ خيفةً مِنْ أنْ تنكشفَ عورةُ جهلِهِ .

والطباعُ أحرصُ علىٰ سترِ عورةِ الجهلِ منها علىٰ سترِ العورةِ الحقيقيةِ ؛

---

(١) أي : يردُّ عليه ، ففي كل منهما إسقاط الحق . « إتحاف » (٧/ ٤٢) .

(٢) السوادي : المنسوب إلىٰ سواد البلد ، وتقدم بيان السواديَّة وأنهم الأكَّارون ومن يعمل بالفلاحة .

لأنَّ الجهلَ قبحٌ في صورةِ النفسِ ، وسوادٌ في وجهِهِ ، وصاحبُهُ ملومٌ عليهِ ، وقبحُ السوءتينِ يرجعُ إلىٰ صورةِ البدنِ ، والنفسُ أشرفُ مِنَ البدنِ ، وقبحُها أشدُّ مِنْ قبحِ البدنِ ، ثمَّ هوَ غيرُ ملومٍ عليهِ ؛ لأنَّهُ خِلقةٌ لمْ يدخلْ تحتَ اختيارِهِ حصولُهُ ، ولا في اختيارِهِ إزالتُهُ وتحسينُهُ ، والجهلُ قبحٌ يمكنُ إزالتُهُ وتبديلُهُ بحسْنِ العلمِ ، فلذلكَ يعظمُ تألُّمُ الإنسانِ بظهورِ جهلِهِ ، ويعظمُ ابتهاجُهُ في نفسِهِ بعلمِهِ ، ثمَّ لذَّتُهُ عندَ ظهورِ جمالِ علمِهِ لغيرِهِ .

وإذا كانَ التعريفُ كشفاً للعورةِ مؤذياً للقلبِ . . فلا بدَّ وأنْ يُعالجَ دفعُ أذاهُ بلطفِ الرفقِ ، فنقولُ لهُ : إنَّ الإنسانَ لا يُولدُ عالماً ، ولقدْ كنَّا أيضاً جاهلينَ بأمورِ الصلاةِ ، فعلَّمنا العلماءُ ، ولعلَّ قريتَكَ خاليةٌ عنْ أهلِ العلمِ ، أوْ عالِمَها مقصِّرٌ في شرحِ الصلاةِ وإيضاحِها ، إنَّما شرطُ الصلاةِ الطمأنينةُ في الركوعِ والسجودِ .

فهكذا يتلطَّفُ بهِ ليحصلَ التعريفُ مِنْ غيرِ إيذاءٍ ، فإنَّ إيذاءَ المسلمِ حرامٌ محذورٌ ، كما أنَّ تقريرَهُ على المنكرِ محذورٌ ، وليسَ مِنَ العقلاءِ مَنْ يغسلُ الدمَ بالدمِ أوْ بالبولِ ، ومَنِ اجتنبَ محذورَ السكوتِ على المنكرِ واستبدلَ عنهُ محذورَ الإيذاءِ للمسلمِ معَ الاستغناءِ عنهُ . . فقدْ غسلَ الدمَ بالبولِ على التحقيقِ .

وأمَّا إذا وقفتَ علىٰ خطأٍ في غيرِ أمرِ الدينِ . . فلا ينبغي أنْ تردَّهُ عليهِ ؛ فإنَّهُ يستفيدُ منكَ علماً ، ويصيرُ لكَ عدوّاً ، إلا إذا علمتَ أنَّهُ يغتنمُ العلمَ ، وذلكَ عزيزٌ جدّاً .

* * *

الدرجة الثالثة : النهيُ بالوعظِ والنصحِ والتخويفِ باللهِ عزَّ وجلَّ :

وذلكَ فيمَنْ يُقدمُ على الأمرِ وهوَ عالمٌ بكونِهِ منكراً ، أوْ فيمَنْ أصرَّ عليهِ بعدَ أنْ عرفَ كونَهُ منكراً ؛ كالذي يواظبُ على الشربِ ، أوْ على الظلمِ ، أوْ على اغتيابِ المسلمينَ ، أوْ ما يجري مَجراهُ .

فينبغي أنْ يُوعظَ ويُخوَّفَ باللهِ تعالىٰ ، وتُوردَ عليهِ الأخبارُ الورادةُ بالوعيدِ في ذلكَ ، وتُحكىٰ لهُ سيرةُ السلفِ وعادةُ المتقينَ ، وكلُّ ذلكَ بشفقةٍ ولطفٍ مِنْ غيرِ عنفٍ وغضبٍ ، بلْ ينظرُ إليهِ نظرَ المترحِّمِ عليهِ ، ويرىٰ إقدامَهُ على المعصيةِ مصيبةً علىٰ نفسِهِ ؛ إذِ المسلمونَ كنفسٍ واحدةٍ .

وهٰهنا آفةٌ عظيمةٌ ينبغي أنْ يتوقَّاها ؛ فإنَّها مهلكةٌ ، وهيَ أنَّ العالِمَ يرىٰ عندَ التعريفِ عزَّ نفسِهِ بالعلمِ وذلَّ غيرِهِ بالجهلِ ، فربَّما يقصدُ بالتعريفِ الإذلالَ وإظهارَ التميُّزِ بشرفِ العلمِ وإذلالَ صاحبِهِ بالنسبةِ إلىٰ خسَّةِ الجهلِ ، فإنْ كانَ الباعثُ هٰذا . . فهٰذا المنكرُ أقبحُ في نفسِهِ مِنَ المنكرِ الذي يعترضُ عليهِ .

ومثالُ هٰذا المحتسِبِ مثالُ مَنْ يخلِّصُ غيرَهُ مِنَ النارِ بإحراقِ نفسِهِ ، وهوَ غايةُ الجهلِ ، وهٰذهِ مزلَّةٌ عظيمةٌ ، وغائلةٌ هائلةٌ(١) ، وغرورٌ للشيطانِ يتدلَّىٰ بحبلِهِ كلُّ إنسانٍ ، إلا مَنْ عرَّفَهُ اللهُ عيوبَ نفسِهِ ، وفتحَ بصيرتَهُ بنورِ هدايتِهِ ، فإنَّ في الاحتكامِ على الغيرِ لذَّةً للنفسِ عظيمةً مِنْ وجهينِ :

أحدُهما : مِنْ جهةِ دالَّةِ العلمِ .

---

(١) **الغائلة هنا** : الشر العظيم والداهية .

والآخرُ : مِنْ جهةِ دالَّةِ الاحتكامِ والسلطنةِ .

وذلكَ يرجعُ إلى الرياءِ وطلبِ الجاهِ ، وهوَ الشهوةُ الخفيَّةُ الداعيةُ إلى الشرْكِ الخفيِّ ، ولهُ محكٌّ ومعيارٌ ينبغي أنْ يمتحنَ بهِ المحتسبُ نفسَهُ ، وهوَ أنْ يكونَ امتناعُ ذلكَ الإنسانِ عنِ المنكرِ بنفسِهِ أوْ باحتسابِ غيرِهِ أحبَّ إليهِ منِ امتناعِهِ باحتسابِهِ ؛ فإنْ كانَتِ الحِسبةُ شاقَّةً عليهِ ثقيلةً علىٰ نفسِهِ ، وهوَ يودُّ أنْ يُكفىٰ بغيرِهِ . . فليحتسبْ ؛ فإنَّ باعثَهُ هوَ الدينُ .

وإنْ كانَ اتعاظُ ذلكَ العاصي بوعظِهِ وانزجارُهُ بزجرِهِ أحبَّ إليهِ منِ اتعاظِهِ بوعظِ غيرِهِ . . فما هوَ إلا متبعٌ هوىٰ نفسِهِ ، ومتوسِّلٌ إلىٰ إظهارِ جاهِ نفسِهِ بواسطةِ حسبتِهِ ، فليتقِ اللهَ تعالىٰ فيهِ ، وليحتسبْ أولاً علىٰ نفسِهِ ، وعندَ هـٰذا يُقالُ لهُ ما قيلَ لعيسىٰ عليهِ السلامُ : (يا بنَ مريمَ ؛ عظْ نفسَكَ ، فإنِ اتعظتَ . . فعظِ الناسَ ، وإلا . . فاستحيِ منِّي)[1] .

وقيلَ لداوودَ الطائيِّ : أرأيتَ رجلاً دخلَ علىٰ هؤلاءِ الأمراءِ ، فأمرَهُمْ بالمعروفِ ونهاهُمْ عنِ المنكرِ ، فقالَ : أخافُ عليهِ السوطَ ، قيلَ : إنَّهُ يقوىٰ عليهِ ، قالَ : أخافُ عليهِ السيفَ ، قيلَ : إنَّهُ يقوىٰ عليهِ ، قالَ : أخافُ عليهِ الداءَ الدفينَ ، وهوَ العجبُ[2] .

* * *

---

[1] رواه أحمد في « الزهد » (٣٠٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٨٢) .

[2] رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣٥٨) .

الدرجةُ الرابعةُ : السبُّ والتعنيفُ بالقولِ الغليظِ الخشنِ :

وذلكَ يُعدلُ إليهِ عندَ العجزِ عنِ المنعِ باللطفِ ، وظهورِ مبادي الإصرارِ والاستهزاءِ بالوعظِ والنصحِ ، وذلكَ مثلُ قولِ إبراهيمَ عليهِ السلامُ : ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

ولسنا نعني بالسبِّ الفحشَ بما فيهِ نسبةٌ إلى الزنا ومقدماتِهِ ، ولا الكذبَ ، بلْ أنْ يخاطبَهُ بما فيهِ ، ممَّا لا يُعدُّ مِنْ جملةِ الفحشِ ؛ كقولِهِ : يا فاسقُ ، يا أحمقُ ، يا جاهلُ ؛ ألا تخافُ اللهَ ، وكقولِهِ : يا سواديُّ ، يا غبيُّ ، وما يجري هـٰذا المَجرىٰ ، فإنَّ كلَّ فاسقٍ فهوَ أحمقُ وجاهلٌ ، ولولا حمقُهُ . . لما عصىَ اللهَ تعالىٰ ، بلْ كلُّ مَنْ ليسَ بكيِّسٍ فهوَ أحمقُ ، والكيِّسُ : مَنْ شهدَ لهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالكياسةِ حيثُ قالَ : « الكيِّسُ مَنْ دانَ نفسَهُ وعملَ لما بعدَ الموتِ ، والأحمقُ مَنْ أتبعَ نفسَهُ هواها وتمنَّىٰ على اللهِ »(١) .

ولهـٰذهِ الرتبةِ أدبانِ :

أحدُهُما : ألا يقدمَ عليها إلا عندَ الضرورةِ والعجزِ عنِ اللطفِ .

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٩) ، وابن ماجه (٤٢٦٠) ، وفيهما : « العاجز » بدل « الأحمق » ، وورد لفظ (الأحمق) عند ابن سلاَّم في « غريب الحديث » (٣/ ١٣٤) ، **دان نفسه** : جعلها منقادة مطيعة لربِّها تعالىٰ ، **وتمنّىٰ على الله** : فهو مع تقصيره في طاعة الله واتباع الشهوات . . لا يعتذر ولا يرجع ، بل يتمنىٰ على الله العفو والجنة مع الإصرار وترك التوبة والاستغفار . انظر « الإتحاف » (٧/ ٤٤) .

والثاني : ألا ينطقَ إلا بالصدقِ ، ولا يسترسلَ فيهِ ، فيطلقَ لسانَهُ الطويلَ بما لا يُحتاجُ إليه ، بلْ يقتصرُ علىٰ قدْرِ الحاجةِ .

فإنْ علمَ أنَّ خطابَهُ بهـٰذهِ الكلماتِ الزاجرةِ ليستْ تزجرُهُ . . فلا ينبغي أن يطلقَهُ ، بلْ يقتصرُ علىٰ إظهارِ الغضبِ والاستحقارِ لهُ ، والإزراءِ بمحلِّهِ لأجلِ معصيتِهِ ؟

وإنْ علمَ أنَّهُ لوْ تكلَّمَ . . ضربَ ، ولوِ اكفهرَّ وأظهرَ الكراهةَ بوجهِهِ لمْ يضربْ . . لزمَهُ ولمْ يكفِهِ الإنكارُ بالقلبِ ، بلْ يلزمُهُ أنْ يقطِّبَ وجهَهُ ويظهرَ الإنكارَ لهُ .

* * *

الدرجةُ الخامسةُ : التغييرُ باليدِ :

وذلكَ ككسرِ الملاهي ، وإراقةِ الخمرِ ، وخلعِ الحريرِ مِنْ رأسِهِ وعنْ بدنِهِ ، ومنعِهِ مِنَ الجلوسِ عليهِ ، ودفعِهِ عنِ الجلوسِ علىٰ مالِ الغيرِ ، وإخراجِهِ مِنَ الدارِ المغصوبةِ بالجرِّ برجْلِهِ ، وإخراجِهِ مِنَ المسجدِ إذا كانَ جالساً فيهِ وهوَ جنبٌ ، وما يجري مَجراهُ .

ويُتصوَّرُ ذلكَ في بعضِ المعاصي دونَ بعضٍ ، فأمَّا معاصي اللسانِ والقلبِ . . فلا يُقدرُ علىٰ مباشرةِ تغييرِها ، وكذلكَ كلُّ معصيةٍ تقتصرُ علىٰ نفسِ العاصي وجوارحِهِ الباطنةِ .

وفي هـٰذهِ الدرجةِ أدبانِ :

أحدُهُما : ألا يباشرَ بيدِهِ التغييرَ ما لَمْ يعجزْ عنْ تكليفِ المحتسَبِ عليهِ ذلكَ ، فإذا أمكنَهُ أنْ يكلِّفَهُ المشيَ في الخروجِ عنِ الأرضِ المغصوبةِ والمسجدِ . . فلا ينبغي أنْ يدفعَهُ أوْ يجرَّهُ ، وإذا قدرَ علىٰ أن يكلِّفَهُ إراقةَ الخمرِ ، وكسرَ الملاهي ، وحلَّ دروزِ الثوبِ الحريرِ⁽¹⁾ . . فلا ينبغي أنْ يباشرَ ذلكَ بنفسِهِ ، فإنَّ في الوقوفِ علىٰ حدِّ الكسرِ نوعَ عسرٍ ، فإذا لم يتعاطَ بنفسِهِ ذلكَ . . كُفِيَ الاجتهادَ فيهِ ، وتولاَّهُ مَنْ لا حجرَ عليهِ في فعلِهِ .

الثاني : أنْ يقتصرَ في طريقِ التغييرِ على القدْرِ المحتاجِ إليهِ ، وهوَ ألا يأخذَ بلحيتِهِ في الإخراجِ ولا برجلِهِ إذا قدرَ علىٰ جرِّهِ بيدِهِ ، فإنَّ زيادةَ الأذىٰ فيهِ مستغنىً عنهُ، وألا يمزِّقَ الثوبَ الحريرَ، بل يحلَّ دروزَهُ فقطْ ، ولا يحرقَ الملاهيَ والصليبَ الذي أظهرَهُ النصارىٰ، بلْ يبطلُ صلاحيتَها للفسادِ بالكسرِ .

وحدُّ الكسرِ : أنْ يصيرَ إلىٰ حالٍ تحتاجُ في استئنافِ إصلاحِهِ إلىٰ تعبٍ يساوي تعبَ الاستئنافِ مِنَ الخشبِ ابتداءً .

وفي إراقةِ الخمورِ يتوقَّىٰ كسرَ الأواني إنْ وجدَ إليهِ سبيلاً ، فإنْ لم يقدرْ عليها إلا بأنْ يرميَ ظروفَها بحجرٍ . . فلهُ ذلكَ ، وسقطَتْ قيمةُ الظرْفِ وتقوُّمُهُ بسببِ الخمرِ ؛ إذْ صارَ حائلاً بينَهُ وبينَ الوصولِ إلىٰ إراقةِ الخمرِ ، ولوْ سترَ الخمرَ ببدنِهِ . . لكنَّا نقصدُ بدنَهُ بالجرحِ والضربِ ؛ لنتوصَّلَ إلىٰ

---

(1) **ودروز الثوب** : هي العقود التي تربط بها مواضع من الثوب على البدن ، وهي في بلاد العجم بمنزلة الأزرار في هـٰذه البلاد . « إتحاف » (٧/ ٤٥) .

إراقةِ الخمرِ ، فإذاً لا تزيدُ حرمةُ ملكِهِ في الظروفِ علىٰ حرمةِ نفسِهِ .

ولوْ كانَ الخمرُ في قواريرَ ضيِّقةِ الرؤوسِ ولوِ اشتغلَ بإراقتِها طالَ الزمانُ وأدركَهُ الفسَّاقُ ومنعوهُ . . فلهُ كسرُها ، فهـٰذا عذرٌ ، وإنْ كانَ لا يحذرُ ظفرَ الفسَّاقِ بهِ ومنْعَهُمْ ، ولكنْ كانَ يضيعُ فيهِ زمانُهُ ، وتتعطَّلُ عليهِ أشغالُهُ . . فلهُ كسرُها ، فليسَ عليهِ أنْ يضيِّعَ منفعةَ بدنِهِ وغرضَهُ مِنْ أشغالِهِ لأجلِ ظروفِ الخمرِ ، وحيثُ تكونُ الإراقةُ متيسرةً بدونِ الكسرِ فكسرَهُ . . لزمَهُ الضمانُ .

* * *

فإن قلت : فهلاَّ جازَ الكسرُ لأجلِ الزجرِ ؟ وهلاَّ جازَ الجرُّ بالرجْلِ في الإخراجِ عنِ الغصبِ ليكونَ ذلكَ أبلغَ في الزجرِ ؟!

فاعلم : أنَّ الزجرَ إنَّما يكونُ عنِ المستقبلِ ، والعقوبةَ تكونُ على الماضي ، والدفعَ عنِ الحاضرِ الراهنِ ، وليسَ إلىٰ آحادِ الرعيَّةِ إلا الدفعُ ، وهوَ إعدامُ المنكرِ ، فما زادَ علىٰ قدْرِ الإعدامِ فهوَ إمَّا عقوبةٌ علىٰ جريمةٍ سابقةٍ أوْ زجرٌ عنْ لاحقٍ ، وذلكَ إلى الولاةِ ، لا إلى الرعيَّةِ .

نعمْ ، الوالي لهُ أنْ يفعلَ ذلكَ إذا رأى المصلحةَ فيهِ .

وأقولُ : لهُ أنْ يأمرَ بكسرِ الظروفِ التي فيها الخمرُ زجراً ، وقدْ فُعِلَ ذلكَ في زمانِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ تأكيداً للزجرِ (١) ، ولمْ يثبتْ

---

(١) فقد روى الترمذي (١٢٩٣) عن أبي طلحة رضي الله عنه أنه قال : يا نبيَّ الله ؛ إني اشتريت خمراً لأيتام في حجري ، قال : « أهرق الخمر ، واكسر الدنان » .

نسخُهُ ، ولكنْ كانَتِ الحاجةُ إلى الزجرِ والفطامِ شديدةً ، فإذا رأى الوالي باجتهادِهِ مثلَ تلكَ الحاجةِ . . جازَ لهُ مثلُ ذلكَ ، وإذا كانَ هـٰذا منوطاً بنوعِ اجتهادٍ دقيقٍ . . لمْ يكنْ ذلكَ لآحادِ الرعيَّةِ .

* * *

فإنْ قلتَ : فليجزْ للسلطانِ زجرُ الناسِ عنِ المعاصي بإتلافِ أموالِهِمْ وتخريبِ دورِهِمُ التي فيها يشربونَ ويعصونَ ، وإحراقِ أموالِهِمُ التي بها يتوصَّلونَ إلى المعاصي !

فاعلمْ : أنَّ ذلكَ لوْ وردَ الشرعُ بهِ . . لمْ يكنْ خارجاً عنْ سننِ المصالحِ ، ولكنَّا لا نبتدعُ المصالحَ ، بلْ نتبعُ فيها ، وكسرُ ظروفِ الخمرِ قدْ ثبتَ عندَ شدَّةِ الحاجةِ ، وتركُهُ بعدَ ذلكَ لعدمِ شدَّةِ الحاجةِ لا يكونُ نسخاً ، بلِ الحكمُ يزولُ بزوالِ العلَّةِ ، ويعودُ بعودِها ، وإنَّما جوزْنا ذلكَ للإمامِ بحكمِ الاتباعِ ، ومنعْنا آحادَ الرعيَّةِ منهُ لخفاءِ وجهِ الاجتهادِ فيهِ .

بلْ نقولُ : لوْ أُريقَتِ الخمورُ أوَّلاً . . فلا يجوزُ كسْرُ الأواني بعدَها ، وإنَّما جازَ كسرُها تبعاً للخمرِ ، فإذا خلَتْ عنها . . فهوَ إتلافُ مالٍ ، إلا أنْ تكونَ ضاريةً بالخمرِ لا تصلحُ إلا لها(١) .

فكأنَّ الفعلَ المنقولَ عنِ العصرِ الأوَّلِ كانَ مقروناً بمعنيينِ :

---

(١) **الإناء الضاري** : هو الذي ضَرِيَ بالخمر وعوِّد بها ، فإذا وضع فيها شيء آخر . . فسد ، ولم ينتفع به .

أحدُهُما : شدَّةُ الحاجةِ إلى الزجرِ .

والآخرُ : تبعيَّةُ الظروفِ للخمرِ التي هيَ مشغولةٌ بها .

وهما معنيانِ مؤثِّرانِ لا سبيلَ إلىٰ حذفِهما .

ومعنىً ثالثٌ : وهوَ صدورُهُ عنْ رأيِ صاحبِ الأمرِ ؛ لعلمِهِ بشدَّةِ الحاجةِ إلى الزجرِ ، وهوَ أيضاً مؤثِّرٌ ، فلا سبيلَ إلىٰ إلغائِهِ .

فهٰذهِ تصرُّفاتٌ دقيقةٌ فقهيةٌ يحتاجُ المحتسِبُ ـ لا محالةَ ـ إلىٰ معرفتِها .

* * *

الدرجةُ السادسةُ : التهديدُ والتخويفُ :

كقولِهِ : دعْ عنكَ هٰذا أوْ لأكسرنَّ رأسَكَ ، أوْ لأضربنَّ رقبتَكَ ، أوْ لآمرنَّ بكَ ، وما أشبهَهُ .

وهٰذا ينبغي أنْ يُقدَّمَ علىٰ تحقيقِ الضربِ إذا أمكنَ تقديمُهُ .

والأدبُ في هٰذهِ الرتبةِ : ألا يهدِّدَهُ بوعيدٍ لا يجوزُ لهُ تحقيقُهُ ؛ كقولِهِ : لأنهبنَّ دارَكَ ، أوْ لأضربنَّ ولدَكَ ، أوْ لأسبينَّ زوجتَكَ ، وما يجري مَجراهُ ، بلْ ذلكَ إنْ قالَهُ عنْ عزمٍ . . فهوَ حرامٌ ، وإنْ قالَهُ عنْ غيرِ عزمٍ . . فهوَ كذبٌ .

نعمْ ، إذا تعرَّضَ لوعيدِهِ بالضربِ والاستخفافِ . . فلهُ العزمُ عليهِ إلىٰ حدٍّ معلومٍ يقتضيهِ الحالُ ، ولهُ أنْ يزيدَ في الوعيدِ علىٰ ما هوَ في عزمِهِ الباطنِ إذا علمَ أنَّ ذلكَ ممَّا يقمعُهُ ويردعُهُ ، وليسَ ذلكَ مِنَ الكذبِ

المحذورِ ، بلِ المبالغةُ في مثلِ ذلكَ معتادةٌ ، وهوَ في معنىٰ مبالغةِ الرجلِ في إصلاحِهِ بينَ شخصينِ ، وتأليفِهِ بينَ الضرَّتينِ ، وذلكَ ممَّا رُخِّصَ فيهِ للحاجةِ ، وهـٰذا في معناهُ ؛ فإنَّ القصدَ بهِ إصلاحُ ذلكَ الشخصِ .

وإلىٰ هـٰذا المعنىٰ أشارَ بعضُ الناسِ أنَّهُ لا يقبحُ مِنَ اللهِ سبحانَهُ أنْ يتوعَّدَ بما لا يفعلُ ؛ لأنَّ الخلفَ في الوعيدِ كرمٌ ، وإنَّما يقبحُ أنْ يَعِدَ بما لا يفعلُ ، وهـٰذا غيرُ مرضيٍّ عندَنا ؛ فإنَّ الكلامَ القديمَ لا يتطرَّقُ إليهِ الخلْفُ ، وعداً كانَ أوْ وعيداً ، وإنَّما يتصوَّرُ هـٰذا في حقِّ العبادِ ، وهوَ كذلكَ ، إذِ الخلفُ في الوعيدِ ليسَ بحرامٍ⁽¹⁾ .

* * *

---

(١) وعليه ؛ فلا بد أن يصدق الوعيد ولو علىٰ فرد واحد ، ويقول إمام الحرمين في « الإرشاد » (ص ٣٩٢) في سياق رده علىٰ من أوجب على الله تعالىٰ عقاب المصر على المعاصي : (فإذا حَسُنَ من الواحد منا الصفح مع تلذذه بالانتقام والتشفي ، وتعرضه للمضار لو كظم غيظه . . فلأن يحسن العفو من الرب تعالى المتنزِّه عن الحاجة ، المنعوت بالغنىٰ حقاً . . أولىٰ وأحرىٰ ، وما ذكروه إبطال لفضل الله ورحمته) .

ويقول أبو المظفر الإسفراييني في « التبصير في الدين » (ص ١٦١) : (ولم يكن من مشاهيرهم ـ أهل السنة والجماعة ـ من تدنس بشيء من بدع الروافض والخوارج والقدرية ، مثل أبي عمرو بن العلاء ، الذي قال له عمرو بن عبيدي القدري : قد ورد من الله تعالى الوعد والوعيد ، والله تعالىٰ يصدق وعده ووعيده ، فأراد بهـٰذا الكلام أن ينصر بدعته التي ابتدعها في أن العصاة من المؤمنين خالدون مخلدون ، فقال أبو عمرو : فأين أنت من قول العرب إن الكريم إذا أوعد . . عفا ، وإذا وعد . . وفىٰ ، وافتخار قائلهم بالعفو عند الوعيد حيث قال :

وإنـــي إذا أوعـــدتـــه أو وعـــدتـــه لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

فعدَّه من الكرم ، لا من الخلق المذموم) .

الدرجةُ السابعةُ : مباشرةُ الضربِ باليدِ والرِّجْلِ ، وغيرِ ذلكَ ممَّا ليسَ فيهِ شهرُ سلاحٍ :

وذلكَ جائزٌ للآحادِ ، بشرطِ الضرورةِ والاقتصارِ علىٰ قدْرِ الحاجةِ في الدفعِ ، فإذا اندفعَ المنكرُ . . فينبغي أنْ يكفَّ .

والقاضي قدْ يرهقُ مَنْ ثبتَ عليهِ الحقُّ إلى الأداءِ بالحبسِ ، فإنْ أصرَّ المحبوسُ ، وعلمَ القاضي قدرتَهُ علىٰ أداءِ الحقِّ ، وكونَهُ معانداً . . فلهُ أنْ يلزمَهُ الأداءَ بالضربِ على التدريجِ كما يُحتاجُ إليهِ ، وكذلكَ المحتسبُ يراعي التدريجَ ، فإنِ احتاجَ إلىٰ شهْرِ سلاحٍ وكانَ يقدرُ علىٰ دفعِ المنكرِ بشهْرِ السلاحِ وبالجرحِ . . فلهُ أنْ يتعاطىٰ ذلكَ ما لمْ تثُرْ فتنةٌ ، كما لوْ قبضَ فاسقٌ مثلاً على امرأةٍ ، أوْ كانَ يضربُ بمزمارٍ معَهُ وبينَهُ وبينَ المحتسبِ نهرٌ حائلٌ أوْ جدارٌ مانعٌ ؛ فيأخذُ قوسَهُ ويقولُ لهُ : خلِّ عنها أوْ لأرمينَّكَ ، فإنْ لمْ يخلِّ عنها . . فلهُ أنْ يرميَ ، وينبغي ألا يقصدَ المقتلَ ، بلِ الساقَ والفخذَ وما أشبهَهُ ، ويراعيَ فيهِ التدريجَ ، وكذلكَ يسلُّ السيفَ ويقولُ : اتركْ هـٰذا المنكرَ أوْ لأضربنَّكَ ، فكلُّ ذلكَ دفعٌ للمنكرِ ، ودفعُهُ واجبٌ بكلِّ ممكنٍ ، ولا فرقَ في ذلكَ بينَ ما يتعلَّقُ بخاصِّ حقِّ اللهِ وما يتعلَّقُ بحقِّ الآدميينَ .

وقالَتِ المعتزلةُ : ما لا يتعلَّقُ بالآدميينَ . . فلا حسبةَ فيهِ إلا بالكلامِ أوْ بالضربِ ، ولكنْ للإمامِ لا للآحادِ .

* * *

الدرجةُ الثامنةُ : ألا يقدرَ عليهِ بنفسِهِ ويحتاجَ فيهِ إلىٰ أعوانٍ يشهرونَ السلاحَ :

وربَّما يستمدُّ الفاسقُ أيضاً بأعوانِهِ ، ويؤدِّي ذلكَ إلىٰ أنْ يتقابلَ الصفَّانِ ويتقاتلا ، فهـٰذا قدْ ظهرَ الاختلافُ في احتياجِهِ إلىٰ إذنِ الإمامِ .

فقالَ قائلونَ : لا يستقلُّ آحادُ الرعيَّةِ بذلكَ ؛ لأنَّهُ يؤدي إلىٰ تحريكِ الفتنِ وهيجانِ الفسادِ وخرابِ البلادِ .

وقالَ آخرونَ : لا يحتاجُ إلى الإذنِ ، وهوَ الأقيسُ ؛ لأنَّهُ إذا جازَ للآحادِ الأمرُ بالمعروفِ وأوائلُ درجاتِهِ تدعو إلىٰ ثوانيهِ ، وقدْ تنتهي ـ لا محالةَ ـ إلى التضاربِ ، والتضاربُ يدعو إلى التعاونِ . . فلا ينبغي أنْ يباليَ بلوازمِ الأمرِ بالمعروفِ ، ومنتهاهُ تجنيدُ الجنودِ في رضا اللهِ ودفعِ معاصيهِ ، ونحنُ نجوِّزُ للآحادِ مِنَ الغزاةِ أنْ يجتمعوا ويقاتلوا مَنْ أرادوا مِنْ فرقِ الكفَّارِ ؛ قمعاً لأهلِ الكفرِ ، فكذلكَ قمعُ أهلِ الفسادِ جائزٌ ؛ لأنَّ الكافرَ لا بأسَ بقتلِهِ ، والمسلمُ إنْ قُتِلَ فهوَ شهيدٌ ؛ فكذلكَ الفاسقُ المناضلُ عنْ فسقِهِ لا بأسَ بقتلِهِ ، والمحتسبُ المحقُّ إنْ قُتِلَ مظلوماً . . فهوَ شهيدٌ .

وعلى الجملةِ : فانتهاءُ الأمرِ إلىٰ هـٰذا مِنَ النوادرِ في الحِسبةِ ، فلا يُغيِّرُ بهِ قانونُ القياسِ ، بلْ يُقالُ : كلُّ مَنْ قدرَ علىٰ دفعِ منكرٍ . . فلهُ أنْ يدفعَ ذلكَ بيدِهِ ، وسلاحِهِ ونفسِهِ وبأعوانِهِ ، فالمسألةُ إذاً محتملةٌ كما ذكرنا .

فهـٰذهِ درجاتُ الاحتسابِ ، فلنذكرْ آدابَها ، واللهُ الموفِّقُ .

* * *

بيان آداب المحتسب

قدْ ذكرْنا تفاصيلَ الآدابِ في آحادِ الدرجاتِ ، ونذكرُ الآنَ جملَها ومصادرَها ، فنقولُ : جميعُ آدابِ المحتسبِ مصدرُها ثلاثُ صفاتٍ في المحتسِبِ : العلمُ ، والورعُ ، وحسنُ الخلقِ .

أمَّا العلمُ : فليعلمَ مواقعَ الحسبةِ وحدودَها ومجاريَها وموانعَها ؛ ليقتصرَ علىٰ حدِّ الشرعِ فيها .

وأمَّا **الورعُ** : فليزعجَهُ[1] عنْ مخالفةِ معلومِهِ ، فما كلُّ مَنْ علمَ عملَ بعلمِهِ ، بلْ ربَّما يعلمُ أنَّهُ مسرفٌ في الحسبةِ وزائدٌ على الحدِّ المأذونِ فيهِ شرعاً ، ولكنْ يحملُهُ عليهِ غرضٌ مِنَ الأغراضِ ، وليكونَ كلامُهُ ووعظُهُ مقبولاً ؛ فإنَّ الفاسقَ يُهزأُ بهِ إذا احتسبَ ، ويورثُ ذلكَ جراءةً عليهِ .

وأمَّا حسنُ الخلقِ : فليتمكَّنَ بهِ مِنَ اللطفِ والرفقِ ، **وهوَ أصلُ البابِ وأساسُهُ** ، والعلمُ والورعُ لا يكفيانِ فيهِ ؛ فإنَّ الغضبَ إذا هاجَ . . لا يكفي مجرَّدُ العلمِ والورعِ في قمعِهِ ما لمْ يكنْ في الطبعِ قبولٌ لهُ بحسنِ الخلقِ .

وعلى التحقيقِ : فلا يتمُّ الورعُ إلا معَ حسنِ الخلقِ ، والقدرةِ علىٰ ضبطِ الشهوةِ والغضبِ ، وبهِ يصبرُ المحتسبُ علىٰ ما أصابَهُ في دينِ اللهِ تعالىٰ ،

---

(١) كذا في (ب) ، وفي (أ) : (ليزعه) ، وفي (هـ ، ط) : (ليردعه) ، وفي (ي) : (لينزعه) .

وإلا . . فإذا أُصيبَ عرضُهُ أوْ مالُهُ أوْ نفسُهُ بشتمٍ أوْ ضربٍ . . نسيَ الحِسبةَ ، وغفلَ عنْ دينِ اللهِ ، واشتغلَ بنفسِهِ ، بلْ ربَّما يقدمُ عليهِ ابتداءً لطلبِ الجاهِ والاسمِ .

فهٰذهِ الصفاتُ الثلاثُ بها تصيرُ الحِسبةُ مِنَ القرباتِ ، وبها تندفعُ المنكراتُ ، وإنْ فُقدَتْ . . لمْ يندفعِ المنكرُ ، بلْ ربَّما كانَتِ الحِسبةُ أيضاً منكرةً ؛ لمجاوزةِ حدِّ الشرعِ فيها .

ودلَّ علىٰ هٰذهِ الآدابِ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا يأمرُ بالمعروفِ ولا ينهىٰ عنِ المنكرِ إلا رفيقٌ فيما يأمرُ بهِ ، رفيقٌ فيما ينهىٰ عنهُ ، حليمٌ فيما يأمرُ بهِ ، حليمٌ فيما ينهىٰ عنهُ ، فقيهٌ فيما يأمرُ بهِ ، فقيهٌ فيما ينهىٰ عنهُ »⁽¹⁾ ، وهٰذا يدلُّ علىٰ أنَّهُ لا يُشترطُ أنْ يكونَ فقيهاً مطلقاً ، بلْ فيما يأمرُ بهِ وينهىٰ عنهُ ، وكذا الحلْمُ .

وقالَ الحسنُ البصريُّ رحمهُ اللهُ تعالىٰ : (إذا كنتَ ممَّنْ يأمرُ بالمعروفِ . . فكنْ مِنْ آخذِ الناسِ بهِ ، وإلا . . هلكتَ)⁽²⁾ .

---

(١) روىٰ نحوه مرفوعاً من حديث أنس رضي الله عنه الديلميُّ في « مسند الفردوس » (٧٧٤١) ولفظه : « لا ينبغي للرجل أن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر حتىٰ يكون فيه خصال ثلاثة : رفيق بما يأمر رفيق بما ينهىٰ ، عالم فيما يأمر عالم فيما ينهىٰ ، عدل فيما يأمر عدل فيما ينهىٰ » .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » (٩١) .

ولأبي العتاهيةِ[١] : [من الطويل]

أَيا مَنْ يُداوِي ٱلنَّاسَ وَهْوَ سَقِيمُ تَدُلُّ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ وَأَنْتَ مُقَصِّرٌ
وَإِنَّ ٱمْرَأً لَمْ يَجْعَلِ ٱلبِرَّ كَنْزَهُ وَلَوْ كانَتِ ٱلدُّنْيا لَهُ لَعَدِيمُ

وقدْ قيلَ[٢] : [من السريع]

لا تَلُمِ ٱلْمَرْءَ عَلَىٰ فِعْلِهِ وَأَنْتَ مَنْسُوبٌ إِلَىٰ مِثْلِهِ
مَنْ ذَمَّ شَيْئاً وَأَتَىٰ مِثْلَهُ فَإِنَّما يَزْرِي عَلَىٰ عَقْلِهِ

ولسنا نعني بهٰذا أنَّ الأمرَ بالمعروفِ يصيرُ ممنوعاً بالفسقِ، ولكنْ يسقطُ أثرُهُ عنِ القلوبِ بظهورِ فسقِهِ للناسِ ، فقدْ رُوِيَ عنْ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : قلنا : يا رسولَ اللهِ ؛ ألا نأمرُ بالمعروفِ حتَّىٰ نعملَ بهِ كلِّهِ ، ولا ننهىٰ عنِ المنكرِ حتَّىٰ نجتنبَهُ كلَّهُ ؟ فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « بلْ مروا بالمعروفِ وإنْ لمْ تعملوا بهِ كلِّهِ، وانهَوا عنِ المنكرِ وإنْ لمْ تجتنبوهُ كلَّهُ »[٣] .

وأوصىٰ بعضُ السلفِ بنيهِ فقالَ : (إنْ أرادَ أحدُكُمْ أنْ يأمرَ بالمعروفِ . . فليوطِّنْ نفسَهُ على الصبرِ ، وليثقْ بالثوابِ مِنَ اللهِ ، فمَنْ وثقَ بالثوابِ مِنَ اللهِ . . لمْ يجدْ مسَّ الأذىٰ)[٤] .

* * *

---

[١] ديوانه (ص ٣٤٨) .
[٢] البيتان لمحمد بن عيسى التميمي . انظر « معجم الشعراء » (ص ٤٠٨) .
[٣] رواه الطبراني في « الأوسط » (٦٦٢٤) ، و« الصغير » (٢ / ٧٨) .
[٤] رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٦١٠٣) ، والموصي هو عمير بن حبيب .

فإذاً ؛ مِنْ آدابِ الحِسبةِ توطينُ النفسِ على الصبرِ ، ولذلكَ قرنَ اللهُ الصبرَ بالأمرِ بالمعروفِ ، فقالَ حاكياً عنْ لقمانَ : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ .

ومِنَ الآدابِ تقليلُ العلائقِ ؛ حتَّىٰ لا يكثرَ خوفُهُ ، وقطعُ الطمعِ عنِ الخلائقِ ؛ حتَّىٰ تزولَ عنهُ المداهنةُ ، فقدْ رُوِيَ عنْ بعضِ المشايخِ أنَّهُ كانَ لهُ سِنَّورٌ ، وكانَ يأخذُ مِنْ قصَّابٍ في جوارِهِ كلَّ يومٍ شيئاً مِنَ الغددِ لسِنَّورِهِ ، فرأىٰ على القصَّابِ منكراً ، فدخلَ الدارَ أوَّلاً وأخرجَ السنَّورَ ، ثمَّ جاءَ واحتسبَ على القصَّابِ ، فقالَ لهُ القصَّابُ : لا أعطيكَ بعدَ هـٰذا شيئاً لسِنَّورِكَ ، فقالَ : ما احتسبتُ عليكَ إلا بعدَ إخراجِ السِّنَّورِ وقطعِ الطمعِ منكَ .

وهوَ كما قالَ ، فمَنْ لمْ يقطعِ الطمعَ مِنَ الخلقِ . . لمْ يقدرْ على الحِسبةِ ، ومَنْ طمعَ في أنْ تكونَ قلوبُ الناسِ عليهِ طيِّبةً ، وألسنتُهُمْ بالثناءِ عليهِ مطلقةً . . لمْ تتيسَّرْ لهُ الحِسبةُ .

قالَ كعبُ الأحبارِ لأبي مسلمٍ الخولانيِّ : كيفَ منزلتُكَ بينَ قومِكَ ؟ قالَ : حسنةٌ ، قالَ : إنَّ التوراةَ تقولُ : إنَّ الرجلَ إذا أمرَ بالمعروفِ ونهىٰ عنِ المنكرِ . . ساءَتْ منزلتُهُ عندَ قومِهِ ! فقالَ : أبو مسلمٍ : صدقتِ التوراةُ وكذبَ أبو مسلمٍ⁽¹⁾ .

---

(١) رواه الخولاني في « تاريخ داريا » (ص ٦٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠٣/٢٧) .

ويدلُّ علىٰ وجوبِ الرفقِ ما استدلَّ بهِ المأمونُ إذْ وعظَهُ واعظٌ وعنَّفَ لهُ في القولِ ، فقالَ : يا رجلُ ؛ ارفقْ ؛ فقدْ بعثَ اللهُ مَنْ هوَ خيرٌ منكَ إلىٰ مَنْ هو شرٌّ منّي وأمرَهُ بالرفقِ ، فقالَ تعالىٰ : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾(١) .

فليكنِ اقتداءُ المحتسبِ في الرفقِ بالأنبياءِ صلواتُ اللهِ عليهِمْ ، فقدْ روىٰ أبو أمامةَ أنَّ غلاماً شابّاً أتى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : يا نبيَّ اللهِ ؛ أتأذنُ لي في الزنا ؟ فصاحَ الناسُ بهِ ، فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أقرُّوهُ ، ادنُ » ، فدنا حتَّىٰ جلسَ بينَ يديهِ ، فقالَ النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « أتحبُّهُ لأمِّكَ ؟ » فقالَ : لا ، جعلَني اللهُ فداكَ ، قالَ : « كذلكَ الناسُ لا يحبُّونَهُ لأمَّهاتِهِمْ ، أتحبُّهُ لابنتِكَ ؟ » قالَ : لا ، جعلَني اللهُ فداكَ ، قالَ : « كذلكَ الناسُ لا يحبُّونَهُ لبناتِهِمْ ، أتحبُّهُ لأختِكَ ؟ » وزادَ ابنُ عوفٍ أنَّهُ ذكرَ العمَّةَ والخالةَ ، وهوَ يقولُ في كلٍّ واحدٍ : لا ، جعلَني اللهُ فداكَ ، وهوَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « وكذلكَ الناسُ لا يحبُّونَهُ » ، وقالا جميعاً في حديثِهِما ـ أعني : ابنَ عوفٍ والراويَ الآخرَ ـ : فوضعَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يدَهُ علىٰ صدرِهِ وقالَ : « اللهمَّ ؛ طهِّرْ قلبَهُ ، واغفرْ ذنبَهُ ، وحصِّنْ فرجَهُ » ، فلمْ يكنْ شيءٌ أبغضَ إليهِ منهُ ؛ يعني مِنَ الزنا(٢) .

---

(١) روىٰ نحوها ابن الجوزي في « المنتظم » (٢٤٧٦/٥) ، وأوردها عن المأمون ابن عبد ربه في « العقد الفريد » (١/ ٥٧) وكان الواعظ له هو الحارث بن مسكين .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٢٥٦) ، والطبراني في « الكبير » (٨/ ١٦٢) .

وقيلَ للفضيلِ بنِ عياضٍ : إنَّ سفيانَ بنَ عيينةَ قَبلَ جوائزَ السلطانِ ، فقالَ الفضيلُ : ما أخذَ منهُمْ إلا دونَ حَقِّهِ ، ثمَّ خلا بهِ وعذلَهُ ووبَّخَهُ ، فقالَ سفيانُ : (يا أبا عليٍّ ؛ إنْ لمْ نكنْ مِنَ الصالحينَ . . فإنَّا لنحبُّ الصالحينَ)⁽¹⁾ .

وقالَ حمَّادُ بنُ سلمةَ : إنَّ صلةَ بنَ أشيمَ مرَّ عليهِ رجلٌ قدْ أسبلَ إزارَهُ ، فهمَّ أصحابُهُ أنْ يأخذوهُ بشدَّةٍ ، فقالَ : دعوني ، أنا أكفيكُمْ ، فقالَ : يا بنَ أخي ؛ إنَّ لي إليكَ حاجةً ، قالَ : وما حاجتُكَ يا عمُّ ؟ قالَ : أحبُّ أنْ ترفعَ مِنْ إزارِكَ ، فقالَ : نعمْ وكرامةً ، فرفعَ إزارَهُ ، فقالَ لأصحابِهِ : لوْ أخذتموهُ بشدَّةٍ . . لقالَ : لا ولا كرامةَ ، وشتمَكُمْ⁽²⁾ .

وقالَ محمدُ بنُ زكريَّا الغِلابيُّ : شهدتُ عبيدَ اللهِ بنَ محمدِ بنِ عائشةَ ليلةً وقدْ خرجَ مِنَ المسجدِ بعدَ المغربِ يريدُ منزلَهُ ، وإذا في طريقِهِ غلامٌ مِنْ قريشٍ سكرانُ ، وقدْ قبضَ على امرأةٍ فجذبَها ، فاستغاثَتْ ، فاجتمعَ الناسُ عليهِ يضربونَهُ ، فنظرَ إليهِ ابنُ عائشةَ فعرفَهُ ، فقالَ للناسِ : تنحَّوا عنِ ابنِ أخي ، ثمَّ قالَ : إليَّ يا بنَ أخي ، فاستحيا الغلامُ ، فجاءَ إليهِ فضمَّهُ إلىٰ نفسِهِ ، ثمَّ قالَ لهُ : امضِ معي ، فمضىٰ معه حتَّىٰ صارَ إلىٰ منزلِهِ وأدخلَهُ

---

(1) رواه ابن الطيوري في « الطيوريات » (٢٤١) .

(2) رواه ابن أبي الدنيا في « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » (٤٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/٢٣٨) .

الدارَ ، وقالَ لبعضِ غلمانِهِ : بيِّتْهُ عندَكَ ، فإذا أفاقَ مِنْ سكرِهِ فأعلمْهُ بما كانَ منهُ ، ولا تدعْهُ ينصرفُ حتَّىٰ تأتيَني بهِ ، فلمَّا أفاقَ . . ذكرَ لهُ ما جرىٰ ، فاستحيا منهُ وبكىٰ ، وهمَّ بالانصرافِ ، فقالَ الغلامُ : قدْ أمرَ أنْ تأتيَهُ ، فأدخلَهُ عليهِ ، فقالَ لهُ : أما استحييتَ لنفسِكَ ، أما استحييتَ لشرفِكَ ، أما ترىٰ مَنْ وَلَدَكَ ؟! فاتقِ اللهَ وانزعْ عمَّا أنتَ عليهِ ، فبكى الغلامُ منكِّساً رأسَهُ ، ثمَّ رفعَ رأسَهُ وقالَ : عاهدتُ اللهَ تعالىٰ عهداً يسألُني عنهُ يومَ القيامةِ : أنيِّ لا أعودُ لشربِ النبيذِ ، ولا لشيءٍ ممَّا كنتُ فيهِ ، وأنا تائبٌ ، فقالَ : ادنُ منِّي ، فقبَّلَ رأسَهُ وقالَ : أحسنتَ يا بنيَّ ، فكانَ الغلامُ بعدَ ذلكَ يلزمُهُ ويكتبُ الحديثَ ، وكانَ ذلكَ ببركةِ رفقِهِ ، ثمَّ قالَ : إنَّ الناسَ يأمرونَ بالمعروفِ ويكونُ معروفُهُمْ منكراً ، فعليكُمْ بالرفقِ في جميعِ أمورِكُمْ . . تنالوا بهِ ما تطلبونَ .

وعنِ الفتحِ بنِ شَخرفٍ قالَ : تعلَّقَ رجلٌ بامرأةٍ وتعرَّضَ لها ، وبيدِهِ سكينٌ لاَ يدنو منهُ أحدٌ إلا عقرَهُ ، وكانَ الرجلُ شديدَ البدنِ ، فبينا الناسُ كذلكَ والمرأةُ تصيحُ مِنْ يدِهِ . . إذْ مرَّ بشرُ بنُ الحارثِ ، فدنا منهُ ، وحكَّ كتفَهُ بكتفِ الرجلِ ، فوقعَ الرجلُ على الأرضِ ، ومشىٰ بشرٌ ، فدنوا مِنَ الرجلِ وهوَ يترشَّحُ عرقاً كثيراً ، ومضتِ المرأةُ بحالِها ، فسألوهُ : ما حالُكَ ؟ فقالَ : ما أدري ، ولكنْ حاكَّنِي شيخٌ وقالَ لي : إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ ناظرٌ إليكَ وإلىٰ ما تعملُ ، فضعفَتْ لقولِهِ قدمايَ ، وهبتُهُ هيبةً شديدةً ، ولا أدري مَنْ ذلكَ الرجلُ ، فقالوا لهُ : ذاكَ بشرُ بنُ الحارثِ ، فقالَ :

واسوءتاهُ ، كيفَ ينظرُ إليَّ بعدَ اليومِ ، وحُمَّ الرجلُ مِنْ يومِهِ ، وماتَ يومَ السابعِ⁽¹⁾ .

وهكذا كانَتْ عادةُ أهلِ الدينِ في الحِسبةِ ، وقدْ نقلنا فيها آثاراً وأخباراً في بابِ البغضِ في اللهِ والحبِّ في اللهِ مِنْ كتابِ آدابِ الصحبةِ ، فلا نطوِّلُ بالإعادةِ .

فهٰذا تمامُ النظرِ في درجاتِ الاحتسابِ وآدابِهِ ، واللهُ الموفِّقُ بكرمِهِ ، والحمدُ للهِ على جميعِ نعمِهِ .

* * *

---

(١) رواه ابن قدامة في « التوابين » (ص٢١٣) .

İkinci Bab

EMR-İ MÂRUF VE NEHY-İ MÜNKERİN ŞARTLARI

Bilmiş ol ki; Emr-i mâruf ve nehy-i münkere şâmil olan "hisbe"de yâni hüsn-ü tedbirde dört rükün vardır: Muhtesib, muhtesebün aleyh, muhtesebün fîh ve ihtisâb. İşte bunlar dört rükündür ve her rüknün ayrı ayrı şartları vardır.

Birinci Rükün

Muhtesibin yâni tedbir sâhibinin (ikâz edenin) birçok şartları vardır. Bunlar: Mükellef olmak, Müslüman olmak ve muktedir bulunmaktır. Mecnun, çocuk, kâfir ve âcizler hâriçtir. Mezûn olmasalar da devlet erkânı, fâsık, köle ve kadınlar da bu hükme girerler.

Bu hükme girenlerin nasıl girdiklerini ve çıkanların niçin çıktıklarını anlatalım:

Birinci şart: Tekliftir. Bunun muhtesibin şartlarından olması gizli değildir. Zîra mükellef olmayan bir kimseye emretmek borç değildir. Biz, vücûbun şartlarını anlatıyoruz, bunda şart yok ki vücûb olsun. Bir işin mümkün ve câiz olabilmesi için ise akıl şarttır. Hattâ erginlik çağına yaklaşan bir çocuk, iyiyi-kötüyü ayırt edebilecek seviyede olduğu için, münkeri inkâr etmek, içkiyi dökmek ve çalgı âletini kırmaya hakkı vardır. Bunu yaparsa mükâfatını alır ve mükellef değil diye ona kimse mâni olamaz. Çünkü bu hareket, namaz ve diğerleri gibi bir ibâdettir. Bir çocuk da buna selâhiyettardır. Bu bir idârecilik değildir ki, bunda mükellef olmak aransın. İdârecilik olmadığı için, bu vazîfeyi memûrlarâ verdiğimiz gibi, kölelere de verdik.

Evet, bilfiil men edip kötü işi bozmakta bir nevi velayet ve saltanat aranır. Fakat bu da îman kuvvetinde vardır. Müşriki öldürmek, şirkin sebeplerini iptal etmek ve silâhını almak gibi zarar göremeyeceği yerlerde bir çocuk da bunları yapabilir. Kötülükten men etmek, küfürden men etmek gibidir.

İkinci Şart; Îmandır. Bunun şart olmasının sebebi meydandadır. Zîra emr-i mâruf, dîne bir hizmettir. Dîni inkâr edip, dîne düşman olan bir kimse dîne nasıl hizmet edebilir?

Üçüncü şart: Adâlettir. Bâzıları, emr-i mârufa bu şartı da esâs aldı ve fâsıkın ihtisâbını uygun görmedi ve emrettiğini yapmayanın inkâr ve red edilmesiyle buna delîl çektiler. Nitekim âyet-i kerîmelerde:

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ

"İnsanlara iyiliği emredip de kendinizi unutur musunuz?" (Bakara suresi, 2/44)

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللّٰهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ

"Yapmayacağınızı söylemeniz, Allah katında büyük hışmı mûcib oldu." (Saf suresi, 61/3) buyurulmuştur. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den rivâyet edilen şu hadîslerle de delîl çektiler:

مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِقَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَقَالُوا: كُنَّا نَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَلَا نَأْتِيهِ وَنَنْهٰى عَنِ الشَّرِّ وَنَأْتِيهِ

"İsrâ gecesinde, ateşten makaslarla dudakları kesilen bir kavme uğradım. "Siz kimsiniz?" diye sordum. Onlar da: "Biz iyilikle emredip yapmayan, kötülükten nehyedip o kötülüğü yapan kimseleriz." dediler."[21]

İsâ aleyhisselâma yapılan şu vahiyle de delîl çektiler:

"Önce kendine vaaz et. Kendin mütenebbih olursan ondan sonra başkalarına vaaz eyle; aksi halde benden utan."

Buna kıyas yolu ile de delîl çekerek derler ki: İhtida asıl, hidâyet ise fer'îdir. Başkasını doğrultmak fer'î, kendisinin doğrulması asıldır. Başkasını ıslâh, salâh nisâbının zekâtıdır. Kendisi sâlih olmayan başkasını nasıl ıslâh edebilir? Ağaç doğrulmadan gölge nasıl doğrulabilir?

Derler ki; bütün aklî delîller hayâl mahsûlüdür. Gerçek olan şudur ki: Fâsık da olsa ihtisâb etmelidir. Buna delîl olarak deriz ki: İhtisâbda muhtesibin her yönden mâsum olması şart mıdır? Eğer, şarttır, derseniz, bu hüküm icmâın hilâfına olduğu gibi, aynı zamanda ihtisâb kapısını da kapamaktır. Çünkü sahabe bile mâsum değildir. Nerede kaldı diğerleri? Hattâ peygamberlerin bile hatâlardan ismetinde ihtilâf vardır. Nitekim Kur'ân-ı Azîm, Hz. Âdem'in isyâna nisbet edildiğine delâlet etmekte, birçok peygamberin hatâya düştüklerini göstermektedir.[22]

Bunun için **Saîd b. Cubeyr** (r.a.): "Şâyet va'z u nasîhati, hiç bir yönden kusuru olmayan yapacaksa, kimsenin bir şey dememesi lâzım gelir." demiştir. Saîd b. Cubeyr'in bu sözü de Mâlik'in çok hoşuna gitti. Şâyet "Küçük günâhlardan kaçınmak şart değil, binâenaleyh ipek giyen bir kimse, zînâ ve içkiden men edebilir." derlerse, biz de deriz ki: İçki, büyük günâhlardandır. İçki içen kâfirlerle savaşa gidebilir ve onları küfürlerinden men edebilir mi? Şâyet, "Hayır, edemez." derlerse, icmâı bozmuş olurlar. Çünkü Müslüman orduları arasında iyileri bulunduğu gibi, kötüleri ve içki içenleri, öksüzlere zulmedenleri de vardı.

---

[21] İbn Hibban Câbir'den rivâyet etmiştir.
[22] İlim bahsinde geçmiştir.

Ne Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) devrinde, ne de daha sonraki devirlerde bu gibileri hiç bir sûretle savaş dışı bırakılmamışlardır. Şâyet "Edebilir." derlerse, yine biz içki içen bir kimse başkasını adam öldürmekten men edebilir mi? diye sorarız. Şâyet "Yapamaz." derlerse, biz de "İçki içmekle ipek elbise giymenin farkı nedir?" deriz. Adam öldürmek içkiden büyüktür. Nitekim içki de ipek elbiseye nisbetle daha büyüktür, arada fark yoktur. Şâyet, "Evet yapar." derler ve açıklayarak "Bir şey üzerine mukaddem olan emsâline veyâ mâdûnuna mâni olmaz, belki mâfevkine mâni olur." derlerse, bu da tahakkümdür ve delîlsiz dâvadır.

Çünkü içki içen kimsenin zinâ ve katilden men etmesi uzak olmadığı gibi, zinâ eden de içki içeni ve hattâ içki içen kimse, içen emsâlini de men edebilir, buna bir mâni yoktur. Adam derse ki, "Benim iki vazîfem var, birisi kötülüğü yapmamak, diğeri de kötülükten men etmektir. Birini yapamıyorsam diğerinden beni kim men edebilir? Bir yönden isyân ediyorum, öte yönden de mi isyân yapayım?" derse, buna ne deriz ki; Kötülükten men etmek, bana borç olduğuna göre, bu borç benden nasıl sakıt olur? Zîra "Şarap içmediği müddetçe şarap içmekten men etmek vâciptir; içerse bu borç sakıttır." denemez.

Şâyet buna îtiraz olarak adamın biri kalkıp da, "O halde abdest ve namaz bana farz değil mi? Ben namaz kılmazsam da abdest alırım. Gece kalkmak da müstehap, nâfile oruç tutmak da müstehap değil mi? Oruç tutamazsam da sahura kalkarım."

demesi lâzım gelir. Hâlbuki bunu diyemez. Çünkü bu adama denir ki: “Bunlar birbirine bağlıdır. O halde başkasını ıslâh da bu kabîldendir. İnsan önce kendini sonra da başkasını ıslâh etmelidir.” denirse deriz ki: “Sahurun müstehap olması oruca bağlıdır. Oruç olmazsa gece yemeğinde bir müstehaplık yoktur. Başkası için irâde edilen, ondan ayrılmaz. Yâni oruç sebebiyle müstehap olan gece yemeği, oruçtan ayrılmaz. Ayrılırsa müstehaplık kalmaz. Fakat başkasını ıslâh, kendini ıslâh için değildir. Nitekim kendini ıslâh etmesi, başkasını ıslâh için olmadığı gibi, bunları da oruç ve sahur gibi birbirine bağlamaya çalışmak tahakkümdür.”

Abdest ile namaz lâzımdır. Abdest alıp namaz kılmayan kimse, hem abdesti, hem de namazı terk edene nispetle daha az cezâ görür. Çünkü hiç olmazsa biri abdest vazîfesini îfâ etmiştir. O halde bir kötülüğü hem yayan, hem de başkasını men etmeyen kimsenin günâhı, o kötülüğü irtikâb ettiği halde başkasını men edenden çok olmalıdır. Nasıl olmasın ki, abdest bizâtihî maksûd bir ibâdet değil, namaz için şarttır. Namazsız abdestin bir hükmü yoktur. Hâlbuki başkasını kötülükten men etmek, böyle değildir. Aralarında hiç bir benzerlik yoktur. Zîra başkasına emredip, onu nehyetmek, kendisinin âmir olup nehy edilmesi için şart değildir.

Şâyet, buna göre yüzü kapalı bir kadının zorla ırzına geçen bir erkeğe karşı yüzünü açan bir kadına bu esnada o erkek: “Sen cebren zina ediliyorsun, bundan mesûl değilsin. Fakat yüzünü açmakta serbestsin, ben ise senin mahremin değilim, bana yüzünü açma.” diye nehy-i münkerde bulunması, akl-ı selîm ve tab’ı müstakîmin nefret ve inkâr edeceği bir hal olmaz mı, dersen deriz ki: Bâzen tabiatlere, hak çirkin ve bâtıl güzel görünebilir. Aranan, delîldir, vehim ve hayâllerin nefreti değildir. Zîra biz deriz ki:

O halde o erkeğin o kadına, yüzünü ört, diye emretmesi ya vâcip ya mübâh veya haramdır. Şâyet, vâciptir, derseniz, mesele kalmaz. Demek ki, mahrem yeri açmak mâsiyet, bu isyândan men etmek ise haktır. Şâyet, mübâhtır, derseniz, mübâh olan her sözü konuşabilir. Şâyet bu esnâda kadına, yüzünü ört, demesi haramdır, derseniz; Vâcip olan bu emir, zinâya mübaşeret ile nasıl haram olur? Başka bir haramı irtikâb sebebiyle bir vâcibin haram olmasını kabul etmek, doğrusu şaşılacak bir şeydir.

Bu halde kadına, yüzünü ört, gibi bir emirden tabiatlerin nefret edip, bunu inkâr etmelerine gelince: Bunun da iki sebebi vardır:

Birincisi; ehemmi terk edip mühim ile meşgul olmaktır. İnsanın mühim olanı terk edip, mâlâyâni yâni boş şeylerle meşgul olmasından akl-ı selîm nefret ettiği gibi, bundan da nefret eder. Devamlı ribâ yiyen kimsenin, mâl-ı mağsûbeden yememesi, yalan şâhitliği yaptığı halde gıybetten çekinmesine tabiatlerin nefret etmesi gibidir. Zîra yalan şâhitliği, gıybetten çok daha ağırdır. Tabiatlerdeki bu çirkin görüş, gıybeti terk etmek vâcip değildir, mânâsına gelmez ve aynı zamanda gıybet edip gasb edilen haram lokmayı yemesi ile günâhı artmaz mânâsına da gelmez. Bunun gibi, âhirette kendi günâhından göreceği zarar, başkasının irtikâp ettiği günâhı men etmediğinden göreceği zarardan daha büyüktür. Büyüğü ile meşgul olduğu halde küçüğü terk etmeyi tabiatlerin çirkin görmesi, o küçüğe riâyet etmesi bakımından değil, mühimi terk etmesi bakımındandır. Bu, dizgini ile birlikte atı çalınmış olan bir adamın, atını bırakıp da dizginini aramasına benzer. Tabîatler bundan da nefret eder ve bunu çirkin görür. Hâlbuki bu adamın dizgini araması aslında münker değil, çirkin görülen, kocaman atın yanında atı bırakıp da dizginin peşinde dolaşmasıdır. İşte fâsıkın emr-i mâruf etmesini aklın çirkin görmesi bu kabîldendir. Aslında bu adamın emr-i mâruf ve nehy-i münker etmesi bir suç değil, vazîfedir. Fakat bundan daha mühimi, kendini ıslâh etmesi idi. Bunu yapmadı diye başkasını kötülükten men edemez, denemez. O da bir vazîfedir.

İkincisi; tabiatlerin bunu inkâr etmelerinin ikinci sebebi de şu olabilir: Hisbe, emr-i mâruf, nehy-i münker, bâzen va'z u nasîhat ve bâzen de kahr u galebe yolu -ile yapılır. Hâlbuki söylediği ile amel etmeyenin sözü başkalarına tesîr etmez.

Cevâbında deriz ki: İnsanlar fâsık olduğunu bildikleri için, va'z u nasîhat yolu ile yapılan emr-i mâruf ve nehy-i münkerin tesîr edemeyeceğini bilen kimseye bu yoldan yürümek yoktur. Çünkü bu yol, tesîrsizdir. Onun fıskı, sözünün tesîrini kaybettirmiştir. Sözünün tesîri olmadığı yerde konuşmasının vücûbu da sâkıttır. Fısk, emr-i mârufun tesîrini kaybettiği için, vücûbunu da kaldırmış olur. Fakat hisbe yâni hüsn-ü tedbir, men etmek ve mâni olmak sûretiyle olacaksa, yâni kötülüğü yayana kahr u galebe çalacaksa ki, bu da fiil ve hüccet ile tamam olur. Bunu yayacak olan fâsık ise şâyet fiilen galebe çalarsa sohbet ile mağlûb sayılır.

Zîra ona şöyle bir suâl tevcih edilir. Mâdem ki, bu kötü bir iştir ve beni bundan men etmek istiyorsun sen bu işi neden yapıyorsun? Sohbet ile mağlûb olduğu halde fiilen gâlip olan insanlardan tabîatler nefret ederler. Hâlbuki bu nefret, fiili hakikatten çıkarmaz. Bu, insanları zâlimin şerrinden kurtardığı halde zulme uğrayan babasını ihmâl etmesi gibidir. Tabiatler bundan nefret eder. Fakat tabiatlerin nefret etmesi diğer Müslümanlara yapılan zulmü önlemenin doğru bir hareket olduğuna engel olmaz. Bu beyanâtımızla, fıskı bilinmiş olan bir kimsenin va'z u nasîhat yolu ile irşâd etmesi bu hükümden dışarıda kaldı. Zîra onun vaazının tesîri olmaz. Hattâ şerefinin rencîde edileceği ve aleyhinde dedikodu yapılacağı yerde de yine va'z u nasîhat yolu ile irşâd etmesi sakıttır. Şu halde ihtisâbın birinci nevi olan vaaz yolu, fâsıktan sâkıttır. Vaaz yolu ile irşâdda adâlet şarttır.

Cebir yolu ile kötülüğü önlemeye gelince; burada da adâlet şart değildir. Fâsıkın gücü yettiği zaman, içkiyi dökmek, çalgı âletlerini kırmak ve benzeri kötülükleri önlemesinde beis yoktur. İşte bu meselenin açıklanmasında en insâflı yol budur.

Bu hususta delîl olarak öne sürdükleri âyetlere gelince; bu âyetler, mârufu emrettikleri için değil, mârufu terk ettikleri için aleyhlerine bir delîldir. Şu kadar ki, onların mârufu emretmeleri bilgi sâhibi olduklarına delîldir. Âlime yapılacak azâb ise daha ağırdır. Zîra kuvvetli bilgisi yanında artık bir mâzeret öne süremez. Allahü Teâlâ'nın:

لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ

"Yapmadığınızı niçin söylüyorsunuz?" (Saf suresi, 61/2) kavlinden muradı, yalan söz vermektir.

وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ

"Kendinizi unutursunuz." (Bakara suresi, 2/44) kelâmı ise başkalarına emrettikleri için değil, kendilerini unuttukları için onları red ve inkârdır. Fakat başkasına emri zikretmek, ilimlerine delîl çekmek ve aleyhlerindeki hücceti kuvvetlendirmek içindir. Allahü Teâlâ'nın İsa aleyhisselâma:

"Önce kendine (nefsine) sonra başkalarına vaaz et." rivâyetine gelince; bu, vaaz yolu ile yapılan irşâdlarda aranır ki, fıskı bilinen

fâsıkın vaazının faydasız olduğunu ve vaaz yolu ile irşâdın kendisinden sakıt olduğunu yukarıda anlattık. Aynı zamanda “Vaazın kendine tesîr etmiyorsa başkasına vaaz etmekte benden utan.” sözü de başkasına vaazın haram olmasına delâlet etmez. Belki “Benden utan.” lâfzı, “Ehem olanı bırakıp mühim ile meşgul olma!” demektir. “Önce babana sonra komşuna bak, yoksa utan.” dendiği gibidir.

Şâyet, zimmî bir gayr-ı müslimin, bir Müslümanı zinâ halinde gördüğü zaman, “Zinâ etme.” diye onu bu kötülükten men etmesinin câiz olması gerekir. “Çünkü bu söz aslında doğru bir söz olduğu için, gayr-ı müslime haram olması muhaldir. Belki vâcip ve hiç olmazsa mübâh olması gerekir.” dersen deriz ki: “Kâfir, fiilen Müslüman’a engel olmak isterse, bu bir tasalluttur ve bu bakımdan memnûdur.” Çünkü Allahü Teâlâ:

وَلَنْ يَجْعَلَ اللّٰهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا

“Allah kâfirler için mü’minler üzerine yol kılmamıştır. Yâni kâfirler mü’minlere tasallut edemezler.” buyurmuştur. Fakat lisânen “Zinâ etme.” demesinde bir mahzur yoktur. Ancak burada kâfirin Müslüman’a bir tahakkümü vardır. Tahakküm ise bir zillettir. Her ne kadar fâsık zillete müstahak ise de, kendisinden daha ziyâde zillete müstahak olan kâfirden olmamalıdır. İşte kâfiri hisbeden men ettiğimizin tevcîhi budur. Yoksa bir kâfir, bir Müslüman’a “Zinâ etme.” deyip onu zinadan men etmesi ile azâb olunur, demek istemedik. Belki kâfirlerin furû ile mükellef olduklarını kabul edersek: “Zinâ yapma demediğinde ceza göreceğine hükmederiz” deriz. Kâfirin furû ile mükellef olup olmadığı ihtilâf mevzûudur. Fıkıh kitaplarında bu hususa dâir gerekli îzahât verilmiştir.

Dördüncü şart; hükümdâr ve vâliler tarafından bu hususa mezun olmasıdır. Birçokları bunu şart koştu ve gelişigüzel bu selâhiyeti herkese vermediler. Hâlbuki bu şart fâsittir. Çünkü okuduğumuz âyet ve hadîsler, kötülüğü görüp de sükût edenin âsî olduğunu açıkça ifâde etmektedir. Nerede ve ne halde olursa olsun, gördüğü kötülüğü men etmek herkese borçtur. Bunu husûsîleştirmek, aslı olmayan bir tahakkümdür.

Rafızîlerin bu husustaki görüşleri de cidden şaşılacak bir şeydir. Zîra onlar emr-i mâruf ve nehy-i münker için bir şart daha ziyâde ederek derler ki: İmâm-ı mâsum çıkmadıkça emr-i mâruf ve nehy-i münker câiz değildir. Onlara göre hak ve gerçek imam, gizli bulunan bu imâm-ı mâsumdur. Bunlar ile münâkaşa edilmeye bile değmez. Bir hak talebinde bulundukları zaman, onlara verilecek en doğru cevâp şöyle olmalıdır:

"Evet, siz bu mal ve can hususundaki dâvanızda haklısınız. Size yardım, emr-i mâruftur. Zâlimlerden hakkınızı almak nehy-i münkerdir. Fakat ne çare ki bu zaman, hak aramak ve zulümden nehy etmek zamanı değildir. Çünkü dediğiniz mâsum imam, henüz zuhûr etmemiştir."

Şâyet, "Emr-i mârufta saltanatı yerleştirmek ve hükümlüye karşı, tahakküm var, bunun hak olduğu halde kâfire bu selâhiyet verilmemiştir. O halde gelişigüzel herkese değil, bu vazîfe selâhiyetli mercîlerin selâhiyettar kılacağı kimselere verilmelidir." dersen deriz ki: Kâfirin memnû olması, aslında zelîl olduğu için Müslüman'a tahakküm hakkı olmadığındandır. Fakat Müslümanlar dîn ve bilgileri sâyesinde bu izzete ve tahakküme lâyıktırlar. Öğretip tarif etmekte müsâade almasına lüzum yoktur. Artık bir şeyin haram olduğunu anlatmak için vâlinin iznine ihtiyaç yoktur.

Bu hususu şöyle açıklayabiliriz: Hisbenin beş mertebesi vardır:

1 - Târif,

2 - Güzel sözlerle va'z u nasîhat,

3 - Sert konuşmak,

4 - Müdâhale,

5 - Şiddettir.

Bu sertlikten sövüp saymayı kasdetmiyorum. Dördüncüsü fiilen müdâhele edip kötülüğe mâni olmaktır. Çalgıyı kırmak, içkiyi dökmek, ipek elbiseyi yırtmak, gasbettiği elbiseyi sırtından çıkarıp almak ve sâhibine vermek gibi. Beşincisi de dayak ile korkutmak ve o işten men etmek için icâbında dayak atmaktır. Meselâ devamlı gıybet edip kadınlar aleyhinde dedi-kodu yapan kimseyi kötekle yola getirmeye çalışmak gibi. Bu hal tarafların imdât istemelerine ve etraflarına adamlarını toplamalarına ve netice îtibâriyle adam öldürmeye kadar gider. Bu beşinci mertebe dışında kalan diğer dört kısmın sultandan müsâade almaya ihtiyâcı olmadığı meydandadır. Beşinci kısımda da nazar vardır ki, yakında îzah edilecektir.

Târif ve vaazın ise sultanın müsâadesine ihtiyâcı yoktur. Bu gibi adamı techîl etmek, yâni câhil, ahmak, Allah'tan korkmaz ve benzeri sözleri söylemek de doğru sözdür. Belki zâlim sultana karşı hak sözü söylemek, derecelerin üstünüdür. Nitekim hadîste anlatılmıştır. İmama karşı söylenmesi câiz olan bu gibi hak sözü başkalarına da söylemek için imamdan izin almaya ne lüzum vardır? Çalgıları kırmak ve içkiyi dökmekte de hüküm aynıdır. Bunun doğru bir hareket olduğu meydandadır. İmamdan müsâade almaya lüzum yoktur. Ama yardımcılar toplayıp silahları teşhîre gelince; bu husus bâzen umûmî fitneyi gerektirdiği için, sultanın müsâadesine lüzum hâsıl olup olmadığı hakkında ihtilâf vardır, îzahâtı gelecektir. Sultanlardan müsâade almadan, eskilerin devamlı sultanlara öğütler vermeleri, onlardan müsâade almaya lüzum olmadığının katî bir delîlidir. Hattâ emredilen mârufu, vali ve sultanlar kabul ederlerse ne güzel; şâyet kendilerine yapılan emr-i mârufa sultanlar kızarsa, onların kızmaları münker bir harekettir; bunu reddetmek vâciptir. Sultanın inkâr edeceği hususlarda ondan nasıl izin istenebilir?

Selefin sultanları red ve inkâr etmeleri hususundaki âdetleri bunun açık delîlidir. Rivâyete göre **Mervan b. Hakem**[23] bir bayram namazında bayram hutbesini namazdan önce okumak için minbere çıktı. Cemâatten biri Mervan'a:

– "Bayram hutbesi namazdan sonra okunur." dedi. Mervan:

– "O hüküm değişti." dedi. Camide bulunan **Saîd Hudrî**, "Bu adam vazîfesini yaptı." dedi. Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَنْ رَأٰى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُنْكِرْهُ بِيَدِهٖ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهٖ
فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهٖ وَذٰلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ

"Sizden biriniz, bir kötülüğü gördüğü zaman, onu eli ile bozsun, gücü yetmezse dili ile bozsun, (buna da) *gücü yetmezse kalbi ile buğzetsin. Bu* (son kısım) *îmanın en zayıfıdır."*[24] buyurdu. Onlar

---

[23] Nübüvvetten önce peygamberlerden hatâ sâdır olabilir. Nübüvvetten sonra Allahü Teâlâ onları hatâlardan sıyânet eder. Büyük günâhlardan mâsum oldukları gibi âdi şeylerden de münezzehtirler. Bâzı içtihad hatâları olursa hemen vahiy ile ikaz edilirler. (Mütercim)

[24] Emevîlerin dördüncü halîfesidir. Hicri 64'de hilâfete geçti, dört ay sonra öldü ve yerine Abdullah b. Zübeyr geçti.

bu umûmî emirlerin şumûlüne sultanların da girdiğini anladılar, daha onlardan izin almaya ne lüzum vardır?

Rivâyete göre **Mehdî**[25] Mekke'ye gitti. Bir müddet kaldıktan sonra tavaf edeceği zaman halkı tavaf yerinden uzaklaştırmak istedi. Bu sırada Abdullah b. Merzûk öne atılarak yakasından onu yakaladı, kendine doğru çekti ve: "Yaptığını görüyor musun? Senin başkalarından ne farkın var ki, onları uzaklaştırmak istiyorsun? Allahü Teâlâ:

سَوَاءًۨ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ

"Yerli ve yabancı orada müsâvîdir" (Hac suresi, 22/25) buyurmuştur. Sana bu üstünlüğü veren kimdir?" deyince, Abdullah'ın yüzüne baktı. Âzâdlılarından olduğu için onu tanıdı. Çünkü onların âzâdlılarından idi. Kendisine:

– "Sen Abdullah b. Merzûk musun?" dedi. Abdullah:

– "Evet benim." dedi. Mehdî, Abdullah'ı Bağdâd'a götürdü. Aleyhinde dedi-kodu yapacağı için, ona ağır ceza vermeyi uygun bulmadı. Ancak onu hayvan dâmına hizmetçi yaptı ve azgın bir atın bakımını da ona yükledi. Maksadı onu ata ısırtmak idi. Fakat Abdullah atı ıslâh etti. Allah atı ona musahhar etti ve onun yanında ahlâkı düzeldi. Sonra Abdullah'ı zindana attılar ve Mehdî, zindanın anahtarını kendi yanına aldı. Üç gün sonra bahçeye çıktı ve oranın bâzı sebzelerinden yemeye başladı. Bunu Mehdî'ye haber verdiler. Mehdî adamı çağırttı ve;

– "Seni mahpûstan kim çıkarttı?" deyince, Abdullah:

– "Beni mahpusa koyan çıkarttı." dedi. Mehdî kızdı, bağırdı ve:

– "Seni öldüreceğimden korkmuyor musun?" dedi. Abdullah:

---

[25] Müslim rivâyet etmiştir.

– "Öldürtmek ve diriltmek senin elinde ise öldür." dedi. Ve Abdullah, Mehdî ölünceye kadar cezaevlerinde süründü, öldükten sonra serbest bırakıldı. Abdullah: "Mahpustan kurtulursam yüz deve kurban ederim." diye adamıştı. Mekke'ye döndü, orada yevmiyecilik yaparak nezrini yerine getirdi.

Yine **Hibban b. Abdullah**'tan rivâyet edildiğine göre; Hârûn Reşid Irak'ta sayfiye yeri olan Devin'e gezmeye gitmişti. Hâşimîlerden Süleymân b. Cafer de beraberinde idi. Hârûn Reşîd Süleyman'a:

- "Senin güzel tegannî eden bir câriyen varmış, getir dinleyelim." dedi. Câriye geldi. Fakat Hârûn tegannîsini beğenmedi ve:

– Niçin güzel çalamıyorsun?" deyince, câriye:

– "Bu ud benim değil de ondan." dedi. Bunun üzerine hizmetçiye câriyenin kendi udunu getirmesini emrettiler. Hizmetçi elinde ud gelirken yolda çekirdek toplayan bir şeyhe tesâdüf etti ve: "Yoldan çekil geçeyim." dedi. Şeyh başını kaldırdı, hizmetçinin elinde udu görünce, hemen yakalayıp parçaladı. Hizmetçi adamı yakalatıp ev sâhibine gitti ve ev sâhibine: "Mü'minlerin emîri bunu çağıracak sen bunu kaçırma." dedi. Ev sâhibi: "Bağdâd'ta bundan âbid kimse yoktur. Emîr bu adamı ne yapacak?" dedi. Hizmetçi: "Bu benim dediğim gibidir, sen bunu kaçırma." diye tenbîh etti ve Hârûn Reşîd'in huzuruna girerek vaziyeti anlattı. Hârûn Reşîd kızdı ve gözleri kızardı. Bunu gören Süleymân:

– "Kızmaya ne lüzum var? Ev sâhibine haber gönder, boynunu vursun ve kendisini Dicle'ye atsın." dedi. Hârûn Reşîd:

– "Hayır, onu çağırtıp onunla münâzara edeceğiz." dedi. Posta şeyhi çağırdı. Ve:

– “Emîrü’l-Mü’minîn sizi istiyor, haydi vâsıtaya bin de gidelim.” dedi. Şeyh:

– “Başüstüne, fakat ben yaya gelirim.” dedi ve yürüyerek halîfenin bulunduğu evin kapısına geldiler. Hârûn Reşîd’e haber verildi. Hârûn Reşîd, yanındakilere: “Bu zâtı bu odaya mı alalım, yoksa böyle kötü şeyler bulunmayan başka bir odaya mı gidelim?” diye sordu ve başka bir odada şeyhi kabul etti. Şeyh, içinde çekirdek bulunan torbası ile birlikte içeri girmek istedi. Hizmetçi:

– “Torbayı çıkar da öyle içeri gir.” dedi. Şeyh:

– “Burada benim akşam yiyeceğim var, bunu bırakmam.” dedi. Hizmetçi:

– “Biz sana yiyecek veririz.” dedi ise de, şeyh dinlemedi. Hârûn Reşîd de torba ile içeri girmesine müsâade etti. Şeyh içeri girdi, selâm verip oturdu. Hârûn, şeyhe:

– “Bu yaptığın ne idi?” diye sordu. Şeyh:

– “Ne yaptım?” dedi. Hârûn Reşîd “Benim çalgımı kırdın.” demekten utandı. Israr ettikten sonra şeyh:

– “Ey halîfe, senin ataların minberde:

إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبٰى وَيَنْهٰى
عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ

“Allah adalet, ihsân ve yakınlara vermekle emreder; fuhşiyat, münker ve kötü işlerle azgınlıktan men eder.” (Nahl suresi, 16/90) âyet-i celîlesini her Cuma günü hutbenin sonunda okurlardı. Ben de bu âyete uyarak gördüğüm münkeri düzelttim” dedi. Hârûn Reşid: “Vallahi düzeltti.” dedi ve başka bir söz söyleyemedi. Şeyh oradan ayrıldı. Halîfe birisine para dolu bir kese verdi ve şeyhin ardından gönderdi. Adama:

– "Bak bu zât, halîfe bana böyle söyledi, ben de böyle söyledim, gibi dedi-kodu yapıyor, halka bunu anlatıyorsa kendisine bir şey verme. Şâyet bir şey demiyorsa bu parayı kendisine ver, dedi. Adam tâkip etti ve baktı ki şeyh aynı yerde çekirdek toplamakla meşgul, kimse ile buluşup konuştuğu yoktur, bunu görünce şeyhe yaklaştı ve:

– "Halîfe bu parayı sana gönderdi al." dedi. Şeyh de:

– "Halîfeye selâm söyle. Benim paraya ihtiyâcım yok, parayı nereden almışsa oraya versin." dedi. Rivâyete göre bu muhâvereden sonra tekrar yoldan çekirdekleri temizlemeye koyuldu ve:

"Bakıyorum ki, kimin elinde fazla dünyalık varsa, o nisbette de sıkıntı ve telâşı vardır.

Dünya kendisine ikrâm edenlere durmadan ihânet eder, ihânet edenlere de ikrâm eder.

İhtiyâcın olmadığı şeyi terk et, ancak ihtiyâcın kadarını al." mealindeki şiiri okudu.

Süfyân-ı Sevrî anlatıyor: "Mehdî Hicrî 166'da haccetmişti.[26] Cemreleri atarken yollar etrafındaki halkı kamçılarla sağa sola dağıtıyorlardı. Bunu görünce "Ey güzel yüzlü adam! Eymam'ın Abdullah'tan rivâyetinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bayram günü deve üzerinde cemreleri atarken etrafı dolu insan idi, kimseyi rahatsız etmiyorlardı. Hâlbuki senin etrafında insanlar yerlere seriliyor. Bu yaptığın nedir?" diye sordu. Mehdi:

– "Bu adam kimdir?" dedi. Sorduğu kimse de:

---

[26] Abbasî halifelerindendir.

– “Süfyân-ı Sevrî’dir.” dedi. Bunun üzerine Mehdî:

– “Eğer Mansûr devri olsa, sen böyle konuşamazdın.” dedi. Süfyân-ı Sevrî de:

– “Eğer Mansûr’un Allah katında uğradığı azâbı bilseydin, sen bu vazîfeyi çoktan terk ederdin.” dedi. Bu arada fesâdlardan birisi Mehdî’ye:

– “Bu adam sana “Ey güzel yüzlü insan!” dedi, “Ey mü’minlerin emîri!” demedi, diye haber verdi. Mehdî:

– “Onu arayın.” dedi. Fakat Süfyân-ı Sevrî Mehdî’den saklandı. Me’mûn’dan[27] rivâyete göre; adamın biri müsâade almadan sokakta emr-i mâruf ve nehy-i münker ediyor diye bir ihbâr aldı. Adamı çağırttı ve:

– “Sen hangi selâhiyete istinâden bu vazîfeyi yapıyorsun? Bu selâhiyet bizim (Ehl-i Beytin)dir. Kur’ân-ı Kerîm’de hakkımızda:

اَلَّذٖينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَاٰتَوُا الزَّكَاةَ
وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ

“Onlar (mü’minler) **ki, biz onlara yeryüzünde temkîn verir, onları yerleştirirsek, onlar namazlarını kılar, oruçlarını tutar, mârufu emreder ve münkerden nehyederler.”** (Hac suresi, 22/41) buyrulmuştur ki, Allahü Teâlâ bu vazîfeyi bize vermiştir.” dedi. Fakat bu arada bakmakta olduğu kitabı yere düştü ve farkında olmayarak kitabın üzerine bastı. Vaiz ona:

– “Allahın adı üzerinden ayağını kaldır ve sonra ne diyeceksen söyle." dedi ve bunu üç defa tekrar etti. Me'mûn, bundan bir şey anlayamadı. Nihayet bu zât:

---

[27] Bu yanlıştır. Çünkü Süfyan-ı Sevrî Hicrî 161’de -Basra’da ölmüştür. Tabakat-ı Sa’d.

– "Ya, Allah adı yazılı kitabı ayaklarının altından kaldır veya müsâade et kaldırayım da ondan sonra ne diyeceksen söyle." dedi. Me'mûn kitabı ayağının altında görünce utandı ve mahcup oldu. Sonra adama aynı sözü tekrar edince adam:

– "Evet, ey mü'minlerin emîri! Sen dediğin gibisin, sözünde sâdıksın. Fakat biz de sizin yardımcılarınız ve dostlarınızız. Bunun böyle olduğunu, Allahın kitabını inkâr edenden başka kimse inkâr edemez. Nitekim Kur'ân-ı Kerîm'de:

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

"Mü'min erkekler de, mü'min kadınlar da birbirlerinin velîleridir. Mârufu emreder ve münkerden nehyederler." (Tevbe suresi, 9/71) buyrulmuştur. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de:

اَلْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا

"Mü'min, mü'mine (taşları birbirine bağlayan) *bir bina gibidir. Parçalarını birbirine bağlar ve yekdiğerine destek olurlar."*[28] buyurmuştur. Sen yeryüzünde yerleştin, bu da Allahın kitabı ve Rasûlü'nün sünnetidir. Eğer bunlara inkıyâd eder ve bağlanırsan, bunlara saygı göstermekte sana yardımcı olan için Allah'a şükret. Şâyet böbürlenir ve bunlara inkıyâd etmezsen, senin her halin izzet ve zilletin elinde bulunan Allahü Teâlâ, kimsenin amelini zayi etmeyeceğini va'd etmiştir. Herkes yaptığının karşılığını bu-

---

[28] Abbâsî halifelerinden Harun Reşîd'in oğlu Abdullah'tır.

lacaktır. Şu anda selâhiyettarsın, istediğini söyle, dedi. Adamın konuşması Me'mûn'un hoşuna gitti, onu serbest bıraktı ve:

– "Senin gibilere emr-i mâruf ve nehy-i münker câizdir. Bundan sonra da bizim müsâademiz tahtında vazîfene devâm et." dedi ve adam da vazîfesine devâm etti.

Bütün bu hikâyelerden emr-i mâruf ve nehy-i münker için sultanın iznine ihtiyaç olmadığı anlaşılmaktadır.

Şâyet, babanın evlâdına, efendinin kölesine, kocanın karısına, hocanın talebesine ve sultanın maiyetine emr-i mârufta bulunması gibi, tamamen bunun aksine olarak, evlâdın babasına, kölenin efendiye, karının kocaya, talebenin hocaya ve halkın sultana emr-i mâruf etmesi arasında bir fark olup olmadığı sorulursa, bilmiş ol ki:

Bizim anlattığımız, herkeste emr-i mâruf ve nehy-i münker selâhiyetinin bulunmasıdır. Fakat tafsilâtına galince, elbette aralarında fark vardır. Biz, örnek olarak baba ile oğlunu ele alalım. Hisbenin hüsn-ü tedbîr ile emr-i mârufun beş derecesi olduğunu anlatmıştık. Babasının zâtını alâkadar edecek, kaba sözler, şiddet kullanmak ve tehdîd etmekle veyâ dövmeye kalkışmakla babasına emr-i mâruf edemeyeceği meydandadır. Bunlar üçüncü ve dördüncü derecelerdir. Babasını üzen beşinci derece ile emr-i mârufta bulunup bulunmayacağı ihtilâflıdır.

Çalgısını kırmak, içkisini dökmek, ipek elbisesini sökmek, zorla veyâ hırsızlık sûretiyle aldığı malları sâhibine iâde etmek, köşelerdeki resimlerini silmek, altın ve gümüş kaplarını kırmak gibi. Bunları yapmak, babanın şahsını alâkadar eden hususlar değildir. Yâni bunlar babasına kötü söylemek, onu korkutmak ve dövmek gibi değildir. Fakat ne de olsa babanın bunlardan canı sıkılır ve oğluna kızar. Bununla beraber oğlunun bu hareketi doğru bir harekettir. Babanın kızması ise bâtıl ve haram olan şeyleri sevmesinden doğmadır. Buna göre yine en doğrusu evlâdın bunları yapması ve bunlara selâhiyetli kılınmasıdır. Bununla beraber münkerâtın çirkinlik derecesini, babasına eziyetin ve onu kızdırmanın miktarını da göz önünde bulundurmalıdır. Münker fâhiş olur ve babasını fazla kızdırmazsa bunu muhakkak yapar, içkisini dökmek gibi. Şâyet münker hafif fakat babanın fazla kızmasına sebep olursa, meselâ babasının billur veyâ camdan yapılmış hayvan sûreti şeklinde kapları bulunursa ki, bu şarap gibi değildir. Bunlar pahalı oldukları için bunları kırmakta babasının kızmasına sebebiyet vereceğinden bu cihet düşünülür.

Şâyet "Mârufu emretmek, kitap ve sünnette istisnâsız ve umûmî olarak vârid olmuştur. Bir tahsîsi yoktur. Bâtılı terk ettirmek için babasına kötü söz söylemez, onu tehdîd edip dövemez; istisnâsını nereden buldunuz? Evet, babaya eziyet etmekten ye hattâ "of" bile demekten men edilmiştir. Fakat bunlar münkerâtın irtikâbı ile alâkası olmayan husûsî hallerdedir." dersen deriz ki: "O umûmî emirler arasında babayı istisnâ eden hükümler de vardır. Meselâ bir cellâd babasını öldüremez. Zinâ ettiği zaman, oğlu ona had cezâsı tatbîk edemez. Kâfir de olsa babasını öldüremez. Bir âzâsını kesse kısas edemeyeceği gibi, karşılığında ona eziyet dahi edemez."

Bu hususlarda haberler vârid olmuş ve bâzılarında icmâ vukû bulmuştur. Babanın işlediği cinayetin karşılığı olan bir eziyeti kendisine yapamazsa, ileride meydana gelecek bir cinâyet için şimdiden babaya eziyet etmeye hakkı olmadığı meydana çıkar. Bu tertip, köle ile efendi ve karı ile koca arasında da aynı şekildedir. Hak ve hukuk bakımından bunlar da evlat gibidir. Belki kadın daha ilerdedir. Çünkü Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَوْ جَازَ السُّجُودُ لِمَخْلُوقٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا

“Bir kimsenin bir kimseye secde etmesi caiz olsaydı, kadının efendisine secde etmesini emrederdim.”[29] buyurmuştur. Bu rivâyet, bu hakkı daha da mühimsemesine delâlet eder.

Sultanın maiyetinde bulunanlarda ise mesele daha nâziktir. Onlar ancak târif ve nasîhat ederler, başka bir şey yapamazlar.

Üçüncü mertebede olan hazînelerinden malları alıp hak sahiplerine vermek, ipekli elbiselerini yırtmak ve içki kaplarını kırmak gibi hareketler; halkın, sultanı küçük düşürmesine ve heybetini kaybetmesine sebebiyet vereceğinden, tehlikelidir. Kötülüğe sükût etmekten nehyedildiği gibi, bundan da nehyedilmiştir. Burada da görüldüğü gibi, iki mahzur muâraza etmektedir. Burada kanâate göre hareket edilir. İrtikâb ettiği münkerât fâhiş olup bu şekilde îkaz, sultanın haşmetine fazla tesîr edip etmeyeceğini nazara alarak hareket eder. Bunu bir esâsa bağlamak zordur.

Talebe ile muallime gelince: Buradaki hatt-ı hareket tarzı daha hafiftir. Çünkü talebe tarafından hürmet edilmesi gereken hoca, ilmi ile amel eden ve dîn bakımından ilminden faydalanılan hocadır. İlminin gereği ile amel etmeyen hoca hürmete şâyân değildir. Talebesi ondan öğrendiği ile onu îkaz edebilir.

Rivâyete göre **Hasan-ı Basrî**’ye;

- “Evlat babasına karşı nasıl emr-i mâruf edebilir?” diye sormuşlar, o da “Onu kızdırmayacak şekilde nasîhatte bulunur, kızarsa sükût eder.” diye cevap vermiştir.

---

[29] Buhârî ve Müslim ittifakla rivâyet etmişlerdir.

Beşinci Şart: Hisbenin beşinci şartı, muktedir olmaktır. Herhangi bir kötülüğü el veyâ dili ile bozmaktan âciz olan kimse, ancak kalbi ile ona buğzeder. Zîra Allah'ı seven herkes, ona yapılan ısyâna kızar ve onu reddeder. İbn Mes'ûd (r.a.) şöyle buyuruyor: "Kâfirlerle mücâdele ediniz; buna gücünüz yetmez de yalnız onlara kızmaya gücünüz yeterse, bunu yapınız."

Bilmiş ol ki: Yalnız kanâate dayanan acziyet, acziyet sayılmaz. Belki bu anda veyâ gelecekte kendisine bir zarar geleceğine inanmalıdır. Böyle bir inanca sâhip ise bu anda imkânı olsa da, yine âcizdir. Bunun gibi, kendisine bir zarar geleceğinden korkusu olmayan fakat sözünün tesîr etmeyeceğini bilen kimse, burada da iki ciheti nazara alır. Birincisi, muhâtabın kabul etmeyeceği, onun onu red ve inkârına mâni olamayacağını; ikincisi de onun kabul etmemesinden kendisine bir zarar geleceğini hesaba katmaktır ki, bu iki ciheti düşünmekten dört vazıyet hâsıl olur:

Birincisi; her iki cihetin mevcut olmasını düşünmektir. Yâni hem sözüm tesîr etmeyecek, hem de bana kötülüğü dokunacaktır. Bu vaziyet karşısında olan kimseye emr-i mâruf etmesi vâcip değildir. Buna göre bu gibi halleri görmemek için evinden çıkmaması ve bu gibi yerlere yaklaşmaması lâzımdır. Ancak zarûrî ihtiyaçları için çıkmalıdır. Bununla beraber içinde bulunduğu ve vatanı olan bu memleketi terk edip oradan göç etmesi kendisine farz değildir. Şu kadar ki, şayet dînin bozulmasına; münkerât ve zulmünde sultana müsâadeye sebebiyet vermiş olacaksa o zaman -gücü yetiyorsa- oradan göç eder. Zîra icbârdan kaçıp kurtulabilenler için icbâr ve ikrah, mazeret sayılmaz.

İkincisi; iki ihtimâlin de ortadan kalkmış olmasıdır. Yâni va'z u nasîhati adama tesîr edecek ve ondan bir fenalık görmeyecektir. Bu, mutlak bir kudret olduğu için, adama emr-i mârufta bulunması vâciptir.

Üçüncüsü; va’z u nasîhatin tesîr etmeyeceğini, fakat buna karşılık bir zarar da görmeyeceğini bilmesidir. Bu vaziyet karşısında onu îkaz etmesi vâcip değil, fakat dinin şiârından olması bakımından, ona emretmesi müstehaptır.

Dördüncüsü; üçüncüsünün aksidir. Yâni hem sözünün tesîr edeceğini, hem de karşılığında kendisine bir zarar geleceğini bilmiş olmasıdır. Meselâ, bu çalgı âletini kırabileceğini veyâ bu içkiyi dökebileceğini biliyor, sonra da karşılığında dayak yiyeceğine inanıyor. Bunun da bu şekilde davranması vâcip değil belki müstehaptır. Bunun böyle olduğu, zâlim bir sultana karşı hak kelâmı söylemenin fazîleti bâbında anlatılmıştı. Zâlim sultana hak öğüt vermenin tehlikeli olduğu âşikârdır.

Ebû Süleyman Dârânî’den rivâyet olunan şu hikâye de buna delâlet eder. Ebû Süleyman diyor ki: Bir halîfenin yanlış bir sözünü duydum. Onu düzeltmek istedim fakat buna karşı öldürüleceğimi de bildim. Ölümden korkmadım. Ancak bu idâm, amme huzurunda olacaktı. O zaman bana bir gurur gelecek ve “İşte ben hakkı müdâfaa uğrunda öldürülüyorum.” diye bir vehme kapılacak ve son nefeste ihlâsa riâyet edemeyeceğim korkusundan, bu işten vazgeçtim.

Şâyet, “Madem ki bu kadar tehlikeli işlere girilebiliyorsa, daha Allahü Teâlâ’nın:

وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ

“Kendinizi tehlikeye atmayın.” (Bakara suresi, 2/195) buyurmasının mânâsı ne olur?” denirse deriz ki: Öldürüleceğini bildiği halde, tek bir Müslüman'ın düşman saflarına saldırıp onlarla savaşmasında bir mahzur olmadığında ihtilâf yoktur. Hâlbuki bu da görünüşte âyet-i celîleye muhâlif gibidir. Hâlbuki muhâlif değildir. **İbn Abbâs** (r.a.): "Tehlike dediğimiz bu değil, belki Allah'a ibâdet edebilmek için muhtaç olduğu nafakayı temîn etmemektir. Bunu yapmayan kendini helâk etmiştir. İşte bundan sakınmak lâzımdır." demiştir. **Berâ b. Âzib**: "Tehlike demek, kişinin bir günâhı işlemesinden sonra Allahü Teâlâ beni bağışlamaz demiş olmasıdır." dedi.

Ebû Abîde (r.a.) diyor ki: "Tehlike demek, yaptığı bir kötülükten sonra daha üstün bir iyilik yapmamak ve bu hal üzerine ölmek." demektir. Öldürülünceye kadar kâfirlerle cihâd câiz olduğuna göre, öldürülünceye kadar da emr-i mâruf etmesi câizdir. Fakat düşmana saldırmasında bir fayda sağlamayacağını bilenler; meselâ körler ve âcizler gibi, bunların düşmana saldırmaları kendilerini öldürtmekten başka bir şeye yaramayacağından, bu haram ve kendini tehlikeye atmaktır ki, tam da bu tehlike âyetinin şümûlüne girer. Bu gibi fedâîlik, öldürülünceye kadar öldüreceğine ve düşmanın kalbine korku salacağına inanan kimseler için câizdir.

Yâni adamın böyle yapması ile diğerlerinin de Allah yolunda şehâdet mertebesine ulaşmak için hayatlarına hiç kıymet vermediklerini görüp mâneviyatlarını sarsmak gayesini taşırsa, bu saldırı câizdir. Bunun gibi emr-i mâruf ve nehy-i münkerin kötülüğü kaldırmakta veyâ kötülerin gönüllerine dehşet salmakta veyâ iyilerin mâneviyatını takviye etmekte bir dahli varsa, tehlikeli de olsa câizdir. Yoksa zâlim bir adamın bir elinde kadeh, bir elinde kılıç vardır. Ona "Kadehi at." dersen, kadehi içecek ve kılıç ile de kelleni koparacak. Bu gibi kimseye nasîhate kalkışıp kendini tehlikeye atmak câiz değildir. Çünkü bu, doğrudan doğruya bir intihardır.

Burada aranılan, dîn nâmına bir fayda sağlamak ve bu uğurda fedâ-i can etmektir. Hiç bir kârı olmadan kendini tehlikeye atmakta elbette bir mânâ yoktur. Hattâ bu gibi emr-i mâruf haramdır. Emr-i mârufun müstehap olması, münkeri düzeltme imkânı olduğu vakit veyâ hiç olmazsa bir yönden faydası dokunduğu zamandır. Bu da ancak, o münkeri irtikâp edenin şahsına münhasır olmalıdır. Şâyet, akraba ve yakınlarını da içine alacaksa, o zaman hisbe haram olur. Çünkü bir adam bir kabileyi islâh edemez. Bir kötülüğü düzeltelim derken daha mühim ve birçok kötülüklerin ortaya çıkmasına sebep olur. Hattâ va'z u nasîhatle bir kötülüğün önleneceğini ve fakat buna karşılık, başka bir kötülüğün doğacağını anlarsa, emr-i mâruf ona helâl olmaz.

Çünkü maksadı mutlak olarak şer'an münker olan şeyleri kaldırmaktır. Yoksa yalnız muayyen kimselerden belirli kusurları kaldırmak değildir. Bu münkerin yok edilmesi, başka bir münkerin işlenmesine vesîle olmasına misâl; bir kimsenin, içilmesi helâl olan bir şerbeti vardır. Fakat bu şerbete pislik düştüğü için haram olmuştur. Şimdi muhtesib, bu şerbeti dökebilir. Fakat adam şerbete alışkın olduğu için dökülen bu şerbetin yerine şarap içecektir. Artık pisleşmiş olan bu şerbeti dökmesinde bir mânâ yoktur, denir. Bununla beraber bu zât, pisleşen bu şerbeti döker ve bu sûretle bir münkeri önlemiş olur. Fakat adamın bunun yerine şarap içmesine gelince; bunu men etmeye muktedir olmadığı için mesûlü içenin kendisidir, öteki adam elinden geleni yapmıştır da denebilir.

Bir kısmı bunu kabul etmişler ve bu da uzak bir görüş değildir. Bütün bunlar, fıkhî meselelerdir. Bunlardaki hüküm katî değil zannîdir. Düzeltilen münkerâtın dereceleri arasında bir ayırım yapmak, da mümkündür. Meselâ bir adam başkasına âit olan bir koyunu kesip yemek istediği zaman, onu bu işinden men eder ve yerine bir adam kesip yiyeceğini bilirse, o zaman ona mâni olmaz. Çünkü buna mâni olmanın kârı, zararından büyüktür. Fakat bir insanı öldürmesinden ona mâni olup yalnız malını almasıyla iktifâ ettirmesinin yolu meydandadır.

Bütün bunlar, üzerinde ictihâd edilmesi gereken ince meselelerdir. Muhtesib, bütün bunlarda ictihâdına uymak zorundadır. Bu inceliklerden dolayı deriz ki: Avâm kısmının yasak olduğu açıkça bilinen şeylere müdâhale etmekte ictihâd etmesine lüzum yoktur. Mümkün olan müdâhaleyi yapar. İçki içmek, zinâ etmek ve namazı terk etmek gibi... Fakat etrafında dolaştığı işlere nisbetle mâsiyet olduğu bilinebilen ve ictihâda muhtaç olan hususlarda avâmın ictihâda dalıp hükme varmasına gelince, bozduğu düzelttiğinden daha fazla olacağı için, mutlaka vâlinin tâyin edeceği kimselerin bu işi yapmaları görüşü hâsıl olmuştur. Çünkü böyle olmasa, bâzen diyânetinde ve bâzen de bilgisindeki kusuru sebebiyle, her hangi ehil olmayan bir kimse bu işte büyük kusurlar meydana getirebilir. İnşâallah yakında bunun yüzünden perdeyi kaldıracağız.

Şâyet, "Evet kendisine kötülük geleceğini veya nasîhatinin tesîr etmeyeceğini bildiği yerde emr-i mâruf ve nehy-i münkerden vazgeçer dediniz. Katî olarak bilemez de şüpheli olur ve böyle zannederse bu zanda hüküm nasıldır?" diye sorarsan deriz ki: Zann-ı gâlib ile ilmin, burada farkı yoktur. İlim ile zannın arası başka hususlarda ayrılır. Bu da zan ile ilmin karşılaştığı yerlerdir. O zaman katî ilim, zan üzerine tercîh edilir. Meselâ, sözünün tesîri olmadığını, ancak zayıf bir ihtimâl ile de tesîr edeceğini bildiği zaman nehy-i münker kendisinden sâkıt olur. Şâyet, zann-ı gâlibinde sözünün tesîri olmadığını, ancak zayıf bir ihtimâl ile de tesir edeceğini ümid eder, bununla beraber karşı taraftan bir kötülük de beklemez; bu vaziyet karşısında emr-i mârufun vücûbunda ihtilâf edilmişse de zararı olmayıp faydası umulduğu için, yine vâciptir. Emr-i mâruf ve nehy-i münker hakkında vârid olan umûmî emirler mutlaktır, her halde vücûb iktizâ ederler. Bizim istisnâlarımız, faydası olmadığı bilinen yerlerde tahsîs yolu iledir. Bu da ya icmâ veyâ zâhirî kıyâs iledir. Bunu da şöyle ifâde ederiz: Emir, bizâtihî murâd değildir. Belki memûr içindir. Memûrun emre uymasından ümit kesildiği zaman emrin bir faydası kalmaz. Fakat ümit kesilmediği yerlerde de vücûb sâkıt olmaz, deriz.

Şâyet, "Bir kötülük gelmesi katiyetle bilinmiyor veyâ zayıf bir ihtimâl ile biliniyor yâhut da zann-ı galibi bir kötülük gelmeyeceği tarafında ise -fakat yine de zayıf bir ihtimâl varsa- vücûbu kaldırır mı?" diye sorarsan deriz ki:

Kötülük gelmek ihtimâli kuvvetli ise vücub kalkar, zann-ı gâlibinde bir kötülük gelmeyecekse vâcip olur. Yalnız bir ihtimâl, emr-i mârufun vücûbunu kaldırmaz. Çünkü ihtimâl, dâima vardır. Şâyet hiç bir tarafını tercîh edemiyorsa, burası da düşündürür. Umûmî hükümlere göre vücûb asıldır. Ancak ilim veyâ zann-ı gâlib ile kötülük beklenen yerlerde emr-i mâruf sâkıt olur, denebileceği gibi, asıl olan da budur. Emr-i mârufun vâcip olması, zararın gelmeyeceğine dâir ilim veyâ zan olduğu zamandır. Aksi halde vâcip değil de denebilir. Fakat emr-i mârufu mûcib olan umûmî kaziyelere nazaran birinci şık daha doğrudur.

Şâyet, "Tehlikeyi beklemek şahsiyetler îtibâriyle değişir. Meselâ korkak bir insanın, her an bir tehlike ile karşılaşacakmış gibi ürkek bir hali vardır. Fakat cesâretli kimseler, dâima tehlikeyi uzak görür ve hattâ vukuuna kadar ona inanmak bile istemez. Bu vaziyet karşısında emr-i mâruf edeceği kimseden kötülük gelip gelmeyeceği hakkında îtimâd nerededir?" dersen deriz ki:

Burada ölçü ne cesûr, ne de korkak kimselerdir. Mutedil insanların kanâat ve zann-ı gâlibleridir. Söz, sâlim akıl ve mizaç sâhiplerinindir. Korkak kimse, yufka yürekli hasta bir insandır. Sebebi, kuvvet azlığıdır. İtidâlin ifrât ve tefrit tarafları da noksanlıktır. Kemâl, şecâat denen îtidâldedir. Korkaklık ve saldırganlık bâzen akıl noksanlığından, bâzen de mizaçtaki aşırılıktandır. Bâzen mîzâcı müsâit olanlar da, cehâletleri sebebiyle kötülüğün geleceği yolları, bâzen de kötülüğü önleyeceği sebepleri bilememekten gelir. Bu bakımdan bâzen cür'etin, bâzen de korkaklığın sebebi cehâlet olabilir. Bâzen de tecrübe ve alışkanlığı sâyesinde kötülüğün ve kötülüğü önlemenin yollarını bilir. Fakat kalbinin zayıflığı sebebiyle, tabiatı mûtedil, şecâatli bir kimse hakkında yakın olan kötülüklerin verdiği zararı, bu gibiler hakkında uzak ihtimâli ile olan kötülükler de aynı zararı getirebilir. O halde iki tarafa da itibâr yoktur. Korkak bir insan, korkaklığını izâle için gayret göstermelidir. Bunun için de korkaklığın sebeplerini bilmelidir. Onlar da cehâlet ve zayıf kalptir. Cehâlet tecrübe ile zâil olacağı gibi, zâfiyet de korkulu işlere girip çıkmakla önlenir. Meselâ:

Münâzara ve va'z u nasîhate ilk başlayan kimse kalbindeki zayıflık sebebiyle korkak olur. Fakat bunu âdet haline getirdikten sonra korkaklık zâil olur. Şâyet bu korkaklık kendini istilâ etmiş ve hiç bir sûretle bundan kurtaramıyorsa, hastalar bâzı vazîfeleri yerine getirmekten mâzur sayıldıkları gibi, bu gibiler de mâzur sayılır. Bunun için denizde seyahatten korkan kimselere, deniz yolu ile gitmesi gerekiyorsa, bir reye göre haccetmek vâcip değildir, deriz. Ancak fazla korkmayanlara vâciptir. Emr-i mârufta da hüküm böyledir.

Şâyet, "Beklenen kötülüğün haddi ne olmalıdır? İnsan bâzen bir kötü söz ile bâzen bir tokat ile bâzen de aleyhinde dedi-kodu yapılmak gibi kötülüklerle karşılaşır. Emr-i mâruf eden herkes mutlak bir eziyet ile karşılaşır. Hattâ bâzen sultana şikâyet edilir, acaba emr-i mârufu terk etmek için karşılaşacağı kötülüğün derecesi ne olmalıdır?" dersen deriz ki:

Bunun da tâyini güç, yolları çok ve karışıktır. Fakat biz bunları bir araya toplamaya gayret edelim. Deriz ki: Mekruh matlûbun zıddıdır. Yâni sevilmeyen şey demektir. İnsanların dünyada matlûbu dört şeydir:

Bunlar:

1 - Ya zâtındadır. Ki, bu ilimdir.

2 - Ya bedeninde olur. Bu da sıhhat ve selâmet, sağlık ve esenliktir.

3 - Ya malında olur, bu ise servettir.

4 - Veyâ insanların gönlünde olur. Bu da câh, mevkî ve mansaptır.

Demek ki, insanların istedikleri ilim, sıhhat, servet ve câh olmak üzere dört şeydir. Servet demek, altın ve gümüşe mâlik olmak demek olduğu gibi, câh da insanların kalbine mâlik olmak ve onların gönlünü fethetmek demektir. Zîra dirhemler, garazlara ulaşmaya vesîle oldukları gibi, insanların gönülleri de maksatlara ulaşmak için bir vesîledir. "Câh" kelimesinin mânâsını ve insanların ona meyletmesinin sebebini **"Rub'ul-Mühlikât"** da anlatacağız. Bu dört şeyi insan, kendi akrabaları ve dostları için ister. Bu dört şeyde iki husus sevilmez, mekruh sayılır. Birisi, elde ettiğinin elden çıkması, diğeri de umduğuna kavuşamamasıdır. Demek ki zarar, mevcudun kaybolmasında veyâ istediğinin eline geçmemesindedir. Çünkü beklediği, eline geçmesi mümkün olan şeydir. Mümkün ise olmuş gibidir. Onun imkânını kaybetmek, kendisini kaybetmek gibidir. Buna göre mekrûh ikiye dönmüştür. Birincisi, umduğu ve beklediği şeyin kaybolup eline geçmemesinden korkmaktır. Bu korku, emr-i mârufu terk etmesine müsâit değildir. Şu istenen dört cihette bunun misâlini verelim:

1 - İlimden mahrum kalır korkusu ile emr-i mârufu terk etmek. Meselâ hocası ile alâkalı bir hususta emr-i mârufu terk ediyor, korkuyor. Hocasına intikâl eder de, kızar ve kendisini bir daha okutmaz.

2 - Sıhhat sebebiyle emr-i mârufu terk. Gelen hekim, ipek elbise giyiyor veyâ altın-gümüş işlemeli eyere biniyor. Şâyet buna bu münkeri terk hakkında nasîhatte bulunursa, hekim kızıp kendisine bakmayacak korkusu ile emr-i mâruf ve nehy-i münkeri terk etmek.

3 - Mal ümidi sebebiyle emr-i mârufu terk. Sultana, adamlarına ve kendisine yardımda bulunanlara karşı ilerde bu yardımı yapmazlar korkusu ile emr-i mâruf ve nehy-i münkeri terk etmek.

4 - Câh. İleride yardım ve mevki beklediği kimselere, bu yardımı yapmaz; bu mevkii vermez veyâ verdirmezler korkusu ile emr-i mâruf ve nehy-i münkeri terk etmek gibi.

Bütün bunlar, emr-i mârufun vücubunu kaldıramazlar. Zîra bunlar mümtenî olan ziyâdeler kabîlindendir. Bu gibi fazlalıklara zarar demek mecazdır. Esâs zarar, eldeki varlığın gitme korkusudur. Bundan hiç bir şey istisnâ edilmez. Ancak ihtiyâcın kendisine davet ettiği şey istisnâ edilir. O şey ki, onun kaybolmasında münker üzerindeki sükûtun zararından daha büyük mahzur doğar. Nitekim sıhhati, hekimin tedâvisine muhtaç olan şiddetli bir hastalığa yakalanan ve tedâvisinin tehîrinde hastalığın artması, geç iyileşmesi ve hattâ ölüm tehlikesi ile karşılaşacağını bilmesi gibi... Biradaki bilgi, zann-ı gâliptir. Öyle bir zan ki, zarar vereceği bu kadarcık bir zan sebebiyle bilindiği takdirde, suyu terk edip teyemmüm etmenin cevâzı gibi... İşte vaziyet bu merkezde olduğu zaman, emr-i mârufu terk etmekte ruhsat vardır.

İlme gelince: Hayatî din meselelerinin câhili olup, bunları öğrenmek için muhîtinde yalnız bir âlim olur. Başka tarafa gitmesine de imkânı yoktur. Emr-i mâruf ve nehy-i münker ettiği kimsenin bu âlime sözü geçer ondan okumasına mâni olursa, bir yandan dinî meseleleri öğrenmesi farzdır. Öte yandan emr-i mâruf ve nehy-i münker etmesi yine farzdır. Her ikisini de terk etmesi ise mahzurludur. Bu takdirde birini tercîhe mecburdur. Bu da münkerâtın fâhişliği ve muhtaç olduğu dînî meselelerin ehemmiyeti bakımından değişir.

Maldaki vaziyete gelince: Kazanmaktan ve dilencilikten âciz olan gibi… Kendisi tam bir mütevekkil olmadığı gibi, bir kişiden başka kendisine bakan da yoktur. Şâyet bu adama emr-i mâruf ve nehy-i münker yapsa, adam nafakasını kesecek, bu sûretle haram yemeye mecbur kalacak veyâ acından ölecektir. İşte burada da karar vermek zorlaşır. Bu gibi hallerde sükûta ruhsat vermek uzak değildir.

Câha gelince: Fenâ bir kimse kendisine eziyet eder, kötülüğünü önlemek için sultandan bir mevkî almadan kendisini bu adamın şerrinden kurtaramaz. Sultana da ipek elbise giyen veyâ içki içen bir adamdan başkasıyla yol bulamaz. Şâyet bu adama "İçki içme." veyâ "İpek elbise giyme." diye nehy-i münkerde bulunsa, adam işini görmeyecek ve bu mevkîi elde edemeyecektir. Bu sûretle o kötü insanın kötülüğüne katlanıp duracaktır.

İşte bu cihetler meydana çıkıp kuvvetlendikleri zaman, emr-i mârufta istisnâ uzak görüş değildir. Fakat bu hususta ictihâd, muhtesibin kendisine vâciptir. Kalbine danışır ve mahzurları karşılaştırır. Hevâ ve arzusu ile değil, dînî görüşü ile bir tarafını tercîh eder. Şâyet dînin icabına göre sükûtu tercîh ederse, bunun sükûtuna müdârâ denir. Şâyet nefsânî arzularına göre sükût ediyorsa, sükûtuna müdâhene denir. Bu da bâtınî bir emirdir, ince bakışla anlaşılır. Fakat Allahü Teâlâ her şeyin iç yüzünü bilir. Her dîn sahibi kalbini mürâkabe etmeli ve Allahü Teâlâ'nın içinden geçene muttali olduğunu, hevâsı peşine mi yoksa dînin peşine mi gittiğini bildiğini anlamalıdır. Herkes iyilik veyâ kötülük ne yapmışsa, onu Allah katında hâzır bulur. Allah kimseye zulmetmez.

İkinci kısım: İkinci kısım da elde olanı kaybetmektir. Elindeki varlığı kaybolacaksa işte bu mekruhtur. Yâni sevilmeyen bir harekettir. Buna göre ilimden başka diğer hususlarda sükût etmesi câiz, ilim hususunda sükût etmesi câiz değildir. Çünkü elindeki ilmi kaybolmaz, sıhhat ve servetini başkasının zâyi etmesi düşünülebilir. Fakat ilim hakkında bu düşünülemez. Zâten ilmin bir şerefi de burada tecellî eder. Dünyada devam ettiği gibi, âhirette de sevabı devâm eder, onun için yok olmak düşünülemez.

Sıhhat ve selâmete gelince: Bu, dayak yemekle yok olur. Kötek yiyeceğini anlayan kimseye emr-i mâruf müstehap olsa bile, borç değildir. İnsanı acındıran dayakta hüküm böyle olduğuna göre, kesip kırmakta ölüm korkusunda müsâade evleviyetle sâbit olur.

Servet işine gelince: Evini yıkıp yağma edeceklerini veyâ elbisesini alacaklarını bildiği zaman yine vâcip olarak emr-i mâruf kendisinden sâkıttır. Fakat müstehap olarak hüküm devam eder. Zîra dünyalığını verip dinini almasında beis yoktur. Dayağın da mal zararının da az ve çokluk bakımından dereceleri vardır. Buna göre değer taşırlar. Dîndar olan mümkün olduğu kadar diyânet tarafını tercîh etmelidir.

Mansıb ve mevkie gelince: Acı vermeyecek şekilde dövülmek veyâ hakarete uğramak sûretiyle kaybolması veyâ şerefini rencîde edecek her hangi bir suretle vâki hafif taarruzlar, kalbini incitir, şeref ve haysiyetini rencîde eder. Bunun da dereceleri vardır. En doğrusu, bunu da derecelere ayırmaktır. Mürüvvetini kaybedecek, başı açık yalın ayak şehir içerisinde dolaştırılmak gibi bir vaziyet ile karşılaşacaksa, mürüvvetini koruması şer'an memûr olduğu bir vazîfe olduğu için emr-i mârufdan sükût etmeye kendisine müsâade edilir. Bu gibi hareketin gönül üzerindeki acı tesîri, dayağın tesîrinden daha büyüktür. Diğeri de bir kaç dirhemciklerinin kaybolmasıdır ki, bu da bir derecedir.

İkincisi, sırf mevkî ve yüksek mertebedir. Kıymetli elbise ile sokağa çıkmak, vâsıta ile yürümek gibi... Şâyet emr-i mâruf ve nehy-i münker ettiğinde, âdî elbiseleri ile yaya olarak, alışkın olmadığı şekilde gezdirileceğini bilirse, bunlar öyle bir takım meziyetlerdir ki, bunları korumak makbul bir şey değildir. Fakat mürüvvetini korumak makbuldür. Bu gibi tehlikelerle emr-i mâruf ve nehy-i münkeri terk etmesi uygun olmaz. Huzurunda câhil, ahmak, mürâî ve müfterî gibi sözlerle tahkîr edilmesi de aynı hükümdedir. Gıyâbında konuşulan sözlerle emr-i mârufun sükûtuna asla vesîle teşkil etmez. Zîra bunlar zarûrî olmayan fuzûlî şeylerdir.

Eğer, yerenin yermesi, kötü kimselerin çekiştirmesi, sövüp sayması, kötü sözler söylemesi veyâ kalbinden düşecek korkusu ile emr-i mâruf ve nehy-i münker sâkıt olsaydı, emr-i mârufun vücûbu ortadan kalkardı. Zîra emr-i mâruf eden kimse hiç bir zaman, bunlardan kurtulamaz. Ancak nehyedeceği kötülük gıybet olur ve gıybet edeni susturamayacağını, üstelik kendisini de çekiştirmesine ekleyebileceğini bilirse, o zaman bu nehy-i münker haram olur. Çünkü nehy-i münkerin bu şekli ile harama haram katmış olur. Şâyet adamı başka gıybetten men edip yalnız kendini gıybet etmekle kalacaksa, yine ona emr-i mâruf etmesi vâcip değildir. Çünkü gıybette adam değiştirmenin farkı yoktur, ancak müstehaptır. Müstehab olması, başkasını çekiştirmeden kurtarıp bu çekiştirmeye kendini hedef etmesi bakımındandır. Umûmî emirler, emr-i mârufun kuvvetli bir vâcip olup ondan sükût etmesinin son derece tehlikeli olduğuna delâlet etmektedir. Bunu terk edebilmek için büyük tehlike ile karşılaşmak lâzımdır. Mal, can ve servetin büyüklüğü şer'an sabit olmuştur. Fakat mevkiin meziyeti haşmet, süslenme dereceleri ve halkın methini temîn etmek ise o kadar mühim şeyler değildir.

Çocuklarına ve yakınlarına zararı dokunacak korkusu ile emr-i mâruf ve nehy-i münkeri terk etmesine gelince: Kendi hakkına nisbetle bu daha düşüktür. Zîra kendinin eziyetlenmesi başkasının eziyetlenmesinden daha mühimdir. Ancak diyanet bakımından ise kendi emr-i mârufu ile çocuklarının ve yakınlarının eziyet görmesi daha mühimdir. Çünkü insan kendi hakkında müsamaha edebilir. Bâzı haklarından feragat ederek, bâzı eziyetlere katlanmak sûretiyle fedâkârlıkta bulunabilir. Fakat bunu başkaları nâmına yapmaya hakkı yoktur. Bu vaziyet karşısında çekinmesi lâzımdır. Zîra o isyân yolu ile onların haklarını çiğnetecekse, dövülme ve mallarının yağmalanması gibi, bu takdirde va'z u nasîhat doğru olmaz.

Çünkü bir kötülüğü önlemesi, başka bir kötülüğün açılmasına vesîle olur. Şayet mâsiyet yolu ile olmayacaksa, yine Müslüman'a eziyete sebep olduğu için, buna da hakkı yoktur. Ancak onların muvafakatiyle bu işi yapabilir. Kavim ve kabîlesine eziyet verecek bir hal vâkî olacaksa, emr-i mâruf ve nehy-i münkeri terk eder. Meselâ, serveti bulunmayan bir zahidin servet sahibi akrabaları olur. Bu zâhid, benim neyimi alır diye sultana emr-i mâruf ve nehy-i münker etmeye kalkışır ve sultana da zâhidden intikâmını almak için, akrabasının mallarını elinden almaya teşebbüs edecekse, bundan vazgeçmelidir. Çünkü münkere sükût mahzurlu olduğu gibi, Müslümanlara eziyet vermeye sebep olmak da mahzurludur. Şayet, mal ve câhlarına zararı dokunmayacak, fakat aleyhlerinde kötü sözler söylenmesine sebep olacaksa, bu kadar için va'z u nasîhati terk etmek biraz düşündürür. Burada da men edeceği münkerin büyüklüğü ve söylenen sözlerin kalpleri fazla rencîde etmesi nazar-ı itibâra alınır.

Şayet, "Adamın biri uzvunu kesmek istese ve onunla dövüşmeden de bu fikrinden vaz geçmeyecekse, fakat bu dövüşte onu öldürmek tehlikesi de varsa, muhtesib, bu adam ile bu şekilde dövüşmeye kalkışabilir mi? Kalkışır demek muhâldir. Çünkü bir uzvunu kurtaracağım derken ölümüne sebebiyet verir ki, burada o uzuv da telef oluyor. Üstelik tamamen kendisi de gidiyor." dersen deriz ki:

Evet, adamı bu uzvunu kesmekten men eder ve onunla savaşır. Çünkü maksat onun bir tarafını korumak değil, belki münker ve mâsiyet yolunu kapamaktır. Bu uğurda muhtesib tarafından öldürülmesi mâsiyet değil, fakat kendinin bir tarafını kesmesi mâsiyettir. Bu kabîl hareket, bir Müslüman'ın malına saldıran kimseyi, ölümüne yol açacak şekilde bir karşılık ile men etmek gibidir, bu caizdir. Aynı zamanda bir dirhemi kurtarmak için, bir adam öldürmek mânâsında hiç değildir. Fakat onun Müslümanların malını almaya kasdetmesi bir mâsiyettir. Onu mâsiyetten men etmek sırasında öldürmek de mâsiyet değildir. Çünkü gâye onu öldürmek değil, belki mâsiyetten korumaktır.

Şâyet, "Bir adamın ilk fırsatta kendini öldüreceğini bilsek ve bu bilgimize dayanarak onun bu mâsiyetini önlemek için şimdiden bu adamı öldürebilir miyiz?" dersen, cevâbında deriz ki:

Adamın kendi uzvunu keseceği katî olarak bilinemez, vehme dayanarak adamın kanını akıtmak helâl olmaz. Fakat bu işe mübâşereti esnâsında kendini men etmeye çalışırız. Bu men etme karşısında ölürse de ölümüne aldırış etmeyiz. Anlaşılıyor ki, mâsiyetin üç hâli vardır:

Birincisi: Kendi kendini zararlandırmak için bir uzvunu kesmeye kalkışmaktır. Buna karşı gerekli cezâyı tertip edip ona mâni olmak herkesin değil, hükümetin vazîfesidir.

İkincisi: Mâsiyet daha düşük bir şey olup sahibinin ona mübaşeret etmesidir. İpek giymek, yanında çalgı ve şarap bulundurmak gibi… İmkân nispetinde bu kötülüğü önlemek vâciptir. Tâ ki daha büyük veyâ benzeri başka bir mâsiyete sebep oluncaya kadar bu hususta hükümet selâhiyettar olduğu gibi, fertler de selâhiyetlidir.

Üçüncüsü: Ortadaki vaziyetten bir kötülüğün yapılacağını tahmin etmektir. Meselâ: Oda donanmış, masalar kurulmuş, kadehler hazırlanmış bir vaziyettedir. Artık burada içki içileceği tahmîn ediliyor. Fakat henüz içki ortada yoktur. Bu şüphelidir.

Belki bir mâni sebebiyle içki içilmeyecektir. Artık bu vaziyet karşısında herkesin oraya saldırıp ortalığı dağıtması câiz değildir. Ancak fert olarak va'z u nasîhat yolu ile îkaz ve irşâd edilir. Şiddet kullanmak, vurup-kırmak fertler için câiz olmayacağı gibi, sultanlar için de câiz değildir. Ancak devamlı olarak burada içki içtikleri biliniyorsa, bu defa da elinde olan bütün sebepleri hazırladı ve her hangi bir sebep dolayısıyla bekliyor. Kadınları görebilmek için, kadınlar hamamının etrafında dolanan gençler gibi…

Her ne kadar etrafın geniş olması sebebiyle bunlar yolu daraltmıyorlarsa da, bu maksatla toplanan gençleri, şiddet ve hattâ dayak kullanmak sûretiyle buradan dağıtmak câizdir. Bu toplantının ardında daha büyük mâsiyet olmakla beraber, aslında, bu gibi yerlerde bulunmak da bir mâsiyettir. İlerisi için tehlikeli olması bakımından yabancı kadın ile bir erkeğin tek başlarına bir arada bulunmaları gibi… Mâsiyete sebep olacak bir şey yapmak da mâsiyettir.

İkinci Rükün

Hisbenin, hüsn-ü tedbîrin ikinci rüknü de hisbenin yapılacağı yerler beyânındadır.

Bu da incelemeye lüzum göstermeden açıkça görülen münker hareketler olup, münker hareketler olduklarını bilmek için ictihada lüzum olmayan şeylerdir ki, bunlar dört şarttır. Şimdi bu şartları araştıralım:

1 - Birinci şart; yapılan işin münker olmasıdır.

Münker demek, yapılması şer'an mahzurlu olan şey demektir. Bizim mâsiyet demeyip münker dememizin sebebi "münker" kelimesinin "mâsiyet" kelimesinden daha şumûllü olması bakımındandır. Meselâ bir kimse bir sabînin veyâ mecnunun içki içtiğini gördüğü zaman onu döver. Bir mecnunun bir mecnun veyâ bir hayvan ile zinâ ettiğini gördüğü zaman onu men eder. Bunlar, borcu olmakla beraber, sabî ve mecnun hakkında mâsiyet sayılmazlar. Hattâ âşikâre değil, gizli bir halde yakalarsa da yine mâni olur. Bunlara mâsiyet denemez: Çünkü âsî olmadan mâsiyet olmaz. Çocuk ile mecnun mükellef olmadıkları için, onlara âsî denemez. Fakat münker yâni şer'ân inkâr ve men edilmiş bir iş olması bakımından buna münker denir. Bu bakımdan "münker" kelimesi "mâsiyet" kelimesinden daha umûmî ve şümûllüdür. Küçük ve büyük bütün günâhları "münker" kelimesinde topladık. Artık emr-i mâruf ve nehy-i münker kebâir (büyük günâhlar) a mahsûs değildir. Hattâ sagâir (küçük günâhlardan) oldukları halde hamamda mahrem yerini açmak, yabancı kadın ile bir arada bulunmak ve yabancı kadınlara bakmaktan da men etmek vâciptir. Küçük ve büyük günâhları ayırmakta da nazar vardır. "**Tevbe Kitabı**"nda gelecektir.

2 - Hisbenin ikinci şartı münkerin o anda mevcût olmasıdır. Meselâ; içkiyi içtikten sonra onu men etmeye kalkışmak, fertlerin işi değildir. Zâten men edilecek şey ortadan yok olmuş ve geçmiştir. İleride olacağına kani olduğu bir kötülüğü şimdiden önlemeye kalkışamaz. Ancak va'z u nasîhat yolu ile irşâdda bulunabilir. Şâyet, hayır böyle bir fikrim yoktur, diye inkâr ettiği takdirde vaaz yolu ile de bir şey söyleyemez. Çünkü hâlâ "Hayır yapacaksın." deyip ısrâr etmekte Müslüman'a sû-i zan etme kötülüğü vardır. Çok kere bu adam doğru olabilir, çok kere de azmettiği işten her hangi bir sebeple vazgeçebilir.

3 - Hisbenin üçüncü şartı, münkerin açıktan işlenmiş olmasıdır. Kapılarını kapamış, evinin içinde gizlice isyân eden kimseyi

araştırmak câiz değildir. Allahü Teâlâ bu gibi tecessüsten men etmiştir. **“Sohbet Âdâbı Kitabı”**nda anlattığımız **Ömer ve Abdurrahman b. Avf** hikâyesi meşhurdur. Yine hikâye edildiğine göre Ömer (r.a.) adamın birinin evine giderek pencereden içeri girmiş, adamı kötü halde yakalamış ve:

– “Bu yaptığın nedir?” diye adama çıkışınca, adam:

– “Ben bir günâh işledimse, sen üç günâh işledin.” diye cevap vermiştir.

Hz. Ömer.

– “Nedir onlar?” diye sorunca, adam:

– “Allahü Teâlâ:

وَلَا تَجَسَّسُوا

“Gizli kusurları araştırmayın.” (Hücûrât suresi, 49/12) buyurdu. Sen araştırdın. Allahü Teâlâ:

وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا

“Evlere kapılardan giriniz.”[30] buyurdu. Sen pencereden girdin. Allahü Teâlâ:

لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتّٰى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلٰى أَهْلِهَا

“İçinde bulunanlara selâm verip onlarla ünsiyet etmeden başkalarının evine girmeyiniz.” (Nûr suresi, 24/27) buyurduğu halde, sen selâm vermeden hemen içeri girdin.” dedi. Bunun üzerine tövbe etmek şartıyla Hz. Ömer kendisini bıraktı. Bunun için Hz. Ömer minberde iken ashâbı ile istişare ederek dedi ki:

---

[30] Nikâh bahsinde geçmiştir.

– "İmam yâni halife bizzât kendi gözü ile gördüğü bir kötülüğün cezasını verebilir mi?" diye sordu. Hz. Ali de (r.a.) bir kişinin şâhitliği muteber olmayıp, iki âdil şâhidin görmesi şart olduğunu kendisine hatırlattı. **"Sohbet Âdâbı"**nda Müslümanların hakları bâbında bu haberleri anlatmıştık. Artık onları burada tekrara lüzum yoktur.

Şâyet, "İsyânı gizli yapmak ile âşikâre yapmanın haddi nedir? Yâni hangi şekilde yapılan isyâna gizli ve hangi şekilde yapılanı âşikâre kabul edelim?" dersen bilmiş ol ki:

Kapılarını kilitleyip evinin duvarları arasında gizlice isyân eden bir kimsenin günâhını araştırmak ve yakalamak için kendisinden müsâade almadan evine girmek yasaktır. Ancak dışarıdan duyulacak şekilde içeriden çalgı ve oyun sesleri yükselirse, bunu duyanların içeri girip çalgıları kırması câizdir.

Yine bunun gibi, yükselen sarhoş nâralarını sokaktakiler duyduğu zaman, neyh-i münker edebilir. Bu da duvar aralarından sızan ses ve koku ile bilinir. Bir kapta bulunan mâiden şarap kokusu geldiği ve bunun mübâh olan şerbetlerden de olmak ihtimâli bulunduğu zaman, onu dökmek câiz değildir. Şâyet o koku, şarabı içmeye teşvîk için ise ki, bu da bir ihtimâldir. O zaman onu men etmek câizdir. Bâzen şarap kapları ve çalgı âletleri koltuk ve etek altlarına gizlenebilir. Kötü bir kimsenin eteğinde böyle bir şey olduğu zaman, husûsî bir alâmetle belli olmadıkça orada ne olduğunu anlamak için açtırıp bakmak helâl olmaz. Onun kötü bir insan olması, koltuğunda sakladığı şeyin içki olmasına delâlet etmez.

Zîra onun da başka maddelere ihtiyâcı vardır. Sirke veya benzeri başka bir şey de olabilir. Artık, bu gizlediği helâl bir şey olsa onu gizlemezdi deyip delîl çekilemez. Çünkü gizlemenin daha pek çok sebepleri olabilir. Şâyet, şarap kokusu veriyorsa, işte bu düşündürür. Fakat en doğrusu, ona müdâhale etmektir. Çünkü bir yandan gizlemesi ve bir yandan şarap kokusu zan ifâde eder. Bu gibi hususlarda zan, ilim gibidir. Ud da böyledir. Üzerinde ince bir bez bulunduğu zaman şekli ile bilinir. Şeklin delâleti, koku ve sesin delâleti gibidir. Delîlleri belli olan şey gizli sayılmaz.

Bizler, Allahü Teâlâ'nın gizlediklerini gizlemekle, açığa çıkan kötülükleri de inkâr ve red etmeye memuruz. Açığa çıkmanın da dereceleri vardır. Bir kısmı duymak, bir kısmı görmek ve bir kısmı da koku almak duyguları ile bilinir. Bir kısmını da temâs ile anlarız Hepsini göz görmesine tahsîs etmek mümkün değildir. Maksat ilimdir. Yâni bilgi edinmektir. Bu beş hassa da ilim ifâde eder. Demek ki, elbise altında gizlediği şişenin şarap şişesi olduğu hariçten bilinirse onu kırması câizdir. Fakat "Aç bakayım içinde ne var?" demeye hakkı yoktur. Bu ise casusluktur. Casusluk demek, mârifete vesîle olacak emâre ve delîlleri aramaktır. Marifetin delîli kendiliğinden ortaya çıkmış ve marifet ifâde etmişse gereği ile amel olunur. Fakat bu hususta bilgiye vesîle olacak emareleri araştırmaya müsâade yoktur.

4- Dördüncü şart: Münker olduğu ictihâda lüzûm göstermeden bilinmiş olmasıdır. Münker olduğu, ictihâda bağlı olan şeylerde hisbe yâni men etmeye kalkışmak yoktur. Meselâ Hanefiler, Şâfiîlerin keler ve sırtlan eti yemelerini ve kesilirken, kasten Besmelesi terk edilmiş olanı yemekte kınamamaları ve onlara bir şey dememelidir. Çünkü onların mezhebinde caizdir. Bunun gibi Şâfiîler de müskir olmayan hurma suyunu içmekte ve "zevi'l-erhâm"ın mirâsını yemekte ve şufa sebebiyle aldığı evde oturmakta ve benzeri hallerde Hanefîleri kınamamalıdırlar. Çünkü bunlar Hanefîlerde helâldir.

Evet bir Şâfiî başka bir Şafiî'yi hurma suyu içerken gördüğü ve velîsinin izni olmadan nikâh ettiği bir kadın ile münâsebette bulunduğunu haber aldığı anlarda onu red ve inkâr eder. Onu bu hareketinden men eder. Zîra hiç bir müctehid, başka bir müçtehidin sözü ile amel edemeyeceği gibi, hiç bir mukallid, taklîd ettiği mezhep imamının sözünün dışına çıkamaz. Çıkar diyen kimse yoktur. Âlimlerin en fazîletlisi sayarak imam diye tanıdığı bir mezhep kurucusuna bağlandıktan sonra, hoşuna gidenleri başka taraflardan alamaz. Her yönden ona uyması lâzımdır. Uyduğu imama muhalefeti münker bir harekettir ve bu muhalefeti sebebiyle günâhkârdır. Bundan daha mühim bir mesele çıkıyor, şöyle ki:

Bir Hanefî, bir Şâfiînin velîsinin izni olmadan evlendiğini görürse, "Bu senin yaptığın aslında doğrudur. Fakat senin hakkında doğru değildir. Zîra sen doğruluğuna inanarak Şâfiî mezhebini kabul ettin. Doğruluğuna inandığın bu şeyin aksini yapmak, Allah indinde doğru olsa da, senin hakkında günâhtır." demelidir.

Yine bunun gibi bir Hanefî, keler etinden veyâ kasten Besmelesi terk edilmiş bir hayvan etinden yerse bunu gören bir Şâfiî "Ya Şâfiî mezhebine girmelisin veya bu etlerden yememelisin!" diyerek onu nehyetmelidir. Bu hal başka bir hüküm daha doğurur. Meselâ, sağır bir kimse zinâ maksadıyla bir kadına yaklaşır. Muhtesib bilir ki, kendisi küçük yaşta iken babası bu kadını kendisine nikâh etmiştir. Fakat kendisi sağır olup dil bilmediği için babası bu kadını kendisine nikâh ettiğini anlatamamıştır. Sağır, bu kadının kendi nikahlısı olduğunu bilmeyerek zinâ maksadıyla ona saldırdığı için âsîdir. Hakikatte ailesi olduğu halde yine muhtesibin bunu men etmesi lâzımdır.

Bu men, Allahın ilminde helâl olması bakımından uzak bir şeydir. Fakat sağırın bilmemesi sebebiyle haram olması bakımından uzak değildir. Şüphesiz bu adam karısını boşamayı bir şeye bağlasa ve o şey de olsa, bunu muhtesib de bilmiş olsa, fakat adama târif edemese, sonra da bu adamın kadın ile temâs etmek istediğini görse, muhtesib bu adama söz ile mâni olmaya çalışır. Çünkü her ne kadar sağır, kadının boş olduğunu bilmiyorsa muhtesib, sağırın karısının boş olduğunu biliyor. Onların boş olduklarını bilmemesi, bu işi münker olmaktan çıkarmaz. Bunların bu haldeki temâsı, mecnunların zinâ etmesinden daha aşağı değildir. Hâlbuki onların da men edildiklerini anlatmıştık. Her ne kadar bilmediği için günâhkâr sayılamayacağı ve bunu yapan köre münker değilse de, Allah katında münker olduğu için bir kötülükten men etmek lâzım olduğuna göre, Allah katında münker olmayan ve gerçeği bilmediği için, fâiline nisbetle münker sayılan şeylerden men edilmemek lâzım gelir de denebilir ve belki de doğrusu budur. En doğrusunu ancak Allah bilir.

Şu îzahâtımızdan anlaşıldı ki; velîsiz nikâh ediyor diye Hanefîler Şâfiilere bir şey diyemezler. Ama Şâfiîler Şâfiîlere mâni olurlar. Çünkü her ikisi de aynı görüştedir.

Bu anlattıklarımız, fıkhın ince meseleleridir. Burada ihtimâller karşılaşmaktadır. Biz şu andaki ictihâdımıza göre tercîhimizi kullanarak fetvâ vermişizdir. Bizim görüşümüze aykırı olanların hatâda olduklarına katî olarak hükmetmiyoruz. Meselâ birisi ihtisâb, ancak katiyetle bilinen yerlerde olur, derse ona da bir şey demeyiz. Nitekim böyle de diyenler olmuştur. Dediler ki: Nehiy, ancak katî olarak haram olduğu bilinen şarap ve domuz eti gibi şeylerde olur. Fakat bize göre en doğrusu ictihâdın, müctehid hakkında müessir olmasıdır. Meselâ bir adam kıbleyi aramak için çalışsa birçok delîller ile kıblenin bir tarafta olduğuna kanâat etse, sonra da başkalarının zannına uyarak kanâatinin tam tersi tarafına dönse, bundan men edilmesi çok uzak bir şeydir.

Her mukallid, istediği mezhepten istediğini alabilir diyenlerin sözü bir değer taşımaz. Belki de bu fikre kimse kapılmamıştır. Böyle bir görüş varsa da bir kıymet taşımaz.

Şâyet, Hanefiler velînin izni olmaksızın evlenmenin câiz olduğuna inandıkları için, Şâfiîlerin Hanefîlere îtiraz hakları olmadığına göre, Mûtezîlelerin de "Allah görülmez, hayır Allah'tan, şer ise Allah'tan değildir ve Allahın kelâmı mahlûktur." gibi sözlerine ve yine Haşriyelerin "Allahü Teâlâ cisimdir, sûreti var, Arş üzerindedir." gibi sözlerine, hattâ Felâsifenin cesedlerin dirilmeyip yalnız rûhların haşrolacağına dâir sözlerine de îtirâz edilmemelidir. Çünkü bunların hepsi ictihâdlarının netîcelerini bildiriyor ve bu ictihâdlarının gerçek olduğuna inanıyorlar. Aynı zamanda bu mezheplerin bâtıl oldukları meydandadır. Sahîh hadîse muhalif olanların da bâtıl oldukları meydandadır.[31] "Allahın görüleceğini isbât eden nâsların zâhirini Mûtezile'nin tevîl yolu ile inkâr ettikleri gibi, Hanefîler de, velîsiz nikâhın câiz olacağı, şufa ve benzeri meselelerde de nassın zâhiri ile sâbit olan bâzı meselelere muhalefet etmişlerdir." dersen bilmiş ol ki:

Meseleler ikiye ayrılır. Bir kısmında her müctehidin isabet ettiği düşünülebilir.-Helâl ve haram hakkında fiillerin hükümleri gibi... Bu hususlarda müctehidlere dokunulamaz. Çünkü katî olarak hatâları bilinemez, belki zannen bilinir. Diğer kısmı da müctehidlerden ancak biri isâbet eder, diğerleri hatâda olur. Rûyet, Kader, Kelâm, Sûret, Cismiyet ve İstikrâr'ı Allahü Teâlâ'dan nefyetmek gibi. Bu hususlarda müctehidlerden hatâ edenlerin hatâları katiyetle bilinir.

---

[31] Bakara sûresinin 189'uncu âyet-i kerîmesi.

Artık sırf cehâlet mahsûlü olan hatâsının yolu kalmaz. O halde lâyık olan, bütün bid'at kapılarını kapamak ve bid'at sâhiplerini red ve inkâr etmektir. -Her ne kadar bid'atlerinin hak olduğuna inansalar bile- Nitekim Hıristiyan ve Yahûdiler kendi inançlarının doğruluğuna kani oldukları halde yine de biz onları tekfir ediyoruz. Zîra hatâları katiyetle meydandadır. İctihadî hatâlar ise başkadır.

Şâyet, Kaderiyenin, "Şer Allah'tan değildir." dediklerine îtiraz ettiğin gibi, onlar da senin, "Şer Allah'tandır." sözüne îtiraz edebilirler. Allah görülür, dediğinde ve diğer ayrılıklarda da mesele aynıdır. Zîra bid'at sâhibi kendi görüşü ile hak üzerindedir. "Bir bid'at sâhibine göre bid'at sâhibi hak üzerindedir. Herkes kendisinin hak üzerinde olup, bid'at sâhibi olmadığını iddiâ etmektedir. O halde ihtisâb nasıl tamamlanır?" dersen bilmiş ol ki:

Biz bu karşılaşma sebebiyle deriz ki: Bid'atlerin yayıldığı memlekete bakarız. Bid'at sâhipleri az olup ehl-i sünnet ekseriyette ise sultanın izni olmadan sünnîler onlara emr-i mâruf ederler. Şâyet kalabalık olup onlara taarruz etmekte karışıklığın zuhûrundan korkulursa, o zaman bu gibi mezhep mücâdeleleri sultanın müsâadesiyle olur. Sultan, hakkı bulur ve ona yardım etmek isterse içlerinden birisine bid'atçilerle mücâdeleyi emreder ve o da bu vazîfeye devâm eder; başkasının bu hususta selâhiyeti olmaz. Zîra sultanın müsâadesiyle muârazada bulunan zâta kimse bir şey diyemez. Fakat fertlerden birisi kendiliğinden bu vazîfeyi üzerine alırsa, diğerleri karşısına çıkarlar.

Hülâsa: Bid'ati men etmek, diğer bütün münkerâtı nehyetmekten daha mühimdir. Fakat bid'atleri kaldırmakta yukarıda anlattığımız esaslara riâyet edilmeli ve bir fitneye sebep olmamalıdır. Şâyet sultan; Kur'ân mahlûktur, Allahü Teâlâ görülmez, Arş üzerindedir ve benzeri sözlerin hepsini mutlak sûrette men etmeye emir verirse, herkes inkıyâd eder ve kimse îtiraz etmezdi. Fakat sultanın müsâadesi olmadan bu müdâhele ferdî olursa, elbette karışıklık görülür.

Üçüncü Rükün

Kötülükten men edilecek kimse beyânındadır.

Bunun şartı, muhtesebün aleyhin yâni kötülükten men edilecek olan kimsenin öyle bir vasıfta olması lâzımdır ki, men edilen şey onun hakkında münkerâttan olmalıdır. Bunun en aşağı derecesi de men edilen şeyin insan olmasıdır, mükellef olması şart değildir. Erginlik devresinden önce de olsa, bir çocuğun içkiden men edileceğini yukarıda anlatmıştık. Aklı başında olması da şart değildir. Zîra mecnun, mecnun ile veyâ bir hayvan ile zinâ ederken görüldüğü an men edilmesinin vâcip olduğunu yukarıda anlattık.

Evet mecnun hakkında red ve inkâr edilmeyecek bâzı işler de vardır. Namaz kılmamak, oruç tutmamak ve benzeri işler gibi… Fakat biz tafsîlâtın ihtilâfına iltifat etmiyoruz. Zîra tafsîlâtta bundan başka mukîm ile misâfir, hasta ile sağlam da birbirinden ayrılırlar. Maksadımız red ve inkârın kendisine müteveccih olması için, aranılan asıl vasıfları bildirmektir. Tafsîlâta girişilen vasıfları şerh ve îzah değildir.

Şâyet, "İnsan olmasını şart koşmaya ne lüzum var? Emr-i mâruf ve nehy-i münker için hayvan olması yeter. Çünkü bir bahçeye bir hayvan girip onu bozduğu zaman, mecnunu men ettiğimiz gibi, o hayvanı da men ederiz." dersen bilmiş ol ki:

O hayvanı bahçeden çıkarmaya hisbe yâni nehy-i münker adını vermek doğru değildir. Zîra hisbe, men edilen kimseyi kötülükten korumak için Allah hakkı olarak bir münkerden men etmekten ibârettir. Mecnunu zinâdan, sabiyi içkiden men etmek Allah hakkıdır. Bir kimsenin mahsûlünü, bir insan telef ettiği zaman iki sebepten men edilir:

Birincisi: Allah hakkıdır; o da yaptığı bu işin bir isyân olmasıdır.

İkincisi: Malı telef olan kimsenin hakkıdır. Bunlar birbirinden ayrı iki illettir. Şâyet adamın müsaadesiyle bir kolunu kesse, mâsiyet sâbittir. Ancak sâhibinin müsâadesiyle olduğu için, şahıs hakkı düşer. Bu iki illetin yalnız biriyle de hisbe, nehy-i münker sâbittir. Hayvan da birisinin bahçesine girdiği zaman, mâsiyet yönünden değil, adamı zararlandırması bakımından men edilir. Fakat burada ince bir nokta vardır. Şöyle ki: Biz hayvanı bahçeden çıkarırken hayvanı men etmiyor, bahçe sâhibinin malını korumuş oluyoruz.

Zîra hayvanları lâşe yemekten, şarap kabından içmekten men etmeyiz. Belki hayvanların lâşe yemeleri câizdir. Fakat Müslüman'ın malı ziyâa (kayba) uğrayacak ve bu zararı kolaylıkla önleyecek vaziyette isek, onun malını korumak bize vâcip olur. Hattâ yüksek bir yerden başkasına âit bir ağaç desti düşmekte olsa, altında da başkasına âit bardaklar bulunsa, o bardakları korumak için destinin düşmesine mâni oluruz. Yoksa destiyi düşmekten men etmek için destiye mâni olmuş değiliz. Yâni destiyi men etmiş sayılmayız. Ancak bardakları korumuş oluruz. Fakat mecnunu zinâdan, çocuğu içkiden men ederken doğrudan doğruya kendilerine mâni oluruz. Yoksa ne hayvanı sıyânet ediyor, ne de içilen şarabı korumuş oluyoruz. Belki aklı olmasa bile, insan olması hasebiyle muhterem olduğu için, mecnunu içkiden korumaya çalışıyoruz.

Bunlar çok ince meselelerdir. Bunları ancak muhakkikler açığa çıkarabilir. Bunlardan gaflet edilmemelidir. Sonra çocuk ile mecnunu men etmekte de nazar vardır. Çünkü ipek giymek ve benzeri bâzı işlerde bunların men edilip edilmeyeceğinde ihtilâf vardır. Üçüncü babta buna temâs edeceğiz.

Şâyet, "Bir kimsenin tarlasına bir hayvanın girdiğini gören herkese, o hayvanı çıkarmak vâcip midir? Veyâ bir Müslüman'ın malının zâyi olduğunu gören herkese, o malı korumak vâcip midir? Eğer, "Vâciptir." derseniz, bu çok ağır bir tekliftir. Artık bir insan ömrü boyunca durmadan başkaları için çalışması lâzım gelir. "Vâcip değildir." dersen, başkasının malını gasbeden kimseye mâni olmak "Vâciptir." demenin mânâsı nedir? Bu nehy-i münkerde başkasının malını korumaktan başka ne vardır?" dersen deriz ki:

Bu ince ve derin bir noktadır. Burada kısa olarak deriz ki: Malına, sıhhatine ve mevkiine bir zarar gelmeyecek şekilde, başkasının malını korumaya mecburdur. Müslüman haklarını korumakta bu kadarı vâcip ve bu miktar, vâcip olan hakların en aşağı derecesidir.

Müslüman haklarını bildiren pek çok delîller vardır, en kısa haddi budur. Bu, selâmı iade etmekten daha mühimdir. Zîra Müslüman'a buradaki eziyet, selâmını almamaktaki eziyetten daha büyüktür. Hattâ bir kimse bir zâlim tarafından zulme uğrasa ve malını zıyâa (kayba) uğratsa, bunu da bir adam görse ve onun şehâdetiyle bu mal sâhibine iâde edilecek olsa, bu adama şehâdet etmek vâciptir. Hâdiseyi gizlemekten mesüldür. Bir zararı önleyene, bu önlemesi zarar vermeyecekse, onu önlememek, aynen bildiğini gizleyip şâhidlik yapmamak gibidir. Fakat servetinde, sıhhatinde ve şerefinde bir zarar melhûz ise o zaman bu borç kendisinden düşer.

Zîra kendi malını, canını ve mevkîini koruma hakkı en az başkalarının hakkı kadar bâkidir. Başkası uğrunda kendini fedâ etmeye mecbûr değildir. Îsâr yâni başkasının kârını kendi kârı üzerine tercîhte serbesttir ve müstehaptır. Müslümanlar için zorluklara katlanmak borç değil, belki bir kurbet ve ibâdettir. Adamın tarlasında hayvanları çıkarmakta yorulacaksa bundan vaz geçer. Şâyet sâhibine seslenmek veyâ haber vermek gibi, kolay bir sûrette bu işi önleyecekse bu vazîfeyi yapar. Bu kadar bir vazîfeyi ihmâl edip tarla sahibini ikâz etmemesi, bildiğini gizleyip hâkime söylemeyen gibidir. Buna da cevâz yoktur. Burada az veyâ çoğa riâyet etmek de mümkün değildir. Meselâ bahçe sâhibinin zararı çok olacak ve kendisi o hayvanı bahçeden çıkarmakla meşgul olurken zararı az olacaksa, bahçe sâhibinin çok olan zararını nazar-ı îtibâra alarak kendisinin az olan zararını fedâ edip bu hayvanı çıkarır denemez.

Zîra bin dirhemi olan kimsenin, onu koruması nasıl hakkı ise bir dirhemi olanın da onu koruması hakkıdır. Başkasını çok zarardan kurtarmak için, kendisinin de -az da olsa- zarara katlanmasına mecbûriyet yoktur. Yalnız malın kaybolması mâsiyet yolu ile zorla almak ve çalmak gibi sebeplerle olursa, bu takdirde mâni olmak vâciptir. Artık kendisinin yorulmasına bakılmaz. Çünkü bu şeriât hakkıdır. Maksat mâsiyeti önlemektir. Mâsiyeti terk etmekte yorulmak borcu olduğu gibi, mâsiyeti önlemekte de yorulmak borçtur. Hangisi olursa olsun, günâhı terketmek zordur. Tâat ve ibâdetler nefsin arzularına muhalefetle olur. Nefsin isteklerini yenmek cidden zordur. Bununla beraber her türlü zarara katlanması da mecbûri değildir. Bunun tafsîli yukarıda anlattığımız gibi, bu vazîfeyi görecek olanın karşılaşacağı mahzurları nazar-ı îtibâra almak sûretiyledir.

Maksadımıza yakın olan iki meselede fakîhler ihtilâf etmişlerdir.

Birincisi: Düşüp ortada kalan bir şey kaybolmuştur. Onu almak, onu kaybolmaktan korumak olduğu için, onu almak vâcip midir? meselesidir. Bize göre bu hususta hak olan, bunu şu şekilde îzahtır. Unutulan şey, câmi ve misâfirhâneler gibi, girip çıkanların belli ve emin kimseler olup kaybolma ihtimâli olmayan yerlerde ise -ki bunu ancak bilenler alır- o zaman bu malı almak lâzım değildir. Sâhibi gelir malını alır. Şâyet kaybolacak bir yerde ise ve üstelik bunu aldığı takdirde kendisine yük olacaksa (meselâ bu bir hayvandır, ot ister, yem ister, ahır ister bin bir türlü telâşı vardır) yine bunu almak kendisine borç değildir. Zîra bu düşüğü almak, mâlikinin hakkını korumak içindir. Mâlikinin hak sâhibi olması, bir insan olması hasebiyledir. Çünkü insan muhteremdir. Buna karşılık bu yitiği alacak olan da aynı şekilde bir insandır.

Başkasını kendi menfaati için zahmete sokamayacağı gibi, kendini zahmete sokmamak da, kendi hakkıdır. Şâyet düşen şey altın, gümüş ve kumaş gibi, kendisine yalnız bir sene onu ilân edip sâhibini aramak zahmetinden başka bir yük olmayacaksa, burada da iki yol vardır: Bâzılarına göre, onu ilân edip sâhibini araştırmak kendisi için bir meşakkattir. Bu külfeti ona yüklenmeye lüzum yoktur. Ancak sevabını kastederek bu işi üzerine alırsa ne güzel. Diğer bâzılarına göre de, Müslümanların haklarına riâyetle bu kadarcık zahmete katlanmak bir şey değildir.

Adetâ hâkim huzuruna çıkıp şâhitlik için verilen bir ifâde gibidir. Bu şâhide ifâde vermek için başka bir memlekete gitmek külfeti yükletilmez. Ancak kendi arzusu ile giderse o daha iyi. Fakat hâkim, bulunduğu memlekette ise hâkimin huzuruna çıkmaktaki yorgunluğu, şehâdeti yerine getirmek ve emâneti îfa etmek karşısında bir şey değildir.

Şâyet hâkim başka yerde ise şiddetli sıcak ve soğuklarda oraya gidip hâkimin huzuruna çıkmak zarûreti varsa, bu ictihâd mevzûudur. Başkasının hakkını korumakta kendisinin karşılaşacağı az bir zarar nazar-ı îtibâre alınmadığı gibi, karşılaşacağı çok zararı yüklenmesi de lâzım gelmediği âşikârdır. Bu iki tarafın bir de orta derecesi vardır. Bu dâima şüpheli kalan bir şeydir. Bunu çözmek, beşer kudretinde değildir. Çünkü bunun birbirine yakın olan cüzlerini ayırabilecek illet mevcût değildir. Fakat takvâ sâhibi insan kalbine danışır, kalbine ızdırap veren tarafı atar, sükûn vereni yapar. Bu esâsın perdesini kaldırmakta son çare budur.

Dördüncü Rükün

Dördüncü rükün, ihtisâbın kendisidir.

İhtisâbın da âdâb ve dereceleri vardır. Birincisi taarruf, ikincisi târif, üçüncüsü va’z u nasîhat, dördüncüsü unf ve sebb, beşincisi el ile bozmak, altıncısı dayak ile korkutmak, yedincisi dövmek, sekizincisi silâh kullanmak, dokuzuncu derece de yardımcı ve asker toplamakla bu işi başarmaktır.

Birinci Derece:

Birinci derece taarruftur. Yâni münkeri araştırıp öğrenmeye çalışmaktır. Buna tecessüs derler ki, bu yasaktır. Başkasının evine kulaklarını verip burada çalgı sesi var mı? diye dinlemek veyâ şarap içiyorlar mı? diye koku almaya çalışmak doğru değildir. Bunun gibi, çantası içinde ne olduğunu eli ile yoklamak veyâ ne yapıyor diye komşusundan soruşturmak uygun değildir.

Evet, kendisi hiç soruşturmadan iki âdil şâhit gelerek "Falan adamın evinde içki içiliyor veyâ içilmek için içki hazırlanmıştır." diye haber verirlerse, o zaman müsâade istemeden evine girebilir. Mesken masuniyetine riâyet etmeden içeri girmek, bu kötülüğü önlemek için olmuş olur.

Rivâyetleri kabul olup da şehâdetleri kabul olmayan kimselerin ihbârları üzerine adamın evine girmekte de ihtilâf vardır. Evlâ olan, girmemektir. Çünkü müsâade almadan adamın evine girmemek, ev sâhibinin hakkıdır. Müslümanm hakkı, ancak iki şâhidin şehâdetiyle sâkıt olur. Denildi ki: Lokman'ın yüzük taşında şöyle yazılı idi:

"Gördüğünü gizlemek, şüphe ettiğini açıklamaktan daha güzeldir."

İkinci Derece:

İkinci derece tarif, yâni lütuf ve mülâyemetle bilmeyene öğretmektir. Zîra çok kere insan bilmeyerek münkeri yapar. Münker olduğunu bilseydi, onu yapmazdı. Meselâ bir bedevînin namazı gibi… Bedevî cehâleti sebebiyle rükû ve sücûdu hakkıyla yapamaz. Şâyet kıldığının dürüst bir namaz olmadığını bilse, asıl namazı terk ederdi. Binaenaleyh bu adamı yumuşak ve tatlı sözlerle irşâd etmek lâzımdır. Çünkü adama öğretmekte onun câhil ve ahmak olduğuna îmâ vardır. Bu adamı techîl, ona eziyettir. Her işinde ve bilhassa şer'î meselelerie cehâleti çok az kimseler kabul eder. Bunun için hiddetli kimseler cehâlet ve hatâları üzerine îkaz edildikleri zaman, hemen öfkelenirler ve cehâlet perdelerinin açılmaması için, bile bile hakka karşı direnir dururlar. İnsan tabiati, mahrem yerini örtmekten daha ziyâde cehâletini örtmeye meyleder. Çünkü cehâlet, insanda mânevî bir çirkinlik ve yüzkaralığıdır. Sâhibi dâimâ kınanır.

Ahlâk bedene sirâyet eder. Rûh ve ahlâk bedenden daha şereflidir. Ahlâk bozukluğu beden çirkinliğinden daha kötüdür. Aynı zamanda vücûdun niçin çirkindir diye kimse yerilmez. Zîra bu, kendi ihtiyârında değildir. Onu değiştirip güzelleştirmek de kendi irâdesi hâricindedir. Ama cehâlet bir çirkinliktir ki, onu ilim ile değiştirmek mümkündür. Bunun için cehâletin meydana çıkmasından insan son derece üzüntü duyar. İlmi ile şereflenir, sonra ilim güzelliği açığa çıkınca neşelenir. İnsana hatâlarını öğretmek, onun cehâlet mahremiyetini açıklamak ve kalbini incitmek olacağından târifin eziyetini kaldırmak için yumuşaklıkla îkaz etmeye çalışmalıdır.

Bu gibi adam, kimse âlim olarak doğmamıştır. Biz de namaz işlerinde câhil idik, hocalarımız bize öğrettiler. Belki sizin köyde size öğretecek hoca da yoktur, belki de namaz işlerini iyi bilmezler. Rükû ve sücûdda tumânînet, yâni âzâları hareketten kesip durmak lâzımdır. İşte buna benzer mülâyim sözlerle eziyet etmeden adamı öğretmeye çalışır. Adamı kötü işte bırakmak ve îkaz etmemek ne derece mahzûrlu ise Müslüman'a eziyet de o derece mahzûrlu ve haramdır. Kanı kan veyâ sidik ile kimse yıkamaz. Kötülüğe, sükûtun mahzurundan kaçınıp mülâyemet imkânı varken Müslüman'a eziyet mahzurunu irtikâb eden kimse, gerçekte kanı sidik ile yıkayan gibidir. Dîn ile alâkalı olmayan bir hatâsını gördüğün kimseye hemen hatâsını açıklama. O, bir yandan senden ilim öğrenirken öte yandan sana düşman olur.

Ancak bu nevî ikazları ganîmet telakkî eden bir kimse olursa onu her hatâsında îkaz edersin. Böylesi de pek ender bulunur.

Üçüncü Derece:

Va'z u nasîhat ve Allahın azabı ile korkutmak sûretiyle îkaz etmektir. Bu da bilerek kötülüğü irtikâb eden veya münker olduğunu bildikten sonra ona devam eden kimseye karşı yapılır. Şarap, zulüm, çekiştirme ve benzeri kötülüklere devam eden kimse gibi... Bu gibi adamlara va'z u nasîhatte bulunmak ve onları Allahın azabı ile korkutmak, bu husustaki korkutucu haberleri bunlara açıklamak, eskilerin âdet ve gidişlerini ve takvâ sâhiplerinin ibâdetlerini şunlara anlatmalıdır. Bütün bunları şiddet ve sertlikle değil, tatlılık ve yumuşaklıkla yapmalı, bu gibi adamlara şefkatle bakmalı ve başkasının isyâna dalmasını kendisi için bir felâket telakkî etmelidir. Çünkü mü'minler yekvücûd gibidir. Burada korunulması gereken mühim bir nokta vardır. Çünkü bu cihet çok tehlikelidir. O da şudur: Va'z u nasîhatte bulunan zât kendini ilim sâyesinde izzetli, karşısındakini de cehâleti sebebiyle hor ve hakîr görebilir.

Çok kere va'z u nasîhatiyle kendini bilgisi ile üstün ve karşısındaki adamı cehli sebebiyle küçük ve düşük göstermek ister. Şâyet va'z u nasîhatte maksadı bu ise bunun kötülüğü, va'z u nasîhat ettiği kimsenin kötülüğünden daha büyüktür. Bu adam, başkasını ateşten kurtarıp kendini yakan kimseye benzer. Bu hal, son derece zillet ve en büyük bir cehâlettir. Bunun sahibi şeytana aldanmıştır. Şeytan, insanları yularlar. Ondan ancak Allahü Teâlâ'nın yardım ettiği hidâyet nûru ile gözünü açıp kendi kusurlarını görmek imkânlarını bahşettiği kimseler kurtarabilir. Çünkü başkasına tahakkümde nefis için iki yönden büyük zevk vardır. Birincisi ilim, ikicisi de tahakküm ve sulta yönündendir. Bu hal gösteriş ve mevkî talebine sebep olur. Bu da gizli şehvettir, insanı gizli şirke götürür. Bunun da bir mehenk ve miyârı vardır. Muhtesib bu hususu da denemeli isyân eden kimsenin bu isyânından kendiliğinden veyâ başkasının tesîri ile vaz geçmesi, kendisinin o âsiye tesîr etmesinden daha çok hoşuna gidiyorsa ona va'z u nasîhatte bulunmalıdır.

Çünkü bu şekil istek diyânet icabıdır. Şâyet günâhkârın ıslâh olmasının kendi îkazı ile yapılmasını seviyorsa, bu nefsânî bir istek ve şehvânî bir arzudur. Bununla kendi şerefini yükseltmek ister. Bu halde olan kimse, önce kendine ve sonra da başkalarına vaaz etsin. İşte bu zaman, İsâ aleyhisselâma denilen "Önce kendine vaaz et. Öğüdü tutuyorsan sonra da başkasına vaaz et. Yoksa Allah'tan utan." ona da denir.

Dâvûd-ı Tâî'ye (Allah rahmet etsin), "Şu emîrlere gidip çekinmeden emr-i mâruf ve nehy-i münker eden adama ne dersin?" diye sorduklarında, onu kamçı ile dövmelerinden korkarım. Ona da aldırmıyor, dediklerinde, onu öldüreceklerinden korkarım, ölüme de aldırmıyor, dediklerinde, onu öldürücü olan ucub hastalığından korkarım, dedi.

Dördüncü Derece:

Söz ile haşin davranmak, tahkîr etmek ve ağır konuşmaktır. Bu dereceye, önce tatlılık ve mülâyemetle nasîhat yapıldıktan ve tesîri görülmedikten sonra geçilir. Bu da İbrahim aleyhisselâmın:

أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

"Size ve Allah'tan başka taptıklarınıza yuh olsun, yazıklar olsun! Hiç akıl erdiremeyecek misiniz?" (Enbiyâ suresi, 21/67) buyurduğu gibidir. Biz sert konuşur, derken sövüp sayar demek istemiyoruz, yalan söylemesini de kasdetmiyoruz. Belki onun kusurlarını ona sayar döker; "Sen bu hareketinle günâhkârsın, bu hareket ahmaklık ve cehâlet hareketidir, Allah'tan korkmuyor musun? Ey kalbi kararmış adam, ne anlamaz insansın, senin bu yaptıkların nedir?" gibi sözlerle îkaz eder. Her günâhkâr, ahmak ve câhildir. Şâyet ahmaklık ve cehâleti olmasa, Allah'a isyân etmezdi. Kendi muhâsebesini yapmayan her insan ahmaktır. Akıllı adam da Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in akıllı diye şehâdet ettiği kimsedir. Nitekim hadîste:

اَلْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْأَحْمَقُ
مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنّٰى عَلَى اللّٰهِ الْأَمَانِي

"Akıllı, kendini murâkebe edip ölüm sonrası için çalışan kimsedir. Ahmak da nefsinin arzuları peşinden koşup Allah'a ümit bağlayan kimsedir."[32] buyurulmuştur. Bu derecenin iki edebi vardır:

Birincisi: Tatlı bir şekilde telkîn etmekten âciz kalıp zarûret hâsıl oluncaya kadar bu yola baş vurmamaktır.

İkincisi: Ancak doğruyu konuşup sözü fazla uzatmamaktır. Diline sâhip olup lüzumundan fazla konuşmamaktır. Şâyet bu gibi sert sözlerin adama tesîr etmeyecekse yalnız ona kızdığını göstermekle iktifâ etmelidir. Şâyet böyle tahkîr edeceği zaman dövüleceğini, fakat kızdığını belirttiği an dövülmeyeceğini anlarsa, o zaman suratını ekşitmeli, yalnız kalpten buğzetmekle kalmamalı, belki kızdığını belli etmelidir. Suratını ekşitmeli ve bu hareketi tasvip etmediğini izhâr etmelidir.

---

[32] Bununla beraber *"Nikah ancak velî ile olur."* hadîsini kasdetmiştir ki, evlenme bahsinde geçmiştir. Bu hadîse Hanefîler muhâlefet eder. Buna karşılık *"Allahın adı üzerine anılmayandan yemeyiniz."* ayetini de Şâfiîler tevîl ederler. Tevcîhleri, alâkalı bahislerde izâh edilmiştir.

Beşinci Derece:

Beşinci derece de el ile bozmaktır. Bu da çalgıyı kırmak, içkiyi dökmek ve adamın sırtından ipek elbiseyi çıkarmak, ipek üzerine ve başkasının malına oturmaktan onu men etmek ve gasbettiği evden adamı çıkarmak, cünüb olarak mescidde oturanı mescidden çıkarmak ve benzeri işleri yapmak gibi… Bu, bâzı günâhlarda düşünülürse, bâzılarında düşünülemez. Dil ve kalp ile işlenen günâha bu şekilde bozmak mümkün değildir. Günâhların şahsını alâkadar eden ve bâtınî âzâları ile yapılan günâhları da böyledir. Bu derecede de riâyet edeceği iki edeb vardır:

Birincisi: Gerekli telkînâtı yapmadan, hemen eli ile bozmaya kalkışmamaktır. Zorla aldığı yerden çıkmasını başka suretle sağlayabilir ve yaptığı telkînlerle içkisini kendisine döktürür, çalgısını kendisine kırdırırsa, ipek elbiseyi kendi ihtiyârı ile çıkartabilirse, bütün bunları zorla yaptırmasına lüzum yoktur. Çünkü kendi eliyle bunları yapmasında zorluk vardır. Bizâtihî bu işleri önleyemezse, yalnız sarfettiği gayreti ile kifayet eder ve başkasını ona havâle eder.

İkincisi: Bu isyanı bozmakta, ancak muhtaç olduğu nispette hareket edip taşmamaktır. Adamın ayağından, saçından sakalından çekmek gibi çirkin hareketler yapmamalıdır. Elbisesini yırtmaya kalkışmamalıdır. Fazla eziyete lüzum yoktur. Meselâ, çalgı âletini de yakmaz, ancak onu çalgı olmaktan çıkarır ve o dereceye getirir ki, onu onarıp yeniden çalgı haline sokmak yenisini yapmak gibi olur. İçkileri dökerken de mümkün olduğu kadar kapları kırmamaya dikkat eder. Şâyet vaziyet buna müsâit değilse kaplarını da kırabilir ve kaplarının değeri nazar-ı îtibâra alınmaz. Şâyet içkisine kendini siper etse kendini döverek içkisini dökmek selâhiyeti olduğuna göre, içki kaplarının, adamın kendisinden daha değerli olmadığı meydandadır. Şâyet içki, ağzı dar şişelerde olur ve bunları dökerken zaman kaybına ve bu müddet zarfında, kötü kimselerin yetişip içkiyi kurtaracağına sebebiyet verecekse, işte bu vaziyet karşısında şişeleri kırabilir. Şâyet böyle bir şey yok, ancak içkileri dökmek, sâdece çok zaman alacak ve adamı fazla meşgul edecekse, yine içki kabını kırabilir. Bu mâzeretler hâricinde içki kabını kırarsa, onu tazmîn eder.

Şâyet "İçkiden men etmek için kapları kırmak ve yine gasbettiği yerden onu çıkarmak için sakalından veyâ ayağından çekmek niçin câiz değildir? Hâlbuki böyle yapmak adamı men etmek bakımından daha faydalıdır." dersen bilmiş ol ki:

Bir ukûbet, eziyet ve bir de zecr, nehyetmek vardır. Bir şeyden nehyetmek (zecretrnek) gelecek içindir. Ukûbet ve eziyet ise geçmiş ve hal-i hâzır içindir. Memûrların vazîfesi ancak bir şeyi önlemektir. Bu da kötülüğü yok etmektir. Bundan fazlası ya geçmiş günâha cezâ vermek veyâ gelecekten men etmektir. Bu selâhiyet, memûrların değil, vâlilerindir. Vâli, lüzum gördüğü takdirde bu selâhiyetini kullanabilir.

Yine derim ki: Zecr olarak içki kaplarının kırılması için vali emir verebilir. Bu işin önlenmesi için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) zamanında böyle yapılmıştır. Bu hükmün kaldırıldığına dâir bir delîl de mevcut değildir. Belki bu hususa ehemmiyet vermek daha şiddetli olmuştur. İdareyi uhdesine alan zâtın, kendi kanâatına göre böyle yapması câizdir. Bu şekil hareket bir nevi içtihâd mevzûu olduğu için, yalnız emîrin selâhiyetinde kalmıştır.

Şâyet, “O halde içki içip isyan edenlerin bu kötülüklerini önlemek için, bu kötülüklerine sebep olan mal, servet, ev ve eşyâlarını yıkıp yakmaya da sultan selâhiyettar olsun? Buna selâhiyetli olması lâzımdır.” dersen bilmiş ol ki:

Hakîkaten bu hususta şer’î bir hüküm vârid olsa halkın faydası için uygun olurdu. Biz ise yeni bir hüküm îcad edemeyiz, ancak hükme uyarız. Böyle bir hüküm îcad edilmemiştir. Şiddetli ihtiyaç anında şarap kaplarını kırmak ve bu mecbûriyet kalkınca onları kırmamak, bu hükmü değiştirmek ve nesh etmek demek değil, belki illetin kalkması ile hükmün de kalkması demektir. İllet avdet edince hüküm de avdet eder. Bizim bu hükmü imam, hükümdâr hakkında câiz görmemiz geçmiş hükme uyularak yapılmıştır. Memûrları bu işten men etmemiz bu husustaki ictihâd yolunun gizli olması bakımındandır. Hattâ şarabı döktükten sonra kabını kırmak câiz değildir. Kapları kırmak şaraba tebaiyetle câizdir. Boş kaldıkları zaman onları kırmak, malı telef etmek demektir. Ancak tekrar şarap kabı olacaksa ve şarap kabı olmaktan başka bir şeye yaramazsa yine kırması câizdir. Birinci asırda rivâyet edilen şarabı döküp kabı kırma muâmelesi iki mânâya mukarin idi:

Birincisi: Men etmeye şiddetle ihtiyaç olması.

İkincisi: İçi şarap dolu olan kapların şaraba tâbi olması idi. Bunlar, içkinin dökülmesi ve içki kaplarının kırılmasında müessir olan iki âmildir. Bunları kaybetmeye yol yoktur. Üçüncü bir mânâ daha var; o da zecre şiddetli ihtiyaç hâsıl olduğunu bilen Ulü’l-emr’den böyle bu emrin sudûrudur. Bu da müessir sebeptir, bunu da kaldırmaya imkân yoktur. Bunlar fıkhın ince tasarrufâtıdır. Muhtesibin bunları bilmesi zarûrîdir.

Altıncı Derece:

Korkutmaktır. "Bu işi terk et, yoksa kafanı kırar ve kelleni uçururum." yâhut "Emir veririm, sana şöyle şöyle eziyetler yaptırırım." demek gibi sözlerle korkutmaktır. Bilfiil dövmeden dayak atmadan önce mümkün mertebe bunları söylemek lâzımdır. Bu derecenin edebi de, yapamayacağı şey ile korkutmamaktır. "Evini yağma ederim, çocuğunu döverim, âileni esir ederim." gibi sözler söylememelidir. Şâyet böyle yapmak azmiyle konuşuyorsa, bu haramdır. Şâyet böyle bir azmi yoksa konuştuğu yalandır. Evet, adamın davranışı, dayak atmaya ve hakaret etmeye müstahak ise vaziyetinin iktizâ ettirdiği bir dereceye azmetmek emîrin selâhiyeti dâhilindedir. Bununla beraber kendisi selâhiyetinin aşağı derecesini tatbîk edeceği yerde, sözünün müessir olacağını umarsa, kullanmayacağı halde, selâhiyetini tamamen kullanacağını söyleyebilir. Bu, mahzûrlu bir yalan değil, belki bu gibi mübâlağalar mûtad olan mübâlağalardandır. İki kişiyi barıştırmak, ortakların arasını bulmak için bu gibi mübâlağalar câizdir. Bu da aynı mânâdadır. Çünkü gâye, adamı ıslâh etmektir. Bu mânâya işaret edilerek bâzı kimseler, Allahü Teâlâ'nın vermeyeceği cezâ ile korkutmasının câiz olacağını, zîra korkuttuğunu yapmamanın bir kerem olduğunu söylemişlerdir. Çirkin olan, yapmayacağı şeyleri sayıp dökmektir. Bu ise bize göre doğru değildir. Çünkü Kur'ân-ı Kerîm'de **hulf,** verdiği sözden dönmek ârız olmaz. İster va'd olsun, ister vaîd olsun değişmez. Bu ise kullar hakkında düşünülebilir ve tehdîd sözünden dönmesi kula haram olmaz.

Yedinci Derece:

Yedinci derece de silâh çekmeden el ve ayak ile dövmektir. Bu da yalnız münkeri önleyecek derecede olmak üzere fertler için câizdir. Kötülük önlenince el ve ayak da çekilmelidir. Kadı, hakkı zimmetine geçiren kimseden hakkı almak için onu bâzen hapsedebilir. Hakkı verebilecek vaziyette olup da hâlâ vermemekte isrâr ederse, ona tedrîcî surette dayak bile atabilir. Muhtesib de aynı şekilde âhesteliğe riâyet eder. Şâyet silâh çekme zarûreti hâsıl olur ve bu sâyede ancak kötülüğü önlemeye muktedir olacaksa, fitneyi mûcib olmayacak derecede silâh da kullanabilir. Meselâ; kötü bir insan bir kadına çullanmış veyâ orada çalgısını çalmaya devâm ediyor ve arada ırmak veyâ duvar gibi bir mâni varsa, okunu eline alır ve adama: "Bu işten vazgeç, yoksa seni öldürürüm." der. Şâyet vazgeçmezse öldürmemek şartıyla ayaklarına nişan almak sûretiyle nişanını alır ve bu hususta da tedrîce riâyet eder. Bunun gibi kılıcını da çekerek: "Ya bu kötülükten vazgeç veyâ seni öldürürüm." der. Bütün bunlar, kötülüğü önlemek içindir. İmkân nispetinde kötülüğü önlemek vâciptir. Burada Allah hakkı ile kul hakları arasında fark yoktur. Mûtezile ise yalnız Allah hakkı olan kısımlarda ancak söz ve dayakla ihtisâb edilir, bu da fertlere değil, emîrlere âittir, derler.

Sekizinci Derece:

Sekizinci derecede bizatihi bu kötülüğü önlemeye gücü yetmeyip, silâhlı bir kuvvete muhtaç olmasıdır. Bu halde çok kere karşı taraf da adamlarını toplayarak silâh kullanır ve karşılıklı bir savaşa yol açar. Burada hükümdârın müsâadesine ihtiyaç olup olmadığı ihtilaflıdır.

Bâzıları, buna fertler selâhiyetli değildir. Zîra bu hal fitne uyanmasına, fesâd kapılarının açılmasına ve memleketlerin harap olmasına sebep olur, demişlerdir.

Diğer bâzıları da; hayır, hükümdârın iznine ihtiyaç yoktur, dediler ki kıyâsa uygun olan budur. Zîra fertlerle emr-i mâruf câiz olduğuna göre, bunun birinci derecesi ikinciye, üçüncü derecesi dördüncü dereceye ve derken dövüşmeye kadar gidebilir. Bu halde bile yardıma lüzüm hâsıl olur. Artık emr-i mâruf ve nehy-i münkerin sebeplerini daraltmaya lüzüm yok. Elbette bunun netîcesi Allah rızâsı uğrunda mâsiyeti önlemek için ordunun müdâhalesine kadar gider. Biz fertlerin toplanıp kâfirlerle çarpışmasını tecvîz ederken, müfsidleri ıslâh için onlarla dövüşmeyi niçin câiz görmeyelim? Kâfiri öldürmekte beis olmayıp, bu uğurda ölen şehîd olduğu gibi, savaşa kalkışan fâsıkı öldürmekte de beis yoktur. Hakkıyla emr-i mâruf ve nehy-i münker eden kimse de bu uğurda mazlûmen öldürülse şehittir.

Hülâsa, emr-i mârufun bu dereceye varması çok ender rastlanan bir vaziyet olduğu için kaideyi bozmaz. Kötülüğü önleyebilen herkes ister eli, ister silahı ve isterse yardımcıları ile olsun, kötülüğü önlemelidir, denilmelidir. Görüldüğü gibi mesele yine iki ihtimallidir. İşte hisbenin dereceleri bunlardır. Şimdi Allahın yardımı ile âdâbını anlatalım:

Muhtesibin Âdâbı:

Dereceler meydanında mufassalan edebleri anlattık. Şimdi bunları toplu olarak menşeleri ile birlikte anlatalım. Muhtesibin bütün edeblerinin kaynağı, muhtesibdeki üç vasıftan ibârettir. Bunlar ilim, verâ ve güzel huydur.

İlim: Emr-i mârufun yapılacağı yerleri, derecesini, yollarını ve engellerini bilmektir ki, bu sâyede şerîatın haber verdiği çerçeve içerisinde kalabilir.

Verâ: (Şüpheli şeylere yaklaşmamak): Bu da bildiğinin dışına çıkmaktan kendini korumak için lâzımdır. Herkes bilgisi ile amel etmez. Çok kimseler emr-i mârufta şer'an selâhiyetli oldukları haddi aşıp isrâf ettiklerini bilirler. Bunu bildiği halde her hangi bir garazı kendini bu işe sevkeder. İşte kendisini bu isrâftan men etmek ve sözü dinlenenler için kabule şâyân görülmesi bakımından verâ sâhibi olması lâzımdır. Zîra fâsıkın va'z u nasîhatine gülünür ve bu hali, kendine karşı gelinmesine sebep olur.

Güzel huy: Yumuşaklık ve mülâyemet sâhibi olmaktır. Emr-i mârufun esâsı budur. Yalnız verâ yetmez; Zîra ilim ile verâ, heyecanlanan, haddini yenmek için kâfi değildir, güzel ahlâka sahib olmak lâzımdır. Esâsen verâ, güzel ahlâk olmadan tamamlanmaz. Şehvet ve gadabı yenmek güzel ahlâk sâyesinde mümkün olur. Muhtesib güzel ahlâkı sâyesinde Allah yolunda uğradığı musîbetlere katlanır. Ahlâkı güzel olmazsa malına, şerefine veyâ canına karşı uğradığı bir zararda hemen va'z u nasîhatini unutur. Allah rızâsını hatırından çıkarır ve kendi nefsi ile meşgul olmaya başlar. Belki va'z u nasîhate Allah rızâsı için değil, bir mevkî almak için kalkışabilir.

Va'z u nasîhati ibâdetler meyânına sokan bu üç sıfattır. Kötülükler bu vasıflar sâyesinde önlenir, bu vasıflar bulunmazsa kötülükler önlenmez. Hattâ bu vasıflar kendisinde bulunan kimsenin va'z u nasîhati de münkerât meyânına girer. Çünkü şerîatın hudûdunu aşabilir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in şu mübârek sözü buna delâlet etmektedir:

لَا يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهٰى عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا رَفِيقٌ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ رَفِيقٌ فِيمَا يَنْهٰى عَنْهُ، حَلِيمٌ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ حَلِيمٌ فِيمَا يَنْهٰى عَنْهُ، فَقِيهٌ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ فَقِيهٌ فِيمَا يَنْهٰى عَنْهُ

"Emr-i mâruf ve nehy-i münkeri ancak emrinde yumuşak, nehyinde yumuşak, emrinde mülâyim, nehyinde mülayim, emrinde anlayışlı ve nehyinde anlayışlı olan kimseler yapabilir."[33] Bu rivâyet, emr-i mâruf edenin her hususta anlayışlı ve fakîh olmasının şart olmadığına, ancak emrettiği ve nehyettiği hususlarda âlim olmasının kâfi geldiğine delâlet etmektedir. Hilm de aynen böyledir.

Hasan-ı Basrî (Allah rahmet etsin) diyor ki: "Emr-i mâruf edenlerden olduğun zaman, ilk önce bu mârufu kabul edenlerden ol aksi takdîrde helâk olursun."

Denildi ki:

"Kendin de irtikâb ettiğin bir suç sebebiyle başkasını yerme,
Yerdiği şeyi irtikâb edenin akılsızlığına hükmedilir."

Bunu derken adamın fıskı var diye, emr-i mâruf etmesi memnûdur, demek istemiyoruz. Demek istediğimiz fâsıkın insanlar üzerindeki tesîri azalır.

Enes'den (r.a.) rivâyet edildiğine göre şöyle demiştir: Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

بَلْ مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَإِنْ لَمْ تَعْمَلُوا بِهٖ كُلِّهٖ، وَانْهُوا عَنِ
الْمُنْكَرِ وَإِنْ لَمْ تَجْتَنِبُوهُ كُلَّهُ

"Hayır, her ne kadar hepsini yapamazsanız da mârufu emrediniz. Her ne kadar bir kötülüğü tamamen terk edemezseniz de ondan nehyediniz." buyurdu.

Eskilerden birisi oğullarına verdiği öğüdünde: "Oğullarım, emı-i mâruf etmek istediğiniz zaman, önce kendinizi sabra alıştırınız ve Allah’tan mükâfat alacağınıza inanınız. Allah’tan mükâfat alacağına inanan kimse, kendisine yapılan eziyetin acısını duymaz.”

---

[33] Tirmizî ve İbn Mâce Şeddad b. Evs'den rivâyet etmişlerdir. Tirmizî, hasen olduğunu söylemiştir.

Demek ki, emr-i mârufun âdâbından birisi sabra alışmaktır. Bunun için Allahü Teâlâ, sabrı emr-i mârufa mukarin kıldı ve **Lokman**’dan hikâye yolu ile:

يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ

“Oğulcuğum! Namazını dosdoğru kıl, mârufu emret, münkerden nehyet ve sana isâbet eden musîbetlere sabret.” (Lokman suresi, 31/17) buyurdu.

Âdâbından birisi de, alâkaları azaltmaktır. Bu sâyede korkuları da azalır, insanlardan ümîdi kesilir ve bu sâyede kimseye yaltaklık etmez. Hikâye edildiğine göre: Şeyhin bir kedisi varmış. Her gün komşu kasaptan yiyeceği için bir şeyler alırmış. Bir gün kasabın yanlış bir hareketini görmüş. Hemen eve gelmiş, kediyi salıvermiş, sonra kasaba giderek nehy-i münkerde bulunmuş. Kasabın canı sıkılmış ve:

– “Ben sana kedi için daha bir şey vermem.” demiş. Şeyh:

– “Zâten ben de senden ümîdi kesmek için daha önceden kediyi salıverdim.” demiş. İşte emr-i mâruf ve nehy-i münker böyle yapılır. İnsanlardan ümîdini kesmeyen kimse, onlara emr-i mâruf edemez. Yine bunun gibi insanların kendisini övmelerini ve hakkında iyi söylemelerini arzu eden kimse emr-i mâruf edemez.

Kâ’bü’l-Ahbar, Ebû Müslim el-Havlânî’ye:

– “Komşuların ile aran nasıldır?” diye sordu Müslim:

– "İyidir." dedi. Kâ'b:

– "Tevrât böyle demiyor. Tevrât diyor ki: "Emr-i mâruf ve nehy-i münker eden kimsenin komşuları ile arası iyi olmaz." diyor. Ebû Müslim:

– "Tevrât doğru diyor, Müslim yalan konuştu." dedi.

Halîfe **Me'mun**'un bu husustaki şu delîli mülâyemet ve yumuşaklığın vücûbuna delâlet eder. Zâtın biri Me'mun'a sert bir dil ile nasîhat etmeye başladı. Me'mun adama:

– "Efendi, tatlı konuş. Zîra Allahü Teâlâ senden daha iyisini, benden daha kötüsüne gönderdiği halde ona rıfk ile söylemeyi emretti:

فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشٰى

"Ona yumuşak söyleyin, belki hatırlar veyâ korkar." (Tâhâ suresi, 20/44) buyurdu." dedi.

İrşâd edecek olan zât peygamberlere uymalı ve onların açtığı çığırdan yürümelidir. Ebû Umâme'nin rivâyetinde, gencin biri Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e gelerek:

– "Ya Rasûlallah, zinâ etmek için bana müsâade eder misin?" dedi. Oradakiler "Bu ne terbiyesiz bir ifâde!" diye bağrıştılar. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *"Delikanlıyı bırakın yanıma gelsin."* buyurdu. Genç de Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e yaklaştı. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ

– *"Anan ile başkasının zinâ etmesini ister misin?"* buyurdu. Genç:

– “Canım sana fedâ olsun istemem ya Rasûlallah!” dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *“Aynı senin gibi, hiç kimse annesi ile başkasının zinâ etmesini sevmez.”* buyurdu. Devamla:

أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ

– *“Kızına zinâ yapılmasını sever misin?”* buyurdu. Genç:

– “Canım sana fedâ olsun sevmem ya Rasûlallah, dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

كَذٰلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ

– *“İnsanlar da senin gibi, kızları ile zinâ yapılmasını sevmezler.”* buyurdu. Devamla:

أَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ

– *“Kız kardeşin için bunu sever misin?”* buyurdu. Genç:

– “Canım sana fedâ olsun, sevmem ya Rasûlallah!” dedi. İbn Avf’ın rivâyetinde, hala ve teyzelerini de saydı, hepsi için de genç aynı cevâbı verdi.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de aynı karşılığı tekrarladı. Hadîsin iki râvîsi de yâni İbn Avf ile Ebû Umâme devamla dediler ki: Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) mübârek elini delikanlının göğsü üzerine koydu ve:

اَللّٰهُمَّ طَهِّرْ قَلْبَهُ وَاغْفِرْ ذَنْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ

– *“Allahım! Kalbini temizle, günâhını bağışla, iffetini koru ve kendisine zinâyı her şeyden çirkin tanıt, zinâdan nefret ettir.”* diye duâ etti.[34] Rasûlullah'ın bu mübârek duâsından sonra o gencin nezdinde zinâdan daha fenâ bir şey olmadı.

Fudayl b. Iyaz'a: "Süfyân b. Uyeyne sultanların hediyelerini kabul ediyor buna ne dersin?" dediler. Fudayl:

– "Onun orada hakkı vardır. Aldı ise de hakkından azını almıştır." diye cevap verdikden sonra, Süfyân'ı tenhâya çekerek:

– "Sultanların hediyelerini kabul etmek, senin gibilere yakışmaz." dedi. Bunun üzerine

Süfyân:

– "Biz sâlihlerden değil isek de sâlihleri severiz." dedi.

Hammad b. Seleme[35] diyor ki: "Sıla b. Eyşem'e[36] kibrinden etekleri yerde sürünen bir adam uğradı. Sıla'nın adamları onu tartaklamak istediler. Sıla: "Siz durun, ben onu îkaz ederim." dedi ve adamı yanına çağırarak:

– "Yeğenim, benim senden bir dileğim var." dedi. Adam:

– "Amca ne istiyorsun söyle." deyince Sıla:

– "Îzârını biraz kısaltmanı istiyorum." dedi. Adam:

– "Başüstüne." diyerek teklifi kabul etti. Sonra Sıla adamlarına dönerek:

---

[34] Beyhâkî'nin de: *"Mâruf ile emredenin emri mâruf olsun."* şeklinde bir rivâyeti vardır.

[35] Ahmed, isnâd-ı ceyyid ile rivâyet etti. Ricâli sahîhtir.

[36] Basralı ve sikadan bir zattır. Ebdallerden sayılırdı. Ebdallerin bir alâmeti de çocuğu olmamaktır. Yetmiş kadın ile evlendi, çocuğu olmadı. Hicrî 177'de öldü deniliyorsa da en doğrusu Hammad b. Zeyd'dir.Tâbiîndendir ve Basra'nın meşhur adamlarındandır.

– “Şâyet bu adama sert davransak kabul etmeyecek ve bize karşı cephe alacaktı. Fakat yumuşaklıkla hemen kabul etti.” dedi.

Muhammed b. Zekeriya el-Gulâbî diyor ki: “Bir gece Abdullah b. Muhammed b. Âişe’nin akşam namazını müteakip mescidden çıkıp evine gitmekte olduğunu gördüm. Yolunda Kureyşîlerden bir genç sarhoş olarak bir kadına saldırdı. Kadın imdâd istedi. Halk, bu genci linç etmek üzere başına toplandılar. Abdullah delikanlıyı tanıdı. Etrafındakilere “Yeğenimin başından dağılın.” dedi. Ve sonra “Gel yeğenim.” diye seslenince delikanlı utandı. Abdullah onu kendine doğru çekti ve “Benimle gel.” dedi. Beraber eve gittiler. Hizmetçilerinden birisine: “Bu çocuk senin yanında kalsın ayıldığı vakit yaptığını kendisine söyle ve beni görmeden gitmesine müsâade etme.” dedi. Delikanlı ayılıp vaziyeti öğrenince utancından ağladı ve gitmek istedi ise de hizmetçi bırakmadı. Abdullah’ın huzuruna getirdi. Abdullah:

– “Oğlum ayıp değil mi, bu yaptığın senin şerefine yakışır mı? Kureyş’in eşrâfından seni doğuran anne ve babanın şerefini düşünmedin mi? Allah’tan kork ve bu yaptığından vaz geç.” dedi. Delikanlı utancından başını önüne eğerek bir müddet ağladıktan sonra başını kaldırdı ve:

– “Allah’a söz veriyorum, bir daha içki içmeyecek ve bu çirkin hareketlerde bulunmayacağım, hepsine tövbe ettim.” dedi. Delikanlı Abdullah’ın nezdinde bir hadîs kâtibi olarak kaldı. Şüphesiz bu, onun mülâyemeti sâyesinde sağlandı. Sonra da insanlar mârufu emredip münkerden nehyederler, hâlbuki onların mârufları münker olur. Bütün işlerinizde mülâyim davranınız ki, bu sâyede aradığınızı ve umduğunuzu bulasınız.

Feth b. Şuhruf anlatıyor: Adamın biri elinde bıçakla bir kadına musallat oldu. Kolu kuvvetli olduğu için kadını elinden kimse alamıyor ve kimse ona yaklaşamıyordu. Kadın ise çırpınıp duruyordu. Tam bu esnâda oradan geçmekte olan **Bişr-i Hafî** adama iyice sokuldu ve birden bire adam yerlere serildi. Bişr oradan ayrıldı, yoluna devâm etti. Kadın da kurtuldu. Yerlerde yatan bu adama halk yaklaştı, baktılar ki adamın soluğu tıkanmış kan ter içinde kalbi çarpıp duruyor. Kendisine:

– "Sana ne oldu?" diye sordular: Genç:

– "Bilmiyorum, bir ihtiyar yanıma gelerek "Senin bu yaptığını Allah görüyor." deyince ayaklarımın bağı çözüldü ve gördüğünüz gibi yere düştüm. Acaba o ihtiyar kim idi?" dedi.

Onlar da:

– "O, Bişr'dir." dediler. Genç de:

– "Eyvâh, ben ona daha nasıl görüneceğim." dedi ve dehşetli bir sıtma hararetine yakalanarak bir hafta içinde öldü.

İşte emr-i mâruf ve nehy-i münkerde selefin âdeti bu idi. **"Mahabbet Âdâbı Kitâbı"**nın Allah için birbirini sevmek ve Allah için buğzetmek bâblarında bu hususa dâir geniş haberler verdik. Şimdi onları tekrar etmek istemeyiz. Hisbenin derece ve âdâblarının tamamı bunlardır.

Keremiyle bizi muvaffak kılan Allahü Teâlâ'dır. Bütün nîmetlerine karşı O'na hamdederiz.

البَابُ الثَّالِثُ
في المنكرات المألوفة في العادات

نشيرُ إلىٰ جملٍ منها ؛ ليُستدلَّ بها علىٰ أمثالِها ، إذْ لا مطمعَ في حصرِها واستقصائِها ، فمِنْ ذلكَ :

منكرات المساجد

اعلمْ : أنَّ المنكراتِ تنقسمُ إلىٰ مكروهةٍ ، وإلىٰ محظورةٍ :

فإذا قلنا : (هـٰذا منكرٌ مكروهٌ) .. فاعلمْ أنَّ المنعَ منهُ مستحبٌّ ، والسكوتَ عليهِ مكروهٌ وليسَ بحرامٍ ، إلا إذا لمْ يعلمِ الفاعلُ أنَّهُ مكروهٌ ، فيجبُ ذكرُهُ لهُ ؛ لأنَّ الكراهةَ حكْمٌ في الشرعِ يجبُ تبليغُهُ إلىٰ مَنْ لا يعرفُهُ .

وإذا قلنا : (منكرٌ محظورٌ) ، أوْ قلنا : (منكرٌ) مطلقاً .. فنريدُ بهِ المحظورَ ، ويكونُ السكوتُ عليهِ معَ القدرةِ محظوراً .

فممَّا يُشاهدُ كثيراً في المساجدِ : إساءةُ الصلاةِ بتركِ الطمأنينةِ في ركوعِها وسجودِها ، وهوَ منكرٌ مبطلٌ للصلاةِ بنصِّ الحديثِ ، فيجبُ النهيُ عنهُ ، إلا

عندَ الحنفيِّ الذي يعتقدُ أنَّ ذلكَ لا يمنعُ صحَّةَ الصلاةِ ، إذْ لا ينفعُ النهيُ معهُ(١) .

ومَنْ رأىٰ مسيئاً في صلاتِهِ ، فسكتَ عليهِ . . فهوَ شريكُهُ ، هٰكذا وردَ بهِ الأثرُ(٢) ، وفي الخبرِ ما يدلُّ عليهِ ؛ إذْ وردَ في الغيبةِ أنَّ المستمعَ شريكُ القائلِ(٣) ، وكذلكَ كلُّ ما يقدحُ في صحَّةِ الصلاةِ ؛ مِنْ نجاسةٍ علىٰ ثوبهِ لا يراها ، أوِ انحرافٍ عنِ القبلةِ بسببِ ظلامٍ أوْ عمىً ، فكلُّ ذلكَ تجبُ الحِسبةُ فيهِ .

* * *

ومنها : قراءةُ القرآنِ باللحنِ ، يجبُ النهيُ عنهُ ، ويجبُ تلقينُ الصحيحِ .

فإنْ كانَ المعتكفُ في المسجدِ يضيِّعُ أكثرَ أوقاتِهِ في أمثالِ ذلكَ ،

---

(١) وفيه خلاف مشهور في مذهب أبي حنيفة ، والقول المفتىٰ به عن أبي يوسف وجوب التعديل في الأركان . « إتحاف » (٧/ ٥٣) .

(٢) روى ابن أبي الدنيا في « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » (٨٨) عن مالك بن دينار قال : (قرأت في التوراة : من كان له جار يعمل بالمعاصي فلم ينهه . . فهو شريكه) ، وقال الإمام أبو طالب في « القوت » (٢/ ٢٦٤) : (وكل معين لمبتدع أو عاصٍ . . فهو شريكه في بدعته ومعصيته) .

(٣) إذ روىٰ أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٩٣) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٨/ ٢٢١) عن ابن عمر رضي الله عنهما : (نهىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغناء والاستماع إلى الغناء ، ونهىٰ عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة ، وعن النميمة والاستماع إلى النميمة) .

ويشتغلُ بهِ عنِ التطوُّعِ والذكرِ . . فليشتغلْ بهِ ؛ فإنَّ هـٰذا أفضلُ لهُ مِنْ ذكرِهِ وتطوُّعِهِ ؛ لأنَّ هـٰذا فرضٌ ، وهيَ قربةٌ تتعدَّىٰ فائدتُها ، فهيَ أفضلُ مِنْ نافلةٍ تقتصرُ عليهِ فائدتُها .

وإنْ كانَ ذلكَ يمنعُهُ عنِ الوِراقةِ مثلاً أوْ عنِ الكسبِ الذي هوَ طعمتُهُ ؛ فإنْ كانَ معَهُ مقدارُ كفايتِهِ . . لزمَهُ الاشتغالُ بذلكَ ، ولمْ يجزْ لهُ تركُ الحِسبةِ لطلبِ زيادةِ الدنيا ، وإنِ احتاجَ إلى الكسبِ لقوتِ يومِهِ . . فهوَ عذرٌ لهُ ، فيسقطُ الوجوبُ عنهُ لعجزِهِ .

والذي يكثرُ اللحنَ في القرآنِ ؛ إنْ كانَ قادراً على التعلُّمِ . . فليمتنعْ عنِ القراءةِ قبلَ التعلُّمِ ، فإنَّهُ عاصٍ بهِ ، وإنْ كانَ لا يطاوعُهُ اللسانُ ؛ فإنْ كانَ أكثرُ ما يقرؤُهُ لحناً . . فليتركْهُ ، وليجتهدْ في تعلُّمِ الفاتحةِ وتصحيحِها ، وإنْ كانَ الأكثرُ صحيحاً وليسَ يقدرُ على التسويةِ . . فلا بأسَ لهُ أنْ يقرأَ ، ولكنْ ينبغي أنْ يخفضَ بهِ الصوتَ ؛ حتَّىٰ لا يسمعَ غيرُهُ ، ولمنعِهِ سرّاً منهُ أيضاً وجهٌ ، ولكنْ إذا كانَ ذلكَ منتهىٰ قدرتِهِ ، وكانَ لهُ أنسٌ بالقراءةِ وحَرصَ عليها . . فلستُ أرىٰ بهِ بأساً ، واللهُ أعلمُ .

* * *

ومنها : تراسلُ المؤذنينَ في الأذانِ ، وتطويلُهُمْ بمدِّ كلماتِهِ(١) ،

---

(١) وتراسل المؤذنين : أن يجتمعوا على الأذان ، يبتدىء هـٰذا ويمد صوته ، فيقبض ويسكت ، ويأخذ غيره في مد الصوت ، ويرجع الأول ، وهـٰكذا إلىٰ أن ينتهي ، وهو منهي عنه . « إتحاف » (٧/ ٥٣) .

وانحرافُهُمْ عنْ صوبِ القبلةِ بجميعِ الصدْرِ في الحَيْعلتينِ ، أوِ انفرادِ كلِّ واحدٍ بأذانٍ ولكنْ مِنْ غيرِ توقُّفٍ إلى انقطاعِ أذانِ الآخرِ ، بحيثُ يضطربُ على الحاضرينَ جوابُ الأذانِ ؛ لتداخلِ الأصواتِ .

فكلُّ ذلكَ منكراتٌ مكروهةٌ يجبُ تعريفُها ، وإنْ صدرَتْ عن معرفةٍ . . فيُستحبُّ المنعُ منها والحِسبةُ فيها ، وكذلكَ إذا كانَ للمسجدِ مؤذنٌ واحدٌ وهوَ يؤذِّنُ قبلَ الصبحِ ، فينبغي أنْ يُمنعَ مِنَ الأذانِ بعدَ الصبحِ ، فذلكَ مشوِّشٌ للصومِ والصلاةِ على الناسِ ، إلا إذا عُرِفَ أنَّهُ يؤذِّنُ قبلَ الصبحِ[1] ، حتَّىٰ لا يُعوَّلَ علىٰ أذانِهِ في صلاةٍ وتركِ سحورٍ ، أوْ كانَ معَهُ مؤذِّنٌ آخرُ معروفُ الصوتِ يؤذِّنُ معَ الصبحِ .

* * *

ومنَ المكروهاتِ أيضاً : تكثيرُ الأذانِ مرَّةً بعدَ أخرىٰ بعدَ طلوعِ الفجرِ في مسجدٍ واحدٍ في أوقاتٍ متعاقبةٍ متقاربةٍ ، إمَّا مِنْ واحدٍ أوْ جماعةٍ ؛ فإنَّهُ لا فائدةَ فيهِ ، إذا لمْ يبقَ في المسجدِ نائمٌ ، ولمْ يكنِ الصوتُ ممَّا يخرجُ عنِ المسجدِ حتَّىٰ ينبِّهَ غيرَهُ ، فكلُّ ذلكَ مِنَ المكروهاتِ المخالفةِ لسنَّةِ الصحابةِ والسلفِ .

* * *

ومنها : أنْ يكونَ الخطيبُ لابساً لثوبٍ أسودَ يغلبُ عليهِ الإبريسمُ ، أوْ

---

(١) في نسخة علىٰ هامش (ب) : زيادة (وبعده) .

ممسكاً لسيفِ مذهبٍ ، فهوَ فاسقٌ ، والإنكارُ عليهِ واجبٌ .

وأمَّا مجرَّدُ السوادِ . . فليسَ بمكروهٍ ، ولكنَّهُ ليسَ بمحبوبٍ ؛ إذ أحبُّ الثيابِ إلى اللهِ تعالى البيضُ ، ومَنْ قالَ : إنَّهُ مكروهٌ وبدعةٌ . . أرادَ بهِ أنَّهُ لمْ يكن معهوداً في العصرِ الأوَّلِ ، ولكنْ إذا لمْ يردْ فيهِ نهيٌ . . فلا ينبغي أن يُسمَّىٰ بدعةً ومكروهاً ، ولكنَّهُ تركٌ للأحبِّ .

* * *

ومنها : كلامُ القصَّاصِ والوعَّاظِ الذين يمزجونَ بكلامِهِمُ البدعةَ(١) ، فالقاصُّ إنْ كانَ يكذبُ في أخبارِهِ . . فهوَ فاسقٌ ، والإنكارُ عليهِ واجبٌ ، وكذا الواعظُ المبتدعُ يجبُ منعُهُ ، ولا يجوزُ حضورُ مجلسِهِ إلا علىٰ قصْدِ إظهارِ الردِّ عليهِ ؛ إمَّا للكافَّةِ إنْ قدرَ عليهِ ، أوْ لبعضِ الحاضرينَ حوالَيْهِ ، فإنْ لمْ يقدرْ . . فلا يجوزُ سماعُ البدعةِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ لنبيِّهِ : ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦ ﴾ .

ومهما كانَ كلامُهُ مائلاً إلى الإرجاءِ(٢) ، وتجرئةِ الناسِ على المعاصي ، وكانَ الناسُ يزدادونَ بكلامِهِ جُرأةً ، وبعفوِ اللهِ وبرحمتِهِ وثوقاً يزيدُ بسببِهِ رجاؤُهُمْ علىٰ خوفِهِمْ . . فهوَ منكرٌ ، ويجب منعُهُ منهُ ؛ لأنَّ فسادَ ذلكَ عظيمٌ ، بلْ لوْ رجحَ خوفُهُمْ علىٰ رجائِهِمْ . . فذلكَ أقربُ وأليقُ بطباعِ

---

(١) تقدم الحديث عن ذم القصاص وبيان المراد من ذلك .

(٢) **المراد بكلمة (الإرجاء) هنا كما يقتضيه السياق** : ترجيح الرجاء على الخوف في القلب ، لا (الإرجاء) المنسوب إلى الفرقة المعروفة بالمرجئة .

الخلقِ ؛ فإنَّهُمْ إلى الخوفِ أحوجُ ، وإنَّما العدلُ تعديلُ الخوفِ والرجاءِ كما قالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : (لوْ نادىٰ منادٍ يومَ القيامةِ : ليدخلِ النارَ كلُّ الناسِ إلا رجلاً واحداً . . لرجوتُ أنْ أكونَ أنا ذلكَ الرجلَ ، ولوْ نادىٰ منادٍ : ليدخلِ الجنَّةَ كلُّ الناسِ إلا رجلاً واحداً . . لخفتُ أنْ أكونَ أنا ذلكَ الرجلَ)⁽¹⁾ .

ومهما كانَ الواعظُ شابّاً متزيّناً للنساءِ في ثيابِهِ وهيئتِهِ⁽²⁾ ، كثيرَ الأشعارِ والإشاراتِ والحركاتِ ، وقدْ حضرَ مجلسَهُ النساءُ . . فهٰذا منكرٌ يجبُ المنعُ منهُ ؛ فإنَّ الفسادَ فيهِ أكثرُ مِنَ الصلاحِ ، ويتبيَّنُ ذلكَ منهُ بقرائنِ أحوالِهِ ، بلْ لا ينبغي أنْ يُسلَّمَ الوعظُ إلا لمَنْ ظاهرُهُ الورعُ ، وهيئتُهُ السكينةُ والوقارُ ، وزيُّهُ زيُّ الصالحينَ ، وإلا . . فلا يزدادُ الناسُ بهِ إلا تمادياً في الضلالِ .

ويجبُ أن يُضربَ بينَ الرجالِ والنساءِ حائلٌ يمنعُ مِنَ النظرِ ، فإنَّ ذلكَ أيضاً مظِنَّةُ الفسادِ ، والعاداتُ تشهدُ لهٰذهِ المنكراتِ .

ويجبُ منعُ النساءِ مِنْ حضورِ المساجدِ للصلاةِ ولمجالسِ الذكرِ إذا خيفَتِ الفتنةُ بهنَّ ، فقدْ منعتْهُنَّ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها ، فقيلَ لها : إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما منعَهُنَّ مِنَ الجماعاتِ ، فقالَتْ : لوْ علمَ

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٥٣) بنحوه .

(٢) في (أ) : (الناس) بدل (النساء) .

رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما أحدثَ النساءُ بعدَهُ . . لمنعَهُنَّ)(١) .

فأمَّا اجتيازُ المرأةِ بالمسجدِ مستترةً . . فلا تُمنعُ منهُ ، إلا أنَّ الأولىٰ ألا تتخذَ المسجدَ مجازاً أصلاً .

وقراءةُ القرآنِ بينَ يدي الوعَّاظِ معَ التمديدِ والألحانِ علىٰ وجهٍ يغيِّرُ نظمَ القرآنِ ، ويجاوزُ حدَّ الترتيلِ . . منكرٌ مكروهٌ شديدُ الكراهةِ ، أنكرَهُ جماعةٌ مِنَ السلفِ .

* * *

ومنها : الحِلَقُ يومَ الجمعةِ لبيعِ الأدويةِ والأطعمةِ والتعويذاتِ ، وكقيامِ السؤَّالِ وقراءتِهِمُ القرآنَ ، وإنشادِهِمُ الأشعارَ وما يجري مجراهُ .

فهٰذهِ الأشياءُ منها ما هوَ حرامٌ لكونِهِ تلبيساً وكذباً ، كالكذَّابينَ مِنْ طُرقيَّةِ الأطباءِ ، وكأهلِ الشعبذةِ والتلبيساتِ ، وكذا أربابُ التعويذاتِ في الأغلبِ يتوصَّلونَ إلىٰ بيعِها بتلبيساتٍ على الصبيانِ والسواديَّةِ ، فهٰذا حرامٌ في المسجدِ وخارجَ المسجدِ ، ويجبُ المنعُ منهُ ، بلْ كلُّ بيعٍ فيهِ كذبٌ وتلبيسٌ وإخفاءُ عيبٍ على المشتري . . فهوَ حرامٌ .

* * *

ومنها ما هوَ مباحٌ خارجَ المسجدِ ؛ كالخياطةِ ، وبيعِ الأدويةِ والكتبِ والأطعمةِ ، فهٰذا في المسجدِ أيضاً لا يحرمُ إلا بعارضٍ ، وهوَ أنْ يضيِّقَ

---

(١) رواه البخاري (٨٦٩) ، ومسلم (٤٤٥) .

المكانَ على المصَلِّينَ ، ويشوِّشَ عليهِمْ صلاتَهُمْ ، فإنْ لمْ يكنْ شيءٌ مِنْ ذلكَ . . فليسَ بحرامٍ ، والأولىٰ تركُهُ ، ولكنْ شرطُ إباحتِهِ أنْ يجريَ في أوقاتٍ نادرةٍ وأيَّامٍ معدودةٍ ، فإنِ اتخذَ المسجدَ دُكَّاناً على الدوامِ . . حرمَ ذلكَ ومُنِعَ منهُ ، فمِنَ المباحاتِ ما يُباحُ بشرطِ القلَّةِ ، فإنْ كثرَ . . صارَ صغيرةً ، كما أنَّ مِنَ الذنوبِ ما يكونُ صغيرةً بشرطِ عدمِ الإصرارِ ، فإنْ كانَ القليلُ مِنْ هـٰذا لوْ فُتحَ بابُهُ لخيفَ منهُ أنْ ينجرَّ إلى الكثيرِ . . فليُمنعْ منهُ ، وليكنْ هـٰذا المنعُ إلى الوالي أو إلى القيِّمِ بمصالحِ المسجدِ مِنْ جهةِ الوالي ؛ لأنَّهُ يدركُ ذلكَ بالاجتهادِ ، وليسَ للآحادِ المنعُ ممَّا هوَ مباحٌ في نفسِهِ لخوفِهِ أنَّ ذلكَ يكثرُ .

* * *

ومنها : دخولُ المجانينِ والصبيانِ والسكارىٰ في المسجدِ ، ولا بأسَ بدخولِ الصبيِّ المسجدَ إذا لمْ يلعبْ ، ولا يحرمُ عليهِ اللعبُ في المسجدِ ولا السكوتُ علىٰ لعبِهِ ، إلا إذا اتخذَ المسجدَ ملعباً ، وصارَ ذلكَ معتاداً ، فيجبُ المنعُ منهُ ، فهـٰذا ممَّا يحلُّ قليلُهُ دونَ كثيرِهِ .

ودليلُ حلِّ قليلِهِ : ما رُوِيَ في « الصحيحينِ » أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقفَ لأجلِ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها حتَّىٰ نظرَتْ إلى الحبشةِ يزفنونَ ويلعبونَ بالدَّرَقِ والحِرابِ يومَ العيدِ في المسجدِ ، ولا شكَّ في أنَّ الحبشةَ لوِ اتخذوا المسجدَ ملعباً . . لمُنعوا منهُ ، ولمْ يرَ ذلكَ على الندرةِ والقلَّةِ

منكراً ، حتَّىٰ نظرَ إليهِ ، بلْ أمرَهُمْ بهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لتبصرَهُمْ عائشةُ رضي اللهُ عنها تطييباً لقلبِها إذْ قالَ : « دونَكُمْ يا بني أرْفِدةَ »⁽¹⁾ كما نقلناهُ في كتابِ السماعِ .

وأمَّا المجانينُ . . فلا بأسَ بدخولِهِمُ المسجدَ ، إلا أنْ يُخشىٰ تلويثُهُمْ لهُ أوْ شتمُهُمْ أوْ نطقُهُمْ بما هوَ فحشٌ ، أوْ تعاطيهِمْ لما هوَ منكرٌ في صورتِهِ ؛ ككشفِ العورةِ وغيرِهِ .

وأمَّا المجنونُ الهادئُ الساكنُ الذي قدْ عُلِمَ بعادتِهِ سكونُهُ وسكوتُهُ . . فلا يجبُ إخراجُهُ مِنَ المسجدِ .

والسكرانُ في معنى المجنونِ ، فإنْ خيفَ منهُ القذفُ ؛ أعني : القيءَ أوِ الإيذاءَ باللسانِ . . وجبَ إخراجُهُ ، وكذا إن كانَ مضطربَ العقلِ ، فإنَّهُ يُخافُ ذلكَ منهُ ، وإنْ كانَ قدْ شربَ ولمْ يسكرْ والرائحةُ منهُ تفوحُ . . فهوَ منكرٌ مكروهٌ شديدُ الكراهةِ ، وكيفَ لا ومَنْ أكلَ الثومَ والبصلَ . . فقدْ نهاهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنْ حضورِ المساجدِ ؟!⁽²⁾ ، ولكنْ يُحملُ ذلكَ على الكراهةِ ، والأمرُ في الخمرِ أشدُّ .

* * *

---

(1) رواه البخاري (٩٥٠) ، ومسلم (٨٩٢) .

(2) وهو ما رواه البخاري (٨٥٤) ، ومسلم (٥٦٤) واللفظ له ، من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً : « من أكل البصل والثوم والكرّاث . . فلا يقربنَّ مسجدنا ؛ فإن الملائكة تتأذىٰ مما يتأذىٰ منه بنو آدم » .

فإنْ قالَ قائلٌ : ينبغي أنْ يُضربَ السكرانُ ويُخرجَ مِنَ المسجدِ زجراً .

قلنا : لا ، بلْ ينبغي أنْ يُلزَمَ القعودَ في المسجدِ ويُدعىٰ إليهِ ، ويُؤمرَ بتركِ الشربِ مهما كانَ في الحالِ عاقلاً ، فأمَّا ضربُهُ للزجرِ . . فليسَ ذلكَ إلى الآحادِ ، بلْ هوَ إلى الولاةِ ، وذلكَ عندَ إقرارِهِ أوْ شهادةِ شاهدينِ ، فأمَّا بمجَّردِ الرائحةِ . . فلا .

نعمْ ، إذا كانَ يمشي بينَ الناسِ متمايلاً ، بحيثُ يُعرفُ سكرُهُ . . فيجوزُ ضربُهُ في المسجدِ وغيرِ المسجدِ ؛ منعاً لهُ عنْ إظهارِ أثرِ السكرِ ، فإنَّ إظهارَ أثرِ الفاحشةِ فاحشةٌ ، والمعاصي يجبُ تركُها ، وبعدَ الفعلِ يجبُ سترُها وسترُ آثارِها .

فإنْ كانَ مستتراً مُخْفِياً لأثرِهِ . . فلا يجوزُ أنْ يُتجسَّسَ عليهِ ، والرائحةُ قدْ تفوحُ مِنْ غيرِ شربٍ ؛ بالجلوسِ في موضعِ الخمرِ ، وبوصولِهِ إلى الفمِ دونَ الابتلاعِ ، فلا ينبغي أنْ يُعوَّلَ عليهِ .

* * *

منكرات الأسواق

مِنَ المنكراتِ المعتادةِ في الأسواقِ : الكذبُ في المرابحةِ ، وإخفاءُ العيبِ ، فمَنْ قالَ : اشتريتُ هـٰذهِ السلعةَ مثلاً بعشرةٍ وأربحُ فيها درهماً وكانَ كاذباً . . فهوَ فاسقٌ ، وعلىٰ مَنْ عرفَ ذلكَ أنْ يخبرَ المشتريَ بكذبِهِ ، فإنْ سكتَ مراعاةً لقلبِ البائعِ . . كانَ شريكاً لهُ في الخيانةِ وعصىٰ بسكوتِهِ .

وكذا إذا علمَ بهِ عيباً فيلزمُهُ أنْ ينبِّهَ المشتريَ عليهِ ، وإلا . . كانَ راضياً بضياعِ مالِ أخيهِ المسلمِ ، وهوَ حرامٌ .

وكذا التفاوتُ في الذراعِ والمكيالِ والميزانِ يجبُ علىٰ كلِّ مَنْ عرفَهُ تغييرُهُ بنفسِهِ ، أوْ رفعُهُ إلى الوالي حتَّىٰ يغيِّرَهُ .

* * *

ومنها : تركُ الإيجابِ والقبولِ ، والاكتفاءُ بالمعاطاةِ ، ولكنَّ ذلكَ في محلِّ الاجتهادِ ، فلا ينكرُ إلا علىٰ مَنِ اعتقدَ وجوبَهُ⁽¹⁾ ، وكذا في الشروطِ الفاسدةِ المعتادةِ بينَ الناسِ يجبُ الإنكارُ فيها ، فإنَّها مفسدةٌ للعقودِ ، وكذا في الربوياتِ كلِّها ، وهيَ غالبةٌ ، وكذلكَ سائرُ التصرُّفاتِ الفاسدةِ .

* * *

ومنها : بيعُ الملاهي ، وبيعُ أشكالِ الحيواناتِ المصوَّرةِ في أيامِ العيدِ

---

(١) بحث المصنف حكم المعاطاة ، وله تفصيل فيه .

لأجلِ الصبيانِ ، فذلكَ يجبُ كسرُهُ والمنعُ مِنْ بيعهِ كالملاهي ، وكذلكَ بيعُ الأواني المتخذةِ مِنَ الذهبِ والفضَّةِ ، وكذلكَ بيعُ ثيابِ الحريرِ وقلانسِ الذهبِ والحريرِ ؛ أعني : الذي لا يصلحُ إلا للرجالِ ، أوْ يُعلمُ بعادةِ البلدِ أنَّهُ لا يلبسُهُ إلا الرجالُ ، وكلُّ ذلكَ منكرٌ محظورٌ .

وكذلكَ مَنْ يعتادُ بيعَ الثيابِ المبتذلةِ المقصورةِ التي يلبِّسُ على الناسِ بقصارتِها ابتذالَها واستعمالَها ، ويَزعمُ أنَّها جديدةٌ ، فهـٰذا الفعلُ حرامٌ ، والمنعُ منهُ واجبٌ ، وكذلكَ تلبيسُ انخراقِ الثيابِ بالرَّفْوِ ، وما يؤدِّي إلى الالتباسِ ، وكذلكَ جميعُ أنواعِ العقودِ المؤدِّيةِ إلى التلبيساتِ ، وذلكَ يطولُ إحصاؤُهُ ، فليقسْ بما ذكرناهُ ما لمْ نذكرْهُ .

* * *

منكرات الشّوارع

فمِنَ المنكراتِ المعتادةِ فيها : وضعُ الإسطواناتِ ، وبناءُ الدكاكِ متصلاً بالأبنيةِ المملوكةِ ، وغرسُ الأشجارِ ، وإخراجُ القوابيلِ والأجنحةِ⁽¹⁾ ، ووضعُ الخشبِ وأحمالِ الحبوبِ والأطعمةِ على الطرقِ ، فكلُّ ذلكَ منكرٌ إنْ كانَ يؤدِّي إلىٰ تضييقِ الطرقِ واستضرارِ المارَّةِ ، وإنْ لمْ يؤدِّ إلىٰ ضررٍ أصلاً لسعةِ الطريقِ . . فلا يمنعُ منهُ .

* * *

نعمْ ، يجوزُ وضعُ الحطبِ وأحمالِ الأطعمةِ في الطريقِ في القدْرِ الذي ينقلُ إلى البيوتِ ، فإنَّ ذلكَ يشتركُ في الحاجةِ إليهِ الكافَّةُ ، ولا يمكنُ المنعُ منهُ .

وكذلكَ ربْطُ الدوابِّ على الطرقِ ، بحيثُ يضيِّقُ الطريقَ وينجِّسُ المجتازينَ⁽²⁾ منكرٌ يجبُ المنعُ منهُ إلا بقدْرِ حاجةِ النزولِ والركوبِ ، وهٰذا لأنَّ الشوارعَ مشتركةُ المنفعةِ ، وليسَ لأحدٍ أنْ يختصَّ بها إلا بقدْرِ الحاجةِ ، والمرعيُّ هوَ الحاجةُ التي تُرادُ الشوارعُ لأجلِها في العادةِ دونَ سائرِ الحاجاتِ .

---

(1) في (د) : (الرواشن) بدل (القوابيل) ، **والقابول** : الساباط ، سقيفة بين حائطين تحتها طريق ، **والروشن** : الكوة والرف ونحو ذلك .

(2) في (ب) : (يحبس) بدل (ينجس) .

ومنها : سوقُ الدوابِّ وعليها الشوكُ ، بحيثُ يمزِّقُ ثيابَ الناسِ ، فذلكَ منكرٌ إنْ أمكنَ شدُّها وضمُّها بحيثُ لا تمزِّقُ ، أوْ أمكنَ العدولُ بها إلىٰ موضعٍ واسعٍ ، وإلا . . فلا منعَ ؛ إذْ حاجةُ أهلِ البلدِ تمسُّ إلىٰ ذلكَ .

نعمْ ، لا تُتركُ ملقاةً على الشوارعِ إلا بقدْرِ مدَّةِ النقلِ .

وكذلكَ تحميلُ الدوابِّ مِنَ الأحمالِ ما لا تطيقُهُ منكرٌ يجبُ منعُ الملاَّكِ منهُ .

وكذلكَ ذبحُ القصَّابِ إذَا كانَ يذبحُ في الطريقِ حذاءَ بابِ الحانوتِ ويلوِّثُ الطريقَ بالدمِ ، فإنَّهُ منكرٌ يجبُ المنعُ منهُ ، بلْ حقُّهُ أنْ يتخذَ في دكَّانِهِ مذبحاً ، فإنَّ ذلكَ تضييقٌ للطريقِ ، وإضرارٌ بالناسِ بسببِ ترشيشِ النجاسةِ ، وإضرارٌ بسببِ استقذارِ الطباعِ للقاذوراتِ .

وكذلكَ طرحُ الكُناسةِ علىٰ جَوادِّ الطرقِ ، وتبديدُ قشورِ البطِّيخِ ، أوْ رشُّ الماءِ بحيثُ يُخشىٰ منهُ التزليقُ والسقوطُ(١) ، فكلُّ ذلكَ مِنَ المنكراتِ .

وكذلكَ إرسالُ الماءِ مِنَ الميازيبِ المُخْرَجَةِ مِنَ الحائطِ في الطريقِ الضيِّقةِ ؛ فإنَّ ذلكَ ينجِّسُ الثيابَ ، أوْ يضيِّقُ الطريقَ ، ولا يُمنعُ منهُ في الطرقِ الواسعةِ ؛ إذِ العدولُ عنهُ ممكنٌ ، فأمَّا تركُ مياهِ المطرِ والأوحالِ والثلوجِ في الطرقِ مِنْ غيرِ كسْحٍ . . فذلكَ منكرٌ ، ولكنْ ليسَ يختصُّ بهِ شخصٌ معيَّنٌ إلا الثلجَ الذي يختصُّ بطرحِهِ على الطريقِ واحدٌ ، والماءَ الذي

---

(١) في (د) : (التزلق والتعثر) .

يجتمعُ على الطريقِ مِنْ ميزابٍ معيَّنٍ ، فعلىٰ صاحبِهِ على الخصوصِ كسْحُ الطريقِ ، وإنْ كانَ مِنَ المطرِ . . فذلكَ حِسبةٌ عامَّةٌ ، فعلى الولاةِ تكليفُ الناسِ القيامَ بها ، وليسَ للآحادِ فيها إلا الوعْظُ فقطْ .

وكذلكَ إذا كانَ لهُ كلبٌ عقورٌ علىٰ بابِ دارِهِ يؤذي الناسَ ، فيجبُ منعُهُ منهُ ، وإنْ كانَ لا يؤذي إلا بتنجيسِ الطريقِ ، وكانَ يمكنُ الاحترازُ عنْ نجاستِهِ . . لمْ يُمنعْ منهُ ، وإنْ كانَ يضيِّقُ الطريقَ ببسطِهِ ذراعيهِ . . فيُمنعُ منهُ ، بلْ يُمنعُ صاحبُهُ مِنْ أنْ ينامَ على الطريقِ أوْ يقعدَ قعوداً يضيِّقُ الطريقَ ، فكلبُهُ أولىٰ بالمنعِ .

* * *

منكرات الحمّامات

منها : الصورُ التي تكونُ علىٰ بابِ الحمَّامِ أوْ داخلَ الحمَّام يجبُ إزالتُها علىٰ كلِّ مَنْ يدخلُها إنْ قدرَ ، فإنْ كانَ الموضعُ مرتفعاً لا تصلُ إليهِ يدُهُ . . فلا يجوزُ لهُ الدخولُ إلا لضرورةٍ ، فليعدلْ إلىٰ حمَّامٍ آخرَ ؛ فإنَّ مشاهدةَ المنكرِ غيرُ جائزةٍ .

ويكفيهِ أنْ يشوِّهَ وجهَها ويبطلَ بهِ صورتَها ، ولا يُمنعُ مِنْ صورِ الأشجارِ وسائرِ النقوشِ سوىٰ صورِ الحيوانِ .

* * *

ومنها : كشفُ العوراتِ والنظرُ إليها ، ومِنْ جملتِها كشفُ الدلاَّكِ عنِ الفخذِ وما تحتَ السَّرةِ لتنحيةِ الوسخِ ، بلْ مِنْ جملتِها إدخالُ اليدِ تحتَ الإزارِ ، فإنَّ مسَّ عورةِ الغيرِ حرامٌ كالنظرِ إليها .

* * *

ومنها : الانبطاحُ على الوجهِ بينَ يدي الدلاَّكِ لتغميزِ الأعجازِ والأفخاذِ ، فهٰذا مكروهٌ وإنْ كانَ معَ حائلٍ ، ولكنْ لا يكونُ محظوراً إذا لمْ يُخشَ مِنْ حركةِ الشهوةِ .

وكذلكَ كشفُ العورةِ للحجَّامِ الذمِّيِّ مِنَ الفواحشِ ، فإنَّ المرأةَ لا يجوزُ لها أنْ تكشفَ بدنَها للذميّاتِ في الحمَّامِ ، فكيفَ يجوزُ لها كشفُ العورةِ للرجالِ؟!

ومنها : غمسُ اليدِ والأواني النجسةِ في المياهِ القليلةِ ، وغسلُ الإزارِ والطاسِ النجسِ في الحوضِ وماؤُهُ قليلٌ ؛ فإنَّهُ منجِّسٌ للماءِ إلا علىٰ مذهبِ مالكٍ ، فلا يجوزُ الإنكارُ فيهِ على المالكيّةِ ، ويجوزُ على الحنفيَّةِ والشافعيَّةِ⁽¹⁾ .

وإنِ اجتمعَ مالكيٌّ وشافعيٌّ في حمَّامٍ . . فليسَ للشافعيِّ منعُ المالكيِّ مِنْ ذلكَ إلا بطريقِ الالتماسِ واللطفِ ، وهوَ أنْ يقولَ لهُ : إنَّا نحتاجُ إلىٰ أنْ نغسلَ اليدَ أوّلاً ، ثمَّ نغمسَها في الماءِ ، وأمَّا أنتَ . . فمستغنٍ عنْ إيذائي وتفويتِ الطهارةِ عليَّ ، هـٰذا وما يجري مجراهُ ، فإنَّ مظانَّ الاجتهادِ لا يمكنُ الحِسبةُ فيها بالقهرِ .

* * *

ومنها : أنْ يكونَ في مداخلِ بيوتِ الحمَّامِ ومجاري مياهِها حجارةٌ ملساءُ مُزْلِقةٌ يزلقُ عليها الغافلونَ ، فهـٰذا منكرٌ ، ويجبُ قلعُهُ وإزالتُهُ ، ويُنكرُ على الحمَّاميِّ إهمالُهُ ؛ فإنَّهُ يفضي إلى السقطةِ ، وقدْ تؤدِّي السقطةُ إلى انكسارِ عضوٍ أوِ انخلاعِهِ .

وكذلكَ ترْكُ السدْرِ والصابونِ المُزْلِقِ علىٰ أرضِ الحمَّامِ منكرٌ ، ومَنْ فعلَ ذلكَ وخرجَ وتركَهُ فتزلقَ بهِ إنسانٌ ، وانكسرَ عضوٌ مِنْ أعضائِهِ ، وكانَ

---

(1) سبق وقد بيَّن المصنف رأيه في تنجُّس الماء القليل بأدنىٰ نجاسة وإن لم يظهر لها أثر ، وميله ظاهراً إلىٰ مذهب السادة المالكية .

ذلكَ في موضعٍ لا يظهرُ فيهِ ، بحيثُ يتعذَّرُ الاحترازُ عنهُ . . فالضمانُ متردِّدٌ بينَ الذي تركَهُ وبينَ الحمَّامِيِّ ؛ إذ على الحمَّاميِّ تنظيفُ الحمَّامِ ، والوجهُ : إيجابُ الضمانِ علىٰ تاركِهِ في اليومِ الأوَّلِ ، وعلى الحمَّاميِّ في اليومِ الثاني ؛ إِذْ عادةُ تنظيفِ الحمَّامِ كلَّ يومٍ معتادةٌ ، والرجوعُ في مواقيتِ إعادةِ التنظيفِ إلى العاداتِ ، فليُعتبرْ بها .

وفي الحمَّامِ أمورٌ أخرُ مكروهةٌ ، ذكرناها في كتابِ أسرارِ الطهارةِ ، فلا نطوِّلُ بإعادتِها .

* * *

منكرات الضيافة

فمنها : فرشُ الحريرِ للرجالِ ، فهوَ حرامٌ ، وكذلكَ تبخيرُ البخورِ في مجمرةِ فضةٍ أوْ ذهبٍ ، وكذلكَ الشربُ منها ، أوِ استعمالُ ماءِ الوردِ منهما ، أو ممَّا رأسُهُ منهما .

* * *

ومنها : إسدالُ الستورِ وعليها الصورُ .

* * *

ومنها : سماعُ الأوتارِ أوْ سماعُ القيناتِ .

* * *

ومنها : اجتماعُ النساءِ على السطوحِ للنظرِ إلى الرجالِ مهما كانَ في الرجالِ شبَّانٌ يُخافُ الفتنةُ بينهُمْ ، فكلُّ ذلكَ محظورٌ منكرٌ يجبُ تغييرُهُ ، ومَنْ عجزَ عنْ تغييرِهِ . . لزمَهُ الخروجُ ولمْ يجزْ لهُ الجلوسُ ، فلا رخصةَ لهُ في الجلوسِ في مشاهدةِ المنكراتِ .

وأمَّا الصورُ التي على النمارقِ والزرابيِّ المفروشةِ . . فليسَ منكراً ، وكذا على الأطباقِ والقصاعِ ، لا الأواني المتخذةِ علىٰ شكلِ الصورِ ، فقدْ تكونُ بعضُ رؤوسِ المجامرِ علىٰ شكلِ طيرٍ ، فذلكَ حرامٌ يجبُ كسْرُ مقدارِ الصورةِ منهُ .

وفي المُكْحُلةِ الصغيرةِ مِنَ الفضَّةِ خلافٌ ، وقدْ خرجَ أحمدُ ابنُ حنبلٍ عنِ الضيافةِ بسببِها(١) .

ومهما كانَ الطعامُ حراماً ، أوْ كانَ الموضعُ مغصوباً ، أوْ كانَتِ الثيابُ المفروشةُ حراماً . . فهوَ مِنْ أشدِّ المنكراتِ .

فإنْ كانَ فيها مَنْ يتعاطىٰ شربَ الخمرِ وحدَهُ . . فلا يجوزُ الحضورُ ؛ إذْ لا يحلُّ حضورُ مجالسِ الشربِ وإنْ كانَ معَ تركِ الشربِ ، ولا يجوزُ مجالسةُ الفاسقِ في حالةِ مباشرتِهِ للفسقِ ، وإنَّما النظرُ في مجالستِهِ بعدَ ذلكَ ، وأنَّهُ هلْ يجبُ بغضُهُ في اللهِ ومقاطعتُهُ كما ذكرناهُ في بابِ الحبِّ والبغضِ في اللهِ ، وكذلكَ إنْ كانَ فيهِمْ مَنْ يلبسُ الحريرَ أوْ خاتمَ الذهبِ . . فهوَ فاسقٌ لا يجوزُ الجلوسُ معَهُ مِنْ غيرِ ضرورةٍ .

فإنْ كانَ الثوبُ علىٰ صبيٍّ غيرِ بالغٍ . . فهـٰذا في محلِّ النظرِ ، والصحيحُ : أنَّ ذلكَ منكرٌ ويجبُ نزعُهُ عنه إنْ كانَ مميِّزاً ؛ لعمومِ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « هـٰذانِ حرامٌ علىٰ ذكورِ أمَّتي »(٢) ، وكما يجبُ منعُ الصبيِّ مِنْ شربِ الخمرِ لا لكونِهِ مكلَّفاً ، ولكنْ لأنَّهُ يأنسُ به ، فإذا بلغَ عسرَ عليهِ الصبرُ عنهُ . . فكذلكَ شهوةُ التزيُّنِ بالحريرِ تغلبُ عليهِ إذا اعتادَهُ ،

---

(١) قوت القلوب (٢/ ٢٨٠) ، وكثير من مسائل المصنف عنده ، وقصة خروجه بسبب مكحلة فضة حكاها عن صاحب « القوت » الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٧/ ٦١) .

(٢) رواه أبو داوود (٤٠٥٧) ، والنسائي (٨/ ١٦٠) ، وابن ماجه (٣٥٩٥) .

فيكونُ ذلكَ بذراً للفسادِ يبذرُ في صدرِهِ ، فتنبتُ منهُ شجرةٌ منَ الشهوةِ راسخةٌ يعسرُ قلعُها بعدَ البلوغِ .

أمّا الصبيُّ الذي لا يميِّزُ . . فيضعفُ معنى التحريمِ في حقِّهِ ، ولا يخلو عنِ احتمالٍ ، والعلمُ عندَ اللهِ فيهِ(١) ، والمجنونُ في معنى الصبيِّ الذي لا يميِّزُ .

نعمْ ، يحلُّ التزيُّنُ بالذهبِ والحريرِ للنساءِ مِنْ غيرِ إسرافٍ .

ولا أرىٰ رخصةً في تثقيبِ أذنِ الصبيَّةِ لأجلِ تعليقِ حلقِ الذهبِ فيها ؛ فإنَّ هـٰذا جرحٌ مؤلمٌ ، ومثلُهُ موجبٌ للقصاصِ ، فلا يجوزُ إلا لحاجةٍ مهمَّةٍ ، كالفصدِ والحجامةِ والختانِ ، والتزيُّنُ بالحلقِ غيرُ مهمٍّ ، بلْ في التقريطِ بتعليقِهِ على الأذنِ ، وفي المخانقِ والأَسْوِرَةِ كفايةٌ عنهُ ، فهـٰذا وإنْ كانَ معتاداً فهوَ حرامٌ ، والمنعُ منهُ واجبٌ ، والاستئجارُ عليهِ غيرُ صحيحٍ ، والأجرةُ المأخوذةُ عليهِ حرامٌ ، إلا أنْ يثبتَ من جهةِ النقلِ فيه رخصةٌ ، ولمْ يبلغْنا إلى الآنَ فيهِ رخصةٌ(٢) .

* * *

ومنها : أنْ يكونَ في الضيافةِ مبتدِعٌ يتكلَّمُ في بدعتِهِ ، فيجوزُ الحضورُ لمَنْ يقدرُ على الردِّ عليهِ علىٰ عزمِ الردِّ ، فإنْ كانَ لا يقدرُ عليهِ . . لمْ يجزْ ،

---

(١) ومذهب أبي حنيفة وأصحابه المنع مطلقاً ، سواء كان مميزاً أو لا .

(٢) واستدل المجوِّزون من الشافعية وغيرهم ببعض الآثار الواردة في جواز ذلك ، ينظر « تحفة المحتاج » (٩/ ١٩٥) .

وإنْ كانَ المبتدعُ لا يتكلَّمُ ببدعتِهِ . . فيجوزُ الحضورُ معَ إظهارِ الكراهةِ عليهِ والإعراضِ عنهُ ، كما ذكرناهُ في بابِ البغضِ في اللهِ .

وإنْ كانَ فيها مضحكٌ بالحكاياتِ وأنواعِ النوادرِ ؛ فإنْ كانَ يضحكُ بالفحشِ والكذبِ . . لمْ يجزِ الحضورُ ، وعندَ الحضورِ يجبُ الإنكارُ ، وإنْ كانَ ذلكَ بمزحٍ لا كذبَ فيهِ ولا فحشَ . . فهوَ مباحٌ ؛ أعني ما يقلُّ منهُ ، فأمَّا اتخاذُهُ صنعةً وعادةً . . فليسَ بمباحٍ .

وكلُّ كذبٍ لا يخفىٰ أنَّهُ كذبٌ ولا يقصدُ منهُ التلبيسُ . . فليسَ مِنْ جملةِ المنكراتِ ؛ كقولِ الإنسانِ مثلاً : (قدْ طلبتُكَ اليومَ مئةَ مرَّةٍ) و(أعدتُ الكلامَ عليكَ ألفَ مرَّةٍ) ، وما يجري مجراهُ ممَّا يُعلمُ أنَّهُ ليسَ يُقصدُ بهِ التحقيقُ ، فذلكَ لا يقدحُ في العدالةِ ، ولا تُردُّ الشهادةُ بهِ ، وسيأتي حدُّ المزاحِ المباحِ والكذبِ المباحِ في كتابِ آفاتِ اللسانِ مِنْ ربعِ المهلكاتِ .

* * *

ومنها : الإسرافُ في الطعامِ والبناءِ ، فهوَ منكرٌ ، بلْ في المالِ منكرانِ :

أحدُهُما : الإضاعةُ .

والآخرُ : الإسرافُ .

فالإضاعةُ : تفويتُ مالٍ بلا فائدةٍ يُعتدُّ بها ؛ كإحراقِ الثوبِ وتمزيقِهِ ، وهدمِ البناءِ مِنْ غيرِ غرضٍ ، وإلقاءِ المالِ في البحرِ ، وفي معناهُ صرفُ المالِ

إلى النائحةِ والمطربِ ، وفي أنواعِ الفسادِ ؛ لأنَّها فوائدُ محرَّمةٌ شرعاً ، فصارَتْ كالمعدومةِ .

وأمَّا الإسرافُ : فقدْ يُطلقُ لإرادةِ صرْفِ المالِ إلى النائحةِ والمطربِ والمنكراتِ ، وقدْ يُطلقُ على الصرْفِ إلى المباحاتِ في جنسِها ولكنْ معَ المبالغةِ ، والمبالغةُ تختلفُ بالإضافةِ إلى الأحوالِ ، فنقولُ : مَنْ لمْ يملكْ إلا مئةَ دينارٍ مثلاً ومعَهُ عيالُهُ وأولادُهُ ، ولا معيشةَ لهُمْ سواهُ ، فأنفقَ الجميعَ في وليمةٍ . . فهوَ مسرفٌ يجبُ منعُهُ منهُ ، قالَ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ نزلَ هٰذا في رجلٍ بالمدينةِ قسمَ جميعَ مالِهِ ولمْ يبقِ شيئاً لعيالِهِ ، فطُولبَ بالنفقةِ ، فلمْ يقدرْ علىٰ شيءٍ(١) .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۞ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ .

وكذلكَ قالَ تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ ، فمَنْ يُسرفُ هٰذا الإسرافَ يُنكرُ عليهِ ، ويجبُ على القاضي أنْ يحجرَ عليهِ ، إلا إذا كانَ الرجلُ وحدَهُ ، وكانَ لهُ قوَّةٌ في التوكُّلِ صادقةٌ ، فلهُ أنْ ينفقَ جميعَ مالِهِ في أبوابِ البرِّ ، ومَنْ لهُ عيالٌ أوْ كانَ عاجزاً عنِ التوكُّلِ . . فليسَ لهُ أنْ يتصدَّقَ بجميعِ مالِهِ .

وكذلكَ لوْ صرفَ جميعَ مالِهِ إلىٰ نقوشِ حيطانِهِ وتزيينِ بُنيانِهِ ، فهوَ

---

(١) وقد روى الطبري في « تفسيره » (٩/ ١٥/ ٩٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما في هٰذه الآية : (هٰذا في النفقة) .

إسرافٌ محرَّمٌ ، وفعلُ ذلكَ ممَّنْ لهُ مالٌ كثيرٌ ليسَ بحرامٍ ؛ لأنَّ التزيينَ مِنَ الأغراضِ الصحيحةِ ، ولمْ تزلِ المساجدُ تُزيَّنُ وتُنقشُ أبوابُها وسقوفُها معَ أنَّ نقشَ البابِ والسقفِ لا فائدةَ فيهِ إلا مجرَّدُ الزينةِ ، فكذا الدورُ .

وكذلكَ القولُ في التجمُّلِ بالثيابِ والأطعمةِ ، فذلكَ مباحٌ في جنسِهِ ، ويصيرُ إسرافاً باعتبارِ حالِ الرجلِ وثروتِهِ .

وأمثالُ هـٰذهِ المنكراتِ كثيرةٌ لا يمكنُ حصرُها ، فقسْ بهـٰذا منكراتِ المجامعِ ، ومجالسِ القضاةِ ، ودواوينِ السلاطينِ ، ومدارسِ الفقهاءِ ، ورباطاتِ الصوفيَّةِ ، وخاناتِ الأسواقِ ، فلا تخلو بقعةٌ عنْ منكرٍ مكروهٍ أوْ محظورٍ ، واستقصاءُ جميعِ المنكراتِ يستدعي استيعابَ جميعِ تفاصيلِ الشرعِ ، أصولِها وفروعِها ، فلنقتصرْ علىٰ هـٰذا القدرِ منها .

* * *

المنكرات العامّة

اعلمْ : أنَّ كلَّ قاعدٍ في بيتِهِ أينما كانَ فليسَ خالياً في هـٰذا الزمانِ عنْ منكرٍ مِنْ حيثُ التقاعدُ عنْ إرشادِ الناسِ وتعليمِهِمْ وحملِهِمْ على المعروفِ ، فأكثرُ الناسِ جاهلونَ بالشرعِ في شروطِ الصلاةِ في البلادِ ، فكيفَ في القرىٰ والبوادي ، ومنهُمُ الأعرابُ والأكرادُ والتركمانيَّةُ وسائرُ أصنافِ الخلقِ ، وواجبٌ أنْ يكونَ في كلِّ مسجدٍ ومحلَّةٍ مِنَ البلدِ فقيهٌ يعَلِّمُ الناسَ دينَهُمْ ، وكذا في كلِّ قريةٍ .

وواجبٌ علىٰ كلِّ فقيهٍ فَرَغَ مِنْ فرضِ عينِهِ وتفرَّغَ لفرضِ الكفايةِ أنْ يخرجَ إلىٰ مَنْ يجاورُ بلدَهُ مِنْ أهلِ السوادِ ومِنَ العربِ والأكرادِ وغيرِهِمْ ويعلِّمَهُمْ دينَهُمْ وفرائضَ شرعِهِمْ ، ويستصحبُ معَ نفسِهِ زاداً يأكلُهُ ، ولا يأكلُ مِنْ أطعمتِهِمْ ؛ فإنَّ أكثرَها تكونُ مغصوبةً ، فإنْ قامَ بهـٰذا الأمرِ واحدٌ . . سقطَ الحرجُ عنِ الآخرينَ ، وإلا . . عمَّ الحرجُ الكافَّةَ أجمعينَ ؛ أمَّا العالمُ . . فلتقصيرِهِ في الخروجِ ، وأمَّا الجاهلُ . . فلتقصيرِهِ في تركِ التعلُّمِ .

وكلُّ عاميٍّ عرفَ شروطَ الصلاةِ . . فعليهِ أنْ يعرِّفَ غيرَهُ ، وإلا . . فهوَ شريكٌ في الإثمِ ، ومعلومٌ أنَّ الإنسانَ لا يُولدُ عالماً بالشرعِ ، وإنَّما يجبُ التبليغُ علىٰ أهلِ العلمِ ، وكلُّ مَنْ تعلَّمَ مسألةً واحدةً . . فهوَ مِنْ أهلِ العلمِ بها .

ولعمري ؛ الإثمُ على الفقهاءِ أشدُّ ؛ لأنَّ قدرتَهُمْ فيهِ أظهرُ ، وهوَ بصناعتِهِمْ أليقُ ؛ لأنَّ المحترفينَ لوْ تركوا حرفتَهُمْ . . لبطلتِ المعايشُ ، فهمْ قدْ تقلَّدوا أمراً لا بدَّ منهُ في صلاحِ الخلقِ ، وشأنُ الفقيهِ وحرفتُهُ تبليغُ ما بلَغَهُ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فإنَّ العلماءَ همْ ورثةُ الأنبياءِ ، وليسَ للإنسانِ أنْ يقعدَ في بيتِهِ ولا يخرجَ إلى المسجدِ لأنَّه يرى الناسَ لا يحسنونَ الصلاةَ ، بلْ إذا علمَ ذلكَ . . وجبَ عليهِ الخروجُ للتعليمِ والنهيِ .

وكذلكَ كلُّ مَنْ تيقَّنَ أنَّ في السوقِ منكراً يجري على الدوامِ ، أوْ في وقتٍ بعينِهِ وهوَ قادرٌ علىٰ تغييرِهِ ، فلا يجوزُ لهُ أنْ يسقطَ ذلكَ عنْ نفسِهِ بالقعودِ في البيتِ ، بلْ يلزمُهُ الخروجُ ، فإنْ كانَ لا يقدرُ علىٰ تغييرِ البعضِ وهوَ محترزٌ عنْ مشاهدتِهِ ويقدرُ على البعضِ . . لزمَهُ الخروجُ ؛ لأنَّ خروجَهُ إذا كانَ لأجلِ تغييرِ ما يقدرُ عليهِ . . فلا يضرُّهُ مشاهدةُ ما لا يقدرُ عليهِ ، وإنَّما يُمنعُ الحضورَ لمشاهدةِ المنكرِ مِنْ غيرِ غرضٍ صحيحٍ .

فحقٌّ علىٰ كلِّ مسلمٍ : أنْ يبدأَ بنفسِهِ فيصلحَها بالمواظبةِ على الفرائضِ وتركِ المحرَّماتِ ، ثمَّ يعلِّمَ ذلكَ أهلَهَ وأقاربَهُ ، ثمَّ يتعدَّىٰ بعدَ الفراغِ منهُمْ إلىٰ جيرانِهِ ، ثمَّ إلىٰ أهلِ محلَّتِهِ ، ثمَّ إلىٰ أهلِ بلدِهِ ، ثمَّ إلىٰ أهلِ السوادِ المكتنفِ ببلدِهِ ، ثمَّ إلىٰ أهلِ البوادي مِنَ الأكرادِ والعربِ وغيرِهِمْ ، وهٰكذا إلىٰ أقصى العالمِ ، فإنْ قامَ بهِ الأدنىٰ . . سقطَ عنِ الأبعدِ ، وإلا . . حَرِجَ بهِ

كلُّ قادرٍ عليهِ ، قريباً كانَ أوْ بعيداً ، ولا يسقطُ الحرجُ ما دامَ يبقىٰ علىٰ وجهِ الأرضِ جاهلٌ بفرْضٍ مِنْ فروضِ دينِهِ ، وهوَ قادرٌ علىٰ أنْ يسعىٰ إليهِ بنفسِهِ أوْ بغيرِهِ فيعلمَهُ فرضَهُ .

وهـٰذا شغلٌ شاغلٌ لمَنْ يهمُّهُ أمرُ دينِهِ ، يشغلُهُ عنْ تجزئةِ الأوقاتِ في التفريعاتِ النادرةِ والتعمُّقِ في دقائقِ العلومِ التي هيَ مِنْ فروضِ الكفاياتِ ، ولا يتقدَّمُ علىٰ هـٰذا إلا فرضُ عينٍ ، أوْ فرضُ كفايةٍ هوَ أهمُّ منهُ ، واللهُ أعلمُ .

* * *

Üçüncü Bab

ÂDET OLARAK ÜLFET EDİLEN MÜNKERLER

Bunların hepsini saymanın imkânı yok. Bâzılarına işâret edelim ki buna kıyâsen diğerleri de bilinsin.

MESCİDLERDE İŞLENEN MÜNKERÂT

Bilmiş ol ki; Münker, mekruh ve haram olmak üzere ikiye ayrılır. Bu münker mekruhtur dediğimiz zaman, onu önlemek ve ondan men etmek müstehabdır; sükût etmek ise mekruhtur, haram değildir. Ancak o işi yapan kimse onun mekruh olduğunu bilmez ve bilmeyerek o mekruhu yapıyorsa, onu bildirmek lâzımdır. Zîra kerâhet, şerîatte bir hükümdür, onu bilmeyene öğretmek vâciptir. Münker, mahzur veyâ mutlak olarak münker dediğimiz zaman, gücü yeterken buna sükût haramdır. Çünkü bu haram olan bir münkerdir.

Mescidlerde fazlasıyla görülen hatâlardan birisi rükû ve secdelerde tumânîneti terk etmekle namaza yapılan ihânettir. Bu ise hadîsin sarâhatiyle namazı bozan bir münkerdir. Bundan nehyetmek vâciptir. Ancak namazın sıhhatine mâni olmadığını bilen Hanefîler bundan müstesnâdır. Çünkü onlar, öyle bildikleri için onları ikaz fayda vermez.[37] Namazında hatâ ettiğini görüp düzeltmeyen kimse bu hatâda ortaktır. Eserde böyle vârid oldu ve haberde buna delâlet eden delîller vardır. Nitekim gıybet, çekiştirme hakkında: *"Dinleyen de söyleyenle günâhta ortaktır."* buyurulmuştur. Bunun gibi namaz kılan adamın elbisesinde, namazın sıhhatine mâni necâset gördüğü, karanlık veyâ körlük sebebiyle kıbleden inhiraf ettiğini gördüğü zaman, bunların hepsini düzeltmesi lâzımdır.

---

[37] Namaz kısmının “Ta’dîl-i Erkân” bahsine bakınız.

Mescidlerde görülen hatâlardan biri de, Kur'ân'ın tegannî ile okunmasıdır. Bundan da nehyetmek ve doğruyu telkîn etmek farzdır. Hattâ îtikâfa giren kimsenin zikir ve nâfile ibâdetleri terk edip bu gibi kusurları düzeltmekle uğraşması daha makbuldür. Şâyet bu kusurları düzeltmek kâr ve kisbine mâni oluyor ve geçimini sağlayabilecek vaziyette ise fazla dünyalık peşinde koşup va'z u nasîhati terk etmesi helâl olmaz. Şâyet geçimini sağlamak zarûreti varsa, tabiî mâzur sayılır ve bu eziyeti sebebiyle emr-i mâruf vücûbu kendisinden sâkıt olur.

Kur'ân'ı tegannî ile okuyan kimse, kırâatini düzeltebilecek seviyede ise düzeltinceye kadar okumaktan sarf-ı nazar eder. Çünkü tegannî etmekle günâhkâr olur. Şâyet ağzı ve dili müsâit değil, okuduğunun çoğunda lahn ve tegannî ediyorsa, Kur'ân okumayı bırakır ve yalnız Fâtiha'yı usûlüne uygun olarak okumaya gayret eder. Şâyet okuduğunun çoğu düzgün olup tamamen düzeltmeye muktedir değilse, o zaman Kur'ân okumaya devam etmesinde beis yoktur. Fakat başkasına duyurmamak için mümkün olduğu kadar alçak sesle okur, gizli okumasından da men edilmesinin yolu vardır. Fakat bütün imkânlarını kullanmış ve Kur'ân okumaya hevesli, Kur ân ile ünsiyet etmiş bir halde ise Kur'ân'ı okumasında beis görmem. Doğrusunu Allah bilir.

Mesciddeki hatâlardan biri de, müezzinlerin ezândaki tegannîleri ve ezan okurken göğüslerini kıbleden çevirmeleridir. Hâssaten "Hayye ale's-Salâh" ve "Hayye ale'l-Felâh"larda yâhut ayrı ayrı iki müezzin ezan okurken biri bir cümleyi bitirmeden diğerinin başlayıp birbirine karıştırmalarındadır. Çünkü dinleyenler ezana icâbet edemezler. Bütün bunlar münker ve mekrûh olan şeylerdir. Bunları târif etmek vâciptir. Şâyet bilerek böyle yapıyorlarsa, yine onları men etmek müstehabtır. Yine bunun gibi bir mescidde tek müezzin olup sabah ezanını vaktinden evvel okumuşsa, vakit girdikten sonra ezan okumaktan men edilir. Çünkü namaz ile orucu karıştırır. Ancak herkes tarafından vaktinden evvel ezan okuduğu bilinirse veyâ başka ses ile vakit girdikden sonra ezan okuyan müezzini varsa zarar vermez.[38]

Mekruhtan birisi de, sabah vakti girdikten sonra bir câmi içerisinde bir kaç ezan okumaktır. Artık bir ezan ile camide uyuyan kimse kalmadığı gibi câmi içerisinde okunan ezan ve hâriçte kimseyi uyandırmayacağı için, bu ezanlar sahâbenin ve selefin âdetlerine muhaliftir.

Hatâlardan birisi de, hatibin ibrişim işlemeli siyâh elbise giymesi veyâ elinde altın kabzalı kılıç bulunmasıdır. Böyle yapan hatip fâsıktır ve bunu inkâr edip reddetmek vâciptir. Yalnız siyah elbise giymek mekruh değil, fakat mahbûb da değildir. Zîra Allah katında en sevimli elbise beyazdır. Siyah elbiseye mekrûh veyâ bid'at diyen, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) zamânında bilinmediğini kasdetmiştir. Fakat hakkında nehiy vârid olmadığına göre ona mekrûh veyâ bid'at demek uygun olmaz. Bununla beraber giyilmemesi daha, sevimlidir.

Mescidde yapılan hatâlardan biri de, sözlerine bid'atleri karıştıran kıssacılardır. Kıssacı haberlerinde yalan söylüyorsa fâsıktır, onu red ve inkâr etmek farzdır. Bunun gibi bid'at sâhibi vâizleri de reddetmek farzdır. Bu gibi vâizlerin vaazlarına ancak onları reddetmek maksadıyla iştirak edilir. Gücü yeterse bütün cemâate, yetmezse etrafındakilere meseleyi anlatır. Şâyet buna da gücü yetmiyorsa vaazına iştirak etmez. Nitekim Allahü Teâlâ Habîb-i Ekrem'ine:

---

[38] Rasûl-i Ekrem'in iki müezzini vardı. Bunlardan birisi olan Hz. Bilâl sabâh vaktinden evvel ezanı okurdu. Diğeri de Ümmü Mektûm idi ki, vakit girdikten sonra okurdu.

فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّٰى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ

"Başka söze dönünceye kadar onlardan îrâz eyle." (En'âm suresi, 6/68) buyurmuştur. Konuşması insanları kötülüğe tahrîk eder mâhiyette ise Allahın af ve rahmetine güvendirerek isyânı teşvîk ediyorsa, bu konuşması münkerdir, men edilmesi vâciptir. Zîra bu gibilerin bozgunculuğu büyüktür. Daha doğrusu insan tabiatına uygun düşeni dâimâ korku tarafı ümîd tarafı üzerine gâlip olmaktır. Çünkü insanlar dâimâ korkuya muhtaçtırlar. Adâlet, korku ile ümîdi denkleştirmektir.

Nitekim **Hz. Ömer** (r.a.): "Kıyâmet gününde bir kişiden başka herkes cehenneme girsin diye bağırsalar, (kurtulan) o bir kişinin ben olmasını ümîd ederim. Eğer bir kişiden başka herkes cennete girsin diye bağırsalar, (ateşe atılan) o bir kişinin ben olmasından korkarım." demiştir.

Vaiz efendi genç, süslü elbiseler giymiş, saçını tuvaletini yapmış, bütün vücûdu hareket halinde göz ve kaşı oynarsa bu gibi vâizin meclisinde kadınların bulunması münkerdir. Bu vâizi men etmek farzdır. Çünkü onun bozacağı, düzelteceğinden daha çoktur. Vâizin bu hali, hal ve tavrından belli olur. Hattâ vâiz kişi görünüşde ağır başlı, şüpheli şeylerden çekinen sâlih kimselerden olmalıdır. Aksi takdirde vâiz, sapıtmaktan başka bir fayda sağlamaz.

Birbirini görmeyecek şekilde kadınlarla erkekler arasında perde bulunmalıdır. Zîra birbirlerine bakmak, şüphe uyandıran sebeplerdendir. Âdetler bu gibi münkerâta şehâdet etmektedir. Fitneden korkulduğu zaman kadınları câmide namaz kılmaktan ve zikir yerlerinden men etmek vâciptir. Hz. Âişe (r.a.) kadınları men etmiş ve kendisine "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) kadınları men etmezken siz niçin men ediyorsunuz?" dediklerinde: "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), kadınların sonradan ne hal aldıklarını bilseydi, o da onları men ederdi" diye cevap vermiştir.

Kapalı olarak kadınların mescid içinden geçmelerinde beis yoktur. Bundan men edilmezler. Ancak mescidi yol edinmemelidir. Vaizlerin karşısında tegannî ve Kur'ân'ın nazmını değiştirerek okumak, şiddetle mekrûh bir münkerdir. Selefin pek çoğu bunu nehy etmişlerdir.

Mesciddeki hatâlardan biri de, Cuma günü ilâç, yiyecek ve sanat eserleri gibi şeyleri halkalar halinde toplanıp satmak, saflar arasında veyâ kapılarda dilencilik etmek, toplanıp şiirler okumak gibi hareketlerin bir kısmı yalan ve uydurma olduğu için haramdır. Bâzı koca-karı ilaçları ve benzeri sahte ilaçları piyasaya sürenler, bâzı şa'beze ve zekâ oyunları göstermek, çocukları ve köylüleri kandırmak için muskalar ve oyuncaklar satmak gibi şeyleri mescidde ve mescid dışında yapmak, tamamen haramdır. Bundan men etmek farzdır. Yalan ve hîle karışan kusur ve noksanı gizlenmek sûretiyle yapılan her alış-veriş haramdır.

Bunlardan bir kısmı mescid dışında mübâhtır. Terzilik, arâç gereç, kitap ve yiyecek satmak gibi... Hattâ bunların mescidde haram olması, ârızî sebepledir. O sebep de câmii daraltmak ve namaz kılanları şaşırtmaktır. Bunlardan hiç biri olmuyorsa, bunları mescidde de satmak câizdir; fakat evlâ olan terk etmektir. Nâdir hallerde ve pek belirli zamanlarda olmalıdır. Yoksa mescidi dükkân haline getirmek haramdır ve bundan katî olarak men edilir.

Bâzı şeylerin mübâh olması, az olmak şartıyladır; çok olursa küçük günâha intikal eder. Nitekim bâzı günâhlar, ısrâr etmemek şartıyle sagire; ısrâr edilirse kebîre olurlar. Azının kapısını açmak çoğa sebep olacaksa onu men etmek lâzımdır. Câmilerden bu işleri ya vâli yâhut veliyyü'l-emr tarafından tâyin olunan câmi kayyımları men etmelidir. Zîra bu dereceyi tâyin etmek ictihâda bağlıdır. Aslında mübâh olan bir şeyden, çoğalacak korkusu ile men etmek herkesin kârı değildir.

Mesciddeki mekruhlardan birisi de, mecnunların, çocukların ve sarhoşların mescidlere girmemesidir. Oynamamak şartıyla çocukların mescidlere girmesinde beis yoktur. Bununla beraber çocukların mescidde oynaması haram olmadığı gibi, onların oynamasına göz yummak da haram değildir. Ancak mescidi oyuncak haline getirir ve devamlı olarak oraya girip oynarlarsa, o zaman men edilir. İşte bu, azı helâl fakat çoğu helâl olmayan hareketlerdendir.

Azının helâl olduğuna delîl, Buhârî ile Müslim'in Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den rivâyet ettikleri şu hadîstir: Bayram günü Habeşîlerin mesciddeki oyunlarını Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) kapı üzerinden Hz. Âişe'ye seyrettirmiş ve ikisi beraber bakmışlardır. Şüphesiz bu Habeşîler mescidi oyuncak yeri haline getirseler elbette men edilirdi. Çok ender olduğu için, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de onlara baktı ve hattâ Hz. Âişe'nin gönlünü hoş etmek için onlara: *"Devâm edin."* buyurmuştur. Semâ bahsinde bunu anlatmıştık.

Mecnunlara gelince: Aslında bunların câmiye girmelerinde beis yoktur. Câmiden men edilmeleri, câmii telvîs etmeleri ve orada lüzumsuz sözler konuşmaları veyâ mahrem yerlerini açmaları gibi çirkin hareketlerde bulunmaları hasebiyledir. Yoksa uslu mecnunların mescidlerden çıkarılmaları vâcip değildir. Sarhoşlar mecnunlar gibidir. Kusmak, el ve dili ile eziyet etmek gibi kötü hareketleri düşünülürse ve alkolik halde ise mescidden çıkarılması vâciptir. Tam sarhoş olmasa bile ağzı içki kokanlar da çıkarılır. Nasıl böyle olmasın ki, soğan ve sarmısak kokusu ile gelenler bile Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) tarafından men edilmişlerdir. Biz bu men etmeyi kerâhete hamlettiğimiz takdirde içkinin pis kokusunda bu kerâhetin daha şiddetli olduğu meydandadır.

Şâyet birisi kalkıp da, "Lâyık olan sarhoşu döverek ve zorlayarak câmiden çıkarmak lâzımdır." derse deriz ki:

Hayır, daha uygunu onu mescidde oturtup ona duâ etmek, şâyet söyleneni anlıyorsa ona, içki içmekten vaz geçmesi için tavsiyede bulunmaktır. Onu dövmek ve zorla men etmek herkesin kârı değil, vâlilere, hüküm erkânına mahsustur. Bu da içki içtiğine kendi ikrârı ve iki şâhidin şehâdetiyle mümkün olur. Yalnız ağzının içki kokması bu gibi zecrî tedbîr için kâfi değildir. Evet, sendeleyerek yürüyorsa, sarhoşluk eseri kendisinden görüldüğü için, onu bu işten men etmek, mescid içinde ve dışında dövmek gerekir. Zîra kötülük izlerinin kendisinde görülmesi kötülüktür. Günâhı terk etmek vâcip olduğu gibi, onu ve onun bıraktığı izleri de gizlemek vâciptir. Şâyet isyânını ve onun eserlerini gizliyorsa, artık onun durumunu araştırmaya lüzum yoktur. Yalnız ağzında içki kokusunun bulunması katî olarak içki içtiğine delâlet etmez. Başka vâsıtalarla bu koku kişinin vücûduna sinmiş olabilir.

ÇARŞI VE PAZARLARDA İŞLENEN MÜNKERLER

Çarşı ve pazarlarda âdet haline gelen münkerlerden birisi alış-verişte yalan konuşmak ve malın kusurunu gizlemektir. Meselâ bir esnâf "Bu malı yüz kuruşa aldım ve yüz on kuruşa veriyorum." derken bu ifâdesi gerçeğe uygun değilse, yalancı ve fâsıktır. Bunu bilen bir kimse orada varsa asıl fiyatını müşteriye bildirmelidir. Şâyet satıcının keyfine sükût edip bildiğini söylemezse, sükûtu sebebiyle kendisi de günâha girmiş ve isyânda satıcı ile ortak olmuştur. Yine bunun gibi satıcının gizlediği bir kusuru biliyorsa onu da müşteriye haber vermelidir. Bunu haber vermezse dîn kardeşinin zarar etmesine, göz göre göre ve bile bile razı olmuş sayılır. Bu ise haramdır. Ölçü ve tartıdaki hîlede de hüküm böyledir. Bunu görüp bilen kimsenin düzeltmesi veyâ alâkalı mercîlere haber vermesi vâciptir.

Çarşı ve pazarda işlenen münkerlerden birisi de, alınıp verilen mallarda icâb ve kabulü terk ederek, yâni "Ben verdim, ben de aldım kabul ettim." demeden yalnız parayı verip malı almakla iktifâ etmektir. Fakat bu bir ictihâd mevzûu olduğu için, ancak bunun lüzumuna inanan mezhep mensupları ikaz edilirler.[39] İnsanlar arasında olan fâsit alış-verişi de düzeltmek vâciptir. Ribâ ve diğer alış-verişleri düzeltmek de borçtur.

Çarşı ve pazarların münker işlerinden birisi de, çalgı satmak ve bayram günlerinde çocuklar için yapılmış hayvan resimli oyuncaklar satmaktır. Bunları da kırmak ve satışlarını men etmek vâciptir. Altın, gümüş kaplarını ve erkekler için altın işlemeli ipek elbiselerini satıştan men etmek de lâzımdır. Bütün bunlar, mahzurlu münkerlerdendir. Yine kullanılmış elbiseyi yıkayıp kolalayıp, ütüleyip yeni elbise diye piyasaya sürmek de haramdır, bundan men etmek vâciptir. Elbisenin yırtığını gizlemek ve kötüyü iyiye karıştırıp ayırt edilmeyecek hale sokmak ve kötüyü iyi yerine satmak gibi saymakla tükenmeyen bu çeşit hîlelerden men etmek vâciptir.

---

[39] Şâfiîlerde lâzımdır. Hanefîlerde ise yalnız parayı ödemek sûretiyle malı almak câizdir. (Mütercim)

SOKAK VE CADDELERDE İŞLENEN MÜNKERLER

Caddelerde yapılan münker işlerden bâzıları: Evlerin çıkıntılarını yollara doğru uzatmak, sofa ve sekiler yapmak, gelip geçene mâni olacak şekilde ağaçlar dikmek, yol tarafına pencere açmak, kol uzatmak, yol üzerine döküntüler bırakmak, yolu meşgul etmek, eşyalarını yol üzerlerine yığmak, bütün bunlar yolu daraltıyor, gelene geçene zarar veriyorsa, münker ve yasaktır. Bunlardan men etmek lâzımdır. Ancak yol geniş ve müsâit olup gecene zarar vermiyorsa idâre edilir.

Evet, içeri alıp evine yerleştirmek için muvakkat bir zaman eşyâlarını yolu üzerine koyabilir. Çünkü buna herkes muhtaçtır. Bundan men edilmez. Gelene geçene zararı dokunacak şekilde yol kenarlarında hayvan bağlamak ve vâsıtalar bulundurmak da yasaktır. Ancak inip-binmek için cüzî bir miktar bu işler olabilir. Bu, amme ihtiyacıdır, yol da müşterek menfaat içindir. Zarûri ihtiyaç için kısa bir müddet işgâl edilebilir. Yoksa keyfî ihtiyaçlarda değil.

Sırtında insanların elbiselerini yırtacak yükü bulunan hayvanları sokaklara sokmak da münker bir harekettir. Ancak gideceği başka yolu yoksa kendisine müsâade edilir. Çünkü şehir halkının bu gibi maddelere de ihtiyâcı vardır. Şu kadar ki, bu gibi zararlı maddeler uzun müddet sokak ortasında bekletilemez.

Bunun gibi hayvanlara gücünden fazla yük vurmak da münkerdir. Bundan da men etmek vâciptir. Sokak aralarında hayvanları, kesip sokakları kirleten kasapları men etmek lâzımdır. Müsâit bir yerde bir mezbahanın bulunması lâzımdır. Zîra yollar üzerinde hayvan boğazlamakta, hem yolu meşgul etmek, hem de yolu kirletmek sûretiyle halkın huzurunu bozmak vardır. Yollar üzerine ölü hayvanlar, pislikler, döküntüler, çer-çöp atmak da aynı şekilde yasaktır. Lâğım sularını yollar üzerine akıtmak da aynı şekilde yasaktır. Yağmur ve kar birikintilerini yol üzerine bırakmak da münkerdir. Ama bundan muayyen bir şahıs mesûl değildir. Ancak evinin karını yol üzerine yığan mesûldür. Çatının oluğunu yola vermek de hatâlıdır. Vâliler bütün bu hatâları düzeltmelidirler. Fertlerin vazîfesi ancak va'z u nasîhattir. Saldırgan köpekleri de yola bakan kapılarda bulundurmak münkerdir. Men etmek lâzımdır. Köpek, yol ortasında yatarsa, sâhibini ikaz etmek lâzımdır. Kendisinin yol üzerinde yatıp yolu kesmesi yasak olunca hayvanının yol kesmesi ve pislemesinden evleviyetle men edilir.

HAMAMLARDAKİ MÜNKERLER

Hamamların münkerâtından birisi, hamamlarda resim bulundurmaktır. Hamamların kapı içlerinde veyâ içinde resim varsa, hamama gidenin bu resimleri yok etmesi lâzımdır. Şâyet resimleri yok edemiyorsa hamama girmesi câiz değildir. Çünkü kötülüğü görmek de câiz değildir. Sûretlerin yüzlerini boyamak sûretiyle yok edilmeleri kâfidir. Canlıların sûretleri yasaktır. Bunun hâricindeki çiçek, ağaç ve manzara şekillerinde mahzur yoktur.

Mahrem yerini açmak ve başkasının mahrem yerine bakmak da hamamın münker olan işlerindendir. Hamamlarda keseciler, göbekten diz kapağının altına kadar el değdirmezler, diğer kısımları ovarlar. Başkasının buralarına bakmak haram olduğu gibi, çıplak olarak ellemek de haramdır. Keselenmek için tellak önünde yüzükoyun yatıp uzanması -peştemal ile de olsa- mekruhtur, fakat şehvet hissi tehlikesi olmazsa haram değildir.

Hamamların münker hareketlerinden birisi de pis el ve kapları az sular içine sokmak, pis elbise ve kapları suyu az olan havuzlarda yıkamaktır. Zîra bu gibi havuzlar Mâlikî mezhebinden başka her mezhepte pislenmiş olur. Mâlikîleri men etmek doğru değildir, Şâfiî ve Hanefîler men edilir. Mâlikî ile Hanefî veyâ Şafiîler bir hamamda birleşirlerse, Mâlikîleri bu işlerden nezâketle men etmeye çalışırlar. Meselâ bize göre buna riâyet mecbûrîdir, senin için bu küçük havuzlarda yıkamak zarureti yoktur. O halde bizim yaptığımıza riâyet etmen daha uygun olur gibi nâzik ikazlarda bulunur. Yoksa ictihâd yeri olan işlerde şiddet kullanamaz.

Hamamın münkerlerinden birisi de giriş çıkış yerlerinin ve su yollarının pis tutulmasıdır. Su yollarını düzeltmek için hamamcıyı mecbur tutmak lâzımdır. Sabun gibi kaygan maddeleri ortalarda bırakmak da hatâlı bir harekettir. Çünkü insan bilmeyerek üzerine basmakla kayıp düşebilir ve eziyet görür. Hattâ görülmeyecek bir yerde olur da oraya basmak sûretiyle düşen kimsenin uğradığı zarar, hamamcı ile bu sabunu buraya bırakıp giden kimseye ortaklaşa tazmîn ettirilir. Daha doğrusu bu tazmîn ilk günde ise bu sabunu oraya bırakan müşteriye, müteakip günlerde ise hamamcıya lâzım gelmesidir. Çünkü birinci gün hamamcı bunu görmeyebilir. Fakat müteakip günler için hamamcının temizlemek mecbûriyeti vardır. Hamamın daha birçok mekruhları vardır, onları tahâret kısmında anlattık, oraya bakınız.

ZİYAFET VERMENİN MÜNKERÂTI

Erkekler için ipek minderler hazırlamak, altın ve gümüş kaplarda veyâ muhtelif yerleri altın yaldızlı kaplarda buhûr ve koku ve su bulundurmaktır.[40]

Bu münkerâttan birisi de üzerinde işleme sûretler bulunan bezler ile köşeleri süslemektir. Çalgı ve tegannîler dinlemek de ziyâfetin münkerâtındandır.

Ziyâfet vermenin münkerâtından birisi de, dâvetliler arasında gençler bulunup fitneyi mûcib olacak hallerde kadınların yüksek bir yerde toplanıp gelen erkekleri seyretmeleridir. Bütün bunlar, mahzurlu ve haram olan şeylerdir. Bunlardan nehyetmek vâciptir. Bunları düzeltmeye gücü yetmeyen kimsenin münkerâtı göre göre burada oturması câiz değildir, oradan çekilip gider. Döşemeler üzerindeki işleme sûret ve resimlerde beis yoktur. Çanak ve tabaklarda işlenen resimler de bu hükümdedir. Ancak hayvan şeklinde yapılan tabaklar yasaktır. Bâzı buhur ve koku kaplarının tepeleri kuş şeklinde olur ki bu haramdır. O sûret kadarını kırmak vâciptir. Gümüşten yapılmış küçük sürme kapları ihtilaflıdır. **Ahmed b Hanbel**, bu yüzden bir ziyafet yerinden ayrılmıştır. Yemek veyâ yemeğin yendiği yer veyâ odada döşeli malzemenin haram olmaları en büyük münkerâttandır. Şâyet tek başına bir içki içen de bulunursa orada durmak câiz değildir. Zîra içki yerlerine gitmek helâl olmaz. Fıska mübâşereti anında fâsıkın yanında bulunmak da câiz değildir. Kötülüğü sona erdiğinde fâsık kimselerin yanında oturmanın câiz olup olmamasında nazar vardır ki, bunu “**Allah İçin Sevmek ve Allah İçin Buğzetmek Kitâbı**”nda izah ettik.

---

[40] Bütün bunlar Şafiî mezhebindedir. Hanefilerde yenilip içilmeyen kapların altın veyâ gümüş olmalarında, minderlerin ipekten yapılmış bulunmalarında beis yoktur.

Yine bunun gibi ipek elbise giyen veyâ parmağında altın yüzüğü bulunan bir kimse meclisde varsa, bu adam fâsıktır. Zârûretsiz onun yanında oturulmaz. İpek elbise henüz bâliğ olmayan bir çocuğun sırtında ise bu da ihtilaflıdır. Doğru olan, bu elbisenin çocuğa da haram olmasıdır. Çocuk mümeyyiz ise bu elbiseyi sırtından çıkartmak vâcip olur. Zîra Rasûl-i Ekrem’in (s.a.v.): *“İpek ile altın, ümmetimin erkeklerine haramdır.”* sözü umûmîdir.

Çocuk mükellef olmadığı halde, şimdiden ünsiyet edip sonradan bırakması zor olduğu için, içkiden men edildiği gibi, ipekli elbise ile süslenmekten de men edilir. Çünkü çocuklukta ipek elbise ile süslenmek, göğsüne bir fesâd tohumunu eker, bundan da şehvet ağacı doğar. Bu gibi süslere alışır ve sonra bu ağacı gönlünden söküp atmak zor olur. Fakat çocuk daha küçük olup mümeyyiz bir seviyede değilse, ipek elbisesini çıkarmak ihtilaflıdır. Doğrusunu Allah bilir.

Mecnunlar, mümeyyiz olmayan çocuklar gibidir. Evet, ifrata varmayacak şekilde kadınların altın ve ipek ile süslenmeleri câizdir. Küpe takmak için küçük çocuğun kulağını delmeyi uygun bulmuyorum. Çünkü bu, çocuğa eziyettir. Bu gibi şeylere ancak zarûret halinde cevâz vardır. Aksi halde kısas hakkı mevcûttur. Zarûrî olan kan almak ve sünnet olmak gibi hallerdir. Küpe takmak için böyle bir zarûret yoktur. O aslında o kadar mühim olmamakla beraber, kulağa bağlanmak sûretiyle de takılabilir. Aslında gerdanlık ve bilezikler de bu ihtiyâcı giderir. Çocuklarda bu kulak delme işi her ne kadar âdet halinde ise de haramdır. Bunlardan men etmek vâciptir. Bu hususta adam tutmak doğru değil, verilen para ise haramdır. Bunu kurtaracak tek yol, bu hususa dâir bir rivâyetin bulunmasıdır. Hâlbuki bu ana kadar bunu tecvîz eden bir rivâyet bulamadık.

Ziyâfetin münkerâtından birisi de dâvetliler arasında kendi bid'ati hakkında propaganda yapan bir bid'atçinin bulunmasıdır. Onu reddetmeye gücü yeten kimsenin bu maksatla mecliste bulunması câizdir. Şâyet reddine gücü yetmiyorsa oraya gitmesi câiz değildir. Şâyet, bid'at sâhibi bid'atiyle alâkalı bir konuşma yapmıyorsa, ondan hoşlanmadığını belli etmek şartıyla meclise iştirâki câizdir. Allah için buğzetmek bâbında anlattığımız gibi…

Şâyet meclisde bâzı nâdir hikâyeler ve garîb şeylerle halkı güldüren bir kimse varsa, yalan ve fâhiş sözleri ile güldürüyorsa, meclisine iştirak caiz değildir. Mecliste bulunmuşsa, onu red ve inkâr etmesi vâciptir. Şâyet şaka ve latîfe yolu ile olur, fâhiş tâbirler kullanmaz ve yalan söylemezse, bu gibi mecliste oturmak mübâhtır. Bununla beraber devâmlı olarak bu gibi yerlerde bulunmak mübâh olamaz. Her söz ki yalan olduğu meydandadır ve onunla olduğu gibi kandırmak niyetinde değildir. Bu da münkerâttan sayılmaz. Meselâ: "Sizi yüz kere aradım, size bin defa tekrar ettim." ve benzeri sözler gibi... Bunu söyleyenin gerçekten yüz kere aradığını veyâ bin kere tekrar ettiğini demek istemediği âşikârdır. Bu şekil konuşma adâlete mâni değildir ve bu adamın şehâdeti de reddedilmez. Mübâh olan şaka ile mübâh olan yalanın dereceleri **"Rub'-ı Mühlikât"**tan olan **"Âfât-ı Lisân"** bahsinde gelecektir.

Ziyâfetin münkerlerinden birisi de yemekte ve binâda isrâftır, bu da münkerdir. Belki malda iki türlü münker vardır. Birisi malı kaybetmek, diğeri de isrâf etmektir. Malı zıyaa (kayba) uğratmak, boş ve faydasız yere onu yok etmektir. Bir maksatla olmayarak elbiseyi yakmak, yırtmak, binayı yıkmak, malı denize atmak ve bu mânâda olan malı, içki, çalgı ve muhtelif fesat yollarında harcamak gibi... Zîra bunlar şer'an haram olan faydalardır. Şer'an haram oldukları için bu faydalar yok sayılır. İsrâf, bâzen serveti kötü yollarda harcamak ve bâzen de mübâh olan yerlerde lüzumundan fazla sarfetmek mânâsında kullanılır. Buradaki fazlalık vaziyete göre değişir. Meselâ çoluk çocuk sâhibi bir adamın, yalnız yüz altını vardır. Âile efrâdının geçimi bu paraya bağlıdır. Onun bu parayla bir ziyâfet vermesi isrâftır. Onu bundan men etmek vâciptir. Nitekim Allahü Teâlâ şöyle buyurmuştur:

وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا

"Elini alabildiğine açıp, elinde ve avucunda ne varsa harcama, sonra melûm ve mahsûr kalırsın." (İsrâ suresi, 17/29) Bu âyet-i celîle, Medîne'de bir adam hakkında nâzil olmuştur. Bütün malını dağıttı, çoluk çocuğuna bir şey bırakmadı. Onlar da "Bizim geçimimizi ver." diye kendini sıkıştırdılar. Yine Allahü Teâlâ:

وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ

"Ve fazla isrâf edip malını dağıtma. Zîra müsrifler, şeytanların kardeşleridir." (İsrâ suresi, 17/27) buyurmuştur. Diğer âyet-i celîlede şöyle buyurmuştur:

وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا

"Onlar ki infâk ederken ne isrâf ne de imsâk ederler." (Furkan suresi, 25/ 67) Bu yollardan birisiyle edilen isrâf inkâr edilir ve kadının (hâkim) onu bu işten men etmesi vâcip olur. Ancak adamın çoluk çocuğu yok, tek başına yaşayan kimselerden ise o hayır yoluna bütün malını harcayabilir. Fakat âile efrâdı olan kimsenin bütün servetini infâk etmesi doğru değildir. Yine bunun gibi, bütün malını duvarların nakışına ve inşâatını süslemeye harcaması da isrâftır. Zenginler için bu haram değildir. Zîra süs, güzeldir. Hattâ câmilerin bile kapı ve tavanları süslenir. Hâlbuki bu süslemenin bir süs olmaktan başka faydası yoktur. Evler için de hüküm budur. Güzel elbise ile süslenmekte ve yemekleri süslemekte de hüküm böyledir. Kişinin mâlî imkânına göre isrâf olurlar.

Bu gibi münkerler pek çoktur. Hepsini saymak mümkün değildir. Sultanların saraylarını sûfîlerin tekkelerini, toplantı ve mahkeme yerlerini de bunlara benzetebiliriz. Hiç bir yer mahzurlu münker ve mekrûhtan hâlî değildir. Bütün münkerâtı anlatmak, bütün şer'î hükümleri tafsîlâtı ile bilmeyi iktizâ eder. Biz bu kadarı ile iktifâ edelim.

AMME MÜNKERÂTI

Bilmiş ol ki: Bu zamanda hangi memlekette ve ne hal üzere olursa olsun evinde otursa bile herkes evinde oturup, insanları öğretmediği, onları irşâd edip onlara doğruyu göstermediği için mesûldür. Çünkü şehirlerde bile insanların çoğu namaz meselelerine dâir şer'î hükümlerin câhilidir. Nerde kaldı ki köylüler...

Köylülerin bir kısmı bedevî, bir kısmı Kürt ve bir kısmı göçebe Türkler ve benzeri kimselerdir. Köylerde ve şehirlerin her mahalle ve mescidinde insanlara dînlerini ve şer'î hükümleri öğretecek bir fakîhin bulunması vâciptir. Farz-ı aynı yerine getirip, farz-ı kifâyeyi edâ etmeye hazırlanan her fakîhe, bulunduğu şehir civârındaki köylere gidip oraların halkını irşâd etmek vâciptir. Azığını beraberinde götürerek onların yemeklerini yemeden onları dînî hükümlerde irşâd etmelidir. Çünkü bedevî ve benzerlerinin çoğunun yediği, gasbettiği servettir. İçlerinden bir tânesi bu vazîfeyi üzerine alırsa, diğerleri mesûliyetten kurtulur.

Aksi halde bundan herkes mesûldür. Âlim tebliğe çıkmadığı için câhil de öğrenmediği için mesûldür. Namazın şartlarını bilen her avâm, bunları bilmeyene öğretmek mecbûriyetindedir. Aksi halde o da günâhta ortaktır. Biliyoruz ki, insan şer'î hükümlerin bilgini olarak doğmaz. Öğrenmekle yetişir. Öğretmek, bilginlerin borcu olduğuna göre, bir meseleyi bilen, kimse o meselenin âlimidir, onu öğretmesi vâciptir.

Ömrüme yemin ederim ki, fakîhlerin günâhı daha büyüktür. Zîra bu hususta onların selâhiyetleri daha geniştir. O, meslekî bakımdan bu işe daha lâyıktır. Çiftçi zirâatini yapmasa geçim atâlete uğrardı. Fakîhler de bu mesleği seçtiler, bunu atâlete uğratmamak için halkı islâh etmeye çalışmalıdırlar. Fakîhin sanatı da Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den öğrendiklerini öğretmektir. Âlimler, peygamber manevî vârisleridir. Onların, evlerinde oturup câmilere gitmemeleri doğru olmaz. Zîrâ o, insanların ibâdetlerini güzelce yaptıkları kanâatindedir. Bu konudaki eksikleri bilerek evde nasıl durabilir? Bunu bilince emr-i mâruf ve nehy-i münker için çıkması vâcip olur. Bunun gibi sokakta devamlı veyâ muayyen saatlerde bir kötülük işlendiğini bilen ve bunu önlemeye muktedir olan kişinin evde oturmak sûretiyle kendini bu işten iskât etmesi câiz değildir. Evden çıkıp düzeltmesi lâzımdır. Şâyet icrâ edilen kötülüğün ancak bir kısmını düzeltebilecek güçte ise düzeltemeyeceği kısmını görmemek maksadıyla evinden çıkmaması yine doğru değildir. Çünkü gücünün yettiğini düzeltmek maksadı ile çıktığı zaman, gücü yetmediği kötülüğü görmesinde beis yoktur. Yasak olan, sahîh bir arza dayanmayan münkeri müşâhede için çıkmaktır.

Her Müslüman'a farz olan, önce haram olanları terk edip, farzları yerine getirmek sûretiyle kendini islâh etmektir. İkinci derecede âile efradı gelir. Onları da irşâd ve ıslâh ettikten sonra sırasıyla komşularını, mahalle halkını, bulunduğu kasabayı ve sonra şehir civârındaki insanları ve daha sonra da uzakta ve hattâ dünyanın öte ucunda yaşayanları irşâd ve îkaz eder. Yakında olan kimse bu vazîfeyi görürse, uzak-yakın herkes mesûldür. Yeryüzünde dînî farîzalardan bir tânesini bilmeyen bir câhil bulundukça, oraya gidebilenden mesûliyet düşmez. Diğer teferruat ile uğraşıp, ilmin derinliklerine dalarak ender lâzım olacak meseleler ile zamanını kaybetmesi doğru olmaz. Bu bir vazîfedir ki, bunu ancak farz-ı ayın veyâ daha mühim bir farz-ı kifâye ile uğraşmak durdurabilir.

البَابُ الرَّابِعُ
في أمرِ الأمراءِ والسلاطينِ بالمعروفِ ونهيِهم عنِ المنكرِ

قدْ ذكرنا درجاتِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ ، وأنَّ **أوّلَهُ** التعريفُ ، **وثانيَهُ** الوعظُ ، **وثالثَهُ** التخشينُ في القولِ ، **ورابعَهُ** المنعُ بالقهرِ ، **والحملُ** على الحقِّ بالضربِ والعقوبةِ⁽¹⁾ .

والجائزُ مِنْ جملةِ ذلكَ معَ السلاطينِ الرتبتانِ الأوليانِ ، وهما التعريفُ والوعظُ .

وأمّا المنعُ بالقهرِ . . فليسَ ذلكَ لآحادِ الرعيّةِ معَ السلطانِ ، فإنَّ ذلكَ يحرِّكُ الفتنةَ ، ويهيِّجُ الشرَّ ، ويكونُ ما يتولَّدُ منهُ مِنَ المحذورِ أكثرَ .

وأمّا التخشينُ في القولِ ؛ كقولِهِ : يا ظالمُ ، يا مَنْ لا يخافُ اللهَ ، وما يجري مجراهُ ؛ فذلكَ إنْ كانَ يحرِّكُ فتنةً يتعدّىٰ شرُّها إلىٰ غيرِهِ . . لمْ يجزْ ، وإنْ كانَ لا يخافُ إلا علىٰ نفسِهِ . . فهوَ جائزٌ ، بلْ مندوبٌ إليهِ .

فلقدْ كانَ مِنْ عادةِ السلفِ التعرُّضُ للأخطارِ ، والتصريحُ بالإنكارِ ، مِنْ غيرِ مبالاةٍ بهلاكِ المهجةِ ، والتعرُّضِ لأنواعِ العذابِ ؛ لعلمِهِمْ بأنَّ ذلكَ شهادةٌ ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « خيرُ الشهداءِ حمزةُ بنُ عبدِ

---

(1) قوله : (والحمل على الحق بالضرب) هو الدرجة الخامسة كما عدَّها سابقاً .

المطلبِ ، ثمَّ رجلٌ قامَ إِلىٰ إمامٍ فأمرَهُ ونهاهُ في ذاتِ اللهِ تعالىٰ ، فقتلَهُ علىٰ ذلكَ »[1] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أفضلُ الجهادِ كلمةُ حقٍّ عندَ سلطانٍ جائرٍ »[2] .

ووصفَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عمرَ بنَ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ فقالَ : « قرنٌ مِنْ حديدٍ ، لا تأخذُهُ في اللهِ لومةُ لائمٍ ، تركَهُ الحقُّ ما لهُ مِنْ صديقٍ »[3] .

ولمَّا علمَ المتصلِّبونَ في الدينِ أنَّ أفضلَ الكلامِ كلمةُ حقٍّ عندَ سلطانٍ جائرٍ ، وأنَّ صاحبَ ذلكَ إنْ قُتلَ فهوَ شهيدٌ كما وردَتْ بهِ الأخبارُ . أقدموا علىٰ ذلكَ موطِّنينَ أنفسَهُمْ على الهلاكِ ، ومحتملينَ أنواعَ العذابِ ، وصابرينَ عليهِ في ذاتِ اللهِ تعالىٰ ، ومحتسبينَ لما يبذلونَهُ مِنْ مهجِهِمْ عندَ اللهِ .

---

[1] رواه الحاكم في « المستدرك » (٣/ ١٩٥) .

[2] رواه أبو داوود (٤٣٤٤) ، والترمذي (٢١٧٤) ، وابن ماجه (٤٠١١) .

[3] روى الترمذي (٣٧١٤) من حديث علي رضي الله تعالىٰ عنه مرفوعاً : « رحم الله عمرَ ، يقول الحق وإن كان مرّاً ، تركه الحقُّ وما له صديق » ، وروى الطبراني في « الكبير » (١/ ٨٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٥) أن عمر بن الخطاب أرسل إلىٰ كعب الأحبار ، فقال : يا كعبُ ؛ كيف تجد نعتي ؟ قال : أجد نعتك قرناً من حديد ، قال : وما قرنٌ من حديد ؟ قال : أمير سديد ، لا يأخذه في الله لومة لائم .

وطريقُ وعظِ السلاطينِ وأمرِهِمْ بالمعروفِ ونهيِهِمْ عنِ المنكرِ : ما نُقلَ عنْ علماءِ السلفِ رضيَ اللهُ عنهُمْ ، وقدْ أوردْنا جملةً مِنْ ذلكَ في بابِ الدخولِ على السلاطينِ في كتابِ الحلالِ والحرامِ ، ونقتصرُ الآنَ علىٰ حكاياتٍ تعرِّفُ وجهَ الوعظِ وكيفيَّةَ الإنكارِ عليهِمْ .

فمنها : ما رُوِيَ مِنْ إنكارِ أبي بكرٍ الصدِّيقِ رضيَ اللهُ عنهُ علىٰ أكابرِ قريشٍ حينَ قصدوا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالسوءِ ، وذلكَ ما رُوِيَ عنْ عروةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قلتُ لعبدِ اللهِ بنِ عمرٍو : ما أكثرُ ما رأيتَ قريشاً نالَتْ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيما كانَتْ تُظهرُ مِنْ عداوتِهِ ؟ قالَ : حضرتُهُمْ وقدِ اجتمعَ أشرافُهُمْ يوماً في الحِجْرِ ، فذكروا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالوا : ما رأينا مثلَ ما صبرْنا عليهِ مِنْ هـٰذا الرجلِ ، سفَّهَ أحلامَنا ، وشتمَ آباءَنا ، وعابَ دينَنا ، وفرَّقَ جماعتَنا ، وسبَّ آلهتَنا ، ولقدْ صبرْنا منهُ علىٰ أمرٍ عظيمٍ ، أوْ كما قالوا ، فبينا هُمْ في ذلكَ . . إذْ طلعَ عليهِمْ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأقبلَ يمشي حتَّى استلمَ الركنَ ، ثمَّ مرَّ بهِمْ طائفاً بالبيتِ ، فلما مرَّ بهِمْ . . غمزوهُ ببعضِ القولِ ، قالَ : فعرفتُ ذلكَ في وجهِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ثمَّ مضىٰ فلمَّا مرَّ بهِمُ الثانيةَ . . غمزوهُ بمثلِها ، فعرفتُ ذلكَ في وجهِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ، ثمَّ مضىٰ ، فمرَّ بهِمُ الثالثةَ ، فغمزوهُ بمثلِها حتَّىٰ وقفَ ، ثمَّ قالَ : « أتسمعونَ يا معشرَ قريشٍ ؟ أما والذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ ؛ لقدْ جئتُكُمْ بالذبحِ » قالَ : فأطرقَ القومُ حتَّىٰ ما منهُمْ رجلٌ إلا كأنَّما علىٰ رأسِهِ طائرٌ واقعٌ ، حتَّىٰ إنَّ

أشدَّهُمْ فيهِ وصاةً قبلَ ذلكَ ليرفؤُهُ بأحسنِ ما يجدُ مِنَ القولِ⁽¹⁾ ، حتَّىٰ إنَّهُ ليقولُ : انصرفْ يا أبا القاسمِ راشداً ، فو اللهِ ؛ ما كنتَ جهولاً ، قالَ : فانصرفَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حتَّىٰ إذا كانَ مِنَ الغدِ . . اجتمعوا في الحِجْرِ وأنا معَهُمْ ، فقالَ بعضُهُمْ لبعضٍ : ذكرتُمْ ما بلغَ منكُمْ وما بلغَكُمْ عنهُ حتىٰ إذا بادأَكُمْ بما تكرهونَ . . تركتموهُ ! فبينا هُمْ في ذلكَ . . إذْ طلعَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فوثبوا إليهِ وثبةَ رجلٍ واحدٍ ، فأحاطوا بهِ يقولونَ : أنتَ الذي تقولُ كذا ، أنتَ الذي تقولُ كذا ؟ لما كانَ بلغَهُمْ مِنْ عيبِ آلهتِهِمْ ودينِهِمْ ، قالَ : فيقولُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « نعمْ ، أنا الذي أقولُ ذلكَ » ، قالَ : فلقدْ رأيتُ منهُمْ رجلاً أخذَ بمجامعِ ردائِهِ ، قالَ : وقامَ أبو بكرٍ الصدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ دونَهُ يقولُ وهوَ يبكي : ويلكُمْ ؛ أتقتلونَ رجلاً أنْ يقولَ : ربِّيَ اللهُ ؟! قالَ : ثمَّ انصرفوا عنهُ ، وإنَّ ذلكَ لأشدُّ ما رأيتُ قريشاً بلغَتْ منهُ قطُّ⁽²⁾ .

وفي روايةٍ أخرىٰ عنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : بينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بفناءِ الكعبةِ . . إذْ أقبلَ عقبةُ بنُ أبي معيطٍ ، فأخذَ بمَنْكِبِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فلفَّ ثوبَهُ في عنقِهِ ، فخنقَهُ

---

(١) **الوصاة** : أشد من كان يوصي غيره بإيذائه صلى الله عليه وسلم ، **ويرفؤه** : يسكنه ويرفق به ويدعو له .

(٢) أصله عند البخاري (٣٦٧٨) ، وهو بطوله عند أحمد في « المسند » (٢/٢١٨) ، وابن حبان في « صحيحه » (٦٥٦٧) .

خنقاً شديداً ، فجاءَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ فأخذَ بمنكبِهِ ، ودفعَهُ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقالَ : أتقتلونَ رجلاً أنْ يقولَ : ربِّيَ اللهُ ، وقدْ جاءَكُمْ بالبيناتِ منْ ربِّكُمْ ؟![1] .

ورُوِيَ أنَّ معاويةَ رضيَ اللهُ عنهُ حبسَ العطاءَ ، فقامَ إليهِ أبو مسلمٍ الخولانيُّ فقالَ لهُ : يا معاويةُ ؛ إنَّهُ ليسَ مِنْ كدِّكَ ، ولا كدِّ أبيكَ ، ولا كدِّ أمِّكَ ، قالَ : فغضبَ معاويةُ ونزلَ عنِ المنبرِ وقالَ لهُمْ : مكانَكُمْ ، فغابَ عنْ أعينِهِمْ ساعةً ثمَّ خرجَ عليهِمْ وقدِ اغتسلَ فقالَ : إنَّ أبا مسلمٍ كلَّمَني بكلامٍ أغضبَني ، وإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « الغضبُ مِنَ الشيطانِ ، والشيطانُ خُلقَ مِنَ النارِ ، وإنَّما تُطفأُ النارُ بالماءِ ، فإذا غضبَ أحدُكُمْ . . فليغتسلْ »[2] ، وإنِّي دخلتُ فاغتسلتُ ، وصدقَ أبو مسلمٍ ، إنَّهُ ليسَ مِنْ كدِّي ولا كدِّ أبي ، فهلمُّوا إلىٰ عطائِكُمْ[3] .

ورُوِيَ عنْ ضَبَّةَ بنِ مِحْصَنٍ العَنْزِيِّ قالَ : كانَ علينا أبو موسى الأشعريُّ أميراً بالبصرةِ ، فكانَ إذا خطبَنا فحمدَ اللهَ وأثنىٰ عليهِ ، وصلَّىٰ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . وأنشأَ يدعو لعمرَ رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : فغاظَني ذلكَ منهُ ، فقمتُ إليهِ فقلتُ لهُ : أينَ أنتَ مِنْ صاحبِهِ ، تفضِّلُهُ عليهِ ؟!

---

(١) رواه البخاري (٣٨٥٦) ، وهو الحديث السابق عنده .

(٢) رواه أبو داوود (٤٧٨٤) من حديث عطية بن عروة رضي الله عنه .

(٣) رواه بهـٰذه القصة أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٣٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٩/ ١٦٩) .

فصنعَ ذلكَ جُمعاً ، ثمَّ كتبَ إلىٰ عمرَ يشكوني ، يقولُ : إنَّ ضبَّةَ بنَ محصنٍ العَنْزيَّ يتعرَّضُ لي في خطبتي ، فكتبَ إليهِ عمرُ أنْ أشخصْهُ إليَّ ، قالَ : فأشخصَني إليهِ ، فقدمتُ ، فضربتُ عليهِ البابَ ، فخرجَ إليَّ ، فقالَ : مَنْ أنتَ ؟ فقلتُ : أنا ضبَّةُ بنُ محصنٍ العَنْزيُّ ، فقالَ لي : لا مرحباً ، ولا أهلاً ، قلتُ : أمَّا المرحبُ . . فمِنَ اللهِ ، وأمَّا الأهلُ . . فلا أهلَ لي ولا مالَ ، فبماذا استحللتَ يا عمرُ إشخاصي مِنْ مصري بلا ذنبٍ أذنبتُهُ ولا شيءٍ أتيتُهُ ؟ فقالَ : ما الذي شجرَ بينَكَ وبينَ عاملي ؟ قالَ : قلتُ : الآنَ أخبرُكَ بهِ ، إنَّهُ كانَ إذا خطبَنا فحمدَ اللهَ وأثنىٰ عليهِ ، وصلَّىٰ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . أنشأَ يدعو لكَ ، فغاظَني ذلكَ منهُ ، فقمتُ إليهِ فقلتُ لهُ : أينَ أنتَ مِنْ صاحبِهِ تفضِّلُهُ عليهِ ، فصنعَ ذلكَ جُمعاً ، ثمَّ كتبَ إليكَ يشكوني ، قالَ : فاندفعَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ باكياً وهوَ يقولُ : أنتَ واللهِ أوفقُ منهُ وأرشدُ ، فهلْ أنتَ غافرٌ لي ذنبي يغفرُ اللهُ لكَ ؟ قالَ : قلتُ : غفرَ اللهُ لكَ يا أميرَ المؤمنينَ ، قالَ : ثمَّ اندفعَ باكياً وهوَ يقولُ : واللهِ ؛ لليلةٌ مِنْ أبي بكرٍ ويومٌ خيرٌ مِنْ عمرَ وآلِ عمرَ ، فهلْ لكَ أنْ أحدثَكَ بليلتِهِ ويومِهِ ؟ قلتُ : نعمْ ، قالَ : أمَّا الليلةُ : فإنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا أرادَ الخروجَ مِنْ مكَّةَ هارباً مِنَ المشركينَ . . خرجَ ليلاً ، فتبعَهُ أبو بكرٍ ، فجعلَ يمشي مرَّةً أمامَهُ ومرَّةً خلفَهُ ، ومرَّةً عنْ يمينِهِ ، ومرَّةً عنْ يسارِهِ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ما هـٰذا يا أبا بكرٍ ؟ ما أعرفُ هـٰذا مِنْ أفعالِكَ ! » فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ أذكرُ الرصْدَ . . فأكونُ أمامَكَ ، وأذكرُ الطلبَ . . فأكونُ خلفَكَ ، ومرَّةً عنْ

يمينِكَ ، ومرةً عنْ يسارِكَ ، لا آمنُ عليكَ ، قالَ : فمشىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ليلتَهُ علىٰ أطرافِ أصابعِهِ حتَّىٰ حفيَتْ ، فلمَّا رأىٰ أبو بكر أنَّها قدْ حفيَتْ . . حملَهُ علىٰ عاتقِهِ ، وجعلَ يشتدُّ بهِ حتَّىٰ أتىٰ فمَ الغارِ فأنزلَهُ ، ثمَّ قالَ : والذي بعثَكَ بالحقِّ نبيّاً ؛ لا تدخلُهُ حتَّىٰ أدخلَهُ ، فإنْ كانَ فيهِ شيءٌ . . نزلَ بي قبلَكَ ، قالَ : فدخلَ ، فلمْ يرَ فيهِ شيئاً ، فحملَهُ فأدخلَهُ ، وكانَ في الغارِ خَرْقٌ فيهِ حيَّاتٌ وأفاعٍ فألقمَهُ أبو بكرٍ قدمَهُ ؛ مخافةَ أنْ يخرجَ منهُ شيءٌ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيؤذيَهُ ، فنهشَتْهُ حيةٌ⁽¹⁾ ، وجعلَتْ دموعُ أبي بكرٍ تنحدرُ علىٰ خدَّيْهِ مِنْ ألمِ ما يجدُهُ ، ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ لأبي بكرٍ : « يا أبا بكرٍ ؛ لا تحزنْ ، إنَّ اللهَ معنا » ، فأنزلَ اللهُ سكينتَهُ عليهِ ؛ أي : الطمأنينةَ لأبي بكرٍ ، فهـٰذهِ ليلتُهُ .

وأمَّا يومُهُ : فلمَّا تُوفِّيَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . ارتدَّتِ العربُ ، فقالَ بعضُهُمْ : نصلِّي ولا نزكِّي ، فأتيتُهُ لا آلوهُ نصحاً ، فقلتُ : يا خليفةَ رسولِ اللهِ ؛ تألَّفِ الناسَ وارفقْ بهِمْ ، فقالَ لي : أجبارٌ في الجاهليةِ خوارٌ في الإسلامِ ؟! فبماذا أتألَّفُهُمْ ؟! قُبضَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وارتفعَ الوحيُ ، فواللهِ ؛ لوْ منعوني عِقالاً كانوا يعطونَهُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . لقاتلْتُهُمْ عليهِ ، قالَ : فقاتلنا عليهِ ، فكانَ واللهِ رشيدَ الأمرِ ، فهـٰذا يومُهُ .

---

(١) قوله : (فنهشته حية) زيادة من (ب ، هـ) ، وفي (ط) : (وجعلن يضربن أبا بكر) بدل (فنهشته حية) .

ثمَّ كتبَ إلىٰ أبي موسىٰ يلومُهُ(١) .

وعنِ الأصمعيِّ قالَ : دخلَ عطاءُ بنُ أبي رباحٍ علىٰ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ وهوَ جالسٌ علىٰ سريرِهِ ، وحواليْهِ الأشرافُ مِنْ كلِّ بطنٍ ، وكانَ بمكَّةَ في وقتِ حجِّهِ في خلافتِهِ ، فلما بصرَ بهِ . . قامَ إليهِ وأجلسَهُ معَهُ على السريرِ ، وقعدَ بينَ يديهِ ، وقالَ لهُ : يا أبا محمدٍ ؛ ما حاجتُكَ ؟ فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ اتقِ اللهَ في حرمِ اللهِ وحرمِ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فتعاهدْهُ بالعمارةِ ، واتقِ اللهَ في أولادِ المهاجرينَ والأنصارِ ؛ فإنَّكَ بهِمْ جلستَ هٰذا المجلسَ ، واتقِ اللهَ في أهلِ الثغورِ ؛ فإنَّهُمْ حصنُ المسلمينَ ، وتفقدْ أمورَ المسلمينَ ؛ فإنَّكَ وحدَكَ المسؤولُ عنهُمْ ، واتقِ اللهَ فيمَنْ علىٰ بابِكَ ، فلا تغفُلْ عنهُمْ ، ولا تغلقْ بابَكَ دونَهُمْ ، فقالَ لهُ : أجلْ ، أفعلُ ، ثمَّ نهضَ وقامَ ، فقبضَ عليهِ عبدُ الملكِ ، فقالَ : يا أبا محمدٍ ؛ إنَّما سألتَنا حاجةً لغيرِكَ وقدْ قضيناها ، فما حاجتُكَ ؟ فقالَ : ما لي إلىٰ مخلوقٍ حاجةٌ ، ثمَّ خرجَ ، فقالَ عبدُ الملكِ : هٰذا ـ وأبيكَ ـ الشرفُ(٢) .

ورُوِيَ أنَّ الوليدَ بنَ عبدِ الملكِ قالَ لحاجبِهِ يوماً : قِفْ على البابِ ، فإذا

---

(١) رواه بسياق المصنف هنا أبو قاسم المقدسي في « تحفة الصديق في فضائل أبي بكر الصديق » (ص ١٢٤) ، وبنحوها الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص ٣٨٣) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٢/ ٤٧٦) . وروىٰ مفرداً حادثة الغار البخاري (٣٦٥٣) ، ومسلم (٢٣٨١) ، وحادثة مقاتلة المرتدين كذلك البخاري (١٤٠٠) ، ومسلم (٢٠) .

(٢) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص ٥٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٠/ ٣٨٥) .

مرَّ بكَ رجلٌ فأدخلْهُ عليَّ ليحدِّثَني ، فخرجَ الحاجبُ ، فوقفَ على البابِ مدَّةً ، فمرَّ بهِ عطاءُ بنُ أبي رباحٍ وهوَ لا يعرفُهُ ، فقالَ لهُ : يا شيخُ ؛ ادخلْ إلىٰ أميرِ المؤمنينَ ؛ فإنَّهُ أمرَ بذلكَ ، فدخلَ عطاءٌ على الوليدِ وعندَهُ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، فلمَّا دنا عطاءٌ مِنَ الوليدِ . . قالَ : السلامُ عليكَ يا وليدُ ، قالَ : فغضبَ الوليدُ علىٰ حاجبِهِ وقالَ لهُ : ويلَكَ ، أمرتُكَ أنْ تدخلَ إليَّ رجلاً يحدِّثُني ويسامرُني ، فأدخلتَ إليَّ رجلاً لمْ يرضَ أنْ يسمِّيَني بالاسمِ الذي اختارَهُ اللهُ لي ! فقالَ لهُ حاجبُهُ : ما مرَّ بي غيرُهُ ، ثمَّ قالَ لعطاءٍ : اجلسْ ، ثمَّ أقبلَ عليهِ يحدِّثُهُ فكانَ فيما حدَّثَهُ عطاءٌ أنْ قالَ : بلغَنا أنَّ في جهنَّمَ وادياً يُقالُ لهُ : هَبْهَبُ ، أعدَّهُ اللهُ لكلِّ إمامٍ جائرٍ في حكمِهِ⁽¹⁾ ، فصعقَ الوليدُ مِنْ قولِهِ ، وكانَ جالساً بينَ يدي عتبةِ بابِ المجلسِ ، فوقعَ علىٰ قفاهُ إلىٰ جوفِ المجلسِ مغشيّاً عليهِ ، فقالَ عمرُ لعطاءٍ : قتلتَ أميرَ المؤمنينَ ، فقبضَ عطاءٌ علىٰ ذراعِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ فغمزَهُ غمزةً شديدةً وقالَ لهُ : يا عمرُ ؛ إنَّ الأمرَ جدٌّ فجدَّ ، ثمَّ قامَ عطاءٌ وانصرفَ ، فبلغَنا عنْ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رحمهُ اللهُ أنَّهُ قالَ : مكثتُ سنةً أجدُ ألمَ غمزتِهِ في ذراعي⁽²⁾ .

---

(١) رواه الحاكم في « المستدرك » (٤/٥٩٦) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، ولفظه مرفوعاً : « في جهنم واد ، في ذلك الوادي بئر يقالُ له : هبهبُ ، حق على الله تعالىٰ أن يسكنها كل جبار » .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « مواعظ الخلفاء » . « إتحاف » (٧/٦٩) .

وكانَ ابنُ أبي شميلةَ يُوصفُ بالعقلِ والأدبِ ، فدخلَ علىٰ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، فقالَ لهُ عبدُ الملكِ : تكلَّمْ ، قالَ : بمَ أتكلَّمُ وقدْ علمتُ أنَّ كلَّ كلامٍ تكلَّمَ بهِ المتكلِّمُ عليهِ وبالٌ إلا ما كانَ للهِ ؟ فبكىٰ عبدُ الملكِ ثمَّ قالَ : يرحمُكَ اللهُ ، لمْ يزلِ الناسُ يتواعظونَ ويتواصَونَ ، فقالَ الرجلُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّ الناسَ في القيامةِ لا ينجونَ مِنْ غصصِ مرارتِها ومعاينةِ الردىٰ فيها ، إلا مَنْ أرضى اللهَ بسخطِ نفسِهِ ، فبكىٰ عبدُ الملكِ ، ثمَّ قالَ : لا جرمَ ، لأجعلنَّ هـٰذهِ الكلماتِ مثالاً نصبَ عينيَّ ما عشتُ حيّاً(١) .

ويُروىٰ عنِ ابنِ عائشةَ أنَّ الحجَّاجَ دعا فقهاءَ البصرةِ وفقهاءَ الكوفةِ ، فدخلوا عليهِ، ودخلَ الحسنُ البصريُّ رحمهُ اللهُ آخرَ مَنْ دخلَ، فقالَ الحجَّاجُ: مرحباً بأبي سعيدٍ، إليَّ إليَّ ، ثمَّ دعا بكرسيٍّ ، فوُضِعَ إلىٰ جنبِ سريرِهِ ، فقعدَ عليهِ ، فجعلَ الحجَّاجُ يذاكرُنا ويسألُنا ، إذْ ذكرَ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، فنالَ منهُ ، ونلنا منهُ مقاربةً لهُ وفرقاً مِنْ شرِّهِ ، والحسنُ ساكتٌ عاضٌّ علىٰ إبهامِهِ ، فقالَ : يا أبا سعيدٍ ؛ ما لي أراكَ ساكتاً ؟ قالَ : ما عسيتُ أنْ أقولَ ؟ قالَ : أخبرْني برأيكَ في أبي ترابٍ ، قالَ : سمعتُ اللهَ جلَّ ذكرُهُ يقولُ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، فعليٌّ ممَّنْ هدى اللهُ مِنْ أهلِ الإيمانِ ، فأقولُ : ابنُ عمِّ النبيِّ عليهِ الصلاةُ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « محاسبة النفس » (١٠٥) ، وقد تقدم .

والسلامُ ، وختنُهُ على ابنتِهِ ، وأحبُّ الناسِ إليهِ ، وصاحبُ سوابقَ مباركاتٍ سبقَتْ لهُ مِنَ اللهِ ، لنْ تستطيعَ أنتَ ولا أحدٌ مِنَ الناسِ أنْ يحظرَها عليهِ ، ولا يحولَ بينَهُ وبينَها ، وأقولُ : إنَّهُ إنْ كانَتْ لعليٍّ هناةٌ . . فاللهُ حسيبُهُ(١) ، واللهِ ؛ ما أجدُ فيهِ قولاً أعدلَ مِنْ هـٰذا ، فبسرَ وجهُ الحجَّاجِ وتغيَّرَ ، وقامَ عنِ السريرِ مغضباً، فدخلَ بيتاً خلفَهُ وخرجْنا، قالَ عامرٌ الشعبيُّ : فأخذتُ بيدِ الحسنِ، فقلتُ : يا أبا سعيدٍ ؛ أغضبتَ الأميرَ وأوغرتَ صدرَهُ ، فقالَ : إليك عنِّي يا عامرُ ، يقولُ الناسُ : عامرٌ الشعبيُّ عالمُ أهلِ الكوفةِ ! أتيتَ شيطاناً مِنْ شياطينِ الإنسِ تكلِّمُهُ بهواهُ ، وتقاربُهُ في رأيِهِ ؟ ويحكَ يا عامرُ ؛ هلاَّ اتقيتَ إنْ سئلتَ . . فصدقْتَ ، أوْ سكتَّ . . فسلمْتَ ؟ قالَ عامرٌ : يا أبا سعيدٍ ؛ قدْ قلتَها وأنا أعلمُ ما فيها، قالَ الحسنُ : فذاكَ أعظمُ في الحجَّةِ عليكَ ، وأشدُّ في التبعةِ .

قالَ : وبعثَ الحجَّاجُ إلى الحسنِ ، فلمَّا دخلَ عليهِ . . قالَ : أنتَ الذي تقولُ : قاتلَهُمْ اللهُ ، قتلوا عبادَ اللهِ على الدينارِ والدرهمِ ؟ قالَ : نعمْ ، قالَ : ما حملَكَ على هـٰذا ؟ قالَ : ما أخذَ اللهُ على العلماءِ مِنَ المواثيقِ ليبيننَّهُ للناسِ ولا يكتمونَهُ ، قالَ : يا حسنُ ؛ أمسكْ عليكَ لسانَكَ ، وإيَّاكَ أنْ يبلغَني عنكَ ما أكرهُ فأفرقَ بينَ رأسِكَ وجسدِكَ(٢) .

---

(١) في (ب) : (إنه كانت لعلي هناة والله حسنة ، والله ما أجد فيه) ، وفي (د ، هـ) : (حسبه) .

(٢) رواه البلاذري في « أنساب الأشراف » (٢/ ٣٧٩) وفيه : (إنه إن كانت لعلي ذنوب . . فالله حسيبه) ، ولم يذكر القطعة الأخيرة من استدعاء الحجاج للحسن .

وحُكِيَ أنَّ حطيطاً الزياتَ جيءَ بهِ إلى الحجَّاجِ ، فلمَّا دخلَ عليهِ . . قالَ : أنتَ حطيطٌ ؟ قالَ : نعمْ ، سلْ عمَّا بدا لك ؛ فإنِّي عاهدتُ اللهَ عندَ المقامِ علىٰ ثلاثِ خصالٍ : إنْ سُئلتُ . . لأصدقَنَّ ، وإنِ ابتليتُ . . لأصبرنَّ ، وإنْ عُوفيتُ . . لأشكرَنَّ ، قالَ : فما تقولُ فيَّ ؟ قالَ : أقولُ : إنَّكَ مِنْ أعداءِ اللهِ في الأرضِ ، تنتهكُ المحارمَ ، وتقتلُ بالظِّنَّةِ ، قالَ : فما تقولُ في أميرِ المؤمنينَ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ ؟ قالَ : أقولُ : إنَّهُ أعظمُ جرماً منكَ ، وإنَّما أنتَ خطيئةٌ مِنْ خطاياهُ ، قالَ : فقالَ الحجَّاجُ : ضعوا عليهِ العذابَ ، قالَ : فانتهىٰ بهِ العذابُ إلىٰ أنْ شُقِّقَ لهُ القصبُ ، ثمَّ جعلوهُ علىٰ لحمِهِ ثمَّ شدُّوهُ بالحبالِ ، ثمَّ جعلوا يمدُّونَ قصبةً قصبةً حتى انتجلوا لحمَهُ ، فما سمعوهُ يقولُ شيئاً !(١) .

قالَ : فقيلَ للحجَّاجِ : إنَّهُ في آخرِ رمقٍ ، فقالَ : أخرجوهُ فارموا بهِ في السوقِ ، قالَ جعفرٌ : فأتيتُهُ أنا وصاحبٌ لهُ ، فقلنا لهُ : حطيطُ ؛ ألكَ حاجةٌ ؟ قالَ : شربةَ ماءٍ ، فأتوهُ بشربةٍ ؛ ثمَّ ماتَ وكانَ ابنَ ثمانِ عشرةَ سنةً رحمَهُ اللهُ(٢) .

ورُوِيَ أنَّ عمرَ بنَ هبيرةَ دعا بفقهاءِ أهلِ البصرةِ وأهلِ الكوفةِ وأهلِ المدينةِ وأهلِ الشامِ وقرَّائِها ، فجعلَ يسألُهُمْ ، وكلَّمَ عامراً الشعبيَّ ، فجعلَ

---

(١) **انتجلوا لحمه** : نجل الشيء ينجله نجلاً ؛ شقه ، والمنجول : هو الذي يُسلخ من رجليه إلىٰ رأسه .

(٢) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص ٥٣١) .

لا يسألُهُ عنْ شيءٍ إلا وجدَ عندَهُ منهُ علماً ، ثمَّ أقبلَ على الحسنِ البصريِّ فسألَهُ ، ثمَّ قالَ : هما هـٰذانِ ، هـٰذا رجلُ أهلِ الكوفةِ ؛ يعني الشعبيَّ ، وهـٰذا رجلُ أهلِ البصرةِ ؛ يعني الحسنَ ، فأمرَ الحاجبَ فأخرجَ الناسَ ، وخلا بالشعبيِّ والحسنِ ، فأقبلَ على الشعبيِّ ، فقالَ : يا أبا عمرٍو ؛ إنِّي أمينُ أميرِ المؤمنينَ على العراقِ وعاملُهُ عليها ، ورجلٌ مأمورٌ على الطاعةِ ، ابتليتُ بالرعيَّةِ ، ولزمَني حقُّهُمْ ، فأنا أحبُّ حفظَهُمْ ، وتعهُّدَ ما يصلحُهُمْ معَ النصيحةِ لهُمْ ، وقدْ يبلغُني عنِ العصابةِ مِنْ أهلِ الديارِ الأمرُ أجدُ عليهِمْ فيهِ ، فأقبضُ طائفةً مِنْ عطائِهِمْ فأضعُهُ في بيتِ المالِ ، ومِنْ نيَّتي أنْ أردَّهُ عليهِمْ ، فيبلغُ أميرَ المؤمنينَ أنِّي قدْ قبضتُهُ علىٰ ذلكَ النحوِ ، فيكتبُ إليَّ ألا تردَّهُ ، فلا أستطيعُ ردَّ أمرِهِ ، ولا بدَّ مِنْ إنفاذِ كتابِهِ ، وإنَّما أنا رجلٌ مأمورٌ على الطاعةِ ، فهلْ عليَّ في هـٰذا تبعةٌ وفي أشباهِهِ مِنَ الأمورِ والنيَّةُ فيها علىٰ ما ذكرتُ ؟

قالَ الشعبيُّ : فقلتُ : أصلحَ اللهُ الأميرَ ! إنَّما السلطانُ والدٌ يخطىءُ ويصيبُ ، قالَ : فسُرَّ بقولي وأُعجبَ بهِ ، ورأيتُ البشرَ في وجهِهِ ، وقالَ : فللهِ الحمدُ .

ثمَّ أقبلَ على الحسنِ ، فقالَ : ما تقولُ يا أبا سعيدٍ ؟ قالَ : قدْ سمعتُ قولَ الأميرِ ، يقولُ : إنَّهُ أمينُ أميرِ المؤمنينَ على العراقِ وعاملُهُ عليها ، ورجلٌ مأمورٌ على الطاعةِ ، ابتليتُ بالرعيَّةِ ، ولزمَني حقُّهُمْ والنصيحةُ لهُمْ ، والتعهُّدُ لما يصلحُهُمْ ، وحقُّ الرعيَّةِ لازمٌ لكَ ، وحقٌّ عليكَ أنْ تحوطَهُمْ

بالنصيحةِ ، وإنِّي سمعتُ عبدَ الرحمـٰنِ بنَ سمرةَ القرشيَّ صاحبَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ استُرعيَ رعيَّةً فلمْ يحطْها بالنصيحةِ . . حرَّمَ اللهُ عليهِ الجنَّةَ »(١) ، وتقولُ : إنِّي إنَّما قبضتُ مِنْ عطائِهِمْ إرادةَ صلاحِهِمْ واستصلاحِهِمْ ، وأنْ يرجعوا إلىٰ طاعتِهِمْ ، فيبلغُ أميرَ المؤمنينَ أنِّي قبضتُها علىٰ ذلكَ النحوِ ، فيكتبُ إليَّ ألا تردَّهُ ، فلا أستطيعُ ردَّ أمرِهِ ، ولا أستطيعُ إلا إنفاذَ كتابِهِ ، وحقُّ اللهِ ألزمُ مِنْ حقِّ أميرِ المؤمنينَ ، واللهُ أحقُّ أنْ يُطاعَ ، ولا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ اللهِ ، فاعرِضْ كتابَ أميرِ المؤمنينَ علىٰ كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فإنْ وجدتَهُ موافقاً لكتابِ اللهِ . . فخذْ بهِ ، وإنْ وجدتَهُ مخالفاً لكتابِ اللهِ . . فانبذْهُ ، يا بنَ هبيرةَ ؛ اتقِ اللهَ ، فإنَّهُ يوشكُ أنْ يأتيَكَ رسولٌ مِنْ ربِّ العالمينَ يزيلُكَ عنْ سريرِكَ ، ويخرجُكَ مِنْ سعةِ قصرِكَ إلىٰ ضيقِ قبرِكَ ، فتدعُ سلطانَكَ ودنياكَ خلفَ ظهرِكَ ، وتقدمُ علىٰ ربِّكَ ، وتنزلُ علىٰ عملِكَ ، يا بنَ هبيرةَ ؛ إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ ليمنعُكَ مِنْ يزيدَ ، وإنَّ يزيدَ لا يمنعُكَ مِنَ اللهِ ، وإنَّ أمرَ اللهِ فوقَ كلِّ أمرٍ ، وإنَّهُ لا طاعةَ في معصيةِ اللهِ ،

---

(١) رواه تمام في « فوائده » (٩١١) ، ولفظه عن الشعبي قال : سمعت الحسن بن أبي الحسن يحدث ونحن عند ابن هبيرة ، قال : حدثنا عبد الرحمـٰن بن سمرة صاحب النبي صلى الله عليه وسلم قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من استرعي رعية فلم يحطها بالنصيحة . . حرَّم الله عليه الجنة » . وأصل الحديث عند البخاري (٧١٥٠) ، ومسلم (١٤٢) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قاله لزياد بن أبيه .

وإنِّي أحذِّرُكَ بأسَ اللهِ الذي لا يُردُّ عنِ القومِ المجرمينَ .

فقالَ ابنُ هبيرةَ : اربعْ علىٰ ظَلْعِكَ أيُّها الشيخُ⁽¹⁾ ؛ وأعرضْ عنْ ذكرِ أميرِ المؤمنينَ ، فإنَّ أميرَ المؤمنينَ صاحبُ العلمِ وصاحبُ الحلمِ وصاحبُ الفضلِ ، وإنَّما ولاَّهُ اللهُ تعالىٰ ما ولاَّهُ مِنْ أمرِ هـٰذهِ الأمَّةِ لعلمِهِ بهِ ، وما يعلمُ مِنْ فضلِهِ ونيَّتِهِ .

فقالَ الحسنُ : يا بنَ هبيرةَ ؛ الحسابُ مِنْ ورائِكَ سوطٌ بسوطٍ ، وغضبٌ بغضبٍ ، واللهُ بالمرصادِ ، يا بنَ هبيرةَ ؛ إنَّكَ إنْ تلقَ مَنْ ينصحُ لكَ في دينِكَ ، ويحملُكَ علىٰ أمرِ آخرتِكَ . . خيرٌ مِنْ أنْ تلقىٰ رجلاً يغرُّكَ ويمنِّيكَ .

فقامَ ابنُ هبيرةَ وقدْ بسرَ وجهُهُ وتغيَّرَ لونُهُ ، وقالَ الشعبيُّ : فقلتُ : يا أبا سعيدٍ ؛ أغضبتَ الأميرَ ، وأوغرتَ صدرَهُ ، وحرمتَنا معروفَهُ وصلتَهُ ، فقالَ : إليكَ عنِّي يا عامرُ .

قالَ : فخرجَتْ إلى الحسنِ التحفُ والطرفُ ، وكانَتْ لهُ المنزلةُ ، واستُخفَّ بنا وجُفينا ، فكانَ أهلاً لما أدَّىٰ إليهِ ، وكنَّا أهلاً أنْ يُفعلَ ذلكَ بنا ، فما رأيتُ مثلَ الحسنِ فيمَنْ رأيتُ مِنَ العلماءِ إلا مثلَ الفرسِ العربيِّ بينَ المقاريفِ⁽²⁾ ، وما شهدْنا مشهداً إلا برزَ علينا ، وقالَ للهِ عزَّ وجلَّ وقلنا مقاربةً لهُمْ .

---

(1) **اربع علىٰ ظلعك** : كأنه يشير إلىٰ ضعفه ، **والظلع** : العرج ، فقوله له هـٰذا معناه : لا تحمل نفسك ما لا تطيق .

(2) **المقاريف من الخيل** : هي الهجينة لا الأصيلة .

قالَ عامرٌ الشعبيُّ : وأنا أعاهدُ اللهَ عزَّ وجلَّ ألا أشهدَ سلطاناً بعدَ هـٰذا المجلسِ فأحابيَهُ(١) .

ودخلَ محمدُ بنُ واسعٍ علىٰ بلالِ بنِ أبي بردةَ ، فقالَ لهُ : ما تقولُ في القدرِ ؟ فقالَ : جيرانُكَ أهلُ القبورِ فتفكَّرْ فيهِمْ ؛ فإنَّ فيهِمْ شُغلاً عنِ القدرِ(٢) .

وعنِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : حدَّثنا عمِّي محمدُ بنُ عليٍّ قالَ : إنِّي لحاضرٌ مجلسَ أميرِ المؤمنينَ أبي جعفرٍ المنصورِ وفيهِ ابنُ أبي ذئبٍ ، وكانَ والي المدينةِ الحسنَ بنَ زيدٍ ، قالَ : فأتى الغفاريُّونَ ، فشكَوا إلىٰ أبي جعفرٍ شيئاً مِنْ أمرِ الحسنِ بنِ زيدٍ ، فقالَ الحسنُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ سلْ عنهُمُ ابنَ أبي ذئبٍ ، قالَ : فسألَهُ ، فقالَ : ما تقولُ فيهِمْ يا بنَ أبي ذئبٍ ؟ فقالَ : أشهدُ أنَّهُمْ أهلُ تحكُّمٍ في أعراضِ الناسِ ، كثيرو الأذىٰ لهُمْ ، فقالَ : أبو جعفرٍ : قدْ سمعتُمْ ، فقالَ الغفاريُّونَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ سلْهُ عنِ الحسنِ بنِ زيدٍ ، فقالَ : يا بنَ أبي ذئبٍ ؛ ما تقولُ في الحسنِ بنِ زيدٍ ؟ فقالَ : أشهدُ عليهِ أنَّهُ يحكمُ بغيرِ الحقِّ ويتبعُ هواهُ ، فقالَ : قدْ سمعتَ يا حسنُ ما قالَ فيكَ ابنُ أبي ذئبٍ وهوَ الشيخُ الصالح ؟! فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ سلْهُ عنْ نفسِكَ ، فقالَ : ما تقولُ فيَّ ؟ قالَ : تعفيني يا أميرَ

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٤٩) بنحوه .

(٢) هو قريب مما رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٥٤) أن بلال بن أبي بردة قال لمحمد بن واسع : ما تقول في القضاء والقدر ؟ قال : أيها الأمير ؛ إن الله عز وجل لا يسأل يوم القيامة عباده عن قضائه وقدره ، إنما يسألهم عن أعمالهم .

المؤمنينَ ؟ قالَ : أسألُكَ باللهِ إلا أخبرتَني ، قالَ : تسألُني باللهِ كأنَّكَ لا تعرفُ نفسَكَ ، قالَ : واللهِ لتخبرُني ، قالَ : أشهدُ أنَّكَ أخذتَ هـٰذا المالَ مِنْ غيرِ حقِّهِ ، فجعلتَهُ في غيرِ أهلِهِ ، وأشهدُ أنَّ الظلمَ ببابِكَ فاشٍ .

قالَ : فجاءَ أبو جعفرٍ مِنْ موضعِهِ حتَّىٰ وضعَ يدَهُ في قفا ابنِ أبي ذئبٍ فقبضَ عليهِ ، ثمَّ قالَ لهُ : أما واللهِ ؛ لولا أنِّي جالسٌ ههنا . . لأخذتْ فارسُ والرومُ والديلمُ والتركُ بهـٰذا المكانِ منكَ ، قالَ : فقالَ ابنُ أبي ذئبٍ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ قدْ وليَ أبو بكرٍ وعمرُ ، فأخذا بالحقِّ ، وقسما بالسويَّةِ ، وأخذا بأقفاءِ فارسَ والرومِ ، وأصغرا آنافَهُمْ ، قالَ : فخلَّىٰ أبو جعفرٍ قفاهُ وخلَّىٰ سبيلَهُ ، وقالَ : واللهِ ؛ لولا أنِّي أعلمُ أنَّكَ صادقٌ . . لقتلتُكَ ، فقالَ ابنُ أبي ذئبٍ : واللهِ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنِّي لأنصحُ لكَ مِنِ ابنِكَ المهديِّ (١) .

قالَ : فبلغَنا أنَّ ابنَ أبي ذئبٍ لمَّا خرجَ مِنْ مجلسِ المنصورِ . . لقيَهُ سفيانُ الثوريُّ ، فقالَ لهُ : يا أبا الحارثِ ؛ لقدْ سرَّني ما خاطبتَ بهِ هـٰذا الجبَّارَ ، ولكنْ ساءَني قولُكَ لهُ : ابنُكَ المهديُّ ، فقالَ : يغفرُ اللهُ لكَ ، يا أبا عبدِ اللهِ ؛ كلُّنا مهديٌّ ، كلُّنا كانَ في المهدِ .

وعنِ الأوزاعيِّ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ عمرٍو قالَ : بعثَ إليَّ أبو جعفرٍ المنصورُ أميرُ المؤمنينَ وأنا بالساحلِ ، فأتيتُهُ ، فلمَّا وصلتُ إليهِ وسلَّمتُ

---

(١) رواه أبو عبد الله الحميدي في « جذوة المقتبس » (ص ٢٨١) .

عليهِ بالخلافةِ . . ردَّ عليَّ واستجلسَني ، ثمَّ قالَ لي : ما الذي بطَّأَ بكَ عنَّا يا أوزاعيُّ ؟ قالَ : قلتُ : وما الذي تريدُ يا أميرَ المؤمنينَ ؟ قالَ : أريدُ الأخذَ عنكُمْ والاقتباسَ منكُم ، قالَ : قلتُ : فانظرْ يا أميرَ المؤمنينَ ألا تجهلَ شيئاً ممَّا أقولُ لكَ ، قالَ : وكيفَ أجهلُهُ وأنا أسألُكَ عنهُ ، وفيهِ وجَّهْتُ إليكَ وأقدمتُكَ لهُ ، قالَ : قلتُ : أخافُ أنْ تسمعَهُ ثمَّ لا تعملَ بهِ ، قالَ : فصاحَ بيَ الربيعُ وأهوىٰ بيدِهِ إلى السيفِ ، فانتهرَهُ المنصورُ وقالَ : هٰذا مجلسُ مثوبةٍ لا مجلسُ عقوبةٍ ، فطابَتْ نفسي ، وانبسطتُ في الكلامِ ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ حدَّثَني مكحولٌ ، عنْ عطيَّةَ بنِ بسرٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أيُّما عبدٍ جاءَتْهُ موعظةٌ مِنَ اللهِ في دينِهِ فإنَّها نعمةٌ مِنَ اللهِ سيقَتْ إليهِ ، فإنْ قبلَها بشكرٍ ، وإلا . . كانَتْ حجَّةً مِنَ اللهِ عليهِ ليزدادَ بها إثماً ، ويزدادَ اللهُ عليهِ بها سخطاً »(١) .

يا أميرَ المؤمنينَ ؛ حدَّثَني مكحولٌ ، عنْ عطيَّةَ بنِ بسرٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أيُّما والٍ ماتَ غاشّاً لرعيَّتِهِ . . حرَّمَ اللهُ عليهِ الجنَّةَ »(٢) .

---

(١) رواه مع تمام القصة بما فيها من الأحاديث ابنُ أبي الدنيا في « مواعظ الخلفاء » كما نقل ذلك الحافظ الزبيدي عن الحافظ العراقي في « إتحافه » (٧/ ٧٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ١٣٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٠٢٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٥/ ٢١٤) ، وبعضه عند الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (ص ١٨٧) ، وما سيذكر في تخريج الأحاديث الآتية زيادة علىٰ هٰؤلاء .

(٢) رواه ابن عدي في « الكامل » (١/ ٨٨) كذلك .

يا أميرَ المؤمنينَ ؛ مَنْ كرهَ الحقَّ . . فقدْ كرهَ اللهَ ، إنَّ اللهَ هوَ الحقُّ المبينُ ، إنَّ الذي ليَّنَ قلوبَ أمَّتِكُمْ لكُمْ حينَ ولاَّكُمْ أمورَهُمْ لقرابتِكُمْ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وقدْ كانَ بهِمْ رؤوفاً رحيماً ، مواسياً لهُمْ بنفسِهِ في ذاتِ يدِهِ ، محموداً عندَ اللهِ وعندَ الناسِ ، فحقيقٌ بكَ أنْ تقومَ لهُ فيهِمْ بالحقِّ ، وأنْ تكونَ بالقسطِ لهُ فيهِمْ قائماً ، ولعوراتِهِمْ ساتراً ، لا تغلقُ عليكَ دونَهُمُ الأبوابَ ، ولا تقيمُ دونَهُمُ الحجَّابَ ، تبتهجُ بالنعمةِ عندَهُمْ ، وتبتئسُ بما أصابَهُمْ مِنْ سوءٍ .

يا أميرَ المؤمنينَ ؛ قدْ كنتَ في شغلٍ شاغلٍ مِنْ خاصَّةِ نفسِكَ عنْ عامَّةِ الناسِ الذينَ أصبحتَ تملكُهُمْ ؛ أحمرَهُمْ وأسودَهُمْ ، مسلمَهُمْ وكافرَهُمْ ، وكلٌّ لهُ عليكَ نصيبٌ مِنَ العدلِ ، فكيفَ بكَ إذا انبعثَ منهُمْ فِئامٌ وراءَ فِئامٍ ليسَ منهُمْ أحدٌ إلا وهوَ يشكو بليَّةً أدخلْتَها عليهِ ، أوْ ظُلامةً سقتَها إليهِ ؟!

يا أميرَ المؤمنينَ ؛ حدثني مكحولٌ ، عنْ عروةَ بنِ رويمٍ قالَ : كانَتْ بيدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ جريدةٌ يستاكُ بها ، ويروِّعُ بها المنافقينَ ، فأتاهُ جبرائيلُ عليهِ السلامُ ، فقالَ لهُ : يا محمدُ ؛ ما هـٰذهِ الجريدةُ التي كسرتَ بها قلوبَ أمَّتِكَ ، وملأتَ قلوبَهُمْ رعباً ؟(١) .

فكيفَ بمَنْ شقَّقَ أبشارَهُمْ ، وسفكَ دماءَهُمْ ، وخرَّبَ ديارَهُمْ ، وأجلاهُمْ عنْ بلادِهِمْ ، وغشيَهُمُ الخوفُ منهُ ؟!

---

(١) هو عند مخرجي مجمل الخبر .

يا أميرَ المؤمنينَ ؛ حدَّثَني مكحولٌ ، عنْ زيادِ بنِ جاريةَ ، عنْ حبيبِ بنِ مسلمةَ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ دعا إلى القصاصِ مِنْ نفسِهِ في خدْشٍ خدشَهُ أعرابياً لمْ يتعمدْهُ ، فأتاهُ جبريلُ عليهِ السلامُ ، فقالَ : يا محمدُ ؛ إنَّ اللهَ لمْ يبعثْكَ جبَّاراً ولا متكبِّراً ، فدعا النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الأعرابيَّ فقالَ : « اقتصَّ منِّي » ، فقالَ الأعرابيُّ : قدْ أحللتُكَ بأبي أنتَ وأمِّي ، وما كنتُ لأفعلَ ذلكَ أبداً ولوْ أتيتَ علىٰ نفسي ، فدعا لهُ بخيرٍ (١) .

يا أميرَ المؤمنينَ ؛ رُضْ نفسَك لنفسِكَ ، وخذْ لها الأمانَ مِنْ ربِّكَ ، وارغبْ في جنَّةٍ عرضُها السماواتُ والأرضُ ، التي يقولُ فيها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لقيدُ قوسِ أحدِكُمْ مِنَ الجنَّةِ خيرٌ له مِنَ الدنيا وما فيها »(٢) .

يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّ الملكَ لوْ بقيَ لمَنْ قبلَكَ . . لمْ يصلْ إليكَ ، وكذا لا يبقىٰ لكَ كما لمْ يبقَ لغيرِكَ .

---

(١) هو عند مخرجي مجمل الخبر كذلك ، وروى النسائي (٨/ ٣٤) ، وأبو داوود (٤٥٣٧) ، أن عمر رضي الله عنه قال : (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصُّ من نفسه) .

(٢) هو عند البخاري (٢٧٩٣) بلفظ : « لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب » ، وعند ابن حبان في « صحيحه » (٦١٥٨) من حديث أبي هريرة مرفوعاً : « لقيد سوط أحدكم من الجنة خير له مما بين السماء والأرض » ، قال الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٧/ ٧٥) : (وجدت بخط الحافظ السخاوي علىٰ طرة هـٰذا الكتاب : بل الراوي شك : هل قال : قاب أو قيد) .

يا أميرَ المؤمنينَ ؛ أتدري ما جاءَ في تأويلِ هـٰذهِ الآيةِ عنْ جَدِّكَ : ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ ؟

قالَ : الصغيرةُ التبسُّمُ ، والكبيرةُ الضحكُ(١) ، فكيفَ بما عملتْهُ الأيدي وحصدتْهُ الألسنُ ؟!

يا أميرَ المؤمنينَ ؛ بلغَني أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : لوْ ماتَتْ سخلةٌ علىٰ شاطئِ الفراتِ ضيعةً . . لخشيتُ أنْ أُسألَ عنها(٢) ، فكيفَ بمَنْ حُرِمَ عدلَكَ وهوَ علىٰ بساطِكَ ؟!

يا أميرَ المؤمنينَ ؛ أتدري ما جاءَ في تأويلِ هـٰذهِ الآيةِ عنْ جدِّكَ : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ . . . ﴾ ؟

قالَ اللهُ تعالىٰ في الزبورِ : يا داوودُ ؛ إذا قعدَ الخصمانِ بينَ يديكَ فكانَ لكَ في أحدِهما هوىً . . فلا تتمنَّيَنَّ في نفسِكَ أنْ يكونَ الحقُّ لهُ فيفلحَ علىٰ صاحبِهِ فأمحوَكَ منْ نبوَّتي ، ثمَّ لا تكونَ خليفتي ولا كرامةَ ، يا داوودُ ؛ إنَّما جعلتُ رسلي إلىٰ عبادي رعاءً كرعاءِ الإبلِ ؛ لعلمِهِمْ بالرعايةِ ، ورفقِهِمْ بالسياسةِ ، ليجبروا الكسيرَ ، ويدلُّوا الهزيلَ على الكلأِ والماءِ(٣) .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت وآداب اللسان » (٢٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً عليه .

(٢) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص ١٦٩) .

(٣) هو عند مخرجي مجمل الخبر .

يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّكَ بُليتَ بأمرٍ لوْ عُرِضَ على السماواتِ والأرضِ والجبالِ لأبينَ أنْ يحملنَهُ وأشفقنَ منهُ .

يا أميرَ المؤمنينَ ؛ حدَّثَني يزيدُ بنُ جابرٍ ، عنْ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ أبي عمرةَ الأنصاريِّ ؛ أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ استعملَ رجلاً مِنَ الأنصارِ على الصدقةِ ، فرآهُ بعدَ أيامٍ مقيماً ، فقالَ لهُ : ما منعَكَ مِنَ الخروجِ إلىٰ عملِكَ ؟! أما علمتَ أنَّ لكَ مثلَ أجرِ المجاهدِ في سبيلِ اللهِ ؟ قالَ : لا ، قالَ : وكيفَ ذلكَ ؟ قالَ : لأنَّهُ بلغَني أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « ما مِنْ والٍ يلي شيئاً مِنْ أمورِ الناسِ إلا أُتِيَ بهِ يومَ القيامةِ مغلولةً يدُهُ إلىٰ عنقِهِ لا يفكُّها إلا عدلُهُ ، فيوقَفُ علىٰ جسرٍ مِنَ النارِ ينتفضُ بهِ ذلكَ الجسرُ انتفاضةً تزيلُ كلَّ عضوٍ منهُ عنْ موضعِهِ ، ثمَّ يُعادُ فيُحاسبُ ، فإنْ كانَ محسناً . . نجا بإحسانِهِ ، وإنْ كان مسيئاً . . انخرقَ بهِ ذلكَ الجسرُ ، فيهوي بهِ في النارِ سبعينَ خريفاً »(١) ، فقالَ لهُ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : ممَّنْ سمعتَ هـٰذا ؟ قالَ : مِنْ أبي ذرٍّ وسلمانَ ، فأرسلَ إليهما عمرُ ، فسألَهُما ، فقالا : نعمْ ، سمعناهُ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ عمرُ : واعمراهُ ، مَنْ يتولاَّها بما فيها ؟!! فقالَ أبو ذرٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : مَنْ سلتَ اللهُ أنفَهُ وألصقَ خدَّهُ بالأرضِ .

قالَ : فأخذَ المنديلَ ، فوضعَهُ علىٰ وجهِهِ ، ثمَّ بكىٰ وانتحبَ حتَّىٰ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٣٢٠) ، والطبراني في « الكبير » (٢/ ٣٩) .

أبكاني ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ قدْ سألَ جدُّكَ العباسُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إمارةَ مكَّةَ أوِ الطائفِ أوِ اليمنِ ، فقالَ لهُ النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « يا عباسُ ، يا عمَّ النبيِّ ؛ نفسٌ تنجيها خيرٌ مِنْ إمارةٍ لا تحصيها »[1] ، نصيحةً منهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لعمِّهِ وشفقةً عليهِ ، وأخبرَهُ أنَّهُ لا يغني عنهُ مِنَ اللهِ شيئاً ؛ إذْ أوحى اللهُ إليهِ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ فقالَ : « يا عباسُ ، ويا صفيَّةُ عمَّي النبيِّ ، ويا فاطمةُ بنتَ محمدٍ ؛ إنِّي لستُ أغني عنكُمْ مِنَ اللهِ شيئاً ، إنَّ لي عملي ولكُمْ عملُكُمْ »[2] .

وقدْ قالَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ : (لا يقيمُ أمرَ الناسِ إلا حصيفُ العقلِ ، أريبُ العقدِ ، لا يُطَّلعُ منهُ علىٰ عورةٍ ، ولا يحنقُ منه علىٰ جِرَّةٍ ، ولا تأخذُهُ في اللهِ لومةُ لائمٍ)[3] .

وقالَ : (الأمراءُ أربعةٌ :

فأميرٌ قويٌّ ، ظلفَ نفسَهُ وعمَّالَهُ ، فذلكَ كالمجاهدِ في سبيلِ اللهِ ، يدُ اللهِ باسطةٌ عليهِ بالرحمةِ .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٣٢١١) ، والبيهقي كذلك في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ٩٦) من حديث ابن المنكدر .

(٢) رواه البخاري (٢٧٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) هو عند مخرجي مجمل الخبر ، ومعنىٰ (**أريب العقد**) : شديده ، و(**لا يحنق علىٰ جِرَّةٍ**) : لا يحقد علىٰ أحد ، سليم الباطن .

وأميرٌ فيهِ ضعفٌ ، ظلفَ نفسَهُ وأرتعَ عمَّالَهُ لضعفِهِ ، فهوَ علىٰ شفا هلاكٍ إلا أنْ يرحمَهُ اللهُ .

وأميرٌ ظلفَ عمَّالَهُ وأرتعَ نفسَهُ ، فذلكَ الحطمةُ الذي قالَ فيهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « شرُّ الرعاءِ الحطمةُ »(١) ، فهوَ الهالكُ وحدَهُ .

وأميرٌ أرتعَ نفسَهُ وعمَّالَهُ ، فهلكوا جميعاً)(٢) .

وقدْ ـ بلغَني يا أميرَ المؤمنينَ ـ أنَّ جبريلَ عليهِ السلامُ أتى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : أتيتُكَ حينَ أمرَ اللهُ بمنافيخِ النارِ ، فوُضعَتْ على النارِ تسعرُ ليومِ القيامةِ ، فقالَ لهُ : « يا جبريلُ ؛ صفْ ليَ النارَ » ، فقالَ : إنَّ اللهَ تعالىٰ أمرَ بها فأُوقدَ عليها ألفَ عامٍ حتَّى احمرَّتْ ، ثمَّ أُوقدَ عليها ألفَ عامٍ حتَّى اصفرَّتْ ، ثمَّ أُوقدَ عليها ألفَ عامٍ حتَّى اسودَّتْ ، فهيَ سوداءُ مظلمةٌ ، لا يضيءُ لهبُها ولا جمرُها(٣) ، والذي بعثَكَ بالحقِّ ؛ لوْ أنَّ ثوباً منْ ثيابِ أهلِ النارِ أُظهرَ لأهلِ الأرضِ . . لماتوا جميعاً ، ولوْ أنَّ ذَنوباً مِنْ شرابِها صُبَّ في مياهِ الأرضِ جميعاً . . لقتلَ مَنْ ذاقَهُ ، ولوْ أنَّ ذراعاً مِنَ السلسلةِ التي ذكرَها اللهُ وُضعَ علىٰ جبالِ الأرضِ جميعاً . . لذابَتْ وما استقلَّتْ ، ولوْ أنَّ رجلاً أُدخلَ النارَ ثمَّ أُخرجَ منها . . لماتَ أهلُ الأرضِ مِنْ نتنِ ريحِهِ

---

(١) رواه مسلم (١٨٣٠) من حديث عائذ بن عمرو رضي الله عنه .

(٢) هو عند مخرجي مجمل الخبر ، وظلف : منع ، والمراد : المنع عما نهى الله من تعدي مرعىٰ حرماته .

(٣) كذا في النسخ ، وفي نسخة الحافظ الزبيدي : (لا يضيء جمرها ، ولا يطفأ لهيبها) .

وتشويهِ خلقِهِ وعظْمِهِ . فبكى النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وبكىٰ جبريلُ عليهِ السلامُ لبكائِهِ ، وقالَ : أتبكي يا محمدُ وقدْ غفرَ اللهُ لكَ ما تقدَّمَ مِنْ ذنبِكَ وما تأخَّرَ ؟! قالَ : « أفلا أكونُ عبداً شكوراً ، ولِمَ بكَيْتَ يا جبريلُ وأنتَ الروحُ الأمينُ أمينُ اللهِ علىٰ وحيِهِ ؟ » قالَ : أخافُ أنْ أُبتلىٰ بما ابتليَ بهِ هاروتُ وماروتُ ، فهوَ الذي منعَني مِنِ اتكالي علىٰ منزلتِي عندَ ربِّي ، فأكونُ قدْ أمنتُ مكرَهُ . فلمْ يزالا يبكيانِ حتَّىٰ نُوديا مِنَ السماءِ : يا جبريلُ ويا محمدُ ؛ إنَّ اللهَ قدْ آمنَكما أنْ تعصياهُ فيعذبَكُما ، وفضْلُ محمدٍ علىٰ سائرِ الأنبياءِ كفضلِ جبريلَ علىٰ سائرِ ملائكةِ السماءِ⁽¹⁾ .

وقدْ بلغَني يا أميرَ المؤمنينَ أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (اللهمَّ ؛ إنْ كنتَ تعلمُ أنِّي أبالي إذا قعدَ الخصمانِ بينَ يديَّ علىٰ مَنْ مالَ الحقُّ مِنْ قريبٍ أوْ بعيدٍ . . فلا تمهلْني طرفةَ عينٍ) .

يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّ أشدَ الشدَّةِ القيامُ للهِ بحقِّهِ ، وإنَّ أكرمَ الكرمِ عندَ اللهِ التقوىٰ ، وإنَّهُ مَنْ طلبَ العزَّ بطاعةِ اللهِ . . رفعَهُ اللهُ وأعزَّهُ ، ومَنْ طلبَهُ بمعصيةِ اللهِ . . أذلَّهُ اللهُ ووضعَهُ . فهـٰذهِ نصيحتي إليكَ والسلامُ عليكَ .

ثمَّ نهضتُ ، فقالَ لي : إلىٰ أينَ ؟ فقلتُ : إلى الولدِ والوطنِ بإذنِ أميرِ المؤمنينَ إنْ شاءَ اللهُ ، قالَ : قدْ أذنتُ لكَ ، وشكرتُ لكَ نصيحتَكَ وقبلتُها

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة النار » (١٥٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

بقبولِها ، واللهُ الموفِّقُ للخيرِ والمعينُ عليهِ ، وبهِ أستعينُ ، وعليهِ أتوكَّلُ ، وهوَ حسبي ونعمَ الوكيلُ ، فلا تخلِني من مطالعتِك إيَّايَ بمثلِ هـٰذا ، فإنَّكَ المقبولُ القولِ غيرُ المتهمِ في النصيحةِ ، قلتُ : أفعلُ إنْ شاءَ اللهُ .

قالَ محمدُ بنُ مصعبٍ : فأمرَ لهُ بمالٍ يستعينُ بهِ علىٰ خروجِهِ ، فلمْ يقبلْهُ ، وقالَ : أنا في غنىً عنهُ ، وما كنتُ لأبيعَ نصيحتي بعرضٍ مِنَ الدنيا ، وعرفَ المنصورُ مذهبَهُ ، فلمْ يجدْ عليهِ في ذلكَ⁽¹⁾ .

وعنِ ابنِ المهاجرِ قالَ : قدمَ أميرُ المؤمنينَ المنصورُ مكَّةَ شرَّفَها اللهُ حاجّاً ، فكانَ يخرجُ مِنْ دارِ الندوةِ إلى الطوافِ في آخرِ الليلِ ، يطوفُ ويصلِّي ولا يُعلمُ بهِ ، فإذا طلعَ الفجرُ . رجعَ إلىٰ دارِ الندوةِ ، وجاءَ المؤذنونَ فسلَّموا عليهِ ، وأُقيمتِ الصلاةُ ، فيصلِّي بالناسِ ، فخرجَ ذاتَ ليلةٍ حينَ أسحرَ ، فبينا هوَ يطوفُ . إذْ سمعَ رجلاً عندَ الملتزمِ وهوَ يقولُ : اللهمَّ ؛ إنِّي أشكو إليكَ ظهورَ البغيِ والفسادِ في الأرضِ ، وما يحولُ بينَ الحقِّ وأهلِهِ مِنَ الظلمِ والطمعِ ، فأسرعَ المنصورُ في مشيهِ حتَّىٰ ملأَ مسامعَهُ مِنْ قولِهِ ، ثمَّ خرجَ فجلسَ ناحيةً مِنَ المسجدِ ، وأرسلَ إليهِ فدعاهُ ، فأتاهُ

---

(١) هنا تنتهي موعظة الأوزاعي للمنصور ، وقد تقدم تخريجها في الحديث الأول منها ، وقال الحافظ العراقي كذلك : (قصة الأوزاعي هـٰذه مع المنصور وموعظته له وفيه عشرة أحاديث مرفوعة ، وهي بجملتها رواها ابن أبي الدنيا في « مواعظ الخلفاء » ، ورويناها في « مشيخة الخفاف » و« مشيخة ابن طبرزد » ، وفي إسنادها أحمد بن عبيد بن ناصح ، قال ابن عدي : يحدث بمناكير ، وهو عندي من أهل الصدق) .

الرسولُ ، فقالَ لهُ : أجبْ أميرَ المؤمنينَ ، فصلَّىٰ ركعتينِ ، واستلمَ الركنَ ، وأقبلَ معَ الرسولِ ، فسلَّمَ عليهِ ، فقالَ لهُ المنصورُ : ما هـٰذا الذي سمعتُكَ تقولُهُ مِنْ ظهورِ البغيِ والفسادِ في الأرضِ ، وما يحولُ بينَ الحقِّ وأهلِهِ مِنَ الطمعِ والظلمِ ؟! فواللهِ لقدْ حشوتَ مسامعي ما أمرضَني وأقلقَني ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنْ أمَّنتَني علىٰ نفسي . . أنبأتُكَ بالأمورِ مِنْ أصولِها ، وإلا . . اقتصرتُ علىٰ نفسي ، ففيها لي شغلٌ شاغلٌ ، فقالَ لهُ : أنت آمنٌ علىٰ نفسِكَ ، فقالَ : إنَّ الذي دخلَهُ الطمعُ حتَّىٰ حالَ بينَهُ وبينَ الحقِّ وإصلاحِ ما ظهرَ مِنَ البغيِ والفسادِ في الأرضِ أنتَ .

قالَ : ويحَكَ ، وكيفَ يدخلُني الطمعُ والصفراءُ والبيضاءُ علىٰ يديَّ ، والحلوُ والحامضُ في قبضتي ؟!

قالَ : وهلْ دخلَ أحداً مِنَ الطمعِ ما دخلَكَ يا أميرَ المؤمنينَ ؟! إنَّ اللهَ تعالى استرعاكَ أمورَ المسلمينَ وأموالَهُمْ ، فأغفلتَ أمورَهُمْ واهتممتَ بجمعِ أموالِهِمْ ، وجعلتَ بينَكَ وبينَهُمْ حجاباً مِن الجِصِّ والآجُرِّ وأبواباً مِنَ الحديدِ ، وحجبةً معهُمُ السلاحُ ، ثمَّ سجنتَ نفسَكَ فيها منهُمْ ، وبعثتَ عمَّالَكَ في جمعِ الأموالِ وجبايتِها ، واتخذتَ وزراءَ وأعواناً ظلمةً ، إنْ نسيتَ . . لمْ يذكِّروكَ ، وإنْ ذكرْتَ . . لمْ يعينوكَ ، وقوَّيتَهُمْ علىٰ ظلمِ الناسِ بالأموالِ والكراعِ والسلاحِ ، وأمرتَ ألا يدخلَ عليكَ مِنَ الناسِ إلا فلانٌ وفلانٌ ، نفرٌ سمَّيتَهُمْ ، ولمْ تأمرْ بإيصالِ المظلومِ ولا الملهوفِ ، ولا الجائعِ ولا العاري ، ولا الضعيفِ ولا الفقيرِ ، ولا أحدَ إلا ولهُ في هـٰذا المالِ حقٌّ .

فلمَّا رآكَ هؤلاءِ النفرُ الذين استخلصتَهُمْ لنفسِكَ ، وآثرتَهُمْ علىٰ رعيَّتِكَ ، وأمرتَ ألا يُحجبوا عنكَ تجبي الأموالَ ولا تقسمُها . . قالوا : هـٰذا قدْ خانَ اللهَ ، فما لنا لا نخونُهُ وقدْ سُخِّرَ لنا ، فأتمروا علىٰ ألا يصلَ إليكَ مِنْ علمِ أخبارِ الناسِ إلا ما أرادوا ، وألا يخرجَ لكَ عاملٌ فيخالفَ لهُمْ أمراً إلا أقصَوْهُ حتَّىٰ تسقطَ منزلتُهُ ، ويصغرَ قدرُهُ .

فلمَّا انتشرَ ذلكَ عنكَ وعنهُمْ . . أعظمَهُمُ الناسُ وهابوهُمْ ، وكانَ أوَّلَ مَنْ صانعَهُمْ عمَّالُكَ بالهدايا والأموالِ ؛ ليتقوَّوا بهِ علىٰ ظلمِ رعيَّتِكَ ، ثمَّ فعلَ ذلكَ ذوو القدرةِ والثروةِ مِنْ رعيَّتِكَ ؛ لينالوا ظلْمَ مَنْ دونَهُمْ من الرعيَّةِ .

فامتلأَتْ بلادُ اللهِ بالطمعِ بغياً وفساداً ، وصارَ هؤلاءِ القومُ شركاءَكَ في سلطانِكَ وأنتَ غافلٌ .

فإنْ جاءَ متظلِّمٌ . . حيلَ بينَهُ وبينَ الدخولِ إليكَ ، وإنْ أرادَ رفعَ قصَّةٍ إليكَ عندَ ظهورِكَ . . وجدَكَ قدْ نهيتَ عنْ ذلكَ ، ووقفتَ للناسِ رجلاً ينظرُ في مظالمِهِمْ ، فإنْ جاءَ ذلكَ الرجلُ فبلغَ بطانتَكَ . . سألوا صاحبَ المظالمِ ألا يرفعَ مظلمتَهُ ، وإنْ كانَتْ للمتظلِّمِ بهِ حرمةٌ وإجابةٌ . . لمْ يمكنْهُ ما يريدُ خوفاً منهُمْ ، فلا يزالُ المظلومُ يختلفُ إليهِ ويلوذُ بهِ ويشكو ويستغيثُ وهوَ يدفعُهُ ويعتلُّ عليهِ ، فإذا جهدَ وأُحرِجَ وظهرتَ . . صرخَ بينَ يديكَ ، فيُضربُ ضرباً مبرِّحاً ؛ ليكونَ نكالاً لغيرِهِ ، وأنتَ تنظرُ ولا تنكرُ ولا تغيِّرُ ، فما بقاءُ الإسلامِ وأهلِهِ علىٰ هـٰذا ؟!

وقدْ كانَتْ بنو أميَّةَ وكانَتِ العربُ لا ينتهي إليهِمُ المظلومُ إلا رُفعَتْ ظُلامتُهُ إليهِمْ فيُنصَفُ ، ولقدْ كانَ الرجلُ يأتي مِنْ أقصى البلادِ حتَّىٰ يبلغَ بابَ سلطانِهِمْ ، فينادي : يا أهلَ الإسلامِ ؛ فيبتدرونَهُ ما لكَ ما لكَ ؟ فيرفعونَ مظلمتَهُ إلىٰ سلطانِهِمْ ، فيُنتَصَفُ لهُ .

ولقدْ كنتُ ـ يا أميرَ المؤمنينَ ـ أسافرُ إلىٰ أرضِ الصينِ وبها ملكٌ ، فقدمتُها مرَّةً وقدْ ذهبَ سمْعُ ملكِهِمْ ، فجعلَ يبكي ، فقالَ لهُ وزراؤُهُ : ما لكَ تبكي لا بكتْ عيناكَ ؟ فقالَ : أما إنِّي لستُ أبكي على المصيبةِ التي نزلَتْ بي ، ولكنْ أبكي لمظلومٍ بالبابِ يصرخُ فلا أسمعُ صوتَهُ ، ثمَّ قالَ : أما إنْ كانَ قدْ ذهبَ سمعي . . فإنَّ بصري لمْ يذهبْ ، نادوا في الناسِ ألا يلبسَ ثوباً أحمرَ إلا مظلومٌ ، فكانَ يركبُ الفيلَ ويطوفُ طرفَيِ النهارِ ؛ هلْ يرىٰ مظلوماً فينصفَهُ .

هـٰذا ـ يا أميرَ المؤمنينَ ـ مشركٌ باللهِ ! قدْ غلبَتْ رأفتُهُ بالمشركينَ ورقَّتُهُ علىٰ شحِّ نفسِهِ في ملكِهِ ، وأنتَ مؤمنٌ باللهِ وابنُ عمِّ نبيِّ اللهِ لا تغلبُكَ رأفتُكَ بالمسلمينَ ورقَّتُكَ علىٰ شحِّ نفسِكَ ؛ فإنَّكَ لا تجمعُ الأموالَ إلا لواحدٍ مِنْ ثلاثةٍ :

إنْ قلتَ : أجمعُها لولدي . . فقدْ أراكَ اللهُ عبراً في الطفلِ الصغيرِ ، يسقطُ مِنْ بطنِ أمِّهِ وما لهُ على الأرضِ مالٌ ، وما مِنْ مالٍ إلا ودونَهُ يدٌ شحيحةٌ تحويهِ ، فما يزالُ اللهُ تعالىٰ يلطفُ بذلكَ الطفلِ حتَّىٰ تعظمَ رغبةُ الناسِ إليهِ ، ولستَ الذي تعطي ، بلِ اللهُ يُعطي مَنْ يشاءُ .

وإنْ قلتَ : أجمعُ المالَ لأشيدَ سلطاني . . فقدْ أراكَ اللهُ عبراً فيمَنْ كانَ قبلَكَ ، ما أغنىٰ عنهُمْ ما جمعوهُ مِنَ الذهبِ والفضةِ ، وما أعدُّوا مِنَ الرجالِ والسلاحِ والكُراعِ ، وما ضرَّكَ وولدَ أبيكَ ما كنتُمْ فيهِ مِنْ قلَّةِ الجِدَةِ والضعفِ حينَ أرادَ اللهُ بكُمْ ما أرادَ .

وإنْ قلتَ : أجمعُ المالَ لطلبِ غايةٍ هيَ أجسمُ مِنَ الغايةِ التي أنتَ فيها . . فواللهِ ما فوقَ ما أنتَ فيهِ إلا منزلةٌ لا تدركُ إلا بالعملِ الصالحِ .

يا أميرَ المؤمنينَ ؛ هلْ تعاقبُ مَنْ عصاكَ مِنْ رعيَّتِكَ بأشدَّ مِنَ القتلِ ؟ قالَ : لا ، قالَ : فكيفَ تصنعُ بالملكِ الذي خوَّلَكَ اللهُ وما أنتَ فيهِ مِنْ ملكِ الدنيا وهوَ تعالىٰ لا يعاقبُ مَنْ عصاهُ بالقتلِ ، ولكنْ يعاقبُ مَنْ عصاهُ بالخلودِ في العذابِ الأليمِ ؟! وهوَ الذي يرىٰ منكَ ما عقدَ عليهِ قلبُكَ ، وأضمرَتْهُ جوارحُكَ ، فماذا تقولُ إذا انتزعَ الملكُ الحقُّ المبينُ ملكَ الدنيا مِنْ يدكَ ، ودعاكَ إلى الحسابِ ؟ هلْ يغني عنكَ عندَهُ شيءٌ ممَّا كنتَ فيهِ ممَّا شححتَ عليهِ مِنْ ملكِ الدنيا ؟

فبكى المنصورُ بكاءً شديداً حتَّىٰ نحبَ وارتفعَ صوتُهُ ، ثمَ قالَ : يا ليتَني لمْ أُخلقْ ولمْ أكُ شيئاً ، ثمَّ قالَ : كيفَ احتيالي فيما خُوِّلْتُ ولمْ أرَ مِنَ الناسِ إلا خائناً ؟

قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ عليكَ بالأئمَّةِ الأعلامِ المرشدينَ ، قالَ : ومَنْ هُم ؟ قالَ : العلماءُ ، قالَ : قد فرُّوا منِّي ، قالَ : هربوا منكَ مخافةَ أنْ

تحملَهُمْ علىٰ ما ظهرَ مِنْ طريقتِكَ مِنْ قبلِ عمَّالِكَ ، ولكنِ افتحِ الأبوابَ ، وسهِّلِ الحجابَ ، وانتصرْ للمظلومِ ، وامنعِ الظالمَ ، وخذِ الشيءَ ممَّا حلَّ وطابَ ، واقسمْهُ بالحقِّ والعدلِ ، وأنا ضامنٌ عمَّنْ هربَ منكَ أنْ يأتيَكَ فيعاونَكَ علىٰ صلاحِ أمرِكَ ورعيَّتِكَ ، فقالَ المنصورُ : اللهُمَّ ؛ وفِّقْنِي أنْ أعملَ بما قالَ هـٰذا الرجلُ .

وجاءَ المؤذِّنون فَسلَّموا عليهِ ، وأُقيمتِ الصلاةُ ، فخرجَ فصلَّىٰ بهِمْ ، ثمَّ قالَ للحرسيِّ : عليكَ بالرجلِ ، لئنْ لمْ تأتني بهِ . . لأضربنَّ عنقَكَ ، واغتاظَ عليهِ غيظاً شديداً إذْ لمْ يُوجدْ ، فخرجَ الحرسيُّ يطلبُ الرجلَ ، فبينا هوَ يطوفُ . . فإذا هوَ بالرجلِ يصلِّي في بعضِ الشعابِ ، فقعدَ حتَّىٰ صلَّىٰ ، ثمَّ قالَ : يا ذا الرجلُ ؛ أما تتقي اللهَ ؟ قالَ : بلىٰ ، قالَ : أما تعرفُهُ ؟ قالَ : بلىٰ ، قالَ : فانطلقْ معي إلى الأميرِ ؛ فقدْ آلىٰ أنْ يقتلَني إنْ لم آتِهِ بكَ ، قالَ : ليسَ إلىٰ ذلكَ مِنْ سبيلٍ ، قالَ : يقتلُني ؟ قالَ : لا ، قالَ : وكيفَ ؟ قال : تحسنُ تقرأُ ؟ قالَ : لا ، فأخرجَ مِنْ مزودٍ كانَ معَهُ رقّاً مكتوباً فيهِ شيءٌ ، فقالَ : خذْهُ فاجعلْهُ في جيبِكَ ، فإنَّ فيهِ دعاءَ الفرجِ ، قالَ : وما دعاءُ الفرجِ ؟ قالَ : لا يُرزقُهُ إلا الشهداءُ ، قلتُ : رحمَكَ اللهُ ، قدْ أحسنتَ إليَّ ، فإنْ رأيتَ أنْ تخبرَني ما هـٰذا الدعاءُ وما فضلُهُ ، قالَ : مَنْ دعا بهِ مساءً وصباحاً . . هُدمَتْ ذنوبُهُ ، ودامَ سرورُهُ ، ومُحيَتْ خطاياهُ ، واستُجيبَ دعاؤُهُ ، وبُسِطَ لهُ في رزقِهِ ، وأُعطيَ أملَهُ ، وأُعينَ علىٰ عدوِّهِ ، وكُتِبَ عندَ اللهِ صدِّيقاً ، ولا يموتُ إلا شهيداً ، تقولُ :

اللهمَّ ؛ كما لطفتَ في عظمتِكَ دونَ اللطفاءِ ، وعلوتَ بعظمتِكَ على العظماءِ ، وعلمتَ ما تحتَ أرضِكَ كعلمِكَ بما فوقَ عرشِكَ ، وكانَتْ وساوسُ الصدورِ كالعلانيةِ عندَكَ ، وعلانيةُ القولِ كالسرِّ في علمِكَ ، وانقادَ كلُّ شيءٍ لعظمتِكَ ، وخضعَ كلُّ ذي سلطانٍ لسلطانِكَ ، وصارَ أمرُ الدنيا والآخرةِ كلُّهُ بيدِكَ . . اجعلْ لي مِنْ كلِّ همٍّ أمسيتُ فيهِ فرجاً ومخرجاً .

اللهمَّ ؛ إنَّ عفوَكَ عنْ ذنوبي ، وتجاوزَكَ عنْ خطيئتي ، وسترَكَ علىٰ قبيحِ عملي . . أطمعَني أنْ أسألَكَ ما لا أستوجبُهُ ممَّا قصرتُ فيهِ ، أدعوكَ آمناً ، وأسألُكَ مستأنساً ، وإنَّكَ المحسنُ إليَّ وأنا المسيءُ إلىٰ نفسي فيما بيني وبينَكَ ، تتودَّدُ إلي بنعمِكَ وأتبغَّضُ إليكَ بالمعاصي ، ولكنَّ الثقةَ بكَ حملَتْني على الجُرأةِ عليكَ ، فعُدْ بفضلِكَ وإحسانِكَ عليَّ ؛ إنَّكَ أنتَ التوَّابُ الرحيمُ .

قالَ : فأخذتُهُ ، فصيَّرتُهُ في جيبي ، ثمَّ لمْ يكنْ لي همٌّ غيرَ أميرِ المؤمنينَ ، فدخلتُ فسلَّمْتُ عليهِ ، فرفعَ رأسَهُ ، فنظرَ إليَّ وتبسَّمَ ، ثمَّ قالَ : ويلكَ ! وتحسنُ السحرَ ؟ فقلتُ : لا واللهِ يا أميرَ المؤمنينَ ، ثمَّ قصصْتُ عليهِ أمري معَ الشيخِ ، فقالَ : هاتِ الرقَّ الذي أعطاكَ ، ثمَّ جعلَ يبكي ، وقالَ : قدْ نجوتَ ، وأمرَ بنسخِهِ ، وأعطاني عشرةَ آلافِ درهمٍ ، ثمَّ قالَ : أتعرفُهُ ؟ قلتُ : لا ، قالَ ذاكَ الخضرُ عليهِ السلامُ(١) .

---

(١) خبر المنصور هـٰذا مع الخضر عليه السلام أورده بطوله ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٢/ ٣٣٣) ، ولم يذكر القطعة الأخيرة منه ، ورواه كما هو هنا عند المصنف ابنُ الجوزي في « المنتظم » (٥/ ١٠٩) .

وعنْ أبي عمرانَ الجونيِّ قالَ : لمَّا وليَ هارونُ الرشيدُ الخلافةَ . . زارَهُ العلماءُ ، فهنَّوهُ بما صارَ إليهِ منْ أمرِ الخلافةِ ، ففتحَ بيوتَ الأموالِ ، وأقبلَ يجيزُهُمْ بالجوائزِ السنيَّةِ ، وكانَ قبلَ ذلكَ يجالسُ العلماءَ والزُّهَّادَ ، وكانَ يظهرُ النسكَ والتقشُّفَ ، وكانَ مؤاخياً لسفيانَ بنِ سعيدِ بنِ المنذرِ الثوريِّ قديماً⁽¹⁾ ، فهجرَهُ سفيانُ ولمْ يزرْهُ ، فاشتاقَ هارونُ إلىٰ زيارتِهِ ليخلوَ بهِ ويحدِّثَهُ ، فلمْ يزرْهُ ولمْ يعبأْ بموضعِهِ ولا بما صارَ إليهِ ، فاشتدَّ ذلكَ علىٰ هارونَ ، فكتبَ إليهِ كتاباً يقولُ فيهِ :

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِنْ عبْدِ اللهِ هارونَ الرشيدِ أميرِ المؤمنينَ إلىٰ أخيهِ سفيانَ بنِ سعيدِ بنِ المنذرِ ؛ أمَّا بعدُ : يا أخي ؛ قدْ علمتَ أنَّ اللهَ تباركَ وتعالىٰ آخىٰ بينَ المؤمنينَ ، وجعلَ ذلكَ فيهِ ولهُ ، واعلمْ أنِّي آخيتُكَ مؤاخاةً لمْ أصرمْ منها حبلَكَ ، ولمْ أقطعْ منها وُدَّكَ ، وإنِّي منطوٍ لكَ علىٰ أفضلِ المحبَّةِ والإرادةِ ، ولولا هذهِ القلادةُ التي قلَّدنيها اللهُ تعالىٰ . . لأتيتُكَ ولوْ حبْواً ؛ لما أجدُ لكَ في قلبِي مِنَ المحبَّةِ .

واعلمْ يا أبا عبدِ اللهِ ؛ أنَّهُ ما بقيَ مِنْ إخواني وإخوانِكَ أحدٌ إلا وقدْ زارَني وهنَّأَني بما صرتُ إليهِ ، وقدْ فتحتُ بيوتَ الأموالِ وأعطيتُهُمْ مِنَ الجوائزِ السنيَّةِ ما فرحَتْ بها نفسي وقرَّتْ بها عيني ، وإنِّي استبطأتُكَ ، فلمْ تأتني ، وقدْ كتبتُ إليكَ كتاباً شوقاً منِّي إليكَ شديداً ، وقدْ علمتَ

---

(١) لعل الحكاية وقعت مع المهدي أو المنصور وليس الرشيد .

ـ يا أبا عبدِ اللهِ ـ ما جاءَ في فضلِ المؤمنِ وزيارتِهِ ومواصلتِهِ ، فإذا وردَ عليكَ كتابي . . فالعجلَ العجلَ .

قالَ : فلمّا كتبَ الكتابَ . . التفتَ إلىٰ مَنْ عندَهُ ، فإذا كلُّهُمْ يعرفونَ سفيانَ الثوريَّ وخشونتَهُ ، فقالَ : عليَّ برجلٍ مِنَ البابِ ، فأُدخلَ عليهِ رجلٌ يُقالُ لهُ : عبَّادٌ الطالقانيُّ ، فقالَ : يا عبَّادُ ؛ خذْ كتابي هـٰذا فانطلقْ بهِ إلى الكوفةِ ، فإذا دخلتَها . . فسلْ عنْ قبيلةِ بني ثورٍ ، ثمَّ سلْ عنْ سفيانَ الثوريِّ ، فإذا رأيتَهُ . . فألقِ كتابي هـٰذا إليهِ ، وعِ بسمعِكَ وقلبِكَ جميعَ ما يكونُ ، فأحصِ عليهِ دقيقَ أمرِهِ وجليلَهُ لتخبرَني بهِ .

فأخذَ عبَّادٌ الكتابَ ، وانطلقَ بهِ حتَّىٰ وردَ الكوفةَ ، فسألَ عنِ القبيلةِ ، فأُرشدَ إليها ، ثمَّ سألَ عنْ سفيانَ ، فقيلَ لهُ : هوَ في المسجدِ ، قالَ عبَّادٌ : فأقبلتُ إلى المسجدِ ، فلمَّا رآني . . قامَ قائماً وقالَ : أعوذُ باللهِ السميعِ العليمِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ، وأعوذُ بكَ اللهمَّ مِنْ طارقٍ يطرقُ إلا بخيرٍ ، قالَ عبَّادٌ : فوقعَتِ الكلمةُ في قلبي ، فخرجتُ ، فلمَّا رآني نزلتُ ببابِ المسجدِ . . قامَ يصلِّي ولمْ يكنْ وقتَ صلاةٍ ، فربطتُ فرسي ببابِ المسجدِ ودخلتُ ، فإذا جلساؤُهُ قعودٌ قدْ نكسوا رؤوسَهُمْ كأنَّهُمْ لصوصٌ قدْ وردَ عليهِمُ السلطانُ ، فهُمْ خائفونَ مِنَ العقوبةِ ، فسلَّمْتُ فما رفعَ أحدٌ إليَّ رأسَهُ ، وردُّوا السلامَ عليَّ برؤوسِ الأصابعِ (١) ، فبقيتُ واقفاً ، ما منهُمْ أحدٌ

---

(١) الإشارة بالسلام بالرأس أو باليد بدعة حدثت بعد العصر الأول ، وكيف يجوز لأصحاب =

يعرضُ عليَّ الجلوسَ ، وقدْ علاني مِنْ هيبتِهِمْ الرعدةُ ، ومددتُ عيني إليهِمْ فقلتُ : إنَّ المصلِّيَ هوَ سفيانُ ، فرميتُ بالكتابِ إليهِ ، فلمَّا رأى الكتابَ . . ارتعدَ وتباعدَ عنهُ كأنَّهُ حيَّةٌ عرضَتْ لهُ في محرابِهِ ، فركعَ وسجدَ وسلَّمَ ، وأدخلَ يدَهُ في كمِّهِ ولفَّها بعباءَتِهِ وأخذَهُ فقلبَهُ بيدِهِ ، ثمَّ رماهُ إلىٰ مَنْ كانَ خلفَهُ ، وقالَ : يأخذُهُ بعضُكُمْ يقرؤُهُ ؛ فإنِّي أستغفرُ اللهَ أنْ أمسَّ شيئاً مسَّهَ ظالمٌ بيدِهِ .

قالَ عبَّادٌ : فمدَّ بعضُهُمْ يدَهُ إليهِ ، فحلَّهُ كأنَّهُ خائفٌ مِنْ فمِ حيَّةٍ تنهشُهُ ، ثمَّ فضَّهُ وقرأَهُ ، وأقبلَ سفيانُ يتبسَّمُ تبسُّمَ المتعجِّبِ ، فلمَّا فرغَ مِنْ قراءَتِهِ . . قالَ : اقلبوهُ واكتبوا إلى الظالمِ في ظهرِ كتابِهِ ، فقيلَ لهُ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ إنَّهُ خليفةٌ ، فلوْ كتبتَ إليهِ في قرطاسٍ نقيٍّ ، فقالَ : اكتبوا إلى الظالمِ في ظهرِ كتابِهِ ، فإنْ كانَ اكتسبَهُ مِنْ حلالٍ . . فسوفَ يُجزىٰ بهِ ، وإنْ كانَ اكتسبَهُ مِنْ حرامٍ . . فسوفَ يُصلىٰ بهِ ، ولا يبقىٰ شيءٌ مسَّهُ ظالمٌ عندَنا فيفسدَ علينا دينَنا ، فقيلَ لهُ : ما نكتبُ إليهِ ؟ فقالَ : اكتبوا :

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِنَ العبدِ الميِّتِ(١) سفيانَ بنِ سعيدِ بنِ المنذرِ الثوريِّ ، إلى العبدِ المغرورِ بالآمالِ هارونَ الذي سُلبَ حلاوةَ الإيمانِ ، أمَّا بعدُ : فإنِّي قدْ كتبتُ إليكَ أعلمُكَ أنِّي قدْ صرمتُ حبلَكَ ، وقطعتُ وُدَّكَ ،

= سفيان أن يتركوا رد السلام باللسان ؟! هـٰذا بعيد عن مثلهم . « إتحاف » (٧/ ٨٣) ، وهـٰذا من الحافظ الزبيدي مبني علىٰ أساس رفض الخبر كما سبق بيانه .

(١) في (ط ، ي) : (المذنب) بدل (الميت) .

وقليتُ موضعَكَ ، وإنَّكَ قدْ جعلتَني شاهداً عليكَ بإقرارِكَ علىٰ نفسِكَ في كتابِكَ ، بما هجمتَ بهِ علىٰ بيتِ مالِ المسلمينَ فأنفقتَهُ في غيرِ حقِّهِ ، وأنفذتَهُ في غيرِ حكمِهِ ، ثمَّ لمْ ترضَ بما فعلتَهُ وأنتَ ناءٍ عنِّي حتَّىٰ كتبتَ إليَّ تشهدُني علىٰ نفسِكَ ، أما إنِّي قدْ شهدتُ عليكَ أنا وإخواني الذينَ شهدوا قراءةَ كتابِكَ ، وسنؤدِّي الشهادةَ عليكَ غداً بينَ يدَيِ اللهِ تعالىٰ .

يا هارونُ ؛ هجمتَ علىٰ بيتِ مالِ المسلمينَ بغيرِ رضاهُمْ ، هلْ رَضِيَ بفعلِكَ المؤلَّفةُ قلوبُهُمْ ، والعاملونَ عليها في أرضِ اللهِ تعالىٰ ، والمجاهدونَ في سبيلِ اللهِ ، وابنُ السبيلِ ، أمْ رضيَ بذلكَ حملةُ القرآنِ ، وأهلُ العلمِ ، والأراملُ والأيتامُ ، أمْ هلْ رضيَ بذلكَ خلقٌ مِنْ رعيَّتِكَ ؟!

فشُدَّ ـ يا هارونُ ـ مئزرَكَ ، وأعدَّ للمسألة جواباً ، وللبلاءِ تِجفافاً(١) ، واعلمْ أنَّكَ سوفَ تقفُ بينَ يدَيِ الحكَمِ العدْلِ ، فقدْ رُزِئتَ في نفسِكَ ؛ إذْ سُلبتَ حلاوةَ العلمِ والزهدِ ، ولذيذَ القرآنِ ومجالسةَ الأخيارِ ، ورضيتَ لنفسِكَ أنْ تكونَ ظالماً ، وللظالمينَ إماماً .

يا هارونُ ؛ قعدتَ على السريرِ ، ولبستَ الوثيرَ ، وأسبلتَ ستراً دونَ بابِكَ ، وتشبهتَ بالحجبةِ بربِّ العالمينَ ، ثمَّ أقعدتَ أجنادَكَ الظلمةَ دونَ بابِكَ وسترِكَ ، يظلمونَ الناسَ ولا ينصفونَ ، يشربونَ الخمورَ ، ويضربونَ

---

(١) **التِّجفاف** : ما يلبسه الإنسان ليقيه في الحرب ، كناية عن الحذر هنا ، وفي (ج) : (جلباباً) ، وفي (هـ) : (تجفافاً وجلباباً) .

مَنْ يشربُها ، ويزنونَ ويحدُّونَ الزانيَ ، ويسرقونَ ويقطعونَ السارقَ ، أفلا كانَتْ هذهِ الأحكامُ عليكَ وعليهِمْ قبلَ أنْ تحكمَ بها على الناسِ ؟

فكيفَ بكَ ـ يا هارونُ ـ غداً إذا نادى المنادي مِنَ قِبَلِ اللهِ تعالىٰ : ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ أينَ الظلمةُ وأعوانُ الظلمةِ ؟ فقدمتَ بينَ يدي اللهِ تعالىٰ ويداكَ مغلولتانِ إلىٰ عنقِكَ لا يفكُّهُما إلا عدْلُكَ وإنصافُكَ ؟ والظالمونَ حولَكَ وأنتَ لهُمْ سابقٌ وإمامٌ إلى النارِ ؟

كأنِّي بكَ ـ يا هارونُ ـ وقدْ أخذتَ بضيقِ الخناقِ ، ووردتَ المساقَ ، وأنتَ ترىٰ حسناتِكَ في ميزانِ غيرِكَ ، وسيئاتِ غيرِكَ في ميزانِكَ زيادةً علىٰ سيئاتِكَ ، بلاءً علىٰ بلاءٍ ، وظلمةً فوقَ ظلمةٍ ، فاحتفظْ بوصيَّتي واتعظْ بموعظتي التي وعظتُكَ بها .

واعلمْ أنِّي قدْ نصحتُكَ ، وما أبقيتُ لكَ في النصحِ غايةً ، فاتقِ اللهَ ـ يا هارونُ ـ في رعيَّتِكَ ، واحفظْ محمداً صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في أمَّتِهِ ، وأحسنِ الخلافةَ عليهِمْ .

واعلمْ أنَّ هـٰذا الأمرَ لوْ بقيَ لغيرِكَ . . لمْ يصلْ إليكَ ، وهوَ صائرٌ إلىٰ غيرِكَ ، وكذا الدنيا تنتقلُ بأهلِها واحداً بعدَ واحدٍ ، فمنهُمْ مَنْ تزوَّدَ زاداً نفعَهُ ، ومنهُمْ مَنْ خسرَ دنياهُ وآخرتَهُ ، وإنِّي أحسبُكَ ـ يا هارونُ ـ ممَّنْ خسرَ دنياهُ وآخرتَهُ ، فإيَّاكَ إيَّاكَ أنْ تكتبَ إليَّ كتاباً بعدَ هـٰذا ، فلا أجيبُكَ عنهُ ، والسلامُ .

قالَ عبّادٌ : فألقىٰ إليَّ الكتابَ منشوراً غيرَ مطويٍّ ولا مختومٍ ، فأخذتُهُ وأقبلتُ إلىٰ سوقِ الكوفةِ ، وقدْ وقعَتِ الموعظةُ مِنْ قلبي ، فناديتُ : يا أهلَ الكوفةِ ، فأجابوني ، فقلتُ لهُمْ : يا قومُ ؛ مَنْ يشتري رجلاً هربَ مِنَ اللهِ إلى اللهِ ؟ فأقبلوا إليَّ بالدنانيرِ والدراهِمِ ، فقلتُ : لا حاجةَ لي في المالِ ، ولكنْ جبَّةَ صوفٍ خشنةً ، وعباءةً قطوانيَّةً ، قالَ : فأُتيتُ بذلكَ ، ونزعتُ ما كانَ عليَّ مِنَ اللباسِ الذي كنتُ ألبسُهُ معَ أميرِ المؤمنينَ ، وأقبلتُ أقودُ البرذونَ وعليهِ السلاحُ الذي كنتُ أحملُهُ ، حتَّىٰ أتيتُ بابَ أميرِ المؤمنينَ هارونَ حافياً راجلاً ، فهزأَ بي مَنْ كانَ علىٰ بابِ الخليفةِ ، ثمَّ استُؤذنَ لي ، فلمَّا دخلتُ مجلسَهُ وبصرَ بي هارونُ علىٰ تلكَ الحالةِ . . قامَ وقعدَ ، ثمَّ قامَ قائماً وجعلَ يلطمُ رأسَهُ ووجهَهُ ، ويدعو بالويلِ والحزْنِ ويقولُ : انتفعَ الرسولُ وخابَ المرسِلُ ، ما لي وللدنيا ، ما لي ولملكٍ يزولُ عنِّي سريعاً ؟!

ثمَّ ألقيتُ الكتابَ إليهِ منشوراً كما دُفِعَ إليَّ ، فأقبلَ هارونُ يقرؤُهُ ودموعُهُ تتحدَّرُ مِنْ عينيهِ ، ويقرأُ ويشهقُ ، فقالَ بعضُ جلسائِهِ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ لقدْ اجترأَ عليكَ سفيانُ ، فلوْ وجَّهْتَ إليهِ فأثقلتَهُ بالحديدِ ، وضيَّقْتَ عليهِ السجنَ . . كنتَ تجعلُهُ عبرةً لغيرِهِ ، فقالَ هارونُ : اتركونا يا عبيدَ الدنيا ، المغرورُ مَنْ غررتموهُ ، والشقيُّ مَنْ أهلكتموهُ ، وإنَّ سفيانَ أمَّةٌ وحدَهُ ، فاتركوا سفيانَ وشأنَهُ ، ثمَّ لمْ يزلْ كتابُ سفيانَ إلىٰ جنبِ هارونَ يقرؤُهُ عندَ كلِّ صلاةٍ ، حتَّىٰ تُوفِّيَ رحمَهُ اللهُ .

فرحمَ اللهُ عبداً نظرَ لنفسِهِ ، واتقى اللهَ فيما يقدمُ عليهِ غداً مِنْ عملِهِ ، فإنَّهُ عليهِ يُحاسبُ ، وبهِ يُجازىٰ ، واللهُ وليُّ التوفيقِ .

وعنْ عبدِ اللهِ بنِ مهرانَ قالَ : حجَّ الرشيدُ ، فوافى الكوفةَ ، فأقامَ بها أياماً ، ثمَّ ضربَ بالرحيلِ ، فخرجَ الناسُ ، وخرجَ بهلولٌ المجنونُ فيمَنْ خرجَ ، فجلسَ بالكناسةِ والصبيانُ يؤذونَهُ ويَولَعونَ بهِ ، إذْ أقبلَتْ هوادجُ هارونَ ، فكفَّ الصبيانُ عنِ الوَلوعِ بهِ ، فلمَّا جاءَ هارونُ . . نادىٰ بأعلىٰ صوتِهِ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ فكشفَ هارونُ السجافَ بيدِهِ عنْ وجهِهِ ، فقالَ : لبيكَ يا بهلولُ ؛ فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ حدَّثَنا أيمنُ بنُ نائلٍ ، عنْ قدامةَ بنِ عبدِ اللهِ العامريِّ قالَ : (رأيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ منصرفاً مِنْ عرفةَ علىٰ ناقةٍ لهُ صهباءَ ، لا ضربَ ولا طردَ ولا إليكَ إليكَ)⁽¹⁾ ، وتواضعُكَ في سفرِكَ هٰذا يا أميرَ المؤمنينَ خيرٌ لكَ مِنْ تكبُّرِكَ وتجبُّرِكَ ، قالَ : فبكىٰ هارونُ حتَّىٰ سقطَتْ دموعُهُ على الأرضِ .

ثمَّ قالَ : يا بهلولُ ؛ زدْنا رحمَكَ اللهُ ، قالَ : نعمْ يا أميرَ المؤمنينَ ، رجلٌ آتاهُ اللهُ مالاً وجَمالاً ، فأنفقَ مِنْ مالِهِ وعفَّ في جمالِهِ . كُتبَ في خالصِ ديوانِ اللهِ تعالىٰ معَ الأبرارِ ، قالَ : أحسنتَ يا بهلولُ ودفعَ لهُ جائزةً ، فقالَ : اردُدِ الجائزةَ علىٰ مَنْ أخذتَها منهُ ، فلا حاجةَ لي فيها .

---

(١) رواه الترمذي (٩٠٣) ، والنسائي (٥/ ٢٧٠) ، وابن ماجه (٣٠٣٥) .

قالَ : يا بهلولُ ؛ فإنْ يكنْ عليكَ دينٌ . . قضيناهُ ، قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ هؤلاءِ أهلُ العلمِ بالكوفةِ متوافرونَ ، اجتمعَتْ آراؤُهُمْ أنَّ قضاءَ الدينِ بالدينِ لا يجوزُ .

قالَ : يا بهلولُ ؛ فنجري عليكَ ما يقوتُكَ أوْ يقيمُكَ ، قالَ : فرفعَ بهلولٌ رأسَهُ إلى السماءِ ثمَّ قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ أنا وأنتَ مِنْ عيالِ اللهِ ، فمحالٌ أنْ يذكرَكَ وينساني .

قالَ : فأسبلَ هارونُ السجافَ ومضىٰ⁽¹⁾ .

وعنْ أبي العباسِ الهاشميِّ مِنْ ولدِ صالحِ بنِ المأمونِ⁽²⁾ ، قالَ : دخلتُ على الحارثِ المحاسبيِّ رحمَهُ اللهُ ، فقلتُ لهُ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ هلْ حاسبتَ نفسَكَ ؟ قالَ : كانَ هـٰذا مرَّةً ، قلتُ لهُ : فاليومَ ، قالَ : أكاتمُ حالي ، إنِّي لأقرأُ آيةً مِنْ كتابِ اللهِ تعالىٰ فأضنُّ بها أنْ تسمعَها نفسي ، ولولا أنْ يغلبَني فيها فرحٌ . . ما أعلنتُ بها ، ولقدْ كنتُ ليلةً قاعداً في محرابي ، فإذا أنا بفتىً حسنِ الوجهِ ، طيِّبِ الرائحةِ ، فسلَّمَ عليَّ ، ثمَّ قعدَ بينَ يديَّ ، فقلتُ لهُ : مَنْ أنتَ ؟ فقالَ : أنا واحدٌ مِنَ السيَّاحينَ ، أقصدُ المتعبِّدينَ في محاريبِهِمْ ، ولا أرىٰ لكَ اجتهاداً ، فأيُّ شيءٍ عملُكَ ؟ قالَ : قلتُ لهُ : كتمانُ

---

(1) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/ ٤٠٨) بنحوه ، **والبهلول** : السيد الجامع لكل خير ، ويطلق على الضحَّاك من الرجال ، وبهلول هنا علم ، وهو ابن عمرو الصيرفي ، روىٰ عن مالك . انظر « الإتحاف » (٧/ ٨٥) .

(2) في (ج) : (من ولد صالح المرِّي) .

المصائبِ ، واستجلابُ الفوائدِ ، قالَ : فصاحَ وقالَ : ما علمتُ أنَّ أحداً بينَ جنبَتِي المشرقِ والمغربِ هذهِ صفتُهُ ، قالَ الحارثُ : فأردتُ أنْ أزيدَ عليهِ ، فقلتُ لهُ : أما علمتَ أنَّ أهلَ القلوبِ يُخمِلونَ أحوالَهُمْ ويكتمونَ أسرارَهُمْ ، ويسألونَ اللهَ عزَّ وجلَّ كتمانَ ذلكَ عليهِمْ ، فمِنْ أينَ تعرفُهُمْ ؟ قالَ : فصاحَ صيحةً غُشِيَ عليهِ منها ، فمكثَ عندي يومينَ لا يعقلُ ، ثمَّ أفاقَ وقدْ أحدثَ في ثيابِهِ ، فعلمتُ إزالةَ عقلِهِ ، فأخرجتُ لهُ ثوباً جديداً ، وقلتُ لهُ : هـٰذا كفني قدْ آثرتُكَ بهِ ، فاغتسلْ وأعدْ صلواتِكَ ، فقالَ : هاتِ الماءَ ، فاغتسلَ وصلَّىٰ .

ثمَّ التحفَ بالثوبِ وخرجَ ، فقلتُ لهُ : أينَ تريدُ ؟ فقالَ لي : قُمْ معي ، فلمْ يزلْ يمشي حتَّىٰ دخلَ على المأمونِ أميرِ المؤمنينَ فسلَّمَ عليهِ ، ثمَّ قالَ : يا ظالمُ ، وأنا ظالمٌ إنْ لمْ أقلْ لكَ : يا ظالمُ ، أستغفرُ اللهَ مِنْ تقصيري فيكَ ، أما تتقي اللهَ تعالىٰ فيما قدْ ملَّكَكَ ، وتكلَّمَ بكلامٍ كثيرٍ ، ثم أقبلَ يريدُ الخروجَ وأنا جالسٌ بالبابِ ، فأقبلَ عليهِ المأمونُ وقالَ : مَنْ أنتَ ؟ قالَ : أنا رجلٌ مِنَ السيَّاحينَ ، فكَّرْتُ فيما عملَ الصدِّيقونَ قبلي ، فلمْ أجدْ لنفسي فيهِ حظّاً ، فتعلقتُ بموعظتِكَ لعلِّي ألحقُهُمْ ، قالَ : فأمرَ بضربِ عنقِهِ ، فأُخرجَ وأنا قاعدٌ على البابِ ملفوفاً في ذلكَ الثوبِ ، ومنادٍ ينادي : مَنْ وليُّ هـٰذا فليأخذْهُ ، قالَ حارثٌ : فاختبأتُ عنهُ ، فأخذهُ أقوامٌ غرباءُ فدفنوهُ ، وكنتُ معَهُمْ لا أعلمُهُمْ بحالِهِ ، فأقمتُ في مسجدٍ في المقابرِ محزوناً على الفتىٰ ، فغلبَتني عيناي ، فإذا هوَ بينَ وصائفَ لمْ أرَ أحسنَ منهُنَّ ، وهوَ

يقولُ : يا حارثُ ؛ أتيتُ واللهِ الكاتمينَ الذينَ يخفونَ أحوالَهُمْ ويطيعونَ ربَّهُمْ ، قلتُ : وما فعلوا ؟ قالَ : الساعةَ يتلقونَكَ ، فنظرتُ إلىٰ جماعةٍ ركبانٍ ، فقلتُ : مَنْ أنتمْ ؟ قالوا : الكاتمونَ أحوالَهُمْ ، حرَّكَ هـٰذا الفتىٰ كلامُكَ لهُ ، فلمْ يكنْ في قلبِهِ ممَّا وصفتَ شيءٌ ، فخرجَ للأمرِ والنهيِ ، وإنَّ اللهَ تعالىٰ أنزلَهُ معنا وغضبَ لعبدِهِ .

وعنْ أحمدَ بنِ إبراهيمَ المقريِّ قالَ : كانَ أبو الحسينِ النوريُّ رجلاً قليلَ الفضولِ ، لا يسألُ عمَّا لا يعنيهِ ، ولا يفتِّشُ عمَّا لا يحتاجُ إليهِ ، وكانَ إذا رأىٰ منكراً . . غيَّرَهُ ولوْ كانَ فيهِ تلفُهُ ، فنزلَ ذاتَ يومٍ إلىٰ مشرعةٍ⁽¹⁾ تُعرفُ بمشرعةِ الفحَّامينَ يتطهَّرُ للصلاةِ ، إذْ رأىٰ زورقاً فيهِ ثلاثونَ دَنّاً مكتوبٌ عليها بالقارِ : لطفٌ ، فقرأهُ وأنكرَهُ ؛ لأنَّهُ لمْ يعرفْ في التجاراتِ ولا في البيوعِ شيئاً يُعبَّرُ عنهُ بلطفٍ ، فقالَ للملاحِ : أيْشٍ في هذهِ الدنانِ ؟ فقالَ : وأَيْشٍ عليكَ ؟ امضِ لشغلِكَ ، فلمَّا سمعَ النوريُّ مِنَ الملاحِ هـٰذا القولَ . . ازدادَ تعطُّشاً إلىٰ معرفتِهِ ، فقالَ لهُ : أحبُّ أنْ تخبرَني أَيْشٍ في هذهِ الدنانِ ؟ فقالَ الملاحُ : وأيْشٍ عليكَ ؟ أنتَ واللهِ صوفيٌّ فضوليٌّ ، هـٰذا خمرٌ للمعتضدِ يريدُ أنْ يتمِّمَ بهِ مجلسَهُ ، فقالَ النوريُّ : هـٰذا خمرٌ ؟! قالَ : نعمْ ، فقالَ : أحبُّ أنْ تعطيَني ذلكَ المُرْدِيَّ⁽²⁾ ، فاغتاظَ الملاَّحُ عليهِ وقالَ لغلامِهِ : أعطِهِ المُرْدِيَّ حتَّىٰ أنظرَ ما يصنعُ ، فلمَّا صارَتِ المُرْدِيُّ في يدِهِ . . صعدَ إلى

---

(١) مشرعة : مورد من موارد الدجلة . « إتحاف » (٧/ ٨٧) .

(٢) المُرْدِي : خشبة تدفع بها السفينة تكون في يد الملاح .

الزورقِ ، ولمْ يزلْ يكسرُها دَنّاً دَنّاً حتَّىٰ أتىٰ علىٰ آخرِها إلا دَنّاً واحداً والملاحُ يستغيثُ ، إلىٰ أنْ ركبَ صاحبُ الجسرِ وهوَ يومَئذٍ يونسُ الخادمُ⁽¹⁾ ، فقبضَ على النوريِّ ، وأشخصَهُ إلىٰ حضرةِ المعتضدِ ، وكانَ المعتضدُ سيفُهُ قبلَ كلامِهِ ، ولمْ يشكَّ الناسُ في أنَّهُ سيقتلُهُ .

قالَ أبو الحسينِ : فأُدخلتُ عليهِ وهوَ جالسٌ علىٰ كرسيٍّ حديدٍ ، وبيدِهِ عمودٌ يقلبُهُ ، فلمَّا رآني.. قالَ : مَنْ أنتَ ؟ قلتُ : محتسبٌ ، قالَ : مَنْ ولاَّكَ الحِسبةَ ؟ قلتُ : الذي ولاَّكَ الإمامةَ ولاَّني الحِسبةَ يا أميرَ المؤمنينَ ، قالَ : فأطرقَ إلى الأرضِ ساعةً ثمَّ رفعَ رأسَهُ إليَّ وقالَ : ما الذي حملَكَ علىٰ ما صنعتَ ؟ فقلتُ : شفقةٌ منِّي عليكَ ، إذْ بسطتُ يدي إلىٰ صرفِ مكروهٍ عنكَ فقصرتُ عنهُ ، قالَ : فأطرقَ مفكِّراً في كلامي ، ثمَّ رفعَ رأسَهُ إليَّ وقالَ : كيفَ تخلَّصَ هـٰذا الدَّنُّ الواحدُ مِنْ جملةِ الدنانِ ؟ فقلتُ : في تخلُّصِهِ علَّةٌ أخبرُ بها أميرَ المؤمنينَ إنْ أذنَ ، فقالَ : هاتِ خبِّرني ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنِّي أقدمتُ على الدنانِ بمطالبةِ الحقِّ سبحانَهُ لي بذلكَ ، وغمرَ قلبي شاهدُ الإجلالِ للحقِّ وخوفِ المطالبةِ ، فغابَتْ هيبةُ الخلْقِ عنِّي ، فأقدمْتُ عليها بهذهِ الحالِ ، إلىٰ أنْ صرتُ إلىٰ هـٰذا الدَّنِّ ، فوجدتُ في نفسي كبْراً علىٰ أنِّي أقدمتُ علىٰ مثلِكَ ، فمنعتُ ، ولوْ أقدمتُ عليهِ

---

(١) المثبت من (د) ، وفي (ج) : (قريش بن أفلح) ، وفي (هـ) : (مؤنس بن أفلح) ، وفي بقيتها : (مؤنس أفلح) ، وعند الحافظ الزبيدي في نسخة عنده : (ابن بشر أفلح) . « إتحاف » (٧/ ٨٧) .

بالحالِ الأوَّلِ وكانَتْ ملءَ الدنيا دنانٌ . . لكسرتُها ولمْ أبالِ .

فقالَ المعتضدُ : اذهبْ ، فقدْ أطلقْنا يدكَ ، غيِّرْ ما أحببتَ أنْ تغيِّرَهُ مِنَ المنكرِ .

قالَ أبو الحسينِ : فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ بَغُضَ إليَّ التغييرُ(١) ؛ لأنِّي كنتُ أغيِّرُ عنِ اللهِ تعالىٰ ، وأنا الآنَ أغيِّرُ عن شرطيٍّ ، فقالَ المعتضدُ : ما حاجتُكَ ، قلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ تأمرُ بإخراجي سالماً ، فأمرَ لهُ بذلكَ ، وخرجَ إلى البصرةِ ، فكانَ أكثرُ أيامِهِ بها ؛ خوفاً مِنْ أنْ يُسألَ حاجةً يسألُها المعتضدَ(٢) ، فأقامَ بالبصرةِ إلىٰ أنْ تُوفِّيَ المعتضدُ ، ثمَّ رجعَ إلىٰ بغدادَ .

فهذهِ كانَتْ سيرةُ العلماءِ وعادتُهُمْ في الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ ، وقلَّةِ مبالاتِهِمْ بسطوةِ السلاطينِ ، لكنَّهُمُ اتكلوا علىٰ فضلِ اللهِ تعالىٰ أنْ يحرسَهُمْ ، ورضوا بحكمِ اللهِ تعالىٰ إنْ رزقَهُمُ الشهادةَ ، فلمَّا أخلصوا للهِ النيَّةَ . . أثَّرَ كلامُهُمْ في القلوبِ القاسيةِ فليَّنَها ، وأزالَ قساوتَها .

وأمَّا الآنَ . . فقدْ قيَّدتِ الأطماعُ ألسنَ العلماءِ فسكتوا ، وإنْ تكلَّموا . . لمْ تساعدْ أقوالَهُمْ أحوالُهُمْ ، فلم ينجحوا ، فلوْ صدقوا اللهَ وقصدوا حقَّ العلمِ . . لأفلحوا .

---

(١) كذا في جميع النسخ ، وفي هامش (ب) : (نسخة : أبغض) .

(٢) أي : خوفاً من كثرة الشفاعات . « إتحاف » (٧/ ٨٨) .

ففسادُ الرعايا بفسادِ الملوكِ ، وفسادُ الملوكِ بفسادِ العلماءِ ، وفسادُ العلماءِ باستيلاءِ حبِّ المالِ والجاهِ ، ومَنِ استولىٰ عليهِ حبُّ الدنيا . . لمْ يقدرْ على الحِسبةِ على الأرذالِ ، فكيفَ على الملوكِ والأكابرِ ؟! واللهُ المستعانُ علىٰ كلِّ حالٍ .

واللهُ الموفِّقُ للرشادِ ، والهادي إلى السدادِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، والصلاةُ علىٰ سيِّدِنا نبيِّهِ محمدٍ وآلِهِ الطاهرينَ .

* * *

تمّ كتاب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر

وهو الكتاب التّاسع من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدّين

والحمد لله ربّ العالمين ، حمدًا دائمًا كثيرًا طيّبًا مباركًا فيه

وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ النّبيّ العربيّ المصطفى وعلى آله وصحبه وسلّم

يتلوه كتاب آداب المعيشة وأخلاق النّبوّة

Dördüncü Bab

ÂMİRLERE EMR-İ MÂRUF VE NEHY-İ MÜNKER

Emr-i mârufun derecelerini anlatmıştık. Bunlar târif, vaaz, sözde haşin davranmak ve cebir kullanmak sûretiyle yola getirmek olmak üzere dört şeydir. Sultanlara karşı emr-i mârufta yalnız bunlardan birinci ve ikinci dereceleri tatbik mümkündür. Onlar da târif ve va'z u nasîhattir.

Sultanları kahrile men etmeye çalışmak, maiyyetinin kârı değildir. Çünkü bu şekil davranış, fitneyi tahrîk eder ve kötülüğü hazırlar, bunun zararı kârından büyük olur. Sözde haşin davranmak: "Ey zâlim! Ey Allah'tan korkmaz!" ve benzeri sözleri sarfetmek ise şâyet fitneyi uyandıracak ve zararı başkasına da sirayet edecekse, câiz değildir. Yalnız söyleyen için tehlikeli ise câiz ve belki de mendûbdur. Selef kendi hayatlarını nazar-ı îtibâra almadan ve uğrayacakları türlü işkencelere aldırış etmeden, sultanların hatâlarını açıklayarak onları red ve inkâr etmişlerdir. Çünkü onlar bu yolda ölmenin bir şehâdet olduğunu bilirlerdi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

خَيْرُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بِنْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ثُمَّ رَجُلٌ قَامَ إِلٰى
رَجُلٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فِي ذَاتِ اللّٰهِ فَقَتَلَهُ عَلٰى ذٰلِكَ

"Şehîdlerin en makbulü Abdülmuttalib oğlu, sonra Allah uğrunda bir hükümdâra emr-i mâruf ve nehy-i münkerde bulunduğu

için hükümdâr tarafından öldürülen kimsedir."[41] buyurmuştur. Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ

"En üstün cihâd, zâlim sultana karşı hak sözü söylemektir." Peygamberimiz Ömer b. Hattâb'ı (r.a.) tavsîf ederken de şöyle buyurmuştur:

قَرْنٌ مِنْ حَدِيدٍ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ

"Demirden bir kale, yericilerin yermesine aldırmaz."[42] Yalnız Tirmizî'nin zayıf sened ile Hz. Ali'den (r.a.) rivâyetinde: *"Allah Ömer'e rahmet etsin, acı da olsa o doğruyu söyler. Doğruyu söylemesi kendisine bir dost bırakmamıştır."* şeklindedir.

Ne zaman ki, dînde salâbeti olanlar, en makbul sözün zâlim sultana karşı hakkı müdâfaa olduğunu ve bu husustaki haberlere dayanarak bu uğurda ölenlerin şehîd olduklarını bildiler, kendilerini bu yola vererek Allah rızâsı uğrunda türlü azâb ve işkencelere dayandılar.

Sultanlara emr-i mâruf ve nehy-i münker etmenin yolu, seleften rivâyet edildiği gibi olmalıdır. Bunların bir kısmını "**Helâl ve Haram Kitâbı**"nda sultanların huzuruna girmek bâbında anlattık. Burada da vaazın ve onları red ve inkârın usûl ve keyfiyetini bildiren bâzı hikâyelerle kifâyet edelim.

Bunlardan biri Kureyş'in Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'i öldürmek istedikleri zaman Ebû Bekir (r.a.)'in bunu önlemesidir. Şöyle ki: **Urve'**den rivâyet edildiğine göre, Urve, Abdullah b. Amr'a:

---

41. Hâkim Câbir'den rivâyet itti ve isnâdı sahîhtir dedi.
42. Mehazı bulunamamıştır.

– “Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e bu kadar husûmet besleyen Kureyş’in eline hiç fırsat geçti mi?” diye sordu. Abdullah:

– “Evet. Bir gün Kureyş ileri gelenleri Kâbe’de Hicir denen yerde toplanmış oturuyorlardı. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) hakkında söz açarak: “Bu nedir? Biz buna yaptığımız sabrı kimseye yapmadık. Bu adam bize akılsız dedi. Atalarımız hakkında kötü söyledi. Dînimize dokundu. Bizi birbirimizden ayırdı. İlâhlarımıza kötü söyledi. Bütün bunlara rağmen biz buna karşı büyük sabır gösterdik.” dediler.

Bunlar böyle konuşurken Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de çıkageldi ve Hacer-i Esved’i selamlayarak tavafa başladı. Birinci şavtın sonunda onların yanına gelince, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e kötü sözler söylediler. Râvî diyor ki: Ona kötü söyledikleri, yüzünden biliniyordu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) yanlarında durmadan geçti. İkinci dönüşünde de aynı şekilde oldu. Üçüncü dönüşünde yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e dil uzatmaları üzerine, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

“İşte geldim, beni öldürün. Beni öldürmeniz için size gelmiş bulunuyorum.” dedi. Bunu deyince hepsinin sanki başları üzerine ağır bir yük binmiş gibi kafalarını yere eğdiler ve en şiddetlileri bile en güzel söz ile Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’i oradan uzaklaştırmak istedi:

– “Yâ Ebe’l-Kasım! Biz deli mi olduk, güle güle yoluna devâm et.” dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de oradan ayrıldı. Ertesi gün ben de aralarında bulunduğum halde yine aynı yerde toplandılar. Birbirlerine: “Dün ne oldu gördünüz mü? Siz ona ne dediniz, o size nasıl mukabelede bulundu?” gibi sözler konuşurken, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) yine çıka geldi. Onu görünce yabancı bir adam gibi etrafını sardılar ve:

– "Bizim büyüklerimiz ve dînimiz hakkında şöyle şöyle söyleyen sen misin? Yâni bu sözleri sen söyledin mi?" dediler. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *"Evet. Onları söyleyen benim."* buyurdu. Râvî diyor ki; bu arada biri hemen Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'i yakasından yakaladı. Bunun üzerine Ebû Bekir (r.a.) hemen ağlayarak ayağa kalktı:

– "Yazıklar olsun size! "Rabbim Allah'tır." diyen bir kimseyi öldürmek mi istiyorsunuz? Onu nasıl ödüreceksiniz?" dedi. Bu sözü duyunca Kureyşîler hemen etrafından dağıldılar.

Diğer rivâyette **Abdullah b. Amr** diyor ki: Biz Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ile Kâbe civârında otururken Ukbe b. Ebû Muayt gelerek Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in ensesinden yakaladı ve Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'i elbisesi ile boğmaya başladı. Hemen Ebû Bekir (r.a.) adamın eteğinden alarak onu öteye itti ve "Rabbim Allah'tır diyen kimseyi öldürmek mi istiyorsunuz? Hâlbuki o size açık mûcize ve delîllerle geldi." dedi.[43]

Yine rivâyete göre **Muâviye** (r.a.) verilmesi gereken bâzı atıyyeleri sâhiplerine verdi. Bir gün hutbe îrad ederken **Ebû Müslim el-Havlânî**[44] ayağa kalkarak: "Bu mal, ana ve babandan sana kalmadığı gibi senin de emeğinle elde ettiğin bir servet değil, bunu hak sâhiplerine vermen lâzımdır." dedi. Bunun üzerine, Muâviye cemâate: "Yerinizden ayrılmayın." diyerek minberden indi ve kısa bir müddet kaybolduktan sonra tekrar mescide gelerek minbere çıkıp dedi ki:

"- Ebû Müslim, beni kızdıracak şekilde konuştu ve hakîkaten

---

43. Hadîs, Buhârî'dedir.
44. Muâviye devrinde Şam'a yerleşen, tâbiînin ileri gelenlerinden keramet sahibi bir zattır.

benim canım da sıkıldı. Hâlbuki ben Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den şöyle buyurduğunu duydum:

اَلْغَضَبُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَالشَّيْطَانُ خُلِقَ مِنَ النَّارِ وَإِنَّمَا تُطْفَأُ
النَّارُ بِالْمَاءِ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَغْتَسِلْ

"Gadab ve hiddet şeytandandır, şeytan ise ateşten yaratılmıştır. Ateş de su ile söndürülür. Sizden biriniz kızdığı vakit yıkansın."

"Ben de gittim yıkandım ve geldim; hiddetim teskîn edildi. Doğrusu Ebû Müslim haklıdır. Bu mal anne ve babamın olmadığı gibi, benim de emeğimin mahsûlü değildir. İnşâallah yarın hakkınızı almaya geliniz." dedi.

Yine **Dabbe b. Muhsan el-Anzî**'den rivâyete göre, bu zât diyor ki: "Ebû Mûsa el-Eş'arî **Hz. Ömer** tarafından Basra'da başımıza emir tâyin edilmişti. Bu zât hutbe îrâd ettiği vakit, Allah'a hamdeder, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e salât ve selâm getirir, sonra da Hz. Ömer'i övmeye başlardı. Bunun bu hali benim canımı sıktı. Bir gün hutbesinde:

– "Sen ne yapıyorsun? Hz. Ömer'i, Hz. Ebû Bekir'e tafdîl ediyorsun, niye onu anmadan Ömer'e geçiyorsun?" dedim. O, benim söylediklerimi bir araya toplayarak bir yazı ile beni Ömer'e şikâyet etti ve şikâyetinde; hutbe esnâsında kendisine müdâhale ettiğimi yazdı. Hz. Ömer de beni istetti. Ben de Ömer'in huzuruna gittim. Kapıyı çaldım, bizzat kendisi kapıya geldi ve kim olduğumu sordu. Ben de kendimi takdim edince, Hz. Ömer:

– "Sana merhaba etmiyorum ve senin burada ehl-i beytin yoktur." dedi. Ben de:

– "Rahatlık, huzur ve saâdet Allah'tandır. Ehl-i beyte gelince; zâten ne malım var, ne de çoluk çocuğum." dedim ve devamla:

– "Hiç bir suç ve günâhım olmadan beni tâ Basra'dan buraya niçin getirttin ve huzurumu neden selbettin?" diye kendisine sordum: O da:

– "Sen benim vâlime ne yaptın?" diye sordu. Ben de meseleyi olduğu gibi anlattım:

– "Bu adam tavır ve hareketi ile seni Ebû Bekir'den (r.a.) üstün göstermeye çalışıyor." dedim. Meseleyi anlatınca, Hz. Ömer ağlayarak yere kapandı:

– "Vallahi sen haklısın, beni affeder misin? Allah da seni affetsin." dedi. Ben de:

– "Allah seni ve bizi affetsin, ey mü'minlerin emîri!" dedim. Yine Ömer (r.a.) ağlayarak yerlere serildi:

– "Vallahi, Ebû Bekir'in bir gece ve günü Ömer ve Ömer'in bütün aile efrâdından hayırlıdır. İster misin Ebû Bekir'in o gecesini sana anlatayım? dedi. Ben de:

– "Anlat ya Ömer." dedim. Hz. Ömer:

– "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Hz. Ebû Bekir (r.a.) ile Mekke'den gece vakti ayrılıp Medîne'ye göç etmek üzere yola çıktığı zaman, Ebû Bekir bâzen Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in önüne, bâzen ardına, bâzen sağına ve bâzen de soluna geçerek yürürdü. Bunu gören Rasûl-i Ekrem Ebû Bekir'e:

– "Niçin böyle yapıyorsun?" diye sordu. Hz. Ebû Bekir:

– "Yolda pusu kurduklarını düşünür, bunun için öne geçerim, bazen arkadan takip eder ve yine bu gibi sebeplerle sağ ve solunuza dolaşırım ve sizi korumak için böyle yaparım." dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) o gece parmak uçları üzerine yürüdü ve parmakları soyuldu, ezildi ve incindi. Hz. Ebû Bekir bunu görünce Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'i omuzlarına aldı ve mağara kapısına kadar götürdü, yere koyduktan sonra:

– "Seni hak peygamber olarak gönderen Allah'a yemin ederim ki, mağarayı önce kendim kontrol etmeden sizi içeri koymam. Orada bir şey varsa zararı bana dokunsun." dedi ve içeri girdi. Kontrolünü yaptıktan sonra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'i mağaraya aldı. Mağara içinde yılan ve benzeri zararlı haşereler bulunan delikler vardı. Ebû Bekir ayaklarını deliklere tıkadı ve haşereler Ebû Bekir'in ayağını ısırdılar ve acısından Ebû Bekir'in akan gözyaşları Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in yanaklarına dökülüyordu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– "Korkma, Allah bizimledir." buyurdu. Allahü Teâlâ Resülüne huzur ve Ebû Bekir'e de sükûnü nasip etti. İşte anlatmak istediğim gece bu gece idi.

Gündüzüne gelince: Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in irtihalinde, kabîlelerin çoğu irtidâd etti. Bâzıları, namaz kılarız fakat zekât vermeyiz, dediler. Nasîhat maksadıyla Ebû Bekir'in yanına gittim ve "Bunlara karşı yumuşak davran ve vaziyeti idâre et." dedim.

"Bunlar câhiliyet devrinde cebbar, İslâmiyet'te ise korkak, böyle şey olmaz. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in irtihâli ve vahyin kesilmesi ile onları azdıran sebep nedir? Vallahi, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e verdikleri bir oğlağı bana vermezlerse onlarla harbederim." dedi. Ve öyle oldu. Kendisi cidden isâbet etmişti. İşte günü de budur, dedi. Sonra Ömer, Ebû Mûsa'ya, kendisini yeren bir mektup yazdı.

Esmâî[45] anlatıyor: **Atâ b. Ebî Rabah**[46] Emevilerden Abdülmelik b. Mervan'ın huzuruna çıktı. Abdülmelik muhteşem bir vaziyette kürsüsünde oturuyor, her kabîlenin ileri gelenleri etrafında toplanmış, bu da Mekke'de hac mevsimine tesadüf etmişti. Atâ'yı görünce hemen onu yanına alarak köşküne oturttu ve ne istediğini kendisinden sordu. O da:

– "Ey mü'minlerin emîri! Allahın ve Rasûlü'nün hareminde Allah'tan kork ve bu Harem-i Şerifleri îmar eyle. Muhacir ve ensâr çocukları hakkında da Allah'tan kork. Zîra sen bu mecliste onların sayesinde oturdun. Ayrıca serhâdlerde bulunanların da haklarına riâyet et. Zîra onlar Müslümanların kalesidir. Müslümanların idâresini araştır. Çünkü onlardan yegâne mesûl olan sensin. Kapındakilerin hakkına riâyet et. Kapına gelenlere kapını kapama." dedi. Abdülmelik:

– "Başüstüne, senin dediklerini yerine getireceğim." dedi. Sonra oradan kalktı ve giderken Abdülmelik kendisini yakalayarak:

– "Senin bizden istediklerinin hepsi başkaları nâmınadır. Biz bunlara söz verdik. Fakat kendi nâmına bir istekte bulunmadın, kendin ne istiyorsun?" dedi. O da:

– "Hayır, ben insanlardan bir şey istemem." dedi ve oradan ayrıldı. Bunun üzerine Abdülmelik:

– "Zâten seni şereflendiren ve yücelten bu halindir." dedi.

Rivâyete göre; bir gün **Velid b. Abdülmelik** kapıcısına: "Kapıda dur ve oradan ilk geçen zâtı huzuruma getir, onunla konuşalım." dedi. Kapıcı bir müddet bekledikten sonra oradan **Atâ b. Rabah**'ın geçmekte olduğunu gördü fakat kapıcı bunu tanımıyordu. Ona: "İhtiyâr! Emîru'l-Mü'minîn seni çağırıyor, içeri buyur." dedi ve Atâ da içeri girince:

---

[45] Hadîs **"Hilye"**de rivâyet edilmiştir.

[46] Beyhakî **"Delâilü'n-Nübüvve"**de rivâyet etmiştir. Buhârî ile Müslim'de de daha farklı rivâyetler vardır.

– "Ey Velid! Sana selâm." dedi. Velid kapıcıya kızdı: "Ben sana bir adam gönder sohbet edelim dedim. Sen ise Allahın bana revâ gördüğü emirü'l-mü'minîn unvânını bile çok gören bir adamı huzuruma getirdin." dedi. Kapıcı da, "Başka bir gelen olmadı, ne yapayım?" dedi. Sonra da Atâ ile sohbete başladı. Atâ sohbeti esnâsında Velid'e:

– "Cehennemde **Hebheb** adında bir vadi var. Zâlim hükümdârlar orada yanacaklar." dedi. Bunu duyan Velid, kapının eşiği önünde oturuyordu, hemen bayıldı ve yere düştü. Ömer b. Abdülazîz:

– "Emîr'i öldürdün." dedi. Bunun üzerine Atâ, Ömer'in bileğini sıkıca kavradı:

– "Ey Ömer! İş ciddidir, şakaya gelmez." dedi ve oradan ayrıldı. Ömer diyor ki: "Elimi öyle kuvvetli sıkmıştı ki, bir sene acısı elimden çıkmadı."

Zamanın edebiyatçı, akıllı ve fasîhlerinden sayılan İbn Ebî Şümeyle, Abdülmelik b. Mervan'ın huzuruna girdi. Abdülmelik kendisine:

– "Konuş, dinleyelim." deyince, O:

– "Ne konuşalım? Ben biliyorum ki, Allah için olmayan her sözde vebal vardır." dedi. Bunun üzerine Abdülmelik, ağlayarak:

– "Olsun, insanlar birbirine va'z u nasîhatta bulunurlar. Sen de bize nasîhat et." dedi. Adam da:

– Ey emîrü'l-mü'mînin! Kıyamet acılarını tatmaktan ve eziyetlerinden, ancak nefsinin arzuları hilâfına Allahın rızâsını kazananlar kurtarır; başka kimse kurtaramaz." dedi. Abdülmelik ağlayarak:

– "Bu cümleleri bir levha halinde ölünceye kadar gözümün önünde bulunduracağım." dedi.

İbn Âişe'den rivâyet edildiğine göre; bir gün Haccac, Basra ve Küfe fakîhlerini dâvet etti, hepimiz huzuruna girdik. En son gelen **Hasan-ı Basrî** oldu. Haccac:

– "Hoş geldin, ey Ebû Sa'îd, yaklaş bana, dedi ve köşkünün yanında bir koltuğa kendisini oturttu. Haccac ile sohbete başladık. Hz. Ali hakkında söz açtı ve aleyhinde konuştu. Biz de onun keyfine uyarak aleyhinde konuştuk. Çünkü kötülüğünden korkuyorduk. Hasan-ı Basrî ise elini ısırmış sükût etmiş bir vaziyette duruyordu. Bunun farkına varan Haccac:

– "Ya Ebâ Sa'îd! Sen yine sükût ediyorsun, konuşsana." dedi. Hasan-ı Basrî:

– "Ne söyleyeyim?" diye sordu. Haccac:

– "Şu Ebû Türâb, yâni Hz. Ali hakkındaki fikrini söyle." dedi. Hasan-ı Basrî de:

– "Ben Allahü Teâlâ'nın:

وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ
الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلٰى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى
الَّذِينَ هَدَى اللّٰهُ وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّٰهَ بِالنَّاسِ
لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ

“Senin (arzulayıp da şu anda) **yönelmediğin kıbleyi** (Kâbe’yi) **biz ancak Peygamber’e uyanı, ökçeleri üzerinde geri dönenden ayırdetmemiz için kıble yaptık. Bu, Allahın hidayet verdiği kimselerden başkasına elbette ağır gelir. Allah sizin imanınızı asla zayi edecek değildir. Zîra Allah insanlara karşı şefkatli ve merhametlidir.”** (Bakara suresi, 2/143) buyurduğunu biliyorum.

Ali ise iman ile hidâyet bulan kimselerdendir. Ben derim ki: Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’in amcazâdesi, damadı, en sevgilisi ve birçok iyiliklerin sâhibi bir zâttır. Ne sen ve ne de başka biri bu vasıfları ondan kaldırabilir ve aralarına girebilir. Yine derim ki: Şâyet Ali’nin bir kötülüğü varsa, Allah ona yeter, yâni cezâsını verir. Vallahi, Ali aleyhinde bundan başka bir söz bulup söyleyemem.” dedi.

Haccac’ın rengi değişti ve suratı ekşidi dargın bir halde köşkünden kalkıp arkasındaki evine girdi. Biz de oradan ayrıldık.

Amr-i Şa’bî diyor ki: Hasan-ı Bâsrî’nin elinden tuttum ve: “Emîri kızdırdın.” dedim. **Hasan-ı Basrî**: “Ey Âmir! Benden uzaklaş, insanlar seni Kûfe’nin biricik âlimi tanıyorlar. Sen ise insan şeytanlarından birinin yanına geldin, onların keyfine uyarak arzularına göre konuşmaya başladın. Yazıklar olsun, hiç mi Allah’tan korkmadın? Her söylediğine “Evet” diyorsun, böyle şey olur mu?” deyince, Ebû Âmir:

– “Ben mecbûriyet karşısında bilerek böyle söylüyorum.” dedi. Hasan-ı Basrî:

– “Bilerek böyle konuşman, senin için daha kötüdür.” dedi. Diğer bir rivâyette; Haccac, Hasan-ı Basrî’yi çağırdı ve:

– “Allah onları mahvetsin. Para uğrunda Müslümanları öldürdüler diyen sen misin?” deyince, Hasan:

– "Evet, ben söyledim." dedi. Haccac:

– "Niçin söyledin?" diye sordu. Hasan:

– "Çünkü Allahü Teâlâ, bildiklerini söyleyip gizlemeyeceklerine dâir âlimlerden söz almıştır." dedi. Bunun üzerine Haccac:

– "Sesini kes, diline sâhip ol. Bir daha senden böyle sözler duymayayım; yoksa kelleni vücûdundan ayırırım." dedi.

Yine hikâye olunduğuna göre, **Halid ez-Ziyâd**'ı[47] Haccac'a getirdiler. Hacac:

– "Halid sen misin?"

– "Evet, benim. Ne soracaksan sor; çünkü ben makam denen mevkîde üç hususta Allah'a söz verdim. Birincisi, sorulana doğru cevap vereceğim. İkincisi, belâya sabredeceğim. Üçüncüsü de âfiyete şükredeceğim." dedi. Haccac:

– "Benim hakkımdaki görüşün nedir?"

– "Sen muhakkak ki, yeryüzünde Allahın bir düşmanısın. Haramın perdesini yırtan ve bâtıl töhmet üzerine kan akıtan bir zâlimsin."

– "Hükümdâr **Abdülmelik b. Mervan** hakkındaki görüşün nedir?"

– "O, senden daha büyük bir mücrimdir. Sen ise onun günâhlarından birisisin." Bunun üzerine Haccac:

– "Buna şiddetli bir işkence yapın." dedi. Ve şiddetli işkenceler netîcesinde kamışı yukardan aşağı ikiye bölerek etlerini arasına sıkıştırdı ve kamçı ip ile sıkıca bağlayarak vücûdunu didik didik ederek etlerini parça parça kopardılar. Artık nefes saymakta olduğunu Haccac'a haber verdiklerinde:

---

[47] Basralıdır ve garîb rivâyetleri vardır. Şâfiî, güzel bir ifadeye sahip olduğunu söyler. Sikadandır. Birçokları kendisinden rivâyette bulunmuştur. Hicri 213 de Basra'da ölmüştür.

– "Atın onu sokağa." dedi. Kendisi bu işkenceye karşı katiyyen sesini çıkarmadı. Bu manzarayı haber veren Câfer diyor ki: Yanına gittim, benden bir yudum su istedi ve suyu içince öldü. Henüz 18 yaşında idi. Allah rahmet etsin.

Rivâyete göre: Emevîlerin Irak vâlilerinden olan **Ömer b. Hebire** Basra, Küfe, Medîne ve Şam'ın fakîh ve kurrâlarını dâvet etti ve onlara bir şeyler sordu. Bütün sorularına **Âmir-i Şa'bî** cevâp verdi ve onun her fenne dâir bilgisi olduğunu gördü. Sonra da **Hasan-ı Basrî**'ye dönerek ona sormaya başladı. Sonra burada iki kişi var, birisi Kûfeli Şa'bî, diğeri de Basralı Hasan. Bunlar kalsın, diğerleri çıksın diye emretti ve böyle oldu. Bu üç kişi baş başa kaldı. Vâli Şa'bî'ye dönerek:

– "Ben emîrü'l-mü'minînin emniyet ettiği bir kimse olup Irak vâlisi bulunmaktayım. Ona itaat ile memûrum. Emrimde pek çok memûr vardır. Haklarına riâyet borcumdur. Ben onları korumak ve öğütle hallerini düzeltmek isterim. Etraftan bana aleyhlerinde şikâyetler gelir. Ben de onların istihkaklarının bir kısmını keser ve hazînede alıkorum. Maksadım onların vaziyetini düzeltmek ve nihâyet haklarını kendilerine vermektir. Mü'minlerin emîri bunu duyunca bu kesintilerin kendilerine verilmemesini bana emretti. Ben ise emîr kuluyum. Halîfenin emrine isyân edemeyeceğim gibi, bu hükmü yerine getirmek de benim için zor olacaktır. Ne dersiniz? Bu hususta ne yapmalıyım?" diye sordu ve:

– "Niyetimi anlattım." dedi. Şa'bî diyor, ben de dedim ki:

– "Allah emîri ıslâh etsin. Sultan bir baba, sen de onun evlâdı gibisin. Baba evlâdı hakkında isâbet ettiği gibi hatâya da düşebilir. Yâni sen onun emrine itâat etmelisin." dedi. Bunu duyan vâli sevindi, hoşuna gitti ve yüzünde neşe eseri gözüktü:

– "Allah'a hamd ederim." dedi. Sonra Hasan-ı Basrî'ye dönerek:

– "Yâ Ebâ Saîd! Siz ne buyurursunuz?" diye sordu. Hasan-ı Basrî:

– "Ben vâlimizi dinledim." diyor ki; ben mü'minlerin emîrinin emîni ve Irak'ın vâlisiyim, ona itaate memûrum. Emrim altında birçok memurlar var, onların hakkını korumak, onlara öğüt vermek vazîfemdir. Doğrudur. Onların hakkına riâyet senin borcun ve onları nasîhatle düzeltmek vazîfendir. Zîra ben Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in fetih gününde Müslüman olan arkadaşı ve Hz. Osman zamanında Horasan'a gazâya gidip Sicistan'ı ve Kâbil'i fetheden, sonra Basra'da 50 Hicrî'de ölen Abdurrahman b. Semure el-Kureşî'den işittim ki, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

مَنِ اسْتَرْعٰى رَعِيَّةً فَلَمْ يَحُطْهَا بِالنَّصِيحَةِ حَرَّمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ

"Kimin emrine memûr verilir ve kendisi âmir olur da onlara gerekli nasihatta bulunmazsa, Allah cenneti ona haram eder."[48]

Yine valimizin, onları düzeltmek için bâzen maaşlarından keserim, hâlbuki parayı yine onlara vereceğim; fakat bunu duyan halife paralarını verme diye emretti. Ben, ne halîfeye isyân edebilirim ne de bu hükmü yerine getirebilirim, dediğini dinledim.

Bilmiş ol ki: Allahu Teâlâ'nın hakkına riâyet, emîrü'l-müminînin hakkına riâyetten daha mühimdir. Allahü Teâlâ emirden daha çok itâate lâyıktır. Yaratana isyân lâzım gelen yerde yaratığa itâat edilmez. Emîrü'l-mü'mininin mektubunu Kur'ân ile karşılaştır. Allâh'ın kitâbına uygun ise onu kabul et ve gereğini yap. Allâh'ın kitabına uymuyorsa ona kıymet, verme. Ey Hebîre'nin oğlu, Allah'tan kork, bir gün Azrâil seni tepeden yakalar. Bu saltanatından alır, bu geniş sarayından çıkarır, dar bir mezara sokar, senin bu vâliliğin ve dünyalığın arkada kalır. Rabbına arzedilir ve amelin ile baş başa kalırsın. Ey Hebîre'nin oğlu, Allah seni Yezid'den korur. Fakat Yezîd seni Allah'tan koruyamaz. Allahın emirleri bütün emirlerin üstündedir. Allah'a isyân lâzım gelen yerde kula itâat edilmez. Ben seni mücrimleri kaplayacak olan Allahü Teâlâ'nın azâbı ile korkuturum." dedi. Bunu dinleyen vâli:

---

[48] Bu zât, hakkı ve doğruyu söylemekte kimseden çekinmeyen birisi idi.

– "İhtiyar, kendine gel. Mü'minlerin emîrine dil uzatma. Zîra o ilim, hikmet ve fazîlet sâhibi bir insandır. Allahü Teâlâ onu ve niyetini bildiği için, onu bu makama yükseltti." dedi. Hasan-ı Basrî:

– "Ey Hebîre'nin oğlu! Bir hiddete bir hiddet, bir kamçıya bir kamçı olarak önünde hesâp vereceğin bir gün vardır. Allahü Teâlâ senin yaptığını biliyor. Ey Hebîre'nin oğlu. Senin, sana dînin uğrunda öğüt verip seni âhiretin hususunda ikazda bulunan bir kimseyi dinlemen; seni aldatıp emîre düşüreni dinlemenden daha hayırlıdır." dedi. Vâli, rengi bozulmuş ve suratı ekşimiş olduğu halde oradan ayrıldı.

Şa'bî, Hasan-ı Basrî'ye:

– "Valiyi kızdırdın ve canını sıktın; bizi de hediyeden mahrum ettin. Niçin böyle yaptın?" dedi. **Hasan-ı Basrî**:

– "Başımdan defol!" dedi. Ve ben de birçok hediyelerle Hasan-ı Basrî'nin gönlünü almaya çalıştım. Bizim ona hürmet etmek vazîfemiz idi. O bize hakaret etti. Ama onu biz hak etmiştik. Âlimler arasında Hasan-ı Basrî gibi mert birisini daha görmedim.

O ne konuştu ise Allah için hiç çekinmeden konuştu. Biz de sultanlar için konuştuk, dedi ve devamla: "Bir daha sultanlar sohbetine gitmemeye karar verdim." dedi.

Muhammed b. Vâsi, Basra kadısı ve vâlisi olan Bilâl b. Ebû Bürde'nin huzuruna girmişti. Bilâl Muhammed'e:

– "Kader hakkında görüşün nedir?" diye sordu. Muhammed:

– "Etrafındaki mezarlara bak, onlar kader ile meşgul değiller." dedi.

İmâm Şâfiî'den rivâyete göre, diyor ki: Amcam Muhammed b. Ali bana anlattı ve dedi ki: Abbâsî halîfelerinden **Ebû Cafer Mansûr**'un sohbetinde bulunuyordum. Mecliste İbn Ebî Züeyb[49] de vardı. Hz. Ali'nin torunlarından Hasan b. Zeyd de Medîne vâlisi idi. Gıfârîlerden bâzıları vâli hakkında şikâyetle bulunmak üzere halifeye murâcaat ettiler. Hasan b. Zeyd:

– "Bunları İbn Ebî Züeyb'den sor, ey mü minlerin emîri!" dedi. Halife de ona:

– "Ne diyorsun bunlar hakkında?" diye sordu. Bu zât ise:

– "Bu adamlar, insanlara eziyet eden ve insanlar için bolca dedikodu yapan kimselerdir." dedi. Bunun üzerine halîfe Gıfârîlere:

– "Dediğini duydunuz ya." dedi. Gıfârîler:

– "Bir de Hasan b. Zeyd'den ona sor." dediler. Halife ona:

– "Hasan b. Zeyd hakkında ne diyorsun?" diye sordu. O da: Hasan hakkında haksız hüküm verip nefsinin arzularına uyan bir kimse olduğuna şehâdet ederim." dedi. Bunun üzerine halife Hasan'a:

---

[49] Beğavî **"Sahîhu's-Sahâbe"**de leyyin isnad ile rivâvet etmiştir.

– "Söylediğini duydun mu? Bu iyi bir insandır." deyince Hasan halifeye:

– "Bir de kendini ondan sor." dedi. Halife de ona:

– "Benim hakkımda görüşün nedir?" diye sordu. Bu zât:

– "Beni affet, bunu benden sorma." deyince, halife:

– "Allah adına soruyorum; bildiğini söyle." dedi. Bu zât:

– "Sanki kendini bilmiyormuş gibi bana Allah adına yemin verdirerek soruyorsun." dedi. Halîfe de:

– "Allah adına bildiğini haber ver." diye isrâr edince, o da:

– "Ben şehâdet ederim ki, kapında zulüm gözle görülecek şekildedir." deyince, Ebû Cafer yerinden doğruldu. Kalkarak İbn Züeyb'in kafasına elini koydu, kendine doğru çekti ve:

– "Ben bu makamda oturmasam Fars, Rûm, Deylem ve Türk'ün intikamını senden alırdım." dedi. İbn Züeyb:

– "Ey mü'minlerin emîri! Ebû Bekir ve Ömer de (Allah onlardan râzı olsun) bu makamda oturdu; hakkı aldı ve onu müsâvî olarak taksim ettiler. Fars ve Rûm'un son şehirlerine kadar zabtettiler. Onların burunlarını kırdılar." deyince, Ebû Cafer Ebû Züeyb'in başını bıraktı ve:

– "Vallahi senin doğru konuştuğunu bilmesem, senin kelleni vururdum." dedi. İbn Ebî Züeyb:

– Ey mü'minlerin emiri! Vallahi ben, oğlun Mehdî'den daha çok senin iyiliğini isteyen bir kimseyim." dedi. İbn Ebî Züeyb oradan ayrıldıktan sonra Süfyân-ı Sevrî ile karşılaştı. Süfyân:

– "Senin bu zâlime söylediklerinden çok memnun oldum. Fakat "oğlun Mehdî" sözünden üzüldüm." dedi. İbn Züeyb:

– "Allah seni mağfiret etsin, hepimiz hidâyette değil miyiz?" diye cevap verdi.

– "İmâm Evzâî, Abdurrahman b. Amr'dan[50] diyor ki: Ben Beyrut sâhilinde ikamet ediyordum. Halife Ebû Cafer el-Mansûr beni çağırttı. Huzuruna çıktım, selâm verdim. Oturmamı emretti ve ben de oturdum. Sonra bana:

– "Niçin bizden uzakta kaldın? Neden bize uğramıyorsun?" dedi. Ben de:

– "Benden ne istersiniz ki?" dedim. O:

– "Sizin gibilerden ilim öğrenmek ve sizi örnek edinmek isteriz." dedi. Ben de:

– "Ey mü'minlerin emîri! Size söyleyeceklerime dikkat edin ve bunları unutmayın." dedim. O da:

– "Nasıl unuturum? Çünkü sizden ben soruyorum ve istiyorum. Bunun için size yöneldim ve sizi buraya kadar getirttim." dedi. Ben de:

– "Korkarım beni dinlersin. Fakat sonra da dediğimi yapmazsın." deyince muhâfızı bana sertçe bağırdı ve kılıcına sarıldı. Halife ona darılarak: "Burası ceza meclisi değil, mükâfat sohbetidir."

---

[50] Adı Hişâm'dır. Kureyşîdir. Kendisi birçoklarından rivâyet ettiği gibi kendisinden de birçokları rivâyet etmişlerdir. Sikadan ve sâdık bir zâttır. İmâm Şafiî'nin, ölümünden en çok müteessir olduğu zâtlardan birisidir. Seneyi boydan boya oruç tutar, dâima hakkı söylerdi. Hicrî 159'da Kûfe'de öldü. İmâm Ahmed Ebû Züeyb'in, İmâm Mâlik'ler daha âlim olduğunu söylemiştir. O, dâima sultanlara hakkı söyler. Mâlik ise sükut ederdi.

dedi. Benim de gönlüm ferâhladı ve rahatça söze başlayarak dedim ki:

Ey mü'minlerin emîri! Mekhûl'ün[51], Atıyye b. Bişr[52]den rivâyetinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

أَيُّمَا عَبْدٍ جَاءَتْهُ مَوْعِظَةٌ مِنَ اللّٰهِ فِي دِينِهِ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ مِنَ اللّٰهِ
سِيقَتْ إِلَيْهِ فَإِنْ قَبِلَهَا بِشُكْرٍ وَإِلَّا كَانَتْ حُجَّةً مِنَ اللّٰهِ عَلَيْهِ
لِيَزْدَادَ بِهَا إِثْمًا وَيَزْدَادَ اللّٰهُ بِهَا سَخَطًا عَلَيْهِ

"Hangi bir kul ki, ona dîni hakkında Allah tarafından bir mev'ıza ve bir öğüt gelirse; o Allah tarafından kendisine gönderilmiş bir nîmet ve lütuftur. Onu kabul eder ve gereğini yerine getirirse ne güzel. Kabul etmezse günâhının çoğalması ve Allahın gazabının çoğalması bakımından onun aleyhinde bir delîl olur."[53] Ey mü'minlerin emîri! Yine Mekhûl, Atıyye b. Yâsir'den rivâyetinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَيُّمَا وَالٍ مَاتَ غَاشًّا لِرَعِيَّتِهِ حَرَّمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ

"Hangi bir vâli mâiyetine hıyânet ettiği halde ölürse, Allahü Teâlâ cenneti ona haram eder."[54] buyurmuştur.

---

[51] Evzâî fıkıh ve hadiste Şam halkının imâmı idi. Dımaşk'ın dış mahallesinde otururdu. Sonra Beyrut'a göç etti. İbâdet ve verâı hakkıyla bir araya toplayan bir zât idi. Cafer Mansur da hilâfetinin son günlerinde ve Hicrî 157'de öldü.

[52] Müslim'in oğlu olup, Şam fakîhlerindendir. Dımaşk'ta oturur. Tâbiîndendir. Hicrî 113'de ölmüştür. Müslim ve diğer dört tanesi kendisinden rivâyet etmişlerdir.

[53] Mâzinî'nin ashâbındandır. Ebû Dâvûd ve İbn Mâce kendisinden rivâvet etmişlerdir.

[54] İbn Ebi'd Dünya "**Mevâizu'l-Hulefâ**"da bu hadîsi rivâyet etti.

Ey mü'minlerin emiri! Hakkı sevmeyen, Allah'ı sevmemiş olur. Zîra Allahü Teâlâ açık bir Hak'tır. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) e yakınlığın dolayısıyla seni hilâfete seçmek için Müslümanların kalbini yumuşatıp sana doğru çeviren Allahü Teâlâ o Müslümanlara şefkat ve merhâmet ederek onları esirger. Kendi zât-ı kudretiyle onlara yardımcı olur. Allah ve insanlar katında bunlar makbul kimselerdir. Bunların hakkına riâyet, senin başta gelen borcundur. Bunlara karşı âdil davranıp, adaletle hükmetmen ve kusurlarını örtüp düzeltmen vazîfendir. Kapılarını onlara kapama; aranıza perde asma. Onların elindeki varlıklara sevinmeli, onlara isâbet eden musîbetlere üzülmelisin.

Ey mü'minlerin emîri! Sen kızıl ve beyaz derili, müslim ve gayr-ı müslim mâliki bulunduğun bütün insanları bıraktın da kendi şahsî işlerinle meşgul oldun. Hâlbuki bunların hepsinin sende hakkı var. Hepsine karşı adâletle hükmetmek senin vazîfendir. Kafile kafile insanlar dirilip de senin onlara getirdiğin belâlardan veyâ onlara yaptığın zulümlerden dâvâcı olarak karşına çıkacakları zaman halin ne olur? Bunu düşün.

Ey mü'minlerin emîri! **Mekhûl**'un Urve b. Ruvem'den[55] rivâyetinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in elinde misvâk olarak kullandığı ve münâfıkları korkuttuğu bir değneği vardı. Cebrâil aleyhisselâm Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e gelerek:

– "Yâ Muhammed! Ümmetinin kalbini kırdığın ve gönüllerini korkuttuğun bu değnek nedir?" dedi.[56] Ya derilerini yaralayıp kanlarını akıtan, memleketlerini harap edip kendilerini sürgün eden ve onları korku ve dehşet içinde bırakanların hali nice olur?

---

[55] İbn Ebi'd Dünya ve İbn Adiy **"Kamil"**de rivâyet etmişlerdir. Ahmed b Ubeyd'in tercemesinde.

[56] Lahmî kabilesindendir. Bâzılarına göre sikadandır. Hicrî 135 de ölmüştür.

Ey mü'minlerin emîri! Mekhûl'un Ziyad b. Cariye'den[57] o da Habib b. Mesleme'den[58] rivâyetinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) yanlışlıkla kendisini tırmalayan bir bedevîyi kısasa dâvet etti. Yâni ondan hakkını almak istedi. Cebrâil aleyhisselâm Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e gelerek:

– "Yâ Rasûlallah, ne yapıyorsun? Allahü Teâlâ seni cebbâr ve mütekebbir olarak göndermemiştir." dedi. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bedevîyi çağırtarak özür diledi ve kendisinden intikam almasını emrederek: *"Benden kısası al."* buyurdu. Bedevî de:

– "Anam babam sana fedâ olsun yâ Rasûlallah! Ben senden nasıl kısas alırım? Beni öldürsen bile sana her hakkım helâl olsun." dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de kendisine hayır duada bulundu.[59]

Ey mü'minlerin emîri! Hakkına râzı ol ve nefsin için Rabbinden emân-dile. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in hakkında:

لَقَيْدُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

"Cennetteki yayınızın bir ipi, dünya ve dünyadan olan her şeyden hayırlıdır."[60] buyurduğu ve genişliği yer ve gökler kadar olan cennete rağbet et.

Ey mü'minlerin emîri! Bu mülk senden evvelkilere kalsaydı senin eline geçmezdi. Bunun gibi senin de elinde kalmayacak.

---

[57] İbn Ebi'd Dünya rivâyet etmiştir.

[58] Ashâbdan olduğu da söylenir. Sikadan bir zâttır. Cuma namazının ikindiye kadar tehîrini kabul etmediği için Velid b. Abdülmelik zamanında boğazlanmıştır.

[59] Kuryşî ve Mekkelidir. Ashâbdan olması ihtilaflıdır. Fakat küçük yaşta sohbette bulunduğu kuvvetlidir. Şam'a gitmiştir. Yermuk'te bulunduğu da söylenir. Muâviye'nin vâlisi olarak Erine'de bulunduğu Hicrî 42 de ölmüştür.

[60] Sahîh sened ile lbn Ebî'd-Dünyâ, Ebû Dâvûd ve Neseî rivâyet etmişlerdir.

Ey mü'minlerin emîri!

مَالِ هٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا

"Bu kitaba ne oldu ki, küçük büyük hiç bir şey bırakmadı hepsini saydı." (Kehf suresi, 18/49) âyet-i celîlesinin tevîlinde deden Abdullah b. Abbâs'ın dediğinden haberin var mı? O dedi ki: "Sağîre" gülümsemek, "Kebîre" ise gülmektir. Yâni maskaralık olarak gülümsemek ve gülmektir. Ya ellerin işlediği ve dillerin harman ettiği kötülüklerin hali nice olur?

Ey mü'minlerin emîri! Duyduğuma göre Ömer (r.a.): "Fırat kenarında bir oğlak ölse, ondan mesûl olacağımdan korkarım." demiştir. Ya senin minderinde oturup adâletten mahrûm olana göre halin nice olur?

Ey mü'minlerin emîri!

يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ
بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ

"Ey Dâvûd! Biz seni yeryüzünde halife kıldık. İnsanlar arasında hak ile hükmeyle; hevâna uyma, o seni Allah yolundan sapıtır." (Sâd suresi, 38/26) âyet-i celîlesinin tevîlinde ne buyurduğunu biliyor musun? Zebûr'da Allahü Teâlâ Dâvûd aleyhisselâma buyurdu ki:

– "Yâ Dâvûd! Huzûruna iki hasım çıkar, bunlardan birisine gönlünden meylin olur. Sakın hak bunun olsa da hasmını yense diye gönlünden bir şey geçmesin. Zîra böyle olursan, seni Peygamberlikten atarım. Ne halîfem ne de bir keramete sâhip olursun. Yâ Dâvûd! Ben peygamberlerimi insanlara deve güden çobanlar gibi gönderdim. Çünkü onlar hakka riâyeti ve insanları sevk u idâreyi bilirler. Onların vazîfesi, kırılanı bağlamak, zayıfı su ve otlağa kavuşturmaktır.”

Ey mü’minlerin emîri! Sen bir belâyı başına sardın ki gökler, yer ve dağlara arz edilse onlar bu yükten kaçınırlardı.

Ey mü’minlerin emîri! Yezîd b. Cabir[61] Abdurrahman b. Umre el-Ensârî’den[62] rivâyetinde bana dedi ki: Hz. Ömer (r.a.) Eesârdan birisini zekât tahsiline memûr etti. Birkaç gün sonra kendisini orada gördü. Kendisine:

– “Niçin vazîfene gitmedin? Zekâtı toplamakla bir mücahid kadar mükâfat alacağını bilmiyor mu idin?” diye sordu. Adam:

– “Hayır, bilmiyordum. Hem bu nasıl olur? Zîra ben duydum ki, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَا مِنْ وَالٍ يَلِيَ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ النَّاسِ إِلَّا أُتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولَةً يَدُهُ إِلٰى عُنُقِهِ، لَا يُفَكِّهَا إِلَّا عَدْلُهُ، فَيُوقَفُ عَلٰى جِسْرٍ مِنَ النَّارِ يَنْتَفِضُ بِهِ ذٰلِكَ الْجِسْرِ انْتِفَاضَةً تُزِيلُ كُلَّ عُضْوٍ مِنْهُ عَنْ مَوْضِعِهِ، ثُمَّ يُعَادُ فَيُحَاسَبُ، فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَجَا بِإِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا اِنْحَرَفَ بِهِ ذٰلِكَ الْجِسْرُ فَيَهْوِى بِهِ فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا

---

[61] Buhârî Enes’ten ayrı kelime ile ifâde etti.

[62] Dımaşklı Abdurrahman’ın kardeşidir. Sikadandır. Ölüm tarihi ihtilâflıdır. 133 Hicrî’de öldüğünü söyleyenler vardır.

"Umûr-i idâreden herhangi bir şeyi üzerine alan bir kimse, onunla beraber eli boynuna bağlı olduğu halde kıyamet gününde mahkemeye gelir. Elini boynundan ancak adaleti çözer. Ateşten bir köprü üzerinde durur. O köprü öyle silkinir ki, adamın bütün âzâsı yerinden oynar. Sonra hesaba çekilir. Şâyet iyi bir kimse ise ihsân ve iyiliği sayesinde kurtulur. Kötü bir kimse ise o köprü çöker ve köprü ile beraber cehenneme düşer de yetmiş sene orada yanar."[63] buyurmuştur. Hz. Ömer:

– "Bu rivâyeti kimden duydun?" diye kendisinden sorar. Adam da:

– "Ebû Zer ile Selmân'dan duydum." deyince Ömer (r.a.) bu zâtları çağırır ve onlardan sorar. Onlar da: "Evet, biz bunu Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den duyduk." deyince Ömer:

– "Vay haline Ömer! İçinde bu tehlikeler varken daha idâreciliği kim kabul eder?" diye ah çekince Ebû Zer:

– "Allahın burnunu yere sürttüğü ve yanağını yere yapıştırdığı kimseler." dedi.

Adamın bu yollu sözlerini işiten Câfer-i Mansûr:

– "Vay başıma gelenlere!" der ve mendilini yüzüne alarak ağlamaya başlar. O dereceye kadar inleyerek ağlar ki, hepimizi de ağlatır. Adam diyor, sonra ben dedim ki: "Yâ Ömer, Abbâs Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den Mekke, Tâif veyâ Yemen emîrliğini istemişti. Rasûl-i. Ekrem:

يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ النَّبِيِّ، نَفْسٌ تُحْيِيهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا

"Ey Peygamberin amcası Abbâs! İbâdetle ihyâ ettiğin bir nefes,

---

[63] Sikadan olup çok hadîs rivâyet etmiştir.

sayamadığın günler emîrlik etmenden daha hayırlıdır."[64] buyurdu ki bu, amcasına şefkatinden dolayı ona bir nasîhat idi. Bununla beraber kendisinin onları kurtaramayacağına işâret etmiş oldu. Nitekim Kur'ân-ı Kerîm'de:

وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ

"Sen yakın akrabanı korkut." (Şuarâ suresi, 26/214) buyrulmuştur. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

يَا عَبَّاسُ وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّي النَّبِيِّ وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ إِنِّي
لَسْتُ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا إِنَّ لِيَ عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ

"Ey Peygamberin amcası Abbâs! Ey halası Safiye ve ey Muhammed'in kızı Fatma! Ben Allahın azâbından sizden hiç bir şey kurtaramam. Benim amelim bana, sizin ameliniz de sizedir."[65] buyurmuştur.

Yine **Ömer b. Hattâb** (r.a.) buyurdu ki: "İnsanların umûr-i idâresini ancak kuvvetli, akıllı ve sağlam akîdeye sâhip olanlar üzerlerine alabilir." Hiç bir kötülüğe sâhip olmaz, kimseye bir zararı dokunmayacağından korkulmayan ve Allah yolundaki çalışmalarında kimsenin yermesine aldırmayan kimselerden olmalıdır.

Yine Ömer (r.a.) şöyle demiştir: "Emîrler dört kısımdır. Bir kısmı kuvvetli emirlerdir ki hem nefislerine, hem de memûrlarına hâkim olurlar. Onları kötülüklerden korurlar. Bunlar, Allah yolunda cihâd edenler gibidir. Allhü Teâlâ'nın kudreti, rahmeti ile beraber bunların üzerindedir. Bir kısım emirler de zayıftır. Kendisine hâkim, vâlilerine hâkim değildir. Bu emirler, tehlikenin kenârındadır. Allahın rahmeti yetişmezse âkıbetleri korkunçtur. Bir kısmı da vâlilerini kötülükten korur fakat kendine hâkim olamaz. Kendisi her türlü fenâlığı irtikâb eder. Bu gibi emîrler, haklarında Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in:

---

[64] İbn Ebi'd-Dünyâ da diğerleri rivâyet etmiştir.
[65] İbn Ebi'd-Dünyâ, Beyhâkî de Câbir'den muttasıl olarak rivâyet etmiştir.

شَرُّ الرُّعَاةِ الْحُطَمَةُ فَهُوَ الْهَالِكُ وَحْدَهُ

"Emîrlerin en kötüsü hatamalardır." Yâni kendisine hâkim olamayan emîrlerdir ki bunların yalnız kendileri helâktedir,[66] buyurduğu emirlerdir. Dördüncü kısmı da, hem kendisi, hem de vâlileri kötülük eden kimselerdir ki, bunların hepsi helâktedir."

Ey mü'minlerin emîri! Öğrendiğime göre Cebrâil aleyhisselâm Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e gelerek:

– *"Ey Allahın Rasûlü! Allahü Teâlâ cehennemin körükçülerine körüklemelerini emrettiği esnâda sana gelirim."* dedi. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *"Yâ Cebrâil! Cehennemi bana anlat."*[67] buyurdu. Cebrâil de:

– *"Allahü Teâlâ emretti. Cehennem bin sene yandı, kızdı. Bin sene daha yandı sarardı ve bin sene daha yandı karardı. Hâlâ siyah ve karanlık haldedir. Közü kızarmaz, alevi sönmez. Seni hak Peygamber olarak gönderen Allah'a yemin ederim ki, eğer cehennem halkının elbiselerinden bir tânesi dünyaya çıkarılsa, onun harâretinden bütün insanlar ölürdü. Eğer onun halkalarından bir halka dağlara konsa, dağlar erir ve akarlardı. Eğer bir insan cehenneme atıldıktan sonra dünyaya çıkarılsa, onun pis kokusu ve çirkin manzarasından bütün insanlar helâk olurdu."* deyince Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ağladı. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in ağlamasına dayanamayan Cebrâil de ağladıktan sonra:

---

[66] İbn Ebi'd-Dünyâ, ayrıca Buhârî ve Müslim son fıkrası hariç muttasıl olarak rivâyet etmişlerdir.

[67] Müslim, Aiz'den muttasıl olarak rivâyet etmiştir.

– *"Ey Muhammed! Geçmiş gelecek günâhların bağışlanmıştır. Böyle olduğu halde sen de mi ağlıyorsun?"* dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *"Şükredenlerden olmayayım mı?"* buyurduktan sonra:

– *"Ya sen, Allahın vahyi üzerinde emîni olduğun halde niye ağlıyorsun?"* diye Cebrâil'e sordu. Cebrâil de:

– *"Hârût ve Mârut'un âkıbetine uğrarım korkusu ile ağlıyorum. Beni Rabbımın katındaki mevkîime güvenmekten bu hal men etmiştir. Çünkü Rabbımın mekrinden emîn olamam."* dedi. Ve her ikisi böylece Ağlamaya devâm ettiler. Tâ ki Allah tarafından:

– *"Yâ Cebrâil, yâ Muhammed! Allah sizi isyân ve azâptan emîn kılmıştır. Muhammed'in (s.a.v.) diğer peygamberlere üstünlüğü, Cebrâil'in diğer meleklerden üstünlüğü gibidir."* buruydu.

Ey mü'minlerin emîri! Duydum ki, Ömer b. el-Hattâb (r.a.):

– "Allahım, iki hasım karşıma oturup bir mal hususunda bir talepte bulundukları vakit, benim aldırış etmeyeceğimi bilirsen, bana bu hususta müsâade etme." demiştir.

Ey mü'minlerin emîri! Zorlukların en çetini Allahü Teâlâ'nın hakkını getirmektir. En makbul haslet Allah katında takvâdır. Buna göre davran. Ululuğu, Allah'a kullukta arayanları Allah yüceltir ve azîz eder. Şerefi isyânda arayanları Allahü Teâlâ rezîl ve kepâze eder. İşte benim sana nasîhatim bundan ibârettir. Sana selâm, diyerek kalkmaya yeltendi. Emîr:

– "Nereye gidiyorsun? diye sordu. O:

– "Müsâade buyurursanız, yurduma ve çoluk-çocuğumun yanına dönmek isterim." dedi. Emîr:

– "Nasîhatine teşekkür ediyorum, kabul ettim. Allah cümlemizi hayra tevfîk etsin ve yardımcımız olsun, O'ndan yardım diler ve O'na güveniriz. O ne güzel koruyucudur ve O bize yeter. Bizi bu gibi nasîhatlerinden mahrûm etme. Sen nasîhatinde töhmetlenmeyen bir zâtsın. Öğütlerini yerine getireceğime söz veririm, yolun açık olsun, güle güle." dedi ve kendisini uğurladı.

Muhammed b. Mas'ab diyor ki: Halîfe kendisine yol harçlığı verilmesini emretti ise de kendisi, kabul etmedi. "Benim ihtiyacım yok, nasîhatimi para ile satan değilim." dedi. Bu sûretle halîfe onun ne adam olduğunu da anlamış oldu.

İbn Muhâcir[68] diyor ki: Halîfe Mansûr haccetmek üzere Mekke-i Mükerreme'ye gelmişti. Sabaha kadar Dâru'n-Nedve'den tavafa çıkar, tavafını yapar namazını kılardı da kendisini kimse bilemezdi. Sabah olunca da döner yerine giderdi. Müezzinler gider kendisine selâm verirler. Ezan okunur cemâatle namazı kıldırırdı. Yine bir seher vakti çıkmıştı. Tavaf ederken Mültezem'de adamın birinden:

"Allahım! Yeryüzündeki azgınlık ve bozgunluktan sana sığınırım. Hak ile Hak ehli arasına giren zulüm ve tama'dan sana şikâyet ederim." diye duâ ettiğini duydu. Mansûr koşa koşa adama yaklaştı ve söylediklerini iyice dinledi. Sonra tavaftan çıkarak mescidin bir köşesinde oturdu ve adamı çağırttı. Adam, Hacer-i Esved'i selâmlayarak tavaftan çıktı ve iki rekat namaz kıldıktan sonra emîrin huzuruna girdi ve selâm verdi. Emir:

O ne idi? "Yeryüzünde çıkan ve zulüm ve fesâddan, Hak ile

---

[68] İbn Ebi'd-Dünyâ senedsiz olarak zikretmiştir.

Hak ehli arasına giren tama’ ve zulümden sana şikâyet ederim Allahım!” diye söylediğin sözler? Anlat bakalım deyince, adam:

– “Şâyet canım emniyette ise bütün teferruatıyla anlatayım, değilse kısaca şahsım ile alâkalı hususlarda cevap veririm.” dedi. Halîfe:

– “Emniyettesin, olduğu gibi bütün teferruatıyla anlat. Çünkü senin bu sözlerin beni hasta etti.” dedi. Adam:

– “Tama’ın girdiği ve Hak ile Hak sâhibi arasına girip zulüm ve fesâda sebebiyet veren tamahkâr bizzat sensin.” dedi. Mansûr:

– “Yazıklar olsun sana! Bütün altın ve gümüşler benim elimde, tatlı acı her şey benim emrimde, hâlâ beni tamahkârlıkla nasıl ithâm ediyorsun?” dedi. Adam:

– “Ey mü’minlerin emîri! Acaba sende olan tama’ başka kimsede var mı? Allahü Teâlâ mü’minlerin mallarını korumaya seni memûr etti. Sen ise onların işlerini unuttun da mal toplamakla meşgul oldun. Kendin ile mü’minler arasında Horasan’dan kaynama perde yaptın, demirden kapılar ve kapılara silâhlı bekçiler diktin. Sonra o Horasan binâları içinde kendini hapsettin. Müslümanlardan gizledin. Vâli ve tahsildârlarını mal ve haraç toplamaya gönderdin. Etrafına öyle zâlim yardımcı ve vezirler topladın ki, unuttuğun vakit sana hatırlatmazlar. Hatırladığın vakit ise yardım etmezler. İnsanlara zulümlerinde onlara mal ve silâh vermek sûretiyle yardımcı oldun. Huzuruna muayyen kimselerden başka kimsenin girmesine müsâade etmedin. Mazlûmun, gasbedilen malına hasret çekenin, aç, çıplak, zayıf ve yoksulların kapına yaklaşmalarına müsâade etmedin.

Hâlbuki bunlardan her ferdin bu servette hakkı vardır. Senin tercîh edip etrafına topladığın bu zâtlar, sana gelen malları, senin Müslümanlara taksîm etmediğini gördükleri zaman, bu adam hazîne malında Allah'a karşı ihânet ediyor. O halde biz niye duralım, derler. Kendi kafalarında olmayanları da kötüleyerek senin etrafından uzaklaştırırlar. Vaziyet bu merkezde olup, bu hal yapılınca, herkesin gözünde bu adamlar büyür ve insanlar bunlardan korkmaya başlar. Önce vâlilerin bunları servet ile etrafına alır, sonra herkes bir derece aşağısına kötülük edebilmesi için bir derece üstüne rüşvet ve hediye verir. Bu sûretle memleket; tamah, azgınlık ve bozgunlukla dolmuş oldu ve senin haberin olmadan bütün bunlar saltanatta sana ortak olurlar.

Şikâyet için biri geldiği zaman, onu yanına yaklaştırmazlar. Şâyet ortaya çıktığın zaman hâdiseyi sana anlatmak isterse, senin bundan men ettiğini ve dinlemek istemediğini de görür. Onların işine bakacak bir adam tâyin edersin. Şâyet adam dâvâsını sana yükseltmek isterse, senin tâyin ettiğin vâsıtaya nüfûz ederek şikâyetini sana duyurmaya çalışırlar. Şâyet kendisinden şikâyet edilen kimse hatırlı bir kimse olup kendisinden korkulursa, mazlûm her ne kadar feryâd ederse de, adamların mazlûmu bir takım bahânelerle dâvâsından vaz geçirmeye çalışır. Şâyet imkân bulur ve senin huzuruna çıkarsa, başkalarına ibret olacak şekilde huzurunda dövülür ve sen buna ses çıkarmazsın. İşte İslâm âlemi bu haldedir. Hâlbuki Emevîler devrinde vaziyet hiç de böyle değildi. Uzak memleketlerden bir mazlûm, sultanın kapısına gelerek, "Ey Müslümanlar!" diye seslendiği zaman, herkes başına toplanarak "Hayır ola, ne oldu?" der, kendisiyle alâkalanır, adamı hükümdâra kadar çıkarırlar ve hükümdâr ona gerekli alâkayı gösterirdi.

Ey mü'minlerin emîri! Ben seyyâh bir insanım, her tarafı gezerim. Çin diyarına giderim. Oranın bir hükümdârı var. Bir defa bir iş için bu hükümdârın huzuruna çıkmıştım. Hükümdârın kulakları ağırlaşmış, hiç duymuyorlardı. Buna üzülen hükümdâr ağladı. Etrafındakiler: “Ne oldu hiç ağlamayan gözlerin şimdi niye ağlıyor?” dediler. Hükümdâr: “Duymadığımı anlamıyorum, ancak mazlûm kapıma geliyor da sesini duyamıyorum, hakkını yerine getirmekte geç kalıyorum. İşte buna üzülerek ağlıyorum.” dedi ve devamla: “Şâyet kulağım duymuyorsa gözüm görüyor ya. Zulme uğrayanlar yalnız kırmızı giysin ve ben de onları elbiselerinden tanıyayım.” diye emir verdi. Zaman zaman file binerek mahalleler arasında dolaşır ve kırmızı elbiseli gördüğü mazlûmların hakkını korurdu.

Ey mü’minlerin emîri! Bu anlattığım müşrik bir kraldır. Müşrik olduğu halde milletini nasıl düşündüğünü ve haklarını korumaya nasıl çalıştığını gördün. Sen ise hem Müslüman hem de Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’in amcazâdesisin. Müslümanlarla alâkalanman pek az, kendini düşünüyor, Müslümanlara acımıyorsun!

Senin servet edinmen üç sebepten biri içindir:

1 - Evlâd için. Şâyet ben çocuklarım için bu serveti biriktiriyorum, dersen, Allahü Teâlâ yeni doğan bir çocuk ile sana ders vermektedir. Çocuk annesinin rahminden dünyaya geldiği zaman hiç bir şeye sâhip değildir. Mevcûd servet üzerine cimrilikle kapanan eller vardır. Buna rağmen Allahü Teâlâ çocuğa lütfeder, insanların kalbine merhamet kor ve ona bakarlar. Aslında veren sen değil, belki Allah’tır. O, dilediğine verir. Senin toplaman bir değer taşımaz.

2 - Saltanatını takviye. Şâyet, ben bu serveti saltanatımı takviye için biriktiriyorum, dersen, Allahü Teâlâ geçmiş sultanlarla sana ibret dersini vermektedir. Onların topladıkları altın ve gümüşler, silâh ve malzemeler, kendilerine bir fayda sağlamadı. Onlara özengenlik bir kuvvet, bir fayda sağlayamadığı ve mukadder âkıbetlerine uğradıkları gibi, sana da servetin bir fayda sağlamaz ve yoksulluğundan da bir zarar gelmez.

3 - Bulunduğun mevkîden daha üstün bir mevki sağlamak için. Şâyet bu maksatla servet edinmeye çalışıyorsan, bilmiş ol ki: Bulunduğun mevkîin daha üstünü yoktur. Bundan üstün mevkîe mal toplamakla değil, ancak sâlih amellerle ulaşılır.

Ey mü'minlerin emîri! Adamlarından sana isyân edenlere idâmdan daha büyük cezâ verebilir misin? Melik "Hayır veremem." deyince, ya Allahü Teâlâ'nın seni idâm etmeyip ebediyyen cehennem ateşi ile azâb edeceği haksız iktisab olarak kazandığın bu dünyalığı ne yapacaksın? O Allah ki, içinden geçeni ve uzuvlarının gizlediğini bilir. Allahü Teâlâ bu dünyalığı elinden aldığı ve seni hesâba çektiği zaman ne yapacaksın? Senin bu varlığın seni Allahın azâbından koruyabilir mi? Bu cimrilik ve hırsının sana bir faydası dokunmaz." dedi. Bunu dinleyen Mansûr, kendini tutamayarak hüngür hüngür ağladı ve keşke yaratılmasaydım ve hiç bir şey olmasaydım, dedikten sonra:

– "Bu kazançtan kurtuluş çâresi nedir? Bu insanların hepsi hâindir." dedi. Bunun üzerine adam:

– "Ey mü'minlerin emîri! İş başına iyi adamlar, bilgin ve hak üzere olan kimseleri getir." deyince, halîfe:

– "Onlar kimlerdir?" diye sordu. Adam:

– "İşte onlar âlimlerdir." Halîfe:

– "Âlimler benden kaçıyorlar." dedi. Adam:

– "Onların senden uzaklaşması senin bu kusurların yüzündendir. Yoksa sen herkese kapını aç. Mazlûmu zâlimden kurtar, herkese hakkını ver, aldığını haklı olarak al ve adaletle ehline taksîm et. Şimdi senden kaçan âlimlerin o zaman etrafına toplanıp sana yardımcı olacaklarına ben kefîlim." dedi. Mansûr da:

– "Allahım! Şu adamın dediği gibi harekete beni muvaffak kıl." diye dua etti. Tam bu sırada müezzinler; "Namaz vakti geldi ey mü'minlerin emîri!" dediler ve Mansûr namazı kıldırıp yerine geçtikten sonra, muhâfıza:

– "Çabuk o adamı bul ve bana getir. Şâyet getirmezsen senin kelleni uçururum." dedi. Adamcağız bu zâtı köşede namaz kılarken buldu. Bekledi, selâm verince:

– "Kalk seni Mansûr istiyor. Şâyet götürmezsem kellemi uçuracak." dedi. Adam:

– "Hayır, ben daha onun yanına gitmem." dedi. Muhâfız:

– "Ne diyorsun, benim canıma mı kasdettin, insaf et böyle olur mu?" deyince, adam:

– "Korkma o seni idâm edemez. Okur-yazarlığın var mı?" diye sordu. Muhâfız:

– "Yok." deyince, adam çantasından yazılı bir kâğıt çıkardı ve:

– "Bunu al cebine koy. Burada Ferec (kurtuluş duası) vardır. Korkma bu sâyede o sana bir şey yapamaz." dedi. Muhâfız:

– "Bu duânın fazîleti hakkında bilgi verir misin?" dedi. Adam:

– "Akşam-sabah bu duâyı okuyanın günâhları dökülür, hatâları mahvolur. Neşesi devâm eder, duâsı kabul olur, rızkı genişler. Umduğunu bulur, hasmına galebe çalar, Allah katında sıddîklardan yazılır ve şehîd olarak ölür." Duâ şudur:

"Ey azamet şânınla bütün lütuf ve kerem sahiplerinin üstünde lütuf ve kerem sâhibi olan ve ey bütün azamet sahiplerinin üstünde bir azamete sâhip olan ve ey Arş'ın üstünde olanı bildiği gibi yerin altında olanı da aynı şekilde bilen ve ey azamet ve ululuğu karşısında her şey boyun eğen ve saltanatı karşısında bütün sultanlar dize gelen, dünya ve âhiretin bütün işleri kudret elinde olan yüce Allahım! İçinde bulunduğum bütün sıkıntılardan beni kurtar ve bana genişlik ver.

Allahım, kusurlarımı bağışlaman, günâhlarımdan vazgeçmen ve kötü hallerimi gizlemen, kusur ve noksanda bulunduğum hususlarda hakkım olmayarak senden istemeye beni ümitlendir. Huzur ve ümit içinde sana yalvarır ve senden yardım isterim. Sen dâima bana ihsân ederken ben, benimle aramızdaki hususlarda nefsime karşı ihânette bulundum. Sen bana nîmetlerini ihsân etmekle bana dostluk gösterirken ben isyân ile arayı açarım. Fakat sana, senin rahmetine, lütuf ve keremine olan emniyetim, beni bu cür'ete sevketti. Sen fazl u kereminle bana ihsanda bulun. Sana yöneldim. Sen kapına geleni reddetmeyen, tövbeleri kabul eden bir merhamet sâhibisin!"

Muhâfız diyor ki: "Kâğıdı aldım, cebime koydum ve doğruca Mansûr'un huzuruna girdim. Selâm verdim. Emîr başını kaldırdı. Bana baktı ve gülümseyerek bana:

– "Ne oldu?" diye sordu. Ben de vaziyeti olduğu gibi kendisine anlattım. Mansûr:

– "Kâğıdı getir." dedi. Ben de kâğıdı kendisine verdim; okudu, ağladı ve:

– "Kurtuldun." dedi. Bana on bin dirhem verdi ve kâğıdı çoğalttı. Sonra da bu adamın Hızır aleyhisselâm olduğunu söyledi."

Ebû İmrân el-Cüvenî[69] şöyle diyor: "Hârûn Reşîd hilâfete geçtiği zaman[70] âlimler kendisini tebrike gitti. O da hazînesinin kapısını onlara açtı, atıye ve câizeler takdim etti: Çünkü o, daha önce hocalarla düşer kalkar, kendini zâhidlerden gösterirdi. **Süfyân-ı Sevrî** ile öteden beri kardeşlik kurmuştu. Bu defa Süfyân ziyaretine gelmedi. Hârûn onu arzuladı ve onunla sohbet etmek istedi. Fakat Süfyân gelmedi ve Hârûn da Süfyân'ın izini kaybetti. Nihâyet Süfyân'a bir mektup yazmak zorunda kaldı. Mektubunda:

"Rahman ve Rahîm olan Allahın adıyla. Allahın kulu ve mü'minlerin emîri olan Hârûn Reşîd'den, kardeşliği Süfyân-ı Sevrî'ye:

Bundan sonra; Kardeşim, biliyorsunuz ki, Allahü Teâlâ mü'minler arasında kardeşlik tesîs etti. Yine bilmiş ol ki: Sevgiyi tüketmeyecek ve aramızdaki dostluk bağını koparmayacak şekilde ben seni kardeşlik edindim. Ben son derece sana bağlıyım, şu hilâfet halkası boynuma geçirilmeseydi -emekleyerek de olsa sana olan sevgimden- ben seni arar bulur ve ziyâret ederdim. Yâ Ebâ Abdullah, bilmiş ol ki: Senin ve benim kardeşliklerimin hepsi beni ziyâret ve tebrîkte bulundu. Ben de onlara hazînemin kapılarını açtım. Gönül hoşluğu ile bolca hediyeler verdim. Seni çok gözledim fakat gelmedin. Seni son derece özlediğim için şu mektubu sana yazıyorum. Dîn kardeşini ziyâret etmenin fazîletini biliyorsun. O halde mektubumu alır almaz çok acele teşrîflerini intizârdayım."

---

[69] Şamlı Muhammed'dir. Kimi sikadan, kimi de «lâ be's» olduğunu söylediler. Buhârî'den başka birçokları kendisinden rivâyette bulundular. Hicrî 170'de ölmüştür.

[70] Ebû İmrân Habib Cuvinî'nin oğlu değildir. Çünkü o daha önce ölmüştür. Bağdad'da otururdu, sikadan bir zâttır.

Mektubu yazdıktan sonra etrafında bulunanlara şöyle bir baktı ve gördü ki, hepsi Süfyân-ı Sevrî'yi tanıyor ve onun sert bir insan olduğunu biliyorlardı. Hârûn: "Bana birisini çağırın." dedi. **Ubâd et-Talkanî** adında birisi içeri girdi. Ona: "Şu mektubu al, Kûfe'ye git. Orada Sevr âilesini ve onların içerisinde Süfyân'ı bul, bu mektubu kendisine ver ve dediklerini can kulağı ile dinle. Her söylediğini iyice ezberle, geldiğin zaman bana söyleyeceksin."

Ubad da mektubu aldı, Kûfe'ye gitti. Dediği şekilde aradı ve Süfyân'ın mescidde olduğunu öğrenince hemen mescide gitti. Ubad diyor ki: Süfyân-ı Sevrî beni karşısında görünce:

– "Racîm olan şeytandan Allah'a sığınırım. Allahım, gelen adamın şerrinden sana sığınırım." dedi.

Ubad diyor ki: Onun bu sözünden içime korku düştü ve mescidin kapısına gelerek onu bekledim. O benim beklediğimi görünce, namaz vakti olmadığı halde namaza başladı. Ben de atımı kapıda bağladım. İçeri girdim. Bir de baktım ki insanlar, sultanın karşısında hırsızların alacakları cezâ korkusu ile boynu bükülmüş durdukları gibi duruyorlar. Selâm verdim, kimse başını kaldırıp selâmımı almadı, ancak parmaklarını kaldırmak sûretiyle selâmımı aldılar. Ayak üzerinde kaldım, kimse buyur ederek beni oturtmadı. Ben de şaşırdım, gözümü onlara diktim ve:

– "Şu namaz kılan Süfyân mıdır?" dedim. Onlar:

– "Evet, odur." dediler. Ben de mektubu önüne attım. Mektubu görünce âdeta secde mahallinden bir yılan çıkmış gibi vücûdu titredi ve mektuptan uzaklaştı. Döndü bir secde etti, selâm verdi. Elini koltuğunun içine koyarak koltuğu ile mektubu aldı; elinde sağa sola çevirdi ve arkasına atarak: "Şunu okuyunuz! Ben zâlimin elinin değdiği şeyi tutmaktan Allah'a istiğfâr ederim." dedi. Birisi mektubu aldı. İçinden yılan çıkıp kendisini ısıracak korkusu ile zarfı açtı, okudu. Süfyân-ı Sevrî de şaşkın bir adamın gülümsemesi gibi gülümseyerek mektubu dinledi. Mektup okunduktan sonra Süfyân: "Arka tarafını çevirin ve yazın!" dedi. Etrafındakiler:

– "Bu bir sultandır, ayrı bir kağıda yazsak olmaz mı?" deyince, Sevrî:

– "Zâlime kendi mektubunun arkasında yazın. Şâyet kazancı helâl ise mükâfatını görür, haram ise cezâsını çeker. Zâlimin bir şeyi bizim yanımızda olup da dînimizi ifsâd etmesin." dedi. Onlar:

– "Ne yazalım?" dediklerinde, Sevrî:

– "Yazın:

"Rahman ve Rahim olan Allahın adıyla. Günâhkâr kul Süfyân-ı Sevrî'den, emellerine kapılmış îmanın zevkinden sıyrılmış Hârûn Reşîd'e. Bundan sonra bilmiş ol ki: Ben, aramızdaki dostluk bağını kopardım. Sevgiyi kestim ve artık benim yanımda senin bir değerin kalmadı. Sen mektubundaki ikrarın ile beni böyle yapmaya mecbur ettin. Çünkü sen Müslümanların hazînesini hakkı olmayanlara verdin ve boş yere Beytü'l-Malı telef ettin. Sonradan da yazdığın mektup ile beni de şâhid tuttun. Ben ve dostlarım, yarın Allah huzurunda aleyhinde şehâdet edeceğiz.

Ey Hârûn! Müslümanların rızâsı olmadan hazîneye saldırdın. Senin bu yaptığına müellefetü'l-kulûb razı mı? Bu parayı toplayanlar, Allah rızâsı için cihâd edenler ve yolcular buna râzı mı? Hâfızlar, ilim erbâbı, dul ve öksüzler buna râzı mıdır? İdâren altında bulunanlar buna muvafakat etti mi?

Ey Hârûn! Sığınacak bir yer ara! Bilmiş ol ki: Yakında âdil bir hâkimin huzuruna çıkacaksın. Başına felâket aldın. Çünkü sen, ilim ve zühdün tadını kaybettin; iyilerle düşüp kalkmanın zevkini yitirdin. Zulme ve zâlimlere öncü olmaya rızâ gösterdin.

Ey Hârûn! Koltuğa gerildin, ipekleri giydin, kapına perde astın ve kendini Allah'tan memnû olanlara benzettin. Sonra zâlim askerleri etrafına oturttun. Onlar insaf etmez, insanlara zulmederler. Kendileri içki içerken, içenlere dayak atarlar. Kendileri zinâ ettikleri halde, zinâ edenleri recmederler. Bir yandan kendileri çalar, öte yandan hırsızın elini keserler. Bütün bu cezâî hükümler, başkalarına tatbîk edilmeden önce, sana ve senin adamlarına tatbîki gerekmez mi?

Ey Hârûn! Yarın Allah tarafından bir münâdî; "Zâlimleri ve adamlarını hasredin!" diye bağırdığı zaman, onlarla beraber Allah huzurunda nasıl haşrolunacağını düşünür müsün? Ellerin boynuna bağlı olduğu halde Allah huzurundaki halini bir düşün! O gün Allah huzurunda senin ellerini ancak adâlet ve insâf çözer. Zâlimler etrâfını alacak, sen de onların öncüsü olarak cehenneme gireceksin.

Ey Hârûn! Boğazına ipi taktın ve cehenneme yöneldin. Bütün sevaplarını başkasının mîzânında göreceksin. Başkalarının günâhını da kendi mîzânında bulacaksın. Kendi günâhlarına eğlenecekler, belâ üzerine belâ. Karanlık üzerine karanlıklara gark olacaksın. Öğüdümü dinle ve ders al.

Bilmiş ol ki: Ben sana nasîhat ediyorum, elimden geldiği kadar sana öğütte bulunuyorum. Allah'tan kork, elin altında bulunanlara kötülük etme. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in ümmetini koru ve onlara güzel muâmelede bulun.

Bilmiş ol ki: Bu hükümdârlık başkasında kalsa, senin eline geçmezdi. Bir gün senden de gidecek. Hattâ bütün dünya da böyledir. Teker teker bütün insanlar göçüp gidecek; kimi yarayışlı azık ile gidecek, kiminin de dünya ve âhireti hüsrâna uğrayacaktır.

Ey Hârûn! Ben seni dünya ve âhirette hüsrâna kalanlardan zannediyorum. Sakın bundan sonra bana mektup yazma. Çünkü bir daha sana cevap verecek değilim. Selâm."

Ubad diyor ki: Mektubu dürüp mühürlemeden bana attılar. Ben de mektubu alarak Kûfe sokağına çıktım. Sevrî'nin sözleri bana da tesîr etti. Bu tesîr altında çarşı ortasında halka seslendim: "Ey halk, Allahın azâbından, Allahın rahmetine sığınmak isteyen kimseyi satın alacak kimse yok mudur?" dedim. Hemen altın ve gümüşlerle bana yöneldiler. Ben "Para pul istemem, pamuk aba ve kalın bir hırka bana yeter." dedim. Onları bana getirdiler. Ben de sırtımdaki resmî elbiseyi çıkardım ve binitimin yemini vermeye gittim. Silâhım onun sırtında, yalın ayak ve bu kılık ile halîfenin kapısına gittim. Oradakiler benimle alay ettiler. Müsâade istediler içeri girdim. Hârûn beni görünce, kalkıp oturdu ve nihâyet yine ayağa kalktı, başını döverek:

– "Vay benim halime! Elçim istifâde etti de ben edemedim. Ben dünyalığı ve saltanatı ne yapayım? Bunların hepsi geçici şeylerdir." dedi. Ben de mektubu nasıl açık olarak aldımsa, öylece kendisine teslîm ettim. Hârûn yanaklarından akan gözyaşları içinde hıçkıra hıçkıra mektubu okudu. Arkadaşlarından biri:

– "Süfyân sana karşı haşin davrandı. Onu tehdîd ve tevkîf etsen de başkalarına ibret olsa." dedi. Hârûn:

– "Ey dünyanın kulları! Sizin aldattığınız, şakî de sizin helâk ettiğiniz kimsedir. Süfyân ise tek başına bir ümmettir. Onu kendi hali ile başbaşa bırakın." dedi ve mektubunu yanı başına alıkoydu. Ölünceye kadar her namazı müteakip o mektubu okurdu. Allah bir kula rahmet etsin ki, o kul yarına hazırladığı amelini Allah'tan korkarak hazırladı. Çünkü o ameline göre hesap görecek ve cezası da ona göre verilecektir. Allah tevfîk edicidir.

Abdullah b. Mihrân anlatıyor: Hârûn Reşîd hacca gitti. Dönüşünde bir müddet Kûfe'de istirahat etti. Sonra yola çıkacağı zaman herkes kendisini yolcu etmek için sokağa döküldü. **Behlül**[71] de çıkmıştı. Çocuklar onunla beraber oynayıp eğleniyorlardı. Tam o sırada Hârûn'un develer üzerinde muhteşem hevdeçleri gözüktü. Çocuklar da Behlül'ü bıraktı ve onun seyrine koyuldular. Tam Hârûn'un geldiği sırada Behlül yüksek sesle:

– "Ey Hârûn!" diye seslendi. Hârûn, yüzünden perdeyi kaldırarak:

– "Buyur Behlül, ne istiyorsun?" dedi. Behlül:

– "Ey mü'minlerin emîri! Eymen b. Nâil, Kuddame b. Abdülâmirî'den bize şöyle haber verdi ve dedi ki:

"Ben Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'i Arafat'tan dönüşte görmüştüm. Kızıl bir deveye binmişti. Yanında kimse dövülmediği gibi, kimse de kovulmazdı. "Yol verin, yol verin." diyen münâdîleri de yoktu. Sen de bu usûle riâyet eyle. Bilmiş ol ki: Tevâzû ile yolculuk etmen, kibir ile seyahatinden hayırlıdır." dedi. Bunu dinleyen Hârûn Reşîd ağlayarak yerlere gözyaşlarını döktü. Sonra da:

---

[71] Bu hikâyenin Mehdî ile cereyân etmiş olma ihtimâli vardır. Çünkü buna göre hâdisenin Hârûn'un hilâfetine tesâdüf eden 170 Hicrî'den sonra olması lâzım gelir. Hâlbuki Süfyân, Hicrî 161 de ölmüştür. O zaman Mehdî halîfe idi. Aynı zamanda Hârûn'un doğumu 149 dur. Süfyân'ın ölümünde 13 yaşında idi. 80 yaşındaki Süfyân ile nasıl eski dostluk kurabilirdi. Aynı zamanda Süfyân bir seyyâh, Hârûn ise sarayda veliaht bulunuyordu.

– "Ey Behlül, biraz bir şeyler daha anlat." dedi. Behlül:

– "Evet ey mü'minlerin emîri! Allahü Teâlâ kime servet ve güzellik verir de o kimse servetini Allah yolunda infâk eder, güzelliği ile nâmus ve iffetini korursa, Allahü Teâlâ'nın dîvânında iyi kullar meyânında yazılır. Bunun üzerine Hârûn:

– "Çok güzel söylüyorsun, şu hediyemi kabul et." dedi. Behlül de:

– "Onu kimden aldınsa ona ver, benim ihtiyâcım yoktur." diye cevap verdi. Parayı almayınca Hârûn Reşîd:

– "Para borcun varsa onu ödeyelim." dedi. Behlül:

– "Kûfe'de birçok ilim sâhipleri vardır. Borç ile borcun ödenemeyeceğinde ittifak etmişlerdir." dedi. Hârûn:

– "Bâri nefis nafakanı temin edelim." deyince, Behlül:

– "Allahü Teâlâ senin Rabbın olduğu gibi, benim de Rabbımdır. Seni hatırlayıp beni unutması muhaldir." dedi. Bunun üzerine Hârûn Reşîd yüzüne perdeyi çekerek yoluna devâm etti.

Ebû'l-Abbas el-Haşimî'nin Sâlih b. Me'mûn'dan anlattığına göre Sâlih diyor ki: Bir gün Hâris-i Muhasibî'nin huzuruna girdim ve:

– "Kendini hiç muhâsebe ettin mi?" diye sordum. O da:

– "Evet bir defa kendimi hesâba çektim." dedi. Ben:

– "Şimdi ne yapıyorsun?" dediğimde:

– "Şimdi halimi gizliyorum. Çünkü ben bir âyet-i celîle okudum ki, onu nefsime duyurmaktan çekinirim. Şâyet bu hususta bana haddinden fazla sevinç gelmeseydi ben bunu açıklamak istemezdim: Bir gece namaz kıldığım yerde oturuyordum. Karşıma güzel yüzlü, güzel kokulu bir genç çıktı. Selâm verdi ve oturdu. Kendisine:

– "Sen kimsin?" diye sordum. O:

– "Ben bir seyyâhım. Âbidleri ziyâret ederim. Seni çok âbid görüyorum, senin amelin nedir?" diye sordu. Ben de:

– "Mükâfatını Allah'tan dilemek üzere musîbet ve felâketlere katlanırım." dedim. Bunun üzerine delikanlı haykırarak:

– "Doğu ile batı arasında böyle bir adama tesâdüf etmedim." dedi. Hâris devamla: Ona biraz daha bir şeyler anlatmak istedim ve dedim ki:

– "Sen biliyor musun? Basîret erbâbı hallerini gizler ve iç yüzlerini kapalı tutarlar ve bunu gizlemesini de Allah'tan isterler."

– "Sen onları nerden bileceksin?" dedim. Delikanlı bunu duyunca öyle bir âh çekti ki, bayıldı yere düştü. İki gün kadar baygın yattı, üstünü ve başını kirletti. Ayıldığı zaman yıkanmasını ve kefenlik elbisemi giymesini ve yıkanarak namazlarını kaza etmesini kendisine söyledim. Su istedi ve dediğim gibi yaptıktan sonra, çıkmak üzere hazırlandı. Kendisine:

– "Nereye gidiyorsun?" diye sordum. O da:

– "Peşimden gel." dedi. Ben de ardından gittim. Tâ halîfe Me'mûn'un huzuruna girdi, selâm verdi:

– "Ey zâlim! Şâyet ben sana zâlim demesem, Allah katında kendim zâlimlerden olurdum. Senin hakkında kusurumdan

Allah'a tövbe ederim. Maiyetine karşı Allah'tan kork, diye söze başlayarak birçok sözler söyledi ve çıkmak istedi. Me'mûn:

– "Sen kimsin?" dedi. Delikanlı da:

– "Ben bir seyyah'ım. Eski sıddîkların amellerini düşünürüm, benim onları yapmama imkân yok. Düşündüm, size va'z u nasîhat etmekle, siz kızar ve belki beni öldürürsünüz. Ben de bu sâyede o mertebeye yükselmiş olurum." dedi. Me'mûn boynunun vurulmasını emretti. Benim kefenlik elbiseme sarılı olduğu halde dışarıya çıktı. Ben de kapıda bekliyorum. Onu idâm ettiler ve adamları kim ise bunu alsınlar diye ilân edildi. Hâris diyor ki: Ben bir kenara çekildim. Bâzı yabancı kimseler adamı alıp defnettiler. Ben de onları takip ediyordum. Mezarlığın mescidinde gencin ölümüne üzgün bir vaziyette duruyordum. Uyku bastırdı, uyudum. Rüyamda bu genci hayatımda hiç görmediğim güzel hûriler arasında gördüm. O bana:

– "Ey Hâris! Vallahi sen hallerini gizleyenlerden ve Rabbine itaat edenlerdensin." dedi. Ben:

– "Sana ne yaptılar?" diye kendisinden sordum. O da:

– "Şimdi onlar senin yanına gelirler." dedi. Bir de bakım, etrafımda bir takım süvâriler var:

– "Siz kimsiniz? diye kendilerinden sordum. Onlar da:

– "Biz sırrı gizleyen kimseleriz." dediler. "Şu gencin içinde senin anlattığın hiç bir şey yoktu. Fakat sözlerin kendisini tahrîk etti. O da emr-i mâruf ve nehy-i münkere kalkıştı ve bu sâyede bize ulaştı." dediler.

Ahmed b. İbrahim el-Makrî diyor ki: Ebû'l-Hüseyin en-Nûri az konuşan ve üzerine elzem olmayan şeylerden bahsetmeyen ve sormayan bir zât idi. Muhtaç olmadığı şeyleri araştırmaz, gördüğü kötülüğü hayatı pahasına da olsa düzeltmeye çalışırdı. Bir gün yıkanmak maksadıyla Dicle kenarına gitmek üzere gemiciler arasına girmişti. Gördüğü bir geminin içinde otuz küp vardı. Zift ile beraber üzerlerinde "Lütuf" diye yazılı idi. Ticâret ve alış-verişlerde "Lütuf" diye bir şey olmadığı için:

– "Bu ne demektir?" dedi ve gemiciye küplerde ne olduğunu sordu. Gemici:

– "Sana ne? Yoluna devam et." dedi. Gemicinin bu sözünü duyunca, küplerde olan şeyi öğrenmeye daha çok can attı ve:

– "Bu küplerde olanı bana bildirmeni arzu ediyorum." dedi. Gemici:

– "Sana ne? İşine yürü, senin sûfiliğin fuzûli. Bunlarda Mûtezid'e[72] âit şarap vardır, meclisini bunlarla tamamlamak ister." dedi. Bu zât:

– "Demek ki bunlarda şarap vardır?" dedi. Bekçi:

– "Evet şaraptır.", dedi. Bu zât:

– "O küreği bana verir misin?" dedi. Gemici de hizmetçisine:

– "Ver bakalım ne yapacak?" dedi. Küreği eline alır almaz gemiye girerek teker teker bütün küpleri kırdı; yalnız bir tânesini bıraktı. Gemici ise hâkime mürâcaat için harekete geçmişti. O sırada hâkim İbn Bişr-i Eflâh idi. Ebû'l-Hüseyin'i alarak Mûtezid'in huzuruna getirdi. Mûtezid, kılıcı konuşmasından evvel gelen bir insan idi. Ebû'l-Hüseyin'i öldüreceğinden kimsenin şüphesi yoktu. Ebû'l-Hüseyin diyor ki: Huzuruna çıkarıldığım zaman demir kürsüsünde oturuyordu; elinde bir kamçı onu sağa sola çevirip duruyordu. Beni görünce:

---

[72] Amr: Sayrafî'nin veyâ Ubeyd'in oğludur. Hicrî 192 de ölmüştür.Mûtezid, Abbasî halifelerinden ve Hârûn Reşîd'in torunlarındandır. Abbasî halifelerinin 16 ncısıdır. Hicrî 245 tarihinde kendisine biat edildi. 47 yaşında iken 289 Hicrî'de öldü.

– "Sen kimsin?" diye sordu. Ben de:

– "Emr-i mâruf ve nehy-i münker eden bir muhtesibim." dedim. O

– "Bu vazîfeyi sana kim verdi?" dedi. Ben de:

– "Sana hükümdârlığı veren bana da bu vazîfeyi verdi." dedim. Bunun üzerine bir müddet başını eğip düşündükten sonra, yine başını bana doğru kaldırarak:

– "Bu küpleri niçin kırdın?" diye sordu. Ben de:

– "Sana acıdığım için kırdım; Zîra sen kötülük yapmayı düşündün, ben de seni bu kötülükten kurtarmak istedim." dedim. Yine bir müddet yere eğilip düşündükten sonra başını kaldırdı ve:

– "Şu bir küpü niçin bıraktın?" diye sordu: Cevabında dedim ki:

– "Onu bırakmamın başka bir hükmü var; müsâade edersen onu açıklayayım." O:

– "Açıkla bakalım." dedi. Ben:

– "Ey mü'minlerin emîri! Ben şu şarap küplerini kırmaya başladığım zaman, Allahü Teâlâ'nın, "Bunları niçin kırmadın?" diye benden soracağını düşünerek harekete geçtim. Allah korkusu beni kapladı ve O'nun beni mesûl tutacağını düşündüm. İşte o sırada gözüme Allah korkusundan başka hiç bir şey gözükmedi. Bu hal içerisinde küpleri kırdım. Bu küpe sıra gelince, "Ben hükümdârı hiçe sayarak bütün şarap küplerini kırdım." diye içimden bir duygu uyandı; âdeta kendimi beğenir gibi bir hal aldım. İşte kendimde bu kötü hali sezince hemen işimden vazgeçtim ve o küp de kaldı. Şâyet ona kadar devam eden samimî halim devâm etseydi daha pek çok küpler kırardım." dedim. Bunun üzerine Mûtezid:

– "Serbestsin, git. Emr-i mâruf ve nehy-i münker eyle." dedi. Ebu'l-Hüseyin diyor, ben de dedim ki:

– "Ey mü'minlerin emiri! Artık bu selâhiyeti bana verme. Çünkü şimdiye kadar Allah rızâsı için çalışıyordum. Şimdi bir vazîfeli olarak çalışacağımdan bu iş bana gelmez." dedim. Halîfe:

– "O halde ne istiyorsun?" dedi. Ben de:

– Beni sâlimen Bağdad'tan çıkarmanı istiyorum." dedi ve Basra'ya gitti. Orada Mûtezid tarafından kendisine bir soru sorulacak diye korkup dururdu. Mûtezid ölünceye kadar orada kaldı ve sonradan Bağdad'a geldi.

İşte emr-i mâruf ve nehy-i münkerde eski âlimlerin tavrı bu idi. Onlar sultanların satvetlerine aldırış etmezlerdi. Ancak Allahü Teâlâ'nın himâyesine girmeyi ve O'nun kendilerini korumasını düşünür ve O'nun vereceği hükme râzı olurlardı. Haklarında şehâdet hükmünü vermesini candan arzu ederlerdi. Onlar yalnız Allah rızâsını hedef tutan samimî niyete sâhip oldukları için onların hak sözleri katı kalplere tesîr eder ve yumuşatırdı. Fakat şimdi âlimlerin dillerini tamahkârlıkları bağladı, onlar sustular. Konuşurlarsa da sözleri ile özleri birbirine uymaz. Bunun için zafere ulaşamazlar. Şâyet doğru konuşup hakkı da müdâfaa etseler elbette sözleri müessir olurdu ve kendileri de felâha ulaşırdı. Memûrların fesadı, krallarının fesadı iledir. Hükümdârların fesadı da ulemânın bozulmasıyladır. Âlimlerin bozulması ise mal ve mevkî sevgisi iledir. Dünya sevgisi içini kaplayan bir kimse bayağı insanları bile irşâd edemez. Nerede kaldı hükümdârları ve büyükleri irşâd.

Her hal u kârda Allahü Teâlâ hepimizin yardımcısı olsun. Âmin.

Allahın yardımı ve lûtf u keremiyle **“Emr-i Mâruf ve Nehy-i Münker Kitâbı”** burada sona erdi.

كِتَابُ
آدَابِ المَعِيشَةِ
وَأَخْلَاقِ النُّبُوَّةِ

وهو الكتاب العاشر من ربع العادات
من كتب إحياء علوم الدين

Rub'u'l-Âdât

ONUNCU KİTAB

GEÇİM ÂDÂBI VE PEYGAMBER AHLÂKI

(KİTÂBU ÂDÂBİ'L-MAÎŞET VE AHLÂKI'N-NÜBÜVVET)

كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوّة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي خلقَ كلَّ شيءٍ فأحسنَ خلْقَهُ وترتيبَهُ ، وأدَّبَ نبيَّهُ محمداً صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فأحسنَ تأديبَهُ ، وزكَّىٰ أوصافَهُ وأخلاقَهُ ثمَّ اتخذَهُ صفيَّهُ وحبيبَهُ ، ووفَّقَ للاقتداءِ بهِ مَنْ أرادَ تهذيبَهُ ، وحرمَ عنِ التخلُّقِ بأخلاقِهِ مَنْ أرادَ تخييبَهُ ، وصلَّى اللهُ علىٰ محمدٍ سيِّدِ المرسلينَ ، وعلىٰ آلهِ الطيِّبينَ الطاهرينَ ، وسلَّمَ كثيراً .

أما بعد :

فإنَّ آدابَ الظواهرِ عنوانُ آدابِ البواطنِ ، وحركاتِ الجوارحِ ثمراتُ الخواطرِ ، والأعمالَ نتيجةُ الأخلاقِ ، والآدابَ رشْحُ المعارفِ ، وسرائرَ القلوبِ هيَ مغارسُ الأفعالِ ومنابعُها ، وأنوارَ السرائرِ هيَ التي تشرقُ على الظواهرِ فتزيِّنُها وتجلِّيها ، وتبدِّلُ بالمحاسنِ مكارهَها ومساويَها ، ومَنْ لمْ يخشعْ قلبُهُ . . لمْ تخشعْ جوارحُهُ ، ومَنْ لمْ يكنْ صدرُهُ مشكاةَ الأنوارِ الإلـٰهيَّةِ . . لمْ يفضْ علىٰ ظاهرِهِ جمالُ الآدابِ النبويَّةِ .

ولقدْ كنتُ عزمتُ علىٰ أنْ أختمَ ربعَ العاداتِ مِنْ هـٰذا الكتابِ بكتابٍ جامعٍ لآدابِ المعيشةِ ؛ لئلاَّ يشقَّ علىٰ طالبِها استخراجُها مِنْ جميعِ هـٰذهِ

الكتبِ ، ثمَّ رأيتُ كلَّ كتابٍ مِنْ ربعِ العباداتِ وربعِ العاداتِ قدْ أتىٰ علىٰ جملةٍ مِنَ الآدابِ ، فاستثقلتُ تكريرَها وإعادتَها ؛ فإنَّ ظِلَّ الإعادةِ ثقيلٌ ، والنفوسُ مجبولةٌ علىٰ معاداةِ المعاداتِ .

فرأيتُ أنْ أقتصرَ في هـٰذا الكتابِ علىٰ ذكرِ آدابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأخلاقِهِ المأثورةِ عنهُ بالإسنادِ ، فأسردَها مجموعةً فصْلاً فصْلاً ، محذوفةَ الأسانيدِ ؛ ليجتمعَ فيهِ معَ جمعِ الآدابِ تجديدُ الإيمانِ ، وتأكيدُهُ بمشاهدةِ أخلاقِهِ الكريمةِ ، التي يشهدُ آحادُها على القطعِ بأنَّهُ أكرمُ خلقِ اللهِ تعالىٰ ، وأعلاهُمْ رتبةً ، وأجلُّهُمْ قدْراً ، فكيفَ مجموعُها ؟!

ثمَّ أضيفُ إلىٰ ذكرِ أخلاقِهِ ذكرَ خلقتِهِ ، ثمَّ ذكرَ معجزاتِهِ التي صحَّتْ بها الأخبارُ ؛ ليكونَ ذلكَ معرِّفاً مكارمَ الأخلاقِ والشيمِ ، ومنتزِعاً عنْ آذانِ الجاحدينَ لنبوَّتِهِ صِمامَ الصممِ ، واللهُ تعالىٰ وليُّ التوفيقِ للاقتداءِ بسيِّدِ المرسلينَ ؛ في الأخلاقِ والأحوالِ وسائرِ معالمِ الدينِ ؛ فإنَّهُ دليلُ المتحيِّرينَ ، ومجيبُ دعوةِ المضطرِّينَ .

ولنذكرْ فيه أوَّلاً بيانَ تأديبِ اللهِ تعالىٰ إيَّاهُ بالقرآنِ ، ثمَّ بيانَ جوامعَ مِنْ محاسنِ أخلاقِهِ ، ثمَّ بيانَ جملةٍ مِنْ آدابِهِ وأخلاقِهِ ، ثمَّ بيانَ كلامِهِ وضحكِهِ ، ثمَّ بيانَ أخلاقِهِ وآدابِهِ في الطعامِ ، ثمَّ بيانَ أخلاقِهِ وآدابِهِ في اللباسِ ، ثمَّ بيانَ عفوِهِ معَ القدرةِ ، ثمَّ بيانَ إغضائِهِ عمَّا كانَ يكرهُ ، ثمَّ بيانَ سخاوتِهِ وجودِهِ ، ثمَّ بيانَ شجاعتِهِ وبأسِهِ ، ثمَّ بيانَ تواضعِهِ ، ثمَّ بيانَ صورتِهِ وخِلْقتِهِ ، ثمَّ بيانَ جوامعِ معجزاتِهِ وآياتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

MUKADDİME

Hamd Allah’a mahsûstur. O’na hamd ederim. O Allah ki, yarattığı her şeyi en güzel bir tertîb ve şekilde yarattı. Rasûl-i Ekrem’i (s.a.v.) en güzel bir şekilde terbiye etti. Onun ahlâk ve vasıflarını tezkiye ederek onu kendisine dost edindi. Ezelde hidâyetini murâd ettiği kimseyi ona uymaya muvaffak kıldı. Hüsrânda kalmasını irâde ettiği kimseleri de onun ahlâkı ile ahlâklanmaktan uzaklaştırdı.

Salât u selâm O’nun sevgili Habîbi Hz. Muhammed’e (s.a.v.) ve her yönden temiz olan âline ve ashâbına olsun.

Bundan sonra bilmiş ol ki: Zâhirî edepler bâtınî edeplerin başlangıcıdır. Âzâların hareketleri gönül meyveleri, ameller ise ahlâkın netîceleridir. Edep ve terbiye mârifetten doğar. Gönüller, içinde sakladığı sevgiler, işlerin menbaı, menşei ve çıkış mahallidir. Dışarıda parlayan, gönüllerde doğan nurlardır. Bu nurlar, hârici süsler ve parlatır. Çirkin ve kötü halleri iyi hallere değiştirir, kalbinde huşûu olmayan kimsenin âzâlarında huşû aranamaz. Göğsü ilâhî nurların aynası ve tecellîgâhı olmayan kimsenin görünen âzâlarına nübüvvet edebinin güzellikleri dökülmez.

Geçim âdâbını, kitabın tamamının içerisinden çıkarmak zor olduğu için, **İhyâu Ulûm**’un Rub’u’l-Âdât kısmını, geçim edeplerini toplayan kitap ile sona erdirmeyi düşündüm. Sonra baktım ki, bu kısmın her kitabında âbâba dâir pek çok şeyler anlattım. Artık onları tekrara lüzum görmüyorum. Çünkü tekrar etmek ağır düşer; gönüller bu gibi şeylerden hoşlanmaz. Bu yüzden, burada yalnız Rasûl-i Ekrem'in (s.a.v.) âdâbını ve senetleri ile bildirilen ahlâkını anlatayım ki, bu sâyede bütün edeplerle beraber, îmân da tazelenmiş olsun. Onun ahlâkını müşâhade, bunu doğurur. Allahü Teâlâ'nın en keremli yaratığı ve en üstün rütbeyi hâiz bir kulu olduğunu gösterir. Nerede kaldı ahlâkının tamamını bir arada görmek. Ahlâkının yanında bir de yaratılışını, sonra doğru olarak rivâyet edilen mûcizelerini anlatayım ki, bu sâyede tabiat ve ahlâkı, fazîleti daha iyi anlaşılsın. Nübüvvetini inkâr edenleri susturup ağızlarına gem vurulması için, ahlâk ve diğer hallerinde peygamberlerin efdali Hz. Muhammed'e uymakta Allahü Teâlâ tevfîk edicidir. Şaşkınları irşâd edip, darda olanların dâvetlerine icâbet eden O'dur.

Buna göre önce, Allahü Teâlâ'nın Kur'ân-ı Kerîm ile Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'ini nasıl terbiye ettiği, sonra toplu olarak ahlâkî fazîletlerini, sonra edep ve ahlâkından bâzılarını, sonra konuşma ve gülmesini, sonra yiyip içmekteki ahlâkını, sonra elbise giymedeki ahlâk ve âdabını, sonra intikama gücü yeterken bağışlamasını, sonra hoşlanmadığı şeylerden çekinmesini, sonra cömertliğini, sonra cesâret ve metânetini, sonra tevâzûunu, sonra sûret ve hilkatini ve daha sonra da topluca mûcize ve alâmetlerini anlatacağız.

بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالقرآن

كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كثيرَ الضَّراعةِ والابتهالِ ، دائمَ السؤالِ مِنَ اللهِ تعالىٰ أنْ يزيِّنَهُ بمحاسنِ الآدابِ ومكارمِ الأخلاقِ ، فكانَ يقولُ في دعائِهِ : « اللهمَّ ؛ حسِّنْ خَلْقِي وخُلُقِي »⁽¹⁾ ، ويقولُ : « اللهمَّ ؛ جنِّبْني منكراتِ الأخلاقِ »⁽²⁾ .

فاستجابَ اللهُ تعالىٰ دعاءَهُ وفاءً بقولِهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، فأنزلَ عليهِ القرآنَ ، وأدَّبَهُ بهِ ، فكانَ خلقُهُ القرآنَ .

قالَ سعدُ بنُ هشامٍ : دخلتُ علىٰ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها وعنْ أبيها ، فسألْتُها عنْ أخلاقِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَتْ : أما تقرأُ القرآنَ ؟ قلتُ : بلىٰ ، قالَتْ : كانَ خلقُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ القرآنَ⁽³⁾ .

وإنَّما أدَّبَهُ القرآنُ بمثلِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ .

---

(1) رواه أحمد في « المسند » (١/٤٠٣) ، (٦/٦٨) من حديث عبد الله بن مسعود وعائشة رضي الله عنهما ، ولفظه : « اللهم ، أحسنت خلقي فأحسن خُلقي » ، وحديث ابن مسعود رواه كذلك ابن حبان في « صحيحه » (٩٥٩) .

(2) رواه الترمذي (٣٥٩١) ولفظه : « اللهم ؛ إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء » .

(3) رواه مسلم (٧٤٦) .

وقولِهِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾ .

وقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ .

وقولِهِ : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ .

وقولِهِ : ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وقولِهِ : ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ .

وقولِهِ : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ .

وقولِهِ: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وقولِهِ : ﴿ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ .

ولمَّا كُسرتْ رَباعِيَتُهُ وشُجَّ يومَ أحدٍ . . فجعلَ الدمُ يسيلُ علىٰ وجهِهِ ، وهوَ يمسحُ الدمَ ويقولُ : « كيفَ يفلحُ قومٌ خضبوا وجْهَ نبيِّهِمْ بالدمِ وهوَ يدعُوهُمْ إلىٰ ربِّهِمْ ؟! » فأنزلَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾⁽¹⁾ تأديباً لهُ علىٰ ذلكَ .

وأمثالُ هٰذهِ التأديباتِ في القرآنِ لا تنحصرُ .

---

(١) رواه مسلم (١٧٩١) من حديث أنس رضي الله عنه .

وهوَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ المقصودُ الأوَّلُ بالتأديبِ والتهذيبِ ، ثمَّ منهُ يشرقُ النورُ علىٰ كافَّةَ الخلقِ ، فإنَّهُ أُدِّبَ بالقرآنِ ، وأُدِّبَ الخلقُ بهِ ، ولذلكَ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « بُعثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ »[1] ، ثمَّ رغَّبَ الخلقَ في حسنِ الأخلاقِ بما أوردناهُ في كتابِ رياضةِ النفسِ وتهذيبِ الأخلاقِ ، فلا نعيدُهُ .

ثمَّ لمَّا أكملَ اللهُ تعالىٰ خُلُقَهُ . . أثنىٰ عليهِ فقالَ تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

فسبحانَهُ ما أعظمَ شانَهُ ، وأتمَّ امتنانَهُ ! انظرْ إلىٰ عميمِ فضلِهِ كيفَ أعطىٰ ثمَّ أثنىٰ ، فهوَ الذي زيَّنَهُ بالخُلُقِ الكريمِ ، ثمَّ أضافَ إليهِ ذلكَ فقالَ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، ثمَّ بيَّنَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ للخلقِ أنَّ اللهَ يحبُّ مكارمَ الأخلاقِ ويبغضُ سفسافَها[2] .

وقالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : يا عجباً لرجلٍ مسلمٍ ! يجيئُهُ أخوهُ المسلمُ في حاجةٍ ، فلا يرىٰ نفسَهُ للخيرِ أهلاً ، فلوْ كانَ لا يرجو ثواباً ولا يخشىٰ

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٣٨١) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٢٧٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ١٩١) واللفظ له .

(٢) روىٰ ذلك الحاكم في « المستدرك » (١/ ٤٨) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ١٩١) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه ، ورواه هناد في « الزهد » (٨٢٨) ، والبيهقي أيضاً في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ١٩١) من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلاً .

عقاباً . . لقدْ كانَ ينبغي لهُ أنْ يسارعَ في مكارمِ الأخلاقِ ؛ فإنَّها ممَّا تدلُّ علىٰ سبيلِ النجاةِ . فقالَ لهُ رجلٌ : أسمعتَهُ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؟ قالَ : نعمْ ، وما هوَ خيرٌ منهُ ؛ لمَّا أُتِيَ بسبايا طَيِّئٍ . . وقفَتْ جاريةٌ في السبيِ ، فقالَتْ : يا محمدُ ؛ إنْ رأيتَ أنْ تخلِّيَ عنِّي ولا تُشْمِتْ بي أحياءَ العربِ ، فإنِّي بنتُ سيِّدِ قومي ، وإنَّ أبي كانَ يحمي الذِّمارَ ، ويفكُّ العانيَ ، ويشبعُ الجائعَ ، ويطعمُ الطعامَ ، ويفشي السلامَ ، ولمْ يردَّ طالبَ حاجةٍ قطُّ ، أنا ابنةُ حاتمِ طيِّئٍ ، فقالَ لها صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يا جاريةُ ؛ هـٰذهِ صفةُ المؤمنينَ حقّاً ؛ لوْ كانَ أَبُوكِ مُسْلِماً . . لترحَّمْنا عليهِ ، خلُّوا عنها ؛ فإنَّ أباها كانَ يحبُّ مكارمَ الأخلاقِ ، وإنَّ اللهَ يحبُّ مكارمَ الأخلاقِ » ، فقامَ أبو بردةَ بنُ نيَّارٍ فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ اللهُ يحبُّ مكارمَ الأخلاقِ ؟ فقالَ : « والذي نفسي بيدِهِ ؛ لا يدخلُ الجنَّةَ إلا حسنُ الأخلاقِ »⁽¹⁾ .

وعنْ معاذِ بنِ جبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « إنَّ اللهَ حفَّ الإسلامَ بمكارمِ الأخلاقِ ومحاسنِ الأعمالِ ، ومِنْ ذلكَ : حسنُ المعاشرةِ ، وكرمُ الصنيعةِ ، ولينُ الجانبِ ، وبذلُ المعروفِ ، وإطعامُ الطعامِ ، وإفشاءُ السلامِ ، وعيادةُ المريضِ المسلمِ ؛ برّاً

---

(١) هو عند الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (ص ٢٢٩) ، ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٢٤١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١١/ ٣٥٨) ، وصاحبة الخبر هي سفانة بنت حاتم .

كانَ أوْ فاجراً ، وتشييعُ جنازةِ المسلمِ ، وحسنُ الجوارِ لِمَنْ جاورتَ ؛ مسلماً كانَ أوْ كافراً ، وتوقيرُ ذي الشيبةِ المسلمِ ، وإجابةُ الطعامِ والدعاءُ عليهِ ، والعفوُ ، والإصلاحُ بينَ الناسِ ، والجودُ ، والكرمُ ، والسماحةُ ، والابتداءُ بالسلامِ ، وكظمُ الغيظِ ، والعفوُ عنِ الناسِ ، واجتنابُ ما حرَّمَهُ الإسلامُ منَ اللهوِ ، والباطلِ ، والغناءِ ، والمعازفِ كلِّها ، وكلِّ ذي وَتْرٍ وكلِّ ذي ذَحْلٍ[1] ، والكذبِ ، والغيبةِ ، والبخلِ ، والشحِّ ، والجفاءِ ، والمكرِ ، والخديعةِ ، والنميمةِ ، وسوءِ ذاتِ البينِ ، وقطيعةِ الأرحامِ ، وسوءِ الخلقِ ، والتكبُّرِ ، والفخرِ ، والاختيالِ ، والاستطالةِ ، والبذخِ ، والفُحْشِ ، والتفحُّشِ ، والحقدِ ، والحسدِ ، والطِّيَرَةِ ، والبغْيِ ، والعدوانِ والظلمِ »[2] .

قالَ أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ : فلمْ يدعْ نصيحةً أوْ خصلةً جميلةً إلا قدْ دعانا إليها وأمرنَا بها ، ولمْ يدعْ غشّاً ـ أوْ قالَ : عيباً ـ ولا شيناً إلا حذرَناهُ ونهانا عنهُ ، ويكفي مِنْ ذلكَ كلِّهِ هـٰذهِ الآيةُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾[3] .

---

[1] **الوَتْر** : الثأر ، **والذَّحْل** : الحقد والعداوة ، والثأر أيضاً ، وهو أيضاً بالدال المهملة والخاء المعجمة .

[2] قال الحافظ العراقي : (الحديث بطوله لم أقف له علىٰ أصل ، ويغني عنه حديث معاذ الآتي بعده بحديث) . « إتحاف » (٧/ ٩٥) .

[3] قال الحافظ العراقي : (لم أقف له علىٰ إسناد ، وهو صحيح من حيث الواقع) ، وعلّق علىٰ ذلك الحافظ الزبيدي : (والذي يظهر لي من سياق المصنف أن الحديث =

وقال معاذٌ رضيَ اللهُ عنهُ : أوصاني رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : « يا معاذُ ؛ أوصيكَ باتقاءِ اللهِ ، وصدقِ الحديثِ ، والوفاءِ بالعهدِ ، وأداءِ الأمانةِ ، وتركِ الخيانةِ ، وحفظِ الجارِ ، ورحمةِ اليتيمِ ، ولينِ الكلامِ ، وبذلِ السلامِ ، وحسْنِ العملِ ، وقصرِ الأملِ ، ولزومِ الإيمانِ ، والتفقُّهِ في القرآنِ ، وحبِّ الآخرةِ ، والجزعِ مِنَ الحسابِ ، وخفضِ الجناحِ ، وأنهاكَ أنْ تسبَّ حكيماً ، أوْ تكذِّبَ صادقاً ، أوْ تطيعَ آثماً ، أوْ تعصيَ إماماً عادلاً ، أوْ تفسدَ أرضاً ، وأوصيكَ باتقاءِ اللهِ عندَ كلِّ شجرٍ وحجرٍ ومدرٍ ؛ وأنْ تحدثَ لكلِّ ذنبٍ توبةً ، السرُّ بالسرِّ والعلانيةُ بالعلانيةِ »(١) .

فهكذا أدَّبَ عبادَ اللهِ ، ودعاهُمْ إلىٰ مكارمِ الأخلاقِ ومحاسنِ الآدابِ(٢) .

* * *

= المتقدم هو من رواية أنس عن معاذ ، فتأمل) .

وروى الطبراني في « الكبير » (٩/ ١٣٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : (إن أجمع آية في القرآن لخير وشر آية في سورة النحل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ الآية) .

وروى الطبري في « تفسيره » (٨/ ١٤/ ٢٠٠) عن قتادة : (إنه ليس من خُلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به ، وليس من خلق سيِّىء كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدم فيه ، وإنما نهىٰ عن سفاسف الأخلاق ومذامِّها) .

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٤٠) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٩٥٦) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٨/ ٤٣٤) .

(٢) شرح هـٰذا البيان بتمامه العلامة اللحجي في « منتهى السول » (٢/ ٣١٦_٣٨٥) .

بيان جملةٍ من محاسن أخلاقه صلّى الله عليه وسلّم التي جمعها بعض العلماء، والتقطها من الأخبار

فقالَ : كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أحلمَ الناسِ(١) ، وأشجعَ الناسِ(٢) ، وأعدلَ الناسِ(٣) ، وأعفَّ الناسِ ، لمْ تمسَّ يدُهُ قطُّ يدَ امرأةٍ لا يملكُ رقَّها ، أوْ عصمةَ نكاحِها ، أوْ تكونَ ذاتَ محرمٍ منهُ(٤) .

وكانَ أسخى الناسِ ، لا يبيتُ عندَهُ دينارٌ ولا درهمٌ ، وإنْ فضلَ شيءٌ ولمْ يجدْ مَنْ يعطيهِ وفجأهُ الليلُ .. لمْ يأوِ إلىٰ منزلِهِ حتَّىٰ يتبرَّأَ منهُ إلىٰ مَنْ يحتاجُ إليهِ(٥) .

ولا يأخذُ ممَّا آتاهُ اللهُ إلا قوتَ عامِهِ فقطْ ، مِنْ أيسرِ ما يجدُ مِنَ التمرِ والشعيرِ ، ويضعُ سائرَ ذلكَ في سبيلِ اللهِ .

---

(١) كما في « أخلاق النبي وآدابه » (١٧٣) من حديث عبد الرحمـٰن بن أبزىٰ رضي الله عنه ، و« صحيح ابن حبان » (٢٨٨) من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه .

(٢) كما في « البخاري » (٢٨٢٠) ، و« مسلم » (٢٣٠٧) .

(٣) كما في « الشمائل » للترمذي (٣٣٦) من حديث سيدنا علي كرم الله وجهه .

(٤) كما في « البخاري » (٢٧١٣) ، و« مسلم » (١٨٦٦) من حديث عائشة رضي الله عنها ، والترمذي (٣٣٠٦) عن طاووس مرسلاً ، ومالك (٢/ ٩٨٢) من حديث أميمة بنت رقيقة مرفوعاً .

(٥) رواه أبو داوود (٣٠٥٥) ، وابن حبان في « صحيحه » (٦٣٥١) من حديث بلال رضي الله عنه .

لا يُسألُ شيئاً إلا أعطاهُ(١) ، ثمَّ يعودُ علىٰ قوتِ عامِهِ فيؤثِرُ منهُ ، حتَّىٰ إنَّهُ ربَّما احتاجَ قبلَ انقضاءِ العامِ إنْ لمْ يأتِهِ شيءٌ(٢) .

وكانَ يخصفُ النعلَ(٣) ، ويرقعُ الثوبَ ، ويخدمُ في مِهْنَةِ أهلِهِ(٤) ، ويقطعُ اللحمَ معَهُنَّ(٥) ، وكانَ أشدَّ الناسِ حياءً ، لا يثبتُ بصرُهُ في وجهِ أحدٍ(٦) .

ويجيبُ دعوةَ العبدِ والحرِّ(٧) ، ويقبلُ الهديَّةَ ولوْ أنَّها جَرعةُ لبنٍ أوْ فخذُ أرنبٍ ، ويكافِئُ عليها(٨) ، ويأكلُها ولا يأكلُ الصدقةَ ، ولا يستكبرُ عنْ إجابةِ الأَمَةِ والمسكينِ .

يغضبُ لربِّهِ عزَّ وجلَّ ولا يغضبُ لنفسِهِ(٩) ، وينفذُ الحقَّ وإنْ عادَ

---

(١) كما في « البخاري » (١٢٧٧ ، ٢٠٩٣) ، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه ، و« مسلم » (٢٣١٢) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري (٢٩١٦) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) أي : يصلحها بترقيع وخرز .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ١٦٧) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٥) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ٩٤) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٦) كما في « البخاري » (٣٥٦٢) ، و« مسلم » (٢٣٢٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وانظر « جوامع السيرة » (ص ٣٣) .

(٧) لما روى الترمذي (١٠١٧) واللفظ له ، وابن ماجه (٤١٧٨) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٨) لما روى البخاري (١٦٦٢ ، ٢٥٧٢ ، ٢٥٨٥) من حديث أم المؤمنين عائشة وغيرها رضي الله عنهم ، ومسلم (١١٢٣ ، ١٩٥٣) .

(٩) كما روى البخاري (٣٥٦٠) ، ومسلم (٢٣٢٧) من حديث عائشة رضي الله عنها ، والترمذي في « الشمائل » (٢٢٥) من حديث هند بن أبي هالة رضي الله عنه .

ذلكَ بالضررِ عليهِ أوْ علىٰ أصحابِهِ[١] .

عُرِضَ عليهِ الانتصارُ بالمشركينَ على المشركينَ ، وهوَ في قلَّةٍ وحاجةٍ إلىٰ إنسانٍ واحدٍ يزيدُه في عددِ مَنْ معَهُ . . فأبىٰ وقالَ : « إنَّا لا نستنصرُ بمشركٍ »[٢] .

ووجدَ مِنْ فضلاءِ أصحابِهِ وخيارِهِمْ قتيلاً بينَ اليهودِ ، فلمْ يحفِ عليهِمْ[٣] ، ولا زادَ علىٰ مُرِّ الحقِّ ، بلْ وداهُ بمئةِ ناقةٍ ، وإنَّ بأصحابِهِ لحاجةً إلىٰ بعيرٍ واحدٍ يتقوَّونَ بهِ[٤] .

---

[١] أشار الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٧/ ١٠٠) أنه وجد بخط الحافظ ابن حجر في طرة كتاب شيخه العراقي في تخريجه لـ« الإحياء » : (أشار به إلىٰ قصة أبي جندل بن سهيل بن عمرو) ، وهي عند البخاري (٢٧١٣) ؛ حيث اشترط لهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرد كل آت وإن كان مسلماً كما طلب ذلك سهيل ، فردَّ ولده أبا جندل وأنفذ الحق مع أنه جاء مسلماً .

[٢] روىٰ مسلم (١٨١٧) عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بدر ، فلما كان بحرَّة الوبرة . . أدركه رجل قد كان يُذكر منه جرأة ونجدة ، ففرح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه ، فلما أدركه . . قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : جئت لأتبعك وأصيب معك ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تؤمن بالله ورسوله ؟ » قال : لا ، قال : « فارجع ، فلن أستعين بمشرك » . وكان قد راجعه ، فلم يقبله صلى الله عليه وسلم حتىٰ أقرَّ بالإيمان بالله ورسوله .

[٣] أي : لم يجرْ عليهم . « إتحاف » (٧/ ١٠٠) .

[٤] روىٰ ذلك البخاري (٣١٧٣) ، ومسلم (١٦٦٩) ، والقتيل هو عبد الله بن سهل الأنصاري رضي الله عنه .

وكانَ يعصِبُ الحجرَ علىٰ بطنِهِ مرَّةً مِنَ الجوعِ(١) ، ومرَّةً يأكلُ ما حضرَ ، ولا يردُّ ما وجدَ ، ولا يتورَّعُ عنْ مطعمٍ حلالٍ(٢) .

وإنْ وجدَ تمراً دونَ خبزٍ . . أكلَهُ(٣) ، وإنْ وجدَ شواءً . . أكلَهُ(٤) ، وإنْ وجدَ خبزَ بُرٍّ أوْ شعيرٍ . . أكلَهُ(٥) ، وإنْ وجدَ حلواءَ أوْ عسلاً . . أكلَهُ(٦) ، وإنْ وجدَ لبناً دونَ خبزٍ . . اكتفىٰ بهِ(٧) ، وإنْ وجدَ بطيخاً أوْ رطباً . . أكلَهُ(٨) .

لا يأكلُ متَّكئاً ، ولا علىٰ خِوانٍ ، منديلُهُ باطنُ قدميهِ(٩) .

لمْ يشبعْ مِنْ خبزِ برٍّ ثلاثةَ أيامٍ متواليةٍ حتَّىٰ لقيَ اللهَ تعالىٰ ؛ إيثاراً علىٰ نفسِهِ ، لا فقراً ولا بخلاً .

---

(١) كما جاء ذلك في قصة الخندق في « البخاري » (٤١٠١) من حديث جابر رضي الله عنه .

(٢) روىٰ ذلك ابن المبارك في « الزهد » (٥٧١) عن الأوزاعي مرسلاً ، ومسلم (٢٠٥٢) .

(٣) رواه مسلم (٢٠٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٤) رواه الترمذي (١٨٢٩) من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

(٥) لما روى البخاري (٥٤١٦) ، ومسلم (٢٩٧٠) واللفظ له من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٦) كما روى البخاري (٥٤٣١) ، ومسلم (١٤٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٧) كما روى البخاري (٢١١) ، ومسلم (٣٥٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٨) رواه أبو داوود (٣٨٣٨) ، والترمذي (١٨٤٣) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٦٦٨٧) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٩) رواه البخاري (٥٤٥٧) من قول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

يجيبُ الوليمةَ ، ويعودُ المرضىٰ(١) ، ويشهدُ الجنائزَ(٢) ، ويمشي وحدَهُ بينَ أعدائِهِ بلا حارسٍ(٣) .

أشدُّ الناسِ تواضعاً ، وأسكنُهُمْ في غيرِ كبرٍ(٤) ، وأبلغُهُمْ في غيرِ تطويلٍ(٥) ، وأحسنُهم بشراً(٦) .

لا يهولُهُ شيءٌ مِنْ أمورِ الدنيا(٧) ، ويلبسُ ما وجدَ ؛ فمرَّةً شملةً ، ومرَّةً بردَ حِبرةٍ يمانياً ، ومرَّةً جبةَ صوفٍ ، ما وجدَ مِنَ المباحِ لبسَ(٨) .

وخاتمُهُ فضةٌ(٩) ، يلبسُهُ في خِنْصَرِهِ الأيمنِ وربَّما في الأيسرِ(١٠) .

---

(١) كعيادته صلى الله عليه وسلم لسعد بن عبادة رضي الله عنه كما في « البخاري » (٤٥٦٦) ، و« مسلم » (١٧٩٨) .

(٢) رواه الترمذي في « الشمائل » (٣٣٢) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٣) رواه الترمذي (٣٠٤٦) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٤) قال الحافظ العراقي : (روىٰ أبو الحسن بن الضحاك في « الشمائل » من حديث أبي سعيد الخدري ، في صفته صلى الله عليه وسلم : متواضع في غير ذلة) .

(٥) لما روى البخاري (٣٥٦٨) ، ومسلم (٢٤٩٣) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٦) رواه الترمذي في « الشمائل » (٣٥١) من حديث علي رضي الله عنه .

(٧) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ٦٩) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٨) رواه البخاري (١٢٧٧ ، ٥٧٩٩ ، ٥٨١٢) ، ومسلم (٢٧٤ ، ٢٠٧٩) من حديث أنس والمغيرة رضي الله عنهما .

(٩) كما في « البخاري » (٦٥) ، و« مسلم » (٢٠٩٢) من حديث أنس رضي الله عنه .

(١٠) رواه مسلم (٢٠٩٤ ، ٢٠٩٥) من حديث أنس رضي الله عنه .

يردفُ خلفَهُ عبدَهُ أوْ غيرَهُ(١) ، يركبُ ما أمكنَهُ ؛ مرَّةً فرساً(٢) ، ومرَّةً بعيراً(٣) ، ومرَّةً بغلةً شهباءَ(٤) ، ومرَّةً حماراً ، ومرَّةً يمشي راجلاً حافياً بلا رداءٍ ولا عِمامةٍ ولا قلنسوةٍ ، يعودُ المرضىٰ في أقصى المدينةِ(٥) .

يحبُّ الطيبَ ، ويكرهُ الرائحةَ الرديئةَ(٦) .

ويجالسُ الفقراءَ(٧) ، ويؤاكلُ المساكينَ(٨) .

ويكرمُ أهلَ الفضلِ في أخلاقِهِمْ ، ويتألَّفُ أهلَ الشرفِ بالبرِّ لهُمْ(٩) .

يصلُ ذوي رحِمِهِ مِنْ غيرِ أنْ يؤثرَهُمْ علىٰ مَنْ هوَ أفضلُ منهُمْ(١٠) .

---

(١) فمن ذلك : إردافه لأسامة بن زيد والفضل بن عباس رضي الله عنهم في حجه صلى الله عليه وسلم كما في « البخاري » (٥٤٤) .

(٢) رواه البخاري (٢٦٢٧) ، ومسلم (٢٣٠٧) .

(٣) رواه البخاري (٢٧٣٤) .

(٤) رواه البخاري (٢٨٦٤) ، ومسلم (١٧٧٦) .

(٥) كما روىٰ مسلم (٩٢٥) في حديث عيادته صلى الله عليه وسلم لسعد بن عبادة رضي الله عنه .

(٦) لما روى النسائي (٧/ ٦١) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً ، وأبو داوود (٤٠٧٤) عن عائشة رضي الله عنها .

(٧) رواه أبو داوود (٣٦٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٨) رواه البخاري (٦٤٥٢) من قول أبي هريرة رضي الله عنه .

(٩) رواه الترمذي في « الشمائل » (٣٣٦) من حديث علي كرم الله وجهه ، والطبراني في « الكبير » (٢/ ٣٠٤) .

(١٠) رواه الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٣٢٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، والبخاري (٤٦٦)، ومسلم (٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً .

لا يجفو علىٰ أحدٍ(١) .

يقبلُ معذرةَ المعتذرِ إليهِ(٢) .

يمزحُ ولا يقولُ إلا حقّاً(٣) ، يضحكُ مِنْ غيرِ قهقهةٍ(٤) ، يرى اللعبَ المباحَ فلا ينكرُهُ .

ويسابقُ أهلَهُ ، وتُرفعُ الأصواتُ عليهِ فيصبرُ(٥) .

وكانَ لهُ لِقاحٌ وغنمٌ يتقوَّتُ هوَ وأهلُهُ مِن ألبانِها(٦) .

ولهُ عبيدٌ وإماءٌ لا يرتفعُ عليهِمْ في مأكلٍ ولا ملبسٍ(٧) .

لا يمضي لهُ وقتٌ في غيرِ عملٍ للهِ تعالىٰ ، أوْ فيما لا بدَّ لهُ مِنْ صلاحِ نفسِهِ(٨) .

---

(١) كما روىٰ أبو داوود (٤١٨٢) من حديث أنس رضي الله عنه ، والترمذي في « الشمائل » (٣٤٤) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه .

(٢) كما في البخاري (٤٤١٨) ، ومسلم (٢٧٦٩) .

(٣) كما في « الترمذي » (١٩٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) رواه البخاري (٤٨٢٩) ، ومسلم (٨٩٩) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٥) جوامع السيرة (ص ٣٥) ، ورواه البخاري (٤٣٦٧) ، وانظر « الإتحاف » (١٠٦/٧) .

(٦) كما في « البخاري » (٤١٩٤) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ، و« أبي داوود » (١٤٢) من حديث لقيط بن صبرة ، وابن سعد في « طبقاته » (١/ ٤٢٥) من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

(٧) كما روىٰ ابن سعد في « الطبقات » (١/ ٤٢٨) من حديث سلمىٰ رضي الله عنها .

(٨) كما روى الترمذي في « الشمائل » (٣٣٦) من حديث علي كرم الله وجهه .

يخرجُ إلىٰ بساتينِ أصحابِهِ .

لا يحقرُ مسكيناً لفقرِهِ وزمانتِهِ ، ولا يهابُ ملكاً لملْكِهِ ، يدعو هـٰذا وهـٰذا إلى اللهِ عزَّ وجلَّ دعاءً مستوياً(١) .

قدْ جمعَ اللهُ تعالىٰ لهُ السيرةَ الفاضلةَ ، والسياسةَ التامَّةَ ، وهوَ أمِّيٌّ لا يقرأُ ولا يكتبُ ، نشأَ في بلادِ الجهلِ والصحارىٰ ، في فقرٍ وفي رعايةِ غنمٍ ، يتيماً لا أبَ لهُ ولا أمَّ ، فعلَّمَهُ اللهُ تعالىٰ جميعَ محاسنِ الأخلاقِ ، والطرقَ الحميدةَ ، وأخبارَ الأوَّلينَ والآخرينَ ، وما فيهِ النجاةُ والفوزُ في الآخرةِ ، والغبطةُ والخلاصُ في الدنيا ، ولزومَ الواجبِ وتركَ الفضولِ .

وفَّقَنا اللهُ لطاعتِهِ في أمرِهِ ، والتأسِّي بهِ في فعلِهِ ، آمينَ آمينَ يا ربَّ العالمينَ(٢) .

* * *

---

(١) كما روى البخاري (٥٠٩١) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه ، ومسلم (١٧٧٤) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) انظر « جوامع السيرة » (ص٣٤ ـ ٣٥) للإمام ابن حزم .

بيان جملةٍ أخرىٰ من آدابه وأخلاقه صلّى الله عليه وسلّم

ممَّا رواهُ أبو البَخْتَرِيِّ : قالوا : ما شتمَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أحداً مِنَ المؤمنينَ بشتيمةٍ إلا جُعِلَ لهُ كفارةً ورحمةً(١) ، وما لعنَ امرأةً قطُّ ولا خادماً بلعنةٍ(٢) .

وقيلَ لهُ وهوَ في القتالِ : لوْ لعنتَهُمْ يا رسولَ اللهِ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إنما بُعثتُ رحمةً ولمْ أُبعثْ لعَّاناً »(٣) .

وكانَ إذا سُئِلَ أنْ يدعوَ علىٰ أحدٍ ، مسلمٍ أوْ كافرٍ ، عامٍّ أوْ خاصٍّ . . عدلَ عنِ الدعاءِ عليهِ إلى الدعاءِ لهُ(٤) .

وما ضربَ بيدِهِ أحداً قطُّ إلا أنْ يضربَ بها في سبيلِ اللهِ تعالىٰ ، وما انتقمَ مِنْ شيءٍ صُنعَ إليهِ قطُّ إلا أنْ تُنتهَكَ حرمةُ اللهِ ، وما خُيِّرَ بينَ أمرينِ

---

(١) روى البخاري (٦٣٦١) ، ومسلم (٢٦٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « اللهم ؛ إنما أنا بشر ، فأيُّما رجلٍ من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته . . فاجعلها له زكاة ورحمة » .

(٢) سيأتي هـٰذا المعنىٰ في الحديث بعده ، وروى البخاري (٦٠٣٨) ، ومسلم (٢٣٠٩) من حديث خادمه أنس رضي الله عنه قال : (خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، فما قال لي : أف ، ولا لم صنعت ، ولا ألا صنعت) .

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٩) .

(٤) لما روى البخاري (٢٩٣٧) ، ومسلم (٢٥٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

قطُّ إلا اختارَ أيسرَهُما ، إلا أنْ يكونَ فيهِ إثمٌ أوْ قطيعةُ رحمٍ ، فيكونَ أبعدَ الناسِ مِنْ ذلكَ⁽¹⁾ .

وما كانَ يأتيهِ أحدٌ ؛ حرٌّ أوْ عبدٌ أوْ أمةٌ إلا قامَ معَهُ في حاجتِهِ⁽²⁾ .

وقالَ أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ : والذي بعثَهُ بالحقِّ ؛ ما قالَ لي في شيءٍ قطُّ كرِهَهُ : لِمَ فعلتَهُ ، ولا لامَني أحدٌ مِنْ أهلِهِ إلا قالَ : « دعوهُ ، إنَّما كانَ هـٰذا بكتابٍ وقدَرٍ »⁽³⁾ .

قالوا : وما عابَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مَضْجَعاً ، إنْ فرشوا لهُ . . اضطجعَ ، وإنْ لمْ يفرشْ لهُ . . اضطجعَ على الأرضِ⁽⁴⁾ .

---

(١) قد تقدم ، وهو عند البخاري (٦١٢٦) ، ومسلم (٢٣٢٧) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) رواه البخاري (٦٠٧٢) معلقاً من حديث أنس رضي الله عنه ، وتقدم موصولاً عند ابن ماجه (٤١٧٧) .

(٣) تقدم قريباً حديث الشيخين ، وروىٰ أحمد في « المسند » (٣/ ٢٣١) من حديث أنس رضي الله عنه قال : فإن لامني أحد من أهل بيته إلا قال : « دعوه ، فلو قدِّر ـ أو قال : لو قضي ـ أن يكون . . كان » .

(٤) قال الحافظ العراقي : (لم أجده بهـٰذا اللفظ ، والمعروف : « ما عاب طعاماً » ، ويؤخذ من عموم حديث علي بن أبي طالب : « ليس بفظ » إلىٰ أن قال : « ولا عياب » ، رواه الترمذي في « الشمائل » [٣٥١] ، والطبراني وأبو نعيم في « دلائل النبوة » ، وروى ابن أبي عاصم في كتاب « السنة » [٣٦٣] من حديث أنس : « ما عاب عليَّ شيئاً قط » ، وفي « الصحيحين » ـ البخاري [٤٩١٣] ، ومسلم [١٤٧٩] ـ من حديث عمر اضطجاعه علىٰ حصير ، وللترمذي [٢٣٧٧] وصححه من حديث ابن مسعود : « نام علىٰ حصير ، فقام وقد أثر في جنبه » الحديث) . « إتحاف » (٧/ ١٠٨) .

وقدْ وصفَهُ اللهُ تعالىٰ في التوراةِ قبلَ أنْ يبعثَهُ في السطرِ الأوَّلِ فقالَ : (محمدٌ رسولُ اللهِ ، عبدي المختارُ ، لا فظٌّ ولا غليظٌ ، ولا صخَّابٌ في الأسواقِ ، ولا يجزي بالسيئةِ السيئةَ ، ولكنْ يعفو ويصفحُ ، مولدُهُ بمكَّةَ ، وهجرتُهُ بطابةَ ، وملكُهُ بالشامِ ، يأتزرُ علىٰ وَسَطِهِ ، هوَ ومَنْ معَهُ دعاةٌ للقرآنِ والعلمِ ، يتوضَّأُ علىٰ أطرافِهِ)⁽¹⁾ .

وكذلكَ نعتُهُ في الإنجيلِ⁽²⁾ .

وكانَ مِنْ خلقِهِ أنْ يبدأَ مَنْ لقيَهُ بالسلامِ⁽³⁾ ، ومَنْ قاومَهُ لحاجةٍ . . صابرَهُ حتَّىٰ يكونَ هوَ المنصرفَ⁽⁴⁾ ، وما أخذَ أحدٌ بيدِهِ فيرسلَ يدَهُ حتَّىٰ يرسلَها الآخذُ⁽⁵⁾ .

وكانَ إذا لقيَ أحداً مِنْ أصحابِهِ . . بدأهُ بالمصافحةِ⁽⁶⁾ ، ثمَّ أخذَ بيدِهِ فشابكَهُ ، ثمَّ شدَّ قبضتَهُ عليها⁽⁷⁾ .

---

(١) رواه الدارمي في « مسنده » (٥ ، ٧) عن كعب الأحبار .

(٢) رواه ابن سعد في « طبقاته » (١/ ٣١٢) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) رواه الترمذي في « الشمائل » (٨) من حديث هند ابن أبي هالة رضي الله عنه .

(٤) في (ب ، ي) : (فاوضه) ، وفي (ج) : (أقامه) بدل (قاومه) ، روىٰ ذلك ابن سعد في « طبقاته » (١/ ٣٦٢ـ ٣٦٥) ، والترمذي في « الشمائل » (٣٣٦) من حديث علي كرم الله وجهه .

(٥) رواه الترمذي (٢٤٩٠) ، وابن ماجه (٣٧١٦) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٦) عند أبي داوود (٥٢١٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

(٧) لما روىٰ عبد الله بن وهب في « جامعه » (١٨٢) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، وقد روى الحاكم في « معرفة علوم الحديث » (ص ٣٣) الحديث المسلسل =

وكانَ لا يقومُ ولا يجلسُ إلا علىٰ ذكرِ اللهِ تعالىٰ(١) .

وكانَ لا يجلسُ إليهِ أحدٌ وهوَ يصلِّي إلا خفَّفَ صلاتَهُ وأقبلَ عليهِ ، فقالَ : « ألكَ حاجةٌ ؟ » ، فإذا فرغَ مِنْ حاجتِهِ . . عادَ إلىٰ صلاتِهِ(٢) .

وكانَ أكثرُ جلوسِهِ أنْ ينصبَ ساقيهِ جميعاً ، ويمسكَ بيديهِ عليهِما شبهَ الحبوةِ(٣) .

ولمْ يكنْ يُعرفُ مجلسُهُ مِنْ مجالسِ أصحابِهِ ؛ لأنَّهُ كانَ حيثُ انتهىٰ بهِ المجلسُ جلسَ(٤) .

وما رُئِيَ قطُّ مادّاً رجليهِ بينَ أصحابِهِ حتىٰ يضيِّقَ بهما علىٰ أحدٍ ، إلا أنْ يكونَ المكانُ واسعاً لا ضيقَ فيهِ(٥) .

= بالمشابكة ، وينتهي لأبي هريرة رضي الله عنه ويقول : (شبَّك بيدي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم . . .) الحديث .

(١) كما هو عند الترمذي في « الشمائل » (٣٣٦) من حديث علي كرم الله وجهه .

(٢) رواه أحمد في « مسنده » (٣/ ٥٠٠) ، والبخاري (٧٠٦) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري (٦٢٧٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وأبو داوود (٤٨٤٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٤) كما روىٰ أبو داوود (٤٦٩٨) ، والنسائي (٨/ ١٠١) من حديث أبي ذر وأبي هريرة رضي الله عنهما .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٥٠) من حديث جابر رضي الله عنه ، والترمذي (٢٤٩٠) ، وابن ماجه (٣٧١٦) من حديث أنس رضي الله عنه .

وكانَ أكثرَ ما يجلسُ مستقبلَ القبلةِ(١) .

وكانَ يُكرمُ مَنْ يدخلُ عليهِ ، حتَّىٰ ربَّما بسطَ ثوبَهُ لمَنْ ليسَتْ بينَهُ وبينَهُ قرابةٌ ولا رضاعٌ يجلسُهُ عليهِ(٢) .

وكانَ يؤثرُ الداخلَ عليهِ بالوسادةِ التي تكونُ تحتَهُ ، فإنْ أبىٰ أنْ يقبلَها . . عزمَ عليهِ حتَّىٰ يفعلَ .

وما استصفاهُ أحدٌ إلا ظنَّ أنَّهُ أكرمُ الناسِ عليهِ ، حتَّىٰ يعطي كلَّ مَنْ جلسَ إليهِ نصيبَهُ مِنْ وجهِهِ ، حتَّىٰ كأنَّ مجلسَهُ وسمعَهُ وحديثَهُ ولطيفَ مجلسِهِ وتوجهَهُ للجالسِ إليهِ ، ومجلسُهُ معَ ذلكَ مجلسُ حياءٍ وتواضعٍ وأمانةٍ(٣) ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ .

ولقدْ كانَ يدعو أصحابَهُ بكناهُمْ إكراماً لهُمْ واستمالةً لقلوبِهِمْ(٤) ، ويكني مَنْ لمْ تكنْ لهُ كنيةٌ ، فكانَ يُدعىٰ بما كنَّاهُ به(٥) ، وكانَ يكني أيضاً النساءَ

---

(١) لما روى الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٧٤٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٧٢٦) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٣) لما روى الترمذي في « الشمائل » (٣٤٤) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه .

(٤) كما روى البخاري (٣٦٥٣) ، ومسلم (٢٣٨١) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ٢٢٣) ، والطبراني في « الكبير » (٩/ ٦٥) .

(٥) لما رواه الترمذي (٣٨٣٠) ، وابن ماجه (٣٧٣٨) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/ ٢٧٨) .

اللاتي لهنَّ أولادٌ ، واللاتي لمْ يلدنَ يبتدئُ لهنَّ الكُنى(١) ، ويكني الصبيانَ فيَسْتَلْينُ بهِ قلوبَهُمْ(٢) .

وكانَ أبعدَ الناسِ غضباً ، وأسرعَهُمْ رضاً(٣) .

وكانَ أرأفَ الناسِ بالناسِ ، وخيرَ الناسِ للناسِ ، وأنفعَ الناسِ للناسِ(٤) .

ولمْ تكنْ تُرفعُ في مجلسِهِ الأصواتُ(٥) .

وكانَ إذا قامَ مِنْ مجلسِهِ . قالَ : « سبحانَكَ اللهمَّ وبحمدِكَ ، أشهدُ ألا إلـهَ إلا أنتَ ، أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ » ، ثمَّ يقولُ : « علَّمَنيهنَّ جبريلُ عليهِ السلامُ » .

* * *

---

(١) لما رواه الحاكم في « المستدرك » (٤/ ٦٣) ، وابن ماجه (٣٧٣٩) ، وأبو داوود (٤٩٧٠) .

(٢) كما رواه البخاري (٦١٢٩) ، ومسلم (٢١٥٠) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٣) قال الحافظ العراقي : (هـٰذا من المعلوم ، ويدل عليه إخباره صلى الله عليه وسلم أن بني آدم خيرهم بطيء الغضب سريع الفيء ، رواه الترمذي [٢١٩١] من حديث أبي سعيد الخدري ، وقال : حديث حسن ، وهو صلى الله عليه وسلم خير بني آدم وسيدهم) . « إتحاف » (٧/ ١١١) .

(٤) كما روى ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٤/ ١٩٧) من حديث علي كرم الله وجهه .

(٥) كما هو عند الترمذي في « الشمائل » (٣٣٦) من حديث علي كرم الله وجهه ، وفيه : (مجلسه مجلس حلم وحياء ، وأمانة وصبر ، لا ترفع فيه الأصوات) .

بيان كلامه وضحكه صلّى الله عليه وسلّم

كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أفصحَ الناسِ منطقاً ، وأحلاهم كلاماً(١) .

وكانَ يقولُ : « أنا أفصحُ العربِ »(٢) ، وإنَّ أهلَ الجنَّةِ يتكلمونَ فيها بلغةِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ(٣) .

وكانَ نزرَ الكلامِ ، سمْحَ المقالةِ ، إذا نطقَ . . ليسَ بمهذارٍ ، وكأنَّ كلامَهُ كخرزاتِ النظمِ(٤) .

قالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (كانَ لا يسردُ الكلامَ كسردِكُمْ هـٰذا ، كانَ كلامُهُ نزراً ، وأنُتمْ تنثرونَ الكلامَ نثراً)(٥) .

قالوا : وكانَ أوجزَ الناسِ كلاماً ، وبذلكَ جاءَهُ جبريلُ ، وكانَ معَ

---

(١) رواه الحافظ السلفي في « معجم السفر » (١١٠٣) من حديث بريدة رضي الله عنه .

(٢) رواه ابن الأعرابي في « معجمه » (٢٤٠٨) عن الحسن ، والطبراني في « الكبير » (٦/ ٣٥) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٣/ ١٢٦٢) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً ، والحاكم في « معرفة علوم الحديث » (ص ١١٦) من حديث عمر رضي الله عنه .

(٣) كما روى ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٢١٨ ، ٢١٩) من حديث ابن عباس موقوفاً .

(٤) كما روى ابن سعد في « طبقاته » (١/ ١٩٦ـ ١٩٨) ، والطبراني في « الكبير » (٤/ ٩٤) في خبر أم معبد .

(٥) الجملة الأولىٰ رواها البخاري (٣٥٦٨) ، ومسلم (٢٤٩٣) ، والأخيرتان رواهما ابن أبي الدنيا في « الصمت وآداب اللسان » (٧٣٣) .

الإيجازِ يجمعُ كلَّ ما أرادَ ، وكانَ يتكلَّمُ بجوامعِ الكلمِ ، لا فضولَ ولا تقصيرَ ؛ كلامٌ يتبعُ بعضُهُ بعضاً ، بينَ كلامِهِ توقُّفٌ ، يحفظُهُ سامعُهُ ويعيهِ(١) .

وكانَ جهيرَ الصوتِ ، أحسنَ الناسِ نغمةً(٢) .

وكانَ طويلَ السكوتِ ، لا يتكلَّمُ في غيرِ حاجةٍ(٣) ، ولا يقولُ المنكرَ ، ولا يقولُ في الرضا والغضبِ إلا الحقَّ(٤) .

---

(١) لما روى الدارقطني في « سننه » (٤/ ١٤٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً ، وشطره الأول عند البخاري (٢٩٧٧) ، ومسلم (٥٢٣) .

(٢) قال الحافظ العراقي : (روى الترمذي [٣٥٣٥] ، والنسائي في « الكبرىٰ » [١١١١٤] من حديث صفوان بن عسال قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ، بينما نحن عنده إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري : يا محمد ؛ فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نحو من صوته : « هاؤم » الحديث .

وقال أحمد في « مسنده » [٤/ ٢٤٠] : وأجابه نحواً مما تكلم به ، الحديث .

فقد يؤخذ منه أنه صلى الله عليه وسلم كان جهوري الصوت ولم يكن يرفعه دائماً .

وقد يقال : لم يكن جهوري الصوت ، وإنما رفعه رفقاً بالأعرابي ؛ حتىٰ لا يكون صوته أرفع من صوته ، وهو الظاهر) . « إتحاف » (٧/ ١١٣) .

وروى البخاري (٧٦٩) ، ومسلم (٤٦٤) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال : (سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ : « والتين والزيتون » في العشاء ، وما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه أو قراءة) .

(٣) رواه الترمذي في « الشمائل » (٢٢٥) من حديث هند بن أبي هالة المشهور .

(٤) رویٰ أبو داوود (٣٦٤٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

ويعرضُ عمَّنْ تكلَّمَ بغيرِ جميلٍ(١) ، ويكني عمَّا اضطرَّهُ الكلامُ إليهِ ممَّا يكرهُ(٢) .

وكانَ إذا سكتَ . . تكلَّمَ جلساؤُهُ ولا يُتنازع عندَهُ في الحديثِ(٣) .

ويعظُ بالجدِّ والنصيحةِ(٤) .

ويقولُ : « لا تضربوا القرآنَ بعضَهُ ببعضٍ ؛ فإنَّهُ أُنزلَ علىٰ وجوهٍ »(٥) .

وكانَ أكثرَ الناسِ تبسُّماً وضحكاً في وجوهِ أصحابِهِ ، وتعجُّباً ممَّا تحدَّثوا بهِ ، وخلطاً لنفسِهِ بهِمْ(٦) ، ولربَّما ضحكَ حتَّىٰ تبدوَ نواجذُهُ(٧) ، وكانَ ضحكُ أصحابِهِ عندَهُ التبسُّمَ ؛ اقتداءً بهِ ، وتوقيراً لهُ .

---

(١) كما روى الترمذي في « الشمائل » (٣٥١) من حديث علي كرم الله وجهه .

(٢) لما رواه البخاري (٢٦٣٩) ، ومسلم (١٤٣٣) ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) هو عند الترمذي في « الشمائل » (٣٥١) من حديث علي كرم الله وجهه .

(٤) كما رواه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر رضي الله عنه .

(٥) روى ابن سعد في « الطبقات » (٤/ ١٧٩) مرفوعاً : « إن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض ، ولكن يصدق بعضه بعضاً ، فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما تشابه عليكم فآمنوا به » ، وعند أحمد في « المسند » (٢/ ١٨٥) نحوه ، ولفظه : « وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً ، فلا تكذبوا بعضه ببعض . . . » الحديث . وروى البخاري (٢٤١٩) ، ومسلم (٨١٨) مرفوعاً : « إن هـٰذا القرآن أنزل علىٰ سبعة أحرف » .

(٦) تقدم الحديث عن تبسمه صلى الله عليه وسلم ، وروى الترمذي في « الشمائل » (٣٥١) من حديث علي كرم الله وجهه الطويل ، وفيه : (يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون منه) .

(٧) فمن ذلك ما رواه البخاري (١٩٣٦) ، ومسلم (١١١١) .

قالوا : ولقدْ جاءَهُ أعرابيٌّ يوماً وهوَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ متغيِّرٌ ينكرُهُ أصحابُهُ ، فأرادَ أنْ يسألَهُ ، فقالوا : لا تفعلْ يا أعرابيُّ ؛ فإنَّا ننكرُ لونَهُ ، فقالَ : دعوني ، فوالذي بعثَهُ بالحقِّ نبيّاً ؛ لا أدعُهُ حتَّىٰ يتبسمَ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ بلغَنا أنَّ المسيحَ ـ يعني : الدجالَ ـ يأتي الناسَ بالثريدِ وقدْ هلكوا جوعاً ، أفترىٰ لي ـ بأبي أنتَ وأمِّي ـ أنْ أكفَّ عنْ ثريدِهِ تعفُّفاً وتنزُّهاً حتَّىٰ أهلكَ هزالاً ، أمْ أضربَ في ثريدِهِ حتَّىٰ إذا تضلعتُ شبعاً . . آمنتُ باللهِ وكفرتُ بهِ ؟ قالوا : فضحكَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حتَّىٰ بدَتْ نواجذُهُ ، ثمَّ قالَ : « لا ، بلْ يغنيكَ اللهُ بما يغني بهِ المؤمنينَ »(١) .

قالوا : وكانَ مِنْ أكثرِ الناسِ تبسُّماً ، وأطيبِهِمْ نفساً ، ما لمْ ينزلْ عليه قرآنٌ(٢) ، أوْ يذكرِ الساعةَ(٣) ، أوْ يخطبْ خطبةً عظةً(٤) ، أوْ تحينَ الصلاةُ(٥) ، أوْ ينشأَ عارضٌ(٦) .

وكانَ إذا سُرَّ ورضيَ . . فهوَ أحسنُ الناسِ رضاً ، فإنْ وعظَ . . وعظَ

---

(١) كذا أورده الآبي في « نثر الدر » (٢/ ١٣٣) ، قال الحافظ العراقي : (وهو حديث منكر ، لم أقف له علىٰ أصل) . « إتحاف » (٧/ ١١٥) .

(٢) لما روى الطبراني في « مكارم الأخلاق » (٢٢) عن جابر رضي الله عنه .

(٣) لما روى النسائي (٣/ ١٨٨) من حديث جابر رضي الله عنه .

(٤) لما رویٰ مسلم (٨٦٧) من حديث جابر رضي الله عنه .

(٥) رواه البخاري (٦٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٦) لما روى البخاري (٣٢٠٦) ، ومسلم (٨٩٩) من حديث عائشة رضي الله عنها ، وقوله : (أو تحين الصلاة ، أو ينشأ عارض) زيادة من (ج) .

بجدٍّ ، وإنْ غضبَ ولمْ يكنْ يغضبُ إلا للهِ . . لمْ يقمْ لغضبِهِ شيءٌ ، وكذلكَ كانَ في أمورِهِ كلِّها(١) .

وكانَ إذا نزلَ بِهِ الأمرُ . . فوَّضَ الأمرَ إلى اللهِ ، وتبرَّأَ مِنَ الحولِ والقوَّةِ ، واستنزلَ الهدىٰ ، فيقولُ : « اللهمَّ ؛ أرني الحقَّ حقّاً فأتبعَهُ ، وأرني المنكرَ منكراً وارزقْني اجتنابَهُ ، وأعذْني مِنْ أنْ يشتبهَ عليَّ فأتبعَ هوايَ بغيرِ هدىً منكَ ، واجعلْ هوايَ تبعاً لطاعتِكَ ، وخذْ رضا نفسِكَ مِنْ نفسي في عافيةٍ ، واهدني لما اختُلفَ فيهِ مِنَ الحقِّ بإذنِكَ ، إنكَّ تهدي مَنْ تشاءُ إلىٰ صراطٍ مستقيمٍ »(٢) .

* * *

---

(١) لما روى البخاري (٣٥٥٦) ، ومسلم (٢٧٦٩) من حديث كعب رضي الله عنه .

(٢) كما روىٰ مسلم (٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها ، وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (٢/ ٩٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢/ ٣٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

بيان أخلاقه وآدابه صلى الله عليه وسلم في الطعام

كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يأكلُ ما وجدَ .

وكانَ أحبُّ الطعامِ إليهِ ما كانَ علىٰ ضَفَفٍ ، **والضففُ** : ما كثُرَتْ عليهِ الأيدي[1] .

وكانَ إذا وضعَتِ المائدةُ . . قالَ : « باسمِ اللهِ ، اللهمَّ ؛ اجعلْها نعمةً مشكورةً ، تصلُ بها نعمةَ الجنَّةِ »[2] .

وكانَ كثيراً إذا جلسَ يأكلُ . . يجمعُ بينَ ركبتيهِ وبينَ قدميهِ كما يجلسُ المصلِّي ، إلا أنَّ الركبةَ تكونَ فوقَ الركبةِ ، والقدمَ فوقَ القدمِ ، ويقولُ : « إنَّما أنا عبدٌ ، آكلُ كما يأكلُ العبدُ ، وأجلسُ كما يجلسُ العبدُ »[3] .

---

(١) كما روىٰ أحمد في « المسند » (٣/ ٢٧٠) من حديث أنس رضي الله عنه ، والترمذي في « الشمائل » (٧٢) بنحوه عن مالك بن دينار .

(٢) قال الحافظ العراقي : (أما التسمية . . فرواها النسائي من رواية من خدم النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرب إليه طعاماً . . قال : « باسم الله » الحديث ، وإسناده صالح ، وأما بقية الحديث . . فلم أجده) . « إتحاف » (٧/ ١١٥) .

(٣) قال الحافظ العراقي : (رواه عبد الرزاق في « المصنف » [١٠/ ٤١٥] من رواية أيوب معضلاً ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل . . احتفز وقال : « آكل كما يأكل العبد » الحديث ، وروى ابن الضحاك في « الشمائل » من حديث أنس بسند ضعيف : كان إذا قعد على الطعام . . استوفز علىٰ ركبته اليسرىٰ وأقام اليمنىٰ ، ثم قال : « إنما أنا عبد ، أجلس كما يجلس العبد ، وأفعل كما يفعل العبد » ، وروىٰ أبو الشيخ في =

وكانَ لا يأكلُ الحارَّ ، ويقولُ : « إنَّهُ غيرُ ذي بركةٍ ، وإنَّ اللهَ لمْ يطعمْنا ناراً ، فأبردُوهُ »[1] .

وكانَ يأكلُ ممَّا يليهِ[2] .

ويأكلُ بأصابعِهِ الثلاثِ ، وربَّما استعانَ بالرابعةِ[3] ، ولمْ يكنْ يأكلُ بإصبعينِ ، ويقولُ : « إنَّ ذلكَ أكلةُ الشيطانِ »[4] .

وجاءَهُ عثمانُ بنُ عفانَ رضيَ اللهُ عنهُ بفالوذجٍ ، فأكلَ منهُ ، وقالَ : « ما

= « الأخلاق » بسند جيد من حديث أبي بن كعب : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجثو علىٰ ركبتيه ، وكان لا يتكىء ، أورده في صفة أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وللبزار من حديث ابن عمر : « إنما أنا عبد ، آكل كما يأكل العبد » ، ولأبي يعلىٰ من حديث عائشة [٤٩٢٠] : « آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » ، وإسنادهما ضعيف) . « إتحاف » (٧/ ١١٦) .

(١) روى الحاكم في « المستدرك » (٤/ ١١٨) من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً : « أبردوا الطعام الحار ؛ فإن الطعام الحار غير ذي بركة » ، وروى الطبراني في « الأوسط » (٧٠٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم أُتي بصحفة تفور ، فأشرع يده فيها ، ثم رفع يده فقال : « إن الله لم يطعمنا ناراً » .

(٢) ويأمر بذلك كما في « البخاري » (٥٣٧٦) ، و« مسلم » (٢٠٢٢) .

(٣) أما أكله بالثلاث . . فعند مسلم (٢٠٣٢) ، وأما استعانته بالرابعة . . فعند أبي بكر الشافعي في « الغيلانيات » (٩٦١) عن عبد الله بن عامر عن أبيه قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أكل . . أكل بثلاث أصابع ويستعين بالرابعة) ، وروى ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٤٩٥٣) عن الزهري مرسلاً : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل بالخمس) .

(٤) لما روى الطبراني في « الكبير » (١١/ ١٢٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

هـٰذا يا أبا عبدِ اللهِ ؟ » قالَ : بأبي أنتَ وأمِّي ، نجعلُ السمنَ والعسلَ في البُرْمةِ ونضعُها على النارِ ، ثمَّ نغليهِ ، ثمَّ نأخذُ مخَّ الحنطةِ إذا طُحنَتْ ، فنلقيهِ على السمنِ والعسلِ في البرمةِ ، ثمَّ نسوطُهُ حتَّىٰ ينضجَ فيأتي كما ترىٰ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ هـٰذا الطعامَ طيِّبٌ »(١) .

وكانَ يأكلُ خبزَ الشعيرِ غيرَ منخولٍ(٢) .

وكانَ يأكلُ القثاءَ بالرطبِ وبالملحِ(٣) .

وكانَ أحبُّ الفواكهِ الرطبةِ إليهِ البطيخَ والعنبَ(٤) .

وكانَ يأكلُ البطيخَ بالخبزِ وبالسكرِ(٥) ، وربَّما أكلَهُ بالرطبِ .

---

(١) كما روى البيهقي في « الشعب » (٥٥٣٢) من حديث ليث بن أبي سليم مرسلاً ، وابن ماجه (٣٣٤٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) كما في « البخاري » (٥٤١٣) .

(٣) أما أكل القثاء بالرطب . . فعند البخاري (٥٤٤٠) ، ومسلم (٢٠٤٣) ، وأما أكلها بالملح . . فقال الحافظ العراقي : (رواه أبو الشيخ من حديث عائشة ، وفيه يحيى بن هاشم ، كذبه ابن معين وغيره ، ورواه ابن عدي ـ في « الكامل » [٤/ ٣٣٥] ـ وفيه عباد بن كثير ، متروك) . « إتحاف » (٧/ ١١٨) .

(٤) روىٰ أبو داوود (٣٨٣٦) ، والترمذي (١٨٤٣) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل البطيخ بالرطب) ، وقال الحافظ العراقي : (روىٰ أبو نعيم في « الطب النبوي » من رواية أمية بن زيد العبسي : أن النبي صلى الله عليه وسلم يحب من الفاكهة العنب والبطيخ) . « إتحاف » (٧/ ١١٨) .

(٥) أما أكل البطيخ بالخبز . . فقال الحافظ العراقي : (لم أره ، وإنما وجدت أكله العنب بالخبز في حديث عائشة عند ابن عدي بسند ضعيف) . « إتحاف » (٧/ ١١٨) ، وأما أكل البطيخ بالسكر . . فالسكر في زمنه صلى الله عليه وسلم هو نوع من التمر ، بل هو =

ويستعينُ باليدينِ جميعاً(١) .

وأكلَ يوماً رطباً كانَ في يمينِهِ ، وكانَ يحفظُ النوىٰ في يسارِهِ ، فمرَّتْ شاةٌ ، فأشارَ إليها بالنوىٰ ، فجعلَتْ تأكلُ في كفِّهِ اليسرىٰ ، وهوَ يأكلُ بيمينِهِ حتَّىٰ فرغَ وانصرفَتِ الشاةُ(٢) .

وكانَ ربَّما أكلَ العنبَ خرطاً(٣) ، يُرىٰ رؤالُهُ علىٰ لحيتِهِ كخرزِ اللؤلؤِ ، وهوَ الماءُ الذي يتقطرُ منهُ .

وكانَ أكثرُ طعامِهِ الماءَ والتمرَ(٤) .

= الرطب الشديد الحلاوة ، وقد تقدم أنه صلى الله عليه وسلم أكل البطيخ بالرطب قريباً تعليقاً ، وسياق المصنف يفيد المغايرة بين السكر والرطب .

(١) روىٰ أحمد في « المسند » (١/ ٢٠٤) من حديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال : (إن آخر ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدىٰ يديه رطبات وفي الأخرىٰ قثاء ، وهو يأكل من هٰذه ويعض من هٰذه) ، قال الحافظ العراقي : (ولا يلزم من هٰذا ـ لو ثبت ـ أكله صلى الله عليه وسلم بشماله ، فلعله كان يأخذ بيده اليمنىٰ من الشمال رطبة رطبة فيأكلها مع ما في يمينه ، فلا مانع من ذلك) . « إتحاف » (٧/ ١١٩) .

(٢) رواه أبو بكر الشافعي في « الغيلانيات » (٩٨٦) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٣) رواه الطبراني في « الكبير » (١٢/ ١٤٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٥٦٥) ، **خرطاً** : يقال : خرط العنقود وأخرطه . . إذا وضعه في فمه وأخذ حبه ، وخرج عرجونه عارياً ، وفي رواية ذكرها ابن الأثير : « خرصاً » بالصاد بدل الطاء ؛ أي : من غير عدد .

(٤) فعند البخاري (٥٣٨٣) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : (توفي النبي صلى الله عليه وسلم حين شبعنا من الأسودين : التمر والماء) .

وكانَ يتمجَّعُ اللبنَ بالتمرِ ويسمِّيهِ : الأطيبينِ(١) .

وكانَ أحبُّ الطعامِ إليهِ اللحمَ ، ويقولُ : « هوَ يزيدُ في السمعِ ، وهوَ سيِّدُ الطعامِ في الدنيا والآخرةِ ، ولوْ سألتُ ربِّي أنْ يطعمَنيهِ كلَّ يومٍ . . لفعلَ »(٢) .

وكانَ يأكلُ الثريدَ باللحمِ والقرعِ(٣) .

وكانَ يحبُّ القرعَ ويقولُ : « إنَّها شجرةُ أخي يونسَ عليهِ السلامُ »(٤) .

قالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : وكانَ يقولُ : « يا عائشةُ ؛ إذا طبختُمْ قدراً . . فأكثروا فيها مِنَ الدباءِ ؛ فإنَّهُ يشدُّ قلبَ الحزينِ »(٥) .

وكانَ يأكلُ لحمَ الطيرِ الذي يُصادُ ، وكانَ لا يتبعُهُ ولا يصيدُهُ ، ويحبُّ أنْ يُصادَ لهُ ، ويُؤتىٰ بهِ فيأكلَهُ(٦) .

---

(١) كما هو عند أحمد في « المسند » (٣/ ٤٧٤) من رواية إسماعيل بن أبي خالد عن أبيه .

(٢) قال الحافظ العراقي : (رواه أبو الشيخ من رواية ابن سمعان ، قال : سمعت من علمائنا يقولون : كان أحب الطعام إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم . . . الحديث ، وللترمذي في « الشمائل » [١٧٩] من حديث جابر : أتانا النبي صلى الله عليه وسلم في منزلنا ، فذبحنا له شاة ، فقال : « كأنهم علموا أنا نحب اللحم » ، وإسناده صحيح ، ولابن ماجه [٣٣٠٥] من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف : سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم) . « إتحاف » (٧/ ١١٩) .

(٣) كما هو عند البخاري (٢٠٩٢) ، ومسلم (٢٠٤١) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٤) لما روى البخاري (٢٠٩٢) ، ومسلم (٢٠٤١) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٥) رواه أبو بكر الشافعي في « الغيلانيات » (٩٥٦) .

(٦) روىٰ أبو داوود (٣٧٩٧) ، والترمذي (١٨٢٨) من حديث سفينة رضي الله عنه قال : =

وكانَ إذا أكلَ اللحمَ . . لمْ يطأطئْ رأسَهُ إليهِ ، ويرفعُهُ إلىٰ فيهِ رفعاً ، ثمَّ ينتهشُهُ انتهاشاً(١) .

وكانَ يأكلُ الخبزَ والسمنَ(٢) .

وكانَ يحبُّ مِنَ الشاةِ الذراعَ والكتفَ ، ومِنْ القدْرِ الدُّبَّاءَ(٣) ، ومِنَ الصباغِ الخلَّ ، ومِنَ التمرِ العجوةَ(٤) .

= (أكلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لحم حُبارىٰ) ، وأما كونه صلى الله عليه وسلم لا يتبع الصيد . . فقد قال الحافظ العراقي : (هٰذا هو الظاهر من أحواله ، فقد قال : « من تبع الصيد . . غفل » ، رواه أبو داوود [٢٨٥٩] ، والترمذي (٢٢٥٦) ، والنسائي [٧/ ١٩٥] من حديث ابن عباس ، وقال الترمذي : حسن غريب ، وأما حديث صفوان بن أمية عند الطبراني ـ في « الكبير » [٨/ ٥١] ـ : « قد كانت قبلي لله رسل كلهم يصطاد أو يطلب الصيد » . . فهو ضعيف جداً) .

(١) روىٰ أبو داوود (٣٧٧٩) ، والترمذي (١٨٣٥) من حديث صفوان بن أمية قال : كنت آكل مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فآخذ اللحم بيدي من العظم ، فقال : « أدْنِ العظم من فيك ؛ فإنه أهنأ وأمرأ » ، وعند البخاري (٣٣٤٠) ، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيه : (فرفع إليه الذراع ، وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة) ، **والنهس والنهش** : أخذ اللحم بمقدم الأسنان ، فهما بمعنىً ، وقيل : النهس : لمقدم الأسنان ، والنهش : بالأسنان والأضراس .

(٢) كما في خبر أبي طلحة وأم سليم حين دعوا النبي صلى الله عليه وسلم علىٰ طعام هو خبز مأدوم بالسمن ، وهو عند البخاري (٣٥٧٨) ، ومسلم (٢٠٤٠) .

(٣) **القدر** : أي المطبوخ في القدر .

(٤) لما روىٰ أبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (٥٩٤ ، ٦٠٢ ، ٦٢٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

ودعا في العجوةِ بالبركةِ[1] ، وقالَ : « هيَ منَ الجنَّةِ ، وشفاءٌ مِنَ السمِّ والسحرِ »[2] .

وكانَ يحبُّ مِنَ البقولِ الهندباءَ[3] ، والباذروجَ[4] ، والبقلةَ الحمقاءَ التي يُقالُ لها : الرجلةُ[5] .

وكانَ يكرهُ الكليتينِ لمكانِهما مِنَ البولِ[6] .

وكانَ لا يأكلُ مِنَ الشاةِ سبعاً : الذَّكَرَ ، والأُنثيينِ ، والمثانةَ ،

---

(١) لما روى ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١١/ ٢٢٦) من حديث جابر رضي الله عنه .

(٢) روى الترمذي (٢٠٦٦) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٦٦٣٦) ، وابن ماجه (٣٤٥٣) من حديث أبي سعيد وجابر مرفوعاً : « والعجوة من الجنة ، وهي شفاء من السم » ، وعند البخاري (٥٤٤٥) ، ومسلم (٢٠٤٧) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعاً : « من تصبَّح كل يوم سبعَ تمرات عجوةً .. لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر » .

(٣) لما روىٰ أبو القاسم الجرجاني في « تاريخ جرجان » (١/ ١٠٣) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً .

(٤) **الباذروج** : لفظة فارسية ، وهي الريحان ، وقال الحافظ الزبيدي : (هو الريحان القرنفلي ، وهو الضيمران) . « إتحاف » (٧/ ١٢١) .

(٥) لما روى الحارث بن أسامة كما في « زوائده » (٥٣٥) ، والجرجاني في « تاريخ جرجان » (١/ ٢٤٢) أنه صلى الله عليه وسلم دعا للرجلة بالبركة فقال : « انبتي حيث شئتِ ، فأنت شفاء من سبعين داء أدناها الصداع » .

(٦) قال الحافظ العراقي : (رويناه في « جزء من حديث أبي بكر محمد بن عبيد الله بن الشخير » من حديث ابن عباس بسند ضعيف ، فيه أبو سعيد الحسن بن علي العدوي ، أحد الكذابين) . « إتحاف » (٧/ ١٢١) ، وزاد : (رواه ابن السني في كتاب « الطب النبوي ») .

والمرارةَ ، والغددَ ، والحياءَ ، والدمَ(١) ويكرهُ ذلكَ .

وكانَ لا يأكلُ الثومَ ، ولا البصلَ ، ولا الكرَّاثَ(٢) .

وما ذمَّ طعاماً قطُّ ، ولكنْ إنْ أعجبَهُ . . أكلَهُ ، وإنْ كرهَهُ . . تركَهُ ، وإنْ عافَهُ . . لمْ يبغِّضْهُ إلىٰ غيرِهِ(٣) .

وكانَ يعافُ الضبَّ والطحالَ ولا يحرمُهُما(٤) .

---

(١) روى النهي عنها الطبراني في « الأوسط » (٩٤٧٦) من حديث ابن عمر ، وابن عدي في « الكامل » (٥/ ١٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهم . **والحياء هنا** : الفرج من ذوات الخف والظلف ، **والدم** : المقصود به غير المسفوح ، إذ المسفوح حرام بالإجماع .

(٢) ونهىٰ عن ذلك ، فقد روىٰ مسلم (٥٦٤) من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً : « من أكل البصل والثوم والكراث . . فلا يقربنَّ مسجدنا ؛ فإن الملائكة تتأذىٰ مما يتأذىٰ منه بنو آدم » ، وفي قصة أبي أيوب رضي الله عنه إذ بعث للنبي صلى الله عليه وسلم بطعام فيه ثوم ، فلم يأكل منه ، كما في « مسلم » (٢٠٥٣) ، وقال : « ولكني أكرهه من أجل ريحه » ، وفي « الحلية » (٦/ ٣٣٢) من حديث أنس رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يأكل الثوم ولا الكراث ولا البصل . قال الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٧/ ١٢٢) : (ويقاس علىٰ هـٰؤلاء الفجل وكل بقلة كريهة) .

(٣) تقدم أنه صلى الله عليه وسلم ما عاب طعاماً قط .

(٤) تقدم الحديث عن حكم أكل الضب والخلاف فيه ، وهو في « الصحيحين » بأنه صلى الله عليه وسلم كان يعافه لأنه ليس في أرض قومه ، وأما الطحال . . فعند ابن ماجه (٣٣١٤) مرفوعاً : « أحلت لكم ميتتان ودمان ، فأما الميتتان . . فالحوت والجراد ، وأما الدمان . . فالكبد والطحال » ، وروى البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ٧) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : (إني لآكل الطحال وما بي إليه حاجة إلا ليعلم أهلي أنه لا بأس به) .

وكانَ يلعقُ بأصابعِهِ الصحفةَ ويقولُ : « آخرُ الطعامِ أكثرُ بركةً »(١) .

وكانَ يلعقُ أصابعَهُ مِنَ الطعامِ حتَّىٰ تحمرَّ(٢) .

وكانَ لا يمسحُ يدَهُ بالمنديلِ حتَّىٰ يلعقَ أصابعَهُ واحدةً واحدةً ، ويقولُ : « إنَّهُ لا يُدرىٰ في أيِّ الأصابعِ البركةُ »(٣) ، وإذا فرغَ . . قالَ : « اللهمَّ ؛ لكَ الحمدُ ، أطعمتَ فأشبعتَ ، وسقيتَ فأرويتَ ، لكَ الحمدُ غيرَ مكفورٍ ولا مودَّعٍ ولا مستغنىً عنهُ »(٤) .

وكانَ إذا أكلَ الخبزَ واللحمَ خاصَّةً . . غسلَ يديهِ غسلاً جيِّداً ، ثمَّ يمسحُ بفضْلِ الماءِ علىٰ وجهِهِ(٥) .

وكانَ يشربُ في ثلاثِ دفعاتٍ ، ولهُ فيها ثلاثُ تسمياتٍ ، وفي آخرِها ثلاثُ تحميداتٍ(٦) .

---

(١) رواه مسلم (٢٠٣٤) من حديث أنس رضي الله عنه ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٦٧٣٦) من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً .

(٢) رواه مسلم (٢٠٣٢) من حديث كعب رضي الله عنه ، وقوله : (**حتىٰ تحمرَّ**) قال الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٧/ ١٢٣) : (والمعنىٰ : المبالغة في لعقها ، وكأنه أخذ ذلك من رواية الترمذي في « الشمائل » (١٣٧) : كان يلعق أصابعه ثلاثاً ؛ أي : كل إصبع ثلاث مرات) .

(٣) تقدم في الحديث الذي قبله ، وفي (ط) : (في أي الطعام البركة) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢٣٦) ، ونحوه عند البخاري (٥٤٥٩) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه .

(٥) لما روىٰ أبو يعلىٰ في « مسنده » (٥٥٦٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً .

(٦) روىٰ ذلك الطبراني في « الأوسط » (٨٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وعند =

وكانَ يمَصُّ الماءَ مصّاً ولا يعبُّ عبّاً(١) .

وربَّما كانَ يشربُ بنَفَسٍ واحدٍ حتَّىٰ يفرغ(٢) .

وكانَ لا يتنفَّسُ في الإناءِ ، بلْ ينحرفُ عنهُ(٣) .

وكانَ يدفعُ فضْلَ سؤرِهِ إلىٰ مَنْ علىٰ يمينِهِ(٤) ، فإنْ كانَ مَنْ علىٰ يسارِهِ أجلَّ رتبةً . . قالَ للذي علىٰ يمينِهِ : السنَّةُ أنْ تُعطىٰ ، فإنْ أحببتَ . . آثرتَهُمْ »(٥) .

وأُتيَ بإناءٍ فيهِ عسلٌ ولبنٌ ، فأبىٰ أنْ يشربَهُ ، وقالَ : « شربتانِ في شربةٍ ، وإدامانِ في إناءٍ واحدٍ » ، ثمَّ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا

= البخاري (٥٦٣١) ، ومسلم (٢٠٢٨) من حديث أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يتنفس ثلاثاً .

(١) لما روى الطبراني في « الكبير » (٢/٤٧) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (١/٤٤٠) من حديث بهز .

(٢) قال الحافظ العراقي : (رواه أبو الشيخ من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف ، وللحاكم حديث أبي قتادة وصححه : « إذا شرب أحدكم . . فليشرب بنفس واحد » ، ولعل تأويل هٰذين الحديثين علىٰ ترك التنفس في الإناء ، والله أعلم) . « إتحاف » (٧/١٢٥) .

(٣) لما روى البخاري (١٥٣) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه مرفوعاً .

(٤) كما في « البخاري » (٢٣٥٢) ، و« مسلم » (٢٠٢٩) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٥) لما روى البخاري (٢٣٥١) ، ومسلم (٢٠٣٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه .

أحرِّمُهُ ، ولكنِّي أكرَهُ الفخرَ والحسابَ بفضولِ الدنيا غداً ، وأحبُّ التواضعَ ، فإنَّ مَنْ تواضعَ للهِ . . رفعَهُ اللهُ »(١) .

وكانَ في بيتِهِ أشدَّ حياءً مِنَ العاتقِ(٢) ، لا يسألُهُمْ طعاماً ولا يتشهَّاهُ عليهِمْ ، إنْ أطعموهُ . . أكلَ ، وما أعطوْهُ . . قبلَ(٣) ، وما سقوهُ . . شربَ(٤) .

وكانَ ربَّما قامَ فأخذَ ما يأكلُ بنفسِهِ أوْ يشربُ(٥) .

* * *

---

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » (٤٨٩١) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) **العاتق** : المرأة خرجت عن خدمة أبويها ، وعن أن يملكها زوجها . « إتحاف » (١٢٦/٧) .

(٣) في غير (ج) : (وما أطعموه) بدل (وما أعطوه) .

(٤) لما روىٰ مسلم (١١٥٤) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٥) لما روىٰ أبو داوود (٣٨٥٦) ، والترمذي (٢٠٣٧) من حديث أم المنذر الأنصارية ، والترمذي (١٨٩٢) ، وابن ماجه (٣٤٢٣) من حديث كبشة رضي الله عنها قالت : (دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشرب من في قربةٍ معلقة قائماً ، فقمت إلىٰ فيها فقطعته) .

بيان آدابه وأخلاقه صلى الله عليه وسلم في اللباس

كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يلبسُ مِنَ الثيابِ ما وجدَ مِنْ إزارٍ ورداءٍ ، أوْ قميصٍ أوْ جبةٍ ، أوْ غيرِ ذلكَ(١) .

وكانَ يعجبُهُ الثيابُ الخضْرُ(٢) .

وكانَ أكثرُ لباسِهِ البياضَ ، ويقولُ : « ألبسوها أحياءَكُمْ ، وكفِّنوا فيها موتاكُمْ »(٣) .

وكانَ يلبسُ القَباءَ المحشوَّ للحربِ وغيرَ المحشوِّ(٤) .

وكانَ لهُ قَباءٌ سندسٌ فيلبسُهُ ، فتحسنُ خضرتُهُ علىٰ بياضِ لونِهِ(٥) .

---

(١) لما روى البخاري (٣١٠٨) ، ومسلم (٢٠٨٠) ، وأحمد في « المسند » (٦/ ١٣٣) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) لما روى الطبراني في « الأوسط » (٥٧٢٧) من حديث أنس رضي الله عنه ، وأبو داوود (٤٠٦٥) ، والترمذي (٢٨١٢) عن أبي رمثة .

(٣) روىٰ أبو داوود (٣٨٧٨) ، والترمذي (٩٩٤) ، وابن ماجه (١٤٧٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : « البسوا من ثيابكم البياض ، فإنها من خير ثيابكم ، وكفنوا فيها موتاكم » ، وعند النسائي (٨/ ٢٠٥) من حديث سمرة رضي الله عنه مرفوعاً : « عليكم بالبياض من الثياب ، فليلبسها أحياؤكم ، وكفنوا فيها موتاكم ؛ فإنها من خير ثيابكم » .

(٤) لما روىٰ مسلم (٢٠٧٠) من حديث جابر رضي الله عنه .

(٥) كما روى البخاري (٢٦١٥) من حديث أنس رضي الله عنه ، وأحمد في « المسند » (٣/ ٢٠٦) .

وكانَتْ ثيابُهُ كلُّها مشمرةً فوقَ الكعبينِ ، ويكونُ الإزارُ فوقَ ذلكَ إلىٰ نصفِ الساقِ(١) .

وكانَ قميصُهُ مشدودَ الأزرارِ ، وربَّما حلَّ الأزرارَ في الصلاةِ وغيرِها(٢) .

وكانَتْ لهُ ملحفةٌ مصبوغةٌ بالزعفرانِ ، وربَّما صلَّىٰ بالناسِ فيها وحدَها(٣) ، وربَّما لبسَ الكساءَ وحدَهُ ما عليهِ غيرُهُ(٤) .

وكانَ لهُ كساءٌ ملبَّدٌ يلبسُهُ ويقولُ : « إنَّما أنا عبدٌ ألبسُ كما يلبَسُ العبدُ »(٥) .

وكانَ لهُ ثوبانِ لجمعتِهِ خاصَّةً سوىٰ ثيابِهِ في غيرِ الجمعةِ(٦) .

وربَّما لبسَ الإزارَ الواحدَ ليسَ عليهِ غيرُهُ(٧) ، ويعقدُ طرفيهِ بينَ

---

(١) كما روى الحافظ ابن طاهر في « صفوة التصوف » (ص٢٢٧) من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه ، والترمذي في « الشمائل » (١٢٠) من حديث عبيد بن خالد .

(٢) لما روىٰ أبو داوود (٤٠٨٢) ، وابن ماجه (٣٥٧٨) من حديث قرة بن إياس رضي الله عنه ، وابن خزيمة في « صحيحه » (٧٧٩) عن زيد بن أسلم .

(٣) كما هو عند أبي داوود من حديث قيس بن سعد رضي الله عنه ، والترمذي (٢٨١٤) من حديث قيلة بنت مخرمة .

(٤) لما روى ابن ماجه (١٠٣٢) من حديث ثابت بن الصامت رضي الله عنه .

(٥) تقدم حديث السيدة عائشة رضي الله عنها وذكرها للكساء الملبد الذي كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٦) لما روى الطبراني في « الأوسط » (٣٥٤٠) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٧) كما هو عند مسلم (١٤٧٩) في حديث هجره نساءه صلى الله عليه وسلم .

كتفيهِ(١) ، وربَّما أمَّ بهِ الناسَ على الجنائزِ(٢) .

وربَّما صلَّىٰ في بيتِهِ في الإزارِ الواحدِ ملتحفاً بهِ ، مخالفاً بينَ طرفيهِ ، ويكونُ ذلكَ الإزارُ الذي جامعَ فيهِ يومئذٍ(٣) .

وكانَ ربَّما صلَّىٰ بالليلِ في الإزارِ ، ويرتدي ببعضِ الثوبِ ممَّا يلي هدبَهُ ، ويلقي البقيَّة علىٰ بعضِ نسائِهِ ، فيصلِّي كذلكَ(٤) .

ولقدْ كانَ لهُ كساءٌ أسودُ ، فوهبَهُ ، فقالَتْ لهُ أمُّ سلمَةَ رضيَ اللهُ عنها : بأبي أنتَ وأمي ، ما فعلَ ذلكَ الكساءُ الأسودُ ؟ فقالَ : « كسوتُهُ » ، فقالَتْ : ما رأيتُ شيئاً قطُّ كانَ أحسنَ مِنْ بياضِكَ علىٰ سوادِهِ(٥) .

وقالَ أنسٌ : (وربَّما رأيتُهُ يصلِّي بنا الظهرَ في شملةٍ عاقداً بينَ طرفيها)(٦) .

---

(١) رواه البخاري (٣٥٢) عن محمد بن المنكدر .

(٢) قال الحافظ العراقي : (لم أقف عليه) . « إتحاف » (٧/ ١٢٨) .

(٣) كما رویٰ أبو يعلىٰ في « مسنده » (٧١٤٠) من حديث معاوية رضي الله عنه .

(٤) كما رویٰ أبو داوود (٦٣١) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٥) رواه أبو داوود (٤٠٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنها ، وقال الحافظ العراقي : (لم أقف عليه من حديث أم سلمة) . « إتحاف » (٧/ ١٢٨) .

(٦) قال الحافظ العراقي : (رواه البزار وأبو يعلىٰ بلفظ : صلىٰ في ثوب واحد قد خالف بين طرفيه ، وللبزار : خرج في مرضه الذي مات فيه مرتدياً بثوب قطن ، فصلىٰ بالناس ، وإسنادهما صحيح ، ولابن ماجه [٣٥٥٣] من حديث عبادة بن الصامت : صلىٰ في شملة قد عقد عليها ، وفي « كامل ابن عدي » [١/ ٤١٤] : قد عقد عليها هٰكذا ، وأشار سفيان إلىٰ قفاه) . « إتحاف » (٧/ ١٢٩) ، وهو عند ابن عساكر في « تاريخ =

وكانَ يتختَّمُ(١) .

وربَّما خرجَ وفي خاتمِهِ الخيطُ المربوطُ يستذكرُ بهِ الشيءَ(٢) .

وكانَ يختمُ بهِ على الكتبِ ، ويقولُ : « الخاتمُ على الكتابِ خيرٌ مِنَ التهمةِ »(٣) .

وكانَ يلبسُ القلانسَ تحتَ العمائمِ وبغيرِ عِمامةٍ ، وربَّما نزعَ قلنسوتَهُ مِنْ رأسِهِ فجعلهَا سترةً بينَ يديهِ ثمَّ يصلِّي إليها(٤) .

وربَّما لمْ تكنِ العِمامةُ ، فيشدُّ العصابةَ علىٰ رأسِهِ وعلىٰ جبهتِهِ(٥) .

وكانَتْ لهُ عِمامةٌ تسمَّى السحابَ ، فوهبَها مِنْ عليٍّ ، فربَّما طلعَ عليٌّ

= دمشق » (٣/٣٨) : (خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه قطيفة رومية قد عقدها علىٰ عنقه ثم صلىٰ بنا ما عليه غيرها) .

(١) كما في « البخاري » (٦٥) ، و« مسلم » (٢٠٩٢) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) كما روى ابن عدي في « الكامل » (١٣/٢) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه ، وابن سعد في « الطبقات » (٣٣٣/١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) ختمُهُ على الكتب جاء في الحديث المتقدم الذي رواه البخاري (٦٥) ، ومسلم (٢٠٩٢) ، وأما الحديث الذي أورده المصنف . . فقال الحافظ العراقي : (لم أقف عليه) . « إتحاف » (١٢٩/٧) .

(٤) لما روىٰ أبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (٣٠٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٨٤٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، ولأبي الشيخ (٣٠٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، ولأبي داوود (٤٠٧٨) ، وللترمذي (١٧٨٤) من حديث ركانة رضي الله عنه مرفوعاً .

(٥) كما هو عند البخاري (٩٢٧) وكان ذلك بمرض موته صلى الله عليه وسلم .

فيها ، فيقولُ : صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أتاكُمْ عليٌّ في السحابِ »(١) .

وكانَ إذا لبسَ ثوباً . . يلبسُهُ مِنْ قِبَلِ ميامنِهِ(٢) ، ويقولُ : « الحمدُ للهِ الذي كساني ما أواري بهِ عورتي وأتجمَّلُ بهِ في الناسِ »(٣) .

وإذا نزعَ ثوبَهُ . . أخرجَهُ مِنْ مياسرِهِ(٤) .

وكانَ لهُ ثوبٌ لجمعتِهِ خاصَّةً سوىٰ ثيابِهِ لغيرِ الجمعةِ .

وكانَ إذا لبسَ جديداً . . أعطىٰ خَلَقَ ثيابِهِ مسكيناً ، ثمَّ يقولُ : « ما مِنْ مسلمٍ يكسو مسلماً مِنْ سَمَلِ ثيابِهِ ، لا يكسوهُ إلا للهِ . . إلا كانَ في ضمانِ اللهِ وحرزِهِ وخيرِهِ ما واراهُ حيّاً وميّتاً »(٥) .

وكانَ لهُ فراشٌ مِنْ أدمٍ ، حشوهُ ليفٌ ، طولُهُ ذراعانِ أوْ نحوُهُ ، وعرضُهُ ذراعٌ وشبرٌ أوْ نحوُهُ(٦) .

---

(١) رواه ابن عدي في « الكامل » (٦/ ٣٩٠) ، وأبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (٢٩٧) .

(٢) كما في « الترمذي » (١٧٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه الترمذي (٣٥٦٠) ، وابن ماجه (٣٥٥٧) من حديث عمر رضي الله عنه .

(٤) كما هو عند أبي الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (٧٨٢) بنحوه .

(٥) رواه الحاكم في « المستدرك » (٤/ ١٩٣) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٨٧٣) من حديث عمر رضي الله عنه ، وليس فيه ذكر التصدق .

(٦) رواه مسلم (٢٠٨٢) من حديث عائشة رضي الله عنها ، وليس فيه ذكر الطول والعرض ، وأبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (٤٦٢) من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

وكانَتْ لهُ عباءةٌ تفرشُ لهُ حيثما تنقلَ ، تُثنىٰ طاقينِ تحتهُ(١) .

وكانَ ينامُ على الحصيرِ ليسَ تحتهُ شيءٌ غيرُهُ(٢) .

وكانَ مِنْ خلقِهِ تسميةُ دوابِّهِ وسلاحِهِ ومتاعِهِ ، وكانَ اسمُ رايتِهِ العقابَ(٣) ، واسمُ سيفِهِ الذي يشهدُ بِهِ الحروبَ ذو الفقارِ(٤) .

وكانَ لهُ سيفٌ يُقالُ لهُ : المِخْذَمُ ، وآخرُ يُقالُ لهُ : الرسوبُ ، وآخرُ يُقالُ لهُ : القضيبُ(٥) .

وكانتْ قَبيعَةُ سيفِهِ محلاةً بالفضةِ(٦) .

وكانَ يلبسُ المنطقةَ مِنَ الأدمِ ، فيها ثلاثُ حلقٍ مِنْ فضةٍ(٧) .

---

(١) لما روى ابن سعد في « الطبقات » (١/ ٤٠٠) ، وأبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (٤٦١) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) جاء هـٰذا في حديث اعتزاله صلى الله عليه وسلم زوجاته رضي الله تعالىٰ عنهن ، كما في « البخاري » (٤٩١٣) ، و« مسلم » (١٤٧٩) من حديث عمر رضي الله عنه .

(٣) روىٰ ذلك ابن عدي في « الكامل » (٤/ ٢٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو عند ابن سعد في « طبقاته » (١/ ٣٩٢) من مرسل الحسن .

(٤) كما في « الترمذي » (١٥٦١) ، و« ابن ماجه » (٢٨٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٥) لما روى ابن سعد في « طبقاته » (١/ ٤١٨) عن مروان بن أبي سعيد بن المعلىٰ .

(٦) روىٰ ذلك أبو داوود (٢٥٨٣) ، والترمذي (١٦٩١) ، والنسائي (٨/ ٢١٩) من حديث أنس رضي الله عنه ، **والقبيعة** بوزان سفينة : التي علىٰ طرف مقبض السيف .

(٧) لما روى ابن سعد في « طبقاته » (١/ ٤١٩) من رواية محمد بن علي بن الحسين مرسلاً ، وحكى ابن سعد في « طبقاته » (٢/ ٣٥) في حديثه عن غزوة أحد نحوه .

وكانَ اسمُ قوسِهِ الكتومَ ، وجَعبتِهِ الكافورَ(١) .

وكانَ اسمُ ناقتِهِ القصواءَ ، وهيَ التي يُقالُ لها : العضباءُ ، واسمُ بغلتِهِ الدُّلْدُلَ ، وكانَ اسمُ حمارِهِ يعفوراً ، واسمُ شاتِهِ التي يشربُ لبنَها عينةَ(٢) .

وكانَ لهُ مطهرةٌ مِنْ فخَّارٍ يتوضَّأُ فيها ويشربُ منها ، فيرسلُ الناسُ أولادَهُمُ الصِّغارَ الذين قدْ عقلوا ، فيدخلونَ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فلا يُدفعونَ عنهُ ، فإذا وجدوا في المطهرةِ ماءً . . شربوا منهُ ومسحوا علىٰ وجوهِهِمْ وأجسادِهِمْ ؛ يبتغونَ بذلكَ البركةَ(٣) .

* * *

---

(١) رواه البلاذري في « أنساب الأشراف » (٢/ ١٧٦) عن مروان بن أبي سعيد بن المعلى الأنصاري .

(٢) لما روى البخاري (٢٧٣٤) في حديث الحديبية ، وعنده أيضاً (٢٨٧١) من حديث أنس رضي الله عنه ، وابن سعد في « طبقاته » (١/ ٤٢٢) ، وأحمد في « المسند » (٥/ ٢٣٨) ، والطبراني في « الكبير » (١٢/ ١٢٠) ، والسيوطي في « الشمائل » (ص ٢٢٣) ، وابن سعد في « طبقاته » (١/ ٤٢٦) . وفي (ب ، ي) : (عيبة) بدل (عينة) ، وفي (ج) : (عتبة) ، وسقطت من بقية النسخ .

(٣) قال الحافظ العراقي : (لم أقف له علىٰ أصل) ، أما التبرك بماء باشره عليه الصلاة والسلام . . فالأخبار فيه متوافرة في « الصحيحين » وغيرهما ، وأما اتخاذه صلى الله عليه وسلم مطهرة خاصة . . فلقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه صاحب النعلين والوساد والمطهرة ؛ كما في « البخاري » (٣٧٤٢) .

بيان عفوه صلّى الله عليه وسلّم مع القدرة

كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أحلمَ الناسِ ، وأرغبَهُمْ في العفوِ معَ القدرةِ ، حتَّىٰ أُتِي بقلائدَ مِنْ ذهبٍ وفضَّةٍ ، فقسمَها بينَ أصحابِهِ ، فقامَ رجلٌ مِنْ أهلِ الباديةِ فقالَ : يا محمدُ ؛ واللهِ لئنْ أمرَكَ اللهُ أنْ تعدلَ . . فما أراكَ تعدلُ ! فقالَ : « ويحَكَ ! فمَنْ يعدلُ عليكَ بعدي ؟! » ، فلمَّا ولَّىٰ . . قالَ : « ردُّوهُ عليَّ رويداً »(١) .

وروىٰ جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يقبضُ للناسِ يومَ حنينٍ مِنْ فضةٍ في ثوبِ بلالٍ ، فقالَ لهُ رجلٌ : يا رسولَ اللهِ ؛ اعدلْ ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ويحَكَ ! فمَنْ يعدلُ إذا لمْ أعدلْ ؟! فقد خبتُ إذاً وخسرتُ إنْ كنتُ لا أعدلُ » ، فقامَ عمرُ فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ ألا أضربُ عنقَهُ ؛ فإنَّهُ منافقٌ ؟ فقالَ : « معاذَ اللهِ أنْ يتحدَّثَ الناسُ أنِّي أقتلُ أصحابي »(٢) .

وكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في حربٍ ، فرأوا مِنَ المسلمينَ غِرَّةً ، فجاءَ رجلٌ حتَّىٰ قامَ علىٰ رأسِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالسيفِ

---

(١) رواه أبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (٧١) .

(٢) رواه مسلم (١٠٦٣) ، وهو عند البخاري (٣٦١٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

فقالَ : مَنْ يمنعُكَ منِّي ؟ فقالَ : « اللهُ » ، قالَ : فسقطَ السيفُ مِنْ يدِهِ ، فأخذَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ السيفَ وقالَ : « مَنْ يمنعُكَ منِّي ؟ » فقالَ : كُنْ خَيْرَ آخذٍ ، قالَ : « قُلْ : أشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ » ، فقالَ : لا ، غيرَ أنِّي لا أقاتلُكَ ، ولا أكونُ معَكَ ، ولا أكونُ معَ قومٍ يقاتلونَكَ ، فخلَّىٰ سبيلَهُ ، فجاءَ أصحابَهُ فقالَ : جئتكُمْ مِنْ عندِ خيرِ الناسِ(١) .

وروىٰ أنسٌ أنَّ يهوديةً أتتِ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بشاةٍ مسمومةٍ ليأكلَ منها ، فجيءَ بها إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فسألَها عنْ ذلكَ ، فقالَتْ : أردتُ قتلَكَ ، فقالَ : « ما كانَ اللهُ ليسلِّطَكِ علىٰ ذلكَ ، قالوا : أفلا نقتلُها ؟ فقالَ : « لا »(٢) .

وسحرَهُ رجلٌ مِنَ اليهودِ ، فأخبرَهُ جبريلُ عليهِ السلامُ بذلكَ حتَّى استخرجَهُ وحلَّ العقدَ ، فوجدَ لذلكَ خفَّةً ، وما ذكرَ ذلكَ لليهوديِّ ولا أظهرَهُ عليهِ قطُّ(٣) .

---

(١) رواه الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٢٩) ، واسم الرجل : غورث بن الحارث ، وأصل القصة عند البخاري (٣٩١٠) ، ومسلم (٨٤٣) .

(٢) رواه البخاري (٢٦١٧) ، ومسلم (٢١٩٠) ، وعلىٰ رواية قتلها كما هي عند أبي داوود (٤٥١٢) فإنما اقتصَّ منها النبي صلى الله عليه وسلم لموت بشر بن البراء بن معرور بسمِّها ، وكان ذلك عام خيبر .

(٣) رواه النسائي (٧/ ١١٢) من حديث زيد بن الأرقم رضي الله عنه ، وأصله عند البخاري (٣٢٦٨) ، ومسلم (٢١٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها .

وقالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : بعثَني رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنا والزبيرَ والمقدادَ فقالَ : « انطلقوا حتَّىٰ تأتوا روضةَ خاخٍ ، فإنَّ بها ظعينةً معها كتابٌ فخذوهُ منها » ، فانطلقْنا ، حتَّىٰ أتينا روضةَ خاخٍ فإذا الظعينةُ ، فقلنا : أخرجي الكتابَ ، فقالَتْ : ما معي كتابٌ ، فقلنا : لتُخرجنَّ الكتابَ أوْ لننزعنَّ الثيابَ ، فأخرجتْهُ مِنْ عقاصِها ، فأتينا بهِ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فإذا فيهِ : مِنْ حاطبِ بنِ أبي بلتعةَ إلىٰ أناسٍ مِنَ المشركينَ بمكَّةَ ، يخبرُهُمْ أمراً مِنْ أمرِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : « يا حاطبُ ؛ ما هـٰذا ؟ » قالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ لا تعجلْ عليَّ ، إنِّي كنتُ امرأً ملصقاً في قومي ، وكانَ مَنْ معَكَ مِنَ المهاجرينَ لهُمْ قراباتٌ بمكَّةَ يحمونَ أهليهِمْ ، فأحببتُ إذْ فاتَني ذلكَ منهُمْ مِنَ النسبِ أنْ أتخذَ فيهِمْ يداً يحمونَ بها قرابتي ، ولمْ أفعلْ ذلك كفراً ، ولا رضاً بالكفرِ بعدَ الإسلامِ ، ولا ارتداداً عنْ ديني ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « صدقَكُمْ » ، فقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : دعْني أضربْ عنقَ هـٰذا المنافقِ ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّهُ شهدَ بدراً ، وما يدريكَ ؛ لعلَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قدِ اطلعَ علىٰ أهلِ بدرٍ فقالَ : اعملوا ما شئتُمْ فقدْ غفرتُ لكُمْ »(١) .

وقسمَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قسمةً ، فقالَ رجلٌ مِنَ الأنصارِ : هـٰذهِ قسمةٌ ما أُريدَ بها وجهُ اللهِ ، فذُكِرَ ذلكَ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ،

---

(١) رواه البخاري (٣٠٠٧) ، ومسلم (٢٤٩٤) .

فاحمرَّ وجهُهُ وقالَ : « رحمَ اللهُ أخي موسىٰ ، قدْ أُوذيَ بأكثرَ مِنْ هـٰذا فصبرَ »(١) .

وكانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « لا يبلِّغُني أحدٌ منكُمْ عنْ أحدٍ مِنْ أصحابي شيئاً ؛ فإنِّي أحبُّ أنْ أخرجَ إليكُمْ وأنا سليمُ الصدرِ »(٢) .

* * *

---

(١) رواه البخاري (٣١٥٠) ، ومسلم (١٠٦٢) .

(٢) رواه أبو داوود (٤٨٦٠) ، والترمذي (٣٨٩٦) .

بيان إغضائه صلى الله عليه وسلم عما كان يكرهه

كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رقيقَ البشرةِ ، لطيفَ الظاهرِ والباطنِ ، يُعرفُ في وجهِهِ غضبُهُ ورضاهُ .

وكانَ إذا اشتدَّ وجدُهُ . . أكثرَ مسَّ لحيتِهِ[1] .

وكانَ لا يشافِهُ أحداً بما يكرهُهُ ؛ دخلَ عليهِ رجلٌ وعليهِ صفرةٌ ، فكرهَهَا ، فلمْ يقلْ لهُ شيئاً حتَّىٰ خرجَ ، فقالَ لبعضِ القومِ : « لوْ قلتُمْ لهـٰذا أنْ يدعَ هـٰذهِ » ؛ يعني : الصفرةَ[2] .

وبالَ أعرابيٌّ في المسجدِ بحضرتِهِ ، فهمَّ بهِ الأصحابُ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « لا تزرموهُ » أيْ : لا تقطعوا عليهِ البولَ ، ثمَّ قالَ لهُ : « إنَّ هـٰذهِ المساجدَ لا تصلحُ لشيءٍ مِنَ هـٰذا القذرِ ، والبولِ ، والخلاءِ » ، وفي روايةٍ : « قرِّبوا ولا تنفِّروا »[3] .

وجاءَهُ أعرابيٌّ يوماً يطلبُ منهُ شيئاً ، فأعطاهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ثمَّ قالَ

---

[1] رواه أبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (١٥٤) من حديث عائشة رضي الله عنها .

[2] رواه أبو داوود (٤١٨٢) ، قال الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٧/ ١٣٧) : (الظاهر أن ذلك الأثر لم يكن محرماً وإلا . . لم يؤخر أمره صلى الله عليه وسلم بتركه إلىٰ مفارقته للمجلس) .

[3] رواه البخاري (٢١٩ ، ٦١٢٨) ، ومسلم (٢٨٤) ، وعند البخاري (٢٢٠) : « إنما بعثتم ميسرين ، ولم تبعثوا معسرين » .

لهُ : « أحسنتُ إليكَ ؟ » قالَ الأعرابيُّ : لا ، ولا أجملتَ ، قالَ : فغضبَ المسلمونَ وقاموا إليهِ ، فأشارَ إليهِمْ أنْ كُفُّوا ، ثمَّ قامَ ودخلَ منزلَهُ ، وأرسلَ إلى الأعرابيِّ وزادَهُ شيئاً ، ثمَّ قالَ : « أحسنتُ إليكَ ؟ » قالَ : نعمْ ، فجزاكَ اللهُ مِنْ أهلٍ وعشيرةٍ خيراً ، فقالَ لهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّكَ قلتَ ما قلتَ وفي نفسِ أصحابي شيءٌ مِنْ ذلكَ ، فإنْ أحببتَ . . فقلْ بينَ أيديهِمْ ما قلتَ بينَ يديَّ حتَّىٰ يذهبَ مِنْ صدورِهِمْ ما فيها عليكَ ، قالَ : نعمْ .

فلمَّا كانَ الغدُ أوْ مِنَ العشيِّ . . جاءَ ، فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ هٰذا الأعرابيَّ قالَ ما قالَ ، فزدناهُ ، فزعمَ أنَّهُ رضيَ ، أكذلكَ ؟ » فقالَ الأعرابيُّ : نعمْ ، فجزاكَ اللهُ مِنْ أهلٍ وعشيرةٍ خيراً ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ مثلي ومثلَ هٰذا الأعرابيِّ كمثلِ رجلٍ كانَتْ لهُ ناقةٌ شردَتْ عليهِ ، فاتَّبعَها الناسُ ، فلم يزيدُوها إلا نفوراً ، فناداهُمْ صاحبُ الناقةِ : خلُّوا بيني وبينَ ناقتي ؛ فإنِّي أرفقُ بها وأعلمُ ، فتوجَّهَ لها صاحبُ الناقةِ بينَ يديها ، فأخذَ لها مِنْ قمامِ الأرضِ ، فردَّها هُوْيْ هُوْيْ ، حتَّىٰ جاءَتْ واستناخَتْ ، وشدَّ عليها رحلَها ، واستوىٰ عليها ، وإنِّي لوْ تركتُكُمْ حيثُ قالَ الرجلُ ما قالَ ، فقتلتموهُ . . دخلَ النارَ »(١) .

* * *

---

(١) رواه أبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (١٧٥) ، وقوله : (هوي هوي) بسكون الواو والياء وضم الهاء في أوله ، اسم صوت لدعاء الناقة . انظر « الإتحاف » (٧/ ١٣٨) .

بيان سخاوته وجوده صلّى الله عليه وسلّم

كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أجودَ الناسِ وأسخاهُمْ ، وكانَ في شهرِ رمضانَ كالريحِ المرسلةِ لا يمسكُ شيئاً(١) .

وكانَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ إذا وصفَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . قالَ : كانَ أجودَ الناسِ كفّاً ، وأجرأَ الناسِ صدراً ، وأصدقَ الناسِ لهجةً ، وأوفاهُمْ بذمَّةٍ ، وألينَهُمْ عريكةً ، وأكرمَهُمْ عشرةً ، مَنْ رآهُ بديهةً . . هابَهُ ، ومَنْ خالطَهُ معرفةً . . أحبَّهُ ، يقولُ ناعتُهُ : لمْ أرَ قبلَهُ ولا بعدَهُ مثلَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ(٢) .

وما سُئِلَ عنْ شيءٍ قطُّ على الإسلامِ إلا أعطاهُ ، وإنَّ رجلاً أتاهُ فسألَهُ ، فأعطاهُ غنماً سدَّتْ ما بينَ جبلينِ ، فرجعَ إلىٰ قومِهِ وقالَ : أسلموا ؛ فإنَّ محمداً يُعطي عطاءَ مَنْ لا يخشى الفاقةَ(٣) .

وما سُئِلَ شيئاً قطُّ فقالَ : لا(٤) .

---

(١) رواه البخاري (٦) ، ومسلم (٢٣٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وتقدم الحديث عن جوده صلى الله عليه وسلم .

(٢) رواه الترمذي (٣٦٣٨) ، وأبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (٨٥) واللفظ له .

(٣) رواه مسلم (٢٣١٢) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٤) تقدم بنحوه ، ورواه بلفظه هنا أبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (٩٢) .

وحُمِلَ إليهِ سبعونَ ألفَ درهمٍ ، فوضعَها علىٰ حصيرٍ ، ثمَ قامَ إليها فقسمَها ، فما ردَّ سائلاً حتَّىٰ فرغَ منهُ(١) .

وجاءَهُ رجلٌ يسألُهُ ، فقالَ : « ما عندي شيءٌ ، ولكنِ ابتعْ عليَّ ، فإذا جاءَنا شيءٌ . . قضيناهُ » ، فقالَ عمرُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما كلَّفَكَ اللهُ ما لا تقدرُ عليهِ ، فكرهَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ذلكَ ، فقالَ الرجلُ : أنفقْ ولا تخشَ مِنْ ذي العرشِ إقلالاً ، فتبسَّمَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وعُرِفَ السرورُ في وجهِهِ(٢) .

ولمَّا قفلَ مِنْ حنينٍ . . جاءَتِ الأعرابُ يسألونَهُ ، حتَّى اضطروهُ إلىٰ شجرةٍ ، فخطفَتْ رداءَهُ ، فوقفَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقالَ : « أعطوني ردائي ، لوْ كانَ لي عددُ هٰذهِ العِضاهِ نعماً . . لقسمتُهُ بينَكُمْ ، ثمَّ لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً »(٣) .

* * *

---

(١) رواه أبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (٩٥) ، وفي (أ ، ي) : (تسعون ألف) .

(٢) رواه الترمذي في « الشمائل » (٣٥٥) ، وأبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (٩٩) .

(٣) رواه البخاري (٢٨٢١) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه .

بيان شجاعته صلّى الله عليه وسلّم

كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنجدَ الناسِ وأشجعَهُمْ ، قالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : (لقدْ رأيتُني يومَ بدرٍ ونحنُ نلوذُ بالنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهوَ أقربُنا إلى العدوِّ ، وكانَ مِنْ أشدِّ الناسِ يومئذٍ بأساً)(١) .

وقالَ أيضاً : (كنَّا إذا احمرَّ البأسُ ، ولقيَ القومُ القومَ . . اتقينا برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فما يكونُ أحدٌ أقربَ إلى العدوِّ منهُ)(٢) .

وقيلَ : (كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قليلَ الكلامِ ، قليلَ الحديثِ ، فإذا أمرَ الناسَ بالقتالِ . . تشمَّرَ ، وكانَ منْ أشدِّ الناسِ بأساً)(٣) .

وكانَ الشجاعُ هوَ الذي يقربُ منهُ في الحربِ ، لقربِهِ مِنَ العدوِّ(٤) .

---

(١) رواه أبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (١٠٤) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/١٥٦) ، وأبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (١٠٥) ، وعند مسلم (١٧٧٦) من حديث البراء بن عازب : (كنَّا ـ والله ـ إذا احمر البأس . . نتقي به ، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به) يعني النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) رواه أبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (١٠٦) عن سعيد بن عياض الثمالي .

(٤) هـٰذا مفاد من حديث البراء المتقدم تعليقاً ، وفيه : (وإن الشجاع منا للذي يحاذي به) .

وقالَ عمرانُ بنُ حصينٍ : (ما لقيَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كتيبةً إلا كانَ أوّلَ مَنْ يضربُ فيها)(١) .

وقالوا : (كانَ قويَّ البطشِ)(٢) .

ولمَّا غشيَهُ المشركونَ . . نزلَ ، فجعلَ يقولُ :

« أَنَا ٱلنَّبِيُّ لا كَذِبْ   أَنَا ٱبْنُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبْ »

فما رُئيَ يومئذٍ أحدٌ كانَ أشدَّ منهُ(٣) .

* * *

---

(١) رواه أبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (١١٠) .

(٢) رواه أبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (١١٤) من رواية أبي جعفر معضلاً بلفظ : (كان شديد البطش) .

(٣) رواه أبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (١١٩) بتمام لفظ المصنف ، وهو عند البخاري (٢٨٦٤) ، ومسلم (١٧٧٦) .

بيان تواضعه صلّى الله عليه وسلّم

كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أشدَّ الناسِ تواضعاً في علوِّ منصبِهِ ، قالَ ابنُ عامرٍ : (رأيتُهُ يرمي الجمرةَ علىٰ ناقةٍ شهباءَ ، لا ضربَ ولا طردَ ، ولا إليكَ إليكَ)(١) .

وكانَ يركبُ الحمارَ موكفاً عليهِ قطيفةٌ ، وكانَ معَ ذلكَ يستردفُ(٢) .

وكانَ يعودُ المريضَ ، ويتبعُ الجنازةَ ، ويجيبُ دعوةَ المملوكِ(٣) ، ويخصفُ النعلَ ، ويرقعُ الثوبَ ، وكانَ يصنعُ في بيتِهِ معَ أهلِهِ في حاجتِهِم(٤) .

وكانَ أصحابُهُ لا يقومونَ لهُ ؛ لما عرفوا مِن كراهتِهِ لذلكَ(٥) .

---

(١) رواه أبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (١٢٠) من حديث قدامة بن عبد الله بن عامر كما ذكره المصنف ، وهو عند الترمذي (٩٠٣) ، والنسائي (٥/ ٢٧٠) ، وابن ماجه (٣٠٣٥) .

(٢) روى البخاري (٢٩٨٧) ، ومسلم (١٧٩٨) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب علىٰ حمار علىٰ إكاف عليه قطيفة ، وأردف أسامة وراءه .

(٣) رواه أبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (١٢١) ، وقد تقدم نحوه .

(٤) رواه أبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (١٢٢) .

(٥) تقدم هـٰذا والحديث عنه ، وهو عند أبي الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (١٢٦) .

وكانَ يمرُّ على الصبيانِ فيسلِّمُ عليهِمْ .

وأُتيَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ برجلٍ ، فأَرعدَ مِنْ هيبتِهِ ، فقالَ : « هوِّنْ عليكَ ، فلستُ بملكٍ ، إنَّما أَنا ابنُ امرأَةٍ مِنْ قريشٍ تأكلُ القديدَ »(١) .

وكانَ يجلسُ بينَ أصحابِهِ مختلطاً بهِمْ كأنَّهُ أحدُهُمْ ، فيأتي الغريبُ فلا يدري أيُّهُمْ هوَ حتَّىٰ يسألَ ، حتَّىٰ طلبوا إليهِ أنْ يجلسَ مجلساً يعرفُهُ الغريبُ ، فبنوا لهُ دُكَّاناً مِنْ طينٍ فكانَ يجلسُ عليهِ(٢) .

وقالَتْ لهُ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : كُلْ ـ جعلَني اللهُ فداكَ ـ متكئاً ؛ فإِنَّهُ أهونُ عليكَ ، قالَتْ : فأصغىٰ برأسِهِ حتَّىٰ كادَ أَنْ تصيبَ جبهتُهُ الأرضَ ، ثمَّ قالَ : « بلْ آكلُ كما يأكلُ العبدُ ، وأجلسُ كما يجلسُ العبدُ »(٣) .

وكانَ لا يأكلُ علىٰ خوانٍ ولا في سُكُرُّجَةٍ حتَّىٰ لحقَ باللهِ تعالىٰ(٤) .

وكانَ لا يدعوهُ أحدٌ مِنْ أَصحابِهِ وغيرِهِمْ إِلا قالَ : « لبَّيكَ »(٥) .

---

(١) رواه أبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (١٣٨) ، ونحوه عند ابن ماجه (٣٣١٢) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه .

(٢) تقدم ، ولفظه هنا عند أبي الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (١٣٩) .

(٣) رواه أبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (١٤٠) .

(٤) رواه أبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (١٤١) ، وأصله عند البخاري (٥٣٨٦) ، وقد تقدم .

(٥) رواه أبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (٢) ، وعند النسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠٧٩٧) عن محمد بن حاطب قال : تناولتُ قدراً كانت لي ، =

وكانَ إذا جلسَ معَ الناسِ إنْ تكلَّموا في معنى الآخرةِ . . أخذَ معَهُمْ ، وإنْ تحدَّثوا في طعامٍ أوْ شرابٍ . . تحدَّثَ معَهُمْ ، وإنْ تكلَّموا في الدنيا . . تحدَّثَ معَهُمْ(١) ؛ رفقاً بهِمْ ، وتواضعاً لهُمْ .

وكانوا يتناشدونَ الشعرَ بينَ يديهِ أحياناً ، ويذكرونَ أشياءَ مِنْ أمرِ الجاهليةِ ، ويضحكونَ ، فيتبسمُ هوَ إذا ضحكوا ، ولا يزجرُهُمْ إلا عنْ حرامٍ(٢) .

* * *

= فاحترقت يدي ، فانطلقت بي أمي إلىٰ رجل جالس ، فقالت له : يا رسول الله ؛ فقال : « لبيك وسعديك » الحديث .

(١) رواه أبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (٤) .

(٢) رواه مسلم (٢٣٢٢) ، وأبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه » (٦) .

بيان صورته وخلقته صلّى الله عليه وسلّم

كانَ مِنْ صفةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في قامتِهِ أنَّهُ لمْ يكنْ بالطويلِ البائنِ ، ولا بالقصيرِ المتردِّدِ ، بلْ كانَ يُنسبُ إلى الرَّبعةِ إذا مشىٰ وحدَهُ ، ومعَ ذلكَ فلمْ يكنْ يماشيهِ أحدٌ مِنَ الناسِ يُنسبُ إلى الطولِ إلا طالَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ولربما اكتنفَهُ الرجلانِ الطويلانِ فيطولُهُما ، فإذا فارقاهُ . . نُسبا إلى الطولِ ، ونُسبَ هوَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ إلى الربعةِ، ويقولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: « جُعلَ الخيرُ كلُّهُ في الرَّبعةِ »(١) .

وأمَّا لونُهُ : فقدْ كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أزهرَ اللونِ ، ولمْ يكنْ بالآدمِ ، ولا بالشديدِ البياضِ ، والأزهرُ : هوَ الأبيضُ الناصعُ الذي لا تشوبُهُ صفرةٌ ولا حمرةٌ ولا شيءٌ مِنَ الألوانِ .

ونعتَهُ عمُّهُ أبو طالبٍ فقالَ(٢) : [من الطويل]

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى ٱلْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمالُ ٱلْيَتامَىٰ عِصْمَةٌ لِلأَرامِلِ(٣)

---

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (١/ ٢٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها ضمن خبر طويل سيأتي تمامه ، وسياق المصنف في هٰذا البيان عنده ، ورواه أيضاً ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣/ ٣٥٦) من طريق البيهقي .

(٢) ديوانه (ص ٧٥) .

(٣) رواه البخاري (١٠٠٩) ، وابن ماجه (١٢٧٢) ، **والثمال** : العِماد والملجأ ، **والعصمة** : ما يعتصم به ويتمسك .

ونعتَهُ بعضُهُمْ بأنَّهُ مشربٌ بحمرةٍ ، فقالَ : إنَّما كانَ المشربُ منهُ بالحمرةِ ما ظهرَ للشمسِ والرياحِ ؛ كالوجهِ والرقبة ، والأزهرُ الصافي عنِ الحمرةِ ما تحتَ الثيابِ منهُ .

وكانَ عرقُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في وجهِهِ كاللؤلؤِ أطيبَ مِنَ المسكِ الأَذْفَرِ .

وأمَّا شعرُهُ : فقدْ كانَ رجْلَ الشعرِ حسنَهُ ، ليسَ بالسبْطِ ، ولا الجعْدِ القطِطِ ، وكانَ إذا مشطَهُ بالمشطِ . . يأتي كأنَّهُ حُبُكُ الرمْلِ(١) .

وقيلَ : كانَ شعرُهُ يضربُ منكبيهِ ، وأكثرُ الروايةِ أنَّهُ كانَ إلىٰ شحمةِ أذنيهِ .

وربَّما جعلَهُ غدائرَ أربعاً تخرجُ كلُّ أُذُنٍ مِن بينِ غديرتينِ ، وربَّما جعلَ شعرَهُ علىٰ أذنيهِ ، فتبدو سوالفُهُ تتلألأُ .

وكانَ شَيْبُهُ في الرأسِ واللحيةِ سبعَ عشرةَ شعرةً ، ما زادَ علىٰ ذلكَ .

وكانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أحسنَ الناسِ وجهاً وأنورَهُمْ ، لمْ يصفْهُ واصفٌ إلا شبَّهَهُ بالقمرِ ليلةَ البدرِ ، وكانَ يُرىٰ رضاهُ وغضبُهُ في وجهِهِ لصفاءِ بشرتِهِ ، وكانوا يقولونَ : هوَ كما وصفَهُ صاحبُهُ أبو بكرٍ الصديقُ رضِيَ اللهُ عنهُ حيثُ يقولُ(٢) : [من الوافر]

أَمِينٌ مُصْطَفَىً لِلْخَيْرِ يَدْعُو   كَضَوْءِ ٱلْبَدْرِ زايَلَهُ ٱلظَّلامُ

---

(١) أي : فيه شيء لطيف من التكسر .

(٢) ديوانه (ص ٣٦) .

وكانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ واسعَ الجبهةِ ، أزجَّ الحاجبينِ سابغَهُما ، وكانَ أبلجَ ما بينَ الحاجبينِ ، كأنَّ ما بينَهُما الفضةُ المخلصةُ .

وكانَتْ عيناهُ نجلاوينِ أدعجَهُما ، وكانَ في عينيهِ تمزُّجٌ منْ حمرةٍ ، وكانَ أهدبَ الأشفارِ ، حتَّىٰ تكادُ تلتبسُ مِنْ كثرتِها .

وكانَ أقنى العِرنينِ ؛ أيْ : مستويَ الأنفِ .

وكانَ مفلَّجَ الأسنانِ ؛ أيْ : متفرِّقَها ، وكانَ إذا افترَّ ضاحكاً . . افترَّ عنْ مثلِ سنا البرقِ إذا تلألأَ .

وكانَ مِنْ أحسنِ عبادِ اللهِ شفتينِ ، وألطفِهِمْ ختْمَ فمٍ .

وكانَ سهلَ الخدَّينِ صلبَهُما ، ليسَ بالطويلِ الوجهِ ولا المُكَلْثَمِ (١) ، كثَّ اللحيةِ ، وكانَ يعفي لحيتَهُ ويأخذُ منْ شاربِهِ .

وكانَ أحسنَ عبادِ اللهِ عنقاً ، لا يُنسبُ إلى الطولِ ولا إلى القصرِ ، ما ظهرَ مِنْ عنقِهِ لِلشمسِ والرياحِ فكأنَّهُ إبريقُ فضَّةٍ مشربٌ ذهباً ، يتلألأُ في بياضِ الفضةِ وفي حمرةِ الذهبِ .

وكانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عريضَ الصدرِ ، لا يعدو لحمُ بعضِ بدنِهِ بعضاً ، كالمرايا في استوائِهِ ، وكالقمرِ في بياضِهِ (٢) ، موصولَ ما بينَ لبَّتِهِ

---

(١) **المكلثم** : المدور الوجه .

(٢) وعبارة البيهقي في « دلائل النبوة » (١/ ٣٠٤) : (وكان عريض الصدر ممسوحه ، كأنه المرايا في شدتها واستوائها ، لا يعدو بعض لحمه بعضاً ، علىٰ بياض القمر ليلة البدر) .

وسرَّتِه بشعرٍ منقادٍ كالقضيبِ ، لمْ يكنْ في صدرِهِ ولا بطنِهِ شعرٌ غيرُهُ .

وكانتْ لهُ عُكَنٌ ثلاثٌ يغطِّي الإزارُ منها واحدةً ويظهرُ اثنتانِ(١) .

وكانَ عظيمَ المنكبينِ أشعرَهُما ، ضخمَ الكراديسِ ؛ أيْ : رؤوسِ العظامِ مِنَ المنكبينِ والمرفقينِ والوَرِكَينِ .

وكانَ واسعَ الظهرِ ، ما بينَ كتفيهِ خاتمُ النبوَّةِ ، وهوَ ممَّا يلي منكبَهُ الأيمنَ ، فيهِ شامةٌ سوداءُ تضربُ إلى الصفرةِ ، حولَها شعراتٌ متوالياتٌ كأنَّها مِنْ عُرْفِ فرسٍ .

وكانَ عبْلَ العضدينِ والذراعينِ ، طويلَ الزَّنْدينِ ، رحْبَ الراحتينِ ، سائلَ الأطرافِ ، كأنَّ أصابعَهُ قضبانُ الفضَّةِ ، كفُّهُ ألينُ مِنَ الخزِّ ، كأنَّ كفَّهُ كفُّ عطَّارٍ طيباً ، مسَّها بطيبٍ أوْ لمْ يمسَّها ، يصافحُهُ المصافحُ فيظلُّ يومَهُ يجدُ ريحَها ، ويضعُ يدَهُ علىٰ رأسِ الصبيِّ فيُعرفُ مِنْ بينِ الصبيانِ بريحِها علىٰ رأسِهِ .

وكانَ عَبْلَ ما تحتَ الإزارِ مِنَ الفخذِ والساقِ .

وكانَ معتدلَ الخَلْقِ في السمنِ ، بدنَ في آخرِ زمانِهِ ، وكَانَ لحمُهُ متماسكاً يكادُ يكونُ على الخلقِ الأوَّلِ لمْ يضرُّهُ السمنُ .

وأمَّا مشيُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : فكانَ يمشي كأنَّما يتقلَّعُ مِنْ صخرٍ ،

---

(١) وعند البيهقي روايتان ، فقال زيادة علىٰ ما هنا : (ومنهم من قال : يغطي الإزار منها ثنتين وتظهر واحدة ، تلك العكن أبيض من القباطي المطواة وألين مسّاً) .

وينحدرُ مِنْ صببٍ ، يخطو تكفِّياً ، ويمشي الهوينىٰ بغيرِ تبخترٍ : والهوينىٰ : تقاربُ الخطا .

وكانَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يقولُ : « أنا أشبهُ النّاسِ بآدمَ عليهِ السلامُ ، وكانَ أبي إبراهيمُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أشبهَ النّاسِ بي خَلْقاً وخُلُقاً »(١) .

وكانَ يقولُ : « إنَّ لي عندَ ربِّي عشرةَ أسماءٍ : أنا محمَّدٌ ، وأنا أحمدُ ، وأنا الماحي الّذي يمحو اللهُ بي الكفرَ ، وأنا العاقبُ الذي ليسَ بعدَهُ أحدٌ ، وأنا الحاشرُ يحشرُ اللهُ العبادَ علىٰ قدمي ، وأنا رسولُ الرّحمةِ ، ورسولُ التّوبةِ ، ورسولُ الملاحمِ ، والمقفِّي قفيتُ النّاسَ جميعاً ، وأنا قُثَمُ »(٢) ، قال أبو البختري : والقثمُ : الكاملُ الجامعُ ، واللهُ أعلمُ .

* * *

---

(١) هنا تمَّ الحديث الذي ابتدأ ببداية البيان الذي ساقه المصنف ، وهـٰذا الحديث قطعة منه ، وقد تصرف المصنف رحمه الله تعالىٰ ببعض ألفاظه ، وسبقت الإشارة إلىٰ تخريجه .

(٢) رواه ابن عدي في « الكامل » (٧/ ٦٤) ، ونحوه بزيادة ونقص عند ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣/ ٢٨) عن أبي الطفيل وقال : (حفظت منها ثمانية) ، وذكر سيف بن وهب أن أبا جعفر قال : (إن الاسمين الباقيين يس وطه) .

وعند البخاري (٣٥٣٢) ، ومسلم (٢٣٥٤) مرفوعاً : « لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس علىٰ قدمي ، وأنا العاقب » .

وعند مسلم (٢٣٥٥) عن أبي موسى الأشعري قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه أسماء فقال : « أنا محمد ، وأحمد ، والمقفي ، والحاشر ، ونبي التوبة ، ونبي الرحمة » .

بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم

اعلمْ : أنَّ مَنْ شاهدَ أحوالَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، أوْ أصغىٰ إلىٰ سماعِ أخبارِهِ المشتملةِ علىٰ أخلاقِهِ ، وأفعالِهِ وأحوالِهِ ، وعاداتِهِ وسجاياهُ ، وسياستِهِ لأصنافِ الخلقِ ، وهدايتِهِ إلىٰ ضبطِهِمْ وتألُّفِهِ أصنافَ الخلقِ ، وقودِهِ إيَّاهُمْ إلىٰ طاعتِهِ ، معَ ما يُحكىٰ مِنْ عجائبِ أجوبتِهِ في مضايقِ الأسئلةِ ، وبدائعِ تدبيراتِهِ في مصالحِ الخلقِ ، ومحاسنِ إشاراتِهِ في تفصيلِ ظاهرِ الشرعِ ، الذي يعجزُ الفقهاءُ والعقلاءُ عنْ إدراكِ أوائلِ دقائقِها في طولِ أعمارِهِمْ . . لمْ يبقَ لهُ ريبٌ ولا شكٌّ في أنَّ ذلكَ لمْ يكنْ مكتسباً بحيلةٍ تقومُ بها القوَّةُ البشريَّةُ ، بلْ لا يُتصوَّرُ ذلكَ إلا بالاستمدادِ مِنْ تأييدٍ سماويٍّ وقوَّةٍ إلـٰهيَّةٍ ، وأنَّ ذلكَ كلَّهُ لا يُتصوَّرُ لكذَّابٍ ولا ملبِّسٍ ، بلْ كانَتْ شمائلُهُ وأحوالُهُ شواهدَ قاطعةً بصدقِهِ ، حتَّىٰ إنَّ العربيَّ القُحَّ كانَ يراهُ فيقولُ : (واللهِ ؛ ما هـٰذا وجهَ كذَّابٍ)⁽¹⁾ ، فكانَ يشهدُ لهُ بالصدْقِ بمجرَّدِ شمائلِهِ ، فكيفَ مَنْ شاهدَ أخلاقَهُ ، ومارسَ أحوالَهُ في جميعِ مصادرِهِ ومواردِهِ ؟!

وإنَّما أوردْنا بعضَ أخلاقِهِ لتُعرفَ محاسنُ الأخلاقِ ، وليُتنبَّهَ لصدقِهِ

---

(1) روى الترمذي (٢٤٨٥) ، وابن ماجه (١٣٣٤) عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : (فلما استبنتُ وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . . عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب) .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وعلوِّ منصبهِ ومكانتِهِ العظيمةِ عندَ اللهِ تعالىٰ ؛ إذْ آتاهُ اللهُ جميعَ ذلكَ ، وهوَ رجلٌ أميٌّ لم يمارسِ العلمَ ، ولمْ يطالعِ الكتبَ ، ولمْ يسافرْ قطُّ في طلبِ علمٍ ، ولمْ يزلْ بينَ أظهرِ الجهَّالِ مِنَ الأعرابِ يتيماً ضعيفاً مستضعفاً ، فمِنْ أينَ حصلَ لهُ مِنْ محاسنِ الأخلاقِ والآدابِ ومعرفةِ مصالحِ الفقْهِ مثلاً فقطْ دونَ غيرِهِ مِنَ العلومِ فضلاً عنْ معرفتِهِ باللهِ تعالىٰ وملائكتِهِ وكتبِهِ ، وغيرِ ذلكَ مِنْ خواصِّ النبوَّةِ . . لولا صريحُ الوحيِ ؟! ومِنْ أينَ للبشرِ الاستقلالُ بذلكَ ؟!

فلو لمْ يكنْ لهُ إلا هـٰذهِ الأمورُ الظاهرةُ . . لكانَ فيهِ كفايةٌ .

وقدْ ظهرَ مِنْ آياتِهِ ومعجزاتِهِ ما لا يستريبُ فيهِ محصِّلٌ ، فلنذكرْ مِنْ جملتِها ما استفاضَتْ بهِ الأخبارُ ، واشتملَتْ عليهِ الكتبُ الصحيحةُ ، إشارةً إلىٰ مجامعِها مِنْ غيرِ تطويلٍ بحكايةِ التفصيلِ .

فقدْ خرقَ اللهُ العادةَ علىٰ يدِهِ غيرَ مرَّةٍ ؛ إذْ شقَّ لهُ القمرَ بمكَّةَ لمَّا سألتْهُ قريشٌ آيةً(١) .

وأطعمَ النفرَ الكثيرَ في منزلِ جابرٍ(٢) ، وفي منزلِ أبي طلحةَ ، ويومَ الخندقِ(٣) .

---

(١) رواه البخاري (٣٦٣٦ ، ٣٨٦٨) ، ومسلم (٢٨٠٠ ، ٢٨٠٢) .

(٢) رواه البخاري (٤١٠١ ، ٤١٠٢) ، ومسلم (٢٠٣٩) .

(٣) رواه البخاري (٣٥٧٨) ، ومسلم (٢٠٤٠) .

ومرَّةً أطعمَ ثمانينَ مِنْ أربعةِ أمدادِ شعيرٍ وعناقٍ ، وهوَ مِنْ أولادِ المعزِ فوقَ العتودِ⁽¹⁾ .

ومرَّةً أكثرَ مِنْ ثمانينَ رجلاً مِنْ أقراصِ شعيرٍ حملَها أنسٌ في يدِهِ⁽²⁾ .

ومرَّةً أهلَ الجيشِ مِنْ تمرٍ يسيرٍ ساقَتْهُ بنتُ بشيرٍ في يدِها ، فأكلوا كلُّهُمْ حتَّىٰ شبعوا مِنْ ذلكَ وفضلَ لهُمْ⁽³⁾ .

ونبعَ الماءُ مِنْ بينِ أصابعِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ، فشربَ أهلُ العسكرِ كلُّهُمْ وهمْ عطاشٌ ، وتوضَّؤوا مِنْ قدحٍ صغيرٍ ضاقَ عنْ أنْ يبسطَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يدَهُ فيهِ⁽⁴⁾ .

وأهراقَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ وضوءَهُ في عينِ تبوكَ ولا ماءَ فيها ، ومرَّةً

---

(١) كذا في النسخ : (ثمانين) ، والصواب : ثمان مئة كما يدل له سياق القصة . « إتحاف » (٧/ ١٦٧) ، قال الحافظ العراقي : (رواه الإسماعيلي في « صحيحه » ، ومن طريقه البيهقي في « الدلائل » [٣/ ٤٢٢] من حديث جابر ، وفيه : إنهم كانوا مئة أو ثلاث مئة ، وهو عند البخاري دون ذكر العدد ، وفي رواية لأبي نعيم : وهم ألف) ، وقوله : (مرة) فيما يأتي : إشارة إلىٰ زمن غزوة الخندق .

(٢) رواه مسلم (٢٠٤٠) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٣) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٤٢٧) من حديث ابنة بشير بن سعيد ، وكان ذلك مع أهل الخندق .

(٤) نبع الماء الشريف من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم لوضوء أصحابه رضي الله عنهم عند البخاري (١٦٩) ، ومسلم (٢٢٧٩) من حديث أنس رضي الله عنه ، وحديث شربهم وهم عطاش عند البخاري (٣٥٧٦) ، ومسلم (١٨٥٦) من حديث جابر رضي الله عنه .

أخرىٰ في بئرِ الحديبيةِ فجاشتا بالماءِ ، فشربَ مِنْ عينِ تبوكَ أهلُ الجيشِ وهمْ ألوفٌ حتَّىٰ رووا ، وشربَ مِنْ بئرِ الحديبيةِ ألفٌ وخمسُ مئةٍ ، ولمْ يكنْ فيها قبلَ ذلكَ ماءٌ(١) .

وأَمرَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ عمرَ بنَ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ أنْ يزوِّدَ أربعَ مئةِ راكبٍ مِنْ تمرٍ كانَ في اجتماعِهِ كربضةِ البعيرِ ، وهوَ موضعُ بروكِهِ ، فزوَّدَهُمْ كلَّهُمْ منهُ ، وبقيَ بجثتِهِ(٢) .

ورمى الجيشَ بقبضةٍ مِنْ ترابٍ فعميَتْ عيونُهُمْ ، ونزلَ بذلكَ القرآنُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾(٣) .

وأبطلَ اللهُ تعالى الكهانةَ بمبعثِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فعُدمَتْ ، وكانَتْ ظاهرةً موجودةً(٤) .

وحنَّ الجذعُ الذي كانَ يخطبُ إليهِ إذْ عُمِلَ لهُ المنبرُ ، حتَّىٰ سمعَ منهُ

---

(١) خبر عين تبوك رواه مسلم (٧٠٦) من حديث معاذ رضي الله عنه ، وخبر بئر الحديبية عند البخاري (٢٧٣٤) ، ومسلم (١٨٠٧) ، وكانوا ألفاً وأربع مئة .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٥/٤٤٥) من حديث النعمان بن مقرن رضي الله عنه ، وفيه : (وكنت أنا في آخر القوم ، قال : فالتفت وما أفقد موضع تمرة وقد احتمل منه أربع مئة رجل) .

(٣) رواه مسلم (١٧٧٧) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه .

(٤) رواه الخرائطي في « هواتف الجِنَّان » (٤) ضمن خبر طويل مفاده ما نقله المصنف هنا ، وأصل هـٰذا عند البخاري (٧٧٣) ، ومسلم (٤٤٩) .

جميعُ أصحابِهِ مثل صَوتِ الإبلِ ، فضمَّهُ إليهِ فسكنَ(١) .

ودعا اليهودَ إلىٰ تمنِّي الموتِ ، وأخبرَهُم بأنَّهُمْ لا يتمنَّونَهُ ، فحيلَ بينَهُمْ وبينَ النطقِ بذلكَ ، وعجزوا عنهُ(٢) ، وهـٰذا مذكورٌ في سورةٍ يُقرأُ بها في جميعِ جوامعِ أهلِ الإسلامِ مِنْ شرقِ الأرضِ إلىٰ غربِها يومَ الجمعةِ جهراً ؛ تعظيماً للآيةِ التي فيها(٣) .

وأخبرَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بالغيوبِ :

وأنذرَ بأنَّ عثمانَ تصيبُهُ بلوىٰ بعدَها الجنَّةُ(٤) .

وبأنَّ عمَّاراً تقتلُهُ الفئةُ الباغيةُ(٥) .

وأنَّ الحسنَ يُصلحُ اللهُ بهِ بينَ فئتينِ مِنَ المسلمينَ عظيمتينِ(٦) .

وأخبرَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ عنْ رجلٍ قاتلَ في سبيلِ اللهِ أنَّهُ مِنْ أهلِ النارِ ، فظهرَ ذلكَ بأنَّ ذلكَ الرجلَ قتلَ نفسَهُ(٧) .

---

(١) رواه البخاري (٩١٨) .

(٢) رواه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠٩٩٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) وهي قوله عز شأنه : ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ .

(٤) رواه البخاري (٣٦٧٤) ، ومسلم (٢٤٠٣) .

(٥) رواه البخاري (٤٤٧) ، ومسلم (٢٩١٥) .

(٦) رواه البخاري (٢٧٠٤) .

(٧) رواه البخاري (٢٨٩٨) ، ومسلم (١١٢) .

وهٰذهِ كلُّها أشياءُ لا تُعرفُ ألبتةَ بشيءٍ مِنْ وجوهِ تَقْدِمَةِ المعرفةِ(١) ؛ لا بنجومٍ ولا بكتفٍ(٢) ، ولا بخطٍّ ولا بزجرٍ(٣) ، لكنْ بإعلامِ اللهِ تعالىٰ لهُ ووحيِهِ إليهِ .

واتبعَهُ سراقةُ ابنُ جُعْشُمٍ ، فساخَتْ قدما فرسِهِ بالأرضِ واتَّبعهُ دخانٌ(٤) ، حتَّى استغاثَهُ ، فدعا لهُ فانطلقَتِ الفرسُ ، وأنذرَهُ بأنْ سيُوضعُ في ذراعيهِ سوارا كسرىٰ ، فكانَ كذلكَ(٥) .

وأخبرَ بمقتلِ الأسودِ العَنْسيِّ الكذَّابِ ليلةَ قتلِهِ وهوَ بصنعاءِ اليمنِ ، وأخبرَ بمَنْ قتلَهُ(٦) .

---

(١) كذا في النسخ، وعند الحافظ الزبيدي في «إتحافه» (٧/ ١٧٩): (تقدمت المعرفةُ بها).

(٢) في (ب ، هـ) : (ولا بكهن) بدل (ولا بكتف) .

(٣) كما كانت أهل الجاهلية تفعله ، فكان بعضهم ينظر في النجوم وما في أحكامها من التسديس والتثليث والتربيع والمقابلة ، ومنهم من ينظر في الكتف فيخبر عن حوادث كونية ، ومنهم من يخط على الرمل خطوطاً فيخبر به عن غائب ، ومنهم من يزجر الطيور والسوانح والبوارح فيخبر بها عن أمور ستقع ، وكل ذلك حرمها الشارع وأبطل الاشتغال بها . « إتحاف » (٧/ ١٨٠) .

(٤) أي : غبار من الأرض ؛ أي : مع يبوسة الأرض .

(٥) أصل القصة عند البخاري (٣٦١٥) ، ومسلم (٢٠٠٩) ، وقصة إلباسه سواري كسرىٰ رواها البيهقي في « دلائل النبوة » (٦/ ٣٢٥) ، وسراقة هو ابن مالك بن جعشم .

(٦) روى البخاري (٤٣٧٥) ، ومسلم (٢٢٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « بينما أنا نائم أُتيت بخزائن الأرض ، فوضع في كفي سواران من ذهب ، فكَبُرا عليَّ ، فأوحى الله إلي أن أنفخهما ، فنخفتهما فذهبا ، فأوَّلتهما الكذابين اللذين أنا بينهما ، صاحب صنعاء وصاحب اليمامة » . =

وخرجَ علىٰ مئةٍ مِنْ قريشٍ ينتظرونَهُ ، فوضعَ الترابَ علىٰ رؤوسِهِمْ ولمْ يروهُ(١) .

وشكا إليهِ البعيرُ بحضرةِ أصحابِهِ وتذلَّلَ لهُ(٢) .

وقالَ لنفرٍ مِنْ أصحابِهِ مجتمعينَ : « أحدُكُمْ في النارِ ضرسُهُ مثلُ أحدٍ » فماتوا كلُّهُمْ على استقامةٍ وارتدَّ منهُمْ واحدٌ فقتلَ مرتداً(٣) .

= وعند ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٩/١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الأسود العنسي فقال : « قتله الرجل الصالح فيروز بن الديلمي ، رجل من فارس » .

(١) جوامع السيرة (ص ١١) ، ورواه الطبري في « تاريخه » (٣٧٢/٢) عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً .

(٢) رواه أبو داوود (٢٥٤٩) ، وخبر سجود الجمل له صلى الله عليه وسلم رواه أحمد في « المسند » (١٥٨/٣) .

(٣) روى الطبراني في « الكبير » (٢٨٣/٤) عن رافع بن خديج قال : كان بالرجال بن عُنْفُوة من الخشوع واللزوم لقراءة القرآن والخير فيما يرىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء عجب ، فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً والرجَّال معنا جالس مع نفر ، فقال : « أحد هـٰؤلاء النفر في النار » ، قال رافع : فنظرت في القوم ، فإذا بأبي هريرة الدوسي ، وأبي أروى الدوسي ، والطفيل بن عمرو الدوسي ، ورجَّال بن عنفوة ، فجعلت أنظر وأتعجب ، وأقول : من هـٰذا الشقي ؟!

ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم . . رجعت بنو حنيفة ، فسألت : ما فعل الرجَّال بن عنفوة ؟ فقالوا : فتن ، هو الذي شهد لمسيلمة علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أشركه في أمره من بعده ، فقلت : ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حق ، وسمع الرجال يقول : كبشان انتطحا ، فأحبهما إلينا كبشنا . وانظر « جوامع السيرة » (ص ١١) .

وقالَ لآخرينَ منهُمْ : « آخرُكُمْ موتاً في النارِ ، فسقطَ آخرُهُمْ موتاً في النارِ فاحترقَ فيها فماتَ(١) .

ودعا شجرتينِ فأتتاهُ واجتمعتا ، ثمَّ أمرَهُما فافترقَتا(٢) .

وكانَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ نحوَ الربعةِ، فإذا مشىٰ معَ الطوالِ . . طالَهُمْ .

ودعا عليهِ الصلاةُ والسلامُ النصارىٰ إلى المباهلةِ ، فامتنعوا ، وأخبرَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُمْ إنْ فعلوا ذلكَ . . هلكوا ، فعلموا صحَّةَ قولِهِ ، فامتنعوا(٣) .

وأتاهُ عامرُ بنُ الطفيلِ بنِ مالكٍ ، وأربدُ بنُ قيسٍ ـ وهما فارسا العرب وفاتكاهُمْ ـ عازمَيْنِ علىٰ قتلِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ، فحيلَ بينَهُما وبينَ ذلكَ ، ودعا عليهما ، فهلكَ عامرٌ بغدَّةٍ ، وهلكَ أربدُ بصاعقةٍ أحرقَتْهُ(٤) .

وأخبرَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ أنَّهُ يقتلُ أبيَّ بنَ خلفٍ الجمحيَّ ، فخدشَهُ يومَ أحدٍ خدشاً لطيفاً ، فكانَتْ فيهِ منيَّتُهُ(٥) .

---

(١) رواه الدولابي في « الكنىٰ والأسماء » (١/ ١١٥) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٦/ ٤٥٨) .

(٢) رواه مسلم (٣٠١٢) وهو قطعة من حديث جابر رضي الله عنه الطويل .

(٣) رواه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠٩٩٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وقد تقدمت قطعة منه قريباً .

(٤) رواه الطبراني في « الأوسط » (٩١٢٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مفصلاً ، وخبر مقتل عامر أيضاً عند أحمد في « المسند » (٣/ ٢١٠) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٥) رواه ابن سعد في « طبقاته » (٢/ ٤٣) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢١١) .

وأُطعمَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ السمَّ ، فماتَ الذي أكلَ معَهُ ، وعاشَ هوَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بعدَهُ أربعَ سنينَ وكلَّمَهُ الذراعُ المسمومُ .

وأخبرَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يومَ بدرٍ بمصارعِ صناديدِ قريشٍ ، ووقفَهُمْ علىٰ مصارعِهِمْ رجلاً رجلاً ، فلم يتعدَّ واحدٌ منهُمْ ذلكَ الموضعَ(١) .

وأنذرَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بأنَّ طوائفَ مِنْ أمَّتِهِ يغزونَ في البحرِ ، فكانَ كذلكَ(٢) .

وزُويَتْ لهُ الأرضُ فأُرِيَ مشارقَها ومغاربَها ، وأخبرَ بأنَّ ملكَ أمَّتِهِ سيبلغُ ما زُوِيَ لهُ منها ، فكانَ كذلكَ ، فقدْ بلغَ ملكُهُمْ مِنْ أوَّلِ المشرقِ ومِنْ بلادِ التركِ ، إلىٰ آخرِ المغربِ مِنْ بحرِ الأندلسِ وبلادِ البربرِ ، ولم يتَّسعوا في الجنوبِ ولا في الشمالِ ، كما أخبرَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ سواءً بسواءٍ(٣) .

وأخبرَ فاطمةَ ابنتَهُ رضيَ اللهُ عنها بأنَّها أوَّلُ أهلِهِ لحاقاً بهِ ، فكانَ كذلكَ(٤) .

وأخبرَ نساءَهُ بأنَّ أطولَهُنَّ يداً أسرعُهُنَّ لحاقاً بهِ ، فكانَتْ زينبُ بنتُ جحشٍ الأسديَّةُ أطولَهُنَّ يداً بالصدقةِ وأوَّلَهُنَّ لحوقاً بهِ رضيَ اللهُ عنها(٥) .

---

(١) رواه مسلم (٢٨٧٣) .

(٢) رواه البخاري (٢٧٨٩) ، ومسلم (١٩١٢) ، وفيه خبر أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها .

(٣) رواه مسلم (٢٨٨٩) .

(٤) رواه البخاري (٣٦٢٤) ، ومسلم (٢٤٥٠) .

(٥) رواه مسلم (٢٤٥٢) من حديث عائشة رضي الله عنها ، وفيه قولها : (فكنَّ يتطاولن =

ومسحَ ضرْعَ شاةٍ حائلٍ لا لبنَ لها فدرَّتْ ، فكانَ ذلكَ سببَ إسلامِ ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ⁽¹⁾ ، وفعلَ ذلكَ مرَّةً أخرىٰ في خيمةِ أمِّ معبدٍ الخزاعيَّةِ⁽²⁾ .

وندرَتْ عينُ بعضِ أصحابِهِ فسقطَتْ ، فردَّها عليهِ الصلاةُ والسلامُ بيدِهِ ، فكانَتْ أصحَّ عينيهِ وأحسنَهُما⁽³⁾ .

وتفلَ في عينِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ وهوَ أرمدُ يومَ خيبرٍ ، فصحَّ مِنْ وقتِهِ ، وبعثَهُ بالرايةِ⁽⁴⁾ .

وكانوا يسمعونَ تسبيحَ الطعامِ بينَ يديهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ⁽⁵⁾ .

= أيتهن أطول يداً ، قالت : فكانت أطولنا يداً زينب ؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتصدَّق) ، وعند البخاري (١٤٢٠) من حديثها : (فأخذوا قصبة يذرعونها ، فكانت سودة أطولهن يداً ، فعلمنا بعد أنما كانت طول يدها الصدقة) ، ففي هـٰذه الرواية تلفيق ، فكان طول يد سودة رضي الله عنها في الذَّرْع ، ولكن تبين أن المراد بالطول هنا لليد هو الإفضال والصدقة ، فآض الأمر إلىٰ زينب ؛ لأنها كانت كذلك ، كذا يُفاد من « مشارق الأنوار » (٢/ ٣٢١) .

(١) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٤٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وكان غلاماً .

(٢) تقدم حديث أم معبد قريباً .

(٣) رواه ابن سعد في « طبقاته » (١/ ١٥٨) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٥١) .

(٤) رواه البخاري (٢٩٤٢) ، ومسلم (٢٤٠٤) .

(٥) رواه البخاري (٣٥٧٩) .

وأُصيبَتْ رِجْلُ بعضِ أصحابِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فمسحَها بيدِهِ ، فبرأَتْ مِنْ حينِها(١) .

وقلَّ زادُ جيشٍ كانَ معَهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ، فدعا بجميعِ ما بقيَ ، فاجتمعَ شيءٌ يسيرٌ جدّاً ، فدعا فيهِ بالبركةِ ، ثمَّ أمرَهُمْ فأخذوا ، فلمْ يبقَ وعاءٌ في العسكرِ إلا مُلِيءَ مِنْ ذلكَ(٢) .

وحكى الحكمُ بنُ أبي العاصِ مشيتَهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ مستهزئاً ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كذلكَ فكُنْ » ، فلمْ يزلْ يرتعشُ حتَّىٰ ماتَ(٣) .

وخطبَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ امرأةً ، فقالَ لهُ أبوها : إنَّ بها بَرَصاً ؛ امتناعاً مِنْ خطبتِهِ واعتذاراً ، ولمْ يكنْ بها برصٌ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « فلتكنْ كذلكَ » ، فبرِصَتْ ، وهيَ أمُّ شبيبِ بنِ البرصاءِ ، الشاعرِ(٤) .

إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنْ آياتِهِ ومعجزاتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وإنَّما اقتصرنا على المستفيضِ .

---

(١) رواه البخاري (٤٠٣٩) في خبر قتل أبي رافع اليهودي ، والمقصود ببعض أصحابه : عبد الله بن عتيك رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم (٢٧) من حديث أبي هريرة أو أبي سعيد رضي الله عنهما ، كذا برواية الشك .

(٣) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٦/ ٢٣٩ـ ٢٤٠) ، ونحوه عند أبي نعيم في « معرفة الصحابة » (٢/ ٧١٢) ، ووقع في النسخ : (الحكم بن العاص) والتصحيح من الأصول المنقول عنها .

(٤) رواه أبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٦/ ٣٢٤٢) .

ومَنْ يستريبُ في انخراقِ العادةِ علىٰ يدِهِ ، ويزعمُ أنَّ آحادَ هـٰذهِ الوقائعِ لمْ تُنقلْ تواتراً ، بلِ المتواترُ هوَ القرآنُ فقطْ . . فهوَ كمَنْ يستريبُ في شجاعةِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وسخاوةِ حاتمٍ الطائيِّ ، ومعلومٌ أنَّ آحادَ وقائعِهِمْ غيرُ متواترةٍ ، ولكنَّ مجموعَ الوقائعِ يورثُ علْماً ضرورياً .

ثمَّ لا يتمارىٰ في تواترِ القرآنِ ، وهيَ المعجزةُ الكبرى الباقيةُ بينَ الخلْقِ ، وليسَ لنبيٍّ معجزةٌ باقيةٌ سواهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ إذْ تحدَّىٰ بها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بُلغاءَ الخلْقِ ، وفصحاءَ العربِ ، وجزيرةُ العربِ حينئذٍ مملوءةٌ بالآلافِ منهُمْ ، والفصاحةُ صنعتُهُمْ ، وبها منافستُهُمْ ومباهاتُهُمْ !

وكانَ ينادي بينَ أظهرِهِمْ أنْ يأتوا بمثلِهِ ، أوْ بعشْرِ سورٍ مثلِهِ ، أوْ بسورةٍ مِنْ مثلِهِ إنْ شكُّوا فيهِ ، وقالَ لهمُ : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ ، وقالَ ذلكَ تعجيزاً لهُمْ ، فعجزوا عنْ ذلكَ ، وصرفوا عنهُ ، حتَّىٰ عرَّضوا أنفسَهُمْ للقتلِ ، ونساءَهُمْ وذراريَهُمْ للسبيِ ، وما استطاعوا أنْ يعارضوا ، ولا أنْ يقدحوا في جزالتِهِ وحسنِهِ .

ثمَّ انتشرَ ذلكَ بعدَهُ في أقطارِ العالمِ شرقاً وغرباً ، قرناً بعدَ قرنٍ ، وعصراً بعدَ عصرٍ ، وقدِ انقرضَ اليومَ قريبٌ مِنْ خمسِ مئةِ سنةٍ ولمْ يقدرْ أحدٌ علىٰ معارضتِهِ .

فأعظمْ بغباوةِ مَنْ ينظرُ في أحوالِهِ ، ثمَّ في أقوالِهِ ، ثمَّ في أفعالِهِ ، ثمَّ في أخلاقِهِ ، ثمَّ في معجزاتِهِ ، ثمَّ في استمرارِ شرعِهِ إلى الآنَ ، ثمَّ في انتشارِهِ

في أقطارِ العالمِ ، ثمَّ في إذعانِ ملوكِ الأرضِ لهُ في عصرِهِ وبعدَ عصرِهِ ، معَ ضعْفِهِ ويُتمِهِ . . ثمَّ يتمارىٰ بعدَ ذلكَ في صدقِهِ !

وما أعظمَ توفيقَ مَنْ آمنَ بهِ ، وصدَّقَهُ ، واتبعَهُ في كلِّ وِرْدٍ وصدْرٍ !

فنسألُ اللهَ تعالىٰ أنْ يوفِّقَنا للاقتداءِ بهِ في الأخلاقِ ، والأفعالِ ، والأحوالِ ، والأقوالِ ، بمنِّهِ وسعةِ جودِهِ ، إنَّهُ سميعٌ قريبٌ .

* * *

تمّ كتاب آداب المعيشة وأخلاق النّبوّة

وهو آخر ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدّين

بحمد الله وحسن توفيقه

والصّلاة على خير خلقه محمّدٍ وآله وصحبه وسلّم تسليمًا

يتلوه ربع المهلكات

وهو الرّبع الثّالث من كتاب إحياء علوم الدّين(١)

---

(١) والحال كما قال الحافظ الزبيدي رحمه الله تعالىٰ في « إتحافه » (١٩٩/٧) :
تمَّ بحمد الله تعالىٰ وحسن توفيقه نصف الكتاب ـ وأنشد ـ :

حمــدتُ اللهَ ربِّــي إذْ هــدانــي لما أبديتُ معْ عجزي وضعفي
ومَــنْ لــي بــالخطــا فــأردُّ عنــهُ ومَــنْ لــي بــالقبــولِ ولــوْ بحــرفِ

HABÎBULLAH'IN KUR'ÂN İLE TERBİYESİ

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) dâima Allahü Teâlâ'dan, ahlâkî fazîlet ve güzel terbiye ile süslenmesini isterdi, duâsında:

اَللّٰهُمَّ حَسِّنْ خَلْقِي وَخُلُقِي

"Allahım, ahlâkımı ve hilkatimi güzelleştir."[1]

اَللّٰهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ

"Allahım, beni kötü huylardan uzaklaştır."[2] diye yalvarırdı. Allahü Teâlâ da:

اُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ

"Bana duâ edin, icâbet edeyim." (Mü'min suresi, 40/60) va'd-i kerîmince, dâvetine icâbet ederek, Kur'ân-ı Kerîm'i kendisine inzâl etmek sûretiyle onu terbiye etti ki, onun ahlâkı tamamen Kur'ân-ı Kerîm'den ibâret idi.

Sa'd b. Hişâm[3] şöyle anlatıyor: Bir gün Hz. Aişe'nin (r. anha) huzuruna girdim ve kendisine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in ahlâkından sordum. Hz. Aişe bana:

---

[1] İbn Mes'ûd Âişe'den rivâyet etti. Başka rivâyet yolları da vardır.

[2] Tirmizî Kutbe b. Malik'den rivâyet etti ve Hâkim sahîh olduğunu söyledi.

[3] Medîneli ve Enes b. Mâlik'in amcazâdesidir. Sikadandır. Birçoklarından hadîs rivâyet etmiştir. Buhârî kendisinden bir hadîs, diğerleri de pek çok hadîs rivâyet etmişlerdir.

– “Kur'ân okumadın mı?” diye sordu. Ben de:

– “Evet okudum.” dedim. Hz. Aişe:

– “İşte Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in ahlâkı Kur'ân'dan ibârettir.” dedi. Kur'ân-ı Kerîm onu, şu anlatacağım âyet-i kerîme ile bunların benzeri âyet-i celîlelerle terbiye etmiştir:

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ

“Affa sarıl, mârufu emret ve câhillerden yüz çevir.” (A'râf suresi, 7/199)

إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبٰى وَيَنْهٰى
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ

“Allah adâlet, ihsân ve yakınlara vermekle emreder. Açık günâhtan, kötü işlerden ve azgınlıktan men eder.” (Nahl suresi, 16/90)

وَاصْبِرْ عَلٰى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ

“Sana isâbet edenlere sabret. Çünkü bunlar katî sûrette farz edilen umûrdandır.” (Lokman suresi, 31/17)

وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ

“Kim, sabreder ve bağışlarsa, işte bu sabır ve bağışlama azimkârlık ve büyük bir hünerdir.” (Şûra suresi, 42/43)

فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

“Onları bağışla ve onlara boş ver. Allah iyilik edenleri sever.” (Mâide suresi, 5/13)

وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَكُمْ

“Affetsin ve vazgeçsinler. Allahü Teâlâ’nın sizi yarlığamasını sevmez misiniz?” (Nûr suresi, 24/22)

اِدْفَعْ بِالَّت۪ي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذ۪ي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ
وَلِيٌّ حَم۪يمٌ

“Kötülüğü iyilikle karşıla. Bakarsın ki, aranızda düşmanlık bulunan kimse seninle candan dost imiş gibi olur.” (Fussılet suresi, 41/34)

وَالْكَاظِم۪ينَ الْغَيْظَ وَالْعَاف۪ينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِن۪ينَ

“Ve gayzını yenip insanları bağışlayanlar, Allah ihsân edenleri sever.” (Âl-i İmrân suresi, 3/134)

يَٓا أَيُّهَا الَّذ۪ينَ اٰمَنُوا اجْتَنِبُوا كَث۪يرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ
إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا

“Zanların çoğundan kaçının. Zîra bâzı zan var ki, günâhtır. Casusluk yapmayın; birbirinizde kusur aramayın ve yekdiğerinizi gıybet etmeyin.” (Hucûrât suresi, 49/12)

Rasûl-i Ekrem’in (s.a.v.) Uhud cenginde gül yanağı yarılıp, mübarek fındık dişi şehîd edildiği ve yüzünden kanlar aktığı zaman, bir eli ile kanı silerken:

كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَّبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالدَّمِ وَهُوَ
يَدْعُوهُمْ إِلٰى رَبِّهِمْ

"Kendilerini Allah'a davet eden peygamberlerinin yüzünü kana boyayan bir millet nasıl felâh bulur?"[4] buyurdu. Allahü Teâlâ:

لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ

"Senin elinde bir şey yoktur." (Âl-i İmrân suresi, 3/128) buyurmakla yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'ini tedîb etmiştir. Kur'ân-ı Kerîm'de buna benzer daha pek çok terbiye âyetleri mevcuttur. İlk önce edep ve ahlâk, Resûl-i Ekrem'de aranır. Bu nur, diğer insanlara ondan sirâyet eder. O Kur'ân-ı Kerîm ile edeplendi ve halkı onunla edeplendirdi. Bunun için Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ

"Ben ancak, mekârim-i ahlâkı, (ahlâkî fazîletleri) *tamamlamak için gönderildim."*[5] buyurdu. Nefsi terbiye ve ahlâkı güzelleştirme bâbında buna temâs etmiştik; tekrarına lüzum görmüyorum. Allahü Tealâ Habîb-i Ekrem'inin ahlâkını kemâl derecesine yükselttikten sonra, onu överek:

وَإِنَّكَ لَعَلٰى خُلُقٍ عَظِيمٍ

"Muhakkak sen büyük ahlâk üzeresin." (Kalem suresi, 68/4) buyurdu. O, ne büyük Allah'tır. O'nun sonsuz lütfuna ve büyük fazlına bir bak ki; Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'i güzel ahlâkı ile kendisi süslediği halde, bu güzel huyu Habîb'ine izafe ederek: **"Muhakkak sen büyük ahlâk üzeresin."** buyurdu. Sonra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) insanlara: *"Allahü Teâlâ iyi huyları sever, kötü hallere buğz eder."*[6] diye buyurdu.

---

[4] Müslim Enes'ten ve Buhârî de ta'likan rivâyet etmişlerdir.

[5] Hadîs yukarıda geçmiştir.

[6] Beyhakî Said'in oğlu Sehl'den muttasıl olarak rivâyet etmiştir.

Hz. Ali (r.a.) şöyle demiştir: "Herhangi bir ihtiyaç için kapısına gelen dîn kardeşinin yardımına koşmayan ve kendisini bu işe selâhiyettâr görmeyen kimseye şaşarım. Sevap ve günâh korkusu olmasa bile, insanlık ve güzel ahlâk adına yardımına koşmalıdır. Zîra kurtuluş yolu budur." Bunun üzerine adamın biri:

– "Sen bunu Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den duydun mu?" diye sorunca, Hz. Ali:

– "Evet duydum. O, bu hususta en hayırlı davranan kimse idi. Hattâ Tayy Kabîlesi'nin esîrleri Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e arz edildiği zaman, içlerinden genç bir kız Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e:

– "Ey Muhammed! Ben kabîlenin reisi olan **Hatem-i Tâî**'nin kızı Sufâne'yim. Babam, hakkı sever, eli altında bulunanlara iyi muâmele eder. Esîrleri serbest bırakır, açları doyurur, ekmek yedirir. Selâm verir, ihtiyaç için geleni boş çevirmez, cömertlik ve sahâvetiyle meşhur bir zâttır. Benim rezîl ve sefîl olmamı istemezsen, beni serbest bırak gideyim." dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

يَا جَارِيَةُ هٰذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا، لَوْ كَانَ أَبُوكِ مُسْلِمًا لَتَرَحَّمْنَا عَلَيْهِ، خَلُّوا عَنْهَا فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ وَإِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ

– "Ey câriye! Bu dediğin doğrudan mü'minin vasfıdır. Eğer baban Müslüman olsaydı, ona rahmetle duâ ederdik. Bu kızı serbest bırakın. Çünkü bunun babası ahlâkî fazîletleri sever. Allahü Teâlâ da güzel ahlâkı sever."[7] buyurdu. Tam bu sırada Ebû Burde b. Niyâr[8] ayağa kalkarak:

---

[7] Tirmizî ve Hâkim "**Nevâdiru'l-Usûl**"de rivâyet etti.

[8] Ensârdandır. Hicrî 41 de ölmüştür.

– "Ey Allahın Rasûlü! Allahü Teâlâ ahlâkî fazîletleri sever mi?" diye sordu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا حَسَنُ الْأَخْلَاقِ

"Nefsimi kudret elinde bulunduran Allah'a yemin olsun ki, cennete ancak huyu güzel olanlar girer." buyurdu.

Muaz b. Cebel'den (r.a.) rivâyete göre Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

إِنَّ اللّٰهَ حَفَّ الْإِسْلَامَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ

"Allahü Teâlâ İslâmiyet'i güzel ahlâk ve iyi amellerle kuşattı, donattı."

İnsanlarla güzel geçinmek ve onlara iyi muamelede bulunmak, alçak gönüllü olmak, elinden geldiği kadar herkese iyilik etmek, yemek yedirmek, selâm vermek, kötü adam da olsa, Müslüman bir hastayı ziyâret etmek, Müslüman cenâzesini teşyî, müslim ve gayr-ı müslim komşuları ile iyi geçinmek, yaşlı Müslümanlara saygı göstermek, dâvete icâbet etmek, dâvet sâhibine duâ etmek, bağışlamak, ara bulmak, cömertlik, kerem ve semâhat, selâm vermeye önce başlamak, hiddetini yenmek, insanların kusurlarını bağışlamak, İslâm'ın haram ettiği şeylerden kaçınmak (oyun, kumar, türkü, şarkı vesâire gibi), gıybet, yalan, cimrilik, eziyet, hîle, hıyânet, söz gezdirmek, ara bozmak, akraba ile alâkasını kesmek, kötü ahlâk, kibir, böbürlenmek, kendini beğenmek, insanlara karşı sallanmak, dil uzatmak, fazla övmek, fâhiş sözler konuşmak, kusur araştırmak, kin, çekememezlik, teşe'um, azgınlık, düşmanlık ve zulüm gibi kötü hallerden sakınmak, iyi ahlâktandır.

Enes (r.a.) anlatıyor: "Hiç bir iyilik yok ki, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bizi ona dâvet edip onu yapmamızı emretmiş olmasın. Hiç bir ayıp, kötü ve çirkin iş yok ki, Resul-i Ekrem bizi onunla korkutup ondan men etmiş olmasın. Yâni dâima bize her türlü iyilikleri yapmamızı teşvîk ve emreder, her türlü kötülükten bizi korkutur ve men ederdi." Bütün bunları, mealini yukarıda verdiğimiz:

إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

"Allah adâlet, ihsân ve yakınlara vermekle emreder..." (Nahl suresi, 16/90) âyet-i celîlesi bir arada toplar.

RASÛL-İ EKREM'İN TAVSİYE VE ÖĞÜTLERİ

Muaz (r.a.) anlatıyor: Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bana vasiyet ederek şöyle buyurdu:

يَا مُعَاذُ أُوصِيكَ بِاتِّقَاءِ اللّٰهِ وَصِدْقِ الْحَدِيثِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَتَرْكِ الْخِيَانَةِ وَحِفْظِ الْجَارِ وَرَحْمَةِ الْيَتِيمِ وَلِينِ الْكَلَامِ وَبَذْلِ السَّلَامِ وَحُسْنِ الْعَمَلِ وَقَصْرِ الْأَمَلِ وَلُزُومِ الْإِيمَانِ وَالتَّفَقُّهِ فِي الْقُرْاٰنِ وَحُبِّ الْاٰخِرَةِ وَالْجَزَعِ مِنَ الْحِسَابِ وَخَفْضِ الْجَنَاحِ، وَأَنْهَاكَ أَنْ تَسُبَّ حَكِيمًا أَوْ تُكَذِّبَ صَادِقًا أَوْ تُطِيعَ اٰثِمًا أَوْ تَعْصِيَ إِمَامًا عَادِلًا أَوْ تُفْسِدَ أَرْضًا، وَأُوصِيكَ بِاتِّقَاءِ اللّٰهِ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ وَمَدَرٍ وَأَنْ تُحْدِثَ لِكُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةً، اَلسِّرُّ بِالسِّرِّ وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ

"Ey Muaz! Allah'tan korkmak ve O'nun himayesine girmek, doğru konuşmak, verdiği sözde durmak, emâneti ödemek, hıyânet etmemek, komşu hakkını korumak, öksüze merhamet etmek, tatlı sözlü olmak, herkese selâm vermek, güzel amel ve işlerde bulunmak, uzun kuruntularda bulunmamak, îmanını korumak, Kur'an-ı anlamak, âhireti sevmek, hesabın korkusunu taşımak ve herkese şefkat kanatlarını germeyi tavsiye eder; hikmet sâhiplerine kötü söz söylemekten, doğruyu yalanlamaktan, günâhkâra itaatten, âdil hükümdâra isyandan ve yeryüzünde bozgunluk çıkarmaktan seni nehyederim. Nerede olursan ol takvâ üzerine olup Allah'tan korkmak ve her günâhın akabinde tövbe etmekle tavsiye ederim. Gizli günâh işledinse gizli, aşikâre isyân ettinse âşikâre tövbe edersin."[9]

İşte Allah'a karşı kullarının edebi böyledir. Onlar güzel edep ve ahlâkî fazîletlere böylece dâvet ederler.

RASÛL-İ EKREM'İN GÜZEL AHLÂKINDAN BÂZILARI

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) insanların en yumuşağı, en şecaatlisi, en âdili, en çok iffet ve nâmus sâhibi idi. Mahremi olmayan veyâ nikâhında bulunmayan veyâ câriyesi olmayan hiç bir kadın üzerine el değdirmemiştir.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) insanların en cömerdi idi. Onun yanında para akşamlamazdı. Şâyet elinde para bulunsa onu dağıtmadan evine gitmezdi. (Bâzı zevceleri nezdinde) âzamî bir senelikten fazla nafaka bulundurmamıştır. Bu da hurma ve arpa gibi sâde bir yiyecekten ibaret idi. Eline geçen diğer serveti Allah rızası uğrunda infâk ederdi. Kendisinden istenilen ve kendisinde bulunan her şeyi verirdi. Sonra onun nafakasında tesîrini gösterirdi. Hattâ yıl içinde eline bir şey geçmezse onun ızdırâbını çekerdi.

---

[9] Ebû Nuaym **«Hilye»**de ve Beyhakî **«Şuabü'l-Îman»**da anlatmıştır. **«Sohbet Âdabı»**nda geçmişti.

Ayakkabılarını tamir eder, elbiselerini diker, kadın ve mutfak işlerinde yardımcı olurdu. Kadınlarla et doğrardı. Üstün hayâ sâhibi idi. Gözlerini kimsenin yüzüne dikmezdi. Köle olsun efendi olsun, küçük olsun büyük olsun herkesin dâvetine katılırdı. Bir yudum süt veyâ bir oğlak paçası da olsa hediyeyi kabul eder ve karşılık verirdi. Hediyeyi yer, sadakayı yemezdi. Ayak takımının dâvetine gitmekten çekinmezdi. Allah için kızar, kendi namına kızmazdı. Kendisine veyâ adamlarına zararı dokunsa da hakkı yerine getirirdi.

Müşriklerden korunmak için yine diğer müşriklerden yardım teklifi gelirdi. Kendisi henüz pek yalnız olup yardıma muhtaç olduğu halde: “Ben müşrikten yardım istemem.” derdi. Ashâb-ı kirâmın ileri gelenlerinden bâzıları ile Yahûdiler arasında bir adam ölü olarak bulundu. Aleyhlerine hüküm verdi ve haktan ayrılmadı. Ashâbının tek deveye bile, şiddetle ihtiyacı varken o, onlara yüz deve ödemekle hükmetti.

Bir kere açlıktan karnı üzerine taş bağladığı olmuştur. Hazırda olandan yer, bulunanı reddetmezdi. Helâl yemekten kaçınmazdı. Hurma bulur ekmek bulamazsa, yalnız hurma ile yetinirdi. Püryan bulursa onu yer, buğday veyâ arpa ekmeği bulursa onu yerdi. Helva veyâ bal bulsa da yerdi. Ekmeksiz bir miktar süt bulsa onunla da yetinirdi. Kavun, karpuz, tâze sebze ve meyve bulursa onları da yerdi. Yaslanarak, sofra ve masada yemezdi.

Başkalarını kendi üzerine tercîh maksadıyla ölünceye kadar üç gün devamlı olarak birbiri ardınca karnını buğday ekmeğinden doldurmamıştır. Bu, cimrilik veyâ fakirliğinden değildi. Cemiyet ve dâvetlere katılır, hastaları ziyâret eder ve cenâzelerde hazır bulunurdu. Muhâfızı bulunmadan tek başına düşmanları arasında dolaşırdı. İnsanların en mütevâzı olanı idi. Kendisinde kibirden eser bulunmazdı. Sözü uzatmaz, en üstün belâgate sâhip idi. İnsanların en güler yüzlüsü olup dünya hususunda hiç bir suretle heyecanlanmazdı. Bulduğunu giyerdi. Bâzen eski elbise ve bâzen Yemen bürdesi ve bâzen yün hırkası ve hülâsa giyilmesi mübâh olan elbiseyi giyerdi. Gümüşten yüzüğü olup, bâzen sağ ve bâzen de sol küçük parmağına takardı.

Hizmetçisini veyâ başka birisini terkisine alırdı. Deve, at, katır ve merkepten bulduğu vâsıtaya biner ve bâzen de başı açık, yalın ayak ve cübbesiz olarak yürürdü. Şehrin en uzak yerindeki hastaları ziyâret ederdi. Güzel kokuyu sever, pis kokulardan hoşlanmazdı. Fakirlerle düşer kalkar, yoksullarla bir arada yerdi. Ahlâkında fazîlet sâhibi olan insanlara ikram eder, şerefli kimselere iyilikte bulunmak sûretiyle onlarla anlaşırdı. Akrabaları ile alâkalanır ve fazîlet sâhibi olanları tercîh ederdi. Kimseye eziyet etmez, özür dileyenlerin mâzeretini kabul ederdi. Şakalaşır fakat şakasında da doğruyu söylerdi. Güler fakat kahkahalar savurmazdı. Mübâh olan oyunları seyreder ve onları reddetmezdi. Ailesi ile yarışa kalkardı. Bâzen karşısında yükselen sesleri sabırla karşılardı. Koyun gibi sağmal bulundurur âile efrâdı ile südünden istifâde ederlerdi. Köle ve câriyeleri vardı. Yeme içme ve giyimde onlardan ayrılmazdı. Allah için amel etmediği boş vakti geçmezdi. Ya ibâdet veyâ lüzumlu bir işle meşgul olurdu. Ashâbının bağ, bahçe ve bostanlarına giderdi. Fakiri, yoksulluğundan ötürü tahkîr etmez, zengine, zenginliğinden dolayı saygı göstermezdi. Herkesi müsâvî şartlar altında Allah'a dâvet ederdi.

Bütün güzel huy ve iyi vasıfları ve mükemmel sûrette sevk u idâreyi Allahü Teâlâ onda toplamıştı. Okur-yazar olmayan bir ümmî idi. Cehâlet muhîtinde, çölde, ana ve babadan mahrum, koyun gütmekle yetişti. Allahü Teâlâ bütün ahlâkî fazîletleri ona öğretti, iyi vasıflara sâhip kıldı. Geçmiş ve geleceğin haberlerini bildirdi. Âhirette kurtuluş ve saadet yollarını gösterdi. Dünyada iken âhirete heves edip gideceği yolu açıkladı. Boş şeyleri terk edip vâcipleri îfânın lüzumunu anlattı. O'nun emrini yerine getirip işinde ona uymayı Allahü Teâlâ bize tevfîk etsin. Âmin, ya Rabbe'l-âlemîn.

RASÛL-İ EKREM'İN ÂDÂB VE AHLÂKINDAN BİR KISMI

Ebû'l-Buhturî'nin[10] rivâyetine göre; Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Müslümanlardan kimseye kötü söz söylememiştir. Şâyet sözü ile incittiği bir kimse oldu ise hemen onun gönlünü almıştır. Hiç bir kadın veyâ hizmetçisini tel'în etmemiştir. Bir savaşta kendisine:

Bunlara lânet etseniz, dediklerinde:

إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً وَلَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا

"Ben lânetleyici olarak değil, rahmet olarak gönderildim."[11] diye cevap vermiştir. Müslim olsun kâfir olsun, umûmî olsun husûsî olsun, bedduâ etmesi istendiği vakit o, duâ ederdi. Eli ile Allah rızâsı dışında kimseyi dövmemiştir. Allahü Teâlâ'nın hakkı hâricinde şahsı adına kimseden intikam almamıştır. Serbest bırakıldığı hususlarda dâima ehvenini tercîh etmiştir. Ancak günâh olursa veyâ yakınları ile alâkasını kesmek gibi bir hal alırsa, oraya yaklaşmazdı. Köle olsun câriye olsun, zengin olsun fakir olsun,

---

[10] Saîd b. Firûz-i Tâî'dir. Sikadan olup Kûfe'nin ileri gelenlerindendir. Cemâcim'de Hicrî 83 yılında ölmüştür.

[11] Müslim Ebû Hüreyre'den rivâyet etmiştir.

kendisine mürâcaat eden herkesin işine koşardı. Azatlı kölesi olan Enes (r.a.) yeminle anlatıyor: "Hoşlanmadığı bir işi yaptığım zaman, "Bunu niçin böyle yaptın?" diye bana bir defa söylememiştir. Zevceleri ne zaman beni yermeye kalkışsalar onlara mâni olur "O'nun yaptığı kitap ve kader gereğidir." buyururdu. Bir vakit yatacağı yeri ayıplamamıştır. Bir şey sererlerse üzerinde yatar, sermezlerse yer üzerinde yatardı."

Allahü Teâlâ henüz onu peygamber olarak göndermeden önce Tevrat'ın birinci satırında vasıflayarak: "Muhammed Rasûlüm ve tercîh ettiğim kulumdur." buyurdu. Haşin ve sert değildi. Sokaklarda fazla dolaşmaz, kötülüğe kötülükle değil, af ile mukabele ederdi. Mekke'de doğdu Medîne'ye göçtü. Şam havâlisine mâlik idi. Arap kıyâfeti olarak îzâr giyerdi. O ve beraberindekiler Kur'ân-ı Kerîm'e ve ilme bağlanırlar, abdest alırken her tarafını yıkarlardı. Bu, Tevrat'ta böyle olduğu gibi İncil'de de böyledir.

Rast geldiğine hemen selâm vermek, bir ihtiyâcı için karşısına çıkan adam ayrılmadan onu bırakıp ayrılmamak, elini tutan bir kimse bırakmadan kendi elini ayırmamak gibi haller de onun güzel ahlâkındandır.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ashâbından birisiyle karşılaştığı zaman, onunla musafahalaşır ve iyice ellerini birbirine geçirerek sıkıştırırdı. Besmele ile oturur ve besmele ile kalkardı.

Namazda iken birisi içeri girse, namazını kısaltır ve hemen selâm vererek gelene bir işi olup olmadığını sorar ve tekrar namaza başlardı.[12]

Ekseriya oturuşu, dizlerini dikip elleri ve dizlerini bağlamak sûretiyle idi.

---

[12] Mehazı bulunamamıştır.

Mecliste husûsî bir yeri yoktu, boş bulduğu yerde hemen otururdu.

Kimseye darlık vermemesi için ashâbı arasında ayaklarını uzatıp oturduğu vakî değildir. Ancak meclis müsâit olursa uzatabilirdi. Umûmiyetle kıbleye karşı otururdu. Huzûruna giren misâfirine ikrâm eder, çok kere yanına gelen yabancıların altına, sırtındaki elbiseyi serer ve oturturdu.

Misâfirine kendi minderini de verdiği ve oturuncaya kadar ısrâr ettiği de olurdu.

Karşısına çıkan adama öyle samimî davranırdı ki, herkes kendisinin onun katında en sevimli kimse olduğunu zannederdi. Mecliste bulunan herkese ayrı ayrı yönelir ve sohbetten nasîbini verirdi. Herkese teveccüh eder, onunla konuşur, ayrı ayrı hal ve hatırını sorardı. Oturması, konuşması ve dinlemesi, güzel davranışları çok samimî idi. Bununla beraber meclisi bir hayâ; tevâzu ve huzur meclisi idi. Nitekim Allahü Teâlâ:

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللّٰهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلٖيظَ الْقَلْبِ
لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ

“Allahın rahmetinin eseri olarak onlara yumuşak davrandın. Eğer haşin ve katı yürekli olsaydın etrafından dağılırlardı.” (Âl-i İmrân suresi, 3/159) buyurmuştur.

Ashâbını künyeleri ile çağırır, çocuğu olan kadınlara da künyeleri ile seslenirdi. Çocuğu olmayan kadınlara da bir künye bulurdu. Çocuklara da künye bulur ve onların gönlünü hoş ederdi. Geç kızar ve çabuk memnun olurdu.

İnsanlara en çok acıyan, en hayırlı ve en faydalı olan idi.

Onun meclisinde aslâ sesler yükselmez ve yüksek sesle konuşulmazdı.

Meclisten kalktığı zaman:

سُبْحَانَكَ اللّٰهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ
أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ

"Allahım, sana hamd eder ve seni noksan sıfatlardan tenzîh ederim. İbâdete lâyık olan ancak sen olduğuna şehâdet ederim. Sana tövbe eder ve senden mağfiret dilerim." der ve *"Bunu bana Cebrâil öğretti."* buyururdu.

RASÛL-İ EKREM'İN GÜLMESİ VE KONUŞMASI

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), insanların en fasîhi ve en tatlı sözlüsü idi. Nitekim bizzat kendisi:

أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ

"Ben Arapların en fasîhiyim." buyurdu. Cennet halkı Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in şîve ve lehçesi ile konuşacaktır. Fazla konuşmaz, az ve şümûllü konuşur, ipliğe dizilen inciler gibi tâne tane konuşurdu. Nitekim Hz. Aişe (r.a.): "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) sizin gibi birbirine ekleyip durmazdı. O, az ve ağır konuşurdu. Siz, sözü birbirine katıp duruyorsunuz." dedi. Yine dediler ki: "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) en veciz konuşan bir insandı. Kısa cümlede bütün maksadını ifâde edebilirdi. Cevâmiü'l-Kelim idi. Şümûllü cümleler kullanır; ne fuzûli konuşur, ne de eksik bırakırdı. Sözleri arasında duraklar, fâsıla verir ve dinleyenler konuştuğunu ezberleyebilirdi.

Açık sözlü ve en güzel sesli idi. Lüzumsuz konuşmazdı. Ekseriyâ sükût ederdi. Kötü söz konuşmazdı. İster hiddetli ister hiddetsiz, her halinde hakkı söylerdi. Güzel konuşmayanlara iltifât etmezdi. Konuşulması zarûrî olan bâzı şeylere kinâye yolu ile işâret ederdi.

O sustuğu zaman ashâbı konuşurdu. Huzurunda münâzaa yapılmazdı. Va’z u nasîhatinde son derece ciddî idi.

لَا تَضْرِبُوا الْقُرْاٰنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ فَإِنَّهُ أُنْزِلَ عَلٰى وُجُوهٍ

“Kur’ân’ı birbirine vurmayınız, onun âyetlerini karşılaştırmakla tekzîbe kalkışmayınız; onun âyetleri birbirini tasdîk eder. O, (yedi) *vücûh üzere nâzil olmuştur.”*[13] buyurmuştur.

Asbâbının yüzüne en çok gülümseyen bir insandı. Gönüllerini hoş etmek için sözlerini hayranlıkla dinlerdi. İnci dişleri görülecek şekilde gülümserdi. Ashâb-ı kirâmı da kendisine uyarak sohbetinde yalnız tebessüm ile yetinirlerdi.

Bir gün Resül-i Ekrem sıkıntılı idi. Bedevînin biri bir şey sormak üzere huzuruna girmek istedi. Ashâb-ı kirâm bedeviye:

– “Bırak, bu gün Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’in canı sıkıntılı, bir şey sorma.” dediler. Adam:

– “Beni bırakın, ben onu güldürmeden bırakmam.” dedi ve Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’e:

– “Ey Allahın elçisi! Duydum ki Deccal insanlara Tirit yedirecek, yemeyen insanlar acından ölecek. Ne buyurursun? Ben onunla karşılaşırsam yemeyerek acımdan mı öleyim, yoksa yiyip karnımı doyurduktan sonra, yine onu inkâr ve Allah’a imanım üzerine mi kalayım?" dedi. Bunu duyan Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) gülümsedi ve dişleri görüldü, sonra da:

---

[13] Taberânî Abdullah b. Ömer’den rivâyet etmiştir.

– *"Hayır sen ondan yeme. Allahü Teâlâ seni acından öldürmez."* buyurdu.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) insanların en neşeli ve güleryüzlü olanı idi. Ancak Kur'ân-ı Kerîm'in nüzûlü veya âhireti hatırladığı veyâ va'z u nasîhat ettiği zaman çehresi değişirdi.

Onun gönül hoşluğu en güzel bir şekilde idi. Vaazı ise çok ciddî idi. O yalnız Allah için gazâb eder ve gazabı halinde bir şey yapmazdı. Bütün, işlerinde hal ve tavrı bu idi.

Bir sıkıntı ile karşılaştığı zaman; *"Lâ havle velâ kuvvete illâ billâh."* der ve işini Allah'a havâle ederdi. O'ndan kurtuluş dilerdi. Sonra da şöyle duâ ederdi:

اَللّٰهُمَّ أَرِنِي الْحَقَّ حَقًّا فَأَتَّبِعَهُ وَأَرِنِي الْمُنْكَرَ مُنْكَرًا وَارْزُقْنِي اِجْتِنَابَهُ وَأَعِذْنِي مِنْ أَنْ يَشْتَبِهَ عَلَيَّ فَأَتَّبِعَ هَوَايَ بِغَيْرِ هُدًى مِنْكَ وَاجْعَلْ هَوَايَ تَبَعًا لِطَاعَتِكَ وَخُذْ رِضَا نَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي فِي عَافِيَتِهِ وَاهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

"Allahım! Bana hakkı hak olarak göster ki, ben ona uyayım. Bana kötüyü kötü olarak göster ve ondan uzak kalmayı nasîb et. Senin hidâyetin hilâfına nefsimin arzusuna uyarak karışıklıklardan beni koru. Arzularımı senin tâatine tâbi kıl, rızânı bana nasîb et. Beni hakka hidâyet et. Sen dilediğini doğru yola ulaştırırsın."

RASÛL-İ EKREM'İN YEMEKTEKİ ÂDÂB VE AHLÂKI

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bulduğunu yerdi. En çok sevdiği kalabalıkta yemekti. Sofra kurulduğu zaman:

بِسْمِ اللّٰهِ, اَللّٰهُمَّ اجْعَلْهَا نِعْمَةً مَشْكُورَةً تَصِلُ بِهَا نِعْمَةَ الْجَنَّةِ

"Allahım! Bu yemeği, kendisi ile cennet nîmetlerine ulaşacak şükrü ödenmiş nîmetlerden kıl." derdi. Umûmiyetle yemek yerken namazda olduğu gibi otururdu. Yere diz çöküp, ayakları üzerine, oturarak:

إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ اٰكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ

"Ben ancak bir kulum, kölenin oturduğu gibi oturur ve yediği gibi yerim."[14] derdi. Sıcak yemek yemez ve:

إِنَّهُ غَيْرُ ذٖي بَرَكَةٍ وَإِنَّ اللّٰهَ لَمْ يُطْعِمْنَا نَارًا فَأَبْرِدُوهُ

"Sıcak yemekte bereket olmaz. Allahü Teâlâ bize ateş yedirmez, yemeği soğutunuz."[15] buyururdu. Dâima önünden ve üç parmağı ile yerdi. Bâzen dördüncü parmağını da yardımcı olarak kullanırdı, iki parmağı ile yemezdi:

إِنَّ ذٰلِكَ أَكَلَةُ الشَّيْطَانِ

"O, şeytanca bir yemektir."[16] derdi.

Bir gün Osman (r.a.) Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e palûze yemeği getirdi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) yemekten yedikten sonra:

– "Bu nedir, bunu nasıl yaparsınız?" diye sordu. Hz. Osman:

---

[14] Bezzar rivâyet etmiştir.

[15] Beyhakî Ebû Hüreyre'den sahîh sened ile rivâyet etmiştir.

[16] Dârekutnî **"El-İfrâd"**da İbn Abbâs'tan rivâyet etmiştir.

– "Anam babam size fedâ olsun ya Rasûlallah! Yağ ile balı tavaya koyar, ateşte eritiriz. Sonra buğday ununun özünü alır tavaya dökeriz. Sonra katılaşıncaya kadar karıştırırız ve gördüğünüz şekilde bir helva olur." dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّ هٰذَا الطَّعَامَ طَيِّبٌ

– *"Doğrusu bu, güzel bir yemektir."*[17] buyurdu.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) elenmemiş arpa unundan pişen ekmeği yerdi. Salatalığı tâze hurma ve tuz ile yerdi.

Meyvelerden en çok sevdiği yaş hurma, üzüm, kavun ve karpuz idi.

Karpuzu şeker ve ekmekle yerdi. Bâzen de tâze hurma ile katarak yerdi. Kavun ve karpuzu iki eli ile yerdi. Bir defa hurmayı sağ eli ile yedi ve çekirdekleri sol elinde topladı. Oradan geçen bir koyuna seslendi. Koyun gelerek sol elindeki çekirdekleri yedi. Kendisi de sağ eli ile yemeye devâm etti. Her ikisi de bitirdi ve koyun savuşup gitti.

Bâzen üzümü, salkımı ağzına götürerek yediği de olurdu. Üzüm suyu mübârek sakalından inci daneleri gibi damlardı. Ekseriyâ yemeği, su ile hurma idi. Hurma ile sütü bir arada yer ve *"En iyi yemeklerdir."* derdi.

En çok sevdiği et yemeği idi. Et hakkında:

هُوَ يَزِيدُ فِي السَّمْعِ وَهُوَ سَيِّدُ الطَّعَامِ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ
وَلَوْ سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُطْعِمَنِيهِ كُلَّ يَوْمٍ لَفَعَلَ

---

17. İbn Mâce İbn Abbâs'tan rivâyet etmiştir. Meşhûr olan, Beyhakî'nin «**Şuabü'l-Îman**»ında Leys'den rivâyet ettiği sarı helvadır.

"Et, dünya ve âhiretin en üstün yemeğidir. O, kulağın işitmesini arttırır. Eğer Rabbimden her gün bana et yemeği nasîb etmesini istesem, nasîb ederdi."[18] buyurmuştur.

Tirit yemeğini kabak ile yerdi. Kabağı sever ve kabak hakkında:

إِنَّهَا شَجَرَةُ أَخِي يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

"O, kardeşim Yûnus aleyhisselâmın sebzesidir."[19] derdi. Hz. Aişe'nin rivâyetinde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

يَا عَائِشَةُ إِذَا طَبَخْتُمْ قِدْرًا فَأَكْثِرُوا فِيهَا مِنَ الدُّبَّاءِ فَإِنَّهُ يَشُدُّ الْحَزِينَ

"Yâ Aişe! Tencere kaynattığınız zaman oraya fazla kabak koyun. Zîra kabak kalbi takviye eder."[20] buyurmuştur. Kendisi avlanmaz, fakat avlanan kuş etini yer ve kendisine avlanan kuşlardan getirilmesini arzu ederdi.

Et yerken başını ete eğmez, belki eti ağzına getirir ve ısırarak koparırdı. Ekmek ile yağ yerdi. Koyun bacak ve butlarını severdi. Tencerede pişen kabağı, sirkeye doğranmış ekmeği **Acve** hurmasını sever ve bu hurmaya bereket ile duâ ederdi. *"Bu hurma cennet meyvelerindendir. Zehir ve sihire karşı şifâdır."* derdi.

Baklagillerden kevinin otu ve semiz otu severdi. Külyeleri sevmez ve bunlardan hoşlanmazdı.

Koyunun yedi âzâsını yemezdi: Zekeri, torba ve içindeki husyeleri, sidik kabını, öd kabını, et ile deri arasında biten bezleri,

---

18. Ebû'ş-Şeyh Sem'an'dan rivâyet etmiştir.
19. İbn Mâce Enes'ten rivâyet etmiştir.
20. Ebû Bekir-i Şâfiî'nin **"Fevâid"**inde zikredilmiştir.

ferci ve kanı, soğan, sarımsak ve pırasa gibi şeyleri yemezdi. Yemeye hiç bir sûretle gülmezdi. Hoşuna giden yemeği yer, gitmeyene ses çıkarmazdı. Keler ve dalak yemeklerinden hoşlanmaz fakat bunlara haram demezdi.

Parmağı ile yemeği sıyırır ve:

اٰخِرُ الطَّعَامِ أَكْثَرُ بَرَكَةً

"Yemeğin sonu daha bereketlidir."[21] buyururdu.

Parmaklarını temizlemeden elini mendil ile silmezdi. Ve *"Bereket yemeğin neresindedir bilinmez."* buyururdu. Yemeğin sonunda:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ، اَللّٰهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَطْعَمْتَ فَأَشْبَعْتَ وَسَقَيْتَ
فَأَرْوَيْتَ لَكَ الْحَمْدُ غَيْرَ مَكْفُورٍ وَلَا مُوَدَّعٍ وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ

"Allahım! Sana hamd olsun, yedirdin doyurdun, içirdin kandırdın, sana hamd ederim. Küfrân-ı nîmet etmem, hamdi terk etmem ve ondan aslâ müstağnî kalmam."[22] derdi. Ekmek ile et yediği zaman, ellerini iyice yıkardı sonra da yüzünü silerdi.

Suyu üç kerede içer, her defasında Besmele ile başlar ve hamdele ile bitirirdi. Suyu akıtarak değil, sorarak içerdi.

Ortaklaşa içtikleri süt veyâ suyu -sol tarafında daha hatırlı kimse bulunursa- sağında bulunan zâta, *"Benim sünnetimde hak senindir. Fakat dilersen onları tercîh edeyim."* derdi. (Ve ona da artırıp yanında bulunana vermenin fazîlet olduğunu ve isterse onun da bir miktar artırıp sağında bulunana vermesini tavsiye ederdi.) Bâzen bir nefeste içtiği de olurdu. İçtiği kaba nefes vermez, bardağı ağzından uzaklaştırdıktan sonra nefesini alırdı. Bir defa bal ve süt karışımı ile dolu bardağı kendisine takdîm ettiler. Kabul etmedi. *“İki yemek ve iki şerbet bir arada olmaz.”* buyurdu. Sonra da:

---

[21] Beyhâkî **"Şuab"**ında Câbir'den rivâyet etmiştir.

[22] Taberânî Hars b. Haris'den rivâyet etti. Buhârî'de buna benzer başka rivâyet yolu vardır.

لَا أُحَرِّمُهُ وَلٰكِنِّي أَكْرَهُ الْفَخْرَ وَالْحِسَابَ بِفُضُولِ الدُّنْيَا غَدًا
وَأُحِبُّ التَّوَاضُعَ فَإِنَّ مَنْ تَوَاضَعَ لِلّٰهِ رَفَعَهُ اللّٰهُ

“Bu haramdır demiyorum, ancak ben büyüklenmeyi ve dünyanın boş şeyleri ile yarın hesap vermeyi uygun bulmuyorum. Ben sâdeliği ve tevâzuu severim. Allah için alçak gönüllü olanları Allahü Teâlâ yükseltir.”[23] buyurdu. Ev içinde bir câriyeden daha utangaç idi. Yemek istemediği gibi, isteğini de onlara duyurmazdı. Sofra kurarlarsa yerdi. Yedirdiklerinden yer, içirdiklerinden içerdi. Yiyecek ve içeceğini bizzat kendisinin kalkıp aldığı da olurdu.

RASÛL-İ EKREM’İN ELBİSEDEKİ ÂDÂB VE AHLÂKI

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) îzâr, ridâ, gömlek ve cübbeden ne bulursa onu giyerdi. Yeşil elbise hoşuna giderdi. Ekseriya beyaz giyerdi:

أَلْبِسُوهَا أَحْيَاءَكُمْ وَكَفِّنُوا بِهَا مَوْتَاكُمْ

“Beyaz elbiseyi dirilerinize giydirin ve ölülerinize kefen yapın.”[24] buyururdu. Harp için veyâ başka maksatlarla işleme kaftan giyer-

---

[23] Bezzar Talha’dan rivâyet etmiştir.

[24] İbn Mâce ve Hâkim İbn Abbâs’tan rivâyet etti ve isnâdının sahîh olduğunu söyledi. Daha başka rivâyet yolları da vardır.

di. İnce atlastan kaftanı vardı; beyaz tenine güzel yakışırdı. Bütün elbiseleri topuklarını aşağı geçmezdi. Îzârı ise daha yukarıda idi. Gömleği ilikli ve bağlı idi. Namazda ve namaz hâricinde bâzen bağını çözerdi. Zâferan ile boyanmış bir çarşafı vardı. Yalnız bunun içinde de namaz kıldırdığı olurdu. Bâzen de tek bir elbise giyerdi. Keçeden yapılmış elbisesi de vardı. Onu giyer ve:

إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ أَلْبَسُ كَمَا يَلْبَسُ الْعَبْدُ

"Ben ancak bir kulum, kölelerin giydiği gibi de giyerim."[25] derdi.

Cuma için, diğer elbiselerinden başka hususî olarak iki elbisesi vardı.

Çok kere tek bir îzâra bürünür ve uçlarını omuzlarına bağlardı. Cenâze namazlarını bu kıyâfetle kıldırdığı da olurdu. Evinde de tek bir îzâr içinde kılardı ve bu îzâr da münâsebet halinde sırtında bulunan îzârı olurdu. Geceleri ekseriya tek bir îzâr içinde kılardı. Bu bir çarşaf demektir. Bir kısmını kendi üzerine bağlar, diğer kenarını kadının üzerine bırakırdı ve böylece kılardı. Güzel siyah bir yün elbisesi vardı Onu birisine hediye etti. Ümmü Seleme:

– "Elbiseyi ne yaptın? Senin beyaz vücuduna o siyah elbise çok yakışırdı, ne oldu?" diye sordu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.): *"Onu birisine hîbe ettim, giydirdim."* buyurdu.

Enes (r.a.) anlatıyor: "İnce kilime bürünerek bize namaz kıldırdığı da vardır. Parmağında yüzük taşırdı. Hatırlamak için yüzüğüne bir iplik de bağlardı. Yüzüğünün kaşında: **"Muhammedü'r-Resûlullah"** yazılı idi. Mühür vazîfesi görürdü. Onunla yazıları mühürler ve:

---

[25] Buhârî ile Müslim Ebû Burde'den rivâyet etmişlerdir.

“Yazıyı mühürlemek, töhmetten hayırlıdır.”[26] derdi. Sargılı ve sargısız olarak başına takke örter ve bâzen de takkesini öne sütre ederek namaz kılardı. Bâzen sarığı bulunmaz ve başına bir başörtüsü bağlardı.

Peygamber Efendimiz’in Hz. Ali’ye **“Sehab”** isminde hîbe etmiş olduğu bir sarığı vardı. Ali (r.a.) bu sarıkla aleyhisselâm Efendimiz’e gittiği zaman Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

أَتَاكُمْ عَلِي فِي السَّحَابِ

“İşte, Ali Sehâb (bulut) *ile geldi.”*[27] buyururdu.

Elbiseyi dâima sağdan giyer ve giydiği zaman:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي كَسَانِي مَا أُوَارِي بِهٖ عَوْرَتِي وَأَتَجَمَّلُ بِهٖ
فِي النَّاسِ

“Mahrem yerimi örteceğim ve insanlara karşı süsleneceğim elbiseyi bana giydiren Allah’a hamd ederim.”[28] derdi. Elbisesini çıkarırken de sol tarafından başlardı.

Yeni elbise giydiği zaman eskisini yoksula verir ve:

مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَكْسُو مُسْلِمًا مِنْ سَمَلِ ثِيَابِهٖ لَا يَكْسُوهُ إِلَّا اللّٰهُ
إِلَّا كَانَ فِي ضَمَانِ اللّٰهِ وَحِرْزِهٖ وَخَيْرِهٖ مَا وَارَاهُ حَيًّا وَمَيِّتًا

---

[26] Buhârî ile Müslim Enes’den rivâyet etmişlerdir.

[27] İbn Adiy ve Ebû Şeyh Cafer b. Muhammed’den, o da babasından rivâyet etmiştir. İbn Nuaym’ın **“Delâilü’n-Nübüvve”**sinde Ömer’den böyle bir rivâyeti vardır.

[28] Tirmizî rivâyet etti. İbn Mâce ve Hâkim Ömer b. Hattâb’dan rivâyet etti ve “sahihtir” dedi.

"Eskimiş elbisesini Allah rızâsı için bir fakire giydiren kimse, Allahü Teâlâ'nın hıfz u himâyesinde o elbise ölü olsun diri olsun yâni isterse kefen olarak kullanılsın. Adamın sırtında bulunduğu müddetçe Allahü Teâlâ'nın hıfz u himâyesinde ve hayır üzerinde olur."[29] buyururdu.

İçi lif dolu tabaklanmış deriden bir döşeği vardı. Boyu iki arşın, eni de bir arşından fazla idi. Gittiği yerde altına serilmek için bir de abası vardı. Kuru bir hasır üzerinde de yatardı. Binitinin, silâh ve eşyâsının isimleri vardı. Bayrağının adı **Ikab**, savaşlarda yanında bulundurduğu kılıcının adı **Zülfikâr**, ayrıca **Mihzen**, **Rusub** ve **Kazıb** adlarında kılıçları vardı. Kılıçlarının sapı gümüş işlemeli idi. Deriden kayışı vardı. Bu kayışda üç tâne gümüş halka vardı. Okunun adı **Ketüm**, ok ve yay kabının adına da **Kâfur** derlerdi.[30] Bindiği devenin adı **Kasva** idi. Buna **Gadba** da denirdi. Bindiği atının adı **Düldül**, merkebinin adı **Yafur**, südünü içtiği koyunun adı **Ayne** idi. Abdest alıp su içtiği çamurdan mâmul bir matharası vardı. Küçük çocuklar Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in evine girer ve bu matharada buldukları sudan içerlerdi. Yümn u bereket olmak üzere üst ve başlarına dökerlerdi.

RASÛL-İ EKREM'İN İNTİKAMA GÜCÜ YETTİĞİ HALDE BAĞIŞLAMASI

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) insanların en ağır başlısı olup en hafiften alanı, gücü yettiği halde en çok affedenlerden birisi idi. Bir gün, altın ve gümüşten yapılmış bir takım gerdanlıklar Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e getirilmişti. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bunları ashâbı arasında bâzı esâslar dâhilinde taksim etti. Tabiî herkese müsâvî şekilde vermedi. Bu arada Bedevîlerden bir Arap:

---

[29] Hakim **«Müstedrek»**inde, Beyhakî **«Şuab»**ında Ömer'den rivâyet etmişlerdir.

[30] Rivâyetlerin mehazı bulunamamıştır.

– "Ey Muhammed! Vallahi Allah sana adâleti emrettiği halde seni adâlete riâyet eder görmüyorum." diye ağır bir ithâmda bulundu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

وَيْحَكَ فَمَنْ يَعْدِلُ عَلَيْكَ بَعْدِي

– *"Yazık sana! Ben adâlete riâyet etmezsem ya kim adalete riâyet eder?"* buyurdu. Adamcağız oradan ayrıldıktan sonra Resul-i Ekrem:

رُدُّوهُ عَلَيَّ رُوبْدًا

– *"Biraz sonra onu bana çağırın."*[31] buyurdu. Ve adamın bu kadar kaba ve saygısız davranmasına karşılık onu en tatlı bir dil ile îkaz etti. Biraz sonra çağırtması da adamın korkmaması için idi.

Yine Câbir'in (r.a.) rivâyetinde; Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Hayber gününde Bilâl'in elbisesi içinde toplanan gümüşleri taksim ediyordu. Adamın biri:

– "Ey Allahın Rasûlü! Taksîmâtını adâletle yap." dedi. Rasûl-i Ekrem: *"Yazık sana! Eğer ben adâlet etmezsem, kim adâlet edebilir? O zaman bu hususta ziyân etmiş olurum. Binaenaleyh nasıl adâlet etmezmişim?"* buyurdu. Bunun üzerine Hz. Ömer (r.a.):

– "Bu adam münafıktır, bunun boynunu vurayım." diye ayağa kalkınca, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

مَعَاذَ اللهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي

---

[31] Ebü'ş-Şeyh İbn Ömer'den ceyyid sened ile rivâyet etmiştir.

– *"Allah korusun. Artık insanlar bunu dillerine dolar ve "Muhammed kendi adamlarını öldürüyor" derler."*[32] buyurdu.

Yine bir savaşta fırsatını bulan bir düşman elinde kılıcı olduğu halde Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e yaklaşarak:

– "Şimdi seni benim elimden kim kurtarabilir?" dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *"Beni Allah korur."* derdemez adamcağızın elinden kılıç düştü ve Peygamberimiz hemen kılıcı alarak:

– *"Ya şimdi seni benim elimden kim kurtarır?"* buyurdu. Şaşkına dönen adam:

– "Sen kılıcı eline alanların iyilerinden ol. Yâni beni bağışla." diye yalvardı. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) kendisine:

– *"Şehâdet getir."* buyurdu. Adam:

– "Hayır, bunu söyleyemem. Ancak senin tarafına geçmeyeceğim gibi seninle savaşanlarla da arkadaş olmam ve seninle artık harbetmem." dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de kendisini serbest bıraktı. Adamcağız kendi adamlarına döndüğü zaman: "İnsanların en hayırlısının yanından geliyorum." dedi[33]

Yine Enes'in (r.a.) rivâyetinde; Yahudi kadınlarından birisi Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e zehirli koyun eti getirdi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *"Bu zehirli eti niçin bana getirdin?"* diye sordu. Kadın:

– "Seni öldürmek için getirdim." dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *"Allahü Teâlâ seni muvaffak etmez."*[34] buyurdu. "Bu kadını katledelim." diyenlere de *"Hayır, bırakın gitsin."* buyurdu.

---

32. Müslim rivâyet etmiştir.
33. Buhârî ile Müslim rivâyet etmiştir.
34. Buhârî ile Müslim rivâyet etmiştir.

Yine Yahûdilerden birisi Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e sihir yapmıştı. Cebrâil aleyhisselâm Peygamberimiz'e gelerek durumu haber verdi. Sihir âletini çıkararak düğümlerini çözdü ve Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) kendisine hafiflik hissetti. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bunu Yahûdiye duyurmak bile istemedi.[35]

Yine Hz. Ali (r.a.) buyuruyor: "Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Zubeyr ve Mikdâd ile birlikte beni iki harem arasındaki "HÂH" denen yere gönderdi ve buyurdular ki:

اِنْطَلِقُوا حَتّٰى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةَ مَعَهَا كِتَابٌ
فَخُذُوهُ مِنْهَا

"Hâh bahçesine gidin. Orada bir kadın vardır. Onda bir mektup var, mektubu alın gelin." Biz de gittik, kadını bulduk ve kadına "Mektubu ver." dedik. Kadın "Bende mektup yok." dedi ise de biz, mutlaka seni arayacağız dediğimizde, kadın saçları arasından mektubu çıkarıp verdi. Mektubu Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e getirdik. Mektup Hatıb b. Ebî Belta'a tarafından Mekke müşriklerine yazılmış ve orada Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e dâir bâzı sırlar aktarılmış bulunuyordu. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Hatıb'ı çağırarak:

مَا هٰذَا؟

– *"Bu nedir?"* diye sorunca, adamcağız:

– "Ey Allahın Rasûlü! Hakkımda acele hüküm verme, beni dinle. Ben bu hareketimi Müslüman olduktan sonra küfre döner şeklinde yapmış değilim. Ancak buraya gelen muhâcirlerin

---

[35] Neseî sahîh senedle rivâyet etti. Buhârî ve Müslim'de başka yoldan rivâyet edilmiştir.

Mekke'de kendi ailelerini koruyacak kuvvetli kabîleleri vardır. Benim ailem zayıftır. Bunu yaparken oradaki akrabalarımın da onlar tarafından himâye edilmelerini düşünerek yaptım." dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّهُ صَدَقَكُمْ

– *"O size doğruyu söyledi."* buyurdu. Bunun üzerine Hz. Ömer:

– Ey Allahın Rasûlü! Müsâade et de şu münâfığın kellesini uçurayım." deyince, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ اِطَّلَعَ عَلٰى
أَهْلِ بَدْرَ فَقَالَ: اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ

– *"Bu adamlar Bedir cengine katılmıştır. Ne biliyorsun? Allahü Teâlâ Bedir halkına "Ne yaparsanız yapın, ben sizi bağışladım."* buyurdu,[36] dedi.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir ganîmet malını taksîm ediyordu Ensârdan biri:

– Bu taksîmât Allah rızâsına uymayan bir taksimdir dedi. Bunu Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e haber verdiklerinde, benzi kızardı ve:

رَحِمَ اللّٰهُ أَخِي مُوسٰى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هٰذَا فَصَبَرَ

– *"Allahü Teâlâ kardeşim Mûsâ'ya rahmet etsin. O bundan daha büyüğü ile eziyet edilmiş ve sabretmiştir."*[37] buyurdu.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

---

[36] Buhârî ile Müslim rivâyet etmişlerdir.

[37] Buhârî ile Müslim İbn Mes'ûd'dan rivâyet etmiştir.

لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا فَإِنِّي
أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ

"Ashâbımın aleyhimde konuştuklarını bana duyurmayın. Zîra gönül hoşluğu içinde aranızda bulunmak isterim."[38] buyurdu.

RASÛL-İ EKREM'İN HOŞLANMADIĞI ŞEYLERE GÖZ YUMMASI

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in cildi yumuşak, içi dışı lâtif ve güzel idi. Hiddet ve neşesi yüzünden belli olurdu. Canı fazla sıkıldığı zaman sık sık sakalını avuçlardı. Hoşa gitmeyen bir şeyi muhatabının yüzüne vurmazdı. Bir gün yüzünde sarı boya bulunan bir adam huzuruna girdi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bu sarı boyadan hoşlanmadığı halde bu adama bir şey demedi. Adam çıktıktan sonra: *"Buna deseniz de şu boyayı izâle etse daha iyi olurdu."*[39] buyurdu. Bedevînin biri huzurlarında mescidin bir köşesinde idrarını yapmıştı. Ashâb onu dövmeye kalkışınca, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

لَا تُزْرِمُوهُ

"Sidiğini kesmeyin işini bitirsin." buyurduktan sonra:

إِنَّ هٰذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنَ الْقَذَرِ وَالبَوْلِ وَالْخَلَاءِ

"Mescidlere pislik, sidik ve kazâ-i hacet gibi şeyler yaraşmaz." buyurdu. Diğer rivâyette: *"Nefret ettirmeyin, yaklaştırın."* buyurdu.[40]

---

[38] Ebû Dûvud ve Tirmizî İbn Mes'ûd'dan rivâyet emişlerdir.

[39] Ebû Dâvûd, Tirmizî ve Neseî Enes'den rivâyet etmişlerdir.

[40] Buhârî ile Müslim, Enes'den rivâyet etmişlerdir.

Yine bir gün bedevînin biri gelerek Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den bir şey istedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) istediğini verince, adama:

– *"Nasıl memnun oldun mu?"* diye sordu. Adam:

– "Hayır, memnun olmadım, iyi bir şey de yapmadın." dedi. Mecliste hazır bulunan Müslümanların canı sıkıldı ve adamı tekdîr için davrandıklarında, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) onlara:

– *"İlişmeyin."* diye işâret buyurdu. Sonra da meclisten kalkıp hâne-i saadetlerine girdi. Bir müddet sonra bedevîyi çağırtarak, daha bâzı ikrâmlarda bulundu:

– *"Şimdi memnun oldun mu?"* diye sordu. Bedevî:

– "Evet şimdi memnun oldum; sa'yiniz meşkûr olsun." dedi. Bunun üzerine Resül-i Ekrem:

– *"Orada çirkin konuştun. Ashâbımın sana karşı gönlü kırıldı ve içlerinden sana nefret beslemeye başladılar. Şimdi bana ifâde ettiğin memnûniyeti onların huzurunda da ifâde eder misin? Şâyet bu memnûniyetini onların huzurunda da ifâde edersen, sana karşı, duydukları kin ve nefret ortadan kalkar."* buyurdu. Adam:

– "Evet, onların yanında da aynı şeyi ifâde ederim." dedi. Rasûl-i Ekrem akşam üzeri veyâ sabahleyin aynı toplantıya gelerek:

– *"Bu bedevî memnun değildi. Fakat ona biraz fazla ikrâmda bulunduğumuz için memnûniyetini ifâde etti. Sorun bakalım ne diyor?"* buyurdu. Adam:

– "Evet memnunum. Allah râzı olsun." dedi. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *"Benimle şu Arabın hali, şöyle bir adamın vaziyetine benzer: Adamın devesi var, deve kendisinden kaçmış, deveyi yakalamak* *için insanlar devenin peşine düşmüşler. Fakat insanların hücûmu deveyi daha uzaklaştırmaktan başka bir işe yaramıyor. Bunun üzerine adam:*

– “Bırakın peşinde koşmayın. Ben ona sizden daha merhametli olduğum gibi, halini de daha iyi bilirim.” dedi ve yerden aldığı bir tutam ot ile devesine “Huy huy!” diye seslendi. Deve de yavaş yavaş adama yaklaştı. Adam deveyi yakalayarak yükünü vurdu ve sırtına bindi. Şâyet ben de o zaman sizi serbest bıraksaydım, adamı öldürseydiniz, cehenneme gidecekti (fakat şimdi kurtarmış olduk.)”[41] buyurdu.

RASÛL-İ EKREM’İN CÖMERTLİĞİ

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) insanların en cömert ve en iyilerinden biri idi. Hele Ramazan-ı Şerif’te esen rüzgâr gibi eline geçen her şeyi durmadan giderdi. Hz. Ali (r.a.) Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’i anlatırken: “O insanların en çok eli açık olanı, sıkıntılara göğüs germe bakımından göğsü en geniş olanı, en doğru sözlüsü, üzerine aldığı işi en güzel ve en iyi şekilde yerine getireni idi. O, en güzel ve yumuşak tabiatli olup, kabîle ve akrabasına en çok ikramda bulunan bir zât idi. Onu ilk gören ondan heybet duyar, sohbetinde bulunanlar ise onu severlerdi. Onun vasıflarını anlatan der ki: Ondan önce de, sonra da onun gibisini görmedim. Ondan istenen bir şeyi -varsa- verir, bulmak imkânı varsa söz verir, bunlar mümkün olmadığı takdirde susardı. Bir gün adamın biri kendisinden bir şey istedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de yanında bulunan bir koyun sürüsünü adama verdi. Adamcağız kabîlesine dönerek, “Geliniz Müslüman olunuz. Zîra o peygamber hiç fakirlikten korkmayan bir kimse gibi atıyyelerde bulunuyor.” dedi. Bir defa

---

41. Bezzâr ve Ebû’ş-Şeyh Ebû Hüreyre’den rivâyet etmişlerdir.

olsun kendisinden istenen bir şeye yok dediği vâkî değildir. Bir defa kendisine doksan bin dirhem isâbet etmişti. Bunu hasırın üzerine döktü. Her gelene verdi; tamamen bitirdi, sonra kalktı.[42] Yine bir adamın biri gelerek Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den bir şey istedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *"Yanımda bir şey yok, biraz bekle, bir şey gelirse sana vereyim."* buyurdu. Orada bulunan Hz. Ömer (r.a.):

– "Ey Allahın Rasûlü! Allahü Teâlâ size güçlükle emir buyurmadı. Siz neden kendinizi zorluyorsunuz?" dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), Hz. Ömer'in bu sözünden hoşlanmamakla beraber cevap da vermedi. Adam Ömer'e cevâben:

– "Sen ver, eksilmez. Arş'ın sâhibinden korkma." diye mukabelede bulununca, bu söz Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in hoşuna gitti, gülümsedi ve neşesi yüzünde belirdi.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Huneyn seferinden dönüşünde bedevî Araplar yoluna çıkarak etrafını sardılar ve durmadan kendisinden istediler. Hattâ Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir ağaca sığınmaya mecbur kaldı. O sırada sırtındaki ridâsı dala takıldı. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) durdu ve:

أَعْطُونِي رِدَائِي لَوْ كَانَ لِي عَدَدَ هٰذِهِ الْعِضَاةِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهَا
بَيْنَكُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذَّابًا وَلَا جَبَانًا

"Ridâmı veriniz. Eğer şu Ummugaylân ağaçlarının sayısı kadar koyunum olsa hepsini size bölerdim. Bu sözümde beni ne korkak, ne cimri ve ne de yalancı bulurdunuz."[43] buyurdu.

---

[42] Ayrı rivayet ve ifâdelerle Buhârî'de de vardır.

[43] Buhârî Cübeyr b. Mut'ım'den rivâyet etmiştir.

RASÛL-İ EKREM'İN ŞECAATİ

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) insanların en bahâdır, en cesur ve yüreklilerinden idi. Bu hususta Hz. Ali (r.a.) hatıralarını şöyle anlatıyor: "Bedir gününde (bozguna uğradığımız sıkışık bir anda) Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e sığınıyorduk. O ise bizden önde ve düşmana daha yakın idi. O gün orada bulunanların en metîn olanı idi."[44] Yine Hz. Ali: "İki saf birbirine karıştığı, harbin ateşli anlarında Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e ilticâ ediyorduk, düşmana en yakın olanımız da o idi."[45]

Denildi ki: Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) az söyler, az konuşurdu. Fakat harp ile emredeceği zaman bütün gücü ile harekete geçer ve çok şiddetli bir tavır takınırdı. Düşmana en yakın yerde bulunduğu için cesur muhâripler ancak ona yaklaşırdı.[46]

İmrân b. Husayn diyor ki: Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) düşman askerleri ile karşılaştığı zaman, ilk vuran o olurdu. (Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ilâhî ahlâk ile muttasıf olduğu için merhametten ayrılmamakla beraber harp meydanlarında) insanların en şiddetlisi idi. Huneyn cenginde müşrikler onu kuşattığı zaman atından inerek:

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ

"Ben peygamberim yalan yok, ben Abdülmuttalib'in oğlunun oğluyum." dedi.[47] O gün ondan daha cesur ve daha metîn kimse görülmedi.

---

[44] Dârimî İbn Ömer'den sahîh sened ile rivâyet etmiştir.

[45] Ebû'ş-Seyh isnâd-ı ceyyid ile rivâyet etmiştir.

[46] Ebû'ş-Şeyh Sa'd b. Iyâz'dan mürsel olarak rivâyet etmiştir.

[47] Buhârî ile Müslim Enes'den rivâyet etmişlerdir.

RASÛL-İ EKREM'İN TEVÂZUU

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) en üstün mevkie sâhip olmakla beraber, insanların en mütevâzı olanı idi. İbn Âmir diyor ki: Hac mevsiminde ak bir deve üzerinde herkes arasında, kimseyi sağa sola itip kakmadan, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'i de sıradan insanlar gibi cemreler atarken gördüm. Çullu merkebine biner, terkisine adam alırdı. Hastaları ziyâret eder, cenâzelere katılır, kölelerin bile dâvetlerine icâbet ederdi. Ayakkabısını tâmir eder ve elbisesini yamardı. Evde muhterem zevcelerinin işlerine katılır onlara yardım ederdi. Kendisine kıyâm yapılmasından hoşlanmadığını bildikleri için, geldiği zaman, ashâb-ı kirâm, ona kıyâm etmezlerdi.

Çocuklar topluluğuna uğrar ve onlara selâm verirdi. Bir gün Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir adamın yanına gitti. Adam Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in heybetinden titremeye başladı. Bunun üzerine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

هَوِّنْ عَلَيْكَ فَلَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشَ
تَأْكُلُ الْقَدِيدَ

"Sâkin ol, ben bir hükümdâr değilim. Ben, Kureyş kabîlesinden kurutulmuş et yiyen bir kadının oğluyum."[48] buyurdu.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in husûsî bir mevkii yoktu. Ashâbı arasında onlardan bir fert imiş gibi otururdu. Gelen bir yabancı onu sormadan bilemezdi. Artık ashâb-ı kirâm bunun böyle olamayacağını anladı ve ona çamurdan yüksek bir yer yaptılar da orada oturdu.

---

[48] Hâkim rivâyet etmiştir.

Hz. Aişe (r.a.) bir gün Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e:

– "Yemeğini yaslanmış olduğun halde ye. Çünkü bu senin için daha kolaydır." dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) başını uzattı, eğdi nerede ise yere değecekti, sonra da:

بَلْ اٰكُلُ كَمَا يأْكُلُ الْعَبْدُ وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ

– *"Hayır, ben kulların yediği gibi yer, kulların oturduğu gibi otururum."* buyurdu.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) masada yemediği gibi hazmı kolaylaştıran ve iştahı açan şeylerle süslenmiş sofrada da yememiştir.

Kim olursa olsun, kendisini çağıran herkese "Lebbeyk-buyurun" diye cevap verirdi. Bir meclise gittiği zaman herkese karşı sevgi ve tevâzuundan onların sohbetlerine iştirak ederdi: Âhiretten konuşuyorlarsa âhiretten, yemek içmekten konuşuyorlarsa yemek içmekten ve başka bir dünya husûsâtı için konuşuyorlarsa bu yönden onların sohbetine katılırdı. Zaman zaman saâdetli huzurlarında eski devirleri anan şiirler söylerler ve gülüşürlerdi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de gülümser ve haram olmayan şeyden onları men etmezdi.

RASÛL-İ EKREM'İN SÛRET VE HİLKATİ

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ne çok uzun, ne de çok kısa boylu idi. Yalnız olarak yürüdüğü zaman "Orta boylu" denirdi. Bununla beraber halk arasında gezerken ondan da uzun denecek kimse yoktu. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) hepsinden uzun gözükürdü. Hâriçte uzun görünen iki kimse etrafına gelse, ancak omuzları hizasında görülürlerdi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

"İyiliğin hepsi ortada, orta boyludadır." buyurdu.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in Rengi:

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in rengi parlaktı; ne çok beyaz, ne de çok koyu idi. Buğday renginde yâni esmer idi.

Amcası Ebû Tâlib onu şöyle tavsîf eder:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهٖ ثَمَالُ الْيَتَامٰى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

"Öyle beyaz bir yüz ki, onun yüzü suyu hürmetine bulutlardan yağmur istenir, öyle bir kerem sahibi ki, yetimler onun eline bakar, dullar ve yoksullar ona güvenir."

Bâzıları, yüzünün, kırmızı ile beyaz karışımı olduğunu söylediler. Terlediği zaman terleri yüzünden inci dânesi gibi dökülür ve teri misk gibi kokardı. Saçı, erkek saçının en güzeli idi. Fazla kıvırcık olmadığı gibi fazla düz değildi. Taradığı zaman âdeta bükülmüş bir ip gibi tarak izleri saçında belli olurdu. Bâzıları saçlarının omuz başlarına kadar indiğini söylerse de ekseriyet kulak yumuşaklarına kadar indiğini söyler. Saçlarını dörde böldüğünü de söyleyenler vardır. Çok kere saçlarını iki yanlarına böler ve zülüfleri yanlardan parlardı. Saç ve sakalında on yediyi geçmeyen beyaz tüy vardı.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.), insanların en güzel, en çok yüzü nurlu olanlardan biri idi. Onu anlatanlar; "Ayın on dördü gibi güzel." derlerdi. Onun neşe ve üzüntüsü, yüzünden belli olurdu. O, arkadaşı Ebû Bekir'in anlattığı gibidir, derlerdi. Ebû Bekir (r.a.) şöyle anlatırdı:

اٰمِينٌ مُصْطَفٰى لِلْخَيْرِ يَدْعُو كَضَوْءِ الْبَدْرِ زَائِلُهُ الظَّلَامُ

"Mustafâ, hayra dâvet eden bir emîn idi. Ayın on dördü gibi karanlığı aydınlatırdı."

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in alnı geniş, kaşları ince ve uzun idi. İki kaşının arası açık ve gümüş gibi parlaktı. Gözlerinin karası geniş idi; biraz kızarıntı ile karışıktı. Kirpikleri birbirine karışacak kadar sıkışıktı, burnu düz, dişleri seyrekti. Gülümsediği zaman dişleri inci gibi parlardı. En güzel dudaklara sâhip olup ağzı açık kalmazdı. Yanakları yumuşaktı ve sarkık değildi. Yüzü uzun olmadığı gibi sakal devirisi gibi parlak da değildi. Sakalını âzâd eder, bıyığının fazlasını keserdi. Boğazı ve boynu kısa olmadığı gibi fazla uzun da değildi. Boynundan açık kalıp güneş ve rüzgârın dövdüğü kısım altın savatlı gümüş bardak gibi parlardı. Gömlek altında kapalı kalan kısmı ise ay gibi parlaktı.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in göğsü geniş olup etleri sarkmış değildi. Ay gibi beyaz ve ayna gibi düz idi. Göğsü ile göbeği arası yukarıdan aşağı bir istikâmette kıllı olup başka taraflarında tüy yoktu. Omuz kemikleri ve kemik başları büyüktü. Sırtı geniş olup iki omuzu arasında nübüvvet mührü vardı ve sağ omuzu tarafında idi. Ortasında sarıya meyyâl siyah bir gül vardı. At yelesine benzer şekilde etrafında bâzı kıllar vardı. Kol ve pazuları irice idi. Bilekleri kalın ve elleri geniş idi. Parmakları uzunca ve parlaklıkta gümüş gibi idi. Avucu, parmaktan yumuşak ve misk gibi kokulu idi. Onunla musâfaha eden kimse akşama kadar elinde güzel kokunun izlerini duyardı. Elini hangi çocuğun başına koyup da okşadıysa, akşama kadar o çocuğun başı güzel kokusu ile diğerlerinden ayrılırdı. Baldırları iri idi.

Şişmanlığı orta derecede olup etleri sarkmamıştı.

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in yürümesine gelince; sanki bir kayadan çıkar veyâ bir çukurdan iner gibi adımlarını ağır ve çekinerek atar, yürürken sallanmaz ve adımlarını fazla açmazdı. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.): *"İnsanlar içinde Adem aleyhisselâma en çok benzeyen* *benim. Gerek ahlâk ve gerek yaratılış bakımından da bana en çok benzeyen İbrâhim aleyhisselâmdır."* buyurdu.

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) şöyle buyurmuştur:

إِنَّ لِي عِنْدَ رَبِّي عَشْرَةَ أَسْمَاءَ، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللّٰهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ، وَأَنَا الْحَاشِرُ يَحْشُرُ اللّٰهُ الْعِبَادَ عَلٰى قَدَمِي، وَأَنَا رَسُولُ الرَّحْمَةِ وَرَسُولُ التَّوْبَةِ وَرَسُولُ الْمَلَاحِمِ وَالْمُقَفّٰى قَفَيْتُ النَّاسَ جَمِيعًا وَأَنَا قَثَمُ

"Rabbımın katında on ismim vardır. Ben Muhammed'im, Ahmed'im, Mâhî'yim; Allahü Teâlâ benimle küfrü mahvedecektir. Ben Akîb'im; benden sonra peygamber yoktur. Ben Hâşir'im; Allah kullarını beni müteakip haşredecektir. Ben rahmet rasûlüyüm, ben tevbe rasûlüyüm, ben melâhim rasûlüyüm, ben Mukaffâ'yım. Herkes bana uyar. Ben Kussem'im; yâni olgun ve bütün iyilikleri câmî bir insanım."[49]

RASÛL-İ EKREM'İN DOĞRULUĞUNA DELÂLET EDEN MÛCİZELER

Bilmiş ol ki; Rasûl-i Ekrem'i (s.a.v.) müşâhede eden, ahlâkı ile alâkalı işlerini, hal ve hareketlerini bildiren haberleri can kulağı ile dinleyen, âdet ve seciyesini, muhtelif sınıfları sevk u idâresini ve onları bir araya toplayarak birbiriyle nasıl kaynaştırdığını ve idâresi altına aldığını bilen, ağır ve kapalı sorulara nasıl hayret

---

49. Ebû'ş-Şeyh, Abdullah b. Ubeyd'den rivâyet etmiştir. (Müslim Tercemesi, C. 7 Sf: 227.)

verecek cevaplar verdiğini öğrenen, halk yararındaki akıllara durgunluk veren muntazam tedbirlerine vâkıf olan, ömürleri boyunca fakîh, bilgin ve aklı başında olan kimselerin hayran kaldıkları şer'î hükümleri açıklamaktaki güzel işâretlerini gören herkes, insâf ile düşündüğü takdirde, bunların insan gücünün irâdesinde, hîle ve aldatma yolu ile elde edilmiş şeyler olmadığında asla tereddüt etmez. Bunların ancak ilâhî kuvvet ve semâvi kudretin yardımı ile elde edildiğinde asla şüpheye düşmez. Bütün bu meziyet ve fazîletlerin bir yalancıda düşünülmesi mümkün değildir. Onun doğuşundan beri tâkip ettiği hatt-ı hareket tarzı doğruluğunun en katî ve müşahhas şâhididir. Halis bir çöl Arabı onu ilk gördüğünde; "Vallahi gördüğüm şu sîmâ yalancı olamaz." derdi. Yalnız görünüşü îtibârıyla onun doğruluğuna şehâdet ederdi. Nerede kaldı onun ahlâkını ve hareketini bilen...

Zâten biz onun ahlâkından bâzısını zikretmekle, güzel hûylarının neden ibâret olduğunu anlatmak ve bunlarla beraber Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in doğruluğuna ve Allahü Teâlâ katındaki büyük mevkiine tenbîh etmek istedik. Zîra bütün bu fazîletleri ona bahşeden Allahü Teâlâ'dır. Çünkü ümmî idi, okumadı. Kitap mütâlaa etmedi. İlim öğrenmek için bir tarafa gitmedi. Yanmış dağlar arasında yaşayan Araplar içinde öksüz olarak yetişti. Şâyet Allahın yardımı kendisine ulaşmasaydı o bu gibi fazîletleri, ahlâkî güzellikleri ve bu hükümleri nereden öğrenecekti. Nerede kaldı Allahü Teâlâ'yı, meleklerini, kitaplarını bilmek ve diğer nübüvvet hassaları. Eğer kendisine açık bir vahiy gelmeseydi bunları bilemeyeceği gibi... Beşer tâkati bu kadar yüklere de tahammül edemezdi.[50]

---

[50] Bütün o amansız düşmanlıklara karşı onları bir araya topladı, kendisine bağladı ve ona olan sevgileri uğrunda canlarını verdi. Vatanlarını terk

Eğer başka bir mûcizesi olmasa bile yalnız bunlar onun nübüvvetinin delîli olmak için yeter ve artardı.

Bununla beraber şüpheye mahal bırakmayacak şekilde mûcizeleri de vardır. Tafsîlâtına girişmeden ve lâfı fazla uzatmadan sahîh kitaplarda bulunup meşhur olan bâzı mûcizelerini anlatalım. Çok kere Allahü Teâlâ onun elinde âdeti bozmuş ve âdete muhalif hârikalar göstermiştir. Mekke'de Kureyşîler, kendisinden peygamberliğinin doğruluğunu gösteren bir mûcize istediklerinde, ay onun için ikiye bölünmüştür.[51]

Hendek Vakası esnâsında Câbir ve Talha'nın evlerinde az yemekle çok kişilerin karnını doyurduğu da bir gerçektir.[52] Seksen

---

ederek ardından gittiler. Bütün bunları ilâhî kuvvetle teyîd edilmeyen bir kimsede toplanması muhâldir.

[51] Mûcize; peygamberlik iddiasında bulunan kimsenin âdeti bozan bir hüner göstermesine denir ki; bu, o peybamberin hüneri değil. Allahü Teâlâ'nın kudretidir. Onu o peygamberin elinde gösteriyor. Her peygamberin kendi zamanına göre birçok mûcizesi vardır. Rasûl-i Ekrem'in de mûcizesi olduğu muhakkaktır. Ehl-i sünnet buna îman eder. Ancak bazı rivâyetlerin doğru olup olmadığı üzerinde durulur. Rasûl-i Ekrem'in her asırda gözler önünde serili en büyük mûcizesi Kur'ân'dır. Lafzı, mânâsı, âhenk ve îcâzı ile bir beşer sözü olmasına imkân yoktur.

[52] Rasûl-i Ekrem'in nübüvvetinden evvel rivâyet edilen meselâ Fil Kıssası ile olan ilgisi. Kolay doğması ve doğduğu anda parlayan bir nur sayesinde Şam'ın köşk ve sokaklarının görülmesi. Basra'da develerin boyunlarının görülmesi. Kuşların annelerinin göğüslerine sarılması. Farslıların ateşinin sönmesi. Sava gölünün kuruması. Kisrâ saraylarının duvarlarının çatlaması. Ufukta tavaf edildiğinin görülmesi. Bazı vasıflarını bildiren sesler duyulması. Putların yere kapanması, mübarek başı üzerinde bulutun sâyebân olması gibi birçok hârikalar vardır ki, bunlar nübüvvetin mukaddimesi olarak irhâsât adını alır. Bunların pek çoklarına îtiraz edilir. Veya bazı tevîller yapılır. Fakat ayın ikiye bölünmesi, bu konudaki âyet-i kerîmenin zâhiri ve ümmetin icmaı ile sâbittir. Rasûl-i Ekrem'in mühim mûcizelerindendir. Zîra

kişiyi daha doğrusu sekiz yüz kişiyi dört müd arpa ekmeği ve bir oğlak ile doyurmuştur. Bir defa da seksen kişiden fazla aç insanı, Enes'in elinde getirdiği bir parça arpa ekmeği kırıntıları ile doyurmuştur. Bir defa da Beşir'in kızının getirdiği bir miktar hurma ile orduyu doyurmuştur.[53]

Yine Tebük Gazvesi'nde ordu Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e mürâcaat ederek susuzluktan şikâyette bulundular. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.):

– *"Hiç su yok mu?"* diye sordu. Bir matharada bir miktar su vardı onu getirdiler. Avucuna aldı; herkes içti, hayvanlarına içirdi, abdest aldı ve su kaplarını doldurdular.[54] Hudeybiye ve Tebük'teki suyu kurumuş kuyulara elinden biraz su dökmekle kuyular su ile doldu ve ordudaki binlerce asker, bu kuyulardan içti.[55]

Onun mûcizelerinden birisi de çöken bir deve kadar yeri kaplayan hurmadan dört yüz süvâriyi azıklandırmasını Hz. Ömer'e emretmesidir. Hepsinin azığını verdiği halde yine bir miktar arttı ve onu Hz. Ömer alıkoydu.[56]

Yine onun mûcizelerinden birisi de, Bedir Cengi'nde eline aldığı bir avuç toprağı müşrikler ordusuna atarak hepsinin gözlerine girmiş olmasıdır. Huneyn'de de böyle yapmıştır.[57]

---

hiç bir peygamberde bu kabîl mûcize görülmemiştir. Çünkü o, yaşadığımız bu âlem dışında bir mûcize idi. **Sübkî**, ay yarılmasının mütevâtir olduğunu tahkîk etmiştir. **Irakî** bu husustaki rivâyetin ittifaklı olduğunu söylemiştir. Hattâ buna da sihirdir diyenler olmuş, fakat yolculuktan dönen bazı kimseler de yolculuk halinde ayın ikiye bölündüğünü görmüşlerdir.

53. Buhârî ile Müslim rivâyet etmişlerdir.
54. Bu da Beyhakî'nin rivâyetinde olup, isnâdı ceyyiddir.
55. Bu mûcize bir kaç kere tekerrür etti.
56. Buhârî ile Müslim rivâyet etmişlerdir.
57. Ahmed rivâyet etmiştir.

Bu hususta:

وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ رَمٰى

"Attığın zaman sen atmadın fakat Allah attı." (Enfâl suresi, 8/17) âyet-i kerîmesi nâzil oldu. Allahü Teâlâ, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'i göndermekle kehâneti de iptal etmiştir. Hâlbuki daha önce kehânet vardı.

Yapılan minbere çıkması ile daha önce dayanarak hutbe okuduğu hurma kütüğü de bu ayrılığa dayanamayarak ağladı. Bütün ashâb da kütüğün deve sesi gibi ağlamasını duydular. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) onu kucaklayınca sesi kesti. Bu da onun mûcizelerinden birisidir.[58] Bir mûcizesi de Yahûdileri ölümü temennîye dâvet etti ve onların ölümü temennî etmeyeceklerini önceden haber verdi. Gerçekten de öyle oldu ve onları ilzâm etti. Kur'ân-ı Kerîm'de de bu hâdiseyi açıklayan âyet-i celîle dünyanın her tarafında okunmaktadır.[59]

Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) birçok gaybden de haber vermiştir. Hz. Osman'ın başına felâket geleceğini ve cennete gireceğini haber vermiştir.[60] Ammarî'de bâğîlerin öldürüleceğini haber vermiştir. Hz. Hasan'ın, iki İslâm ordusunun arasını bulacağını da bildirmiştir.[61]

Muhârebe meydanında büyük kahramanlıklar gösteren bir kişinin cehenneme gideceğini haber vermesi üzerine, adamı takip ettiler; baktılar ki aldığı yaralara dayanamayarak kendi canına kıymıştır.[62] Bütün bunlar ilâhî vahyin tecellîsinden başka hiç bir şekilde bilinemeyen şeylerdir. Ne yıldızlara bakmakla, ne de başka sûretle bilinmelerine imkân vardır. Ancak Allahü Teâlâ'nın vahiy ve bildirmesiyle bilinebilen hakikatlerdir.

---

[58] Müslim rivâyet etmiştir.
[59] Buhârî Cabir ve Sehl b. Sa'd'dan rivâyet etmişlerdir.
[60] Buhârî İbn Abbâs'tan rivâyet etmiştir.
[61] Buhârî ile Müslim Ebû Mûsa el-Eş'arî'den rivâyet etmişlerdir.
[62] Buhârî ve Müslim ayrı yollardan rivâyet etmişlerdir.

Medîne'ye göç ederken ardından yetişen **Surâka**'nın atının kuma batması ve ardından bir duman çıkması üzerine, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den yardım dilemesi ve Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in duâsı ile atının kurtulması. Kisrâ'nın bileziklerinin bileğine geçirileceğini Surâka'ya haber vermesi ve Hz. Ömer devrinde bunun tahakkuk etmesi, yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in mûcizelerindendir.[63]

Yalancı peygamberlerden Esved-i Ansî'nin Sana'da öldürüldüğünü ve öldüreni o gece haber vermesi de bir başka mûcizesine örnektir.[64] Tertiplenen sû-i kasdı icrâ için evini kuşatmış olan yüz kişinin üzerine bir avuç toprak atmakla aralarından çıkıp gittiği halde onu görememişlerdir.[65] Ashâbın huzurunda bir deve, sâhibinden kendisine şikâyette bulunmuştur.[66]

Yine birgün ashâbı ile otururken:

– *"Sizden biriniz cehenneme girer. Onun dişi Uhud Dağı gibidir."* buyurdu. Gerçekten bunlardan biri irtidad etti ve mürted olarak öldürüldü.[67] Yine bir topluluğa hitâben: *"Sizden en son ölecek olan, ateşte yanarak ölecek."* buyurdu ve gerçekten de öyle oldu.[68]

İki ağacı huzuruna dâvet etti, ağaçlar geldi, bir arada toplan-

---

63. Buhârî ile Müslim Ebû Hureyre ve Sehl b. Sa'd'dan rivâyet etmişlerdir.
64. Buhârî ile Müslim, Ebû Bekir'den rivâyet etmişlerdir.
65. Buhârî ile Müslim'de bununla alâkalı rivâyet vardır.
66. İbn Merdûye İbn Abbâs'tan rivâyet etmiştir.
67. Ebû Dâvud Abdullah b. Câfer'den rivâyet etmiştir.
68. Dârekutnî Ebû Hureyre'den rivâyet etmiştir.

dılar ve sonra da yerlerine gittiler.[69] Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in aslında orta boylu olduğu halde uzun boylular arasında herkesten uzun görünmesi de onun mûcizelerindendir.

Hıristiyanları lânetleşmeye davet etti ve şâyet bu teklifi kabul ederlerse helâk olacaklarını haber verdi. Onlar da ona inanarak buna yanaşmadılar.[70]

Arap süvârilerinden Amir b. Tufeyl ile Erded b. Kays Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'i öldürmek üzere geldiler. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir hîle ile onlardan, kurtuldu ve onlara beddua etti. Amir gudde hastalığına yakalanarak öldü. Erbed'i de yıldırım yakarak yok etti.[71]

Yine Ubey b. Halefî bizzat kendisinin öldüreceğini haber verdi ve Uhud Harbi'nde hafif bir temâs ile onu öldürdü.[72] Zehirli etten beraber yedikleri arkadaşı öldü, fakat Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ondan sonra dört sene daha yaşadı. Zehirli bacak ise zehirli olduğunu Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'e söylemişti.[73]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Bedir gününde Kureyş'in ileri gelenlerinin öldürülecekleri yerleri teker teker haber verdi ve hepsi de Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in gösterdiği yerlerde öldürüldüler.[74]

Yine Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) ümmetinden bir kısmının deniz muharebesine katılacaklarını haber verdi ve öyle oldu.[75] Yeryüzü kendisine dürüldü ve pek çok yerlerini gördü. Gördüğü yere kadar ümmetinin genişleyeceğini haber verdi ve öyle oldu.[76] Çin'den Endülüs'e ve Berberîlere kadar ilerlediler.

---

[69] Taberânî ve Beyhakî rivâyet etmişlerdir.
[70] Ahmed, Ali'den sahîh sened ile rivâyet etmiştir.
[71] Buhârî İbn Abbâs'tan rivâyet etmiştir.
[72] Taberânî **"Evsat"**ında rivâyet etmiştir.
[73] Beyhakî **"Dalâilü'n-Nübüvve"**de rivâyet etmiştir.
[74] Müslim Ömer b. Hattâb'dan rivâyet etmiştir.
[75] Buhârî ile Müslim rivâyet etmişlerdir.

Sevgili kızı Hz. Fatıma'ya, ehl-i beytinden en evvel ölecek olanın o olduğunu haber verdi ve öyle oldu.[77] Muhterem zevcelerine de, eli en uzun olanın ilk önce öleceğini haber verdi ve öyle oldu. Burada, eli uzun demekten mecâzî, mânâ olarak en cömerdini kasdetti. O da Zeyneb binti Cahş idi ve ilk öleni de o oldu.[78]

Sağılmayan koyunun memesini tutmakla koyun süt verdi ve bu hâdise İbn Mes'ûd'un (r.a.) Müslüman olmasına sebep oldu. Huzaa Kabîlesi'nden Ümmü Mâbed'in çadırında da bu hâdise tekrarlanmıştır.[79]

Ashâbdan birisinin çıkan gözünü yerine koydu ve sapasağlam oldu, eskisi gibi gördü.[80] Hayber gününde Hz. Ali'nin ağrıyan gözlerine tükürmekle gözleri iyileşti ve kaleyi fethetmek için sancağı onun emrine verdi.[81] Ashâb-ı kirâm, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in önündeki yemeğin tesbîhini duyarlardı.[82] Yne ashâbdan birisinin sancılanan ayağını meshetmekle sancısı geçti.[83] Bir seferde iâşe son derece azalmıştı. Toplanan az bir miktara bereketle duâ etti. Sonra ordu, kaplarını alabildiğine buradan doldurdular.[84]

Bir gün Âs bin Vail'in oğlu Hikem, Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'in yü-

---

76. Müslim Âişe ve Fatıma'dan rivâyet etmişlerdir.
77. Buhârî ile Müslim Aişe ve Fatıma'dan rivâyet etmişlerdir.
78. Müslim Aişe'den rivâyet etmiştir.
79. Ahmed İbn Mes'ûd'dan rivâyet etmiştir.
80. Ebû Nuaym ve Beyhakî Ebû Sald'den rivâyet etmişlerdir.
81. Buhârî ile Müslim Ali ve diğerlerinden rivâyet etmişlerdir.
82. Buhârî İbn Mes'ûd'dan rivâyet etmiştir.
83. Buhârî, rivâyet etmiştir.
84. Buhârî ile Müslim, Seleme b. Ekve'den rivâyet etmişlerdir.

rüyüşünü eğlence maksadıyla tenkîd etti ve sallana sallana yürümeye başladı. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.): "İşte öyle ol." buyurdu ve adam ömrünün sonuna kadar ancak öyle yürüyebildi.[85]

Yine bir defa Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) bir adamın kızını istedi. Adam vermemek için "Onda alalık hastalığı vardır." dedi. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) de: "Öyle olsun bâri." buyurdu ve öyle oldu. Bu kadın Ümmü Şebîb b. Bersâ'dır. Buna benzer daha pek çok mûcizeleri vardır.

Biz meşhur olan mûcizeleri ile iktifâ ettik, Tevâtüre varmayan bu mûcizelerde şüpheye düşen kimse, yine tevâtüre varmayan Hz. Ali'nin kahramanlığında ve Hatem'in cömertliğinde şüpheye düşen gibidir. Bu rivâyetler her ne kadar teker teker mütevâtir değilse de, hepsini birden mütâlaa ettiğimiz zaman, tevâtürlerinde, şüphe edilmez. Bununla beraber Kur'ân-ı Kerîm'in tevâtüründe kimse, şüphe etmez. İnsanlar arasında devamlı sûrette yaşamakta olan en büyük mûcizesidir. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)'den başka hiç bir peygamberin devâm eden mûcizesi yoktur. Zîra Rasûl-i Ekrem (s.a.v.) Kur'ân-ı Kerîm ile bütün Araplara, edîb ve beliğlerine meydan okumuştur. Hâlbuki o zaman Arap Yarımadası fesâhat yatağı idi. Onlar edebiyat ve şiirleri ile övünürlerdi. İşte onların arasında şüphe edenlere, Kur'ân'ın tamamının veyâ on sûresinin veyâ küçük bir sûresinin benzerini getirin bakalım, diye meydan okumuştur. Allahü Teâlâ:

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلٰى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا
الْقُرْاٰنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا

---

[85] Beyhakî Hind bin Hatice'den rivâyet etmiştir. İbn Cevzî **"Tenkili"** adlı eserinde rivâyet etmiştir.

“De ki; insanlar ve cinler bu Kur’ân’ın benzerini getirmek için bir araya toplansa benzerini getiremezler, hep birbirine yardımcı olsalar da.” (İsrâ suresi, 17/88) Zâten onlara bu meydan okuma, onların bunun benzerini getirmeleri için değil, acziyetlerini onlara bildirmek ve ilzâm etmek içindir. Zâten onlar da ümitlerini kestiler, acziyetlerini anladılar ve bundan vaz geçerek kılıca sarılmak sûretiyle Kur’ân’a karşı koymak istediler. Kendilerini öldürttüler ve mallarını yağma ettirdiler. Sonra bu meydan okuma dünyanın her tarafında yayıldı. Aradan beş asır (Gazâlî devrine kadar) geçtiği halde hâlâ benzerini getiremediler ve getiremezler. Rasûl-i Ekrem (s.a.v.)’in tavr u hareketini, sözünü, işini, ahlâkını, mûcizelerini, şerîatinin bu ana kadar yaşamasını, yeryüzüne yayılmasını, kendisi yetimlikten yetişme bir kimse olduğu halde zamanındaki hükümdârların ve sonra gelenlerin İslâmiyet’e nasıl boyun eğdiklerini bildiği ve duyduğu halde hâlâ doğruluğunda şüphe edecek kadar ahmaklık olur mu? Hemen onu tasdîk edenlere de ne büyük bir tevfîk-i ilâhî yetişmiştir.

Sözünde, işinde, tavr u hareketinde ve her ahlâkında onun izinden gitmeyi Allah’tan dileriz.

“Geçim Âdâbı Kitabı” ve **“Nübüvvet Ahlâkı Kitâbı”** Allahın lûtf u keremiyle burada tamam oldu.